I

كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور

تأليف الشيخ الإمام العالم الحبر الهمام زين المحققين وقدوة المدققين وحيد دهره وفريد عصره أبي الفضل برهان الدين عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي رحمه الله ونفعنا به

MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM: H. Ali Bş.
ESKİ KAYIT NO 149
YENİ KAYIT
TASNİF No

بسم الله الرحمن الرحيم

قال افقر الخلايق الى عفو الخالق ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن ابي بكر البقاعي الشافعي لطف الله بهم اجمعين ۞ الحمد لله الذي انزل الكتاب متناسبا سوره وايانه متشابها تواصله وغاياته واشهد ان لا اله الا الله الذي عمت كلماته وعمت مكرماته واشهد ان سيدنا محمدا عبده الذي ختمت به نبواته وكملت برسالته رسالاته صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وازواجه وذريته واحبابه صلواته وتواترت تسليمه وبركاته ما دامت حياته وبقيت ذاته وصفاته وبعد فهذا كتاب عجاب رفيع الجناب في فن ما رايت من سبقني اليه ولا عول ثاقب فكره عليه اذكر فيه ان شاء الله مناسبات ترتيب السور والايات اطلت فيه التدبر وافنيت التفكر لايات الكتاب امتثالا لقوله تعالى ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب واستنانا بما اشار اليه امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه فيما اخرجه البخاري في الجهاد وغيره عن ابي جحيفة قال قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله قال لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة لا اعلم الا ان يعطي الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة الحديث وتعرضا لنفحات ما اشار اليه ما اخرجه البخاري وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية والبخاري وغيره ايضا عن ابي بكرة وغيره رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال ليبلغ الشاهد الغايب فرب مبلغ اوعى من سامع ووقوفا على لباب الذي اطلع عليه حبر الامة وبحر علومها الجهبذ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيما رواه الشيخان والطبراني وهذا لفظه انه رضي الله عنه كان في بيت خالته ميمونه رضي الله عنها فوضع للنبي صلى الله عليه وسلم طهورا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من وضعه قيل ابن عباس رضي الله عنهما قال فضرب على منكبي وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وروى عنه الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في مقدمة تفسيره والامام ابو بكر ابن الانباري في مقدمة كتاب الوقف والابتداء انه قال رضي الله عنه تفسير القرآن على اربعة وجوه تفسير يعلمه العلما وتفسير تعرفه العرب وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير لا يعلمه الا الله عز وجل فمن ادعى علما بما يعني علما به فهو كاذب وقال شيخ الاسلام ولي الله محي الدين النواوي في اخر كتاب الغسل من شرح المهذب ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من اهله وهذا مجمع عليه واما تفسير العلما المحسن بالاجماع فاصدق فيه والحمد لله تاييد سماوي لجعله كالرديف لتفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي ولعل تسميله كان ببركة مبشر من اثار النبوة رايتها في صباي وانا في حدود العاشرة من سني في قريتنا من بلاد البقاع رايت روح القدس جبريل المنزل لهذا الروح والمويد بروح القدس محمد النبي الامي المنزل عليه هذا الروح صلى الله عليهما وسلم في صورتي شابين امردين في احسن صورة راكبين فرسين اخضرين في غاية الحسن متوجهين نحو المشرق فايدني الله تعالى ببركتهما في تصنيفه بروح منه كما يشهد من طالعه وتدبره والله ولي التوفيق وسميته نظم الدرر من تناسب الايات والسور وبناسب ان يسمى فتح الرحمن في تناسب اجزا القرآن واشهر اسمائه ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان وعلم المناسبات الاعم من مناسبات القرآن وغيره علم تعرف منه علل الترتيب وموضوعه اجزا النبي المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما امامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلمة الشبه فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب اجزائه وهو سر البلاغة لانه الى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال وتوقف الاجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو وطالعت على ذلك كتاب العلامة ابي جعفر احمد ابن ابراهيم بن الزبير الثقفي الغاصمي الاندلسي المعلم بالبرهان ترتيب سور القرآن وهو لبيان مناسبة تعقب السورة بالسورة فقط لا يتعرض فيه للايات وسماه كذلك في اول كل سورة ما قاله فيها بلفظه كما سيراه ان شاء الله تعالى ثم ظفرت بكتاب للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الشافعي سماه البرهان في علوم القرآن فرايته ذكر فيه ما يعرف عند اركباني هذا العلم في النوع الثاني

منه وهو في المناسبة قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته وممن اكثر منه الامام فخر الدين وقال في تفسيره اكثر لطايف
القرآن مودعة في الترتيبات والروابط وقال القاضي ابو بكر بن العربي في سراج المريدين ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى
تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عز وجل
لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق باوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه ونقل الزركشي
عن سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه قال ما حاصله المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام
ان يقع في امر متحد مرتبط اوله باخره فان وقع على اسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه
الا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن احسنه فان القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في احكام مختلفة شرعت
لاسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتاتى ربط بعضه ببعض قال الزركشي وقال بعض مشايخنا المحققين قد وهم من قال لا يطلب
للآي الكريمة مناسبة لانها على حسب الوقايع المتفرقة وفصل الخطاب انها على حسب الوقايع تنزيلا وعلى حسب الحكمة
ترتيبا وتاصيلا مرتبة سوره كلها واياته لتوقيف كما انزل جملة الى بيت العزة ومن المعجز البين اسلوبه ونظمه الباهر والذي
ينبغي في كل اية ان يبحث اول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها او مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم
انتهى قلت والشيخ المشار اليه هو العارف ولي الدين محمد بن احمد الملوي المنفلوطي الشافعي ذكر ذلك في كلام مفرد على قوله تعالى وهو
الذي جعلكم خلايف الارض ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونقل الامام شمس الدين محمود الاصفهاني في تفسير قوله
تعالى آمن الرسول عن الامام الرازي انه قال ومن تامل في لطايف نظم هذه السورة وفي بدايع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز
بسبب اسلوبه ارادوا ذلك الا اني رايت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطايف غير منتبهين لهذه الاسرار وليس الامر في
هذا الباب الا كما قيل والنجم يستصغر الابصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر انتهى وانتفعت في هذا الكتاب كثيرا
بتفسير على وجه كلي للامام الرباني ابي الحسن علي بن احمد بن الحسن النجيبي الحرالي بمهملتين مفتوحتين ومد وتشديد اللام المغربي
نزيل حماه من بلاد الشام سماه مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل وكتاب العروة لهذا المفتاح يذكر فيه انزال كل
الاحرف السبعة وما تحصل به قراتها وكتاب التوسية والتوفية في فصول تتعلق بذلك وقد ذكرت اكثر هذا الكتاب في
تضاعيف كتابي هذا معزوا اليه في مواضع تليق به ثم بعد وصولي الى سورة الانفال ملكت جزءا من تفسيره فيه من اوله الى
ان الله اصطفى في آل عمران فرايته عديم النظير وقد ذكر فيه المناسبات وقد ذكرت ما اعجبني منها وعزوته اليه يسر الله
الاطلاع على بقيته بحوله وقوته وبعد ان وصلت الى سورة الكهف ذكر لي ان تفسير ابن النقيب الحنفي وهو في نحو ستين مجلدا
يذكر فيه المناسبات وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه فطلبت منه جزءا فرايت الامر كذلك بالنسبة الى الايات لا جملها والى
القصص لا جميع اياتها ومن نظر كتابي هذا مع غيره علم النسبة بينهما والله الموفق وبهذا العلم يرسخ الايمان في القلب ويتمكن من
اللب وذلك انه يكشف ان للاعجاز طريقين احدهما نظم كل جملة على حالها بحسب التركيب والثاني نظمها مع اختها بالنظر الى
الترتيب والاول اقرب تناولا واسهل ذوقا فان كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه ويحصل له عند سماعه روعة
بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الاعجاز ثم اذا عبر الفطن من
ذلك الى تامل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك وراى ان الجمل متباعدة الاغراض متباينة المقاصد فظن
انها متنافرة فحصل له من القبض والكرب اضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط فربما شككه ذلك وزلزل
ايمانه وزحزح ايقانه وربما وقف ذلك بكثير من اذكيا المخالفين عن الدخول في هذا الدين بعد ما وضحت لديه
دلايله وبرزت له من حجالها دقايقه وجلايله لحكمة ارادها منزله واحكمها مجمله ومفصله فاذا استعان الله
وادام الطرق لباب الفرج بانعام التامل واظهار العجز والوثوق بانه في الذروة من احكام الربط كما كان في الاوج من حسن
المعنى واللفظ لكونه كلام مزجل عن سوايب النقص وحاز صفات الكمال ايمانا بالغيب وتصديقا للرب قايلا ما قال
الراسخون في العلم وبنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب فانفتح له ذلك الباب ولاحت
من ورايه بوارق انوار تلك الاسرار رقص الفكر منه طربا وشكر والله استغرابا وعجبا وطاشت لعظمة ذلك جنانه
فرسخ من غير مرية ايمانه وراى ان المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف بديعة الرصف علية الامر عظيمة
القدر مباعدة لمعاني الكلام على انها منها اخذت فسبحان من انزله واحكمه وفصله وعطاه وجلاه وبينه غاية
البيان واخفاه وبذلك ايضا يوقف على الحق من معاني ايات حار فيها المفسرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب
منها قوله تعالى في سورة البقرة ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت الايتين ومنها قوله تعالى في سورة النساء فضل
الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة مع قوله عقبه وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات
وقوله تعالى في اخر هود فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء الاية وقوله تعالى في سبحان ويسئلونك عن الروح الاية وقوله
تعالى في السجدة قل يتوفيكم ملك الموت وقوله تعالى في يس انهم اليهم لا يرجعون الى غير ذلك مما تراه وينكشف لك غامض
معناه وبه تتبين لك اسرار القصص المكررات وان كل سورة اعيدت فيها قصة فلمعنى ادعي في تلك السورة استدل
عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة ومن هنا اختلفت الالفاظ تدرء الاغراض وتغيرت
النظوم بالتاخير والتقديم والايجاز والتطويل مع انه لا يخالف شيء من ذلك اصل المعنى الذي تكونت به القصة وعلى قدر

متسقة

بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه
فهو ايضا بسبب ترتيبه ونظم
آياته ولعل الذين قالوا انه معجز

غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها ولقد شفاني بعض فضلاء العجم وقد سالته عن شي من ذلك فراه مشكلا ثم
قررت له وجه مناسبته وسالته هل وضح له فقال يا سيدي كلامك هذا يتسابق الي الذهن فلا تظنن ايها الناظر لكتابي
هذا ان المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها والرفع لستورها فرب اية اقمت في تاملها شهورا منها واذ غدوت من
اهلك في آل عمران ومنها ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ومن اراد تصديق
ذلك فليتامل شيا من الايات قبل ان ينظر ما قلته ثم لينظره يظهر له مقدار ما تعبت وما حصل لي من قبل الله من العون سواء
كان ظهر له وجه لذلك عند تامله اولا وكذا اذا راي ما ذكر غيري من مناسبات بعض الايات وبه ايضا يتضح انه لا وقف
تام في كتاب الله ولا علي آخر سورة قل اعوذ برب الناس بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي اوله كاتصالها
بما قبلها بل الا ان يحمل نفيهم لتعلقه علي اللفظ مطلقا ولو خفيا وفي الثاني علي اللفظ بقيد الجلاء ولا تنكشف هذه الاغراض
اتم الانكشاف الا لمن خاض غمرة هذا الكتاب وصار من اوله واخره واثنائه علي ثقة وصواب وما يذكر الا اولوا الالباب
وقد ذكر الزركشي نحو اربع ورقات من مناسبات بعض الايات واذا تاملتها عظم عندك ما في هذا البحر الزاخر من نفايس
الجواهر وبدايع السراير وقد ادرجت فيه مما ليس من بابة التيسير من غرابة التفسير مما لم اظفر به في كتاب مع انه
كالمثل يسير والله اسئل ان يجعله موجبا لرضوانه والفوز الدايم في اعلي جنانه وهو حسبي ونعم الوكيل

سورة فاتحة الكتاب

بسم الله القيوم الشهيد الذي لا يعزب شي عن علمه ولا يكون شي الا باذنه الرحمن الذي عمت رحمته الموجودات وطبع في
مراي القلوب عظمته فتعالت تلك السبحات واجري علي الالسنة ذكره في العبادات والعادات الرحيم الذي تمت نعمته
بتخصيص اهل ولايته بارض العبادات قال شيخنا الامام المحقق ابو الفضل محمد بن العلامة القدوة ابي عبد الله محمد بن
العلامة القدوة ابي القسم محمد المشدالي المغربي البجائي المالكي علامة الزمان سقي الله عهده سحايب الرضوان واسكنه اعلي
الجنان الامر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الايات في جميع القرآن هو انك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج
اليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر الي مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في
المقدمات الي ما يستتبعه من استفراش نفس السامع الي الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفا الغليل
بدفع عنا الاستشراف الي الوقوف عليها فهذا هو كلام الكلي المهيمن علي حكم الربط بين جميع اجزاء القرآن فاذا فعلته تبين لك
ان شا الله تعالي وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة والله الهادي انتهي وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد
وصولي الي سورة سبا في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب ان اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لان اسم كل شي
تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال اجمالا علي تفصيل ما فيه وذلك هو الذي انبا به آدم عليه السلام عند العرض
علي الملايكة عليهم السلام ومقصود كل سورة هاد الي تناسبها فاذكر المقصود من كل سورة واطبق بينه وبين اسمها وافسر
كل بسملة بما يوافق مقصود السورة ولا اخرج عن معاني كلماتها فالفاتحة اسمها ام الكتاب والاساس والمثاني والكنز
والشافيه والكافيه والوافيه والرقيه والحمد والشكر والدعا والصلوة فمدار هذه الاسما كما تري علي امر
خفي كان لكل مراد وهو المراقبة التي سا قول انها مقصودها فكل شي لا يفتتح بها لا اعتداد به وهي ام كل خير واساس كل
معروف ولا يعتد بها الا اذا ثنيت فكانت دايمة التكرار وهي كنز لكل مني شافيه لكل داء كافيه لكل مهم وافيه بكل
مرام واقيه من كل سو رقيه لكل ملم وهي اثبات للحمد الذي هو الاحاطة بصفات الكمال وللشكر الذي هو تعظيم المنعم وهي
عين الدعا فانه التوجه الي المدعو واعظم مجامعها الصلوة اذا تقرر ذلك فالغرض الذي سيقت له الفاتحة هو اثبات استحقاق
الله تعالي لجميع المحامد وصفات الكمال واختصاصه بملك الدنيا والاخرة وباستحقاق العبادة والاستعانة بالسوال
في المن بالزام صراط الفايزين والانقاذ من طريق الهالكين مختصا بذلك كله ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم لافراده
بالعبادة فهو مقصود الفاتحة بالذات وغيره وسايل اليه فانه لا بد في ذلك من اثبات احاطته تعالي بكل شي ولين يثبت حتي
يعلم انه المختص بانه الخالق الملك المالك لان المقصود من ارسال الرسل وانزال الكتب نصب الشرايع والمقصود من
نصب الشرايع جمع الخلق علي الحق والمقصود من جمعهم تعريفهم بالملك وبما يرضيه وهو افراده بالعبادة وهو مقصود القرآن
الذي انتظمته الفاتحة بالقصد الاول ولن يكون ذلك الا بما ذكر علما وعملا ولما كان المقصود من جمعهم علي الله تعالي معرفته
لاجل عبادته وكان التزام اسمه تعالي في كل حركة وسكون قايدا الي مراقبته وداعيا الي مخافته واعتقاد ان مصادر
الامور وموارد ها منه وبه واليه شرعت التسمية اول كل شي فصدرت بها الفاتحة وقدم التعوذ الذي هو من درء
المفاسد تعظيما للقرآن بالاشارة الي انه يتعين لتاليه ان يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق امره لينال سوله ومراده
مما اودعه من خزاين السعادة باعراضه عن العدو والحسود واقباله علي الولي الودود ومن هنا تعرف مناسبة المعوذ
بالفاتحة ولما افتتح التعوذ بالهمزة اشارة الي ابتدا الخلق وختم بالميم ايما الي المعاد جعلت البسملة كلها للمعاد
لابتدايها بحرف شفوي وختام اول كلماتها وآخرها باخر اشارة الي ان الرجوع اليه في الدنيا معني تدبير الامور وان كان
اكثر الخلق غافلا عنه وفي البرزخ حسا بالموت وفي الاخرة كذلك بالبعث كما اشار الي ذلك تكرير الميم المختتم بها في اسمها مرتين

اشد تح

ولن م

بذكرها

بذكرها فيه مرتين اشارة الى المعادين الحسيين والله اعلم والمراد بالاسم الصفات العلى وقال الاستاذ ابو الحسن الحرالي
في تفسيره في غريب الفاظ البسملة الباء معناه اسم ما اظهره الله سبحانه من حكمة التسبيب للامم ظهور ما غاب او غمض للقلوب ۞
بواسطة الاذان على صورة الافراد الله اسم ما تعنو اليه القلوب عند موقف العقول فتاله فيه اي تتحير فتتالهه اي تتعبد له وهو
اي تعنى به عن كل شيء الرحمن شامل الرحمة لكافة ما تناولته الربوبية الرحيم خاص الرحمة بما ترضاه الالهية وقال في غريب معانيها
لما اظهر الله سبحانه حكمة التسبيب واري الخلق استفادة بعض الاشياء من اشياء اخر متقدمة عليها كانها اسبابها وقف بعض
الناس عند اول سبب فلم يرما قبله ومنهم من وقف عند سبب السبب الى ما عساه ينتهي اليه عقله فطوى الحق تعالى تلك الاسباب
واظهر بالبسملة اي لتقدم المبارك ان كل شيء باسمه لا بسبب سواه وقال واستفتح ام القران بالبسملة لما كانت نسبتها من متاون
الصحف والكتب الماضية نسبة ام القران من القران الكتاب الجامع للصحف والكتب لموضع طيها الاسباب كما تضمنت ام القران سر
ظهور الافعال بالاعانة من الحميد المجيد في اية اياك نعبد واياك نستعين هذا في ظاهر الخطاب الى ما وراء ذلك من باطنه فان لكل اية ظهرا
وبطنا وليلتزمها الخلق في ابتداء اقوالهم وافعالهم هكذا قال واشد منه انه لما كانت نسبة البسملة من الفاتحة نسبة الفاتحة
من القران صدرت بها الفاتحة كما صدر القران بالفاتحة لانها لما افادت نسبة الامور كلها اليه سبحانه وحده افادت انه كلاحمه وجده
وذلك هو اجمال تفصيل الفاتحة كما ان الفاتحة اجمال تفصيل القران من الاصول والفروع والمعارف والطايف ولما كان اسم الجلالة
علما وكان جامعا لجميع معاني الاسماء الحسنى اوليه الرحمن من حيث انه كالعلم في انه لا يوصف به غيره ومن حيث انه ابلغ من الرحيم فاولي
الابلغ الابلغ وذلك موافق لترتيبا الوجود الايجاد ثم النعم العامة ثم الخاصة بالعبادة وذكر الوصفان ترغيبا وطوبت الثقة في انهام
اختصاص الثاني لتمام الترغيب بالاشارة الى الترهيب والمراد بهما هنا انه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته وكررهما بعد تنبيها على
وجوب ذلك للربوبية والملك وللدلالة على ان الرحمة غلبت الغضب وفيهما الى ما ذكر من الترغيب للدلالة على سائر الصفات الحسنى
لان من عمت رحمته امتنع ان يكون فيه شوب نقص وفي آخر سبحان لهذا المكان مزيد بيان وكونها تسعة عشر حرفا خطيه وثمانية
عشر لفظيه اشارة الى انها دوافع للنقم من النار التي اصحابها تسعة عشر وجوالب للرحمة بركعات الصلوات الخمس وركعة الوتر
اللاتي من اعظم العبادات الكبر ولما كانت البسملة نوعا من الحمد ناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع افراده فكانه
قيل احمدوه لانه المستحق لجميع المحامد وخصوا هذا النوع من الحمد في افتتاح امورهم لما ذكر من استشعار الرغبة اليه والرهبة منه
المودي الى لزوم طريق الهدى والله الموفق ولما اثبت بقوله الحمد لله انه المستحق لجميع المحامد لاشيء غيره انه الحايز لجميع الكمالات
اشار الى انه يستحقه ايضا من حيث كونه ربا مالكا منعما فقال رب واشار بقوله العالمين الى ابتداء الخلق تنبيها على الاستدلال
بالمصنوع على الصانع وبالبداءة على الاعادة كما ابتداء النورية بذلك لذلك قال الحرالي والحمد المدح الكامل الذي يحيط بجميع الافعال
والاوصاف على ان جميعها انما هو من الله سبحانه وانه كله مدح لا يتطرق اليه ذم فاذا اضمحل ازدواج المدح بالذم وعلم سريان
المدح في الكل استحق عند ذلك ظهور اسم الحمد فكملا معرفا بكلمة ال وهي كلمة دالة فيما اتصلت به على انتهاء وكماله انتهى ولما كان
كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح الا بالرحمة اتبع ذلك بصفتين الرحمن الرحيم ترغيبا في لزوم حمده وهي تتضمن تثنية تفصيل
ما شمله الحمد اصلا وسيأتي سر تكريرها بين الصفتين في الانعام عند فكلوا مما ذكر اسم الله عليه عن الامام حجة الاسلام الغزالي وانه
لا مكرر في القران ولما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكا وكانت الربوبية لا تتم الا بالملك المفيد لتمام التصرف وكان
المالك قد لا يكون ملكا ولا يتم ملكه الا بالملك المفيد للعزة المقرون بالصيبة المثمر للبطش والقهر المنتج لنفوذ الامر اتبع ذلك بقوله
مالك يوم الدين ترهيبا من سطوات مجده قال الحرالي واليوم مقدار ما يتم فيه امر ظاهر ثم قال ويوم الدين في الظاهر هو يوم
ظهور انفراد الحق بالقضاء والجزاء حيث تسقط دعوي المدعين وهو من اول يوم الحشر الى الخلود فلا بد وهو في الحقيقة من اول
يوم تفود الجزاء عند مقارنة الذنب في باطن العامل اثر العمل الى اشد انتهائه في ظاهره لان الجزاء لا يتاخر عن الذنب وانما يخفى ۞
توقعه في الباطن وتاخره عن معرفة ظهوره في الظاهر ولذلك يؤثر عنه عليه السلام ان العبد اذا اذنب نكت في قلبه نكتة
سوداء وايضا فكل عقاب يقع في الدنيا على ايدي الخلق فانما هو جزاء من الله وان كان اصحاب الغفلة ينسبونه للعوايد كما قالوا امس
ابانا الضراء والسراء يضعفون له المعتدين عليهم بزعمهم وانما هو كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وكما ورد عنه
صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وان شدة الحر والقر من نفسيهما وهي سوط الجزاء الذي اهل الدنيا باجمعهم معذبون به وكذلك
النهم الذي اجمعهم واردوه من حيث لا يشعر به اكثرهم قال صلى الله عليه وسلم المرض سوط الله في الارض يؤدب الله به عباده
وكذلك ما يصيبهم من عذاب النفس بنوع الهم والغم والقلق والحرص وغير ذلك وهو تعالى ملك ذلك كله ومالكه سوا ادعي فيه
مدع او لم يدع فهو تعالى بمقتضى ذلك ملك يوم الدين ومالكه مطلقا في الدنيا والاخرة والى الملك الحق تعالى تنزل امره العلي
لان به رجع الامر عودا على بدء بالجزاء العايد على اثار ما جبلوا عليه من الاوصاف وظهر عليهم من الافعال كما قال تعالى سيجزيهم وصفهم
وجزاءا بما كانوا يعملون وبه تم انتهاء الشرف العلي وهو المجد الذي عبر عنه قوله تعالى مجد في عبدي ولما لم يكن فوق هنا في الدلالة
على الملك بين قراءة مالك وقراءة ملك جاءت الرواية بهما وذلك لان المالك اذا اضيف الى اليوم افاد اختصاصه بجميع ما فيه
من جوهر وعرض فلا يكون لاحد معه امر ولا معين لملك سوي هذا ولما لم تفد اضافته الى الناس هذا المعنى لم يكن خلافا في ملك
الناس فلما استجمع الامر استحقاق وتحبيبا وترغيبا وترهيبا كان من شان كل ذي لب الاقبال اليه وقصر الهمم عليه فقال
عادلا عن اسلوب الغيبة الى الخطاب لهذا مقدما للوسيلة على طلب الحاجة لانه اجدر بالاجابة اياك اي من هذه الصفات صفاتا

نعبد ارشاد الهما الى ذلك ومعنى نعبد كما قال الجرائي نبلغ الغاية في انحاء التذلل واعقبه بقوله مكررا للضمير حثا على المبالغة
في طلب العون واياك نستعين اشارة الى ان عبادته لا تتحصل الا بعونه والى ان ملاك الهداية بيده فانظر كيف ابتدأ سبحانه
بالذات ثم دل عليه بالافعال ثم رقى الى الصفات ثم رجع الى الذات ايماء الى انه الاول والآخر المحيط فلما حصل الوصول الى سبعة من علم
الافعال والصفات علم استحقاق للافراد بالعبادة فعلم العجز عن القيام بالحق فطلبت الاعانة وهو كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
مسلم وابو داود في الصلوة والترمذي وابن ماجه في الدعاء والنسائي وهذا لفظه في التعوذ عن عايشة رضي الله عنها اعوذ بعفوك من
عقوبتك وبرضاك من سخطك وبك منك ثم ابتعه فيما زاد غير النسائي الاعتراف بالعجز في لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وفي آخر سورة اقرا شرح بديع لهذا الحديث قال الجرائي وهذه الايات اي هذه وما بعدها مما جاء كلام الله فيه جاريا على لسان خلقه
فان القران كله كلام الله لكن منه ما هو كلام الله عز نفسه ومنه ما هو كلام الله عما كان يجب ان ينطق به الخلق على اختلاف السنتهم واحوالهم
وترقي درجاتهم ورتب تفاضلهم مما لا يمكنهم البلوغ الى كنهه لقصورهم وعجزهم فتولى الله الوكيل على كل شيء الانباء عنهم بما كان يجب عليهم
مما لا يبلغ اليه وسع خلقه وجعل تلاوتهم لما انباء به على السنتهم نازلا لهم منزلة ان لو كان ذلك النطق ظاهرا منهم لطفا بهم واتماما
للنعمة عليهم لانه تعالى لو وكلهم في ذلك الى انفسهم لم ياتوا بشيء تصلح به احوالهم في دينهم ودنياهم ولذلك لا يستطيعون شكر هذه
النعمة الا ان يتولى هو تعالى بما يلقنهم من كلامه ما يكون اداء الحق فضله عليهم بذلك واذا كانوا لا يستطيعون الانباء عن انفسهم بما يجب
عليهم من حق ربهم فكيف بما يكون نباء عن تحميد الله وتمجيده فاذن ليس لهم وصلة الا تلاوة كلامه العلي بنهم كان ذلك او بغيرهم
وتلك هي صلوتهم المعتمة التي عبر عنها فيما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين ثم تلا هم
هذه السورة فجاءت الايات الثلاث الاول لحمد الله تعالى لنفسه فاذا تلاها العبد قبل الله منه تلاوة عبده كلامه وجعلها منه حمدا وثناء
وتمجيدا وجاءت هذه الآية على لسان خلقه فكان ظاهرها التزام عهد العبادة وهو ما يرجع الى العبد وعاد ها طلب المعونة من الله تعالى
وهو ما يرجع الى الحق فكانت بينه وبين عبده وتقدمت بينيته تعالى لان المعونة متقدمة على العبادة وواقعة بها وهو مجاب فيما
طلب من المعونة لمن كانت عليه موونه فاستعان الله تعالى فيها على مقتضى هذه الآية جاءتها المعونة على قدر موونته فلا يقع لمن اعتمد مقتضى
هذه الآية عجز عن مرام ابدا وانما يقع العجز بخسر الحظ من الله تعالى والجهل بمقتضى ما احكمته هذه الآية والغفلة عن النعمة بها وفي قوله
نعبد بنون الاستتباع اشعار بان الصلوة بنيت على الاجتماع انتهى وفي الاية ندب الى اعتقاد العجز واستشعار الافتقار والاعتصام
بحوله وقوته فاقتضى ذلك توجيه الرغبات اليه بالسوال فقال اهدنا الصراط المستقيم تلقينا لاهل لطفه وتنبيها على محل
السلوك الذي لا وصول بدونه والهدي قال الجرائي مرجع الضال الى ما ضل عنه والصراط الطريق الخطر السلوك والاية من
كلام الله على لسان البرية من خلقه وجاء محملا بكلمة اذ لانه الصراط الذي لا يضل بمهديه لاحاطته ولشمول سريانه وقفا لشمول
معنى الحمد في الوجود كله وهو الذي تشتتت الاراء وتفرقت الفرق بالميل الى واحد من جانبيه وهو الذي ينصب مثاله وعلى حذو
معناه بين ظهراني جهنم يوم الجزاء للعيان وبحقه مثل تلك الاراء خطا طريف وكلا ليب تجري احوال الناس معها في المعاد على حسب
مجراهم مع حقايقها ابتداء في يوم العمل وهذا الصراط الاكمل هو المحيط المترتب على الضلال الذي يعبر به عن حال من لا وجهة له وهو
ضلال ممدوح لانه يكون عن سلامة الفطرة لان من لا علم له بوجهة لحقه الوقوف عن كل وجهة وهو ضلال يستلزم هدى محيطا
ومنه ووجدك ضالا فهدى واما من هدي وجهة ما فضل ومرجعها فهو ضلال مذموم لانه ضلال بعد هدى وهو يكون عن اعوجاج
في الجبلة انتهى ثم اكد سبحانه الاخبار بان ذلك ان يكون الا بانضمامه منهما لهذا التاكيد الذي افاده الابدال على عظمة هذا الطريق
فقال صراط الذين انعمت عليهم فاشار الى ان الاعتصام به في اتباع رسله ولما كان سبحانه تمام النعمة لكل موجود عدوا كان
او وليا وكان حذف المنعم به لارادة التعميم من باب تقليل اللفظ لتكثير المعنى فكان من المعلوم ان محط السوال بعض اهل النعمة وهم
اهل الخصوصية بصفة الرحيمية تشوفت النفوس الى معرفتهم فميزهم ببيان اضدادهم تحذيرا منهم بعرف انهم قسمان قسم اريدوا
للشقاوة فعاندوا في اخلاله بالعلم فاستوجب الغضب وقسم لم يرد للسعادة فضل من جهة اخلاله بالعمل فصار الى التعب فقال
مخوفا بعد التوجيه ليكمل الايمان بالرجاء والخوف معرفا بان النعمة عامة والمراد منها ما يخص اهل الكرامة غير المغضوب عليهم اي هم
الذين تعاملهم معاملة الغضبان لمن وقع عليه غضبه وتعرفت غير لتكون صفة للذين باضافتها الى الضد فكان مثل الحركة غير السكون
ولما كان المقصود من غير النفي لان السياق له وانما غير بها دون اداة استثناء دلالة على بناء الكلام بادي بدء على خراج المتلبس
بالصفة وصونا الكلام عن ايهام ان ما بعد اقل ودون لا التنبيه على ان الصنفين من اهل النعمة وكانت لا مع كونها اخصر وارشق
واولى بالنفي واحق واوفق تفيد مع التاكيد ان المراد مجانبة كل واحد من الصنفين على حياله قال ولا الضالين فعلم
مقدار النعمة على القسم الاول وانه لا نجاة الا باتباعهم وان من حاد عن سبيلهم عامدا او مخطيا شيء ليشمر اولوا الجد عن
ساق العزم وساعد الجهد في اقتفاء اثارهم والاهتداء بمنارهم للفوز بحسن جوارهم في سيرهم وقرارهم قال
الجرائي المغضوب عليهم الذين ظهرت منهم المراغمة وتعمد المخالفة فوجب ذلك الغضب من الاعلى والبغض من الادنى
والضالين الذين وجهوا وجهة هدى فراغوا عنها من غير تعمد لذلك امين كلمة عزمية من الامين بدا لوها ان المدعو مامون
منه ان يرد من دعاه لانه لا يعجزه شيء ولا يمنعه وهي لا تصلح الا له لان ما دونه لا ينفك عن عجز او منع انتهى وهو صوت سمي به
الفعل الذي هو استجب وقد انعطف المنتهي على المبتدا بمراقبة القسم الاول لاسم الله فحازوا ثمرة الرحمة وخالف هذان القسمان
فكانوا من ضرب الشيطان فاخذتهم النقمة وعلم ان نظم القران على ما هو عليه معجز ومن ثم اشترط في الفاتحة في الصلوة كونها

واجبة فيها الترتيب فلو قدم فيها او اخر لم تصح الصلوة وكذا لو ادرج فيها ما ليس منها للاخلال بالنظم قال الاصبهاني فان القران معجز والركن الاعجاز يتعلق بالنظم والترتيب والحاصل انه لما رفعت تلك الصفات العلية لمخاطبها الحجب وكشفت له بشموسها وعلوجدها وشرف حمدها جلايل الشكر واستوفت به على رياض الكرم ونشرت له بلطايف عواطفها بسط البر والنعم ثم اخترقت به مهامة العظمة والكبر وطوت في تسييرها له مفاوز الجبروت والعز واوضحت له بوارق الكرم من ذلك الجناب الاشم وصل الى مقام الغنا عن الفاني وتمكن في رتبة شهود البقا الباقي فبادر الخضوع له معرضا عن التسوي حاكما على الاغيار بما لها من ذوا تها من العدم والنوي فقال اياك نعبد وفي تلك الحال تحقق العجز عن توفية ذلك المقام حاله من الحق فقال واياك نستعين فكشف له الشهود في حضرات المعبود عن طرق عديده ومنازل سامية بعيده وراي احوالا جمه واودية مدلهمه وبحارا مغرقه وانوارا هادية واخرى محرقه وراي لكل اهلا قد اسلكوا فجا تارة حزنا واخرى سهلا وعلم ان لا نجاة الا بهدايته ولا عصمة بغير عنايته ولا سعادة الا برحمته ولا سلامة لغير اهل نعمته فلما اشرف واستنار وعرف مواقع الاسرار بالاقرار كانه قيل له ماذا تطلب وفي اي مذهب تذهب فقال اهدنا الصراط المستقيم ولما طلب اشرف طريق سال احسن رفيق فقال صراط الذين انعمت عليهم ولما كانت النعمة قد تختص الدنيوية عينها فاستعاذ من اولئك الذين شاهدهم في النشاة سايرين وعن القصد مايرين حايرين او جايرين فقال غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقد اشير في ام الكتاب كما قال العلامة ن سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي الى جميع النعم فانها ترجع الى ايجاد وابقاء اولا وايجاد وابقاء ثانيا في داري الفنا والبقا اما الايجاد الاول فبقوله الحمد لله رب العالمين فان الاخراج من العدم الى الوجود اعظم تربية واما الابقاء الاول فبقوله الرحمن الرحيم اي المنعم بجلايل النعم ودقايقها التي لها البقاء واما الايجاد الثاني فبقوله ملك يوم الدين وهو ظاهر واما الابقاء الثاني فبقوله اياك نعبد الى آخرها فان منافع ذلك تعود الى الاخرة ثم جاء التصدير بالحمد بعد الفاتحة في اربع سور اشير في كل سورة منها الى نعمة من هذه النعم على ترتيبها انتهى وسياتي في اول كل سورة من الاربع ما يتعلق لها من بقية كلامه ان شاء الله تعالى وهذا يرجع الى اصل مدلول الحمد فان مادته بكل ترتيب تدور على بلوغ الغاية ويلزم منه الاتساع والاحاطة والاستدارة فيلزمها مطاطاة الراس وقد يلزم الغاية الرضى فيلزمه الشكر وسيبين وينزل على الجزئيات في سورة النحل ان شاء الله تعالى ثم في اول سبا تحقيق ما قاله الناس فيه وفي النسبة بينه وبين الشكر لما لم يبد ابه لهو اجزم ولتعقيبه بمدح المحمود بما ذكر من اسمائه الحسنى مع اشتمالها على جملة معاني القرآن من الحكم النظرية والاحكام العملية سمي ام القرآن لانها له عنوان وهو كله لما تضمنته على قصرها بسط وتبيان قال الاستاذ ابو الحسن الجرباذي في مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل في اخر الباب التاسع منه ولشتة هذه الابواب بذكر القرآن ومحتواه على الكتب وجمعه وقرآته وبيانه وتنزيله وانزاله وحكمه ومبينه ومجيده وكريمه وعظيمه ومرجعه الى السبع المثاني والقرآن العظيم ام القرآن ومحتواها عليه فنذكر جميع ذلك في الباب العاشر الباب العاشر في محل ام القرآن من القرآن ووجه محتوى القرآن على جميع الكتب والصحف المتضمنة لجميع الاديان اعلم ان الله سبحانه جمع نباءه العظيم كله عن شانه العظيم جمعا في السبع المثاني ام القرآن وام الكتاب وكنزها تحت عرشها ليظهرها في الختم عند تمام امر الخلق وظهور بادي الحمد محمد صلى الله عليه وسلم لانه تعالى يختم بابه بدا اولم يظهرها قبل ذلك لان ظهورها يذهب وهل الخلق ويمحو كفرهم ولا يتم نباء القرآن الا مع قايم يشهد بيان الفعل ليتم الامر مسمعا ومراي وذلك بمن يكون من خلقه كل خلق ليبين به ما من امره كل امر ثم فيما بين بدو الامر المكنون وخاتم الخلق الكامل تدرج تنشو الخلق وبدو الامر على حسب ذلك الامر صحفا فصحفا وكتابا فكتابا فالصحف لما يتبدل سريعا والكتاب لما يثبت ويدوم امدا والالواح لما بينهما وقتا ففي التورية احكام الله على عباده في الدنيا بالحدود والمصايب والضرا والباساء وفي القرآن منها ما شاء الله وما يظهره الفقه من الحدود ومعارف الصوفية من مواخذة ن المصايب وفي الانجيل اصول تلك الاحكام والاعلام بان المقصود لها ليست هي بل ما وراءها من امر الملكوت وفي القرآن منها ما شاء الله مما يظهره العلم والحكمة الملكوتية وفي الزبور تقريب الخلق وحداؤهم عن انفسهم الى ربهم وفي القرآن منه ما شاء الله مما تظهره الموعظة الحسنة ثم انهى الامر والخلق من جميع وجوهه فصار قرانا جامعا لكل متمما للنعمة مكملا للدين اليوم اكملت لكم دينكم الاية بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وان الى ربك المنتهى ووجه فوت ام القرآن للقرآن ان ن القرآن مقصود تنزيله التفصيل والجوامع فيه نجوم مبثوثة غير منتظمة واحدة اثر واحدة والجوامع في ام القرآن منتظمة واحدة بعد واحدة الى تمام السبع على وفاء الامر بيد فيه ولا نقص عنه اظهر تعالى بما كله سورة صورة تجليه من بدء الملك الى ختم الحمد وبما لعبده سورة صورة تاديه من برآته من الضلال الى هدي الصراط المستقيم ووجد لا ضلال فهدي وبما بينه وبينه قيام ذات الامر والخلق فكان ذلك هو القرآن العظيم الجامع لما حواه القرآن المطلق الذكر بما فيه من ذلك تفصيلا من مبينه وهو ما عوينت اية مسموعة ومن مجيده وهو ما جريت احكامه من بين عاجل ما شهد وآجل ما علم بعلم ما شهد فكان معلوما بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضين وما شهد له من الاثر الحاضر وما يتجدد مع الاوقات من امثاله واشباهه ومن كريمه وهو ما ظهرت فيه افانين انعامه فيما دق وجل وخفي وبدا ومن جليه وهو ما ظهر في الحكمة المشهودة تقاضيه وانتظام مكتوب خلقه على حسب تنزيل امره وما كان منه بتدريج

قد بان سر الافتتاح ٦ من حيث تصديرها بما يهد جزئيا فكليا الذي كل امر ذي ٦

وتقريب للافهام وتارة من حال الى حال وحكم الى حكم كان تنزيلا وما اهوي به اموا من علو الى سفل كان انزالا وهو انزال حيث لا وسايط وتنزيل حيث الوسايط وبيانه حيث الامام العامل به مظهرة في افعاله واخلاقه كان خلقه القرآن وقرانه تلفيق تلاوته على حسب ما تقتضاه النوازل آخر اية انزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله قال صلى الله عليه وسلم في مضمون قوله تعالى ان علينا جمعه وقرانه احصلوها بين اية الدين والاية التي قبلها لانه ربما تقدم بيان الاية وتاخر في النظم قرانها على ما تقدم عليها اية يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الآيه متاخرة الكيان متقدمة القران على اية لا تحل لك النسآء من بعد فقد يتطابق قران الامر وتطويل الخلق وقد لا يتطابق والله يتولى اقامتهما واما الجمع في قلبه بنسبة جوامعه السبع في ام القران الى القران بمنزلة نسبة جمعه في قلبه لحا واحدا الى ام القران وما امرنا الا واحدة كلمح البصر فهو جمع في قلبه وقران على لسانه وبيان في اخلاقه وافعاله وجملة في صدره وتنزيل في تلاوته وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة قال الله تعالى كذلك اي كذلك نزلناه الى ما هو عندك بمنزلة سماء الدنيا من الكون انا انزلناه في ليلة مباركة اي الى سماء الدنيا ورتلناه ترتيلا على لسانه في مدايام النبوة وقال في تفسيره القران باطن ظاهره محمد صلى الله عليه وسلم فالقران صورة محمد صلى الله عليه وسلم باطنه وهو ظاهره نزل به الروح الامين على قلبك وقال في تفسير الفاتحة وكانت سورة الفاتحة اما للقران لان القران جميعه منفصل من مجملها فالايات الثلاث الاول شاملة لكل معنى تضمنته الاسما الحسنى والصفات العلى لكل ما في القران من ذلك فهو منفصل من جوامعها والايات الثلاث الاخر من قوله اهدنا شاملة لكل ما يحيط بامر الخلق في الوصول الى الله والتحيز الى رحمة الله والانقطاع دون ذلك لكل ما في القران منه فمن تفصيل جوامع هذه وكلها يكون وصلة بين ذلك وما ظاهره من الخلق ومبراوه وقيامه من الحق فمنفصل من اية اياك نعبد واياك نستعين انتهى ومن انفع الامور في ذوق هذا المشرب استجلاء الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه واصحاب السنن الاربعة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال ملك يوم الدين قال الله مجدني عبدي وقال مرة فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال ۝ والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة البقرة

مقصودها اقامة الدليل على ان الكتاب هدى ليتبع في كل حال واعظم ما يهدي اليه الايمان بالغيب ومجمعه الايمان بالاخرة ومداره الايمان بالبعث الذي اعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الايمان بالغيب فلذلك سميت بها السورة وكانت بذلك احق من قصة ابرهيم عليه السلام لانها في نوع البشر ومن ما تقدمها في قصة بني اسرايل من الاحيا بعد الاماتة ۝ بالصعق وكذا ما شاكلها لان الاحيا في قصة البقرة عن سبب ضعيف في الظاهر بمباشرة من كان من احاد الناس فهي ادل على القدرة ولا سيما وقد اتبعت بوصف القلوب والحجارة بمامم المهتدين بالكتاب والضالين فوصفها بالقسوة الموجبة للشقوة ووصفت الحجارة بالخشية الناسية في الجملة عن التقوى المانحة للمدد المتعدي نفعه الى عباد الله وفيها اشارة الى ان هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا خليفة من اولي العزم من الرسل يرشدنا في كل امر الى صواب المخرج منه لمن اعرض عاب ومن تردد كاد ومن اجاب اتقى واجاد وسميت بالزهراوين لانها طريق الهداية والكفاية في الدنيا والاخرى لما لها اسفارا لوجوه في يوم الجزا لمن آمن بالغيب ولم يكن في شك مريب فيحال بينه وبين ما يشتهي وبالسنام لانه ليس في الايمان بالغيب بعد التوحيد الذي يبنى عليه كل خير والتاج الذي هو نهاية السير والعالي على كل عز اعلى ولا اجمع من الايمان بالاخرة ولا ان السنام اعلى ما في المطية الحاملة والكفات الذي هي صورته هو اعلى ما في الحامل للامة وهو الشرع الذي اتم به رسولهم صلى الله عليه وسلم بسم الله الذي نصب مع كونه ۝ باطنا دليل الهدى حتى كان ظاهرا الرحمن الذي تاصل رحمته على سايرخلقه بعد الايجاد ببيان الطريق الرحيم الذي خص اهل وده بالتوفيق قال العلامة ابو الحسن الحرالي في كتاب العروة لمفتاح الباب المقفل في معنى ما رواه عن ابن وهب عن حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القران من سبعة ابواب على سبعة احرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما امرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بامثاله واعملوا بمحكمه وامنوا بمتشابهه وقولوا امنا به كل من عند ربنا وهذا الحديث رواه ابو بكر بن ابي شيبه في مسنده وابو يعلى الموصلي ومن طريقه ابن حبان في صحيحه كلهم من طريق بن وهب عن حيوة عن عقيل بن خالد عن سلمة بن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكره من غير ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقال العلامة الحافظ ابو شامه عبد الرحمن بن اسمعيل الدمشقي الشافعي في كتابه المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز بعد ان ساق هذا الحديث من رواية سلمة بن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ابو عمر بن عبد البر هذا حديث عند اهل الحديث لم يثبته وابو سلمة لم يلق بن مسعود وابنه سلمة ليس ممن يحتج به وهذا الحديث مجمع على ضعفه من جهة اسناده وقد رده قوم من اهل النظر

منهم احمد بن ابي عمران فيما سمعه الطحاوي منه ويرويه الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ام سلمة عن ابي سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا قال ابو شامة وهكذا رواه البيهقي في كتاب المدخل وقال هذا مرسل جيد ابو سلمة لم يدرك ابن مسعود ثم رواه موصولا وقال فان صح فمعنى قوله سبعة احرف اي سبعة اوجه وليس المراد به ما ورد في الحديث الآخر من نزول القرآن على سبعة احرف ذلك المراد به اللغات التي ابيحت القراءة عليها وهذا المراد به الانواع التي نزل القرآن عليها والله اعلم انتهى قلت وعزاه شيخنا العلامة مقرئ زمانه شمس الدين محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي في اوائل كتابه النشر في القراءات العشر الى الطبراني من حديث عمر ابن ابي سلمة المخزومي رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود رضي الله عنه ان الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد وان القرآن انزل من سبعة ابواب على سبعة احرف حلال وحرام ومحكم ومتشابه وضرب امثال وامر وزاجر فاحل حلاله وحرم حرامه واعمل محكمه وقف عند متشابهه واعتبر امثاله فان كلا من عند الله وما يذكر الا اولوا الالباب ورواه الحافظ ابو بكر بن ابي داود في كتاب المصاحف من وجه آخر عن عبد الله قال ان القرآن انزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من سبعة ابواب على سبعة احرف او حروف وان الكتاب قبلكم كان ينزل من باب واحد على حرف واحد ورواه البيهقي في فضل القرآن من الشعب عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ نزل القرآن على خمسة اوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال قال الحرالي وفي حديث اخر من طريق بن عمر رضي الله عنهما ان الكتب كانت تنزل من باب واحد وان هذا القرآن انزل من سبعة ابواب على سبعة احرف وقال في معنى ذلك اعلم ان القرآن منزل عند انتهاء الخلق وكمال كل امر بدأ فكان المتخلق به جامعا لانتهاء كل خلق وكمال كل امر فلذلك هو صلى الله عليه وسلم تمم الكون وهو الجامع الكامل ولذلك كان خاتما وكان كتابه ختاما وبدأ المعاد من حد ظهوره انه هو يبدي ويعيد فاستوفى صلاح هذه الجوامع الثلاث التي قد خلت في الاولين بدايا تها وتمت عنده غايا تها بعثت لاتمم مكارم الاخلاق رواه احمد عن معاذ رضي الله عنه رفعه وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي اليها معادي وفي كل صلاح اقدام واحجام فتصير الثلاثة الجوامع ستة مفصلات في حروف القرآن الستة التي لم يبرح ينشر بها من ربه حرفا حرفا فلما استوفى الستة وهب ربه حرفا جامعا سابغا فرد الازواج له فتم انزاله على سبعة احرف فاما في تلك الحروف هو حرفا صلاح الدنيا فلها حرفان احدهما حرف الحرام الذي لا تصلح النفس والبدن الا بانتظمه منه لبعده عن تقويمها والثاني حرف الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته لتقويمها واصل هذين الحرفين في التوراة وتمامها في القرآن ثم بلي هذين حرفا صلاح المعاد احدهما حرف الزجر والنهي الذي لا تصلح الاخرة الا بانتظمه منه لبعده عن حسناها والثاني حرف الامر الذي تصلح الاخرة عليه لتقاضيه لحسناها وقد يتضرر على ذلك حال الدنيا لانه يأتي على كثير من حلالها لوجوب ايثار الاخرة لبقائها وكليتها على الدنيا لفنائها وجزئيتها لكون خير الدنيا جزءا من مائة وشر الدنيا جزءا من سبعين ولا يؤثر هذا الجزء الادنى لحضوره على ذلك الكل الا نبي لغيابه الا من سفه نفسه وضعف ايمانه فتخلص المرء من حرف الحرام طهر وتخلصه من النهي طيبه واصل هذين الحرفين في الانجيل وتمامها في القرآن ثم بلي هذين حرفا صلاح الدين احدهما حرف الحكم الذي بان للعبد فيه خطاب ربه من جهة احوال قلبه واخلاق نفسه واعمال بدنه فيما بينه وبين ربه من غير التفات لعوض النفس في عاجل الدنيا ولا آجلها والثاني حرف المتشابه الذي لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله على ادراكه ووجوب تسليم ربه عن تمثيل عبده الى ان يؤيده الله بتاييده فالحروف الخمسة للاستعمال وهذا الحرف السادس للوقوف ليكون العبد قد وقف لله بقلبه على حرف كما كان قد كان اقدم لله على تلك الحروف وتسمح بمجزه وايمانه عند هذا الحرف السادس انتهاء ما تقدم من طرقه وعلمه في تلك الحروف ابتداء واصل هذين الحرفين في الكتب المتقدمة كلها وتمامها في القرآن لهذه الحروف الستة يشترك فيها القرآن مع سائر الكتب ويزيد عليها تمامها وبركة جمعها ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع مبين المثل الاعلى ومظهر الممثول الاعظم حرف الحمد الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو حرف المثل وعن جمعه وكمال جمعه لمحمد صلى الله عليه وسلم في قلبه وقرآنه على لسانه وبيانه في ذاته ظهرت عليه خواص خلقه الكريم وخلقه العظيم ولا ينال الا موهبة من الله لعبده بلا واسطة والستة تتنزل بتوسطات من استوى الطبع وصفاء العقل عثابة وحي النبي والهام الولي ولما كان حرف الحمد هو سابقها الجامع افتتح الله تعالى به الفاتحة ام القرآن وام الكتاب وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التي بثها في القرآن كما جمع في القرآن ما بث في جميع الكتب المتقدمة كقضة نقلت على مريد السفر فابتاع لها ذهبا فذلك مثل القرآن ثم نقل عليه الذهب فاشتاع به جوهرا فذلك مثل ام القرآن فاذن كل الحروف التي انزل عليها القرآن موجودة في جوامع ام القرآن فالاية الاولى تشتمل على حرف الحمد السابع والثانية تشتمل على حرفي الحلال والحرام اللذين اقامت الرحمانية بها الدنيا يريد والله اعلم ان الرحمانية وسعت على العباد الاستمتاع بالمخلوق من النعم والخيرات الموافقة لطباعهم وامزجتهم وقبول نفوسهم في جميع جهات الاستمتاع فكان في ذلك رحمتان رحمة بالاباحة وهي ازالة خطر الخطر ورحمة بمنع كافر حرج الاثم او بجعل المباح شهيا للطبع واما الرحيمية فطهرتهم من مضار ابدانهم ورجاسة نفوسهم ومجملة قولهم في ذلك رحمة واحدة وهي حمية المحبوب عن الضار من المحبوب او يريد وهو والله اعلم اقرب ان الرحمانية اقامت بعمومها كل ما شملته الربوبية من افاضة النعم وازاحة النقم على وجه مسعد او مشق والرحيمية اقامت بخصوصها كما تقدم بما ترضاه الالهية اه زاد النعم ودفع النقم على الوجه المسعد خاصة انتهى والاية الثالثة تشتمل على امر الملك المقيم على حرفي الامر والنهي اللذين بهما دار امرهما في الدين والرابعة تشتمل على حرف الحكم في قوله اياك نعبد والمتشابه في قوله واياك نستعين ولما كانت بناء خطاب محاضرة لم ترد مسئلتها في السورة فانفرد هذان الحرفان عن الدعاء بهما وعادت مسئلة الاية الخامسة على حرف الحمد ومسئلة الاية السادسة على اية النعمة من حرفي الحلال والحرام ومسئلة الاية السابعة على اية الملك من حرفي الامر والنهي فجمعت الفاتحة

حرج الحظر

جوامع الحروف السبعة ولما ابتدئت الفاتحة ام القران بالسامع الجامع الموهوب ابتدي القران بالحرف السادس المعجوز عنه وهو حرف
المتشابه لا عن اظهار العجز ومحض الايمان كانت الهيبة والتاييد وليكون العبد لفتح القران بالايمان بغيب متشابه في قوله الم فيكون اتم
انقيادا لما دونه وبريا من الدعوي في مستطاعه في ساير الحروف ثم ولي السادس المفتتح به القرآن الخامس المحكم من وجه في قوله تعالي
ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون لان من عمل بها من قلبه شعبة الايمان وعلم كانت له من المحكم ومن عمل بها ايتمارا والجاء ولم
يدخل الايمان في قلبه كانت له حرف امر وان تطيعوا الله ورسوله لا يالتكم من اعمالكم شيا وهذا انما وقع ترتيبه هكذا في القران المتلو واما تنزيله
في ترتيب البيان فان اول ما نزل علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو حرف المحكم وهو قوله تعالي اقرا باسم ربك الذي خلق الايات الخمس
واول ما انزل الي الامه في ترتيب البيان هو من حروف الزجر والنهي وهو قوله تعالي يايها المدثر قم فانذر اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
اعلمهم ما تخاف عاقبته في الاخرة وان كانوا قد اتخذوا في الدنيا مودة باوثانهم وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم
في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضهم ببعض الاية فابتدا تعالي ترتيل كلامه باصلاح المعاد الاهم لان عليه يصلح امر الدنيا من استقل
باخرته كفاه الله امر دنياه وبدا منها بحرف الزجر والنهي وهو المبدو به في الحديث وردد النبي صلي الله عليه وسلم الزجر بلفظ النهي
لان المقصود بهما واحد وهو الردع عما يضر في المعاد الا ان الردع علي وجهين خطاب لمعرض ويسمي زجرا كما يسمي في حق البهايم وخطاب
لمقبل علي التفهم ويسمي نهيا فكان الزجر بزيغ الطبع والنهي بزيغ العقل انتهي وقد بان من هذا سر افتتاح البقرة بالحروف المقطعة ٥
ولما كان الذي ابتديت به السور من ذلك شطر حروف المعجم كان كانه قيل من زعم ان القران ليس كلام الله فلياخذ الشطر الاخر ويركب عليه
كلاما يعارضه به نقل ذلك الزركشي في البرهان عن القاضي ابي بكر قال وقد علم ذلك بعض ارباب الحقايق وجمعها الزركشي في قوله نص
حكيم قاطع له سر وعن ابي بكر رضي الله عنه لله تعالي في كل كتاب سر وسر الله في القرآن اوايل السور وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان
لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي ولما كانت حروف المعجم تسعة وعشرين حرفا بالهمزة كان احد شطرها علي التحرير متعذرا
فقسمت خمسة عشر واربعة عشر واخذ الاقل من باب الانصاف وفرق في تسع وعشرين سورة علي عدد الحروف وتحدي به علي هذا الوجه
وابدي الامام شمس الدين بن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي في كتاب له كالتذكرة سماه بدايع الفوايد سرا غريبا في ابتدا القران بقوله الم
حاصله ان حروفه الثلاثة جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتان علي ترتيبها وذلك اشارة الي البداية التي هي بدء الخلق
والنهاية التي هي المعاد والوسط الذي هو المعاش من التشريع بالاوامر والنواهي وفي ذلك تنبيه علي ان هذا الكتاب الذي ركب من هذه
الحروف التي لا تعدو المخارج الثلاثة التي بها يخاطب جميع الامم جامع الثلثة لما يصلحكم من احوال بدء الخلق واعادته وما بين ذلك
وكل سورة افتتحت بهذه الحروف ذكرت فيها الاحوال الثلاثة وقال الحرالي في تفسيره الف اسم للقايم الاعلي المحيط ثم لكل مستخلف
في القيام كادم والكعبة ميم اسم للظاهر الاعلي الذي من اظهره ملك يوم الدين واسم للظاهر الكامل المؤتي جوامع الكلم محمد صلي الله عليه
وسلم ثم لكل ظاهر دون ذلك كالسماء والفلك والارض لام اسم لما بين الالهية التي هي مجاز العقول وظاهر الملك الذي هو متجلي يوم الجزاء
من مقتضي الاسماء الحسني والصفات العلي التي هي وصل تنزل ما بينهما كاللطيف ونحوه ثم للوصل الذي كالمليكة وما تتولاه من امر ٥
الملكوت وهذه الالفاظ عند العجام معناها تسمي حروفا والحرف طرف الشي الذي لا يوخذ منفردا وطرف القول الذي لا يفهم وحده واحق
ما تسمي حروفا اذا نظر الي صورها ووقوعها اجزاء من الكلم ولا تفهم لها دلالة فتضاف الي مثلها جزءا من كلمة مفهومة فتسمي عند ذلك
حروفا وعند النطق بها هكذا الف لام ميم فينبغي ان يقال فيها اسماء وان كانت غير معلومة الدلالة كحروف الف با تا فانها كلها اسماء
علي ما فهم الخليل وانها انما تسمي حروفا عند ما تكون اجزاء كلمة محركة للابتداء او مسكنة للوقف والانتهاء واما حقيقتها فهي جوامع
اصلها في ذكر اول من كلام الله تعالي فنزلت الي الكلم العربية وترجمت بها ونظم منها هذا القرآن العربي المبين فهي في الكتب العلوية ٥
الملكوتية المترتبة في الجمع والتفصيل اية وكلم وذات كتاب فلما نزلت الي غاية مفصل القران ابقيت في افتتاحه لتكون علما علي نقله
للتفصيل من ذلك الكتاب ولانها اتم واوجز في الدلالة علي الجمع من المفصل منها ودلالتها جامعة للوجود كله من ابطن قيمه الي اظهره
واظهر مقامه وما بينهما من الوصلة الواصلة وهي جامعة الدلالة علي الكون المرئي بالعين والوحي المسموع ولاجل ما اقتضته من الجمع
لم تنزل في كتاب متقدم لان كتاب كل وقت مطابق لحال الكون فيه والكون كان بعد لم يكمل فكانت كتبه وصحفه بحسبه ولما كمل الكون في وقت
سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم كان كتابه كملا جامعا فوجب ظهور هذه الجوامع فيه ليطابق الختم البدء لانهما طرفا كمال وما بينهما تدرج
اليه وقد كان وعد بانزالها في بعض تلك الكتب فكان نزولها نجازا لذلك انتهي واما مناسبة ما بعد ذلك للفاتحة فهو انه لما
اخبر سبحانه ان عباده المخلصين سالوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذي هو غير طريق الهالكين ارشدهم في اول التي تليها
الي ان الهدي المسول انما هو في هذا الكتاب وبين لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثا علي التخلق بها والممنوعين منها
زجرا عن قربها فكان ذلك من اعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة لانها سيقت لنفي الريب عن هذا الكتاب ولانه هدي ٥
للمتقين ولوصف المتقين وما يجازون به بما في الايات الثلاث ولوصف الكافرين الذين لا يومنون لما وقع من الختم علي حواسهم والختم
لعقابهم ليعلم ان ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فيلزم وما اتصف به عن عداهم هو طريق الهالكين فيترك وفي الوصف
بالتقوي بعد ذكر المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الي ان المقام مقام الخوف وان شئت قلت مقصود هذه السورة وصف الكتاب
فقط وما عدا ذلك فتوابع ولوازم ولن يثبت انه هدي الا باثبات انه حق معني ونظما ولما كان المعني اهم قدم الاستدلال عليه
فاخبر من تماديهم علي الكفر بما يكون تكذيبهم به تصديقا له واتبع ذلك بذكر المنافقين اعلاما بان المنفي الايمان بالقلب وانه لا عبرة
باللسان اذا تجرد عنه وساق ذلك علي وجه يعلمون به انه الحق بما هتك من سرايرهم وكشف من ضمايرهم فلما تم ذلك وكان المقصود

حرف

باطن

منه

منه الدعا الى الله انتهزت تلك الفرصة بقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما اسس لها من الترغيب والترهيب ثم اقيم الدليل على
حقية نظمه بتقصيرهم عن مدى سهمه فرجع حاصل ذلك الى اثباته بعجزهم عن معارضته في معناه بايجاد ما اخبر بنفيه وفي نظمه بالاتيان
بمثله فلما ثبت ذلك ثبت انه من عند الله فثبت تاهله لتعليم الشرايع فجعلها ضمن مجادلة اهل الكتاب بما يعلمون حقيقة بلا ارتياب من
الدعاء الى ما اخفوه من الدعاء الخمس التي بني عليها الاسلام ولما كان معنى الم هذا كتاب من جنس حروفكم التي قد فقتم في التكلم بها ساير
الخلق فما عجزتم عن الاتيان بسورة من مثله الا لانه كلام الله انتج ذلك كماله فاشير اليه باداة البعد ولام الكمال في قوله ذلك الكتاب
لعلو مقداره بجلالة اثاره وبعد مرتبته عن نيل المطرودين ولما علم كماله اشار الى تعظيمه بالتصريح بما ينتجه ويستلزمه ذلك التعظيم
فقال لا ريب فيه اي في شي من معناه ولا نظمه في نفس الامر عند من تحقق النظر فالمنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له ولم يقدم الظرف
لانه كان يفيد الاختصاص فيفهم ان غيره من الكتب محل الريب قال الحرالي ذا اسم مدلوله المشار اليه واللام مدلوله معها بعد ما
الكتاب من الكتب وهو وصل الشي المنفصل بوصلة خفية من اصله كالخرز في الجلد بقد منه والخياطة في الثوب بشي من جنسه ليكون اقرب
لصورة اتصاله الاول فسمي به ما الزمه الناس من الاحكام وما اثبت بالرقوم من الكلام لا لنفي ما هو ممتنع مطلقا او في وقت الريب
المتردد بين موقعي همة بحيث يمتنع من الطمانينة على كل واحد منهما انتهى واصله قلق النفس واضطرابها ومنه ريب الزمان لنوايبه
المقلقة ولما كان ذلك يستلزم الهدى قال هدى وخص المنتفعين لان الالد لا دواء له والمتعنت لا يرده شي فقال للمتقين اي
الذين جبلوا في اصل الخلقة على التقوى فافهم ذلك ان غيرهم لا يهتدي به بل يرتاب وان كان ليس موضعا للريب اصلا قال
الحرالي جمع المتقي وهو المتوقف عن الاقدام على كل امر لشعوره بتقصيره عن الاستبداد وعلمه بانه غير مستغن بنفسه فهو متق لوصفه
وحسن فطرته ومتقي كذا متوقف لاجل ذلك والتقوى اصل بتقدم الهدى وكل عبادة لانها فطرة توقف تستحق الهدى وكل خير وهي
وصية الله لاهل الكتب انتهى ثم وصفهم بمجامع الاعمال تعريفا لهم فقال الذين يومنون بالغيب اي الامر الغايب الذي لا نافع في
الايمان غيره وعبر بالمصدر للمبالغة ويقيمون الصلوة اي التي هي حضرة المراقبة وافضل اعمال البدن بالمحافظة عليها وتحفظها في
ذاتها وجميع احوالها وقد ضمن يومن يقرا ويعترف كما ياتي بيانه عند ومنهم من يستمعون اليك في يونس ولما ذكر وصله الخلق بالخالق
وكانت النفقة مع انها من اعظم دعايم الدين صلة بين الخلايق اتبعها بها فقال مقدما للجار ناهيا عن الاسراف ومنبها بالتبعيض على
طيب النفقة لان الله طيب لا يقبل الا طيبا وامرا بالورع وزاجرا عما فيه شبهة لان الرزق يشمل الحلال والحرام والمشتبه ومما رزقناهم
اي مكناهم من الانتفاع به على عظمة خزاينا وهو لنا دونهم اي في مرضاتنا مما يلزمهم من الزكاة والحج والغزو وغيرها ومما يتطوعون به
من الصدقات وغيرها والمراد بهذه الافعال هنا ايجاد حقايقها على الدوام قال ابو حيان وغيره في قوله تعالى في سورة
الحج ان الذين كفروا ويصدون المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال او استقبال فيدل على الاستمرار انتهى وهذا
مما لا محيد عنه والا لم يشمل هذا في هذه السورة المدنية من تخلق به قبل الهجرة وقوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله من قبل
قاطع في ذلك وقال الحرالي يومنون من الايمان وهو مصدر امنه يومنه ايمانا اذا امن من نبهه على امر ليس عنده ان يكذبه
او يرتاب فيه والغيب ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدي به العقل فيحصل به العلم وصيغة يومنون ويقيمون تقتضي
الدوام الى الختم وادامة العمل الى الختم تقتضي ظهوره عن فطرة او جبلة وانه ليس عن تعمل ومراياة وعند ذلك يكون علما
على الجزاء والصلوة الاقبال بالكلية على امر فتكون من الاعلى عطفا شاملا ومن الادنى وفاء بانجاء التذلل والاقبال بالكلية
على التلقي وايمانهم بالغيب قبولهم من النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقاه بالوحي من امر غايب الدنيا الذي هو الاخرة وما فيها
وامر غايب الملكوت وما فيه الى غيب الجبروت وما به بحيث يكون عملهم على الغايب الذي تلقته قلوبهم على سبيل ادانهم كعملهم
على ما تلقته انفسهم على سبيل اعينهم وساير حواسهم وداموا على عملهم ذلك على حكم ايمانهم الى الخاتمة ولما كانت الصلوة
التزام عهد العبادة مبنيا على تقدم الشهادة متممة بجماع الذكر وانواع التحيات لله من القيام له تعالى والركوع له والسجود
الذي هو اعلاها والسلام بالقول الذي هو ادنى التحيات كانت لذلك تعهدا للايمان وتكرارا ولذلك من لم يدم الصلوة
ضعف ايمانه وران عليه كفر فلا ايمان لمن لا صلوة له والتقوى وحده اصل والايمان فالصلوة ثمرته والانفاق خلافته
ولذلك البخل عزل عن خلافة الله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وهذا الامر بتمامه هو الذي جعلت الخلافة لادم به
الى ما وراء ذلك من كمال امر الله الذي اكمله بمحمد صلى الله عليه وسلم فالتقوى امر باطن والانفاق وجه ظاهر والايمان
فالصلوة وصلة بينهما ووجه ترتيب الايمان بالغيب على التقوى ان المنفي لما كان متوقفا غير متمسك بامر كان اذا ارشد
الى غير لا يعلمه لم يدفعه بمقتضى ما تقدم له علمه ووجه ترتيب الانفاق على الايمان بالغيب ان المدد غيب لان الانسان
لما كان لا يطلع على جميع رزقه كان رزقه غيبا فاذا ايقن بالخلف جاد بالعطية فمتى امد بالارزاق تمت خلافته وعظم فيها
سلطانه وانفتح له باب امداد برزق اعلى واكمل من الاول فاذا احسن الخلافة فيه بالانفاق منه ايضا افتح له باب الى
اعلى الى ان ينتهي الى حيث ليس وراءه مرمى وذلك هو الكمال المحمدي وان بخل فلم ينفق واستغنى بما عنده فلم يتق فكذب
تضاءل امر خلافته وانقطع عنه المدد من الاعلى فبحق سمي الانفاق زكوة انتهى وفي اول الشورى كلام في الايمان عن علي
رضي الله عنه نفيس ولما وصفهم بالايمان جملة اشار الى بعض تفصيله على وجه يدخل فيه اهل الكتاب دخولا اوليا
فقال والذين يومنون اي يوجدون هذا الوصف بعد سماعهم للدعوة ايجادا مستمرا بما انزل اليك اي من القرآن
والسنة سواء كان قد وجد او سيوجد وما انزل من قبلك اي على الانبياء الماضين ولما كان الايمان بالبعث من الدين

منقول صح

منبها

قلب

بمكان عظيم جدًّا بينه بالتقديم اظهارا لمزيد الاهتمام فقال وبالآخرة اي التي هي دار الجزاء ومحل التجلي وكشف الغطاء
ونتيجة الامر قال الحرالي الآخرة معاد الامر بعد تمامه على اوليته انتهى ولما تقدم من الاهتمام عبر بالايقان واتى بضمير
الفصل فقال هم يوقنون لان ذلك قايد الى كل خير وذايد عن كل ضير والايقان كما قال الحرالي صفا العلم وسلامته من شوايب
الريب ونحوه من يقن الماء وهو ما نزل من السماء فانحدر الى كهف جبل فلم يتغير من قرار ولا وارد انتهى فهو يكون بعد شك ولذا لا
يوصف به الله والوصف بهذه الاوصاف كما ترى اشارة الى امهات الاعمال البدنية والمالية من الافعال والتروك فالايمان اساس
الامر والصلوة مشار بها الى التحلي بكل خير والتخلي عن كل شر ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وكلاهما من اعمال البدن والنفقة
عمل مالي فحصل بذلك حصر الفعل والترك ايضا الضابطين لجميع الاعمال كيف ما تشعبت وصرح بالفعل واومى الى الترك ايماء
لا يفهمه الا البصراء تسهيلا على السالكين لان الفعل من حيث هو ولو كان صعبا ايسر على النفس من الكف عما تشتهي وفي وصفهم
ايضا بالايمان بما انزل اليه والى من قبله من التفريع والتبكيت لمن سواهم ما ستراه في الايات الآتية ولما اخبر عن افعالهم
الظاهرة والباطنة اخبر بثمرتها فقال اولئك اي الموصوفون بتلك الصفات الظاهرات ولما تضمن ما مضى ان ايمانهم
كان عن اعظم استدلال فاثمر لهم التمسك باوثق العرى من الاعمال استحقوا الوصف بالاستعلاء الذي معناه التمكن فقال على
هدى اي عظيم وزاد في تعظيمه بقوله من ربهم اي المحسن اليهم بتمكينهم منه ولزومهم له تمكين من على الشيء ولما لم يلازم الهدى
الفلاح عطف عليه قوله مشيرا بالعاطف الى مزيد تمكينهم في كل من الموضعين واولئك اي العالوا الرتبة هم اي خاصة المفلحون
اي الكاملون في هذا الوصف الذين انفتحت لهم وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته في الفاء والعين
نحو فلج بالجيم وفلق وفلذ وفلي قال الحرالي وخرج الخطاب في هذه الايات مخرج المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ومخرج احضار
المومنين بموضع الاشارة وهي مكانة حضرة دون مكانة حضرة المخاطب انتهى وكونها للبعد اعلام بعلو مقامهم والفلاح الفوز
والظفر بكل مراد ونوال البقاء الدايم في الخير ولما اردف البيان لاوصاف المومنين التعريف باحوال الكافرين وكانوا قد
انقسموا الى مصارحين ومنافقين وكان المنافقون قسمين جهالا من مشركي العرب وعلماء من كفار بني اسرايل كان الانسب ليفرغ
من قسم براسه على عجل البداءة اولا بالمصارحين فذكر ما اراد من امرهم في ايتين لان امرهم اهون وشانهم ايسر لقصدهم بما
يوهنهم بالكلام او بالسيف على ان ذكرهم على وجه يعم جميع الاقسام فقال مخاطبا لاعظم المنعم عليهم على وجه التسلية والاعجاز
في معرض الجواب لسوال من كانه قال هذا حال الكتاب للمومنين فما حاله للكافرين ان الذين كفروا اي حكم بكفرهم دايما حكما نفذ
ومضى فستروا ما اقيم من الادلة على الوحدانية عن العقول التي هيئت لادراكه والفطر الاولى التي خلصت عن مانع يعوقها
عن الانقياد له وداموا على ذلك بما دل عليه السياق بالتعبير عن اضدادهم بما يدل على تجريد الايمان على الدوام واللحاق
بالختم والعذاب ولعله عبر بالماضي والموضع للوصف تنفيرا من مجرد ايقاع الكفر ولو للنعمة وليشمل المنافقين وغيرهم ولما
دل هذا الحال على انهم عملوا ضد ما عمله المومنون من الانقياد كان المعنى سواء عليهم ءانذرتهم اي انذارك في هذا الوقت
اي بهذا الكتاب ام لم تنذرهم اي وعدم انذارك فيه وبعده وقد انسلخ عن ام والهمزة معنى الاستفهام قال سيبويه جرى
هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انتهى ولعله عبر بصورة الاستفهام
وقد سلخت عن معناه افهاما لانهم توغلوا في الكفر توغل من وصل في الحمق الى انه لو شاهد الملك يستفهمك عنه ما امن ولما
كان كانه قيل في اي شيء استوت حالاتهم قيل انهم لا يومنون وهي دليل على خصوص كونه هدى للمتقين وعلى وقوع التكليف
بالممتنع لغيره فانه سبحانه كلفهم الايمان واراد منهم الكفران فصار ممتنعا لارادته عدم وقوعه والتكليف به جار على سنن
الحكمة فان اراد عدم ايمانهم لم تخرج ايمانهم عن حيز الممكن فيما يظهر لعدم العلم بما اراد الله من كل شخص بعينه فهو على سنن
الابتلاء ليظهر في عالم الشهادة المطيع من غيره لاقامة الحجة وياتي في الصافات عند افعل ما تومر تتمة لهذا قال الحرالي
فحصل بمجموع قوله سواء عليهم الى آخره وبقوله لا يومنون خبر تام عن سابقة امرهم ولاحقة كونهم فتم بالكلامين الخبر عنهم
خبرا واحدا ملتئما كتبا سابقا وكونا لاحقا انتهى وكل موضع ذكر فيه الكفر فانما عبر به اشارة الى ان الادلة الاصلية
في الوضوح بحيث لا تخفى على احد ولا يخالفها الا من ستر مرآة عقله اما عنادا واما باهمال النظر الشديد والركون الى نوع
تقليد ولما كان من اعجب العجب كون شيء واحد يكون هدى لناس دون ناس علل ذلك بقوله ختم الله اي بجلاله على
قلوبهم اي ختما مستعليا عليها فهي لا تعي حق الوعي لان الختم على الشيء يمتنع الدخول اليه والخروج منه واكد المعنى باعادة الجار
فقال وعلى سمعهم فهم لا يسمعون حق السمع وافرده لان التفاوت فيه نادر قال الحرالي وشركه في الختم مع القلب لان
احدا لا يسمع الا ما عقل انتهى وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا ينظرون بالتامل ولما سوى هنا بين الانذار وعدمه كانت
البداءة بالقلوب انسب تسوية لهم بالبهايم ولما كان الغبي قد يسمع او يبصر فيهتدي وكان الى السمع اضر لعمومه وخصوص
البصر باحوال الضياء نفى السمع ثم البصر تسفيلا لهم عن حال البهايم بخلاف ما في الجاثية فانه لما اخبر فيها بالاضلال وكان
الضال احوج شيء الى سماع الهادي نفاه ولما كان الاصم اذا كان ذا فهم او بصر امكنت هدايته وكان الفهم اشرف نفاهما على
ذلك الترتيب ولما وصفهم بذلك اخبر بما لهم فقال ولهم عذاب عظيم قال الحرالي وفي قوله ولهم اعلام بقوة تداعي
حالهم لذلك العذاب واستحقاقهم له وتنشؤ ذواتهم اليه حتى يشهد عيان المعرفة به ويهم انه لهم وكان عذابهم عظيما
اخذا في عموم ذواتهم لكونهم لم تلتبس ابدانهم ولا نفوسهم ولا ارواحهم بما يصد عنهم شيئا من عذابها كما يكون للمعاقبين من

مذنبي مومني الامم حيث يتنكب العذاب عن وجوههم ومواضع وضوئهم ونحو ذلك انتهى وسياتي عند قوله تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا ما يلتفت الى هنا قال الحرالي الكفر تغطية ما حقه الاظهار والانذار الاعلام بما يحذر والختم
اخفاء خبر الشي بجمع اطرافه عليه على وجه يتحفظ به والقلب مبدا كيان الشي من غيب قوامه فيكون تغير كونه بحسب تقلب قلبه
في الانتهاء ويكون نظوره وتكامله بحسب مدده في الابتداء والنما والقلب من الانسان بمنزلة السكان من السفينة بحسب تقلبه
يتصرف سايره وبوصفه للتقلب والتقليب سمي قلبا وللطيف معناه في ذلك كان اكثر قسمه صلى الله عليه وسلم بمقلب القلوب
القلوب والغشاوة غطاء مجلل لا يبدو امعه من المغطى شي والعذاب ايلام لا اجهار فيه والعظيم الاخذ في الجهات كلها انتهى
وفي تعقيب ذكر المومنين بذكر المختوم على مداركهم المختوم بمهالكهم تعظيم للنعمة على من استجاب له اذ قال اهدنا فهداه واعلام
بان الهدى ليس الا بيده ليلحوا في الطلب ويبراوا من ادعاء حول او قوة ولما افتتح سبحانه بالذين واطات قلوبهم السنتهم
في الايمان وثنى بالمجاهدين من الكافرين الذين طابق اعلانهم اسرارهم في الكفران اتبعه ذكر المساترين الذين خالفت السنتهم
قلوبهم في الاذعان وهم المنافقون وامرهم اشد لاشكال احوالهم والتباس اقوالهم وافعالهم فاضر الاعداء من يريك الصداقة
فياخذك من المامن وما احسن ما ينسب الى الامام ابي سليمن الخطابي في المعنى • تحرز من الجهال جهدك انهم • وان اظهروا
فيك المودة اعداء • وان كان فيهم من يسرك فعله • فكل لذيذ الطعم او جله داء • لا جرم ثنى سبحانه باظهار اسرارهم وهتك
استارهم في سياق شامل لتسميتهم فقبح امورهم ووهى مقاصدهم وضرب لهم الامثال وبسط لهم بعض البسط في المقال فقال
تعالى ومن الناس اي لما ارسلنا رسولنا انقسم الناس قسمين مومن وكافر وانقسم الكافر قسمين فمنهم جاهر وقال لا نومن ابدا
ومنهم من يقول ولعله اظهر ولم يضمر لانفرادهم عن المجاهرين ببعض الاحكام او لانه سبحانه لما ذكر طرفي الايمان والكفر واحوال
المومنين واحوال الذين كفروا ذكر المنافقين المترددين بين الاتصاف بالطرفين بلفظ الناس لظهور معنى النوس فيهم لاضطرابهم
بين الحالين لان النوس هو حركة الشي اللطيف المعلق في الهوى كالخيط المعلق الذي ليس في طرفه الاسفل ما يثقله فلا يزال مضطربا
بين جهتين ولم يظهر هذا المعنى في الفريقين لتحيزهم الى جهة واحدة قاله الحرالي وعرف للجنس او للعهد في الذين كفروا لانهم
نوع منهم وسر الاظهار موضع الاضمار على هذا ما تقدم امنا بالله اي وحده بما له من الجلال والجمال مستحضرين لذلك ولما كانوا
متهمين اكدوا باعادة الجار فقالوا وباليوم الاخر الذي جحده المجاهرون وما هم بمومنين اي بغير يقين في الايمان كما
ادعوه بذكر الاسم الاعظم واعادة الجار ولعله نفي العرافة فقط لان منهم من كان مزلزلا حين هذا القول غير جازم بالكفر
وامن بعد ذلك وحذف متعلق الايمان تعميما في السلب عنهم لما ذكروا غيره وجمع هنا وافرد في يقول تنبيها على عموم الكفر لهم
كالاولين وقلة من يسمح منهم بهذا القول اشارة الى غلظتهم وشدة غشاوتهم في الكفر وقوتهم وفي ذكر قصتهم وتقبيح
احوالهم تنبيه على وجوب الاخلاص وحث على الاجتهاد في الطهارة من الادناس في سوال الهداية الى الصراط المستقيم
وتصنيف الناس اخر الفاتحة ثلثة اصناف مهتدين ومعاندين وضالين مثل تصنيفهم اول البقرة ثلثة متقين وكافرين
مصارحين وهم المعاندون وضالين وهم المنافقون واجمالهم في الفاتحة وتفصيلهم هنا من بديع الاساليب وهو داب
القران العظيم الاجمال ثم التفصيل وقد سمى ابن اسحق كثيرا من المنافقين في السيرة الشريفة في اوايل اخبار ما بعد الهجرة
قال ابن هشام في تلخيص ذلك وكان ممن اضاف الى يهود ممن سمي لنا من المنافقين من الاوس والخزرج من الاوس روي بن الحرث
وبحاد بن عثمن بن عامر ونبتل بن الحرث وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر
الى نبتل وكان ياتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث اليه ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال انما محمد اذن
وعباد من حنيف اخو سهل وعمرو بن خزام وعبد الله بن نبتل ويخرج وهو ممن كان بنى مسجد الضرار وكذا حارثة بن عامر بن
العطاف وابنه زيد وخذام بن خلد وهو الذي اخرج مسجد الضرار من داره ومربع بن قيظي وهو الذي قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو عامد الى احد لا احل لك يا محمد ان كنت نبيا ان تمر في حايطي فابتدره المسلمون ليقتلوه فنهاهم النبي صلى
الله عليه وسلم وقال هذا الاعمى اعمى البصر واخوه اوس بن قيظي والذي قال يوم الخندق ان بيوتنا عورة وحاطب بن
امية بن رافع وكان شيخا جسيما قد عسى في الجاهلية وكان ابنه زيد من خيار المسلمين قتل رضي الله عنه يوم احد فقال ابوه
لمن بشره بالجنة غررتم والله هذا المسكين من نفسه وبشير بن ابيرق ابو طعيمة وفي نسخة طعمه وهو سارق الدرعين الذي
انزل الله فيه ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم وقزمان حليف لهم اجاد يوم احد القتال وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انه من اهل النار فجرح فبشر بالجنة فقال والله ما قاتلت الا حمية لقومي فلما اشتدت به الجراحة قطع
رواهش يده فمات ومن الخزرج رافع بن وديعة وزيد بن عمرو وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو بن سهل والجد بن قيس وهو
الذي قال ايذن لي ولا تفتني وعبد الله بن ابي راس المنافقين واليه كانوا يجتمعون وهو القايل ليخرجن الاعز منها الاذل
وفيه وفي وديعة العوفي وملك بن ابي قوقل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب الاية حكاية لما كانوا يدسونه الى بني النضير اذ حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصدق الله وكذبوا وكان ممن تعوذ بالاسلام واظهره وهو منافق من احبار يهود من بني قينقاع سعد بن حنيف وزيد بن
الصليت وهو الذي قال في غزوة تبوك يزعم محمد انه ياتيه خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فاعلمه الله بقوله وبمكان
الناقة ونعيمان بن اوفى بن عمرو وعثمن بن اوفى ورافع بن حريملة وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

اعمى القلب

مات قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين ورفاعة بن زيد بن التابوت وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هبت تلك الريح وهو قافل من غزوة بني المصطلق لا تخافوا انما هبت لموت عظيم من عظماء المنافقين وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا فكان هو كما قال من المنافقين ومن نحا نحوهم يحضرون المسجد فيسمعون احاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزؤن بدينهم انتهى وفيه اختصار فانزل الله تعالى فيهم هذه الآيات وابتدأ قصتهم بالتنبيه على قلة عقولهم وخفة حلومهم من حيث ان محط حالهم انهم يخادعون من لا يجوز عليه الخداع وان الذي حملهم على ذلك انهم ليس لهم نوع شعور ولا شيء من ادراك بقوله تعالى جوابا لسؤال من كأنه قال فما قصدهم باظهار الايمان والاخبار عن انفسهم بغير ما هي متصفة به مع معرفتهم بقبح الكذب وشناعته وفظاعته وبشاعته يخادعون الله اي يبالغون في معاملته هذه المعاملة بابطان غير ما يظهرون مع علمه من الاحاطة بكل شيء والخداع اصله الاخفاء والمفاعلة في اصلها للمبالغة لان الفعل متى غولب فيه فاعله ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده والذين امنوا اي بما هو تلك المعاملة وامره تعالى باجراء احكام الاسلام عليهم في الدنيا صورته صورة الخدع وكذا استئناف المومنين امره تعالى فيهم قال الحرالي وجاء بصيغة المفاعلة لمكان احاطة علم الله بخداعهم ولم يقرأ غيره ولا ينبغي والخداع اظهار خير يتوسل به الى ابطان شر يؤول اليه امر ذلك الخير المظهر انتهى وما يخدعون اي بما يغرؤن به المومنين الا انفسهم يعني ان عقولهم لخباثتها انما تسعى نفوسا واو النفس قال الحرالي ما به يتنفس المرء على غيره استبدادا منه واكتفاء بموجود نفاسته على من سواه انتهى وقراءة الحذف هذه لا تنافي قراءة يخادعون لان المطلق لا تخالف المقيد بالمبالغة وعبر هنا بصيغة المفاعلة لتكررهم كما قال الحرالي بفساد احوالهم في بعض الاوقات وعن بعض الاشخاص وبصيغة المجرد لعمومهم عن فساد احوالهم في اكثر اوقاتهم وعمه عامتهم ولا يكون من الله الا بلفظ الخدع لانهم لا يعلمون ما يخفي الله عنهم من امره ولذلك جاء في اية النساء يخادعون الله وهو خادعهم انتهى وما يشعرون اي نوع شعور لانزاط جهلهم بانهم لا يضرون غير انفسهم لان الله يعلم سرهم كما يعلم جهرهم وحذف متعلق الشعور للتعميم والشعور كما قال الحرالي اول الاحساس بالعلم كانه مبدأ اثباته قبل ان تكمل صورته وتتميزا انتهى ثم بين سبحانه ان سبب الغفلة عن هذا الظاهر كون آلة ادراكهم مريضة شغلها المرض عن ادراك ما ينفعها فهي لا تخلص الا الى ما يوذيها كالمريض لا تميل نفسه الى غير ما يضاره فقال جوابا لمن كأنه قال ما سبب فعلهم هذا من الخداع وعدم الشعور في قلوبهم مرض اي من اصل الخلقة بوهن قوى الايمان فيها ويوجب ضعف انعامهم الاسلامية وحلها لان المرض كما قال الحرالي ضعف في القوى يترتب عليه خلل في الافعال فزادهم الله اي بجميع ما له من صفات الجلال والاكرام اي لمخادعتهم بما يرون من عدم تاثيرها مرضا اي سوء اعتقاد بما يزيد من خداعهم والمآني قلوبهم بما يرون من جنبة مطلوبهم فانسد عليهم باب الفهم والسداد جملة والزيادة قال الحرالي استحداث امر لم يكن في موجود الشيء انتهى ولهم اي مع ضرر الخباوة في الدنيا الملحقة بالبهائم عذاب اليم في الاخرة اي شديد الالم وهو الوجع اللازم قاله الحرالي بما كانوا قال الحرالي من كان الشيء وكان الشيء كذا اذا ظهر وجوده وتمت صورته او ظهر ذلك الكذا من ذات نفسه انتهى يكذبون اي يوقعون الكذب وهو الاخبار عن انفسهم بالايمان مع تلبسهم بالكفران والمعنى على قراءة التشديد بالغون في الكذب او يجسبون الصادق الى الكذب وذلك اشنع الكذب ولما اخبر تعالى عن بواطنهم اتبعه من الظاهر ما يدل عليه فبين انهم اذا نهوا عن الفساد العام ادعوا الصلاح العام بقوله واذا قيل لهم وبناه للمجهول اشارة الى عصيانهم لكل قايل كايا من كان لا تفسدوا في الارض اي بما نهي لكم من الاعمال الخبيثة والفساد انتقاض صورة الشيء قاله الحرالي قالوا قاصرين فعلهم على الصلاح نافين عنه كل فساد مباهتين غير مكترثين انما نحن مصلحون والاصلاح تلافي خلل الشيء قاله الحرالي ولما كان حالهم مبنيا على الخداع باظهار الخير وابطان الشر وكانوا يريدون افسادهم لما لهم من عكس الادراك اصلاحا فكانوا يناظرون عليه بانواع التشبه كان قولهم ربما غر من سمعه من المومنين لانا المومن غر كريم والكافر خب لئيم فقال تعالى تحذيرا من حالهم منبئا لهم بما نفوه عن انفسهم من الفساد وقاصرا له عليهم الا انهم هم المفسدون اي الكاملوا الافساد البالغون من العراقة فيه ما يجعل افسادهم غيرهم بالنسبة الى افسادهم عدما لما في ذلك من خراب ذات البين واخذ المومن من المامن وقال الحرالي ولما كان حالهم الطابنة بالايمان اصلاحا وجب ان يكون اضطرابهم فيه افسادا لا سيما مع ظنهم ان كونهم مع هؤلاء تارة ومع هؤلاء تارة من الحكمة والاصلاح وهو غير الافساد لانه في الحقيقة مخالفة هؤلاء وهؤلاء فقد افسد واطرفي الايمان والكفر ولذلك قيل ما يصلح المنافق لانه لا جنيب يصافي ولا عدو مباين فلا يعتقد منه على شيء انتهى ولما كان هذا الوصف موجبا لعظم الرهبة اتبعه ما يخففه بقوله ولكن لا يشعرون اي هم في غاية الجلافة حتى لا شعور لهم يحسنون به التصرف فيما يحاولونه من الفساد الآن بما دلت عليه ما في الاية السابقة الدالة على ان المضارع للحال ولا فيما يستقبل من الزمان لان لا تقارنه الا وهو بمعنى الاستقبال فلاجل ذلك لا يوثر افسادهم الاتي اذي انفسهم فلا تخافوهم خافي كافيكموهم ولما بين حالهم اذا امروا بالصلاح العام بين انهم اذا دعوا الى الصلاح الخاص الذي هو اثر كل صلاح سموه سفها فقال واذا قيل اي من اي قايل كان لهم امنوا اي ظاهرا وباطنا كما امن الناس اي الذين هم الناس لتظهر عليكم ثمرة ذلك من لزوم الصلاح واجتناب الفساد والايمان المضاف الى الناس ادنى مراتب الايمان قاله الحرالي وهو منهم لما صرح به قوله وما هم بمومنين قالوا انومن اي ذلك الايمان كما امن السفهاء اي الذين استدرجهم الى ما ظنوا فيه بعد ترك ما كان عليه اباؤهم خفة نشات عن ضعف العقل ثم رد سبحانه قولهم بحصر السفه فيهم فقال الا انهم هم السفهاء لا غيرهم بجهودهم على دلالهم من ان بطلانه اظهر من الشمس ليس فيه لبس ولكن لا يعلمون اي ليس لهم علم اصلا بذلك ولا بغيره ولا يتصور لهم علم لان جهلهم مركب وهو اسوا الجهل والعلم قال الحرالي ما اخذ بعلامة وامارة نصبت اية عليه انتهى ولما كان

الفساد يكفي في معرفته والصد عنه ادنى تامل والسفه لا يكفي في ادراكه والنهي عنه الا رزانة العلم ختمت كل اية بما يناسب
ذلك من الشعور والعلم ولما كان العام جزء الخاص قدم عليه ولما بين نفاقهم وعلته وسيرتهم عند دعاء الداعي الى الحق بهذه
الايات بين سيرتهم في اقوالهم في خداعهم دليلا على افسادهم بقوله واذا لقوا واللقاء اجتماع باقبال الذين امنوا اي
حقا ظاهرا وباطنا ولكن ايمانهم كما قال الحرالي فعل من افعالهم لم ينته الى ان يصير صفة لهم واما المومنون الذين صار
ايمانهم صفة لهم فلا يكادون يلقونهم بمقتضاه لانهم لا يجدون معهم مدخلا في قول ولا موانسة لان اللقاء لا بد فيه من اقبال
ما من الملتقيين انتهى قالوا خداعا امنا معبرين بالجملة الفعلية الماضية التي يكفي في افادتها لما سيقت له ادنى الحدوث واذا
خلوا منتهين الى شياطينهم اي الذين هم روسهم من غير ان يكون معهم مومن والشيطان هو الشديد البعد عن محل الخير قاله
الحرالي قالوا انا معكم معبرين بالاسمية الدالة على الثبات موكدين لها دلالة على نشاطهم لهذا الاخبار لمزيد حبهم لما افاده
ودفعا لما قد يتوهم من تبدلهم من راي نفاقهم للمومنين ثم استانفوا في موضع الجواب لمن قال ما بالكم تلينون للمومنين قولكم
انا نحن مستهزءون اي طالبون للهزء ثابتون عليه فيما يظهر من الايمان والهزء اظهار الجد واخفاء الهزل فيه قاله الحرالي
فاجيب من كانه قال بماذا جوزوا بقوله الله اي الملك الاعلى يستهزئ بهم اي يجازيهم على فعلهم بالاستدراج بان يظهر
لهم من امره المودي لهم ما لا يدركون وجهه فهو يجري عليهم في الدنيا احكام اهل الايمان ويذيقهم في الدارين اعلى هوان
مجددا لهم ذلك بحسب استهزائهم وذلك انكاء من شي دايم توطن النفس عليه فلذلك عبر بالفعلية دون الاسمية مع انها
تفيد صحة التوبة لمن تاب دون الاسمية ويمدهم من المد بما يلبس عليهم وقال الحرالي من المدد وهو مزيد متصل في الشي
من جنسه في طغيانهم اي تجاوزهم للحد في الفساد وقال الحرالي افراط اعتدائهم حدود الاشياء ومقاديرها انتهى
وهذا المد بالاملاء لهم حال كونهم يعمهون اي يخبطون خبط الذي لا بصيرة له اصلا قال الحرالي من العمه وهو انبهام
الامور التي فيها دلالات ينتفع بها عند فقد الحس فلا يبقى له سبب يرجعه عن طغيانه فلا يتعدون حدا الا عمهوا فلم يرجعوا
عنه فهم ابدا متزايدوا الطغيان انتهى فلما تقرر ذلك كله فذلكته من غير توقف اولئك اي الشديد والبعد من الصواب
الذين اشتروا اي لجوا في هواهم فكلفوا انفسهم ضد ما فطرها الله عليه مع ما نصب من الادلة حتى اخذوا الضلالة اي
التي هي اقبح الاشياء بالهدى الذي هو خير الاشياء ومدار كل ذي شعور عليه فكانه لوضوح ما قام عليه من الادلة مع ما ركز
منه في الفطر كان في ايديهم فباعوه بها وسياتي في سورة يوسف عليه السلام بيان ان مادة شري بتراكيبها الاثني عشر تدور
على اللجاجة فما اي فتسبب عن فعلهم هذا انه ما ربحت تجارتهم اي مع ادعائهم انهم ابصر الناس بها وما كانوا في نفس جبلاتهم
مهتدين لانهم مع انهم لم يربحوا اضاعوا راس المال لانه لم يبق في ايديهم غير الضلال الذي صاحبه في دون رتبة البهائم
مع زعمهم انه لا مثل لهم في الهداية فلما علم ذلك كله وكانت الامثال الصق بالبال واكشف للاحوال مثل حالهم في هداهم
الذي باعوه بالضلالة بالامور المحسوسة لان للتمثيل بها شانا عظيما في ايصال المعاني حتى الى الاذهان الجامدة وتقريرها
فيها بقوله تعالى مثلهم اي في حالهم هذه التي طلبوا ان يعيشوا بها كمثل الذي استوقد نارا اي طلب ان توقد له وهي
هداه ليسير في نورها واصلها من نار اذا نفر لتحركها واضطرابها فوقدت وانارت فلما اضاءت اي النار وافرد الضمير
باعتبار لفظ الذي فقال ما حوله واراد ان ينتفع بها في ابصار ما يريد وهو كناية عما حصل لهم من الامنة بما قالوه من
كلمة الاسلام من غير اعتقاد ذهب الله الذي له كمال العلم والقدرة وجمع الضمير نظرا الى المعنى لئلا يتوهم ان بعضهم انتفع
دون بعض بعد ان افرده تقليلا للنور وان كان قويا في اوله لانطفائه في اخره فقال بنورهم اي الذي نشا من تلك النار
باطفائه لها ولا نور لهم سواه ولم يقل بضوئهم لئلا يتوهم ان المذهوب به الزيادة فقط لان الضوء اعظم من مطلق النور
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فذهب نورهم وبقيت نارهم ليجتمع عليهم حرها مع حر الفقد لما ينفعهم من النور وعبر
بالاضاءة اولا اشارة الى قوة اولهم والمحاق اخرهم لان محط حالهم الباطل والباطل له صولة ثم تضمحل عند من ثبت لها
ليتبين الصادق من الكاذب وعبر بالذهاب به دون اذهابه ليدل نصا على انه سبحانه ليس معهم وحقق ذلك بالتعبير عن صير
بترك فقال وتركهم في ظلمات اي بالضلالة من قلوبهم وابصارهم وليلهم اي ظلمات لا ينفذ فيها بصر فكذا كانت نتيجته
لا يبصرون اي الابصار لهم اصلا يبصر ولا بصيرة ولما فرغ من المثل كشف المراد بظلماتهم بانها ما في اذانهم من الثقل
المانع من الانتفاع بالسماع وما في السنتهم من الخرس عن كلام الخير الناشي عن عدم الادراك الناشي عن عدم البصائر وفساد
الضمائر والسرائر وما على ابصارهم من الغشاوة المانعة من الاعتبار وعلى بصائرهم من الاغطية المنافية للادكار فقال
صم اي عن السماع النافع بكم عن النطق المفيد لان قلوبهم مختوم عليها فلا يبعث منها خير تقذفه الى الالسنة عمي في البصر
والبصيرة عن الابصار المرشد لما تقدم من الختم على مشاعرهم ولما كان في مقام اجابة الداعي الى الايمان قدم السمع لانه
العمدة في ذلك وثنى بالقول لانه يمكن الاصم من الافصاح عن المراد وختم بالبصر لامكان الاهتداء به بالاشارة وكذا ما ياتي
في هذه السورة سواء بخلاف ما في الاسرا فهم اي فتسبب عن ذلك انهم ولما كان المراد بالتعميم في كل رجوع لم يذكر المرجوع
عنه فقال لا يرجعون اي عن طغيانهم وضلالهم الى الهدى الذي باعوه ولا الى حالهم الذي كانوا عليه ولا ينتقلون عن حالهم
هذا اصلا لانهم كمن هذا حاله ومن هذا حاله لا يقدر على مفارقة موضعه بتقدم ولا تاخر او مثلهم في سماع القران الذي
فيه المتشابه والوعيد والوعد كصيب اي اصحاب صيب اي مطر عظيم وقال الحرالي سحاب ممطر دار ثم اتبعه تحقيقا

لان المراد الحقيقة قوله من السماء وهو كما قال الحرالي ما علا فوق الراس بعني هذا اصله والمراد هنا معروف ومثل القران لهذه الموائدة نزوله وعلوه واحيايه القلوب كما ان الصيب يحيي الارض ثم اخبر عن حاله بقوله فيه ظلمات اي لكثافة السحاب واسوداده ورعد اي صوت مرعب يرعد عند سماعه وبرق اي لمع سبحت لمعانه وسرعته قاله الحرالي والظلمات مثل ما لم يفهموه والرعد مانادي عليهم بالفضيحة والتهديد والبرق ما يلوح لهم معناه ويدل على رأي في استحسانه ولما تم مثل القران استانف الخبر عن حال الممثل لهم والممثل لهم ○ حقيقة ومجازا فقال يجعلون اصابعهم اي بعضها ولو قدروا لجعلوا الكل لشدة خوفهم في اذانهم من الصواعق اي من اجل قوتها لان هولها يكاد ان يصم او قال الحرالي جمع صاعقة وهو الصوت الذي يميت سامعه او يكاده ثم علل هذا بقوله حذر الموت والله اي والحال ان المحيط بكل شيء قدره وعلمه محيط بالكافرين اي فلا يعجزهم من قدره حذر واظهر موضع الاضمار لاعراضهم عن القرآن وستزهم لانواره ثم استانف الحديث عن بقية حالهم فقال يكاد البرق اي من قوة لمعه وشعاعه وشدة حركته واسراعه يخطف ابصارهم فهم يغضونها عند لمعه وخضه في ترائيه ورفعه ولما كان من المعلوم ان البرق يقتضي لمعانه بسرعة كان كانه قيل ماذا يصنعون عند ذلك فقال كلما وعبر بها دون اذا دلالة على شدة حرصهم على ايجاد المشي عند الاضاءة اضاء لهم مشوا فيه مبادرين الى ذلك حراصا عليه لا يفترون عنه في وقت من اوقات الاضاءة مع انهم يغضون ابصارهم لا عدولا عما غايته المذخوف عليها ووقوفا مع الاسباب ووثوقا بها واعتمادا عليها وغفلة عن رب الارباب وهو مثل لما وجد من القران موافقا لآرائهم وعطف باذا التحقق حفوته بعد حفوته ○ قوله واذا اظلم عليهم قاموا اي اول حين الاظلام لا يقدرون على التقدم خطوة واحدة اشارة الى انه ليست لهم بصائر يسيرون بها فيما كشف البرق لابصارهم من الارض قبل الاظلام بل حاد انقطاع اللمعان يقفون لعمى بصايرهم ووحشتهم وجبنهم وغرتهم وشدة جزعهم وحيرتهم وهكذا حال هؤلاء لا يقيسون ما اشكل عليهم من القران على ما فهموه ولو شاء الله الذي له العظمة الباهرة مع شدة حرصهم وتناهي جزعهم ودهشهم لذهب بسمعهم اي تاصف الرعد ولم يفهم سماعه اذانهم وابصارهم بخاطف البرق ولم يمنعه عضهم لها لم على ذلك بقوله ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال على كل شيء اي شيء اي يصح ان تقع عليه المشيئة هذا المراد وان كان الشيء كما قال سيبويه يقع على كل ما اخبر عنه وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم والمعدوم والمحال وقول الاشاعرة ان المعدوم ليس بشيء بمعنى انه ليس ثابت في الاعيان متميز فيها قدير اعلاما بان قدرته لا تتعذر بالاشياء ولعله سبحانه قدم المثل الاول لانه كالجزء من الثاني اولانه مثل المنافقين جملة مرة صيبهم بجموعهم وازديادهم عقولهم استيفادا مع جعل الله اياهم على الفطرة القويمة وزمان بلوغهم بتمام العقل العزيز امنة والثاني مثل المنافقين وهو ابلغ لان الضلال فيه اشنع وانقطع فالصيب القرآن الذي انقاد وآله ظاهرا والظلمات متشابهه والصواعق وعيده والبرق وعده كلما انذروا بوعيد انقطعت قلوبهم خوفا يحسبون كل صيحة عليهم وكلما بشروا انقادوا رجاء واذا عرض المتشابه وقفوا تحيرا وجفاء وكل ذلك وقوفا مع الدنيا وانقطاعا اليها لا تفوذ لهم الى ما وراءها اصلا بل هم كالانعام لا نظر لهم الى سوى الجزئيات والامور المشاهدات فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم يا ليتني كنت معهم فاوزفوزا عظيما والكلام الجامع النافع في ذلك ان يقال انه سبحانه شبه في الاول مثلهم بمثل المستوقد وفي الثاني شبه مثلهم في خوفهم اللازم ورجائهم المنقطع باصحاب الصيب لا بمثلهم فتقدير الاول مثلهم في انهم سمعوا الوعد والوعيد ورأوا الآيات فاجابوا الداعي اما بالفعل كالمنافقين واما بالقوة في ايام الصبي لما عندهم من سلامة الفطر وصحة الفطر ثم تلذذوا فرجعوا بقلوبهم من نور ما قالوه بالسنتهم من كلمة التقوى نطقا او تقديرا الى الكلمات الكفر فلم ينفعهم سمع ولا بصر ولا عقل فصاروا مثل البهايم التي لا تطيع الداعي الا بالزجر البليغ مثلهم في هذا يشبه مثل المستوقد في انه لما اضاءت ناره واي ما حوله فلما ذهبت لم يقدر على تقدم ولا تاخر لانه لا ينفع في ذلك سمع ولا كلام فلان استوى وجودهما وعدمهما فصار عادما للدلالة فكان من هذه الجهة مساويا للاصم الابكم الاعمى فهو مثله لكونه لا يقدر على مراده الا ان قاده قايد حسي فهو حينئذ مثل البهايم التي لا انقاد لها الا بقايد فاستوى المثلان وسيتضح ذلك عند قوله تعالى كمثل الذي ينعق ولذلك كانت النتيجة في كل منهما صم الى آخره واو بمعنى الواو ولعله عبر لها دونها لانه وان كان كل من المثلين صالحا لكل من الشيئين فان احتمال التفصيل غير بعيد لان الاول والثاني في الاول وجعل الحرالي المثلين للمنافقين فقال اضرب لهم مثلين لما كان لهم حالان ○ وللقران عليهم تنزلان منه ما يرغبون فيه لما فيه من مصلحة دنياهم فضرب لهم المثل الاول وقدمه لانه سبب دخولهم في الذين امنوا لما رأوا من معالجة عقاب الذين كفروا في الدنيا ومنه ما يرهبونه ولا يستطيعون سماعه لما يتضمنه من امور شاقة عليهم لا يحملها الا موقن حقا ولا يتحملها الا من ولما يلزم منه من فضيحة خداعهم فضرب له المثل الثاني فلن يخرج حالهم عند نزول نجوم القرآن عن مقتضى هذين المثلين انتهى وضرب الامثال المنهي الى الحد المنتهي الاحاطة وكل حد لا سيما في اصول الدين الكاشف لحقيقة التوحيد الموصل الى اليقين في الايمان بالغيب المحقق لله تعالى من صفات الكمال الرافع للشكوك الحافظ في طريق السلوك بما اختص به القرآن من حيث كان منتهيا الى الحد ومفصحا به فكان حرف الحد وذلك انه حرف عام محيط شامل لجميع الامور كافل بكل الشرايع في سايرالازمان فكان احق الرسل به من كانت رسالته عامة لجميع الخلق وكتابه شاملا لجميع الامور وهو احمد ومحمد صلى الله عليه وسلم قال الامام ابو الحسن الحرالي في كتابه عروة المفتاح هذا الحرف لاحاطته انزل وترا وسايرالحروف اشفاع لاختصاصها وروجه انزاله لتفهيم ما عسر من الغيبات بضرب مثل من المشهودات ولما كان للامر تنزلات وللخلق تطورات كان الامر منها مثلا لما هو دونه في الظهور وكلما ظهر بمثول صار مثلا لما هو اخفى منه فكان لذلك امثالا عدة انزلت مثلا ليس بممثول لظهوره وممثولات تصير امثالا لما هو اخفى منها الى ان تنتهي الامثال الى غاية محسوس او معلوم فتكون اكمل الغاية مثلا

اعلى كالسموات والارض فيما يحس والعرش والكرسي فيما يعلم وله المثل الاعلى في السموات والارض الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم وذلك المثل الاعلى لاحاطته اسمه الحمد وله الحمد في السموات والارض واحمده انهاه وادناه الى الله تعالى
بحيث لا يكون بينه وبين الله تعالى واسطة فلذلك ما استحق اكمل الخلق واجمعه واكمل الامر واجمعه الاختصاص بالحمد فكان اكمل
الامور سورة الحمد وكان اكمل الخلق صورة محمد صلى الله عليه وسلم كان خلقه القران ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
ودون المثل الاعلى الجامع الامثال العلية المفصلة منه ضرب لكم مثلا من انفسكم ولاحاطة امر الله وكماله في كل شي يصح ان يضربه مثلا
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وللمثل حكم من
ممثوله ان كان حسنا حسن وان كان سيئا ساء مثله ولما كان اعلى الامثال الحمد كان اول الفاتحة الحمد ولما كان اخفى الامر الخلق
النفاق كان اول مثل في الترتيب مثل النفاق وهو ادنى مثل لما خفي من امر الخلق كما ان الحمد اعلى مثل لما غاب من امر الخلق وبين الحدين
امثال حسنة وسيئة مثل الجنة التي وعد المتقون الايتين مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها فمثله كمثل الكلب الايتين
وبقدر علو المثل او دنوه او توسطه يتزايد للمومن من الايمان وللعالم العلم وللفاهم الفهم وبضد ذلك لما اتصف باضداد تلك
الاوصاف فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا ومعرفة امثال القران المعرفة ممثولاتها وعلم اياته المعلمة اختصاص معلوماتها هو حظ العقل واللب وحرفه من القران
ولكل حرف اختصاص بحظ من تدرك الانسان واعمال القلوب والانفس والابدان فمن يسر له القراة والعمل بحرف منه اكتفى ومن جمع
له قراة جميع احرفه علما وعملا فقد اتم ووفى وبذلك يكون القاري من القراء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم
اعز من الكبريت الاحمر يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم قال في ما به تحصل قراة هذا الحرف اعلم ان قراة الاحرف
الستة تماما وفاء بتفصيل العبادة لانها اشفاع ثلثة للتخلص والتجلي وثلثة للعمل والتخلي لان ترك الحرام طهرة البدن وترك النهي
طهرة النفس وتحقق العبودية بمقتضى حرف المحكم نور القلب واما قراة حرف الامثال فهو وفاء العبادة بالقلب جمعا ودواما
وله الدين واصبا والذين هم على صلوتهم دايمون فالذي يحصل قراة هذا الحرف انما هو خاص بالقلب لان اعمال الجوارح واحوال
النفس قد استوفتها الاحرف الستة التفصيلية والذي يخص القلب بقراة هذا الحرف هو المعرفة التامة المحيطة بان كل الخلق
دقيقه وجليله خلق الله وحده لا شريك له في شي منه وانه جميعه مثل الكلية امر الله القايم بكلية ذلك الخلق وان كلية ذلك
الامر الذي هو ممثول لمثل الخلق هو مثل لله تعالى وله المثل الاعلى وان تفاصيل ذلك الخلق المحيطات امثل لقيامها من تفاصيل
ذلك الامر المحيطات بها وان تفاصيل الامر المحيطات امثال لاسماء الله تعالى الحسنى بما هي محيطة ولجمع هذا الحرف لم يصح انزاله
الا على الخلق الجامع الادمي الذي هو صفوة الله وفطرته وعلى سيد الادميين محمد خاتم النبيين وهو خاصته وخاصة اله وعنه
كمل الدين بالاحسان وصفا العلم بالايقان وشوهد في الوقت الحاضر بين حدي الازل الماضي والابد الغابر وعن تمام اليقين والاحسان
وتحقق الفناء لكل فان وبقي وجه رب محمد ذي الجلال والاكرام وكان هذا الحرف بما اسمه الحمد هو لكل شي بدء وختام انتهى ولما
ثبت بهذا البيان عما للكافرين بقسميهم من الشقاوة مع تمام القدرة شمول العلم المستلزمان للوحدانية انتج قطعا افراده بالعبادة
الموجبة للسعادة المضمنة لاياك نعبد فوصل بذلك قوله مقبلا عليهم بعد الاعراض عنهم عند التقسيم ايذانا بانهم صاروا بما
تقدم من ضرب الامثال وغيرها في حيز المتاهل للخطاب من غير واسطة تنشيطا لهم في عبادته وترغيبا وتحريكا الى رفع انفسهم
باقبال الملك الاعظم عن الخضوع لمن هو دونه بل دونهم وبشارة لمن اقبل عليه بعد ان كان معرضا عنه بدوام الترقية فيزال ما
اشار اليه حرف النداء من بقية البعد والسهو والغفلة والاعراض بالتقصير في العبادة والاضطراب والذبذبة يا ايها الناس
قال الحرالي في تفسيره يا تنبيه من يكون بمسمع من المنبه ليقبل على الخطاب وهو تنبيه في ذات نفس المخاطب وبينهم توسط البعد
بين ايا الممدودة واي المقصورة اي بالاسم مبهم مدلوله اختصاص ما وقع من مقتضى اسم شامل ها كلمة مدلولها تنبيه على امر يستفيده
المنبه انتهى واكد سبحانه الكلام بالابهام والتنبيه والتوضيح بتعبير انما ياتي بعده امور مهمة يحق لها تشمير الذيول والقيام على
ساق الجد وقال الحرالي اعلم انه كما اشتمل على القران كلمة فاتحة الكتاب فكذلك ايضا جعل لكل سورة ترجمة جامعة تحتوي على جميع
مباني ايها وخاتمة تلتئم وتنتظم بترجمتها وكذلك تترجم السورة عدة سور وسيقع التنبيه على ذلك في موضعه ان شاء الله
تعالى واعلم مع ذلك ان كل نبي منبا يقرا بالهمز من النبا وهو الخبر فانه شرع في دعوته وهو غير عالم بطية امره وخبر قومه
وان الله عز وجل جعل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا منبي من النبوة يقرا بغير همز ومعناه رفعة القدر والعلو فمما اعلاه
الله به ان قدم له بين يدي دعوته علم طية امره ومكنون علمه تعالى في سر التقدير الذي لم يزل خبا في كل كتاب فاعلمه بانه تعالى جعل
المدعو من الذين هم بصفة النوس مترددين بين الاستغراق في احوال انفسهم وبين مرجع الى ذكر ربهم على ثلثة اضرب منهم من فطر على
الايمان ولم يطبع عليه اي على قلبه فهو مجيب ولا بد ومنهم من طبع على الكفر فهو اب ولا بد ومنهم من ردد بين طرفي الايمان ظاهرا
والكفر باطنا وان كلا ميسر لما خلق له فكان بذلك انشراح صدره في حال دعوته وزال به ضيق صدره الذي شارك به
الانبياء بالهمز ثم علا بعد ذلك الى مستحق رتبته العلية فكان اول ما افتتح له كتابه ان عرفه معنى ما تضمنه الم ثم فصل من ذلك
ثلثة احوال المدعوين بهذا الكتاب وحينئذ شرع في تلقينه الدعوة العامة للناس فافتتح بعد ذلك الدعوة والنداء والدعوة
الى العبادة يعني بهذه الاية وتولى الله سبحانه دعوة الخلق في هذه الدعوة العامة التي هي جامعة لكل دعوة في القران ولما
ضمن صدرها من الوعيد في حق رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يجر خطاب ذلك على لسانه ولما فيها من السطوة وخطاب الملك والجزاء

بدء ح

والتعبير عن المنادي

المقصود بالنداء تنبيها على ان ما ياتي بعده

ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول رحمة للعالمين فلم ينبغ اجراؤها على لسانه لذلك وغيره من الرسل فعامة دعوة من قص الله سبحانه خبر دعوته
فهي مجراة على السنتهم ولذلك كثرت مقاواة قومهم ومدعويهم لهم ولما اجرى الخلق تعالى هذه الدعوة من قبله كان فيها بشرى بالغلبة واظهار
دينه لان الله سبحانه لا يقاويه خلقه ولما انتهى الى البشرى التي هي رحمة اجرى الكلام على مخاطبته عليه السلام بقوله وبشر ومع اجراء دعوة
المرسلين على السنتهم علقت باسم الله بلفظ ان اعبدوا الله ونحوه فعز على اكثر النفوس الاجابة لفوت اسم الله عن ادراك العقول ومع تولي الله
سبحانه لهذه الدعوة بسلطانه العلي اجراها باسم الربوبية وهو اسم اقرب مثالا على الناس لانها تشاهد اياته بمعنى التربية والربابة ومع ذلك
ايضا فذكر اسم الله في دعوة المرسلين غير متبع ولا موصوف بايات الالهية ولو ذكر لما قرب منال علمها فهي كالشمس والقمر ونحو ذلك وذكر
تعالى الربوبية في هذه الدعوة متبعة باياتها الظاهرة التي لا تفوت العقل والحس ولا يمكن انكارها ووجه بعد النفوس عن الانقياد
عند الدعوة باسم الله ان ايات الربوبية التي يسهل عليها الانقياد من جهتها التي يتيسر منها انقياد للملوك واولي الاحسان لانها جبلت
على حب من احسن اليها تبقى عند الدعوة باسم الله بمعزل عن الشعور باضافتها لاسم الله ويحار العقل في المتوجه له بالعبادة وتضيق النفوس
الغافلة ايات الربوبية الى ما تشاهده من اقرب الاسباب في العوايد كالفصول التي نيطت الموالد والاقوات بها في مقتضى حكمة الله
سبحانه او الى اسباب هذه الاسباب كالنجوم ونحو ذلك فلا يلتئم للمدعو حال قوامه بعبادته فيكثر التوقف والاباء واقتضى اليسر
الذي اراد الله بهذه الامة ذكر الربوبية منوطا باياتها انتهى ولما كانت العبادة المختلفة بشرك او غيره ساقطة والازدياد من الصحيحة
والاستمرار عليها عبادة جديدة يحسن الامر بها خاطب الفريقين فقال اعبدوا ربكم اي الذي لا رب لكم غيره عبادة هي بحيث يقبلها الغني ثم
وصفه بما اشارت اليه صفة الرب من الاحسان تنبيها على وجوده ووجوب العبادة له بوجوب شكر المنعم فقال الذي خلقكم قال
الحرالي الذي اسم مبهم مدلوله ذات موصوف بوصف يعقب فيه وهي الصلة اللازمة له والخلق تقدير امشاج ما يراد اظهاره بعد الامتزاج
والتركيب صورة والذين من قبلكم القبل ما اذا عاد المتوجه الى مبدا وجهته اقبل عليه انتهى ثم بين نتيجتها بقوله لعلكم تتقون اي
لتكون حالكم بعبادته لانها كلها محاسن ولا حسن في غيرها حال من ترجى له التقوى وهي اجتناب القبيح من خوف الله وسياتي في قوله لعلكم
تشكرون ما ينفع هنا وقال الحرالي لعل كلمة ترج لما تقدم سببه وبدا من ايات الربوبية بذكر الخلق لانه في ذواتهم ووصل ذلك بخلق
من قبلهم حتى لا يستندوا بخلقهم الى من قبلهم وترجى لهم التقوى بعبادتهم ربهم من حيث نظرهم الى خلقهم وتقدير امشاجهم لانهم اذا
اسندوا خلقهم لربهم كان احق ان يسندوا اليه ثمرة ذلك من صفاتهم وافعالهم فيتوقفون عن الاستغناء بانفسهم فينشا لهم بذلك
تقوى انتهى وما احسن الامر بالعبادة حال الاستدلال على استحقاقها بخلق الاولين والاخرين وما بعده عقب اثبات قدرة الداعي المشيرة
الى الترهيب من سطواته ولقد بدع هذا الاستدلال على التفرد بالاستحقاق عقب احوال من قورانهم في غاية الجمود بامور مشاهدة
يصل اليها كل عاقل باول وهلة من دحول الارض وما بعده مما به قوام بقائهم من السكن والرزق في سياق منبه على النعمة محذر من سلبها
دالة على الاله بعد الدلالة بالانفس من حيث ان كل احد يعرف ضرورة انه وجد بعد ان لم يكن فلا بد له من موجد غير الناس لما يشاهد
من ان حال الكل كحاله بالدلالة بالافاق من حيث انها متغيرة فهي مفتقرة الى مغير هو الذي احدثها ليس بمتغير لانه ليس بجسم ولا جسماني
في سياق مذكر بالنعم الجسام الموجبة لمحبة النعم وترك المنازعة وحصول الانقياد فقال الذي جعل قال الحرالي وهو اظهار امر
عن سبب وتصيير لكم الارض اي المحل الجامع لكل نابت ظاهرا وباطنا فالظاهر كالموالد وكل ما الماء اصله والباطن كالاعمال
والاخلاق وكل ما اصابه ما الماء ايته كالهدى والعلم ونحو ذلك ولتحقق دلالة اسمها على هذا المعنى جاء وصفها بذلك من لفظ اسمها
فقيل ارض اريضة للكريمة المنبتة واصل معناها ما سفل في مقابلة معنى السماء الذي هو ما علا على سفل الارض كانها لوح قلمه الذي
فيها كتابه انتهى فراشا وهي بساط سقفه السماء وهي مستقر الحيوان من الاحياء والاموات واصله كما قال الحرالي بساط يضطجع عليه
للراحة ونحو ذلك والسماء بناء اي خيمة تحيط بصلاح موضع السكن وهو لعمري بناء جليل القدر محكم الامر بهي المنظر عظيم المخبر ورتبت
هذه النعم الدالة على الخالق الداعية الى شكره احكم ترتيب قدم الانسان لانه اعرف بنفسه والنعمة عليه ادعى الى الشكر وتلى بمن قبله
لانه اعرف بنوعه وثلث بالارض لانها مسكنه الذي لا بد له منه وربع بالسماء لانها سقفه وخمس بالماء لانه كالاثر والمنفعة الخارجة
منها وما يخرج بسببه من الرزق كالنسل المتولد بينهما فقال وانزل قال الحرالي من الانزال وهو الاهواء بالامر من علو الى سفل انتهى
من السماء اي باثارتها الرياح المثيرة للسحاب الحامل للماء ماء اي جسيما لطيفا نير دغلة العطش به حياة كل نام قال الحرالي وهو
اول ظاهر للعين من اشباح الخلق فاخرج من الاخراج وهو اظهار من حجاب وفي سوقه بالفاء تحقيق للتسبيب في الماء انتهى واتى بجمع
القلة في الثمر ونكر الرزق مع المشاهدة لانهما بالغان في الكثرة الى حد لا يحصى تحقيرا لنما في جنب قدرته اجلالا له فقال به من
الثمرات رزقا واخراج الاشياء في حجاب الاسباب اوفق بالتكليف بالايمان بالغيب لانه كما قيل لولا الاسباب لما ارتاب المرتاب
والثمر كما قال الحرالي مطعومات النجم والشجر وهي عليها وعبر بمن لان ليس كل الثمرات رزقا لما يكون عليه وفيه من العصف والقشر
والنوى وليس ايضا من كل الثمر رزق فمنه ما هو للمداواة ومنه سموم وغير ذلك وفي قوله لكم اشعار بان في الرزق تكملة لذواتهم
ومصيرا الى ان يعود بالجزء منهم وقد وصف الرب في هذه الاية بموصولين ذكر صلة الثاني بلفظ الجعل لان حال القوام مرتب على حال
الخلق ومصير منه فلا يشك ذو عقل في استحقاق الانقياد لمن تولى خلقه واقام تركيبه ولا يشك ذو حس اذا تيقظ من نوم او غفلة فوجد
بساطا قد فرش له وخيمة قد ضربت عليه وعولج له طعام وشراب قدم له ان نفسه تنبعث بذاتها لتعظيم من فعل ذلك بها ولتفكر
نعمته واكباره فلتنزيل هذه الدعوة الى هذا البيان الذي يضطر النفس الى الاذعان ويدخل العلم بمقتضاها في رتبة الضرورة
والوجدان كانت هذه الدعوة دعوة عربية جارية على مقتضى احوال العرب لان العرب لا تعدو بانفسها العلم الضروري وليس

يظهر

من

من شانها تكلف الافكار والتسبب الى توالي العلوم النظرية الماخوذة من مقتضى الامارات والادلة فعوملت بما
جبلت عليه وتنزل لها لتكون نقلتها من فطرة الى فطرة ومن علم وجداني الى علم وجداني على لتحفظ عليها رتبة الاعراب
والبيان بان لا يتسبب لها الى دخول رتب في علومها لان كل علم مكتسب يتكلف التسبب له بايات وعلامات ودلايل تبعد
من الحس واوايل هجوم العقل تتعارض عليه الادلة وتعتاده الريب فحفظت هذه الدعوة العربية عن التكلف واجريت على
ما احكمه صدر السورة في قوله تعالى لا ريب فيه واعلم ان حال المخلوق في رزقه محاذي به حاله في كونه فيعلم بالاعتبار والتناسب
الذي شانه ان تتعلم من جهته المجهولات ان الماء بزر كون الانسان كما ان الماء اصل رزقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لمن ساله ممن هو فلم يزد ان يعين له نفسه نحن من ماء ويعلم كذلك ايضا ان للارض والسماء مدخلا في امشاج الانسان رتب
عليه مدخلها في كون رزقه وفي ذكر الارض معرفة اخذ للارض الى نهايتها وكمالها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اغتصب
شبرا من ارض طوقه من سبع ارضين وكذلك ذكر السماء اخذ لها الى نهايتها وكمالها وقدم الارض لان نظر النفوس الى ما تحتها
اسبق لها من نظرها الى ما علا عليها ثم قال ولوضوح اية الربوبية تقلدها الاكثر وانما توقفوا في الرسالة ولذلك
وصل ذكر الرسالة بالتهديد انتهى ولما امر بعبادته وذكرهم سبحانه بما يعلمون انه فاعله وحده حسن النهي عن ان يشرك به
ما لا اثر له في شي من ذلك بفاء السبب عن الامرين كله فقال معبرا بالجلالة على ما هو الاليق بالتوبيخ على تاله الغير فلا تجعلوا
لله اي مع احاطته بصفات الكمال ويجوز ان يكون مسببا عن التقوى المترجاه فتكون لا نافية والفعل منصوب اندادا اي
على حسب زعمكم انها تفعل ما تريدون قال الحرالي جمع ند وهو المقاوم في صفة القيام والدوام وعبر بالجعل لان بالجعل
والمصير من حال الى حال ادنى منها ترين الغفلة على القلوب حتى لا تشهد في النعم والنقم الا الخلق من ملك او ذي امرة او من اي ذي
يد عليا كان ولما شهدوا ذلك منهم تعلق بهم رجاؤهم وخوفهم وعاقبتهم ربهم على ذلك بايديهم فاشتد داعي رجايهم لهم وسابق
خوفهم منهم فتذللوا لهم وخضعوا فصاروا بذلك عبد الطاغوت وجعلوهم لله اندادا انتهى وما احسن قوله في تانيبهم
وتنبيههم على ما ازروا بانفسهم والتم تعلمون اي والحال انكم ذوو علم على ما تزعمون فانه يلوح الى من اشرك به مع قيام
هذه الادلة لم يكن ممن يصح منه العلم فكان في عداد البهايم وفيه كما قال الحرالي اعلام بظهور ايات ما يمنع جعل الند لما يشاهد ان
جميع الخلق ادناهم واعلاهم مقامون من السماء وفي الارض ومن الماء فمن جعل لله ندا ممن حوته السماء والارض واستمد من الماء
فقد خالف العلم الضروري الذي به تقلد التدلل للربوبية في نفسه فان يحكم بذلك على غيره مما حاله كحاله احق في العلم انتهى
وفي تعقيبها لما قبلها غاية التنكيت على من ترك هذا القادر على كل شي وعبد ما لا يقدر على شي وهذه الاية من المحكم الذي اتفقت
عليه الشرايع واجتمعت عليه الكتب وهو عمود الخشوع وعليه مدار الذل والخضوع قال الامام ابو الحسن الحرالي في العروة
وجه انزال هذه الحروف تحقيق اتصاف العبد بما هو اللايق به في صدق وجهته الى الحق بانقطاعه عن نفسه وبراته منها
والتجايه الى ربه استسلاما وجهده في خدمته اكبارا واستناده اليه انكالا وسكونه له طمانينة يايتها النفس المطمينة
ارجعي الى ربك راضية مرضية ويتاكد تجلي العبد لمستحق اوصافه بقراة هذا الحرف والعمل به بحسب براته من التعرض
لنظيره المتشابه لان اتباع المتشابه زيغ لقصور العقل والفهم عن نيله ووجوب الاقتصار على الايمان به من غير موازنة
بين ما خاطب الله به عباده للتعرف وبين ما جعله للعبد للاعتبار سبحان من لم يجعل سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته
وجامع منزل المحكم ما افتتح به التنزيل في قوله تعالى اقرا باسم ربك الايات وما قدم في الترتيب في قوله تعالى يايها الناس
اعبدوا ربكم الى ما ينتظم بذلك من ذكر عبادة القلب التي هي المعرفة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فليكن اول ما تدعوهم
اليه عبادة الله فاذا عرفوا الله ومن ذكر عبادة النفس التي هي الاجمال في الصبر وحسن الجزاء واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم ويدرون بالحسنة السيئة الذين هم في صلوتهم خاشعون لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه الى ساير احوال العبد
التي يتحقق بها في حال الوجهة الى الرب وما تقدم من حرفي الحلال والحرام لاصلاح الدنيا وحرفي الامر والنهي لاصلاح العقبى
معاملة كتابه والعمل بهذا الحرف اغتباط بالرق وعياذ من العتق فلذلك هو اول الاخصاص ومبداء الاصطفا وافراد موالاة
الله وحده من غير شريك في نفس ولا غير ولذلك بدي بتنزيله النبي العبد صلى الله عليه وسلم وهو ثمرة ما قبله واساس ما بعده
وهو للعبد احوال محققة لا يشركه فيها ذو رياء ولا نفاق ويشركه في الاربعة المتقدمة يعني النهي والامر والحلال والحرام
لانها اعمال ظاهرة فيتحلى بها المنافق وليس يمكنه مع نفاقه التحلي بالمعرفة ولا بالخشوع ولا بالخضوع ولا بالشوق للقاء
ولا بالحزن في الابطاء ولا بالرضى بالقضاء ولا بالحب الجاذب للبقاء في طريق الفناء ولا بشي مما شمله ايات المحكم المنزلة في
القران واحاديثه الواردة للبيان وانما يتصف بهذا الحرف عباد الرحمن وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولما كان حرف المحكم
مستحق العبد في حق الرب في فطرته التي فطر عليها كان ثابتا في كل ملة وفي كل شرعة فكانت اياته لذلك هن ام الكتاب
المشتمل على الاحرف الاربعة لتبدلها وتناسخها في الشرع والملل واختلافها على مذاهب الايمة في الملة الجامعة مع اتفاق
الملل في الحرف المحكم فهو امها وقيامها الثابت حال تبدلها وهو حرف الهدى الذي يهدي به الله من يشاء وقراته العملة به هم
المهتدون اهل السنة والجماعة كما ان المتبعين لحرف المتشابه هم المفترقون في الملل وهم اهل البدع والاهواء المشتغلون بما لا
يعنيهم وبهذا الحرف المتشابه يضل الله من يشاء فحرف المحكم للاجتماع والهدى وحرف المتشابه للافتراق والضلال والله يقول

الحق وهو يهدي السبيل ثم قال اعلم ان قرآة الاحرف الماضية الاربعة هو حظ العامة من الامة العاملين لربهم على الجزاء ٥
المقارضين له على المضاعفة وقرآة هذا الحرف تماما هو حظ المتحققين بالعبودية المتعبدين بالاحوال الصادقة المشفقين من وهم
المعاملة لشعورهم ان العبد لسيده مصرف فيما شاء وكيف شاء ليس له في نفسه حق ولا حكم ولا حجة له على سيده فيما اقامه فيه من
صورة سعادة او شقاوة في اي صورة ما شاء ركبك على ان تبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون والذي تحصل به قرآة هذا الحرف اما
من جهة القلب فالمعرفة بعبودية الخلق للحق رق خلق ورزق وتصريف فيما شاء مما بينه وبين ربه ومما بينه وبين نفسه ومما بينه
وبين امثاله من سائر العباد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا ياخذ الا ما اعطاه سيده ولا يتقي الا ما
وقاه سيده ولا يكشف السوء عنه الا هو فيسلم له مقاليد امره في ظاهره وباطنه وذلك هو الدين عند الله والذي لا يقبل سواه ٥
ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو دين النبي العبد وما يتحقق للعبد من ذلك عن اعتبار العقل
وخلوص اللب هي الملة الحنيفية ملة النبي الخليل هذا من جهة القلب واما من جهة حال النفس فجميع احوال العبد القن المعرق في الملك
انما انا عبد آكل مثل ما ياكل العبد وجماع ذلك واصله الذل انكسارا او الذل عطفا والبرآة من الترفع والفخر على سائر الخلق والتحقق
بالصفة دونهم على وصف النفس بذلك ينتهي حسن التخلق مع الخلق وصدق التعبد للحق واما من جهة العمل فتصرف الجوارح واسلامها
لله قولا وفعلا وبذلا ومسالمة الخلق لسانا ويدا وهو تمام الاسلام وثبته لا يكتب احدكم في المسلمين حتى يسلم الناس من لسانه ويده
ويخص الهيئة من ذلك ما هو اولى بهيئات العبيد كالذي بنيت عليه هيئة الصلوة من الاطراف في القيام ووضع اليمنى على اليسرى
بحذاء الصدر هيئة العبد المتادب المنتظر لما لا يدري خبره من امر سيده وكهيئة الجلوس فيها الذي هو جلوس العبيد كذلك كان
صلى الله عليه وسلم يجلس لطعامه ليستوي حال تعبده في امر دنياه واخراه ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد ويؤثر جميع ما هو
هيئة العبيد في تعبده ومطعمه ومشربه وملبسه ومركبه وظعنه واقامته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فهذه الامور
من تحقق العبودية للقلب وذل النفس وانكسار الجوارح تحصل قراءة حرف المحكم والله الولي الحميد انتهى ولما ثبتت هذه الادلة
فوجب امتثال ما دعت اليه ولم يبق لمتعنت شبهة الا ان يقول لا افعل حتى اعلم ان هذا الكتاب الذي تقدم انه الهدى كلام الله
قال مبينا انه من عنده نظما كما كان من عنده معنى محققا ما ختم به التي قبلها من ان من توقف عما دعا اليه من التوحيد وغيره
لا علم له بوجه واتى باداة الشك سبحانه مع علمه بحالهم تنبيها على انه من البعيد جدا ان يجزم لشكهم بعد هذا البيان وان اي
فان كنتم من ذوي البصائر الصافية والضمائر النيرة علمتم بحقية هذه المعاني وجلالة هذه الاساليب وجزالة تلك التراكيب
ان هذا كلامي فبادرتم الى امتثال ما امر والانتهاء عما عنه زجر كنتم في ريب اي شك محيط بكم من الكتاب الذي قلت ومن اصدق مني
قيلا انه لا ريب فيه واشار هنا ايضا الى عظمته وعظمة المنزل عليه بالنون التفاتا من الغيبة الى التكلم فقال مما نزلنا قال
الحرالي من التنزيل وهو التقريب للفهم بتفصيل وترجمة ونحو ذلك انتهى على عبدنا اي الخالص لنا الذي لم يتعبد لغيرنا قط فلذلك
استحق الاختصاص دون عظماء القريتين وغيرهم فارتبتم في انه كلامنا منزل بامرنا وزعمتم ان عبدنا محمدا اتى به من عنده اي على سبيل
التنجيم او غيره فاتوا قال الحرالي الآتي بالامر يكون عن مكنة وقوة بسورة اي نجم واحد قال الحرالي السورة تمام جملة من المسموع
يحيط بمعنى تام بمنزلة احاطة السور بالمدينة انتهى وتفصيل القرآن الى سور وآيات لان الشيء اذا كان جنسا وجعلت له انواع ٥
واشتملت انواعه على اصناف كان احسن وافخم لشانه وانبل ولا سيما اذا تلاحقت الاشكال بغرابة الانتظام وتجاوبت النظائر
بحسن الالتيام وتعانقت الامثال بالتشابه في تمام الاحكام وجمال الاحكام وذلك ايضا انشط للقاري واعظم عنده لما ياخذه
منه مسمى بآيات معدودة او سورة معلومة وغير ذلك من مثله اي من الكلام الذي يمكنكم ان تدعوا انه مثل ما نزلنا كما قال
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله فان عبدنا منكم ونشا بين اظهركم فهو لا يقدر على ان ياتي بما
لا تقدرون على مثله ولما كانوا يستقبحون الكذب قال وادعوا شهداءكم اي من تقدرون على دعائه من الموجودين بحضرتكم في بلدتكم
او ما قاربها والشهيد كما قال الحرالي من يكثر الحضور اليه واستبصاره فيما حضره انتهى من دون الله اي لينظروا بين الكلامين
فيشهدوا بما تؤديهم اليه معرفتهم من المماثلة او المباينة فيزول الريب ويظهر الى الشهادة الغيب او ليعينوكم على الاتيان بمثل ٥
القطعة المحيطة التي تريدون معارضتها قال الحرالي والدون منزلة القريب فالقريب من جهة سفل وقد عقلت العرب ان اسم الله
لا يطلق على ما ناله ادراك العقل فكيف بالحس فقد تحققوا ان كل ما ادركته حواسهم ونالته عقولهم فانه من دون الله انتهى ففي
التعبير به توبيخ لهم بانهم لم يرضوا بشهادته سبحانه وحكمة الاتيان بمن التبعيضية في هذه السورة دون بقية القرآن انه
سبحانه لما فرض لهم فيها الريب الذي يلزم منه زعمهم ان يكونوا اطلعوا له على مثيل او سمعوا ان احدا عثر له على شبيه اقتضى الحال
الاتيان بها ليفيد ان المطلوب منهم في التحدي قطعة من ذلك المثل الذي ادعوه حكيمة المعاني بتلائمة المباني منتظم اولها باخرها
كسور المدينة في صحة الانتظام وحسن الالتيام والاحاطة بالمباني التي هي كالمعاني والتقاء الطرفين حتى صار بحيث لا يدري اوله
من آخره سواء كانت القطعة الماتي بها تباري آية او ما فوقها لان آيات القرآن كسورة يعرف من ابتدائها ختامها ويهدي الى
افتتاحها تمامها فالتحدي هنا منصرف الى الآية بالنظر الاول والى ما فوقها بالنظر الثاني والمراد بالسورة هنا مفهومها اللغوي
لانها من المثل المفروض وهو لا وجود له في الخارج حتى يكون لقطعه اصطلاح في الاسماء معروف ولان معرفة المعنى الاصطلاحي
كان مخصوصا بالمصدقين ولو اريد التحدي بسورة من القرآن لقيل فاتوا بمثل سورة منه لتوهمكم ان فيما سمعتم من الكلام شيئا مثله
لاجل الاتيان به منجما او غير ذلك من احواله ولما كان هذا هو المراد قصدهم في الدعاء على من بحضرتهم من الشهداء وسياتي ان شاء الله

وغير

لتوهمكم ان فيما سمعتم من الكلام شيئا مثله لاجل الاتيان به منجما او غير ذلك من احواله فاتوا به

لئلا يتأيد منا ح لحديه

تعالى

تعالى في سورة يونس عليه السلام وبقية السور المذكور فيها هذا المعنى ما يتم به هذا الكلام وفي قوله ان كنتم صادقين ايما
الى كذبهم في دعوى الشك فيه وقال الحرالي والصادق الذي يكون قول لسانه وعمل جوارحه مطابقا لما احتوى عليه قلبه
مما له حقيقة ثابتة وقال اتسقت اية تنزيل الوحي باية انزال الرزق لما كان نزول ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم
المخصص بذلك ينبغي اعتباره بمقابلة نزول الرزق لانهما رزقان احدهما ظاهر يعم الكافر في نزوله والاخر وهو الوحي رزق باطن يخص
الخاصة بنزوله ويتعين لهم ايهم اتمهم فطرة واكملهم ذاتا ولم يصلح ان يعم بنزول هذا الرزق الباطن كعموم الظاهر فتبطل حكمة
الاختصاص في الرزقين فان نازعهم ريب في الاختصاص فيفوضون انه عام فيحاولون معارضته وكما انهم يشهدون بتمكينهم من الحس
عند محاولته عمومه فكذلك يجب ان يشهدوا بعجزهم عن سورة من مثله تحقق اختصاص من نزل عليه به واجرى ذكره باسم العبودية
اعلاما بوفائه بانحاء التذلل واظهار المزية انفراده بذلك دونهم ليظهر به سبب الاختصاص وانتظم النون في نزلنا من يتنزل
بالوحي من روح القدس والروح الامين ونحو ذلك لانها تقتضي الاستتباع واقتضت النون في لفظ عبدنا ما يظهره النبي صلى
الله عليه وسلم لهم من الانقياد والاتباع وما اقتضاه خلقه العظيم من خفض الجناح حتى انه يوافق من وقع على وجه من الصواب
من امته صلى الله عليه وسلم وحتى انه يتصف باوصاف العبد في اكله كما قال اكل كما ياكل العبد انتهى والتحدي بسورة يشمل اقصر
سورة كالكوثر ومثلها في التحدي اية مستقلة توازيها وايات كما قاله الامام جلال الدين محمد بن احمد المحلي في شرح جمع الجوامع وسبقه
الامام شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوي فنظمه في الفتية في الاصول ونقله في شرحها عند ظاهر كلام امام الحرمين في الشامل
وعن كلام الفقهاء في الصداق فيما لو اصدقها تعليم سورة فلقنها بعض اية وسبقهما العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني
فقال في تلويحه على توضيح صدر الشريعة المعجز هو السورة او مقدارها هكذا ذكر الذين تكلموا في الاعجاز من الاصوليين وغيرهم
ان التحدي وقع بسورة من القران والصواب انه انما وقع بقطعة اية فما فوقها لان المراد بالسورة مفهومها اللغوي لا الاصطلاحي
كما تقدم بيانه والحاصل انه لما كان في ايات المنافقين ذكر الامثال وكانوا قد استغربوا بعض امثال القرآن وجعلوها موضعا
للشك من حيث كانت موضعا لليقين فقالوا لو كان هذا من عند الله لما ذكر فيه امثال هذه الامثال لانه اعظم من ان يذكرها دعاهم
الى المعارضة في هذه السورة المدنية بكل طريق يمكنهم واخبرهم بانهم عاجزون عنها وان عجزهم دايما تحقيقا لانهم في ذلك الحال
معاندون لا شاكون ولما كان سبحانه عالما بان الانفس الابية والانوف الشامخة الحمية التي قد لزمت شيا فمرنت عليه حتى صار
لها خلقا يصعب عليها انفكاكها عنه ويعسر خلاصها منه عبر عن هذا الاخبار بالعجز مهددا في سياق ملجئ الى الاتصاف بالاعتراف
او تفطر القلوب بالعجز عن المطلوب بقوله فان لم تفعلوا فاتى باداة الشك تنفيسا لهم وتهكما في نفس الامر بهم واستجهالا لهم
ثم لم يتم ذلك التنفيس حتى ضربهم ضربة قصمت ظهورهم وقطعت قلوبهم فقال لتكون الاية كافلة بصحة نسبة النظم والمعنى
اليه واكد لادعائهم القدرة ولن تفعلوا فالزمهم الخزي بما حكم عليهم به من العجز فلم يكن لهم فعل الا المبادرة الى تصديقه بالكف فكانوا
كمن القم الحجر فلم يسعه الا السكوت واستمر ذلك التصديق لهم ولامثالهم على وجه الدهر في كل عصر ينادي مناديه فتخضع له الرقاب
ويصدع مؤذنه فتنكس الروس والتعبير بالفعل الاعم من الاتيان ابلغ لان نفيه نفي للاخص وزيادة والفعل قال الحرالي ما ظهر
عن داعية من الموقع كان عن علم او غير علم لتدين كان او لغيره انتهى فقد ثبت ان هذا الكتاب الذي بين انه الهادي الى الصراط
المستقيم اعظم دليل على افراده بالعبادة واختصاصه بالمراقبة التي ارشدنا اليها بقوله اياك نعبد الاية بما ثبت فيه من
ادلة التفرد بالالهية بما ثبت من عجزهم عن معارضته وعجز جميع العرب الذين كانوا افصح الخلق وكذا جميع من ولد في بلادهم
وانطبع بلسانهم من اليهود والنصارى الذين لهم من الفصاحة والعلم ما هو مشهور فقد كان لليهود من بني اسرايل الذين كانوا
في المدينة الشريفة وخيبر واليمن وغيرها ومن دخل في دينهم من العرب من الفصاحة والبلاغة والعلم ما لا يحتاج من طالع السيرة
فيه الى موقف وكذا النصارى من بني اسرايل ومن دان دينهم من العرب وهم كثير كقوم المنذرين ما السماء ومن قارب من عبد القيس
وتنوخ وعامله وغسان كلهم فصحاء بلغاء وزاد كثير منهم على ذلك العلم وكان منهم الشعراء المبرزون ومع ذلك فلم يقدر احد منهم على طعن
في هذا القرآن ولا عارضه منهم انسان الا ما قاله مسيلمة والاسود العنسي مما افتضحوا به واكذبهم الله فيه وسارت بفضايحهم
الركبان فكانوا بها مثلا في ساير البلدان قال عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الحجة في تثبيت خبر الواحد ان الله تبارك وتعالى بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم اكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا واحكم ما كانت لغة واشد ما كانت عدة فدعا اقصاها وادناها
الى توحيد الله وتصديق رسالته فدعاهم الى حظهم بالحجة فلما قطع العذر وازال الشبه وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى
والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم واعلامهم واعمامهم وبني
اعمامهم وقتلوا اعمامه وبني اعمامه وعلية اصحابه واعلام اهله وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن وغيره ويدعوهم صباح
مساء الى ان يعارضوه ان كان كاذبا بسورة واحدة او بايات يسيرة فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريعا بعجزهم عنها تكشف
من نقصهم ما كان مستورا وظهر منه ما كان خفيا فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له انت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف فلذلك
يمكنك ما لا يمكننا قال فهاتوها مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طبع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك
ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم انه قد عارض وقابل وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة
كلامهم واتساع لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء اصحابه وخطباء امته لان سورة
واحدة وايات يسيرة كانت انقض لقوله وافسد لامره وابلغ في تكذيبه واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج من

كانا

الشام

الاوطان وانفاق الحرايب وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الراي والعقل بطبقات ولم
القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج والنثر المنثور ثم
يتحدى به اقصاهم بعد ان ظهر عجز ادناهم فمحال اكرمك الله ان يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الامر الظاهر والخطا المكشوف البين
مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم اشد الخلق واكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث
على الحيلة في الامر الغامض فكيف بالظاهر وكما انه محال ان يطبقوا الملا وعشرين سنة على الغلط في الامر الجليل الجليل المنفعة
فكذلك ايضا محال ان يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون اكثر منه انتهى فثبت بهذا الجرهم وخرس قطعان
افصاحهم ورمزهم وطاطاة اكابرهم وعزهم وكيف يمكن المخلوق مع تمكنه في سمات النقص ودركات الافتقار والضعف معارضة
من اختص بصفات الكمال وتعالى عن الانداد والاشكال وقد اختلف الناس في سبب الاعجاز واحسن ما وقفت عليه من ذلك ما نقله
الامام بدر الدين الزركشي الشافعي في كتابه البرهان عن الامام ابي سليمان الخطابي وقال وايه ذهب الاكثرون من علماء النظر
ان وجه الاعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصعوا فيه الى حكم الذوق قال والتحقيق ان اجناس الكلام
مختلفة ومراتبها في درجات البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجايز الطلق الرسل
وهذه اقسام الكلام الفاضل المحمود فالقسم الاول اعلاها والثاني اوسطه والثالث ادناه واقربه فحارت بلاغات العرب
من كل قسم من هذه الاقسام حصة واخذت من كل نوع شعبة فانتظم لها بانتظام هذه الاوصاف نمط من الكلام بجمع صفتي الفخامة
والعذوبة ويسما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين لان العذوبة تاج السهولة والجزالة والمتانة يعالجان نوعا من الوعورة
فكان اجتماع الامرين في نظمه مع نبو كل واحد منهما على الاخر فضيلة خص بها القرآن ليكون اية بينة لنبيه صلى الله عليه وسلم
واما تعذر على البشر الاتيان بمثله لامور منها ان علمهم لا يحيط بجميع اسماء اللغة العربية واوضاعها التي هي ظروف المعاني وحملة
تدرك انها بهم جميع معاني الاشياء المحمولة على تلك الالفاظ ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ايتلافها
وارتباط بعضها ببعض فتتوصلوا باختيار الافضل من الاحسن من وجوهها الى ان ياتوا بكلام مثله وانما يقوم الكلام بهذه
الاشياء الثلاثة لفظ حامل ومعنى به قايم ورباط لهما ناظم واذا تاملت القرآن وجدت هذه الصور منه في غاية الشرف
والفضيلة حتى لا ترى شيا من الالفاظ افصح ولا اجزل ولا اعذب من الفاظه ولا ترى نظما احسن تاليفا واشد تلاوما
وتشاكلا من نظمه واما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقدم في ابوابه والترقي الى اعلاء درجاته وقد توجد هذه الفضايل
الثلاث على التفرق في انواع الكلام فاما ان توجد في نوع واحد منه فلم توجد الا في كلام العليم القدير فخرج من هذا ان القرآن
انما صار معجزا لانه جاء بافصح الالفاظ في احسن نظوم التاليف متضمنا اصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه له في صفاته ودعا
الى طاعته وبيان لطريق عبادته في تحليل وتحريم وحظر واباحة ومن وعظ وتقويم وامر بمعروف ونهي عن منكر وارشاد الى
محاسن الاخلاق وزجر عن مساويها واضعا كل شي منها موضعه الذي لا يرى شي اولى منه ولا يتوهم في صورة العقل امر اليق به
منه موردعا اخبار القرون الماضية وحاتزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم منبيا عن الكوان المستقبلة في الاعصار الاتية
من الزمان جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك اوكد للزوم ما دعا اليه وانباء عن وجوب
ما امر به ونهى عنه ومعلوم ان الاتيان بمثل هذه الامور والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق امر تعجز عنه قوى البشر ولا
تبلغه قدرتهم فما تقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله ومناقضته في شكله ثم صار المعاندون له يقولون مرة انه شعر
لما راوه منظوما ومرة انه سحر لما راوه معجوزا عنه غير مقدور عليه وقد كانوا يجدون له وقعا في القلوب وفزعا في النفوس
يريبهم ويحيرهم فلم يتماسكوا ان يعترفوا به نوعا من الاعتراف ولذلك قالوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وكانوا مرة يسمونه
يقولون ساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا مع علمهم ان صاحبه امي وليس بحضرته من يملي ويكتب في نحو ذلك
من الامور التي اوجبها العناد والجهل والعجز انتهى واول كلامه يميل الى ان الاعجاز بمجرد النظم من غير نظر الى المعنى واخره
يميل الى انه بالنظر الى النظم والمعنى معا من الحيثية التي ذكرها وهو الذي ينبغي ان يعتقد لكن في التحدي بسورة واحدة واما
بالعشر فبالنظر الى البلاغة في النظم فقط نقله البغوي في تفسير سورة هود عن المبرد وقد مر انفا مثله في كلام الخاطبي
وقال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في مفتاح الباب المقفل الباب الاول في علو بيان القرآن على بيان الانسان اعلم ان بلاغة البيان
تعلوا على قدر علو المبين فعلو بيان الله على بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه اي فكان اول من اخترع الشعر فنظم فيه بحز
من بعده فلا يقدر غيره بقول شعر وكذا غيره من الاساليب فبيان كل مبين على قدر احاطة علمه فاذا ابان الانسان عن الكاين
ابان بقدر ما يدرك منه وهو لا يحيط به علما فلا يصل الى غاية البلاغة فيه ببيانه واذا انباء عن الماضي فبقدر ما بقي من ناقص
علمه به كما ياتي ذكره لما لزم الانسان من نسيانه واذا اراد ان ينبي عن الاتي اعوزه البيان كله الا ما يقدره او يزوره فبيانه
في الكاين ناقص وبيانه في الماضي انقص وبيانه في الاتي ساقط بل يزيد الانسان ليعجز امامه وبيان الله سبحانه عن الكاين بالغ
الى غاية ما احاط به علمه قل انما العلم عند الله وعن المنقطع كونه بحسب احاطته بالكاين وسبحانه من النسيان لا يضل ربي
ولا ينسى وعن الاتيان بما هو الحق اللازم فلينقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين والوزن يومئذ الحق والمبين الحق الذي لا يوهن
بيانه ايهام نسبة النقص الى بيانه والانسان يتهم نفسه في البيان ويخاف ان ينسب الى العي فيقصد استقراء البيان
ويضعف مفهوم بيانه ضعفا من جنبته ومفهوم بيان القرآن اضعاف اضعاف ابنايه وقل ما ينقص عن نظيره انتهى وقال

الامام محمد بن عبد الرحمن المراكشي الاكمه في شرح نظمه لمصباح بن مالك في المعاني والبيان ما يصلح ان يكون متنا وجمله وما تقدم
شرحا له وتفصيلا قال الجهة المعجزة في القران تعرف بالتفكر في علم البيان وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحترز به
عن الخطا في تادية المعنى وعن تعقيده وتعرف به وجوه تحسين الكلام بقدر غاية تطبيقه لمقتضى الحال لان جهة اعجازه
ليست مفردات الفاظه والا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تاليفها والا لكان كل تاليف معجزا ولا اعرابها والا كان كل
كلام معرب معجزا ولا مجرد اسلوبه والا كان الابتداء باسلوب الشعر معجزا والاسلوب الطريق ولكان هذيان مسيلمة معجزا
ولان الاعجاز يوجد دونه اي الاسلوب في نحو فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فاصدع بما تؤمر ولا بالصرف عن معارضته
لان تعجبهم كان من فصاحته ولان مسيلمة وابن المقفع والمعري وغيرهم قد تعاطوها فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنفر
منه الطباع ويضحك منه في احوال تركيبه وبها اي بتلك الاحوال اعجز البلغا واخرس الفصحا فعلى اعجازه دليل اجمالي
وهو ان العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها احرى ودليل تفصيلي مقدمته التفكر في خواص تركيبه ونتيجته العلم
بانه تنزيل من المحيط بكل شي علما انتهى وسياتي ان شا الله تعالى في اواخر العنكبوت ما ينفع هنا واشار سبحانه في تهديدهم
بقوله ايجازا وتهويلا لامر العناد لاغنائه عن ان يقال فاتركوا عنادكم لئلا تعذبوا بالنار التي صفتها كذا واتقوا النار
كما قال الحرالي جوهر لطيف يفرط لشدة لطافته في تفريط المتجمد بالحر المفرط وفي تفريط تجميد المتميع بالبرد المفرط
وقال غيره جسم لطيف مضي حار من شانه الاحراق التي وقودها اي الشي التي توقد وتتاجج به الناس والحجارة التي
هي اعم من اصنامهم التي قرنوا بها انفسهم في الدنيا الى انهم اذا لم يقدروا على المعارضة واستمروا على التكذيب كانوا معاندين
ومن عاند استحق النار والى انهم اذا احرقوا فيها اوقد عليهم باصنامهم تعريفا بانها وان كانت في الدنيا لا ضر فيها ولا نفع
باعتبار ذواتها فهي في الاخرة ضر لهم بلا نفع بشفاعة ولا غيرها وتعريف النار وصله الموصول لان اخبار القران
بعد ثبوت انه من عند الله معلومة مقطوع بها فهو من باب تنزيل الجاهل منزلة العالم تنبيها على ان ما جهله لا يجهله احد
وقال الحرالي الحجارة ما تحجر اي اشتد نظام اجزائه من الماء والتراب واتقوا اي توقفوا عن هذه التفرقة بين الله
ورسوله حيث تذعنون لربوبيته وترتابون في رسوله فالنار معدة للعذاب باشد التفريق لا لطف الاجزاء الذي
هو معنى الحرق لمن فرق وقطع ما يجب وصله اي لما فاتكم التقوى بداعي العلم فلا تفتكم التقوى بسائق الموجع المخصوص المناسب
عذابه لفعلكم فانها نار عذابها غذاؤها واشتغالها بالكون كله انهاه تركيبا وهم الناس الملايمون لمادحها بالنفوس
واطرفه واجمده وهو الحجارة فهي تسع ما بين ذلك من باب الاولى وفيه اشعار بمنتهى وقوتها وانها بحكم هذا الوسع لا
تضاق بخلق يعني وليست كبار الدنيا التي غذاؤها من ضعيف الموالد وهو النبات ولا تفعل في الطرفين الا بواسطة
وكان غذاؤها ووقودها النبات اذا كانت منقدحة منه كما قال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وتقول العرب في كل
شجر نار واستمجد المرخ والعفار وذلك على حكم ما تحقق ان الغذاء للشي مما منه اصل كونه وقال وقودها لان النار
اشد فعلها في وقودها لان بتوسطه تفعل فيما سواه فاذا كان لا وقودها محرقها كانت فيه اشد عملا لتقويها به
عليه ويفهم اعتبارها بنار الدنيا ان انقداحها من اعمال المجزيين بها ومن كونهم فهم منها مخلوقون وبها مغتذون الا انها
منطفية الظاهر في الدنيا متاججة في يوم الجزاء ومثال كل مجزي منها بمقدار ما في كونه من جورها قلت ويؤيده
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي في ان الغالب عليهم العنصر الناري المفسد لما ناله الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين تؤزهم ازا قال وفي ذكر الحجارة افهام عموم البعث والجزاء لما حوته السماء والارض وان كل شي ليس
الثقلين فقط يعمه القسم بين الجنة والنار كما عمه القسم بين الخبيث والطيب وانما اقتصر في مبدا عقيدة الايمان على الايمان
ببعث الثقلين وجزائهم تيسيرا واستفتاحا وما سوى ذلك فمن زيادة الايمان وتكامله كما قال ليزدادوا ايمانا مع
ايمانهم ومن العلماء من وقف بايمانه على بعث الثقلين وجزائهما حتى ان منهم من ينكر جزاء ما سواهما ويتكلف تاويل مثل
قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء انتهى ولما تم ذلك وكان الناس عاما للكافر وغيره
كان كانه قيل هذه النار لمن فقيل اعدت اي هيئت واكملت قبل زمن استعمالها وبناه للمجهول لان المنكي اذا جهل فاعله
انكا للكافرين فعين انها موجودة مهياة لهم ولكل من اتصف بوصفهم وهو ستر ما ظهر من ايات الله قال الحرالي
وهي عدة الملك الذين لهم بمنزلة سيف الملك من ملوك الدنيا انتهى ولما ذكر ما لهم ترهيبا اتبعه ما للمومنين ترغيبا
فقال صارفا وجه الخطاب بالرحمة الى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عاطفا على ما تقديره فانذرهم بذلك ولكنه طواه
لان السياق للاستعطاف على لسان نبي الرحمة وبشر والبشرى قال الحرالي اظهار غيب المسرة بالقول الذين امنوا
اي صدقوا الرسل وعملوا قال الحرالي من العمل وهو فعل بني على علم او زعمه الصالحات من الاقوال والافعال قال
الحرالي جمع صالحة وهو العمل المتحفظ به من مداخل الخلل فيه واذا كانت البشرى لهولاء فالمومنون احق بما فوق
البشرى وانما يبشر من يكون على خطر والمومن مطمئن فكيف بما فوق ذلك من رتبة الاحسان الى ما لا عين رات ولا
اذن سمعت وما لا علم يناله علم نفس ولا خطر على قلب بشر ولما ذكر المبشر اتبعه المبشر به فقال ان لهم جنات اي
متعددة قال الحرالي لتعدد رتب افعالهم التي يطابق الجزاء ترتبها وتعددها كما قال صلى الله عليه وسلم للتي سالت عن
ابنها انها جنان وان ابنك اصاب الفردوس الاعلى وفي التعبير بلهم اشعار بان ذلك الذي لهم ينبغي لحاقه بذواتهم

ليحصل بذلك من كمال امرهم وضلال حالهم نحو بما يحصل بكمال خلقهم وتسويتهم والجنات مبتهجات النفوس بجمع ملاذ جميع
حواسها تجن المتصرف فيها اي تخفيه وتجن وراء نعيمها مزيدا دايما انتهى ثم وصفها بانها تجري قال الحرالي من الجري وهو
اسرع حركة الشي ودوامها من تحتها اي من تحت غرفها والتحت ما دون المستوي الانهار جمع نهر وهو المجري الواسع للماء
انتهى فاسناد الجري اليها مجاز والتعريف لما عهده السامع من الجنس ويحتمل ان يكون المعنى ان ارضها منبع الانهار فتحت كل
شجرة وغرفة منبع نهر فهي لا تزال غضة يانعة متصلة الزهر والثمر لا كما يجلب اليه الماء وربما انقطع في وقت فاختل
بعض امره قال الحرالي واذا تعرف حال العامل من وصف جزايه علم ان اعمالهم كانت مبنية على الاخلاص الذي هو حظ
العاملين من التوليد الذي الماء ايته انتهى ولما كانت الجنان معروفة بالثمار ساق وصفها بذلك مساق ما لا شك فيه
بخلاف جري الانهار فقال كلما وهي كلمة تفهم تكرر الامر في عموم الاوقات رزقوا منها من ثمرة اي ثمرة كانت رزقا قالوا
لكونه على صورة ما في الدنيا هذا اي الجنس لاستحكام الشبه الذي رزقنا من قبل اي في الدنيا ولما كان الرازق معلوما
ولم يتعلق غرض بمعرفة الاتي بالرزق بنيا للمجهول فقال تعالى عاطفا على ما تقديره لانا خلقناه على شكل ما كان ليكونوا به
اغبط ولمزيته اعرف وله اقبل واليه اميل موحدا للضمير اشارة الى انه لاستحكام الشبه كانه واحد واتوا به اي جي لهم بهذا الجنس
المرزوق لهم في الدارين في الجنة من غير تطلب وتشوف حال كونه متشابها في مطلق اللون والجنس ليظن انه متشابه في الطعم فيصير فضله
في ذلك بالذوق نعمة اخرى والتشابه المراد هنا اشتراك في ظاهر الصورة والاتيان باداة التكرار يدل على ان الشبه يزداد عظمه
في كل مرة فيزداد العجب وجعل الحرالي وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هذا خاصا بثمار الجنة فقال من قبل اعلام بان اشخاص
ثمر الجنة واحادها لا يتمايز لانها على اعلى صورتها لا تتفاوت باعلى وادنى ولا يتراخى زمان عودها فهي تتخلف لان قطفها ولا يتمايز صور
المقطوف من الخالف حتى يظن القاطف ان المتخلف عين الاول فحال ثمر الجنة كحال الماء الذي هو اصله وبسرعة الخلف من ثمر الجنة وانه
متصل جرية الوجود قال صلى الله عليه وسلم في عنقود من ثمرها لو اخذته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا ويشعر ذلك عند اعتبار
العمل به لان نياتهم في الاعمال صالحة ثابتة مرابطة حتى جروا بها هذا الاتصال وكمال الصورة في الرزق ومنه نية المومن خير من عمله
واتوا به متشابها اظهر عذرهم في توهم اتحاد الثمر وعرف بامنتهم من العنا لانه لو تفاوت تبعه الكراهة للادنى وتكلف الانتقا
للاعلى وذلك انما هو لايق بكبد الدنيا لا بنعيم الجنة وقد ذكر بعض العلماء اطراد هذا التشابه في ثمر الجنة وان اختلفت اصنافه
ويضعفه ما يلزم منه كمال الدلالة في المعنى والصورة في نحو قوله تعالى فيها فاكهة ونخل ورمان وما يجري مجراه انتهى ولما ذكر
المسكن الذي هو محل اللذة واتبعه المطعم المقصود بالذات وكانت لذة الدار لا تكمل الا بانس الجار لا سيما المستمتع به قال
ولهم فيها اي مع ذلك ازواج ولما كن على خلق واحد لا نقص فيه اشار اليه بتوحيد الصفة واكد ذلك بالتعبير بالتفعيل اعلاما
بانه عمل فيه عمل ما يبالغ فيه بحيث لا مطمع في الزيادة فقال مطهرة قال الحرالي والزوج ما لا يكمل المقصود من الشي الا معه على نحو
من الاشتراك والتعاون والتطهير تكرارا ذهاب مجتنب بعد مجتنب عن الشي ولما ذكر تعالى الرزق المستمر من اعمال الذين امنوا وصل
به ذكر الازواج المستثمرة من حال نفوسهم من حسن اخلاقها وجمال صورتها الباطنة في الدنيا وكانت المراة زوج الرجل لما كان
لا يستقل امره في النسل والسكن الا بها انتهى ولما كان خوف الزوال والانتقال الى ادنى منغصا فلا تروق اللذة الا مع الاستقرار
وكان الوصف عاما في جميع الجنان العلى وغيرها قال مقدما للجار اشارة الى انهم لا يكونون في جنة الا وهذه صفتها وان نعيمهم
لا اخر له وهم فيها خالدون والخلود طول الاقامة بالقرار وسياق الامتنان اغنى عن تقييده بالتابيد والدوام ولما ثبت
بعجزهم عن المعارضة ان هذا الكلام كلامه سبحانه ثبت ان ما فيه من الامتثال اقواله فهددهم في هذه السورة المدنية عن العناد
وتلاه بالاية التي اخبر فيها بان ثمار الدنيا وازواجها وان شابهت ما في الجنة بالاسم وبعض الشكل فقد باينته بالطعوم والطهارة
وما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى فاضمحلت نسبتها اليها وكان في ختم الاية بخالدون اشارة الى ان الامثال التي هي احسن كلام الناس
وان شابهت امثاله سبحانه في الاسم ودوام الذكر فلا نسبة لها اليها لجهات لا تخفى على المنصف فلم يبق الا طعنهم بانها لكونها
بالاشياء الحقيرة لا تليق بكبريائه فبين حسنها ووجوب الاعتداد بها وانعام النظر فيها بالاشارة بعدم الاستحياء من ضربها
لكونها حقا الى ان الاشياء كلها وان عظمت حقيرة بالنسبة الى جلاله وعظمته وكماله فلو ترك التمثيل بها لذلك لانسد ذلك الباب
الذي هو من اعجب العجاب فقال تعالى على طريق الاستنتاج من المقدمات المسلمات واكد سبحانه دفعا لظن انه يترك لما ليسوا به
الامثال التي هي من اكشف شي للاشكال واجلى في جميع الاحوال وقال الحرالي لما كانت الدعوة تحوج مع المتوقف فيها والابي لها الى
تقريب للفهم بضرب الامثال وكانت هذه الدعوة جامعة الدعوات وصل بها هذه الاية الجامعة لاقامة الحجة في ضرب الامثال
وان ذلك من الحق سبحانه والله لا يستحيي من الحق ولينختم ذكر ما تضمنه صدر السورة من الحروف التي انزل عليها القران بسابعها
الذي هو حرف المثل وبين تعالى ان مقدار الحكمة الشاهد للمثل في البعوضة وفيما هو اظهر للحس واحد في العلم وانما يجب الالتفات
للقدرة للمقدار ولو وقع المثل على ممثله قل او جل دنا او علا فتنزه تعالى عما يجده الخلق عند ما ينشا من بواطنهم وهمهم ان يظهروا امرا
فيتوهمون فيه نقصا فيرجعهم ذلك عن اظهاره قولا او فعلا انتهى فقال تعالى ان الله اي المحيط بكل شي جلالة وعظمة وكمالا لا يستحيي
ان لا يفعل ما يفعله المستحيي من ترك ما يستحيي منه والحيا قال الحرالي انقباض النفس عن عادة انبساطها في ظاهر البدن لمواجهة
ما تراه نقصا حيث يتعذر عليها الفرار بالبدن ان كلمة مدلولها ممن اجريت عليه حقيقة باطن من ذاته وعلمه يتصل بها ما يظهرها
وسيبويه رحمه الله يراها اسما وعامة النحاة لانعجام معناها عليهم يرونها حرفا يضرب من ضرب المثل وهو وقع المثل على الممثل

لان

لان اصل الضرب وقع شي على شي والمعنى ان يوجد الضرب متجددا مستمرا وهذا لا يساويه ان يقال من ضربه مثلا فانه يصدق
بمثل واحد سابق او لاحق وتحقيقه ان المصدر لا يقع الا على كمال الحقيقة من غير نظر الى زمان ولا غيره واما يفعل فانه يفهم ايقاع
الحقيقة من غير نظر ايضا الى زمان ويفهمها مع النظر الى الزمان مع التجدد والاستمرار ومع كمال الحقيقة وقبل كمالها عند الشروع فيها
والى هذا القيد الاخير ينظر قول الحرالي ان الحياء من ان يضرب المثل استحيا من وقعه في الباطن والحياء من ضربه المثل استحياء من
اظهاره بالقول فنفي الاصل الابلغ الذي بنفيه يكون نفي الضرب احق فليراجع هذا المعنى مع تكرار كلمة ان فانها كثيرة الدور في القران
جليلة قدر المعنى في مواقعها وانما يجري على ترك الالتفات الى موقع معناها ما يقوله النحاة في معنى التقريب ان ان والمفعل في معنى
المصدر والواجب في الاعراب والبيان الافصاح عن ترتب معانيهما وعند هذا يجب ان يكون ان اسما والفعل صلتها نحو من وما مثلا ما
مثل امر ظاهر للحس ونحوه يعتبر به امر خفي يطابقه فينفهم معناه باعتباره وما في نحوه هذا الموقع لمعنى الاستغراق فهي هنا لشمول الادنى
والاعلى من الامثال انتهى ثم بين ذلك بقوله بعوضة وقال الحرالي ولما كان ضرب المثل متعلقا بمثل وبمثل كان الضرب واقعا عليهما
فكان لذلك متعديا الى مفعولين مثلا ما وبعوضة والبعوض جنس معروف من ادنى الحيوان الطاهر مقدارا وفيه استقلال وتمام
خلقة يشعر به معنى البعض الذي منه لفظه لان البعض توجد فيه جميع اجزاء الكل فهو بذلك كل فما فوقها اي من معنى يكون اظهر منها
والفاء تدل على ارتباط ما اما تعقيب واتصال او تسبيب ففيه هنا اعلام باقرب ما يليه على الاتصال والتدريج الى انهى ما يكون
انتهى والمعنى ان ذلك ان اعتبر بالنسبة اليه سبحانه كان هو وانتم وغيركم بمنزلة واحدة في الحقارة وان اعتبر بالنسبة اليكم كان
الفريقان بمنزلة واحدة في انه خلق حقير ضعيف صغير من تراب واما شرف بعضه على بعض فانما كان بتشريف الله له ولو شاء
لعكس الحال ثم ذكر شان قسمي المومنين والكافرين بقسمي كل منهم في قبول امثاله فقال موكدا بالتقسيم لان حال كل من المسمين حال المنكر
لما وقع للاخر فاما قال الحرالي كانها مركبة من ان دالة على باطن ذات وما دالة على ظاهر مبهم يوتى به للتقسيم انتهى الذين امنوا اي بما ذكرنا
اول السورة ولما تضمن اما معنى الشرط كما فسره سيبويه بمهما يكن من شي اجيب بالفاء في قوله فيعلمون علما نافعا انه اي ضرب المثل
الحق كاينا من ربهم اي المحسن اليهم بجميع انواع الاحسان وانه ما اراد بهم الا تربيتهم بالاحسان بضربه على عوايد فضله فيقولون
اذعانا وتسليما امنا به كل من عند ربنا واما امثال غيره فان لم يكن فيها نوع من الباطن فلا بد فيها من ضرب من التسمح تكون به غير
جديرة باسم الحق ولا عريقة فيه قال الحرالي لما كان الذين امنوا ممن بادر فاجاب وكان ضرب المثل تاكيد دعوة وموعظة لمن
حصل منه توقف حصل للذين امنوا استبصار بنور الايمان في ضرب المثل فصاروا عالمين بموقع الحق فيه وكما استبصر فيه الذين
امنوا استغلق معناه على الذين كفروا وجهلوه فاستفهموا عنه استفهام انكار لموقعه انتهى فلذا قال واما الذين كفروا اي المجاهرون
منهم والمساترون فيجهلون ذلك فيقولون اي قولا مستمرا اعتراضا واستهزاء باذا اي الذي اراد الله الذي هو اجل جليل بهذا
الحقير اي بضربه له مثلا اي على جهة المثلية استهزاء وجهلا وعنادا وجفا فالاية من الاحتباك ذكر اولا العلم دليلا على حذف
ضده ثانيا وثانيا الاعتراض دليلا على حذف ضده اولا ثم وصل بذلك ذكر ثمرته عند الفريقين جوابا لسوال من سال منهم فقال
يضل به كثيرا اي منهم بان لا يفهمهم المراد منه فيظنون بذلك الظنون وقال الحرالي وكان اضلالا لهم لان في ضرب المثل بما
يسبق لهم استزراؤه بنحو الذباب والعنكبوت الذي استزروا ضرب المثل به تطريق لهم الى الجهالة فكان ذلك اضلالا وقدم
الجواب بالاضلال لانه مستحق المستفهم والاضلال التطريق للخروج عن الطريق الجادة المنجية انتهى ويهدي به كثيرا اي ببركة
اعتقادهم الخير وتسليمهم له الامر يهديهم ربهم بايمانهم فيفهمهم المراد منه ويشرح صدورهم لما فيه من المعارف فيزيدهم
به ايمانا وطمانينة وايقانا والمهديون كثير في الواقع قليل بالنسبة الى الضالين ولما كان المقام للترهيب كما مضى في قوله
فاتقوا النار اكتفى في المهتدين بما سبق من بشارتهم وقال في ذم القسم الاخر وتحذيره وما يضل به الا قال الحرالي كانها مركبة
من ان ولا مدلولها نفي حقيقة ذات عن حكم ما قبلها انتهى الفاسقين اي الخارجين عن العدل والخير وقال الحرالي الذين خرجوا
عن احاطة الاستبصار وجهات تلقي الفطرة والعهد الموثق وحسن الرعاية لان الفسق خروج عن محيط كالكمام للثمرة والحجر
للفارة انتهى ثم بينهم بقوله الذين ينقضون من النقض وهو حل اجزاء الشي بعضها عن بعض عهد الله اي الذي اخذه عليهم
على ما له من العظمة بما ركز فيهم من العقول ونصب لهم من الدلايل والعهد التقدم في الامر قاله الحرالي ولما كان المراد عهدا
خاصا وهو ارسال الرسل عليهم السلام اثبت الجار فقال من بعد ميثاقه اي بدلالة الكتب على السنة الرسل مع تقريبه من
الفطر وتسهيله للنظر والوثاق شدة الربط وقوة ما به يربط قاله الحرالي ويقطعون ما امر الله اي الملك الاعظم ولما
كان البيان بعد الاجمال اردع للنفس قال به ثم فسره بقوله ان يوصل اي من الخيرات قال الحرالي والقطع الابانة في الشي
الواحد والوصل مصير التكملة مع المكمل شيا واحدا كالذي يشاهد في ايصال الماء ونحوه وهو اعلام بانهم يقطعون متصل الفطرة
ونحوها فيسقطون عند مستواها وقد امر الله ان توصل بمزيد علم يتصل بها حتى يصل نشوها الى اتم ما تنتهي اليه وكذلك حالهم
في كل امر يجب ان يوصل فياتون فيما يطلب فيه الامر الاكمل بضده الانقص انتهى ويفسدون ولما قصر الفعل ليكون اعم قال
في الارض اي بالنكوب عن طريق الحق قال الحرالي ولما كانت الارض موضوعة للنشي منها وفيها وموضع ظهور عامة الصور
الرابية اللازمة الجسمية ومحل نشو صورة النفس بالاعمال والاخلاق وكان الافساد نقض الصور كما قال تعالى واذا تولى
سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد كان فعلهم فيها من نحو فعلهم في وضع الضد السيي موضع
ضده الاكمل والتقصير بما شانه التكملة فكان افسادا لذلك انتهى ولما كان كانه قيل ان فعل هولاء لقبيح جدا فما حالهم قال

في التسبيح

اردع ن

اولئك اي الاباعد من الصواب هم الخاسرون اي الذين قصر الخسران عليهم والخسارة النقص فيما شانه النما قاله الحرالي
ومن المعلوم ان هذا نتيجة ما مضى من اوصافهم قال الحرالي ولما كان الخاسر من كان عنده راس مال مهيا للنما والزيادة فنقصه
عن سوء تدبير وكان امرهم في الاحوال الثلاث المنسوقة حال من نقص ما شانه النما كانوا بذلك خاسرين فلذلك اختتمت الاية بهذا
واشير اليهم باداة البعدة لوضعهم في ابعد المواضع عن محل الخبر انتهى ولما دعا سبحانه الى التوحيد ودل عليه وانذر من اعرض
وبشر من اقبل وذكر حال الفريقين في قبول الادلة التي زبدتها الامثال وايائها وختم بتصوير الكافرين في اقبح صورة التفت
الى تبكيت المدبر لعله يبصر واستمر سبحانه في دلايل التوحيد حتى قامت قيام الاعلام ونفدت نفود السهام حتى تخللت صميم
العظام لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا على اكمه لا يبصر القمرا في اسلوب مشير الى البعث منبه على التخلص من الخسارة وما
ابدع افتتاح ذلك عقب الخاسرين بقوله على طريق التفات الغضب المستعطف المعجب كيف وقال الحرالي لما تقدمت الدعوة
للناس فاجاب مبادر وتوقف متوقف فضرب الامثال فاستدرك وآمن وتمادى متماد على كفره صرف وجه الخطاب عن المواجهة
من الحق تعالى واجرى على لسان لوم وانكار فجاء هذا الاستفهام لايضاح انقطاع العذر في التمادي على الكفر وجاء بلفظ كيف لقصور
نظرهم على الكيفيات المحسوسة فان كيف كلمة مدلولها استفهام عن عموم الاحوال التي شانها ان تدرك بالحواس فكانه يقال
لهم بمدرك اي حاسة تماديهم على الكفر بالله على ما تقتضيه صيغة الفعل الدايم في تكفرون انتهى وقال بالله اي مع ظهور عظمته
وعلوه والانكار الموجب لنفي المنكر كما في قولك اتطير بغير جناح يفيد انه كان ينبغي ان يكون الكفر في حيز الممتنع لما على بطلانه وصحة
التوحيد من الادلة التي تفوت الحصر وانكار حالة انكار لوجوده على طريق البرهان لانه اذا امتنع ان يوجد في حال من الاحوال
امتنع وجوده مطلقا قال الحرالي واعلى هذا الخطاب فابعدوا عن تيسيره بذكر اسم الله لما لم يكونوا من اهل قبول التنزل بدعوى
اسم الربوبية حيث لم يكونوا ممن اجاب مبادرا ولا تاليا حسبما تشعر به اية تحقيق ضرب الامثال ولما جرى هذا الخطاب بذكر
اسم الله اعقب بذكر الافعال الالهية التي هي غايات من الموت والاحياء المعروف اللذين لا تنكر الكفار امرهما انتهى وكنتم اي والحال
انكم تعلمون انكم كنتم امواتا بل مواتا ترابا ثم نطفا قال الحرالي من الموت وهو حال خفاء وغيب يضاف الى ظاهر عالم يتاخر عنه او
يتقدمه تفقد فيه خواص ذلك الظهور الظاهرة انتهى واطلاق الموت على ما لم تخله حيوة مجاز وسر التعبير به التنبيه على انه اكثر
ما تكون الاعادة التي ينكرونها مثل الابتداء فلا وجه اصلا لانكارها مع الاعتراف بالابتداء فكيف والاعادة دونه فاحياكم
فصرتم ذوي حس وبطش وعقل قال الحرالي وجاء بالفاء المشعرة بالتعقيب لما لم يكن لهم معرفة بمهل الموت الذي قبل حيوة الولادة
والحيوة تكامل في ذات ما ادناه حيوة النبات بالنمو والاهتزاز مع انغراسه الى حيوة ما يدب بحركته وحسه الى غاية حيوة
الانسان في تصرفه وتصريفه الى ما وراء ذلك من التكامل انتهى ثم يميتكم بعد مد الاعمار والتقليب في الاطوار فاذا انتم اجساد
كالفخار كانه لم تحل بها حيوة ساعة قط وبدلتم بعد الانس بكم الوحشة واثر محبة القرب منكم النفرة وتمثيل الموت بما نعهده من طلب
الملك كما انه يحصل به من الروع ما يكاد يتلف وربما اتلف كان طلب ملك الملوك موجبا للموت قال الحرالي وهذه الاحوال الثلاثة
اي الموت المعبر به عن العدم ثم الحيوة ثم الموت معروفة لهم لا يمكنهم انكارها واذا صح منهم الاقرار بحيوة موت لزمهم الاقرار بحيوة
موت آخر لوجوب الحكم بصحة وجود ما قد سبق مثله كما قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم ولدن ذلك من العلم ان الموت والحيوة مفرد وجان متضايفان واذا استوفى الموت الاول احياؤه فلا بد من استيفاء
الموت الثاني احياؤه ايضا لانه لو استقبال الحياة لما كان موتا بل بطلا وفقدا واضمحلالا لان حقيقة الموت حال غيب
بين يديه ظهور والحيوة نهاية ثابتة والموت مبدا غيب زايل فجنس الموت كله منقض ونهايته والحيوة ثابتة دايمة ولذلك ورد
ما صح عنه صلى الله عليه وسلم في ان الموت يذبح اعلام بانقضاء جنسه وثبات الحيوة ولذلك قدم في الذكر واعقب بالحيوة
حيث استغرقتهما كلمة ال في قوله خلق الموت والحيوة وثبت الخطاب على اقرار الحيوة والكمال كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في قوله
نعيم الجنة لا آخر له فوجب بظاهر ما اشبه الكفار وباطن ما اقتضاه هذا النحو من العلم دونه انتشار حيوة ثانية بعد ميتة
الدنيا انتهى ولما كان على البعث والحشر من الادلة ما جعلتما كالمحشر شين عدهما في حيز المعلوم لهم كالاحياء الاول والموت فقال
ثم يحييكم فينشركم بعد طيكم ويبعثكم بعد حبسكم في البرزخ فتكونون كما كنتم اول مرة ذوي قدرة على الانتشار بتلك القدرة التي ابتداكم
بها واماتكم وهذا لا ينفي ان يكون لهم في البرزخ احساس بدون هذه الهيئة الكاملة ثم اليه ترجعون فيحشركم بعد طول الوقوف
للجزاء من الثواب والعقاب وفي هذا كما قال الحرالي اعلام بانهم ان لم يرجعوا الى الله سبحانه بداعي العلم في الدنيا فبعد مهل من الاحياء
الثاني يرجعون اليه قهرا حيث يشاهدون انقطاع اسبابهم ممن تعلقوا به ويتبرا منهم ما عبدوه من دون الله وانما جاء هذا
المهل بعد البعث لما يبقى لهم من الطمع في شركائهم حيث يدعونهم فلم يستجيبوا لهم فحينئذ يضطرهم انقطاع اسبابهم الى الرجوع
الى الله فيرجعون قسرا وسوقا فحينئذ يجزيهم بما كسبوا في دنياهم كما قال تعالى في خطاب يعم كافة اهل الجزاء واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وهذا آخر خطاب الاقبال عليهم من دعوة الله ولسان النكير عليهم وكذلك كانت
اية واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر اية انزلت في القرآن لانها نهاية ليس وراءه قول يعم اهل الجزاء والرجوع عود الشيء
عند انتهاء غايته الى مبدئه انتهى ولما اجمل سبحانه في اول هذه الاية اول امرهم واوسطه واخره على الوجه الذي تقدم
انه منبه على ان الكفر ينبغي ان يكون من قبيل الممتنع لما عليه من باهر الدلالة شرع يفصله على وجه داع لهم الى جنابه بالامتنان
بانواع الاحسان بامر اعلى في افادة المقصود مما قبله على عادة القرآن في الترقي من المعالي الى الاعلى فساق سبحانه ابتداء الخلق الذي

جنابه

هو من اعظم الادلة على وحدانيته مساق الانعام على عباده بما فيه من منافعهم ليكون داعيا الى توحيده من وجهين كونه دالا على عظمة موثرة وكمال قدرته وكونه احسانا الى عباده ولطفا بهم وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها فقال هو قال الحرالي وهي كلمة مد لولها العلي غيبا الالهية القائم بكل شئ الذي لا يظهر لشئ فذاته ابدا غيب وظاهره الاسماء المظهرة من علو احاطة اسم الله الى تنزل اسم الملك فما بينهما من الاسماء المظهرة ثم قال لما انتهى الخطاب بذكر ارجاعهم الى الله وكان هذا خطابا خاصا مع المتمادي على كفره اتبع عند اعراضه وادباره بهذا الختم تهديدا ارمي به بين اكتافهم وتسبيبا نيط بهم وحذلهم ان كالمرضى له في السبب الذي يراد ان يجذب به اما بان يتداركه لطف فيرجع عليه طوعا او يراد به قسرا عند انتهاء مدى ادباره وانتظم به ختم اية الدعوة بنحو من ابتدائها الا ان هذه على نهاية الانقطاع بين طرفيها وتلك على اظهر الاتساق فما بعد وافي هذه كل البعد باسناد الامر الى اسم هو الذي هو غيب اسم الله واسند اليه خلق ما خلق لهم في الارض الذي هو اظهر شئ للحس انتهى الذي خلق لكم دينا ودنيا لطفا بكم ما في الارض اي بعدا ي سواه من سبعا قال الحرالي وقوله جميعا اعلام بان حاجة الانسان لا تقوم بشئ دون شئ وانما تقوم بكلية ما في الارض حتى لو بطل منها شئ تداعى ما يرها انتهى وشرف على ذلك الجهة العلو بنفس الجهة والحسن والطهارة وكثرة المنافع ثم علق ارادته ومشيئته بتسويتها من غير ادني عدول ونظرا لي غيرها وفخم امرها بالابهام ثم التفسير والافراد الصالح لجهة العلو تنبيها على الشرف وللجنس الصالح للكثرة ولذلك اعاد الضمير جميعا فكان خلق الارض ولفيتها لما يراد منها قبل خلق السماء ودحوها بعد خلق السماء على ان ثم للتعظيم لا للترتيب فلا اشكال وتقدم الارض هنا لانها اول للشرة الملابسة والمباشرة وقال الحرالي اعلى الخطاب بذكر الاستواء الى السماء الذي هو موضع الخوف لهم لنزول المخوف منه عليهم فقبل لهم هذا المحل الذي تخافون منه هو استوى اليه ومجري لفظ الاستواء في الرتبة والمكانة احق بمعناه من موضعه في المكان والشهادة وبالجملة فالاحق بمجري الكلم وقوعها نبأ عن الاول الحق ثم وقوعها نبأ عما في امره وملكوته ثم وقوعها نبأ عما في ملكه واشهاده فلذلك حقيقة اللفظ لا يصلح ان يختص بالمحسوسات البادية في الملك دون الحقايق التي من ورائها من عالم الملكوت وما بقي ظهر الملك والملكوت من نبإ الله عن نفسه من الاستواء ونحوه في بنإ الله عن نفسه احق حقيقة ثم انبإ به عن الروح مثلا واستوائها على الجسم ثم على الراس مثلا واستوائه على الجملة فليس يستحق الظواهر حقايق الالفاظ على بواطنها بل كانت البواطن احق باستحقاق الالفاظ وبذلك يندفع كثير من لبس الخطاب على المقتصرين بحقايق الالفاظ على محسوساتهم فسواهن التسوية اعطاء اجزاء الشئ حظه كما لصورة ذلك الشئ سبع سموات اعطى لكل واحدة من حظها واوحى في كل سماء امرها انتهى وخلق جميع ما فيها لكم فالاية من الاحتباك حذف اولا لكون الارض سبعا لدلالة الثاني عليه وثانيا كون ما في السماء لنا لدلالة الاول عليه وهو فن عزيز نفيس وقد جمعت فيه كتابا حسنا ذكرت فيه تعريفه وما اخذه من اللغة وما حضرني من امثلته من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء وسميته الادراك لفن الاحتباك ولما كان الخلق على هذه الكيفية دالا بالبديهة على ان ثم قدرة لصانعه وكان العلم بان مبنى ذلك على العلم محتاجا الى تامل اعتنى في مقطع الاية بقوله وهو بكل شئ عليم اي فهو على كل شئ قدير ولما ذكر الحيوة والموت المشاهدين تنبيها على القدرة على ما انتهى اليه من البعث ثم دل على ذلك ايضا بخلق هذا الكون كله على هذا النظام البديع وختم ذلك بصفة العلم ذكر ابتدا خلق هذا النوع البشري المودع من صفة العلم ما ظهر به فضله بقوله تعالى عطفا على قوله اعبدوا ربكم وبيانا لقوله رب العالمين اذ من البداءة تعلم العودة لمن تدبر او يكون عطفا على ما تقديره اذكر هذا لهم وذلك انه سبحانه لما خاطبهم بهذا الاستفهام الذي من معانيه الانكار ذاكرا الاسم الاعظم الذي هو اعلى الاسماء وابطنها غيبا والضمير الذي هو ابطن منه وابعد بعض ما هم له منكرون او به جاهلون واشار بقوله لكم مشيته فيما هو ظاهر عندهم ومحذوف مما هو خفي عنهم كما نبه عليه في الاحتباك الى انه لم يخلق هذا النوع البشري للفناء بل للبقاء بما ابان عن اندا ما خلق جميع ما في هذه الاكوان لاجلهم فالبعض رزق لهم والبعض اسباب لهم والبعض اسجدهم لابيهم في صلبه وكلمهم في حفظ اعمالهم وقسم ارزاقهم ونفخ ارواحهم وغير ذلك من تربيتهم واصلاحهم لم يكونوا اهلا لفهم هذا الخطاب حق فهمه تلقيا عن اله العلوة سبحانه وعلو هذا الخطاب باله السماء الباطنة وما نظم بها من المعاني اللايقة بها علوا وغيبا فاعلم سبحانه بعطف او على غير ظاهر انه معطوف على محذوف تقديره اذكر لهم ايها الرسول هذا لانه لا يفهم حق فهمه عنا سواك وسم الى الفهم عنك اقرب واذ اي واذكر ما اتفق اذ وحذف هذا المعطوف عليه لاحتمال المامور بذكره الانكار والسياق لايراد الرفق والبشارة على لسانه صلى الله عليه وسلم استعطافا لهم اليه وتحبيبا فيه وفي حزبه ايضا والدلالة عليه بالعاطف حث على تدبر ما قبله تنبيها على جلالة مقداره ودقة اسراره ولما علمت الاشارة لكن لاهل البصارة انبها قصة ادم عليه السلام دليلا ظاهرا ومثالا بينا لخلاصة ما اريد هذه الجمل مما بنيته عليه بالعاطف من ان النوع الادمي هو المقصود بالذات من هذا الوجود وانه لا يجوز في الحكمة ان يترك بعد موته من غير احياء يرد به الى دار لا يكون في شئ من امورها من احد نوعي من الخلل وتكون الحكمة فيها ظاهرة جدا لا خفاء بها اصلا فيظهر الحد التام ظهور ولذلك ذكر تفضيل آدم عليه السلام بالعلم ثم باسجاد الملايكة ثم باسكانه الجنة ثم بتلقي اسباب التوبة عند صدور المعصية وقد روي البيهقي في اواخر الاوايل وللطبراني في اوسطه والحاكم في المستدرك عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال ان اكرم خليقة الله على الله ابو القسم صلى الله عليه وسلم قلت رحمك الله فاين الملايكة فنظر الي وضحك فقال يا ابن اخي وهل تدري ما الملايكة انما الملايكة خلق كخلق الارض وخلق السماء وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وساير الخلايق التي لا تعصي الله شيا وان اكرم الخلايق على الله ابو القسم

وتم ؟

في الحس
والله
دليل على ان الاصل في الاشياء الاباحة
الادلة الدال على ان السماء اشرف من حيث
العلو والدال على انها اكثر منافع
والبناء البديعة النظام والارتفاع
الصالح لاسكناه وكثرة المنافع
عبر في امرها بثم تعالى ثم استوى
الى السماء اي علق ارادته

صلى الله عليه وسلم وقال البيهقي انه ليس بموقوف بل حكمه الرفع وقال الحرالي لما جعل الله تعالى نور العقل هاديا لآيات ما ظهر
في الكون وكان من الخلق مهتد به ومعرض عنه بعث الله النبيين مبشرين لمن اهتدى بنور العقل بمقتضى الآيات المحسوسة وتلك هي
الحنيفية والملة الابراهيمية ومنذرين لمن اعرض عن ذلك وشغلته شهوات دنياه فترتب لذلك خطاب الكتاب بين ما يخاطب به
الاعلين المهتدين والمؤتمون بهم فكان اعلى الخطاب ما يقبل على امام الائمة وسيد السادات واحظى خلق الله عند الله محمد صلى الله عليه
وسلم فكان اول الخطاب بالم ذلك الكتاب اقبالا عليه وايتاء له من الذكر الاول كما قال صلى الله عليه وسلم اوتيت البقرة وآل عمران
من الذكر الاول وهو اول مكتوب حين كان الله ولا شيء معه ولقب في الذكر كل شيء فخاطبه الله عز وجل بما في الذكر الاول وانزله قرآنا
ليكون آخر المنزل الخاتم هو اول الذكر السابق ليكون الآخر الاول في كتابه كما هو في ذاته فمن حيث كان الخطاب الاول من اعلى خطاب الله
لمحمد صلى الله عليه وسلم انتظم به ما هو ادنى خطاب من آيات الدعوة تنبيها لمن اعرض عن الاستضاءة بنور العقل لمن بين الطرفين من
تناسب التقابل ثم عاد وجه الخطاب اليه صلى الله عليه وسلم بما هو اعلام بغايب الماضي عن كاين الوقت من امر ابتداء مفاوضة
الحق ملائكته في خلق آدم ليكون ذلك ترغيبا للمبشرين في علو الرتب الى التكامل كما كانت الدعوة تنبيها للمعرضين ليعودوا الى
الاقبال وخصوص الانزال انما هو في الانباء بغيب الكون من ملكوته وغايب ايام الله الماضية ومنتظر ايام الله الآتية فذلك الذي يخص
المهتدين بنور العقل ليترقوا من حد الايمان الى رتبة اليقين وانما يرد التنبيه والتنزيل بما في نور العقل هدايته من اجل المعرضين
فكان ما شمله التنزيل بذلك اربعة امور احدها التنبيه على الآيات بمقتضى اسماء الله من اسمه الملك الى اسمه الرحمن الرحيم الى اسمه
رب العالمين الى اسمه العظيم الذي هو الله والثاني التنبيه على غايب المنتظر الذي الخلق صايرون اليه ترغيبا وترهيبا والثالث
الاعلام بماضي امر الله جمعا للهمم للجد والانكماش في عبادة الله والرابع التبصير ببواطن كاين الوقت الذي في ظاهره اعلامه فكان اول
التنزيل في هذه السورة امر اول من ذكر الله وهو كتب مقتضى العلم والقدر في قسمه تعالى عباده بين مؤمن وكافر ومنافق ثم انزل الخطاب
الى آية الدعوة من وراء حجاب الستر بسابق التقدير فعم به الناس ونبههم على آيات ربوبيته وحيا اوحاه الله منه اليه ثم عطف على
ذلك اعلاما لابتداء المفاوضة في خلق آدم عطفا على ذلك الذي يعطيه افهام هذا الافصاح فلذلك قال تعالى واذ فان الواو حرف
يجمع ما بعده مع شيء قبله افصاحا في اللفظ او افهاما في المعنى وانما يقع ذلك لمن يعلو خطابه ولا يرتاب في ابلاغه واذ اسم مبهم لما مضى
من الامر والوقت قال من القول وهو ابدا صور الكلم نظما بمنزلة ايتلاف الصور المحسوسة جمعا فالقول مشهود القلب بواسطة
الاذن كما ان المحسوس مشهود القلب بواسطة العين وغيره ثم قال لما انبأ الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بما في الذكر من التقدير
الذي هو خبء ونظم به ما انزل من دعوة الخلق الى حكمه فانتظم ذلك رتبتي امر نظم تعالى بذلك انزال ذكر خلق معطوفا على ذكر خلق اعلى
رتبة منه نسبته منه كنسبة الدعوة من خبئها فذكر خلق آدم ظاهر خبأ ما عطف عليه وهو والله اعلم ذكر خلق محمد صلى الله عليه
وسلم الذي هو خبء خلق آدم فكانه تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بامر خلقه له بدء وحي سر ثم اعلن بما عطف عليه من ذكر خلق
آدم وحي علن ليكون امره خلق محمد صلى الله عليه وسلم عند الخاصة فهما كان امر خلق آدم عند العامة افصاحا وكان المفهوم اذكر يا محمد
اذ كان في خلقك كذا واذ قال ربك اي المحسن اليك برحمة العباد بك الذي خباك في اظهار خلق آدم للملائكة ما انزل وتاويل الملائكة
عند اهل العربية انه جمع ملاك مقلوب من مألك من الالك وهي الرسالة فتكون الميم زايدة ويكون وزنه معاملة ويكون الملك
من الملك وهو احكام ما منه التصوير من ملكت العجين وجمعه املاك تكون فيه الميم اصلية فليكن اسم مليكة جامعا للمعنيين منحوتا
من الاصلين فكثيرا ما يوجد ذلك في اسماء الذوات الجامعة كلفظ انسان بما ظهر فيه من انه من الانس والنسيان معا وهو وضع للكلم
على مقصد افصح واعلى مما يخص به اللفظ معنى واحدا فللكلام رتبتان رتبة عامة ورتبة خاصة افصح واعلى كلمة وكلاما انتهى وله
جمع آخر بحذف الهاء هذا اخف منه على اللسان لشهرته فلذلك عبر به في جميع القرآن ولاحتمال هاء به المبالغة قال الحرالي وفيه الى
هذا الخطاب مع ذلك استخلاص لبواطن اهل الفطانة من ان تعلق بواطنهم باحد من دونه حين ابدى لهم انفراده باظهارهم خلقا
دون ملائكته الاكرمين حتى لا تعلق قلوبهم بغيره من اهل الاصطفاء فكيف بمن يكون في محل البعد والاقصا توطئة لقبيح ما يتبع
من بعضهم من اتباع خطوات الشيطان وذلك لان في كل آية معنى تنتظم به بما قبلها ومعنى تتهيا به للانتظام بما بعدها وبذلك
كان انتظام الآي داخلا في معنى الاعجاز الذي لا ياتي الخلق بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اني ان حرف يفهم توكيدا من ذات نفس المؤكد
وعلمه واليا اسم على يخص المضيف الى نفسه الذي يضيف الاشياء اليه جاعل في الارض ولما كانت خلافة آدم عليه السلام كاملة
في جميع الارض بنفسه وبذريته وحد لذلك مع انه يصح ان يراد به الجنس فقال خليفة الخليفة ذات قايم بما يقوم به المستخلف على
حسب رتبة ذلك الخليفة منه فهو خليفة الله في كونه ملكه وملكوته وهم ايضا بعضهم خلفاء بعض فهو خليفة بالمعنيين انتهى
وجعل سبحانه هذا التذكير في سياق داع الى عبادته وقايد الى محبته حيث مت الى هذا النوع الآدمي بنعمه عليهم واحسانه اليهم
قبل ايجادهم فذكر لهم ما حاج به مليكته عنهم وما شرف به اباهم آدم من العلم وامر الملائكة المقربين بالسجود له ثم ما وقع لابليس معه
وهما عبدان من عبيده فتاب عليه ولم يتب على ابليس مع سبقه له بالعبادة بل اوجب طرده وابد بعده فقال تعالى حكاية
عن الملائكة جوابا لسؤال من كانه قال ما قالوا حين اخبرهم سبحانه بذلك قالوا طالبين الايقاف على الحكمة في ايجاد من يقع منه بشر
اتجعل فيها اي الارض من يفسد فيها بانواع المعاصي بالقوة الشهوانية ويسفك من السفك قال الحرالي سكب بسطوة الدماء
اي بغير حقها بالقوة الغضبية لعدم عصمتهم وخلقهم جوفا لا يتمالكون واصحاب شهوات عليها يتهالكون وكانهم لما ارادوا
صورة آدم تفرسوا فيها ذلك او سالوا عن منافع اعضائه وما اودع فيها من القوى والمعاني فاخبرهم تعالى بما تفرسوا منه ذلك

وبين ما يخاطب به الادنين المعرضين وكذلك تقامت الخطاب بين ما يخاطب به ائمة المهتدين

ونبههم

الشرعة

والدم

والدم قال الحرالي رزق البدن الاقرب اليه المحوط فيه ونحن اي والحال انا نحن وهذا الضمير كما قال الحرالي اسم القايل
المستتبع لمن هو في طوع امره لا يخالفه نسبح اي نوقع التسبيح اي التنزيه لك والابعاد عما يليق بك متلبسين في التسبيح بحمدك
والحاصل انا نبريك عن صفات النقص حال اثباتنا لك صفات الكمال وحذف المفعول للتعميم وقال الحرالي التسبيح تنزيه الحق
تعالى عند بادية نقص في خلق او رتبة وحمد الله استوا امره علوا وشغلا ومحو الذم عنه والنقص منه وذلك تسبيح ايضا في
علو امر الله فما سبح بالحمد الا اهل الحمد من آدم ومحمد صلى الله عليهما وسلم فغاية المسبح الحمد تسبيح لمن غايته وراء ذلك الاستوا انتهى
ونقدس اي نطهر كل شي نقدر عليه من نفوسنا وغيرها لك اي لا لغيرك لعصمتنا بك او المعنى نوقع التقديس اي التطهير لك بمعنى
انك في الغاية من الطهارة والعلو في كل صفة قال الحرالي القدس طهارة دايمة لا يلحقها نجس طاهر ولا رجس باطن واللام تعلة
للشي لاجله كان ما اضيف به انتهى ولما تضمن تفرسهم هذا نسبتهم انفسهم الى العلم المثمر للاحسان ونسبة الخليفة الى الجهل المنتج
للاساءة اعلمنا سبحانه لشكره انه حاج ملايكته عنا فبين لهم ان الامر على خلاف ما ظنوا بقوله استينافا قال اني اعلم اي من
ذلك وغيره ما لا تعلمون وقال الحرالي واعلم تعالى بما اجرى عليه خلقه من القضا بما ظهر والحكم على الآتي بما مضى حيث انبا عن
ملايكته بانهم قضوا على الخليفة في الارض بحال من تقدمهم في الارض من الجبلة الاولين من الجن الذين ابقى منهم عزازيل وغيرهم
ليتحقق ان امر الله جديد وانه كل يوم هو في شان لا يقضى على آتي وقت بحكم ما فيه ولا بما مضى قبله انتهى والاظهر ما ذكرته انهم
انما قالوا ذلك تفرسا بحكم ما ظهر لهم من صورته ونحو ذلك من اعلامهم بانه يجمع فيه بين الشهوة والعقل ومن المعلوم ان الشهوة
حاملة على الفساد وعلم سبحانه ما خفي عنهم من انه يوفق من اراد منهم للعمل بمقتضى العقل مع قيام منازع الشهوة والهوى فتاتي غاية
الكمال التي هي فوق درجة العامل بمقتضى العقل من غير منازع له فيظهر تمام القدرة والله اعلم ولما اعلم سبحانه الملايكة ان الامر على
خلاف ما ظنوا شرع في اقامة الدليل عليه فقال عاطفا على قوله قال وعلم اي لاقامة الدليل على ذلك والتعليم تكرار العلم ليثبت
لما في جبلة المعلم من النسيان آدم من الادم من الايم وهو جلدة الارض التي منها جسمه وحظ ما فيه من اديم الارض هو اسمه الذي انبا عليه
لفظ آدم الاسماء اي التي للاشياء كلها وهي جمع اسم وهو ما يجمع اشتقاقين من السمة والسمو فهو بالنظر الى اللفظ وسم وبالنظر الى
الحظ من ذات الشي سمو وذلك السمو هو مدلول الاسم الذي هو الوسم الذي يرادفه التسمية قاله الحرالي وقال في كتاب له في اصول
الفقه الاسم يقال على لفظ التسمية ويقال على حظ ونصيب من ذوات الاشياء وتلك هي المعروضة على الملايكة واسم التسمية
يحاذي به المسمى معلومة من الشي المسمى الذي هو الاسم المعروض وهو عند آدم علم وعند الملايكة ومن لا يعلم حقيقة الاسم المعروض
توقيف وبنا انتهى ولما كان العرض على الملايكة بالغا في المراد اشار الى تعظيمه بحرف التراخي فقال ثم عرضهم اي الاشيا قال
الحرالي اظهرهم عن جانب وهو العرض والناحية على الملايكة القايلين لذلك وقال الحرالي لما ذكر تعالى مراجعة الملايكة في خلق
هذا الخليفة ذكر ابداه لهم وجه حكمة عليته بما اعلا هذا الخليفة من تعليمه اياه حقايق جمع الذوات المشهودة لهم على احاطتهم
بملكوت الله وملكه شهودا فاراهم احاطة علم آدم بما شهدوا صورة ولم يشهدوا حقيقة مدلول تسميتها وعلمه حكمة ما بين تلك
الاسماء التي هي حظ من الذوات وبين تسمياتها من النطق ليجتمع في علمه خلق كل شي صورة وامره كلمة فيكمل علمه في قلبه على سبيل
سمعه وبصره واستخلفه في علم ما له من الخلق والامر وذلك في بدء كونه فكيف بحكم حكمة الله فيما يتنامى اليه كمال خلقه الى خاتمة امره
فيما انتهى اليه امر محمد صلى الله عليه وسلم مما هو مبهم في قوله تعالى له وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما فابدى الله عز
وجل لهم بذلك وجه خلافة علميته وعلميته في التسمية اعلاء له عندهم وقد جعلهم الله عز وجل مذعنين مطيعين فانقادوا
للوقت لفضل آدم على جميع الخلق وبدى لهم علم ان الله يعلي من يشاء بما يشاء من خلافة امره وخلقه وتلك الاسماء التي هي حظوظ
من صور الموجودات على المعروضة التي شملها اسم الضمير في قوله تعالى ثم عرضهم واشار اليه هولاء عنه كمال عرضهم واجرى على
الجميع ضميرهم لاشتمال تلك الكاينات على العاقلين وغيرهم وبالتحقيق فكل خلق ناطق حين يستنطقه الحق كما قال اليوم نختم على افواههم
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وانما العجمة والجمادية بالاضافة الى ما بين بعض الخلق وبعضهم انتهى وقال ابو حاتم احمد بن حمدان
الرازي في كتابه الزينة ويقال ان الاسم ماخوذ من السمو وهو العلو والرفعة وانما جعل الاسم تنويها بالدلالة على معنى الاسم
لان المعنى تحت الاسم هذا قول النحويين والسمة تدل على صاحبها لانهما حرفان سين وميم فالسين من السنا والميم من المجد وهو لب
الشي فكانه سمي اسما لانه يضي لك عن لب الشي ويترجم عن مكنونه وليس شي الا وقد وسمه الله بسمة تدل على ما فيه من الجوهر
فاحتوت الاسماء على جميع العلم بالاشياء فعلمها الله آدم وابرز فضيلته على الملايكة عليهم السلام انتهى فقال معجزا لهم انبئوني باسماء
هولاء اي الموجودات بتفرسكم فيها ان كنتم صادقين اي فيما تفرستموه في الخليفة وفي انشاله قال الحرالي هذه الاسماء المواطية
للتسمية من السمة والاسماء الاول هي الحظوظ من الذوات التي المتسم بها هو المسمى ومع ذلك فبين التسمية والاسم مناسبة
مجعول الحكمة بينهما بمقتضى امر العليم الحكيم انتهى قالوا متبرين من العلم سبحانك اي تنزهك تنزيها يجل عن الوصف عن ان تنسب
اليك نقصا في علم او صنع وتتبرا اليك مما يلزم قولنا من ادعاء العلم لسواك قال الحرالي وفي هذا المعنى اظهار لفضلهم وانقيادهم
واذعانهم توطية لما يتصل به من اباء ابليس انتهى والحاصل انه تصريح بتنزيه الله تعالى عن النقص وتلويح نسبته اليهم اعتذار منهم
عما وقعوا فيه ولذا قالوا لا علم لنا اي اصلا الا ما علمتنا فهو دليل على انه لا سبيل الى علم شي من الاشياء الا بتعليم الله قال
الحرالي رد البدء الامر لمن له البدء ولذلك وارد في اثاره من علم من لم يختم علمه بالجهل لم يعلم وذلك الجهل هو البراءة من العلم الا ما
علم الله انتهى ثم خصوه بما نفوه عن انفسهم فقالوا انك انت اي وحدك العليم اي العالم بكل المعلومات الحكيم اي فلا يتطرق الى صنعك

فساد بوجه فلا اعتراض اصلا قال الحرالي توكيد وتخليص واخلاص للعلم والحكمة لله وحده وذلك من ارفع الاسلام لانه اسلام
القلوب ما حلاها الحق به فان العلم والحكمة نور القلوب التي يحيى بها كما ان الماء رزق الابدان الذي يحيى به والحكمة جعل تسبيب بين امرين
يبدو بينهما تقاض من السابق واستناد من اللاحق انتهى واصلها في اللغة المنع من الفساد ولا يكون ذلك الا عن تمام العلم فلما قالوا
ذلك قوله قال مظهرا لفضيلة العلم الموجبة لشرف العالم يا آدم انبئهم اي ليزدادوا بصيرة في ان العالم من علمته والسعيد
من اسعدته في اي صورة ركبته باسمائهم فانباءهم بها قال الحرالي ولم يقل علمهم فكان آدم عليما بالاسماء وكانوا هم مخبرين بها
لا معلميها لانه لا يتعلمها من آدم الا من خلقه محيط كخلق آدم ليكون من كل شيء اذا كان من كل شيء كان جامعا واذا كان جامعا للكون كان منه كل
شيء قال الشيء ان كان مفردا كان من الجامع وان كان جامعا لاكثر ما فيه كان منه ايضا ويكون قابلا لفهم كل شيء وعمل كل شيء ومنه كل شيء فاذا عرض
عليه شيء مما منه آنس علمه عنده فلذلك اختصوا بالانباء دون التعليم فلكل شيء عند آدم عليه السلام بما علمه الله واظهر له علاماته في
استبصاره الشيء اسمان جامعان اسم يبصره من موجود الشيء واسم يذكر لابداء معنى ذلك الشيء الى غاية حقيقته ولكل اسم جامع عنده
وجوه متعددة يحاذي كل وجه منها بتسمية تخصه وبحسب تلك الوجوه تكثرت عنده الالسنة وتكثرت الالسن الاعجمية فافصحها واعربها
الاسم الجامع وذلك الاسم هو العربي الذي به انزل خاتم الكتب على خاتم المرسلين وابقى دائما في مخاطبة اهل الجنة لمطابقة الخاتمة احاطته
البادية حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وطابق الختم البدء احاطة الاحاطة
انتهى وهذا كما كان ولده محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم يكلم كل انسان بلغته هم من قبائل العرب ومن العجم بل ومن البهائم العجم فكان
علمه لبعض اللغات من غير مخالطة لاهلها ولا المام بلسانهم دليلا على علم سائر اللغات لانه لا معلم له الا العالم بكل شيء فلما انباءهم اي اخبرهم
اخبارا عظيما ياخذ بالالباب ولما كلمة تفهم وجوب امر الامر في حين فيجتمع معنى الشرط والظرف قاله الحرالي باسمائهم على ما هي عليه قال
الحرالي في التفسير وكتاب له في اصول الفقه هذه التسميات ليس الاسماء التي هي موجودة من الذوات لان تلك لا ينالها الا العلم وشهود
البصيرة وقد جرى ذلك في وراثة في ولد آدم حتى كان رؤبة وابوه العجاج يرتجلان اللغة ارتجالا ويتعلمها منهم من سواهم من العرب لان
التسمية التي ينالها الانباء للاسم الذي يناله العلم كالمثل له المبدي لصورة معناه للاذن لمناسبة ومواصلة بين خصوص التسمية
واسمها من الذات ليعلم ما يحاذي الشيء المفرد من منتظم الحروف كما يعلم الواصف ما يحاذي الشيء ويحاكيه من منتظم الكلم فيحاذيه ويحاكيه
الواصف بكلام ويحاذيه ويسميه المسمى له بكلمة واحدة وكما انه ليس لكل احد منة ان يصف فكذلك ليس لكل احد منة ان يسمي ومنه
ما يجري من السنة العامة من التنبز والالقاب وقد كان يجب الاكتفاء بما في هذه الآية من العلم ببدء امر المسميات عما وقع فيها من
الاختلاف بين التوقيف والاصطلاح فقد تبين انها عن علم علمه الله آدم لا عن توقيف كما هو عند الملائكة من آدم ولا عن اصطلاح كما
قيل انتهى قال اي الله تعالى مثبتا مدخول النفي كما هو شان همزة التقرير الم اقل لكم يا ملائكتي ولما كان هذا خبرا جسيما نبه على بلوغه
النهاية في العظمة وانه يستغربه بعض الخلق بالتاكيد فقال اني اعلم علما مستمرا لا انقضاء له غيب السموات والارض فمن اردت
تعليمه شيئا من ذلك كان عالما به واما غيري فلا طريق له الى معرفة المستقبل الا الفراسة وقد تخطى قال الحرالي قدرهم حتى لا يكون
لها ثانية واعلم بذلك عباده من ولد آدم حتى يستنوا بحكم التسليم لله فيما يبديه من غير تعرض ولا اعتراض فمنهم من آمن ومنهم من
كفر انتهى واعلم ما تبدون في كل حين وما كنتم تكتمون فيما مضى وفيما ياتي قال الحرالي وفي صيغة تكتمون من الدلالة على تمادي
ذلك في كيانهم ما في صيغة تبدون من تمادي بادي ذلك منهم انتهى ولما اخبرنا سبحانه بهذه النعم الى ابينا آدم اليها الانعام باسجاد
الملائكة له ونحن في ظهره فقال عاطفا على الاولى وعدل عن الغيبة الى التكلم ثم الى كونه في مظهر العظمة اعلاما بانه امر فصل لا نسخة
في المراجعة فيه وقال الحرالي لما انبا تعالى بامر مفاوضة الملائكة وما كان من ادعائهم وتسليمهم الامر لله ولمن علمه الله وهو آدم
عليه السلام نظم بذلك انقيادهم لآدم فعلا كما انقادوا له علما تماما لكمال حالهم في التسليم علما وعملا فقال تعالى انتهى واذ قلنا اي
على عظمتنا للملائكة اي الذين اكرمناهم بقربنا اسجدوا لآدم عبدنا اعترافا بفضله لتفضيلنا له قال الحرالي فجعله بابا اليه وكعبة
يجعلونه بجلاله تعالى ومحرابا وقبلة يكون سجودهم له سجود الله تعالى تجاه آدم كسجود آدم لله تجاه الكعبة وظهر بذلك سوء اباء ابليس
عن السجود حين خالفهم في طينة الكيان لان الملائكة خلقت من نور والنور طوع لا يحوزه اين ولا تختصه جهة ولان الجان خلقت
من نار وهي مما يحوزه اين وتختصه جهة لا يرجع عنها الا بقهر وقسر فلم ينزل عن رتبة قيامه في جبلته لمخلوق الطين حيث لم يشعر باحاطة
خلق آدم كما تلقته الملائكة انتهى فبادروا الامثال فسجدوا اي كلهم له كما امرهم الله تعالى الا ابليس قال الحرالي من الابلاس وهو انقطاع
سبب الرجاء الذي يكون عنه الياس من حيث قطع ذلك السبيل انتهى فكانه قيل ما فعل فقيل ابى من الاباء وهو امتناع عما حقه الاجابة
فيه قاله الحرالي واستكبر عن السجود له من الاستكبار وهو استجلاب الكبر والكبر بطر الحق وغمص الناس وغمطهم وموجب ذلك
استحقار الغير من وجه واستكمال النفس من ذلك الوجه قاله الحرالي وكان اي في اصل جبلته بما افهمه الاستكبار من نسبتنا
الى ترك الحكمة اما جهلا او جورا في امرنا بسجوده لآدم وهو على زعمه خير منه من وهي كلمة تفهم اقتباس التي مما جعل منه قاله الحرالي
الكافرين اي الذين سبق علمنا بشقاوتهم لم يتجدد لنا بذلك علم ما لم نكن نعلمه وفي الآيات الثلاث يا ايها الناس اعبدوا ربكم وكيف تكفرون
بالله واذ قال ربك للملائكة ايضا اشارة الى اختلاف الحال في الخطاب بوصف الربوبية مع الخلص ومع من دونهم وفي الخطاب باوصاف
الذات وذلك انه تعالى لما بين ان الضالين في حسن امثاله هم الخاسرون عجب ممن يكفر به اشارة الى شدة ظهوره وانتشار نوره في
امثاله وجميع اقواله وافعاله وان شهوده في كل اعتبار اوضح من ضياء النهار لانه ما تم الا ذاته وافعاله وصفاته وفي كل شيء له آية تدل
على انه واحد متجليا عليهم باسم الالهية في افعاله التي هم لها ناظرون وبها عارفون فقال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الى ان

واراد اشهادهم فضل آدم عليه السلام استانف في جواب من كانه قال ما قال لهم عند ذلك صح

كيه

اذ ع

قال

قال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الآية وادرج في ذلك امر البعث بقوله ثم اليه ترجعون تنبيها على مشاركته لبقية ما
في الآية من الظهور لما قدم من الاستدلال عليه باخراج الثمرات حين تعرف اليهم بوصف الربوبية الناظر الى العطف والامتنان
والتربية والاحسان في مثل ما هنا من افعاله الظاهرة واثاره الباهرة فقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم الى اخرها
وختم هذه الآية بوصف العلم الشامل لما قام عليه من الدليل ضمن هذا التعجيب اشارة الى الاستدلال على كمال الامثال وتهديدا لمن يستمر
على الكفران بعد هذا البيان باية بمراد منه ومسمع في كل حال فلما فرغ من خطابهم بالامور الظاهرة على قدر فهومهم ومبلغ علومهم
رقى الخطاب الى رتبة نبيه عليه الصلوة والسلام لترقية البيان الى غيب مقاولته للملائكة فقال واذ قال ربك للملائكة اني
جاعل الآية فلكل مقام مقال ولكل مخاطب حد في الفهم وحال قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في المفتاح الباب السابع في اضافة
الربوبية ونعت الالهية في القرآن اعلم ان الربوبية اقامة المربوب بما خلق له واريد له فرب كل شي مقيمه بحسب ما ابداه وجوده
فرب المومن ربه وربا ه للايمان ورب الكافر ربه وربا ه للكفران ورب محمد ربه وربا ه للحمد ادبني ربي فاحسن تاديبي ورب العالمين
ربي كل عالم لما خلق له اعطى كل شي خلقه ثم هدى فللربوبية بيان في كل رتبة بحسب ما اظهرته اية مربوبه من عرف نفسه عرف ربه
سبح اسم ربك الاعلى فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك اعبدوا ربكم الذي خلقكم لهم اجرهم عند ربهم وقال
في الباب الذي بعده فخطاب الاقبال على النبي صلى الله عليه وسلم اعظم افهام في القرآن الم تر الى ربك كيف مد الظل الآية وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا الآية تفاوت الخطابين بحسب تفاوت المخاطبين وكما يتضح لاهل التعرف رتب البيان بحسب اضافة اسم الرب
فكذلك يتحقق لاهل الفهم وجوه احاطات البيان بحسب النعوت والتبيان في اسم الله غيبا في مستجلي الآيات للمومن وعينا للكامل
الموقن وجمعا واحاطة عن بادي الدوام للمحقق الواحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم
آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم قل هو الله احد والتفطن في رتب البيان في موارد هذا النحو من الخطاب
في القرآن من مفاتيح الفهم وبوادي مزيد العلم انتهى وقد اوقع سبحانه ذكر ابتداء الخلق على ترتيب ايجاده له فقد روى مسلم في صحيحه
في صفة الجنة والنار والقيمة والنسائي في التفسير من سننه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثا وخلق النور
يوم الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين
العصر الى الليل وقال المزني في الاطراف قال البخاري في التاريخ وقال بعضهم ابو هريرة عن كعب وهو اصح انتهى وما يقال من انه
كان قبل آدم عليه السلام في الارض خلق يعصون قاس عليهم الملائكة عليهم السلام حال آدم عليه السلام كلام لا اصل له والذي
يدل عليه حديث مسلم هذا كما ترى انه اول ساكني الارض والذي يلوح من اسمه في بدئه بالهمزة التي هي اول الحروف وختمه بالميم التي هو
اخرها وختامها انه اول ساكنيها بنفسه كما انه خاتمهم باولاده عليهم تقوم الساعة ورايت في ترجمة للتورية وهو اولها خلق الله
ذات السماء وذات الارض وكانت الظلمة فقال الله ليكن النور فكان النور فاراد ان يفرق بين النور والحندس فسمى النور نهارا
والحندس مساء ثم قال ليكن جلد وسط الماء ويميز بين الماء الاعلى والماء الاسفل وفي نسخة ليكن سقف بين المياه ليفصل بين
الماء والماء فكان كذلك فخلق الله وفصل بين الماء الذي تحت الجلد والماء فوق الجلد وسمى الله الجلد سمة وقال الله لتجتمع المياه
التي تحت السماء الى مكان واحد ولتظهر اليابسة فكان كذلك فسمى الله اليابسة ارضا وسمى مجامع المياه بحورا وقال لتخرج الارض
نبت عشب يزرع منه زرع لجنسه وشجرا ذات ثمار لجنسها يغرس منه غرس على الارض فانبعثت الارض نبتا عشبا يزرع منه زرع
لجوهره وشجر ذات ثمار لجوهرها فقال الله ليكن نجمان في جلد السماء ليضيئا على الارض وليميزا بين النهار والليل وليكونا للآيات
والازمان والعدد والايام والسنين فخلق الله نورين عظيمين المصباح الاكبر لسلطان النهار والمصباح الاصغر لسلطان الليل
وخلق النجوم وكان المسا والصباح من اليوم الرابع فقال الله ليحت الماء حيتانا ذات انفس حية وليطر الطير فوق الارض في جو
السماء فكان كذلك وخلق تنانين عظيمة وكل نفس حية تدب في الماء لاجناسها وكل طيور ذات اجنحة لاصنافها وباركها وقال
انموا واكثروا واملاوا مياه البحور وليكثر الطير على وجه الارض وقال الله لتخرج الارض انفسا حية لجنسها دواب وسباع الارض
لاجناسها فكان كذلك وخلق الله سباع الارض لاجناسها والدواب لاصنافها وجميع هوام الارض لجواهرها فاراد الله ان يخلق خلقا
يتسلط على حيتان البحر وطير السماء وعلى الدواب وجميع السباع وعلى الحشرة التي تدب على الارض فخلق آدم بصورة ذكر وانثى
وبارك عليهما وقال لهما انميا واكثرا وتسلطا على حيتان البحر وطير السماء والدواب وجميع السباع وقال ها انا قد اعطيتكما جميع
العشب الذي يزرع على وجه الارض كلها وكل شجر ذات ثمار تغرس فيها ليكون لكم ماكلا ولجميع سباع البر وطيور السماء ولكل
ما يدب على الارض فيه نفس حية فكان كذلك وكملت السماء والارض وجميع ما فيهما في اليوم السادس ولم يكن ظهر على الارض شي
من عشب الارض لان الله لم يكن اهبط المطر على وجه الارض بعد وذلك لان آدم لم يكن خلق بعد ليعمل في الارض وكان ينبوع
يظهر في قعر عدن فيسقي جميع وجه الارض فجبل الله الرب آدم من تربة الارض ونفخ في وجهه نسمة الحيوة فصار آدم ذا نفس
حية وغرس الله الرب فردوسا بعدن من قبل واسكنه لآدم وانبت الله كل شجرة حسنة المنظر شهية الماكل وشجرة الحيوة
وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشر وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الفردوس وكان ينفصل من هناك ويتفرق على اربعة
اطراف اسم احدها سيحون الذي يحيط بجميع ارض الهند وتلك البلاد الكثيرة وذهب تلك الارض جيد جدا هنالك المها وحجر
البلور واسم النهر الثاني جيحون الذي يحيط ارض الحبشة واسم النهر الثالث دجلة الذي يخرج قبالة الموصل والنهر الرابع

نسخة لما قدم عليه

الفرات فتقدم الرب الى آدم وقال له كل من جميع اشجار الفرد وس فاما شجرة علم الخير والشر فلا تاكل منها لانك في اليوم الذي تاكل منها تموت موتا وقال الله لا يحسن ان يكون آدم وحده فلنخلق له عونا مثله فجمع الرب من الارض جميع سباع البر وطير السماء واقبل بها الى آدم ليرى ما يسميها وكل نفس حيه سماها آدم فذلك اسمها فسمى الجميع فالقى الله على آدم سباتا فرقد فنزع ضلعا من اضلاعه واخلف له بدله لحما فخلق الله من الضلع الذي اخذ من آدم امراة فاقبل بها الى آدم فقال هذه الآن التي قرنت الي وفي هذه عظم من عظامي ولحم من لحمي فلتدع امراة لانها اخذت من الرجل ولذلك يدع الرجل اباه وامه ويلحق بامراته ويكونان كلاهما جسدا واحدا وكانا كلاهما عريانين آدم وامراته ولا يستحييان وكانت الحية اعرد دواب البر كلها فقالت الحية للمراة احق ان الله قال لكما لا تاكلا من جميع شجر الجنة فقالت المراة انا نتاكل من كل ثمر الجنة فاما من ثمرة الشجرة التي في وسط الجنة فان الله قال لنا لا تاكلا منها ولا تقربا لها لكيلا تموتا فقالت الحية ليس تموتان ولكن الله علم انكما ان تاكلا منها ولا تنفتح اعينكما وتكونا كالله تعلمان الخير والشر فرات المراة الشجرة طيبة المآكل شهية في العين فاخذت من ثمرتها فاكلت واعطت بعلها فاكل فانفتحت ابصارهما وعلما انهما عريانان فوصلا من ورق التين وصنعا مآزر ثم ذكر ان الله تعالى سأله عن ذلك فقال آدم المراة التي قرنتها معي اطعمتني من الشجرة فاكلت فقال الله الرب للمراة ما هذا الذي فعلت فقالت المراة ان الحية اعطتني فاكلت فقال للحية ملعونة تكونين من جميع الدواب ومن كل ماشية البر وعلى بطنك تمشين والتراب تاكلين كل ايام حياتك واعدي العداوة بينكما وبين المراة وبين ولدها وولدها يطاء راسك وانت تلدغينهم باعقابهم وقال للمراة اكثرا وجاعك واحبالك وبالوجع تلدين البنين والى بعلك تردين وهو مسلط عليك وقال لآدم من اجل طاعتك لامراتك واكلك الشجرة التي نهيتك عنها ملعونة الارض من اجلك بالشقا تاكل منها كل ايام حياتك اجاجا وشوكا تنبت لك وتاكل عشب الارض وبرشح جبينك تاكل طعامك حتى تعود في الارض التي منها اخذت من اجل انك تراب والى التراب تعود فدعا آدم اسم امراته حوا من اجل انها كانت ام كل حي وصنع الله الرب لآدم وامراته سرابيل من الجلود والبسهما فارسله من جنة عدن ليحرث الارض التي منها اخذ فاخرجهما الله ربنا واحاط من مشرق عدن ملكا من الكروبيين بيده حربة يطوف بها ليحرس طريق شجرة الحيوة ثم قال بعد ذلك فكان جميع حيوة آدم تسعمائة وثلثين سنة ثم توفي عليه السلام هذا نص التوراة والكروبين بوزن زنبور بلغة العبرانيين الشخص الصغير فكان الكروبيين الملائكة المنشوبون الى محافظة الناس بالوحي اخذا من الكروبين تثنية كروب وهما شخصان في قبة الزمان كان يسمع كلام الله من بينهما كما يأتي قريبا فان انكر منكر الاستشهاد بالتوراة او بالتجيل وعمي عن الاحسن في باب النظر ان يرد على الانسان بما يعتقد ملوت عليه قول الله تعالى استشهادا على كذب اليهود قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه في ايات من امثالها لذلك كثيرة وذكره باستشهاد النبي صلى الله عليه وسلم بالتوراة في قصة الزاني كما سيأتي ان شاء الله تعالى في سورة المائدة مستوفى وروى الشيخان عن ابي سعيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكون الارض يوم القيامة خبزة نزلا لاهل الجنة فاتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا ابا القاسم الا اخبرك بنزل اهل الجنة يوم القيمة قال بلى قال تكون الارض خبزة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه وقريب من ذلك حديث الجساسة في اشباهه هذا فيما يصدقه كتابنا واما ما لا يصدقه ولا يكذبه فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ورواه مسلم والترمذي والنسائي عن ابي سعيد رضي الله عنه وهو معنى ما في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان اهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم الآية فان دلالة هذا على سنية ذكر مثل ذلك اقرب من الدلالة على غيرها ولذا اخذ كثير من الصحابة رضي الله عنهم عن اهل الكتاب فان فهم احد من الشافعية منع ايتهم من قراءة شيء من الكتب القديمة مستندا الى قول الامام ابي القسم الرافعي في شرحه وكتب التوراة والانجيل مما لا يحل الانتفاع به لانهم بدلوا وغيروا وكذا قال غيره من الاصحاب قيل له هذا مخصوص بما علم تبديله بدليل ان كل من قال ذلك علل بالتبديل فدار الحكم معه ونص الشافعي ظاهر في ذلك قال المزني عنه في مختصره في باب جامع السير وما كان من كتبهم الكفار فيه طب ولا مكروه فيه بيع وما كان فيه شرك ابطل وانتفع بادمته وقال في الام في سير الواقدي في بات ترجمته كتب الاعاجم قال الشافعي وما وجد من كتبهم لهو نعتم كله وينبغي للامام ان يدعو من يترجمه فان كان علما من طب او غيره لا مكروه فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغانم وان كان كتاب شرك شققوا الكتاب وانتفعوا باوعيته واداته فباعها ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل ان يعلم ما هو انتهى فقوله في الام كتاب شرك منهم لانه كله شرك ولهذا اعتبر المزني عز ذلك بقوله وما كان فيه شرك اي من ابواب الكتاب وفصوله وما دل من ذلك قولهم في باب الاحداث ان حكمها في مس المحدث حكم ما نسخت تلاوته من القرآن في اصح الوجهين والتعبير بالاصح على ما اصطلحوا عليه يدل على ان الوجه المقابل بحرمة مس المحدث وحمله لها قوي وادل من ذلك ما ذكره محرر المذهب الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله في مسائل الحقها في آخر باب الاحداث من شرح المهذب واقره ان المتولي قال فان ظن ان فيها شيأ غير مبدل كره مسه انتهى فكراهة المس للاحترام والاحترام فرع جواز الابقاء والانتفاع

بالتوراة

بالقرآة واصرح من ذلك كله قول الشافعي رحمه الله ان ما لا مكروه فيه يباع وكذا قول البغوي في تهذيبه في آخر
باب الوضوء وكذلك لو تكلم اي الجنب بكلمة توافق نظم القرآن او قراءة نسخت قرآنها او قراءة التوراة والانجيل او
ذكر الله سبحانه او صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فجائز قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر
الله على كل احيانه فانه لا يتخيل انه يجوز للجنب ما لا يجوز للمحدث بل كل ما جاز للجنب قرآنه من غير امر ملجئ جاز للمحدث
ولا عكس ودليله لذلك الحديث عائشة رضي الله عنها دال على ان ذلك ذكر الله تعالى ولا يجوز الحمل على العموم لا سيما اذا لوحظ
قول القاضي الحسين انه يجوز الاستنجاء بها لانه مبني على الوجه القائل بان الحجر مبدل وهو ضعيف او محمول على المبدل
منها لانه لا يخفى على احد ان مسلما فضلا عن عالم لا يقول انه يستنجى بنحو قوله في العشر الكلمات التي صدرت بها ان
الالواح قالت انه جميع هذه الايات كلها انا الرب الهك الذي اصعدتك من ارض مصر من العبودية والرق لا يكون
لك الهة غيري لا تعلمن شيأ من الاصنام والتماثيل التي مما في السماء فوق وفي الارض من تحت ومما في الماء اسفل من
الارض لا تسجدن لها ولا تعبدنها لانا الرب الهك انا اله غيور لا تقسم بالرب الهك كذبا لان الرب لا يزكي من حلف
باسمه كذبا اكرم اباك وامك ليطول عمرك في الارض التي يعطيكها الرب الهك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على
صاحبك شهادة زور وقد اشبع الكلام في المسئلة شيخنا حافظ عصره ابو الفضل ابن حجر في آخر شرحه للبخاري واخرما
خط عليه التفرقة بين من رسخ قدمه في العلوم الشرعية فيجوز له النظر في ذلك فانه يستخرج منه ما ينتفع به المهتدون
وبين غيره فلا يجوز له ذلك وايده بنظر الائمة فيها قديما وحديثا والرد على اهل الكتابين بما يستخرجونه منها فلولا
جواز ذلك ما اقدموا عليه والله الموفق وقد حررت المسئلة في فن المرفوع من حاشيتي على شرح الالفية الشيخ زين الدين
العراقي فراجعه ان شئت والله الهادي ثم صنفت في ذلك تصنيفا حسنا سميته الاقوال القويمة في حكم النقل من
الكتب القديمة تنبيه اعلم ان التورية ثلاث نسخ مختلفة اللفظ متقاربة المعنى الا يسيرا احوالها تسمى توراة
السبعين وهي التي اتفق عليها اثنان وسبعون حبرا من احبارهم وذلك ان بعض اليونان من ملوك مصر سأل بعض
ملوك اليهود ببيت المقدس ان يرسل اليه عددا من حفاظ التورية فارسل اليه اثنين وسبعين حبرا فاخلى كل اثنين
منهم في بيت وكل بعضهم كتابا وتراجمه فكتبوا التورية بلسان اليونان ثم قابل بين نسخهم الستة والثلثين فكانت
مختلفة اللفظ متحدة المعنى فعلم انهم صدقوا ونصحوا وهذه النسخة ترجمت بعد بالسريانية ثم بالعربي وهي في ايدي
النصارى والنسخة الثانية نسخة اليهود من الربانيين والقرائين والنسخة الثالثة نسخة السامرة وقد نبه على
مثل ذلك الامام السمرقندي في الصحائف واستشهد بكثير من نصوص التورية على كثير من مسائل اصول الدين وكذا الشيخ
سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد والقاضي عياض في كتاب الشفا وغيرهم ثم اعلم ان اكثر ما ذكرته في كتابي هذا
من نسخة وقعت لي لم اور اسم مترجمها وعلى حواشي فصولها الاوقات التي تقراء فيها فالظاهر انها نسخة اليهود وهي تورية
جدا فكان في الورقة الاولى منها محو في اطراف الاسطر فكملته من نسخة السبعين ثم قابلت نسختي كلها مع بعض اليهود
الربانيين على ترجمة سعيد الفيومي وهي عندهم احسن التراجم وكان هو القاري فوجدت نسختي اقرب الى حقايق لفظ العبراني
وسترجمها اتعد من سعيد في لغة العرب وظاهر القرآن في قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
ان الامر بالسجود كان له كان قبل اتمام خلقه وان السجود كان عقب النفخ وبه صرح البغوي في تفسيره واجاب عن قوله
تعالى في سورة الاعراف ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم باجوبة منها ان الخلق والتصوير لآدم وحده
وذكره بضمير الجمع لانه ابو البشر فخلقه خلقهم وتصويره تصويرهم ومنها ان ثم بمعنى الواو وليست للترتيب انتهى
والتصوير شق السمع والبصر والاصابع قاله يمان والتسوية تعديل الخلق واعتداله ونفخه نفخ الروح ويمكن ان يكون
خلقناكم وما بعده بمعنى قدرنا ذلك تقديرا قريبا من الاخراج من العدم وبذلك يتضح قوله في التورية فخلق آدم بصورته
ذكرا وانثى ثم قال بعد ذلك لان آدم لم يكن خلق بعد ثم حكى خلقه وخلق زوجه منه فهذا خلق بمعنى الايجاد وذلك بمعنى
التقدير القريب منه والتعليلة لقبوك الغايات والله اعلم ومشى البيضاوي على ان الامر بالسجود كان بعد الانباء بالاسماء
فلم يذكره ليلا يصرف عن هذا الظاهر على ان المشي عليه اولى من جهة المعنى لان سجود الملائكة عليهم السلام قيل يكون
ايمانا بالغيب على قاعدة التكاليف واما بعد اظهار فضيلة العلم فقد كشف الغطاء وصار وجه الفضل من باب عين
اليقين واما الترتيب في الذكر هنا على هذا الوجه وهو جعل السجود بعد الانباء فهو لنكتة بديعة وهي انه تعالى لما
كان في بيان النعم التي اوجبت شكره بالعبادة لكونه منعما فبين اولا نعمته على كل نفس في خاصتها بخلقها
وافاضة الرزق عليها ثم ذكر الكل بنعمة تشملهم وهي محاجته لاقرب خلقه اذ ذاك اليه عن ابينا آدم عليه السلام
قبل ايجاده اقتضى الاسلوب الحكيم ان يوضح لهم الحجة في فضيلة هذا الخليفة فذكر ما آتاه من العلم فلما فرغ من محاجتهم
بما اوجب اذعانهم ذكر بنيه ايضا بنعمة السجود له فما كان تقديم اظهار فضيلة العلم الا محافظة الا على حسن السياق
في ترتيب الدليل على اقوم منهاج واوضح سبيل ولما فرغ من نعمة التفضيل في الصفات الذاتية بين النعمة بشرف
المسكن مع تسخير زوج من الجنس لكمال الانس وما يتبع ذلك فقال تعالى وقلنا الحوالي لما اظهر الله سبحانه فضيلة آدم
فيما امتاز به عند الملائكة من علمه وخلافته والامر بسجودهم له والى ابليس عنده اظهر تعالى اثر ذلك ما يقابل من احوال آدم

حال ما ظهر للملائكة بما فيه من حظ مخالفة يشارك بها افراط في الشيطان من الاباء لاحاطة خلق آدم بالكون كله علوا وسفلا
وليظهر فضل آدم في حال مخالفته على ابليس في حال ابائه بما يبدو على آدم من الرجوع بالتوبة كحال رجوع الملائكة بالتسليم
فيظهر فيه الجمع بين الطرفين والفضل في الحالين حال علمه وحال توبته في مخالفته فجعل تعالى اسكان الجنة توطئة لاظهار ذلك
من امره فقال تعالى **وقلنا يا آدم اسكن** من السكن وهو الهدو في الشيء الذي في طيه اقلاق ان في قوله **انت** اسم باطن الذات
علما هي المشتركة في انا وانت وانت وان تفعل كذا والالف في انا اشارة ذات المتكلم وفي مقابلتها التاء اشارة لذات المخاطب
ذكرا او انثى **وزوجك الجنة** فاجنت لآدم ما فيها من خبء استخراج امر معصيته ليكون ذلك توطئة لكمال باطنه باطلاعه
على سر من اسرار ربه في علم التقدير ايمانا ولكمال ظاهره يكون ذلك توطئة لفضيلة توبته اسلاما ليسن لبنيه التوبة
اثر المعصية مخالفة لاضرار ابليس بعد ابائه وشهادة عليه بجهله في ادعائه وجعل له ذلك فيما هو متنزل عن رتبة علمه
فلم تلحقه فيه فتنة حفيظة على خلافته وانزلت معصيته الى محل مطمعه الذي هو خصوص حال المرء من جهة اجوفية
خلقه ليبدو نقص الاجواف ويبدي ذلك اكبار الصمد الذي يطعم ولا يطعم فكان ذلك من فعله تسبيحا بحمد ربه لا يقضي
الله لمؤمن قضاء الا كان خيرا له انتهى ولما كان السياق هنا لمجرد بيان النعم استعطافا الى الموالفة كان عطف الاكل بالواو
في قوله **وكلا منها** كافيا في ذلك وكان التصريح بالرغد الذي هو من اجل النعم عظيم الموقع فقال **رغدا** اي واسعا رافها
طيبا هنيئا **حيث** اي مكان **شئتما** بخلاف سياق الاعراف فانه اريد منه مع التذكير بالنعم التعريف بزيادة التمكين وانها
لم تمنع من الاخراج تحذيرا للمتمكنين في الارض المتوسعين في المعايش من احلال السطوات وانزال المثلات كما سياتي ان شاء الله
تعالى ثم المقصود من حكاية القصص في القران انما هو المعاني فلا يضر اختلاف اللفظ اذا ادى جميع المعنى او بعضه ولم يكن
هناك مناقضة فان القصة كانت حين وقوعها باو في المعاني الواردة ثم ان الله تعالى يعبر لنا في كل سورة تذكر القصة
فيها بما يناسب ذلك المقام من الالفاظ عما يليق من المعاني ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام وسابين ما يطلعني الله عليه
من ذلك في مواضعه ان شاء الله تعالى ولما اباح لهما سبحانه ذلك كله اتبعه بالنهي عن شجرة واحدة قال الحرالي واطلق
له الرغد اطلاقا وجعل النهي عطفا ولم يجعله استثناء ليكون آدم اعذر في النسيان لان الاستثناء اهم في الخطاب من
التخصيص وقال **ولا تقربا** ولم يقل ولا تاكلا نهيا عن حماها ليكون ذلك اشد في النهي انتهى **هذه** ولما كان اسم الاشارة لا دلالة
له على حقيقة الذات افتقر الى بيان ذات المشار اليه فقال **الشجرة** اي فانكما ان قربتماها تاكلا منها **فتكونا** اي بذلك **من الظالمين** اي
الواضعين الشيء في غير موضعه كمن يمشي في الظلام وفي هذا النهي دليل على ان هذه السكنى لا تدوم لان المخلد لا يناسب ان يعرض للخطر
بان يخطر عليه شيء ولا ان يؤمر ولا ينهى ولذلك دخل عليه الشيطان من جهة الخلد ولا داعي لبيان نوع الشجرة لان السياق لبيان
شؤم المخالفة وبركة التوبة لا لتعيين المنهي عنه فليس بيانه حينئذ من الجملة ثم بين انهما اسرعا المواقعة بقضية خلقهما على طبائع
الشهوة لما نهيا عنه فقال **فازلهما** قال الحرالي من الزلل وهو تزلق الشيء الذي لا يستمسك على الشيء الذي لا مستمسك فيه كتزلل الزلال
عن الورق وهو ما يجتمع من الطل فيصير ماء على الاوراق والازهار وازلهما من الزوال وهو التنحية عن المكان او المكانة وهو
المصير بناحية منه **الشيطان** هو مما اخذ من اصلين من الشطن وهو البعد الذي منه سمي الحبل الطويل ومن الشيط الذي هو الاسراع
في الاحتراق والسمن فهو من المعنيين مشتق كلفظ انسان ومليكه **عنها** اي عن مواقعة وعن كلمة تقتضي المجاوزة عن سبب ثابت
كقولهم رميت عن القوس انتهى وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما او زوالهما عنها **فاخرجهما** اي فتسبب عن ايقاعهما في الزلل الناشي
عن تلك المواقعة انه اخرجهما **مما كانا فيه** من النعمة العظيمة التي تجل عن الوصف قال الحرالي في كلمة تقتضي وعاء مكان او مكانة ثم
قال انبا الله عز وجل بما في خبء امره مما هو من وراء علم الملائكة بما اظهر من امر آدم عليه السلام وبما وراء علم آدم بما ابدى من حال
الشيطان باستزلاله لآدم حسن ظن من آدم بعباد الله مطلقا حين قاسهما على النصيحة وفيه انتظام بوجه ما يتوقف الملائكة في امر
خلق آدم فحذرت الملائكة الى الغاية فجاء من وراء حذرها حمد اظهره الله من آدم وجاء من وراء حسن ظن آدم ذنب اظهره الله من الشيطان
على سبيل سكن الجنة فرمى بهما عن سكنها بما اظهر له بما فيها من خبء الشجرة التي اطلع عليها ثم قال وحكمة ذلك اي نسبة هذا الذنب
الى الشيطان بتسببه ان الله عز وجل يعطي عباده الخير بواسطة وبلا واسطة ولا ينالهم شر الا بواسطة نفس كما وقع من الاباء
للشيطان فكانت خطيئته في ذات نفسه او بواسطة شيطان كما كانت مخالفة آدم فكانت خطيئته ليست من ذات نفسه وعارضة
عليه من قبل عدو تسبب له بادنى ما منه من زوجه التي هي من ادنى خلقه فمحت التوبة الذنب العارض لآدم واثبت الاصرار الاباء النفساني
للشيطان وذكر الحق تعالى الازلال منه باسمه الشيطان لا باسمه ابليس لما في معنى الشيطنة من البعد والسرعة التي تقبل التلافي
ولما في معنى الابلاس من قطع الرجاء فكما في ذلك يسري استدرك آدم بالتوبة انتهى ولما بين انه عزهما فضرهما بين اهباط الغار
والمغرور وبين انه انعم على المغرور دون الغار مع ما سبق له من لزوم العبادة وطول التردد في الخدمة وفي ذلك تفخيم للنعمة
استعطافا الى الاخلاص في العبادة فقال عاطفا على ما يرشد اليه السياق من نحو ان يقال فتداركناهما بالرحمة وتلافينا
خطاهما بالعفو لكونه عارضا منهما بسبب خارج وابدنا تلافي الغار بشقائه لعصيانه بالضلال والاضلال عن عمد فكان
مغضوبا عليه **وقلنا** اي له وللمغرور **اهبطوا** وفي ذلك لطف لذريته بالتنفير من الخطاء والترهيب الشديد من جريرته
والترغيب العظيم على تقدير الوقوع فيه في التوبة والهبوط قال الحرالي سعى في درك والدرك ما يكون نازلا عن مستوى فكانه
امسك حقيقته اي آدم في حياطته تعالى وحفظه وتوفيقه لضراعته وبكائه وسر ما اودعه من امر توبته واهبط صورته ليظهر

الشجرة

في ذلك فرق بين هبوط آدم وهبوط ابليس على ما اظهر من ذلك سرعة عود آدم توبة وموتا الى محله من انسه المعهود وقربه المالوف
له من ربه وانظار ابليس في الارض مصرا منقطعا عن مثل معاد ادم بما نال ابليس من اللعنة التي هي مقابل التوبة بعضكم لبعض البعض
ما اقتطع من جملة وفيه ما في تدرء الجملة عدو من العداء اي المجاوزة عن حكم المسالمة التي هي ادنى ما بين المستقلين من حق المعاونة انتهى
فالمعنى فليحذر كل واحد منكم عدوه باتباع الاوامر واجتناب النواهي قال الحرالي وفيه اشعار بما تمادى من عداء الشيطان على
ذرء من ولد آدم حتى صاروا من حزبه وفيه ايضا بشرى لصالحي ولد آدم بما يسبونه من ذراء ابليس فيلحون بهم بالايمان والاسلام
والتوبة فيهتدون بهداه من حيث علم بالعداوة فاعتدى ذو الخير فصارت عداوة على اهل الشر خيرا واعتدى ذو الشيطنة فصارت
عداوة على اهل الخير شرا ولكم في الارض مستقر تكونون فيه وهو من القرار وهو كون الشيء فيما له فيه تنام وظهور وعيش موافق
ومتاع يتمتعون به والمتاع هو الانتفاع بالمنتفع به وقتا منقطعا يعرف نقصه بما هو افضل منه اشعار بانقطاع الامتاع لما
في هذه الدنيا ونقص ما به الانتفاع عن محل ما كانا فيه من حيث ان لفظ المتاع اطلق في لسان العرب على الجيفة التي هي متاع المضطر
وارزاق سباع الحيوان وكلابها فكذلك الدنيا هي جيفة متع بها اهل الاضطرار بالهبوط من الجنة وجعلها حظ من لا خلاق له في الاخرة
الى حين اي لا يتقدم ولا يتاخر وفي ابهام الحين اشعار باختلاف الاجال في ذرء الفريقين فمنهم الذي يناله الاجل صغيرا ومنهم الذي يناله
كبيرا انتهى ولما تسبب عن جزاء ادم عليه السلام بالاهباط الذي هو كفارة له انه الهم الدعاء بما رحم به عبر عن ذلك بقوله فتلقى اي فهبطوا
فتلقى آدم بعد الهبوط والتلقي ما يتقبله القلب باطنا وحيا او كالوحي ابطن من التلقن الذي يتلقنه لفظا وعلما ظاهرا او كالظاهر
قاله الحرالي من ربه اي المحسن اليه في كل حال كلمات اي ترضيه سبحانه بما افهمه التعبير بالتلقي وهو جمع كلمة وهي دعاء دعا به ربه او ثناء
اثنى به عليه وتطلق الكلمة ايضا على امضاء امر الله من غير تسبيب حكمة ولا ترتيب حكم قاله الحرالي ثم قال في عطف الفاء في هذه الاية
اشعار بما استند اليه التلقي من تنبيه قلب آدم وتوفيقه مما اثبت له امساك حقيقته عند ربه ويعاضد معناه رفع الكلمات
وتلقيها آدم في احدى القراءتين فكانه تلقى الكلمات بما في باطنه فتلقيه الكلمات بما اقبل بها عليه فكان مستحقا لها فكانت متلقية له
بما جمعت القراءتان من المعنى فتاب من التوب وهو رجوع بظاهر باطنه الانابة وهو رجوع بعلم باطنه الاوبة وهو رجوع بتقوى قلب
انتهى عليه لذكره اياه بالكلمات مخلصا في نيته ثم علل بقوله انه هو اي خاصة التواب اي البليغ التوبة المكرر لها ولما كان قد
جعل على نفسه المقدس ان يتفضل على المحسن قال الرحيم اي لمن احسن الرجوع اليه واهله لقربه قال الحرالي وكان اقراره بلفظه
ادبا وادعانا لقيام حجة الله على عباده بما انبا عنه من قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وهذه توبة قلب وعمل لا ينقض مخصوص حال
القلب منها ناقض وهي التوبة النصوح التي تبرئ من الذنب بتحقيق توحيد القلب وتوجب تكفير الخطايا الظاهرة التي لا اصل لها
في القلب من حجاب دعوى في الافعال وشرك في امر الله فبمقتضى ما في باطنه ظهر فيه اسم الرحيم الذي هو من الرحمة وهو اختصاص
فضله بالمومن وبمقتضى ما ظهر عليه من الضراعة والاقرار ظهر فيه مقتضى اسمه التواب فجمعت توبته الامرين انتهى ولما اعلموا بالعداوة
اللازمة كان كانه قيل فما وجه الخلاص منها فقيل اتباع شرعنا المشروع للتوبة والرحمة فانا قلنا كما تقدم اهبطوا ولما كان الهبوط
الماضي يحتمل ان يكون من مكان من الجنة الى ادنى منه ولم يخرجوا منها فكرره هنا للتاكيد لصوير الشوم المعصية وتبشيعا لها قال
منها اي الجنة جميعا اي لا يتخلف منكم احد سواء كان في آن واحد او على التعاقب وعهدنا اليهم عند الهبوط الى دار التكليف انا
ناتيهم بالهدى ليوديهم الى الجنة مرة اخرى واعدين من اتبع متوعدين من امتنع فقلنا فاما ياتينكم وقال الحرالي مورد هذه الاية
بغير عطف اشعار بان ظاهرها افتتاح لم يتقدمه ايحاء بباطن كما تقدم في السابقة وتكرر الاهباطان من حيث ان الاول اهباط لمعنى
القرار في الدنيا والاغتذاء فيها وذرء الذرية واعمال امر العداوة التي استحكمت بين الخلقين من آدم وابليس وهذا الاهباط الثاني
اهباط عن مكانة الرتبة الامرية الدينية التي كانت خفية في امر آدم ظاهرة في امر ابليس وفي قوله جميعا اشعار بكثرة ذرء
الخلقين وكثرة الاحداث في امر الديانة من الثقلين انتهى وخص في ابراز الضمير بمحض الافراد من غير ايراد بمظهر العظمة ابعادا
عن الوهم فقال مني هدى اي بالكتب والرسل ولما كان الهدى الذي هو البيان لا يستلزم الاهتداء قال فمن تبع اي ادنى اتباع
يعتد به ولذلك اكتفى في جزائه بنفي الخوف الذي قد يكون عن توبة من ضلال بخلاف ما في طه كما ياتي ان شاء الله تعالى والتبع السعي
اثر علم الهدى قاله الحرالي هداي اي المنقول او المعقول فامن وصدق بالايات فالثاني اعم من الاول لانه اعم من ان يكون منقولا
عن الرسل او معقولا بالقياس على المنقول عنهم او بمحض العقل كما وقع لورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل واضرابهما المشار اليهم
بالقليل في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا قال العارف شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي
في كتابه رشف النصائح الايمانية فالعقل حجة الله الباطنة والقرآن حجته الظاهرة قال الحرالي وجاء هداي شايعا ليعم رفع الخوف
والحزن من تمسك بحق ما من الحق الجامع وادناه من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فيما بينه وبين الحق وفيما بينه وبين الخلق
انتهى ولما كان الخوف اشد لانه يزداد بمر الزمان والحزن يخف قدمه فقال فلا خوف عليهم اي من شيء آت فان الخوف اضطراب
النفس من توقع فعل ضار قاله الحرالي ولا هم يحزنون اي على شيء فات لانهم ينجون من النار ويدخلون الجنة كما قال الحرالي توجع القلب
لاجل نازح قد كان في الوصلة به روح والقرب منه راحة وجاء في الحزن بلفظ هم لاستبطانه وبالفعل لانه باد من باطن تفكرهم
في فائتهم وجاء نفي الخوف منعزلا عن فعلهم لانه من مخوف باد عليهم من غيرهم انتهى ولما بشر المومنين الذين اتبعوا الهدى اتبعه انذار
الكافرين الذين نابذوه بقوله والذين كفروا فلم يتبعوا الهدى قال الحرالي هذا من اسرار الكفر لانه كفر بالايات التي جعلها الله عز وجل
علما على غيب عهده وهي جميع ما تدركه الحواس من السماء والارض وما بينهما كما قال تعالى ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما

عني فيه

في و

والحزن

من دابة لان الحق تعالى اظهر الكون كتابة دالة على امره وجعل في العقل نورا يقرا به كتابه فمن لا نور له فهو من اصحاب النار فهو اما تابع
هدى بنور العقل وتنبيه الايمان واما صاحب نار وقال وكذبوا باياتنا لانه لما كان من الذين كفروا بكتاب الخلق من تقبل الايمان
بتنزيل الامر اختصت كلمة العذاب بالذين تاكد كفرهم بالايات المرئية بتكذيبهم بالايات المنزلة فكفروا بما راوا فكانوا عميا وكذبوا بما سمعوا
فكانوا صما انتهى والمعنى انهم جمعوا بالكفر والتكذيب بين انكار القلوب والالسنة اولئك اي البعداء البغضاء اصحاب النار وبين اختصاصهم
بالخلود بقوله هم فيها خالدون فعليهم الخوف الدائم لما ياتي من انكالها والحزن الدائم على فوات الجنة فالاية من الاحتباك انتفاء الخوف
والحزن من الاول دال على وجودهما في الثاني ووجود النار في الثاني دال على انتفائها ووجود الجنة في الاول وفيها احتباك آخر لان
اثبات اتباع الهدى في الاول دال على انتفائه في الثاني واثبات الكفر في الثاني دال على حذف الايمان من الاول وقد علم من ذلك مع قوله
مستقر ومتاع الى حين انه لا بد من رجوعهم الى تلك الدار وكيف تكون منازلهم فيها فكانه جواب سائل قال هل بعد هذا الهبوط من
صعود قال الحرالي وقوله هم فيه اشعار باشراب العذاب بواطنهم وبلاغه الى انفسهم بعذاب الغم والحزن واليأس وغير ذلك من احراق
النار بواطنهم وفيه اشعار بكونهم فيها في الوقت الحاضر من حيث لا يشعرون الذي يشرب في آنية الذهب انما يجرجر في بطنه نار جهنم والنار
اقرب الى احدهم من شراك نعله فهم فيها خالدون وان لم يحسوا في الدنيا بحقيقتها كما ان المهتدين في جنة في الدنيا وان لم يشهدوا عيانها
فكل خالد فيما هو فيه في الدنيا غيبا وفي الاخرة عيانا وفي القبر عرضا لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا وهنا انتهى خطاب الفرقان المخصوص بدعوة العرب الذين هم راس الدعوة المحمدية قال صلى الله عليه وسلم الناس كلهم
تبع لقريش مؤمنهم لمؤمنهم وكافرهم لكافرهم انتهى يعني فهم المرادون بهذا بالقصد الاول وهو شامل لغيرهم ومراد به ذلك الغير بالقصد
الثاني وهنا آخر الايات الخاصة بالنعم العامة لجميع بني آدم دالة على التوحيد من حيث انها حادثة فلها محدث وعلى النبوة من حيث انه
صلى الله عليه وسلم اخبر عنها موافقا لما في التورية والانجيل من غير تعلم وعلى المعاد من حيث ان من قدر على خلقها ابتداء قدر على اعادتها
ذكره الاصفهاني عن الامام وفي الاية اشارة الى الكتاب الذي هو هدى للمتقين المشتمل على الاحرف السبعة التي من اقبل على حرف
منها حق الاقبال كفاه ومن اشتغل عنها بالمتاع الادنى خسر دنياه واخراه قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في التمهيد بشرط
مثال القراءة لحروفه السبعة وعلمها والعمل بها اعلم ان الله سبحانه خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه ورزقه نورا من نوره فلانه
خلقه بيده كان في احسن تقويم خلقا ولانه نفخ فيه من روحه كان اكمل حيوة قبضا وبسطا ولانه رزقه نورا من نوره كان اصفى عقلا
واخلص لها وافصح نطقا واعرب بيانا جمعا وفصلا واطلعه على ما كتب من حروف مخلوقاته ادراكا وحسا وعقله ما اقام من امره
فهما وعلما ونبهه على ما اودعه في ذاته عرفانا ووجدا ثم جعل له فيما سخر له من خلقه متاعا وانسا فاناسه وردده من بين اقبال
وادبار وقبول واعراض فمن شغل بالاستمتاع الادنى عن الاطلاع الاعلى كان سفيها ومن شغله الاطلاع الاعلى عن الاستمتاع الادنى كان
حنيفا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولما
كان متاع الخلق في الارض الى حين ويشغل اكثرهم اكلهم وتمتعهم والهاهم املهم عن حظهم من الحنيفية بما اوتي العقل من التبليغ نظرا
واعتبارا اصطفى الله سبحانه من الحنفاء منبهين على النظر الذي اشتغل عنه المعرضون وانف منه واستكبر عنه المدبرون واكدوا
تنبيههم من نبأ ما وراء يوم الدنيا من امر الله في اليوم الآخر وما يتمادى اليه ايام الله وذكروهم بما مضى من ايام الله وانزل الله سبحانه
معهم كتبا يتلونها عليهم ويبينونها لهم علما وعملا وحالا فقبل ما جاؤا به وصدقه واستبشر به الحنيفيون وانذر به المدبرون
والمعرضون فمنهم من آمن ومنهم من كفر آمن من تنبه للنظر والاعتبار والقى السمع وهو شهيد وكفر من آثر متاعه بالعاجلة التي تراها
الاعين على وعد الله ووعيده في الآجلة التي انما يعيها القلب وتسمعها الاذن وكما شغل المدعوين الى الاسلام كفرهم ودنياهم كذلك
شغل المولدين في الاسلام غفلتهم ودنياهم ولعبهم في صباهم ولهوهم في شبابهم وتكاثرهم في الاموال في اكتهالهم وتكاثرهم في الاولاد
في شيخهم فاشترك المدعو الى الاسلام والمولد فيه الغافل في عدم الاقبال والقبول في ترك الاهتمام في الآجلة واقتصارهما على الاهتمام
بالعاجلة وكلاهما جعل القرآن وراء ظهره المدعو لفظا وعلما والمولد الغافل علما وعملا فلم يسمعه المدعو ولم يفهمه الغافل فجعله
بالحقيقة وراء ظهره ومن جعل القرآن خلفه ساقه الى النار وانما جعله امامه من قراه علما وحالا وعملا ومن جعل القرآن امامه
قاده الى الجنة ولما قامت الحجة بقراءته اذا لم يجاوز حناجرهم كانوا اشد من الكفار عذابا في النار اكثر منافقي امتي قراؤها
المنافقين في الدرك الاسفل من النار فاذا لا بد في قراءة القرآن من تجديد اقبال وتهيؤ لقبول وتحقيق تقوى لانه انما هو هدى
للمتقين واجماع على الاهتمام وكما ان امور الدنيا لا تحصل لاهلها الا على قدر عزائمهم واهتمامهم فاحرى ان لا يحصل امر الاخرى الا باشد عزيمة
واجمع اهتمام فلا يقرا القرآن من لم يقبل عليه بكلية ظاهرة ويجمع اهتمامه له بكلية باطنة وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة يا يحيى خذ الكتاب بقوة فاستقم كما امرت ومن تاب معك فشرط مثال قراءته اهتمام القلب بتفهمه
واقبال الحس على استماعه وتدبره ولكل حرف شرط يخصه انتهى [illegible] في اتباع الهدى وتوعد شرع سبحانه يخص العلماء من
المنافقين بالذكر وهم من كان اظهر الاسلام من اهل الكتاب على وجه استلزم عموم المصارحين منهم بالكفر اذ كانوا من اعظم من
خص باتيان ما اشار اليه من الهدى والبيان بما فيه الشفاء وكان كتابهم المشتمل على الهدى من اعظم الكتب واشهرها واجمعها فقص
عليهم ما مثله يلين الحديد ويخشع الجلاميد فقال تعالى مذكرا لهم بنعمة الخاصة بهم يا بني اسرائيل ويجوز ان تقرر المناسبات
من اول السورة على وجه آخر فيقال لما كان الكفار قسمين قسم محض كفره وقسم شابه بنفاق وخداع وكان الماحض قسمين قسم لا علم
له من جهة كتاب سبق وهم مشركوا العرب وقسم له كتاب يعلم الحق منه ذكر تعالى قسم الماحض بما يعم قسميه العالم والجاهل فقال

ان

ان الذين كفروا سوا عليهم الي آخره ثم اتبعه قسم المنافق لانه اهم بسبب شدة الاختلاط بالمومنين واظهارهم انهم
منهم ليكونوا من خداعهم علي حذر فقال ومن الناس من يقول امنا الي آخره ولما فرغ من ذلك ومما استتبعه من الامر
بالوحدانية واقامة دلايلها وافاضة فضايلها ومن التعجيب ممن كفر مع قيام الدلايل والتخويف من تلك الغوايل والاستعطاف
بذكر النعم شرع في ذكر قسم من الماحض هو كالمنافق في انه يعرف الحق ويخفيه فالمنافق الف الكفر ثم اقلع عنه واظهر التلبس
بالاسلام واستمر علي الكفر باطنا وهذا القسم كان علي الايمان بهذا النبي قبل دعوته فلما دعاهم محو الايمان الذي كانوا
متلبسين به واظهروا الكفر واستمرت حالتهم علي اظهار الكفر واخفاء المعرفة التي هي مبدا الايمان فحالهم كما ترى اشبه
شي بحال المنافقين ولهذا تراهم مقرونين بهم في كثير من القرآن واخرهم لطول قصتهم وما فيها من دلايل النبوة واعلام
الرسالة بما ابدي مما اخفوه من دقايق علومهم فان مجادلة العالم ترسل في ميادين العلم افراش الافكار فتسوغ في اقطار
الاوطار حتي تصير كالاطيار وتاتي ببدايع الاسرار ولقد نشر سبحانه في غصون مجادلتهم وغصون محاورتهم ومقاولتهم
من الجمل الجامعة في شرايع الدين التي فيها بغية المهتدين ما اقام البرهان علي انه هدي للعالمين هذا اجمال الامر وفي تفاصيله
كما ستري من بدايع الوصف امور تجل عن الوصف تدان بحسن التعليم وتشفي عي جاهل بلطيف التكلم والله ولي التوفيق
والهادي الي اقوم طريق وقال الحرالي ثم اقبل الخطاب علي بني اسرايل منتظما بابتداء خطاب العرب من قوله يا ايها الناس وكذلك
انتظام القران انما ينتظم راس الخطاب فيه براس خطاب آخر يناسبه في جملة معناه وينتظم تفصيله بتفصيله فكان اول واول
من خوطب بعد العرب الذين هم ختام بنوا اسرايل الذين هم ابتدا بما هم اول من انزل عليهم الكتاب الاول من التورية التي افتتح الله
بها كتبه تلو صحفه والواحد ثم قال لما انتظم اقبال الخطاب علي العرب التي لم يتقدم لها هدي بما تقدمه من الخطاب للنبي صلي الله عليه
وسلم انتظم لخطاب العرب خطاب بني اسرايل بما تقدم لها من هلاك في وقتها انا انزلنا التورية فيه هدي ونور وبما عهد اليها
من تضاعف الهدي بما تقدم لها في ارتقابه من كمال الهدي بمحمد صلي الله عليه وسلم وبهذا القرآن فكان لذلك الاولي مبادرتهم اليه
حتي يقتدي بهم العرب ليكونوا اول مومن لما عندهم من علمه السابق انتهي وابتدا سبحانه بتذكيرهم بما خصهم به عن النوع الادمي
من النعم التي كانوا يقابلونها بالكفران وما عاملهم به من امهالهم علي مرتكباتهم ومعاملتهم بالعفو والاقالة مما يبين سعة رحمته
وعظيم حلمه وابتدا من اوامرهم بالايفاء بالعهود التي من اعظمها متابعة هذا النبي الكريم والايمان بكتابه الذي نفي عنه الريب
فقال يا بني اسرايل اي الذي شرفته وشرفت بنيه من اجله اذكروا من الذكر بالكسر والضم بمعني واحد يكونان باللسان وبالجنان
وقال الكسائي هو بالكسر باللسان وبالضم بالقلب والذي بالقلب ضده النسيان والذي باللسان ضده الصمت نقله الاصفهاني
وقال الحرالي من الذكر وهو استحضار ما سبقه النسيان نعمتي وهي انالة الشخص ما يوافق نفسه وبدنه وعند المتفطن
ما يوافق باطنه وظاهره بما بين قلبه وسربه من اهله وحشمه التي منها اشارة لباطن نازل متخيل مبهم تفسره صلته بمنزلة
ذي وال منها اشارة لذلك المعني بالاشارة المتخيلة انتهي انعمت اي بها ودللت علي شرفها باضافتها التي عليكم وتلك
النعمة الشريفة هي الاتيان بالهدي من الكتب والرسل الذي استنقذتكم به من هوان الدنيا والاخرة واوفوا من الوفا
وهو عمل لاحق بمقتضي تقدم علم سابق قاله الحرالي بعهدي اي الذي اخذته عليكم في لزوم ما انزل اليكم من متابعة نبيكم
ومن امركم باتباعه من بعده والعهد التقدم في الشي خفية اختصاصا لمن يتقدم له فيه قاله الحرالي وقال الاصفهاني
حفظ الشي ومراعاته حالا فحالا قال الخليل اصله الاحتفاظ بالشي واجداد العهد به اوف بعهدكم اي في جعلكم ممن لا خوف
عليهم ولا حزن بسعة العيش والنصر علي الاعداء كما ياتي عن نص التورية في مظانه من هذا الكتاب واياي اي خاصة فارهبون
اي ولا تزلوا اجعلكم في مصير الكافرين بعد الضرب بانواع الهوان في الدنيا والرهب حذر النفس مما شانها منه الهرب
لاذي تتوقعه وخوطبوا بالرهبة لاستبطانها فيما يختص بمخالفة العلم قاله الحرالي واطال سبحانه في حجاجهم جريا علي
قانون النظر في جدال العالم الجاحد وخطاب المنكر المعاند وفي قوله تعالي وامنوا بما انزلت اي اوجدت انزاله مصدقا
لما معكم تقرير لذلك الكتاب لا ريب فيه وامروا كما قال الحرالي بتجديد الايمان بالقران لما فيه من انباء بامور من المغيبات
التي لم تكن في كتابهم كتفاصيل امور الاخرة التي استوفاها القرآن لانه خاتم ليس وراه كتاب ينتظر فيه بيان وقد ابقي لكل
كتاب قبله بقية احيل فيها علي ما بعده ليتنامي البيان الي غاية ما انزل به القران حين لم يعهد اليهم الا في اصله علي الجملة انتهي
وفي قوله ولا تكونوا اول كافر به معني دقيق في تبكيتهم وامر جليل من تعنيفهم وذلك انه ليس المراد من اول ظاهر معناه
المتبادر الي الذهن فان العرب كثيرا ما تطلق الاول ولا تريد حقيقته بل المبالغة في السبق كما قال مقيس بن صبابة وقد
قتل شخصا من الصحابة رضوان الله عليهم كان قتل اخاه خطا ورجع الي مكة مرتد • حللت به وتري وادركت ثورتي •
وكنت الي الاوثان اول راجع • هذا في جانب الاثبات فاذا نفيت ناهيا فقلت لا تكن اول فاعل لكذا فمعناه انك ان
فعلت ذلك لم تكن صفتك الا كذلك فهو خارج مخرج المبالغة في الذم بما هو صفة المنهي فلا مفهوم له وعبر به تنبيها علي
انهم تركوا اتباع هذا الكتاب كانوا لما عندهم من العلم بصحته في غاية اللجاجة فكان عملهم في كفرهم وان تاخر عمل من
يسابق شخصا الي شي او يكون المعني انه لم يمنعهم من الايمان به جهل بالنظر ولا عدم اطلاع علي ما اتي به انبياؤهم من
البشر بل مجرد الحسد للعرب ان يكون منهم نبي المستلزم لحسد هذا النبي بعينه لان الحكم علي الاعم يستلزم الحكم
علي الاخص بما هو من افراد الاعم فصارت رتبة كفرهم قبل رتبة كفر العرب الجاهلين به او الحاسدين له صلي الله عليه وسلم

انتهي و

لما

بخصوصه لا لعموم العرب فكان اهل الكتاب اول كافر به لا يمكن ان يقع كفرهم الا على الوجه الذي هو اقبح الوجوه فالمعنى لا تكفروا به فانه ان وقع منكم كفر به كان اول كفر لان رتبته اول رتب الكفر الواقع ممن سواكم فكنتم اول كافر فوقعتم في اقبح وجوه الكفر ولذا افرد ولم يقل كافرين والله اعلم ولما نهاهم عن الكفر بالآيات نهاهم عن الحامل عليه بقوله ولا تشتروا اي تتكلفوا وتلجوا في ان تستبدلوا بآياتي اي التي تعلمونها في الامر باتباع هذا النبي الكريم ثمنا قليلا ومور ياسة قومكم وما تأخذونه من الملوك وغيرهم على حمل الشريعة والقلة ما قصر عن الكفاية قاله الحرالي وايايَ اي خاصة فاتقون اي اجعلوا لكم وقاية من انزال غضبي فالتقوى نتيجة الرهبة كما ان هذه الافعال نتيجة ما في اية الرهبة ولا تلبسوا والالباس ابداء الشيء في غير صورته ومنه اللباس لغطاية الاعضاء حتى لا يتبين هيئتها قاله الحرالي الحق اي مما تقرون به على ما هو عليه من التورية والانجيل مما لا غرض لكم في تبديله بالباطل مما تحرفونه منهما والحق قال الحرالي ما يقر ويثبت حتى يضمحل مقابله فكل ذي جزئين فائتهما حق واذهبهما باطل ذلك الحق فالباطل هو ما امتد إذ الته قصير بالاضافة الى طول امد زوجه القار انتهى ولما كان اللبس قد يفارق الكتمان بان يسأل شخص عن شيء فيبديه ملتبسا بغيره او يكتمه وهو عالم به قال وتكتموا الحق اي الذي لا لبس فيه عمن لا يعلمه وانتم تعلمون اي مكلفون وجعله الحرالي على ظاهره فقال لما طلبهم تعالى بالوفاء بالعهد نهاهم عن سوء العمل وما لبسوا به الامر عند اتباعهم من ملتهم وعند من استتبعوه شدهم من العرب فلبسوا اتباعهم حق الايمان بموسى عليه السلام والتورية بباطل ما اغتزلوه من كتابهم من اثبات الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فكتموا الحق التام الجامع ولبسوا الحق الماضي المعهود بالباطل الاعرق الا فرط لان باطل الحق الكامل باطل مفرط معرق بحسب مقابله وعرفهم بان ذلك منهم كتمان شهادة عليهم بعلمهم بذلك انها ما ثم اعقبه بالشهادة عليهم بالعلم تصريحا انتهى وفي هذه الآية اعظم زاجر لاهل الكتاب عما ظهر وافيه من العناد ومن لطف الله تعالى زجر القاسي البعيد ونهي العاصي القلق الى ما دون ذلك من تنبيه الغافل وزيادة الكامل قال الامام ابو الحسن الحرالي في كتاب العروة وجه انزال هذا الحرف يعني حرف النهي كف الخلق عما يعكسهم في اخرابهم وعما يخرجهم عن السلامة في موتهم وبعثهم بما رضوا به واطمانوا اليه وايثروه من دنياهم لمتوجه للمطمئن بدنياه المعرض عن داعيه الى اجتناب ما هو عليه يسمى زجرا ومتوجهة للمتلفت المستشعر ببعض الخلل فيما هو عليه يسمى نهيا وهما يجتمعان في معنى واحد ومقصود واحد الا انه متفاوت ولذلك رددهما النبي صلى الله عليه وسلم على المعنى الجامع في هذا الحديث يعني المذكور اول البقرة اول ما بالبدئة في الانزال لزجر النبي صلى الله عليه وسلم انما بعثه الله حين انتهى الضلال المبين في الخلق ونظر الله سبحانه الى جميع اهل الارض ممقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب كما ورد في الحديث الصحيح اسنادا ومتنا ولذلك كان اول منزل الرسالة سورة يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وهي اول قوارع الامر كما ان لوط فجاءة الساعة اول قوارع الخلق ولذلك انتظم ذكرهما في قوله فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وللمزجور حالان اما ان ينفر عند الزجرة توحشا كما قال تعالى كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة واما ان يتربص به فكره تكبرا كما قال تعالى ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر وربما شارف ان يبصر فنفر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكنها عقول كادها بارئها ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها صرفوا عن ايات الحق السماوية على ظهورها عقوبة على ذنب تكبرهم على الخلق مع الاحساس بظهور اية انضمام الارحام في وضوحها وكل قارعة لنوعي الكافرين والمدبرين من هذا الحرف وتمام هذا المعنى بنهي المتانس المحاضر عن الفواحش الظاهرة والباطنة ان الضارة في العقبى وان تضر روا بتركها في الدنيا نحو قوله تعالى ولا تقربوا في اكل مال اليتيم والزنا واتيان الحايض الى ما دون ذلك من النهي عما يعدونه في دنياهم كيسا نحو قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يسخر قوم من قوم وما لحق بهذا النمط الى ما دون ذلك على ايصال التفاوت من النهي عن سوء التاويل لطية غرض للنفس نحو قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مومنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا الى ما دون ذلك من النهي عما يقدح في الفضل وان كان من حكم العدل نحو قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله الى تمام ما لا تحصل السلامة الا به من النهي عما زاد على الكفاف والبلغة في الدنيا الذي به يصح العمل بالحكمة في قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا الى قوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ونحو قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لتغتنهم فيه لان كل زايد على الكفاف فتنة وهذا هو اساس ما به تتفاوت درجات العلم في الدنيا ودرجات الجنة في الاخرة ولا تقصر الوجوه والحروف التي بعده اي وهي سائر الحروف علما وعملا وثباتا ونبوا عند التمحيص الاحكم في قراءة هذا الحرف وجمعه وبيانه لانه ظهور لما بعده من صلات حرف الامر وما قصر بعشرات فوق الامد الا التقصير في حرف النهي لان الملة الحنيفية مبنية على الاكتفاء باليسير من المامورات والمبالغة في الحمية من عموم ما لا يتناهى من المنهيات لكثرة مداخل الافات منها على الخلق فيما بعد الموت ويصعب هذا الحرف على الخلق بها استقر في اوهامهم ان دنياهم لا تصلح الا بالمباشرة على صنوف المنهيات لتظنهم لجدواها في الدنيا وعمايهم عن وبالها في الاخرى وما حوفظ على الرياضات والتاديبات والتهذيبات الا لوقاية الحمية منها والحمية اصل الدواء فمن لم يحتم عن المنهيات لم ينفعه تداويه بالمامورات كالذي يتداوى وهو يجتمي فخسر الدواء ويتضاعف الداء هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا جاؤا الحسنات كالجبال

لك

لمتوجهة

لمتانس

المشاير

وكانوا

وكانوا يصومون ويصلون ويأخذون وهنا من الليل لكن ذلك تداو بغير حمية لما لم يحتموا من الدنيا التي نهوا عن زهرتها فكانت اذا
لاحت لهم وثبوا عليها فيصيبون منها الشهوات ويعملون المعصيات فلم تنفعهم المداواة فمن احتمى فقد قرا هذا الحرف وهو حسبه
فاقروا ما تيسر منه احب العبادات الى الله ترك الدنيا وحمية النفس من هوى جاهها ومالها بل نبيا عبدا اجوع يوما واشبع يوما ومن
رغب عن سنتي فليس مني والقران حجة لمن عمل به فصار امامه يقوده الى الجنة وحجة على من لم يعمل به يصير خلفه فيسوقه الى نار الحية التي
في جب وادي جهنم التي تستعيذ جهنم منها والوادي والجب في كل يوم سبع مرات ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا ولا يزيد الظالمين الا خسارا اعوذ بعفوك من عقوبتك وبرضاك من سخطك وبك منك لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك ثم قال فيما به تحصل القراءة حرف النهي اعلم ان الموفي بقراءة حرفي الحلال والحرام المنزلين لاصلاح امر الدنيا وتحسين
حال الجسم والنفس تحصل له عادة بالخير تيسر عليه قراءة حرفي صلاح الاخرة من الامر والنهي ولما اقتضت الحكمة والعلم اقامة امر
الدنيا بقراءة حرفي صلاحها تماما اقتضى الايمان بالغيب وتصديق الوعد والوعيد تجارة اشتراء الغيب الموعودين عظيم خلاف الاخرى بما
ملك العبد من منقود متاع الدنيا فكل الحلال ما عدا الكفاف بالسنة متجر للعبد ان انفقه ربحه وابقاه فقدم عليه وان استمتع به افناه فندم
عليه فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون ذلك مال رابح وكما ان حرف الحلال موسع ليحصل به الشكر فحرف النهي مضيق لمتسع حرف الحلال ليحصل به الصبر
ليكون العبد شاكرا صابرا فالذي تحصل به قراءة حرف النهي اما من جهة القلب ورؤيا الفؤاد فمشاهدة النضيرة لموعود الجزاء حتى كانه
ينظر اليه لترتاح النفس بخيره وترتاح من شره كما قال حارثة كاني انظر الى اهل الجنة في الجنة ينعمون والى اهل النار في النار يعذبون فاثمر
له ذلك ما اخبر به عن نفسه في قوله وعزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها وخزفها وخصوصا من ايد بالمبشرات من الرؤيا الصالحة
والكشف الصادق ليدع الفاني الباقي على يقين ومشاهدة واما من جهة حال النفس فالصبر بحسبها عما تشتهيه طبعا مما هو محلل لها شرعا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما رثى لحاله اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة واستعينوا بالصبر وصبر
النفس عن شهواتها وان كانت حلالا هو حقيقة تزكيتها وقتلها باضنائها منها هو حياتها واطلاقها ترتع في شهواتها هو تدشيتها قد افلح من
زكاها وقد خاب من دساها والنفس مطمئنة يقويها انضاؤها ويضعفها استمتاعها وحبسها عن ذلك شايع في وجهات وجوه الحلال
كلها الا في شيئين في النساء بكلمة الله لانهن من ذات نفس الرجال ويسن غير الهم هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن
اليها واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا والثاني في الطيب لانه غذاء للروح وتقوية للحواس ونسمة من باطن الملكوت الى ظاهر
الملك وما عداهما فالاستمتاع به واتباع النفس هواها فيه علامة تكذيب وعد الرحمن وتصديق وعد الشيطان فزين لهم الشيطان اعمالهم
فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا هذا من جهة النفس واما من جهة العمل وتناول اليد
فرفعها عما زاد على الكفاف وتخليته لذوي الحاجة ليتخذوه معاشا وان يكون التمول من غير القوام تجارة نقل وضرب في الارض وارصاد
لوقت حاجة لا حكرة وتضييقا اتخاذ اكثر من سنتين للمهنة والجمعة علامة لضعف الايمان وخلاف السنة وانقطاع عن اثار النبوة
وعدول عن سنة الخلفاء وترك لشعار الصالحين ولذلك تصفية لهاب الطعام وقصد المستحسن في الصورة دون المستحسن في العلم
وايثار الطيب في المطعم على الطيب في الورع وتكثر الادم وتلوين الاطعمة وكذلك اتخاذ اكثر من مسكن واحد واكثر من مزدرع كاف
ورفع البناء والاستشراف بالمباني امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من رد السلام على رجل اتخذ قبة في المدينة حتى هدمها وسواها
مع بيوت اهل المدينة وانما الدنيا للمؤمن سجن شعر به وضيق فيه على نفسه وان لم يشعر بانها سجن فوسع فيها على نفسه طلب البقاء فيها
وليست بباقية والخيل ثلاثة اجر للمجاهد ووزر على المباهي وعفو للمستكفي بها فيما يعنيه من شانه والزيادة على الكفاف من النعم
السائمة انقطاع عن اثار النبوة وتضييق على ذوي الحاجة وتمول لما وضع لاقامة المعاش ولن يتخذ منه الكفاف قال صلى الله
عليه وسلم لنا غنم مائة لا نريد ان تزيد فاذا ولد الراعي بهيمة ذبحنا مكانها شاة والطعام لا يتمول ولذلك ما اتخذ للقوام لا يحتكره
الا خاطئ من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه فالامتعة تجلب وتختزن ويستنمى فيها الدينار والدرهم
والطعام والقوام يجلب ولا يختزن فيستنمى فيه الدينار والدرهم ومن اختزنه يستنمى فيه الدينار والدرهم فقد احتكره وما
منع فيه من مد العين فاحرى ان يمنع فيه مد اليد لا تمدن عينيك الى ما متعنا به الايتين فبهذه الامور من ايمان القلب ورؤية
الفؤاد وصبر النفس وكف اليد عن الانبساط في التمول فيما به القوام تحصل قراءة حرف النهي والله ولي التاييد انتهى ولما
فرغ سبحانه من امر اهل الكتاب بالايمان بالله والنبي والكتاب الذي هو من الهدى الاتي اليهم المشار الى ذلك كله بالايفاء بالعهد
عطف بقوله واقيموا الصلوة اي حافظوا على العبادة المعهود بها في كل يوم بجميع شرائطها واركانها واتوا الزكاة اي المفروضة
في كل حول لتجمعوا اوصاف المتقين المهديين بهذا الكتاب الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون ومما رزقوا ينفقون المحسنين بذلك
فيما بينهم وبين الحق وفيما بينهم وبين الخلق وهاتان العبادتان اما العبادات البدنية والمالية فخصا بالذكر لان من شانهما
استجرار سائر العبادات واستتباعها والزكاة قال الحرالي نماء في ظاهر حسن وفي باطن ذات نفس واركعوا من الركوع
وهو توسط بين قيام وسجود يقع في ظاهر من القامة وفي حال من القلب يخص به الامة المتوسطة الجامعة للطرفين مع معناه
الصحبة من الاعلى بالحياطة ومن الادنى بحسن التبع ومن المماثل بحسن النصفة انتهى وقوله الراكعين مع مصحوبه تاكيد لامر
الصلوة وامر بالكون في هذا الدين مع الذين اتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فان صلاة اليهود لا ركوع فيها كما سياتي بيانه في سورة
ال عمران ان شاء الله تعالى قال الحرالي والمشتق بذلك اي بما مضى خطاب افهام يفهمه عطف اقامة الصلوة التي هي تلو الايمان فكان

ذهبها صح

ان صح

خطاب الافهام فارجعوا واستدركوا واعلنوا بما كتمتم وبينوا ما لبستم وانصحوا من استنصحكم واقيموا وجهتكم لله بالصلوة وتعطفوا
على الاتباع بعد تعليمهم بالزكوة وكملوا صلوتكم بما به كمال الصلوة من الركوع العدل في الفعل بين حال قيام الصلوة وسجودها المظهر
آية عظمة الله مع الراكعين الذين هم العرب الذين وضعت اول صلوتهم على كمال انتهى ويجوز ان يكون المراد بالركوع الصلوة عبر
عنها به لما ذكر من خصوص هذه الامة به فكانه قيل وصلوا مع المصلين جماعة لمزيد التوصية بالجماعة ولما امر علماءهم بما تركوا من معالي
الاخلاق من الايمان والشرايع بعد امرهم بذكر ما خصهم به من النعم ونهاهم عما ارتكبوا من سفسافها من كفر النعم ونقض العهود وما تبع
ذلك وكانوا يامرون غيرهم بما يزعمون انه تزكية وينهونه عما يدعون انه تردية انكر عليهم ترغيبا فيما ندبهم اليه وحثهم عليه
وتوبيخا على تركه بقوله اتامرون من الامر وهو الالزام بالحكم قاله الحرالي الناس بالبر وهو التوسع في افعال الخير وتنسون
والنسيان السهو الحادث بعد حصول العلم انفسكم اي تتركون حملها على ذلك ترك الناسي ولعله عبر به زيادة في التنفير عن هذا
الامر القطيع الذي دل العقل دلالة بينة على فحشه لان المقصود من امر الغير بالبر النصيحة والشفقة وليس من العقل ان
يشفق الانسان على غيره او ينصح غيره وينسى نفسه والظاهر ان المراد به حكم التورية كانوا يحملون عواملهم عليه وهم يعلمون دون
العوام ان من حكم التورية اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فقد نسوا انفسهم من الامر باساس البر الذي لا يصح منه شي الا به وقال
الحرالي ولما كان فيهم من اشار على من استهداه بالهداية لاتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يهدوا انفسهم بما ارشدوا اليه غيرهم
اعلن تعالى عليهم بذلك نظما لما تقدم من نقض عهدهم ولبسهم وكتمهم بما نقض عقولهم في ان يظهر طريق الهدى لغيره ولا يتبعه فاخرجهم
بذلك على حد العقل الذي هو ادنى احوال المخاطبين وزاد في تبكيتهم بجملة حالية حاكية تلبسهم بالعلم والحكمة الناهية عما هم عليه
فقال وانتم تتلون الكتاب من التلاوة وهي تتبع قول قايل اول من جهة اوليته قاله الحرالي وهذه الجملة الحالية اعظم منبه على
ان من حكم التورية اتباعه صلى الله عليه وسلم ومشير الى ان المعصية من العالم اقبح قال الحرالي فيه اشعار بان امر النبي صلى
الله عليه وسلم في منطوق تلاوته ليس في خفي افهامه فكان في ذلك خروج عن حكم نور العقل انتهى ولما كان هذا في كتابهم وهم به
يامرون وعنه معرضون سبب سبحانه عنه الانكار في قوله افلا اي اتتلون فلا تعقلون اشارة الى ان ما هم عليه من هذا لا
يفعله ذو مسكة والعقل ادراك حقايق ما نال الحس ظاهره قاله الحرالي سمي عقلا لانه يعقل عن التورط في الهلكة ولما انكر
عليهم سبحانه اتباع الهدى ارشدهم الى دوايه باعظم اخلاق النفس واجل اعمال البدن فقال عاطفا على ما مضى من الاوامر وقال
الحرالي فكانهم انما حملهم على مخالفة حكم العقل ما تعودت به انفسهم من الرياسة والتقدم فلما في ذلك عليهم من المشقة ان يصيروا
اتباعا للعرب بعد ما كانوا يرون ان جميع الارض تبع لهم نسق بخطابهم في ذلك الامر بالاستعانة بالصبر الذي يكره انفسهم على ان
تصير تابعة بعد ان كانت متبوعة انتهى فقال تعالى واستعينوا اي على اظهار الحق والانقياد له وهو معنى ما مضى من الاوامر
والنواهي بالصبر اي على مخالفة الهوى والصبر حبس النفس عن حاجتها وعادتها وعلى اصلاحها وتزكيتها وهو ضياء للقلوب
تبصر به ما يخفيه عنها الجزع من الخروج عن العادة فيما تنزع اليه الانفس قاله الحرالي وهو عام في كل صبر الصوم وغيره والصلوة
اي الموصلة الى المقام الاعلى وفيه التفات الى واياك نستعين واشارة الى من لم تنهه صلوته عن ركوب الباطل والتمادي فيه
وتامره بلزوم الحق والرجوع اليه فليس بمصل فكان المراد بالصبر تخليص النفس من اشراك الهوى وقسرها على الاخلاص فمن
صلى على هذه الصفة كان لا محالة من الناجين وثنى بالصلوة لانها استرزاق يغنيهم عن اشتراء ثمن كانوا ياخذونه من اتباعهم
في اللبس والكتمان وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك قاله الحرالي ويصح ان يراد بها الدعاء فمن صبر
عن الدنايا وعلى المكاره وانهى صبره الى الصوم فازال عنه كدورات حب الدنيا واضاف الى ذلك الصلوة استنار قلبه بانواع
المعارف فاذا ضم الى ذلك الدعاء والتجاء الى الله تعالى بلغ نهاية البر ولما امر ونهى بما ختمه بالصلوة سبحانه لتخصيصها بالضمير
حث على التضاول لعظمته فقال وانها لكبيرة اي ثقيلة جدا والكبير ما جل قدره او مقداره في حس ظاهر او في معنى باطن قاله
الحرالي الا على الخاشعين اي المخبتين الذين هم في غاية السهولة واللين والتواضع لربهم بحيث لا يكون عندهم شي من كبر وينظرون
عواقب الامر وما اعد عليها من الاجر ولذا قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وغيرهم يمنعه ثقلها من فعلها وان
فعلها فعلى غير رغبة قال الحرالي وهو اي الخشوع هدو الجوارح والخواطر فيما هو الاهم في الوقت وانباء تعالى بكبر قدر الصلوة عن
ان يتناول عملها الا خاشع خرج عن حظ نفسه والزم نفسه ذل العبودية التي ختمت بها النبوة وفي اشارة كمال الصلوة اشعار
بصلوة العصر التي هي صلوة النبي الخاتم الذي زمنه وقت العصر وحالة العبودية وذلك مما يكبر على من قرن بنبوته وعلته الملك
الا ان يخشع لما يكبر على النفس وخصت الصلوة بالكبر دون الصبر لان الصبر صغار للنفس والصلوة وجهة للحق والله هو العلي
الكبير انتهى الذين يظنون من الظن وهو رجحان في اعتقاد مع بقاء منازع من مقابله قاله الحرالي انهم ملاقوا ربهم اي المحسن اليهم
وعبر بالظن عن العلم تهويلا للامر وتنبيها على انه يكفي العاقل في الحث على ملازمة الطاعة ظن لقاء الملك المطاع المرجو الخوف
فكيف والامر متيقن لا مراء فيه ولا تطرق للريب اليه ويجوز ان يراد ظن الموت في كل لحظة فانه اذا كان على ذكر من الانسان اوجب
له السعادة ولما كانت هذه الجملة مشيرة مع الترهيب لذوي الهمم العلية والانفة والحمية من الوقوع فيما يلم بعيب او يوقع في عتب
الاستحياء من المحسن الذي ما قطع احسانه ساعة من الدهر زاد في الترهيب بقوله وانهم اليه اي وحده راجعون والرجوع معاد
الذاهب على مدارج مذهبه وترقيه على معارج مهبطه قاله الحرالي وعبر بذلك وان كانوا لم يزالوا في قبضته لان اسم الظاهر سبحانه
يكون في تلك الدار لا في غاية الظهور لا يكون لاحد معه نوع ظهور اصلا لانقطاع الاسباب كهذه الدار التي الغالب فيها معنى اسمه الباطن

سبحانه تخصيصها بالضمير

الا عند اولي البصاير وفي الاية تبكيت لاهل الكتاب بانهم مع تحققهم للبعث يعملون عمل من لا يظنه فضلا عن انه يعلمه وقال
الحرالي ولما كان في الصلوة مناجاة لله تعالى على الغيب كانت انما تتيسر على من يظن القبول الذي يشعر به اللقاء لربه بعد موته
وذلك حال من رجحت الاخرة على الدنيا في عمله وحاله فكان حاله وعلمه حال الظان ابقاء على احوال من دون رتبة اليقين ٥
ومقصود اللقاء ليس البعث لانهم هم من المومنين بالبعث ولكنه من معنى القبول بعد البعث وفيه اشارة الى حال الموت ويوم
البرزخ وهذا الجزاء الاول فعطف عليه المرجع الاخر بعد البعث انتهى ولما كان الغالب على اكثر الناس الجمود كرر النداء لهم
مبالغة في اللطف بهم اثر الترجيه والتخويف فقال يا بني اسرائيل اي الذي اكرمته واكرمت ذريته من بعده بانواع الكرامة
اذكروا نعمتي وفخم امرها بقوله التي انعمت عليكم اي بانزال الكتب وارسال الرسل وغير ذلك واني فضلتكم والتفضيل
الزيادة من حظوة جانب القرب والرفعة فيما يقبل الزيادة والنقصان منه قال الحرالي على العالمين وهم من كان قد برز الى
الوجود في ذلك الزمان بالتخصيص بذلك دونه ولا يدخل في هذا من لم يبرز الى الوجود في ذلك الزمان كما ياتي تحقيقه عن
الحرالي قريبا ومما يوجب القطع به قوله تعالى لنا كنتم خير امة اخرجت للناس ولما ذكرهم بتخصيصهم بالكرامة ونهاهم
عن المخالفة وكانت المخالفة مع عظيم النعمة اقبح واشد وافحش حذرهم يوما لا ينجي احدا فيه الا تقواه فقال وقال
الحرالي لما دعاهم الى الوفاء بالعهد تنبيها لهمة من له فضل باطن يرجع الى فضايل النفس فاجاب من وفق وتمادى على حاله من خذل
ثنى الخطاب لهم بالتنبيه على النعمة الظاهرة ليتنبه لذلك من يخاف تغيير النعمة الظاهرة حين لم يخف السقوط عن رتبة الفضيلة
في الخطاب فذكرهم بالنعمة والتفضيل الذي فضلهم به على العالمين وهم من ظهرت اعلام وجودهم في زمانهم وكذلك كل تفضيل
يقع في القرآن والسنة انما العالم من شمله الوجود لا ما احاط به العلم بعد لان ذلك لم يرفع في الشهود علم وجوده وفيه اشعار
بانهم كما فضلوا هم على عالمي زمانهم فليس ذلك بمقصور عليهم بل كذلك يفضل الله العرب في زمان نبوتها على بني اسرائيل وعلى جميع
الموجودين في زمانهم وحيث انتهى الخطاب الى تذكر ظاهر النعمة بعد التذكر بباطن الفضيلة لم يبق وراء ذلك الا التهديد
بوعيد الاخرة عطفا على تهديد يقتضيه الافهام بتغيير ما بقي عليهم من النعمة في الدنيا فكان مفهوم الخطاب فاحذروا
ان يصيبكم مثل ما اصاب المواخذين في الدنيا انتهى واتقوا ولما كان المتقي انما هو الجزاء الواقع في يوم القيامة حذفه
واقام اليوم مقامه تفخيما له وتنبيها على ان عقابه لا يدفع كما يدفع ما في غيره بانواع الحيل فقال يوما هو من العظمة بحيث ٥
لا تجزي اي تقضي وتغني فيه نفس اي نفس كانت عن نفس شيئا من الجزاء قال الحرالي والنفس لكل امرئ لزمته نفاسة على
غيره فهولاء الذين لا يغني بعضهم عن بعض كذلك بخلاف من اثر غيره وذهبت نفاسته نفسه فانه يغني عمن دونه بالشفاعة
والاحسان في الدنيا والاخرة وفيه اعلام بان صفة النفس مبدا التوفيق ونفاستها مبدا الخذلان اذلة على المومنين
فذل العبد بالضم لله وذله بالكسر لعباد الله بشرى فوزه واعراضه عن ذكر الله وصغر خده للناس نذارة هلاكه انتهى
ولما كان الاجزاء قد يكون بنفس كون المجزي موجودا وهو بحيث يخشى ان يسعى في الفكاك بنوع حيلة فتتحرك القلوب ٥
لاجابته وفك اسيره فيحمل ذلك من اسره على اطلاقه وقد يحتال بالفعل في التوصل الى فكه في خفية بسرقته او فتح سمنه
او نحو ذلك وكانت وجوه الاجزاء المشهورة ثلثة عطفها على الاجزاء الاعم منها فقال ولا تقبل منها اي النفس الاولى او
الثانية شفاعة اي لم يؤذن فيها وهي من الشفع وهو ارداف الطالب بتثنية الرغبة له فيما رغب فيه ليصير كالامام
له في وجهة حاجته قاله الحرالي ولا يوخذ منها عدل تبذله غير الاعمال الصالحة وهو ما يعدل الشي ويكون معه ٥
كالعدلين المتكافئ القدر على الحمولة فكان العدل بالكسر في الشي المحسوس والعدل بالفتح في الشي المعقول ولذلك عادة العرب
تفرق بين ما في الحس وما في المعنى بعلامة اعراب في ذات نفس الكلمة لا في اخرها قاله الحرالي ولما كان عدم النصرة للجمع يستلزم
عدمها للمفرد بطريق الاولى جمع فقال ولا هم ينصرون اي يتجدد لهم نصر يوما ما بمن ينقذهم قهرا كاينا من كان والنصر تاييد
المقاوم في الامر بما هو اقوى من مقاومه وهما طرفان ليصير كالمتقدم له بحكم استقلاله فيما يتوقع عجز المقصور فيه قاله
الحرالي فانتفى بذلك جميع وجوه الخلاص التي يطمع فيها الظالم في الدنيا قال الحرالي ولما كانت اسباب النجاة للمرء باحد
ثلاث اما شفاعة من فوقه في العلم والفضل واما نصرة من فوقه في الايد والقوة واما فكاك من يده لنفسه اذ من هو مثله
لا يغني عنه واحرى من هو دونه استوفى الخطاب جميع الوجوه الثلثة ليشد على ذي النفس المستمسك بنفاسته جميع
الوجوه الثلثة من الشفاعة والفدية والنصرة انتهى ولما تقدم انه فضلهم وعاهدهم وان وفاه بعهدهم مشروط بوفائهم
بعهده ناسب تقديم الشفاعة وياتي ان شاء الله في كلامه الثانية ما يتم به البيان ولما وصف ذلك اليوم بانه لا ينفع
فيه حيلة لدى ملكه المتردي بالكبرياء المتجلل بالعظمة ذكرهم بما انعم عليهم من ايحائه لهم بموسى وهرون عليهما السلام
حيث شفعا عند الملك الذي كان استعبدهم ومسامهم سوء العذاب فلما لم يشفعهما فيهم قاهراه فانتصرا عليه بايدي مليكهم
واستنقاذهم منه بسطوة معبودهم وقال الحرالي ولما استوفى خطاب النداء لهم وجهي التذكير باصل فضيلة النفس
الباطنة بالوفاء وغرض النفس الظاهرة في النعمة والرياسة جاء ما بعد ذلك من تفاصيل النعم عطفا من غير تجديد نداء
الى منتهى خاتمة الخطاب معهم حيث ثنى لهم هذا الخطاب الادنى بالتذكير بالنعمة ختما لمنتسق خطابه بما تضمنه تذكيرهم ٥
بتكرار قوله واذ واذ واحدة بعد اخرى الى جملته منها ولما ذكرهم بالنعمة الظاهرة فانتبه من تداركته الهداية وتمادى
من استحق العقوبة ذكر اهل الاستحقاق بما عوقبوا به بما يستلزمه معنى التجارة وبما فسره مما اخذوا به على ذنوب تشاكل

كذلك

ما هم عليه في معاقدتهم القران فحين لم ينفع فيهم التذكير ان بالعهد هددوا بتقريرهم على مواقع ما اصيبوا به من البلاء من عدوهم لما
اقترفوه من ذنوبهم ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
فكان في تكذيبهم بالرسالة الاولى وشكهم ما اصابهم من العقود به من آل فرعون حتى انقذهم الله بموسى عليه السلام فقال تعالى
واذ اي واذكروا اذ نجيناكم وهو من التنجية وهي تكرار النجاة معناه رفع على النجوة وهو المرتفع من الارض الذي هو مخلص مما ينال
من في الوهاد وخبت الارض من هلاك بسيل ماء ونحوه من آل آل الرجل من تبدو فيهم احواله واعماله وافعاله حتى كانهم
هو في غيبه من معنى الآل الذي هو السراب الذي يظهر فيه ما بعد ويتراءى ما لم يكن يرى لولاه فرعون اسم ملك مصر في الجاهلية علم
جنس لملوكها بمنزلة اسماء الاجناس في الحيوان وغيره انتهى والمراد بآل فرعون واتباعه فان الآل يطلق على الشخص نفسه وعلى اهله واتباعه
واوليائه قاله في القاموس قال ولا يستعمل الا فيما فيه شرف غالبا ثم بين ما انجاهم منه بقوله يسومونكم سوء العذاب سماه
بذلك لانه اشد البلاء على النفس لما فيه من استحقارها من السوم وهو تعذيب بتهاون من المعذب والسوء ما يشتد تنكر النفس له
وتكرهها ثم فسر هذا بقوله يذبحون من التذبيح وهو تكرار الذبح والذبح قطع بالغ في العنق قاله الحرالي ولما كان كل من ذبح الابن
وحياة المراة بغير رجل افحش وكانت البنت اذا بقيت صارت امراة عبر بالابناء والنساء فقال ابناءكم اي سوقا لكم مساق البهائم
ويستحيون قال الحرالي من الاستحياء وهو استبقاء الحيوة نساءكم من معنى الاتخاذ لتاهل الملابس في معنى ما جرى منه اشتقاق الانس
والانسان والنسوة باشتراكها في احد الحروف الثلثة من الهمزة او الواو او الياء مع اجتماعها في النون والسين انتهى ثم نبههم على ما فيه
من العظم بقوله وفي ذلكم فاشار باداة البعد مقرونة بالميم بلاء اي اختبار من ربكم اي المحسن اليكم في حال الشدة والرخاء عظيم قال
الحرالي البلاء الاختبار وهو ابداء خبره الشيء بشدة ومحنة وفيه اشعار باستحقاقهم ذلك واستصلاحهم بشدته دون ما هو ايسر
منه وذكره بالعظم لشياعه في الاجسام والانفس والارواح وذكر معنى النجاة ثم فصله تفصيلا لكيفيته بعد ذلك تعداد النعمة
النجاة التي هي تلو رحمة الانعام التي هي تلو رفعة التقدم بالعهد فانتهى الخطاب لنهايته في المعنى يعني فلما قررهم تعالى على ما اقترفوه
قبل موسى عليه السلام حين اصابهم من آل فرعون ما اصابهم استجد لهم تذكيرا بنعمة نجاة من عقوبة متقدم اعمالهم انتهى ولما كان ما
فعل بهم في البحر اهلاكا للرجال وابقاء للنساء طبق ما فعلوا ببني اسرائيل عقبه به فقال واذ اي واذكروا اذ فرقنا من الفرق وهو
افراج الواحد لحكمه اظهار التقابل قاله الحرالي فصارت لكم مسالك على عدد اسباطكم بكم اي بسببكم عقب اخراجنا لكم من اسر القبط
البحر قال الحرالي هو المتسع الرحب البراح مما هو ظاهر كالماء ومما هو باطن كالعلم الذي منه الحبر تشاركا بحروف الاشتقاق في المعنى
فانجيناكم من الانجاء وهو الاسراع في الرفعة عن الهلاك الى نجوة الفوز انتهى ومن عجايب ذلك انه كما كان الانجاء منه كان به قال
الحرالي وجعل البحر مفروقا بهم كانهم سبب فرقه فكان نجاتهم هي السبب وضرب موسى عليه السلام بالعصى هي الامارة والعلامة التي
انفلق البحر عندها بسببهم وجعل النجاة من بلاء فرعون تنجية لما كان على تدريج وجعل النجاة من البحر انجاء لما كان وحيا في سرعة وقت
انتهى واغرقنا آل فرعون فيه وبه وانتم تنظرون اسراعه اليهم في انطباقه عليهم وهذا مثل ما خاض العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه
من البحر الملح في ناحية البحرين او انحسر له على اختلاف الروايتين ومثل ما قطع سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الدجلة في وقايع الفرس
عوما بالخيول بجميع عساكره وكانوا زيادة على ثلاثين الفا لم يفقد منهم احد وكان الفرس اذا تعب وثب فصار واقفا على ظهر الماء
كانه على صخر فاذا استراح عام قال الحرالي واغرقنا من الغرق وهو البلاغ في الشيء الى غايته بحسبه فان كان في الهلاك فهو غاية
وظهر معناه في الماء والبحر لبعد قعره وهو في الماء بمنزلة الخسف في الارض والنظر التحديق للصورة من غير تحقق ولا بصر انتهى فذكرهم
سبحانه بنعمة الانجاء منه بالرحيل عنه اولا ثم باغراقه الذي هو اكبر من ذلك ثانيا بما كان بعينه سبب سلامتهم واستمر يذكرهم بما تابع
لهم من النعم حيث كانوا يستحقون النقم قال الحرالي وقررهم على نظرهم اليهم وفيه اشعار بفقد بصرهم لضعف بصايرهم من حيث
لم يقل وانتم تبصرون ولذلك عادوا بعدها الى امثال ما كانوا فيه من الشك والاباء على انبيائهم بعد ذلك انتهى ولما كان فرق البحر
للابقاء البدني وكان انزال الكتاب للابقاء الديني عقبه به وكان الطبع السليم والمزاج المستقيم يقتضي احسان العمل زمن المواعدة
واستعطاف المواعد والترقق له والتملق بما يحقق الرجاء في انجاز وعده لا سيما بعد بليغ احسانه بالانجاء من العدو واهلاكه بغي
عليهم عملهم بخلاف ذلك بقوله واذ وقال الحرالي لما ذكرهم تعالى بامر الوفاء بالعهد الذي هو خاتمة امرهم وبالتفصيل الذي كان بادية
امرهم نظم ذلك بالامر المتوسط بين الطرفين الذي اعلاه مواعدة موسى عليه السلام ربه الذي النعمة عليه نعمة عليهم فقال
واذ وعدنا من الوعد وهو الترجية بالخير وواعدنا من المواعدة وهي التقدم في اللقاء والاجتماع والمفاوضة ونحوه موسى كلمة
معربة من لفظ العبراني بما تفسيره فيما يقال ماء وشجر سمي فيه لما اودع فيه من التابوت المقذوف في اليم اربعين ليلة هي كمال
وقت الليل والليل وقت انطماس المدركات الظاهرة انتهى وخص الليل بالذكر اشارة الى ان الذ المناجاة فيه والى انه لا تؤم في
تلك المدة بل المناجاة عامة لليلها ونهارها وانتصب اربعين بوقوعه موقع المفعول الثاني لوعدنا اي انقضاء اربعين اي الكلام
او انزال التورية عند انقضاء الاربعين وهو ذو القعدة وعشر من ذي الحجة وقيل ذو الحجة وعشر من المحرم قال الحرالي
وفيه اشعار بان المناجاة انما يتهيا لها لميقات جنس النفس عما به قوامها وكمال ذلك انما هو الصوم وكمال العدد الذي هو طور مصير
من حال الى حال هو الاربعون وذكر الميقات بالليالي يشعر ان مناجاته صباح من ظلمة الكون في حال خصوص الخلقة من حيث ان الظلمة
آية على فوت مرام نور الحق والنهار آية على ظهور نور الحق واول باد بدا من الحق للخلق كلامه لمصطفى من خلقه بغير واسطة وهو
بعد في دنياه وفي ارضه التي كانت سجنا فلما جاءها الحق لعبد من عبيده مناجيا له كما ياتيها يوم الجزاء بعد البعث صارت موطن رحمة

وهدي ونور وهو مجي الله من سينا المذكور في الكتاب الاول انتهي وهذا دون قصة المعراج التي كانت لنبينا صلي الله عليه
وسلم في اختراق السموات العلي الي سدرة المنتهي الي ما لا يعلمه الا الله تعالي وسمع الكلام من غير واسطة ورجع الي بيته في ليلته وقد قطع
من المسافات ما مسيرته خمسون الف سنة كما سابينه ان شا الله تعالي في سورة السجدة ولما كانت الانفس الابية والهمم العلية تقتضي
النفرة من الظالم والانفة من كل ما ينسب اليه ويذكر به وكانوا قد اتخذوا من اثار آل فرعون من حليهم ما دخلوا في رقه وعبوديته
وكانت مشاهدتهم لما راوا من الايات مقتضية لغاية البعد من الكفر عبر عن مواقعتهم له بثم فقال ثم اتخذتم قال الحرالي من الاتخاذ
وهو افتعال مما منه المواخذة كانه الوخذ وهو تصيير في المعني نحو الاخذ في الحس وفيه تكلف العجل وذكر في هذا التقرير اصل المواعدة
وذكر الميقات وتجاوز الخطاب ما بعد ذلك من مهل حسب ما تفهمه كلمة ثم فاقتضي افهام ذلك ما نالوه من الخير ثم تعقبوا ذلك بالتزام
عادتهم في معاودة ما اعتادوه من اعمالهم الي ادني عمل من لا عقل ولا بقية نظر له من اتخاذ جسد عجل الها بعد معرفة اثار الالهية
علي الغيب ففيه تعجيب من ان موسي عليه السلام انما اوعده الله بالمناجاة بعد ميقات اربعين صوما ونسكا وتحنثا وانقطاعا الي
ربه ثم يرونهم انهم شهدوا الالهة مصورا محسوسا علي ان موسي عليه السلام الذي ناجاه ربه منع الرؤية فكيف بهم وذلك هو ظلمهم
فوضعوا الاله محل الشي المحسوس وهو تعالي قد تعالي عن ان يراه صفيه الذي ناجاه في دنياه وانما ناجاه بعد ميقاته وهم يهمون
في تاله مرئي من غير مواعدة ولا اختصاص وفي قوله تعالي من بعده اي من بعد اتيانه لميعادنا اضمار لذكر موسي عليه السلام تقريرا
لما كان ينبغي ان يكونوا عليه من الارتقاب لما ياتيهم به موسي عليه السلام من فوايد المناجاة كما يكون من تعلق قلبه بمن هو قدوته والبعد
بعد عن حد يتخذ مبدا ليكون سابقه قبل ولاحقه بعد انتهي واثبات الجار لان اتخاذهم ذلك لم يستغرق زمان البعد وانتم ظالمون
فاعلون فعل من هو في اظلم الظلام بعد ان جاكم موسي عليه السلام بالنور المبين ولما كان ذلك مقتضيا لاعظم السخط ۝
المقتضي من القادر للمعالجة بالاخذ ذكرهم نعمة الامهال بعده فقال مشيرا الي عظم الذنب والنعمة باداة التراخي ثم عفونا
قال الحرالي ثم تجاوز الخطاب ما اصابهم من العقوبة علي اتخاذهم الي ذكر العفو تقريرا علي تلاقيهم حالا بعد حال ووقتا بعد
وقت كلما احدثوا خطيئة تداركهم منه عفو وخصه باسم العفو لما ذكرهم ذنوبهم لان المغفور له لا يذكر ذنبه فان العفو رفع العقوبة
دون رفع ذكرها والغفر اماتة ذكر الذنب مع رفع العقوبة انتهي عنكم اي ولم نعالجكم بالاخذ وفي قوله تعالي من بعد ذلك اي
الذنب العظيم اشعار بما اصابهم من العقوبة وخطاب لبقية المعفو عنهم لينتهي الامر فيهم الي غاية يترجي معها لبقيتهم الشكر
قاله الحرالي وكان الاشعار من جهة ادخال من علي الظرف فاقتضي مهلة بين العفو والذنب لما يشملهما العفو بل كان فيها
عقوبة كما اقتضي قوله من بعده مهلة بين اتخاذهم العجل واول ذهاب موسي عليه السلام للمناجاة ويجوز ان يكون افرد حرف
الخطاب اشارة الي انه لا يعلم جميع ما في دينهم من الشفاعة الا امام اهل التوحيد النبي صلي الله عليه وسلم لعلكم تشكرون
اي لتكون حالكم حال من يتوقع منه الشكر قال الحرالي وهو ظهور بركة الباطن علي الظاهر يقال دابة شكور اذا انجح ما كلها
بظهور سمنها وفيه اشعار بان منهم من يشكر وفيهم من يتمادي بما في ترجي كلمة لعل من الايهام المشعر بالقسمين والمنتهي لامكان ظهور
الفريقين حتي يظهر ذلك لميقاته لان كل ما كان في حق الخلق ترددا فهو من الله سبحانه ايهام لعلومه فيهم علي ذلك تجري
كلمة لعل وعسي ونحوها انتهي ولما كان في ذلك دليل علي سوء طباعهم وعكس مزاجهم وانهم لا يحفظون عهدا ولا يستقيمون
علي نهج ذكرهم بنعمة الكتاب الذي من شانه الضبط في جميع الاحوال بالرجوع اليه عند الضلال فقال وقال الحرالي
لما ذكر تعالي امر موسي عليه السلام وهو خاص امرهم فصل لهم امر ما جا به موسي عليه السلام وما كان منهم فيما جا به
انتهي فقال واذ اتينا اي بما لنا من العظمة موسي الكتاب اي الكامل في نفسه الجامع لكم علي طريق الحق ولما كان الكتاب
مع كونه جامعا لما اريد منه فارقا بين الملبسات وضعه بقوله والفرقان اي المبين للاشيا علي ما هي عليه من غير ان
يدع في شي لبسا قال الحرالي فقرهم علي امرين من الكتاب الذي فيه احكام الاعمال والفرقان الذي فيه امر العلم وهما ملاك
حال اقامة الدين بالعلم والعمل والفرقان فعلان لفظ مبالغة يفهم استغراقا وامتلاء وعظما فيما استعمل فيه وهو في
هذا اللفظ من الفرق وهو اظهار ما البسته الحكمة الظاهرة للاعين بالتبيان لفرقان لبسه بما تسمعه الاذن وجا
فيه بكلمة لعل اشعارا بالابهام في امرهم وتفرقتهم بين مثبت لحكم الكتاب عامل به عالم بطية الفرقان خبير به وبين تارك
لحكم الكتاب غافل عن علم الفرقان انتهي فقال تعالي لعلكم تهتدون اي ليكون حالكم حال من ترجي هدايته فيغلب حلمه جهله
وعقله شهوته ولهذا الختم تلاه بما هداهم به بما الزمهم من النقمة الزاجرة عن مثل ذلك من قتل الانفس فقال واذ قال
الحرالي لما تكمل اقبال الخطاب عليهم مرات بما تقدم من ندايهم والعطف علي ما في صلته صرف الحق وجه الخطاب عنهم الي ذكر
خطاب نبيه صلي الله عليه وسلم لهم فان الله تعالي يخاطب العباد باسقاط الواسطة بينه وبينهم ترقيعا لاقدارهم
لديه فيرفع من شا فيحييه بما شا ويوقف من شا فيجعل بينه وبينه في الخطاب واسطة من نبيه فلما قررهم بما
مضي من التذكير علي ما واجههم به الحق تعالي ذكر في هذه الاية تقريرهم علي ما خاطبهم به نبيهم صلي الله عليه وسلم
حين اعرض الحق عن خطابهم بما اصابوه من قبيح خطيئتهم انتهي فقال واذ قال موسي لقومه العابد للعجل والساكت
عنه والقوم قال الحرالي اسم من لهم منة في القيام بما هم مذكورون به ولذلك يقابل بلفظ النسا لضعفن فيما
حاولته وفيه تخويف هذه الامة ان يصيبهم مثل ما اصابهم في خطاب ربهم فيعرض عنهم انتهي يا قوم واكد لغراقتهم
في الجهل بعظيم ما ارتكبوه وتهاونهم به لما اشربوا في قلوبهم من الهوي فقال انكم ظلمتم انفسكم ظلما تستحقون به العقوبة

تكرر

باتخاذكم العجل اي آلها من دون الله فجعلتم انفسكم متذللة لمن لا يملك لها شيا ولمن هي اشرف منه فانزلتموها من رتبة
غيرها بخضوعها لمولاها الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه الى ذلها بخضوعها لمن هو دونكم انتم هذا هو اسوا الظلم
فان المرء لا يصلح ان يتذلل ويتعبد لمثله فكيف بمن دونه من حيوان فكيف بمن يشبه بالحيوان من جماد الذهب الذي هو من
المعادن وهو اخفض المواليد رتبة حين لم تبلغها حياتها ان تبدو فوق الارض كالنبات من النجم والشجر ولما فيه من الانتفاع
بما يكون منه من الحب والتمر الذي ينتفع به غذاء ودواء والمعادن لا ينتفع بها الا الآت ونقودا منفعتها اخراجها لا ثباتها
قاله الحرالي فتوبوا الى بارئكم الذي فطركم من فطركم من قبل ان تتخذوا العجل برئيين من العيب مع احكام الخلق على الاشكال
المختلفة قال الحرالي الباري اسم قايم بمعنى البرء وهو اصلاح المواد للتصوير كالذي يقطع الجلد والثوب ليجعله خفا
وقميصا وكالذي يطحن القمح ويعجن الطين ليجعله خبزا وفخارا ونحو ذلك ومعناه التدقيق للشي بحسب التهيو لصورته انتهى ولما
كانت توبتهم تقبل اقاربهم ولو كانوا ابا او ابناء عبر عنهم بالنفس لذلك واشارة الى خبء ما ارتكبوه فقال فاقتلوا انفسكم
اي الذي اوجدها فقادتكم الى غيره قال الحرالي والقتل فصل الحيوان ان قبل انتهاء قوته بمنزلة فصل الزرع قبل استحصادها
ولما كان ما امرهم به امرا لا يكاد يسمح به عظم الرغبة فيه بقوله ذلكم وهو القتل اي الامر العظيم خير لكم والخير قال
الحرالي ما يصلح في الاختيار من محسوس الاشياء وما هو الاصلح وما هو الاخير وربما استعملت منه خير محذوفة فيقال هو خير في نفسه
الى ما يختار ويقال هذا خير من هذا اي اخير منه اي اصلح في الاختيار وكذلك لفظ شر في مقابله وهما مشعران بمتوسط من الاشياء
لا يختار لاجل زيادة صلاح ولا يطرح لاجل ادنى ولا مضرة عند كلمة تفهم اختصاص ما اضيفت اليه بوجه ما عام واختص
منه لن فلذ خاصتها وعند عامتها كالذي يملك الشي فهو عنده وان لم يكن في حضرته انتهى بارئكم اي القادر على اعدامكم كما قدر
على ايجادكم وفي التعبير بالباري ترغيب لهم في طاعته بالتذكير بالاحسان وترهيب بايقاع الهوان ولما كان التقدير
ففعلتم التوبة المامور بها بان قتل بعضكم بعضا بتوفيقه لكم سبحانه مع ما فيه من عظيم المشقة عطف عليه قوله فتاب
عليكم اي مع عظم جرمكم ولولا توبته عليكم ما تبتم ثم علل ذلك بقوله انه اي لانه هو التواب الرحيم اي ما زال هذا صفة له لا
لاستحقاق منكم عليه قال الحرالي وفي اظهار هو مفصولة من ضمير ومثلها اثبات معنى الرحمة لله ثبتا لا يتبدل ولا يتغير الا انه
من وراء غيب ما شاء الله من ادب وامتحان وعقاب فلذلك ختمه باسمه الرحيم لان الختم ابدا اظهار للمعنى الاخفى من مضمون ما فيه
الختم انتهى ولما استتيبوا عن عبادة العجل التي تقيدوا فيها بالمحسوس الذي هو مثل في العبادة طلبوا رؤية بارئهم بالحس
على ما له من صفات الكمال التي تابى الابتذال ناسين جميع النعم والنقم مسرعين في الكفر الذي هو من شان الحاير والحال ان الفرقان
الذي لا يدع شبهة ولا يبقى حيرة قايم بين ايديهم لانهم من الجمود والوقوف مع الوهم والحس بمكان عظيم فذكرهم سبحانه ذلك مسليا
للنبي صلى الله عليه وسلم في ابايهم للايمان به بما فعلوا مع موسى عليه السلام وهو احدهم فقال واذ قلتم اي بعد ما رايتم من الايات
وشاهدتم من الامور البينات يا موسى فدعوتموه باسمه جفا وغلظة كما يدعوا بعضكم بعضا ولم تخصه بما يدل على تعظيمه لما
رايتم من اكرام الله له واكرامكم على يده لن وهي كلمة تفهم نفي معنى باطن كانها لا ان يسر بالتخفيف لفظها قاله الحرالي نؤمن لك اي
لاجل قولك قال الحرالي وجا باللام لانهم قد كانوا امنوا به فتوقفوا عن الايمان له الذي يتعلق بامور من تفاصيل ما ياتيهم
به فمن امن لاحد فقد امن بامور لاجله ومن امن به فقد قبل اصل رسالته يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين حتى كلمة تفهم غاية محوطة
يدخل ما بعدها في حكم ما قبلها مقابل معنى الى نرى من الرؤية وهي اطلاع على باطن الشي الذي اظهر منه مبصره الذي اظهره منه
منظره ومنه يقال في مطلع المنام رؤيا لان ذوات المرئي في المقام هي من امثال باطن في صورة المنظور اليه في اليقظة انتهى
الله اي مع ما له من العظمة جهرة اي عيانا من غير خفاء ولا نوع لبس قال الحرالي من الجهر وهو الاعلان بالشي الى حد
الشهرة وبلاغه لمن لا يقصده في مقابلة السر المختص بمن يقصد به وهذا المطلوب مما لا يليق بالجهر لتحقق اختصاصه بمن
يكشف له الحجاب من خاصة من يقبل عليه النداء من خاصة من يقع عنه الاعراض فكيف ان يطلب ذلك جهرا حتى يناله
من هو في محل البعد والطرد وفيه شهادة بتبلدهم عن موقع الرؤية فان موسى عليه السلام قال رب ارني وقال
تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال صلى الله عليه وسلم انكم ترون ربكم فالاسم المذكور لمعنى الرؤية
انما هو الرب لما في اسم الله تعالى من الغيب الذي لا يذكر لاجله لا مع ما هو فوت لا مع ما هو في المعنى نيل وذلك السر من اسرار
العلم بمواقع معاني الاسماء الحسنى فيما يناسبها من ضروب الخطاب والاحوال والاعمال وهو من اشرف العلم الذي يفهم
به خطاب القرآن حتى يضاف لكل اسم ما هو اعلق في معناه واولى به وان كانت الاسماء كلها ترجع معاني بعضها
لبعض فاخذتكم من الاخذ وهو تناول الشي بجملته بنوع بطش وقوة انتهى اي لقولكم هذا لما فيه من القطاعة وانتهاك
الحرمة الصاعقة قيل هي صيحة وقيل نار نزلت من السماء فاحرقتهم ويؤيده قوله وانتم تنظرون اي تلك الصاعقة
فاماتتكم لانكم كنتم في طلبكم رؤيته على ضرب من حال عبدة العجل فاماتكم كما اماتهم بالقتل ولما كان احياؤهم من ذلك في
هذه الدار في غاية البعد وخرق العادة عبر عنه باداة التراخي ومظهر العظمة فقال ثم بعثناكم اي بما لنا من العظمة
بالاحياء قال الحرالي من البعث وهو الاستثارة من غيب وخفا اشدة البعث من القبور ودونه البعث من النوم
قال وتجاوز الخطاب ما كان من سبب بعثهم وكذلك كل موضع تقع فيه ثم ففيه خطاب متجاوز مديد الامد كثير رتب العدد
مفهوم لمن استوفى مقاصد ما وقعت كلمة ثم بينه من الكلامين المتعاطفين ففي معنى التجاوز من الخطاب سوال موسى عليه السلام

نخ
محوطة

ربه في بعثهم حتى لا يكون ذلك فتنة على سائرهم انتهى ولما كان ربما ظن ان البعث من غشي ونحوه حقق معناه مبينا انه لم
يستغرق من البعد بقوله من بعد موتكم اي هذا بتلك الصاعقة وقال دالا على ان البعث الى هذه الدار لا يقطع ما بنيت عليه
من التكليف لانها دار الاكدار فلا بد من تصفية الاشرار فيها بالاعمال والاذكار لعلكم تشكرون اي لتصير حالكم حال من يصح
ترجي شكره لهذه النعمة العظيمة وكل ما جاء من لعل المعلل بها افعال الرب تبارك وتعالى ينبغي ان تؤول بنحو هذا فان لعل تقتضي
الشك لانها للطمع والاشفاق فيطمع في كون مدخولها ويشفق من ان لا يكون وتارة يكون الشك للمخاطب وتارة يكون للمتكلم
ولو قيل لتشكر ولم يكن هناك شك قاله الرماني في سورة يوسف عليه السلام وقال الحرالي وفي لعل ايهام معلومة فيهم
بان منهم من يشكر ومنهم من لا يشكر انتهى وسياتي في سورة طه ان شاء الله تعالى عن نص سيبويه في كتاب ما يؤيد ما ذكرته وفي
هذه الاية وما تقدمها من اية واتقوا يوما لا تجزي نفس تنبيه للعرب من غفلتهم في انكار البعث وارشاد الى سؤال من يغريهم
من اهل الكتاب بانهم اولى بالحق من المسلمين عن هذه القصة التي وقعت لاسلافهم من احيائهم بعد موتهم وكذا ما اتى في محاوراتهم
من قصة البقرة ونحوها مما فيه ذكر الاحياء في هذه الدار وفي القيامة قال الحرالي وفيه اي هذا الكتاب اية على البعث الاخر
الذي وعد به جنس بني آدم كلهم فجاءة صعق وسرعة بعث فان ما صح لاحدهم واطاعه منهم امكن عمومه في كافتهم انتهى ولما ذكرت
الصاعقة الناشئة غالبا من الغمام كان انسب الاشياء ايلاها ذكر تظليل الغمام وناسب التحذير من نقمة الاحراق بالصاعقة والتذكير
بنعمة الايجاد من الموت الاتباع بذكر التنعيم في الابقاء بالصيانة عن حر الظاهر بالشمس والباطن بالجوع وقال الحرالي وعطف
تعالى على ذكر البعث ذكر حال من مثل احوال اهل الجنة الذي يتاولونه بعد البعث فكان عامتهم الذين لم يموتوا انما شركوا هؤلاء المبعوثين
لكونهم كانهم ماتوا بموتهم وبعثوا ببعثهم فذكر ظل الغمام وهو من امر ما بعد البعث والارزاق بغير كلفة وهو من حال ما بعد
البعث وافهم ذلك امورا اخر في احوالهم كما يقال ان ملابسهم كانت تطول معهم كلما طالوا فكانهم اخرجوا من احوال اهل الدنيا
بالجملة الى شبه احوال اهل الجنة في محل تيههم ومستحق منال العقوبة لهم كل ذلك انعاما عليهم ثم لم يزيدوا مع ذلك الا
بعدا عن التبصرة في كل ما ابدي لهم من العجايب حدث عن بني اسرائيل ولا حرج فقال وظللنا من الظلة وهي وقاية مما ينزل
من سماء الموفي عليكم الغمام من الغم وهو ما يغم النور اي يغطيه انتهى اي فعلنا ذلك لترفيه اجسامكم وترويح ارواحكم عن مجاهد
ان الغمام ابرد من السحاب وارق واصفى وانزلنا عليكم المن قال الحرالي هو ما جاء بغير كلفة الكماة من المن انتهى والسلوى
اي لطعامكم على ان المن من الغمام وحسر السلوى اليهم بالريح المثيرة له فنظمتهما به على غاية التناسب قال الحرالي والسلوى
اسم صنف من الطير يقال هو السماني او غيره انتهى وسياتي ان شاء الله تعالى في الاعراف انه غير السماني وانهم خصوا به ايذانا
بقساوة قلوبهم وهذه الخارقة قد كان صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم غنيين عنها بما كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما
احتاجوا دعا بما عندهم من فضلات الزاد فيدعوا فيكثره الله حتى يكتفوا من عند اخرهم واعطى ابا هريرة رضي الله عنه تمرات
وامره ان يجعلها في مزود وقال له انفق ولا تنثرها فاكل منه سنين وانفق منه اكثر من خمسين وسقا وبارك لاخر في
قليل شعير وامره ان لا يكيله فلم يزل ينفق منه على نفسه وامراته وضيفه حتى كاله ففني فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم
تكله لاكلتم منه ولقام لكم وكان نحو ذلك لعايشة رضي الله عنها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وكذا لام ملك في عكة سمن
لم تزل تقيم لها ادمها حتى عصرتها ومثل ذلك كثير في دلايل للبيهقي وغيره وقيل لكم كلوا ودل على انه اكثر من كفايتهم بقوله
من طيبات جمع طيبة قال الحرالي والطيب ما خلص من منازع يشارك فيه وطيبه من سوى الاكل له اي لم ينازعه وليس فيه
حق لغيره ومنه الطيب في المذاق وهو الذي لا ينازعه تكره في طعمه وهذا زاد على ذلك بكونه لم يكن عن عمل حرث ولا معاملة
مع خلق انتهى ما رزقناكم اي على عظمتنا التي لا تضاهى ولما لم يرعوا هذه النعم اعرض عنهم للايذان باستحقاق الغضب وقال
الحرالي ثم اعرض بالخطاب عنهم واقبل به على محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه انتهى فقال وما اي فظلموا بان كفروا هذه النعم كلها
وما ظلمونا بشيء من ذلك ولكن كانوا اي جبلة وطبعا انفسهم اي خاصة يظلمون لان ضرر ذلك مقصور عليهم قال
الحرالي وفيه اشعار بتحذير هؤلاء ان يروا نحوا مما روينا لهم نحو مما نالوه لان قصص القرآن ليس مقصوده مقصورا على ذكر
الاولين فقط بل كل قصة منه انما ذكرت لما يلحق هذه الامة في امد يومها من شبه احوال من قص عليهم قصصه انتهى ولما
كان كل من ظل الغمام ولزوم طعام واحد غير مالوف لهم مع كونه نعمة دنيوية وكان المالوف احب الى النفوس تلاه بالتذكير
بنعمة مالوفه من الاستظلال بالابنية والاكل مما يشتهي مقرونة بنعمة دينية وقال الحرالي لما ذكر تعالى عظيم فضله عليهم
في حال استحقاق عقوبتهم في تظليل الغمام وانزال المن والسلوى وهو مبتدا امر تيههم حين ابوا ان يقاتلوا الجبارين نظم
به اخر امر تيههم بعد وفاة موسى وهرون عليهما السلام حين دخولهم مع يوشع عليه السلام وما امروا به من دخول البلد
المقدس متذللين بالسجود الذي هو اخص رتب العبادة وكمال عمل العامل ودنو من الحق انتهى فقال تعالى واذ قلنا اي لكم
ادخلوا هذه القرية اشارة الى نعمة النصر قال الحرالي الدخول الولوج في الشيء بالكلية حسا بالجسم ومعنى بالنظر والراي
والقرية من القرى وهو الجمع للمصالح التي بها يحصل قوام الدنيا لقرى اهل الدنيا والتي تجمع مصالح اهل الاخرة لقرى اهل
الاخرة قال صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى باستيطانها كانها تستقري القرى تجمعها اليها وقد تناوبت
اليها والهمزة والواو مع القاف والراء على عام هذا المعنى انتهى وناسب سياق النعم الدلالة على تعقيب نعمة الدخول بالفاء
في قوله فكلوا منها حيث شئتم واتم النعمة بقوله رغدا موسعا عليكم طيبا قال الحرالي وفيه اي هذا الخطاب تثنية

في ذكر الارض لما تقدم من نحوه لآدم في السماء فكان تبديلهم لذلك عن فسق لا عن نسيان كما كان امر آدم عليه السلام فكانهم
اقتطعوا عن سنته الى حال الشيطان الذي كان من الجن ففسق عن امر ربه فتحقق ظلمهم حين لم يشبهوا اباهم واشبهوا عدو ابيهم
وعدوهم انتهى وامرهم بالشكر على نعم النصر والايواء وادرار الرزق بامر يسير من القول والفعل وقدم الدخول السار للنفوس والسجود
الذي هو اقرب مقرب للحضرة الشريفة لانه في سياق هذا النعم على القول المشعر بالذنب فقال وادخلوا الباب وهو كما قال
الحرالي اول مستفتح الاشياء والامور المستغلقة حسا او معنى حال كونهم سجدا وقولوا جاء معبرا الى ندم القلب وخضوع الجوارح
من الاستغفار باللسان ولو كان القول تحكى به الجمل فتكون مفعولا بها ويعمل في المفرد اذا كان مصدرا او صفة لمصدر كقلت حقا
او معبرا به عن جملة كقلت شعرا وما كان على غير هذا كان اسنادا لفظيا لا فايدة فيه غير مجرد الامتثال رفع قوله حطة اي
عظيمة لذنوبنا قال الكشاف والاصل النصب اي حط عنا ذنوبنا الا انه رفع ليعطي معنى الثبات قال الحرالي من الحط وهو
وضع الحمل الثقيل بمنه وحمام قوة تكون في الجسم والمعنى امروا بقول ما يحط عنهم ذنوبهم التي عوقبتهم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع من معه من المهاجرين والانصار بشعب من الشعاب مترددا بين الحرمين الشريفين يعني في عمرة الحديبية فقال قولوا
لا اله الا الله وعند ذلك دخول الشعب الذي هو باب المدخل من نجد الارض الى سهلها فقالوها فقال والذي نفسي بيده انها للحطة
التي عرضت على بني اسرايل ان يقولوها فبدلوها انتهى وعبر بنون العظمة في قوله نغفر لكم اشارة الى انه لا يتعاظمه ذنب وان
عظم كاتخاذ العجل اذا جب بالتوبة وفي قراءة من قرأ بالتحتانية والفوقانية مبنيا للمجهول اشارة الى تحقير الذنوب اذا
اراد غفرانها بحيث انه باذى امر وادق اشارة بمحوها وهي اقل من ان يباشرها بنفسه المقدسة كل ذلك استعطاف
الى التوبة والغفر قال الحرالي ستر الذنب ان يظهر منه اثر على المذنب لا عقوبة ولا ذكر ثم قال ففي قراءة نغفر قول من الحق
ومن هو من حزبه من الملايكة والرسل وفي قراءة تغفر ابلاغ امر خطابهم بما يفهمه التانيث من نزول القدر وفي قراءة اليا توسط
بين طرفي ما يفهمه علو قراءة النون ونزول قراءة التا ففي ذلك بجملته اشعار بان خطاياهم كانت في كل رتبة بما يرجع الى عبادة
ربهم واحوال انفسهم ومعاملتهم مع غيرهم من انبيائهم وامثالهم حتى جمعت خطاياهم جميع جهات الخطايا الثلاث فكانهم ثلثة
اصناف صنف بدلوا وصنف اقتصدوا وصنف احسنوا فيزيدهم الله ما لا يسعه القول وهل جزاء الاحسان الا الاحسان انتهى
ولما كان السياق هنا لتعداد النعم حسن ان يعبر عن ذنوبهم بجمع الكثرة فقال خطاياكم اشارة الى انهم اصروا عليها بحيث كادوا
ان يجعلوا بازاء كل نعمة ذنبا والخطايا جمع خطيئة عن الخطا وهو الزلل عن الحد عن غير تعمد بل عزم الاصابة او ود ان لا يخطي
هكذا قال الحرالي والظاهر ان المراد هنا ما كان عن عمد كاينا ما كان لان ذلك اولى بسياق الامتنان والعقوبة بالعصيان قال
في القاموس والخطيئة الذنب او ما تعمد منه والخطا ما لم يتعمد جمعه خطايا وقرئ شاذا خطايكم بالجمع السالم الدال على القلة
اشارة الى انها وان تكاثرت فهي في جنب عفوه قليل وهذا بخلاف الاعراف فان السياق هناك لبيان اشراعهم في الكفر كما سياتي
ان شاء الله تعالى وناسب عد النعم النعم العطف على ما تقدم منها بقوله وسنزيد المحسنين اي بعد غفران ذنوبهم قال
الحرالي جمع محسن من الاحسان وهو البلوغ الى الغاية في حسن العمل فيكون مع الخلق رؤية المرء نفسه في غيره فيوصل له من البر ما
يجب ان يفعل معه ورؤية العبد ربه في عبادته فالاحسان فيما بين العبد وربه ان يغيب عن نفسه ويرى ربه والاحسان
فيما بين العبد وغيره ان يغيب عن غيره ويرى نفسه فمن راى نفسه في حاجة الغير ولم ير نفسه في عبادة الرب فهو محسن وذلك
بلوغ في الطرفين الى غاية الحسن في العمل بمنزلة الحسن في الصورة انتهى ولما كان هذا التصريح بالترغيب المتضمن للتلويح بالترهيب
مقتضيا للعاقل المبادرة الى الطاعة بين انه تسبب عنه ان بعضهم عصوا وكفروا هذه النعمة العظيمة ولم يقتصروا على ترك
هذا الامر بل بدلوه بدخولهم كما في الحديث يزحفون على استاههم قايلين حبة في شعرة اي جنس الحب في جنس الشعر اي في الغراير
مطلوبنا لا الحطة وهي غفران الذنوب قال الحرالي امروا بالاخلاص لله نظرا الى حيوة قلوبهم فطلبوا الحنطة نظرا الى حياة جسومهم
فقال تعالى فبدل من التبديل وهو تعويض شي مكان شي انتهى الذين ظلموا واسقط منهم لما ياتي في الاعراف ان شاء الله تعالى قولا اي
مكان القول الذي امروا به ولما كان التبديل وان كان يفهم التغيير لكنه يصدق بادنى تغيير ولو انه في اللفظ وان اتحد المعنى
بين انه مضاد له بحيث لا يمكن اجتماعهما بقوله غير الذي قيل لهم فان غير قال الحرالي كلمة تفهم انتفاء واثبات ضد ما انتفى
وقال ذكر تعالى عدولهم عن كل ذلك واشتغالهم ببطونهم وعاجل دنياهم فطلبوا طعام بطونهم التي قد فرغ منها التقدير واظهر
لهم الغنا عنها في حال التيه بانزال المن والسلوى اظهارا لبلادة طباعهم وغلبة حب العاجلة عليهم فبدلوا كلمة التوحيد وهي
لا اله الا الله وهي الحطة بطلب الحنطة ولو انهم امنوا واتقوا لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولو ان اهل الكتاب امنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض من شغلهم ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين انتهى وبين
سبحانه المبدلين بالعقاب نعمه منه مع ان له ان يعم فقال فانزلنا بعظمتنا بسبب ذلك على الذين ظلموا اي خاصة رجزا قال
الحرالي هو اشد العذاب وما جره ايضا يسمى رجزا مما يجب ان يزجر عنه والزجر كف البهايم عن عدواها انتهى ولما كان الانزال
منهما للسماء حققه تعظيما له بقوله من السماء بما اي بسبب ما كانوا يفسقون اي يجددون الخروج من الطاعة الى المعصية
في كل وقت ففي افهامه انهم يعودون الى الطاعة بعد الخروج منها وذلك مقتضى لان يكون يظلمون اشد منه كما ياتي قال الحرالي
فبحق يجب على من دخل من باب جبل او قرية ان يقول في وصيدها لا اله الا الله ليحط عنه ماضي ذنوبه فكان ذكر الله في باب
المدينة والشعب ذكاة لذلك المدخل فمن لم يدخله مذكيا دخله فاسقا ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق فلذلك ما

لعل ولو ان اهل الذي الا

انه خص

الختم

ا لختم ذكرهم في الآية بالفسق انتهى ولما بين سبحانه نعمته عليهم بالامكان من القرية بالنصر على اهلها والتمتع بمنافعها وختمه
بتعذيبهم بما يميت او يحرق وبين من ذلك كله ان قلوبهم اشد قسوة من الحجارة كما سيأتي التصريح به من قول الله تعالى في قصة البقرة
وانها لا منفعة فيها اتبعه التذكير بنعمته عليهم في البرية بما يبرد الاكباد ويحيي الاجساد فذكر انفجار الماء من الحجر الذي عمهم نفعه
وانقذهم من الموت بنعمه ودلهم على التوحيد والرسالة اصله وفرعه بقدرة الصانع وعلمه جمعا لهم بذلك بين نعمتي الدين
والدنيا فقال واذ استسقى اي طلب السقيا قال الحرالي والسقيا هي صيغة مبالغة فيما يحصل به الري من السقي والسقي
احياء موات شأنه ان يطلب الاحياء حالا او مآلا قال صلى الله عليه وسلم اللهم اسق عبادك ثم قال واحيي بلدك الميت انتهى لك
موسى لقومه اي لما خافوا الموت من العطش فقلنا اي بما لنا من العظمة حين خفيت عنهم اضرب قال الحرالي من الضرب وهو وقع
الشيء على الشيء بقوة بعصاك والعصا كانها ما يكف به العاصي وهو من ذوات الواو والواو فيه اشعار بعلو كانها آلة تعلو
من تمارف ما تتعرف فيه الياء بنزول علمه بالمعصية كان العصوات بالعصي تقال عصا يعصو اي ضرب بالعصي اشتقاق ثان
وعصى يعصي اذا خالف الامر انتهى الحجر اي جنسه فضرب حجرا وطوي هذا المقدر من الضرب لانباء فانفجرت عليه من البلاغة وبراعة
الحسن ولطافة الرونق بحذقه والدلالة على سرعة الامتثال وعلى ان الموثر في الحقيقة انما هو الامر بالضرب لا الضرب نفسه وما
انسب ذكر الانفجار هنا بعد ختم ما قبل بالفسق لاجتماعهما في الخروج عن محيط هذا خروج بحي وذاك خروج بميت قال الحرالي
الانفجار انبعاث وحي من شيء موعى انشق وانفلق عنه وعاوه ومنه الفجر وانشقاق الليل عنه انتهى ولان هذا سياق الامتنان عبر
بالانفجار الذي يدور معناه على انشقاق فيه سيلان وانبعاث مع انتشار واتساع وكثرة ولما لم يكن سياق الاعراف للامتنان
عبر بالانبجاس الذي يدور معناه على مجرد الظهور والنبوع منه اي الحجر الذي ضربه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين والعين
قال الحرالي هو ماء دائم قيم يبدو به غيره فما اجرى من الماء في ربيع او زرع فهو عين وما مطر من السماء فاغنى فهو عين يقال
ان العين مطر ايام لا يقلع وانما هو مطر يغني وينجع وما نبع وله الموزونات عين وما بعد وله المرئيات من الشمس عين وما نال
به الاعيان من الحواس عين والركية وهي بئر السقيا عين وهي التي يصحفها بعضهم فيقول الركبة بالباء يعني الموحدة وانما هي
الركية بالياء المشددة كذا قال وقد ذكر اهل اللغة عين الركبة وعد في القاموس المعاني التي لهذا اللفظ نحو اربعين منها
نقرة الركبة اي بالموحدة ومنها مفجر ما الركية بالتحتانية مشددة ولما توقع السامع اخبارا لمتكلم هل كانت الاعين موزعة
بينهم معروفة او ملبسة قال قد علم كل اناس اي منهم قال الحرالي وهو اسم جمع من الانس بالضم كالناس اسم جمع من النوس قال
فلم يسمهم باسم من اسماء الدين لان الاسماء تجري على حسب الغالب على المسميين بها من احوال تدين او حال طبع او تطبع مشربهم
مكتفاهم من الشرب المرد مع الايام ومع الحاجات في كل وقت بما يفهمه المفعل باسم مصدر ثان مشتق من مطلق الشرب او اسم
محل يلزمه التكرار عليه والتردد فجعل سبحانه سقياهم اية من اياته في عصاه كما كانت اياته في عصاه على عدوه الكافر فكان
فيها نقمة ورحمة وظهر بذلك كمال تمكيكه تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم حين كان ينبع من بين اصابعه الماء غنيا في نبوعه عن
آلة ضرب او حجر وتمليك الماء من اعظم التمكين لانه تمكين فيما هو بزر كل شيء ومنه كل حي وفيه كل مجعول ومصور انتهى يعني ان
هذه الخارقة دون ما نبع للنبي صلى الله عليه وسلم من الماء من بين اصابعه ودون ما نبع بوضع اصحابه سهامه من سهامه في بئر
الحديبية وقد كانت لا ماء فيها ونحو ذلك كثير ولما كان السياق للامتنان وكان الايجاد لا يستلزم التحليل للتناول قال
زيادة على ما في الاعراف ممتنا عليهم بنعمة الاحلال بعد الايجاد على تقدير القول لانه معلوم تقديره كلوا واشربوا من
رزق الله اي الذي رزقكموه من الحلال كله من غير كد ولا نصب قال الحرالي لما لم يكن في ما كلهم ومشربهم جري لعاد حكمته
في الارض فكان من غيب فاضيف ذكره لاسم الله الذي هو غيب ولا تعثوا من العثو وهو اشد الفساد وكذلك العثي الا انه
يشعر هذا التقابل بين الواو والياء ان العثو افساد اهل القوة بالسطوة والعثي افساد اهل المكر بالحيلة انتهى في الارض
اي عامة لان من افسد في شيء منها بالفعل فقد افسد فيها كلها بالقوة واتباع ما معناه الفساد قوله مفسدين دليل على ان
المعنى ولا تسرعوا الى فعل ما يكون فسادا قاصدين به الفساد فان العثي والعيث الاسراع في الفساد لكن قد يقصد بصورة
الفساد الخير فيكون صلاحا في المعنى كفعل الخضر عليه السلام في السفينة والغلام وليس المراد بالاسراع التقييد بل للاشارة
الى انه لملابسته للهوى لا يكون الا كذلك وسيأتي له في سورة هود عليه السلام ان شاء الله تعالى مزيد بيان قال الحرالي وفيه
اشعار بوقوع ذلك منهم لان في كل نهي اشعار المخالفته الا ما شاء الله وفي كل امر اشعار بموافقته الا ما شاء الله لان ما جبل عليه
المرء لا يؤمر به لاكتفاء اجباره فيه طبعا عن امره وما منع منه لا ينهى عنه لاكتفاء اجبان عن امره وانما يجري الامر والنهي
توطية لاظهار الكيان في التفرقة بين مطيع وعاص فكان منهم لذلك من العثي ما اوجب ما اخبر به الحق عنهم من الهوان وائد
الافساد افساد بنيان الحق الذي خلقه بيده وهو مباني اجساد بني آدم فكيف بالمؤمنين منهم فكيف بالانبياء منهم ولما
امتن عليهم سبحانه بهذه النعمة العظمى من اكل المن والسلوى وشرب هذا الماء الرباني بين انهم كفروها بالتضجر منها وطلب
غيرها وبالجملة كان قريبا منها بل كان هذه في غاية العلو كان مطلوبهم في غاية الدناءة والسفول فقال تعالى واذ
قلتم اي بعد هذه النعم كلها يا موسى منادين له باسمه من غير تعظيم لن نصبر اي طويلا على طعام قال الحرالي الطعام ما يقوم
المتطعم ويصير جزء كامنه فلينظر الانسان الى طعامه الاية انتهى واحد اي لا يتبدل وان كان متعددا وان كان شريفا لا
تعب فيه يا موسى لنا قال الحرالي من الدعاء والمناداة اقتضاء اغلبه لما تدعوا الحاجة اليه من القائم على الداعي بذلك وافتقار

وهو في مقابلة الامر من الله على انه اقتضاها تدعوا اليه حاجة من الآمر لان الامر بالحقيقة انما هو الغني المفتقر لما يقتضيه انتهى ربك مضيفين لهذا الاسم اليه دون انفسكم مع كثرة تحليه لكم بهذا الوصف الناظر الى الاحسان نخرج لنا اي وان كنت انت غير ملتفت الى ذلك مما تنبت من الانبات وهو للتعدية والتنبيه قاله الحرالي الارض ثم بينوا ما اراد وا بقولهم من بقلها اي خضرها قاله الحرالي البقل ما يكثر به الادم والادم الاشياء المدمة مما يصلح معها من نجم الارض وهو بقل انتهى وثومها اي الحنطة وقال الحرالي يقال هو الحب الذي يخبز انتهى وعدسها وبصلها فكانه قيل ان هذا العجيب منهم مما قال فقيل قال منكرا عليهم اتستبدلون اي تاخذون الذي هو ادنى اي منزلة بالذي هو خير اي بدله قالبا، داخله هنا على المتروك وهذه المادة اعني البا، والدال المهملة واللام بهذا الترتيب استعمالات كثيرة تختلف معناها معها فيشكل فهمها بسبب ذلك فانه قد يذكر معها المتقابلان فقط وقد تذكر معها غيرهما وقد لا يكون كذلك وقد يكون ذلك مع التبدل والاستبدال مصحوبا احدهما بالبا، وقد لا يكون كذلك وقد يذكران مع التبدل والابدال وتارة يكون البا، داخلا على المتروك وتارة على الماخوذ وقد تعدي الفعل بنفسه الى المفعولين وتارة يقتصر به على مفعول واحد ولبعض الاستعمالات معنى غير معنى الاخر وسياتي تحرير ذلك ان شا الله في سورة سبا فكانه قيل فهل اجابهم الى سوالهم فقيل نعم قال اهبطوا مصرا اي من الامصار قال الحرالي المصر هو البلد الجامع لما يتعاون عليه من امور الدنيا الذي يحمي هذه المطالب التي طلبوها لان مادون الامصار لا تكون فيها الا بعضها ومنه سميت مصر لجماع امر ما في الدنيا فيها وغرابة سقياها وان وافق ذلك ما يقال انها سميت مصر باسم رجل فالوفاق في حكمة الله لان كل دقيق وجليل فيها جار بعلم الله وحكمته حيث كانت من دراء حجاب يخفيها او ظاهرة باداية لاهل النظر والاستبصار انتهى فان لكم اي فيه ما سالتم وينقطع عنكم المن والسلوى والسوال قال الحرالي طلب ما تدعوا اليه الحاجة وتتم به الكفاية قال وذكر تعالى ان مطلبهم انما يجدونه في الامصار التي قر فيها حكمته لا في المفاوز الذي يظهر فيها كلمته ولذلك كثيرا ما تخرق العادة لاولياء هذه الامة في المفاوز وقل ما تخرق في الامصار والقرى لما في هذه الاية مضمونة ولذلك حرص السالكون على السياحة والانقطاع عن العمائر لما يجدون في ذلك من روح رزق الله عن كلمته دون كلفة حكمته ولما نظم سبحانه بنبا، موسى عليه السلام ما كان من نبا، بهم مع يوشع عليه السلام بعده نظم في هذه الاية بخطاب موسى عليه السلام ما كان منهم بعد يوشع عليه السلام الى آخر اختلال امرهم وانقلاب احوالهم من حسن المظاهرة الى حال الاعتداء والقتل لانبيائهم عليهم السلام وفي جملته اشعار بان ذلك لم يكن منهم الا لاجل ايثار الدنيا رياستها وما لها على الاخرة ايثار العاجلة على الاجلة وفي طيه اشد التحذير لهذه الامة في اتباعهم لسنن اهل الكتاب في مثل احوالهم ولذلك انتظم بها الاية الجامعة وابتدا، بذكر الذين امنوا من هذه الامة ثم استوفى الملل التي لها صحة على ما يذكر انفا ان شا الله تعالى انتهى ولما كان التقدير فنعلوا اما امروا به من هبوط المصر فكان ما وعدوا به عطف عليه قوله وضربت عليهم الذلة ملازمة لهم محيطة بهم من جميع الجوانب كما يحيط البيت المضروب على الانسان به ومبنى اسم من الذل وهو صغار في النفس عن قهر وغلبة قال الحرالي وفي عطفه ايهام لمجاوزة ابتدا، عديدة غايتها في الظهور ما عطف عليها كان الخطاب بينهم فانزلنا بهم حيث انزلوا انفسهم ومنعناهم مما يليق بمن حاله مثل حالهم فظهر منهم وجوه من الفساد فسلط عليهم العدو فاستاصل منهم من شا الله ومن بقي منهم اخذوا با نواع من الهوان انتهى والمسكنة اي كذلك مناسبة لخساسة ما سالوه قال الحرالي وهي ظهور معنى الذل او ان الله دل على ظاهر الهيئة والصورة سكونا وانكفاف حراك انتهى وباؤوا اي رجعوا وكانوا اخفا بغضب من با، فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له قال الحرالي معناه اجماع القاهر على الانتقام في حق مراغمه انتهى من الله الملك الاعظم لجراتهم على هذا المقام الاعظم مرة بعد مرة وكرة اثر كرة قال الحرالي وفيه تهديد لهذه الامة بما غلب على اهل الدنيا منهم مثل اموالهم باستبدال الادني في المعنى من الحرام والمشابه بالاعلى من الطيب والاطيب الماخوذ عفوا واقتناعا انتهى ثم ذكر سبب هذا وقال الحرالي ولما كان الغضب انما يكون على من راغم الجليل في معصيته ووقعت منهم المراغمة في معصيتهم واعتدائهم ذكر فعلهم انتهى فقال ذلك اي الامر العظيم الذي حل بهم من الغضب وما معه ويجوز ان يرجع الى اهتمامهم بامر معاشهم وعنائهم باحوال شهواتهم على هذا النحو الاخس الادنى بانهم اي بسبب انهم كانوا اي جبلة وطبعا يكفرون اي مجددين مستهزئين بايات الله اي يستمرون اذ عانهم وتصديقهم بسبب ايات الله الذي له جميع العظمة كتما نا عمن لا يعلم الايات وتلبيسا وكان يجدد ذلك والاصرار عليه ديدنا لهم وخلقا قايما بهم قال الحرالي والكفر بالايات ابعد المراتب من الايمان لانه ادنى من الكفر بالله لان الكفر بالله كفر بغيب والكفر بايات الله كفر بشهادة والذين كفروا با يانتا بهم اصحاب المشئمة انتهى ويقتلون النبيين اي كان ذلك جبلة لهم وطبعا قال الحرالي وهذا جمع بني وهو من النبا، وهو الاخبار عن غيب عجز عند المخبر به من حيث اخبر انتهى ولما كان النبي بمعنى صوما دنيا ودينا قال بغير الحق اي الكامل تنبيها على ان قتله لا يقع الا كذلك لكن هذا لا ينفي ان يكون ثم شبهة كظن التنبوء فالدم على الاقدام على اراقة الدم بدون الوضوح التام وفاقا انتهى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فهو اخف مما في آل عمران ثم علل هذه الجراة فقال ذلك اي الامر الكبير من الكفر والقتل الذي هو من اعظم الكفر بما عصوا وهو من العصيان قال الحرالي وهو مخالفة الامر انتهى وكانوا اي جبلة وغريزة يعتدون اي يتجاوزون الحدود على سبيل التجدد والاستمرار فان من فعل ذلك مرد عليه ومن فاجتراء على العظائم قال الحرالي وهو اي الاعتداء تكلف العدا، والعدا، مجاوزة الحد فيما يقبح فيه الى حد لا عذر لمجاوزة من حيث قبح له سعة ما فسح وحد له انتهى وقد جا،

نظم هذه الايات من قصصهم على غير ترتيبها في الوجود وفي التورية لما ذكرت من هذه المناسبات العظيمة والله اعلم شرح
امرها من التورية قال في آخر السفر الرابع منها في النسخ الموجودة بين اظهر اليهود الآن في هذا القرن التاسع فيما قرانه
في نسخة مترجمة بالعربية وخطها كذلك وعليها اثار قراتهم لها وبيان الاوقات التي يقراء فيها كل فصل منها ثم قابلتها بالمعنى
كما مضى مع شخص منهم وكان هو القاري ما نصه وهذه مطاعن بني اسرآيل حيث خرجوا من ارض مصر باجنادهم على يدي
موسى وهرون وكتب موسى مخارجهم ومراحلهم عن قول الرب ظعنوا من رعمسيس وفي نسخة من عين شمس في خمسة عشر يوما
من الشهر الاول من غد الفصح وفي نسخة بعد الفصح بيوم والمراد بالشهر الاول عندهم نيسان وهو شهر العزيك وخرج بنو
اسرآيل بقوة عظيمة نجاه جميع اهل مصر كانوا مشاغيل بدفن الابكار الذين قتلهم الرب وبما انتقم الرب من آلهتهم فظعن بنو
اسرآيل من رعمسيس وفي نسخة عين شمس ونزلوا ساحوت وارتحلوا من ساحوت ونزلوا ايثم وفي نسخة اياثم التي في اقاصي القفار
وظعنوا من اياثم ونزلوا في قويمة الخندق الذي في حيال بعلصفون ونزلوا بازاء معزول وفي نسخة مجدول وارتحلوا من
فوهة الخندق وجازوا في وسط البحر الى القفر وفي نسخة بين البحر والقفر وساروا مسيرة ثلثة ايام في برية ايثم ونزلوا مرة وفي نسخة المريره وانوا آليم وفي نسخة ونزلوا في المرابر وصاروا الى آليم وكان في آليم اثنتا عشرة عينا من ماء
وسبعون نخله ونزلوا هناك على الماء وارتحلوا من آليم ونزلوا ساحل بحر سوف وفي نسخة على البحر الاحمر وظعنوا من
شاطي بحر سوف وفي نسخة من البحر الاحمر وفي اخري بحر القلزم ونزلوا برية شين وارتحلوا من قفر سين ونزلوا دفقا
وظعنوا من دفقا ونزلوا آلوش وارتحلوا من آلوش ونزلوا رفيدين وفي نسخة رفيديم ولم يكن هناك ماء يشرب الشعب وظعنوا
من رفيدين وفي نسخة رفيديم فنزلوا برية وفي نسخة قفر سينا وظعنوا من قفر سينا ونزلوا الموضع المعروف بقبور الشهوة
وارتحلوا من معبرة الشهوة وفي نسخة قفر قبور الشهوة فنزلوا حصروب وظعنوا من حصروب فنزلوا رثما وفي نسخة الرامه
وارتحلوا من رثما وفي نسخة الرامه فنزلوا رمون فرص وقال في السفر الثاني عند ذكره الانعام عليهم باستنقاذهم
من ايدي القبط بتلك الايات العظيمة التي ستشرح ان شاء الله تعالى في سورة الانعام فقال للشعب اذكروا هذا اليوم الذي
خرجتم فيه من مصر من العبودية والرق لان الرب اخرجكم من ههنا بيد منيعة فلا يؤكل الخمير في هذا اليوم وهو ذا انتم خارجون
في شهر الفقاح وفي نسخة العزيك فاذا ادخلكم الرب الى ارض الكنعانيين والحيثانيين والاموريين والجاوانيين
واليابسانيين والغرزانيين كالذي اقسم لآبائكم ان يعطيكم التي تفيض السمن والعسل تعملون هذا العمل في هذا الشهر كلوا الفطير
سبعة ايام ولا يوجد ون الخمير عندكم وتعلمون ابناءكم في ذلك اليوم وتقولون لهم ان الله فعل بنا هذا الفعل اذ اخرجنا من
مصر وليكن ذلك اية على يدك وعلامة بين عينيك لتكون سنة الرب وشريعته على لسانك لان الرب اخرجك من مصر بيد عزيزة
منيعة واحتفظ بهذا وهذه الوصية من سنة الى سنة في وقته واذا ادخلك الرب الى ارض الكنعانيين التي اقسم لك
ولآبائك ان يعطيها فميز كل ذكر يفتح الرحم للرب وكل ذكر من البهايم التي تكون لك يفتح الرحم يكون خاصة للرب تفتديه بحمل
فان لم تفتده فاذبحه وتفتدي كل بكر ذكر من اولادك فاذا سالك ابنك غدا وقال لك ما هذا العمل فقل ان الرب اخرجنا
من ارض مصر من العبودية والرق بيد منيعة عزيزة لان فرعون قسا وفظ وابى ان يرسلنا فقتل الرب جميع ابكار ارض
مصر من بكر البشر والى بكر البهايم لمن اجل ذلك انا ذابح للرب كل ذكر يفتح الرحم وافتدي جميع ابكار ولدي فيكون ذلك علامة
على يدك وذكرا بين عينيك لان الرب اخرجك من مصر بيد منيعة عزيزة فلما ارسل فرعون الشعب وانطلقوا لم يرسلهم الله
في طريق ارض فلسطين لانه كان قريبا ولان الله قال لعل الشعب اذا ما عاينوا القتال ان يحاموا ويرهبوا فيرجعوا
الى مصر فسال الله الشعب في طريق برية بحر سوف وخرج بنو اسرآيل من ارض مصر متسلحون وحمل موسى عظام يوسف
عليه السلام معه لانه اقسم على بني اسرآيل بايمان وقال ان الله سيذكركم عظامي معكم من ههنا فظعنوا من ساحوت ونزلوا ايثم التي في اقطار البرية وكان الرب يسير امامهم بالنهار في عمود السحاب ليسكنهم في الطريق وبالليل في عمود نار
ليضيء لهم وكان يسير امامهم بالليل والنهار ولم يكن عمود الغمام يزول بالنهار وعمود النار بالليل من بين يدي الشعب وكلم
الرب موسى وقال له قل لاسرآيل ان يرجعوا فينزلوا على شاطي الخندق وما بين مغدول والبحر لعام بعلصفون انزلوا هناك
ازاء البحر حتى يقول فرعون ان بني اسرآيل عربا في الارض فيظن انهم قد تاهوا في القفر وان البر قد انغلق عليهم وقال
الرب لموسى انا اقسي قلب فرعون فيسير في طلبكم فامجد بفرعون وجميع جنوده فيعلم اهل مصر اني انا الرب ففعلوا
كذلك فلما سمع فرعون وعبيده الارسال الشعب وندموا فامالم حيله وسار في جميع شعبه وظعن في ستمايه الف راكب
مختارة وجميع مواكب المصريين ايضا والرجال وفي نسخة والعواد على جميعها فسار المصريون في طلبهم فرهقوهم
وهم حلول على المهرقان فقرب فرعون ورفع بنو اسرآيل ابصارهم فراوا المصريين في طلبهم فخافوا خوفا شديدا
فصلى بنو اسرآيل بين يدي الرب وقالوا لموسى لقلة القبور بمصر اخرجتنا لنموت في البرية لم فعلت بنا هذا الفعل
واخرجتنا من مصر اليس هكذا كنا نقول لك ونحن بمصر دعنا نتعبد للمصريين كان خيرا لنا ان نتعبد للمصريين من الموت
في هذا القفر فقال موسى للشعب لا خوف عليكم انتظروا فابصروا خلاص الرب اياكم في هذا اليوم لانكم عاينتم المصريين
يومنا هذا لا تخذ تعودون ان يعاينوهم ايضا الى الابد يحاهد عنكم اذا انتم في هدو وطمانينة فصلى موسى بين يدي
الرب فقال مر بني اسرآيل ان يظعنوا وانت فارفع عصاك واضرب بها البحر فيسير اك اسرآيل في البحر في اليبس

فاصعدوا

ينوا

وها أنا ذا اقفي قلوب المصريين واغلظها ليتبعوهم فاتجد بفرعون وبجميع جنوده وبمواكبه وفرسانه فيعلم اهل مصر اني انا الرب اذا امجدت بفرعون وبجميع جنوده فنظر ملك الله الذي كان يسير امام عسكر بني اسرايل فسار على ساقتهم فاحتمل السحاب الذي كان امامهم فوقف خلفهم ودخل بين عسكر المصريين ومحل بني اسرآيل وكان السحاب والحندس تلك الليلة باسرها وكان الضيآء والنور لبني اسرآيل تلك الليلة كلها فلم يقدروا على الدنو اليهم تلك الليلة فرفع موسى يده على البحر فزجر الرب البحر بريح سموم وفي نسخة قبول عاصف الليل اجمع فيصير مآء البحر ني يبسا وانقسم المآء فدخل بنوا اسرايل في وسط البحر في اليبس فصارت المياه كالسورين ميامنهم ومياسرهم فسار المصريون فدخلوا في طلبهم فسار خيل فرعون وجميع مواكبه في البحر فلما كان عند صريم الغداة نظر الرب لعسكر المصريين في عمود نار وحندنه غمامه فازعج عسكر المصريين وافتتهم وربط مواكبهم وحبسها وجعلوا هم يعنقون بالسير عليها فقال المصريون نسير وابنا للهرب بين يدي آل اسرايل لان الرب حارب عنهم بمصر فقال الرب لموسي ابسط يدك على المهر فان فتتول المياه على المصريين فتطبق على مواكبهم وفرسانهم فرفع يده على البحر فرجع البحر عند وقت الغداة الى موضعه والمصريون جعلوا يهربون ان اتوه فعذب الرب المصريين في البحر واكذبهم فجرت المياه وطفت على المراكب والفرسان وعلى جميع جنود فرعون الذين دخلوا في البحر في طلبهم ولم ينج منهم ولا واحد فخلص آل اسرآيل في ذلك اليوم من ايدي المصريين فنظر بنوا اسرايل الى المصريين موتى على شاطي المهر فان وعاين آل اسرايل النعمة العظيمة التي انزلها الله بالمصريين وخاف الشعب الرب وامنوا به وصدقوا قول موسي عبده حينيذ سبح موسي وبنوا اسرآيل بهذا التسبيح وقالوا لنسبح الرب ذا الجلال الذي تعالى على المواكب وغرق فرسانها في البحر المنيع والمحمود الرب الذي كان لي منجيا هذا الاله هنا فلنحمده ولنمجده الاه ابآينا فلنعظمه ولنجله الرب ذو الملاحم جبار اسمه لانه قذف بمواكب فرعون وجنوده في البحر وغرق جبابرة في بحر سوف وغطتهم الامواج وهبطوا في القعر فرسبوا مثل الجماد لي يمينك يرب بهيبة بالقوة يمينك يرب اهلكت اعداك بعظم عزك كبتت شانيك ارسلت غضبك فاحرقهم كالسهم بزح وجهك وامرك جمدت المياه ووقف جريها كانه الاطواد ورسبت الاعماق في قعر البحر كالرصاص في المآء المنبع فمن مثلك ومن يفعل كافعالك ايتها النبي في قدسه الموهوب المحمود مظهر العجايب سستت بنعمتك هذا ان الشعب الذي خلصت فبلغ ذلك الشعوب فارتجفوا وقلقوا وغشي الخوف والرعب سكان فلسطين عند ذلك ذعر اشراف ادوم وغشي الرعدة والارتعاش رجال مواب وانكسر جميع سكان كنعان فانهزموا فلتنزل بهم الخوف والقلق والرجفة لعظمة ذراعك يغرقون كالجماد لحتى يجوز سعيك الذي خلصت تقبلهم فتقدسهم في جبل ميراثك الرب يملك الى ابد الآبدين وظعن موسى ببني اسرآيل من بحر سوف فخرجوا حتى انتهوا الى برية اسود ثم ساروا في البرية مسيرة ثلثة ايام فلم يجدوا هناك ماء ثم انتهوا الى مورث فلم يقدروا على ان يشربوا ماء موريث لانه كان مرا فتذمر الشعب على موسى فقالوا لدما الذي نشرب الآن فصلى موسى بين يدي الرب فاظهر الرب له عودا فالقاه في الماء فعذب الماء هناك علمه السنن والاحكام فاتوا حتى انتهوا الى ايلم وكان هناك اثنتي عشرة عينا من ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك على الماء ثم ظعنوا من ايلم فاتوا برية سين التي بين ايلم وسينين في خمسة عشر من الشهر الثاني من الزمان الذي خرجوا من مصر فتذمر جميع جماعة بني اسرآيل على موسى وهرون وقالوا لهما قد كنا نحب ان نتوفى في ارض مصر اذ كنا جلوسا بين اباريق اللحم وكبار الخبز ونتفضل فاخرجتمانا الى هذه البرية لتقتلا جماعة بني اسرايل بالجوع فقال الرب لموسى هانا ذا امطر لكم الخبز من السمآء فلتخرج الشعب فليلتقطوا طعام يوم بيوم لكي امتحنهم هل يسيرون بوصاياي وسنتي ويحفظونها ام لا فاذا كان اليوم السادس فليعدوا وافضلا على ما ياتون به وليكن ذلك ضعف ما يلتقطون في كل يوم فقال موسى وهرون لجميع بني اسرآيل عند المصيل تعلمون ان الرب اخرجكم من ارض مصر وبالغداة تعاينون مجد الرب لان تذمركم بلغ الرب ونحن من نحن اذ تتذمرون علينا وقال موسى ان الرب قد اعطاكم لحما عند المصيل لتاكلوا ورزقكم خبزا بالغداة لتشبعوا لانه قد بلغ الرب تذمركم الذي تراطنون عليه ونحن فمن نحن وليس انما تتذمرون علينا بل على الرب وقال هرون من جميع جماعة بني اسرآيل ان يدنوا فيقفوا بين يدي الرب فلما قال هرون ذلك لجميع جماعة بني اسرايل التفتوا فاذا مجد الرب قد اعتلن في السحاب وقال الرب لموسى قد بلغني تذمر بني اسرايل فقل عند مغارب الشمس تاكلون اللحم وبالغداة سدفا تشبعون من الخبز فتعلمون اني انا الرب اليكم فلما كان عند المصيل صعدت السمان فغشت العسكر وكان بالغداة ضبابة تغطر المن فاحاطت بالعسكر فارتفعت الضبابة فاذا على وجه الارض دقيق ميقشر وكان شبه صقيع الجليد على الارض فقال موسى هذا الخبز الذي اعطاكم الرب لتاكلوا وهذا قول الرب الذي امر به ليلتقط المرء منه على قدر قوته مكيالا لكل نفس على عدد رؤسكم لياخذ المرء لكل من كان في خيمته فصنع بنوا اسرايل كما امرهم موسى والتقطوا منهم من اخذ كثيرا ومنهم تناول قليلا وكالوا ذلك فلم يفضل الذي اخذ الكثير والذي اخذ القليل لم يعدمه فقال لهم موسى لا تبقين منه للغد شيا فلم يطيعوا موسى فاضل رهط منهم للغد فدب فيه الدود وانتن فغضب موسى فجعلوا يلتقطونه في كل غداة كل امرء على قدر قوته وكان اذا جهيت عليه الشمس يميع فلما كان اليوم السادس التقطوا من الخبز ضعفي ما كانوا يلتقطون وكان لون كل رجل مكيالين فاتى جميع اشياخ الجماعة فاخبروا موسى فقال لهم هكذا قال الرب ان السبت راحة ودعة وغدا يوم قدس الرب وقال في موضع آخر لا تعملوا فيه عملا ليكون سبتا للرب في جميع مساكنكم وكل ما اردتم ان تخبزوه فاخبزوه

واطبخوا

واطبخوا ما اردتم طبخه واحتفظوا بما تفضلون باردًا للغد فابقوا منه للغد كما امر موسى فلم ينتن ولم يدب فيه الدود فقال
لهم موسى كلوه يومكم هذا لان اليوم يوم سبت للرب ولستم تقدرون عليه اليوم في الحقل كونوا تلتقطونه ستة ايام واليوم
السابع هو سبت لا يؤخذ فيه فلما كان اليوم السابع خرج رهط من الشعب ليلتقطوا فلم يجدوا فقال الرب لموسى حتى متى يابوا
ان يقبلوا اوصاياي وسنتي فاستراح الشعب في اليوم السابع فسماه بنوا اسرايل المن وهو كحبة الكزبره وطعمه كشهد العسل ○
وقال في السفر الرابع والمن كان يشبه حبة الكزبره وكان منظره ابيض كالمها وكان الشعب يترددون ويلتقطونه ويطحنونه
في الرحا ويهرسونه في المهراس ويطبخونه في القدور ويصيرون منه مليا ويصير طعمه مثل طعم الخبز الذي يعجن دقيقه بالزيت
رجع الى الثاني قال فاكل بنوا اسرايل المن اربعين سنة ولم يزالوا ياكلون المن حتى انتهوا الى اقطار الارض ذات السكنى وحتى
انتهوا الى اقطار ارض كنعان وكان ذلك المكيال عشر جريب اي عشر ويبه وان جماعة بني اسرايل ظعنوا من برية سينين
في مظاعنهم كما امر الرب فوردوا رفيدين ولم يكن للشعب ما يشربون فضج الشعب على موسى وقالوا له اعطنا ماء لنشرب
فقال ما بالكم تضجرون وكم تجربون الرب واشتد عطش الشعب هناك فتذمروا على موسى وقالوا له اصعدتنا من ارض مصر
لتقتلنا وابناءنا ومواشينا بالعطش فصلى موسى اما الرب وقال ما اصنع بهذا الشعب انهم كادوا ان يرجموني فقال الرب
لموسى جز قدام الشعب وانطلق ببعض اشياخ بني اسرايل والعصي التي ضربت بها البحر فتلقته خذها بيدك وانطلق وها انا ذا
واقفا بين يديك على حجر الظران نحو ريب فاضرب عن ذلك الظران فيخرج الماء ويشرب الشعب فصنع موسى هذا الصنيع
بين اشياخ بني اسرايل فسمي ذلك الموضع التجريب والتذمر لان بني اسرايل تنازعوا واصطخبوا ولانهم جربوا الله وقالوا هل ○
يبيننا ام لا ولما كان في الشهر الثالث بعد خروج بني اسرايل من مصر انتهوا الى برية سينا اذ ظعنوا من رفيدين فاتوا برية سينا
وحل هناك اسرايل قبالة الجبل فصعد موسى على الجبل فدعاه الله من الجبل وقال هكذا قل لآل يعقوب قد رايتم ما صنعت
بالمصريين وحملتكم كانكم على اجنحة النسور واقبلت بكم الي فان انتم الآن اطعتم قولي وحفظتم عهدي فانتم احب الي من جميع شعوب
الارض فاتى موسى فدعا باشياخ الشعب فقص عليهم جميع هذه الآيات التي امره بها الرب فاجاب الشعب كلهم جميعا وقالوا نحن
فاعلون جميع ما امرنا به الرب فرد موسى جواب الشعب على الرب فقال الرب لموسى ها انا ذا مناجيك في سحابة مظلمة لكي يسمع
الشعب كلامي اذا كلمتك فيقبلوا كلامك ويصدقوك الى الابد فقال الرب لموسى انطلق الى الشعب وطهرهم اليوم وغدا وليبيضوا
ثيابهم ويرحضوها وليستعدوا في اليوم الثالث فناشد الشعب وتقدم اليهم وقل لهم احذروا ان تصعدوا الى الجبل ولا ○
تقتربوا الى حافاته ومن دنا من الجبل فليقتل ولا تصيبه ايدي الناس بل يرجم رجما ويقذف به الى اسفل بهيمة كان او انسانا
فاذا ضمنت اصوات القرون فانتم في حل من الصعود الى الجبل فهبط من الجبل الى الشعب فطهر الشعب وبيضوا ثيابهم وقال
موسى للشعب كونوا مستعدين في اليوم الثالث لا تقتربن الى امراة فلما كان في اليوم الثالث باكروا غلسا فاذا هم باصوات قرون
وبروق واذا هم ايضا بسحابة عظيمة قد حلت على الجبل فاشتد صوت القرون جدا واشتد فزع من كان في العسكر واخرج
موسى الشعب الى لقاء الرب من العسكر فقاموا في حافات الجبل وكان جبل سينا يخرج منه القتار والدخان لان الرب هبط ○
عليه بالنار وارتفع غباره كغبار الاتون وتزلزل الجبل زلزلة شديدة واشتد صوت القرن ودعا الرب موسى الى راس
الجبل فصعد موسى وقال له الرب انزل فانشد بني اسرايل وانذرهم ان لا يتزحزحوا عند النظر بين يدي الرب فيهلك منهم كثير
وكان جميع الشعب يسمعون الاصوات ويرون المصابيح ويسمعون اصوات القرون ويرون الدخان يخرج من الجبل فراى ذلك
الشعب ففزعوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى كلمنا انت حتى نسمع ولا يكلمنا الله لكيلا نموت فقال موسى لا خوف عليكم لان الله
انما كلمكم ليمتحنكم ويجربكم لكي تخافوه وترهبوه ولا تخطئوا ولا تاثموا فوقف الشعب من بعيد ودنى موسى من الضباب التي اعتلن
الله فيها وقال الرب لموسى هكذا قل لآل اسرايل قد رايتم وعلمتم اي كلمتكم من السماء لا تتخذوا معي الهة من ذهب ولا تعملوا لكم الهة
من فضة ثم قال ها انا ذا مرسل اليك الملك بين يديك ليحفظك في سفرك ويوردك البلد التي اتقنت وفي نسخة هيأته
فاحذره واسمع منه لان اسمي حال عليه فان انت قبلت قوله واطعت امره وعملت بكل ما يامرك به ابغض مبغضيك وبسير
ملكي امامك فيدخلك على الامورانيين وذكر بعدهم خمس فرق فاقتلهم وابيدهم وارسل الرعب والخوف والجزع بين يديك
وابيد جميع الشعوب الذين تسير اليهم ولا ابيدهم في سنة واحدة لكيلا تخرب الارض بل رويدا رويدا حتى تعتز وفي نسخة
يكثر فتصير ذا بطش فترب الارض واجعل تخومك من بحر سوف والى فلسطين ومن البرية وحتى النهر وفسره في موضع آخر
بالفرات وقال الرب لموسى اصعد الى الجبل انت وهرون وناداب وابيهو وسبعون رجلا من اشياخ بني اسرايل ويسجدون
من بعيد ويقترب موسى وحده الى الرب وهم لا يقتربون ولا يصعد الشعب معه فجاء موسى وقص على الشعب جميع عهود الرب
وجميع احكامه فنادى الشعب كلهم بصوت عال وقالوا نحن نفعل ما امرنا الرب وكتب موسى جميع كلام الرب وغدا باكرا فبنى
مذبحا في حافة الجبل ونصب اثنتي عشرة نصبة لاسباط بني اسرايل ثم ذكر ذبايح وقرابين وغير ذلك ثم قال ثم اخذ سفر
العهد فتلاه على الشعب فقالوا نحن سامعون فاعلون ما امرنا به الرب فتناول موسى ذلك الدم يعني دم القربان فرشه على
الشعب وقال هذا دم العهد الذي عاهدكم في جميع هذه الاقاويل وصعد موسى ومن ذكر معه ثم تركهم في مكان من الجبل ثم
قال لهم امكثوا ههنا فصعد موسى الى الجبل وتغشاه السحاب وحل مجد الله على جبل سينا وستره السحاب ستة ايام ودعى الرب
موسى في اليوم السابع من خوف السحاب ونظر الى مجد الرب مثل نار تتوقد في راس الجبل امام جميع بني اسرايل فدخل موسى في ○

لم ع
اضرب بعصاك الحجر ○
الله ع
واذ اتينا موسى الكتاب ○
موسى ع
الذي ع

جوف السحاب وصعد الى الجبل فمكث موسى في الجبل اربعين يوما نهارا واربعين ليلة وكلم الرب موسى وقال له قل لبني اسرائيل ٥
فليخصوا الي زكية اموالهم وخذ ذلك من كل رجل بلغ اشده ثم ذكر الاموال التي تزكى الى ان قال ويتخذون لي مظهرا حتى احل بينهم كل
شي اريكه شبه القبة وجميع متاعها كذلك فليصنعوه ثم قال واعمل على المثال الذي اريكه في الجبل ويتخذوا تابوتا من خشب
الشمشار طوله ذراعان ونصف وسمكه ذراع ونصف وصفحه بصفائح الذهب الابريز من داخله ومن خارجه واتخذ له طوقا
من ذهب يحيط به وضع له اربع حلقات من ذهب وسمرها في اربع زوايا التابوت حلقتين في شق واحد وحلقتين في الجانب الآخر ٥
واتخذ اصطارا من خشب الشمشار وصفحها بالذهب وصير الاصطار في الحلق في جانبي التابوت ليحمل بها وليكن الاصطار في حلق
التابوت ولا ينزع منها وتضع الشهادة التي اعطيك في التابوت وسمي هذا تابوت الشهادة واتخذ كوبين اي مخضبين من ذهب
اتخذهما معز غير مصبوبين فيكونا على جانبي التطهير ويكون احد فحة الكوبين مبسوطة تظل من فوق فتظل باكنافها على التطهير
وليكن وجه كل واحد منها ازاء صاحبه وليكن وجها الكوبين من فوق التطهير وقال واتخذوا دار القبة من مهب
الجنوب واستمر يصف له عمل هذه القبة واعمدتها وستورها وآلاتها وخدمها وما يقرب فيها ومحل ضربها من العسكر وعلى
اي كيفية في نحو خمس عشرة ورقة وسماها قبة الزمان ثم امره تعالى في آخر هذا السفر الثاني باشياء مما يتصل بانتفاعها وسراداقها
وغير ذلك في اربع من عشر ورقات كما سيأتي وقال في تضاعيف ذلك وقضير الشهادة التي اعطيك في التابوت واواعدك
الي هناك واكلمك فوق التطهير من بين الكوبين اللذين فوق تابوت الشهادة بجميع ما امرك في بني اسرائيل وقال ويتخذوا هذا
القربان دائما في كل حين في احقابكم على باب قبة الزمان قدام الرب واواعدكم الي هناك لاكلمكم واواعد بني اسرائيل الي هناك ٥
فاتقدس بكرامتي واحل بين بني اسرائيل فيعلمون اني انا الرب الههم الذي اخرجهم من ارض مصر ثم قال فليؤد المرء منهم الزكوة
عن نفسه اذا عدد بهم لكيلا ينزل بهم الوبا ثم ذكر له تفاصيل ما يؤدي وان الزكوة على الغني والمسكين وكلم الرب موسى وقال له اعلم
اني قد انتخبت بصلئيل بن اوري بن حور من سبط يهوذا واسبغت عليه روح الله وملائته من الحكمة والعلم في كل علم ليعلم الصناعات
في عمل آنية الذهب والفضة والنحاس وفي زندجة الحجارة ونظمها وكلها وفي نجارة الخشب ليعلم كل عمل وقد ضممت اليه اهليآب بن
اخسمخ من سبط دان واحللت الحكمة والفهم في قلوب ذوي الحكمة والعقل ليعلموا جميع ما امرتك به من عمل قبة الزمان وتابوت الشهادة
والتطهير الذي فوقها وجميع متاع القبة المائدة وجميع متاعها والمنارة وجميع آنيتها ومذبح البخور ومذبح القرابين وجميع انيتهما
والسطل واسفله ولباس التضايد ولباس القدس لهرون الكاهن يعني الامام وكسوة بنيه ليكهنوا ودهن المسح وبخور الطيب
للقدس فليعملوا جميع ما امرتك به الى ان قال ودفع الى موسى لما فرغ من كلامه له في طور سينا لوحي الشهادة لوحي حجارة
مكتوب عليهما بيد الله فراي الشعب ان موسى قد ابطا عن النزول فاجتمع الشعب يعني وقالوا انتخذ لنا آلهة تسير امامنا لان
الرجل موسى الذي اخرجنا من ارض مصر لا نعلم لنا ما صار من امره فذكوا لهارون صنيعهم العجل وانهم ذبحوا له الذبائح وجلسوا ياكلون ٥
ويشربون وقاموا يلعبون ويتشاتمون وان هرون عليه السلام دعر من ذلك وقوع وانما اسوق نص التوراة عن هذا بلفظه
لان في اول عبارته غضاضا بالنسبة الى مقام هرون عليه السلام وحاشاه مما يوهم نقصا محورت ان يكون مما بدلوه ثم تاملت ما
رواه النسائي وابو يعلى وابن ابي حاتم وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث الفتون فوجدته ليس بعيدا من تاويله وقد ٥
ذكرت محل الحاجة منه في سورة طه والله الموفق ثم قال فقال الرب لموسى اهبط من ههنا لان شعبك الذين اخرجتهم من ارض مصر
افسدوا سيرتهم وصدوا وشيكا عن الطريق الذي امرتهم ان يسلكوه فاتخذوا لهم عجلا مقرعا وسجدوا له وذبحوا له الذبائح
وقالوا له هذا الهك يا اسرائيل الذي اخرجك من ارض مصر وقال الرب لموسى اني قد رايت هذا الشعب قاسية قلوبهم فدعني
الآن فيشتد غضبي عليهم فاقتلهم وابيدهم واصيرك الى شعب عظيم فصلى موسى بين يدي الآله وقال كلا يا رب لا يشتد غضبك
على شعبك الذين اخرجتهم من مصر بقوتك المنيعة وبذراعك العلية الرفيعة ولا يقول اهل مصر انك انما اخرجتهم لهلاكهم
لتقتلهم بين الجبال وتستاصل شافتهم وتبيد خضراءهم عن جديد الارض ارجع لنيسكن غضبك وزجرك واغفر ذنب شعبك
اذكر ابرهيم واسحق ويعقوب عبيدك والايمان التي اقسمت بها لهم وقلت اني مكثر نسلكم مثل نجوم السماء وجميع الارض
التي وعدت بها نسلهم ان تعطيهموها فيرثوها الى الابد فعفى الرب عن شعبه ولم ينزل بهم الشر فنزل موسى وهبط من الجبل ولوحا
الشهادة في يده لوحان كتبت عليهما في الوجهين جميعا واللوحان من عمل الله جل ثناؤه وخطاه مكتوب عليهما فلما دنا موسى من
العسكر نظر العجل والصهنوج فاشتد غضب موسى فرمى باللوحين من يده فكسرهما في سفح الجبل ثم اخذ العجل الذي اتخذوه
فاحرقه بالنار وسحله بالمبرد حتى صيره مثل التراب ونثر سحالته على وجه الماء فوقف موسى على باب قبة الزمان وقال
من كان من حزب الله فليقبل الي فانحاز اليه بنو لاوي باجمعهم فقال لهم موسى هكذا يقول الرب الاله اسرائيل ليتقلد المرء منكم
سيفه وجوزوا من باب الى باب وجولوا العسكر وليقتل المرء منكم اخاه وصاحبه وقرابته ففعلوا بنو لاوي كما امرهم
موسى فقتل من الشعب في ذلك اليوم نحو من ثلثة الاف رجل فقال لهم موسى كفوا ايديكم اليوم لكم هذا من الحمية للرب لتحل عليكم
اليوم كتيبو منا هذا فلما كان الغد من ذلك اليوم قال موسى للشعب انتم خطيتم وارتكبتم هذه الخطيئة العظيمة فاما الآن فاني
اصعد الى الرب لعله ان يغفر لكم ذنوبكم واثمكم فرجع موسى الى الرب وقال اطلب اليك يا الله التضرع اللهم ربي حقا لقد اخطا هذا
الشعب وارتكبا اثما عظيما واتخذوا آلهة من ذهب فالآن ان انت غفرت خطاياهم والا فامحني من سفرك الذي كتبت فقال
الرب انا امحو من سفري من اخطا واذنب فاما الآن فانطلق بهذا الشعب الى الموضع الذي اقول لك وهذا ملاك يتطلق امامك

لحم كرمز

ا

الى الارض التي تفل السمن والعسل لاني لا اصعد معكم لانكم شعب قاسيه رقابهم ولعل غضبي ان يشتد عليهم فاقتلهم في
الطريق فسمع الشعب هذا القول المقطع فحزنوا فلم يتسلح الرجل منهم بسلاحه فاخذ موسي خيمته فنصبها خارجا من العسكر وابعدها
من المحلة وسماها قبة الزمان وكان من سال الرب امرا يخرج الى قبة الزمان وكان اذا خرج موسي الى قبة الزمان كان جميع الشعب
يقفون وليستعد كل امرء منهم على باب خيمته ينظرون الى موسي من خلفه حتي يدخل الى القبة واذا دخل موسي القبة كان ينزل
عمود السحاب فيقف على باب القبة ويكلم موسي وكان جميع الشعب ينظرون الى عمود السحاب واقفا على باب القبة وكان يقف
جميع الشعب ويصلي كل امرء منهم على باب خيمته وكلم الرب موسي مواجهة كما يكلم الرجل اخاه وصاحبه وكان يرجع الى العسكر ۝
وكان خادمه يشوع بن نون الغلام لم يكن يفارق القبة وقال موسي للرب انت يرب امرتني ان اصعد بهذا الشعب ولم يطلعني
على من توسل معي وقلت اني قد اطلعتك على جميع خلايقي ومجدي وظفرت ايضا مني برحمة ورافة فالآن ان كنت قد ظفرت منك
برحمة ورافة فاريني طريقك حتي اعرفك فقال الرب لموسي سر امامي فاواعدك وارتحك فقال له ان انت لم تصعد بيننا فلا
تصعدنا من ههنا فبما ذا يعرف اني قد ظفرت منك برحمة ورافة انا وشعبك الا اذا سرت بيننا فنكون انا وشعبك متفضلين
معروفين من جميع الشعوب الذين على وجه الارض فقال الرب لموسي اني فاعل ما سالت لانك ظفرت مني برحمة ورافة واصيرا سمك
معروفا شهيرا الى الابد فقال له ارني مجدك فقال له انا اجيز جميع مجدي وكرامتي بين يديك ويذكر اسم الرب امامك واتحنن
على من اردت التحنن عليه وارحم من اردت ارحم وقال انك لا تقدر على النظر الى وجهي لانه لا يراني بشري فيحيي وقال
الرب لموسي انقر لوحي حجارة مثل اللوحين الاولين الذين كسرتهما وكان مستعدا بالغداة واصعد باكرا الى الجبل جبل سينا
وقف هنالك على راس الجبل ولا يصعدن احد معك ولا يرى احد في جميع الجبل ولا ترتعي الغنم والبقر قبالة ذلك الجبل فنقر
موسي لوحين اخرين من حجارة مثل الاولين وغدا باكرا فصعد الى طور سينا كما امره الرب واخذ اللوحين في يده فنزل متعللا
الرب امامه فقال موسي يرب اللهم ربي الرؤف الرحيم الطويل الاناة والمهل الكثير نعمته وقسطه حافظ النعمة والعدل الى
الف حقب ولتغفر الذنوب والاثم والخطايا فاستعجل موسي فخر على وجهه على الارض ساجدا وقال ان ظفرت يرب منك برحمة
ورافة فليسلك الرب الآن بيننا لان هذا الشعب هو شعب قاسية رقابهم واغفر ذنوبنا وخطايانا وخذ نيابتنا فقال له
ها انا ذا اعهد عهدا امام جميع الشعب واظهر عجايب لم اظهر مثلها في الارض كلها وفي جميع الشعوب فيري ذلك جميع هذا الشعب
الذي انت فيه فعل الرب الذي امرك به انه مخوف مرهوب احتفظ بما امرك به في هذا اليوم ها انا ذا اقتل وابيد من بين يديك
من الكنعانيين وسمي من تقدم وكرر النهي عن السجود لغير سبحانه واوصي باشياء منها النظير فقال واحتفظ بعيد الفطير سبعة
ايام كما امرتك في اوان شهر الفقاح وفي نسخة الغريك لانك انما خرجت من مصر في شهر الفقاح ثم قال فمكث هناك عند الرب
اربعين يوما وليلها لم ياكل طعاما ولم يشرب شرابا وكتب الله على لوحي الحجارة كلام العهد وهو العشر الايات فلما هبط موسي
من جبل سينا كان لوحا الشهادة في يده ولم يعلم موسي ان بشرة وجهه قد جللت بالبهاء اذ كلمه الله فنظر هرون وجميع بني اسرايل
اليه وجه موسي فخافوا ان يقتربوا اليه فدعاهم فاتاه هرون وجميع عظماء الجماعة وكلمهم موسي فلما فرغ موسي من كلامه لهم
بسط على وجهه جلبابا وكان اذا دخل الى الرب ليكلمه يسفر عن وجهه حتي يخرج وكان يخرج فيامر بني اسرايل بما يومر به وقال
ان الرب امرا ان تعمل عملك ستة ايام واليوم السابع يكون مخصوصا مقدسا السبت يوم راحة قدس الرب ومن عمل فيه عملا
فليقتل ولا تشعلوا النار في جميع مساكنكم يوم السبت ثم امرهم تعالي بالزكوة من الذهب والفضة والنحاس والقزن
والجلود وغير ذلك وباشياء يزيد وفاني قبة الزمان في اكثر من عشرو رقات وقال في اخر ذلك وقال الرب لموسي
انصب قبة الزمان في اول يوم من الشهر الاول وصير تابوت الشهادة هناك واسبل الجلاز على التابوت الى ان قال
وادن لهرون وبنيه الى باب قبة الاحمد واغسلهم بالماء والبس هرون لباس القدس وامسحه فليكهن لي وادن بنيه والبسهم
السراويل وامسحهم كما مسحت هرون اخاك فليكهنوا لي وليكن لهم مسحهم للكهنوت الى الابد حقابهم ففعل موسي كما امره الله
فلما كان اول يوم من الشهر الاول من السنة الثانية نصب القبة يوم الاحد وضرب اوتادها وركب الواحها وزرفن
عوابرها وركز اعمدتها وستر الستر على القبة وجللها من فوقها كما امر الرب وتناول الشهادة فوضعها في التابوت وصير
الدهوق في التابوت ووضع التطهير على التابوت من فوق وادخل التابوت الى القبة واخذ حجاب وجه الباب فجلل
تابوت الشهادة كما امر الرب ونصب المنارة عند حافات القبة مما يلي مهب الشمال خارجا من الحجاب ونضد عليها
صفوف الخبز بين يدي الرب كما امر الرب ونصب المنارة ازاء المايدة في حافات القبة مما يلي مهب الجنوب ودلوان
حصا بيحها قدام الرب كما امر الرب موسي ونصب مذبح الذهب في قبة الزمان خارجا من الحجاب ونخر عليه بخور
الطيب كما امر الرب واسبل الستر على باب القبة ونصب مذبح القرابين على الباب وقرب عليه القرابين كما امر الرب
ووضع السطل بين قبة الزمان والمذبح وسكب عليه ماء الغسل وكان هرون وبنوه يغسلون ايديهم وارجلهم
اذا ارادوا الدخول الى قبة الزمان وكانوا اذا دنوا من المذبح يغسلون ايضا كما امر الرب موسي ونصب دارا
بحيط بالقبة والمذبح واسبل الستر على باب الدار وكمل موسي عملها وغشت السحابة قبة الزمان وامتلات القبة
مجد الرب وكرامته ولم يقدر موسي على الدخول الى قبة الزمان لان السحاب حلت عليها وامتلات القبة مجد الرب وكرامته
وكان اذا ارتفع السحاب عن القبة كان بنو اسرايل يظعنون في جميع مظاعنهم وان لم ترتفع الغمامة لم يظعنوا الى اليوم

اربعين ليلة ۝

الذي ترتفع فيه لان سحاب الرب كان يغشي القبة بالنهار وكانت النار تضيء عليها بالليل وتزهر وتنير امام جميع بني اسرايل
في جميع مظاعنهم وقال في اول السفر الرابع امر الله باحصاء بني اسرايل فكانوا من ابناء عشرين سنة الي ما فوقها من خرج
منهم للحرب في الاجناد ستماية الف وثلثة الاف وخمسماية وخمسين دون سبط لاوي فانهم لحفظ قبة الزمان وخدمتها وتكون
منازلهم حولها محدقة بها وهم من ابن شهر الي ما فوقه اثنان وعشرون الفا ثم قال وكلم الرب موسي وقال له اذا اتي
علي الرجل من اللاويين خمسة وعشرون سنة يتقوي علي ان يعمل العمل في قبة الزمان فاذا اتت عليه خمسون سنة يخرج
من العمل ولا يعمل عملا في قبة الامد وكان ينزل بنوا اسرايل حول بني لاوي بانزال الله تعالي لهم كل له محل من القبة علي الاستدارة
وكان ينزل من مسارقها موسي وهرون وبنوه ليحفظوا احفاظ القدس والقرابين علي بني اسرايل ومن دنا من قبة الزمان واعمالها
من الغربا يومر بقتله فقد علم من هذا ومما قبله من ان كلا يصلي علي باب خيمته ان قبلهم وهم في التيه قبة الزمان وفي اليوم
الذي نصب فيه الخبا اي في قبة الزمان تغشت سحابة من عند الرب قبة الزمان وحجاب باب الشهادة وكانوا يرون في
الخباء عند الماء نارا تتوقد الي الصباح كذلك كان يكون في الخباء دايما وكانت تغشاه سحابة بالنهار وتري فيه نار
بالليل فاذا ارتفعت السحابة عن القبة ارتحل بنوا اسرايل من مواضعهم وحيث ما نزلت السحابة هناك كان ينزل بنوا اسرايل
وانما كان ارتحال بني اسرايل عن قول الرب وبامره فربما مكثت السحابة علي القبة من الماء حتي بالصباح وترتفع بعد الصبح
فيرتحلوا وربما مكث الليل والنهار وربما مكثت اياما واشهرا وربما مكثت سنة وكلم الرب موسي وقال له اتخذ قرنين من
فضة يكونان عند حضور الجماعة وارتحال العسكر يهتف بهما الكهنة فتحتشد اليك جماعة بني اسرايل اجمعون الي باب
قبة الزمان وان نفخ في واحد اجتمع اليك القواد ورؤسا الالوف ولما كان في السنة الثانية في عشر خلون من الشهر
الثاني ارتفعت السحابة عن قبة الشهادة وارتحل بنوا اسرايل من برية سينا ونزلت السحابة في قفر فاران ثم قال وارتحلوا
من عند جبل الرب مسيرة ثلثة ايام فاما تابوت عهد الرب فظعن قبلهم مسيرة يوم ليهيي منزلا وكانت تظلهم سحابة من قبل
الرب اذا ارتحلوا ليلا تؤذيهم حرارة الشمس فلما ارتحل حاملوا التابوت قال موسي انهض الينا يرب لينكسر شانيك ويبيد
اعداؤك من بين يديك واذا نزل حملة التابوت قال اقبل يرب الي الوف بني اسرايل فتذمر الشعب وسال الرب ذلك
وغضب وسمع توشوشهم فاشتد غضبه عليهم واشتعلت فيهم نار من قبل الرب فاحرقت الذي في اطراف العسكر وحوله
وضج الشعب علي موسي فصلي موسي امام الرب وخمدت النار ودعا اسم ذلك الاحتراق لان نار الرب اشتعلت فيهم واحرقتهم
هناك واشتهي الخلط الذين كانوا فيهم من الشعوب شهوة واقبلوا علي بني اسرايل وقالوا ليت انا وجدنا من يطعمنا كما
ذكرنا السمك الذي كنا ناكله بمصر واكلنا القثا والبطيخ والكراث والبصل والثوم والان انفسنا قرمة اي يابسة لا تقدر
علي شي تاكله ما خلا هذا المن الذي قد لم اعيننا وسمع موسي الشعب يبكون في قبايلهم كل انسان علي باب خيمته واشتد غضب
الرب وشق ذلك علي موسي ايضا ثم قال من اين اقدر اعطي هذه الامة كلها لحما انها تبكي علي وتقول اعطنا لحما لست اقدر
احتمل هذه الامة كلها وحدي لانها اقوي مني ان كان فعلك هذا بي فاقتلني قتلا ان وافيت منك رحمة ولا اعاين شرا ولا اري
سوءا فقال الرب لموسي اجمع سبعين شيخا من اشياخ بني اسرايل الذين تعلم انهم رؤسا الشعب وكتابه وانطلق بهم الي
قبة الزمان فاني انزل اليك واكلمك هناك وانقص من عطية الروح التي عليك واصيره عليهم ثقل هذا الشعب ولا
يتركوك وحدك ثم قال موسي للشعب تهيوا غدا لتاكلوا لحما لانكم بكيتم امام الرب وقلتم ليت من يطعمنا لحما وان الموت
بارض مصر خير لنا فسيعطيكم الرب لحما وليس انما تاكلون منه يوما او يومين بل تاكلون منه شهرا حتي يخرج من انوفكم
وتصيبكم منه تخمة وجمع سبعين شيخا من مشايخ الشعب واقامهم حول الخباء ونزل الرب سبحانه وكلمه واخذ من الروح الذي
عليه وصيره علي السبعين ودخل موسي العسكر هو واشياخ بني اسرايل وهبت ريح من قبل الرب واصعدت السلوي من
البحور والقته علي العسكر ومسيرة يوم يمنة ويسرة حول العسكر وكان مرتفعا من الارض نحو ذراعين وجمعوا ونشروا
حول العسكر ليكون لهم قديدا فبينا اللحم بين اسنانهم قبل ان ينقلع اشتد غضب الرب عليهم وضرب الشعب ضربة عظيمة
جدا ودعا اسم ذلك الموضع قبور الشهوة وارتحل الشعب من قبور الشهوة فاتوا حصروث ونزلوها وذكر انهم مكثوا هنالك
سبعة ايام ثم قال ثم ارتحل الشعب من حصروث ونزلوا مفازة فاران وكلم الرب موسي وقال له ارسل قوما يحسبون
الارض التي اعطي بني اسرايل فذكر ارسال النقبا الاثني عشر كما سياتي ان شا الله تعالي في سورة المايدة ثم قال
ورجعوا الي موسي بعد اربعين يوما فاتوا موسي وهرون وجماعة بني اسرايل الي برية فاران الي رقيم انتهي شرح ما اشير
اليه في هذه السورة من قصص بني اسرايل من التورية ولما بين سبحانه انهم لما تعنتوا علي موسي عليه السلام كما مر وياتي
عن نصوص التورية مرة بعد مرة اورثهم كفرا في قلوبهم فمردوا علي العصيان والتجرؤ علي مجاوزة الحدود فضرب عليهم
الذلة والمسكنة واحلهم الغضب وكان في ذلك تحذير لمن طلب سلوك ذلك الصراط المستقيم من حالهم واعلام بان المتقين
المستجاب لهم في الدعا بالهداية ليسوا في شي من ذلك بل قالوا اهدنا عن يقين واخلاص متبرئين من الدعاوي والاعتراضات
علي الرسل نبه علي ان من عمل ضد عملهم فامن منهم او من غيرهم من جميع الملل كان علي ضد حالهم عند ربهم فلا يغضب عليهم
بل يوفيهم اجورهم ويورثهم الامن والشرور المتضمنين لضد الذلة والمسكنة فقال تعالي ان الذين امنوا ويقال انه
سبحانه لما علل اهانة بني اسرايل بعصيانهم واعتدايهم كان كانه قيل فما لمن اطاع فاجيب بجواب عام لهم ولغيرهم او يقال

انه

انه لما اخبر تعالى بانهم لما الزموا الخزي طوق الحمامه وكان ذلك ربما اوهم انه لا خلاص لهم منه وان تابوا وكانت عادته
سبحانه جارية بانه اذا ذكر وعدًا او وعيدًا عقبه حكم ضده ليكون الكلام تامًا اعلموا ان باب التوبة مفتوح والرب كريم
على وجه عام وقال الحرالي لما انهى الحق تعالى نبا احوال بني اسرايل نهايته مما بين اعلى تكرمتهم بالخطاب الاول الى ادنى
الغضب عليهم بهذا النبا الآخر عنهم اعراضا في مقابلة ذلك الاقبال الاول وكانوا هم اول اهل كتاب اشعر تعالى بهذا الختم
ان جميع من بعدهم يكون لهم تبعًا لنحو ما اصابهم من جمع اهل الملل الاربعة انتهى فقيل ان الذين امنوا اي ادعوا الايمان بما
دعا اليه محمد صلى الله عليه وسلم والذين هادوا اي ادعوا انهم على دين موسى عليه السلام قال الحرالي وهو من الهود
وهو رجوع بالباطن وثبات فيه انتهى وقال ابو عمرو بن العلاء لانهم يتهودون اي يتحركون عن قراءة التورية ويقولون
ان السموات والارض تحركتا حين اتى الله عز وجل التورية لموسى عليه السلام والنصارى المدعين انهم تبعوا المسيح عليه
السلام قال الحرالي جمع نصران فان كان من النصرة فهو فعلان ولما كانت هذه السورة في استعطاف بني اسرايل ترغيبا
وترهيبا قرن هنا بين فريقيهم ولما كانت ملة الصابية جامعة لما تفرق من اصول اديان اهل الشرك تلاهم بهم مويدا
كل مشرك فقال والصابئين المنكرين للرسالة في الصورة البشرية القايلين بالاوثان السماوية والاصنام الارضية
متوسطين الى رب الارباب قال الحرالي بالهمز من صبا يصبا صبا وبغير همز من صبا يصبو صبوا تعاقبت الهمزة والواو
مع الصاد والباء لعام معنى هو عود الى حال صغر بعد كبر انتهى من امن اي منهم بدوامه على الايمان ان كان امن قبل ذلك
ودخوله في الايمان ان كان كافرا فيكون من الاستعمال في الحقيقة والمجاز بالله اي لذاته واليوم الآخر الذي الايمان
به متضمن للايمان بجميع الصفات من العلم والقدرة وغيرهما وحاث على كل خير وصاد عن كل ضير وعمل صالحا اي وصدق
ما ادعاه من الايمان باتباع شرع الرسول الذي كان في زمانه في الاعمال الظاهرة ولم يفرق بين احد من الرسل ولا اخل بشي من
اعتقاد ما جاءت به الكتب وهو في الاصل جعل التعامل على عمله فلهم اجرهم الذي وعدوه على تلك الاعمال المشروط بالايمان من
الصلاح قال الحرالي وهو العمل المراعى من الخلل واصله الاخلاص في النية وبلوغ الوسع في المحاولة بحسب علم العامل واحكامه
وقال والعمل ما دبر بالعلم انتهى ولما كان الافراد ادل على تخصيص كل واحد بماله والجمع ادل على ارادة العموم واقطع للتعنت
افرد اولا وجمع هنا فقال كائنا عند ربهم فهو محفوظ لا يخشى عليه نسيان ولا يتوجه اليه تلف ولا خوف عليهم من آت يستعلي عليهم
من جميع الجهات ولا هم يحزنون على شي فات بل هم في اعظم الشرور بما لهم من العز والجدة ضد ما للمعتدين من الذل والمسكنة وحسن
وضع هذه الآية في اثناء قصصهم انهم كانوا مامورين بقتل كل ذكر ممن عداهم وربما امروا بقتل النساء ايضا فربما ظن من ذلك
ان من امن من غيرهم لا يقبل قال في التورية في قصة مدين وقتلوا كل ذكر فيها ثم قال وغضب موسى فقال لهم لماذا ابقيتم على
الاناث وهن كن عشرة لبني اسرايل عن قول بلعام ومشورته يعني بما افضى الى الزنا ثم قال وقال الرب لموسى كلم بني اسرايل
وقل لهم انهم جايزون الاردن ليهلكوا جميع سكان الارض ونحو هذا مما لعل بعضه اصرح منه وقد ذكر منه في سورة المايدة وفي
وضعها ايضا في اثناء قصصهم اشارة الى تكذيبهم في قولهم ليس علينا في الاميين سبيل وان المدار في عصمة الدم والمال انما
هو الايمان والاستقامة وذلك موجود في نص التورية في غير موضع وفيها تهديدهم على المخالفة في ذلك بالذلة والمسكنة
وسياتي بعض ذلك عند قوله لا تعبدون الا الله الآية بل وفيها ما يقتضي المنع من مال المخالف في الدين فانه قال في وسط السفر
الثاني واذا لقيت ثور عدوك او حماره وعليه حمولة فارددها اليه واذا رايت حمار عدوك جاثما تحت حمله فهممت ان لا
توازره فوازره وساعده ثم رجع الى قصصهم على احسن وجه فانه لما ذكر للمومنين هذا الجزاء الذي فخم امره ترغيبا بايهامه
ونسبته الى حضرة الرب المحسن بانواع التربية فانه لا خوف معه ولا حزن تلاه بانهم لم يومنوا بعد رؤية ما راوا من باهر
الايات حتى رفع فوقهم الطور وعلموا انه دافنهم ان عصوا فكان قبوله من اعظم النعم عليهم لانه حقه الرد لانه كالايمان عند
رؤية الباس لا ايمان بالغيب ثم ذكر انه لما اقلع عنهم تولوا عن الحضرة الشريفة الى حضرات الشيطان فاكثروا المعاصي اشارة
الى انهم اغلظ الناس اكبادا واكبرهم جراءة وعتادا لا يرهبون لرهبه ولا يثبتون لرغبه فقال تعالى واذ واحضر من هذا ان
يقال انه لما قرر سبحانه قبوله للعالم العامل المذعن كاينا من كان تلاه بما لليهود من الجلافة الداعية الى النفور عن خلال السعادة
التي هي ثمرة العلم وما له سبحانه من التطول عليهم باكراههم على ردهم اليه فقال واذ اي واذكروا يا بني اسرايل اذ اخذنا بما لنا من
العظمة ميثاقكم بالسمع والطاعة من الوثيقة وهي تثنية العهد تاكيدا كاثباته بالكتاب قاله الحرالي ورفعنا ولما كان الجبل
قد صار فوقهم كالظلة عاما لهم بحيث انه اذا وقع عليهم لم يفلت منهم انسان نزع الجار فقال فوقكم الطور ترهيبا لكم لتقبلوا
الميثاق الذي هو سبب سعادتكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كل جبل ينبت وكل جبل لا ينبت فليس بطور وقلنا لكم وهو
مظل فوقكم خذوا ما اتيناكم من الكتاب للسعادة بطاعتي والتزام احكامي الموجبة للكون في حضرتي اي بجد واجتهاد والقوة
باطن القدرة من القوى وهي طاقات الحبل التي يمتن بها ويؤمن انقطاعه قاله الحرالي واذكروا ما فيه من التمسك به
والانتقال عنه عند مجي الناسخ المنعوت فيه ذكرا يكون بالقلب فكرا واللسان ذكرا لعلكم تتقون اي لتكونوا على رجاء من
ان تتقوا موجبات السخط ولما كان التقدير فاخذتم ذلك واوثقتم العهد به خوفا من ان ندفنكم بالجبل عطف عليه واشار
الى انه كان من حقه البعد عن تركه باداة البعد قوله ثم توليتم والتولي قال الاصفهاني الاعراض عن الشي بالجسم ثم
استعمل في الاعراض عن الامر والدين انتهى وهو هنا الاعراض المتكلف بما يفهمه التفعل قاله الحرالي وذلك لان النفوس

اصله و

اذ لم توطنت على امر الله فرات محاسنه فرجعت بذلك اي بخوض الفطرة الاولى لم ترجع عنه الا بمنازعة من الهوى شديدة ولما
كان توليهم لم يستغرقوا من البعد ادخل الجار فقال لـ من بعد ذلك اي التاكيد العظيم عن الوفاء به فلولا اي فتسبب عن توليكم
انه لولا فضل الله اي الذي له الجلال والاكرام مستعل عليكم ورحمته بالعفو والتوبة والاكرام بالهداية والنصر على الاعداء لكنتم من الخاسرين
بالعقوبة وتابد الغضب وايضا فلما كان يمكنهم ان يدعوا الايمان والعمل الصالح عقبت تلك باية الميثاق
اشارة الى انه ليس المنجز الايمان في الجملة بل الايمان بجميع ما اخذ عليهم به الميثاق وهو جميع ما اتاهم في التوراة ايمانا مصحوبا بالقوة
وما اتاهم صفة عيسى ومحمد عليهما السلام والامر باتباعهما فهو مما اخذ عليهم به العهد وقد كفروا به فلم يصح لهم ايمان ولا عمل لان
التفرقة بين ما امن به سبحانه وتصدقه ثم جاءت قصة المعتدين في السبت موكدة لذلك اذ كان حاصلها انهم لما ضيعوا امرا
واحدا من اوامره واستخفوا به وهو تحريم السبت عذبهم بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين فقال ولقد وافرب من
ذلك ان يقال انه سبحانه لما ذكرهم بنعمة العفو العفو الحافظ لهم من الخسران فرعهم بخلافه اجري لهم خذلانها فريقا منهم حتى
غلبهم الخسران فاضروا الا انفسهم مقسما على انهم بها عالمون ولها مستحضرون فقال تعالى عاطفا على ما تقديره لقد علمتم جميع ذلك
من عهودنا وحاذركنا من الايقاع بمن نقض من شديد وعيدنا ومن التهديد على ذلك بضرب الذلة وما تبعها من انواع النكال
ولقد اي وعزتي لقد علمتم الذين اعتدوا اي تعمدوا العدوان منكم في السبت بان استحلوه واصل السبت القطع للعمل ونحوه
فقلنا اي فتسبب عن اعتدائهم ان قلنا بما لنا من العظمة لهم كونوا بارادتنا قردة خاسئين اي صاغرين من جمع خاسئ من الخسء
وهو طرد يكره واستخباث وسبب ذلك انا لله تعالى امرهم بيوم الجمعة فابوا الا السبت فالزمهم الله اياه وجعله لهم محنة
وحرم عليهم فيه العمل فاصطادوا على تعيب وخوف من العقوبة فلما طال زمن عفوه عنهم وحلمه سبحانه فتجاهروا بالمعصية صح
منهم من عصى بالمباشرة ومن سكت عن النهي عن المنكر فجعلناها اي فتسبب عن قولنا انه كانوا قردة كما قلنا فجعلنا هذه
العقوبة نكالا اي ردعا مانعا لما بين يديها من المعاصي من اهل عالمها الشاهدين لها وما خلفها ممن جاء بعدهم روي معناه
عن ابن عباس رضي الله عنهما والنكال ابدا اذا العقوبة لمن يتعظ بها والية ما به تظهر اعيان الاشياء وصورها اعلاها وادناها
فلذلك لا تقايد عليا هي اليمنى ويد دنيا هي اليسرى والخلف ما يخلفه المتوجه في توجهه فينطمس عن حواس اقبال شهوده قاله
الحرالي وقال وموعظة من الوعظ وهو دعوة الاشياء بما فيها من العبرة للانقياد للاله الحق بما يخوفها في مقابلة التذكير بما
يرضيها ويبسطها للتقرير وقد اشعر هذا ان التقوى عصمة من كل محذور وان المنقم تقع في غيرهم وعظا لهم ولما بين تعالى تساويهم
في حقوقه عامة ثم خاصة اتبعه بيان جساوتهم في مصالح انفسهم ليتبح انهم اسمة الناس فقال واذ قال موسى لقومه بني اسرائيل
ان الله اي الذي له الامر كله يامركم ان تذبحوا بقرة لتعرفوا بها امر القتيل الذي اعياكم امره وتاوها ليست التاء للتانيث الحقيقي
بل لانها واحد من الجنس فتقع على الذكر والانثى ولما كان من حقهم المبادرة الى الامتثال والشكر لم يفعلوا بين فظاظتهم على
طريق الاستيناف معظما لها بقوله حكاية عنهم قالوا اتتخذنا هزوا اي بكاف هزء ومهزوا بنا حين نسألك عن قتيل فنامرنا
بذبح بقرة مجمعوا الى ما اشير اليه من اساءتهم سوء الادب على من ثبت رسالته بالمعجزة فرد كلامه كفر فذكرهم بما راوه منه من العلم
باسماء المتباينة للتروبان قال اعوذ بالله اي اعتصم بمن له الكفاية من ان اكون من الجاهلين فانه لا يستهزئ الا جاهل والعوذ التجاء
من متخوف لكان يكفيه والجهل التقدم في الامور المفهمة بغير علم قاله الحرالي قالوا تماديا في الغلظة ادع لنا ربك اي المحسن
اليك فكان تخصيصهم له بالاضافة غاية في الجفاء يبين لنا ما هي من التبيين وهو اقتطاع الشيء والمعنى مما يلابسه ويداخله قاله الحرالي
والمراد المبالغة في البيان عما تفهم صيغة التعليل لنا ما هي تلك البقرة قال انه يقول ولما كانوا يتعنتون اكد فقال
انها بقرة لا فارض اي مسنة فرضت سنيها اي قطعتها وقد بكر اي فتية صغيرة عوان اي نصف وهو خبر مبتدا محذوف
وبين هذا الخبر بقوله ذلك اي سني الفارض والبكر فافعلوا ما تؤمرون فان الاعتراض على من يجب التسليم له كفر فلم يفعلوا
بل سالوا بيان اللون بعد بيان السن بان قالوا ادع لنا ربك تماديا في الجفاء بعدم الاعتراف بالاحسان يبين لنا ما لونها بعد بيان
سنها واللون تكيف ظاهر الاشياء في العين قاله الحرالي قال واكد لما مضى من تلددهم فقال انه يقول واكدا اشارة الى مزيد
تعنتهم فقال انها بقرة صفراء واكد اشد صفرتها بالعدول عن قاعدة الى قوله معيرا بالون فاقع لونها اي خالص في
صفرته قال الحرالي انه نعت تخليص للون الاصفر بمنزلة قاني في الاحمر فهي اذن متوسطة اللون بين الاسود والابيض كما كانت
متوسطة السن تسر الناظرين اي تبهج نفوسهم بانك اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها قاله وهب
قالوا ادع لنا ربك المحسن اليك بالاجابة في كل ما سالته يبين لنا ما هي ثم علوا التكرير بهم لذلك بقولهم ان البقر اي الموصوف
بما قدمته تشابه اي وقع تشابهه علينا وذكر الفعل لان كل جمع حروفه اقل من حروف واحده فان العرب تذكره نقل عن سيبويه
ثم ادركتهم العناية فقالوا وانا ان شاء الله اي الذي له صفات الكمال واكدوا لما اوجب توقفهم من ظن غناء بهم وقدموا التبرك
بالمشيئة لذلك على جزان لمهتدون اي الى المراد فتبركوا بما لا تكون بركة الا به قال انه يقول انها اي هذه البقرة التي اطلعت
التعنت في امرها بقرة لا ذلول من الالد وهو حسن الانقياد قالوا الحرالي ثم وصف الذلول بقوله تثير الارض اي يتجه دمنها
اثارتها تحرث كل وقت من الاثارة قاله الحرالي وهي اظهار الشيء من الثري كانها تخرج الثري من محتوى اليبس ولما كان الذلول
لازما لها الا ن

لا على تثير ليلا يفسد المعنى فقالوا صفا لا البقرة ولا تسقى الحرث اي لا يجد دمنها سقيه بالسانية كل وقت ويجوز ان يكون
اثباتا لا فيه تنبيها على حذفها قبل تثير فيكون النفيان المنفيان تفسيرا على سبيل الاستيناف للاول وحذف لا قبل تثير
ليلا يظن ان مها للاول فيفسد المعنى والمراد انها لم تذلل بحرث ولا سقى ومعلوم من القدرة على ابتياعها وتسلمها الذم انها ليست
في غاية الاباء كذلك لما في التوسط من الجمع لاسباب الخير مسلمة اي من العيوب لا شية اي علامة فيها تخالف لونها بل هي صفرا
كلها حتى قرنها وظلفها قالوا الآن اي في هذا الحد من الزمان الكائن الفاصل بين الماضي والآتي جئت بالحق اي الامر الثابت
المستقر البين من بيان وصف البقرة فحصلوها فذبحوها اي فتسببوا عما تقدم كلهم انهم ذبحوها وما كادوا اي قاربوا قبل
هذه المراجعة الاخيرة يفعلون قال ابن عباس رضي الله عنهما لو ذبحوا بقرة ما لاجزأت عنهم ولكنهم في السوال فشددوا الله عليهم
يعني انهم كلفوا بالاسهل فشددوا فشدد بالاشق ومورد ليل جواز النسخ قبل الفعل او يقال انه لما كان السبت انما وجب عليهم وابلوا
بالتشديد فيه باجتراحهم له وسوالهم اياه بعدا بآيهم للجمعة كما ياتي ان شاء الله تعالى بيانه عند قوله تعالى انما جعل السبت على
الذين اختلفوا فيه كان انسب الاشياء تعقيبه بقصة البقرة التي ما شددوا عليهم في امرها الا لتعنتهم فيه وابآيهم لذبح اي
بقرة تيسرت ويجوز ان يقال انه لما كان من جملة ما استخفوا به السبت المشار عنه الى زهاق ما لا يحصى من الارواح المحقونة من
من الحيتان وكان في قصة البقرة التغنت والتباطؤ عن زهاق نفس واحدة امروا بها تلافيا لها ومن احاسن المناسبات ان في
كل من اتي البقرة والبقرة تبديل حال الانسان فحال بعض الحيوانات البحر في الاولى واخراسه بعد نطقه بلحم السمك وفي
الثانية انطاقه بعد خرسه بالموت بلحم البقر ولعل تخصيص لحم البقر بهذا الامر يقاظهم من رقدتهم وتنبيههم من غفلتهم
من عظيم قدرة الله تعالى لينزع من قلوبهم التعجب من خوار العجل الذي عبدوه وقال الامام ابو الحسن الحرالي وفي ذلك تشام
بين احوالهم في اتخاذهم العجل وفي طلبهم ذلك وفي كل ذلك مناسبة بين طباعهم وطباع البقرة المخلوقة للكد وعمل الارض
التي معها التعب والذل والتصرف فيما هو من الدنيا توغلا فيها وفيه نسمة مطلبهم ما تنبت الارض الذي هو اثر الحرث يعني الذي
ابدوا الحطة به وهو حبه في شعرة فكانهم بذلك ارضيون ترابيون لا تسمو طباع اكثرهم الى الامور الروحانية العلوية فان
جبلة كل نفس تناسب ما تنزع اليه وتلج به من انواع الحيوان خلق لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا انتهى ولما قسمت
القصة شطرين تنبيها على النعمتين نعمة المعفو عن التوقف عن الامور ونعمة البيان للعامل بالامر الخارق وتنبيها على ان لهم بذلك
قفزين احدهما باسادة الادب في الرمي بالاستهزاء والتوقف عن الامتثال والثاني على قتل النفس وما بعده ولو رتبت
ترتيبها في الوجود لم يحصل ذلك وقدم الشطر الانسب لقصة السبت لبعده الاخر وقال الحرالي قدم نبا قول موسى عليه
السلام على ذكر تدارؤهم في القتيل ابتداء بأشرف القصدين من معنى التشريع الذي هو القائم على افعال الاعتداء واقوال
الخصومة انتهى فقال تعالى واذ اي واذكروا اذ واسند القتل الى الكل والقاتل واحد لان ذلك عادة العرب لان عادة القبيلة
المدافعة عن احدهم فقال فقتلتم نفسا فاقبل عليهم بالخطب توبيخا لهم واشارة الى ان الموجودين منهم راضون بما مضى من اسلافهم
وان من ود شيا كان عمله ولما كانوا قد انكروا القتل سبب عنه قوله مشيرا الى خفايه بالادغام فادارأتم فيها اي تدافعتم
فكان كل فريق منكم يرد القتل الى الاخر فكان لكم بذلك ملئة اثام اثم الكبيرة واثم الاصرار واثم الافتراء بالدفع قال الكلبي
وذلك قبل نزول القسامة في التورية كانه يشير الى ما ذكره عنها قريبا ولما كان تعلم في المدارأة فعل غافل عن احاطة علم الخالق
سبحانه قال لكن الله اي والحال ان الذي له الامر كله مخرج بلطيف صنعه وعظيم شانه ما كنتم تكتمون وفي
تعديه ايضا زيادة تبكيت لهم بتوقفهم في فتح بقرة امروا بذبحها لمصلحة لهم عظيمة بعد مبادرة بعضهم الى قتل انسان
مثله بعد النهي الشديد عنه وقال منبها بالالتفات الى سلوب العظمة على ما في الفعل المامور به منها فقلنا اي بما لنا من العظمة
اضربوه واضمر ذكر البقرة ولم يظهره دلالة على اتحاد هذا السبق الاول من القصة الذي جعل ثانيا بالسبق الذي قبله في
انها قصة واحدة فقال بعضها قال الامام ابو علي الفارسي في كتاب الحجة قلنا اضربوا المقتول ببعض البقرة فضربوه به فحيي
يعني والدليل على هذا الحذف قوله كذلك يحيي الله اي الذي له صفات الكمال الموتى مثل هذا الاحياء الذي عوين وشوهد
انتهى روي انهم لما ضربوه قام وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وهذه
الحادثة كما اخبر نبينا صلى الله عليه وسلم ذراع الشاة المسمومة بانه مسموم لما سمته اليهودية التي كانت في قومها هذه
الاية وجعل هذا التنبيه على البعث في قصصهم لانه من اعظم الادلة عليه وقد وقع منهم ما شاع صنعه عليهم منكرين وما قولهم
للمشركين دينكم خير من دين محمد او ان هذا تنبيه مقصود به حث العرب على سوال من استنصحوهم في السوال عن النبي صلى الله
عليه وسلم لكونهم اهل العلم الاول فهو ملزم لهم باعتقاد البعث او اعتقاد كذب اليهود وعبر بالاسم العلم لان الاحياء من احق
الآيات بصفة الالهية كما ان الارزاق احق الايات بالربوبية ويريكم آياته فيما يشهد بصحته لعلكم تعقلون اي لتكونوا
برؤية تلك الايات الشاهدة له على وجه جامع ان يحصل لكم عقل فيرشدكم الى اعتقاد البعث وغيره مما تخبر به الرسل عن الله تعالى
ولما كان حصول المعصية منهم بعد رؤية هذه الخارقة مستبعدا اشار اليه بقوله ثم قست من القسوة وهي اشتداد الفعل
والتحجر قلوبكم ولما كانت لهم حالات يطيعون فيها اتى بالجار فقال من بعد ذلك اي من بعد ما تقدم وصفه من الخوارق في المراجعات
وغيرها تذكيرا لهم بطول امهاله لهم سبحانه مع توالي كفرهم وعنادهم وتحذيرا من مثل ما حل باهل السبت فهي اي فتسبب عن
قسوتها ان كانت كالحجارة التي هي ابعد الاشياء عن حالها فان القلب اصلي حي والحجر اجمد جامد ولم يشبهها بالحديد لما فيه من

وصف بقرة
كاف نشبه الوصف
بقوله
شديد اللون

المنافع ولانه قد يلين ولما كانت القلوب بالنظر الى حياتها الين لين وبالنظر الى ثباتها على حالة اصلب شي كانت بحيث تحير الناظر
في امرها فقال او قال الحرالي هي كلمة تدل على بهم الامر وخفيته فيقع الابهام والابهام انتهى وهذا الابهام بالنسبة الى الرائين لهم
من الادميين واما الله تعالى فهو العالم بكل شي قبل خلقه كعلمه به بعد خلقه وزاد اشد مع صحة بناء افعل من قسي للدلالة على فرط
القسوة فقال اشد قسوة لانها لا تلين لما حقه ان يلينها والحجر يلين لما حقه ان يلينه وكل وصف للحي يشابه به ما دونه اقبح
فيه مما دونه من حيث ان الحي مهيا لضد تلك المشابهة بالادراك ولما كان التقدير فان الحجارة تنفعل بالمزاولة عطف عليه مشيرا
الى مزيد قسوتهم وجلافتهم بالتاكيد قوله وان من الحجارة وزاد في التاكيد تاكيدا لذلك قوله لما يتفجر اي يتفتح بالسعة والكثرة
منه الانهار ذكر الكثير مما يشاهد من ذلك وتذكيرا بالحجر المتفجر لهم منه الانهار بضرب العصا ثم عطف على ذلك ما هو دونه فقال
وان منها لما يشقق اي يسيرا يتكلف بما يشير اليه الادغام والتفعل من التشقق وهو تفعل صيغة التكلف من الشق وهو مصير
الشي في شقين اي ناحيتين متقابلتين قاله الحرالي فيخرج منه الماء الذي هو دون النهر ثم عطف على هذا ما انزل من ذلك فقال
وان منها اي الحجارة لما يهبط من خشية الله اي ينتقل من مكانه من اعلى الجبل الى اسفله لاجل الملك الاعلى له بذلك وقلوبكم لا تنقاد
لشي من الاوامر فجعل الامر في حق القلوب لما فيها من العقل كالارادة في حق الحجارة لما لها من الجمادية وفي ذلك تذكير لهم بالحجارة
المتهافتة من الطور عند تجلي الرب قال الحرالي والخشية وجل نفس العالم مما يستعظمه ولما كان التقدير فما اعمالكم او فما اعمالهم
على قراءة الغيب مما يرضي الله عطف عليه وما ويجوز ان يكون حالا من قلوبكم اي قست والحال انه ما الله اي الذي له الكمال كله
بغافل والغفلة فقد الشعور بما حقه ان يشعر به عما تعملون فانتظروا عذابا مثل عذاب اصحاب السبت اما في الدنيا واما في الاخرة
ولم ار ذكر قصة البقرة في التورية فلعله مما اخفوه لبعض نجاساتهم كما اشير اليه بقوله تعالى يجعلونه قراطيس يبدونها
ويخفون كثيرا والذي رايت فيها مما يشبه ذلك ويمكن ان يكون مسببا عنه انه قال في السفر الخامس منها ما نصه فاذا وجدتم
قتيلا في الارض التي يعطيكم الله ربكم مطروحا لا يعرف قاتله يخرج اشياخكم وقضاتكم ويذرعون ما بين القتيل والقرية فاية قرية كانت
قريبة من القتيل ياخذ اشياخ تلك القرية عجلا لم يعمل به عمل ولم يحرث به حرث فينزل اشياخ القرية العجل الى الوادي الذي لم يزرع
ولم يحرث فيه حرث يذبحون العجل في ذلك الوادي ويتقدم الاحبار بنو الاولى الذين اختارهم الله ربكم ان يخدموا ويباركوا اسم
الرب وعن قولهم يقضي كل قضاء ويضرب كل مضروب وجميع اشياخ تلك القرية القريبة من القتيل يغسلون ايديهم فوق العجل المذبوح
في الوادي ويحلفون ويقولون ما سفكت ايدينا هذا الدم وما راينا من قتله فاعفو يا رب لال اسرائيل شعبك الذين خلصت ولا تواخذ
شعبك بالدم الذكي ويغفر لهم على الدم وانتم فافحصوا عن الدم واقضوا بالحق وابعدوا عنكم الاثم واعملوا الحسنات بين يدي الله
ربكم انتهى وهو كما ترى يشبه ان يكون فرع هذا الاصل المذكور في القرآن العظيم والله اعلم ولما بين سبحانه ان قلوبهم صارت من كثرة
المعاصي وتوالي التجرؤ على باريها محجوبة بالرين كثيفة الطبع بحيث انها اشد قسوة من الحجارة تسبب عن ذلك بعدهم عن الايمان فالتفت
الى المومنين يونسهم من فلاحهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم كما كان يشد حرصه عليه من طلب ايمانهم في معرض التنكيت عليهم والتبكيت
لهم منكرا للطمع في ايمانهم بعد ما قرر انه تكرر من كفرانهم فقال افتطمعون والطمع تعلق البال بالشي من غير تقدم سبب له
ان يومنوا اي هولاء الذين بين اظهركم وقد سمعتم ما اتفق لاسلافهم من الكثافة راضون بذلك والا لامنوا بمجرد هذا الاخبار عن
هذه القصص من هذا النبي الامي الذي يحصل التحقق بانه لا معلم له بها الا الله معترفين لكم وقد اي والحال انه قد كان فريق اي
ناس يقصدون الفرقة والشتات منهم قال الحرالي من الفرق وهو اختصاص براي وجهة عمن حقه ان يتصل به ويكون معه انتهى
يسمعون كلام الله المستحق لجميع صفات الكمال والكلام قال الحرالي هو اظهار ما في الباطن على الظاهر لمن يشهد ذلك الظاهر بكل نحو
من انحاء الاظهار انتهى ثم يحرفونه اي يزيلونه عن وجهه برده على حرفه وفي ذكر الفريق مع المعطوفات عليه تاكيد لعظيم تهتكهم
في العصيان بانهم كانوا بعد ما وصف من احوالهم الخبيثة فرقا في الكفر والعدوان والتبرؤ من جلباب الحياء وقوله من بعد ما
عقلوه مع كونه توطئة لما ياتي من امر النسخ مشيرا الى ان تحريفهم لم يكن في محل اشكال لكونه مدركا بالبديهة واثبت الجار لاختلاف
احوالهم ولما كان هذا مع انه اشارة الى انهم على جبلات ابائهم والى ان من اجترا على الله لم ينبغ لعباد الله ان يطمعوا في صلاحه لهم
لانه اذا اجترا على العالم بالخفيات كان على غيره اجراء مشيرا الى انه لا يفعله عاقل ختمه بقوله وهم يعلمون اي والحال انهم مع العقل
حاملون للعلم فاهمون له غير غافلين بل معتمدون ولما كان الكلام مرشدا الى التقدير فهم لجراتهم على الله اذا سمعوا كتابكم حرفوه واذا
حدثوا عباد الله لا يكادون يصدقون عطف عليه قوله واذا لقوا الذين امنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نفاقا منهم
امنا واذا خلا بعضهم اي المنافقين الى بعض قالوا لا يمين لهم ظنا منهم جهلا بالله لما وجدوا كثيرا من اسرارهم وخفي اخبارهم مما
هو في كتابهم من الدقايق وغير ذلك عند المومنين مع اجتهادهم في اخفائها ان بعضهم افشاها فعلمت من قبله اتحدثونهم من التحديث
وهو تكرار حدث القول اي واقعه بما فتح الله ذو الجلال والجمال عليكم من العلم القديم الذي اتاكم على السنة رسلكم وبما عذب به
بعضكم والفتح قال الحرالي توسعة الضيق حسا ومعنى ليحاجوكم اي المومنون به عند ربكم والمحاجة تثبيت القصد والراي
بما يصححه ولما كان عندهم ان افشاهم لمثل هذا من فعل من لا يعقل قالوا انكارا من بعضهم على بعض افلا تعقلون ويمكن ان يكون
خطابا للمومنين النماطيين يتطمعون اي افلا يكون لكم عقل ليردكم ذلك عن تعليق الامل بايمانهم ولما كان ظنهم هذا واضح الفساد
لانه لو لم يكن علمه من قبل الله لم يقدر غيره ان يعبر عنه بعبارة تعجز الخلايق عن مماثلتها وصل به قوله موبخا لهم اولا اي الا يعلمون
ان علم المومنين لذلك لم يكن الا عن الله لما قام عليه من دليل الاعجاز اولا يعلمون ان الله الذي له الاحاطة بكل شي يعلم ما يسرون من قولهم

يمتحنون لاصحابهم

لاصحابهم ومن غيرهم وما يعلنون اي يظهرون من ذلك فيخبر به اولياءه ولما ذكر سبحانه هذا الفريق الذي هو من اعلاهم
كفرا واعتاهم امرا عطف قسما اعتى منه وافظ لان العالم يرجى لفته عن رايه او تحجيله بالحجاج بخلاف المقلد العاتي الكثيف
الجافي فقال ومنهم اميون ويجوز ان يراد بهم من لا يحسن الكتابة ومن يحسنها وهو غليظ الطبع بعيد عن الفهم لان الامي في
اللغة من لا يكتب او من على خلقة الامة لم يتعلم الكتابة وهو باق على جبلته وحال ولادته والعيي الجلف الجافي القليل
الكلام فالمعنى انهم قسمان كتبة وغير كتبة وهم المراد بالاميين وهؤلاء مع كونهم لا يحسنون الكتاب يجوز ان يتعلموا القراءة
تلقينا ولا يفهمون المعاني ويجوز ان يكون المعنى انهم قسمان علما نحارير عارفون بالمعاني وجهلة غبيون لا حظ لهم من التورية
الا القراءة الخالية عن التدبر المقرونة بالتمني ولذلك قال لا يعلمون الكتاب اي بخلاف القسم الذي اكد فيه كونهم من اهل
العلم ولما كان المراد سلب العلم عنهم راسا ابرز الاستثناء مع كونه منقطعا في صورة المتصل فقال الا اماني جمع امنية
وهي تقدير الوقوع فيما يترامى اليه الامل ويقال ان معناه يجري في التلاوة للفظ كانها تقدير بالاضافة لمن تحقق له المعنى
قاله الحرالي اي ان كانت الاماني مما يصح وصفه بالعلم فهي لهم لا غيرها من جميع انواعه ولما افهم ذلك ان التقدير
ما هم لا يقدرون تقديرات لا علم لهم بها عطف عليه قوله وان هم الا يظنون تاكيدا لنفي العلم عنهم ولما اثبت لهذا الفريق
القطع على الله بما لا علم لهم به وكان هذا معلوم الذم محتوم الاثم سبب عنه الذم والاثم بطريق الاولى لفريق هو ارداؤهم
واضرهم لعباد الله واعداهم فقال فويل والويل جماع الشر كله قاله الحرالي للذين يكتبون اي منهم ومن غيرهم الكتاب
اي الذين يعلمون انه من عندهم لا من عند الله بايديهم واشار الى قبح هذا الكذب وبعد رتبته في الخبث باداة التراخي
فقال ثم يقولون لما كتبوه كذبا وبهتانا هذا من عند الله الملك الاعظم ثم بين بالعلة الحاملة لهم على ذلك خساستهم
وترامیهم الى النجاسة ودناءتهم فقال ليشتروا به اي بهذا الكذب الذي صنعوه ثمنا قليلا ثم سبب عنه قوله فويل لهم
مما كتبت ايديهم من ذلك الكذب على الله وويل لهم مما يكسبون اي يجددون كسبه مما اشتروه به وجرد الفعل لوضوح
دلالته على الخبث بقرينة ما تقدم واذا كان المجرد كذلك كان غيره اولى قال الحرالي والكسب ما يجري من الفعل والقول
والعمل والاثار على احساس بمنة فيه وقوة عليه انتهى وفي هذه الاية بيان لما شرف به كتابنا من انه لاعجازه لا يقدر احد ان
ياتي من عنده بما يدسه فيه فيلبس به فلله المنة علينا والفضل ولما ارشد الكلام الى ان التقدير فحرفوا كثيرا في كتاب الله
وزادوا ونقصوا عطف عليه ما بين به جراتهم وجفاهم وعدم اكتراثهم بما يرتكبونه من الجرائم التي هم اعلم الناس بان بعضها
موجب للخلود في النار فقال تعالى وقالوا لن تمسنا من المس وهو ملاقاة ظاهر الشيء من ظاهر غيره النار اي المعدة في
الاخرة الا اياما ولما كان مرادهم بذلك انهم لا يخلدون فيها وكان جمع القلة وان كان يدل على ذلك لكنه ربما استعير للكثرة
فدل على ما لا اخر له او يعسر عده زادوا المعنى تاكيدا وتصريحا بقولهم معدودة اي منقضية لان كل معدود منقض
قال الحرالي والعد اعتبار الكثرة بعضها ببعض واقتصر على الوصف بالمفرد لكفايته في هذا المعنى بخلاف ما في آل عمران
فانه لبيان اجترائهم على العظائم ولما ادعوا ذلك ادعوا ان المسلمين يخلفونهم بعد ذلك فيها روى البخاري في الجزية والمغازي
والطب والدارمي في اول المسند عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة
فيها سم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا الى من كان ههنا من يهود فجمعوا له فقال الا سائلكم عن شيء فهل انتم صادقي
عنه فقالوا نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من ابوكم قالوا فلان فقال كذبتم بل ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت
قال فهل انتم صادقي عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القسم وان كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت في ابينا فقال لهم من اهل
النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخسأوا فيها والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال
هل انتم صادقي عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القسم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم قال ما حملكم على ذلك
قالوا اردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك ولما ادعوا ذلك كان كانه قيل فبما نرد عليهم فقال
قل منكرا لقولهم اتخذتم في ذلك عند الله الذي له الامر كله عهدا فلن اي فيتسبب عن ذلك انه يوفي بعهده لانه لن
يخلف الله الذي له صفات الكمال عهده ام لم يكن ذلك فانتم تقولون على الله المحيط بكل شيء قدرة وعلما ما لا تعلمون
ومعنى الانكار في الاستفهام انه ليس واحد من الامرين واقعا كما في قوله تعالى افترى على الله كذبا ام به جنة وام
معادلة هنا للهمزة وان اختلف الفعلان كما ذكره ليله في اخر سورة ص لا تخذتم عهدا ولا قلتم ذلك جهلا بل قلتموه وانتم
تعلمون خلافه ولذلك ذكرهم بتكرير الاسم بالاعظم مظهرا غير مضمر ما له من الجلال والجمال الذي عاينوا كثيرا منه استعطافا
الى الخير وتخويفا ولما انتفى الامران علم ان الكائن غير ما ادعوه فصرح به في قوله بلى اي لتمسنكم على خلاف ما زعمتموه
فان بلى كلمة تدل على تقرير تفهم من اضراب عن نفي كانها بل وصلت بها الالف اثباتا لما اضرب عن نفيه قاله الحرالي
ونعم جواب لكلام لا جحد فيه ولما اضرب سبحانه عما قالوه من القضاء في الاعيان قاضيا عليهم بالخسران علل ذلك
بوصف هم فيه متلبسون معلما بان من حق الجاهل بالغيب الحكم على الاوصاف التي ناط علام الغيوب بها الاحكام فقال
من كسب سيئة اي عملا من حقه ان يسوء واحاطت به خطيئته بحيث لم يكن شيء من احواله خارجا عن الخطيئة بل
كانت غامرة لكل ما سواها من اعماله ولا يكون ذلك الا للكفر الهادم لاساس الاعمال الذي يتاتى بقاء الاعمال بدونه
ولما كان افراد الضمير انص على جزاء كل فرد والحكم بالنكال على الكل انكاء واردع وافتح واقطع وادل على القدرة افرد ثم جمع

عليه

لهم

فقال اتيا بالفاء دليلا على ان اعمالهم سبب دخولهم النار فاولئك اي البعداء البغضاء اصحاب النار هم خاصة فيها خالدون
ولما بان بهذا ما لهم ولكل من شاركهم في هذا الوصف عطف عليه ما لمن ادعوا انهم يخلفونهم في النار ولكل من شاركهم في وصفهم
الذي استحقوا به ذلك فقال والذين امنوا اي اقروا بالوحدانية بالسنتهم وعملوا الصالحات بيانا لان قلوبهم مطمئنة
بذلك اولئك العالوا المراتب الشريفوا المناقب ولم يات بالفاء دلالة على ان سبب سعادتهم انما هو الرحمة اصحاب الجنة
لا غيرهم هم اي خاصة فيها اي لا في سواها لانهم لا يبغون عنها حولا خالدون ثم شرع سبحانه يقيم الدليل على انهم ممن احاطت
به خطيئته فقال واذ اي اذكروا ما تعلمون في كتابكم من حال من كسب سيئة محيطة واذكروا اذ اخذنا بما لنا من تلك
العظمة التي اشهدناكم كثيرا منها ميثاقكم ولكنه اظهر لطول الفصل بذكر وصف يعمهم وغيرهم فقال ميثاق بني اسرائيل ويجوز
ان يكون معطوفا على نعمتي في قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم لان الكل في مخاطبتهم وبيان امورهم ولما
كان الدين انما هو الادب مع الخالق والخلق ذكر المعاهد عليه من ذلك مرتبا له على الاحق فالاحق فقال ذاكرا له في صيغة الخبر
مريدا به النهي والامر وهو ابلغ من حيث انه كانه وقع امتثاله ومضى ودل على ارادة ذلك بعطف وقولوا عليه لا تعبدون
الا الله المنعم الاول الذي له الامر كله لتكونوا محسنين بذلك احسانا هو الاحسان كله واحسنوا او ويحسنون بالوالدين
ولو كانا كافرين قال الحرالي تثنية والدين الولادة لاستبقاء ما يتوقع ذهابه بظهور صورة منه تخلف صورة نوعه
انتهى احسانا عظيما لا يبلغ كنهه لكونهما في الرتبة الثانية لجعلهما سبحانه السبب في نعمة الايجاد الاول والمباشرين
للتربية وغير السياق فلم يقل ولا تحسنون الا الى الوالدين افهاما لان الاحسان اليهما يشركهما فيه من بعدهما وجه فوات
هذا الحصر بتقديمهما ايذانا بالاهتمام وذي القربى وهم المتوسلون بالوالدين لما لهم من اكيد الوصلة واليتامى لضعفهم
واليتم قال الحرالي فقد الاب حين الحاجة ولذلك اثبته مثبت في الذكر الى البلوغ وفي البنت الى الثيوبة لبقاء حاجتها
بعد البلوغ والقربى فعلى من القرابة وهو قرب في النسب الظاهر او الباطن انتهى والمساكين لكسرهم ولما لم يكن وسع
الناس عامة بالاحسان بالفعل ممكنا امر بجعل ذلك بالقول فقال عطفا على الخبر الذي معناه الانشاء وقولوا للناس
عامة حسنا اي حسنا بالتحريك وهو لغة فيه كالبخل والبخل وذلك بان يامروهم بما امر الله به وينهوهم عما نهى عنه ولما
امرهم بما ان امتثلوه اجتمعت كلمتهم ذكر اعظم جامع على الله من الاعمال فقال واقيموا الصلوة ثم ذكر ما به تمام الجمع ودوامه
فقال واتوا الزكوة ولما كان الاعراض عن هذه المحاسن في غاية البعد فكيف اذا كانت بعهد فكيف اذا كان من الله اشار
الى ذلك باداة التراخي فقال ثم توليتم اي عن ذلك او عن كثير منه واشار بصيغة التفعل الى ان الامور الدينية
لحسنها لا يعرض عنها الا بعلاج بين الفطرة الاولى والامارة الا قليلا منكم وانتم اي والحال انكم معرضون عادتكم ذلك لم
يكن ذلك منكم عن غير علم والاعراض صرف الشيء الى العرض التي هي الناحية قال السمين وروي عن ابي عمرو وغيره الا قليل
بالرفع وفيه ستة اقوال اصحها رفعه على الصفة بتاويل الا وما بعدها بمعنى غير انتهى وياتي ان شاء الله بسط هذا الاعراب
عند قوله فشربوا منه الا قليلا منهم ذكر ما يشهد لذلك من التورية قال في السفر الثاني منها لما ذكر امر المناجاة وحضورهم
عند الجليل وقال الله جميع هذه الايات كلها انا الرب الهك الذي اصعدتك من ارض مصر من العبودية والرق لا يكون
لك الهة غيري لا تعملن شيئا من الاصنام والتماثيل التي مما في السماء فوق وفي الارض من تحت وما في السماء اسفل الارض لا
تسجدن لها ولا تعبدنها لاني انا الرب الهك اله غيور اجازي الابناء بذنوب الاباء الى ثلثة احقاب واربعة من اعدائي
وانبت النعمة الى الف حقب لاحبائي وحافظي وصاياي لا تقسم بالرب الهك كذبا لان الرب لا يزكي من حلف باسمه كذبا اكرم
اباك وامك ليطول عمرك في الارض التي يعطيكها الرب الهك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على صاحبك شهادة زور
لا تتمن بنت صاحبك ولا تشتهين امراة صاحبك ولا كل شيء لصاحبك وكان جميع الشعب يسمعون الاصوات ويرون
المصابيح وقال في موضع اخر من السفر الثالث لا تسرقوا ولا تغدروا ولا تحلفوا باسمي كذبا ولا تنجسوا اسم الرب الهكم
انا الرب وليس غيري لا تظلمن صاحبك ولا تشتمن الاخرس ولا تضع عشرة بين يدي الضرير اتق الله ربك لا تحيفوا في القضاء
ولا تاثموا ولا تحابين المسكين ولا تحابي الكبير ايضا بل اقض بالبر والعدل لا تبغض اخاك في قلبك بل بكت صاحبك ووبخه
بالحق لكيلا يلزمك خطيئة في سببه ولا تحقدن على احد بل احبب صاحبك كما تحب نفسك ولا تطيروا بسبع الطير ولا يكونن
فيكم عراف ولا يطولن شعر روسكم ولا تحلقوا عنا فق لحاكم ولا تخدشوا وجوهكم على الميت ولا تكتبوا على لحومكم بالابر انا الله
ربكم لا تتبعوا العرافين والقافة ولا تنطلقوا اليهم ولا تسالوهم عن شيء لئلا تتنجسوا بهم اكرم الشيخ وقم اليه اذا
رايته واكرم من هو اكبر منك واتق الله ربك انا الله ربكم واذا سكن بينكم الذي يقبل الي فلا تظلموه بل انزلوه منزلة
احدكم وصيروه منكم الذين يقبلون الي ويسكنون معكم احبوهم كما تحبون انفسكم لانكم كنتم سكانا بارض مصر انا الله ربكم لا تاثموا
في القضاء ولا تاثموا في الاوزان والمكاييل بل اتخذوا ميزان الحق واتخذوا مكاييل الحق انا الله ربكم الذي اخرجكم من ارض
مصر احفظوا جميع وصاياي واحكامي بها انا الرب وليس غيري وقال في السفر الثاني ومن تبع العرافين والقافة وضل
بهم انزل به غضبي الشديد واهلكه من شعبه واي رجل شتم والديه يقتل قتلا ودمه في عنقه ثم قال بعده واي رجل
او امراة صار عرافا او منجما يقتلان قتلا ويكون قتلهما الرجم بالحجارة ودمهما في اعناقهما وقال قبل ذلك وكل من ضرب رجلا
فمات فليقتل قتلا ومن ضرب اباه وامه فليقتل قتلا ومن سرق انسانا فوجد معه يريد بيعه فليقتل قتلا ومن شتم اباه

وامه

وامه فليقتل قتلا ثم قال ولا تواذن الساكن بينكم ولا تعقوهم وتخرجوهم لانكم كنتم سكانا بارض مصر ولا تواذوا والارامل
والايتام فان اذنبوهم يصلوا بين يدي واسمع صلاتهم واستجيب لهم فبشتد غضبي واقتلكم في الحرب وتكون نساؤكم ارامل
وبنوكم يصيرون يتامى وان اسلفت رزقك للمسكين الذي معك من شعبي فلا تكونن له كالمغرم ولا تاخذن منه ربحا ثم
قال ولا تقبلن الرشوة فان الرشوة تعمي ابصار الحكام في القضاء وترد فلح الصالحين ولما كان اكثر اكابر بعد الشرك القتل
تلاه بالتذكير بما اخذ عليهم فيه من العهد وقرن به الاخراج من الديار لان المال عديل الروح والمنزل اعظم المال وهو للجسد
كالجسد للروح فقال واذا اخذنا ميثاقكم يا بني اسرايل لا تسفكون دماءكم اي لا يسفك بعضكم دماء بعض ولا تخرجون
انفسكم باخراج بعضكم لبعض لان المتواصلين بحسب او دين كالنفس الواحدة من دياركم قال الحرالي واصلها ما ادارته العرب
من البيوت كالحلقة استحفاظا لما يحويه من اموالها انتهى ولما كانوا قد نكصوا عند حقوق الامر فلم يقبلوا ما اتاهم من الخير
حتى خافوا الدمار بسقوط الطور عليهم اشار الى ذلك بقوله ثم اقررتم اي بذلك كله لي وتوقفوا لاقرار اظهارا لالتزام
بما خفي امره قاله الحرالي وانتم تشهدون بلزومه وتعاينون تلك الايات الكبار الملجئة لكم الى ذلك وقد مضى ما يصدق هذا
عن الدورية آنفا ما فيه كفاية للموقف وستاتي في المايدة بقيته ان شاء الله تعالى ولما كان هذا بما اكد به من ذكر الميثاق
في مظهر العظمة واضافة الجناية الى نفس الجاني جديرا بالبعد منه اشار الى ذلك بقوله ثم انتم هؤلاء الحقيرون المقدور عليهم
المجهولون الذين لا يعرف لهم اسم يناد ون به او الموجودون الآن ثم استانف البيان عن هذه الجملة فقال تقتلون انفسكم
من غير التفات الى هذا العهد الوثيق وتخرجون فريقا منكم اي ناسا منكم تهجيرون منكم بالاحسان لا بالاخراج
من دياركم ولما كان من المستبعد جدا بعد الاستبعاد الاول ان يتمموا في ذلك على طريق العدوان استانف البيان لذلك
بقوله تظاهرون اي تتعاونون من التظاهر وهو تكلف المظاهرة وهي تساند القوة كانه استناد ظهر الى ظهر قاله
الحرالي عليهم بالاثم والعدوان اي والاستلاء في مجاوزة الحدود وان يأتوكم اي هؤلاء الذين تعاونتم اي عاونتم عليهم اسارى
جمع اسير واصله المشدود بالاسر وهو القد وهو ما يقد اي يقطع من السير تفدوهم اي تخلصوهم بالمال من الفدا
وهو الكمال بعوض وتفادوهم من المفاداة وهي الاستواء في العوضين قاله الحرالي ثم اكد تحريم الاخراج بزيادة الضمير
والجملة الاسمية في قوله وهو محرم من التحريم وهو تكرار الحرمة بالكسر وهي المنعة من الشيء لدنامته والحرمة بالضم المنع من الشيء لعلوه
قاله الحرالي عليكم ولما كان يظن ان الضمير للفدا وعينه فقال اخراجهم ثم انكر عليهم التفرقة بين الاحكام فقال افتؤمنون
ببعض الكتاب اي التورية وهو الموجب للمفاداة وتكفرون ببعض وهو المحرم للقتل والاخراج ثم سبب عن ذلك قوله فما جزاء
من يفعل ذلك اي الامر العظيم الشناعة منكم الا خزي ضد ما قصدتم بفعلكم من الخزي والخزي اظهار القبايح التي يستحي من اظهارها
عقوبة قال الحرالي في الحيوة الدنيا تجميلا للعقوبة له في الدار التي جعلها محط قصده وقد فعل سبحانه ذلك بانواع الذل
القتل فما دونه ويوم القيمة في فعالة تفهم فيها التاء المبالغة والغلبة وهو قيام امر مستعظم والقيام هو الاستقلال باعباء
تقبله يردون اي بالبعث والرد هو الرجوع الى ما كان منه بدء المذهب قاله الحرالي الى اشد العذاب لانه الخزي الاعظم
ولما كانت المواجهة بالتهديد ادل على الغضب التفت اليهم في قراءة الجماعة فعطف ما تقديره ذلك بان الله عالم بما قصدتموه
في ذلك فهو مجازيكم بما تستحقون قوله وما الله اي المحيط علما وقدرة بغافل عما اي عن شيء ما تعملون من ذلك ومن غيره وقراءة
نافع وابن كثير بالغيب على الاسلوب الماضي ولما كانت هذه الايات كلها كالدليل على قوله تعالى وضربت عليهم الذلة
والمسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله كما هانت فدلكه ذلك قوله تعالى اولئك اي البعداء البغضاء الذين اشتروا
اي لجوا فاخذوا الحيوة الدنيا العاجلة على خساستها بالاخرة العالية مع نفاستها والدنيا فعلى من الدنو وهو الانزل رتبة
في مقابلة عليا والانه لزمتها العاجلة صارت في مقابلة الاخرى للازمة للعلو ففي الدنيا نزول قدر وتعجل وفي الاخرى علو قدر
وتاخر فتقابلتا على ما بينهم تقابلين من معنى كل واحدة منهما قاله الحرالي فالاية من الاحتباك ذكر الدنيا اولا يدل على حذف
العليا ثانيا وذكر الاخرة ثانيا يدل على حذف العاجلة اولا فلا اي فتسبب عن ذلك انه لا يخفف من التخفيف وهو مصير
الثقيل والمستقل الى حال الطافي المستعلي كحال ما بين الحجر والهوا قاله الحرالي عنهم العذاب في واحدة من الدارين ولا هم
ينصرون وهو ايضا من اعظم الادلة على خذلان من غز الاجل المغنم او غل وقد ورد في كثير من الاحاديث والاثار التصريح بذلك
منها ما رواه مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ظهر الغلول في قوم الا القي الله في قلوبهم
الرعب وهو ايضا شرع قديم ففي سفر يوشع بن نون عليه السلام انه لما فتح مدينة اريحا بعد موت موسى عليه السلام بعشرين
مدينة عاي ثلثة الاف مقاتل ليفتحوها فقتل منهم اهل عاي جماعة وهزموهم فاضطربت قلوب القوم وصارت كالماء فسجد يوشع
على الارض اياما تابوت الرب هو وشيخة بني اسرايل فقال له الرب انهض قائما واخبره ان قومه قد غلوا فلا يقدرون الآن ان
يثبتوا لاعدايهم حتى ينجوا الحرام عنهم وقال الله له واذا كان غد فقدموا اسباطكم ليقترعوا والسبط الذي يصيبه قرعة
الرب تتقدم عشايره والعشيرة التي يصيبها القرعة تتقدم بيوتاتها والبيت الذي يصيبه قرعة الرب ويصاب الحرام
عنده يحرق بالنار هو وكل شيء له لانه تعدى على امر الرب ولانه اثم باسرايل ففعل ما امره الرب فاصابتا القرعة عاجان بن كرمي
من سبط يهودا فاحضره وبنيه وبناته ومواشيه وخيمته وكل من كان له فاصعدهم الى عور عاجار ورجمهم جميع بني اسرايل
بالحجارة واحرقوهم بالنار وجعلوا فوقه تلا من الحجارة الكبار الى اليوم ولذلك دعي اسم ذلك الموضع عور عاجار الى اليوم ثم انوا

من الغد الى عاي فقتلوا جميع من فيها من بني آدم الذكور والاناث واحرقوها ولما بين لهم انهم نقضوا العهود فاحاطت بهم
الخطايا فاستحقوا الخلود في النار توقع السايل الاخبار عن سبب وقوعهم في ذلك هل هو جهل او عناد فبشع سبحانه ذلك عليهم
بما افتتحه بحرف التوقع فقال ولقد باللام التي هي من توكيد لمضمون الكلام وقد وهي لوقوع مرتقب مما كان خبرا او مما سيكون علما
قاله الحرالي اتينا اي بعظمتنا موسى الكتاب اي نقضتم تلك العهود مع ان عندكم فيها كتاب الله التورية يدرسونه كل حين فلم
ندعكم هملا بعد موسى عليه السلام بل ضبطنا امركم بالكتاب وقفينا من التقفية وهي متابعة شي شيا كانه يتلو قفاه وقفا الصورة
منها خلفها المقابل للوجه قاله الحرالي من بعده اي موسى بالرسل اي ثم لم نقتصر على الضبط بالكتاب الذي تركه فيكم موسى بل وانزلنا
من بعده ارسال الرسل متواترة وجعلنا بعضهم في قفا بعض ليجددوا لكم امر الدين ويوكدوا عليكم العهود والرسالة انبعاث امر من
المرسل الى المرسل اليه واتينا بما لنا من العظمة عيسى اسم معرب اصله يشوع بن مريم الذي ارسلناه لنسخ بعض التورية وتجديد
ما درس من بقيتها البينات من الايات العظيمة التي لا مرية فيها لذي عقل والبينة من القول والكون ما لا ينازعه منازع لوضوحه
قاله الحرالي وايدناه اي قويناه على ذلك كله من التاييد وهو من الايد وهو القوة كانه ياخذ معه بيده في الشي الذي يقويه
فيه كاخذ قوة المظاهر من الظهر لان الظهر موضع قوة الشي في ذاته واليد موضع قوة تناوله لغيره قاله الحرالي بروح القدس
اي الروح الظاهر وهو جبريل عليه السلام كما ايدنا به غيره من اولي العزم قال الحرالي والروح لمحة من لمحات امر الله وامر الله
قيوميته في كلية خلقه ملكا وملكوتا فما هو قوام الخلق كله ملكا وملكوتا هو الامر الاله الخلق والامر وما هو قوام صورة من جملة الخلق
هو الروح الذي هو لمحة من ذلك الامر ولقيام عالم الملكوت وخصوصا امر الدين بالباقي سماهم الله روحا ومن اخصهم روح القدس
والقدس الطهارة العلية التي لا يلحقها تنجس على ما تقدم ومن اخص الروح به جبريل عليه السلام بما له من روح الامر الديني واسرافيل
عليه السلام بما له من روح النفخ الصوري انتهى وقد كان لعيسى عليه السلام بالروح مزيد اختصاص لكثرة ما احيى من الموتى والمعنى
فعلنا بكم يا بني اسرايل ذلك ولم تزالوا في عهد من ذكرنا قضين للعهود فلا احد احق منكم بالخلود في النار ثم جا محمد صلى الله عليه وسلم
فلم تصدقوه ذكر شي من الانجيل يدل على انه عليه السلام اتى بالبينات مع تاييده بروح القدس مستخلصا من الاناجيل الاربعة
وقد جمعت بين الفاظها قال متى ومعظم السياق له فلما سمع يشوع يتلوه في الفرضة ان يوحنا يعني يحيى بن زكريا عليهما السلام قد
اسلم يعني خذله اصحابه مضى الى الجليل وترك الناصرة وجا وسكن كفرناحوم التي على ساحل البحر في تخوم زابلون ويفتالهم ليكمل ما قيل
في اشعيا النهي اذ يقول ارض زابلون ارضا يفتالهم طريق البحر عبر الاردن جليل الامم الشعب الجالس في الظلمة ابصر نورا عظيما
الجلوس في الكورة وظلال الموت نورا اشرق عليهم ومن ذلك الزمان بدا يسوع يكرز ويقول توبوا فقد اقتربت ملكوت السموات
وقال مرقس ومن بعد حبس يوحنا وافى يسوع الى الجليل يكرز بانجيل ملكوت الله قايلا قد كمل ملكوت الزمان وقربت ملكوت الله فتوبوا
وامنوا بالانجيل قال متى وكان يمشي على بحر الجليل فابصر اخوين سمعان الذي يدعى بطرس واندراوس اخاه يلقيان شباكهما في البحر
لانهما كانا صيادين فقال لهما اتبعاني اجعلكما تكونان صيادي الناس وللوقت تركا شباكهما وتبعاه وجاز من هناك فراى اخوين اخرين
يعقوب بن زبدي ويوحنا اخاه في سفينة مع ابيهما زبدي يصلحون شباكهما فدعاهما فللوقت تركا السفينة واباهما زبدي وتبعاه
وفي انجيل يوحنا بعد قصة يحيى بن زكريا الاتية في آل عمران هذا كان في بيت عينا في غير الاردن حيث كان يوحنا يعمد ومن الغد نظر
يشوع مقبلا اليه فقال هذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم هذا ذلك الذي قلت من اجله انه ياتي وهو كان قبلي لانه اقدم مني
وانا لم اكن اعرفه لكن ليظهر لاسرايل من اجل هذا جيت انا لاعمد بالما وشهد يوحنا وقال اني رايت الروح نزل من السما مثل
حمامة وصل عليه ولم اعرفه لكن من ارسلني لاعمد بالما هو الذي قال الذي ترى الروح ينزل ويثبت عليه هو يعمد بروح
القدس وانا عاينت وشهدت وفي الغد كان يوحنا واقفا واثنان من تلاميذه فنظر يشوع فقال هذا حمل الله فسمع تلميذاه كلامه
فتبعا يشوع فالتفت يشوع فراهما يتبعانه فقال لهما ماذا تريدان قالا له ربي الذي تاويله يا معلم اين تكون فقال لهما تعاليا
لتنظرا فاتيا وابصرا موضعه اين يكون واقاما عنده يومهما ذلك وكان نحو عشر ساعات وان واحدا من اللذين سمعا من يوحنا ويشوع
كان اندراوس اخا سمعان وانه ابصر اولا سمعان اخاه وقال له قد وجدنا مسيا الذي تاويله المسيح فجا به الى يشوع فلما نظر
اليه يشوع قال له انت سمعان بن يونا الذي يدعا الصفا الذي تاويله بطرس ومن الغد اراد الخروج الى الجليل فيلبس باتانايل
وقال له الذي كتب موسى من اجله في الناموس والانبيا وجدناه وهو يشوع الذي من الناصرة فقال باتانايل هل يمكن ان يخرج
من الناصرة شي فيه صلاح فقال له فيلبس تعال وانظر فلما راى يشوع باتانايل مقبلا اليه قال من اجله هذا حقا اسرايلي
لا غش فيه فقال له باتانايل من اين تعرفني فقال يشوع قبل ان يدعوك فيلبس وانت تحت التينة رايتك فقال له يا معلم
انت هو ملك اسرايل قال له يشوع لاني قلت لك اني رايتك تحت التينة امنت سوف تعاين ما هو اعظم من هذا وقال له
الحق الحق اقول لكم انكم من الان ترون السما مفتحة وملايكة الله ينزلون ويصعدون على ابن البشر وفي اليوم الثالث كان عرش
في قانا الجليل وكانت ام يشوع هناك ودعي يشوع هناك ودعي يشوع وتلاميذه الى العرش وكان الخمر قد فرغ فقالت ام يشوع
له ليس لهم خمر فقال لها يشوع ما لي ولك ايتها المراة لم تات ساعتي بعد فقالت امه للخدام افعلوا ما يامركم به وكان اجاجين
من حجارة موضوعة لتطهير اليهود يسع كل واحد مطرين او ثلثة فقال لهم يشوع املاوا الاجاجين ما فملاوها الى فوق وقال
لهم اعرفوا الان وناولوا ريس السقاه فلما ذاق ريس السقاه ذلك الما المتحول خمرا لم يعلم من اين هو فدعا ريس السقاه
العريش وقال له كل انسان انما ياتي بالشراب الجيد اولا فاذا سكروا عند ذلك ياتي بالدون انت ابقيت الجيد الى الان هذه

فلقي حر

هنا ايسته اجاجين

الاية

الاية الاولى التي فعلها يشوع في قانا الجليل واظهر مجده وامن به تلاميذه وبعد هذا انحدر الى كفرناحوم هو وامه واخوته وتلاميذه فاقاموا هناك اياما يسيرة ثم قال وعلم السيد يشوع ان الفريسيين سمعوا انه قد اتخذ تلاميذ كثيرة وانه يعمد اكثر من يوحنا اذ ليس هو يعمد بل تلاميذه فترك اليهودية ومضى الى الجليل وكان قد ازمع ان يعبر على موضع السامرة فاقبل الى مدينة السامرة التي تسمى سيوخار الى جانب القرية التي كان يعقوب وهبها ليوسف ابنه وكان هناك بئر يعقوب وكان يسوع قد عيي من تعب الطريق فجلس على البير في ست ساعات فجاءت امراة من السمرة تستقي ماء فقال يسوع اعطيني اشرب وكان تلاميذه قد دخلوا الى المدينة يبتاعوا طعاما فقالت له تلك المراة كيف وانت يهودي تستقي الماء وانا امراة سامرية واليهود لا يخالطون السامرة اجاب يسوع وقال لها لو كنت تعرفين من عطية الله ومن هذا الذي قال لك ناوليني اشرب لكنت انت تسالينه ان يعطيك ماء الحيوة قالت المراة ياسيد انه لا دلو لك والبير عميقة فمن اين لك ماء الحيوة لعلك اعظم من ابينا يعقوب الذي اعطانا هذه البير ومنها شرب هو وبنوه وماشيته فقال لها كل من يشرب من هذا الماء يعطش ايضا واما من يشرب من الماء الذي اعطيه لا يعطش الى الابد قالت المراة ياسيدي اعطني من هذا الماء ليلا اعطش ولا اجيء ولا استقي من ههنا فقال انطلقي وادعي زوجك وتعالي الى ههنا قالت ليس لي زوج قال لها حسنا قلت انه لا بعل لي لانه قد كان لك خمسة بعولة والذي هو لك الآن ليس زوجك هاهذا فحقا قلت قالت ياسيدي اني اراك نبي اباؤنا سجدوا في هذا الجبل وانتم تقولون ان ببر وسليم المكان الذي ينبغي ان يسجد فيه قال لها يا امراة امني به انه ستاتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في بروسليم يسجدون للاب انتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لما نعلم لكن ستاتي ساعة وهي الآن لكيما الساجدون الحقون يسجدون بالروح والحق لان الرب انما يريد مثل هؤلاء الساجدين والذين يسجدون له بالروح والحق ينبغي ان يسجدوا قالت المراة قد علمت ان مسيا الذي هو المسيح ياتي فاذا جاء ذاك فهو يعلمنا كل شيء فقال انا هو الذي اكلمك وفي هذا اجاء تلاميذه وتعجبوا من كلامه مع امراة فلم يقل احد ما اتريد ولم تكلمها فتركت المراة جرتها ومضت الى المدينة وقالت للناس تعالوا انظروا رجلا اعلمني كل ما فعلت لعل هذا هو المسيح فخرجوا من المدينة واقبلوا نحوه وفي هذا سال تلاميذه قايلين يا معلم كل فقال ان لي طعاما لا تعرفونه انتم فقالوا فيما بينهم لعل انسانا اتاه بشيء فطعمه فقال لهم طعامي انا ان اعمل مرة من ارسلني واتم عمله اليس انتم تقولون ان الحصاد بعد اربعة اشهر وانا قايل لكم ارفعوا اعينكم وانظروا الى الكور قد ابيضت وبلغت الحصاد والذي يحصد ياخذ الاجرة ويجمع ثمار الحياة الدايمة والزارع والحاصد يفرحان معا لانه في هذا توجد كلمة الحق ان واحدا يزرع واخر يحصد انا ارسلكم تحصدون شيا ليس انتم تعبتم فيه بل اخرون تعبوا فيه وانتم دخلتم على تعبهم اولئك فامن به في تلك المدينة سامريون كثير من اجل كلمة تلك المراة ولما صار اليه السامريون طلبوا اليه ان يقيم عندهم فمكث عندهم يومين فامن به كثير وكانوا يقولون للمراة لسنا من اجل قولك نومن به لكنا قد سمعنا وعلمنا ان هذا هو المسيح بالحقيقة مخلص العالم وبعد يومين خرج يشوع الى الجبل ومضى من هناك لانه شهد ان النبي لا يكرم في مدينته ولما صار الى الجليل قبله الجليليون لانهم عاينوا كل ما عمل ببروشليم في العيد ثم جا يشوع حيث صنع الماء خمرا وكان في كفرناحوم عند الملك ابن مريض فسمع ان يشوع قد جا من يهودا الى الجليل فمضى اليه وساله ان ينزل ويبري ولده لانه قد كان قارب الموت فقال له يسوع ان لم تعاينوا الايات والاعاجيب لا تومنون فقال له الملك انزل ياسيد قبل ان يموت ولدي فقال له يسوع امض فابنك حي فامن الرجل بالكلمة التي قالها يسوع ومضى وفيما هو ماض استقبله غلمانه وبشروه بان ابنه قد عاش فسالهم في اي وقت فقالوا له امس في الساعة السابعة تركته الحمى فعلم ابوه انه في تلك الساعة التي قال له يسوع فيها ان ابنك قد حيي فامن هو وبيته باسره وهذه ايضا اية ثانية عملها يسوع لما صار ليهودا الى الجليل قال مرقس فاقبل الى كفرناحوم وقتي يعلم في مجامعهم يوم السبت فتعجبوا من تعليمه لانه كان كالمتسلط وقال متى وكان يسوع يطوف في كل الجليل ويعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويبري كل مرض ووجع في الشعب فخرج خبره في جميع الشام فقدموا اليه كل من به اصناف الامراض والاوجاع المختلفة والذين بهم الشياطين والمعتريين في رؤس الاهلة والمخلعين فابرأهم وتبعه جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وبروشليم واليهودية وعبر الاردن فلما ابصر الجموع صعد الى الجبل وجلس وجا اليه تلاميذه وفتح فاه يعلمهم قايلا طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات طوبى للحزانا فانهم يعزون طوبى للمتواضعين فانهم يرثون الارض طوبى للجياع والعطاش من اجل البر فانهم يشبعون طوبى للرحما فانهم يرحمون طوبى لنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله طوبى لنا على السلامة فانهم بنيي الله يدعون طوبى للمطرودين من اجل البر فان لهم ملكوت السموات طوبى اذا طردوكم وعيروكم وقالوا فيكم كل كلمة شر من اجلي افرحوا وتهللوا فان اجركم عظيم في السموات لان هكذا طردوا الانبيا الذين قبلكم وقال لو قاهكذا كان اباؤهم يصنعون بالانبيا الويل لكم ايها الاغنيا لانكم قد اخذتم عزاكم الويل لكم ايها الشباعى الآن فانكم ستجوعون الويل لكم ايها الضاحكون الآن فانكم ستبكون وتحزنون الويل لكم اذا قال الناس فيكم قولا حسنا لان اباهم كذلك فعلوا بالانبيا الكذبة نفني المتنبئين وفيه من الالفاظ التي لا يجوز اطلاقها في شرعنا حل الله والاب وقوله بني الله وسياتي ان شا الله في ال عمران ان تاويل مثل هذا على تعذر صحته عنه وانه يرد الى المحكم على اوضح وجه مثل الالفاظ التي وردت في شرعنا وردناها الى المحكم وصلنا بها من حملها على ظاهرها ممن يدعي الاسلام والله الموفق ولما كان هذا حالهم مع الرسل مع انتشارهم بهم ومعرفتهم باحوالهم واتصالهم بالله وكمالهم علم انهم في منابذتهم لهم عبيد الهوى واسري الشهوات فتعجب عن ذلك الانكار عليهم فقال افكلما انما فعلتم ما فعلتم من تتبع اليهود مع تواتره الدال على وجود الكتاب بكلما حاكم رسولا اي من عند الله ربكم بما لا يهوى انفسكم من الهوى وهو نزوع النفس بسفل شهوتها في مقابلة معقل

الروح لمنعت انبساطه كان النفس ثقيل الباطن بمنزلة الماء والراب والروح خفيف الباطن بمنزلة الهواء والنار وكان العقل
متسع الباطن بمنزلة اتساع النور في كلية الكون علوا وسفلا قاله الحرالي وقد دل على ان المراد الباطل بالتعبير بالهوى والنفس
استكبرتم اي طلبتم الكبر واوجدتموه بما لكم من الرياسة على قومكم عن قبول الحق ميلا الى سنة ابليس مع اعطائكم العهد قبل ذلك على
الدوام على اتباعه ففريقا اي فتسبب عن طلبكم الكبر انكم فريقا كذبتم كعيسى ومحمد عليهما السلام وفريقا تقتلون اي قتلتم ولم
تندموا على قتلهم بل عزمتم على مثل ذلك الفعل كلما جاءكم احد منهم بما يخالف الهوى وهم لم يبعثوا الا لصرف الانفس عن الهوى
لان دعوة الرسول الى الاعلى الذي هو ضد هوى النفس والظاهر انه اشار سبحانه بهذه الصيغة المستقبلة الى قتلهم النبي صلى
الله عليه وسلم بالسم في خيبر كما اشار اليه الحديث الماضي آنفا ولما بين سبحانه مخازيهم حتى ختمها بعظيم ما ارتكبوا من الرسل من القتل
المعنوي بالتكذيب والحسي بازهاق الروح مع المعلم بانهم اتوا بالبينات والايات المعجزات فارشد المقام الى ان التقدير فقالوا
للانبياء لما اتوهم امورا كثيرة يعجب من صدورها عن عاقل واتوا في الجواب عن تكذيبهم وقتلهم من التناقضات بما لا يرضاه عالم ولا
جاهل عطف عليه او على وقالوا لن تمسنا النار قوله بيانا لشدة بهتهم وقوة عنادهم وقالوا في جواب ما كانوا يلقون اليهم
من جواهر العلم التي هي اوضح من الشمس قلوبنا غلف جمع اغلف وهو المغشي الذكر بالقلفة التي هي جلدته كان الغلفة في طرفي المرء
ذكره وقلبه حتى يتم الله كلمته في طرفيه بالختان والايمان قال الحرالي فالمعنى عليها اغطية فهي لا تفهم ما تقولون فكان المراد بذلك
مع انهم اعلم الناس ان ما تقولونه ليس باهل لان يوجه اليه الفهم ولذلك اضرب الله سبحانه عنه بقوله بل اي ليس الامر كما قالوا
من ان هناك غلفا حقيقية بل لعنهم الله اي طردهم الملك الاعظم عن قبول ذلك لانهم ليسوا باهل السعادة بعد ان خلقهم على الفطرة الاولى
القويمة لا غلف على قلوبهم لان اللعن ابعاد في المعنى والمكانة والمكان الى ان يصير الملعون بمنزلة الفعل في اسفل القامة يلاقي
به ضرر الموطئ قاله الحرالي ثم بين علة ذلك بقوله بكفرهم قال الحرالي اعظم الذنوب ما تكون عقوبة الله عليها الالزام بذنوب اشد
منها فاعقب استكبارهم اللعن كما كان في حق ابليس مع آدم عليه السلام فانتظم صدر هذه السورة اظهار الشيطنتين من الجن والانس
الذي اختتم به القرآن في قوله من الجنة والناس ليتصل طرفاه فيكون ختما لا اول له ولا آخر والفاتحة محطية به لا يقال هي اوله ولا
آخره ولذلك ختم بعض القراء بوصله حتى لا يتبين له طرف كما قالت العربية لما سئلت عن بنيها هم كالحلقة المفرغة لا يدري اين
طرفاها ولما اخبر بلعنهم سبب عنه قوله فقليلا ما يؤمنون فوصفه بالقلة واكده بما ايذانا بانه مغمور بالكفر لا غناء له
ولما ذكر سبحانه من جلافتهم ما ختمه بلعنهم وكان قد قدم ذكر كتابهم مرارا واشار الى الانجيل ثانيا عيسى عليه السلام البينات ذكر
سبحانه كفرهم بهذا الكتاب الذي مقصود السورة وصفه بالهدى وبهذا الرسول الاتي به دليلا على اغراقهم في الكفر لانهم مع
استفتاحهم به صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه على من يعاديهم واستبشارهم به واشهارهم انفسهم بالسرور بمجيئه كانوا ابعد
الناس من دعوته تماديا في الكفر وتقيدا بالضلال فكان هذا الدليل ابين من الاول عند اهل ذلك العصر وذلك قوله تعالى
ولما جاءهم كتاب اي جامع لجميع الهدى لعظمته بكونه من عند الله الجامع لجميع صفات الكمال ثم ذكر من المحببات لهم في اتباعه قوله
مصدق لما معهم على لسان نبي يعرفون صحة امره بامور يشهد بها كتابهم وبتصديق هذا الكتاب له باعجاز نظمه وتصديق معناه
لكتابهم والجواب محذوف دل على ما بعد على انه كفروا به وفي ذلك قاصمة لهم لان كتابهم يكون شاهدا على كفرهم ولما بين شهادة
كتابهم اتبعه شهادتهم لئلا يحرفوا معنى ذلك فقال وكانوا اي والحال انهم كانوا ولما كان استفتاحهم في بعض الزمان اثبت
الجار فقال من قبل اي قبل مجيئه يستفتحون اي يسئلون الله الفتح باسم الاتي به يتمنا بذكره على الذين كفروا يعني انهم لم يكونوا
في غفلة عنه بل كانوا اعلم الناس به وقد وطنوا انفسهم على تصديقه ومع ذلك كله فلما جاءهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم
ما عرفوا اي من صدقه بما ذكر من نعوته في كتابهم كفروا به اعتلالا بانواع من العلل البينة الكذب منها زعمهم ان جبريل عليه السلام
عدوهم وهو الاتي به قال الثعلبي والواحدي روى ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد الله بن صوريا جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن اشياء فلما اتجهت الحجة عليه قال اي ملك ياتيك من السماء قال جبريل ولم يبعث الله نبيا الا وهو وليه وفي رواية
وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لامنا بك وقال ابن اسحق في السيرة حدثني عبد الله
ابن عبد الرحمن بن ابي حسين المكي عن شهر بن حوشب الاشعري ان نفرا من احبار يهود جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
خبرنا عن اربع نسئلك عنهن فان فعلت اتبعناك وصدقناك وامنا بك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله
وميثاقه لئن انا اخبرتكم بذلك لتصدقني قالوا نعم قال فسلوا عما بدا لكم قالوا فاخبرنا كيف يشبه الولد امه وانما النطفة من
الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله وبايامه عند بني اسرائيل هل تعلمون ان نطفة الرجل بيضاء غليظة
ونطفة المراة صفراء رقيقة فايتهما علت صاحبتها كان الشبه لها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن كيف نومك فقال انشدكم
بالله وبايامه عند بني اسرائيل هل تعلمون ان نوم الذي تزعمون اني لست به تنام عينه وقلبه يقظان قالوا اللهم نعم قال فكذلك
نومي تنام عيني وقلبي يقظان قالوا فاخبرنا عما حرم اسرائيل على نفسه قال انشدكم بالله وبايامه عند بني اسرائيل هل تعلمون انه
كان احب الطعام والشراب اليه البان الابل ولحومها وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه احب الطعام والشراب
اليه شكرا لله فحرم على نفسه لحوم الابل والبانها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن الروح قال انشدكم بالله وبايامه عند بني اسرائيل
هل تعلمونه جبريل وهو الذي ياتيني قالوا اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك انما ياتي بالشدة وسفك الدماء ولولا ذلك
لاتبعناك فانزل الله فيهم من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين الى قوله

اوكلما

او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يومنون واصل ذلك في البخاري في خلق آدم والهجرة والتفسير عن انس
ابن مالك رضي الله عنه من روايات جمعت بين الفاظها قال اقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اي في الهجرة الى ان قال
فاقبل يسير حتى نزل الى جانب دار ابي ايوب رضي الله عنه فانه ليحدث اهله اذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لاهله يخترف
لهم فعجل ان يضع التي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى اهله فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
اي بيوت اهلنا اقرب فذكر نزوله على ابي ايوب رضي الله عنه ثم قال فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال
اشهد انك رسول الله وانك جئت بحق وقد علمت يهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فادعهم فسلهم عني قبل ان
يعلموا اني اسلمت فانهم ان يعلموا اني قد اسلمت قالوا في ما ليس في وفي رواية بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
وهو في ارض يخترف فاتاه فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة ومن
اي شي ينزع الولد الى ابيه ومن اي شي ينزع الى اخواله وفي رواية وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخبرني بهن جبريل آنفا فقال عبد الله ذلك عدو اليهود من الملائكة فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية
من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام
ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت وفي رواية الحوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها ماؤه كان الشبه
له واذا سبقت كان الشبه لها وفي رواية واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد واذا سبق ماء المراة نزعت قال
اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني عندك فارسل نبي الله
صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه وفي رواية فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو لتعلمون اني رسول الله واني جئتكم بحق فاسلموا قالوا ما نعلمه قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم وقالها ثلاث مرار قال فاي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا
واخيرنا وابن اخيرنا قال افرايتم ان اسلم قالوا حاش لله ما كان ليسلم وفي رواية اعاذه الله من ذلك قال يا ابن سلام اخرج عليهم
فخرج فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه
رسول الله وانه جاء بحق قالوا كذبت وقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه فانتقصوه قال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله
فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وللواحدي في اسباب النزول عن عمر رضي الله عنه قال كنت اتي اليهود عند دراستهم
التورية فاعجب من موافقة القرآن التورية وموافقة التورية القران فقالوا يا عمر ما احد احب الينا منك قلت ولم قالوا
لانك تاتينا وتغشانا قلت انما اجي لاعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضا وموافقة التورية القرآن وموافقة القران
التورية فبينا انا عندهم ذات يوم اذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ظهري فقالوا ان هذا صاحبك فقم اليه فالتفت
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل خوخة من المدينة فاقبلت عليهم فقلت انشدكم الله وما انزل عليكم من كتاب اتعلمون
انه رسول الله قال سيدهم قد نشدكم بالله فاخبروه فقالوا انت سيدنا فاخبره فقال سيدهم نعلم انه رسول الله قلت فاني اهلككم
ان كنتم تعلمون انه رسول الله ثم لم تتبعوه فقالوا ان لنا عدوا من الملائكة وسلما من الملائكة فقلت من عدوكم ومن سلمكم قالوا
عدونا جبريل قلت ومن سلمكم قالوا ميكائيل قلت فاني اشهد ما يحل لجبريل ان يعادي سلم ميكائيل وما يحل لميكائيل ان يسالم
عدو جبريل وانهما جميعا ومن معهما اعداء لمن عادوا وسلم لمن سالموا ثم قمت فاستقبلني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابن الخطاب الا اقريك ايات من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك حتى بلغ وما يكفر بها الا الفاسقون قلت والذي
بعثك بالحق ما جئت الا اخبرك بقول اليهود فاذا اللطيف الخبير قد سبقني بالخبر قال عمر رضي الله عنه فلقد رايتني في دين الله
اشد من حجر انتهى وقد سالت بعض فضلاء اليهود الموجودين في زماننا عن عداوتهم لجبريل عليه السلام فلم يسمح بالتصريح وقال
ما يعطي ذلك وقد روى اهل الحديث ايضا اسحق بن راهويه في مسنده عن الشعبي عن عمر رضي الله عنه قال شيخنا البوصيري
وهو مرسل صحيح الاسناد وفيه انه قال لهم وكيف منزلتهما من ربهما قالوا احدهما عن يمينه والاخر من الجانب الاخر واني
اشهد انهما وربهما سلم لمن سالموا وحرب لمن حاربوا ولما بين سبحانه بهذا انهم اغنى الناس واشدهم تدليسا وبهتا بل كذبا
وفسقا كانوا احق الناس بوصف الكفر فسبب عن ذلك قوله فلعنة الله اي الذي له الامر كله على الكافرين فاظهر موضع
الاضمار تعليقا للحكم بالوصف ليعم واشعارا بصلاح من شاء الله منهم ولما استحقوا بهذا وجوه المذام كلها وصل به قوله
بئسما فاتى بالكلمة الجامعة للمذام المقابلة للنعم الجامعة لوجوه المدائح كلها اي بئس كل شي اشتروا به انفسهم اي حظوظهم
فقدموها واثروها فكان ذلك غير تاخيرها عكس ما فعل المومنون من بيعهم لانفسهم وخروجهم عنها بتعبدهم لله بايثار ما يرضيه
على هوى انفسهم فكان ذلك عين تحصيلها وتقديمها ثم فسر الضمير العايد على المبهم الماخوذ في احراز النفس فقال ان يكفروا اي
يستمروا على التجدد والاستمرار علمهم بما انزل الله الذي لا كفو له اي اشتروا انفسهم فابقوها لهم على زعمهم بالكفر ولم يجعلوها
تابعة ويجوز ان يكون اشتروا بمعنى باعوا لانهم بذلوها للشيطان بالكفر كما بذلوا المومنون انفسهم لله بالايمان ثم علل كفرهم بقوله
بغيا اي حسدا وظلما لان تكون النبوة في بني اسرائيل وقال الحرالي هو استداد في طلب شي ما انتهى واصله مطلق الطلب والارادة
كان الانسان لما كان مجبولا على النقصان ومطبوعا على الشر والعصيان الا من عصم الله واعان كان مذموما على مطلق الارادة
لان من حقه ان لا تكون له خيرة ولا ارادة بل تكون ارادته تابعة لامر مولاه كما هو شان العبد والله الموفق ثم علل بغيهم بقوله

تلبيسا

للنعم

ان ينزل الله ذو الجلال والاكرام من فضله وفي صيغة ينزل اشعار بتمادي ما يغيظهم فيما يستقبل وبشرى للنبي صلى الله عليه وسلم
والمومنين على من يشاء من عباده من العرب الذين حسدوهم ثم سبب عن ذلك قوله فباؤا اي رجعوا لاجل ذلك بغضب في حسدهم
لهذا النبي صلى الله عليه وسلم لكونه من العرب على غضب كانوا استحقوه بكفرهم بانبيائهم عنادا ثم علق الحكم الذي استحقوه بوصفهم
تعميما واشارة الى انه سيؤمن بعضهم فقال والكافرين اي الذين راسخون في هذا الوصف منهم ومن غيرهم عذاب مهين من الاهانة
ومن الاطراح اذلالا واحتقارا ولما اقام سبحانه الدليل على استحقاقهم للخلود في النار بكفرهم بالكتاب الذي كانوا يستفتحون
بالآتي به اقام دليلا آخر على ذلك ابين منه وذلك بكفرهم بكتابهم نفسه فقال واذا قيل لهم اي هؤلاء الذين نقضوا عهود كتابهم
امنوا بما انزل الله اي الملك الذي له الامر كله مطلقا على جهة العموم من الكتب والصحف ولما رفع مقدارهم بالدعاء الى الايمان
بما اسند الى هذا الاسم الاعظم قالوا تسفيلا لانفسهم نؤمن بما انزل علينا فاسقطوا اسم من يتشرف بذكره ويتبرك باسمه ۝
وخصوا بعض ما انزله ثم عجب من دعواهم هذه بقوله ويكفرون اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراءه اي وراء ما انزل
عليهم مما انزل الله على رسله وهو شمل ما قبل التورية وما بعدها لان وراء يراد بها تارة خلف وتارة قدام فاذا قلت زيد وراءي
صح ان يراد في المكان الذي اواريه انا بالنسبة الى من خلفي فيكون امامي وان يراد في المكان الذي هو متوار عني فيكون خلفي وقال
الحرالي وراء ما لا يناله الحس ولا العلم حيث ما كان من المكان فربما اجتمع ان يكون الشيء وراء من حيث انه لا يعلم ويكون اماما في المكان
انتهى وهو اي والحال ان ذلك الذي وراءه هو الحق الواصل الى اقصى غاياته بما دلت عليه ال قال الحرالي فانهاه لغاية الحق
بكلمة ال لان ما ثبت ولا زوال له الانتهاء به هو الحق وما ثبت وقتا ما ثم تعقبه تكملة او يقبل زيادة فانما هو حق منكر اللفظ فان
بين المعرف بكلمة ال وبين المنكر اشد التفاوت في المعنى انتهى مصدقا لما معهم فصح انهم كافرون بما عندهم لان المكذب بالمصدق لشيء
مكذب بذلك الشيء ثم كشف ستر مقالتهم هذه بابين نقض فقال قل فلم اي تسبب عن دعواكم هذه ان يقال لكم لم تقتلون انبياء الله الملك
الاعظم مع ان كتابكم محرم لمطلق القتل فكيف يقتل الانبياء ثم بين ان كفرهم بهذا القتل انما هو بطريق الرضى بقتل اسلافهم بقوله
مثبتا الجار لان ذلك كان منهم في بعض الازمان الماضية من قبل وفي صيغة المضارع تصوير لشناعة هذا القتل بتلك الحال ۝
الفظيعة ورمز الى انهم لو قدروا الآن فعلوا فعلهم لان التقدير وتصرون على قتلهم من بعد وفيه ايماء الى حرصهم على قتل النبي صلى الله
عليه وسلم تحذيرا منهم ولقد صدق هذا الايماء الواقع فقد عزم بنو النضير على ان يلقوا عليه صخرة وسمه اهل خيبر ثم اورد
مضمون دعواهم باداة الشك فقال ان كنتم مومنين اشعارا بان مثل ذلك لا يصدر من متلبس بالايمان ولما دل على كذبهم
في دعوى الايمان بما فعلوا بعد موسى بما استحقوا به الخلود في النار اقام دليلا آخر اقوى من كل ما تقدمه فانه لم يعهد اليهم في التورية
ما عهد اليهم في التوحيد والبعد عن الاشراك وهو في النسخ الموجودة بين اظهرهم الآن وقد نقضوا جميع ذلك باتخاذ العجل في ايام
موسى وبحضرة هرون عليهما السلام كما هو منصوص الآن فيما بين ايديهم منها فقال تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات من الآيات
ولما كان كفرهم مع ذلك في غاية الاستبعاد عبر عنه باداته مصورا لزيادة قبحه بترتبه على اظهر البيان وموبخا لهم فقال
قل اتخذتم اي مع العلاج لفطركم الاولى وعقولكم العجل ونبه بالجار على الاتخاذ في بعض زمن البعد فقال من بعده اي بعد مفارقة
موسى لكم الى الطور كما في الآية الاخرى فتنا قومك من بعدك وانتم اي والحال انكم ظالمون اي لم تزعموا انه الهكم على جهل
منكم بل بعد مجيء البينات اليكم ان الهكم انما هو الله الذي انقذكم من العبودية واراكم من العجائب الخوارق ما لا يقبل شكا وسمعتم
كلامه فعلمتم انه ليس بجسم ولا يشبه الجسم فلم تفعلوا ذلك الا لان الظلم وهو المشي على غير نظام خبطة عشواء وصف لكم لازم ثم ذكر
امرا آخر هو ابين في عنادهم وانهم انما هم مع الهوى فقال مقبلا على خطابهم لانه اشد في التقريع واذ اخذنا واظهره في مظهر العظمة
تصويرا لمزيد جراتهم ميثاقكم على الايمان والطاعة ورفعنا فوقكم الطور الجبل العظيم الذي جعلناه زاجرا لكم عن الرضى بالاقامة
في حضيض الجهل وراقعا الى اوج العلم وقلنا لكم وهو فوقكم خذوا ما آتيناكم من الاصول والفروع في هذا الكتاب العظيم بقوة ۝
ولما كانت فائدة السماع القبول ومن سمع فلم يقبل كان كمن لم يسمع قال واسمعوا والا دفناكم به وذلك حيث يكفي غيركم في التاديب
رفع الدرة والسوط عليه فينبعث للتعلم الذي اكثر النفوس الفاضلة تتحمل فيه المشاق الشديدة لما له من الشرف ولها به من الفخار
ولما ضلوا بعد هذه الآية الكبرى وشيكا مع كونها مقتضية للثبات على الايمان بعد اخذ الميثاق الذي لا ينقضه ذو مروءة
فكان ضلالهم بعده منبئا عن ان العناد لهم طبع لازم فكانوا كانهم عند اعطاء العهد عاصون مترجما عن اغلب احوال اكثرهم في
مجموع ازمانهم وهو ما عبر عنه في الآية السالفة بقوله ثم توليتم موذنا بالغضب عليهم بالاعراض عن خطابهم بعد افحامهم بالمواجهة
في تقريعهم حيث ناقضوا ما قال لهم من السماع النافع لهم فاخبروا انهم جعلوه ضارا قالوا سمعنا اي باذاننا وعصينا
اي وعلمنا بعد ما سمعنا وساقه لغرابته مساق جواب سائل كانه قال رفع الطور فوقهم امرها بل جدا مقتض للمبادرة الى
اعطاء العهد ظاهرا وباطنا والثبات عليه فما فعلوا فقيل بادروا الى خلاف ذلك واشربوا فاعظم الامر باسناد الفعل اليهم
ثم الى قلوبهم وهو من الاشراب وهو مداخلة نافذة سائغة كالشراب وهو الماء المداخل كلية الجسم للطافته ونفوذه ۝
قاله الحرالي وقال الكشاف خلط لون بلون في قلوبهم العجل اي حبه وحذفه للايذان لشدة التمكن بحيث صار المضاف
هو المضاف اليه بكفرهم وفيه اشارة الى ان من اعرض عن امتثال الامر استحق الابعاد عن مقام الانس قال الامام ابو الحسن
الحرالي في المفتاح الباب الثامن في وجوه بيان الاقبال والاعراض في القرآن اعلم ان كل مربوب يخاطب بحسب ما في وسعه لقنه
وينفي عنه ما ليس في وسعه لقنه فلكل سن من اسنان القلوب خطاب اقبال بحسب لقنه وربما كان له تلامته النعمة فعاد

الاقبال

الاقبال اليه بوجه ما دون صفا الاقبال الاول وربما تناسقت الاقبالات مترتبة فيعلو البيان والافهام بحسب رتبة من توجه
اليه الاقبال ويشتد الادبار بحسب بادي الادبار وربما تراجع لفقا البيان فيها بعضها على بعض فخطاب الاقبال على النبي صلى
الله عليه وسلم افهام في القرآن الم تر الى ربك كيف مد الظل الاية وهو الذي جعل لكم الليل لباسا الاية تفاوت الخطابين بحسب
تفاوت المخاطبين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اعرض عنهم الخطاب ونفى عنهم ما ليس في حالهم
رويته خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم خاطبهم
وامرهم فلما عصوا اعرض وجه الخطاب عنهم ثم تلافاهم بخطاب لسان نبي الرحمة لهم واستمر اعراضه هو تعالى عنهم في تمادي
الخطاب يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تنزل الخطاب في الرتبتين ليتبين الا على ما يبينه للاذى ذلك خير لكم واطهر وهذا الباب عظيم
النفع في الفهم لمن استوضح بيانه والتفاف موارده في القران انتهى والدليل الوجودي على اشرابهم حب العجل مشارعتهم الى
عبادة ما يشبهه في عدم الضر والنفع والصورة ففي السفر الرابع من التورية في قصة بالاق ملك الاموراتيين الذي استنجد بلعام
ابن بعور ما نصه وسكن بنوا اسرايل ساطيم ومضى الشعب ان يسفح بنات مواب ودعين الشعب الى ذبايح الهتهم واكل الشعب
من ذبايحهم وسجد لالهتهم وكمل بنوا اسرايل لعباده بعليون الصنم واستد غضب الله على بني اسرايل انتهى ولما بين سبحانه عظيم
كفرهم وعنادهم مع وقاحتهم بادعاء الايمان والاختصاص بالجنان امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم على وجه التهكم
بهم موكدا كذبهم بالتعبير بما وضع لمجامع الذم فقال قل بئسما اي بئس شيا الشي الذي يامركم به من الكفر ايمانكم هذا الذي ادعيتموه
واوضح هذا التهكم بقوله على سبيل الفرض والتشكيك ان كنتم مومنين على ما زعمتم فحصل من هذا انهم اما كاذبون في دعواهم
واما انهم اجهل الجهلة حيث عملوا ما لا يجامعه الايمان وهم لا يعلمون ولما نهضت الادلة على انه لا حظ لهم في الاخرة غير النار
وذلك نقيض دعويهم انها لهم فقط في قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وتفسيرهم ذلك بانها سبعة ايام وانا نخافهم
فيها ختم سبحانه ذلك بدليل قطعي بديهي فقال قل ان كانت وقد الجا اشعارا بالاختصاص فقال لكم الدار الاخرة اي كما
زعمتم وميزها بقوله عند الله الذي له الكمال كله وبين المراد بقوله خالصة ولما ذكر الخلوص تاكيدا للمعنى زاده تاكيدا
بقوله من دون الناس اي سايرهم لا يشرككم فيها احد منهم من الخلوص وهو تصفية الشي مما يمازجه في خلقته مما هو دونه
قاله الحرالي فتمنوا الموت لان ذلك علم على صلاح حال العبد مع ربه وعمارة ما بينه وبينه ورجايه للقايه قال الحرالي
فعلى قدر نفرة النفس من الموت تكون ضعف منال النفس من المعرفة التي بها تانس بربها فتتمنى لقاه وتحبه ومن احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه يقع ذلك لعامة المومنين عند الكشف حال الغرغرة ولخاصة
المومنين في مهل الحيوة لانهم لو كشف لهم الغطا لم يزدادوا يقينا فما هو للمومنين بعد الكشف من محبة لقاء الله فهو للموقن في حياته
ويقظته لكمال الكشف له مع وجود حجاب الملك الظاهر ولذلك ما مات نبي حتى يخير فيختار لقاء الله لتكون وفادته على الله
وفادة محب مبادر ولتقاصر المومن عن يقين النبي يتولى الله الخيرة في لقايه لانه وليه ومنه ما ورد ما ترددت في شي ترددي
في قبض روح عبدي المومن يكره الموت وانا اكره مساته ولا بد له منه ففي ضمن ذلك اختيار الله للمومن لقاه لانه وليه يختار
له فيما لا يصل اليه ادراكه انتهى ثم سجل عليهم سبحانه بالكذب فقال ان كنتم صادقين اي معتقدين للصدق في دعواكم خلوصها
لكم ولما كان التقدير فقال لهم فما تمنوه عطف عليه قوله اخبارا بالغيب قطعا للعناد موكدا لان ادعاهم الخلوص اعظم من
ادعايهم الولاية كما في سورة الجمعة ولن يتمنوه ابدا ثم ذكر السبب في عدم التمني فقال بما قدمت وهو من التقدمة وهي وضع
الشي قداما وهو جهة القدم الذي هو الامم والتجاه اي قبالة الوجه قاله الحرالي وعبر باليد التي بها اكثر الافعال
اشارة الى ان افعالهم لقباحتها كانها خالية عن القصد فقال ايديهم اي من الظلم والى ذلك اشار قوله عاطفا على ما تقديره
فالله عليم بذلك والله الذي لا كفو له عليم بالظالمين اي كلهم حيث اظهر تنبيها على الوصف الموجب للحكم وتعميما وتهديدا
ولما بين انهم لا يتمنوه اثبت لهم ما هو فوق ذلك من تمني الضد الدال على علمهم بسوء منقلبهم فقال ولتجدنهم اي بما تعلم من
احوالهم مما منه الوجدان وهو احساس الباطن بما هو فيه والاصابة ايضا لما له علقة الباطن كانه فيه احرص صيغة
مبالغة من الحرص وهو طلب الاستغراق فيما يختص به الحظ قاله الحرالي الناس على حيوة على اي حالة كانت وهم قاطعون
بانه لا يخلوا يوم منها عن كدر فانهم يعلمون انها وان كانت في غاية الكدر وخير لهم مما بعد الموت ومن واحرص من الذين اشركوا
الذين لا بعث عندهم على الحيوة علما منهم بانهم صايرون الى العذاب الدايم بالسيئات المحيطة والشرك قال الحرالي اسناد
الامر المختص بواحد الى من ليس له معه امر انتهى ثم بين مقدار ما يتمنوه فقال يود من الود وهو صحة نزوع النفس للشي
المستحق نزوعها له قاله الحرالي احدهم اي احد من تقدم من اليهود والمشركين بجميع اصنافهم او من اليهود خاصة او من
المشركين فيكون وداده اليهود من باب الاولى قال الحرالي وهو نحو من خطاب القرآن لا يصل اليه ابلاغ الخلق لو يعمر من
التعمير وهو تمادي العمر كانه تكرار والعمر امد ما بين بدو الشي وانقطاعه قاله الحرالي الف سنة خوفا من الموت او ما بعده
والالف كمال العدد بكمال ثالثة رتبة والسنة امد تمام دورة الشمس وتمام ثنتي عشرة دورة القمر قاله الحرالي وهذا
المعنى وان كان موجودا في الحول والعام والحجة غير ان ماخذ الاشتقاق ملاحظ في الجملة فلبلاغة القران لا يطلق واحد
من هذه الالفاظ الا فيما يناسب السياق من اصل اشتقاق هذه الالفاظ فهذا السياق لما كان المراد ذمهم بتهالكهم على بقايهم
في الدنيا على اي حالة كانت علما منهم بانها ولو كانت استوا الاحوال خير لهم مما بعد الموت لتحقق شقايهم عبر بما منه الاسنات

وهو القحط وسوء الزمان وما منه الدوران الذي فيه كد وتعب ان كان اصلها من سنا يسنو اذا دار حول البير قال
السهيلي في الروض وقد تسمى السنة دارا ففي الخبر ان بين آدم ونوح الف دار اي سنة ثم قال فتامل هذا فان العلم بتنزيل
الكلام ووضع الالفاظ في مواضعها اللايقة بها يفتح بابا من العلم باعجاز القران والله المستعان وما هو اي تعميره بمزحزحه
والزحزحة ابعاد الشي المستثقل المترامي لما يبعد عنه قاله الحرالي من اي زحزحه مبتديه من العذاب وعبر بمن دون
عن اعلاما بانهم لم يفارقوا العذاب دنيا ولا اخرة وان لم يحسوا به في الدنيا ثم فسر الضمير بقوله ان يعمر انما يزحزحه
الطاعة المقرونة بالايمان الصحيح الذي ليس فيه تفرقة ولما كان التقدير لانهم يعملون في اعمارهم الاعمال السيئة المحيطة
عطف عليه قوله والله الذي له الامر كله بصير بما يعملون ولما ذكر عداوتهم لاخص البشر واجترآهم عليه بالتكذيب
والقتل وختم ذلك بعداوتهم لاكمل الخلق واخصهم حسدا لنزول هذا الذكر عليه عبارة ثم اشارة بما رمزه الى نصبهم
لقتله وانهى ذلك بانه لا محيص لهم من العذاب لانه بصير باعمالهم الموجبة له ذكر ما هو من دقيق اعمالهم من غرامتهم في
الكفر بعداوتهم لخواص من الملايكة الذين هم خير محض لا حامل اصلا على بغضهم الا الكفر وبدي بذكر المنزل للقران لان عداوتهم
للمنزل عليه لاجل ما نزل عليه عداوة لمنزله لانه سبب ما كانت العداوة لاجله فقال امرا له صلى الله عليه وسلم اعلاما
بما ابصره من خفي مكرهم القاضي بضرهم قل يقال وهو احسن وابين وامتن ولما امره صلى الله عليه وسلم بما دل على كذبهم في ادعائهم
خلوص الاخرة لهم واخبر بانه لا بد من عذابهم امره بدليل اخر على كلا الامرين فعلى تقدير كونه دليلا على الاول يكون
منسوقا على قل الاولى بغير عاطف اشعارا بان كلا من الدليلين كاف فيما سيق له وعلى تقدير كونه دليلا على الثاني يكون
جوابا لمن كانه قال لم لا يزحزحهم التعبير عن العذاب قل اي لهولاء الذين ادعوا ان دار الملك خالصة لهم وهم يعادون
خواص جنده من وهي اسم مبهم يشمل الذوات العاقلة احادا وجموعا واستغراقا قاله الحرالي كان عدوا لجبريل اي
فانه لا يضر الا نفسه لانه لا يبلغ ضره بوجه من الوجوه ولعداوته بعداوته له لله الذي خصه بقربه واختاره
لرسالته فكفر حينئذ هذا المعادي له بجميع كتب الله ورسله وجبريل قال الحرالي يقال هو اسم عبودية لان اسم ايل
اسم من اسماء الله تعالى في الاعلى وهو يد بسط لروح الله في القلوب بما يحييها الله من روح امره ارجاعا اليه في هذه الدار
قبل ارجاع روح الحيوة بيد القبض من عزرايل عليه السلام انتهى ثم علل هذا الخبر المحذوف بما ارشد اليه فقال فانه اي
جبريل نزله اي القران الذي كفروا به لحسدهم للذي انزل عليه بعد ما كانوا يستفتحون به الاتي بما ينفعهم الداعي الى
ما يصلحهم فيرفعهم ولما كان المراد تحقيق انه كلام الله وانه امر بابلاغه جمع قل وبين على قلبك اي وهو اكمل القلوب دون
ان يقال على قلبي المطابق لقل واداة الاستعلاء دالة على ان المنزل تمكن في القلب فصارت مجامعة معمورة به فكان
مظهرا له باذن الله الملك الاعظم الذي له الامر كله فليس لاحد انكار ما اذن فيه والنازل به لم يتعد شيا مما امر به والاذن
رافع المنع وايتا المكنة كونا وخلقا ما لم يمنعه حكم تصريف قاله الحرالي مصدقا لما بين يديه من كتب الله التي اعظمها كتابهم
فكانوا احق الناس بالايمان به وكان جبريل عليه السلام احق الملايكة بمحبتهم له لانزاله وكان كفرهم به كفر بما عندهم
فلا وجه لعداوتهم له والبين حد فاصل في حس او معنى قاله الحرالي وهدى الى كل خير لانه بيان ما وقع التكليف به
من افعال القلوب والجوارح وبشرى اي ببيان الثواب للمومنين اي الذين لهم الايمان وصف لازم فلا يفرقون بين كتب
الله ولا بين رسله بل حيث قادهم الحق انقادوا فلا يدخل في ذلك الذين امنوا بالسنتهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
ولا من علم الله منه ذلك ولو كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بما كانوا عاملين فلو انهم مومنون لما عادوا من نزل به
بشرى لهم ولكنهم كفرة فهم في العذاب والاخرة ليست لهم بل عليهم ولما كانت عداوة واحد من الحزب لكونه من ذلك
الحزب عداوة لجميع ذلك الحزب تلاه بقوله من كان عدوا لله ذي الجلال والاكرام لعداوته واحدا من اوليايه
لكونه من اوليايه وملايكته النازلين بامره ورسله من البشر وغيرهم وخص من بينهم بالذكر من حياه بالفضل فقال
وجبريل وميكال اي فانه قد كفر فاهلك نفسه بكفره وعلى ذلك دل قوله فان الله الملك الاعلى عدو للكافرين
حيث اظهر ولم يضمر وعبر بالوصف اللازم صرفا للخطاب عمن يتعظ منهم فيرجع فلا تلحقه المعاداة لذلك وميكال يقال
هو اسم عبودية ايضا وهو يد بسط للارزاق المقيمة للاجسام كما ان اسرافيل يد بسط للارواح التي بها الحيوة قاله
الحرالي ولما فرغ من ترغيبهم في القران بانه من عند الله وانه مصدق لكتابهم وفي جبريل بانه الاتي به باذن الله ومن
ترهيبهم من عداوته اتبعه مدح هذا القران وانه واضح الامر لمزيد الحق وان من كفر به منهم او من غيرهم فاسق اي
خارج عما يعرف من الحق فانه بحيث لا يخفى على احد فقال تعالى عطفا على قوله فانه نزله على قلبك باذن الله او قوله
ولقد جاءكم موسى بالبينات او على ما تقديره فلقد بان بهذا الذي نزله جبريل عليه السلام ان الاخرة ليست خالصة
لهم وانهم ممن احاطت به خطيئته لكفره ولقد انزلنا بعظمتنا في ذلك وغيره اليك وانت اعظم الخلق ايات بينات
في الدلالة على صدقك وصحة امرك والبينة الدالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة ففسقوا بكفرهم
بها وما يكفر منهم ومن غيرهم الا الفاسقون الذين الفسق صفة لهم لازمة وعن الحسن ان الفسق اذا استعمل في
نوع من المعاصي وقع على اعظمه من كفر وغيره وفي ذلك رجوع الى وصف الكتاب الذي هو مقصود السورة ولما انكر
عليهم اولا ردهم للرسل لامرهم بمخالفة الهوى في قوله افكلما جاءكم رسول واتبعه بما يلايمه الى ان ختم بان ايات هذا

الله اعلم

بها

الرسول

الرسول من الامر البين الذي شهد به كتابهم وقد اخذ عليهم العهد باتباعه كما ارشد اليه قوله تعالى فاما ياتينكم مني
هدى الاية انكر عليهم ثانيا كفرهم بما اتى به الرسل بقوله اوكلما عاهدوا عهدا نبذه اي طرحه محتقرا له فريق منهم اي ناس
شانهم السعي في الفرقة ولما كان هذا مترددا بين التقليل والتكثير لتردد التنوين بين التعظيم والتحقير رد احتمال
التقليل بقوله بل اي وليس الفريق الكافر بالنبذ اقلهم بل اكثرهم لا يومنون حالا ولا مالا ثم اتبع هذا الانكار ذكر
الكتاب والرسل كما فعل في الانكار الاول غير انه صرح هنا بما طواه هناك فقال ولما جاءهم رسول اي عظيم محيطة
دعوته بما اشعر به الاسم الاعظم في قوله من عند الله اي الملك الذي له جميع الملك والامر مصدق لما معهم لكونه اتى
بكتاب محقق انه من عند الله لاعجاز نظمه وتصديق معناه لكتابهم نبذ اي رمي رمي استخفاف فريق من الذين اوتوا الكتاب
الاول كتاب الله الملك الاعلى الذي اخذ عليهم فيه الميثاق على لسان نبيهم باتباع النبي الامي اسواء النبذ بجعله لاستخفا
وراء ظهورهم بتركهم للعمل به وان حلوه بالذهب ووضعوه على الكراسي بين ايديهم واشعر بعنادهم بقوله كانهم لا
يعلمون ولما كانت سنة الله جارية بانه ما امات احد سنة الا زاد في خذلانه بان احيى على يده بدعة اعقبهم نبذهم لكلام
الله اولي الاولياء اقبالهم على كلام الشياطين الذي هم اعدا الاعداء فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا اي تقرا او تتبع وعبر
بالمضارع اشارة الى كثرته وفشوه واستمراره الشياطين على ملك اي زمن ملك سليمن من السحر الذي هو كفر قال
الحرالي من حيث ان حقيقته امر يبطل بذكر اسم الله ويظهر اثره فيما قصر عليه من التخييل والتمريض ونحوه بالاقتصار به من
دون اسم الله الذي هو كفر انتهى وكان السحر كان في تلك الايام ظاهرا عاليا على ما يفهمه التعبير بعلى واحسن من هذا ان يضمن
تتلوا تكذب فيكون التقدير تتلوا كذبا على ملكه كما اشار اليه ما رواه البغوي وغيره عن الكلبي وكذا ما روي عن السدي وقال
ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي في كتاب الزينة وروي في الحديث انه لما مات سليمن عليه السلام عمدت الشياطين فكتبت
اصناف السحر من كان يحب ان يبلغ كذا فليفعل كذا وجعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم سليمن عليه السلام وكتبوا في عنوانه
هذا كتاب آصف بن برخيا الصديق لسليمن بن داود عليهما السلام من ذخاير كنوز العلم ثم دفنوه تحت كرسيه فاستخرجه بعد ذلك
بقايا بني اسرايل حين احدثوا ما احدثوا فلما عثروا عليه قالوا ما كان ملك سليمن الا بهذا فافشوا السحر في الناس فليس هو
في احد اكثر منه في يهود انتهى وسليمن على ما ذكر في اول انجيل لوقا هو ابن داود بن يسي بن عوبيد بن باعاز بن سلمون بن بصون بن
عميناداب بن ارام بن يورام بن حصرون بن فارض بن هودا بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليه السلام والحاصل انهم مع تركهم
للكتب المصدقة لما معهم الكفيلة بكل هدى وتركه الاتية من عند الله المتحبب الى عباده بكل جميل على السنة رسله الذين هم
اصدق الناس وانصحهم واهداهم لا سيما هذا الكتاب المعجز الذي كانوا يتباشرون بقرب زمن صاحبه اتبعوا السحر الذي هو
اضر الاشياء وابشعها الاتي به الشياطين الذين هم اعدا الاعداء واقطعها واعجب ما في ذلك انهم نسبوا السحر الى سليمان عليه السلام
كذبا وفجورا وكفروه به ثم كانوا هم اشد الناس تطلبا له ومصاحبة علما وعملا واكثر ما يوجد فيهم فكانوا بذلك شاهدين
على انفسهم بالكفر ومن المحاسن ايضا انه لما كان قوله ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وما بعده في الكتب
والانبياء والرسل من البشر والملايكة كانت فذلكته ان الكفرة من اهل الكتاب نبذوا ذلك كله وتابدوه واقبلوا على السحر
الذي كان ابطاله من اول معجزات نبيهم واعظمها فهو اشد شي منافاة لشرعهم مع علمهم بان ذلك يضرهم في الدارين ولا ينفعهم
ولما اعتقد اهل الكتاب بعد موت سليمان عليه السلام ان السحر منه وان انتظام ملكه على الانس والجن والطير والوحش
والريح انما كان به نفى الله تعالى ذلك عنه بقوله وما كفر سليمان قال الحرالي يقال هو من السلامة وانه من سلامة صدره
من تعلقه بما خوله الله تعالى من ملكه هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر وهو واحد كمال في ملك العالم المشهود من
الاركان الاربعة وما منها من المخلوقات انتهى اي ما وقع منه كفر ما فضلا عن ان يكون بالسحر الذي هو ابعد الاشياء عن ايات
الانبياء ولكن الشياطين كفروا ثم بين كفرهم بقوله يعلمون الناس اي المضطربين الذين لم يصلوا الى سن الذين امنوا السحر
اي الذي ولدوه هم بما يزينونه من حاله ليعتقد انه موثر بنفسه ونحو ذلك كما ان الانبياء واتباعهم يعلمون الناس الحق بما
يبينونه من امره والسحر قال الحرالي هو قلب الحواس في مدركاتها عن الوجه المعتاد لها في صحتها عن سبب باطل لا يثبت
مع ذكر الله عليه وقال الكرماني امر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة لا تتعذر معارضته وقال الاصفهاني اختلفوا
في تعلمه على ثلاثة اوجه احدها انه مكروه الثالث انه مباح والحق انه ان كان تعلمه للعمل فهو حرام وان كان لتوقيه وعدم
الاغترار به فهو مباح وقال والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان
وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا يميز
الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل لمعونة الالات والادوية صاحب خفة اليد فغير حرام
وتسميته سحرا على التجوز لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وقوله وما اي واتبعوا اي ويعلمون ما على
الملكين قال الحرالي فيه انباء بان هذا التخييل ضربان مودع في الكون هو امر الشياطين ومنزل من غيب هو المتعلم من الملكين
وقال ببابل تحقيقا لنزولهما الى الارض هروت وماروت بدل من الملكين وكانهما لما كانا مع الحاجة اليهما لا يحتاجان
الى احد وصفا ايضا بكونهما ملكين بكسر اللام وعبارة الحرالي ملكان جعلا ملكين في الارض والاية من اظهار الله للملايكة
فضل الخليفة ثم بين نصيحة الملكين بقوله وما فانبا ان التقدير وما كفر الملكان كما كفر الشياطين فانهما ما يعلمان

فهم

متى واتني انجيل

انه حرام والثاني

انزل

وزيادة من في قوله من احد لتاكيد الاستغراق حتى يقولا انما نحن فتنة اي على صورة الاختبار من الله تعالى لعباده فانه يعلم
بنا من يختار السحر لما فيه من النفع العاجل على امر النبوة فيكفر ومن يعلم حقيقته ليلا يقع فيه وهو لا يشعر ثم يتركه اقبالا على دين الله
ووحد والمخبر عنه اثنان لانها مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع قال الحرالي واصل معناها من فتن الذهب وهو تسخيره ليظهر جوهره
ويتخلص طيبه من خبيثه انتهى فلا تكفر بالعمل بما نعلمكه فان العمل به كفر او باعتقاد انه حقا مغن عما جاء عن الله او موثر بنفسه انتهى
فيتعلمون منهما ما يفرقون مخالفة للملكين في النهي عن ذلك وذكر الفرقة في اشد الاتصال ليفهم منه ما دونه فقال بين المرء
وزوجه والمرء اسم سن من اسنان الطبع يشارك الرجل به المراة وتكون له فيه فضل ما ويسمى معناه المروءة قاله الحرالي
ولما ذكر السبب القريب للضرر رده اليه ترقية للذهن الثاقب الى اعلى المراتب وصونا له عن اعتقاد ما لا يناسب فقال
وما هم بضارين وهو من الضر بالفتح والضم وهو ما يولم الظاهر من الجسم وما يتصل بمحسوسه في مقابلة الاذى وهو ايلام النفس
وما يتصل باحوالها وتسعر الضمة في الضر بانه عن علو وقهر والفتحة بانه ما يكون عن مماثل ونحوه وقل ما يكون عن الادنى الا اذى
ومنه لن يضروكم الا اذى قاله الحرالي به من احد ولما اكد استغراقه بضروب من التاكيد تلاه بمعيار من العموم فقال الا باذن الله
المحيط بكل شي قدرة وعلما ولا كفو له وفيه اعلام لهم بان ضرره لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الضرر الضعيف حيث سحره لبيد
ابن الاعصم انما هو كضرر غيره من الاسباب التي قد تخفى فيضاف الامر في ضررها الى الله تعالى وقد تعرف فيضاف الضرر اليها كما كان يحصل
لغيره من اخوانه من الانبياء منهم ومن غيرهم والعلم حاصل بان الموثر في الجميع في الحقيقة هو الله تعالى وسياتي عند قوله تعالى وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في سورة الانعام ما ينفع استحضاره هنا ولما كان هذا الذي تقدم وان كان للعامل به نفع على زعمه فضره
اكبر من نفعه اتبعه قسما آخر ليس للعامل به شي غير الضر فليس الحامل على تعلمه الا ايثار اللحاق بابليس وحزبه فقال ويتعلمون اي من
السحر الذي ولده الشياطين لا من الملكين ما يضرهم لان مجرد العمل به كفر او معصية ثم حقق انه ضرر كله لا شائبة للنفع فيه بقوله
ولا ينفعهم لانه لا تاثير له اصلا والنفع وصول موافق للجسم الظاهر وما يتصل به في مقابلة الضر ولذلك يخاطب به الكفار كثير الوقوع
معنييهما في الظاهر الذي هو مقصدهم من ظاهر الحيوة الدنيا قاله الحرالي ثم اتبعه ما يعرف انهم ارتكبوه على علم فقال محققا موكدا
ولقد علموا بيانا لانهم اسفه الناس لمن اشتراه اي اثره على ما يعلم نفعه من الايمان ما له في الاخرة الباقية الباقي نفعها من خلاق
اي نصيب موافق اصلا والخلاق الحظ اللايق لمن يقسم له النصيب من الشي كانه موازن به خلق نفسه وخلق جسمه قاله الحرالي
ثم جمع لهم المذام على وجه التاكيد فقال ولبئسما شروا اي باعوا على وجه اللجاجة به انفسهم اشارة الى انه مما احاط بهم
فاجتث نفوسهم من اصلها فاوجب لهم الخلود في النار ثم قال بعد اثبات العلم لهم لو كانوا يعلمون اي لو كان لهم قابلية لتلقي
واردات الحق اشارة الى ان هذا لا يقدم عليه من له ادنى علم فعلمهم الذي اوجب لهم الجراءة على هذا عدم بل العدم خير منه ولما
بين ما عليهم فيما ارتكبوه من المضار اتبعه ما في الاعراض عنه من المنافع فقال ولو انهم امنوا اي بما دعوا اليه من هذا القرآن ومن
اعتقاد ان الفاعل في كل شي انما هو الله لا السحر واتقوا ما يقدح في الايمان من الوقوف مع ما كان حقا فنسخ من التورية فصار باطلا
ومن الاقدام على ما لم يكن حقا اصلا من السحر لاثيبوا خيرا مما تركوا لان من ترك شيا لله عوضه الله خيرا منه هكذا الجواب ولكنه
عبر عنه بما يقتضي الثبوت والدوام والشرف الى غير ذلك مما تقصر عنه الاذهان من بلاغات القرآن فقال لمثوبة صيغة مفعلة
من الثواب وهو الجزاء بالخير ومن الصيغة اشعار بعلو وثبات قاله الحرالي وشرفها بقوله من عند الله الذي له جميع صفات
الكمال وزادها شرفا بقوله خير مع حذف المفضل قال الحرالي وسوى بين هذه المثوبة ومضمون الرسالة في كونهما من عند الله
تشريفا لهذه المثوبة والحاقا لها بالنمط العلي من علمه وحكمته وامضاء كلمته انتهى وهذه المثوبة عامة لما يحصل في الدنيا والاخرى
من الخيرات التي منها ما يعطيه الله لصالحي عباده من التصرف باسماء الله الحسنى على حسب ما تعطيه مفهوماتها من المنافع ومن ذلك
واردات الاثار ككون الفاتحة شفا واية الكرسي حرزا من الشيطان ونحو ذلك من منافع القرآن والاذكار والتبرك باثار
الصالحين ونحوه ثم اكد الخبر بان علمهم جهل بقوله لو كانوا يعلمون وقال الحرالي فيه اشعار برتبة من العلم اعلى واشرف من الرتبة التي
كانت تصرفهم عن اخذ السحر لان تلك الرتبة تزهد في علم ما هو شر وهذه ترغب في منازل ما هو خير وفيه بشرى لهذه الامة بما في
كتابها من قبول هذا العلم الذي هو علم الاسماء ومنافع القرآن يكون لهم عوضا من علم السيميا الذي هو باب من السحر وعساه ان يكون
من نحو المنزل على الملكين قال صلى الله عليه وسلم من اقتبس علما من النجوم اقتبس بابا من السحر زاد ما زاد وحقيقته السيميا امر
من امر الله اظهر اثاره في العالم الارضي على سبيل اسماء وارواح خبيثة من بواطن الفتن في العلويات من النيرات والكواكب والصور
وما ابداه منه في علوم واعمال لا يثبت شي منه مع اسمه تعالى بل يشترط في صحته اخلاؤه عن اسم الله وذكره والقيام بحقه وصرف
التحنثات والوجه الى ما دونه لذلك كفر موضوع فتنة من الله تعالى لمن شاء ان يفتنه به حتى كانت فتنة اسم السيميا من هدى الاسم
بمنزلة اسم اللات والعزى من هداته اسم الله العزيز ولله كلية الخلق والامر هدى واضلالا اظهارا لكلمة الجامعة الشاملة لمتقابلات
الارواح التي منتهاها قسمه الى دارين رحماني من اسمه العزيز الرحيم ودار نار انتقامي من اسمه الجبار المنتقم ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون ولما جعل سبحانه من المضرة في السحر ونحوه كان من المثوبة لمن امن واتقى من هذه الامة سورة الفلق والناس
المعوذتان حرزا وابطالا وتلقفا لما يافك سحر الساحرات عوضا دايما باقيا لهذه الامة من عصا موسى فهما عصا هذه الامة التي
تلقف ما يافك سحر الساحرات عوضا دايما بما فيهما من التعويذ الجامع للعوذة من شر الفلق الذي من لمحة منه كان السحر مفرقا فهما عوذتان
من وراء ما وراء السحر ونحوه وذلك من مثوبة الدفع مع ما اوتوا من مثوبة النفع ويكاد ان لا تقف مرجاه هذه الاية لهذه الامة عند غاية

به

ن

من منال الخيرات ووجوه الكرامات انتهى ولما كان من الحق كما قال الحرالي اجرا الامور على حكم ما اثبتها الحق لانها بذلك حق هو
مثال للحق المبين وصرفها الى من لم يثبتها الحق في حيزه افك وقلب عن وجهه فهو خيال باطل هو في باب الراي بمنزلة السحر في الحس
فهو خيال لما صحة النسبة فيه مثال اتبع الايات الذامة للسحر الحقيقي التنبيه على السحر المجازي الذي خيلوا به الخير وقصدوا
به الشر ليكون النهي عنه نهيا عن الاول بطريق الاولى فقال ملتفتا عن ذكرهم الى خطاب المومنين الذي هو اخص من يا بني اسرايل
الاخص من يا ايها الناس اعبدوا ربكم يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان صدقوا اقراركم به بان لا تقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم
راعنا التي تقصدون بها الرعاية والمراقبة لمقصد الخير وحفظ الجانب فاغتنمها اليهود لموافقة كلمة سيئة عندهم فصاروا
يلوون بها السنتهم ويقصدون بها الرعونة وهي افراط الجهالة فنهاهم عن موافقتهم في القول منعا للصحيح الموافق في الصورة
لشبهه من القبيح وعوضهم منها ما لا يتطرق اليه فساد فقال وقولوا انظرنا فابقى المعنى وصرف اللفظ قال الحرالي ففيه
الزام بتصحيح الصور لتطابق تصحيح المقاصد وليقع الفرق بين الصورتين كما وقع الفرق بين المعنيين فهي اية فرقان خاصة بالعرب
قال الاصفهاني وهذا النهي اختص بهذا الوقت قال الواحدي لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذا اللفظ لان وقال واسمعوا
اي قولوا ما امرتكم به وامتثلوا جميع اوامري ولا تكونوا كاليهود في حملهم السماع على حقيقته وقولهم سمعنا وعصينا وعطف
وللكافرين على غير معطوف عليه مذكور مرشد الى ان التقدير فان السماع اي القبول ايمان وللسامعين نعيم كريم والاعراض
كفر وللكافرين من اليهود وغيرهم عذاب اليم ولما ارشد ختم الاية الى العلة الحاملة على الامتثال علل بعلة اخرى فقال ما يود
الذين كفروا مطلقا من اهل الكتاب اليهود والنصارى ولا من المشركين باي نوع كان من انواع الشرك بغضا فيكم حسدا لكم
ان ينزل عليكم واكد الاستغراق بقوله من خير من ربكم اي المحسن اليكم فكانه قيل للسماع علتان حاملتان عليه داعيتان اليه
احديهما اخروية وهي النعيم للمطيع والعذاب للعاصي والاخرى دنيوية وهي مخالفة الاعداء فانهم ما يودون ان ينزل عليكم
شي لكم فيه خير فضلا عن ان تمتثلوه ومخالفة الاعداء من الاغراض العظيمة للمتمكنين في الاخلاق الفاضلة من ذوي الادوات
الكاملة ولم يعطف ما يود لانه مع ذلك علة للعلة فكانه قيل لهم عذاب اليم لانهم لا يودون لكم خيرا فسماعكم من جملة عذابهم
لانه واقع على خلاف ودادتهم مع ما يدخر لهم في الاخرة بكفرهم وتمنيهم كفركم ولا يخفى ما فيها وفي التي بعدها من التحريض على الكتاب
الذي لا ريب فيه ولما بين سبحانه ما يودون اتبعه التعريف بان له التصرف التام رضي من رضي وسخط من سخط فقال معلقا
الامر بالاسم الاعظم الجامع والله اي ما يودون والحال ان ذا الاسماء الحسنى يختص ولما كان المنزل اتم الرحمة عبر عنه بقوله
برحمته التي وسعت كل شي من الهداية والعلم وغير ذلك من يشاء اي يجعله مختصا اي منفردا بها من بين الناس ولو كان عند غيره
بمحل الاحتقار كما كان العرب عند بني اسرايل لما كانوا يرون من جهلهم وضلالهم وجفايهم واختلال احوالهم والاختصاص بعين
المختص لمرتبة ينفرد بها دون غيره والرحمة نحله ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه ادناه كشف الضر وكف الاذى واعلاه
الاختصاص برفع الحجاب قاله الحرالي ولما كان ذلك ربما اوهم انه اذا فعله لم يبق من رحمته ما يسع غير المختص بقاه بقوله مصدرا
له بالاسم الاعظم ايضا عاطفا على ما افهمه الاختصاص من نحو ان يقال تعريضا باليهود فالله بمن يروي عنه الرحمة عليهم والله اي
الملك الاعلى الذي له جميع العظمة والرحمة ولا كفو له ذو الفضل العظيم اي الذي لا يحصر بحد ولا يدخل تحت عد ولما حرم سبحانه
قولهم راعنا بعد حله وكان ذلك من باب النسخ وانهى ما يتعلق به بالوصف بالفضل العظيم بعد التخصيص الذي من مقتضاه
نقل ما يكون من المنافع من ملك او دين او قوة او علم من ناس الى ناس وكان اليهود يرون ان دينهم لا ينسخ فكان النسخ لذلك من مطاعنهم
في هذا الدين وفي كون هذا الكتاب هدى للمتقين لانه على زعمهم لا يجوز على الله قالوا لانه يلزم منه البدا اي بفتح الموحدة مقصورا وهو
ان يبدو الشي اي يظهر بعد ان لم يكن وذلك لا يجوز على الله تعالى هذا مع ان النسخ في كتابهم الذي بين اظهرهم فان فيه انه تعالى امرهم
بالدخول الى بيت المقدس بعد مقاتلة الجبارين فلما ابوا حرم عليهم دخولها ومنعهم منه ومن القتال بالقدرة والامر كما ستراه عن نص
التورية في سورة المايدة ان شا الله تعالى وامرهم بالجمعة فاختلفوا فيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وياتي في قوله تعالى انما
جعل السبت على الذين اختلفوا واختاروا السبت ففرض عليهم وشدد عليهم فيه واحل لهم جميع اللحوم والشحوم فلما اتخذوا العجل
حرم عليهم الشحوم واعجب من ذلك تعاطيهم من النسخ ما لم ياذن بالله في تحريفهم الكلم عن مواضعه وتحريم الاحبار والرهبان وتحليلهم
لهم ما شاوا من الاحكام التي تقدم عد جملة منها اصولا وفروعا كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
ولما قال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم رسول الله انهم لم يكونوا يعبدونهم قال اليسوا يحلون لهم ويحرمون قال بلى
قال فتلك عبادتهم لهم كما هو مبين في السيرة في وفادة عدي وكما فعلوا في ابدال الرجم في الزنا بالجلد والتحميم وفي اتباع ما تتلوا
الشياطين مع ان فيه ابطال كثير من شرعهم وفي نبذ فريق منهم كتاب الله وفي قولهم سمعنا وعصينا وفي اتخاذهم العجل مع النهي
عن ذلك وكل ما شاكله في كثير من فصول التوراة وفي ما اشير اليه بقوله افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الى غير ذلك
لما كان ذلك قال تعالى جوابا عن طعنهم سابقا لهم في مظهر العظمة معلما انه قد البس العرب المحسودين ما كان قد زين به اهل
الكتاب دهورا فابتذلوه ودنسوا محياه وبذلوه وغيروه وبدلوه اشارة الى ان الحسد لكونه اعراضا على المنعم يكون سببا
لالباس المحسود ثوب الحاسد ما ننسخ والنسخ قال الحرالي فقل باد من اثر او كتاب ونحوه من محله بمعاقب يذهبه او باقتباس
يغني عن غيبته وهو وارد الظهور في المعنيين في موارد الخطاب والمعاقبة في هذا اظهر انتهى وساقها بغير عطف لشدة التباسها
بما قبلها لاختصاصنا لاجل التمشية على حسب المصالح بالفضل والرحمة لانه ان كان المراد نسخ جميع الشرايع الماضية بكتابنا

غاية

فلما فيه من التشريف بالانفراد بالذكر وعدم التبعية والتخفيف للاحمال التي كانت وان كان المراد نسخ ما شرع لنا فللنظر في المصالح الدينية والاخروية بحسب ما احدث من الاسباب **من آية** اي فنرفع حكمها او تلاوتها بعد انزالها او يامرنا لك على انفسنا من انسخ على قراءة بن عامر سواء كانت في شرع من قبل كاستقبال بيت المقدس او لم تكن وفي صيغة نفعل اشعار بان ما تقدم ربما نسخ عنهم عالم يعوضوا به مثلا ولا خيرا ففي طيه ترغيب الذين امنوا في كتابهم الخاص بهم وان يكون لهم عند النسخ حسن قبول فرحا جديدا واغتباطا بما هو خير من المنسوخ ليكون حالهم عند تناسخ الايات مقابل حال الآيبين من قبوله المستمسكين بالسابق المتقاصرين عن خير لاحق وجدته قاله الحرالي **او ننسها** اي نوخرها اي نترك انزالها عليكم اصلا وكذا معنى او ننسها من انسى في قراءة غير ابن كثير وابي عمرو اي نامر بترك انزالها **نات بخير منها او مثلها** كما فعلنا في داعنا وغيرها او يكون المعنى ما ننسخ من آية فنزيل حكمها او لفظها عاجلا كما فعلنا في داعنا او ننسها بان نوخر نسخها او نترك على قراءة نخسها ريثما ننسخها كالقبلة نات عند نسخها بخير منها او مثلها وقال الحرالي وهو الحق ان شاء الله والنسي تاخير عن وقت الى وقت فعليه مدار بين السابق واللاحق بخلاف النسخ لان النسخ معقب السابق والنسي مداول للموخر وهو نمط من الخطاب على يخفى المنجى لم يكد يتضح معناه لاكثر العلماء الا الائمة من آل محمد صلى الله عليه وسلم لخفاء الفرقان بين ما شانه المعاقبة وما شانه المداولة ومن امثاله ما وقع في النسي من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن لحوم الاضاحي فتقبله الذين امنوا فنسخوا وانما كان انساء وتاخير الحكم الاستمتاع بها بعد ثلاث الى وقت زوال الدافة التي كانت دفت عليهم من البوادي فلم يلفن ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى فسره فقال انما نهيتكم من اجل الدافة فني متسع فقهه ان احكاما تواخر فتشابه النسخ من وجه ثم يعاد فتخالفه من هذا الوجه من حيث ان حكم المنسوخ منقطعه وحكم المنسي متراجعه ومنها المقاتلة للعدو عند وجدان المنة والقوة والمهادنة عند الضعف عن المقاومة هو من احكام المنسا وكل ما شانه ان يمتنع في وقت لمعنى ما ثم يعود في وقت لزوال ذلك المعنى فهو من النسا الذي اهمل علمه اكثر الناظرين ورعما اضافوا اكثره الى نمط النسخ لخفاء الفرقان بينهما فحق ان هذه الآية من جوامع اي الفرقان فهذا حكم النسا والانسا وهو في العلم بمنزلة تعاقب الفصول بما اشتملت عليه من الاشيا المتعاقبة في وجه المداولة في الجملة قلت وحاصله تاخير الحكم لما ذكر او الحرمة كما في المتعة ونحو ذلك الى وقت آخر وذلك هو مدلول النسي على ما كانت تعارفه كما سياتي تحريره في سورة برآءة عند انما النسي زيادة في الكفر قال واما النسيان والتنسية فمعناه اخفى من النسي وهو ما يظهره الله من البيانات على سبيل ادخال النسيان على من ليس شانه ان ينسى كالسنن التي ابداها النبي صلى الله عليه وسلم عن تنسيته كما ورد من قوله اني لانسى او انسى لاسن وقال صلى الله عليه وسلم في افصاح القول فيه بيسما لاحدكم ان يقول نسيت بل هو نسي ومنه قيامه من اثنتين وسلامه من اثنتين حتى اظهر الله سنة ذلك لامته وكانت تلك الصلوة بسوها ليست بدونها من غير سهو بل هي مثلها او خير ومن نحوه منامه عن الصلوة حتى اظهر الله توقيت الصلوة بالذكر كما كان قد اظهرها بالوقت الزماني فصار لها وقتان وقت نور عياني من مدارهام الشمس ووقت نور وجداني من مدارهام الذكر ولصحة وقوعها للموقنين كانتا الموقتة بالذكر اذا احسبه قضا حسب فوتا لوقتا لزماني فالله تعالى على هذه الامة فضل عظيم فيما يحل لها على طريق النسخ وعلى سبيل النسي وعلى جملة النسيان الذي ليس عن تراخ ولا اهمال وانما يوقعه اجبارا مع اجماع العزم وفي كل ذلك انبا بان ما وقع من الامر بعد هذا النسيان خير من موقع ذلك الامر الذي كان يقع على اجمال ورعاية لتستوي احوال هذه الامة في جميع تقلبات انفسها كل ذلك من اختصاص رحمته وفضله العظيم انتهى واستدل سبحانه على اتيانه بذلك بقدرته والقدرة الشاملة التامة مستلزمة للعلم اي وليس هو كغيره من الملوك اذا امر بشي خاف غائلة اتباعه في ورعاياه في نقضه واستدل على القدرة بان له جميع الملك وانه ليس احد معه امر وحاصل ذلك انه لما ذكر سبحانه هذا الكتاب واكد امره مرارا وكان ناسخا لفروع شريعتهم ولا سيما ما فيها من الآصار والاغلال اشار سبحانه الى ان من اعظم ضلالهم وغيهم وجهالهم ادعاءهم ان النسخ لا يجوز على الله لمنعهم من ان يسئل عما يفعل مما هو موجود في كتابهم كما مر آنفا ومما سوغوه لانفسهم بالتحريف والتبديل ولزم من ذلك تكذيب كل رسول اتاهم بما لا تهوي انفسهم وفعلوا خلاف حال المومنين المصدقين بما انزل الى نبيهم وما انزل الى غيره وضمن ذلك عيبهم بالقدح في الدين بالامر بالشي اليوم والنهي عنه غدا وانه لو كان عند الله لما تغير لانه عالم بالعواقب ولا يخفى اما ان يعلم ان الامر بذلك الشي مصلحة فلا ينهى عنه بعدا او مفسدة فلا يامر به اليوم وجوابهم عن ذلك معرضا عن خطابهم تعريضا بغبائهم وتهافتهم الى خطاب اعلم الخلق بقوله **الم تعلم ان الله** اي الجامع لجميع اوصاف الكمال **على كل شي قدير** على وجه الاستفهام المتضمن لاجل قصد التهويد به للانكار والتقرير المشار فيه للتوعد والتهديد فيخلق بقدرته من الاسباب ما يصير الشي في وقت مصلحة وفي وقت آخر مفسدة لحكم ومصالح دبرها لتصرم هذا العالم وتقضي هذا الكون بشمول علمه بكل ما تقدم وما تاخر ولو اراد لجعل الامر على صنف واحد والناس على قلب رجل واحد ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا لجعل الناس امة واحدة ولكنه مالك الملك وملك السموات والارض تتصرف على حسب ما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه ولا يسوغ الاعتراض عليه بوجه وهل يجوز ان يعترض العبد الذي لا يملك اصلا من الرق على السيد الثابت السود على انه لا يلزمه شي اصلا فلا يلزمه الامر على حسب المصلحة ثم اتبع ذلك بما هو كالدليل على شمول القدرة فقال **الم تعلم ان الله** الجامع لانواع العظمة **له ملك السموات والارض** يفعل في ذواتها واحدا لها ما يشا، قال الحرالي فهو عام هو على كل شي قدير يفصل الايات وهو مما له ملك السموات والارض ويدبر الامر انتهى ولما تم سبحانه ما اراد من اظهار قدرته وسعة ملكه وعظمته بالاسم العلم الذي هو اعظم من مظهر العظمة في تثنية وثنا بالاقبال على خطاب من لا يعلم ذلك حق علمه غيره فتهيات قلوب السامعين وصغت لغة الخطاب اليهم ترهيبا في اشارة الى ترغيب

فقال

فقال وما لكم من دون الله المتصف بجميع صفات العظمة من ولي يتولى اموركم وهو من الولاية قال الحرالي وهو القيام بالامر
عن وصلة واصلة ولا نصير فاقبلوا بجميع قلوبكم اليه ولا تلفتوها عنه وفي ذلك تعريض بالتحذير للذين امنوا ولم يبلغوا درجة
المومنين من مخالفة امره اذا حكم عليهم بما اراد كاينا ما كان ليلا تلفن بواطنهم عن اليهود نحوا مما لقنت ظواهر السنتهم بان تستمسك
بسابق فرقانها فتتثاقل عن قبول لاحقه ومكمله فيكون ذلك تبعا لكثرة اهل الكتاب في ابانها ما لحقه التغيير من احكام في كتابها
افادة الحرالي وقال وهو في الحقيقة خطاب جامع لتفصيل ما يرد من النسخ في تفاصيل الاحكام والاحوال بمنزلة الخطاب
المتقدم في صدر السورة المشتمل على جامع ضرب الامثال في قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما الاية وذلك لان هذه
السورة هي فسطاط القرآن الجامعة لجميع ما تفصل فيه وهي سنام القران وسنام الشي اعلاه وهي سيدة سور القرآن ففيها لذلك
جوامع ينتظم بعضها ببعض اثر تفاصيله خلالها في سنامية معانيها وسيادة خطابها نحوا من انتظام اي سورة الفاتحة المنتظمة
من غير تفصيل وقع اثناها ليكون بين المحيط الجامع والابتداء الجامع مشاكلة ما انتهى ولما رسخ ما ذكره سبحانه من تمام قدرته وعظيم
مملكته وما اظهر لذاته المقدس من المعظم بتكرير اسمه العلم واثبات ان ما سواه عدم فتاهلت القلوب للوعظ صدعها بالتاديب
بالانكار الشديد فقال ام اي اتريدون ان تردوا امر خالقكم في النسخ ام تريدون ان تتخذوا من دونه الها لا يقدر على شي بان
تسئلوا رسولكم اي يجعل لكم الها غيره كما سئل موسى ذلك ولما كان سوالهم ذلك في زمن يسير اثبت الجار فقال من قبل اي
قبل هذا الزمان اذ قال قومه بعد ما راوا من الايات وقد مروا بقوم يعكفون على اصنام لهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقالوا
ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد وكانوا يتعنتون عليه في احكام الله بانواع التعنتات كما تقدم والارادة في
الخلق نزوع النفس لباد تستقبله قاله الحرالي وادل دليل على ما قدرته قوله عطفا على ما تقديره فتكفروا فانه من سال
ذلك فقد تبدل الكفر بالايمان ومن يتبدل الكفر بالايمان اي ياخذ الكفر بدلا من الايمان بالاعراض عن الايات وسوال غيرها
او التمسك بما نسخ منه وعبر بالمضارع استجلابا لمن زل بسوال شي من ذلك الى الرجوع بالتوبة ليزول عنه الاستمرار فيزول
الضلال فقد ضل سوا السبيل اي عدله ووسطه فلم يهتد اليه وان كان في بنيات منه فان من حاد عن السوا اوشك ان
يبعد بعدا لا سلامة معه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وكثيرا ما كان
يتزلزل طوايف من الناس عند تبدل الايات وتناسي الاحكام وبحسب ما يقع في النفس من تثاقل عنه او تحامل على قبوله يلحقه
من هذا الضلال عن سوا هذا السبيل وفيه اشعار بان الخطاب للذين امنوا لان المومنين المعرفين بالوصف لا تتبدل
احوالهم من ايمان الكفر لان احدا لا يرتد عن دينه بعد ان خالط الايمان بشاشة قلبه فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله
فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينزع العلم انتزاعا بعد ان اعطاكموه فبذلك يتضح مواقع خطاب القرآن مع المترتبين في اسنان
القلوب بحسب الحظ من الايمان والاسلام والاحسان قاله الحرالي وعرف السبيل بانه المشتمل على قوام الساس فيه والسالك
له من الرعي والسقي وشبهه والسرا بانه من الشي اسمحه بالامر الذي قصد له قال ويقال هو وسطه وخياره ولما كان اكثر
المثيرين لهذه الشكوك في صور اهل الاسلام قال تعالى مخاطبا للمومنين وهم في غمارهم تنفيرا لهم عن الضلال الذي هو
في نفسه اهل لان ينفر عنه فكيف وهو شماتة العدو وتخييله ووداده وتحذيرا لهم من مخالطتهم ود كثير وهو تعليل
لمعنى الكلام وهو فلا يتبدلوا الكفر بالايمان بعد تعديله بالضلال وذلك لما مضى في ما يود الذين كفروا سوا ولما كان
المشركون عربا عالمين بان طبع العرب الثبات لم يدخلهم معهم في هذا الود وقال من اهل الكتاب فانيا ان المصافي منهم قليل
وبشر سبحانه بان ما يودونه من قسم المحال يسوقه سوق المتمني فقال لو يردونكم اي باجمعكم ثم حقق امر النهي في كونه محالا
مشيرا باثبات الجار الى قناعتهم به ولو في زمن يسير فقال من بعد ايمانكم اي الراسخ كفارا اي لتكونوا مثلهم فتخلدوا معهم
حسدا على ما اتيكم من الخير الهادي الى الجنة والحسد قلق النفس من رؤية النعمة على الغير وعبر عن بلوغ الحسد الى غاية لا
حيلة معها في تركه بقوله من عند انفسهم اي انه راسخ في طبايعهم فلا يطمعوا في صرفه بشي فان انفسهم غالبة على عقولهم
ثم زاده تاكيدا بقوله مشيرا باثبات الجار الى ذمهم بانهم استمروا على الضلال بعد الدعوة لا يطلبون الحق مع القدرة على
تعرفه حتى هجم عليهم ميانه وقرهم عرفانه ثم لم يرجعوا اليه وما كفاهم ضلالهم في انفسهم حتى تمنوا اضلال غيرهم بالرجوع
عنه من بعد ما تبين اي بيانا عظيما بوضوحه في نفسه لهم الحق اي من صحة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وانه خاتم
النبيين المرسل الى الناس كافة بشهادة ما طابقه في التورية ومن انهم خالدون في النار لانهم ممن احاطت به خطيئته
بما دل عليه سبحانه في جميع هذه الايات ابطالا لدعويهم في مس النار لهم اياما معدودة ثم ارشد الى الدوا بقوله مسببا
عن الاخبار بان ودهم محال وبعدم رجوعهم فاعفوا اي عاملوهم معاملة العافي بان لا تذكروا لهم شيا مما تظهره تلك
الودادة الناشية عن هذا الحسد من الاقوال والافعال ولا تاخذوا في مواخذتهم به فانهم لا يضروكم ولا يرجعون اليكم
واصفحوا اي اظهروا لهم انكم لم تطلعوا على شي من ذلك واصل معناه من الاعراض بصفحة العنق عن الشي كانه لم يره وامرهم
بمطلق الصفح ولم يقيده بالجميل الذي اختص به خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم في قوله فاصفح الصفح الجميل لتنزل الخطاب
على مراتبه ومستحق مواقعه وحثهم على ان يكون فعلهم ذلك اعتمادا على تفريجه سبحانه بقوله حتى ياتي الله الذي لا امر
لاحد معه بامره فبشرهم بذلك لظهورهم على من امروا بالعفو والصفح عنهم وقد كان مبدا ذلك ويتم في زمن عيسى عليه السلام

والنظم اي انتظام ولما ابطل دعوي اختصاصهم بالرحمة فتح جاء منهم في غيرهم واثبتها للمحسنين اتبع ذلك قدح كل فريق منهم في الاخر وبيان انتفاءها عنهم باسانهم بابطال كل فرقة منهم دعوي الاخري مع ما يشهد به كتاب كل من بطلان قوله فقال وقالت اليهود ليست ولیس يخففه من وزن فرح ومعناها مطلق النفي للتقدم اثبات او مقدر قاله الحرالي النصاري على شيء اي يعتد به لكونه صحيحا انتفعلهم لضعف قولهم وجميع امرهم وقالت النصاري كذلك ليست اليهود على شيء وتعجب منهم في هذه الدعوي العامة لما قبل التبديل والنسخ وما بعده بقوله وهم اي والحال انهم يتلون الكتاب اي مع ان في كتاب كل منهم حقيقة اصل دين الاخر ثم شبههم في نحو هذا القول الجهلة الذين ليس لهم كتاب الذين هم عندهم ضلال وفي ذلك غاية العيب لهم لتسوية حالهم مع علمهم بحال الجهلة في النطق في الدين بالباطل كما سوي حالهم بصمم في الحرص على الجموع في الدنيا ومنهم عبدة الاصنام الذين منهم العرب الذين اخرجوا الرسول صلي الله عليه وسلم من بلده ومنعوه من مسجد ابيه ابرهيم عليهما الصلوة والسلام الذي هو الحقيق به دونهم وساق ذلك الجواب سائل كانه قال هذا قول العلماء بالكتاب فما حال من لا علم له فقال كذلك اي مثل هذا القول البعيد عن القصد قال الذين لا يعلمون ولما كان صدور هذا من اهل العلم في غاية الغرابة وصدوره من الجهلة اغرب نبه تعالي علي ان سامعه جدير بان يقول لعله لبعده مما لا يصدق كيف قال الجهلة فقال او يقال ولما كان قولهم هذا لا يكاد يصدق من شدة غرابته كان كانه قيل احق كان هذا منهم حقيقة ام كني به عن شيء اخر فاجيب بقوله كذلك اي الامر كما ذكرنا عنهم حقيقة لا كناية عن شيء غيره فلما استقر في النفس كان كانه قيل هل وقع هذا الا من غيرهم فقيل نعم وقع اعجب منه وهو انه قال الجهلة كعبدة الاصنام والمعطلة مثل قولهم فعاندوا وامثل وضلوا المومنين اهل العلم بالكتاب الخاتم الذي لا كتاب مثله وضللوا اهل كل دين ولما وقع الخلاف بين هذه الفرق تسبب عنه حكم الملك الذي لم يخل لهم سدي بينهم فقال قاله الملك الاعظم يحكم بينهم والحكم قصر المصرف علي بعض ما يتصرف فيه وعن بعض ما تشوف اليه قاله الحرالي وحقق امر البعث بقوله يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون والاختلاف افتعال من الخلاف وهو تقابل بين اثنين فيما ينبغي انفراد الراي فيه قاله الحرالي ولما اشتركت جميع هذه الفرق في الظلم وزاد الجهلة منع حزب الله من عمارة المسجد الحرام بما يرضيه من القول والفعل فازداد وابذلك ظلما آخر وكان من منع مسجدا واحدا لكونه مسجلا ما شابه جميع المساجد قال ومن اظلم اي منهم وانما ابدل الضمير بقوله ممن منع مساجد الله اي الجامع لصفات الكمال التي هي جنان الدنيا لكونها اسباب الجنة التي قصروها عليهم ثم ابدل من ذلك تفخيما له بذكره مرة بعد اخري قوله ان يذكر فيها اسمه وعطف بقوله وسعي في خرابها اي بتعطيلها عند ذكر الله ليبعد وجوه ظلمهم زيادة في تبكيتهم والمنع الكف عما يتراءي انه والمسجد مفعل السجود وهو احفض محط القائم والسعي الاسراع في الامر حسا او معني والخراب ذهاب العمارة والعمارة احياء المكان واشغاله بما وضع له قاله الحرالي ثم ذكر سبحانه ما رتبه علي فعلهم من الخوف في المسجد الذي اخافوا فيه اولياءه في جميع جنسه والخزي في الدنيا والاخرة ضد ما رتبه لمن احسن فقال تعالي اولئك اي البعداء البغضاء ما كان لهم اي ماصح وما انبغي ان يدخلوها اي المساجد الموصوفة الا خائفين وما كان امنهم فيها الا بسبب كثرة المساعة علي ما ارتكبوه من الظلم والتمادي علي الباطل وستزيل ذلك ثم عمم الحكم بما يندرج فيه هذا الخوف فقال لهم في الدنيا خزي اي عظيم بذلك وبغيره ثم زاده بان عطف عليه قوله ولهم في الاخرة التي هم لها منكرون بالاعتقاد او الافعال عذاب عظيم فدل بوصف العذاب علي وصف الخزي الذي اشار اليه بالتنوين قال الحرالي وفيه انباء باحاطة ما يصرف عنهم وجها من وجوه العذاب فنالهم من العذاب العظيم ما نال الكافرين حتي كان ما كان لهم من ملة وكتاب لم يكن وذلك اسواء الخسار قال ومن الموعود ان من اعلام قيام الساعة تضييع المساجد لذلك كل امة وكل طائفة وكل شخص معين تطرق بحرم في مسجد يكون فعله سببا لخلايد فان الله عز وجل يعاقبه بروعه ومخافة تناله في الدنيا حتي ينتظم بذلك من حزب حدينة من مدن الاسلام او كانت اعماله سبب خرابها وفي ضمن ذلك ما كان من احراك المسلطين علي البيت المقدس بما جرت اليه اعمال يهود فيه قال كذلك اجري الله سنته ان من لم يقم حرمة مساجده شرده منها واحوجه لدخولها تحت رقبة وذمة من اعدائه كما قد شهدت مشاهدة بصائر اهل التبصرة وخصوصا في الارض المقدسة المتناوب فيها دول الغلب بين هذه الامة واهل الكتاب الم تغلبت الروم في ادني الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فكل طائفة في بضعها اذا ساء عملها في مسجدها شردت منه ودخلته في بضع الاخري طائفة كذلك حتي تكون العاقبة للمتقين حين يفرح المومنون بنصر الله قال وفي اشعاره تحذير من غلق المساجد وانصاءها وحجرها علي القاصدين للتحنث فيها والخلوة بذكر الله وليس رفع المساجد منعها بل رفعها ان لا يذكر فيها غير اسم الله قال الله تعالي في بيوت اذن الله ان ترفع قال عمر رضي الله عنه لمانعي الرحبة من اراد ان يلغط او يتحدث او ينشد شعرا فليخرج الي هذه الرحبة وقال صلي الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم وبيعكم وشراكم وابنوا علي ابوابها المطاهر ففي كل ذلك انباء بان من عمل في مساجد الله بغير ما وضعت له من ذكر الله كان ساعيا في خرابها وناله الخوف في محل الامن انتهي ولما انتهت الاية انه حصل لاولياء الله منع من عمارة بيت الله بذكره وكان الله تعالي قد من علي هذه الامة بان جعل الارض كلها لها مسجدا صلي المومنين بانهم انما صلوا بقصد عبادته ليتم ثوابه لانه لا يختص به جهة دون جهة كان ملكه الكمل علي حد سواء فكان كما قيل فاينما تولوا الصلوة التي هي اعظم ذكر الله حيث ما كنتم فانه له كما ان المسجد الذي منعتموه لله وعطف عليه قوله ولله الذي له الكمال كله المشرق اي موضع الشروق وهو

اي لنسخ ديننا الذي

المسلطين

ولما كان النصر وهم في القلة والضعف بحال عظيم وقوة عدوهم وكثرتهم اكثر مستبعدا قال ان الله واظهر موضع الاضمار
تحقيقا للبشرى بالايما الى استحضار ما يدل عليه هو الاسم الاعظم من صفات الجلال والاكرام على كل شي قدير ففي هذا الختم بشرى
للمومنين بتقديرهم كما ان في الختم بالعلم بشرى بتعليمهم وفي افهامه نذارة للكافرين بمقابل ذلك ولما امرهم بالثقة بهذا الكتاب
ما نسخ منه وما لم ينسخ وان لا يعوقهم عنه طعن الطاعنين ولا حسد الحاسدين وامرهم بالاعراض عن الغير امرهم بالاقبال على
اصلاح النفس والاحسان الى الغير بما اتصف به المهتدون في قوله تعالى ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ولما
كان المقصود من الصلوة قصر الهمة والنية على الحضرة الالهية وتفريغ البال من جميع الشواغل علم ان التقدير بعد الختم بشمول
القدرة فاعلموا ذلك وتقوا به واقيموا الصلوة التي هي مع كوننا سنبتليكم في قبلتها بالنسخ قوام الدين والمعينة على جميع
النوايب باعانة الخالق الذي قصد بها الاقبال عليه والتقرب اليه واتوا الزكوة التي هي قرينة الصلوة فمن فرق بينهما فقد
نسخ ما اثبت الله فاستحق القتال ليرجع عما ارتكب من الضلال وهي من اعظم نفقات المومنين احسانا الى الخلايق ان كنتم
مصلين بالحقيقة فان المال بعض ما صرفت عنه الصلوة من اعراض الدنيا ولما كان قوله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
وما بعده خطابا للمومنين تحذيرا من كيد اعدايهم بالنهي عما يرديهم والامر بما ينجيهم وختمه بهذه الاية فذلكه لذلك كله جمعا
لمعانيه وفتحها براس العبادات البدنية والمالية وكانت ال مشيرة الى الواجب من ذلك ختم الاية نفسها بالامر العام الجامع
فقال وما تقدموا لانفسكم من خير اي من الصلوة والزكوة وغيرهما فرضا ونفلا تجدوه وزاد ترغيبا فيه بقوله عند الله
اي الجامع لصفات الكمال فهو يحفظه بما له من العلم والقدرة ويربيه بما له من الكرم والرحمة الى غير ذلك من امور الفضل
ولما كان الشي قد يهمل لكونه صغيرا وقد لا يطلع عليه لكونه خفيا حقيرا قال مرغبا مرهبا ان الله المحيط قدرة وعلما بما
تعملون بصير واظهر الاسم في موضع الاضمار اشعارا بالاستيناف للخبر ليكون ختما جامعا لانه لو عاد على خصوص هذا الخطاب
لكان انه وذلك لان تجديد الاظهار يقع بمعنى رد ختم الخطاب على احاطة جملة قاله الحرالي والمعنى انه لو اضمر لكان ربما افهم
تقييد علمه بحيثية ما تقدم من عمل الخير وعلى مثل هذا دل قول العلامة شمس الدين بن القيري في اول شرحه لا يسلعوحي الغالب
في المضمر ارادة المعنى الاول واما حديث اعادة الشي معرفة فاصل يعدل عنه كثيرا القراين وقال الشيخ سعد الدين في
المختصر في بحث التشبيه فلم يات بالضمير ليلا يعود الى التشبيه المذكور الذي هو اخص وما يقال ان المعرفة اذا اعيدت كانت
عين الاول فليس على اطلاقه ولما ذكر دعواهم في مس النار وابطلها من وجوه كثيرة احاطت بهم فيها الخطايا احاطة اقتضت
خلودهم فيها من وجه ضلالهم الى اية النسخ مرقيا الخطاب من سيئة الى اسوا منها ثم من جهة اضلالهم لغيرهم من اية النسخ
عطف على تلك الدعوى الاخبار بدعويهم في دخول الجنة تصريحا بما افهمته الدعوى الاولى تلويحا وقرن بذلك مثل ما ختم به
ما قبلها من ان من فعل خيرا وجده على وجه بين فيه ان ذاك الخير الاسلام والاحسان فقال تعالى وقالوا اي اهل الكتاب
من اليهود والنصارى حسدا منهم على المسبب الذي هو الجنة كما حسدوا على السبب وهو انزال ما اقتضى الايمان الموصل
الى الرضوان الذي به يستباح الجنان لن يدخل الجنة المعدة لاولياء الله الا من كان هودا هذا قول اليهود منهم او نصارى
وهذا قول النصارى نشرا لما لفته الواو في وقالوه لما عندهم من العلم والتي حسدوا فيها المومنين لان ذلك فضل الله يوتيه
من يشاء قال مشيرا الى بعدهم عن ذلك على وجه الاستيناف معترضا بين الدعوى وطلب الدليل عليها تعجيلا لتوهينها تلك
باداة البعد امانيهم تهكما بهم اي امثال هذه الشهوة من ودهم ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا
وان لا يدخل الجنة غيرهم وامثال ذلك من شهواتهم ولما كان كل مدع لغيب مفتقرا في تصحيح دعواه الى دليل وكان مثل هذا
لا يقنع فيه الا بقاطع امر اعلم الخلق لا ينهض باخراسهم في علمهم ولددهم غيره بمطالبتهم بذلك ناقضا لدعويهم فقال قل هاتوا
برهانكم بلفظ البرهان قال الحرالي وهو علم قاطع الدلالة غالب القوة بما تشعر به صيغة الفعلان ضم اولها وزيادتا اخرها
وهذا كما افتتح تلك بالنقض بقوله قل اتخذتم وفي ذلك اعلام بانه تعالى ما غيب شيا الا وابدى عليه علما ليكون في العالم المشهود
شفاف عن العالم الغايب قاله الحرالي قالوا وهذا اهدم شي لمذهب المقلدين ودليل على ان كل قول لا برهان عليه باطل ولما
نادى عليهم بالكذب في قوله ان كنتم صادقين اثبت لغيرهم بقوله بلى ما ادعوا الاختصاص به ثم بين اهل الجنة بقوله من اسلم
وجهه اي كليته لان الوجه اشرف ما ظهر من الانسان فمن اسلمه اسلم كله كما ان الايمان اذعان القلب الذي هو اشرف ما بطن
واذعانه اذعان جميع الاعضاء والاسلام قال الحرالي الالقاء بما يكون من منه في باطن او ظاهر والوجه مجتمع حواس الحيوان
واحسن ما في الموتان وهو ما عدا الحيوان وموقع الفتنة من الشي الفتان وهو اول ما يحاول ابداوه من الاشياء لذلك لله
من اجل انه الله ولما كان ذكر الاجر لكل واحد بعينه انص على المقصود وانفى للتعنت افرد الضمير فقال وهو محسن في
جانب الحق باذعان الجامع للكمال القلب وفي جانب الخلق بما يرضي الرب فصار يعبد الله كانه يراه فطابق سره علنه لما نفوا
الاجر عن غيرهم واثبت سبحانه للمتصف بالاسلام منهم وممن سواهم وكان ربما قيل انه اعطى غيرهم لكونه الملك المطلق بغير
سبب ربط الاجر بالفاء دليلا على ان اسلامهم هو السبب فقال فله خاصة اجره عند ربه احسانا اليه باثبات نفعه
على حسب ما ربه به في كل شريعة ولما كان ربما ادعى انه ما افرد الضمير الا لان المراد واحد بعينه فلا يقدح ذلك في دعوى
انه لن يدخل الجنة الا اليهود او النصارى جمع فقال ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على شي فات دفعا لضرهم وهذا كما
اثبت سبحانه خلاف دعويهم في مس النار بقوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته الاية فالتحم الكلام بذلك اشد التحام

باذعان القلب الجامع للكمال ولما

وانتظم

مطلع الانوار والمغرب وهو موضع افولها فالبناء لتعالي كما قال الحرالي باضافة جوامع الافاق اليه اعلاما بان الوجهة لوجهه لا للجهة من حيث ان الجهة له انتهى ولما كان هذا الافقان مدار الكواكب من الشمس وغيرها عبر بهما عن جميع الجهات لتحول الافلاك حال الدوران الى كل منها فلذلك تسبب عن ذكرهما قوله فاين ما تولوا اي فاي مكان او قعتم فيه التولية للصلوة الى القبلة التي امرتم بالتولية اليها من بيت المقدس او الكعبة او غيرهما في النافلة فثم اي فذلك الموضع لان ثم اشارة لظرف مكان وجه الله اي جهته التي وجهكم اليها او مكان استقبالكم والتوجه اليه وما يستقبلكم من جلاله وجماله وتوجه اليكم من بره وافضاله فان نسبة جميع الاماكن والجهات في الابداع والقرب والبعد وغير ذلك اليه واحدة قال الحرالي وابلغ المولى ليقع تولي القلب لوجه الله حين تقع محاذاة وجه الموجهة الظاهر لجهة المصادفة لله انتهى ولما اخبر من سعة فضله ستوثاني واسع ملكه بما وقعت العقول عن منتهى علمه بعلمه بما صغر ذلك في جنبه فقال ان الله فذكره بالاسم الاعظم الجامع لجميع الاسماء واسع اي محيط بما لا تدركه الاوهام فلا يقع شيء الا في ملكه واصل الوسع تباعد الاطراف والحدود عليم فلا يخفى عليه فعل فاعل اينما كان وكيف ما كان فهو يعطي المتوجه اليه على قدر نيته بحسب بلوغ احاطته وشمول علمه وقدرته قال الحرالي في شرح الاسماء والسعة المزيد على الكفاية من نحو هاء ان ينبسط الى ما وراءه امتدادا رحمة وعلما ورحمتي وسعت كل شيء الذين احسنوا الحسنى وزيادة لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ولا تقع السعة الا مع احاطة العلم والقدرة وكمال الحكم وافاضة الخير والنعمة بمقتضى كمال الرحمة ولسري النعمة في وجوه الكنايا ظاهرا وباطنا خصوصا وعموما لم يكد يصل الخلق الى حظ من السعة اما ظاهرا فلا تقع منهم ولا تكاد تكم لن تسعوا الناس بمعروفكم واما باطنا خصوص حسن الخلق فعساه يكاد وقال في تفسيره قدم تعالى المشرق لانه موطن بدو الانوار التي منها رؤية الابصار واعقبه بالمغرب الذي مغرب الانوار الظاهرة وهو مشرق الانوار الباطنة فيعود التعادل الى ان مشرق الانوار الظاهرة وهو مغرب الانوار الباطنة الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان واشار بيده نحو المشرق لانه اذا اهل المغرب ظاهرين على الحق انتهى قلت ومن ذلك حديث صفوان ابن عسال رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله بالمغرب بابا وفي رواية باب التوبة مفتوح من قبل المغرب مسيرة عرضه سبعون عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله اخرجه الطبراني والبغوي في تفسيره وقد ظهر لي ان المغرب في الحديث المتقدم وهو في الصحيح ما عدا المشرق الذي اشار اليه بالفتنة في الحديث الاخر فالمغرب حينئذ المدينة وما ينسب اليها من جهة المشرق وما وازى ذلك من جهة الجنوب والشمال وما وراء ذلك من جهة المغرب الى منتهى الارض فلا يعارض حينئذ حديث وهب بالشام فانها من جملة المغرب على هذا التقدير فدونك جمعا طالما دارت فيه الرؤس وحارت فيه الافكار في المحافل والدروس والله الموفق ولما افاد ما تقدم وصفه تعالى بتمام القدرة واتساع الملك والفضل وشمول العلم كان من المحال افتقاره الى شيء ولدا وغيره فذم اهل الاديان الباطلة كلهم بافترائهم في الولد اليهود في عزير والنصارى في المسيح وعبدة الاوثان في الملكية فقال معجبا ممن اجترى على نسبة ذلك اليه مع معرفة ما تقدم عاطفا على ما سبق من دعاويهم وقالوا اتخذ الله الذي له الكمال كله وعبر بقوله ولدا الصالح للذكر والانثى لينتظم بذلك مقالات الجميع ولما كان العطف على مقالات اهل الكتاب ربما اوهم اختصاصا لزم نفيه حذفت واو العطف في قراءة ابن عامر على طريق الاستيناف في جواب من كانه قال هل انقطع حبل افترائهم اشارة الى ذم كل من قال بذلك وذلك اشارة الى شدة التباسها بما قبلها كما قال الامام ابو علي الفارسي في كتاب الحجة ان جميع المتحزبين على اهل الاسلام مانعون لهم من احياء المساجد بالذكر لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها والحاصل انه ان عطف كان انصبابا بالكلام الى اهل الكتاب واما غيرهم فتبع لهم للمساواة في المقالة واذا حذفت الواو انصب الى كل انصبابا واحدا ونزه نفسه الشريفة استينافا بقوله سبحانه فذكر علم التسبيح الجامع لاحاطة المعنى في جوامع التنزيه كله ثم جاء بكلمة الاضراب المفهمة الرد بالنفي كان الخطاب يفهم ما اتخذ الله ولدا وكل له ولد بل له ما فعبر بالاداة التي هي لغير العاقل وفصل له تعميما وتحقيرا لهم في السموات والارض مما ادعت كل فرقة منهم فيه الولدية وغير ذلك ثم علل بقوله معبرا بما يفهم غاية الاذعان كل له قانتون اي مخلصون خاشعون متواضعون لاستسلامهم لقضائه من غير قدرة على دفاع ولا تظلم الى نوع امتناع العاقل وغيره حتى كانهم لسبقهم في ذلك ومبادرتهم اليه مبادرة اللبيب الحازم قال الحرالي فجاء بالجمع المشعر كما يقال بالعقل والعلم لما تقدم من انه لا عجمة ولا جمادية بين الكون والمكون انما تقع جمادية وعجمة بين احاد من المقصرين في الكون عن الادراك التام والعنوت ثبات القائم بالامر على قيامه تحققا بتمكنه فيه انتهى ثم علل ذلك بما هو اعظم منه فقال بديع السموات والارض اي خالقهما على غير مثال سبق وما ابدع كلية امر كان احرى ان يكون ما في طيه واحاطته واقامته من الاشياء المفاجئة به من مبدعه فكيف يجعل له شبيه منه لان الولد مستخرج شبيه بما استخرج من عينه ذكره الحرالي واذا قضى اي اراد امرا منهما ومن غيرهما والقضاء انفاذ المقدر والمقدر ما حد من مطلق المعلوم قاله الحرالي فانما يقول له كن من الكون وهو كما قال الرازي في ظاهره وباطنه فيكون فهو منزه عن حاجة التوالد وكل حاجة وسر التعبير بالمضارع يأتي ان شاء الله تعالى في آل عمران قال الحرالي وصيغته تمادي الكاين في الطوار واوقات واستان يمتد تواليها في المكون الى غاية كمال انتهى قالوا ورفع يكون للاستيناف اي فهو يكون او العطف على يقول اذا نابت سرعة التكوين على جهة التمثيل ومن قال بالاول منع العطف على يقول لانه فعل

الفاء ان القول مع التكوين فيلزم قدم التكوين وقال الامام ابو علي الفارسي في كتاب الحجة ان ذلك لا يطرد في مثل
ثاني حرفي آل عمران وهو قوله تعالى ثم قال له كن فيكون لانه لا يحسن تخالف الفعلين المتعاطفين بالمضي وغيره واول
قوله • ولقد امر على اللئيم يسبني • فمضيت ثم اقول لا يعنيني • بان معناه مررت ماضيا وطعن فيه ابو شامة
بان يكون في الاية ماض مثله وقد صرح ابو علي والحق معه بانه على بابه يعني وفايدة التعبير به مضارعا تصوير الحال
والارشاد الى ان التقدير كن فكان لانه متى قضى شيا قال له كن فيكون وجعل الاحسن عطفه على كن لانه وان كان بلفظ
الامر فمعناه الخبر اي يكون وقال ان ذلك اكثر اطرادا لانتظامه لمثل قوله ثم قال له كن فيكون وهذا الموضع مجمع على رفعه
وكذا قوله تعالى في الانعام ويوم يقول كن فيكون وانما الخلاف في ستة مواضع اختص ابن عامر منها باربعة وهي هذا
الموضع وقوله تعالى في آل عمران اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وفي مريم مثله سوا وفي غافر فاذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون ووافقه الكسائي في حرفين في النحل انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وفي يس انما امره
اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فجعلوا النصب في هذين عطفا على يقول وفي الاربعة الاولى جوابا للامر في قوله
كن اعتبارا بصورة اللفظ وان لم يكن المعنى على الامر فالتقدير يقول له يكون او نكونه فيكون اي فيطاوع فطاح قول في
ضعفه بان المعنى على الخبر وانه لا يصح النصب الا اذا تخالف الامر وجوابه وهذا ليس كذلك بل يلزم فيه ان يكون الشي
شرطا لنفسه لان التقدير ان يكن يكن وصرح ابن مجاهد بوهم بن عامر وهذا غير جايز في العربية كما نقله عنه الامام ابو
شامة في شرح الشاطبية فامعنت النظر في ذلك لوقوع القطع بصحة قراة ابن عامر لتواترها نقلا عمن انزل عليه القرآن
فلما رايته لم ينصب الا ما في حيز اذا علمت ان ذلك لاجلها لما فيها من معنى الشرط فيكون مثل قوله تعالى في الشورى ويعلم
الذين يجادلون في اياتنا بنصب يعلم في قراة غير نافع وابن عامر على بعض التوجيهات وذلك ماش على نهج الشداد من غير كلفة
ولا استبعاد اذا تؤمل الكلام على اذا قال الرضي وهو العلامة نجم الدين محمد بن حسن الاستراباذي في الظروف
من شرحه لقول العلامة ابي عمرو عثمن بن الحاجب في كافيته ومنها اذا وهي للمستقبل وفيها معنى الشرط فلذلك اختير
بعدها الفعل والاصل في استعمال اذا ان تكون لزمان من ازمنة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث فيه مقطوع به
ثم قال وكلمة الشرط ما تطلب جملتين يلزم من وجود مضمون اولاهما فرضا حصول مضمون الثانية فالمضمون الاول
مفروض ملزوم والثاني لازمه ثم قال وان موضوعة لشرط مفروض وجوده في المستقبل مع عدم قطع المتكلم
لا بوقوعه ولا بعدم وقوعه وذلك لعدم القطع في الجزاء لا بالوجود ولا بالعدم سوا شك في وقوعه كما في حقنا او لم
يشك كان الواقعة في كلامه تعالى وقال ولا يكون الشرط في اسم الا بتضمن معناها ثم قال فنقول لما كان اذا للامر
المقطوع بوجوده في اعتقاد المتكلم في المستقبل لم يكن لمفروض وجوده لتنافي القطع والفرض في الظاهر فلم يكن
فيه معنى ان الشرطية لان الشرط كما بينا هو المفروض وجوده لكنه لما كان ينكشف لنا الحال كثيرا في الامور التي يتوقعها
قاطعين بوقوعها عن خلاف ما يتوقعه تجوزوا التضمين اذا معنى ان كما في متى وساير الاسماء الجوازم فيقول القايل اذا
جيتني فانت مكرم شاكا في مجي المخاطب غير مرجح وجوده على عدمه بمعنى متى جيتني سواء ثم قال ولما كثر دخول معنى
الشرط في اذا وخروجه عن اصله من الوقت المعين جاز استعماله وان لم يكن فيه معنى ان الشرطية وذلك في الامور
القطعية استعمال اذا المتضمنة لمعنى ان وذلك لمجي جملتين بعده على طرز الشرط والجزاء وان لم يكونا شرطا وجزاء
ثم قال في الكلام على الفاء في نواصب الفعل وقد تضمر ان الناصب بعد الفاء والواو الواقعتين بعد الشرط قبل الجزاء
نحو ان تاتني فتكرمني او وتكرمني اتك او بعد الشرط والجزاء نحو ان تاتني اتك فاكرمك او واكرمك وذلك لمشابهة
الشرط في الاول والجزاء في الثاني المنفي اذ الجزاء مشروط وجوده بوجود الشرط ووجود الشرط مفروض فكلاهما
غير موصوفين بالوجود حقيقة وعليه حمل قوله تعالى ان يشا يسكن الريح فيظللن الى قوله ويعلم الذين يجادلون
على قراة النصب ثم قال وانما صرفوا ما بعد فاء السبب من الرفع الى النصب لانهم قصدوا التنصيص على كونها
سببية والمضارع المرتفع بلا قرينة مخلصة للحال والاستقبال ظاهر في معنى الحال كما تقدم في باب المضارع فلو
بقوه مرفوعا لسبق الى الذهن ان الفاء لعطف جملة حالية الفعل على الجملة التي قبل الفاء يعني فكان يلزم ان يكون
الكون قديما كالقول فصرفه الى النصب منبه في الظاهر على انه ليس معطوفا اذ المضارع المنصوب بان مفرد
وقبل الفاء المذكورة جملة ويتخلص المضارع للاستقبال اللايق بالجزائية كما ذكرنا في المنصوب بعد اذن فكان
فيه شيان رفع جانب كون الفاء للعطف وتقوية كونه للجزاء فيكون اذن ما بعد الفاء مبتدا محذوف الخبر وجوبا
انتهى فالتقدير هنا والله اعلم فكونه واقع حق ليس بخيال كالسحر والتمويهات فعلى هذا قراة النصب ابلغ لظهورها
في الصرف عن الحال الى الاستقبال مع ما دلت عليه من سرعة الكون وانه حق ثم رايت البرهان ابرهيم بن محمد السفاقسي
حكى في اعرابه ما خرجته عن ابن الضايع يعني بالضاد المعجمة والعين المهملة وهو الاستاد ابو الحسن علي بن محمد بن يوسف
الكتامي شيخ ابي حيان فقال ما نصه زاد بن الضايع في نصب فيكون وجها حسنا وهو نصبه في جواب الشرط وهو اذا
وكان مراده التسبيب عن الجواب كما ذكرت قال السفاقسي ويصح فيه وجه ثالث على مذهب الكوفيين وهو نصبه
في جواب الحصر بانما لانهم اجازوا انما هي ضربه اشد فتحطم ظهره ولما تقرر بما انباء من بديع اياته في مثبت مصنوعاته

ان عظمته تقصر عنها الاوهام وتنكص خاسئة دونها نوافذ الافهام عجب من الجراة عليه بما استوى فيه حال الجهلة من العرب بالعلماء من اهل الكتاب تبكيتا لهم وتنفيرا منهم بانه لا حامل لهم على الرضى لانفسهم بالنزول من اوج العلم الى حضيض اهل الجهل الا اتباع الهوى فقال وقال الذين لا يعلمون اي ليس لهم علم من العرب لولا اي هلا يكلمنا الله اي بوحي كلامه لنا على ما له من جميع الصفات او تاتينا اية اي على حسب اقتراحنا عاديين ما اتاهم من الايات على ما فيها من اية القرآن التي لا توازيها اية عدما ولما كان هذا قولهم جديرا بان لا يصدق نبه عليه بقوله كذلك اي الامر كما ذكرنا عنهم ولما كان كانه قيل هل وقع مثل هذا قط قيل لم يقع ما هو اعجب منه وهو انه قال الذين ولما كان المراد بعض من تقدم ادخل الجار فقال من قبلهم ممن ينسب الى العلم من اهل الكتاب مثل قولهم ثم علله بقوله تشابهت قلوبهم في هذا وان كانت مختلفة باعتبار العلم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بانه كما تعنت عليه تعنت على من قبله ولما كان ذلك توقع السامع الاخبار عن البيان فكان كانه قيل هل قالوا ذلك جهلا اوعنادا فقيل بل عنادا لانا قد بينا الايات في كل امة في الكتاب المبين المسموع والكتاب الحكيم المرئي ولما كان نفع الكتاب خاصا باهل الايقان قال لقوم يوقنون وفيه بعث الشاك على تعاطي اسباب الايقان وهو صفا العلم عن كدر تطرق الريب لاجتماع شاهدي السمع والعين قال الحرالي وفيه اشارة لما حصل للعرب من اليقين كما قال سيد العرب علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا استظهارا لما يظن من عالم الملكوت على ظاهر عالم الملك اكمالا للفهم عن واضح هذا البيان الذي تولاه الله ومن اصطفاه الذي اشتمل عليه استتباع ضمير بينا وفي استواء العالم وغيره في الجهل بعد البيان دليل على مضمون التي قبلها في ان ما اراد كان ولما تضمن هذا السياق الشهادة بصحة رسالته صلى الله عليه وسلم وانه ليس عليه الا البيان صرح بالامرين في قوله موكدا لكثرة المنكرين انا ارسلناك هذا على ان يكون المراد بذلك جميع الامم اما اذا اريد هذه الامة فقط فيكون المعنى قد بينا الايات الدالات على طريق الحق باعظم برهان وبالاخبار عن دقايق لا يعلمها الا حذاق اهل الكتاب لقوم يحق عليهم الايقان لما وضح لهم من الادلة ثم علل ذلك بقوله انا ارسلناك ارسالا متلبسا بالحق اي بالامر الكامل الذي يطابقه الواقع في كل جزئية خبرها قال الحرالي والحق التام المكمل بكلمة اي هو استنطاق الخلق عن امر الله فيهم على وجهه اعلا لرسالته العلية الخاصة به عن عموم ما وقعت به رسالة المرسلين من قبله وفي هذا الخصوص وذلك حق منكر كما تقدم اي عند قوله وهو الحق مصدقا لما معهم لان ما احق غيبا مما انزله الله فهو حق حتى السحر وما اظهر غيبا لقضاء والقدر واعلن بابدا احكم الله على ما ابداها من نفوذ مشيئته في متقابل ما ابداه من خلقه فهو الحق الذي خلقت به السموات والارض ابتداء وبه ختمت الرسالة انتهاء ليتطابق الاول والاخر كما لا حاد كونك بشيرا ونذيرا وقال الحرالي لما اجرى الله سبحانه من الخطاب عن اهل الكتاب والعرب نباء ردهم لما انزل اولا واخرا ونباء ما افتروه مما لا شبهة في دعواه اعرض بالخطاب عن الجميع واقبل به على النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له وتاكيدا لما اعلمه به في اول السورة من ان الامر مجري على تقديره وقسمة الخلق بين مؤمن وكافر ومنافق فانباه تعالى انه ليس مضمون رسالته ان يدعوا الخلق الى غير ما جبلوا عليه وان مضمون رسالته ان يستظهر ضمنا بالعقيدة والقلوب على الالسنة والاعمال فيبشر المهتدي والتابت على هدي سابق وينذر الغوي والمنكر لما سبق اقراره به قبل نعم بذلك الاولين والاخرين من المبشرين والمنذرين انتهى اي فليس عليك الا ذلك فبشر وانذر فانما عليك البلاغ وليس عليك خلق الهداية في قلوب اهل النعم ولا تسئل ويجوز ان يكون حالا من ارسلناك او من بشيرا او نذيرا اصحاب الجحيم والمراد بهم من ذكر في الاية السابقة من الجهلة ومن قبلهم اي عز اعمالهم لتذهب نفسك حسرات لعدم ايمانهم كما قال تعالى ولا تسئلون عما كانوا يعملون اي فحالك مستوبا لنسبة الينا واليهم لانك ان بلغتهم جميع ما ارسلت به اليهم لم ينجهم سبك باعمالهم وان تركت بعض ذلك محاسنه لهم لم يحبوك ما دمت على دينك فاقبل على امرك ولا تبال بهم وهو معنى قراءة نافع ولا تسئل على النهي اي احتقرهم فانهم اقل من ان تلتفت اليهم فبلغهم جميع الامر فانهم لا يحبونك الا ان انسلخت مما انت عليه وفي الحكم بكونهم اصحابها اثبات لما نفوه عن انفسهم بقولهم لن تمسنا النار الاية ونفي لما خصصوا به انفسهم في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى قال الحرالي انضمام الشيء وعظم فيه ومن معنى جهنم الجحيم وهو التضام وظهور المقدار الا ان الجحيم فيما يظهر كالاجسام والجحم بتقديم الجيم فيما لطف كالصوت والنار ولما جرت العادة بان المبشر بشير اخبر تعالى انا اهل الكتاب من قسم المنذرين فهم لا يزالون عليه غضابا فقال عطفا على ما اقتضاه ما قبله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى لشيء من الاشياء حتى تتبع ملتهم اي حتى تكون بشيرا لهم ولن تكون بشيرا لهم حتى توافقهم فيما احدثوه من هوآيهم بان تتبع كتابهم على ما بدلوا فيه وحرفوا واخفوا على ما افهمته اضافة الملة اليهم لا الى صاحبها المعصوم وهو ابرهيم عليه السلام وسيأتي تفسير الملة قريبا ويكون ذلك برغبة منك تامة على ما افهمته صيغة الافتعال وتترك كتابك الناسخ لفروع كتابهم والملة قال الحرالي الاخذ والعمل بما في العقل هدايته من اعلام المحسوسات ولما قيل ذلك اقتضى الحال سؤالا وجوابا فاذا قول فقال قل ولم يقيده بلهم اعراضا عنهم ان هدى الله الذي هو جميع ما انزل الجامع لصفات الكمال على رسله من كتابي وكتابكم هو اي خاصة الهدى اي كله شيرا باداة التعريف الى كمال معناه وبالحصر الى ان غيره هو الهدى واضافه الى الاسم الاعظم واكده بان واعاده بلفظه وعبر عنه بالمصدر واستعمل فيه ضمير الفصل رد الانكارهم فان اتبعوه كلهم آمنوا بان كتابهم داع الى كتابك فبشرهم وان لم يتبعوه فالزم انذارهم وفي الاية اشارة الى ذلك الكتاب لا ريب فيه ثم عطف على ما افهمه السياق من نحو فلين زغت عنه لتتركن الهدى كله باتباع الهوى

النعيم

اصلاحي

40

قوله ولئن اتبعت اهواءهم الداعية لهم الى تغيير كتابهم قال الحرالي فاظهر افصاحا ما افهمته اضافة الملة اليهم من حيث كانت وضعا بالهوي لا هداية نور عقل كما هي في حق الحنيفيين انتهى ولما كان الكلام هنا في امر الملة التي هي ظاهرة العقل اسقط من واتى بالذي بخلاف ما ياتي في امر القبلة فقال بعد الذي قال الحرالي اشارة كلمة الذي الى معنى قريب من الظاهر المحسوس كاند علم ظاهر نفيه انباء بان ادنى ما جاءه من العلم مظهر لابطال ما هم عليه في وجوه تلبيسهم واهوائهم جاءك من العلم بانهم على ضلال وذلك علي جميع الهدي وخاطبه بذلك صلي الله عليه وسلم والمراد والله اعلم من اتبع اهواءهم بعد الاسلام من المنافقين تمسكا بوعد يتمم طمعا في نصرتهم ولذا ختم بقوله ما لك من الله الذي له الامر كله ولا كفوله واكد النفي بالجار فقال من ولي ولا نصير ولما افصح بمن يستحق النذارة منهم بتعبير الذين الذي باهوائهم فافهم من يستحق البشارة منهم ومن يستحق النذارة فقال الذين اتيناهم الكتاب اي التوراة والانجيل يتلونه حق تلاوته قال ابن عباس رضي الله عنهما يتبعونه حق اتباعه من تلا فلان فلانا اذا تبعه رواه عنه ابو عبيد وهي ناظرة الي قوله قريبا ومن يتلون الكتاب اي لا حق تلاوته بل تلاوة ليس فيها تدبر لمعانيه ولا عمل بما فيه هذا اذا جعلناه خبرا وقوله اولئك اي العظيموا الرتبة خاصة يومنون به خبرا ثانيا فالمعني ان من لم يومن بالكتاب حق الايمان من غير تحريف له واخفاء لشيء فيه لما انتفى عنهم المقصود بالذات وهو الانتفاع بالكتاب الموتي انتفى عنهم اصل الاتيان لانه تجرد عن الفائدة والضمير في به يصح ان يكون للهدي قال الحرالي وحقيقة الامر بي وفاؤه الى غايته والاحاطة به الى جماع حدوده حتى لا يسقط منه شيء ولا تعتقر فيه غاية اشعارا باشتمال الكتاب على امر محمد صلي الله عليه وسلم ولما وصف المومنين به ولم يبين ما لهم اتبعه بالكافرين فقال ومن يكفر به اي بالكتاب ثم حصر الخسر فيهم بقوله فاولئك اي البغضاء البعداء خاصة الخاسرون فانهم ان المومنين به هم الرابحون ومن الوصف بالخسار يعلم انهم كانوا على حق وشيء يمكن النزاع فيه بكلمة الايمان بكتابهم بالايمان بالكتاب الخاتم فضيعوه فخسروا فانه لا خسر اعظم من زله اصل ماله منتهي النماء والربح والله اعلم ولما طال المدي في استقصاء تذكيرهم بالنعم ثم في بيان عوارهم وهتك استارهم وختم ذلك بالترهيب من خسارهم لتضييع اديانهم باعمالهم واحوالهم وافعالهم اعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم والتحذير من حلول النقم يوم يجمع الامم ويدوم فيه الندم لمن زلت به القدم ليعلم ان ذلك قد لكمه القصة والمقصود بالذات في الحث على انتهاز الفرصة في التقصي عن حرمة النقص الى لذة الربح بدوام الشكر قال الحرالي فلبعده بالتقدم كرره بتالي اظهار المقصد التام اخر الخطاب باوله وليتخذ هذا الافصاح والتعليم اصلا لما يمكن ان يرد من نحوه في سائر القرآن حق كان الخطاب اذا انتهى الى غاية خاتمة يجب ان يلحظ القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته جامعا لطرفي النبا وفي تفهمه جامعا لمعاني طرفي المعنى انتهي فقال تعالى يا بني اسرائيل اي ولد الانبياء الاصفياء وولد الانبياء اتسمدا اذكروا نعمتي اي التشريفية بالنسبة الى التي انعمت عليكم تعالى في الدنيا واني فضلتكم واقتصرهنا على نعمة التفضيل ولم يذكر الوفا الذي هو فضيلة النفس الباطنة اشارة الى حمودهم باقتصارهم على النظر في الظاهر على العالمين في تلك الازمان كلها باتمام نعمة الدنيا بشرع الدين المنتفي للنعمة في الاخري فانكم اذا ذكرتم النعمة شكرتموها فقيد تموها واستوجبتم من الله الزيادة في الدنيا والرضي في العقبي واتقوا يوما لا تجزي اي تقضي اي تصنع فيه نفس عن نفس شيا اي من الجزاء ولما ختمت الآية الماضية بحصر الخسار فيهم ناسب تقدم نفي القبول فقال ولا يقبل منها عدل يبذل في فكاكها من غير الاعمال الصالحة ولا تنفعها شفاعة غير ماذون فيها ولا هم ينصرون وان كثرت جموعهم قال الحرالي اجراها تعالى في هذا التكرار على حدها في الاول الا ما خالف بين الايرادين في قوله واتقوا يوما الي آخره ليجمع البناء في كل واحد من الشفاعة والعدل بين مجموع الردين من الاخذ والقبول فتكون شفاعتها لا مقبولة ولا نافعة ويكون عدلها كما خوذ ولا مقبول وذلك لان المعروض للقبول اول ما يوخذ اخذا بحسبه من اخذ سمع او عين ثم ينظر اليه نظر تحقيق في المسموع وتبصر في المنظور فاذا صحه التحقيق والتبصير قبل واذا لم يصححه رد وانما يكون ذلك لمن في حاله حظ صحة ظاهرة لا تثبت مع الجبرة فانبا تعالى عضون الايتين الفاتحة والخاتمة ان هو لا ليس في حالهم حظ صحة البتة لا في شفاعة ولا في عدل فلا يقبل ولا يوخذ انباء بعمايته عن لبسه ظاهر صحة يقتضي اخذه بوجه ما ففيه تبريه ممن حاله حال من نبي به عنهم على ما تقدم معناه في مضمون الآية ولهذه الغاية انصرف الخطاب عنهم على خصوص ما اوتوا من الكتاب الذي كان يوجب لهم ان يتدينوا بقبول ما جاء مصدقا لما معهم فاتخذوا ما هو آبهم ملة افتعلتها اهواوهم فنظم تعالى بذلك ذكر صاحب الملة التي يرضاها وافتتح بابته ابراهيم في ابتلائه ليجتمع عليهم الحجتان السابقة بحسب الملة الحنيفية الابراهيمية واللاحقة بحسب الدين المحمدي كان صلي الله عليه وسلم يقول في الصباح اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وعلى ملة ابينا ابرهيم صلي الله عليه وسلم فخص المحمدية بالدين والابراهيمية بالملة لينتظم الابوة الابراهيمية لطوايف اهل الكتاب سابقهم ولاحقهم بنباء ابتداء الابوة الادمية في متقدم قوله تعالى واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة الايات لتنتظم رؤس الخطابات بعضها ببعض وتفاصيلها بتفاصيلها وليكون اظهار ذلك في سورة صنام القرآن اصلا لما في سايره من ذلك وذكر قبل ذلك ان الملة ما يدعوا اليه هدي العقل المبلغ عن الله توحيده من ذوات الحنيفيين وان الدين الاسلام والاسلام التقاء ما بايديظاهرا وباطنا وذلك انما يكون عند بادي غيب التوحيد انتهي ولما غاب سبحانه اهل الضلال وكان جلهم من ذرية ابرهيم عليه السلام وجميع طوايف الملة تعظمه ومنهم العرب وبيته الذي بناه اكبر مفاخرهم واعظم مآثرهم ذكر الجميع مما انعم به عليه تذكيرا يودي الى ثبوت هذا الدين باطلاع هذا النبي الامي الذي لم يخالط عالما قط على ما لا يعلمه الا خواص العلماء وذكر البيت الذي بناه مجعله الله عماد صلاحهم وامرهم ان يتخذ بعض ما هناك مصلي تعظيما لامره وتفخيما لعلي قدره وفي التذكير

ولذلك قرر انه مثابة للناس عامة وامن كان الانسب تنكير البلد فقال بلدا يانس من يحل به امنا افصاحا بما افهمه
واذ جعلنا البيت الاية والمعنى اعققتم اعظم ابايكم في دعوتيه كلتيهما في كونه بلدا فانه اذا انقطع الناس عن اهله خرب
وفي كونه امنا وهدى بخلاف ما ياتي في سورة ابرهيم عليه السلام ولما ذكر القرار والامن اتبعه الرزق فقال
وارزق اهله وقال من الثمرات ولم يقل من الحبوب لما في تعاطيها من الذل المنافي للامن لما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم راى سكة حرث فقال ما دخلت هذه بيتا الا ذل وقال من امن منهم بالله الجامع لصفات الكمال واليوم الاخر
تقييد الدعوة الرزق بما قيدت به دعوة الامامة تادبا معه تعالى حيث قال لا ينال عهدي الظالمين قال الله تعالى
معلما ان شمول الرحمانية بامن الدنيا ورزقها لجميع عمرة الارض ومن كفر اي انيله ايضا ما الهمتك من الدعاء بالامن
والرزق وعبر عن ذلك بقوله فامتعه تخسيسا له بما افهمه لفظ المتاع بكونه كما مضى من اسماء الجيفة التي انما هي منال
المضطر على شعور برفضه على قرب من مترجي الغنى عنها واكد ذلك بقوله قليلا لكن فيه ايما الى انه يكون اطيب حالا
في الدنيا واوسع رزقا من المومن وكذا في قوله ثم اضطره لما لي من العظمة الباهرة الى عذاب النار اي بما استدرجه
به من النعم الحاملة له على المعاصي التي هي اسباب النقم وفي التعبير بلفظ الاضطرار الى ما لا يقدم عليه عليه احد
باختيار اشعار باجبار الله خلقه على ما يشاء منهم من اظهار حكمته وان احدا لا يقدر على حركة ولا سكون الا بمشيته
والاضطرار الالجاء الى ما فيه ضرر بشدة وقسر ولما كان التقدير فبئس المتاع ما ذكر له في الدنيا عطف عليه
قوله وبئس المصير اي العذاب له في الاخرة وهو مفعل مما منه التصيير وهو التنقل في اطوار واحوال تنتهي الى
غاية يجب ان يكون غير حالة الشي الاولى بخلاف المرجع ولما ذكر بما مهده من امر البيت دينا ودنيا اتبعه ببنائه
مشيرا الى ما حباهم به من النعمة وما قابلوه به من كفرها باختيارهم لان يكونوا من غير الامة المسلمة التي دعا لها لما
دعا للرسول فقال عاطفا على اذا ابتلى تعديدا لوجوه النعم على العرب بابيهم الاعظم استعطافا الى التوحيد واذ يرفع
ابرهيم اي اذكر الوقت الذي يباشر بالرفع القواعد من البيت قال تعالى عدد وجوه عنايته بسابقة العرب في هذه
الايات كما عدد وجوه نعمته على بني اسرايل في سابقة الخطاب فكانت هذه في امر اقامة دين الله وكانت تلك في محاولة
مدافعته ليظهر بذلك تفاوت ما بين الاصطفاء والعناية والقاعدة ما يقعد عليه الشي اي يستقر ويثبت ويجوز
ان يراد انها شاقات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه قاله الاصفهاني ولما افرد الخليل عليه السلام بهذا
الرفع اظهارا لشرفه بكونه هو السبب الاعظم في ذلك عطف عليه ولده فقال واسمعيل اي برفع القواعد ايضا
ووصل بهذا العمل الشريف قوله ربنا مرادا فيه القول محذوفا منه اداة البعد اي يقولان ربنا تقبل منا اي
عملنا بفضلك ولا ترده علينا اشعارا بالاعتراف بالتقصير لحقارة العبد وان اجتهد في جنب عظمة مولاه ولما تضمن
سوال القبول المشعر بخوف الرد علم الناقد البصير بالتقصير علله بقوله انك واكده بقوله انت السميع العليم
اي فان كنت سمعت او علمت منا حسنا فزده حسنا وان كنت سمعت او علمت غير ذلك من نحو قول ناشي عن اختلاج في
النفس بما سببه كلال او اعيا فاغفره ولما سال القبول سال الزيادة عليه بقوله ربنا على ما مضى من طرز دعاء
المقربين باسقاط اداة البعد واجعلنا اي انا وابني هذا الذي اعانني مسلمين لك ومن ذريتنا قال الحرالي لما
تحقق مرجو الايمان في ذريته في قوله من امن منهم طلب التكملة باسلام الوجه والمسلة له ولابنه ولمن رزق
الايمان من ذريته وذرية ابنه فان الاسلام لما كان ظاهر الدين كان سريع الانثلام لاجل مضايقة امر الدنيا وانما
يتم الاسلام بسلامة الخلق من يد العبد ولسانه والالقاء بكل ما بيده لربه وذلك مما ينازع فيه وجود النفس
ومتضايق الدنيا ولذلك هو مطلب لاهل الصفوة في خاتمة العمر ليكون الخروج من الدنيا عن القاء للحق وسلام
للخلق كما قال يوسف عليه السلام توفني مسلما وطلب بقوله امة مسلمة لك اي يكونوا بحيث يوم بعضهم بعضا
ولما كان المسلم مضطرا الى العلم قال وارنا مناسكنا وفي ذلك ظهور لشرف عمل الحج حيث كان متلقى عن الله بلا
واسطة لكونه علما على آت يوم الدين حيث لا واسطة هناك بين الرب والعباد والمنسك مفعل من النسك وهو
ما يفعل قربة وتدينا تشارك حروفه حروف السكون قاله الحرالي ولما كان الانسان محل العجز فهو آخر شي الى
التوفيق قال وتب علينا انباء بمطلب التوبة اثر الحسنة كما هو مطلب العارفين بالله المتنصلين من الحسنات رجعا
بها الى من له الخلق والامر ثم علل طمعه في ذلك بان عادته تعالى التطول والفضل فقال انك انت التواب اي
الرجاع بعباده الى موطن النجاة من حضرته بعد ما سلط عليهم عدوهم بغوايته ليعرفوا فضله عليهم وعظيم
قدرته ثم اتبعه وصفا هو كالتعليل له فقال الرحيم ولما طلب ما هو في منصب النبوة من تعليم الله له المناسك
بغير واسطة طلب لذريته مثل ذلك بواسطة من جرت العادة به لامثالهم فقال ربنا وابعث فيهم اي الامة
المسلمة التي من ذريتي وذرية ابني اسمعيل رسولا منهم ليكون ارفق بهم واشفق عليهم ويكونوا هم اجدر
باتباعه والترامي في نصره وذلك الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يبعث من ذريتهما بالكتاب غيره
فهو دعوة ابرهيم عليه السلام ابي العرب واكرم ذريته ففي ذلك اعظم ذم لهم بعداوته مع كونه مرسلا لتطهيرهم
بالكتاب الذي هو الهدى لا ريب فيه واليه اشارة بقوله يتلوا اي يقرا متتابعا مواصلا عليهم اياتك اي

بوفائه بعد ذكر الدين وفوا بحق التلاوة وبعد دعوة بني اسرائيل عامة الى الوفاء بالشكر حث على ان الاقتداء به وكذا في ذكر
الاسلام والتوحيد هو الجميع من يعظمه الى اتباعه في ذلك وقال الحرالي لما وصل الحق تعالى بالدعوة العامة الاولى في قوله تعالى
يا ايها الناس ذكر امر آدم وافتتاح استخلافه ليقع بذلك الحث الناس كافة في طرفين في اجتماعهم في اب واحد وملة واحدة اختصاصا
بكلية الامامة الابراهيمية من عموم تبعية الخلافة الادمية تنزيلا للكتاب وترفيعا للخلق الى علو اختصاص الحق فلما ذكر تعالى
في الابتداء تذكيرا معطوفا على امور تجاوزها الافصاح في امر آدم عطف ايضا التذكير بابتداء امر ابرهيم عليه السلام على امور
تجاوزها الافصاح هي اخص من متجاوزها الاول كما ان افصاحها اخص من افصاحها واعلى رتبة من حيث ان الخلق والامر مدد ومن حيث
لم يزل ولم يزاد يتكامل الى غاية ليس وراءها مرمى فقال تعالى واذ ابتلى ابرهيم انتهى والمعنى انه عامله بالامر بامور شاقة معاملة
المختبر الممتحن وقال ربه اي المحسن اشعارا بان تكليف العباد هو غاية الاحسان اليهم وفي ابتداء قصته بقوله بكلمات فاهمن بان
لان اسني احوال العباد الاذعان والتسليم لمن قامت الادلة على صدقه والمبادرة لامره دون اعتراض ولا توقف ولا بحث عن علة
وفي ذلك اشارة الى تبكيت المدعين لاتباعه من بني اسرائيل حيث اعترضوا في فتح البقرة وارتكبوا غاية التعنت مع ما في ذبحها من
وجوه الحكم بعد ان اساؤا الادب على نبيهم في ذلك وفي غيره في اول امرهم واثنايه وآخره فاوردتهم ذلك نكالا وبعدا فظهر ان
الصراط المستقيم حال ابرهيم ومن ذكر معه من الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وانهم المنعم عليهم والظاهر عطف ردعي ع
نعمتي في قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي واذكروا اذ ابتلى ابا كم ابرهيم فاتم ما ابتلاه به فما لكم انكم لا تقتدون به
فتفعلوا عند الاملاء فعله في ايفاء العهد والثبات على الوعد لاجازيكم على ذلك جزاء المحسنين والاتمام التوفية لما له صورة كلتيهما
من اجزا واجاد قال الحرالي فكانه قيل فما جوزي على شكره بالاتمام قيل قال له ربه ويجوز ان يكون قال بيانا للابتلى اني جاعلك
للناس اي كافة اماما كما كانت خلافة ابيه آدم لبنيه كانه والامام ما يتبع هداية الى سداد قاله الحرالي واستانف قوله قال
ابرهيم ومن اي واجعل من ذريتي ايمة قال لا ينال اي قد اجتبيتك وعاهدتك بان احسن الى ذريتك لكن لا ينال عهدي اي الذي ع
عهدته اليك بالامامة الظالمين منهم لانهم نقوا انفسهم عنك في ابوة الدين وفي ذلك اتم ترغيب في الخلق بوفائه لا سيما الذين
دعوا قبلها الى الوفاء بالعهد واشارة الى انهم ان شكروا ابقى رفعتهم كما ادام رفعته وان ظلموا لم تتلم دعوته فضربت عليهم الذلة
وما معها ولا يجزي احد عنهم شيا ولا هم ينصرون والذرية مما يجمع معنى الذر والذرء والذري مختلف وزنه على وجوه اشتقاقه
فيكون فعلوله كانه ذروريه ثم خفف بقلب الراء استثقالا للتضعيف ثم كسر ما قبل الراءين تحقيقا لها لانه اجمع بعد القلب
واو وياء وسبقت احداهما بالسكون ثم الادغام او فعليه ان يكن في الكلام لما فيه من نقل اجتماع الضم والكسر قاله الحرالي
او فيه تصرف ولما كان من امامته اتباع الناس له في حج البيت الذي شرفه الله ببنائه قال اثر ذلك ناعيا على اهل الكتاب
مخالفته وترك دينه وموطيا لامر القبلة واذ جعلنا البيت اي الذي بناه ابرهيم بام القرى مثابة للناس اي مرجعا يرجعون
اليه بكلياتهم كلما تفرقوا عنه اشتاقوا اليه بهم او غيرهم اية على رجوعهم من الدنيا الى ربهم قال الحرالي وهو مفعلة من الثوب وهو
الرجوع تراميا اليه بالكلية وفي صيغة المفعلة دوام المعاودة مثابة وامنا لكونه بيتا لملك من خرب الدنيا ومن عذاب
الاخرة الا في حق من استثناه الله من الكافرين فعلا بالشرك وقوة الالحاد والا من براءة عيب المرء من تطرق اذى اليه قاله
الحرالي وقد كانوا في الجاهلية يرمي الرجل قاتل ابيه في الحرم فلا يعرض له حتى لقي الصبهاني وهذا امني توارثوه من دين اسمعيل
عليه السلام فبقوا عليه الى ايام النبي صلى الله عليه وسلم فالبوم من اصاب في الحرم جريرة اقيم عليه الحد بالاجماع ولما كان
التقدير فثاب الناس اليه ايما ما يبانيه وامنوا بدعوته فيه عطف عليه قوله واتخذوا وعلى قراءة الامر يكون التقدير
فثوبوا اليه ايها الناس ايما ما به واتخذوا من مقام ابرهيم خليلنا مصلى وهو منقل لمائة اوم فيه الصلاة ومقام ابرهيم
هو الحجر الذي قام عليه حين جاء لزيارة ولده اسمعيل عليهما السلام فلم يجده فغسلت امراة اسمعيل راسه وهو معتمد برجله عليه
وهو راكب غسلت شق راسه الايمن وهو معتمد على الحجر برجله اليمنى ثم ادارت الحجر الى الجانب الايسر وغسلت شقه الايسر
فغاصت رجلاه فيه ولهذا اثر قدميه مختلف اصابع هذه عند عقب هذه وهو قبل ان يبني البيت والله اعلم بمراده وعهدنا
عطف على قوله جعلنا الى ابرهيم الوفي واسمعيل ابنه الصادق الوعد وفي ذكره افصاح باجابة دعوته فيه في قوله ومن ذريتي
واشارة الى ان في ذريته من تختم الامم بامامته ويكون استقباله بيته في اجل العبادات من شرعته وتم الاشارة بقوله ان
طهرا بيتي اي عن كل رجس حسي ومعنوي فلا يفعل بحضرته شيء لا يليق في الشرع والبيت موضع المبيت المخصوص من الدار المخصوصة
من المنزل المختص من البلد قاله الحرالي للطائفين به الذين فعلهم فعل العارف بانه ليس وراء الله مرمى ولا مهرب منه الا
اليه والعاكفين فيه والعكوف الاقبال على الشيء وملازمته والاقتصار عليه والطواف التحليق بالشيء في غيب او لمعنى غيب
قاله الحرالي والركع السجود قاله الحرالي وفي ذكر الركوع تخصيص للعرب الذين انما شرع الركوع في دينهم وفي ذلك
تبكيت لمن اخرج المومنين ومنعهم من البيت وفي تكرير تفصيل هذه الايات تنبيه على توبيخهم بترك دينه وهو الخليل عليه
السلام واتباع من لا يعلم وهو العدو ولما ذكر امر البيت الشريف فيما تكفل به سبحانه وفيما امر به الخليل وولده عليهما السلام
من تطهيره ذكر باهتمامه باهله ودعائه لهم مبكتا لمن عقه من ذريته بالتصريح بكفرهم بيوم الجزاء الامر بكل خير الزاجر عن كل
ضير فقال واذ قال ابرهيم رب فاسقط اداة البعد ايذانا بقربه كما هو حال اهل الصفوة اجعل هذا اي الموضع الذي جعلت
فيه بيتك وامرتني بان اسكنته من ذريتي ولما كان السياق للمنع من المسجد والسعي في خرابه وكان ذلك شاملا بعمومه للبادي

علاماتك الدالات عليك اعم من ان يكون نزل بها الكتاب او استنبطت منه ويعلمهم الكتاب الكامل الشامل لكل كتاب
اوتيت جوامع الكلم والحكمة وهي كل امر يشرعه لهم فيحفظهم في صراطي معاشهم ومعادهم من الزيغ المودي الى الضلال
الموجب للهلاك ولما كان ظاهر دعوته عليه السلام ان البعث في الامة المسلمة كانوا الى تعليم ما ذكر احوج منهم الى التزكية
فان اصلها موجود بالاسلام فاخر قوله ويزكيهم اي يطهر قلوبهم بما اوتي من دقايق الحكمة فترتقي بصفايها ولطفها من
ذروة الدين الى محل يومن عليها خليه ان ترتد على ادبارها وتحرف كتابها كما فعل من تقدمها والتزكية اكساب الزكاة
وهي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم قاله الحرالي ولما ذكر سبحانه في سورة الجمعة بعثه في الاميين عامة اقتضى
المقام تقديم التزكية راسها البراءة من الشرك الاكبر ليقبلوا ما جاءهم من العلم واما تقديمها في آل عمران مع ذكر البعث للمومنين
فلاقتضاء الحال بالمعاتبة على الاقبال على الغنايم الذي كان سبب العزيمة لكونها اقبالا على الدنيا التي هي ام الادناس ثم
علل ذلك بقوله انك العزيز اي الذي يغلب كل شي ولا يغالبه شي لان العزة كما قال الحرالي الغلبة الآتية على كلية الظاهر
والباطن الحكيم اي الذي يتقن ما اراد فلا يتاتى نقضه ولا متصف بشي من ذلك غيرك وفي ذلك اظهار عظم لشرف العلم وطهارة
الاخلاق وان ذلك لا ينال الا بمجاهدات لا يطيقها البشر ولا تدرك اصلا الا بجد تظهيره العزة وترتيب ابرميه الحكمة
هذا المطلق ذلك فكيف بما يصلح منه للرسالة وفيه اشارة الى انه يكتب اعداء الرسل وان زاد عدهم وعظم جدهم وتحكم امورهم
فلا يستطيع احد نقض شي منها ولما كان التقدير فمن يرغب في مخالفة من يرسله من هو بهذه الصفة عطف عليه قوله
ومن يرغب عن ملة ابرهيم المستقيم الطريقة الطاهر الخليقة الشفيق على ذريته الباني لهم اعظم المفاخر المجتهد لهم
في جليل المناقب والمآثر الا من سفه نفسه اي امتهنها واحتقرها واستخف بها اي فعل بها ما ادى الى ذلك وفي ذلك
تعريض بمعاندي اهل الكتاب قال الحرالي والسفاهة خفة الراي في مقابلة ما يراد منه من المتانة والقوة وفي نصب
النفس انباء بلحاق السفاهة بكلية ذي النفس لان من نفسه اختص السفه بها ومن سفه نفسه بالنصب استغرقت السفاهة
ذاته وكليته وكان بدء ذلك وعاندته من جهة نفسه يفهم ذلك نصبها وذلك لان الله عز وجل جعل النفس مبدا كل شر
ابداه في ذات ذي النفس فانه تعالى يعطي الخير بواسطة وبغير واسطة ولا يحذي الشر الا بواسطة نفس ليكون في ذلك حجة
الله على خلقه وانما استحق السفاهة من يرغب عن ملة ابرهيم لظهور شاهدها في العقل وعظيم بركتها في التجربة لان من القى
بيده لم يواخذ في كل رتبة من رتب الدنيا والاخرة فلا عذر لمن رغب عن ذلك لظهوره في شاهدي العقل والحس اللذين هما
اظهر حجج الله على خلقه وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه انتهى ولما كان التقدير فلقد اتيناه من المزايا ما قدمنا لكم مما
لا يعدل عنه ذو مسكة عطف عليه قوله ولقد اصطفيناه فذكره بمظهر العظمة تعظيما له فان العبد يشرف بشرف
سيده وتشريفا لاصطفائه فان الصنعة تجل بجلالة مبدعها في الدنيا بما ذكرناه من كريم المآثر التي جمعها اسلامه وهو افتعال
من الصفوة وهي ما خلص من اللطيف عن كثيفه ومكدره وفي صيغة الافتعال من الدلالة على التعمد والقصد ما يزيد فيما اشير
اليه من الشرف وانه في الاخرة لمن الصالحين وفي هذا تفخيم لرتبة الصلاح حيث جعله من المتصفين بها فهو حقيق بالامامة
لعلو رتبته عند الله في الدارين ففي ذلك اعظم ترغيب في اتباع دينه والاهتداء بهديه واشد ذم لمن خالفه وكل ذلك تذكير
لاهل الكتاب بما عندهم من العلم بامر هذا النبي الكريم وما هو سبب له واقامة للحجة عليهم لان اكثر ذلك معطوف على اذكروا
في قوله يا بني اسرايل اذكروا نعمتي ولما ذكر امامته ذكر ما يوتم به فيه وهو سبب اصطفائه وصلاحه وذلك دينه
وما اوصى به عليه السلام بنيه وما اوصى به بنوه بنيهم سلفا لخلف ولا سيما يعقوب عليه السلام المنوه بنسبة
اهل الكتاب اليه فقال اذ اي اصطفيناه بعظمتنا لانه قال له ربه اسلم اي لاحسان ربك اليك وحذف المفعول ليتناول
كل ما يصح اسلامه الى المسلم اليه وقصره عليه وتخلي المسلم عنه قال اسلمت لرب العالمين اي المحسن الي والى جميع الخلايق
ووصى بها اي بهذه المقالة او الوصية او الخصلة التي اصطفاه الله بها ولعله لم يذكر الضمير لئلا يوهم الرجوع الى
ربه وقرئ واوصى فهو من الايصاء والوصية وهي التقدم في الشي النافع المحمود عاقبته وقراءة التشديد ابلغ لدلالتها
على التكرر والتكثر ابرهيم بنيه ويعقوب وصى بها ايضا بنيه فقال كل منهم يا بني ان الله بعظمته وكماله اصطفى لكم الدين
وهو الاسلام فاغناكم عن تطلبه واجالة الفكر فيه رحمة منه لكم فلا اي فتسبب عن ذلك اي اقول لكم لا تموتن على حالة من
الحالات الا وانتم اي والحال انكم مسلمون اي ملقون بايديكم وجميع ما ينسب اليكم لله لا حظ لكم في شي اصلا ولا التفات الى
غير مولاكم فان من كمل افتقاره الى الغني الحكيم اغناه بحسب ذلك وقرر سبحانه بالايات الآتية بطلان ما عليه المتعنتون
من اليهودية والنصرانية وبراءة خليله والانبياء من ذلك على وجه اوجب القطع بانهم عالمون ببطلانه ذكر قصة ابرهيم عليه
السلام من التورية ذكر في السفر الاول منها انه ابرهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن ارعو بن فالاع بن عابار بن شالاح
ابن ارفخشاد بن سام بن نوح لانه قال في التورية لما اتت على سام مائة سنة ولد له ارفخشاد فاتت عليه خمس وثلثون سنة
فولد له شالاح وسماه في موضع آخر شالح فاتت عليه ثلثون سنة فولد له عابار فاتت عليه اربع وثلثون سنة فولد له فالاع
فاتت عليه ثلثون سنة فولد له ارعو فاتت عليه اثنتان وثلثون سنة فولد له ساروغ فاتت عليه ثلثون سنة فولد له
ناحور فاتت عليه تسع وعشرون سنة فولد له تارح فاتت عليه خمس وسبعون سنة فولد له ابرم وناحور وهاو خالفه
في الانجيل بعض المخالفة فقال في انجيل لوقا ناحور بن شارخ بن ارعو بن عابر بن صالا بن قينان بن ارفخشاد بن سام بن نوح

ونوح

ونوح على ما قال في التورية بن لمك بن متوشلح بن حنوخ بن يازد بن مهلاليل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه
السلام قال في اثناء انجيل لوقا الا انه قال في لمك لامك وفي يازد يزد بن مهلاليل ثم قال في التورية وولد هاران
لوطا ومات هاران في حيوة ابيه تارح في الارض التي ولد فيها وهي اور الكلدانيين وفي نسخة اتون الكزدانيين ونقل
الاصبهاني عن السدي ان اور ارض بين الكوفة والبصرة فتزوج ابرم سري وكانت عاقرا فلم يولد لها ولد فانطلق
تارح بابنه ابرم وبلوط ابن ابنه هاران وبكنته سري من اور الكلدانيين متيمما ارض كنعان فانتهوا الى حران
فسكنوها فتوفي تارح بحران عن مايتي سنه وخمس سنين وقال الرب لابرم اخرج من ارضك من حيث ولدت ومن
الى ابيك الى الارض التي اريك فاجعلك لشعب عظيم وابارككك واعظم اسمك وكن مباركا وابارك بنيك والعن
لاعنيك ويتبارك جميع قبايل الارض وبزرعك فصنع ابرم كما امره الرب وانطلق معه لوط بن اخيه وسري زوجته
وكان اذ ذاك ابن خمس وسبعين سنه ومعهم جميع مواشيهم وما اتخذوا بحران من ولدان وخدم فخرجوا يريدون
ارض كنعان فاتوها فجا ابرم حتى اتى بلاد سحام والى بلوط ممري وكان الكنعانيون بعد سكانا في الارض فاعتلن الرب
لابرم وقال اني معط ذريتك هذه الارض وبنى ابرم هنالك مذبحا للرب اذ ظهر له وانتقل من هنالك الى الجبل من
المشرق الى بيت ايل فنصب خيمته في بيت ايل من غربها قبالة البحر وعاي من شرقها وبنى ثم للرب مذبحا ودعا باسم
الرب ثم ظعن منطلقا وكان مظعنه الى مهب الجنوب وكان جوع في الارض فهبط ابرم الى مصر ليسكنها لان الجوع اشتد
في الارض فلما دنى من مصر قال لسري امراته اني عالم انك امراة حسنا فان راك المصريون يقولون امراته فيقتلونني
قولي اني اخته فذكر قصة اخذ فرعون مصر لها والقوارع التي اصابته فحالت بينه وبينها فخلى سبيلها واحسن اليها
والى ابرهيم الى ان قال فخرج ابرم من مصر هو وامراته ولوط معه الى ارض التيمي وفي نسخة الى القبلة وهي جهة الجنوب
فاستغنى ابرم جدا فظعن بظعنه من الجنوب حتى اتى بيت ايل الى الموضع الذي كان نصب فيه خيمته من قبل ولوط معه
وكان له غنم وبقر وخير كثير جدا فذكر ان لوطا رفع بصره فنظر الى ارض الاردن فاذا هي كلها ارض سقي وشرب مثل
فردوس الله ومثل ارض مصر التي في مدخل صاعار وفي نسخة زغر فاختار لوطا ارض الاردن فسكن ابرم ارض كنعان
وسكن لوط قرى عاجار وورث وفي نسخة قرى المرج وخيم الى سدوم وكان اهل سدوم اشرارا خطاة جدا فقال
الرب لابرم بعد ما اعتزله لوط مد بصرك فانظر من المكان الذي انت فيه الى الجربيا والتيمن وفي نسخة الى الشمال
والجنوب والمشرق والمغرب لان جميع الارض التي ترى اياك اعطيها وذريتك من بعدك الى الابد واجعل ذريتك مثل
شري الارض فان قدرت ان تحصي تراب الارض فان زرعك يحصى فاتى ابرم فسكن بين بلوط وفي نسخة في مرج ممري
الاموراني التي بحبرون وبنى هنالك مذبحا للرب وكان على عهد امرقال ملك سنعار وفي نسخة شنوار وارنوخ ملك
ذي اللاشار وفي نسخة الخزر وكدر لعمر ملك عيلم وفي نسخة خوزستان وتدغيل ملك حيلان وفي نسخة الامم اجتمع
هولاء في قاع السدوميين وهو البحر المالح فقتلوه الجبابرة الذين في العشرة القرى والابطال الذي بها والجوازنيين
الذين في جبال ساعير وفي نسخة شراة الى يطعمه فاران التي في البرية ورجعوا واتوا عين دنيا وفي نسخة الحكم وهي زقيم
وقتلوا كل روسا العمالقة والاموراني سكان عين جاد وخرج بازع ملك سدوم وبرشع ملك عامرا وشناب
ملك اذوما وشاليم ملك صبويم وملك بالاع التي هي صاغار وفي نسخة زغر خمسة ملوك قاتلوا الاربعة بتاع
السدوميين فهرب ملك سدوم وملك عامرا فوقعوا هناك وهرب البقية الى الجبل فاستباحوا جميع سدوم
وعامرا وجميع طعامهم واشتاقوا لوطا ابن اخي ابرم وماشيته وانطلقوا فاتى من نجا منهم واخبر ابرم العبراني
فعبر فتيانه وهو لديه ثلثماية وثمانية عشر رجلا وسار في طلبهم الى داريا وفي نسخة يانياس فاحاط بهم ليلا
فقاتلهم وهزمهم الى الجوف وفي نسخة المزة عن شمال دمشق وهي قرية يقال لها حلبون ورد لوطا ابن اخيه
وماشيته وجميع المواشي والنسا والشعب فخرج ملك سدوم فتلقاه فرد اليه جميع ما سلب منه ومن بعد هذا
حل وحي الله على ابرم في الرويا وقال له يا ابرم انا اكافيك واساعدك لان ثوابك قد جزل فقال ابرم اللهم
رب ما الذي تنحلني وانا خارج من الدنيا بلا نسل ويرثني اليعازر غلامي الدمشقي فقال له الرب لا يرثك هذا
بل ابنك الذي يخرج من صلبك فهو يرثك وقال له انظر الى السما واحصر النجوم ان كنت تقدر ان تحصيها
ثم قال له كذلك تكون ذريتك فامن ابرم بالله وقال له الرب انا الرب الهك الذي اخرجك من اور الكلدانيين
وفي نسخة اتون الكردانيين لاعطينك هذه الارض لترثها فلما كان غروب الشمس وقع الصمت على ابرم وغشيه
خوف وظلمة عظيمة فقال الرب لابرم اعلم علما يقينا ان نسلك سيسكنون في ارض ليست لهم فيتعبدونهم
ويكدونهم اربعماية سنة والشعب الذي يتعبدونهم فاني ادينهم ويخرجون من هناك بعد ذلك بمال عظيم
وانت تنتقل الى ابايك بسلام وتدفن بشيخوخة خير وصلاح والحقب الرابع يرجعون الى ههنا لان اثم
الاموراني لم يكمل بعد فلما غربت الشمس صار دجى وحندسه واذا بتنور يدخن ومصباح نار يلتهب ويتردد
بين تلك الانصبة وفي ذلك اليوم عاهد الرب عهدا وقال اني معط ذريتك هذه الارض من نهر مصر والى الفرات
النهر الاعظم وان سري امراة ابرم لم تكن تلد وكانت لها امة مصرية اسمها هاجر فقالت سري لابرم وهما بارض

ولادة اسمعيل

كنعان انا الرب فرحمني المولد فادخل علي امتي وابن لها لعلي اتعزى بولد منها فسمع ابرم قول سري واطاعها وولدت
بعد ما سكن ارض كنعان عشر سنين فحبلت فقالت سري لابرم انت صاحب ظلامتي انا وضعت امتي في حضنك
فلما حبلت هنت علي بحكم الرب بيني وبينك فقال هذه امة مسلمة اليك اصنعي بها ما احببت فها انها سري
سيدتها فهربت منها فلقيها ملاك الرب على عين ماء في البرية في طريق سور وفي نسخة في طريق حدرو وفي نسخة على
العين التي بطريق الجفار فقال لها يا هاجر امة سري ارجعي الى سيدتك واستكذي تحت يدها ثم قال لها ملاك الله
لاكثرن نسلك حتى لا يحصى ثم قال لها انت حامل وفي نسخة انك حبلى وستلدين ابنا وتدعين اسمه اسمعيل لان
الرب قد عرف لك خضوعك ويكون ابنك هذا رجلا يأوي البرية ويده في جميع الناس وفي نسخة وحتى الناس يده
على كل ويد كل به ويحل على جميع حدود اخوته فدعت لهم الرب الذي كلمها فقالت انت الله ذو الوحي والرؤيا وذلك
لانها قالت أني رأيت رؤيا ولذلك دعت تلك الطوي بئر الحي وهي بئر رقيم وحدرو وفي نسخة فيما بين قادس وبارد
اثم ولدت هاجر لابرم ابنا فدعا ابرم اسمه اسمعيل وكان ابرم ابن ست وثمانين سنة اذ ولدت هاجر له اسمعيل
فلما اتى على ابرم تسع وتسعون سنه اعتلز له الرب وقال له انا الله اله المواعيد ارضني تكن ذي غيب واثبت عهدي
بيني وبينك وفي رواية فاحسن امامي ولا تكن ملوما فاني جاعل بيني وبينك ميثاقا واكثرك جدا جدا فخر ابرهيم على
وجهه فكلمه الله وقال انا اثيب لك عهدي وفي نسخة فاوحى الله اليه قايلا له اني قد جعلت ميثاقي معك وتكون
ابا لشعوب كثيره ولا يدعى اسمك فيما بعد ابرم بل يكون اسمك ابرهيم لاني جعلتك ابا لشعوب كثيره واميتك واثريك
جدا جدا واجعلك لشعوب رئيسا والملوك من صلبك يخرجون واثبت العهد وفي نسخة واني ميثاقي بيني وبينك
وبين نسلك من بعدك عهدا ابديا واكون لك الها وازرعك من بعدك واعطيك وذريتك من بعدك ارض سكناك ان
وجميع ارض كنعان ميراثا الى الابد واكون لهم الها وقال الله لابرهيم احفظ عهدي انت وزرعك من بعدك لاحقابهم
هذا عهدي الذي امركم به لتحفظوه ليكون بيني وبينك وبين نسلك من بعدك ان تختنوا كل ذكر وتختنوا لحم غرلكم وتكون
علامة العهد بيني وبينكم ولتختن كل ذكر منكم ابن ثمانية ايام لاحقابكم ولادة البيت والمبتاع بالمال وكل من كان من
ابناء الغربا الذين ليسوا من زرعك فليختتن اختتان المولود في بيتك والمبتاع بمالك ويكون عهدي سيسما
في اجسادكم عهدا ابديا الى الابد وكل ذكر ذي غرلة لا تختن غرلته في اليوم الثامن من فتهلك تلك النفس من شعبها لانها
ابطلت عهدي وقال الله لابرهيم سري صاحبتك لا تدع اسمها سري لان اسمها ساره وابارك فيها واعطيك منها ابنا
واباركه ويكون رئيسا لشعوب كثيرة وملوك الشعوب من نسله يخرجون فخر ابرهيم على وجهه ضاحكا وقال في قلبه
وفي رواية متعجبا يقول في نفسه وهل يولد لابن مايه سنه ابن وسارة تلد وقد اتى عليها تسعون سنه وقال ابرهيم لله
يا ليت اسمعيل يحيى بين يديك وقال الله لابرهيم حقا وفي نسخة نعم ان ساره صاحبتك ستلد ابنا وتسميه اسحق واثبت
العهد بيني وبينه الى الابد ولذريته من بعده وقد استجبت لك في اسمعيل فباركته وكثرته واغنيته جدا جدا وولد
له اثنا عشر عظيما واجعله رئيسا لشعب عظيم واثبت عهدي لاسحق الذي تلد لك ساره في هذا الحين من قابل فلما فرغ
من كلامه ارتفع استعلان الرب عن ابرهيم فانطلق ابرهيم باسمعيل ابنه وجميع اولاده بيته والمبتاعين ماله كل ذكر من
بيت ابرهيم فختن غرلهم في ذلك اليوم كما امره الله وكان قد اتى على ابرهيم تسع وتسعون سنه اذ ختن غرلته وكان قد اتى
لاسمعيل ابنه اذ اختتن ثلث عشره سنه وختن ايضا معه ابناء الغربا المشايعين ثم اكمل البشارة باسحق كما سياتي في
سورة هود ان شاء الله تعالى الى ان قال وذكر الرب سلوه كما قال وصنع الله تبارك وتعالى بساره كما وعد فحبلت
وولدت لابرهيم ابنا على كبره في الوقت الذي وعده الله فسمى ابرهيم ابنه من ساره اسحق فختن ابرهيم اسحق ابنه في اليوم
الثامن كما امره الرب وكان ابرهيم بن مايه سنه فقالت ساره لقد انعم الله علي وفرحني فرحا عظيما كل من سمع فليفرح لي
وقالت من كان يقول لابرهيم ان سارة ترضع غلاما وتلد ابنا بعد الكبر فشب الغلام وفطم وصنع ابرهيم يوم فطم
مادبة عظيمة ثم اعاد ذكر امر ساره باخراج هاجر وابعادها وان هذا شق على ابرهيم جدا وقال فقال الله لابرهيم
لا يشقن عليك حال الصبي وامتك فغدا ابرهيم باكرا فاخذ خبزا واداوة من ماء فاعطاها هاجر وحملها والصبي
والطعام فانطلقت وتاهت في برية ثم سبع وفي نسخة بئر الحلف ان ابرهيم خالف صاحب تلك الارض عندها ونفد
الماء من الاداوة فالقت الصبي تحت شجرة من الشيح وانطلقت وجلست قبالته وتباعدت عنه كرمية لسهم كيلا
تعاين موته فلما خرج الغلام وبكا سمع الرب صوته فدعا ملاك الرب هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا
تخافي لان الرب قد سمع صوت الصبي حيث هو قومي فاحملي الصبي وشدي به يديك لاني اجعله رئيسا لشعب عظيم فجلى
الله عن بصرها فرات بئر ماء فانطلقت فملاءت الاداوة وسقت الغلام وكان الله مع الغلام فشب وسكن بريه
فاران وكان يتعلم الرمي في تلك البرية وزوجته امه امراة انتهى وفيه ان هذا الكلام في اخراج هاجر وولدها
ظاهرة انه كان رضيعا وفي الحديث الصحيح انه وضعه عند البيت وهو برضع ويمكن حمل هذا عليه بهذا الكلام
الاخير واما الاول فلم يقل فيه انه كان عند الختان ببيت المقدس فيمكن ان ابرهيم عليه السلام طوي له الله الارض
بالبراق وغيره فذهب الى مكة المشرفة فختنه ثم رجع وفيه بشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اصرح مما ذكروه

وهي قوله ويتبارك بل جميع قبايل الارض لان ذلك لم يحصل باحد من اولاد ابرهيم عليه السلام الا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت البركة به صلى الله عليه وسلم والخير في غالب قبايل الارض ويكون الباقي بعد نزول عيسى عليه السلام وكذا قوله ويده في جميع الناس الى آخره لان اسمعيل عليه السلام لم ينقل احد ان يده كانت على جميع الناس ولا على جميع حدود اخوته ولا اتصف من اولاده احد بهذا الوصف الا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رايت في شرح المقاصد للشيخ سعد الدين التفتازاني وشرح الصحايف للامام السمرقندي التنبيه على هذا النص ولما قرر سبحانه لبني اسرايل ان اباهم يعقوب ممن اوصى بنيه بالاسلام قال مبكتا لهم ام فعلم قطعا من ذكر حرف العطف ان المعطوف عليه محذوف كما قالوه في احد التقادير في هذه الاية وفي لم من هو قانت انا السيل في سورة الزمر وكما ياتي في سورة الجاثية فكان التقدير هنا لتوبيخهم وتقريعهم بان اي شواختاره لزمهم به ما يكرمون اكنتم غايبين عن هذه الوصية من ابرهيم ويعقوب عليهما السلام ام حاضرين وكنتم غايبين وامر يعقوب عليه السلام خاصة ام كنتم شهداء الاية اي اكنتم غايبين عن علم ذلك ام لا خير حكمتم بتخصيص انفسكم بالجنة ليمنعكم ذلك عن مثل هذا الحكم وعلى كل تقدير لا يضركم جهله لان عندكم في كتاب الله المنزل على نبيكم من الامر بمثله عن الله ما يغنيكم عنه وهو مانع لكم ايضا من هذا الحكم على وجه قطعي وفي ذلك اشارة الى عدم وجوب التقيد بالاباء وارشاد الى توسيع الفكر الى المنعم الاول وهو رب الاباء للتقيد باوامره والوقوف عند زواجره سواء كان ذلك موافقا لشرع الاباء او مخالفا ولما كان هذا الامر مما لا مضمون قوله تعالى تلك امة قد خلت الاية اسمعه ايها اي فما لكم وللسوال عنها في ادعايكم انهم هودا او نصارى كما سياتي النص بالتوبيخ على ذلك واتباعه مثل هذه الاية لانه اما ان يكون السوال عن السبب او عن العمل ولا ينفعكم شيء منهما لانه ليس للانسان الا ما سعى فليس السوال عنهم حينيذ لمن عنده علم ما ياتي ولا يذر الا فضولا وفيه تنبيه على انهم قطعوا انفسهم عنهم لانهم لما لم يتبعوهم في الاسلام فصلوا ما بينهم وبينهم من المواصلة بالنسب وحصلت برائتهم منهم لان نسب الدين اعظم من نسب الماء والطين او يقال وهو احسن لما ادعى اهل الكتاب ان الجنة خاصة بهم ورد ذلك سبحانه عليهم بانها لمن اسلم محسنا وذكرهم باحوال الخليل عليه السلام حتى ختم بانه من رؤس المتصفين بهذا الوصف وانه اوصى بنيه بنيه به فكان كانه قيل انكارا عليهم في دعويهم الاختصاص بالجنة وتقريرا لهم اكنتم شهداء لذلك منه حتى تكونوا ممن ايتمر بامره في وصيته فتكونوا اهلا للجنة ام كنتم شهداء يا بني يعقوب اذ حضر يعقوب صاحب نسبكم الاشهر الموت وهو على ما اوصى به ابرهيم بنيه اذ قال اي ليعقوب لبنيه ولما كان مراده صلى الله عليه وسلم التعميم في كل شيء يقع التخصيص موقعه فلا يحتاج الى سوال آخر عن صنف آخر عبر بما العام للعاقل وغيره فقال ما تعبدون ولو عبر بمن لم يعد جوابهم هذا التصريح بنفي عبادة شيء مما لا يعقل وقيده بقوله من بعدي لان الخليفة كثيرا ما يخلف الغايب بسوء وان كان مصلحا في حضوره وادخل الجار لان اعمارهم لا تستغرق الزمان قالوا نعبد الهك الذي خلقك والله ابايك الذي خلقهم وبقي بعدهم ويبقى بعد كل شيء ولا بعد له كما كان قبل كل شيء ولا قبل له ثم بينوا الاباء بقوله ابرهيم اي جرلا واسمعيل لانه عم والعم صنو الاب مهذب مجانا واسحق ولما تقدم ذكر الاله في اضافتين بينوا ان المراد به فيهما واحدا فحكى سبحانه ذلك عنهم تحقيقا للبراءة من الشوك وتسجيلا على اهل الكتاب بتحتم بطلان قولهم فقالوا الها واحدا ثم اخبروا بعد توحيدهم الذي تقدم انه معنى الاحسان في قوله وهو محسن باخلاصهم في عبادتهم بقولهم ونحن له اي وحده لا لاب ولا غيره مسلمون اي لا اختيار لنا معه بل نحن له كالجمل الانف حيثما قادنا انقدنا اي ام كنتم شهداء له في هذه الوصية لتشهدلكم بما شهدنا لبنيه الموجودين اذ ذاك من الاسلام فتكونوا من اهل الجنة ولما كان في ذلك اعظم تسجيل عليهم بانهم نابزوا وصية الاصفياء من اسلافهم ومرقوا من دينهم وتعبدوا باخلافهم وكان من المعلوم قطعا ان الجواب انهم ما شهدوا ذلك ولا هم مسلمون عبر عنه بقوله تلك امة قد خلت اي قبلكم برهورا لم تشهدوها ونبه على انهم عملوا بغير اعمالهم بقوله لها اي الامة ما كسبت اي من دين الاسلام خاص بها لا شركة لكم فيه ولكم ما كسبتم اي مما انتم عليه من الهوى خاص بكم لا يسلف منكم عن اعمالكم ولا تسلون اي انتم عما كانوا يعملون ولما اخبر تعالى انهم تركوا السنة في تعذيب انفسهم بالاقتداء في الاهتداء بالاصفياء من اسلافهم وبين بطلان ما هم عليه الآن من كل وجه واوضح انه محض الضلال بين انه غالبهم على ذلك بان صيرهم دعاة الى الكفر لان سنته الماضية سبقت ولن تجد لسنة تحويلا ان من امات سنة احيي على يديه بدعة عقوبة له قال الحرالي لانها متنا وبان في الاديان تنا وبالمقابلات في الاجسام فقال تعالى معجبا منهم عاطفا على قوله وقالوا ان يدخل وقالوا اي الفريقان من اهل الكتاب لاتباع الهدى كونوا هودا او نصارى لتقتدوا اي لم يكفهم ارتكابهم للباطل وسلوكهم طرق الضلال حتى دعوا الى ما هم عليه ووعدوا بالهداية الصايرا اليه فامره تعالى بان يجيبهم انه مستن بسنة ابرهيم لا يحول عنها كما حالوا فقال موجها الخطاب الى اشرف خلقه لعلو مقام ما يخبر به وصعوبة التقيد به على النفس قل بل ملة ابرهيم مصرحا عن معالهم اي لا تكون شيئا مما ذكرتم بل تكونوا وتلابسوا ومن لحق بي من كمل اهل الاسلام ملة ابرهيم ملابسة نصير بها اياها كاننا تجسدنا منها وهو كناية عن عدم الانفكاك عنها وهو ابلغ مما لو قيل بل اهل ملة ابرهيم قال الحرالي ففيه كمال تسنن محمد صلى الله عليه وسلم في ملته لمسلة ابرهيم عليه السلام الذي هو الاول لمناسبة ما بين الاول والاخر وقد ذكر

ان الملة ما اظهره نور العقل من الهدى في ظلم ما التزمه الناس من عوايد امر الدنيا فكان اتم ما ابداه نور العقل ملة ابرهيم
حنيفا اي لينا هشا سهلا قابلا للاستقامة مايلا مع داعي الحق منقادا له مسلما امره اليه لا يتوجه اليه شي من الغشاوة
والكثافة والغلظة والجمود التي يلزم منها العصيان والشماخة والطغيان وذلك لان مادة حنف بكل ترتيب تدور على
الخفة واللطافة ويشبه ان يكون الحقيقة الاولى منها النحافة ويلزم هذا المعنى الانتشار والضمور والميل فيلزم سهولة
الانقياد والاستقامة ويكشفه اية آل عمران ولكن كان حنيفا مسلما فبذلك حاد عن بنيات طرق الخلق في انحرافهم
عن جادة طريق الاسلام وقال الحرالي الحنيف المايل عن متغير ما عليه الناس عادة الى ما يقتضيه الفطرة حنان قلب
الى صدق حسه الباطن ولما اثبت له الاسلام بالحنيفية بقوله وما كان من المشركين قال الحرالي فيه انباء بتبرئة
كيانه من امر الشرك في ثبت الامور والافعال والاحوال وفي افهامه انه من امر محمد صلى الله عليه وسلم في الكمال الخاتم
كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم منه في الابتداء الفاتح قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان صلوتي الى قوله وانا اول
المسلمين فهذه اولية رتبة الكمال التي هي خاصة به ومن سواه فهو منه فيها لان نفي الشي يفهم البراءة واللحاق بالمتاصل
في مقابلة فمن لم يكن مثلا من الكافرين فهو من المومنين الاية لانه لو كان هو المومن لذكر بالصفة المقابلة لما نفي عنه
لما في ذلك من معنيي اثبات الوصف ونفي مقابله ومثل هذا كثير الدور في خطاب القرآن وبين من له الوصف ومن هو منه
تفاوت ما بين السابق واللاحق في جميع ما يرد من نحوه يعني ومثل هذا التفاوت ظاهر للفهم خفي عن شاهد العلم لان العلم
من العقل بمنزلة النفس والفهم من العقل بمنزلة الروح فللفهم مدرك لا يناله العلم كما ان للروح معتلى لا تصل اليه النفس
لتوجه النفس الى ظاهر الشهود ووجهة الروح الى علي الوجود انتهى ولما قيل ذلك توجهت النفس الى ما به يوصل
الى ملة ابرهيم فصرف الخطاب الذي كان عند الحجاج للاكمل على وجه يشمل من قاربه الى من دونه بما يشمله لان المراد العموم
في سورة الكتاب الذي هم بالامر بالايمان به احق وساقه تعالى في جواب من كانهم قالوا ما نقول حتى نكون اياها فقال
قولوا اي يا ايها الذين امنوا امنا بالله الذي له جميع صفات الكمال ولما كان المامور المومنين وكانت تعدية الانزال
بالى تقتضي الانتها وكان ذلك يقتضي واسطة قبل الانتها وكان الانتهاء الى الاتباع انما هو بالقصد الثاني كان الانسب
في هذه الاية لتوجيه الامر اليهم التعبير بالى بخلاف اية آل عمران كما سياتي ان شا الله تعالى فقال وما انزل الينا اي
من الكتاب الذي تقدم انه الهدى على اي وجه كان من الاحكام والنسخ والنسي وغير ذلك وقيل وما انزل الى ابرهيم
ليكون الهيع واحدا واسمعيل واسحق ابنيه قال الحرالي فلقن العرب الاميين المحسودين على ما اتاهم الله من فضله
فسق ما اجرى من لفظ بني اسرايل في عهده لهم فكان فيه وصل العرب الذين هم ابناء اسمعيل بابرهيم وبنيه وقطع بني اسرايل
عنهم وفيه اظهار لمزية فضل الله على العرب حين يلقنهم ولا يستنطقهم فيقصروا في مقالهم فاغناهم بما لقنهم فتلوه
عما كانوا يقولونه لو وكلوا الى انفسهم فسكتهم ربهم واقراهم ما يصلح من القول لهم وقال ويعقوب والاسباط تكملة
لما تقدم في العهد السابق انتهى وما اوتي موسى وعيسى اي من ربهم من المنزل من التورية والانجيل وغير المنزل وغير الاسلوب
تفضيلا لما لهما من الكتابين والمعجزات وغير ذلك من المكنة ثم اسند الانباء الى الجميع لكون اهل الكتب العظيمة فيهم على سبيل
التغليب فقال موكدا الكلام لانه على لسان الاتباع وهم بالتاكيد احق وما اوتي النبيون اي قاطبة من تقدم وغيرهم
من المنزل من كتاب وغيره من ربهم المحسن اليهم بذلك لا نفرق بين احد منهم اي في امر الايمان باصطفايهم مع توجيه الاوامر
اليهم ونحن له اي لربهم المحسن الينا باحسانه اليهم وحده مسلمون اي منقادون في الظاهر بعد انقياد الباطن لا امر لنا
معه اصلا قال الحرالي فاجرى على السنة الذين امنوا من هذه الامة تلقينا لهم ما اجراه على السنة الاسباط قولا منهم
فكانت العرب احق بهم من ابناء اسرايل بما استووا في الدين وان افترقوا في نسب الاسرايلية انتهى والاسباط جمع سبط
قال في القاموس والسبط بالكسر ولد الولد والقبيلة من اليهودية وجمعه اسباط وقال البيضاوي جمع سبط وهو
الحافد يريد به حفدة يعقوب وابناه وذراريهم فانهم حفدة لابرهيم واسحق وقال الاصبهاني قيل اصل السبط في
اللغة شجرة ملتفة كثيرة الاغصان من شجرة واحدة وقال البغوي والاسباط يعني اولاد يعقوب واحدهم سبط وهم
اثنى عشر سبطا وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط من
بني اسرايل كالقبايل من العرب من بني اسمعيل والشعوب من العجم وكان في الاسباط انبيا فلذلك قال وما انزل اليهم
وقيل هم بنوا يعقوب من صلبه صاروا كلهم انبياء انتهى قلت وهذا الذي يظهر اذا تاملت هذه الاية مع التي بعدها واية
النسا فان الاسباط اعني القبايل كان منهم الضلال وقد انكر الله على من قال انهم كانوا هودا او نصارى واخبر في اية
النسا انه اوحى اليهم وقد عد الاسباط اعني اولاد يعقوب جماعة فاختلفت عباراتهم عنهم والذي حررته انا من التورية
من عدة نسخ اصح عدهم في اخر السفر الاول منها ثم قال في اول السفر الثاني وهذه اسما بني اسرايل الذين دخلوا مصر
مع يعقوب ابيهم دخل كل امرء منهم واهل بيته روبيل وشمعون ولاوي ويهودا وايساخار وزبلون وبنيامين ودان
ونفتالي واجاد واشير ويوسف كان بمصر انتهى قلت وبنيامين شقيق يوسف عليهما السلام وربما قيل فيه بنيمن
وفي روبيل روبان وفي شمعون شمعان وفي ايساخار ايساخر وفي زبلون زبولون وزبالون والله اعلم ولما قدم تعالى
ما امرهم به وكان عين الهدى تسبب عنه قوله جبرا باداة الشك اشارة الى ان ايمانهم لما لهم من الكثافة والغلظة والخلا

منه

في غاية البعد فان امنوا اي اهل الكتاب الذين اراد وا ان يستتبعوكم بمثل اي بنعت وحقيقه ما امنتم به كما يأتي بيانه في ليس كمثله شيء من الشوري فكانوا اتباعكم فقد اهتدوا بعكس ما قالوا كونوا امثالنا تهتدوا وعبر بفعل المطاوعة لكون الايمان مع ظهوره بظهور دلايله مواقعا للفطرة الاولي واما الكفر فانه لما كان لاجل ظهور الايمان وانطباعه في الجنان بعيدا عن المزاج لا يكون الا بنوع من العلاج بين الهوي والعقل وكان لا يكون الا بعد الاعراض عن الايمان وغيبته عن العيان عبر عن ارتكابه بما يشعر بذلك بصيغة التفعل فقال وان تولوا قال الحرالي فيه اشعار بايمان موتمن منهم وتولي متولد منهم لان الله تعالي اذا صنف الخطاب كان نباء عن تصنيف الكيان فهو تعالي لا يخرج نباه علي غير كاين فيكون نباء لا كون له انما ذلك من زادني اوصاف بعض الخلق فانما هم في شقاق اي يريدون ان يكونوا في شق غير مشتكم لانهم يعلمون ان المدي ليس في شيء غيره كما اقتضته انما ولما كان اللازم لمشاقتهم علي هذا الحال المكايدة والمحاربة وكان ذلك علي وجه العناد لم يكل سبحانه كفايتهم اوليائه الي غيره فنبه عن ذلك قوله فسيكفيكهم الله اي بوعد لا خلف فيه اصلا وان تاخر شيأ من تاخره بما له من قدرة وغيرها من صفات الكمال التي افهمناها الاسم الشريف والكفاية اغني المقاوم عن مقاومة عدوه بما لا يوجهه الي دفع له قاله الحرالي ولما كان المناوي لشخص اما ان يكيده بقوله او بفعله وكان الفعل سببوقا بالارتسام في الضمير وكان الكافي لشخص انما تتوقف كفايته علي العلم بما يصلحه قال وهو السميع اي لما يقول اعداوكم العليم بما يضمرون فهو يسبب لكل قول وضمير منهم ما يرد ضرره عليهم فحظكم منهم مقصور علي اذي في القول وسوء ود في الضمير وحظهم منكم قهرهم وسبيهم والاستيلاء علي ديارهم واموالهم وجعل الحرالي صبغة الله اي هيئة صبغ الملك الاعلي التي هي حلية المسلم وفطرته كما ان الصبغة حلية المصبوغ حالا تقاضاها معني الكلام وعاب علي النحاة كونهم لا يعرفون الحال الا من الكلم المفردة ولا يكادون يتفهمون الاحوال من جملة الكلام وقال الصبغة تطوير معاجل بسرعة وحيته وقال فلما كان هذا التلقين تلقينا وحيا سريع التغيير من حال الضلال المبين الذي كانت فيه العرب في جاهليتها الي حال الهدي المبين الذي كانت فيه الانبياء في هداياتها من غير مدة جعله تعالي صبغة كما يصبغ الثوب في اوقت فيستحيل من لون الي لون في مقابلة ما يصنعه اهل الكتاب باتباعهم المتبعين لهم في اهوائهم في نحو الذي يسمونه الفطاس ومن احسن من الله اي الذي له الكمال كله صبغة لانها صبغة قلب لا تزول لثباتها بتولاها الحفيظ العليم وتلك صبغة جسم لا تنفع وفيه ايهام بما يختص به الذين امنوا من انقلاب جوهرهم نورا كما قال صلي الله عليه وسلم اللهم اجعلني نورا فكان ما انقلبا اليه جوهر الايمة انصبغت به قلوب الامة ونحن له اي خاصة عابدون تكمله لرد الخطاب علي خطاب عهد اسرايل حيث قال ما تبدون من بعدي الا ان العبادة في عهد اسرايل سابقة والاسلام ختم والاسلام في هذا التلقين بدء لتقع العبادة شكرا تختص برحمته من يشاء وجاء به بالوصف الثابت الدايم ففيه اشعار بان احدا منهم لا يرتد عن دينه سخطة له بعد ان خالط الايمان بشاشة قلبه وهو حظ عام من العصمة الثابت خاصها للنبي صلي الله عليه وسلم في علي امره انتهي ولما امر تعالي بقوله قل بل ملة ابرهيم وما بعده باعلام الخصم بالمخالفة وان لا موافقة الا بترك الهوي واتباع الهدي امر بجادلتهم بما يوهي اقوالهم ويزيح شبههم فقال معرضا بالخطاب عن الجمع موجها له الي رسوله صلي الله عليه وسلم رضا لمقامه وتعريفا بعلي منصبه اعلاما بانه لا يتهض بذلك غيره لما لهم من العلم ما عندهم من الجدل واللدد قل منكرا محاجتهم ومونخا لهم عليها اتحاجوننا ولما كان الانسب في المقارعة اعلام الخصم بالمخالفة لانه اقطع لطمعه وامكن لغيظه مع انه هنا اقرب الي رضي الخالق قدم علي المجادلة ومعني قوله في الله في اختصاصكم بالملك الذي لا ملك سواه لان له الكمال كله المشار الي ابطاله فيما سبق بقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الايه اي اتحاجوننا في ذلك والوجه لاختصاصكم به وهو اي والحال انه ربنا وربكم نحن وانتم في العبودية له سوا ولنا اعمالنا نختص بها دونكم ولكم اعمالكم تختصون بها دوننا لا نخاف منه ان يخصكم باعمالنا ولا بشيء منها لتختصوا بها عنده ولا ان يخصنا باعمالكم ولا بشيء منها لنبعد بها عنه ظلما ولا غلطا لانه السميع العليم الغني الحميد ونحن لخير اعمالنا منكم لا نادونكم له وحده مخلصون لا نشرك به شيأ وانتم تشركون به عزيرا والمسيح والاحبار والرهبان وانتم تعلمون ذلك في باطن الامر وان اظهرتم خلافه فلزم قطعا انا اخص به منكم والاخلاص عزل النفس جملة فلا يبلغ عبد حقيقته حتي لا يحب ان يحمل علي عمل ولما كان قد بقي من مباهاتهم انهم يدعون ان اسلافهم كانوا علي دينهم فتكون دعواهم الاختصاص بالجنة صحيحة ابطلها سبحانه بقوله ام اي ارجعوا عن قولهم كونوا هودا او نصاري تهتدوا والمانبت من مخالفة ذلك لملة ابرهيم والله يقولون ولا يخفي ان التقدير علي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص ورويس بالخطاب ارجعتم عن قولكم ان ابرهيم خليل الله واسمعيل واسحق ابنيه ويعقوب بن اسحاق والاسباط اولاد يعقوب كونوا هودا او نصاري لتصح دعواهم في ان الجنة خالصة لاهل ملتهم فكانه قيل فما يقال لهم ان قالوا ذلك فقيل قل انتم اعلم بذلك وبغيره ام الله اي الذي له الاحاطة كلها اعلم فلا يمكنهم ان يقولوا نحن وان قالوا الله فقد برا الله ابرهيم من ذلك فبطل ما ادعوا ولما كان العلم عندهم عن الله بان الخليل ومن ذكر معه عليهم السلام علي دين الاسلام وكانوا يكتمون ما عندهم من ذلك مع كفرهم برا الله لهم به واستخبارهم عنه ونهيه لهم عن كتمانه وما يقاربه بقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل الايه وكان التقدير فمن اظلم ممن ادعي انه اعلم

من الله بدعواه ذلك صريحا او لزومه له باخباره بخلاف ما ثبت في القران المعلوم صدقه باعجازه قال تعالى عطفا
على هذا المقدور ومن اظلم ممن كتم شهادة اي موجودة ومودعة عنده من الله اي كتمها من الملك الاعظم او هي عنده منه
وهو يستخبره عنها مع علمه بانه فاضحه لانه العالم بالسراير ولما كان التقدير فانه يعلم ما عمله من كتما عطف عليه ما هو اعم
منه فقال وما الله المحيط قدرة وعلما بغافل عما تعملون اشعارا بصيغة المضارع بتماديهم بعد هذا كله على سوء اعمالهم
وتحذيرا من مثل ذلك ولما لم يدع لهم متمسكا من جهة ابرهيم عليه السلام اتبع ذلك الاشارة على تقدير صحة دعواهم الى ان
الدين داير مع امره في كل زمان لا مع ما قرره لاحد من خلقه فانه لا حجر عليه ولا اعتراض بل له ان يامر اليوم بامر وغدا بامر
مثلا بضره وان يفعل ما يشا من احكام ونسخ ونسي وانشا فقال تلك امة اي ابرهيم واله قد خلت اي فهب انهم على ما زعمتم
فقد مضوا وقدم زمانهم فلا ينفعكم الا ما تستجدونه في وقتكم هذا بحكم ما تجدد من المنزل المعجز لكافة اهل الارض
احمرهم واسودهم ويجوز ان يقال لما كان مضمون ما سبق من اثبات الاعلمية لله وكتمانهم الشهادة بما عندهم ثبوت ما اخبر
به سبحانه على لسان هذا النبي الكريم من كون اصفيايه على دينه الاسلام فهم برا منهم كان المعنى ان ادعيتم بهتا ان العلم جاكم
عن الله بما ادعيتموه قيل ان من تدعون ذلك عليه من الانبيا قد انقضت معجزته بموته وكتابكم غير مامون عليه التحريف
والتبديل لكونه غير معجز وهذا النبي الاتي بالقران قايم بين اظهركم وهو يخبركم عن الله بكذب دعواكم ويريد قوله بالمعجزات
التي منها هذا القران التي عجزت العرب كلها عن الاتيان بسورة من مثله وانتم كذلك مع مشاركتكم لهم في الفصاحة نظما ونثرا
واختصاصكم عنهم بالعلم فلزمكم قبوله لانكم لا تستندون في تزويج كذبكم بعد الجهد الا الى من ثبت صدقه بثبوت رسالته
وثبتت رسالته بظهور معجزته فوجب عليكم قبول امره وذلك ينتج قطعا انه يجب عليكم قبول هذا الداعي بهذا القران لمثل
ذلك سوا والا كان قبول بعض من ثبت له هذا الوصف دون البعض تحكما واتباعا للهوى المذموم في كل شرعة المنعي
عليكم بقوله تعالى افكلما جاكم رسول بما لا تهوى انفسكم الاية هذا مع ان رد قولكم هذا فيهم اظهر ظاهر من حيث انه لا يعقل
ان يكون السابق على نسبة اللاحق ما حدثت الا بعده بمدد متطاولة وسياتي النص الصريح بابطال ذلك في ال عمران والاشارة
الى منابذته للعقل بقوله افلا تعقلون ليتطابق على ابطاله صادق النقل وحاكم العقل والى هذا كله الاشارة بقوله
تلك امة قد خلت اي قبلكم بدهور لا يقبل الاخبار عنهم بعدها الا بقاطع ولا سبيل لكم اليه وقد قام القاطع على مخالفتكم
لهم بهذا القران المقطوع بصدقه باعجازه بما تقدم بما اشار اليه قوله تعالى لها ما كسبت اي من اعمالها ولكم ما
كسبتم اي من اعمالكم فلا يسالون هم عن اعمالكم ولا تسالون اي انتم عما كانوا يعملون ولما كان ادعاوهم ان اسلافهم على
دينهم لئلا ينتقض دعواهم ان الجنة خاصة بهم مع كونهم فضولا لا سند له يثبت به شي محاولة لعدم جواز النسخ وكان
ابطال الله تعالى لقولهم وعيبهم بما احدثوا في دينهم وتقريعهم به ملزوما لان يكونوا اباحوا لانفسهم منه ما منعوا
منه خالقهم وهو لا يسال عما يفعل كانوا اسفه الناس فعقبه بالتصريح بعيبهم والتعجيب منهم في انكارهم لنسخ القبلة
وخفتهم بالاعتراض على ربهم فقال واصلا له بما قبله على وجه اعم سيقول الى اخره لانهم اذا لم يكونوا يعلمون حقيقة
ذلك فلم يتبعوهم فلا اقل من ان يكفوا عن غيبتهم فكيف وهم عالمون بانه الحق وقال السفها ولم يقل سيقولون
اظهارا للوصف الذي استخفهم الى هذا القول الظاهر عوايره لاهل كل دين والسفيه الذي يعمل بغير دليل اما بان لا
يلتفت الى دليل فلا يتوقف الى ان يلوح له بل يتبع هواه ويرى غير الدليل دليلا واكد الوصف بالطيش بقوله من الناس
الماخوذ من النوس وهو التحرك دون ان يقول من اهل الكتاب او بني اسرايل ونحو ذلك تصريحا بذمهم وتعميما لكل من مالاهم
على ذلك ما ولاهم ولم يقولوا من زيادة في الادنى بالاحتقار عن قبلتهم قال الحرالي القبلة ما يجعل قبالة الوجه والقبل
ما اقبل من الجسد في مقابلة الدبر لما ادبر منه التي كانوا عليها اي ببيت المقدس ولعله ترك الافصاح ليصلح ذلك
لارادة الكعبة ايضا ليصير المعنى ان كانوا انتقلوا عن الكعبة بامر الله فهم مبطلون في رجوعهم والا فهم في كل حال اتباع الهوى
وفي ذلك اشارة الى انه لما انقطعت حجتهم القوا هذه الشبهة الى من اختدعوه من المنافقين ولم يقدروا ان يواجهوا بها احدا
من الثابتي الايمان كما قالوا فيما تقدم كونوا هودا او نصارى ونحوه علما منهم بان المحاج لهم عن المومنين من له الحجة البالغة
وكذا جا جوابهم استينافا فالجواب من يقول فما نقول لهم اذا قالوا ذلك بقوله قل خاليا عن خطاب لا كما مضى في قوله
قل اتخذتم عند الله عهدا قل هاتوا برهانكم ونحوه وساق سبحانه الاخبار عنهم بذلك على طريق هو من اعلام النبوة ودلايل
الرسالة فانه اخبار عما سيكون من الاعدا فكان منهم على وفق الخبر ولم يقدروا مع شدة عداوتهم واجتهادهم في القدح
بادنى شبهة في التكذيب على تكذيبه بالكف عن ذلك هذا مع توطيته لذلك فيما سلف في خمسة مواضع تحريفهم لكلام الله
وايقاعه النسخ واستدلاله على حسن فعله واخباره بظلم مانع المسجد واخباره بانه لا يختص به جهة دون اخرى وذكره
بنا البيت وما امر به من تعظيمه واتخاذه مصلى مع ما في ذلك من توطين نفوس اهل الاسلام واكرامهم بتعليم الجواب
قبل الحاجة ليكون اقطع للخصم واكثر لشوكته واردا سفيه وتسميتهم سفها ناظرا الى قوله فيما مضى عمن نافق منهم
ومن غيرهم الا انهم هم السفها لانهم وان كانوا مصارحين بالكفر فاسم النفاق منطبق عليهم من جهة اخرى وهو انهم
اظهروا الكفر وابطنوا معرفة الايمان اظهروا التكذيب وابطنوا ما هم عارفون به من صدقه وايضا فاذا كان المنافقون
الذين اظهروا حسنا سفها لما ابطنوه من القبيح فالذين عمهم القبح ظاهرا وباطنا اسفه والى قوله قريبا ومن يرغب عن

ملة ابرهيم الا من سفه نفسه لما تقرر من مخالفتهم له وان ادعوا الموافقه وقال لله اي الملك المحيط بكل شئ عظمة وعلما المشرق والمغرب مخصصا لهما لكونهما مجمع الافاق كما مضى فلا تختص بالوجهة اليه جهة دون اخرى فما امر به هو الحق ولما قرر ان الجهات كلها بالنسبة اليه سواء انتجها ملكه علم ان من توجه الى شئ منها بامره اصاب رضاه وذلك هو الوصول اليه وخبر عن ذلك مستانفا بقوله معظما لاهل الاسلام ومعرفا بعنايته بهم يهدي من يشاء اي من عباده وعظم الكعبة بقوله الى صراط مستقيم في اي جهة كانت فمتى سلكه وصل الى المقصود من غير ضلال ونكر ليعم المراد به جزئيات من الشريعة واما الصراط المعرف في الفاتحة فالمراد به الشريعة كلها بما دلت عليه من الكمال ولما بين استقامة القبلة التي وجههم اليها عرفها وسط لا جورا فيها فاتبع ذلك قوله وكذلك اي ومثل ما جعلنا قبلتكم وسطا لانها الى البيت العتيق الذي هو وسط الارض وهو بنا ابرهيم عليه السلام الذي هو اوسط الانبياء وهو مع ذلك اختار البيوت فهو وسط بكل معنى جعلناكم بالهداية اليه في الاستقبال والى غيره مما امركم به امة قال الحرالي من الام وهو تتبع الجملة والعدد بعضها لبعض الى ان تنتهي الى امام اول فالامام والامة كالمتقابلين فاصدا ميما والامة قاصدة امامها الذي هو امها والامام ما بين اليدين من مشهد الحس وسبيل القصد انتهى والامم القرب والتيسير والبين من الامر والقصد الوسط وسطا اي شريفة خيارا لان الوسط العدل الذي نسبة الجوانب كلها اليه سواء فهو خيار الشئ قال ابو تمام الطائي كانت هي الوسط المحمى فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وسالك الوسط من الطريق محفوظ من الغلط ومتى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع في الضلال عن القصد ففي هذا انهم لما ادعوا الخصوصية كذبوا وردت حجتهم ثم ابنت الخصوصية لهذه الامة والوسط بالتحريك اسم لعين ما بين طرفي الشئ كمركز الدايرة وبالسكون اسم مبهم لداخل الدايرة مثلا ولذا اكان ظرفا فالاول يجعل مبتدا او فاعلا او مفعولا به ولا يصح شئ من هذا في الساكن قاله الاصبهاني ومادة وسط مهموز وغير مهموز واويه وياييه بنزاكيبها الاحد عشر وسط وطس سوط سطوطوس طسوطيس طسي سيط سطا طسا تدور على العدل السوا الذي نسبته الى كل جانب على التساوي ويلزم ان يكون اعلى من غيره لان اكثر المخلوقات كري وكل ما كان في وسط الكره كان اعلى ولان كل جزء بعد الوسط اذا نسبته الى الطرف الذي يليه كان ما بينه وبينه اقل مما بينه وبين الوسط ويلزم العدل الجودة ويلزم العلو الغلبة والسطوة والكثرة والشدة وقد يلزم العلو الاضطراب فيأتي للاختلاط والاقتطاع والضعف فمن الاصل الوسط من كل شئ اعدله ووسط الشئ ما بين طرفيه فاذا اسكنت السين كان ظرفا او هو فيما هو مصمت فاذا كانت اجزاؤه متخلصة متباينة فبالاسكان ووسطه قطعه نصفين وتوسط بينهم عمل الوساطة واخذ الوسط بين الجيد والردي ووسط القوم توسطهم وهو وسطهم اوسطهم نسبا وارفعهم محلا وهو المتوسط بين القوم وواسطة الرجل ما بين قادمته واخرته واوطاس وادبيار هوازن لما وصفه به دريد بن الصمة من انه لاحزن ضرس ولا سهل دهس اي يثقل المشي فيه بكونه شبه الرمل وما هو برمل ولا تراب ومن الجودة وهي ملازمة للحسن الوسط الباب والصلوة الوسطى افضل الصلوات والطاوس طاير حسن والجميل من الرجال والفضة والارض المخضرة فيها كل ضرب من النبت والمطوس كمعظم الشئ الحسن والطوس بالفتح القمر وحسن الوجه ونضارته بعد علة وتطوست المراة تزينت وطواس كسحاب ليلة من ليالي المحاق كانه من باب الازالة وبالنظر الى ان النجوم في شدة الظلام احسن ومن العلو سطا الفرس البعيد الخطو والساطي الفرس البعيد الخطوة والذي يرفع يديه في خضخضة والطويل والواسط الكور متقدمه ومن الشدة والغلبة صار الماء وسيطه غلب على الطين وسطا عليه وبه صال او قهر بالبطش والراعي على الناقة ادخل يده في رحمها ليخرج ما فيها من ماء الفحل والفرس ركب راسه وساطاه شد عليه والساطي الفحل المعلم تخرج من ابل الى ابل وسطاها مهموز المنع جامعها والوطس كالوعد الضرب الشديد والكسر والوطيس التنور وحر الحرب والوطيسة شدة الامر والكتاب الراعي ونواطسوا علي اي تواطحوا اي تناولوا السر بينهم والموج تلاطم واوطاس واد بديار هوازن لانه اشد ما هو رمل حرف والسوط الذي يضرب به والشدة والضرب والسواط فرس لا يعطي حضره الا بالسوط والسياط قضبان الكراب الذي عليه دماليقه اي عراجينه في الكراب اصول السعف المغلاط العراض وسوط اخرج ذلك والطوس بالفتح الوطء وبالضم دوام الشئ ودوايسه للحفظ وطوايس كسحاب ليلة من ليالي المحاق وما ادري اين طوس به اي ذهب به وطسي كرضي طسا غلب الدسم على قلبه فانحم كطسا اي واو بالطسي مهموز ايضا كفرح وجمع طساء وطساء هو طسي انحم او تغير من اكل الدسم واطساه التتبع ونفي طاسيه ويدخل هذا في الاضطراب والاختلاط والضعف ومن الكثرة الوسط وهي الناقة تملا الاناء ويدخل في الجيد والطيس العدد الكثير وكل ما في وجه الارض من تراب وقمام او خلق كثير النسل كالذباب والنمل والهوام او داق التراب كالطيسل في الكحل وكثرة كل شئ من الرمل والماء وغيرهما وسطا الماء كثر والسويطا مرقة كثيرة الماء ومن الاختلاط سياط كسحاب معزه مشهور وسطا الطعام ذاقه والساطي الفحل المتعلم يخرج من ابل الى ابل وسطا الراعي على الناقة ادخل يده في رحمها ليخرج ما فيها من ماء الفحل والسوط الذي يضرب به والخلط والضرب والسياط قضبان الكراب الذي عليه دماليقه وسوط باطل ضوء يدخل من الكوة وسطا الشئ بالسوط ضربه به والسوط ايضا ما يخلط به كالمسواط وولد ابليس والمسواط فرس لا يعطي حضره الا بالسوط واستوط امره اضرب واختلط واموالهم سويطة بينهم مختلطة والطوس بالضم دابة

للحفظ والطاووس طاير والارض المخضرة فيها كل ضرب من النبت ومن الاقتطاع الطاس اي الانا يشرب فيه والسوط
النصيب والفضلة من الغدير ومن الضعف الوسط من بيوت الشعرا وهو اصغرها وطسا كمنع مهموزا استحيي وسياتي
ان شا الله تعالى في قول لقمن عليه السلام يا بني اقم الصلوة ما يشتد نفعه هنا ولما اثبت لهم الوسط الذي من حله كان
جديرا بان لا يخفى عليه شي من الجوانب واستلزم ذلك كونه خيارا قال لتكونوا اي انتم لا غيركم شهدا اي بالفعل بما اهلكم
له وحققكم به بما لنا لكم من التمكن في رتبة الوسط الجامعة للعلو كما افاده التعبير بهذا دون ان يقال لتشهدوا وقال على
الناس اي كافة ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم اوسطهم قال ويكون الرسول اي لا غيره بما اقتضاه اختصاصه بكونه
وسط الوسط عليكم خاصة شهيدا بانكم بايعتموه وصدقتموه فكنتم خير امة اخرجت للناس وبانه قد بلغكم مدة حياته
فلما مات خلف فيكم كتابا معجزا متواترا لا يغسله الما ولا تحرقه النار لانه محفوظ في الصدور متلو بالالسن الى ان ياتي امر الله
ولذلك عبر باداة الاستعلا فافهم صوغ الكلام هكذا انهم حازوا شرفين انه لا يشهد عليهم الا الرسول وانه لا يحتاج في
الشهادة على ساير الامم الى غير شهادتهم دفعا لتوهم ان غيرهم يشهد عليهم كما شهدوا هم عليهم ولتوهم ان غيرهم لا يكتفي في
الشهادة عليه الا بشهادة الرسول كما لم يكتف فيهم الا بذلك ولما اعلم بما سيقول السفها وعلم جوابهم وبين سر التحويل
بين علة التوجيه الى قبلتين بقوله وما جعلنا اي بعظمتنا التي لا يقاويها احد القبلة قال الحرالي في جملته انباء
بان القبلة مجعولة اي مصيره عن حقيقته وراها وابتلا بتقليب الاحكام ليكون تعلق القلب بالله الحكيم لا بالعمل المحكم
والوجهة الظاهرة ليكون ذلك علما على المتبع عن صدق فيثبت عند تقلب الاحكام بما في قلبه من صدق التعلق بالله والتوجه
له ايان ما وجهه وعلى المجيب عن غرض ظاهر ليس يسنده صدق باطن فيتعلق من الظاهر بما لا يثبت عند تغيره انتهى وبين
انها الاولى بقوله التي كنت عليها وبين ان العلة التمييز بين الناس بقوله الا لنعلم اي بما لنا من العظمة بالجنود والرسل
وغيرهم حين وجود الامر بالتحول عنها من يتبع الرسول في كل ما يامر به اتباعا دالا على تمكن ايمانه ممن ينقلب اي يرتد
فيدبر بعد اقباله منتكسا على عقبيه علما متعلقا بموجود تقوم به الحجة في مجاري عاداتكم والعقب موخر القدم وقال
الحرالي لنجعل علما ظاهرا على الصادق وغيره يشمل العلم به من علم الغيب قبل كونه وبعد كونه ومن لم يعلم الغيب الا عن
علم بما ينبي عنه نون الاستتباع فهذا وجه ووجه ما يرد من نحوه في القرآن والسنة انتهى ثم بين شدتها على من اخلد
الى العادة بغلبة القوة الحيوانية البهيمية ولم يمترن في الانقياد الالهية على خلع الالف ودل النفس فقال وان كانت
اي الجعلة لكبيرة اي ثقيلة شاقة جدا لان مفارقة الالف بعد طمانينة النفس اليه امر شاق جدا ثم استثنى من ايده
سبحانه بروح منه وسكينة فقال الا على الذين هدى الله اي خلق الذي له الامر كله الهداية في قلوبهم فانقادوا لما
هداهم اليه بنصب الادلة ولما كان قبولهم لهذا الامر وثباتهم عند تغير الاحكام انما كان عن ايمان وعلم محيط جعل الله
عز وجل اعمالهم وتوجههم للقبلة الاولى من الايمان فقال وما كان الله الذي له الكمال المطلق ليضيع قال الحرالي مما
منه الضياع والضيعة وهو التفريط فيما له غنا وثمرة الى ان لا يكون له غنا ولا ثمرة ايمانكم اي المصرح به في قولكم
امنا بالله المشار الى صدق الدعوى فيه بقولكم ونحن له مخلصون في شي من الاشيا لا في صلوتكم الى القبلة الاولى ولا في تمييز
الصادق منكم من المنافق من الامتحان بتغيير الاحكام من القبلة وغيرها ولا في اختصاصكم به سبحانه دون اهل الكتاب
الجاحدين لاياته الناكبين عن مرضاته الناكثين لعهوده ولما نزه نفسه المقدسة عن هذه الاضاعة علل ذلك بما هو اعم
فقال ان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال بالناس اي الذين هم اعم من المومنين وغيرهم ممن ينوسون بين حال الهدى
والفتنة لروف اي فيرحم من يشا ممن توصل اليه بعمل صالح رافة منزه فان الرافة كما قال الحرالي في التفسير عطف العاطف
على من يجد عنده منه وصلة فهي رحمة ذي الصلة بالراحم قال والرحمة نعم من لا صلة له بالراحم وقال في شرح الاسما
ان المروف به يقيمه عناية الرافة حتى تحفظ بمسراها في سره ظهور ما يستدعي العفو لاجله على علنه انتهى وذلك مقتض
لكونها اشد الرحمة وابلغها والطفها كما قالوه رحيم لمن يشا ولو لم يكن منه سعي في الوصلة فتقتلعه من ذنوبه اقتلاعا
اشد ما كان بها اعتلاقا فتقيمه فيما ترضاه الالهية وذلك مع موافقته لما قالوه العلما ترق من العالي الى الاعلى فان
رحمة من لا سبب منه يقتضي العطف عليه ابلغ في نوعها من حيث كونها ابتدا والاولى ابلغ في نفسها لما اقتضاها من السبب
فان كان المراد بالناس العرب فهو بشارة له صلى الله عليه وسلم بانه يقر عينه بجعلهم من حزبه بالتثبت لمن كان اذ ذاك
مقبلا والاقبال لمن كان مدبرا وان كان المراد اعم منهم فهو بشارة باتباع اكثر الخلايق له صلى الله عليه وسلم فاذا نزل عيسى
عليه السلام وقع العموم الحقيقي في الطريق المحمدي باتباع الكل له صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون تعليلا للكلام من
اوله فيكون المعنى ان صفتي رافته ورحمته مقتضيتان للتمييز بين المومنين وغيرهم للعدل بين الناس لان تسوية المصلح
بالمفسد يوم المصلح وسياتي ان شا الله تعالى في آخر براة ما ينفع استحضاره هنا ولما اشعر الكلام السابق اهل البلاغة
باحداث امر في القبلة فتوقعوا الخبر عن ذلك وبين رافته ورحمته بالناس عموما بين ذلك برسوله خصوصا بان تحويله
الى الكعبة رافة منه به ورحمة له مع ما تقدم من فوايده فقال تعالى قد نرى تقلب وجهك قال الحرالي فيه نبا اسماع
لمن يرتقب امرا او خبرا يفيد مع المستقبل ندرة الوقوع ففيه اعلام بان النبي صلى الله عليه وسلم لما انطوى ضميره على ارادة
التوجه للكعبة التي هي قيام للناس حين كان هو رسولا لكافة الناس وكان صلى الله عليه وسلم على ملة ابيه ابرهيم عليه السلام

يكتفي

يكتفي بعلم الله به عن مسئلته لان الدعا للطالبين قضا حاجة وللمكتفين بعلم الله عبادة اجاب الله تقلب وجهه على قلة وقوع
ذلك منه على ما تشعر به قد بالتعليل للتقلب وللرؤية في السماء فيه اعلام بما جعله من اختصاص السماء بوجه الداعي كما
اختص غيب القلوب بوجهة المصلي فالمصلي يرجع الى غيب قلبه ولا يرفع طرفه الى السماء لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى
السماء في الصلوة او لتخطفن ابصارهم والداعي يتوجه الى السماء ويمد يده كما قال حتى راينا عفرة ابطيه انتهى ملخصا
فلنولينك اي فتسبب عن تلك الرؤية انا نوليك اي نتبعك ونوجهك من غير شك قبلة قال الحرالي نكرها لما كان من
ورائها قبلة التوجه العام في تنقله فتلك هي القبلة التي توجه لوجه الله لا توجه لنظر باد من خلق الله فكان متسع القبلة
ما بين اختصاص القبلة الشامية الى قيام القبلة الحجازية الى احاطة القبلة العامة الافاقية وفي قوله ترضاها انباء
باقراره للتوجه لهذه القبلة لان الرضى وصف المقر لما يريد فكل واقع بارادة لا يكون رضى الا ان يستدركه الاقرار فان
تعقبه الرفع والتغيير فهو مراد غير مرضي انتهى ودل على ان مرضية الكعبة بفا السبب في قوله فول وجهك واما قلبك
فانما توجهه الى الله الغيب للغيب والظاهر للظاهر شطر اي عين المسجد كما استدل الشافعي رحمه الله في الرسالة على ذلك
بجملة من اشعار العرب وقال اذا قلت اقصد شطر كذا معروف انك تقول اقصد قصد عين كذا يعني قصد نفس كذا ثم قال
وهذا كله من اشعارهم يبين ان شطر الشي قصد عين الشي اذا كان معاينا فبالصواب وان كان مغيبا فبالاجتهاد انتهى وكان
حقيقته الموضع المتنصف منه وهو الذي اذا قسم من عنده كان شطرين متساويين الحرام وتعبيره بهذا دون الكعبة
فيه توسعة قال الحرالي سماه الله حراما لحرمته حيث لم يوطا قط الا باذنه ولم يدخل الا دخول تعبد وذله فكان حراما
على من يدخله دخول متكبر او متجبر انتهى وعن الامام الماوردي ان كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم الا
هذا فالمراد به الكعبة انتهى وعبر عنه بذلك لان السياق للصلوة التي هي اعظم مقصودة السجود وسياتي عند يسئلونك
عن الشهر الحرام وفي الموطا عن سعيد بن المسيب انه قال صلى الله عليه وسلم بعد ان قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت
المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر شهرين ولما بشره سبحانه بالتحويل اولا واوقع المبشر به ثانيا اشار اليه بشارة ثالثة
بتكثير امته ونشرهم في اقطار الارض بجمعهم اليه في قوله وحيث ما كنتم اي من جهات الارض التي اورثكم اياها فولوا
اي ميلوا وقربوا واتبعوا موجهين وجوهكم شطره بتوجيه قلوبكم الي ولما حرر ذلك وقرره بين ان العالمين بدينه
لذلك من اهل الكتاب عالمون بحقية هذا التحويل وانه من اعلام نبوته فقال وان الذين اوتوا الكتاب اي اليهود
والنصارى ولم يصفهم هنا بالسفه لاثبات العلم في قوله ليعلمون انه اي هذا التحويل الحق اي الذي ليس بعده في امر
القبلة حق آخر يرفعه اصلا من ربهم اي المحسن اليهم بارسال هذا الرسول الذي يرفع عنهم امرهم وكانوا ينتظرون
رسالته فعند ما اتاهم ردوا رحمته وجعل سبحانه ذلك في سياق مهدد لهم مرج له ولاتباعه تسلية لهم وتثبيتا
وتقوية لعزايمهم وتمكينا حيث ختم الاية بقوله وما الله اي المحيط بكل شي علما وقدرة بغافل عما تعملون قال
الحرالي بالياء اي التحتانية اعراضا عنهم وبالتاء اقبالا عليهم ففيه انباء بتماديهم على سوء احوالهم في رتبتين في متماد
على سوء هدد فيه بما اقبل عليه وفي متماد على اسوا منه اوجب في تهديده الاعراض عنه والاقبال على غيره ممن لم يصل في
السوء والمكايدة الى ما وصل اليه المعرض عنه ولما اطمع اول الاية في اهل الكتاب وقطع عنهم اخرها صرح بما لوح اليه
هذا الآخر واعلمه صلى الله عليه وسلم بعاقبة امرهم وانه لا اتفاق بينه وبينهم اصلا ولا اتفاق بين فريقيهم مع كون
الكل من بني اسرائيل ليريحه صلى الله عليه وسلم من التطلع الى هدي بعضهم فقال تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا بناه للمجهول
تنبيها على هوانهم الكتاب اي من اليهود والنصارى بكل اية اي من الايات المسموعة مرغبة ومرهبة ومن الايات المرئية
مغربة ومقربة ما تبعوا قبلتك اي هذه التي حولت اليها وكنت الحقيق بها لكونها قياما للناس كما انت رسول الى جميع
الناس لان اعراضهم ليس عن شبهة اذا زالت زال بل عن عناد ثم اوماء له الى انهم ينصبون له الحبايل ليعود ولو ساعة
من نهار الى قبلتهم ليقدحوا بذلك فيه فقال وما انت بتابع قبلتهم ثم اشار الى عيبهم باختلافهم وتفرقهم مع نهيهم
عنه فقال وما بعضهم اي اهل الكتاب بتابع قبلة بعض مع تقاربهم في النسب وذلك حثا للعرب على الثبات على
مباعدتهم والحذر من مخادعتهم ولما كان دينهم قد نسخ اعلم سبحانه بان ثباتهم على قبلتهم مع ذلك مجرد هوى فقال
منفرا للامة عنهم ومحذرا لهم منهم بخطاب الراس ليكون ذلك ادعى لقبول الاتباع ولئن اتبعت اهواءهم ولما كان هذا
السياق لامر القبلة فقط قال من بعد ما جاءك من العلم قال الحرالي فابهمه ولم يكن نحو الاول الذي قال فيه بعد الذي لظهور
ما ذكر في الاول وخفا ما وقعت اليه الاشارة في هذا وجاءت فيه من التي هي لابتداء من اوليته لخفا مبدا امر ما جاء من العلم
هنا وظهور ذلك الاول لان ذلك كان في امر الملة التي ماخذها العقل وهذه في امر التوجيه التي ماخذه الدين والغيب
قال تعالى انك اذا لمن الظالمين على حد ما ذكر من انه من لمح لمحا من وصف كان من الموصوف به بالطف لطف ووصف كل رتبة
بحسبها فما يرفع عنه النبي صلى الله عليه وسلم من باب اظهار رغبته وحرصه على هداية الخلق الذي جبل على الرحمة فيه
وطلب المسامحة في التقاصر عنه نظرا منه الى حق الله ومضمون وصية الله له حين اوصاه بغير ترجمان ولا واسطة ان
يصفح عمن ظلمه ويصل من قطعه فكان صلى الله عليه وسلم يطلب وصل المنقطع عنه حتى يعلن عليه بالاكراه في ترك
ذلك وورعه فيجيبه حكما وان كان معه علما ومنه قوله اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففي طي كل خطاب له يظهر

ن
من مخادعتهم ق

الله عز وجل فيه اكراهه على اخذ حكم الحق وامضاء العدل اعظم مدحة له والتزام لوصيته اياه فهو ممدوح بما هو مخاطب
بخطاب الاكراه على امضاء العدل والاختصار في امر رحمته للعالمين فرفعه الله ان يكون ممن يضع رحمة في موضع استحقاق وضع
النقمة فذلك الذي يجمع معناه بين متقابل الظالمين فيمن يضع النقمة موضع الرحمة فيكون ادنى الظلم او من يضع الرحمة في موضع
النقمة فيكون منه بتغيير الوضع بوضع الفضل موضع العدل وعلى ذلك جميع ما ورد في القران من نحو قوله فان كنت في شك مما
انزلنا اليك فسال الذين يقراون الكتاب من قبلك لقد جاك الحق من ربك اي في امضاء العدل فلا تكونن من الممترين في طلب
الفضل لاهل العدل فان الله يمضي عدله كما يفيض فضله وكذلك قوله عبس وتولى ان جاه الاعمى الايات فيها اظهار لمدحته بحرصه
على تالف الابعدين ووصل القاطعين حتى ينصرف عنهم بالحكم واشارة الاكراه عليه في ذلك فلا ينصرف عن حكم الوصية الى حكم
الكتاب بالحق الا عن اشادة باكراهه عليه فهو محمود بما هو مبني عنه لان خطابه ابدا في ذلك في القران فيما بين الفضل والعدل
وخطاب ساير الخلق جار فيما بين العدل والجور فبين الخطابين ما بين درج العلو ودرك السفل في مقتضى الخطابين
المتشابهين في القول المتباينين في العلم انتهى وسياتي في قوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم في سورة التوبة ما يوضحه ولما
ختم الخطاب بالاشارة بقوله اهواهم الى علمهم بحقية هذا التحويل تلويحا كما فتحه بالاعلام به تصريحا كر على تاكيد الاعلام بما هم
عليه في امرها من التحقق اشارة الى ما تبطنوه من العناد الموجب للتمادي في الفساد فقال مضمرا له على وجه يصلح ان يكون
للنبي صلى الله عليه وسلم معظما لهذه المعرفة باسناد الايتاء اليه سبحانه **الذين اتيناهم** اي بما لنا من العظمة التي بها عارفون
الكتاب يعرفونه لا يشكون في حقية ذلك بوجه لظهور دلايله عندهم لانهم يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم بجميع نعوته
معرفة لا يشكون فيها لكونها عن الله الذي لا خلف في قوله فبذلك صاروا يعرفون صحة هذا التحويل هذه المعرفة وذلك
كما انهم لا يشكون في شي مما تقع به المعرفة لابنايهم لشدة ملابستهم لهم والحاصل ان معرفتهم بنبوته تزيدهم في المعرفة
بحقية التحويل بصيرة لانه من نعته ومعرفتهم بامر التحويل تثبتهم في حقية نبوته لكونه مما ثبت منها ولذلك قال الحرالي
في انبايه تحققهم بعيان ما ذكر لهم من امره لان العارف بالشي هو الذي كان له به ادراك ظاهر بادلة ثم انكره لاشتباهه
عليه ثم عرفه لتحقق ذكره لما تقدم من ظهوره في ادراكه فلذلك معنى المعرفة لتعلقها بالحس وعيان القلب اتم من العلم الماخوذ
عن علم بالفكر وانما لم تجز في اوصاف الحق لما في معناها من شرط النكرة ولذلك يقال المعرفة حد بين علمين علم على يشهد
الاشيا ببواديها وعلم دون يستدل على الاشيا باعلامها وفيه اي التشبيه بالابناء انباء باتصال معرفتهم به كيانا الى
ظهوره ولو لم يكن شاهده عليهم الا ارتحالهم من بلادهم من الشام الى محل الشدايد من ارض الحجاز لارتقابه وانتظاره فلما
جاهم ما عرفوا كفروا به واجرى المثل بذكر الابناء لاشتداد عناية الوالد بابنه لاعلاقه بفواده ففيه انباء بشدة اعتلامهم
به قبل كونه **وان فريقا منهم** اي اهل الكتاب **ليكتمون الحق** اي يخفونه ولا يعلنونه ولما كان لا يلزم من ذلك علمهم به
ولا يلزم من علمهم به استحضاره عند الكتمان قال **وهم يعلمون** اي انه حق وانهم اثمون بكتمانه فجعلهم اصنافا صنفا
عرفوه فاتبعوه وصنفا عرفوه فانكروه كما في افهامه وفريقا علموه فكتموه وفي تخصيص هذا الفريق بالعلم اشعار
بفرقان ما بين حال من يعرف وحال من يعلم فلذلك كانوا ثلثة اصناف عارف ثابت وعارف منكر هو ارداوهم وعالم
كاتم لاحق به وفي مثال يكتمون ويعلمون اشعار بتماديهم في العلم وتماديهم في الكتمان ولان هذا المجموع مفيد قهر الحق
للخلق بما شا منهم من هدى وفتنة لتظهر فيها رحمته ونعمته وهو الحق الذي هو ماضي الحكم الذي جبلة محمد صلى الله عليه
وسلم تتقاضى التوقف فيه لما هو عليه من طلب الرحمة ولزوم حكم الوصية خاطبه الحق بقوله **الحق** اي هذا التفريق
والتصنيف الموجب لعمارات درجات الجنة وعمارات دركات النار هو الحق او يكون المعنى الحق الذي اخبرت به في هذه
السورة او الايات او جنس الحق كاين **من ربك** اي المحسن اليك بطرد من يضر اتباعه لما هو محسن اليك بالاقبال
بمن ينفع اتباعه **فلا تكونن من الممترين** فيما فسر نحوه من اشتباه المرتبتين الواقعة منه فيما بين الفضل والعدل
والواقعة من غيره فيما بين الجور والعدل انتهى وفيه زيادة وتغيير وفي تاكيد الامر تارة بالعلم وتارة بالمعرفة
وتارة بغيرهما تاكيد لوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم وازاحة لما يلقيه السفها العالمون به من الشبه قال الحرالي
والممتري من الامترا وهو تكلف المرية وهي مجادلة تستخرج السوء من خبيئة المجادل من امترا ما في الضرع وهو استيصاله
حلبا ولانه حال الشاك ربما اطلق عليه ولما بين ان احدا من هولاء الفرق لا يتبع قبلة الاخر وتضمن ذلك ان لكل منهم
قبلة وقرر ان ذلك من اهل الكتاب على وجه العناد اثبت ما تضمنه الكلام السابق على وجه اعم منه وسبب عنه
النتيجة فقال تعالى **ولكل** اي لكل فريق من المذكورين وغيرهم **وجهة** اي مقصد يقصده ويوجه وجهه اليه
ويقبل بقلبه عليه من القبلة للصلوة وغيرها من جميع المقاصد **هو موليها** ان كسر اللام كان المعنى هو متوليها
اي فاعل التولية اي مايل اليها بوجهه ومستقبل وتابع لها لان المادة تدور بكل ترتيب على الميل كما ياتي ان شا الله
تعالى في اخر الانفال فيكون ولن بمعنى تولى كقدم بمعنى تقدم ومن المعلوم الفرق بين تولاه وتولى عنه دار فتح
فالمعنى هو مايل اليها قال الحرالي وفي قراة موليها بالكسر اشعار باختلاف جبلات اهل الملل واقامة كل طايفة منهم
بما جبلت عليه وفي قراة **مولاها** اظهار حقيقة ذلك وانه ليس ذلك منهم بل بما اقامهم فيه المولى لهم حيث شاوا بهم
فيه المولى لما كان في طوايف منهم حظ هوى وهو من التوليه وهو ما يجعل الجسد او القصد اي يكون بين يديه

تمام

ملاصقا

ملاصقا له انتهى ولما كان فعلهم هذا انما هو لاجل تزكية النفس وخلاصها وكان ذلك لا يحصل الا بفعل الخير واجتناب الشر سبب عنه قوله فاستبقوا الخيرات اي فاجعلوا انتم مقصدكم انواع الخير من القبلة وغيرها وتسابقوا في قصدكم اليها اي كونوا في المبادرة الى افعال الخير كمن يسابق خصما فهو يجتهد في سبقه فان الاستباق تكلف السبق والسبق بروز احد المتجاريين ثم حثهم على ذلك وحذرهم من تركه بقوله على وجه التعليل اينما تكونوا اي من الجهات التي استبقتم اليها الحسية والمعنوية يات بكم الله اي الملك الاعظم جميعا منها اليه في يوم البعث ثم علل هذه العلة بقوله ان الله اي الذي له الامر كله على كل شئ قدير وفي ذكر البعث هنا معادلة بين القبلتين قبلة اهل الفضل الامة الوسط التي جعلت محل الامن والقبلة الاولى قال الحرالي من حيث يرد الخلق في البعث الى موطن القبلة السابقة من ارض الشام فيكون موطن الحق والعدل اولى القبلتين بذلك الآن اعلى القبلتين موطن امنة من حيث ان من دخله كان امنا فكان المحشر الى قبلتهم الاولى التي هي بداية الامر ليطابق الآخر من القبلتين الاولى من حيث كان الآخر في الدنيا للتفضل والاول في الآخر للعدل ومن الدعوتين من حيث كانت الدعوة الاولى في الاولى حكما وعلما والاتيان الاخرى العقبى فخرا وملكا ولما عظم في شان القبلة انتشار اقوالهم في تنويع شكهم وجدالهم وكانوا اهل علم وكتاب وقدمرت لهم دهور وهم موسومون بالفهم على صواب فاشواب لذلك النفاق ودارت رحى الباطل والشقاق وقامت سوق الفسوق فيما هنالك على ساق كان الحال مقتضيا لمزيد تاكيد لامرها تعظيما لشانها وتوهيه لشبه السفهاء فقال تعالى ثانيا معبرا بعبارة مشعرا باهانته صلى الله عليه وسلم وانتظار المصلين له ومن حيث خرجت اي للصلوة المفروضة باتباعك من هذه الجهة التي انت بها الآن بالمدينة الشريفة التي هي شمال الكعبة المشرفة او من غيرها من الجهات من الشرق والغرب والجنوب فول وجهك اي عين المسجد الحرام واما قبلك فهو الى الله ولما كان التقدير فانك مامور بذلك ليلا يظن ان ذلك انما عمل لتطلعه صلى الله عليه وسلم اليه وهو فيه بالخيار قبطن ان الرجوع الى القبلة الاولى مصلحة لما انتشر في ذلك من الكلام الذي نفد في القلوب نفوذ السهام عطف عليه قوله وانه للحق من ربك موكدا له بانواع التاكيد تضيفا له الى صفة الاحسان باحسان التربية والنظر في ادبار الامور واحكامها ولما كان التقدير وان ربك عالم بما قالوه من الشبه التي دارت بين الناس وخيفت عاقبتها عطف عليه ما هو اهم منه فقال وما الله اي الذي له الاحاطة الكاملة بغافل عما اي عن شئ مما يعملون اي السفهاء من اليهود وغيرهم في مستقبل الزمان فيوهيه ويبطل اذاه ويرميه ويبعده ويقصيه وعلى قراءة الخطاب انتم في هذا الوقت وبعده فيعليه ويثبته ويبقيه ان كان خالصا لوجهه والا جعله هباء منثورا قال الحرالي ومن التفت بقلبه في صلوته الى غير ربه لم تنفعه وجهة وجه بدنه الى الكعبة لان ذلك حكم حق حقيقته توجه القلب ومن التفت بقلبه في اي شئ من الخلق في صلوته فهو مثل الذي استند بربوجهه فتهلته فكما يتداعى للاجزاء الفقهي باستبار الكعبة خشاشا فكذلك يتداعى القبول باستبار وجه القلب عن الرب غنيا فلذلك اقبل هذا الخطاب على الذين امنوا والذين اسلموا لانه هو صلى الله عليه وسلم مبرا عن مثله انتهى ومن حيث خرجت اي من بقاع الارض للصلوة باتيتك فول وجهك اي اجعله بلي شطره اي عين المسجد الحرام ولما تقرر بما تكرر ان هذا التحويل فرض في حقه صلى الله عليه وسلم حتم لا فتور عنه ولا رخصة فيه الا ما استثني في النفل اذ خل معه امته ليعمهم الحكم ورتبا بمنصبه المنيف وقدره الشريف عن ان يكون لاحد عليه ما يسمى حجة بحق او باطل فقال وحيث ما كنتم اي ايها الامة من جميع جهات الكعبة في جميع اقطار الارض الدانية والقاصية قال الحرالي وذكر في امته بالكون لا بالخروج اشعارا بتقاصر الامة عن علو احوال الائمة وان حال الامة في خلوتهم كحالهم في جلوتهم انتهى فولوا وجوهكم اي اجعلوها واليه شطره للصلوة قال الحرالي وفيه اشعار بالحفظ صحة صلوا فرادى وفي بيوتهم كما قال اذا جئت فصل مع الناس وان كنت قد صليت في اهلك بخلافه هو صلى الله عليه وسلم فان صلوته لا تقع الا جماعة من حيث انه يصلي لهم وانه امام لا تتم صلوته فذا انتهى ولما كان ربما ظن ان الرجوع الى القبلة الاولى يزيل الكلام بين سبحانه ان الامر بخلاف ذلك فقال ليلا يكون للناس اي لاحد منهم عليكم حجة بان يقولوا النبي المبشر به يستقبل بيت ابرهيم عليه السلام ثم لا يتحول عنه وهذا لم يفعل او يقولوا اما جاء بشئ جديد وانما هو تبع لنا في قبلتنا ولما كانت الحجة كلاما ينشا عن مقدمات يقينية مركبة تركيبا صحيحا وقع الاستثنا باعتبار تلبس المستثنى بجزء المعنى الذي نفي عن المستثنى منه بدلالة التضمين فهو قريب من الاستخدام فقال الا الذين اي الناس الذين ظلموا منهم فانهم لعنادهم ولدادهم لا يرجعون الى الحق الذي يعرفونه بل يكون لهم عليكم مجرد كلام هو مادة الحجة لا حجة بما دل عليه وصفهم بالظلم الذي هو وضع الشئ في غير محله كما هو شان كل ما شرع في ماخذ الاشتقاق الذي هو الظلام ويكون الاستثنا على هذا منقطعا بمعنى لكن فلا يحتج احد عليكم لكن الذين ظلموا يقولون او يظهرون حجرا ولددا في ذلك كلاما يسمونه حجة ولعل السر في تصويره على تقدير الانقطاع بصورة الاستثنا الحث على الثبات على امر الله والاعراض عمن خالفه نظرا الى ما تاصل من ابطاله واستحضارا لما ظهر من فاسد احواله وان ابدى من الشبه ما يخفي امره ويصعب على بعض المحققين حله حتى يظن حجة ويجوز ان يراد بالحجة اعم من القطعي والظني فيكون الاستثنا متصلا قال السفاقسي وثمار الخلاف هل الحجة الدليل الصحيح والاستثنا منقطع او الاحتجاج

والخصوصية فهو متصل انتهى ووصفها بالاستعلاء عليهم لما يحصل لهم من الاذى بدوامها على العداوة والشقاق لا بتغيرها
في وجه شئ من الادلة والذين ظلموا ان اريد بهم اليهود فانهم يقولون ما رجع الى الكعبة الا محبة لبلده ولو كان في قبلتنا على امر
من اهوائه ما تحول عنه وان كان المشركين فهم يقولون استقبل بلدكم ومسجدكم ونوشك ان يدين دينكم ولما نفى عن اهل هذه
القبلة بالثبات عليها كل سبيل تسبب عنه قوله فلا تخشوهم اي في هذا الامر وغيره فاني ارد عنكم كيدهم واوهن ارجم
ولما بين لاحكام فعله ومضى ما يريد من ربطه وحله حثهم على لزوم هذه القبلة محذرا من مخالفته في شئ من الاشياء فقال
على علة واخشون ثم عطف الاستقبال قوله ولاتم اي لهذا الدين المفيد لعز الدارين ونعيمها الذين من جملته هذا الاستقبال
لنعمتي عليكم بالتمكين من الحجة وغيره من امور الدين حين انزل عليكم اية اليوم اكملت لكم دينكم كما اتممتها على ابرهيم خليلي صنا
هذا البيت الذي وجهتكم اليه قال الحرالي وفي طيه بشري بفتح مكة واستيلاء على جزيرة العرب كلها وتمكنه بذلك
من سائر اهل الارض لاستغراق الاسلام لكافة العرب الذين فتح الله لهم له مشارق الارض ومغاربها التي انتهى اليها ملك
امته انتهى ولعلكم تهتدون اي ولتكونوا على رجاء عند انفسكم ومن يراكم ممن لا يعلم العواقب من ان تهتدوا الى الثبات
على هذه القبلة وغيرها من امر هذا الدين بسبب خشيتي فانها جالبة لكل خير ودافعة لكل ضير قال الحرالي وفي كلمة لعل
ما تقدم ابهام يشعر بتصنيفهم صنفين مهتد للثبات على السنة ومتغير فيه بوجه من وجوه بدعة لما ذكر من ان ما هو للخلق
تردد فهو من الحق تقسيم وابهام في تعيين ذلك التقسيم والتصنيف ففيه اعلام لقوم بالاهتداء الدايم بما نبههم صيغة
الدوام واشعار بانقطاع قوم عن ذلك التمادي بما يفهمه ما هو للخلق بموضع الترجي وفي طيه اشعار باستدبارهم بالامر بعد
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانتشارهم فيه بين ثابت عليه دايم الاهتداء فيه ومتغير عنه كما ظهر فيما كان من ثبات من
ثبت بعده ورده من ارتد انتهى كما اي وجهناكم الى الكعبة لهذه العلل كما ارسلنا اي بعظمتنا فيكم لاجل ذلك بعينه
وليلا يقولوا ما كانوا يقولون من انكم لاحرمة لكم لاشراكم ولا اثم علي من اذاكم فتم عليكم النعمة بارسال من يستنقذكم
اتباعه من الجهل والذل في الدنيا ومن العذاب في الاخرى رسولا متصفا بانه منكم تعرفون من صفاته العلي وهمه الشم
الحاملة على اتباعه والتيمن برايه ما لا يعرفه غيركم يتلوا عليكم اياتنا الحافظة لمن رعاها حق رعايتها على الصراط
المستقيم عوضا من تناشدكم الاشعار قال الحرالي وفيه اخذهم بما هو في طباعهم من ايثار امر السمع على امر العين الذي عليه
جبلت العرب لانها امة توثر مسموع المدح والثناء من الخلق على ما تناله من الراحة فتجهد في طلب الثناء من الخلق عالم تجهد
امة غيرها فكيف بها اذا كان ما دعيت اليه ثناء الحق عليها وتخليد ذلك لها في كلام هو كلام ربها فتنال بذلك ما هو
فوق مقصودها بما جبلت عليه من ايثار السماع على العين بخلاف ما عليه سائر الامم ثم قال وفيه اغناء العرب عن اعمال
افكارها في تكسب العلم والحكمة لتستخرج منه احكاما فكان في تلاوة الايات عليهم اغناؤهم عن الاستدلال بالدلايل واخذ
الامور بالتواخذ وتولي الله ورسوله تعليمهم ليكون شرف المتعلم بحسب علاء من علمه فعلم العرب على سائر العالم
كفضل النبي صلى الله عليه وسلم على معلميهم ممن سواه صلى الله عليه وسلم انتهى ولما كان السياق للفعل من الانعام وهو التوجه
الى البيت للصلوة وكانت الصلوة اعظم مظهر للقلوب من اوضار الادناس قدم قوله ويزكيكم اي يطهركم في اقوالكم وافعالكم
وينميكم بانعاش قلوبكم لتشرف بالمعاني الصالحة والاخلاق الطاهرة الموجبة للفوز الدايم والنجاة مما دنس اليهود واوجب
لهم الضلال من مرضي القلب بانكار النسخ وكتم الحق وافشاء الباطل المتمرم الضلال للاضلال قال الحرالي انباهم
بان هذا التنزيل لانفسهم الغذآ الابد ان فكما تتنامى اجسادهم بما المزن وما منه فكذلك تتنامى انفسهم باحكام الكتاب
وتلاوة الايات وذلك زكاؤها ونماؤها لتتاكد فيه رغبتهم لان للمعتري رغبة في الغذآء اذا تحققها فمن علم ان التزام
الاحكام غذآ النفس حرص عليها ومتى نمت النفس وزكت قويت على ما شاقها ان تناله قواها كما ان البدن اذا قوي بالغذا
تمكن مما شانه عمله انتهى ويعلمكم الكتاب المقيم الدين والدنيا قال الحرالي اي الفقه فيه والحكمة اي دقايق الاسرار
الشافية لامراض القلوب المانعة من اتباع الهوى قال الحرالي فخص تعليم الحكمة من عموم تعليم الكتاب لان التوسل بالاحكام
جمة عمل والتوسل بعلم الحكمة يسر منال عقل لان الحكمة منال الامر الذي فيه عسر لسبب فيه يسر فينال الحكيم بحكمته
الاطلاعة على افضا المجعول الاسباب بعضها لبعض مما بين اسباب عاجل الدنيا ومسببات آجل الاخرة ما لا يصل اليه
جهد العامل الكادح وفي تكميل الكتاب والحكمة بكلمة الى انهآء الى الغاية الجامعة لكل كتاب وحكمة بما يعلمه الاولون
والاخرون ثم قال وبذلك كان صلى الله عليه وسلم يتكلم في علوم الاولين بكلمات يعجز عنها ادراك الخلق نحو قوله
صلى الله عليه وسلم استاكوا بكل عود ما خلا الآس والرمان فانهما يهيجان عرق الجذام لان الخلق لا يستطيعون
حصر كليات المحسوسات غاية ادراكهم حصر كليات المعقولات ومن استجلى احواله صلى الله عليه وسلم علم اطلاع
حسه على احاطة المحسوسات واحاطة حكمها والسنتها ناطقها واعجمها حيها وجمادها جمعا لما في العادة حكمة ولما
في خرق العادة اية ثم قال فعلي قدر ما وهب الله العبد من العقل يعلمه من الكتاب والحكمة يوثر عن عمر رضي الله عنه
انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم ابا بكر رضي الله عنه فكانما يتكلمان بلسان اعجم لا افهم مما يقولان شيا
ولما كان انتهآء ما في الكتاب عند هذه الغاية انبآء تعالى ان رسوله صلى الله عليه وسلم يعلمهم عالم يكن في كتابهم
منال علمه ففيه اشعار بفتح وتجديد فطرة يترقون لها الى عالم يكن في كتابهم علمه انتهى وذلك لان استعمال الحكمة موجب

للترقي فقال تعالى ويعلمكم ما لم تكونوا اي من الاستنباط من الكتاب من المعارف بما يدريكم به من الاقوال والافعال
وسلككم فيه من طرق الخير الكاشفة لظلام الظلم الجالية لمرائي الافكار المنورة لبصائر الاعتبار ولما كان من المعلوم
ان هذا الخير الذي لا يفتر عنه ذو بصيرة ولا يقصر دونه من له ادنى همة انما كان بذكر الله للعرب تفضلا منه عليهم بعد طول
الشقا وتمادي الجهل والجهد والعنا رغبهم فيما يديم ذلك مسببا له عما تقدم فقال فاذكروني اي لاجل انعامي عليكم بهذا
وبغيره اذكركم فافتح لكم من المعارف وادفع عنكم من المخاوف ما لا يدخل تحت حد واشكروا لي وحدي من غير شريك تشركونه
معي ازدكم واكد هذه الاشارة بقوله ولا تكفرون اي اسلبكم قال الحرالي ولما كان للعرب ولع بالذكر لابائهم ولوقائعهم
ولايامهم جعل تعالى ذكره لهم عوض ما كانوا يذكرون كما جعل كتابه عوضا من اشعارهم وهز عزائمهم لذلك بما يسرهم به من
ذكره لهم انتهى ولما ختم الايات الامرة باستقبال البيت في الصلوة بالامر بالشكر ومجانبة الكفر وكان ذلك راس العبادة
وفاعله شديد الافتقار الى المعونة التفت الى قوله تعالى في ام الكتاب اياك نعبد واياك نستعين فامرهم بما تضمن
ذلك من الصبر والصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر عالما بانهم سيمتثلون حيث عصى بنوا اسرائيل حين امرهم
بمثل ذلك في اول قصصهم بقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين الى ان قال واستعينوا بالصبر
والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فكان في ذلك اشارة الى انهم هم الخاشعون وحسن موقع هذه الاية بعد اذى
اهل الكتاب بنسبتهم لهم الى ان بطلان الدين بتغيير الاحكام ونحو ذلك من مر الكلام كما في الاية الاخرى ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وكونها
عقب الامر بالذكر والشكر ايما الى ان ملاك كل منهما الصبر والصلوة فكانه قيل لا تلتفتوا الى طعن الطاعنين في امر القبلة
فيشغلكم ذلك عن ذكري وشكري بل اصبروا وصلوا الى متوجهين الى القبلة التي امرتكم بها عالمين ان الصبر والصلوة
نعم العون على كل ما ينوب من دين ودنيا وارشق من هذا ان يقال ولما علم من هذه الايات اتصال ما بينهم وبين السفها
وامرهم بالدوا المنجح من الاعراض عنهم والاقبال على ذكره وشكره اتبع ذلك للاشارة الى ان الامر يصل الى اشد مما توهموه
فقال يا ايها الذين امنوا مخاطبا لهم على وجه يشمل الكامل صلى الله عليه وسلم ولعله صرف الخطاب عنه لما في السياق
مما يحمى عنه صلى الله عليه وسلم مقامه العالي استعينوا بالصبر اي على ما تلقون منهم وعلى الاقبال علي لاكفيكم كل منهم
والصلوة فاني اكبر معين لانها اجمع العبادات فمن اقبل بها على مولاه حاطه وكفاه لاعراضه عن كل ما سواه لان ذلك شان
كل كبير في من اقبل بكليته عليه ولما كانت الصلوة لا تقوم الا بالصبر اقتصر على التعليل به فقال ان الله اي الذي له الكمال
كله مع الصابرين اي ومعلوم ان من كان الله معه فاز قال الحرالي وايسر الصبر صبر النفس عن كسلها باخذها بالنشاط
فيما كلفت به ولا يكلف الله نفسا الا ما اتاها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها فمتى يسر الله عليها الجد والعزيمة جعل لها فيما
كانت تصبر عليه في الابتدا الاستخلافية وخفت عنها وظيفة الصبر ومتى لم تصبر عن كسلها وعلى جدها تدنست فنالها
عقوبات الصبر عليها اشد من الصبر الاول كما ان من صبر عن حلو الطعام لم يحتج ان يصبر على مر الدوا فان تحملت الصبر
على عقوبات ضياع الصبر الاول تداركها نجاة من اشتداد العقوبة عليها وان لم تتصبر على تلك العقوبات تلك
العقوبات وقعت في مهالك شدايد العذاب فقيل لاهلها اصبروا او لا تصبروا سوا عليكم ثم قال فبداية الدين صبر
وخاتمته يسر فان من كان الله معه رفع عنه موادة الصبر بوضع حلاوة الصحبة التي تشعر بها كلمة مع انتهى ولما اشار لهم
الى ما يستقبلونه من حال الظاعنين في دينهم ورقاهم في ذلك درجة بعد درجة اتبعه ما دل على ان الامر يصل الى القتل
وما داناه لياخذوا لذلك اهبته ويعتدوا له عدته وقال الحرالي ولما كان الصبر لله انما هو حمل النفس على ما تعهد
فيه كرهها انباهم الحق تعالى ان الصبر له ليس على المعهود وانه يوجد فيه عند تجشمه حلاوة لذة الحيوة وان كان ذلك
مما لا يناله شعور الذين امنوا لخفائه عن ادراك المعقول فانباهم بما يحملهم على تحمل الصبر في الجهاد في سبيل الله فقال
ولا تقولوا عطفا على متجاوز امور تقتضيها بركة الجهاد انتهى اي وجاهدوهم لتقتلوهم ويقتلوكم وتسلبوهم ويسلبوكم
ولا تقولوا او يقال ولما كان الصبر واقعا على امور اشقها الجهاد ثم الحج ثم الصوم وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد سالوا
عمن مات منهم على قبلة بيت المقدس فبين لهم ما صاروا اليه بقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم تسلى اية الصبر بتبيين
حال الشهدا المقتولين في الجهاد من المومنين دفعا لظن انهم اموات والتفاتا الى ما اشار به الى صيرورة الامر الى الحرب
حيث عاب المانعين للمسجد واخبر بانه سيحصل لهم خزي في الدنيا بالقتل والاسر وعذاب عظيم في الاخرة بالنار والسخط
وايما الى انه سياذن لهم في مقارعة لهم من امرهم بالصبر على اذاهم من اهل الكتاب حتى يمحقهم السيف ويسكنهم الذل
والخوف فالمعنى اصبروا على كل ما يقوله اهل الكتاب وغيرهم في امر القبلة وغيره وعلى كل ما يغير به الشيطان في وجه
الايمان وصلوا الى البيت الذي وجهتكم اليه وجاهدوا كل من خالفكم حتى يكون الدين لله صابرين على كل ما ينوب في ذلك
من القتل والنهب وغيره ولا تقولوا اذا قاتلتم الكفار المناصبين لكم من العرب وغيرهم من اهل الكتاب وغيرهم
لمن يقتل منكم في سبيل الله اي الذي له جميع صفات الكمال بان يقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا لا لشي غير ذلك من دنيا
او عصبية فانا سنكتب عليكم الجهاد ونستشهد منكم شهدا انهم اموات بل قولوا انهم شهدا فانهم ليسوا باموات
بل هم احيا وسياتي في ال عمران ان ذلك معنى الشهيد قال الحرالي فكانه تعالى ينفي عن المجاهد منال المكروه من كل وجه

يكون

حتى في ان يقال عنه انه ميت فحماه من القول الذي هو عندهم من اشد خرق من انفسهم لاعتلاق انفسهم بجميل الذكر ثم قال وابهم امرهم في هذه السورة ونفى عنهم القول لان هذه سورة الكتاب المدعو به الخلق وصرح بتفصيله في آل عمران لانها سورة قيام الله الذي به تجلى الحق فاظهر غيب امره في سورة اظهار امره واخفاه في سورة ظاهر دعوتهم انتهى ولما كان الحس قاصرا عما اخبر سبحانه قال منبها على ذلك ولكن لا تشعرون انهم احياء كما ترون النيام هموداً لا يتحركون ولا شعور لكم بمن فيهم ينظر الاحياء من غيره فلا تحزنوا عظم مزية ذلك في الدنيا ولا عيش ارغد منه في الاخرة واما المقتول من اعدائكم فليس له في الدنيا الا الجزي والفضيحة بالقهر والذل والهوان والعذاب الذي لا آخر له في الآخرة قال الحرالي قال ذلك نفيا بكلمة لا وشمال الدوام فنفيه اعلام بان الذين امنوا ليس في رتبتهم الشعور به اصلا الا ان يريهم الله بنار سنا القلوب وصف الانفس التي ما فوق ذلك من سنا المومنين الى سنا المحسنين الذين يشهدون من الغيب ما لا يشهده من في رتبة الذين امنوا انتهى وفي هذا اشارة الى ان كون الله معهم لا يمنع ان يستشهد منهم شهد آبل ذلك من ثمرات كون الله معهم حيث يطفى من استشهد منهم بسعادة الاخرى ومن بقي بسعادة الدارين وتلخيص ذلك ان يقال انه لما كان حاصل ما تقدم في هذه السورة ان اهل الارض كلهم قريبهم وبعيدهم وثنيهم وكتابيهم مطبقون على عداوة اهل هذا الدين وكان كثيرا ما يامرهم بالصبر على اذاهم اشتد تشوف النفوس الى انه هل يصل هذا الكف عن فعل فاشار الى انه شيا من بعد الصبر على اذى اللسان بالصبر على جلاد السيف والسنان امرا عاما فقال عاطفا هذا النهي على الامر بالصبر اي اصبروا الآن على هذا الاذى ثم اصبروا اذا امرتكم بالجهاد على وقع السيوف واقتحام الحتوف وفقد من يقتل منكم ولا تضعفوهم بالموت ولعله فاجاهم بما تضمنته هذه الاية توطينا لهم على القتل في سبيله وكان استشرافهم الى الحرب قد كثر وابشرهم بان القتيل فيه حي وان رئي ميتا تسلية لهم عن هذا الحادث العظيم والخطب الجسيم ولما كان من شان الطين الذي منه البشر وما تولد منه انه لا يخلص عن الشوائب الا بعد معاناة شديدة الا ترى ان الذهب اصفاه ولا يخلوا عن لغش ولا يجري عما خالطه من الدنس الا بالامتحان بشديد النيران قال تعالى معلما لهم التربية بما تحصل به التصفية بما تودي اليه مناصبة الكفار ومقارعة اهل دار البوار ولنبلونكم عطفا على ما ارشد اليه التقدير من نحو قوله قلنا مرنكم بمقارعة كل من امرناكم من قبل بمجاملته وليتمالان عليكم اهل الارض ولنبلونكم اي نصيبكم بالشبا اصابه تشبه فعل المختبر لاحوالكم ليظهر الصابر من الجزع وقال الحرالي فالصبر الاول اي في ان الله مع الصابرين عن الكسل وعلى العمل والصبر الثاني اي في وبشر الصابرين على مصايب الدنيا فلذلك انتظم بهذه الايات اية ولنبلونكم عطفا وتجاوزا للامور يوخذ بها من لم يجاهد في سبيل الله ضعفا عن صبر النفس عن كره القتال يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم فمن لم يجد الصبر الاول على الجهاد اخذ بامور هي بلايا في باطنه نجاوزها فانعطف عليها ولنبلونكم بشيء من الخوف وهو حذر النفس من امور ظاهرة تضرها والجوع وهو غلبة الحاجة الى الغذاء على النفس حتى تراي لاجله فيما لا تتامل عاقبته فاذا كان على غير غلبة مع حاجة فهو الجوع فلذلك في الجوع بلاء تما والجوع عادة جارية وقال ايضا الجوع فراغ النفس عما به قوامه كفراغ النفس عن الامنة التي لها قوام تما فقدها القوامين في ذات نفسها بالخوف وفي بدنها بالجوع لما لم تصبر على كره الجهاد وقد كان ذلك لاهل الصبر عليه اهون من الصبر على الخوف والجوع وانما كان اول ما يلم من هذا الابتلاء الخوف حيث خافوا الاعداء على انفسهم فجاء الى مواطنهم من لم يمش الى طبعه ليستريح جاء الطبيب لهلاكه وشتان بين خوف الغازي للعدو وفي عقره وبين خوف المحصر في اهله وكذلك شتان بين ارزاق المجاهد وتزويده وخير الزاد التقوى في سبيله لجهاده وبين جوع المتخلف في عيلته انتهى وكرر الشيء وما بعده حثا على الشكر بالاشارة الى ان كل ما اصاب منها ففي قدرة الله ما هو اعظم منه فعدم الاصابة به نعمة ولما كان الجوع قد يكون عن رياضة بين انه عن حاجة بقوله ونقص وهو التقاصر عن الكفاف من الاموال اي التي كانت منها اقواتهم قال الحرالي لان ذلك عرف استعمالهم في لفظ المال وقال ايضا والمال ما هو للمتمول بمنزلة الجزء منه عنده لمسالة لذلك منه فضاعف تعالى منال البلاء في ذوات انفسهم وابدانهم عنهم راحة تطلع الكفاية من الاموال في مقابلة ما ينال المجاهد العناء والرزق فالمجاهد آمن في جيشه متزود في رحله غانم من عدوه والمخلف خائف في اهله جايع في عيلته ناقص المال من ذات يده انتهى ولما كان ذلك قد يكون عن افراط في الكثرة قال والانفس قال الحرالي فيه اشعار بان من جاهد كثر عدده وتما ولده وان من تكاسل قل عدده ودرج خلفه وفي ضمنه اشعار بمنال المتكاسل حوائص من جوارف الاجال من الوبا والطاعون وغيره انتهى وقال والثمرات التي هي انفس الاشجار التي لها قوام انفس الابدان تخصيصا لها بالذكر لانها اعظم اموال الانصار الذين هم من اخص الناس بهذا الذكر لا سيما في وقت نزول هذه الايات وهو اول زمان الهجرة ولما كان السياق مرشدا الى ان التقدير فانذر من لم يصبر ولكنه طوى اشارة الى اجلال الذين امنوا عن ان يكون فيهم من لم يصبر عطف عليه ارشادا اليه وحثا على الصبر ثم الذكر الموجبين للنصر فقوله وبشر الصابرين وقال الحرالي ولما كان لهذا البلاء عن تكاسل من الصبر الاول كما قال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وكان هما يتداركه صبر عليه تدارك تعالى هذه الرتبة ببشرى الصابرين من هلكه ما ينال من لم يصبر على هذه المصيبة وضجر منها وتسخط فيها فكان للصابر الاول الصحبة بقوله ان الله مع الصابرين وكان للصابر الثاني البشرى بالسلامة من عقوبة الاخرة ومنالهم لما نولهم وشتان بين من كان الله معه وبين من قيل لنبيه بشر بصبره على بلاء التخلف ولما

كان للانفس مدخل في تحمل الصبر شرفا وحفيظة على الاحساب والرتب الدنيوية خلص تعالى الصابرين له من الصابرين ۝
تطبعا وتحاملا فقال الذين اذا اصابتهم من الاصابة وهي قرع المسدد على جد ما سدد له من موافق لغرض النفس او مخالف
لها مصيبة خصيصية عرف الاستعمال بما لا يوافق تكرها لخصوص ذكره انتهى والمراد اي مصيبة كانت ولو قلت وضعفت
بما افهمه تانيث الفعل قالوا انا لله اي الملك المحيط بكل شي اسلاما لانفسهم لربهم فهو يفعل بنا من هذه المصيبة وغيرها
ما يريد فهو المسول في ان يكون ذلك اصلح لنا ولما كان التقدير بيانا لكونهم لله تقريرا للاستسلام به نحن مبتديون عطف
عليه قوله وانا اليه اي لا الى غيره راجعون معنى ان في ان جميع امورنا لا يكون شي منها الا به وحثا بالبعث وظهور ذلك
بعده ظهورا تاما قال الحرالي ليكون ذلك غاية في اسلام ثمراتهم واموالهم نقصوا من انفسهم فحين لم يجاهدوا في سبيل الله
فاصابتهم المصايب كان تلافيهم ان يسلموا امرهم لله ويذكروا مرجعهم اليه ويشعروا ان ما اخذ من انفسهم وما معها ذخيرة
عنده فيكون ذلك شاهد ايمانهم ورجايهم للقايهم فتقع مجاهدتهم لانفسهم في ذلك بموقع جهادهم في سبيل الله الذي
فاتهم وجعلها تعالى جامعة مطلقة لكل من اصابته مصيبة فاسترجع بها ثبت اجره بما اصيب وتلافاه الله بالاهتداء
الى ما تقاصر عنه قبل ذلك قال اوليك خطابا لنبيه واستحضارا لهم بمحل بعد عن قربه وغيبته عن اقباله عليهم
قال عليهم صلوات صلوة الله على عباده هي اقباله عليهم بعطفه اخراجا لهم من حال ظلمة الى رفعة نورا قال هو الذي
يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات الى النور فبصلواته عليهم اخرجهم من جهات ما اوقعهم في وجوه تلك الابتلاآت
فلذلك كان صلوات بالجمع ولم يكن صلوة ليعد بها اصابهم منه عدد تلك الابتلاآت وفي قوله تعالى من ربهم اشعار بتدر
في ذلك بحكم تربية وتدارك الاحوال ما اصابهم قال تعالى ورحمة افرادا لمنالها لهم بعد متقدم الصلوات فنالتهم
الرحمة جمعا حين اخرجتهم الصلوات افرادا قال تعالى واوليك اشارة للذين نالتهم الصلوات والرحمة فابقاهم مع ذلك
في محل بعد في الحضرة وغيبة في الخطاب هم المهتدون فجا بلفظ هم اشعارا بصلاح بواطنهم عما جره الابتلا من انفسهم انتهى
والذي يلوح لي ان اداة البعد في اوليك اشارة الى علو مقامهم وعز مرامهم ولذا عبر عن هدايتهم بالجملة الاسمية على وجه
يفهم الحصر والصلوة الانعام بما يقتضي التشريف والرحمة الانعام بما يقتضي العطف والتحنن والله الموفق وفي ذلك اشارة
الى الامر بالاعراض عن اهل الكتاب فيما يطعنون عليهم به بالسنتهم والاملا لهم الى حين الاذن في مطاعنتهم بالرماح ۝
ومصالتتهم ببيض الصفاح كما في الاية الاخرى لتبلون في اموالكم واموالكم الى اخرها ويمكن ان يراد بالخوف الجهاد وبالجوع
الصوم وبنقص الاموال زكاة الصامت من المال وبالانفس زكوة الحيوان وبالثمرات زكاتها لكن الانسب لافتتاح الاية
واختتامها وما تقدمها وتلاها ان تكون مقصورة على الجهاد ولما فرغ مما اراد من احوال الطاعنين في القبلة التي هي قيام
الناس وما استتبع ذلك مما يضطر اليه في اقامة الدين من جدالهم وجلادهم وختم ذلك بالهدى شرع في ذكر ما كان
البيت به قياما للناس من المشاعر القايدة الى كل خير الحامية عن كل ضير التي جعلت مواقفها اعلاما على الساعة ولا سيما
والحج اخو الجهاد في المشقة والبروج عن الوطن وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم احد الجهادين مع انه من اعظم مقاصد
البيت المذكورة في هذه الايات مناقبه المتلوة مآثره المنصوبة شعايره التي هي في الحقيقة دعايمه من الاعتكاف والصلوة
والطواف المشار الى حجه واعتماره بقوله مثابة للناس وامنا فافصح به بعد تلك الاشارة بعض الافصاح اذ كان لم يبق من
مفاخره العظمى غيره وضم اليه العمرة الحج الاصغر لمشاركتها له في اظهاره فخاره واعلاء مناره فقال ان الصفا والمروة
فهو كالتعليل لاستحقاق البيت لان يكون قبله وعرفهما لانهما جبلان مخصوصان معهودان تجاه الكعبة اسم من الصفوة
وهو ما تخلص من الكدر واسم المروة من المرو وهو ما تحدد من الحجارة قاله الحرالي وخصهما هنا بالذكر اشارة الى انه بركة
الاقبال عليهما على ما شرع الله مفيده لحيوة القلوب بما انزل على هذا الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة الباقيين
الى اخر الدهر شفا للقلوب وزكوة للنفوس زيادة للنعمة بصفة الشكر وتعليما بصفة العلم كما كان الاقبال على السعي
بينهما تسليما لامر الله مفيد الحيوة ابيه اسمعيل عليه السلام ونفع من بعده بما انبع له من ماء زمزم الباقي الى قيام الساعة
طعام طعم وشفا سقم وفي ذلك مع تقديم الصفا اشارة للبصرا من ارباب القلوب الى ان الصابر لله الميسر فيما قبلها ينبغي
ان يكون قلبه جامعا بين الصلابة والصفا فيكون بصلابته الحجرية مانعا من القواطع الشيطانية وبرقته الزجاجية
جامعا للوامع الرحمانية بعيدا عن القلب المآي بصلابته وعن الحجري بصفايه واستنارته ومن اعظم المناسبات
ايضا كون سبيل الحج اذ ذاك كان ممنوعا باهل الحرب فكانها علة لما قبلها وكانه قيل ولنبلونكم بما ذكر لان الحج من اعظم
شعاير هذا البيت الذي امرتم باستقباله وهو مما يفرض عليكم وسبيله ممنوع بمن تعلمون فلنبلونكم بقتالهم لزوال مانع
الحج وقتال غيرهم من اهل الكتاب وغيرهم لاتمام النعمة بتمام الدين وظهوره على كل دين ومن احسنها ايضا انه تعالى لما ذكر
البلايا بنقص الاموال بسبب الذنوب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم اتبعها الدوا الجابر لذلك النقص دينا
ودنيا فان الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الذهب والفضة رواه الامام احمد والترمذي ۝
والنسايي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
وروي ايضا عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم كما بينته في كتابي الاطلاع على حجة الوداع وقال الحرالي لما تقدم
ذكر جامعة من امر الحج في قوله تعالى ولاتم نعمتي عليكم من حيث ان النعمة المضافة اليه احق بنعمة الدين وفي ضمنها نعمة الدنيا

بجهم
عليهم ح

بلغ مقابلة
الصفا

التي لم يتهيا الحج الا بها من الفتح والنصر والاستيلاء على كافة العرب كما قال تعالى فيما انزل يوم تمام الحج الذي هو يوم عرفة
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وذلك بما اتم الله عليهم من نعمه تمام معالم الدين وتاسيس الفتح بفتح ام القرى في
فتحها فتح جميع الارض لانها قيام الناس نظم تعالى بما تلاه من الخطاب تفصيلا من تفاصيل امر الحج انتظم بامر الذين امنوا من حيث
ما في سبب انزاله من التحرج للذين اعلموا برفع الجناح وعنهم وهم طايفة من الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد
فتحرجوا من التطوف بين الصفا والمروة وطايفة ايضا خافوا ان يلحقهم في الاسلام بعملهم نحو ما كانوا يعملونه في الجاهلية
نقص في عمل الاسلام فاعلمهم الله ان ذلك موضوع عنهم لمختلف نياتهم فان الاعمال بالنيات فما نوى لله كان لله ولم يبل فيه بموافقة
ما كان من عاداتهم في الجاهلية وفي فقهه صحة السجود لله لمن اكره على السجود للصنم وفي طي ذلك صحة التعبد لله بكلمة
الكفر لمن اكره عليها اذن صلى الله عليه وسلم غير مرة في ان يقول فيه قايل ما يوافق الكفار بحسن نية للقايل في ذلك ولقضاء
حاجة له من حوايج دنياه عند الكفار فظهر بذلك كونه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بقبل الضماير ولا يبالي بالظواهر
في احوال الضماير فرفع الله عنهم الجناح بحسن نياتهم واخلاصهم لله عملهم فبهذا النحو من التقاصر في هذه الرتبة انتظم
افتتاح هذا الخطاب بما قبله من احوال الذين امنوا من المبتلين بما ذكر انتهى **من شعاير الله** اي اعلام دين الملك الاعلى الذي دان
كل شي لجلاله وقال الحرالي وهي اي الشعاير ما احست به القلوب من حقه وقال والشعيرة ما شعرت به القلوب من امور
باطنة ذلك ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب وانما ذكرها تعالى بالشعاير وعملها معلم من معالم الاسلام وحرمه
من حرم الله لما كان حكم في امر القلوب التي كان في ضمايرها تحرجهم فمن حيث ذكرها بالشعيرة صححها الاخلاص والنية **فمن حج** من
الحج وهو ترداد القصد الى ما يراد خيره وبره وقال الاصبهاني اصله زيادة شي تعظمه انتهى **ذكر البيت** في الحج والمسجد
الحرام في التوجه لا انتهاء الطواف الى البيت واتساع المصلي من حد المقام الى ما وراءه لكون الطايف منتهيا الى البيت وكون
المصلي قايما بمحل ادب يوخره عن منتهى الطايف من مداناة البيت وذكره تعالى بكلمة من المطلقة المستغرقة لاولي العقل تنكبا
بالخطاب عن خصوص المتحرجين ففي اطلاقه اشعار بان الحج لا يمنعه شي مما يعرض في مواطنه من مكروه الدين لاشتغال الحاج
بما هو فيه عما سواه ففي خفي فقهه اعراض الحاج عن مناكر تلك المواطن التي تعرض فيها بحسب الازمان والاعصار ويوكد
ذلك ان الحج انه الحشر واهل الحشر لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فكذلك حكم ما هو اتيه وحج البيت اتيانه في خاتمة السنة
من الشهور الذي هو شهر ذي الحجة اية ختم العمر كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم حيث ختم الله عمره بعمل الحج قال تعالى **او اعتمر**
فذكر العمرة مع الحج لما كان التطوف بين الصفا والمروة من شعاير العملين **فلا جناح** وهو المواخذة على الجنوح والجنوح الميل
عن جادة القصد انتهى **عليه ان يطوف** اي بدون تهمة وتعمد ونشاط **بهما** باديا بما بدا الله به قال الحرالي رفع الجناح عن الفعل
حكم يشترك فيه الواجب والجايز والفرض والمباح حتى يصح ان يقال لا جناح عليك ان تصلي الظهر كما يقال لا جناح عليك ان تطعم
اذا جمعت وانما يشعر بالجواز والتخيير نفي الجناح عن الترك لا عن الفعل كما قال صلى الله عليه وسلم للذين سالوه عن العزل
لا جناح عليكم ان لا تفعلوا اي ان لا تنزلوا لان الفعل كناية عن الثبوت لا عن الترك الذي هو معنى العزل وهو الذي قررته
عايشة رضي الله عنها اي لما قال لها عروة ما ارى على احد شيا ان لا يطوف بهما فقالت لو كان كما تقول كان فلا جناح عليه
ان لا يطوف بهما الحديث **قلت** ولعل التعبير بالنفي انما اختير ليدل على نفي ما توهموه بالمطابقة وتقع الدلالة على الوجوب
بافهام الجزاء لان من حج او اعتمر ولم يتطوف بهما كان عليه حرج وبالسنة التي بينته من قوله صلى الله عليه وسلم اسعوا
فان الله قد كتب عليكم السعي ومن فعله صلى الله عليه وسلم مع قوله خذوا عني مناسككم ومن عدهما من الشعاير ونحو
ذلك قال الحرالي وما روي من قراءة من قرا ان لا يطوف بهما فليست لا نافية على حد ما نفت معناه عايشة رضي الله عنها
وانما هي موكدة للاثبات بمنزلة ما منعك ان لا تسجد وليلا يعلم اهل الكتاب لان تمام المبهم استعماله في المتقابلين من النفي
والاثبات كاستعماله في وجوه من التقابل كما تستعمل ما في النفي والاثبات وكذلك جاءت لا في لسان العرب بمنزلتها في الاستعمال
وان كان ذلك في الشهرة فوارد القرآن معتبرا على رتبة لغة العرب وافصحها لا يصل الى تصحيح عربيته من اقتصر من النحو
والادب على ما دون الغاية لعلوه في رتبة العربية انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون انتهى والذين قروا بزيادة لا على
وابن عباس بخلاف عنه وابي بن كعب وابن مسعود وانس بن مالك رضي الله عنهم وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين وميمون بن مهران
كما نقل ذلك الامام ابو الفتح عثمن بن جني في كتابه المحتسب في توجيه القراءات الشواذ ومعنى قول عايشة رضي الله عنها لكان
ان لا يطوف اي خاصة ولم ترد قراءة بالاثبات واما مع قراءة الاثبات فان المعنى يرشد الى ان قراءة النفي مثلها لان كونهما من
الشعاير يقتضي التطوف بهما لا اهمالهما والله اعلم قال الحرالي وذكره تعالى بالتطوف الذي هو تفعل اي تشبه بالطواف
ومع البيت بالطواف في قوله تعالى ان طهر بيتي للطايفين لما كان السعي ترددا في طول والمراد الاحاطة بهما فكان في
المعنى كالطواف لا في الصورة فجعله لذلك تطوفا اي تشبها بالطواف انتهى ولما كان الصحابة رضي الله عنهم لم يقصدوا
بترك الطواف بينهما الا الطاعة فاعلموا ان الطواف بينهما طاعة عبر بما يفيد مدحهم فقال تعالى **ومن تطوع** قال
الحرالي اي كلف نفسه معاهدة البر والخير من غير استدعاء له **خيرا** فيه اعلام بفضيلة النفقة في الحج والعمرة بالهدي ووجوه
المرافق للرفقا بما يفهمه لفظ الخير لان عرف استعماله في خير الرزق والنفقة كما قال تعالى وانه لحب الخير لشديد وان ترك
خيرا ولما كان رفع الجناح تركا عادلها في الخطاب باثبات عمل خير ليقع في الخطاب اثبات يفيد عملا حين لم يفد الاول الا تركا

فمن تحقق بالايمان اجزل نفقاته في الوفادة على ربه واختصر في اعراض نفسه ومن حرم النصف من دنياه اقتصر في نفقاته
في وفادته على ربه واجزل نفقاته في اغراض نفسه وشهوات عياله فذلك من اعلام المومنين واعلام الجاهلين من وفد على
الملك اجزل ما يقدم بين يديه وانما قدمه بالحقيقة لنفسه لا لربه فمن شكر نعمة الله باظهارها حين الوفادة عليه في اية بعثه
اليه ولقايه له شكر الله له ذلك يوم يلقاه فكانت هدايا الله له يوم لقايه اعظم من هديه اليه يوم الوفادة عليه في حجه
وعمرته فان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال شاكر اي مجاز بالاعمال مع المضاعفة لثوابها قال الحرالي وقوله عليم فيه
تحذير من مداخل الريا والسمعة في اجزال النفقات لما يغلب على النفس من التباهي في اظهار الخير انتهى ولما تقدم ان بعض
اهل الكتاب يكتمون ما يعلمون من هذا الحق وختم ما اتبعه له بصفتي الشكر والعلم ترغيبا وترهيبا بانه يشكر من فعل ما شرعه
له ويعلم من اخفاه وان دق فعله وبالغ في كتمانه انعطف الكلام الى تبكيت المنافقين منهم والمصارحين في لعنهم على كتمانهم
ما يعلمون من الحق اذ كانت هذه كلها في الحقيقة قصصهم والخروج الى غيرها انما هو استطراد على الاسلوب الحكيم المبين
لان هذا الكتاب هدى وكان السياق مرشدا الى ان التقدير بعد شاكر عليم ومن احدث شرا فان الله عليم قدير فوصل به
استينافا قوله على وجه يعمهم وغيرهم ان الذين يكتمون بيانا لجزايهم ما انزلنا اي بعظمتنا قال الحرالي فانتظمت
هذه الاية في ختمها لهذا الخطاب بما مضى في اوله من قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون فكانت البداية
خاصة وكان الختم عاما ليكون ما في كتاب الله امرا على نحو ما كان امر محمد صلى الله عليه وسلم ومن تقدمه من الرسل خلقا لينطبق
الامر على الخلق بدا وختما انطباقا واحدا فعم كل كاتم من الاولين والاخرين انتهى من البينات اي التي لا يحتاج سامعها المجرد
عن الهوى في فهمها الى شي معها قال الحرالي ففي افهامه اذن ما في كتم ما يخفى من العلم عن عقول لم تصل اليه انتهى والهدى اي
الذي من شانه ان يقود من احسه الى صراط مستقيم ولما كان المراد الترهيب من الكتمان في وقت ما ولو قل اثبت الجار فقال
من بعد ما بيناه اي بما لنا من العظمة للناس اي الذين هم في ادنى درجات المخاطبين وفيه تبكيت عظيم لبني اسرايل فانهم من
اعظم المقصودين بذلك لكتمانهم ما عندهم قال الحرالي لان المسمين بالناس من اصاغر سن القلوب لما ذكر من نوسهم واكثر ما
يخص به كما تقدم الملوك ورسا القبايل واتباعهم الذين زين لهم حب الشهوات انتهى في الكتاب اي الجامع لكل خير قال الحرالي
فما بينه الله في الكتاب لا يحل كتمه لما ذكر من ان الكتاب هو ما احتوى على الاحكام والحدود بخلاف ما يختص بالفرقان او يعلوا
الى رتبة القرآن انتهى ولما كان المضارع دالا على التجديد المستمر وكان الاصرار المتصل بالموت دالا على سوء الجبلة اسقط
فا السبب اشارة الى استحقاقهم للخزي في نفس الامر من غير نظر الى سبب فقال اولئك اي البعدا البغضا يلعنهم الله اي
يطردهم الملك الاعظم طرد خزي وذل ويلعنهم اللاعنون اي كل من يصح منه لعن اي هم متهيئون لذلك ثم يقع لهم ذلك
بالفعل عند كشف الغطا واللعن اسقاط الشي الى اردى محاله حتى يلقون في الرتبة بمنزلة الفعل من القامة قال
الحرالي واخصر من ذلك واسهل تناولا ان يقال لما كان اشق الصبر ما على فقد المحبوب من الالف والامن والسعة وكان العلم
واقعا بان عداوة الكفار لهم ستؤول الى ابتلايهم بذلك اتبع اية الصبر بقوله ولا تقولوا الايتين فكانه قيل ولا تقولوا
كذا فليكتبن عليكم الجهاد عموما ولنبلونكم فيه بشي من الخوف الاية لان الصفا والمروة من شعاير الله ووصولكم اليهما ممنوع
بالكفار فلا بد في الفتح من قتالهم وقد جرت العادة في القتال بمثل ذلك البلا ولما تم امر القبلة وما استتبعه وختم
بشريعة الحج المكتوبة على الناس عامة الامر لهم بها باني البيت ابرهيم عليه السلام عن امر الله تعالى بقوله اذ قام على المقام
يا ايها الناس كتب عليكم الحج فحجوا فاجابه من علم الله انه يحج ثم حجه الانبيا من بني اسرايل ابن ابرهيم عليهما السلام ثم اخفاها اهل
الكتاب فيما اخفوه من كتابهم حسدا للعرب وختمت اية الحج بعليم رجع الى امر الكاتمين الذين يكتمون الحق وهم يعلمون واعظم
ما كتموه امر هذا الكتاب الذي هو الهدى المفتتح به السورة ولما بين جزاهم استثنى منهم التايبين مبينا لشرايط التوبة
الثلثة فقال الا الذين تابوا بالندم على ارتكاب الذنب واصلحوا بالعزم على عدم العود وبينوا ما كانوا كتموه فظهرت
توبتهم بالاقلاع ولما كان الانسان يحب ما كان بسبب منه رغبهم في المتاب بعد توبتهم سببا لتوبته وان كان ذلك كله
مناسبه في نفس الامر فقال معبرا بالفا فاولئك العالوا الرتبة اتوب عليهم اي اقبل توبتهم فاحفظهم بما يشعر به مثال
الفعل الدايم فيما وفقتهم لابتدايه وفي الربط بالفا اشارة الى اسراع استنقاذ توبة الله عليهم من نار الخوف والندم رحمة
منه لهم برفعهم الى موطن الانس لان نار الخوف في الدنيا للمفترق رحمة من عذاب النار تفديه من نار السطوة في الاخرة من لم
يحترق بنار المجاهدة احرقته نار الخوف فمن لم يحترق بنار الخوف احرقته نار السطوة افاده الحرالي ولما كان من شان الانسان
معاودة الذنوب لصفة النسيان ختم الاية بما دل على ان التقدير فاني احب التوابين فقال وانا التواب اي مرة بعد مرة
لمن كر على الذنب ثم راجع التوبة كرة اثر كرة الرحيم لمن فعل ما يرضيني ولما لعن الكاتمين واستثنى منهم التايبين ذكر
المصرين معبرا عن كتمانهم بالكفر لتعم العبارة كل كفر فقال ان الذين كفروا اي بهذا الكتمان وغيره وماتوا وهم كفار قال
الحرالي ففي اشعاره يسر توبة الكافرين وعسر توبة المنافقين من حيث صرح بذكر توبة الكاتم وتجاوز في الذكر توبة
الكافر فكان الذين كفروا يتوبون الا الاقل والذين يكتمون يتمادون الا الاقل فلذلك وقع الاستثنا في الكاتم والتخصيص
من الكافر انتهى ولما كان الموت على شي دالا على اصل الجبلة فالميت كافرا مجبول جبلة شر بين سبحانه انه مستحق في نفس الامر
لكل خزي لذلك لا لسبب جدده فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه لانه سبحانه لا يسئل عما يفعل

فاسقط فآذا السبب وعبر عنهم باداة البعد اشارة الي طردهم فقال اولئك اي الذين هم في غاية السفول عليهم لعنة الله
اي طرد الملك الذي لا ملك سواه ثم بين اللاعنين في التي قبلها فقال والملائكة والناس اجمعين اي هم اهل لذلك وكل احد يلعن
الظالم واظلم الظالمين الكافر خالدين فيها اي اللعنة ولما كان اللعن دالا علي العذاب صرح به فقال لا يخفف عنهم العذاب
لاستعلاء اللعن عليهم واحاطته بهم وقال الحرالي ذكر وصف العذاب بذكر ما لزمهم من اللعنة ليجمع لهم بين العقابين عقابا
من الوصف وعقابا من الفعل كما يكون لمن يقابله نعم ورضي انتهى ولا هم ينظرون قال الحرالي من النظرة وهو التاخير المرتقب
نجازه انتهى فالمعنى انهم لا يمهلون من ممهل ما اصلا كما يمهلون في الدنيا بل يقع عليهم العذاب حال فراقهم للحيوة ثم لا يخفف عنهم
قال الحرالي ففي افهامه اشعار بطايفة يوخر عذابهم وفي مقابلة علم الجزاء باحوال اهل الدنيا تصنيفهم باصناف في افتراق
السوء فمن داومه داومه العذاب ومن اخره وقتا ما في دنياه اخر عنه العذاب ومن تزايد فيه تزايد عذابه وذلك لكون
الدنيا هي مزرعة الاخرة وان الجزاء بحسب الوصف سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم انتهى ولما افاض عليهم سبحانه ما افاض من
بحار الحجاج المغرقة بالامواج وقرر ما اراد من شرايع الاسلام علي وجه الاتقان والاحكام وارشد هذا السياق المذكور فيه
ثواب المطيع وعقاب العاصي الي ان التقدير فالهكم اله واحد لا شريك له يدافعه عما يريد لا اله الا هو المنتقم من اعدايه العظيم
في كبريايه عطف عليه مكررا الزاجر لكل منافق وكافر ومذكر بالعطف لكل موافق موالف قوله تعالى والهكم ولما كان
المراد ان الوحدة معتبرة في نفس الامر في الاله الحق فلا يصح اصلا ان يكون الاله الحق منقسما بالنوع ولا بالشخص ولا بالوصف
ولا بالفعل ولا بغير ذلك بوجه من الوجوه اعاد لفظ الاله فقال اله واحد اي لا ينقسم بوجه من الوجوه لا بمجانسة ولا غيرها
وهو مع ذلك لا اله الا هو فهذا تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته فلا يصح بوجه ولا يمكن في عقل ان يصلح للالهية غيره
اصلا فلا يستحق العبادة الا هو لانه الرحمن اي العام الرحمة بالنعم الزاملة لاوليايه واعدايه الرحيم اي المخصص بالنعم
الباقية لاوليايه فثبت للتفرد بالالوهية انه حايز لجميع العظمة وبيده مجامع الكبريا والقهر ولوصفي الرحمة انه مفيض
لجلايل النعم ودقايقها فكل ما سواه اما نعمة او منعم عليه فهو المخشي سطوته المرجو رحمته يغفر لمن تاب ويلعن من كفر ويخلده
في العذاب من غير ان يقدر غيره ان يعترض عليه في شي من ذلك ولا يبعد عندي وان بعد المدي ان تكون الواو في قوله والهكم
عاطف علي قوله في اوايل السورة وهو بكل شي عليم قبل قوله واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة فان التوحيد
هو المقصود بالذات وعنه تنشا جميع العبادات فلما قال اولا يايها الناس اعبدوا ربكم اتبعه في قوله الذي خلقكم الي
اخره بوصف هو دليل استحقاقه للعبادة فلما قام الدليل قال فلا تجعلوا لله اندادا اعلاما بانه لا شريك له في العبادة
كما انه قد تعين انه لا شريك له في الخلق ثم اتبعه بما يليق بذلك المقام مما تقدم التنبيه عليه ثم رجع اليه قايلا ثانيا كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الي اخرها فاعاد الدليل علي وجه ابين من الاول وابسط فلما تقرر علي وجه لا مطمع فيه امر
الوحدانية والاعادة كان الانسب ما اولاه من الايات السابقة لما ذكر فيها من غير ذلك من المهمات الي ان صار الي ذلك الكاتمين
والتايبين والمصرين وذكر ما اعد لكل من الجزاء فاتبع ذلك هذه الاية عاطفا لها علي ما ذكرته علي وجه اصرح مما تقدم في اثبات
التوحيد بيانا لما هو الحق واشارة الي انه تعالى ليس كملوك الدنيا الذين قد يحول بينهم وبين اتايه بعض الطايعين وعقوبة
بعض العاصين بعض اتباعهم فانه واحد لا كفو له ولا مداني فلا مانع لنفوذ امره ولا يستنكر تجويز هذا العطف لانه جرت
عادة البلغاء ان احدهم اذا اراد اقامة الحجة علي شي لامر يرتبه عليه ان يبدا بدليل كاف ثم يتبعه تقريبا لثمرات المجتناة
منه ثم يعود الي تاكيده علي وجه اخر لتانس به النفوس وتسر به القلوب وربما كان الدليل طويل الذيول كثير الشعب
فيشرح كل ما يحتاج اليه من ذيوله وما يستتبعه من شعبه فاذا استوفي ذلك وراي ان الخصم لم يصل الي غاية الاذعان اعاد
له الدليل علي وجه اخر عاطفا له علي الوجوه الاول تذكيرا لها ليس بمستنكر ذلك في مجاري عاداتهم ومبالي خطاياتهم
ومن تامل مناظرات الباقلاني واضرابه من اولي الحفظ الواسع والتبحر في العلم علم ذلك وقال الحرالي ولما كان مضمون الكتاب
دعوة الخلق الي الحق والتعريف بحق الحق علي الخلق واظهار مزايا من اصطفاه الله ممن شملهم اصل الايمان من ملايكته وانبيايه
ورسله ومن يلحق بهم من اهل ولايتهم واظهار شواهد ذلك منهم واقامة الحجة بذلك علي من دونهم في الزامهم اتباعهم وكان
الضار للخلق انما هو الشتات كان النافع لهم انما هو الوحدة فلما اظهر لهم تعالى مرجعهم الي وحدة ابوة ادم عليه السلام في جميع
الذرية ووحدة ابوة ابرهيم عليه السلام في جميع الاسلام ووحدة احمدية محمد صلى الله عليه وسلم في جميع الدين فاتضح لهم
عيب الشتات والتفرق وتحقق لهم شاهد النفع في الجمع الي وحدات كان ذلك اية علي اعظم الانتفاع بالرجوع الي وحدة
الالهية في امر الحق وفي افهام ذلك وحدات ما يظن في ظاهر الوحدات الظاهرة من وحدة الروح ووحدة النفس
والعقل فقال تعالى عطفا علي ما ظهر نباوه من الوحدات الظاهرة وما افاده افهاما من الوحدات الباطنة والهكم اله
واحد فاذا قبح الشتات مع وحدة الاب الوالد فكيف به مع وحدة الاب المدين فكيف به مع وحدة النبي المكمل فكيف به
مع وحدة الاله الذي هو الرحمن الذي شمل خلقه رحمانية الرحيم الذي اختص اوليايه واصفيايه عناية فجمعهم بوحدته
التي هي قايم كل وحدة دونه فجمع اسمايه لها وحدة تنتهي وحدتها الي وحدة الاله الذي انتهى اليه الاله وهو تعبد الظاهر
لالجاء المتعبد اليه في كل حاجاته واقاماته الظاهرة والباطنة ولا اتم من وحدة ما لا يتصوره العقل ولا يدركه الحس
في علو وحدة الغيب الذي لا يبدو فيه ذات فيكون لها او فيها كميات ولا كيفيات ثم قال وقد صح بالتجربة ان الراحة في

صحبة الواحد وان التعب في اتباع العدد لاختصاص كل واحد يقصد في اتباع يتشاكس عليه لذلك حاد اتباعهم فكان
اعظم دعوة الى جميع الخلق دعوتهم الى جمع توحيد الالهية انتظاما بما دعوا اليه من الاجتماع في اسم الربوبية في قوله
تعالى متعقبا يا ايها الناس اعبدوا ربكم فاعلا الخطاب من ربتة الربوبية الى ربتة هذه الدعوة بالالهية لتعلوا من هذا الحد
الى الدعوة الى الله الاحد الذي احديته مركوزة في كافة فطر الخلق وجبلاتهم حين لم يقع الشرك فيه بوجه واما وقع في ربتة
الالهية فكان هذا اوسط الدعوة بالاجتماع في وحدة الالهية وفي اضافة اسم الاله اليهم ايما تنزل بمقدار معقولهم من تعددهم
الذي هو ثابت لهم ولما كان في الالهية دعوى كثرة يوهم الضلال المبين اتبع ذلك بكلمة التوحيد بناء على اسمه المضمر في باطن
ظاهر الالهية فقال تعالى لا اله الا هو داعيا على اضمار ما في الاول ولم يذكر اسمه المظهر ليكون للدعوة اليه ربتة عالية
تكون هي متوقلا اليها ولما كان هذا التوحيد الالهي امرا غيبا من الاله الظهر تعالى بمظهر الرحمانية المحيطة الشاملة
والرحيمية الاختصاصية لما عند الخلق من شاهد ذلك فيما يجدونه من اثر الرحمانية في دنياهم وظاهرهم وما يجدون
من اثار الرحيمية في اختصاصهم بالمرية في تضاعف رحمته فكان في مجموع هذه الاية اعظمية من غيب الالهية الى تمام
اختصاص الرحيمية فلذلك كانت هذه الاية مع اية الاحاطة في اوايل العمران الجامعة لمقابل ما في هذه الاية من خصوص
الرحيمية مع خصوص مقابلها من وصف الانتقام الظاهر عن وصف العزة الذي ابداه قوله تعالى والله عزيز ذو
انتقام فكانت هذه الاية لذلك مع الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اسم الله الاعظم الجمع بالغيب والشهادة جمعا الرحمة
والنعمة في الظاهر واحاطة عظمة في الباطن فكان هذا الحد من علو الخطاب ابتداء رفع الخلق الى التعلق باسم الله
الاعظم الذي يرفعهم عن سفل تعبيدهم بانفسهم المحقرة اظهارا للبداءة الغاية بهذه الامة الخاتمة انتهى ولما كان هذا المقام
لا يصح الا بتمام العلم وكمال القدرة نصب الادلة على ذلك في هذه الاية الثالثة ابسط مما في الاية الثانية كما كانت
الثانية ابسط من الاولى واحلى تبصرا للجهال وتذكيرا للعلماء فكانت هذه الاية تفصيلا لتلك الاية تبين السابق بتبيين
ولم تدع حاجة الى مثل هذا التفصيل في اية آل عمران لان معظم المراد بها الدلالة على شمول القدرة واما هن فدليل
على التفرد فكان لا بد من ذكر ما ربما اضيف الى اسبابه القريبة تنبيها على انه لا شريك له في شيء من ذلك وان اكل خلقه
وان اقام لذلك اسبابا ظاهرية فقال تعالى ان في خلق السموات لاختلاف اجناسها ولان تعددها يعرف بالكواكب فتحمل
اقامة الدليل عليه وقدمها لانها اشرف واعجب خلقا واكبر والارض اي واختلافها فان خلق ما ذكر في الاية من نعمته
على عباده كما ذكر في اول السورة ثم ذكر ما ينشأ عنها فقال واختلاف وهو افتعال من الخلو وهو ما يقع من افتراق بعد اجتماع
في امر من الامور الليل والنهار وخلقهما فالاية من الاحتباك ذكر الخلق اولا دليلا على حذفه ثانيا والاختلاف ثانيا على حذفه
اولا وقال الحرالي ولما كان من سنة الله ان من دعاه اليه والى رسله بشاهد خرق عادة في خلق او امر عاجله بالعقوبة
في الدنيا وجد بعده امة اخرى كما قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وكانت هذه الاية هم
خاتمة ليس بعدها امة غيرها اعقبها من احتياجها الى خرق العوايد قال صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد اوتي
من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اتاني الله وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا فكان امر
الاعتبار اعم واسمح مخالفة وكفاها بما قد اظهر لها في خلقه بالابداء والتسخير من الشواهد ليكونوا على استقادين لروح
العلم لا لسلطان القهر فيكون ذلك من مزاياهم على غيرهم ولم يجبها الى ما سالته من ذلك فلما وصل تعالى بدعوة الربوبية
ذكر الخلق والرزق وذكر الارض بانها فراش والسماء بانها بناء على عادة العرب في ربتة حس ظاهر اعلام في عمران
الخطاب بايراد اياته وشواهده على علو رتبة معنى معقول فوق رتبة الامر المحسوس السابق فقال ان في خلق السموات
والارض خطابا مع من له نظر عقلي يزيد على نظر الحس باعتبار السموات افلاكها وعددها بشواهد نجومها حتى يتعرف
انها سموات معدودة وذلك ما يظهر موقعه عند من له اعتبار في مخلوق السموات ولما لم يكن للارضين شواهد محسوسة
بعددها كما في السموات لم يجر ذكرها في القرآن الا مفردة وجاء ذكر السموات معددة لاهل النظر العقلي ومفردة لاهل
النظر الحسي وايسر معتبر ما بين السموات والارض في مقابلة حظيهما في كون السموات في حد من العلو والصفاء والنور
والحركة والارض في مقابلة ذلك من السفل والكثافة والظلمانية والسكون فيقع الاعتبار بحصول مشهود التعاون
من مشهود التقابل وذلك مما يعجز الخلق فيعلمون انه من امر الحق لان الخلق انما يقع لهم التعاون بالمتناسب لا بالمتقابل
فمن اتته المتقابلة تفسد عليه النار ومن اتته النار يفسد عليه الماء والحق تعالى اقام الخلق والموجودات والموالد
احادا مجتمعة قد قهر فيها متنافرات موجودات الاركان وموجود خلق السماء والارض المشهود متقابلها فوقع
اجتماع النار بالماء على تقابل ما بين الحار والبارد واجتماع الهوي بالارض على تقابل ما بين الكثيف واللطيف
واجتماع الكل في شيء واحد من جسم واحد وعضو واحد حتى في جزء واحد من آدق اجزائه الا بامر يعجز عنه الخلق
ولا يقدر عليه الا الحق الذي عارفيه الخلق بهواه الهم الذي هو الله واحدا ثارة عندهم موجودة في انفسهم
وشواهده مبصرة باعينهم وحقايق تلك الشواهد باهية لعقولهم فكانه تعالى اقرابهم ذكر الحكيم المرئي لاعينهم
كشفا لغطاء اعينهم ليتميز واعن الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكره ولما ذكر تعالى خلق متقابل العلو والسفل
في ذكر السموات والارض نظم بها اختلاف الاقنين الذين بينهما ظهور مختلفي الليل والنهار ليقع اعتبارهم بين اعتبار

جمعها هو ما يظهر من الليل والنهار

الاعلي والاسفل والمشرق والمغرب فتقع شواهد الاحاطة لهم عليهم في توحيدهم وارجاع ذلك اليه دون ان يعزي ذلك
الي شئ من دونه مما هو داخل في حصر موجود هذه الاحاطة من المحيط الاعلي والمحيط الاسفل والمحيط بالجوانب كلها من ملبس الافاق
من الليل والنهار خطاب اجمالي ناسب مورد السورة التي موضوعها اجمالات ما يتفسر فيها وفي سائر القرآن من حيث انها فسطاطه
وسناميه انتهي ولما ذكر تعالي ما انشاه عن سير الكواكب في ساحة الفلك اتبعه سير الفلك في باحة البحر فقال والفلك وهو
ما عظم من السفن في مقابلة المقارب وهو المستخف منها قال الحوالي استوي وحده وجمعه حركات الواحد اول في الضمير وحركات
الجمع ثوان في الضمير من حيث ان الواحد اول والجمع بان مكسرا انتهي ولما اراد هنا الجمع لانه ادل علي القدرة وصفة باداة التانيث
فقال التي تجري بتقدير الله وحقق الامر بقوله في البحر اسند الجري اليها ومن المعلوم انه لا جري لها حقيقة ولا فعل بوجه ترقيم
الي اعتقاد مثل ذلك في النجوم اشارة الي انه لا فعل لها ولا تدبير كما يعتقد بعض الطائفة وقال الحوالي ولما ذكر تعالي جملة الحق
وجملة الاختلاف في الوجهين وصل بذلك احاطة البحر بالارض وتخلل التجار فيها لتوصل المنافع المحمولة في الفلك مما يوصل من
منافع المشرق للمغرب ومنافع المغرب للمشرق ومنافع الشمال للجنوب وبالعكس فما حملت جارية شيا ينتفع به الا قد تضمن ذكره
منهم كلها في قوله تعالي بما ينفع الناس وذكرهم باسم الناس الذي هو اول سنن يقع فيه الاجتماع والتعاون والتبصر بوجه
ما ادني في ذلك في منافع الدنيا الذي هو شاهد هذا القول انتهي ولما ذكر نفع البحر بالسفن ذكر من نفعه ما هو اعم من ذلك فقال
وما انزل الله الذي له العظمة التامة من السماء اي جهتها باجتذاب السحاب له ولما كان النازل منها علي انواع وكان السياق
للاستعطاف الي رفع الخلاف ذكر ما هو سبب الحيوة فقال من ماء فاحيي به الارض مما ينبت منها ولما كان الاحياء يستغرق الزمن
المستعقب للموت بقي الجار فقال بعد موتها بعدمه ولما ذكر حيوة الارض بالماء اشار الي ان حيوة كل ذي روح به فقال
وبث من البث وهو تفرقة احاد مستنكره في جهات مختلفة فيها بالخصب من كل دابة من الدبيب وهو الحركة بالتفرق قال
الحوالي ابهم تعالي امر الخلق والاختلاف والاجراء فلم يسنده الي اسم من اسمائه يظهره وانسند انزال الماء من السماء الي اسمه
العظيم الذي هو الله لموقع ظهور القهر علي الخلق في استدرار ارزاق الماء واستجداده وقتا بعد وقت بخلاف مستمر ما ابهم من
خلق السموات والارض الدايم علي حالة واختلاف الليل والنهار المستمر علي وجهة واحيال اجراء الفلك الماضي علي حكم عادته فاظهر
اسمه فيما تشهد عليهم به ضرورة نضم اليه في كل حول ليوجهوا في العبادة الي علو المحل الذي منه ينزل المكتفلهم بذلك من عباد
ما في الارض الي عبادة من في السماء ا امنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض وقال صلي الله عليه وسلم للامة اين الله قالت في السماء
قال اعتقها فانها مومنة فاذا دني الايمان التوجه الي عبادة من في السماء ترقيا الي علو المستوي علي العرش الي غيب الموجود
في اسرار القلوب فكان في هذه التوطية توجيه الخلق الي الاله الذي ينزل الماء من السماء وهو الله الذي لم يشرك به احد سواه
ليكون ذلك توطية لتوحيد الاله ولذلك ذكر تعالي اية الاحيية التي في الاحيا والحيوة كل خروج عن الجمادية من حيث ان معني الحيوة
في الحقيقة انما هو تكامل في الناقص فالمتزجي بالاضافة الي الجماد ترقيا الي ما فوق ذلك من رتب الحيوة من نحو حيوة الحيوان
ودواب الارض فلذلك ذكر تعالي الاحياء بالمعني واظهر الاسم مع الارض لظهوره في الحيوان فاظهر حيث خفي عن الخلق ولم يذكره حيث
هو ظاهر للخلق فنبههم علي الاعتبار بين انزال الماء الذي لعدمه شراب ومنه تجرو به حيوة الحيوان ومنه مراعيهم ولما ذكر
تعالي بث ما هو السبب النبات المسبب عن الماء ذكر بث ما هو سبب للسحاب السبب للمطر السبب للحيوة فقال وتصريف
الرياح اي تارة صبا واخري دبورا ومرة شمالا وكرة جنوبا والتصريف اجراء المصرف بمقتضي الحكم عليه والريح متحرك الهوا
في الاوطار والسحاب وهو المتراكم في جهة العلو من جوهر ما بين الماء والهوا المنسحب في الجو المسخر اي لما من التسخير وهو
اجراء الشئ علي مقتضي غرض ما سخر له بين السماء والارض لانه يهوي الي جهة السفل مع ثقله بحمله بخار الماء كما تقوي بقية الاجرام
العالية حيث لم يكن لها مسك محسوس ولا يعلو ولا يتشبث مع ان الطبع يقتضي احد الثلاثة فالكثيف يقتضي النزول واللطيف
يقتضي الصعود والمتوسط يقتضي الانقطاع لايات وقال الحوالي لما ذكر تعالي الاعلي والاسفل ومطلع الليل والنهار من الجانبين
وانزال الماء اهوا ذكر ما يملا ما بين ذلك من الرياح والسحب الذي هو ما بين حركة هوا الله الي استتار ما يتبعه الي ما يلزم ذلك
من بوادي تيسرانه من نحو صواعقه وجملة احداثه فكان في هذا الخطاب اكتفا باصوله من مبادي الاعتبار فذكر السماء والارض
والافاق وما بينهما من الرياح والسحب والماء المنزل الذي جعله قوام الخلق في عاجله نبههم ليجعل لهم ذلك اية علي علو امر
وراءه ويكون كل وجه وتكون الارض اية علي باطن امر الله فيكون ابطن من الابطن ويكون اختلاف الليل والنهار اية علي نور بدع
وظلمة غيبته مما وراء امر الليل والنهار ويكون ما انزل من الماء احيا الارض وخلق الحيوان اية ما ينزل من نور علمه علي القلوب
فتحيا بها حيوة تكون حيوة الظاهر اية عليه ويكون تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض اية علي تصريف
ما بين ارض العهد الذي هو ظاهره وسمائه الذي هو باطنه وتسخير بعضه لبعض ليكون ذلك اية علي علو الله علي سمائه
العلي في الحس وعلي سما القلوب العلمية في الوجدان فلجملة ذلك جعل تعالي صنوف هذه العبارات ايات لقوم وهم الذين
يقومون في الامر حق القيام ففيه اشعار بان ذلك لا ينال له من هو في سنن الناس حتي يتبا في طبعه وفضيلة عقله الي ان يكون
من قوم يقومون في الاعتبار قيام المنتهضين في امور الدنيا لان العرب عرف استعمالها في القوم انما هو لاجل النجدة والقوة
حتي يقولون قوم او نساء تقابلا بين المعنيين وذكر تعالي العقل الذي هو نور من نوره لهدي لمن اقامه من حد تردد حال الناس
الي الاستضاء بنوره في قراءة حروف كتابه الحكيم التي كتبها بيده واغني الاميين بقراءة ما كتب لهم عن قراءة ما كتبه الخلق انتهي



فقال

فقال يعقلون اي فيعلمون ان مصرف هذه الامور على هذه الكيفيات المختلفة والوجوه المحكمة فاعل مختار وهو قادر بما يشاهد
من احياء الارض وغيرها مما هو اكبر منه على بعث الموتى وغيره مما يريده وانه مع ذلك كله واحد لا شريك له بما نعه العقلاء من الناس
يعلمون ذلك بذلك فلا يتخذون اندادا من دونه ولا يميلون عن جنابه الاعلى الى سواه وقد اشتملت هذه الآية على جميع ما نقل
البيهقي في كتاب الاسماء والصفات عن الحليمي انه مما يجب اعتقاده في الله سبحانه وتعالى وهو خمسة اشياء الاول اثباته
سبحانه لتقع به مفارقة التعطيل والثاني وحدانيته لتقع به البراءة من الشرك وهذان من قوله والهكم اله واحد والثالث
اثبات انه ليس بجوهر ولا عرض لتقع به البراءة من التشبيه وهذا من قوله لا اله الا هو لان من لا يسد غيره مسده لا شبيه له
والرابع اثبات ان وجود كل ما سواه كان بابداعه له واختراعه اياه لتقع به البراءة من قول من يقول بالعلة والمعلول وهذا من
قوله الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض والخامس انه مدبر ما ابدع ومصرفه على ما يشاء لتقع به البراءة من قول القائلين
بالطبائع او تدبير الكواكب او تدبير الملائكة وهذا من قوله وما انزل الله من السماء من ماء الى اخرها قال البيهقي ثم ان
اسماء الله تعالى جده التي ورد بها الكتاب والسنة واجمع العلماء على تسميته بها منقسمة بين العقائد الخمس فيلتحق بكل
واحدة منهن بعضها وقد يكون منها ما يلتحق بمعنيين ويدخل في بابين او اكثر انتهى وسبب تكثير الادلة ان عقول الناس متفاوتة
فجعل سبحانه العالم وهو الممكنات الموجودة وهي جملة ما سواه الدالة على وجوده وفعله بالاختيار على قسمين قسم من شانه
ان يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى في عرف اهل الشرع الشهادة والخلق والملك وقسم لا يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى الغيب
والامر والملكوت والاول يدركه عامة الناس والثاني يدركه اولوا الالباب الذين عقولهم خالصة عن الوهم والوسواس
فالله تعالى بكمال عنايته ورافته ورحمته جعل العالم بقسميه محتويا على جمل وتفاصيل من وجوه متعددة وطرق متكثرة
تعجز القوى البشرية عن ضبطها يستدل بها على وحدانيته بعضها اوضح من بعض ليشترك الكل في المعرفة فيحصل لكل بقدر ما
هيئ له اللهم الا ان يكون ممن طبع على قلبه فذلك والعياذ بالله الشقي مشيرا بختم التي قبل يعقلون الى ان هؤلاء ناس ضلت
عقولهم وقالت اراؤهم وبين انهم يتراءى بعضهم من بعض يوم ينكشف حجاب الغفلة عن سرادق العظمة ويتجلى الجبار في صفة
النقمة فقال تعالى عاطفا على ما قدرته مما ارشد اليه المعنى ومن او يكون التقدير فمن الناس من عقل تلك الآيات فآمن بربه
وفني في حبه ومن الناس من يتخذ وهم من لا يعقل من دون الله الذي لا كفو له مع وضوح هذه الادلة اندادا مما ادعوا انهم
شركاؤه اعم من ان يكونوا اصناما او رؤوسا يقلدونهم في الكفر بالله والتحريم والتحليل عن غير امر الله يحبونهم من الحب وهو
احساس بوصلة لا يدري كنهها كحب الله اي الذي له الجلال والاكرام بان يفعلوا معهم من الطاعة والتعظيم فعل المحب كما يفعل
من ذلك مع الله الذي لا عظيم غيره هذا على انه من المبني للمفعول ويجوز ان يكون للفاعل فيكون المعنى كحبهم لله لانهم مشركون
والذين آمنوا اشد حبا لله الذي له الكمال كله من حب المشركين لاندادهم فافاض عليهم من كماله لانهم لا يعدلون به شيئا في حالة من
الحالات من ضراء او سراء في بر او بحر بخلاف المشركين فانهم يعدلون في الشدائد اليه سبحانه واذا راوا في الرخاء حجرا احسن تركوا
الاول وعبدوه وحبهم هوائي وحب المؤمنين عقلي وقال الحرالي ولما استحق القوم القائمون في امر الله هذا الاعتبار بما
اتاهم الله من العقل لم يكن من اتخذ من دون الله اندادا بما يقال فيهم قوم بل يقصرون الى اسم النوس الذي هو تردد وتلدد فكانه
تعالى عجب ممن لم يلحق بهؤلاء القوم في هذا الاعتبار الظاهرة شواهده البينة اثارة فانباء ان طائفة من الناس على المقابلة
من ذلك الاعتبار الظاهر لنور العقل في اخذهم لمقابل العقل من الخرق الذي يقدم في موضع الاحجام ويحجم في موضع الاقدام ثم
غلب ذلك عليهم حتى وصل الى بواطنهم فصار حبا كانه وصله بين بواطنهم وقلوبهم وما اتخذوه من دون الله اندادا ففيه اشعار
بنحو مما افصح به لبني اسرائيل في كون قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة ففي كرم هذا الخطاب في حق العرب ستر عليهم رعاية لنبيهم
في ان يصرح عليهم بما صرح على بني اسرائيل ففي لحنه اشعار بان من اتخذ ندا من دون الله فتلك لوصله مبين حال قلبه وحال من اتخذ
من دون الله فمن عبد حجرا فقلبه في القلوب حجر ومن عبد نباتا فقلبه في القلوب نبات وكذا من عبد دابة واشربوا في قلوبهم
العجل بكفرهم كذلك الى ما يقع معبودا من دون الله مما بين اعلى النيرين الذي هو الشمس الى ادنى الاوثان الى ما يقع في الخلق من عبادة
بعضهم بعضا من نحو عبادة الفراعنة والنماردة الى ما يلحق بذلك من نحو رتبة العبادة باتباع الهوى الشائع موقعه في الامم
وفي هذه الامة لان من غلب عليه هوى شيء فقد عبده فكان عابد الشمس قلبه سعير وعابد النار قلبه نار وعابد القمر قلبه زمهرير
ومن عبد مثله من الخلق فقد عبد هواه ارايت من اتخذ الهه هواه فمن عبد الله فهو الذي علا عن سواه من المخلوقات
فعادل سبحانه خطاب الاولين المعتبرين العقلاء بهذا المصنف الذي انتهى امرهم في الكفر الى الحب من حيث اعتلقت
بواطنهم بهم فيما شانه ان يختص بالله من الخوف والرجاء والنصرة على الاعداء والاعانة للاولياء فلما توهموا فيهم مرجى
الالهية ومخافتها احبوهم لذلك كحب الله لان المتعبد مؤتمر ومبادر فالمبادر قبل الامر محب والمجيب للامر مطيع فالمحب
اعلى في الطرفين انتهى ولما عجب من حالهم حذر من سوء منقلبهم وما لهم فقال ولو يرى الذين ظلموا اي ولو يرون اي المتخذون
للانداد ولكنه اظهر لاجل تعميم الوصف الذي استحقوا به ما يذكر وهو وضعهم في غير محله كفعل من يمشي في ماخذ الاشتقاق
وهو الظلمة وذلك هنا تسويتهم من لا يملك شيئا اصلا بمن يملك كل شيء اذ يرون العذاب اي يتخذون اندادا والحال انهم لو
يعلمون حين اهانتهم ولين ما غلظ من اكبادهم ورؤية ما لا يستحق غيره بالنسبة اليه ان يسمى عذابا ان القوة لله الذي له
مجامع الكمال جميعا حيث يشاهدون العذاب قد احاط بهم ويتحققون انه لا شيء يعجزه من ثواب ولا عقاب ولا غيره وان الله

ولما نهض الادلة وسطع البراهين وزاحت العلل
والشكوك عاب من عبد سواه وفزع الى غيره
كما نهى عن الانداد عقب الآية الاولى الدليل على العباد

مما خلقه

كنهها

النبي

الذي لا ملك سواه شديد العذاب لم يتخذوا اندادا ولم يعدلوا بالله احدا او يكون التقدير ولو ترى بالتاء والياء اي لو ابصرت
او ابصر الذين ظلموا انفسهم باتخاذهم الانداد الى آخره وقال الحرالي قال تعالى ولو ترى عطفا على متجاوز امور من امور جزائهم
مما نالهم من عقوبات اثر كفرهم في الدنيا قال عليه الصلاة والسلام اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء الى متمادي غاية
رؤيتهم العذاب وفي قوله ترى بالتاء اقبالا على النبي صلى الله عليه وسلم تعجيب له بما ينالهم مما اصابوه وفيه اشعار بان ذلك
من امر يعلو امره الى محل رؤيته التي هي اتم الرؤية وفي قوله يرى بالياء تحسر عليهم يشعر بان منالهم من رؤية العذاب مما كان
يزجرهم عما هم عليه لو راوه انتهى اذ يرون اي الوقت الذي يبصرون فيه العذاب اي الاكبر الذي لا عذاب مثله كما افهمه تعريفه
بال ثم بينه بقوله ان القوة وهي منة الباطن التي يجدها المقتدر منشا لما بيديه ظاهرة وما بيده ظاهرة قدرة القوة جمعها
واصلها والقدرة ظاهرها وتفصيل انشائها لله جميعا لانه لا شيء اشق على الانسان من ان يرى خصمه نافذ الامر منفردا بالعز
في كل معنى لا سيما اذا كان جبارا متكبرا شديد البطش لمن عصاه كما يشير اليه قوله وان الله شديد العذاب ولا سيما اذا كان
العاصي له قد اساء اليه بالاساءة الى اوليائه وبالغ حتى لم يدع للصلح موضعا وقال الحرالي موقع الرؤية في الحقيقة هو ان القوة
لله جميعا سلبا عن جميع اندادهم الذين احبوهم وعن انفسهم كما قال قائلهم نحن اولوا قوة واولوا باس شديد لكن لما كان رؤيتهم
لذلك عن رؤية مشهود العذاب الذي هو اتم العذاب ذكر العذاب الذي هو ظاهر مرائي ان القوة لله جميعا وفي ان القوة اعلام
باطلاعهم يوم هذه الرؤية على بواطن اندادهم وسلبها ما شان البواطن ان يتجلى به من القوة من حيث وصفهم لهم بالحب
الباطن اطلعهم على سلب قواهم الباطنة بالرؤية التي هي باطن البصر الذي هو باطن النظر ولما ذكر امر القوة عطف عليه
ما هو امر القدرة فقال وان الله شديد العقاب اكمالا للخطاب بظاهره واستانف معه الاسم العظيم لاظهار ما بين غايتي
الباطن والظاهر في امر القوة والقدرة ليكون مع المنظر الظاهر بالقدرة اسم اظهره واستانفه وقدم ذكره كما كان مع المرائي
الباطن بالقوة اسما اضاف اليه وانهى له ليقع ما ولي اول الخطاب مقابل ما ختم به الخطاب فينعطف اوله على آخره واخره
على اوله باطنا لظاهر وظاهرا لباطن في المتعاطفين جميعا في قوله ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب انتهى او يقال
اذ يرون العذاب الذي يتوعدون به الآن لان القوة لله جميعا فلا مانع له من اتيانهم به كما تبين في الآيتين قبلها انه لا كفوء
له وانه كامل القدرة شامل العلم والجواب محذوف لتهويله لذهاب وهو المتوعد الى كل ضرب من انواع القواعد ولو ذكر ضرب
منه لامكن ان يوطن نفسه عليه فالتقدير لو رايت او راوا ذلك الوقت الذي يشاهدون فيه تلك العظمة لرايت او لراوا امرا
فظيعا مايلا شاغلا لهم عن اتخاذ الانداد ومحبتها وغير ذلك من الظلم وحذف الجواب للعلم به كما حذف من امثاله ثم ابدل
من اذ يرون قوله اذ تبرأ وهو من التبرؤ الذي هو طلب البراءة وايقاعها بجد واجتهاد وهي اظهار التخلص من وصلة او
اشتباك الذين اتبعوا اي وقع اتباع غيرهم لهم وهم الرؤساء من الذين اتبعوا مع نفعهم لهم في الدنيا بالاتباع لهم والذب
عنهم وقال الحرالي قال ذلك اظهار الافصاح ما افهمه مضمون الخطاب الاول لتنسق الآيات بعضها ببعض فتظهر الآية ما في ضمن
سابقتها وتجمع الآية ما في تفصيل لاحقتها واعلاء للخطاب بما في المعقول علمه المتقدم الى ما في الايمان بقاؤه ليتم نور العقل
الذي وقع به الاعتبار بنور الايمان الذي يقع به القبول لما في الآخرة عيانه فمن عقل عبرة الكون الظاهر استحق اسماع
نبأ الغيب الآتي ثم قال بدأ تبرؤ المتبوع في الذكر لانه الآخر في الكون فكانه في المعنى انما تعلق التابع بالمتبوع ليعيده في
الآخرة كما كان عهد منه ان يعيده في الدنيا فيتبرأ منه لما ذكر تعالى من ان القوة لله جميعا ولذلك اتصل ذكر التبرؤ بذكر
قبض القوة والقدرة عنهم انتهى قال تعالى وراوا اي الكل العذاب اي الذي لا محيص لهم عنه وقال الحرالي قاله ردا
للاضمار على الجميع وفيه اشعار بان ذلك قبل غلبة العذاب عليهم وفي حال الرؤية ففيه انباء بان بين رؤيتهم العذاب
وبين اخذهم به مهل يقع فيه خصومتهم وتبرؤهم وادراكهم للحق الذي كان متغيبا عنهم في الدنيا بما فتن بعضهم بعضا انتهى
ولما بين حال هذه التبرئة بين ان الامر اطم من ذلك لان كلا منهم يتبرأ من اقرب الناس اليه ولا يهمه غير نفسه ولا يجد ما يغنيه
نوع اغناء فقال وتقطعت اي تكلفت وتعمدت القطع وهو بين المتصل اشار اليه الحرالي ومعناه انه قطع بقوة عظيمة ويجوز
ان يكون صيغة التفعل اشارة الى تكرر القطع في مهله بان يظهر لهم انقطاع الاسباب شيئا فشيئا زيادة في ايهانهم وايلامهم
وهو انهم بهم اي كلهم الاسباب اي كلها وهي الوصل التي كانت بينهم في الدنيا والسبب في الاصل الحبل ثم قيل لكل ما يتوسل
به الى حصول مقصد قال الحرالي وفيه اشعار بخلو بواطنهم من التقوى ومن استنادهم الى الله في دنياهم وانهم لم يكونوا عقلوا
الا بسبب بعض ببعض فتقطعت بهم الاسباب ولم يكن لان ذلك واقع بهم في انفسهم لا واقع لهم في غيرهم فكانهم كانوا نظام
اسباب تقطعت بهم فانتثروا منها واسبابهم وصل ما بينهم في الدنيا التي لم تثبت في الآخرة لانها من الوصل الفانية
لا من الوصل الباقية لان متقاضي ما في الدنيا ما كان منه بحق فهو من الباقيات الصالحات وما كان منه عن هوى فهو من الفاني
الفاسد انتهى وقال الذين اتبعوا وهم الاذناب متمنين للمحال ندما على اتباع من لا ينفع حيث لا ينفع الندم لو ان لنا كرة اي
رجعة في الدنيا وقال الحرالي هي رجع وعودة عند غاية فرة انتهى ولما كانت لو بمعنى النهي نصب جوابها فقال فنتبرأ منهم
اي الرؤساء هناك ونذلهم كما تبرؤوا منا واذلونا هنا وقال الحرالي فيه انباء عن تاسفهم على اتباع من دون ربهم ممن
اتبعوا واجراء لتاسفهم على اوجه متوهم غير محقق على حد ما كان تمسكهم بهم متوهم انتفاع غير محقق ففيه اثبات لحالهم في الآخرة
على ما كان حالهم في الدنيا من الاخذ بالموهوم والغيبة عن المعلوم انتهى ولما كانت هذه الاشياء بعضها ثمرة اعمالهم وبعضها حكاية

اليه

اقوالهم

اقوالهم قال تعالى على طريق الاستيناف جوابا لمن يقول لقد راوا جزاء عقايدهم فهل يرون جزاء اعمال الجوارح كذلك
اي الامر الفظيع المهول يريهم الله الذي له القدرة التامة والعظمة الكاملة اعمالهم الخبيثة وغيرها حسرات اي تلهفا على
ما فات اطلاقا للمسبب على السبب واشار باداة الاستعلاء الى غلبتهم وشدة هوانهم فقال عليهم وقال الحرالي لما كانت
عقايدهم فيهم حسرات اراهم اعمالهم التي عملوها لابتغاء الخير في الدنيا حسرات وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
كما كان عمل من قلبه محب ومثاله لما دون الله وفيه اشعار بان عمل كل عامل مردود الى ما اطمان به قلبه وسكنت اليه نفسه
وتعلق به خوفه ورجاه فمن غلب على شره شي فهو ربه الذي يصرف عمله اليه فلا يجد عنده جزاء لتبرؤه منه فيصيره حسرة عليه
فانباء تعالى بانهم لا ينصرونهم في الاخرة ولا يجزونهم على اعمالهم فلم ينفعهم تالههم اياهم والمتبوع منهم متاله لنفسه فلم يجد
عندها جزاء عمله فتحسر كل منهم على ما عمل من عمل الخير لاحباطه ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك
والحسرة اشد الاسف على الفايت الذي يحسر المتلهف اي يقطعه عما تحسر عليه انتهى ويدخلون باعمالهم النار وما هم اي بثابت
خروجهم بل هم وان خرجوا من السعير الى الزمهرير يعودون اليه بخارجين من النار يوما من الايام ولا ساعة من الساعات
بل هم خالدون فيها على طول الاباد ومر الاحقاب بخلاف عصاة المومنين فانهم اذا خرجوا منها لم يعودوا اليها قال الحرالي
وفيه اشعار بقصدهم الفرار منها والخروج كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها فانباء تعالى ان وجهتهم للخروج لا تنفعهم
فلم تبق لهم منة تنهضم منها حتى ينتظم قطع رجايهم من منة انفسهم بقطع رجايهم ممن اعتلقوا به من شركايهم ولم يكن وما هم
منها بمخرجين كما قال في اهل الجنة للاشعار بان الياس والانقطاع واقع منهم على انفسهم فكما كان بوادي اعمالهم في الدنيا من انفسهم
عندهم جرى نبا جزايها على حد ذلك في المعنى وكما كان اعمال اهل الجنة عندهم من توفيق ربهم جرى ذكر جزايهم على حد ذلك
من المعنى بحسب ما يقتضيه اختلاف الصيغتين انتهى ولعل الاية ناظرة الى قوله اول السورة ومن الناس من يقول امنا
بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين يعني كما ان في اهل الكتاب منافقين ومصارحين فكذلك في العرب فصار قوله ان الذين
كفروا سوا عليهم شاملا للاقسام الاربعة اتبع ذلك المنافقين من العرب ثم المنافقين والمشاققين من اهل الكتاب ثم المجاهدين
من العرب فصار قسما العرب مكتنفين لقسمي اهل الكتاب اشارة الى انهم المقصودون بالذات وانه سيومن اكثرهم ويغلبون اهل
الكتاب ويقتلونهم قتل الكلاب ولما عجب سبحانه من الضالين وبين من مثالهم ما يزجر مثله من له ادنى عقل فكانوا بذلك في
عداد المقبل بعد الادبار والمذعن بعد الاستكبار اقبل على الكل كما فعل في اية التوحيد الاولى فقال يايها الناس اعبدوا ربكم
اقبال متلطف بعموم الاذن في تناول ما ابدعه لهم ورحمهم به في هذا الملكوت المذكور في ضمن ما نصب من الادلة تذكيرا لهم بالنعمة
وتوددا اليهم بجميع ما يوجب المحبة واشارة الى انه هو الذي خلق لهم ما تقربوا به الى غيره مما ادعوا ندا من البحيرة والسايبة
والوصيلة وما شاكلها فقال يايها الناس وان اختصرت فقل لما اقام سبحانه الدليل على الوحدانية بما خلق من المنافع
وصنف الناس صنفين ضال معطوف دال بعطفه على غير مذكور على مهتد معطوف عليه وختم بتابيد عذاب الضال اقبل
على الصنفين اقبال متلطف مترفق مستعطف مناديا لهم الى تابيد نفعهم قايلا يايها الناس اي كافة وقال الحرالي لما استوفى
تعالى ذكر امر الدين الى ان انهاه من رتبة دين الاسلام الذي رضيه وكان الدين هو عذاب القلوب وزكوة الانفس نظم به ذكر
غذاء الابدان من الاقوات ليتم بذكر النماءين نماء الذوات ظاهرها البدني وباطنها الديني لما بين تعدي الابدان وقوام الاديان
من التعاون على جمع امري صلاح العمل ظاهرا وقبوله باطنا قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا الا بالورع الشافي وكما
قيل ملاك الدين الورع وملاكه الترف ونقصه السرف فكما انتظم الكتاب قصر الخلق على افضل متصرفاتهم في التدين اتصل
به قصرهم على افضل ماكلهم في التقوت ولما ذكر الدين في رتبتي صنفين من الناس والذين امنوا انتظم به ذكر الماكل في
صنفيهما فقال يايها الناس فانتظم بخطاب قوله تعالى يايها الناس اعبدوا ربكم لما بين العبادة والماكل من الالتزام
انتهى ولما كانت رتبة الناس من ادنى المراتب في خطابهم اطلق لهم الاذن تلطفا بهم ولم يفجاهم بالتقييد فقال مبيحا لهم
ما انعم به عليهم كلوا ولما كان في الارض ما لا يوكل قال مما في الارض اي مما بينا لكم انه من ادلة الوحدانية ولما كان في هذا
الاذن تنبيه على ان الكل له والانتفاع به يتوقف على اذن منه دلهم على ان فيه ما اباحه وفيه ما حظره فقال حلالا قال
الحرالي وهو ما انتفى عنه حكم التحريم فينتظم بذلك ما يكره وما لا يكره والتحريم المنع مما يلحق الاكل منه ضرر في جسمه كالميتة
او في نفسه كلحم الخنزير او رين على قلبه كما اهل لغير الله به ثم اشار الى ان ما حرم خبيث بقوله طيبا اي غير خبيث مستقذر
والاصل ما يستلذ ويوصف به على جهة التشبيه الظاهر لان النجس تكرهه النفس لقذره والحلال لان الحرام يقذره
العقل لزجر الشرع عنه وقال الحرالي الحلال مطلوب ليكتسب لا ليوكل حتى يطيب والطيب ما لا نزاع فيه انتهى ولما
كان هذا الصنف ادنى المتدينين قرن سبحانه باطعامهم مما في الارض لكونهم ارضيين نهيهم عن اتباع العدو المبني امره
على المنافرة فقال ولا تتبعوا واشار بصيغة الافتعال الى انهماك هذا الصنف على اللحاق به وانهم غير واصلين ما داموا
في هذا الخير الى تمام منابذته وانماء عليهم الجهد لان مخالفته لا تكون الا بمجاهدة كبيرة لا يقدرون عليها ما داموا في هذه
الرتبة خطوات جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي الشيطان اي طرقه في وساوسه في اتخاذ الانداد وتحريم الحلال
كالسوايب وتحليل الحرام كالميتات فان ذلك كله من امره كما ياتي في قوله ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام الاية وهو من
شطن اذا بعد وشاط اذا احترق فهو يبعدهم كما قال الحرالي عن وطن ما هم عليه من الايتمار في ماكلهم الى التناول بشهواتهم

اي خاصة واكد النفي بالجار فقال مخادعين

ليستدرجهم بذلك من خطوة الاكل بالشهوة الى الاكل بالهوى فيتداعى منها الى المحرمات انتهى ثم علل ذلك بقوله انه لكم عدو
بتكبره على ابيكم ومكره به وسؤاله الانظار لاضلالكم مبين اي ظاهر اجد العداوة فلا تتبعوا العدو في منابذة الولي ثم علل
ابانة عداوته والنهي عن اتباعه بقوله انما فحصر لينتفي عنه الامر بشي فيه رشد وفي قوله يامركم كما قال الحرالي انباء بما مكنه
الله حتى صار امرا بالسوء وهو خبايث الانفس الباطنة التي يورث فعلها مساءة والفحشاء قال الحرالي وهي ما يكرهه الطبع من رذائل
الاعمال الظاهرة كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع فيتفق في حكمه ايات الله الثلاث من الشرع والعقل والطبع بذلك يفحش
الفعل وان تقولوا على الله الحايز اقصى مراتب العظمة ما لا تعلمون مما تستقبحون قوله في اقل الموجودات من اشراك او ادعاء
ولد او تحليل وتحريم او غير ذلك ولقد ابلغ سبحانه في هذه الاية حسن الدعاء لعباده اليه لطفا منه بهم ورحمة لهم بتذكيرهم
في سياق الاستدلال على وحدانيته بما انعم عليهم بخلقه لهم اولا وبجعله لهم ملايما ثانيا واباحته لهم ثانيا وتحذيره لهم
من العدو رابعا الى غير ذلك من دقايق الالطاف وجلايل المنن في سياق مشير الى جميع اصناف الحلال وسبب تحليله قال
الاستاذ ابو الحسن الحرالي في كتاب العروة في حرف الحلال وجه انزال هذا الحرف توسيع الاستمتاع بما خلق الله في الارض
من نعمة وخيرة الموافقة لطباعهم وامتزجتهم وقبول نفوسهم في جميع جهات الاستمتاع من طعام وشراب ولباس ومركب
وماوى وساير ما ينتفع به مما اخرج الله ومما بثه في الارض ومما عمت ايديهم في ذلك من صنعة وتركيب ومزج ليشهدوا
دوام ليس الخلق الجديد في كل خلق على حسب ما منه فطر خلقه ولما كان الانسان مخلوقا من صفاوة كل شي توسع له بجهات
الانتفاع بكل شي الا ما استثني منه بحرف الحرام ووجهه كما استثني لادم اكل الشجرة من متسع رغد الجنة فكان له المتاع
بجميعه الا ما اضر ببدنه او خبث نفسه او ران على علم قلبه وذلك بان يسوغ له طبعا وتحسن مغبته في اخلاق نفسه ويسنده
قلبه لمنعمه الذي يشهد منه بداياته وتكملاته تجربة ثم كمل القران ذلك باخلاصه للمنعم من غير اثر لما سواه فيه رجاء منزله
بحسب ترتيب القران قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ومن اوايله بحسب ترتيب البيان والله اعلم هو الذي
انزل لكم من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون الاية وساير الايات الواردة في سورة النحل وفي سورة يس اذ هي
القلب الذي منه مدار القران كله في قوله تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون الايات
الى ساير ما في القران من نحوه ومن متسع خلال هذا الحرف وقعت الفتنة على الخلق بما زين لهم منه زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين الاية ووجه فتنته ان على قدر التبسط فيه يحرم من طيب الاخرة اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم
بها انما يلبس هذا من لا خلاق له في الاخرة فاستمتعوا بخلاقهم ومن رؤية سوء هذا المخبر نشا زهد الزاهدين ومن رؤية
حسن المتجر وربحه وتضاعفه الى ما لا يدرك مداره ونعيمه في بيع خلاق الدنيا بخلاق الاخرة نشا ورع المتورعين فاستراحت
قلوبهم بالزهد وانكفوا بالورع عن الكدر وتفرغت قلوبهم واعمالهم لبذل الجد في سبيل الحمد وتميز الشقي من السعيد بالرغبة
فيه او عنه فمن رغب في الحلال شقي ومن رغب عنه سعد وهو الحرف الذي قبض بسطه حرف النهي حتى لم يبق لابن ادم حظ فيما
زاد على خلف الطعام وهي كسرة وثوب يستره وبيت يكنه وما زاد عليه متجر ان انفقه ربحه وقدم عليه وان ادخره
خسره وندم عليه ولذلك لم ياذن الله لاحد في اكله حتى يتصف بالطيب للناس الذين هم ادنى المخاطبين بانسلاخ اكثرهم
من العقل والشكر والايمان يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ومحا اسمه عن الذين امنوا وهم الذين لا يثبتون ولا
يديمون على خير احوالهم بل يخلطون وذلك في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وهو ما طيبه حرف
النهي علما وبرئ من حواز القلوب طمانينة وتمم وانهى صفوه للمرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وورد جوابا لسوالهم
في قوله تعالى يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات فمن اثر حرف النهي على حرف الحلال فقد تزكى واتبع الاحسن وصح
هداه وصفا لبه ومن اثر حرف الحلال على حرف النهي فقد تدسى وحرم هدى الكتب وعلم الحكمة ومزيد التابيد بما فاته من
التزكية وتورط فيه من التدسية وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل ثم قال فيما به تحصل قراته اعلم ان الانسان لما
كان جامعا كان بكل شي منتفعا اما في حال السعة فمع استثناء اشياء يسيرة مما يضره من جهة نفسه او غيره او ربه على ما ذكر
في الفصل الاول اي حرف الحرام هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الاية واما في حال الضرورة
فبغير استثناء البتة فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم والذي به
تحصل قراءة هذا الحرف اما من جهة القلب فمعرفة حكمة الله في المتناول من مخلوقاته ومعرفة اخص منافعها مما خلقه ليكون
غذاء في سعة او ضرورة واداما او فاكهة او دواء كذلك ومعرفة موازنة ما بين الانتفاع بالشي ومضرته واستعماله على
حكم الاغلب من منفعته او اجتنابه على حكم الاغلب من مضرته قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما وذلك مدرك
عن الله سبحانه باعتبار العقل وادراك الحس في مخلوقاته كما ادركه الحنيفيون كان الصديق رضي الله عنه قد حرم الخمر
على نفسه في الجاهلية وكان اذا اخذ عليه في ذلك يقول والله لو اصبت شيا اشتريته بمالي كله يزيد في عقلي لفعلت فكيف
اشتري بمالي شيا ينقص من عقلي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما ينبه على حكمة الله في الاشياء التي بها تتناول او
تجتنب عملا بقوله تعالى يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقال لطلحة رضي الله عنه وقد ناوله سفرجلة تذهب بطخا الفواد
وقال لابي هريرة رضي الله عنه وهو رمد في خبز الشعير والسلق كل من هذا فانه اوفق لك وقال في التمر والقثاء حر هذا يكسر
برد هذا وقال لزيد اتاكل التمر وانت رمد وقال لعايشة رضي الله عنها في الماء المشمس لا تفعلي يا حميرا فانه يولد البرص

وقال

وقال استاكوا بكل عود ما خلا الآس والرمان فانهما يهيجان عرق الجذام وقال لامراة استطلقت بالسبرم جار جار الا استطلقت
بالسنا فانه لو كان شي يذهب الدا لاذهبه السنا الي غير ذلك مما اذا اباحه او حظره نبه علي حكمته وكانت عايشة رضي الله عنها
تقول للمريض اصنعوا له حريرة فانها مجمة لفواد المريض وتذهب بعض الحزن ومثل ذلك كثير من كلام العلما ومجربات الحكما ومعارف
الحنفا قال الشافعي رحمه الله في قوله تعالي يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث الطيبات ما استطابته نفوس العرب والخبايث
ما استخبثته نفوس العرب هذا من جهة القلب واما من جهة النفس فسخاوها بما يقع فيه الاشتراك من المنتفعات المحللات
لان الشح بالحلال عن مستحقه محظر له علي المختص به الضيافة علي اهل الوبر واذا حضر القسمة اولوا القربي واليتامي
والمساكين فارزقوهم منه وآت ذا القربي حقه والمسكين وابن السبيل فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر وكذلك صبرها
عما تشتهيه من المضرات من الوجوه المذكرة انما الخمر والميسر الي قوله لعلكم تفلحون ولا تاكلوا اموالهم الي اموالكم ومن يوق
شح نفسه فاوليك هم المفلحون وكذلك التراضي وطيب النفس فيما يقع فيه الاشتراك الا ان يكون تجارة عن تراض منكم فان طبن
لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا هذه الشروط الثلاثة من السخا والصبر والتراضي في النفس واما في العمل وتناول اليد
فاول ذلك ذكر الله والتسمية عند كل متناول لان كل شي فما تنول باسمه اخذ باذنه وما تنول بغير اسمه اخذ تلصصا علي
غير وجهه وشارك الشيطان في تناوله فتبعه المتناول معه في خطواته وشاركهم في الاموال والاولاد جا اعرابي وصبي
لياكلا طعاما بين يدي النبي صلي الله عليه وسلم بغير تسمية فاخذ بايديهما وقال ان الشيطان جا يستحل بهما هذا الطعام ۝
والذي نفسي بيده ان يده في يدي مع ايديهما فسمي النبي صلي الله عليه وسلم واكل ثم اطلقهما وقال كلا باسم الله وقال لغلام
اكل يا غلام سم الله والثاني التناول باليمين لان الشيطان ياكل بشماله واليمين خادم ما علا من الجسد والشمال خادم ما
سفل منه والثالث ان يتناول تناول تقنع وترفع عن تناول النهبة كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ياكل بثلاثة
اصابع ويشرب مصا في ثلاث وقال هو ابرا وامرا ولهنا وقال الكماد من العب والرابع الاكتفا بما دون الشبع لما في
ذلك من حسن اغتذا البدن وحفظ الحواس الظاهرة والباطنة ومن علامات الساعة ظهور السمن عن الاكل في الرجال
وما ملا ابن آدم وعاشرا من بطن وما دخلت الحكمة معدة مليت طعاما والمومن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة
امعا لتوكل المومن في قوامه ولاتكال الكافر علي الغذا في قوته وحسب المومن لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فاعلا
فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس انتهي قلت ولعل المراد ان الكافر ياكل شبعا فياكل ملا بطنه لان الامعا كما
قالوا سبعة والمومن ياكل تقوتا فياكل في معا واحد وهو شبع بطنه فان لم يكن ففي معاين وشي وهو الثلث والله اعلم ۝
قال الحرالي والخامس حمد الله تعالي في الختام لان من لم يحمد الله في الختام كفر بنعمته ومن حمد غير الله آمن بطاغوته فهذه الامور
معرفة في القلب وحالا في النفس وادبا في العمل يصح قراة حرف الحلال ويحصل خير الدنيا ويتمهد الاساس لبنا خير الاخرة
والله ولي التوفيق انتهي ولما نهاهم سبحانه عن متابعة العدو ذمهم بمتابعته مع انه عدو من غير حجة بل بمجرد التقليد
للجهلة فقال عاطفا علي ومن الناس معجبا منهم واذا قيل اي من اي قايل كان ولما كان الخطاب للناس عامة وكان اكثرهم
مقلدا ولا سيما للابا اعاد الضمير عليهم والمراد اكثرهم فقال لهم اتبعوا اي اجتهدوا في تكليف انفسكم الرد عن الهوي الذي
نفخه فيها الشيطان وفي قوله ما انزل الله اي الذي له العلم الشامل والقدرة التامة انعطاف علي ذلك الكتاب لا ريب فيه
وما شاكله قالوا بل اي لا نتبع ما انزل الله بل نتبع اي نجتهد في تبع ما الفينا اي وجدنا قال الحرالي من الالفا وهو وجدانا
لامر علي ما الفه المتبصر فيه او الناظر اليه عليه اباءنا اي علي ما هم عليه من الجهل والعجز قال ففيه اشعار بان عوايد الاباء
منهية حتي يشهد لها شاهد ابوة الدين ففيه التحذير في رتب ما بين حال الكفر الي ادني الفتنة التي شان الناس ان يتبعوا
فيها عوايد ابائهم انتهي ولما ابوا الا الف وهاد التقليد فدنوا علي السمو الي عداد اولي العلم بالنظر الشديد انكر عليهم سبحانه
ذلك فقال مبكتا لهم اولوا اي ايتبعون اباءهم والحال انه لو كان اباؤهم لا يعقلون ببصاير قلوبهم شيا من الاشيا المعقولة
ولا يهتدون بابصار عيونهم الي شي من الاشيا المحسوسة ولما كان التقدير فمثلهم حينئذ كمن تبع اعمي في طريق وعر خفي في
فلوات شاسعة كثيرة الخطر عطف عليه ما يرشد الي تقديره من قوله منبها علي انهم صاروا بهذا كالبهايم بل اضل لانها
وان كانت لا تعقل فهي تسمع وتبصر فتهتدي الي منافعها ومثل وبين الوصف الذي حملهم علي هذا الجهل بقوله الذين كفروا
اي ستروا ما يعملون من عظمة الله وقدرته وعلمه وحكمته بما عندهم من الهوي في انهم لا يسمعون من الدعا الا جرس النعمة
ودوي الصوت من غير القا ادهان ولا استبصار كمثل قال الحرالي المثل ما يتحصل في باطن الادراك من حقايق الاشيا
المحسوسة فيكون الطف من الشي المحسوس فيقع لذلك جالبا لمعني مثل المعني المعقول ويكون الاظهر منهما مثلا للاخفي
فلذلك ياتي استجلا المثل بالمثل ليكون فيه تلطف للظاهر المحسوس وتنزيل للغايب المعلوم ففي هذه الاية يقع الاستجلا
بين المثلين لا بين الممثولين لتقارب المثلين يعني وهو وجه الشبه وتباعد الممثولين وفي ذكر هذين المثلين تقابل يفهم
مثلين اخرين فاقتضي ذلك تمثيلين في مثل واحد كان وفا اللفظ الذي افهمه هذا الايجاز مثل الذين كفروا ومثل داعيهم
كمثل الداعي ومثل ما يرعي من البهايم وهو من اعلي خطاب فصحا العرب ومن لا يصل فيه الي جمع المثلين يقتصر علي تاويله بمثل
واحد فيقدر في الكلام ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق اي يصيح وذلك لان التاويل يحمل علي الاضمار والتقدير
والفهم يمنع منه ويوجب فهم ايراد القران علي حده ووجهه وقال بما اي بسبب شي من البهايم التي لا عقل لها فهو لا يسمع

يصيح

الا دعاء اي من الناعق فيما يدعي اليه من قوام غذائه ونسله وندائه فيما يساق اليه فحل دعائه من حيث ان الدعا يشعر بالبعد والدعا يشعر بالشروع في المقصد انتهى فالكافرون في كونهم لا يرجعون عن غيهم لما يسمعون من الادلة وهم اولوا عقل وسمع وبصر كالبهم التي تسمع وتبصر ولكنها لكونها لا تعقل لا ترجع بالكلام لانها لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته بل بالجر والعصي فان الراعي اذا اراد رجوعها عن جهة صاح بها او رمى بحجر الى ما امامها فترجع فهي محل مثلهم الذي هو عدم الادراك والبهم في كونها لا ترجع بالنداء بل بقارع كالاصم الابكم الاعمى الذي لا يرجع الا بقارع يصكه في وجهه فينكص على عقبه فهو محل مثلها وداعيهم في كونه يتكلم فلا يوثر كلامه مع المبالغة فيه كراعي البهم فهو موضع مثله وراعي البهم من حيث انه لا ترجع الا بضربه بالحجر او غيره كالسوط الذي يقع به الاصم او كضارب الاصم المذكور فهو محل مثله فلذلك كانت نتيجة التمثيل قوله صم اي لا يسمعون بكم اي لا ينطقون عمي اي لا يبصرون وقد علم بهذا ان الاية من الاحتباك حذف من الاول لدلالة الداعي لدلالة الناعق عليه ومن الثاني المنعوق به لدلالة المدعوين عليه ولما كان موجود ادراك العقل هو حقايق المحسوسات وقد نفى عنهم الحس المدرك للمحسوسات ترتب عليه قوله فهم بالفاء ربطا وتعقيبا وتسبيبا لا يعقلون لانهم لا ينتفعون بعقولهم كما ان هذا الاصم كذلك وفاه بلا النافية للممتنع وصيغة المضارع المبنية على الدوام قال الحرالي ولما اخبر تعالى ان الدعاء لا يزيدهم الا نفورا رقى الخطاب من الناس الى اعلى منهم رتبة فقال امرا لهم امرا باحة ايضا وهو ايجاب في تناول ما يقيم البنية وحفظها يا ايها الناس كلوا وقال الحرالي لما كان تقدم الخطاب في امر الدين في رتبتين اوليهما يا ايها الناس اعبدوا ربكم وثانيتهما يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فامر الناس فيه بالعبادة وامر الذين امنوا بحسن الرعاية مع النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هنا امر الناس بالاكل مما في الارض ونهى عن اتباع خطوات الشيطان واشعر الخطاب بانهم ممن يتوجه الشيطان نحوهم للامر بالسوء والفحشاء والقول بالهوى وامر الذين امنوا بالاكل من طيبات فاعرض في خطابهم عن ذكر الارض لتناول لهم الرزق من السماء فان ادنى الايمان عبادة من في السماء واستيزاق من في السماء كما قال للسوداء اين الله قالت في السماء قال اعتقها فانها مومنة قال تعالى وفي السماء رزقكم فاطعم الارضيين وهم الناس مما في الارض واطعم السماء وبين وهم الذين امنوا من رزق السماء وكذلك رخص هذا الخطاب لفظ الحلال لما كان اخذ رزقه من السماء متنا ولا طيبا لبراءته من حال ما في الارض مما شانه ضر في ظاهر او اذى في باطن ولذلك لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المومن منها حلالا فالمسترزق من السماء مصير المحروم له حلالا لاحزه منه عند الضرورة تقوتا لا تشهيا ويصير الحلال له طيبا لاقتناعه منه بالكاف دون التشهي يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وفي مورد هذين الخطابين بيان ان كلمة الناس واقعة على سن من اسنان القلوب وكلمة الذين امنوا واقعة على سن فوقه وليس يقع على عموم يشمل جميع الاسنان القلبية فتوهم ذلك من اقفال القلوب التي تمنع تدبر القرآن لان خطاب القرآن يتوجه لكل اولي سن على حسب سن قلوبهم لا يصلح خطاب كل سن الا له يقاصر عنه من دونه ولا يحتاج اليه من فوقه وهي اسنان متعددة سن الانسان ثم سن الناس ثم سن الذين امنوا ثم سن الذين يوقنون ثم سن المومنين ثم سن المومنين حقا ثم سن المحسنين هذه اسنان سبعة خطابا تقامر تبة بعضها فوق بعض ومن وراء ذلك اسنان فوقها من سن الموقنين وما وراء ذلك الى احوال اثناء هذه الاسنان من حال الذين اسلموا والمسلمين ومن يوصف بالعقل والذكر والفكر والسماع وغير ذلك من الاوصاف التي يلازم تلك الاسنان في رتب مترافيه لا يشمل ادناها اعلاها ولا ينهض ادناها لرتبة خطاب اعلاها الى ما وراء ذلك من خصوص خطاب النبي صلى الله عليه وسلم فيه بما لا يليق الا به ومن هو منه من آله وفي انتظام تفصيل هذه الرتب جامعة لما يقع من معناه في سائر القرآن انتهى ولما كانت هذه الرتبة كما تقدم ارفع من رتبة الناس خص في خطابهم بعد بيان ان ما لم يحل خبيث فقال من طيبات ولم يات بذلك العموم الذي تالف به الناس ولما كانوا في اول طبقات الايمان نبههم على الشكر بقوله في مظهر العظمة ما رزقناكم واخلصناه من الشبه ولا تعرضوا لما فيه دنس كما احله المشركون من المحرمات ولا تحرموا ما احلوا منها من السائبة وما معها ثم صرح به في قوله آخرا امرا ايجاب واشكروا لله اي وخصوا شكركم بالمنعم الذي لا نعمة الا منه وهذا بخلاف ما ياتي في سورة المومنين خطابا لا على طبقات الخلص وهم الرسل ولما كان الشكر لا يصح الا بالتوحيد علقه باختصاصهم اياه بالعبادة فقال ان كنتم اياه اي وحده تعبدون فان اختصاصه بذلك سبب الشكر فاذا انتفى الاختصاص الذي هو السبب انتفى الشكر وايضا اذا انتفى المسبب الذي هو الشكر انتفى الاختصاص لان السبب واحد منهما يتساويان بارتفاع الاخر وقال الحرالي ولما كان هذا الخطاب منتظما لتناول الطيب والشكر وحقيقته البذل من الطيب شكر كل نعمة اظهار على حدها من جاه او مال او علم او طعام او شراب او غيره وانفاق فضلها والامتناع منها بالادني والنجاء بفضلها لمبتغي الاجر وايلاغها الى اهلها لمودي الامانة كان ابرى العباد خزائن الملك الجواد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض فلما كان ذلك لا يتم الا بمعرفة بالله المخلف على من انفق كما قال وما انفقتم من شيء فهو يخلفه نبههم على عهدهم الذي لقنوه في سورة الفاتحة في قوله اياك نعبد واياك نستعين فقيل لهم كلوا واشكروا ان كنتم اياه تعبدون فمن عرف الله بالكرم هان عليه ان يتكرم ومن عرف الله بالانعام والاحسان هان عليه ان يحسن وهو شكره من ايقن بالخلف جاد بالعطية انتهى ولما قيد الاذن لهم بالطيب من الرزق افتقر الامر الى بيان الخبيث منه ليجتنب فبين صريحا ما حرم عليهم مما كان المشركون يستحلونه ويحرمون غيره وافهم حل ما عداه وانه كثير جدا لارادة المخاطب شكرا فقال انما حرم عليكم وقال الحرالي ولما كان ادراك المومنين لمقتضى الخطاب فوق ادراك الناس خاطبهم تعالى بذكر ما حرم عليهم فناظر ذلك ما نهى عنه الناس من اتباع خطوات الشيطان

فقال

فقال انما حرم واجري اضماره على الاسم العظيم الاول اعلاما بان الذي اذن لهم انما حرم عليهم ما لا يصلح لهم بكل وجه
لشدة مضرته عليهم في احاطة ذواتهم ظاهرها وباطنها لما ذكر ان المحرم اما لحرمته علوا كالبلد الحرام وتحريم الام او لحرمته
دناة كتحريم هذه المحرمات ففي كلمة انما نفي لمتوهمات ما يلحقه التحريم بما دون المذكور هنا كان قايلا يقول حرم كذا وحرم كذا
من نحو ما حرمته الكتب الماضية او حرمته الاهوا المختلفة او حرمه نظر علمي كالذي حرم اسرايل على نفسه فكان الافهام
لرد تلك المحرمات كلها انتهى فالمعنى والله اعلم انكم حرمتم الوصيلة والسايبة وغيرهما مما احله الله واحللتم الميتة والدم وغيرهما
مما حرمه الله ولم يحرم الله عليكم من السايبة وما معها مما حرمتموه ولا غيره مما استحللتموه ما ذكرته هذه الاية واذا راجعت
ما في قوله تعالى في الانعام فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقوله قل لا اجد فيما
اوحي الي من كتابي هذا عرفت المراد من هذه الاية وقال الميتة اي التي سماها بذلك اهل العرف وهي ما فارقه الروح من
غير ذكاة شرعية وهو مما يذكى قال الحرالي وهي ما ادركه الموت من الحيوان عن ذبول القوة وفناء الحيوة وهي اشد مفسد للجسم
لفساد تركيبها بالموت وذهاب تلزز اجزايها وعنفها وذهاب روح الحيوة والطهارة منها والدم اي الجاري لانه جوهر
مرتكس عن حال الطعام ولم يبلغ بعد الى حال الاعضاء فهو ميتة من خاص حيوته مرتكس في جوهره الا من طيب الله كليته كما في محمد
صلى الله عليه وسلم وفيمن نزع عنه خبث الظاهر والباطن طبعا ونفسا ولحم الخنزير لاذاه للنفس كما حرم ما قبله لمضرتهما
في الجسم لان من حكمة الله في خلقه ان من اغتذى جسمه بجسمانية شي اغتذت نفسانيته بنفسانية ذلك الشي الكبر والخيلاء في
الفدادين اهل الوبر والسكينة في اهل الغنم فلما جعل في الخنزير من الاوصاف الذميمة حرم على من حوفظ على نفسه من ذميم
الاخلاق واللحم ما لحم بين اخفى ما في الحيوان من وسط عظمه وما انتهى اليه ظاهره من سطح جلده وعرف غلبة استعماله على رطبه
الاحمر وهو هنا على اصله في اللغة يجمع اللحم الاحمر والشحم والاعصاب والعروق الى حد الجلد وما اشتمل عليه ما بين الطرفين من
اجزاء الرطوبات واذا حرم لحمه الذي هو المقصود بالاكل وهو اطيب ما فيه كان غيره من اجزايه اولى بالتحريم ولما حرم ما
يضر الجسم ويؤذي النفس حرم ما يرين على القلب فقال وما اهل والاهلال رفع الصوت لرؤية امر مستعظم به اي رفع
رافع الصوت بسببه ذابحا لغير الله اي الذي لا كفو له بوجه قال الحرالي لان ما لم يذكر عليه اسم الله اخذ من يد من ذكر عليه
اسمه وليس ذلك خالقه ولا مالكه انما خالقه ومالكه الله الذي جعل ذكر اسمه عليه اذنا في الانتفاع به وذكر على ازهاق
الروح من هي من نفخته لان من لا يجد للدعوى فيها سبيلا من الخلق وذكر الاهلال اعلام بان ما اعلن عليه بغير اسم الله هو اشد
المحرم ففي افهامه تخفيف الخطاب عما لا يعلم من خفي الذكر قالوا يا رسول الله ان ناسا ياتوننا بلحمان لا يدري اسموا الله عليها
ام لا فقال صلى الله عليه وسلم سموا الله انتم وكلوا فكان المحرم ليس ما لم يعلم ان اسم الله ذكر عليه بل الذي علم ان غير اسم الله
قد اعلن به عليه وفي تقدم اضمار المحرم في قوله به تاكيد لمعناه لانهم يقدمون ما هم به اهم وهم ببيانه اعني قال صلى الله
عليه وسلم ابدا وا بما بدا الله به فلما كانت هذه الاية جامعة اي التحريم اظهر فيها تقديم العناية بالمحرم وهي في الابلاغ انهى
معنى من الذي اخر فيها هذا الضمير ولما كان هذا الدين يسرا لا عسر فيه ولا حرج ولا جناح رفع حكم هذا التحريم عن المضطر
ولما كان شان الاضطرار ان يشمل جمعا من الخلق انباهم تعالى بان هذا الذي رفع عنهم من التحريم لا يبرا من كلية الاحكام
بل يبقى مع هذه الرخصة موقع للاحكام في البغي والعدوان فقال فمن اضطر اي احوجه محوج والجاه ملجي يلجي ضرورة كانت
الى اكل شي مما حرم بان اشرف على التلف فاكل من شي منه حال كونه غير باغ اي قاصد فسادا بمكيدة يكيد بها لضعفه اخذا
من تلك الميتة هو اقوى منه كان يحيله على غيرها خداعا منه ليستاثر عليه بالاحسن منها ولا عاد على غيره بان يكون اقوى
منه فيدفعه عنها ولا مجاوز لسد الرمق وازالة الضرورة ويدخل في الاية ان من بغى على امام او قصد بضربه في الارض فسادا
او عدا على احد ظلما فحصل له بسبب ذلك مخمصة لا تحل له ما كان حراما اما لان في ذلك اعانة له على معصيته فان تاب
استباح فلا اثم عليه لان من التحريم الاول ولا من الحكم الاخر ولو كان رفع الاثم دون هذين الاشتراطين لوقع بين المضطرين
من البغي والتسلط ما مثله لا يحل لغير المضطرين فانتفى الاثم على صحة من الامرين وارتفاع الحكمين ففي السعة يجتنب ما يضر
وفي الضرورة يوثر ضرورة الجسم لقوامه على حكم الكتاب في اقامته وفي افهامه ان من اضطر لشي مما حرم عليه فاكله لم تنله مضرة
لان الله تعالى اذا اباح شيا اذهب ضره ان الله لم يجعل شفا امتي فيما حرم عليها ففيه تنبيه لتعبير هذه الاعيان للمضطر كما
كانت عليه حتى تكون رخصة في الظاهر وتطييبا في الباطن فكما رفع عنه حكمها الكتابي يتم فضله فيرفع عنه ضرها الطبيعي
ثم علل هذا الحكم مرهبا ومرغبا بقوله ان الله فاتى بهذا الاسم المحيط اشارة الى عموم هذا الحكم للمضطر والموسع في قوله
غفور اشعار بانه لا يصل الى حال الاضطرار الى ما حرم عليه احد الا عن ذنب اصابه فلولا المغفرة لتمت عليه عقوبته
لان المومن او الموقن لا تلحقه ضرورة لان الله لا يعجزه شي وعبد الله لا يعجزه ما لا يعجز ربه وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم
من قبله لمبلسين فالياس الذي يحوج الى ضرورة انما يقع لمن هو دون رتبة اليقين ودون رتبة الايمان جهز رسول الله صلى
الله عليه وسلم جيشا ففنيت ازوادهم فاقاموا اياما يتقوتون بيسير حتى تقوتوا بتمرة تمرة فاخرج الله لهم العنبر دابة من
البحر فلم يحوجهم في ضرورتهم الى ما حرم عليهم بل جاءهم في ضرورتهم بما هو اطيب ما كلهم في حال السعة من صيد البحر الذي
هو الطهور ماؤه الحل ميتته وفي قوله رحيم انباء بان من اضطر فاصاب مما اضطر اليه شيا لم يبغ فيه ولم يعد تناله
من الله رحمة توسعة عن ان يضطر بعدها الى مثله فيغفر له الذنب السابق الذي اوجب الضرورة ويناله بالرحمة الموسعة

التي ينال بها من لم يقع منه ما وقع ممن اضطر الى مثله انتهى وتصرفت فيه ولما كان في بيان هذه المحرمات الاشارة الى غيب من استحلها
من العرب وترك ما امر به من الطيبات جهلا وتقليدا تلاها بتكرير عيب الكاتمين لما عندهم من الحق مما انزل في كتابهم من صفة النبي صلى
الله عليه وسلم وامر الحج وامر القبلة وغيرها مما يصدق هذا الكتاب الذي لا ريب فيه خوفا على انقطاع ما كان يهدي اليهم برياستهم في
دينهم على وجه عايب لهم لاستحلالهم اكل السحت على علم مبين انهم استحقوا الذم من وجهين احدهما نفس الاكل على هذا الوجه المودي
الى الاعراض عن الطيبات والموافقة للعرب الثاني كونه على كتمان ما يعلمون من الحق فقال ان الذين يكتمون موكدا لذمهم بانواع التاكيد
ولقد بدع ايلاؤه لصنفي المغفرة والرحمة كما ختم اية الكتمان الاولى بوصفي التوبة والرحمة فكان مع ما فيه من الترغيب من قبيل
الاحتراس اي انه لا يغفر لمثل هولاء الا ان اتصفوا بما اشارت اليه الاية الاولى من التوبة قوله ما انزل الله باسناد الانزال الى
اسمه الاعظم لاحاطة الكتاب بمختلفات الاحكام من الكتاب اي من حدوده واحكامه وغير ذلك مما اشارت اليه الاية الاولى بالبينات
والهدى من الحكم والاحكام ولما كان من الكتم ما يكتمون لقصد خير فكم من كلمة حق اريد بها باطل قيده بقوله ويشترون به ثمنا
قال الحرالي والثمن ما لا ينتفع بعينه حتى يصرف الى غيره من الاعواض فايعاد على ما يتضمن جهل الكاتم وحرصه باستكسابه بالعلم
واجرايه في غير ما اجراه تعالى على السنة انبيايه وما اسالكم عليه من اجر ولما كان كل ما لم يثبت من خير الدنيا في الاخرة وان جعل
حقيرا قال قليلا هذا المراد لا تقييده بالقليل ولما كانوا قد بعدوا عن مواطن الرحمة ينحلهم بما لا ينقصه الاتفاق اشار اليهم
باداة البعد فقال اولئك في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم به اشعار بوقوع ذلك من طايفة من امته حرصا على الدنيا ما ياكلون اي
في هذه الحال على ما دلت عليه ما ولما كان الاكل يطلق على مجرد الافساد حقق معناه بقوله في بطونهم جمع بطن وهو فضا جوف
الشي الاجوف لغيبته عن ظاهره الذي هو ظهر ذلك البطن الا النار كما احاط علمه تعالى بالغيب ان ذلك على الحقيقة وبصره لعيون
اهل الكشف الذين يرون العواقب في الاوايل والغيب في الشهادة وفي ذكره بصيغة الحصر نفي التاويل المتاول بكونه سببا وصرف
له الى وجه التحقيق الذي يناله الكشف ويقصر عنه الحس فكانوا في ذلك كالخدر الذي يجعل يده في الماء الحار ولا يحس به فيشعر
ذلك بحواس هولاء عن حال ما تناولوه ولما قدم الوعيد في الثمن لكونه الحامل على الكتم اتبعه وعيد نفس الكتم فقال ولا يكلمهم الله
اي الملك الاعظم الذي من كلمه اقبل كل شي عليه كلاما يدل على رضى لكونهم لم يكلموا الناس بما كتب عليهم يوم القيمة تاكيدا لما اشارت
اليه ما من ان المراد بالذي قبله الحال ولا يزكيهم اي يطهرهم من دنس الذنوب او يثني عليهم او ينمي اعمالهم بما يحصل لهم من المشاق
يوم التلاق كما يزكي بذلك من يشا من عباده لانهم كتموا عن العباد ما يزكيهم وفي هذا تعظيم لذنب كتم العلم ولهم مع هذا العذاب
عذاب اليم لما اوقعوا فيه الناس من التعب بكتمهم عنهم ما يقيمهم على المحجة السهلة ولما ذكر جزاهم اتبعه ترجمة حالهم موكدا
لبعدهم فقال اولئك الذين اشتروا اي لجاجا وتماديا في الغي الضلالة عن طريق الخير بالهدى ولما ذكر حالهم في الدنيا اتبعه
امر الاخرة فقال والعذاب بارتكابهم هذه الموقعة بالمغفرة الذي كانت تنجيهم اذا محت صغايرهم لو اسلموا من هذه المعضلة
التي كاسبب الضلال خلق كثير فكان عليهم وزرهم ولما جعل سبحانه اول ما كلهم نارا واخر امرهم عذابا وترجمة حالهم عدم المغفرة
فكان بذلك ايضا اوسط حالهم نارا سبب عنه التعجيب من امرهم بحبسهم انفسهم في ذلك الذي هو معنى الصبر لالتباسهم بالنار
حقيقة او بموجباتها من غير مبالاة فقال فما اصبرهم اي ما اشد حبسهم انفسهم او ما اجراهم على النار التي اكلوها في الدنيا
فاحسوا بها في الاخرى ذكر كثيرا من ذلك الحرالي غير اني تصرفت فيه واذا جعلته مجازا كان مثل قولك لمن عاند السلطان ما
اصبرك على السجن الطويل والقيد الثقيل تهديدا ولما ذكر جزاوهم وشرح حالهم والتعجيب من امرهم ذكر السبب الموجب
لهذا الايعاد العظيم والتهديد الكبير فقال ذلك مشيرا باداة البعد بان الله فذكر الاسم الاعظم ايضا الذي معناه ان له جميع
صفات الكمال تعظيما للمقام نزل الكتاب اي الجامع لانواع الهدى منجما تقريبا للافهام وتدريبا للخاص والعام وهو صالح لارادة
القران والتورية بالحق اي الثابت الكامل في الثبات فمن كتمه فقد حاول نفي ما اثبته الله فقد ضاد الله في ملكه ومن خالف
فيه وهو الذي لا شبهة تلحقه فقد عد الواضح ملبسا فقد ابعد المرمى ولما كان التقدير فاختلفوا اتبعه قوله وان الذين
اختلفوا اي خالف بعضهم بعضا في الكتاب نفسه اي لا في فهمه وهذه العبارة تدل على ان الاختلاف قول بعض في الكتاب كله
او في شي منه هو باطل ونحو هذا لفي شقاق يكون كل واحد منهم في شق بعيد جدا عن شق اهل الحق ولذلك خاف الصحابة رضوان
الله عليهم من اختلاف هذا الدين في القران كما اختلف اليهود والنصارى فجمعوهم على مصحف واحد فليس الاختلاف في وجوه الروايات
وانحا الفهم من ذلك وقد وقع كما ترى تنبيه المشركين من العرب بدون ما تضمنه تنبيه بني اسرايل من التقريع والتوبيخ
لفرقان ما بينهم لان كفر المشركين عن جهل وكفر اولئك عن تعنت بعد تكرر مشاهدة الايات ومن تدبر القران وطالع التورية
علم طول مكث موسى عليه السلام فيهم يتلوا عليهم التورية على حسب تنزيلها شيا فشيا وانهم كانوا مع ذلك كلما شاهدوا اية
احدثوا كفرا وخلعوا شكرا وسالوا غيرها عنادا ومكرا وجعلنا قلوبهم قاسية وقد مر في اول السورة عن التورية كثير
من ذلك وسياتي ان شا الله بقيته في المواضع اللايقة به من ايات القران وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير ومتى بين شي في
الكتاب العزيز من احوال النصارى فليس على ما ورد من مثله في اليهود لما ذكر اي من ان كفرهم تعنت وخطاب مشركي العرب فيما
اشير اليه دون خطاب الفريقين اذ قد تقدم لهم ما لم يتقدم للعرب وبشروا في كتبهم وليس لمشركي العرب مثل ذلك والزيغ عن الهدى
شامل للكل وليسوا في شي من الصراط المستقيم مع ان اسوا الاحوال حال من اضله الله على علم وهنا انتهى ذكر ما حذر منه ونهى عنه من اراد
سلوك الصراط المستقيم وبيان حال من حاد عنه وتنكبه وطنانه على شي وضم مفترق اصناف الزايغين في اصناف ثلثة وهم اليهود

والنصارى

والنصارى واهل الشرك وبهم يلحق سائر من تنكب فيلحق باليهود منافقوا امتنا ممن ارتاب بعد اظهار ايمانه وفعل افاعيلهم
من المكر والخديعة والاستهزاء ويلحق بالنصارى من اتصف باحوالهم وبالمشركين من جعل لله ندا واعتقد فعلا لغيره على غير طريقة
الكسب والمجوس لاحقون باهل الشرك والشرك اكثر هذه الطرق الستة تشعبا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الشرك اخفى من
دبيب النمل ومن فعل افعال من ذكر ولم ينته به الامر الى مفارقة دينه والخروج في شي من اعتقاده خيف عليه ان يكون ذلك
وسيلة الى اللحوق بمن تشبه به والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا اذا حدث كذب واذا
عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر الى اشباه هذا من الاحاديث انتهى ولما بين سبحانه كفر اهل الكتاب الطاعنين في
نسخ القبلة بتكذيب الرسول وكتمان الحق وغير ذلك الى ان ختم بكفرهم بالاختلاف في الكتاب وكتمان ما فيه من مؤيدات الاسلام
اتبعه الاشارة الى ان امر الفروع اخف من امر الاصول لان الفروع ليست مقصودة لذاتها فالاستقبال الذي جعلوه من جملة
شقاقهم ان كتموا ما عندهم من الدلالة على حقيقته واكثروا الافاضة في عيب المتقين به ليس مقصودا لذاته وانما المقصود بالذات
الايمان فاذا وقع تبعته جميع الطاعات من الصلوة المشترط فيها الاستقبال وغيرها فقال تعالى ليس البر اي الفعل المرضي الذي
هو في تزكية النفس كالنفس كالبر في تغذية البدن ان تولوا وجوهكم اي في الصلوة قبل المشرق الذي هو جهة مطالع الانوار
والمغرب الذي هو جهة افولها اي وغيرهما من الجهات المكانية فان ذلك كله لله كما مضى عند اول اعتراضهم التصريح بنسبة
الكل اليه فاينما تولوا فثم وجه الله ولما كان قد بين للمتقين كما ذكر قبل ما يخرج عن الصراط المستقيم وحذروا منه ليجتنبوه عقبه
بما يلزمهم ليعملوه فابتدا من هنا بذكر الاحكام الى قوله امن الرسول وبدا ذلك بما بدا به السورة وفصل لهم كثيرا مما كلفوه
مما اجمله قبل ذلك ففصل الايمان تفصيلا لم يتقدم فقال ولكن البر من اي ايمان من ولعله عبر بذلك افهاما لان فاعل ذلك نفسه
براي انه زكي حتى صار نفس الزكوة امن بالله الذي دعت اليه اية الوحدانية فاثبت له صفات الكمال ونزهه عن كل شائبة نقص بما
على ذلك من دلائل افعاله ولما كان من اهم خلال الايمان القدرة على البعث والتصديق به لانه يوجب لزوم الخير والبعد عن
الشر قال واليوم الاخر الذي كذب به كثير من الناس فاختل نظامهم ببغي بعضهم على بعض فالاول مبرئ عن الانداد وهذا مبعد
عن اذى العباد ولما كان هذا ايمان الكمل وكان اكثر الناس نيام العقول لا يعرفون شيا الا بالتنبيه وضلال البصائر يفتقرون
الى الهداية ذكر سبحانه الهداة الذين جعلهم وسائط بينه وبين عباده بادئا بالاول فالاول فقال والملائكة اي الذين اقامهم
فيما بينهم وبين الناس وهم غيب محض والكتاب الذي ينزلون به على وجه لا يكون فيه ريب اعم من القران وغيره والنبيين
الذين تنزل عليهم الملائكة لكونهم خلاصة الخلق فلهم جهة ملكية يقدرون بها على التلقي من الملائكة لمجانستهم اياهم بها وجهة
بشرية يتمكن الناس بها من التلقي منهم ولهم من المعاني الجليلة الجميلة التي صرفهم الله فيها بتكميل ابدانهم وارواحهم ما لا
يعلمه الا هو فعليهم الصلوة والسلام والتحية والاكرام قال الحرالي ففيه اي الايمان بهم وبما قبلهم قهر النفس للاذعان لمن هو
من جنسها والايمان بغيب من ليس من جنسها ليكون في ذلك ما يزع النفس عن هواها انتهى وكذا فصل سبحانه الصدقة وفي
تعقيب الايمان بها اشعار بانها المصدقة له فمن بخل بها كان مدعيا للايمان بلا بينة وارشاد الى ان في بذلها السلامة من فتنة
المال انما اموالكم واولادكم فتنة لان من امن وتصدق كان قد اسلم لله روحه وماله الذي هو عديل روحه فصار عبد الله حقا
وفي ذلك اشارة الى الحث على مفارقة كل محبوب سوى الله في الله قال الحرالي فمن يظن ان حاجته يسدها المال فليس برا انما
البر الذي ايقن ان حاجته انما يسدها ربه ببره الخفي انتهى فلذلك قال واتى المال اي الذي اباحه بعد جعله دليلا عليه
كرم نفس وتصديق ايمان بالاعتماد في الخلف على من ضمن الرزق وهو على كل شي قدير واشار الى ان شرط الايمان به ايثاره سبحانه
على كل شي بقوله على حبه اي ايتاء غاليا فيه حب الله على حب المال اشارة الى التصدق في حال الصحة والشح بتاميل الغنى
وخشية للفقر واشار الى انه لوجهه لا لما كانوا يفعلونه في الجاهلية من التفاخر فقال ذوي القربى اي لانهم اولى الناس بالمعروف
لان ايتاءهم صدقة وصلة واليتامى من ذوي القربى وغيرهم لانهم اعجز الناس والمساكين لانهم بعدهم في العجز ويدخل فيهم
الفقراء بالموافقة وابن السبيل لعجزهم بالغربة واذا جعلنا ذلك اعم من الحال والمال دخل فيه الغازي والسائلين لان
الاغلب ان يكون سوالهم عن حاجة ويدخل الغارم وفي الرقاب قال الحرالي جمع رقبة وهو ما ناله الرق من بني ادم فالمراد الرقاب
المسترقة التي يراد فكها بالكتابة وفك الاسرى منه وقدم عليهم اولئك لان حاجتهم لاقامة البينة ولما ذكر سبحانه مواساة
الخلق وقدمها حثا على مزيد الاهتمام بها لتسمح النفس بما زين لها حبه من المال اتبعها حق الحق فقال واقام الصلوة التي هي
افضل العبادات البدنية ولا تكون الا بعد سد اود الجسد ولا تكون اقامتها الا بجميع حدودها والمحافظة عليها ولما ذكر
ما يزكي الروح بالمثول بين يدي الله تعالى والتقرب بنوافل الصدقات ذكر ما يطهر المال وينميه وهو حق الخلق فقال
واتى الزكوة وفي الاقتصار فيها على الايتاء اشعار بان اخراج المال على هذا الوجه لا يكون الا مع الاخلاص ولما اتم الايمان
وما يصدق دعواه في الجملة شرع في كمال ذلك فعطف على اول الكلام ما دل بعطفه كذلك على انه مقصود لذاته فانه جامع
لدخوله في جميع ما تقدمه فقال والموفون بعهدهم قال الحرالي من الايفاء وهو الاخذ بالوفاء والوفاء انجاز الموعود في امر المعهود
انتهى وبين بقوله اذا عاهدوا ان المطلوب ما الزموا انفسهم به للحق او الخلق تصريحا بما افهمه ما قبله ولما قطع الوفاء تعظيما
له لدخوله في ما قبل فعل كذلك في الصبر لذلك بعينه فقال والصابرين وفيه رمز الى معاملته بما كان من حقه لو عطف على
من امن لو سيق على الاصل قال الحرالي وفيه اشعار بان من تحقق بالصبر على الايثار فكان شاكرا تحقق منه الصبر في الابتلاء

والجهاد تأييدا من الله لمن شكر ابتداء باعانته على الصبر والمصابرة انتهاء كانه لما جاد بخير الدنيا على حبه اصابه الله ببلائها
تلزمه له ليوفيه حظه من مقدوره في دنياه فيكون ممن يستريح عند موته وبانه ان جاهد ثبت بما يحصل في نفس الشاكر الصابر
من الشوق الى لقاء الله تبرما من الدنيا وتحققا بمنازل الخير من الله انتهى وعين اشد ما يكون الصبر فيه فقال في البأساء اي عند حلول
الشدة بهم في انفسهم من الله بلا واسطة او منه بواسطة العباد والضراء بحصول الضر في اموالهم وبقية احوالهم من احتقار
الناس لهم ونحوه وفسرها في القاموس بالشدة والنقص في الاموال والانفس فهو حينئذ اعم ليكون الاخص مذكورا مرتين وقال
الحرالي البأساء فعلاء من البؤس وهو سوء الحال والفاقة وفقد المنة على اصلاحه والضراء مرض البدن وافاته فكان البأساء في الحال
والضراء في البدن انتهى وحين البأس اي الحرب الجامع للانفس والاموال وقال الحرالي البأس الشدة في الحرب ولما كانت هذه الخلال
اشرف خلال اشار الى شرفها بشرف اهلها فقال مستانفا بيانا لانه لا يستحق اسم البر الا من اجتمعت فيه هذه الخلال اولئك اي
خاصة الذين علت هممهم وعظمت اخلاقهم وشيمهم الذين صدقوا اي فيما ادعوه من الايمان ففيه اشعار بان من لم يفعل افعالهم لم يصدق
في دعواه واولئك هم خاصة المتقون ليوم الجزاء وفي جعله نعتا لهم اشعار بانهم تكلفوا هذه الافعال لعظيم الخوف وقال
ابن الزبير في برهانه ثم ذكر الزكوة والصيام والحج والجهاد الى غير ذلك من الاحكام كالنكاح والطلاق والعدد والحيض والرضاع
والحدود والربا والبيوع الى ما تخلل هذه الايات من تفاصيل الاحكام ومجملها وقدم منها الوفاء بالعهد والصبر لان ذلك يحتاج
اليه في كل الاعمال وما تخلل هذه الايات من لدن قوله ليس البر الى قوله امن الرسول مما ليس من قبيل الالزام والتكليف فلتسبب
اوجب ذكره ولتعلق استدعاه انتهى والحاصل انه تعالى لما طهرهم من اوضار المحارم بقوارع الزواجر شرع في تزكيتهم بالاقحام
في غمرات الاوامر ليكمل تعبدهم بتحليهم بامره بعد تخليهم من سخطه بصادع زجره فذكر في هذه السورة جميع اركان هذا الحرف وحظيرته
قال الامام ابو الحسن الحرالي في العروة وجه انزال هذا الحرف حمل الخلق على صدق التذلل لله اثر التطهير من رجزهم ليعود بذلك
وصل ما انقطع وكشف ما انحجب وهو حرف العبادة المتلقاة بالايمان المثابر عليها بسابق الخوف المبادر لها تشوقا بصدق المحبة
فالعابد من ساقه الخوف اليها والعارف من قاده الحب لها وهو بناء ذو عموم واركان وله حظيرة تحوطه فاما عموده فافراد التذلل
لله توحيدا وطليعة آية ما كان لله نحو قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ظهرهم خوف الزجر من رجز عبادة الا آخر
فاثبت لهم حرف الامر التفريد حتى لا يشركوا معه في التذلل شيئا اي شيء كان آخر وهو اول ما اقام الله من بناء الدين ولم يفرض غيره
نحو العشر من السنين في انزال ما انزل بمكة وسن مع فرضه الركن الاول وهو الصلوة وبدئت بالوضوء عملا من حذو تطهر
القلب والنفس بحرف النهي واعقب بالصلوة عملا من حذو طهور القلب بالتوحيد بين يدي الرب فالوضوء وجه عمل حرف الزجر
والصلوة وجه عمل حرف الامر وسن على تاسيس بدار الحب لتبدو قوة الايمان في مشهود ملازمة خدمة الابدان فكان اقواهم ايمانا
اكثرهم واطولهم صلوة وقنوتا من احب ملكا خدمه ولازمه ولا تخدم الملوك بالكسل والتهاون وانما تخدم بالجهد والتذلل فكانت
الصلوة علم الايمان تكثر بقوته وتقل بضعفه لانها لو فرضت لم يظهر فيها تفاوت قوة الايمان وصدق الحب كما لا يظهر بعد فرضها
الا في النوافل ولاجهاد النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وبدنه في ذلك انزل عليه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى
تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى الى قوله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى هذا التوحيد واظهاره
هو كان يومئذ المقصود الاول وذلك قبل اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمر موفي اربعين من عدد المؤمنين فلما دخل الاسلام
من لا يبعثه الحب والاستراحة على الصلوة بعد عشر او نحوها فرضت الصلوة فاستوى في فرضها المحب والخائف وسن رسول
الله صلى الله عليه وسلم التطوع على ما كان اصلها وذلك صبيحة ليلة الاسرا واول منزل هذا الحرف والله اعلم في فرض هذا
الركن او من اول منزله قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر اختص لهم بها اوقات الرحمة وجنبهم
بها اوقات الفتنة ومنه جميع اي اقامة الصلوة واتمامها الركن الاخر الصوم وهو اذلال النفس لله بامساكها عن كل ما تشوف
اليه من خاص امرها نهارا للمقتصر ودواما للمعتكف وهو صلة بين العبد وبين نفسه ووصل لشتاته في ذاته واول ما انزل
هذا الركن من هذا الحرف بالمدينة بعد مدة من الهجرة واول منزله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
وانما فرض والله اعلم بالمدينة لانهم لما امنوا من عداوة الامثال والاغيار وعام الفتنة بالمدينة عادت الفتنة خاصة في
الانفس بالتبسط في الشهوات وذلك لا يليق بالمؤمنين المؤثرين للدين على الدنيا ثم انزل الله اتمامه بقوله تعالى شهر رمضان
الذي انزل فيه القرآن الى ما يختص به من الاي باحكام الصيام الركن الاخر الزكوة وهو كسر نفس بما يؤخذ باخذه منه من حق
اصنافها اظهارا لان المشتغلين بالدين آثر عند الله من المقيمين على الاموال وليميز بها الذين امنوا من المنافقين لتمكنهم من الربا
في العمودين والركنين ولم يشهد الله بالنفاق جهرا اعظم من شهادته على مانع الزكوة ومن منع زكوة المال عن الخلق كان كمن امتنع
عن زكوة قواه بالصلوة من الحق فلذلك لا صلوة لمن لا زكوة له وكما كانت الزكوة حبا قبل فرضها كذلك كان الانفاق لما زاد على
الفضل عزما مشهورا عندهم لا يعرفون غيره ولا يشعرون في الاسلام بسواه فلما شمل الاسلام اخلاط وشحت النفوس فرضت
الزكوة وعين اصنافها وذلك بالمدينة حين اتسعت اموالهم وكثر خير الله عندهم وحين عم نفاق قوم بها انفة من حظ
رياستهم بتذلل الاسلام لله والنصفة بخلق الله ويتبين فيها الخطاب مرة لارباب الاموال بقوله تعالى واتوا الزكوة لتكون
لهم قربة اذا اتوها سماحا ومرة للقائم بالامر بقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة حين يونس من نفوسهم شح وشدد الله سبحانه
فيها الوعيد في القرآن جبرا لضعف اصنافها ونسق لذلك جميع ما انزل في بيان النفقات والصدقات بدارا عن حب او ايتمارا

عن

عن خوف الركن الاخر الحج وهو حشر الخلق من اقطار الارض للوقوف بين يدي ربهم في خاتم منيتهم ومشارفة وفاتهم
ليكون لهم امنه من حشر ما بعد مماتهم فكمل به لنا الدين وذلك في اواخر سني الهجرة ومن آخر المنزل بالمدينة واول خطابه ولله على
الناس حج البيت بتنبيهه على اذان ابرهيم عليه السلام واذن في الناس بالحج الى ما انزل في امر الحج واحكامه الخطيرة الحايط وهي الجهاد
ولم تزل مصاحبة الاركان كلها اما مع ضعف كما بمكة او مع قوة كما في المدينة ومن اول تصريح منزله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
الى قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الى قوله جاهد الكفار والمنافقين الى انتهاء
قتال اهل الكتاب في قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وهذا تمام حرف الامر ولكل في ذلك الظاهر
في الاسلام موقع حدوده في الايمان وموقع في الاحسان لدى ثلاثتها الذي هو كمال الدين كله ذلك من تنزل القرآن من بين افصاح
وافهام في هذا الحرف وهو وفاء الدين والتعبد لله رب العالمين ثم قال في ما به تحصل قراءة حرف الامر اعلم ان الوفا بقراءة حرف
النهي تماما يفرع لقراءة حرف الامر لان المقتنع في معاش الدنيا يتيسر له التوسع في عمل الاخرى والمتوسع في متاع الدنيا لا يمكنه التوسع
في عمل الاخرى لما بينهما من التضاد والتضاد والذي تحصل به قراءة هذا الحرف اما من جهة القلب فالتوحيد والاخلاص واعم
ذلك البراءة من الشرك العظيم لئلا يتخذ مع الله الها اخر لان المشرك في الالهية لا تصح منه المعاملة بالعبادة مثل الذين كفروا
بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء واخص منه الاخلاص بالبراءة من الشرك الجلي
بان لا يرى لله شريكا في شيء من اسمائه الظاهرة لان المشرك في سائر اسمائه الظاهرة لا يصح له القبول والذي يحلف به عبد الله بن
عمر لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ولكل عمل من المامورات خصوص اسم في الاخلاص كاخلاص
المنفق بان الانعام من الله لا من العبد المنفق وكاخلاص المجاهد بان النصر من الله لا من العبد المجاهد وما النصر الا من عند الله
وكذلك سائر الاعمال يخصها الاخلاص في اسم من الاسماء يكون املك بذلك العمل واما من جهة احوال النفس فاولها واساسها
طمانينة النفس بربها في قوامها من غير طمانينة لشيء سواه فمتى اطمانت النفس بما تقدر عليه وما لها من منه او بما تملكه من مملوك
او بما تستند اليه من غير ردت جميع عباداتها لما اطمانت اليه وكتب اسمها على وجهه وكانت امته لا امة ربها وكان المرء
عبده لا عبد ربه تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة وهذا هو الذي احبط عمل العالمين من حيث لا يشعرون واما
من جهة ما يخص كل واحد من الاوامر في احوال النفس فما يناسبه من احوالها واخلاقها كاجتماعها في الصلوة بان لا تصغي لوسواس
الشيطان وان لا تتحدث في تسويلها وكسماجها وسخائها في الانفاق وايتاء الزكوة وكصبرها في الصوم والصوم الصبر كله وتصحبها
كل ذلك في الحج مع زيادة اليقين وتصحبها الجميع في الجهاد مع غريزة الشجاعة هذا من جهة حال النفس واما من جهة العمل واحوال
الجوارح فاذا ادب الناطق بكلمة الشهادة ان يجمع حواسه الى قلبه ويحضر في قلبه كل جارحة فيه وينطق بلسانه عن جميع ذاته
احوال نفس وجوارح بدن حتى ياخذ كل عضو منه وكل جارحة فيه وكل حال لنفسه قسط منها كما اشار اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان بذلك تتحات عنه الذنوب كما تتحات الورق عن الشجر فلم يقرا تهليل القرآن من لم يكن ذلك حاله فيه وكذلك في
تشهد الاذان وبذلك يهدم التهليل سياته في الاسلام كما هدم من المخلص به جرائم الكفر ان سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يؤذن فلما قال الله اكبر الله اكبر قال على الفطرة فلما قال لا اله الا الله قال خرجت من النار واما ادب الصلوة فخشوع الجوارح
والهدو في الاركان واتمام كل ركن باذكاره المخصوصة به وجمع الحواس الى القلب كحاله في الشهادة حتى لا يحقق مدرك حاسة
غفلة واما ادب الانفاق فحسن المناولة كان صلى الله عليه وسلم يناول السايل بيده ولا يكله الى غيره والاسرار اتم وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وينفق من كل شيء بحسب ما رزقه مياومة او مشاهرة او مسانهة ومما رزقناهم ينفقون
واما ادب الصوم فالسحور موخرا والفطر معجلا وصوم الاعضاء كلها عن العدل فاحرى عن الجور وترك العناية بما يفطر
عليه الى ما بعد الزوال والاخذ فيه بشهوة العيال واما ادب الحج فاستطابة الزاد والاعتماد على ما بيد الله لا على حاصل
ما بيد العبد وهو تزود التقوى والرفع مع الرفيق والرفق بالظهر وتحسين الاخلاق والانفاق في الهدي وهو الثج والاعلان
بالتلبية وهو العج وتتبع اركانه على ما تقتضيه احكامه واقامة شعائره على معلوم السنة لا على معهود العادة واما ادب
الجهاد فاستطابة الزاد واصلاح العدة ومياسرة الخلطا وحسن القيام على الخيل وتطييب علفها تصفية وورعا وتناوله
بيده كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناول علف فرسه بيده ويمسحه بردائه والتزام ما يجد معه المنة من ان يكون
فارسا او راجلا او رامحا او نابلا ومن تكلف غيره ما يجد منه فقد ضيع الحق وعمل بالتكلف والصمت عند اللقاء وغض البصر
عن النظر الى الاعداء وقال صلى الله عليه وسلم اذا اكثبوكم فارموهم ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وكف اليد عما للغير
فيه حق وهو الغلول وان لا يدعوا للبراز وان يجيب اذا دعي وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل عبدي كل عبدي
الذي يذكرني وهو ملاق قرنه ولكل امر وتلبس بمامور ادب يخصه على ما يستقرا من السنن النبوية واثار الخلفاء وصالحي
الامراء فبهذه الامور من اخلاص القلب وطيب النفس وادب الجوارح تصح قراءة حرف الامر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم انتهى ولما تقدم ان شرط رفع الاثم عن المضطر ترك العدوان وكان العدوان في ذلك وفي غيره ربما ادى الى القتل
وتلا ذلك بما استتبعه كما تقدم الى ان ختم بهذه الاية وختمها بمدح الصبر والصدق في دعوى الايمان والوفا بالعهد وكل
شيء وكان من جملة ما خاف فيه اهل الكتاب العهد امر سفك الدما فغيروه كله او بعضه على ما اشار اليه تعالى بقوله
واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الايات وكان الصبر على بذل الروح اعظم الصبر وفعله اعظم مصدق في الايمان

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية
الى تمام المنزل في شانه في قوله تعالى صح

واعلم

والاستسلام للقصاص اشد وفاء بالعهد اخبر المومنين بما اوجب عليهم من ذلك وما يتبعه فقال تعالى مذكرا لهم بالاقبال عليهم بالخطاب **يا ايها الذين امنوا** اي ادعوا الايمان بالسنتهم ولما حصل التهذيب بما وقع سابقا من التاديب فهم المخاطبون ان الحكم انما هو للمبني للمجهول قوله **كتب عليكم** اي فرض في الكتاب - وقد سمعتم انذاري للذين اختلفوا في الكتاب - والذي عين ارادة الفرض ان الكتب استفاض في الشرع في معناه واستعذبه التعبير بعلى **القصاص** اي المساواة في القتل والجراحات لانه من القص وهو تتبع الاثر قال الحرالي كانه يتبع بالجاني اثر ما جنى فيتبع اثر عقوبته اثر جنايته انتهى **في القتلى** اي في سائر امور القتل فمن قتل لبس قتل به ومن قتل على كيفية قتل على مثلها كان قطع يد افسري الى النفس فتقطعه فان سري والا حز ثانية لتكون الاية عامة مخصوصة في بعض الصور ومتى لم ينقل بالعموم كانت مجملة والتخصيص اولى من الاجمال فصدق دعواكم الايمان بالعمل الاية بالاستيفاء وغيرهم بالانقياد فيه ولا تكونوا كاهل الكتاب الذين اختلفوا في كتابهم فامنوا ببعضه وايضا لما ذكرنا اياه المال على حبه وكان قد ذكر ان البار هو المومن بالكتاب وكان من الكتاب بذل الروح المعلوم حبها عقبه به اشارة الى ان المال عديلها لا يوتى لاجل الله الا محض الايمان كما ان الروح لا تبذل الا بذلك ولما كان اهل الكتاب قد بدلوا احكام التورية في القصاص الذي شير باية المايدة الى ان كتب عليهم العدل فيه فكان من كان منهم اقوى جعل لقومه في ذلك فضلا فكان بنو النضير كما نقله ابن هشام في السيرة ياخذون في قتالهم الدية كاملة وبنو قريظة نصف الدية وكان بعضهم كما نقله البغوي في سورة المايدة عن ابن عباس رضي الله عنهما التفسير بالنفس اشار سبحانه الى مخالفتهم في هذا الجور بقوله مبينا للمساواة **الحر بالحر** ولا يقتل الحر بالعبد لان ذلك ليس باولى من الحكم المذكور ولا مساو يا ويقتل العبد لانه اولى بالحكم لمفهوم موافقه ولما قدم هذا لشرفه وعلاه بقوله ص **والعبد بالعبد** تعظيما للذكورية وكذا يقتل بالحر لانه اولى ولا يقتل الحر بالعبد لانه ليس مساويا للحكم **والانثى بالانثى** وتقتل الانثى بالذكر والذكر بهما لان كلا منهما مساو يا للاخر وفاقا للاصل المويد بقوله صلى الله عليه وسلم النساء شقايق الرجال احتياطا للدماء التي انتهاكها اكبر الكبائر بعد الشرك ونقصت الدية الى النصف وان كانت بدل الدم وفاقا لقوله تعالى وللرجال عليهن درجة وتنبيها على احتياط حرمة الاموال عن حرمة الدماء على ان مفهوم الاية انه لا يقتل بالمقتول الا قاتله واذا تاملت قوله في القتلى دون ان يقول القتل علمت ذلك قال الحرالي لان اخذ غير الجاني ليس قصاصا بل اعتداء ثانيا ولا ترفع العدوي بالعدوي انما ترفع العدوي بالقصاص على نحو وحده انتهى وكذا اخذ غير المساوي اعتداء فلا يقتل مسلم بكافر بما افهمه القصاص وتقييد الحكم باهل الايمان مع قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة في امثالها من الايات ولما فتح سبحانه لنا باب الرحمة بالقصاص منبها على تبكيت اهل الكتاب وكان ذلك من حكم التورية كف على سبيل الحتم وكان العفو على النصارى كذلك اظهر في الفرقان زيادة توسعة بوضع هذا الاصر عنا بالتخيير بينهما قال الحرالي فقلص عقاب الاخرة الى ابتلاء الدنيا وقلص ابتلاء الدنيا في الدم الى الكفارة باخذ حظ من المال كما كان ذلك في الفداء الاول لنبي ابرهيم عليه السلام من ولده فقال **فمن عفي له** اي عن جنايته من العفو وهو ما جاء بغير تكلف ولا كره انتهى وعبر بالبناء للمفعول اشارة الى ان الحكم يتبع العفو من اي عاف كان له العفو في شي من الحق ولو كان يسيرا وهو معنى قوله **من اخيه شي** اي اي شي كان من العفو بالنزول عن طلب الدم الى الدية وفي التعبير بلفظ الاخ كما قال الحرالي تاليف بين الجاني والمجني عليه واوليائه من حيث ما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا وان لم يكن خطا الطبع فهو خطا القصد من حيث لم يقصد ان يقتل مومنا انما قصد ان يقتل عدوا او شاتما او عاديا على اهله وماله او ولده فاذا انكشف حجاب الطبع عاد الى اخوة الايمان **فاتباع** اي فالامر في ذلك اتباع من ولي الدم **بالمعروف** فيه توطين النفس على كسرها عن حدة ما تجره اليها احقاد الجنايات والمعروف ما تشهد عيانه بموافقته وقبول موقعه بين الانفس فلا يجحفها منة تنكر ولما امر المتبع امر المودي فقال **واداء اليه باحسان** ليلا يجمع بين جنايته اوجنايه وليه وسوء قضايه وفي اعلامه الزام الاولياء الجاني بالتذلل والخضوع والانصاف الاولياء المقتول بما الهم من السلطان فقد جعلنا لوليه سلطانا فيرا قبون فيهم رحمة الله التي رحمهم بها فلم ياخذ الجاني بجنايته انتهى ولما وسع لنا سبحانه بهذا الحكم نبه على علته تعظيما للمنة فقال **ذلك** اي الامر العظيم الرفق وهو التخيير بين القصاص والعفو مجانا وعلى الدية **تخفيف** اي عن القاتل واوليائه **من ربكم** المحسن اليكم بهذه الحنيفية السمحة وهذا الحكم الجميل وجمع الضمير مراعاة كما قال الحرالي لمخاطبين لان كل طائفة معرضة لان تصيب منها الاخرى انتهى **ورحمة** لاوليائه القتيل بالدية وللاخرين بالعفو عن الدم روي البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان في بني اسرايل القصاص ولم تكن فيهم الدية فمن له من اخيه اي يقبل الدية في العمد ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم **فمن اعتدى** اي بعد ذلك فقتل بعد قبول الدية انتهى وقال اهل التفسير كتب على اليهود القصاص وحرم عليهم الدية والعفو وعلى النصارى العفو وحرم عليهم القصاص والدية ولما كانت هذه منة عظيمة تسبب عنها تهديد من ابا ها فقال تعالى **فمن اعتدى** اي بالقتل **بعد ذلك** اي التخيير والعفو ولو كان الجاني غيره **فله عذاب اليم** بقتله واخذ الدية منه جزاء على عدوانه بغدره وتعديه بما اشعر به آيه هذه الرخصة التي حكم بها المالك في عبيده الملك الذي لا تسوغ مخالفته وفي تسمية جزاءه بالعذاب وعدم تخصيصه باحدى الدارين اعلام بشياعه في كليهما تغليظا عليه قال الحرالي وفي الاية دليل على ان القاتل عمدا لا يصير بذلك كافرا قال الاصبهاني قال ابن عباس رضي الله عنهما سمي الله القاتل في اول الاية مومنا وفي وسطها اخا ولم يوئسه اخرها من التخفيف والرحمة ولما اخبر تعالى بغاية العفو اخبر بغاية مقابلة تتميما لتاديب اهل الكتاب على عدولهم عن النص وعامهم عن

عن الحكمة فقال ولكم اي يا أيها الذين امنوا في القصاص اي هذا الجنس وهو قتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة من غير مجاوزة ولا عدوان حيوة اي عظيمة بديعة لان من علم انه يقتل لا يقتل وقال الحرالي فالحيوة لمن سوي الجاني من عشيرته ممن كان يعتدي عليه بجناية غيره في الدنيا والحيوة للجاني بما اقتص منه في الاخرى لان من يكفر ذنبه حتى في الاخرة ومن يفني عليه جناية فاخذ بها فهو في حال ذلك ممن لا يموت فيها ولا يحيى لان المعاقب في حال عقوبته لا يجد طعم الحيوة لغلبة المه ولا هو في الموت لاحساسه بعقوبته انتهى واما مطلق القتل كما كان اهل الجاهلية يقولون القتل انفى للقتل فليس كذلك لان من علموا انهما اذا قتلوا اثنين لا يقتل لهما الا واحد ارعما كان ذلك مجرئا لهم على القتل ويدخل فيه القتل ابدا او هو اجلب للقتل الا انفى له وقد كانوا مطبقين على استحاده معنى كلمتهم واستر شاق لفظها ومن المعلوم لكل ذي لب ان بينها وبين ما في القرآن كما بين الله وخلقه فانها زايدة على عبارة القرآن في الحروف ناقصة في المعنى فاذا اريد تصحيحها قيل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما فكثرت الزيادة ولم تصل الى رشاقة ما في القرآن وعذوبته والله الموفق ولما كانت هذه العبارة كما ترى مجوجة في صحة معناها ودقة اشاراته وغزير مفهوماته قال تعالى مرغبا في علوالهم يا اولي الالباب اي العقول التي تنفع اصحابها بخلوصها مما هو كالقشر لانه جمع لب قال الحرالي وهو باطن العقل الذي شانه ان يلحظ امر الله في المشهودات كما شان ظاهر العقل ان يلحظ الحقايق من المخلوقات فهم الناظرون الى دلايلهم في ايات انتهى ثم علل ذلك بقوله لعلكم تتقون اي الله بالانقياد لما شرع فتحامون القتل قال الحرالي وفي ابهام لعل التي هي من الخلق كما تقدم تردد اعلام بتصنيفهم صنفين بين من يثمر ذلك له تقوي وبين من يحمله ذلك ويزيده في الاعتداء انتهى ولما حث سبحانه على بذل المال ندبا وايجابا في حال الصحة مع الشح وتامل الغنى وخشية الفقر تصديقا للايمان واتباعه بذل الروح التي هو عديلها بالقتل الذي هو احد اسباب الموت اتبع ذلك بذله في حال الاشراف على النقلة والامن من فقر الدنيا والرجاء لغنى الاخرة استدراكا لما فات من بذله على حبه فقال وقال الحرالي لما اظهر تعالى وجوه التزكية في هذه المخاطبات وما الزمه من الكتاب وعلمه من الحكمة واظهر استناد ذلك كله الى تقوي تكون وصفا ثابتا واستحدادا معالجا حسب ما ختم به اية ليس البر من قوله هم المتقون وختم به اية القصاص في قوله لعلكم تتقون رفع رتبة الخطاب الى ما هو حق على المتقين حين كان الاول مكتوبا على المترجين ان يتقوا ترجيه وتزكيه بخطاب يتوسل به الى خطاب اعلى في التزكية لينتهي الخطاب من رتبة الى رتبة الى ان يستوفي نهايات رتب اسنان القلوب واحوالها كما تقدمت الاشارة اليه ولما كان في الخطاب السابق ذكر القتل والقصاص الذي هو حاضر الموت انتظم به ذكر الوصية لانه حال من حضر الموت انتهى فقال كتب عليكم اي فرض كما استفاض في الشرع واكدها بالتعبير على ثم نسخ باية المواريث وجوبه فبقي جوازه وبينت السنة ان الارث والوصية لا يجتمعان فالنسخ انما هو في حق القريب الوارث لا مطلقا فقال صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث رواه احمد والاربعة وغيرهم عن عمرو بن خارجة وابي امامة رضي الله عنهما اذا حضر احدكم الموت اي بحضور اسبابه وعلاماته ان ترك خيرا اي مالا ينبغي ان يوصي فيه قليلا كان او كثيرا اما اطلاقه على الكثير فكثير واطلق على القليل في اني لما انزلت الي من خير فقير ثم ذكر القايم مقام فاعل كتب بعد ان اشتد التشوف اليه فقال الوصية وذكر الفعل لوقوع لها لوجود الفاصل انها ما يقوع طلبه للوالدين بدا بهما لشرفهما وعظم حقهما والاقربين بالمعروف اي العدل الذي يتعارفه الناس في التسوية والتفضيل قال الحرالي وكل ذلك الى المحتضر والمعروف ما يتقبله الانفس ولا تجد منه تكرها انتهى واكد الوجوب بقوله حقا وكذا قوله على المتقين فهو الهاب وتحبيب وتذكير بما امامه من العدوم على من يسئله عن التقرير والتعظيم ولما تسبب عن كونه فعل على ما دعت اليه التقوي من العدل وجوب العمل به قال فمن بدله اي ايصاء الواقع على الوجه المشروع او الموصي به بان غير عينه ان كان عينيا او نقصه ان كان مثليا وقال الحرالي للاولي المتقين ايضا لعلهم يتقون ابويهم وقرابتهم فاضع بالمعروف تولي عنهم التحديد لمن بدل عليهم وفي افهامه ان الفرايض انما انزلت عن تقصير وقع في حق الوصية فكانه لو بقي على ذلك لكان كل المال حظا للمتوفي فلما فرضت الفرايض اختزل من يديه الثلثان وبقي الثلث على الحكم الاول وبين ان الفرايض عينت الوصية فلا وصية لوارث لان الغرض بها انتهى بعد ما سمعه اي علمه علما لا شك فيه اما اذا لم يتحقق فاجتهد فلا اثم واكد التحذير من تغيير المغير وسكوت الباقين عليه بقوله فانما اثمه اي التبديل على الذين يبدلونه بالفعل او التقدير لا يلحق الموصي منه شئ ولما كان للموصي والمبدل اقوال وافعال ونيات حذر بقوله ان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال سميع اي لما يقوله كل منهما عليم ببره وعلنه في ذلك فليحذر من عمل السوء وان اظهر عنه ومن دعاء المظلوم فان الله مجيبه ولما كان التحذير من التبديل انما هو في عمل العدل وكان الموصي ربما جار في وصيته لجهل او غرض تسبب عنه قوله فمن خاف اي علم وتوقع وظن اطلقه عليه لانه من اسبابه ولعله عبر به اشارة الى انه ينبغي فيه بالظن من موص جنفا اي ميلا في الوصية خطا او اثما اي ميلا فيها عمدا قال الحرالي وكان حقيقة معني الجنف اخفا حيف في صورة براتي فاصلح بينهم اي بين الموصي والموصي لهم ان كان ذلك قبل موته بان اشار عليه بما طابت الخواطر او بين الموصي لهم والورثة بعد موته ان حيف من وقوع شر فوفق بينهم على امر يرضونه وقال الحرالي وفيه اشعار بذكر الخوف من الموصي ما يشعر ان ذلك في حال حيوة الموصي ليس بعد قرار الوصية على حيف بعد الموت فان ذلك لا يعرض له مضمون هذا الخطاب وفي ايقاع الاصلاح على لفظه بين اشعار بان الاصلاح تامل البين الذي هو وصل ما بينهم

فيكون من معنى ما يقوله النحاة منصوبا على السعة حيث لم يكن فاصل بينه وبينهم انتهى اي لهذا التبديل ولما كان المجتهد
قد يخطي فلوا وخذ بخطايه اصح عن الاجتهاد جراه سبحانه عليه بتعليل رفع الاثم بقوله اعلاما بتعميم الحكم في كل مجتهد ان الله
اي المختص باحاطة العلم غفور اي لمن قصد خيرا فاخطا رحيم اي يفعل به من الاكرام فعل الراحم بالمرحوم ولما اباح سبحانه
الاكل مما خلقه دليلا على الوحدانية والرحمة العامة والخاصة وكان من طبع الانسان الاستيثار وكان الاستيثار جارا الى التنازع
واتبعه حكم المضطر واشار الى زجره عن العدوان بتقييده عنه في حال التلف فكان في ذلك زجر لغيره بطريق الاولى والاولاه
الندب الى التخلي عما حل في اليد من متاع الدنيا للاصناف الستة ومن لا فهم ثم الايجاب بالزكوة تزهيدا في زهرة الحيوة الدنيا
ليجتث العدوان من اصله وتقي ذلك الحكم من قد يعد وثم بما تبعه من التخلي عن المال في حضرة الموت فتدربنا النفس على الزهد
بما هو معقول المعنى بادي بدء من التخلي عنه لمن ينتفع به ابعد الامر بالتخلي عنه لا المحتاج اليه اوجده لمجرد تزكية النفس
وتطهيرها لتهيئها لما تقتضيه عليها صفة الصمدية من الحكمة خلا مع ما للقصاص والوصية من المناسبة للصوم من حيث
ان في القصاص قتل النفس حسا وفي الصوم قتل الشهوة السبب للوطء السبب لاحيا والنفس حسا وفيه حياة الاجساد معنى وفي
الصوم حيوة الارواح بطهارة القلوب وفراغها للتفكر وتقبيلها لافاضة الحكمة والخشية الداعية الى التقوى وامانة الشهوة
وشهره شهر الصبر المستعان به على الشكر وفيه تذكير بالضمير الحاث على الاحسان الى المضرور وهو مدعاه الى التخلي من الدنيا والتحلي
باوصاف الملايكة ولذلك نزل فيه القرآن المتلقى من الملك فهو انسب شيء لاية الوصية المامور بها المتقون بالتخلي من الدنيا
عند مقاربة الاجتماع بالملايكة وختمها بالمغفرة والرحمة اشارة ان الصايم من اقرب الناس اليهما فقال تعالى يا ايها الذين امنوا
مخاطب بما يتوجه بادي بدء الى ادنى الطبقات التي التزمت امر الدين لانه لم يكن لهم باعث حب وسوق يبعثهم على فعله من غير
فرض بخلاف ما فوقهم من رتبة المومنين والمحسنين فانهم كانوا يفعلون معالم الاسلام من غير الزام فكانوا يصومون على ما
يجدون من الروح فيه قاله الحرالي وقال فلذلك لم ينادوا في القرآن نداء بعد ولا ذكروا الا ممدوحين والذين ينادون في
القرآن هم الناس الذين انتبهوا لما اشار به بعضهم على بعض والذين امنوا بامم في محل الايمار مقاصرين عن ابدار فلذلك كل
نداء في القرآن متوجه الى هذين الصنفين الا ما توجه للانسان بوصف ذم في قليل من الآي انتهى كتب اي فرض مما استفاض
في لسان الشرع وناسب باداة الاستعلاء عليكم الصيام وهو الامساك عن القطر من طلوع الفجر الى غرب الشمس بالنية وقال
الحرالي فرض لما فيه من التهيؤ لعلم الحكمة وعلم عالم تكونوا تعلمون وهو الثبات على ما تماسك عما من شان التي ان يتصرف فيه ويكون
شانه كالشمس في وسط السماء يقال صامت اذا لم تظهر لها حركة لصعود ولا لنزول التي هي شانها وصامت الخيل اذا لم تكن مركو
ولا مركوبة فتماسك المرء عما شانه فعله من حفظ بدنه بالتغذي وحفظ نسله بالنكاح وخوضه في زور القول وسوء العمل
هو صومه وفي الصوم خلاء من الطعام وانصراف عن حال الانعام وانقطاع شهوات النفوس وتمامه الاعراض عن اشتغال الدنيا
والتوجه الى الله والعكوف في بيته ليحصل بذلك نبوع الحكمة من القلب وجعل كتابا حتى لا يتقاصر عنه من كتب عليه الا انشرم
دينه كما ينشرم حرز القربة المكتوب فيها انتهى كما كتب اي فرضا التشبيه في مطلق الفريضة على الذين وكانه اريد اهل الكتابين
فقط واثبت الجار فقال من قبلكم فيه اشعار بانه مما تقضوا فيه العهد فكتموه حرصا على ضلال العرب ولما كان في الناس اعلاء
للهمم القاصرة واشعار واغلاء للقلوب الفاترة لان الشيء الشاق اذا عم سهل تحمله لعلكم تتقون اي تجعلون بينكم وبين اسخاط الله
وقاية بالمسارعة اليه والمواظبة عليه رجاء لرضى ربكم وحوتا من سبق من قبلكم لكم لتكون التقوى لكم صفة راسخة فيكونوا من
جملة الكتاب هذي لهم فان الصوم يكسر الشهوة فيقمع الهوى فيرتدع عن مواقعة السوء قال الحرالي وفيه اشعار بتضعيف
الماخوذين بذلك صنفين من يتم له صومه على وجه الكثرة تقوى ومن لا يتم له ذلك ولما كان لهذه الامة جمع لما في الكتب
والصحف كانت مبادي احكامها على حكم الاحكام المتقدمة فكما وجهوا وجهة اهل الكتاب ابتداء ثم ختم لهم بالوجهة الى الكعبة
انتهاء كذلك صوموا صوم اهل الكتاب اياما معدودات اي قلايل مقدرة بعدد معلوم ابتداء ثم رقوا الى صوم دايرة الشهر
وحدة قدرا انتهاء وذلك انه لما كان من قبلهم اهل حساب لما فيه حصول امر الدنيا فكانت اعوامهم شمسية كان صومهم عدد
ايام لا وحدة شهر وفي اعلامه الزام بتجديد النية لكل يوم حيث هي ايام معدودة وفي ايهامه منع من تمادي الصوم في زمن
الليل الذي هو معنى الوصال الذي ليسعه بصحته رفع رتبة الصوم الى صوم الشهر الذي هو دورة القمر يقع الفطر في ليلة رخصة
للضعيف لا عزما على الصايم وكان فيه من الكلفة ما في صوم اهل الكتاب من حيث لم يكن فيه اكل ولا نكاح بعد نوم فكان فيه كلفة ما
الكتب لينال راس هذه الامة واوايلها حظا من منال اوايل الامم ثم يرفيها الله الى حكم ما يخصها فتكون مرباة تخدم اليسر
بعد العسر انتهى وفيه تصرف ومذهب الشافعي رحمه الله تحريم الوصال قالوا يا رسول الله انك تواصل قال اني لست كهيلتكم
وقال من كان مواصلا فليواصل الى السحر قال الحرالي فانيا بتمادي الصوم الى السحر لتنتقل وجبة الفطر التي توافق
حال اهل الكتاب الى وجبة السحر التي هي خصوص اهل الغرقان انتهى وفي مواصلة النبي صلى الله عليه وسلم بهم لما ابوا
الا الوصال ايا ما ما يشهد لمن اباح ذلك والله اعلم قال الحرالي وفي تاسيسه على العدد ملجا يرجع اليه عند اعماء الشهر
الذي هو الهلال كما سياتي التصريح به فصار لهم العدد في الصوم بمنزلة التيمم في الطهور يرجعون اليه ضرورة فقد اهلال
الرؤية كما يرجعون الى الصعيد عند فقد الماء ولما كان للمريض حاجة للدوا والغذاء بحسب تداعي جسمه رفع عنه الكتب
فتسبب عما بعني قوله تعالى فمن كان منكم مريضا اي مرضا يضر عاجلا ويزيد في علته آجلا قال الحرالي فبقي على حكم التمثل

بين

بيقين ما يغذو المومن ويسقيه من غيب بركة الله كما قال عليه الصلوة والسلام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فللموقن غذا
في صومه من بركة ربه بحكم يقينه فيما لا يصل اليه من لم يصل الى محله فعلى قدر ما تستمد بواطن الناس من ظواهرهم يستمد ظاهر الموقن
من باطنه حتى يقوى في اعضائه بمدد نور باطنه كما ظهر ذلك في اهل الولاية والديانة فكان فطر المريض رخصة لموضع تداويه
واغتذائه ولما كان المرض وصفا جاء بلفظ الوصف ولما كان السفر وهو ازالة الكف عن الراس تمام دورة يوم وليلة
بالمسير عنه بحيث لا يتمكن من عوده لماواه في مدار يومه وليلته نسبه بين جسمانيين جاء بحرف الاضافة مفصولا فقال او على سفر
لما يحتاج اليه المسافر من اغتذا الوفور نهضته في عمله في سفره وان وقت اغتذائه بحسب البقاع لا بحسب الاختيار ان المسافر
ومتاعه على قلة الاما وفي الله السفر قطعة من العذاب وذلك لئلا يجتمع على العبد كلفتان فتتضاعف عليه المشقة دينا ودنيا
فاذا خف عنه الامر من وجه طبيعي اخذ بالحكم من وجه اخر ديني فعدة نظمه يشعر ان المكتوب عدة من ايام متتابعة او متفرقة اخر
لانتظام مقاطع الكلام بعضها ببعض روسا واطرافا ففي افهامه ان مكتوب المريض والمسافر غير مكتوب الصحيح والمقيم فبذلك لا
يحتاج الى تقدير فافطر لان المقصد معنى الكتب ويبقى ما دون الكتب على حكم تحمله فكانه يقال للمريض والمسافر مكتوبك ايام اخر
لا هذه الايام فتبقى بهذه الايام خلية عن حكم الكتب لا خلية عن شرع الصوم ولما كانوا قوما لم يتعودوا الصوم وكانت
عناية الله محيطة بهم تشريفا لرسولهم صلى الله عليه وسلم قال مخيرا لهم في اول الامر وعلى الذين يطيقونه اي الصوم من
الطوق وهو ما يوضع في العنق حليه فيكون ما يستطيعه من الافعال طوقا له في المعنى فدية طعام بالاضافة او الفصل مسكين
بالافراد ارجاعا الى اليوم الواحد وبالجمع ارجاعا الى مجموع الايام لكل يوم طعام واحد وهو مد حفنتان بالكفين قوت الحافر غذاء
وعشاء كفافا لا اقتارا ولا اسرافا في جملته توسعة امر الصوم على من لا يستطيعه ممن هو لغلبة حاجة طبعه الى الغذاء بمنزلة
المريض والمسافر فهو ممراض بالنهمة كانها حال مرض جبل عليه الطبع فكان في النظر اليه توفيه رحمة النظر الى المريض والمسافر
الا ما بين رتبتي الصنفين من كون هذا مطيقا وذينك غير مطيق او غير متمكن وفي اعلامه بيان ان من لم يقدر على التماسك عن
غذائه فحقه ان يغذو غيره ليقوم بدل الطعام عوضا عن التماسك عن الطعام لمناسبة ما بين المعنيين ولذلك لم يذكر هنا
مع الطعام عتق ولا صوم فمن تطوع خيرا اي فزاد في الفدية فهو خير له لانه فعل ما يدل على مزيد حبه لربه ولما ساق سبحانه
الافطار عند الاطاقة والفدية واجبها ومندوبها مشاق الغيبة وترك ذكر الفطر وان دل السياق عليه اشارة الى خساسته
تنفيرا عنه جعل اهل الصوم محل حضرة الخطاب ايذانا بما له من الشرف على ذلك كله ترغيبا فيه وحضا عليه فقال وان تصوموا
ايها المطيقون خير لكم قال الحرالي ففيه اشعار بان الصائم يناله من الخير في جسمه وصحته ورزقه حظ وافر مع عظيم الاجر في الاخرة
كما اشار اليه الحديث القدسي كل عمل ابن ادم له الا الصوم وذلك لانه لما كانت الاعمال افعالا واتفاقا وسيرا واحوالا مما شان العبد
ان يعمله لنفسه ولاهله في دنياه وكان من شانه كانت له ولما كان الصوم ليس من شانه لم يكن له فالصلوة مثلا افعال واقوال
وذلك من شان المرء والزكوة انفاق وذلك من شانه والحج في الارض وذلك من شانه وليس من شانه ان لا ياكل ولا يشرب ولا ينكح
ولا ينتصف ممن يعتدي عليه فان امرئ شاتمه او قاتله فليقل اني صائم فليس حمله مقاصد الصوم من شانه وحقيقته اذبال
جسمه واضعاف نفسه واماتته بوجه ما ولذلك كان الصوم كفارة للقتل خطا لينال بالصوم من قتل نفسه بوجه ما ما جرى
على يده خطا من القتل فكان في الصوم تنقص ذات الصائم فلذلك قال تعالى فانه لي حين لم يكن من جنس عمل الادمي قال تعالى وانا
اجزي به ففي اشارته ان جزاءه من غيب الله مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كل ذلك في مضمون قوله ان كنتم
تعلمون انتهى وجوابه والله اعلم صمتم وتطوعتم فانهم ان لم يعلموا انه خير لم يفعلوه فلم يكن خيرا لهم قال الحرالي كان خيرا
حيث لم يكن بين جمع الصوم والاطعام تعاند بل تعاضد بما يشعر به لفظ الخير انتهى روى البخاري في التفسير ومسلم وابو داود
والترمذي والنسائي عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال لما نزلت وعلى الذين يطيقونه الاية كان من اراد يفطر ويفتدي حتى
نزلت الاية التي بعدها فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الاية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وللبخاري عن ابن عمر عن اصحاب محمد رضي
الله عنهم قالوا انزل شهر رمضان فشق عليهم فكان من اطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه ورخص لهم في ذلك فنسختها
وان تصوموا خير لكم فامروا بالصوم ولما ابهم الامر اولا في الايام وجعله واجبا مخيرا على المطيق عين هنا وبث الامر فيه بقوله
تعالى شهر رمضان لان ذلك اضخم واكد من تعيينه من اول الامر قال الحرالي والشهر هو الهلال الذي شانه ان يدور دورة
من حين يهل الى ان يهل ثانيا سوا كانت عدة ايامه تسعا وعشرين او ثلثين كلا العددين في صحة التسمية بالشهر واحد فهو شايع
في فردين متزايدي العدد فكمال العدة كما ياتي احد الفردين لمسماه رمضان يقال هو اسم من اسماء الله واشتقاقه من الرمضا
وهو اشتداد حر الحجارة من الهاجرة كان هذا الشهر سمي بوقوعه في زمن اشتداد الحر بترتيب ان يحسب للمحرم من اول فصل الشتا
ليكون ابتدا العام اول ابتدا خلق باحياء الارض بعد موتها قال وبذلك يقع الربيعان في الربيع الارضي السابق حين تنزل
الشمس الحوت والسماوي اللاحق حين تنزل الشمس الحمل وقال انه لما وقع لسابقة هذه الامة صوم كصوم اهل الكتاب كما وجهوا
الى القبلة اولا بوجه اهل الكتاب تداركه الارفاع الى حكم الفرقان المختص بهم فجعل صومهم القاء ربهم بالشهر لانهم اهل شهور
وناظرون الى الاهلة ليسوا بالمستغرقين في حساب الشمس فجعل صومهم لرؤية الشهر وجعل لهم الشهر يوما واحدا فكانهم نقلوا
من صوم ايام معدودات الى صوم يوم واحد غير معدود لوحدته لانهم امة امية وواعدنا موسى ثلاثين ليلة هي ميقات امة
محمد صلى الله عليه وسلم واتممناها بعشر هي ميقات موسى عليه السلام وامته ومن بعده من الامم الى هذه الامة انتهى ولما كان هذا

خطاب ارقاء مدحه سبحانه بانزال الذكر فيه جملة الى بيت العزة وابتدي انزاله الى الارض قال الحرالي واظهر فيه وجه القصد في
الصوم وحكمته الغيبية التي لم تجر في الكتب الاول الكتابي فقال الذي انزل فيه القران فاشعر ان في الصوم حسن تلق لمعناه ويسرا
لتلاوته ولذلك جمع فيه بين صوم النهار وتهجد الليل وهو صيغة مبالغة من القرء وهو ما جمع الكتب والصحف والالواح انتهى وفي
مدحه بانزاله فيه مدح للقرآن به من حيث اشعر ان من اعظم المقاصد بمشروعيته تصفية الفكر لاجل فهم القرآن ليوقف على حقيقة
ما اتبع هذا به من اوصافه التي قررت ما افتتحت به السورة من انه لا ريب فيه وانه هدى على وجه اعم من ذلك الاول فقال تعالى
هدى للناس قال الحرالي فيه اشعار بان طائفة الناس يعليهم الصوم اي بالتهيئة للتدبر والفهم وانكسار النفس الى رتبة الذين
امنوا والمومنين ويرقيهم الى رتبة المحسنين فهو هدى يغذو فيه فقد الغذاء القلب كما يغذو وجوده الجسم ولذلك اجمع مجربة
اعمال الديانة من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ان مفتاح الهدى انما هو الجوع وان المعدة والاعضاء متى
اوهنت للناس نور الله القلب وصفى النفس وقوى الجسم ليظهر من امر الايمان بقلب العادة جديد عادة هي لاوليائه اجل في القوة
والمنة من عادته في الدنيا لعامة خلقه وفي اشارته لمح لما يعاين به الصائم من سد ابواب النار وفتح ابواب الجنة وتصفد الشياطين
كل ذلك بما يضيق من مجاري الشيطان من الدم الذي ينقصه الصوم فكان فيه مقاصد مفتاح الخير كله واذا هدى الناس كان للذين
امنوا اهدى وكان نورا لهم وللمومنين انور كذلك الى اعلى رتب الصائمين العاكفين الذاكرين الله كثيرا الذين تماسكوا بالصوم
عن كل ما سوى مجالسة الحق بذكره وفي قوله وبينات اعلان بذكر ما يجده الصائم من نور قلبه وانكسار نفسه وتهيئة
فكره لفهمه ليشهد تلك البينات في تفسير وكونها من الهدى الاعم الاتم الاكمل الشامل لكافة الخلق والفرقان الاكمل وفي حصول
الفرقان عن بركة اسم الصوم الذي هو بيان رتب ما اظهر الحق رتبه على وجهه اشعار بما يؤتاه الصائم من الجمع الذي هو من اسمه
الجامع الذي لا يحصل الا بعد تحقق الفرقان المبني على التقوى المنولة للصائم في قوله في الكتب الاول لعلكم تتقون فهو صوم ينبني
عليه تقوى ينبني عليها فرقان كما قال تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ينتهي الى جمع يشعر به نقل الصوم من عدد الايام
الى وحدة الشهر انتهى فعلى ما قلته المراد بالهدى الحقيقة وعلى ما قال الحرالي هو مجاز علاقته السببية لان الصوم مهيئ للفهم
وموجب للنور والهدى المعرف الوحي اعم من الكتاب والسنة او ام الكتاب او غير ذلك وعلى ما قال الحرالي يصح ان يراد به القران
الجامع للكتب كلها فيعم الكتب الاول للايام والفرقان هو الخاص بالعرب الذي اعرب عن وحدة الشهر ولما اتم ما في ذكر الشهر
من الترغيب اثر التعيين ذكر ما فيه من عزيمة ورخصة فقال فمن شهد اي حضر حضورا تاما برؤية بينة لوجود الصحو من غير
غمام او باكمال عد شعبان ان كان غيم ولم يكن مريضا ولا مسافرا قال الحرالي وفي سياقه الزام لمن راى الهلال وحده بالصوم
وقوله منكم خطاب للناس ومن فوقهم حين كان الصيام معلنا لهم الشهر هو المشهود على حد ما يقول النحاة مفعول على السعة
لما فيه من حسن الانباء وابلاغ المعنى ويظهر معناه قوله تعالى فليصمه فجعله واقعا على الشهر لا واقعا على معنى فيه حيث لم
يكن فليصم فيه وفي اعلامه صحة صوم ليله ليصير ما كان في الصوم الاول من السعة بين الصوم والفطر للمطيق واقعا هنا بين
صوم الليل وفطره لمن رزق القوة بروح من الله انتهى ولما نسخ هذا ما مر من التخيير اعاد ما للمريض والمسافر لئلا يظن
نسخه فقال ومن كان مريضا اي سواء شهده او لا او على سفر اي سواء كان مريضا او صحيحا وهو يبين ان المراد شهوده
في تلك الاقامة فعدة قال الحرالي فمرد هذا الخطاب من مضمون اوله فمعناه فصومه عدة من حيث لم نذكر في هذا الخطاب
الكتب ليجري مرد كل خطاب على حد مبدايه وفي قوله من ايام اخر اعلام بان القضا لم يجر على وحدة شهر لاختصاص الوحدة
بشهر رمضان ونزول قضائه منزلة الصوم الاول في عدده وفي اطلاقه اشعار بصحة وقوعه متتابعا وغير متتابعا انتهى
ولما ارخص علل ذلك بقوله يريد الله اي الذي لا يستطيع احد ان يقدره حق قدره بكم اليسر اي شرع السهولة بالترخيص
للمريض والمسافر وبقصر الصوم على شهر ولا يريد بكم العسر في جعله عزيمة على الكل وزيادته على شهر قال الحرالي اليسر
عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم والعسر ما يجهد النفس ويضر الجسم وقال فيه اعلام برفق الله بالاجسام التي يسر عليها
بالفطر وفي باطن هذا الظاهر اشعار لاهل القوة بان اليسر في صومهم وان العسر في فطر المفطر ليجري الظاهر على حكمته في
الظهور ويجري الباطن على حكمه في البطون اذ لكل اية منه ظهر وبطن فلذلك والله اعلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم
في رمضان في السفر ويامر بالفطر وكان اهل القوة من العلماء يصومون ولا ينكرون الفطر انتهى قال الشعبي اذا اختلف
عليك امران فان ايسرهما اقربهما الى الحق لهذه الاية ولما كانت علة التيسير المؤكد بنفي التعسير الاطاقة فكان التقدير لتطيقوا
ما امركم به ويخف عليكم امره عطف عليه قوله ولتكملوا من الاكمال وهو بلوغ الشيء الى غاية حدوده في قدر او عد حسا او معنى
العدة اي عدة ايام رمضان الى رؤية الهلال ان رايتموه والى انتهاء ثلاثين التي لا يمكن زيادة الشهر عليها ان غم عليكم بوجود
الغمام فلم تشهدوه فانه لو كلفكم اكثر منه او كان ايجابه على كل حال كان جديرا بان تنقصوا من ايامه اما بالذات بان تنقصوا من
عدتها او بالوصف بان تاكلوا في اثنائها كما يفعل النصارى فيودي ذلك الى اعدامها اصلا وراسا وقال الحرالي التقدير
لتوفوا الصوم بالرؤية ولتكملوا ان اغمي عليكم ففي هذا الخطاب تعادل ذكر الصحو في الابتداء بقوله شهد وذكر الغيم في الانتهاء
بالاكمال انتهى وفيه اشارة الى احتباك فان ذكر الشهود اولا يدل على عدمه ثانيا وذكر الاكمال لاجل الغمام ثانيا يدل على الصحو اولا
ولما كان العظيم اذا يسر امره كان ذلك اجدر بتعظيمه قال ولتكبروا والتكبير اشراف القدر او المقدار حسا او معنى قاله
الحرالي وقرن به الاكبر لاقتضاء المقام له فقال الله اي الذي تقف الافهام خاسئة دون جلاله وتخضع الاعناق لسبوغ جماله

فان م

لتعتقدوا

لتعتقدوا عظمته بقلوبكم وتذكروها بالسنتكم في العيد وغيره ليكون ذلك احري بدوام الخضوع من القلوب قال الحرالي وفيه اشارة الى ما يحصل للصائم بصفا باطنه من شهوده ما يليح له اثر صومه من هلال نور العلي فكما كبر في ابتداء الشهر لرؤية الهلال يكبر في انتهائه لرؤية باطنه مرائي من هلال نور ربه فكان عمل ذلك هو صلوح ضحى يوم العيد واعلن فيها بالتكبير وكرر لذلك وجعل في براح من متسع الارض ليقصد التكبير لان تكبير الله انما هو بما جل من مخلوقاته فكان في لفظه اشعار لما اطرته السنة من صلوح العيد على اختصاصها بتكبير الركعتين والجهر ليقصد موافقة معنى التكبير الذي انما يكون علنا انتهى ومن اعظم اسراره انه لما كان العيد محل فرح وسرور وكان من طبع النفس تجاوز الحدود لما جبلت عليه من السرة تارة غفلة وتارة بغيا امر فيه به لينهب من غفلتها ويكسر من سورتها ولما كان للوترية اثر عظيم في التذكير بالوتر الصمد الواحد الاحد وكان السبعة منها مدخل عظيم في الشرع جعل تكبير صلوته وترا وجعل سبعا في الاولى لذلك وتذكيرا باعمال السبع المسبعة من الطواف والسعي والجمار تشويقا اليها الان لنتظر الى العيد الاكبر اكثر وتذكيرا لخالق هذا الوجود بالذكر في افعاله المعروفة من خلق السموات السبع والارضين السبع وما فيهما في الايام السبع لانه خلقها في ستة وخلق آدم في اليوم السابع يوم الجمعة ولما جرت عادة الملوك بالوفق لهذه الامة ومنه تخفيفا الثانية على الاولى وكانت الخمسة اقرب وترا الى السبعة من دونها جعل تكبير الثانية خمسا لذلك ولانه لما استحضرت عظمة الخالق باشارة الاولى للعلم بانه المتفرد بالعظمة والقهر والملك لجميع الامر قابلت القلوب اليه وقصرت الهمم عليه اشير بتكبيرة الثانية الى عباده بالاسلام المبني على الدعائم الخمس وخصوصا باعظم دعائمه الصلوات الخمس والله الموفق ولما كانت الهداية تطلق تارة على مجرد البيان وتارة عليه مع الحمل على لزوم المبين وكان تخفيف المامور به وتسهيله اعون على لزومه قال على اي حامدين له على ما هداكم اي ليسر لكم من شرائع هذا الدين فهما كم للزومها ودوام التمسك بعراها ولعل هذا سر الاهتمام بالصيام من الخاص والعام حتى لا يكاد احد من المسلمين يخل به الا نادرا والله الموفق وقال الحرالي ان الهداية اشارة الى تلك الموجودة التي يجدها الصائم وما يشهد الله من زكاته من رؤية ليلة القدر بكشف خاص لاهل الخلوة او ايات بينة لاهل التبصر او بادية لاهل المراقبة كلا على حكم وجده من استغراق تماسكه وخلوته واستغراق ذكره في صومه فاعظم المعدي هدي المرء ان يزيل جسمه ونفسه وتغنيه آنه في حق ربه كما يقول تعالى يدع طعامه وشرابه من اجلي فكل عمل فعل وثبت الا الصوم فانه محو وفقد فناسب تحقيق ما هو الاسلام والتقوى من القائمة الظاهر وقوة الباطن انتهى ولما كان الشكر صرف ما انعم المنعم في طاعاته وكان العمل اذا خف اقرب الى لزوم الطاعة بلزومه ولو ثقلا وشك ان يعصي بتركه قال ولعلكم تشكرون اي ولتكونوا في حالة يرجى معها لزوم الطاعة واجتناب المعصية وقال الحرالي ○ فيه تصنيف في الشكر غاية كما كان في تصنيف التقوى بداية كما قال ولعلكم تتقون فمن صح له التقوى ابتداء صح منه الشكر انتهاء وفي اشعاره اعلام باظهار نعمة الله وشكر الاحسان الذي هو مضمون زكوة الفطر عن كل صائم وعمن يطعمه الصيام فكان في الشكر لفواجه زكوة فطره لختم صومه واستقبال فطر بامر ربه واظهار شكره بما خوله من اطعام عياله فلذلك جرت فيمن يصوم وفيمن يعوله الصائم انتهى ولما كان دعاء الصائم مجابا وكان هذا الشهر بالخصوص مظنة الاجابة للصيام ولكان ليلة القدر وكان ذكر كبريائه سبحانه معينا لعباده للاحساس بالبعد فكان ربما اوقع في وهم انه على عادة المتكبرين في بعد المسافة عن محال العبيد وانه ان كان بحيث يسمع لم يكن لاحد منهم ان يسأله الا بواسطة رفع هذا الوهم بقوله واذا عطف الا بالعطف على غير مذكور ان التقدير فاذا سألك عبادي عني فاني مع علو شاني رقيب على من اطاعني ومن عصاني واذا وقال الحرالي لما اثبتا الحق تعالى كتاب الصيام لعباده لما اراد هم له من اعلائهم الى اجب اجزائه واطلعهم على ما شأ في صومهم من ملكوته بحضور ليلة القدر وانهاهم الى التكبير على عظم ما هداهم اليه واستخلفهم في فضله وشكر نعمته بما خولهم من عظيم فضله واظهر عليهم من رواتب كرامته ما يدعوا الناظرين لهم الى سوالهم عما نالوه من زلفهم فيليحون لمن دونهم ما يليق بهم رتبة رتبة روي عن عمر رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم ابا بكر رضي الله عنه فكانما يتكلمان بلسان لجلالهما فهم مما يوكاد شيا الى ان ينتهي الامر الى اد في السايلين الذين هم في رتبة حضرة بعد فيبشرون بمطالعة القرب فقال واذا عطفا على امور متجاوزة كانه يقول اذا خرجت من معتكفك فصليت وظهرت زينة الله التي باهي بها ملايكته ليست زينة الدنيا التي يتمتعها اهل حضرته من ملايكته فاذا سالك من حالة كذا فانبئه بكذا واذا سالك عبادي عني اي هل انا على حال المتكبرين من ملوك الدنيا في البعد عمن دونهم فاخبرهم اني لست كذلك ولما كان لا يسئل عن الشيء الا من كان معظما له متشوفا الى تجميل الاخبار به كان الانسب للمقام والاقرب لعيون العباد والازجر لاهل العناد تقريب الجواب واخباره سبحانه بنفسه الشريفة دون واسطة اشعارا بشرط قربه وحضوره مع كل سايل فقال فاني دون فعل اني فانه لو اثبت قل لا وهم بعدا وليس المقام لذلك ولكان قوله اني موهما فيحتاج الى ان يقال ان الله او نحو ومع ذلك فلا ينفك عن اشكال واذا كان هذا التلطف بالسايلين فما ظنك بالسالكين السايرين وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله حاصله الذين يسئلون عن الجبال وعن اليتامى وعن المحيض وعن الاهلة ونحوها يجابون بالواسطة واما الذين يسئلون عني فانا ارفع الوسايط بيني وبينهم وقال الامام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنير رحمه الله حاصله انه سبحانه لما كان قد تعرف الى عباده بافعاله واياته وما ذكر في العقول من معرفته كان حذف الواسطة في الاخبار عنه انسب بخلاف الاهلة ونحوها فان العقول لا تستقل بمعرفتها فكان الاخبار عنها بواسطة للرسول الذي لا تعرف الامر جهته؟

انسب قريب فعيل من القرب وهو مطالعة الشي حسا او معنى اي من طلبني بعقله وجدني وانما ارسلت الرسل زيادة في التعرف
ورفعا للحرج بسر التلطف واسقاط قل اسرع في التعرف فهو اجدر بتعظيم الواسطة لان الاسراع في الاجابة اقرب دلالة على صدقه في الرسالة
قال الحرالي بشر اهل حضرة البعد بالقرب لما رقي اهل القرب الى الوصول فكان المبشر واصلا وكان المتقاصر عن القرب مبشرا به ومعلوم
ان قرب الله وبعد المخلوق منه ليس بعد مسافة ولا قرب مسافة فالذي يمكن الاخذ من معنى القرب ان من سمع فيما يخاطب به خطاب
ربه فهو قريب ممن كان ذلك الخطاب منه ومن كان انما يسمع الخطاب ممن واجهه بالخطاب في حسه ومحسوسه فسمعه ممن دون ربه كان
بعيدا بحسب تلك الواسطة من بعد دون بعد الى ابعد البعد ولذلك يعلن للنبي صلى الله عليه وسلم انما عليك البلاغ وكان انما يتلوه
لامته انما كلام ربه يتلو لهم كلام ربهم ليسمعوه من ربهم لامته حتى لا يكون صلى الله عليه وسلم واسطة بين العبد وربه بل يكون
يوصل العبد الى ربه والاشارة بهذا المعنى تتلا كلمة قل في القران ليكون افصاحا لسماع كلام الله تعالى ممن سمع كاينا من كان وفي اشعاره
اهزاز القلوب والاسماع الى نداء الحج اثر الصوم لانه جعل تعالى اول يوم من شهور الحج اثر اخر يوم من ايام الصوم فكان منادي الله
ينادي يوم الفطر بالحج ففي خفي اشارته اعلاء نداء ابرهيم عليه السلام الذي تقدم اساس امر الاسلام على حنيفيته وملته وليكون
في هذه الاية الجامعة توطية لذكر الحج لما تقدم من ان هذه السورة تنتظم جوامعها خلال تفاصيلها انتظاما عجيبا يليح المعنى
لاهل الفهم ويفصله لاهل العلم ثم يحكم به على اهل الحكم قال اجيب من الاجابة وهي اللقا بالقول ابتداء شروع لتمام اللقا
بالمواجهة دعوة الداعي ففيه اشعار باجابة الداعي اي للحج عند خاتمة الصوم يعني لما بين العبادتين من تمام المناسبة فان حال
الصوم التابع لاية الموت محوا كحال البرزخ وحال الحج في كونه سفرا الى مكان مخصوص على حال التجرد كحال الحشر قال وجا الفطر
يعني بعد اكمال الصوم بما يعين على اجابة دعوة الوفادة على الله اثر الخلوة في بيت الله ليكون انتقالهم من بيت خلوته بالعكوف
الى موقف تجليه في الحج وفيه تحقيق للداعي من حاله ليس الداعي من اغراضه وشهواته فان الله سبحانه يجيب دعوة العبد اذا كان
فيه رشده والا ادخرها له او كفر بها عنه كما بينه صلى الله عليه وسلم ولما كان كل خلق داعيا لحاجته وان لم ينطق بها
اشار تعالى الى مقصد اظهار الدعاء مقالا وابتهالا فقال اذا دعان ليكون حاله صدقا بمطابقة حاله مقالا وفي قراءة الاكتفاء
بكسرة الداع ودعان عن ياءيهما وقراءة تمكينهما توسعة القراءة بما تيسر على قبايل العرب بحسب ما في السنة بعضها من التمكين
وما في السنة بعضها من الحذف ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وفي اجابته حجة عليهم بان السيد اذا التزم اجابة عبده
كان اجابة العبد لسيده اوجب التزاما لاستغناء السيد وحاجة العبد فحين كان الغني مجيبا كان اولى بان يكون المحتاج مستجيبا
يعني فلذلك سبب عنه قوله اشارة الى شرط الاجابة فليستجيبوا لي انباء عما قد دعاهم اليه من قربه وقصد بيته بما
جبلهم عليه من حاجتهم اليه وجا بصيغة الاستفعال المستعرب استخراج الاجابة مما شانه الاباء لما في الانفس من كره فيما
تحمل عليه من الوصول الى بيت لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس انتهى وفيه تصرف ولما اوجب استجابته سبحانه في كل ما دعا
اليه وكانت الاستجابة بالايمان اول المراتب واولاها وكانت مراتب الايمان في قوته وضعفه لا تكاد تتناهى قال مخاطبا
لمن امن وغيره وليؤمنوا بي اي مطلق الايمان او حق الايمان ثم علل ذلك بقوله لعلهم يرشدون اي ليكونوا على رجاء من
الدوام على اصابة المقاصد والاهتداء الى طريق الحق قال الحرالي والرشد حسن التصرف في الامر حسا او معنى في دين او
دنيا ومن مقتضى هذه الاية تنفصل جميع احوال السالكين الى الله من توبة التايب من حد بعده الى سلوك سبيل قربه الى
ما يؤتيه الله من وصول العبد الى ربه انتهى ولما تصوروا بهذه الاية الشريفة قربه وحبه على عظمته وعلوه فتذكروا
لذيذ مخاطبته فيما قبل فاشتاقوا اليها وكان قد يسر لهم امر الصوم كما على جميعهم وكنسنا على اهل الضرورة منهم كانوا
كانهم سالوه التيسير على اهل الرفاهية والاكل بعد النوم فقال تحقيقا للاجابة والقرب احل لكم فاشعر ذلك بانه كان
حراما ليلة اي في جميع ليلة الصيام الرفث وهو ما تواجه به النسا في امر النكاح فاذا فلا رفث عند العلما من اهل اللغة
ويدل عليه وصله بحرف الانتهاء بيانا لتضمين الافضا اي مفضيين الى نسايكم بالجماع قولا وفعلا وخرج بالاضافة نسا الغير
ولما كان الرفث والوقاع متلازمين غالبا قال موكدا لارادة حقيقة الرفث وبيان السبب في احلاله هن اي نساؤكم
لباس لكم تلبسونهن والمعنى ابيح ذلك في حال الملابسة او صلاحيتها وهو يفهم انه لا يباح نهارا والله اعلم ويجوز ان يكون تعليلا
لان اللباس لا غنى عنه والصبر يصعب عنهن حال الملابسة والمخالطة ولما كان الصيام عاما للصنفين قال وانتم لباس لهن
اي يلبسونكم اي علل ذلك بقوله مظهرا لعظمة الامة عنده في ارادته الرفق بها علم الله المحيط علمه ورحمته وله الاحاطة
الكاملة كما قدم من كونه قريبا اللازم كونه رقيبا انكم كنتم تختانون اي تفعلون في الخيانة في ذلك من المبادرة اليه فعل الخامل
نفسه عليه والخيانة التفريط في الامانة والامانة ما وضع ليحفظ روى البخاري في التفسير عن البرا رضي الله عنه قال لما
نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النسا رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله عز وجل علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم الاية وروى البخاري والترمذي والنسائي عن البرا ايضا رضي الله عنه قال كان الرجل اذا صام فنام لم ياكل الى
مثلها وان صرمة بن قيس الانصاري رضي الله عنه فذكر حديثه في نومه قبل الاكل وانه غشي عليه قبل انتصاف النهار
فنزلت الاية ولما كان صور ذلك لا يتعداهم قال انفسكم ثم سبب عنه قوله فتاب عليكم قال الحرالي ففيه يسر من
حيث لم يواخذوا بذنب حكم خالف شرعة جبلاتهم فعذرهم بعلمه فيهم ولم ياخذهم بكتابه عليهم وفي التوب رجوع الى مثل
الحال قبل الذنب التايب من الذنب كمن لا ذنب له وكانت هذه لرجل من المهاجرين ورجل من الانصار ليجتمع اليمين في الطايفتين

فان

فان ايمن الناس على الناس من وقع في مخالفة فيسر الله حكمها بوسيلة مخالفته كما في هذه الاية التي اظهر الله سبحانه الرفق
فيها بهذه الاية من حيث شرع لها ما يوافق كيانها وصرف عنها ما علم انها تختان فيه لما جبلت عليه من خلافه وكذلك حال الآمر
اذا شاء ان يطيعه مامور يامره بالامور التي لو ترك ودواعيه لفعلها وينهاه عن الاشياء التي لو ترك ودواعيه لاجتنبها فبذلك
يكون حظ حفظ المامور من المخالفة واذا شاء الله ان يشدد على امة امرها بما جبلها على تركه ونهاها عما جبلها على فعله فتفشو
فيها المخالفة لذلك وهو من اشد الاصار التي كانت على الامم فخفف عن هذه الامة باجراء شرعتها على ما يوافق خلقتها فسارع سبحانه
لهم الى حظ من هواهم كما قالت عايشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يسارع الى هواك ليكون لهم حظ مما لنبيهم
كليته وكما قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اللهم ادر الحق معه حيث دار كان صلى الله عليه وسلم يامر الشجاع
بالحرب ويكف الجبان عنه حتى لا يظهر فيمن معه مخالفة الا عن سوء طبع لا يزعه وازع الوفق وذلك قصد العلماء الربانيين الذين
يجرون المجرب والمدرب والمودب على ما هو اليق بحاله وجبلة نفسه واوفق لخلقه وخلقه ففيه اعظم اللطف لهذه الامة
من ربها ومن نبيها ومن ايمة زمانها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان انهى عن الغيلة حتى سمعت ان فارس والروم
يصنعون ذلك فلا يضر ذلك اولادهم شيا ليجري الاحكام على ما يوافق الجبلات وطباع الامم لكونه رسولا الى الناس كافة على
اختلاف طباعهم وما في السنة والفقه من ذلك فمن مقتبسات هذا الاصل العلي الذي اجرى الله الحكم فيه لامة محمد صلى الله عليه
وسلم على وفق ما تستقر فيه امانتهم وتندفع عنهم خيانتهم وفي قوله وعفى عنكم اي بمحو اثر الذنب اشعار بما كان يستحق ذلك
من تطهير منه من نحو كفارة وشبهها ولما كان ما اعلى اليه خطاب الصوم صوم الشهر على حكم وحدته الآتية على ليله ونهاره
اعلاء عن رتبة الكتب الاول التي هي ايام معدودات مفصول ما بين ايامها بلياليها ليجري النهار على حكم العبادة والليل على حكم
الطبع والحاجة فكان في هذا الاعلاء اطعام الضعيف مما يطعمه الله ويسقيه لا لانه منه اخذ بطبع بل بانه حكم عليه حكم بشرع
حين جعل الشرعة على حكم طباعهم كما قال في الساقي انما اطعمه الله وسقاه وفيه اغناء القوي عن الطعام والشراب كما قال
صلى الله عليه وسلم اني لست كهيئتكم فكان يواصل واذن في الوصال الى السحر فكما اطعموا وسقوا شرعة مع تمادي حكم الصوم
فكذلك انكحوا شرعة مع تمادي حكمه فصار نكاحهم ايتمارا لحكم الله لا اجابة طبع ولا غرض نفس فقال فالآن اي حين اظهر لكم اظهار
الشرعة على العلم فيكم وما جبلت عليه طباعكم فسدت عنكم ابواب المخالفة التي فتحت على غيركم باشروهن حكما حتى استحب
طايفة من العلماء النكاح للصايم ليلا حيث صار طاعة وهو من المباشرة وهي التقاء البشرتين عمدا وابتغوا اي اطلبوا
بجد ورغبة ما كتب الله اي الذي له القدرة الكاملة فلا يخرج شي عن امره لكم اي من الولد او المحل الحل وفيه اشعار بان من قضى
من الولد في ليال رمضان تامل بركة ذرءه على نكاح امر به حتى كان بعض علماء الصحابة يفطر على النكاح وكلوا واشربوا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات فان لم يجد فعلى تمرات فان لم يجد حسا حسوات من ماء وقال ان الماء طهور
وفي تقديم الاكل اجراء لحكم هذا الشرع على وفق الطبع انتهى ولانه سبب العطش ودل على وجوب تبييت النية وجواز تاخير
الغسل الى النهار بقوله حتى فان في جعل تبيين الفجر غاية لحل المفطرات ايجابا لمراقبته للكف عنها وذلك هو حقيقة
النية ومن استمر مباشرا الى الفجر لم يمكنه الاغتسال ليلا وقال يتبين قال الحرالي بصيغة يتفعل وهو حيث يتكلف
الناظر نظرة وكان الطالع يتكلف الطلوع ولم يقل يبين لان ذلك يكون بعد الوضوح انتهى وفي قوله لكم بيان لان الاحكام
بحسب الظاهر وان التكليف بما في الوسع الخيط الابيض قال الاصبهاني وهو اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط
الممدود وقال الحرالي لمد الى غاية انتهاء الليل وتبين حد النهار بارق ما يكون مثل الخيط من الخيط الاسود قال الاصبهاني رحمه الله
وهو ما يمتد معه من غبش الليل اي البقية من الليل وقيل الظلمة آخر الليل شبها بخيطين ابيض واسود وقال الحرالي رحمه الله
ففيه انهاض لحسن الاستبصار في ملتقى الليل والنهار حتى يوتى العبد تورحش يتبين ذلك على وقته ورقته وقد كان انزل
هذا المثل دون بيان ممثوله حتى احد اعرابي ينظر الى خيطين محسوسين فانزل من الفجر يعني فبين الابيض فاخرجه بذكر
المشبه من الاستعارة الى التشبيه لان من شرايطها ان يدل عليها الحال او الكلام وهذه الاستعارة وان كانت متعارفة
عندهم قد نطقت بها شعراؤهم وتقاومت بها فصحاؤهم وكبراؤهم لم يقتصر عليها وزيد في البيان لانها خفيت عن بعض
الناس منهم عدي بن حاتم رضي الله عنه فلم تكن الاية مجملة ولا تاخر البيان عن وقت الحاجة ولو كان الامر كذلك ما عاب
النبي صلى الله عليه وسلم على عدي رضي الله عنه عدم فهمها وقال الحرالي وفي كتاب له في اصول الفقه بناء على انها مجملة
والخطاب بالاجمال ممكن الوقوع وليس يلزم العمل به والا لزم تكليف ما لا يطاق والزام العمل يستلزم البيان والا عاد ذلك
الممتنع وتاخير بيان المجمل الى وقت الالزام ممكن لان في ذلك تناسب حكمة الوحي المنزل بحكمة العالم المكون فان الاجمال
في القرآن بمنزلة نطق الاكوان والبيان فيه بمنزلة تخطيط الصور وذلك ظاهر عند من زاوله وحينئذ فلا يقال
خطاب الاجمال عديم الفايدة لانه يفيد تدريج حكم التنزيل وتحصيل بركة التلاوة وفي الاقتصار على بيانه نمط من
فصاحة الخطاب العربي حيث لم يكن فيه ذكر الممثولين اكتفاء باحدهما عن الآخر ففيه تاصيل لاصل البيان من الافهام حيث
لم يقل من الليل كما قال من الفجر اكتفاء بما في الفهم من الذكر وفي وقوع المبين اثر غير مثله نمط آخر من فصاحة الخطاب العربي
لان العرب يردون الثالث الى الاول لا الى الثاني ليتعلق بالاول في المعنى وينتظم بالثاني في اللفظ فيكون محرز المحل
المفهوم راجعا الى الاول بالمعنى انتهى واوضح دليل على ايجاب التبييت امره بالاتمام فانه لما وقع الشروع فيه فالتقدير

فاذا ثبت الفجر الذي امرتم بمراقبته لكونه غاية لما احل لكم فصوموا اي امسكوا عن المفطر ثم اتموا ذلك الصيام الى الليل
والتعبير بثم اشارة الى بعد ما بين طرفي الزمان الذي احل فيه المفطر وقال الحرالي فكان صوم النهار اتماما لبدء من صوم ليله
فكانه في الليل صوم ليس بتمام لانثلامه للحس وان كان في المعنى صوما ومن معناه راي بعض العلما الشروع في الاعتكاف قبل الغروب
لوجه مدخل الليل في الصوم التام بالعكوف واضافة الليل للنهار في حكم صوم ما وهو في النهار تمام بالمعنى والحس وانما الزم باتمام
الصوم نهارا واعتد به ليلا وجرى فيه الاكل والنكاح بالامر لان النهار معاش فكان الاكل فيه اكلا في وقت انتشار الخلق
وتعاطي بعضهم من بعض فيانف عنه المرتقب ولان الليل سبات ووقت توف وانطماس فبدا فيه من امر الله ما انحجب ظهوره في
النهار كان المطعم بالليل طاعم من ربه الذي هو وقت تجليه ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا فكان الطاعم في الليل انما اطعمه الله
وسقاه فلم يقدح ذلك في معنى صومه وان ظهر صورة وقوعه في حسه كالناسي بل الماذون له اشرف رتبة من الناس انتهى
ولما كان الصوم شديد الملابسة للمساجد والاعتكاف وكانت المساجد مظنة للاعتكاف وكان سبحانه قد اطلق في صدر
الاية الاذن في الوطء في جميع الاماكن والاحوال غير حال الصوم خص من ساير الاحوال الاعتكاف ومن الاماكن المساجد فعقب
ذلك بان قال ولا تباشروهن اي في اي مكان كان وانتم عاكفون اي ثابتون مقيمون او معتكفون ومدار مادة عكف على
الحبس اي وانتم حابسون انفسكم لله في المساجد عن شهواتها بنية العبادة وفي المساجد ظرف لعاكفون فتحرم المباشرة في
الاعتكاف ولو في غير المسجد وتقييد الاعتكاف بها لا يفهم صحته في غير مسجد فانه انما ذكر لبيان الواقع وليفهم حرمة الجماع
في المساجد لانه اذا حرم تعظيما لما هي سبب لحرمته ومصححة له كانت حرمته تعظيما لها انفسها اولى او يقال وهو احسن لما
كان معنى العكوف مطلق الحبس قيده بالمسجد ليفهم خصوص الاعتكاف الذي هو الحبس عبادة فصار كانه قال وانتم معتكفون
هذا معنى المبتدا والخبر وما تعلق به وكانه جزء الفعل ليشمل ما اذا كان اللبث في المسجد بغير نية والحاصل انه سبحانه سوى
بين حال الصوم وحال الاعتكاف في المنع من الجماع فاذا اجتمعا كان اكد فان الاعتكاف من كمال الصوم وذلك على وجه من المباشرة
في المسجد مطلقا قال الحرالي وانما كان العاكف في المسجد مكملا لصومه لان حقيقة الصوم التماسك عن كل ما شان المرء ان
يتصرف فيه من بيعه وشرائه وجمع اغراضه فاذا المعتكف المتماسك عن التصرف كله الا ما لا بد له من ضرورته هو الصايم
المكمل صيامه والمتصرف الحافظ للسانه الذي لا ينتصف بالحق ممن اعتدى عليه هو المتمم للصيام ومن نقص عن ذلك فانتصف
بالحق ممن اعتدى عليه فليس بمتمم للصيام فمن اطلق لسانه وافعاله فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه فاذا حقيقة الصوم
هو الصوم لا صورته حتى يثبت معناه للاكل ليلا ونهارا قال صلى الله عليه وسلم من صام رمضان واتبعه بست من شوال
فكانما صام الدهر وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام من كل شهر فذلك صوم الدهر وكان بعض اهل الوجهة من الصحابة
يقول قايلهم انا صايم ثم يرى ياكل من وقته فيقال له في ذلك فيقول قد صمت ثلاثة ايام من هذا الشهر فانا صايم في فضل
الله مفطر في ضيافة الله كل ذلك اعتداد من اهل الاحكام والنهي تحقيقه الصوم اكثر من الاعتداد بصورة ظاهرة انتهى
معناه ولما قدم سبحانه ذكر هذه الحرمات ضمن ما قدم في الاحكام اما في المناهي فصريحا واما في الاوامر فلزوما وتقدم فيها
لان حماه سبحانه في الارض محارمه نبه على تعظيمها وتاكيد تحريمها باستيناف قوله مشيرا باداة البعد تلك اي الاحكام
البديعة النظام العالية المرام حدود الله وذكر الاسم الاعظم تاكيدا للتعظيم وحقيقة الحد الحاجز بين الشيئين المتقابلين
ليمنع من دخول احدهما في الاخر فاطلق هنا على الحكم تسمية للشي باسم جزئه بدلالة التضمن واعاد الضمير على مفهومه المطابقي
استخداما فقال فلا تقربوها معبرا بالقربان لانه في سياق الصوم والورع به اليق لان موضوعه فطام النفس عن
الشهوات فهو نهي عن الشبهات من باب من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه فيدخل فيه مقدمات الجماع فالورع تركها ولما علا
هذا البيان الى حد لا يدركه حق ادراكه الانسان كان كانه قال دهشا هل يحصل بيان مثله لشي غير هذا فقيل بيانا للواقع
وتشويقا الى التلاوة وحثا على تدبر الكتاب الذي هو الهدى لا ريب فيه كذلك اي مثل هذا البيان العلي الشان يبين الله لما
له من العظمة التي لا تحصر بحد ولا متبلغ بعد اياته التي تحق لها لعظمتها ان تضاف اليه وقال للناس اشارة الى العموم دلالة
على تمام قدرته بشمول علمه الى البيان الى حد لا يحصل فيه تفاوت في اصل الفهم بين غبي وذكي وعلل ذلك بقوله لعلهم
يتقون اي لتكون حالهم حال من يرجى منه خوف الله لما علموا من هذا البيان من عظمته واشعر هذا الابهام ان فيهم من لا يتقي
ولما اذن سبحانه فيما كان قد منع منه من المطعم والمنكح للصايم وقدم المنكح لانه اشهى اذ الطبع اليه ادعى ولان المنع منه كان
في جميع الشهر فالضرر فيه اقوى واتبعه الاذن في الاكل لانه قوام الجسم واولاه المنع من النكاح في بعض الاحوال فعل كذلك
في المال الذي منه الاكل لانه قد كان مما خاف فيه اهل الكتاب عهد كتابهم واشتروا به ثمنا قليلا كثيرا من امره لا سيما
تحريم الرشوة فانهم اخفوه واستباحوها حتى صارت بينهم شرعا متعارفا وكان طيب المطعم محثوثا عليه لا سيما في الصوم
فنهى عن بعض اسباب تحصيل المال اعم من ان يكون رشوة او غيرها فقال ولا تاكلوا اي يتناول بعضكم مال بعضا ولكنه
عبر بالاكل لانه المقصد الاعظم من المال ولما كان المال مبالا يكون في يد هذا اليوم وفي يد غيره غدا فمن صبر وصل اليه
ما كتب له مما في يد غيره بالحق ومن استعجل وصل اليه بالباطل فحاز السخط ولم ينل اكثر مما قدر له قال اموالكم وقال
بينكم تقبيحا لهذه المعصية وتهييجا على الامر بالمعروف بالباطل وهو ما لم ياذن به الله باي وجه كان سوا كان باصله او
بوصفه ولما كان من وجوه اكله بالباطل التوصل بالحاكم بحجة باطلة يعجز الخصم عن دفعها كما قال صلى الله عليه وسلم ولعل

تبين ن

منع م

بلين

بعضكم

بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على حسب ما اسمع منه فمن قضيت له بشي من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من
النار فيكون الاثم خاصا بالاكل دون الحاكم عطف عليه ما يشاركه فيه الحاكم فقال عاطفا على تاكلوا وتدلوا اي ولا تتوصلوا في خفاء
بها الى الحكام بالرشوة المعمية للبصاير من الادلاء قال الحرالي وهو معنى انزال الدلو خفية في البير ليستخرج منه ما فكان
الراشي يدلي دلو رشوته للحاكم خفية ليستخرج جوره لياكل به مالا انتهى لتاكلوا فريقا اي شيا يفرق بينه وبين صاحبه من
اموال الناس من اي طايفة كانوا بالاثم اي الجور العمد ومن مدلولاته الذنب وان يعمل ما لا يحل وانتم اي والحال انكم تعلمون اي من
اهل العلم مطلقا فان الباطل منهم اشنع ويلزم منه العلم بان ذلك التوصل لا يفيد الحل ولعله ايما الى جواز التوصل الى ما له عند
جاحد لم يجد طريقا الى خلاصه الا ذلك وقال الحرالي في مناسبة هذه الاية لما قبلها لما كان ينزل القرآن لاقامة الامور الثلثة
التي بها قيام المخاطبين به وهو صلاح دينهم وهو ما بين العبد وربه من عمل او القاء بالسلم اليه واصلاح دنياهم وهو ما فيه معاش
المرء واصلاح آخرتهم وهو ما اليه معاده كان لذلك منزل القرآن مفصلا باحكام تلك الامور الثلاثة فكان شذرة للدين
وشذرة للدنيا وشذرة للآخرة فلما كان في صدر هذا الخطاب يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا وهو خطاب للملوك
ومن تبعهم من روساء القبايل ومن تبعهم انتظم به بعد ذلك حكم من احكام اهل العلم ومن تبعهم في قوله تعالى ان الذين يكتمون
الاية ثم انتظم به ذكر الوصية من اهل الجدة ثم انتظم به ذكر احوال الرشى من الراشي والمرتشي ليقع به نظم التنزيل ما بين امر
في الدين ونهي في الدنيا ليكون ذلك اجمع للقلب في قبول حكم الدنيا عقب حكم الدين ويفهم حال المعاد من عبرة امر الدنيا فلذلك
تعتور الايات هذه المعاني ويعتقب بعضها لبعض ويتفصل بعضها ببعض كما هو حال المرء في يومه وفي مدة عمره حيث تعتور
عليه احوال دينه ودنياه ومعاده يطابق الامر الخلق في التنزيل والتطوير انتهى ولما اتم سبحانه البيان لما اراد ما شرعه
في شهر الصوم ليلا ونهارا وبعض ما تبع ذلك وكان كثير من الاحكام يدور على الهلال لا سيما احد قواعد الاسلام الحج الذي هو
اخو الصوم وكانت الاهلة كالحكام توجب اشياء وتنفي غيرها كالصيام والديون والزكوات وتوكل بها الاموال حقا او باطلا
وكان ذكر الشهر واكمال العدة قد حرك العزم للسوال عنه بين ذلك بقوله تعالى يسئلونك وجعل ذلك على طريق الاستيناف
جوابا لمن كانه قال هل سالوا عن الاهلة فقيل نعم وذلك لتقدم ما يثير العزم الى السوال عنها صريحا فكان سببا للسوال عن
السوال عنها وكذا ما ياتي من قوله يسئلونك ماذا ينفقون يسئلونك عن الشهر الحرام يسئلونك عن الخمر والميسر بخلاف ما عطف
على ما قبله بالواو كما ياتي وسياتي ان شاء الله تعالى في الانعام ما ينبغي من علم النجوم وما لا ينبغي عن الاهلة اي التي تقدم انه ليس البر
تولية الوجه قبل مشارقها ومغاربها ما سبب زيادتها بعد كونها كالخط او الخيط حتى تتكامل وتستوي ونقصها بعد ذلك
حتى تدق وتنمحق قال الحرالي وهي جمع هلال وهو ما يرفع الصوت عند رؤيته فغلب على رؤية الشهر الذي هو الهلال انتهى ولما
كان كانه قيل ما جوابهم قيل قل معرضا عنه لما لهم فيه من الفتنة لانه ينبني على النظر في حركات الفلك وذلك يجر الى علم
تسيير النجوم وما يتبعه من الاثار التي تقود الى الكلام في الاحكام المنسوبة اليها فتستدرج الى الالحاد وقد ضل بذلك كثير
من الامم السالفة والقرون الماضية فاعتقدوا تاثيرها بذواتها وقد قال صلى الله عليه وسلم ناهيا عن ذلك لذلك من
اقتبس علما من النجوم اقتبس بابا من السحر زاد ما زاد اخرجه احمد وابو داود وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال
علي رضي الله عنه من طلب علم النجوم تكهن مرشدا سبحانه الى ما فيه صلاحهم هي مواقيت جمع ميقات من الوقت وهو الحد الواقع
بين امرين احدهما معلوم سابق والاخر معلوم به لاحق وقال الاصبهاني رحمه الله والفرق بين الوقت والمدة والزمان ان المدة
المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدايها الى الزمان والزمان منة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر ما للناس في صومهم
كما تقدم ومعاملاتهم ليعلموا عدد السنين والحساب والحج صرح به لانه من اعظم او اعظم مداخلها قال الحرالي وهو حشر العباد الى
الموقف في شهر آخر السنة فهو امر ديني مشعر بختم الزمان وذهابه لما فيه من اية المعاد انتهى ولما كانوا قد اعتادوا في الحج فعلا
منكرا وكان ترك المالوفات اشق شي على النفوس ولذلك قال اهل الطريق وسادات اهل التحقيق ملاك القصد الى الله تعالى
خلع العادات واستجداد قبول الامر المنزلات من قيوم الارض والسموات وبذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم سادات اهل
الاسلام قال تعالى عاطفا على ليس البر مقبحا لذلك الفعل عليهم منبها على انهم عكسوا في سوالهم كما عكسوا في فعالهم ويجوز ان يكون
معطوفا على حال دل عليها السياق تقديرها والحال انه ليس البر سوالكم هذا عنها وليس البر واكد النفي بزيادة الباء في قوله
بان تاتوا البيوت اي لا الحسية ولا المعنوية من ظهورها عند القدوم من الحج او غيره كما انه ليس البر بان تعكسوا في مقالكم بترك
السوال عما يعنيكم والسوال عما لا يعنيكم بل يعنيكم ولما نفى البر عن ذلك كما نفى في الاول استدرك على نهج الاول فقال
ولكن البر قال الحرالي بالرفع والتخفيف استدراكا لما هو البر واعراضا عن الاول وبالنصب والتشديد مع الالتفات الى الاول
لمقصد طرحه انتهى من اتقى فجعل المتقي نفس البر الهابا له الى الاقبال على التقوى ولما كانت التقوى حاملة على جميع ما مضى من
خلال الايمان الماضية اكتفى بها ولما كان التقدير فاتقوا فلا تسئلوا عما لا يهمكم في دينكم عطف عليه وايتوا البيوت من ابوابها
حسا في العمل ومعنى في التلقي والباب المدخل للشي المحاط بحايط يحجزه ويحوطه قاله الحرالي وتقدم تعريفه له بغير هذا ولما
كان الامر بالتقوى قد تقدم ضمنا وتلويحا اتى به دالا على عظيم جدواها ذكرا وتصريحا دلالة على التاكيد في تركهم تلك العادة
لاقتضاء الحال ذلك لان من اعتاد شيا قل ما يتركه وان تركه طرقه خاطره وقتا ما فقال واتقوا الله اي الملك الاعظم في كل
ما تاتون وما تذرون ووطنوا النفوس واربطوا القلوب على ان جميع افعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض

شك في ذلك حتى لا يسئل عنه لما في السؤال من الابهام بمفارقة الشك العلم التفاصيل ويعرض لوقوعه كالذي سأل عن الرجل يبتلى في اهله فيما يبتلى به ويقال كثرة توليد مسائل السهو وقع فيه وقال وهذه الآية كالجامعة الموطئة لما ذكر بعدها من امر توقيت القتال الذي كانوا عليه لما كان من امر الجاهلية حكم التحرج من القتال في الاشهر الحرم والتساهل فيه في اشهر الحل مع كونه عدوا بغير حق فكان فيه عمل بالفساد وسفك الدماء انتهى وفيه تعرف لمحى سبحانه ما اصلوه من ذلك بما شرعه من القتال لكونه جهادا فيه لا لحظ من حظوظ الدنيا ولما ذكر سبحانه الحج في هذه السورة المدنية وكان سبيله اذ ذاك ممنوعا عن اهل الاسلام باهل الحرب الذين اخرجوهم من بلدهم ومنعوهم من المسجد الذي هم احق به من غيرهم وكان الحج من الجهاد وكان كل من الصوم والجهاد تخليا من الدنيا سياحة امتي الصوم ورهبانية امتي الجهاد وكانت مهمات العبادات موقتة وهي الصلوة والزكوة والصوم والحج وغير موقته وهي الذكر والجهاد وهو قتال اهل الحرب خلافا لمن كان عند اهل الجاهلية من توقيته مكانا بغير الحرم وزمانا بغير الاشهر وكانا القتال في الاشهر الحرم وفي الحرم في غاية المنع فكيف عند المسجد وكان سبحانه قد ذكر العبادات الموقتة اتبعها بغير الموقتة وهي الجهاد الذي هو خطيرة الموقتة الذي لا سلامه لعابد دونه التفاتا الى الظالمين بالمنع عن المسجد الحرام والاخراج منه فامر بان يفعل معهم مثل ما فعلوا من القتال والاخراج فصل الحكيم الذي يوصي بالشئ العظيم فهو يلقيه بالتدريج في اساليب البلاغة وافانين البيان تشويقا اليه وتحريضا عليه بعد ان اشار لاهل هذا الدين اولا بانه تحزي ظالميهم وثانيا بان المقتول منهم حي يرزق وثالثا بمدحهم على الصبر في مواطن الباس بانهم الذين صدقوا وانهم المتقون فلما شوقهم الى جهاد اهل البغي والعناد الزمهم القتال بصيغة الامر لتيسير باب الحج الذي افترضه وسبيله ممنوع باهل الحرب فقال تعالى وقيل انها اول اية نزلت في القتال قال الاصبهاني رحمه الله ٥ وقاتلوا في سبيل الله اي الذي لا كفؤ له اشعارا بذكره على سبيل الاطلاق بعد الموقت بالهلال الى انه غير موقت به قال الحرالي من حيث انه خطيرة على دين الاسلام المقيد بالمواقيت من حيث ان الاسلام عمل يقيده الوقت والدفع عنه امر لا يقيده وقت بل اباذن طرق الصد لبنا الاسلام دفع عنه كما هو حكم الدفع في الامور الدينية فكانت الصلوة لمواقيت اليوم والليلة والصوم والحج لمواقيت الاهلة والزكوة لميقات الشمس والجهاد لمطلق الميقات حيث ما وقع من مكان وزمان ناظرا وجه تالما يقابله من عمود الاسلام الذي هو كلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله على الدوام يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم انتهى وقال الذين يقاتلونكم اي من شانهم قتالكم ممن ليس شانه ذلك كالصبيان وفيه اشعار بان القتال عن سبب المقاتلة فهو مما يفعل عن سبب لا مما يفعل لوقت وصيغة المضارع لم يقصد بها الا صدور الفعل من غير نظر الى زمان مخصوص كما قالوه في امثاله ولما كان الله سبحانه قد اوجب العدل في كل شئ حتى في حق اعدائه قال ولا تعتدوا فنظم ذلك ابتدا القتال لمن لم يبدأ به اما بعهد او بغير دعوة لمن لم يبلغه امر الدين او بغير ذلك من انواع الخيانة والغدر وقتل النساء والصبيان والشيوخ الفانين الذين لا منعة فيهم ولا راي لهم ودوام القتال لمن القى السلم بعد ابتدائه به محذوف المتعلق اختصارا فافاد زيادة المعنى وهو من غريب افانين البلاغة وكانه افهم بصيغة الافتعال التقييد بالتعدي علل ذلك بقوله ان الله اي لما له من صفات الكمال يحب المتقين مطلقا في هذا وغيره اي لا يفعل بهم من الخير فعل المحب ولما حرم الاعتداء صرح باداة اصل القتال فقال واقتلوهم اي الذين يقاتلونكم حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم وانتم تظنون في ان تغلبوا او حيث تمكنتم من قتلهم قال الاصبهاني لانه من ثقف اي بالضم ثقافة اذا صلب وثقف اي بالكسر كذلك وايضا صار حاذقا فطنا وثقفت الشئ ثقفا اخذته والشئ صادفته قال ٥ القطاع وقال الاصبهاني والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة واطلق الوجدان فشمل الحل والحرم من الزمان والمكان لانهم كذلك يفعلون بالمسلمين كما نوا يؤذونهم ويفتنونهم عند البيت في كل وقت وفي التعبير بالفعل ما يشعر بالنصر لحزب الله وبشر بضعف العدو وعن مداومة المقاومة للمجاهدين وقد اظهرت التجربة مثل ذلك واقله انهم اذا فروا لم يكروا ولما كانت الاية ناظرة الى القصاص قال واخرجوهم اي وان لم يقاتلوكم من حيث اخرجوكم اي مكة التي هي موطن الحج والعمرة ومحل الشعائر المقصودة لاهل الاسلام ولما كان هذا شعارا بانهم لم يكن منهم اليهم قتال في مكة بغير الاذي المحوج الى الخروج من الديار علم ان التقدير فان الاخراج من اشد فتنة وقد فتنوكم به فعطف عليه قوله والفتنة اي العذاب بالاخراج وغيره من انواع الاخافة اشد في تليينهم للاسلام من القتل اعم من ان يكون المراد من قتلكم اياهم في الحرم او غيره او قتلهم اياكم او غير ذلك لما فيها من مواصلة الغم القابض للنفس عن مراداتها فلذلك سوغنا لكم قتلهم قصاصا بسبب اخراجكم فكان المراد بالذات اخراجهم ليمكن الحج والاعتمار ولكنه لما لم يمكن الا بقتالهم وقتلهم اذن فيهما وقد كشف الواقع في امر عكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية وعبد الله بن الزبعري من ان الاخراج من مكة ليتهم للاسلام اكثر من تليين القتل فانهم اسلموا لما اشرفوا على فراق مكة ظهورا للاسلام فيها ولم يسلم احد ممن قريش خوفا من القتل فلكون السياق لاخراجهم عبر هنا باشد ولما كان الاذن في الاخراج مستلزما في العادة للقتال وكان قد اذن في الابتداء به حيث ثقفوا خصص ذلك فقال ناظرا الى حال المقاصصة ايضا ومشيرا الى ما سيقع في غزوة الفتح المشار اليها بقوله بعد وكفروا به والمسجد الحرام ولا تقاتلوهم اي هؤلاء الذين اذن لكم في اخراجهم عند المسجد الحرام اي الحرم اذا اردتم اخراجهم فمانعوكم حتى يقاتلوكم فيه اي في ذلك الموضع الذي هو عند المسجد وكانه عبر بفيه في الثاني وعند في الاول والمراد الحرم في كل منهما كفا عن القتال فيه مهما وجد الى الكف سبيل تعظيما له واجلالا لحرمته لانه موضوع للصلوة التي اعظم مقاصدها السجود لا لغيره فضلا عن القتال فان قاتلوكم اي في ذلك المكان فاقتلوهم اي لا تقتصروا على مدافعتهم بل اصدقوهم في الضرب الجهز ولا حرج عليكم من جهة المسجد فان الانتهاك لحرمته منسوب الى البادي وفي التعبير بالفعل في جواب المفاعلة في

الجمهور او الفعل في قراءة حمزة والكسائي بشارة تبصرة المبغي عليه وقوة ادالته ولما كان هذا مفهما انه خاص بهم عمم بقوله
كذلك اي مثل هذا الفعل العظيم الجدوي جزاء الكافرين كلهم ولما كان النزوع بعد الشروع لا سيما حالة الاشراف على الظفر عسرا
على الانفس الابية والهمم العلية قال فان انتهوا اي عن القتال ومقدماته وفيه اشعار بان طائفة منهم تنتهي فان العالم بكل شي لا يعتبر
باداة الشك الا لذلك ولما كان التقدير فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم فان الله قد غفر لهم علله بامر عام فقال فان الله اي المحيط
بجميع صفات الكمال غفور رحيم اي له هاتان الصفتان ازلا وابدا فكل من تاب فهذا شانه ولما كان المراد بما مضى من قتالهم
كفا ذاهم باي فعل كان حققه بقوله وقاتلوهم اي هولاء الذين نسبناهم الى قتالكم واخراجكم وفتنكم اعم من ان يكونوا كفارا او لا
حتى لا تكون اي توجد فتنة بان لا يقدروا ان يؤذوا احدا من اهل الاسلام ليردوه عن دينه او يخرجوه من داره او يخلعوه من
ماله او يغلبوه على حقه فقتال كل من وقع منه ذلك كفرا او بغيا في سبيل الله حتى يفي الى امر الله ويكون الدين اي الطاعة
والعبادة ولما كان هذا في اوايل ما بعد الهجرة قبل ان يروا من نصر الله لهم ما يقوي عزايمهم اعراه من التاكيد فقال لله
اي الذي لا كفو له خاصة به بان يكون امر المسلمين ظاهرا ليس للسلطان فيه نصيب فلا يقدر احد من اهل الكفر ولا اهل البغي
على التظاهر باذى احد منهم وذلك بان لا يبقى مشرك اصلا ولا يبقى كتابي الا الزم الصغار بالجزية والحكمة في ابقايهم دون المشركين
ان لهم كتبا امهلوا بحرمتها ولينظروا فيها فيقفوا على الحق نهيا فانها وان كانت قد وقع فيها التحريف قد بقي فيها ما يهدي للموقف
لانها لم يعمها التحريف واما اهل الاوثان فليس لهم ما يرشدهم الا الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم مقطوعا بها من غير فايدة تنتظر
قال الحرالي ففي طيه اشعار بما وقع وهو واقع وسيقع من قتال طايفة الحق لطايفة البغي سايرا اليوم المحمدي بما يخلص من الفتنة ويخلص
الدين لله توحيدا ورضى وثباتا على حال السلف الصالح وزمان الخلافة والنبوة انتهى فان انتهوا اي كلفوا انفسهم الرجوع عما استوهموا
به القتال فقد تركوا الظلم والنهي قال الحرالي الحكم المانع من الفعل المترامي اليه بمنزلة اثر العقل المسمى نهي لمنعه عما تهوى اليه
النفس مما يستبصر فيه النهي قال صلى الله عليه وسلم ليلني منكم اولوا الاحلام والنهى فمن لم يكن من اهل النهي كان نهاه النهي وهو الحكم
المذكور انتهى فلا عدوان اي فلا سبيل يقع فيه العدو الشديد للقتال عليهم فانه لا عدوان الا على الظالمين قال الحرالي فذكر الظلم
الشامل لوجوه ايقاع الامر في غير موضعه من اعلى الدين الى ادناه انتهى ويجوز ان يكون التقدير فان انتهوا عن الشرك فقد
انتفى عنهم اسم الظلم فلا تعتدوا عليهم فان اعتديتم عليهم سلطنا عليكم لظلمكم لهم من يعتدي عليكم فانه لا عدوان الا على الظالمين
الذين دخلتم في مسماهم وخرجوا من مسماهم بالانتهاء فلا عدوان الا عليكم لا عليهم ومعنى العدوان القتال بغاية العدو والشدة
والعزم ولما اباح سبحانه القتال في كل مكان حتى في الحرم وكان فعله في الاشهر الحرم عندهم شديدا جدا اثار العزم للسوال عنه
فقال معلما لهم ما يفعلون في عمرة القضاء ان احتاجوا على وجه عام الشهر الحرام اي وهو ذو القعدة من سنة سبع ان قاتلتموهم
فيه لكونهم قاتلوكم في شهر حرام بالشهر الحرام الذي قاتلوكم فيه وهو ذو القعدة سنة ست حيث صدوكم عن عمرة الحديبية
ولما اشعر ما مضى بالقصاص افصح به على وجه اعم فقال والحرمات اي كلها وهي جمع حرمة وهي ما يحفظ ويرعى ولا ينتهك قصاص
اي تتبع للمساواة والمماثلة فمن اي فتسبب عن هذا انه من اعتدى عليكم اي تعمد اذاكم في شي من الاشياء في اي زمان او مكان كان
فاعتدوا عليه اي فجاوزه سمي اعتداء مشاكلة تقوية لعزايمهم وتوطينا لهممهم اي افعلوا وان سماه المتعنت بغير ما يحق له بمثل ما
اعتدى اي عداوته عليكم او بمثل الذي اعتدى عليكم به ولعله اعاد الظرف وان افهمه الاول لدفع تعنت من لعله يقول الكلام
شامل لاعتدايه علي وعلى غيري فلي ان اقابله باعلى ما وقع له من ذلك لان المراد ردعه ولو لم يرد الحكم هذا القيد بما ينفيه ولما
جعل المماثلة حدا وكان امرها خفيا والوقوف عنده بغير استرسال النفس بارسالها صعبا حذرا من تعديه بعد الاذن في القصاص
الذي جرا عليه بتسميته اعتداء على وجه نادب الى العفو للمستبصر فقال واتقوا الله اي المحيط علما بكل شي بالتحري في القصاص
حتى لا تتجاوزوا واعلموا واظهر ولم يضمر لئلا يقيد بالتقوى في باب الاعتداء مثلا فقال ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال
معكم ان اتقيتم بالتحري فيه او بالعفو فان الله مع المتقين ومن كان معه افلح كل الفلاح ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا قال الحرالي
ضمنه اشعار وتطريق لمقصد السماح الذي هو خير الفضايل من وصل القاطع والعفو عن الظالم ولما كان في هذه التقوى خروج
عن حفظ النفس اعلمهم انه تعالى يكون عوضا لهم من انفسهم بما اتقوا وداوموا على التقوى حتى كانت وصفا لهم فاعلمهم بصحبته لهم
انتهى ولما كانت النفقة من اعظم دعايم الجهاد وكان العيش في اول الاسلام ضيقا والمال قليلا فكان ذلك موجبا لكل احد ان يتمسك
بما في يده ظنا ان في التمسك به النجاة وفي انفاقه الهلاك اخبرهم ان الامر على غير ما يسول به الشيطان من ذلك الشيطان يعدكم
الفقر وقال الحرالي ولما كان ما لزم العفو من العز الذي جا على خلاف غرض النفس نظم به تعالى ما يجي على خلاف مدرك الحس في
الانفاق الذي يحصل به الزكا والنما وايضا لما اسس تعالى حكم الجهاد الذي هو اشق الاعمال على الانفس نظم به امر الجود والانفاق
الذي هو اشق منه على الانفس ومن حيث ان القتال مدافعة يشتمل على عدة وزاد لم يكن امره يتم الا باعمال العزيزتين الشجاعة
والجود ولذلك كان اشد الافات في الدين البخل والجبن انتهى فقال تعالى وانفقوا واظهر ولم يضمر اظهارا للاعتناء بامر
النفقة ولئلا يقيد بحيثية من الحيثيات فقال في سبيل الله اي الملك الذي كل شي تحت قهره كما قال وقاتلوا في سبيل الله
وهو كل ما امر به الله وان كان استعماله في الجهاد اكثر اي ولا تخافوا العيلة والضيعة فان الله ربكم هو الذي امركم بذلك والله
يعدكم مغفرة منه وفضلا قال الحرالي فالنظر للاموال باتفاقها لا باصلاحها واثباتها فانتظم الخطا بان ما في العفو من العز
وما في الانفاق من النما واكد ذلك بالاعلام بما لا تصل اليه مدارك الانفس من ان صلاح الاموال وامساكها تهلكه انتهى فقال تعالى

ولا تلقوا بايديكم اي تسرعوا بوضعها اسراع من يلقي الشيء بعدم الانفاق الى التهلكة من الهلاك وهو تداعي الشيء الى ان يبطل ويفني فان في ذلك الاخلاد الى الدعة والتواكل فيجتري عليكم العدو فلا تقوم لكم قايمة فان البخل اسرع شيء الى الهلاك وهي تفعلة بضم العين مصدر هلك وقيل انها لغة في كلامهم وحقيقته اوقع الانسان لما يتضرر به من نفسه وغيرها بيده اي بنفسه فجعل التهلكة اخذة بها كالكدم لصاحبها وقال الحرالي لحاطة الخطاب تقتضي ان التهلكة تضييع القتال والانفاق الذين بتركهما تقع الاستطالة على مبنى الاسلام فيتطرق الى هدمه ولما كان امر الانفاق اخص بالانصار الذين كانوا اهل الاموال لتجرد المهاجرين عنها كان في ضمنه ان اكثر فصل الخطاب فيه للانصار انتهى وقد روى ابو داود والترمذي وهذا لفظه وقال حسن صحيح والنسائي عن ابي ايوب رضي الله عنه انما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت فلو اقمنا في اموالنا فانزل الله هذه الآية فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو وروى البخاري في التفسير عن حذيفة رضي الله عنه وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت في النفقة ولما كانت التوسعة في امر القتال قد تجر الى الاعتداء فختمه بالنهي عنه وبان الله لا يحب المعتدين وكانت التوسعة في الانفاق في سبيل الله من اعلى خلال الايمان قال تعالى واحسنوا اوقعوا الاحسان على العموم بما انهم قصروا فعمل وترك المتعلق بالاكثار من الانفاق وظنوا بالله الحسن الجميل فاظهر من غير اضمار لطول الفصل ونحو ما تقدم ان الله الملك العظيم يحب المحسنين اي فيفعل معهم كل ما يفعله المحب مع من يحبه من الاكرام والاعلاء والنصر والاغناء وغير ذلك من جميع ما يحتاجه كانه لا يحب المعتدين قال الحرالي فانتظم ختم الخطابين بان لا يقع الاعتداء في القتل وان يقع الاحسان في المال وفي اشعاره خص الانصار على انفاق اموالهم يتلون به حال المهاجرين في التجرد عنها فكان امر المهاجرين لا ينقضوا الهجرة كان امر الانصار ان لا يلتفتوا الى الدنيا مما خرج المهاجرون عن اصله خرج الانصار عند التمسك به عن وضعه فكان لعراضهم تابعا لترك المهاجرين اموالهم ولما ختم ايات القتال بالنفقة في سبيل الله لشدة حاجة الجهاد اليها وكان سبيل الله اسما يقع على الحج كما يقع على الجهاد كما ورد في الحديث الحج من سبيل الله رجع الى الحج والعمرة المشير اليهما شابة الناس وان الصفا والمروة الآية ووافيت الناس والحج ولا سيما وايات القتال هذه انما نظمت ههنا بتسببهما توصيلا اليهما وبعضها سببه عمرة الحديبية التي صد المشركون عنها فكان كانه قيل موافيتا للناس والحج فحجوا واعتمروا اي تلبسوا بذلك وان صددتم عنه وقاتلوا في سبيل الله من تأتكم في وجهكم ذلك لينفتح لكم السبيل ولما كان ذلك بعد الفتح ممكنا لا صادا عنه عبر بالاتمام فقال واتموا اي بعد فتح السبيل بالفتح الحج والعمرة بمناسكهما وحدودهما وشرايطها وسننها ولما تقدم الانفاق في سبيل الله والقتال في سبيل الله نبه هنا على ان ذلك كله انما هو لمقام العبادات التي هي مبنى الاسلام له سبحانه فقال لله الملك الذي لا كفؤ له اي لذاته ولم يضم ليلا يتقيد بقصد بقيد ولما كان سبحانه قد اعز هذه الامة اكراما لنبيها صلى الله عليه وسلم فلا يهلكها بعامة ولا يسلط عليها عدوا غيرها بل جعل كفارة ذنوبها في لقاء باسها بينها او ما اداه الى انه ربما يقطعها عن الاتمام قاطع من ذلك بقوله بانيا للمفعول لان الحكم اعم وجود الفعل من غير نظر الى فاعل معين معبرا باداة الشك اشارة الى ان هذا ما يقل وقوعه فان احصرتم اي منعتم وحبستم عن اتمامها من الاحصار وهو منع العدو والحصر عن متصرفه كالمرض يحصره عن التصرف في شانه قاله الحرالي فما اي فالواجب على المحصر اذا اراد التحلل من الحج والعمرة تلافيا لما وقع له من الخلل في عملها الذي منع عن اكماله ما استيسر اي وجد يسرة على غاية السهولة حتى كانه طالب ليسر نفسه به والميسر حصول الشيء عفوا بلا كلفة من الهدي جمع هدية من الابل والبقر والغنم يذبحه حيث احصر ويتصدق به وقد رجح حلا ولما كان الحاج هو اشعث الشعر الى حرمة التعرض لشعره بقوله ولا تحلقوا رؤسكم اي شعرها اذا كنتم محرمين بحج او عمرة من الحلق قال الحرالي وهو ازالة ما يأتي للزوال بالقطع من الالة الماضية في عمله والراس مجمع الحلقة ومجتمع كل شيء راسه انتهى حتى يبلغ من البلاغ وهو الانتهاء الى الغاية الهدي محله اي الموضع الذي يحل ذبحه فيه ان كنتم محصرين فتحيث احصرتم والا فعند المروة او منى ونحوهما قال الحرالي والهدي ما تقرب به الادنى للاعلى وهو اسم ما يتخذ فذكر من الانعام بتقديمه الى الله تعالى وتوجيهه الى البيت العتيق وفي تعقيب الحلق بالهدي اشعار باشتراكهما في معنى واحد وهو الفداء فالهدي في الاصل فداء لدم الناسك نفسه لله سنة ابرهيم في ولده عليهما السلام وازالة الشعر فداء من حز الراس لله ولذا ان لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن تقديم احدهما على الآخر قال افعل ولا حرج لان الجمع غاية بالمعنى الشامل للفداء انتهى ولما كان الانسان محل العوارض المشقة وكان الله سبحانه قد وضع عنا الاصار ببركة النبي المختار صلى الله عليه وسلم مجمل دينه يسرا قال فمن كان ومنه بقوله منكم ايها المحرمون مريضا يرجى له بالحلق خيرا او به اذى ولو قل والاذي ما تعلق النفس اثره من راسه بقمل او غيره ففدية اي فعليه حلق راسه او المداواة بما في المحرم عنه فدية من صيام لثلثة ايام او صدقة لثلثة اصع من طعام على ستة مساكين لان الصدقة كما قال الحرالي تعدل الصيام عند فقده كما تقدم وللصوم وجبتا فطر وسحور لكل وجبة مد فلكل يوم صاع او نسك اي تقرب بذبح شيء من الانعام وهذه فدية مخيرة ولما كان الله سبحانه بسعة حلمه وعظيم قدرته وشمول علمه قد اقام اسبابا تمنع المفسدين على كثرتهم من التمكن من الفساد اشار الى ذلك باداة التحقيق بعد تعبيره عن الاحصار باداة الشك فقال فاذا امنتم اي حصلتم في اليمن فزال الاحصار والمرض وبني الفعل هنا للفاعل اشارة الى انه كانه آت بنفسه تنبيها على انه الاصل بخلاف الاحصار حثا على الشكر فمن تمتع اي تلذذ باستباحة محظوره الى الحرم باحرامه في اشهر الحج على مسافة القصر من الحرم بالعمرة ليستفيد الحل حين وصوله الى البيت ويستمر حلالا في سفره ذلك الى الحج اي احرامه به من عامه ذلك من مكة المشرفة من غير رجوع الى الميقات فما اي فعليه ما استيسر اي وجد اليسر به من الهدي من النعم يكون هذا الهدي لاجل ما تمتع به بين

النسكين من الحل وهو مسافر هذا للمتمتع واما القارن فلجمعه بين النسكين في سفر واحد وشانهما ان يكونا في وقتين وقت حل
ووقت حرم وفي العبارة اشعار بصحة ارداف الحج على العمرة لانه ترق من احرام ادنى الى احرام اعلى ولما افهم التقييد باليسر
حالة عسر بينها بقوله فمن لم يجد اي هديا من الوجد وهو الطول والقدرة فصيام اي فعليه بدل الهدي صيام ثلاثة ايام في
الحج اي في ايام تلبسه به فلا يصح قبله ويستحب ان تكون قبل يوم عرفة بحيث يكون فيه مفطرا وصيام سبعة اي من الايام اذا
رجعتم الى بلادكم فلا تصح قبل الوصول ولم يفرد ليفهم ان العبرة امكان الرجوع لا حقيقة رجوعه فلو اقام بمكة مثلا صام بها ولو
فاته الثلاثة في الحج فرق بينها وبين السبعة في الوطن بعد مدة امكان العود وزيادة اربعة ايام العيد والتشريق ليحكي القضاء
الاداء قال الحرالي فيكون الصوم عدلا للهدي الذي يطعمه المهدي كما كان الاطعام عدلا للصوم في اية وعلى الذين يطيقونه انتهى
ولما كان للتصريح مزية ليست لغيره قال تلك اي العدة النفيسة المامور بصومها عشرة دفعا لاحتمال ان تكون الواو بمعنى
او او ان يكون المراد بالسبع المبالغة دون الحقيقة وليحضر العدد الذهن جملة كما احضر تفصيلا والعشرة قال الحرالي معاد عد
الاحاد الى اوله ولما كان زمن الصومين مختلفا قال كاملة نفيا لتوهم ان الصوم بعد الاحلال دون ما في الاحرام والكمال
قال الحرالي الانتهاء الى الغاية التي ليس وراءها مزيد من كل وجه وقال وكما استوى حال الهدي في انتهائه الى الحرم او الحل
كذلك استوى حال الصوم في البلد الحرام والبلد الحلال ليكون في اشارته اشعار بان الارض لله مسجد كما ان البيت الحرام لله مسجد
فاظهر معنى استوائهما في الكمال في حكم الاجر لاهل الاجر والقبول لاهل القبول والرضا لاهل الرضا والوصول لاهل الوجهة
كل عامل على رتبة عمله انتهى ولو قال تامة لم يفد هذا لان التمام قد يكون في العدة مع خلل بعض الاوصاف ولما كان ربما وقع في
الفكر السوال عن هذا الحكم هل هو خاص او عام استانف تخصيصه بمن هو غائب عن حرم مكة على مسافة القصر فقال ذلك اي
الحكم المذكور العلي في نفعه المحكم في وضعه لمن لم يكن اهله من زوجة او اقاربه او سكان وطنه ومستوطن حاضري اي على
مسافة الحضر بان يكون ساكنا في الحرم او من الحرم على دون مسافة القصر وكل من كان هكذا فهو حاضر من الحضور وهو ملازمة الموطن
لا على مسافة السفر من المسجد الحرام اي الحرم بل كان اهله على مسافة الغيبة منه وهو مسافة القصر قال الحرالي افصاحا بما افهمه
معنى المتعة وذلك لان الله عز وجل اذا تولى ابانة عمل انهاه الى الغاية في الافصاح انتهى وعبر عن الحرم بالمسجد اجلالا وتعظيما
لما قرب من المسجد كما عظم الحرم بقربه من المسجد وعظم المسجد بمجاورة الكعبة لانه جرت عادة الاكابر ان يكون لبيوتهم دور ولدورهم
اقنية وحول تلك الاقنية بيوت خواصهم واما حاضروه فلا دم عليهم في تمتع ولا قران فرقا بين خاصة الملك وغيرهم ولما كثرت
الاوامر في هذه الايات وكان لا يحمل على امتثالها الا التقوى اكثر تعالى فيها من الامر بها قال الحرالي لما تجره النفوس من مداخل نقص
في النيات والاعمال والتنقلات من الاحكام الى ابدالها فما انبنى على التقوى خلص ولو قصر انتهى ولما كان من الاوامر ما هو معقول
المعنى ومنها ما هو تعبدي وكان عقل المعنى يساعد على النفس في الحمل على امتثال الامر ناسب اقتران الامر به بالترغيب كما قال
واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين ولما كان امتثال ما ليس بمعقول المعنى من عند قوله واتموا الحج
والعمرة لله شديدا على النفس مع جماحها عن جميع الاوامر ناسب اقترانه بالتهديد فكان ختامه بقوله واتقوا اي فافعلوا جميع
ذلك واحملوا انفسكم على التحري فيه والوقوف عند حدوده ظاهرا وباطنا واتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين غضب هذا الملك
الاعظم وقاية واكد تعظيم المقام بالامر بالعلم وتكرير الاسم الاعظم وليلا يفهم الاضمار تقييد شديد عقابه بحيثية مما مضى فقال
واعلموا تنبيها على ان الباعث على المخافة انما هو العلم ان الله اي الذي لا يداني عظمته شيء شديد العقاب وهو الايلام الذي يتعقب
به جرم سابق هذا مع مناسبة هذا الختام لما بعده من النهي عن الرفث وما في حيزه ومن يدبر الابتداء عرف الختم ومن تامل الختم
لاح له الابتداء قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي رحمه الله في كتاب المفتاح في الباب الخامس في تنزلات القران بحسب الاسماء اعلم
ان خطاب الله يرد بيانه بحسب اسمائه ويجمعها جوامع اظهرها ما ترى اياته وهو اسمه الملك وما يتفصل اليه من الاسماء
القيمة لامر الحكم والقضاء والجزاء نحو العزيز الحكيم الذي تختم به ايات الاحكام نكالا من الله والله عزيز حكيم ثم ما سمع اياته
من اسمه الرحمن الرحيم وما يتفصل من الاسماء من معنى الرحمة المنبئة عن الصفح والمغفرة التي تختم به ايات الرحمة ويتوب الله
على المومنين والمومنات وكان الله غفورا رحيما فلكل تفصيل في مورد وجهي العدل والفضل اسماء تختص به بناؤها ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ما لم تختم اية رحمة بعذاب او اية عذاب برحمة ثم ما توجد اياته وجدانا في النفس وهي الربوبية
وما ينتهي اليه معنى سواء امرها من الحمد لله رب العالمين وما يتفصل اليه من الاسماء الواردة في ختم الاحاطات نحو الواسع العليم
فمن تفطن لذلك استوضح من التفصيل الختم واستشرح من الختم التفصيل وقد كان واضحا عند العرب فاستعجم عند المتعربين
الا ما كان ظاهر الوضوح منه ولتكرار الاسماء بالاظهار والاضمار بيان متين الافهام في القران انتهى ولما ذكر سبحانه ان الحج موقت
بالاهلة ولم يعين له وقتا من شهور السنة وختم ذلك بالتفرقة في بعض احكام الحج بسبب الاماكن تشوفت النفس الى تعيين
وقته وانه هل هو كالمكان او عام الحكم فقال الحج اي وقته اشهر فذكره بصيغة من جموع القلة الذي ادناه ثلاث وهي ثلاث
بجبر المنكسر شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة وليلة العيد بدليل انه يفوت بطلوع الفجر يوم النحر ولما ابهم عين
فقال معلومات اي قبل نزول الشرع فاذن هذا ان الامر بعد الشرع على ما كان عليه ولا شك ان في الابهام ثم التعيين
اجلالا واعظاما للمحدث عنه ولما ختم الاية التي قبلها بالتحذير من سطواته امر باخلاص الحج عن الشوائب ناهيا بصيغة
النفي تفخيما له وتاكيدا للنهي ولما كان الحج لا يقع الا فرضا قال فمن فرض اي اوجب بالاحرام وهو من الفرض وهو الجزء في الشيء

قال الحرالي والاهل سكان المرء من زوج

ذلك

لينزل فيه ما يسد فرضيته حسا او معنى فمن تعظيمه سبحانه له انه جعله دون سائر العبادات لا نفل فيه بعد التلبس به قال الحرالي
لان الفرائض من لم يقمها تساقط عضوا عضوا قائم دينه كما ان النوافل من لم يات بها عري من زينتها فكانت الفروض صحة والنوافل زينة
وفي قوله فيهن اشعار بصحة وقوع الحج في بعض وان الحج ليس كالصوم طبق زمانه فكان من العبادات ما هو طبق زمانه كالصوم وما
يتسع فيه كالصلوة وما لا بد ان ينتهي الى خاتمة كالحج وتقع التوسعة في الشروع انتهى الحج اي تلبس به كيف كان ولما كان في الانسان
قوى اربع شهوانية بهيمية وغضبية ووهمية شيطانية تبعث مع مساعدة القوتين الاخريين على المنازعة والمغالبة في كل شي
وعقلية ملكية وكان المقصود من جميع العبادات قهر القوى الثلاث لان منشا الشرور كلها محصور فيها بالعقلية قال دالا عليها
محذرا منها مرتبة فلا رفث اي مواجهة للنساء بشي من امور النكاح ولما كان الرفث داعيا الى الوقاع الذي هو فسق بالخروج عن
الاحرام الصحيح قال ضاما اليه كل ما دخل في هذا الاسم ولا فسوق قال الحرالي هو الخروج عن احاطة العلم والعقل والطبع انتهى
ولما كان المراء قد يجر الى الفسق بما يثير من الاحن وتوغير الصدور فكان فسقا خاصا عظيما ضرورة قال ولا جدال اي مدافعة
بالقول تغتل عن القصد كمدافعة الجلاد باليد والسيف ولعله عبر بهذا المصدر الذي شانه ان يكون مزيدا دون الجدل الذي
معناه الدرء في الخصومة لان ينصب النفي على المبالغة فيفهم العفو عن اصله لانه لا يكاد يسلم منه احد وكذا الحال في الفسوق في الحج
فصار الفسق واسطة بين امرين جارين اليه والجدال لكونه قد يفسد ذات البين اعظمهما خطرا ويجمع ما في الرفث من الشهوة وقد
يكون فسقا فقد اشتمل على قبائح الكل فلذلك اجمع القراء السبعة على بنائه مع لا على الفتح دون ما قبله لان البناء دال على نفي الماهية
ونفيها موجب لنفي جميع افرادها واما الرفع فانما يدل على نفي فرد منكر من تلك الماهية وهو لا يوجب نفي جميع الافراد ولان العرب
كانوا يبنون الحج على النسي ويتحالفون فيه في الموقف فزال الجدال فيه بعد البنيان بكل اعتبار من جهة الخدم والعيال وغيرهم والنسي
والموقف وغيرهما من حيث انه قد علمت مشاعره وتقررت شرايعه واحكمت شعايره واوضحت جميع معالمه فارتفع النزاع اصلا في
امره قال الحرالي فمنع في الحج من الاقبال على الخلق بما فيه كره من رفث ومسابة وجدال حتى لا يقبل الخلق على الحق في الحج الا بما الاقبال
فيه اقبال على الحق بالحقيقة فما ينزه الحق تعالى عن مواجهته به يتحامى مع الخلق في زمن الحج كما تحومي ما يختص بالنفس من الاحداث
في عمل الصلوة وفي وروده نفيا لا نهيا اعلام بانه مناقض بحال الحج حين نفي لان شان ما يناقض ان ينفى وشان ما لا يناقض ويخالف
ان ينهى عنه كما قال فيما هو قابل للجدال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وبين خطاب النهي والنفي فوت في الاحكام الشرعية
ينبي الفقه في الاحكام على تحقيقه في تاصيلها والتفريع عليها انتهى ولما كانت هذه المنفيات سرا وكان التقدير فما فعلتم
من هذه المنهيات على هذا الوجه الابلغ عوقبتم عليه عطف عليه وما وقال الحرالي ولما حمي من سوء معاملة الخلق مع الخلق عرض بان
يوضع موضع ذلك الاحسان فيقع في محل اخراج الانفس ان يتودد اليها باسداء الخير وهو الاحسان من خير الدنيا ففي اعلامه تحريض
على احسان الحاج بعضهم لبعض لما يجمع وفده من الضعيف والمنقطع فقال وما تفعلوا انتهى اي يوجد لكم فعله في وقت من الاوقات
من خير في الحج او غيره بتوكل في تجرد او تزود في تزهد او غير ذلك من القول الحسن عوض الرفث والبر والتقوى مكان الفسق
والاخلاق الجميلة واليسر والوفاق مكان الجدال يعلمه الله الذي له صفات الكمال مجازيكم عليه فهو اشد ترغيب وترهيب ولما
عمم في الحث على الخير على وجه شامل للتزود وتركه بعد التخصيص اشار الى ان الخير هو الزاد على وجه يعم الحسي والمعنوي زيادة في
الحث عليه اذ لا اضر من اعواز الزاد لاكثر العباد فقال وتزودوا اي التقوى لمعادكم الحاملة على التزود الحسي لمعاشكم الحامل
على الزهد فيما في ايدي الناس والمواساة لمحتاجيهم الواقية للعبد من عذاب الله اتقوا النار ولو بشق تمرة وذلك هو ثمرة التقوى
والزاد متعة المسافر ثم علل ذلك بما انتجه من قوله فان خير ويجوز ان يكون التقدير وتزودوا واتقوا الله في تزودكم
فان خير الزاد التقوى وفي التجرد مداخل خلل في بعض نيات المتلبسين بالمتوكلين من الاتكال على الخلق فامر الكل بالتزود سترا
للصنفين اذ كل جمع لا بد فيه من كلا الطرفين افاده الحرالي وقال في ضمنه تصنيفهم ثلاثة اصناف متكل لا زاد معه فمعه
خير الزادين ومتمتع لم يتحقق تقواه فلا زاد له في الحقيقة وجامع بين التقوى والمتعة فذلك على كمال السنة كما قال
صلى الله عليه وسلم قيدها وتوكل لان ذلك استر للطرفين وحقيقة التقوى في امر التزود النظر الى الله في اقامة خلقه
وامره قال بعض اهل المعرفة من عوده الله دوام النظر اليه بالغنية عما سواه فقد ملك الزاد فليذهب حيث شاء فقد
استطاع سبيلا انتهى ولما علم من ذلك ان التقدير فاكثروا من الزاد مصحوبا بالتقوى وكان الانسان محل النقصان فكان
الاكثار حاملا له في العادة على الطغيان الا من عصم الله وقليل ما هم قال سبحانه موكدا لامر التقوى مشرعا لها بالاضافة
الى نفسه الشريفة تنبيها على الاخلاص لاجل ذاته السنية لا بالنظر الى شي من رجاء او خوف او اتصاف بحج او غيره عاطفا
على ما ارشد الى تقديره السياق واتقون اي في تقواكم بالتزود وزاد الترغيب فيها بقوله يا اولي الالباب اي العقول
الصافية والافهام النيرة الخالصة التي تجردت عن جميع العلائق الجسمانية فابصرت جلالة التقوى فلزمتها ولما
فهم من هذا الحث على الاكثار من الزاد تحركت نفوس اولي الهمم الزاكية القابلة للتجرد عن الاعراض الفانية الى السوال عن المتجر
لانفاقه في وجوه الخير هل يكره في زمان او مكان لا سيما عند تذكر ان ناسا كانوا في الجاهلية يكرهون التجارة للحاج فاجيبت
بقوله معلما ان قطع العلائق لمن صدق عزمه وشرفت همته اولى ليس عليكم جناح اي اثم في ان تبتغوا اي تطلبوا بجد
واجتهاد فضلا اي افادة بالمتجر في مواسم الحج وغيرها من ربكم المحسن اليكم في كل حال فلا تعتمدوا في الفضل الا عليه وروى
البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فتاثموا ان يتجروا

سبعيه م

في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج ولما كان الاستكثار من المال انما يكره للشغل عن ذكر
الله سبب عنه الامر بالذكر في قوله فاذا اي فاطلبوا الفضل من ربكم بالمتجر فاذا افضتم اي اوقعتم الافاضة ترك مفعوله
للعلم به اي دفعتم ركابكم عن غروب الشمس ففاضت في تلك الوهاد كما يفيض الماء المنساب في منحدر الشعاب واصل الافاضة
الدفع بكثرة من عرفات الجبل الذي وقفتم به بباب ربكم الموقف الاعظم الذي لا يدرك الحج الا به في معنى التعرف لما تقدمته نكرة
وليست تاؤه للتانيث فتمنعه الصرف بل هي علامة جمع المؤنث قاصدين المبيت بالمزدلفة وهو علم على الموقف سمي بجمع فاذكروا
الله ذو الجلال لذاته بانواع الذكر عند اي قريبا من المشعر اي المعلم ولما كان بالحرم قال الحرام وهو الجبل المسمى قزح
وهو من الشعور وهو خفي الادراك الباطن فالموقف الاول آية على نقوض الدنيا ومحوها وزوالها والثاني دال بفجره وشمسه
على البعث لمجازاة الخلائق باعمالها والتعبير بعند الاعلام بان مزدلفة كلها موقف غير محسر فانها كلها تقاربه ويفهم ذلك صحة
الوقوف عليه بطريق الاولى قال الحرالي وذلك حظ من الوقوف هنيهة وقت في البلد الحرام عند اقبال النهار معادلة للوقوف
بعرفة من الحل الى اقبال الليل ليتثنى الوقوف في الحل والحرم فكان فيه موقف نهار ينتهي الى الليل في عرفة وموقف ليل ينتهي
النهار في المشعر فوقف فيه صلى الله عليه وسلم بعد صلوة الفجر وقبل طلوع الشمس وهو ذكره عنده لان الذكر بحسب الذاكر
فذكر اللسان القول وذكر البدن العمل وذكر النفس الحال والانفعال وذكر القلب المعرفة والعلم واليقين ونحو ذلك ولكل شي
ذكر بحسبه وفي جمع الموقفين في الحل والحرم في معلم الحج الذي هو اية الحشر ايذان وبشرى بان اهل الموقف صنفان صنف يقفون
في موطن روع ومخافة وقوفا طويلا اعتبارا بوقوف الواقفين بعرفة من حين زوال الشمس الى غروبها ست ساعات وصنف
حظهم من الوقوف قرار في امنة ظل العرش الذي هو حرم يوم القيامة وكعبته فتشعر صفة الوقوف بالمشعر الحرام ان امد
طول ذلك اليوم يمر على المستظلين بظل العرش فيه كايسر مدة كما قال صلى الله عليه وسلم بمقدار صلوة مكتوبة فكان
في ذلك فضل ما بين موقف الحرم على موقف الحل انتهى ولما علم من ذكر الاسم الاعظم ان التقدير كما هو مستحق للذكر لذاته عطف
عليه قوله واذكروه اي عند المشعر وغيره كما اي على ما ولاجل ما هداكم ايها الناس كافة للاسلام وايها الخمس خاصة
لترك الوقوف به والوقوف مع الناس في موقف ابيكم ابرهيم عليه السلام ولما كان التقدير فانه بين لكم بيانا لم يبينه لاحد
كان قبلكم ووفقكم للعمل عطف عليه قوله وان اي وانكم كنتم ولما كانوا قبل عمرو بن لحي على هدى وكان منهم بعد ذلك المهتدي
كزيد بن عمرو وورقة بن نوفل فلم يستغرق زمانهم بالضلال اثبت الجار فقال من قبله اي الهدى الذي جاكم به محمد صلى الله
عليه وسلم لمن الضالين على سنن الهدى ومواقف الانبياء علما وعملا حيث كنتم تفيضون من المشعر الحرام ولما قبح عليهم ما كانوا
عليه من المخالفة في الوقوف بالنسبة الى الضلال بالجملة الاسمية مؤكدة بانواع التاكيد وكان ما مضى من ذكر الافاضة ليس
بقاطع في الوجوب اشار لهم الى تعظيم ما هداهم له من الموافقة باداة التراخي فقال عاطفا على ما تقديره فلا تفيضوا من المشعر
الحرام الافاضة التي كنتم تخالفون فيها الناس دالا على تفاوت الافاضتين وبعد ما بينهما على وجه معلم بالوجوب ثم اي بعد
طول تلبسكم بالضلال انزلت عليكم في هذا الذكر الحكيم الذي اتيتموه وهو شرفكم وعزكم الا ما ظننتم انه شرف لكم بالتعظيم على
الناس بمخالفة الهوى في الوقوف بالمزدلفة والافاضة منها افيضوا اي اذا قضيتم الوقوف وقال الحرالي لما كان للخطاب
ترتيب للاهم فالاهم كما كان للكيان ترتيب للاسبق فالاسبق كان حرف المهلة الذي هو ثم يقع تارة لترتيب الكيان وتارة لترتيب
الاخبار فيقول القائل مثلا امش الى حاجة كذا تقديما في الخبر للاهم ثم ليكن خروجك من موضع كذا فيكون السابق في الكتاب
متاخرا بالمهلة في الاخبار فمن معنى ذلك قوله انتهى ثم افيضوا اي ايها الخمس من حيث افاض الناس اي معظمهم كافة وهو
عرفات الى المشعر الحرام لتبيتوا به وروى البخاري في التفسير عن عايشة رضي الله عنها قالت كانت قريش ومن دان دينها
يقفون بالمزدلفة وكان يسمون الخمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان
ياتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم افيضوا الآية واستغفروا الله اي اطلبوا من ذي الجلال
والاكرام ان يغفر لكم ما كنتم تفعلونه ايام جاهليتكم من مخالفة الهدى في الوقوف ومما تبقى في الانفس من اثار تلك العادة
ومن غير ذلك من النقايص التي يعلمها الله منكم قال الحرالي والعبادات اشد ما على المتعبدين والطريق الى الله بخلعها
وقد كان جدالهم اي في وقوفهم في الحرم بغير علم لان العلم يقتضي ان الواقف خايف والخايف لا يخاف في الحرم لان الله جعل
الحرم آمنا فمن حق الوقوف ان يكون في الحل فاذا امن دخل الحرم واذا دخل الحرم امن انتهى واظهر الاسم الشريف تعظيما
للمقام واعلاما بانه موصوف بما يصفه به على وجه العموم من غير نظر الى قيد ولا حقيقة فقال ان الله ذا الكمال
غفور اي ستور ذنب من استغفره رحيم اي بليغ الرحمة يدخل المستغفر في جملة المرحومين الذين لم يبد منهم ذنب
فهو يفعل بهم من الاكرام فعل الراحم بالمرحوم ليكون التايب من الذنب كمن لا ذنب له ولما امرهم بالذكر في المناسك
وكان الانسان فيها بصدد الذكر امرهم بالذكر بعد قضائها لان من فرغ من العبادة كان بصدد ان يستريح فيفتر عن
الذكر الى غيره وكانت عادتهم ان يذكروا بعد فراغهم مفاخرا بانهم فقال فاذا افضتم اي انهيتم انها بيتا لا شبهة
فيه مناسككم اي اركان الحج واعاد الاسم الاعظم لمثل ما مضى من التعظيم وتعميم الذكر في جميع الوجوه فقال
فاذكروا الله الذي لا نعمة عليكم الا منه وهو الذي هداكم ذكرا كذكركم اباءكم لكونهم احسنوا اليكم بالتربية التي هي في
الحقيقة من فضل الله على انهم فعلوا بكم محنة لا توازيها نعمة فانهم اضلوكم فسبحان من رضي وهو المنعم المطلق الهادي

بان ذكر مثل ذكر من كان سببا لنعمة خاصة هو سبحانه الذي افاضها عليه مع انه كان سببا في الضلال قال الحرالي فانتظر ذكر اخراجهم
عن قولهم المعهود باخراجهم عن موقفهم المعهود اخراجا لهم عن معتادهم في اعمالهم واحوالهم وفي اعلامه اخذ للخلق بان يعاملوا الحق
معاملة من يجلونه من الخلق وذلك عن بلية ما غلب عليهم من التقييد بما يرون وضعف الايمان بما سمعوا او علموا ولما كان في هذه الرتبة
نحس جرى عليه هذا الخطاب كما ورد استحي من الله كما تستحي رجلا جليلا من قومك قال تعالى او اشد ذكرا انتهى اي واذكروا الله ذكرا
اعلى من ذلك بان تذكروه ذكرا اشد من ذكركم لابائكم لما له من الفضل العام ومما يدخل تحت هذا الذكر ان يانف من ان يكون لله في عبادته
او شي من اموره شريك كما يستنكف من ان يكون لابيه فيه شريك بل يكون في امر الشرك اشد انفة قال الحرالي فرفع الخطاب الى ما هو
اليق بالحق ما ايثار ما يرجع اليه على ما يرجع الى الخلق انتهى ولما امر تعالى بما امر من ذكره لذاته ثم لاحسانه على الاطلاق ثم قيد بافراده
بذلك وترك ذلك الغير سبب عنه تقسيم الناس في قبول الامر فقال لو صار فا القول عن الخطاب دلالة على العموم فمن الناس من تكون
الدنيا اكبر همه فلا التفات له الى غيرها فهو يقول افرد الضمير رعاية للحفظ من بشاره بان الهالك في هذه الامة ان شا الله قليل ربنا ايها
المحسن الينا اتنا في الدنيا ومفعوله محذوف تقديره ما نريد والحال انه ما له ويجوز ان يكون هذا عطفا على ما تقديره فيعطيه ما شا
سبحانه منها لا ما طلب هو وليس له في الاخرة من خلاق اي نصيب لانه لا رغبة له فيها فهو لا يطلبها ولا يسعى لها سعيها قال الحرالي والخلاق
الحظ اللايق بالخلق والخلق ومنهم من يجعل عبادته وحجه وسيلة الى الرغبة الى ربه ويذكر الله كما امر فهو يقول ربنا باحسانك اتنا
في الدنيا حاله وعيشه حسنة لا توصل بها الى الاخرة على ما يرضيك قال الحرالي وهي الكفاف من المطعم والمشرب والملبس والماوى
والزوجة على ما كانت لا سرف فيها انتهى وفي الاخرة حسنة اي من رحمتك التي تدخلنا بها الجنة ولما كان الرجا لا يصلح الا بالخوف
واعطا الحسنة لا ينفي المس بالسيئة قال وقنا عذاب النار اي بعفوك ومغفرتك ولما كان هولا على منهاج الرسل لانهم عبدوا
الله اولا كما اشار اليه السياق فانكسرت نفوسهم ثم ذكره على تلك المراتب الثلاث فنارت قلوبهم بتجلي نور جلاله سبحانه فتاهلوا
بذلك للدعا فكان دعاوهم كما فعل الخليل عليه السلام حيث قال الذي خلقني فهو يهدين الايات حتى قال رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
فقدم الذكر على الدعا وكما هدى اليه اخر ال عمران في قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر
لنا الايات فقدموا الطاعة عظم شانهم بقوله على سبيل الاستيناف جامعا على معنى من بشاره بكثرة الناجي في هذه الامة او
يكون الجمع لعظم صفاتهم اوليك اي العالوا المراتب العظيموا المطالب لهم اي هذا القسم فقط لان الاول قد اخبر ان الامر عليه لا له
ولما كان غالب افعال العباد على غير السداد واقل ما فيها ان تكون خالية عن نية حسنة قال مشيرا الى ذلك نصيب وهو اسم
للحظ الذي اتت عليه القسمة بين جماعة كاين مما ولو قال طلبوا مثلا لم يعم جميع افعالهم ولو قال فعلوا لظن خروج الترك فعدل
الى قوله كسبوا اي طلبوا واصابوا وتصرفوا واجتهدوا فيه وجمعوا من خلاصة اعمالهم القولية والفعلية ومنها الاعتقادية
وهو ما اخلصوا فيه فهو الذي يثابون عليه وهو قليل بالنسبة الى باقي اعمالهم ولما كان اسرع الناس حسابا اعلمهم بفنونه خطاه
وصوابا وكان التقدير والله عالم بخفي اعمالهم وجليها وتمييز جيدها من رديها فهو يجازيهم على حسب ذلك عطف عليه قوله والله
اي المحيط علما وقدرة سريع الحساب وهو احصا الاعمال وبيان ما يجب لكل منها من الجزا وايصاله الى العامل لما له من سعة العلم
وشمول القدرة قيل لبعضهم كيف يحاسب الله الخلق في وقت واحد قال كما يرزقهم في وقت واحد وفيه ترغيب بانه لا ينسى عملا
وترهيب بانه لا يمشي عليه باطل ولا يقدر على مدافعته مطاول ولما كان قد امرهم بذكره عند قضا الاركان وكان ربما فهم اقتصا
عليه في الوقت الذي كانوا يذكرون فيه اباهم قال معمما وليكون الحث عليه اكد لتكرير الندب اليه بصيغة الامر فيكون اضخم
لشانه واذكروا اي بالرمي وعبر عنه بالذكر ليشمل كل ذكر لسانيا كان او غيره الله اي لما يستحقه في ذاته من الكمال في ايام
ولما كانت لا تحتاج الى غير العد لكونها قليلة وبعد الايام التي يحتاط في امرها بالتراي وغيره حتى تكون معلومات قال جامعا صفة
ما لا يعقل بما اطرد فيها من الالف والتا اذا كان موضوعها جمع قلة معدودات وهي ايام اقامتكم بمنى في ضيافته سبحانه
لفعل بقية ما عليكم من تتمات العبادات الحجية اولها يوم القر وهو الحادي عشر يستقر الناس فيه بمنى ثانيها يوم النفر الاول
ثالثها يوم النفر الاعظم والثلاثة تسمى ايام التشريق وهي مع يوم العيد تسمى ايام النحر في الاربعة مع يوم عرفة ايام التكبير
والذكر ولما فهم من هذا انه لا بد من الاقامة بها في مدة الثلاثة الايام نفى ذلك ميسرا لان الحج يجمع القوي والضعيف والخادم
والمخدوم والضعيف في هذا الدين امر على القوي فقال مشيرا الى ان الانسان في ذلك الجمع الاعظم له نازعان نازع ينزع الى الاقامة
في تلك الاماكن المرضية والجماعات المغفورة ونازع ينزعه الى اهله واوطانه وعشايره واخدانه فمن تعجل منكم النفر للرجوع الى
اوطانه في يومين منها فلا اثم عليه والمعجلة فعل الشي قبل وقته الاليق به وقيد باليومين اعلاما بان من ادركه غروب اليوم
الثاني بمنى وهو مقيم لزمه مبيت الليلة الثالثة ورمي اليوم الثالث فان نفر قبل غروبه سقط عنه المبيت والرمي قال
في شرح المهذب بلا خلاف وكذا ان ادركه الغروب وهو راحل قبل ان ينفصل منها ولم يقيد التاخر لان نهايته باليوم الثالث
معروفة من ان الايام ثلثة ولما كان ذلك ربما افهم ان المتاخر يلحقه اثم فقال كما كان اهل الجاهلية يقولون وكان الصحابة رضي
الله عنهم قوما يسابقون الى المعالي وكان سبحانه يريد الرفق باهل هذا الدين ستر التصريح بالترغيب في التاخر فعبر فيه ايضا
بنفي الاثم كالاول بعد ان اشار الى الترغيب فيه بالتعبير عن النفر الاول بالتعجيل ومن تاخر اي فاقام في منى الى تمام الثلثة
فرمى اليوم الثالث فلا اثم عليه والتاخر ابعاد الفعل من الان الكاين قال الشيخ محي الدين في شرح المهذب قال الشافعي والاصحاب
يجوز النفر في الثالث وهذا مجمع عليه لقوله تعالى فمن تعجل الاية قالوا والتاخر الى اليوم الثالث افضل للاحاديث الصحيحة ○

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر في اليوم الثالث ولما كان مدار الاعمال البدنيات على النيات قيد ذلك بقوله لمن اي
هذا النفي للاثم عن القسمين لمن اتقى من اهلهما فادار افعاله على ما يرضي الله ولما كان التقدير فافعلوا ما شئتم من التعجل والتاخر
عطف عليه ما علم انه روحه فقال واتقوا الله اي الذي له الاحاطة الشاملة ولما كان الحج حشرا في الدنيا والانصراف منه
يشبه انصراف اهل الموقف بعد الحشر عن الدنيا فريقا الى الجنة وفريقا الى السعير ذكرهم بذلك بقوله واعلموا انكم اي جميعا
اليه لا الى غيره تحشرون بعد البعث والحشر الجمع بكره وهو واقع على اول خروجهم من الاجداث الى انتهاء الموقف فاعلموا لما يكون
سببا في انصرافكم منه الى دار كرامته لا الى دار اهانته قال الحرالي وكلية الحج ومناسكه مطابق في الاعتبار لامر يوم الحشر
وموافقه من خروج الحاج من وطنه متزود الخروج الميت من الدنيا متزودا بزاد العمل ووصوله الى الميقات واهلاله متجردا
كانبعاثه من القبر متعريا وتلبيته في حجه كتلبيته في حشره مهطعين الى الداعي كذلك اعتباره موطنا موطنا الى غاية الافاضة
والحلول بحرم الله في الاخرة التي هي الجنة والشرب من ماء زمزم التي هي اية نزل الله لاهل الجنة على وجوه الاعتبارات يطالعها
اهل الفهم واليقين فلاجل ذلك كان اتم ختم لاحكام الحج ذكر الحشر انتهى وهنا تم ما اراد سبحانه من بيان قواعد الاسلام الخمس الايمان
والصلوة والزكوة والصوم والحج المشار الى الثلاث الاول منها بقوله تعالى اول السورة يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون وذكر الحج لمزيد الاعتناء به لاحقا للصوم بعد ذكره سابقا عليه ولعل ذلك هو السبب في تقديم الصوم على
الحج تارة وتاخيره اخرى في روايات حديث بن عمر رضي الله عنهما في الصحيح بني الاسلام على خمس ولما كان قد ذكر سبحانه الراغب
في الدنيا وحدها والراغب في الدارين وكان قد بقي من الاقسام العقلية المعرض عنهما وهو مفقود فلم يذكره والراغب في الاخرة
فقط وكل من الاقسام تارة يكون مسرا وتارة معلنا وكان المحذور منها انما هو المسر لارادة الدنيا لا باظهاره لارادة الاخرة
وكان هذا هو المنافق بدا به بعد ذكر التقوى والحشر ليكون مصدوعا بادي بدء ذكر المنافقين ليتذكر السامع تلك القصص
ويستحضرها تيل الاحوال وحسن ذلك طول الفصل وبعد العهد فقال ومن الناس من اي شخص او الذي يعجبك اي يروقك
وياخذ بمجامع قلبك ايها المخاطب قوله كما ذكرنا اول السورة انه يخادع ويعجب من الاعجاب وهو من العجب وهو كون الشي خارجا
عن نظايره من جنسه حتى يكون نذره في صنفه قاله الحرالي وقال الاصبهاني حالة تغشى الانسان عند ادراك كمال مجهول
السبب وعن الراغب لانه قال وليس هو شيا له في ذاته بل هو بحسب الاضافات الى من يعرف السبب ومن لا يعرفه وحقيقة اعجبني
كذا ظهرك ظهور الست اعرف سببه ولما كان ذكر هذا بعد ذكر الحشر ربما اوهم ان يكون القول او الاعجاب واقعا في تلك
الحالة قيده بقوله في اي الكاين في الحيوة الدنيا لا يزداد في طول مدته فيها الا تحسينا لقوله وتقبيحا لما يخفى من فعله واما
في الاخرة فكلامه غير حسن ولا معجب ويشهد الله المستجمع لصفات الكمال على ما في قلبه انه مطابق لما اظهره بلسانه وهو اي
والحال انه الد الخصام اي يتمادى في الخصام بالباطل لا ينقطع جدا له كل ذلك وهو يظهر انه على الحسن الجميل ويوجه لكل شي
من خصامه وجها يصرفه عما اراد به من القباحة الى الملاحة واللدد شدة الخصومة والخصام القول الذي يسمع المصيخ يولج في
صماخه ما يكفيه عن مزعمه ودعواه قاله الحرالي وقال الاصبهاني هو التعمق في البحث عن الشي والمضايقة فيه ويجوز ان يجعل
الخصام الد على المبالغة انتهى ولما ذكر انه الد شرع يذكر وجه لدده فقال عاطفا على ما تقديره فاذا واجهك اجتهد في اظهار
انه مصلح او يكون جملة حالية واذا تولى اي اعرض بقلبه وقالبه عمن خدعه بكلامه وكنى بالتعبير بالسعي عن الاسراع في ايقاع
الفتنة بغاية الجهد فقال سعى ونبه على كثرة فساده بقوله في الارض اي كلها بفعله وقوله عند من يوافقه ليفسد اي ليوقع
الفساد وهو اسم لجميع المعاصي فيها اي الارض في ذات البين لاجل الاهلاك والناس اسرع شي اليه فيصير له مشاركون في افعال
الفساد فاذا فعل منه ما يريد كان معروفا عندهم فكان له عليه اعوان وبين انه يصل بافساده الى الغاية بقوله مسميا المحروث
حرثا من لغة ويهلك الحرث اي المحروث الذي يعيش به الحيوان قال الحرالي سماه حرثا لانه الذي نسبه الى الخلق ولم يسمه زرعا
لان ذلك منسوب للحق انتهى ولانه اذا هلك السبب هلك المسبب من غير عكس والنسل اي المنسول الذي به بقا نوع الحيوان
قال الحرالي وهو استخراج لطيف الشي من جملته انتهى وفعله ذلك للافساد ونظمت الاية هكذا افهاما لان المعنى ان عرضه بافساد
ذات البين التوصل الى الهلاك وثانيا بالاهلاك التوصل الى الافساد والله اي والحال ان الملك الاعظم لا يحب الفساد اي لا
يفعل فيه فعل المحب فلا يامر به بل ينهى عنه ولا يقر عليه بل يغيره وان طال المدى ويعاقب عليه ولم يقل الهلاك لانه قد يكون
صورة فقط فيكون صلاحا كما اذا كان قصاصا ولا قال الافساد ليشمل ما اذا كان الفساد عن غير قصد والاية من الاحتباك ذكر
اولا الافساد ليدل على حذفه ثانيا وثانيا الاهلاك ليدل على حذفه اولا وذكر الحرث الذي هو السبب دلالة على التناسل والنسل
الذي هو المسبب دلالة على الزرع فهو احتباك ثان ولما كان من الناس من يفعل الفساد فاذا نهي عنه انتهى بين ان هذا على غير
ذلك تحقيقا لالديته فقال مبشرا باداة التحقيق بانه لا يزال في الناس من يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واذا قيل له
من اي قايل كان اتق الله اي الملك الاعظم الذي كل شي تحت قهره واترك ما انت عليه من الفساد اخذته اي قهرته لما له من ملكه
الكبر العزة في نفسه لما فيها الكبرياء والاستهانة بامر الله وليس من شان الخلق الاتصاف بذلك فان العزة لله جميعا بالاثم
اي مصاحبا للذنب وهو العمل الرذل السافل وما لا يحل ويوجب العقوبة باحتقار الغير والاستكبار عليه ولما كان هذا الشان
الخبيث شانه دايما يمهده لنفسه للتمكن مما يريد سبب عنه قوله فحسبه اي كفايته جهنم تكون مهادا له كما مهد للفساد وتخصيص
هذا الاسم المنبي عن الجهامة في المواجهة اي الاستقبال بوجه كريه لما وقع منه من المواجهة لمن امره من مثله قال الحرالي فلمعنى

ما يختص بالحكم يسمي تعالي النار من اسمايها انتهي ولبيس المهاد والمهاد موطن الهد والمستطاب مما يستفرش ويوطا قاله الحرالي
وقال فيه اشعار بامهال الله عز وجل لهذه الامة رعاية لنبيها صلي الله عليه وسلم فاحسب فاجرها وكافرها بعذاب الاخرة وعاجل
مومنها بعقوبة الدنيا فخلص لكافرها الدنيا ولمومنها الاخرة وانباء بطول المقام والخلود فيها انتهي ولما اتم الخبر عن هذا القسم
الذي هو سر الاقسام اتبعه خيرها ليكون ختاما وبينهما تباين فان الاول من يهلك الناس لاستبقاء نفسه وهذا يهلك نفسه لاستصلاح
الناس فقال ومن الناس من اي شخص او الذي يشري اي يفعل هذا الفعل كلما لاح له وهو انه يبيع بغاية الرغبة والانبعاث نفسه
فيقدم علي اهلاكها او يشريها بما يكون سبب اعتاقها واحيايها بالاجتهاد في اوامر الله بالنهي لمثل هذا الالد عن فعله الخبيث والامر له
بالتقوي والتذكير بالله وروي انها نزلت في صهيب رضي الله عنه لانه لما هاجر ارادت قريش رده فجعل لهم ماله حتي خلوا سبيله
فقال النبي صلي الله عليه وسلم ربح البيع فعلي هذا يكون شري بمعني اشتري ثم علل ذلك بقوله ابتغاء اي تطلب وتسهل وتيسر
بغاية ما يمكن ان يكون كل من ذلك مرضاة الله اي المحيط بجميع صفات الكمال وزمان الرضي ومكانه لما دل عليه كون المصدر ميميا ويكون
ذلك غاية في بابه بما دل عليه من وقف بالتاء الممدودة لما يعلم من شدة رحمة الله به والله روف اي بالغ الرحمة واظهر موضع الاضمار
دلالة علي العموم وعلي الوصف المقتضي للرحمة والشرف فقال بالعباد كلهم حيث اسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة مع كفرهم به او
تقصيرهم في امره وبين لهم الطريق غاية البيان بالعقل اولا والرسل ثانيا والشرايع ثالثا والكتب الحافظة لها رابعا ولعل الفصل
بين الاقسام الاربعة بالايام المعدودات اهتماما بامرها لكونها من الحج وتاخيرها عن اخواتها اشارة الي انها ليست من دعايم المناسك
بل تجبر بدم ولما ختم هذين القسمين بالساعي في رضي الله مشاكلة للاولين حسن جدا تعقيبه بقوله يا ايها الذين امنوا ليكون هذا
النداء واقعا بادي بدء في اذن هذا الواعي كما كان المنافق مصدوعا بما سبقه من التقوي والحشر مع كونه دليلا علي صفة الرافة
وتكرير الامر بالايمان بين طوايف الاعمال من اعظم دليل علي حكمة الامر به فانه مع كونه اكد لامره وامكن لمجده وفخره يفهم انه العماد
في الرشاد الموجب للاسعاد يوم التناد فقال ادخلوا في السلم اي الايمان الذي هو ملزوم لسهولة الانقياد الي كل خير وهو في الاصل
بالفتح والكسر الموادعة في الظاهر بالقول والفعل اي يا من امن بلسانه كهذا الاكد ليكن الايمان او الاستسلام بكلية الباطن والظاهر
طرفا محيطا بكم من جميع الجوانب فيحيط بالقلب والقالب كما احاط باللسان ولا يكون لعرامة الجهل وخلافة الكفر اليكم سبيل كافة اي
وليكن جميعكم في ذلك شرعا واحدا كهذا الذي يشري نفسه ولا تنقسموا فيكون بعضكم هكذا وبعضكم كذلك الالد فان ذلك دليل الكذب
في دعوي الايمان ولما كان الاباء والعناد الذي تحمل عليه الانفة والكبر فعل الشيطان وثمرة كونه من نار قال ولا تتبعوا اي
تكلفوا انفسكم من امر الضلال ضد ما فطرها الله عليه وسهله لها من الهدي خطوات الشيطان المبعد المحترق في الكبر عن الحق قال
الحرالي ففي افهامه ان التسليط في هذا اليوم له وفيه اشعار وانذار بما وقع في هذه الامة وهو واقع وسيقع من خروجهم من السلم
الي الاحتراب بوقوع الفتنة في الالسنة والالسنة علي امر الدنيا وعودهم الي امور جاهليتهم لان الدنيا اقطاع الشيطان كما ان الاخرة
خلاصة الرحمن فكان ابتداء الفتنة منذ كسر الباب المرصد علي السلم وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يزل الهرج ولا يزال الي
ان تضع الحرب اوزارها انتهي ثم علل ذلك سبحانه بقوله انه لكم عدو مبين اي بما اخبرناكم به في امر ابيكم ادم عليه السلام وغير
ذلك مما شواهده ظاهرة وما احسن هذا الختم المضاد لختم التي قبلها فان تذكر الرافة منه سبحانه علي عظمته والعبودية منا الذي هو
معين الولاية التي روحها الانقياد لكل ما يحبه الولي وتذكر عداوة المضل اعظم منفرد منه وداع الي الله سبحانه ولما اقام سبحانه
الادلة علي عظمته التي منها الوحدانية وازال الشبه ومحي الشكوك وذكر بانواع اللطف والبر الي ان ختم الايتين بما ذكر من ولايته
وعداوة المضل عن طريقه سبب عن ذلك قوله فان زللتم مشيرا باداة الشك الي انهم صاروا الي حالة من وضوح الطريق
الواسع الامكن الامين المستقيم الاسلم يبعد معها كل البعد ان يزلوا عنه ولذلك قال من بعد ما جاءتكم البينات اي بهذا الكتاب الذي لا ريب
فيه قال بينات التجربة شهودا ونباء عما مضي وتحققا بما وقع وقال ان التعبير بان يشعر بانهم يستزلون والتعبير بالماضي
اشعار بالرجوع عنه رحمة من الله لهم كرحمته قبل لابوتهم حين ازلهما الشيطان فكما ازل ابويهم في الجنة عن محرم الشجرة ازلهم في الدنيا
عن شجرة المحرمات من الدماء والاموال والاعراض انتهي ولما كان الخوف حاملا علي لزوم طريق السلامة قال فاعلموا فان العلم
اعون شي علي المقاصد ان الله الحاوي لصفات الكمال عزيز لا يعجزه من زل ولا يفوته من ضل حكيم يبرم ما لا يقدر احد علي نقض
شي منه ولما كان هذا الختم موديا بالعذاب وكان اتيان العذاب من محل تتوقع منه الرحمة اقطع وكان انفع الاشياء السحاب لحمله
الغيث والملايكة الذين هم خير محض وكان الذين شاهدوا العذاب من السحاب الذي هو مظنة الرحمة ليكون اهول عادا وبني اسرايل
وكان عاد قد مضوا فلا يمكن عادة سوالهم وكان زلي بعد هذا البيان قد اشبه بني اسرايل في هذا الحال فكان جديرا بان يشبههم في
المال فيما صاروا اليه من ضرب الذلة والمسكنة وحلول الغضب والوقوع في العطب قال تعالي هل ينظرون اي ينتظرون
اذا زلوا سابقا له في اسلوب الانكار وصيغة الغيبة مجردة عن الافتعال تنبيها علي ان الزالين في غاية البعد عن مواطن الرافة
والاستحقاق لمظهر الكبر والنقمة باعراض السيد عن خطابهم واقباله من عذابهم علي ما لم يكن في حسابهم الا ان ياتيهم الله اي
مجده الذي لا يحتمل شي تجلي عظمته وظهور جلاله كاينا مجده في ظلل من الغمام ظلة في داخل ظلة وهي ما يستر من الشمس فهي في
غاية الاظلام والهول والمهابة لما لها من الكثافة التي تغم علي الراي ما فيها وتدمر ما اتت عليه الي غير ذلك من انواع المجد الذي
لا يقدره حق قدره الا الله والملايكة اي وياتي جنده الذين لا يعصون الله ما امرهم هذا علي قراءة الجماعة وعلي قراءة ابي جعفر بالخفض
المعني وظلل من الملايكة اي جماعات يملاون الاقطار ليتبادروا الي امتثال اوامره وهل ينتظر من القوي المحكم لما يفعل العزيز

الذي

الذي يعلوا امره كل امر الا اتيانه بالباس اذا غضب بعد طول الحكم وتمادي الاناة فلا يرد باسه ولا يعارض امره وهو المراد من
قوله وقضي اي والحال انه قد قضي الامر اي نفذ باهلاكهم سريعا فرجعوا الي الله باسرهم لا يملكون لانفسهم شيا والي الله الذي له
الاحاطة الكاملة وحده ترجع الامور كلها دنيا واخري فان حكمه لا يرد وقدرته لا تحد قال الحرالي واتيان الله في محل الايمان
امر مبهم لا يناله علم العالمين ويقف دونه ايمان المومنين لا ياخذونه بكيف ولا يتوهمونه بوهم واتيان الله في اوايل فهم الفاهمين
بدو امره وخطابه في محل ما من السما والارض او العرش او الكرسي او ما شا من خلقه فهو تعالي يجل ان يحجبه كون فحيث ما بدخطابه
كفاحا لا بواسطة فهناك هو فنا دنياه من جانب الطور الايمن الي اني انا الله وفي الكتاب الاول جا الله من سينا انتهي وتمامه وشرق
من جبل ساعير وظهر لنا من جبال فاران والمراد بالاول نبوة موسي عليه السلام وهو واضح وبالثاني نبوة عيسي عليه السلام
فان جبل ساعير هو جبل الجليل وهو الذي بين طبرية ومرج بن عامر وبالثالث نبوة محمد صلي الله عليه وسلم فان فاران مكة المشرفة ولما
كان بنوا اسرايل اعلم بظهور مجد الله في الغمام لما راي اسلافهم منه عند خروجهم من مصر وفي جبل الطور وقبة الزمان وما في ذلك علي ما
نقل اليهم من وفور الهيبة وتعاظم الجلال قال تعالي جوابا لمن كانه قال كيف يكون هذا سل بنقل حركة العين الي الفا فاستغني
عن همزة الوصل بني اسرايل اي الذين هم احسد الناس للعرب ثم استفهم او استانف الاخبار كم اتيناهم من ذلك ومن غيره من اية
بينة بواسطة انبيايهم فانهم لا يقدرون علي انكار ذلك وسكوتهم علي سماعه منك اقرار منهم وقال الحرالي ولما كان هذا الذي
انذروا به امرا مجملا احيلوا في تفاصيل الوقايع وتخصيص الملاحم ووقوع الاشباه والنظاير علي ما تقدم ووقع مثاله في بني
اسرايل لتكرار ما وقع فيهم في هذه الامة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة فقال سل استنطاقا لحالهم لا لابنايهم واحبارهم
فالتفات النبي صلي الله عليه وسلم الي ما يشهده الله من احوال بني اسرايل واحوال ملوكهم واحبارهم وايامهم وتفرقهم واختلافهم
وصنوف بلاياهم هو سواله واستبصاره الا ان يسل واحدا فيخبره انتهي كذا قال والظاهر انه اباحة لسوالهم فانه صلي الله
عليه وسلم ما سالهم عن شي وكذبوا في جوابه فبين كذبهم الا اعترفوا بالكذب كقضية حد الزنا وقضية سوالهم عن ابيهم وقضية
سم الشاة ونحو هذا وفي ذلك زيادة لايمان من يشاهده واقامة للحجة عليهم وغير ذلك من الفوايد ولما كان التقدير فكانوا اذا بدلوا
شيا من اياتنا واستهانوا به عاقبناهم فشددنا عقابهم كما دل عليه ما سقته من التورية في هذا الديوان لمن تدبر عطف عليه قوله
ومن يبدل من التبديل وهو تقصير الشي علي غير ما كان نعمة الله اي الذي لا نعمة الا منه الذي هو سبب الهدي فيجعلها سبب الضلال
او سبب الشكر فيجعلها سبب الكفر كاينا من كان قال الحرالي واصل هذا التبديل رد علم العالم اليه ورد صلاح الصالح اليه
وعدم الاقتدا بعلم العالم والاهتدا بصلاح الصالح وذلك المتاركة التي يقع بين العامة وبين العلما والصلحا وهو كفر نعمة الله
وتبديلها انتهي ولما كان الفطن من الناس يستجلب النعم قبل اتيانها اليه والجامد الغبي يغتبط بها بعد سبوغها عليه وكان
المحذور تبديلها في وقت ما لا في كل وقت قال تعالي من بعد ما جاته اي وتكن من الرسوخ في علمها تنبيها علي ان من بدلها في تلك
الحال قد سفل عن ادني الانسان والتحقق بما لا يعقل من الحيوان ولما كان التقدير يهلكه الله علله بقوله فان الله اي العظيم
الشان شديد العقاب وهو عذاب يعقب الجرم ذكر بعض ما يدل علي صدق الدعوي في معرفة بني اسرايل بما في ظهور المجد في الغمام
من الرعب وما اتاهم من الايات البينات قال في اوايل السفر الخامس من التورية فاسمعوا الان يا بني اسرايل السنن والاحكام
التي اعلمكم لتعلموا بها وتعيشوا وتدخلوا وترثوا الارض التي يعطيكم الله رب ابايكم لا تزيدوا علي الوصية التي اوصيكم بها قد
رايتم ما صنع الله ببعلصفون من اجل ان كل رجل اتبع بعلصفون اهلكه الله ربكم من بينكم وانتم الذين تبعتم الله ربكم انتم احيا سالمون
الي اليوم انظروا اني قد علمتكم السنن والاحكام كما امرني الله لتعلموا بها في الارض التي تدخلونها وتحفظوها وتعملوا بها لانها حملتكم
وفهمكم نجاة الشعوب التي تسمع منكم هذه السنن كلها ويقولون اذا سمعوها ما احكم هذا الشعب العظيم وما احسن فهمه اي شعب
عظيم الهه قريب منه مثل الله ربنا فيما دعوناه واي شعب عظيم له سنن واحكام معتدلة مثل هذه السنة التي اتلوا عليكم اليوم
ولكن احتفظوا واحترسوا بانفسكم ولا تنسوا جميع الايات التي رايتم ولا تزل عن قلوبكم كل ايام حيوتكم بل علموها بنيكم وبني بنيكم
واخبروهم بما رايتم يوم وقفتم امام الله ربكم في جوريب يوم قال الرب اجمع هذا الشعب امامي لاسمعهم اياتي ويتعلموا ان
يتقوني كل ايام حيوتهم علي الارض ويعلموا بنيهم ايضا وتقدمتم وقمتم في سفح الجبل والجبل يشتعل نارا يرتفع لهيبها الي جو
السما ورايتم الظلمة والضباب والسحاب فكلمكم الرب في الجبل من النار كنتم تسمعون صوت الكلام ولم تكونوا ترون شبها
فاظهر لكم عهده وامركم ان تعلموا العشر الايات وكتبها علي لوحين من حجارة احترسوا واحتفظوا بانفسكم جدا لانكم لم تروا شبها
في اليوم الذي كلمكم الله ربكم من الجبل من النار احتفظوا لا تفسدوا ولا تتخذوا اصناما واشباها من كل جنس شبه ذكر او انثي
او شبه بهيمة في الارض او شبه كل طير في الهوي او شبه كل هوام الارض ولا ترفعوا اعينكم الي السما وتنظروا الي الشمس
والقمر والكواكب والي كل اجناد السما وتضلوا بها وتسجدوا لها وتعبدوها التي اتخذها جميع الشعوب الذين تحت السما فاما
انتم فقربكم الله واخرجكم من كور الحديد من ارض مصر لتصيروا له ميراثا كاليوم هذا نصه وقد تقدم ذلك مستوفي من السفر
الثاني من التورية عند قوله تعالي واذ استسقي موسي لقومه فكان الرجوع الي قصر ما يريد سبحانه من احوال بني اسرايل
للاغراض الماضية علي غاية ما يكون من الاحكام وفي الذروة العليا من حسن الانتظام وتجلي الملايكة في ظلل الغمام امر مالوف
منه ما في الصحيح عن البرا رضي الله عنه قال كان رجل يقرا سورة الكهف والي جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته
سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما اصبح اتي النبي صلي الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة تنزلت

الناس

بالقران وعن عمران بن حصين رضي الله عنه انه بينما هو يقرا سورة البقرة وفرسه مربوط عنده اذ جالت الفرس فسكت وسكنت
ثم قرا فجالت فانصرف فلما اصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم وقال فرفعت راسي الى السماء فاذا مثل الظلمة فيها امثال المصابيح
فرفعت حتى لا اراها قال وتدري ما ذاك قال لا قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرات لاصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم
ولما تقدم من الامر بالسلم والتهديد على الزلل عنه ما يقتضي لزومه حتما كان كانه قيل ما فعل من خوطب بهذه الاوامر وقمع بتلك الزواجر
فقيل ابى اكثرهم فقيل ان هذا لعجب ما الذي صدهم فقيل تقدير العزيز الذي لا يخالف مراده الحكيم الذي يدق عن الافكار استدراجه
فقيل كيف يتصور من العاقل كفر النعمة فبين ان سبب ذلك غالبا الترفع والتعظم والكبر والبطر فرحا بما في اليد وركونا اليه
واعراضا عما جيء في خزاين الله في حجب القدرة فقال مستانفا بانيا للمفعول دلالة على ضعف عقولهم سالهم يفترون بكل مزين
زين قال الحرالي من التزيين مما منه الزينة وهي بهجة التي لا تخلص الى باطن المزين انتهى للذين كفروا حتى بدلوا النعمة الحيوة الدنيا
بحضورها فالهتهم عن غايب الاخرة قال الحرالي ففي ضمنه اشعار بان استحسان بهجة الدنيا كفر ما من حيث ان نظر العقل والايمان يبصر
طيبتها ويشهد جيفتها فلا يغتر بزينتها وهي آفة الخلق في انقطاعهم عن الحق وابهم تعالى المزين في هذه الاية ليشمل ادنى التزيين
الواقع على لسان الشيطان واخفى التزيين الذي يكون من استدراج الله كما في قوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم انتهى ولما
ذكر ذلك بين حالهم عنده فقال ويسخرون اي والحال انهم لا يزالون يسخرون اي يوقعون السخرية وهي استزراء العقل هزوا
وقال الحرالي هي استزراء العقل معنى بمنزلة الاستسخار في الفعل حسا من الذين امنوا لما هم فيه من الضعف والحاجة لاعراضهم
عن الدنيا رغبة فيما عند الله لما وهبهم الله من العلم الخارق لتلك الحجب الكاشف لاستار المغيب ولان الله يزوي عنهم الدنيا ويحميهم
منها رغبة بهم عنها لكرامتهم عليه كما يحمي الانسان حبيبه الطعام والشراب اذا كان مريضا لكرامته عليه فصار الكفار بهذا التزيين
مع ما بوانا هم من الهوان بانواع التهديد التي لا مزية في قدرتنا عليها مشغولين بلعاعة من العيش فهم راضون باحوالهم مسرورون
بها بحيث انهم لا ينظرون في عاقبة بل مع الحالة الراهنة فيهزاون باهل الحق متعامين عن البينات معرضين عن التهديد تاركين
للاستبصار باحوال بني اسرائيل ولما كان الاستسخار بذوي الاقدار مرا وللنفوس مضرا قال تعالى مبشرا بانقلاب الامر في
دار الخلد مرغبا في التقوى بعد الايمان والذين اتقوا اي امنوا خوفا من الله فاخرج المنافقين الذين يمكن دخولهم في الجملة
الماضية فوقهم في الرزق والرتبة والمكان بدليل افيضوا واية اني كان لي قرين وكل امر سار يوم القيمة فهم يضحكون منهم
جزاء بما كانوا يفعلون ولما كان تبدل الاحوال قريبا عندهم من المحال كان كانه قيل في تقريب ذلك يرزق من عند الله يرزقهم
والله يعز سلطانه وجلال عظمته وباهر كرمه يرزق من يشاء اي في الدنيا والاخرة ولو كان افقر الناس واعجزهم ولما كان الاعطاء
جزافا لا يكون الا عن كثرة وبكثرة قال بغير حساب اي رزقا لا يحد ولا يعد لان كل ما دخله العد فهو محصور متناه يعدو في
هذه الامة من لا يحاسبه الله على ما اتاه فهي في حقه على حقيقتها من هذه الحيثية ولما كان كانه قيل هل كان هذا الكفر
والتزيين من بدء الامر ام هو شيء حدث فيكون حدوثه اعجب فقيل لا فوق عند الحكيم بين هذا وذاك فان قدرته على الصغير والكبير
والجاهل والعليم والطايش والحليم على حد سوا على ان الواقع ان ذلك شيء حدث بعد البيان الواضح كان الناس اي كلهم امة اي مجتمعين
على شيء واحد يؤم بعضهم بعضا ويقتدي بعضهم ببعض ثم اكد اجتماعهم فقال واحدة اي على الصراط المستقيم فزل بعضهم
فاختلفوا وتفرقت بهم السبل كما في اية يونس وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وعلى هذا اكثر المحققين كما قاله
الاصفهاني وقد رواه ابو يعلى الموصلي في مسنده بسند متصل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال على الاسلام كلهم فبعث الله اي الذي
لا حكم لغيره النبيين الذين رفعهم على بقية خلقه فانباهم بما يريد من امره وارسلهم الى خلقه مبشرين لمن اطاع وهو جار مجرى
الصحة ولانه مقصود بالذات قدم ومنذرين لمن عصى وذلك جار مجرى ازالة المرض بالدواء قال الحرالي فيه اعلام بانه ليس
للانبياء من الهداية شيء وانما هم مستحلون لامر جبلات الخلق وفطرهم فيبشرون من فطر على خير وينذرون من جبل على شر لا يستانفون
امرا لم يكن بل يظهرون امرا كان مغيبا وكذلك حال كل امام وعالم في زمانه يميز الله به الخبيث من الطيب انتهى وانزل معهم الكتاب
اي كلامه الجامع للهداية قال الحرالي ابراما لثني الامر المضاعف ليكون الامر بشاهدين اقوى منه بشاهد واحد فقد كان في الرسول
كفاية وفي الكتاب وحده كفاية لكن الله تعالى ثنى الامر وجمع الكتاب والرسول لتكون له الحجة البالغة انتهى بالحق اي الثابت
كل ثبات ليحكم اي الله بواسطة الكتاب بين الناس فيما اختلفوا فيه من الدين الحق الذي كانوا عليه قبل ذلك امة واحدة
فسلكوا بهم بعد جهل السبيل الاقوم ثم ضلوا على علم بعد موت الرسل فاختلفوا في الدين لاختلافهم في الكتاب وما اختلف فيه
اي الكتاب الهادي للحق الذي لا لبس فيه المنزل لازالة الاختلاف الا الذين ولما كان العالم يقبح منه مخالفة العلم مطلقا لا
بقيد كونه من معلم مخصوص بني للمفعول قوله اتوه اي فبدلوا نعمة الله بان اوقعوا الخلاف فيما انزل لرفع الخلاف ففي هذا
غاية التعجيب واظهار القدرة الباهرة التي حملتهم على ذلك ولما كان الخلاف ربما كان عن امر غامض بين ان الامر على غير ذلك
فقال مشيرا باثبات الجار الى انه لم يستغرق الزمان من بعد ما جاءتهم البينات اي الدلايل العقلية والنقلية التي تثبت
بها النبوة التي تثبت بها الكتاب قال الحرالي الجامعة لايات ما في المحسوس وايات ما في المسموع فلذلك كانت البينات
مكملة لاجتماع شاهديها انتهى ولما كان هذا محل السوال عن السبب بين انه الحسد والاستطالة عدولا عن الحق محبة لما زين
من الدنيا وتنافسا فيها فقال بغيا قال الحرالي والبغي اعمال الحسد بالقول والفعل قال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يسلم منهن احد
ومنهن متخلي الحسد والطيرة والظن فاذا حسدت فلا تبغ لان الحسد واقع في النفس كانها مجبولة عليه فلذلك عذرت فيه فاذا

العين

استعملت

استعملت بحسبه مقالها وفعالها كانت باغية انتهى وزاده عجبا بقوله بينهم اي لا بغيا على غيرهم فبدلوا من كل جهة ولما
ذكر انزال الكتاب وسببه ذكر ما تسبب عنه فقال عاطفا على ما تقديره فعموا عن البينات فهدى الله في اسناده الى الاسم الاعظم
كما قال الحرالي اعلام بانه ليس منطوق الخلق الا بعون وتوفيق من الحق انتهى الذين امنوا اي بالنبيين ببركة ايمانهم لما اختلفوا اي
اهل الضلالة فيه ثم بينه بقوله من الحق ويجوز ان تكون تبعيضية لما عموا عنه من الحق الذي نزل به الكتاب الذي جاء به
النبيون باذنه اي بما ارتضاه لهم من علمه وارادته وتمكينه قال الحرالي فيه اشعار بما فطرهم عليه من التمكين لقبوله لان الاذن
ادناه التمكين وازالة المنع انتهى والله اي المحيط علما وقدرة يهدي من يشاء اي بما له من اوصاف الكمال الى صراط مستقيم قال
الحرالي هذا اعلى من الاول كان الاول هدى الى احاطة علم الله وقدرته وهذا هدى اليه وفي صيغة المضارع بشرى لهذه الامة
بدوام هداهم الى ختم اليوم المحمدي لانزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله ولما افهم ما صرح به الكلام
السابق من الاختلاف وقوع العداوات وكان في العداوات خطر الاموال والانفس وكان ذلك اشق ما يكون وكانت العادة قاضية
بان المدعوين الى ذلك ان لم يصمموا على الاباء كانوا بين مستثقلين لامر الرسل يرون انهم يفرقون ما اتفق من الكلمة ورضي به
الناس لانفسهم ويشتتون امرهم ومستثقلين لطول انتظار الانتصار كان حالهم حال من يطلب الراحات في ذرى الجنات بلا
مشقات وذلك محال ومحض باضلال فان الثبات على الصراط المستقيم لا يكون الا باحتمال شدائد التكاليف فكان كانه قيل في جواب
ذلك عدولا عن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم المقول له سل بني اسرائيل الى خطاب الاتباع تشريفا له عن ذلك ورفعا لهممهم
بالمواجهة بالخطاب والتاسية بمن مضى من اولي الالباب تنشيطا لهم وتقوية لعزائمهم احسبتم انا لا نرسل الرسل لتمييز
الخبيث من الطيب ام حسبتم بعد ارسالهم ان الامر هين بان تنالوا السعادة بلا اجتهاد في العبادة قال الحرالي هو مما منه
الحسبان وهو ما تقع غلبته فيما هو من نوع المفطور عليه المستقر عادته والظن الغلبة فيما هو من المعلوم الماخوذ بالدليل والعلم
فكان ضعف علم العالم ظان وضعف عقل العاقل حسبان انتهى وهذا الذي قدرته هو معنى ان تدخلوا الجنة اي التي هي نعيم دائم
والحال انه لما ياتكم مثل اي وصف الذين خلوا ولما كان القرب في الزمان اشد في التاسية اثبت الجار فقال من قبلكم اي يقص
عليكم لتعملوا به او يصيبكم ما اصابهم من الاحوال الغريبة والقضايا العجيبة التي هي في غرابتها كالامثال وقال الحرالي ام
عطف على امور يفهمها مبدا الخطاب كانه يقول احسبتم ان تفارق احوالكم احوال الامم الماضية في حكمة الله وسنته ولن تجد
لسنة الله تبديلا الى ما لا يستجره معنى الخطاب اجمالا وتفصيلا في واقع الدنيا من شدائدها وحرها وبردها وضيق عيشها
وانواع اذاها وحال البرزخ وحال النشر والحشر الى ما وراء ذلك الى غاية دخول الجنة فكان عند انتهاء ذلك بادية خطاب
ام حسبتم تجاوزا لما بين اول البعث وغاية دخول الجنة انتهى ونبهت لما التي فيها معنى التوقع لانها في النفي نظيرة قد في الاثبات
على انه كان ينبغي لهم ان يكون دخولهم في الدين على بصيرة من حصول الشدائد لكثرة المخالف والمعاند فيكونوا متوقعين في كل
وقت مكابدة القوارع وحلول الصوادع والصوارع ليكون ذلك اجد في امرهم واجدر لهم بالثبات والارتقاء الى اعلى الدرجات
ولما كان كانه قيل ما ذلك المثل اجيب بيانا له بقوله مستهم الباساء اي المصائب في الاموال والضراء اي في الانفس
نقله ابو عبيد الهروي عن الازهري والاحسن عندي عكسه لان الباس كثير الاستعمال في الحرب والضر كثير الاستعمال في الفقراء
اي جزاء لهم كما قال الحرالي على ما غيروا مما يجلب كلا منهما ولكل عمل جزاء وزلزلوا لامور باطنة من خفايا القلوب انتهى والمعنى
انهم ازعجوا بانواع البلايا والرزايا والاهوال والافزاع ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة التي تكاد تهد الارض وتدك الجبال
حتى يقول رفعه نافع على حكاية الحال في وقتها بمعنى ان الغاية والمغيا قد وجدا ومضيا فهما ماضيان وكانك تحكي ذلك حين
وقوعه مثل من يقول عن مريض يشاهده مرض حتى لا يرجونه فان النصب بتقدير ان الزلزال مشاهد والقول منتظر حقق
ذلك الشبهين الرسول وهو اثبت الناس والذين امنوا معه وهم الاثبت بعده لطول تمادي الزمان فيما مسهم وعبر
بالمضارع تصويرا لحالهم واشارة الى تكرير ذلك من مقالهم وقال الحرالي فذكر قول الرسول الواقع في رتبة الذين امنوا معه
لا قوله فيما يخصه في ذاته وحده ومن هو منه او متبعه لان للنهي ترتبا فيما يظهر من قول وفعل مع رتب امته فكان قول الرسول
المنبئ عن حالهم متى نصر الله فكانهم في مثل ترقب المتلدد الحائر الذي كانه وان كان وعد بما هو الحق يوقع له التاخير صورة
الذي انبهم عليه الامر لما يرى من اجتثاث اسباب الفرج ففي اشعاره اعلام بان الله تعالى انما يفرج عن انبيائه ومن معهم بعد
انقطاع اسبابهم ممن سواه ليمتحن قلوبهم للتقوى فتتقدس سرائرهم من الركون لشيء من الخلق وتتعلق ضمائرهم بالله وحده
حتى يقول صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده اعلاما بان الله ناصره
دون حجاب ولا وسيلة شيء من خلقه كذلك سنته مع رسله انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا وعلى ذلك جرت
خوارق العادات للاولياء واهل الكرامات لا يكاد يقع لهم الا عن ضرورة قطع الاسباب وفي قراءة النصب اعراب بان غاية
الزلزال وانه امر مبهم له وقع في البواطن والظواهر احد تلك الظواهر وقوع هذا القول ففي الرفع انباء باشتداد الامر
بتاثيره في ظاهر القول وما وراءه انتهى وهو في النصب واضح فان حتى مسلطة على الفعل واما في الرفع فهي مقطوعة عن الفعل
لانها لم تعمل فيه لمضيه لتذهب النفس الغاية كل مذهب ثم استونف شيء من بيانها بالفعل ولما كان معنى الكلام طلب النصر
واستبطاء الامر اجابهم تعالى اجابة المنادي في حال اشتداد النصر بقوله الا قال الحرالي استفتاحا وتنبيها وجمعا للقلوب
للسماع ان تاكيدا وتثبيتا نصر الله الذي لا سبب له الا العناية من ملك الملوك بعد قطع كل سبب من دونه قريب لاستغنائه

القول وفي الرفع اعراب عن غاية الزلزال

عن عدته ومده ففي جملته بشرى باسقاط كلفة النصر بالاسباب والعدد والآلات المتعبة والاستغناء بتعلق القلوب بالله ولذلك انما
ينصر الله هذه الامة بضعفائها لان نصرتها بتقوى القلوب لا بمدافعة الاجسام فلذلك تفتح خاتمة هذه الامة قسطنطينية الروم بالتسبيح
والتكبير قال صلى الله عليه وسلم انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فانعطف ذلك على ما اراده الله بانبيائه واصفيائه
من الميسر الذي كماله لهذه الامة فاراد بهم اليسر في كل حال انتهى وفي بعض الآثار انما تقاتلون الناس باعمالكم والحاصل انه لا يكفي
مجرد ادعائهم الدخول في السلم بل لا بد من اقامة البينة بالصبر على ما يمتحنهم به كما امتحن الامم الخالية والقرون الماضية فانظر هذا
التدريب في مصاعد التاديب وتامل كيف القي الى العرب وان كان الخطاب لمن آمن ذكر القيمة في قوله والذين اتقوا فوقهم يوم
والجنة في قوله ان تدخلوا الجنة وهم ينكرونها القاء ما كانه محقق لا نزاع فيه تانيسا لهم بذكرهما وانظر ما في ذلك من بدائع الحكم
ولما كانت النفقة من اصول ما بنيت عليه السورة من صفات المؤمنين ومما رزقناهم ينفقون ثم كرر الترغيب فيها في تضاعيف الآي
الى ان آمن بها في اول آيات الحج الماضية آنفا مع انها من دعائم بدايات الجهاد الى ان تضمنتها الآية السالفة مع القتل الذي هو نهاية
الجهاد كان هذا موضع السؤال عنهما فاخبر تعالى عن ذلك على طريق النشر المشوش وذلك مؤيد لما فهمته في البأساء والضراء فان
استعماله في القرآن اكثر من المرتب فقال معلما لمن سأل هل سأل المخاطبون بذلك عنهما يسئلونك ماذا اي اي شيء ينفقون من الاموال
وقال الحرالي لما كان منزل القرآن على نحو متصرف المرء في الازمان كان انتظام خطابه متراجعا بين خطاب دين يتلقى عن الله وبين
اقامة بحكم يكون العبد فيه خليفة الله في نفاذ امره وبين انفاق يكون فيه خليفة في ايصال فضله لان الشجاعة والجود خلافة والجبن
والبخل عزل عنها فكان في طي ما تقدم من الخطاب الاحسان والانفاق وكان حق ذلك ان لا يسئل عما ذا ينفق لان المنفق هو الفضل
كله قال صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ففي هذا السؤال ممن سأله له نوع تلدد من نحو
ما تقدم لبني اسرائيل في امر البقرة من مرادة المسئلة لم يستاذن الصديق رضي الله عنه حين اتى بماله كله ولا استاذن عمر رضي الله عنه
حين اتى بشطر ماله ولا استاذن سعد بن الربيع حين خرج لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن شطر ماله واحدى زوجتيه فكان
في هذا السؤال اظهار مثل الذين خلوا من قبلهم ولولا ان الله رحيم لكان جوابهم تنفقون الفضل فكان يقع واجبا ولكن الله لطف
بالضعيف لضعفه واثبت الانفاق وابهم قدره وتعرض لترتيب المنفق فيهم لان آفة المرء البخل فان انفق كان اشد آفته في نكس
الانفاق بان يتصدق على الاجانب مع حاجة من الاقارب فقال تعالى خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم واعراضا منه عن السائلين لما
في السؤال من التبلد الاسرائيلي انتهى فقال قل وعدل عن بيان المشتق ما هو الى بيان المعرف لانه انفع على وجه عرف منه سؤالهم
وهو كل مال عدوه خيرا فقال معبرا بالماضي ليكون اشمل ما انفقتم من خير فعم المنفق منه وهو كل مال يعدونه خيرا وخص المصرف
مبينا اهمه لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها فقال فللوالدين لانهما اخرجا الى الوجود في عالم الاسباب والاقربين
لما لهم من الحق المؤكد بانهم كالجزء لما لهم من قرب القرابة واليتامى لتعرضهم للضياع لضعفهم وقال الحرالي لانهم اقارب بعد الاقارب
باليتم الذي اوجب خلافة الغير عليه انتهى والمساكين لمشاركتهم الايتام في الضعف وقدرتهم في الجملة على نوع كسب قال الحرالي
وهم المتعرضون لغة والمستترون الذين لا يفطن لهم ولا يجدون ما يغنيهم شرعا ولغة نبوته انتهى وابن السبيل لضعفه بالغربة
والآية محكمة لحمل ما فيها على ما لا يعارض غيرها ولما خص من ذكر عمم وبشر بقوله وما تفعلوا من خير اي مما يعد خيرا من عين او معنى
من هذا او غيره مع هؤلاء او غيرهم فان الله المحيط علما وقدرة بكل شيء ولما كان في مقام الترغيب والترهيب لكونه وكل الامر الى
المنفقين وكان سبحانه عظيم الرفق بهذه الامة اكد عمله بذلك فقدم الظرف اشارة الى ان له غاية النظر الى اعمالهم الحسنة
فقال عليم اي بالغ العلم وهو اولى من جازى على الخير وقال الحرالي ختم بالعلم لاجل دخول الخلل على النيات في الانفاق لانه من
اشد شيء تتباهى به النفس فيكاد لا يسلم لها منه الا ما لا تعلمه شمالها التي هي التفاتها وتباهيها وتختص بيمينها التي هي صدقها
واخلاصها انتهى ولما اخبروا بما سألوا عنه من احدى الخصلتين المضمنتين لآية الزلزال كان ذلك موضع السؤال عن الاخرى
فاجيبوا على طريق الاستيناف بقوله كتب وقال الحرالي لما التف حكم الحج بالحرب تداخلت آيات اشتراكهما وكما تقدم تاسيس
فرض الحج في آية فمن فرض فيهن الحج انتظم كتب القتال والفرض من الشيء ما ينزل بمنزلة الجزء منه والكتب ما خرز بالشيء فصار كالوصية
فيه كما جعل الصوم لان في الصوم جهاد النفس كما ان في القتال جهاد العدو فجرى ما شانه المدافعة بمعنى الكتب وما شانه العمل
والاقبال بمعنى الفرض وهما معنيان مقصودان في الكتاب والسنة تحق العناية بتفهمهما لينزل كل من القلب في محله وتختص
النية في كل واحد على وجهه وقد كان من اول منزله اي القتال اذن للذين يقاتلون فكان الاول اذنا لمن شانه المدافعة عن
الدين بداعيه من نفسه من نحو ما كانت الصلوة قبل الفرض واقعة من الاولين بداعيه من حبهم لربهم ورغبتهم في الخلوة
به والانس بمناجاته فالذين كانت صلوتهم حبا كان الخطاب لهم بالقتال اذنا لتلفتهم اليه ورغبتهم في بذل انفسهم لله الذين
كان ذلك نحبا لهم يطلبون الوفاء به حبا للقاء ربهم بالموت كما احبوا لقاء ربهم بالصلوة حين عقلوا وايقنوا انه لا راحة لمؤمن
الا في لقاء ربه فكان من عملهم لقاء ربهم بالصلوة في السلم وطلب لقائه بالشهادة في الحرب فلما اتسع امر الدين ودخلت الاعراب
والاتباع الذين لا يحملهم صدق المحبة للقاء الله على البدار للجهاد نزل كتبه كما نزل فرض الصلوة استدراكا فقال كتب عليكم
اي ايتها الامة القتال وكان في المعنى راجعا لهذا الصنف الذين يسئلون عن النفقة وبمعنى ذلك انتظمت الآية بما قبلها
فكانهم يتبلدون في الانفاق تبلدا اسرائيليا ويتقاعدون عن الجهاد تقاعد اهل التيه منهم الذين قالوا اذهب انت وربك
فقاتلا انتهى وهو كره وهو ما يخالف غرض النفس وهواها ولعله لكونه لما كان خيرا عبر باللام في لكم وهذا باعتبار الاغلب

وهو كما قال الحوالي عند المحبين للقاء الله من اجلي ما تنا وله انفسهم حتى كان ينازع الرجل منهم في ان يقف فيقسم على الزحم بمسكه ان يدعه والشهادة قال بعض التابعين لقد ادركنا قوما كان الموت لهم اشهى من الحيوة عندكم اليوم وانما كان ذلك لما حزبوه من دنياهم وغمروه من اخرامهم فكانوا يحبون النقلة من الخراب الى العمارة انتهى ولما كانوا يكرهون ما فيه على المال من المؤونة وعلى النفس من المشقة وعلى الروح من الخطر من حيث الطبع شهيا لما فيه من الوعد باحدى الحسنيين من حيث الشرع اشار الى ذلك بجملة حالية فقال **وعسى ان** وسيأتي ان شاء الله تعالى في سورة براءة من شرح معاني عسى ما يوضح ان المعنى وحاكم جديد وجليق لتغطية علم العواقب عنكم بان **تكرهوا شيئا** كالغزو اي فتعرضوا عنه لظنكم انه شر لكم **وهو** اي والحال انه **خير لكم** لما فيه من الظفر والغنيمة والشهادة والجنة فانكم لا تعلمون والذي كلفكم ذلك عالم بكل شئ غير محتاج الى شئ وما كلفكم ذلك الا لنفعكم قال الحوالي فشهد لهم لما لم يشهد وا شهد الموقنين الذين يشاهدون غيب الايمان كما يشهدون عن الحس كما قال علية كاني انظر الى اهل الجنة في الجنة منعمون وانظر اهل النار في النار يعذبون فلم يبرم لهم الشهادة ولكن ناطها بكلمة عسى لما علمه من ضعف قبول من خاطبه بذلك وفي اعلامه الزام بتنزل الاعلى للادنى ربية لما اظهر هذا الخطاب من تنزل الحق من مخاطبة الخلق الى حد محاورة المرتفق في الخطاب انتهى ولما رغبهم سبحانه في الجهاد بما رجاهم فيه من الخير رهبهم من التعود عنه بما يخشى فيه من الشر قال الحوالي فاشعر ان التقاعد له في تقاعده آفات وشر في الدنيا والآخرة ليس ان لا ينال لخير الجهاد فقط وينال شر التقاعد والتخلف انتهى فقال تعالى **وعسى ان تحبوا شيئا** اي كالقعود فتقبلوا عليه لظنكم انه خير لكم **وهو** اي والحال انه **شر لكم** لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاسر وليس احد منكم الا قد جرب مثل ذلك مرارا في امور دنياه فاوضح ذلك في تردد كل شئ كذلك في امكان خير بيته وشريته فوجب ترك الهوى والرجوع الى العالم المنزه عن الغرض وذلك قال عاطفا على حاكم تقديره فالله قد حجب شر التقدير **والله** اي الذي له الاحاطة الكاملة **يعلم** اي له علم كل شئ وقد اخبركم صدر هذا الامر انه رؤف بالعباد فهو لا يامركم الا بخير وقال الحوالي شهادة بحق العلم يرجع اليها عند الاعتياء في تنزل الخطاب انتهى والآية من الاحتباك ذكر الخير اولا دال على حذفه ثانيا وذكر الشر ثانيا دال على حذف مثله اولا ولما اثبت سبحانه وتعالى العلم لنفسه نفاه عنهم فقال **وانتم لا تعلمون** اي ليس لكم من انفسكم علم وانما عرض لكم ذلك من قبل ما علمكم فتفقوا به وبادروا الى كل ما يامركم به وان شق وقال الحوالي فنفى العلم عنهم بكلمة لا اي التي هي للاستقبال حتى تفيد دوام الاستصحاب وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال من حيث رتبه هذا الصنف من الناس من الاعراب وغيرهم واما المؤمنون الراسخون فقد علمهم الله من علمه ما علموا ان القتال خير لهم وان التخلف شر لهم انتهى حتى ان علمهم ذلك افاض على السنتهم ما يفيض الدموع ويثير القلوب حين شاورهم النبي صلى الله عليه وسلم في التوجه الى غزوة بدر فقام ابو بكر رضي الله عنه فقال واحسن ثم قال عمر رضي الله عنه فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال يا رسول الله امض لما اراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس فقال له سعد بن معاذ الانصاري رضي الله عنه والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ولما اخبرهم سبحانه بايجاب القتال عليهم مرسلا في جميع الاوقات وكان قد امرهم فيما مضى بقتلهم حيث ثقفوهم ثم قيد عليهم في القتال في المسجد الحرام كان بحيث يسأل هنا هل للامر في الحرم والحرام كما مضى ام لا وكان المشركون قد نسبوهم في سرية عبد الله بن جحش التي قتلوا فيها من الكفار عمرو بن الحضرمي الى التعدي بالقتال في الشهر الحرام واشتد تعييرهم لهم به فكان موضع السؤال هل سألوا عما عيرهم به الكفار من ذلك فقال مخبرا عن سؤالهم مبينا لحالهم **يسئلونك** اي اهل الاسلام لا سيما اهل سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنهم **عن الشهر الحرام** فلم يعين الشهر وهو رجب ليكون اعم وسميت الحرم لتعظيم حرمتها حتى حرموا القتال فيها فابهم المراد من السؤال ليكون ارد للنفس اليه اي التفات ثم بينه ببدل الاشتمال في قوله **قتال فيه** ثم امر بالجواب في قوله **قل قتال فيه** اي قتال كان فالمشمول العموم ولما كان مطلق القتال فيه في زعمهم لا يجوز حتى لا المستحق القتل وكان في الواقع القتال عدوانا فيه اكبر منه في غيره قال **كبير** اي في الجملة ولما كان من المعلوم ان المؤمنين في غاية السعي في تسهيل سبيل الله فليس من الصد عنه ولا من الكفر في شئ لم يشكل ان ما بعده كلام مبتدا هو للكفار وهو قوله **وصد** اي اي صد كان **عن سبيل الله** الذي له الامر كله اي الذي هو دينه الموصل اليه اي الى رضوانه او البيت الحرام فان النبي صلى الله عليه وسلم سمي الحج سبيل الله قال الحوالي وان صد صرف الى ناحية باعراض وتكره والسبيل طريق الجادة السابلة عليه الظاهر كل سالك منهجة **وكفر** اي كفر كان **به** اي بالدين او بذلك الصد اي بسببه فانه كفر الى كفرهم وحذف الخبر لدلالة ما بعده عليه دلالة بينة لمن امعن النظر وهو اكبر اي من القتال في الشهر الحرام والتقييد فيما ياتي بقوله **عند الله** يدل على ما فهمته من ان المراد بقوله **كبير** في زعمهم وفي الجملة لا انه من الكبائر ولما كان قد تقدم الاذن بالقتال في الشهر الحرام وفي المسجد

عنلم ر

ای م

القتال

ای الملك ر

الحرام بشرط كما مضى كان مما يوجب السؤال عن القتال فيه في الجملة بدون ذلك الشرط او بغيره توقعا للاطلاق لا سيما والسرية
التي كانت سببا لنزول هذه الآية وهي سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه كان الكلام فيها كما رواه ابن اسحق عن الامرين كليهما
فانه قال انهم لقوا الكفار الذين قتلوا منهم واسروا واخذوا غيرهم في آخر يوم من رجب فبهاتوهم فلطفوا لهم حتى سكنوا
فتشاوروا في امرهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فترددوا ثم شجعوا
انفسهم ففعلوا ما فعلوا فعيرهم المشركون بذلك فاشتد تعييرهم لهم واشتد قلق الصحابة رضوان الله عليهم لا سيما اهل
السرية من ذلك ولا شك انهم اخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بكل ذلك فاخبارهم له على هذه الصورة كان في عده سؤالا فضلا
عن دلالة ما مضى على التشوف الى السؤال عنه لما كان ذلك قال تعالى **والمسجد** اي ويسئلونك عن المسجد **الحرام** اي الحرم الذي
هو للصلوة والعبادة بالخضوع لا لغير ذلك قتال فيه قل قتال فيه كبير عندكم على نحو ما مضى ثم ابتدا قائلا **واخراج** كما ابتدا
قوله وصد عن سبيل الله وقال **اهله** اي المسجد الذي كتبه الله لهم في القدم وهم اولى الناس به **منه** اي المسجد **اكبر** اي
من القتال في الشهر الحرام خطا وبناء على الظن والقتل فيه **عند الله** اي المحيط بكل شي قدرة وعلما فقد حذف من كل جملة
ما دل عليه ما ثبت في الاخرى فهو من وادي الاحتباك وسر ما صنع في هذا الموضع من الاحتباك انه لما كان القتال في الشهر
الحرام قد وقع من المسلمين حين هذا السوال في سرية عبد الله بن جحش ابرز السوال عنه والجواب ولما كان القتال في
المسجد الحرام لم يقع بعد وسيقع من المسلمين ايضا عام الفتح طواه واضمره ولما كان الصد عن سبيل الله الذي هو البيت
والكفر الواقع بسببه لم يقع وسيقع من الكفار عام الحديبية اخفى خبره وقدره ولما كان الاخراج قد وقع منهم ذكر
خبره واظهره فاظهر سبحانه ما ابرزه على يد الحدثان واضمر ما اضمره في صدر الزمان وصرح بما صرح به لسان الواقع
ولوح الى ما لوح اليه صارم الفتح القاطع والله الهادي والمراد بالمسجد الحرام الحرم كله قال الماوردي من اصحابنا
كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم الا قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فان المراد به الكعبة
نقله عنه ابن الملقن وقال غيره انه يطلق ايضا على نفس مكة مثل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام فان في بعض طرق البخاري
فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطشت الى ان قال ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء
ويطلق ايضا على نفس المسجد نحو قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه سواء العاكف فيه والباد
ولما كان كل ما تقدم من الكفار فتنة كان كانه قيل اكبر لان ذلك فتنة **والفتنة** اي بالكفر والتكفير بالصد والاخراج وسائر انواع
الاذى التي تركبونها باهل الله في الحرم والاشهر الحرم **اكبر من القتل** ولو كان في الشهر الحرام لان همه يزول وغمها يطول ولاجل خوف
الفتنة بانواع الاهانة احتمل الصحابة رضي الله عنهم الخروج من مكة بالهجرة واقدموا عليها كما كانوا هي اكبر منه وما لان احد منهم
بشي من ذلك للردة ولذا لم يعبر هنا باشد كما يقدمون القتل التي ولما كان التقدير وقد فتنوكم وقاتلوكم وكان الله سبحانه عالما
بانهم ان تراخوا في قتالهم ليتركوا الكفر لم يتراخوا في قتالهم ليتركوا الاسلام وكان اشد الاعداء من اذا تركته لم يتركك
قال عاطفا على ما قدرته **ولا يزالون** اي الكفار **يقاتلونكم** اي يجدون قتالكم كلما لاحت لهم فرصة ولما كان قتالهم انما هو لتبديل
الدين الحق بالباطل علله تعالى بقوله **حتى** ولكنهم لما كانوا يقدرون انه هين عليهم لقلة المسلمين وضعفهم تصوروه غاية الابد من
انتهائهم اليها فدل على ذلك بالتعبير باداة الغاية **حتى يردوكم** اي كافة ما بقي منكم واحد **عن دينكم** الحق ونبه على ان حتى تعليلية
بقوله مخوفا من التواني عنهم فيستحكم كيدهم ملهبا للاخذ في الجد في حربهم وان كان يشعر بانهم لا يستطيعون **ان استطاعوا**
اي الى ذلك سبيلا فانهم احق بان لا تزالوا كذلك لانكم قاطعون بانكم على الحق وانكم منصورون وانهم على الباطل وهم مخذولون
ولا بد وان طال المدى لاعتمادكم على الله واعتمادهم على قوتهم ومن وكل الى نفسه ضاع فالامر الذي بينكم وبينهم اشد من الكلام
فينبغي الاستعداد له بعدته والتاهب له باهبته فضلا عن ان يلتفت الى التاثير بكلامهم الذي توجبه اليهم الشياطين طعنا في
الدين وصدا عن السبيل وشبههم التي اصلوا عليها دينهم ولا اصل لها وفي الاية اشارة الى ما وقع من الردة بعد موت النبي صلى الله
عليه وسلم فان القتال على الدين لم ينقص الا بعد الفروغ من امرهم قال الحرالي الاستطاعة مطاوعة النفس في العمل واعطاؤها
الانقياد فيه ثم قال فيه اشعار بان طائفة ترتد عن دينها وطائفة تثبت لان كلام الله لا يخرج في بتة واشتراطه الا لمعنى
واقع بنحو ما ويوضحه تصريح الخطاب في قوله **ومن يرتدد** الى آخره وهو من الرد ومنه الردة وهو كف بكره لما شانه الاقبال
بوقف انتهى وكان صيغة الافتعال الموذنة بالتكلف والعلاج اشارة الى ان الدين لا يرجع عنه الا باكراه النفس لما في مفارقة
الالف من الالم واجماع القراء على الفك هنا للاشارة الى ان الحبوط مشروط بالكفر ظاهرا باللسان وباطنا بالقلب فهو مليح بالعفو
عن نطق اللسان مع طمانينة القلب واشارة قراءة الادغام في المائدة الى ان الصبر ارفع درجة من الاجابة باللسان وان كان
القلب مطمئنا ولما احماهم سبحانه باضافة الدين اليهم بانهم يريدون سلبهم ما اختاروا لانفسهم لحقيقة وردهم قهرا الى ما
رغبوا عنه لبطلانه خوفهم من التراخي عنهم حتى يصلوا الى ذلك فقال ومن يرتد **منكم** اي يفعل ما يقصدونه من الردة **عن دينه**
وعطف على الشرط قوله **فيمت** اي فيتعقب ردته انه يموت **وهو** اي والحال انه **كافر** ولما افرد الضمير على اللفظ نصا
على كل فرد فرد جمع لان اجزاء الجمع اجزاء لكل فرد منهم ولا عكس وقرنه بفاء السبب اعلاما بان سوء اعمالهم هو السبب في وبالهم
فقال **فاولئك** البعداء البغضاء **حبطت اعمالهم** اي بطلت معانيها وبقيت صورها من حبط الجرح اذا برا وبقي اثره وقال
الحرالي من الحبط وهو فساد في الشي الصالح ياتي عليه من وجه يظن به صلاحه وهو في الاعمال بمنزلة البطح في الشي القائم الذي

يقدمون على القتل التي

يعمل

يقعده عن قيامه كذلك المحبط في النبي الصالح ينسده عن وهم صلاحه في الدنيا بزوال ما فيها من روح الانس بالله ولطيف الوصلة به وسقوط اضافتها اليهم المقرونة بجبران جبوطها فقد بطل ما كان لها من الاقبال من الحق والتعظيم من الخلق والاخرة بابطال ما يستحق عليها من الثواب بصادق الوعد ولما كانت الردة ابشع انواع الكفر كرر المناداة بالبعد على اهلها فقال واولئك اصحاب النار فدل بالصحبة على انهم احق الناس بها فهم غير منفكين منها ولما كانوا كذلك كانهم كانوا المختصون بها دون غيرهم لبلوغ ما لهم فيها من السفول الى حد لا يوازيه غيره فتكون لذلك المختصة لهم بالايام من غيرهم فقال تقريرا للجملة التي قبلها هم فيها خالدون اي مقيمون اقامة لا اخر لها وهذا الشرط ملوح الى ما وقع بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم من الردة لان الله سبحانه اذا سان شيا ساق الشرط اقتضى انه سيقع منه فيكون المعنى ومن يرتد فيتبع عن ردته يتب الله عليه كما وقع لاكثرهم وكان التعبير بما قد يقيد الاختصاص اشارة الى ان عذاب غيرهم عدم بالنسبة الى عذابهم لان كفرهم افحش انواع الكفر ولما بين سبحانه المقطوع لهم بالنار بين الذين هم اهل لرجاء الجنة ليلا يزال العبد هارب من موجبات النار ومقبلا على موجبات الجنة خوفا من ان يقع فيما يسقط رجاءه وقال الحرالي لما ذكر امر المتزلزلين ذكر امر الثابتين انتهى فقال ان الذين امنوا اي اقروا بالايمان ولما كانت الهجرة التي هي فراق المالوف والجهاد الذي هو المخاطرة بالنفس في مفارقة وطن البدن والمال في مفارقة وطن النعمة اعظم الاشياء على النفس بعد مفارقة وطن الدين كرر لهما الموصل اشعارا باستحقاقهما للاصالة في انفسهما فقال موكدا للمعنى بالاخراج في صيغة المفاعلة انتهى والذين هاجروا اي اوقعوا المهاجرة بان فارقوا بغضا ونفرة تصديقا لاقرارهم بذلك دياريهم ومن خالفهم فيه من اهلهم واجبا قال الحرالي من المهاجرة وهو مفاعلة من الهجرة وهو التخلي عما شانه الاختباط به لمكان ضرر منه وجاهدوا اي اوقعوا المجاهدة مفاعلة من الجهد فتحا وضما وهو الابلاغ في الطاقة والمشقة في العمل في سبيل الله اي دين الملك الاعظم كل من خالفهم اولئك اي العالو الرتبة العظيمو الزلفى والقربة ولما كان اجرهم انما هو من فضل الله قال يرجون من الرجاء وهو ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ثم قال الحرالي رحمة الله اي اكرامه لهم غير قاطعين بذلك علما منهم ان له ان يفعل ما يشاء لانه الملك الاعظم فلا كفؤ له وهم غير قاطعين بهو نهم محسنين وقاطعون بانه سبحانه لو آخذهم بما يعلم من ذنوبهم عذبهم ولما كان الانسان محل النقصان فهو لا يزال في فعل ما ان اوخذ به هلك قال مشيرا الى ذلك مبشرا بسعة الحلم في جملة حالية من واو يرجون ويجوز ان يكون عطفا على ما تقديره ويخافون عذابه فالله مستقيم عظيم والله اي الذي له صفات الكمال غفور اي ستور على ما فرط منهم من الصغاير او تابوا عنه من الكباير رحيم فاعل بهم فعل الراحم من الاحسان والاكرام والاستقبال بالرضى قال الحرالي وفي الختم بالرحمة ابدا في خواتم الآي اشعار بان فضل الله في الدنيا والاخرة ابتدا افضل ليس في الحقيقة جزاء العمل فكما يرحم العبد طفلا ابتدا ثم يرحمه كهلا انتهاء ويبتديه برحمته في معاده كما ابتداه برحمته في ابتدائه انتهى بالمعنى ولما كان الشراب مما اذن فيه في ليل الصيام وكان غالب شرابهم النبيذ من التمر والزبيب وكانت بلادهم حارة فكان ربما اشتد فكان ما يقاعن العبا لا سيما الجهاد كان السكران لا ينتفع به في اي ولا بطش ولم يكن ضروريا في اقامة البدن كالطعام اخر بيانه الى ان فرغ مما هو اولى منه بالاعلام وختم الايات المتخللة بينه وبين ايات الاذن بما بداها به من الجهاد ونص فيها على ان فاعل اجد الجد ولهبات الاطايب من الجهاد وما ذكر معه في محل الرجا للرحمة فاقتضى الحال السوال هل سالوا عن اهزل المهزل وارهبات الخبايث فقال معلما بسوالهم عنه مبينا لما اقتضاه الحال من حكمة ينبغي ما عداه على الاباحة المحضة يسالونك عن الخمر الذي هو احد ما غنمه عبد الله بن جحش رضي الله عنه في سريته التي نزلت الايات السالفة بسببها قال الحرالي وهو مما منه الخمر بفتح الميم وهو ما وارى من شجرة ونحوه فالخمر بالسكون فيما يستبطن منزلة الخمر بالفتح فيما يستظهر كان الخمر يواري ما بين العقل المستبصر من الانسان وبهيمته المجاوهو ما اسكر من اي شراب كان سواء فيه القليل والكثير والميسر قال الحرالي اسم مقامرة كانت الجاهلية تفعل بها لقصد انتفاع الضعفاء وتحصيل ظفر المغالبة انتهى وقرنها سبحانه لتماثلهما في الضرر بالجهاد وغبن بانفاق المال مجانا عن غير طيب نفس مع ما بين سبحانه من المواخاة بينهما هنا وفي المايدة وان كان سبحانه اقتصر هنا على ضرر الدين وهو الاثم لانه اسرع يتبعه كل ضرر فقال في الجواب قل فيهما اي في استعمالهما اثم كبير لما فيهما من المساوي المنابذة لمحاسن الشرع من الكذب والشتم وزوال العقل واستحلال مال الغير فهذا اثبت للتحريم باثبات الاثم ولما فيهما من الكباير قال الحرالي في قراءة اثبا الموحدة والمثلثة اثباء عن مجموع الامرين من كبر المقدار وكثرة العدد وواحد من هذين مما يصد الطبع الكريم والعقل الرصين عن الاقدام عليه بل يتوقف عن الاثم الصغير القليل فكيف عن الكبير الكثير انتهى ومنافع للناس بما يتكسبونها الاجلها من التجارة في الخمر واللذة بشربها ومن اخذ المال الكثير في الميسر وانتفاع الفقراء وسلب الاموال والافتخار على الابرام والتوصل بها الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل عن مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم ودرء المفاسد مقدم تكثيف واثمهما اكبر من نفعهما وفي هذا كما قال الحرالي تنبيه على النظر في تفاوت الخيرين وتفاوت الشرين انتهى قال ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي رحمه الله في كتاب الزينة وقال بعض اهل المعرفة والنفع الذي ذكره الله في الميسر ان العرب في الشتا والجدب كانوا يتقامرون بالقداح على الابل ثم يجعلون لحومها لذوي الفقر والحاجة فانتفعوا واعتدلت احوالهم قال لطاعني في ذلك المطعموا الضيف اذا ما شتوا والجاعلوا القوت على اليسر انتهى وقال غيره وكانوا يدفعونها للفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وبيان المراد من الميسر عزيز الوجود مجتمعا وقد استقصيت ما قدرت عليه منه اتماما للفايدة قال المجد الفيروزابادي في قاموسه والميسر اللعب بالقداح كيسر يتيسر

يدفعونها

او الجزور التي كانوا يتقامرون عليها او النرد او كل قمار انتهى وقال صاحب كتاب الزينة وجمع الياسر يسر وجمع اليسر ايسار
فهو جمع الجمع مثل حارس وحرس واحراس انتهى والقمار كل مراهنة على غرر محض وكانه ماخوذ من القمارة الليل لانه يزيد مال المقامر
تارة وينقصه اخرى كما يزيد القمر وينقص وقال ابو عبيد الهروي في الغريبين وعبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي قال مجاهد
كل شي فيه قمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وفي تفسير الاصبهاني عن الشافعي ان الميسر ما يوجب دفع مال او اخذ مال فاذا اخذ
الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان والصلوة عن النسيان لم يكن ميسرا وقال الازهري الميسر الجزور الذي كانوا يتقامرون
عليه سمي ميسرا لانه يجزا اجزاء فكانه موضع التجزية وكل شي جزايه فقد يسرته والياسر الجازر لانه يجزي لحم الجزور قال وهذا
وهذا الاصل في الياسر ثم يقال للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور ياسرون لانهم جازرون اذا كانوا سببا لذلك ويقال
يسر القوم اذا قامروا ورجل يسر وياسر والجمع ايسار القزاز فانت ياسر وهو ميسور رجع والمفعول ميسور يعني الجزور
وايسار جمع يسر ويسر جمع ياسر وقال القزاز واليسر القوم الذين يتقامرون على الجزور واحدهم ياسر كما تقول غايب وغيب
ثم يجمع اليسر فيقال ايسار فيكون الايسار جمع الجمع ويقال للضارب بالقداح يسر والجمع ايسار ويقال للمراد ميسر لانه يضرب عليها
كما يضرب على الجزور ولا يقال ذلك في الشطرنج لمفارقتها ذلك المعنى وقال عبد الحق في الواعي والميسر موضع التجزية ابو
عبد الله كان امر الميسر انهم كانوا يشترون جزورا فينحرونها ثم يجزونها اجزاء قال ابو عمرو على عشرة اجزاء وقال الاصمعي
على ثمانية وعشرين جزءا ثم يسهمون عليها بعشرة قداح لسبعة منها انصبا وهي الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس
والمسبل والمعلى وثلثة منها ليس لها انصبا وهي المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلونها على يد رجل عدل عندهم يجيلها لهم باسم
رجل ثم يقتسمونها على قدر ما تخرج لهم السهام فمن خرج سهمه من هذه السبعة اخذ من الاجزاء بحصة ذلك ومن خرج له واحد
من الثلاثة فقد اختلف الناس في هذا الموضع فقال بعضهم من خرجت باسمه لم ياخذ شيا ولم يغرم ولكن تعاد الثانية ولا
يكون له نصيب ويكون لغوا وقال بعضهم بل يصير ثمن الجزور كله على اصحاب هولاء الثلثة فيكونون مقمورين وياخذ اصحاب
السبعة انصباء على ما خرج لهم فهولاء الياسرون قال ابو عبيد ولم اجد علمانا يستقصون علم معرفة هذا ولا يدعونه
ورايت ابا عبيدة اقلهم ادعا له قال ابو عبيدة وقد سالت عنه الاعراب فقالوا لا علم لنا بهذا هذا شي قد قطعه الاسلام
منذ جاء فلسنا ندري كيف كانوا ييسرون قال ابو عبيد وانما كان هذا منهم في اهل الشرف والثروة والجلة انتهى ولعل هذا
سبب تسميته ميسرا وقال صاحب الزينة فالتي لها الغنم وعليها الغرم اي من السهام يقال لها موسومة لاجل الفروض
فانها بمنزلة السمة ويكون عدد الايسار سبعة انفس ياخذ كل رجل قدحا وربما نقص عدد الرجال عن السبعة فياخذ الرجل
منهم قدحين فاذا فعل ذلك مدح به وسمي مثنى الايادي قال النابغة • اني اتمم ايساري وامنحهم مثنى الايادي واكسو الجفنة الادما •
وقال ويقال للذي يضرب بالقداح حرضة وانما سمي بذلك لانه رجل بخيل لا يدخل مع الايسار ولا ياخذ نصيبا ولذلك يختارونه
لانه لا غنم له ولا غرم عليه والذي لا يضرب بالقداح ولا يدخل مع الايسار في شي من امورهم يقال له البرم وتجمع القداح في جلدة
وقال بعضهم في خرقة وتسمى تلك الجلدة الربابة اي بكسر الرا المهملة وهو حدتين ثم تجمع اطرافها ويعدل بينها وتكسى يده دايما
لكي لا يجد مس قدح له فيه راي وتشد عيناه فيجمع اصابعه عليها ويضمها كهيئة الضغث ثم يضرب روسها بحاق راحته فايها
طلع من الربابة كان فايزا قال وقال غيره تكون الربابة شبه الخريطة تجمع فيها القداح ثم يومر الحرضة ان يجيلها فمنها ما
يعترض في الربابة فلا يخرج ومنها ما لا يعترض فيطلع فذلك يكون فايزا ويقعد رجل امين على الحرضة يقال له الرقيب ويقال
للذي يضرب بالقداح مفيض والافاضة الدفع وهو ان يدفعها دفعة واحدة الى قدام ويجيلها ليخرج منها قدح وكذلك الافاضة
من عرفه هو الدفع منها الى جمع انتهى وقال في القاموس كانوا اذا ارادوا ان ييسروا اشتروا جزورا نسيئة ونحروه قبل ان
ييسروا وقسموه ثمانية وعشرين سهما او عشرة اقسام فاذا خرج واحد واحد باسم رجل رجل ظهر فوزهن خرج لهم ذوات الانصبا
وغرم من خرج له العفل انتهى وقال عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرايب الياسر هو الضارب في القداح وهو من الميسر وهو
القمار الذي كان اهل الجاهلية يفعلونه وكانوا يتقامرون على الجزور او غيره ويجزونه اجزاء ويسهمون عليها مثلا بعشرة
لسبعة منها انصباء وهي الفذ الى آخره ثم يخرجون ذلك فمن خرج سهمه من السبعة اخذ بحصته ومن خرج له واحد من الثلثة
لم ياخذ شيا ولهم في ذلك مذاهب ما عرفها اهل الاسلام ولم يكن احد من اهل اللغة على ثبت في كيفية ذلك انتهى هذا ما قالوه في
مادة يسر وقد نظمت اسماء القداح تسهيلا لحفظها في قولي • الفذ والتوام والرقيب • والحلس والنافس يا ضريب •
• ومسبل مع المعلى عدوا • ثم منيح وسفيح وغد • واما ما قالوه في مادة كل اسم منها فقال في القاموس الفذ اي بفتح الفا
وتشديد الذال المعجمة اول سهام الميسر والتوام اي بفتح الفوقانية المبدلة من الواو واسكان الواو وفتح الهمزة وزن
كوكب سهم من سهام الميسر او ثانيها والرقيب امين اصحاب الميسر او الامين على الضريب والثالث من قداح الميسر وقال
في مادة ضرب والضريب الموكل بالقداح او الذي يضرب بها كالضارب والقدح الثالث وقال في الجمع بين العباب والمحكم
والرقيب الحافظ ورقيب القداح الامين على الضريب وقيل هو امين اصحاب الميسر وقيل هو الرجل الذي يقوم خلف الحوضة
في الميسر ومعناه كله سوا وانما قيل للغيوق رقيب الثريا تشبيها برقيب الميسر والرقيب الثالث من قداح الميسر وفيه ثلثة
فروض وله غنم ثلثة انصبا ان فاز وعليه غرم ثلثة ان لم يفز وقال في مادة ضرب وضرب بالقداح والضريب الموكل بالقداح
وقيل الذي يضرب بها قال سيبويه فعيل بمعنى فاعل والضريب القدح الثالث من قداح الميسر قال اللحياني وهو الذي يسمى

الرقيب

الرقيب قال وفيه ثلثة فروض الي آخر ما في الرقيب وقال في القاموس والحرصه اي بضم المهملة واسكان المهملة ثم معجمة
امين المقامرين والحلس بكسر المهملة واسكان اللام ثم مهملة وككتف الرابع من سهام الميسر والنافس بنون وفاء مكسورة ومهملة
اسم فاعل خامس سهام الميسر ومسبل اي بسين مهملة وموحدة قال بوزن محسن السادس او الخامس من قداح الميسر وقال في مجمع
البحرين وهو المصفح ايضا يعني بفتح الفاء والمعلى كمعظم سابع سهام الميسر والمنيح كامير اي بنون وآخره مهملة قدح بلا نصيب
والسفيح اي بوزنه وبمهملة ثم فاء وآخره مهملة قدح من الميسر لا نصيب له والوغد اي بفتح ثم سكون المعجمة ثم مهملة الاحمق الضعيف
الرذل الدني وقدح لا نصيب له وقال صاحب الزينة وكانوا يبتاعون الجزور ويتضمنون ثمنه ثم يضربون بالقداح عليه
ثم ينحرونه ويقسمونه عشرة اجزاء على ما حكاه اكثر علماء اللغة ثم يجيلون عليها القداح فان خرج المعلى اخذ صاحبه سبعة
انصباء ونجا من الغرم ثم يجيلون عليها ثانيا فان خرج الرقيب اخذ صاحبه ثلاثة انصباء ونجا من الغرم ونفدت اجزاء الجزور
وغرم الباقون على عدد انصبائهم فغرم صاحب الفذ نصيبا واحدا وصاحب التوام نصيبين فعلى ذلك يقسمون الغرم
بينهم وذكر عن الاصمعي انه قال كانوا يقسمون الجزور على ثمانية وعشرين جزءا للفذ جزء وللتوام جزءان وللرقيب ثلثة
اجزاء فعلى هذا حتى تبلغ ثمانية وعشرين جزءا وخالفه في ذلك اكثر العلماء وخطاوه وقالوا اذا كان ذلك كذلك واخذ
كل قدح نصيبه لم يبق هنالك غرم فلا سكون اذا قامر ولا مقمور ومن اجل ذلك قالوا لاجزاء الجزور اعشار لانها عشرة اجزاء
قال امرؤ القيس • وما ذرفت عيناك الا لتضربي • بسهميك في اعشار قلب مقتل • جعل القلب بدلا لاعشار الجزور
وجعل العينين مثلا للقدحين اي ثبت قلبه ففازت به كما يفوز صاحب المعلى والرقيب باعشار الجزور فيحتوي عليها انتهى
وقال القزاز في التاء الفوقانية من ديوانه والتوام احد قداح الميسر وهو الثاني منها وانما سمي توأما بما عليه من الخطوط
وعليه خطان وله من انصباء الجزور نصيبان وان قمرت انصباء الجزور عدم من خرج له التوام نصيبين وذلك انها
عشرة قداح اولها الفذ وعليه فرض وله نصيب والثاني التوام وعليه فرضان وله نصيبان والثالث الرقيب وعليه
ثلاثة فروض وله ثلثة انصباء والرابع الحلس وعليه اربعة فروض وله اربعة انصباء والخامس النافس وعليه خمسة فروض
وله خمسة انصباء والسادس المسبل وعليه ستة فروض وله ستة انصباء والسابع المعلى وعليه سبعة فروض وله سبعة
انصباء ومنها ثلاثة لا خطوط لها وهي السفيح والمنيح والوغد وربما سموها باسماء غير هذه لكن ذكرنا المستعمل منها ههنا
ونذكرها باسمائها في مواضعها من الكتاب ان شاء الله تعالى وهذه التي لا خطوط عليها ليس عليها فرض ولذلك تدعى اغفالا
لان الغفل من الدواب الذي لا سمة له وهيئة ما يفعلون في القمار هو ان تنحر الناقة وتقسم عشرة اجزاء فتجعل احدى
الوركين جزءا والورك الاخر جزءا وعجزها جزءا والكاهل جزءا والزور وهو الصدر جزءا والملحاء اي ما بين الكاهل والعجز
من الصلب جزءا والكتفان وفيهما العضدان جزءان والفخذان جزءان وتقسم الرقبة والطفاطف بالسواء على تلك الاجزاء
وما بقي من عظم او بضعة فهو الزيم واصله من الزيادة على الحمل وهي التي تسمى علاوة فياخذ الجازر وربما استثنى بايع الناقة
منها شيئا لنفسه واكثر ما يستثنى الاطراف والراس فاذا صارت الجزور على هذه الهيئة احضروا رجلا يضرب بها بينهم يقال
له الحرضه فتشد عيناه ويجعل على يده ثوب لئلا يحس القداح ثم يؤتى بخريطة فيها القداح واسعة الاسفل ضيقة الفم
قدر ما يخرج منها سهم او سهمان والقداح فيها كفصوص النرد الطوال غير انها مستديرة فتجعل الخريطة على يد الحرضه
ويؤتى برجل يجعل امينا عليه يقال له الرقيب فيقال له جلجل القداح فيجلجلها في خريطة مرتين او ثلثا فاذا فعل ذلك
افاض بها وهو ان يدفعها دفعة واحدة فتندر من مخرجها ذلك الضيق فاذا خرج قدح اخذه الرقيب فان كان من الثلثة
التي لا فرض عليها رده الى الخريطة وقال اعدوا ان كان من السبعة ذوات الخطوط دفعه لصاحبه وقال له اعتزل القوم
وذاك ان الذين يتقامرون قد اخذ كل واحد منهم قدحا على ما يجب فان كان الذي خرج الفذ اخذ صاحبه جزءا او سلم
من الغرم واعاد الحرضه الافاضة وان كان الذي خرج التوام اخذ صاحبه نصيبين واعتزل القوم وسلم من الغرم ايضا
وكذا كل واحد منهم ياخذ ما خرج له ويعتزل القوم ويسلم من الغرم فاذا خرج في الثانية قدح اخذ صاحبه ما خرج له
وكذا الثالث ياخذ ما خرج له ويعتزل القوم ما لم يستغرق الاول والثاني انصباء الجزور مثل ان يخرج للاول الرقيب
فياخذ ثلثة انصباء ثم يخرج للثاني المعلى فياخذ سبعة انصباء ويغرم الباقون ثمن الجزور او يخرج في الاول الفذ وفي الثاني
التوام وفي الثالث المعلى فيذهب ايضا سائر الانصباء ويغرم باقي القوم ثمن الجزور وكذا ما كان مثل هذا فان زادت
سهام من خرج له قدح على ما بقي من الجزور غرم له من بقي ما زاد سهمه وذلك مثل ان يخرج للاول المعلى فياخذ سبعة
انصباء ثم يخرج للثاني النافس وحظه خمسة وانما بقي من الجزور ثلثة فياخذها ويغرم له الباقون خمسي الجزور وكذا لو
خرج للاول النافس واخذ خمسة انصباء ثم خرج للثاني الحلس فاخذ اربعة انصباء وخرج للثالث المعلى اخذ النصيب
الذي بقي وغرم له الباقون ثلثة اخماس الجزور وعلى هذا سائر قمارهم اذا تدبرته علمت كيف يجري جميعه ويغرم القوم
ما يلزمهم على قدر سهامهم الباقية يفرضون ما لزمهم على عدد ما في انصبائهم من الفرض وقد ذكر ان الجزور تجزا على عدد
ما في القداح من الفروض وهي ثمانية وعشرون جزءا ولا معنى لهذا القول لانه يلزم ان لا يكون في هذا قمار ولا فوز ولا
خيبة اذ كل واحد يختار لنفسه ما احب من السهام ثم ياخذ ما خرج له ثم لا تفرغ اجزاء الجزور الا بفراغ القداح فلا معنى
للتقامر عليها والاول اصح وعليه يدل شعر العرب وذلك لان الرجل ربما اجد في الميسر قدحين فيفوز باجزاء الجزور

مثل ان ياخذ المعلى والرقيب فاذا ضرب الحرضة خرج له احدهما ففاز بحظه ثم اذا ضرب الثانية خرج له الاخر فيفوز بساير
الجزور ولو كان السهام والانصباء على ما ذكروا لم يفز صاحب سهمين بساير الانصباء اذ لا تذهب الانصباء الا بفراغ القداح ومما يدل
على فوز صاحب السهمين بالكل قول امرء القيس ، وما ذرفت عيناك الا لتضربي ، بسهميك في اعشار قلب مقتل ، يقول
تضرب بسهميها المعلى والرقيب فتحوز القلب كله ومن هذا قول كثير ووصف ناقة هزلها السير حتى اذهب لحمها ،
، وتوبن من نص الهواجر والسرى ، بقدحين فازا من قداح المقعقع ، يقول هذه الناقة هزلها السير حتى لم يبق من لحمها شي
فكانه ضرب عليها بالقداح ففاز منها قدحان فاستوليا على اعشارها وهو الرقيب والمعلى انتهى هكذا ذكر شرح قول كثير ورايت
على حاشية نسخة من كتابه ما لعله اليق وذلك انه قال اي يظن بها فضل على الابل في سيرها بعد نص الهواجر والسرى لصبرها
وكربها وشدتها كفضل رجل فاز قدحه مرتين على قداح اصحابه والمقعقع هو الذي يحيل القداح انتهى وهو اقرب مما قاله لان
قوله توبن بقدحين فاز ظاهره فان القدحين لها وانها هي الفايزة والله الموفق هذا وقوله لا معنى للتقامر عليها على تقدير
التجزية بثمانية وعشرين ليس كذلك بل تظهر ثمرته في التفاوت في الانصباء وذلك بان يكون السهام وهي القداح عشرة فانه لما
قال ان الاجزاء تكون ثمانية وعشرين لم يقل انها على عدد السهام حتى يكون السهام ثمانية وعشرين بل قال انها على عدد الفروض
التي في السهام وقد علم انها عشرة وبه صرح صاحب الزينة وغيره عن الاصمعي كما مضى وهو ممن قال بهذا القول فحينئذ من خرج له
المعلى مثلا اخذ سبعة انصباء من ثمانية وعشرين فيكون اكثر حظا ممن خرج له ما عليه ستة فروض فما دونها وقوله ان
الرجل ربما اخذ قدحين الى اخره يبين وجها اخر من التفاوت وهو ان الرجل ربما خرج له سهم واحد لاعتراض السهام وتحرفها
عن سنن الاستقامة حال الخروج وربما خرج له سهمان او ثلثة في افاضة واحدة لاستقامة السهام واعتدالها للخروج ففاز
بمعظم الجزور وذلك بان تكون الرجال اقل من السهام وربما خرج له اكثر من ذلك مع الوفاء للثمن بينهم على السواء وهذا الوجه
يتاتى ايضا بتقدير ان تكون السهام والرجال على عدد الاجزاء لانحصار الفوز فمن خرج له سهام سواء كانت على عددهم او اكثر
وانحصار الغرم فيمن لم يخرج له سهم على تقدير ان يخرج لغيره عدد من السهام وبتقدير ان يخرج لكل واحد يكون قمارا ايضا لان
كل واحد منهم غير واثق بالفوز ويكون فايدة ذلك حينئذ للفقراء ومن قال ان من خرج له شي من السهام الثلثة الاغفال يغرم
كان القمار عنده لازما في كل صورة بكل تقدير والله اعلم ولما ذكر ما يذهب ضياء الروح وقوام البدن وذم النفقة فيهما
اقتضى الحال السؤال عما يمدح الانفاق فيه فقال عاطفا على السؤال عن المقتضي لتبذير المال ويسئلونك ماذا ينفقون
واشعر تكرير السؤال عنها بتكرير الواردات المقتضية لذلك فانباء ذلك يعظم شانها لانها اعظم دعائم الجهاد وساق ذلك
سبحانه على طريق العطف لانه لما تقدم السؤال عنه والجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين الاية منع من توقع سؤال اخر واما
اليتامى والمحيض فلم يتقدم ما يوجب توقع السؤال عن السؤال عنهما اصلا وادعا ان سبب العطف النزول جملة وسبب القطع
النزول مفرقا مع كونه غير شاف للغلة بعد بيان الحكمة يرده ما ورد ان اخر اية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وهي
بالواو اخرجه البيهقي في الدلايل والواحدي من وجهين في مقدمة اسباب النزول وترجم لها البخاري في الصحيح ومن تتبع
اسباب النزول وجد كثيرا من ذلك وقال الحرالي في العطف انباء بتاكد التلدد مرتين كما في قصة بني اسرايل لكن ربما
تخوفت هذه الامة من ثالثتها فوقع ضمهم عن السؤال في الثالثة لتقاصر ما يقع في هذه الامة عما وقع في بني اسرايل بوجه
ما وقال تعالى في الجواب قل العفو وهو ما سمحت به النفس من غير كلفة قال فكانه الزم النفس نفقة العفو وحرضها
على نفقة ما ينازع فيه ولم يلزمها ذلك لئلا يشق عليها لما يريده بهذه الامة من اليسر فصار المنفق على ثلاث رتب رتبة
حق مفروض لا بد منه وهي الصدقة المفروضة التي امساكها هلكة في الدنيا والاخرة وفي مقابلته عفو لا ينبغي الاستمساك
به لسماح النفس به فمن امسكه تلف امساكه وفيما بينهما ما تنازع النفس امساكه فيقع لها المجاهدة في انفاقه وهو متجرها
التي تشتري به الاخرة من دنياها قالت امراة للنبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لنا من اموال ازواجنا تسئل عن الانفاق منها
قال الرطب بضم الراء وسكون الطاء تاكلينه وتهدينه لانه من العفو الذي يضر امساكه بفساده لان الرطب هو ما اذا ابقي
من يوم الى يوم تغير كالعنب والبطيخ وفي معناه الطبايخ وساير الاشياء التي تتغير بمبيتها انتهى وفي تخصيص المنفق بالعفو
منع لمتعاطي الخمر قبل حرمتها من التصرف اذا كان الاغلب ان تكون تصرفاته لا على هذا الوجه لان حالة السكر غير معتد بها
والتصرف فيها يعقب في الاغلب عند الافاقة اسفا وكذا الميسر بل هو اغلظ ولعل تاخير بيان ان المحثوث عليه من النفقة
انما هو الفضل الى هذا المحل ليحمل اهل الدين الرغبة فيه مع ما كانوا فيه من الضيق على الايثار على النفس من غير امر به رحمة
لهم ومن اعظم الملوحات الى ذلك ان في بعض الايات الذاكرة له فيما سلف واتى المال على حبه قال الاصبهاني رحمه الله قال
اهل التفسير رضي الله عنهم كان الرجل بعد نزول هذه الاية اذا كان له ذهب او فضة او زرع او ضرع ينظر ما يكفيه وعياله
لنفقة سنة امسكه وتصدق بساير ذلك فان كان ممن يعمل بيده امسك ما يكفيه وعياله يومه ذلك وتصدق بالباقي حتى
نزلت اية الزكوة فنسخت هذه الاية ولما بين الاحكام الماضية في هذه السورة احسن بيان وفصل ما قص من جميع ما اراد
ابدع تفصيل لا سيما امر النفقة فانه بينها من اول السورة الى هنا في انواع من البيان على غاية الحكمة والاتقان كان موضع
سؤال هل يبين لنا ربنا غير هذا من الايات كهذا البيان فقال كذلك اي مثل ما مضى من هذا البيان العلي الرتبة البعيد المنال
عن منازل الارذال يبين الله اي الذي له جميع صفات الكمال لكم جميع الايات قال الحرالي فجمعها لانها ايات من جهات مختلفات لما يرجع

بلغ مقابلة

في قوله

لامر القلب وللنفس وللجسم وكمال المرء مع غيره انتهى وافرد الخطاب اولا وجمع ثانيا اعلاما بعظمة هذا القول للاقبال به
على الراس وايماء الى انه صلى الله عليه وسلم قد امتلا علما من قبل هذا بحيث لا يحتاج الى زيادة وان هذا البيان انما هو للاتباع
يتفهمونه على مقادير افهامهم وهممهم ويجوز ان يكون الكلام تم بكذلك اي البيان ثم استانف ما بعده فيكون البيان مذكورا مرتين
مرة في خطابه تلويحا واخرى في خطابهم تصريحا او يقال اشار الى علو الخطاب بالافراد والى عمومه بالجمع لعلكم تتفكرون اي
لتكونوا على حالة يرجى لكم معها التفكر وهو طلب الفكر وهو يد النفس التي تنال بها المعلومات كما ينال بيد الجسم المحسوسات
قاله الحرالي ولما كان البيان من اول السورة الى هنا قد سقي في امور الدارين وكفى واوضح ثمرات كل منهما وكان العرب ينكرون
الاخرة شاق ذكرها مشاق بالانزاع فيه لكثرة ما دل عليها فقال في الدنيا والاخرة اي في امورهما فتعلموا بما فتح لكم سبحانه
من الابواب وما اصل لكم من الاصول ما هو صالح وما هو اصلح وما هو شر وما هو اشر لتفعلوا الخير وتتقوا الشر فيؤول
بكم ذلك الى فوز الدارين ولما كان العفو غير مقصور على المال بل يعم القوى البدنية والعقلية وكان النفع لليتيم من اجل
ما يرشد اليه التفكر في امور الاخرة وكان الجهاد من اسباب القتل الموجب لليتم وكانوا يلون يتاماهم فنزل التحريج الشديد في
اكل اموالهم فجانبوهم واشتد ذلك عليهم سالوا عنهم فافتاهم سبحانه فيهم وندبهم الى مخالطتهم على وجه الاصلاح الذي لا يكون لمن
يتعاطى الخمر والميسر فقال ويسئلونك عن اليتامى اي في ولايتهم لهم وعملهم في اموالهم واكلهم منها ونحو ذلك مما يعسر حصره
وامره بالجواب بقوله قل اصلاح لهم خير اي من تركه ولا يخفى الاصلاح على ذي لب فجمع بهذا الكلام اليسير المضبوط بضابط
العقل الذي اقامه تعالى حجة على خلقه ما لا يكاد يعد وفي قوله لهم ما يشعر بالحث على تخصيصهم بالنظر في احوالهم ولو ادى
ذلك الى مشقة على الولي ولما كان ذلك قد يكون مع مجانبتهم وكانوا قد يرغبون في نكاح يتيماتهم قال وان تخالطوهم اي
بنكاح او غيره ليصير النظر في الصلاح مشتركا بينكم وبينهم لان المصالح صارت كالواحدة قال الحرالي وهي رتبة دون الاولى
والمخالطة مفاعلة من الخلطة وهي ارسال الاشياء التي شانها الانكفاف بعضها في بعض كانه رفع التحاجز بين ما شانه ذلك
فاخوانكم جمع اخ وهو الناشي مع اخيه من منشا واحد على السواء بوجه ما انتهى اي فعليكم من مناصحتهم ما يقودكم الطبع اليه
من مناصحة الاخوان ويحل لكم من الاكل من اموالهم بالمعروف ما يحل من اموال اخوانكم قالت عايشة رضي الله عنها اني لاكره
ان يكون مال اليتيم عندي كالغدة حتى اخلط طعامه بطعامي وشرابه بشرابي قالوا واذا كان هذا في اموال اليتامى واسعا كان
في غيرهم اوسع وهو اصل شاهد لما يفعله الرفاق في الاسفار يخرجون النفقات بالسوية ويتباينون في قلة المطعم وكثرته
نقله الاصبهاني رحمه الله ولما كان ذلك مما قد يدخل فيه الشر الذي يظهر فاعله انه لم يرد به الا الخير وعكسه قال مرعبا
مرهبا والله الذي له الاحاطة بكل شي يعلم اي في كل حركة وسكون ولما كان الورع مندوبا اليه محثوثا عليه لا سيما في امر
اليتامى فكان التحذير بهذا المقام اولى قال المفسد اي الذي الفساد صفة له من المصلح فاتقوا الله في جميع الامور ولا تجعلوا
خلطتكم اياهم ذريعة الى اكل اموالهم ولما كان هذا امرا لا يكون في بابه امر اصلح منه ولا ايسر من عليهم بشرعه في قوله
ولو شاء الله اي بعظمة كماله لاعنتكم اي كلفكم في امرهم وغيره ما يشق عليكم مشقة لا تطاق فحد لكم حدودا وعينها يصعب
الوقوف عندها والزمكم لوازم يعسر تعاطيها من الاعنات وهو ايقاع العنت وهو اسراع الهلاك الذي يفحش نعته قاله
الحرالي ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الملك الاعظم عزيز يقدر على ما يريد حكيم بحكمه بحيث لا يقدر احد على نقص شي منه ولما
ذكر تعالى فيما مر حل الجماع في ليل الصيام واتبع ذلك من امره ما اراد الى ان ذكر المخالطة على وجه يشمل النكاح في سياق مانع
من الفساد داع الى الصلاح وختم بوصف الحكمة وكان النكاح من اخطر المخالطة في النفقة وغيرها وكان الانسان جهولا تولى
سبحانه بحكمته تعريفه ما يصلح له وما لا يصلح من ذلك واخر امر النكاح عن بيان ما ذكر من الاكل والشرب في ليل الصيام
لان الضرورة اليهما اعظم وقدمه في اية الصيام لان النفس اليه اميل فقال عاطفا على ما دل العطف على غير مذكور على ان
تقديره فخالطوهم وانكحوا من تلونه من اليتيمات على وجه الاصلاح ان اردتم ولا تنكحوا قال الحرالي مما منه النكاح وهو ايلاج
نهد في فرج ليصيرا بذلك كالشي الواحد انتهى وهذا اصله لغة والمراد هنا العقد لانه استعمل في العقد في الشرع وكثر
استعماله فيه وغلب حتى صار حقيقة شرعية فهو في الشرع حقيقة في العقد مجاز في الجماع وفي اللغة بالعكس وسياتي
عند حتى تنكح زوجا غيره عن الفارسي قرينة يعرف بها مراد اهل اللغة المشركات اي الوثنيات والاكثر على ان الكتابيات
مما شملته الاية ثم خصت باية والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم حتى يومن فان المشركات شر محض ولامة رقيقة
مومنة لان نفع الايمان امر ديني يرجع الى الاخرة الباقية خير على سبيل التنزل من مشركة حرة ولو اعجبتكم اي المشركة
لان نفع نسبها ومالها وجمالها يرجع الى الدنيا الدنية الفانية قال الحرالي فانتظمت هذه الايات في تبيين خير الخيرين
وترجيح امر الغيب في امر الدين والعقبى في ادنى الاماء من المومنات خلقا وكونا وظاهر صورة على حال العين في امر العاجلة من
الدنيا في اعلى الحراير من المشركات خلقا وظاهر صورة وشرف انتهى ولا تنكحوا ايها الاولياء المشركين اي الكفار باي كفر
كان شيا من المسلمات حتى يومنوا فان الكفار شر محض ولعبد اي مملوك مومن خير على سبيل التنزل من مشرك
حر ولو اعجبكم اي المشرك وافهم هذا خيرية الحرة والحر المومنين من باب الاولى مع التشريف العظيم لهما بترك ذكرهما
اعلاما بان خيريتهما امر مقطوع به لا كلام فيه وان المفاضلة انما هي بين من كان يعدونه دنيا فشرفه الايمان وبين من يعدونه
شريفا فحقره الكفران ولذلك ذكر الموصوف بالايمان في الموضعين ليدل على انه ان كان دنيا موضع التفضيل لعلو وصفه

في السوال

بيت

واثبت الوصف بالشرك في الموضعين مقتصرا عليه لانه موضع التحقير وان علا في العرف موصوفه ولما كانت مخالطة اهل الشرك
مظنة الفساد الذي ربما ادى الى التهاون بالدين فربما دعا الزوج زوجه الى الكفر فقاده الميل الى اتباعه قال منبها على ذلك ومعللا
لهذا الحكم اولئك اي الذين هم اهل للبعد من كل خير يدعون الى النار اي الافعال المؤدية اليها ولا بد فربما ادى الحب الزوج المسلم
الى الكفر ولا عبرة باحتمال ترك الكافر للكفر واسلامه موافقة للزوج المسلم لان درء المفاسد مقدم وسياتي في المائدة عند قوله
تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله لذلك مزيد بيان ولما رهب من اهل الشرك حثا على البغض فيه رغب في الاقبال اليه سبحانه
بالاقبال على اوليائه بالحب فيه وبغير ذلك فقال والله اي بعز جلاله وعظمة كماله يدعوا اي بما يامر به الى الجنة اي الافعال المؤدية
اليها ولما كان ربما لا يوصل الى الجنة الا بعد القصاص قال والمغفرة اي الى ان يفعلوا ما يؤدي الى ان يغفر لهم ويهذب نفوسهم
بحيث يصيرون الى حالة سنية يغفرون فيها للناس ما اتوا اليهم ولما كان الدعاء قد يكون بالحمل على الشيء وقد يكون بالبيان بحيث
يصير المدعو اليه متهيئا للوصول اليه قال باذنه اي بتمكينه من ذلك لمن يريد سعادته ويبين اياته في ذلك وفي غيره للناس
كافة لمن اراد سعادته وغيره لعلهم يتذكرون اي ليكونوا على حالة يظهر لهم بها بما خلق لهم وبهم من الفهم وما طبع في انفسهم
من الغرائز حسن ما دعاهم وقبح ما نهاهم عنه غاية الظهور بما فيه الاظهار ولما كان في ذكر هذه الاية رجوع الى تتميم ما احل من
الرفث في ليل الصيام على احسن وجه تلاها بالسؤال عن غشيان الحائض ولما كان في النكاح شائبة للجماع تثير السؤال عن
احواله وشائبة للانس والانتفاع تفتر عن ذلك كان نظم اية الحرث باية العقد بطريق العطف السبب منه بطريق الاستئناف
فقال ويسئلونك عن المحيض اي عن نكاح النساء فيه مخالفة لليهود قال الحرالي وهو مفعل من الحيض وهو معاهدة اندفاع
الدم العفن الذي هو في الدم بمنزلة البول والعذرة في فضلتي الطعام والشراب من الفرج قل هو اذى اي مؤذ للجسم والنفس لان
فيه اختلاط النطفة بركس الدم الفاسد العفن قاله الحرالي وقال حتى انه يقال ان التي توطأ وهي حائض يقع في ولدها من الآفات
انواع انتهى ولهذا سبب سبحانه عنه قوله فاعتزلوا النساء اي كلفوا انفسكم ترك وقاعهن من الاعتزال وهو طلب العزل
وهو الانفراد مما شانه الاشتراك قاله الحرالي في المحيض اي زمنه واظهره لئلا يلبس لو اضمر بان الضمير لمطلق المراد بالاذى
من الدم فيشمل الاستحاضة وهي دم صالح يسيل من عرق ينفجر من عنق الرحم فلا يكون اذى كالحيض الذي هو دم فاسد يتولد من
طبيعة المراة من طريق الرحم ولو احتبس لمرضت المراة فهو كالبول والغائط فيحل الوطء معه دون الحيض لاسقاط العسر قاله
الامام ولا تقربوهن اي في محل الاتيان بجماع ولا مباشرة فيما دون الازار وانما تكون المباشرة فيما علا عن الازار حتى ولما كان
فيه ما اشير اليه من الركس قال يطهرن اي بانقطاعه وذهاب ابانه والغسل منه والذي يدل على ارادة ذلك مع قراءة
التشديد قوله تعالى فاذا تطهرن اي اغتسلن فالوطء له شرطان الانقطاع والاغتسال وربما دلت قراءة التخفيف على جواز
القربان لا الاتيان وذلك بالمباشرة فيما سفل عن الازار فأتوهن اي جماعا وخلطه مبتدئين من حيث امركم الله اي الذي له
صفات الكمال وهو القبل على اي حالة كان ذلك ولما دل ما في السياق من تاكيد على ان بعضهم عزم او احب ان يفعل بعض
ما تقدم النهي عنه علل بقوله ان الله مكرر الاسم الاعظم تعظيما للمقام ولم يضمر اعلاما بان هذا حكم عام لما يقع من معرة بسبب
الحيض او غيره يحب اي بما له من الاختصاص بالاحاطة بالاكرام وان كان مختصا بالاحاطة بالجلال التوابين اي الرجاعين عما
كانوا عزموا عليه من ذلك ومن كل ذنب اوجب لهم نقص الانسانية ولا سيما شهوة الفرج الالمام به كلما وقعت منهم زلة احدثوا
لها توبة لان ذلك من اسباب اظهاره سبحانه صفة الحلم والعفو والجود والرحمة والكرم لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون
ويستغفرون فيغفر لهم واذا احب من يتكرر منه التوبة بتكرار المعاصي فهو في التائب الذي لم يقع منه بعد توبته زلة
ان كان ذلك يوجد احب وفيه ارغب وبه ارحم ولما كان ذلك مما يعز التخلص من اشراكه اما في تجاوز ما في المباشرة او في
الجماع اولا او آخرا اتى بصيغة المبالغة قال الحرالي تانيسا لقلوب المتحرجين من معاودة الذنب بعد توبة منه اي ومن
معاودة التوبة بعد الوقوف في ذنب فان لما يخشى العاصي من ان يكتب عليه كذبه كلما احدث توبة وزال بعدها فيعد مستهزئا
فيسقط من عين الله ثم لا يبالي به فيوقفه ذلك عن التوبة ولما كانت المخالطة على الوجه الذي نهى الله عنه قذرة جدا
اشار الى ذلك بقوله ويحب ولما كانت شهوة النكاح وشدة الشبق جديرة بان تغلب الانسان الا بمزيد مجاهدة منه
اظهرتا التفعل فقال المتطهرين اي الحاملين انفسهم على ما يشق من امر الطهارة من هذا او غيره وهم الذين يبالغون ورعا في
البعد عن كل مشتبه فلا يواقعون حائضا الا بعد كمال التطهر اي يفعلون معهم من الاكرام فعل المحب وكذا كل ما يحتاج الى اظهاره
حسية او معنوية ولما بين سبحانه الماتي في الاية السالفة نوع بيان اوضحه مشيرا الى ثمرة النكاح الناهية لكل ذي لب
عن السفاح فقال نساؤكم اي اللاتي هن حل لكم بعقد او ملك يمين ولما كان القاء النطفة التي يكون منها النسل كالقاء
البذر الذي يكون منه الزرع شبههن بالمحارث دلالة على ان الغرض الاصيل طلب النسل فقال مسميا موضع الحرث
باسمه موقعا اسم الجزء على الكل موحدا لانه جنس حرث لكم فاوضح ذلك قال الحرالي ليقع الخطاب بالاشارة اي في الاية
الاولى لاولي الفهم وبالتصريح اي في هذه لاولي العلم لان الحرث كما قال بعض العلماء انما يكون في موضع الزرع انتهى وفي تخصيص
الحرث بالذكر وتعميم جميع الكيفيات الموصلة اليه بقوله فأتوا حرثكم اي الموضع الصالح للحراثة انى اي من امن وكيف
شئتم اشارة الى تحريم ما سواه لما فيه من العبث بعدم المنفعة قال الثعلبي الادبار موضع الفرث لا موضع الحرث ولما
كانت هذه امورا خفية لا يحمل على صالحها ويحجز عن فاسدها الا محض الورع قال وقدموا اي اوقعوا التقديم ولما كان السياق

للجماع وهو من شهوات النفس قال مشيرا الى الزجر عن اتباعها كل ما تهوى لانفسكم اي من هذا العمل وغيره من كل ما يتعلق
بالشهوات ما اذا عرض على من تهابونه وتعتقدون خيره افتخرتم به عنده وذلك بان تصرفوا مثلا هذا العمل عن محض الشهوة
الى قصد الاعفاف وطلب الولد الذي يدوم به صالح العمل فيتصل الثواب ومن التقديم التسمية عند الجماع على ما وردت به
السنة صرح به الحبر بن عباس رضي الله عنهما على ما نقل عنه ولما كانت افعال الانسان في الشهوات تقرب من فعل من عنده شك
احتيج الى مزيد وعظ فقال واتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين ما يكرهه الملك الاعظم من ذلك وغيره وقاية من الحلال
او المشتبه وزاد سبحانه في الوعظ والتحذير بالتنبيه بطلب العلم وتصوير العرض فقال واعلموا انكم ملاقوه وهو سائلكم
عن جميع ما فعلتموه من دقيق وجليل وصالح وغيره فلا تقعوا فيما تستحيون منه اذا سالكم فهو اجل من كل جليل قال الحرالي
وفيه اشعار بما يجري في اثناء ذلك من الاحكام التي لا يصل اليها احكام حكام الدنيا مما لا يقع الفصل فيه الا في الاخرة من حيث
ان امر ما بين الزوجين سر لا يفشى قال صلى الله عليه وسلم لا يسئل الرجل فيم ضرب امراته وقال لا احب للمراة ان تشكو زوجها
فانبا تعالى ان امر ما بين الزوجين موخر حكمه الى لقاء الله عز وجل حفيظه على ما بين الزوجين ليبقى سرا لا يظهر امره الا الله وفي
اشعاره ابقاء للمروة في ان لا يحتكم الزوجان عند حاكم في الدنيا وان يرجع كل واحد منهما الى تقوى الله وعلمه بلقاء الله انتهى
ولما كان هذا لا يعقله حق عقله كل احد اشار الى ذلك بالالتفات الى اكمل الخلق فقال عاطفا على ما تقديره فانذر المكذبين
فعلا او قولا قوله تعالى وبشر المومنين اي الذين صار لهم الايمان وصفا راسخا تهيا وابه للمراقبة وهو اشارة الى
ان مثل هذا من باب الامانات لا يحجز عنه الا الاخلاص في الايمان والتمكن فيه ولما اذن في اتيان النساء في محل الحرث كيف
اتفق ومنع مما سوى ذلك ومنع من محل الحرث في حال الحيض بين حكم ما اذا منع الانسان نفسه من ذلك بالايلاء او بمطلق
اليمين ولو على غير سبيل الايلاء لانه نقل عن كثير منهم شدة الميل الى النكاح فكان يخشى المواقعة في حال المنع فتحمله شدة
الورع على ان يمنع نفسه بمانع مظاهرة كما بين في سورة المجادلة او غيرها من الايمان فمنعهم من ذلك بقوله تعالى عادلا عن
خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم تعظيما لمقامه ولا تجعلوا الله اي الذي لا شي يداني جلاله وعظمته وكماله عرضة اي
معرضا لايمانكم فيكون في موضع ما يمتهن ويبتذل فان ذلك اذا طال حمل على الاجتراء على الكذب فجر الى اقبح الاشياء
قال الحرالي والعرضة ذكر الشي واخذه على غير قصد له ولا صمد نحوه بل له صمد غيره ان اي لاجل ان تبروا في اموال
اليتامى وغيرها مما تقدم الامر به او النهي عنه وتتقوا اي تحملكم ايمانكم على البر والاتساع في كل خلق جميل والتقوى
وهي التوغل في خوف الله تعالى وتصلحوا بين الناس فتجعلوا الايمان لكم ديدنا فتحلفون تارة ان تفعلوا وتارة ان لا تفعلوا
لالزام انفسكم بتلك الاشياء فان من لا ينقاد الى الخير الا بقايد من يمين او غيرها ليس بصادق العزيمة وفي الامثال فرس
لا يجري الا بمهماز بئس الفرس ولما ارشد السياق والعطف على غير مذكور الى ان التقدير فالله جليل عظيم عطف عليه قوله
والله اي بما له من العز والعظمة سميع لجميع ما يكون من ذلك وغيره عليم بما اسر منه وما اعلن فاحذروه في جميع ما يامركم
به وينهاكم عنه ويجوز ان يكون الجملة حالا من واو تجعلوا فلا يكون هناك مقدر ويكون الاظهار موضع الاضمار لتعظيم المقام
ولما تقدم اليهم سبحانه في هذا وكانت السنتهم قد مرنت على الايمان من غير قصد بحيث صاروا لا يقدرون على ترك ذلك
الا برياضة كبيرة ومعالجة طويلة وكان مما رحم الله به هذه الامة العفو عما اخطات به ولم تتعمده قال في جواب من كانه
سال عن ذلك لا يواخذكم اي لا يعاقبكم وحقيقته يعاملكم معاملة من يناظر شخصا في ان كلا منهما يريد اخذ الاخر بذنب
اسلفه اليه الله فكرر في الاطلاق والعفو الاسم الاعظم الذي ذكره في التقييد والمنع ايذانا بان عظمته لا تمنع من المغفرة
باللغو وهو ما تسبق اليه الالسنة من القول على غير قصد اليه قاله الحرالي في ايمانكم فان ذلك لا يدل على الامتهان
بل ربما دل على المحبة والتعظيم ولما بين ما اطلقه بين ما منعه فقال ولكن يواخذكم والعبارة صالحة للاثم والكفارة
ولما كان الحامل على اليمين في الاغلب المنافع الدنيوية التي هي الرزق وكان الكسب يطلق على طلب الرزق وعلى القصد
والاصابة عبر به فقال بما كسبت اي تعمدت قلوبكم فاجتمع فيه مع اللفظ النية قال الحرالي ليكون ذلك عزما
باطنا وقولا ظاهرا فيواخذ باجتماعهما ففي جملته ترفيع لمن لا يحلف بالله في عزم ولا لغو وذلك هو الذي حفظ حرمة
الحلف بالله وفي مقابلته من يحلف على الخير ان لا يفعله انتهى ولم يبين هنا الكفارة صريحا اشارة الى انهم ينبغي ان يكونوا
اتقى من ان يمنعوا من شي فيقارفوه واشار اليها في الايلاء كما ياتي ولما كان ذكر المواخذة مقطعا لقلوب الخايفين
سكنها بقوله مظهرا موضع الاضمار اشارة الى ان رحمته سبقت والله اي مع ما له من العظمة غفور اي ستور
لذنوب عباده اذا تابوا ولما كان السياق للمواخذة التي هي معالجة كل من المتناظرين لصاحبه بالاخذ كان الحلم انسب
الاشياء لذلك فقال حليم لا يعاجلهم بالاخذ والحلم احتمال الاعلى للادنى من الادنى وهو ايضا رفع المواخذة عن مستحقها
بجناية في حق مستعظم قاله الحرالي ولما كان الايلاء حلفا مقيدا وبين حكم مطلق اليمين مثله ليقدم المطلق
على المقيد بانفكاكه عنه بينه دليلا على حلمه حيث لم يواخذهم به فقد كانوا يضارون به النساء في الجاهلية بان
يحلفوا على عدم الوطء ابدا فتكون المراة لا ايما ولا ذات بعل فيه مرجعا يرجعون اليه فقال في جواب من كانه سال
عنه لما اشعر به ما تقدم للذين يولون اي يحلفون سواء كانوا احرارا او عبيدا او بعضا وبعضا في حال الرضى او الغضب
مجبوبا كان او لا لان المضارة حاصلة بيمينه حلفا مبتديا من نسائهم في صلب النكاح او علقه الرجعة بما افادته الاضافة

غضبه

وجل لهم

وتشديد من حلفنا منذ امنا من نسائهم
فيطلقن بمضي المدة
الرجعة بمضي ثلاثة اقراء
الطلاق بمضي اربعة اشهر
ايلاء

بان لا يجامعوهن ابدا او فوق اربعة اشهر فالتعدية بعن تدل على اخذي البعد عنهن قال الحرالي والايلاء تاكيد الحلف وتشديده
التربص اي امهال وتمكث يحمل فيه الصبر الذي هو مقلوبه لفظه انتهى اربعة اشهر فيتظر فيها رجوعهم باليمين حلما من الله تعالى حيث
لم يجعل الامر بتاخير الحلف بفراق او وفاق قال الحرالي ولما كان لتخلص المراة من الزوج اجل عدة كان اجلها مع امر هذا التربص كانه
والله اعلم هو القدر الذي تصبر المراة عن زوجها يذكر ان عمر رضي الله عنه سال النساء عن قدر ما تصبر المراة عن الزوج فاخبرته
انها تصبر ستة اشهر فجعل ذلك امدا للبعوث فكان التربص والعدة قدر ما تصبره المراة عن زوجها وقطع سبحانه بذلك
ضرار الجاهلية في الايلاء الى غير حد انتهى وفيه تصرف ولما كان حالهم بعد ذلك مرددا بين تعالى تسميه فقال مفصلا له فان
فاؤوا اي رجعوا في الاشهر او عقبها عن المفاصلة الى المواصلة من الفيء وهو الرجوع الى ما كان منه الانبعاث فان الله يغفر
لهم ما قارفوه في ذلك من اثم وعد حمهم بانجاح مقاصدهم لانه غفور رحيم له هاتان الصفتان ينظر بهما الى من يستحقهما
فيغفر ما في ذلك من جناية منهما او من احدهما ان شاء ويعامل بعد ذلك بالاكرام قال الحرالي وفي مورد هذا الخطاب باسناد
للازواج ما يظافر معنى اجرا امور النكاح على ستره واعراض عن حكم الحكام من حيث جعل التربص له والفيء منه فكان الحكم من
الحاكم انما يقع على من هتك حرمة ستر احكام الازواج التي يجب ان تجري بين الزوجين من ورا استركما هو سر النكاح الذي هو
سبب جمعهما ليكون حكم السر سرا وحكم الجهر جهرا انتهى ولما كان الحال في مدة الايلاء سببا بحالي الطلاق ولبس به قال
مبينا ان الطلاق لا يقع بمجرد مضي الاربعة الاشهر بل اما ان يفيء او يطلق فان ابى طلق عليه الحاكم وان عزموا الطلاق فان الله
العزم من غير حرف جر بمعنى انهم تركوا اماكنا توافيه من الزيادة وجعلوا الطلاق عزيمة وافعا من غير مجهد ولا ستر والعزم
الاجماع على انفاذ الفعل والطلاق هو في المعنى بمنزلة اطلاق الشيء من اليد الذي يمكن اخذه بعد اطلاقه قاله الحرالي ولما
كان المطلق ربما ندم فحمله المشقق على انكار الطلاق ذهبة بقوله فان الله اي الملك الذي له الجلال والاكرام سميع اي لعبارتهم
عنه قال الحرالي في اشارته اعلام بان الطلاق لا بد له من ظاهر لفظ يقع مسموعا انتهى عليم اي به وبنيتهم فيه قال الحرالي
وفيه تهديد بما يقع في الانفس والبواطن من المضارة والمضاجرة بين الازواج في امور لا تاخذها الاحكام فكما يمكن ان يصل
الى علمها الحكام فجعلهم امناء على انفسهم فيما بطن وظهر ولذلك راي العلماء ان الطلاق امانة في ايدي الرجال كما ان العدد والاستبرا
امانة في ايدي النساء فلذلك انتظمت اية تربص المراة في عدتها باية تربص الزوج في ايلائه انتهى وبقي من احكام الايلاء ان من
فاء ضده الى ان من تكينه يعامل بضد مما حكمه معروف في الفقه والله الموفق ولما ختم ايتي الايلاء بالطلاق بين عدته
فقال وقال الحرالي لما ذكر تربص الزوج في امر الطلاق الذي هو امانته ذكر تربص المراة في امر العدة التي هي امانتها فقال
والمطلقات اي المدخول بهن بما افهمه الايلاء من ان الكلام فيهن غير الحوامل لان عدتهن بالولادة وغير ذوات الاشهر لصغر
او كبر ولما اريد التاكيد لامرهن بالعدة سيق بعد تاكيده ببنائه على المبتدا في صيغة الخبر الذي من شانه ان يكون قد وجد
وانقضى ايما الى المسارعة الى امتثاله فقيل يتربصن اي ينتظرن اقتداء ولما كانت النفس داعية الى الشهوات لا سيما انفس النساء
الى الرجال وكان التربص عاما في النفس بالعقد لزوج آخر وفي التعرض له بالكحال وتزين وتعرض بكلام مع البينونة وبغير ذلك
جعل الاول معبرا بالنفس هذا الى الاحتياط في اكمال التربص والاستحياء مما يوهم الاستجال فقال بانفسهن فلا يطمعنها في
مواصلة رجل قبل انقضاء العدة ولما كان القرء مشتركا بين الطهر والحيض وكان الاقراء مشتركا بين جمع كل منهما وكان الطهر
محتملا عند جمع من اهل اللغة بان يجمع على قروء وكان مذكرا يؤنث عدده وكانت الجبهة مؤنثة يذكر عددها دل على ان المراد
الاطهار بما يخصه من الجمع وبتانيث عدده فقال ذاكرا طرف التربص ثلاثة قروء اي جموع من الدم وسياتي في اول
سورة الحجرات هذه المادة باي ترتيب كان تدور على الجمع وان المراد بالقروء الاطهار لانها زمن جمع الدم حقيقة واما زمن
الحيض فانما يسمى بذلك لانه سبب تحقق الجمع والمشهور من كلام اهل اللغة ان جمع القرء بمعنى الطهر اقراء وقروء وان جمعه اذا
اطلق على الحيض اقرا فقط وذلك لان المادة لما كانت للجمع وكانت ايام الطهر هي المتحققة بذلك وكان جمع الكثرة اغرق في
الجمع كان بالطهر اولى وقال الحرالي قروء جمع قرء وهو الحد الفاصل بين الطهر والحيض الذي يقبل الاضافة الى كل واحد
منهما ولذلك ما تعارضت في تفسير لغته تفاسير اللغويين واختلف في معناه اقوال العلماء لخفاء معناه بما هو حد بين الحالين
كالحد الفاصل بين الظل والشمس فالقروء الحدود وذلك حين تطلق المراة لعقل عدتها في طهر لم تمس فيه ليطلقها على طهر
براءة من علقتها ليلا يطلق على ما لم ينطلق عنه فاذا انتهى الطهر وابتداء الحيض كان ما بينهما قرءا الان القرء استكمال جمع الحيض
حين يتعفن فما لم يفته الى الخروج لم يتم قرءا فاذا طهرت الطهر الثاني وانتهى الى الحيض كانا قرئين فاذا طهرت الطهر الثالث
وانتهى الى الحيض شاهد كمال القرء كان ثلثة اقراء فلذلك يعبر بمعناه عن حل المراة عند رؤيتها الدم من الحيضة الثالثة
لتمام عدة الاقراء الثلاثة فيوافق معنى من يفسر القرء بالطهر ويكون اقرب من تفسيره بالحيض فاحد الطهرين ظاهرا هو احد
الاستقراء للدم باطنا فيبعد تفسيره بالحيض مما هو تحقيقه من معنى الحد بعدا انتهى ولما كان النكاح انتهى الى الخبر ان
وكان حبك الشيء يعمي ويصم وكان النساء ارغب في ذلك مع ما بهن من النقص في العقل والدين وكانت العدة قد جعلت بما الى النساء
علمه من الاقراء اتم والموضع اخر مجعل امناء فيها لذلك فكان ذلك ربما حملهن على كتم ولد او ارادة زوج اخر لقصور العدة
والحاق الولد به او حيض لرغبة في رجعة المطلق قال سبحانه ولا يحل لهن اي المطلقات ان يكتمن ما خلق الله اي الذي له الامر

كله من ولد او دم في ارحامهن جمع رحم قال الحرالي وهو يشتمل على الولد من اعضاء النسل يكون فيه تخلقه من كونه نطفة الى كونه خلقا آخر انتهى وليس فيه دليل على ان الحمل يعلم انما نعلم امارته ولما كان معنى هذا الاخبار النهي ليكون ناتيا للحد بلفظه مثبتا للحرمة بمعناه تاكيدا له فكان التقدير ولا يكتمن قال مرغبا في الاستئثال مرهبا من ضده ان كن يؤمن بالله اي الذي له جميع العظمة واليوم الآخر الذي فيه تظهر عظمته اتم ظهور ويدين فيه العباد بما علموا الى فان كتمن شيا من ذلك دل على عدم الايمان وقال الحرالي في اشعاره اثبات نوع نفاق على الكاتمة ما في رحمها انتهى ولما كان الرجعي اخص الطلاق بين الرجعة تنبيها على انه كان ولا بد من الطلاق فليكن رجعيا فقال تعالى وبعولتهن اي ازواجهن جمع بعل قال الحرالي وهو الرجل المتهيئ لنكاح الانثى المتاتي له ذلك يقال على الزوج والسيد انتهى وفيه تعرف ولما كان للمطلقة حق في نفسها قال احق بردهن اي الى ما كان لهم عليهن من العصمة لابطال التربص وحرمة الاستمتاع من المطلقات بارادة السراح في ذلك اي في ايام الاقراء فاذا انقضت صارت احق بنفسها منهم بما لانقضاء حقه والكلام في الرجعية بدليل الآية التي بعدها ولما اثبت الحق لهم وكان منهم من يقصد الضرر فيه بقوله ان ارادوا اي بالرجعة اصلاحا وهذا تنبيه على انه ان لم يرد الاصلاح وارادت هي السراح كان في باطن الامر زانيا قال الحرالي الاصلاح لحلل ما بينها احق في علم الله وحكمه من افتتاح وصلة ثانية لان تذكر الماضي يحل بالحاضر مما حذرا النبي صلى الله عليه وسلم عنه نكاح اللعوب وبي التي لها ولد من زوج سابق فلذلك كان الاحق اصلاح الاولاد دون استفتاح وصلة الثاني انتهى ولما اخرج امر الرجعة عنهن جبرهن بقوله ولهن اي من الحقوق مثل الذي عليهن اي من كونه حسنة في نفسه على ما يليق بكل منهما لائقا في النوع فكما للرجال الرجعة قهرا فلهن العشرة بالجميل وكما لهم حبسهن فلهن ما يزيل الوحشة بمن يؤنس ونحو ذلك ولما كان كل منها قد يجور على صاحبه قال بالمعروف اي من حال كل منها قال الحرالي والمعروف ما اقره الشرع وقبله العقل ووافقه كرم الطبع انتهى ولما ذكر الرجعة له بصيغة الاحق وبين الحق من الجانبين بين فضل الرجال بقوله وللرجال اعم من ان يكونوا بعولة عليهن اي ازواجهن درجة اي فضل من جهات لا تخفى كالانفاق والمهر لان الدرجة المرقي الى العلو وقال الحرالي لما اوثروا به من رصانة العقل وتمام الدين انتهى فالرجل يزيد على المراة بدرجة من ثلاث لان كل امراتين بمنزلة رجل ولما اعز سبحانه الرجل وصف نفسه بالعزة مبتدیا بالاسم الاعظم الدال على كل كمال فقال مطمعا على ما تقدیره لان الله اعز منهم عليهن بحكمته والله اي الذي له كمال العظمة عزيز اشارة الى انه اعز بل لا عزيز الا هو يخشى كل من اعاره ثوب عز سطوته وقال حكيم تنبيها على انه ما فعل ذلك الا لحكمة بالغة تسلية للنساء وانما اوجده بعزته واتقنه بحكمته لا يمكن نقضه ولما ذكر الرجعة ولم يبين لها غاية تنتهي لها فكانت الآية كالمجمل عرض سؤال هل هي ممتدة كما كانوا يفعلون في الجاهلية متى راجعها في العدة له ان يطلقها ما دام يفعل ذلك ولو الف مرة ام منقطعة فقال الطلاق اي المحدث عنه وهو الذي تملك فيه الرجعة قال الحرالي لما كان الطلاق لما يتهيا رده قصر الحق تعالى على المرتين اللتين يمكن فيهما تلافي النكاح بالرجعة انتهى وقال تعالى مرتان دون طلقتان تنبيها على انه ينبغي ان تكون مرة بعد مرة كل طلقة في مرة لان جمعها في مرة ولما كان له بعد الثانية في العدة حالان اعمال واهمال وكان الاعمال اما بالرجعة واما بالطلاق بدا بالاعمال لانه الاولى بالبيان لانه اقرب الى ان يوذي به واخر الاهمال الى ان ينقضي العدة لانه مع فهمه من آية الاقراء سيصرح به في قوله في الآية الآتية او سرحوهن بمعروف فقال معقبا بالفاء فامساك اي ان راجعها في عدة الثانية قال الحرالي هو من المسك وهي احاطة تحبس الشيء ومنه المسك بالفتح للجلد بمعروف فصرفهم بذلك عن ضرار الجاهلية الذي كانوا عليه بتكرير الطلاق الى غير حد مجعل له حدا يقطع قصد الضرار انتهى او تسريح اي ان طلقها الثالثة ولا يملك بعد هذا التسريح عليها الرجعة كما كان عليه حال اهل الجاهلية قال الحرالي فسمي الثالثة تسريحا لانه ارسال لغير معنى الاخذ كتسريح الشيء الذي لا يراد ارجاعه وقال ايضا هو اطلاق الشيء على وجه لا يتهيا للعود فمن ارسل البازي مثلا ليسترده فهو مطلق ومن ارسله ليسترجعه فهو مسرح انتهى ويجوز ان يراد بالتسريح عدم المراجعة من الثانية لانه طلقة ثالثة ولما كان مقصود النكاح حسن العصمة وكانت من الرجل للامتاع بالنفس والمال وكان الطلاق منعا للامتاع بالنفس قال باحسان تعريضا بالجبر بالمال ليلا يجتمع ممتنان منع النفس وذات اليد افاده الحرالي وقال ففيه بوجه ما تعريض بما خرجت به اية المتعة الآية انتهى ومن ذلك بذل الصداق كاملا وان لا يأخذ منها في شيء لها فيه حق مع طيب النفس وكرم الفعال ولما كان سبحانه قد خيره بين شيئين والتسريح الموصوفين وكانت الرجعة اقرب الى الخير بدا بها ولكنها لما كانت قد تكون لاجل الافتداء بما اعطيته المراة وكان اخذه او شيا منه مشاركا للسراح في انه يقطع عليه ما كان له من ملك الرجعة وكان الافتداء قد يكون في الاولى لم يقرعها بالقبائل قال مشيرا الى ان من احسان التسريح سماح الزوج بما اعطاها عاطفا على ما تقديره فلا يحل لكم مضارتهن ولا يحل لكم ايها المطلقون او المتوسطون من الحكام وغيرهم لانهم لما كانوا مامورين عدوا احذرين ان تاخذوا احسانا في السراح مما اتيتموهن من صداق وغيره شيا اي بدون مخالعة قال الحرالي لان ايتاء الرجل للمراة ايتاء تحلة لاظهار مزية الدرجة لا في مقابلة الانتفاع فلذلك امضاه فلم يرجع منه شيا ولذلك لزم في الكلام الصداق لتظهر مزية الرجل بذات اليد كما ظهرت في ذات النفس انتهى ولما كان اسناد الخوف الى ضمير الجمع ربما ايهم قال الا ان يخافا نصا على المراد بالاسناد الى الزوجين وعبر عن الظن بالخوف تحذيرا من عذاب الله وعبر في هذا الاستثناء ان قلنا انه منقطع باداة المتصل تغليبا من الاخذ وعمي البناء للمفعول في قراءة حمزة وابي جعفر ويعقوب الا ان يحصل لها امر يزين حظا او شهوة يضطرها الى الخوف من التقصير في الحدود لا مفهوم للتقييد بالخوف لانه لا يتصور من عاقل ان تفتدي

وفيه تصحيف ظ

بمال من غير امر محوج ومتى حصل المحوج كان المخوف ومتى خاف احدهما خافا لانه متى خالفه الاخر حصل التشاجر المثير للحظوظ
المقتضية للاقدام على ما لا يسوغ والله اعلم ان لا يقيما اي في الاجتماع حدود الله العظيم فيفعل كل منهما ما وجب عليه من الحق
قال الحرالي وفي اشعاره ان الفداء في حكم الكتاب مما اخذت الزوجة من زوجها لا من غير ذلك من مالها والحدود جمع حد وهو النهاية
في المتصرف المانع من الزيادة انتهى ثم زاد الامر بيانا لانه في مقام التحديد فقال مسندا الى ضمير الجمع حثا على التحقق ليحل الفداء حلا
نافيا لجميع الحرج فان خفتم اي ايها المتوسطون بينهما من الحكام وغيرهم من الايمة بما ترون منهما وما يخبرانكم به عن انفسهما ان لا يقيما
حدود الله وتكرير الاسم الاعظم يدل على رفعة زايدة لهذا المقام وتعظيم كبير لهذه الاحكام وحث عظيم التقييد في هذه الرسوم
بالمراعاة وسوغ ذلك ان الظن سببه فانك لا تخاف ما لا تظنه والالتزام وذلك لان كل انسان مجبول على تقديم نفسه على غيره
والشرع كله مبني على العدل هو الانصاف ومحبة المرء لغيره ما يحب لنفسه فلا جناح اي ميل باسم عليهما واشار الى حل الاخذ
مطلقا بدون تقييد بما اتاها بانه لم يقل في ذلك بل قال فيما افتدت به اي لا على الزوج بالاخذ ولا عليها بالاعطاء سواء كان
ذلك مما اتاها او من غيره اكثر منه او لا لان الخلع عقد معاوضة فكما جاز لها ان تمتنع من اول العقد حتى ترضى ولو باكثر من مهر
المثل فكذا في الخلع يجوز له ان لا يرضى الا بما في نفسه كائنا ما كان ويكون ذلك عما كان يملكه عليها من الرجعة فاذا اخذه بانت المراة
فصارت احق بنفسها فلا سبيل عليها الا باذنها ولما كانت احكام النساء تارة بالمرافقة وتارة بالمفارقة وكانت مبنية على
الشهوات تارة على البهيمية وتارة على السبعية وكان سبحانه قد حد فيها حدودا تكون بها المصالح ونزول المفاسد منع سبحانه
من تعدي تلك الحدود اي الاحكام التي بينها في ذلك ولم يذكر قربانها كما مضى في اية الصوم فقال تلك اي الاحكام العظيمة التي تولى
الله بيانها من احكام الطلاق والرجعة والخلع وغيرها حدود الله اي شرايع الملك الذي له جميع العزة من الاوامر والنواهي التي
بينها فصارت كالحدود المعروفة في الاراضي ولما كانت شرايع الله ملايمة للفطرة الاولى السليمة عن نوازع النقايص وجواذب
الرذايل اشار الى ذلك سبحانه بصيغة الافتعال في قوله فلا تعتدوها اي لا تتكلفوا مجاوزتها وفيه ايضا اشارة الى العفو
عن المجاوزة من غير تعمد ولما اكد الامر تارة بالبيان وتارة بالنهي زاد في التاكيد بالتهديد فقال عاطفا على ما تقديره فمن تعدى
شيا منها فقد ظلم ومن يتعد اي يتجاوز حدود الله اي المحيط بصفات الكمال التي بينها واكد امرها وزادها تعظيما بتكرير اسمه
الاعظم قال الحرالي ففيه ترجية فيما يقع من تعدي الحدود من دون ذلك من حدود اهل العلم ووجوه السنن وفي اعلامه
ايذان بان وقوع الحساب يوم الجزاء على حدود القرآن التي لا مندوحة لاحد بوجه من وجوه السعة في مخالفتها ولذلك تتحقق
التقوى والولاية مع الاخذ بمختلفات السنن ومختلفات اقوال العلماء انتهى واليه يرشد الحصر في قوله فاولئك اي المستحقون
للابعاد هم الظالمون اي الغريقون في الظلم بوضع الاشياء في غير مواضعها فكانهم يمشون في الظلام قال الحرالي وفي اشعاره
تصنيف الحدود ثلاثة اصناف حد الله تعالى وحد النبي صلى الله عليه وسلم وحد العالم قال صلى الله عليه وسلم ما جاء من الله
فهو الحق وما جاء مني فهو السنة وما جاء من اصحابي فهو السعة فابراء العباد من الظلم من حافظ على ان لا يخرج من حدود العلماء
ليكون ابعد ان يخرج من حدود السنة ليكون ابعد ان يخرج من حدود الكتاب فالظالم المنتهي ظلمه الخارج عن الحدود الثلاث
حد العلم وحد السنة وحد الله انتهى ولما بين قسمي الطلاق البائن وكان نظر الطلاق الى العدد اشد من نظره الى العوض قدم
قسمه في قوله او تسريح باحسان فرع عليه فقال موجدا لئلا يفهم الحكم على الجمع ان الجمع قيد في الحكم وافهم التكرير للجمع شدة
الذم لما كانوا يفعلون في الجاهلية من غير هذه الاحكام فان طلقها اي الثالثة التي تقدم التخيير فيها بلفظ التسريح فكانه
قال فان اختار الطلاق البات بعد المرتين اما في العدة من الطلاق الرجعي او بعد الرجعة بعوض او غيره ولا فرق في جعلها
ثالثة بين ان تكون بعد تزوج المراة بزوج اخر او لا قال الحرالي معنى التسريح الذي بينه في موضعه بلفظ الطلاق
لما هياها بوجه الى المعاد وذلك فيما يقال من خصوص هذه الامة وان حكم الكتاب الاول ان المطلقة ثلاثا لا تعود ابدا
فلهذا العود بعد زوج صار السراح طلاقا انتهى فلا تحل له ولما كان اسقاط الحرف والظرف يوهم ان الحرمة تختص بما
استغرق زمن البعد فيفهم ان نكاحه لها في بعض ذلك الزمن يحل قال من بعد اي في زمن ولو قل من ازمان ما استيفاء
الدور الذي هو الثلاث بما افاده اثبات الجار وتمتد الحرمة حتى ان اي الى ان تنكح اي تجامع بذوق العسيلة التي صرح بها
النبي صلى الله عليه وسلم قال الفارسي اذا قال العرب نكح فلان فلانة ارادوا عقد عليها واذا قالوا نكح امراته او زوجته ارادوا
جامعها وقال الامام ان هذا الذي قاله ابو علي جار على قوانين الاصول وانه لا يصح ارادة غيره ودل على ذلك بقياس رتبه
فالاية دالة على انه لا يكتفي في التحليل بدون الجماع كما بينته السنة والا كانت السنة ناسخة لان غاية الحرمة في الاية العقد
وفي الخبر الوطء وخبر الواحد لا ينسخ القرآن واشار بقوله زوجا اي ان شرط هذا الجماع ان يكون حلالا في عقد صحيح غيره اي
المطلق وفي جعل هذا غاية للحل زجر لمن له غرض ما في امراته عن طلاقها ثلاثا لان كل ذي مروة يكره ان يفترش امراته اخر
ومجرد العقد لا يفيد هذه الحكمة وذلك بعد ان اثبت له سبحانه من كمال رافته بعباده الرجعة في الطلاق الرجعي مرتين لان
الانسان في حال الوصال لا يدري ما يكون حاله بعده ولا تفيده الاولى كمال التجربة فقد يحصل له نوع شك بعدها وفي الثانية
يضعف ذلك جدا ويقرب الحال من التحقق فلا يحمل على الفراق بعدها الا قلة التامل ومحض الخرق بالعجلة المنهي عنها فان طلقها
اي الثاني وتعبيره بان التي للشك للتنبيه على انه متى شرط الطلاق على المحلل بطل العقد لخروجه عن دايرة الحدود المذكورة
لان النكاح كما قال الحرالي عقد حرمة موبدة لاحد متعة موقتة فلذلك لم يكن الاستمتاع الى امد محللا في السنة وعند الايمة لما

عليه

بزق

يفرق بين النكاح والمتعة من التابيد والتجديد انتهى فلا جناح عليهما اي على المراة ومطلقها الاول ان يتراجعا بعقد جديد
بعد عدة طلاق الثاني المعلومة مما تقدم من قوله والمطلقات يتربصن وهذه مطلقة الى ما كانا فيه من النكاح ان ظنا
اي وقع في ظن كل منهما ان يقيما حدود الله اي الذي له الكمال كله حدها لهما في العشرة قال الحرالي لما جعل الطلاق سراحا
جعل تجديد النكاح مراجعة كل ذلك ايذانا بان الرجعة للزوج اولى من تجديد الغير انتهى ولما كان الدين مع سهولته ويسره
شديدا لن يشاده احد الا غلبه وكانت الاحكام مع وضوحها قد تخفى لما في تنزيل الكليات على الجزئيات من الدقة لان الجزئي
الواحد قد يتجاذبه كليان فاكثر فلا يجردها من مواقع الشبه الا من نور الله بصيرته عطف على تلك الماضية تعظيما للحدود
قوله وتلك اي الاحكام المتناهية في مدارج العظم ومراتب الحكم حدود الله اي العظيمة باضافتها اليه سبحانه وتعليقها
بالاسم الاعظم يبينها اي يكشف اللبس عنها بتنوير القلب لقوم فيهم نهضة وجد في الاجتهاد وقيام وكفاية يعلمون اي يجددون
النظر والتامل بغاية الاجتهاد في كل وقت فبذلك يعطيهم الله ملكة يميزون بها ما يلبس على غيرهم ان تتقوا الله يجعل لكم
فرقانا واتقوا الله ويعلمكم الله ولما ذكر الطلاق رجعيه وباينه عقبه ببيان وصف الرجعة من الحل والحرمة وبيان
وقتها وتحديده والاشارة الى تصوير بعض صور المضارة ترهيبا منها فليست الاية مكررة فقال واذا طلقتم النساء اي
طلاقا رجعيا والمراد من يملك نكاحها من هذا النوع الشامل للقليل والكثير ولم يقل نساؤكم ليلا تفهم الاضافة لطلاقهم غير
نسائهم حكما مغايرا لهذا في بلوغ الاجل مثلا ونحوه ولما كانت اباحة الرجعة في اخر العدة دالة على اباحتها فيما قبل ذلك
بطريق الاولى وكان من المقطوع به عقلا ان لما بعد الاجل حكما غير الحكم الذي كان له قبله لم يكن التعبير بالبلوغ ملبسا وكان
التعبير به مفيدا اقصى ما تمكن به المضارة فقال فبلغن اجلهن اي شارفن انقضاء العدة بدليل الامر بالامساك لانه لا
يتاتى بعد الاجل وقال الحرالي ولما كان للحد المحدود الفاصل بين امرين متقابلين بلوغ وهو الانتهاء الى اول حده وقرار
وهو الثبات عليه ومجاوزة لحده ذكر تعالى البلوغ الذي هو الانتهاء الى اول الحد دون المجاوزة والمحل والاجل مشارفة
فراغ المدة انتهى فامسكوهن اي بالمراجعة ان اردتم ولو في اخر لحظة من العدة بمعروف اي بحال حسنة تجد عاقبتها وتكره
اشعارا بانه لا يشترط فيه رضى المراة او سرحوهن بمعروف بان تتركوهن حتى تنقضي العدة فيملكن انفسهن من غير تلبيس
بدعوى ولا تضييق في شيء من الاشياء وقال الحرالي هذا معروف الامتاع والاحسان وهو غير معروف الامساك ولذلك فرقه
الخطاب ولم يكن فامسكوهن او سرحوهن بمعروف انتهى ولما كان المعروف يعم كل خير وكان الامر به لا يفيد التكرار خص
ترك الشر اهتماما به معبرا بما يتناول جميع الاوقات فقال ولا تمسكوهن اي بالمراجعة في اخر العدة ضرارا كما كان في الجاهلية
لتعتدوا اي قاصدين بذلك التوصل الى شيء من مجاوزة الحدود التي بينت لكم مثل ان يريد تطويل العدة عليها فانه قد
يفضي الى اعتدادها تسعة اشهر ولما كان التقدير فمن يفعل ذلك فقد ظلم زوجه عطف عليه زيادة في التنفير عنه قوله
ومن يفعل ذلك اي الفعل البعيد عن الخير وفي التعبير بالمضارع اشعار بان في الامة من يتمادى على فعله فقد ظلم نفسه اي بتعريضها
لسخط الله عليه ونفرة الناس منه ولما كان قد لا يقصد شيئا من انتهاك الحرمات ولا من المصالح فكان مقدما على ما لا يعلم او
يظن له عاقبة حميدة تهاونا بالنظر وكان فاعل ذلك شبيها بالهازي كما يقال لمن لم يجد في امر هو لاعب قال ولا تتخذوا ايات
الله اي مع ما تعلمون من عظمتها بعظمة ناصبها هزوا باهمالها عن قصد المصالح الذي هو روحها ولما كان على العبد ان يقتفي
اثر السنة في جميع افعاله قال واذكروا نعمة الله اي الذي له الكمال كله وعبر باداة الاستعلاء اشارة الى عموم النعم
وعظمتها فقال عليكم هل ترون فيها شيئا من وادي العبث بخلوه عن حكمة ظاهرة وما اي وخصوا بالذكر الذي انزل عليكم من
الكتاب الذي فاق جميع الكتب وعلا عن المعارضة فغلب جميع الخلق بما افادته اداة الاستعلاء والحكمة التي تنهى فيه وفي سنة
نبيه صلى الله عليه وسلم حال كونه يعظكم اي يذكر بما يرقق قلوبكم به اي بذلك كله واتقوا الله اي بالغوا في الخوف ممن له
الاحاطة بجميع صفات الكمال باستحضار ما له من العظمة التي لا تتناهى ونبه على عظم امره بقوله واعلموا وبتكرير الاسم
الاعظم في قوله ان الله فلم يبق وراء ذلك مرمى بكل شيء اي من امور النكاح وغيرها عليم اي بالغ العلم فاحذروه حذر من يعلم
انه بحضرته وكل ما يعلمه من سر وعلن فبعينه قال الحرالي والتهديد بالعلم منتهى التحذير انتهى ولما نهى عن الضرار في العصمة
وفي اثرها الذي هو العدة اتبعه النهي عما كان منه بعد انقضائها بالعضل من كل من يتصور منه عضل لكن لما كان نهي الاولياء
اذا كانوا ازواجا نهيا لغيرهم بطريق الاولى اسنده الى الازواج وهم في عمارهم فقال واذا طلقتم اي ايها الازواج
واظهر ولم يضمر لان المذكور هنا اعم من الاول فقال النساء اي طلاق كان فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فقد دل سياق
الكلامين على اختلاف البلوغين نقله الاصبهاني عن الشافعي رحمه الله يعني ان الاول دل على المشارفة للامر بالامساك وهذا
على الحقيقة للنهي عن العضل فلا تعضلوهن اي تمنعوهن ايها الاولياء ازواجا كنتم او غير ازواج والعضل قال الحرالي
هو اسر المنع من عضلت الدجاجة اذا نسيت بيضتها فيها حتى تهلك انتهى ان ينكحن ازواجهن اي الذي طلقوهن وغيرهم
وسموا ازواجا لمال امرهم الى ذلك كما ان المطلقين سموا ازواجا بما كان واستدل الشافعي رحمه الله بها على انه لا نكاح الا
بولي لان التعبير بالعضل دال على المنع الشديد المعنى من الداء العضال وان عضل من غير كفو جاز ولم تزوج منه ولو كانت المراة
تزوج نفسها لما كان اعيا ولا يثبت عضله الممنوع ليحصل عزله الا اذا منع عند الحاكم وقد بينت ذلك السنة وهذه الاية
من عجايب امر الاحتباك طلقتم يفهم الازواج من تعضلوهن وتعضلوهن يفهم الاولياء من طلقتم وقد بينت ذلك في كتابي الادراك

انقضاء امد الامر حيث يكون
منه ملجا الذي هو مقلوبه
كانه مشارفة م

اذا تراضوا اي النساء والازواج الاكتفاء بما افهمته الاضافة دون ان يقال ازواجا لهن مثلا ولما كان الرضى ينبغي ان يكون على العدل
اشار اليه بقوله بينهم ولما كانا قد يتراضيان على ما لا ينبغي قيده بقوله بالمعروف فان تراضوا على غيره كما لو كان الزوج غير كفؤ
فاعضلوهن وعرفه كما قال الحرالي لاجتماع معروفين منهما فكان مجموعهما المعروف التام واما المنكر فوصف احدهما انتهى ولما ذكر
الاحكام مبينا لحكمها فكان ذلك وعظا وكان اكثر الناس يظن ان الوعظ مغاير للاحكام اقبل على المختار للكمال فقال ذلك اي الامر العظيم
يا ايها الرسول يوعظ اي يرقق به قلوب من كان والوعظ قال الحرالي اهزاز النفس بموعود الجزاء ووعيده انتهى فهو تهديد لمن تشق
عليه الاحكام وهم الاكثر ولما كان من اتباعه صلى الله عليه وسلم من جاهد نفسه حتى صار اهلا لفهم الدقائق وادراك الاشارات والرقائق
فالقى كليته للسماع لحظة بقوله منكم معلما ان الخطاب في الحقيقة لكل فاهم وانما قيد بهم لانهم المنتفعون به الفاهمون له لما لهم
من رقة القلوب الناشئة عن الاذهان لان الخطاب وان كان بالاحكام فهو وعظ يتضمن الترهيب كما يتضمن الترغيب ولما كان من الحكمة
ان من لا ينتفع بشيء لا يقصد به اشار الى ذلك بقوله يؤمن بالله اي لما له من العظمة واليوم الآخر خوفا من الفضيحة فيه وفي تسميته
وعظا افهام بان من تجاوز حدا في غيره سلط عليه من يتجاوز فيه حدا قال الحرالي لان من فعل شيئا فعل به نحوه كانه من عضل عن زوج
عضل ولي آخر عنه حين يكون هو زوجا من زنى زني به سيجزيهم وصفهم انتهى فلما وقع ما هيجوا به من كمال الاصغاء قال مقبلا عليهم
ذلكم اي الامر العظيم الشان ازكى لكم اي اشد تنمية وتكثيرا وتنقية وتطهيرا بما يحصل منه بينكم من المودة والبركة من الله واطهر للقلوب
ولما كان وصف المتكلم بالعلم ادعى لقبول من دونه منه قال مظهرا ومعيدا الاسم الاعظم تعظيما والله اي اشير اليكم بهذا والحال ان
الملك الاعظم يعلم اي له هذا الوصف وانتم لا تعلمون اي ليس لكم هذا الوصف بالذات لا في المآل ولا في الاستقبال لما افهمه النفي
بكلمة لا وصيغة الدوام ولما كان النكاح قد يكون عنه ولادة فيكون عنها رضاع وقد تكون المرضعة زوجة وقد تكون اجنبية
والزوجة قد تكون متصلة وقد تكون منفصلة وكان الفراق بالطلاق اكثر منه بالموت وسطه بين عدتي الطلاق والوفاة لادلائه
الى كل تسبب واهتماما بشانه وحثا على الشفقة على الصغير وشدة العناية بامره لان الام ربما كانت مطلقة فاستهانت بالولد
ايذاء للزوج ان كان الطلاق عن شقاق او رغبة في زوج آخر وكذا الاب فقال تعالى عطفا على ما تقديره مثلا فالنساء لهن احكام كثيرة
وقد علمتم منها هنا اصولا تفهم من بصره الله كثيرا من الفروع والمطلقات ان لم يكن بينكم وبينهن علقة بولادة ونحوها فلا سبيل لكم
عليهن وقال الحرالي لما ذكر تعالى احكام الاستجار بين الازواج التي عظم متنزل الكتاب لاجلها وكان من حكم تواشج الازواج وقوع
الولد واحكام الرضاع نظم به عطفا ايضا على معاني ما يتجاوزه الافصاح ويتضمنه الافهام لما قد علم من ان افهام القرآن اضعاف افصاحه
بما لا يكاد ينتهي عده فلذلك يكثر فيه الخطاب عطفا اي على غير مذكور ليكون الافصاح ابدا مشعرا بافهام يناله من وهب روح العقل
كما ينال فقه الافصاح من وهبه الله نفس العقل الذي هو العلم انتهى فقال تعالى والوالدات اي من المطلقات وغيرهن وامرهن
بالارضاع في صيغة الخبر الذي من شانه ان يكون قد فعل وتم تنبيها على تاكيد وان كان للندب مما افهمه ايجاب الاجرة لهن هنا وفي
سورة الطلاق وما ياتي من الاسترضاع فقال يرضعن اولادهن قال الحرالي جعل تعالى الام ارض النسل التي يتغذى من غذائها
في البطن دما كما تغتذي اعضاؤها من دمها فكان لذلك لبنها اولى بولدها من غيرها ليكون مغذاه وليدا من مغذاه جنينا فكان
الاحق ان يرضعن اولادهن وذكره بالاولاد ليعم الذكور والاناث وقال الرضاعة التغذية بما يذهب الضراعة وهو الضعف
والنحول بالرزق الجامع الذي هو طعام وشراب وهو اللبن الذي مكانه الثدي من المراة والضرع من ذات الظلف ولما ذكر الرضاع
ذكر مدته ولما كان المقصود مجرد تحول الزمان بفصوله الاربعة ورجوع الشمس بعد قطع البروج الاثني عشر البرج الذي كانت
فيه عند الولادة وليس المراد الاشعار بمدح الزمان ولا ذمه ولا وصفه بضيق ولا سعة غير بما يدل على مطلق التحول فقال
حولين والحول تمام القوة في الشيء الذي ينتهي بدورة الشمس وهو العام الذي يجمع كمال النبات الذي يتم فيه قواه قال الحرالي
وكانه ماخوذ مما له قوة التحويل ولما كان الشيء قد يطلق على معظمه مجازا فيصح ان يراد حول وبعض الثاني بين ان المراد الحقيقة
قطعا لتنازع الزوجين في مدة الرضاع واعلاما بالوقت المفيد للتحريم كما قال صلى الله عليه وسلم انما الرضاعة من المجاعة بقوله
كاملين ولما كان ذلك ربما افهم وجوب الكمال نفاه بقوله لمن اي هذا الحكم لمن اراد ان يتم الرضاعة فافهم انه يجوز الفطام
للمصلحة قبل ذلك وانه لا رضاع بعد التمام وقال الحرالي وهو اي الذي يكتفى به دون التمام هو ما جمعه قوله تعالى وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا فاذا كان الحمل تسعا كان الرضاع احدا وعشرين شهرا واذا كان حولين كان المجموع ثلاثا وثلاثين شهرا فيكون
ثلثة احاد وثلاثة عقود فيكون ذلك تمام الحمل والرضاع ليجتمع في الثلاثين تمام الرضاع وكفاية الحمل انتهى ولما اوهم ان ذلك
يكون مجانا نفاه بقوله وعلى ولما كانت الوالدية لا تتحقق في الرجل كما تحقق في المراة وكان النسب يكتفى فيه بالفراش
وكان للرجل دون المراة قال المولود اي على فراشه رزقهن اي المرضعات لاجل الرضاع سواء كن متصلات او منفصلات
فلو نشزت المتصلة لم يسقط وان سقط ما يخص الزوجية ولما كان اشتغالها بالرضاع عن كل ما يريده الزوج من الاستمتاع
ربما اوهب سقوط الكسوة ذكرها فقال وكسوتهن اجرة لهن قال الحرالي الكسوة رياش الادمي الذي يستر ما ينبغي ستره
من الذكر والانثى وقال فاشعرت اضافة الرزق والكسوة اليهن باعتبار حال المراة فيه وعادتها بالسنة لا بالبدعة انتهى
ولما كان الحال مختلفا في النفقة والكسوة باختلاف احوال الرجال والنساء قال بالمعروف اي من حال كل منهما قال الحرالي
فاكد ما افهمته الاضافة وصرح الخطاب باجماله انتهى ثم علله او فسره بالحنيفية التي من علينا سبحانه بها فقال لا تكلف قال
الحرالي من التكليف وهو ان يحمل المرء على ان يكلف بالامر كلفة بالاشياء التي يدعوه اليها طبعه نفس اي لا يقع تكليفها وان كان له سبحانه

ان

ان يفعل ما يشاء الا وسعها اي ما تسعه وتطيقه لا كما فعل سبحانه بمن قبل كان احدهم يقرض ما اصاب البول من جلده بالمقراض
والوسع قال الحرالي ما ياتي بمنه وكمال قوة ولما كانت نتيجته ذلك حصول النفع ودفع الضر قال لا تضار والدة بولدها
اي لا تضر المنفق به ولا يضرها وضم الراء ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الخبر وهو اكد وفتح الباقون على النهي ويحتمل فيهما البناء
للفاعل والمفعول ولا مولود له بولده المولود على فراشه ليس له ان يضر الوالدة به وليس لها ان تضره به ولا ان تضر الولد
بتفريط ونحوه حملا للمفاعلة على الفعل المجرد وكل من اسند سبحانه المضارة اليه اضاف اليه الولد استعطافا له عليه وتحريكا
لطبعه الى مزيد نفعه قال الحرالي ففيه ايذان بان لا يمنع الوالد الام ان ترضع ولدها فيضرها في فقدها له ولا يسيء معاملتها
في رزقها وكسوتها بسبب ولدها فكما لم يصلح ان يمسكها زوجة الا بمعروف لم يصلح ان يسترضعها الا بالمعروف ولا يتم
المعروف الا بالمبراة من المضارة وفي اشعاره تحذير الوالدات من ترك اولادهن لقصد الاضرار مع ميل الطبع الى القيام بهم وكذلك
في اشعاره ان لا تضره في شرف رزق ولا كسوة انتهى ولما تم الامر بالمعروف وما تبعه من تفسيره وكان ذلك على تقدير وجود الولد
اذ ذاك بين الحال بعده فقال وعلى الوارث اي وارث الوالد وهو الرضيع مثل ذلك اي المامور به من المعروف على ما فسره
به في ماله ان مات والده والوارث قال الحرالي المتلقي من الاحياء عن الموتى ما كان لهم من حق او مال انتهى وقيل في الوارث
غير ذلك لانه تقدم ذكر الوالدات والولد والمولود له فاحتمل ان يضاف الوارث الى كل منهم ولما بين امر الرضاع وامر النفقة
صرح بما افهمه الكلام من جواز الفطام قبل التمام فقال مسببا عما افهمته العبارة فان ارادا اي الوالدان فصالا اي فطاما
قبل تمام الحولين للصغير عن الرضاع قال الحرالي وهو من الفصل وهو عود المتواصلين الى بين سابق انتهى وهو اعم من الفطم
فلذا عبر به ولما بين ذلك نبه على انه لا يجوز الا مع المصلحة فقال عن تراض منهما ثم بين ان الامر خطر يحتاج الى تمام النظر
بقوله وتشاور اي ادارة الكلام في ذلك ليستخرج الراي الذي ينبغي ان يعمل به قال الحرالي فافصح باشعار ما في قوله
ان يتم وان الكفاية قد تقع بدون الحولين فجعل ذلك لا يكون بريا من المضارة الا باجتماع ارادتهما وتراضيهما ومشاورتهما لمن له
تبصرة لئلا يجتمعا على نقص الراي قال صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار ولا ندم من استشار والمشورة ان تستخلص حلاوة
الراي وخالصه من خلايا الصدور كما يشور العسل جانيه انتهى فلا جناح عليهما فيما نقصاه عن الحولين لانهما غير متهمين في امره
واجتماع رايهما فيه وراي من يستشير انه قل ما يخطي قال الحرالي فيه اشعار بانها ثلاث رتب رتبة تمام فيها الخير والبركة ورتبة
كفاية فيها رفع الجناح وحالة مضارة فيها الجناح انتهى وقد افهم تمام هذه العناية ان الانسان كلما كان اضعف كانت رحمة الله له
اكثر وعنايته به اشد ولما بين رضاع الوالدات وقدمه دليلا على اولويته اتبعه ما يدل على جواز غيره فقال وان اردتم اي
ايها الرجال ان تسترضعوا اي الى المراضع ما اتيتم اي ما جعلتم لهن من العطاء بالمعروف موفيا طيبة به انفسكم من غير تشاح
ولا تعاسر لان ذلك اقطع لمعاذير المراضع فهذا اجدر بالاجتهاد في النصيحة وعدم التفريط في حق الصغير ولما كان التقدير
فافعلوا جميع ما امرتكم به وانتهوا عن جميع ما نهيتكم عنه فقد جمعت لكم مصالح الدارين في هذا الكتاب الذي هو هدى للمتقين
عطف عليه قوله واتقوا الله اي الذي له القدرة الشاملة والعلم الكامل ثم خوفهم سطواته بقوله منبها على عظم هذه
الاحكام واعلموا وعلق الامر بالاسم الاعظم الجامع لجميع الاسماء الحسنى فقال ان الله اي المحيط بصفات الكمال تعظيما للمقام
ولذلك اكد علمه سبحانه هنا على نحو ما مضى في وما تفعلوا من خير فان الله به عليم بتقديم قوله للاعلام بمزيد الاهتمام
بما تعملون اي من سر وعلن ولما كانت هذه الاحكام ادق مما في الاية التي بعدها وكثير منها منوط بافعال القلوب ختمها بما يدل
على البصر والعلم فقال بصير اي بالعلم به فاعملوا بحسب ذلك ولما ذكر الرضاع وكان من تقاديره ما اذا مات الاب ذكر عدة
الوفاة لذلك وتتميما لانواع العدد فقال وقال الحرالي لما ذكر عدة الطلاق الذي هو فرقة الحيوة انتظم براس اية ذكر عدة
الوفاة الذي هو فراق الموت واتصل بالاية السابقة لما انجر في ذكر الرضاع من موت الوالد وامر الوارث وكذلك كل اية
تكون راسا لها متصلان متصل بالراس النظير لها المنتظمة به ومتصل بالاية السابقة قبلها بوجه ما انتهى فقال
والذين اي وازواج الذين يتوفون منكم اي تحصل وفاتهم بان يستوفي انفسهم التي كانت عارية في ابدانهم الذي اعارهم
اياها قال الحرالي من الوفاة وهو استخلاص الحق من حيث وضع ان الله عز وجل نفخ الروح واودع النفس ليستوفيها بعد اجل
من حيث اودعها فكان ذلك توفيا تفعلا من الوفاء وهو اداء الحق ويذرون من الذر وهو ان يوخذ المرء عما شانه امساكه
ازواجا بعدهم ولما اريد تاكيد التربص مراعاة لحق الازواج حفظا لقلوب الاقارب واحتياطا للنكاح اتى به في صيغة الخبر
الذي من شانه ان يكون قد وجد وتم فقال يتربصن اي ينتظرن ازواجهن لانقضاء العدة ولما كان الممنوع انما هو العقد
والتعرض له بالافعال دون طلبه بالتعريض قال معبرا بالنفس لذلك وللتنبيه على ان العجلة عن ذلك انما تكون شهوة
نفسانية بهيمية ليكون ذلك حاديا على البعد عنها بانفسهن فلا يبذلنها لزوج ولا يخرجن من منزل الوفاة ويتركن الزينة
وكل ما للنفس فيه شهوة تدعوا الى النكاح كما بينت ذلك السنة اربعة اشهر وعشرا ان كن حرائر ولم يكن حمل وغلب الليالي
فاسقط التاء لان اول الشهر الليل سواء كانت صغيرة او كبيرة تحيض او لا ابتداؤها من حين الوفاة لانها السبب فاذا بلغن
اجلهن ولما كان الله تعالى قد جعل المسلمين كالجسد الواحد وكان الكلام في ازواج الموتى اعلم سبحانه بانه يجب على اخوانهم
المسلمين من حفظ حقوقهم ما كانوا يحفظونه لو كانوا احياء بقوله فلا جناح عليكم اي يا اهل الدين فيما ولما كان لا بد من
اذن المراة وقد تاذن للقاضي على رغم الولي عند عضله مثلا اسند الفعل اليهن فقال فعلن في انفسهن اي من النكاح

ان تطلبوا من ترضع اولادكم من غير المهاب فلا جناح
اي ميل ياثم عليكم اذا سلمتم اي

ومقدماته التي كانت ممنوعة منها بالاحداد ولا يحمل هذا على المباشرة لتكون دليلا على انكاح المرأة نفسها لمعارضة اية ولا تعضلوهن المتايدة بالسنة ولما كان ذلك قد لا يكون على وجه شرعي قال بالمعروف لينصرف الى الكامل فلا يكون في ذلك شوب تكاره فان فعلن ما ينكر كان على الناس الجناح بترك الامر كما عليهن بالفعل واجمع الفقهاء غير ابي مسلم الاصفهاني على ان هذه الآية ناسخة لآية العدة بالحول والتقدم في التلاوة لا يمنع التاخر في النزول لان الترتيب ليس على ترتيب النزول نقل ذلك الشيخ الاصفهاني رحمه الله ويرد عليه ما سياتي نقله عن مجاهد ولما كانوا لتقدير ما حد لكم هذه الحدود فاحفظوها عطف عليه قوله محذرا من التهاون في شيء منها في انفسهم او من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في حق غيرهم واعلموا اي الذي له صفات الكمال بما تعملون من سر وعلانية ولما كان هنا من العدة مما لم تعرفه العرب قبل فربما انكرت القلوب لكونها لم تفهم سره وكان امر النكاح وان قيد بالمعروف باطنا ختم بقوله خبير اي يعلم خفايا البواطن كما يعلم ظواهرها فاحذروا مخالفته واطيعوا امره ولما حد سبحانه هذه المدة لمنعهن عن الرجال بين ان التعريض بالخطبة ليس داخلا في المنع فقال ولا جناح عليكم اي ايها الميل فيما عرضتم به اي فلتموه وانتم تقصدون ما هو بعيد عنه كانه في جانب وهو في جانب اخر لا يتادى اليه الا بدرق كانت جميلة او نافعة وانا عازم على ان اتزوج وعسى ان ييسر الله لي قرينة صالحة قال الحوالي من التعريض وهو تفعيل من العرض والعرض وهو القاء القول عرضا اي ناحية على غير قصد اليه وصمد نحو انتهى والفرق بينه وبين الكناية انه كلام ظاهر في معنى يقصد به غير معناه الظاهر فلا يفهم المراد الا بقرائن كقول المحتاج جئت لا سلم عليك وانظر وجهك الكريم ويسمى التلويح ايضا والكناية ذكر اللازم وارادة الملزوم وقد انهم غوط الحل بالتعريض تحريم التصريح المقابل له وللكناية والتصريح ما تم لما هو ظاهر المراد عند السامع بحيث يسبق الى فهمه المراد ولا يسبق غيره عند الاطلاق من خطبة وهي الخطاب في قصد التزوج وقال الحوالي هي هيئة الحال فيما بين الخاطب والمخطوبة التي النطق عنها هو الخطبة بالضم النساء المتوفى عنهن ازواجهن ومن اشبههن في طلاق بائن بالثلاث او غيرها ولما احل له التعريض وكان قد يغرم على التصريح اذا حل له ذلك نفى عنه الحرج فيه بقوله او اكننتم اي اضمرتم في انفسكم من تصريح وغيره سواء كان من شهوات النفس او لا قال الحوالي من الكن بالفتح وهو الذي من معناه اكن بالكسر وهو حاو اري بحيث لا يوصل به الى شيء ولما كان لله سبحانه بهذه الامة عناية عظيمة في التخفيف عنها اعلمها بذلك بقوله على سبيل التعليل علم الله اي بما له من صفات الكمال انكم ستذكرونهن اي في العدة فاذن لكم في ذلك على ما حد لكم قال الحوالي ففي اجرا الشرعة على الجبلة الخاص بهذه الامة انتهى ولما كان التقدير فاذكروهن استثنى منه قوله ولكن لا تواعدوهن اي في ذكركم اياهن سرا ولما كان السر يطلق على ما اسر بالفعل وما هو اهل ان يسر وان جهر به بين ان المراد الثاني وهو السر بالقول فقال الا ان تقولوا اي في الذكر لهن قولا معروفا لا يستحيى منه عند احد من الناس فاكد الامر الى ان المعنى لا تواعدوهن الا بما يستحيى من ذكره ميسر وهو التعريض فنصت هذه الآية على تحريم التصريح بعد انهام الآية الاولى لذلك اهتماما به لما للنفس من الداعية اليه ولما كانت عدة الوفاة طويلة فكان حبس النفس فيها عن النكاح شديدا وكانت اباحة التعريض قريبة من الرتع حول الحمى وكان من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه خصها باتباعها النهي عن العقد قبل انقضاء حملا على التحري ومنعا من التحري فقال ولا تعزموا اي تبتوا اي تفعلوا فعلا باتا تقطعون به غير مترددين فيه عقدة النكاح اي النكاح الذي يصير معقودا للمعتدة عدة هي فيها باين وضمن العزم البت ولذلك اسقط على واوقعه على العقدة التي هي من اثاره ولا تتحقق بدونه فكانه قال ولا تعزموا على النكاح بانبين عقدته وهو ابلغ مما لو قيل ولا تعقدوا النكاح فان النهي عن العزم الذي هو سبب العقد نفى عن العقد بطريق الاولى قال الحوالي والعقدة توثيق جمع الطرفين المفترقين بحيث يشق حلها وهو معنى دون الكتب الذي هو وصله وجمع حتى يبلغ الكتاب اي الذي تقدم فيما انزلت عليكم منه بيان عدة من زالت عصمتها من زوج بوفاة او طلاق او ما كتب وفرض من العدة اجله اي اخر مدته التي ضربها للعدة او طلاق ولما اباح سبحانه التعريض وحظر عزم العقدة وغلظ الامر بتعليقه بالكتاب وبقي بين الطرفين امور كانت النفوس في مثلها غالية والهوى يميل اغلظ سبحانه الزواجر لتقاوم تلك الدواعي فتولي تلك الامور لقديد بقوله تعالى واعلموا اي ايها الراغبون في شيء من ذلك ان الله وله جميع الكمال يعلم ما في انفسكم كله فاحذروه ولا تعزموا على شر من احاطة العلم احاطة القدرة ولما هدد هم بعلمه وكان ذلك النهاية في التهديد وكان كل احد يعلم من نفسه من النقايص ما يحمل على الوصف اخبرهم بما اوجب الامهال على ذلك من منه بغفرانه وحلمه حثا على التوبة واقامة بين الرجا والهيبة فقال واعلموا ان الله اي كما اقتضى جلاله العقوبة اقتضى جماله العفو فهو لذلك غفور اي ستور لذنوب الخطائين ان تابوا حليم لا يعاجل احدا بالعقوبة فبادروا بالتوبة رجاء غفرانه ولا تغتروا بامهاله فان غضبه الحليم لكونه بعد طول الاناة لا يطاق ويجوز ان يكون التقدير ولا تصرحوا للنساء المعتدات بعقدة النكاح في عدة من البعد والسر في تفاوتها ان عدة الوفاة طولت مراعاة للورثة الى حد هو اقصى ما آل على براءة الرحم لان الماء يكون فيه اربعين يوما نطفة ومثلها علقة ومثلها مضغة ثم ينفخ فيه الروح فتلك اربعة اشهر وقد تنقص الاشهر اربعة ايام فزيدت عليها وجبرت بما انه اقرب العقود اليها وفي صحيح مسلم تقدير المدة الاولى باثنين واربعين وفي رواية خمس واربعين وفي رواية بضع واربعين فاذا احمل البضع على ستة وزيد ما قد تنقصه الاشهر صارت اربعة اشهر وعشرا ولم تزد على ذلك مراعاة للمرأة لما قيل انه يقل النساء بعد ذلك والمقتصر في الاستبرآ على قرء وهو اقل دآل على براءة الرحم لان السيد يكون مخالطا للامة عالما فيشق الصبر وثلثت عدة الحرة جريا على سنة الشارع في الاستظهار بالتثليث مع زوال العلة الا سراع من المخالطة ولان اكثر الطلاق رجعي فربما كان عن غيظ فمدت

ليزول فيتروي وكانت عدة الامة من الطلاق بين الاستبراء وعدة الحرة لما تنازعها من حق السيد المقتضي للقصر وحق الزوج المقتضي للطول مع عدم امكان التنصيف والله اعلم ولما تمت احكام العدد وما يتبعها ما حق الرجاء فيه اغلب اتبعها الحكم الاصدقة ولما كان الكلام قد طال في احكام الطلاق والموت ولم يذكر الصداق وكان قد حتم تلك الاحكام بمعنى القصر والحتم وكان الطلاق الصداق معلوما عندهم قبل الاسلام اقتضى ذلك السؤال هل يجب للمفارقة صداق او هو مما دخل تحت المغفر والحتم فلا يجب فقيل لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر ولا غيره الا ما يأتي من المتعة واصل الجناح الميل من الثقل ان طلقتم النساء اي ان طلق احدكم ما يملك عصمته من ان مالم تمسوهن اي تجامعوهن من المس ومن المماسة في القراءة الاخرى وهو ملاقاة الجرمين بغير حايل بينهما قاله الحوالي او تفرضوا لهن فريضة اي تسموا لهن مهرا معلوما اي لا جناح عليكم ما لم يقع احد الامرين اي مدة انتفائه ولا ينتفي الاحد المبهم الا بانتفاء الامرين معا فاذا انتفيا انتفى الجناح وان وجدا او احدهما وجد فان وجد المسيس وجب المسمى او مهر المثل وان وجد الفرض وجب نصفه ان خلا عن مسيس قال الحوالي ففي انبائه صحة عقد النكاح مع اهمال ذكر الصداق لا مع ابطاله فعنه صحة نكاح التفويض ونكاح التاخير لذكر الصداق فبان به ان الصداق ليس ركنا فيه وان ابطاله مانع من بنائه فيكون له ثلثة احوال من رفع الجناح فيه عن المهمل الذي لم يمس فيه كانه كان يستحق فرضا ما فرفع عنه جناحه من حيث ان على الماس كلية النحلة وعلى الفارض شرط النحلة فرفع عنه جناح الفرض وجبر موضع الفرض بالامتاع ولذلك الزمت المتعة طائفة من العلماء انتهى ولما كان التقدير فطلقوهن ان اردتم وراعوا فيهن ما اوجبت من الحقوق لهن وعليهن عطف عليه قوله ومتعوهن اي جبرا ما وقع من الكسر بالطلاق على حسب حال المطلقين والمطلقة من غير مس ولا فرض مستحقة للمتعة بالاجماع نقله الاصبهاني رحمه الله على الموسع منهم اي الذي له في حاله سعة وقال الحوالي هو من الايساع وهو المكنة في السعة التي هي اكثر من الكفاية قدره من القدر وهو الحد المحدود وفي التي حا ومعنى وعلى المقتر اي الذي في حاله ضيق قال الحوالي هذا من الاقتار وهو النقص من القدر الكافي انتهى قدره اي ما يقدر عليه ويطيقه وقراءة فتح الدال الكوفيين اسكانها لغتان او ان الفتح مشير الى التفضل بتحمل شيء ما فوق المقدر متاعا اي تمتيعا بالمعروف وهو ما ليس فيه في الشرع نكارة حقا على المحسنين اي الذين صار الاحسان لهم وصفا لازما والاحسان غاية رتب الدين فانه كما قال الحوالي اسلام ظاهر يقيمه ايمان باطن بكماله احسان شهودي انتهى فالكلام على هذا النظام الهاب وتهييج لا قيد وانما كانت احسانا لان ملاك القصد فيها كما قال الحوالي ما تطيب به نفس المراة ويبقى باطنها وباطن اهلها سلما او ذا مودة لعل الله يحدث بعد ذلك امرا انتهى ولا شك ان احسان المحسنين انتفاء المسيس والفرض فانهما اذا وجدا او وجد الجناح بوجوب المفروض كله اتبعه ما اذا انتفى احدهما فقط فذكر الحكم عند انتفاء المسيس وجده صريحا في ضد المفوضة السابقة وانهم بذلك ما اذا انتفى الفرض وحده تلويحا فقال وان طلقتموهن اي الزوجات من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن سواء كانت هناك خلوة اولا وقد اي والحال انكم قد فرضتم لهن فريضة اي مهرا مقدرا فنصف اي فالماخوذ نصف ما فرضتم اي سميتم لهن من الصداق لا غير ولما اوجب لها ذلك بعثها على تركه كان الزوج لم ينتفع بها بشيء بالتعبير بالعفو فقال الا ان يعفون اي النساء فان النون ضمير هن والواو كلام الفعل فلا يوخذ منكم شيء او يعفو الذي بيده اي اليه ولكن لما كان اغلب الاعمال باليد اسندت كلها اليه فصارت كناية عن القدرة عقدة النكاح وهو الزوج الذي ان شاء ابقاها وان شاء حلها فيسمح لها بالجميع كان التغيير بهذا هز للزوج الى العفو في نظير ما جعل اليه من هذا دونها قال الحوالي اذا قرن هذا الايراد بقوله ولا تعزموا عقدة النكاح خطابا للازواج قوي فسر من جعل الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج معادلة للزوجات ومن خص عفوهن بالمالكات اي الرشيدات خص هذا بالاولياء فكان هذا النمط من التهديف للاختلاف ليس عن سعة ابهام وكانه عن تبقية بوجه ما من نهاية الافصاح فمنشا الخلاف فيه دون منشا الخلاف من خطابات السعة بالابهام انتهى وجعل الامام هذا مفهوما من التغيير بالعقدة لانها تدل على المفعول كالاكلة واللقمة والذي بيده ذلك الزوج والذي بيده الولي العقد هو المصدر كالاكل واللقم لا العقدة الحاصلة بعد العقد وان تعفوا ايها الرجال والنساء اقرب اي من الحكم بالعدل الذي هو السواء ولما كان المقام للترغيب عبر باللام الدالة على مزيد القرب دون الى فقال للتقوى اما من المراءاة فلانه اذا عفا عن الجميع فقد ترك ما له فيه حظ عاجل وهو ما يتوقعه من الثواب الاجل ان الزوج لم ينل منها شيئا ولا حط بطي بل فهو اقرب الى رضاه واما من الرجل فلما اشار اليه جعل العقد بيده فانه كما ربطها باختيار حلها باختيار فدفعه الكل اقرب الى جبر المراءة ورضاها ومن فعل الفضل كان بفعله ذلك اقرب الى ان يفعل الواجب ممن لم يفضل ولما كان العفو فضلا من المعافي واحسانا منه وكانوا انما يتفاخرون بالفضايل اكده بقوله ولا تنسوا اي تتركوا ترك المنسي والتعبير بالنسيان اكد في النهي الفضل اي ان تكونوا متفضلين في جميع ما مضى لا مفضلا عليكم فان اليد العليا خير من اليد السفلى وزاده تاكيدا بقوله بينكم اي حال كونه واقعا فيكم من بعضكم لبعض ليس شيء منه خارجا عنكم ولن يناكم الله منه شيء لانه غني عن كل شيء فما امركم به الا لنفعكم خاصة ليلا يتاذى الزوج ببذل لم ينتفع في مقابله من المراءة بشيء ولا المراءة بطلاق لم يحصل لها في نظير ما يلحقها من الكسر بسببه شيء وهو يصح ان يكون بالتغليب خطابا للقبيلين وخصه الحوالي بالرجال فقال لمن حق الزوج الذي له فضل الرجولة ان يكون هو المعافي وان لا يواخذ النساء بالعفو ولذلك لم يات في الخطاب ام لهن ولا تحريض ممن اقيم ما يكون حمل الرجل على المراءة في اسر جاع ما آتاها بما يصرح به قوله او اتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا فينبغي ان لا تنسوا ذلك الفضل

فتجزون عليه حيث لم تلزموا به انتهى ثم علل ذلك مرغبا مرهبا بقوله ان الله اي الذي له الكمال كله بما تعملون اي وان دق
بصير وافهم ذلك وان طلقتموهن بعد المسيس وقبل الفرض فجميع مهر المثل ولما ذكرت احكام النساء وشعبت حتى ضاق فسيح العقل
بانتشارها وكاد ان يضيع في متسع مضمارها مع ما هناك من مظنة الميل بالعشق والنفرة بالبغض الحامل على الاحن والشغل بالاولاد
وغير ذلك من فتن وبلايا ومحن يضيق عنها نطاق الحصر ويكون بعضها مظنة للتهاون بالصلوة بل وبكل عبادة اقتضى الحال ان
يقال يرب ان الانسان ضعيف وفي بعض ذلك له شاغل عن كل مهم فهل بقي له سعة لعبادتك فقيل حافظوا بصيغة المفاعلة الدالة
على غاية العزيمة اي ليسابق بعضكم بعضا في ذلك ويجوز ان يكون ذلك بالنسبة الى العبد وربه فيكون المعنى احفظوا صلوتكم
له ليحفظ صلوته عليكم فلا يفعل فيها فعل الناسي فيترك تشريفكم بها واحصر منه ان يقال لما ذكر سبحانه ما بين العبادة
خاصة ذكر ما بينه وبينهم فقال وقال الحرالي لما كان ما انزله الكتاب اقامة ثلثة امور اقامة امر الدين الذي هو ما بين العبد
وربه وتمشيه حال الدنيا التي هي دار محنة العبد واصلاح حال الاخرة والمعاد الذي هو موضع قرار العبد صار ما يجري
ذكره من الاحكام تمشية الدنيا غلسا نجوم انارته احكام امر الدين فلذلك مطلع نجوم خطابات الدين اثناء خطابات امر الدنيا
فيكون خطاب الامر نجما خلال خطابات الحرام والحلال في امر الدنيا وانما كان نجم هذا الخطاب المحافظة على الصلوة لان هذا الاشتجار
المذكور بين الازواج فيما يقع من تكره في الانفس وتشاح في الاموال انما وقع من تضييع المحافظة على الصلوات لان الصلوة بركة
في الرزق وسلاح على الاعداء وكراهة الشيطان فهي دافعة للامور التي منها تتضايق الانفس وتقيل الوسواس ويطرقها الشح فكان
في افهام يجمع هذا الخطاب اثناء هذه الاحكام الامر بالمحافظة على الصلوات لتجري امورهم على السداد يغنيهم عن الارتباك في
جملة هذه الاحكام انتهى فقال تعالى حافظوا قال الحرالي من المحافظة مفاعلة من الحفظ وهو رعاية العمل علما وهيئة ووقتا
واقامة لجميع ما يحصل به اصله ويتم به عمله وينتهي اليه كماله واشار الى كمال الاستعداد لذلك باداة الاستعلاء فقال
على الصلوات فجمع وعرف حتى يعم جميع انواعها اي افعلوا في حفظها فعل من يناظر آخر فيه فانه لا مندوحة عنها في حال من الاحوال
حتى ولا في حال خوف التلف فان في المحافظة عليها كمال صلاح امور الدنيا والآخرة لا سيما ادرار الارزاق واذلال الاعداء
وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها الآية واستعينوا بالصبر والصلوة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى
الصلوة ولا شك ان اللفظ صالح لدخول صلوة الجنازة فيه ويزيده وضوحا اكتنافا ايتي الوفاة لهذه الآية سابقا
ولاحقا وقال الحرالي ان الله يعطي الدنيا على نية الآخرة وابى ان يعطي الاخرة على نية الدنيا خلل حال المرء في دنياه ومعاده
انما هو عن خلل حال دينه وملاك دينه واساسه ايمانه وصلوته فمن حافظ على الصلوات اصلح الله حال دنياه واخراه
وفي المحافظة عليها تجري مقتضيات عملها عملا اسلاميا وخشوعا واخباتا ايمانيا ورؤية وشهودا احسانيا فبذلك تتم
المحافظة عليها واول ذلك الطهارة لها باستعمال الطهور على حكم السنة وتتبع معاني الحكمة كما في مسح الاذنين مع الراس لان
من فرق بينهما لم يكد يتم له طهور نفسه بما ابدته الحكمة واقامته السنة وعمل العلماء فصمد عنه عامة الخلق الغفلة ثم التزام
التوبة عندها لان طهور القلب التوبة كما ان طهور البدن والنفس الماء والتراب فمن صلى على غير تجديد توبة صلى محدثا بغير
طهارة ثم حضور القلب في التوحيد عند الاذان والاقامة فان من غفل قلبه عند الاذان والاقامة عن التوحيد نقص من صلوته
روحها فلم يكن لها عمود قيام مبتدا حضر قلبه حال الاذان والاقامة حضر قلبه في صلوته ومن غفل قلبه عندهما
غفل قلبه في صلوته ثم هيبها في تمام ركوعها وسجودها وانطاق كل ركن عملي بذكر الله مختص به ادنى ما يكون ثلثا فليس في
الصلوة عمل لا نطق له ولا تقبل الله صلوة من لم يقم صلبه في ركوعه وسجوده وقيامه وجلوسه فبالنقص من تمامها
تنقص المحافظة عليها وبتضييع المحافظة عليها يتملك الاعداء النفس ويلحقها الشح فتثقل عليها الاحكام وتتضاعف عليها
مشاق الدنيا وما من عامل يعمل عملا في وقت صلوة او حال اذان الا كان وبالا عليه وعلى من ينتفع به من عمله وكان ما ياخذه
من اجر فيه سقي خبث لا يثمر له عمل بر ولا راحة نفس في عاجلته ولا آجلته وخصوصا بعد ان امهل الله الخلق من طلوع شمس
يومهم الى زوالها ست ساعات فمن يكن لدنياهم حق الست الباقية فكيف اذا طولبوا منها باوقات الاذان والصلوة وما نقص
عمل من صلوة فبذلك كانت المحافظة على الصلوات ملاكا لصلاح احوال الخلق مع ازواجهم في جميع احوالهم انتهى والصلوة
الوسطى اي خصوصا فانها افضل الصلوات لانها اخصها بهذا النبي الخاتم كما مضى بيانه اول السورة في قوله واستعينوا
بالصبر والصلوة فخصها سبحانه بمزيد تاكيد واخفاها لاداء ذلك الى المحافظة على الكل ولهذا السبب اخفى ليلة القدر
في رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة والاسم الاعظم في جميع الاسماء ووقت الموت حملا على التوبة في كل لحظة وقال
الحرالي وما من جملة الا ولها زهرة فكان في الصلوات ما هو منها بمنزلة الخيار من الجملة وخيارها وسطاها فلذلك خصص
تعالى خيار الصلوات بالذكر وذكرها بالوصف ابهاما ليشمل الوسطى الخاصة بهذه الامة وهي العصر التي لم تصح لغيرها
من الامم ولينتظم الوسطى العامة لجميع الامم ولهذه الامة التي هي الصبح ولذلك اتسع لموضع اخذها بالوصف مجال
العلماء فيها ثم تعدت انظارهم الى جميعها لموقع الابهام في ذكرها حتى تتاكد المحافظة في الجميع بوجه ما وفي قراءة عائشة
رضي الله عنها وصلوة العصر عطفا ما يشعر بظاهر العطف باختصاص الوسطى بالصبح على ما رآه بعض العلماء وفيه مساغ
لمرجعه على الصلوة الوسطى بنفسها ليكون عطف اوصاف وتكون تسميتها بالعصر مدحة ووصفا من حيث ان العصر
خلاصة الزمان كما ان عصارات الاشياء خلاصاتها ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون فعصر اليوم

هو خلاصته لسلامته من وهج الهاجرة وغسق الليل ولتوسط الاحوال والابدان والانفس بين حاجتي الغذاء والعشا التي هي مشغلتهم لحاجة الغذاء ومن افصاح العرب عطف الاوصاف المتكاملة فيقال فلان كريم وشجاع اذا تم فيه الوصفان فاذا انقصا عن التمام قيل كريم شجاع بالاتباع فبذلك نقبل معنى هذه القراءة ان تكون الوسطى هي العصر عطفا لوصفين ثانيين لامر واحد انتهى ويوضح ما قاله رحمه الله قولهم في الزمان المزحلوحامض من غير عطف وترهلته انهم قالوا ان الجمل اذا اتبعت من غير عطف كان ذلك موذنا بتمام الاتصال بينها فتكون الثانية اما علة للاولى واما مستانفة على تقدير سؤال سائل ونحو ذلك مما قاله البيانيون في باب الفصل والوصل ولولا اشعار الكلام الاول بالجملة الثانية لاحتياجه اليها لم يوجد محرك للسوال بخلاف ما اذا تعاطفت فان ذلك يوذن بان كل واحدة منها غنية عما بعدها وذلك موذن بالتمام واما اسماء الله تعالى فتتابعها دون عطف لان شيا منها لا يوذي جميع مفهوم اسم الذات العلم ولذلك ختم سبحانه ايات سورة الحشر بقوله له الاسماء الحسنى اي ان هذه الاسماء التي ذكرت هي مما افهمه حد قول الاسم العلم المبتدا به سواء قلنا انه مشتق اولا ومهما اطلعت على وجه وصف حسن يليق به سبحانه فهو مما دل عليه الاسم الاعظم لان من يستحق العبادة لا يكون الا كذلك جامعا لاوصاف الكمال اولانه لما جبلت النفوس وطبعت القلوب على المعرفة بانه سبحانه منزه عن شوايب النقص ومتصف باوصاف الكمال كان الاغراض لعطف فيها للايذان بذلك وما عطف عنها فلمعنى دعا اليه كما ياتي بيانه ان شاء الله تعالى في مواضعه وانا لا اشك ان المعطل اذا وقع في ضيق احرجه ودهمه من البلاء ما اعجزه واحرق قلبه واجرى دمعه انفت قلبه ضرورة الى الله تعالى في كشفه وضرع اليه في ازالته لما ركز في جبلته من كماله وعظمته وجلاله ذاهلا عما اكتسبه من قرناء السوء من سوء الاعتقاد وجر نفسه اليه من العناد والله اعلم فدونك قاعدة نفيسة طالما تطلبتها وسالت عنها الفضلاء فما وجدتها وضربت بفكري في رياض الفنون وبهامه العلوم حتى تصورتها ثم بعد قراءتي من تفسيري رايت الكشاف اشار اليها في آية والمستغفرين بالاسحار في آل عمران والله الموفق ولما امر بالمحافظة عليها اتبعه جامع ذلك فقال وقوموا لله اي الذي له الجلال والاكرام اي مطيعين قاله الحسن وسعيد بن جبير والشعبي وعطاء وطاوس وروي الطبراني في الاوسط والامام احمد وابو يعلى الموصلي في مسنديهما وابن حبان في صحيحه عن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل حرف ذكر من القنوت في القرآن فهو الطاعة وقبول القنوت السكوت ففي الصحيحين عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال كنا نتكلم في الصلوة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في حاجته حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهانا عن الكلام وقال مجاهد رضي الله عنه خاشعين وقيل غير ذلك والذي اعلم اصل معنى هذه الكلمة لغة علم ان المراد مخلصين واليه يرجع جميع ما قالوه وذلك ان مادة قنت باي ترتيب كان تدور على الضمور من القنين للقليل اللحم والطعم وقنن المسك اذا يبس ويلزمه الاجتذاب والخلوص فانه لولا يجاذب الاجزاء الزوائد ما بينها من المائع لم يضمر ومنه امراة قانق اذا كانت ولودا كانها تجتذب المني كله فتظفر بما يكون منه الولد اولانه لما كان المقصود الاعظم من الجماع الولد كانت كانها المختصة بجذب المني وكان اجتذاب غيرها عدما او كانها تجتذب الولد من رحمها فتخرجه وذلك من نتق السقاء وهو نقضه حتى يقتلع ما فيه فيخلص ومن ذلك البيت المعمور نتاق الكعبة اي مطل عليها من فوق فلو انه جاذب شيا من الارض لكان اياها لانه تجاهها ومن الضمور النقن لرسابة الاحكام لجودة التراص في الاجزاء لخلوصها عن مانع ومنه امر متقن اي محكم ورجل تقن اذا كان حاذقا بالاشياء هو خالص الراي ويلزمه الاخلاص والخشوع والتواضع فتاتي الطاعة بالدعاء وغيره فانها جماع الهم على المطاع اذ هو قانت انى هو والليل ونحو ذلك والتقن ايضا الطبيعة فانها سر الشي وخالصه ومنه النصاحة من تقن فلان اي طبعه ويلزم الضمور القيام فانه ضمور بالنسبة الى بقية الحيلات ومنه افضل الصلوة طول القنوت والسكوت ضمور بالنسبة الى الكلام ويلزم الضمور اليبس والذبول ومنه التقن للطين الذي يذهب عنه الماء فييبس ويتشقق والقلة ومنه قراد قنين اي قليل الدم فياتي ايضا السكوت والاحكام واذا جمعت معاني هذه المادة وهي قنت وقنن وتقن ونتق من كتب اللغة ازددت بصيرة في هذا واذا علم ذلك علم ان الاية منطبقة على الحديث محتملة لجميع اقوال العلماء وذلك ان الصلوة اذا اخلصت لم يكن فيها قول ولا فعل ليس منها وذلك محض الطاعة والخشوع وقال الحر الي القنوت الثبات على امر الخير وفعله وذلك ان فعل الخير والبر يسير على الاكثر ولكن الثبات والدوام عسير عليهم وكان من القنوت مداومة الحق فيما جاء به في الصلوة حتى لا يقع التفات للخلق فلذلك لزم الصمت عن الخلق من معناه لان كلام الناس قطع لدوام المناجاة ففي اشاره ان من قام لله قانتا في صلوته اقام الله في دنياه حاله في اقانيمه ومع اهله كما يشير اليه معنى اية وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك ففيه ايذان بان الصلوة تصلح الحال مع الاهل وتستدر البركة في الرزق انتهى وحديث زيد هذا صريح في ان الصلوة في اول الامر لم يكن على الحد والذي صارت اليه اخرا فيحتمل ان الفعل كان مباحا فيها كما كان الكلام ويويده ان الاصل في الاشياء الاباحة حتى ياتي ناقل بالمنع ولهذا يزول ما في حديث ذي اليدين من الاشكال من انه يقتضي اباحة القول والفعل للمصلي اذا ظن انه اكمل الصلوة او نسي اية فيها لان النبي صلى الله عليه وسلم صلى احدى صلاتي العشي فسلم من ركعتين ثم قام الى خشبة في ناحية المسجد فاتكا عليها وخرج سرعان الناس فلما اعلمه ذو اليدين بالحال الى الناس فقصد فوه فرجع فاكمل الصلوة فان الحديث غير مسوق فيحتمل انه كان قبل تحريم الافعال والاقوال لهذه الاية ويويده احتمال اباحة الافعال او الاتباع الاية بقوله تعالى فان خفتم اي حال من

قانتين

احوال الجهاد الذي تقدم انه كتب عليكم او نحو ذلك من عدو او سبع او غريم يجوز الهرب منه او غير ذلك **فرجالا** اي قائمين
على الارجل وهو جمع راجل من حيث انه اقرب الى صورة الصلوة قال البغوي رحمه الله انما لم يمكنكم ان تصلوا قائمين موفين للصلوة
حقها الخوف فصلوا مشاة على ارجلكم **او ركبانا** اي كائنين على ظهور الدواب على هيئة التمكن وقال الحرالي ما من حكم شرعه الله في
السعة الا وابتنه في الضيق والضرورة بحيث لا يفوت في ضيقه بركة من حاد سعته ليعلم ان فضل الله لا ينقصه وقت ولا يفقده
حال وفيه اشعار بان المحافظة على الصلوة في التحقيق ليس الا في اقبال القلب بالكلية على الرب فما اتسع له الحال مما ورد ذلك فعل والا
اكتفى بحقيقتها ولذلك انتهت الصلوة عند العلماء في شدة الخوف الى تكبيرة واحدة يجتمع اليها وحدها بركة اربع الركعات التي تقع في
السعة وفيها على حالها من البركة في اتساع الرزق وصلاح الاهل ما في الواقعة في السعة مع معاجلة النصرة لعزيمة اقامتها على الامكان
في الخافة وقد وضح باختلاف احوال صلوة الخوف ان حقيقتها انها لا صورة لها فقد صح فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة
صورة وزيادة صور في الاحاديث الحسان انتهى وروى البخاري في التفسير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيفية في صلوة الخوف
قال فان كان خوف اشد من ذلك صلوا رجالا قياما على اقدامهم او ركبانا مستقبلي القبلة او غير مستقبليها قال مالك قال نافع
لا ارى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذكر ذلك الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني كان مثل ذلك لا يقال من قبل الراي **فاذا امنتم**
اي حصل لكم الامن ما كان اخافكم ولما كان المراد الاعظم من الصلوة الذكر وهو دوام حضور القلب قال مشيرا الى ان صلوة
الخوف يصعب فيها ذلك منبها بالاسم الاعظم على ما يوكد الحضور في الصلوة وغيرها من كل ما يسمى ذكرا **فاذكروا الله** اي الذي له الامر
كله قال البغوي رحمه الله اي فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها وقال الحرالي اظهر المقصد في عمل الصلوة وانه انما هو
الذكر الذي هو قيام الامن والخوف انتهى فكانه سبحانه لما منع مما ليس من الصلوة من الاقوال والافعال استثنى الافعال حال الخوف
فما بقيت على الاصل لكن قد روى الشافعي رحمه الله في كتاب اختلاف الحديث من الام وابو داود والنسائي من طريق عاصم بن ابي
النجود عن ابي وايل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلوة الحديث
في انه لما رجع من الحبشة قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحدث من امره ما شاء وان مما احدث ان لا تكلموا في الصلوة وحكم
بانه قبل حديث ذي اليدين لما في بعض طرقه مما يقتضي ان رجوعه كان قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو كذلك لكن
عاصم له اوهام في الحديث وان كان حجة في القراءة فلا يقوى حديثه لمعارضة ما في الصحيحين من حديث زيد الماضي المغيا
بنزول الاية والبقرة مدنية كما في الصحيح في فضائل القرآن عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما نزلت سورة النقر والنسا
الا وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه في النكاح وغيره انه صلى الله عليه وسلم بنى بها وهي بنت تسع سنين واقامت عنده
تسعا فيكون ذلك في السنة الثامنة من الهجرة وقال الشافعي رحمه الله في الرسالة في باب وجه اخر من الناسخ والمنسوخ اخبرنا
محمد بن ابي فديك عن ابن ابي ذئب عن المقبري عن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حبسنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن الصلوة حتى كان بعد المغرب لهوي من الليل حتى كفينا وذلك قول الله تعالى
وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فاقام ثم اقام الظهر فصلاها فاحسن
صلوتها كما كان يصليها في وقتها ثم اقام العصر كذلك ثم اقام المغرب فصلاها كذلك ثم اقام العشا فصلاها كذلك ايضا وذلك قبل
ان ينزل الله تعالى في صلوة الخوف فان خفتم فرجالا او ركبانا وقد روى الشيخان ايضا حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ كنا
نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصلوة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال ان في الصلوة
شغلا لكنه ليس صريحا في تحريم الكلام فيعود الاحتمال السابق فان كان الواقع ان حديث زيد متاخر كان ما قلت والا كان الذي
ينبغي القول به انه لا فرق بين القول والفعل لان اشتمال حديث ذي اليدين عليهما على حد سوا كما صححه صاحب التتمة من اصحاب
الشافعي رحمه الله ونقل عن اختيار الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في كتابه التحقيق وتبعه عليه السبكي وغيره من المتاخرين
وكلام الشافعي ظاهر فيه فانه قال في الرد على من نسبه الى انه خالف في التفريع على الحديث المذكور فانت خالفت اصله وفرعه
ولم نخالف نحن من اصله ولا من فرعه حرفا واحدا هذا نصه في كتاب الرسالة ولما امر سبحانه بالذكر عند الامن علله بقوله
كما علمكم اي لاجل انعامه عليكم بان خلق فيكم العلم المنقذ من الجهل فتكون الكاف للتعليل وقد جوزه ابو حيان في النهر ونقله في موضع
اخر منه عن النحاة والله اعلم **ما لم تكونوا تعلمون** بما انالكم على لسان هذا النبي الكريم من الاحكام التي تقدمت في هذه السورة
المفصلة بديع الاسرار من الاصول ودقايق العلوم كلها وقال الحرالي من احكام هيئة الصلوة في الاعضاء والهيئات حالها
في التفس من الخشوع والاخبات والتخلي من الوساوس وحالها في القلب من التعظيم والحرمة وفي اشارته ما ورد اظهر العلم من اسرار
القلوب التي اختصت بها امة هذه الكلمة انتهى ولما كان ذكر احكام عشرة النسآء على هذا الوجه مظنة سوال سايل كما تقدم
يقول قد استغرق الاشتغال بهذا الزمان واضر بالقراغ للعبادة وكان هذا السوال ايما الى الاستيذان في الرهبانية والاحتصا
الذي سال فيه من سال كما سنبين ان شا الله في المايدة في قوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وكان الامر امن عن جواب السايل
بالامر بالمحافظة على الصلوة وما اشعر بالاقرار على مضمون السوال والاذن في الترهب بقرينة الامر امن عن السوال وربما
كان مشيرا الى النهي عن الترهب بقرينة السكوت على ما تقدم من الامر بشر تهن من غير نهي عنه عقب الامر بذلك ببعض ايات النسآء
تاكيدا لما افهمته تلك الاشارة اي اتركوا الترهب وكونوا رجالا في الاقتدا بنبيكم صلى الله عليه وسلم في القيام بحقوق الله وحقوق
نفسه وغيره من سايرا لعباد وجعل ما تعقب اية الصلوة من تعلق النكاح باية بين فقط او فيها في حكم من احكام الموت وهي منسوخة كما

قال الاكثر ليست من دعائم احكام هذا الباب اشارة الى انه ينبغي ان يكون الاقبال على العبادة اكثر وان يكون الاشتغال بامر النساء والاولاد انما هو على وجه التزود للموت وما بعده فقال كما في والذين وقال الحرالي لما ذكر تعالى احكام الازواج في الطلاق والوفاة وحكم العرض والمتعة في المطلقات قبل الدخول ختم هذه الاحكام الموكدة بالعرض والامر بما هو من نحوها فنظم بالمتعة من النفقة والكسوة والاخدام وما في معناه المتعة بالسكنى للمتوفى عنها زوجها الى حد ما كانت العدة في الجاهلية ليكون للخير والمعروف بقاء في الاسلام بوجه ما ايما عقد وعهد كان في الجاهلية فلن يزيده الاسلام الا شدة انتهى فقال تعالى يتوفون منكم اي يتادبون ان تستوفي ازواجهم من اعمارها ابدانهم فيخلصها منها كاملة لا يعاد منها شيا ولا ياخذ شيا من الجسم مع ما بينهما من كمال الامتزاج الذي لا يقدر معه على تمييز احدهما عن الاخر الا هو سبحانه ويذرون ازواجا بعد موتهم فليوصوا وصية ومن رفع فالتقدير عنده فعليهم وصية ويجوز ان يحمل الوفاء على حقيقتها ويكون التقدير وصية من الله لازواجهم او يوصيكم الله وصية لازواجهم بالسكنى في بيوتهم متاعا لهن الى راس الحول من حين الوفاة قال الحرالي وهو غاية العمر وجامع لجملة الفصول التي يوفاها تظهر احوال الصبر عن الشي والحرص عليه وانما الحول الثاني استدراك انتهى غير اخراج اي غير مصاحب ذلك المتاع بنوع آخر اخراج او غير ذوي اخراج قال الحرالي لتكون الاربعة الاشهر والعشر قرضا وباقي الحول متاعا لتحق انواع المتعة بانواع اللازم في الزوجة من نفقة وكسوة واخدام وسكنى ولما كان هذا المتاع الزايد انما هو تقرير للزوجة في حال ما كانت عليه مع زوجها اشعارا ببقاء العصمة والاحة من الله بحسن صبر المراة المتوفى عنها زوجها على ان لا تتزوج عليه غيره حتى تلقاه فتكون معه على عقد النكاح السابق ليكون للامة في ازواجهم لمحة حظ من تحريم ازواج نبيهم بعده اللاتي يقمن بعده الى ان يلقينه ازواجا لهن فيكون ذلك لمن يتشرف من خواصها الى اتباعه في احكامه واحكام ازواجه لان الرجال مما يستحسنون ذلك لازواجهم فمن اشد ما يلحق الرجل بعد وفاته تزوج زوجه من بعده لانها ذلك كانها هي المطلقة له ولذلك ورد ان المراة انما تكون لآخر زوج لانها تركت الزوج ولم يتركها هو فان صلى الله عليه وسلم انا وسفعاء الخدين حبست نفسها على يتاماها حتى ماتوا او باتوا كهاتين في الجنة كانه صلى الله عليه وسلم اكد ذلك المعنى على من ترك لها المتوفى ذرية لانه اثبت عهد معه انتهى روى البخاري في التفسير عن مجاهد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا فان كانت هذه العدة تعتد عند اهل زوجها واجب كما نزل الله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا متاعا الى الحول غير اخراج قال جعل الله لها تمام السنة سبعة اشهر وعشرين ليلة وصية ان شاءت سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت وهو قول الله غير اخراج فالعدة كما هي واجب عليها ولما كان هذا المتاع الواجب من جهة الزوج جايزا من جهة المراة نبه عليه بقوله فان خرجن اي من انفسهن من غير مزعج ولا مخرج فلا جناح عليكم يا اهل الدين يجب عليهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما فعلن في انفسهن من النكاح وتعدماته ولما كانت لهن في الجاهلية احوال منكرة في الشرع قيده بقوله من معروف اي عندكم يا اهل الاسلام ولما كان في هذا احكام من جهة الرجال فصل وآخر من النساء عفو فكان التقدير فالله غفور حليم عطف عليه قوله والله اي الذي لا كفوء له عزيز حكيم وفي ضمنه كما قال الحرالي تهديد شديد للاولياء ان لم ينفذوا ويمضوا هذه الوصية بما الزم الله ففي الجملة ان من اضاع ذلك مما الزم عزة الله عقوبات في ذات نفسه وزوجه ومخلفيه من بعده ويجري ما خذ ما تقتضيه العزة على وزن الحكمة جزاء وفاقا وحكما قصاصا وهذه الاية مما ذكر فيها بعض الناس النسخ وانما هي مما لحقها نسيان او قصه الله تعالى على الخلق حتى لا يكاد ان يكون عمل بها احد الا احد لم يذكره ولم يشتهر منه فهي مما انسي قرن عليه النسيان لامر شاءه الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقد ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم انفذ لامراة من تركة زوجها نفقة نسيئة وذلك والله اعلم قبل نزول اية الفرايض حين كانت الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف انتهى وبما قال الحرالي من انها غير منسوخة قال مجاهد رضي الله عنه كما تقدم في رواية البخاري عنه ان الزوجة ان اختارت هذا فعدتها الحول والا فعدتها الاية الاولى ونقله الشمس الاصفهاني في حواشيه عنه في تفسيره ونقل عن بلديه ابي مسلم قريبا منه فانه قال بعد ان نقل عنه انها غير منسوخة ليس التقدير ما يفيد الوجوب على الزوج مثل فليوصوا بل التقدير وقد وصوا او ولهم وصيته وحسن تعقيب اية المحافظة على الصلوة بعد الوفاة كون الخوف المذكور فيها من اسباب القتل ولعل اثباتها في التلاوة مع كونها منسوخة الحكم على ما قال الجمهور تذكيرا للنساء بما كان عدة لهن في اول الامر ليلا يستطلن العدة الثانية باربعة اشهر وعشر فينتهكن شيا من حرماتها كما اشار اليه ما في الصحيحين وغيرهما عن ام سلمة رضي الله عنها ان امراة استاذنت النبي صلى الله عليه وسلم ان تكحل ابنتها لوجع اصابها فابى وقال قد كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على راس الحول ولما ذكر سبحانه متاع المتوفى عنهن اعقبه متاع المطلقات تاكيدا للحكم بالتكرير وتعميما بعد تخصيص بعض افراده فقال تعالى وللمطلقات اي الدخول بهن باي طلاق كان متاع اي من جهة الزوج يجبر حاصل لهن من الكسر بالمعروف اي من حالها حقا على المتقين قال الحرالي حيث كان الذي قبل الدخول حقا على المحسنين كان المحسن يمتع بايسر وصلة في القول دون الافضاء والمتقي يحق عليه المتاع بمقدار ما وقع له من حرمة الافضاء ولما وقع بينهم من الارهاق والضجر فيكون في المتعة ازالة لبغضة الله وابقاء بسلام او مودة انتهى وفيه اشارة الى ان الطلاق كالموت لانقطاع حبل الوصلة الذي هو كالحيوة وان المتاع كالارث ولما بين سبحانه هذه الاحكام هذا البيان الثاني كان كان سايلا قال هل يبين غيرها مثلها فقال كذلك اي مثل هذا البيان يبين الله اي الذي له الحكمة البالغة لانه المحيط بكل شي لكم اياته اي المربية بما يفصله لكم في ايانه المسموعة لعلكم تعقلون اي لتكونوا على حال يرجى لكم

معها التفكر في الايات المسموعات والايات المرئيات كما يفعل العقلاء فيهديكم ذلك الى سواء السبيل وقد كرر مثل هذا القول كثيرا وفصلت به الايات تفصيلا وكان لعمري يكفي الفطن السالم من مرض القلب وآفة الهوى ايراده مرة واحدة في الوثوق بمضمونه والركون الى مدلوله وانما كرر تنبيها على بلاغة الايات المختومة به وخروجها عن طوق البشر وقدرة المخلوق وذلك انهم كلما سمعوا شيا من ذلك وهم اهل السبق في البلاغة والظفر على جميع ارباب الفصاحة والبراعة فراوه فايا القوائم وبعيدا من قدرهم خطر لهم السؤال عن مثل ذلك البيان ناسين لما تقدم من صادق القول بوعد وثابت المعقول بان الكل على هذا المنوال البديع المثال البعيد المنال لما اعتراهم من دهش العقول وانبهار الالباب والنهوم ولما انقضى ما لابد منه مما سيق بعد الاعلام بفرض القتال المكروه للانفس من تفصيل ما اجمل في ليل الصيام من المشارب والمناكح وما تبعها وكان الطلاق كما سلف كالموت وكانت المراجعة كالاحياء وختم ذلك بالصلوة حال الخوف الذي اغلب صور الجهاد ثم تبيين الايات امم من ان تكون في الجهاد او غيره عقب ذلك بقوله دليلا على اية كتب القتال المحتوف فيها على الاقدام على المكاره بجهل المخلوق بالغايات الم تر وقال الحرالي لما كان امر الدين مقاما متعاملة الخمس التي افانه ظاهرها تمام في الاية وانما تمام اقامتها بتقوي القلوب واخلاص النيات كان القليل من المواعظ والتفصيل في شانه كافيا ولما كان حظيره الذي انما هو الجهاد الذي فيه بذل النفس وانفاق الاموال كثرت فيه مواعظ القرآن وتردد وعرض لهذه الامة باعلام بما يقع فيه فذكر ما وقع من الامم الماضيين في الامم السالفة وخصوصا اهل الكتابين بني اسرائيل ومن لحق بهم من ابناء العيص فكانت وقايعهم مثلا لوقايع هذه الامة فلذلك احيل النبي صلى الله عليه وسلم على استنطاق احوالهم بما يكشفه الله من اسرارهم عيانا وبما ينزله من خبرهم بيانا وكان من جامعه معنى ذلك ما تقدم من قوله تعالى سل بني اسرائيل كم اتيناهم من آية بينة وكان من جملة الايات التي حق الاقبال لها على النبي صلى الله عليه وسلم لعلو معناها فاشرف المعاني ما قيل فيه الم تر اقبالا على النبي صلى الله عليه وسلم وعموم المعاني ما قيل فيه الم تروا اقبالا على الامة لتخاطب كل على قدر ما قدم لهم من تمهيد موهبة العقل لترتب المكتسبة من العلم على مقدار الموهبة من العقل فكان من التصفح العلي العلم اللطيف الاعتبار ما تضمنته هذه الايات من قوله الم تر ليكون ذلك عبرة لهذه الامة حتى لا يفروا من الموت فرار من قبلهم قال صلى الله عليه وسلم اذا نزل الوبا بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وذلك لتظهر مزيتهم على من قبلهم بما يكون من عزهم كما اظهر الله تعالى مزيتهم على من قبلهم بما انامهم من فضله ورحمته التي لا ينولها لمن قبلهم انتهى ولما كانت مفارقة الاوطان مما لا يسمح به نبه بذكر على عظيم مادهمهم فقال الى الذين خرجوا اي ممن تقدمكم من الامم من ديارهم التي الفوها وطالما تعبوا حتى توطنوها لما وقع فيها مما لا طاقة لهم به من الموت وهم الوف اي كثير جدا تزيد على العشرة فيما انهمه جمع الكثير قال الحرالي فيه اشعار بان تخوفهم لم يكن من نقص عدد وانما كان من جزع النفس مما علم تعالى ان الحذر لا ينجي من القدر وانما ينجي منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء ان الدعاء ليلقى القضاء فيعتلجان الى يوم القيمة انتهى حذر الموت فرارا من طاعون وقع في مدينتهم او فرارا من عدو دعاهم حبهم الى قتاله على اختلاف الرواية ظنا منهم ان الفرار ينجيهم ودل سبحانه على ان موتهم كان كنفس واحدة بان جعلهم كاموات الذي لم يمكنه التخلف عن الامتثال بقوله مسببا عن خروجهم على هذا الوجه فقال لهم الله اي الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه طالب لان له الكمال كله موتوا اي فماتوا اجمعين موت نفس واحدة لم ينفعهم حذرهم ولا صد القدر عنهم علمهم بالامور وبصرهم اعلاما بان من هاب القتال حذر الموت لم يغنه حذره مما جاءه من اغضاب ربه ومن اقدم عليه لم يضره اقدامه مع ما فاز به من مرضاة مولاه قال الحرالي في اشعاره انبأ بان هذه الاماتة اماتة تكون بالقول حيث لم يقل فاماتهم الله فتكون اماتة حاقة لا مرجع منها فعليه ابد المعنى تدرج ذات الموت في اسنان حتراقية من حد ضعف الاعضاء والقوى بالكسل الى حد السنة الى حد النوم الى حد الغشي الى حد الصعق الى حد هذه الاماتة بالقول الى حد الاماتة الآتية على جملة الحيوة التي لا ترجع الا بعد البعث وكذلك الاماتة التي يكون عنها تبدد الجسم مع بقائه على صورة اشلائه اشد اتيانا على الميت من التي لا تاتي على اعضائه ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء والشهداء والعلماء والمؤذنين فكما للحيوة اسنان من حد ربوة الارض الى حد حيوة المؤمن الى ما فوق ذلك من الحيوة كذلك للموت اسنان بعد اسنان الحيوة مع كل سن حيوة الى ان ينتهي الامر الى الحي الذي لا يموت وان الى ربك المنتهى فبذلك يعلم ذوو النهى ان ذلك توطئة لقوله ثم احياهم وفي كلمة ثم ايهام الى ما شاء الله انتهى وجعل سبحانه ذلك تقريرا له صلى الله عليه وسلم بالرؤية اما لانه كشف له عنهم في الحالين تنبيها على انه في القطع باخبار الله تعالى على حاله هي كالرؤية لغيره تدريبا لامته ولعل في الآية حضا على التفضل بالمزاحمة من الطلاق كما تفضل الله على هؤلاء باحياء بعد ان اذاقهم بالاماتة وختم ما قبلها بالاقامة في مقام الترجي للعقل فيه اشارة الى ان الخارجين من ديارهم لهذا الغرض سفها فكانه قيل لتعقلوا فلا تكونوا كهؤلاء الذين ظنوا ان فرارهم ينجيهم من امر الله فتكونوا عالمين بانكم اينما كنتم ففي قبضته وطوع مشيئته وقدرته فيفيدكم ذلك الاقدام على ما كتب عليكم مما تكرهونه من القتال او يقال ولما كان المتوفي قد يطلق وجه في مرض موته فرارا من رئاء وقد غض بعض رؤسائه بضاربيه عنه وقد يحتال على المطلقة ضرارا بما يمنع حقها ختم ايات الوفاه عن الازواج والمطلقات بترجيه العقل بمعنى انكم اذا عقلتم لم تمشوا احدا من فضل الله الذي اتاكم علما منكم بانه تعالى قادر على ان يمنع المراد اعطاءه ويمنح المراد منعه باسباب يقيمها ودواعي يخلقها او يشفي فاعل ذلك من مرضه ثم يسلبه فضله فيفقره بعد غناه ويضعفه بعد قواه فانه لا ينفع من قدر ضر ولا يدفع مراده كيد ولا حيل وان كثر العدد وجل المدد الم تر الى ان قال ان الله اي الذي

له الاحاطة بالجلال والاكرام لذو فضل على الناس اي عامة فليذكر كل احد ما له عليه من الفضل وليرغبوا في العفو عمن يرون
ان منعه عدل لان ذلك اقرب الى الشكر وابعد عن الكفر فطلاق الفار اخراج الزوجة عن دايرة عصمته حذرا من اماتة ماله
باخذ ما يخصها منه وخروج الزوج عن دارة النكاح حذرا من موت مقيد بكونها في عصمته وخروج الالوف من دار الاقامة حذرا
من موت مطلق ومن المناسبات البديعة انه لما كان حقيقة حال العرب انهم انتقلوا بعد ابيهم اسمعيل عليه السلام والتابعين
لهم باحسان من ضيق دار العلم والايمان حذرا هلاك الابدان بتكاليف الاديان الى فضاء الشهوات والعصيان فوقعوا في موت
الجهل والكفران فلما نزل عليهم القرآن وكان اكثر هذه السورة في الرد على اهل الكتاب وكرر فيها هداية العرب من الكفر والجهل
بكلمة الاطماع في غير موضع نحو ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون لعلكم تتقون لعلهم يرشدون لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة
وغير ذلك الى ان ختم هذه الايات بترجي العقل وكان اهل الكتاب قد اشتد حسدهم لهم بجعل النبي الذي كانوا ينتظرونه منهم
وكان الحاسد يتعلق في استبعاد الخير غير محسودة بادنى شي كانوا كانهم قالوا اتحيي هولاء العرب على كثرتهم وانتشارهم في اقطار
هذه الجزيرة من موت الكفر والجهل بالايمان والعلم بعد ان تمادت بهم فيهما الازمان وتوالت عليهم الليالي والايام حتى عتوا فيهما
وعسوا ومردوا عليهما وقسوا فاجيبوا بنعم وما استبعدتموه غير بعيد فقالوا ان كان لله بهم عناية فلم تركهم يجهلون
ويكفرون بعد ما شرع لهم ابوهم اسمعيل عليه السلام دين ابيه ابرهيم عليه السلام فاجيبوا بانه فعل بهم ذلك لذنب استحقوه
لحكمة اقتضاها سابق علمه ثم ذكرهم قدرته في مثل ذلك من العقوبة واللطف بما هم به عالمون فقال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه
وسلم والمراد هم كما يقال الكلام لك واسمعي يا جارة الم تر ويجوز ان يكون الخطاب لكل فاهم اي تعلم بقلبك ايها السامع علما
هو كالرؤية ببصرك لما تقدم من الادلة التي هي اضوء من الشمس على القدرة على البعد ويويد انه لمح فيه الابصار تعديته بالى في
قوله الى الذين خرجوا وقال فقال لهم الله اي الذي له العظمة كلها عقوبة لهم بفرارهم من امره موتوا ثم احياهم بعد ان
تطاول عليهم الامد وتقادم بهم الزمن كما افهمه العطف بحرف التراخي تفضلا منه فكما تفضل على اولئك بحياة اشباحهم بعد
عقوبتهم بالموت فهو يتفضل على هولاء بحيوة ارواحهم من موت الكفر والجهل ثم علل ذلك بقوله ان الله بما له من الجلال
والعظمة والكمال لذو فضل اي عظيم على الناس اي كافة مطيعهم وعاصيهم قال الحرالي بما ينسيهم تارة الى احوال
مهوية ثم ينجيهم منها الى احوال منجية بحيث لو ابقى هولاء على هذه الاماتة ومن لحق بسنتهم من بعدهم لهلكت اخرتهم كما هلكت
دنياهم ولكن الله سبحانه احياهم لتجدد فضله عليهم انتهى كما تفضل عليكم يا بني اسرائيل بان احياكم من موت العبودية وذلك
الذل بعد ان كان الزمكموه بذنوبكم دهورا طويلة وكما تفضل عليكم ايها العرب بقص مثل هذه الاخبار عليكم لتعتبروا ولكن اكثر
الناس كرر الاظهار ولم يضمر ليكون انص على العموم لئلا يدعي مدع ان المراد بالناس الاول اهل زمان فيخص الثاني اكثرهم
لا يشكرون وذلك تعريض ببني اسرائيل في انهم لم يشكروه سبحانه في الوفاء بمعاهدته لهم في اتباع هذا النبي الكريم
عليه افضل الصلوة والتسليم وفي هذا الاسلوب بعد هذه المناسبات اثبات لقدرته تعالى على الاعادة وجر لمنكر
ذلك الى الحق من حيث لا يشعر قال الحرالي والشكر ظهور باطن الامر على ظاهر الخلق بما هو باطن فمن حيث ان الامر كله لله
فسرا فالشكر ان يبدو الخلق كله بالله شكرا لان اصل الشكور الدابة التي يظهر عليها ما تاكله سمنا وصلاحا فمن اودع خلق
امر لم يبد على خلقه فهو كفور فلما اودعه سبحانه في ذوات الاشياء من معرفته وعلمه وتكبيره كان من لم يبد ذلك على خلقه
كفورا ومن بدا ما استسر فيه من ذلك شكورا وليس من وصف الناس ذلك لترددهم بين ان يكون البادي عليهم عندهم تارة
من الله وتارة من انفسهم وممن دون الله ممن اتخذوه اولياء في حد كفر او هوى او بدعة او خطيئة وعلى حذرين كسبهم على
قلوبهم ففي اعتبار هذه الاية تحذير لهذه الامة من ان يحذروا الموت قال بعض التابعين لقد راينا اقواما يعنون
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت الى احدهم اشهى من الحيوة عندكم اليوم وانما ذلك لما تحققوا من موعود الاخرة
حتى كانهم يشاهدونه فهان عليهم الخروج من خراب الدنيا الى عمارة اخرتهم انتهى وما احسن الرجوع الى قصص الاقدمين
والالتفات الى قوله كتب عليكم القتال وهو كرد لكم على هذا الوجه وهولاء الذين اماتهم الله ثم احياهم قال اهل
التفسير ان احياهم كان على يد حزقيال احد انبياء بني اسرائيل عليهم السلام وقال البغوي رحمه الله انه ثالث خلفائهم
والذي رايته في سفر الانبياء المبعوثين منهم بعد موسى عليهم السلام لتجديد امر التورية واقامة ما درس من احكامها وهم
ستة عشر نبيا اولهم يوشع بن نون واخرهم دانيال على جميعهم السلام والتحية والاكرام ان حزقيال خامس عشرهم عليه السلام
قال في الاصحاح الحادي والعشرين من نوبته وكانت علي يد الرب واخرجني روح الرب الى صحرا مملوة عظام موتى
وامرني اجوز عليها وادور حولها فرايتها كثيرة في الصحراء يابسة وقال لي يا ابن الانسان هل تعيش هذه العظام
فقلت انت تعلم يا رب الارباب قال لي تنبا على هذه العظام وقل لها ايتها العظام البالية اسمعوا كلام الله ان
هكذا يقول رب الارباب لهذه العظام اني ارد فيكم الروح فتحيون وتعلمون اني انا الرب آتي بالعصب واللحم والجلد
انبته وارد فيكم الارواح فتحيون فلما تنبات بهذا صار صوت عظيم وزلزلة واقترنت العظام كل عظم الى
مفصله ورايت قد صعد عليها العصب ونبت اللحم ورد عليها الجلد من فوق ذلك ولم يكن فيهم روح وقال لي الرب
تنبا ايها الانسان وقل للروح هكذا يقول رب الارباب تعالوا ايها الارواح من الاربع ارواح وانفخي في هولاء
القتلى فيعيشوا فتنبات كالذي امرني الرب فدخلت فيهم الروح وعاشوا وقاموا على ارجلهم جيش عظيم جدا

اظهار الشرف بنبيهم صلى الله عليه وسلم

ظاهر

وقال لي الرب يا ابن الانسان هذه العظام كلها من بني اسرآيل ومن الانبيآء الذين كانوا يقتلون وقد بليت عظامهم
وكل رجل بطل فمن اجل هذا تنبا وقل هكذا يقول رب الارباب هوذا افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم واتي بكم الي ارض
اسرآيل وتعلمون اني انا الرب انفخ فيكم روحي فتعيشون وانزلكم تعملون قد قلت هذا وانا افعله انتهى ولما بين سبحانه ان
الموت لا يصون منه فرار امر بالجهاد الذي هو المقصود الاعظم لهذه السياقات ولغة القول الي من يحتاج الي الامر به من الامة
وصدره بالواو فافهم العطف علي غير معطوف عليه مذكور انا لتقدير فلا تفروا من اسباب الموت بل اثبتوا في مواطن
البأسآء وقاتلوا وعبر بفي الظرفية اشارة الي وجوب كونهم في القتال وان اشتدت الاحوال مظروفين للدين
مراعين له لا يخرجون عنه بوجه فيصدقون في الاقدام علي لج في الكفران ويسارعون الي الاحجام عمن يبدا منه الاذعان
ونحو ذلك من مراعاة شرايع الايمان وعبر بالسبيل اشارة الي يسر الدين ووضوحه فلا عذر في الخروج عن شي منه فقال
في سبيل الله اي الذي لا كفو له كما كتب عليكم وان كنتم تكرهون القتال ولما امرهم بعد ما حذرهم رغبهم ورهبهم بقوله
واعلموا منبها لهم لان يلقوا اسماعهم ويحضروا افهامهم لما يلقي عليهم ان الله اي الذي له القدرة الكاملة والعلم المحيط
سميع لما يقولون اذا امرتم بما يكره من القتال عليم بما تضمرون من الاعراض عنه والاقبال فهو يجازيكم علي الخير قولا
وعملا ونية الحسنة بعشر امثالها الي سبعين ضعفا الي سبعماية ضعف الي اضعاف كثيرة وعلي السيئة بمثلها ان شا
ولا يظلم ربك احدا ولما كانت النفقة التي هي من اعظم مقاصد السورة اوثق دعايم الجهاد واقوي مصدق للايمان
ومحقق لمبايعة الملك الديان كرر الحث عليها علي وجه ابلغ تسويقا مما مضي فقال علي هيئة الممتحن للصادق ممن امره
وحذره وانذره من ذا الذي منكم يا من كتب عليهم القتال والخروج عن الانفس والاموال يقرض الله الذي تفرد بالعظمة
وهو من الاقراض اي ايقاع القرض ولذا قال قرضا وشبه سبحانه العمل به لما يرجي عليه من الثواب فهو كالقرض
الذي هو بذل المال للرجوع بمثله وعبر به لدلالته علي المحبة لانه لا يقرضك الا محب ولان اجره اكثر من اجر الصدقة
حسنا اي جامعا لطيب النفس واخلاص النية وزكاء المال وقال الحرالي القرض الحز من الشي والقطع منه كانه يقطع
له من ماله قطعة ليقطع له من ثوابه اقطاعا مضاعفة والقرض بين الناس قرضا بقرض مثلا بمثل فمن زاد فقد
اربي ومن زاد من غير عقد ولا عهد فقد وفي فالقرض مساواة والربا ازدياد ووصف تعالي القرض الذي حرص
عليه بالحسن لتكون المعاملة به علي وجه الاحسان الذي هو روح الدين وهو ان يعامل الله به كانه يراه انتهى ولما
كانت الانفس مجبولة علي الشح بما لديها الا الفايدة رغبها بقوله مسببا عن ذلك فيضاعفه قال الحرالي من المضاعفة
مفاعلة من الضعف بالكسر وهي ثني الشي بمثله مرة او مرات وازال عنه ريب الاحتمال له اي في الدنيا والاخرة قال
الحرالي هذه المضاعفة اول انبايها ان الزايد ضعف ليس كسرا من واحد المقرض ليخرج ذلك عن معني وفاء القضاء فان
المقترض تارة يوفي علي الواحد كسرا من وزنه كان رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يقترض قرضا الا وفي عليه زيادة وقال
خير الناس احسنهم قضاء فانباء تعالي ان اقتراضه ليس بهذه المثابة بل بما هو فوق ذلك لانه يضعف القرض بمثله وامثاله
الي ما يقال فيه الكثرة وفي قوله اضعافا ما يفيد الحسنة بعشر وفي قوله كثيرة ما يفيد البلاغ الي فوق العشر
والي المايه المفسر في قوله بعد هذا مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله الاية فاوصل تخصيص هذه الكثرة
الي المئين ثم فتح باب التضعيف الي ما لا ينا له علم العالمين في قوله والله يضاعف لمن يشاء انتهى ولما رغب سبحانه في
اقراضه اتبعه جملة حالية من ضمير يضاعف مرهبة مرغبة فقال والله اي المحيط علما وقدرة يقبض اي له هذه
الصفة وهي ايقاع القبض والاقتار بمن يشاء وان جلت امواله قال الحرالي والقبض اكمال الاخذ اصله القبض باليد
كله والقبض بالمهملة اخذ باطراف الاصابع وهو جمع عن بسط فكذلك قوبل به ويبسط اي لمن يشاء وان ضاقت حاله
والبسط توسعة المجتمع الي حد غاية واليه ترجعون حسابا ابعث ومعني في جميع اموركم فهو يجازيكم في الدارين علي
حسب ما يعلم من نياتكم ولما كان الصحابة رضوان الله عليهم يتمنون في مكة المشرفة الاذن في مقارعة الكفار ليردوهم
عما هم عليه من الاذي والغي والعمي عجب من حال بني اسرآيل حيث سالوا الامر بالقتال ثم لم ينفضوا اذا امروا تحذيرا من
مثل ما لهم وتصويرا لعجيب قدرته علي نقض العزايم وتقليب القلوب واعلاما بعظيم مقادير الانبياء وتمكنهم
في المعارف الالهية ودليلا علي ختام الاية التي قبلها مقبلا علي اعلي الخلق اشارة الي ان النفوس من دقايق الوسواس
ما لا يفهمه الا البصرا الم تر قال الحرالي اراه في الاولي حال اهل الحذر من الموت بما في الانفس من الهلع الذي حذرت منه
هذه الامة ثم اراه في هذه مقابل ذلك من الترامي الي طلب الحرب وهما طرفا انحراف في الانفس قال صلي الله عليه
وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسئلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ففيه
اشعار لهذه الامة بان لا تطلب الحرب ابتداء وانما تدافع من منعها من اقامة دينها كما قال تعالي اذن للذين يقاتلون بانهم
ظلموا وقال صلي الله عليه وسلم والمشركون قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة بيننا فحق المومن ان ياتي الحرب ولا يطلبه
فانه ان طلبه فاوتيه عجز كما عجز هولاء حين اتوا الا قليلا فهذه الاقاصيص ليس المراد منها حديثا عن الماضين وانما
هو اعلام بما يستقبله الاتون اياك اعني واسمعي يا جاره فلذلك لا يسمع القران من لم ياخذه بجملته خطابا لهذه الامة
بكل ما قص له من اقاصيص الاولين انتهى ويجوز ان يكون الخطاب لكل من القي السمع وهو شهيد ولما كان الاخلال من الشريف

بقوله

اقبح قال الى الملا اي الاشراف قال الحرالي الذين يملاؤن العيون بهجة والقلوب هيبة انتهى ولما كان ذلك من اولاد
الصلحاء اشنع قال من بني اسرايل ولما كان ذلك ممن تقرر له الدين واتضحت له المعجزات واشتهرت عنده الامور الالهيات
افحش قال من بعد موسى اي الذي اتاهم من الايات بما طبق الارض كثرة وملا الصدور عظمة والقى فيهم كتابا عجيبا ما بعد القران
من الكتب السماويه مثله قال الحرالي وفيه ايذان بان الامة تختل بعد نبيها بما يصحبها من نوره زمن وجوه معهم قالوا ما
نفضنا ايدينا من تراب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انكرنا قلوبنا انتهى اذ قالوا ولما كان الاختلاف مع الاكابر لا سيما
الانبياء افضع قال لنبي لهم ونكره لعدم مختص لتعريفه قال الحرالي لان نبيهم المعهود الامر لهم انما هو موسى عليه السلام
ومن بعده الى عيسى عليهم السلام انما هم انبياء بمنزلة الساسة والقادة لهم كالعلماء في هذه الامة منفذون وعاملون بما انزل
على موسى كذلك كانوا الى حين تنزيل الانجيل فكما قص في صدر السورة حالهم مع موسى قص في خواتيمها حالهم من بعد موسى لتعتبر
هذه الامة من ذلك حالها مع نبيها وبعده انتهى ولما كان عندهم من الغلظة ما لا ينقادون به الا لا يا له الملك وكان القتال
لا يقوم الا براس جامع تكون الكلمة به واحدة قالوا ابعث لنا اي خاصة ملكا اي يقيم لنا امر الحرب نقاتل اي عن امره في سبيل
الله اي الملك الاعلى قال الحرالي في اعلامه اخذهم الامر بمنة الانفس حيث لم يظهر في قولهم اسنادا الى الله تعالى الذي لا تصح الاعمال
الا باسنادها اليه فما كان بقاء على تقوى تم وما كان على دعوى نفس انهد قال اي ذلك النبي هل كلمة تبنى على تحقيق الاستفهام
اكتفى بمعناها عن الهمزة انتهى عسيتم اي قاربتم كذا قالوا والاحسن عندي كما ياتي ان شاء الله تعالى تحقيقه في سورة براءة ان
يكون المعنى هل تخافون من انفسكم ولما كان القصد التنبيه على سوال العافيه والبعد عن التعرض للبلاء لخطر المقام بان
الامر اذا وجب لم تبق فيه رخصة فمن قصر فيه هلك وسط بين عسى وصلتها قوله ان كتب اي فرض ولما كانت
العناية بتاديب السايلين في هذا المهم اكثر قدم قوله عليكم القتال فرضا لازما وبناه للمفعول صيانة لاسم الفاعل
عن مخالفة يتوقع تقصيرهم بها ان لا تقاتلوا فيوقعكم ذلك في العصيان قال الحرالي بكسر سين عسى وفتحها لغتان عادة
النحاة ان لا يلتمسوا اختلاف المعاني من اوساط الصيغ واوايلها وفي فهم اللغة وتحقيقها اعراب في الاوساط والاوايل
كما اشتهر اعراب الاواخر عند عامة النحاة فانكسر حيث كان منبئ عن باد عن ضعف وانكسار والفتح معرب عن باد
عن قوة واستواء انتهى فكانه صلى الله عليه وسلم فهم ان بعضهم يترك القتال عن ضعف عنهم وبعضهم يتركه عن قوة ولذلك
نفى الفعل ولم يقل ان تعجزوا قال الحرالي فانباهم بما آل اليه امرهم فلم يلقنوا عنه وحاجوه وردوا عليه بمثل سابقة قولهم
ففي اشعاره انباء بما كانوا عليه من غلظ الطباع وعدم سرعة التنبه انتهى ولما كان مضمون هذا الاستفهام اني اخشى
عليكم القعود عن القتال اعلمنا الله عن جوابهم بقوله قالوا ولما ارشد العطف على غير مذكور ان التقدير ما يوجب لنا
القعود او انا لا نخاف ذلك على انفسنا بل نحن جازمون بانا نقاتل اشد القتال عطف عليه قولهم وما اي واي شي لنا
في ان لا نقاتل ولما كانت النفس في ما لله اجد واليه انهض قالوا في سبيل الله اي الذي لا كفو له الهابا وتهييجا وقد اي
والحال انا قد اخرجنا اعم من ان يكون مع الاخراج ابعادا او لا وبناه للمجهول لان موجب الاحفاظ والاخراج نفس الاخراج
لا نسبته الى احد بعينه من ديارنا التي هي لابداننا كابداننا لارواحنا ولما كان في اخرجنا معنى ابعدنا عطف عليه
وابنائنا فخلطوا بذلك ما لله بما لغيره وهو اغنى الشركاء لا يقبل الا خالصا قال الحرالي فانباء تعالى انهم اسندوا ذلك
الى غضب الانفس على الاخراج وانما يقاتل في سبيل الله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا انتهى ولما كان اخلاف الوعد
مع قرب العهد اشنع قال فلما بالفاء الموذنة بالتعقيب كتب عليهم اي خاصة القتال اي الذي سالوه كما كتب عليكم
بعد ان كنتم تمنونه اذ كنتم بمكة كما سنبين ان شاء الله تعالى في سورة النساء عند قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم
كفوا ايديكم الاية تولوا فبادروا الادبار بعد شدة ذلك الاقبال الا قليلا منهم اي فقاتلوا والله عليم بهم والله
الذي له الاحاطة بكل كمال عليم بالمتولين هكذا كان الاصل ولكنه قال بالظالمين معلما بانهم سالوا البلاء وكان من حقهم
سوال العافيه ثم لما اجيبوا الى ما سالوا اعرضوا عنه فكفوا حيث ينبغي المضاء ومضوا حيث لا ينبغي الكف فعصوا
الله الذي اوجبه عليهم فجمعوا بين عار الاخلاف وفضيحة العصيان وخزي النكوص عن الاقران وقباحة الخذلان
للاخوان ولما ارشد العطف على غير مذكور الى ان التقدير فقال لهم نبيهم الم اقل لكم لا تسالوا البلاء ولا تداتوا مر القضا
فان اكثر قول النفس كذب وجل اما نيها زور واما امر الله فمتى برز يجب عطف عليه قوله وقال لهم اي خاصة لم
يكن معهم احد غيرهم يحال عليهم جوابهم الذي لا يليق وصرح بالمقصود لئلا يظن ان القايل الله وانهم واحموه
بالاعتراض فقال نبيهم اي الذي تقدم انهم سالوه ذلك موكدا معظما محققا باداة التوقع لان سوالهم على لسان نبي
يقتضي توقع الاجابة ان الله اي بجلاله وعز كماله قد ولما كان الياس الشخص عن الملك مثل اعزاز الجماد بنفخ الروح
كان التعبير عن ذلك بالبعث اليق فقال بعث لكم اي خاصة لاجل سوالكم طالوت اسم ملك من بني اسرايل من سبط
لم يكن الملك فيهم ملكا تنتهون في تدبير الحرب الى امره قال الحرالي فكان اول ما ابتلوا به ان ملك عليهم من لم يكن من
اهل بيت الملك عندهم فكان اول فتنتهم بما طلبوا ملكا فاجيبوا فلم يرضوا بما بعث لهم انتهى ولما اجابهم الى ما سالوا
كان من اول جلافتهم اعتراضهم على امر الملك الديان الذي اورده لهم باسمه الاعظم الدال على جميع الكمال من الجلال والجمال
ليكون اجدر لهم بقبول امره والوقوف عند زجره واورد اعتراضهم في جواب من كانه قال ما فعلوا اذ اجابهم الى ما

ولما كان الغاية بتاديب السايل في هذا المهم اكثر قدم قوله ان كتب اي فرض

سالوا فقال قالوا اي هم لا غيرهم اني اي من وكيف يكون له اي خاصة الملك علينا ونحن اي والحال انا نحن احق بالملك منه
لان فينا من هو من سبط الملوك دونه قال الحرالي فثنوا اعتراضهم بما هو اشد وهو الفخر بما ادعوه من استحقاق الملك على من ملكه
الله عليهم فكان فيه حظ من فخر ابليس حيث قال حين امر بالسجود لآدم انا خير منه انتهى ولم اي والحال انه لم يوت سعة من المال
اي فصار له مانعان احدهما انه ليس من بيت المملكة والثاني انه مملق والملك لا بد له من مال يعتضد به قال الحرالي فكان في هذه
الثالثة استصنام المال وانه مما يقام به ملك وانما الملك بايتاء الله فكان في هذه الفتنة الثالثة جهل وشرك فتزايدت
صفوف فتنتهم فيما انبعثوا الى طلبه من انفسهم انتهى ولما كان الخلق كلهم متساوين في اصل الجسمية وانما جا تفضيل بعضهم
على بعضهم من الله فكان هو المدار علق الامر به في قوله قال اي النبي لا غيره موكدا لاجل انكارهم معظما عليهم الحق بالاعادة
الاسم الاعظم ان الله اي الذي له جميع الامر فلا اعتراض عليه وهو اعلم بالمصالح اصطفاه قال الحرالي والاصطفاء اخذ الصفوة
انتهى ولما كان ذلك مضمنا معنى ملكه قال في تعديته عليكم ثم اتبع ذلك ما اودعه سبحانه مما اقتضى ذلك فقال وزاده
اي عليكم بسطة في العلم الذي به تحصل المكنة في التدبير والنفاذ في كل امر وهو يدل على اشتراط العلم في الملك وفي تقديمه ان
الفضايل النفسانية اشرف من الجسمانية وغيرها وان الملك ليس بالارث والجسم الذي به يتمكن من الظفر بمن بارزه من الشجعان
وقصده من ساير الاقران ولما كان من اليه شي كان له الخيار في اسناده الى غيره قال والله اي اصطفاه والحال ان الملك
الذي لا امر لغيره يوتي ملكه اي الذي هو له وليس لغيره فيه شي من يشاء كما اتاكموه بعد ان كنتم مستعبدين عند آل فرعون والله
الذي له الاحاطة الكاملة فلا يجوز الاعتراض عليه واسع اي في احاطة قدرته وشمول عظمته وكثرة جنوده ورزقه عليم اي
بالغ العلم فما اختاره فهو المختار وليس لاحد معه خيره فهو يفعل بما له من السعة في القدرة والعلم ما قد لا تدركه العقول ولا تحتمل
وصفه الالباب والفهوم ويوتي من ليس له مال من خزاين رزقه ما يشاء ولما كان اغلبهم واقفا مع المشاهدات غير ثابت القدم
في الايمان بالغيب قال وقال لهم نبيهم مثبتا لامر طالوت ان اية اي علامة ملكه قال الحرالي وقل ما احتاج احد في ايمانه الى اية
خارقة الا كان ايمانه ان امن غلبة يخرج عنه بايسر فتنة ومن كان ايمانه باستبصار ثبت عليه ولم يحتج الى اية فان كانت الاية
كانت له نعمة ولم تكن عليه فتنة وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وما نرسل بالايات الا تخويفا فاذا الايات
طليعة المواخذة والاقتناع بالاعتبار طليعة القبول والثبات انتهى ان ياتيكم اي من غير آت به ترونه التابوت قال الحرالي هو وعا
ما يعز قدره انتهى وهو والله اعلم الصندوق الذي وضع فيه اللوحان اللذان كتب فيهما العشر الايات التي نسبتها من التورية
نسبة فاتحة الكتاب من القران وهو يسمى تابوت الشهادة كما تقدم ذكره في وصف قبة الزمان في ما مضى اول قصة بني اسرايل
وكانوا اذا حاربوا حمله جماعة منهم موظفون لحمله ويتقدمون به امام الجيش فيكون ذلك سبب نصرتهم وكان العمالقة اصحاب
جالوت لما ظهروا عليهم اخذوه في جملة ما اخذوا من نفايسهم وكان عهدهم به كان قد طال فذكرهم بماثره ترغيبا فيه وحملا
على الانقياد لطالوت فقال فيه سكينة اي شي يوجب السكون والثبات في مواطن الخوف وقال الحرالي معناه ثبات في القلوب
يكون له في عالم الملكوت صورة بحسب حال المثبت ويقال كانت سكينة بني اسرايل صورة هرمن ياقوت ولولو وزبرجد ملفف
منه اعضاء تلك الصورة يخرج منه ريح هفافة تكون علم النصر لهم انتهى وزاده مدحا بقوله من ربكم اي الذي طال
احسانه اليكم وتربيته باللطف لكم وقال الحرالي وغيره انه كان في التابوت صورة ياتي منها عند النصر ريح تسمع قال
الحرالي كما كانت الصبا تهب لهذه الامة بالنصر قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا فكانت سكينتها كلية افاقها وتابوتها
كلية سمانها حتى لا يحتاج الى محمل يحملها ولا عدة تعدها لانها امة امية تولى الله لها اقامة علمها واعمالها انتهى ولما كان
المكليم واخوه عليهما السلام اعظم انبيايهم قال وبقية قال الحرالي فضله جمله ذهب جلها مما ترك من الترك وهو ان لا يعرض
للامر حسا او معنى آل موسى وآل هرون اي وهي لوحا العهد قال الحرالي وفيه اشعار تثنية ذكر الآل ما يعلم باختصاص
موسى عليه السلام بوصف دون هرون عليه السلام بما كان فيه من الشدة في امر الله وباختصاص هرون عليه السلام بما
كان فيه من اللين والاحتمال حيث لم يكن آل موسى وهرون لان الآل حقيقته من يبدو فيه وصف من هو اله وقال الآل
اصل معناه الشراب الذي تبدو فيه الاشياء البعيدة كانه مراة يجلو الاشيا قال الرجل من اذا حضروا فكانه لم يغب انتهى
ثم صرح بما افهمه اسناد الاتيان اليه فقال تحمله من الحمل وهو ما استقل به الناقل الملايكة وما هذا باغرب من قصة
سفينة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه رضي الله عنهم فثقل عليهم متاعهم فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسط كساك فبسطته فجعلوا فيه متاعهم فحملوه علي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم احمل فانما انت سفينة قال فلو حملت من يومئذ وقر بعير او بعيرين او ثلاثة او اربعة او خمسة او ستة او سبعة
ما ثقل علي واما مقاتلة الملايكة في غزوة بدر فامر شهير كان الصحابي يكون قاصدا الكافر ليقاتله فاذا راسه قد سقط
من قبل اليه ولما كان هذا امرا باهرا قال منبها على عظمته ان في ذلك اي الامر العظيم الشان لاية اي باهرة لكم ان كنتم
مومنين فان المواعظ لا تنفع غيرهم قال الحرالي ولما ضعف قبولهم عن النظر والاستبصار صار حالهم في صورة
الضعف الذي يقال فيه ان كان كذا فكان في اشعاره خللهم وفتنتهم الا قليلا انتهى وفي هذه القصة توطية لغزوة بدر
وتدريب لمن كتب عليهم القتال وهو كره لهم وتاديب لهم وتهذيب واشارة عظيمة واضحة الى خلافة الصديق رضي الله
عنه بما دل عليها من امر استخلافه في الامامة في الصلوة التي هي خلاصة هذا الدين كما ان ما في تابوت الشهادة كان خلاصة

فتنة م

ان يصل م

ذلك

ذلك الدين وتحذير لمن لعله يخالف فيها او يقول انه ليس من بني هاشم ولا عبد مناف الذين هم بيت الامامة والرياسة
ونحو ذلك مما حمى الله المومنين منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يابى ذلك والمومنون وفي توجيه الخطاب الى النبي صلى الله عليه
وسلم اعلام بان اول مقصود به الاقرب منه صلى الله عليه وسلم فالاقرب وفيه تشجيع للصحابة رضوان الله عليهم فيما يندبهم اليه
الصديق رضي الله عنه من قتال اهل الردة وما بعده الى غير ذلك من الاشارات التي تقصر عنها العبارات والله الموفق ولما كان
التقدير فاتاهم التابوت على الصفة المذكورة فاطاعوا نبيهم فيه فملكوه وانتدبوا معه فخرج بهم الى العدو وفصل بالجنود
من محل السكن عطف عليه قوله فلما فصل من الفصل وهو اقتطاع بعض من كل واصله فصل نفسه او جنده ونحو ذلك
ولكنه كثر حذف المفعول للعلم به فصار يستعمل استعمال اللازم طالوت اي الذي ملكوه بالجنود اي التي اختارها وخرجوا
للقاء من سالوا لقاءه لكفره بالله مع ما قد احرقهم به من انواع القهر قال الحرالي وهو جمع جنود هم اتباع يكونون نجدة للمستتبع
قال اي ملكهم ان الله اي الذي لا اعظم منه وانتم خارجون في مرضاته مبتليكم بنهر من الماء الذي جعله سبحانه حيوة لكل
شي فضربه مثلا للدنيا التي من ركن اليها ذل ومن صدف عنها عز قال الحرالي فاظهر الله على لسانه ما انبا به نبيهم في قوله
وزاده بسطة في العلم انتهى فمن شرب منه اي ملاء بطنه فليس مني اي كمن انغمس في الدنيا فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
ومن لم يطعمه فانه مني كمن غرف عنها بكليته ثم تلا هذه الدرجة العلية التي قدمت للعناية بها بما يليها من الاقتصاد فقال
مستثنيا من فمن شرب الا من اغترف اي تكلف الغرف غرفة بيده ففي قراءة فتح الغين اعراب عن معنى افرادها آخذة
ما اخذت من قليل او كثير وفي الضم اعلام بمثلها والغرف بالفتح الاخذ بكلية اليد والغرفة الفعلة الواحدة منه وبالضم
اسم ما حوته الغرفة فكان في المغترفين من استوفى الغرفة ومنهم من لم يستوف قاله الحرالي وقال فكان فيه ايذان بتصنيفهم
ثلاثة اصناف من لم يطعمه البتة واولئك الذين ثبتوا وظنوا انهم ملاقوا الله ومن شرب منهم واولئك الذين افتتنوا وانقطعوا
عن الجهاد في سبيل الله ومن اغترف غرفة وهم الذين ثبتوا وتزلزلوا حتى ثبتهم الذين لم يطعموا ولما كان قصص بني اسرائيل
مثالا لهذه الامة كانت مبتلى هذه الامة بالنهر ابتلاءهم بنهر الدنيا الجارين خلالها فكانت جيوشهم بحكم هذا الايحاء الاعتباري
اذا مروا بنهر اموال الناس وبلادهم وزروعهم واقطارهم في سبيلهم الى غزوهم فمن اصاب من اموال الناس ما لم ينله الاذن من
الله انقطع عن ذلك الجيش ولو حضره فما كان في بني اسرائيل عيانا يكون وقوعه في هذه الامة استبصارا سترة لها وفضيحة
لاولئك ومن لم يصب منها شيئا كان اهل بيت ذلك الجيش الثابت المثبت قيل لعلي رضي الله عنه يا امير المومنين ما بال
فرسك لم يكب بك قط قال ما وطئت به زرع مسلم قط ومن اصاب ماله فيه ضرورة من منزل ينزله او غلبة عادة تقع
منه ويوده ان لا تقع فهولاء يقبلون التثبت من الذين تورعوا كل الورع فملاك هذا الدين الزهد في القلب والورع في التناول
باليد قال صلى الله عليه وسلم انما تنصرون بضعفائكم وفي الاحة هذا التمثيل والاعتبار ان اعظم الجيوش جيش يكون فيه من
اهل الورع بعدد الثابتين من اصحاب طالوت الذين بعددهم كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهم ثلثماية
وثلاثة عشر عدد المرسلين من كثرة عدد النبيين قال وفي افراد اليد ايذان بانها غرفة اليد اليمنى لانها اليد الخاصة
للتعريف ففي اعتباره ان الاخذ من الدنيا انما يكون بيد لا بيدين لاشتمال اليدين على جانبي الخير والشر انتهى فعرض لهم النهر كما
اخبرهم به فشربوا منه مجاوزين حد الاقتصاد الا قليلا منهم فاطاعوا فاروا هم الله وقوى قلوبهم ومن عصى في شربه غلبه
العطش وضعف عن اللقاء فبقي على شاطئ النهر قال الحرالي وفيما يذكر انه قرئ بالرفع وهو اخراج لهم من الشاربين بالاتباع
كان الكلام بني عليه حيث صار تابعا واعرابه مما اهمله النحاة فلم يحكموه وحكمه ان ما بني على اخراجه اتبع وما لم يبن على اخراجه
وكانه انما انثنى اليه بعد مضي الكلام الاول قطع ونصب انتهى وكان المعنى في النصب انه لما استقر الفعل للكل رجع الاستثناء
الى البعض وفي الاتباع نوى الاستثناء من الاول فصار كالمفرغ وهذه القراءة عزاها الاهوازي في كتاب الشواذ الى الاعمش
وعزاها السمين في اعرابه الى عبد الله وابي رضي الله عنهما وعقد سيبويه رحمه الله في نحو نصف كتابه لاتباع مثل هذا
بابا ترجمه بقوله باب ما يكون فيه الا وما بعده وصفا بمنزلة غير ومثل ودل عليه بابيات كثيرة منها • وكل اخ مفارقه
اخوه • لعمر ابيك الا الفرقد • ان قال كانه قال وكل اخ غير الفرقدين وسوى بين هذا وبين اية لا يستوي القاعدون
من المومنين غير اولي الضرر بالرفع وغير المغضوب عليهم وجوز فيما قام القوم الا زيد بالرفع البدل والصفة قال الرضي
تمسكا بقوله وكل اخ البيت وقوله صلى الله عليه وسلم الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون
والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وقال السمين والفرق بين الوصف بالا والوصف بغيرها ان الا
يوصف بها المعارف والنكرات والظاهر والمضمر وقال بعضهم لا يوصف بها الا النكرة والمعرفة بلام الجنس فانه في قوة
النكرة ولما ذكر فتنتهم بالنهر اتبعه فتنة اللقاء ببحر الجيش وما فيه من عظيم الخطر المزلزل للقلوب حثا على سوال العافية
وتعريفا بعظيم رتبتها كما قال صلى الله عليه وسلم يوم عرض نفسه الشريفة على اهل الطايف ومسه منهم من عظيم الاذى
ما مسه ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي فقال تعالى فلما جاوزه اي النهر من غير شرب من المجاوزة
مفاعلة من الجواز وهو العبور من عدوة دنيا الى عدوة قصوى هو والذين امنوا اي اقروا بالايمان وجاوزوا معه
وترات الفئتان قالوا اي معظمهم قال الحرالي رد الضمير مردا عاما ايذانا بكثرة الذين اعترفوا وقلة الذين لم يطعموا
كما آذن ضمير شربوا بكثرة الذين شربوا انتهى لا طاقة مما منه الطوق وهو ما استقل به الفاعل ولم يعجزه لنا اليوم

اي على ما نحن فيه الحال بجالوت وجنوده لما هم فيه من القوة والكثرة قال الحرالي ففيه من نحو قولهم ولم يوت سعة من المال
اعتمادا على ان النصر بعده مال او قوة وليس الا بنصر الله ثم قال فاذا نوظر هذا الانباء منهم والطلب اي كما ياتي في ربنا افرغ بما تولى
الله من امر هذه الامة في جيشهم الممثول لهذا الجيش في سورة الانفال من قوله اذ يغشاكم النعاس امنة منه الايات علم عظيم فضل
الله على هذه الامة واستشعر بما يكون لها في خاتمتها مما هو اعظم نباء واكمل عيانا فلله الحمد على ما اعظم من فضله ولطفه انتهى ولما
اخبر عنهم بهذا القول نبه على انه لا ينبغي ان يصدر ممن يظن ان اجله مقدر لا يزيد بالجبن والاحجام ولا ينقص بالجراة والاقدام
وانه يلقى الله فيجازيه على عمله وان النصر من الله لا بالقوة والعدد فقال قال الذين يظنون اي يعلمون ولكنه عبر بالظن
لما ذكر انهم ملاقوا الله اي الذي له الجلال والاكرام اشارة الى انه يكفي في الخوف من الله والرجاء له الظن لانه يوجب فرار
العاقل مما يظن انه يكرهه سبحانه انقاذا لنفسه من الهلاك بذلك كما اشرف هولاء في الشرب لظن الهلاك بعدمه ورجعوا
لظن الهلاك بالقايم ويجوز ان يكون الظن على بابه ويوول اللقاء بالحالة الحسنة كم من فئة قليلة كما كان في هذه الامة
في يوم بدر غلبت فئة كثيرة ثم نبه على ان سبب النصر الطاعة والذكر لله بقوله باذن الله اي بتمكين الذي لا كفو له فلا
ينبغي لمن علم ذلك ان يفتر عن ذكره ويرضى بقضائه ثم بين ان ملاك ذلك كله الصبر بقوله والله اي الملك الاعظم مع الصابرين
ولا يخذل من كان معه ثم بين انهم صدقوا قولهم قبل المباشرة بالفعل عندها فقال عاطفا على ما تقديره فلما قالوا لهم ذلك
جمع الله كلمتهم فاعتمدوا عليه وبرزوا للقتال بين يديه ولما برزوا وهم على ما هم عليه من الضعف والقلة والبروز هو الخروج
عن كل شي يواري في براز من الارض وهو الذي لا يكون فيه ما يتوارى فيه عن عين الناظر لجالوت اسم ملك من ملوك الكنعانيين
بالشام في زمن بني اسرائيل وجنوده على ما هم فيه من القوة والكثرة والجراءة بالتعود بالنصرة قالوا ربنا افرغ من الافراغ
وهو السكب المفيض على كلية المسكوب عليه علينا صبرا حتى نبلغ من الضرب ما نحب في مثل هذا الموطن وثبت من التثبيت
تفعيل من الثبات وهو التمكن في الموضع الذي شانه الاستزلال اقدامنا جمع قدم وهو ما يقوم عليه الشي ويعتمده اي
بتقوية قلوبنا حتى لا نفر وتكون ضرباتنا منكية موجعة واشاروا بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين موضع قولهم
عليهم الا انهم انما يقاتلونهم لتضييعهم حقه سبحانه لا لحظ من حظوظ النفس كما كان من معظمهم اول ما سالوا والى انهم اقويا
فلا بد لهم من معونته عليهم سبحانه ثم رتب على ذلك النتيجة حثا على الاقتداء بهم لنيل ما نالوا فقال مما منه الهزيمة وهو فرار
من شانه الثبات قال الحرالي وقال ولم يكن فهزمهم الله كما لهذه الامة في ولكن الله قتلهم انتهى باذن الله اي الذي له الامر كله ثم
بين ما خص به المتولي لعظم الامر بتعريض نفسه للتكلف في ذات الله سبحانه من الخلال الشريفة الموجبة لكمال الحيوة الموصلة
الى البقاء السرمدي فقال وقتل داود وكان في جيش طالوت جالوت قال الحرالي مناظرة قوله وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وكان فضل الله عليك عظيما انتهى وفي الزبور في المزمور الحادي والخمسين بعد المائة وهو اخره صغيرة كنت في اخوتي
حدثا في بيت ابي راعيا غنمه يداي صنعتنا الارغن واصابعي علمت القيثار من الان اختار في الرب الاهي واستجاب لي وارسل
ملايكة واخذني من غنم ابي ومسحني بدهن مسحته اخوتي حسان واكبر مني ولم يسر بهم الرب خرجت متلقيا الفلسطيني الجبار
الغريب فدعا على باوثانه فرميته بثلثة احجار في جبهته بقوة الرب فصرعته واسللت سيفه وقطعت به راسه ونزعت
العار عن بني اسرائيل واتاه الله بجلاله وعظمته الملك قال الحرالي كان داود عليه السلام عندهم من سبط الملك فاجتمعت
له المزيتان من استحقاق البيت وظهور الاية على يديه بقتل جالوت قال تعالى والحكمة تخليصا للملك مما يلحقه بفقد الحكمة
من اعتداء الحدود انتهى فكان داود عليه السلام اول من جمع له بين الملك والنبوة وعلمه اي زيادة عما يحتاجان اليه من
صنعة الدروع وكلام الطير وغير ذلك ولما بين سبحانه هذه الواقعة على طولها هذا البيان الذي يعجز عنه الانس والجان
بين حكمة الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل ما هو اعم من ذلك من تسليطه بعض الناس على بعض بسبب انه جبل البشر
على خلايق موجبة للتحيير وطلب التفرد بالعلو المفضي الى الاختلاف فقال بانيا له على ما تقديره فدفع الله بذلك عن بني اسرائيل
ما كان ابتلاهم به ولولا دفع الله اي المحيط بالحكمة والقدرة بقوته وقدرته الناس وقوي دفاع قال الحرالي فعال من
اثنين وما يقع من احدهما دفع وهو رد الشي بغلبة وقهر عن وجهته التي هو منبعث اليها باشد منته انتهى وهو ابلغ من
الاول اشارة الى انه سبحانه يفعل في ذلك فعل المبالغ ولما اثبت سبحانه ان الفعل له خلقا وايجادا بين انه لعباد
كسبا ومباشرة فقال بعضهم ببعض فتارة ينصر قويهم على ضعيفهم كما هو مقتضى القياس وتارة ينصر ضعيفهم كما فعل
في قصة طالوت على قويهم حتى لا يزال ما اقام بينهم من سبب الحفظ بهيبة بعضهم لبعض قايما لفسدت الارض باكل
القوي الضعيف حتى لا يبقى احد ولكن الله تعالى بعظمته وجلاله وعزته وكماله يكف بعض الناس ببعض ويولي
بعض الظالمين بعضا وقد يؤيد الدين بالرجل الفاجر على نظام دبره وقانون احكمه في الازل يكون سببا لكف القوي
عن الضعيف ابقاء لهذا الوجود على هذا النظام الى الحد الذي حده ثم يزيل الشحناء على زمن عيسى عليه السلام
ليتم العلم بكمال قدرته واختياره وذلك من فضله على عباده وهو ذو فضل عظيم جدا على العالمين اي كلهم اولا بالايجاد
وثانيا بالدفاع فهو يكف من ظلم الظلمة اما بعضهم ببعض او بالصالحين وقليل ما هم ويسبغ عليهم غير ذلك من اثواب نعمة
ظاهرة وباطنة ومما يشتد اتصاله بهذه القصة مما اسنده الحافظ ابو القسم بن عساكر في الكنى من تاريخ دمشق في ترجمة
ابي عمرو بن العلاء عن الاصمعي قال انشدنا ابو عمرو بن العلاء قال سمعت اعرابيا ينشد وقد كنت خرجت الى ظاهر البصرة

كان هو

بما طفا على ما تقديره فاجاب الله دعاهم فهزموهم

متفرجا

متفرجا مما نالني من طلب الحجاج واستخفاني منه • صبر النفس عند كل ملمة • ان في الصبر حيلة المحتال •
• لا تضيقن في الامور فقد يكشف لأواؤها بغير احتيال • ربما تجزع النفوس من الامر • له فرجة كحل العقال •
• قد يصاب الجبان في اخر الصف • وينجوا مقارع الابطال • فقلت ما وراك يا اعرابي قال مات الحجاج فلم ادر بايهما افرح بموت
الحجاج او بقوله فرجة لاني كنت اطلب شاهد الاختياري القراة في سورة البقرة الا من اغترف غرفة انتهى ولعل ختام قصص
بني اسرايل بهذه القصة لما فيها للنبي صلى الله عليه وسلم من واضح الدلالة على صحة دعواه الرسالة لانها مما لا يعلمه الا القليل
من حذاق علماء بني اسرايل ثم عقبها باية الكرسي التي هي العلم الاعظم من دلايل التوحيد فكان ذلك في غاية المناسبة لما في اوايل السورة
في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الى اخر تلك الايات من دلايل التوحيد المتضمنة لدلايل النبوة المفتتح بها قصص بني
اسرايل فكانت دلايل التوحيد مكتنفة قصتهم اولها واخرها مع ما في اثنايها جريا على الاسلوب الحكيم في مناضلة العلماء
ومجادلة الفضلاء فكان خلاصة ذلك كانه قيل الم تنبيها للنفوس بما استاثر العليم سبحانه بعلمه فلما القت الاسماع واحضرت
الافهام قيل يا ايها الناس فلما عظم التشوف قال اعبدوا ربكم ثم عينه بعد وصفه بما بينه بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم
كما سيجمع من غير فاصل اول سورة التوحيد ال عمران المنزلة في مجادلة اهل الكتاب من النصارى وغيرهم وتختم قصصهم بقوله
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم يعني بالمنادي والله اعلم القايل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الى اخرها ومما
يجب التنبيه له من قصتهم هذه ما فيها لانها تدريب لمن كتب عليهم القتال وتاديب في ملاقاة الرجال من الارشاد الى ان اكثر
حديث النفس واما فيها الكذب لا سيما بالثبات في مزال الاقدام فتشجع الانسان فاذا تورط اقبلت به على الهلع حتى لا يتمنوا
لقاء العدو كما اذبهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وذلك ان بني اسرايل مع كونهم لا يحصون كثرة سالوا نبيهم صلى الله عليه
وسلم بعث ملك للجهاد فلما بعث فخالف اغراضهم لم يفاجيوه الا بالاعتراض ثم لما استقر الحال بعد نصب الادلة واظهار
الايات ندبهم فانتدب جيش لا يحصى كثرة فشرط عليهم الشاب الفارغ من بناء دار وبناء بامراة فلم يكن الموجود بالشرط الا ثمانين
الفا ثم امتحنوا بالنهر فلم يثبت منهم الا ثلثماية وثلثة عشر وهم دون الثلث من ثمن العشر من المتصفين بالشرط من الذين هم
دون الدون من المنتدبين الذين هم دون الدون من المسايلين في بعث الملك فكان الخالصون معه كما قال بعض الاولياء
المتاخرين لاخر قصده بالزيارة • الم تعلم باني صيرفي • احك الاصدقاء على محك •
• فمنهم بهرج لا خير فيه • ومنهم من اجوزه بشك • وانت الخالص الذهب المصفى • بتزكيتي ومثلي من يزكي •
وهذا سر قول الصادق عليه الصلوة والسلام امتي كالابل المايه لا تكاد تجد فيها راحلة وقوله صلى الله عليه وسلم
لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا فالحاصل انه على العاقل المعتقد جهله بالعواقب وشمول
قدرة ربه ان لا يثق بنفسه في شيء من الاشياء ولا يزال يصفها بالعجز وان ادعت خلاف ذلك ويتبرا من حوله وقوته الى حول
مولاه وقوته ولا ينفك يسئله العفو والعافية ولما علت هذه الايات عن اقصى ما يعرفه البصراء البلغاء من الغايات
وتجاوزت الى حد تعجز العقول عن مناله وتضاءل نوافذ الافهام عن الاتيان بشيء من مثاله نبه سبحانه على ذلك بقوله تلك
اي الايات المعجزات لمن شمخت انوفهم وتغالت في مراتب الكبر هممهم ونفوسهم والاشارة الى ما ذكر في هذه السورة ولا سيما
هذه القصة من اخبار بني اسرايل والعبارة عن ذلك في هذه الاساليب الباهرة والافانين المعجزة القاهرة ايات الله اي الذي
علت عظمته وتمت قدرته وقوته ولما كانت الجلالة من حيث انها اسم للذات جامعة لصفات الجمال ونعوت الجلالة لفت
السوال الى مظهر العظمة اشارة الى اعجازهم عن هذا النظم بنعوت الكبر والتعالي فقال نتلوها اي ننزلها شيا في اثر شيء
بما لنا من العظمة عليك تثبيتا لدعايم الكتاب الذي هو الهدى وتشييد القواعد بالحق قال الامام سعد الدين التفتازاني
رحمه الله في شرح العقايد الحق الحكم المطابق للواقع يطلق على الاقوال والعقايد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها
على ذلك ويقابله الباطل واما الصدق فقد شاع في الاقوال خاصة ويقابله الكذب وقد يفرق بينهما بان المطابقة
تعتبر في الحق من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم فمعنى صدق الحكم مطابقته الواقع ومعنى حقيقته مطابقة الواقع
اياه انتهى فمعنى الاية على هذا انا عالمون بالواقع من هذه الايات فاتينا بعبارة يطابقها ذلك الواقع لا يزيد عنها ولا ينقص
فتلك العبارة ثابتة ثبات الواقع لا يتمكن منصف عالم من انكارها ولا انكار شيء منها كما لا يتمكن من انكار الواقع المعلوم وقوعه
ويكون الخبر عنها صدقا لانه مطابق لذلك الواقع بغير زيادة ولا نقص والحاصل ان الحق يعتبر من جانب المخبر فانه ياتي
بعبارة يساويها الواقع فتكون حقا وان الصدق يعتبر من جانب السامع فانه ينظر الى الخبر فان وجده مطابقا للواقع قال
هذا صدق وليس ببعيد ان يكون من الشواهد على ذلك هذه الاية وقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به وقوله
قال فالحق والحق اقول بل جاء بالحق وصدق المرسلين وهو الحق مصدقا لما بين يديه وكذا وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق اي ان هذا الفعل وهو خلقنا لها لسنا متعدين فيه وهذا الواقع يطابق خلقها لا يزيد عليه بمعنى انه
كان علينا ان نزيد فيها شيا وليس لنا الاقتصار على ما وجد ولا ينقص عنه بمعنى انه كان علينا ان نجعلها ناقصة عما هي عليه
ولم يكن لنا اتمامها هكذا او بالحق الذي هو قدرتنا واختيارنا لا كما يدعيه الفلاسفة من الفعل بالذات من غير اختيار او بسبب
الحق اي اقامته واثباته وابطال الباطل ونفيه وقوله واتيناك بالحق وانا لصادقون اي اتيناك بالخبر بعذابهم
وهو لان مضمونه اذا وقع فنسبته الى الخبر علمت مطابقته له اي مطابقة الواقع اياه واخبارنا عنه على ما هو به فنحن صادقون

فيه اي نسبنا وقوع العذاب اليهم نسبة تطابق الواقع فاذا وقع نظرت الى اخبارنا فرايته مطابقا له فعلمت صدقنا فيه والذي لا
يدع في ذلك لبسا قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام قد جعلها ربي حقا اي بمطابقة الواقع لتاويلها واما صدقه صلى الله
عليه وسلم فهو بنسبة الخبر الى الواقع وهو انه راى ما اخبر به وذلك موجود من حين اخباره صلى الله عليه وسلم فان خبره كان حين اخباره
به مطلقا للواقع واما صدق الرؤيا فباعتبار انه كان لها واقع طابقة تاويلها فان قيل تاسيس المفاعلة ان تكون بين اثنين فصاعدا
يفعل احدهما بالاخر ما يفعل الاخر به فهب انا اعتبرنا المطابقة من جانب واحد فذلك لا ينفي اعتبارها من الجانب الاخر فماذا يعني
ما ادعيته قيل انها وان كان لا بد فيها من مراعاة الجانبين لكنها تفهم ان الذي اسند اليه الفعل هو الطالب بخلاف باب التفاعل
فانه لا دلالة لفعله على ذلك وجملة الامر ان الواقع احق باسم الحق لانه الثابت والخبر احق باسم الصدق والواقع طالب
لخبر يطابقه ليعرف على ما هو عليه والخبر طالب لمطابقة الواقع له فيكتسب الشرف بتسميته صدقا واول ثابت في نفس الامر هو
الواقع فان قيل الخبر عنه بانه وقع فاذا كان مبدا الطلب من الواقع سمي الخبر باسمه واذا كان مبدا الطلب من الخبر سمي باسمه الحقيق
به ولعلك اذا اعتبرت ايات الكتاب الناطق بالصواب وجدتها كلها على هذا الاسلوب والله الموفق ولما ثبت ان التلاوة
عليه صلى الله عليه وسلم قال تعالى وانك اي والحال انك لمن المرسلين بما دلت هذه الايات عليه من علمك بها من غير معلم
من البشر ثم باعجازها الباقي على مدا الدهر ولما تقدم في هذه السورة ذكر رسل كثيرة وختم هذه الايات بانه صلى الله عليه
وسلم منهم تشوفت النفس الى معرفة احوالهم في الفضل هل هم فيه سوا او متفاضلون فاشار الى علو مقادير الكل في قوله
تلك الرسل باداة البعد اعلاما ببعد مراتبهم وعلو منازلهم وانها بالمحل الذي لا ينال والمقام الذي لا يرام وجعل الحرالي
التعبير بتلك التي هي اداة التانيث دون اولئك التي هي اشارة المذكر توطئة واشارة لما يذكر بعد من اختلاف الامم بعد انبيائها
وقال يقول فيه النحاة اشارة لجماعة المونث وانما هو في العربية لجماعة ثانية في الرتبة لان التانيث احد الثواني عن اوليه
تناسبه في المعنى وتقابله في التطرق قال ومن لسن العرب واشارة تاسيس كلها ان المعنى متى اريد ارفاعه اطلق عن علامة
الثاني في الرتبة واشارته ومتى اريد انزاله قيد بعلامة الثاني واشارته ثم قال ففي ضمن هذه الاشارة لاولي التنبه اشعار
بما تضمنته الاية من الاخبار النازل عن رتبة الثبات والدوام الى رتبة الاختلاف والانقطاع كما انه لما كان الذكر واقعا في محل
اعلا في اية الانعام قيل اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ولما كان شان الاختلاف والانقطاع غير مستغرب في محل النقص
والاشكال وطئ لهذا الواقع بعد الرسل بانه ليس من ذلك وانه من الواقع بعد اظهار التفضيل وابلاغ البينات لما يشاؤه من
امره انتهى ثم اتبع هذه الاشارة حالا منها واستينافا قوله فضلنا بعضهم على بعض اي بالتخصيص بمآثر لم تجتمع لغيره
بعد ان فضلنا الجميع بالرسالة ولما كان اكثر السورة في بني اسرائيل واكثر ذلك في اتباع موسى عليه السلام بدا بوصفه وثنى
بعيسى عليه السلام لانه الناسخ لشريعته وهو اخر انبيائهم فقال مبينا لما اجمل من ذلك التفضيل باديا بدرجة الكلام لانها
من اعظم الدرجات لافتاء القول الى مظهر الذات بما لها من جميع الصفات لانه اوفق للكلام المستجمع للتمام منهم من كلم الله اي بلا
واسطة بما له من الجلال كموسى عليه السلام ورفع بعضهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم على غيره ومن فوايد الابهام الاستنباط
بالدليل ليكون مع انه احلى اجدر بالحفظ وذلك الاستنباط ان يقال انه تعالى قد عمهم بالتفضيل بالرسالة اولا ثم بين انه فضل
بعضهم على غيره وذلك كله رفعه فلو كانت هذه مجرد رفعه لكان تكريرا فوجب ان يفهم انها رفعة على اعلاهم واسقط الفوقية
هنا اكراما للرسل بخلاف ما في الزجر فقال معينا بعض ما اقتضاه التفضيل درجات اي عظيمة بالدعوة العامة والمعجزات
الباقية والاتباع الكثيرة في الازمان الطويل من غير تبديل ولا تحريف وينسخ شرعه لجميع الشرايع ويكون رحمة للعالمين
وامته خير امة اخرجت للناس وكونه خاتما للنبيين الذين ارسلهم سبحانه عند الاختلاف مبشرين ومنذرين وانزل معهم
الكتاب فلا نبي بعده ينسخ شريعته وانما ياتي النبي الناسخ لشريعته موسى عليه السلام ولما كان الشخص لا يبين الا باثارة
وكانت ايات موسى وعيسى عليهما السلام اكثر من ايات من سبقهما خصهما بالذكر اشارة الى ذلك فكان فيه اظهار الفضل لنبينا
صلى الله عليه وسلم لانه لا نسبة لما اوتي احد من الانبياء الى ما اوتي وابهامه يدل على ذلك من حيث انه اشارة الى ان ابهامه
في الظهور والجلاء كذكره لان ما وصف به لا ينصرف الا اليه ولما كان الناس واقفين مع الحس الا الفرد النادر وكان لعيسى
من تكرر الايات المحسوسات كالاحياء والابراء ما ليس لغيره ازيد اكثرهم بعد رفعه عليه السلام فقال صارفا القول الى
مظهر العظمة تهديدا لمن كفر بعد ما راى او سمع من تلك الايات الكبر واتينا بما لنا من العظمة بالقدرة على كل شي من الخلق
والتصوير كيف نشا وعلى غير ذلك عيسى ونسبه الى امه اشارة الى انه لا اب له فقال ابن مريم اي الذي خلقناه منها بغير
واسطة ذكر اصلا البينات من احياء الموتى وغيره قال الحرالي والبينة ما ظهر برهانه في الطبع والعلم والعقل بحيث لا
مندوحة عن شهود وجوده وذلك فيما اظهر الله على يديه من الاحياء والاماتة الذي هو من اعلى ايات الله فان كل باد في الخلق
ومتنزل في الامور فهو من ايات الله فما كان اقرب الى ما اختص الله به كان اعلى وابهر وما كان مما يجري نحوه على ايدي خلقه
كان اخفى والبس الاعلى من نبه الله قلبه لاستبصاره فيه وايدناه اي بعظمتنا البالغة بروح القدس في اعلامه ذكر
ما جعل تعالى بينه وبين عيسى عليه السلام في كيانه فجرى نحوه في علمه من واسطة الروح كما قال تعالى فارسلنا اليها
روحنا كذلك كان فعله مع تابيد وفي ذلك بينه وبين موسى عليهما السلام موازنة ابتدائية حيث كان امر موسى عليه
السلام من ابتداء امر التكليم الذي هو غاية سقوط الواسطة وكان امر عيسى عليه السلام من ابتداء امر الاحياء الذي هو

لم تجتمع

ومع ذلك

غاية

غاية تعرف المتصرفين انتهى ذكر شئ مما في الانجيل من بيانه وحكمه واياته قال متى انتم ملح الارض فاذا فسد الملح فبماذا يملح
لا يصلح لشئ لكن يطرح خارجا ويدوسه الناس وقال لوقا جيد هو الملح فان فسد بماذا يملح لا يصلح للارض ولا المزبلة لكن خارجا
كان له اذنان سامعتان فليسمع وقال متى انتم نور العالم لا تستطيع مدينة تخفى وهي موضوعة على راس جبل ولا يوقد سراج م
فيوضع تحت مكيال لكن يوضع على منارة ويضي لكل من في البيت هكذا فليضي نوركم قدام الناس لكي يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا ابا كم
الذي في السموات لا تظنوا اني جئت لاحل الناموس او الانبيا لم آت لا ادخل بل لاكمل الحق اقول لكم ان السما والارض تزولان وخطة واحدة
لا تزول من الناموس حتى يكون هذا كله فمن اخل باحدى هذه الوصايا الصغار وعلم الناس هكذا يدعى في ملكوت السموات صغيرا والذي يعمل
ويعلم هذا يدعى عظيما في ملكوت السما ثم قال واذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين انهم يحبون القيام في المجامع وزوايا الازقة يصلون
ليظهروا للناس الحق اقول لكم لقد اخذوا اجرهم واذا صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك عليك وصل الى ابيك سرا وابوك
يرى السر فيعطيك علانية واذا صليتم فلا تكثروا الكلام مثل الوثنيين لانهم يظنون انهم سيسمع لهم بكثرة كلامهم فلا ان
تتشبهوا بهم لان اباكم عالم ما يحتاجون اليه قبل ان تسلوه وهكذا تصلون انتم ابانا الذي في السموات قدوس اسمك ياتي
ملكوتك تكون مشيتك كما في السما على الارض خبزنا كفافنا اعطنا في اليوم واغفر لنا ما يجب علينا كما غفرنا لمن لخطا الينا
ولا تدخلنا التجارب لكن نجنا من الشرير لان لك المجد والقوة الى الابدا مين وقال مرقس واذا قمتم تصلون اغفروا ان كان لكم
عليه لكيما ابوكم الذي في السموات يترك لكم هفواتكم وقال متى فان غفرتم للناس خطاياهم غفر لكم ابوكم السمائي خطاياكم
وان لم تغفروا للناس سيا تهم لم يغفر لكم خطاياكم وقال لوقا وكان يصلي في قفر فلما فرغ قال واحد من تلاميذه يرب
علمنا نصلي كما علم يوحنا تلاميذه فقال لهم اذا صليتم فقولوا ابانا الذي في السموات يتقدس اسمك ياتي ملكوتك تكن ارادتك
كما في السما كذلك على الارض خبزنا كفافنا اعطنا كل يوم اغفر لنا خطايانا لانا نغفر لمن لنا عليه ولا تدخلنا التجارب لكن
نجنا من الشرير ثم قال لهم من منكم له صديق يمضي اليه نصف الليل فيقول له يا صديقي هبني ثلاث خبزات فان صديقا لي جاء
الي من طريقي وليس لي ما اقدم اليه فيجيبه ذلك من داخل ويقول لا تتعبني قد اغلقت بابي واولادي معي على مرقدي ولا
اقدر اقوم فاعطيك اقول لكم انه لم يقم ويعطيه من اجل الصداقة فيقوم ويعطيه من اجل الحاجة ما يحتاج اليه وانا ايضا
اقول لكم سلوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم كل من سال اعطي من طلب وجد ومن يقرع يفتح له وقال متى واذا صمتم
فلا تكونوا كالمرائين كانهم يعبسون وجوههم ويغيرونها ليظهروا للناس صيامهم الحق اقول لكم لقد اخذوا اجرهم وانت اذا
صمت ادهن راسك واغسل وجهك لئلا يظهر للناس صيامك وقال لوقا من منكم له عبد يحرث او يرعى فاذا جاء من الحقل
يقول له للوقت اصعد واجلس اوليس يقول له اعدل ما اكله وشد حقويك واخدمني حتى اكل واشرب ومن بعد ذلك تاكل
انت وتشرب هل لذلك العبد فضل عند ما فعل ما امر به كذلك انتم اذا فعلتم كل شئ امرتم به قولوا انا عبيد بطالون انما
عملنا ما يجب علينا وقال ايضا وقال له واحد من الجمع يا معلم قل لاخي يقاسمني الميراث فقال له يا انسان من اقامني عليكم
حاكما او مقسما وقال لهم انظروا وتحفظوا من كل الشره لان الحيوة ليست للانسان بكثرة ماله وقال لهم مثلا انسان
غني اخصبت له كورة ففكر وقال ما اذا اصنع اذ ليس لي حيث اضع غلاتي اهدم اهراي وابنيها واوسعها واخزن هناك
واقول لنفسي يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة استريحي وكلي واشربي وافرحي فقال له الله يا جاهل في هذه
تنزع نفسك وهذا الذي اعددته لمن يكون هكذا من يدخر ذخايرو ليس هو غنيا بالله وقال متى لا تكنزوا لكم كنوزا
في الارض حيث الاكلة والسوس يفسد والسارقون ينحيلون فيسرقون اكنزوا لكم كنوزا في السما حيث لا اكلة ولا سوس
يفسد ولا ينقب السارقون فيسرقون وقال لوقا بيعوا امتعتكم واعطوا رحمة فاجعلوا لكم اكياسا لا تبلى وكنوزا في
السموات لا تفنى حيث لا يصل اليه سارق ولا يفسده سوس وقال متى لانه حيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم سراج
الجسد العين فان كانت عينك بسيطة جسدك كله يكون نيرا وان كانت عينك شريرة جسدك كله يكون مظلما فاذا
كان النور الذي فيك ظلاما فالظلام ما هو ليس يستطيع انسان ان يعبد ربين لا ان يبغض الواحد ويحب الاخر او يجل الواحد
ويحتقر الاخر لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال فلهذا اقول لكم لا تهتموا لنفوسكم بما تاكلون او بما تشربون ولا لاجسادكم
بما تلبسون اليس النفس وقال لوقا ان النفس افضل من المآكل والجسد من اللباس انظروا الى طيور السما انها لا تزرع
ولا تحصد ولا تخزن في الاهرا وابوكم السمائي يقوتها اليس انتم باحرين ان تكونوا افضل منها وقال لوقا فيكم انتم افضل
من الطيور فمن منكم يهتم فيقدر ان يزيد على قامته ذراعا واحدا فلما ذا تهتمون باللباس اعتبروا ازهار الحقل كيف
يتربى ولا يتعب وقال لوقا تاملوا الزهر كيف ينموا بغير تعب ولا عمل انتهى اقول لكم ان سليمان في كل مجده لم يلبس
كواحدة منها فاذا كان زهر الحقل يكون اليوم وفي غد يطرح في التنور يلبسه الله هكذا فكم انتم احرى يا قليلي الايمان
فلا تهتموا وتقولوا ماذا ناكل وماذا نشرب وماذا نلبس هذا كله تطلبه الامم البرانيه وابوكم يعلم انكم تحتاجون الى
هذا جميعه اطلبوا اولا ملكوته وبره وهذا كله تزدادونه ولا تهتموا بالغد فالغد يهتم بشانه ويكفي كل يوم شره
وقال لوقا تكون اوساطكم مشدودة وسرجكم موقودة كونوا متشبهين بالناس ينتظرون سيدهم متى يايتهم من العرس
لكي اذا جاء وقرع يفتحون له طوبى لاولئك العبيد الذين ياتي سيدهم فيجدهم مستيقظين الحق اقول لكم انه يشد وسطه
ويتكيون هم ويقف يخدمهم لذلك فطوبى لاولئك العبيد قال فقال له بطرس يا رب من اجلنا تقول هذا المثل ام للجميع

فقال من ترى الوكيل الامين الحكيم الذي يقيمه سيده على حشمه يعطيهم طعامهم في حينه فطوبى لذلك العبد الذي ياتي سيده فيجده
فعل هكذا الحق اقول لكم انه يقيمه على جميع ماله فان قال ذلك العبد الشرير في قلبه ان سيدي يبطي قدومه وياخذ في ضرب عبيد
سيده وامانه وياكل ويشرب ويسكر فياتي سيده في يوم لا يظن وساعة لا يعلم فيشقه من وسطه ويجعل نصيبه مع الغير مومنين
فاما العبد الذي يعلم اراده سيده ولا يستعد ويعمل ارادة سيده فيضرب كثيرا والذي لا يعلم ويعمل ما يستوجب به الضرب
يضرب يسيرا لان من اعطي كثيرا يطلب كثيرا والذي استودع كثيرا يطلب بكثير وقال في موضع اخر الامين في القليل يكون
امينا في الكثير والظالم في القليل ظالم في الكثير فان كنتم غير امنا في مال الظلم فمن يامنكم في الحق وان كنتم غير امناء فيما ليس
لكم فمن يعطيكم مالكم حيث لا لقي نارا في الارض وما اريد الا اضرامها ولي صبغة اصطبغها وانا مجد لتكمل هل تظنون اني جيت لالقي
سلامه في الارض اقول لكم يكون اقتراف من الان يكون خمسة في بيت واحد يخالف اثنين واثنان ثلاثة يخالف الاب ابنه والابن
اباه والام ابنتها والابنة امها والحماة كنتها والكنة حماتها وقال متى لا تدينوا لئلا تدانوا وبالكيل الذي تكيلون يكال لكم
وقال لوقا ولا تحبوا الحكم على احد لئلا يحكم عليكم اغفروا يغفر لكم اعطوا تعطوا بمكيال صالح مملوء فايض ملقى في حضونكم ۝
لانه بالكيل الذي تكيلون يكال لكم هل يستطيع اعمى ان يقود اليس يقعان كلاهما في حفرة وقال متى لماذا تنظر القذى الذي
في عين اخيك ولا تفطن بالخشبة التي في عينك وكيف تقول لاخيك دعني اخرج القذى من عينك وفي عينك خشبة يا مرائي
اخرج اولا الخشبة من عينك وحينئذ تنظر ان تخرج القذى من عين اخيك لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم امام الخنازير
لئلا تدوسها بارجلها وترجع فتزمنكم سلوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم لان كل من يطلب يجد ومن سال يعط ومن يقرع
يفتح له اي انسان منكم يسله ابنه خبزا فيعطيه حجرا او يسله سمكة فيعطيه حية فاذا كنتم انتم الاشرار تعرفون تمنحون العطايا
الصالحة لابنايكم فكم بالحري ابوكم الذي في السموات يعطي الخيرات لمن يسله وكل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوه انتم بهم
فهذا هو الناموس والانبياء قال لوقا وزوال السماء والارض اسهل من يبطل من الناموس حرف واحد وقال ايضا وقال
لهم مثلا لكي يصلوا كل حين ولا يملوا قال كان قاض في مدينة لا يخاف الله ولا يستحيي من الناموس وكان في تلك المدينة ارملة
وكانت تاتي اليه وتقول انصفني من خصمي ولم يكن يشاء الى زمان وبعد ذلك قال في نفسه ان كنت لا اخاف الله ولا استحيي من الناس
لكن من اجل هذه المراة احكم لها ولا تعود تعنفني وتاتي الي في كل حين لتتبعني قال الرب اسمعوا ما قال قاضي الظلم افليس
الله احرى ان ينتقم لمختاريه الذين يدعونه النهار والليل نعم اقول لكم انه ينتقم لكم سريعا وقال متى ادخلوا من الباب
الضيق فان المسلك واسع والطريق المودية الى الهلاك رحبة والداخلين فيها كثيرهم ما اضيق الباب واكرب الطريق التي
تودي الى الحيوة وقليل هم الذين يجدونها احذروا من الانبياء الكذبة الذين ياتونكم بلباس الحملان وداخلهم ذياب خطفة
ومن ثمارهم فاعرفوهم هل يجمع من الشوك عنب ومن العوسج تين هكذا كل شجرة صالحة تخرج ثمرة جيدة والشجرة الردية
تخرج ثمرة شريرة لا تقدر شجرة صالحة تخرج ثمرة شريرة ولا شجرة رديئة تخرج ثمرة جيدة وقال لوقا وكل شجرة تعرف
من ثمرتها ليس يجمع من الشوك تين ولا يقطف من العليق عنب الرجل الصالح من الذخاير التجا في قلبه يخرج الصالحات والشرير
من ذخايره الشريرة يخرج الشر لان من فضل ما في القلب ينطق الفم وقال متى وكل شجرة لا تثمر ثمرة جيدة تقطع وتلقى
في النار فمن ثمارهم تعرفونهم ليس كل من يقول يرب يرب يدخل ملكوت السموات لكن الذي يعمل ارادة الذي في السموات
اي امره كثيرون يقولون لي في ذلك اليوم يرب يرب اليس باسمك تنبانا وباسمك اخرجنا الشياطين وباسمك صنعنا ايات
كثيرة فحينئذ اعترف لهم اني ما اعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الاثم وقال لوقا فقال واحد يرب قليل هم الذين ينجون
فقال احرصوا على الدخول من الباب الضيق فاني اقول لكم ان كثيرا يريدون الدخول منه فلا يستطيعون فاذا قام رب
البيت يغلق الباب فعند ذلك يقفون خارجا ويقرعون الباب ويقولون يرب يرب افتح لنا فيجيب لا اعرفكم من اين
انتم فيقولون اكلنا قدامك وشربنا فيقول ما اعرفكم من اين انتم تباعدوا عني يا عمال الظلم هناك يكون البكاء وصرير
الاسنان قال متى كل من يسمع كلماتي هذه ويعمل بها يشبه رجلا عاقلا بنى بيته على الصخرة وقال لوقا بنى بيتا وحفر
وعمق ووضع الاساس على صخرة فنزل المطر وجرت الانهار وهبت الرياح وضربت ذلك البيت فلم يسقط لان اساسه
ثابت على الصخرة وكل من يسمع كلماتي هذه ولا يعمل بها يشبه رجلا جاهلا بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجرت الانهار
وهبت الرياح وضربت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما وكان لما اكمل شيوع هذه الكلمات بهت الجميع من تعليمه
لانه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كمثل كتابهم وفيه مما يمتنع اطلاقه في شرعنا لفظ الاب والرب وسياتي في ال
عمران ما يشفي الغليل في تاويل مثل ذلك على تقدير صحته وكل ما ورد من وصف الانبياء بالكذبة فالمراد به المدعي للنبوة
كذبا ولما تقدم ان الله تعالى ارسل رسلا وانزل معهم كتبا وانهم تعبوا ومستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى جمعوا
الناس على الحق وان اتباعهم اختلفوا بعد ما جاتهم البينات كان مما تتوجه النفس للسوال عنه سبب اختلافهم فبين انه
مشيته سبحانه لا غير اعلاما بانه الفاعل المختار فكان التقدير ولو شاء الله لساوى بين الرسل في الفضيلة ولو شاء
لساوى بين اتباعهم في قبول ما اتوا به فلم يختلف عليهم اثنان ولكنه لم يشا ذلك فاختلفوا عليهم وهم يشاهدون البينات
وعطف عليه قوله تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم لافتاء القول الى التعبير بالجلالة اشارة الى ان الاختلاف مع
دلالة العقل على انه لا خير فيه شاهد للخالق بجميع صفات الجلال والجمال ولو شاء الله اي الذي له جميع الامر قال الحرالي

وهي كلمة جامعة قرآنيه محمديه تشهد الله وحده وتحوا عن الاقامة ماسواه انتهى ما اقتتل اي ما تكلف القتال مع انه مكروه للنفوس الذين من بعدهم لاتفاقهم على ما فارقوا عليه نبيهم من الهدي قال الحرالي فذكر الاقتتال الذي انما يقع بعد فتنة القتال بعد فتنة الاحوال بالضغائن والاحقاد بعد فقد السلام بعد فقد الوداد بعد فقد المحبة الجامعة للامة مع نبيها انتهى من بعد ما جاءتهم البينات اي على ايدي رسلهم قال الحرالي فيه ايذان بان الوسايل والاسباب لا تقتضي اثارها الا بامضاء كلمة الله فيها انتهى ولكن اختلفوا لانه سبحانه لم يشا اتفاقهم على الهدي منهم اي فتسبب عن اختلافهم ان كان منهم من آمن اي ثبت على ما فارق عليه نبيه حسب ما وعتا يه البينات فكان ايمانه هذا هو الايمان في الحقيقة لانه اعرف في امر الغيب ومنهم من كفر ضلالا عنها او عنادا ولما كان من الناس من اعمى الله قلبه فنسب افعال المختارين من الخلق اليهم استقلالا قال تعالى معلما ان الكل بخلقه تاكيدا لما مضى من ذلك معيدا ذكر الاسم الاعظم اشارة الى عظم الحال في امر القتال الكاشف لمن باشره في ضلال عن اقبح الحلال ولو شاء الله الذي لا كفو له ما اقتتلوا بعد اختلافهم بالايمان والكفر وكرر الاسم الاعظم زيادة في الاعلام بعظم المقام يفعل ما يريد فاختلفوا واقتتلوا طوع مشيته على خلاف طباعهم وما بنا قص عندهم من العلم والحكمة ولما كان الاختلاف على الانبياء للجهاد الذي هو خطبة الدين وكان عماد الجهاد النفقة اتبع ذلك قوله رجوعا الى اول السورة من هنا الى اخرها الى التاكيد بلفظ الامر لما تقدم الحث عليه من امر النفقة يا ايها الذين آمنوا اي اقروا بالسنتهم بالايمان انفقوا تصديقا لدعويكم في جميع ابواب الجهاد الاصغر والاكبر ولا تبخلوا فاي داء ادوا من البخل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ولما امر بذلك هونه عليهم بالاعلام بانه لا الم فقال مما اي الشي الذي ورد القول الى مظهر العظمة حثا على المبادرة الى امتثال الامر وتقبيحا للحال من ابطا عنه فقال رزقناكم مما لنا من العظمة وجرم هنا بالامر لانه لما رغب في النفقة من اول السورة الى هنا مرة اخرى في اساليب متعددة صارت دواعي المعقلا في درجة القبول لما تندب اليه من امرها وان كان الخروج عما في اليد في غاية الكراهة الى النفس وصرف الامر بالتبعيض الى الحلال الطيب ممنع احتجاج المعتزلة بها في ان الرزق لا يكون الا حلالا لكونه مامورا به واتبعه بما يرغب ويرهب من حال يوم التناد الذي تنقطع فيه الاسباب التي اقامها سبحانه في هذه الدار فقال من قبل ان يأتي يوم موصوف بانه لا بيع فيه موجود ولا خلة قال الحرالي هي مما منه المخالة وهي المداخلة فيما يقبل التداخل حتى يكون كل واحد خلالا للاخر وموقع معناها الموافقة في وصف الرضى والسخط فالخليل من رضاه رضي خليله وفعاله من فعاله انتهى ولا شفاعة والمعنى انه لا يدري فيه اسير بمال ولا يراعي لصداقه من مساوي ولا شفاعة من كبير لعدم ارادة الله تعالى لشي من ذلك ولا يكون الا ما يريد وفي الاية التفات شديد الى اول السورة حيث وصف المومنين بالانفاق مما رزقناهم والايقان بالاخرة وبيان ان المراد بالانفاق اعم من الزكوة وان ذلك يحتمل جميع وجوه الانفاق من جميع المعاون والحظوظ التي تكسب المعالي وتنجي من المهالك وسياتي في الايات الحائمة على النفقة ما يرشد الى ذلك كقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وغيرها قال الحرالي فانتظم هذا الانتهاء في الخطاب بما في ابتداء السورة من الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلوة الى قوله المفلحون فلذلك وقع بعد هذا الانتهاء افتتاح اية هي سيدة اي هذه السورة المنتظمة باولها انتظاما معنويا براسي الم ذلك الكتاب فكان في اشارة هذا الانتظام توطئة لما افصح به الخطاب في فاتحة سورة ال عمران لما ذكر من ان القران مثاني افهام وحمد فكان اوله حمدا واخره حمدا يثنى ما بين الحمدين على اوله كما قال حمدني عبدي اثنى علي عبدي فجملته حمد وتفاصيله ثناء انتهى ولما حث سبحانه على الانفاق ختم الاية بذم الكافرين بكونهم لم يتخلوا بهذه الصفة لتخليهم من الايمان وبعدهم منه وتكذيبهم بذلك اليوم لانهم لا ينفقون لخوفه ولا رجاء فقال لا بدل ولا نصرة للكافرون والكافرون اي المعلوم كفرهم في ذلك اليوم وهذا العطف يرشد الى ان التقدير ما لذين امنوا يفعلون ما امرناهم به لانهم المحقون والكافرون هم المختصون بانهم هم الظالمون اي الكاملون في الظلم لغيرهم ومن المعلوم ان الظالم خاسر وانه مخذول غير منصور لانه يضع الامور في غير مواضعها ومن كان كذلك لا تثبت له امر ولا يرتفع له شان بل هو دائم على شفا جرف هار ولاجل ذلك يختم سبحانه كثيرا من اياته بقوله وما للظالمين من انصار فقد انتفى بذلك جميع انواع الخلاص المعهود في الدنيا في ذلك اليوم من الافتداء بالمال والمراعاة لصداقه او عظمة ذي شفاعة او نصرة بقوة ولما ابتداء سبحانه الفاتحة كما مضى بذكر الذات ثم تعرف بالافعال لانها شاهدات ثم رقى الخطاب الى التعريف بالصفات ثم اعلاه رجوعا الى الذات للتاهل للمعرفة ابتداء هذه السورة بصفة الكمال لانها اعظم المعجزات وابينها واد لها على غيب الذات واوقفها في النفوس لا سيما عند العرب ثم تعرف بالافعال فاكثر منها فلما لم يبق لبس اثبت الوحدانية بايتها السابقة مخللا ذلك باثنائين الحكم ومحاسن الاحكام وانواع الترغيب والترهيب في محكم الوصف والترتيب فلما تمت الاوامر وهالت تلك الزواجر وتشوفت النفس وتشوفت الخواطر الى معرفة سبب انقطاع الوصل بانتفاء الاسباب وانتفاء الشفاعة في ذلك اليوم اذ كان المالوف من ملوك الدنيا انهم لا يكادون يتمكنون من امر من الامور حتى تمكن من كثرة الشفعاء والراغبين من الاصدقاء اذ كان الملك منهم لا يخلو مجلسه قط عن جميع كل منهم صلح للقيام مقامه ولو خذله او وجه اليه مكروه ضعضع امره وفت في عضده فهو محتاج الى مراعاتهم واسترضائهم ومدارا تهم بين سبحانه صفة الامر بما هو عليه من الجلال والعظمة ونعوت الامر والعلو عن الضد والند والتنزه عن الكفو والند والتفرد بجميع الكمالات والعصمة المانعة بعد انكشافها هناك اتم

انكشاف لان تتوجه الهمم لغيره وان تنطق بغير اذنه وان يكون غير ما يريد ليكون ذلك ادعى الى قبول امره والوقوف عند
نهيه وزجره ولاجل هذه الاعراض ساق الكلام مساق جواب لسؤال فكانه قيل هذا ما لا يعرف من احوال الملوك فمن الملك
في ذلك اليوم فذكر اية الكرسي سيدة اي القرآن التي ما اشتمل كتاب على مثلها مفتتحا لها بالاسم العلم الفرد الجامع الذي لم يقسم
به غيره وذلك لما تاهل السامع بعد التعرف بالكلام والتردد بالافعال لمقام المعرفة فترقى الى اوج المراقبة وحضرة المشاهدة
فقال عايدا الى مظهر الجلالة الجامع لصفات الجلال والاكرام لانه من اعظم مقاماته الله اي هو الملك في ذلك اليوم ثم اثبت له
صفات الكمال منزها عن شوايب النقص مفتتحا بها بالتفرد فقال لا اله الا هو مقررا لكمال التوحيد فانه المقصود الاعظم من
جميع الشرايع ولكن الانسان لما جبل عليه من النقصان لا بد له من ترغيب يشده وترهيب يرده ومواعظ ترققه واعمال تصدقه
واخلاق تحققه فخلل سبحانه اي التوحيد بالاحكام والقصص فالاحكام تفيد الاعمال الصالحة فترفع استار الغفلة عن عيون
القلوب وتكسب الاخلاق الفاضلة لتصقل الصداء عن مرآي النفوس فتتجلى فيها حقايق التوحيد والقصص تلزم بمواعظها
واعتباراتها بالاحكام وتقرر دلايل المعارف فيرسخ التوحيد وكان هذا التفصيل لانه انشط للنفس بالانتقال من نوع الى آخر
مع الهز بحسن النظم وبلاغة التناسب والالهاب ببداعة الربط وبراعة التلاحم وقال الحرالي لما اتى الخطاب على بيان جوامع
من معالم الدين وجهات الاعتبار وبيان احكام الجهاد والانفاق فيه فتم الدين بخطيرته معالم اسلام وشعاير ايمان ولمحة احسان
اعلى تعالى الخطاب الى بيان امر الاحسان كما استوفى البيان في امر الايمان والاسلام فاستفتح هذا الخطاب العلي الذي يسود كل
خطاب ليعلي به الذين امنوا فيخرجهم به من ظلمة الايمان بالغيب الذي نوره يذهب ظلمة الشك والكفر الى صفا ضياء الايمان الذي
يصير نور الايمان بالاضافة اليه ظلمة كما يصير نور القمر عند ضياء الشمس ظلمة فكانت نسبة هذه الآية من آية الالهية في قوله
تعالى والهكم اله واحد نسبة ما بين علو اسمه الله الذي لم يقع فيه شرك بحق ولا بباطل الى اسمه الاله الذي وقع فيه الشرك
بالباطل فينقل تعالى المومنين الذين استقر لهم ايمان الاعتبار باية والهكم اله واحد وما بعدها من الاعتبار في خلق السموات
والارض الى يقين العيان باسمه الله وما يلتيم بمعناه من اوصافه العظيمة انتهى ولما وحد سبحانه نفسه الشريفة اثبت استحقاقه
لذلك بحياته وبين ان المراد بالحيوة الابدية بوصف القيومية فقال الحي اي الذي له الحيوة وهي صفة توجب صحة العلم
والقدرة القيوم اي القايم بنفسه المقيم لغيره على الدوام على اعلى ما يكون من القيام والاقامة قال الحرالي فيعول زيدت
في اصوله اليا ليجتمع فيه لفظ ما هو من معناه الذي هو القيام بالامر مع واوه التي هي من قام يقوم فافادت صيغة من المبالغة
ما في القيام والقوام على حد ما تفهمه معاني الحروف عند المخاطبة بها من ايمة العلماء الوالجين مدينة العلم المحمدي من بابه العلوي
انتهى ثم بين قيوميته وكمال حيوته بقوله لا تاخذه سنة قال الحرالي هي مجال النعاس في العينين قبل ان يستغرق الحواس ويخامر
القلب ولا نوم وهو ما وصل من النعاس الى القلب فغشيه في حق من ينام قلبه وما استغرق الحواس في حق من لا ينام قلبه
انتهى ولما عبر بالاخذ الذي هو بمعنى القهر والغلبة وجب تقديم السنة كما لو قيل فلان لا يغلبه امير ولا سلطان ثم بين هذه
الجملة بقوله له اي بيده وفي تصرفه واختصاصه ما في السموات الذي من جملته الارض وما في الارض اي من السنة والنوم
وغيرهما وما هو في قبضته وتصرفه لا يغلبه قال الحرالي وسلب بالجملة الاولى امر الملكوت من ايدي الملايكة الى قهر جبروته
والاثار من نجوم الافلاك الى جبره وسلب بالجملة الثانية الاثار والصنايع من ايدي خليفته وخليقته الى قضايه وقدره
وظهور قدرته فكان هذا الخطاب بما ابدى للفهم اقامة قيامه على مجعول الحكمة الارضية والسمايية التي هي حجاب قيوميته
سلبا لقيام ما سواه انتهى ثم بين ما تضمنته هذه الجملة بقوله منكرا على من ربما توهم ان شيا يخرج عن امره فلا يكون مختصا به
من ذا الذي يشفع اي مما ادعى الكفار شفاعته وغيره عنده الا باذنه اي بتمكينه لان من لم يقدر احد على مخالفته كان من البين
ان كل شي في قبضته وكل ذلك دليل على تفرده بالالهية قال الحرالي وحقيقة الشفاعة وصلة بين الشفيع والمشفوع له لمزية
وصلة بين الشفيع والمشفوع عنده فكان الاذن في باطن الشفاعة خطا من سلب ما للشفعاء ليصير بالحقيقة انما الشفاعة
لله عند الله فهو تعالى بالحقيقة الذي شفع عند نفسه بنفسه فباخفايه تعالى شفاعته في شفاعة الشفعاء كان هو الشفيع
في الابتداء من وراء حجاب لان ابداء كله في حجاب واعادته من غير حجاب فلذلك هو تعالى خاتم الشفعاء حيث يقول كما ورد في الخبر
شفع الانبياء والمرسلون ولم يبق الا الحي القيوم انتهى ثم بين جميع ما مضى بقوله يعلم ما بين ايديهم اي ما في الخافقين ممن ادعت
شفاعته وغيرهم قال الحرالي اي ما آتاهم علمه من امر انفسهم وغيرهم لان ما بين يدي المرء يحيط به حسه وما علمه ايضا فكانه
بين يدي قلبه يحيط به علمه وما خلفهم وهو ما لم ينله علمهم لان الخلف هو ما لا يناله الحس فانباء ان علمه من وراء علمهم محيط بعلمهم
فيما علموا وما لم يعلموا انتهى ولما بين قدره لهم بعلمه بين عجزهم عن كل شي من علمه الا ما افاض عليهم بحلمه فقال ولا يحيطون بشي
اي قليل ولا كثير من علمه الا بما شاء فبان بذلك ما سبقه لان من كان شامل العلم ولا يعلم غيره الا ما علمه كان كامل القدرة فكان كل
شي في قبضته فكان منزها عن الكفو متعاليا عن كل عجز وجهل فكان بحيث لا يقدر غيره ان ينطق الا باذنه لانه يسبب له ما
يمنعه مما لا يريده ثم بين ما في هذه الجملة من احاطة علمه وتمام قدرته بقوله مصورا لعظمته وتمام علمه وكبريايه وقدرته
بما اعتاده الناس في ملوكهم وسع كرسيه ومادة كرس تدور على القوة والاجتماع والعظمة والكرس الذي هو البول والبعر
الملبد ماخوذ من ذلك وقال الاصفهاني الكرسي ما يجلس عليه ولا يفصل عن مقعد القاعد وقال الحرالي معنى الكرس هو
الجمع فكل ما كان اتم جمعا فهو احق بمعناه ويقال على المرقى للسرير الذي يسمى العرش الذي يضع الصاعد عليه قدمه اذا صعد واذا

نزل

نزل وحين يستوي ان شا كرسي ثم قال والكرسي فيه صور الاشيا كلها كما بدت ايته في الارض التي فيها موجودات الاشيا كلها
فما في الارض صورة الا ولها في الكرسي مثل فما في العرش اقامته ففي الكرسي مثلته وما في السموات اقامته ففي الارض صورته فكان
الوجود مثنيا كما كان القرآن مثاني اجمالا وتفصيلا في القران ومدادا وصورا في الكون فجمعت هذه الآية العلية تفصيل المفصلات
وابهام صورة المداديات بنسبة ما بين الما وما منه وجعل وسع الكرسي واحد حيث قال السموات والارض ولم يكن وسعان لان
الارض في السموات والسموات في الكرسي والكرسي في العرش والعرش في الهوي انتهى فبان بذلك ما قبله لان من كان بهذه العظمة
في التدبير المحكم والصنع المتقن كان بهذا العلم وهذه القدرة التي لا يثقلها شي ولذا قال ولا يوده اي يثقله قال الحرالي من
الاود اي بلوغ المجهود ذووا ويقابله يا من لفظ الايد اي وهو القوة واصل معناه والله اعلم انه لا يعجزه علوا يده ولذلك يفسره
اللغويون بلفظ يثقله حفظهما في قيوميته كما يثقل غيره او يعجزه حفظ ما ينشيه بل هو عليه يسير لانه لو اثقله لاختل امرهما ولو
يسيرا ولقدر غيره ولو يوما ما على غير ما يريده والحفظ قال الحرالي الرعاية لما هو متداع في نفسه فيكون تماسكه بالرعاية له
عما يوهنه او يبطله انتهى ولما لم يكن علوه وعظمته بالقهر والسلطان والاحاطة بالكمال منحصرا فيما تقدم عليه قوله وهو اي مع
ذلك كله المتفرد بانه العلي اي الذي لا رتبة الا وهي منخفضة عن رتبته العظيم كما انبا عن ذلك افتتاح الاية بالاسم العلم الاعظم
الجامع لجميع معاني الاسما الحسنى علوا وعظمة تتقاصر عنهما الافهام لما غلب عليها من الاوهام ونظم الاسمين هكذا دال على انه
اريد بالعظم علو الرتبة وبعد المنال عن ادراك العقول وقد ختمت الآية بما بديت به غير ان بداها بالعظمة كما قال الحرالي
كان باسمه الله الاحة وختمها كان بذلك افصاحا لما ذكر من ان الابدا من ورا حجاب والاعادة بغير حجاب كذلك تنزل القرآن
مبدا الخطاب الاحة وخاتمته افصاح ليتطابق الوحي والكون تطابق قايم ومقام الاله الخلق والامر ولما في العلو من الظهور وفي
العظمة من الخفا لموضع الاحاطة لان العظيم هو ما يستغرق كما يستغرق الجسم العظيم جميع الاقطار وله المثل الاعلى وذلك حين كان
ظاهر العلو هو كبرياؤه الذي شهدت به كبير خلقه قال تعالى فيما انبا عنه نبيه صلى الله عليه وسلم الكبريا ردائي لان
الردا هو ما على الظاهر والعظمة ازاري والازار ما ستر الباطن والاسفل فاذا في السما كبرياؤه وفي الارض عظمته وفي العرش
علوه وفي الكرسي عظمته فعظمته اخفى ما يكون حيث التفصيل وكبرياؤه وعلوه اجلى ما يكون حيث الابهام والابهام فتبين بهذا
المعنى علو رتبة هذه الآية بما علت على الايمان علو الايمان على الكفران ولما الاحته للافهام من قيوميته تعالى وعلوه وعظمته
وابادة ما سواه في ان ينسب اليهم شي لانه تعالى اذا ابدا باد ما سواه كان الاحة هذه الاية العلية العظيمة تقرير دين الاسلام
الذي هو دين الالقا كما كان فيما تقدم من ايراد السورة تقرير دين القيمة الذي ما امروا الا ليعبدوا به مخلصين حنفا ويقيموا
الصلوة ويؤتوا الزكوة ولذلك كان ذكر دين الاسلام في سورة الافصاح بمعاني هذه السورة آل عمران اثر قوله شهد الله انه
لا اله الا هو انتهى وقد علم من هذا التقرير ان كل جملة استونفت فهي علة لما قبلها وان الاخيرة شارحة للازم العلم المحيط
وهو القدرة التامة التي اقمت دليل لزومها في طه فمن ادعى شركه فليحفظ هذا الكون ولو في عام من الاعوام وليعلم بما هو فاعل
في ذلك العام ليصح قوله واني واتضح بما تقرر له سبحانه من العلو والعظمة ان الكافر به هو الظالم وان يوم تجليه للفصل ۝
لا تكون فيه شفاعة ولا خلة واما البيع فهم عنه في اشغل الشغل وان كان المراد به الفدا فقد علم انه لا سبيل اليه ولا تعريج
عليه وبهذه الاسرار اتضح قول السيد المختار صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية سيدة آي القرآن وذلك اشتملت عليه من
اسما الذات والصفات والافعال ونفي النقص واثبات الكمال ووفت به من ادلة التوحيد على اتم وجه في احكم نظام وابدع
اسلوب منمحضة لذلك فان فضل الذكر والعلم يتبع المذكور والمعلوم وقد احتوت على الصفات السبع الحيوة والعلم والقدرة ۝
والارادة والكلام صريحا فاما الاذن لا يكون الا بالكلام والارادة وعلى السمع والبصر من لازم له ما في السموات وما في الارض
ومن لازم الحي لان المراد الحيوة الكاملة وكررت فيها الاسما الشريفة ظاهرة ومضمرة سبع عشرة مرة بل احدى وعشرين ولم
يتضمن هذا المجموع اية غيرها في كتاب الله وهي خمسون كلمة على عدد الصلوات المامور بها اولا في تلك الحضرة السما حضرت
العرش والكرسي فوق سدرة المنتهى وبعدد ما استقرت عليه من رتبة الاجر اخرا فكانها مراقي لروح الله قاربها الى ذلك المحل
الاسمى الذي هي ايته الذي تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ولعل هذا اسر ما بينه من انه لا
يقرب من يقراها عند النوم شيطان لان من كان في حضرة الرحمن عال عن وسواس الشيطان والله الموفق لما اتضحت الدلايل لكل
عالم وجاهل صار الدين الى حد لا يحتاج فيه منصف لنفسه الى اكراه فيه فقال لا اكراه في الدين وقال الحرالي لما نقل تعالى رتبة
الخطاب من حد خطاب الامر والنهي والحدود وما ينبني عليه المقام دين القيمة الذي اخفى لهم امر العظمة والجبروت الجابر لاهل
الملكوت والملك فيما هم فيه مصرفون الى علو رتبة دين الله المرضي الذي لا لبس فيه ولا حجاب عليه ولا عوج له وهو اطلاعه تعالى
عبده على قيوميته الظاهرة بكل باد وفي كل باد وعلى كل باد واظهر من كل باد وعظمته الخفية التي لا يشير اليها اسم ولا يجوزها
رسم وهي مدار كل مدار بين تعالى واعلن بوضع الاكراه الخفي موقعه في دين القيمة من حيث ما فيه من حمل الانفس على كرهها فيما كتب
عليها مما هو علم عقابها وآية عذابها فذهب بالاطلاع على امر الله في قيوميته وعظمته كره النفس بشهودها جميع ما تجري فيه
لها لا عليها فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات بما استشعرته قلوبهم مما التوحيد الجاري تحت مختلفات اثمار اعمالهم فعاد
حلوه ومره بذلك التوحيد حلوا كما يقال في الكبريت الاحمر الذي يقلب اعيان الاشيا الدنية الى حال ارفعها انتهى ثم علل سبحانه
انتفا الاكراه عنه بقوله قد تبين الرشد قال الحرالي وهو حسن التصرف في الامر والاقامة عليه بحسب ما يثبت ويدوم ۝

من الغي وهو سوء التصرف في الشيء واجراؤه على ما سوء عاقبته انتهى اي فصار كل ذي لب يعرف ان الاسلام خير كله وغيره شر
كله لما تبين من الدلايل وصار بحيث يباد ركل من اراد نفع نفسه اليه ويخضع اجير الجبابرة لديه فكانه لقوة ظهوره وغلبة نوره قد
انتفى عنه الاكراه بحذافيره لان الاكراه الحمل على ما لم يظهر فيه وجه المصلحة فلم يبق منه مانع الا حظ النفس الخبيث في شهواتها البهيمية
والشيطانية فمن اي فكان ذلك سببا لانه من يكفر بالطاغوت وهو نفسه وما دعت اليه وما لت بطبعها الردي اليه وقال الحرالي وهو
ما المحض في الاخراج عن الحد الموفوق عن الهلكة صيغة مبالغة وزيادة انتهى وسماه الطغيان انتهى ويؤمن بالله اي الملك الاعلى ميلا
مع العقل الذي هو خير كله لما راي بنوره من الادلة القاطعة والبراهين الساطعة وداوم على ذلك بما افادته صيغة المضارع من
يكفر ويؤمن فقد استمسك اي على بصيرة منه بالعروة الوثقى اي التي لا يقع شك في انها اوثق الاسباب في نحاته بما القي بيده
واستسلم لربه ومن يسلم وجهه الى الله الاية والعروة ما يشد به العياب ونحوها بتة احلها بعضها في بعض دخولا لا ينفصم بعضه
من بعض الا بفصم طرفه فاذا انفصمت منه عروة انفصم جميعه والوثقة صيغة فعلى للمبالغة من الثقة لشدة ما شانه ان يخاف وهنه
ثم بين وثاقتها بقوله لا انفصام لها اي لا مطاوعة في حل ولا صدع ولا ذهاب قال ابن التطاع فصمت الشيء صدعته والعقلة
حللتها والشيء عنه ذهب وقال الحرالي من الفصم وهو خروج العري بعضها من بعض اي فهذه العروة لا انحلال لها اصلا ولو تمثيل
للمعلوم بالنظر والاحتجاج بالمشاهد المحسوس ليتصور السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده فيه ويحل اغتباطه به فعلم من هذا
انه لم يبق عايق عن الدخول في هذا الدين الا القضاء والقدر فمن سبقت له السعادة قيض الله له من الاسباب ما يخرجه من الظلمات
الى النور ومن غلبت عليه الشقاوة سلط عليه الشياطين فاخرجته من نور الفطرة الى ظلمات الكفر والحيرة ولما كان كل من
الايمان والكفر المتقدمين قولا وفعلا واعتقادا قال مرغبا فيهما ومرهبا من تركهما والله اي الذي له صفات الكمال سميع اي لما
يقال مما يدل على الايمان عليم بما يفعل او يضمر من الكفر والطغيان ومجاز عليه ولعل في الآية التفاتا الى ما ذكر اول السورة في ذم
الكفار من انه سواء عليهم الانذار وتركه والى المنافقين وتقبيح حالهم عليه مما هو في غاية المخالفة لما صارت ادلته اوضح من الشمس
وهي مشعرة بالاذن في الاعراض عن المنافقين ولما قرر ذلك وارشد السياق الى شيء اقتضت البلاغة طيه ارشادا الى البعد
منه والهرب عنه لبشاعته وسوء نتيجته وهو ومن يؤمن بالطاغوت ويكفر بالله فقد استمسك له واله يهويه الى الجحيم كان كانه قيل
فمن يخلص النفس من ظلمات الهوى والشهوة ووساوس الشيطان فقال مستانفا الله اي بما له من العظمة والاسماء الحسنى ولي الذين
امنوا اي يتولى مصالحهم ولذلك بين ولايته بقوله يخرجهم من الظلمات اي المعنوية جمع ظلمة وهو ما يطمس البداية حسا او
معنى وجمعها لان طرق الضلال كثيرة فان الكفر انواع الى النور اي المعنوي وهو ما يظهر البداية حسا او معنى قال الحرالي
وجمعها لان طرق الضلال كثيرة فان الكفر انواع الى النور اي المعنوي وهو ما يظهر البداية حسا او معنى قال الحرالي
ووحده لان الصراط المستقيم واحد ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ومن المحامل الحسنة ان يشار بالجمع الى ما يتشاءم الجهل
عن المشاعر التي اخبر بالختم عليها فصار البصر عريا عن الاعتبار والسمع خاليا عن الفهم والاستبصار والقلب معرضا عن التدبر
والافتكار وبالوحدة في النور الى صلاح القلب فانه كفيل بجلب كل سار ودفع كل ضار والنور الذي هو العقل والفطرة الاولى ذو
جهة واحدة وهي القوم والظلمة الناشئة عن النفس ذات جهات هي في غاية الاختلاف ولما ذكر عبادة الخلص ذكر عبادة
الشهوات فقال والذين كفروا اي ستروا ما دلت عليه ادلة العقول اولا والنقول ثانيا بشهوات النفوس اولياؤهم الطاغوت
من شهواتهم وما دلت اليه من اتباع كل ما الطغى من الشياطين والعكوف على الاصنام وغير ذلك ثم بين استيلاءهم عليهم بقوله
يخرجونهم واسناده الى ضمير الجمع يؤيد ان جمع الظلمات لكثرة انواع الكفر من النور اي الفطري الى الظلمات قال الحرالي وفيه بيان
استواء جميع الخلق في حقيقة النور الاولي الى الروح المجندة الى الفطرة المستوية كل مولود يولد على الفطرة انتهى ولما ذكر استيلاء
الشهوات عليهم الداعي اليها الطيش والخفة الناشئ عن عنصر النار التي هي شعبة من الشيطان بين ان جزاءهم من جنس مرتكبهم فقال
اولئك اي الحالون محل البعد والبغض اصحاب النار قال الحرالي لذا تبعوها من حيث لم يشعروا من حيث انها لصاحب من اتبع
مصحوبه انتهى ولما علم من ذكر الصحبة دوامهم فيها صرح به تاكيدا بقوله مبينا اختصاصهم بها هم اي خاصة فيها خالدون
الى ما لا آخر له قال الحرالي وجعل الخلود وصفا لهم اشعارا بانهم فيها وهم في دنياهم انتهى ولما ذكر ما له سبحانه من الاحاطة
والعظمة وابتعه امر الايمان وتوليه حزبه وامر الكفران وخذلانه احله اخذ يدل على ذلك بقصة المحاج للخليل عليه السلام
والمار على القرية مذكرا بقصة الذين قال الله موتوا ثم احياهم في سياق التعجيب من تلك الجرأة قال الحرالي ولما كان ما اظهر
الحق في اية عظمته وما اتصل بها في خاصة عباده اختص هذا الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم لعلو مفهوم معزاه عمن دونه انتهى
فقال تعالى الم تر اي تعلم بما اخبرك به علما هو عندك كالمشاهدة لما لك من كمال البصيرة وبما اودعناه فيك من المعاني المميزة ولما
كان هذا المحاج بعيدا من الصواب كثيف الحجاب اشار الى بعده بحرف الغاية فقال الى الذي حاج ابرهم اي الذي هو اب العرب وهم
احق الناس بالاقتداء به في ربه الضمير يصح ان يعود على كل منهما اي فيما اختص به خالقه المحسن اليه المربي له بعد وضوح هذه الادلة
وقيام هذه البراهين اشارة الى انه تعالى اوضح على لسان كل نبي امره وبين عظمته وقدرته مع انه ركز ذلك في جميع الفطر وقادها
اي بحور جبلة له بادي نظر فكان تمرد المحاج للخليل ممن اخرجته الشياطين من النور الى الظلمات ولما كان امرا باهرا عجيبا
بين ان علته الكبر الذي اشتق ابليس فقال ان اي لاجل ان اتاه الله اي الملك الاعلى بتبيض فضله الملك الفاني في الدنيا بجعل
موضع ما يجب عليه من شكر من ملكه ذلك محاجته فيه وكبره زعم عليه وعرفه اشارة الى كماله بالنسبة الى الادميين بالحكم على جميع
الارض قال الحرالي وفي اشعاره ان الملك بلاء وفتنة على كل من اوتيه انتهى فتكبر بما خوله الله فيه على عباد الله وهم يطيعونه لما

مكن الله له من الاسباب الى ان رسخت قدمه في الكبر المختص بالملك الاعظم مالك الملك وسيد الملوك فظن جهلا انه اهل له ؟
ولما اخبر تعالى بمحاجته بين ما هي تقرير الاية فقال لهم انه موتوا ثم احياهم دلالة على البعث ليوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
فقال اذ اي حاجه حين قال ابرهيم اي الذي احسن الى بخلقي وادامة الهداية لي الذي يحيي ويميت اي وحده وهذه العبارة
تدل على تقدم كلام في هذا وادعا احد المشاركة في هذه الصفة ولما كان كأنه قيل هذا امر ظاهر مجمع عليه فماذا الذي يحاج
المحاج فيه اجيب بقوله ؟ قال اي ذلك المحاج بجراة وعدم تامل لما الفه من ذل الناس له وطواعيتهم لجبروته انا ايضا
احيي واميت بان امر على من استحق القتل واقتل من لا يستحق فلما راى ابرهيم عليه السلام انه قد اجترا على عظيم وان محاجته
في نفس الاحياء ربما خفيت او طالت راى ان يعجل ابهامه مع بيان حقارته بما هو اجلى من ذلك وفيه انه دون ما ادعاه بمراتب
لان الاحياء افاضة الروح على صورة بعد ايجادها من العدم بان قال ابرهيم وقال الحرالي ولما كان من حسن الاحتجاج ترك المراء
بمتابعة الحجة الملبسة كما قال تعالى فلما رأيهم الامر الظاهر انقل المحاج من الحجة الواقعة في الانفس الى الحجة الواقعة في الافاق
باعظم كواكبها الشمس سخرهم اياتا في الافاق وفي انفسهم ففي ظاهر الاحتجاج انتقال وفي طيه تقرير الاولى لان الروح مثل البدن
فكانه ضرب مثل من حيز ان الاحياء انما هو ان يوتى بشمس الروح من حيث غربت فكان في ظاهره استقبال لحجة ظاهرة وفي باطنه
تتميم للحجة الاولى قال تعالى فان بالفاء الرابطة بين الكلامين من اشعار التتمة الحجة الاولى بالحجة الثانية انتهى اي تسبب عن
دعواك هذه ان اقول لك ان الله بما له من العظمة والجلال باستجماع صفات الكمال يأتي بالشمس اي وهو الذي اوجدها من المشرق
اي في كل يوم من قبل ان توجد انت بدهور فات بها انت من المغرب ولو يوما واحدا قال الحرالي اظهار المرجع العالم بكليته
الى واحد وان قيوم الانسان في الاحياء والاماتة هو قيوم الافاق في طلوع الشمس وغروبها وفي لحنه اشعار بان الله سبحانه
لا بد وان ياتي بالشمس من المغرب ليكون في ذلك اظهار تصريفه لها حيث شاء حتى يطلعها من حيث غربت كما يطلع الروح من حيث
قبضت ليكون طلوع الشمس من مغربها اية مقاربة قيام الساعة وطلوع الارواح من ابدانها انتهى فبهت قال الحرالي من
البهت وهو بقاء الشيء على حاله وصورته لا يتغير عنها لامر يبهره وقعه اي فتسبب عن ذلك انه بهت الذي كفر اي حصل
له الكفر بتلك الدعوى التي لزمه بها انكار لاختصاصه سبحانه بالقدرة على ذلك وادعاؤه لنفسه الشركة فبين له الخليل
عليه السلام بهذا المثال انه عاجز عن تحويل صورة صورها الله تعالى ووضعها في جهة الى غير تلك الجهة فكيف له بان يوجد
صورة من العدم فكيف ثم كيف بافاضة الروح عليها فكيف بالروح الحساسة فكيف بالروح الناطقة وسياتي لهذا الشان
في سورة الشعراء مزيد بيان فياله ما اعلى مقامات الانبياء وما اسمى بصائرهم وما اسمى درجاتهم وازكى عناصرهم عليهم
اجمعين مني اعظم الصلوة واسلام واعلى التحية والاكرام وقال الحرالي فعرفه اي في قوله كفر بوصفه من حيث دخل عليه
البهت منه انتهى اي لانه ستر ما يعلمه من عجز نفسه وقدرة خالقه فكشف سبحانه بلسان خليله صلى الله عليه وسلم الستر
الذي ارخاه كشفا واضحا وهتكه بعظيم البيان هتكا فاضحا ولما كان التقدير لانه ظلم في ادعائه ذلك وفي الوجه الذي ادعى
ذلك بسببه من قتل البريء وترك المجتري قال تعالى والله اي الذي لا امر لاحد معه لا يهدي القوم اي الذين اعطاهم قوة
المقاومة للامور الظالمين عامة بوضعهم الاشياء بارادته وتقديره في غير مواضعها لانه اظلم قلوبهم فجعلها احلك من الليل
الحالك فلم يبق لهم ذلك وجها ثابتا يستمسكون به تاهت منهم الهداية وقد صاروا بمراحل عن مواطن اهل العناية وقصر فعل
الهداية لافادة العموم قال الامام فاختصر اللفظ افادة لزيادة المعنى وهو من اللطايف القرانية ولما كان الاحياء والاماتة
من اظهر الايات الربانية واخصها بها اظهر سبحانه العين عليها تارة بابهات المدعي للمشاركة وتارة باشهاد المستبعد في نفسه
وغيره بفعل ربه وتارة باشهاد المستبعد في غيره بنفسه معبرا في كل منها بما اقتضاه حاله واشعر به سواله فعبر في الكافر
بالي اشارة الى انه في محل البعد عن المخاطب صلى الله عليه وسلم وفي المتعجب باسقاطها اسقاطا لذلك البعد وفي المستبعد
المستطلع باذكاها هي العادة المستمرة في اهل الصفا والمحبة والوفا تابع التعجيب من حال المحاج التعجيب ايضا من حال من
استعظم احياؤه تعالى لتلك القرية ولما كان معنى الم تر هل رايت لان هل كما ذكر الرضي وغيره تختص مع كونها للاستفهام
بان تفيد فايدة النافي حتى جاز ان يجيء بعدها الا قصدا للايجاب كقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقوله تعالى ؟
هل هذا الا بشر مثلكم كان كانه قيل هل رايت الذي حاج ابرهيم او هل رايت كالذي ويجوز ان يكون التقدير لان اخبار الاولين
انما هي مواعظ لنا اقول كهذا المحاج لاعظم ايآتهم فهم يقولون ان الاحياء ليس على حقيقته بالبعث بعد الموت او هم كالذي
مر قال الحرالي من المرور وهو جعل الشيء على سلك الى غيره مع التفات اليه في سبيله على قرية وهي التي خرج منها الوف او
بيت المقدس وهي خاوية اي منهدمة ساقطة جدرانها على عروشها اي سقوطها او خالية على بقاء سقوفها قال الحرالي من
الخواء وهو خلو الشيء عما شانه ان يعمه او معنى والعروش جمع عرش من نحو معنى العريش وهو ما اقيم من البناء على حال
عجالة يدفع سورة الحر والبرد ولا يدفع جملتها كالكن المشيد فكان المشيد في الحقيقة عريشا لوهاء الدنيا بجملتها في عين الاستبصار
انتهى ولما كان كانه قيل ما الذي في حاله ذلك مما يعجب منه قيل قال اني يحيي هذه اي القرية الله اي الذي له الامر كله
بعد موتها اي بما صارت اليه من الخراب وذهاب الاهل فبعدها الى ما كانت عليه عامرة آهلة قال الحرالي وفي لفظة
اني لشمول معناها المعنى كيف وحيث ومتى استعارة للاحياء في الكيف والمكان والزمان ومنشا هذا الاستبعاد انما يطرق
النفس من طلبها المعرفة تكييف ما لا يصل اليه علمها انتهى ولما كان هذا المستبعد قاصرا عن رتبة الخليل عليه السلام في م

التهيؤ للطمانينة بل الايقان كان ايقافه على الكيفية متوقعا في الحكمة على تركه في عالم الغيب المدة التي ضربت لبقائه ميتا ليكون
ذلك كالتخمير في الطين لتهيا نفسه لعلم ذلك والايقان به قال فاماته اي فتسبب عن ذلك ان اماته الله اي الذي لا كفو له فمهما اراد
كان لايقافه على علم ذلك عناية من الله به مائة ولما كان المراد ان مدة موته كانت طويلة ليكون قد بلي فيها فتكون اعادته امكن في القدرة
على ما تستبعده العرب وان ذلك الزمان كان حسنا طيبا لقبوله الاحيا والعمارة عبر عنه بما يدل على السعة فقال عام حتى بلي حماره
وحفظ طعامه وشرابه من التغير ليتحقق كمال القدرة بحفظ ما شانه التغير وتغير ما شانه البقاء واعادة ما فني قال الحرالي وخفض
المائة لكمالها في العد المثلث من الاحاد والعشرات وعشرها وتر الشفع لان ما تم في الثالث كان ما زاد عليه تكرارا يجزي عنه الثلاث
ثم بعثه في بيانه اشعار بان بدنه لم يتغير ولا فني فناء حماره حيث لم يكن ثم نشره والله اعلم كما قال ثم اذا شاء انشره انتهى ولما احاط
العلم بان هذا العمل لاجل ايقافه على القدرة تشوفت النفس الى ما حصل له بعد البعث فاجيبت بقوله تنبيها له ولكل سامع على ما
قصته من الخوارق قال اي له الله تعالى او من شاء ممن خطابه ناشئ عنه كم لبثت اي في رقدتك هذه قال لنظره الى سلامة طعامه
وشرابه لبثت يوما ثم تغير ظنه بحسب الشمس او غيرها فقال او بعض يوم وكانه استعجل بهذا الجواب كما هي عادة الانسان قبل
النظر الى حماره قال اي الذي خاطبه مضربا عن جوابه بيانا لانه غلط ظاهر بل لبثت مائة عام معبرا عن الحول بلفظ يدور
على معنى السعة والامتداد والطول ودله على ذلك وعلى كمال القدرة بقوله فانظر الى طعامك وشرابك اي الذي كان معك
لما رقدت وهو اسرع الاشيا فسادا نتين وعصير لم يتسنه من السنة لم يتغير بمر السنين على طول مرورها وقوة تقلباتها
وتاثيرها ومعنى القراة بها السكت ان الخبر بذلك امر جازم مقنع لا مرية فيه ولا تردد اصلا وانظر الى حمارك بالياء ميما مجمع
الله له بين ايتي الرطب في حفظه واليابس في نقضه ولما كان التقدير فعلنا ذلك لنجعله اية لك على كمال القدرة او لتعلم انت
قدرتنا عطف عليه قوله ولنجعلك اي في مجموع خبرك اية للناس اي كافة فكان امره ابقاء وتثبيتا اية في موجود الدنيا
على ما سيكون في امر الاخرة قيام ساعة وبعثا ونشورا قاله الحرالي ولما امره بالنظر الى ما جعله للاية على لبثه ذلك الزمن
الطويل امره بالنظر الى ما جعله له اية على اقتداره على الاحيا كيف ما اراد فقال وانظر الى العظام اي من حمارك وهي جمع عظم
وهو عماد البدن الذي عليه مقوم صورته كيف ننشزها قال الحرالي بالزاي من النشز وهو عود الفاني الى صورته الاولى وبالضم
جعل وتصيير اليه وبالزاي من النشز وهو اظهار الشي واعلاؤه من نشز الارض وهو ما ارتفع منها وظهر انتهى وضم بعضها الى بعض
على ما كانت عليه ينظم ذلك كله ثم نكسوها لحما قال الحرالي جعل حياته بعثا وحيوة حماره نشورا واراه النشر واللحم الذي لحم
بين العظام حتى صارت صورة واحدة ليتبين امر الساعة عيانا فيكون حجة على الكافر والمستبعد فلما تبين له اي هذا الامر
الخارق الباهر الدال على ما وصف سبحانه به نفسه المقدسة في اية الكرسي قال الحرالي وفي صيغة تفعل اشعار بتردده في النظر
بين الايتين حتى استقر عنده امر ما اعلم به واضمحل عنده ما قدره قال اعلم بصيغة الفعل بناء عن نفسه وبصيغة الامر افادة لغير
ما علم لتدل القراآتان على انه علم وعلم لان العلم انما يتم حين يصل الى غير العالم فيجمع فضل العلم والتعليم انتهى ويجوز ان يدل
التعبير بالمضارع في اعلم على انه لم يزل متصفا بهذا العلم من غير نظر الى حال ولا استقبال ويكون ذلك اعتذارا عن تعبيره في
التعجب بما دل على الاستبعاد بانه انما قاله استبعادا لتعليق القدرة بذلك لا للقدرة عليه ان الله اي لما اعلم من عظمته على كل
شي اي من هذا وغيره قدير قال الحرالي في اشعاره الزام البصاير شهود قدرة الله في تغييبها في الاسباب الحلمية التي تتقيد بها الابصار
الحاقا لما دون اية الاحيا والاماتة بامرها ليستوي في العلم ان محييك هو مصرفك فكما ان حياتك بقدرته فكذلك عملك بقدرته
فلام تفصيل افراد القدرة لله بما تقدم من ابداء الحفظ بالله والعظمة لله فكانها جوامع وتفاصيل كلها تقتضي احاطة امر الله بكلية
ما اجمل وبدقايق تفاصيل ما فصل انتهى وفي الاية بيان لوجه مغالطة الكافر لمن استخفه من قومه في المحاجة مع الخليل عليه
السلام بان الاحيا الذي يستحق به الملك الالوهية هو هذا الاحيا الحقيقي لا التخلية عمن استحق القتل ولما كان الايمان
بالبعث بل الايقان من المقاصد العظمى في هذه السورة وانتهى الى السياق الذي هو لتثبيت دعائم القدرة على الاحياء مع
تباين المناهج واختلاف الطرق فبين اولا بالرد على الكافر ما يوجب الايمان وباشهاد المتعجب ما حتم الايقان علا عن ذلك البيان
في قصة الخليل عليه السلام اني ما يثبت الطمانينة وقد قرر سبحانه امر البعث في هذه السورة بعد ما اشارت اليه الفاتحة بيوم
الدين احسن تقرير فثبت نجومه فيها خلال سموات اياتها وفرق رسومه في ارجائها بين دلايلها وبيناتها فعل الحكيم الذي يلقي
ما يريد بالتدريج غير عجل ولا مقصر فكرر تعالى ذكره بالاخرة تارة والاحيا اخرى تارة في الدنيا في مثل قوله وبالاخرة هم
يوقنون كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الاية ثم بعثناكم من بعد موتكم كذلك يحيي الله الموتى فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
وما كان من امثاله ونظايره واشكاله في تلك الاساليب المرادة غالبا بالذات لغيره فاستانست انفس المنكرين له به فصار لها
استعداد لسماع الاستدلال عليه حتى ساق لهم امر خليله عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام فكان كانه قيل يا منكري البعث ومظهري
العجب منه ومقلدي الاباء في امره بالاخبار التي اكثرها كذب اسمعوا قصة ابيكم ابرهيم التي كفاكم بها الاستدلال على البعث وجمع
المتفرقين واعادة الروح باخبار من لم يتهم بشهادة القرآن الذي اعجزكم عن الاتيان بمثل شي منه فشهادته شهادة الله لتصيروا
من ذلك على علم اليقين بل عين اليقين فقال تعالى واذ عطفا على نحو اذكروا ما تلي عليكم من امر البعث واذكروا قصة ابيكم
ابرهيم فيما يدل عليه اذ وقال الحرالي ولما كان امر منزل القران اقامة الدين بمكتوبه وحدوده فانهاه تعالى منتهى منه
ثم نظم به ما نظم من عليه في اية الكرسي ورتب على ذلك دين الاسلام الذي هو القاء كالقاء اليد عند الموت انتظم به امر المعاد

الدين

الذي لا مدخل للعباد في امره فرتب تعالى ذكر المعاد في ثلاثة احوال الحال الجامد الذي انتهت غايته الى الفت ثم حال المستبعد الذي انتهت غايته الى علم وايمان وانهى الخطاب الى حال المؤمن الذي انتهى حاله الى يقين وطمانينة ورؤية ملكوت من ملكوت الارض فقال تعالى واذ قال ابرهم ولقد استوفى الترتيب والتعبير في هذه الايات الثلاث على ابدع ما قضى من الحسن فانها بدئت بمن اراد اذ يخفى ما اوضحته البراهين من امر الاله في الاحياء بان ادعى لنفسه المشاركة باحيا مجازي تلميسا بلفظ الى الدال على بعده ولعنه وطرده ثم ثنى بمن استبعد احيا القرية فاراه الله كيفية الاحيا الحقيقي اية له وتتميما للرد على ذلك من الاقبال عليه بالمخاطبة ولذة الملاطفة ثم بمن سال اكرم الله تعالى له بان يريه كيف يحيي فبينت له ثم اثبتت ثم اكدت ومناسبة الثلاث بكونها في احياء الاشباح بالارواح لما قبلها وهو في احياء الارواح باسرار الصلاح اجل مناسبة فالمراد التحذير عن حال الاول والذهاب الى الارتقاء عن درجة الثاني الى مقام الثالث الذي حقيقته الصدق في الايمان لرجاء الحياة مما اكرم به ولذلك عبر في قصته بقوله واذ لم يستهما ساق التعجيب كالاول رب اي يا ايها المحسن ارني كيف تحيي الموتى قال الحرالي لطلب ما هو اعلى له بما قال تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ممن ملكوت الارض الاحيا فقرره تعالى على تحقيق ابتدا احاله من تقرر الايمان فقال مستانفا قال ولما كان التقدير الم تعلم اني قادر على الاحيا الاني قادر على كل شي عطف عليه قوله اولم تومن فان الايمان يجمع ذلك كله قال بلى فتحقق ان طلبه كيفية الاحيا ليس عن بقية تثبت في الايمان فكان اشعاره ان اكثر طالبي الكيف في الامور انما يطلبونه عن وهن في ايمانهم ومن طلب لتثبت الايمان مع ان فيما دون الكيف من الايات كفاية لم يقنع بالاية في ايمانه لان كفايتها فيما دونه ولم يقل ليتيقن لنقص ايمانه عن تمام حده فاذا تم الايمان حكم ايانه التي في موجود حكمة الله في الدنيا بيناته ترتب عليه برؤية ملكوت شهود الدنيا رتبة اليقين كما وجد تجربته اهل الكشف من الصادقين في امر الله حيث اورث لهم اليقين ومتى شاركهم في امر من رؤية الكشف او الكرامات ضعيف الايمان طلب فيه تاويلا وربما كان عليه فتنة تنقصه ما كان عنده من حظ من ايمانه حتى ربما داخله نفاق لا ينفك منه الا ان يستنقذه الله فلذلك ابدى تعالى خطاب تقريره لخليله عليه الصلوة والسلام على تحقيق الايمان ليصح الترقي منه الى رتبة الايقان وهو مثل من نحو ما تقدم في مطلق قوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وذكر عن الخليل عليه السلام انه نظر الى بدن دابة تودعها دواب البر ودواب البحر ودواب الهوا فتعجب منها وقال يرب قد علمت لتجمعنها فاريني كيف تحييها الا عاين ذلك فانما ينبغي تبيين العيان على تحقيق الايمان ولكن اريد المعاينة ليطمين من الطمانينة وهي الهدو والسكوت على سواد الخلقة واعتدال الخلق قلبي من فطر على نيل شي جبل على السوق له فلما كان ابرهيم عليه الصلوة والسلام متهيئا لقبول الطمانينة قذف في قلبه طلبها فاجابه الله بما قد هيا له فضرب تعالى له مثلا اراه اياه جعله جري العيان على الايقان وذلك ان الله سبحانه هو الاحد الذي لا يتعدد ولا يتجزا وكان من تنزل تجليه لعباده انه الاله الواحد والواحد بري من العدد فكان اول ظهور الخلق هو اول ظهور العدد فاول العدد الاثنان ومن كل شي خلقنا زوجين فكل اثنين عدد هو خلق كل واحد منهما واحد مجعل تعالى اثنين كل واحد منهما اثنان لتكون الاثنينية فيه كلا وجزا فيكون زوجا من زوج فكان ذلك العدد هو الاربع مجعله الله اصلا لمخلوقاته فكانت جملتها وتره مجعل الاقوات من اربع وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام وجعل الاركان التي خلق منها صور المخلوقات اربعا وجعل الامطار اربعا وجعل الاعمار اربعا وقال صلى الله عليه وسلم خير الرفقا اربعة وخير البعوث اربعون وخير السرايا اربعمايه وخير الجيوش اربعة الاف والمربعات في اصول الخلق كثيرة تنتهي العلما واطلع عليها الحكما هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية ولما كان خلق آدم وساير المخلوقات من مداد الاركان التي هي الما والتراب والهوا والنار فاظهر منها الصور وصوركم فاحسن صوركم ثم اظهر تعالى قهره باماته وافنا صورة كل ابن آدم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب فكان يبدها في اربعة اقطار شرقا وغربا وشمالا وجنوبا اري خليله عليه السلام كيف يبدو خلقه من اقطارا فاته الاربعة بعد بددها واختلاطها والتيام اجزايها على غير حدها يقالان عليا رضي الله عنه ضرب بيده على قدح من خمار فقال كم فيه من خمسة وعين كحيل قد علمنا ما ينقص الارض منهم فاري تعالى خليله عليه السلام مثلا من جملة ذلك قال محمد تالفا تحقيقا لمقاله وصدقه فيما تحقق من ايمانه وابدا لاستحقاقه اليقين والطمانينة بتقرر ايمانه اربعة من الطير هو اسم جمع من معنى ما منه الطيران وهو الخفة من ثقل ما ليس من شانه ان يعلو في الهوا جعل تعالى المثل من الطير لان الاركان المجتمعة في الابدان طوايرا تطير الى اوكارها ومراكزها التي حددها الله تعالى لها جعلا منها لاطبعا واجبا منها فان الله عز وجل هو الحكيم الذي جعل الحكمة ممن اشهده الحكمة واشهده انه جاعلها فهو حكيمها ومن اشهده الحكمة الدنيوية ولم يشهده انه جاعلها فهو جاهلها فالحكمة شهود الحكمة مجعولة من الله كل ما هيه بمعناه وكل معنوي بمعناه وكل حقيقة محققه فالطير وما فيه جعل من الله من جهة الحد ومن تحققه وحد ذلك المعقول وما فيه اقتباس من الله واراءة من امر الله من تقيد به واعتقده لا ينفك نسبه الحد في الطبع واحتاج الى الجاء فتن التاويل في غيب الشرع وكل ما سوى الحق موضوع معطي حظا وحدا ينال ما اعطي ويعجز عما فوقه للمعقول حد تقف عنده لا تتعداه فلذلك جعلها تعالى طوايرا يقهرها قنص الصورة وتمام النسوية ويظهر تماسكها نفخ الروح انتهى وقوله تعالى فصرهن اي ضمهن اليك اي لتعرفا شكالها فيكون ذلك اثبت في ارهام قال الحرالي من الصور وهو اشتمالة القلوب بالاحسان حتى يشتد الى المستميل صغوها وميلها واشعاره ينبي والله اعلم ان ابرهيم عليه السلام رباهن وغذاهن حتى عرفنه ليكون ذلك مثلا لما الله سبحانه في خلقه من تربيتهم بخلقه ورزقهم حتى عرفوه بما احتاجوا اليه فوحدوه ومعرفة عجز عنه لا معرفة نيل له فمتى دعاهم من اقطار الافاق اجابوه اجابة هن الطوايز

لخليله بحظ يسير من تربيته لهن واذا كانت هذه الاربع مجيبة للخليل بهذا الحظ اليسير من الصور والضعو فكيف تكون اجابة
الجملة للجليل العزيز الحكيم قال تعالى ثم اجعل عطفا بكلمة المهملة تجاورا بعد تربيتهن عن ذبحهن ودرسهن وخلطهن حتى صرن
لحمة واحدة لا يبين في جملتها شي من الصور الذاهبة كما تصير المواليد ترابا عند موتها وتبددها صورة واحدة ترابية ليتطابق
المثل والممثول مطابقة تامة الى ما وراء ذلك من مجاوزة عبرة ورؤية على كل جبل من الجبال القريبة اليك منهن جزءا والجزء بعض
من كل يشابهه كالقطعة من الذهب ونحوه فجعل الجبال مثل الاقطار وهي لارتفاعها امكن في الرؤية وابعد من الاشتباه ان كانت الا صيحة
واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ان كانت الا زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة فما كان بالصيحة والزجرة من الممثول كان بالدعاء في
المثل كما ان ما كان بالخلق والرزق في الممثول كان بالصور في المثل وجعله جزءا حيث كان يشبه بعضه بعضا ثم ادعهن ياتينك
سعيا والسعي هو العدو والقصد المسرع يكون في الحس والمعنى في اتيان الطاير طايرا حظ من منته وفي اتيانه سعيا حظ من
ذلته فلذلك جبلهن عليه سعيا بحال المتذلل الطالب للرزق والامنة من اليد التي عهد منها الرزق والجنبة التي الف منها الامن
فبدا المثل مطابقا للممثول وعاينه مراي عين فصار موقنا مطمئنا وليس ذلك باعجب من مشي الاحجار تارة والاشجار كرة واغصانها
اخرى الى خدمة ولده المصطفى صلى الله عليه وسلم وكذا الحام يد معوذ ابن عفرا بعد ما قطعت وجا يحملها كما ذكر في السير
في غزوة بدر فصارت مثل اختها في اشيا من امثال ذلك على انه قد كان له من احياء الموتى ما اذكر في آل عمران وكان لاحاد امته
من ذلك ما ذكر البيهقي في الدلايل منه عددا كثيرا وانما لم يكثر ذلك على يده صلى الله عليه وسلم لانه مرسل الى قوم لا يقرون
بالبعث ومحط الايمان الصديق بالغيب فلو كثر وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم لكشف الغطاء واذا كشف الغطاء عوجل
من تخلف عن الايمان بالعذاب وهو نبي الرحمة واما عيسى عليه السلام فكان في قوم يومنون بالاخرة ففعله لذلك لاظهار المعجزة
بنوع اعلى مما كانوا يصلون اليه بالطب على انه لا فوق في اظهار الخالق بين واحد واكثر والله الموفق ولما اراه تعالى ملكوت
الارض صارت تلك الرؤية علما على عزة الله من وراء الملكوت في محل الجبروت واعلم ان الله اي المحيط علما وقدرة عزيز ولما كان
للعز صولة لا تقوى لها فطر المخترعين نزل تعالى الخطاب الى محل حكمته فقال حكيم فكان فيه اشعار بانه تعالى جعل الاشياء
بعضها من بعض كاينة وبعضها الى بعض عامدة وبعضها من ذلك البعض معادة منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى
هذه الحكمة التي اشار اليها اسمه الحكيم حكمة ملكوتية جامعة لوصلة ما بين حكمة الدنيا وحكمة الاخرة لان الحكم بالحقيقة ليس من
علمه الله حكمة الدنيا والبس عليه جعله لها بل ذلك جاهلها كما تقدم انما الحكيم الذي اشهده الله حكمة الدنيا ارضا وافلاكا
ونجوما وافاقا وموالد وتوالدا واشهده انه حكيمها ومزج له علم حكمة موجود الدنيا بعلم حكمة موجود الاخرة واراد كيفية
توالج الحكمين بعضها في بعض ومال بعضها الى بعض حتى يشهد دوران الاشياء في حكمة امر الاخرة التي غيب الدنيا الى مشهود
حكمة الدنيا ثم الى مشهود حكمة الاخرة كذلك عودا على بدء وبدءا على عود في ظهور غيب الابداء الى مشهوده وفي عود مشهوده
الى غيبه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين كذلك الى المعاد الاعظم الانساني يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
فهذا هو الحكيم المتوسط الحكمة ثم وراء ذلك امر آخر من على امر الله في متعالي تجلياته باسماء واوصاف تعالى ويتعاظم للمومنين
ويتبارك ويستعلن للموقنين الموحدين فله تعالى العزة في خلقه وامره وله الحكمة في خلقه وامره ومن ورائها كلمته التي لا ينفد
تفصيل حكمها قل لو كان البحر مدادا الاية وكلماته لا تحد ولا تعد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية فهو العزيز الحكيم العلي
العظيم انتهى وهو اعلى من الجوهر الثمين وقد لاح بهذا ان قصد الخليل عليه افضل الصلوة والتسليم الانتقال من علم اليقين
بل الى حق اليقين وكانه عد المرتبة الدنيا من الطمانينة بالنسبة الى العليا عدما وقيل بل كان قصده بالسوال رؤية المحيي
ولكنه طلبها تلويحا فاجيب بالمنع منها بوصف العزة تلويحا وموسى عليه السلام لما سال تصريحا اجيب تصريحا وسوال
الخليل عليه السلام ليس على وجه الشك وقول النبي صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم يرشد الى ذلك
لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك واذا انتفى الشك عن الاحق انتفى الشك عن غيره من باب الاولى ولين سلمنا فالمراد انه
فعل مثل ما يفعل الشاك اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم في الجملة واما نفس الشك فقد نفاه القران عنه صلى الله عليه
وسلم تصريحا بقوله بلى وتلويحا بكون هذه الاية عقب اية محاجته لذلك الذي بهت ونقل ان الشيخ احمد اخا حجة
الاسلام الغزالي سيل اعلى المقام الابراهيمي في سوال الطمانينة او المقام العلوي القايل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
فقال الابراهيمي لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ولما انقضى جواب السوال عن الملك الذي لا تنفع عنده
شفاعة بغير اذنه ولا خلة ولا غيرهما وما تبع ذلك الى ان ختم بقصة الاطيار التي صغت الى الخليل بالانفاق عليها والاحسان
اليها ثنى الكلام الى الامر بالنفقة قبل ذلك اليوم الذي لا تنفع فيه الوسايل الا بالوجه الذي شرعه بعد قوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له نظرا الى اول السورة بذكر وصف المتقين حثا عليه فضرب لذلك مثلا صريحه
لمضاعفتها فاندرج فيه مطلق الامر بها اندراج المطلق في المقيد وتلويحه الذي هو من جملة المشار اليه بحكيم للاحياء فصرح
بان النفقة المامور بها من ذخاير ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه الا ما شرعه وهو من جليل العزة وساقه على وجه يتضمن
احياء الموات الذي هو انسب الاشياء لما قبله من نشر الاموات فهو ايما الى الاستدلال على البعث بامر محسوس وذلك من
دقيق الحكمة فكانه تعالى يقول ان خليلي عليه السلام لما كان من الراسخين في زينة الايمان اهلته لامتطاء درجة اعلى
من رتبة الايقان بخرق العادة في رفع الاستار على يده عن احياء الاطيار واقمت نمطا من ذلك لعامة الخلق مطويا

قال م

حي م

في احيا النبات على وجه معتاد ممن اعتبر به ابصر ومن عمي عنه انعكس حاله وادبر فقال تعالى مثل فكان كانه قيل مزذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية يا ايها الذين امنوا انفقوا الاية فانه مثل الذين ينفقون اي يبذلون اموالهم بطيب نفس في سبيل الله الذي له الكمال كله كمثل زارع ومثل ما ينفقون كمثل حبة مما زرعه قال الحرالي من الحب وهو تمام النبات المنتهى صلاحية كونه طعاما للادمي الذي هو اتم الخلق فالحب اكمل من الثمرة طعامية والثمرة ادامية انبتت اي بما جعل الله لها من قوة الانبات بطيب ارضها واعتدالها سبع سنابل بان تشعب منها سبع شعب في كل شعبة سنبلة وهو من السنبل قال الحرالي وهو مجتمع الحب في كمامه كانه اما استحقاق اجتماع اهل ذلك الرزق في تعاونهم في امرهم وتعريف بان الحب يجمعه الا بوحدته في كل سنبلة مائة حبة فصارت الحبة سبعمائة حبة بمضاعفة الله لها قال الحرالي فضرب المثل للانفاق في سبيل بالحرث الذي هو كيميا عباده يشهدون من تكثيره حيث تصير الحبة اصلا وثمرا الاصل سنابل ويكون في كل سنبلة اعدادا من الحب فكان ما ذكر تعالى هو اول الانفاق في سبيل الله وذكر السبع لما فيه من التمام وما يقبله من التكثير فان ما انبتا كثر من سبع اذا قصد بالتكثير انباء عنه بالسبع كان العرب تكثر به ما هو اقل منه او اكثر فجعل ادنى النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف ثم فتح تعالى باب التضعيف الى ما لا يصل اليه عد انتهى فالاية من الاحتباك وتقديره مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها فذكر المنفق اولا دليل على حذف الزارع ثانيا وذكر الحبة ثانيا دليل على حذف النفقة اولا ولما كان التقدير فكما ضاعف سبحانه للزارع حبته هو يضاعف للمنفق نفقته عطف عليه قوله والله يضاعف لمن يشآء بما له من السعة في القدرة وكل صفة حسنى والله اي بما له من الكمال في كل صفة واسع لا يحد في صفة من صفاته التي تنشأ عنها افعاله عليم فهو يضاعف لاهل النفقة على قدر ما علمه من نياتهم ولما ختم اولا بايات هذه الاشياء التي لها بين الصفتين ختم اخرها بذلك اشارة الى ان سعته قد احاطت بجميع الكاينات فهو جدير بالاثابة في الدارين وان عمله قد شمله كل معلوم فلا يخشى ان يترك عملا ولما كان الانسان قد يدرج ما يكون لغيره بين ان هذا لهم بشرط فقال وقال الحرالي ولما كان للخلافة وخصوصا ما الانفاق موقع من النفس بوجوه مما ينقص التضعيف او يبطله كالذي يطرأ على الحرث الذي ضرب به المثل مما ينقص ثباته او يستاصله نبه تعالى على ما يبطل انتهى فقال تعالى الذين ينفقون ورغبهم في اصلاحها وزجرهم من افسادها باضافتها اليهم فقال اموالهم وحث على الاخلاص في قوله في سبيل الله الذي له الاسماء الحسنى ولما كانت النفس مطبوعة على ذكر فضلها وكان من المستبعد جدا تركها له نبه عليه باداة البعد اعلاما بعظيم فضله فقال ثم لا يتبعون ما انفقوا بما يجاهدون به انفسهم منا قال الحرالي وهو ذكره لمن انفق عليه فيكون قطعا لوصله بالاعضاء عنه لان اصل معنى المن القطع ولا اذى وهو ذكره لغيره فنوه نبه بذلك بما يتعالى عليه في انفاقه انتهى وكذا ان يقول لمن شاركه في فعل خير لولم احضر حاتم وتكريره تنبيه على ان انتفاء كل منهما شرط لحصول الاجر لهم ولم يقترنه بالفاء اعلاما بانه ابتدا اعطاء من الله تفخيما لمقداره وتعظيما لشانه حيث لم يجعله مسببا عن انفاقهم اجرهم اي الذي ذكر في التضعيف فاشعر ذلك انه ان اقترن عاقب عنه لم يكن لهم ثم زادهم رغبة بقوله عند ربهم اي المحسن اليهم بتربيتهم القائم على ما يقبل من النفقات بالحفظ والتنمية حتى يصير في العظم الى حد يفوت الوصف ولا خوف عليهم من هضيمة تلحقهم ولا هم يحزنون على فايت لان لهم شيأ من الفضل اللايق بهم الا اوصله اليهم ولما افهم هذا وهي ما لا يقترن بالشرط من الانفاق فتشوفت النفس الى الوقوف على الحقيقة من امر صرح به في قوله قول معروف قال الحرالي وهو ما يوجع قلب المتعرض بحسب حاله وحال القايل ولما كان السايل قد يذل ويغضب من الرد وان كان بالمعروف من القول فيغضب المسول قال ومغفرة اي للسايل اذا غضب من رده خير من صدقة وهي الفعلة التي يبتغى بها صدق الايمان بالغيب من حيث ان الرزق غيب فالمنفق تصديقا بالخلف جبرها اذي من او غيره لانه حينئذ يكون جامعا بين نفع وضرر ومن لم يفت ثواب النفع بعقاب الضر والله اي والحال ان المان الذي لا اعظم منه غني فهو لا يقبل ما لم ياذن فيه ولما رهب المتصدق بصفة الغني رغبة في الحلم عمن اغضبه بكفران الاحسان والاساءة في القول عند الرد بالجميل فقال حليم اي لا يعاجل من عصاه بل يرزقه وينصره وهو يعصيه ويكفره ولما شرط لقبولها شرطا وهي ما عري منها عنه اتبعه التصريح بالنهي عن اهماله والنعي على محققه لها وابطاله وضرب لذلك مثلا مبالغة في الزجر عن ذلك فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بذلك صدقوا اقراركم بان لا تبطلوا قال الحرالي فبين ان ما اشترطه في الاجر المطلق مبطل للانفاق انتهى صدقاتكم بالمن والاذى فمن عاد الى اذي عقابهما ثواب الصدقة او زاد فكان كالابطال الاول له الى ان لا ثواب قال الحرالي فالحق عمل الاخلاص بانية ما تعقبه بما بني على اصل الربا انتهى فقال كالذي ينفق ماله لغير الله انما ينفقه رياء الناس اي لقصد ان يروه قال الحرالي هو الفعل المقصود به رؤية الخلق غفلة عن رؤية الحق وعماية عنه ولما شبه المان والمؤذي بالمراي لانه اسقط الناس وادناهم همة واسوائهم نظرا واعمهم قلبا فاولاهم العليه لا سيما العرب اشد شيء نفرة منه وابعد وكان لمن يراي اي حالان الحقه باشدهما ولا يؤمن بالله اي الذي له صفات الكمال واليوم الآخر اي الذي يقع فيه الجزاء بعد نقد الاعمال جيدها من رديها قال الحرالي ولما ضرب مثلا لما النفقة بالحرث ضرب مثلا لابطالها لحظا الحارث في الحرث فقال فمثله في انفاقه مقارنا لما يفسده ومثل نفقة كمثل صفوان وما زرع عليه وهو صيغة مبالغة من الصفا وهي الحجارة المسر الصلبة التي لا تقبل انصداعها بالنبات

اي ٢

اسم ٣

اعلاما بعظم فضله ٥

لا يترك ٥

فقال ٥

انتهى عليه تراب اي فاغتر به بعض الجهلة فزرع عليه ولما كانت ازالة التراب عما وقع عليه عقب وقوعه اجدر بازالته
بخدا فيره ولا سيما ان كان حجرا املس قال ابلاغا في ابطال الربا للعمل فاصابه اي عقب كون التراب عليه من غير بهاه بخلاف
ما ياتي من الربوة فانها صفة لازمة فلو تعقبها المطر لدام بدوامها فافسدها وابل اي مطر كثير فازال التراب عنه فتركه
صلدا اي صخرا لا يقبل النبات بوجه بل يخيب من تامله كما يقال اصلد الزند اذا لم يور فجعل قلب الموذي المان بمنزلة الصفوان
الذي اصابه وابل المطر فاذهب عايد نفقته كما اذهب بذر الحارث على الصفوان وابل المطر الذي شانه ان يصلح البذر قاله
الحرالي وفيه تصرف ولما بان لهذا بطلان العمل في المثل والممثول ترجمه بقوله لا يقدرون اي الممثل لهم والممثل بهم
على شي مما كسبوا والاية من الاحتباك ولما كان الزارع على مثل هذا عجبا في الضلال والغباوة وكان التقدير فان الله لا يقبل
عمل المؤذين كما لا يقبل عمل المراين عطف عليه معلما انه يعمي البصرا عن ابين الامور اذا اراد ومهما شاء فعل قوله والله اي الذي
له الحكمة كلها لا يهدي اي لوجه مصلحه ولما كان من الموذي والمراي قد غطى محاسن عمله بما جره من السوء قال القوم الكافرين
وفي ذكره لهذه الجملة وحدها اشد ترهيب للمتصدق على هذا الوجه ولما فرغ من مثل العاري عن الشرط ضرب للمقترن بالشرط
من الانفاق مثلا منبها فيه على ان غيره ليس مبتغي به وجه الله فقال ومثل قال الحرالي عطفا على مثل الذي ينفق رياء الناس
ولا يومن بالله ولا باليوم الاخر عطف مقابله وعلى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله عطف مناسبة انتهى الذين
ينفقون اموالهم اي ومثل نفقاتهم لغير علة دنياوية ولا شايبة نفسانية بل ابتغاء مرضات الله اي الذي له الجلال
والاكرام فلذلك صلح كل الصلاح فعري عن المن والاذى وغيرهما من الشوايب الموجبة للخلل قال الحرالي والمرضاة مفعلة
لتكرر الرضى ودوامه انتهى وتثبيتا من انفسهم بالنظر في اصلاح العمل واخلاصه بالحمل على الحلم والصفح والصبر على جميع مشاق
التكاليف فان من راض نفسه بحملها على بذل المال الذي هو شقيق الروح ذلت له خاضعة وقل طمعها في اتباعه لشهواتها فسهل
عليه حملها على ساير العبادات ومتى تركها وهي مطبوعة على النقايص زاد طمعا في اتباع الشهوات ولزوم الزناآت فمن للتبعيض
مفعول به مثلها في قولهم لين من عطفه وحرك من نشاطه كمثل جنة اي بستان ومثل صاحبها قال الحرالي ولما كان حرث الدنيا
حبا وتمرا جعل نفقات الاخرى كذلك حبا وتمرا فمن انفق في السبيل جعل مثله كالحب ومن انفق ابتغاء مرضات الله جعل مثله
كالجنة التي لها اصل ثابت يدور عليها الثمرات وهي ثابتة وتستغني من الماء بما لا يستغني به الحرث لان الحرث مستجد في كل وقت
كما ان الجهاد واقع عند الحاجة اليه والمنفق ابتغاء مرضات الله ينفق في كل وجه دايم الانفاق فكان مثله مثل الجنة الدايمة ○
ليتطابق المثلان بالممثولين فعمت هذه النفقة جهات الانفاق كلها في جميع سبل الخير انتهى بربوة اي مكان عال ليس بجبل قال
الحرالي في اعلامه ان خير الجنات ما كان في الربوة لتنالها الشمس وتخترقها الرياح اللواقح فاما ما كان من الجنان في الوهاد
تجاوزتها الرياح اللواقح من فوقها فضعفت حباتها لان الرياح هي حيوة النبات الريح من نفس الرحمن انتهى ثم وصفها بقوله
اصابها وابل اي مطر كثير فاتت اكلها اي اخرجته باذن الله حتى صار في قلبه فوه المعطي ضعفين اي مثلي ما كانت تخرجه
لو اصابها دون الوابل كذا قالوا مثلين والظاهر ان المراد اربعة امثاله لان المراد بالضعف قدر الشي ومثله معه فيكون الضعفان
اربعة والله اعلم والاية من الاحتباك ذكر المنفق اولا دال على حذف صاحب الجنة ثانيا وذكر الجنة ثانيا دال على حذف النفقة
اولا ولما كان الوابل قد لا يوجد قال فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها لعلوها طل وهو الندى الذي ينزل في الضباب
وقال الحرالي الطل سن من اسنان المطر خفي لا يدركه الحس حتى يجتمع فان المطر ينزل خفيا عن الحس وهو الطل ثم يبدو بلطافة
وهو الطش ثم يقوى وهو الرش ثم يتزايد ويتصل وهو الهطل ثم يكثر ويتقارب وهو الوابل ثم يعظم سكبه وهو الجود فله
اسنان مما لا يناله الحس للطافته الى ما لا يحمله الحس كثرة انتهى والمعنى ان اهل هذا الصنف لا يتطرق الى اعمالهم فساد غايتها
الا ان يطرقها النقص باعتبار ضعف النبات ولذلك كان التقدير تسببا عن ذلك فالله بما تستحقون على نياتكم عليم فعطف
عليه قوله والله اي المحيط علما وقدرة بما تعملون اي بما ظهر منه بصير كما هو كذلك بما بطن فاجتهدوا في احسان الظاهر
والباطن وقدم مثل العاري عن الشرط عليه لان درء المفاسد اولى من جلب المصالح ولما قدم سبحانه ان المن يبطل الصدقة
ومثله للرياء وضرب لهما مثلا ورغب في الخالص وختم ذلك بما يصلح للترهيب من المن والرياء رجع اليهما دلالة على الاهتمام
بهما فضرب لهما مثلا اوضح من السالف واشد في التنفير عنهما والبعد منهما فقال وقال الحرالي ولما تراجع خبر الانفاقين
ومقابلهما تراجعت امثالها فضرب لمن ينفق مقابلا لمن يبتغي مرضات الله مثلا بالجنة المخلفة انتهى فقال منكرا على من يبطل
عمله كاهل مثل الصفوان بعد كشف الحال بضرب هذه الامثال ايود احدكم اي يحب حبا شديدا ان تكون له جنة اي حديقة
تستر داخلها وعين هنا ما ابهمه في المثل الاول فقال من نخيل جمع نخلة وهي الشجرة القايمة على ساق الحية من اعلاها اشبه
الشجر بالادمي ثابت ورقها مودم ثمرها في كليتها نفعها حتى في خشبها طعام للادمي بخلاف ساير الشجر مثلها كمثل المومن الذي
ينتفع به كله واعناب جمع عنب وهو شجر متكرم لا يختص ذهابه بجهة العلو اختصاص النخلة بل يتفرع علوا وسفلا
ويمنه ويسره مثله مثل المومن المتقي الذي يكرم بتقواه في كل جهة قاله الحرالي ولما كانت الجنان لا تقوم وتدوم
الا بالماء قال تجري من تحتها الانهار اي لكرم ارضها وقال الحرالي وفي اشعاره تكلف ذلك فيها بخلاف الاولى التي هي
بعل فان الجايحة في السقي اشد على المالك منها في البعل لقلة الكلفة في البعل ولشدة الكلف في السقي انتهى ولما وصفها
بكثرة الماء ذكر نتيجة ذلك فقال له فيها من كل الثمرات اي مع النخل والعنب ولما ذكر كرمها ذكر سد الحاجة اليها فقال

الشهوات

مغدم

واصابه

واصابه اي والحال انه اصابه اكبر فصار لا يقدر على اكتساب وله ذرية ضعفاء بالصغر كما ضعف هو بالكبر فاصابها
اي الجنة مرة من المرات اعصار اي ريح شديدة جدا قال الحرالي صيغة اشتداد بزيادة الهمزة والالف فيه من العصر
وهو الشدة المخرجة لحب الاشياء والاعصار ريح شديدة في غيم يكون فيها حدة من برد الزمهرير وهي احر تسمى النار نظيره من
السعير المسموم وقال الاصفهاني رحمه الله ريح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت تلك الجنة وبقي
صاحبها بمضيعة مع ضعفه وثقل ظهره بالعيال وقلة المال قال الحرالي من الاحتراق وهو ذهاب روح الشيء وصورته ذهابا ما
وحجابا صابة قاصف لطيف يشيع في كليته فيذهبه ويفنيه فجعل المثل الاول في الحب اي الذي على الصفوان الآفة من تحته
وجعل المثل في الجنة بحايجة من فوقه كانها جفنا طرق العلل والافات من جهة اصل او فرع انتهى فحال من راى في اعماله اواذى
في صدقة ماله في يوم القيمة واهواله كحال هذا في نفسه وعياله عند خيبة امياله وروى البخاري في التفسير عن عبيد بن عمير
قال عمر رضي الله عنه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الاية ايود احدكم الى ان قال فقال ابن عباس رضي الله
عنهما ضربت مثلا لعمل قال عمر اي عمل قال ابن عباس لعمل قال عمر رضي الله عنه لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له
الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كذلك اي مثل هذا البيان يبين الله اي الذي له الكمال كله لكم الايات اي كلها لعلكم
تتفكرون اي ليكون حالكم حال من يرجى ان يحمل نفسه على الفكر ومن يكون كذلك ينتفع بفكره وقال الحرالي فتبنون الامور
على تثبيت لا خير في عبادة الا بتفكر كما ان الباني لا بد ان يفكر في بنايه كما قال الحكيم اول الفكرة آخر العمل واول العمل آخر الفكرة
كذلك من حق اعمال الدين ان لا تقع الا بفكرة في اصلاح اوايلها السابقة واواخرها اللاحقة فكانوا في ذلك صنفين بما
يشعر به لعلكم مطابقين للمثل متفكرو مضاعف حرثه وجنته وعامل بغير فكره تستهويه اهواء نفسه فتلحقه الآفة في عمله
في حرثه وجنته من سابقه او لاحقه انتهى ولما رغب في الفعل وتخليصه عن الشوايب ابعد المال المنفق منه فامر بطيبه
فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان انفقوا اي تصديقا لايمانكم من طيبات ما كسبتم وانما قدم الفعل لانه الصق
بالانسان وتطييبه اعم نفعا ولما ذكرهما اباحه سبحانه من ارباح التجارات ونحوها ابعه ما اباحه من منافع النباتات ونحوها
منبها بذلك على ان كل ما يتقلب العباد فيه من انفسهم وغيرها نعمة منه انشاها من الارض التي ابدعها من العدم ترغيبا في الجود به
وفي جعله خيارا خلالا وترهيبا من الشح به وجعله دنيا اوحراما فقال ومما اخرجنا اي بعظمتنا لكم نعمة منا عليكم من الارض
قال الحرالي قدم خطاب المكتسبين بما لهم كانهم المهاجرون وعطف عليهم المنفقين من الحرث والزرع كانهم الانصار انتهى
ولما امر بذلك اكده بالامر به بالنهي عن ضده فقال ولا تيمموا اي ولا تتكلفوا ان تقصدوا الخبيث منه اي خاصة
تنفقون قال الحرالي الخبيث صيغة مبالغة بزيادة الياء من الخبث وهو ما ينافر حس النفس ظاهره وباطنه في مقابلة ما
يرتاح اليه من الطيب الذي يبسط اليه ظاهرا وباطنا وقال في الاحتمه معنى حصر كانهم لا ينفقون الا منه ليتجاوز النهي
من ينفق من طيبته وخبيثه على غير قصد اختصاص النفقة من الخبيث انتهى ثم اوضح قباحة ذلك بقوله ولستم باخذيه اي
اذا كان لكم على احد حق فاعطاكموه الا ان تغمضوا اي تسامحوا فيه بالحياء مع الكراهة قال الحرالي من الاغماض وهو الاغضاء
عن العيب فيما يستعمل اصله من الغمض وهي نومة تغشى الحس ثم تنقشع وقال ولما كان الاخذ هو الله ختم بقوله واعلموا انتهى
وعبر بالاسم الاعظم فقال ان الله اي المستكمل لجميع صفات الكمال من الجلال والجمال غني تفضل على من اسلف خيرا رغبة فيما عنده
وليست به حاجة تدعوه الى اخذ الردي ولا رغبتكم في اصل الانفاق لحاجة منه الى شيء مما عندكم وانما ذلك لطف منه بكم ليجري
عليه الثواب والعقاب حميد يجازي المحسن افضل الجزاء على انه لم يزل محمودا ولا يزال يعذب او اثاب قال الحرالي وهي صيغة
مبالغة بزيادة ياء من الحمد الذي هو سوا امر الله الذي لا تفاوت فيه بين جهة ابدا يه وافق الانفس او خالفها ولما رغب
سبحانه في الانفاق وختم اياته بما يقتضي الوعد من اصدق القايلين بالغني والاثابة في الدارين اتبعه بما العدو الكاذب
من ضد ذلك فقال محذرا من البخل في جواب من كانه قال هذا ما لا يشك فيه فما للنفوس لا توجد قالبا الا شحيحة بالانفاق
الشيطان اي الذي اسمه اسوء الاسماء فانه يقتضي الهلاك والبعد واحد الوصفين كاف في مجانبته فكيف اذا اجتمعا
يعدكم الفقر المانع من الانفاق قال الحرالي الذي لخوفه تقاطع اهل الدنيا وتدابروا وحرصوا وادخروا وكل ذلك لا
يزيل الفقر وكل حريص فقير ولو ملك الدنيا وكل متمتع غني ومن حق من كان عبد الغني ان يتحقق انه غني بغني سيده ففي
خوف الفقر ابا ق العبد عن ربه والفقر مقدما اليه الحاجة في وقت من قيام المرء في ظاهره وباطنه انتهى ويامركم بالفحشاء
المبطلة له من المن والاذى وغيرهما من مستلذات النفس وربما كان فيها اتلاف الاموال واذهاب الارواح وقال الحرالي
وكل ما اجتمعت عليه استقباحات الشرع والطبع والعقل فهو فحشا واعظم مراد بها هنا البخل الذي هو اوكاده المناسبة
ذكر الفقر وعليه ينبني شر الدنيا والاخرة ويلازمه الحرص وتيابعه الحسد ويتلاحق به الشر كله انتهى وفيه تصرف
ولما ذكر ما للعدو من الشر اتبعه ما له سبحانه من الخير فقال مصرحا بما تقدم التلويح به والله اي الذي له الاسما الحسنى
والصفات العلى الرحيم الودود يعدكم مغفرة منه لما وقع منكم من التقصير وفيه اشعار بانه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره
لما له من الاحاطة بصفات الكمال ولما جبل عليه الانسان من النقص وفضلا بالزيادة في الدارين وكل نعمة منه فضل
ثم اكد ذلك بقوله والله اي المحيط بكل كمال واسع لتضمنه معنى حلم غني واتبعه بقوله عليم اشارة الى انه لا يضع
شيا وان دق قال الحرالي وفي اشعاره توهين لكيد الشيطان ووعد كريم للمغتون بخوف الفقر وعمل الفحشاء لما علمه من

ولما بين لهم هذا البيان الذي لا يخفى على احد منهم تنبيها على عظمه لتجليله وتكريمه بقوله

٢

حسبنا ما قاله

ضعف الانفس وسرعة قبولها من الوسواس انتهى فختم آخر ايات الامثال بما ختم به اولها ترغيبا وترهيبا ولما انقضى
الكلام في الانفاق والمال المنفق على هذا الاسلوب الحكيم تصريحا وتلويحا وختم ذلك بهاتين الصفتين وتضمن ذلك مع التصريح
بانه عليم انه حكيم اتبع ذلك الوصف بان من سعته وعلمه وحكمته انه يهب من صفاته ما يشاء لمن يشاء بان يؤتيه الحكمة فيوقفه
على علم ما خفي من هذه الامثال المتقنة والاقوال الحسنة تصريحا وتلويحا ويوفقه للعمل بذلك انشاء وتصحيحا فقال تعالى
منبها على ترجيح العمل بامر الرحمن وقبول وعده والحكمة بانه على مقتضى العقل والحكمة وان امر الشيطان ووعده على وفق الهوى
والشهوة وقال الحرالي ولما ابدى تعالى امر الآخرة واظهر ما فيها وبين امر الدنيا من الترتيب والتسبيب ورجع بعضها على
بعض عودا على بدء انبا تعالى ان ذلك من حكمته وانهى الحكمة لما فيها من استبقاء حكمة الدارين فان الحكيم ليس من علم امر الدنيا
بل من علم امر ما بين الدنيا والآخرة فداوى ادواء الدنيا بدواء الآخرة وداوى النفس بدواء الدين وضم جوامعها في تيسير الكلم
كما ضمها لمن اصطفاه ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة فقال تعالى يؤتي الحكمة انتهى وفي ترتيبها على واسع عليم بعد غني
حميد بعد عزيز حكيم التحذير من التعرض لانفاق ما يرده لعزته وغناه وسعته ويذم عليه بعلمه لرداءته او فساد في نيته وان
خفي فان ذلك خارج عن منهاج الحكمة منا ومقتضى الحكمة منه سبحانه كما وقع لقابيل اذ قرب رديا كما هو مشهور في قصته ولعله
لوح اليه بالتذكر في ختام هذه الآية ثم بقوله وما للظالمين من انصار فصار كانه قال سبحانه واعلم ان الله عزيز حكيم يؤتي الحكمة
وهي العلم بالاشياء على ما هي عليه المزين بالعمل والعمل المتقن بالعلم من يشاء من عباده ثم مدح من حلاه بها فقال مشيرا ببناء
الفعل للمفعول الى انها مقصودة في نفسها ومن يؤت الحكمة اي التي هي صفة من صفاته واشار بالتعريف الى كمالها بحسب ما تحتمله
قوى العبيد والحكمة قوة تجمع امرين العلم المطابق وفعل العدل وهو العمل على وفق العلم قال الاصبهاني والقرآن مملوء من الآيات
الدالة على كمال الانسان ليس الا في هاتين القوتين فقد اوتي خيرا كثيرا قال الحرالي ما معناه انه نكرة لما في الحكمة من التسبب الذي
فيه كلفة ولو يسرت فكان الخير الكثير المعرف في الكلمة لما فيها من اليسر والحياطة والانالة الذي لا ينال منه منال بسبب
وانما هو فضله يؤتيه من يشاء فيصير سبحانه سمعه وبصره الى آخره ولما كان التقدير فان ذلك الذي اوتي الحكمة يصير ذا لب
فيتاهل لان يتذكر بما يلقيه الله من كلمته ما بث في الانفس والآفاق من حكمته وصل به قوله وما يذكر اي بكلام الله حكمة الا اولوا
الالباب اي اصحاب العقول الصافية عن دواعي الهوى المنبعثة من التوهمات الحاصلة عن الوسوسة فهم يترقون بالتذكر
بانهم لا حوال لهم عن المسببات الى اسبابها الى ان يصلوا الى مسببها فيعرفوه حق معرفته وقال الحرالي الذين لهم لب العقل
الذي ينال لب الحس كان الدنيا قشر تنال بظاهر العقل والآخرة لب تنال بلب العقل ظاهر الظاهر وباطن الباطن من تذكر
ابتداء من الابتداآت السابقة ورد عليه فضل الله منه من رجع من حسه الى نفسه تنشأت له اوصاف الفضائل النفسانية
وترقى عما في محسوسه من المهاوي الشهوانية ومن تخلص من نفسه الى روحه تحسس بالوصلة الرحمانية والمحبة الربانية
كذلك من ترقى من روحه الى امره تحقق بالاحاطة الوحدانية ومن استبطن من امره الى سره اجتمع الى الاولية الفردانية
فهذا الترتيب من كمالات هذه الحكمة المؤتاة المنزلة بالوحي في هذا الكتاب الجامع لنبأ ما سبق وخبر ما لحق وباطن ما ظهر
انهى تعالى الى ذكرها اعمال الخلق وخصوصا في الجود بالمود كما انهى اقامة مبنى الدين بظهور وجوده فانهى تنزيل امره بظهور
وجوده وانهى استخلاف عباده بالانتهاء الى مدد جوده فكان اعلى الحكمة الجود بالموجود فبذلك والله اعلم اتصل ذكر آية
الحكمة بالانفاق نظما وبآية الكرسي مناظرة انتهى ولما كان السياق سابقا ولاحقا للانفاق علم ان التقدير فما جمعتم من شيء
فان الله يطالبكم في وضعه وجمعه بوجه الحكمة ويحاسبكم على ذلك فعطف عليه حثا على الاسرار بالنفقة في الخير والوفاء
بالنذر وتحذير من الانفاق في المعصية ولو على ادق الوجوه بانه يعلم ذلك كله ويجازي عليه قوله وما انفقتم من نفقة
اي في وجه من الوجوه فدخل فيه جميع التوسعات المشروعات عند النكاح والختان والولادة واتخاذ المسكن وفي الدعوات
للاخوان وغير ذلك ولما كان الانسان كثيرا ما يخشى فوت امر فينذر ان حصل بنفقة في وجه خير ونحو ذلك وكان ربما ظن ان
الترغيب في الانفاق خاص بما ندب الله اليه ابتداء بما الزمه الانسان نفسه قال او نذرتم من نذر وادخال من لتاكيد الاستغراق
قال الحرالي والنذر ابرام العدة بخير يستقبل فعله او يرتقب له ما يلتزم به وهو ادنى الانفاق لا سيما اذا كان على وجه الاشتراط
قال صلى الله عليه وسلم انما يستخرج به من البخيل انتهى فان الله عظم الامر بهذا الاسم الاعظم يعلمه ذكر الضمير لانه مع وضوح
عوده الى التقدم اشد تعظيما للنذر لما قد يتوهم فيه من النقص عن مندوب الشرع فتحروا في طيب ذلك والوفاء به وجميع ما
يدخل فيه من الاوامر والنواهي تحري من يطلب ارضاء ملك عظيم بما يهدي اليه ويعرضه عليه فما تصرفتم فيه بالحكمة من انفاق
او غيره فالله تعالى يجازيكم عليه على حسب ما ذكر لكم من التضعيف ومن فعل منكم شيئا منه على غير وجه الحكمة فهو ظالم واضع
للشيء في غير موضعه فهو مردود عليه ومعاقب به وما له من ناصر هكذا كان الاصل ولكنه تعالى عم وعلق الحكم بالوصف فقال
وما للظالمين اي الواضعين للشيء في غير موضعه من انصار قال الحرالي ففي افهامه ان الله اخذ بيد السخي وبيد الكريم كلما عثر فيجد
له نصيرا ولا يجد الظالم بوضع القهر موضع ناصرا وفيه استغراق نفي بما تعرب عنه كلمة من انتهى ولما كان حال الانفاق المحثوث
عليه تختلف بالسر والجهر فكان مما يسأل عنه قال تعالى حاثا على الصدقة في كلتا الحالتين مع ترجيح الاسرار لما فيه من البعد
عن الرياء ان تبدوا الصدقات اي المتطوع بها قال الحرالي وهي من ادنى النفقة ولذلك لا تحل لمحمد ولا لآل محمد لانها طهرة
وغسول يعافها اهل الرتبة العلية والاصطفاء وقال والهدية اجل حق المال لانها لمن فوق رتبة المهدي والهبة لانها

للمثل فنعما هي نجم لها الاهداء البهمة لان نعم كلمة مبالغة تجمع المدح كله وما كلمة مبهمة نجمع الممدوح فتطابقتا في الابهام وقال ابو طالب العبدي في شرح الايضاح ان نعم وبئس للمبالغة فالمراد بهما التناهي في المدح والذم والاختصاصهما بهذا المعنى منعتا التصرف واقتصرتا على المعنى لان المدح والذم انما يكونان متعلقين بما ثبت واستقر لا بمدح الانسان بما لم يقع منه انتهى **وان تخفوها** حتى لا يعلم بها الا من فعلتموها له ولما كان المقصود بها سد الخلة قال **وتؤتوها الفقراء فهو** اي فذلك الاخفاء والتصدق للمحتاج **خير لكم** لانه ابعد عن الرياء واقرب الى الاخلاص الذي هو روح العبادات وفي تعريفها وجمعها ما رعما اشعر بعموم الفرض والنفل لما في اظهار المال الخفي من التعرض للظلم والحسد وفي افهام السياق ان الصدقة تجوز على الغني ولما كانا لتقدير فانا نرفع بها وجائكم عطف عليه قوله **ونكفر عنكم سياتكم** اي التي بيننا وبينكم ولما كان التقدير فلا تخافوا من اخفائها ان يضيع عليكم شيء منها فان الله بكل ما فعلتموه منها عليم عطف عليه تفهيما وترغيبا وترهيبا **والله** اي الذي له كل كمال **بما تعملون** اي من ذلك وغيره **خبير** فلم تدع حاجة اصلا الى الاعلان فعليكم بالاخفاء فانه اقرب الى صلاح الدين والدنيا فاخلصوا فيه وقووا عينا بالجزاء عليه ولما حث سبحانه على وجوه الخير ورغب في لزوم الهدي وكان اكثرهم معرضين لان مادعا اليه هادم لما جبلوا عليه من الحب للوفير المال والحفيظة على النفس وكان صلى الله عليه وسلم شديد الاسف عليهم دائم القلق من اجلهم لعظيم رحمته لهم وشفقته عليهم فكان يجد من تقاعدهم عما يدعوهم اليه من هذه الحالة العلية التي هي حكمة الله التي راسها الايمان بالله واشتراء الاخرة بكلها الدنيا وجبا شديدا خفف سبحانه عليه الامر وخفف عليه الحال فقال **ليس عليك** اي عندك **هداهم** حتى تكون قادرا عليه فما عليك الا البلاغ واما خلق الهداية لهم فليس عليك ولا تقدر عليه **ولكن الله** الذي لا كفوء له هو القادر على ذلك وحده فهو **يهدي من يشاء** فظهر من هذا انه يتعين ان يكون عليك ومعك ونحو ذلك لان لكن الاستدراك وهو ان يكون حكم ما بعدها مخالفا لما قبلها وكلام اهل اللغة يساعد على ذلك قال الامام عبد الحق في كتابه الواعي في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما كنت اضحي بالجذع وعلينا الف شاة معناه وعندنا الف شاة تقول العرب علينا كذا وكذا اي عندنا قاسم انتهى وهو يرجع الى العدد كما تقول علي رضي فلان اي انا مطيق لذلك قادر على حمله فالمعنى لست تقدر على ايجاد الاهتداء منهم اصلا وانما ذلك الى الله فهو **يهدي من يشاء** فيفعل ما يقدر سبحانه له من وجوه الهدي من نفقة وغيرها قال الحرالي ما معناه ان الانصار رضي الله عنهم مراد بهذه الجملة لانه سبحانه جعل فيهم نصرة دينه ولما كان المقصود الاعظم في هذه الحكمة وهذا الهدي انما هو الهدي المتوسل الى الجواد بالجود بالنفس والمال النائل عموما القريب والبعيد والمؤمن والكافر بمنزلة المطر الجود الذي يأخذ السهل والجبل حتى كان هذا الخطاب صار فالقوم تحرجوا من الصدقة على فقراء الكفار وصلة قرابة تقدم منهم فحملوا على عموم الانفاق انتهى فقال تعالى **وما تنفقوا من خير** اي مال ومعروف على مؤمن هواه الله او كافر تحمل فعل ذلك معه ولو قل لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة **فلانفسكم** كما قيل له صلى الله عليه وسلم عن شاة ذبحت ذهبت اي بالهدية والصدقة الا رقبتها فقال بقيت الا رقبتها وبوبهم انكم ان تحلتم او منعتم فانما تفعلون ذلك بانفسكم ولما كان الكلام في النفقة مع المؤمنين للمتقين وفي سبيل الله وعبر عنها بالخير به كل ذلك اشارة الى الاخلاص الحري بحال المؤمن قال **وما** اي والحال انكم **ما تنفقون الا ابتغاء** اي ارادة ولما كان تذكر الوجه لما له من الشرف ادعى الى الاجتهاد في تشريف العمل باحسانه واخلاصه قال **وجه الله** اي الملك الاعظم وصلة رحم مسلم او كافر يجوز الصدقة عليه لا لانفسكم ولا غيرها بل تخلصا من امساك المال بادآء الامانة فيه الى عباد الله لانهم عباده هذا هو الذي يدعوا اليه الايمان فلا يظن مؤمن ان يفعل غيره وذلك يقتضي البعد جدا عن الاذى والرياء وكل نقيصة والملابسة لكل ما يوجب القبول من اكمال الحسي والمعنوي ولما كان الايقان بالوفاء رغبا في الاحسان وبعدا من الاساءة والامتنان خوفا من جزاء الملك الديان **وما تنفقوا من خير** اي عجلا اي وجه كان وباي وصف كان المتصدق والمتصدق عليه **يوف** اي يبالغ في وفائه بالتضعيف واصلا **اليكم وانتم لا تظلمون** اي لا يقع عليكم ظلم في ترك شيء مما انفقتموه ولا في نقص مما وعد تموه من التضعيف ان احسنتم والمماثلة ان اسأتم ولما كان غالب هذه الاحكام التي ذكرت في الانفاق من اجل المحاويج وكان ما مضى شاملا للمؤمن وغيره بين ان محط القصد في الحث عليها المؤمن فقال تعالى **للفقراء** اي هذه الاحكام لهم **الذين احصروا** اي منعوا عن التكسب واشار بقوله **في سبيل الله** اي الذي له الجلال والاكرام الى ان المقعد لهم عن ذلك الاشتغال باقامة الدين وغيره **لا يستطيعون ضربا في الارض** بالتجارة لاجل ذلك واشار الى شدة رضاهم عن الله بعدم شكايتهم فقال **يحسبهم الجاهل** اي الذي ليس عنده فطنة الخلق **اغنياء من التعفف** عن المسئلة والتلوح بها قناعة بما اعطاهم مولاهم ورضي عنه وشرف نفس والتعفف تكلف العفة وهي كف ما ينبسط للشهوة من الاذى بالكف ووجهه قال الحرالي ولما ذكر خفاءهم على العين ذكر جلاءهم عند المتوسم فقال **تعرفهم** اي يا ابصر الموقنين وافطنهم انت ومن رسخت قدمه في متابعتك **بسيماهم** قال الحرالي وهي صيغة مبالغة من السمة والوسم وهي العلامة الخفية التي تتراءى للمستبصر انتهى وتلك العلامة والله اعلم هي السكينة والوقار وضعف الصوت ورثاثة الحال مع علو الهمة والبراءة من الشماخة والكبر والبطر والخيلاء ونحو ذلك **لا يسئلون** لطموح ابصار بصائرهم عن الخلق الى الخالق **الناس** من ملك وغيره **الحافا** سوآء التزام اخذ من الحاف الذي يتغطى به للزومه لما يغطيه ومنه لاحفه اي لازمه وقال الحرالي هو لزوم ومداومة في الشيء من حروف الخلق الذي هو انهآء الجزء الى الغاية كزان اللحف انهآء السؤال الى الغاية انتهى وانما يسئلون ان سألوا على وجه العرض والتلوح الخفي كما كان ابو هريرة رضي الله عنه يستقري عين الاية

ليضيفه وهو اعرف بها ممن يستقريه فلا يفهم مراده الا النبي صلى الله عليه وسلم فالتعبير بالتعفف يفيد الاجتهاد في العفة
والمبالغة فيها والتقييد بالالحاف يدل على وقوع السؤال قليلا جدا او على وجه التلويح لا التصريح كما يؤيده ويؤكده المعرفة
بالسيما ولما ذكر سبحانه اخفى مواضع النفقة اشار الى اخفائها لا سيما في ذلك الموضع فقال وما تنفقوا من خير اي في اي وقت
انفقتموه فان الله اي المستجمع لصفات الكمال به عليم وان اجتهدتم في اخفائه باعطائه لمن لا يسأل فلا يعرف او بغير ذلك وذكر
العلم في موضع الجزاء اعظم مرغب واخوف مرهب كما يتحقق ذلك بامعان التامل لذلك ولما حض على النفقة فاكثر وضرب فيها
الامثال واطنب في المقال ولم يعين لها وقتا كان كان سائلا قال في اي وقت تفعل فبين في آية جامعة لاصناف الاموال
والازمان والاحوال انها حسنة في كل وقت وعلى كل حال فقال الذين ينفقون اموالهم اي في الوجوه الصالحة التي تقدم
التنبيه عليها وقدم من المتقابلين ما كان اقرب الى الاخلاص اهتماما به ودلالة على فضله فقال بالليل ان اقتضى ذلك
الحال والنهار ان دعتهم الى ذلك خطة رشد سرا وعلانية كذلك ولما كان الانتهاء عن المن والاذى في بعض الاحوال
اشد ما يكون على النفس لما يرى من المنفق عليه من الغض ونحو ذلك فلا يكاد يسلم منه احد ابتداء الجزاء في آيته من غير ربط
بالفاء اشارة الى العفو عما يغلب النفس منه تنزيلا له منزلة العدم وايما الى تعظيمه بكونه ابتداء عطية من الملك ترغيبا
في الكف عنه لانه منظور اليه في الجملة وربط الجزاء في هذه اعلاما بانه مسبب عن هذه الاحوال لان الافعال ايسر من
التروك فحصوله متوقف على حصولها حثا على الاتيان بها كلها للسهولة في ذلك لان من سمح بالانفاق لله استوت عنده فيه
الاوقات والاحوال فقال فلهم اجرهم وسببيته كونه علامة لحصول الاجر لا انه سبب حقيقي انما السبب الحقيقي
رحمه الله بالتوفيق للعمل والاعتداد به واعلم بانه محفوظ مضاعف مربي لا يضيع اصلا بقوله عند ربهم اي فهو يربي
نفقاتهم ويزكيها كما رباهم ثم ختم اي النفقات بما بدأها به من الامن والسرور فقال ولا خوف عليهم كما فرحوا بها عن غيرهم
ولا هم يحزنون لانه لا ثواب اعظم من ذلك اذ لا عيشة لحزين ولا خائف ولشدة مشاق الانفاق على الانفس لا سيما في اول
الاسلام لما كانوا فيه من الضيق اكد فيه تعالى هذا التاكيد بجملته وبينه هذا البيان الواضح حتى لم تبق فيه خفية وجه الا
اظهرها وحذر منها وقررها اشار الى ذلك الاستاذ ابو الحسن الحرالي رحمه الله وقال فافضلهم المنفق ليلا سرا وانزلهم المنفق
نهارا علانية فهم بذلك اربعة اصناف انتهى ولما كان سبحانه قد ذكر النفقة مما افاض عليهم من الرزق من اول السورة الى
هنا في غير اية ورغب فيها بانواع من الترغيب في فنون من الاساليب وكان الرزق يشمل الحلال والحرام وكان مما يسترزقون
به قبل الاسلام الربا وهو اخذ مجانا وهو في الصورة زيادة وفي الحقيقة نقص وعيب ضد ما تقدم الحث عليه من الاعطاء
مجانا وهو في الظاهر نقص وفي الباطن زيادة وخير نهاهم عن تعاطيه ونفرهم منه وبين لهم حكمه وانه خبيث لا يصلح لاكل
ولا صدقة وجعل ذلك في اسلوب الجواب لمن قال هل تكون النفقة المحبوبة المحثوث عليها من كل حال فاجاب بقوله وقال
الحرالي ولما كان حال المنفق لا سيما المبتغي وجه الله افضل الاحوال وهو الحال الذي دعوا اليه نظم به ادنى الاحوال وهو
الذي يتوسل به الى الاموال بالربا فافضل الناس المنفق وشر الناس المربي فنظم به خطاب الربا فقال الذين ولما
كان من الصحابة من اكل الربا عبر بالمضارع اشارة الى ان هذا الجزاء يخص المصر فقال يأكلون الربا وهو الزيادة من جنس
الزيادة عليه المحدود بوجه ما انتهى فجرى على عادة هذا الذكر الحكيم في ذكر احد الضدين على الآخر وعبر بالاكل عن التناول
لانه اكبر المقاصد واضرها ويجري من الانسان مجرى الدم كالشيطان لا يقومون اي عند البعث يظهر ثقلة في بطونهم
فيمنعهم النشاط ويكون ذلك سيماهم يعرفون به بين اهل الموقف هتكا لهم وفضيحة وقال الحرالي في اطلاقه اشعار
بحالهم في الدنيا والبرزخ والاخرة ففي اعلامه ايذان بان اكله يسلب عقله ويكون بقاؤه في الدنيا بخرق لا بعقل يقبل في
محل الادبار ويدبر في محل الاقبال انتهى وهو مؤيد بالمشاهدة فانا لم نر ولم نسمع قط باكل ربا ينطق بالحكمة ولا يشهر بفضيلة
بل هم ادنى الناس وادنسهم الا كما يقوم المصروع الذي يتخبطه اي يتكلف خبطه ويكلفه اياه ويشق به عليه الشيطان
ولما كان ذلك قد يظن انه تخبط الفكر بالوسوسة مثلا قال من اي من المس اي من الجنون فاشار سبحانه بذلك الى المنع
من ان تكون النفقة من حرام ولا سيما الربا والى ان الخبيث المنهي عن انفاقه قسمان حسي ومعنوي والنهيض في المعنوي اشد
وقال البيضاوي تبعا للزمخشري وهو اي التخبط والمس وارد على ما يزعمون اي العرب ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع
وان الجني يمسه فيختلط عقله انتهى وظاهره انكار ذلك وليس بمنكر بل هو الحق الذي لا مرية فيه قال المهدوي في تفسيره
وهذا دليل على من انكر الصرع من جهة الجن وزعم انه فعل الطبائع وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد
وبالجملة فالقول بوجود الملائكة والجن والشياطين مما انعقد عليه اجماع الآراء ونطق به كلام الله وكلام الانبياء وحكى مشاهدة
الجن عن كثير من العقلاء وارباب المكاشفات من الاولياء فلا وجه لنفيها وقال والجن اجسام لطيفة هوائية تتشكل
باشكال مختلفة ويظهر منها احوال عجيبة والشياطين اجسام نارية شانها القاء الناس في الفساد والغواية ولكون الهوا
والنار في غاية اللطافة والتشفيف كانت الملائكة والجن والشياطين يدخلون المنافذ الضيقة حتى اجواف الانسان
ولا يرون بحس البصر الا اذا اكتسبوا من الممتزجات انتهى وقد ورد في كثير من الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
يجري من الانسان مجرى الدم وورد انه صلى الله عليه وسلم اخرج الصارع من الجن من خوف المصروع في صورة كلب ونحو
ذلك وفي كتب الله سبحانه وتعالى المتقدمة ما لا يحصى من مثل ذلك واما مشاهدة المصروع يخبر بالمغيبات وهو مصروع

غايب

غايب الحس وربما كان ملقى في النار وهو لا يحترق وربما ارتفع في الهواء من غير رافع فكثير جدا لا يحصى مشاهدوه الى غير ذلك من
الامور الموجبة للقطع ان ذلك من الجن او الشياطين وها انا اذكر لك في ذلك من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ثم من كتب الله القديمة
ما فيه مقنع لمن تدبره والله الموفق روى الدارمي في اوايل مسنده بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما ان امراة جاءت بابن لها
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يرسول الله ان ابني به جنون وانه ياخذه عند غدائها وعشائها فيخبث علينا فمسح رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدره ودعا فثع ثعة وخرج من صدره مثل الجرو الاسود فسعى ثع بمثلثة ومهملة اي قاء وللدارمي ايضا وعبد
ابن حميد بسند حسن ايضا عن جابر رضي الله عنه قال خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فركبنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا كانما على روسنا الطير تظلنا فعرضت له امراة معها صبي لها فقالت يرسول الله
ان ابني هذا ياخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرار فتناول الصبي فجعله بينه وبين مقدم الرحل ثم قال اخس عدو الله انا رسول الله
ثلثا ثم دفعه اليها واخرجه الطبراني من وجه آخر وبين ان السفر غزوة ذات الرقاع وان ذلك كان في حدة راقم قال جابر
فلما قضينا سفرنا مررنا بذلك المكان فعرضت لنا المراة ومعها صبيتها ومعها كبشان تسوقهما فقالت يرسول الله اقبل
مني هديتي فوالذي بعثك بالحق ما عاد اليه بعد فقال خذوا منها واحدا وردوا عليها الآخر ورواه البغوي في شرح السنة
عن يعلى بن مرة رضي الله عنه وفي الانجيل من ذلك كثير جدا قال في انجيل متى ولوقا ومرقس يزيد احدهم على الآخر وقد جمعت
بين الفاظهم وجاء يعني عيسى عليه السلام الى عبر البحر الى كورة الجرسيين وقال في انجيل لوقا التي هي مقابل عبر الجليل فلما
خرج من السفينة استقبله مجنون قال لوقا من المدينة معه شياطين وقال متى مجنونان جائيان من المقابر رديان جدا
حتى انه لم يقدر احد ان يجتاز من تلك الطريق فصاحا قايلين ما لنا ولك يا يسوع جئت لتعذبنا قبل الزمان قال لوقا وكان
يربط بالسلاسل والقيود ويحبس وكان يقطع الرباط ويقوده الشيطان الى البراري فساله يسوع ما اسمك فقال لا جاون لانه
دخل فيه شياطين كثير وقال مرقس فقال له اخرج ايها الروح النجس اخرج من الانسان ثم قال له ما اسمك فقال لا جاون
اسمي لانا كثير وطلب اليه ان لا يرسلهم خارجا من الكورة وكان هناك نحو الجبل قطيع خنازير كثير يرعى بعيدا منهم فطلب الشياطين
قايلين ان كنت تخرجنا فارسلنا الى قطيع الخنازير فقال لهم اذهبوا وقال مرقس فاذن لهم يسوع فللوقت خرجت الارواح
النجسة ودخلت في الخنازير وقال متى فلما خرجوا ومضوا في الخنازير واذا بقطيع الخنازير قد وثب على جرف وتواقع
في البحر ومات جميعه في المياه وان الرعاة هربوا ومضوا الى المدينة واخبروهم بكل شي وبالمجنونين فخرج كل من في المدينة
للقا يسوع قال مرقس وابصروا ذلك المجنون جالسا لابسا عفيفا فخافوا فلما ابصروه يعني عيسى عليه السلام طلبوا اليه
ان يتحول عن تخومهم قال لوقا لانهم خافوا عظيما وقال مرقس فلما صعد السفينة طلب المجنون ان يكون معه فلم يدعه يسوع
لكن قال له امض الى بيتك وعرفهم صنع الرب بك ورحمته اياك فذهب وكرز في العشرة مدن وقال كل ما صنع به يسوع فتعجب
جميعهم وفي انجيل لوقا معناه وفي آخره فذهب وكان ينادي في المدينة كلها بكل ما صنعه معه يسوع وفي انجيل متى ولما
خرج يسوع من هناك قدموا اليه اخرس به شيطان فلما خرج الشيطان تكلم الاخرس فتعجب الجمع قايلين لم يظهر قط هكذا في
اسرائيل فقال الفريسيون انه باركون الشياطين يخرج الشياطين ثم قال حينئذ اتي اليه باعمى به شيطان اخرس فابراه حتى ان
الاخرس تكلم وابصر فبهت الجمع كلهم وقالوا لعل هذا ابن داود فسمع الفريسيون فقالوا هذا لا يخرج الشياطين الا بباعل زبول
رييس الشياطين وفيه بعد ذلك فلما جاء الى الجمع جاء اليه انسان ساجدا له قايلا له يرب وفي انجيل لوقا يا معلم ارحم ابني فانه
يعذب في روس الاهلة ومرارا كثيرة يريد ان ينطلق في النار ومرارا كثيرا في الماء وفي انجيل مرقس قد اتيتك يا بني وبه
روح نجس وحيثما ادركه صرعه وازبده وصرر اسنانه فتركه يابسا وفي انجيل لوقا اضرع اليك ان تنظر الى ابني لانه وحيدي
وروح ياخذه فيصرخ بغتة ويلبطه بجهل ويزبد عند انفصاله ويرضضه وضرعت لتلاميذك ان يخرجوه فلم يقدروا
وفي انجيل متى وقدمته الى تلاميذك فلم يقدروا ان يبروه اجاب يسوع ايها الجيل الاعرج الغير مومن الى متى اكون معكم وحتى متى
احتملكم قدمه الى ههنا وفي انجيل لوقا وفيما هو جاء به طرحه الشيطان ولبطه وفي انجيل مرقس فلما راته الروح النجسة
من ساعته صرعته وسقط على الارض مضطربا مزبدا ثم قال لابيه من كم اصابه هذا فقال منذ صباه ثم قال ما معناه
افعل معه ما استطعت وتحنن علينا فقال له يسوع كل شي مستطاع للمومن فصاح ابو الصبي وقال انا اومن فاعن ضعف
ايماني فلما راى يسوع تكاثر الجمع انتهر الروح النجس وقال ايها الروح الاصم الغير ناطق انا امرك ان تخرجي منه ولا تدخلي فيه
فصرع ولبطه كثيرا وخرج منه وصار كالميت وقال كثير انه مات فامسك يسوع بيده واقامه فوقف وفي انجيل متى
فانتهره يسوع وخرج منه الشيطان وبرا الفتى في تلك الساعة حينئذ اتى التلاميذ الى يسوع منفردين وقالوا له لماذا
لم نقدر نحن نخرجه فقال لهم يسوع من اجل قلة ايمانكم الحق اقول لكم ان لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لقلتم لهذا الجبل
انتقل من ههنا الى هناك فينتقل ولا يعسر عليكم شي وهذا الجنس لا يخرج الا بالصوم والصلوة وقال مرقس لا يستطاع
ان يخرج بشي الا بصلوة وصوم وقال في انجيل مرقس ولوقا انه كان يعلم في كفرناحوم مدينة في الجليل قال وكان في
مجمعهم رجل فيه روح شيطان نجس فصاح بصوت عظيم قايلا ما لنا ولك يا يسوع الناصري اتيت لتهلكنا قد عرفت من
انت يا قدوس الله فهره يسوع قايلا اسدد فاك واخرج منه فاقلقته الروح النجسة وصاح بصوت عظيم وخرج منه
وفي انجيل لوقا فطرحه الشيطان في وسطهم وخرج منه ولم يولمه وخاف الجمع مخاطبا بعضهم بعضا قايلين ما هو هذا التعليم

الجديد الذي بسلطانه يامر الارواح النجسة فتطيعه وخرج خبره في كل كورة الخليل وفيه ثم قام من هناك وذهب الى تخوم صور
وصيدا ودخل الى بيت واراد ان لا يعلم احد به فلم يقدر ان يختفي فلما سمعت امراة كانت بابنة لها روح نجس جاءت اليه وسجدت قدام
قدميه وكانت يونانية صورية وسالته ان يخرج الشيطان من ابنتها فقال لها دعي البنين حتى يشبعوا اولا لا يحسن ان يوخذ خبز البنين
يدفع للكلاب فاجابت نعم يرب والكلاب ايضا تاخذ مما يسقط من المايدة من فتات الاطفال فقال لهذه من اجل هذه الكلمة اذهبي قد خرج
الشيطان من ابنتك فذهبت الى بيتها فوجدت الصبية على السرير والشيطان قد خرج منها وفي آخر انجيل مرقس انه اخرج من مريم
المجدلانية سبعة شياطين وفي انجيل لوقا وكان بعد ذلك يسير الى كل مدينة وقرية ويكرز ويكبر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر
ونسوة لكن ابراهن من الامراض والارواح الخبيثة مريم التي تدعى المجدلانية التي اخرج منها سبعة شياطين ومرتا امراة جوزي
خازن هيرودس وسوسنة واخوات كثيرات وفي انجيل لوقا وفي ما هو يعلم في احد المجامع في السبت فاذا امراة معها روح مزمن
منذ ثمان عشرة سنة وكانت منحنية لا تقدر ان تستوي البتة فنظر اليها يسوع وقال يا امراة انت محلولة من مرضك ووضع يده عليها
فاستقامت للوقت ومجدت الله فاجاب رئيس الجماعة وهو مغضب وقال للجمع لكم ستة ايام ينبغي العمل فيها وفيها تاتون وتستشفون
الا في السبت يا مراؤن واحد منكم يحل ثوره او حماره من المذود في السبت ويذهب فيسقيه وهذه هي ابنة ابرهيم كان الشيطان
قد ربطها منذ ثمان عشرة سنة اما كان يحل ان تطلق من هذا الرباط في يوم السبت فلما قال هذا الكلام اخزي كل من كان يقاومه
وكل شعب الشعب كانوا يفرحون بالاعمال الحسنة التي كانت منه انتهى وانما كتبت هذا مع كون ما نقل عن نبينا صلى الله عليه
وسلم كافيا لانه لا يدفع ان يكون فيه ايناس له ومصادقة تزيد في الايمان مع ان فيه دلايل رادة على النصارى في ادعائهم التثليث
والاتحاد واحسن ما رد على الانسان من كلامه وبما يعتقده وسياتي ان شاء الله تعالى في المايدة عند قوله تعالى وما من اله الا الله
ما يلتفت الى بعض هذا ويشرحه شرحا جيدا نافعا وكذا في جميع ما انقله من الانجيل كما ستراه ان شاء الله تعالى في مواضعه وكل ما
فيه من متشابه لم تالفه مما يوهم اتحادا او تثليثا فلا تردد نفرتك منه وراجع ما سيقرر في آل عمران وغيرها يرجع معك الى
المحكم رجوعا جليا على ان اكثره اذا توملت اطرافه وجدته لا شبهة فيه اصلا وان لم تكن اهلا للجري في مضمار ما ينسب الى امير
المومنين علي رضي الله عنه كن ممن يعرف الرجال بالحق ولا تكن ممن يعرف الحق بالرجال فانظر كتاب الرد الجميل لالهية عيسى
بصريح الانجيل لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي رحمه الله تجده اول كثيرا مما ذكرته بمثل تاويلي او قريب منه ولم ار كتابه الا بعد
كتابتي لذلك والله الموفق وفي الآية اشارة الى انه تعالى قضى بنزع نور العقل من المرابي ودل على ذلك بقوله ذلك
اي الامر البعيد من الصواب بانهم اي المربون قالوا جدالا لاهل الله انما البيع اي الذي تحصرون الحل فيه يا اهل الاسلام
مثل الربا في ان كلا منهما معاوضة فنحن نتعاطى الربا كما تتعاطون انتم البيع فما لكم تنكرونه علينا فجعلهم الربا اصلا انسلاخ مما اودعه
الله في نور العقل وحكم الشرع وسلامة الطبع من الحكمة والبيع كما عرفه الفقهاء نقل ملك بثمن وقال الحرالي هو رغبة المالك
عما في يده الى ما في يد غيره والشراء رغبة المستملك فيما في يد غيره بمعاوضة بما في يده مما رغب عنه فلذلك كل شار بايع واحل
اي والحال انه احل الله الذي له تمام العظمة المقتضية للعدل البيع اي لما فيه من عدل الانتفاع لانه معاوضة على سبيل
النصفة التراضي من الجانبين لان الغبن فيه غير محقق على واحد منهما لان من اشترى ما يساوي درهما بدرهمين يمكن ان يبيعه
بعد ذلك لرواجه او وجود راغب فيه لامر دعاه اليه بثلثة وحرم الربا لما فيه من اختصاص احد المتعاملين بالضرر والغبن
والاخر بالاستيثار على وجه التحقق فان من اخذ درهما بدرهمين لا يرجى جبر ما فاته من ذلك الوجه اصلا وكذا ربى المضاعفة
وهو ما اذا طلب دينه فكان الغريم معسرا فالزمه بالدفع او الزيادة في الدين فانه ليس في مقابلة هذا الزايد شي ينتفع
به المدين قال الحرالي فيقع الايثار قهرا وذلك الجور الذي يقابله العدل الذي غايته الفضل فاجور الجور في الاموال
الربا واجور الجور في الربا الربا كالذي يقتل بقتيل قتلين وكل من طفف في ميزان فتطفيفه ربا بوجه ما ولذلك تعددت
ابواب الربا وتكثرت قال صلى الله عليه وسلم الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذا راسه وهو ما كانت
تتعامل به اهل الجاهلية من قولهم اما ان تربي واما ان تقضي ثم لحق به ساير ابوابه فهو انتفاع للمربي وتضرر للذي يعطي
الربا وهذا اشد الجور بين العبيد الذين حظهم التساوي في امر بلغة الدنيا فكما اعلمهم تعالى اثر حكمة الخير في الانفاق اعلمهم
اثر حكمة الشر في الربا في دار الآخرة وفي غيب امر الدنيا وكما انه يعجل للمنفق خلفا في الدنيا كذلك يعجل للمربي محقا في
الدنيا حسب ما صرح به الخطاب بعد هذا الاشعار انتهى ومادة بيع بجميع تقاليبها التسعة تائية وواوية مهموزة
وغير مهموزة بيع وعيب وعبي وبوع وبعو ووبع ووعب وعبو وعباء تدور على الاتساع فالبيع يدور على التصرف التام
بالقوة تارة وبالفعل اخرى والذي بالفعل يكون بالملك تارة وبغيره اخرى والذي بالملك يكون بالتحصيل تارة وبالازالة
اخرى ولا يخفى ان كل ذلك من الاتساع فمن الذي بالقوة باعه من السلطان سعى به اليه وامراة بايع اذا كانت نافقة لجمالها
والبياعة السلعة والبيع كسيد المساوم وابعته بمعنى عرضته للبيع ومن الذي بالفعل من غير ملك باع على بيعه اي قام
مقامه في المنزلة والرفعة وظفر به وكذا ابعت الرجل فرسا اي اعرته اياه ليغزو عليه ومن الذي بالملك ازالة
بعته وابعته اي ازلت ملكي عنه بثمن واستباعه ساله ان يبيعه منه وابتاع نفق وابتاع لي في سلعته سلح في بيعها
وامتد الى الاجابة اليه ومن الذي بالملك تحصيلا باع الشي بمعنى اشتراه قال الفارابي في ديوان الادب قال ابو ثروان
بع لي تمرا بدرهم يريد اشتر وهذا الحرف من الاضداد وابتاعه اشتراه والعيب بمعنى الوصمة يوسع الكلام في العرض وسببه

توسع

توسع الانسان في قول او فعل على غير منهاج العقل والعيبة وعاء من ادم يوضع فيه المتاع ومي ايضا الصدر والقلب وموضع السر والعايب من اللبن الجازر اي الآخذ طعم حموضه اما من العيب واما لانه انتشر عن طعمه الاول والعباية ضرب من الاكسية لاتساعه عن الازر ونحوها طولا وعرضا والرجل الجافي الثقيل تشبيها بعا في الخشونة والثقالة وتعبية الجيش تهيئته في مواضعه كان مراكزه عباب له وصنعت كل فرقة منه في عيبتها وعيبك من الجزور نصيبك والتعابي ان يميل رجل مع قوم وآخر مع آخرين لان ذلك اتساع بالفريقين وانتشار من الرجلين ومن المهموز العبء بالكسر وهو الحمل الثقيل من اي شيء كان لانه يقدر وسع الحامل او فوق وسعه وهو اوسع مما دونه من الاحمال وهو ايضا العدل لانه يسع ما يوضع فيه والمثل وبفتح لان الاثنين اوسع من الواحد والعب بالفتح ضياء الشمس وهو واضح في السعة وعباء المتاع والامر ملئ هيأه كعبأه تعبية لانه اعطاه ما يسعه ووضعه في مواضع تسعه والطيب صنعه وخلطه فاتسع بالخلط وانتشرت رايحته بالصنعة والعباء كساء معروف وهو يسع ما يلف به كالعبايه والاحمق الثقيل الوخم وتقدم تخريجه ويمكن جعله من العبء بمعنى الحمل وبمعنى الثقيل والمعباة تكأكأة خرقة الحايض لانها بقدر ما يسعه الفرج والمغباء كمقعد المذهب لاتساعه للذاهب فيه وما اعباه به ما اصنع وبفلان ما ابالي اي ما اوسع الفكر فيه انتهى المهموز والباع قدر مد اليدين والشرف والكرم والنوع ابعاد خطوة الفرس في جريه وبسط اليد بالمال والمكان المنهضم اي المطمئن في لصب الجبل والجبر بالكسر الشعب الصغير من الجبل اضيق من اللهب واوسع من الشقب واللهب سواه ما بين كل جبلين او الصدع في الجبل او الشعب الصغير والشعب بالعين الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن ارض او ما انفرج بين الجبلين والشقب بالقاف صدع يكون في لصوب الجبال ولصوب الاودية دون الكهف توكر فيه الطير وباعة الدار ساحتها والبايع ولد الظبي اذا باع في مشيه وانباع العرق سال والحية بسطت نفسها بعد تحوبها للساور والوباعة الاست لاتساعها لخروج الخارج منها وكذبت وباعته اي جبق يعني ضرط والوتباعة من الصبي ما يتحرك من يافوخه لامتداده الى الحركة ووعبه كوعده اخذه باجمع كاوعبه واستوعبه واوعب جمع والشيء في الشيء ادخله كله اي وسعه حتى دخل فيه والوعيب من الطرق الواسعة وبيت وعيب واسع والبعو الجنابة والجرم لان ذلك يوسع الكلام في العرض وهو ايضا العارية وبعاه قبح واصاب منه وبعاه بالعين اصابه بها كانه وسع لعينه فيه خطا ولما كان الوعظ كما قال الحرالي دعوة الاشياء بما فيها من العبرة للانقياد للالة الحق بما يحوفها ويقبضها في مقابلة التذكير بما يرجيها ويبسطها وكان فيما اخبر به سبحانه عن حال المربي ثم زاجر لان اجل ما للانسان بعد روحه عقله سبب عن ذلك قوله ممن جاءه قال الحرالي اطلق الكلمة من علامة التانيث التنازل رتبة ترفيعا لقدر هذه الموعظة الحقيقة المدركة العظيمة الموقع موعظة بناء المبالغة واعلاما لما اشعرت المفعلة الزايدة الحروف على اصل لفظ الوعظ بما يشعر به الميم من التمام والهاء من الانتهاء فوضع الاحكام حكمة والاعلام بثمراتها في الآخرة موعظة تشوق النفس الى عبتها ورهبتها انتهى ولما كان التخويف من الحزن اردع لان النفس منه اقبل قال من ربه اي المربي له الحسن اليه بكل ما هو فيه من الخير قال الحرالي في اشعاره ان من اصل التربية الحمية من هذا الربا انتهى فانتهى اي عما كان سببا للوعظ قال الحرالي اتى بالفاء المعقبة فلم يجعل فيه فسحة ولا قرار عليه لما فيه من جبل العقل الذي هو اصل مزية الانسانية وان لم يشعر بها حكماء الدنيا ولا اطباؤها انتهى ولما كان السياق مما ارشد اليه التعليل بقوله ذلك بانهم قالوا الاية في الكفرة وان المراد باكل الاستحلال اكد ذلك بقوله فله ما سلف اي من قبيح ما ارتكبه بعد ان كان عليه ولا يتبعه شيء من جريرته لان الاسلام يجب ما قبله وتوبة المومن لا تجب المظالم قال الحرالي والسلف هو الامر الماضي بكليته الباقي في خلقه وقال وفي اعلامه ايذان بتحليل ما استقر في ايديهم من ربا الجاهلية ببركة توبتهم من استيناف العمل به في الاسلام لما كان الاسلام يجب ما قبله وفي طي اشعاره تعريض برده لمن ياخذ لنفسه بالافضل ويقوي اشعاره قوله وامره الى الله انتهى اي فهو يعامله بما له من احاطة الجلال والاكرام بما يجله من خلوص وغيره ولما كان المربون بعد هذه الزواجر بعيدين من رحمة الله عبر عنهم سبحانه باداة البعد في قوله ومن عاد اي الى تحليل الربا بعد انتهائه عنه تكوبا عن حكمة ربه فاولئك اي البعداء من الله اصحاب النار ولما كانت نتيجة الصحبة الملازمة قال هم فيها خالدون ولما كان المرغب في الربا ما فيه من الربح الناجز المشاهد والمفتر عن الصدقة كونها نقصا محققا بالحس بين ان الربا وان كان بصورة الزيادة فهو نقص وان الصدقة وان كانت بصورة النقص فهي زيادة كان ذلك انما هو بيده سبحانه فما شاء محقه وان كان كثيرا وما اراد نماه وان كان يسيرا فقال كالتعليل للامر بالصدقة والنهي عن الربا او لكون فاعله من اهل النار يمحق الله اي بما له من الجلال والقدرة الربا بما يفتح له من ابواب المصارف قال الحرالي والمحق الاذهاب بالكلية بقوة وسطوة ويربي اي يزيد الصدقات بما يسد عنها من مثل ذلك ويربي في تقلبها ويجوز كونه استينافا وذلك انه لما تقرر ان فاعليه من اصحاب النار ساق مساق الجواب لمن كانه قال وان تصدقوا من اموالكم الربا وانفقوا في سبيل الخير اعلاما بان الربا مناف للخير فهو مما يكون هباء منثورا ولما اذن جملهم من اصحاب النار ان لم ينتهوا عن الربا اصلا او انتهى وعاد الى فعله مرتبك في شرك الشرك قاطع نحو عقبات ثنتان منها في انتهاك حرمة الله ستر اياته في عدم الانتهاء والاستهانة بها في العود اليه الثالثة انتهاك حرمة عباد الله فكان ذلك

متكررا مبالغا فيه لا يبقى الا كذلك عبر سبحانه بصيغة المبالغة في قوله عطفا على ما تقديره تعليلا لما قبله فالمتصدق
مؤمن كريم والمرابي كفار اثيم والله المتصف بجميع صفات الكمال لا يحب كل كفار اي في واجب الحق بجحد ما شرع من اباحته
وستره او الاستهانة بها او كفارا لنعمته سبحانه بالاستطالة بما اعطاه على سلب ما اعطى عباده اثيم في واجب الخلق
اي منهمك في تعاطي ما حرم من اختصاصاتهم بالربا وغيره فلذا لا يفعل معهم سبحانه فعل المحب لا بالبركة في اموالهم ولا
باليمن في اعمالهم وهذا النفي من عموم السلب وطريقه انك تعتبر النفي او لا ثم تنسبه الى الكل فيكون المعنى انتفى عن كل
كفار اثيم حبه وكذا كل ما ورد عليك من اشباهه ان اعتبرت النسبة الى الكل اولا ثم نفيت فهو لسلب العموم وان
اعتبرت النفي اولا ثم نسبته الى الكل فلعموم السلب وكذلك جميع القيود فالكلام المشتمل على نفي وقيد قد يكون لنفي القيد
وقد يكون لتقييد النفي فمثل ما ضربته تاديبا اي بل اهانة سلب للتعليل والعمل للفعل وما ضربته اكراما له اي تركت ضربه
للاكرام تعليل للسلب والعمل للنفي وجاءني راكبا اي بل ماشيا نفي الكيفية وحاج مستطيعا اي ترك الحج مع الاستطاعة
تكييف للنفي وقد اتبع الشيخ سعد الدين التفتازاني رحمه الله الحكام في ذلك في شرحه للمقاصد في بحث الرؤية عند استدلاله
المعتزلة بقوله تعالى لا تدركه الابصار وما بين تعالى ما سلبه عن الكافرين من محبته اتبعه ما اثبته للمؤمنين
المصدقين الملوح اليهم فيما قبل بالعطف على غير معطوف عليه ظاهر كما تقدم انفا على وجه لم يخله من ذكر النفقة فقال تعالى
مشيرا الى قسيم ومن عاد ان الذين امنوا اي صدقوا بجميع ما اتتهم به الرسل عن الله وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات
ايمانا وانتهاء لا سيما ترك الربا ولما كانت الصلوة زبدة الدين فيما بين الحق والخلق خصها بالذكر فقال
واقاموا الصلوة بجميع حدودها ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولما كان الايتاء راجلا ما بين الحق والخلق وزبدته
اخراج الواجب من المال عن طيب نفس قال واتوا الزكوة فضلا عن ان يخلوا فضلا عن ان يربوا ودل على ان جزاءهم
بحسب النيات لشائبتهم في فتنة الردة بقوله لهم اجرهم واعلم بحفظه وتمنيته بقوله عند ربهم واذن بتمام
الانتفاع بقوله ولا خوف عليهم اي من طارق يطرقهم بغير ما يلائمهم لانهم في كنف العزيز العليم ولا هم يحزنون
على شيء فاتهم فانهم في غاية الرضى بما هم فيه ولعظيم الجدوى في ذلك كرر في هذه الايات غير مرة ونوع به كرة في اثر كرة
ولما كانت نتيجة الاية الماضية في الاعتماد على ما عند الله من الاجر وعدم الحزن على ما فات من رباء او غيره والخوف
من شيء آت من فقر او غيره ترك كل شيء يجنب الى الربا وكان بين اهل الاسلام واهل الجاهلية وبين بعضهم وبعض
معاملات في الجاهلية ربوية لم تتم بعد بين امرها نفيا لما قد يتوهم من قوله سابقا فله ما سلف من تخليل بقايا
الربا وان الذي لحاص بما يجد دمنه فقال مخاطبا بالاقرب من ذكره ممن تلبس بالايمان ولم يلتفت الى غيرهم تنبيها لهم
يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالتصديق بالسنتهم ولما كان الربا قد يكون موجلا فيكون صاحبه قد مضت له مدد
وهو موطن نفسه على اخذه فيصير الكف عنه يعد الموت عنده ابلغ تعالى في التشديد في هذه المواعظ فقال
اتقوا الله اي الذي له جميع العظمة تصديقا لاقراركم وذروا اي اتركوا اي ترك كان ما بقي من الربا اي الذي
كنتم تتعاملون به فلا تستحلوه ولا تاكلوه ولما لوح في اول الاية الى من اصر منهم غير صادق في دعوى الايمان صرح بذلك
في آخرها فقال ان كنتم مومنين اي متصفين بما ذكرتموه بالسنتكم قال الحرالي فبين ان الربا والايمان لا يجتمعان واكرر
بلايا هذه الامة حتى اصابها ما اصاب بني اسرايل من الباس الشديد والانتقام الشنيع انما هو من عمل من عمل بالربا وهذه
الاية اصل عظيم في احكام الكفار اذا اسلموا فما مضى منها لا ينقض وما لم يمض لم يفعل تبعه عليه الاصبهاني ولما كان من حق
من عاند السيد الاخذ بسبب عن ذلك قوله فان لم تفعلوا اي ترك الربا قال الحرالي في اشعاره ان طائفة منهم لا يذرونه
بعد تحريمه بما انهم ليسوا من الذين كانوا مومنين انتهى فاذنوا بحرب اي عظيمة قال الحرالي والحرب مدافعة بشدة عن
اتساع المدافع بما يطلب منه الخروج عنه فلا يسمح به ويدافع عنه باشد مستطاع ثم عظم امرها باير اده الاسم الاعظم
فقال من الله العظيم الجليل ورسوله الذي هو اعظم الخلايق بتشريفه بالاضافة اليه وقال الحرالي الذي هياه للرحمة
فكان نبي الرحمة مجازيا له فما قطعتم وصلته من الرحيم والشفيع انتهى وان تبتم اي فعلتم بعد الاذن بالقتال او قبله ما امركم
الله به من ترك ما بقي منه فلكم رؤس اموالكم اي لا هو حال البيع ولما كان ذلك هو العدل لانه الحق قال لا تظلمون اي باخذ
شيء مما بقي من الربا ولا تظلمون بنقص من راس المال او دفع بمطال ولما كان الناس منقسمين الى موسر ومعسر اي غني وفقير
كان كانه قيل هذا حكم الموسر وان كان اي وجد من المدينين ذو عسرة لا يقدر على الاداء في هذا الوقت فنظرة اي فعليكم
نظره له قال الحرالي وهي التاخير المرتقب بجانبه الى ميسره ان لم ترضوا باخذ اموالكم وقرانا فع ضم السين قال
الحرالي ابناء عن استيلاء اليسر وهي اوسع النظرتين والباقون بالفتح ابناء عن توسطها ليكون اليسر في رتبتين فمن انظر
الى اوسع اليسرين كان افضل توبة انتهى وان تصدقوا اي وصدقتكم على المعسر بتركه له خير لكم في الدنيا بما يبارك الله
لكم ويعوضكم وفي الاخرة بما يعزل لكم من الاجر ولما كان كل احد يدعي العلم وبانفاشد انفه من النسبة الى الجهل قال
ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من ذوي العلم فانتم تعرفون صحة ما دعوتكم اليه مما يقتضي الادبار عنه او الاقبال عليه فاذا
تحققتم ذلك فاستدلوا فانه يقبح على العالم يقبح الشيء الاصرار عليه والا فبينوا انه ليس بخير والا فانتم من اهل الاعوجاج
بالجهل تقومون بالحرب والطعن والضرب كالسباع الضارية والدياب العادية وقال الحرالي فاعلم سبحانه من وضع كتابه

العلم فكان ممن يدوم عليه تنبيه لان خير الترك خير من خير الاخذ فاحسن بترك جميعه انتهى وروي البخاري في التفسير
عن عايشة رضي الله عنها قالت لما انزلت الايات الاواخر وفي رواية من اخر سورة البقرة في الربا قراهن النبي صلى الله
عليه وسلم عليهم وفي رواية علي الناس في المسجد ثم حرم التجارة في الخمر وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال آخر اية
انزلت علي النبي صلي الله عليه وسلم اية الربا وفي عبيد عن ابن شهاب قال اخر القران عهدا بالعرش اية الربا واية الدين
وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال آخر اية انزلت من القران واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله قال زعموا ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال وبدي به يوم السبت ومات يوم الاثنين انتهى ولا مخالفة لانها من ايات
الربا والدين وروي الحديث ابو عمرو الداني في كتاب البيان في عدد آي القران وقال فيه قال الملك اجعلها علي راس
ثمانين وماتين من البقرة ولما كان من المعلوم انه ليس لاحد معه سبحانه حجة كان التقدير فما متثلوا ما امرتم به
واجتنبوا ما نهيتم عنه فعطف عليه تخويفا من يوم العرض عليه والمجازاة بين يديه فقال وقال الحرالي لما انهي
الخطاب بامر الدين واعلنه وامر الآخرة علي وجوهها واظهار حكمتها المرتبطة بامر الدنيا وبين امر الانفاق والربا الذي
هو غاية امر الدين والدنيا في صلاحهما وانهي ذلك الي الموعظة بموعود جزايه في الدنيا والاخرة اجمل الموعظة بتقوي
يوم الرجعة الي احاطة امره ليقع الختم باجمل موعظة واشملها ليكون انتهاء الخطاب علي ترهيب للانفس لتجمع عزايمها علي ما
هو ملاك امرها من قبول صلاح دينها ودنياها ومعادها من خطاب الله لها فختم ذلك بجمل معناه بعد الاية كما انها هي
الاية ختم بها التنزيل انزلت علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو في الشكاية وهي آخر اية انزلت عليه في مقابلة اقرا باسم
ربك الذي هو اول منزل النبوة ويا ايها المدثر الذي هو اول منزل الرسالة فكان اول الامر انذارا وآخره موعظة تبعث
النفس علي الخوف وتبعث القلب علي الشوق من معني ما اختتم به امر خطاب الله في اية ملك يوم الدين انتهى فقال تعالي واتقوا
يوما اي في غاية العظم ترجعون فيه حسابا وانتم كما انتم في الدنيا ومعني بجميع امورهم رجوعا ظاهرا لا يحجبه شيء من
الاسباب ولا يحول دونه عارض ارتياب الي الله الذي لا يحصر عظمته وصف ولا يحيط بها حد فيكون حاكم بعدا لقلة
من الدنيا لحاكم قبل البروز اليها من البطن لا تصرف لكم اصلا ولا متصرف فيكم الا الله وتكون حاكم في ذلك اليوم الاعسار
لانه لا يمكن احدا ان يكافي ما هو عليه من نعمة فمن نوقش الحساب عذب فان كنتم تحبونا المجاوزة عنكم هنالك فتجاوزوا
انتم عن اخوانكم اليوم وتصدقوا ما دمتم قادرين علي الصدقة واتقوا النار في ذلك اليوم ولو بشق تمرة واشار سبحانه
الي طول وقوفهم ذلك الموقف في مقام المهيبة وتمادي حبسهم في موقف الجلال والعظمة باداة التراخي في قوله
ثم قال الحرالي وقيل يا رسول الله اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال في الظلمة دون الجسر
وقال صلي الله عليه وسلم يقيمون في الظلمة الف سنة وورد عن علي رضي الله عنه في تفصيل مواقف يوم الجزاء ان
الخلق يوقفون علي قبورهم الف سنة ويساقون الي المحشر الف سنة ويوقفون في الظلمة الف سنة ثم يكون انشقاق
السموات السبع وتبديل الارض وما شاء الله من امره انتظاما لمجيئه ففي غير فقاله والله اعلم ان ذلك يكون ستة الاف سنة
وانها كما بنيت في ستة ايام تقدم في ستة ايام كما بدانا اول خلق نعيده ليكون ذلك تسعة ايام ويكون مجيئه في اليوم
العاشر الذي هو يوم عاشوراء ذلك اليوم تكرر بجري امره فيه في يوم الدنيا ثم وصف عليه السلام المواقف الي منتهاها
انتهى ولما كان ايقاف الانسان علي كل من عمل من شر وعلن في غاية الكراهة اليه فضلا عن جزايه علي كل شيء منه لا بالنسبة
الي موقف معين بني للمفعول قوله تم توفي اي تعطي علي سبيل الوفاء كل نفس ما كسبت اي من خير وشر قال الحرالي جاء
بصيغة فعل المشعر بجري العمل علي غير تكلف وتحمل ففي اشعاره انها تو في ما كسبت من الخير وما كونت له من الشر وان ما تكلفته
من الشر وفي دخلتها كراهته ربما غفر لها حيث لم تكن تو في ما كسبت وما اكتسبت كما قال في الاية التي بعد هذا لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت فكان مكتسبها عليها وربما غفر لها قائما وفيت ما كسبت من الشر واشتمل عليه ظاهرها وباطنها
حتي تسهرت له انتهى ولما كانت عادة الناس انه اذا بقي شيء يسير وقع في محل المسامحة وكان اليسير يختلف باختلاف الاصل
فالالف مثلا يتسامح فيه بماية مثلا بين ان الامر عنده علي غير ذلك فقال وهم لا يظلمون شيا من الاشياء ولو قل وهذا اشارة
الي العدل بين عباده قال الحرالي وهذه الاية ختم للتنزيل وختم لتمام المعني في هذه السورة التي هي سنام القران وفسطاطه
وختم لكل موعظة وكل ختم فهو من خواص المحمدية الجامعة المفصلة من سورة الحمد المشيرة الي تفاصيل عظيم امر الله في خلقه
وفي خلقه وفيما بينه وبين خلقه انتهى ولما بين سبحانه عن الربا وكان احد مدانيا نعم وكان غير من الدين ما دون ما فيه
وهو من انواع الانفاق مع دخوله في المطالبة برؤوس الاموال عقب ذلك باية الدين وايضا فانه تعالي لما ذكر في المال
امرين بنقصانه ظاهرا وبزكيانه باطنا الصدقة وترك الربا واذا في رؤوس الاموال وامر بالانظار والاعسار
وختم بالتهديد فكان ذلك ربما اطمع المدين في شيء من الدين ولو بدعوي الاعسار اقتضي حال الانسان لما له من النقصان
الارشاد الي حفظ المال الحلال وصونه عن الفساد والتنبيه علي كيفية التوثق فقال يا ايها الذين امنوا كالذي
تقدمه اذا تداينتم من التداين تفاعل بين اثنين من الدين والدين في الامر الظاهر معاملة علي تاخير كان الدين بالكسر
فيما بين العبد وبين الله معاملة علي تاخير قاله الحرالي اي اوقعتم بينكم ذلك والدين ما لم يرسل في الذمة سواء كان موجلا اولا
وهو خلاف الحاضر والعين وقال بدين مع دلالة الفعل عليه ليخرج بيع الدين بالدين لانه مداينة بدينين قال الحرالي فكان

في اعلامه اي بالاتيان بصيغة اذا انهم لا يدان يتداينوا الا لحاجز منتظر في اغلب معناها انتهى وارشد الى ضبطه بالوقت اشارة
الى انه يجوز كونه حالا والى ان الاجل وهو الوقت المحدود واصله التاخير ان كان مجهولا كان باطلا بقوله الى اجل مسمى قال الحوالي
من التسمية وهي ابداء الشيء باسمه للسمع في معنى المصور وهو ابداء الشيء بصورته في العين ولما كان الله تعالى وهو العليم الخبير قد
اجرى سنته في دينه بالكتابة تمام مليكته وتم الامتنان العدول باثبات اعمال الخلق لحكم ومصالح لا تخفى وانزل كتابه الشريف
شهادة لهم وعليهم بما يوفونه في يوم الدين من ثواب وعقاب قطعا لحجتهم امرهم ان يكون عملهم في الدين كما كان فعله في الدين فارشدهم
الى اثبات ما يكون بينهم من المعاملات ليلا يجر ذلك الى المخاصمات فقال تعالى امرا للارشاد لا للايجاب فاكتبوه وفي ذكر الاجل اشارة
الى البعث الذي وقع الوعد بالوفاء فيه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ولما امر بالكتابة وكان
المراد تحصيلها في الجملة لا من احد بعينه كان اغلب الناس لا حسنها ابتها الارشاد الى تخير الكاتب بقوله وليكتب بينكم اي
الدين المذكور كاتب وان كان صبيا او عبدا كتابه مصحوبة بالعدل استنانا به سبحانه في ملائكته وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين بايدي سفرة كرام بررة ولما ارشد الى تخيير الكاتب تقدم اليه بالنهي تقديما لدرء المفاسد ثم الامر فقال ولا يابى
كاتب ان يكتب اي مانذب اليه من ذلك كما علمه الله اي الاجل الذي هو غني عنه وعن غيره من خلقه شكرا لله على تلك النعمة وكتابة
مثل الكتابة التي علمها له سبحانه لا تنقص عنها شيا فليكتب وفي ذلك تنبيه على ما في بذل الجهد في النصيحة من المشقة ولما
كان ذلك وكان لا بد فيه من ممل بين صحيح املاء للمكتوب فقال وليملل من الاملال وهو القاء ما تشتمل عليه الضمائر على اللسان
قولا وعلى الكتاب رسما قاله الحوالي الذي عليه الحق ليشهد عليه المستملي ومن يحضره وربما كانت الانفس مجبولة على محبة الاستيثار
على الغير حذرها مما لا يحل من ذلك فقال وليتق الله فعبر بالاسم الاعظم ليكون ازجر لما مور ثم قال ربه تذكيرا بانه لا حاف
لا يامر الا بخير وترجية للعوض في ذلك اذا ادي فيه الامانة في الكم والكيف من الاجل وغيره واكد ذلك بقوله ولا يبخس
من البخس وهو اسوا النقص الذي لا تسمح به الانفس لبعده عن محل السماح الى وقوعه في حد الضئيل منه شيا ولما كان هذا
الملي قد يكون لا في العبارة وكان الاملاء لا يقدر عليه كل احد قال تعالى فان كان الذي عليه الحق سفيها فلا يعتبر اقراره
لضعف رايه ونظره ونقص حظه من حكمة الدنيا او ضعيفا عن الاملاء في ذلك الوقت لمرض او غيره من صبي او جنون او
هرم من الضعف وهو وهن القوى حسا او معنى او لا يستطيع ان يمل هو لخرس او حياء او عجمة ونحو فليملل وليه القائم
بمصالحه بالعدل من اب او وصي او حاكم او ترجمان او وكيل قال الحوالي فجعل لسان الولي لسان المولى عليه فكان فيه مثل
لما نزل به الكتاب من اجراء كلام الله على السنة خلقه في نحو ما تقدم من قوله اياك نعبد واياك نستعين وما تفصل منها
الله ولي الذين امنوا امل ما عليهم من الحقوق له فجعل كلامه من كلامه يتلوه فكان الاملال منه لهم لتقاصرهم عن واجب حقه
تقاصر السفيه ومن معه عن املال وليه عنه لرشده وقوته وتمكن استطاعته انتهى ولما لم يكن بين الكتابة والشهادة
ملازمة نص عليها وبين اهلها فقال واستشهدوا اي اطلبوا الشهادة واوجدوها مع الكتابة ودونها شهيدين قال
الحوالي فجعل شهادة الدين باثنين كما جعل الشاهد في الدين اثنين شاهد التفكر في الايات المرئية وشاهد التذبر للايات
المسموعة وفي صيغة فعيل مبالغة في المعنى في تحقق الوصف بالاستبصار والخبرة انتهى ولما بين عدد الشاهد بين نوعه
فقال من رجالكم واعلم بالاضافة اشتراط كونه مسلما واطلاق هذا الذي ينصرف الى الكمل مع ما يؤيده في الآية يفهم الحرية
كقوله ولا يابى الشهداء والاتيان بصيغة المبالغة في الشاهد وتقييده مع ذلك بالرضى وتعريف الشهداء ونحو قال
الحوالي ولكثرة المداينة وعمومها وسع فيها الشهادة فقال فان لم يكونا اي الشاهدان رجلين اي على صفة الرجولية
كلاهما فرجل وامراتان وفي عموم معنى الكون اشعار بتطرق لشهادة المراتين مع امكان طلب الرجل بوجه فمن حيث لم
يكن فانه لم تجدوا ففيه تهدف للخلاف بوجه ما من حيث ان شمول الكتاب توسعة في العلم سواء كان على نساء او على ترتيب
ولما كن ناقصات عقل ودين جعل شهادتان منهن كمكان رجل انتهى ولما بين العدد بين الوصف فقال ممن ترضون اي في العدالة
فرد الشهداء في الديون ونحوها قال الحوالي وفي مفهوم الشهادة استبصار نظر الشاهد لما في الشهود من ادراك معنى خفي
في صون ظاهر يهدي اليها النظر النافذ انتهى ولما شرط في القيام مقام الواحد من الرجال العدد من النساء علله بما يشير
الى نقص الضبط فيهن فقال ان تضل احديهما اي تغيب عنها الشهادة فتنساها او شيا منها فتذكر احديهما الاخرى فتهتدي
الى ما ضلت عنه بواسطة الذاكرة قال الحوالي بما هي اعرف بما دخل الضلال عليها لان المتقاربين اقرب في التعاون انتهى
وفي قراءتي التخفيف والتثقيل اشعار بتصنيفا لنساء صنفين في رتبة هذه الشهادة من بلحقها الخلل عن بعض ما شهدت
فيه حتى تذكرا بالتخفيف ولا يتكرر عليها ذلك ومن شانها ان يتكرر عليها وفي ابهامه بلفظ احديهما من غير اقتصار على
الضمير الذي يعين ما يرجع اليه اشعار ان ذلك يقع بينهما سنا وباحتي ربما ضلت هذه عن وجه ضلت تلك عن وجه اخر
فاذكرت كل واحدة منهما صاحبتها فلذلك يقوم بهما معا شاهد واحد حافظ انتهى وفي ذكر الاذكار منع من الشهادة بدون
الذكر والاية من الاحتباك ولما افهم ذلك الحث على الشهادة صرح به في قوله ولا يابى الشهداء اي تحمل الشهادة
واداها بعد التحمل اذا ما دعوا دعاجاز ما بما افهمته زيادتها ولما تم ذلك وكان صغير الحق وكبيره ربما تركت كتابته
تهاونا بالصغير وملالا للكبير حذر من ذلك ولم يجعله في صلب الامر قبل الاشهاد بل افرده بالذكر تعظيما لشانه فقال
ولا تسامو ان تكتبوه من السآمة قال الحوالي بنا مبالغة وهو اشد الملالة ان تكتبوه اي لا تتعلوا فعل السيئم فتتركوا كتابته

صفحة ١

صغيرا كان الدين او كبيرا طالت الكتابة او قصرت قال الحرالي ولم يكن قليلا او كثيرا لان الكثرة والقلة واقعة بالنسبة الى الشئ المعدود في ذاته والصغر والكبر بيّن بالنسبة الى المدّاين فربما كان الكثير في العدد صغيرا القدر عند الرجل الجليل المقدار وربما كان القليل العدد كثيرا بالنسبة الى الرجل المشاح فيه فكانا لصغر والكبر اشمل وارجع الى حال المداين الذي هو المخاطب بان يكتب انتهى الى اجله اي الذي تواقتم وتوائتم عليه ولما كان كانه قيل ما فايدة ذلك فقيل ذلكم اشارة باداة البعد وميم الجمع الى عظيم حرمته قال الحرالي ولبيانه ووضوحه عندهم لم يكن اقبالا على النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقبل عليه في الامور الخفية انتهى اقسط اي اعدل فقد نقل عن ابن السيد انه قال في كتابه الاقتضاب ان قسط بمعنى جار وبمعنى عدل وقال الحرالي اقسط من الاقساط وهو وضع القسط وهو حفظ الموازنة حتى لا تخرج الى تطفيف ثم زاد تعظيمه بقوله عند الله اي الذي هو محيط بصفات الكمال بالنسبة الى كل صفة من صفاته لانه يحمل على العدل بمنع المغالطة والتلون في شئ من احوال ذلك الدين واقوم للشهادة اي واعدل في قيام الشهادة اذا طلب من الشاهد ان يقيمها بما هو مضبوط له وعليه وادنى اي اقرب في ان لا ترتابوا اي تشكوا في شئ من الامر الذي وقع قال الحرالي ففي شعاره انه ربما داخل الرجل والرجلين خوما داخل المرأتين فيكون الكتاب مقيما للشهادتها فتنفي عن الرجال الريبة بالكتاب كما تنفي عن النساء الضلال بالذكر انتهى ولما كان الدين المؤجل اعم من ان يكون قرضا او تجارة ينمي بها المال المامور بالانفاق منه في وجوه الخير النافعة يوم الدين وكان قد اكد في امر الكتابة تاكيدا ربما ظن معه الحث عليها ولو لم يكن اجل نبه على ان العلة فيها الاجل الذي هو مظنة النسيان المستولي على الانسان بقوله الا ان تكون اي المداينة تجارة حاضرة هذا على قراءة عاصم وكان في قراءة عين تامه تديرونها بينكم اي يدا بيد من الادارة قال الحرالي من اصل الدور وهو رجوع الشئ عودا على بدء فليس عليكم حينئذ جناح اي اعتراض في ان لا تكتبوها اي لانها مناجزة وهي عرض زايل لا يكاد يستقر في يد احد كان القصد المتجر الاستبقاء فبعد ما تخشى من التجاحد ولما كان البيع اعم من ان يقصد به المتجر او غير ذلك من وجوه الانتفاع قال واشهدوا سواء كانت كتابة او لا ان اذا تبايعتم اي على وجه المتجر عاجلا او اجلا او لا للمتجر ان الاشهاد ابعد من الخلاف واقرب الى التصاف بما فيه من الانصاف والامر للارشاد فلا يجب ولما لزم في صدر الخطاب الكاتب ان يكتب والشهيد ان يجيب ولا يابى اكد ذلك بصيغة تشمل المستكتب والمستشهد فقال ناهيا ولا يضار يصح ان يكون للفاعل وللمفعول وهو صحيح المعنى على كل منهما كاتب ولا شهيد اي لا يحصل ضرر منهم ولا عليهم قال الحرالي ففي الاحتمال تعريض بالاحسان منه للشهيد والكاتب ليجيبه لمراده ويعينه على الايتمار والامر به بما يدفع عنه من ضرر عطلته واستعماله في امر من امور دنياه ففي تعريضه اجازة لما ياخذه الكاتب ومن يدعى لاقامة معونته في نحو ممن تعرض له فيما يضر التخلي عنه انتهى وان تفعلوا اي ما نهيتم عنه من الضرار وغيره فانه فسوق اي خروج بكم عن الشرع الذي نهجه الله لكم قال الحرالي وفي صيغة فعول تاكيد فيه وتشديد في النذارة انتهى ختم ايات هذه المعاملات بصفة العلم بعد الامر بالتقوى في غاية المناسبة لما يغلط فيه المتعاملون من الحيل التي يحتلب كل منهم بها الحظ لنفسه والترغيب في امتثال ما امر به في هذه الجمل بانه من علمه وتعليمه فقال تعالى عاطفا على ما تقدم من امر ونهي او على ما تقديره فافعلوا ما امرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واتقوا الله اي خافوا الذي له العظمة كلها فيما امركم ونهاكم من هذا وغيره ولما كان التقدير استينارا بالبيان فخاتمة هذه التنبيهات يرشدكم الله الى مثل هذه المرادة علاج ذات بينكم عطف عليه قوله ويعلمكم الله اي بتربيكم الذي له الكمال كله بذلك على العلم وقال الحرالي وفي قوله يعلم بصيغة الدوام ايذان بما يستمر به التعليم من دون هذا المثال انتهى واظهر الاسم الشريف هنا وفي الذي بعده تعظيما للمقام وتعميما للتعليم فقال والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شئ عليم وهذا الختم جامع للبشرى بالتعليم ونذارة التهديد ولما كان التقدير هذا اذا كنتم حضورا يسهل عليكم احضار الكاتب والشاهد عطف عليه قوله وان كنتم ولما كان الانسان في السفر يكون مستجمع القوى كامل الآلات تام الاهبة عبر باداة الاستعلاء فقال على سفر ليوز شأنه احضار كاتب ولم تجدوا كاتبا فرهن اي فيغنيكم عن الكتب رهن تكون بدلا عنه وقرئ فرهان وكلاهما جمع رهن بالفتح والاسكان وهو الوثيقة بالشئ لما يعاد له بوجه ما قاله الحرالي واشار بان بدليتها لا تفيد الايما وصفها من قوله فان امن ولما كان الايمان كان يكون من الدائن وتارة من الراهن قال بعضكم بعضا اي فلم تفعلوا شيا من ذلك فليؤد اي يعط من الاداء وهو الاتيان بالشئ لميقاته ولما كان المراد التذكير بالاحسان بالايمان ليشكر ولم يتعلق غرض بكونه من محسن معين بني للمفعول فقوله الذي اؤتمن من الايتمان وهو طلب الامانة وهو ايداع الشئ بحفيظه حتى يعاد الى المؤتمن قال الحرالي امانته وهو الدين الذي ترك التوثق به من المدين احسانا اليه وحسن ظن به وكذا ان كان الايمان من جهة الراهن وليتق الله المستجمع لصفات العظمة ربه الذي رباه في نعمه وصانه من باسه ونقمه وعطف عليه قلب من اعطاه وائتمنه ليؤدي الحق على الصفة التي اخذه لها فلا يخن في شئ مما اؤتمن عليه ولما كانت الكتابة لاجل اقامة الشهادة وكانت الانفس مجبولة على الشح موسومة على حب الاستيثار فيحصل بسبب ذلك مخاصمات وتشتد عنها المشاحنات وربما كان بعض المخاصمين ممن يخشى امره ويرجى بره فيحمل ذلك الشهود الى الكتوم قال تعالى ولا تكتموا الشهادة اي سواء كان صاحب الحق يعلمها اولا ولما نهى اتبع النهي التهديد فقال ومن يكتمها فانه آثم ولما كان محلها القلب الذي هو عمدة البدن قال قلبه وزاد اثم قلبه فساد ومن فساد قلبه فساد كله لان القلب قوام البدن اذا فسد فسد سائر الجسد ولما كان التقدير فان الله عالم بانه كتم وكان الشهادة

جهات تنصرف بها الشهادة عن وجه الاقامة عطف عليه قوله ليشهد التهديد تلك الاعمال باحاطة العلم والله اي المحيط بجميع صفات الكمال ولما كان الانسان هو المقصد الاعظم من سائر الاكوان فكانت احواله مضبوطة بانواع الضبط كان كان العلم البليغ متصورا عليه فلذلك قدم قوله بما تعملون اي كله وان دق سواء كان فعل القلب وحده او لا علیم قال الحرالي فانفي امر ما بين الحق والخلق ممثولا وامرا بين الخالق والخلق مثلا انتهى ولما اخبر عن سعة علمه دل عليه بسعة ملكه المستلزم لسعة قدرته ليدل ذلك على جميع الكمال لانه قد ثبت كما قال الاصبهاني ان الصفات التي هي كمالات حقيقة ليست الا القدرة والعلم المحيط فقال واعدا للمطيع متوعدا للعاصي مصرحا بان افعال العباد وغيرها مخلوق له وقال الحرالي ولما كان اول السورة اظهار كتابا التقدير في الذكر كان ختمها ابدا اثر ذلك الكتاب الاول في الاعمال والجزاء التي هي الغاية في ابتداء امر التقدير فوقع الختم بانه سلب الخلق ما في ايديهم مما ابدوه وما اخفوه من اهل السموات والارض انتهى فقال لله اي الملك الاعظم ولما كانت ما تردد لمن يعقل وكان اغلب الموجودات الجمادات عبر بها فقال ما في السموات اي كله علي علوها واتساعها من ملك وغيره وما في الارض مما تنفقونه وغيره من عاقل وغيره بامرهما ونهيهما بما يشاء وينهي عما يشاء ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء ويضع من يشاء ولما كان التقدير فهو يعلم جميع ما بينهما من كتمانكم وغيره ويتصرف فيه بما يريد عطف عليه محذرا من يكتم الشهادة او يغير سوءا غيرها او يظهره قوله تعالى وان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم من شهادة او غيرها او تخفوه مما وطنتموه في النفس وعزمتم عليه وليس هو من الخواطر التي كرهوها ولم يعزموا عليها قال الحرالي من الاخفاء وهو تغييب الشيء وان لا يجعل عليه علم يهتدي اليه من جهته محاسبكم من المحاسبة مفاعلة من الحساب والحسب وهو استيفاء الاعداد فيما للمرء وعليه من الاعمال الظاهرة والباطنة بعيني ليجازي بها به الله اي يذكره لكم وانتم تعلمون صفات الكمال قال الحرالي وفي ضمن هذا الخطاب لاولي النهى ايما بان الله سبحانه اذا عاجل العبد بالحساب بحكم ما بينهما ترتيب الحساب على وقوع العمل حيث لم يكن في محاسبكم مثلا فقد اعظم اللطف به كان من حوسب بعمله عاجلا في الدنيا خف جزاؤه عليه حيث يكفر عنه بالسوكة يشاكها حتى بالقلم يسقط من يد الكاتب فيكفر عن المؤمن بكل ما يلحقه في دنياه حتى يموت على طهارة من ذنوبه وفراغ من حسابه كما ورد يتعاهد بدنه وثوبه بالتنظيف فلا يتسخ ولا يدرن ولا يزال نظيفا انتهى وفيه تصرف ولما كانت حقيقة المحاسبة ذكر الشيء والجزاء عليه وكان المراد بها هنا العرض وهو الذكر فقط بدلالة التضمن دل عليه بقوله مقدما الترجمة لحماد له لما افهمه صدر الاية من التخويف فيغفر لمن يشاء اي فلا يجازيه على ذلك كبيره كان او لا ويعذب من يشاء بتكفير او جزاء ولما اخبر سبحانه بهذا انه مطلق التصرف ختم الكلام دلالة على ذلك بقوله مصرحا بما لزم تمام علمه من كمال قدرته والله الذي لا امر لاحد معه على كل شيء قدير اي ليس هو كملوك الدنيا يحال بينهم وبين بعض ما يريدون بالشفاعات وغيرها قال الحرالي فسلب لهذه الآية القدرة عن جميع الخلق انتهى وقد ذهب بعض العلماء الى ان هذه الآية خاصة بامر الشهادة وقال الاكثرون هي عامة كما فهمها الصحابة رضوان الله عليهم في الوسوسة وحديث النفس المعزوم عليه وغيره ثم خففت بما بعدها روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في السموات الآية الى قدير اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم برکوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير قالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها امن الرسول بما انزل اليه الى المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فانزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى اواخطانا قال نعم قال البغوي رحمه الله وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قد فعلت واستهوا الى اخر السورة كلما قرأوا جملة قالوا فقد تبين من هذا مناسبة هذه الآيات واما مناسبتها لاول السورة وللمقطع على المطلع فهو انه لما ابتدا السورة بوصف المومنين بالكتاب الذي لا ريب فيه على الوجه الذي تقدم ختمها بذلك بعد تفصيل الانفاق الذي وصفهم به اولها على وجه يتصل بما قبله من الاوامر والنواهي والاتصاف باوصاف الكمال اشد اتصال وجعل راسهم الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما للمدح وترغيبا في ذلك الوصف فاخبر بايمانهم بما انزل اليه بخصوصه وبجميع الكتب وجميع الرسل وبقولهم الدال على كمال الرغبة وغاية الضراعة والخضوع فقال استينافا فالجواب من كانه قال ما فعل من انزلته عليه الاوامر والنواهي وغيرها امن الرسول اي بما ظهر له من المعجزة القاطعة على ان الآتي اليه بهذا الوحي ملك من عند الله كما امن الملك به بما ظهر له من المعجزة الدالة على ان الذي اتى به كلام الله امره الله باتزاله فعرفه اشار الى انه اكمل الرسل في هذا الوصف باعتبار ارساله الى جميع الخلايق الذين بعث لهم وانه الجامع لما تفرق فيهم من الكمال وانه المخصوص بما لم يعطه احد منهم من المزايا والافضال بما انزل اليه اي من الله بحاسب بما ذكر وغير ذلك مما امر بتبليغه ومما اختص هو به ورغب في الايمان بما امن به بقوله من ربه اي المحسن اليه بجليل التربية المزكي له بجميل التزكية فهو لا ينزل اليه الا ما هو غاية في الخير وضده ما حصل له في دنياه من المشقة قال الحرالي فقيل الرسول هذا الخطاب الاول العاجل الميسر ليستوي في امره منه وحظه في دنياه قال صلى الله عليه وسلم لما قالت له فاطمة رضي الله عنها عند موته واكرباه لا كرب على ابيك بعد اليوم وقال صلى الله عليه وسلم اي فيما رواه ابو نعيم في الحلية عن انس رضي الله عنه ما اوذي احد في الله ما اوذيت فنال حظه من حكمة ربه في دنياه

الاولى

حتى كان يوعك كما يوعك عشر رجال وما شبع من خبز بر ثلاثا تباعا حتى لقي الله وكذلك المؤمن لا راحة له دون لقاء ربه
ولا سجن عليه بعذر وجه من دنياه الحمى حظ كل مؤمن من النار ولما اخبر عن الرأس اخبر عمن يليه فقال والمؤمنون
معبرا بالوصف الدال على الرسوخ اي امنوا بما ظهر لهم من المعجزة التي اثبت انه كلام الله بما دلت على ان الآتي به رسول الله ؟
ولما اجمل فصل فقال مبتدءا كل اي منهم قال الحرالي تجمعهم في كلية كان قلوبهم قلب واحد لم يختلفوا الا ان القبول واحد
والرد يقع مختلفا انتهى ثم اخبر عن ذلك المبتدا بقوله ؟ امن بالله اي لما يستحقه من ذلك لذاته لما له من الاحاطة بالكمال وملائكته
لان الايمان بالمنزل يستلزم ذلك وكتبه اي كلها ورسله كلهم من البشر ومن الملائكة فان فيما انزل اليه صلى الله عليه وسلم
الاخبار بذلك قال الحرالي انقياد الامثال من البشر ولما كان في الناس من يؤمن ببعض الانبياء قال موكدا لما افهمته صيغة
الجمع المضاف من الاستغراق ؟ اي قالوا لا نفرق كما فعل اهل الكتاب وعبر بما يشمل الاثنين فما فوقهما فقال بين احد اي واحد
وعين من رسله اي لا نجعل احدا منهم على صفة الفرقة البليغة من صاحبه في ذلك بل نؤمن بكل واحد منهم والذي دل على تقرير
قالوا دون غيرها انه لما اكمل قولهم في القوة النظرية الكفيلة باعتقاد المبدإ اتبعه قولهم في القوة العملية الكائنة في
الوسط عطفا عليها وقالوا سمعنا اي بآذان غفرلنا كل ما يمكن ان تسمع عنك وعلمناه واذعنا له واطعنا اي لكل ما فيه من
امرك قال الحرالي فشاركوا اهل الكتاب في طليعة الاباء وخالفوهم في معالجة التوبة والاقرار بالسمع والطاعة فكان لهؤلاء ما
للتائب وعلى اولئك ما على المصر انتهى ولما كان الانسان محل الزلل والنقصان اشاروا الى ذلك تواضعا منهم كما هو الاولى
بهم لمقام الالوهية فقالوا واضعين طاعتهم معترفين بالمعاد غفرانك اي اغفرلنا او نسألك غفرانك الذي تليق اضافته اليك
لما له من الكمال والشرف والجلال ما قصر ما فيه ولا تواخذنا به فانك ان فعلت ذلك هلكنا والحاصل انهم طلبوا ان يعاملهم
بما هو اهله لا بما هم اهله بما جرام عليه في قوله ؟ فيغفر لمن يشاء قال الحرالي في هذا القول من الرسول كشف عيان ومن المؤمنين
نشر ايمان ومن القائلين للسمع والطاعة قول اذعان فهو شامل للجميع كل على رتبته انتهى وزادوا تملقا بقولهم ربنا اذكرين
وصف الاحسان في مقام طلب الغفران قال الحرالي وهو خطاب قرب من حيث لم يظهر فيه اداة نداء ولم يجر الله على السنة
المؤمنين في كتابه العزيز ندآء مجردا قط والغفران فعلان صيغة مبالغة معطى المحل ليكون غفر الظاهر والباطن وهو مصدر
بحيط المعنى نازل منزلة الاستغفار الجامع لما احاط به الظاهر والباطن مما اودعته الانفس التي هي مظهر حكمة الله التي وقع
فيها مجموع الغفران والعذاب فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ففي ضمنه بشرى بتعيين القائلين المذعنين ومن تبعهم بالقول
لحال المغفرة لان هذه الخواتيم مقبولة من العبد بمنزلة الفاتحة لاجتماعهما بكونهما من الكنز الذي تحت العرش وعلى ما ورد
من قوله ؟ حمدني عبدي الى ان قال ولعبدي ما سأل وعلى ما ورد في دعاء هذا الختم في قوله ؟ قد فعلت قد فعلت وبما
ابتدأ تعالى به آية هذا الكتاب وختمها به من سلب الامر اولا وسلب القدرة عما سواه آخرا فكان في الابتداء والختم اقامة عذر
القائلين فوجب لهم تحقق الغفران كما كان لابيهم آدم حيث تلقى الكلمات من ربه انتهى ولما كان التقدير بما ارشد اليه ربنا فانه
منك مبدأ وانا عطف عليه قوله ؟ خطأ على الاجتهاد في كل ما امر به ونهى عنه على وجه الاخلاص واليك اي لا الى غيرك المصير
اي مطلقا لنا ولغيرنا وقال ابن الزبير ولما بين سبحانه ان الكتاب هو الصراط المستقيم ذكر افتراق الامم كما شاء واحوال
الزائغين والمتنكبين تحذيرا من حالهم ونهيا عن مرتكبهم وحصل قبيل الترك بجملته واختصار التاركين واعقب بذكرهم
ملتزمات المتقين وما ينبغي لهم امتثاله والاخذ به من الاوامر والاحكام والحدود واعقب ذلك بان المرء يجب ان ينطوي
على ذلك ويسلم الامر لما كلفه فقال تعالى آمن الرسول بما انزل اليه فاعلم ان هذا ايمان الرسول ومن كان معه على ايمانه
وانهم قالوا سمعنا واطعنا لا كقول بني اسرائيل سمعنا وعصينا وانه اثابهم على ايمانهم رفع الاصر والمشقة والمؤاخذة
بالخطأ والنسيان فقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها فحصل من هذه السورة باسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال
اخذا وتركا وبيان شرف من اخذ به وسوء حال من تنكب عنه وكان العباد لما علموا اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة
قيل لهم عليكم بالكتاب اجابة لسوالهم ثم بين لهم حال من سلك ما طلبوا فكان قد قيل لهم اهدوا الصراط المستقيم وما كونوه
هم الذين من شأنهم وامرهم والمغضوب عليهم من المتنكبين هم اليهود الذين بين امرهم وشأنهم والضالون هم النصارى الذين
من امرهم وشأنهم فيجب على من رغب في سلوك الصراط المستقيم ان يحذر ما اصاب هؤلاء ما نبه عليه وان يأخذ نفسه
بكذا وكذا وان لا ينسحب ايمانه على كل ذلك وان يسلم الامر لله يطلب منه الهداية ويتضرع اليه بان لا يؤاخذه بما يثمره
الخطأ والنسيان وان لا يحمله ما ليس في وسعه وان يعفو عنه الى آخر السوال انتهى ولما منوا بالايمان في سؤال
الغفران عللوا السوال بقولهم لا يكلف الله اي الملك الاعظم الاكرم الذي له جميع صفات الكمال نفسا الا وسعها اي ما
تسعه وتطيقه ولا يعجز عنه وذلك هو الممكن لذاته الذي تعلق اختيار العبد بفعله ولم يخبر الله تعالى بانه لا يقع محال
لذاته ولا الممكن لذاته سواء كان مما لا يدخل للانسان في اختيار كالنوم او كان له مدخل فيه وقد تعلق العلم الازلي بعدم
وقوعه واخبر تعالى بعدم وقوعه معينا لصاحبه فهذا لا يقع التكليف به ويجوز التكليف به وهذا الكلام من جملة
دعائهم على وجه الثناء طلب للوفاء بما اخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم سبحانه من ذلك خوفا من ان يكلفوا
بما لا تعالى كما دلت عليه الآية وقول المؤمنين عند نزولها وجواب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكلف به من المؤاخذة
بالوساوس التي لا يقع العزم عليها لانه مما تخفيه النفوس ولا طاقة على دفعه فهو من باب ○ ه

• اذا اثنى عليك المرء يوما • كفاه من تعرضه الثناء • ولعل العدول عن الخطاب الى الغيبة بذكر الاسم الاعظم من باب
التملق بان له من صفات العظمة ما يقتضي العفو عن ضعفهم ومن صفات الحكم والرحمة والرافة ما يوفه عنهم ويحتمل ان يكون ذلك
من قول الله تعالى جزاء لهم على قولهم سمعنا واطعنا الاية فافادهم بذلك انه لا يحاسبهم بحديث النفس الذي لا عزم فيه فانتفى
ما شق عليهم من قوله وان تبدوا ما في انفسكم الاية بخلاف ما افاد بني اسرايل قولهم سمعنا وعصينا من الاوصاف في الدنيا
والاخرة فيكون حينئذ استينافا جوابا لمن كانه قال هل اجاب دعاهم ويكون شرح قوله اول السورة اولئك على هدى
من ربهم ويؤيد هذا الاحتمال اتباعه لحكم ما في الوسع على طريق الاستيناف او الاستنتاج بقوله لها اي خاصا بها ما
كسبت وذكر الفعل مجردا في الخير ايما الى انه يكفي في الاعتداد به مجرد وقوعه ولو مع الكسل بل ومجرد نيته قال الحرالي
وصيغة فعل مجرده تعرب عن ادنى الكسب فلذلك من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة انتهى وعليها اي بخصوصها ما
اكتسبت فشرط في الشر صيغة الافتعال الدالة على الاعتمال اشارة الى ان من طبع النفس الميل الى الهوى بكليتها والى ان
الاسم لا يكتب الا مع التصميم والعزم القوي الذي ان كان عنه عمل ظاهر كان بجد ونشاط ورغبة وانبساط فلذلك من هم
بسببه فلم يعملها لم تكتب عليه وربما جاءت العبارة بخلاف ذلك لمعنى في ذلك السياق اقتضاه المقام ولما بشرهم بذلك
عرفهم مواقع نعمه في دعاء ربته على الاخف فالاخف على سبيل التعلي اعلاما بانه لم يؤاخذهم بما اجترحوه نسايا ولا بما قارفوه
خطا ولا حمل عليهم ثقلا بل جعل شريعتهم حنيفية سمحا ولا حملها فوق طاقتهم مع ان له جميع ذلك وانه عفا عن عقابهم ثم
ستر هم فلم يخجلهم بذكر سياتهم ثم رحمهم بان اجلهم محل القرب فجعلهم اهلا للخلافة فلاح بذلك انه يعلي امرهم على كل امر ويظهر
دينهم على كل دين اذ كان سبحانه هو الداعي عنهم وليكون الدعاء كله محمولا على الاصابة ومشمولا بالاجابة فقال تعالى ربنا
لا تؤاخذنا اي لا تفعل معنا فعل من يناظر خصما فهو يناقشه على كل صغير وكبير ان نسينا اي ففعلنا ما نهيتنا عنه او
اخطانا اي فعلناه ذاكرين له لكنا لم نتعمد سوءا قال الحرالي والخطا هو الزلل عن الحد عن غير تعمد بل مع عزم الاصابة
او ود ان لا يخطي وفي اجرائه من كلام الله على لسان عباده قبوله انتهى واعادة ربنا في صدر كل جملة من هذا الطراز
تقدمت الاشارة اليه في التذكير بعظم القيام في حسن التربية ولطيف الاحسان والرافة ولما كان ذلك قد يكون فان
له ان يكلف بما يشاء مع تحميل ما تعظم مشقته من التكاليف لانه لا يسئل عما يفعل قال ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي ثقلا
وقال الحرالي هو العهد الثقيل الذي في تحمله اشد المشقة انتهى ثم عظم المنة بقوله كما حملته على الذين من قبلنا اشارة
الى انه كان حمل على من سبق من الاحكام ما يسد الاركان تاكيدا لما يحمل على الشكر على تخفيف ذلك عنا واصل الامر العاطف
اصره الشي ياصره عطفه ويلزمه الثقل لان الغصن اذا اثقل مال وانعطف وهو المقصود هنا وتلك الاصار المشار
اليها كثيرة جدا منها ما في السفر الثاني من التورية في القربان انه ينضح من دم الذبيحة على ذوايا المذبح ثم قال
ومن تقرب بذبح ثورا وغيره في مكان غير باب قبة الزمان بيت الرب يعاقب ذلك الرجل عقوبة من قتل قتيلا لانه
سفك دما ويهلك ذلك الرجل من شعبه ومن اكل دما نزل به الغضب وهلك لان انفس البهايم هي الدم وانما امروا ان
يقربوه على المذبح لغفران خطاياهم وتطهير انفسهم لانه انما يغفر للنفس بالدم ومن قرب قربانا اكل منه يوم ذبحه وثانيه
وما بقي في الثالث احرق بالنار ومن اكل منه هلك من شعبه ومن ذلك في ذوي العاهات ان من برص من الادميين يجلس
وحده ولا يختلط مع الناس ويكون سكنه خارجا من محلة بني اسرايل حتى تذكر البرص في الثياب والبيوت وغيرها فما برص
من الثياب والجلود يقطع موضع البرص منه فان ظهر فيه بعد القطع احرق بالنار وان ظهر في بيت برص يهدم ويجمع
حجارته وخشبه وترابه خارجا من القرية ويحرق بالنار وكذا مرض السلس فيه تشديدات كثيرة منها ان من جلس
على ثوب عليه مسلوس يغسل ثيابه ويستحم بالماء ويكون نجسا الى الليل ونحو هذا ثم قال وكلم الرب موسى وقال له
هذه سنة الابرص الذي يتطهر يقدم الى الكاهن ويخرجه خارجا من العسكر وينظر الحبر ان كانت ضربة الارض قد برات
وتطهر منها يامر الحبر به فيقدم وياتي بعصفورين حيين زكيين وعود من خشب الارز وعهنه حمرا وعدا شيا اخرى
وقربانا على كيفية مخصوصة صعبة على عين ماء ويغسل ثيابه وبدنه ويحلق شعر راسه ولحيته وحاجبيه وكل
شعر جسده وانه يمكث خارجا من بيته وشعبه ايام وفي اليوم الثامن ياتي بقربان اخر فيقرب على كيفية مخصوصة
وينضح الكاهن بين دمه على اشياء من بدن هذا الذي تطهر من البرص وكذا من زيت قربانه ويصب بقيته على راسه
وكذا في مرض السلس اذا برا المسلوس يمكث في شعبه ايام ثم يتطهر ويغسل ثيابه ويقرب قربانا في باب قبة الزمان
وقال واتي برجل امذى او خرج منه منيه يغسل جسده كله بالماء ويكون نجسا الى الليل واي ثوب او فراش وقعت
عليه جنابة يغسل بالماء ويكون نجسا الى الليل ومن دنى من الحايض يكون نجسا الى الليل واي ثوب رقدت عليه وهي
حايض كان نجسا ومن دنى من فراشها يغسل ثيابه ويستحم بالماء ويكون نجسا الى الليل وكذا المستحاضة وفيه ايضا
وكلم الرب موسى وقال له كلم بني اسرايل وقل لهم المراة اذا حبلت وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة ايام كما تكون في
ايام حيضها وفي اليوم الثامن يختن الصبي وتكون نجسة وتجلس مكانها ثلاثة وثلثين يوما لا تدنوا من شي مقدس
ولا تدخل بيت الله لان الصلوة محرمة عليها حتى تتم ايام تطهيرها فان ولدت جارية تكون مثل نجاستها في ايام حيضها
اربعة عشر يوما وتجلس مكانها على الدم الزكي ستة وستين يوما فاذا كملت ايام تطهيرها ابنا ولدت او بنتا تجي بحمل حول

فذكر

فذكر قربانا في قبه الزمان على يدي الكاهن لتطهر مما كان يجري منها من الدم ومن الاصابر ما في السفر الثاني ايضا من انهم
اذا حصدوا ارضا او قطعوا كرما حرم عليهم الاستقصاء وامروا ان يتركوا للمساكين ثم قال ولا تلتقطوا ما ينتثر من
زيتونكم بل دعوه للمساكين والذين يقبلون الي كاني انا الله ربكم ثم قال فاذا دخلتم وغرستم فيها كل شجر تثمر ثمارا تؤكل فدعوها
ثلاث سنين ولا تاكلوا من ثمارها فاذا كان في السنة الرابعة صير واجمع ثمار شجركم حرمة للرب ومجدا لاكرامه وفي السنة
الخامسة كلوا ثمارها فانها تنموا وتزداد كم غلاتها انا الله ربكم وقال في اواخر السفر الخامس وهو آخر اسفارها لا
تحيفوا على المسكين واليتيم والساكن بينكم في القضاء ولا تاخذوا ثوب الارملة رهنا واذكروا انكم كنتم عبيدا بارض مصر
وانقذكم الرب من هناك لذلك امركم واقول لكم انه واجب عليكم ان تفعلوا مثل هذا الفعل واذا حصدتم حقل ارضكم ونسيتم
حزمة لا ترجعوا في طلب اخذها بل يكون للساكن واليتيم والارملة ليبارك الله ربكم اعمال ايديكم واذا انثرتم زيتونكم فلا
تطلبوا ما نسيتم في حقلكم بل يكون لليتيم والساكن والارملة واذا قطعتم كرومكم لا تستقصوا ما فيها بل دعوا فيها ما يعيش
به الساكن واليتيم والارملة واذكروا انكم كنتم عبيدا بارض مصر لذلك امركم ان تفعلوا هذا الفعل واما ما على النصارى
من ذلك فسيأتي كثير امنه ان شاء الله تعالى في المايدة عند قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ولما دعوا
بما تضمن الايمان بما نزل اليهم مما حمل من قبلهم من النقل اتبعوه مايد لعلي اعتقادهم ان ذلك عدل عنه سبحانه في القضاء
وانه له ان يفعل فوق ذلك فيكلف بما ليس في الوسع لانه المالك التام الملك والملك المنفرد بالملك وسالوا التخفيف
برفع ذلك فقالوا ربنا ولا وعبروا بالتقليل لما فيه بما يفهم من العلاج من مناسبة التكليف بما لا يطاق فقال
تحملنا ما لا طاقة اي قدرة لنا به ولما كان الانسان قد يتعمد الذنب لشهوة تدعوه اليه وغرض يحمله عليه اتبعوا ذلك
دعاء عاما فقالوا واعف عنا اي ارفع عنا عقاب الذنوب كلها واغفر لنا اي ولا تذكرها لنا اصلا فالاول العفو عن
عقاب الجسم والثاني العفو عن عذاب الروح وقال الحرالي ولما كان قد يلحق من يعفى عنه و يغفر له قصور في الرتبة
عن منال الحظ من الرحمة الحق تعالى المعفو عنه المغفور له بالمرحوم ابتدا بقوله وارحمنا اي حتى يستوي المذنب
التايب والذي لم يذنب قط في منال الرحمة ولما ضاعف لهم تعالى رتبة عفوه ومغفرته ورحمته انهاهم بذلك
الى محل الخلافة العاصمة لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم فلما صاروا خلفا تحقق منهم الجهاد لاعداء الله والقيام
بامر الله ومنابذة من تولى غير الله فتحقق انه لا بد ان يثاقفهم اعداء وينابذوهم فعلمهم الذي رحمهم سبحانه اسناد
امرهم بالولاية اليه تعالى فقال عنهم انت مولانا والمولى هو الولي اللازم الولاية القائم بها الدائم عليها لمن تولاه باسناد
امره اليه فيما ليس هو مستطيع له انتهى بالمعنى وكان حقيقته القائم على ثمرة الولاية وهي القرب والاقبال وذلك
انهم لما سالوا العفو عن عذاب الجسم والروح سالوا ثوابها فثواب الجسم الجنة وثواب الروح لذة الشهود وذلك ثمرة
الولاية وهي الاقبال على المولى بالكلية ثم جعل ختام توجه المومن الى ربهم الدعاء بثمرة الولاية فقال فانصرنا
بالسان والسنان واشار الى قول المخالفين حشا على تصحيح الالتجاء والصدق في الرغبة بقوله على القوم واشار
الى ان الادلة عليه سبحانه في غاية الظهور لكل عاقل بقوله الكافرين اي الساترين الادلة الدالة لهم على ربهم
المذكورين اول السورة فتضمن ذلك وجوب قتالهم وانهم اعدا الاعداء وان قوله لا اكراه في الدين ليس ناهيا عن
ذلك وانما هو اشارة الى ان الدين صار في الوضوح الى حد لا يتصور فيه اكراه بل ينبغي لكل عاقل ان يدخل فيه بنباهة
الرغبة فضلا عن الاحواج الى اوهاب فمن نصح نفسه دخل فيه بما دله عليه عقله ومن ابى دخل فيه قهرا بصيحة
الله التي هي الضرب بالحسام ونافذ السهام ولما كان الختم بذلك مشيرا الى انه تعالى لما ضاعف لهم عفوه عن الذنب
فلا يعاقب عليه ومغفرته له بحيث يجعله كان لم يكن فلا يذكره اصلا ولا يعاقب عليه ورحمته في ايصال المذنب المعفو
عنه المغفور له الى المنازل العالية انهاهم الى رتبة الخلافة في القيام بامره والجهاد لاعدائه وان جل امرهم واعيى
حصرهم كان منبها على ان بداية هذه السورة هداية وخاتمتها خلافة فاستوفت تبيين امر النبوة الى حد ظهور الخلافة
فكانت سناما للقران وكان جماع ما في القران منضما الى معانيها المساوية لسائر القران الى سورة الفاتحة فتكون اما بحيث
افاد ذلك الاستاذ ابو الحسن الحرالي وقد بان بذكر المنزل والايمان به والنصرة على الكفار بعد تفصيل امر النفقة
والمال الذي ينفق منه وتسطيرها على مطلقها واخرها على ولها ومن الجوامع العظيمة في امرها وشمول معناها
المبين لعلو قدرها ما قال الحرالي انه لما كان منزل هذا القران المختص بخاتم النبيين منزلا حروفا محيطة
المعاني مخاطبا به النبي والامة وتفصيل ايات مخاطبا به عامة الامة انتظمت هذه السورة صنعي الخطابين
فافتتحت بالم حروفا منبئة عن احاطة بما تضمنته معانيها من احاطة القايم من معنى الالف واحاطة المقام
من معنى الميم واحاطة الوصلة من معنى اللام ولما كانت الاحاطة في ثلاث رتب احاطة الهية قيومية واحاطة
كتابية واحاطة تفصيلية كانت الاحاطة الخاصة بهذه الاحرف التي افتتحت بها هذه السورة احاطة كتابية
متوسطة فوقع الافتتاح فيما وقع عليه امر القران في تلاوته في الارض بالرتبة المتوسطة من حيث هي اقرب
للطريق وايسر للاطلاع على الاعلى والقيام بالادنى فكان ما كان في القران من الم تلك ايات الكتاب الحكيم ونحو
تفصيل احاطة من احاطة الكتاب التي انزلت فيها سورة البقرة فكانت مشتملة على احاطة الكتب الاربعة ○

الارض ؟

في جميع ؟

ارضا حصدتم ؟ ارضكم ؟ ارضكم ؟

كتاب التقرير الذي كتبه الله قبل ان يخلق الخلايق بما شا الله من امد وعدد ورد ان الله كتب الكتاب وقضى القضية وعرشه
على الما وان الله تعالى قدر مقادير الخلايق قبل ان يخلقهم بخمسين الف عام وانه قدر الارزاق قبل ان يخلق الصور بالفي عام وكثير
من ذلك مما ورد في الاخبار وفي مقابلة هذا الكتاب السابق بالتقدير الكتاب اللاحق بالجزا الذي كتبه الله ويكتبه اثر تمام
الابدا باستيفا الاعمال البادية على ايدي الخلق الذين ينالهم النعيم والجحيم والامن والورع والكشف والحجاب وهذا الكتاب
الاخر مطابق للكتاب الاول وبين تطرفهما كتاب الاحكام المتضمن لامر الدين والدعوة الذي وقعت فيه الهداية والفتنة ثم
كتاب الاعمال الذي كتبه الله في ذوات المكلفين من افعالهم واحوال انفسهم وما كتب في قلوبهم من ايمان او طبع عليها او ختم عليها
بفجور او طغيان فتطابقت الاوايل والاواخر واختلف كتاب الاحكام وكتاب الاعمال بما ابداه الله من ورا حجاب من معنى الهدى
والفتنة والاقدام والاحجام فتضمنت سورة البقرة احاطات جميع هذه الكتب فاستوفت كتاب الاقدار بما في صدرها من
تبيين امر المومنين والكافرين والمنافقين وكتاب الافعال كما ذكر تعالى امر الختم على الكافرين والمرض في قلوب المنافقين وما
تفصل في جميع السورة من احكام الدين وما يذكر معها مما يناسبها من الجزا من ابتدا الايمان الى غاية الايقان الذي انتهى اليه
معنى السورة فيما بين الحق والخلق من امر الدين وفيما بين الخلق والخلق من المعاملات والمعاونات وفيما بين المرء ونفسه
من الايمان والعهود الى حد ختمها بما يكون من الحق للخلق في استخلاف الخلفا الذين ختم بذكرهم هذه السورة الذين قالوا غفرانك
ربنا الى انتهايها ولما كان مقصود هذه السورة الاحاطة الكتابية كان ذلك افصاحها ومعظم اياتها وكانت الاحاطة
الالهية القيومية الاحتها ونور اياتها فكان ذلك في اية الكرسي تصريحا وفي ساير ايها الاحة بحسب قرب الاحاطة الكتابية
من الاحاطة الالهية وفي بدء سابق او ختم لاحق او حكمة جامعة فلذلك انتظم بالسورة التي ذكرت فيها البقرة السورة التي
يذكر فيها ال عمران لما انزل في سورة ال عمران من الاحاطة الالهية حتى كان في مفتتحها اسم الله الاعظم فكان ما في البقرة
افصاحا في سورة ال عمران الاحة وكان ما في البقرة الاحة في سورة ال عمران افصاحا الا ما اطلع في كل واحدة منهما من تصريح
الاخرى فلذلك هما سورتان مرتبطان وغايتان وغمامتان تظلان صاحبهما يوم القيمة وبما هما من الذكر الاول وبينهما من
ظاهر التفاوت ما بين الاحاطة الكتابية وبين الاحاطة الالهية فلذلك كانت سورة البقرة سناما له والسنام اعلى ما في الحيوان
المنكب واجمله جملة وهو البعير وكانت سورة ال عمران تاج القران والتاج هو اعلى ما في اعلى المخلوقات من الخلق القايم
المستخلف في الارض وفي جميع المكون احاطته فوقع انتظام هاتين السورتين على نحو من انتظام الاي يتصل الافصاح في الاية
بالاحة سابقتها كما تقدم التنبيه عليه في مواضع انتهى وسر ترتيب سورة النسا على هذا النظام انه لما افتتحها سبحانه
بتصنيف الناس الذين هم للدين كالقوايم الحاملة لذي السنام فانتظم وقام ابتدا المقصود بذكر اقرب السنام الى افهام اهل
القيام فقال مخاطبا لجميع الاصناف التي قدمها يا ايها الناس اعبدوا ربكم واستمر الى ان بان الامر غاية البيان فاخذ يذكر منه
سبحانه على الناس المامورين بالعبادة بما انعم عليهم من خلق جميع ما في الوجود لهم بما اكرم به اباهم ادم عليه السلام ثم
خص العرب ومن تبعهم ببيان المنة عليهم في مجادلة بني اسرايل وتبكيتهم وهو سبحانه يوكد كل قليل امر الربوبية والتوحد
بالعبادة من غير ذكر شي من الاحكام الى ما انسلخ منه بنوا اسرايل فذكره على وجه الامتنان به على العرب وتبكيت بني اسرايل
بتركه لا على انه مقصود بالذات فلما تركوا فترقوا فتاهلوا لانواع المعارف قال معليا لهم من مصاعد الربوبية الى معارج
الالهية والهكم اله واحد لا اله الا هو فكما سينموا هذا الشرف لقنهم العبادات المزكية ولقاهم ارواحها المصفية
فذكر امهات الاعمال اصولا وفروعا الدعايم الخمس والحظيرة وما تبع ذلك من الحدود في الماكل والمشارب والمناكح وغير ذلك
من المصالح فيهيوا بها للواردات الغر من ذي الجلال فقال مرقيا لهم الى غيب حضرته السما ذاكرا مسمى جميع الاسما
الله لا اله الا هو الحي القيوم ولما كان الواصل الى اعلى مقام الحرية لا بد عند مقام الحرية لا بد عند القوم من رجوعه الى
رتبة العبودية ذكر لهم بعض الاعمال اللايقة بهم فحث على اشيا اكثرها من وادي الاحسان الذي هو مقام اولي العرفان
فذكر مثل النفقة التي هي احد مباني السورة عقب ما ذكر مقام الطمانينة ايذانا بان ذلك شان المطمين ورغب فيها اشارة
الى انه لا مطمع في الوصول الا بالانسلاخ من الدنيا كلها واكثر من الحث على طيب المطعم الذي لا بقا لحال من الاحوال بدونه
ونهى عن الربا اشد نهي اشارة الى التقنع باقل الكفاف ونهيا عن مطلق الزيادة للخواص وعن كل حرام للعوام وارشد الى
اداب الدين الموجب للثقة بما عند الله المقتضي لصدق التوكل المثمر للعون من الله وللاشارة الى ذلك توفي النبي صلى الله
عليه وسلم وهو متلبس به وبنى سبحانه كل ثلاث من هذه الاثلاث على مقدمة في تثبيت امره وتوجه بخاتمة في التحذير
من التهاون به وزاد الثالث لكونه الختام وبه بركة التمام ان اكد عليهم بعد خاتمته في الايمان بجميع ما في السورة وختم
بالاشارة الى ان عمدة ذلك الجهاد لذوي الغنى والاعتماد فيه على مالك الملك وملك العباد وذلك هو طريق اهل الرشاد والهداية
والسداد والله الموفق والهادي للصواب واليه المرجع والماب والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

سورة ال عمران مايتا اية وهي مدنية

بسم الله الواحد المتفرد بالاحاطة بالكمال الرحمن الذي وسعت رحمته ايجاده كل مخلوق واوضح للمكلفين طريق
النجاة الرحيم الذي اختار اهل الايمان لمحل انسه وموطن جمعه وقدسه الم المقاصد الذي سبقت لها هذه السورة

اثبات

اثبات الوحدانية لله تعالى والاخبار بان رياسة الدنيا بالاموال والاولاد وغيرهما مما اثره الكفار على الاسلام غير
مغنية عنهم شيا في الدنيا ولا في الاخرة وان ما اعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الاقبال عليه والمسارعة
اليه وفي وصف المتقين بالايمان والدعاء والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار ما ينعطف اليه كثيرا من
افانين اساليب هذه السورة هذا ما كان ظهر لي اولا واحسن منه ان يخص المقصد الاول وهو التوحيد بالقصد فيها فان الامرين
الاخرين يرجعان اليه وذلك لان الوصف بالقيومية تقتضي القيام بالاستقامة فالقيام يكون على كل نفس والاستقامة
العدل كما قال قايما بالقسط اي بعقاب العاصي وثواب الطايع بما يقتضي للموفق ترك العصيان ولزوم الطاعة وهذا
الوجه اوفق للترتيب لان الفاتحة لما كانت جامعة للدين اجمالا جاء ما به التفصيل محاذيا لذلك فابتدي بسورة الكتاب
المحيط بامر الدين ثم بسورة التوحيد الذي هو سر حرف الحمد اول حروف الفاتحة لان التوحيد هو الاس الذي لا يقوم بنا
الا عليه ولما صح الطريق وثبت الاساس جاءت التي بعدها داعية الى الاجتماع على ذلك وايضا فلما ثبت بالبقرة امر الكتاب
في انه هدى وقامت به دعايم الاسلام الخمس جاءت هذه لاثبات الدعوة الجامعة في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم
فاثبتت الوحدانية له سبحانه بابطال الهية غيره باثبات ان عيسى عليه السلام الذي كان يحيي الموتى عبده فغيره بطريق
الاولى فلما ثبت ان الكل عبيده دعت سورة النساء الى اقبالهم اليه واجتماعهم عليه ومما يدل على ان القصد بها هو التوحيد
تسميتها بآل عمران فانه لم يعرب عنه في هذه السورة ما اعرب عنه ما ساقه سبحانه فيها من اخبارهم بما فيها من الادلة
على القدرة التامة الموجبة للتوحيد الذي ليس في درج الايمان اعلى منه فهو التاج الذي خاصة الملك المحسوسة كما ان
التوحيد خاصة المعقولة والتوحيد موجبة لزهارة التجلي به فلذلك سميت الزهرا المقصد الاول التوحيد ومناسبة
هذا الاول بالابتدا به لاخر ما قبلها انه لما كان آخر البقرة في الحقيقة اية الكرسي وما بعدها انما هو بيان لانها اوضحت
امر الدين بحيث لم يبق وراها مرمى لمنعت او تعجيب من حال في الالهية او استبعد شيا من القدرة ولم ينظر فيما تضمنته
هذه الاية من الادلة مع وضوحه او اشارة الى الاستدلال على البعث بامر السنابل في قالب الارشاد الى ما ينفع في اليوم الذي
نفي فيه نفع البيع والخلة والشفاعة من النفقات وبيان بعض ما يتعلق بذلك وتقرير امر ملكه لما منه الانفاق من السموات
والارض والاخبار بايمان الرسول واتباعه بذلك وبانهم لا يفرقون بين احد من الرسل المشار اليهم في السورة وبصدقهم
في التضرع برفع الاثقال التي كانت على من قبلهم من بني اسرايل وغيرهم وبالنصرة على عامة الكافرين لما كان ذلك على هذا
الوجه ناسب هذا الاختتام غاية المناسبة ابتداء هذه السورة بالذي وقع الايمان به سبحانه وتعالى ووجهت الرغبات
اخر تلك اليه واحسن منه انه لما انزل الينا كتابه فجمع مقاصده في الفاتحة على وجه ارشد فيه الى سوال الهداية ثم شرع
في تفصيل ما جمعه في الفاتحة فارشد في اول البقرة الى ان الهداية في هذا الكتاب وبين ذلك بحقية المعنى والنظم كما تقدم
الى ان ختم البقرة بالاخبار عن خلص عباده بالايمان بالمنزل وبالسمع والطاعة وافهم ذلك مع التوجه بالدعاء الى المنزل له
ان له سبحانه كل شي وبيده النصر علم انه واحد لا شريك له حي لا يموت وقيوم لا يعقل وانما انزل هو الحق فصرح اول هذه بما
افهمه آخر تلك كما يصرح بالنتيجة بعد المقدمات المنتجة فقال الله اي الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه لان له الاحاطة
بجميع اوصاف الكمال والنزاهة الكاملة من كل شائبة نقص وقال الحرالي مشيرا الى القول الصحيح في ترتيب السور من انه باجتهاد
الصحابة رضوان الله عليهم اقرار الله سبحانه لهذا الانتظام والترتيب السوري في مقرر هذا الكتاب هو ما رضيه الله تعالى
فاقره فلما كانت سورة الفاتحة جامعة لكلية امر الله فيما يرجع اليه وفيما يرجع الى عبده وفيما بينه وبين عبده فكانت ام
القرآن وام الكتاب جعل مثنى تفصيل ما يرجع منها الى الكتاب المنبا عن موقعه في الفاتحة مضمنا سورة البقرة الا ما اعلن به
لالا نورانية الكرسي فيها وكان منزل هذه السورة من مثنى تفصيل ما يرجع الى خاص علن الله في الفاتحة فكان منزلة سورة
آل عمران منزلة تاج الراكب وكان منزلة سورة البقرة منزلة سنام المطية قال صلى الله عليه وسلم لكل شي سنام
وسنام القرآن سورة البقرة ولكل شي تاج وتاج القرآن سورة آل عمران وانما بدي هذا الترتيب بسورة الكتاب
لان علم الكتاب اقرب الى المخاطبين من تلقي علن امر الله فكان في تعلم سورة البقرة والعمل بها تهيا لتلقي ما تضمنته سورة
آل عمران ليقع التدريج والتدرب بتلقي الكتاب حفظا وبتلقيه علما للقن منزل الكتاب بما ابدا علنه في هذه السورة
وبذلك يتضح ان احاطة الم المنزلة في اول سورة البقرة احاطة كتابيه لما هو قيامه وتمامه ووصلة ما بين قيامه وتمامه
وان احاطة الم المنزلة في اول هذه السورة احاطة الهية حيايية قيومية مما بين عيب عظمة اسمه الله الى تمام قيوميته
البادية في تبارك ما انبا عنه اسمه الحي القيوم وما اوصله لطفه من مضمون توحيده المنهي عنه كلمة الاخلاص في قوله
لا اله الا هو فلذلك كان هذا المجموع في منزله قرانا حرفيا وقرانا كلميا اسبابيا وقرانا كلاميا تفصيليا مما هو اسمه الاعظم
كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الم الله
لا اله الا هو الحي القيوم وكما وقعت الاحة في سورة البقرة لما وقع به الافصاح في سورة آل عمران كذلك وقع في آل عمران
من نحو ما وقع تفصيله في سورة البقرة ليصيرا منزلا واحدا بما افصح مضمون كل سورة بالاحة الاخرى فلذلك هما عمامتان
وغيايتان على قاريهما يوم القيامة كما تقدم لا يفترقان فاعظم الم هو مضمون الم الذي افتتحت به هذه السورة ويليه في
الرتبة ما افتتحت به سورة البقرة ويليه في الرتبة ما افتتحت به سورة الايات نحو قوله تعالى الم تلك ايات الكتاب الحكيم

والنزاهة

فللكتاب الحكيم احاطة قواما وتماما ووصلة ولمطلق الكتاب احاطة كذلك واحاطة الاحاطات واعظم العظمة احاطة افتتاح
هذه السورة وكذلك ايضا اللواميم محيطة باحاطة الطواسيم لما تتخصص به معاني حروفها من دون احاطات حروف اللواميم
واحاطة الحواميم من دون احاطة الطواسيم لما تتخصص به معاني حروفها من دون احاطات حروف الطواسيم على ما يتضح تراسه
وعلمه لمن اتاه الله فهما بمنزلة قران الحروف المخصوص بانزاله هذه الامة دون ساير الامم الذي هو من العلم الالهي العلوي ثم قال
ولما كانت اعظم الاحاطات احاطة عظمة اسمه الله الذي هو مسمى التسعة والتسعين اسما التي اولها اله كان ما افهمه لاولي الفهم
هنا اسم الله بناء في معنى احاطات الحروف عن نحو احاطة اسمه الله في الاسماء فكانت هذه الالف مسمى كل الف كما كان اسم الله مسمى
كل اسم سواه حتى انه مسمى ساير الاسماء الاعجمية التي هي اسماؤه في جميع الالسن كلها مع اسماء العربية اسماء لمسمى هو هذا الاسم
العظيم الذي هو الله الاحد الذي لم يتطرق اليه شرك كما تطرق لاسمائه من اسمه اله الى غاية اسمه الصبور وكما كان احاطة هذا
الالف اعظم احاطة حرفية وساير الالفات اسما لعظيم احاطته كذلك هذه الميم اعظم احاطة ميم تفصلت منه وكانت له اسماء
بمنزلة ما هي ساير الالفات اسماء لمسمى هذا الالف كذلك ساير الميمات اسم لمسمى هذا الميم كما ان اسمه الحي القيوم اعظم تمام كل عظيم
من اسماء عظمته وكذلك هذا اللام بمنزلة الفه وميمه وهي لام الالهية الذي اسراره لطف التنزل الى تمام ميم قيوميته فمن لم
ينته الى فهم معاني الحروف في هذه الفاتحة نزل له الخطاب الى ما هو افصاح احاطتها في الكلم والكلام المنتظم في قوله الله لا
اله الا هو الحي القيوم فهو قران حرفي يفصله قران كلمي يفصله قران كلامي فقوله الله اي الذي آمن به الرسول واتباعه بما له
من الاحاطة بصفات الكمال لا اله الا هو اي متوحد لا كفو له فقد فاز قصدكم اليه بالرغبة وتعويلكم عليه في المسئلة قال
الحرالي فما اعلن به هذا الاسم العظيم اي الله في هذه الفاتحة هو ما استعلن به في قوله تعالى قل هو الله احد ولما كان احاطة
العظمة امرا خاصا لان العظمة ازار الله الذي لا يطلع عليه الا صاحب سر كان البادي لمن دون اهل الفهم من رتبة اهل العلم اسمه
الله الصمد الذي يعني اليه بالحاجات والرغبات المختص بالفوقية والعلو الذي يقال للمومن عنه اين الله فيقول في السماء
الى حد علو ان يقول فوق العرش فلذلك الصمد الذي انبا عنه اسمه اله الذي نزل فيه الزام الاخلاص والتوحيد منذ
عبدت في الارض الاصنام فلذلك نظم توحيد اسمه الاله باحديه مسمى هو من اسمه العظيم الله ورجع عليه بالاسم المضمر الذي
هو في جبلات الانفس وغرايز القلوب الذي تجده غيبا في بواطنها فتقول فيه هو فكان هذا الخطاب مبدوا بالاسم العظيم
المظهر منتهيا الى الاسم المضمر كما كان خطاب قل هو الله احد مبدوا بالاسم المضمر منتهيا الى الاسم العظيم المظهر ولذلك ايضا
اسم الله الاعظم في سورة قل هو الله احد كما هو في هذه الفاتحة ولما كان لبادي الخلق افتقار الى قوام لا يثبت طرفة عين
دون قوامه كان القوام البادي اية هي الحيوة فما حيي ثبت وما مات افنى وهلك انتهى ولما كان المتفرد بالملك من اهل
الدنيا يموت قال الحي اي الحيوة الحقيقية التي لا موت معها ولما كان الحي قد يحتاج في التدبير الى وزير لعجزه عن الكفاية بنفسه
هي جميع الاعمال قال القيوم اعلاما بان به قيام كل شي وهو قايم على كل شي قال الحرالي فكما ان الحيوان بنفخه من روح امره
فكل متماسك على صورته حي بقيوميته انتهى وفي وصفه بذلك اعلام بانه قادر على نصر جنده واعزاز دينه وعون وليه وحث
على مراقبته بجهاد اعدائه ودوام الخضوع لديه والضراعة اليه ولما كان من معنى القيوم انه المدبر للمصالح اتصل به الاعلام
ما يتضمن ذلك وهو الكتاب المذكور في قوله بما انزل اليه من ربه والكتب المذكورة في اول البقرة في قوله بما انزل اليك
وما انزل من قبلك وفي اخرها بقوله وكتبه ورسله التي من جملتها التورية والانجيل اللذان فيهما الاصار المرفوعة عنا
ثم شرح بعده امر التصوير في الاحشاء وذلك لان المصالح قسمان روحانية وجسمانية واشرف المصالح الروحانية العلم
الذي هو للروح كالروح للبدن فانها تصير به مراة مجلوة تتجلى فيها صور الخلايق واشرف المصالح الجسمانية تعديل المزاج
وتسوية البنية في احسن هيئة وقدم الروحانية المتكفل بها الكتاب لانها اشرف ولما كانت مادة كتب دايرة على
معنى الجمع عبر بالتنزيل الذي من معناه التفريق لتشتمل هذه الجملة على وجازتها من امره على اجمال وتفصيل فقال وقال
الحرالي ولما كان احاطة الكتاب اي في البقرة ابتداء واعقبها اي في اول هذه السورة احاطة الالهية جاء هذا الخطاب
ردا عليه فتنزل من الاحاطة الالهية الى الاحاطة الكتابية بالتنزيل الذي هو تدريج من رتبة الى رتبة دونها انتهى فقال
نزل اي شيا فشيا في هذا العصر عليك اي خاصة بما اقتضاه تقديم الجار من الاهتمام وكان موجب ذلك ادعاء بعضهم
انه يوحى اليه وانه يقدر على الاتيان بمثل هذا الوحي الكتاب اي القران الجامع للهدى منجما بحسب الوقايع لم يغفل عن واحدة
منها ولا قدم جوابها ولا اخره عن محل الحاجة لانه قيوم لا يشغله شان عن شان قال الحرالي وهذا الكتاب هو الكتاب المحيط
الجامع الاول الذي لا يتنزل الا على الخاتم الاخر المعقب لما قام به حكمته من ان صور الاواخر مقامه بحقايق الاوايل فاول
الانوار الذي هو نور محمد صلى الله عليه وسلم هو قثم خاتم الصور التي هي صورة محمد انتهى تنزيلا ملتبسا بالحق اي الامر الثابت
فهو ثابت في نفسه وكل ما ينشا عنه من قول وفعل كذلك قال الحرالي وكما ان هذا الكتاب الجامع الاول المحيط بكل كتاب
كذلك هذا الحق المنزل به هذا الكتاب هو الحق الجامع المحيط الذي كل حق منه وهو الحق الذي اقام به حكمته فيما رفع ووضع
انتهى حال كونه مصدقا ولما كان العامل فرعا لانه اسم فاعل قواه باللام فقال لما بين يديه اي من الكتب السماوية التي
اتت بها الانبياء عن الحضرة الالهية قال الحرالي لما كان هذا الكتاب اولا وجامعا ومحيطا كان كل كتاب بين يديه ولم يكن
من ورائه كتاب انتهى ولما كان نزاع وفد نجمان في الاله او النبي او فيهما كان هذا الكلام على وجازته كفيلا بالرد عليهم في ذلك

سبحانه م

بيان

ببيان الحق في الاله بالقيومية وفي النبي بالكتاب المعجز ولما كانوا مقرين بالكتب القديمة اشار الى انه ليس لهم انكار هذا
الكتاب وهو اعلى منها في كل امر واجب وجب تصديقها والى ان من انكره بعد ذلك كان من الامر الظاهر انه معاند لا شك في عناده فقال
وانزل التورية وهو فعولة لو صرفت من الوري وهو قدح النار من الزند استثقل اجتماع الواوين فقلب اولهما تاء كما في اتجاه
واتلاج واتراء واتزان ونحوه قال الحرالي فهي تورية بما هي نور اعقبت ظلام ما وردت عليه من كفر من دعي اليها من الفراعنة
فكان فيها هدى ونور والانجيل من النجل وضع على زيادة افعيل لمزيد معنى ما وضعت له هذه الصيغة وزيادتاها مبالغة في
المعنى واصل النجل استخراج خلاصة الشي ومنه يقال للولد نجل ابيه كان الانجيل استخلص خلاصة نور التورية فاظهر باطن
ما شرع في التورية ظاهره فان التورية كتاب احاطة لامر الظاهر الذي يحيط بالاعمال واصلاح امر الدنيا وحصول الفوز
من عاقبة يوم الاخرى فهو جامع احاطة الظواهر وكل اية ظاهرة فمن كتاب التورية والانجيل كتاب احاطة لامر البواطن يحيط
بالاحوال النفسانية التي بها يقع لمح موجود الاخرة مع الاعراض عن اصلاح الدنيا بل مع هدمها فكان الانجيل مقيما لامر الاخرة
هادما لامر الدنيا مع تحصيل ادنى البلغة وكانت التورية مقيمة لاصلاح الدنيا مع تحصيل الفوز في الاخرة فجمع هذان الكتابان
احاطتي الظاهر والباطن فكان منزل التورية من مقتضى اسمه الظاهر وكان منزل الانجيل من مقتضى اسمه الباطن كما كان منزل
الكتاب الجامع من مقتضى ما في اول هذه السورة من اسمائه العظيمة مع لحظ التوحيد ليعتبر الكتاب والسورة بما منه تنزيله
من اسمه الله وساير اسمائه على وجوه احاطتها انتهى وفيه تصرف فاحاط هذا الكتاب احاطة ظاهرة بامري الظاهر والباطن
بما اذن منه تصديقه للكتابين وخصهما سبحانه بالتنويه بذكرهما اعلاما بعلى قدرهما ولما لم يكن انزالهما مستغرقا للماضي
لانه لم يكن في اول الزمان ادخل الجار فقال معربا من التقييد بمن نزلا عليه لشهرته وعدم النزاع فيه بخلاف القران من قبل
اي من قبل هذا الوقت انزالا انقضى امره ومضى زمانه حال كون الكل هدى اي بيانا ولذا عم فقال للناس واما في اول البقرة
فبمعنى خلق الهداية في القلب فلذا خص المتقين والحاصل ان هذه الاية كالتعليل لاخر البقرة فكانه قيل كل امن بالله لانه
متفرد بالحيوة لانه متفرد بالقيومية وامن برسله الذين جاؤا بكتبه المنزلة بالحق من عنده بواسطة ملايكته ولما كانت
مادة فرق للفصل عبر بالانزال الذي لا يدل على التدريج لما تقدم من ارادة الترجمة بالاجمال والتفصيل على غاية الايجاز
لاقتضاء الاعجاز وجمع الكتابين في انزال واحد واستجد لكتابنا انزالا تنبيها على رتبته عنهما بمقدار علو رتبة المتقين الذين
هو هدى لهم وبتقواهم يكون لهم فرقان على رتبة الناس الذين هما هدى لهم فقال تعالى وانزل الفرقان اي الكتاب
المصاحب للعز الذي يكسب صاحبه قوة التصرف فيما يريد من الفضل والوصل الذي هو وظيفة السادة المرجوع اليهم
عند الملمات المقترن بالمعجزات الفارقة بين الحق والباطل وسترى هذا المعنى ان شاء الله تعالى في سورة الانفال باوضح
من هذا فعل ذلك لينفذ قابله امر الكتاب المقرر فيه الشرع الحق المباين لجميع الملل الباطلة والاهواء المضلة والنحل
الفاسدة وذلك هو روح النصر على اعداء الله المرشد الى الدعاء به حطام البقرة قال الحرالي فكان الفرقان جامعا
لمنزل ظاهر التورية ومنزل باطن الانجيل جمعا يبدو ما وراء منزلهما بحكم استناده للتقوى التي هي تهيؤ لتنزل الكتاب
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا فكان الفرقان اقرب الكتب للكتاب الجامع فصار التنزيل في ثلاث رتب رتبة الكتاب المنزل
بالحق الجامع ثم رتبة الفرقان المظهر لمحل الجمع بين الظاهر والباطن ثم منزل التورية والانجيل المختفي فيه موضع التقاء ظاهر
التورية بباطن الانجيل انتهى ومناسبة ابتدائها بالتوحيد لما في اثنائها انه لما كان خلق عيسى عليه السلام من انثى فقط
وهي ادنى اسباب النما كان وجوده اشارة الى ان الزيادة قد انتهت وان الخلق اخذ في النقصان وهذا العالم اشرف على
الزوال فلم يات بعده من قومه نبي بل كان خاتم انبياء بني اسرائيل وكان هذا النبي الذي بعده من غير قومه خاتم الانبياء مطلقا
وكان مبعوثا مع نفس الساعة وكان نزوله هو في اخر الزمان علما على الساعة فصدرت هذه السورة التي نزل كثير منها بسببه
بالوحدانية اشارة الى ان الوارث قد دنا زمان ارثه وان يكون ولا شي معه كما كان وان الحين الذي يتمحض فيه تفرد الواحد
قد حان والان الذي يقول فيه سبحانه لمن الملك اليوم قد ان ويوضح ذلك انه لما كان ادم عليه السلام مخلوقا من التراب
الذي هو امتن اسباب النما وهو غالب على كل ما جاوره وكانت الانثى مخلوقة من ادم الذي هو الذكر وهو اقوى سببي التناسل
كان ذلك اشارة الى كثرة الخلايق ونمائهم وازديادهم فصدر اول سورة ذكر فيها خلقه وابتدا امره بالكتاب اشارة
الى ان ما يشير اليه ذكره من تكثر الخلايق وانتشار الامم والطوايف داع الى انزال الشرايع وارسال الرسل بالاحكام
والدلايل فالمعنى ان ادم عليه السلام لما كان دليلا على الانتهاء اقتضت الحكمة ان يكون كل منهما مما كان منه وان تصدر
سورة كل بما صدرت به والله الموفق وقال ابن الزبير ما حاصله ان اتصالها بسورة البقرة والله اعلم من جهات
احديها ما في صدر السورة ايضا الى ان الصراط المستقيم قد تبين شانه لمن تقدم في كتبهم وان هذا الكتاب جاء
مصدقا لما نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه فهو بيان لحال الكتاب الذي هو هدى للمتقين ولما بين افتراق
الامم بحسب السابقة الى اصناف ثلاثة وذكر من تعنت بني اسرائيل وتوقفهم ما تقدم اخبر تعالى هنا انه انزل عليهم
التورية وانزل بعدها الانجيل وان كل ذلك هدى لمن وفق اعلاما منه سبحانه لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان من
تقدمهم قد بين لهم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والثالثة قصة عيسى عليه السلام وابتداء امره من غير اب
والاعتبار به نظير الاعتبار بادم عليه السلام ولهذا اشار قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم انتهى

ولما علم بذلك امر القيوم سبحانه بالحق وهو الايمان علم ان لمخالفي امره من اضداد المومنين الموصوفين وهم الكفرة المدعوة
بخذلانهم المنزل الفرقان لمحو اديانهم الويل والثبور فاتصل بذلك قوله ان الذين كفروا اي غطوا ما دلتهم عليه الفطرة الاولى
التي فطرهم الله عليها ثم ما بينت لهم الرسل عنه سبحانه من البيان الذي لا لبس معه بايات الله المستجمع لصفات الكمال اقبالا منهم
على ما ليس له اصلا صفة كمال وهذا الكفر كما قال الحرالي دون الكفر باسماء الله الذي هو دون الكفر بالله قال فكما بدا خطاب
التنزيل من اعلاه نظم به ابتداء الكفر من ادناه انتهى لهم عذاب شديد كما تقتضيه صفتا العزة والنقمة وفي وصفه بالشدة
ايذان بان من كفر دون هذا الكفر كان له مطلق عذاب قال الحرالي ففي اشعاره ان لمن داخله كفر ما حظ بحسب خفاء ذلك الكفر
فافصح الخطاب بالاشد والاح بالاضعف انتهى والاية على تقدير سؤال ممن كانه قال ماذا يفعل بمن اعرض عن الكتب الموصوفة
او يقال انه لما قال وانزل الفرقان اي الفارق بين الحق والباطل من الايات والاحكام عليك وعلى غيرك من الانبياء لم يبق
لاحد شبهة فقال واحسن من ذلك كله انه سبحانه لما انزل سورة البقرة على طولها في بيان ان الكتاب هدى للمتقين وبين اول
هذه وحدانيته وحيوته وقيوميته الدالة على تمام العلم وشمول القدرة فانتج ذلك صدق ما اخبر به سبحانه ابتدا ذلك بالاعلام
بان ذلك الكتاب مع انه هاد اليه حق ودل على ذلك بمصادقته لما قبله من الكتب ولما ختم اوصافه بانه فرقان لا يدع لبسا ولا
شبهة انتج ذلك قطعا ان الذين قدم اول تلك انهم اصروا على الكفر به خاسرون فاخبر بما اعد لهم من العذاب فقال ان الذين موكدا
مظهرا لما كان من حقه الاضمار لولا ارادة تعليق الحكم بالوصف وهو الكفر اي الستر لما تفضل عليهم به من الايات ثم قرر قدرته
على ما هدد به وعزته فقال عاطفا على ما ارشد السياق مع العطف على غير مذكور الى انه فالله عالم بما له من القيومية بجميع احوالهم
والله اي الملك الاعظم مع كونه رقيبا عزيز لا يغلبه شي وهو يغلب كل شي ذو انتقام اي تسلط وبطش شديد بسطوة
قال الحرالي فاظهر وصف العزة موصولا بما ادام من انتقامه بما تعرب عنه كلمة ذو المفضحة بمعنى صحته ودوام فكان في
اشعاره دواما لهذا الانتقام بدوام امر الكتاب الجامع المقابل علوه لدنو هذا الكفر وكان في طي اشعار اظهار الانتقام احد
قسمي اقامة القيومية في طرفي النقمة والرحمة فتقابل هذان الخطابان افصاحا وافهاما من حيث ذكر تفصيل الكتب افصاحا
فافهم جزاها بالرحمة الاحة ومن حيث ذكر جزاء الكفر افصاحا فافهم متنزل الفتنة في الابتداء الاحة فانه كما انزل الكتب
هدى انزل متشابهها فتنة فتعادل الافصاحان والالاحتان وتم بذلك امر الدين في هذه السورة انتهى وما احسن اطلاق
العذاب بعد ذكر الفرقان ليشمل الكون في الدنيا نصرة للمومن استجابة لدعائهم وفي الاخرة تصديقا لقولهم وزيادة في سرورهم
ونعيمهم وتهديدا لمن نزل كثير من هذه السورة بسببهم وهم وفد نصارى نجران يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في امر عيسى
عليه السلام فتارة يقولون هو الله وتارة يقولون هو ابن الله وتارة يقولون ثالث ثلاثة وكان بعضهم عالما بالحق في امر
عيسى عليه السلام وبان احمد الذي بشر به هو هذا النبي العربي فقال له بعض اقاربه فلم لا تتبعه وانت تعلم ان عيسى امر
باتباعه فقال له لو اتبعناه لسلبنا ملوك الروم جميع ما ترى من النعمة وكان ملوك الروم قد احبوهم لاجتهادهم في دينهم
وعظموهم وسودهم وخذلوهم في النعم حتى عظمت رياستهم وكثرت اموالهم على ما بين في السيرة الهاشمية وغيرها واستمر
سبحانه يوكد استجابته لدعاء اوليائه بالنصرة آخر البقرة في نحو قوله ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم قل للذين
كفروا ستغلبون الى ان ختم السورة بشرط الاستجابة فقال اصبروا وصابروا الاية ثم قال توضيحا لما قدم في اية
الكرسي من اثبات العلم واستدلالا على وصفه تعالى بالقيومية التي فارق بها كل من يدعي فيه الالهية مشيرا بذلك الى الرد
على من جادل في عيسى عليه السلام فاطراه بدعوى انه اله وموضحا لان كتبه هدى وانه عالم بالمطيع والعاصي بما تقدم
انه ارشد العطف في والله عزيز الى تقديره ومعللا لوصفه بالعزة والقدرة لما ياتي في سورة طه من ان تمام العلم يستلزم
شمول القدرة ان الله بما له من صفات الكمال التي منها القيومية لا يخفى عليه شي وان دق ولما كان تقريب المعلومات
بالمحسوسات اقعد التعليم وابعد عن الخفا قال وان كان علمه تعالى لا يتقيد بشي في الارض ولا في السماء اي وهم لا يقدرون
ان يدعوا في عيسى عليه السلام مثل هذا العلم بل في انجيلهم الذي بين اظهرهم الان في حدود السبعين والثماني مائة التصريح
بانه يخفى عليه بعض الامور قال في ترجمة انجيل مرقس في قصة التي كان بها نزيف الدم انها اتت من ورائه فامسكت
ثوبه فبرات فعلم القوة التي خرجت منه فالتفت الى الجمع وقال من مس ثوبي فقال له تلاميذه ما ندري الجمع يزحمك وتقول
من اقترب مني فجاءت وقالت له الحق فقال يا ابنة ايمانك خلصك وفي انجيل لوقا بمعناه ولفظه فجاءت من ورائه
وامسكت طرف ثوبه فوقف جرى دمها الذي كان يسيل منها فقال يسوع من لمسني فانكر جميعهم فقال بطرس والذي
معه يا معلم الخير الجمع يزحمك ويضيق عليك وتقول من الذي لمسني فقال يسوع من قرب مني قد علمت ان قوة خرجت مني
الى آخره وقال ابن الزبير ثم اشار قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شي الى ما تقدم اي في البقرة من تفصيل اخبارهم
فكان الكلام في قوة ان لو قيل ايخفى عليه مرتكبات العباد وهو مصورهم في الارحام والمطلع عليهم حيث لا يطلع عليهم
غيره انتهى ولما قرر تعالى شمول علمه اتبعه دليله من تمام قدرته فقال وقال الحرالي ولما كان كل تفصيل يتقدمه
بالرتبة مجمل جامع وكانت تراجم السور موضع الاجمال ليكون تفصيلها موضع التفاصيل وكان من المذكور في سورة الكتاب
ما وقع من لبسه كذلك كان في هذه السورة التي ترجمتها جوامع الهية ما وقع من اللبس في امر الالهية في امر عيسى عليه السلام
فكان في هذه الاية الجامعة توطئة لبيان الامر في شانه صلى الله عليه وسلم من حيث انه مما صور في الرحم وحملته الانثى

وهو في انجيله

ووضعته

ووضعته وان جميع ما حوته السما والارض لا ينبغي ان يقع فيه لبس في امر الالهية انتهى فقال مبينا امر قدرته بما لا يقدر
عليه عيسى عليه السلام ولا غيره هو اي وحده الذي وقرعهم بوصف القول من الغيبة الى الخطاب ليعظم تنبيههم على ما هم
فيه من قهر المصور لهم على ما اوجدهم عليه مما يشتهونه وما لا يعتهونه فقال يصوركم اي بعد ان كنتم نطفا من التصوير
وهو اقامة الصورة وهي تمام البادي التي يقع عليها حس الناظر لظهورها فصورة كل شي تمام بدوه قاله الحرالي في الارحام
اي التي لا اطلاع لكم عليها بوجه ولما كان التصوير في نفسه امرا معجبا وشيا للعقل اذا تامله وان كان قد هان بكثرة الالف
باهرا فكيف باحواله المتباينة واشكاله المتخالفة المتنائية اشار الى التعجيب من امره وجليل سره بالة الاستفهام
وان قالوا انها في هذا الموطن شرط فقال كيف اي كما يشاء اي على اي حالة اراد سوا عنده كونكم من نطفتي ذكر وانثى
او نطفة انثى وحدها دليلا على كمال العلم والقيومية وايماء الى ان من صور في الرحم كغيره من العبيد لا يكون الا عبدا اذ الاله
متعال عن ذلك لما فيه من انواع الاحتياج والنقص وقال الحرالي فكان في الاحة هذه الاية توزيع امر الاظهار على ثلاثة
وجوه تناظر وجوه التقدير الثلاثة التي في فاتحة سورة البقرة فتليج هدى واضلالا والباسا اكمل الله به وجيه كما اقام
بتقدير الايمان والكفر والنفاق خلقه فطابق الامر الخلق فاقام الله بذلك قايم خلقه وامره فكان في انتظام هذه الافهامات
ان بادي الاحوال الظاهرة عند انتهاء الخلق انما ظهرت لانها مودعة في اصل التصوير فصورة نورانية يهتدى بها وصورة
ظلمانية يكفر لاجلها وصورة ملتبسة غبشية غلسية يفتتن ويقع الالباس والالتباس من جهتها مما لا يفي ببيانها الا
الفرقان المنزل على هذه الامة ولا تتم احاطة جميعها الا في القران المخصوص به ايمة هذه الامة انتهى فقد علم ان التصوير في
الرحم ادق شي علما وقدرة فعلم فاعله بغيره والقدرة عليه من باب الاولى فثبت انه لا كفو له فلذلك وصل به كلمة الاخلاص
وقال الحرالي ولما تضمنت الاحة هذه الاية ما تضمنته من الالباس والتكفير اظهر تعالى كلمة الاخلاص ليظهر نورها ارجاس
تلك الالباسات وتلك التكفيرات فقال لا اله الا هو ايذانا بما هيئ له الالباس والتكفير من وقوع الاشراك بالالهية والكفر
فيها والتلبس والالتباس في امرها فكان في طي هذا التهليل بشرى بنصرة اهل الفرقان واهل القران على اهل الالتباس والكفران
وخصوصا على اهل الانجيل والتورية الذين ذكرت كتبهم صريحا في هذا التنزيل يؤيد الاحة في التهليل اظهار الختم في هذه الاية
بصفتي العزة المقتضية للانتقام من اهل عداوته والحكمة المقتضية لاكرام اهل ولايته انتهى فقال العزيز اي الغالب عليه
لا يجد معها المغلوب وجه مدافعة ولا انفلات ولا معجز له في انفاذ شي من احكامه الحكيم اي الحاكم بالحكمة فالحكم المنع عما يتراءى
اليه المحكوم عليه وحمله على ما يمتنع منه من جميع انواع الصبر ظاهرا بالسياسة العالية نظرا له والحكمة العلم بالامر الذي لاجله وجب
الحكم من قوام امر العاجلة وحسن العقبى في الاجلة ففي ظاهر ذلك الجهد وفي باطنه الرفق وفي عاجله الكره وفي اجله الرضى
والروح ولا يتم الحكم وتستوي الحكمة الا بحسب سعة العلم فبذلك يكون تنزيل امر العزة على وزن الحكمة قاله الحرالي بالمعنى
ولما ختم سبحانه بوصف العزة الدالة على الغلبة الدالة على كمال القدرة والحكمة المقتضي لوضع كل شي في احسن محالة
واكملها المستلزم لكمال العلم تقريرا لما مر من التصوير وغيره وكان هذا الكتاب اكمل مسموعات العباد لنزوله على وجه هو
اعلى الوجوه ونظمه على اسلوب اعجز الفصحا وابكم البلغا الى غير ذلك من الامور الباهرة والاسرار الظاهرة وعلى عبد هو
اكمل الخلق اعقب الوصفين بقوله بيانا لتمام علمه وشمول قدرته هو اي وحده الذي ولما فصل امر المنزل الى المحكم والمتشابه
نظر اليه جملة كما اقتضاه التعبير بالكتاب فعبر بالانزال دون التنزيل فقال انزل عليك اي خاصة الكتاب اي القران
وقصر الخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم لان هذا موضع الراسخين وهو راسهم دلالة على انه لا يفهم هذا حق فهمه من الخلق غيره
قال الحرالي ولما كانت هذه السورة فيما اختصت به من علن امر الله مناظرة لسورة البقرة فيما انزلت له من اظهار كتاب الله
كان المنتظم بمنزل فاتحتها ما يناظر المنتظم بفاتحة سورة البقرة فلما كانت سورة البقرة منزل كتاب هو الوحي انتظم
بترجمتها الاعلام بامر كتاب الخلق الذي هو القدر فكما بين في اول سورة البقرة كتاب التقدير الذي قدره وكتبه في ذوات
الخلق من مومن وكافر ومتردد بينهما هو المنافق فتنزلت سورة الكتاب الوحي الى بيان قدر الكتاب الخلقي كذلك كان
متنزل هذا الافتتاح الالهي الى اصل منزل الكتاب الوحي ولما بين في امر الخلق ان منهم من فطره على الايمان ومنهم من جبله
على الكفران ومنهم من اناسه بين الخلقين بين في الكتاب ان منه ما انزله على الاحكام ومنه ما انزله على الاشتباه وفي افهامه
ما انزله على الافتتان والاضلال فكان المحكم في الكتاب بمنزلة فطرة الايمان والمتشابه بمنزلة نوس النفاق والافتتان
والاضلال بمنزلة ختم الكفار انتهى فقال منه ايات محكمات اي لا خفاء فيها قال الحرالي وهي التي امر حكمها فلم ينبت كما
يبرم الحبل الذي يتخذ حكمة اي زما ما يزم به الشي الذي يخاف خروجه عن الانضباط كان الاية المحكمة تحكم النفس
عن حولانها وتمنعها من جماحها وتضبطها الى محال مصالحها ثم قال فهي اي التعبد من الخلق للحق اللاي لم يتغير حكمهن في كتاب
من هذه الكتب الثلاث المذكورة فهن لذلك ام انتهى ولما كان الاعلام في غاية البيان فكان في تكامله ورد بعض معانيه
الى بعض كالشي الواحد وكان رد المتشابه اليه في غاية السهولة لمن رسخ ايمانه وصح قصده واتسع علمه ليصير الكل شيا واحدا
اخبر عن الجمع بالمفرد فقال هن ام الكتاب والام الامر الجامع الذي يوم اي يقصد وقال الحرالي هي الاصل المقتبس
منه الشي في الروحانيات والثابت منه او فيه في الجسمانيات واخر اي منه متشابهات قال الحرالي والتشابه تراد الشبه
في ظاهر امرين لشبه كل واحد منهما بالاخر بحيث يخفى خصوص كل واحد منهما ثم قال وهن الاي التي اخبر الحق تعالى فيهن عن

نفسه وتنزلات تجلياته ووجوه اعانته لخلقه وتوفيقه واجرآيه ما اجري من اقتداره وقدرته في بادي ما اجراه عليهم فمن
لذلك متشابهات من حيث ان بناء الحق عن نفسه لا تناله عقول الخلق ولا تدركه ابصارهم وتعرف لهم فيما تعرف بمثل من انفسهم
فكان المحكم للعمل والمتشابه لظهور العجز فكان لذلك حرف المحكم اثبتا لحروف عملا وحرف المتشابه اثبت الحروف ايمانا واجتمعت
على اقامته الكتب الثلاث واختلفت في الاربع اختلافا كثيرا فاختلف حلالها وحرامها وامرها ونهيها واتفق محكمها ومتشابهها
انتهى فبين بعد سبحانه انه كما يفعل الافعال المتشابهة مثل تصوير عيسى عليه السلام من غير نطفة ذكر مع اظهار الخوارق على
يديه ليتبين الراسخ في العلم من غيره كذلك يقول الاقوال المتشابهة وانه فصل في هذا الكتاب ما فصل في غيره من كتبه من تقسيم
اياته الى محكم ومتشابه ابتلاء لعباده ليبين فضل العلماء الراسخين الموقنين بانه من عنده وان كل ما كان من عند الله فلا اختلاف
فيه في نفس الامر ان سبب الاختلاف الجهل والعزل وهو سبحانه متعال جده منزه قدوس عن شيء من ذلك يبين فضلهم بانهم موصوفون
به ولا يزالون يستمطرون منه تعالى فتح المنغلق وبيان المشكل حتى يفتحه عليهم بما يرده الى المحكم وهذا على وجه يشير الى المهمة
الذي تاه فيه النصارى والتيه الذي ضلوا فيه عن المنهج واللج الذي اغرق جماعتهم وهو المتشابه الذي منه انهم زعموا
ان عيسى عليه السلام كان يقول له القايل يرب افعل بي كذا وكيت فيقره على ذلك ويجيب سؤاله فدل ذلك على انه
اله ومنه اطلاقه على الله تعالى ابا وعلى نفسه انه ابنه فابتغوا الفتنة فيه واعتقدوا الابوة والبنوة على حقيقتهما
ولم يردوا ذلك الى المحكم الذي قاله لهم فاكثر منه كما اخبر عنه اصدق القايلين سبحانه في الكتاب المتواتر الذي حفظه
من التحريف والتبديل فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني
مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم هذا ما ورد في كتابنا الذي لم يغير واما ما عندهم فان كانوا بدلوه فقد بقي ولله الحمد منه في الناجيل الاربعة
التي بين اظهرهم الآن في اواخر هذا القرآن الناسخ من المحكم ما يكفي في رد المتشابه اليه ففي انجيل لوقا ان جبريل ملاك
للرب لما بشر المريم عليها السلام معيشرا لها بالمسيح عليه السلام وخافت منه قال لها لا تخافي يا مريم فظفرت بنعمة من
عند الله وانت تحبلين حبلا وتلدين ابنا يدعى يسوع يكون عظيما وابن العزا يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه
وفي انجيله ايضا وانجيل متى ان عيسى عليه السلام قال وقد امره ابليس ان يجرب قدره عند الله بان يطرح نفسه من
شاهق مكتوب لا تجرب الرب الهك وقال وقد امره ان يسجد له مكتوب للرب الهك اسجد واياه وحده اعبد وصرح ان الله
واحد في غير موضع وفي انجيل لوقا انه وقع الى المسيح سفر شعيا النبي فلما فتحه وجد الموضع الذي فيه مكتوب روح الرب
علي من اجل هذا مسحني وارسلني لابشر المساكين وابشر بالسنة المقبولة للرب والايام التي اعطانا آلهنا ثم طوى السفر
ودفعه الى الخادم وقعد وفي عينه من انا جيلهم من قبل هذا فقد قبلني ومن قبلني فقد قبل الذي ارسلني ومن سمع منكم
فقد سمع مني ومن جحدكم فقد جحدني ومن جحدني فقد شتم الذي ارسلني ومن انكرني قدام الناس انكرته قدام ملايكة الله
وفي انجيل يوحنا انه قال عن نفسه عليه السلام الذي ارسله الله انما ينطق بكلام الله لانه ليس باكيل اعطاه الله
الروح وقال وقد سأله تلاميذه ان ياكل فقال لهم طعامي انا ان اعمل مرة من ارسلني واتم عمله وفيه في موضع اخر
الحق الحق اقول لكم ان من يسمع كلامي ومن بعثني ارسلني وجبت له الحيوة الموبدة لست اقدر اعمل شيا من ذات نفسي وانا الحكم
بما اسمع وديني عدل لاني لست اطلب مسرتي بل مسرة من ارسلني وفي انجيل مرقس انه قال للناس تعلموا وصايا الناس
وتركتم وصايا الله وزجر بعض من اتهمه فقال اذهب يا شيطان لانك لم تفكر في ذات الله وتفكر في ذات الناس فقد جعل
الله الهه وربه ومعبوده واعترف له بالوحدانية وجعل ذاته مباينا لذات الناس الذي هو منهم وفي جميع اناجيلهم نحو
هذا وانه كان يصوم ويصلي لله ويامر تلاميذه بذلك ففي انجيل لوقا انهم قالوا له يرب علمنا نصلي كما علم يوحنا تلاميذه
فقال لهم اذا صليتم فقولوا ابانا الذي في السموات يتقدس اسمك كفافنا اعطنا كل يوم واغفر لنا خطايانا لانا نغفر
لمن لنا عليه ولا تدخلنا في التجارب كذلك بخناس الشرير ولما دخل الهيكل بدا بخرج الذين يبيعون ويشترون فيه
وقال لهم مكتوب ان بيتي هو بيت الصلوة وانتم جعلتموه مغارة اللصوص فعلم من هذا كله ان اطلاق اسم الرب عليه
لان الله تعالى اذن له ان يفعل بعض افعاله التي ليست في قدرة البشر والرب يطلق على السيد ايضا كما قال يوسف
عليه السلام اذكرني عند ربك ثم وجدت في اوايل انجيل يوحنا ان الرب تاويله المعلم وتوردوا ايضا الاب والابن الى
هذا الحكم واشباهه وهي كثيرة في جميع اناجيلهم فعلموا بلا شبهة ان معناه ان الله تعالى يفعل معه ما يفعل الوالد مع ولده
من التربية والحياطة والنصرة والتعظيم والاجلال كما لزمهم حتما ان يقولوا قوله فيما قدمته ابانا الذي في
السموات وقوله في انجيل متى لتلاميذه هكذا فليضيء نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم
الذي في السموات وقال واحسنوا الى من ابغضكم وصلوا على من يطردكم ويحزنكم لكيما تكونوا ابني ابيكم الذي في
السموات لانه المشرق شمسه على الاخيار والاشرار والممطر على الصديقين والظالمين انظروا لا تضعوا امر احكم قدام
الناس لكي يروكم فليس لكم اجر عند ابيكم الذي في السموات واذا صنعت رحمة فلا تضرب قدامك بالبوق ولا تصنع كما
يصنع المرآؤون في المجامع وفي الاسواق لكي يمجدوا من الناس الحق اقول لكم لقد اخذوا اجرهم وانت اذا صنعت
رحمة لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك لتكون صدقة في خفية وابوك الذي يرى الخفية يعطيك علانية وقال

في الفصل العاشر منه وصل لابيك سرا وابوك يرى السر فيعطيك علانية وهكذا في جميع ايات الاحكام من الانجيل
كرر لهم هذه اللفظة تكريرا كثيرا فكما يؤولها النصارى بان المراد منها تعظيمهم له اشد من تعظيمهم لابائهم ليعتني بهم
اكثر من اعتناء الوالد بالولد وكذلك يؤولون ما في انجيل لوقا وغيره ان ام عيسى واخوته اتوا اليه فلم يقدروا لكثرة الجمع
على الوصول اليه فقالوا له امك واخوتك خارجا يريدون ان ينظروا اليك فاجاب امي واخوتي الذين يسمعون كلمة الله
ويعملون بها فكذلك يلزمهم تاويلها في حق عيسى عليه السلام كذلك يرد المتشابه الى المحكم وان لم يؤولوا ذلك في حق انفسهم
وحملوه على الظاهر كما هو ظاهر قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه كانوا مكابرين في المحسوس
بلا شبهة فان كل احد منهم مساو لجميع الناس والبهائم في ان له ابوين وكانت دعواهم هذه ساقطة لا يردها عليهم الا من تبرع
بالزامهم بمحسوس اخرهم به معترفون وقد اقام هو نفسه عليه السلام ادلة على صرفها عن ظاهرها منها غير ما تقدم
انه كثيرا ما كان يخبر عن نفسه فيقول ابن الانسان يفعل كذا ابن البشر قال كذا يعني نفسه الكريمة فحيث نسب نفسه الى
البشر كان مريدا للحقيقة لانه ابن امراة منهم وهو مثلهم في الجسد والمعاني وحيث نسبها الى الله تعالى كان على المجاز كما
تقدم واما السجود فقد ورد في التورية كثيرا لاحاد الناس من غير نكير فكانه كان جايزا في شرايعهم فعله لغير الله
تعالى على وجه التعظيم والله اعلم واما نحن فلا يجوز فعله لغير الله ولا يجوز في شريعتنا اصلا اطلاق الاب ولا الابن بالنسبة
اليه سبحانه وكذا كل لفظ اوهم نقصا سواء صح ان ذلك كان جايزا في شرعهم ام لا واذا راجعت تفسير البيضاوي لقوله
تعالى في البقرة اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون زادك بصيرة فيما هنا والحاصل انهم لم يصرفوا ذلك في حق
عيسى عليه السلام عن ظاهره وحقيقته ويحكموا بان المراد منه المجاز وهو هنا اطلاق اسم الملزوم على اللازم وكذا
غيره من متشابه الانجيل كما فعلنا نحن بمعونة الله في وصف الله تعالى بالرضى والغضب والرحمة والضحك وغير ذلك
مما يستلزم حمله على الظاهر صفات المحدثين وكذا ذكر اليد والكف والمعين ونحو ذلك فحملنا ذلك كله على ان المراد
منه لوازمه وغاياته مما يليق بجلاله تعالى مع تنزيهنا له سبحانه عن كل نقص واثباتنا له كل كمال فان الله تعالى عزه
وجده وجل قدره ومجده انزل حرف المتشابه ابتلاء لعباده ليتبين الثابت من الطايش والموقن من الشاك قال
الحرالي في كتاب عروة المفتاح وجه انزال هذا الحرف تعرف الحق للخلق بمعتبر ما خلقهم عليه ليلقنوا عنه وليفهموا
خطابه وليتضح لهم نزول رتبتهم عن علو ما تعرف به لهم وليتحتم بعجزهم عن ادراك هذا الحرف علمهم بالاربعة يعني
الامر والنهي والحلال والحرام وحسهم بالخامس يعني المحكم ويوقفهم عنه والاكتفاء بالايمان منه ما تقدم من علمهم بالاربعة
واتصافهم بالخامس لتتم لهم العبادة بالوجهين من العمل والوقوف والادراك والعجز فارجع البصر هل ترى من فطور
علما وحسا ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وعجزا اعلمهم بحظ من علم انفسهم وغيرهم
بعد ان اخرجهم من بطون امهاتهم لا يعلمون شيئا ثم اعجزهم عن علم امره وايامه الماضية والاتية وغايب الحاضرة
ليسلموا له اختيارا فيرزقهم اليقين بامره وغايب ايامه كما اسلموا له في الصغر اضطرارا فرزقهم حظا من علم خلقه
فمن لم يوقفه في حد الايمان اشتباه خطابه تعالى عن نفسه وما بينه وبين خلقه وحاول تدركه بدليل او فكر
او تاويل حرم اليقين بعلي الامر والتحقيق في علم الخلق واخذوا بما اضاع من محكم ذلك المتشابه حين اشتغل عما يعنيه
من حال نفسه بما لا يعنيه من امر ربه فكان كالمتشاغل بالنظر في زي الملك وتنظيره بزي نفسه عن مراقبة ما يلزمه
من تفهم حدوده وتذلله لحرمته وجوامع منزل هذا الحرف في رتبتين مبهمة ومفصلة اما ابهامه فلو فرق العلم
به على تعريف الله من غير واسطة من وسايط النفس من فكر ولا استدلال وليتدرب المخاطب بتوقفه عن المبهم
على توقفه عن مفصله ومبهمه وهو جامع الحروف المنزلة في اوايل السور التسعة والعشرين من سوره وبه افتتح
الترتيب في القران ليتلقى الخلق بادي امر الله بالعجز والوقوف والاستسلام الى ان يمن الله بعلمه بفتح من لدنه ولذلك
لم يكن في تنزيله في هذه الرتبة ريب لمن علمه الله كنهه من حيث لم يكن للنفس مدخل في علمه وذلك قوله تعالى الم ذلك
الكتاب لا ريب فيه لمن علمه الله اياه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب وقوفا على محاولة علم ما ليس في وسع الخلق علمه
حتى تلحقه العناية من ربه فعلمه ما لم يكن في علمه واما الرتبة الثانية فمتشابه الخطاب المفصل المشتمل على اخبار الله عن
نفسه وتنزلات امره ورتب اقامات خلقه بابداع كلمته وتصيير حكمته وباطن ملكوته وعزيز جبروته واحوال ايامه
واول ذلك في ترتيب القران اخباره عن استوائه في قوله تعالى ثم استوى الى السماء الى قوله تعالى فاينما تولوا
فثم وجه الله الى ساير ما اخبر عنه من عظيم شانه في جملة ايات متعددات كقوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول فاني
قريب هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة الله لا اله الا هو الحي القيوم فاذنوا بحرب من الله ورسوله
هو الذي يصوركم في الارحام ويحذركم الله نفسه ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير وكان الله سميعا
بصيرا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم خلق السموات والارض
ثم استوى على العرش ولتصنع على عيني قل من بيده ملكوت كل شيء فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة
من الشجرة ان يا موسى اني انا الله كل شيء هالك الا وجهه هو الذي يصلي عليكم وملايكته ان الله وملايكته يصلون على النبي
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه

وله الكبريا في السموات والارض كل من عليها فان ويبقى وجه ربك هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو معكم اينما كنتم
ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا فاتاهم الله من
حيث لم يحتسبوا تبارك الذي بيده الملك تعرج الملايكة والروح اليه وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة وما يشاؤن الا ان يشا
الله وجاء ربك والملك صفا صفا الى ساير ما اخبر فيه عن تنزلات امره وتسوية خلقه وما اخبر عنه حبيبه صلى الله عليه
وسلم من محفوظ الاحاديث التي عرف بها امته ما يحملهم في عبادتهم على الانكماش والجد والخشية والوجل والاشفاق وساير
الاحوال الى المشار اليها في حرف المحكم من نحو حديث النزول والنعلين والصورة والضحك والكف والانامل وحديث عناية
لزوم التقرب بالنوافل وغير ذلك من الاحاديث التي ورد بعضها في الصحيحين واعتنى بجمعها المتقنين ابو الحسن الدار
قطني رحمه الله ودون بعض المتكلمين جملة منها لقصد التاويل وشدد النكير في ذلك ايمة المحدثين يوثر عن الامام احمد
ابن حنبل رحمه الله انه قال ايات الصفات واحاديث الصفات صناديق مقفلة مفاتيحها بيد الله تاويلها تلاوتها وكذلك
ايمة الفقها وفتياهم لعامة المومنين والذي اجتمعت عليه الصحابة رضوان الله عليهم ولقنته العرب كلها ان ورود ذلك
من الله ومن رسوله ومن الايمة انما هو لمقصد الافهام لا لمقصد الاعلام فلذلك لم يستشكل الصحابة رضوان الله عليهم
منه شيا قط بل كلما كان وارده عليهم اكثر كانوا به افرح وللخطاب به افهم حتى قال بعضهم لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يضحك من عبده لا نعدم الخير من رب يضحك وهم وساير العلما بعدهم صنفان اما متوقف عنه في حد الايمان
قانع بما افاد من الافهام واما مفتوح عليه بما هو في صفاء الايقان وذلك ان الله سبحانه تعرف لعباده في الافعال والاثار
في الافاق وفي انفسهم تعليما وتعرف للخاصة منهم بالاوصاف العليا والاسماء الحسنى مما يمكنهم اعتباره تعجيزا فجاوزوا
حدود التعلم بالاعلام الى عجز الادراك فعرفوا ان لا معرفة لهم وذلك هو حد العرفان واحكام قراة هذا الحرف المتشابه
في منزل القران وتحققوا ان ليس كمثله شي ولم يكن له كفوا احد فتهدفوا بذلك لما يفتحه الله على من يحبه من صفاء الايقان
والله يحب المحسنين ثم قال فيما به تحصل قراة هذا الحرف اعلم ان تحقيق الاسلام بقراة حرف المحكم لا يتم الا بكمال الايمان
بقراة حرف المتشابه تماما لان حرف المحكم حال يتحقق للعبد ولما كان حرف المتشابه اخبارا عن نفسه سبحانه بما يتعرف
به لخلقه من اسماء واوصاف كانت فراقه ان يتحقق العبد ان تلك الاسماء والاوصاف ليست مما تدركه حواس الخلق ولا مما
تناله عقولهم وان اجرى تلك الاسماء والاوصاف على الخلق فبوجه لا يلحق اسماء الحق ولا اوصافه منها تشبيه في وهم
ولا تمثيل في عقل ليس كمثله شي وهو السميع البصير ولم يكن له كفوا احد فالذي تصح به قراة هذا الحرف اما من جهة القلب
فالمعرفة بان جميع اسماء الحق واوصافه تعجز عن معرفتها ادراكات الخلق وتقف عن تاويلها اجلالا واعظاما معلوماتهم
وان حسبها معرفتها بانها لا تعرفها واما من جهة حال النفس فالاستكانة لما يوجبه تعرف الحق بتلك الاسماء والاوصاف
من التحقق بما يقابلها والبراة من الاتصاف بها لان ما صلح للسيد حرم على العبد كتحقق فقر الخلق من تسمى الحق بالغني فيقدح في
هداه فيهلك باسمه ودعواه وكتحقق ذلهم من تسميه تعالى بالعزة وعجزهم عن تسميه بالقدرة واستحقاق تخليهم من جميع ما تعرف
به من اوصاف الملك والسلطان كالغضب والرضى والوعد والوعيد والترغيب والترهيب الى ساير ما تسمى به في جميع تصرفاته
ما ذكر في المتشابه من الآي واشير اليه من الاحاديث وما عليه اشتملت واردات الاخبار في جميع الكتب والصحف ومراي الصالحين
ومواقف المحدثين ومواجد المروعين واما من جهة العمل فحفظ اللسان عن اطلاق الفاظ التمثيل والتشبيه تحقيقا لما في
مضمون قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد لان مقتضاها الرد على المشبهة من هذه الامة وليس لعمل الجوارح في هذا الحرف مظهر
سوى ما ذكر من لفظ اللسان فقراته كالتوطية لتخليص العبادة بالقلب في قراة مفرد حرف الامثال والله العلي الكبير انتهى
وقد تقدم حرف الامثال عند قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقد بين سبحانه انه لا يصل بحرف المتشابه الا ذو
الطبع المعوج الذين لم ترسخ اقدامهم في الدين ولا استنارت معارفهم في العلم فقال فاما الذين في قلوبهم زيغ اي اعوجاج
عدلوا به عن الحق وقال الحرالي هو ميل المايل الى ما يزين لنفسه الميل اليه والمراد هنا اشد الميل الذي هو ميل القلوب عن جادة
الاستوا وفي اشعاره ما يلحق بزيغ القلوب من سيئ الاحوال في الانفس وزلل الافعال في الاعمال فانبا تعالى عما هو الاشد وافهم
ما هو الاضعف فيتبعون في اشعار هذه الصيغة بما تنبي عنه من تكلف المتابعة بان من وقع له الميل فلته لم تلحقه مذمة هذا
الخطاب فاذا وقع الزلل ولم يتتابع حتى يكون اتباعا سلم من حد الفتنة بمعالجة التوبة ما تشابه منه فابهمه ابهاما يشعر
بما جرت به الكلمات فيما يقع نبا عن الحق وعن الخلق من نحو اوصاف النفس كالعليم والحكيم وساير ازواج الاوصاف كالغضب
والرضى وفيما يقع نبا عن الخلق وعن الحق في بادي الصورة من نحو العين واليد والرجل والوجه وساير بوادي الصورة
كل ذلك مما آية متشابهات انزلها الله تعالى ليتعرف للخلق بما جبلهم عليه مما لو لم يتعرف لهم به لم يعرفوه ففايدة انزالها
التعرف بما يقع به الامتحان باحجام الفكر عنه والاقدام على التعبد له ففايدة انزاله عملا في المحكم وفايدة انزاله فيه توقفا
عنه ليقع الابتلاء بالوجهين عملا بالمحكم ووقوفا عن المتشابه قال صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في الآي الله وقال علي رضي
الله عنه من تفكر في ذات الله تزندق ووافق العلما افكار الخلق عن التصرف في تكييف شي منه كما ذكر عن مالك رحمه الله في قوله
الكيف مجهول والسوال عنه بدعة فالخوض في المتشابه بدعة والوقوف عنه سنة وافهم عنه الامام احمد يعني فيما تقدم في ايات
الصفات من ان تاويلها تلاوتها هذا هو حد الايمان وموقفه واليه اذعن الراسخون في العلم وهم الذين تحققوا في اعلام العلم

ولم يطفوا الى وهم التخييل والتمثيل به في شي مما انبا الله به عن نفسه ولا في شي مما بينه وبين خلقه وكان في توقفهم عن
الخوض في المتشابه تفرغهم للعمل في المحكم لان المحكم واضح وجداني متفقه عليه مدارك النظر واذعان الجبلات ومنزلات
الكتب لم يقع فيه اختلاف بوجه حتى كان لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر للزوم الواجب من العمل بالمحكم في اذعان
النفس فكما لا يصلح العرا عن الاتصاف بالمحكم لا يصلح الترامي الى شي من الخوض في المتشابه لاحد من اهل العلم والايمان اهل
الدرجات لان الله سبحانه جبل الخلق وفطرهم على ادراك حظ من انفسهم ومن احوالهم واوقفهم عن ادراك ما هو راجع اليه
فامر الله وتجلياته لا ينال الا بعناية منه يرج بالعبد زجه يقطع به الحجب الظلمانية والنورانية التي فيها مواقف العلما فليس
في هذا الحرف المتشابه الا احد لسانين لسان وقفه عن حد الايمان للراسخين في العلم المشتغلين بالاتصاف بالتذلل والتواضع
والتقوى والبر الذي امر صلى الله عليه وسلم ان يتبع فيه حتى ينتهي العبد الى ان يحبه الله فيرفع عنه عجز الوقفة عن المتشابه
وينقذه من حجاب النورانية فلا يشكل عليه دقيق ولا يعييه خفي بما احبه الله وما بين ذلك من خوض دون انفاذ هذه العناية
فنقص عن حد رتبة الايمان والرسوخ في العلم فكل خايض فيه ناقص من حيث يجب ان يزيد فهو اما عجز ايماني من حيث الفطر الخلقي
واما تحقق اتقاني توجبه العناية والمحبة انتهى ولما ذكر تعالى اتباعهم له ذكر علته فقال ابتغا الفتنة اي تمثيل الناس عن
عقايدهم بالشكوك وابتغا تاويله اي ترجيعه الى ما يشتهونه وتدعوا اليه نفوسهم المايلة واهويتهم الباطلة بادعا انه
ماله قال الحرالي والابتغا افتعال تكلف البغي وهو شدة الطلب وجعله تعالى ابتغاين لاختلاف وجهيه فجعل الاول فتنة
لتعلقه بالغير وجعل الثاني تاويلا اي طلبا للمال عنده لاقتصاره على نفسه فكان اهون الزيغين انتهى ولما بين زيغهم بين
ان سببه خوضهم فيما لا يمكنهم علمه فقال وما اي والحال انه ما يعلم في الحال وعلى القطع تاويله قال الحرالي هو ما يؤول اليه
امر الشي في ماله الى معاده الا الله اي المحيط قدرة وعلما قال ولكل باد من الخلق مال كما ان الاخرة مال الدنيا يوم ياتي تاويله
يقول الذين نسوه من قبل قد جات رسل ربنا بالحق وكذلك كل يوم من ايام الاخرة مال للذي قبله فيوم الخلود مال يوم
الجزا ويوم الابد مال يوم الخلود وابد الابد مال الابد وكذلك كل الخلق له مال من الامر فامر الله مال خلقه وكذلك الامر
كل تنزل اعلى منه مال للتنزل الادنى الى كمال الامر وكل امر الله مال من اسمايه وتجليات وكل تجل اجلى مال بما دونه من تجلي
اخفى قال صلى الله عليه وسلم فياتيهم ربهم في غير الصورة التي يعرفونها الحديث الى قوله انت ربنا فكان تجليه الاظهر
لهم مال تجليه الاخفى عنهم فكان كل اقرب للخلق من غيب خلق وقايم امر وعلى تجل ايلا الى ما وراه فكان تاويله فلم يكن
الاحاطة بالتاويل المحيط الا لله انتهى ولما ذكر الزايغين ذكر الثابتين فقال والراسخون في العلم قال الحرالي وهم
المتحققون في اعلام العلم من حيث ان الرسوخ النزول بالثقل في الشي الرخو ليس الظهور على الشي فلرسوخهم كانوا اهل ايمان
ولو انهم كانوا ظاهرين على العلم كانوا اهل ايقان لكنهم راسخون في العلم لم يظهروا بصفا الايقان على نور العلم فثبتهم الله عند
حد التوقف فكانوا دايمين على الايمان لقوله يقولون امنا به بصيغة الدوام انتهى اي هذا حالهم في رسوخهم ولما
كان هذا قسيما لقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ كان ذلك واضحا في كونه ابتدا وان الوقف على ما قبله ولما كان هذا الضمير
محتملا للمحكم فقط قال كل اي من المحكم والمتشابه قال الحرالي وهذه الكلمة معرفة بتعريف الاحاطة التي اهمل النحاة ذكرها
في وجوه التعريف الا من الاح معناها منهم فلم يلقن ولم ينقل جماعتهم ذلك عنه وهو من اكمل وجوه التعريف لان حقيقة التعريف
التعين لعيان او عقل وهي اشارة الى احاطة ما انزله على ابهامه فكان مرجع المتشابه والمحكم عندهم مرجعا واحدا امنوا بمحل
اجتماعه الذي منه نشا فرقانه لان كل مفترق بالحقيقة انما هو مفروج من حد اجتماع فما رجع اليه الايمان في قولهم امنا
به هو محل اجتماع المحكم والمتشابه في احاطة الكتاب قبل تفصيله انتهى من عند ربنا اي المحسن الينا بكل اعتبار ولعله عبر
بعند وهي للامر الظاهر بخلاف لدن اشارة الى ظهور ذلك عند التامل وعروه عن الاشتباه ولما كان مع كل مشتبه امر اذا
دقق النظر فيه رجع الى مثال حاضر للعقل اما محسوس واما في حد ظهور المحسوس قال معهما لمدح المتاملين على دقة الامر وشدة
غموضه بادغام تا الافتعال التفعل مشيرا الى انهم تاهلوا بالرسوخ الى الارتقا عن رتبته ملوحا الى انه لا فهم لغيرهم
عاطفا على ما تقديره فذكرهم الله من معاني المتشابه ببركة ايمانهم وتسليمهم بما نصبه من الايات في الافاق وفي انفسهم ما يمكن
ان يكون اراده سبحانه منه وان لم يكونوا على القطع بانه اراده وما يذكر اي من الراسخين بما سمع من المتشابه ما في حسه وعقله
من امثال ذلك الا اولوا الالباب قال الحرالي الذين لهم لب العقل الذي للراسخين في العلم ظاهره فكان بين اهل الزيغ واهل
التذكر مقابلة بعيدة فهم متذكر ينتهي الى ايقان وراسخ في العلم يقف عند حد ايمان ومتاول يركن الى لبس بديمة وفاتن
يتبع هوى فانبا جملة هذا البيان عن احوال الخلق بالنظر الى تلقي الكتاب كما انبا بيان سورة البقرة عن جهات تلقيهم
للاحكام انتهى ولما علم بذلك ان الراسخين ايقنوا بانه من عند الله المستلزم لانه لا عوج فيه اخبر انهم اقبلوا على التضرع
اليه في ان يثبتهم بعد هدايتهم ثم ان يرحمهم ببيان ما اشكل عليهم بقوله حاكيا عنهم وهو في الحقيقة تلقين منه لهم لطفا
بهم مقدما على ما ينبغي تقديمه من السوال في تطهير القلب عما لا ينبغي على طلب تنويره بما ينبغي لان ازالة المانع قبل ايجاد
المقتضي عين الحكمة ربنا اي ايها المحسن الينا لا تزغ قلوبنا اي عن الحق ولما كان صلاح القلب صلاح الجملة وفساده
فسادها وكان ثبات الانسان على سنن الاستقامة من غير عوج اصلا مما لم يجر به سبحانه عادته لغير المعصومين قال
نازعا الجار مسندا الفعل الى ضمير الجملة بعد اذ هديتنا اليه وقال الحرالي ففي الاحة معناه ان هذا الابتهال واقع من

اولي الالباب ليترقوا من محلهم من التذكر الي ما هو اعلي وابطن انتهي فلذلك قالوا وهب لنا من لدنك اي امرك الخاص بحضرتك
العدو سيئة الباطن عن غير خواصك رحمة اي فضلا ومنحه منك ابتدأ من غير سبب منا ونكرها تعظيما لها بان ايسر شئ منها
يكفي الموهوب ولما لم يكن لغيره شئ اصلا فكان كل عطاء من فضله قالوا وقال الحرالي ولما كان هذا الامر الذي ليس مما في فطر الخلق
وجبلاتهم واقامة حكمتهم وانما هو موهبة من الله حسبما لعناية ختم بقوله انك انت الوهاب وهي صيغة مبالغة من الموهب
والهبة وهي العطية سماحا من غير قصد من بالموهوب انتهي ولما كان من المعلوم من اول ما قرع السمع من الكتاب في الفاتحة واول
البقرة وانيا ايضا ان للناس يوما يدانون فيه وصلوا بقولهم السابق قولهم ربنا انك جامع قال الحرالي من الجمع وهو ضم ما شانه
الافتراق والتنافر لطفا او قهرا انتهي الناس اي كلهم ليوم اي يدانون فيه لا ريب فيه ثم علموا نفي الريب بقولهم عادلين عن
الخطاب آتين بالاسم الاعظم لان المقام للجلال ان الله اي المحيط بصفات الكمال لا يخلف ولما كان نفي الخلف في زمن الوعد ومكانه ابلغ
من نفي خلافه نفسه عبر بالمفاعل فقال الميعاد وقال الحرالي هو مفعال من الوعد صيغ لمعني تكرره ودوامه والوعد العهد
في الخير انتهي وكل ذلك تنبيها علي انه يجب التثبت في فهم الكتاب والاحجام عن مشكله خوفا من الفضيحة يوم الجمع يوم يسألون
اليه ويقفون بين يديه فكانه تعالي يقول للنصاري هب انه اشكل عليكم بعض افعالي واقوالي في الانجيل فهلا فعلتم فعل
الراسخين فنزهموني عما لا يليق بجلالي من التناقض وغيره وكلتم امر ذلك الي وعولتم في فتح مغلقه علي خوفا من يوم الدين
وقال ابن الزبير ثم لما بلغ الكلام الي هنا اي الي ابدا التصوير كان قد قيل فكيف طرأ عليهم ما طرأ مع وجود الكتب فاخبر تعالي
بشان الكتاب وانه محكم ومتشابه وكذا غيره من الكتب والله اعلم فحال اهل التوفيق تحكيم المحكم وحال اهل الزيغ اتباع المتشابه
والتعلق به وهذا بيان لقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وكل هذا بيان لكون الكتاب العزيز اعظم فرقان واوضح بيان
اذ قد اوضح احوال المختلفين ومزايا اي عليهم مع وجوب الكتب وفي اثناء ذلك تنبيه العباد علي عجزهم وعدم استبدادهم
ليلا يغتر الغافل فيقول مع هذا البيان ووضوح الامر لا طريق الي تنكب الصراط فنبهوا حين علموا الدعاء من قوله وايانا
نستعين ثم كرر تنبيههم لشدة الحاجة ليذكر هذا ابدا فيه معظم البيان ومن اعتقاد الاستبداد ينشأ الشرك الاكبر
اذ اعتقاد الاستبداد بالافعال اخراج لبعض الموجودات عن يد بارئها والله غالبكم وما تعملون فمن التنبيه ان الذين
كفروا ومنه يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ومنه آمن الرسول الي خاتمتها هذا من جلي التنبيه ومحكمه ومما يرجع اليه
ويجوز معناه بعد اعتباره والحكم اله واحد وقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم فمن اي الفعل او بعضه لغيره تعالي
حقيقة فقد قال بالهيئة غيره ثم حذروا اشد التحذير لما بين لهم فقال تعالي ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد
ثم ارتبطت الايات الي آخرها انتهي ولما تحقق ان يوم الجمع كائن لا محالة تحقق ان من نتائجه تحقيقا لعزته سبحانه وانتقامه
من الكفرة قوله تعالي ان الذين كفروا اي الذين يظنون لستر هم ما دلت عليه مراي عقولهم انهم ممتنعون من امر الله
لانهم يفعلون في عصيانه وعداوة اوليائه فعل من يريد المغالبة لن تغني عنهم اموالهم اي وان كثرت وقدمها لان بها
قوام ما بعدها وتمام لذته واكد باعادة النافي ليفيد النفي عن كل علي حياله وعن المجموع فيكون اصرح في المراد ولا اولادهم
وان جلت وعظمت من الله اي الملك الاعظم شيا اي من اعتناء به من جهة الله واذا كانت تلك الجهة عارية مما يغني كان
كل ما يأتيهم من قبله سبحانه من بأس وانتقام بهم لا مانع له منهما اراده بهم كان من خذلان في الدنيا وبعث بعد الموت وحشر
بعد البعث وعذاب في الاخرة فاولئك المعرضون منه لكل بلاء واولئك هم وقود النار وفي ذلك تنبيه علي ان الزائغين
الذين قالوا الراسخون موقعت نعمهم المقتضية لتصديقه عن تصديقه ليست مغنية عنهم تلك النعم شيا وانهم
مغلوبون لا محالة في الدنيا ومحشورون في الاخرة الي جهنم ولما كانت هذه السورة سورة التوحيد كان الاليق خطابها
ان يكون الدعاء فيه الي التوحيد اتم من الدعاء في غيرها والاشارة فيه الي ذلك اكثر من الاشارة في غيره فكانت هذه الآية
قاطعة للقلوب الزيغ بما اشارت اليه من فتنة الاموال والاولاد الموجبة للهلاك قال الحرالي ولما كان من مضمون
ترجمة سورة البقرة اطلاع النبي صلي الله عليه وسلم علي سر التقدير الذي صرف عن الجواب فيه واظهر سره موسي كليم
الله وعيسي كلمة الله عليهما الصلوة والسلام كان مما اظهر الله لعامة امة محمد صلي الله عليه وسلم اعلاما لها علي كل امة من
واختصاصا لها بما علا اختصاص نبيها صلي الله عليه وسلم حتي قال قائلهم اخبرهم اني بريء منهم وانهم برآء مني لقوم
لم يظهروا علي سر القدر وقال والذي حلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما تقبل منه حتي يؤمن بالقدر
فافهم الله علما هذه الامة ان اعمالها لا تقبل الا علي معرفة بسر التقدير لتكون قلوبها بريئة من اعمال ظواهرها كما قيل
في الاثار من لم يختم عمله بالعلم لم يعمل ومن لم يختم عمله بالجهل لم يعمل مختم العامل عمله بالعلم ان يعلم انه لا عمل له
وان المجري علي يديه امر مقدر قدره الله عليه واقامه فيه لما خلقه له من حكمته من وصفه من خير او شر ومن تمام
كلمته في رحمته او عقوبته لتظهر بذلك حكمة الحكيم ولا حجة للعبد علي ربه ولا حجة للصنعة علي صانعها ولله الحجة
البالغة وكذلك العالم متي لم ينطو سره علي انه لا يعلم وانما العلم عند الله لم يثبت له علم فذلك ختم العمل بالعلم
وختم العلم بالجهل فكما اطلعه تعالي في فاتحة سورة البقرة علي سر تقديره في خلقه اظهره في فاتحة سورة آل عمران
علي علن قيوميته الذي هو شاهده في وحي ربه كما هو بصير بسر القدر في تفرق افعاله خلقه فكان منزل سورة البقرة
قوام الافعال ومنزل سورة آل عمران قوام التنزيل والانزال فكان علن القيومية قوام التنزيل للكتاب الجامع الاول

والتنزيل

والتنزيل قوام انزال الكتب وانزال الكتاب الجامع لتفصيل الكتب قوام تفصيل الايات المحكمات والمتشابهات
والاحكام والتشابه اقامة الهدي والفتنة والهدي والفتنة اقامة متصرف الحواس الظاهرة والباطنة والاحوال
وما دونها من الافعال على وجه جمع يكون قواما لما تفصل من مجمله وتكثر من وحدته وتفرق من اجتماعه ولعلو مضمون
هذه السورة لم يقع فيها توجه الخطاب بها لصنف الناس واختص خطابها بالذين امنوا في علو من معاني الايمان لما ذكر
من شرف سن الايمان على سن الناس في تنامي اسنان القلوب وكان ختام سورة البقرة بمقتضى رتبة العقل الذي به
يقع اول الاصغاء والاستماع كما ظهر في ايات الاعتبار فيها في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض الى قوله
لقوم يعقلون فكان خطاب سورة ال عمران اقبالا على اولي الالباب الذين لهم لب العقل بما ظهر في اولها وخاتمتها
في قوله تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب وفي خاتمتها في ايات اعتبارها في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض
لايات لاولي الالباب فبالعقل يقع الاعتبار لمنزل الكتاب وباللب يكون التذكر ايلا الى الذي نزل الكتاب وبالجملة
فمثاني هذه السورة من تفاصيل اياتها وجمل جوامعها مما هو اعلق بغيب الايمان واعتبار اللب كما ان منزل سورة البقرة
اعلق بما هو من امر الاعمال واقامة معالم الاسلام بما ظهر في هذه السورة من علن امر الله وبما افتتحت به من اسم الله الاعظم
الذي جميع الاسماء اسماء له لاحاطته واختصاصها بوجه ما فكان فيها علن التوحيد وكماله وقوام تنزيل الامر وتطور
الخلق في جميع متنزلها ومثانيها وظهر فيها تفصيل وجوه الحكم العلية التي تضمن جملة ذكرها الاية الجامعة في سورة
البقرة في قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء فكان من جملة نباء الحكمة ما هو السبب في ظهور الكفر من الذين كفروا
بما غلب عليهم من الفتنة باموالهم واولادهم حتى الهتهم عن ذكر الله فانتهوا فيه الى حد الكفر الذي نبه عليه الذين امنوا
في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله انتهى ولما كان السبب المقتضي لاستمرار
الكفر من النصارى المجادلين في امر عيسى عليه السلام الخوف ممن فوقهم من ملوك النصرانية نبههم سبحانه على اول قصة
اسلافهم من بني اسرائيل وما كانوا فيه من الذل مع ال فرعون وما كان فيه فرعون من العظمة التي يعسرها ملوك زمانهم
ثم لما اراد الله تعالى قهر اسلافهم له لم تصرهم ذلتهم ولا قلتهم ولا نفعته عزته ولا كثرة اله فلذلك صرح بهم سبحانه
وطوى ذكر من قبلهم فقال كداب اي لم يغن عنهم ذلك شيئا مثل عادة ال فرعون اي الذين اشتهر لديكم استكبارهم
وعظمتهم وفخارهم قال الحرالي الداب العادة الدايمة التي تتابد بالتزامها وال الرجل من اذا حضر تراءى فيهم فكانه
لم يغب وفرعون اسم ملك مصر في الكفر ومصر ارض جامعة كليتها وجملة اقليمها نازل منزلة الارض كلها فلها احاطة بوجه
ما فلذلك اعظم شانها في القران وشان العالي فيها من الفراعنة وكان الرسول المبعوث اليه اول المومنين بما وراء امر الخلق
من طليعة ظهور الحق لسماع كلامه بلا واسطة ملك فكان اول من طوى في رتبة نبوته رتبة النبوة ذات الواسطة فلذلك
بدئ به في هذا الخطاب لعلو رتبة نبوته بما هو كليم الله ومصطفاه على الناس ولحق به من تقدمهم بما وقعت في نبوته من
واسطة روح او ملك وخص اله لانه هو كان عارفا بامر الله فكان جاحدا لا مكذبا انتهى والذين ولما كان المكذبون انما هم
بعض المتقدمين ادخل الجار فقال من قبلهم وقد نقلت اليكم اخبارهم وقوتهم واستظهارهم فكانه قيل ماذا كانت
عادتهم فقيل كذبوا ولما كان التكذيب موجبا للعقوبة كان مظهر العظمة به اليق فصرف القول اليه فقال باياتنا
السورية والصورية مع ما لها من العظمة بما لها من اضافتها الينا فاخذهم ولما افحشوا في التكذيب عدل الى اعظم من
مظهر العظمة تهويلا لاحدهم فقال الله فاظهر الاسم الشريف تنبيها على باهر العظمة بذنوبهم اي من التكذيب وغيره
قال الحرالي فيه اشعار بان صريح المواخذة يناط بالذنوب وان المواخذة الدنيوية لا تصل الى حد الانتقام على التكذيب
فكان ما ظهر من الدنيا يقع عقابا على ما ظهر من الاعمال وما بطن من امر الاخرة يستوفي العقاب على ما اصرت اليه الضماير
من التكذيب ولذلك يكون عقاب الدنيا طهرة للمومن لصفاء باطنه من التكذيب ويكون واقع يوم الدنيا كفاف ما جرى على
ظاهره من المخالفة فكان الذنب من المومن يقع في دنياه خاصة والذنب من الكافر يقع في دنياه واخراه من استغراقه لظاهره
وباطنه واظهر الاسم الشريف ولم يضمر للتنبيه على زيادة العظمة في عذابهم لمزيد اختراعهم فقال والله اي والحال
ان الملك الذي لا كفو له في جبروته ولا شيء من نعوته شديد العقاب لا يعجزه شيء ولما تم ذلك على هذه الوجوه الظاهرة
التي اوجبت اليقين لكل منصف بانهم مغلوبون وصل بها امره صلى الله عليه وسلم وهو الحبيب العزيز بان يصرح
لهم بمضمون ذلك فقال قل للذين كفروا اي من اهل زمانك جريا على منهاج اوليك الذين اخذناهم ستغلبون
كما غلبوا وان كنتم ملء الارض لانكم انما تغالبون خالقكم وهو الغالب لكل شيء وليغلبن مغالب الغلاب واللام على قراءة
الجمهور بالخطاب معدية وعلى قراءة الغيب معللة اي قل لاجلهم او هي بمعنى عن اي قلن عنهم وقد افهم الاخبار بمجرد
الغلبة دون ذكر العذاب كما كان يذكر في تهديد من قبلهم ان اخذهم بيد المغالبة والمدافعة والنصرة تشريفا لنبيهم
صلى الله عليه وسلم لانه عرض عليه عذابهم فابى الا المدافعة على سنة المصابرة فكان اول ذلك غلبه صلى الله
عليه وسلم على مكة المشرفة وكان فتحها فتحا لجميع الارض لانها ام القرى نبه على ذلك الحرالي وتحشرون اي تجمعون بعد
موتكم احياء كما كنتم قبل الموت الى جهنم قال الحرالي وهي من الجهامة وهي كراهة المنظر انتهى فتكون مهادكم لا مهاد لكم غيرها
وبيس اي والحال انها بيس المهاد ولما كان الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم من العرب بمعرض ان يقولوا حين قيل لهم ذلك

كيف يغلب وما هم فينا الا كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود قيل لهم ان كانت قصة آل فرعون لم تنفعكم لجهل او طول عهد
فانه قد كان لكم اية اي عظيمة بدلالة تذكير كان في فئتين تثنية فئة للطايفة التي يفيء اليها اي يرجع من يستعظم شيا
استناد اليها حماية بها لقوتها ومنعتها التقتا اي في بدر فئة اي منهما مومنة لما يرشد اليه قوله تقاتل في سبيل
الله اي الملك الاعلى لتكون كلمة الله هي العليا ومن كان كذلك لم يكن قطعا الا مومنا واخرى اي منهما كافرة اي تقاتل في سبيل
الشيطان فالاية كما ترى من وادي الاحتباك وهو ان يوتى بكلامين يحذف من كل منهما شي ايجازا يدل ما ذكر من كل على ما حذف من
الاخر وبعبارة اخرى هو ان يحذف من كل جملة شي ايجازا ويذكر في الجملة الاخرى ما يدل عليه ولما نبه سبحانه على الاعتبار
بذكر الاية نبه على موضعها بقوله يرونهم وضمن يرى البصرية القاصرة على مفعول واحد فعل الظن وانتزع منه حالا
ودل عليها بنصب مفعول ثان فصار التقدير ظانيهم مثليهم فعلى قراة نافع بالتا الفوقانية يكون المعنى ترون ايها المخاطبون
الكفار القاتلين للمومنين وعلى قراة غيره بالغيب المعنى يرى المسلمون الكفار مثلي المسلمين راي العين اي بالحذر والتخمين لا
بحقيقة العدد هذا اقل ما يجوزونه فيهم وقد كانوا ثلثة امثالهم ومع ذلك فجراهم الله على مصادمتهم ونصرهم عليهم او يرى
الكفار المسلمين مثلي الكفار مع كونهم على الثلث من عدتهم كما هو مشهور في الاثار تاييدا من الله لاوليايه ليرغب الاعدا فينهزموا
او يرى الكفار المسلمين ضعفي عدد المسلمين قال الحرالي لتقع الارادة على صدقهم في موجود الاسلام الظاهر والايمان الباطن
فكان كل واحد منهم بما هو مسلم ذاتا وبما هو مومن ذاتا فالمومن المسلم ضعفان ابدا ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين وذلك بما ان الكافر ظاهر لا باطن له فكان ذات عين لا ذات قلب له فكان المومن ضعفه فوقعت
الارادة للفئة المومنة على ما هي عليه شهادة من الله بثبات اسلامهم وايمانهم وكان ذلك ادنى الارادة لمزيد موجود الفئة
المقاتلة في سبيل الله بمقدار الضعف الذي هو اقل الزيادة الصحيحة واما بالحقيقة فان التام الدين بما هو مسلم مومن
صاحب يقين انما هو بالحقيقة عشر تام نظير موجود الوجود الكامل فهو عشر ذوات بما هو صاحب يقين ودين ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين انتهى وهو التقليل والتكثير واقع بحسب اول القتال وآخره وقبل اللقاء وبعده لما اراد
الله من الحكم كما في اية الانفال والمعنى انا فاعلون بكم ايها الكفار على ايديهم ما فعلناه باوليك وقد كانوا قايلين اعظم
من مقالاتكم فلم تغن عنكم شيا كثرتهم ولا شدة شكيمتهم ونخوتهم فان الله ولي المومنين لطيبهم ولا يستوي الخبيث والطيب
ولو اعجبك كثرة الخبيث ولما كان التقدير فنصر الله الفئة القليلة عطف عليه قوله والله اي الذي له الامر كله
يؤيد والايد تضعيف القوة الباطنة بنصره قال الحرالي والنصر لا يكون الا لمحق وانما يكون لغير المحق الظفر والانتقام
انتهى من يشا اي فلا عجب فيه في التحقيق فلذلك اتصل به قوله ان في ذلك اي الامر الباهر وفي اداة البعد كما قال
الحرالي اشارة بعد الى محل علو الاية لعبرة قال هي المجاوزة من عدوة دنيا الى عدوة قصوى ومن علم ادنى الى علم اعلى ففي لفظها
بشرى بما ينالون من ورايها مما هو اعظم منها الى غاية العبرة العظمى من الغلبة الخاتمة التي عندها تضع الحرب اوزارها
حيث يكون من اهل الكمال بعدد اهل بدر ثلثماية وثلثة عشر فهو غاية العبرة لمن له بصر نافذ ونظر جامع بين البداية والخاتمة
كما بدانا اول خلق نعيده انتهى لاولي الابصار اي يعبرون بها من حال الى اشرف منها في قدرة الله وعظمته وفعله بالاختيار
قال الحرالي اول موقع العين على الصورة نظر ومعرفة جبرتها الحسية بصر ونفوذه الى حقيقتها رؤية فالبصر
متوسط بين النظر والرؤية كما قال تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فالعبرة هي المرئية لاولي الابصار الذين
يبصرون الاواخر بالاوايل فاعظم علته بطشية في الابتدا غلبة بدر واعظمها في الانتها الغلبة الخاتمة التي لا حرب
وراءها التي يكون بالشام في آخر الزمان انتهى ولما علم بهذا ان الذي وقف بهم عن الايمان من الاموال والاولاد وساير
المتاع انما هو شهوات وعرض زايل لا يوثر على اتباع ما شرعه الملك الا من انسلخ من صفات البشر الى طور البهايم التي لا
تعرف الا الشهوات وختم ذلك بذكر اية الفئتين كان كانه قيل العلامة ومن شانها الظهور فلم حجبها عنهم فقيل تزيين
الشهوات لمن دنت همته وقال الحرالي لما اظهر تعالى في هذه السورة ما اظهره تبعا لعلن قيوميته من تنزيل الكتاب الجامع
الاول وانزال الكتب الثلاثة انزال التورية بما انشا عليه قومها من وضع رغبتهم ورهبتهم في امر الدنيا فكان وعيدهم
فيها ووعدهم على اقامة ما فيها انما هو برغبة الدنيا ورهبتها لان كل امة تدعى لنحوها جبلت عليه من رغبة ورهبة فمن
مجبول على رغبة ورهبة في امر الدنيا ومن مجبول على ما هو من نحو ذلك في امر الاخرة ومن مفطور على ما هو من عبرة ذلك من
امر الله فيرد خطاب كل امة وينزل عليها كتابها من نحو ما جبلت عليه فكان كتاب التورية كتاب رجا ورغبة وخوف
ورهبة في موجود الدنيا وكان كتاب الانجيل كتاب دعوة الى ملكوت الاخرة وكانا متقابلين بينهما ملابسة لم يفصل امرهما
فرقان واضح فكثر فيهما الاشتباه فانزل الله تعالى الفرقان لرفع لبس ما فيهما فابان فيه المحكم والمتشابه من منزل الوحي
وكما ابان فيه فرقان الوحي ابان فيه ايضا فرقان الخلق وما اشتبه من امر الدنيا والاخرة وما التبس على اهل الدنيا من
امر الخلق بلوايح ايات الحق عليهم فتبين في الفرقان محكم الوحي من متشابهه ومحكم الخلق من متشابهه وكان متشابه الخلق
هو المزين من متاع الدنيا ومحكم الخلق هو المحقق من دوام خلق الاخرة فاطلع نجم هذه الاية لاثارة غلس ما بني عليه
امر التورية من اثبات امر الدنيا لهم وعدا ووعيدا لتكون هذه الاية توطية لتحقيق صرف النهي عن مد اليد والبصر
الى ما منع به اهلها فانبا تعالى ان متاع الدنيا امر مزين لا حقيقة لزينته ولا حسن لما وراء زخرفه فقال زين للناس

فاهم

فابهم المزين لترجع اليه السنة التزيين مما كانت في رتبة علوا ودنو وفي اناطة التزيين بالناس دون الذين امنوا هم
ومن فوقهم ايضاح لنزول سنهم في اسنان القلوب وانهم ملوك الدنيا واتباعهم ورؤسا القبايل واتباعهم الذين
هم اهل الدنيا حب الشهوات جمع شهوة وهي نزوع النفس الى محسوس لا تتمالك عنه انتهى وفي هذا الكلام اعلام بان الذي
وقع عليه التزيين الحب لا الشي المحبوب فصار اللازم لاهل الدنيا انما هو محبة الامر الكلي من هذه المسميات وربما اذا تشخص
في الجزئيات لم تكن تلك الجزئيات محبوبة لهم وفيه تحريك لهم اهل الفرقان الى العلو عن رتبة الناس الذين اكثرهم لا يعلمون
ولا يشكرون ولا يعقلون ثم بين ذلك بما هو محط القصد كله واخر العمل من حيث ان الاعلق بالنفس حب انثاها التي
هي منها خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها فقال من النسآء اي المبتدية منهن واتبعه ما هو منه ايضا وهو بينه وبين
الانثى فقال والبنين قال الحرالي واخفى فتنة النسآء بالرجال سترا لهن كما اخفى امر حوا في ذكر المعصية لادم حيث قال
وعصى ادم ربه فاخفاهن لما في ستر الحرم من الكرم والله حي كريم انتهى ثم اتبع ذلك ما يكمل به امره فقال والقناطير جمع قنطار
يقال هو ماية رطل ويقال ان الرطل اثنا عشرة اوقية والاوقية اربعون درهما والدرهم خمسون حبة وخمسا حبة بحب
الشعير واحقه ان يكون من شعير المدينة المقنطرة اي المضاعفة مرات انتهى ثم بينها بقوله من الذهب والفضة ثم
اتبعها الزينة الظاهرة التي هي اكبر الاسباب في تحصيل الاموال فقال والخيل قال الحرالي اسم جمع لهذا الجنس المجبول
على هذا الاحتيال لما خلق له من الاعتزاز به وقوة المنة في الافتراش عليه الذي منه سمي واحده فرسا المسومة اي المعلمة
باعلام هي سمتها وسيماها التي تشتهر بها جودتها من السومة بضم السين وهي العلامة التي تجعل على الشاة لتعرف بها
واصل السوم بالفتح الارسال للرعي مكتفي في المرسل بعلامات تعرف بها نسبتها لمن تتوفر الدواعي للحفيظة عليها من
اجله من الواقع عليها من الخاص والعام فهي مسومة بسيمة تعرف بها جودتها ونسبتها والانعام وهي جمع نعم وهي الماشية
فيها ابل والابل واحدها فاذا خلت منها الابل لم يجر على الماشية اسم نعم انتهى وقال في القاموس النعم وقد يسكن عينه
الابل والشاجمع انعام وجمع جمعه اناعيم وقال الفرا وفي جامعه النعم اسم يلزم الابل خاصة وربما دخل في النعم
سائر الكمال وجمع النعم انعام وقد ذكر بعض اللغويين ان النعم في الابل خاصة فاذا قلت الانعام دخل فيها البقر والغنم
قال وان افردت الابل والغنم لم يقل فيها نعم ولا انعام وقال قوم النعم والانعام بمعنى وقال في المجمل والانعام
البهايم وقال الفارابي في ديوان الادب والنعم واحد الانعام واكثر ما يقع هذا الاسم على الابل ولما ذكر هذه الاعيان
الذي زين حبها في نفسها اتبعها ما يطلب لاجل تحصيلها وتنميتها وتكثيرها فقال والحرث ولما فصلها وختمها بما هو مثل
الدنيا في البداية والنهاية والاعادة اجمل الخبر عن ثمرتها وبيان حقيقتها فقال ذلك اي ما ذكر من الشهوات المفسر
بهذه الاعيان باكيد التخسيس البعيد من اخلاد ذوي الهمم اليه لقطعهم عن الدار الباقية وقال الحرالي الاشارة الى
بعده عن حضرة التقريب الى حضرة الجنة انتهى متاع الحيوة الدنيا اي التي هي مع دناتها الى فناء قال الحرالي جعل سبحانه
ما احاط به حس النظر العاجل من موجود العاجل ادنى فافهم ان ما انبا به على سبيل السمع اعلى فجعل تعالى من امر اشتباه
كتاب الكون المرئي به وذكره المشهود ان عجل محسوس العين وحمل على تركه وقبض اليد بالورع والقلب بالحب عنه واخر
شهود مسموع الاذن من الاخرة وانبا بالصدق عنه ونبه بالايات عليه ليؤثر المومن مسمعه على منظره كما اثر الناس منظرهم
على مسمعهم حرض لسان الشرع على ترك الدنيا والرغبة في الاخرة فابت الانفس وقبلت قلوب وهيم لسان الشعر في زينة
الدنيا فقبلته الانفس ولم تسلم القلوب منه الا بالعصمة فلسان الحق يصرف الى حقا الاخرة ولسان الاخرة يصرف الى
زينة الدنيا فانبا تعالى ان ما في الدنيا متاع والمتاع ما ليس له بقا وهو في نفسه خسيس خساسة الجيفة انتهى ثم
اتبع ذلك سبحانه حالا من فاعل معنى الاشارة فقال والله الذي بيده كل شي ويجوز ان يكون عطفا على ما تقديره وهو
سو المبدا في هذا الذهاب الى غماية الحيوة والله عنده حسن الماب قال الحرالي مفعل من الاوب وهو الرجوع الى
ما منه كان الذهاب انتهى فارشد هذا الخطاب اللطيف كل من ينصح نفسه الى منافرة هذا الغرض الخسيس بانه ان حصل
له يعرض عنه بان يكون في يده لا في قلبه فلا يفرح به بحيث يشغله عن الخير بل يجعل عونا على الطاعة وانه ان منع
منه لا يتاسف عليه لتحقق زواله ولرجا الاول الى ما عند خالقه الذي ترك ذلك لاجله ولما ذكر سبحانه ما اوجب
الاعراض عن هذا العرض فكان السامع جديرا بان يقول فعلى مر اقبل امر سبحانه اقرب الخلق اليه واعزهم لديه بجوابه
لتكون البشارة داعية الى حبه فقال قل اي لمن فيه قابلية الاقبال الينا ولما اجرى سبحانه هذه البشرى على
لسانه صلى الله عليه وسلم لتقوم الحجة على العباد بحاله كما تقوم بقاله من حيث انه لا يدعو الى شي الا كان اول فاعل
له ولا ينهى عن شي الا كان اول تارك له لايثاره الغايب المسموع من نبا الاخرة على العاجل المشهود من اثر الدنيا كما قال
صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه حين اشفق عليه من تاثير رمال السرير في جنبه فذكر ما فيه فارس والروم
من النعيم او في شك انت يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة شوق اليها بالاستفهام في قوله
او نبيكم بخير من ذلكم اي الذي ذكر من الشهوات وعظمه باداة البعد وميم الجمع لعظمته عندهم وللزيادة في تعظيم
ما يرشد اليه ثم استانف بيان هذا الخير بقوله للذين اتقوا اي اتصفوا بالتقوى فكان مما اثمر لهم اتصافهم
بها ان اعرضوا عن هذه الشهوات من حيث انها شهوات وجعلوها عبادات واقية لهم من عذاب ربهم فتلذذوا

بالنسا لا لمجرد اللذة بل لغض البصر من الجانبين وابتغا ما كتب لهم من الولد انفاذ المراد ربهم من تكثير خلايفهم في الارض
للاصلاح ولقوله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة ونحو ذلك وفرحوا بالبنين لا
لمجرد المكاثرة بل لتعليمهم العلم وحملهم على الذكر والجهاد والشكر وانواع السعي في رضى السيد وحازوا النقدين لا للكنز بل
للانفاق في سبيل الخيرات وربطوا الجياد لا للفخر والرياسة على العباد بل لقمع اوليا الشيطان ورفع اوليا الرحمن
المستلزم لظهور الايمان كما بين النبي صلى الله عليه وسلم متشابه اقتنا بها فقال هي لرجل اجر ورجل ستر وعلى رجل وزر
ثم عظم سبحانه ما لهم بقوله مرغبا بلقت القول الى وصف الاحسان المقتضي لتربية الصدقات وغيرها من الاعمال
الصالحات عند ربهم اي المحسن اليهم بلسان التقوى الموجب لايثارهم الاخرة على الدنيا وقوله جنات مرفوع بالابتدا
ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اذا كان للدين متعلقا بخير ثم وصفها بقوله تجري من تحتها الانهار اي ان ماها غير مجلوب
بل كل مكان منها متهيئ لان ينبع منه ما يجري لتثبت بهجتها وتدوم زهرتها ونضرتها ثم اشار بقوله خالدين فيها الى انها
هي المشتملة على جميع الاحسان الغنية عن الحرث والانعام وان ذلك على وجه لا انقطاع له قال الحرالي وفي معنى لفظ الخلود
اعلام بسكون الانفس اليها لما فيها من موافقتها انتهى ولعله انما خص من بين ما تقدم من الشهوات ذكر النسوان في قوله
وازواج لانها اعظم المشتهيات ولا يكمل التلذذ بها الا بحصول جميع ما يتوقف ذلك عليه فصار ذكرهن على سبيل الامتنان
من القادر كناية عن جميع ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ولما كانت التقوى حاملة على تطهير الانفس من اوضار الادناس من الاوصاف
السيئة وكان الوصف بالمفرد ادل على انهن في اصل الطهارة كانهن نفس واحدة قال عادلا عما هو الاولى من الوصف
بالجمع لجمع من يعقل مطهرة لانهن مقتبسات من انفسهم خلق لكم من انفسكم ازواجا ولما ذكر حظ البدن قرر لذة هذا النعيم
بما للروح وزاده من الاضعاف المضاعفة ما لا حد له بقوله ورضوان قال الحرالي بكسر الرا وضمها اسم مبالغة في
معنى الرضى وهو على عبرة امتلا بما تعرب عنه الالف والنون وتشعر ضمة رايه بظاهر اشباعه وكسرتها بباطن احاطته
انتهى ولما جرى وعد الجنات على اسم الربوبية الناظر الى الاحسان بالتربية فخم امر هذا الجزا واعلاه على ذلك بنوطه
بالاسم الاعظم فقال من الله اي المحيط بصفات الكمال ولما كان شاملا لجميعهم وكان ربما ظن انهم فيه متساوون اشار الى
التفاوت بقوله حظرا في موضع الاضمار اشارة الى الاطلاق عن التقييد بحيثية ما والله اي الذي له الحكمة البالغة بصير
بالعباد اي بنياتهم ومقادير ما يستحقون بها على حسب اخلاصها وبغير ذلك من اعمالهم واقوالهم وساير احوالهم
ولما اخبر تعالى بانه بصير بمن يستحق ما اعد من الفور اتبعه ما استحقوا ذلك به من الاوصاف تفضلا منه عليهم بها وبايجاب
ذلك على نفسه حثا لهم على التخلق بتلك الاوصاف فقال وقال الحرالي لما وصف تعالى قلوبهم بالتقوى وبراهم من
الاستغنا بشي من دونه وصف ادبهم في المقال فقال انتهى الذين يقولون ربنا اي يامر ربانا باحسانه وعاد علينا
بفضله واسقط اداة النداء اشعارا بما لهم من القرب لانهم في حضرة المراقبة ولما كانت احوالهم في تقصيرها عن
ان تقدر الله حق قدره كانها احوال من لم يومن اقتضى المقام التاكيد فقالوا اننا فاثبتوا النون ابلاغا فيه امنا اي بما
دعوتنا اليه واظهروا هذا المعنى بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا اي فاننا عاجزون عن دفعها ورفع الهمم عن مواقعتها وان
اجتهدنا لما جبلنا عليه من الضعف والنقص تنبيها منه تعالى على ان مثل ذلك لا يقدح في التقوى اذا هدم بالتوبة لانه
ما اصر من استغفر والتوبة تجب ما قبلها قال الحرالي وبنى المغفرة على مجرد الايمان اشارة الى انه لا تغيرها الافعال
من ترتب ايمانه على تقوى غفرت ذنوبه فكان مغفرة الذنوب لاهل هذا الادب في مقابلة الذين اخذهم الله بذنوبهم
من الذين كذبوا ففي شمول ذكر الذنوب في الصنفين اعلام باجرا قدر الذنوب على الجميع فما كان منها مع التكذيب اخذ به
وما كان منها مع التقوى والايمان غفر له انتهى ولما رتب سبحانه الغفران على التقوى ابتدا رتب عليها الوقاية انتهاء
فقال وقنا عذاب النار اي الذي استحققناه بسوء اعمالنا قال الحرالي ولما وصف تقوى قلوبهم باطنا وادب
مقالهم ظاهرا وصف احوال انفسهم ليتطابق ظاهر امرهم بمتوسطه وباطنه فقال الصابرين فوصفهم بالصبر اشعارا
بما ينالهم من سجن الدنيا وشدايدها والصبر امدح اوصاف النفس به تنحبس عن هواها وعما زين من الشهوات المذكورة بما
تحقق من الايمان بالغيب الموجب ترك الدنيا للاخرة فصبروا عن الشهوات اما النسا فبالاقتصار على ما ملكوه فبمراعاة
ان ما تقدم خير مما تاخر قال صلى الله عليه وسلم يعني فيما رواه ابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه لسقط اقدمه بين
يدي احب الي من فارس اخلفه بعدي واما الذهب والفضة فبالنظر اليها اصناما يضر موجودها وبالحري ان ينال منها
السلامة منفقة لا يكاد يصل انفاقها الى ان يكون كفارة كسبها وجمعها فكان الصبر عليها اهون من التخلص منها واما
الخيل فلا يصحبها من التعزز الممد لخيلا النفس الذي هو اشد ما على النفس ان تخرج عن زهوها وخيلايها الى احتمال الضيم
والسكون تحت الذل يقال انه اخر ما يخرج من روس الصديقين حب الرياسة واما الانعام فبالاقتصار منها على قدر
الكفاف لان كل مستزيد تمولا من الدنيا زايدا على كفاف منه من مسكن او ملبس او مركب او مال فهو محجر على من سواه من
عباد الله ذلك الفضل الذي هم احق به منه قال صلى الله عليه وسلم لنا غنم ماية لا تزيد ان تزيد الحديث وان
من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم واما الحرث فبالاقتصار منه على قدر الكفاية لما يكون راتبا للالزام
ومرصدا للنوايب ومخرجا للبذر فان اعطاه الله فضلا اخرجه بوجه بوجه من وجوه الاخراج ولو بالبيع ولا يمسكه متمولا

واما البنون

لقلبه الى غيره من الاعيان فيكون محتكرا قال صلى الله عليه وسلم كما اخرجه احمد وابو يعلى عن ابن عمر رضي الله عنهما
من احتكر اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه فبذلك يتحقق الصبر بحبس النفس عما زين للناس من التمولات
من الدنيا الزايدة على الكفاف التي هي حظ من لا خلاق له في الاخرة ولذلك يحق ان تكون هذه الكلمات معربة بالنصب مدحا
لان الصفات المتبعة للمدح حليتها النصب في لسان العرب وانما يتبع في الاعراب ما كان لرفع لبس او تخصيص انتهى ولما كان
سن التقوى فوق سن الايمان عطف امداحهم كلها بالواو ايذانا بكمالهم في كل وصف منها وتمكنهم فيه بخلاف ما في اية براءة
على ما سياتي ان شاء الله تعالى فقال والصادقين قال الحرالي في عطف الصفات ما يؤذن بكمال الوصف لان العرب تعطفها
اذا كملت وتتبع بعضها بعضا اذا تركبت والتامت يعني مثل الرمان حلو حامض اذا كان مزا غير صادق الحلاوة ولا الحموضة
ففي العطف اشعار بكمال صبرهم عن العاجلة على ما عينه حكم النظر في الاية السابقة ومن شان الصابر عن الدنيا الصدق لان
اكثر المداهنة والمراياة انما الجاء اليها التسبب الى كسب الدنيا فاذا رغب عنها لم يحمله على ترك الصدق حامل فيتحقق به
فيصدق في جميع اموره والصدق مطابقة اقواله وافعاله لباطن حاله في نفسه وعرفان قلبه انتهى والقانتين اي المخلصين
لله في جميع امورهم الدايمين عليه ولما ذكر سبحانه العمل الحامل عليه خوف الحق ورجاؤه اتبعه ما الحامل عليه ذلك مع
الشفقة على الخلق لان من اكرم المنتمي اليك فقد بالغ في اكرامك فقال والمنفقين اي مما رزقهم الله في كل ما يرضيه فانه لا
قوام لشيء من الطاعات الا بالنفقة قال الحرالي فيه اشعار بان من صبر نول ومن صدق اعلى ومن قنت جل وعظم قدره
فهو له الله ما يكون له منفقا والمنفق اعلى حالا من المزكي لان المزكي يخرج ما وجب عليه فرضا والمنفق يجود بما في يده
فضلا انتهى ولما ذكر هذه الاعمال الزاكية الجامعة العالية اتبعها الاشارة الى ان الاعتراف بالعجز عن الوفاء بالواجب
هو العمدة في الخلاص فقال والمستغفرين اي من نقايصهم مع هذه الافعال والاحوال التي هي نهاية ما يصل اليه الخلق
من الكمال بالاسحار التي هي اشق الاوقات استيقاظا عليهم واحبها راحة لديهم واولاها بصفاء القلوب واقربها الى
الاجابة المعبر عنها في الاحاديث بالنزول كما ياتي بيانه في اية التهجد في سورة الاسرا قال الحرالي وهو جمع سحر واصل معناه
التعلل عن الشيء بما يقاربه ويدانيه ويكون منه بوجه ما فالوقت من الليل الذي يتعلل فيه بدنو الصباح هو السحر ومنه
السحور تعلل عن الغذاء ثم قال وفي افهامه تهجدهم في الليل كما قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم
يستغفرون فهم يستغفرون من حسناتهم كما تستغفر اهل السيئات من سيئاتهم تبرؤا من دعوى الافعال ورؤية
الاعمال التياما بصدق قولهم في الابتداء ربنا اننا امنا وكمال الايمان بالقدر خيره وشره فباجتماع هذه الاوصاف السبع
من التقوى والايمان والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار كانت الاخرة خيرا لهم من الدنيا وقد بان بهذا
محكم ايات الخلق من متشابهها بعد الاعلام بمحكم ايات الامر ومتشابهها فتم بذلك منزل الفرقان في ايات المسموع والكون
المشهود انتهى ولعله سبحانه اشار بهذه الصفات الخمس المتعاطفة الى دعايم الاسلام الخمس فاشار بالصبر الى الايمان وبالصدق
الى الزكوة المصدقة لدعواه وبالقنوت الذي مدار مادته على الاخلاص الى الصلوة التي هي المراقبة وبالانفاق الى الحج الذي
اعظم مقوماته المال وبالاستغفار الى الصيام الذي مبناه التخلي من احوال البشر والتحلي بحلية الملك لا سيما في القيام
ولا سيما في السحر وسر ترتيبها انه لما ذكر ما بين العبد والخالق في التوحيد الذي هو العدل اتبعه ما بينه وبين الخلايق
في الاحسان ولما ذكر عبادة القلب والمال ذكر عبادة البدن الدالة على الاخلاص في الايمان ولما ذكر عبادة البدن
مجردا بعد عبادة المال مجردا ذكر عبادة ظاهرة مركبة منهما شعارها تعرية الظاهر ثم اتبعه عبادة بدنية خفية عمادها
تعرية الباطن فختم بمثل ما بدا به وهو ما لا يطلع حق الاطلاع الا الله تعالى ولما اخبر سبحانه بوحدانيته في اول
السورة واستدل عليها واخبر عما اعد للكافرين واستدل عليه بما دل على الوحدانية وختم بالاخبار بما اعد للمتقين
بما جر الى ذكره تعالى بما يقتضي الوحدانية ايضا من الاوصاف المنفية على الايمان انتج ذلك ثبوتا لا مرية فيه فكرر تعالى
ذكر هذه النتيجة على وجه اضخم من الماضي كما اقتضته الادلة فقال وقال الحرالي لما انهى تعالى الفرقان نهايته ببيان
المحكمين والمتشابهين في الوحي والكون انتظمت هذه الشهادة التي هي اعظم شهادة في كتاب الله باية القيومية التي هي
اعظم اية الوجود لتنتظم اية الشهود باية الوجود انتهى فقال تعالى شهد الله اي الملك الاعظم الذي لا كفو له انه
قال الحرالي فاعاد بالاضمار ليكون الشاهد والمشهود له لا اله الا هو فاعاد بالهوية لمعنى الوحدانية في الشهادة ولم
يقل الا الله لما يشعر به تكرار الاسم في محل الاضمار من التنزل العلي انتهى والمعنى انه سبحانه فعل الشاهد في اخباره عما يعلم
حقيقته بلفظ الشهادة جريا على عادة الكبراء اذا راوا تقاعس اتباعهم عما يامرون به من المهمات في تعاطيهم بانفسهم
تنبيها على ان الخطب قد قدح والامر قد تفاقم فيتساقط حينئذ اليه الاتباع ولو ان فيه الهلاك تساقط الذباب
في اعلى الشراب والى ذلك ينظر قول وفد ثقيف ما لمحمد يامرنا بان نشهد له بالرياسة ولا يشهد هو لنفسه فكان صلى
الله عليه وسلم بعد لا يخطب خطبة الا شهد لنفسه الشريفة فيها بالرسالة فكانه قيل ان ربكم الذي اسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة قد نصب لكم الادلة بخلق ما خلق على تفرده بحيث انتفى كل ريب فكان ذلك اعظم شهادة سبحانه لنفسه
واليه اومأ من قال ولله في كل تحريكة وتسكينة ابدا شاهد وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد ثم شهد
بذلك بنفسه بكلامه جمعا بين ايتي السمع والبصر فلم يبق لكم عذرا قال الحرالي وهذه الشهادة التي هي من الله لله هي الشهادة

الايات

عليه

لما

التي اليها قصد القاصدون وسلك السالكون واليها انتهت الاشارة وعندها وقفت العبارة وهي انهى المقامات واعظم
الشهادات فمن شهد بها فقد شهد شهادة ليس وراها مرمى ومن شهد بما دونه كانت شهادته مشهودا عليها لا شهادة يوثر ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يزل يوم الجمعة وهو قايم بعرفة منذ حان وقت العصر الى ان غربت الشمس في حجته التي كمل بها الدين
وتمت بها النعمة يقول هذه لا يزيد عليها فاي عبد شهد لله بهذه الشهادة التي هي شهادة الله لله بالوحدانية فقد كملت شهادته
واتم الله النعمة عليه وهي سر كل شهادة من دونها وهي اية علن التوحيد الذي هو منتهى المقامات وغاية الدرجات في الوصول
الى محل الشهود الذي منه النفوذ الى الوجود بمقتضى الاعظمية التي في الاية الفاتحة انتهى ولما اخبر تعالى عن نفسه المقدسة
اخبر عمن يعتد به من خلقه فقال مقدما لان المقام للعلم لمن هم اعلم به سبحانه ممن اطلعهم من الملك والملكوت على ما لم يطلع عليه
الانسان والتشاغل لهم من شهوة ولا حظ ولا فتور والملايكة اي العباد المقربون المصفون من ادناس البشر الذين لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ولما خص اهل السموات عم فقال واولوا العلم وهم الذين عرفوه بالادلة القاطعة
فعلوا ما فعل العظيم من الشهادة ليكون ذلك ادعى لغيرهم اليه واحث عليه ولما كانت الشهادة قد تكون على غير وجه العدل
نفى ذلك بقوله قايما وافرد ليفهم انه حال كل من المذكورين لا المجموع بقيد الجمع ويجوز وهو الاقرب ان يكون حالا من الاسم
الشريف اشارة الى انه ما وحد الله حق توحيده غيره لانه لا يحيط به احد علما وقال الحرالي افرد القياد فاندرج من ذكر من
الملايكة واولي العلم في هذا القيام افهاما كما اندرجوا في الشهادة افصاحا فكان في اشعاره ان الملايكة واولي العلم لا يقاد منهم
فيما يجريه الله على ايديهم لان امرهم قايم بالقسط من الله يذكر ان عظيم عاد لما كشف له عن الملايكة في يوم النقمة قال لهود عليه
السلام يا هود ما هذا الذي اراهم في السحاب كانهم البخاتي فقال ملايكة ربي فقال له ارايت ان امنت بالهك ايقيدني منهم
بمن قتلوا من قومي قال ويحك وهل رايت ملكا يقيد من جنده انتهى بالقسط اي العدل السواء الذي لا حيف فيه اصلا بوجه
من الوجوه وقد ثبت لهذه الشهادة على هذا الوجه ان التوحيد في نفس الامر على ما وقعت به الشهادة ويجوز ان يراد مع ذلك
ان قيامه بالعدل فعله في خلقه فانه عدل وان كان من بعضهم الى بعض ظلما فانه تصرف منه سبحانه في ملكه الذي لا شايبة
لاحد فيه فهو اذا نسب اليه كان عدلا لانه فعله بالحكمة واذا نسب الى الظالم كان ظلما لانه فعله لحظه لا للحكمة فكذا قال
على طريق الاستنتاج والتعليل للقيام بالقسط والتلقين للعباد لان يقولوها بعد ثبوتها بما تقدم وان يكرروها دايما
ابدا لا اله الا هو وقال الحرالي كرر هذا التهليل لانه في رتبة القسط الفعلي لان التهليل الاول في رتبة الشهادة العلمية
فاستوفى التهليلان جميع البادي علما وفعلا انتهى واتبعه سبحانه بقوله العزيز الحكيم دليلا على قسطه لانه لا يصح ابدا
لذي العزة الكاملة والحكمة الشاملة ان يتصرف بجور وعلى وحدانيته لانه لا يصح التفرد بدون الوصفين وليسا على الاطلاق
لاحد غيره اصلا ولما كانت الايات كلها في الايقاع بالكافرين قدم الوصف الملايم لذلك قال الحرالي وقسط الله هو اخفاء
عدله في دار الدنيا من حيث انه خفض ورفع يعادل خفضه رفعه ورفعه خفضه فيوول الى عدل ويراه بذلك في حال
تفاوته كل ذي لب بما انه عزيز يظهر عزته فيما يرفع حكيم يخفي مضا حكمه فيما يخفض فكل ما هو باد من الخلق جور فهو من الله
قسط طيته عدل سره سوا فيظهر عزته فيما حكم انتقاما وحكمته في الموازنة بين الاعمال والجزاء عدلا انتهى ولما كان
ذلك علم انه يجب ان تخضع له الرقاب وتخلص له التوحيد جميع الالباب وذلك هو الاسلام فقال معللا للشهادة منهم بالعدل
وقراة الكسائي بالفتح اظهر في التعليل ان الدين واصله الجزاء اطلق هنا على الشريعة لانها سببه عند الله اي الملك الذي
له الامر كله الاسلام فاللام للعهد في هذه الشهادة فانها اس لكل طاعة فلاجل ان الدين عند هذا شهدوا له هذه الشهادة
المقتضية لنهاية الاذعان ولما كان ذلك مصرحا بانه لا دين عنده غيره كان كان قايلا قال فكان يجب ان يعلم بذلك
الانبيا الماضون والامم السالفون ليلزموه ويلزموه اتباعهم فقيل قد فعل ذلك فقيل فما لهم لم يلزموه فقيل قد لزموه
مدة مديدة وما ويجوز وهو احسن ان يكون التقدير بين الله بشهادته ما يرضيه باياته المرئية ثم اوضحه غاية الايضاح
باياته المسموعة بكتبه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب هذا الاختلاف الذي ترونه الا من بعد ما جاءهم العلم بذلك كله وما
كان اختلافهم لجهلهم بذلك بل بغيا واقعا بينهم لا بينهم وبين غيرهم بل من بعضهم على بعض للحسد والتنافس في الدنيا
لشبه ابدوها ودعاوا ادعوها طال بينهم فيها النزاع وعظم الدفاع والله تعالى عالم بكشفها قادر على صرفها قال الحرالي
والبغي السعي بالقول والفعل في ازالة نعم انعم الله بها على خلق بما اشتملت عليه ضماير الباغي من الحسد له انتهى ولما
كان التقدير فمن استمر على الايمان فان الله عظيم الثواب عطف عليه قوله ومن يكفر اي يستمر على كفره بايات الله اي المرئيات
والمسموعات الدالات على احاطته بالكمال وقوفا مع تلك الشبه وعمى عن الدليل فالله مهلكه عاجلا فان الله اي المحيط بكل
شي قدرة وعلما ولا كفو له سريع قال الحرالي من السرعة وهي وحاء النجاز فيما شانه الابطاء انتهى ويحتمل ان يكون كنى بالسرعة
عن القرب فالمعنى قريب الحساب اي عن قريب يجازيهم على كفرهم في هذه الحيوة الدنيا بايدي بعضهم وبايدي المومنين
ثم ينقلون الى حسابه في الدار الاخرة المقتضي لعذاب الكفرة ويحتمل ان تكون السرعة على بابها والمراد انه لا يتهيا في حسابه
ما يتهيا في حساب غيره من المغالطة المقتضية للنجاة او المطاولة في مدة الحساب المقتضية لتاخر الجزاء في مدة المراوغة
والله اعلم ومن الكفر بالايات الكفر بعيسى عليه السلام حين انتحلوا فيه الالهية قال الحرالي كان اية من الله للهداية فوقع
عندهم بحال من كفروا به فكان سبب كفرهم ما كان مستحقا ان يكون سبب هداية المهتدي وكان ذلك فيه لمحل اشتباهه لانه

اشتبه

اشتبه عليهم خلقه بما ظهر على يديه من ايات الله وفي التعريض به الاحة لما يقع لهذه الامة في نحوه ممن هو مقام للهداية فوقع في طائفة موقع اية كفروا بها كما قال صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه مثلك يا علي كمثل عيسى بن مريم ابغضته يهود فبهتوا امه واحبه النصارى فانزلوه بالمحل الذي ليس به كذلك تفرقت فرق في علي رضي الله عنه من بين خارجيهم ورافضيهم انتهى ولما تم ذلك كان كانه قيل قد جينا لك بالامر الواضح الذي لا يشكون فيه فان حاجوك بعده في شيء مما تضمنه وهدي اليه ودل صريحا او تلويحا عليه فاعلم ان جدالهم عن عناد مع العلم بحقيقة الحال فقل اي فاعرض عنهم الى ان امرك بالقتال لان من الواجبات كما تقرر في اداب البحث الاعراض عمن كابر في المحسوس وقل انت عملا بالاية السالفة اسلمت وجهي اي اخلصت قصدي وتوجهي وانقدت غاية الانقياد لله الملك الاعظم الذي له الامر فلا كفو له قال الحرالي وكما ادرج تعالى شهادة الملائكة واولي العلم في شهادته لنفس نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدرج من اتبعه في املاله وجهه لله ليكون اسلامهم باسلام نبيهم باسلام انفسهم لتلحق التابعة من الامة بالائمة وذلك حال الفرقة الناجية موتزة الفرق الاثنين والسبعين التي قال صلى الله عليه وسلم ما انا عليه فيما اوتي من اليقين واصحابي فيما اوتوه من الانقياد وبراقهم من الرجوع الى انفسهم فيما امر كما كانوا يقولون عند كل ناشئة علم او امر الله ورسوله اعلم لمن دخل برايه في امر نقص حظه من الاتباع بحسب استبداده انتهى فقال تعالى عاطفا على الضمير المرفوع المتصل لاجل الفصل ومن اي واسلم من اتبعني وجوههم له سبحانه ولما كان المكمل لنفسه يجب عليه السعي في اكمال غيره اعلمه بذلك في قوله وقل لهديدا وتجهيزا وتقريعا للذين اوتوا الكتاب اي عامة من هو لا النصارى الذين يجادلونك ومن اليهود ايضا والاميين الذين لا كتاب لهم مشيرا بالاستفهام الى عنادهم منكرا عليهم موبخا لهم اسلمتم فان اسلموا عند ذلك فقد اهتدوا فتفعوا انفسهم في الدنيا والاخرة وفي صيغة فتعلوا ما يلوح الى ان الانفس مايلة الى الضلال زايغة عن طرق الكمال وان تولوا اي عن الاسلام فهم معاندون فلا يعنيك امرهم فانما عليك البلاغ اي وعليهم وبال توليهم وفي جنية التفعل ما يومي الى ان طرق المدي بعد البيان آخذ محاسنها بمجامع القلوب وان الصادف عنها بعد ذلك قاهر لظاهر عقله برجاسة نفسه واعوجاج طبعه ولما كان التقدير فالله يوفق لقبول البلاغ عنك من علم فيه الخير وينكب عنه من علم فيه الشر عطف عليه قوله والله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما بصير بالعباد اي فهو يوفق من خلقه للخير منهم ويخذل غيره لا يقدر على فعل ذلك غيره ولا يقدر احد غيره ان يفعل غير ذلك ولما اشرك اليهود في هذا الخطاب وانهم شرط التولي باداة الشك وقوعه فتشوفت النفس الى معرفة جزائهم اشار اليه واصفا لهم ببعض ما اشتد فحشه من افعالهم فقال وقال الحرالي لما كانت هذه السورة منزلة لتبيين ما ان اشتبه على اهل الانجيل جرى ذكر اهل التورية فيها مجملا بجوامع من ذكرهم لان تفاصيل امرهم قد استقرانه سورة البقرة فكان امر اهل التورية في سورة البقرة بيانا واهل الانجيل اجمالا وكان امر اهل الانجيل في سورة آل عمران بيانا وذكر اهل التورية اجمالا لما كان لبس اهل التورية في الكتاب فوقع تفصيل ذكرهم في سورة الم ذلك الكتاب ولما كان اشتباه امر اهل الانجيل في شان الالهية كان بيان ما تشابه عليهم في سورة الم الله لا اله الا هو الحي القيوم مجاء هذا الذكر لاهل التورية معادلة بينهم وبين اهل الانجيل بما كفروا به من الايات من المعنى الذي اشتركوا فيه في امر الالهية في عزير واختصوا بقتل الانبياء وقتل اهل الخير الامرين بالقسط انتهى فقال تعالى ان الذين يكفرون وهم الذين خذلهم الله بايات الله في ابراز الاسم الاعظم اشارة الى عظيم كفرهم بكونه بما اضيف اليه سبحانه قال الحرالي وفي ذكره بصيغة الدوام ما يقع منهم من الكفر بايات الله في ختم اليوم المحمدي مع الدجال فانهم اتباعه ويقتلون النبيين في اشعاره ما تمادوا عليه من البغي على الانبياء حتى كان لم يدخل في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم التي رزقه الله فيما كان يدعوا به حيث كان يقول صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني شهادة في يسر منك وعافية ولما كان قتلهم اياهم بدون شبهة اصلا بل لمحض الكفر والعناد كان الانبياء يرون من ان يكون لاحد قبلهم حق دنيوي او اخروي قال بغير حق اي لا صغير ولا كبير في نفس الامر ولا في اعتقادهم نهوا بلغ مما في البقرة على عادة افعال الحكماء في الابتداء بالاخف فالاخف ولما خص ذكر اكمل الخلق عبر عما يهم اتباعهم فقال سيد العامل زيادة في لومهم وتقريعهم ويقتلون الذين يامرون بالقسط اي العدل ولما كان ذلك شاملا لمن لا قدرة لهم على قتله من الملائكة قال من الناس اي كلهم سواء كانوا انبياء اولا ويجوز ان يكون اراد بهذا القيد زيادة توبيخهم بانهم يقتلون جنسهم الذي من حقهم ان يالفوه ويسعوا في بقايه وهذا تحقيق لان قتلهم لمجرد العدوان قال الحرالي فيه اعلام بتمادي تسلطهم على اهل الخير من الملوك والرؤساء فكان في طيه الاحة لما استعملوا فيه من علم التطبيب ومخالطتهم رؤساء الناس بالطب الذي توسل كثير منهم الى قتلهم به عمدا وخطاء ليجري ذلك على ايديهم خفية في هذه الامة نظير ما جرى على ايدي اسلافهم في قتل الانبياء جهرة انتهى ويجوز ان يكون الخبر عنهم محذوفا والتقدير انهم مطبوع على قلوبهم اولا يومنون اولا يزالون يجادلونك ويبارزونك وينبو لك الغوايل فبشرهم بعذاب اليم اي اجعل اخبارهم بانه لهم موضع البشارة نهو من وادي تحيته بينهم ضرب وجيع ولما كان الحال ربما اقتضى ان يقال من بعض اهل الضلال ان لهؤلاء اعمالا حسانا واجتهادات في الطاعة

عظيمة بين تعالى ان تلك الافعال مجرد صور لا معاني لها لتضييع القواعد كما انهم هم ايضا ذوات بغير قلوب لتقع المناسبة
بين الاعمال والعاملين فقال اولئك اي البعداء البغضاء الذين حبطت اي فسدت فسقطت واشار بتانيث الفعل الى ضعفها
من اصلها اعمالهم اي كلها الدنياوية والدينية وانبا تعالى بقوله في الدنيا كما قال الحرالي انهم يتعقبون اعمال خيرهم يبغي
يمحوها فلا يطمعون بجزاء لها في عاجل ولا آجل وبذلك تمادى عليهم الذل وقل منهم المتهدي انتهى والاخرة فلا يقيم لهم الله في يوم
الدين وزنا واسقط ذكر الحيوة اشارة الى انه لا حيوة لهم في واحدة من الدارين ولما كان التقدير فلا ينتصرون بانفسهم
اصلا فانهم لا يدبرون تدبيرا الا كان فيه تدميرهم عطف عليه قولهم وما لهم من ناصرين قال الحرالي فيه اعلام بوقوع الغلبة
عليهم غلبة لا نصرة لهم فيها يوم النصر الموعود في سورة الروم التي هي تفصيل من معنى هذه السورة في قوله تعالى ويومئذ
يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشاء فهم غير داخلين فيمن ينصر بما قد ورد انهم يقتلون في آخر الزمان حتى يقول الحجر يا مسلم
خلفي يهودي فاقتله حتى لا يبقى منهم الا من يستره شجر الغرقد كما قال صلى الله عليه وسلم انه من شجرهم وفي افهامه ان طايفة
من اهل الانجيل يقومون بحقه فيكونون ممن تشملهم نصرة الله مع المسلمين فتنتسق الملة واحدة مما يقع من الاجتماع حين تضع الحرب
اوزارها انتهى ولما كان من المعلوم ان ثبات الاعمال وزكاها انما هو باتباع امر الله وامر رسوله صلى الله عليه وسلم وامر
الذين ورثوا العلم عنه دل على ما اخبر به من الحبوط وعدم النصر بما يشاهد من احوالهم في منابذة الدين فقال الم تر وكان الموضع
لان يقال اليهم ولكنه قال الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب ليدل على ان ضلالهم على علم وان الذي اوتوه منه قراتهم له
بالسنتهم وادعاء الايمان به وقال الحرالي كتابهم الخاص بهم نصيب من الكتاب الجامع وما اخذوا من كتابهم نصيب من اختصاصهم
فانهم لو استوفوا حظهم منه لما عدلوا في الحكم عنه ولرضوا به وكان في هذا التعجيب ان يكون غيرهم يرضى بحكم كتابهم ثم لا يرضون
هم به انتهى يدعون الى كتاب الله اظهر الاسم الشريف ولم يقل الى كتابهم احترازا عما غيروا وبدلوا لانهم انما دعوا الى كتاب
الله الذي انزل الى موسى عليه السلام لا الى ما عساه ان يكون بايديهم مما غيروا نبه عليه الحرالي وفيه ايضا اشارة الى عظيم
اجترائهم بتوليهم عمن له الاحاطة الكاملة ليحكم بينهم قال الحرالي في اشعاره ان طايفة منهم على حق منه اي وهم المذعنون
لذلك الحكم الذي دعي اليه انتهى ولما كان اتباعه واجبا واضحا نفعه لمن جرد نفسه عن الهوى عبر عن مخالفته باداة البعد
فقال ثم وقال الحرالي في امهاله ما يدل على تلددهم وتبلدهم في ذلك بما يوقعه الله من المقت والتحير على من دعي الى حق
فاباه وفي صيغة يتفعل في قوله يتولى ما يناسب معنى ذلك في تكلف السوال على انجذاب من بواطنهم لما عرفوه وكتموه
وصرح قوله فريق منهم بما افهمه ما تقدم من قوله ليحكم بينهم فافهم ان طايفة منهم ثابتون قابلون لحكم كتاب الله وانبا
قوله المشير الى كثرة افراد هذا الفريق وهم معرضون بما سلبوه من ذلك التردد والتكلف فصار وصفا لهم بعد ان كان
تعملا ما انكر منكر حقا وهو يعلمه الا سلبه الله علمه حتى يصير انكاره له بصورة ويوصف من لم يكن قط علمه انتهى وفي هذا تحذير
لهذه الامة من الوقوع في مثل ذلك ولو بان يدعي احدهم من حسن الى احسن منه نبه عليه الحرالي وقال اذ ليس المقصود حكاية
ما مضى فقط ولا ما هن كاين فحسب بل خطاب القرآن قايم دايم ماض كلية خطابه في عابر اليوم المحمدي مع من يناسب احوال
من تقدم منهم وفي حق المرء مع نفسه في اوقات مختلفة انتهى ثم علل اجترائهم على الله فقال ذلك اي الاعراض البعيد عن
افعال اهل الكرم المبعد من الله بانهم قالوا كذبا على الله كما تقدم بيانه في سورة البقرة لن تمسنا النار الا اياما ولما كان
المقام هنا لتناهي اجترائهم على العظايم لاستهانتهم بالعذاب لاستقصارهم لمدته والتصريح بقتل الامرين بالقسط عامة
وبحبوط الاعمال وكان جمع القلة قد يستعار للكثرة اكدت ارادتهم حقيقة القلة بجمع آخر للقلة فقيل على ما هو الاولى
من وصف جمع القلة لما لا يعقل بجمع جبرا له معدودات وتطاول الزمان وهم على هذا الباطل حتى انسوا به واطمانوا اليه
لانه ما كذب احد بحق الا عوقب بتصديقه بباطل وما ترك قوم سنة الا احيوا بدعة على ان كذبهم ايضا جرهم الى الاستهانة
بعذاب الله الذي لا يستهان بشيء منه ولو قل ولما نسبوا ذلك الى الكتاب فجعلوه دينا قال وغرهم قال الحرالي من
الغرور وهو اخفاء الخدعة في صورة النصيحة انتهى في دينهم ما كانوا اي بما هيؤا له وجبلوا عليه يفترون اي يتعمدون
كذبه قال الحرالي فتقابل التعجيبان في ردهم حق الله وسكونهم الى باطلهم انتهى ولما تسبب عن اجترائهم بالكذب
على الله ان يسيل عن حالهم معه قال صارفا القول الى مظهر العظمة المقتضي للمجازاة او المناقشة فكيف اي يكون حالهم
اذا جمعناهم اي ورفعنا حجاب العظمة وشهرنا سيف العز والسطوة ولما كان المقصود بالجمع الجزاء قال ليوم ووصفه
بقوله لا ريب فيه مشعر كما قال الحرالي بانهم ليسوا على طمانينة في باطلهم بمنزلة الذي لم يكن له اصل كتاب فهم في
ريبهم يترددون الى ان ياتي ذلك اليوم ولما كان الجزاء امرا متحققا لا بد منه اشار اليه بصيغة الماضي في قوله
ووفيت والبناء للمفعول للافهام لسهولة ذلك عليه وان كان يفوت الحصر وتانيث الفعل للاشارة الى دناءة
النفوس وضعفها وقوله كل نفس قال الحرالي الفصل الموقع للجزاء مخصوص بوجود النفس التي دابها ان تنفس
فتريد وتختار وتحب وتكره فهي التي توفى فمن سلب الاختيار والارادة والكراهة بتحقق الاسلام الذي تقدم ارتفع
عنه التوفية اذ لا وجود نفس له بما اسلم وجهه لله فلذلك اختص وعيد القرآن كله بالنفس في نفاستها بارادتها
وما نشا لها عليه من احوالها وافعالها ودعواها في ملكها وملكها فمتى نفست فتملكت ملكا او تشرفت ملكا خرجت
عن اسلامها حتى بنا لها سلب القهر منه والزام الذل عنه ويلمح من هذا المعنى اتصلت الاية التي بعدها بختم هذه الاية

وناظرت

وناظرت راس اية ذكر الاسلام فانما هو مسلم لله وذو نفس متملك على الله حتى يسلبه الله في العقبى او بذله في الدنيا
فشمل هذا الوفا لكل نفس اهل الكتاب وغيرهم وعم الوفا لكل من يعمه الجمع كذلك خطاب القران يبدا بخصوصه فيختم
بعموم ويبدا بعموم فيثنيه تفصيل انتهى ولما كان هذا الجزا شاملا للخير والشر قال ما اي جزا ما كسبت فاتى به
مخففا ليشمل المباشرة بكسب او اكتساب وانث الفعل مع جواز التذكير مراعاة للفظ كل اشارة الى الاحاطة بالافعال
ولو كانت في غاية الحقارة وراعى معنى كل لدوما لمعنى مع مرافقة الفواصل وهم لا يظلمون اي لا يقع عليهم ظلم بزيادة ولا نقص
ولا يتوقعونه ولما اخبر تعالى بان الكفار سيغلبون وانه ليس لهم من ناصرين كان حالهم مقتضيا لان يقولوا كيف ونحن
اكثر من الحصى واشد شكايم من ليوث الشرى فكيف نغلب ام كيف لا ينصر بعضنا بعضا وفينا الملوك والامرا والاكابر
والروسا ومناوون القليل الضعفا اهل الارض العرا واولوا الباسا والضرا فقال تعالى لينتبه الراقدون من
فرش الغفلات المتقلبون في فلوات البلادات من بلههم بما راوا وسمعوا من نوع الملك من اقوى الناس واعطايه لاضعفهم
فيعلموا ان الذي من شانه ان يفعل ذلك مع بعض اعدايه جدير بان يفعل اضعافه لاوليايه قل اللهم وقال الحرالي ولما
كان هذا الامر نبوة ثم خلافة ثم ملكا فانتظم ما تقدم من السورة امر النبوة في التنزيل والانزال وامر الخلافة في ذكر
الراسخين في العلم الذين يقولون ربنا لا تزغ قلوبنا وكانت من هجير ابي بكر رضي الله عنه يقنت بها في وتر صلوة النهار
في اخر ركعة من المغرب انتظم بروس تلك المعاني ذكر الملك الذي اتى الله هذه الامة وخص به من لاق به الملك كما خص
بالخلافة من صلحت له الخلافة كما تعين للنبوة الخاتمة من لا يحملها سواه انتهى فقال قل اي يا محمد او يا من امن مخاطبا لالهك
مسمعا لهم ومعرضا عنهم ومنبها لهم من سكرات غفلاتهم في اقبالهم على ملوك لا شي في ايديهم واعراضهم عن هذا
الملك الاعظم الذي بيده كل شي قال الحرالي لعلو منزل هذه السورة كثر الاقبال فيها بالخطاب على النبي صلى الله
عليه وسلم وجعل القايل لما كانت المجاورة معه لان منزل القران ما كان منه لاصلاح ما بين الخلق وربهم يجي الخطاب
فيه من الله اليهم مواجهة حتى ينتهي الى الاعراض عن اباء من يابى منهم وما كان لاصلاح ما بين الامة ونبيها يجري الله الخطاب
فيه على لسانه من حيث توجههم بالمجاورة اليه فاذا قالوا قولا يقصدونه به قال الله عز وجل قل اللهم ولكون القران
متلوا تثبت فيه كلمة قل انتهى اللهم مالك الملك اي لا شيا منه غيرك قال الحرالي فاقنعه صلى الله عليه وسلم
ملك ربه فمن كان منه ومن اله وخلفايه وصحابته يكون من اسلامه وجهه لربه اسلام الملك كله الذي منه شرف
الدنيا لله فلذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم يتظاهر بالملك ولا ياخذ ماخذه لانه كان نبيا عبدا لا نبيا ملكا فاسم الملك
لله كذلك خلفاوه اسلموا الملك لله فلبسوا الخلقان والمرقعات واقتصروا على شظف العيش ولانوا في الحق وجملوا جفا
الغريب واتبعوا اثره في العبودية فاسلموا الملك لله ولم ينازعوه شيا منه حمل عمر رضي الله عنه قربة على ظهره في زمن
خلافته حتى سكبها في دار امراة من الانصار في اقصى المدينة فلما جا الله بزمن الملك واستوفيت ايام الخلافة وعقب
وفا زمان النبوة اظهر الله الملك في امة محمد صلى الله عليه وسلم وكما خصص بالنبوة والامامة بيت محمد وال محمد صلى
الله عليه وسلم بالخلافة فقرا المهاجرين خصص بالملك الطلقا الذين كانوا عتقا الله ورسوله لينال كل من رحمة الله
وفضله التي ول جميعها نبيه صلى الله عليه وسلم كل طايفة على قدر قربهم منه حتى اختص بالتقدم قريشا ما كانت ثم
العرب ما كانت الى ما صار له الامر بعد الملك من سلطنة وتجبر الى ما يصير اليه من دجل كل ذلك مخول لمن يخوله بحسب
القرب والبعد منه تؤتي الملك من تشا في الايتا اشعار بانه تنويل من الله من غير قوة وغلب ولا مطاولة فيه وفي التعبير
بمن العامة للعقلا اشعار بمنال الملك من لم يكن من اهله واخص الناس بالبعد عنه العرب ففيه اشعار بان الله ينول
ملك فارس والروم للعرب كما وقع منه ما وقع وينتهي منه ما بقي الى من نال الملك بسببها وعن الاستناد اليها من ساير
الامم الذين دخلوا في هذه الامة من قبايل الاعاجم وصنوف اهل الاقطار حتى ينتهي الامر الى ان يسلب الله الملك جميع اهل
الارض فيعيده الى امام العرب الخاتم للهداية من ذريته ختمه صلى الله عليه وسلم للنبوة من ذرية ادم ويوتيهم من
المكنة كما قال صلى الله عليه وسلم لو شا احدهم ان يسير من المشرق الى المغرب في خطوة لفعل ومع ذلك فليسوا من الدنيا
وليست الدنيا منهم فيوتيهم الله ملكا من ملكه ظاهر هداية من هداته شافة عن سره الذي يستعلن به في خاتمة يوم الدنيا
ليتصل بظهوره ملك يوم الدين والملك التلبس بشرف الدنيا والاستيثار بخيرها قال ابو بكر لعمر رضي الله عنهما
في وصيته له اذا جنيت فلتهجر يدك فاك حتى يشبع من جنيت له فان نازعتك نفسك في مشاركتهم فشاركهم غير مستاثر
عليهم واياك والذخيرة فان الذخيرة تهلك دين الامام وتسفك دمه فالملك التباس بشرف الدنيا واستيثار بخيرها
واتخاذ ذخيرة منها لما ارادوا ان يغيروا على عمر رضي الله عنه زيه عند اقباله على بيت المقدس بنذر بهم وقال
انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلن نلتمس العز بغيره فمن التمس بجاه الدنيا فهو ملك بقدر ما يلتمس من شرفها قل ذلك الحظ
او جل وهربه من اتباع ملوك الدنيا وكذلك من التمس الاستيثار بخيرها واتخذ الذخيرة منها كل ينال من الملك ويكون
من شيعة الملوك بحسب ما ينال ويحب من ذلك حتى ينتهي الى حشره مع الصنف الذي يميل اليه فمن تذلل وتقلل وتوكل
بعث مع الانبيا والمرسلين والخلفا كما ان من تشرف بالدنيا واستاثر وادخر منها حشر مع الملوك والسلاطين جلس عمر رضي الله عنه
يوما وسلمان وكعب وجماعة رضي الله عنهم فقال اخبروني اخليفة انا ام ملك فقال له سلمان يا امير المومنين ان جبيت

درهما من هذا المال فوضعته في غير حقه فانت ملك وان لم تضعه الا في حقه فانت خليفة فقال كعب رضي الله عنه
ما ظننت ان احدا يعرف الخليفة والملك غيري فالتزام مرارة العدل وايثار الغير خلافة وتتبع في سبيلها ومنال الملك
الاستيثار بالعاجلة شرهها ومالها ملك وتحيز لتباعه انتهى وفي تقديم الايتاء على النزع اشارة الى ان الداعي ينبغي ان يبدأ
بالترغيب وتنزع قال الحرالي من النزع وهو الاخذ بشدة وبطش انتهى الملك ممن تشاء وفيه اشارة الى انا لدعا بالليزان لم
يجد ثني بالترهيب وعلى هذا المنوال ابرز قوله وتعز من تشاء اي اعزازه وتذل من تشاء اي اذلاله وهو كما قال
ان رحمتي سبقت غضبي قال الحرالي وفي كلمة النزع بما يلبي نعته من البطش والقوة معنى الايتاء فهو ايتاء العرب ونزع من
العجم كما ورد ان كسرى راى في منامه انه يقال له سلم ما بيدك لصاحب المراوة فنزع ملك الملوك من الاكاسرة والقياصرة
وخوله قريشا ومن قام بامرها وانتحل الملك باسمها من صنوف الامم غربا وشرقا وجنوبا وشمالا الى ما يتم به الامر في الختم
والعز والله اعلم عزة الله لاهله وآل نبيه صلى الله عليه وسلم وللانصار والصلحاء من صحابته وعشيرته وابنائهم وذرياتهم
الذين سلبهم الله ملك الدنيا فخلاهم بعز الاخرة وبعزة الدين كما قال تعالى فلله العزة ولرسوله وللمومنين ليكون في الخطاب
ابناء بشرى لهم انه اتاهم من العز بالدين ما هو خير من الشرف بملك الدنيا من كان يريد العزة فلله العزة جميعا فالملوك
وان تشرفوا بملك الدنيا فليس لهم من عزة الدين شئ اعزهم الله بالدين تخدمهم الاحرار وتتوطر لهم الامصار لا يجدون وحشة
ولا حصرون في محل ولا تسقط لهم حرمة حيث ما حلوا وحيث ما كانوا استتروا او اشتهروا والمتلبسون بالملك لا يجدهم الا من
استرقوه قهرا يملكون تصنع الخلق ولا يملكون محاب قلوبهم محصورون في اقطار مملكتهم لا يخرجون عنها ولا ينتقلون فيها حتى
يمنعهم من كمال الدين فلا يتصرفون في الارض ولا يضربون فيها حتى يمتنع ملوك من الحج مخافة نيل الذل في غير موطن الملك والله
عز وجل يقول لان عبدا صحت له جسمه واوسعت عليه في رزقه يقيم خمسة اعوام لا يفد على المحروم فالملوك مملوكون بما
ملكوا واعزاء الله ممكنون فيما اليه وجهوا لا يصدهم عن تحملة امر الدين واصلاح امر الاخرة صاد ولا يردهم عنه راد فحرموا
من سجن الملك الى سعة العز بعزة الله فقارض اهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ومن لم يرضه للملك بعز
الائمة ورفعة الولاية والاستيلاء على محاب القلوب فاستر عايم الله قلوب العالمين بما استرعى الملوك بعض حواس المستخدمين
والمستتبعين والذل مقابل ذلك العز فاذا كان ذلك العز عزا دينيا ربانيا عوضا عن سلب الملك هذا الذل والله
اعلم ذل اهل الدنيا في دنياهم الذي الزمهم الله اياه بما اذلتهم انفسهم فاستعملتهم في شهواتها واذلهم اتباعها فتوسلوا بهم
الى قضاء اغراضهم في اهوائهم ويستدل لهم من يظلمونه بما يتصنعون منهم وينالهم من ذل تضييع الدين ويبدو على وجوههم
من ظلمة الظلم ما يشهد ذلهم فيه ابصار العارفين انتهى ولعل نصاري نجران اشد قصدا بهذا الخطاب فانهم خافوا ان
ينزع منهم ملوك الروم ماخولوهم فيه من الدنيا ان اخبروا بما يعلمون من امر هذا النبي الامي صلى الله عليه وسلم ولما
تقرر انه مالك لما تقدم انتج ان له التصرف المطلق فعبر عنه بقوله بيدك اي وحدك الخير ولم يذكر الشر تعليما
لعباده الادب في خطابه وترغيبا لهم في الاقبال عليه والاعراض عما سواه لان العادة جارية بان الناس اسرع شئ
الى معطي النوال وباذل الاموال وتنبيها على ان الشر اهل للاعراض عن كل شئ من امره حتى عن مجرد ذكره واحظاره بالبال
مع ان الاقتصار على الخير عليك الخير مستلزم لمثل ذلك في الشر لانهما ضدان ان كل منهما مساو لنقيض الآخر فاثبات احدهما
نفي للآخر ونفيه اثبات للاخر فلا يعطي الخير الا وقد نفى الشر ولا ينزع الخير الا وقد وضع الشر والله اعلم ولما انهم ان الشر
بيده كما اعلم ان الخير بيده وخاص به قرر ذلك على وجه اعم بقوله معللا انك على كل شئ قدير فلما ثبت خصوصيته سبحانه
بصفة القدرة على الوجه الاعم ذكر بعض ما تحت ذلك مما لم يدخل شئ منه تحت قدرة غيره فقال وقال الحرالي ولما كانت
هذه الاية متضمنة تقلبات نفسانية في العالم القائم الادمي تتصل بها ذكر تقلبات في العالم الدائر ليوخذ كل منهما
اعتبارا من الاخر ولما ظهر في هذه الاية اقتران في النزع والايتاء والاعزاز والاذلال ابدي في الاية التالية توالي
بعضها في بعض ليوذن بولوج العز في الذل والذل في العز والايتاء في النزع والنزع في الايتاء وتوالج المقترفات
والمتقابلات بعضها في بعض ولما كانت هذه السورة متضمنة لبيان الاحكام والتشابه في منزل الكتاب عم القرآن
اظهر تعالى في اياتها ما احكم وبين في خلقه وامره وما التبس واوجز في خلقه وامره فكان من محكم اية في الكاين القائم
الادمي ما تضمنه ايتاء الملك ونزعه والاعزاز والاذلال وكان من الاشتباه ايلاج العز في الذل وايلاج الذل في العز
فلما صرح بالاحكام ببيان الطرفين في الكاين القائم الادمي وضمن الخطاب اشتباهه في ذكر العز والذل صرح به في اية
الكون الدائر فذكر اية الافاق وهو الليل والنهار مما يعاين فيهما من التوالج حيث ظهر ذلك فيهما وخفي في توالج احوال الكاين
القائم لان الاحكام والاشتباه مترادبين الايتين اية الكاين القائم الادمي واية الكون الدائر العرشي فيما وقع اشتباهه
في احدهما ظهر احكامه في الاخر فقال تعالى يولج من الولوج وهو الدخول في الشئ الساتر بجملة الداخل الليل في النهار
فيه تفصيل من مضاء قدرته فهو تعالى يجعل كل واحد من المتقابلين بطانة للاخر والجافيه على وجه لا يصل اليه منال المعقول
لما في المعقول من اقتران المتقابلات فكان في القدرة ايلاج المتقابلات بعضها في بعض وايداع بعضها في بعض على وجه
لا يكيف لمعقول ولا ينال بفكر انتهى ويولج النهار في الليل اي يدخل كلا منهما في الاخر بعد ظهور حتى يذهب فيه فيختفي ولا
يبقى له اثر قال الحرالي ولما جعل المتعاقبين من الليل والنهار متوالجين جعل المتباطنين من الحي والميت مخرجين مما ظهر فيه

الموت بطنت فيه الحيوة وما ظهرت فيه الحيوة بطن فيه الموت انتهى فقال تعالى وتخرج الحي اي من النبات والحيوان
من الميت منهما وتخرج الميت منهما من الحي منهما كذلك قال الحرالي فهذه سنة الله وحكمته في الكاين القايم وفي الكون
الدآير فاما في الكون الدآير فباخراج حبتي الشجر والنجم من موات البذر والعجم وبظهوره في العيان كان احكم في البيان مما يقع
في الكاين القايم كذلك الكاين القايم يخرج الحي المومن الموقن من الميت الكافر الجاهل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ويخرج الكافر الابي من المومن الراحم يا نوح انه ليس من اهلك اظهر
تعالى بذلك وجوه الاحكام والاشتباه في امتي خلقه ليكون ذلك آية على ما في امره وليشف ذلك عما يظهر من امر علمه وقدرته
على من شا من عباده كما اظهر في ملايكته وانبيايه وكما خصص بما شا من اظهار عظيم امره في المثلين الاعظمين مثل ادم وعيسى
عليهما السلام فانزلت هذه السورة لبيان الامر فيما اشتبه على من التبس عليه امر عيسى عليه السلام فهو تعالى اظهر من
موات الانسانية ما شا من الاحيا باذنه واظهر في آدم عليه السلام ما شا من علمه حين علم آدم الاسما كلها كذلك اظهر في
عيسى عليه السلام ما شا من قدرته كما اظهر في الخلق ما شا من ملكه فملك من شا ونزع الملك ممن شا واعز من شا واذل
من شا واظهر بالنهار ما شا وطمس بالليل ما شا واولج المتقابلين بعضهما في بعض واخرج المتباطنين بعضهما من بعض
انتهى ولما بدا الآية سبحانه بما يقتضي الترغيب بما هو محط احوال الانفس من الملك وانواع الخير ختمها بمثل ذلك فيما لا
يقوم الملك ولا يطيب العيش الا به فقال وترزق من تشاء قويا كان او ضعيفا بغير حساب اي تعطيه عطاء واسعا
جدا متصلا من غير تضييق ولا عسر كما فعل باول هذه الامة على ما كانوا فيه من القلة والضعف حيث اتاهم الاكاسرة
والقياصرة واتاحهم كنوزهم واخذ منهم ابنايهم واحلهم ديارهم وقال الحرالي ولما ذكر تعالى هذا الاحكام والاشتباه
في امر العلية من الخلق اهل شرف الملك واهل غيره الذين ختم الخطاب بامر الرزق الذي هو تتمة الخلق وفيه من الاحكام
والاشتباه نحو مما في الايتا والنزع ولما فيه من الوزن والايتا بقدر ختم باعز به وهو الارزاق الذي لا يقع على وزن
ولا يكون بحساب وفيه اشعار بالارزاق الختمي الذي يكون في آخر اليوم المحمدي للذين يوتيهم الله ما شا من ملكه وعزه وسعة
رزقه بغير حساب فكما ختم الملك لبني اسرايل بملك سليمان عليه السلام في قوله هذا عطاونا فامنن او امسك بغير
حساب كذلك يختم لهذه الامة بان يرزقهم بغير حساب حين تلقي الارض بركاتها وتتطير من فتنتها فتقع المكنة في ختم اليوم
المحمدي بالهداية والهدنة كما انقضت لبني اسرايل بالملك والقوة انتهى ولما بان بهذه الآية ان لا شي في يد غيره واقتضى
ذلك قصر الهمم عليه وكان نصارى نجران انما داموا على موالاة ملوك الروم لمحض الدنيا مع العلم ببطلان ما هم عليه حذر
المومنون من مداناة مثل ذلك مع كونهم مومنين كما وقع لحاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه مما قص في سورة الممتحنة اشارة
الى انه لا تجتمع موالاة المومنين وموالاة الكافرين في قلب الا اوشكت احديهما ان يغلب على الاخرى فتنزعها فقال تعالى
منبها على ذلك كله سايقا له مساق النتيجة لما قبله وقال الحرالي ولما كان مضمون هاتين الآيتين بشرى لخصوص هذه
الامة وعمومها بالعز والملك وختم الرزق الذي لا حساب فيه كان من الحق ان تظهر على المبشرين عزة البشرى فلا يتولوا
غيره ولما قبض ما بايدي الخلق اليه في ايتا الملك ونزعه والاعزاز والاذلال واظهر احاطة قدرته على كل شي واقامة
امتحانه بما اولج واخرج وانبا عن اطلاق حد العد عن ارزاقه فسد على النفس الابواب التي منها تتوهم الحاجة الى الخلق نهى
المومنين الذين كانت لهم عادة بمباطنة بعض كفرة اهل الكتاب وغيرهم من المشركين ومن شمله وصف الكفر ان يجروا
على عادتهم في موالاتهم ومصافاتهم والحديث معهم لان المومنين يفاوضونهم بصفا والكافرون يتسمعون وياخذون
منهم بدغل ونفاق عليهم كما قال تعالى ها انتم اولا تحبونهم ولا يحبونكم فنهاهم الله سبحانه عما غاب عنهم خبرته وطبته
انتهى فقال تعالى لا يتخذ المومنون اي الراسخون في الايمان وعبر في اضدادهم بالوصف ليلا يتوهم ذلك في كل من تلبس
بكفر في وقت ما فقال الكافرون اوليا ونبه بقوله من دون المومنين على ان ولاية اوليايه من ولايته وان المنهي
عنه انما هو الولاية التي قد توهن الركون الى المومنين لان في ذلك كما قال الحرالي تبعيد القريب وتقريب البعيد والمومن
اولى بالمومن كما قال صلى الله عليه وسلم المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا فاقواهم له ركن وضعيفهم مستند
لذلك الركن القوي فاذا والاه قوي به بما يباطنه ويصافيه واذا اتخذ الكافر وليا من دون مومنه القوي ربما
تداعى ضعفه في ايمانه الى ما ينازعه فيه من ملابسة احوال الكافرين كما انهم لما اصاخوا اليهم اصاخة اوقعوا بينهم
اسباب الجاهلية في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم
كافرين وكما قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ولم يمنع
سبحانه من صلة ارحام من لهم من الكافرين ولا من خلطتهم في امر الدنيا فيما يجري مجرى المعاملة من البيع والشرى
والاخذ والعطا وغير ذلك ليوالوا في الدين اهل الدين ولا يضرهم ان يباروا من لم يحاربهم من الكافرين انتهى ولما
كان التقدير فمن تولاهم وكل اليهم وكان في عدادهم لانه ليس من الراسخين في صفة الايمان عطف عليه ترهيبا لمن قد
تتقاصر همته فيرضى بمنزلة ما دون الرسوخ قوله ومن يفعل ذلك اي هذا الامر البعيد من افعال ذوي الهمم
الذي يكون به في عداد الاعدا بعد هذا البيان ومع رفع هذا الحجاب الذي كان مسدولا على اكثر الخلق فليس من الله
اي الذي بيده كل شي فلا كفو له في شي قال الحرالي ففي افهامه ان من تمسك بولاية المومنين فهو من الله في شي بما هو متمسك

بعنان من هوله وسيلة الى الله من الذين اذا رأوا ذكر الله انتهى ولما كان من الناس القوي والضعيف والشديد واللين
نظر الى اهل الضعف سبحانه فوسع لهم بقوله الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان تخافوا منهم امرا خطرا مجزوما به لا كما خافه
نصارى نجران وتوهمه حاطب فحينئذ يباح اظهار الموالاة وان كانت درجة من تصلب في مكاشرتهم وتعزز لمكابرتهم ومكاثرتهم
وان قطع اعظم فاياكم ان تركنوا اليهم فان الله يحذركم اقبالكم على عدوه فان ذلك موجب لاعراضه عنكم ويحذركم الله اي الملك
الاعظم نفسه فان الله عالم بما تفعلونه وهو الحكم في الدنيا كما ترون من اذلالة العزيز واعزازة الذليل وهذا المحذور منه
وهو نفسه سبحانه كما قال الحرالي مجموع اسماء تعاليه المقابلة باسماء اوصافهم التي مجموعها انفسهم وموجود النفس ما تنفس
واذا كانت انفس الخلق تنفس على ما دونها الى حد مستطاعها فكان ما حذره الله من نفسه اولى واحق بالنفاسة في تعالي
اوصافه واسمائه ان تنفس على من يغنيه فلا يستغني ويكفيه فلا يكتفي ويريه مصارف سد خلاته وحاجاته فلا ينصرف
اليها ولا يتوجه نحوها فهو سبحانه يعذب من تعرف له بنفسه فلم يعرفه اشد من عذاب من يتعرف له باياته فلا يعتبر بها بما
ان كل ما ابداه من نفسه بلا واسطة فهو اعظم مما ابداه بالواسطة من نعيم وعذاب فلا اعظم من نعيم من تعرف له بنفسه
فعرفه ولا اشد من عذاب من تعرف له بنفسه فانكره انتهى ولما كانت مصايب الدنيا قد تستهان قال تعالى عاطفا على نحو ما
تقديره فمن الله المبدا وقال الحرالي ولما كان الزايل ابدا موذنا بترك الاعتماد عليه اقام تعالى على المتمسك بما دونه حجة
بزواله فلا يستطيع الثبات عليه عندما تناله الازالة والاذهاب ويصير الامر كله لله فاعلم ان المصير المطلق الى الله فمن
تعرف اليه فعرفه نال اعظم النعيم ومن تعرف اليه فانكره نال اشد الجحيم انتهى فقال والى الله اي الذي له الاحاطة الكاملة
المصير اي وان طال املاؤه لمن اعرض عنه فيوشك ان ينتقم منه ولما كانت الموالاة بالباطن المنهي عنها مطلقا ودايما
قد تفعل ويدعي نفيها لخفايها امره صلى الله عليه وسلم بتحذيرهم من موالاة اعدايه على وجه النفاق او غيره فقال وقال
الحرالي ولما كانت حقيقة ما نهي عنه في الولاية والتقاه امرا باطنا يترتب عليه فعل ظاهر فوقع التحذير فيه على الفعل
كرر فيه التحذير على ما وراء الفعل مما في الصدور ونبه فيه على منال العلم خفيه فانه قد يترك الشي فعلا ولا تترك النفس
الفته صغوا ونزوعا اليه في اوقات وكرر في ختمه التحذير ليتثنى التحذير ان ترقيا من الظاهر في الفعل الى باطن الحماية
في العلم كما تثنى الامران في الظاهر والباطن وكان في اجراء هذا الخطاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم حجة عليهم بما
انه بشر مثلهم يلزمهم الاقتداء بهم فيما لم يبادروا الى اخذه من الله في خطابه الذي عرض به نحوهم انتهى فقال تعالى قل ان
تخفوا اي يا ايها المومنون ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله المحيط قدرة وعلما قال عاطفا على جملة الشرط التي هي
مقول القول ارادة التعميم ويعلم ما اي جميع ما في السموات ولما كان الانسان مطبوعا على ظن انه اذا اخفى شيا في نفسه
لا يعلمه غيره اكد باعادة الموصول فقال وما اي وجميع ما في الارض ظاهرا كان او باطنا ولما كان ذو العلم لا يكمل الا
بالقدرة وكان يلزم من تمام العلم شمول القدرة كما سياتي ان شاء الله تعالى في برهانه في سورة طه كان التقدير فالله بكل شي
عليم فعطف عليه قوله والله اي بما له من صفات الكمال على كل شي قدير ومن نمط ذلك قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه
شي في الارض ولا في السماء مع ذكر التصوير كيف يشاء والختم بوصفي العزة والحكمة وقد دل سبحانه بالتفرد بصفتي
العلم والقدرة على التفرد بالالوهية ولما تم الوصف بالعلم والقدرة بعد التحذير من سطواته ذكر يوم المصير المحذر
منه المحصي فيه كل كبير وصغير المعامل فيه كل عامل بما يليق به الذي يتم فيه انكشاف الاوصاف لكل ذكي وغبي فقال
تعالى يوم وهو معمول لعامل من معنى يحذر تجد كل نفس والذي يرشد الى تعيين تقدير هذا العامل اذا جعل العامل
مقدرا قوله تعالى ويحذركم الله نفسه سابقا لهولا حقا ويجوز ان يكون بدلا من يوم في قوله ليوم لا ريب فيه
وتكون فتحته البناء لاضافته الى الجملة والله اعلم والمراد بالنفس والله اعلم المكلفة ما عملت من خير محضرا اي لا نقص
فيه ولا زيادة بامر القاهر القادر على كل شي وما عملت من سوء حاضرا ملازما فما عملت من خير تود انها لا تفارقه
ولا ينقص منه شي وما عملت من سوء تود اي تحب حبا شديدا لو ان بينها وبينه اي ذلك العمل السوء امدا اي زمانا
قال الحرالي واصله مقدار ما يستوفي جهد الفرس من الجري فهو مقدار ما يستوفي ظهور ما في التقدير الى وفاء كيانه
بعيدا من البعد وهو منقطع الوصلة في حس او معنى انتهى فالاية من الاحتباك ذكر احضار الخير دلالة على حضور الشر
وود بعد السوء دلالة على ود لزوم الخير قال الحرالي ان تكون لكم انفس فتجد ما عملت ويلزمها وطاة هذه المواخذة
بل الذي ينبغي ان يبرا العبد من نفسه تبرئته من ان يكون له ارادة وان يلاحظ علم الله وقدرته في كلية ظاهرة وباطنة
وظاهر الكون وباطنه انتهى ولما كان تكرير التحذير قد ينفر بين ان تحذيره للاستعطاف فانه بنصب الادلة وبعث
الدعاة والترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية المسبب عنه سعادة الدارين فهو من رافته بالمحذرين
فقال بانيا على ما تقديره ويعدكم الله فضله ويبشركم به لرافته بكم والله اي والحال انه الذي له وحدة الجلال
والاكرام رؤف بالعباد قال الحرالي فكان هذا التحذير الخاتم ابتدائيا والتحذير السابق انتهائيا فكان هذا رافة
سابقة وكان الاولى الذي ترتب على الفعل تحذيرا لاحقا متصلا بالمصير الى الله وهذا الخاتم مبتديا بالرافة من الله
والرافة بقول اهل المعاني هي ارف الرحمة والذي يفصح عن المعنى والله اعلم انها عطف العاطف على من يجد عنده منه
وصلة فهي رحمة ذي الصلة بالراحم فمن تحقق ان الامر لله وجد رفقه وفضله ورحمته عليه لما برئ من برئ من دعوى

شي من نسبة الخير الي نفسه فاحبه لذلك قيل لاعرابي انك تموت وتبعث وترجع الي الله فقال اتهددوني بمن لم
ار الخير قط الا منه فلذلك اذا تحقق العبد ذلك من ربه احبه بما وجده وبما وجده في العاجلة فحماه ان يجد عمل نفسه
في الآجلة انتهي وقد علم ان الاية من الاحتباك التحذير اولا دل علي الوعد بالخير ثانيا والرافة كاينا دالة علي الانتقام
اولا والله الموفق ولما فطمهم سبحانه عن موالاة الكفار ظاهرا وباطنا بما اقتضي القصر علي موالاة اهل الله لنفيه
من تولي الكفار عن ان يكون في شي من الله وكان الانسان ربما والي الكافر وهو يدعي محبة الله وختم برافته سبحانه بعباده
وكانت الرافة قد تكون عن المحبة الموجبة للقرب فكان الاخبار بها ربما دعا الي الاتكال ووقع لاجله الاشتباه
في الحزبين جعل لذلك سبحانه علامة فقال وقال الحرالي لما كان اعظم ما تترامي اليه مقامات السالكين الي الله والقا صدين
اليه من مبدا حال الذكر الذي هو منتهي المقامات العشر المترتبة في قوله تعالي ان المسلمين محبة الله بما ان المحبة
وصلة خفية يعرف الحاس بها كنهها اقام تعالي الحجة علي المترامين لدعوي القرب من الله والادعاء في اعلي ما يصل
اليه القول من محبته بما انباهم ان من انتهي الي ان يحب الله فليتبع هذا النبي الذي احبه الله فمن اتبعه احبه الله
فقامت بذلك الحجة علي كل سالك وقاصد ومتقرب فان نهاية الخلق ان يحبوا الله وعناية الحق ان يحب العبد فرد
سبحانه جميع من احاط به الاصطفا والاجتبا والاختصاص ووجههم الي وجهه الاتباع لحبيبه الذي احبه كما قال
صلي الله عليه وسلم لو ان موسي بين اظهركم ما وسعه الا اتباعي واذا كان ذلك في موسي عليه السلام كان المنتحلين لملته
الزام بما هم متبعون لمتبعه عندهم واصل ذلك انه صلي الله عليه وسلم لما كان المبدا في الابدا وجب ان يكون النهاية
في المعاد فالزم الله اعلي الخليقة ممن احب الله ان يتبعوه واجري ذلك علي لسانه اشعارا بما فيه من الخير والوصول
الي الله من حيث انه نبي البشري وليكون ذلك اكظم لمن ابي اتباعه فقال تعالي قل ان كنتم تحبون الله اي المحيط
بصفات الكمال مخلصين في حبه لاعتقاد انه علي غاية الكمال فان الكمال محبوب لذاته فاتبعوني قال الحرالي قد فسر
صلي الله عليه وسلم ظاهر اتباعه فقال في البر واصل حقيقة الايمان بالله والايثار لعباد الله والتقوي وهي ملاك
الامر واصل الخير وهي اطراح استغنا العبد بشي من شانه لا من ملك ولا من ملك ولا من فعل ولا من وصف ولا من ذات
حتي يكون عنده كما هو عند ربه في ازله قبل ان يكون موجودا لنفسه ليكون امره كله بربه في وجوده كما كان امره بربه
قبل وجوده لنفسه وقد فسر حق التقاة التي هي غاية التقوي بان يكون العبد يشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسي ويطيع
فلا يعصي انتهي قال الامام المحبة توجب الاقبال بالكلية علي المحبوب والاعراض عن غيره انتهي فمن ادعي محبته وخالف
سنة رسوله صلي الله عليه وسلم فهو كذاب وكتاب الله يكذبه يحببكم الله الذي له الاسما الحسني والصفات العلي
حبا ظهرت امارته بما اعلم به الفك فان الامر المنجي غاية النجاة انما هو محبة الله للعبد لا محبة العبد لله فانه ربما كانت
له حالة تظن بها انه يحب الله والواقع انه ليس كما ظن لكونه يعمل بما يسخطه سبحانه والامارة الصحيحة لذلك رد
الامر كله الي الله وحسد يفعل الله مع العبد فعل المحب من حسن الثنا والاكرام بالثواب قال الحرالي فان من رد الامانة
الي الله احبه الله فكان سمعه وبصره ويده ورجله واذا احب الله عبدا اراحه وانقذه من مناله في ان يكون هو يحب الله
فمن احب الله وله ومن احبه الله سكن في ابتدا عنايته وثبته الله انتهي فقد اشار سبحانه الي ان الدلالة الناشية
عن الرافة من الاكرام بالنعم من الهداية بالبيان والابلاغ في الاحسان عامة للمحبوب وغيره وان الدليل علي المحبة
الالهية هو الاتباع للداعي اعملوا فكل ميسر لما خلق له فاما من كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة واما
من كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل اهل الشقاوة وما تقرب المتقربون الي بمثل ادا ما افترضت عليهم ولا
يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتي احبه ولما كان الدين شديدا لن يشاده احد الا غلبه لما عليه العبد من العجز
والمعبود من عظيم الامر اتبع ذلك الاعلام بانه من ايصال الثواب برفع العقاب والعقاب فقال وقال الحرالي
ولما كان من اية حب الله له صلي الله عليه وسلم ما انزل عليه من قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم مع ايصال
من ذنبك وما تاخر اجري لمن احبه الله باتباعه حظ منه في قوله ويغفر لكم ذنوبكم اي مطلقا وذنب كل عبد
بحسبه لان اصل معني الذنب ادني مقام العبد فكل ذي مقام اعلاه حسنته وادناه ذنبه ولذلك في كل مقام توبة
حتي تقع التوبة من التوبة فيكمل الوجود والشهود ولما كان هذا الامر من اخص ما يقع وكان مما دونه مقامات
خواص الخلق فيما بين اسلامهم الي محبتهم لله ختم تعالي بما يفهم احوال ما يرجع الي من دون هذا الكمال فقال والله
الذي له الكمال كله غفور رحيم اي لمن لم ينته لرتبة حب الله له بما يقع في اثنا احواله من موجب المغفرة واستدعا بلغ مقابله
الرحمة حيث لم يصل الي المحبة فمرحوم بعد مغفرة وهو القاصد ومغفور بعد محبة وهو الواصل انتهي ولما كان
الاتباع قد يكون عن غلبة لا عن طاعة بين انه لا ينفع الا مع الاذعان فقال او يقال لما كان صلي الله عليه وسلم
في غاية الرافة بالعباد وكان يعلم ان احاد الامة لا يقدرون علي كمال اتباعه لما له من العصمة من الطبع علي خصال
الكمال كان كانه قال له سبحانه وتعالي فان لم يقدروا علي كمال اتباعي فقال قل وقال الحرالي ولما ذكر تعالي
ما تقدم من التحذيرين في رتبتين اولاهما في الذكر نجاتين من موجب التحذيرين فكان الاتباع موجب النجاة من التحذير
الثاني الباطن الذي مبداوه الرافة وكانت الطاعة موجب النجاة من التحذير الاول السابق فمن اطاع الله والرسول

فيما نهي من اتخاذ ولاية الكافرين من دون ولاية المؤمنين سلم من التحذير الظاهر ومن اتبع الرسول فاحبه الله سلم من التحذير الباطن فختم الخطاب بما به بدأ ولما كانت رتبة الاتباع عليا وليتها رتبة الايتمار فهو اما متبع على حد واما مؤتمر على طاعة فمن لم يكن من اهل الاتباع فليكن من اهل الطاعة فكان الخطاب ينهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني فان لم تستطيعوا ان تتبعوني فاطيعوني انتهى فقال تعالى قل اطيعوا الله لما له من صفات الكمال ولما قدم ان رضاه في اتباعه فدل على ان الطاعة واحدة قال موحدا للعامل واطيعوا الرسول اي الكامل في الرسلية لما له به سبحانه من مزايا الاتصال وهو وان كان اسما كليا لكنه كان حين انزال هذا الخطاب مختصا باكمل الخلق محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المرسل الى الخلق كافة على ان طاعته بجميع الرسل الذين بينوا للناس امره صلى الله عليهم وسلم اجمعين قال الحرالي فكان اشارة ذلك الى ما نهوا عنه من التولي الى ما ينتظم في معنى ذلك وفيه اشعار بان الامر يكون محوطا بالرحمة من حيث ذكر الرسول فيه بما هو رحمة للعالمين فان تولوا اي عن طاعة خطاب الله والرسول المحفوف باللطف من الله والرحمة من رسول الله انتهى وتولوا يحتمل المضارع والماضي فكان الاصل في الكلام فان الله الذي له الغني المطلق لا يحبكم او لا يحبهم ولكنه اظهر الوصف المعلم بان التولي كفر فقال لا يحب الكافرين قال الحرالي افرد الامر لما كان وعيدا ابقاء لرسوله صلى الله عليه وسلم في حيز الرحمة ولما نفى عن تولي ان يحبه كان في اشعاره ان هذا الكفر عموم كفر يدخل رتبة من الايمان من حيث نفى عنه الحب فنفي منه ما ينال له العفو او المغفرة والرحمة ونحو ذلك بحسب رتب تناقض الكفر لانه كفر ودون كفر ومن فيه كفر فهو غير مستو في اتباع الرسول بما انه الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانما يحب الله من اتبع رسوله فعاد الختم في الخطاب الى اشعار من معنى اوله وفي الجملة ان حب الله للعبد بحسب توحيده فكلما كان اكمل توحيدا كان احب وما سقط عن رتبة ما في التوحيد الذي هو محل الامر بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كان كفرا بحسب ما يقطع على تلك الرتبة من التوحيد لان هذه السورة سورة الاهية ايمانية حبية توحيدية تخاطبها مخصوص بما يجري في حكم ذلك من الايمان والكفر والمحكم والمتشابه وكشف غطاء الاعين ورفع حجاب القلوب انتهى وقد وضح ان الآية من الاحتباك فاصل نظمها فان تولوا فان الله لا يحبهم لكفرانهم وان اقبلوا فان الله يحبهم لايمانهم فان الله لا يحب الكافرين والله يحب المؤمنين فاثبات التولية في الاول يدل على حذف الاقبال من الثاني واثبات الكراهة في الثاني يدل على حذف مثلها في الاول ولما كان الاصفياء اخص من مطلق الاحباب بين بعض الاصفياء وما اكرمهم به تصديقا لقوله تعالى في الحديث القدسي الشريف فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها تنبيها لوفد نصاري نجران وغيرهم على انه سئل ما اصطفى لنفسه دينا اصطفى للتخلق به ناسا يحبونه ويطيعونه ويوالون اولياءه ويعادون اعداءه وليسوا من صفات الكافرين في شيء فقال او يقال انه سبحانه لما شبه افعاله في التشابه وغيره باقواله وعرف ان الطريق الاقوم رد المتشابه منها الى الواضح المحكم والالتجاء في كشف المشكل اليه مع الاعتقاد الجازم المستقيم وبين انا الموقف عن هذا الطريق الاقوم الوقوف مع العرض الدنيوي من الرياسة وغيرها والف الدين مع التعلل فيه بالتمني الفارغ وانهى ذلك وتوابعه الى ان ختم بتهديد من تولى عن الحق احدا في تصوير تصويره في الارحام كيف شاء بما شوهد من ذلك ولم يشكه فيه من احوال اناسهم من خلص عباده المقبلين على ما يرضيه فقال او يقال ولعله احسن ولما اخبر سبحانه ان اهل الكتاب ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم فكفروا بذلك والحق به ما تبعه الى ان ختم بالامر باتباع الرسول وبانه لا يحب الكافرين بالتولي عن رسله اشتد تشوف النفس الى معرفة الرسل الاتين بالعلم الذين توجب مخالفتهم الكفر فبينهم بقوله وقال الحرالي لما كان منزل هذه السورة لاظهار المحكم والمتشابه في الخلق والامر قدم تعالى بين يدي اباية متشابه خلق عيسى عليه السلام اخر المتقدم خلق آدم عليه السلام او لا حتى يكونا مثلين محيطين بطرفي الكون في علو روحه ودنو اديم ترتبه وانه تعالى نزل الروح الى الخلق الادمي كما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون فظهر اثر ذلك اللبس بما وقع لاهل الزيغ في عيسى انه رقى الخلق الطيني رتبة رتبة الى كمال التسوية الى ان نفخ فيه من روحه فكان ترقي الادمي الى النفخة كتنزل الروح الى الطينية الانسانية التي تم بها وجود عيسى عليه السلام كاكمل وجود آدم عليه السلام بالنفخة ولما كان اصل الابداء نورا عليا نزله الحق في رتب التطوير والتصوير والجعل الى ان به اعالما دنيا ويا محتويا على الاركان الاربعة والموالد الثلاث وخفيت نورانيته في وجود اضافة صفي الله سبحانه من وجود كلية ذلك هذا الخلق الادمي فكان صفي الله فانيا الخطاب عن تصويره الى الصفاء بالافتعال فقال تعالى ان الله اي بجلاله وعظمته وكماله في احاطته وقدرته اصطفى اي العلم والرسالة عنه سبحانه الى خلقه والخلافة له في ملكه آدم اباكم الاول الذي لا تشكون في انه خلقه من تراب وهو تنبيه لمن غلط في امر عيسى عليه السلام على ان اعظم ما استغربوا من عيسى عليه السلام كونه من غير ذكر وآدم اغرب حالا منه بانه ليس من ذكر ولا انثى ولا من جنس الاحياء كما سيأتي ذلك صريحا عند هذا التلويح لذي الفهم الصحيح قال الحرالي فاصطفاه من كلية مخلوقة الذي ابداه ملكا وملكوتا خلقا وامرا واجرى اسمه من اظهر ظاهر الارضي وادنى اديمه فسماه آدم من ادم الارض على صيغة افعل التي هي نهاية كمال الآدمية والادمية فكان مما اظهر تعالى في اصطفاء آدم ما ذكر جوابه علي رضي الله عنه في قوله لما خلق الله آدم ابان فضله للملائكة واراهم ما اختصه به من سابق العلم من حيث علمه عند استنبائه اياه اسماء الاشياء فجعله الله

آدم محرابا وكعبة وبابا وقبلة اسجد له الابرار والروحانيين الانوار ثم نبه آدم على مستودعه وكشف له خطر ما ايتمنه
عليه بعد ان سماه عند الملايكة اماما فكان تنبيهه على خطر امانته ثمرة اصطفايه انتهى ونوحا اباكم الثاني الذي اخرجه من
بين ابوين شايبين على عادتكم المستمرة فيكم وقال الحرالي انبا تعالى انه عطف لنوح عليه السلام اصطفا على اصطفا آدم
عليه السلام ترقيا الى كمال الوجود الادمي وتعاليا الى الوجود الروحي العيسوي فاصطفى نوحا عليه السلام بما جعله اول
رسول بتوحيده من حيث دحض الشرك واقام كلمة الايمان بقول لا اله الا الله لما تقدم بين آدم ونوح عليهما السلام من
عبادة الاصنام والاوثان فكان هذا الاصطفا اصطفا باطنا لذلك الاصطفا الظاهر فتاكد الاصطفا وجرى من
اهلكته طامة الطوفان مع نوح عليه السلام من الذرء الادمي مجرى تخليص الصفاوات من خثارتها وكما صفى آدم عليه السلام
من الكون كله صفى نوحا عليه السلام وولده الناجين معه من مطرح الخلق الادمي الكافرين الذين لا يلدون الا فاجرا كفارا
فلم يكن فيهم ولا في مستودع ذراريهم صفاوة تصلح لمزية الاخلاص الذي اختص بصفوته نوح عليه السلام واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فكان ميثاق نوح عليه السلام ما قام به من كلمة التوحيد ورفض الاصنام والطاغوت
التي اتخذها الظلمانيون من ذرء آدم فتصفى بكلمة التوحيد النورانيون منه فكان نوح عليه السلام ومن نجا معه صفوة
زمانه كما كان آدم عليه السلام صفوة حينه انتهى ولما كان اكثر الانبيا عليهم السلام من نسل ابرهيم عليه السلام زاد في
تعظيمه بقوله وال ابرهيم اي الذين اوجد فيهم الخوارق ولا سيما في اخراج الولد من بين شيخين كبيرين لا يولد لمثلهما وفي
ذلك اشارة الى ان عيسى عليه السلام مثلهم لانه احدهم وكذا قوله وال عمران وفي قوله على العالمين اشارة الى انه
كساير اقاربه منهم وافصح بذلك افصاحا جليا في قوله ذرية بعضها من بعض اي فهم كلهم من بني آدم لا مزية لبعضهم
على بعض في ذلك لا مزية في شي من ذلك وانتم لا تشكون فيه في شي من الخصايص مما دون امر عيسى عليه السلام فما لكم لما
خص سبحانه ال عمران من بين العالمين بخرق العادة فيهم باخراج ولد من انثى فقط من غير ذكر لم تردوا ما لم تعرفوا منه الى ما
تعرفون من الخوارق حتى انجلى لكم واتضح لديكم بل اشكل عليكم وقامت قيامتكم بما يفضي الى الشك في قدرة الاله الذي لا
تشكون ان من شك في تمام قدرته كفر وقال الحرالي فانبات هذه الجملة بتشابه وتماثل تتعالى عن نحوه الالهية فايمان
هذا الخطاب في عيسى عليه السلام اصطفا من جملة هذا الاصطفا فكما لم يقع فيمن سواه ليس من امر الالهية فكذلك ينبغي
ان لا يقع فيه هو ايضا لبس لمن يتلقن بيان الاحكام والتشابه من الذي انزل الكتاب محكما ومتشابها واظهر الخلق باديا
وملتبسا انتهى وقد عاد سبحانه بهذا الخطاب على احسن وجه الى قصة عيسى عليه السلام الذي نزلت هذه الايات كلها
في المجادلة في امره والاخبار عن جمله وولادته وغير ذلك من صفاته التي يتنزه الاله عنها وكراماته التي لا تكون الا
للمقرب فاخبر اولا عن حال امه وامها واختها وما اتفق لهن من الخوارق التي تمسك بوقوع مثلها من عيسى عليه السلام
من كفر برفعه فوق طوره ثم شرع في قص امره حتى لم يدع فيه لبسا بوجه وقال الحرالي في التعبير عن اصطفا ابرهيم
ومن بعده عليهم السلام في اشعار الخطاب اختصاص ابرهيم عليه السلام بما هو اخص من هذا الاصطفا من حيث انتظم
في سلكه لاختصاصه هو بالخلة التي لم يشركه فيها اهل الاصطفا فاختص نمط هذا الاصطفا باله وهم والله اعلم
اسحق ويعقوب والعيص عليهم السلام ومن هو منهم من ذريتهم لان اسمعيل عليه السلام اختص بالوصلة بين ابرهيم
الخليل ومحمد الحبيب فكان مترقي ما هو لهم من وراء هذا الاصطفا ولان انزال هذا الخطاب لخلق عيسى عليه السلام
وهو من ولد داود عليه السلام فيما يذكر وداود من سبط لاوي بن اسرايل عليه السلام فيما ينسب فلذلك والله اعلم
جرى هذا الاصطفا على اله نظر من مزية هذا الاصطفا لاله ما كان من اصطفا موسى عليه السلام بالتكليم وانزال
الكتاب السابق يا موسى اني اصطفيتك على الناس فكان هذا الاصطفا استخلاص صفاوة من صفاوة نوح عليه السلام
المستخلصين من صفاوة آدم عليه السلام وال عمران والله اعلم مريم وعيسى عليهما السلام ليقع الاصطفا في نمط يتصل
من آدم الى عيسى عليهما السلام ليجوز اطرفي الكون روحا وسلالة والعالمون علم الله الذي له الملك فما ان الملك لا بد له
من علم يعلم به بدوه وظهوره جعل الله ما ابداه من خلقه علما على ظهور ملكه بين يدي ظهور خلقه في غاية يوم الدين
عاما وفي يوم الدنيا لمن شاء من اهل اليقين والعيان خاصا واعلى معناه بما ظهر في لفظه من الالف الزايدة على لفظ
العلم فاصطفى سبحانه آدم على الموجودين في وقته وكذلك نوح وال ابرهيم وال عمران كلا على عالم زمانه ومن هو بعد
في غيب لم تبد صورته في العالم العياني لم يلحقه بعد عند اهل النظر اسم العالم واشار تعالى بذكر الذرية من معنى الذرء
الذي هو مخصوص بالخلق ليظهر انتظام عيسى عليه السلام في سلك الجمع ذرءا وانه لا يكون مع الذرء لبس الاهية لان الله
تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فكان نصب لفظ الذرية تكيينا لهذا الاصطفا المستخلص على وجه الذرء وهو
الذي يسميه النحاة حالا انتهى ولما ذكر سبحانه هولاء الذين اصطفاهم وكان مدار امر الاصطفا على العلم ومدار ما يقال
لهم وفيهم مما يكون كفرا وايمانا على السمع ختم سبحانه الاية بقوله عاطفا على ما تقديره فالله تعالى يفعل باحاطته ما
يريد والله اي المحيط قدرة وعلما سميع عليم اشارة الى انه اصطفاهم على تمام العلم بهم ترغيبا في احوالهم والاقتدا
بافعالهم واقوالهم ولما كان جعل المقصود هنا بيان الكرامات في ال عمران لا سيما في الولادة وكان آدم الممثل
به عليه السلام قد تقدم بيان امره في سورة البقرة سورة الكتاب المثمر للعلم وكذا بيان كثير مما اصطفى به ابرهيم

واله عليهم السلام اذ كان معظم المقصود بالكلام لذريته وكان معظم المقصود من ذكر نوح كونه في عمود النسب وليس في امر ولادته
ما هو خارق عن العادة قال طاو ياما من قبل اذ اي اذكر حوابا لمن جادلك في امرهم ويسلك عن حالهم حين قالت امراة عمران وهي حامل
وقال الحرالي لما كان من ذكر في الاصطفاء انما ذكر توطئة لامر عيسى عليه السلام اختص التفصيل بامر عيسى عليه السلام دون
سائر من ذكر معه وكان في هذه المناظرة بين الصورتين حظ من التكافؤ من حيث ذكر امر خلق آدم في سورة البقرة فذكر خلق
المثل المناظر له في السورة المناظرة لسورة البقرة وهي هذه السورة فعاد توقيت هذا القول الى غاية هذا الاصطفاء نابا
عن ابتدآء ما اختص منه بعيسى عليه السلام من قول ام مريم امراة عمران حين اجري على لسانها واخطر بقلبها ان تجعل ما في بطنها
نذرا ففصل ما به ختم من اصطفاء آل عمران ولذلك عرفت ام مريم في هذا الخطاب بانها امراة عمران ليلتئم التفصيل بالجملة
السابقة رب اني نذرت لك ما في بطني وكان نذرا لولد شايعا في بني اسرآيل اذ انه كان عندهم معهودا في الذكور لصلاحهم لسدانة
بيت الله والقيام به فاكمل الله مريم لما كمل له الرجال كما قال صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا
اربع فذكر مريم بنت عمران عليها السلام فكان من كمالها خروج والدتها عنها وكان اصله من الام التي لها اشفاق فكان خروجها
اكمل من خروج الوالد لانها لها في زمن الكمل والرضاع والتربية الى ان يعقل الولد اباه فحينئذ يترقى الى حزب ابيه ولذلك
والله اعلم اري ابرهيم عليه السلام ذبح ولده عند تمييزه وخرجت امراة عمران عن حملها وهو في بطنها حيل ما هو اعلق بها
انتهى ونذرته لله تعالى حال كونه محررا اي لا اعتراض ولا حكم لاحد من الخلق عليه قال الحرالي والتحرير طلب الحرية والحرية
رفع اليد عن الشيء من كل وجه وفي الاتيان به بصيغة التكثير اشعار بمضي العزيمة في قطع الولاية عنه بالكلية لتسلم ولايته
لله انتهى فتقبل مني ولما كان حسن اجابة المهنوف به الملتجاء اليه على حسب احاطة سمعه وعلمه علمت سوالها في التقبل بان
قصرت السمع والعلم عليه سبحانه فقالت انك انت اي وحدك السميع العليم فقالت كما قال سلفها ابرهيم واسماعيل عليهما
السلام ربنا تقبل منا الآية اي فلا يسمع احد قولي مثل سمعك ولا يعلم احد نيتي مثل علمك ولا انا فان كان فيها شيء لا يصلح فتجاوز
عنه ولما اخبر بما اقتضى حضي عزمها قبل الوضع اخبر بتحقيقه بعده فقال فلما وضعتها قالت اي تحسرا فاكرة وصف
الاحسان استمطارا للامتنان رب اني وضعتها قال الحرالي من الوضع وهو القاء الشيء المستثقل انثى هو اداني زوجي الحيوان
المتناكح انتهى ولما كان الاخبار عادة انما هو لمن لا يعلم الخبر بينت ان مراد الله تعالى ليس كذلك لان المقصود باخباره ليس مضمون
الخبر والمانع من لوازمه وهو هنا التحسر فقالت والله اي الذي له صفات الكمال ولما كان المراد التعجيب من هذه المولودة
بالغا من خوارق العادات عبر عنها بما فقال اعلم بما وضعت وعبرت بالاسم الاعظم موضع ضمير الخطاب اشارة الى السوال
في ان بعضها من كماله وبرز فيها من هيبته وجلاله وفي قراءة اسكان التاء الذي هو اخبار من الله عنها كما قال الحرالي اللائحة
في ان بعضها من كماله وبرز فيها من هيبته وجلاله وفي قراءة اسكان التاء الذي هو اخبار من الله عنها كما قال الحرالي اللائحة
معنى ان مريم عليها السلام وان كانت ظاهرها الانوثة ففيها حقيقة المعنى الذي الحقها بالرجال في الكمال حتى كانت ممن كمل
من النساء لما يصل اليه كثير من رجالها فكان في اشعار ان الموضوع كان ظاهره ذكرا وحقيقته انثى ولما كان
مقصودها مع امضاء نذرها بعد تحقق كونها انثى التحسر على ما فاتها من الاجر في خدمة البيت المقدس مما يقابل فضل قوة
الذكر على الانثى وصلاحيته للخدمة في كل احواله قالت وليس الذكر اي الذي هو معتاد للنذر وكنت احب ان تهبه لي
لما فوز بمثل اجره في هذا العرض في قوته وسلامته من العوارض المانعة من المكث في المسجد ومخالطة القومة كالانثى
التي وضعتها وهي داخلة في عموم النذر وحكم الاطلاق في الضعف وعارض الحيض ونحوه فلا تنقص رب اجري بسبب ذلك
ولو قالت وليست الانثى كالذكر لفهم ان مرادها ان نذرها لم يشملها فلا حق للمسجد فيها من جهة الخدمة قال الحرالي وفي اشعار
هذا القول تنصل مما تخوفه ان لا يكون ما وضعته كفاء النذرها لما شهدت من ظاهر انوثة ما وضعت فجعلها الله لها في
اكمل مما اشتملت عليه عزيمتها من رتبة الذكور التي كانت تعدها فكانت مريم عليها السلام اتم من معهود نذرها مزيد
فضل مزيدها عليها بعد وفاء حقيقة مقصودها في نذرها انتهى ويجوز ان يكون هذا من كلام الله كالحالية التي قبله اذا قدرت
اسكنت التاء والتقدير قالت كذا والحال ان الله اعلم منها بما وضعت والحال ايضا انه ليس الذكر اراده بحكم معهاد
النذر كالانثى التي وهبت لها فدخلت فيه بحكم اطلاقه بل هي اعلى لان غاية ما تعرفه من النذر عن ان يكون كانبيائهم المقررين
لحكم التورية وهذه الانثى مع ما لها من العلو في نفسها ستكون سببا في السوال في بني هو اعظم انبيائهم وتلد صاحب
شريعة مستقلة ويكون مقرر الاعظم الشرايع ولما تم ما قالته عند الوضع او قاله الله في تلك الحالة اتم سبحانه
الخبر عن بقية كلامها وانها عدلت عن مظهر الحالة الى الخطاب على طريق اهل الحضرة واكدتا علما بشدة رغبتها في حصول
كلامها فقال حاكيا واني سميتها مريم وهو في هذا الاسم بلسانهم العابدة قال الحرالي فيه اشعار بان من جا بشيء او قربه
حقه ان يجعل له اسما ورد ان السقط اذا لم يسم يطالب من حقه ان يسميه فيقول يرب اضاعوني فكان من تمام انوضعتها
ان سمتها فيكون ابدآؤها لها وضع عين واظهار اسم لما في وجود الاسم من كمال الوجود في السمع كما هو في العين ليقع التعرف
والتذكر بما هو كامل الوجود عينا واسما ولما كانت محررة لله كان حقا ان يجري اسمها وتعوذها كما هو جاء لها عاصمة
كونا من حيث هي وما كان في حمى الملك لا يتطرق اليه طريقة فقالت واني اعيذها بك وفي قوله وذريتها اشعار بما
اوتيته من علم بانها ذات ذرية فكانها نطقت عن غيب من امر الله مما لا يعلمه الا الله فهو معلمه لمن شاء ولما كان من في حصن الملك
وحرزه عوان بعيدا ممن احرقه بنار البعد واعانه بالرجم حققت الاعادة بقولها من الشيطان الرجيم وفي هذا التخليص لمريم

بالاعادة ولذريتها حظ من التخليص المحمدي لما شق صدره ونبذ حظ الشيطان منه وغسل قلبه بالماء والثلج في البداية
الكونية وبماء زمزم في البداية النبوية عند الانتهاء الكوني فلذلك كان لمريم ولذريتها بمحمد صلى الله عليه وسلم اتصال
واصل قال صلى الله عليه وسلم انا اولى الناس بعيسى بن مريم من اجل انه ليس بيني وبينه نبي وبما هو حكم امامه في خاتمة
يومه وقايم من قومه دينه ولما اخبر بدعائها اخبر باجابتها فيه فقال فتقبلها فجا بصيغة التفعل مطابقة لقولها
فتقبل ففيه اشعار بتدرج وتطور وتكثر كانه يشعر بانها مزيد لها في كل طور يتطور اليه من حيث لم يكن فاقبل مني فلم تكن
اجابته فتقبلها فيكون اعطاء واحدا منقطعا عن التواصل والتتابع فلا تزال بركة تحريرها متجددا لها في نفسها وعايدا
بركته على امها حتى تترقى الى العلو المحمدي فتكون في ازواجه ومن يتصل به انتهى وجا بالوصف المشعر بالاحسان مضافا
اليها ابلاغا في المعنى فقال ربها قال الحرالي وظهر سر الاجابة في قوله تعالى بقبول حسن حيث لم يكن بتقبل جريا على
الاول ولما انبا القبول عن ما اوليته باطنا انبا الانبات عما اوليته ظاهرا في جسمانيتها وفي ذكر الفعل من افعل في
قوله وانبتها والاسم من فعل في قوله نباتا حسنا اعلام بكمال الامرين من امدادها في النمو الذي هو غيب عن
العيون وكمالها في ذاتية النبات الذي هو ظاهر للعين فكل في الانباء والوقوع حسن التاثير الاشرف اعرب عن انباتها
ونباتها معنى حسنا انتهى فوقع الجواب لامها عناية من الله بها على ما وقع سوالها فيه فلقد ضل وافترى من قذفها وبهتها
وكفر وغلا من ادعى في ولدها من الاطراء ما ادعى وقال الحرالي وقد انبا تعالى في هذه السورة الخاصة بقصة مريم
عليها السلام من تقبلها وانباتها وحسن سيرتها بما نفى اللبس في امرها وامر ولدها لان المخصوص بمنزل هذه السورة
ما هو في بيان رفع اللبس الذي ضل به النصارى فيذكر في كل سورة ما هو الاليق والاولى بمخصوص منزلها فلذلك ينقص
الخطاب في القصة الواحدة في سورة ما يستوفيه في سورة اخرى لاختلاف مخصوص منزلها كذلك الحال في القصص
المتكررة في القران من قصص الانبياء وما ذكر فيه لمقصد الترغيب والتبييت والتحذير وغير ذلك من وجوه التنبيه
انتهى وفيه تصرف ولما كان الصغير لا بد له فيما جرت به العادة من كبير يتولى امره قال وكفلها قال الحرالي من الكفل
وهو حياطة الشي من جميع جهاته حتى يصير عليه كالفلك الداير زكريا وفي قراة التشديد انباء بان الله تعالى هو في
الحقيقة كفلها بما هو تقبلها وفيه استخلاص لزكريا من حيث جعله يذ وكالة له فيها انتهى ولما كان من شان الكفيل
القيام بما يعجز عنه المكفول بين سبحانه ان تلك الكفالة انما كانت جريا على العوايد وانه بين ان تقبل لها اغناها عن
سواه فقال في جواب من لعله يقول ما فعل في كفالتها كلما اي كان كلما دخل عليها زكريا المحراب اي موضع العبادة
وقال الحرالي هو صدر البيت ومقدمه الذي لا يكاد يوصل اليه الا بفضل منة وقوة وجهد حرب وجد عندها
رزقا وذلك كما وجد عند خبيب بن عدي الانصاري رضي الله عنه القطف العنب كما سياتي في اخر المايدة ومثل ذلك
كثير في هذه الامة وفي هذه العبارة اي من اولها الاحة لمعنى حسن كفالته وانه كان يتفقدها عند تقدير حاجتها
الى الطعام بما تفيده كلمة كلما من التكرار فيجد الكفيل الحق قد عاجلها برزق من غيب بما هو تعالى المتولي لانباتها
ليكون نباتها من غيب رزقه فتصلح لنفخ روحه ومستودع كلمته ولا يلحقها بعد الاعادة ما فيه مس من الشيطان
الرجيم الذي اعاذها الله منه بكثرة الاختلاط في موجودات الارزاق فكان من حفظها ان تولى الله سبحانه ارزاقها
من غيب الا ما يطيبه من باد وليكون حسن نباتها من احسن رزق الله كما يقال من غذي بطعام قوم غذي بقلوبهم آل الى
منقلبهم وكانت هي مثل ما كفلها كافلها ظاهرا كفلته باطنا حين ابدى الله له من امره ما لم يكن قبل بدا له فكان لمريم
عليها السلام توطية في رزقها لما يكون كماله في حملها فيكون رزقها بالكلمة ابتدا ليكون حملها بالكلمة فعند ذلك طلب
زكريا نحو ما عاين لها من ان يرزقه الله الولد في غير ابانه كما رزق مريم الرزق في غير اوانه وفي تعيين محلها بالمحراب
ما يليح معنى ما ذكر من رجوليتها باطنا من حيث ان محل النساء ان يتاخرون فابدى الله في ذكر المحراب اشارة بكمالها
والمحراب صدر البيت المتخذ للعبادة وفي لزومها لمحرابها في وقت تناول الرزق اعلام بان الحبيس والمعتكف
بيته محرابه ومحرابه بيته بخلاف من له متسع في الارض ومحل من غير بيت الله انما المساجد بيوت اهل الله المنقطعين
اليه فهو محلهم في صلوتهم ومحلهم في تناول ارزاقهم ففيه اشعار بحضورها وحضور اهل العكوف حضور سواء في
صلوتهم وطعامهم ولذلك انما حال العبد عند ربه بما هو عليه في حال تناول طعامه وشرابه فاهل الله سواء محياهم
ومماتهم واكلهم وصلوتهم من غفل عند طعامه قلبه لم يستطع ان يحضر في صلوته قلبه ومن حضر عند طعامه قلبه لم
يغب في صلوته قلبه وفي ذكر الرزق شايعا اشعار بانها انواع من ارزاق من حيث انه لو اختص لخص به ما هو
اخص من هذا الاسم انتهى ولما كان كانه قيل فما كان يقول لها اذا راى ذلك قيل كان كلما وجد ذلك او لما تكرر وجدانه
لذلك قال يا مريم انى اي من اين لك هذا قال الحرالي كلمة انى تشعر باستغرابه وجود ذلك الرزق من وجوه مختلفة
من جهة الزمان انه ليس زمانه ومن جهة المكان انه ليس مكانه ومن جهة الكيف ووصوله اليها انه ليس حاله
وفي ذكر الضمير في قوله قالت هو ايذان بنظرها الى مجموع حقيقة ذلك الرزق لا الى اعيانه فهو انبا عن روية
قلب لا عن نظر عين لان هو كلمة اضمار جامعة لكل ما تفصلت صورة مما اتخذ مضمره ولما لم يكن من معهود ما اظهرته
حكمته سبحانه مما يجريه على معالجات ايدي الخلق قالت من عند الله ذي الجلال والاكرام لان ما خرج عن معهود معالجة

الحكمة فهو من عنده وما كان مستغربا فيما هو من عنده فهو من لدنه فهي ثلاث رتب رتبة لدنيه ورتبة عنديه ورتبة حكميه
عادية فكان هذا من وسط الثلاث كما قال تعالى آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما حيث كان مستغربا عند اهل الخصوص
كما قال احرقتها لتعرف اهلها لقد جئت شيأ امرا والامر العجب ولعلو رتبته عن الرتبة العادية جرى النبا عنه مضافا الى
الاسم العظيم الذي هو مسمى الاسماء كلها من حيث لم يكن من عندنا بي لما في ذكر اسم الربوبية من اشعار بعادة او قريب منها
او ما كان من نحوها كما قال هذا من فضل ربي لما كان من عادته المكنة على الملوك وكان ممكنا فيما احاط به موجود الاركان
الاربعة انتهى ولما اخبرت بخرقه سبحانه لها العادة علمت ذلك بقولها موكدة تنبيها على ان ذلك ليس في قدرة
ملوك الدنيا ان الله اي الذي له الاحاطة الكلية قال الحرالي في تجدير الاسم العظيم في النبا اشعار باتساع النبا وايذان
والاحة بان ذلك يكون لك ولمن شاء الله كما هو لي بما شاءه الله من حيث لم يكن انه فيكون مليحا اختصاص تحابها ويؤيده ان
عموم قولها يرزق من يشاء وقولها بغير حساب يشعر بانه عطاء متصل فلا يتجدد ولا يتعدد فهو رزق لا متعقب عليه لان
كل محسوب في الابد آت محاسب عليه في الاعادة فكان في الرزق بغير حساب من علاج الحكمة بشري برفع الحساب عنهم في المعاد
وكفالة بالتكرعنه لان اعظم التكر لرزق الله معرفة العبد بانه من الله انما يتكر رزق الله من اخذه من الله انتهى ولما
كان كانه قيل فما قال زكريا حينئذ قيل هنالك اي في ذلك الوقت وذلك المكان العظيم المقدار دعا زكريا ربه تذكرا لما
عودهم الله به من الاكرام فظهرت عليه كرامات هذه الكفالة قال الحرالي لما اشهده الله انه خرق عادته لمن شاء بكلمة في حق
كفيلته في الظاهر الكافلة له في هذا المعنى دعا ربه الذي عوده بالاحسان ان يرزقه ولدا في غير ابانه كما رزق مريم رزقا
في غير زمانه فوجب دعاؤه انتهى قال رب ايها الذي عودني باحسانه هب لي من لدنك قال الحرالي طلب علية من باطن الامر
كما قال تعالى وعلمناه من لدنا وكما قال فيه وحنانا من لدنا لان كل ما كان من لدن فهو اربط من عند ذرية فيه اشعار بكثرة
ونسل باق فاجيب بولد فرد لما كان زمان انتهاء في ظهور كلمة الروح وانه لا ينسل فكان بحي حصور الغلبة الروحانية
على انسانيته انتهى طيبة اي مطيعة لك لان ذلك طلبة اهل الخصوص ثم علل ادلاله على المقام الاعظم بالسؤال بقوله
انك سميع الدعاء اي مريده ومجيبه لان من شان من يسمع ولم يمنع ان يجيب اذا كان قادرا كاملا وقد ثبتت القدرة بالربوبية
الكاملة التي لا تصلح الا من الحي القيوم بخلاف الاصنام ونحوها مما عبد فانها لا تسمع ولو سمعت لم تقدر على الاجابة الى ما
تسئل فيه لانها مربوبة قال الحرالي علم الداعي بمن الاجابة والقرب وسيلة في قبول دعائه انتهى ولما كان الله
عند ظن عبده به سمع دعاءه كما قال فناديته اي فتسبب عن دعائه وحسن رجائه ان ناديته الملائكة يعني هذا النوع بكلهم
بل ناداه البعض وكان متهيا لما اتاه الله من الفضل لمناداة الكل كما هو شان اهل الكمال من الرسل وهو قائم يصلي في
المحراب وهو موضع محاربة العابد للشيطان وهو اشرف الاماكن لذلك قال الحرالي فيه اشعار بسرعة اجابته ولزومه
معتكفه وقنوته في قيامه وان الغالب على صلوته القيام لان الصلوة قيام وسجود يقابله وركوع متوسط فذكرت
صلوته بالقيام اشعارا بان حكم القيام الغالب عليها انتهى ثم استانف في قراءة حمزة وابن عامر بالكسر لجواب من كانه
قال بماذا ناديته الملائكة قوله ان الله يبشرك قال الحرالي فذكر الاسم الاعظم المحيط معناه بجميع معاني الاسماء
ولم يقل ان ربك لما كان امر اجابته من وراء الحكمة العادية وفي قوله يحيى مسمى بصيغة الدوام مع انه كما قيل قتل
اشعار بوفاء حقيقة الحروحانية الحيوانية فيه دائما لا طرقة طارقة موت الطاهر حيث قتل تمثيلا انتهى مصدقا
بكلمة اي بني خلق بالكلمة لا بالمعالجة العادية يرسله الله الى عباده فيكذبه اكثرهم ويصدقه هو واطلاق الكلمة
عليه من اطلاق السبب على المسبب قال الحرالي فكان عيسى عليه السلام كلمة الله ويحيى مصدقه بما هو منه كما قال
كلمة حتى انهما في سماء واحدة ففي قوله من الله اشعار باحاطته في ذاتا الكلمة انتهى وسيدا وحصورا اي فلا يزن
بريبة كانه بالغ الحبس لنفسه والتضييق عليها في المنع من النكاح قال في القاموس والحصور من لا ياتي النساء وهو
قادر على ذلك او الممنوع منهن او من لا يشتهيهن ولا يقربهن والمحبوب والهيوب المحجم عن الشيء وقال الحرالي وهو من
الحصر وهو المنع عما شان الشيء ان يكون مستعملا فيه انتهى ونبيا ولما كان الشيء لا يكون الا صالحا لم يعطف بل قال من الصالحين
اعلاما بمزيد رتبة الصلاح واحترازا عن المتنبئين فكانه قيل فما قال حين اجابه ربه سبحانه فقيل قال يستثبت
ذلك بما يزيده طمانينة ويقينا وسكينة رب ولما كان مطلوبه ولدا يقوم مقامه فيما هو فيه من النبوة التي لا
في السن في اصله غير قابل للزرع احب ان يصرح له بمطلوبه فقال اني اي كيف ومن اين يكون لي ولد وعبر عما تدور
مادته على الغلبة والقوة زيادة في الكشف فقال غلام وفي تعبيره به في سياق الحصور دليل على انه في غاية ما
يكون من صحة الجسم وقوته اللازم منه شدة الداعية الى النكاح وهو مع ذلك يمنع نفسه منه منعا زايدا على الحد
لما عنده من غلبة الشهود اللازم عنه الاقبال على العبادة بكليته والاعراض عن كل ما يشغل عنها جملة لا سيما
النكاح بحيث يظن انه لا ارب له فيه وهذا موافق للتفسير الاول للحصور في القاموس وهو الذي ينبغي ان لا يعدل
على غيره لانه بناء مبالغة من متعد ولانه امدح له صلى الله عليه وسلم ومهما دار الشيء على صفة الكمال في الانبياء
عليهم السلام وجب ان لا يعدل عنه وما ورد كما ياتي ان شاء الله تعالى في سورة مريم عليها السلام ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال ذكره مثل هذه القذاه فقد ضعفوه على تقدير صحته فيكون ذلك اخبارا عن اية لما اعرض عنه راسا ضعف ما معه لذلك
فهو اخبار عن آخر امره الذي ادت اليه عزيمته والاية مشيرة الى ما اقتضته خلقته وعزيزته وان كان الجمع لكمال الوجود
الانساني بالنكاح اكمل كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم ويقع لعيسى عليه السلام بعد نزوله وقد اي والحال انه قد بلغني
الكبر الى حد لا يولد فيه عادة وامراتي عاقر قال الحرالي من العقر وهو البلوغ الى حد انقطاع النسل هو ما انتهى كذا
قال وآية سورة مريم تدل على ان المعنى انها لم تزل عقيما وعليه يدل كلام اهل اللغة قال في القاموس في الرا العقرة
ويضم العقم بالضم هزمة تقع في الرحم فلا يقبل الولد عقمت كفرح ونصر وكرم وعني ورحم عقيم وامراة عقيم ورجل عقيم
لا يولد له وقال الامامان ابو عبد الله القزاز في ديوانه وعبد الحق في واعيه والعقر بضم العين وسكون القاف مصدر
العاقر من النسا وهي التي لا تحمل من غير دا ولا كبر يقال امراة عاقر وبها عقر سميت بذلك كان في رحمها عقرا يمنعها من الولادة
وقال ابو غالب التياني في كتابه الموعب صاحب العين العقر مصدر العاقر من النسا وهي التي لا تحمل من غير دا ولا
كبر لكن خلقة وتعقرت اذا ولدت ثم امسكت والله الموفق ثم وصل به قوله قال كذلك اي مثل هذا الفعل الجليل
العالي الرتبة عن القوة والكمال لا عن الخلق عبر سبحانه في تعليل ذلك بالفعل بخلاف ما ياتي في قصة مريم عليها السلام
فقال الله يفعل ما يشا لانه المحيط بكل شي قدرة وعلما فكانه قيل قد قرت عينه فما قال فقيل قال ارادة تعجيل
البشرى وتخفيف السرا رب اجعل لي اية اي علامة اعلم بها ذلك قال ايتك الا تكلم الناس اي لا تقدر على ان تكلمهم
بكلام دنيوي ولما كانت هذه سورة التوحيد الذي عنه فاض كل نور وهي اثر سورة الكتاب الذي هو النور وهما الزهرا
وان ناسب كل المناسبة التعبير هنا بمحل النور فقال ثلثة ايام ولما كان الكلام يطلق على الفعل مجازا استثنى منه
قوله الا رمزا التخلص هذه المدة للذكر شكرا على النعمة فاحمد ربك على ذلك قال الحرالي والرمز تلطف في الافهام
باشارة تحرك طرف كاليد واللحظ والشفتين ونحوها والغمز اشد منه باليد ونحوها انتهى فعدم الكلام مع صحة الته
دليل ايجاد المتكلم مع ضعف الته الى حد لا يتكون عنها عادة ولما كان الاتم في القدرة ان يحبس عن كلام دون آخر
قال واذكر ربك اي بالحمد وهو ان تثبت له الاحاطة بكل كمال كثيرا في الايام التي منعت فيها من كلام الناس خصوصا
وفي ساير اوقاتك عموما وسبح بالعشي قال الحرالي من العشو
واصل معناه ايقاد نار على علم لمقصد هدى او قرى وماوى على حال وهن فسمي به عشي النهار لانه وقت فعل ذلك
ويتاكد معناه في العشا ومنه سمي الطعام العشا والابكار واصله المبادرة لاولي الشي ومنه التبكير وهو السرعة
والباكورة وهو اول ما يبدو من الثمر فالابكار اقتطاف زهرة النهار وهو اوله انتهى ولما فرغ مما للكافل بعد ما نوه
بامر المكفولة بيانا لاستجابة الدعا من امها لها اعاد الاشارة بذكرها والاعلام بعلي قدرها فقال عاطفا على ما تقديره
هذا ما للكافل فاذكره لهم فانهم لا يشكون معه في نبوتك واذكر اذ قالت الملايكة وعبر بالجمع والمراد جبريل وحده
عليه السلام كما في سورة مريم عليها السلام ليتهيوها لخطاب كل منهم كما مضى يا مريم ان الله اي الذي له الامر كله
اصطفاك اي اختارك في نفسك لا بالنظر الى شي آخر عما يشين بعض من هو في نفسه خيارا وطهرك اي عن كل دنس
واصطفاك اي اصطفا خاصا على نسا العالمين فمن هذا الاصطفا والله اعلم كما قال الحرالي ان خلصت من الاصطفا
الاول العبراني الى اصطفا علي عربي حتى انكحت من محمد صلى الله عليه وسلم النبي العربي قال صلى الله عليه وسلم
لخديجة رضي الله عنها اما شعرت ان الله زوجني معك مريم بنت عمران انتهى ولما اخبرها سبحانه بما اختصها به امرها
بالشكر فقال يا مريم اقنتي اي اخلص افعالك للعبادة لربك الذي عودك الاحسان بان رباك هذه التربية ولما
قدم الاخلاص الذي هو روح العبادة اتبعه اشرفها فقال واسجدي فان اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
قال الحرالي وكان من اختصاص هذا الاصطفا العلي اي الثاني ما اختصها من الخطاب بالركوع الذي لحقت به بهذه
الامة الراكعة التي اطلعها الله من سر عظمته التي هي اوزاره على ما لم يطلع عليه احدا ممن سواها في قوله واركعي
مع الراكعين كما قال لبني اسرايل عند الامر بالملة المحمدية واركعوا مع الراكعين الى ما يقع من كمال ما يشرب به حيث
يكلم الناس كهلا في خاتمة المحمدي ويكمل له الوجود الانساني حين يتزوج ويولد له كما ذكر وذلك كله فيما يشعر به ميم
التمام في ابتدا الاسم وانتهايه وفيما بين التمامين من كريم التربية لها ما يشعر به الرا من تولي الحق لها في تربيتها
ورزقها وما تشعر به اليا من كمالها الذي اختصت به على عالمها انتهى والمراد باتباع قصتها لما مضى التنبيه على
انخراطها في سلك ما مضى من امر آدم ويحيى افصاحا وابرهيم في ابنيه الاحة في خرق العادة فيهم وان تخصيصها
بالانكار او التعجب والتنازع مع الاقرار بامرهم ليس من افعال العقلا والظاهر ان المراد بالسجود في هذا المقام
ظاهره وبالركوع الصلوة نفسها فكانه قيل واسجدي مصلية ولتكن صلوتك مع المصلين اي في جماعة فانك في
عداد الرجال لما خصصت به من الكمال ولم يقل مع الراكعات لان الاقتدا بالرجال افضل واشرف واكمل وانما
قلت هذا لاني تتبعت التورية فلم اره ذكر فيها الركوع في صلوة ابرهيم عليه الصلوة والسلام ولا من بعده من الانبيا
ولا اتباعهم الا في موضع واحد لا يحسن جعله فيه على ظاهره ورايته ذكر الصلوة فيها على ثلاثة انحا الاول
اطلاق اللفظها من غير بيان كيفية والثاني اطلاق لفظ السجود مجردا الثالث اطلاقه مقرونا بركوع او جثو او خرور

صح لا تتعرف

على الوجه ونحو ذلك ففي السفر الاول منها في قصة ابرهيم عليه السلام حين مات زوجته سارة رضي الله عنها ومال
بني حاث اهل تلك الارض ان يعطوه مكانا يدفنها فيه فاجابوه فقام ابرهيم فسجد لشعب الارض لبني حاث وكلمهم وفيه في
قصة ربانية قال وسجد على الارض وقال يرب فذكر دعاء ثم قال وصلى ابرهيم بين يدي الرب وفيه في قصة عبد ابرهيم
عليه السلام انه ذهب الى بلاد حران يخطب لاسحاق عليه السلام امراة فظفر بقصده فحيني الرجل اي عبد ابرهيم على الارض
فسجد للرب وقال تبارك الله رب سيدي ابرهيم وفيه لما اجابه اهل المراة فلما سمع غلام ابرهيم كلامهم سجد على الارض
قدام المراة وفيه عند لقاء عيسو لاخيه يعقوب عليه السلام فدنت الاماء والادهما فسجدوا اي لعيسو ودنت
ليتا وولدها فسجدوا فلما كان اخيرا دنت رحيل ويوسف فسجدوا وفيه في قصة يوسف عليه السلام ودنا اخوته
فخروا له سجدا وقالوا له هانحن لك عبيد وفي السفر الثاني عند قدوم موسى عليه السلام الى بني اسرايل واخبارهم
لهم بارسال الله تعالى له واظهاره لهم الايات قام الشعب وسمعوا ان الرب قد ذكر بني اسرايل وابصر الى جفوتهم وجثا
الشعب وسجدوا للرب وفيه في خروجهم من مصر فركع الشعب كله ساجدا لله وفيه فاستعجل موسى فخر على وجهه
على الارض ساجدا وفيه في تلقي موسى لختنه شعيب عليهما السلام اذ جاءه يهنيه بما انعم الله عليه بعد غرق فرعون
فخرج موسى يتلقى ختنه وسجد له وقبله وسال كل منهما عن سلامة صاحبه وفيه وقال الله لموسى عند ما بشره بقتل
الكنعانيين وغيرهم من سكان بلاد القدس لا تسجد واله آلهتهم ولا تعبدوها ولا تفعلوا كافعالهم بل كبهم كبا على وجوههم
وكسر اصنامهم واعبدوا الرب الهكم وفي اوايل السفر الثالث في ذكر ظهور مجد الرب لهم في قبة الزمان التي كانوا
يصلون اليها على جباه موسى عليه السلام وعاين ذلك جميع الشعب وحمدوا الله وخر الشعب كله على وجهه وفي الرابع عند ما
هم بنو اسرايل بالرجوع الى مصر تضجروا من رحالهم فخر موسى وهرون على وجهيهما ساجدين بين يدي جماعة بني اسرايل كلها
وفيه وكلم الرب موسى وهرون وقال لهما تنحيا عن هذه الجماعة لاني مهلكهما فخرا ساجدين على وجوههما وفيه عند
ما تذمروا عليه من اجل العطش فجا موسى وهرون من عند الجماعة الى باب قبة الزمان فخرا على وجوههما فظهر لهما مجد
الرب فذكر قصة ضرب الحجر بالعصى وانفجار الماء وفيه في قصة بلعام من بعور حين راى ملكا في طريقه مجتثا على
وجهه ساجدا واما اطلاق لفظ الصلوة فقال في اخر السفر الثاني وكان اذا خرج موسى الى قبة الزمان كان جميع الشعب
يقفون ويستعد كل امرء منهم على باب خيمته وينظرون الى موسى من خلفه حتى يدخل الى القبة واذا دخل موسى القبة
كان ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة ويكلم موسى وكان جميع الشعب ينظرون الى عمود السحاب واقفا على باب
القبة وكان يقف جميع الشعب ويصلي كل امرء منهم على باب خيمته وفيه وعمل سطلا من نحاس فنصبها عند منفصل
النسوك اللاتي ياتين فيصلين على باب قبة الماحد وكل ما فيها من ذكر الصلوة فهكذا يطلق لفظه غير مقرون بما يرشد
الى كيفية فلا فايدة في سرده وهذه القبة امر الله تعالى موسى عليه السلام باتخاذها مظهرا لمجده وان يجعلها كهيئة
الغمام الذي ظهر له مجده تعالى فيه في جبل طور سينا وهي من غرايب الدهر في الارتفاع والسعة والهيئة ففيها من
الخشب والبيوت والتوابيت والاعمدة والجواهر وصفايح الذهب والفضة والنحاس والسرادقات والستور من الحرير
والارجوان والكتان والاطناب وغير ذلك مما يكل عنه الوصف وكله بنص من الله تعالى على الطول والعرض والوزن والمحل
بحيث انه كان فيها من صفايح الذهب ومساميره ونحوها تسعة وعشرون قنطارا واربعماية وثلثون مثقالا بمثقال
القدس ومن الفضة ماية قنطار والف وسبعماية وسبعون مثقالا ومن النحاس سبعون قنطارا والفان واربعماية
مثقال وكانت هذه القبة تنصب في مكان من الارض وينزلوا بنو اللاوي سبط موسى وهرون عليهما السلام حولها
يخدمونها بين يدي هرون وبنيه ومن دنى منها من غيرهم احترق وينزل اسباط بني اسرايل حول بني لاوي لكل سبط
منزلة لا يتعداها من شرقيها وغربيها وجنوبيها وشماليها كل ذلك بامر من الله لموسى عليه السلام وكان السحاب ينشاها
بالنهار وكانت النار تضيء عليها بالليل وتزهر فما دام السحاب مجللا لها فهم مقيمون فاذا ارتفع عنها كان اذنا في سفرهم
فالذي فهمته من هذه الاماكن وغيرها ان الصلوة عندهم تطلق على الدعاء وعلى فعل هو مجرد السجود فان ذكر معه مايدل
على وضع الوجه على الارض فذاك وحينئذ يسمى صلوة والا كان المراد به مطلق الانحناء للتعظيم وذلك موافق للغة
قال في القاموس سجد خضع والخضوع التطامن واما المكان الذي فيه ذكر الركوع فالظاهر ان معناه فصلى الشعب
كله ساجدا لله لان الركوع في اللغة يطلق على معان منها الصلوة يقال ركع اي صلى وركع اذا انحنى كبرا والراكع من يكبر
على وجهه ولا يصح حمل الركوع على ظاهره لانه لا يمكن في حال السجود وان ارتكب فيه تاويل لم يكن باولى مما ذكرته في الركوع
والله اعلم واحتججت باللغة لان مترجم النسخة التي وقعت لي في عداد البلغا يعرف ذلك من تامل مواقع ترجمته لها
على اني سالت عن صلوة اليهود الآن فاخبرت انه ليس فيها ركوع ثم رايت البغوي صرح في تفسير قوله تعالى اركعوا
مع الراكعين بان صلوتهم لا ركوع فيها وكذا ابن عطية وغيرهما ولما كان المقصود من ذكر هذه الايات بيان الخوارق
التي كانت لاكل عمران من زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام للمجادلة بالحق في امر عيسى عليه السلام وبيان ان ما اشكل عليهم
من امره ليس خارجا عن اشكال الخوارق في الله وكان الرد على كل طايفة بما تعتقد اولى وجب ذكر ذلك من الاناجيل الاربعة
الموجودة الآن بين اظهر النصارى ذكر قصة يحيى عليه السلام في حمله وولادته ونبوته وما اتفق في ذلك من

الخوارق من الاناجيل وقد مزجت بين الفاظها فجعلتها شيا واحدا على وجه الم بعضه باول امر المسيح عليه السلام
قال مترجمها في اول انجيل لوقا كان في ايام هيرودس ملك اليهودية كاهن اي جبرا مام اسمه زكريا من خدمة آل ابيا
وامراته من بنات هرون واسمها اليصابات وكان كلاهما تقيين قدام الله سايرين في جميع وصاياه وحقوق الرب بغير
عيب ولم يكن لها ولد لان اليصابات كانت عاقرا وكانا كلاهما قد طعنا في ايامهما فبينما هو يكهن في ايام ترتيب خدمته امام
الله كعادة الكهنوت اذا بلغته نوبة وضع البخور فجا ليبخر فدخل الى هيكل الله وجميع الشعب يصلون خارجا في وقت
البخور فتراى له ملاك الرب قايما عن يمين مذبح البخور فلما راه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف فقال له الملاك
لا تخف يا زكريا قد سمعت طلبتك وامراتك اليصابات تلد ابنا وتدعى اسمه يوحنا ويكون لك فرح وتهلل وكثير
يفرحون بمولده ويكون عظيما قدام الرب لا يشرب خمرا ولا سكرا ويمتلي من روح القدس وهو في بطن امه ويعيد
كثيرا من بني اسرايل الى الرب الههم وهو يتقدم امامه بالروح وقوته اليا ويقبل بقلوب الآبا على الابنا والعصاة
الى علم الابرار ويعد للرب شعبا مستعيما فقال زكريا للملاك كيف اعلم هذا وانا شيخ وامراتي قد طعنت في ايامها
فاجاب الملاك وقال انا هو جبريل الواقف قدام الله ارسلت اكلمك بهذا وابشرك ومن الآن تكون صامتا لا تستطيع
ان تتكلم الى اليوم الذي يكون هذا وكان الشعب منتظرين زكريا متعجبين من ابطايه في الهيكل فلما خرج لم يقدر يكلمهم
فعلموا انه قد راى رويا في الهيكل فكان يسير اليهم واقام صامتا فلما كملت ايام خدمته مضى الى بيته ومن بعد تلك الايام
حملت اليصابات امراته وكتمت حملها خمسة اشهر قايلة هذا ما صنع بي الرب في الايام التي نظر الي فيها لينزع عني العار بين
الناس ولما كانت في الشهر السادس ارسل جبريل الملاك من عند الله الى مدينة الجليل تسمى ناصرة الى عذرا خطيبة لرجل
اسمه يوسف من بيت داود واسم العذرا مريم فلما دخل اليها الملاك قال لها افرحي يا ممتلية نعمة الرب معك مباركة
انت في النسا فلما راته اضطربت من كلامه وفكرت قايلة ما هذا السلام فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم فقد ظفرت بنعمة
من عند الله وانت تقبلين حبلا وتلدين ابنا وتدعى اسمه يسوع هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله
كرسي داود ابيه ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه انقضا فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا ولا اعرف
رجلا فاجاب الملاك وقال لها روح القدس يحل عليك وقوة العلي تقبلك فانه ليس عند الله امر عسير فقالت
مريم ها انذا عبدة الرب فيكون لي كقولك وانصرف عنها الملاك فقامت مريم في تلك الايام ومضت سرعة الى عين
كرم الى مدينة يهوذا ودخلت الى بيت زكريا فسلمت عليه اليصابات فلما سمعت اليصابات صوت سلام مريم تحرك
الطفل في بطنها فامتلات اليصابات من روح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة انت في النسا ومباركة
ثمرة بطنك من اين لي هذا ان ياتي امر ربي الي منذ وقع صوت سلامك في اذني تحرك الطفل بتهليل في بطني فطوبى للتي
امنت ان يتم لها ما قيل من الرب فقالت مريم تعظم نفسي بالرب وتبتهل روحي بالله مخلصي لانه نظر الى تواضع عبدته
وقدوس اسمه ورحمته لخايفيه صنع القوة بذراعه وفرق المستكبرين بفكر قلوبهم انزل القادرين عن الكراسي
ورفع المتواضعين اشبع الجياع من الخيرات فاقامت مريم عنده نحوا من ثلاثة اشهر وعادت الى بيتها ولما تم زمان
اليصابات لتلد ولدت ابنا فسمع جيرانها وافاز بها ان الرب قد اعظم رحمته معها ففرحوا لها فلما كان في اليوم
الثامن جاوا ليختنوا الصبي ودعوه باسم ابيه زكريا فاجابت امه قايلة لا لكن ادعوه يوحنا فقالوا لها ليس احد في
جنسك يدعى بهذا الاسم فاشاروا الى ابيه ما تريد ان تسميه فاستدعا لوحا وكتب قايلا يوحنا فتعجب جميعهم وانفتح
فوه من ساعته ولسانه وتكلم وبارك ووقع خوف عظيم على جميع جيرانهم وتحدث بهذا الكلام في جميع تخوم يهودا
وفكر جميع السامعين في قلوبهم قايلين ما تريد ان يكون من هذا الصبي ويد الرب كانت معه فامتلا زكريا ابوه من روح
القدس وبدا قايلا مبارك الرب اله اسرايل الذي اطلع وصنع نجاة لشعبه واقام لنا قرن خلاصة من بيت داود
فتاه كالذي تكلم على افواه انبيايه القديسين من الابد خلاص من اعدايانا ومن يدي كل مبغضينا صنع رحمة مع ابايانا
وذكر عهده القديس القسم الذي عهد به لابرهيم ابينا ليعطينا الخلاص بلا خوف من يدي اعدايانا لنخدمه بالبر والعدل
قدامه في كل ايام حياتنا وانت ايها الصبي نبي العلي تدعى وتنطلق قدام وجه الرب لتصلح طريقه ليعطي علم الخلاص
لشعبه لغفرة الخطايا بتحنن ورحمة الهنا الذي افتقدنا مشرق من العلو ليضيء للجالسين في الظلمة وظلال الموت
لتستقيم سبل ارجلنا للسلامة فاما الصبي فكان يشب ويتقوى بالروح واقام في البرية الى يوم ظهوره لاسرايل
وفي سنة خمس عشرة من ولاية طيباريوس قيصر وبيلاطس البنطي على اليهودية وهيرودس رييس الجليل وفيلبس
اخوه على ربع الصورية وكورة اطرحيون واوساموس رييس على ربع الايليه وحنان وقيافا رواسا الكهنة حلت
كلمة الله على يوحنا ابن زكريا في البرية فجا الى كل البلاد المحيطة بالاردن يكون بمعمودية التوبة بمغفرة الخطايا
كما هو مكتوب في سفر كلام شعيا النبي قايلا صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب قاصنعوا سبله مستقيمة
جميع الاودية تمتلي وجميع الجبال والاكام تتضع ويصير الوعر سهلا والخشنة الى طريق سهله ويعاين كل ذي جسد
خلاص الله وفي الانجيل حتى وفي تلك الايام جا يوحنا المعمدان يكرز في برية يهودا ويقول توبوا فقد اقتربت ملكوت
السموات هذا هو الذي قيل عنه شعيا النبي اذ يقول صوت صارخ وقال مرقس مكتوب في شعيا النبي هوذا انا مرسل

ملاكي امام وجهك ليسهل طريقك قدامك ثم انتقا صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب وسهلوا سبله وكان لباس
يوحنا وبر الابل ومنطقته جلدا على حقويه وكان طعامه الجراد وعسل البر حينئذ خرجوا اليه من يروسليم وكل اليهودية
وجميع كور الاردن وكان يعمدهم في نهر الاردن معترفين بخطاياهم وفي مرقس كان يوحنا يعمد في القفر ويكرز بمعمودية
التوبة لغفران الخطايا وكان يخرج اليه جميع كور يهودا وكل يروشليم فيعمدهم في نهر الاردن معترفين بخطاياهم فقال
للجميع الذين ياتون اليه ويعتمدون منه يا ثمرة الافاعي وفي متى فلما راى كثيرا من الفريسيين والزنادقة ياتون الى معموديته
قال لهم يا اولاد الافاعي ثم اتفق هو ولوقا من ذلكم على الهرب من الغضب الاتي اعملوا الان ثمارا يليق بالتوبة ولا تقولوا في
في نفوسكم ان ابانا ابرهيم اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولاد الابرهيم ها هو ذا القاس موضع على اصول
الشجر وكل شجرة لا تثمر ثمرة طيبة تقطع وتلقى في النار فساله المجموع ماذا تصنع اجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط
من ليس له ومن له طعام فليصنع مثل ذلك فاتى العشارون ليعتمدوا منه فقالوا ماذا تصنع يا معلم فقال لهم لا تفعلوا
اكثر مما امرتم به وساله ايضا الجند قايلين ماذا نصنع نحن ايضا فقال لهم لا تعيبوا احدا ولا تظلموا احدا واكتفوا
بارزاقكم وان جميع الشعب فكروا في قلوبهم وظنوا ان يوحنا المسيح اجابهم يوحنا اجمعين وقال لهم اما انا فاعمدكم
بالماء للتوبة وسياتي الذي هو اقوى مني الذي لا استحق ان احل سيور حذايه وقال متى لا استحق ان احمل حذاءه
وقال مرقس يبشر قايلا الذي ياتي بعدي اقوى مني لست اهلا انحني لحل سيور حذايه انا اعمدكم بالماء وهو يعمدكم
بروح القدس والنار الذي بيده الرقش ينقي به انذره ويجمع القمح اهرايه ويحرق التبن بنار لا تطفى ولا يخبر الشعب
ويبشرهم باشيا كثيرة وفي انجيل يوحنا كان انسان ارسل من الله اسمه يوحنا جا للشهادة للنور الذي هو نور الحق الذي
يضي لكل انسان الاتي الى العالم في العالم الى خاصته جا وخاصته لم تقبله فاما الذين قبلوه فاعطاهم سلطانا والكلمة
صار جسدا وحل فينا ورايناه مجده مجدا مثل الوحيد الممتلي نعمة وحقا يوحنا شهد من اجله وصرخ وقال هذا الذي قلت
انه ياتي بعدي كان قبلي لانه اقدم مني ومن امتلايه نحن باجمعنا اخذنا نعمة من اجل ان الناموس بموسى اعطي والنعمة والحق
اوحيا بيسوع الذي لم يره احد قط الابن الوحيد هذه شهادة يوحنا يوحنا اذ ارسل اليه اليهود من يروسليم كهنة
ولاويين اي ناسا من اولاد لاوي ليسئلوه من انت فاعترف واقر اني لست المسيح فسالوه فمن اليا فقال لست
فالنبي قال كلا فقالوا له فمن انت لنرد الجواب الى الذي ارسلونا ماذا تقول عن نفسك قال انا الصوت الصارخ
في البرية سهلوا طريق الرب كما قال شعيا النبي فاما اوليك الذين ارسلوا فكانوا من الفريسيين فقالوا ما بالك تعمد
ان كنت لست المسيح ولا اليا ولا النبي اجابهم يوحنا انا اعمدكم بالماء وفي وسطكم قايم ذاك الذي لستم تعرفونه الذي
ياتي بعدي هو اقوى مني وهو قبلي كان ذاك الذي لست مستحقا ان احل سيور حذايه هذا كان في بيت عينا في عبر
الاردن حيث كان يوحنا يعمد قال لوقا فاما هيرودس رييس الربع فكان يوحنا يبكته من اجل هيروديا امراة
اخيه فيلقس ولاجل الشر الذي كان هيرودس يفعله وزاد على ذلك انه طرح يوحنا في السجن وقال مرقس وقد
ذكر ايات اظهرها المسيح وسمع هيرودس الملك وقال انه يوحنا المعمداني قام من الاموات ومن اجل تلك القوات
يعمل وقال اخرون انه اليا واخرون انه نبي كواحد من الانبيا فلما سمع هيرودس قال انا قطعت راس يوحنا
وفي متى وفي ذلك الزمان سمع هيرودس رييس الربع خبر يسوع فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمداني وهو قام من
الاموات من اجل هذه القوات التي يعمل وكان هيرودس قد امسك يوحنا وشده وجعله في السجن وقال مرقس
وحبسه من اجل هيروديا امراة فيلقس لانه كان قد تزوجها وقال له يوحنا ما يحل لك ان تاخذ امراة اخيك
وكان هيروديا حنقه عليه تريد قتله ولم يقتله لان هيرودس كان يخاف من يوحنا لانه يعلم انه رجل صديق قديس
ويحفظه ويسمع منه كثيرا بشهوة وكان في يوم من الزمان وافى هيرودس مولود فصنع وليمة لعظمايه ورؤسايه
ومقدمي الجليل ودخلت ابنة هيروديا فرقصت فوافق ذلك هيرودس وجلساءه فقال الملك للصبية سلي ما اردت
فاعطيك وحلف لها انني اعطيك ما سالت ولو كان نصف ملكي فخرجت وقالت لامها اي شي اساله فقالت راس يوحنا
المعمداني فرجعت للوقت بسرعة الى الملك وسالت راس يوحنا على طبق فحزن الملك ومن اجل اليمين والمتكيين لم
يرمنعها فانفذ شيا فامن ساعته وامر ان يوتى براسه في طبق فمضى وقطع راسه في الحبس وجا به في طبق واعطاه
للصبية فاخذته الصبية ودفعته لامها وسمع تلاميذه فجاوا ورفعوا جثته وجعلوها في قبر قال متى
وجا تلاميذه فاخذوا جسده ودفنوه واتوا فاخبروا يسوع فلما سمع يسوع مضى من هناك في سفينة الى البرية
مفردا فسمع الجمع فتبعوه ماشيين من المدن فلما خرج ابصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم وابرا اعلاهم ومرضاهم انتهى ولما
اتى نبينا صلى الله عليه وسلم بهذه الاخبار الغريبة المحررة العجيبة التي لا يعرفها على وجهها الا الحذاق من علماء
بني اسرايل كان من حق سامعها ان ينتبه من غفلته ويستيقظ من رقدته لانها منبه بنفسها للمنصف الفطن على
ان الاتي بها والسامع خبير بانه لم يخالط عالما قط صادق لا مرية في صدقه في كل ما يديمه عن الله وكان من حق
من ينتبه ان يبادر الى الاذعان فيصرح بالايمان فلما لم يفعلوا التفت الى تنبيه الغني وتبكيت الغني فقال تعالى
ذلك اي الخطاب العلي المقام الصادق المرام البديع النظام من انبا الغيب نوحيه اي نجدد ايجاده في امثاله اليك

في كل حين فما كنت لديهم في هذا الذي ذكرناه لك على هذا التحرير مع الاعجاز في البلاغة وما يجوز ان يكون الجملة حالا تقديرها والحال انك ما كنت ولما كان هذا مع كونه من ابطن الشر هو من اخفى العلم عبر فيه لدى لانها لما هو في اعلى رتب الغرابة كما تقدم في قوله هو من عند الله وكررها زيادة في تعظيمه وتنبيها على انه مما يستغرب جدا حتى عند اهل الاصطفا فقال لديهم قال الحرالي لدي هي عند حاضرة لرفعه ذلك الشي الذي ينبأ به عنه انتهى اذ يلقون لاجل القرعة اقلامهم قال الحرالي جمع قلم وهو مظهر الاثار المنبئة عما وراءها من الاعتبار انتهى ايهم اي ليستهموا ايهم يكفل مريم اي يحضنها ويربيها تأنسا في امرها لما شرفها الله به وما كنت لديهم اذ اي حين يختصمون اي في ذلك حتى تتمرس مثل هذه الاخبار على هذا الوجه الشديد يعني انه لا وجه لك الى علم ذلك الا بأن تكون معهم اذ ذاك اي اواخذ ذلك عن اهل الكتاب او يوحى منا ومن الواضح الجلي ان بعد نسبتك الى التعلم من البشر كبعد نسبتك الى الحضور بينهم في ذلك الوقت لشهرتك بالنشاة اميا مباعدا التعلم والعلما حتى ما يتفاخر به قومك من السجع ومعاناة الصوغ في فنون الكلام على الوجوه الفايقة فانحصر اخبارك بذلك في الوحي منا وجعل هذا التنبيه في نحو وسط هذه القصص ليكون السامع على ذكر مما مضى ويلقي السمع وهو شهيد لما بقي وجعله بعد الافتتاح بقصة من تم عليها السلام تنبيها على عظم شانها وانها المقصودة بالذات بالرد على وفد نصارى نجران وكانه اتبع التنبيه ما كان في اول القصة من افترائهم بالاقلام واختصامهم في كفالتها لخفايه الا على خواص اهل الكتاب هذا ما في مناسبة الاقلام للبشارة بمن يعلمه الكتاب واستمر في الكمال المقال على ذلك الاسلوب الحكيم حتى تمت الحجة فقال تعالى مبدلا من اي الاولى ايذانا بان ما بينهما اعتراض لما نبه عليه من شرفها الاعرا من اذ قالت الملائكة يا مريم ولما كانت هذه السورة سورة التوحيد المقتضي للتفرد بالعظمة عبر بما صدرت به من اسم الذات الجامع لجميع الصفات فقال ان الله اي الملك الاعظم الذي لا كفوء له فلا راد لامره يبشرك وكرر هذا الاسم الشريف في هذا المقام زيادة في ايضاح هذا المرام بخلاف ما ياتي في سورة مريم عليها السلام وقوله بكلمة اي مبتدية منه من غير واسطة اب وهو من تسمية المسبب باسم السبب والمعبر بها اوفق للمقصود السورة وابقى لما يدعيه المجادلون في امره ثم بين انه ليس المراد بالكلمة حقيقتها بل ما يكون عنها ويكون فعالا لها فقال مذكرا للضمير اسمه الذي يتميز به عمن سواه ثلاثة اشيا المسيح اصل هذا الوصف انه كان في شريعتهم من مسحه الامام بدهن القدس كان طاهرا مؤهلا للملك والعلم والولايات الفاضلة مباركا فدل بمجامعه على ان عيسى عليه السلام ملازم للبركة الناشئة عن المسيح وان لم يمسح واما وصفا لدجال بذلك فاما ان يكون لما كان هلاكه على يد عيسى عليه السلام وصف بوصفه من باب التسمية بالضد واما ان يكون اشارة الى انه ملازم للنجاسة فهو يحتاج لا ينفك ولو مسح عن الاحتياج الى التطهير بالمسح من الدهن الذي يمسح به الدنس ومن كان به برص ونحوه فبراؤه الله اعلم ولما وصفه بهذا الوصف الشريف ذكر اسمه فقال عيسى وبين انه يكون منها وحدها من غير ذكر بقوله موضع ابنك ابن مريم وذلك انفي لمن ضل به من ضل في امره واوضح في تقريره مقصود السورة وفي تفخيم هذا الذكر بجعله نفس الكلمة وبابهامه اولا ثم تفسيره وقوله اسمه تعظيم لقدره وتبيان لفضله على يحيى عليها السلام حيث لم يجعل له في البشارة به مثل هذا الذكر ثم اتم لها البشارة باوصاف جعلها احوالا دالة على انه يظهر اتصافه بها حال الولادة تحقيقا لظهور اثر الكلمة عليه فقال وجيها قال الحرالي صيغة مبالغة مما منه الوجاهة واصل معناه الوجه وهو الملاحظ المحترم بعلو ظاهر فيه انتهى في الدنيا ولما كان ذلك قد لا يلازم الوجاهة بعد الموت قال والاخرة ولما كانت الوجاهة ثم مختلفة ذكر اعلاها عاطفا بالواو اشارة الى تمكنه في الصفات فقال ومن المقربين اي عند الله ولما كان ذلك قد لا يقتضي خرق العادات قال ويكلم الناس اي من كلمه من جميع هذا النوع باي لسان كان كلمة بجلال كونه في المهد قال الحرالي هو موضع الهدو والسكون للمحسس اللطيف الذي يكون بذلك الهدو والسكون قوامه انتهى وبشرها بطول حياته بقوله وكهلا اي بعد نزوله من السما في خاتمة اليوم المحمدي ويكون كلامه في الحالين كلام الانبيا من غير تفاوت قال الحرالي واكتهولة سن من اسنان اربع الاسنان وتحقيق حده انه الربع الثالث الموتر للشفع متقدم سنيته من الصبي والشباب فهو خير عمر يكون فيمن عمره الف شهر بضع وثمانون سنة من حد نيف واربعين الى بضع وستين اذا قسم الارباع لكل ربع احدى وعشرون سنة صبي واحدى وعشرون شبابا واحدى وعشرون كهولة واحدى وعشرون شيخه فذلك بضع وثمانون سنة انتهى وهذا تحقيق ما اختلف من كلام اهل اللغة وقريب منه قول الامام ابي منصور عبد الملك بن احمد الثعالبي في الباب الرابع عشر من كتابه فقه اللغة ثم ما دام بين الثلثين والاربعين فهو شاب ثم كهل الى ان يستوفي الستين ويقال شاب الرجل ثم شمطه ثم شاخ ثم كبر واكتهل قال اهل اللغة ماخوذ من اكتهل النبات اذا تم طوله قبل ان يعبج وكلام الفقهاء لا يخالفه فان مبناه العرف فالنص على كهولته اشارة لامه بانه ممنوع من اعدائه اذا قصدوه وتنبيه على ان دعواهم لصلبه كاذبة ولما كانت رتبة الصلاح في غاية العظمة قال مشيرا الى علو مقدارها ومن الصالحين ومعلما بانها محيطة بامره شاملة لاخر عمره كما كانت مقارنة لاوله وكانها لما سمعت ذلك امتلات تعجبا فاستحقها ذلك الى الاستجابة بالسوال قبل اكمال المقال بان قالت رب ايها المحسن الي اني من اين وكيف يكون لي ولما كان استبعادها لمطلق

الحجة واستقامة

تعلم

الجبل لا بقيد كونه ذكرا في قصة زكريا عليه السلام قالت يكون ولد وقالت ولم يمسسني بشر لعلمها ذلك من نسبته
اليها فقط قال الحرالي والبشر هو اسم المشهود من الادمي في جملته بمنزلة الوجه في اعلى قامته من معنى البشرة وهذا ظاهر الجلد
انتهى ولعل هذا الكلام خطر لها ولم تلفظ به فعلم الملك عليه السلام انه شغل فكرها فاجابها عنه لتفرغ الفهم بان قال
كذلك اي مثل هذا الفعل العظيم الشان العالي الرتبة يكون ما يشرك به ولما كان استبعادها لمطلق التكوين من غير سبب
اصلا وعبر في تعليل ذلك بالخلق فقال الله اي الملك الاعظم الذي لا اعتراض عليه يخلق اي يقدر ويصنع ويخترع ما يشاء
فعبر بالخلق اشارة الى ان العجب فيه لا في مطلق الفعل كما في يحيى عليه السلام من حمل الشيخ الكاشب ثم علل ذلك بما بين
سهولته فقال اذا قضى امرا اي جل او قل فانما يقول له كن فيكون بيانا لكلمة ما لما اجابها عما شغل قلبها من العجب
فتفرغ للفهم اخذ في اكمال المقال بقوله عطفا على ويعلمه الناس بالياء كما قبله في قراءة نافع وعاصم وبالنون في قراءة
الباقين نظرا الى العظمة اظهارا لعظمة العلم ويعلمه او يكون مستانفا فيعطف على ما تقدير فيخلقه كذلك ويعلمه الكتاب
اي الكتابة او جنس الكتب فيشمل ذلك معرفة الكتاب وحفظه وفهمه وغير ذلك من امره والحكمة اي العلوم الالهية
المفيدة لتهذيب الاخلاق فيفيض عليه قول الحق وفعله على احكم الوجوه بحيث لا يقدر احد على نقض شيء مما يبرمه ولما
وصفه بالعلوم النظرية والعملية فصار متاهلا لاسرار الكتب الالهية قال والتوراة اي التي تعرفينها والانجيل
بانزاله عليه تاليا لها وتاخيره في الذكر يفيد تعظيمه بان ما قبله مقدمات لتلقيه ولا يصح عطفه على فيكون لانه في حيز
الشرط فيقتضي اتصاف كل مقتضى لهذه الاوصاف كلها ولما ذكر الكتاب المنزل عليه حسن ذكر الرسالة فقال بعدما
افاد عظمتها بجعله ما مضى مقدمات لها ورسولا عطفا على تاليها المقدر او ينصب بتقدير نجعله الى بني اسرائيل اي بالانجيل
ولما كان ذكر الرسالة موجبا للوقع الاية دلالة على صحتها وكان من شان الرسول مخاطبة المرسل اليهم وافتتاله بجميع
رسالته عليهم اتبعه ببيان الرسالة مقررا ناحرف التوقع فقال اني اي ذاكرا اني قد جئتكم باية من ربكم اي الذي طال
احسانه اليكم ثم ابدل من اية اني اخلق لكم اي لاجل توبيخكم بصنايع الله من الطين قال الحرالي هو منخمر الماء والتراب حيث
يصير متهيئا للقبول وقوع الصور فيه كهيئة وهي كيفية وضع اعضاء الصور بعضها من بعض التي يدركها ظاهر
الحس انتهى وهي الصورة المتهيئة لما يراد منها الطير ثم ذكر احتياجه في احيائه الى معالجة بقوله فاعقبها للتصوير
ما نفخ قال الحرالي من النفخ وهو ارسال الهواء من منبعثه بقوة انتهى فيه اي في ذلك الذي هو مثل الهيئة فيكون طيرا
اي طائرا بالفعل كما في قراءة نافع وذكر المعالجة ليلا يتوهم انه خالق حقيقة ثم اكد ذلك ازالة لجميع الشبه بقوله
باذن الله اي بتمكين الملك الاعظم الذي له جميع صفات الكمال له روح كامل يحمله في الهواء تذكيرا لخلق آدم عليه السلام
من تراب واشارة الى ان هذا اعجب من خلق ادمي من انثى فقط فلا تهلكوا في ذلك ولما ذكر ما يشبه امر آدم عليه السلام
اتبعه علاج اجساد اولاده بما يردها الى معتادها مما يعجز اهل زمانه وكان الغالب عليهم الطب وبدا باجزائها
فقال وابرئ قال الحرالي من الابراء وهو تمام التخلص من الداء والداء ما يوهن القوى ويغير الافعال لغاية للطبع
والاختيار انتهى الاكمه والابرص بايجاد ما فقد منهما من الروح المعنوي والحسي قال الحرالي ذهاب البصر في اصل
الخلقة كالذي يولد اعمى او يعمى قبل ان يميز الاشياء او يدركها والبرص اصل معناه تلمع الشيء بلمع خلاف ما هو عليه ومنه
براص الارض لبقع لا نبت فيها ومنه البريص في معنى البصيص مما تلمع من الجلد على غير حالة فهو لذلك برص وقال
الحرالي البرص عبارة عن سوء مزاج يحصل بسببه تكون داء فساد بلغم يضعف القوة المغيرة عن احالته الى لون الجسد
انتهى ولما فرغ من رد الارواح الى اجزاء الجسم اتبعه رد الروح الكامل في جميعها لتحقق تمام البعث المصور له باخراجه
من عالم الغيب الى عالم الشهادة في بعض الادميين فقال واحيي الموتى اي برد ارواحهم الى اشباحهم بعضهم بالفعل
وبعضهم بالقوة لان الذي اقدرني على البعض قادر على ذلك في الكل وقد اعطاني قوة ذلك وهذا كما نقل الفضاعي ان
الحسن قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنته له في وادي كذا فمضى معه الى الوادي وناداها
باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان
ارد ك اليهما فقالت لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرا لي منهما وقد تقدم في البقرة عند اري كيف يحيي الموتى ما ينفع هنا
وقصة قتادة بن دعامة في رده صلى الله عليه وسلم عينه بعد ان اصابها سهم فسالت على خده فصارت احسن من اختها
نضيرة وقصة ابو بصير القرني رحمه الله في ابراء الله تعالى له من البرص ببركته كذلك ولما كان ذلك من امر الاحياء
الذي هو من خواص الهيئة وابطن ايات الملكوتية ربما اورث لبسا في امر الاله تبرا منه ورده الى من هو له سريلا
للبس وموضحا للامر فقال مكررا لما قدمه في مثله باذن الله اي بعلمه وتمكينه اتبعه ما هو من جنسه في الاخراج
من عالم الغيب الى عالم الشهادة فقال معبرا بما يدل على عظمه وانبئكم اي من الاخبار الجليلة من علم الغيب بما تاكلون
اي مما لم اشاهده بل تقطعون باني كنت غائبا وما تدخرون ولما كان مسكن الانسان اعز البيوت عنده واخفى لما يريد
ان يخفيه قال في بيوتكم قال الحرالي من الادخار انتقال من الزخرة قلب حرفاه للدال لتوسط الدال بين ظرفيهما
في متقابلي حالها والزخرة ما اعتنى بالتمسك به عدة لما شانه ان يحتاج اليه فيه مما كان لصلاح خاصة الماسك فهو
ادخار وما كان لتكسب فيما يكون من اقوام فهو احتكار انتهى ولما ذكر هذه الخوارق نبه على علي امرها بقوله ان في ذلك

115

اي الامر العظيم لاية لكم اي ايها المشاهدون علي اني عبد الله ومصطفاه فلا تهلكوا في تكويني من انثي فقط فتطروني
فاني لم اعمل شيا منها الا ناسبا له الي الله وصانعا فيه ما يوذون بالحاجة المنافية للالهية ولو بالدعاء وافرد كاف
الخطاب اولا لكون ما عده ظاهرا لكل احد علي انفراده انه اية لجميع المرسل اليهم ولذا جمع ثانيا وقطعا لتعنت
من قد يقول انها لا تدل الا باجتماع انظار جميعهم لو جمع الاول وانها ليست اية لكلهم بل لواحد منهم لو وحد في الثاني
ولما كانت الايات لا تنفع مع المعاندات قال ان كنتم مومنين اي مذعنين بان الله قادر علي ما يريد واهلا لتصديق
ما ينبغي التصديق به ولما كانت ترجمة اني قد جيتكم اتيا اليكم باية كذا مصدقا بها لما اتيت به عطف علي الحال
المقدر منه تاكيدا لانه عبد الله قوله ومصدقا لما بين يدي اي كان قبل اتياني اليكم من التورية اي المنزلة علي
اخي موسي عليه السلام لان القبلية تقتضي العدم الذي هو صفة المخلوق او يعطف علي باية اذا جعلنا البا للحال
لا للتعدية اي وجيتكم مصحوبا باية ومصدقا ولما ذكر التورية اتبعها ما يدل علي انه ليس كمن بينه وبين موسي
من الانبياء عليهم السلام في اقرارها كلها علي ما هي عليه وتحذير امرها علي ما كان زمن موسي عليه السلام بل هو مع تصديقها
ينسخ بعضها فقال ولاحل اي صدقتها لاحثكم علي العمل بها ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي فيها تخفيفا عليكم وجيتكم
الاية ليس مكررا لتاكيد اني قد جيتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين علي ما توهم بل المعني والله اعلم ان عيسي عليه
السلام لما اتاهم بهذه الخوارق التي من جملتها احياء الموتي وكان المقرر عندهم كما ورد في الاحاديث الصحيحة
التحذير من الدجال وكان من المعلوم من حاله انه ياتي بخوارق منها احيا ميت ويدعي الالهية كان من الجايز ان يكون
ذلك سببا لشبهة تعرض لبعض الناس فختم هذا الدليل علي رسالته بما هو البرهان الاعظم علي عبوديته وذلك
مطابقته لما دعا اليه الانبيا والمرسلون كلهم من اخلاص العبادة لله فقال وجيتكم باية اي عظيمة خارقة للعادة
من عند ربكم المحسن اليكم بعد التفرد بخلقكم وهي اجل الامارات وادلها علي صدقي في رسالتي وعدم تهمتي بوقوع
شبهة في عبوديتي ولما تقرر بذكر الاية مرة بعد مرة مع ما افادته من تاسيس التفصيل لانواع الايات تاكيد
رسالته تلطفا لطبايعهم الكثيفة فينقلع منها ما كانت الفته في الازمان المتطاولة من العوايد الباطلة سبب
عن ذلك ما يصرح بعبوديته ايضا فقال مبادرا للاشارة الي ان الادب مع المحسن اكد والخوف منه احق واوجب
لئلا يقطع احسانه ويبدل امتهانه فاتقوا الله اي الذي له الامر كله واطيعون اي في قبولها فان التقوي مستلزمة
لطاعة الرسول ولما كان كانه قيل ما تلك الاية التي سميتها اية بعد ما جيت به من الاشيا الباهرة قال
ان الله الجامع لصفات الكمال ربي وربكم اي خالقنا ومربينا انا وانتم في ذلك شرع واحد وقراه من فتح ان اظهر في
المراد فاعبدوه هذا اي الذي دعوتكم اليه صراط مستقيم انا وانتم فيه سوا لا ادعوكم الي شي الا كنت فاعلا له ولا
ادعي اني اله ولا ادعوا الي عبادة غير الله كما يدعي الدجال وغيره من الكذبة الذين تظهر الخوارق علي ايديهم امتحانا
من الله لعباده فيجعلونها سببا للعلو في الارض والترفع علي الناس وجا بالتحذير منهم وتزييف احوالهم الانبيا
والي هذا يرشد قول عيسي عليه السلام فيما سياتي عن انجيل يوحنا ان من يتكلم من عنده انما يطلب المجد لنفسه
فاما الذي يطلب مجد الذي ارسله فهو صادق وليس فيه ظلم والي مثل ذلك ارشدت التورية فانه جعل العلامة
علي صدق الصادق وكذب الكاذب الدعوة فمن كانت دعوته الي الله وجب تصديقه ومن كذبه هلك ومن دعا
الي غيره وجب تكذيبه ومن صدقه هلك قال في السفر الخامس منها واذا دخلتم الارض الذي يعطيكم الله ربكم
فلا تعملوا مثل اعمال تلك الشعوب ولا يوجد فيكم من يعبر ابنه وابنته في النار نذرا للاصنام ولا يطلب تعليم
العرافين ولا من ياخذ بالعين ولا يوجد فيكم من يتطير طيرة ولا ساحر ولا من يرقي رقية ولا من ينطلق الي العرافين
والقافة فيطلب اليهم ويسيلهم عن الموتي لان كل من يعمل هذه الاعمال هو نجس بين يدي الله ربكم ومن اجل هذه
النجاسة يهلك الله هذه الشعوب من بين ايديكم ولكن كونوا متواضعين مخبتين امام الله ربكم لان هذه الشعوب
التي ترثونها كانت تطيع العرافين والمنجمين فاما انتم فليس هكذا يعطيكم الله ربكم بل يقيم لكم نبيا من اخوتكم مثلي
فاطيعوا ذلك النبي كما اطعتم الله ربكم في حوريب يوم الجماعة وقلتم لا نسمع صوت الله ربنا ولا نعاين هذه النار
العظيمة كيلا نموت فقال الرب ما احسن ما تكلموا ساقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجري قولي فيه ويقول لهم
ما امره به والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي انا انتقم منه فاما النبي الذي يتكلم ويتجرا باسمي
ويقول ما لم امره ان يقوله ويتكلم باسما الالهة الاخري يقتل ذلك النبي وان قلتم في قلوبكم كيف لنا ان نعرف
القول الذي لم يقله الرب اذا تكلم ذلك النبي باسم الرب فلم يكمل قوله ولم يتم فلذلك القول لم يقله الرب ولكن
تكلم ذلك النبي جراة وصفاقة وجه فلا تخافوه ولا تفزعوا منه وقال قبل ذلك بقليل واذا اهلك الله الشعوب
التي تنطلقون اليها وابادهم من بين ايديكم ولا تسالوا عن الهتهم ولا تقولوا كيف كانت هذه الشعوب تعبد
الهتها حتي نفعل نحن مثل ما فعلها ولا تفعلوا مثل فعالها امام الله ربكم لانهم عملوا بكل ما ابغض الله واحرقوا
بنيهم وبناتهم لالهتهم ولكن القول الذي امركم به اياه احفظوا وبه اعملوا لا تزيدوا ولا تنقصوا منه شيا
فان قام بينكم نبي او من يفتر احلاما وعمل اية او عجيبة ويقول اقيلوا بنا نعبد الالهة الاخري التي لا تعرفونها

عن ع

وورثتموهم وسكنتم ارضهم احفظوا لا تتبعوا الهتهم من بعد ما يهلكهم الله من بين ايديكم صح

ونتبعها لا تقبل قول ذلك النبي وصاحب الاحلام لانه انما يريد ربكم ان يجربكم ليعلم هل تحبون الله ربكم احفظوا وصاياه
واتقوا واسمعوا قوله واعبدوه والحقوا به فاما ذلك النبي وذلك الذي تحلم الاحلام فليقتل لانه نطق باثم امام الله
ربكم الذي اخرجكم من ارض مصر وخلصكم من العبودية فاراد ان يضلكم عن الطريق الذي امركم الله ربكم ان تسيروا فيه
واستاصلوا الشر من بينكم وان شوقك اخوك ابن امك وابيك او ابنتك او حليلتك او صديقك ويقول لك هلم
بنا نتبع الالهة الاخرى التي لا تعرفها انت ولا اباؤك من الهة الشعوب التي حولكم القريبة منكم والبعيدة ومن اقطار
الارض الى اقصاها لا تقبل قوله ولا تطعه ولا تشفق عليه ولا ترحمه ولا تكتم عليه ولا تتعطف عليه ولكن اقتله
قتلا وابدا به انت قتلا ثم يبدا به جميع الشعوب وارجموه بالحجارة وليمت لانه اراد ان يضلك عن عبادة الله ربك الذي
اخرجك من ارض مصر وخلصك من العبودية ويسمع بذلك جميع بني اسرايل ويفزعون فلا يعودوا ان يعملوا مثل هذا
العمل السوء بينكم واذا سمعتم ان في قرية من القرى التي اعطاكم الرب قوما قد ارتكبوا خطيئة واضلوا اهل قريتهم
وقالوا لهم ننطلق فنعبد الهة اخرى لم تعرفوها ابحثوا نعما وسلوا حسنا ان كان القول الذي بلغكم يقينا وفعلت هذه
النجاسة في تلك القرية اقتلوا اهل تلك القرية بالسيف واقتلوا كل من فيها من النسا والصبيان والبهايم
بالسيف واجمعوا جميع نهبها خارج القرية واحرقوا القرية بالنار واحرقوا كل نهبها امام الله ربكم وتصير القرية
تلا خرابا الى الابد ولا تبنى ايضا ولا يلصق بايديكم من خرابها شي ليصرف الرب غضبه عنكم ويعطف عليكم ويفيض
رحمته عليكم ويحييكم ويرحمكم ويكثركم كما قال لاباكم هذا ان انتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم وصاياه التي امرتكم
بها اليوم وعملتم الحسنات امام الله ربكم فاذا فعلتم هذا صرتم لله ربكم لا تاثموا ولا تصيروا شبه الوحش ولا تخدشوا
وجوهكم وبين اعينكم على الميت لانكم شعب طاهر لله ربكم واياكم اختار الله ربكم ان تكونوا شعبا حبيبا افضل من
جميع شعوب الامم انتهى فقد تبين من هذا كله ان عيسى عليه السلام مصدق للتورية في الدعا الى توحيد الله وان الاية
الكبرى على صدق النبي الحق اختصاصه الله تعالى بالدعوة وتسويته بين نفسه وجميع من يدعوه في الاقبال عليه
والتعبد له والتخشع لديه وان الاية على كذب الكاذب دعاؤه الى غير الله وفي ذلك وامثاله مما سياتي عن الانجيل
في سورة النسا تحذير من الدجال وامثاله فثبت ان المراد بالاية في هذه الاية ما قدمته من الاخبار بان الله رب
الكل والامر بعبادته وهذا كما ياتي من امر الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الى ان قال ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولما ختم سبحانه هذه بالاية
القاطعة القويمة الجامعة وكان قوله اول السورة يصوركم في الارحام كيف يشا وقوله هنا يخلق ما يشا
مغنيا عن ذكر حملها طواه وارشد السياق حتما الى ان التقدير فصدق الله فيما قال لها فحملت به من غير ذكر فولدته
على ما قال سبحانه وجيها وكلم الناس في المهد وبعده وعلم الكتاب والحكمة وارسله الى بني اسرايل فاتم لهم الدلايل
ونفى الشبه على ما امره به الذي ارسله سبحانه انه ناسخ لا مقرر فتابعه قوم وخالفه آخرون فغطوا جميع الايات
واعرضوا عن الهدى والبينات ونصبوا له الاشراك والحبايل وبعده الدواهي والغوايل فضلوا على علم وظهر منهم
الكفر البين واعرجوا عن الصراط المستقيم عطف عليه قوله مسليا لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم
فلما احس قال الحرالي من الاحساس وهو ضال الامر بادر الى العلم والشعور الوجداني انتهى عيسى منهم الكفر اي علمه
علم من شاهد الشي بالحس وراى مكرهم على ذلك يتزايد وعنادهم يتكاثر بعد ان علم كفرهم علما لا مزية فيه فاستغاث
بالانصار وعلم ان مجنون الحرب قد دار فعزم على الحاقهم دار البوار قال من انصاري ولما كان المقصود ثبات الانصار
معه الى ان يتم امره عن ذلك بصلة دلت على تضمين هذه الكلمة كلمة توافق الصلة فقال الى اي سايرين او واصلين
معي بنصرهم الى الله اي الملك الاعظم قال الحواريون قال الحرالي جمع حواري وهو المستخلص نفسه في نصرة من تحق نصرته
بما كان من ايثاره على نفسه واخلاص لا كدر فيه ولا شوب انتهى وهو مصروف لان ياؤه عارضة نحن انصار الله اي الذي
ارسلك واقدرك على ما ياتي به من الايات فهو المحيط بكل شي عزة وعلما ثم صححوا النصرة وحققوا بان عللوا بقولهم
امنا بالله اي على ما ماله من صفات الكمال ثم اكدوا ذلك بقولهم مخاطبين لعيسى عليه السلام رسولهم اكمل الخلق
اذ ذاك واشهد بانا مسلمون اي منقادون لجميع ما تامرنا كما هو حق من آمن لتكون شهادتك علينا اجدر لثباتها
ولتشهد لنا بها يوم القيمة ثم لما خاطبوا الرسول ادبا ترقوا الى المرسل في خطابهم اعظاما للامر وزيادة في
التاكيد فقالوا مسقطين لاداة النداء استحضارا لعظمته بالقرب لمزيد القدرة وترجي منزلة اهل الحب ربنا
امنا بما انزلت اي على السنة رسلك كلهم واتبعنا الرسول الآتي الينا بذلك معتقدين رسالته منك وعبوديته
لك فاكتبنا لتقبل بك شهادتنا واعتدادك بها مع الشاهدين اي الذين قدمت انهم شهدوا لك بالوحدانية
مع الملايكة ولعله عقب ذلك بقوله ومكروا المعطوف على قوله قال من انصاري بالاضمار الصالح لشمول
من تقدم له ذكر اشارة الى ان التمالؤ عليه يصح ان ينسب الى المجموع من حيث هو مجموع اما مكر اليهود فمشهور واما
الحواريون الاثني عشر فنقص احدهم وهو الذي تولى كبر الامر وجر اليهود اليه ودلهم عليه كما ياتي بيانه ان شا الله
تعالى في سورة النسا وترتيب المكر على الشرط يفهم انهم لما علموا احساسه بكفرهم خافوا غايلته فاعملوا الحيلة في

ارسله

مثله

قتله والمكر قال الحرالي اعمال الخديعة والاحتيال في هدم بنا ظاهر كالدنيا والكيد اعمال الخدعة والاحتيال في هدم بنا باطن كالدين والتخلق وغير ذلك فكان المكر خديعة حسن والكيد خديعة معني انتهى ثم بين ان مكرهم تلاشى واضمحل بقوله ومكر الله اي والحال انه الذي له هذا الاسم فلم يشاركه فيه احد بوجه والله خير الماكرين بارادته تاخير حربه لهم الى وقت قضاه في الازل فامضاه وذلك عند مجيء الرجال بجيش الروم فيكون انصاره الذين سالوهم وبهم هذه الامة تستريح لهم ثم بين ما فعله بهم من القضاء الذي هو على صورة المكر في كونه ادنى يخفى على المقصود به بارفعه اليه وشبه ذلك عليهم حتى ظنوا انهم صلبوه وانما صلبوا احدهم وبقاله انه الذي دلهم واما هو عليه السلام فصانه عنده بعد رفعه الى محل اوليائه وموطن قدسه لينزله في آخر الزمان لاستيصالهم بعد ان ضرب عليهم الزلة بعد قصدهم له بالادنى الذي طلبوا به الاعز الى آخر الدهر فكان تدميرهم في تدبيرهم وذلك اخفى الكيد فقال تعالى مخبرا عن ذلك على وجه مبشر له بانه عاصمه من ان يقتلوه وممتته حتف انفه اذ اي مكرهين قال الله اي بما له من التفرد بصفات الكمال يا عيسى اني متوفيك وعبر عن ذلك بطريق الكناية الامانية فان عصمته من قتل الكفار ملزومة للموت حتف الانف واما قول الزمخشري اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار وموخرك الى اجل كتبته لك وممتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ليكون كناية تلويحية عن العصمة من القتل لانها ملزومة لتاخيره الى الاجل المكتوب والتاخير ملزوم للموت حتف الانف فلا ينبغي الاغترار به لانه مبني على مذهب المعتزلة من ان القاتل قطع اجل المقتول المكتوب وكان تقاضي البيضاوي لم يتغطن له فترجم هذه العبارة بما يوديها ويجوز ان يكون معنى متوفيك آخذك اليّ من غير ان يصلوا منك الى مجرم دم ولا ما فوقه من عضو ولا نفس فلا تخش مكرهم قال في القاموس وفي فلانا حقه اعطاه وافيا كوفاه ووافاه فاستوفاه وتوفاه ثم بين سبحانه في بشارته بالرفعة الى محل كرامته وموطن ملائكته وبعدنا لنزاهة عن الادناس فقال ورافعك وزاد اعظام ذلك بقوله الي ومطهرك من الذين كفروا ولما كان لذوي الهمم العوالي اشد التفات الى ما يكون عليه خلائفهم بعدهم من الاحوال بشره تعالى في ذلك بما يسره فقال وجاعل الذين اتبعوك اي دينا لا ذواتهم فوق الذين كفروا اي ستروا ما يعرفون من نبوتك بما دلت من الايات التي اتيت بها مطابقة لما عندهم من البشائر بك الى يوم القيمة وكذا كان لم يزل من اتسم بالنصرانية حقا او باطلا فوق اليهود ولا يزالون كذلك الى ان بعد يهود فلا يبقى منهم احد ولما كان البعث عاما دل عليه بالالتفات الى الخطاب فقال تكميلا لما بشره به من النصر ثم الي مرجعكم اي المومن والكافر في الآخرة فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ثم فصل له الحكم فقال مرهبا لمخالفيه مرغبا لموالفيه وقدم المخالفين لان السياق لبيان ادكارهم فاما الذين كفروا اي من الطائفتين فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالذل والهوان والقتل والاسر والاخرة بالخزي الدائم وما لهم من ناصرين وان كثر عددهم ولم يقبل واما الذين اتبعوك ليلا يلبس الحال وان كان من اتبع النبي الامي فقد اتبعه في بشارته به والامر باتباعه بل قال واما الذين امنوا وعملوا الصالحات لان هذه ترجمة الذين اتبعوه حق الاتباع ولما كان تمام الاعتناء بالاوليا متضمنا لغاية القهر للاعدا ابدي في مظهر العظمة قوله تعظيما لهم وتحقيرا لاعدائهم فنوفيهم اجورهم اي نجمعها لهم من غير ان ننحسهم منها شيا او نظلم احدا من الفريقين في شي فان الله متعال عن ذلك والله الذي له الكمال كله لا يحب الظالمين من كانوا اي لا يفعل معهم فعل المحب فهو يحبط اعمالهم لبنائها على غير اساس الايمان فالاية من الاحتباك ونظمها على الاصل فنوفيهم لانا نحبهم والله يحب المومنين والذين ظلموا نحبط اعمالهم لانا لا نحبهم والله لا يحب الظالمين فتوفيه الاجر اولا تنفيها ثانيا واثبات الكراهة ثانيا يثبت ضدها اولا وحقيقة الحال انه اثبت للمومنين لازم المحبة المراد منها في حق الله تعالى لانه اسر ولازم المراد من عدمها في الظالمين لانه امكا ولما تم سبحانه ما اراد من امر عيسى عليه السلام من ابتدآء تكوينه الى انتهآء رفعه وما كان بعده من امر اتباعه مشيرا بذلك الى ما فيه من بدايع الحكم وجزآء من العلوم واللطايف المتنزلة على مقادير الهمم على اتقن وجه واحكمه واتمه واخلصه واسلمه وختمه بالتنفير من الظلم وكان الظلم وضع الشي في غير موضعه وكان هذا القرآن العظيم قد حاز من حسن الترتيب ورصانة النظم بوضع كل شي منه لفظا ومعنى في محله الاليق به المحل الاعلى لا سيما هذه الايات التي انت بالفيصل من امر عيسى عليه السلام فلم تدع فيه شكا ولا ابقت شبهة ولا لبسا اتبع ما تقدم من تفصيل الايات البينات قوله سبحانه على عظمة هذه الايات الباهرة اللائي لها صلى الله عليه وسلم باوضح الصدق باعجازها في نظمها وفي العلم بمضامينها من غير معلم من البشر كما تقدم نحو ذلك في ذلك من انبآء الغيب نوحيه اليك ذلك اي النبا العظيم والامر الجسيم الذي لم تكن تعلم شيا منه ولا علمه من شان قومك نتلوه اي نتابع قصه بما لنا من العظمة عليك وانت اعظم الخلق حالا كونه من الايات اي التي لا اشكال فيها ويجوز ان يكون خبر اسم الاشارة والذكر الحكيم اشارة الى ذلك لان الحكمة وضع الشي في اعدل مواضعه واتقنها واشار باداة البعد تنبيها على علو منزلته ورفيع قدره ثم اكد ظلمهم وصور حكمته بمثل هو القرآن في امر عيسى عليه السلام الكاشف لما في ذلك مما التبس عليهم فقال ان مثل عيسى اي في كونه من انثى فقط عند الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما في اخراجه من غير سبب حكمي عادي كمثل آدم فيما ان كلا

منها ابدع من غراب بل امر آدم اعجب اوجده من غراب ولا ام ولذلك فسر مثله بانه خلقه اي قدره وصوره جسدا
من غير جنس البشر وعبر بالتراب دون الماء والطين والحماء وغيره كما في غير هذا الموطن لان التراب اغلب اجزاءه ولان المقام
لاظهار العجب واتباع ما اسكنه انواع الانوار بالهداية والعلوم الباهرة من التراب الذي هو اكثف الاشياء اغرب كما ان ٥
سلب كلام الضلال على الشياطين مع كونهم من عنصر نير اعجب بل من تراب فعلمنا ان تفسير مثل عيسى كونه خلقه من جنس
البشر من ام فقط بغير اب فمثل عيسى اقل غرابة من هذه الجهة وان كان اغرب من حيث انهم لم يعهدوا مثله فلذلك كان مثل
آدم مثلا له موضحا لانه مع كونه اغرب اشهر اي ببشر اكاملا روحا وجسدا ولما شبه المثل بالمثل علمنا ان مثل عيسى كل ولد
نشاهده تولد من انثى ومثل آدم كل حيوان نشاهده تولد من تراب وما شاهده بنو اسرائيل من خلق عيسى عليه السلام الطير
من الطين فهذا المثل الذي هو كل ما تولد من انثى مثل ذلك المثل الذي هو كل ما تولد من تراب في ان كلا منهما لم يكن الا بتكوين الله
تعالى والا لكان كل جماع موجبا للولد وكل تراب موجبا لتولد الحيوان منه فلما كان اكثر الجماع لا يكون منه ولد علمنا ان الايجاد
بين الذكر والانثى انما هو بارادة الله وقدرته ومن ارادته وقدرته كونه من ذكر وانثى فلا فرق في ذلك بين ان يريد كونه
من انثى بتسبيب جماع من ذكر تخرق به عادة الجماع فيجعله موجبا للحبل وبين ان يريد كونه من انثى فقط فيخرق به عادة
ما نشاهده الآن من التوليد بين الذكر والانثى كما انا لما علمنا انه ليس كل تراب يكون منه حيوان علمنا قطعا ان هذا المتولد من
تراب انما هو بارادة القادر واختياره لا بشيء آخر والى ذلك اشار يحيى عليه السلام بقوله فيما سلف قريبا ان الله قادر
على ان يقيم من الحجارة اولاد الابرهيم عليه السلام اي انه سبحانه هو الذي يخلق المسببات فلا فرق حينئذ بين سبب
وسبب بل كلها في قدرته سواء والى ذلك اشار قوله ثم قال له كن اي ببشر اكاملا روحا وجسدا وعبر بصيغة المضارع
المقترن بالفاء في فيكون دون الماضي وان كان المتبادر الى الذهن ان المعنى عليه حكاية للحال وتصويرا لها اشارة الى
انه كان مع الامر من غير تخلف وتنبيها على ان هذا هو الشان في آيما يتجدد مع كل مراد لا يتخلف عن حال الامر اصلا كما تقدم
التصريح به في آية اذا قضى امرا وذلك اغرب مما كان سبب ضلال النصارى الذين يجادل عن معتقدهم وفد نجران قال
سبحانه وذلك اشارة الى انهم ظلموا في القياس وكان العدل ان يقاس في خرقه للعادة بابي امه الذي كان يعلم الاشياء كلها
وسجد له الملائكة لا بخالقه ومكونه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال الحر الى جعل سبحانه آدم عليه السلام
مثلا مبدأه السلالة الطينية وغايته النفخة الامرية وكان عيسى عليه السلام مثلا مبدأه الروحية والكلمة وغايته
التكمل بملابسة السلالة الطينية حتى قال صلى الله عليه وسلم انه عند نزوله في خاتمة ايوم المحمدي يتزوج امرأة
من بني اسد ويولد له غلام لتكمل الادمية في العيسوية كما كملت العيسوية في الادمية وليكونا مثلا واحدا على جامعا
وله المثل الاعلى في السموات والارض انتهى ولما ابتداء القصة بالحق في قوله نزل عليك الكتاب بالحق ختمها بذلك
على وجه اكد واضح فقال الحق اي الكامل في الثبات كاين من ربك اي المحسن اليك بانه لا يدع لخصم عليك مقالا ولما
نسب عما مضى نقلا وعقلا اعتقاد الحق في امر عيسى عليه السلام فلا تكن من الممترين مشيرا بصيغة الافتعال الى انه
لا يشك فيه بعد هذا الا من امعن الفكر في شبه بثيرها واوهام يزاولها ويستدبرها وما احسن ما في مغر الابناء
الاسرائيليين الذي هو بايدي الطائفتين اليهود والنصارى بينا فلونه معتقدين ما فيه واوضحه في خلاف معتقدهم
في عيسى عليه السلام وموافقة معتقدنا فيه لكنهم لا يتدبرون وذلك انه قال في نبوة اشعيا عليه السلام اسمع مني
يا يعقوب عبدي وانت يا اسرائيل الذي انتخبته انا الذي خلقتك في الرحم واعنتك ثم قال هكذا يقول الرب انا
الذي جبلتك في الرحم وخلصتك واعنتك انا الذي خلقت الكل وانا الذي مددت السماء وحدي وانا الذي ثبتت
الارض انا الذي ابطل ايات العرافين واصير كل تعريفهم جهلا وارد الحكماء الى خلفهم واعرف اعمالهم للناس واثبت كلمة
عبيدي واتمم قول رسلي ثم قال انا الرب الذي خلقت هذه الاشياء الويل للذي يخاصم خالقه ولا يعلم انه من خزف
الطين لعل الطين يقول للفاخوري ما ذا تصنعني او لعله يقول له لست انا من صنعتك الويل للذي يقول لابيه
لما ذا اولدتني او لامه لما ذا اجبلت بي هكذا يقول الرب قدوس اسرائيل ومخلصه انا الذي خلقت السماء ومددتها
بيدي وجميع اجنادها وجعلت فيها الكواكب البهية ذكر ما يحتاج اليه المفسر ويتمم ان شاء الله زيادة الايقان
لكل مسلم من قصة عيسى عليه السلام في ولادته وما يتعلق بهذه السورة من مبداء امره ومنتهاه وبعض ما ظهر على
يديه من الايات ولسانه من الحكم المشيرة الى انه عبد الله ورسوله وغير ذلك من الاناجيل الاربعة التي في ايدي
النصارى اليوم وقد ادخلت كلام بعضهم في بعض وجمعت ما تفرق من المعاني في سياقاتهم بحيث صار الكل حديثا واحدا
قال متى ومعظم السياق له كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن ابرهيم عليهم السلام ثم قال فكل الاجيال من ابرهيم
الى داود اربعة عشر جيلا ومن داود الى سبي بابل اربعة عشر جيلا ومن سبي بابل الى المسيح اربعة عشر جيلا لما
خطبت مريم امه ليوسف قبل ان يعتزفا وجدت حبلا من روح القدس وكان يوسف خطيبها صديقا ولم يرد ان
يستهزها وهم بتخليتها سرا وفيما هو مفكر في هذا اذ ظهر له ملاك الرب في الحلم قائلا يا يوسف بن داود لا تخف
ان تاخذ مريم خطيبتك فان الذي تلده هو من روح القدس وستلد ابنا ويدعى اسمه يسوع وهو يخلص شعبه من خطاياهم
هذا كله كان لكي يتم ما قيل من قبل الرب على لسان النبي القائل ها هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانويل الذي

قرئ

تفسيره الله معنا فقام يوسف من النوم وصنع كما امره ملاك الرب واخذ مريم خطيبته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر
ودعى اسمه يسوع وفي انجيل لوقا ولما كان في تلك الايام اي ايام ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام خرج امر من اوه
عسطس قيصر بان يكتب جميع المسكونة هذه الكتبة الاولى في ولاية فرسوس على الشام فمضى جميعهم ليكتتب كل واحد
منهم في مدينته فصعد يوسف ايضا من الجليل من مدينته الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت
لحم لانه كان من بيت داود وقبيلته ليكتتب مع مريم خطيبته وهي حبلى فبينما هما هناك اذ تمت ايام ولادتها لتلد
فولدت ابنها البكر ولفته وتركته في مزود لانه لم يكن لهما موضع حيث نزلا وكان في تلك الكورة رعاة يسهرون لحراسة
الليل نوبا على مراعيهم واذا ملاك الرب قد وقف بهم ومجد الرب اشرف عليهم فخافوا خوفا عظيما قال لهم الملاك
لا تخافوا الآن هوذا ابشركم بفرح عظيم يكون لكم ولجميع الشعوب لانه ولد لكم اليوم مخلص الذي هو المسيح في مدينة داود
وهذه علامة لكم انكم تجدون طفلا ملفوفا موضوعا في مزود وللوقت ترا اي مع الملاك جنود كثيرة سماويون يسبحون
الله ويقولون المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة فلما صعد الملايكة الى السما قال الرجال
الرعاة بعض لبعض امضوا بنا الى بيت لحم لننظر الكلام الذي اعلمنا به الرب فجاوا مسرعين فوجدوا مريم ويوسف
والطفل موضوعا في مزود فلما راوه علموا ان الكلام الذي قيل لهم عن الصبي حق وكل من سمع تعجب مما تكلم به الرعاة
وكانت مريم تحفظ هذا الكلام كله وتعيه ورجع الرعاة يمجدون الله ويسبحون على كل ما سمعوا وعاينوا كما قيل لهم
ولما تمت ثمانية ايام ليختن ودعوا اسمه يسوع كالذي دعاه الملاك قبل ان تحبل به في البطن فلما كملت ايام تطهيرها
على ما في ناموس موسى صعدوا به الى يروشليم ليقيموه للرب كما هو مكتوب في ناموس الرب ان كل ذكر فاتح رحم امه يدعا
قدس الرب ويقرب عنه كما هو مكتوب في ناموس الرب زوج يمام او فرخا حمام وكان انسان بيروشليم اسمه سمعون
وكان رجلا بارا تقيا يرجوا عزي اسرايل وروح القدس كان عليه وكان يوحى اليه من روح القدس انه لا يموت حتى
يعاين المسيح الرب فاقبل بالروح الى الهيكل عند ما جاوا بالطفل يسوع ليصنعا عنه كما يجب في الناموس فحمله على ذراعه
وبارك الرب قايلا الآن يا سيد اطلق عبدك بسلام ككلامك لان عيني ابصرتا خلاصك الذي اعددت قدام جميع
الشعوب نورا استعلن للامم ومجد لشعبك اسرايل وكان يوسف وامه يتعجبان مما يقال عنه وباركهما سمعان وقال
لمريم امه هوذا هذا موضوع لسقوط كثير وقيام كثير من بني اسرايل وكانت حنة النبية ابنة فانوبل من سبط اسير
قد طعنت في ايامها واقامت مع زوجها سبعة وستين بعد بكوريتها وترملت اربعة وثمانين عاما غير مفارقة للهيكل
عابدة الصوم والطلبة ليلا ونهارا وفي تلك الساعة جات قدامه معترفة لله وكانت تتكلم من اجله عند كل احد
يترجى خلاص يروشليم فلما اكملوا كل شي على ما في ناموس الرب رجعوا الى الجليل الى مدينتهم الناصرة فاما الصبي
فكان ينشا ويتقوى بالروح ويمتلي بالحكمة ونعمة الله كانت عليه وابواه يمضيان الى يروشليم في كل سنة في عيد
الفسح وقال متى فلما ولد يسوع في بيت لحم يهودا في ايام هيرودس الملك اذا مجوس وافوا من المشرق الى يروشليم
قايلين اين هو المولود ملك اليهود لانا راينا نجمه في المشرق ووافينا لنسجد له فلما سمع هيرودس الملك اضطرب
وجمع يروشليم وجمع كل روسا الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم اين يولد المسيح فقالوا له في بيت لحم ارض يهودا
كما هو مكتوب في النبي وانت يا بيت لحم ارض يهودا لست بصغيرة في ملوك يهود يخرج منك مقدم الذي يدعى شعبي
اسرايل حينيذ دعا هيرودس والروم المجوس سرا وتحقق منهم الزمان الذي ظهر لهم فيه النجم وارسلهم الى بيت
لحم قايلا امضوا فابحثوا عن الصبي باجتهاد فاذا وجدتموه فاخبروني لاني انا واسجد له فلما سمعوا من الملك ذهبوا
واذا النجم الذي راوه في المشرق يقدمهم حتى جا ووقف فوق حيث كان الصبي فلما راوا النجم فرحوا فرحا عظيما
جدا واتوا الى البيت فراوا الصبي مع مريم امه فخروا له سجدا وفتحوا اوعيتهم وقدموا له قرابين ذهبا ولبانا
ومرا واوحى اليهم في الحلم ان لا يرجعوا الى هيرودس بل يذهبون في طريق اخرى الى كورتهم فلما ذهبوا واذا ملاك
الرب نزا اي ليوسف في الحلم قايلا قم خذ الصبي وامه واهرب الى ارض مصر وكن هناك حتى اقول لك فان هيرودس
يزمع ان يطلب الصبي ليهلكه فقام واخذ الصبي وامه ليلا ومضى وكان هناك الى وفاة هيرودس لكي يتم ما قيل
من قبل الرب بالنبي القايل من مصر دعوت ابني حينيذ لما راى هيرودس سخرية المجوس به غضب جدا وارسل فقتل
كل صبيان بيت لحم وكل تخومها من ابن سنتين فما دون كنحو الزمان الذي تحقق عنده من المجوس حينيذ تم ما قيل من
ارميا النبي حيث يقول صوت سمع في الرامة بكا ونوح وعويل كثير راحيل تبكي على بنيها ولا تريد ان تتعزى لفقدهم
فلما مات هيرودس ظهر ملك الرب ليوسف في الحلم بمصر قايلا قم خذ الصبي وامه واذهب الى ارض اسرايل فلما سمع
ان اورشلاوس قد ملك على اليهودية عوض هيرودس ابيه خاف ان يذهب الى هناك فاخبر في الحلم وذهب الى جور
ناحية الجليل فاتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة لكي يتم ما قيل في الانبيا انه يدعى ناصريا وفي انجيل لوقا فلما
تمت له اثنتي عشرة سنة مضوا الى يروشليم الى العيد كالعادة فلما كملت الايام ليعودوا تخلف عنهما يسوع في يروشليم
ولم تعلم امه ويوسف لانهما كانا يظنان انه مع السايرين في الطريق فلما ساروا نحو يوم طلباه عند اقربايهما ومعارفهما
فلم يجداه فرجعا الى يروشليم يطلبانه وبعد ثلثة ايام وجداه في الهيكل جالسا بين العلما يسمع منهم ويسالهم وكان كل

من يسمعه مبهوتين من علمه واجابته لهم فلما ابصراه بهتا فقالت له امه يا بني ما هذا الذي صنعت بنا ان اباك وان كنا نطلبك
باجتهاد معذبين فقال لهما لم تطلباني اما تعلمان انه ينبغي ان اكون في الذي لابي فاما هما لم يفهما الكلام ونزل معهما وجا الى الناصرة
وكان يطيعهما فاما يسوع فكان ينشا في قامته وفي الحكمة والنعمة عند الله والناس قال متى وفي تلك الايام جا يوحنا المعمدان
يكرز في برية يهودا الى آخر ما تقدم آنفا من بشارة يحيى عليه السلام به ثم قال حينئذ اتى يسوع من الجليل الى الاردن ليعتمد
من يوحنا منه وقال انا المحتاج ان اعتمد منك وانت تاتي الي فاجاب يسوع دع الآن هكذا يجب لنا ان نكمل كل البر حينئذ
تركه فاعتمد يسوع وللوقت صعد من الماء فانفتحت له السموات وراى روح الله نازلا كمثل حمامة جائيا اليه وقال
مرقس وكان تلك الايام جا يسوع من ناصرة الجليل واصطبغ في نهر الاردن من يوحنا فساعة صعد من الماء فاري السموات
قد انشقت وروح القدس كالحمامة نزلت عليه وللوقت اخرجه الروح الى البرية واقام بها اربعين يوما واربعين ليلة وهو
مع الوحوش والملايكة تخدمه وقال متى وصام اربعين يوما واربعين ليلة وقال لوقا وكان لما اعتمد جميع الشعب
واعتمد يسوع فيما هو يصلي انفتحت السماء ونزل عليه روح القدس شبه جسد حمامة وكان قد صار ليسوع ثلثون سنة
وكان يظن انه ابن يوسف وان يسوع امتلا من روح القدس ورجع من الاردن فانطلق به الروح اربعين يوما لم ياكل شيا
في تلك الايام ثم قال ورجع يسوع الى الجليل بقوة الروح وخرج خبره في كل الكورة وكان يعلم في مجامعهم ويمجده كل احد
وجاء الى الناصرة حيث كان تربى ودخل كعادته الى مجمعهم يوم السبت وقام ليقري فدفع اليه سفر شعيا النبي فلما فتح
السفر وجد الموضع الذي فيه مكتوب روح الرب علي من اجل هذا مسحني وارسلني لابشر المساكين واشفي منكسر القلوب
وانذر الماسورين بالتخلية والعميان بالنظر وارسل المربوطين بالتخلية وابشر بالسنة المقبولة للرب والايام التي
اعطانا الهنا ثم طوى السفر ودفعه الى الخادم وجلس وكل من كان في الجم كانت اعينهم محدقة اليه فبدا يقول لهم
اليوم كمل هذا المكتوب باسماعكم وفي انجيل يوحنا ان يسوع قال ان كنت انا اشهد لنفسي فليست شهادتي حقا ولكن
الذي يشهد لي بها حق انتم ارسلتم الى يوحنا فشهد لي بالحق واما انا فلست اطلب شهادة من انسان ولكني اقول هذا لتخلصوا
انتم وانا علي اعظم من شهادة يوحنا لان الاعمال التي اعملها تشهد من اجلي ان الرب ارسلني والذي ارسلني قد شهد لي ولم
تسمعوا قط صوته ولا عرفتموه ولا رايتموه وكلمته لا يثبت فيكم لانكم لستم تومنون بالذي ارسل فتشوا الكتب التي
تظنون ان تكون لكم حيوة الابد فهي تشهد من اجلي لست آخذ المجد من الناس انا اثبت باسم ابي فلم تقبلوني وان اتاكم آخر
باسم نفسه قبلتموه كيف تقدرون ان تومنوا وانما تقبلون المجد بعضكم من بعض ولا تظنون ان المجد من الله الواحد لا تظنوا
اني اشكوكم ان لكم من يشكوكم موسى الذي عليه تتوكلون فلو كنتم آمنتم بموسى آمنتم بي لان ذلك كتب من اجلي وان كنتم لا تومنون
بكتب ذاك فكيف تومنون بكلامي انتهى ما وقع الاختيار اخيرا على اثباته هنا وفيه من الالفاظ المنكرة في شرعنا اطلاق
الاب والابن وقد تقدم التنبيه على مثل ذلك ولما اتاهم سبحانه من امر عيسى عليه السلام بالفصل في البيان الذي ليس
بعده الا العناد فبين اولا ما ينقل فيه عيسى عليه السلام من اطوار الخلق الموجبة للحاجة المنافية للالهية ثم فضح بتمثيله
بآدم عليهما السلام شبهتهم الزمهم على تقديره بالفصل الاعظم للمعاند الموجب للعذاب المستاصل اهل الفساد فقال
تعالى فمن اي فتسبب عما اتيناك به من الحق في امره انا نقول لك من حاجك فيه اي خاصمك بايراد حجة اي كلام يجعله
في عداد ما يقصد ولما كان الملوم انما هو من بلغته هذه الايات وعرف معناها دون من حاج في الزمان الذي هو بعد
نزولها دون اطلاعه عليها قال من اي مبتديا المحاجة من ويجوز ان يكون الاتيان بمن ليلا يفهم ان المباهلة تختص بمن
استغرق زمان البعد بالمجادلة بعد ما جاك من العلم اي الذي انزلناه اليك وقصصناه عليك في امره فقل تعالوا
اي اقبلوا ايها المجادلون الى امر تعرف فيه علو المحق وسفول المبطل ندع ابناءنا وابناءكم اي الذين هم اعز ما عند
الانسان لكونهم بعضه ونساءنا ونساءكم اي اللاتي هن اولى ما يدافع عنه اولوا الهمم العوال وانفسنا وانفسكم فقدم
ما يدافع عنه ذووا الاحساب ويفدونه بنفوسهم وقدم منه الاعز الالصق باكباد وختم بالمدافع وهذا الترتيب على
سبيل الترقي اذا اعتبرت انه قدم الفرع ثم الاصل وبدا بالادنى وختم بالاعلى وفايدة الجمع الاشارة الى القطع
بالوقوف بالكون على الحق ثم ذكر ما له هذا الجمع مشيرا بحرف التراخي الى خطر الامر وانه مما ينبغي الاهتمام به والتروي
له وامعان النظر فيه لسوء خاتمة العاقبة وسوء المنقلب للكاذب فقال ثم نبتهل اي نتضرع قاله ابن عباس
رضي الله عنهما كما نقله الامام ابو حيان في نهره وقال الحرالي الابتهال طلب البهل والبهل اصل معناه التخلي والضراعة
في مهم مقصود انتهى فنجعل لعنة الله اي ابعاده الملك الذي له العظمة كلها فهو بخير ولا يجار عليه وطرده على الكافرين
قال ابن الزبير بعد ما تقدم من كلامه ثم لما اتبعت قصة آدم عليه السلام يعني في البقرة بذكر بني اسرائيل لوقوفهم
من تلك القصص على ما لم تكن العرب تعرفه وانذروا وحذروا اتبعت قصة عيسى عليه السلام يعني هنا بذكر الحواريين
وامر النصارى الى آية المباهلة انتهى ولما كان العلم الازلي حاصلا بان المجادلين في امر عيسى عليه السلام يكفون
عن المباهلة بعد المجادلة خوفا من الاستيصال في العاجلة مع الخزي الدايم في الآجلة وكان كفهم عن ذلك موجبا
للقطع بابطالهم في دعواهم لكل من يشاهدهم او يتصل به خبرهم حسن كل الحسن تعقيب ذلك بقوله تنبيها على ما فيه
من العظمة ان هذا اي الذي تقدم ذكره من امر عيسى عليه السلام وغيره لهو اي خاصة دون غيره مما يضاده القصص الحق

والقصص

والقصص كما قال الحرالي تتبع الوقايع بالاخبار عنها شيا بعد شي على ترتيبها في معنى قص الاثر وهو اتباعه حتى ينتهي
الى محل ذي الاثر انتهى ولما بدا سبحانه القصة اولا السورة بالاخبار بوحدانيته مستدلا على ذلك بانه الحي القيوم
صريحا وختم بمثل ذلك اشارة وتلويحا فقال عاطفا على ما انتجه ما تقدم من ان عيسى عبد الله ورسوله معما للحكم مغرقا
بزيادة الجار في النفي وما من اله اي معبود بحق لان له صفات الكمال فهو بحيث يضر وينفع الا الله اي المحيط بصفات
الكمال لانه الحي القيوم كما معنى التصريح به فاندرج في ذلك عيسى عليه السلام وغيره وقد علم من هذا السياق الهم
لما علموا انفراده تركوا المباهلة رهبة منه سبحانه علما منهم بانهم له عاصون ولحقه مضيعون وان ما يدعون الهيته
لا شي في يده من الدفع عنهم ولا من النفع لهم فالبرهان اقطع من هذا ولما كان في نفي العزة والحكمة عن غيره تعالى نوع خفا
اتى بالوصفين على طريق الحصر فقال عاطفا على ما قدرته مما ارشد السياق الى انه علة ما قبله من النفي وان الله اي الملك
الاعظم لهو اي وحده العزيز الحكيم وهذا بخلاف الحيوة والقيومية فانه لم يثبت بهما على طريق الحصر لظهورهما وقد
علم بلا شبهة بما علم من انه لا عزيز ولا حكيم الا هو انه لا اله الا هو ولما ثبت ذلك كله سبب عنه تقديرهم على الاعراض
بقوله منبها بالتعبير باداة الشك على انه لا يعرض عن هذا المحك البين الا من كان عالما به مبطل ومثل ذلك لا يظن
بذي عقل ومروة فمن حق ذكره ان يكون من قبيل فرض المحالات فان تولوا اي عن اجابتك الى ما تدعوا اليه فان الله
اي المحيط بكل شي قدرة وعلما عليم بهم هكذا الاصل فعدل عنه لتعليق الحكم بالوصف تنفيرا من مثل حالهم فقال
بالمفسدين ان
بالمعتدين اي فهو محكم فيهم بعلمه فينتقم منهم لفسادهم بعزته انتقاما يتقنه بحكمته فينقلون منه بصفقة خاسر
ولا يحذرون من ناصر ولما نكصوا عن المباهلة بعد ان اورد عليهم انواع الحجج فانقطعوا فلم يبق لهم شبهة وقبلوا
الصغار والجزية فعلم الخلائق عما كانوا فيه من المحاجة ولم يبق الا اظهار النتيجة اقتضى ذلك عظم تشوفه صلى الله
عليه وسلم اليها لعظم حرمته صلى الله عليه وسلم على هداية الخلق فامره بان يذكرها مكررا ارشادهم بطريق اخف مما
مضى بان يونسهم فيما يدعوهم اليه بالمواساة فيدعوا دعا يشمل المحاجين من النصارى وغيرهم ممن له كتاب من اليهود
وغيرهم الى الكلمة التي قامت البراهين على حقيتها ونهضت الدلايل على صدقها دعاء لا اعدل عنه على وجه يتضمن نفي
ما قد يتخيل من ارادة التفضل عليهم والاختصاص بامرد ونهم وذلك لانه بدا بمباشرة ما دعاهم اليه ورضي لهم
ما رضي لنفسه وما اجتمعت عليه الكتب واتفقت عليه الرسل فقال تعالى قل ولما كان قد انتقل من طلب الاقحام
خاطبهم تلطفا بهم بما يحبون فقال يا اهل الكتاب اشار الى ما عندهم في ذلك من العلم تعالوا اي ارفعوا انفسكم من
حضيض الشرك الاصغر والاكبر الذي انتم به الى كلمة ثم وصفها بقوله سوا اي ذات عدل لا شطط فيه بوجه
بيننا وبينكم ثم فسرها بقوله ان لا نعبد الا الله اي لانه الحايز لصفات الكمال واكد ذلك بقوله ولا نشرك
به شيا اي لا نعتقد له شريكا وان لم نعبده ولما كان التوجه الى غير الله خلاف ما تدعوا اليه الفطرة الاولى عبر
بصيغة الافتعال فقال ولا يتخذ بعضنا بعضا ارباب اي كعزير والمسيح والاحبار والرهبان الذين كانوا
يحلون لهم ويحرمون ولما كان الرب قد يطلق على المعلم والمربي بنوع تربيه نبه على ان المحذور انما هو اعتقاد
الاستبداد والاجتراء على ما يختص به الله فقال من دون الله الذي اختص بالكمال ولما زاحت الشكوك واتفقت
العلل امر بمصارحتهم بالخلاف في سياق ظاهره المباركة وباطنه الانذار بشديد المعاركة فقال مسببا عن ذلك
مشيرا بالتعبير باداة الشك الى ان الاعراض عن هذا العدل لا يكاد يكون فان تولوا اي عن الاسلام له في التوحيد
فقولوا انتم تبعا لنبيكم ابرهيم عليه السلام اذ قال اسلمت لرب العالمين واتبعا لوصيته اذ قال ولا تموتن الا وانتم
مسلمون اشهدوا بانا اي نحن مسلمون اي منصفون بالاسلام منقادون لامره فيوشك ان يامرنا بنبيه صلى الله عليه
وسلم نبتاكم لنصرته عليكم جريا على عادة الرسل فنجيبه بما اجاب به الحواريون المشهدون بانهم مسلمون ثم نبارزكم
متوجهين اليه معتمدين عليه وانتم تعرفون ايامه الماضية ووقايعه السالفون ولما علم اهل الكتاب ما جبل
عليه العرب من محبة ابيهم ابرهيم عليه السلام وان محمدا صلى الله عليه وسلم ابن بدينه كما تقدم في قوله تعالى بل ملة
ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين اجمع ملا ممن قربهم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وضلل كل منهم الاخر وادعى
كل منهم قصد الاجتذاب المسلمين الى ضلالهم بكيدهم ومحالهم اتباع ابرهيم عليه السلام على دينهم ولم يكن لذلك ذكر
في كتابهم مع ان العقل يرده بادني التفات لان دين كل منهم انما قرر بكتابهم وكتابهم انما انزل على نبيهم ونبيهم
انما كان بعد ابرهيم عليه السلام بدهور متطاولة واليهود ينسبون الى الناصر مخرج عيسى عليه السلام في جبل
الجليل ولا يعقل ان يكون المتقدم على دين ما حدث الا بعده وعلى نسبة متاخرة عنه وكان دينه صلى الله عليه
وسلم انما هو الاسلام وهو الحنيفية السمحة فقال تعالى مبكتا لهم يا اهل الكتاب كالمعلل لتبكيتهم لان الزلة من
العالم اشنع لم تحاجون في ابرهيم فيدعيه كل من فريقكم والحال انه ما انزلت التورية والانجيل المقرر كل منهما اصل
دين منتحله سلم الا ولما كان انزال كتاب كل منهم غير مستغرق الزمان الآتي بعده ادخل الجار فقال من بعده واعظم
ما يتمسك به كل فرقة منهما السبت والاحد ولم يكن ما يدعونه فيهما في شريعة ابرهيم عليه السلام يقدرون على
انكار ذلك ولا يأتي مثل ذلك في دعوى انه مسلم لان الاسلام الذي هو الاذعان للدليل معني قد عم موجود من حين خلق

الله العقل والدليل لا يقدر احد ان يدعي انه ما حدث الا بعد ابرهيم عليه السلام كما قيل في الدينين المذكورين ولما
كان الدليل العقلي واضحا في ذلك ختم الاية بقوله منكرا عليهم افلا تعقلون اي هب انكم لبستم وادعيتم ان ذلك في
كتابكم زورا وبهتانا وظننتم ان ذلك يخفى على من لا المام له بكتابكم فكيف غفلتم عن البرهان العقلي ثم استانف تبكيتا
آخر فقال منبها لهم مكررا التنبيه اشارة الى طول رقادهم او شدة عنادهم فقال ها انتم هؤلاء اي الاشخاص الحمقى
ثم بين ذلك بقوله حاججتم اي قصدتم مغالبة من يقصد الرد عليكم فيما لكم به علم اي نوع من العلم من امر موسى وعيسى
عليهما السلام لذكر كل منهما في كتابكم وان كان جدالكم فيهما على خلاف ما تعلمون من احوالهما عنادا وطغيانا فلم تحاجون
اي تغالبون بما تزعمون انه حجة وهو لا يستحق ان يسمى شبهة فضلا عن ان يكون حجة فيما ليس لكم به علم اصلا لكونه لا
ذكر له في كتابكم بما حاججتم مع مخالفته بصريح العقل والله المحيط بكل شيء يعلم اي وانتم تعلمون اي مجادلتكم في الحقيقة
انما هي مع الله وتعلمون ان علمه محيط بجميع ما جادلتم فيه وانتم اي وتعلمون انكم انتم لا تعلمون اي ليس لكم علم اصلا الا ما علمكم
الله هذا على تقدير كون ها في ها انتم للتنبيه ونقل شيخنا ابن الجزري في كتابه النشر في القراآت العشر عن ابي عمرو وابي
الحسن الاخفش انها بدل من همزة وروي عن ابي حمدون عن اليزيدي ان ابا عمرو قال وانما هي انتم ممدودة فجعلوا الهمزة
هاء والعرب تفعل هذا فعلى هذا التقدير يكون استفهاما معناه التعجيب منهم والتوبيخ لهم ولما وبخهم على ذلك
من جهلهم نفى سبحانه عن ابرهيم عليه السلام ما ادعاه عليه كل منهم طبق ما برهنت عليه الاية الاولى ونفى عنه كل شرك
ايضا واثبت انه كان مايلا عن كل باطل منقادا مع الدليل الى كل حق بقوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا اي كما ادعى
اليهود ولا نصرانيا كما ادعى النصارى لما تقدم من الدليل ولكن حنيفا مسلما وقد بين معنى الحنيف عند قوله تعالى
قل بل ملة ابرهيم حنيفا بما يصدق على المسلم وقال الامام العارف ولي الدين الملوي في كتابه حصن النفوس في
السوال في القبر واليهودي اصله من آمن بموسى عليه السلام والتزم احكام التورية والنصراني من آمن بعيسى عليه
السلام والتزم احكام الانجيل ثم صار اليهودي من كفر بما انزل بعد موسى عليه السلام والنصراني من كفر بما انزل بعد
عيسى عليه السلام والحنيف المايل عن كل دين باطل والمسلم المطيع لاوامر الله تعالى في اي كتاب انزلت مع اي رسول
وردت وان شئت قلت هو المنقاد لله وحده بقلبه ولسانه وجميع جوارحه المخلص عمله لله عز وجل قال النبي
صلى الله عليه وسلم لمن قال له قل لي في الاسلام قولا لا اسئل عنه احدا غيرك قل امنت بالله ثم استقم انتهى ثم خص
بالنفي من عرفوا بالشرك مع الصلاحية لكل من داخله شرك من غيرهم كمن اشرك بعزير والمسيح عليهما السلام فقال
وما كان من المشركين وفي ذكر وصفي الاسلام والحنف تعريض لهم بانهم في غاية العناد والجلافة واليبس في التمسك
بالمالوفات وترك ما اتاهم من واضح الادلة وقاطع الحجج البينات ولما نفى عنه صلى الله عليه وسلم كل زيغ بعد ان نفى
عنه ان يكون على ملة هو متقدم عن حدوثها شرع في بيان ما انتم به نتيجة ما مضى ببيان من هو اقرب اليه ممن جاء بعده
فقرر ان الاولى به انما هو من اتبعه في اصل الدين وهو التوحيد والتنزيه الذي لم يختلف فيه بنيان اصلا وفي الانقياد
للدليل وترك المالوف من غير تلعثم حتى صاروا احقا بالاسلام الذي هو وصفه بقوله تعالى موكدا ردا عليهم وتكذيبا
لمحاجتهم ان اولى الناس اي اقربهم واحقهم بابرهيم للذين اتبعوه اي في دينه من امته وغيرهم لا الذين ادعوا انه تابع
لهم ثم صرح بهذه الامة فقال وهذا النبي اي هو اولى الناس به والذين امنوا اي من امته وغيرهم وان كانوا في
ادنى درجات الايمان والله اي بما له من صفات الكمال وليهم هذا الاصل ولكنه قال ولي المومنين ليعم الانبيا كلهم
واتباعهم من كل فرقة ويعلم ان الوصف الموجب للتقريب العراقة في الايمان ترغيبا لمن لم يبلغه في بلوغه ولما
كان قصد بعضهم بدعواه ان ابرهيم عليه السلام على دينه انما هو اضلال اهل الاسلام عقب ذلك بقوله بالاعراب
عن مرادهم بقوله تعالى جوابا لمن كانه قال فما كان مراد اهل الكتابين بدعواهم فيه مع علمهم ان ذلك مخالف لصريح
العقل ودت طايفة اي من شانها ان تطوف حولكم طواف التابع المحب مكرا وخداعا من اهل الكتاب حسدا لكم
لو يضلونكم بالرجوع الى دينهم الذي يعلمون انه قد نسخ وما اي والحال انهم ما يضلون بذلك التمني او الاضلال لو وقع
الا انفسهم لان كلا من تمنيهم واضلالهم ضلال لهم مع انهم لا يقدرون ان يضلوا من هداه الله فمن تابعهم على ضلالهم فانما
اضله الله وما يشعرون اي وليس يتجدد لهم في وقت من الاوقات نوع شعور فكيدهم لا يتعداهم فقد جمعوا بين
الضلال والجهل اما حقيقة لبعضهم واما لانهم لما عملوا بغير ما يعلمون عن علمهم جهلا وعدوا هم بهايم فكانت هذه
الجمل على غاية التناسب لان اهم شيء في حق من رمي بباطل انما عليه الرامي ليتعاظم بانه سفله بيان ابطاله في
دعواه ثم تبكيته المتضمن لبراءة المقذوف ثم التصريح ببراءته ثم بيان من هو اولى بالكون من خزيه ثم بيان المراد
من تلك الدعوى الكاذبة ليحذر غايلتها السامع ولما ختم الكلام فيهم بنفي شعورهم بين تعالى في معرض التبكيت
ان نفيهم عنه انما هو لانهم معاندون لا يعملون بعلمهم بل يعملون بخلافه فقال مستانفا بما يدل على غاية التبكيت
الموذنة بشديد الغضب يا اهل الكتاب اي الذين يدعون انهم اهل العلم لم تكفرون اي كفرا تجددونه في كل وقت
بايات الله اي تشترون ما عندكم من العلم بسبب الايات التي انزلت عليكم من الملك المحيط بكل شيء عظمة وعزا وعلما
وانتم تشهدون اي تعلمون علما هو عندكم في غاية الانكشاف انها اياته ثم اتبع ذلك استينافا آخر لمثل ذلك الا ان الاول

قاص

قاصر على ضلالهم وهذا متعد الى اضلالهم فقال يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق اي الذي لا مرية فيه بالباطل
اي بان تؤولوه بغير تاويله او تحملوه على غير محمله وتكتمون الحق اي الذي لا يقبل تاويلا وهو ما تعلمون من البشارة
بمحمد صلى الله عليه وسلم وتوابعها وانتم اي والحال انكم تعلمون اي من ذوي العلم فانتم تعرفون ذلك قطعا
وان عذاب الضال المضل عظيم جدا ولما ذكر لبسهم دل عليه بقوله عطفا على ودت طايفة مبنيا لنوع اضلال
آخر ودت طايفة من اهل الكتاب اي من يهود المدينة امنوا اي اظهروا الايمان بالذي انزل على الذين امنوا
متابعة لهم وجه اي اول النهار سمي وجها لانه اول ما يستقبلك منه وهو ما يظهر ولذا عبروا به عن الاول الذي
يصلح لاستغراق النصف لان مرادهم التلبيس بظاهر لا باطن له ولفظ لا حقيقة في جزء يسير جدا واكفروا آخره
اي ليظنوا انه لا غرض لكم الا الحق وانه ما ردكم عن دينهم بعد اتباعكم له الا ظهور بطلانه لعلهم يرجعون اي ليكون
حالهم حال من يرجى رجوعه عن دينه ولا تؤمنوا اي توقعوا التصديق الحقيقي الا لمن تبع دينكم فصوبوا طريقته
وصدقوا دينه وعقيدته ولما كان هذا عين الضلال امره سبحانه ان يعجب من حالهم منبها على ضلالهم بقوله
معرضا عنهم ايذانا بالغضب قل ان الهدى هدى الله اي المختص بالعظمة وجميع صفات الكمال لا يقدرون على اضلال
احد منا عنه ولا تقدروا على ارشاد احد منكم اليه الا باذنه ثم وصل به تقريعهم فقال ان باثبات الانكار في قراءة
ابن كثير وتقديرها في قراءة غيره اي افعلتم الايمان على الصورة المذكورة خشية ان يؤتى احد اي من طوايف الناس
مثل ما اوتيتم اي من العلم والهدى الذي كنتم عليه اول الامر او كراهة ان يحاجوكم اي يحاجكم اولئك الذين اوتوا مثل
ما اوتيتم عند ربكم الذي طال احسانه اليكم بالشهادة عليكم انهم امنوا وكفرتم بعد البيان الواضح فيفضحوكم ولما كانت
هذه الآية شبيهة باية البقرة ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم
في الحسد على ما اوتي غيرهم من الدين الحق وكالشارحة لها ببيان ما يلبسونه لقصد الاضلال ختمت بما ختمت به
تلك لكن لما قصد بها الرد عليهم في كلا هذين الامرين اللذين دبروا هذا المكر لاجلهما زيدت ما له مدخل في ذلك
فقال تعالى مجيبا لمن تشوف الى تعليم لعله يكف من مكرهم ويؤمن من شرهم معرضا عنهم بالخطاب بعد الاقبال عليهم
به ايذانا بشديد الغضب قل ان الفضل في التشريف بانزال الآيات وغيرها بيد الله المختص بانه لا كفو له فله
الامر كله ولا امر لاحد معه واتبعه نتيجته فقال يؤتيه من يشاء فله مع القدرة كمال الاجتباء ثم قال مرغبا مرهبا
ورادا عليهم في الامر الثاني والله الذي له من العظمة ساير صفات الكمال ما لا تحيط به العقول ولا تبلغه الاوهام
واسع عليم اي يوسع على من علم فيه خيرا ويهلك من علم انه لا يصلح لخير ويعلم دقيق امركم وجليله فلا يحتاج سبحانه
الى تنبيه احد بمحاجتكم عليه عنده ولما كان هذا من الوضوح بحيث لا يحتاج الى تاكيد الرد عليهم في الامر الاول
بثمرة هذه الجملة ونتيجتها من انه فاعل بالاختيار تام الاقتدار فقال يختص برحمته من يشاء ثم اكد تعظيم ما لديه دفعا
لتوهم من يظن ان اختصاص البعض لضيق الرحمة عن العموم فقال والله الذي كل شيء دونه فلا ينقص عما عنده ذو
الفضل العظيم وكرر الاسم الاعظم هنا تعظيما لما ذكر من النعم مشيرا بذلك كله الى التمكن من الاعطاء باختياره وغزارة
فضله والى القدرة على الانجاء من حبايل المكر بسعة علمه فلما تقرر ان الامر كله له ذكر دليل ذلك فيهم بانه فضل
فريقا منهم فاعلاه ورذل فريقا فارذاه فلم يردهم الكتاب وهم يتلونه الى الصواب فقال عطفا على ما مضى من
مخازيهم مقررا لكتمانهم للحق مع علمهم بانه الحق بان الخيانة ديدنهم في الاعيان الدنيوية والمعاني الدينية منبها على
انهم وان شاركوا الناس في انقسامهم الى امين وخاين فهم يفارقونهم من حيث ان خايفهم يتدين بخيانته ويسندها
مروقا من ربقة الحيوة الى الله مادحا للامين منهم ومن اهل الكتاب اي الموصوفين من ان تامنه بقنطار اي من الذهب
المذكور في الفريق الآتي يؤده اليك غير خاين فيه فلا تسوقوا الكل مساقا واحدا في الخيانة ومنهم من ان تامنه
بدينار اي واحد لا يؤده اليك في زمن من الازمان دناة وخيانة الا ما اي وقت ما دمت عليه قايما تطالبه
به غالبا له بما دلت عليه اداة الاستعلاء ثم استانف علة الخيانة بقوله ذلك اي الامر البعيد من الكمال
بانهم قالوا كذبا على شرعهم ليس علينا في الاميين يعني من ليس له كتاب فليس على دينهم سبيل ولما كان ترتيب الاثم
على شيء اثباتا ونفيا لا يعرف الا من قبل الله قال مبينا ان هذا تضمن الكذب على الله سابقا له على وجه معرف بانهم
اجرا الناس على الكذب ويقولون اي على سبيل التجديد والاستمرار غير متحاشين على الله اي الملك الاعلى الكذب
اي بهذه الدعوى وغيرها متجرئين عليه ولما كان الكذب من عظمة القباحة بمكان يظن بسببه انه لا يجترئ
عليه ذو عقل فكيف على الله قال وهم يعلمون اي ذوو علم فيعلمون انه كذب ولما ادعوا نفي الجناح عنهم فيهم
وبين تعالى انهم لا يتحاشون عن الكذب صرح بكذبهم في هذا الامر بخصوصه بقوله بلى اي عليكم في خيانتهم لتحريم
الغدر عليكم مطلقا اي سبيل كما هو في التورية وقد مضى نقله في البقرة في اية ان الذين امنوا والذين هادوا
وآية وقولوا للناس حسنا ولما مضى تقسيمهم الى امين وخاين استانف بشارة الاولى ونذارة الثاني على وجه
عام لهم ولغيرهم لتحريم الخيانة في كل شرع في حق كل احد منهما ان الله تعالى يبغض الخاين فقال من اوفى بعهده في الدين
والدنيا واتقى اي كاينا من كان فان الله ذي الجلال والاكرام يحبه هذا الاصل ولكنه اظهر الوصف لتعليق الحكم به

واشعارا بانه العلة الحاملة على الامانة فقال يحب المتقين ولما كانت النفوس نزاعة الى الخيانة رواغة عند ○
مضايق الامانة وكانت الخيانة تجرا الى الكذب بسط في الانذار فقال ان الذين يشترون اي يلجون في ان ياخذوا على
وجه العموم بعهد الله اي الذي عاهدوه عليه من الايمان بالرسول الذي عاهدهم على الايمان به وذكر صفته للناس
وهو سبحانه اعلى واعز من كل شي فهو محيط بكل شي قدرة وعلما وايمانهم اي التي عقدوها بالتزام متابعة الحق على ○
السنة الرسل بما دله عليه العقل ثمنا قليلا في الدنيا اولئك اي البعيد والاتبة في الدناءة لا خلاق اي نصيب
لهم في الاخرة لبيعهم له بنصيب الدنيا ولا يكلمهم الله اي الملك الاعظم استهانة بهم وغضبا عليهم بما انتهكوا من حرمته
ولما ارادت هذه عن اية البقرة العهد والحلف وكان من عادة الحالف والمعاهد النظر الى من فعل ذلك لاجله زاد
قوله ولا ينظر اليهم اي بل يعدهم احقر شي بما اعرضوا عنه ولما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الجزي قال
يوم القيمة الذي من افتضح في جمعه لم يفز ولا يزكيهم لانهم لم يزكوا اسمه ولهم اي مع ذلك عذاب اليم يعترفون به ما
جهلوا من عظمته ولما نسبهم الى الكذب عموما نبه على نوع خاص منه هو اكذب الكذب فقال وان منهم لفريقا اي جبلوا
على العرقة لهم لا يزالون يسعون في التحريف يلوون السنتهم اي يتعلون ويحرفون السنتهم بالكتاب بان ينقلوا اللسان
لتغيير الحرف من مخرج الى آخر مثلا بان يقولوا في اعبدوا الله اللات وفي لا تقتلوا النفس الا بالحق بالحد وفي من زنى فارجموه
فارحموه بالمهملة او حمموه او اجلدوه ونحو هذا ولما كان كلام الله لما له من الحلاوة والجلالة لا يانس بغيره الا علي ضعيف
العقل ناقص الفطرة عبر بالحسبان تنفيرا عن السماع منهم وتنبيها على فقد ما يسمعه الانسان من غيره فقال لتحسبوه اي
الذي لوي به اللسان فحرف من الكتاب اي المنزل من عند الله ولما علم بهذا انه ليس منه نبه على انه في غاية البعد عنه
فقال وما هو من الكتاب اعاده ظاهرا تصريحا بالتعميم ولما كان ابهامهم هذا من الجرأة بمكان اعلم سبحانه انهم تجاوزوا
الى ما هو اعظم منه فصرحوا بما اوهموه فقال ويقولون اي بجدين التصريح بالكذب في كل وقت بان يقولوا هو من عند الله
اي المحيط بجميع صفات الكمال ثم صرح بكذبهم بقوله مبعدا لما لو وابه السنتهم عن ان يكون فيه شوب حق مظهرا في
موضع الاضمار لان الاسم الذي لم يشارك فيه احد بوجه انص على المراد وانفي لكل احتمال وما هو اي الذي لووا به السنتهم
حتى احالوه عن حقيقته من عند الله اي الذي له الاحاطة العامة فما لم يكن من عنده فلا حق فيه بوجه من الوجوه لا بكونه
من الكتاب ولا من غيره ولما بين بهذا كذبهم على الله تصريحا بعد ان قدم في الاية الاولى بيانه بما يظن تلويحا اخبر
بان ذلك عادة لهم لا يقفون عند عد ولا يحصرون فيه بحد فقال ويقولون على الله اي الحاير بجميع العظمة جراءة منهم ○
الكذب اي العام كما قالوا عليه هذا الكذب الخاص ولما كان الكذب قد يطلق على ما لم يتعمد بل وقع خطا احترز عنه
بقوله وهم يعلمون اي انه كذب لا يشكون فيه ولما فرغ من بيان ما اراد من كتمانهم للحق مع الاشارة الى بعض نواحه
الى ان ختم بانهم لا يتحاشون من الكذب على الله المقتضي للكذب على الانبياء لانهم لا علم لهم بقول الله الا بواسطة
الانبياء عليهم السلام ومهما كان القول كذبا على الله اقتضى ان يكون تعبدا المنسوب اليه من دون الله لانه هو الذي
شرعه وذلك موجب لان يدعي ان النبي دعا الى عبادته من دون الله وذلك بعد ان اوضح سبحانه من صفات عيسى
عليه السلام المقتضية لنفي الالهية عنه ما لا يخفى على ذي لب شرع يبين انهم كاذبون فيما يدعونه في عيسى عليه
السلام فنفي ان يكون قال لهم ذلك او شيا منه على وجه شامل له ولكل من اتصف بصفته وبسياق هو نجرده كاف
في ابطال قولهم فقال ما كان اي صح ولا تصور بوجه من الوجوه لبشر اي من البشر كائنا من كان من عيسى وعزير عليهما
السلام وغيرهما ان يؤتيه الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما الكتاب والحكم اي الحكمة المهيئة للحكم وهي العلم المؤيد
بالعمل والعمل المتقن بالعلم لان اصلها الاحكام وهو وضع الشي في محله بحيث يمتنع فساده والنبوة وهو الخبر من الله
تعالى المقتضي لاتم الرتبة يفعل الله به ذلك الامر الجليل وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد
ثم يكذب على الله بان يقول للناس كونوا عبادا لي ولما كان ذلك قد يكون نجوزا عن قبول قوله والمبادرة لامتثال
امره عن الله احترز عنه بقوله من دون الله اي المختص بجميع صفات الكمال لا يشك عاقل ان من اوتي نبوة وحكمة
وهو بشر في غاية البعد عن ادعاء مثل ذلك لان كل صفة من صفاته لا سيما تغير بشرته الدالة على انفعالاته ○
مستقلة بالابعاد من هذه الدعوي فلم يبق لهم مستند لا من حجة عقل ولا من طريق نقل فصار قول مثل ذلك منافيا
للحكمة التي هو متلبس بها فصح قطعا انتفاؤه عنه ولما ذكر ما لا يكون له ابعد ما له فقال ولكن اي يقول كونوا
ربانيين اي تابعين طريق الرب منسوبين اليه بكمال العلم المزين بالعمل والالف والنون زيدتا للايذان بمبالغتهم في
المتابعة ورسوخهم في العلم اللدني فان الرباني هو الشديد التمسك بدين الله وطاعته قال محمد بن الحنفية عن ابن
عباس رضي الله عنهما لما مات ربانيو هذه الامة بما كنتم تعلمون الكتاب اي بسبب كونكم عالمين به معلمين له وبما كنتم
تدرسون فان فائدة الدرس العلم وفائدة العلم العمل ومنه الحث على الخير والمراقبة للخالق ولما نفى ان يكون الحكيم
من البشر داعيا الى نفسه واثبت انه يكون لا بد داعيا الى الله لتظهر حكمته اثبت ان ذلك لا بد وان يكون على وجه
الاخلاص لان بعض الشياطين يحكم مكره بابعاد التهمة عن نفسه بالدعاء الى غيره على وجه الشرك لا سيما ان كان ذلك
الغير ربانيا كعيسى عليه السلام فقال ولا يامركم اي ذلك البشر ان تتخذوا بصيغة الافتعال ايذانا بان الفطر مجبولة

على التوجه لله من غير كلفة الملايكة والنبيين فضلا عن غيرهم اربابا اي مع الله او من دونه بين ان كل عبادة
كان فيها ادنى شايبة فهي باطلة بقوله على طريق الانكار تبرئة لعباده الخلص من مثل ذلك ايامركم بالكفر اشارة
الى ان الله غني لا يقبل الا ما كان خالصا لوجهه بعد اذ انتم مسلمون اي منقادون لاحكامه او متهيئون للتوحيد
على الفطرة الاولى ولما بين سبحانه فيما مضى ان التولي عن الرسل كفر وذكر كثيرا من الرسل فخص في ذكرهم وعم ذكر
قانونا كليا لمعرفة الرسول عنه سبحانه والتمييز بينه وبين الكاذب فقال عاطفا على اذ انتم مسلمون واذ اخذ
الله اي الذي له الكمال كله ميثاق النبيين اي كافة والمعنى ما كان له ان يقول ذلك بعد الانعام عليكم بالاسلام
والانعام عليه باخذ الميثاق على الناس الانبياء وغيرهم بان يومنوا به اذا اتاهم فيكون بذلك الفعل مكفرا لغيره
وكافرا بنعمة ربه وهذا معنى قوله لما اي فقال الله لما اتيتكم وقراة نافع اتيناكم اوفق لسياق الجلالة قاله
الجعبري من كتاب وحكمة اي امرتكم بها بشرع من الشرايع فامرتم بذلك من ارسلتم اليه ثم جاكم رسول اي من عندي
ثم وصفه بما يعلم انه من عنده فقال مصدق لما معكم اي من ذلك الكتاب والحكمة لتومنن به اي انتم واممكم
ولتنصرنه اي على من يخالفه فكانه قيل ان هذا الميثاق عظيم فقيل انه زاد في تاكيده اهتماما به فقال
قال ااقررتم اي يا معشر النبيين واخذتم على ذلكم اي العهد المعظم بالاشارة باداة البعد وميم الجمع اصري
اي عهدي سمي بذلك لما فيه من الثقل فانه يشد في نفسه بالتنوين ويشتد بعد كونه على النفوس لما لها من النزوع
الى الاطلاق عن عهد التقييد بنوع من القيود فكانه قيل ما قالوا فقيل قال فاشهدوا اي يا انبيا بعضكم على
بعض او ملايكة عليهم وانا معكم من الشاهدين فمن اي فتسبب عنه انه من تولى اي منكم او من اممكم الذين بلغهم ذلك
عن نصرة نبي موصوف بما ذكر ولما كان المستحق لغاية الذم انما هو من اتصل توليه بالموت لم يقرن الظرف بجار
فقال بعد ذلك اي الميثاق البعيد الرتبة بما فيه من الوثاقة فاولئك اي البعداء من خصال الخير هم الفاسقون
اي المختصون بالخروج العظيم عن دايرة الحق ولما كان المدرك لكل نبي انما هم امة النبي الذي قبله وكانوا يكذبونه
ويخالفونه قال خاتما لهذه القصص بعد الشهادة بنفسه المقدسة بما بداها به في قوله شهد الله الاية الى عند
ان الدين عند الله الاسلام على وجه الانكار والتهديد عاطفا على ما دل عليه السياق افغير اي اتولوا ففسقوا
فتسبب عن ذلك انهم غير دين الله واورد ان تقديم غير يفهم ان الانكار منحط على طلبهم اختصاص لغير دين الله
وليس ذلك هو المراد كما لا يخفى واجيب بان تقديمه الاهتمام بشانه في الانكار والاختصاص متاخر مراعاته عن
نكته غيره كما تقرر في محله الذي اختص بصفات الكمال يبغون اي يطلبون بفسقهم او اتوليتم على قراة الخطاب
وله اي والحال انه له خاصة اسلم اي خضع بالانقياد لاحكامه والجري تحت مراده وقضايه لا يقدرون
على مغالبة قدرة بوجه من في السموات والارض وهم من لهم قوة الدفاع بالبدن والعقل فكيف بغيرهم طوعا
بالايمان او بما وافق اغراضهم وكرها بالتسليم لقهره في اسلام احدهم وان كثرت اعوانه وعز سلطانه الى
اكره ما يكره وهو صاغر ذا خر لا يستطيع امرا ولا يجد نصرا واليه يرجعون بالحشر لا تعالجون مفرا ولا
تلقون ملجا ولا مقرا فان كانوا كذلك لا يقدرون على التفصي من قبضته بنوع قوة ولا حيلة في سكون ولا حركة
فكيف يخالفون ما اتاهم من امره على السنة رسله وقد ثبت انهم رسله بما اتى به كل منهم من المعجزة ومن المعلوم
ان المعاند للرسول معاند للمرسل ولما تم تنزيه الانبياء عليهم الصلوة والسلام عن الدعا الى شي غير الله ثم
هدد من تولى فكان السامع جديرا بان يقول انا مقبل غير منول فما اقول وما افعل قال مخاطبا لراس السامعين
ليكون احذر لامتثالهم قل اي قبل كل شي اي ملقنا لمن نفعه هذا التذكير والتهديد فاقبل امنا انا ومن اطاعني
من امتي مبكتا لاهل الكتاب بما تركوه من دين ابرهيم عليه السلام ومن بعده من خلص ابنايه وابوه وجادلوا فيه
عدوانا وادعوه ثم فصل المامور بالايمان به فقال بالله الذي لا كفو له ولما كان الانزال على الشي مقصودا
به ذلك الشي بالقصد الاول كان الانسب ان يقال وما انزل علينا فيكون ذلك له حقيقة ولاتباعه مجازا
وكانت هذه السورة بذلك احق لانها سورة التوحيد وما انزل على ابرهيم اي ابينا واسمعيل واسحق ابنيه
ويعقوب ابن اسحق والاسباط اي اولاد يعقوب ولما كان ما ناله صاحبا شريعة بني اسرايل من الكتابين
المنزلين عليهما والمعجزات الممنوحين بها اعظم مما كان لمن قبلهما غير السياق الى قوله وما اوتي موسى من
اولاد الاسباط من التورية والشريعة وعيسى من ذرية داود من الانجيل والشريعة الناسخة لشريعة موسى
عليهما السلام ولما كان النظر هنا الى الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر لكونها سورة التوحيد الذي هو
اخلق به واعرق ناسب الاعراء عن التاكيد بما في البقرة ونظر الى الكل لمحا واحدا فقال والنبيون اي كافة
من الوحي والمعجزات ليكون الايمان بالمنزل مذكورا مرتين لشرفه من ربهم اي المحسن اليهم خاصة والى العباد
عامة بارسالهم اليهم ثم استانف تفسير هذا الايمان بقوله لا نفرق بين احد منهم تنبيها على الموضع الذي
به اليهود والنصارى ونحن له اي لله وما انزل من عنده مسلمون اي منقادون على طريق الاخلاص والرضى ولما
امر سبحانه باظهار الايمان بهذا القول وكان ذلك هو الاذعان الذي هو الاسلام قال محذرا من الردة عنه

عاطفا على امنا ومظهرا لما من حقه الاضمار لولا ارادة التنبيه على ذلك مشيرا بصيغة الافتعال الى مخالفة
الفطرة الاولى ومن يبتغ اي يتطلب غير دين الاسلام الذي هو ما ذكر من الانقياد لله المشتمل على الشرايع المعروفة
التي اساسها الايمان بعد التلبس به حقيقة باظهار اتباع الرسل او مجازا بالكون على الفطرة الاولى بما اشعر
به الابتغاء كما تقدم وكرر الاسلام في هذا السياق كثيرا لكونه في حيز الميثاق الماخوذ بمتابعة الرسول المصدق
حثا على متابعة الانقياد له دينا واتى بالفاظ الرابطة اعلاما بان ما بعدها مسبب عما قبلها ومربوط به فقال
فلن يقبل منه اي في الدنيا واشعر ترتيب هذا على السبب بانه يرجى زوال السبب لانه مما عرض للعبد كما في الردة
في خلافة الصديق رضي الله عنه فانه رجع الى الاسلام اكثر المرتدين وحسن اسلامهم وهو في الاخرة من الخاسرين
معناه ولا يقبل منهم في الاخرة مع زيادة التصريح بالخسارة وهي حرمان الثواب المنافية لمقاصدهم والقصد الاعظم
بهذا اهل الكتاب مع العموم لغيرهم لاقرارهم بهذا النبي الكريم وتوقعهم له عالمين قطعا بصدقه لما في كتبهم من البشارة
به ولما اخبر تعالى بخسارة من ارتد عن الاسلام شرع يستدل على استحقاقه لذلك بقوله كيف يهدي الله مع
ما له من كمال العظمة قوما اي بخلق الهداية في قلوب ناس لهم قوة المحاولة لما يريدونه كفروا اي اوقعوا الكفر
بالله ربهم وبما ذكر مما اتت به رسله اعراضا عنه وعنهم ولما كان المقصود بكمال الذم من استمر كفره الى الموت
قال من غير جار بعد ايمانهم بذلك كله وشهدوا اي وبعد ان شهدوا ان الرسول حق بما عندهم من العلم به وجاءهم
البينات لا شي اقوى من بيانه ولا اشد من ظهوره بما اشعر به اسقاط تا التانيث من جا ولما كان الحايد عن الدليل
بعد البيان لا يرجى في الغالب عوده كان الاستبعاد بكيف موضحا لان التقدير لاجل التصريح بالمراد اولئك
لا يهديهم الله لظلمهم بوضعهم ثمرة الجهل بنقض عهد الله المؤكد بواسطة رسله تحذيرا من مطلق الظلم ولما علمت
بشاعة خيانتهم تشوف السامع الى معرفة جزائهم فقال اولئك اي البعدا البغضا جزاؤهم ان عليهم لعنة الله
اي الملك الاعظم وهي غضبه وطرده والملائكة والناس اجمعين حتى انهم هم ليلعنون انفسهم فان الكافر يطبع على
قلبه فيظن انه على هدى ويصير يلعن الكافر ظانا انه ليس بكافر وهذا اللعن واقع عليهم حال تلبسهم بالفعل لوضعهم
الشي في غير محله فصار كل من له علم يبعدهم لسوء صنيعهم لتبديلهم الحسن بالسيء وحذرا من فعل مثل ذلك معه خالدين
فيها اي اللعنة دايما ولما كان المقيم في الشدة قد تنقص شدته على طول نفى ذلك بقوله لا يخفف عنهم العذاب
مفيدا ان عليهم مع مطلق الشدة بالطرد شدايد اخرى بالعقوبة ولما كان المعذب على شي ربما استمهل وقتا ما ليرجع
عن ذلك الشي او ليعتذر نفى ذلك بقوله ولا هم ينظرون اي يوخرون للعلم بحالهم باطنا وظاهرا حالا ومالا ولاقامة
الحجة عليهم من جميع الوجوه لم يترك شي منها لان المقيم لها منزه عن العجز والنسيان ولما انخلعت القلوب بهذه الكروب
نفس عنها سبحانه مشيرا الى ان فيهم وان استبعد رجوعهم موضعا للرجا بقوله الا الذين تابوا اي رجعوا
الى ربهم متذكرين لاحسانه ولما كان التايب لم يستغرق زمان ما بعد الايمان بالكفر وكانت التوبة مقبولة
ولو قل زمنها من بعد ذلك الارتداد حيث تقبل التوبة واصلحوا اي بالاستمرار على ما تقتضيه من الثمرات الحسنة
فان الله اي الذي له الجلال والاكرام يغفر ذنوبهم لان الله غفور يمحو الزلات رحيم باعطاء المثوبات هذه صفته
لهم ولكل من تاب من ذنبه ولما رغب في التوبة رهب من التواني عنها فقال ان الذين كفروا اي بالله واوامره
واسقط الجار لما مضى من قوله بعد ايمانهم بذلك ولما كان الكفر لفظاعته وقبحه وشناعته جديرا بالنفرة
عنه والبعد منه نبه سبحانه على ذلك باستبعاد ايقاعه فكيف بالتمادي عليه فكيف بالازدياد منه وعبر
عن ذلك باداة التراخي فقال ثم ازدادوا كفرا بان تمادوا على ذلك ولم يبادروا بالتوبة لن تقبل توبتهم
اي ان تابوا لان الله يطبع على قلوبهم فلا يتوبون توبة نصوحا يدومون عليها ويصلحون ما فسد ولن توجد منهم
توبة حتى يترتب عليها القبول لانهم زادوا عن اهل القسم الاول بالتمادي ولم يات بالفاء الدالة على انه مسبب
عما قبله اعلاما بان ذلك انما هو لانهم مطبوع على قلوبهم مهياون للكفر من اصل الجبلة فلا يتوبون ابدا توبة
صحيحة فالعلة الحقيقية الطبع لا الذنب وهذا شامل لمن تاب عن شي وقع منه كابي عزة الجمحي واليه اشاروا ولو
اسمعهم لتولوا ولمن لم يتب كيحيى بن اخطب واولئك هم اي خاصة الضالون الفريقون في الضلال لوقوعهم
في ابعد شعابه واضيق نقابه فاني لهم بالرجوع منه والتقصير عنه ولما اثبت لهم الخصوصية بذلك لا يغالهم
فيه الى حد ايس معه من رجوعهم تشوف السامع الى حالهم في الاخرة فقال مبينا لهم معرفا ان السبب في عدم قبول
توبتهم تفويت محلها بتماديهم على الكفر ان الذين كفروا اي هذا الكفر او غيره ويجوز ان يكون المراد انهم ثلثة
اقسام التايبون توبة صحيحة وهم الذين اصلحوا والتايبون توبة فاسدة والواصلون كفرهم بالموت من غير
توبة ولذا قال وماتوا وهم كفار ولما كان الموت كذلك سببا للخلود في النار لان السياق للكفر والموت عليه
صرح بنفي قبول الفداء كاينا ما كان وربطه بالفاء فقال فلن يقبل اي بسبب شناعة فعلهم الذي هو لاجل الاجتراء
على الكفر ثم الموت عليه من احدهم اي كاينا من كان ملء الارض ذهبا اي من الذهب اي لا يتجدد له قبول ذلك لو
بذله هبة او هدية او غير ذلك ولو افتدى به لو في مثل هذا السياق تجي منبهة على ان ما قبلها جاء على سبيل الاستقصا

والله لا يهدي القوم الظالمين

كيحيى

وما

وما بعدها جا تنصيصا على الحالة التي يظن انها لا تندرج فيما قبلها كقوله صلى الله عليه وسلم اعطوا
السايل ولو جا على فرس فكونه جا على فرس يوذن بغناه فلا يناسب ان يعطى فنص عليه واما هنا فلما كان قبول الفدية
واجبا عند اهل الكتاب كما مر في قوله تعالى وان ياتوكم اسارى تفدوهم كان بحيث ربما ظن ان بذله على طريق الافتدا
يخالف بذله على غير ذلك الوجه حتى يجب قبوله فنص عليه وايضا فحالة الافتدا حالة لا يمتن فيها المفتدي على المفتدى
منه اذ هي حالة قهر من المفتدي منه للمفتدي قاله ابو حيان فالمعنى لا يقبل من احدهم ما يملا الارض من الذهب على حال
من الاحوال ولو على حال الافتدا والمراد بالمثال المبالغة في الكثرة اي لا يقبل منه شي وانما اقتصر على ملء الارض
لانه اكثر ما يدخل تحت اوهام الناس ويجري في محاوراتهم والله اعلم ولما تشوف السامع الى معرفة ما يحل بهم
اجيب بقوله اولئك اي البعدا من الرحمة لهم عذاب اليم ولعظمته اغرق في النفي بعده بزيادة الجار فقال
وما لهم من ناصرين اي ينصرونهم بوجه من الوجوه فانتفى عنهم كل وجه من وجوه الاستنقاذ ولما كان آخر هذه
القصص في الحقيقة ابطال كل ما خالف الاسلام الذي هو معنى ان الدين عند الله الاسلام وما بعد ذلك انما جره
ختم الآية بدعوى ان المخالفين من الخاسرين وختم ذلك بان من مات على الكفر لا يقبل انفاقه للانقاذ مما يلحقه من
الشدايد لا يدفع لقاهر ولا بتقويه لناصر فتشوفت النفس الى الوقت الذي يفيد فيه الانفاق واي وجوهه انفع
فارشد الى ذلك والى ان الاحب منه اجدر بالقبول رجوعا الى ما قرره سبحانه قبل آية الشهادة بالوحدانية
من صفة عباده المنفقين والمستغفرين بالاسحار على وجه ابلغ بقوله لن تنالوا البر وهو كمال الخير حتى تنفقوا
اي في وجوه الخير مما تحبون اي من كل ما تقتنون كما ترك اسرايل عليه السلام احب الطعام اليه لله ولما كان
التقدير فان انفقتم منه علمه الله فانا لكم به البر وان تيممتم الخبيث الذي تكرهونه فانفقتموه لم تبروا وكان كل
من المحبة والكراهة امرا خفيا قال تعالى مرغبا مرهبا وما تنفقوا من شي اي من المحبوب وغيره فان الله اي
الذي له الاحاطة الكاملة وقدم الجار اهتماما به اظهارا لانه يعلمه من جميع وجوهه كما تقول لمن سالك هل تعلم
كذا لا اعلم الا هو فقال به عليم فهذا كما ترى احتباك ولما اخبر بذلك بين انه كان ديدن اهل الكمال على وجه
مقرر به ما مضى من الاخبار بعظيم اجترا اهل الكتاب على الكذب بامر حسي فقال تعالى كل الطعام اي من الشحوم
مطلقا وغيرها كان حلا لبني اسرايل اي اكله كما كان حلا لمن قبلهم على اصل الاباحة الا ما حرم اسرايل تبررا وتطوعا
على نفسه وخصه بالذكر استجلابا لبنيه الى ما يرفعهم بعد اجتذابهم للمومنين الى ما يضرهم ولا ينفعهم ولما كانوا
لما اعرقوا فيه من الكذب ربما قالوا انما حرم ذلك اتباعا لحكم التورية قال من قبل واثبت الجار لان تحريمه كان في
بعض ذلك الزمان لا مستغرقا له وعبر بالمضارع لانه ادل على التجدد فقال ان تنزل التورية وكان قد ترك
لحوم الابل والبانها وكانت احب الاطعمة اليه لله وايثار العبادة كما تقدم ذلك في البقرة عند فلما جاهم ما عرفوا
كفروا به ولما كانت هذه الآية الزاما لليهود باعتقاد النسخ الذي طعنوا به في هذا الدين في امر القبلة وكانوا
ينكرونه ليصير عذرا لهم في التخلف عن اتباع النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم فكانوا يقولون لم تزل الشحوم
وما ذكر معها حراما على من قبلنا كما كانت حراما علينا فامر بجوابهم بان قال قل اي لليهود فاتوا بالتورية فاتلوها
اي لنذل لكم ان كنتم صادقين فيما ادعيتموه فلم ياتوا بها فبان كذبهم فافتضحوا فضيحة لا مثل لها في الدنيا فمن
اي فتسبب عن ذلك انه من افترى اي تعمد على الله اي الملك الاعظم الكذب اي في امر المطاعم او غيرها ولما
كان المراد النهي عن ايقاع الكذب في اي زمن كان لا عن ايقاعه في جميع الزمان الذي بعد نزول الآية اثبت الجار
فقال من بعد ذلك اي البيان العظيم الظاهر جدا فاولئك اي الاباعد الاباغض هم خاصة لتعمدهم الكذب على من هو
محيط بهم ولا تخفى عليه خافية الظالمون اي المتناهوا الظلم بالمشي على خلاف الدليل فعل من يمشي في الظلام فهو
لا يضع شيا في موضعه وذلك بتعرضهم الى ان يهتكهم التام العلم ويعذبهم الشامل القدرة ولما اتضح كذبهم
وافتضح تدليسهم لانه لما استدل عليهم بكتابهم فلم ياتوا به صار ظاهرا كالشمس لا شك فيه ولا لبس ولم يزدهم ذلك
الا تماديا في الكذب امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله قل اي لاهل الكتاب الذين انكروا النسخ
فاقمت عليهم الحجة من كتابهم صدق الله اي الملك الاعظم الذي له الكمال كله في جميع ما اخبر ويخبر به عن ملة ابرهيم
وغيره من بنيه اسلافكم وتبين انه ليس على دينكم هو ولا احد ممن قبل موسى عليه السلام لانكم لو كنتم صادقين
لاتيتم بالتورية نافيا لذلك ان يكون تاخرهم عن الاتيان بها لعلة يعتلون بها غير ذلك وقد تبين صدقه تعالى
في جميع ما قال وجب اتباعه في كل ما يامر به واعظمه ملة ابرهيم فانها الجامعة للمحاسن ولما ثبت ذلك بهذا
الدليل المحكم لزم قطعا انه ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولا مشركا وقد اقروا بان ملته هي الحق وانهم اتباعه
فتسبب عن ذلك وجوب اتباعه فيما اخبر الله به فبان كالشمس صدقه لا فيما افتروه هم من الكذب فقال تعالى
فاتبعوا ملة ابرهيم وهي الاسلام اي الانقياد للدليل وهو معنى قوله حنيفا اي تابعا للحجة اذا تحررت
غير متقيد بمالوف ولما كان صلى الله عليه وسلم مفطورا على الاسلام فلم يكن في جبلته شي من العوج فلم يكن له
دين غير الاسلام نفى الكون فقال وما كان من المشركين اي بعزير ولا غيره من الاكابر كالاحبار الذين يقلدونهم مع علمكم

بانهم يدعون الى ضد ما دعا اليه سبحانه ولما الزمهم تعالى بالدليل الذي دل على النسخ الهم على غير ملة ابرهيم عليه
السلام واوجب عليهم اتباعها بعد بيان انها هي ما عليه محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه اخبر عن البيت الذي حول اليه التوجه
في الصلوة فعابوه على اهل الاسلام انه اعظم شعائر ابرهيم عليه السلام التي كفروا بتركها ولذلك ابلغ في تاكيده فقال
تعالى ان اول بيت اي مزار البيوت الجامعة للعبادة وضع للناس اي على العموم متعبدا واجبا عليهم قصده وحجه بما امر به
به على لسان موسى عليه السلام واستقباله في الصلوة بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك ولعل بناء وضع للمبنو
اشارة الى ان وضعه كان قبل ابرهيم عليه السلام للذي ببكة اي البلدة التي تدق اعناق الجبابرة ويزدحم الناس بها
ازدحاما لا يكون في غيرها مثله ولا قريب منه فلا بد ان يدق هذا النبي الذي اظهره منها الاعناق من كل من ناواه؟
ويزدحم الناس على الدخول في دينه ازدحاما لم يعهد مثله فان فاتكم ذلك خبتم في الدارين غاية الخيبة ودام ذلكم
وصغاركم حال كونه مباركا اي عظيم الثبات كثير الخيرات في الدين والدنيا وهدى للعالمين اي من بني اسرائيل ومن قبلهم
ومن بعدهم فغاب عليهم سبحانه في هذه الاية فعلهم من النسخ ما انكروه على مولاهم وذلك نسخه لما شرعه من حجه من عند
انفسهم تحويلا منهم مثلا لما قدم الاخبار به عن كذبهم وهذا امر شهير يسجل عليهم بالمخالفة ويثبت للمومنين الموالفة
فان حج البيت الحرام وتعظيمه من اعظم ما شرعه ابرهيم عليه السلام كما هو مبين في السير وغيرها وهم عالمون بذلك وقد
حجه انبياؤهم عليهم السلام واسلافهم ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وغيرهم من الانبياء عليهم السلام
واتباعهم كما روي من غير طريق النبي صلى الله عليه وسلم حتى ان في بعض الطرق انه كان موسى عليه السلام في حجه اليه
سبعون الفا من بني اسرائيل ومن المحال عادة ان يخفى ذلك عليهم ومن الامر الواضح انهم قد تركوا هذه الشريعة العظيمة
اصلا واسا فكيف يصح لهم دعوى انهم على دين ابرهيم عليه السلام مع اخلالهم من معظم شرايعه ثم فسر الهدى بقوله؟
فيه ايات بينات وقوله؟ مقام ابرهيم اي اثر قدمه عليه السلام في الحجر حيث قام لتغسل كتنه راسه الشريف
اعربه ابو حيان بدلا او عطف بيان من الموصول الذي هو خبر ان في قوله؟ الذي ببكة فكانه قيل ان اول بيت وضع
للناس لمقام ابرهيم واعربه غيره بدل بعض من قوله؟ ايات وهو وحده ايات لعظمه ولتعدد ما فيه من اثر القدم
وحفظه الى هذا الزمان مع كونه منقولا وتذكيره بجميع قضايا ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ولما كان من اهله في
بلاد الهنب والغارات التي ليس لها حاكم يفزع اليه ولا رئيس يعول في ذلك عليه من اراد لها يات قال تعالى ومن دخله
اي فضلا عن اهله كان آمنا اي عزيزا في الامن يامنون بامان الله وتحويل العباد عنه وامن داخله لان هذا ادل
على المراد من تذكير الامن وفيه بشارة بدخول الجنة ولما اوضح سبحانه براءتهم من ابرهيم عليه السلام لمخالفتهم اياه بعد
دعواهم بهتانا انه على دينهم وكانت المخالفة في الواجب اد كما قال تعالى ولله اي الملك الذي له الامر كله على الناس اي
عامة فاظهر في موضع الاضمار دلالة على الاحاطة والشمول كما سياتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى عن الاستاذ ابي الحسن
الحرالي في استطعما اهلها في الكيف وذلك ليلا يدعي خصوصه بالعرب او غيرهم حج البيت اي زيارته زيارة عظيمة
واظهر ايضا تنصيصا عليه وتنويها بذكره تفخيما لقدره وعبر هنا بالبيت لانه في الزيارة وعادة العرب زيارة
معاهد الاحباب واطلالهم واماكنهم وحلالهم واعظم ما يعبر به عن الزيارة عندهم الحج ثم من بما التخفيف بقوله بدلا من
الناس تاكيدا بالايضاح بعد الابهام وحملا على الشكر بالتخفيف بعد التشديد وغير ذلك من البلاغة من استطاع
اي منهم اليه سبيلا ممن حجه كان مومنا ولما كان من الواضح ان التقدير ومن لم يحجه مع الاستطاعة كفر بالنعمة
ان كان معتقدا بالوجوب وبالمروق من الدين ان جحد عطف عليه بقوله؟ ومن كفر اي بالنعمة او بالدين فان الله
اي الملك الاعلى غني ولما كان غناه مطلقا دل عليه بقوله؟ موضع عنه عن العالمين اي طايعهم وعاصيهم صامتهم؟
وناطقهم رطبهم ويابسهم فوضح لهذه الاية وما شاكلها انهم ليسوا على دينه كما وضح بما تقدم انه ليس على دينهم من
فثبتت بذلك براءته منهم والاية من الاحتباك لان اثبات فرضه اولا يدل على كفر من اباه واثبات ومن كفر ثانيا
يدل على ايمان من حجه ولما اتم سبحانه وعز شانه البراهين واحكم الدلايل عقلا وسمعا ولم يبق لمتعنت شبهة
ولم يبادروا للاذعان بل زادوا في الطغيان وكادوا ان يوقعوا الضراب والطعان بين اهل الايمان اعرض تعالى
عن خطابهم ايذانا بشديد الغضب ورايع الانتقام فقال تعالى مخاطبا لرسوله الذي يكون قتلهم على يديه قل واثبت
اداة دالة على بعدهم عن الحضرة القدوسية فقال يا اهل الكتاب اي من الفريقين لم تكفرون اي توقعون الكفر باليات
الله اي وهي لكونه الحائز لجميع الكمال البينات نقلا وعقلا الدالة على انكم على الباطل لما وضح من انكم على غير ملة ابرهيم
عليه السلام ولما كان كفرهم ظاهرا ذكر شهادته تعالى فقال مهددا والله اي والحال ان الله الذي هو محيط بكل شي
قدرة وعلما فلا انفك عنه وقد اشركتم به شهيد على كل ما تعملون اي لكونه يعلم سبحانه السر واخفى وان حرفتم واسررتم
ثم استانف اية انابة استقلال تقريعا آخر لزيادتهم على الكفر التكفير فقال قل يا اهل الكتاب اي المدعين للعلم
واتباع الوحي كرر هذا الوصف لانه مع انه اقعد في التقريع اقرب الى التلطف في صرفهم عن ضلالهم لم تصدون
اي بعد كفركم عن سبيل الله اي الملك الذي له القهر والعز والعظمة والاختصاص بجميع صفات الكمال وسبيله دينه
الذي جاء به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقدمه اهتماما به ثم ذكر المفعول فقال من آمن حال كونكم تبغونها اي

السبيل

السبيل عوجا اي بليكم السنتكم وافترايكم على الله ولم يفعل سبحانه اذا عرض عنهم في هذه الآية ما فعل من قبل اذا
اقبل عليهم بلذيذ خطابه تعالى جده وتعاظم مجده اذ قال يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم يا اهل الكتاب لم تكفرون
والآية التي بعدها بغير واسطة وقال ابو البقا في اعرابه ان تبغون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من الضمير
في تصدون او من السبيل لان فيها ضميرين راجعين اليهما فلذلك يصح ان يجعل حالا من كل واحد منهما وعوجا حال انتهى
وقال صاحب القاموس في نبات الواو بغى الشي بغوا نظر اليه كيف هو وقال في نبات اليا بغيته ابغيه طلبته
فالظاهر ان جعل عوضا حالا كما قال ابو البقا اصوب من جعله مفعولا كما قال في الكشاف ويكون يبغون اما
يائيا فيكون معناه تريدونها معوجة او ذات عوج فان طلب بمعنى اراد واما ان يكون واويا بمعنى ترونها ذات
عوج اي تجعلونها في نظركم يعني تتكلفون وصفها بالعوج مع علمكم باستقامتها لكن قوله صلى الله عليه وسلم في
الصحيح ابغي احجارا استنفض بهن يويد قول صاحب الكشاف ولما ذكر صدهم وارادتهم العوج الذي لا يرضاه
ذو عقل قال موبخا وانتم شهدا اي باستقامتها بشهادتكم باستقامة دين ابرهيم مع قيام ادلة السمع والعقل
انها دينه وان النبي والمومنين اولى بالناس به لانقيادهم للادلة ولما كان الشهيد قد يغفل وكانوا يخفون مكرهم
في صدهم هددهم باحاطة علمه فقال وما الله اي الذي تقدم انه شهيد عليكم وله صفات الكمال كلها بغافل اي
اصلا عما تعملون ولما تم ايذانه بالسخط على اعدائه وابلغ في انذارهم عظيم انتقامه ان داموا على اضلالهم اقبل
بالبشر على احبائه مواجها لهم بلذيذ خطابه وصفي عتابه محذرا لهم الاغترار بالمضلين ومنبها ومرشدا ومذكرا
ودالا على ما ختم به ما قبلها من احاطة علمه بدقيق مكر اليهود فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اي بنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ان تطيعوا فريقا اتى بهذا اللفظ لما كان المحذر منه الافتراق والمقاطعة الذي ياتي عيب اهل الكتاب
به من الذين اوتوا الكتاب اي القاطعين بين الاحباب مثل شاس بن قيس الذي مكر بكم الى ان وقع الحرب بينكم فلولا
النبي الذي رحمكم به ربكم لعدتم الى شر ما كنتم فيه يردوكم وزاد في تقبيح هذا الحال بقوله مشيرا باسقاط الجار
الى استغراق زمان البعد بعد ايمانكم كافرين اي غريقين في صفة الكفر فيا لها من صفقة خاسرة ما اخسرها
وطريقة ما اجورها ولما حذرهم منهم عظم عليهم طاعتهم بالانكار والتعجيب من ذلك مع ما هم عليه بعد اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم من الاحوال الشريفة فقال عاطفا على ما تقديره فكيف تطيعونهم وانتم تعلمون عداوتهم وكيف
تكفرون اي نفع منكم ذلك في وقت من الاوقات على حال من الاحوال وانتم تتلى اي تواصل بالقراة عليكم ايات الله
اي علامات الملك الاعظم البينات وفيكم رسوله الهادي من الضلالة المنقذ من الجهالة فتكونون قد جمعتم الى
موافقة العدو ومخالفة الولي وانتم بعينه وفيكم امينه ومن اي والحال انه من يعتصم اي يجهد نفسه في ربط امره
بالله المحيط بكل شي علما وقدرة في جميع احواله كاينا من كان ولما كان من قصر نفسه على من له الكمال كله متوقعا للفلاح
عبر باداة التوقع مقرونة بفا السبب فقال فقد هدي وعبر بالمجهول على طريقة كلام القادرين الى صراط مستقيم
ولما انقضى هذا التحذير من اهل الكتاب والتعجيب والترغيب امر بما يثمر ذلك من رضاه فقال يا ايها الذين
امنوا اي ادعوا ذلك بالسنتهم اتقوا الله اي صدقوا دعواكم بتقوى ذي الجلال والاكرام حق تقاته فاديموا
الانقياد له بدوام مراقبته ولا تقطعوا امرا دونه ولا تموتن على حالة من الحالات الا وانتم مسلمون اي منقادون
اتم انقياد ونقل عن العارف ابي الحسن الشاذلي رحمه الله ان هذه الاية في اصل الدين وهو التوحيد وقوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم في فروعه ولما كان عزم الانسان فاترا وعقله قاصرا دلتهم بعد ان اوقفتهم التقوى على
الاصل لجميع الخيرات المتكفل بالحفظ من جميع الزلات فقال واعتصموا اي كلفوا انفسكم الارتباط الشديد والانضباط
العظيم بحبل الله اي طريق دين الملك الذي لا كفو له التي نهجها لكم ومهدها واصل الحبل السبب الذي يوصل به
الى البغية والحاجة وكل من يمشي على طريق دقيق يخاف ان تزلف رجله عنه اذا تمسك بحبل مشدود الطرفين
بجانبي ذلك الطريق امن الخوف ولا تخفى دقة الصراط بما ورد به النقل الصحيح وهذا الدين مثاله فصعوبته
وشدته على النفوس بما لها من النوازع والحظوظ مثال دقته فمن قهر نفسه وحفظها على التمسك به حفظ عن
السقوط عما هو مثاله ولما افهم كل من الضمير والحبل والاسم الجامع احاطة الامر بالكل اكده بقوله جميعا لا تدعوا
احدا منكم يستذعنها بل كلما عثرتم على احد فارقها ولو قيد شبر فردوه اليها ولا تناظروه ولا تهملوا امره ولا تغفلوا
عنه يختل النظام وتتعبوا على الدوام بل لا تزالوا كالرابط ربطا شديدا حزمه نبل بحبل لا يدع واحدة منها
تنفرد عن الاخرى ثم اكد بقوله ولا تفرقوا ثم ذكرهم نعمة الاجتماع لان ذلك باعث على شكرها وهو باعث على
ادامة الاعتصام والتقوى وبدا منها بالدنيوية لانها اس الاخروية فقال واذكروا نعمة الله الذي له الكمال كله
عليكم يا من اعتصم بعصام الدين اذ كنتم اعدا متنافرين اشد تنافر فالف بين قلوبكم بالجمع على هذا الصراط القويم
والمنهج العظيم فاصبحتم بنعمته اخوانا قد نزع ما في قلوبكم من الاحن وازال تلك الفتن والمحن ولما ذكر النعمة التي
انقذتهم من هلاك الدنيا ثم ثنى بما تبع ذلك من نعمة الدين التي عصمت من الهلاك الابدي فقال وكنتم على شفا اي حرف
وطرف حفرة من النار بما كنتم فيه من الجاهلية فانقذكم منها ولما تم هذا البيان على هذا الاسلوب الغريب نبه على ذلك

صلى الله عليه وسلم م

صلى الله عليه وسلم م

تعالى م

بقوله جوابا لمن يقول له ورد هذا البيان حا اغرب به من بيان كذلك اي مثل هذا البيان البعيد المنال البديع المثال
يبين الله الحيط علمه الشاملة قدرته بعظمته لكم اياته وعظم الامر بتخصيصهم به واضافة الآي اليه لعلكم تهتدون اي لتكونوا
حالكم عند من ينظركم حال من ترجى وتتوقع هدايته هذا التوجي حالكم فيما بينكم واما هو سبحانه فقد احاط علمه بالسعيد
والشقي ثم الامر اليه فمن شاء هداه ومن اراد ارداه ولما عاب سبحانه الكفار بالضلالة ثم بالاضلال امر المومنين بالهدى
في انفسهم واتبعه الامر بهداية الغير بالاجتماع وكان الامر بالاجتماع الموكد بالنهي عن التفرق ربما افهم الوجوب لمجرد الجمع
في كل جزئية من جزئيات العبارة في كل وقت على سبيل الاجتماع مع الاعراض عن كل عائق عن ذلك سواكان وسيلة او لا
بالنسبة الى كل فرد فرد اتبعه بقوله مبنيا على الرضى باتباع ذلك في الجملة سواكان بالبعض او الكل كما هو شان
فروض الكفايات ولتكن منكم امة اي جماعة تصلح لان يقصدها غيرها وتكون بعضها قاصدا بعضا حتى تكون اشد شيء
ايتلافا واجتماعا في كل وقت من الاوقات على البدل يدعون مجددين لذلك في كل وقت الى الخير اي بالجهاد والتعليم
والوعظ والتذكير ولما عم كل خير خص ليكون المخصوص مامورا به مرتين دلالة على جليل امره وعلي قدره فقال
ويامرون بالمعروف اي من الدين وينهون عن المنكر فيه بحيث لا يخلو وقت من الاوقات عن قوم قائمين بذلك وهو
تنبيه لهم على ان يلازموا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه رضي الله عنهم من امرهم بالمعروف
ونهيهم عن المنكر حين استفزهم الشيطان بمكر شاس بن قيس في التذكير بالاحقاد والاضغان والاشكاد واعلام بان الذكرى
تنفع المومنين ولما كان هذا السياق مفهما لانا التقدير فانهم ينالون بذلك خيرا كثيرا ولهم نعيم عظيم عطف عليه مرغبا
واولئك اي العالوا الرتبة العظيموا النفع هم المفلحون حق الافلاح فبين سبحانه ان الاجتماع المامور به انما هو بالقلوب
الجاعلة لهم كالجسد الواحد ولا يضر فيه صرف بعض الاوقات الى المعايش وتنعيم البدن ببعض المباحات وان كان الاكمل
صرف الكل بالنية الى العبادة ولما امر بذلك اكده بالنهي عن ما يضاده معرضا بمن نزلت هذه الايات فيهم من اهل
الكتاب بسبكتاليم بضلالهم واختلافهم في دينهم على انبيائهم فقال ولا تكونوا كالذين تفرقوا بما ابتدعوه في اصول دينهم
وبما ارتكبوه من المعاصي فقادهم ذلك ولا بد الى التخاذل والتواكل والدواهي التي تصدوا بها المسالمة فجرتهم الى
المصارمة ولما كان التفرق ربما كان بالابدان فقط مع الاتفاق في الآراء بين ان الامر ليس كذلك فقال واختلفوا
بما اثمر لهم الجد الحامل على الانصاف بحالة من يظن انهم جميع وقلوبهم شتى ولما دمهم بالاختلاف الذي دل العقل
على ذمه زاد في تقبيحه بانهم خالفوا فيه بعد نهي العقل واضح النقل فقال من اي وابتدا اختلافهم من الزمان الذي هو
من بعد ما جاءهم وعظه باعرابه عن الثالث البينات اي بما يجمعهم ويعليهم ويرفعهم ويوجب ائتلافهم وينفعهم ؟
فاردا بهم ذلك الافتراق واهلكهم ولما كان التقدير فاولئك قد تجلوا الهلاك في الدنيا على وجه ينهم لزومها لهم
في الدنيا والاخرة عطف عليه قوله ؟ فاولئك البغضا البعدا لهم عذاب عظيم اي في الدار الاخرة بعد عذاب الدنيا
باختلافهم منابذين لما من شانه الجمع والاية من الاحتباك اثبات المفلحون اولا يدل على الخاسرون ثانيا والعذاب العظيم
ثانيا يدل على النعيم المقيم اولا ولما قدم ملا اهل الكتاب المقدمين على الكفر على علم يوم القيمة في قوله ان الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم وختم تلك الاية بانهم لهم عذاب اليم واستمر حتى ختم هذه بانه مع ذلك عظيم بين ذلك
اليوم بقوله ؟ بادیا بما هو انكالهم من تنعيم اضدادهم يوم تبيض وجوه اي بما لها من المآثر الحسنة وتسود وجوه
بما عليها من الجرايم السيئة فاما الذين اسودت وجوههم بدا بهم لان النشر المشوش افصح ولان المقام للترهيب
وزيادة الكاية لاهله فيقال لهم توبيخا وتقريعا اكفرتم باسود الوجوه وعبيد الشهوات بعد ايمانكم
بما جبلتم عليه من الفطر السليمة ومكنتم به من العقول المستقيمة من النظر في الدلايل ثم بما اخذ عليكم انبياؤكم
من العهود فذوقوا العذاب اي الاليم العظيم بما كنتم تكفرون وانتم تعلمون فانكم في لعنة الله ما تنوثل واما الذين
ابيضت وجوههم اشراقا وبهاء لانهم امنوا فامنوا من العذاب ففي رحمة الله اي ثمرة فعل ذي الجلال والاكرام
الذي هو فعل الراحم لا في غير رحمته ثم اجاب عن سوال من كانه قال هل تزول عنهم كما هو حال النعم في الدنيا بقوله
على وجه ينهم لزومها لهم في الدنيا والاخرة هم اي خاصة فيها خالدون فلذا كانوا يؤمنون فالاية من الاحتباك
اثبات الكفر اولا دل على ارادة الايمان ثانيا واثبات الرحمة ثانيا دل على حذف اللعنة اولا ولما حازت هذه
الايات من التهذيب واحكام الترتيب وحسن السياق وضرب السباق اشار اليها مع قربها باداة البعد واضافها
الى اعظم اسمايه فقال تلك ايات الله اي هذه دلايل الملك الاعظم العالية الرتب البعيدة المتناول ثم استانف
الخبر عنها في مظهر العظمة قايلا نتلوها عليك اي نلازم قصها وزاد في تعظيمها بعد المبتدا بالمنتهى فقال عليك
ثم اكد ذلك بقوله ؟ بالحق اي ثابتة المعاني راسخة المقاصد صادقة الاقوال في كل ما اخبرت به من فوزكم
وهلاكم من غير ان نظلم احدا منهم وما الله اي الحايز لجميع الكمال يريد ظلما قل او جل للعالمين اي ما ظلمهم ولا يريد ظلم
احد منهم لانه متعال عن ذلك لا يتصور منه وهو غني عنه لان له كل شيء ولما كان ربما توهم ان ما ذكر
عن الاعراض عنه ربما اوقع في وهم انه غير قادر على ضبطهم او محتاج الى ربطهم ازاد ذلك دالا على انه غني عن الظلم
بقوله ؟ ولله الملك الاعلى ما اي كل شيء في السموات وكل ما في الارض من جوهر وعرض ملكا وملكا ولما كان المقصود

سعة الملك لم يضمر ليلا يظن تخصيص الثاني بما في خبر الاول فقال والى الله الذي لا امر لاحد معه ترجع الامور اي كلها
التي فيها والتي في غير مما فلا داعي له الى الظلم لانه غني عن كل شيء وقادر على كل شيء ولما كان من رجوع الامور اليه هدايته
من يشاء واضلاله من يشاء قال ما دحا لهذه الامة كيعنوا في رضاه حمدا وشكرا وموسلا اهل الكتاب عن اضلالهم ليزدادوا
خيرا وشكرا كنتم خير امة اي وجدتم على هذا الوصف الثابت لكم جبلة وطبعا ثم وصف الامة بما يدل على عموم الرسالة
وانهم سيقهرون اهل الكتاب فقال اخرجت للناس ثم بين وجه الخيرية بما لم يحصل مجموعه لغيرهم على ما هو عليه من الكثرة
بقوله تامرون اي على سبيل التجدد والاستمرار بالمعروف اي كل ما عرفه الشرع واجازه وتنهون عن المنكر
وهو ما خالف ذلك ولو وصل الامر الى القتال مبشرا لهم بانه قضي في الازل انهم يمتثلون ما امروا به من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر في قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير اراحة لهم من كلفة النظر في انهم هل يمتثلون فيفعلوا وازالة
لحملهم اعباء الخطر بكونهم يعانون عليه ليفوزوا ويربحوا فصارت فائدة الامر كثيرة الثواب بقصد امتثال الواجب ن
وللترمذي وقال حسن عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الاية انتم
تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على وللبخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال انهم خيار الناس للناس
تاتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلون في الاسلام ولما اخبر عنهم بهذا الوصف الشريف في نفسه اتبعه
ما زاده شرفا وهو انهم فعلوه في حال ايمانهم فهو معتبر لوجود شرطه الذي هو اساس كل خير فقال وتومنون اي تفعلون
ذلك والحال انكم تومنون بالله اي الملك الاعلى الذي تاهت الافكار في معرفة كنه ذاته وارتدت نوافذ ابصار
البصائر خاسئة عن حصر صفاته اي تصدقون انبياءه ورسله بسببه في كل ما اخبروا به قولا وفعلا ظاهرا وباطنا
وتفعلون جميع اوامره وتنهون عن جميع مناهيه وهذا يفهم ان من لم يومن كايمانهم فليس من هذه الامة اصلا لان المذكور لا يحصل الا بمجموع ما ذكر وكرر الاسم الاعظم زيادة في تعظيمهم وقد صدق الله ومن اصدق من الله حديثا
قال الامام ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري في خطبة كتاب الاستيعاب روي بن القسم عن مالك انه سمعه يقول
لما دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشام نظر اليهم رجل من اهل الكتاب فقال ما كان اصحاب عيسى بن
مريم الذين قطعوا بالمياشير وصلبوا على الخشب باشد اجتهادا من هولاء انتهى ولما كان من المعلوم ان التقدير وذلك
خير لكم عطف عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب اي اوقعوا الايمان كما امنتم بجميع الرسل وجميع ما انزل عليهم في كتابهم
وغيره ولم يفرقوا بين شيء من ذلك لكان اي الايمان خيرا لهم اشارة الى تسفيه احلامهم في وقوفهم مع ما منعهم عن الايمان
من العرض القليل الفاني والرياسة التافهة وتركهم الغنى الدائم والعز الباهر الثابت ولما كان هذا ربما اوهم انه
لم يومن منهم احد قال مستانفا منهم المومنون اي الثابتون في الايمان ولكنهم قليل واكثرهم الفاسقون اي الخارجون
من ربقة الامر والنواهي خروجا يضمحل معه خروج غيرهم ولما كانت مخالفة الاكثر قاصمة خفف عن اوليائه
بقوله لن يضروكم ولما كان الضر كما تقدم عن الحر الى ايلام الجسم وما يتبعه من الحواس والاذى ايلام النفس وما
يتبعها من الاحوال اطلق الضر هنا على جزء معناه وهو مطلق الايلام ثم استثنى منه فقال الا اذى اي بالسنتهم
وعبر بذلك لتصوير مفهومي الضر والاذى لتستحضر في الذهن فيكون الاستثناء ادل على نفي وصولهم الى المواجهة
وان يقاتلوكم اي يوما من الايام يولوكم صرح بضمير المخاطبين مضافا في المطلوب الادبار اي انهزاما ذلا وجبنا
ولما كان المولي قد تعود له كره بعد فره قال عادا عن حكم الجزاء ليلا يفهم التقييد بالشرط كثيرا لحرف التراخي
الى عظيم رتبة خذلانهم ثم لا ينصرون اي لا يكون لهم ناصر من غيرهم ابدا وان طال المدى فلا تهتموا بهم ولا باحد معهم
من المنافقين وقد صدق الله ومن اصدق من الله فما لم يقاتلوا في موطن الا كانوا كذلك ولما اخبر عنهم بهذا
بهذا الذي اتبعه الاخبار بانه في كل زمان وكل مكان معاملة منهم لهم بضد ما اراد وامرهم عن الحرص على الرياسة
الزامهم الذلة وعن الخلود الى المال اسكانهم المسكنة واخبر ان ذلك لهم طوق الحمامة غير مزايلة الى آخر الدهر
باق في اعقابهم بافعالهم هذه التي لم ينابذهم فيها الا عقاب فقال تعالى مستانفا ضربت عليهم الذلة وهي الانقياد
كرها واحاطت بهم كما يحيط البيت المضروب بساكنه اينما ثقفوا اي وجدهم من هو حاذق خفيف فطن في كل مكان
وعلى كل حال الا حال كونهم معتصمين بحبل اي عهد وثيق سبب للامان وهو عهد الجزية وما شاكله من الله اي الحاكم
لجميع العظمة وحبل من الناس اي قاطبة الذين امنوا وغيرهم موافق لذلك الحبل الذي من الله ولما كان الذل ربما
كان مع الرضى ولو من وجه قال وباؤا اي رجعوا عما كانوا فيه من الحال الصالح بغضب من الله الملك الاعظم ملازم
لهم ولما كان الوصفان قد يحجبهما اليسار قال وضربت اي مع ذلك عليهم اي كما يضرب البيت المسكنة اي الفقر
ليكونوا بهذه الاوصاف اعرق شيء في الذل فكانه قيل بما استحقوا ذلك فقيل ذلك اي الالزام لهم بما ذكر بانهم
اي اسلافهم الذين رضوا بهم فعلهم كانوا يكفرون اي يجددون الكفر مع الاستمرار بايات الله اي الملك الاعظم
الذي له الكمال كله وذلك اعظم الكفر لمشاهدتهم لها مع اشتمالها من العظيم على ما يليق بالاسم الاعظم ويقتلون الانبيا
اي الآتين من عند الله حقا ولما كانوا معصومين دينا ودنيا قال بغير حق اي بنوع قتل ثم علل اقدامهم على هذا
الكفر بقوله ذلك اي الكفر والقتل العظيمان بما عصوا وكانوا اي وطبعا يعتدون اي يجددون تمكليف

انفسهم للاعتداء فان الاقدام على المعاصي والاستهانة بحجاوز الحدود يهون الكفر قال الاصفهاني قال ارباب المعاملة من ابتلي بترك الاداب وقع في ترك السنن ومن ابتلي بترك السنن وقع في ترك الفرائض ومن ابتلي بترك الفرائض وقع في استحقار الشريعة ومن ابتلي بذلك وقع في الكفر والآية دليل على مواخذة الابن الراضي بذنب الاب وان علا وذلك طبق ما رايته في ترجمة التورية التي بين ايديهم لان قال في السفر الثاني وقال الله جميع هذه الايات كلها انا الرب الهك الذي اصعدتك من ارض مصر من العبودية والا تكون لك الهة اخرى لا تعمل شيأ من الاصنام والتماثيل التي مما في السماء فوق وفي الارض من تحت ومما في الماء اسفل الارض لا تسجدون لها ولا تعبدونها لاني انا الرب الهك الله غيور اجازي الابناء بذنوب الاباء الى ثلثة اعقاب واربعة خلوف واثبت النعمة الى الف حقب لاحبائي وحافظي وصاياي ولما كان السياق ربما افهم انهم كلهم كذلك قال مستانفا نافيا لذلك **ليسوا سواء** اي في هذه الافعال يثني سبحانه على من اقبل على الحق منهم وخلع الباطل ولم يراع سلفا ولا خلفا بعيدا ولا قريبا ثم استانف قوله بيانا لعدم استوائهم **من اهل الكتاب** فاظهر ليلا يتوهم عود الضمير على خصوص من حكم بتكفيرهم **امة** اي جماعة يحق لها ان تؤم **قائمة** اي مستقيمة على ما اتاها به نبيها في الثبات على ما شرعه متهيئة بالقيام للانتقال عنه عند مجيء الناسخ الذي ينبه به ووصفه غير زائغة بالايمان ببعضه والكفر ببعضه ثم ذكر الحامل على الاستقامة فقال **يتلون** اي يتابعون مستمرين **ايات الله** اي علامات ذي الجلال والاكرام المنزلة الباهرة التي لا لبس فيها **انا الليل** اي ساعاته **وهم يسجدون** اي يصلون في غاية الخضوع ثم ذكر ما اثمر لهم التهجد فقال **يومنون** وكرر الاسم الاعظم اشارة الى استحضارهم لعظمته فقال **بالله** الذي له من الجلال وتناهي الكمال ما حيّر العقول وابعده اليوم الذي تظهر فيه عظمته كلها لانه الحامل على كل خير فقال **واليوم الاخر** اي ايمانا يعرف انه حق بتصديقهم له بالعمل الصالح بما يرد عليهم من المعارف التي ما لها من نفاد فيتجددلهم فتثبت استقامتهم ولما وصفهم بالاستقامة في انفسهم وصفهم بانهم يقومون غيرهم فقال **ويامرون بالمعروف** اي مجددين ذلك مستمرين عليه **وينهون عن المنكر** كذلك ولما ذكر فعلهم للخير ذكر نشاطهم في جميع انواعه فقال **ويسارعون في الخيرات** ولما كان التقدير فاولئك من المستقيمين عطف عليه **واولئك** اي العالوا الرتبة **من الصالحين** اشارة الى ان من لم يستقم لم يصلح لشيء وارشد السياق الى ان التقدير واكثرهم ليسوا بهذه الصفات ولما كان التقدير فافعلوا من خير فهو يعلم الله يشكره لهم عطف عليه قوله **وما يفعلوا** اي انتم **من خير** من انفاق او غيره **فلن يكفروه** بل هو مشكور لكم بسبب فعلكم وبني للمجهول ثناء به منه سبحانه وليكون على طريق المتكبرين وعطف على ما تقديره فان الله عليم بكل ما يفعله الفاعلون قوله **والله** اي المحيط بكل شيء **عليم بالمتقين** من الفاعلين الذين كانت التقوى حاملة لهم على خير فهو يثيبهم اعظم الثواب ويغيرهم فهو يقيم بما يريد من العقاب هذا على قراءة الخطاب واما قراءة الغيبة فامرها واضح في نظمها بما قبلته ولما رغبهم في الانفاق بما يشمل كل خير واخبرهم بانهم عالم بدقه وجله واخبر ان ذلك كان داب اسرائيل عليه السلام على وجه انتج ان بنيه كانوا يجرون في ادعائهم انهم على ملة جده ابرهيم عليه السلام ثم حذرهم وختم ما ختم به المتقين بالترغيب في الخير بما اذرج فيه الانفاق الذي قدم اول السورة انه من صفة المتقين المستغفرين بالاسحار التي هي اشرف اناء الليل وكان مما يمنع منه خوف الفقر والنزول على حال الموسرين من الكفار الفاخرين بالاكثار المغترين بالاقلال من المال والولد وقوفا مع الحال الدنيوي وكان قد اخبر انه لا يقبل من احد منهم في الاخرة ملء الارض ذهبا اعقب هذا بمثل ذلك على وجه اعم فقال واصفا اضدادهم ناعيا ما يعتقدون من ان اعمالهم الصورية تنفعهم **ان الذين كفروا** اي بالله بالميل عن النهج القويم وان ادعوا الايمان به نفاقا او غيره **لن تغني عنهم اموالهم** اي وان كثرت **ولا اولادهم** وان عظمت **من الله** اي الملك الذي لا كفؤ له **شيأ** اي من الاغناء تاكيد الما قرر من عدم نصرة اهل الكتاب الذين حملهم على ايثار الكفر على الايمان استجلاب الاموال والرياسة على الاتباع على وجه يعم جميع الكفار كما قال في اول السورة سواء ولما كان التقدير فاولئك هم الخاسرون عطف عليه قوله **واولئك اصحاب النار** اي هم مختصون بها ثم استانف ما يفيد ملازمتها فقال **هم فيها خالدون** ولما كان ربما قيل فما حال ما يبذلونه في المكارم ويواسون به في المغارم ضرب لذلك مثلا جعله هباء منثورا ضائعا وان كثر بورا كان لم يكن شيأ مذكورا بقوله تعالى جوابا لهذا السؤال **مثل ما ينفقون** اي من المال وحقر قصدهم بتحقير محطه فقال **في هذه الحيوة الدنيا** اي على وجه القربة او غيرها لكونهم ضيعوا الوجه الذي به يقبل وهو الاخلاص ومثل انفاقهم له ومثل حرث اصيب بالزرع **كمثل زرع فيه صر** اي برد شديد **اصابت حرث قوم** موصوفين بانهم **ظلموا انفسهم** اي بالبناء على غير اساس الايمان **فاهلكته** فمثل ما ينفقون في كونه لم ينفعهم في الدنيا بانتاج ما اراده او وضرهم في الدارين اما في الدنيا فبضياعه في غير شيء واما في الاخرة فبالمعاقبة عليه لتضييع اساسه وقصدهم الفاسد به مثل الزرع الموصوف فانه لم ينفع اهله الموصوفين بل ضرهم في الدنيا بضياعه وفي الاخرة بما قصدوا به من القصود الفاسدة ومثل انفاقهم له في كونه ضرهم ولم ينفعهم مثل الزرع في كونها ضرت الزرع ولم تنفعه فلما كانت الزرع الموصوفة امرا مشاهدا جليا حصلت في اهلاكها مثلا لضياع انفاقهم الذي هو امر معنوي خفي ولما كان الزرع المحترق امرا محسوسا جعل فيما حصل له بعد التعب من العطب مثلا لامر معقول وهو اموالهم في كون انفاقهم اياها لم يثمر لهم شيأ غير الخسارة والتعب فالمثلان ضياع الزرع والانفاق وضياع

الزرع

الزرع اظهر فهو مثل لضياع الانفاق لانه اخفى وقد بان ان الاية من الاحتباك بحذف اولا مثل الانفاق لدلالة الزرع عليه وثانيا الحرث لدلالة ماينفق عليه ولما كان سبحانه موصوفا بانه الحكم العدل القائم بالقسط وانه لا ينسى خير افعل قال دفعا لتوهم ان ذلك بخس وما ظلمهم اي الممثل لهم والممثل لهم الله الملك الاعظم الغني الغني المطلق لانه المالك المطلق وقد كفروا اما الممثل لهم فبكونهم انفقوا على غير الوجه الذي شرعه واما الممثل بهم فبكونهم لم يحرسوا زرعهم بالطاعات وفي الاية دليل على ان اهل الطاعات تحرس ضوايعهم من الافات وتخرق فيها المعادات ثم قال ولكن ولما كان الممثل لاجلهم الذين كفروا اعم من ان يموتوا عليه او يسلموا لم يعبر في الظلم بما تقتضيه الجملة من فعل الكون وقال انفسهم اي خاصة يظلمون فافاد انهم هم الذين ظلموا انفسهم بتضييعهم الاساس بكفرهم وان ظلمهم مقصور على انفسهم لا يتعداها الى غيرها وان اظهر لتعاقبهم نكاية في عدوهم فان العاقبة لما كانت للمومنين كانت نكايتهم كالعدم بل في زيادة في وبالهم نهى من ظلمهم لانفسهم ولما كان الجمال بالمال لا سيما مع الانفاق من اعظم المرغبات في الموالاة وكانت هذه الاية قد صيرت حليفة فبيحا وبذولة صحيحا قال تعالى مكررا للتنبيه على مكر ذوي الاموال والجمال الذين يريدون ايقاع الفتنة بينهم من اليهود والمنافقين ليضمحل امرهم وتزول شوكتهم يا ايها الذين امنوا اي ايمانا صحيحا مصدقا اوعاقبه بالعمل الصالح الذي من اعظمه الحب في الله والبغض في الله لا تتخذوا بطانة اي من يباطنونهم باسراركم وتختصونهم بالمودة والصفاء ومباذلة المال والوفاء من دونكم اي ليسوا منكم ايها المومنون وعبر بذلك اعلاما بانهم يهضمون انفسهم وينزلونها عن علي درجتها بمواددتهم ثم وصفهم تعليلا للنهي بقوله لا يالونكم خبالا اي يقصرون بكم من جهة الفساد ثم بين ذلك بقوله على سبيل التعليل ايضا ودوا ما عنتم اي تمنوا مشقتكم ولما كان هذا قد يخفى بينه بقوله معللا قد بدت البغضاء من افواههم اي هي بينة في حدودها مع اجتهادهم في اخفايها لان الانسان اذا امتلا من شيء غلبه بفيضه ولكنكم لحسن ظنكم وصفاء نياتكم لا تتاملون فتاملوا ثم اخبر عن علمه سبحانه قطعا وعلم الظن من عبادة بالقياس ظنا بقوله وما تخفي صدورهم اكبر ما ظهر على سبيل الغلبة ثم استانف على طريق الجواب والتعبير قوله قد بينا اي بما لنا من العظمة لكم اي بهذه الجمل الايات اي الدلالات على سعادة الدارين ومعرفة الشقي والسعيد والمخالف والموالف وزادهم الهابا بقوله ان كنتم اي جبلة وطبعا تعقلون ثم استانف الاخبار عن ملخص حالهم معهم فقال منبها او مبدلا الثاني من همزة الانكار ها انتم اولاء اي المومنون المسلمون المستسلمون تحبونهم اي لاغتراركم باقرارهم بالايمان لصفاء بواطنكم ولا اي والحال انهم لا يحبونكم لمخالفتهم لكم في الدين فانهم كاذبون في اقرارهم بالايمان وتومنون اي انتم بالكتاب كله اي ويكفرون بعضهم به كله اما بالقصد الاول واما بالايمان ببعض والكفر ببعض واذا لقوكم قالوا اي لكم امنا لتغروا بهم واذا خلوا اي منكم وصورشدة حنقهم بقوله عضوا عليكم لما يرون من ايتلافكم وحسن احوالكم الانامل من الغيظ اي المفرط منكم ومن جعل الباء في هانتم بدلا عن همزة استفهام فالمراد عنده انتم يا هولاء القوبا مني تحبونهم والحال انهم على ما هم عليه من مشابذتكم وانتم على ما انتم عليه من الغطنة بصفاء الافكار وعلى الاراء بقبولكم الحق كله لان المومن ليس فطن منهو استفهام وان كان من اوي التوبيخ المراد به التنبيه والتعجيب المنعقد من مسائل الدركات الى عالي الدرجات والله الموفق ولما كانوا كانهم قالوا فما نفعل قال مخاطبا للراس المسموع الامر المجاب الدعاء قل اي لهم موتوا بغيظكم اي ازدوا لما وادعا عليهم بدوام الغيظ من القهر وزيادته حتى يميتهم ولما كانوا يحلفون على نفي هذا ليرضوهم قال تعالى موكدا لما اخبر به ليلا يظن انه اريد به غير الحقيقة ان الله اي الجامع لصفات الكمال عليم بذات الصدور اي فلا تظنوا انه اراد بعض ما يجوز بالغيظ عنه ولما كان ما اخبرت به هذه الجمل من بغضهم وشدة عداوتهم محتاجا ليصل الى المشاهدة الى بيان دل عليه بقوله ان تمسسكم اي بمجرد مس حسنة تسؤهم ولما كان هذا دليلا مهودا ولكنه ليس صريحا اتبعه الصريح بقوله وان تصبكم اي بقوة مرها وشديد وقعها وضرها سيئة يفرحوا بها ولما كان هذا امرا ملكيا غايظا مولما داواهم بالاشارة الى النصر بشرط التقوى والصبر فقال وان تصبروا وتتقوا اي تكونوا من اهل الصبر والتقوى لا يضركم كيدهم شيا ثم علل ذلك بقوله ان الله اي ذا الجلال والاكرام بما يعملون محيط اي فهو يعد لكل كيد ما يبطله والمعنى على قراءة الخطاب بعلكم كله فمن صبر واتقى ظفر به ومن عمل على غير ذلك انتقمت منه ولما كان ما تضمنته هذه الاية من الاخبار ومن الوعد منطوقا ومفهوما محتاجا الى الاجتلاء في صور الجزئيات ذكرهم سبحانه بالوقايع التي سوءهدي فيها احوالهم من النصر عند العمل بمنطوق الوعد من الصبر والتقوى وعدمه عند العمل بالمفهوم وشوهدت فيها احوال عدوهم من المساءة عند السرور والسرور عند المساءة وذلك غني عن دليل لكونه من المشاهدات مشيرا الى ذلك بواو العطف على غير مذكور مخاطبا لاعظم عباده فطنة وانتباها اليه رتبة تهييجا لغيره الى تدقيق النظر واتباع الدليل من غير ادنى وقوف مع المالوف فقال تعالى واذ اي اذكر ما يصدق ذلك من احوالكم الماضية حين صبرتم واتقيتم فنصرتم وحين ساءهم نصركم في كل ذلك في مربعة عبد الله بن جحش الى نخلة ثم في بدر ثم في غزوة بني قينقاع وغير ذلك واذكروا اذ لم يصبروا صحابك فاصيبوا واذ اسرتهم مصيبتكم في وقعة احد غدوت اي يا خاتم الانبياء واكرم المرسلين من اهلك اي بالمدينة الشريفة صبيحة يوم الجمعة الى اصحابك في مسجدك تستشيرهم في امر المشركين وقد نزلوا باحد في اواخر يوم الاربعا او في يوم الخميس لقحالكم وبني من غدوت

حالا اعلاما بان الشروع في السبب شروع في مسببه فقال تبوئ اي تنزل المومنين اي صبيحة يوم السبت وعبر
بقوله مقاعد اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم تقدم الى كل احد بالثبات في مركزه واوعد اليه في ان لا يفعل شيا
الا بامره لا سيما الرماة ثم ذكر علة ذلك فقال للقتال ولما كان التقدير ويتقدم اليهم بابلغ مقال في تشديد الاقوال
والافعال اشار تعالى الى انه وقع في غضون ذلك منه ومنهم كلام كثير وجلي بقوله والله اي والحال ان الملك الاعظم
الذي انتم في طاعته سميع اي لاقوالكم عليم اي بنياتكم في ذلك وغيره فاحذروه ولعله خص النبي صلى الله عليه وسلم بلذيذ
الخطاب في التذكير تحريضا لهم مع ما تقدمت الاشارة اليه على المراقبة تعريضا بانهم خفوا مع الذي ذكرهم امر بعاث حتى
تواثبوا حين تغاضبوا الى السلاح كما ذكر في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا
الكتاب الاية فوقفوا عن نافذ الفهم وصافي الفكر خفة الى ما اراد بهم عدوهم فاقتضى هذا التحذير كله ويؤيد ذلك اقباله
بالخطاب عليهم عند نسبة الفشل اليهم كما ياتي قريبا ولعله انما خص هذه الغزوة بالذكر دون ما ذكرت ان واو عطفها
دلت عليه مما ابدوا فيه بالنصر لان الشماتة بالمصيبة ادل على البغضا والعداوة من الحزن بما يسر ودل ذكرها على
المحذوف لان المدعي فيما قبلها سيان المساة بالحسنة والمسرة بالمصيبة فاذا برهن المتكلم على الثاني علم ولا بد انه حذف
برهان الاول وانه انما حذفه وهو حكيم لنكتة وهي هنا عدم الاحتياج الى ذكره لوضوحه بدلالة السياق مع واو العطف
عليه وما تقدم من كونه غير صريح الدلالة في امر البغض على انه تعالى قد ذكر بدرا كما ترى بعد لحكمة ستذكر واطلق سبحانه
كما عن الطبري وغيره التبوئ على ابتداء القتال بالاستشارة فان الكفار لما نزلوا يوم الاربعا ثاني عشر شوال سنة
ثلاث من الهجرة في سفح احد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر فيهم ما ياتيه من الوحي بقية يوم الاربعا ويوم
الخميس وليلة الجمعة وباتت وجوه الانصار في المسجد بباب النبي صلى الله عليه وسلم يحرسونه صلى الله عليه وسلم وحرسه
المدينة الشريفة ثم دعا الناس صبيحة يوم الجمعة فاستشارهم في امرهم واخبرهم برؤياه تلك الليلة البقر المذبوحة
والثلم في سيفه وادخال يده في الدرع الحصينة وكان رايه مع راي كثير من الصحابة المكث في المدينة فان قاتلوهم فيها
قاتلهم الرجال مواجهة والنسا والصبيان من فوق الاسطحة وكان عبد الله بن ابي المنافق على هذا الراي فلم يزل ناس
ممن اكرمهم الله بالشهادة منهم اسد الله واسد رسوله عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يلحون عليه صلى الله عليه
وسلم في الخروج اليهم حتى اجاب فدخل بيته ولبس لامته بعد ان صلى الجمعة فندموا على استكراههم له صلى الله عليه وسلم
وهو ياتيه الوحي فلما خرج اليهم اخبروه وسالوه في الاقامة ان شا فقال ما كان ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى
يحكم الله بينه وبين عدوه وفي رواية حتى يلاقي فاتى الشيخين وهما اطمان فعرض بهما عسكره ففرغ مع غياب الشمس وراه
المشركون حين نزل بهما واستعمل تلك الليلة على حرسه محمد بن مسلمة واستعمل المشركون على حرستهم عكرمة بن ابي جهل
ثم ادلج من سحر ليلة السبت وندب الادلا ليسيروا امامه وحانت صلوة الصبح في الشرط وهم بحيث يرون المشركين
فامر بلالا رضي الله عنه فاذن واقام وصلى باصحابه صلى الله عليه وسلم الصبح صفوفا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث
العسكر فرجع وقال اطاع الولدان ومن لا راي وعصاني وما ندري على م نقتل انفسنا وتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام
ابو جابر بن عبد الله احد بني سلمة واحد من استشهد في ذلك اليوم وكلمه الله قبلا يناشدهم الله في الرجوع فلم يرجعوا
فقال ابعدكم الله سيغني الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنكم ورجع فوافق النبي صلى الله عليه وسلم بصف اصحابه
وكادت طايفتان من الباقين وهما بنو راسلمة عشيرة عبد الله ابن عمرو وبنو حارثة ان تفشلا لرجوع المنافقين
ثم ثبتهم الله تعالى وترك صلى الله عليه وسلم الشعب من احد فجعل ظهره وعسكره الى احد وعبا اصحابه وقال لا
يقاتلن احد حتى نامره وعين طايفة من الرماة وانزلهم بعينين جبيل هناك من ورايهم واوعز اليهم في ان لا يتغيروا
منه حتى يامرهم ان كانت له او عليه حتى قال لهم ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تعينونا وان رايتمونا هزمناهم فلا
تشركونا في الغنيمة وانضحوا الخيل عنا اذا اتت من ورايتنا وبرز صاحب لوا المشركين وطلب المبارزة فبرز اليه
رجل من المسلمين فقتله المسلم فحمله اخر وبرز فقتل وفعلوا ذلك واحدا بعد واحد حتى تمنوا عشرة كلهم يقتل فلما
انكسرت قلوب المشركين بتوالي القتل في اصحاب اللوا امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فشدوا فهزموا المشركين
وخلوا عسكرهم ونساهم وكانت الخيل كلما اتت من ورا المسلمين نضحهم الرماة بالنبل فرجعوا فلما وقع الصحابة رضي الله
عنهم اجمعين في نهب العسكر خلى الرماة ثغرهم فنهاهم اميرهم وحذرهم مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يطعه
منهم الا نحو العشرة فاتى اصحاب الخيل فقتلوا من بقي من الرماة ثم اتوا الصحابة رضي الله عنهم من ورايهم وهم ينتهبون
فاسرعوا فيهم القتل ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فانهزم الصحابة رضوان الله عليهم ولم يثبت مع النبي صلى الله عليه
وسلم منهم الا قليل ما بين العشرة الى الثلثين على اختلاف الاقوال فاستمر يحلول بهم العدو والله تعالى يحفظه ويدافع عنه
حتى دنت الشمس للغروب وصرف الله العدو فدفن النبي صلى الله عليه وسلم الشهدا وصف اصحابه رضي الله عنهم
فاثنى على الله عز وجل ثنا عظيما ذكر فيه فضله سبحانه وعدله وان الملك ملكه يتصرف فيه كيف شا ورجع الى
المدينة الشريفة وقد اصابته الجراحة في مواضع من وجهه بنفسي هو وابي وامي ووجهي وعيني ولما كان رجوع
عبد الله بن ابي المنافق كما ياتي في صريح الذكر اخر القصة من الادلة على ان المنافقين فضلا عن المصارحين بالمصارمة متصفون

بما اخبر الله تعالى عنهم من العداوة والبغضاء مع انه كان سببا في هم الطايفتين من الانصار بالفشل كان ايلا هذه القصة
للنهي عن اتخاذ بطانة السوء الذين لا يقصرون عن فساد في غاية المناسبة ولذلك افتتحها سبحانه بقوله مبدلا من اذ
غدوت دليلا على ما قبله من ان بطانة السوء لا تالوهم خبالا وغير ذلك اذ همت طايفتان وكانا جناحي العسكر منكم
اي بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس ان تفشلا اي تكسلا وتراخيا وتضعفا وتجبنا لرجوع المنافقين عن
نصرهم وولايتهم فرجعا كما رجع المنافقون والله اي والحال ان ذا الجلال والاكرام وليهما وناصرهما لانهما مومنتان فلا
يتاتى وقوع الفشل وتحققه منهما لذلك فليتوكلا عليه وحده لايمانهما او يكون التقدير فالعجب منهما كيف تعتمدان على غيره
سبحانه لتضعفا بجدلانه والحال انه على الله اي الذي له الكمال كله وحده فليتوكل المومنون اي الذين صار الايمان صفة
لهم ثابتة اجمعون لينصرهم لا على كثرة عدد ولا قوة جلد والاحسن تنزيل الاية على الاحتباك ويكون اصل نظمها والله
وليهما لتوكلهما وايمانهما فلم يمكن الفشل منهما فتولوا الله وتوكلوا عليه لتصونكم من الوهن وعلى الله فليتوكل المومنون
كلهم ليفعل بهم ذلك فالامر بالتوكل ثانيا دالا على وجوده اولا واثبات الولاية اولا دال على الامر بها ثانيا وفي البخاري
في التفسير عن جابر رضي الله عنه قال فينا نزلت اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا قال نحن الطايفتان بنو حارثة وبنو
سلمة وما نحب انها لم تنزل لقول الله عز وجل والله وليهما ولما كان ظاهر الحال فيما اصاب الكفار من المسلمين في هذه
الغزوة ربما كان سببا لشك من لم يحقق بواطن الامور ولا له اهلية النفوذ في الدقايق من عجايب المقدور في قوله
تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم قل للذين كفروا ستغلبون ذكرهم تعالى نصرة لهم في غزوة بدر وهم
في القلة دون ما هم الان بكثير مشيرا لهم الى ما اثمره توكلهم من النصر وحالهم اذ ذاك حال الايس منه ولذلك كانوا
في غاية الكراهة للقاء بخلاف ما كانوا عليه في هذه الكرة حثا على ملازمة التوكل منبها على انه لا يزال يريهم مثل
ذلك النصر ويذيق الكفار اضعاف ذلك الهوان حتى يحق الحق ويبطل الباطل ويظهر دينه الاسلام على الدين كله
فقال عاطفا على ما تقديره فمن توكل عليه نصره وكفاه وان كان قليلا فلقد نصركم الله اول النهار في هذه الغزوة حيث
صبرتم واتقيتم بطاعتكم للرسول صلى الله عليه وسلم في ملازمة الثغر والاقبال على الحرب وغير ذلك مما امركم به
صلى الله عليه وسلم ولم تضركم قلتكم ولا ضعفكم بمن رجع عنكم شيا ولقد نصركم الله بما له من صفات الجلال والجمال
ببدر المشار اليها او السورة بقوله تعالى قد كان لكم اية في فيتين التقتا لما صبرتم واتقيتم ولما كانوا في عدد
يسير اشار اليه بجمع القلة فقال وانتم اذلة اي فاذكروا ذلك واجعلوه نصب اعينكم لينفعكم وكان الاتيان بامر
بدر بعد اية الفشل المختتمة بالحث على التوكل في الغاية من حسن النظم وهو دليل ايضا على منطوق قوله تعالى وان
تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا كما كان امر احد دليلا على منطوقها ومفهومها معادل على منطوقها بنصرهم اول
النهار عند صبرهم وعلى مفهومها باداله العدو عليهم عند فشلهم اخره والله الموفق على انك اذا انعمت التامل في قصة
احد من السير وكتب الاخبار علمت ان الظفر فيها ما كان الا للنبي صلى الله عليه وسلم كما سياتي الخبر به في قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه الاية فان الصحابة رضي الله عنهم هزموهم كما مضى في اول النهار حتى لم يبق
في عسكرهم احد ولا بقي عند نسايهم حام فلما خالف الرماة امره صلى الله عليه وسلم واقبلوا على الغنيمة اراد الله
تاديبهم وتعريفهم ان نصرته لنبيه صلى الله عليه وسلم غير محتاجة في الحقيقة اليهم حتى فانهزموا حتى لم يبق مع النبي
صلى الله عليه وسلم منهم غير نفر يسير ما يبلغون الخمسين والكفار ثلثة الاف وخيلهم مايتان فاستمر صلى الله عليه وسلم
في نحورهم يحاولهم ويصاولهم يرامونه مرة ويطاعنون اخرى ويجتمعون عليه كرة ويفترقون عنه اخرى والله تعالى يمنعه
منهم بايده ويحوطه بقوته حتى تدلت الشمس للغروب وقتل بيده صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف مبارزة تصديقا لما
كان اوعده به قبل الهجرة وخالطوه غير مرة ولم يمكنهم الله منه ولا اقدرهم على اسر احد من اصحابه ثم ردهم خايبين بعد
ان تراجع اليه اصحابه في اثناء النهار ولم يرجع صلى الله عليه وسلم من احد الا بعد انصرافهم ودفن من استشهد من اصحابه
واماهم فانشروا راجعين ولم يلووا على احد ممن قتل منهم وهم اثنان وعشرون رجلا من سرواتهم وحمال راياتهم وقال
الجلال الحندي في كتابه فردوس المجاهدين انه صح النقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما نصر النبي صلى الله عليه
وسلم في موطن من المواطن نصرته في يوم احد انتهى وكفى على ذلك دليلا ما نقل موسى بن عقبة وسيرته اصح السير في غزوة
الفتح عن قايد الجيش باحد ابي سفين بن حرب انه قال عند ما عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام يا محمد قد استنصرت
الهي واستنصرت الهك فوالله ما لقيتك من مرة الا ظهرت علي فلو كان الهي محقا والهك مبطلا لقد ظهرت عليك
وانما كانت الهزيمة وقتل من قتل لحكم ومصالح لا تخفى على من له رسوخ في الشريعة وثبات قدم في السنن ويمكن ان
تكون هذه القصة مندرجة في حكم النهي في القصة التي قبلها عن طاعة فريق من اهل الكتاب عطفا على قوله تعالى
نعمه في قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم لتشابه القصتين في الاصغاء الى الكفار قولا
او فعلا المقتضي لهدم الدين من اصله لان هم الطايفتين بالفشل انما كان من اجل رجوع عبد الله بن ابي المنافق حليف
اهل الكتاب ومواليهم ومصادقهم ومصافيهم ويويد ذلك نهيه تعالى في اثناء هذه عن مثل ذلك بقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ويكون اسناد الفعل في غدوت وامثاله

الى النبي صلى الله عليه وسلم والاسناد الى الجمع لانه الرئيس فخطابه خطابهم ولشرف هذا الفعل فكان الاليق افراده
به صلى الله عليه وسلم واما الفشل ونحوه فاسند اليهم وقصر كما هو الواقع عليهم ولما امتن سبحانه عليهم بالنصرة في تلك
الكثرة سبب عن ذلك امرهم بالتقوى اشارة الى انها السبب لدوام النعمة فقال فاتقوا الله اي في جميع اوامره ونواهيه
مراقبين له بذكر جميع جلاله وعظمته وكماله لعلكم تشكرون وقد استشكل هذا بان التقوى التنزه عن المعاصي والشكر فعل ينبئ
عن تعظيم المنعم وشكر الله صرف جميع ما انعم به في طاعاته فحينئذ التقوى من الشكر فان اريد العموم الكلام الى اشكروا
لعلكم تشكرون ولا يتحرر الجواب الا بعد معرفة حقيقة التقوى لغة قال الامام عبد الحق في كتابه الواعي الواقية
ما وقاك الشر وكل شي وقيت به شيا فهو وقاء له ووقاية وقوله سبحانه لعلكم تتقون قال ابن عرفة اي لعلكم
ان تجعلوا بقبول ما امركم به وقاية بينكم وبين النار انتهى فاتضح ان حقيقة اتقوا اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية
وان سبب اتخاذ الوقاية الخوف من ضار فالظاهر والله اعلم ان اتقوا بمعنى خافوا مجازا مرسلا من اطلاق اسم المسبب
على السبب فالمعنى خافوا الله لتكونوا على رجاء من ان يحملكم خوفه على طاعته على سبيل التجديد والاستمرار ولئن سلمنا
ان التقوى من الشكر فالمعنى اشكروا هذا الشكر الخاص ليحملكم على جميع الشكر وغايته انه نبه على هذا الفرد من الشكر
هو اصل الباب الذي يثمر باقيه وهو المراد بقول ابن هشام في السيرة ان المعنى فاتقون فانه شكر نعمتي ويجوز ان يكون
لعلكم تزدادون نعما تشكرون عليها اقامة للمسبب مقام السبب والله اعلم ولما اشتملت هذه القصة على المصيبة
التي سيقص الله كثيرا منها وهي مستوفاة في السير كان انسب من قصها وبيان ما اتفق بها لوعظ من ياتي البداءة بتذكير
من باشرها بما وعدهم الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع القتال من النصر المشروط بالصبر والتقوى
تنبيها لهم على ان الخلل من جهتهم اتى ثم وعظهم بالنهي عما منعهم النصر والامر بما يحصله لهم كما سيحثهم على ذلك بما يقص عليهم
من نبا من قاتل مع الانبياء قبلهم بانهم لما اصابهم القتل لم يهنوا وعلموا ان الخلل من انفسهم فبادروا الى اصلاحه
بافعال المتقين من الصبر والتضرع والاقرار بالذنب فقال مبدلا من اذ غدوت عودا على بدء تعظيما للامر حثا على
النظر في موارده ومصادره والتدبر لاوايله واواخره اذ تقول للمؤمنين اي الذين شاورتهم في امر احد وفي
غمارهم المنافقون لما زلزلوا برجوع اكثر المنافقين حتى كاد بعض الثابتين ان يرجع ضعفا وجبنا مع ما كان النبي صلى
الله عليه وسلم اخبرهم به من تلك الرويا اولها بذبح يكون في اصحابه ليكون اقدامهم على بصيرة او يصدهم ذلك عن
الخروج الى العدو كما كان ميل النبي صلى الله عليه وسلم في اكثر اصحابه واعلامهم الى المكث في المدينة قال منكرا اتيا
باداة التاكيد للنفي الن يكفيكم اي ايها المؤمنون ان يمدكم امدادا خفيا بما اشار اليه الادغام ربكم اي التولي لتربيتكم
وبصر دينكم بثلثة الاف ثم عظم امرهم بقوله من الملائكة ثم زاد في اعظامهم بانهم من السماء بقوله منزلين ثم تولى
سبحانه هو الجواب عنهم تحقيقا للكفاية فقال بلى اي يكفيكم ذلك ثم استانف قوله ان تصبروا وتتقوا اي توقعوا
الصبر والتقوى لله ربكم فتفعلوا ما يرضيه وتنتهوا عما يسخطه ويأتوكم اي الكفار من فورهم اي وقتهم استعير للسرعة
التي لا تردد فيها من فارت القدر اذا غلت هذا اي في هذه الكرة يمددكم اي امدادا جليا مما اشار اليه اشارة لفظه الفك
واشارة معنوية التسويم ربكم اي المحسن اليكم باكثر من ذلك بخمسة الاف من الملائكة ثم بين انهم من اعيان الملائكة بقوله
مسومين اي معلمين بما يعرف به مقامهم في الحرب والظاهر من التعبير بالتسويم افهام القتال ومن الاقتصار على
الانزال عدمه ويكون فايدة نزولهم البركة بهم وارهاب الكفار بمن يرونه منهم قال البغوي رحمه الله قال
ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم لم تقاتل الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون
انما يكونون عددا ومددا ولما كان التقدير وليس الامداد بهم موجبا للنصر وكان قد قدم في اول السورة قوله
والله يؤيد بنصره من يشاء قال هنا قاصرا للامر عليه وما جعله الله اي الامداد المذكور وذكره لكم على ما له من الاحاطة
بصفات الكمال التي لا يحتاج مراقبها الى شي غيره اصلا الا بشرى ولما كانت الهزيمة عليهم في هذه الكرة وكان المقتول
منهم اكثر قال لكم لئلا يتوهم ان ذلك بشرى لضدهم ولمثل هذا قدم القلوب فقال ولتطمئن وعلم ان التقدير لتكون الاية
من الاحتباك لتستبشر نفوسكم به وطمانينة لكم لتطمئن قلوبكم به اي الامداد فحكم هنا بانه بشرى مقيدا بلكم فكانت
العناية بضميرهم اشد حتى كانه قيل الا بشراكم وطمانينتكم فوجب تاخير ضميره عنهم والمعنى انهم كانوا اولا خائفين فلما
وردت البشرى اطمانوا بها رجاء ان يفعل لهم مثل ما فعل في بدر فلما اطمانوا بها وقع النصر كما وقع به الوعد ثم لما اطمانت
قلوبهم الى شي من قوتها لانه قد سبق لها نصر وسرور بطعن وضرب في بدر وغيرها فلمحت نحو شي من ذلك حصلت الهزيمة
ليصيروا الى حق اليقين بانه لا حول لهم ولا قوة ولذلك قال تعالى وما النصر اي في ذلك وغيره الا من عند الله اي
المستجمع لصفات الكمال لا بمدد ولا عدد فلا تجدوا في انفسكم من رجوع من رجع ولا تاخر من تاخر ولا هزيمة من انهزم
ولما قدم امر بدر هنا واول السورة وتحقق بذلك ما له من العزة والحكمة قال العزيز الذي لا يغالب فلا يحتاج
الى قتال احد ولا يحتاج في نصره ان قاتل الى معونة احد الحكيم الذي يضع الاشياء في اتقن محلها من غير تاكيد اي الذي
نصركم قبل هذه الغزوة وفي اول النهار فيها ليس لكم ولا لغيركم ناصر غيره فمتى التفت احد الى سواه وكله اليه فخذل
فاحذروه لتطيعوه طاعة اولي الاحسان في كل اوان وهذا بخلاف ما في قصة بدر في الانفال ولما قرر الوعد ذكر ثمرته

فقال

فقال معلقا الجار بيمددكم ليقطع اي بالقتل طرفا اي طايفة من كرامهم يهنون بهم من الذين كفروا اي ويهزم الباقين
او يكبتهم اي يكسرهم ويردهم بغيظهم مع الخزي اذلا واصل الكبت صرع الشي على وجهه فينقلبوا اي كلهم مهزومين
خايبين وذلك في كلتا الحالتين بقوتكم عليهم بالمدد وضعفهم عنكم به ويجوز تعليق ليقطع بفعل التوكل اي فليتوكلوا
عليه ليفعل باعدايهم ما يشاؤه من نصرهم عليهم فيقبل بهم الى الاسلام رغبة او رهبة او يميتهم على كفرهم فيديم عذابهم
مع عافيتهم منهم ورايت في سير الامام محمد بن عمر الواقدي ما يدل على تعليقه بجعل من قوله وما جعله الله الا بشرى
او بقوله ولتطمئن وهو حسن ايضا ولما كان صلى الله عليه وسلم حريصا على طلب الادلة عليهم ليمثل بهم كما مثلوا
بعمه حمزة وعدة من اصحابه رضي الله عنهم قال تعالى ليس لك من الامر اي فيهم ولا في غيرهم شي موسطا لهم بين
التعاطفات يعني من الادلة عليهم بقتل او هزيمة تدرك بهم ما تريد بل الامر له كله ان اراد فعل بهم ما تريد وان
اراد منعك منه بالتوبة عليهم او اماتتهم على الكفر حتف الانف فيتولى هو عذابهم وذلك معنى قوله او يتوب
عليهم كلهم بايديكم بان تستاصلوهم فلا يفلت منهم احد او يعذبهم هو من غير واسطتكم بما يستدرجهم به مما يوجب
اصرارهم حتى يموتوا على الكفر مع النصر عليكم وغيره مما هو لهم في صورة النعم الموجب لزيادة عقابهم ثم علل الاقسام
الاربعة بقوله فانهم ظالمون وفي المغازي من صحيح البخاري معلقا عن حنظلة بن ابي سفين قال سمعت سالم
بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا على صفوان بن امية وسهيل بن عمرو والحرث بن هشام
فنزلت ليس لك من الامر شي الى قوله ظالمون ورواه موصولا في المغازي والتفسير والاعتصام عن سالم عن ابيه
بغير هذا اللفظ وفيه اللهم العن فلانا وفلانا ولما كان التقدير بل الامر له سبحانه وحده عطف عليه قوله
مبينا لقدرته على ما قدم من فعله بهم على وجه اعم ولله اي الملك الاعظم وحده ما في السموات اي كلها على عظمها
من عاقل وغيره وعبر بما لان غير العاقل اكثر وهي به اجدر وما في الارض كذلك ملكا وملكا فهو يفعل في ملكه
وملكه ما يشاء وفي التعبير بما ايضا اشارة الى ان الكفرة الذين السياق لهم في عداد ما لا يعقل ولما كانت الاقسام
كلها راجعة الى قسمين عافية وعذاب قال مترجما لذلك مقررا لقوله ليس لك من الامر شي يغفر لمن يشاء اي منهم
ومن غيرهم فيعطيه ما شاء من خيري الدنيا والاخرة ويغنيه عن الربا وغيره ويعذب من يشاء بالمنع عما يريد من
خيري الدارين لا اعتراض عليه فلو عذب الطايع ونعم العاصي لحسن منه ذلك ولا يقبح منه شي ولا اعتراض بوجه
عليه هذا مدلول الاية وهو لا يقتضي انه يفعل او لا يفعل ولما كان صلى الله عليه وسلم لشدة غيظه عليهم في الله
جديرا بالانتقام منهم بدعاء او غيره اشار له سبحانه الى العفو الحث على التخلق باخلاق الله الذي سبقت رحمته غضبه
بقوله والله اي المختص بالجلال والاكرام غفور رحيم اي محا للذنوب عينا واثرا مكرم بعد ذلك بانواع الاكرام
فانطبق ذلك على افصاح ليس لك وافهامه الموجب لاعتقاد ان يكون له سبحانه الامر وحده ولما انزل عليه ذلك
وما في اخر النحل مما للصابرين والعافين حرم المثلة واشتد نهيه صلى الله عليه وسلم عنها فكان لا يخطب خطبة
الا منع منها ولما كان الختم بهاتين الصفتين ربما اطمع في انتهاك الحرمات لاتباع الشهوات فكان مبعدا لمتعاطيه
من الرحمة مدنيا من النقمة وكان اعظم المقتضيات للخذلان تضييعهم للثغر الذي امرهم النبي صلى الله عليه وسلم
بحفظه بسبب اقبالهم قبل اتمام هزيمة العدو على الغنايم للزيادة في الاعراض الدنيوية التي هي معنى الربا في اللغة
اذ هو مطلق الزيادة اقبل عليهم تعالى بقوله يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان صدقوا ايمانكم بان لا تاكلوا
الربا اي المقبح فيما تقدم امره غاية التقبيح وهو كما ترى اقبال متلطف مناد لهم باسم الايمان الناظر الى الانفاق
المعرض عن التحصيل ومما رزقناهم ينفقون والمنفقين والمستغفرين بالاسحار لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
ناه عن الالتفات الى الدنيا بالاقبال على غنيمة او غيرها بطريق الاشارة بدلالة التضمن اذ المطلق جزء المقيد
في هذه العبارة التي صريحها ناه عن الاقبال على الدنيا اقبالا يوجب الاعراض عن الاخرة باستباحة اكل الربا
المتقدم في البقرة من النهي عنه من المبالغة ما يردع من له ادنى تقوى ويوجب لمن لم يتركه وما يقاربه الضمان
بالخذلان في كل زمان فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولما كان ترك الاثخان في العدو بعد زوال المانع منه بالهزيمة مع ان فيه
من حلاوة الظفر ما يجل عن الوصف لاجل الغنيمة التي هي لمن غلب وليس في المبادرة الى حوزها كبير فايدة
دلالة على تناهي الحب للتكاثر ناسب المقام ربا التضعيف فقال او يقال لما كان سبب الهزيمة طلبهم الزيادة
بالغنيمة وكان حب الزيادة حلالا قد يجر الى حبها حراما فيجر الى الربا المضاعف لان من يرتع حول الحمى يوشك
ان يواقعه قال اضعافا مضاعفة اي لا تتهيؤا لذلك باقبالكم على مطلق الزيادة فان المطلوب منكم بذل المال
فضلا عن الاعراض عنه فضلا عن الاقبال عليه فالحاصل انها دلت على الربا بمطابقتها وعلى مطلق الزيادة
بتضمنها وهي من وادي قوله صلى الله عليه وسلم من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه وختام الاية بقوله
واتقوا الله اي الملك الاعظم لعلكم تفلحون مشيرا الى ذلك اي واجعلوا بينكم وبين مخالفة نهيه عن الربا وقاية
بالاعراض عن مطلق محبة الدنيا والاقبال عليها لتكونوا على رجا من الفوز بالمطالب ممن له ملك الوجود وملكه فانه

جدير بان يعطيكم من ملكه ان اتقيتم ويمنعكم ان تساهلتم فهو نهي عن الربا بصريح العبارة وتحذير من ان يعود الي ما صدر
منهم من الاقبال على الغنايم قبل انفصال الحرب فعلا وقوة بطريق الاشارة وكم من دلة امامنا الشافعي رحمه الله على
استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه والذي دلنا على ارادة المعنى التضمني المجازي نظمها والناظم حكيم في سلك هذه القصة
ووضعها في هذا الموضع ولا يقدح في ذلك انه قد كان في هذه القصة امر يصلح ان يكون سببا لنزول هذه الاية ووضعها
هنا لان ذلك غير لازم ولا مطرد فقد كان حلفه صلى الله عليه وسلم انه يمثل بسبعين منهم كما مثلوا بعمه حمزة رضي الله
عنه سببا لنزول آخر سورة النحل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الي آخرها ولم توضع هنا والامر الصالح لان
يكون سببا لها ما روي ابو داود في سننه بسند رجاله رجال الصحيح عن ابي هريرة ان عمرو بن اقيش رضي الله
عنهما كان له ربا في الجاهلية فكره ان يسلم حتى ياخذه فجاء يوم احد فقال اين بنو اعمي قالوا باحد قال اين فلان قالوا
باحد قال اين فلان قالوا باحد فلبس لامته وركب فرسه ثم توجه قبلهم فلما راوه المسلمون قالوا اليك عنا يا عمرو
قال اني قد امنت فقاتل حتى جرح فحمل الي اهله جريحا فجاء سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لاخته سليه حميه لقومك
او غضبا لله عز وجل فقال بل غضبا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمات فدخل الجنة وما صلى لله عز
وجل صلوة والقصة في جزء عبيد الله بن محمد بن حفص العيشي بالمهملة ثم المثناة ثم المعجمة تخريج ابي القسم عبد الله
ابن محمد بن عبد العزيز البغوي والجزء السابع عشر من المجالسة للدينوري من طريق حماد بن سلمة شيخ شيخ ابي داود
ولفظ العيشي ان عمرو بن قيش وقال الدينوري اقيش كان له ربا في الجاهلية وكان يمنعه ذلك الربا من الاسلام
حتى ياخذه ثم يسلم فجاء ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم راد الدينوري واصحابه باحد فقال ابن سعد
ابن معاذ وقال العيشي فقال لقومه اين سعد بن معاذ قالوا هو باحد قال الدينوري فقال اين بنو اخيه قالوا
باحد فسال عن قومه فقالوا باحد فاخذ سيفه ورمحه ولبس لامته ثم اتى احدا وقال الدينوري ثم ذهب الى
احد فلما راه المسلمون قالوا اليك عنا يا عمرو وقال اني قد امنت فقاتل حتى جرح فحمل الي اهله جريحا فدخل عليه سعد بن معاذ
فقال لعيني لامراته سليه وقال العيشي فقال لاخته ناديه فقولي وقال الدينوري فقالت اجئت غضبا
لله ورسوله ام حمية وغضبا لقومك فناديته فقال بل جئت غضبا لله ورسوله فمات فدخل الجنة ولم يصل
لله قط وقال الدينوري قال ابو هريرة رضي الله عنه فدخل الجنة وما صلى لله صلوة ورواها ابن اسحق
والواقدي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط وقال الواقدي
اخبروني برجل يدخل الجنة لم يصل لله سجدة قط فيسكت الناس فيقول ابو هريرة رضي الله عنه هو اخو بني عبد
الاشهل وقال ابن اسحق فاذا لم يعرفه الناس سالوه من هو فيقول اصيرم بني عبد الاشهل عمرو بن ثابت وقتش
رضي الله عنه زاد ابن اسحق قال الحصين يعني شيخه فعلت لمحمود بن لبيد كيف كان شان الاصيرم قال كان ياباى الاسلام
على قومه فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الي احد راه في الاسلام فاسلم ثم اخذ سيفه فغدا
حتى دخل في عرض الناس فقاتل حتى اثبتته الجراحة فبينما رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة اذا هم
به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسلوه ما جاء به فقالوا ما جاء بك
يا عمرو احدب على قومك ام رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام امنت بالله وبرسوله واسلمت ثم اخذت
سيفي فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت حتى اصابني ما اصابني ثم لم يلبث ان مات في ايديهم
فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن اهل الجنة فالمعنى على هذا يا ايها الذين يريدون الايمان كاملا
تفعلوا مثل فعل الاصيرم في تاخير ايمانه لاجل الربا بل سابقوا الموت ليلا ياتيكم بغتة فتهلكوا او يا ايها الذين
اخبروا عن انفسهم بالايمان ورسوخ الاذعان في انفسهم والايقان عمر الزمان افعلوا مثل فعله ساعة سلم في صدق
الايمان واسلم نفسه الي ربه بركوب الاهوال في غمرات القتال من غير خوف ولا توقف ولا التفات الى امر دنيوي وان
عظم فقد بان انه نبه بالاشارة الى قصة بدر ثم لهذه الاية على ان من اعرض على الدنيا حصلت له بعز وان كانت
قليلا ومن اقبل عليها فاتته بذل وان كان كثيرا جليلا لان من له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ولا تفيد الاية اباحة
مطلق الفضل في الربا ما لم يفته الى الاضعاف المضاعفة لان افهامها لذلك معارض بمنطوق ايات البقرة الناهية
عن مطلق الربا والمفهوم لا يعمل به اذا عارض منطوق نص آخر وهذا من مزيد الاعتناء ببيان الربا اذا حرم كل نوع
منه في اية تخصه لحرم ربي الفضل في ايات البقرة ويلزم من تحريمه تحريم ربا الاضعاف ثم نص عليه في عين الاية
فصار محرما من تين مفهوما ومنطوقا مع ما افاد ذكره من النكت التي تقدم التنبيه عليها ولما كان الفائز
بالمطالب قد لا يوفي المعاطب قال تعالى واتقوا النار اي انكم تكونوا ممن تبقيه سبحانه لذاته التي اعدت
اي هيئت للكافرين اي بالله باستحلال الربا وغيره بالذات ولكافرين بالنعمة عصيانا بالعرض ولما كان
الفائز السالم قد لا يكون مقربا قال اتباعا للوعيد بالوعد واطيعوا الله ذا الجلال والاكرام والرسول اي اكمالا
في الوسيلة ليس احد مثله اي في امتثال الاوامر واجتناب النواهي بالاخلاص لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجاء
وطمع في ان يفعل بكم فعل المرحوم بالتقريب والمحبة وانجاز كل ما وعد على الطاعة من نصر وغيره ولما نهى عن ما

النهي ح

منع النصر بالنهي عن الربا المراد بالنهي عنه الصرف عن مطلق الاقبال على الدنيا المشار الى ذمها في قوله تعالى زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية وامر بما تضمن الفوز والنجاة والقرب وكان ذلك قد يكون مع التواني
امر بالمسارعة فيه توصلا الى ما اعد للذين اتقوا الموعودين بالنصر المشروط بتقواهم وصبرهم في قوله بلى ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا الموصوفين بما تقدم في قوله تعالى
في المقصد الثالث من دعائم هذه السورة قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا الايات على وجه ابلغ من ذلك بالمسارعة
الى ما يوجب المغفرة من الرب اللطيف بعباده والى ما يبيح الجنة الموصوفة باجتهاد في الجهاد على ما حد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من التقوى فان هذه الجنة اعدت للمتقين الذين تقدمت الاشارة اليهم في قوله تعالى واتقوا
الله لعلكم تفلحون الذين يخلون عن الاموال وجميع مصالح الدنيا فلا يمتد اعينهم الى الازدياد من شئ منها ويتحلون بالزهد
فيها والانفاق لها في سبيل الله في مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهاد وغيره في السراء والضراء بالاقبال
على الدنيا من غنيمة او غيرها اقبالا يخل ببعض الاوامر وبالصبر بكظم الغيظ عمن اصيب منهم بقتل او جراحة والعفو
عمن يحسن العفو عنه في التمثيل بالقتلى في احد او غير ذلك ارشادا الى ان لا يكون جهادهم لاغضاء الله تعالى لا مدخل فيه
لحظ من حظوظ النفس اصلا وبالصبر ايضا على حمل النفس على الاحسان الى من اساء ذلك او غيره كما فعل صلى الله عليه
وسلم في فتح مكة بعد ان كان حلف ليمثلن بسبعين منهم مكان تمثيلهم بسيد الشهداء اسد الله واسد رسوله عمه حمزة
بن سابي الحجيج عبد المطلب فانه وقف صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم الذي كان اعظم ايام الدنيا الذي اثبت
فيه نور الاسلام على مشرق الارض ومغربها فهزم ظلام الكفر وضرب اوتاده في كل قطر على درج الكعبة
وبيده في قبضته فقال ما تظنون اني فاعل بكم يا معشر قريش قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء
وبالاستغفار عن عمل الفاحشة من خذلان المؤمنين او اكل الربى او التولي عن قتال الاعداء وعن ظلم النفس من
محبة الدنيا الموجب للاقبال على الغنايم التي كانت سبب الانهزام او غير ذلك مما اراد الله تعالى فقال تعالى
وسارعوا اي بان تفعلوا في الطاعات فعل من يسابق خصما الى مغفرة من ربكم اي المحسن اليكم بارسال الرسل
وانزال الكتب بعمل ما يوجبها من التوبة والاخلاص وكل ما يزيل العقاب وجنة اي عظيمة جدا بعمل كل ما يحصل الثواب
ثم بين عظمها بقوله عرضها السموات والارض اي كعرضهما فكيف بطولها ويحتمل ان يكون كطولها فهي ابلغ من اية
الحديد كما يأتي لها ياتي وعلى قراءة سارعوا بحذف الواو يكون التقدير سارعوا بفعل ما تقدم فهو في معناه لا مغاير له
ولما وصف الجنة بين اهلها بقوله اعدت اي الآن وفرغ منها للمتقين وهم الذين صارت التقوى شعارهم
فاستقاموا واستمروا على الاستقامة ثم وصف المتقين بما تضمن تفصيل الطاعة المامور بها قبل اجمالا على وجه
معرف باسباب النصر الى آخر ما قص من خبر الانبياء الماضين ومن معهم من الربيين بادیا بما هو اشق الاشياء ولا سيما
في ذلك الزمان من التبرع من المال الذي هو عديل الروح فقال الذين ينفقون اي مما اتاهم الله وهو تعريض بمن
اقبل على الغنيمة في السراء والضراء اي في مرضات الله في حال الشدة والرخاء ولما ذكر اشق ما يترك ويبدا اشق
ما يحبس فقال والكاظمين اي الحابسين الغيظ عن ان ينفذوه بعد ان امتلاوا منه ولما كان الكاظم غيظه عن
ان يتجاوز في العقوبة قد لا يعفو حثه على العفو بقوله والعافين وعم في الحكم بقوله عن الناس اي ظلمهم
لهم ولو كانوا قد قتلوا منهم وجرحوهم ولما كان التقدير فان الله يحبهم لاحسانهم عطف عليه تنويها بدرجة
الاحسان قوله والله اي الذي له صفات الكمال يحب المحسنين اي يكرمهم بانواع الاكرام على سبيل التجديد
والاستمرار ولما اخبر انها للمحسنين الى الغير ومن قابلهم اخبر انها لمن دونهم في الرتبة من التائبين المحسنين الى
انفسهم استجلابا لمن رجع عن احد من المنافقين ولغيرهم من العاصين فقال والذين اذا فعلوا اي باشروا عن
علم او جهل فعلة فاحشة اي من السيئات الكبار او ظلموا انفسهم اي باي كان من الذنوب لتصير الفاحشة موعدا
بغفرانها بالخصوص وبالعموم ذكروا الله اي بما له من كمال العظمة فاستحيوه وخافوه فاستغفروا اي فطلبوا
منه المغفرة بالتوبة بشرطها لذنوبهم اي فانه يغفر لهم لانه غفار لمن تاب ولما كان هذا مفهما لانه تعالى يغفر
كل ذنب اتبعه تحقيق ذلك ونفى القدرة عليه عن غيره لان المخلوق لا يمضي غفران لذنب الا اذا كان مما شرع الله
غفرانه فكان لا غافر في الحقيقة الا الله قال مرغبا في الاقبال عليه بالاعتراض بين المتعاطفين ومن يغفر
الذنوب اي يمحوا اثارها حتى لا تذكر ولا يجازي عليها الا الله اي الملك الاعلى ولما كان سبحانه قد تفضل برفع
القلم عن الغافل قال ولم يصروا اي انهم على ذنب ولما اتم وصف السابقين وهم المتقون واللاحقين وهم التائبون
قال معلما بجزاء الذين سارعوا اليه من المغفرة والجنة مشيرا اليهم باداة البعد تعظيما لشانهم على وجه معلم
بان احدا لا يقدر ان يقدر الله حق قدره اولئك اي العالوا الرتبة جزاؤهم مغفرة اي لتقصيرهم او لهفواتهم
او لذنوبهم وعظمها بقوله من ربهم اي المحسن اليهم بكل احسان واتبع ذلك للاكرام فقال وجنات اي جنات
ثم بين عظمها بقوله تجري من تحتها الانهار حال كونهم خالدين فيها هي اجر هم على عملهم ونعم اجر العاملين هي هذا
على تقدير ان تكون الاشارة لجميع الموصوفين وان كانت للمستغفرين خاصة فالامر واضح في نزول رتبتهم عمن قبلهم

ولما فرغ من بيان الزلل الذي وقع لهم به الخلل والترهيب مما يوقع فيه والترغيب فيما ينجي منه في تلك الاساليب
التي هي احلى من رايق الزلال ولذيذ الوصال بعد طول المطال اخذ يشجعهم على الجهاد لذوي العناد فبدا بالسبب
الاقوى وهو الامر بمشاهدة مصارع من مضى من المكذبين برؤية ديارهم وتتبع اثارهم مع انهم كانوا اشد خلقا واقوى
هما واكثر عددا واحكم عددا فقال تعالى معللا للامر بالمسارعة الى المغفرة قد خلت ولما كان العلم بالقريب في الزمان
والمكان اتم وكان الذين وقعت فيهم السنن جميع اهل الارض ولا في جميع الزمان اثبت الجار فقال من قبلكم اي فلا تظنوا
بما املي لهم بهذه الادلة ان نقمته انقطعت عنهم سنن اي وقايع سنها الله في القرون الماضية والامم الخالية في المومنين
والمكذبين واحوال وطرايق كانت للفريقين فتاسوا بالمومنين وتوقعوا لاعدايكم مثل ما للمكذبين فانظروا وانعموا التامل
في احوال الفريقين وان لم يحصل ذلك الا باليسير في البيد والتعب الشديد فسيروا في الارض اي للاتعاظ باحوال
تلك الامم برؤية اثارهم لتضموا الخير الى الخير وتعتبروا من العين بالاثر وتقرنوا بين النقل والنظر ولما كان الرجوع
عن الهفوة واجبا على الفور عقب بالفاء قوله فانظروا اي نظر اعتبار ونبه على عظمة المنظور فيه بانه اهل
لان يستفهم عنه لانه خرج عن العوايد فتعاظم اشكاله فقال كيف كان عاقبة اي آخر امر المكذبين ولما تكلفت هذه
الجمل بالهداية الى سعادة الدارين نبه على ذلك سبحانه بقوله على طريق الاستفتاح هذا بيان اي يفيد ازالة الشبهة
للناس اي المصدقين والمكذبين وهدى اي ارشاد بالفعل وموعظة اي ترقيق للمتقين ولما امرهم بالمسارعة واتبعها
علتها ونتيجتها نهاهم عما يعوق عنها من قبل الوهن الذي عرض لهم عند رؤيتهم الموت فقال ويجوز ان يعطف على ما تقديره
فتبينوا واهتدوا واتعظوا ان كنتم متقين وانظروا اخذنا لمن كان قبلكم من اهل الباطل وان كانت لهم دول وصولات
ومكر وحيل ولا تهنوا اي في جهاد اعدايكم الذي هم اعدا الله والله معكم عليهم وان ظهروا يوم احد نوع ظهور فسترون
الى ما يروم الامر ولا تحزنوا اي على ما اصابكم منهم ولا على غيره مما عساه ينوبكم والحال انكم انتم الاعلون اي في الدارين
ان كنتم مومنين اي ان كان الايمان وهو التصديق بكل ما ياتي عن الله لكم صفة راسخة فانكم لا تهنون لانكم بين احدى
الحسنيين كما لم يهن من سيقص عليكم نباوهم ممن كانوا مع الانبياء قبلكم لعلوكم عدوكم اما في الدنيا فلان دينكم حق ودينهم
باطل ومولاكم العزيز الحكيم الذي قد وعدكم الملك الكبير لمن قتل والنصر الموزر لمن بقي وهو حي قيوم لا يخفى عليه شي من احوالكم
فهو ناصركم وخاذلهم واما في الاخرة فلانكم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وهم في النار عند مليكه العذاب الغلاظ
الشداد ابدا ولما نهاهم عما تقدم وبشرهم سلاهم وبصرهم بقوله ان يمسسكم قرح اي مصيبة بادالتهم عليكم اليوم
فقد مس القوم اي الذين لهم من قوة المحاولة ما قد علمتم اي في يوم احد نفسه وفي يوم بدر قرح مثله اي في مطلق كونه
قرحا وان كان اقل من قرحكم يوم احد واكثر منه في يوم بدر على انه كما انه ظفرهم بعد ما اصابهم وانكاهم يوم بدر بالوهن
الذي ليس بعده وهن يقتل مثل ما قتل منكم واسر مثلهم ويوم احد بالقتل والهزيمة اول النهار وهم اعداؤه فهو جدير
بان يظفركم بعد وهنكم وانتم اولياؤه فكما لم يضعفهم وهنهم وهم على الباطل فلا تضعفوا انتم وانتم على الحق ترجون من الله
ما لا يرجون فقد ادلناكم عليهم يوما وادلناهم عليكم آخر وتلك الايام ولما نبه على تعظيمها باداة البعد وكانت انما تعظم
بعظم احوالها ذكر الحال المنبه عليها بقوله نداولها بين الناس اي بان نرفع من شينا تارة ونرفع عليه اخرى ولما
كان التقدير ليدال على من كانت له الدولة فيعلم كل احد ان الامر لنا بلا شريك ولا منازع عطف عليه قوله وليعلم
الله اي المحيط بجميع الكمال الذين امنوا اي بتصديق دعوى الايمان بنيبة الجهاد فيكرمهم ومعنى ليعلم انه يفعل فعل
من يريد علم ذلك بان يبرز ما يعلمه غيبا الى عالم الشهادة ليقيم الحجة على الفاعلين على ما يتعارفه الناس بينكم ويتخذ
منكم بان يجعل قتلهم عين الحيوة التي هي الشهادة لا غيبة فيها فهو سبحانه يزيد في اكرامهم بما صدقوا في ايمانهم بان لا يكونوا
مشهودا عليهم اصلا قبورهم ولا غيرها ولا يغفلوا بخوف ولا صعق ولا غيره فان الله يحب المومنين ويعلم الذين ظلموا
ويمحق منهم اهل الجحد والاعتداء والله اي الملك الاعلى لا يحب الظالمين اي الذين يخالف فعلهم قولهم فهو لا يستشهدهم
وانما يجعل قتلهم اول خيبتهم وعذابهم وفيه بشارة في ترغيب بانه لا يفعل مع الكفرة فعل المحب ليلا يحزنوا على ما اصابهم
ونذارة في تاديب بانهم ما خذلوا الا بتضييعهم الثبر الذي امرهم به من التزموا طاعته وامر الله بها في المنشط والمكره
بحفظه واقبلوا على الغنايم قبل ان يفرغوا من العدو والاية من الاحتباك اثبات الاتخاذ اولا دال على نفيه ثانيا
واثبات الكراهة ثانيا دال على المحبة اولا ولما قدم التنفير من الظلم دلالة على الاهتمام به اكمل ثمرات المداولة
بقوله وليمحص اي وليطهر الله اي ذو الجلال والاكرام الذين امنوا اي ان اصيبوا ويجعل مصيبتهم سببا لقوتهم
ويمحق الكافرين اي شيا فشيا في كلتا الحالتين بما يلحقهم من الرجس اما اذا كانت لهم فبالنقص بالقوة بالبطر الموجب
للعكس واما اذا كانت عليهم فبالنقص بالفعل الموجب للقطع بالنار ولما كان السياق يرشد الى ان المعنى احسنتم انه
لا يفعل ذلك عادله بقوله ام حسبتم اي يا من استكره نبينا على الخروج في هذا الوجه ان تدخلوا الجنة اي
التي اعدت للمتقين ولما يعلم الله اي يفعل المحيط علما وقدرة بالامتحان فعل من يريد ان يعلم الذين جاهدوا منكم اي اوقعوا
الجهاد بصدق العزيمة ثم امضوه بالفعل تصديقا للدعوى ويعلم الصابرين اي الذين شانهم الصبر عند الهزاهز
والثبات عند جلايل المصايب تصديقا لظاهر الغرايز فان ذلك اعظم دليل على الوثوق بالله ووعده الذي هو صريح

للاتعاظ

نؤول

شهدا صح

الايمان

الايمان ولما ارشد السياق الى ان التقدير فلقد كنتم تقولون ليتنا خرجت بنا لنبلين الله بلاء حسنا عطف عليه
قوله ولقد ويجوز ان يكون حالا من فاعل حسبتم كنتم تمنون الموت اي الحرب عبر عنها به لانها سببه وقد تمنى بعضهم
الموت نفسه بتمني الشهادة من قبل ان تلقوه اي رغبة فيما اعد الله للشهداء فقد رايتموه اي برؤية قتل اخوانكم والاظهر
يصح ان يكون للموت المعبر به عن الحرب وللموت نفسه برويته اسبابه القريبة وقوله وانتم تنظرون بمعنى رؤية
العين فهو تحقيق لارادة الحقيقة ولما كان التقدير فانهزمتم عند ما صرخ الشيطان كذا الا ان محمدا قد قتل ولم يكن
كلم ذلك فانكم انما تعبدون رب محمد الحي القيوم وتقاتلون له واما محمد فما هو بخالد لكم في الدنيا قال وما محمد الا رسول
اي من شانه الموت لا الاله ثم قرر المراد من السياق بقوله قد خلت اي عفا رقة امهم اما بالموت او الرفع الى السما
ولما كان المراد ان الخلو منهم انما كان في بعض الزمان الماضي اثبت الجار فقال من قبله الرسل اي فسيسلك
سبيلهم فاسلكوا انتم سبيل من نصح نفسه من اتباعهم فاستمسك بغرزهم ولما سبب عن ذلك انكار انهزامهم ووهنهم
على تقدير فقده انكر عليهم بقوله افائن ولما كان الملك القادر على ما يريد لا يقول شيا وان كان فرضا الا فعله ولو
على اقل وجوهه وكان في علمه سبحانه انه صلى الله عليه وسلم يموت موتا لكونه على فراشه وقتلا لكونه بالسم قال
مات اي موتا على الفراش او قتل اي قتلا انقلبتم اي عن الحال التي فارقكم عليها فاضعتم مشاعر الدين وتركتم مشارع
المرسلين ثم قرر المعنى بقوله على اعقابكم ليلا يظن ان المراد مطلق الانقلاب وان كان على الاستواء او الانقلاب
الى احسن ومن اي انقلبتم والحال انه من ينقلب على عقبيه اي بترك ما شرعه له نبيه او التقصير فيه فلن يضر الله
اي المحيط بجميع العظمة شيا لانه متعال عن ذلك بان الخلق كلهم طوع امره لا يتحركون حركة الا على وفق مراده فلو اراد
لهداهم اجمعين ولو اراد اضلهم اجمعين وانما يضر ذلك المنقلب نفسه لكفره بالله وسيجزي الله الكافرين ومن شاء ثابتا
على المنهج السوي فانما ينفع نفسه بشكره لله وسيجزي الله اي الذي له جميع صفات الكمال الشاكرين اي كلهم فالاية
من الاحتباك اثبت الانقلاب وعدم الضر اولا دليلا على حذف ضده ثانيا والجزا ثانيا دليلا على حذف مثله اولا ولما
كان موت الرئيس من انصار الدين لا يصلح ان يكون سببا للفرار الا اذا كان موته بغير اذن صاحب الدين وكان الفرار لا يصلح
الا اذا كان يمكن ان يكون سببا للنجاة واما اذا كان موته لا يكون الا بارادة رب الدين والفرار لا يكون سببا في زيادة
الاجل ولا نقصه اشار الى ذلك بقوله وما كان لنفس اي من الانفس كائنة من كانت ان تموت اي لبشي من الاشياء
الا باذن الله اي بعلم الملك الاعلى الذي له الاحاطة التامة وارادته وتمكينه من قبضها كتب كتابا مؤجلا
اي اجلا لا يتقدم عنه بثبات ولا يتاخر عنه بفرار اصلا ولما كان المعنى فمن اقدم شكرته ولم يضره الاقدام ومن احجم
ذممته ولم ينفعه الاحجام وكان الحامل على الاقدام ايثار ما عند الله والحامل على الاحجام ايثار الدنيا عطف على ذلك
قوله ومن يرد ثواب الدنيا اي بعمله كما افهمه التعبير بالثواب وهم المقبلون على الغنائم بالنهب والقارون كفرا
لنعمة الله نؤته منها اي ما اراد وختام الاية يدل على ان التقدير هنا وسنؤتي الكافرين ولكنه طواه رفقا بهم ①
ومن يرد ثواب الاخرة اي وهم الثابتون شكرا على احسانه اليهم من غير ان يشغلهم شاغل عن الجهاد ولما كان قصد الجزاء
غير قادح في الاخلاص منة من الله تعالى علينا قال نؤته ونبه على ان العمل لذات الله من غير نظر الى ثواب ولا عقاب
اعلى فقال منها اي وسنجزيه لشكره وهو معنى قوله وسنجزي الشاكرين لكنه اظهر لتعليق الحكم بالوصف وعمم
ولما ذكر سبحانه هذا الجمل على هذا الوجه الذي بين فيه العلل واوضح محال الزلل وكان التقدير بعد انقضائها
فكاين من قوم امرناهم بالجهاد فكابنوا على هذين القسمين فاثبنا الطايع وعذبنا العاصي ولم يغرها ذلك شيا ولا جري شي
منه على غير مرادنا عطف عليه تسليتهم بطرايق الصالحين من قبلهم وتسليهم باحوالهم فقوله وكاين وهي بمعنى كم وفيها
لغات كثيرة قري منها في العشر بتنوين الجمهور بفتح الهمزة بعد الكاف وتشديد الياء الكسرة وابن كثير وابي جعفر
بالف ممدودة بعد الكاف وهمزة مكسورة ولعلها ابلغ لانه عوض عن الحرف المحذوف من المشهورة بالمد والمد اوقع
في النفس واوقر في القلب وفيها كلام كثير في لغاتها ومعناها وقرا انها المتواترة والشاذة وصلا ووقفا ورسمها
في مصحف الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي وقع اجماع الصحابة عليه ليكون المرجع عند الاختلاف اليه وهل هي
بسيطة او مركبة ومشتقة او جامدة وفي كيفية التصرف في لغاتها استوعبته في كتاب الجامع المبين لما قيل في
كاين وقال سبحانه من نبي لتكون التسلية اعظم بذكر ما هو طبق ما وقع في هذه الغزوة من قتل اصحابه واحتمال
العباءة لقتله نفسه بقوله قتل اي ذلك النبي حال كونه معه لكن الارجح اسناد قتل الى ربيون لموافقته
قراءة الجماعة سوى الحرميين وابي عمرو وقاتل معه ربيون اي علماؤهم ورثة الانبياء وعلى منهاجهم كثير فما
اي فما تسبب عن قتل نبيهم وهنهم او يكون المعنى ويؤيده الوصف بالكثرة قتل الربيون فما تسبب عن قتلهم ان ابا قين
بعدهم وهنوا اي ضعفوا في عملهم لما اصابهم في سبيل الله اي الملك الاعظم من القتل لنبيهم الذي هو عمادهم او لاخوانهم
الذين هم اعضادهم لكونه في الله وما ضعفوا اي مطلقا في العمل ولا في غيره وما استكانوا اي وما خضعوا
لاعدائهم فطلبوا ان يكونوا تحت ايديهم تعويضا بمن قال اذهبوا الى ابي عامر الراهب لياخذ لنا امانا من ابي سفين
بل صبروا فاحبهم الله لصبرهم والله الذي له صفات الكمال يحب الصابرين اي فليفعلن بهم من النصر واعلاء الدين

① يوسهم

وجميع انواع الاكرام فعل من يحبه ولما اثنى سبحانه على فعلهم اتبعه قولهم فقال وما كان اي شي من القول قولهم اي بسبب
الكل الامر الذي دهمهم الا ان قالوا اي وهم مجتهدون في نصر دين الله ناسبين الخذلان الى انفسهم بتعاطي اسبابه ربنا اغفر
لنا ذنوبنا اي الذي يستوجبنا به الخذلان واسرافنا في امرنا هضما لانفسهم مع كونهم ربانيين مجتهدين نسبوا ما
اصابهم الى ذنوبهم فافعلوا انتم فعلهم لتنالوا من الكرامة ما نالوا كما اشار لكم سبحانه الى ذلك قبل الاخذ في قص القصة
عند ما وصف به المتقين من قوله او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ولما دعوا بمحو ما اوجب الخذلان
دعوا بثمرة المحو فقالوا وثبت اقدامنا اشارة الى ان الرعب من نتائج الذنب والثبات من ثمرات الطاعة انما تقاتلون
الناس باعمالكم ثم اشاروا الى ان قتالهم لهم انما هو لله لا لحظ من حظوظ النفس اصلا بقوله وانصرنا على القوم الكافرين
فلما تم الثنا على فعلهم وقولهم ذكر ما سببه لهم ذلك من الجزاء فقال فاتاهم الله المحيط علما وقدرة ثواب الدنيا اي بان قبل
دعاهم بالنصر والغنى بالغنايم وغيرها وحسن الذكر وانشراح الصدر وزوال شبهات الشر ولما كان ثواب الدنيا كيف ما
كان لا بد ان يكون بالكدر مشوبا وبالبلاء مصحوبا لانها دار الاكدار اعراه من وصف الحسن وخص الاخرة به فقال
وحسن ثواب الاخرة اي مجازا بتوفيتهم الى الاسباب في الدنيا وحقيقة في الاخرة فانهم احسنوا في هذا الفعال والمقال
لكونهم لم يطلبوا بعبادتهم غير وجه الله فاحبهم لاحسانهم والله المحيط بصفات الكمال يحب المحسنين كلهم فهو جدير بان يفعل
بهم كل جميل ولذلك رفع منزلتهم ولم يجعل ثوابهم بعضا كما فعل بمن عبد لارادة الثواب فقال نؤته منها فقد بان ان هذه
الاية منعطفة على ما امر به الصحابة رضي الله عنهم على طريقة اللف والنشر المشوش فنفي الوهن تعريض بمن اشير اليه في
اية ولقد كنتم تمنون الموت ومحبة الصابرين تعريض بمن لم يصبر في قوله ويعلم الصابرين ونحو ذلك والثنا على قولهم
حث على مثل ما ندبهم اليه في قوله او ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وثبات الاقدام اشارة الى وانتم الاعلون ان
كنتم مومنين والى ان ثبات القدم للنصر على اعدا الله كان شاغلا لهم عن الالتفات الى غيره وتعريض بمن اقبل على الغنايم
وترك طلب العدو لتمام النصر المشار اليهم باية ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وايتاء الثواب ناظرا الى النهي عن الربا
وما انتظم في سلكه او دناه والى الامر بالمسارعة الى الجنة وما والاه وايما الى ان من فعل فعلهم نال ما نالوا ومن ترك
شيا لله عرضه الله خيرا منه لان عمله محيط وكرمه لا يحد وخزاينه لا تنفد بل لا تنقص ثم ختمها بما ختم به الحث على التخلق
باوصاف المتقين فقد اتضح بغير لبس ان المراد بهذه الاية وهي الاخبار عن ايتائهم الثواب التنبيه على ان اهم الامور
واحقها بالبداءة التخلق بما وعظوا به قبل قص القصة ولا ريب ان في مدح من سواهم لتهييجا زايدا لانبعاث نفوسهم
وتحرك هممهم وتنبه نشاطهم وثوران عزايمهم غيرة منهم ان يكون احد وهم خير امة اخرجت للناس اعلى همة واقوى
عزيمة واشد شكيمة واصلب عودا واثبت عمودا واربط جاشا واذكر لله وارغب فيما عنده وازهد فيما اعرض عنه
منهم ولما امر سبحانه بطاعته الموجبة للنصر والاجر وختم بمحبته للمحسنين حذر من طاعة الكافرين المقتضية للخذلان
رغبة في موالاتهم ومناصرتهم فقال تعالى واصلا بالندا في اية الربا يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ان
تطيعوا بخضوع او استيمان او غيره الذين كفروا اي هذا الفريق منهم او غيره يردوكم على اعقابكم بتعكيس احوالكم
الى ان تصيروا مثلهم ظالمين كافرين فتنقلبوا خاسرين في جميع اموركم في الدارين فتكونوا في غاية البعد من احوال
المحسنين فتكونوا بمحل السخط من الله صغرة تحت ايدي الاعدا في الدنيا خالدين في العذاب في الاخرى وذلك ناظر الى
قوله تعالى اول ما حذر من مكر الكفار يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية وموضح ان
جميع هذه الاي شديد اتصال بعضها ببعض والله الموفق ولما كان التقدير فلا تطيعوهم انهم ليسوا صالحين
للولاية مطلقا ما دمتم مومنين عطف عليه قوله بل الله الملك الاعظم مولاكم مخبرا بانه ناصرهم وان نصره لا
يساويه نصر احد سواه بقوله وهو خير الناصرين اي لان من نصره سبب له جميع اسباب النصر وازال عنه كل
اسباب الخذلان فمنع غيره كاينا من كان من اذلاله ثم قرر ذلك بقوله محققا للوعد سنلقي اي بعظمتنا في قلوب
الذين كفروا الرعب اي المقتضي لامتثال ما امر به من الجراءة عليهم وعدم الوهن في امرهم كما افتتح القصة بالايماء الى
ذلك بالامر بالسير في الارض والنظر في عاقبة المكذبين ثم بين سبب ذلك فقال بما اشركوا بالله اي ليعلموا قطعا
انه لا ولي لعدوه لانه لا كفو له وبين بقوله ما لم ينزل اي في وقت من الاوقات به سلطانا انه لا حجة لهم
في الاشراك وما لم ينزل به سلطانا فلا سلطان له ومادة سلط ترجع الى القوة ولما كان التقدير فعليهم الذل
في الدنيا لاتباعهم ما لا قوة به عطف عليه وماواهم النار ثم هول امرها بقوله وبئس مثوى الظالمين اي هي
واظهر في موضع الاضمار للتعميم وتعليق الحكم بالوصف ولما كانت السين في سنلقي مفهمة للاستقبال كان ذلك ربما
اوهم لم يرغبهم فيما مضى فنفى هذا الوهم محققا لهم ذلك بتذكيرهم بما انجز لهم من وعده في اول هذه الوقعة مدة
تلبسهم بما شرط عليهم من الصبر والتقوى بقوله تعالى عطفا على قوله بلى ان تصبروا وتتقوا الاية
مصرحا بما لوح اليه تقديرا قبل ولقد نصركم الله ببدر كما مضى ولقد صدقكم الله وعده اي في قوله وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم اذ تحسونهم اي تقتلونهم بعضهم بالفعل والباقين بالقوة التي هياها لكم باذنه فان الحس
بالفتح القتل والاستيصال قال في القاموس ثم بين لهم سبب هزيمتهم بعد تمكينه منهم ليكون رادعا لهم عن المعاودة

جار

الى

الي مثله فقال مبينا لغاية الحس حتى اذا فشلتم اي ضعفتم وتراخيتم بالميل الي الغنيمة خلاف ما تدعوا اليه
الهمم العوال فكيف بهم اذا كانوا من حزب مولي الموالي فلقد كانت العرب علي حال جاهليتها تتفاخر بالاقبال
علي الطعن والضرب في مواطن الحرب والاعراض عن المغانم كما قال عنترة بن شداد العبسي يفتخر
هل لا سالت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلمي اذ لا ازال علي رحالة سابح نهد تعاوره الكماة مكلم
طورا يعرض للطعان وتارة تاوي الي حصد القسي عرمرم يخبرك من شهد الوقعة انني اغشي الوغي واعف عند المغنم
وقال يفاخر بقومه كلهم انا اذا كمش الوغي نروي القنا ونغم عند مقاسم الانفال
ولما ذكر الفشل عطف عليه ما هو سببه في الغالب فقال وتنازعتم اي بالاختلاف واصله من نزع بعض شيا
من يد بعض في الامر اي امر الثغر المامور بحفظه وعصيتم اي وقع العصيان بينكم بتضييع الثغر واثبت الجار
تصوير للمخالفة بانها كانت عقب رؤية النصر سوا وتيسيرا بزوالها فقال من بعد ما اراكم ما تحبون اي من حسهم
بالسيوف وهزيمتهم ولما كان ذلك ربما افهم ان الجميع عصوا نفي ذلك معللا للعصيان بقوله منكم من يريد الدنيا
اي قد اعصي عن معايبها التي اجلاها فناؤها ولما كان حكم الباقين غير معين الفهم من هذه الجملة قال ومنكم من
يريد الاخرة وهم الثابتون في مراكزهم لم يعرجوا علي الدنيا ولما كان التقدير جوابا لاذا سلطهم عليكم عطف عليه
قوله ثم صرفكم عنهم اي لا تدهاسكم لاتيانهم اليكم وعطفه بثم لاستبعادهم للهزيمة بعد ما راوا من النصرة
ليبتليكم اي يفعل في ذلك فعل من يريد الاختبار في ثباتكم علي الدين في حالي السرا والضرا ولما كان اخباره
تعالي بعصيانهم شديد الازعاج للقلوب عطف علي قوله صرفكم ولقد عفي عنكم اي تفضلا عليكم لايمانكم والله
الذي له الكمال كله ذو فضل علي المومنين اي كافة وهو من الاظهار في موضع الاضمار للتعميم وتعليق الحكم بالوصف
ولما ذكر علة الصرف والعفو عنه صورة فقال اذ صرفكم وعفا عنكم حين تصعدون اي تزيلون الصعود فتتحدرون
نحو المدينة او تذهبون في الارض لتبعدوا عن محل الوقعة خوفا من القتل ولا تلوون اي تعطفون علي احد اي من
قريب ولا بعيد والرسول اي الذي ارسل اليكم لتجيبوه الي كل ما يدعوكم اليه وهو الكامل في الرسلية يدعوكم
في اخراكم اي ساقتكم وجماعتكم الاخري وانتم مدبرون وهو ثابت في مكانه في نحو العدو في نفر يسير لا يبلغون اربعين
نفسا علي اختلاف الروايات وثوقا بوعد الله ومراقبة له يقول كلما مرت عليه جماعة منهزمة الي عباد الله انا
رسول الله اين اي عباد الله كما هو اللايق بمنصبه الشريف من الاعتماد علي الله والوثوق بما عنده وعد من دونه من ولي
وعد وعدها وانما قلت ان معني ذلك الانهزام لان الدعا يراد منه الاقبال علي الداعي بعد الانصراف عما يريده
ليامر وينهي فعلم بذلك انهم مولون عن المقصود وهو القتال وفي التفسير من البخاري عن البرا رضي الله عنه قال
جعل النبي صلي الله عليه وسلم علي الرجالة يوم احد عبد الله بن جبير رضي الله عنه واقبلوا منهزمين فذاك اذ
يدعوهم الرسول في اخراهم ولم يبق مع النبي صلي الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا ولما تسبب عن العفو ردهم
عن الهزيمة الي القتال قال تعالي فاثابكم اي جعل لكم الله ربكم ثوابا غما اي باعتقادكم قتل الرسول وكان
اعتقادا كاذبا مليتم به رعبا بغم اي كان حصل لكم من القتل والجراح والهزيمة وسماه وان كان في صورة العقاب
باسم الثواب لانه كان سببا للسرور حين تبين انه خبر كاذب وان النبي صلي الله عليه وسلم سالم حتي كانهم كما قال
بعضهم لم تصبهم مصيبة فهو من الدوا بالدا ثم علله بقوله لكيلا تحزنوا علي ما فاتكم اي من النصر والغنيمة
ولا ما اصابكم اي من القتل والجراح والهزيمة لاشتغالكم عن ذلك بالسرور بحيوة الرسول صلي الله عليه وسلم
ولما قص سبحانه عليهم ما فعلوه ظاهرا وما قصدوه باطنا وما داواهم به قال عاطفا علي ما تقديره فالله خبير
بما يصلح اعمالكم ويبري ادواكم والله اي المحيط علما وقدرة خبير بما تعملون اي من خير وشر في هذه الحال وغيرها
وبما يصلح من جزايه ودوايه فتارة يداوي الدا بالدا وتارة بالدوا لانه الفاعل القاد المختار ولما كان
امانهم بعد انخلاع قلوبهم بعيدا ولا سيما بكونه بالنعاس الذي هو ابعد شي عن ذلك المقام الوعر والمحل الضنك
عطف باداة البعد في قوله ثم انزل عليكم ولما افاد باداة الاستعلا عظمه الامن وكان متصلا بالغم ولم
يستغرق زمن ما بعده اثبت الجار فقال من بعد الغم اي المذكور وانتم في نحو العدو امنة اي امنا عظيما ثم
ابدل منها تنبيها علي ما فيها من الغرابة قوله نعاسا روي البخاري في التفسير عن انس رضي الله عنه ان ابا
طلحة رضي الله عنه قال غشينا النعاس ونحن يوم احد فجعل سيفي يسقط من يدي واخذه ويسقط واخذه
ولما كان لبعضهم فقط استانف وصفه بقوله يغشي طايفة منكم وهم المومنون دليلا قطعيا علي
الامن فانه لا يكون الا من امن وابتداء الاخبار عن الباقين بقوله وطايفة اي اخري من المنافقين قد
اهمتهم انفسهم لا المدافعة عن الدين فهم انما يطلبون خلاصها ولا يجدون الي ذلك فيما يظنون سبيلا لاتصال
رعبهم وشدة جزعهم فعوقبوا علي ذلك بانه لم يحصل لهم الامن المذكور ثم فسر هممهم فقال يظنون بالله المحيط
بصفات الكمال غير الحق اي من ان نصره بعد هذا لا يمكن او انهم لو قعدوا في المدينة لم يقتل احد ونحو ذلك من سفساف
الكلام وفاسد الظنون التي فتحتها لو والاوهام ظن الجاهلية اي الذين لا يعلمون من عظمة الله سبحانه بان ما اراده

كان ولا يكون غيره ما يعلم اتباع الرسل ثم فسر الظن بقوله يقولون اي منكرين لانه لم يجعل الراي رايهم ويعمل
بمقتضاه غضبا وتاسفا على خروجهم في هذا الوجه وعدم رجوعهم مع ابن ابي بعد ان خرجوا هل لنا من الامر اي
المسموع ولكون الاستفهام بمعنى النفي ثبت اداة الاستغراق في قوله من شيء فكانه قيل فماذا يقال لهم فقيل
قل اي لهم ردا عليهم احتقارا بهم ان الامر اي الحكم الذي لا يكون سواه كله لله اي الذي لا كفؤ له ليس لكم ولا لغيركم منه شيء
شئتم او ابيتم غزوتم او قعدتم ثبتتم او فررتم ولما قص سبحانه عليهم بعض امرهم في هذه الحرب وبين لهم شيئا من فوايد
ما فعل بهم بقوله ان يمسسكم قرح الايات وكان من جملة ذلك ما اظهر من اسرار المنافقين بهذه الوقعة في اتهامهم
الله ورسوله حتى وصل الى هنا وكان قولهم هذا غير صريح في الاتهام لامكان حمله على حاق الاستفهام اخبر تعالى
بتدليسهم بقوله يخفون اي يقولون ذلك مخفين في انفسهم ما لا يبدون لك لكونه لا يرضاه الله ثم بين ذلك بعد
اجماله فقال يقولون لو كان لنا من الامر اي المسموع شيء ما قتلنا ههنا لانا كنا نمكث في المدينة ولا نخرج الى العدو
ولما اخبر تعالى عنهم بما اخفوه جهلا منهم ظنا ان الحذر يغني من القدر امره تعالى بالرد عليهم بقوله قل لو كنتم في
بيوتكم اي بعد ان اجمع رايكم على ان لا يخرج منكم احد لبرز الذين كتب عليهم القتال اي في هذه الغزوة الى مضاجعهم
التي هي مضاجعهم بالحقيقة وهي التي قتلوا بها ما قدرناه لا يمكن احدا دفعه بوجه من الوجوه ثم عطف على ما تقديره
ودل عليه السياق قوله ليبتلي اي ليبرز المذكورون لينفذ قضاؤه ويصدق قوله لكم في غزوة بدر ان فاديتم
الاسرى ولم تقتلوهم قتل منكم في العام المقبل مثلهم وليبتلي الله اي المحيط بصفات الكمال بهذا الامر التقديري
ما في صدوركم اي من الايمان والنفاق بان يفعل في اظهاره من عالم الغيب الى عالم الشهادة فعل المختبر كما فعل بما وجد
في هذه الغزوة من الامور التحقيقية وليمحص ما في قلوبكم اي يطهره ويصفيه من جميع الوساوس الصارفة عن
المراقبة من محبة الدنيا من الغنايم التي كانت سبب الهزيمة وغيرها وختم بقوله والله اي الذي له الاحاطة
بكل شيء عليم بذات الصدور مرغبا ومرهبا ودافعا لما قد يتوهم من ذكر الابتلاء من عدم العلم بالخفايا ولما كانوا في
هذه الغزوة قد حصل لهم ضرر عظيم لكنه كان بما وقع من بعضهم من الخلل الظاهر فادبهم بذلك عفى عنهم سبحانه بعد
ذلك التاديب ورحمهم وطيب قلوبهم بهذه الاية بما فيها من التامن صريحا وبما فيها من الاشارة بجمع جميع حروف المعجم
فيها تلويحا الى ان امرهم لا بد ان يتم كما تمت الحروف في هذه الاية لكنه افتتحها باداة التراخي اشارة الى انه لا يكون
الا بعد مدة مديدة حتى تنصقل مرايا الصدور التي ختمها بها بخلاف ما في الاية الاخرى الجامعة للحروف في اخر سورة
الفتح التي نزلت في الحديبية التي ساءهم رجوعهم منها دون وصولهم الى قصدهم كما ياتي ان شاء الله تعالى ولما كان
فيه مع ذلك معنى التعليل والتنبيه على انه غني عن الاختبار خبير بدقايق الاسرار اتبعه قوله مستانفا لبيان
ما هو من ثمرات العلم ان الذين تولوا منكم اي عن القتال ومقارعة الابطال يوم التقى الجمعان اي من المومنين
والكفار انما استزلهم اي طلب زللهم عن ذلك المقام العالي الشيطان اي عدوهم البعيد من الرحمة المحترق باللعنة
ببعض ما كسبوا اي من الذنوب التي لا تليق بمن طلب الدنو الى حضرات القدس ومواطن الانس من ترك المركز والاقبال
على الغنيمة وغير ذلك فان القتال في الجهاد انما هو بالاعمال فمن كان اصبر في اعمال الطاعة كان اجلد على قتال الكفار
ولم يكن توليهم عن ضعف في نفس الامر ولما كان ذلك مفهما ان الذين تولوا صاروا من حزب الشيطان فاستحقوا ما
استحق الصق به قوله ولقد عفا الله اي الذي له صفات الكمال عنهم ليلا تطير افيدة المومنين اي حيث لم يعامل
المتولين حذر الموت معاملة الذين خرجوا من ديارهم كما تقدم حذر الموت فقال لهم الله موتوا ولما كان قولهم انا لو
ثبتنا في المدينة الممثلة بالدرع الحصينة كما كان راي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاكابر من اصحابه لسلمنا الى غير
ذلك مما اشار سبحانه اليه قولا موجبا لغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه من الاتهام وسوء العقيدة
وكان مع ذلك مظنة لان يخدع كثيرا من اهل الطاعة لشدة حبهم لمن قتل منهم وتعاظم اسفهم عليهم كان انسب الاشياء
المبادرة الى الوعظ بما يزيل هذا الاثر ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مويدا باعظم الثبات لما طبع عليه
من الشيم الطاهرة والمحاسن الظاهرة كان الانسب البداة بغيره فنهى الذين امنوا عن الانخداع باقوالهم فقال
تعالى يا ايها الذين امنوا اي اظهروا الاقرار بالايمان صدقوا قولكم بان لا تكونوا كالذين كفروا اي بقلوبهم على
وجه الستر وقالوا اي ما فضحهم لاخوانهم اي لاجل اخوانهم الاعزة عليهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا اي سافروا
مطلق سفر في الارض اي لمتجر او غيره او كانوا غزى اي غزاة مبالغين في الغزو في سبيل الله بسفر او غيره جمع غاز
فماتوا او قتلوا لو كانوا عندنا اي لم يفارقونا ما ماتوا وما قتلوا وهذا في غاية التهكم بهم لان اطلاق هذا القول
منهم لا سيما على هذا التاكيد يلزم منه ادعاء انه لا يموت احد في المدينة وهو لا يقوله عاقل ولما كان هذا
القول محزنا اعتقاده وكتمانه علق سبحانه بقوله قالوا وبانتفاء الكون كالذين قالوا قوله ليجعل الله
اي الذي لا كفؤ له ذلك اي القول او الانفراد به عن مشارك حسرة في قلوبهم اي باعتقاده وعدم المواشي فيه
وعلى تقدير التعليق بقالوا يكون من باب التهكم بهم لانهم لو لم يقولوه لهذا الغرض الذي لا يقصده عاقل لكانوا قد قالوه
لا لغرض اصلا وذلك اعرق في كونه ليس من افعال العقلاء والله اي لا تكونوا كهم والحال او قالوا ذلك والحال ان

الذي

الذي له الاحاطة الكاملة يحيي اي من اراد في الوقت الذي يريده ويميت اي من اراد اذا اراد لا يغني حذره من
قدره والله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما بما تعملون اي بعملكم وبكل شي منه بصير وعلى كل شي منه قدير لا يكون شي منه
بغير اذنه ومتى كان على خلاف امره عاقب عليه ولما نهاهم عن قول المنافقين الداير على تمني المحال من دوام البقا
وكراهة الموت بين لهم ثمرة فوات انفسهم في الجهاد بالموت او القتل ليكون ذلك معدا لهم بما قال المنافقون موجبا
لتسليم الامر للخالق بل مجيبا فيه وداعيا اليه فقال ولين وهو حال اخرى من لا تكونوا قتلتم اي من اي قاتل كان
في سبيل الله اي الملك الاعظم او متم اي فيه مواتا على اي حالة كانت ولما كانت للنفوس غاية الجموح عن الموت
زاد في التاكيد فقال لمغفرة اي لذنوبكم تنالكم فهذا تعبد بالخوف من العقاب من الله اي الذي له نهاية الكمال
بما كنتم عليه من طاعته ورحمة اي لاجل ذلك وهو تعبد لطلب الثواب خير مما تجمعون اي مع البقا في الدنيا عند
اهل الشقا مع انه ما فاتكم شي من اعماركم ولما ذكر اشرف الموت باديا باشرفه ذكر ما دونه باديا بادناه فقال
ولين متم او قتلتم اي في اي وجه كان على حسب ما قدر عليكم في الازل لالى الله اي الذي هو متوفيكم لا غيره وهو ذو
الجلال والاكرام ان ينبغي ان يعبد لذاته ودل على عظمته بعد الدلالة بالاسم الاعظم بالبنا للمجهول فقال
تحشرون قال كان ذلك الموت او القتل على طاعته اثابكم والا عاقبكم والحاصل انه لا حيلة في دفع الموت على
حالة من الحالات قتل او غيره ولا في الحشر اليه سبحانه واما الخلاص من هول ذلك اليوم ففيه حيلة بالطاعة
والله الموفق وما احسن ما قال عنترة في نحوه وهو جاهلي فالمومن اولى منه بمثل ذلك

بكرت تخوفني الحتوف كانني ۞ اصبحت عن عرض الحتوف بمعزل ۞ فاجبتها ان المنية منهل
لا بد ان اسقى بدال المنهل ۞ فاقني حياءك لا ابا لك واعلمي ۞ اني امرؤ ساموت ان لم اقتل

ولما فرغ من وعظ الصحابة رضي الله عنهم اتبعه بحبيب النبي صلى الله عليه وسلم فيما فعل بهم من الرفق واللين مع ما
سبب الغضب الموجب للعنف والسطوة من اعتراض على ما اشار به ثم مخالفتهم لامره في حفظ المركز والصبر والتقوى
ثم خذلانهم له وتقديم انفسهم على نفسه الشريفة ثم عدم العطف عليه وهو يدعوهم اليه ويامر باقبالهم عليه ثم
اتهام من اتهمه الى غير ذلك من الامور التي توجب لروسا الجيوش وقادة الجنود اتهام اتباعهم وسوء الظن
بهم الموجب للغضب والايقاع ببعضهم ليكون ذلك زاجرا لهم عن العود الى مثله فقال تعالى فبما رحمة من الله الذي
له الكمال كله لنت لهم اي ما لنت لهم هذا اللين الخارق للعادة ورفقت بهم هذا الرفق بعد ما فعلوا بك الا بسبب
رحمة عظيمة من الحايز لجميع الكمال فقابلتهم بالجميل ولم تعنفهم بانهزامهم عنك بعد اذ خالفوا رايك وهم كانوا سببا
لاستخراجك والذي اقتضى هذا الحصر هو ما لا نهاية فيه في سياق الاثبات فلم يكن ان توجه الا الى ضد ما اثبته
السياق ودلت زيادتها على ان تنوين رحمة للتعظيم اي فبالرحمة العظيمة لا بغيرها لنت ولما بين سبحانه سبب
هذا اللين المتين بين ثمرته ببيان ما في ضده من الضرر فقال ولو كنت فظا اي سيي الخلق جافيا في القول غليظ
القلب اي قاسية تعاملهم بالعنف والجفا لانفضوا اي تفرقوا تفرقا قبيحا لا اجتماع معه من حولك اي ففات
المقصود من البعثة ولما اخبره تعالى انه هو عفا عنهم ما فرطوا في حقه امره بالعفو عنهم فيما يتعلق به صلى الله
عليه وسلم وبالاستمرار على مشاورتهم عند النوايب ليلا يكون خطاؤهم في الراي اولا في الخروج من المدينة وثانيا
في تضييع المركز وثالثا في اعراضهم عن الاثخان في العدو بعد الهزيمة الذي ما شرع القتال الا لاجله باقبالهم عن
النهب ورابعا في وهنهم عند كر العدو الى غير ذلك موجبا لترك مشاورتهم فيفوت ما فيها من المنافع في نفسها وفيما
تثمره من التالف والسنن وغير ذلك فقال تعالى فاعف عنهم اي ما فرطوا في هذه الكرة في حقك واستغفر لهم
اي الله لما فرطوا في حقه وشاورهم اي استخرج اراهم في الامر اي الذي تريده من امر الحرب تالفا لهم وتطييبا
لنفوسهم وليستن بك من بعدك فاذا عزمت اي بعد ذلك على امر فمضيت فيه وقراه من ضم التا للمتكلم بمعناها اي
فاذا فعلت انت امرا بعد المشاورة لاني فعلت فيه باني اردته فعل العازم ولما امر بالمشاورة التي هي النظر في
الاسباب امر بالاعتصام بمسببها من غير التفات اليها ليكمل جهاد الانسان بالملابسة ثم التجرد فقال فتوكل اي فيه
على الله اي الذي له الامر كله ولا يردك عنه خوف عاقبة كما فعلت بتوفيق الله في هذه الغزوة ثم علل ذلك بقوله
ان الله اي الذي لا كفو له يحب المتوكلين اي فلا يفعل بهم الا ما فيه اكرامهم وان راى غير ذلك ولما كان التقدير
فاذا فعلوا ما يحبه اعطاهم مناهم مما عزموا عليه لاجله استانف الاخبار بما يقبل بقلوبهم اليه ويقصر هممهم عليه
بان من نصره هو المنصور ومن خذله هو المخذول فقال تعالى ان ينصركم الله اي الذي له جميع العظمة فلا غالب لكم
اي ان كان نبيكم صلى الله عليه وسلم بينكم اولا فما لكم وهنتم لما صاح ابليس ان محمدا قد قتل وهلا فعلتم كما فعل
سعد بن الربيع رضي الله عنه وكما فعل انس بن النضر رضي الله عنه حين قال موتوا على ما مات عليه نبيكم صلى الله
عليه وسلم فهو اعذر لكم عند ربكم وان يخذلكم اي بامكان العدو منكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من نبي او غيره
ولما كان التقدير فعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين عطف عليه قوله وعلى الله اي الملك الاعظم وحده لا على
نبي ولا على قوة بعدد ولا بمال من غنيمة ولا غيرها فليتوكل المومنون اي كلهم فيكون ذلك امارة صحة ايمانهم ولما

كان الغلول من اعظم موجبات الخذلان او اعظمها والنزاهة عنه من اعظم موجبات النصر كان انسب الاشيا تعقيب هذه
الآية بآية الغلول بيانا لانه كان سبب هزيمتهم في هذه الغزوة فانه لا يخذل الا بالذنوب ومن اعظم الذنوب الموجبة
للخذلان الغلول فيكون المراد بتنزيهه صلى الله عليه وسلم عنه والله اعلم ان اقبالهم على نهب الغنايم قبل وقته اما ان
يكون لقصد ان يغلوا باخفا ما انتهبوه او بعضه واما ان يكون للخوف من ان يغل رييسهم وحاشاه واما ان يكون للخوف
من مطلق الخيانة بان لا يقسمه صلى الله عليه وسلم بينهم على السوا وحاشاه من كل من ذلك واما المبادرة الى النهب
لغير هذا القصد فخفة وطيش وعبث لا يصوب عاقل اليه اذا تقرر هذا فيمكن ان يكون التقدير فليتوكلوا في كبت
العدو وتحصيل ما معه من الغنايم فلا يقبلوا على ذلك اقبالا يتطرق منه احتمال لظن السوء بهاديهم في ان يغل وهو
الذي اخبرهم بتحريم الغلول وبانه سبب للخذلان وما نهى صلى الله عليه وسلم قط عن شي الا كان اول تارك له وبعيد
منه وما كان ينبغي لهم ان يفتحوا طريقا الى هذا الاحتمال فعبر عن ذلك بقوله عطفا على وكاين من نبي وما كان اي
ما ياتي وما صح في وقت من الاوقات ولا على حالة من الحالات لنبي اي اي نبي كان فضلا عن سيد الانبيا وامام الرسل
ان يغل تبشيعا لفعل ما يودي الى هذا الاحتمال زجرا عن معاودة مثل ذلك الفعل المودي الى تجويز شي مما ذكر وعلى
قراة الجماعة غير ابن كثير وابي عمرو بضم اليا وفتح العين مجهولا من اغل المعنى وما كان له وما صح ان يوجد غالا او ينسب
الى الغلول او يظن به ما يودي الى ذلك ويجوز ان يكون التقدير بعد الامر بالتوكل على الله وحده فلا تاتوا ان كنتم مومنين
بما يقدح في التوكل كالغلول وما يدانيه فتخذلوا فانه ما كان لكم ان تغلوا وما كان اي ما جل لنبي اي من الانبيا قط
ان يغل اي لم اخصكم بهذه الشريعة بل ما كان في شرع نبي قط اباحة الغلول فلا تفعلوه ولا تقاربوه بنحو الاستباق
الى النهب فان ذلك يسلب كمال التوكل فانه من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه فيوجب له الخذلان روى الطبراني
في الكبير قال الهيثمي ورجاله ثقات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشا فردت
رايته ثم بعث فردت ثم بعث فردت بغلول راس غزال من ذهب فنزلت وما كان لنبي ان يغل ولما كان فعلهم ذلك محتملا
لقصدهم الغلول ولخوفهم من غلول غيرهم عمم في التهديد بقوله ومن يغلل اي يقع منه ذلك كاينا من كان يات بما غل
يوم القيمة ومن عرف كلام اهل اللغة في الغلول عرف صحة قولي انه لمطلق الخيانة وانه يجوز ان يكون التقدير وما كان
لاحد ان يفعل ما يودي ولو على بعد الى نسبة نبي الى غلول قال صاحب القاموس اغل فلانا نسبه الى الغلول والخيانة
وغل غلولا خان كاغل او خاص بالفي وقال الامام عبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي اغل الرجل اغلالا اذا خان فهو
مغل وغل في المغنم يغل غلولا وقرى ان يغل وان يغل فمن قرا يغل اراد يخون ومن قرا يغل اراد يخان ويجوز ان يريد لا
ينسب الى الخيانة وكل من خان شيا في خفا فقد غل يغل غلولا ويسمى الخاين غالا وفي الحديث لا اغلال ولا اسلال الاغلال
الخيانة في كل شي وغللت الشي اغله غلا اذا سترته قالوا ومنه الغلول في المغنم انما اصله الرجل كان اذا اخذ منه شيا
ستره في متاعه فقيل للخاين غال ويغل ويقال غللت الشي في الشي اذا ادخلته فيه وقد انغل اذا دخل في الشي وقد انغل
في السحر دخل انتهى فهذه الآية نهي للمومنين عن الاستباق الى المغنم على طريق الاشارة ختم بها الوعظ الذي في اواخر القصة
كما ان آية الربا نهي عنه على طريق الاشارة فتح بها الوعظ الذي في اوايل القصة فقد اكتنف التنفير من الغلول الذي هو
سبب الخذلان في هذه الغزوة بخصوصها لمباشرة ما هو مظنة له وفي الغزو مطلقا طرفي الوعظ فيها ليكون من اوايل
ما يقرع السمع واواخره ولما كان ثمرة الاتيان به الجزا عليه عمم الحكم تنبيها على ان ذلك اليوم يوم الدين فلا بد من الجزا
فيه وتصويرا له تبشيعا للفضيحة فيه بحضرة الخلق اجمعين وزاد في تعظيمه وتعظيم الجزا فيه باداة التراخي وتضعيف
الفعل فقال معمما الحكم ليدخل الغلول من باب الاولى ثم توفى اي في ذلك اليوم العظيم وبناه للمجهول اظهارا لعظمته
على طريق كلام القادرين كل نفس اي غالة وغير غالة ما كسبت اي ما لها فيه فعل ما من خير او شر وافيا مبالغا في
تحذير وفايه وهم لا يظلمون اي لا يقع عليهم ظلم في شي منه بزيادة ولا نقص ولما اخبر تعالى انه لا يقع في ذلك اليوم
ظلم اصلا تسبب عنه الانكار على من حدثته نفسه بالاماني الكاذبة فظن غير ذلك من استوا حال المحسن وغيره
او فعل فعلا او قال قولا يودي الى ذلك كالمنافقين وكالمقبلين على الغنيمة فقال تعالى افمن اتبع اي طلب بجد واجتهاد
رضوان الله اي ذي الجلال والاكرام بالاقبال على ما امر الصادق فصار الى الجنة ونعم المصير كمن باء اي رجع من تصرفه
الذي يريد به الربح او حل واقام بسخط من الله اي الملك الاعظم بان فعل ما يقتضي السخط بالمخالفة ثم الاجار لولا
العفو وماواه جهنم اي جزا بما جعل اسباب السخط ماواه وبيس المصير اي هي ولما افهم الانكار على من سوى بين
الناس انهم متمايزون صرح بذلك في قوله هم درجات اي متباينون تباين الدرجات ولما كان اعتبار التفاوت
ليس بما عند الخلق قال عند الله اي الملك الاعلى في حكمه وعلمه وان خفي ذلك عليكم لان الله خلقهم فهو عالم بهم حين خلقهم
والله اي الذي له جميع صفات الكمال بصير اي بالنصر والعلم بما يعملون اي بعد ايجادهم لان ذلك ايضا خلقه وتقديره
وليس لهم فيه الا نسبته اليهم بالكسب فهو يجازيهم بحسب تلك الاعمال فكيف يتخيل انه يساوي بينهم في المآل وقد فاوت
بينهم في الحال وهو الحكم العدل فعلم بما في هذا الختام من احاطته بتفاصيل الاعمال صحة ما ابتدي به الكلام من التوفية
ولما ارشدهم الى هذه المراشد وبين لهم بعض ما اشتملت عليه من الفوايد وبان بهذه القصة قدر من اسدى اليهم ذلك

على لسانه صلى الله عليه وسلم بما له من الفضائل التي من اعظمها كونه من جنسهم يميل اليهم ويرحمهم ويعطف عليهم فيا لعنونه فيعلمهم بنبه على ذلك سبحانه ليستمسكوا بعزوة ولا يلتفتوا لحظه عن لزوم هديه فقال تعالى موكدا لما اقتضاه الحال من فعل يلزم منه النسبة الى العقول لقد من الله اي ذو الجلال والاكرام على المومنين خصهم لانهم المجتنون لهذه النعمة اذ بعث فيهم اي فيما بينهم او بسببهم رسولا وزادهم رغبة فيه بقوله من انفسهم اي نوعا وصنفا يعلمون امانته وشرفه وصيانته ومعاليه وطهارته قبل النبوة وبعدها يتلوا عليهم اياته اي فيحوا ببركة نفس التلاوة كبير اثر شر الجان وغيرها مما ورد في منافع القران مما عرفناه ومالم نعرفه اكثر ويزكيهم اي يطهرهم من اوضار الدنيا والاوزار بما يفهمه الثاقب من دقايق الاشارات وتواطن العبارات وقدم التزكية لاقتضاء مقام المعاتبة على الاقبال على الغنيمة ذلك كما مضى في سورتها بقرة ويعلمهم الكتاب اي تلاوة بكونه من نوعهم يلذ لهم التلقي منه والحكمة تفسيرا وابانة وتحريرا وان اي والحال انهم كانوا ولما كانوا قد مرت لهم ازمان وهم على دين ابيهم اسمعيل عليه الصلوة والسلام نبه على ذلك بادخال الجار فقال من قبل اي من قبل ذلك لفي ضلال مبين اي ظاهر وهو من شدة ظهوره كالذي يبادي على نفسه بايضاح لبسه وفي ذلك اعظم اشارة الى انه عليه الصلوة والسلام علمهم من الحكمة في هذه الوقعة ما اوجب نصرتهم في اول النهار فلما خالفوه حصل الخذلان ولما انال شبهة النسبة الى الغلول بحذافيرها واثبت حالة من اضداد ما من معالي الشيم وشمايل الكرم صوب الى شبهة قولهم لو كان رسولا ما انهزم اصحابه عنه فقال تعالى اولما اي اتركتم ما ارشدكم اليه الرسول الكريم الحليم العليم الحكيم ولما اصابتكم اي في هذا اليوم مصيبة لمخالفتكم امره واعراضكم عن ارشاده قد اصبتم مثليها اي في بدر وانتم في لقاء العدو كانما تساقون الى الموت على اضد مما كنتم فيه في هذه الغزوة وما كان ذلك الا بامتثالكم لامره وقبولكم لنصحه قلتم انى من اين وكيف اصابنا هذا اي بعد وعدنا النصر قل هو من عند انفسكم اي لان الوعد كان معتدا بالصبر والتقوى وقد تركتم المركز واقبلتم على الغنايم قبل الامر به وعن علي رضي الله عنه ان ذلك باختيارهم الفدا يوم بدر الذي نزل فيه لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم واباح لهم سبحانه الفدا بعد ان عاتبهم وشرط عليهم ان اختاروه ان يقتل منهم في العام المقبل بعدد الاسرى فرضوا وقالوا لنستعين بما ناخذه منهم عليهم ثم نرزق الشهادة ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الذي لا كفوء له على كل شيء اي من النصر والخذلان ونصب اسباب كل منهما قدير وقد وعدكم بذلك سبحانه في العام الماضي حين خيركم فاخترتم الفدا وخالف من خالف منكم الان فكان ذكر المصيبة التي كان سببها مخالفة ما رتبه صلى الله عليه وسلم بعد ختم الاية التي قبلها بالتذكير بما كانوا عليه من الضلال على ما تري من البلاغة ولما كانت نسبة المصيبة اليهم ربما اوهمت من لم ترسخ قدمه في المعارف الالهية ان بعض الافعال خارج عن مراده تعالى قال وما اصابكم ولما استغرقت الحرب ذلك اليوم نزع الجار فقال يوم التقى الجمعان اي حزب الله وحزب الشيطان في احد فباذن الله اي بتمكين من له العظمة الكاملة وقضايه واثبات ان ذلك باذنه نحو ما ذكر عند التولية يوم التقى الجمعان من نسبة الاحياء والاماتة اليه ولما كانا التقدير ليوديكم به عطف عليه قوله وليعلم المومنين اي انصادقين في ايمانهم ولما كان تعليق الحكم بالشيء على حدته اتم واكد من تعليقه به مع غيره اعاد العامل لذلك واشعارا بان اهل النفاق اسفل رتبة من ان يجتمع وامع المومنين في شيء فقال وليعلم الذين نافقوا اي علما تقوم به الحجة في مجاري عاداتكم وهذا مثل قوله هناك وليبتلي الله ما في صدوركم الاية وعطف على قوله نافقوا ما اظهر نفاقهم او يكون حالا من فاعل نافقوا فقال وقيل لهم تعالوا قاتلوا اي اوجدوا القتال في سبيل الله اي الذي له الكمال كله بسبب تسهيل طريق الرب الذي تشهد او ادفعوا اي عن انفسكم واحيائكم على عادة الناس لا سيما العرب قالوا لو نعلم اي نتبين قتالا اي انه يقع قتال لاتبعناكم اي لكنه لا يقع فيما نظن قتال ورجعوا ولما كان هذا الفعل المستند الى هذا القول ظاهرا في نفاقهم ترجمه بقوله هم للكفر يومئذ اي يوم اذ كان هذا حالهم اقرب منهم للايمان عند كل من سمع قولهم او راي فعلهم ثم علل ذلك او استانف بقوله مقررا بالاهواء الى منها ما هو ابعد من اللسان لكونهم منافقين فقولهم الى اصوات الحيوان اقرب منه الى كلام الانسان ذي العقل واللسان يفمون يقولون بافواههم ولما انهم هذا انه لا يجاوز السنتهم فلا حقيقة له ولا ثبات عندهم صرح به في قوله ما ليس في قلوبهم بل لا شك عندهم في وقوع القتال علم الله هذا منهم كما علموه من انفسهم والله اي الذي له الاحاطة الكاملة اعلم اي منهم بما يكتمون اي كله لانه يعلمه قبل كونه وهم لا يعلمونه الا بعد كونه واذا كان لشيء بتطاول الزمان وهو سبحانه لا يشاء ولما حكي عنهم ما لا يقوله ذو ايمان ابتعه ما لا يتخيله ذو مروة ولا عرفان فقال مبينا للذين نافقوا الذين قالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم والحال انهم قد اسلموهم وقعدوا اي عنهم خذلانا لهم لو اطاعونا اي في الرجوع ما قتلوا ولما كان هذا موجبا للعتب اشار اليه باعراضه في قوله قل اي لهولاء الاجانب الذين هم بمنزلة الغيبة عن حضرتي لما تسبب عن قولهم هذا من ادعا القدرة على دفع الموت فادرأوا اي ادفعوا بعزمكم منعه ومتلوا عن انفسكم الموت اي حتى لا يصل اليكم اصلا ان كنتم صادقين اي في ان الموت يغني منه حذر فقد انتظم الكلام بما قبل الجملة الواعظة اتم انتظام على انه قد لاح لك ان ملائمة اجمل الواعظة لما قبلها وما بعدها ليس بدون ملائمة ما قبلها من صلب القصة لما بعدها منه ولما ازاح سبحانه العلل وشفى الغلل وختم بانه لا مفر من القدر فلم يبق عند اهل

الايمان الا ما طبع عليه الانسان من الاسف على فقد الاخوان وكان سرور المفقود يبرد غلة الموجود بشرهم بحياتهم وما نالوه
من لذاتهم ولما كان العرب بعيدين قبل الاسلام من اعتقاد الحيوة بعد الموت خاطب الذي لا ريب في علمه بذلك اشارة الى انه
لا يفهمه حق فهمه سوا كما اشار اليه قوله في البقرة ولكن لا تشعرون فقال تعالى عاطفا على قل مجيبا في الجهاد ازالة لما يفضه
به المنافقون ~~من انه سبب المنافقون~~ من انه سبب الموت ولا تحسبن الذين قتلوا اي وقع لهم القتل في هذه الغزوة او غيرها في
سبيل الله اي الملك الاعظم والله اعلم بمن يقتل في سبيله امواتا اي الآن بل هم احياء وبين زيادة شرفهم معبرا عن تقربهم بقوله
عند ربهم اي المحسن اليهم في كل حال قتلهم فيه حياة ليست كالحيوة الدنيوية وحقق حياتهم بقوله يرزقون اي رزقا يليق بحيوتهم
فرحين بما اتاهم الله اي الحاوي لجميع الكمال من ذلك الفوز الكبير من فضله لانه لو حاسبهم على اقل نعمة من نعمه لم توف جميع اعمالهم
بها لان اعمالهم من نعمة فاعلمنا سبحانه بهذا تسلية وحسن تعزية انه لم يفت منهم الا حيوة الكدر التي لا مطمع لاحد في بقائها وان
طال المدى وبقيت لهم حيوة الصفا التي لا انفكاك لها ولا آخر لنعيمها نعم يلحقهم ولا فتنة تنالهم ولا حزن يعتريهم ولا دهش
يلم بهم في وقت الحشر ولا غيره فلا غفلة لهم فكان ذلك مذهبا لحزن من خلفوه ومرغبا لهم في الاسباب الموصلة الى مثل حالهم
وهذا والله اعلم معنى الشهادة اي انهم ليست لهم حالة غيبة لان دائم الحيوة بلا كدر اصلا كذلك ولما ذكر سرورهم بما
نالوه ذكر سرورهم بما علموه لمن هو على دينهم فقال ويستبشرون اي توجد لهم البشرى وجودا عظيم الثبات حتى كانهم
يوجدونها كلما ارادوا بالذين لم يلحقوا بهم اي في الشهادة في هذه الغزوة ثم بين ذلك بقوله من خلفهم اي في الدنيا ثم
بين المبشر به فقال ان لا خوف عليهم اي على اخوانهم في اخرتهم ولا هم يحزنون اي اصلا لانه لا يفقد منه شي بل هم كل لحظة
في زيادة وهذا اعظم البشرى لمن تركوا على مثل حالهم من المومنين لانهم يلحقونهم في مثل ذلك لان السبب واحد وهو منحة الله
بالقتل فيه او مطلق الايمان لمطلق ما هم فيه من السعادة بغير قيد الشهادة ولما ذكر سرورهم لانفسهم تارة ولاخوانهم
اخرى كرره تعظيما له واعلاما بانه في الحقيقة عن غير استحقاق وانما هو مجرد من فقال يستبشرون بنعمة من الله اي ذي
الجلال والاكرام كبيرة وفضل اي منه عظيم وان الله اي الملك الاعظم الذي لا يقدره احد حق قدره لا يضيع اجر المومنين
اي منهم ومن غيرهم بل يوفيهم اجرهم على اعمالهم ويفضل عليهم ولو شاء لحاسبهم على سبيل العدل ولو فعل ذلك لم يكن لهم
شي ولما ذم المنافقين برجوعهم من غير ان يصيبهم قرح ومدح احوال الشهدا ترغيبا في الشهادة واحوال من كان على
مثل حالهم ترغيبا في النسخ على منوالهم وختم بتعليق السعادة بوصف الايمان اخذ يذكر ما اثمر لهم ايمانهم من المبادرة الى
الاجابة الى ما يندبهم اليه صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه لم يحمل على التخلف عن امره من غير عذر الا صريح النفاق فقال
الذين استجابوا اي اوجدوا الاجابة في الجهاد ايجادا موكدا محققا ثابتا بما عندهم من خالص الايمان لله والرسول اي لا لغرض
مغنم ولا غيره ثم عظم صدقهم بقوله مثبتا الجار لارادة ما ياتي من احدى الغزوتين لاستغراق ما بعد الزمان من بعد ما
اصابهم القرح ولما كان تعليق الاحكام بالاوصاف حاملا على التجلي بها عند المدح قال تعالى للذين احسنوا وعبر بما يصلح
للبيان والبعض ليدوم رغبهم ورهبهم فقال منهم واتقوا اجر عظيم وهذه الايات من تتمة هذه القصة سوا قلنا انها اشارة
الى غزوة حمرا الاسد وغزوة بدر الموعد فان الوعد كان يوم احد والله الهادي ومما يجب التنبيه له ان البيضاوي
قال تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى بدر الموعد في سبعين راكبا وفي تفسير البغوي ان ذلك كان في حمراء
الاسد فان حمل على ان الركبان من الجيش كان ذلك عددهم وان الباقين كانوا مشاة فلعله والا فليس كذلك اما في حمراء
الاسد فان النبي صلى الله عليه وسلم بلغه ان المشركين هموا بعد انفصالهم من احد بالرجوع ان يرهبهم وان يريهم من نفسه
واصحابه قوة فنادى مناديه يوم الاحد الغد من يوم احد بطلب العدو وان لا يخرج معه الا من كان حاضرا معه بالامس
فاجابوا بالسمع والطاعة فخرج في اثرهم واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم ولا يشك في انهم اجابوا كلهم ولم يتخلف منهم احد
وقد كانوا في احد نحو سبعماية ولم ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج معه لاحد لم يشهد القتال يوم احد واستا
رجال لم يشهدوها فمنعهم الا ما كان من جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فانه اذن له لعلة ذكرها في التخلف عن احد محمودة
قال الواقدي رحمه الله ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل من الامس فدفعه الى علي رضي الله عنه
ويقال الى ابي بكر رضي الله عنه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه مشجوج وهو مجروح في وجهه اثر الحلقتين
ومشجوج في جبهته في اصول الشعر ورباعيته قد شظيت وشفته قد كلمت من باطنها وهو متوهن منكبه الايمن بن قمية
وركبتاه مجحوشتان بابي هو وامي ووجهي وعيني فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فركع ركعتين والناس قد حسدوا
ونزل اهل العوالي حيث جاءهم الصريخ ثم ركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين فدعا بفرسه على باب المسجد وتلقاه
طلحة رضي الله عنه وقد سمع المنادي فخرج ينظر متى يسير فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه الدرع والمغفر وما
يرى منه الا عيناه فقال يا طلحة سلاحك قال قلت قريب قال فاخرج اعدو فالبس درعي ولانا اهم بجراح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مني بجراحي ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على طلحة فقال اين ترى القوم الآن قال
هم بالسيالة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ظننت اما انهم يا طلحة لن ينالوا منا مثل امس حتى يفتح
الله مكة علينا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى عسكر بحمراء الاسد قال جابر رضي الله عنه وكان عامة
زادنا التمر وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلثين بعيرا حتى وافت الحمراء وساق جزرا فنحروا في يوم ثنتين وفي يوم ثلثا

وكان

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرهم في النهار بجمع الحطب فاذا امسوا امر ان توقد النيران فيوقد كل رجل نارا
فلقد كنا تلك الليالي نوقد خمسماية نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب ذكر معسكرنا ونيراننا في كل وجه حتى كان ما كتب
الله به عدونا فهذا ظاهر في انهم كانوا خمسماية رجل والله اعلم ويويد ذلك ما نقل من اخبار المثقلين بالجراح قال
الواقدي رحمة الله عليه جا سعد بن معاذ رضي الله عنه والجراح في الناس فاشبه عامة بني عبد الاشهل جريح بل كلهم رضي الله
عنهم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان تطلبوا عدوكم قال يقول اسيد بن حضير رضي الله عنه وبه سبع
جراحات وهو يريد ان يداويها سمعا وطاعة لله ولرسوله فاخذ سلاحه ولم يعرج على دوا جراحه ولحق برسول الله صلى
الله عليه وسلم وجا سعد بن عبادة رضي الله عنه قومه بني ساعدة فامرهم بالمسير فلبسوا ولحقوا وجا ابو قتادة رضي الله
عنه اهل جربا وهم يداوون الجراح فقال هذا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم بطلب العدو فوثبوا الى سلاحهم
وما عرجوا على جراحاتهم رضي الله عنهم فخرج من بني سلمة رضي الله عنهم اربعون جريحا وبالطفيل بن النعمن رضي الله عنه
ثلثة عشر جرحا وبقطبة بن عامر بن حديدة رضي الله عنه تسع جراحات حتى وافوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهم
والجراح فيهم فاشية قال اللهم ارحم بني سلمة وحدث ابن اسحق والواقدي ان عبد الله بن سهل ورافع بن سهل رضي
الله عنهما كان بهما جراح كثيرة فلما بلغهما النداء قال احدهما لصاحبه والله ان تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم لغبن والله ما عندنا دابة نركبها وما ندري كيف نصنع قال عبد الله انطلق بنا قال رافع لا والله ما بي مشي قال
اخوه انطلق نتجار فخرجا يزحفان فضعف رافع فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبة ويمشي الاخر عقبة حتى اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند العشاء وهم يوقدون النيران فاتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى حرسه تلك الليلة
عباد بن بشر فقال ما حبسكما فاخبراه بعلتهما فدعا لهما بخير وقال ان طالت بكم مدة كانت لكم مراكب من خيل وبغال وابل
وليس ذلك بخير لكم واما غزوة بدر الموعد فروى الواقدي ومن طريقه الحاكم في الاكليل كما حكاه ابن سيد الناس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج في هذه الغزوة في الف وخمسماية من اصحابه رضي الله عنهم وكانت الخيل
عشرة قال الواقدي واقبل رجل من بني ضمرة يقال له مخشي بن عمرو فقال والناس مجتمعون في سوقهم واصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الموسم يا محمد لقد اخبرنا انه لم يبق منكم احد فما اعلمكم الا اهل الموسم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليرفع ذلك الى عدوه ما اخرجنا الا موعد ابي سفين وقتال عدونا وان شئت مو ذلك نبذنا اليك
والى قومك العهد ثم جالدناكم قبل ان نبرح من منزلنا هذا فقال الضمري بل نكف ايدينا عنكم ونتمسك بحلفك ولما
كان قول نعيم بن مسعود او ركب عبد القيس عند الصحابة رضي الله عنهم صدقا لا شك فيه لما قام عندهم من القراين
فكان بمنزلة المتواتر الذي تمالا عليه الخلايق وكانت قريش اعلى الناس شجاعة واوفاهم قوة واعرقهم اصالة فكانوا
كانهم جميع الناس كان التعبير بصيغة العموم في قوله الذين قال لهم الناس اي نعيم او ركب عبد القيس ان الناس
يعني قريشا قد جمعوا لكم فاخشوهم امدح للصحابة رضي الله عنهم من التعبير عمن اخبرهم ومن جمع لهم بخاص اسمه او وصفه
ولما كان الموجب لاقدامهم على اللقاء بعد هذا القول الذي لم يشكوا في صدقه ثبات الايمان وقوة الايقان قال
تعالى فزادهم اي هذا القول ايمانا لانه ما ثناهم عن طاعة الله ورسوله وقالوا ازدرا بالخلايق بالاعتماد على الخالق
حسبنا اي كافينا الله اي الملك الاعلى في القيام بمصالحنا ولما كان ذلك هو شان الوكيل وكان في الوكلاء من يذم قال
ونعم الوكيل اي الموكول اليه المفوض اليه جميع الامور روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذه
الكلمة قالها ابرهيم عليه السلام حين القي في النار حسبي الله ونعم الوكيل ولما كان اعتمادهم على الله سببا لفلاحهم قال
فانقلبوا اي فكان ذلك سببا لانهم انقلبوا اي من الوجه الذي ذهبوا فيه مع النبي صلى الله عليه وسلم بنعمة وعظمها
باضافتها الى الاسم الاعظم فقال من الله اي الذي له الكمال كله وفضل اي من الدنيا ما طار لهم من طيب الثناء بصدق
الوعد ومضا العزم وعظيم الغنا والجراة الى ما نالوه عند ربهم حال كونهم لم يمسسهم سوء اي من العدو الذي خوفوه
ولا غيره واتبعوا اي مع ذلك بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغاية جهدهم رضوان الله اي الذي له الجلال
والجمال فحازوا اعظم فضله والله اي الذي لا كفو له ذو فضل عظيم اي في الدارين على من يرضيه فستنظرون فوق
ما تومّلون فليبشر المجيب ويغتم ويحزن المتخلف ولعظم الامر كرر الاسم الاعظم كثيرا ولما جراهم سبحانه على امثال ذلك
بما وقع لهم من فوزهم بالسلامة والغنيمة بفضل من حاز اوصاف الكمال وتنزه عن كل نقص بما له من رداء الكبرياء
والجلال ورغبهم فيما لديه لتوليهم اياه اتبع ذلك بما يزيدهم بصيرة من ان المخوف لهم من كيده ضعيف وامره هين خفيف
واه سخيف وهو الشيطان وبيان ذلك مساق التعليل لما قبله من حيازتهم للفضل وبعدهم عن السوء بان وليهم الله
وعدوهم الشيطان فقال التفاتا اليهم بزيادة في تنشيطهم او تشجيعهم وتثبيتهم انما ذلكم اي القايل الذي تقدم انه
الناس الشيطان اي الطريد البعيد المحترق ولما نسب القول اليه لانه الذي زينه لهم حتى اشربته القلوب وامتلات
به الصدور كان كانه قيل فماذا عساه يصنع فقال يخوف اي يخوفكم اولياءه لكنه اسقط المفعول الاول اشارة الى ان
تخويفه يؤول الى تخويف اوليائه لان اولياء الرحمن اذا ثبتوا لاجله انجز لهم ما وعدهم من النصرة على اولياء الشيطان
والى ان من خاف من تخويفه وعمل بموجب خوفه ففيه ولاية له تصحح اضافته اليه قلت او كثرت ولما كان المعنى انه

بعير ابي عنبة على راس الثنية عليهم السلاح قد صفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صح

قالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم وقال كان اخر كلمة قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار صح

مثل ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ياخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه يقول انا مالك انا كنزك
ثم تلا هذه الآية ولما كان هذا طلبا منهم للانفاق وكان الطالب منا محتاجا الى ما يطلبه وكان ذو المال اذا علم انه
ذاهب وان ماله موروث عنه تصرف فيه اخبر تعالى بغناه على وجه يحدوهم على الانفاق فقال عاطفا على ما تقديره
لانه ثمرة كونه من فضله فلله كل ما في ايديهم ولله اي الذي له الكمال كله ميراث السموات والارض اي اللذين هذا مما فيهما
بان يبيد سبحانه جميع الاحياء وان املى لهم ويفني سائر ما وهبهم من الاعراض ويكون هو الوارث لذلك كله ولما كانت هذه
الجمل في الاخبار عن المغيبات دنيا واخرى وكان البخل من الافعال الباطنة التي يستطاع اخفاؤها ودعوى الاتصاف
بضدها كان الختم بقوله والله اي الملك الاعظم ولما كان كان منصب النبي صلى الله عليه وسلم الشريف في غاية
النزاهة حرف الخطاب الى الاتباع في قراءة غير ابن كثير وابي عمرو وهو ابلغ في الوعيد من تركه على مقتضى السياق من
الغيبة في قراءتهما وقدم الجار اشارة الى ان علمه باعمالهم بالغ الى حد لا تدرك عظمته لان ذلك ابلغ في الوعيد الذي اقتضاه
السياق بما تعملون خبير ولما كان العمل شاملا لتصرفات الجوارح كلها من القلب واللسان وسائر الاركان قال دالا على
خبرة السماع ما قالوه متجاوزين وهدة البخل الى حضيض القبح مريدين التشكيك لاهل الاسلام بما يوردونه من الشبه
قياسا على ما يعرفونه من انفسهم من انه كما تقدم لا يطلب الا محتاج لقد سمع الله اي الذي له جميع الكمال قول الذين قالوا اي
من اليهود ان الله اي الملك الاعظم فقير اي لطلبه القرض ونحن اغنياء لكونه يطلب منا وهذا رجوع منه سبحانه الى
اتمام ما نبه عليه قبل هذه القصة من بعض اهل الكتاب لاهل هذا الدين وحسدهم لهم وارادة تشكيكهم فيه للرجوع
عنه على اسنى المناهج واعلى الاساليب ولما تشوفت النفوس الى جزائهم على هذه العظيمة وكانت الملوك اذا علمت انتقاص
احد لها وهي قادرة عاجلته لما عندها من نقص الاذى بالغيظ قال سبحانه مهددا لهم مشيرا الى انه على غير ذلك سنكتب
اي على عظمتنا لاقامة الحجة عليهم على ما يتعارفونه في الدنيا ما قالوا اي من هذا الكفر وامثاله والسين للتاكيد ويجوز
ان يكون على بابها من المهلة للحث على التوبة قبل ختم رتب الشهادة وسياتي في الزخرف له مزيد بيان ولما كان هذا اجترا
على الخالق اتبعه اجترآهم على اشرف الخلايق فقال مشيرا باضافة المصدر الى ضميرهم وبجمع التكسير الدال على الكثير الى انهم
الناس تمردا وتمونا على ارتكاب العظايم وان الاجترا على اعظم انواع الكفر قد صار لهم خلقا وقتلهم الانبيا اي الذين اقمناهم
فيهم لتجديد ما اوهوه من بنيان دينهم ولما لم يكن في قتلهم شبه اصلا قال بغير حق فهو اعظم ذما مما قبله من التعبير بالفعل
المضارع في قوله ويقتلون الانبيا بغير حق ثم عطف على قوله سنكتب قوله ونقول بما لنا من الجلال ذوقوا
اي بما نمسكم به من المصايب في الدنيا والعقاب في الاخرى كما كنتم تذوقون الاطعمة التي كنتم تبخلون بها فلا تؤدون
حقوقها عذاب الحريق جزا على ما احرقتم به قلوب عبادنا ثم بين السبب فيه بقوله ذلك اي العذاب العظيم بما قدمت
ايديكم اي من الكفر بقتلهم وبغيره وان اي وبسبب ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال ليس بظلام اي بذي ظلم
للعبيد ولو لم يعذبكم لكان تركهم على صورة الظلم لمن عادوكم فيه واشتد اذاكم لهم ولما كان القربان من جنس النفقات
ومما يتبين به سماح النفوس وشحها حسن نظم اية القربان هنا بقوله رادا شبهة لهم اخرى ومبينا قتلهم الانبيا
الذين قالوا تقاعدا عما يجب عليهم من المسارعة بالايمان ان الله اي الذي لا امر لاحد معه عهد الينا وقد كذبوا في ذلك
ان لا نؤمن لرسول كاينا من كان حتى ياتينا بقربان اي عظيم نقربه لله تعالى فيكون متصفا بانه تاكله النار عند
تقريبه له وفي ذلك اعظم بيان لانهم ما ارادوا بقولهم ان الله فقير حيث طلب الصدقة الا التشكيك حيث كان التقرب
الى الله بالمال من دينهم الذي يتقربون الى الله به بل وادعوا انه لا يصح دين بغيره ولما افتروا هذا التشكيك امر
سبحانه بنقضه بقولهم قل قد جاءكم رسل فضلا عن رسول ولما كانت مدتهم لم تستغرق الزمان الماضي اثبت الجار فقال
من قبلي كزكريا وابنه يحيى وعيسى عليهم السلام بالبينات اي من المعجزات وبالذي قلتم اي من القربان فان الغنايم لم
تحل كما في الصحيح لاحد كان قبلنا فلم تحل لعيسى عليه السلام فلم تكن مما نسخه من احكام التورية وقد كانت تجمع فتنزل نار
من السماء فتاكلها الا ان وقع فيها غلول فلم قتلتموهم اي قتلتم اسلافكم ورضيتم انتم بذلك فشاركتموهم فيه ان كنتم صادقين
اي في انكم تؤمنون لمن اتاكم على الوجه الذي ذكرتموه وفي ذلك رد على الفريقين اليهود المدعين انهم قتلوه الزاعمين انه عهد
اليهم في الايمان بمن اتاهم بذلك والنصارى المسلمين لما ادعى اليهود من قتله المستلزم لكونه ليس باله ولما كانت
هذه السورة متضمنة لكثير من الدقايق التي اخفوها من كتابهم التي جعلوه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا وفي هذه الاية
بخصوصها من ذلك ما يقتضي تصديقه صلى الله عليه وسلم وكان سبحانه عالما بان اكثرهم يعاندون تسبب عن ذلك ان
سلاه في تكذيب المكذبين منهم بقوله فان كذبوك فكان كانه قيل هذا الذي اعلمتك به يوجب تصديقك فان لم يفعلوا
بل كذبوا فقد ولما كان السياق لاثبات مبالغتهم في العظمة والجفا والكفر وعدم الوفا وكانت السورة سورة التوحيد
والرسل متفقون عليه وقد اتى كل منهم فيه بانهى البيان وازال كل لبس اسقط تا التانيث لانها ربما دلت على نوع ضعف
فقال كذبت رسل ولما كانت تسلية الانسان بمن قاربه في الزمان اشد اثبت الجار فقال من قبلك اي فلك فيهم مسلاة
وبهم اسوة جاؤا بالبينات اي المعجزات والزبر اي من الصحف المضمنة للمواعظ والحكم الزواجر والرقايق التي تزبر
العالم بها عن المساوي والكتاب المنير اي الجامع للاحكام وغيرها الموضح لانه الصراط المستقيم ولما تقدم في قصة احد

يشوش بالخوف من اوليائه تسبب عن النهي عن خوفهم فقال فلا تخافوهم اي لان وليهم الشيطان وخافوني اي فلا تعصوا
امري ولا تتخلفوا ابدا عن رسولي ان كنتم مومنين اي مباعدين لاولياء الشيطان بوصف الايمان ولما مدح سبحانه
المسارعين في طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وختم ذلك بالنهي عن الخوف من اولياء الشيطان اعقبه بذم المسارعين
في الكفر والنهي عن الحزن من اجلهم ولما كانوا اكثر الناس كالمنافقين الراجعين عن احد ثم المقاتلين القائلين هل لنا من
الامر من شيء ارجعوا الى ابي عامر وعبد الله بن ابي لاخذ الامان من ابي سفين ثم ركب عبد القيس او نعيم بن مسعود ثم من استجاب
من اهل المدينة وارجف بما قالوا ونبط المومنين وكان ذلك مما يحظه بالبال تمادي ايام الكفر واهله غالبين ويقدح
في رجا قصر مدته ويوجب الحزن على ذلك قال تعالى قاصرا الخطاب على اعظم الخلق واشفقهم واحبهم في صلاحهم ۝
ولا يحزنك الذين يسارعون اي يسرعون اسراع من يسابق خصما في الكفر علل ذلك بقوله انهم لن يضروا الله اي الذي له جميع
العظمة شيئا اي دينه باذلال انصاره والقائمين به وحذف المضاف تفخيما له وترغيبا فيه حيث جعله هو المضاف اليه
ولما نفى ما خيف من امرهم كان مظنة السؤال عن الحامل لهم عن المسارعة فقيل جوابا يريد الله اي الذي له الامر كله ان لا
يجعل لهم حظا اي نصيبا في الاخرة ولما كانت المسارعة في ذلك عظيمة ختمت الاية بقوله ولهم عذاب عظيم قد عم
جميع ذواتهم لان المسارعة دلت على ان الكفر قد ملا ابدانهم ونفوسهم وارواحهم ولما كان قبول نعيم وركب عبد القيس
لذلك الجعل الذي هو من اسباب الكفر شرى للكفر بالايمان عقبت بقوله ان الذين اشتروا الكفر اي فاخذوه بالايمان
اي فتركوه واكد نفي الضرر وابده فقال لن يضر الله اي الذي لا كفو له شيئا لما يريد تعالى من الاعلاء للاسلام واهله وختمها
بقوله ولهم عذاب اليم لما نالوه من لذة العوض في ذلك الشرى كما هي العادة في كل متجدد من الارباح والفوايد ولما
كان مما اشترى به الكفر رجوع المنافقين عن احد الذي كان سببا للاملاء لهم قال تعالى ولا تحسبن الذين كفروا اي
بالله ورسوله ان ما نملي اي ان املانا اي امهالنا واطالتنا لهم خير لانفسهم ولما نفى عنهم الخير بهذا النهي تشوفت النفس
الى ما لهم فقال انما نملي لهم اي استدراجا ليزدادوا اثما وهو جميع ما سبق العلم الازلي بانهم يفعلونه فاذا بلغ النهاية
اوجب الاخذ ولما كان الرجوع المسفر عن السلامة مظنة لعزهم في هذه الدار الفانية عند من ظن حسن ذلك الراي
عوضوا عنه الاهانة الدايمة فقال تعالى ولهم عذاب مهين ولما كان مطلق المسارعة اعم منها بالعوض وهو اعم مما بالرجوع
جاء نظم الايات على ذلك ولما كشفت هذه الوقعة جملة من المغيبات من اعظمها تمييز المخلص فعلا او قولا من غيره اخبر تعالى
ان ذلك من اسرارها على وجه يشير الى النفي على المنافقين بتاخيرهم انفسهم بالرجوع وغيره فقال مشيرا بخطاب الاتباع
الى مزيد علمه صلى الله عليه وسلم وعلو درجته لديه وعظيم قربه منه سبحانه ما كان الله اي مع ما له من صفات الكمال ولما
كان ترك التمييز غير محمود عبر بفعل الوزر واظهر موضع الاضمار لاظهار شرف الوصف تعظيما لاهله فقال ليذر المومنين
اي الثابتين في وصف الايمان على ما انتم عليه من الاختلاط بالمنافقين ومن قاربهم من الذين امنوا على حال الاشكال ۝
للاقتناع بدعوى اللسان دليلا على الايمان حتى يميز الخبيث من الطيب بان يفضح المبطل وان طال ستره بتكاليف شاقة
واحوال شديدة لا يصبر عليها الا المخلص من العباد المخلصون في الاعتقاد وما كان الله لاختصاصه بعلم الغيب ليطلعكم
على الغيب اي وهو الذي لم يبرز الى عالم الشهادة بوجه لتعلموا به الذي في قلوبهم مع احتمال ان يكون الرجوع للعلة
التي ذكروها في الظاهر والقول لشدة الاسف على اخوانهم ولكن الله اي الذي له الامر كله يجتبي اي يختار اختيارا بليغا
من رسله من يشاء اي فيخبر على السنتهم بما يريد من المغيبات كما اخبر انهم برجوعهم للكفر اقرب منهم للايمان وانهم يقولون
بافواههم ولما تسبب عن هذا وجوب الايمان به قال فامنوا بالله اي في انه عالم الغيب والشهادة له الاسماء الحسنى
ورسله في انه ارسلهم وفي انهم صادقون في كل ما يخبرون به عنه ولما كان التقدير فانكم ان لم تؤمنوا كان لكم ما تقدم
من العذاب العظيم الاليم المهين عطف عليه قوله وان تومنوا اي بالله ورسله وتتقوا اي بالمداومة على الايمان
وما يقتضيه من العمل الصالح فلكم اجر عظيم اي منه انه لا يضركم كيد اعدائكم شيئا كما تقدم وعدكم به ولما كان من جملة
مباني السورة الانفاق وتقدم في غير اية مدح المتقين به وحثهم عليه وتقدم ان الكفار سارعوا في الكفر ابو سفين
بالانفاق في سبيل الشيطان على من يخذل الصحابة ونعيم او عبد القيس بالسعي في ذلك وكان المبادرون الى الجهاد قد تضمن
فعلهم السماح بما اتاهم الله من الانفس والاموال وكان الله تعالى قد اخبر بما لهم عنده من الحيوة التي هي خير من حياتهم التي اذهبوها
في حبه والرزق الذي هو افضل مما انفقوا في سبيله ذم الله الباخلين بالانفس والاموال في سبيل الله فقال رادا
الخطاب اليه صلى الله عليه وسلم لانه امكن لسروره واوثق في ايجاز الوعد ولا تحسبن اي انت يا خير البرية هذا على
قراءة حمزة وعند الباقين الفاعل الموصول في قوله الذين يبخلون اي عن الحقوق الشرعية بما اتاهم الله اي بجلاله
وعز كماله من فضله اي لاستحقاقهم له بخلهم هو خيرا لهم اي لتتميزهم المال بذلك بل هو اي البخل شر لهم لانهم مع جعل الله
البخل متلفة لاموالهم سيطوقون اي يفعل من يامره بذلك كائنا من كان بغاية السهولة عليه ما بخلوا به اي يجعل لهم
بوعد صادق لا خلف فيه بعد الاملاء لهم طوقا بان يجعل شجاعا اي حية عظيمة مهولة تلزم الانسان منهم محيطة بعنقه
تضربه في جانبي وجهه يوم القيمة لان الله يرثه منهم بعد ان كان خولهم فيه فيجعله بسبب ذلك التخويل عذابا عليهم روى
البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته

مثل

رجوع المنافقين وهزيمة بعض المومنين مما كان سبب ظفر الكافرين وغاب سبحانه ذلك عليهم بانهم هربوا من موجبات
السعادة والحيوة الابدية الي ما لا بد منه والي ذلك اشار قوله قل لو كنتم في بيوتكم ولين قتلتم في سبيل الله قل فادرؤا عن
انفسكم الموت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله وغير ذلك مما بكتهم به في رجوعهم حذر الموت وطلب امتداد العمر مع ما افتتح
به من ان موت هذا النبي الكريم وقتله ممكن كما كان من قبله من اخوانه من الرسل علي جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية
والاكرام وختم بالاخبار بانه وقع قتل كثير من الرسل فكان ذلك محققا لانه لا يصان من الموت خاص ولا عام مضموما الي ما
نشاهد من ذلك في كل لحظة صور ذلك الموت بعد ان صار مستحضرا للعيان تصويرا اوجب التصريح به اشارة الي ان حالهم
في هربهم ورجوعهم وما تبع ذلك من قولهم حال من هو في شك منه فقال تعالي كل نفس اي منفوسة من عيسي وغيره من اهل
الجنة والنار ذائقة الموت اي وهو المعني الذي يبطل معه تصرف الروح في البدن وتكون هي باقية بعد موته لان الذائق لا بد
ان يكون حال ذوقه حيا حساسا ومن يجوز عليه ذوق الموت يجوز عليه ذوق النار وهو عبد محتاج فالعاقل من سعي في النجاة
منها والانجا كما فعل الخلص الذين منهم عيسي ومحمد عليهما الصلوة والسلام وكان نظمها بعد الايات المقتضية لتوفية الاجور
بالاثابة عليها وانه ليس بظلام للعبيد شديد الحسن وذلك مناسب ايضا لختم الاية بالتصريح لتوفية الاجور يوم الدين
وان الزحزحة عن النار ودخول الجنة هو الفوز لا الشح في الدنيا بالنفس والمال الذي ربما كان سببا لامتداد العمر
وسعة المال بقوله وانما توفون اي تعطون اجوركم علي التمام جزاء علي ما عملتموه من خير وشر يوم القيمة واما ما يكون
قبل ذلك من نعيم القبر ونحوه فبعض لا وفاء فمن زحزح اي ابعد في ذلك اليوم ابعادا عظيما سريعا عن النار وادخل الجنة
فقد فاز اي بالحيوة الدايمة والنعيم الباقي والمعني ان كل نفس توفي ما عملت فتوفي انت اجرك علي صبرك علي اذاهم وكذا من
اطاعك وتجاوزهم علي ما فرطوا في حقك فيقذفون في غمرة النار وكان الحصر اشارة الي تقبيح اقبالهم علي الغنيمة وغيرها
من التوسع العاجل اي انما مقتضي الدين الذي دخلتم فيه هذا وذلك ترهيبا من الالتفات الي تعجل شي من الاجر في الدنيا كما قال
ابو بكر رضي الله عنه في اول اسلامه وجدت بضاعة بنسيئة ما وقعت علي بضاعة قط انفس منها وهي لا اله الا الله فالحاصل
انه كل نفس اي حذرة من الموت ومستسلمة ذائقة الموت اي فعلام الاحتراس منه بقعود عن الغزو او هرب من العدو
وانما توفون اجوركم اي يا اهل الاسلام الذي وعدتموها علي الاعمال الصالحة يوم القيمة اي فما لكم تريدون تعجلها باسراعكم
الي الغنايم او غيرها مما يريد في اعراض الدنيا فتكونوا ممن تعجل طيباته في الحيوة الدنيا فمن اي فحيث علم انه لا فوز في الدنيا
الا بما يقرب الي الله تسبب عن ذلك انه من زحزح عن النار اي بكونه وقر اجره ولم يتعجل طيباته وادخل الجنة اي بما
عمل من الصالحات فحاز الحيوة الدايمة مع الطيبات الباقية فقد فاز اي كل الفوز ولما صح انه لا فوز الا ذلك صح قوله
وما الحيوة الدنيا اي التي املي لهم فيها وازيلت عن الشهداء الا متاع الغرور اي المتاع الذي يدلس الشيطان امره علي
الناس حتي يغتروا به فيغبنوا بترك الباقي واخذ الاشياء الزايلة بانقضاء لذاتها والندم علي شواتها بالخوف من تبعاتها
وفي ذلك ايضا مناسبة من وجه آخر وهو انه لما سلاه سبحانه بالرسل الذين لازموا الصبر والاجتهاد في الطاعة حتي
ماتوا هم واممهم وتركوا ما كان بايديهم عاجزين عن المدافعة ولم يبق الا ملكه سبحانه وان الفريقين ينتظرون الجزاء فالرسل
لتمام الفوز والكفار لتمام الهلاك اخبر ان كل نفس كذلك ليجتهد الطايع ويقتصر العاصي وفي ذلك تعريض بالمنافقين
الذين رجعوا عن احد خوف القتل وقالوا عن الشهداء لو اطاعونا ما قتلوا اي ان الذي فررتم منه لا بد منه والحيوة التي
اثرتموها متاع يندم عليه من محضه للتمتع كما يندم المغرور الذي غر به فالسعيد من سعي في ان يكون موته في رضي مولاه
الذي لا محيص له عن الرجوع اليه والوقوف بين يديه ولما سلي الله سبحانه نبيه صلي الله عليه وسلم عن تكذيبهم له
بما لقي اخوانه من الرسل وبانه لا بد من الانقلاب اليه فيفوز من كان من اهل حزبه ويشقي من والي اعداه وذوي حزبه
اعاد التسلية علي وجه يشمل المومنين وشاقها مشاق الاخبار بحلول المصايب الكبار التي هي من شعاير الاخيار في دار
الاكدار المعلية لهم في دار القرار فقال موكدا لان الواقف في الخدمة ينكر ان يصيبه معبوده بسوء هذا طبع البشر
وان تطبع بخلافه وافاد ذكره قبل وقوعه تهوينه بتوطين النفس عليه وافاد بناؤه للمفعول ان المنكي البلاء لا كونه
من جهة معينة لتبلون اي تعاملون معاملة المختبر ليتبين المومن من المنافق في اموالكم اي بانواع الانفاق وانفسكم
اي بالاصابة في الجهاد وغيره فكما نالكم من الاذي بادني ليلحقكم بعده من الاذي ما امضيت به سنتي في خلص عبادي
وذوي محبتي وكان ايلاء ذلك للاية التي فيها الاشارة الي ان توفية الاجور للاعمال الصالحة مما ينيل الفوز مناسبا
من حيث الترغيب في كل ما يكون سببا لذلك من الصبر علي ما يبتلي به سبحانه من كل ما يامر به من التكاليف او ياذن
فيه من المصايب وقدم المال لانه كما قيل عديل الروح وربما هان علي الانسان الموت دون الفقر المودي الي الذل
بالشماتة والعار بما تقصر عنه يده بفقده من افعال المكارم وما احسن ذكر هذه الاية اثر قصة الحد التي وقع
فيها القتل بسبب الاقبال علي المال وكان ذكرها تعليلا لبغضة اهل الكتاب وغيرهم من الكفار ولما كان يومها
يوم بلاء وتمحيص كان ربما اطمع في العافية بعده فتوطنت النفس علي ذلك فاشتد انزعاجها بما ياتي من امثاله وليس
ذلك من اخلاق المشمرين اراد سبحانه توطين النفوس علي ما طبعت عليه الدار من الاثقال والاصار فاخبر ان البلاء لم
ينقض به بل لا بد بعده من بلايا وسماع اذي من ساير الكفار ورغب في شعاير المتقين الصبر الذي قدمه في اول السورة

ثم قبل قصة احد ونباها عليه معلما انه مما يستحق ان يعزم عليه ولا يتردد فيه فقال ولتسمعن اي بعد هذا
اليوم من الذين ولما كان المراد تسوية العالم بالجاهل في الذم نزه المعلم عن الذكر فبني للمفعول قوله اوتوا الكتاب
ولما كان ايتاؤهم له لم يستغرق الزمن الماضي ادخل الجار فقال من قبلكم اي من اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا
اي من الاميين اذى كثيرا اي من الطعن في الدين وغيره بسبب هذه الوقعة وغيرها وان تصبروا اي تتخلقوا بالصبر
على ذلك وغيره وتتقوا اي وتجعلوا بينكم وبين ما يسخط الله وقاية بان تغضوا عن كثير من اجوبتهم اعتمادا على ردهم
بالسيوف وانزال الحتوف فان ذلك اي الامر العالي الرتبة من عزم الامور اي الاشيا التي هي اهل لان يعزم على فعلها
ولا يتردد فيه ولا يعوق عنه عايق فقد ختمت قصة احد بمثل ما سيقت دليلا عليه من قوله قد بدت البغضاء
من افواههم الى ان ختم بقوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا وهذا ما اخبر به هنا بانه من عزم الامور
ولما قدم سبحانه في اوايل قصص اليهود انه اخذ على النبيين الميثاق بما اخذوا خبرهم انه من تولى بعد ذلك فهو الفاسق
ثم اخبر بقوله قد جاكم رسل من قبلي وان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك ان النبيين وفوا بالعهد وان كثيرا من اتباعهم
خان ثنى هنا بالتذكير بذلك العهد على وجه يشمل جميع العلما بعد الاخبار بسماع الاذى المتضمن لنقضهم للعهد فكان التذكير
بهذا الميثاق كالدليل على مضمون الاية التي قبلها وكانه قيل فاذكروا قولي لكم لتبلون واجعلوه نصب اعينكم لتوطنوا
انفسكم عليه فلا يشتد جزعكم بحلول ما يحل منه واذكروا اذ اخذ الله الذي لا عظيم الا هو ميثاق الذين ولما كانت الخيانة
من العالم اشنع وكان ذكر العلم دون تعيين المعلم كافيا في ذلك بني للمجهول قوله اوتوا الكتاب اي في البيان فخانوا فما
اذوا الا انفسهم واذا اذوا انفسهم بخيانة عهد الله كانوا في اذاكم اشد واليه اسرع او يكون التقدير واذكروا ما اخبرتكم
به عند ما انزله بكم واصبروا لتفوزوا واذكروا اذ اخذ الله ميثاق من قبلكم فضيعوه كيلا تفعلوا فعلهم فيحل بكم ما حل
بهم من الذل والصغار في الدنيا مع ما يدخر في الاخرة من عذاب النار هذا ما كان ظهر لي اولا ثم بان ان الذي لا معدل
عنه انه لما انقضت قصة احد وما تبعها الى ان ختمت بعد الوعظ بتحتم الموت الذي فر من فر منهم منه وخوف الباقين
امره بمثل ما تقدم انه جعلها دليلا عليه من بعض اهل الكتاب وما تبعه عطف على اذ المقدرة لعطف واذ غدوت عليها
قوله واذ اخذ الله اي اذكروا ذلك يدلكم على عداوتهم واذكروا ما صح عندكم من اخبار الله المشاهد باخبار من اسلم
من الاحبار والقسيسين ان الله اخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى بما اكد في كتبه وعلى السنة
رسله ليبيننه اي الكتاب للناس ولا يكتمونه اي نصيحة منهم ولرسوله ولايمة المومنين وعامتهم ليومنوا بالنبي المبشر
به فنبذوه اي الميثاق بنبذ الكتاب وراء ظهورهم حسدا لكم وبغضا وهو تمثيل لتركهم العمل به لان من ترك شيا وراه
نسيه واشتروا به ولما كان المثمن الذي اشتروه خسارة لا ربح فيه اصلا على العكس مما يدلوه على انه ثمن وكان الثمن
اذا نض زالت مظنة الربح منه عبر عنه بقوله ثمنا وزاد في بيان سفههم بقوله قليلا اي بالاستكثار من
المال والاستثمار للرياسة فكتموا ما عندهم من العلم بهذا النبي الكريم فبيس ما يشترون اي لانه مع فنايه اورثهم
العار الدايم والنار الباقية وعبر عن هذا الاخذ بالشرا اعلاما بلجاجهم فيه ونبه بصيغة الافتعال على مبالغتهم
في اللجاج ولما اخبر تعالى بانهم احتووا على المال والجاه بما كتموا من العلم واظهروا من خلافه المتضمن لمحبة اهل
دينهم فيهم وثنايهم عليهم بانهم على الدين الصحيح وانهم اهل العلم فهم اهل للاقتدا بهم قال تعالى مخبرا عن ما لهم تحيرا من
مثل حالهم على وجه يعم كل مراء لا تحسبن على قراة الجماعة بالغيب الذين يفرحون بما اتوا اي مما يخالف ظاهره
باطنه وتوصلوا به الى الاغراض الدنيوية من الاموال والرياسة وغير ذلك اي لا تحسبن انفسهم وفي قراة الكوفيين
ويعقوب بالخطاب المعنى لا يحسبنهم ايها الناظر لمكرهم ورواجهم بسببه في الدنيا واصلين الى خير ويحبون
ان يحمدوا اي يوجد الثنا بالوصف الجميل عليهم بما لم يفعلوا اي بذلك الباطن الذي لم يفعلوه قال ابن هشام
في السيرة ان يقول الناس علما وليسوا باهل علم لم يحملوهم على هدى ولا حق ولما تسبب عن ذلك العلم بهلاكهم
قال فلا يحسبنهم اي يحسبن انفسهم على قراة ابن كثير وابي عمرو بالغيب وعلى وضم البا وعلى قراة الجماعة المعنى لا
يحسبنهم ايها الناظر لهم بمفازة من العذاب بل هم بمهلكة منه ولهم عذاب اليم ولما اخبر بهلاكهم دل عليه بحال
من فاعل يحسب فقال تعالى ولله اي الذي له جميع صفات الكمال وحده ملك السموات والارض اي لا يقع في فكرهم
ذلك والحال ان ملكه محيط بهم وله جميع ما يمكنهم الانحياز اليه وله ما لا تبلغه قدرهم من ملك الخافقين فهو بكل
شي محيط والله اي الذي له جميع العظمة على كل شي قدير اي وهو شامل القدرة فمن كان في ملكه كان في قبضته ومن
كان في قبضته كان عاجزا عن التفصي عما يريد به لانه الحي القيوم الذي لا اله الا هو كما افتتح به السورة ولما
ذكر هذا الملك العظيم وختم بشمول القدرة دل على ذلك بالتنبيه على التفكر فيه الموجب للتوحيد الذي هو
المقصد الاعظم من هذه السورة الداعي الى الايمان الموجب للمفازة من العذاب لان المقصود الاعظم من انزال
القرآن تنوير القلوب بالمعرفة وذلك لا يكون الا بغاية التسليم وذلك هو اتباع الملة الحنيفية وهو متوقف على
صدق النبي صلى الله عليه وسلم فبدا سبحانه السورة بدلايل صدقه باعجاز القرآن بكشفه مع الاعجاز بنظمه على
لسان النبي الامي للشبهات وبيانه للخفيات واظهر مكابرة اهل الكتاب وفضحهم اتم فضيحة فلما تم ذلك على احسن وجه

منظما بدايع الحكم من الترغيب والترهيب شرع في ثبت انوار المعرفة بنصب دلايلها العقلية وكشف استارها العجيبة
فقال ان في خلق السموات والارض اي على كبرهما وما فيهما من المنافع ونبه على التغير الدال على المغير بقوله واختلاف
الليل والنهار اي اختلافا هو كما ترون على غاية الاحكام بكونه على منهاج قويم وسير لا يكون الا بتقدير العزيز العليم
لايات اي على جميع ما جاءت به الرسل عن الخالق وزاد الحث على التفكر والتنبيه اليه والاهاب من اجله بقوله لاولي
الالباب وذكر سبحانه في اخت هذه الاية في سورة البقرة ثمانية انواع من الادلة واقتصر هنا على ثلثة لان السالك يفتقر
في ابتداء السلوك الى كثرة الادلة فاذا استنار قلت حاجته الى ذلك وكان الاكثار من الادلة كالحجاب الشاغل له عن
استغراق القلب في لجج المعرفة واقتصر هنا من اثار الخلق على السماوية لانها اقهر وابهر والعجايب فيها اكثر وانتقال
القلب منها الى عظمته سبحانه وكبريائه اشد واسرع وختم تلك بما هو اول السلوك العقد وختم هذه بلبه لانها لمن
تخلص من وساوس الشيطان وشوايب هواجس الوهم المبالغة من الوصول الى حق اليقين بل علم اليقين ولما كان كل مميز
يدعي انه في الذروة من الرشاد نعتهم بما يتميز من تصد بعقله فقال الذين يذكرون الله اي الذي ليس في خلقه لهما ولا
لغيرهما شك ولد جميع اوصاف الكمال ولما كانا لمقصود الدولم وكان قد يتجوز به عن الاكثر عبر عنه بهذا التفصيل
نفيا لاحتمال التجوز ودفعا لدعوى العذر فقال قياما وقعودا ولما كان اكثر الاضطجاع على الجنب قال وعلى جنوبهم
اي في اشتغالهم باشغالهم وفي وقت استراحتهم وعند منامهم فهم في غاية المراقبة ولما بدا من اوصافهم بما جلوا اصداء
القلوب وسكنها وينفي عنها الوساوس حتى استعدت لتجليات الحق وقبول الفيض بالفكر لانتفاء قوة الشهوة وسورة
الغضب وقهرها وضعف داعية الهوى تزالت نزغات الشيطان ووساوسه وخطرات النفس ومغالطات الوهم
قال ويتفكرون اي على الاحوال ولما كانت ايات المعرفة اما في الافاق واما في الانفس وكانت ايات الافاق اعظم
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس قال في خلق السموات والارض على كبرهما واتساعهما وفوت ما فيهما من المنافع
لحصر الخلايق فيعلمون بما في ذلك من الاحكام مع جري ما فيهما من الحيوان الذي خلقا لاجله على غير انتظام ان وراء هذه الدار
دارا يثبت فيها الحق وينفي الباطل ويظهر العدل ويضمحل الجور فيقولون تضرعا اليه واقبالا عليه ربنا اي ايها
المحسن الينا ما خلقت هذا اي الخلق العظيم المحكم باطلا اي لاجل هذه الدار التي لا ينفصل فيها على ما شرعت القضايا
ولا ينتصف فيها الرعاة الرعايا بل انما خلقته لاجل دار اخرى يكون فيها محض العدل ويظهر فيها الفضل ولما كان
الاقتصار على هذه الدار مع ما يشاهد من ظهور الاشرار نقصا ظاهرا وخللا بينا نزهوه عنه فقالوا سبحانك وفي
ذلك تعليم العباد تقديم الثناء قبله وتنبيه على ان العبد كلما غزرت معرفته زاد خوفه فزاد تضرعه
فانه حسن منه كل شيء من تعذيب الطايع وغيره ولولا ان ذلك كذلك لكان الدعاء برفعه عبثا وما احسن ختمها حين نسب
عما مضى تيقينهم ان احدا دارا يظهر فيها العدل مما هو شان كل احد في فيعذب فيها العاصي وينعم فيها الطايع كما هو دأب
كل ملك في رعيته بقولهم رغبة في الخلاص في تلك الدار فقنا عذاب النار على وجه جمع بين ذكر العذاب المختتم به
اية محيي المحمده بالباطل والنار المحذر منها في حق من زحزح عن النار ثم تعقيبها بقولهم معظمين ما سالوا رفعه من العذاب
ليكون موضع السوال اعظم فيدل على ان الداعية في ذلك الدعاء اكمل واخلصه ثم مكررين الوصف المقتضي للاحسان
مبالغة في اظهار الرغبة استمطارا للاجابة ربنا واكدوا مع علمهم باحاطة علم المخاطب اعلاما بان حالهم في تقصيرهم
حال من امن النار حثا لانفسهم على الاجتهاد في العمل فقالوا انك من تدخل النار اي للعذاب فقد اخزيته اي اذللته
واهنته اهانة عظيمة بكونه ظالما وختمها بقوله وما للظالمين من انصار الحاسم لطمع من يظن منهم انه بمفازة من
العذاب واظهر موضع الاضمار لتعليق الحكم بالوصف والتعميم ولما ابتهلوا بهاتين الايتين في النجاة من النار توسلوا
بذكر مسارعتهم الى اجابة الداعي بقولهم ربنا ولما كانت حالهم لمعرفتهم بانهم لا ينفكون عن تقصير وان بالغوا في الاجتهاد
لانه لا يستطيع احد ان يقدر الله حق قدره منبهة على حال من لم يوف حق المقام التاكيد اشارة الى هضم انفسهم بالاعتراف
بذنوبهم فقالوا مع علمهم بانا المخاطب عالم بكل شيء انا فاظهروا النون ابلاغا في التاكيد سمعنا منادي اي من قبلك
وزاد في تفخيمه بذكر ما منه النداء مقيدا بعد الاطلاق بقوله ينادي ولما كانت اللام تصلح للتعليل ومعنى الى
عبر بها فقيل للايمان ثم فسروه تفخيما له بقولهم ان امنوا بربكم ثم اخبر بمسارعتهم الى الاجابة بقولهم فامنا اي عقب
السماع ثم ازالوا ما ربما يظن من ميلهم الى ربوع الاعجاب بقولهم نصرح بما افهمه التاكيد لمن علمه محيط ربنا فاغفر
لنا ذنوبنا اي التي اسلفناها قبل الايمان بان تقبل منا الايمان فلا تزيغ قلوبنا فيكون زجا بالمآقبله عندك كما كان
جاريا له في ظاهر الشرع وكذا ما فرط منا بعد الايمان ولو كان بغير توبة واليه الاشارة بقولهم وكفر عنا سيئاتنا
بان توفقنا بعد تشريفك لنا بالايمان لاجتناب الكباير بفعل الطاعات المكفرة للصغاير وتوفنا مع الابرار
اي ليس لنا سيات ولما كان الله سبحانه هو المالك التام الملك المهوذ والتصرف المطلق الذي لا عجب عليه شيء ولا
يقبح منه شيء اشاروا الى ذلك بقولهم ملقنا لهم حكمة الاحسان تنبيها على مزيد الابتهال والتضرع والتخضع
والتخشع ربنا واتنا ما وعدتنا ثم اشاروا الى صدق هذا الوعد بحرف الاستعلاء الدال على الالتزام والوجوب فقالوا
على رسلك اي من اظهار الدين والنصر على الاعداء وحسن العاقبة وايراث الجنة في مثل قوله تعالى وبشر الذين امنوا

وعملوا الصالحات ان لهم جنات وفي الدعاء بذلك اشارة الى انه لا يجب على الله شيء ولو تقدم به وعد الصادق
وان كنا نعتقد انه لا يبدل القول لديه ولا تخزنا يوم القيمة اي بالمواخذة بالسيئات ثم ارشدهم الى الاسباب
والتمهيد مع التنبيه على ما بنته عليه او لانه لا يجب عليه شيء بقوله باسطا لهم بلذة المنادمة بالمخاطبة
انك لا تخلف الميعاد ولما تسبب عن هذا الدعاء الاجابة لتكمل شروطه وهي استحضار عظمته تعالى بعد معرفته
بالدليل وادامة ذكره والتفكر في بدايع صنعه وافتتاحه بالثناء عليه سبحانه وتنزيهه والاخلاص في سؤاله قال
فاستجاب اي فاوجد الاجابة حتما لهم قال الاصفهاني وعن جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجا
الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الآية واشار الى انها منه وفضله بقوله لهم اي المحسن اليهم المتفضل
عليهم اني لا اضيع عمل عامل منكم كائنا من كان من ذكر او انثى وقوله معللا بعضكم من بعض التفات الى قوله
تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الناظر الى قوله ذرية بعضها من بعض المفتتح بان اصطفى آدم ونوحا المنادي
بان البشر كلهم في العبودية للواحد الذي ليس كمثله شيء الحي القيوم سواء من غير تفاوت في ذلك اصلا والمراد انهم
اذا كانوا مثلهم في النسب فهم مثلهم في الاجر على العمل ولما اقر اعينهم بالاجابة وكان قد تقدم ذكر الانصار عموما في
قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وان الله لا يضيع اجر المومنين خصل المهاجرين بيانا لفضلهم
وزيادة شرفهم بتحقيقهم لكونهم معدما يانسوا بغيره ولم يركنوا لسواه من اهل ولا مال بقوله مسببا عن الوعد
المذكور ومفصلا ومعظما ومبجلا فالذين هاجروا اي صدقوا ايمانهم بمفارقة احب الناس اليهم في الدين المودي
الى المقاطعة واعز البلاد عليهم ولما كان للوطن من القلب منزلة ليس لغيره نبه عليه بقوله واخرجوا من
ديارهم اي وهي اثر المواطن عندهم بعد ان باعدوا اهلهم وهم اقرب الخلايق اليهم ولما كان الاذى مكروها
لنفسه لا بالنسبة الى معين بني للمفعول قوله واوذوا اي بغير ذلك من انواع الاذى في سبيلي اي بسبب
ديني الذي لفجته ليسلك الى فيه وحكمت انه لا وصول الى رضاي بدونه وقاتلوا اي في سبيلي ولما كان القتل
نفسه هو المكروه لا بالنسبة الى معين كان المدح على اقتحام موجباته فبني للمفعول قوله وقتلوا اي فيه
فخرجوا بذلك عن مساكن ارواحهم بعد التزوج عن منازل اشباحهم وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول ابلغ
معنى لانها اشد ترغيبا في الاقدام على الاخصام لان من استقل اقدم على المغرات اقدام الاسد فقتل لحض منه
ولم يقف احد امامه فكانه قتل واراد والقتل هذا بالنظر الى الانسان نفسه ويجوز ان يكون الخطاب للمجموع فيكون
المعنى وقاتلوا بعد ان راوا اكثر من اصحابهم قد قتل لاكفرن عنهم سيئاتهم كما تقدم سوالهم اياي في ذلك علما منهم بان
احدا لن يقدر على ان يقدر الله حق قدره وان اجتهد ولادخلنهم اي بفضلي جنات تجري من تحتها الانهار كما سبق به
الوعد ثوابا وهو وان كان على اعمالهم فهو فضل منه وعظمه بقوله من عند الله اي المنعوت بالاسماء الحسنى التي
منها الكرم والرحمة لان اعمالهم لا توازي اقل نعمة والله اي الذي له الجلال والجمال ونبه على عظمة المحدث عنه بالعندية
فقال عنده اي في خزاين ملكوته التي هي في غاية العظمة حسن الثواب اي وهو ما لا شايبة كدر فيه لانه شامل الدوام
بخلاف غيره ولما كانت هذه المواعيد آجله وكان نظرهم الى ما فيه الكفار من عاجل السعة ربما اثر في بعض النفوس
اثرا يقدح في الايمان بالغيب الذي هو شرط قبول الايمان داواه سبحانه بان تلا تبشير المجاهدين بانذار الكفار المنافقين
والمصارحين الذين املي لهم بخذلانهم المومنين بالرجوع عن قتال احد وغيره من اسباب الملاء على وجه يصدق
ما تقدم اول السورة من الوعد بانهم سيغلبون وان موالهم انما هي ضرار حقايق لها عطفا لاخرها على اولها وتاكيدا
لاستجابة دعاء اولياءه اخرا التي قبلها بقوله مخاطبا لاشرف عباده والمراد من عمم ذلك عادة فيه لان خطاب
الرييس امكن في حطاب الاتباع لا يغرنك تقلب اي لا تغتر بتصرف الذين كفروا تصرف من يقلبا الامور بالنظر في عواقبها
لسلامتهم في تصرفهم وفوايدهم وجوده ما يقصدونه في الظاهر لجودة القلب في البدن في البلاد فان تقلبهم متاع قليل
اي لا يعباء به ذو همة عليه وعبر باداة التراخي اشارة الى ان تمتيعهم وان فرض انه طال زمانه وعلا شانه تافه
لزواله ثم عاقبته والى هول تلك العاقبة وتناهي عظمها فقال ثم ماواهم اي بعد التراخي ان قدر جهنم اي الكريهة
المنظر البديدة الاهوال العظيمة الاوجال الممهاد لهم غيرها وبيس المهاد اي الفراش الذي توطا ويمهد للراحة
والخدود ولما بين باية المهاجرين ان النافع من الايمان هو الموجب للثبات عند الامتحان وكانت تلك الشروط قد
لا توجد ذكر وصف التقوى العام للافراد الموجب للاسعاد فعقب لهذيد الكافرين بما لاضدادهم المتقين الفايزين
بما تقدم الدعاء اليه بقوله تعالى قل اوانبيكم بخير من ذلكم فقال تعالى لكن الذين اتقوا ربهم اي اوقعوا الاتصاف
بالتقوى بالايتمار بما امرهم به المحسن اليهم والانتهاء عما نهاهم شكرا لاحسانه وخوفا من عظيم شانه لهم جنات واي جنات
ثم وصفها بقوله تجري من تحتها الانهار تعريفا بد ولم تنوعها وزهرتها وعظيم بهجتها ولما وصفها بضد ما عليه
النار وصف تقلبهم فيها بضد ما عليه الكفار من كونهم في ضيافة الكريم الغفار فقال خالدين فيها ولما كان النزول
ما يعد للضيف عند نزوله قال معظما لمن يرضيه ولما كان الشيء يشرف من هو من عنده بينه على عظمته بقوله
من عند الله مضيفا الى الاسم الاعظم واشار بجعل الجنات كلها نزلا الى التعريف بعظيم ما لهم بعد ذلك عنده سبحانه من

الاعظم في الاجتماع والتواصل عادة الارحام العاطفة التي مدارها النساء سميت النساء لذلك والان بالاتفاق
فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابة التوحيد والله الموفق ثم بسم الله الجامع لشتات الامور باحسان التزاوج
في لطائف المقدور الرحمن الذي جعل الارحام رحمة عامة الرحيم الذي خص من زاد بالتواصل على ما دعا اليه دينه الذي
جعله نعمة تامة لما تقرر امر الكتاب الجامع الذي هو الطريق واثبت الاساس الحامل الذي هو التوحيد احتيج الى الاجتماع
على ذلك فجاءت هذه السورة داعية الى الاجتماع والتواصل والتعاطف والتراحم فابتديت بالنداء العام لكل الناس
وذلك انه لما كانت امهات الفضائل كما يتبين في علم الاخلاق اربعا العلم والشجاعة والعفة والعدل كما يأتي شرح
ذلك في سورة لقمن عليه السلام وكانت آل عمران داعية مع ما ذكر من مقاصدها الى اثنتين منها وهما العلم والشجاعة
كما اشير الى ذلك في غير اية نزل عليك الكتاب بالحق وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم شهد الله انه لا اله الا
هو والملائكة واولوا العلم ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مومنين فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله
فاذا عزمت فتوكل على الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الاية الذين استجابوا لله والرسول من بعد
ما اصابهم القرح يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا الاية وكانت قصة احد قد اسفرت عن ايام استشهد
مورثوهم في حب الله وكان من اريهم في الجاهلية منع امثالهم من الارث جورا عن سواء السبيل وضلالا عن اقوم
دليل جاءت هذه السورة داعية الى الفضيلتين الباقيتين وهما العفة والعدل مع تاكيد الخصلتين الاخرتين حسبما
تدعوا اليه المناسبة وذلك ممثل للتواصل بالاحسان والتعاطف باصلاح الشان للاجتماع على طاعة الرحمان لمعقود
الاعظم الاجتماع على الدين بالاقتداء بالكتاب المبين وما احسن ابتداها بعموم يا ايها الناس بعد اختتام تلك بخصوص
يا ايها الذين امنوا اصبروا الاية ولما استملت هذه السورة على انواع كثيرة من التكاليف منها التعطف على الضعفاء
بامور كانوا قد مرنوا على خلافها فكانت في غاية المشقة على النفوس واذن بشدة الاهتمام بها بافتتاح السورة
واختتامها بالحث عليها قال اتقوا ربكم اي سيدكم ومولاكم المحسن اليكم بالتربية بعد الايجاد بان تجعلوا بينكم
وبين سخطه وقاية ليلايعاقبكم بترك احسانه اليكم فينزل بكم كل بوس ولما اشار تعالى بان بعضنا من بعض بالية
لا اضيع عمل عامل منكم بعضكم من بعض وكان اعظم حامل على ترك التقوى اضطراب الانسان عما هو من الانس بنفسه
في النظر لنفسه ولغيره وغلبة النظر لنفسه فلا يجب لاخيه ما يجب لها ابتدا هذه ببيان كيفية الخلق حثا على
اساس التقوى من العفة والعدل فقال الذي جعل بينكم غاية الوصلة لتراعوها ولا تضيعوها وذلك انه خلقكم
من نفس واحدة هي ابوكم آدم عليه السلام منكم ابعظيم قدرته توهيبا للعاصي وترغيبا للطايع توطية للامر بالارث
وقد جعل سبحانه الامر بالتقوى مطلعا لسورتين هذه وهي رابعة النصف الاول والخ وهي رابعة النصف الثاني وعلل
الامر بالتقوى في هذه بما دل على كمال قدرته وشمول علمه وتمام حكمته من امر المبدا والمعاد وذلك في الخ بما صور المعاد
تصويرا لا مزيد عليه فدل فيها على المبدا والمعاد وتنبيها على انه محط الحكمة ما خلق الوجود الا لاجله لتظهر الاسماء
الحسنى والصفات العلى اتم ظهور يمكن البشر الاطلاع عليه ورتب ذلك على الترتيب الاحكم فقدم سورة المبدا على
سورة المعاد لتكون الايات المتلوة طبق الايات المرئية وابدع من ذلك كله وادق انه لما كان اعظم مقاصد السورة
الماضية المجادلة في امر عيسى وان مثله كمثل آدم عليهما السلام وكانت حقيقة حاله انه ذكر تولد من انثى فقط
بلا واسطة ذكر بين في هذه السورة بقوله عطفا على ما تقدير جوابا لمن كانه قال كيف كان ذلك انشا تلك
النفس او تكون الجملة حالية وخلق منها زوجها ان مثله في ذلك ايضا كمثل حوا امه فانها انثى تولدت من ذكر بلا واسطة
انثى فصار مثله مثل كل من ابيه وامه آدم وحوا معا عليهما السلام ولذلك عبر في هذه السورة بالخلق وعبر في
غيرها بالجعل لخلو السياق عن هذا الغرض ويؤيد هذا انه قال تعالى في امر يحيى عليه السلام كذلك الله يفعل ما يشا
وفي امر عيسى عليه السلام يخلق ما يشا وايضا فالسياق هنا للترتيب الموجب للتقوى فكان بالخلق الذي هو اعظم
في اظهار الاقتدار لانه اختراع الاسباب وترتيبا للمسببات عليها احق من الجعل الذي هو ترتيب المسببات على اسبابها
وان لم يكن اختراعا وصار الاعلام بخلق آدم وزوجه وعيسى عليهم السلام المندرج تحت اية بعضكم من بعض مع اية البث
التي بعد هذه حاضرا القسمة الرباعية العقلية التي لا مزيد عليها وهي بشر لا من ذكر ولا انثى بشر منهما بشر من ذكر
فقط بشر من انثى فقط فسبحان العزيز العليم العظيم الحكيم ولما ذكر تعالى الانشا عبر بلفظ الرب الذي هو من
التربية ولما كان الكل المشار اليه بقوله تعالى عطفا على ما تقدير وبث منهما اي فرق ونشر
بالتوالد ولما كان المبثوث قبل ذلك عدما وهوا الذي اوجده من العدم لافهام ذلك قوله رجالا كثيرا ونساء
من نفس واحدة كان احسان كل من الناس الى كل منهم من صلة الرحم ووصف الرجال دون النساء مع ان الكثر منهم اشارة
الى ان لهم عليهن درجة فهم اقوى واظهر واطيب واظهر في راي العين لما لهم من الانتشار وللنساء من الاختفاء والامتنا
ولما كان قد امر سبحانه اول الاية بتقواه مشيرا الى انه جدير بذلك منهم لكونه ربهم عطف على ذلك الامر امرا
اخر مشيرا الى انه يستحق ذلك لذاته لكونه الحاوي لجميع الكمال المنزه عن كل شايبة نقص فقال واتقوا الله اي عموما
لما له من احاطة الاوصاف كما اتقيتموه خصوصا لما له اليكم من الاحسان والتربية واحذروه وراقبوه في ان تعظموا

النعيم الذي لا يمكن الادميين الاطلاع على حقيقة وصفه ولهذا قال مظهرا لانه لو اضمر لظن الاختصاص بالنزل وما
عند الله اي الملك الاعظم من النزل وغيره خير للابرار مما فيه الكفار ومن كل ما يمكن ان يخطر في البال من النعيم ولما كان للمومنين
من اهل الكتابين مع التشرف بما كانوا عليه من الدين الذي اصله حق حظ من الهجرة فكانوا قسما ثانيا من المهاجرين وكان انزال
كثير من هذه السورة في مقاولة اهل الكتاب ومجادلتهم والتحذير من مخايلتهم ومخادعتهم والاخبار بانهم يبغضون المومنين مع
محبتهم لهم وانهم لا يومنون بكتابهم وانهم سيسمعون منهم اذى كثيرا الى ان وقع الختم في اوصافهم بانهم اشتروا بايات الله ثمنا
قليلا ربما اياس من ايمانهم اتبع ذلك مدح مومنيهم وغير الاسلوب عن ان يقال مثلا والذين امنوا من اهل الكتاب اطماعا في
موالاتهم بعد التدريب بالتحذير منهم على مناواتهم وملاواتهم فقال وان من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى لمن يومن بالله
اي الملك الذي حاز صفات الكمال واشار الى الشرط المصحح لهذا الايمان بقوله وما انزل اليكم اي من هذا القرآن وما
انزل اليهم اي كله فيذعن لما يامر منه باتباع هذا النبي العربي واليه الاشارة بقوله جامعا للنظر الى معنى من تعظيما لوصف
الخشوع بالنسبة الى مطلق الايمان خاشعين لله اي لانه الملك الذي لا كفو له غير مستنكفين عن ترك المالوف لا يشترون
بايات الله اي التي متى تاملوها علموا انه لا يقدر عليها الا من احاط بالجلال والجمال الامرة لهم بذلك ثمنا قليلا مما هم عليه من
الرياسة ونفوذ الكلمة كما تقدم قريبا في وصف معظمهم فهم يبينونها ويرشدون اليها ولا يحرفونها ولما اخبر تعالى عن حسن
توجههم اليه اخبر عن جزائهم عنده بما يسر النفوس ويبعث اليهم فقال اولئك اي العظيموا الرتبة لهم اجرهم اي الذي
يا ملونه ثم زادهم فيه رغبة بتشريفه بقوله عند ربهم اي الذي رباهم ولم يقطع احسانه لحظة عنهم كل ذلك تعظيما له
من حيث ان لهم الاجر مرتين ولما اقتضت هذه التاكيدات المبشرات انجاز الاجر واتمامه واحسانه وكان قد تقدم انه
تعالى يوتي كل احد من ذكر وانثى اجره ولا يضيع شيا ويجازي المسيء والمحسن وكانت العادة قاضية بان كثرة الخلق سبب
لطول زمن الحساب وذلك سبب لطول الانتظار وذلك سبب لتعطيل الانسان عن مهماته ولضيق صدره بتفرق
عزمه وشتاته كان ذلك محل عجب يورث توهم ما لا ينبغي فازال هذا التوهم بان امره تعالى على غير ذلك لانه لا يشغله
شان عن شان بقوله ان الله اي بما له من الجلال والعظمة والكمال سريع الحساب ولما كثر في هذه الايات الامر بمقاسات
الشدايد وتجرع مرارات الاذى واقتحام الحروب واستهانة عظايم الكروب والحث على المعارف الالهية والاداب الشرعية
من الاصول والفروع انخلاعا من المالوفات الى ما يامر به سبحانه من الطاعات وختم بتجرع فرقة من اهل الكتاب لتلك
المرارات كانت نتيجة ذلك لا محالة قوله تعالى منبها على عظمة ما يدعوا اليه لانه شامل لجميع الاداب يا ايها الذين
امنوا اي بكل ما ذكرنا في هذه السورة اصبروا اي اوقعوا الصبر تصديقا لايمانكم على كل ما ينبغي الصبر عليه مما تكرهه
النفوس مما دعتكم اليه الدهر اوان وصابروا اي اوجدوا المصابرة للاعداء من الكفار والمنافقين وساير العصاة فلا
يكونن على باطلهم اصبر منكم على حقكم ورابطوا اي بان تربطوا في الثغور خيلا تكون بازاء ما لهم من الخيول ارهابا لهم وحذرا
منهم هذا اصله ثم صار الرباط يطلق على المكث في الثغور لاجل الذب عن الدين ولو لم تكن خيول بل وتطلق على المحافظة
على الطاعات ثم امر بملاك ذلك كله فقال واتقوا الله اي في جميع ذلك بان تكونوا مراقبين له مستحضرين لجميع ما يمكنكم
ان تعلموه من عظمته بنعمته ونقمته لعلكم تفلحون اي لتكون حالكم حال من يرجى فلاحه وظفره بما يريد من النصر على الاعداء
والفوز بعيش السعداء وهذه الاية كما ترى معلمة بشرط استجابة الدعاء بالنصرة على الكافرين المختتم به البقرة فان قريب
اجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون داعية الى تذكير اولي الالباب بالمراقبة للواحد
الحي القيوم الذي لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء في اتباع اياته ومعاداة عداته كما ان التي قبلها في من امن بجميع الكتب
هذا القران المصدق لما بين يديه والتورية والانجيل كل ذلك للفوز بالفرقان بالنصر وتعذيب اهل الكفر بايديهم تمكينا
من الله والله ذو انتقام ردا للمقطع على المطلع على احسن وجه وابدع والله الموفق بمنه وكرمه ۝

سورة النساء ماية وسبعون وخمس ايات

مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هدت اليه آل عمران والكتاب الذي حدت عليه البقرة لاجل الدين الذي
جمعته الفاتحة تحذيرا مما اراده شاس بن قيس وانظاره من الفرقة وهذه السورة من اواخر ما نزل روى البخاري
في فضايل القران عن يوسف بن ماهك ان عراقيا سال ام المومنين عايشة رضي الله عنها ان تريه مصحفها فقالت لم
قال لعلي اولف القرآن عليه فانه يقرا غير مولف قالت وما يضرك ايه قرات قبل انما نزل اول ما نزل منه
سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل اول شي
لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر ابدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا ابدا لقد نزل بمكة على محمد واني لجارية العب
بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وما نزلت سورة البقرة والنساء الا وانا عنده قال فاخرجت له المصحف
فاملت عليه آي السور انتهى وقد عنيت بهذا رضي الله عنها ان القران حاز اعلى البلاغة في انزاله مطابقا لما تقتضيه
الاحوال بحسب الازمان ثم رتب على اعلى وجوه البلاغة بحسب ما تقتضيه المفاهيم من المقال كما نشاهده من هذا الكتاب
البديع المثال البعيد المنال ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت اليه السورتان قبلها من التوحيد وكان السبب

ارحامكم التي جعلها سببا لتربيتكم ولما كان المقصود من هذه السورة المواصلة وصف نفسه المقدسة بما يشير الى ذلك
فقال الذي تساءلون اي يسئل بعضكم بعضا به فانه لا يسئل باسمه الشريف المقدس الا الرحمة والبر والعطف ثم زاد
المقصود ايضاحا فقال والارحام اي واتقوا قطيعة الارحام التي تساءلون بها فانكم تقولون ناشدتك بالله وبالرحم
وعلل هذا الامر بتخويفهم عواقب بطشه لانه مطلع على سرهم وعلنهم مع ما له من القدرة الشاملة فقال موكدا لان افعال
الناس في ترك التقوى وقطيعة الارحام افعال من ينكر انه يعين الله سبحانه ان الله اي المحيط علما وقدرة كان عليكم
وفي اداة الاستعلاء ضرب من التهديد رقيبا وخفض حمزة الارحام للقسم بها تعظيما لها وتاكيدا للتنبيه على انهم
قد نسوا الله في الوفاء بحقوقها كما اقسم بالنجم والتين وغيرهما والقراءتان مودتان بان صلة الرحم من الله بمكان عظيم
حيث قرنها باسمه سواء كان عطفا كما شرحته اية وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وغيرها او كان قسما واتفق المسلمون
على ان صلة الرحم واجبة واحقهم بالصلة الولد واول صلته ان يختار له الموضع الحلال ولما كان من هذا تعظيم
لصلة الرحم بجعلها في سياق ذكره سبحانه المعبر عنه باسمه الاعظم كما فعل نحو ذلك في غير ما اية وكان قد تقدم في السورة
الماضية ذكر قصة احد التي انكشفت عن ايتام ثم ذكر في قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ان الموت مشرع لا بد لكل
نفس من وروده علم انه لا بد من وجود الايتام في كل وقت فدعى الى العفة والعدل فيهم لانهم بعد الارحام اولى من يستبقي
الله فيه ويخشى مراقبته بسببه فقال واتوا اليتامى اي الضعفاء الذين انفردوا عن ابائهم واصل اليتم الانفراد
اموالهم اي هيؤها بحسن التصرف فيها لان تؤتوهم اياها بعد البلوغ كما ياتي او يكون الايتاء حقيقة واليتم باعتبار ما كان
او باعتبار الاسم اللغوي وهو مطلق الانفراد وما ابدع ايلاءها للاية الامرة بعد عموم تقوى الله بخصوصها في صلة الرحم
المختتمة بصفة الرقيب لما لا يخفى من انه لا حامل على العدل في الايتام الا المراقبة لانه لا ناصر لهم وقد يكونون ذوي
رحم ولما امر بالعفة في اموالهم اتبعه تقبيح الشره الحامل للعاقل على لزوم المامور به فقال ولا تتبدلوا اي تكلفوا
انفسكم ان تاخذوا على وجه البدلية الخبيث اي من الخيانة التي لا اخبث منها لانها تذهب بالمقصود من الانسان فتهدم
جميع امره بالطيب اي الذي هو كل امر يحمل على معالي الاخلاق الصائنة للعرض المعلية لقدر الانسان ثم بعد هذا النهي
العام نوه بالنهي عن نوع منه خاص فقال معبرا بالاكل الذي كانت العرب تذم بالاكثار منه ولو انه حلال طيب فكيف اذا
كان حراما ومن مال ضعيف مع الغنى عنه ولا تاكلوا اموالهم اي تنتفعوا بها اي انتفاع كان مجموعة الى اموالكم شرها
وحرصا وحيا في الزيادة من الدنيا التي علمتم شومها وما اثرت من الخذلان في آل عمران وعبر بالى اشارة الى تضمين
الاكل معنى الضم تنبيها على انها متى ضمت الى مال الولي اكل منها فوقع في النهي فخص بذلك على تركها محفوظة على حيالها
ثم علل ذلك بقوله انه اي الاكل كان حوبا اي اثما وهلاكا كبيرا ولما كان تعالى قد اجرى سنته الالهية في
انه لا بد من التناسل من توسط النكاح الا ما كان من آدم وحواء وعيسى عليهم السلام وكانوا قد امروا بالعدل
في اموال اليتامى وكانوا يلون امور يتاماهم وكانوا ربما نكحوا من في حجورهم منهن فكان ربما اوقفهم هذا التحذير
من اموالهم عن النكاح خوفا من التقصير في حق من حقوقهن اتبعه تعالى قوله عطفا على ما تقديره فان وثقتم من
انفسكم بالعدل فخالطوهم بالنكاح وغيره وان خفتم فعبر باداة الشك حثا على الورع ان لا تقسطوا اي تعدلوا
في اليتامى ووثقتم من انفسكم بالعدل في غيرهن فانكحوا ولما كانت النساء ناقصات عقلا ودينا عبر عنهن باداة ما
لا يعقل اشارة الى الرفق بهن والتجاوز عنهن فقال ما ولما افاد انكحوا الاذن المتضمن للحل حمل الطيب على اللذيذ
المنفك عن النهي السابق ليكون الكلام عاما مخصوصا بما ياتي من اية المحرمات من النساء ولا يحمل الطيب على الحل لئلا
يؤدي مع كونه تكرارا الى ان يكون الكلام مجملا لان الحل لم يتقدم علمه والحمل على العام المخصوص اولى لانه حجة في غير
محل التخصيص والمجمل ليس بحجة اصلا افاده الامام الرازي فقال تعالى طاب اي زال عنه حرج النهي السابق
ولذوا تبعه قيد الاذن منه بقوله لكم وصرح بما علم التزاما فقال من النساء اي من غيرهن مثنى وثلاث ورباع
اي حال كون هذا الماذون في نكاحه موزعا هكذا ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا لكل واحد وهذا الحكم
عرف من العطف بالواو ولو كان باء ولما افاد التزوج الا على احد هذه الوجوه الثلاث ولم يفد التخيير المفيد للجمع
بينها على سبيل التوزيع وهذا دليل واضح على ان النساء اضعاف الرجال وروى البخاري في التفسير عن عروة بن الزبير
رضي الله عنه انه سال عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى بانهن اخبى هذه
اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها ان يتزوجها بغير ان يقسط في صداقها
فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا عن ذلك ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ويبلغوا لهن اعلى سنتهن في الصداق فامروا
ان ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن قال عروة قالت عائشة وان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد هذه الاية فانزل الله عز وجل يستفتونك في النساء قالت عائشة وقول الله عز وجل في اية اخرى
وترغبون ان تنكحوهن رغبة احدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال قالت فنهوا ان ينكحوا من رغبوا في
ماله وجماله في يتامى النساء الا بالقسط من اجل رغبتهم عنهن اذا كن قليلات المال والجمال وفي رواية في النكاح
فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الا وفي

في الصداق وهذا الخطاب للاحرار دون العبيد لان العبد لا يستقل بنكاح ما طاب له بل لا بد من اذن السيد ولما كان
النسا كاليتامى في الضعف قال مسببا عن الاذن في النكاح فان خفتم ان لا تعدلوا اي في الجمع فواحدة اي فانكحوها لان
الاقتصار عليها اقرب الى العدل لانه ليس معها من يقسم له فيجب العدل بينها وبينه ولما كان حسن العشرة المودي الى العدل
دايرا على اطراح النفس وكان الاما لكسرهن بالغربة وعدم الاهل اقرب الى حسن العشرة سوى بين العدد منهن الى غير
نهاية وبين الواحدة من الحراير فقيل او ما اي انكحوا ملكت ايمانكم فانه لا قسم بينهن وذكر ملك اليمين يدل ايضا على ان
الخطاب من اوله خاص بالاحرار ذلك اي نكاح غير اليتامى والتقلل من الحراير والاقتصار على الاما ادنى اي اقرب الى
ان لا تعولوا اي تميلوا بالجور عن منهاج القسط وهو الوزن المستقيم او تكثر عيالكم اما عند الواحدة فواضح واما عند
الاما فبالعزل وعدم احتياج الرجل معهن لخادم له او لهن والبيع لمن اراد منهن وامرهن بالاكتساب او تحتاجوا فتظلموا
بعض النسا او تاكلوا اموال اليتامى وكل معنى من هذه راجع الى لازم لمعنى المادة الذي مدارها عليه لان مادة علي واوية
بجميع تقاليبها الست علو عول لوع لعو وعل ولع ويايية بتركيبها ليع عيل تدور على الارتفاع ويلزمه الزيادة
والميل فمن الارتفاع العلو والوعل والولع ومن الميل والزيادة العول وبقية المادة يايية وواوية اما للازالة
واما لاحد هذه المعاني على ما ياتي بيانه فعلا يعلو ارتفع والعالية القناة القويمة لانها تكون ارفع مما ساواها
وهو معوج والعالية من محال الحجاز لاشرافها على ما حولها وكذا العوال لقرى بظاهر المدينة الشريفة لانها في المكان
العالي الذي يجري ماوه الى غيره والمعلاة كسب الشرف ومقبرة مكة بالحجون لانها في اعلى مكة ماوها يصوب الى ما دونه
وفلان من علية الناس اي اشرافهم والعلية بالتشديد الفرقة وعلى حرف استعلا وتعلت المراة من نفاسها اي طهرت
وشفيت لانها كانت في سفول من الحال والعلاوة راس الجبل وعنقه وما يحمل على البعير بين العدلين ومن كل شي ما زاد عليه
والمعلى القدح السابع في الميسر لانه الغاية في القداح الفايزة لان القداح عشرة السبعة الاولى منها فايزة والثلثة
الاخيرة مهملة لا انصبا لها وعلوان الكتاب عنوانه وارتفاعه على بقية الكتاب واضح والعليان الطويل والضخم والناقة
المشرفة ومن الاصوات الجميرة والعلاة السندان والعليا راس كل جبل مشرف والسما والمكان العالي وكل ما علا من شي
وعليك زيدا الزمه لانه يلزم من ملازمته له العلو على امره وعلى النهار ارتفع وعلى الدابة ركبها واعلى عنها نزل كانه
من الازالة وكذا علي المتاع من الدابة تعليه انزله واعليت عن الوسادة وعاليت ارتفعت وتنحيت ورجل عالي الكعب
شريف وعلي الكتاب تعليه عنونه كعلوته وعالوا نعيه اظهروه والعلي الشديد القوي وعليون في السما السابعة
واخذه علوا عنوة والتعالي الارتفاع اذا امرت منه قلت تعال بفتح اللام ولها تعالي ولو كنت في موضع اسفل من موضع
المامور لانه يحتاج الى تطاول مهما كان بينك وبينه مسافة ولان الامر اعلى من المامور رتبة فموضعه كذلك ويعلى
علا في مهلة والمتعلي الاسد واللعو السيي الخلق والغسل والشره الحريص واللاعي الذي يفزعه ادنى شي اما لانه وصل
الى الغاية في السفول فتسنم اعلاها حتى رضي لنفسه هذه الاخلاق واما لانه من باب الازالة او التسمية بالضد
وذيبة لعوة وامراة لعوة اي حريصة واللعوة السواد بين حلمتي الثدي اما لان ذلك اعلاه واما لعلو لون السواد
على لون الثدي والالعا السلاميات والسلامي عظم يكون في فرسن البعير وعظام صغار في اليد والرجل وذلك لان
العظام اعلى ما في الجسد في القوة والشدة والصلابة وهي اعظم قوامه واللاعية شجيرة في سفح الجبل لها نوار اصفر
ولها لبن واذا القي منه شي في غدير السمك اطفاها اي جعلها طافية اي عالية على وجه الما سميت بذلك اما من باب
الازالة نظرا الى محل نيتها واما لان ريحها يعلو كل ما خالطه ويكسبه طعمها واما لفعلها هذا في السمك وتلعي العسل
تعقد وزنا ومعنى اما من اللاعية لانها كثيرة العقد واما من لازم العلو القوة والشدة ولعا لك يقال عند العثرة
اي انعشك الله والعول ارتفاع الحساب في الفرايض والعول الميل وقد تقدم انه لازم للعلو والعول كل امر غلبك
كانه علا عنك فلم تقدر على نيله والمستعان به لانه لا يتوصل الى المقصود الا وفيه علو وقوت العيال لانه سبب
علوهم وعول عليه معولا اتكل واعتمد والاسم كعنب وعيل ككتب وعال جار والميزان نقص او زاد فالزيادة
من الارتفاع والنقص من لازم الميل وعالت الفريضة ارتفعت اي زادت سهامها فدخل النقصان على اهل الفرايض
قال ابو عبيد اظنه ماخوذا من الميل وعال امرهم اشتد وتفاقم وعال فلان عولا وعياله كثر عياله كاعول
واعيل ورجل معيل ومعيل ذو عيال واعال الرجل واعول اذا حرص اما مما تقدم تخريجه واما لانه لازم لذي
العيال او عال عليه حمل اي رفع عليه المحمول كعول وفلان حرص والفرس صوتت واعولت المراة رفعت صوتها
بالبكا وعيل عوله شكلته امه لما يقع من صاحبها وعيل ما هو عايله غلب ما هو غالبه يضرب لمن يعجب من كلامه
ونحوه لانه لا يكون كذلك الا وقد خرج عن امثاله علوا وقد يكون بسفول فيكون من التسمية بالضد والعالة النعامة
لانها اطول الطير وما له عال ولا مال شي لان ذلك غاية في السفول ان كان عجزا وفي العلو ان كان زهدا ويقال
للعاثر عالك عاليا كقولهم لعالك والمعول حديدة تنقر بها الجبال من القوة اللازمة للعلو والعالة شبه الظلمة
يستتر بها من المطر واللوعة حرقة توجد من الحزن او الحب او المرض او الهم لانها تعلو الانسان ولاعه الحب امرضه
واتان لاعة الفواد الى جحشها كانها ولهى فزعا ولاع يلاع جزع او مرض ورجل هاع لاع جبان جزوع او حريص

اوسيي الخلق لما علاه من هذه الاخلاق المنافية للعقل وغلبه منها ولاعته الشمس غيرت لونه واللاعة ايضا الحديد
الفواد الشهم لانه يعلو غيره وامراة لاعية اي تغازلك ولا تمكنك لما لها في ذلك من الغلبة والعلو على القلوب والوعل
تيس الجبل والشريف والملجاء والوعلة الموضع المنيع من الجبل او صخرة مشرفة منه وهم علينا وعلي واحد مجتمعون وما لك
عن ذلك وعل اي بد فانه لو لا علوه عليك ما اضطررت اليه والوعل اسم شوال كانه لما له من العلو بالعيد والحج
والوعل كمنبر اسم شعبان لما له من العلو بتوسطه بين رجب ورمضان والوعلة ايضا عروة القميص والقدح والابريق
التي يعلق بها فيعلو ووعال كغراب حصن باليمن والمستوعل بفتح العين حرز الوعل ووعل كوعد اشرف وتوعلت الجبل
علوته واولع فلان بكذا وولع بالكسر استخف اي مضارعا لياعليه غالبا له لا طاقة حمله وولع بحقه ذهب وولع
بالفتح اذا كذب اما للازالة واما لانه استخف الكذب فحمله وولع والع مبالغة اي كذب عظيم والمولع الذي فيه لمع
من الوان كانه علا على تلك الالوان او غلب تلك الالوان اصل لونه وعبارة القاموس والتوليع استطالة البلق بردون وثور
مولع كمعظم والوليع الطلع ما دام في قيقائه الى وعائه وهو قشرة الطلع لعلوه وما ادري ما ولعه بالفتح اي حبسه امام
للازالة لانه لما منعه كان كانه ازال علوه واما لانه علا عليه واولعه به اي اغراه اي حمله عليه والعيلة الحاجة
وعال يعيل اذا افتقر وذلك اما من الازالة اولان الحاجة علت اولانها تميل وعالني الشيء اعجزني وعيل صبري قل
وضعف اي علاه من الامر ما اضعفه وعلت الضالة لم ادر اين بغيها والمعيل الاسد والنمر والذئب لانه يعيل
صيدا اي يلتمس فهو يرجع الى العلو والقدرة على الطلب وعالني الشيء اعوزني اما من العلو اي اعلاني وعال في مشيه
تمايل واختال وبختر لانه لا يفعله الا عال في نفسه مع انه كله من الميل وعال في الارض ذهب اي علا عليها مشيا والذكر
من الضباع عيلان والعيل محركة عرض في حديثك وكلامك على من لا يريده وليس من شانه كانه لم يعتد لمن يريده فعرضه
على من لا يريده فهو يرجع الى الحاجة المزيلة للعلو وليعد الجوع بالفتح حرقته كما تقدم في اللوعة ولعت بالكسر ضجرت
كانه من الازالة او ان العلو للامر المتضجر منه والملياع بالكسر الشريعة العطشى انها تعلو الابل حينئذ سبقا الى الماء
او لان العطش علاها والملياع التي تقدم الابل سابقه ثم ترجع اليها ورجل لياع بالكسر شديدة وقد وضح بذلك صحة ما
فسر به امامنا الشافعي صريحا ومطابقا كما تقدم وشهد له العول في الحساب والسهام وهو كثير تقا وظهر تحامل من رد
ذلك وقال انه لا يقال في كثرة العيال الا اعال يعيل وكم من عايب قولا صحيحا وكيف لا وهو من الايمة المحتج باقوالهم
في اللغة وقد وافقه غيره وشهد لقوله الحديث الصحيح قال الامام يحيى بن ابي الخير العمراني الشافعي في كتابه البيان
ان لا تعولوا قال الشافعي رحمه الله معناه ان لا تكثر عيالكم ومن تمونونه وقيل ان اكثر السلف قالوا المعنى ان لا تجوروا
يقال عال يعول اذا جار واعال يعيل اذا كثر عياله لان زيد بن اسلم فانه قال معناه ان لا تكثر عيالكم وقول النبي
صلى الله عليه وسلم يشهد لذلك قال ابدا بنفسك ثم بمن تعول انتهى وهذا الحديث اخرجه الشيخان وغيرهما عن حكيم
ابن حزام عن ابي هريرة رضي الله عنهما بلفظ افضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا
بمن تعول وفي الباب ايضا عن عمران بن حصين وابي رمثة البلوي وابي امامة رضي الله عنهم واثر زيد بن اسلم رواه
الدارقطني والبيهقي من طريق سعيد بن ابي هلال عنه قال ذكر ادنى ان لا يكثر من تعولونه افاده شيخنا ابن حجر في
تخريج احاديث الرافعي وقال الامام ان تفسير الشافعي هو تفسير الجماعة عبر عنه بالكناية وهي ذكر الكثرة واراد الميل
لكون الكثرة لا تنفك عنه وقال ابن الزبير لما تضمنت سورة البقرة ابتداء الخلق وايجاد آدم عليه السلام وانه
كمثل آدم عليه السلام في عدم الافتقار الى اب وعلم الموقتون من ذلك انه تعالى لو شاء لكانت سنة في من بعد آدم عليه
السلام فكان سائر الحيوان لا يتوقف على ابوين وكان يكون كعيسى عليه السلام لا يتوقف الا على ام فقط اعلم سبحانه
انه من عدا المذكورين عليهما السلام من ذرية آدم سبيلهم سبيل الابوين فقال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الى قوله
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ثم اعلم تعالى بكيفية النكاح المجعول سببا في التناسل وما يتعلق به وبين حكم الارحام
والمواريث فتضمنتا لسورة ابتداء الامر وانتهائه فاعلمنا بكيفية التناكح وصون الاعتصام واحترام بعضنا لبعض
وكيفية تناول الاصلاح فيما بين الزوجين عند التشاجر والشقاق وبين لنا ما ينكح وما لا يحل من العدد وحكم من لم يجد الطول
وما يتعلق بهذا الى المواريث فصل ذلك كله الا الطلاق لان احكامه تقدمت ولان بناء هذه السورة على التواصل والالفة
ورعي حقوق ذوي الارحام وحفظ ذلك كله الى حالة الموت المكتوب علينا وناسب هذا المقصود من التواصل والالفة
ما افتتحت به السورة من قوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة الآية فافتتحها بالاستسلام والوصلة ولهذا
خصت من حكم تشاجر الزوجين بالاعلام بصورة الاصلاح والمعدلة ابقاء كذلك التواصل فلم يكن الطلاق لينا سب هذا
فلم يقع له هنا ذكر الا ايما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ولكثرة ما يعرض من دعوى حظوظ النفوس عند الزوجية
ومع القرابة ويدق ذلك ويغمض لذلك ما تكرر كثيرا في هذه السورة الامر بالاتقاء وبه افتتحت اتقوا ربكم واتقوا
الله الذي تساءلون به والارحام ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ثم حذروا من حال
من صمم على الكفر وحاد اليهود والنصارى والمنافقين وذوي التقلب في الاديان بعدا عن اليقين وكل ذلك تاكيد لما
امروا به من الاتقاء والتمست الايات الى الختم بالكلالة من المواريث المتقدمة انتهى ولما حذروا من العول الذي من

مولوم

مدلوله الحاجة عن كثرة النساء كان ربما تعلق به من يبخل عن بعض الحقوق لا سيما ما يستكثره من الصداق
فاتبعه ما ينفي ذلك فقال مخاطبا للازواج لان السياق لهم معبرا بما يصلح للدفع والالتزام المهيئ له واتوا النساء
اي عامة من اليتامى وغيرهن صدقاتهن وقوله موكدا للايتاء بمصدر من معناه نحلة مويد لذلك لان معناها عطية
عن طيب نفس قال الامام ابو عبد الله القزاز في ديوانه واصله اي النحل اعطاء الشي لا يراد به عوض وكذا ان قلنا
معنى النحلة الديانة والملة والشرعة والمذهب اي اتوهن ذلك ديانة ولما وقع الامر بذلك كان ربما ابى المتخلق بالاسلام
قبول ما تسمح به المراة منه بابراء او رد على سبيل الهبة لظنه ان ذلك لا يجوز او غير ذلك فقال فان طبن لكم اي متجاوزات
عن شي ووحد الضمير ليرجع الى الصداق المفهوم من الصدقات ولم يقل منها لئلا يظن ان الموهوب لا يجوز الا ان كان صداقا
كاملا فقال منه اي الصداق نفسا اي عن شهوة صادقة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه اي تصرفوا فيه بكل تصرف يحكم
هنيئا اي سائغا صالحا لذيذا في عافية بلا مشقة ولا مضرة مريئا اي حميد المسغبة بهجا سارا لا تبعيض فيه وربما كان
التبعيض ندبا الى التعفف عن قبول الكل لانه في الغالب لا يكون الا عن خداع او ضجر فربما اعقب الندم وهذا الكلام
يدل ايضا على تخصيص الاحرار دون العبيد لانهم لا يملكون ما جعلته النساء لهم لياكلوه هنيئا قال الاصبهاني رحمه الله
فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب نفسها وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها
اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها قال اليس قد قال الله تعالى فان طبن الاية قال لو طابت نفسها لما رجعت
فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقبله لانهن يخدعن ولما امر بدفع اموال اليتامى والنساء اليهم ونهى عن اكل شي منها
تزهيدا في المال واستهانة به وكان في النساء والمحاجير من الايتام وغيرهم سفها وامر بالاقتصاد في المعيشة حذرا
من الظلم والحاجة نهى عن التبذير وقد حث سبحانه على حسن رعاية المال في غير اية من كتابه لانه نعم المال الصالح
للرجل رواه احمد وابن منيع عن عمرو بن العاصي رضي الله عنه رفعه لان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام
بتحصيل ما يهمه من الدنيا وما لم يتمكن من تحصيل ما يهمه من الدنيا لا يمكنه امر الاخرة ولا يكون فارغ البال الا بواسطة
ما يكفيه من المال لانه لا يتمكن في هذه الدار التي مبناها على الاسباب من جلب المنافع ودفع المضار الا به فمن اراده لهذا
الغرض كان من اعظم الاسباب المعينة له على اكتساب سعادة الاخرة ومن اراد لنفسه كان من اعظم المعوقات عن سعادة
الاخرة فقال تعالى ولا تؤتوا ايها الازواج والاولياء السفهاء اي من محاجيركم ونسائكم وغيرهم اموالكم اي الاموال
التي خلقها الله لعباده سواء كانت مختصة بكم او بهم ولكم بها علقة بولاية او غيرها فانه يجب عليكم حفظها ثم بين ما
خلق فيها من المنفعة حثا على ذلك فقال التي جعل الله اي الذي له الاحاطة بالعلم الشامل والقدرة التامة لكم قياما
اي ملاكا وعمادا تقوم بها احوالكم فيكون ذلك سببا لضياعها وضياعها سبب لضياعكم فهو من تسمية السبب باسم
المسبب للمبالغة في سببيته وارزقوهم متحرين فيها وعبر بالظرف اشارة الى الاقتصاد واستثمار الاموال حتى لا تزال
موضعا للفضل حتى تكون النفقة والكسوة من الربح لا من راس المال واكسوهم اي فان ذلك ليس من المنهي عنه بل هو من معالي
الاخلاق ومحاسن الاعمال وقولوا لهم اي مع ذلك قولا معروفا اي في الشرع والعقل كالعدة الحسنة ونحوها وكل ما
سكنت اليه النفس واحبته من قول او عمل وليس مخالفا للشرع فهو معروف فان ذلك ربما كان انفع من كثير من الاعطاء
واقطع للشر والحجر على السفيه مندرج تحت هذه الاية لان ترك الحجر عليه من الايتاء المنهي عنه ولما نهى عن ذلك البذل
للسفهاء ايتاما كانوا او غيرهم بين انه ليس دائما بل ما دام السفه قائما فمست الحاجة الى التعريف بمن يعطي ومن يمنع وكيف
يفعل عند الدفع ولما كان السفه امرا باطنا لا يعرف الا بالتصرف ولا سيما في المال بدا سبحانه بتعليم ما يتوصلون به
الى معرفته فقال مصرحا بالايتام اهتماما بامرهم وابتلوا اليتامى اي اختبروهم في امر الرشد في الدين والمال في مدة
مراهقتهم واجعلوا ذلك دابكم حتى اذا بلغوا النكاح اي وقت الحاجة اليه بالاحتلام او السن فان انستم اي علمتم
علما انتم في عظيم تيقنه كانكم تبصرونه على وجه تحبونه وتطيب انفسكم به منهم اي عند بلوغه رشدا اي بذلك التصرف
ونكره لان وجود كمال الرشد في احد يعز وقوعه فادفعوا اليهم اموالهم اي لزوال الحاجة الى الحجر بخوف التبذير واضافها
اليهم بعد اضافتها اولا الى المعطين اشارة الى انه لا يستحقها الا من احسن التصرف فيها ولما كان الانسان مجبولا على
نقايص منها الطمع وعدم الشبع لا سيما اذا خالط لا سيما ان حصل له اذن ما ادبه سبحانه بقوله ولا تاكلوها اي
بعلة استحقاقكم لذلك بالعمل فيها اسرافا اي مسرفين بالخروج عن القصد في التصرف ووضع الشي في غير موضعه واغفال
العدل والشفقة وبدارا اي مبادرين ان يكبروا اي فياخذوها منكم عند كبرهم فيفوتكم الانتفاع بها وكانه عطف
بالواو الدالة على تمكن الوصف وتمامه اشارة الى عدم المواخذة بما يعجز عنه الانسان المجبول على النقصان مما يجري
في الافعال مجرى الوسوسة في الاقوال ولن يشاد الدين احد الا غلبه ولما اشعر النهي عن اكل الكل بان لهم في الاكل
في الجملة علة مقبولة افصح به في قوله ومن كان غنيا فليستعفف اي يطلب العفة ويوجدها ويظهرها عن الاكل
منها جملة قناعة بما بسط الله من رزقه ومن كان فقيرا وهو يتعهد مال اليتيم لاصلاحه ولما كان يخشى من امتناعه
من الاكل منه التفريط فيه بالاشتغال بما يهمه في نفسه اخرج الكلام في صيغة الامر فقال معبرا بالاكل لانه معظم
المقصود فلياكل بالمعروف اي بقدر اجرة سعيه ولما كان ذلك ربما افهم الامان الى الرشيد بكل اعتبار امر بالجزم

كما في الطبراني الاوسط عن انس رفعه احترسوا من الناس بسوء الظن فقال فاذا دفعتم اليهم اي اليتامى اموالهم اي التي
كانت تحت ايديكم لعجزهم عن حفظها فاشهدوا عليهم اي احتياطا لان الاحوال تتبدل والرشد تتفاوت فالاشهاد اقطع للنزاع
وانفع في كل امر والامر بالاشهاد زاجر للولي عن الخيانة لان من عرف انه لا يقبل عنه الخصام الا ببينة عن غاية المعرفة واحترز غاية
الاحتراز ولما كانت الاموال عظيمة لميل النفوس وكان الحب للشيء يعمي ويصم ختم الآية بقوله وكفى بالله اي الذي له الحكمة البالغة
والقدرة الباهرة والعظمة التي لا مثل لها والباء في مثل هذا تاكيد لان ما قرنت به هو الفاعل حقيقة لا مجازا كما اذا امر بالفعل مثلا
حسيبا اي محاسبا بليغا في الحساب فهو ابلغ تحذيرا لهم وللايتام من الخيانة والتعدي وحد العين الى حق الغير ولما ذكر اموال اليتامى
على حسب ما دعت اليه الحاجة واقتضاه التناسب الى ان ختم بهذه الآية كان كأن سائلا سال من اين تكون اموالهم فبين ذلك
بطريق الاجمال بقوله تعالى للرجال اي الذكور من اولاد الميت واقربائه ولعله عبر بذلك دون الذكور لانهم كانوا لا يورثون
الصغار وخصوص الارث بمن يحمي الذمار فنبه سبحانه على ان العلة المظنة نصيب اي سهما معلوم مما ترك الوالدان والاقربون ولما
كانوا لا يورثون النساء قال وللنساء نصيب ولقصد التعريم للتاكيد قال بوضع ما تركوا مما ترك الوالدان والاقربون مشيرا الى انه
لا فرق بينهن وبين الرجال في القرب الذي هو سبب الارث ثم زاده الامر تاكيدا وتصريحا بقوله ابدا مما قل منه او كثر ثم عرف بان ذلك على وجه الختم الذي لا بد منه فقال نصيبا مفروضا اي مقدرا واجبا مبينا وهذه الآية مجملة (الآية)
بينتها آية المواريث الآتية وعلم انها خاصة بالعصبات من التعبير بالفرض لان الاجماع كما نقله الاصبهاني عن الرازي على انه ليس لذوي
الارحام نصيب مقدر ولما بين المفروض اتبعه المندوب فقال تعالى واذا حضر القسمة اولوا القربى اي ممن لا يورث صغارا او
كبارا واليتامى والمساكين اي برا او غربا فارزقوهم منه اي المتروك وهو امر ندب لتطييب قلوبهم وقرينة صرفه عن
الوجوب ترك التحذير وقولوا لهم اي مع الاعطاء قولا معروفا اي حسنا سائغا في الشرع مقبولا تطيب به نفوسهم ولما
اعاد الوصية باليتامى مرة بعد اخرى وختم بالامر بالآية القول او كان التصوير في التاثير في النفس ما ليس لغيره اعاد الوصية
بهم لضعفهم حصورا لحالهم مبينا ان القول المعروف هو الصواب الذي لا خلل فيه فقال وليخش اي يوقع الخشية على ذرية
غيرهم الزين وذكر لهم حالا موجبا لايقاع الخشية في قلوبهم فقال لو تركوا اي علموا التوكل بموت او هرم وصورا لهم
وحققه بقوله من خلفهم اي بعد موتهم او بعجزهم العجز الذي هو لكونهم ذرية اي اولادا من ذكور او اناث ضعافا اي لصغر
او غيره خافوا عليهم اي جور الجابرين ولما تسبب عن ذلك التصوير في انفسهم خوفهم على ذرية غيرهم كما يخافون على ذريتهم
سواء كانوا اوصيا او اولياء او اجانب وكان هذا الخوف ربما ادام في قصد نفعهم الى جور على غيرهم امر مما يحفظهم على الصراط
السوي بقوله فليتقوا وعبر بالاسم الاعظم ارشادا الى استحضار جميع عظمته فقال الله اي فليعدلوا في ايتام ليقيض
الله لهم من يعدل في ذريتهم والا فاوشك ان يسلط على ذريتهم من يجور عليهم وليقولوا اي في ذلك وغيره قولا سديدا اي عادلا
قاصدا صوابا ليدل هذا الظاهر على اصلاح ما اخره من الباطن ولما طال التحذير والزجر والتهويل في شان اليتامى وكان
ذلك ربما اوجب النفرة من مخالطتهم راسا فتضيع مصالحهم وصل به ما بين ان ذلك خاص بالظالم في سياق موجب لزيادة
التحذير فقال موكدا لما كان قد رسخ في نفوسهم من الاستهانة باموالهم ان الذين ولما كان الاكل اعظم مقاصد الانسان عبر عن
جميع الاغراض فقال يأكلون اموال اليتامى ظلما اي اكلا هو في غير موضعه بغير دليل يدل عليه فهو كفعل من يمشي في الظلام
ثم اتبعه ما زاده تاكيدا بالتحذير في سياق الحصر فقال انما يأكلون اي في الحال وصور الاكل وحققه بقوله في بطونهم نارا
اي تحرق المعاني الباطنية التي تكون بها قوام الانسانية وبين انها على حقيقتها في الدنيا ولكنا لا نحسها الآن لانها
غير النار المعهودة في الظاهر بقوله مكررا التحذير مبينا لقراءة الجماعة بالبناء للفاعل انهم يجاورون بها اجارا يصيرهم
كانهم يدخلونها بانفسهم وسيصلون اي في الاخرة بوعيد حتم لا خلف فيه سعيرا اي عظيما هو نهاية في العظم وذلك
لقراءة ابن عامر وعاصم بالبناء للمجهول اي يلجئهم الى صليها ملجئ قاهر لا يقدرون على نوع دفاع له ولما تم ذلك تشوفت (معنى)
النفوس الى بيان مقادير الاستحقاق بالارث لكل واحد وكان قد تقدم ذكر استحقاق الرجال والنساء من غير تقييد بيتيم
فاقتضت البلاغة بيان جميع اصول المواريث وشفاء الغليل بايضاح امرها فقال مستانفا في جواب من كانه سال عن
ذلك موكدا لما امر به منها غاية التاكيد مشيرا الى عظمة هذا العلم بالتقدم في الايصاء واول اياه والتحذير من الضلال
في آخرها ورغب فيه النبي صلى الله عليه وسلم بانه نصف العلم وحذر من اضاعته بانه اول علم ينزع من الامة يوصيكم
الله اي بما له من العظمة الكاملة والحكمة البالغة وبدا بالاولاد لان تعلق الانسان بهم اشد فقال في اولادكم اي اذا ماتوا
عن اموالهم وتركوها ولما كان هذا مجملا كان بحيث يطلب تفسيره فقال جوابا لذلك باديا بالاشرف بيانا لفضله بالتقدم وجعله
اصلا والتفضيل للذكر اي منهم اذا كان معه شيء من الاناث ولم يمنعه مانع من قتل او مخالفة دين ونحوه مثل حظ
الانثيين اي نصيب من شانه ان يغني ويسعد وهو الثلثان اذا انفردتا فللواحدة معه الثلث فاثبت سبحانه للاناث
حظا تغليظا لهم في سنهن مطلقا ونقصهن عن نصيب الرجال تعريفا بانهم اصابوا في نفس الحكم بانوثة عن درجة
الرجال ولما بان سهم الذكر من الانثى بعبارة النص واشعر ذلك بان لهن ارثا في الجملة وعند الاجتماع مع الذكر وفهم
بحسب اشارة النص وهو ما ثبت بنظمه لكنه غير مقصود ولا سيق له النص حكم الانثيين اذا لم يكن معهن ذكر وهو ان لهما
الثلثين وكان ذلك ايضا مفهما لان للواحدة اذا كان لها مع الاخ الثلث كان لها ذلك مع الاخت اذا لم يكن ثم ذكر من باب

الاولى فاقتضى ذلك انهن اذا كن ثلثا او اكثر ليس معهن ذكر استغرقن التركة وان كانت واحدة ليس معها ذكر لم يزد عن
الثلث بين ان الامر ليس كذلك كما تقدم بقوله مبينا ارثهن حال الانفراد فان كن اي الوارثات نساء اي اناثا ولما
كان ذلك قد يحمل على اقل الجمع وهو اثنتان حقيقة او مجازا حقق ونفى هذا الاحتمال بقوله فوق اثنتين اي لا ذكر معهن
فلهن ثلثا ما ترك اي الميت لا ازيد من الثلثين وان كانت اي الوارثات واحدة اي منفردة ليس معها غيرها فلها النصف
اي فقط ولما قدم الايصاء بالاولاد لضعفهم اذا كانوا صغارا وكان الولد اقرب الناس الى الولد واحقهم بصلته
واشدهم اتصالا به اتبعه حكمه فقال ولابويه اي الميت ثم فصل بعد ان اجمل ليكون الكلام اكد ويكون سامعه اليه
اشوق بقوله مبدلا لتكرير العامل لكل واحد منهما اي ابيه وامه اللذين ثنيا بابوين السدس مما ترك ثم بين شرط ذلك فقال
ان كان له اي الميت ولد اي ذكر فان كانت انثى اخذ الاب السدس فرضا والباقي بعد الفروض عصوبة ولما بين حكمهما مع
الاولاد تلاه بحالة فقدهم فقال فان لم يكن له ولد اي ذكر ولا انثى وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث اي وللاب الباقي
لان الفرض انه لا وارث غيرهما ولما كان التقدير هذا مع فقد الاخوة ايضا بنى عليه قوله فان كان له اخوة اي اثنان
فصاعدا ذكورا او لا مع فقد الاولاد فلامه السدس اي لان الاخوة نقصوها عن الثلث اليه والباقي للاب ولا شيء لهم
واما الاخت الواحدة فانها لا تنقصها الى السدس سواء كانت وارثة او لا وكذا الاخ وان كان واحدا ثم بين ان هذا
كله بعد اخراج الوصية والدين لان ذلك سبق فيه حق الميت الذي جمع المال فقال من بعد وصية يوصي بها اي كما
هو مندوب لكل ميت وقدمها في الوضع على ما هو مقدم عليها في الشرع بعثا على ادائها لان انفس الورثة تشح بها لكونها
مثل مشاركتهم في الارث لانها بلا عوض او دين اي ان كان عليه دين ولما كان الانسان قد يرى ان بعض اقربائه من
اصوله او فصوله او غيرهم انفع له فاحب تفضيله فتعدى هذه الحدود لما رآه وكان ما رآه خلاف الحق في الحال
او في المآل وكان الله تعالى هو المستاثر بعلم ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون
بغيضك يوما ما الحديث لان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء قال تعالى حاثا على لزوم ما حده
موكدا بالجملة الاعتراضية كما هو الشان في كل اعتراض لان هذه القسمة مخالفة لما كانت العرب تفعله وهي على وجوه
لا تدرك عللها اباؤكم وابناؤكم اي الذين فصلنا لكم ارثهم على ما ذكرنا لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي من غيره لانه لا
احاطة لكم في علم ولا قدرة فلو وكل الامر في القسمة اليكم لما وضعتم الامور في احكم مواضعها ولما بين ان الارث على ما
حده سبحانه موكدا له بلفظ الوصية وزاده تاكيدا بما جعله اعتراضا بين الانصباء وبين فريضة بين انه على سبيل
الحتم الذي من تركه عصى فقال ذاكرا مصدرا ماخوذا من معنى الكلام فريضة من الله اي الذي له الامر كله ثم زادهم حثا
على ذلك ورغبة فيه بقوله تعليلا لفريضته عليهم مطلقا وعلى هذا الوجه ان الله اي المحيط علما وقدرة كان ولم
يزل ولا يزال لان وجوده لا يتفاوت في وقت من الاوقات لانه لا يجري عليه زمان ولا يحويه مكان لانه خالقهما
عليما اي بالعواقب حكيما اي فوضع لكم هذه الاحكام على غاية الاحكام في جلب النفع لكم ودفع الضر عنكم ورتبها سبحانه
احسن ترتيب فان الوارث يتصل بالميت تارة بواسطة وهو الكلالة واخرى بلا واسطة وهذا يكون تارة بنسب
وتارة بصهر وسبب فقدم ما بلا واسطة لشدة قربه وبدا منه بالنسب لقوته وبدا منهم بالولد لمزيد الاعتناء به
ولما كان الارث بالمصاهرة اضعف من الارث بالقرابة ذكره بعده وقدمه على الارث بقرابة الاخوة تعريفا
بالاهتمام به ولانه بلا واسطة وقدم منه الرجل لانه افضل فقال ولكم نصف ما ترك ازواجكم وبين شرط هذا بقوله
ان لم يكن لهن ولد اي منكم او من غيركم ثم بين الحكم على هذا التقدير الاخر فقال فان كان لهن ولد اي وارث وان سفل سواء
كان ابنا او بنتا فلكم الربع مما تركن اي تركت كل واحدة فيهن ويغسلها الزوج لان الله اضافها اليه باسم الزوجية والاصل
الحقيقة ولا يضر حرمة جماعها بعد الموت وحل نكاح اختها واربع سواها لان ذلك لفقد المقتضي او المانع وهو الحيوة
وذلك لا يمنع علقة النكاح المبيح للغسل كما لم يمنعها لاجل العدة لو كان الفراق بالطلاق ثم كرر حكم الوصية اهتماما بشانها
فقال من بعد وصية يوصي بها اي الازواج او بعضهن ولعله جمع اشارة الى ان الوصية امر عظيم ينبغي ان يكون امرا مستحضرا
في الذهن غير مغفول عنه عند احد من الناس او دين ولما بين ارث الرجل اتبعه ارثها فقال معلما انه على النصف
مما للزوج كما مضى في الاولاد ولهن اي عددا كن او لا الربع مما تركتم اي يشتركن فيه على السواء ان كن عددا وتنفرد
به الواحدة ان لم يكن غيرها بقوله ان لم يكن لكم ولد ثم بين حكم القسم الاخر بقوله فان كان لكم ولد اي وارث
فلهن الثمن مما تركتم كما تقدم في الربع ثم كرر الخروج عن حق المورث فقال من بعد وصية توصون بها او دين ولما
فرغ من قسمي ما اتصل بالميت بلا واسطة اتبعه الثالث وهو ما اتصل بواسطة ولما كان قسمين لانه تارة يتصل
من جهة الام فقط وهم الاخياف امهم واحدة واباؤهم شتى وتارة من جهة الاب فقط وهم العلات ابوهم واحد وامهاتهم
شتى وتارة من جهة الابوين وهم الاعيان وكانت قرابة الاخوة اضعف من قرابة البنوة اكدها بما يقتضيه حالها
فجعلها في قصتين ذكر احديهما هنا ادخالا لها في حكم الوصية المفروضة وختم بالاخرى السورة لان الختام من مظنات
الاهتمام ولما كانت قرابة الام اضعف من قرابة الاب قدمها هنا دلالة على الاهتمام بشانها وان ما كانوا يفعلونه
من حرمان الاناث خطاء وجور عن منهاج العدل فقال تعالى وان كان اي وجد رجل يورث اي من ورث حال كونه

ثم بين شرطه صح

كلالة اي ذا كلالة لا ولد له منها ولا والد او يكون يُورث من أُورث بمعنى ان ارث الوارث بواسطة من مات كذلك لا هو ولد للميت ولا والد ووارثه ايضا كلالة لانه ليس بوالد ولا ولد فالموروث كلالة وارثه والوارث كلالة مورثه قال الاصبهاني رحمه الله رجل كلالة وامرأة كلالة وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والوكالة وهو بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء وقد تطلق الكلالة على القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه تولهم ما ورث المجد عن كلالة او وجدت امراة اي تورث كذلك ويجوز ان يكون يورث صفة وكلالة خبر كان وله اي للمذكور وهو الموروث على اي الحالتين كان ولما كان الاخوة لام بمحض الانوثة يسوي بين الذكور والانثى لضعفها قال اخ او اخت اي من الام باجماع المفسرين وهي قراءة ابي وسعد بن مالك رضي الله عنهما فلكل واحد منهما السدس اي من تركته من غير فضل للذكر على الانثى ولما افهم ذلك تحويل العبارة المذكورة عن ان يقال فله السدس انهما ان كانا معا كان لهما الثلث وكان ذلك قد يفهم انه ان زاد وارثه زاد الارث عن الثلث نفاه بقوله فان كانوا اي ما افهمه اخ او اخت من الوارث منهم اكثر من ذلك اي واحد كيف كانوا فهم شركاء اي بالسوية في الثلث اي المجتمع من السدسين اللذين تقدم انهما بينهما لا يزادون على ذلك شيا ثم كرر الحث على مصلحة الميت بيانا للاهتمام بها فقال من بعد وصية يوصى بها او دين ولما كان الميت قد يضار ورثته او بعضهم لبغي يخرجه عنهم ظاهرا او باطنا كان يقر بمال لاجنبي او بدين لا حقيقة له او بدين كان له بانه استوفاه ختم الاية بالزجر عن ذلك بقوله غير مضار مع ما تقدم من الاشارة الى ذلك اول القصة بقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال الاصبهاني رحمه الله والاضرار في الوصية من الكبائر ثم اكد ذلك بقوله وصية من الله اي الذي له الامر كله مع تاكيده بجميع ما في الايات تعظيما للامر باكتنافها الوصية باولها واخرها وهو دون الفريضة في حق الاولاد لان حقهم اكد ولما بين سبحانه الاصول وفصل النزاع وكان ذلك خلاف ما توهم وكان الانتظام عن المالوف في الدقة من المشقة اقتضى الحال الوعظ بالترغيب والترهيب فختم القصة بقوله والله اي الجامع لصفات الكمال من الجلال والجمال والاشارة الى عظم الوصية كرر هذا الاسم الاعظم في جميع القصة ثم قال عليم اي فلا يخفى عليه امر من خالف بقول او فعل نية او غيرها حليم فهو من شانه ان لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بامهاله فانه اذا اخذ اخذ طول الاناة لم يفلت فاحذروا غضب الحليم وفي الوصفين مع التهديد استجلاب للتوبة ولما كان نظم انفسهم عن منع الاطفال والنساء شديدا عليهم لمرونهم عليه بمرور الدهور الطويلة على اطبائهم على فعله واستحسانهم له اتبعه سبحانه الترغيب والترهيب ليلا يغتر بوصفه الحلم فقال معظما للامر باداة البعد ومشيرا الى جميع ما تقدم من امر المواريث والنساء واليتامى وغيره تلك اي هذه الحدود الجليلة النفع العظيمة الجدوى المذكورة من اول هذه السورة بل من اول القرآن حدود الله اي الملك الاعظم فمن راعاها ولم يتعد طاعته بل رفعا لنفسه عن دناءة الاخلاد الى الفاني ومعرة الاستيثار على الضعيف المنبئ عن البخل وسفول الهمة فالخير اكبر افانه يوشك ان يحمله ذلك الى ان يكون ممن يطيع الله ومن يطع الله الحايز لصفتي الجلال والاكرام ورسوله اي في جميع طاعاته هذه وغيرها بالاقبال عليها وترك ما سواها لاجله سبحانه قال الاصبهاني رحمه الله من عام ووقوعه عقيب هذه التكاليف الخاصة لا تخصه ولما توفر الداعي بكليته الى الخير التفت اليه تعظيما للامر على قراءة نافع وابن عامر بالنون فقال يدخله جنات اي بساتين وقراءة الجماعة بالياء عظيمة ايضا لبنائها على الاسم الاعظم وان كانت هذه اشد تنشيطا لبذل النفائس تجري من تحتها الانهار اي لان ارضها معادن المياه ففي اي موضع اردت جري نهر فهي لا تزال يانعة غضة وجمع الغايز بين دخول الجنة في قوله خالدين فيها بتشيير الكثرة الواقف عند هذه الحدود لان مسامحة الاخوان من اعلى نعيم الجنان ولما كان اختصاصهم بالارث عن النساء والاطفال من الفوز عندهم بل لم يكن الفوز العظيم عندهم الا الاحتواء على الاموال وبلوغ ما في البال منها من الاعمال قال تعالى معظما باداة البعد وذلك اي الامر العالي الرتبة هي الطاعة المذوب اليها الفوز العظيم اي لا غيره من الاحتواء على عالم يادن به الله وهذا اسبب شيء لتقدم الترغيب لتسمح نفوسهم بترك ما كانوا فيه مع ما فيه من التلطف لهذه الامة والتبشير له صلى الله عليه وسلم بانها مطيعة راشدة ولما اشربت القلوب الصافية ذوات الهمم العالية حب نيل هذا الفوز اتبعه الترهيب فطما لها عن تلك العوايد بالكلية فقال ومن يعص الله اي الذي له العظمة كلها ورسوله اي في ذلك او غيره ويتعد حدوده اي التي حدها في هذه الاحكام وغيرها وافرد العاصي في البيان في قوله يدخله نارا خالدا فيها لان الانفراد المقتضي للوحشة من العذاب والهوان ولما كان منعهم للنساء والاطفال من الارث استهانة بهم ختم الاية بقوله وله عذاب مهين ولما تقدم سبحانه في الايصاء بالنساء وكان الاحسان في الدنيا تارة يكون بالثواب وتارة يكون بالزجر والعقاب لان مدار الشرايع على العدل والانصاف والاحتراز في كل باب عن طرفي الافراط والتفريط وختم سبحانه باهانة العاصي احسانا اليه بكفه عن الفساد لئلا يلقيه ذلك الى الهلاك ابد الآباد وكان من اكبر العصيان الزنا وكان الفساد في النساء اكثر والفتنة بهن اكبر والضرر منهن اخطر وقد يدخل على الرجال من يرث منهم من غير اولادهم قدمهن فيه اهتماما بزجرهن فقال واللاتي وهو جمع التي ولعله عبر فيهن بالجمع اشارة الى كثرتهن كما اشار الى ذلك مثنى وثلاث ورباع والى كثرة الفساد منهن يا تين اي يفعلن من اطلاق السبب على المسبب والتعبير به ابلغ الفاحشة اي ان الفعلة الشديدة الشناعة وفي الاية لان من اعظم المرادات بنظمها عقب ايات الارث وما تقدمها الاحتياط للنسب اشار بذكر عقوبة الزانية من غير تعرض لارث الولد الاتي منها الى ان الولد للفراش وانه لا ينفي بالمظنة بل بعد التحقق عليها في سورة النور لانه لا يلزم من وجود الزنى نفيه وكونه من الزنى قال ابو حيان في النهر والفاحشة هنا الزنا باجماع المفسرين الا ما ذهب اليه مجاهد

مصدر اليوسكم

وتبعه ابو مسلم الاصبهاني من انها المساحقة ومن الرجال اللواط ثم بين الموصول بقوله ﴿من نسائكم﴾ اي الحرائر ﴿فاستشهدوا﴾
اي فاطلبوا ان تشهدوا ﴿عليهن اربعة﴾ من الرجال ولما كان تعالى قد جعل هذه الامة وسطا يقبلون على غيرهم ولا يقبل
غيرهم قال ﴿منكم﴾ اي من عدول المسلمين بالغين فعلنها ﴿فان شهدوا﴾ اي بذلك ﴿فامسكوهن﴾ اي فاحبسوهن ﴿في البيوت﴾ اي واصنعوا
من الحروج فان ذلك اصون لهن وليستمر ذلك المنع ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ اي يأتيهن وهن وافيات للاعراض ﴿او يجعل الله﴾ اي المحيط
علمه وحكمته ﴿لهن سبيلا﴾ اي للحروج قبل الموت بتبيين احد امرين اما النكاح وان لم يشهد الاربعة لم يفعل بهن ذلك وان تحقق
ذلك الفعل ولما ذكر امر النساء اتبعه حكم الرجال على وجه يعم النساء ايضا فقال ﴿واللذان﴾ وهو تثنية الذي وشدد
نونه ابن كثير تقوية له ليقرب من الاسماء المتمكنة ﴿يأتيانها منكم﴾ اي من بكر او ثيب او رجل او امرأة ويثبت ذلك بشهادة
الاربعة كما تقدم ﴿فآذوهما﴾ وقد بين محل الاذى الصادق باللسان وغيره آية الجلد وسنة الرجم ﴿فان تابا﴾ اي بالندم والاقلاع
والعزم على عدم العود ﴿واصلحا﴾ اي بالاستمرار على ما عزما عليه ومضت مدة علم فيها الصدق في ذلك ﴿فاعرضوا عنهما﴾
اي عن اذاهما ويويد ان الاذى باللسان يستمر حتى يحصل الاستبراء ثم علل ذلك بقوله ﴿ان الله﴾ اي الذي لجميع صفات
الكمال ﴿كان توابا﴾ اي رجاعا لمن رجع عن عصيانه الى ما كان فيه من المنزلة ﴿رحيما﴾ اي يخص من يشاء من عباده بالتوفيق لما
يرضاه اي له فتخلقوا بفعله سبحانه وارحموا المذنبين اذا تابوا ولا يكن اذاكم لهم الا لير جعوا وليكن اكثر كلامكم لهم الوعظ
بما يقبل بقلوبهم الى ما ترضاه الالهية ويويد ان المراد بهذا البكر والثيب من الرجال والنساء تفسير النبي صلى الله عليه
وسلم لها بقوله في ما رواه مسلم والاربعة والدارمي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قد جعل الله لهن سبيلا البكر
بالبكر جلد مايه وتغريب عام والثيب بالثيب الرجم فالحديث مبين لما احمل في الاية من ذكر السبيل ولما ختم ذلك
بذكر توبة الزناة وكان الحامل على الزنا على ما يقتضيه الطبع البشري شدة الشبق وقلة النظر في العواقب وكان ذلك
انما هو في الشباب وصل بذلك قوله تعالى معرفا بوقت التوبة وشرطها مرغبا في تعجيلها مرهبا من تاخيرها ﴿انما التوبة﴾
وهي رجوع العبد عن المعصية اعتذارا الى الله تعالى والمراد هنا قبولها سماه باسمها لانها بدون القبول لا نفع لها فكانه
لا حقيقة لها ولما شبه قبوله لها بالواجب من حيث انه اخبر بها لانه لا يبدل القول لديه عبر بحرف الاستعلاء المؤذن
بالوجوب حثا عليها وترغيبا فيها فقال ﴿على الله﴾ اي الحامع لصفات الكمال ﴿للذين يعملون السوء﴾ اي سوء كان من فسق او كفر
وقال ﴿بجهالة﴾ اشارة الى شدة قبح المعصية لا سيما الزنا من المشايخ لاشعار السياق ترهيبا بان الامر فيهم ليس كذلك
كما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار باسناد جيد عن سلمان رضي الله عنه ثلثة لا يدخلون الجنة الشيخ الزاني
والامام الكذاب والعايل المزهو وهو في مسلم وعينه عن ابي هريرة رضي الله عنه ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر
اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعايل مستكبر وهو عن كثير من الصحابة من طرق كثيرة وذلك لان
حصور الموت بالقوة القريبة من الفعل واضمحلال القوي الموهنة لداعية الشهوة قريب من حصوله بالفعل وذلك
ينبغي ان يكون مذهبا لداعية الجهل ماحقا لعرامة الشباب سواء قلنا ان المراد بالجهالة ضد الحلم او ضد العلم قال
الامام عبد الحق في كتابه الواعي قال ابو عبيد الله يعني القزاز والجاهلية الجهلا اسم وقع على اهل الشرك يكون ماخوذا
من الجهل الذي هو ضد العلم والذي هو ضد الحلم قال واصل الجهل من قولهم استجهلت الريح الغصن اذا حركته فكان
الجهل انما هو حركة تخرج عن الحق والعلم انتهى فالمعنى حينئذ يعملون السوء ملتبسين بسفه او بحركة او خفة اخرجتهم
عن الحق والعلم فكانوا كانهم لا يعلمون لعملهم عمل اهل الجاهلية الذين لا يعلمون وزاد في التنفير من مواقعة السوء
والتحذير بقوله ﴿ثم يتوبون﴾ اي يجددون التوبة ولما كان المراد الترغيب فيها ولو قصر زمنها بمعاودة الذنب
اثبت الجار فقال ﴿من﴾ اي ببعض زمان ﴿قريب﴾ اي من زمن المعصية وهم في نسحة من الاجل وذلك كناية عن عدم الاصرار
الى الموت ولعله عبر بثم اشارة الى بعد التوبة ولا سيما مع القرب ممن واقع المعصية لان الغالب ان الانسان اذا
ارتبك في حبالها لا يخلص الا بعد عسر ولذلك اشار الى تعظيمهم باداة البعد في قوله مسببا عن توبتهم واعدادا انه
فاعل ما اوجبه على نفسه لا محالة من غير خلف وان كان لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء ﴿فاولئك﴾ اي العظيمو الرتبة
الصادقو الايمان ﴿يتوب الله﴾ اي الذي له جميع صفات الكمال ﴿عليهم﴾ اي يردهم الى ما كانوا فيه عنده من مكانه القرب
قبل مواقعة الذنب ﴿وكان الله﴾ اي المحيط علما وقدرة ﴿عليما﴾ اي بالصادقين في التوبة والكاذبين وبنياتهم فهو يعاملهم
بحسب ما تقتضيه حالهم ﴿حكيما﴾ فهو يضع الاشياء في احكم محل لها فمهما فعله لم يكن نقضه ولما بين سبحانه المقبول
اتبعه المطرود فقال ﴿وليست التوبة﴾ اي قبولها ﴿للذين يعملون السيات﴾ اي واحدة بعد اخرى مصرين عليها فسقة
كانوا او كفرة غير راجعين من قريب بل يمهلون ﴿حتى اذا حضر﴾ ولما كان تقديم المفعول على وجه يجوز كل سامع وقوعه عليه
اهول لكونه يصير مرتقبا حال فاعله خايفا من عاقبته قال ﴿احدهم الموت﴾ اي بان وصل الى حد الغرغرة وهي حالة
المعاينة ﴿قال﴾ اي بلسانه كفرعون او قلبه ﴿اني تبت الآن﴾ فبين ان ما قبل الاحتضار قريب مع الترغيب في المسارعة جدا
بالتعبير بقريب ﴿ولا الذين﴾ اي وليست التوبة للذين ﴿يموتون وهم كفار﴾ حقيقة او مجازا من غير ان يتوبوا ولا عند
الغرغرة فسوى بين الفسق والكفر في ذلك تنفيرا من الفسق لصعوبة النزع عنه بعد مواقعته ولذلك جمعهما في الجزاء
بقوله جوابا لمن كانه قال فما جزاء هذين الصنفين ﴿اولئك﴾ اي البعداء من الرحمة الذين لم يتوبوا الا حال الغرغرة والذين

ماتوا مصرين اعتدنا اي هيانا واحضرنا لهم عذابا ولما كان تاخير التوبة لذة نفسانية ختم بقوله اليما اي نعذب
به الكافرين ومن شينا من عصاة المومنين لان توبتهم في تلك الحالة عدم والميت غير توبة من المومنين في المشية ولما
انقضى ما تخلل ذكر النسا الوالدات للوراث وختمه بهذا التهديد الهايل لمن فعله ما لا يحل له وصل الكلام فيهن بامر من فعله
فهو زان مصر على الزنا الى الموت ان اعتقد حرمته او كافر ان اعتقد حله فقال مشيرا بتخصيص المومنين عقب ولا الذين يموتون
وهم كفار الى انه لا يرث كافر من مسلم والا لقال يا ايها الناس مثلا منفرا من ذلك بالتعبير بما هو لادنى الايمان يا ايها الذين امنوا
اي فوقف بهم الايمان عند زواجرنا لا يحل لكم ان ترثوا النسا اي ما لهن كرها اي كارهين لهن لا حامل لكم على نكاحهن الا رجا
الارث وذلك انهم كانوا ينكحون اليتامى لما لهن وليس لهم فيهن رغبة الا تربص الموت لاخذ ما لهن ميراثا كما سياتي في تفسير
ويستفتونك في النسا الاية او يكون الفعل واقعا على نفس النسا ويكون كرها على هذا حالا موكدة اي كارهات او ذوات كره
وذلك لان الرجل كان اذا مات وله امراة جا ابنه من غيرها او قريبه من عصبته فيلقي ثوبه عليها فيصير احق بها من نفسها
ومن غيره فان شا تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شا زوجها غيره واخذ صداقها وان شا
عضلها ومنعها من الازواج يضارها لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت هي فيرثها وكان اهل المدينة على هذا حتى توفي
قيس بن الاسلت ففعل ابنه حصن هذا مع زوجة له فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية
روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان اذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامراته ان شا بعضهم تزوجها
وان شاوا زوجوها وان شاوا لم يزوجوها وهم احق بها من اهلها فنزلت هذه الاية في ذلك لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها
ولهذا اتبعه سبحانه قوله ولا تعضلوهن اي تمنعوهن من التزوج بعد طلاقكم لهن او بعد موت ازواجهن او تشددوا
عليهن بالمضارة وهن في حبالكم قال البيضاوي رحمه الله واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة بيضها
انتهى والظاهر ان مدار مادته انما هو على الاشتداد من عضلة الساق وهي اللحمة التي في باطنه ونقل عبد الحق انها كل لحم
اجتمع قال وقال الخليل كل لحمة اشتملت على عصبة انتهى وتارة يكون الاشتداد ناظرا الى المنع وتارة الى الغلبة والضيق
ثم علل ذلك بقوله لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن اي انتم ان كن ازواجا لكم او مورثكم ان كن ازواجا لهم وعضلتموهن
بعدهم ليذهب ذلك بسبب انفاقهن له على انفسهن في زمن العضل او بسبب افتدايهن لانفسهن به منكم ثم استثنى من تحريم
العضل في جميع الحالات فقال الا ان اي لا تفعلوا ذلك لعلة من العلل الا لعلة ان ياتين بفاحشة اي فعلة زايدة القبح
مبينة اي بالشهود الاربعة ان كانت زنا فاعضلوهن بالامساك في البيوت كما مضى لان من تعجل شيا قبل اوانه عوقب
بحرمانه او بمن يقبل من الشهود ان كانت نشوزا او سوء عشرة فلكم العضل حينئذ الى الصلاح او الافتدا بما تطيب به
النفس والانسب لسياق الامر في وعاشروهن اي يكون تعضلوهن منهيا لا معطوفا على ان ترثوا بالمعروف اي من القول
والفعل بالمبين والنفقة والموادة قبل الاتيان بالفاحشة فان اي ان كنتم لا تكرهونهن فالامر واضح وان كرهتموهن فلا
تبادروا الى المضاجرة او المفارقة واصبروا عليهن نظرا لما هو الاصلح لا لمجرد الميل النفسي فان الهوى شانه ان لا يدعوا
الى خير ثم دل على هذه العلة بقوله فعسى ولوضوح دلالتها على ذلك صح جعلها جوابا للشرط ان تكرهوا شيا اي من
الازواج او غيرها لم يقيده سبحانه تعميما تتميما للفايدة ويجعل الله اي المحيط علما وقدرة وغيب بحكمته عنكم العواقب
لئلا تسكنوا الى مالوف او تنفروا من مكروه فيه خيرا كثيرا ولما نهى عن العضل تسببا الى اذهاب بعض ما اعطيته المراة
اتبعه التصريح بالنهي عن اخذ شي منه في غير الحالة التي اذن فيها في المضارة فقال وان اي لم تعضلوا المراة بل اردتم استبدال
زوج اي تنكحونها مكان زوج اي فارقتموها اولا ولم يكن من قبلها ما يبيح الضرار ولما كان المراد بزوج الجنس جمع في قوله
واتيتم احديهن اي احدى النسا اللاتي وقع الاذن لكم في جمعهن في النكاح سوا كانت بدلا او مستبدلا بها قنطارا اي مالا جما
فلا تاخذوا منه شيا اي بالمضارة عن غير طيب نفس منها ولا سبب مباح ثم عظم اخذه باستفهام انكار وتوبيخ فقال
اتاخذونه اي على ذلك الوجه ولما تقدم ان من صور الغضب على الافتدا حال الاتيان بالفاحشة شبه الاخذ في هذه
الحالة التي لا سبب لها بالاخذ في تلك الحالة فجعل الاخذ على هذه الصورة قايما مقام القذف بما لا حقيقة له فلذلك قال
بهتانا واثما مبينا اي كذوي بهتان في اخذه واثم مبين لكونه لا سبب له يورث شبهة فيه ثم غلظ ذلك باستفهام
او كذلك فقال وكيف تاخذونه وقد اي والحال انه قد افضى اي بالملامسة بعضكم الى بعض اي فكدتم ان تصيروا
جسدا واحدا واخذن اي النسا منكم اي بالافضا والاتحاد ميثاقا غليظا اي قويا عظيما بتقوى الله في المعاشرة
بالاحسان وعدم الاساءة لان مبنى النكاح على ذلك وان لم يصرح به فيه ولما كرر ذكر الاذن في نكاحهن وما تضمنه
منطوقا ومفهوما وكان قد تقدم الاذن في نكاح ما طاب من النسا وكان الطيب شرعا يحمل على الحل مست الحاجة الى
ما يحل منهن لذلك وما يحرم فقال ولا تنكحوا اي تتزوجوا وتجامعوا ما نكح اي بمجرد العقد في الحرة وبالوطء في
ملك اليمين اباؤكم وبين ما بقوله من النسا اي سوا كانت اما او لا بنكاح او ملك يمين وعبر بما دون من لما في
النسا غالبا من السفه المدني مما لا يعقل ولما نهى عن ذلك فنزعت النفوس عما كان قد الف لها منه فلاح انه في غاية
القباحة وان الميل اليه انما كان شهوة بهيمية لا شي فيها من عقل ولا مروءة وكانت عادتهم في مثل ذلك مع التاسف
على ارتكابه السوال عما مضى منه كما وقع في استقبال بيت المقدس وشرب الخمر اتبعه الاستثنا من لازم الحكم وهو فانه

موجر

موجب لمقت من ارتكبه وعقابه فقال الا ما قد سلف اي لكم من فعل ذلك في ايام الجاهلية كما قاله الشافعي رضي الله عنه
في الام قال السهيلي في روضه وكان ذلك مباحا في الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات التي انتهكوها ثم علل النهي
بقوله انه اي هذا النكاح كان اي الآن وما بعده كونا راسخا فاحشة اي والفاحشة لا يقدم عليها تام العقل ومقتا
اي اشر ما يكون قبحا وبغضا بينكم وبين ابائكم لو كانوا احياء وانتم تدعون تعظيمهم وتقاتلون من يسوءهم او ينتقصهم
وبينكم وبين ذوي الهمم لما انتهكتم من حرمة ابائكم وساء سبيلا اي قبح طريقا طريقه ولما ابتدا بتعظيم الاباء واحترامهم
في ان ينكح الابناء ازواجهم على سبيل العموم ثنى بخصوص الام بقوله حرمت عليكم ولما كان اعظم مقصود النساء النكاح
فكان اضافة التحريم الى اعيانهن لافادة التاكيد غير قادح في فهمه وكان مع ذلك قد تقدم ما يدل على ان المراد النكاح
اسند التحريم الى الذات تاكيدا للتحريم فقال امهاتكم اي التمتع بهن بنكاح او ملك يمين فكان تحريمها مذكورا مرتين تاكيدا
له وتغليظا لامره في نفسه واحتراما للاب وتعظيما لقدره وبناتكم اي وان سفلن لما في ذلك من ضرار امهاتهن وهذان
الصنفان لم يحللن في دين من الاديان واخواتكم اي اشقاء اولا وعماتكم كذلك وخالاتكم ايضا والضابط لهما ان كل ذكر
رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد تكون من جهة الام وهي اخت ابي امك وكل انثى رجع نسبك اليها بالولادة فاختها
خالتك وقد تكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك وبنات الاخ شقيقا كان او لا وبنات الاخت اي كذلك
وفروعهن وان سفلن ولما انقضى امر النسب وهو سبعة اصناف اتبعه امر السبب وهو ثمانية اوله ازواج الاباء
افردها وقدمها تعظيما لحرمتها لما كانوا استهانوا من ذلك واخره المحصنات وبدا من هذا القسم بالام من الرضاع كما بدا
النسب بالام فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم تنزيلا له منزلة النسب ولذلك سماها اما فكل انثى انتسبت باللبن اليها
فهي امك وهي من ارضعتك او ارضعت امراة ارضعتك او رجلا ارضعت بلبانه من زوجته او ام ولده وكذا كل امراة
ولدت امراة ارضعتك او رجلا ارضعك فهي امك من الرضاعة والمراضعة اختك وزوج المرضعة الذي ارضعت هي
بلبانه ابوك وابواه جداك واخته عمتك وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده اخوه لاب وام المرضعة
جدتك واختها خالتك وكل من ولد لها من هذا الزوج اخوه لاب وام ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لام فعلى
ذلك ينزل قوله واخواتكم من الرضاعة كما في النسب سواء بشرط ان يكون خمس رضعات وفي الحولين وبتسمية المرضعة
اما والمشاركة في الرضاع اختا علم ان الرضاع كالنسب كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله يحرم من الرضاع ما
يحرم من النسب فالصورتان منبهتان على بقية السبع الام منبهة على البنت بجامع الولادة والاخوات على العمات والخالات
وبنات الاخ وبنات الاخت بجامع الاخوة ولما انقضى ما هو كلحمة النسب اتبعه امر ما بالمصاهرة فقال وامهات نسائكم
اي دخلتم بهن اولا لما في ذلك من افساد ذات البين غالبا وربائبكم وذكر سبب الحرمة فقال اللاتي في حجوركم اي بالفعل
او بالقوة لما فيهن من شبه الاولاد من نسائكم ولما كانت الاضافة تسوغ في اللغة بادنى ملابسة بين سبحانه انه لا بد
من الجماع الذي كنى عنه بالدخول لانه ممكن لحكم الزواج الذي يصير به اولادها كاولاده فقال اللاتي دخلتم بهن قيد
بالدخول لان غيرة الام من ابنتها دون غيرة البنت من امها ولما اشعر هذا القيد بحل بنت من عقد عليها ولم يدخل بها
افصح به تنبيها على عظيم حرمة الابضاع فقال فان لم تكونوا دخلتم بهن اي الامهات فلا جناح عليكم اي في نكاحهن
ولما افتتح المحرمات على التابيد بزوجة الاب ختمها بزوجة الولد فقال وحلائل ابنائكم اي زوجة كانت او موطوءة
بملك يمين ولما لم يكن التبني مرادا قيد بقوله الذين من اصلابكم اي وان سفلوا ودخل ما بالرضاع لانه كلحمة النسب
فلم يخرجه القيد ولما انقضى التحريم المؤبد اتبعه الموقت فقال وان اي وحرم عليكم ان تجمعوا بعقد نكاح لان مقصوده
الوطء او بوطء في ملك يمين بين الاختين فان كانت احديهما منكوحة والاخرى مملوكة حلت المنكوحة وحرمت المملوكة
ما دام الحل لان النكاح اقوى فاذا زالت الحل حلت الاخرى ولو في عدة التي كانت حلالا ولما كان الجمع بين الاختين شرعا
قديما قال الا ما قد سلف اي فانه لا اثم عليكم فيه رحمة من الله لكم ثم علل رفع حرجه فقال ان الله اي المحيط بصفات
الكمال كان غفورا اي ساترا لما يريد من اعيان الزلل واثاره رحيما اي معاملا بغاية الاكرام الذي يرضاه الالهية
ولما ذكر مضارة الجمع اتبعه مضارة الاغارة على الحق والاول جمع بين المنكوحين وهذا جمع بين الناكحين فقال عاطفا على النائب
عن فاعل حرمت والمحصنات اي الحرائر المزوجات لانهن متعسر فروجهن بالنكاح عن غير الازواج من النساء الا ما ملكت
ايمانكم اي من ازواج اهل الحرب فان الملك بالاسر يقطع النكاح ولما اتم ذلك قال موكدا له ومبينا عظمته كتاب
الله اي خذوا فرض الملك الاعظم الذي اوجبه عليكم ايجاب هو موصول في الشيء يقطعه منه والزموه غير ملتفتين الى غيره
وزاد في تاكيده باداة الوجوب فقال عليكم ولما افهم ذلك حل ما سواه افصح به احتياطا للابضاع وتعظيما لحرماتها
في قوله واحل لكم وبين عظمة هذا التحريم باداة البعد فقال ما وراء ذلكم اي الذي ذكر لكم من المحرمات العظيمة
ولما كان الكلام في المنع لم يصرح بالفاعل بل قال حرمت ترفقا في الخطاب حثا على الاداب فلما وصل الامر الى الحل اظهره
تطييبا للقلوب وتانيسا للنفوس في قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو وابن عامر بفتح الهمزة والحاء وابهمه في قراءة الباقين
على نسق حرمت لان فاعل الحل والحرمة عند اهل هذا الكتاب معروف انه الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه ثم اتبع التحليل
علته فقال ان اي ارادة ان تبتغوا اي تطلبوا متثبتين من شئتم مما احل لكم باموالكم اللاتي تدفعونها مهورا حال كونكم

محصنين اي قاصدين بذلك العفة لانفسكم ولهن غير مسافحين اي قاصدين قضاء الشهوة وصب الماء الدافق لذلك فقط وهو
على هذا الوجه لا يكون الا زنا سرا وجهرا فيكون فيه حينئذ اضاعة المال واهلاك الدين ولا مفسدة اعظم مما يجمع هذين الخسرانين
ولما تقدم اول السورة واثناها الامر بدفع الصداق والنهي عن اخذ شي مما دفع الى المراة وكان ذلك اعم من ان يكون بعد
الدخول او قبله مسمى او لا قال هنا مسببا عن الابتغاء المذكور فما استمتعتم اي اوجدتم المتاع وهو الانتفاع به منهن بالبناء
بها متطلبين لذلك من وجوهه الصحيحة راغبين فيه فاتوهن اجورهن اي عليه كاملة وهي المهور فريضة اي حال كونها واجبة
من الله ومسماة مقدرة قدرتموها على انفسكم ولا جناح اي حرج وميل عليكم فيما تراضيتم به انتم والازواج من بعد الفريضة
اي من طلاق او فراق او زيادة او نقص ان كانت موجودة مقدرة او من مهر المثل من بعد تقديره ان لم تكن مسماة فيمن عقد عليها
من غير تسمية صداق ولما ذكر في هذه الايات انواعا من التكاليف هي في غاية الحكمة والتعبير عنها في الذروة العليا من العظمة
وختمها باسقاط الجناح عند الرضى وكان الرضى امرا باطنا لا يطلع عليه حقيقة الا الله تعالى حث على الورع في شانه بفوط الحكم
بغلبة الظن فقال مرغبا في امتثال اوامره ونواهيه ان الله اي الذي له الاحاطة التامة علما وقدرة كان عليما اي بمن يقدم متحريا
لرضى صاحبه او غير متحر لذلك حكيما اي يضع الاشياء في امكن مواضعها من الجزاء على الذنوب وغيره ولما مضى ذلك على هذا الوجه
الجليل عرف انه كله في الحراير لانه الوجه الاحكم في النكاح واتبعه تعليم الحكمة في نكاح الاماء فقال عاطفا على ما تقديره هذا
حكم من استطاع نكاح حرة ومن لم يستطع منكم اي ايها المومنون طولا اي سعة وزيادة عبر فيما قبله بالمال تهوينا لبذله
بانه مبال لا ثبات له وهنا بالطول الذي معناه الزيادة التي قل من يجدها ان اي لان ينكح المحصنات اي الحراير فان الحرة
مظنة العفة الجاعلة لها فيما هو بالحصن على مريد الفساد لان العرب كانوا يصونهن رهن يصن انفسهن عن ان يكن كالاماء
المومنات بسبب كثرة المؤنة وغلاء المهر فمن اي فلينكح ان اراد من ما ملكت ايمانكم اي مما ملك غيركم من المومنين من فتياتكم
اي امائكم واطلقت الفتوة وهي الشباب على الرقيق لانه يفعل ما يفعل الشاب لتكليف السيد له الى الخدمة وعدم توقيره
وان كان شيخا ثم وضح المراد بالاضافة فقال المومنات اي لا من الحراير الكافرات ولا مما ملكتم من الاماء الكافرات ولا مما ملك
الكفار حذرا من مخالطة كافرة خوفا من الفتنة كما مضى في البقرة ولئلا يكون الولد المسلم بحكم تبعية امه في الرق ملكا للكافر
هذا ما تفهمه العبارة ولكنهم قالوا ان تقييد المحصنات بالمومنات لا مفهوم له والا لصار نكاح الحرة الكتابية المباح باية
المائدة مشروطا بفقد مسلمة حرة كانت او امة ولم يشترط ذلك ومذهب الشافعي انه لا يجوز نكاح الامة مع القدرة على حرة
كتابية والظاهر ان فايدة التقييد الندب الى مباعدة الكفار فلا ينكح منهن الا لضرورة فلان هذه سورة المواصلة اسقط
فيها اهل المباعدة والمائدة سورة تمام الدين فذكر فيها ما يجوز لاهله فلا ضرر في القيد لان المفهوم لا يقوى لمعارضة
المنطوق مع ما فيه فايدة الندب الى الترك وهذا كما ان قيد الاحصان هنا للندب الى عدم نكاح الزواني مع جوازه باية
النور وانكحوا الايامى منكم كما ياتي بيانه هناك ان شاء الله تعالى ولما شرط في هذا النكاح الايمان وعبر فيه بالوصف
وكان امرا قلبيا لا يطلع على حقيقته الا الله تعالى اعقبه ببيان انه يكتفى فيه بالظاهر فقال والله اي الذي له الاحاطة
التامة بالمعلومات والمقدورات اعلم بايمانكم فربما ظهر ضعف ايمان احد والباطن بخلافه لكن في التعبير به وبالوصف
لا بالفعل ارشادا الى مزيد التحري من جهة الدين فاظفر بذات الدين تربت يداك ولما اشترط الدين كان كانه قيل فالنسب
فاشير الى عدم اشتراطه بقوله بعضكم من بعض اي كلكم من آدم وان تشعبتم بعده فانكحوهن اي بشرط العجز باذن اهلهن
اي مواليهن ولا يجوز نكاحهن من غير اذنهن ولما كان مما لا يخفى ان السيد المالك للرقبة مالك للمنفعة من باب الاولى كان
الامر بدفع المهور اليهن مفيدا لندب السيد الى جبرها به من غير ان يوهم انها تملكه وهي لا تملك نفسها فلذلك قال تعالى
واتوهن اجورهن وهي المهور بالمعروف اي من غير ضرار لا عليكم ولا عليهن ولا على اهلهن حال كونهن محصنات اي عفايف بانفسهن
او بصون الموالي لهن غير مسافحات اي مجاهرات بالزنا لمن اراد لا لشخص معين ولا متخذات اخدان اي اخلاء في السر للزنا
معينين لا تعدو ذات الخدن خدنها الى غيره قال الاصبهاني وهو اي الخدن الذي يكون معك في كل ظاهر وباطن ولما لم
يتقدم بيان حد الاماء قال مبينا له فاذا احصن مبنيا للفاعل في قراءة حمزة والكسائي وابي بكر عن عاصم والمفعول في
قراءة الباقين اي انتقلن من حيز التعريض للزنا لاكراه الى حيز الحراير بان حفظن فروجهن بكراهتهن للزنا او حفظهن الموالي
بالرضى لهن بالعفة وقال الشافعي رضي الله عنه في اوايل الرسالة في آخر الناسخ والمنسوخ الذي يدل الكتاب على
بعضه والسنة على بعضه ان معنى احصن هنا اسلمن لا نكحن كاصبن بالنكاح ولا اعتقن وان لم يصبن وقال فان قال
قايل اراك توقع الاحصان على معان مختلفة قيل نعم جماع الاحصان ان يكون دون التحصين صانع من تناول المحرم فالاسلام
مانع وكذلك الحرية مانعة وكذلك التزوج مانع وكذلك الحبس في البيوت مانع وكل ما منع احصن وقد قال الله عز وجل
وعلمناه صنعة لبوس ليحصنكم من باسكم وقال لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة يعني ممنوعة قال واخر الكلام
واوله يدلان على ان معنى الاحصان المذكور عاما في موضع دون غيره ان الاحصان ههنا الاسلام دون النكاح والحرية
والتحصين بالحبس والعفاف وهذه الاسماء التي يجمعها اسم الاحصان انتهى فان اتين بفاحشة ولا تكون حينئذ الا عن رضى
من غير اكراه ولما كان من شان النكاح تغليظا لحد فغلظ في الحراير بالرجم بين تعالى انه لا تغليظ على الاماء بل حدهن
بعده هو حدهن قبله فقال فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحراير لانهن في مظنة العفة وان كن بغير ازواج من العذاب

سكان ج

اي الحد كما كان ذلك عذابهن قبل الاحصان وهذا يفهمه بطريق الاولى والمراد هنا الجلد لان الرجم لا يتنصف ولما كانه قيل هل هذا الكل عاجز عن الحرة استونفت جواب هذا السوال بقوله تعالى مشيرا باداة البعد الى انه مما لا يحسن قربه ذلك اي حل نكاح الاماء الذي ينبغي البعد منه لمن خشي العنت اي الوقوع في الزنا الموجب للاثم المقتضي للهلاك بالعذاب في الدنيا والاخرة بما عنده من عظيم الداعية الى النكاح ومشقة الصبر عنه قالوا واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر ثم استعير لكل مشقة وضرر قال الاصبهاني وقيل انه لشبق الشديد والغلمة العظيمة تدبو دي بالانسان الى الامراض الشديدة المفي حق النساء فقد يودي الى اختناق الرحم واما في حق الرجال فقد يودي الى اوجاع الوركين والظهر ولما كان هذا التخفيف والتيسير خاصا بالمومنين مقيد بقوله منكم ولما بين باحته واشار الى البعد عنه لما فيه من اسر ما قال لو لم يصرح بالندب الى حبس النفس عنه فقال والله اي الذي له الجلال والاكرام غفور اي لمن لم يصبر والمغفرة تشير الى نوع تقصير رحيم اي فاعل به فعل الراحم منكم بالاذن في قضاء وطر والعطف فيما يتبع ذلك من المحذور ولما اتم سبحانه بيان الحلال والحرام من هذه الحدود والاحكام وختمها بصفة الرحمة بين ما اراد بها من موجبات الرحمة منكم تذكيرا بالنعمة لئلا تكفر وتحذيرا من ان تنسى فتكفر فقال تعالى يريد الله اي الملك الاعظم انزال هذه الاحكام على هذا النظام ليبين لكم اي ليوقع البيان الشافي فيما لكم وعليكم من شرايع الدين ويهديكم اي يعرفكم سنن اي طريق الدين ولما كان المراد بعض الماضين قال من قبلكم اي من اهل الكتاب الانبياء واتباعهم ويتوب عليكم اي يرجع بكم عن كل ما يرضيه لا سيما ما يجر الى المقاطعة مثل منع النساء والاطفال الارث ومثل نكاح ما يحرم نكاحه وغير ذلك فاعلم ايها المختص بهذه التكاليف بل سلك بهم فيها صراط الذين انعم عليهم ليكون ذلك ادعى لهم الى القبول واعون الى الامتثال وليتحققوا ان العتاة اهل الكتاب اشبه اليهم وتذكيرهم بالاضغان لارادة العتاة العداوة محض حسد لمشاركتهم لهم في منهم اذ هدوا لسننهم وما احسن ختم ذلك والله اي المحيط باوصاف الكمال عليم حكيم فلا يشرع لكم شيئا الا وهو في غاية الاحكام بان عملوا به يوصلكم الى دار السلام بيان ذلك ان ما في هذه السورة الامر بالتقوى والحث عليها وبيان الفرايض وامر الزناة وما يحل ويحرم من النساء والتحريض في الاموال والاحسان الى الناس لا سيما الايتام والوالدين والادغان للاحكام وتحريم القتل والامر بالعدل في الشهادة وغيرها وكل ذلك مبين اصوله في التورية كما هو مبثوث في هذا الديوان عن نصوصها في المواضع اللايقة به لكن القران احسن بيانا وابلغ تبيانا وابدع شانا وابطف عبارة واد قاشارة واعجب ذلك ان سبب انزال فرايض الميراث في شريعتنا النساء ففي الصحيحين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاني وقد اغمي علي وفي رواية للبخاري في التفسير عادني النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا اعقل فدعا بماء فتوضا فصب علي وضوءه فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي وفي رواية لمسلم انما يرثني كلالة فلم يجبني بشي وفي رواية الترمذي وكانت لي تسع اخوات حتى نزلت آية الميراث وفي رواية للبخاري فنزلت وفي رواية للترمذي حتى نزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية للترمذي حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الاية وقال حديث حسن وفي ابي داود والترمذي وابن ماجة والدار قطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال جاءت امراة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد رضي الله عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان الا ولهما مال قال يقضي الله عز وجل في ذلك فنزلت اية الميراث وفي رواية ابي داود ونزلت الاية في سورة النساء يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية الدار قطني فنزلت سورة النساء وفيها يوصيكم الله في اولادكم الى آخر الاية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك وفي رواية الدار قطني ان امراة سعد بن الربيع قالت يا رسول الله ان سعدا هلك وترك ابنتين واخاه فعمد اخوه فقبض ما ترك سعد وانما تنكح النساء على اموالهن فلم يجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسها ذلك ثم جاءته فقالت يا رسول الله ابنتا سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعي لي اخاه فجاء فقال ادفع الى ابنتيه الثلثين والى امراته الثمن ولك ما بقي وقال شيخنا حافظ عصره ابو الفضل احمد بن علي ابن حجر في الاصابة في اسماء الصحابة روى ابو الشيخ في تفسيره من طريق عبد الله بن الاجلح الكندي عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان اهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الموالي الصغار حتى يدركوا فمات رجل من الانصار يقال له اوس بن ثابت وترك ابنتين وابنا صغيرا فجاء ابنا عمه خالد وعرفطه فاخذا ميراثه فقالت امراته للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فارسل الى خالد وعرفطه فقال لا تحركا من الميراث شيا ورواه ابو الشيخ من وجه آخر فقال قتادة وعرفطه ورواه الثعلبي في تفسيره فقال سويد وعرفطه ووقع عنده انهما اخوا اوس ورواه مقاتل في تفسيره فقال ان اوس بن مالك توفي يوم احد وترك امراته ام كحة وبنتين فذكر القصة وذكر شيخنا في تخريج احاديث الكشاف ان الثعلبي والبغوي ساقا بلا سند ان اوس بن الصامت الانصاري ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فورثوا بناعمه سويد وعرفطه او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وزاد عن الكوفة وحاز الغنيمة مجاث

ان تصبروا اي عن نكاحهن متعففين خير لكم اي لهذا تعبير والبعض اولى من الكل تنبيه على ان ترك ذلك بالكلية مندوبا اليه والعصمة بيد الله

لكم ج

عز كل ما لا يرضيه

ج

الى في الموضعين

صح

ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى نزلت
يوصيكم الله في اولادكم الاية فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم ورواه الطبراني من طريق بن جريج
عن عكرمة على غير هذا السياق ولفظه نزلت في ام كحة وابنة كحة وثعلبة واوس بن سويد وهم من الانصار كان احدهما
زوجها والاخر عم ولدها فقالت يرسول الله توفي زوجي وتركني وابنته فلم يورث فقال عم ولدها ان ولدها لا يركب فرسا
ولا يحمل كلا ولا يتكا عدوا فنزلت للرجال نصيب الاية وروي من طريق السدي قال يوصيكم الله في اولادكم الاية
كان اهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفا من الغلمان ولا يورثون الا من اطاق القتال فمات عبد الرحمن اخو حسان
الشاعر وترك امراة يقال لها ام كحة وترك خمس اخوات فجات الورثة فاخذوا ماله فشكت ام كحة الى النبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ثم قال في ام كحة ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد
الاية فجميع هذه الروايات كما ترى ناطقة بان سبب نزول ايات الميراث النساء ويمكن ان يكون المجموع سببا والله اعلم
وذلك كما ان سبب انزال الفرايض في التورية ايضا وذلك انه جل امره وعز اسمه وتعالى جده لما امات من نكص عن امره
من بني اسرايل ومن لاقهم في التيه واخرج ابناهم منه امر موسى عليه السلام بقسمة ارض الكنعانيين بين بنيهم بعد معرفة
عددهم على منهاج ذكره ولم يذكر البنات وكان فيهم بنات لا اب لهن فسالن ميراث ابيهن فانزل الله حكمهن قال في السفر
الرابع من التورية ما نصه ولما كان بعد الموت الفاشي قال الرب لموسى وللعازر بن هرون الحبر احفظا عدد جماعة
بني اسرايل من ابن عشرين سنة الى فوق كل من خرج للمحاربة من بني اسرايل فكلما الجماعة في غربية مواب التي عند اردن
اريحا واخبراهم بقول الرب ثم احصياهم فكان عددهم احدا وستماية الف وسبعماية وثلثين رجلا غير اللاويين سبط
موسى فانهم كانوا لحفظ قبة الزمان وخدمتها وكانوا ثلثة قبايل احدهم قاهات فولد له عمدم وكان اسم امراة عمدم
يوحانا ابنة لوي ولدت له بارض مصر هرون وموسى ومريم وكان عددهم في هذا الوقت ثلثة وعشرين الفا كل ذكر منهم
مما فوق ولم يكن في هولاء ممن احصاه موسى وهرون حيث عدا بني اسرايل في برية سينا لان الرب قال لهم يقتلون في هذه
المفازة ولا يبقى منهم رجل ما خلا كالاب بن يوفنا ويشوع بن نون ودنا بنات صلفحد من قبيلة منشا بن يوسف وقلن ابونا توفي
في البرية ولم يخلف ابنا اعطنا ميراثنا فرفع موسى امره الى الرب فقال الرب لموسى الحق قلن اعطهن ميراثا مع اعمامهن ليتبين
ميراث ابيهن وقلن لبني اسرايل اي رجل مات ولم يخلف ابنا يعطى ميراثه ابنته وان لم يكن له بنت يعطى ميراثه اخوته ومن لم
يكن له اخوة يعطى ميراثه اعمامه ومن لم يكن له اعمام يعطى ميراثه لمن كان قرابته من اهل عشيرته وتكون هذه سنة لبني اسرايل
في احكامهم كما امر الرب موسى وقال في السفر الثالث منها ما نصه سنة الخطايا التي اذا ارتكبها انسان عوقب بالموت
وكلم الرب موسى وقال له كلم بني اسرايل وقل لهم انا الله ربكم لا تعملوا مثل اعمال اهل مصر التي سكنتموها ولا تعملوا مثل
اعمال اهل كنعان التي ادخلكم اليها ولا تسيروا بسنتهم ولكن اعملوا باحكامي واحفظوا وصاياي وسيروا بها انا الله
ربكم احفظوا شرايعي واحكامي لان الذي يعمل بها يعيش انا الرب وليس اله غيري ولا يجسرن الرجل ان يكشف عورة قرابته
انا الرب وليس غيري لا تكشفن عورة ابيك ولا عورة امك لانها امك ولا تفضح امراة ابيك ولا تكشف عورتها لان عورتها
عورة ابيك ولا تفضح اختك من ابيك ومن امك التي ولدت من ابيك او اختك من امك لا من ابيك لا تكشف عورتها لان
فضيحتها فضيحتك ولا تكشف عورة بنت امراة ابيك التي ولدت من ابيك لانها اختك ولا تكشف عورة عمتك لانها
اخت ابيك ولا تكشف عورة خالتك لانها اخت امك ولا تكشف عورة امراة عمك ولا تدن من امراته لانها امراة عمك
ولا تكشف عورة كنتك لانها امراة ابنك ولا تكشف عورة امراة اخيك لان فضيحتها فضيحة اخيك ولا تكشف عورة
امراة وبنتها اي لا تتزوج بهما ولا تكشف عورة بنت الابن ولا بنت البنت لان فضيحتها فضيحتك ولا تكشف عورتهما
هن قرابتك وارتكابهن اثم ولا تتزوج اخت امراتك في حياتها فتحزنها ولا تكشف عورتهما جميعا في حيوة امراتك والمراة
اذا حاضت وطمثت لا تدن لتكشف عورتها ولا تسفح بامراة صاحبك ولا تنجس بها ولا تنجس اسم الاهك انا الله ربكم لا
تضاجعن الذكور ولا ترتكب من الذكر ما ترتكب من المراة لانه فعل نجس لا تنجسوا منها بشي فبهذه كلها تنجست الشعوب
التي اهلكتها بين ايديكم وتنجست ارضهم بفعلهم وعاقبتها باثمها وتعطلت الارض من سكانها لحال خطاياهم احفظوا عهودي
واحكامي ولا ترتكبوا شيا من هذه الخطايا لان اهل البلاد التي ترثونها فعلوا هذه الافاعيل كلها وتنجست الارض بهم ولا
تنجسوا الارض لئلا تعطل منكم كما تعطلت من الشعوب الذين كانوا فيها قبلكم لان كل من يفعل هذه الخطايا يهلك احفظوا
شرايعي ولا ترتكبوا شيا من سير الخطايا التي فعلها من كان قبلكم ولا تنجسوا بها انا الله ربكم ثم كلم الرب موسى وقال له كلم جميع بني
اسرايل وقل لهم تقدسوا لاني قدس انا الله ربكم يهاب كل امرء منكم والديه ويكرمهما واحفظوا وصاياي لاني انا الله ربكم
لا تقبلوا الى الشيطان ولا تتخذوا الهة مسبوكة انا الله ربكم وقال في السفر الثاني ولا تصدقن الخبر الكاذب لاقوالي
الخبيث لتكون له شاهد زور لا تتبعن هوى الكبير فتسي لا تشايعن الكثير الذين يحيفون في القضا فتحيف معهم ولا تعن
المسكين على الظلم لا تحيفن في قضا المسكين وتباعد عن القول الكاذب وقال في السفر الخامس ودعا موسى بجميع بني اسرايل
وقال لهم اسمعوا يا بني اسرايل السنن والاحكام التي اتلوا عليكم لتعملوها وتحفظوها وتعملوا بها قد تعلمون ان الله ربنا عاهدنا

في قوله صح

عهد ا بارض حوريب ولم يعاهد الله ابا نا بهذا العهد بل انما عاهدنا نحن الذين هاهنا احيآء سالمين وجهًا قبل وجه كلمنا الرب
في النار من الجبل فانا كنت قايما بين يدي الرب وبينكم لاظهر لكم ذلك الزمان اقوال الله ربكم حيث فرقتم من النار ولم تصعدوا الى
الجبل وقال الرب انا الله ربكم الذي اخرجتكم من ارض مصر وخلصتكم من العبودية لايكون لكم آلهة غيري ولا تتخذوا اصناما ولا ما
اشباها ولا تقسم باسم ربك كذبا لان الرب لا يزكي من يحلف باسمه كذبا احفظوا يوم السبت وطهروه الى ان قال لا تعملوا فيه عملا
ليستريح عبيدكم واماؤكم معكم واذكروا انكم كنتم عبيدا بارض مصر فاخرجكم الله ربكم من هناك بيد منيعة وذراع عظيمة لذلك
امركم ربكم ان تحفظوا يوم السبت فيكون كل امري منكم والديه كما امركم الله ربكم ليطول اعماركم وينعم عليكم في الارض التي يعطيكم
لا تقتلوا لا تزنوا لا تسرقوا لا يشتهين رجل منكم امراة صاحبه الى ان قال ولا شيا مما لصاحبك هذه الايات التي امر بها
الرب بني اسرايل وكلهم بها في الجبل من النار بالسحاب والضباب بصوت عظيم لا يوصف ولا يحد وبني التي كتبها على لوحي الحجارة
ودفعها الي موسى النبي فلما سمعتم صوتا من الظلمة ورايتم نارا تشتعل في الجبل تقدم الي رؤساكم وقالوا هذا ارانا الله ربنا
مجده وكرامته وعظمته اليوم رايينا اذ كلم الله الناس وعاشوا ان عدنا نسمع صوت الله ربنا مثنا تقدم انت واسمع ما يقول
الله ربنا وقص علينا وقال لي الرب قد سمعت صوت الشعب وما قالوا لك نعم ما تكلموا به وانت تكون فتكون تسمع وتطيع
وتتقوى بي ويغزعون من قولي ويحفظون جميع وصاياي كلها احفظوا واعملوا بما امركم الله ربكم ولا تحيدوا يمنة ولا يسرة
بل سيروا في كل الطريق التي امركم ربكم لتعيشوا وينعم عليكم وتطول مدتكم في الارض التي ترثون هذه السنن والوصايا والاحكام
التي امرني الله ربكم ان اعلمكم لتعملوا وتتقوا الله ربكم انتم وبنوكم كل ايام حيوتكم فتطول اعماركم اسمعوا يا بني اسرايل الله ربنا
واحد احبوا الله ربكم بكل قلوبكم ولتكن هذه الايات التي امركم في قلوبكم ابدا وعلموها بنيكم وتكلموا بها اذا حضرتم في منازلكم
واذا سافرتم واذا رقدتم واذا قمتم وشدوها علامة على ايديكم وتكون سيما بين اعينكم واكتبوها على معاقم بيوتكم وعلى
ابوابكم لا تنسوا الله ربكم واياه فاعبدوا وباسمه فاقسموا ولا تتبعوا الالهة الاخرى التي تعبدها الشعوب التي حولكم لان الله
ربكم الحاد فيكم هو اله غيور فاتقوه لا يشتد غضبه عليكم ويهلككم عن جديد الارض ولا تجربوا الله ربكم كما جربتموه
بالبلايا ولكن احفظوا وصية الله ربكم وشهادته وسنته التي امركم بها فاعملوا الحسنات وانصفوا واعدلوا لينعم عليكم
وتدخلوا وترثوا الارض المخصبة التي اقسم الله لآبايكم ويكسر جميع اعدايكم ويهزمهم قدامكم كما قال الرب فاذا سالكم بنوكم
غدا وقالوا ما الشهادة والسنة والحكومة التي امركم الله بها فقولوا لبنيكم انا كنا عبيد الفرعون بارض مصر واخرجنا
الرب من ارض مصر بيد منيعة وانزل باهل مصر بلآء شديدا وفعل ذلك بفرعون وجميع اهل بيته نجاهنا واخرجنا الرب
من هناك ليدخلنا ويعطينا الارض التي اقسم لآبايانا وامرنا الرب ان نعمل هذه السنن كلها وان نتقي الله ربنا لينعم علينا
كل ايامنا ويحيينا بالخير والنعم ويكون ربنا بنا برا اذا حفظنا هذه الوصية كلها وعملناها ايام الله ربنا كما امرنا وقال
في السفر الخامس ولا تكف يدك عن العطآء والصدقة على اخيك المسكين ولكن يصدق بعضكم على بعض ويعطي بعضكم بعضا
ولا يضيق قلبك ولا تحزن اذا صدقت على اخيك لانك ان فعلت هذا القول واوسعت على اخيك يباركك الله لك في جميع
اعمالك وفي كل ما تمتد يدك اليه من اجل ان الارض لا تعدم المساكين فلذلك آمرك وانقدم اليك ان تمد يدك الى اخيك
المسكين وتصدق على الفقير في الارض وقال فيه انصفوا بين اخوتكم واحكموا بالحق ولا تحيفوا في القضا بل اسمعوا من
الصغير كما تسمعون من الكبير ولا تهابوا الرجل ولو عظم شانه وكثرت اموله لان القضا لله وقال فيه صيروا لكم قضاة
وكتابا في جميع قراكم ويقضون للشعب قضا العدل والبر لا تحيفن في القضا ولا تحابوا ولا ترتشوا لان الرشوة تعمي اعين
الحكام في القضا ولكن اقض بالحق لتعيشوا وتبقوا وترثوا الارض التي يعطيكم الله ربكم فقد علم من هذا اصول غالب
ما ذكره تعالى في هذه السورة مع ما تقدم من اشكاله في البقرة عند قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرايل لا تعبدون
الا الله وغيرها من الايات وفي آل عمران ايضا واما حد الزاني وتفصيل امر القتل والجراح فسيذكر ان شا الله تعالى في
المايدة ولما قرر سبحانه ارادته لصلاحهم ورغب في اتباع الهدى بجعله وحكمته عطف على ذلك قوله والله بلطيف
منه وعظيم سلطانه يريد اي بانزاله هذا الكتاب العظيم وارساله هذا الرسول الكريم ان يتوب عليكم اي يرجع ن
بالبيان الشافي عما كنتم عليه من طرق الضلال لما كنتم فيه من التعمي بالجهل وزادهم في ذلك رغبة بقوله ويريد الذين
يتبعون اي على سبيل المبالغة والاستمرار الشهوات اي من اهل الكتابين وغيرهم كشاش بن قيس وغيره من الاعدآء
ان تميلوا اي عن سبيل الرشاد ميلا عظيما اي ان تصيروا الى ما كنتم فيه من الشرك والضلال فقد ابلغ سبحانه في
الحمل على الهدى بموافقة الولي المنعم الجليل الذي لا تلحقه شايبة نقص ومخالفة العدو الحسود الجاهل النازل من اوج
العقل الى حضيض طباع البهايم ولما كان الميل مغتفرا لمرتكبه اخبرهم ان علة بيانه للهداية وارادته التوبة الرفق بهم
فقال يريد الله اي وهو الذي له الجلال والجمال وجميع العظمة والكمال ان يخفف عنكم ان يفعل في هذا البيان وهذه
الاحكام فعل من يريد ذلك فيضع عنكم الاصار التي كانت على من كان قبلكم الحاملة على الميل ويرخص لكم في بعض الاشيا
كنكاح الامة على ما تقدم ودل على علة ذلك بالواو العاطفة على ما تقدير لانكم خلقتم ضعفا يشق عليكم الثقل وخلق الانسان
الذي انتم بعضه ضعيفا مبناه الحاجة فهو لا يصبر على النكاح ولا غيره من الشهوات ولا يقوى على فعل شي الا بتاييد منه
سبحانه ولما كان غالب ما مضى مبنيا على الاموال تارة بالارث وتارة بالجعل في النكاح طلاقا وخلعا قال تعالى ابتاجا

مما مضى بعد ان بين الحق من الباطل وبين ضعف هذا النوع كله فبطل تعليلهم لمنع النساء والصغار من الارث بالضعف وبعد
ان بين كيفية التصرف في النكاح بالاموال وغيرها حفظا للانساب ذاكرا كيفية التصرف في الاموال تطهيرا للاكساب مخاطبا الادنى
الاسنان في الايمان ترفيعا لغيرهم على مثل هذا الشان يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان والتزام الاحكام ولما كان الاكل
اعظم المقاصد بالمال وكان العرب يرون التهافت على الاكل اعظم العار وان كان حلالا كني به التناول فقال لا تاكلوا اي لا
تتناولوا اموالكم اي الاموال التي جعلها الله قياما للناس بينكم بالباطل اي من التسبب فيها باخذ نصيب النساء والصغار
من الارث وبعض النساء وغير ذلك مما تقدم النهي عنه وغيره ولما نهى عن الاكل بالباطل استدرك ما ليس كذلك فقال
الا ان تكون اي المعاملة المتداولة بينكم تجارة هذا في قراءة الكوفيين بالنصب وعلى قراءة غيرهم الا ان توجد تجارة كائنة
عن تراض منكم اي غير منهي عنه من الشارع ولعل الاتيان باداة الاستثناء المتصل والمعنى على المنقطع للاشارة الى تقرفات الدنيا
كلها جديرة بان يجري عليها اسم الباطل ولو لم يكن الا بفنائها توحيدا فيها وصدا عن الاستكثار منها وترغيبا فيما يدوم نفعه
ببقائه وهكذا كل استثناء منقطع في القرآن من تامله حق التامل وجد البعد ولعن الحرفة الموضوع له وهو لكن الى صورة
الاستثناء حكمة بالغة والله الموفق ولما كان المال عديل الروح ونهى عن اتلافه بالباطل نهى عن اتلاف النفس لكونها من
اكثر اتلافهم لها بالغارات لنهب الاموال وما كان بسببها وتسببها على ان من اكل ماله ثارت نفسه فادى ذلك الى الفتن التي
ربما كان آخرها القتل فكان النهي عن ذلك انسب شيء لما بنيت عليه السورة من التعاطف والتواصل فقال تعالى ولا تقتلوا
انفسكم اي حقيقة بان يباشر الانسان قتل نفسه او مجازا بان يقتل بعضكم بعضا فان الانفس واحدة وذلك ايضا يؤدي
الى قتل نفس القاتل ولا تغفلوا عن حظ انفسكم من الشكر لمن غفل عن حظها فكانما قتلها ثم علله بما يليق اقتى الناس فقال
ان الله اي مع ما له من صفات العظمة التي لا تدانيها عظمة كان بكم اي خاصة حيث خفف عليكم ما شدده على من كان قبلكم رحيما
اي بليغ الرحمة حيث يسر لكم الطاعة ووفقكم لها فبلغ سبحانه في الترغيب في الامتثال ثم قال ترهيبا من مواقعة الضلال
ومن يفعل ذلك اي المنهي عنه من القتل وغيره العظيم البعد عن حضرات الاله عدوانا وظلما اي بغير حق وعطفه للوصف
بالواو يدل على تناهي كل منهما هذا مع ما افهمته صيغة الفعلان من المبالغة فكان المراد العدو الشديد المفرط المجاوز
للحدود الناشئ عن التعمد وتناهي الظلم الذي لا شائبة فيه للحق فسوف نصليه نارا اي ندخله اياها بوعيد لا خلف فيه
وان طال امهاله وكان ذلك اي الامر العظيم الذي توعد به على الله الذي له الجلال والجمال يسيرا اي لانه لا ينتصه من
ملكه شيء ولا يمنعه منه مانع ولما بين تعالى ما تفاعل ذلك تحذيرا وكان قد تقدم حمله من الكبائر اتبعه ما للمنتهين تبشيرا
جوابا لمن كانه قال هذا الفاعل فما للمجتنب فقال على وجه عام ان تجتنبوا اي تجهدوا انفسكم بالقصد الصالح في ان تتركوا
تركا عظيما وتباعدوا كبائر ما تنهون عنه اي من اكل المال والقتل بالباطل والزنا وغير ذلك مما تقدم روى البزار قال
الهيثمي ورجاله رجال الصحيح عن عبد الله يعني ابن مسعود انه سئل عن الكبائر فقال ما بين اول سورة النساء الى راس
ثلثين قال الاصبهاني رحمه الله وكل ذنب عظم الشرع الوعيد عليه بالعقاب وشدده او عظم ضرره في الخمس الضرورية
حفظ الدين والنفس والنسب والعقل والمال فهو كبيرة وما عداه صغيرة نكفر عنكم سيئاتكم اي التي هي دون الكبائر كلها
فان اجتنبتم شيأ من الكبائر واتيتم بالمكفرات من الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان والحج او فرطتم في شيء منها فمن الله
عليكم بان اتاكم بالمرض كفر ذلك المأتي به الصغائر ولم يقاوم تلك الكبيرة فلم يكفر جميع السيئات لعدم اتيانه على تلك
الكبيرة وندخلكم مدخلا كريما اي يجمع الشرف والعز والجود وكل معنى حسن ومن فاته جميع ذلك لم تكفر عنه سيئاته
ولم يدخل هذا المدخل ويكفي في انتفائه حصول القصاص في وقت شاء وقال الامام احمد رحمه الله المسلمون كلهم في الجنة
لهذه الآية وقول النبي صلى الله عليه وسلم ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي فالله تعالى يغفر ما دون ذلك لمن
يجتنب الكبائر الكبائر والنبي صلى الله عليه وسلم يشفع في الكبائر فشفاعته في الصغائر اولى فاي ذنب على المسلمين ذكره
عنه الاصبهاني وهذا الحديث اخرجه ابو داود والترمذي وغيرهما عن انس رضي الله عنه ولما نهى عن القتل وعن الاكل
بالباطل بالفعل وهما من اعمال الجوارح ليعم الظاهر ظاهرا عن المعاصي الوخيمة نهى عن التمني الذي هو مقدمة الاكل ليكون
نهيا عن الاكل بطريق الاولى فان التمني قد يكون حسدا وهو المنهي عنه هنا كما هو ظاهر الآية وهو حرام والرضى بالحرام حرام
والتمني على هذا الوجه يجر الى الاكل والاكل يعود الى القتل فان من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه والنهي هنا للتحريم
عند اكثر العلماء فمن انتهى عن ذلك كان باطنه طاهرا عن الاخلاق الذميمة بحسب الطريقة ليكون الباطن موافقا
للظاهر ويكون جامعا بين الشريعة والطريقة فيسهل عليه ترك ما نهي عنه ويرضى بما قسم له فقال ولا تتمنوا اي تنابعوا
انفسكم في ذلك ما فضل الله اي الذي له العظمة كلها فلا ينقصه شيء به اي من المال وغيره بعضكم على بعض اي في الارث
وغيره من جميع الفضايل النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية كالذكاء التام والحدس الكامل وزيادة المعارف الكمية
والكيفية او بالقوة العملية كالعفة التي هي وسط بين الجمود والفجور والشجاعة التي هي وسط بين التهور والجبن
والسخاء الذي هو وسط بين الاسراف والبخل وكاستعمال هذه القوى على الوجه الذي ينبغي وهو العدالة او الفضايل
البدنية كالصحة والجمال والعمر الطويل مع اللذة والبهجة او الفضايل الخارجية مثل كثرة الاولاد والاصدقاء وكثرة
العشائر والاصدقاء والاعوان والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا بالناس حسن الذكر فيهم فهذه مجامع السعادات

نفسها؟

وبعضها فطرية لا مدخل للكسب فيها وبعضها كسبية ومتى تامل العاقل في ذلك وجده محض عطا من الله فمن شاهد
غيره ارفع منه في هذه الاحوال تام قلبه وكانت له حالتان احديهما ان يتمنى حصول مثل تلك السعادة له والاخرى
ان يتمنى زوالها عن صاحبها وهذا هو الحسد المذموم لانه كالاعتراض على الله الذي قسم هذه القسمة فان اعتقد
انه احق منه فقد فتح على نفسه باب الكفر واستجلب ظلمات البدعة ومحي نور الايمان فان الله فعال لما يريد لا يسئل
عما يفعل فلا اعتراض عليه وكما ان الحسد سبب للفساد في الدين فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له عالما بان ذلك يصلحه ولو
كان غير ذلك فسد فان ذلك كله قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد فيما يصلحهم ويفسدهم واما تمني
المثل فان كان دينيا كان حسنا كما قال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين وان كان دنيويا فمن الناس من جوز ذلك
ومنهم من قال وهم المحققون لا يجوز ذلك لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين ومضرة في الدنيا كقصة قارون
قال معنى ذلك الامام الرازي رحمه الله ولما نهى سبحانه عن ذلك بما ينبه على السعي في الاسترزاق كما قال صلى الله
عليه وسلم فيما رواه احمد والترمذي وابن ماجة عن شداد بن اوس رضي الله عنه الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة
رضي الله عنه المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز
وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فقال مشيرا الى انه
لا ينال احد جميع ما يومل للرجال نصيب اي قدر فرغ من تقديره فهو بحيث لا يزيد ولا ينقص وبين سبحانه انه ينبغي الطلب
والعمل كما اشار اليه الحديث فقال مما اكتسبوا اي كلفوا انفسهم وتعبوها في كسبه من امور الدارين من الثواب واسبابه
من الطاعات ومن الميراث والسعي في المكاسب والارباح جعل رزقي تحت ظل رمحي لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا وللنساء نصيب مما اكتسبن اي لذلك فالتمني حينئذ غير نافع فالاشتراك به مجرد عنا ولما اشار بالتبعيض الى ان
الحصول بتقدير لا بالكسب الذي جعله سببا فاندثار ينجحه وتارة يخيبه فكانا لتقدير فاكتسبوا ولا تعجزوا فتطلبوا
بالتمني امرا لا قبال في الغنى وكل شيء عليه اشارة الى تحريك السبب مع الاجمال في الطلب فقال واسئلوا الله الذي له جميع صفات
الكمال ولما كان سبحانه لتعالي عظمته لا ينقصه شيء وان جل قال من فضله اي من خزائنه التي لا تنفد ولا يغيضها شيء
وفي ذلك تنبيه على عدم التعيين لانه ربما كان سبب الفساد بل يكون الطلب لما هو له صلاح واحسن الدعاء المثور
واحسنه ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الملك الاعظم
الذي بيده مقاليد كل شيء كان بكل شيء عليما اي فكان علي كل شيء قديرا فان كمال العلم يستلزم شمول القدرة كما سبق بيان ان شاء
تعالى في سورة طه والمعنى انه قد تفعل بعلمه ما يصلحكم فسئلوه بعلمه وقدرته ما ينفعكم فانه يعلم ما يصلح كل عبد وما يفسده
وعطف على ذلك ما هو من جملة العلة فقال ولكل اي من الفريقين صغارا كانوا او كبارا جعلنا بعظمتنا التي لا تضاهي
موالي اي حكمنا بانهم هم الاولياء اي الانصار والاقربا الاجلاء الوارثهم الذين يلون المال ويرثونه سواء كانوا عصبة
خاصة وهم الورثة او عصبة عامة وهم المسلمون ولما كان الاهتمام بتوريث الصغار اكثر قال مما اي اجل ما ترك
اي خلفه الوالدان اي لكم ثم اتبع ذلك ما يشمل حتى الاصل والفرع فقال والاقربون اي اليكم ثم عطف على ذلك قوله
والذين اي وما تركه الذين عاقدت ايمانكم اي مما تركت من تدلون اليه بنسب او سبب بالحلف والولاء او الصهر وذكر
اليمين لان العهد يكون مع المصافحة بها ثم سبب عن ذلك قوله فاتوهم اي الموالي وان كانوا صغارا او اناثا على ما بينت
لكم في اية المواريث السابقة واتركوا كل ما خالف ذلك فقد نسخ نصيبهم اي الذي فرضناه لهم من الارث موفرا غير
منقوص ولا تظنوا ان غيرهم اولى منهم او مساولهم ثم رهب من المخالفة واكد الامر وعدا ووعيدا ان الله اي المحيط بصفات
الكمال كان على كل شيء شهيدا اي فهو يعلم الولي من غيره والحايز من غيره وان اجتهد في الاخفاء لانه لا يخفى عليه شيء لانه
لا يغيب عن شيء ولا يغيب عنه شيء فالمعنى انا لم نفعل سوى ما فصدتم من اعطاء المال لمن يحمي الذمار ويدب عن الحوزة وانتم
كنتم غير منزليه حق منازله لغيبتكم عن حقايق الامور وعيبتها عنكم فانا لم نخرج شيا منه لغير الموالي اي الانصار اما
بالقرابة او بالمعاقدة بالولاء او المصاهرة فالحاصل انه لمن يحمي بالفعل او بالقوة القريبة منه او البعيدة الايلة الى
القرب واما التفضيل في الانصباء فامر استاثر نا بعلم مستحقيه وفي البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما
موالي ورثة والذين عاقدت كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوي رحمه للاخوة التي اخا
النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ولما نزلت ولكل جعلنا نسخت ثم قال والذين عاقدت من النصر والرفادة والنصيحة
وقد ذهب الميراث ويوصي له ثم بين سبحانه وجه استحقاق بعض المفضلين فقال جوابا لسوال من كانه قال للرجال
فضلوا الرجال قوامون اي قيام الولاة على النساء في التعليم والتاديب وكل امر ونهي وبين سبب ذلك بقوله
بما فضل الله اي الذي له الحكمة البالغة والكمال الذي لا يدانى هبة منه وفضلا من غير تكسب بعضهم وهم الرجال في
العقل والقوة والشجاعة ولذا كان منهم الانبياء والولاة والامامة الكبرى والولاية في النكاح ونحو ذلك من كل امر
يحتاج الى فضل قوة في البدن والعقل والدين على بعض يعني النساء فقال للرجال انفروا خفافا وثقالا وقال
للنساء وقرن في بيوتكن ولما ذكر السبب الموهبي اتبعه الكسبي فقال وبما انفقوا اي من المهور والكساوي وغيرها

هو سبب الفساد في الدنيا

والاجمال في الطلب

بقوله

من اموالهم اي عليهن فصارت الزيادة في احد الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الآخر فتعادلا ولما بان بذلك تفضلهم عادعنت الانفس لما فضلوا به في الارث وغيره وكان قد تقدم ذكر نكاحهم للنساء واحث على العدل فيهن حسن بيان ما يلزم الزوجات من حقوقهم وتاديب من جحدت الحق فقال مسببا لما يلزمهن من حقوقهم عما ذكر من تفضلهم فالصالحات قانتات اي مخلصات في طاعة الازواج ولذلك ترتب عليه حافظات للغيب اي لحقوق الازواج من الانفس والبيوت والاموال في غيبتهم عنهن بما اي بالامر الذي حفظ الله اي المحيط علما وقدرة به غيبتهم بفعله فيه فعل من يحفظه من الترغيب في طاعتهم فيما يرضي الله والترهيب من عصيانهم بما يسخطه ورعي الحدود التي اشار اليها سبحانه في البقرة وشرحتها سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولما عرف بالصالحات استحقاق الانفاق في اللوازم اتبعه حكم غيرهن فقال واللاتي تخافون نشوزهن اي ترفعهن عليكم عن الرتبة التي اقامهن الله بها وعصيانهن لكم فيما جعل الله لكم من الحق واصل النشوز الانزعاج في ارتفاع قال الشافعي رحمه الله ودلالات النشوز قد تكون قولا وقد تكون فعلا فالقول مثل ان كانت تلبية اذا دعاها وتخضع له بالقول اذا خاطبها ثم تغيرت والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل اليها او كانت تسارع الى امره وتبادر الى فراشه ان باستبشار اذا التمسها ثم انها تغيرت فحينئذ ظن نشوزها ومقدمات هذه الاحوال توجب خوف النشوز فعظوهن اي ذكروهن من امر الله بما يصدع قلوبهن ويرقعها ويخيفهن من حلاد الله ولما كان الوعظ موجبا لتحقق الطاعة او المعصية قال واهجروهن اي ان لم يرجعن بالوعظ في المضاجع اي التي كنتم تبيتون معهن فيها من البيت وفي ضمن الهجر امتناعه من كلامها قال الشافعي رحمه الله ولا يزيد في هجرة الكلام على ثلاث واضربوهن اي ان اصررن ضرب تاديب غير مبرح وهو ما لا يكسر عظما ولا يشين عضوا ويكون مفرقا على بدنها ولا يوالي به في موضع واحد ويتقي الوجه لانه مجمع المحاسن ويكون دون الاربعين قال الشافعي رضي الله عنه الضرب مباح وتركه افضل فان اطعنكم اي بشيء من الوعظ او الهجر في موضع المبيت من البيت او الضرب فلا تبغوا اي تطلبوا عليهن سبيلا اي طريقا الى الاذى على ما سلف من العصيان من توبيخ على ما سلف ونحو عما كم عليهن من العلو بل اغفروا لهن ما سلف ولا يحملنكم ما منحكم الله من العلو على المناقشة ثم علل ذلك بقوله ان الله اي وقد علمتم ما له من الكمال كان ولم يزل عليا كبيرا اي له العلو والكبر على الاطلاق بكمال القدرة ونفوذ المشيئة فهو لا يحب الباغي ولا يقره على بغيه وقدرته عليكم اعظم من قدرتكم عليهن ومع ذلك يعفو عمن عصاه وان ملاء الارض خطايا اذا اطاعه ولا يواخذه بشيء مما فرط في حقه بل يبدل سيئاته حسنات فلو اخذكم بذنوبكم اهلككم فتخلقوا بما قدرتم عليه من صفاته تنالوا جليل هباته وخافوا سطواته واحذروا عقوبته بما له من العلو والكبر ولما بين حال الوفاق وما خالطه من سيئ الاخلاق التي يقوم باصلاحها الزوج ابتعه حال المباينة والشقاق المحوج الى من ينصف احدهما من الآخر فقال وان خفتم اي ايها المتقون القادرون على الاصلاح من الولاة وغيرهم شقاق بينهما اي الزوجين المفهومين من السياق بكون كل واحد منهما في شق غير الشق الذي فيه الآخر ولا يكون ذلك الا واحدهما على باطل واضاف الشقاق الى البين ليفيد ان هذا العمل انما يكون عند الخوف من شقاق خاص وهو ان يكون البين المضاف اليهما وهو الذي يميز كل واحد منهما من الآخر ولا يمكن في العادة ازالته ليكونا شيئا واحدا كما كانا لا بين لهما وذلك يظن انه لا صلاح في اجتماعهما فابعثوا اي اليهما للاصلاح بينهما بانصاف المظلوم من الظالم حكما من اهله اي الزوج وحكما من اهلها اي الزوجة هذا الكمال لان اهلها اقرب الى ازالة اسباب الشقاق من غيرهما لانهم اجدر بالاطلاع على بواطن امورهما وحقايق احوالهما والزوجان اقرب الى اطلاعهما ان كانا قريبين على ضمايرهما واقرب الى اخفاء ذلك عن الاجانب وفايدة الحكمين ان يخلو كل منهما بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف وجه الصلاح ثم اجاب من كانه قال وما ذا عسى ان يصنعا بقوله ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي بينهما وكانه نكره لان الاخلاص وجود الكمال قليل يوفق الله الذي له الاحاطة بعلم الغيب والشهادة بينهما اي الزوجين لان صلاح النية اكبر معين على بلوغ المقاصد وهذا دال على انه لا يكون شيء الا باذنه وان الاسباب انما هي محنة من الله ليسعد بعضا من باشرها ويعتمد على الله دونها ويشقي بعضا من يجعلها محط قصده فيعتمد عليها ولما كان المصلح قد يظن من فساد الصدر عدم تمر الحق من غير مداراة والمفسد قد يعد معسكما لما يرى منه من المداهنة والمراياة والمكر فيظن من تخلف ما وعد به التوفيق غير ما في نفس الامر قال تعالى من يلي لهذا الوعر مرغبا ومرهبا ان الله اي المحيط بصفات الكمال كان عليما اي مطلعا على ما يمكن الاطلاع عليه وان غاب عن غيره خبيرا اي لا يخفى من ذلك خفي ولا يغيب عنه خبي فصارت هذه الايات كفيلة بغالب احوال النكاح ولم يذكر سبحانه الطلاق عند ما ذكر الشقاق لتقدمه في البقرة ولان مبنى هذه السورة على التواصل والتواد دون التفاصل والتراد كما قال ابن الزبير ولهذا اي لبناء السورة على التواصل والائتلاف دون التفاصل والاختلاف خصت من حكم تشاجر الزوجين بالاعلام بصورة الاصلاح والعدل ابقاء لذلك التواصل فلم يكن الطلاق لينا سب هذا فلم يقع له هنا ذكر ولا ايما الا قوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته انتهى ولما كثرت في هذه السورة الوصايا من اولها الى هنا بنتيجة التقوى العدل والفضل والترغيب في نواله والترهيب من نكاله الى ان ختم ذلك بارشاد الزوجين الى المعاملة بالحسنى وختم الآية بما هو في الذروة من حسن الختام من صفتي العلم والخبر وكان ذلك في معنى ما ختم به الآية الامرة بالتقوى من الوصف بالترقيب اقتضى ذلك تكرير الامر بالتقوى التي افتتحت السورة بالامر بها فكان التقدير حتما فاتقوه عطف عليه او على نحو واسلوا الله من فضله او على اتقوا ربكم الخلق المقصود من الخلق المبثوثين

على تلك الصفة وهو العبادة الخالصة التي هي الاحسان في معاملة الخالق واتبعها الاحسان في معاملة الخلايق فقال
واعبدوا الله اي اطيعوا الذي له الكمال كله فلا يشبهه شي طاعة محضة من غير شايبة خلاف مع الذل والانكسار لان ملاك
ذلك كله التعبد بامتثال الاوامر واجتناب الزواجر ولما كان سبحانه غنيا لم يقبل الا الخالص موكدا لما افهمه ما قبله
ولا تشركوا به شيا ولما امر للواحد الحقيقي بما ينبغي له وكان لذلك درجتان اولاهما الايمان واعلاهما الاحسان فصار
المامور بذلك مخلصا في عبادته امره بالاحسان في خلافته وبدا باولى الناس بذلك وهو من جعله سببا لايجاده فقال
مشيرا الى انه لا يرضى له من ذلك الا درجة الاحسان والى ان من اخلص له اغناه عن كل من سواه فلا يزل منعما على من عداه
وبالوالدين اي واحسنوا بهما احسانا وكفى دلالة على تعظيم امرهما جعل برهما قرين الامر بتوحيده سبحانه ولما
كان مبين السورة على الصلة لا سيما لذي الرحم قال مفصلا لما ذكر اول السورة تاكيدا له وبذي القربى لتاكد حقهم بمزيد
قربهم ولاقتضاء هذه السورة مزيد الحث على التعاطف اعاد الجار ثم اتبع ذلك من يجب مراعاته لله او لمعنى يفسد
بالاخلال به ذات البين وبدا بما لله لانه اذا صح تبعه غيره فقال واليتامى والمساكين اي وان لم تكن رحمهم معروفة
وخصهم لضعفهم وقدم اليتيم لانه لصغره يضعف عن دفع حاجته ورفعها الى غيره والجار ذي القربى اي لان له حقين والجار
الجنب اي الذي لا قرابة له للبلوى بعشرته خوفا من بالغ مضرته اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان
جار البادية يتحول والصاحب بالجنب اي الملاصق المخالط في امر من الامور الموجبة لامتداد العشرة وابن السبيل
اي المسافر لغربته وقلة ناصره ووحشته وما ملكت ايمانكم اي من العبيد والاماء كذلك فان الاحسان اليهم طاعة
عظيمة آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة وما ملكت ايمانكم ولما ذكر الاحسان الذي دعاه التواضع والكرم
ختم الاية ترغيبا فيه وتحذيرا من منعه معللا للامر به بقوله ان الله اي بما له من الاسماء الحسنى والصفات العلى لا يحب
اي لا يفعل فعل المحب مع من كان مختالا اي متكبرا معجبا بنفسه متزينا بحليته مرائيا بما اتاه الله من فضله على وجه العظمة
واحتقار الغير يانف من ان ينسب اليه اقاربه الفقرا ويتذكر جيرانه اذا كانوا ضعفا فلا يحسن اليهم لئلا يلموا به فيعير
بهم ولما كان المختال ربما احسن رياء قال معلما انه لا يقبل الا الخالص فخورا مبالغا في التمدح بالخصال يانف من عشرة
الفقرا وفي ذلك اتم ترهيب من الخلق المانع من الاحسان وهو الاختيال على عباد الله والافتخار عليهما ازدراء بهم فانه لا
مقتضي لذلك لان الكل من نفس واحدة والفضل نعمة منه سبحانه يجب شكرها بالتواضع لتدوم ويحذر كفرها بالفخار
خوفا من ان تزول ولما كان الاختيال والفخر والتين على الفرح بالاعراض الفانية والركون اليها والاعتماد عليها فكانا
حاملين على البخل خوفا من زوالها قال واصفا لهم بجملة من الاخلاق الردية الجلية ذلك منشاوها الذين يبخلون
اي يوقعون بالبخل بما حملهم من المتاع الفاني على الفخار وقصره ليعم كتم العلم ونحوه ثم تلى ذلك باسوا منه فقال ويامرون
الناس بالبخل مقتا للسخاء وفي التعبير بما هو من النوس اشارة الى انهم لا يعلقون اطماعهم بذلك الا بذوي الهمم السالفة
والرتب القاصرة ويحتمل ان يكون الامر كناية عن حملهم غيرهم على البخل بما يرى من اختيالهم وافتخارهم عليه ثم اتبع ذلك
اخبث منه وهو الشح بالكلام الذي لا يخشى نقصه وجحد النعمة واظهار الافتقار فقال ويكتمون ما اتاهم الله الذي له الجلال
والاكرام من فضله اي من العلم جاحدين ان يكون لهم شي يجودون به قال الاصبهاني رحمه الله ثم ان هذا الكتمان قد يقع
على وجه موجب للكفر مثل ان يظهر الشكاية لله ولا يرضى بالقضاء ثم عطف على ان الله لا يحب متلفتا الى مقام التكلم
دلالة على تناهي الغضب وتعيينا للمتوعد مصرحا بمظهر العظمة الذي دل عليه هناك بالاسم الاعظم قوله واعتدنا
اي احضرنا وهيانا وكان الاصل لهم ولكنه قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واعلاما بان ذلك حامل على الكفر للكافرين
اي بفعل هذه الخصال كفرا حقيقيا بما اوصلهم اليه لزوم الاخلاق الدنية او مجازيا بكتمان النعمة عذابا مهينا اي بما
اعتزوا بالمال الحامل على الفخر والكبر والاختيال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر ولما ذم المقترين
اتبعه ذم المسرفين المبذرين فقال عطفا على الكافرين او الذين يبخلون معرفا ان الذين لا يحسنون على الوجه المامور
به فيمن تقدم الامر بالاحسان اليهم فرقتان فرقة يمنعون النفقة اصلا وفرقة يمنعون وصفها ويفعلونها رياء
فيعدمون بذلك روحها والذين ينفقون واشار الى عظيم رغبتهم في نفقتهم بقوله اموالهم ودل على خسة مقاصدهم
وسفول هممهم بقوله رياء الناس اي لقصور نظرهم وتقيده بالمحسوسات كالبهايم التي لا تدرك الا الجزئيات المشاهدات
ولما ذكر اخراج المال على وجه لا يرضاه ذو عقل ذكر الحامل عليه مشيرا الى انهم حقروا انفسهم بما عظموها به وذلك
انهم تعبدوا للعبيد وتكبروا على خالقهم العزيز المجيد فقال ولا يومنون بالله وهو الملك الاعظم ولما كان المامور
بالاحسان اليهم هنا من الوالدين ومن ذكر معهم اخص ممن اشير اليهم في البقرة اكد بزيادة النافي فقال ولا باليوم الاخر
الحامل على كل خير والنازع عن كل شر ولما كان التقدير فكان الشيطان قرينهم لكفرهم باعجابه وكبره عطف عليه قوله
ومن يكن الشيطان اي وهو عدوه البعيد من كل خير المحترق بكل ضير له قرينا فانه يحمله على كل شر ويبعده عن كل خير
والى ذلك اشار قوله فساء قرينا ولما كان التقدير فماذا لهم في الكفر والانفاق رياء لمن لا ضر ولا نفع بيده عطف
عليه قوله تعنيفا لهم وانكارا عليهم وماذا عليهم اي من حقير الاشياء وجليلها لو امنوا بالله اي الذي له كل كمال وبيده كل
شي واليوم الاخر الحامل على كل صلاح وانفقوا ولما كان وصفهم بانفاق جميع اموالهم للعدو الحقير اشار الى شحهم فيما هو للعلي

بلغ مقابلة

الكبير بشي يحصل لهم به خير كثير فقال مما رزقهم الله الذي له الغنى المطلق والجود الباهر ولما كان التقدير فقد كان الله عليهم
لما بذروا اموالهم قديرا عطف عليه قوله وكان الله المحيط بالكمال بهم اي في كلتا الحالتين عليما اي بليغ العلم والاعلام بعظمة
العلم بهم قدم الجار المفيد للاختصاص في غير هذا الموضع ولما فرغ من توبيخهم قال معللا ان الله اي الذي له كل كمال فهو الغني المطلق
لا يظلم اي لا يتصور ان يقع منه ظلم ما مثقال ذرة اي فما دونها وانما ذكرها لانها كناية عن العدم لانها مثل في الصغر اي فلا ينقص
احدا شيا مما عمله ولا يثبت عليه شيا لم يعمله فماذا على من آمن به وهو بهذه الصفة العظمى ولما ذكر التخلي من الظلم اتبعه التحلي
بالفضل فقال عاطفا على ما تقديره فان تك الذرة سيئة لم يزد عليها ولا يجزي بها مثلها وان ولما كان تشوف السامع الى ذلك
عظيما حذف منه النون بعد حذف المعطوف عليه تقريبا لمرامه فقال تك اي مثقال الذرة وانثه لاضافته الى مؤنث وتحقيرا
له ليفهم تضعيف ما فوقه من باب الاولى وهذا يطرد في قراءة الحرميين برفع حسنة اي وان صغرت يضاعفها اي من جنسها
بعشرة امثالها الى سبعين الى سبعماية الى ازيد من ذلك بحسب ما يعلمه من حسن العمل بحسن النية ويؤت من لدنه اي من غريب
ما عنده فضلا من غير عمل لمن يريد قال الامام وبالجملة فذلك التضعيف اشارة الى السعادات الجسمانية وهذا الاجر الى
السعادات الروحانية اجرا عظيما وسماه اجرا وهو من غير جنس تلك الحسنة لابتنائه على الايمان اي فمن كان هذا شانه لا يسوغ
لعاقل توجيه الهمة الا اليه ولا الاعتماد اصلا بانفاق وغيره الا عليه ولما تم تحذيره من اليوم الآخر وما ذكره من اظهار العدل
واستقصائه فيه كان سببا للسؤال عن حال المبكتين في هذه الايات اذ ذاك فقال فكيف اي يكون حالهم وقد عملوا امثال
الجبال من مساوي الاعمال اذا جئنا على عظمتنا من كل امة بشهيد اي يشهد عليهم وجئنا بك وانت اشرف خلقنا على هؤلاء اي
الذين ارسلناك اليهم وجعلناك شهيدا عليهم شهيدا وفي التفسير من البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي قلت اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري فقرات عليه سورة النساء
حتى بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال امسك فاذا عيناه تذرفان ثم استانف الجواب
عن ذلك بقوله يومئذ اي يقوم الاشهاد يود الذين كفروا اي ستروا ما تهدي اليه العقول من اياته وبين انهم مخاطبون
بالفروع في قوله وعصوا الرسول بعد ستر ما اظهر من بيناته لو تسوى بهم الارض اي تكون مستوية معتدلة بهم ولا تكون
كذلك الا وقد غيبتهم واستوت بهم ولم يبق فيها شي من عوج ولا نتو بسبب احد منهم ولا شي من اجسامهم وانما ودوا ذلك خوفا
مما يستقبلهم من الفضيحة بعتابهم ثم الاهانة بعقابهم ولما كان التقدير فلا تسوى بهم عطف عليه قوله ولا يكتمون الله
اي المليك الاعظم حديثا اي شيا احدثوه بل يفتضحون بسي اخبارهم ويحملون جميع اوزارهم جزاء لما كانوا يكتمون من اياته
وما نصب للناس من بيناته ولما وصف الوقوف بين يديه في يوم العرض والاهوال الذي ادت فيه سطوة الكبرياء والجلال
الى تمني العدم ومنعت قوة يد القهر والخير ان يكتم حديثا وتضمن وصفه انه لا ينجو فيه الا من كان طاهر القلب والجوارح بالايمان
به والطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم وصف الوقوف بين يديه في الدنيا في مقام الانس وحضرة القدس المنجي من هول الوقوف
في ذلك اليوم والذي خطرت معاني اللطف والجمال فيه الالتفات الى غيره وامر بالطهارة في حال التزين به عن الخبائث فقال
يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالتصديق بالرسل وما اتوا به عن الله واوله واولاه ان لا تشركوا به شيا من الاشراك لا تقربوا الصلاة
اي بان لا تكونوا في موضعها فضلا عن ان تفعلوها وانتم اي والحال انكم سكارى اي غايبوا العقل من الخمر او نحوها فانه يوشك
ان يسبق اللسان بتمكن الشيطان بزوال العقل الى شي من الاشراك فيكون شركا لسانيا وان كان القلب مطمئنا بالايمان فيوشك
ان يعرض ذلك عليه يوم الوقوف الاكبر فان من انتم بين يديه لا يكتم حديثا فيود من نطق لسانه بذلك لما يحصل له من الالم
لو كان من اهل العدم واصل السكر في اللغة سد الطريق وسبب نزولها ما رواه مسدد باسناد قال شيخنا البوصيري
رحمه الله رجاله ثقات عن علي رضي الله عنه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فسقاهما قبل ان تحرم
الخمر فامهم علي رضي الله عنه في المغرب وقرا قل يا ايها الكافرون فنزلت هكذا رواه وقد رواه اصحاب السنن الثلاثة
واحمد وعبد بن حميد والبزار والحاكم والطبري فبينوا المراد وهو ان الذي صلى بهم قرا اعبد ما تعبدون وفي رواية الترمذي
ونحن نعبد ما ما تعبدون ولما افهم النهي عن قربانها في هذا الحال زواله بانقضائه صرح به في قوله حتى اي ولا يزال
هذا النهي قائما حتى تعلموا بزوال السكر ما تقولون فلا يقع منكم حينئذ تبديل وعند الشافعي رضي الله عنه ان المراد بالصلوة
نفسها وموضعها وهو المسجد وذلك من ادلته على استعمال الشي في حقيقته ومجازه نهي السكران ان يصلي الى ان يفهم اي يصحوا
ونهي كل احد ان يكون في المسجد وهو جنب بقوله عطفا على محل وانتم سكارى ولا اي ولا تقربوا الصلوة بالكون في محالها
فضلا عنها جنبا اي ممنين بالفعل او القوة القريبة منه بالتقاء الختانين لان الجنابة المني سوا كان عن جماع او لا في
حال من احوال الجنابة الا عابري سبيل اي مارين مرورا من غير مكث ولا صلوة ولما غيي منع الجنابة بقوله حتى
تغتسلوا اي تغسلوا البدن عمدا وكان للانسان حالات يتعسر او يتعذر فيها عليه استعمال الماء ذكرها فقال مرتبا لها
على الاحوج الى الرخصة فالاحوج وان كنتم مرضى اي بجراحة وغيرها مرضا يمنع من طلب الماء او استعماله او على سفر كذلك
سوا كان السفر طويلا او قصيرا او جاء احد منكم اي ايها المؤمنون ولو كان حاضرا صحيحا من الغائط اي المكان المطمئن من الارض
الواسع الذي يقصد للتخلي اي او جاء من التخلي فقضى حاجته التي لا بد له منها فهو بها احوج الى التخفيف مما بعده ولما تقدم
امر الجنابة التي هي المني اعم من ان تكون بجماع او غيره ذكر هنا ما يعمها وغيرها من وجه فقال او لامستم النساء اي بمجرد التقاء

البشرتين

البشرتين او بالجماع سوا حصل انزال او لا واخر هذا لانه مما منه بد ولا يتكرر تكرر قضاء الحاجة فلم تجدوا ماء اي اما بفقده
او بالعجز عن استعماله فتيمموا اي اقصدوا قصدا صادقا بان تلابسوا ناوين صعيدا اي ترابا طيبا اي طهورا خالصا فامسحوا
وهذه عبادة خاصة بنا ولما كان التراب لا يتمكن من جميع العضو وان اجتهد الانسان في ذلك ادخل الباء قاصرا للفعل في قوله
بوجوهكم اي اوقعوا المسح بها سوا عم التراب منبت الشعر ام لا وايديكم اي منه كما صرح به في المايدة لا فيه ولا عليه مثلا ليفهم التمعك
وان الحجر مثلا يكفي والملامسة جوز الشافعي ايضا ان يراد بها المس اي ملاقاة البشرتين الذي هو حقيقة اللمس والجماع الذي
هو مسبب عن المس او هو مماسة خاصة فهو من تسمية الكل باسم البعض حينئذ ولما نهى عما يدني من وقوع صورة الذنب الذي
هو جري اللسان بما لا يليق به سبحانه وخفف ما كان شديدا بالتيمم ختم الاية بقوله ان الله اي الذي اختص بالكمال كان عفوا
اي بترك العقاب على الذنب وكان هذا راجع الى ما وقع حالة السكر غفورا اي بترك العقاب ومحو الذنب حتى لا يذكر بعد ذلك
اصلا وكان هذا راجع الى التيمم فان الصلوة معه حسنة ولولاه كانت سيئة مذكورة ومعاقبا عليها اما على تركها لمشقة
استعمال الماء عند التساهل او على فعلها بغير طهارة في بعض وجوه التنطع وذلك معنى قوله تعالى في المايدة ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج ومن كانت عادته العفو والمغفرة كان ميسرا غير معسر ولما افهم ختام هذه الاية ان التشديد في الاحكام يكون
سبيلا للاجرام فيكون سبيلا في الانتقام قرر ذلك بحال اليهود الذين اوجبت لهم الاصار عذاب النار فقال ليكون ذلك مرغبا
في تقبل ما مر من التكاليف ليسره ولرجا الثواب ومرهبا من تركها خوفا من العقاب وليصير الكلام حلوا رايقا بهجا بتفصيل
نظمه تارة باحكام وتارة باقاصيص عظام فينشط الخاطر وتقوى القريحة الم تر او يقال انه لما حذر تعالى فيما مضى من اهل
الكتاب بقوله ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ومر الى ان انزل هذه الاية في من حرف في الصلوة لسانه
فقط لا عن عمد الكلم عن مواضعه اتبعها التصريح بالتعجيب من حال المحرفين بالقلب واللسان عمدا عدوانا اجترا على الله الملوح اليهم
بالاية السابقة انهم يريدون لنا الضلال عما هدينا اليه من سننهم فقال تعالى الم تر ولما كانوا بمحل البعد بما لهم من اللعن عن
حضرته الشريفة عبر باداة الانتهاء بصرية كانت الرؤية او قلبية فقال الى الذين اوتوا وحقر امرهم بالبناء للمفعول وبقوله
نصيبا من الكتاب اي كشاس بن قيس الذي اراد الخلف بين الانصار وفي ذلك ان اقل شي من الكتاب يكفي في دم الضال لانه كاف
في الهداية يشترون اي يتكلفون ويلجون بما هم فيه من رياسة الدنيا من المال والجاه ان ياخذوا الضلالة معرضين عن الهدى
غير ذاكر به بوجه وسبب كثير من ذلك ما في دينهم من الاصار والاثقال كما اشار اليه قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلوة اي بسبب ما شدد عليهم فيها يا لها لا تفعل الا في الموضع المبني لها وبغير ذلك من انواع الشدة وكذا غيرها المشار اليه
بقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وغير ذلك ومن اعظمه ما يخفون من صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليتقربوا بذلك الى
اهل دينهم وياخذوا منهم الرشا على ذلك ويجعلوهم عليهم روسا ولما ذكر ضلالهم المتضمن لاضلالهم اتبعه ما يدل على اغراقهم
فيه فقال مخاطبا لمن يمكن توجيه هممهم بالاضلال اليه ويريدون ان تضلوا اي يا ايها الذين امنوا السبيل حتى تساووهم
فلذلك يذكروكم بالاحقاد والاضغان والانكاد كما فعل شاس لا محبة فيكم ويلقون اليكم الشبه فالله اعلم بهم حيث حذركم
منه بقوله لا يالونكم خبالا وما بعده الى هنا والله اي المحيط علمه وقدرته اعلم باعدايكم اي كلهم هولاء وغيرهم بما يعلم
من البواطن فمن حذركم منه كاينا من كان فاحذروه ولما كان كل من قبيلتي الانصار قد والوا ناسا من اليهود ليعتزوا بهم
ويستنصروهم قال تعالى فاطما لهم عن موالاتهم وكفى اي والحال انه كفى به هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الاسم الاعظم
لتستحضر عظمته فيستهان امر الاعداء فقال بالله وليا اي قريبا يعمل جميع ما يفعله القريب الشفيق ولما كان الولي
قد لا يكون فيه قوة النصرة والنصير قد لا يكون له شفقة الولي وكانت النصرة اعظم ما يحتاج الى الولي فيه افردها بالذكر
اعلاما باجتماع الوصفين له مكررا الفعل والاسم الاعظم اهتماما بامرها فقال وكفى بالله اي الذي له العظمة كلها نصيرا
اي لمن والاه فلا تضره عداوة احد فثقوا بولايته ونصرته دونهم ولا يبالي باحد منهم ولا من غيرهم فهو يكفيهم الجميع ولما
وفرت هذه الايات الدواعي على تعيين هولاء الذين يريدون الاضلال قال بعد الاعتراض بما بين المبين والمبين من
الجمل لمزيد الاهتمام به من الذين هادوا ثم بين ما يضلون به ويضلون بقوله ويجوز ان يكون استينافا بمعنى بعضهم
او منهم من يحرفون الكلم اي الذي اتى به شرعهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصفة دينه وامته وغير ذلك مما
يريدون تحريفه لغرض فيبالغون في امالته وتغييره عن حده وطرفه الى حد اخر مجاوزين به عن ولما كانت الكلمة
اذا غيرت تبعها الكلام وهو المقصود بالذات نبه على ذلك بتذكير الضمير فقال مواضعه اي التي هي به اليق ليتم
ضلالهم واضلالهم وهو يشمل ما اذا كان المعنى المغير اليه بعيدا عن المغير او قريبا فالذي في المايدة اخص ولما كان سبحانه
عالما بجميع تحريفهم اشار اليه بالعطف على ما تقديره فيقولون كذا ويقولون كذا ويقولون سمعنا اي ما تقول
وعصينا موهمين انهم يريدون ان ذلك حكاية ما وقع لاسلافهم قديما وانما يريدون انهم هم سمعوا ما يقول وخالفوه
عمدا ليظن من سمع ذلك انهم على بصيرة في المخالفة بسبب ما عندهم من العلم الرباني ليورثه ذلك شكا في امره وحيرة في
شانه واسمع حال كونك غير مسمع موهمين عدم اسماعه ما يكره من قولهم فلان اسمع فلان الكلام وانما يريدون الدعا
كما يقال اسمع لا سمعت وراعنا موهمين ارادة المراعاة لهم والاقبال عليهم وانما يريدون الشتم بالرعونة وقال الاصبهاني
ويحتمل شبه كلمة عبرانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام

محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاكرام ولذلك قال ليا بالسنتهم اي صرفا لها عن مخارج الحروف التي
يحق لها في العربية الي ما يفعله العبرانيون من تغليط بعض الحروف وشوب بعضها بغيره لارادة معان عندهم قبيحة مع احتمالها
لارادة معان غير تلك يقصدها العرب مليحة وطعنا في الدين اي بما يفسرونها به لمن يطمعون فيه من تلك المعاني الخبيثة ولما ذكر
هذه الكلمات الموجبة بين ما كان عليهم لو وفقوا فقال قاطعا لحدا لهم ولو انهم قالوا في الجواب له صلى الله عليه وسلم سمعنا واطعنا
اي بدل الكلمة الاولى واسمع وانظرنا بدل ما بعدها لكان اي هذا القول خيرا لهم اي من ذلك لعدم استيجابهم الاثم واقوم اي
لعدم احتمال الذم ولكن لعنهم الله اي طردهم الذي له جميع صفات الكمال وابعدهم عن الخير بكفرهم اي بدناءتهم بما يغطون من انوار
الحق ودلايل الخير فلم يقولوا ذلك ولما سبب عن طردهم استمرار كفرهم قال فلا يومنون اي يتجدد لهم ايمان الا قليلا اي منهم
استثناء من الواو فانهم يومنون او هو استثناء مفرغ من مصدر يومن اي من ايمانهم ببعض الايات الذي لا ينفعهم لكفرهم بغيره
ولما بكتهم على فعلهم وقولهم وصرح بلعنهم خوفهم اظهار ذلك في الصور المحسوسة فقال مقبلا عليهم اقبال الغضب يا ايها
الذين مناديا لهم من محل البعد اوتوا الكتاب ولم يسند الايتاء اليه تحقيرا لهم ولم يكتف بنصيب سنه لانه لا يكفي في العلم
بالمصادقة الا في الجميع امنوا بما نزلنا اي تدريجا كما نزلنا التورية كذلك على ما لنا من العظمة التي ظهرت في اعجازه واخباره
بالمغيبات ودقايق الامور مما عندكم وغيره على رشاقته وايجازه واعلم بعنادهم وحسدهم بقوله مصدقا لما معكم من حيث انهم له
مستحضرون وبه في حد ذاته مقرون ولما امرهم وقطع حجتهم حذرهم فقال مخففا عنهم بالاشارة بحرف الجر الي انه متى وقع منهم ايمان
في زمن مما قبل الطمس اخره عنهم من قبل ان نطمس اي نمحوا وجوها فان الطمس في اللغة المحو وهو يصدق بتغيير بعض الكيفيات
ثم سبب عن ذلك قوله فنردها فالتقدير من قبل ان نمحوا اثر وجوه بان نردها على ادبارها اي بان نجعلها الي جهة القبل من
الراس الي جهة الدبر وما الي الدبر الي جهة القبل مع ابقاء صورة الوجه على ما هي عليه او يكون بالرد على الدبر الغفل من حال
الي ما دونها من ضدها بجعلها على حال القفا ليس فيها تعلم من فم ولا غيره قال ابن هشام نطمس نمسحها فنسويها فلا يرى فيها
عين ولا انف ولا فم ولا شي مما يرى في الوجه وكذلك فطمسنا اعينهم المطموس العين الذي ليس بين جنبيه شق ويقال طمست
الكتاب والاثر فلا يرى منه شي ويكون الوجه في هذا التقدير على حقيقته ثم خوفهم نوعا اخر من الطمس فقال عاطفا على
نردها او نلعنهم اي نبعدهم جدا عن صورة البشر بان نقلب وجوههم او جميع ذواتهم على صور القردة كما لعنا اصحاب السبت
اذ قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ويكون الوجه في هذا التقدير الاخير عبارة عن الجملة فهو اذن مما استعمل في حقيقته ومجازه
ويجوز ان يكون واحدا لوجها فيكون عود الضمير اليه استخداما ويكون المراد بالرد على الادبار جعلهم ادنيا صغرة من الاسافل
والله اعلم ولما كان ذلك امرا غريبا ومقدورا عجيبا وكان التقدير فقد كان امر الله فيهم بذلك كما علمتم نافذا اتبعه الاعلام بان
قدرته شاملة وان وجوه مقدوراته لا تنحصر فقال عاطفا على ما قدرته وكان امر الله اي حكمه وقضاؤه ومراده في كل شي
شاءه منهم ومن غيرهم بذلك وبغيره لان له العظمة التي لا حد لها والكبرياء التي يغن الاوصاف دونها مفعولا اي كاينا حتما لا تخلف
له اصلا فلا بد من وقوع احد الامرين ان لم يومنوا وقد امن بعضهم فلم يصح انهم لم يومنوا لانه قد وقع منهم ايمان ولما كانوا
مع ارتكابهم العظايم يقولون سيغفر لنا وكانت امتثالهم لتحريف احبارهم ورهبانهم شركاء بالله كما قال تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قال معللا لتحقيق وعيدهم معلما ان ما اشير اليه من تحريفهم اداهم الي الشرك ان الله اي الجامع
لصفات العظمة لا يغفر ان يشرك به اي على سبيل التجديد المستمر الي الموت سوا كان المشرك من اهل الكتاب ام لا وزاد ذلك
حسنا انه في سياق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا ولما اخبر بعدله اخبر بفضله فقال ويغفر ما دون ذلك الامر الكبير
العظيم من كل معصية سوا كانت صغيرة او كبيرة سوا تاب فاعلها او لا ورهب بقوله اعلاما بانه مختار لا يجب عليه شي لمن يشاء
ولما كان التقدير فان من اشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عطف عليه قوله ومن يشرك اي يوجد منه شرك في الحال
او المال واما الماضي فجبته التوبة بالله اي الذي كل شي دونه فقد افترى اي تعمد كذبا اثما عظيما اي ظاهرا في نفسه
من جهة عظمه انه قد ملا اقطار نفسه وقلبه وروحه وبدنه مظهرا للغير انه اثم فهو في نفسه مناد بانه باطل مضر فلم يدع
للصلح موضعا فلم تقتض الحكمة العفو عنه لانه قادح في الملك وانما طوى مقدمة الضلال وذكر مقدمة الافتراء لكون
السياق لاهل الكتاب الذين ضلالهم على علم منهم وتعمد وعناد بخلاف ما ياتي عن العرب وفي التعبير بالمضارع استكفاف
مع استعطاف واستجلاب في استرهاب ولما كان في ذلك اشارة الي ان المراد بهذه الايات من اهل الكتاب اضل الناس
وكانوا يقولون انهم اهدى الناس عجب منهم منكرا عليهم بعد افترائهم تزكية انفسهم فقال الم تر وابعدهم بقوله الى الذين
يزكون انفسهم اي بما ليس لهم من قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وقوله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما فان ابعاد غيرهم في المثل
مصحح لتزكيتهم انفسهم بالباطل ونحو ذلك مما تقدم وغيره ولما كان معنى الانكار ليس لهم ذلك لانهم كذبوا فيه وظلموا اشار
اليه بقوله بل الله اي الذي له صفات الكمال يزكي من يشاء اي بما له من العلم التام والقدرة الشاملة والحكمة البالغة
والعدل السوي بالثناء عليه وخلق معاني الخير الظاهرة فيه لتنشا عنها الاعمال الصالحة فاذا زكى احدا من اصفيائه
بشي كالنبوة كان له ان يزكي نفسه بذلك حملا على ما ينفع الناس به عن الله ولا اي والحال ان الذين يزكيهم او يدسيهم يظلمون
فتيلا اي مقدار ما في شق النواة من ذلك الشي المفتول اي قليلا ولا كثيرا لانه عالم بما يستحقون وهو الحكم العدل الغني عن الظلم

لكون المعنى بالطمس مسح ما في الوجه من المعاني حم

لان

لان له صفات الكمال ولما اخبر تعالى ان التزكية انما هي اليه بما له من العلم الشامل وكان ذلك امرا لا نزاع فيه وشهد عليهم
بالضلال وثبت ان ذلك كلامه بما له من الاعجاز في حالتي الاطناب والايجاز ثبت كذبهم فزاد في توبيخهم بذلك فقال
معجبا لرسوله صلى الله عليه وسلم من يعلم كذبهم ويقدر على معالجتهم بالعذاب مبينا انه صلى الله عليه وسلم في الحضرة بعد
بيان بعدهم انظر كيف يفترون اي يتعمدون على الله اي الذي لا يخفى عليه شي ولا يعجزه شي الكذب اي من غير خوف منهم لذلك
عاقبه وكفى اي والحال انه كفى به اي بهذا الكذب اثما مبينا اي واضحا في نفسه ومناديا عليها بالبطلان ولما عجب
من كذبهم دل عليه بقوله الم تر وكان الاصل اليهم ولكنه قال لزيادة التقريع والتوبيخ والاعلام بان كفرهم عناد لكونه
عن علم الى الذين وعبر بالى دلالة على بعدهم عن الحضرات الشريفة اوتوا نصيبا من الكتاب اي الذي هو الكتاب في الحقيقة
لكونه من الحق يؤمنون بالجبت وهو الصنم والكاهن والساحر والذي لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله والطاغوت وهو
اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل راس ضلال والاصنام وكل ما عبد من دون الله وكل هذه المعاني تصح ارادتها هنا
وهي مما نهي عنه في كتابهم واصله ومداره مجاوزة الحد عدوانا وهو واحد وقد يكون جمعا قال تعالى اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم والحال ان اقل نصيب من الكتاب كاف في النهي عن ذلك وتكفير فاعله ولما دل على ضلالهم دل على اضلالهم بقوله
معبرا بصيغة المضارع دلالة على عدم توبتهم ويقولون للذين كفروا ودل بالتعبير بالاشارة دون الخطاب على انهم
يقولون ذلك فيهم حتى في غيبتهم حيث لا حامل لهم على القول الا محض الكفر فقال هؤلاء اي الكفرة العابدون للاصنام
اهدى اي اقوم في الهداية من الذين امنوا اي اوقعوا هذه الحقيقة فيفهم ذمهم بالتفضيل على الذين يؤمنون ومن فوقهم
من باب الاولى سبيلا مع ان في كتابهم من ابطال الشرك وهدمه وعيب مدانيه وذمه في غير موضع تاكيدا اكيدا وامرا
عظيما شديدا ولما انتج ذلك خزيهم قال اولئك اي البعداء عن الحضرات الربانية الذين لعنهم الله اي طردهم بجميع ما له من
صفات الكمال طردا هم جديرون بان يختصوا به ولما كان قصدهم بهذا القول مناصرة المشركين لهم وكان التقدير فنالوا
بذلك اللعن الذل والصغار عطف عليه قوله ومن يلعن الله اي الملك الذي له الامر كله منهم ومن غيرهم فلن تجد له نصيرا
اي في وقت من الاوقات اصلا وكرر التعبير بالاسم الاعظم لان المقام يقتضيه اشعارا لتناهي الكفر الذي هو اعظم المعاصي
بتناهي الغضب ولما كان التقدير اكذلك كان من الزامهم الذل والصغار عطف عليه قوله ام لهم نصيب اي واحد
من الانصباء من الملك فاذن اي فيتسبب عن ذلك انهم اذا كان لهم ادنى نصيب منه لا يؤتون الناس اي الذين امنوا نقيرا
اي شيا من امر دنيا ولا اخرة من هدى ولا غيره والنقر النقرة في ظهر النواة جعل غاية في القلة فهو كناية عن العدم
فهو بيان لافراط بخلهم لا يصلحون الا لما هم فيه من الذل فكيف يدرجه الملك لان الملك والبخل لا يجتمعان ام ليس لهم نصيب
ما من الملك بل ذلهم لازم وصغارهم ابدا كاين دائم فهم يحسدون الناس اي محمدا صلى الله عليه وسلم الذي جمع فضايل
الناس الاولين والاخرين وزاد عليهم ما شاء الله او العرب الذين لا ناس الان غيرهم لانا فضلناهم على العالمين بان يتمنوا دوام
ذلهم كما دام لهم هم ودل على نهاية حسدهم باداة الاستعلاء في قوله على ما اتاهم الله اي بما له من صفات الكمال
من فضله حسدوهم لما راوا من اقبال جدهم وظهور سعدهم وانهم سادة الناس وقادة اهل الندا والباس
ان العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا وقد اتاهم الله جميع انواع الملك فانه على ثلثة اقسام ملك
على الظواهر والبواطن معا وهو للانبياء بما لهم من غاية الجود والكرم والرحمة والشفقة والشجاعة والبر واللطف التي
كل منها سبب للانقياد وذلك مع ما لهم بالله تعالى من تمام الوصلة وملك على الظواهر فقط وهو ملك الملوك وملك على
البواطن فقط وهو ملك على العلماء ولما ذمهم سبحانه اولا بالجهل ومدح النفس تشبعا بما لم يعطوا وذلك سبب لجميع
النقايص وثانيا باعظم منه منع الحق من اهله بخلا وثالثا باعظم منهما تمنى ان لا يصل الى احد نعمة وان كانت لا تنقصهم
فحازوا بذلك اعلى خلال الذم وكانت المساوي تضع والمحاسن ترفع تسبب عن هذا توقع السامع لاعلاء العرب وادامة
ذل اليهود وموتهم بحسدهم قال فقد اي فتسبب عن هذا وتعقبه انا قد اتيناهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر للتنبيه
على الوصف الذي شاركوهم به في استحقاق الفضايل فقال اتينا اي بما لنا من العظمة ال ابرهيم اي اعلمناكم في كتابكم
انا اقسمنا له انا نغزو ذريته ونهديهم ونجعل ابنه اسمعيل حالا على جميع حدود اخوته ويده في جميع الناس ويده على
كل ويد كل به الكتاب اي الذي لا كتاب الا هو لما له من الفضل والحفظ بالاعجاز والفضل والحكمة اي النبوة التي ثمرتها
العمل المتقن بالعلم المحرر المحكم واتيناهم مع ذلك ملكا عظيما اي ضخما واسعا باقبال الى ان تقوم الساعة فمنهم اي من ال
ابرهيم من امن به وهم اغلب العرب ومنهم من صد عنه اي اعرض بنفسه وصد غيره كبني اسرائيل وبعض العرب ولما
كان قد علم من السياق ان الطاعن فيه ميت بحسده من غير ان يضره بامر دنيوي وكان التقدير لبيان امرهم في الاخرة تحكمنا
ان تشعر بهم النار بعد الذل في هذه الدار والهوان والصغار عطف عليه قوله وكفى بجهنم سعيرا اي توقدا والتهابا
في غاية الاحتراق والعسر والاسراع الى الاذى وفي اية الطاغوت انهم سمحوا ببذل الدين وهو لا اعز منه عند الانسان
في شهادتهم للكفرة بالهداية وفي اية الملك الايماء الى انهم في الحضيض من الشح بالخسيس الفاني وفي اية الحسد انه لم يكفهم
التواطن في حضيض الشح بما اتوا مع الغنى حتى سفلوا عنه الى ادنى من ذلك بالحسد لمن اتاه الله ما لا ينقصهم ولما اثبت
لمن صد عنه النار علله بقوله ان الذين كفروا باياتنا اي ستروا ما اظهرته عقولهم بسببها سوف نصليهم اي بوعيد

لانهم

ثابت وان طال معه الامهال نارا ولما كانت النار على ما نعهده مفنية ما حقه استانف قوله ردا لذلك كلما نضجت جلودهم
اي صارت بحرها الى حالة اللحم النضيج الذي ادرك ان يوكل فصارت كاللحم الميت الذي يكون في الجرح فلا يحس بالالم بدلناهم
اي جعلنا لهم جلودا غيرها اي غير النضيجة بدلا منها بان اعدناها الى ما كانت عليه قبل تسليط النار عليها كما اذا صغت من
خاتم خاتما على غير هيئته فانه هو الاول لان الفضة واحدة وهو غيره لان الهيئة متغايرة وهكذا الجلد الثاني مغاير للنضيج
في الهيئة ليذوقوا اي اصحاب الجلود المقصودون بالعذاب العذاب اي ليدوم لهم تجدد ذوقه فيتجدد لهم مشاهدة الاعادة
بعد البلى كل وقت كما كانوا يجددون التكذيب بذلك كل وقت ليكون الجزاء من جنس العمل فانه لو لم يعد منهم ما وهي الاداة وهيئة
الى البلى ولو بلي منهم شيء لبلوكلهم فانقطع عذابهم ولما كان هذا امرا لم نعهد مثله دل على قدرته عليه بقوله ان الله اي
الملك الاعظم كان ولم يزل عزيزا اي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء حكيما ان يتقن صنعه فجعل عذابهم على قدر ذنوبهم على عزائمهم
كانت على دوامهم على ما استحقوا به ذلك ما بقوا ولما ذكر الترهيب بعقاب الكافرين اتبعه الترغيب بثواب المومنين
فقال والذين امنوا اي اقروا بالايمان وعملوا بيانا لصدقهم فيه الصالحات سندخلهم اي بوعد لا خلف فيه وربما افهم
التنفيس لهم بالسين دون سوف كما في الكافرين انهم اقصر الامم مدة لو انهم اقصرهم اعمارا اراحة لهم من دار الكدر الى محل
الصفا وانهم يدخلون الجنة قبل جميع الفرق الناجية من اهل الموقف جنات اي بساتين ووصفها بما يديم بهجتها ويعظم
نضرتها وزهرتها فقال تجري من تحتها الانهار اي ان ارضها في غاية الري كل موضع منها صالح لان يجري منه نهر ولما ذكر
قيامها وما به دوامها اتبعه ما تهواه النفوس من استمرار الاقامة بها فقال خالدين فيها ابدا ولما وصف حسن الدار
ذكر حسن الجار فقال لهم فيها ازواج والمطرد في وصف جمع القلة لمن يعقل الالف والتاء فعدل هنا عن ذلك الى الوحدة
لافهام انهن لشدة الموافقة في الطهر كذات واحدة فقيل مطهرة اي متكرر طهرها لا توجد وقتا ما على غير ذلك ولما
كانت الجنان في الدنيا لا تحسن الا بتمكين الشمس منها وكانت الشمس تنسخ الظل فتحوج الى التحول الى مكان اخر وربما ادى حرها
اي من ذلك فيها بقوله وندخلهم اي فيها ظلا اي عظيما واكد بقوله ظليلا اي متصلا لا فرج فيه منبسطا لا ضيق
معه دائما لا تصيبه الشمس يوما ما لا حر فيه ولا برد بل هو في غاية الاعتدال ولما تقدم في هذه السورة الامر بالاحسان
والعدل في النساء واليتامى في الارث وغيره وفي غير ذلك من الدماء والاموال والاقوال والافعال وذكر خيانة اهل الكتاب
وما احل بهم لذلك من العقاب وذكر انه اتى هذه الامة الملك المقتضي للحكم واتاهم الحكمة بعد جهلهم وضعفهم اقبل عليهم
بلذيذ خطابه بعد ما وعدهم على امتثال امره من كريم ثوابه بما ختمه بالظل الموعود على العدل في حيث سبعة يظلهم الله
في ظله فقال ان الله اي الذي له صفات الكمال يامركم اي ايتها الامة ان تؤدوا الامانات الى اهلها اي من غير خيانة كما فعل
اهل الكتاب في كتمان ما عندهم والاخبار بغيره والامانة كل ما وجب لغيرك عليك ولما امر بما يحق للانسان في نفسه امر
بما يحق له في معاملة غيره وحقق لهم ما لم يكونوا يرومونه من امر الملك بقوله باداة القطع عاطفا شيئين على شيئين واذا
حكمتم وبين عموم ملكهم لسائر الامم بقوله بين الناس وبين المامور به بقوله ان تحكموا بالعدل اي بالسوا بان تامروا
من وجب عليه حق باداته الى من هو له فان ذلك من اعظم الصالحات الموجبة لحسن المقيل في الظل اخرج الشيخان وغيرهما
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل الحديث
ولما اخبرهم بامره زادهم رغبة بقوله ان الله مغيرا ايضا بالاسم الاعظم نعما اي نعم شيئا عظيما يعظكم به وحثهم على
المبادرة الى حسن الامتثال بقوله ان الله مكررا لهذا الاسم الشريف ليجتهدوا في الترقي في طهارة الاخلاق الى حد لم
يبلغه غيرهم ولما كان الرقيب في الامانات لا بد له ان يكون له مزيد سمع وعلم قال كان اي ولم يزل ولا يزال سميعا
اي بالغ المسمع لكل ما يقولونه جوابا لامره وغير ذلك بصيرا اي بالغ البصر والعلم بكل ما يفعلونه في ذلك وغيره من امتثال
وغيره ولما امر سبحانه بالعدل ورغب فيه ورهب من تركه امر بطاعة المتنصبين لذلك الحاملة لهم على الرفق بهم والشفقة
عليهم فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان وبدا بما هو العمدة في الحمل على ذلك فقال اطيعوا اي بموافقة الامر
تصديقا لدعويكم الايمان الله اي فيما امركم في كتابه مستحضرين ما له من الاسماء الحسنى وعظم رتبة نبيه صلى الله عليه
وسلم باعادة العامل فقال واطيعوا الرسول فيما حده لكم في سنته عن الله وبينه من كتابه لان منصب الرسالة
مقتض لذلك ولهذا اعتبر به دون النبي واولي الامر منكم اي الحكام فان طاعتهم فيما لم يكن معصية كما اشير الى ذلك
بعدم اعادة العامل من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته من طاعة الله عز وجل والعلماء من اولي الامر
امناؤهم العاملون فانهم يامرون بامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولما ابان هذا حكم الاصول الثلاثة اتبعها
القياس فسبب عما تقدم من الكتاب والسنة التي وقع الاجماع عليها فان تنازعتم في شيء اي لالباسه فاختلفت فيه اراؤكم
فردوه الى الله اي المحيط علما وقدرة بالتضرع بين يديه بما شرعه لكم من الدعاء والعبادة ليفتح لكم ما اغلق منه ويهديكم
الى الحق منه والرسول اي الكاملة الرسالة بالبحث عن اثار رسالته من نص في ذلك بعينه او اولى قياس ودلت الاية
على ترتيب الاصول الاربعة على ما هو فيها وعلى ابطال ما سواها وعلم من افراده تعالى وجمع النبي صلى الله عليه وسلم مع اعلام
امته ان الادب توحيد الله حتى في مجرد ذكره واكد البيان لدعوى الطاعة بقوله ان كنتم تومنون اي دائمين على الايمان
بتجديده في كل اوان بالله اي الملك الاعظم الذي لا كفو له واليوم الاخر الحامل على الطاعة الحاجز عن المعصية ثم دل على

الظليل

عظمة

عظة هذا الامر وعميم نفعه بقوله مخصصا لرسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب ذلك اي الامر العالي الرتبة خير اي
وغيره شر واحسن تاويلا اي عاقبة او ترجيعا بل ورد ارد كل الى ما يقتضيه قويم العقل من ملاحظة الاثار الرسالة
من الكتاب والسنة فان في الاحكام ما لا يستقل العقل بادراكه الا بمعونة الشرع روي البخاري في التفسير عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآية اطيعوا الله في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي رضي الله عنه اذ بعثه النبي صلى الله
عليه وسلم في سرية يعني فامرهم ان يدخلوا في النار ولما كان التقدير كما انهم اخر الآية واشعر به في اولها بعد ان جمع
الخلق على طاعته بالطريق الذي ذكره ثم ان اي ذلك فليس بمومن من دل عليه بقوله معجبا مخاطبا لاكمل الخلق الذي عرفه الله
المنافقين في لحن القول الم تر واشار الى بعدهم عن علي حضرته الشما بقوله الى الذين والى كذبهم ودوام نفاقهم يزعمون
انهم امنوا اي وجدوا هذه الحقيقة واوقعوها في انفسهم بما انزل اليك ودل على ان هذا الزاعم المنافق كان من اهل الكتاب
قبل ادعاء الاسلام بقوله وما اي ويزعمون انهم امنوا بما انزل من قبلك اي من التورية او الانجيل قال الاصبهاني
رحمه الله ولا يستعمل اي الزعم في الاكثر الا في القول الذي لا يتحقق يقال زعم فلان اذا شك فيه فلم يعرف كذبه او صدقه
والمراد ان هؤلاء قالوا قولا هو عند من يعلم البواطن اهل لان تشك فيه بدليل انهم يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت اي الباطل المغرق في البطلان وقد اي والحال انهم قد امروا ممن له الامر ان يكفروا به في كل ما انزل
من كتابك وما قبله وحتى تحاكموا اليه كما توا مومنين به كما قرين بالله وهو معنى قوله ويريد الشيطان باراداتهم
ذلك التحاكم ان يضلهم اي بالتحاكم اليه ضلالا بعيدا بحيث لا يمكنهم معه الرجوع الى الهدى وهذه الآية سبب تسمية
عمر رضي الله عنه بالفاروق لما قضى به عنق منافق لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة ذكرها الثعلبي
من رواية الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ولما ذكر ضلالهم بالارادة ورغبتهم في التحاكم الى الطاغوت
ذكر فعلهم فيه في تفرتهم عن التحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واذا قيل لهم اي من اي قايل كان تعالوا اي اقبلوا
راغبين انفسكم من وهاد الجهل الى شرف العلم الى ما انزل الله اي الذي عنده كل شي والى الرسول اي الذي يجب طاعته
لاجل مرسله مع انه اكمل الرسل الذين هم اكمل الخلق رسالة ورايتهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الوصف الذي دل على
كذبهم فيما زعموه من الايمان فقال رايت المنافقين يصدون اي يعرضون عنك واكد ذلك بقوله صدودا اي هو
في اعلى طبقات الصدود ولما تسبب عن هذا تهديدهم قال مهولا لوعيدهم بالابهام والتعجيب منه بالاستفهام
معلما بانهم سيندمون حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار فكيف اي يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي عقوبة
هايلة بما قدمت ايديهم مما ذكرنا وكل من عنه ولما كان الذي ينبغي ان يكون تناقضهم بعيدا لان الكذب عند العرب
كان شديدا قال ثم جاوك اي خاضعين بما لينت منهم تلك المصيبة حالكونهم يحلفون بالله اي الحاوي لصفات الكمال
من الجلال والجمال غير مستحضرين لصفة من صفاته ان اي ما اردنا اي في جميع احوالنا وبسائر افعالنا الا احسانا وتوفيقا
اي ان تكون الامور على الوجه الاحسن والاوفق لما رايتنا في ذلك مما خفي على غيرنا وقد كذبوا في جميع ذلك ولما ذكر سبحانه
بعض ما يصدر منهم من التناقضات وهم غير محتشمين ولا هايبين قال معلما بشانهم معللا لما يصنع بهم اولئك اي البعداء
عن الخير الذين يعلم الله اي الحاوي لنعوت العظمة ما في قلوبهم اي من شدة البغض للاسلام واهله وان اجتهدوا في
اخفايه ثم سبب عنه تعليما لما يصنع بهم واعلاما بانهم لا يضرون الا انفسهم قوله فاعرض عنهم اي عن عقابهم وعن
الخشية منهم وعن عتابهم لانهم اقل من ان يجب لهم حساب وعظهم وان ظننت ان ذلك لا يوثر لان القلوب بيد الله
يصطنعها لما اراد حتى اراد وقل لهم في انفسهم اي بسببها وما يشرح احوالها ويبين نقايصها من نفايسها او خاليا
معهم فان ذلك اقرب الى ترقيقهم قولا بليغا اي يكون في غاية البلاغة في حد ذاته ولما امر بطاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم وذم من حاكم الى غيره وهدده وختم تهديده بامر النبي صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنه
والوعظ له فكان التقدير فما ارسلناك وغيرك من الرسل الا للرفق بالامة والصفح عنهم والدعاء لهم على غاية
الجهد والنصيحة عطف عليه قوله وما ارسلنا اي بما لنا من العظمة ودل على الاغراق في الاستغراق بقوله
من رسول ولما كان ما يوتيهم سبحانه من الايات ويمنحهم به من المعجزات حاملا في ذاته على الطاعة شبهة بالحامل
على ارساله فقال الا ليطاع اي لان منصبه الشريف مقتض لذلك امر به داع اليه باذن الله اي بعلم الملك الاعظم
الذي له الاحاطة بكل شي وتمكينه من ان يطاع لما جعلنا له من المزية بالصفات العلية والمناصب الجليلة والاخلاق
الشريفة كما قال صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبي الا قد اوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر اخرجه الشيخان عن
ابي هريرة رضي الله عنه ولما كان التقدير فلو اطاعوك لكان خيرا عطف عليه قوله ولو انهم اذ اي حين ظلموا
انفسهم اي بالتحاكم الى الطاغوت او غيره جاوك اي مبادرين فاستغفروا الله اي عقبوا مجيهم بطلب المغفرة من الملك
الاكرم لما استحقوه له من الجلال واستغفر لهم الرسول اي ما فرطوا به عصيانه فيما استحقه عليهم من الطاعة لوجدوا
الله اي الملك الاعظم توابا رحيما اي بليغ التوبة على عبيده والرحمة لهم لاحاطته بجميع صفات الكمال فقبل توبتهم
ومحى ذنوبهم واكرمهم ولما افهم ذلك ان اباءهم لقبول حكمه والاعتراف بالذنب لديه سبب مانع لهم من الايمان قال
موكدا للكلام غاية التاكيد بالقسم الموكد لاثبات المضمون والا النافية لنقيضه فلا وربك اي المحسن اليك لا يومنون

لعمر ٤

٢ ورد ان عمر

التعلم

اي يوجدون هذا الوصف ويجدونه حتى يحكموك اي يجعلوك حكما فيما شجر اي اختلط واختلف بينهم من كلام بعضهم لبعض
للتنازع حتى كانوا كاغصان الشجر في التداخل والتضايق ولما كان الاذعان للحكم بما يخالف الهوى في غاية الشدة على النفس اشار
اليه باداة التراخي فقال ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي نوعا من الضيق مما قضيت اي عليهم به واكد اسلامهم كانهم بصيغة
التفعيل فقال ويسلموا اي يوقعوا التسليم البليغ لكل ما هو لهم من انفسهم وغيرها لله ورسوله صلى الله عليه وسلم خالصا
عن شوب كره ثم زاده تاكيدا بقوله تسليما وفي الصحيح ان الاية نزلت في الزبير وخصم له من الانصار فلما التقاضيا الى من
قال انه حاطب رضي الله عنه ولما كان التقدير فقد كتبنا عليهم طاعتك والتسليم لك في هذه الحنيفية السمحة التي دعوتهم
اليها وحملتهم عليها عطف عليه قوله ولو انا كتبنا عليهم هذا المخاص الزبير رضي الله عنه واشباهه هذا المخاص ممن ضعف
ايمانه كتابة مفروضة ان اقتلوا انفسكم اي كما كان في التوبة في كفارة بعض الذنوب مباشرة حقيقته وكما فعل المهاجرون
بتعريض انفسهم لذلك ثلاثة عشر سنة ثم فيها عند اعداء الله مضغة ثم بين يدي نشوز يتخاطفونها واخرجوا كما فعل المهاجرون
الذين الزبير من ديارهم اي التي هي كاشباحكم كارواحكم توبة لربكم ما فعلوه اي لتصور ايمانهم وضعف
ايقانهم ولو كتبنا عليهم ولم يرضوا به كفروا فاستحقوا القتل ولما كان كل كفر لا يخلو عن خلاصه قال الا قليل منهم اي وهم
العالمون بان الله تعالى خيرهم من انفسهم وان حياتهم انما هي في طاعته روي ان من هؤلاء ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه قال
اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال ابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنهما وروي
عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك ولا ريب في انا لتقدير ولكنه لم يكتب
علينا فليشكروا الله وليتمسكوا بهذه الحنيفية السمحة ولما كان مبنى السورة على الايتلاف وكانت لسياق للاستعطاف
قال مرغبا ولو انهم اي هؤلاء المنافقين فعلوا ما يوعظون اي يجدد لهم الوعظ في كل حين به لكان اي فعلهم ذلك خيرا لهم
اي مما اختاروه لانفسهم واشد تثبيتا اي مما يثبتوا به انفسهم بالايمان الحانثة واذا لاتيناهم اي واذا فعلوا ما يوعظون
به اتيناهم مما لنا من العظمة ايتاء موكدا بالامرية فيه واشار بقوله من لدنا الى انه من غرايب ما عنده من خوارق خوارق
العادات ونواقض نواقض المطردات اجرا عظيما ولهديناهم اي مما لنا من العظمة صراطا مستقيما اي يوصلهم الى مرادهم
وقد عظم سبحانه هذا الاجر ترغيبا في الطاعة انواعا من العظمة منها التنبيه باذن والايتان بصيغة العظمة ولذن مع العظمة
والوصف بالعظيم ولما رغب في العمل بما وعظه وكان الوعظ قد يكون لغلظ في الموعوظ وكان ما قدمه في وعظه امرا
مجملا رغب بعد ترقيقه بالوعظ في مطلق الطاعة التي المقام كله لها مفصلا اجمال ما وعد عليها فقال ومن يطع الله اي في
امتثال اوامره والوقوف عند زواجره مستحضرا عظمته طاعة هي على سبيل التجدد والاستمرار والرسول اي في كل ما اراد
فان منصب الرسالة يقتضي ذلك لا سيما من بلغ نهايتها فاولئك اي العالوا الرتبة العظيموا الشرف مع الذين انعم الله اي
بما له من صفات الجلال والجمال عليهم اي معدود من حزبهم فهو يحشر اذا اراد زيادتهم اورد ويتهم وصل اليها بسهولة لا
انه يلزم ان يكون في درجاتهم وان كانت اعماله قاصرة ثم بينهم بقوله من النبيين اي الذين انبأهم الله بدقايق الحكم وانبأوا
الناس بجلايل الكلم بما لهم من طهارة الشيم والعلو والعظم والصديقين اي الذين صدقوا اولا الناس بما اتاهم عن الله وصدقوهم
في اقوالهم وافعالهم فكانوا قدوة لمن بعدهم والشهداء اي الذين لم يغيبوا اصلا عن حظرات القدس ومواطن الانس طرفة عين
بل هم مع الناس بحسهم ومع الله بحلولهم وعلومهم سواء شهد والذين الله بالحق ولسواه بالبطلان بالحجة او بالسيف ثم قتلوا
في الله والصالحين اي الذين لا يتيسر لهم في ظاهر ولا باطن بحول الله فساد اصلا روى البخاري في التفسير عن عايشة رضي
الله عنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي الا خير بين الدنيا والاخرة وكان في شكواه الذي لم يقم فيه
اخذته بحة شديدة فسمعته يقول مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فعلمت انه خير
وفي هذا يشير كلام العارف الشيخ رسلان رحمه الله عليه حيث قال ما صلحت ما دام فيك بقية لسواه وقد تجتمع الصفات
الاربع في شخص وقد لا تجتمع ولابي بكر رضي الله عنه احق الامة بالصديقية وان قلنا ان عليا وزيدا رضي الله عنهما اسلما
قبله لانه لكبره وكونه لم يكن قبل الاسلام تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم كان قدوة لغيره ولذلك كان سببا لاسلام نار كثير
واولئك كانوا سببا لاسلام غيرهم فكان له مثل اجر الكل وكان فيه حين اسلامه قوة الجهاد في الله بالمدافعة عن النبي
صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الافعال الدالة على صدقه وللحافظة هذه الامور كانت رتبتها تلي رتبة النبوة ولرفع
الواسطة بينها وبين الله هذه الامة التي اختارها تولية الصديق بعد نبيهم ودفنه الى جانبه ومن عظم رتبتهم تسوية
النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عمره بهم فقال مع الرفيق الاعلى ولما اخبر ان المخيرين هؤلاء لم يكتف بما انهم ذكرهم من جلالهم
وجلادتهم بل زاد في بيان علو مقامهم ومقام كل من رافقهم بقوله وحسن اي وما احسن اولئك اي العالوا الاخلاق السابقون يوم السباق رفيقا من الرفق وهو لغة لين الجانب ولطافة العمل وهو مما يستوي فيه واحده وجمعه
ثم اشار الى تعظيم ما منحهم به مرغبا في العمل بما يودي اليه باداة البعد فقال ذلك الفضل وزاد في الترغيب فيه
بالاخبار عن هذا المبتدا بالاسم الاعظم فقال من الله ولما كان مدار التفضيل على العلم قال بانيا على ما تعلم من صحة
بواطنهم اللازم منها شرعا ظواهرهم وكفى بالله اي الذي له الاحاطة الكاملة عليما يعلم من الضماير والظواهر ما يستحق به
التفضيل من فضله على غيره ولما دل على علي الشهادة بعد ما ذكر من ثوابه من قبل موعظته ولو في قتل نفسه وذم من

ابي ذلك بعد ما حذر من الاعداء من اهل الكتاب والمشركين والمنافقين المخادعين فتوفرت دواعي الراغبين في المكارم على
ارتقائها التفت الى المومنين ملذذا لهم بحسن خطابه تادبا الى الجهاد مع الارشاد الى الاستعداد له بما يردع الاضداد فقال
تعالى منبها باداة البعد وصيغة المضي الى ان الراسخ لا ينبغي له ان يحتاج الى تنبيه مثل هذا يا ايها الذين امنوا اي اقروا
بالايمان ولما كان سبحانه قد خلق للانسان عقلا يحمله على التيقظ والتحرز من المخوف فكان كالالة له وكان لما عنده من
السهو والنسيان في غالب الاوقات مهملا له فكان كانه قد ترك الة كانت معه قال تعالى خذوا حذركم اي من الاعدا الذين
ذكرتهم لكم وحذرتكم منهم المشاققين منهم والمنافقين فانفروا اي اخرجوا تصديقا لما ادعيتم الى جهادهم مسرعين ثبات
اي جماعات متفرقين سرية في اثر سرية لا تملوا ذلك اصلا او انفروا جميعا اي عسكرا واحدا ولا تجادلوا تهلكوا فكانه
قال خففت عنكم قتل الانفس على الصفة التي كتبتها على من قبلكم ولم آمركم الا بما تالفونه وتتمادحون به فيما بينكم وتذمون
تاركه من موارد القتال الذي هو مناهج الابطال ومشارع فحول الرجال وجعلت للباقي منكم المحبوبين من الظفر وحل المغنم
وللماضي احب المحبوب وهو الدرجة التي ما بعدها الا درجة النبوة مع انه لم ينقص من اجله شي ولو لم يقتل في ذلك السبيل
المرضي لقتل في غيره في ذلك الوقت ولما كان التقدير فان منكم الخارج الى الجهاد عن غير حزم ولا حذر عطف عليه قوله
مبينا لما هو من اجل مقاصد هذه الايات المنافقين للتحذير منهم ووصفهم ببعض ما يخفون موكدا لان كل من ادعى الايمان
ينكر ان يكون كذلك وان منكم اي يا ايها الذين امنوا وعزتنا لمن ليبطئن اي يتثاقل في نفسه عن الجهاد لضعفه في الايمان
او نفاقه ويامر غيره بذلك امرا موكدا اظهارا للشفقة عليكم وهو عين الغش فانه ينمر الضعف المودي الى جراة العدو
المفضي الى التلاشي ولما كان لمن تثاقل عنهم حالتا نصر وكسر سبب عن تثاقله قوله مقسما لقوله فيهما فان اصابتكم
مصيبة اي في وجهكم الذي قعدوا عنه قال ذلك القاعد جهلا منه وغلظه قد انعم الله اي الملك الاعظم ذاكرا لهذا
الاسم غير عارف بمعناه علي اذ اي حين اولاني لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا ويجوز ان يريد الشهيد الشرعي ويكون اطلاقه
من باب التنزل فكانه يقول هذا الذي هو اعلى ما عندهم اعد فواته مني نعمة عظيمة ولين اصابكم فضل اي فتح وظفر
وغنيمة من الله اي الملك الاعلى الذي كل شي بيده ولما كان تحسره انما هو على فوات الاغراض الدنيوية اكد قوله
ليقولن اي غيبتكم واعترض بين القول ومقوله تاكيدا لذمهم بقوله كان اي كانه لم اي مشبها حاله حال من لم يكن بينكم
وبينهم مودة اي بسبب قوله يا ليتني كنت معهم فافوز اي بمشاركتهم في ذلك فوزا عظيما وذلك لانه لو كان ذا مودة
لقال حال المصيبة يا ليتها لم تصبهم ولو كنت معهم لدافعت عنهم وحال الظفر لقد سرني عزهم ولكنه لم يجعل محط همه في كلتا
الحالتين غير المطلوب الدنيوي ولعله خص الحالة الثانية بالتشبيه لان ما نسب اليه فيها لا يقتصر عليه محب واما الحالة الاولى
فربما اقتصر المحب فيها على ذلك قصدا للبقاء لاخذ الثار ونكال الكفار وذكر المودة لان المنافقين كانوا يبالغون في اظهار
الود والشفقة والنصيحة للمومنين ولما بين ان محط حال القاعد عن الجهاد الدنيا علم ان قصد المجاهد الاخرة فسبب
عن ذلك قوله فليقاتل في سبيل الله اي بسبب تسهيل طريق الملك الذي له الامر كله وحفظ الناس عليه الذين يشرون
اي يبيعون برغبة ولحاجة وهم المومنون او ياخذون وهم المنافقون استعمالا للمشترك في مدلوليه الحيوة الدنيا
فيتركونها بالاخرة ولما كان التقدير فانه من قعد عن الجهاد فقد رضي في الاخرة بالدنيا عطف عليه قوله ومن يقاتل
في سبيل الله اي فيريد اعلا كلمة الملك المحيط بصفات الجلال والجمال فيقتل اي في ذلك الوجه وعلى تلك النية بعد
ان يغلبه القضا والقدر على نفسه او يغلب اي الكفار فيسلم فسوف نؤتيه اي بوعد لا خلف فيه بما لنا من العظمة
المحيطة بالخير والشر والاية من الاحتباك ذكر القتل اولا دليل على السلامة ثانيا وذكر الغالبية ثانيا دليل على المغلوبية
اولا وربما دل التعبير بسوف على طول غير المجاهد غالبا خلافا لما يتوهمه كثير من الناس اعلاما بان المدار على فعل الفاعل
المختار لا على الاسباب اجرا عظيما اي في الدارين على اجتهاده في اعزاز دين الله واقتصاره على هذين القسمين حث على الثبات
ولو كان العدو اكثر من الضعف فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة والله يؤيد بنصره من يشا والله مع الصابرين ولما
كان التقدير فما لكم لا تقاتلون في سبيل الله لهذا الاجر الكثير ممن لا يخلف الميعاد وكانوا يقولون انا لا نعطي الميراث
الا لمن يحمي الذمار ويذب عن الجار ويمنع الحوزة عاطفا على هذا المقدر ملهبا لهم ومهيجا ومبكتا للقاعدين وموبخا وما
اي واي شي لكم من دنيا او اخرة حال كونكم لا تقاتلون اي تجددون القتال في كل وقت لا تملونه في سبيل الله اي بسبب
تسهيل طريق الملك الذي له العظمة الكاملة والغنى المطلق وبسبب خلاص المستضعفين اي المطلوب من الكفار ضعفهم
حتى صار موجودا ويجوز وهو اقعد ان يكون منصوبا على الاختصاص على انه من اجل ما في سبيل الله ولما كان الانكا من
هذا ما لمن كان رجا نفعه اعظم ثم ما لمن يكون العار به اقوى واحكم رتبهم هذا الترتيب فقال من الرجال والنساء
والولدان اي المسلمين الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وكانوا يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم وكل منهما كاف في بعث ذوي
الهمم العالية والمكارم على القتال ثم وصفهم بما يهيج الى نصرهم ويحث على غياثهم فقال الذين يقولون اي لا يفترون
ربنا اي ايها المحسن الينا باخراجنا من الظلمات الى النور اخرجنا من هذه القرية ثم وصفوها بالحامل على هذا الدعاء
فقالوا الظالم اهلها اي بما تيسره لنا من الاسباب واجعل لنا من لدنك اي من امورك العجيبة في الامور الخارقة للعادات
وليا يتولى مصالحنا ولما كان الولي قد لا يكون فيه قوة النصر قالوا واجعل لنا ولما كانوا يريدون ان يوتيهم خوارق الخوارق

كرروا قولهم من لدنك نصيرا اي بليغ النصر الي حد يعجب منه المعتادون بالخوارق فكان بهذا الكلام كانه سبحانه قال
قد جعلت لكم الحظ الاوفر من الميراث فما لكم لا تقاتلون في سبيلي شكرا لنعمتي واين ما تدعون من الحمية والحماية ما لكم لا
تقاتلون في نصر هولاء الضعفاء لتحقق حمايتكم للذمار ومنعكم للحوزة وذبكم عن الجار ولما اخبر عن افتقارهم الي الانصار
وتظلمهم من الكفار استانف الاخبار عن الفريقين فقال موكدا للترغيب في الجهاد الذين امنوا اي صدقوا في دعواهم الايمان
يقاتلون اي تصديقا لدعواهم من غير فترة اصلا في سبيل الله اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال قاصدين وجهه
لحماية الذمار وغيره واما من لم يصدق دعواه بهذا فما امن والذين كفروا يقاتلون اي كذلك في سبيل الطاغوت فلا ولي
لهم ولا ناصر ولما كان الطاغوت الشيطان او من زينة الشيطان وكان كل من عصي الله منه وممن اغواه حقيرا سبب
عن ذلك قوله فقاتلوا اولياء الشيطان ثم علل الجراءة عليهم بقوله ان كيد الشيطان اي الذي هو راس العصاة
كان جبلة وطبعا ضعيفا ولما عرفهم هذه المفاوز الاخروية والمفاوز الدنيوية وختم بما ينهض الجبان ويقوي الجبان
ورغبهم بما شوق اليهم من نعيم الجنان عجب من حال من توانى بعد ذلك واستكان فقال تعالى مقبلا بالخطاب على اعبد خلقه له
واطوعهم لامره الم تر واشار الي انهم بمحل بعد عن حضرته تنهيضا لهم بقوله الى الذين قيل لهم اي جوابا لقولهم انا نريد ان
نبسط ايدينا الي الكفار بالقتال لان امتحاننا بهم قد طال كفوا ايديكم اي ولا تبسطوها اليهم فانا لم نامر بهذا واقيموا الصلاة
اي صلة بالخالق استنصارا على المشاقق واتوا الزكاة اي منماة للمال وطهرة للاخلاق وصلة للخلايق فلما كتب عليهم القتال
اي الذي طلبوه وهم يومرون بالصفح كتابة لا تنفك الي آخر الدهر اذا فريق منهم اي ناس يلزم ممن فعلهم الفرقة فاجؤا
هذا الكتب بانهم يخشون الناس اي الذين هم مثلهم ان يضروهم والحال انه يقبح عليهم ان يكونوا اجرا منهم وهم ناس مثلهم
كخشية الله اي مثل ما يخشون الله الذي هو القادر لا غيره ولما كان كفهم عن القتال شديدا يوجب لمن يراه منهم ان يظن بهم
من الجبن ما يتردد به في الموازنة بين خوفهم من الناس وخوفهم من الله عبر باداة الشك فقال او اشد خشية اي او كانت
خشيتهم لهم عند الناظر لهم اشد من خشيتهم من الله فقد افاد هذا ان خوفهم من الناس ليس باقل من خوفهم من الله جزما بل اما
مثله او اشد منه وقد يكون الابهام للتفاوت بالنسبة الي الوقتين فيكون خوفهم منهم في وقت متساويا وفي آخر ازيد فهو
مردد بين هذين الحالين ويجوز ان يكون ذلك كناية عن كراهتهم القتال في ذلك الوقت وتمنيهم لتاخيره الي وقت ما وايد
ما تقدم من الظن بقوله هو كالتعليل للكراهة وقالوا جزعا من الموت او المتاعب ان كانوا مومنين او اعتراضا ان كانوا
منافقين على تقدير صحة ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ربنا اي ايها المحسن الينا القريب منا لم كتبت علينا القتال
اي ونحن ضعفا لولا اي هلا اخرتنا اي عن الامر بالقتال الى اجل قريب اي لناخذ راحة مما كنا فيه من الجهد من الكفار
بمكة وسبب نزولها ان عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص وجماعة
رضي الله عنهم كانوا يلقون من المشركين بمكة اذى كثيرا قبل ان يهاجروا ويقولون يرسول الله ايذن لنا في قتالهم فانهم
قد اذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم اومر بقتالهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما
هاجروا الي المدينة وامرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم حكاه البغوي عن الكلبي وحكاه الواحدي عنه بهجوه
وروي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد الرحمن بن عوف واصحابه رضي الله عنهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة فقالوا يرسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما امنا صرنا اذلة فقال اني امرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم فلما حوله الله
الي المدينة امره بالقتال فكفوا فانزل الله عز وجل الم تر الي الذين قيل لهم كفوا ايديكم الآية وهذا يفهم ان نسبة القول
اليهم انما هي لان حالهم في التاخر عن المبادرة الي القتال حال من يقول ذلك فالمراد من الآية الهابهم الي القتال وتهييجهم
ليس غير ولما عجبه عليه الصلوة والسلام منهم انكارا عليهم كان كانه قال فما اقول لهم فامره بوعظهم وتضليل عقولهم
وتغييل ارايهم بقوله قل متاع الدنيا قليل اي ولو فرض انه مد في اجالكم الي ان تملوا الحيوة فان كل منقطع قليل مع ان
نعيمها غير محقق الحصول وان حصل كان منغصا بالكدورات والاخرة خير لمن اتقى اي لانها لا يفني نعيمها مع انه محقق ولا
كدر فيه وهي شر من الدنيا لمن لم يتق لان عذابها طويل ولا يزول ولا تظلمون فتيلا اي لا في دنياكم بان تنقص اجالكم بقتالكم
ولا ارزاقكم باشتغالكم ولا في اخرتكم بان يضيع شي من ثوابكم على ما تنالونه من المشقة لانه سبحانه حكم لا يضيع شيا في غير موضعه
ولا يفعل شيا الا على قانون الحكمة فما لكم تقولون قول المتهم لم فعلت اتخشون الظلم في ايجاب ما لم يجب عليكم او في نقص الرزق
او العمر تعالى الله عن ذلك بل هو مع ان سنته العدل وله ان يفعل ما شا لا يسئل عما يفعل يحسن ويعطي من تقبل احسانه
اتم الفضل ولما زهدهم في دار المتاعب والاكدار على تقدير طول البقاء وكانوا كانهم يرجون بترك القتال الخلود او تاخير
موت يسببه القتال نبههم على ما يتحققون من ان المنية منهل لا بد من وروده في الوقت الذي قدر له ان امتنع الانسان منه
في الحضور او رمى نفسه في المتالف فقال تعالى مبكتا من قال ذلك موكدا بما النافية لنقيض ما تضمنه الكلام لان حالهم
حال من ينكر الموت بغير القتال مجيبا بحاق الجواب بعد ما اورد الجواب الاول على سبيل التنزل اينما تكونوا اي ايها
الناس كلكم مطيعكم وعاصيكم يدرككم الموت اي فانه طالب لا يفوته هارب ولو كنتم في بروج اي حصون برج داخل
برج او كل واحد منكم في برج ولما كان ذلك جمعا ناسب التشديد المراد به الكثرة في مشيدة اي مطولة كل واحد منها
شاهق في الهوا منيع وهو مع ذلك مطلي بالشيد اي بالحصن فلا خلل فيه اصلا ويجوز ان يراد بالتشديد مجرد الاتقان بمعنى

فقاتلوا

انها

انها مبالغ في تحصينها لان السياق ايضا يقتضيه فاذا كان لا بد من الموت فلان يكون في الجهاد يستعقب السعادة الابدية
اولى من ان يكون في غيره ثم عطف ما بقي من اقوالهم على ما سلف منها في قوله ربنا لم كتبت الى آخره وان كان هذا القائل منهم
غير الاول ويجوز ان يقال انه لما اخبر ان الحذر لا يغني من القدر اتبع ذلك حالا لم يمكنا به من توانيهم في امره موذنا
بالالتفات الى الغيبة اعراضا عن خطابهم ببعض غضب لانهم جمعوا الى الاضلال بتعظيمهم لله الاخلال بالادب مع الرسول
الذي ارسله ليطاع باذن الله فقال وان اي قالوا ذلك والحال انه ان تصبهم اي بعض المدعوين من الامة وهم من كان في
قلبه مرض حسنة اي شيء يجبهم ويحسن وقعه عندهم من اي شيء كان يقولوا هذه من عند الله اي الذي له الامر كله لا دخل
لك فيها وان تصبهم سيئة اي حالة تسوءهم من اي جهة كانت يقولوا هذه من عندك اي من جهة حلولك في هذا البلد
تطيرا بك ولما كان هذا امرا قادحا وللفواد محرقة وقادحا سهل عليه يقوله قل كل اي من السيئة والحسنة في
الحقيقة دنيوية كانت او اخروية من عند الله اي الذي له كل شيء ولا شيء لغيره وذلك كما قالوا للمامات ابو امامة
اسعد بن زرارة نقيب بني النجار رضي الله عنه عند ما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بئس الميت ابو امامة ليهود منافقي العرب يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ولا املك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيا
ولما تسبب عند هذا معرفة انهم اخطاؤا في ذلك فاستحقوا الانكار قال منكرا عليهم مما وحقرهم بقوله فما لهؤلاء
القوم الذي هو دال على القيام والكفاية اما تكلمهم واما نسبة لهم الى قوة الابدان وضعف الجنان لا يكادون
يفقهون اي لا يقربون من ان يفهموا حديثا اي يلقى اليهم اصلا فهما جيدا ولما اجابهم بما هو الحق ايجادا علمهم ما هو الادب
لملاحظة السبب فقال مستانفا ما اصابك من حسنة اي نعمة دنيوية او اخروية فمن الله اي ايجادا وفضلا والايمان
اجل الحسنات قال الامام انهم اتفقوا على ان قوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله المراد به كلمة الشهادة وما اصابك
من خير الخلق من سيئة اي بلاء فمن نفسك اي بسببها فغيرك بطريق الاولى ولما اقتضى قولهم انكار رسالته صلى الله عليه
وسلم علم الا ان فعل كل خارقة واخبر تعالى بانه مستوعب الخلق في القدرة قال تعالى مخبرا بما اختصه به عنهم وارسلناك
اي مختصين لك بعظمتنا للناس اي كافة رسولا اي تفعل ما على الرسل من البلاغ ونحوه وقد اجتهدت في البلاغ والنصيحة
ولم تهمل الهائا في بما يطلب منك من خير وشر فان انكروا رسالتك فالله يشهد بنصب المعجزات والايات البينات وكونه
المحيط علما وقدرة شهيدا لك بالرسالة والبلاغ ولما نفى عللهم في التخلف عن طاعته الى ان ختم بالشهادة برسالته قال
مرغبا مرهبا على وجه عام يسكن قلبه ويخفف من دوام عصيانهم له دالا على عصمته في جميع حركاته وسكناته من يطع الرسول
اي كما هو مقتضى حاله فقد اطاع الله الملك الاعظم الذي لا كفوء له لانه داع اليه وهو لا ينطق عن الهوى انما يخبر بما يوحيه
اليه ومن تولى اي عن طاعته ولما كان التقدير فانما عصى الله والله عالم به وقادر عليه فلو اراد رده ولو شاء اهلكه
بطغيانه فاتركه وذاك عبر عن ذلك كله بقوله فما ارسلناك اي بعظمتنا عليهم حفيظا انما ارسلناك داعيا ولما
كان من شان الرسول ان يحفظ من اطاعه ومن عصاه ليبلغ ذلك ارسله وكان تعالى قد اشار له الى الاعراض عن ذلك لكونه
لا يحيط به علما وان اجتهد شرع يخبر ببعض ما يخفونه فقال حاكيا لبعض اقوالهم بيننا لتفاوتهم فيه وخداعهم ويقولون
اي اذا امرتهم بشيء من امرنا وهم بحضرتك طاعة اي كل طاعة منالك دائما نحن ثابتون على ذلك فالتنكير للتعظيم بالتعميم
فاذا برزوا اي خرجوا من عندك بيت طائفة منهم في غاية التمرد منهم اي قدرت وزورت على غاية من التقدير والتمرير
مع الاستدارة والتقابل لفعل من يدبر الامور ويحكمها ويتقنها ليلا غير الذي تقول اي تجدد قوله لك في كل حين من الطاعة
التي اظهروها او غير قولك الذي بلغته لهم وادغم ابو عمرو وحمزة التاء بعد تسكينها استثقالا لتوالي الحركات في الطاء
لقرب المخرجين والطاء يزيد بالاطباق فحسن الادغام لانقص في الزيد واظهرها الباقون والادغام اوفق للحالم والاظهار اوفق
لما فصح من محالهم ولما كان الانسان من عادته اثبات الامور التي يريد تخليدها بالكتابة اجرى الامر على ذلك فقال
والله اي والحال ان الملك المستجمع لصفات الكمال يكتب ما يبيتون اي يجددون بتبييتهم كلما فعلوه ولو غفي عنه
ولكن ذلك ليقرئهم اياه يوم يقوم الاشهاد ويقيم به الحجة عليهم على ما جرت به عاداتهم او يوحي به اليك فيقضحهم
بكتابته وتلاوته مدى الدهر فلا يظنوا ان تبييتهم يغيبهم شيا ولما تسبب عن ذلك كتابته صلى الله عليه وسلم هذا الهم
قال فاعرض عنهم اي فانهم بذلك لا يضرون الا انفسهم وتوكل اي في شانهم وغيرهم على الله اي الذي لا يخرج شيء عن مراده وكفى
بالله اي المحيط علما وقدرة وكيلا فستنظر كيف تكون العاقبة في امرك وامرهم ولما تسبب ابطانهم خلاف ما يظهرون
اعتقاد انه صلى الله عليه وسلم ربما لم يعلم الا ما اظهروه لانه رسول من الله الذي يعلم السر واخفى سبب عن ذلك على وجه
الانكار ارشادهم الى الاستدلال على رسالته بما يزيح الشك ويوضح الامر ولو تدبروا هذا القرآن المتناسب المعاني
المعجز المباني الغاية لقوى المخاليق المظهر تخفايا هم على اجتهادهم في اخفائها فقال تعالى على وجوب النظر في القرآن
والاستخراج للمعاني منه افلا يتدبرون اي يتاملون يقال تدبرت الشيء اذا تفكرت في عاقبته وآخر امره القرآن اي الجامع
لكل ما يراد علمه من تمييز الحق من الباطل على نظام لا يختل ونهج لا يعل قال الهدوي وهذا دليل على وجوب تعلم معاني
القرآن وفساد قول من قال لا يجوز ان يوخذ منه الا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنع ان يتاول على ما يسوغه
لسان العرب وفيه دليل على النظر والاستدلال ولما كانوا لتقديرهم لو كان من عند غير الله لم يخبر باسرارهم عطف عليه

كان لم

قوله ولو كان من عند غير الله اي الذي له الاحاطة الكاملة كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي في المعنى بالتناقض
والتخلف عن الصدق في الاخبار بالمغيبات او بعضها وفي النظم بالتفاوت في الاعجاز فاذا علموا انه من عند الله بهذا الدليل
القطعي حفظوا اسرايرهم كما يحفظون علانياتهم لان الامر بالطاعة مستو عنده السر والعلن والتقييد بالكثير يفيد ان المخلوق
عاجز عن التحرز من النقص العظيم بنفسه وافهامه عند استثنا نقيض الثاني وجود الاختلاف اليسير فيه تدفعه الصرايح ولما
امر تعالى بالنفر الى الجهاد على الحزم والحذر واولاه الاخبار بان من الناس المغرر والمخذل تصريحا بالثاني وتلويحا الى الاول
وحذر منهما ومن غيرهما الى ان ختم بامر الماكرين وبان القرآن قيم لا عوج فيه ذكر ايضا المخذلين والمغررين على وجه اصرح من
الاول مبينا ما كان عليهم فقال واذا جاءهم اي هولا المزلزلين امر من الامن من غير ثبت او الخوف كذلك اذاعوا اي اوقعوا
الاذاعة لما يقدرون عليه من المفاسد به اي بسببه من غير علم منهم بصدقه من كذبه وحقه من باطله ومتفقه من مختلفه
فيحصل الغرر البالغ لاهل الاسلام اقله قلب الحقايق قال في القاموس اذاعه وبه افشاه ونادى به في الناس وذلك كما قالوا
في امر الامن حين انهزم اهل الشرك باحد فتركوا المركز الذي وضعهم به النبي صلى الله عليه وسلم وخالفوا امره وامر اميرهم فكان
سبب كرة المشركين وهزيمة المومنين وفي امر الخوف حين صاح الشيطان ان محمدا قد قتل فصدقوه واذاعه بعضهم لبعض
وانهزموا وارادوا الاستجارة بالكفار من ابي سفين وابي عامر وكذا ما اشاعوه عند الخروج الى بدر الموعد من ان ابا سفين قد
جمع لهم ما لا يحصى كثرة وانهم ان لقوه لم يبق منهم احد الى غير ذلك من الارجاف الى ان صارت المدينة تفور بالشر فوران المرجل
حتى احجموا كلهم او الا اقلهم حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فاستجابوا حينئذ واكسبهم
هذا القول شجاعة وانالهم طمانينة فرجعوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء كما وعدهم الله ورسوله ان صبروا واتقوا
فكذب ظنهم وصدق الله ورسوله وفي هذا ارشاد الى الاستدلال على كون القرآن من عنده سبحانه بما يكذب من اخبارهم هذه
التي يشيعونها ويختلف وان ما كان من غيره تعالى فمختلف وان تحرى فيه منشيه وان جل عقله وتناهى ثبله الى ان استبد
عقله الى ما ورد عن العالم بالعواقب المحيط بالكونين على لسان الرسل عليهم الصلوة والسلام والتحية والاكرام والى ان القياس
حجة وان تقليد القاصر للعالم واجب وان الاستنباط واجب على العلماء والنبي صلى الله عليه وسلم راس العلماء والى ذلك يومي
قوله تعالى ولو ردوه اي ذلك الامر الذي لا نص فيه من قبل ان يتكلموا به الى الرسول اي نفسه ان كان موجودا واخباره ان
كان مفقودا والى اولي الامر منهم اي المتاهلين لان يامروا وينهوا من الامر بالفعل او بالقوة من العلماء وغيرهم لعلمه اي ذلك الامر
على حقيقته وهل هو مما يذاع او لا الذين يستنبطونه اي يستخرجونه بفطنتهم وتجربتهم كما يستخرج الانباط المياه ومنافع
الارض منهم اي من الرسول واولي الامر ولما كان التقدير فلولا فضل الله عليكم ورحمته بالرسول ووارث علمه لاستبيحت
باشاعاتهم هذه بيضة الدين واضمحلت امور المسلمين عطف عليه قوله ولولا فضل الله الذي لا فعل في الحقيقة لغيره فلا كفو
له عليكم اي ايها المتسمون بالاسلام بانزال الكتاب وتقويم العقول ورحمته بارسال الرسول لاتبعتم الشيطان اي المطرود
المفترق الا قليلا اي منكم فانهم لا يتبعونه حفظا من الله بما وهبهم من صحيح العقل من غير واسطة رسول وهذه الاية
من المواضع المستعصية على الافهام بدون توقيف على المراد بالفضل الا عند من اتاه الله علما بالمناسبات وفهما ثاقبا
بالمراد بالسياقات وفطنة بالاحوال والمقامات يقرب من الكشف وذلك ان من المقرر انه لا بد من مخالفة حكم المستثنى
لحكم المستثنى منه وهو هنا من وجد عليهم الفضل والرحمة فاهتدوا ومخالفة المستثنى لهم تكون باحد امور ثلاثة كل منها
فاسد اما بان يعدموا الفضل فيتبعوه ويلزم عليه ان يكون الضال اقل من المهتدي وهو خلاف المشاهد او بان يعدموه
فلا يتبعوه فيكونوا مهتدين من غير فضل او بان يوجد عليهم الفضل فيتبعوه فيكونوا ضالين مع الفضل والرحمة اللذين كانا سببا
في امتناع الضلال عن المخاطبين فيكونان تارة مانعين وتارة غير مانعين فلم يفيدا اذن مع انه ايضا يلزم عليه ان يكون
الضال اقل من المهتدي فاذا حمل الكلام على ان المراد بالفضل الارسال وضح المعنى ويكون التقدير ولولا ارسال الرسول
لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم فانهم لا يتبعونه من غير ارسال الرسول بل بهداية من الله وفضل بلا واسطة كقس بن ساعدة
وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والدليل على هذا المقدر ان السياق لرد الاشيا كلها الى الرسول والمنع من الاستقلال
بشيء دونه ولما بين تعالى نفاقهم المقتضي لتقاعدهم عن الجهاد بانفسهم وتثبيطهم لغيرهم كان ذلك سببا لان يمضي صلى الله
عليه وسلم لامره تعالى من غير التفات اليهم وافقوا او نافقوا فقال تعالى بعد الامر بالنفر ثبات وجميعا وبيان ان منهم المبطي
مشيرا الى ان الامر باق وان بطا الكل فقاتل في سبيل الله اي الذي له الامر كله ولو كنت وحدك ولما كان كانه قيل فما افعل
فيمن ارسلت اليهم ان لم يخرجوا قال معلما بانه قد جعله اشجع الناس واعلمهم بالحروب وتدبيرها وهو مع تاييده بذلك قد
تكفل بنصرته ولم يكله الى احد لا تكلف الا نفسك اي ليس عليك اثم اتباعك لو تخلفوا عنك وقد اعاذهم الله من ذلك ولا ضرر
عليك في الدنيا ايضا من تخليهم فان الله ناصرك وحده وليس النصر الا بيده سبحانه وما كان سبحانه ليامره بشيء الا وهو كفو
له فهو ملي بمقاتلة الكفار كلهم وحده وان كانوا اهل الارض كلهم ولقد عزم في غزوة بدر الموعد التي قيل انها سبب نزول
هذه الاية على الخروج الى الكفار ولو لم يخرج معه احد وقد اقتدى به صاحبه الصديق رضي الله عنه في قتال اهل الردة
فقال للصحابة رضي الله عنهم والله لو لم اجد الا هاتين يعني ابنتيه عايشة واسما رضي الله عنهما لقاتلتهم بهما ولما كان ذلك
قد يفتر عن الدعا قال وحرض المومنين اي مرهم بالجهاد وانههم عن تركه وعن مواصلة كل من يثبطهم عنه وعظهم واجتهد

الضرر

في امرهم حتى يكونوا مستعدين للنفر متى ندبوا حتى كانهم لشدة استعدادهم حاضرون في الصف دائما ثم استانف الذكر
لثمرة ذلك فقال عسى الله اي الذي استجمع صفات الكمال ان يكف بما له من العظمة باس الذين كفروا اي عن ان يمنعوك من
اظهار الدين بقتالك وقتال من تحرضه ولقد فعل سبحانه ذلك فصدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده حتى ظهر الدين
ولا يزال ظاهرا حتى يكون آخر ذلك على يد عيسى عليه السلام ولما كان السامع ربما فهم انه لا يتاتى كفهم الا بذلك قال
ترغيبا وترهيبا واحتراسا والله اي الذي لا مثل له اشد باسا اي عذابا وشدة من المقاتلين والمقاتلين واشد تنكيلا
اي تعذيبا باعظم العذاب ليكون ذلك مهلكا للمعذب ومانعا لغيره عن مثل فعله قال الامام ابو عبد الله القزاز يقال
نكلته تنكيلا اذا عملت به عملا يكون نكالا لغيره اي عبرة فيرجع عن المراد من اجله وهو ان الناظر اليه والذي يبلغه ذلك
يخاف ان يحل به مثله اي فيكون له ذلك قيدا عن الاقدام والنكل بالكسر القيد ولما كان ذلك موجبا للرغبة في طاعة النبي
صلى الله عليه وسلم لا سيما في الجهاد وللرغبة فيمن كان بصفة المومنين من الاقبال على الطاعة والاعراض عن كل من كان
بصفة المنافقين والادامة لطردهم وابعادهم والغلظة عليهم والحذر من مجالستهم حتى يتبين اخلاصهم وكان بين كثير من
خلص الصحابة وبينهم قرابات توجب العطف المقتضي للشفقة عليهم الحاملة للشفاعة فيهم اما بالاذن في التخلف عن الجهاد
لما يزخرفون من الاعذار الكاذبة او في العفو عنهم عند العثور على نقائصهم او في اعانتهم او اعانة غيرهم بالمال والنفس في
امر الجهاد عند ادعاء ان المانع له عنه العجز وفي غير ذلك وكانت التوبة معروضة لهم ولغيرهم وكان البر ما سكن اليه القلب
والاثم ما حاك في الصدر وللانسان على نفسه بصيرة وكانت البواطن لا يعلمها الا الله وكان الانسان ربما اظهر شرا في صورة
خير رغب سبحانه في البر وحذر من الاثم بقوله معمما مستانفا في جواب من كانه قال ما تقبل في شفاعة من يشفع اي
يوجد ويجدد كائنا من كان في اي وقت كان شفاعة حسنة اي يقيم بها عذر المسلم في كل ما يجوز في الدين ليوصل اليه خيرا
او يدفع عنه ضيرا يكن له نصيب منها باجر تسببه في الخير ومن يشفع كائنا من كان في اي زمان كان شفاعة سيئة
اي بالذب عن مجرم في امر لا يجوز والتسبب في اعلائه وخير دائه وعظم الشفاعة السيئة لان درء المفاسد اولى من جلب
المصالح فقال معبرا بما يفهم النصيب ويفهم اكثر منه تغليظا في الزجر يكن له كفل منها وهذا بيان لان الشفاعة فيهم سيئة
ان تحقق اجرامهم حسنة ان علمت توبتهم واسلامهم ولما كان كل من تحريض المومنين على الجهاد والشفاعة الحسنة من وادي
من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة حسن اقترانهما جدا والنصيب قدر متميز من الشي يخص
من هو له وكذا الكفل الا ان الاستعمال يدل على انه اعظم من النصيب ويويده ما قالوا من انه قد يراد به الضعف فكانه
نصيب متكفل بما هو له من اسعاد وابعاد قال اهل اللغة النصيب الحظ والكفل بالكسر الضعف والنصيب والحظ
ومادة نصب تدور على العلم المنصوب ويلزمه الرفع والوضع والتمييز والاصل والمرجع والتعب فيلزمه الوجع
ومن لوازمه ايضا الجد والغاية والجد والوقوف ومادة كفل تدور على الكفل بالتحريك وهو العجز او ردفه و
الضخامة واللين والرفق والتاخر وقال الامام الكفل هو النصيب الذي عليه يعتمد الانسان في تحصيل المصالح لنفسه
ودفع المفاسد عن نفسه والمقصود هنا حصول ضد ذلك كقوله فبشرهم بعذاب اليم والغرض منه التنبيه على ان
الشفاعة المودية الى سقوط الحق وقوة الباطل تكون عظيمة العقاب عنده انتهى وما غلظ هذا الزجر الا للعلم بان اكثر
النفوس ميالة باصحابها للشفاعة بالباطل ولما كان الاليق بالرغبة ان لا يقطع في موجبها وان عظم بالفوز لئلا يكون
ذلك موقفا عن الازدياد من الخير وبالرهبة ان يقطع في موجبها بالجنبية ليكون ذلك زاجرا عن مفارقة شي منها وان
صغر عبر في الحسنة بالنصيب وفي السيئة بالكفل ويويد ارادة هذا انه تعالى لما ذكر ما يوجب الجنة من الايمان
والتقوى وكان في سياق الوعظ لاهل الكتاب الذي هم على شرع اصله حق بتشريع رسول من عند الله فتركهم بذلك
بعيد يحتاج الى زيادة ترغيب عبر بالكفل فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من
رحمته الى اخرها ولما كان النصيب منهما بالنسبة الى علمنا لتفاوته بالنسبة الى قصود الشافعين واقدامهم
على الشفاعة على علم او جهل وغير ذلك مما لا تمكن الاحاطة به الا لله تعالى علما وقدرة قال تعالى مرغبا مرهبا وكان الله
ذو الجلال والجمال على كل شي من الشافعين وغيرهم وجزاء الشفاعة مقيتا اي حفيظا وشهيدا وقديرا على اعطاء
ما يقوت من اخلاق النفوس واحوال القلوب وارزاق الابدان وجميع ما به القوام جزاء وابتداء من جميع الجهات وعلى
تقدير ما يستحق كل آخذ من الجزاء على الشفاعة وكل خير وشر ولما كان ذلك موجبا للاعراض عنهم راسا ومنابذتهم
قولا وفعلا بين سبحانه ان التحية ليست من وادي الشفاعة وان الشفاعة تابعة للعلم والتحية تابعة ايضا للظاهر
فقال تعالى عاطفا على ما تقديره فلا تشفعوا فيهم وانتم تعلمون سوء مقاصدهم معبرا باداة التحقق بشارة لهم بانهم
يصيرون بعد ما هم الآن فيه من النكد ملوكا وفي حكم الملوك يحيون ويشفع عندهم وحثا على التواضع واذا حييتم بتحية
اي اي تحية كانت اذا كانت مشروعة واصل التحية الملك واشتقاقها من الحيوة فكان حيوة الملك هي الحيوة وما عداها
عدم ثم اطلقت على كل دعاء يبدا به عند اللقاء وقال الاصفهاني رحمه الله لفظ التحية صار كناية عن الاكرام فجميع
انواع الاكرام يدخل تحت لفظ التحية فحيوا باحسن منها كان تزيدوا عليها او ردوها اي من غير زيادة ولا نقص وذلك
دال على وجوب رد السلام من الامر وعلى الفور من الفاء والاجماع موافق لذلك وترك الجواب اهانة والاهانة ضرر

والضرر حرام قال الاصبهاني رحمه الله والمبتدي يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليكون الافتتاح والاختتام
بذكر الله وما احسن جعلها تالية لاية الجهاد اشارة الى ان من بذل السلام وجب الكف عنه ولو كان في الحرب على ان من مقتضيات
هاتين الآيتين ان مبنى هذه السورة على الندب الى الاحسان والتعاطف والتواصل وسبب ذلك اما المال وقد تقدم الامر به في
قوله تعالى واذا حضر القسمة الآية واما غيره ومن اعظمه القول لانه ترجمان القلب الذي به العطف ومن اعظم ذلك الشفاعة
والتحية قال صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه مسلم والاربعة عن ابي هريرة رضي الله عنه والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى
تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا افلا ادلكم على امر اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم فناسب ذكرها تين الآيتين بعد ذكر
آية الجهاد المختتمة بالباس والتنكيل ولما كانت الشفاعة اعظمها في الاحسان قدمت ولا سيما وموجبها الاعراض ومقصد
السورة التواصل فشانها اهم والنظر اليها اكد ثم رغب في الاحسان في الرد ورهب من تركه بقوله معللا ان الله اي الذي له
الاحاطة علما وقدرة كان اي ازلا وابدا على كل شيء حسيبا اي محصيا لجميع المتعددات دقيقها وجليلها كافيا لها في اقواتها
ومثوباتها محاسبا بها مجازيا عليها وذلك كله شان المقيت ثم علل ذلك بقوله دالا على تلازم التوحيد والعدل الله اي الذي
لا مثل له لا اله الا هو اي وقد امركم بالعدل في الشفاعة والسلام فان لم تفعلوه لما لكم من النقايص التي منها عدم الوحدانية فهو
فاعله ولا بد فاحذروه لانه واحد فلا معارض له في شيء من الحساب ولا غيره ولا يخفى عليه شيء فالحكم على البواطن انما هو له تعالى
واما انتم فلم تكلفوا الا بالظاهر ولما تبين انه لا معارض له انتج قوله مبينا لما يجب في حكمه وحكمته من البعث معينا
لوقت الحساب الاعظم ليجمعنكم واكده باللام والنون دلالة على تقدير القسم لانكار المنكرين له ولما كان الجمع بالتدريج بالامانة
شيئا فشيئا عبر بحرف الغاية فقال الى يوم القيمة والهاء للمبالغة ثم اكده بقوله لا ريب فيه اي فيفصل بينكم وبين من اخبركم
بهم من المنافقين ونقد احوالهم وبين محالهم فيجازي كلا بما يستحق ولما كان التقدير فمن اعظم من الله قدرة عطف عليه قوله
ومن اصدق من الله اي الذي له الكمال كله فلا شوب نقص يلحقه حديثا وهو قد وعد بذلك لانه عين الحكمة واقسم عليه فلا بد
من وقوعه واذ قد تحرر بما مضى ان المنافقين كفرة لا لبس في امرهم وكشف سبحانه الحكم في باطن امرهم بالشفاعة وظاهره
بالتحية وحذر من خالف ذلك بما اوجبته على نفسه حكمته من الجمع ليوم الفصل للحكم بالعدل وختم بان الخبر عنهم وعن جميع
ذلك صدق لا يدانيه صدق كان ذلك سببا لجزم القول بشقاوتهم والاعراض عنهم والبعد عن الشفاعة فيهم والاجماع على ذلك
من كل مؤمن وان كان مبنى السورة على التواصل لان ذلك انما هو حيث لا يؤدي الى مقاطعة امر الله فقال تعالى مبكتا لمن توقف
عن الجزم بابعادهم فما لكم في المنافقين اي اي شيء لكم من امور الدنيا او الاخرة في افتراقكم فيهم فئتين بعضكم يشتد عليهم وبعضكم
يرفق بهم ولما كان هذا ظاهرا في بروز الامر المطاع ثبت القول بكفرهم اوضحه بقوله والله اي والحال ان الملك الذي
لا امر لاحد معه اركسهم اي ردهم منكوسين مقلوبين بما كسبوا اي بعد اقرارهم بالايمان من مثل هذه العظائم فاحذروا ذلك
ولا تختلفوا في امرهم بعد هذا البيان وفي غزوة احد والتفسير من البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال لما خرج النبي
صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم
وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين الآية وقال انها طيبة تنفي الذنوب وفي رواية الخبث كما تنفي النار
خبث الفضة انتهى فالمعنى حينئذ اتفقوا على ان تسيروا فيهم بما ينزل عليكم في هذه الآيات ولما كان حال من يرفق بهم حال
من يريد هدايتهم انكر سبحانه ذلك عليهم تصريحا لبت الامر في كفرهم فقال اتريدون اي ايها المؤمنون ان تهدوا اي توجدوا
الهداية في قلب من اضل الله اي وهو الملك الاعظم الذي لا يرد له امر وهو معنى قوله ومن اي والحال انه من يضلل الله اي
بمجامع اسمائه وصفاته فلن تجد اي اصلا ايها المخاطب كائنا من كان له سبيلا اي الى ما اصله عنه اصلا والمعنى ان كان
رفقكم بهم رجاء هدايتهم فذلك امر ليس الا لله وانما عليكم انتم الدعاء فمن اجاب صار اهلا للمواصلة ومن ابى صارت مقاطعته دينا
وقتله قربة والاغلاظ عليه واجبا ولما اخبر بضلالهم وثباتهم عليه اعلم باغراقهم فيه فقال ودوا اي احبوا وتمنوا
تمنيا واسعا لو تكفرون اي توجدون الكفر وتجددونه وتستمرون عليه دائما كما كفروا ولما لم يكن بين ودهم لكفرهم
وكونهم مساوين لهم تلازم عطف على الفعل المودود ولم يسبب قوله فتكونون اي وودوا ان يتسبب عن ذلك
ويتعقبه ان تكونوا انتم وهم سواء اي في الضلال فانتم ترجون في زمان الرفق بهم هدايتهم وهم يودون فيه كفركم
وضلالكم فقد تباعدتم في المذاهب وتباينتم في المقاصد ولما اخبر بهذه الودادة سبب عنه امرهم بالبراءة منهم
حتى يصلحوا بيانا لان قولهم في الايمان لا يقبل ما لم يصدقوه بفعل فقال فلا تتخذوا اي ايها المؤمنون منهم اولياء اي
اقرباء منكم حتى يهاجروا اي يوقعوا المهاجرة في سبيل الله اي يهجروا من خالفهم في ذات من لا شبيه له ويتسببوا في
هجرانه لهم ان كانوا في دار الحرب فيتركها وان كانوا عندكم فيترك موادة الكفرة والموافقة لهم في اقوالهم وافعالهم
وان كانوا اقرب اقربائهم وهجرتهم في جميع ذلك بمواصلتكم في جميع اقوالكم وافعالكم والهجرة العامة بل ترك ما نهى الله ورسوله
عنه ولما نهى عن موالاتهم وغيا النهي بالهجرة سبب عنه قوله فان تولوا اي عن الهجرة المذكورة فخذوهم اي اقهروهم
بالاسر وغيره واقتلوهم حيث وجدتموهم اي في حل او حرم ولما كانوا في هذه الحالة لا يوالون المؤمنين الا تكلفا قال
ولا تتخذوا اي تتكلفوا ان تاخذوا منهم وليا اي من تفعلون معه فعل المقارب المصافي ولا نصيرا اي على احد من اعدائكم
بل جانبوهم مجانبة كلية ولما كان سبحانه قد امر فيهم على تقدير توليهم بما امر استثنى منه فقال الا الذين يصلون اي فرارا

ايها المؤمنون صح

منكم

منكم وهم من الكفار عند الجمهور الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد وثيق بان لا تقاتلوهم ولا تقاتلوا من لجاء اليهم او دخل
فيما دخلوا فيه فكفوا حينئذ عن اخذهم وقتلهم او الذين جاؤكم حالكونهم حصرت اي ضاقت وهابت واحجمت صدورهم
ان اي عن ان يقاتلوكم اي لاجل دينهم وقومهم او يقاتلوا قومهم اي لاجلكم فراوا ان يكفوا عن قتالكم وقتال قومهم فلا تاخذوهم
ولا تقاتلوهم لانهم كالمساكين بترك القتال ولعله عبر بالماضي في جانب الثانية الى شرط مساواتهم للواصلين الى المعاهدين
عدم التكرر فان تكرر ذلك منهم فهم الاخرون الاتي حكمهم ولما كان التقدير فلو شاء الله لجعلهم مع قومهم البا واحدا عليكم
عطف عليه قوله ولو او يكون المعنى والحالة انه لو شاء الله اي وهو المتصف بكل كمال لسلطهم اي هؤلاء الواصلين
والجايين على تلك الحالة من الكفار عليكم بنوع من انواع التسليط تسليطا جاريا على الاسباب ومقتضى العوايد لان لهم
قوة على قتالكم فلقاتلوكم اي فتسبب عن هذا التسليط انهم قاتلوكم منفردين او مع غيرهم من اعدايكم واللام فيه جواب
لو على التكرير او البدل من سلط ولما كان المعنى عن القتال لهم عن قتالهم حينئذ صرح به في قوله فان اعتزلوكم اي هؤلاء
الذين امرتكم بالكف عنهم من المنافقين فكفوا عنكم فلم يقاتلوكم منفردين ولا مجتمعين مع غيرهم والقوا اليكم السلم اي
الانقياد فما جعل الله اي الذي لا امر لاحد معه بجهة من الجهات لكم عليهم سبيلا اي الى شيء من اخذهم ولا قتلهم ولما كان كانه
قيل هل بقي من اقسام المنافقين شيء قيل نعم ستجدون اي عن قرب بوعد لا شك فيه اخرين اي من المنافقين يريدون ان
يامنوكم اي فلا يحصل لهم منكم ضرر ويامنوا قومهم كذلك لضعفهم عن كل منكم لانهم يظهرون لكم الايمان اذا لقوكم ولهم الكفر
اذا لقوهم وهو معنى كلما ردوا الى الفتنة اي الابتلاء بالخوف عند المخالطة اركسوا اي قلبوا منكوسين فيها ولما كان
هؤلاء اعرق في النفاق واردا وادنى من الذين قبلهم واعدا صرح بمفهوم ما صرح به في اولئك لانه اغلظ وهم اجدر
من الا ولين بالاغلاظ وطوى ما صرح به ثم فقال فان لم يعتزلوكم ولما كان المراد الاعتزال الخضوعا لا كبرا صرح به في
قوله ويلقوا اليكم السلم اي بالانقياد ولما كان الالقاء لا بد له من قرائن يعرف بها قال ويكفوا ايديهم اي عن قتالكم
واذاكم فيخذوهم اي انهزاميهم بكل نوع من انواع القهر فقدروا عليه واقتلوهم ولما كان نفاقهم كما تقدم في غاية الرداءة
واخلالهم في نهاية الدناءة اشار الى ان وعد بتيسير التمكين منهم فقال حيث ثقفتموهم فان معناه صادفتموهم وادركتموهم
وانتم ظافرون به حاذقون في قتالهم فطنون به خفيفون فيه فان الثقف الحاذق الخفيف الفطن ولذلك اشار اليهم بابداء
البعد فقال واولئكم اي البعداء عن منال الرحمة من النصر والنجاة وكل خير جعلنا اي بعظمتنا لكم عليهم سلطانا اي
تسلطا مبينا اي ظاهرا قوته وتسلطه وهذه الايات منسوخة باية براءة فانها متاخرة النزول فانها بعد تبوك
ولما بين اقسامهم بيانا ظهر منه ان احوالهم ملبسة وامر بقتالهم مع الاجتهاد في تعرف احوالهم وختم بالتسلط عليهم
وكان ربما قتل من لا يستحق القتل لبسبب الالباس اتبع ذلك بقوله المراد به التحرير ممن حاله في صون النفي الموكد بالكون
لتغليظ الزجر عنه لما للنفوس عند الخطوط من الدواعي الى القتل وما كان لمؤمن اي لمحرم عليه ان يقتل مؤمنا اي في
حالة من الحالات الا خطا اي في حالة الخطا بان لا يقصد القتل او لا يقصد الشخص او يقصده بما لا يقصد به زهوق
الروح او لا يقصد ما هو ممنوع منه لكن رمى الى صف الكفار وفيهم مسلم او بان يكون غير مكلف فان القتل على هذا الوجه
ليس بحرام وهذا الذي ذكره في اقسام المنافقين اشارة الى انه ينبغي التثبت والتحري في جميع امر القتل متى احتمل ان
يكون المقاتل مؤمنا احتمالا تقتضي العادة بقربه فلزم من ذلك بيان حكم الخطا وكلام الاختصاص قد تطلق على ما مانع
منه فانما هي لك او لاخيك او للذيب فكانه عبر به لتفيد باسباب الكفارة والدية غاية الزجر عن قتل المؤمن لانه
اذا كان هذا جزاء ما هوله فما الظن بما ليس له فقال تعالى ومن قتل مؤمنا صغيرا كان او كبيرا ذكرا كان او انثى ولعله
عبر سبحانه بالوصف تنبيها على انه ان لم يكن كذلك في نفس الامر لم يكن عليه شيء في نفس الامر وان لزم به في الظاهر لك
خطا ولما كان الخطا مرفوعا عن هذه الامة فكان لذلك يظن انه لا شيء على المخطي بين ان الامر في القتل ليس كذلك خطا
للنفوس لان الامر فيها خطر جدا فقال مغلظا عليه حثا على زيادة النظر والتحري عند فعل ما قد يقتل فتحرير اي هو
فالواجب عليه تحرير رقبة اي نفس عبر بها عنها لانها لا تعيش بدونها كاملة الرق مؤمنة ولو بتبع الدار او
السابي سليمة عما يخل بالعمل وقدم التحرير هنا حثا على رتق ما خرق من حجاب العبد وايجاب ذلك في الخطا ايجاب
له في العمد بطريق الاولى وكانه لم يذكره في العمد لانه تخفيف في الجملة والسياق للتغليظ ودية مسلمة اي موداة
بيسر وسهولة الى اهله اي ورثته الا ان يصدقوا اي يجب ذلك عليه في كل حال الا في حال تصدقهم بالعفو عن
القاتل بابرائه من الدية فلا شيء عليه حينئذ وعبر بالتصدقة ترغيبا فان كان اي المقتول من قوم اي فيهم منعة
عدو لكم اي محاربين وهو اي والحال انه مؤمن فتحرير اي فالواجب على القاتل تحرير رقبة مؤمنة وكانه عبر
بذلك اشارة الى التحري في جودة اسلامها وقد اسقط هذا حرمة نفسه بغير الكفار بسكناه في دار الحرب
التي هي دار الاباحة او وقوعه في صفهم ولعده في عدادهم قال من ومن معناها كما قال الشافعي وغيره تبعا
لابن عباس رضي الله عنهما في وان كان اي المقتول من قوم اي كفرة ايضا عدو لكم بينكم وبينهم ميثاق وهو كافر
مثلهم فدية اي فالواجب فيه كالواجب في المؤمن المذكور قبله دية مسلمة الى اهله على حسب دينه ان كان له
كتابيا فثلث دية المسلم وان كان مجوسيا فثلثا عشرها وتحرير رقبة مؤمنة وكانه قدم الدية هنا اشارة الى

المبادرة بها حفظا للعهد و لتاكيد امر التحرير بكونه ختاما كما كان افتتاحا حاثا على الوفاء به لانه اما ناه لا طالب له الا
الله وقال الاصبهاني رحمه الله ان سر ذلك ان ايجابه في المؤمن اولي من الدية وبالعكس هنا انتهى وكانه سره النظر
الى حيرة الدين في المؤمن وابقي حفظ العهد في الكافر فمن لم يجد اي الرقبة ولا ما يتوصل به اليها فصيام اي فالواجب عليه
صيام شهرين متتابعين حتى لو افطر يوما واحدا لغير حيض او نفاس وجب الاستيناف وعلل ذلك بقوله عاد الخطا
بعد التعبير عنه باللام المقتضية انه مباح ذنبا تغليظا للحث على مزيد الاحتياط توبة اي اوجب ذلك عليكم لاجل قبول
التوبة من الله اي الملك الاعظم الذي كل شيء في قبضته ولما كانت الكفارات من المشقة على النفس بمكان رغبهم فيها بحامله
بختم الاية بقوله وكان الله اي المحيط بصفات الكمال عليما اي بما يصلحكم في الدنيا والاخرة وبما يقع خطا في نفس الامر
او عمدا فلا يعترض احد بنصب الاحكام بحسب الظاهر حكيما في نصب الزواجر بالكفارات وغيرها فالزموا اوامره وباعدوا
زواجره لتفوزوا بالعلم والحكمة ولما ساق تعالى الخطاب سياق ما هو للفاعل منفرا عنه هذا التنفير ناسب كل المناسبة
ان يذكر ما ليس له من ذلك اذا كان ضبط النفس بعد ارسالها شديدا فربما سهلت قتل من تحقق اسلامه اجنة وحررت اليد
ضغينه وقوة الشبه فيه شدة شكيمه ولعمري ان الحمل على الكف بعد الارسال اصعب من الحمل على الاقدام وانما يعرف
ذلك من جرب التقوس حال الاشراف على النظفر والاذاذة بالانتقام مع القوي والقدر فقال ومن يقتل مؤمنا ولعله
اشار بصيغة المضارع الى دوام العزم على ذلك لاجل الايمان وهو لا يكون الا كفرا وترك الكلام محتملا زيادة تنفير
من قتل المسلم متعمدا اي واما الخطا فقد تقدم حكمه في المؤمن وغيره فجزاؤه اي على ذلك جهنم اي تتلقاه بحالة ك
كريهة جدا كما تجهم المقتول خالدا فيها اي ماكثا الى ما لا آخر له وغضب الله اي الملك الاعلى الذي لا كفوء له مع ذلك
عليه ولعنه اي وابعده من رحمته واعد له عذابا عظيما اي لا تبلغ معرفته عقولكم وان عم القول في هذه الاية كان الذي
خصها ما قبلها وما بعدها من قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اية الفرقان فانها مكية وهذه مدنية ولما
تبين بهذا المنع الشديد من قتل العمد وما في قتل الخطا من المواخذة الموجبة للتثبت وكان الامر قد برز بالقتال
في الجهاد موكدا بانواع التاكيد وكان ربما التبس الحال اتبع ذلك التصريح بالامر بالتثبت جوابا لمن كانه قال حاذا ان
نفعل بين امري الاقدام والاحجام فقال يا ايها الذين امنوا مشيرا باداة البعد والتعبير بالماضي الذي هو ادنى الى السن
الى ان الراسخين غير محتاجين الى مزيد التاكيد في التاديب وما احسن التفاته الى قوله تعالى وحرض المومنين اشارة
منه تعالى الى انهم يثابرون عن تحريضه صلى الله عليه وسلم ويقادون لامره بما دلت عليه كلمة اذا في قوله تعالى
اذا ضربتم اي سافرتم وسرتم في الارض في سبيل الله اي الذي له الكمال كله لاجل وجهه خالصا فتبينوا اي اطلبوا
بالتاني والتثبت بيان الامور والثبات في لبسها والتوقف الشديد عند مزالها وذلك بتميز بعضها من بعض وانكشاف
لبسها غاية الانكشاف ولا تقدموا الا على ما بان لكم ولا تقولوا قولا فضلا عما هو اعلى منه لمن القى اي كائنا من كان اليكم
السلام اي بادر بان حياكم بتحية الاسلام ملقيا قياده لست مومنا اي بل متعود لتقتلوه ولما كان اتباع الشهوات
عند العرب في غاية الذم قال موبخا منفردا عن مثل هذا في موضع الحال من فاعل تقولوا تبتغون اي حال كونكم تطلبون
طلبا حثيثا بقتله عرض الحيوة الدنيا اي باخذ ما معه من الحطام الفاني والعرض الزايل وبادراك ثار كان لكم روى
البخاري في التفسير ومسلم في آخر كتابه عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام قال كان رجل
في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه واخذوا غنيمته فانزل الله ذلك الى قوله عرض الحيوة
الدنيا ورواه الحوب ابن ابي اسامة عن سعيد بن جبير وزاد كذلك كنتم من قبل تخفون ايمانكم وانتم مع المشركين فمن الله
عليكم واظهر الاسلام فتبينوا ثم علل النهي عن هذه الحالة بقوله فعند الله اي الذي له الجلال والاكرام مغانم
كثيرة اي يغنيكم بها عما تطلبون من العرض مع طيبها ثم علل النهي من اصله بقوله كذلك اي مثل هذا الذي قتلتموه
بجعلكم اياه بعيدا من الاسلام كنتم وبعض زمان القبل كما هو الواقع بقوله من قبل اي قبل ما نطقتم بكلمة الاسلام
فمن الله اي الذي له جميع صفات الكمال عليكم اي بان القى في قلوب المومنين قبول ما اظهرتم امتثالا امر سبحانه بذلك
فقوي امر الايمان في قلوبكم قليلا قليلا حتى صرتم الى ما انتم عليه من الرسوخ في الدين والشهرة به والعز ولو شا
لعتى قلوبهم وسلطهم عليكم فقتلوكم فاذا كان الامر كذلك فعليكم ان تتثبتوا بالداخلين في الدين من القبول ما فعل بكم وهو
معنى ما تسبب عن الوعظ من قوله تاكيدا لما مضى اعلاما بقطاعة امر القتل فتبينوا اي الامور وتثبتوا فيها
حتى تنجلي ثم علل هذا الامر بقوله مرغبا مرهبا ان الله اي المختص بانه عالم الغيب والشهادة كان بما تعملون خبيرا
اي يعلم ما اقدمتم عليه عن تبين وغيره فاحذروه بحفظ بواطنكم وظواهركم ولما ناسب هذه الاية ما قبلها من
اية القتل والعمد والتفتت الى وحرض المومنين والى اية التحية فاشتد اعتناقها لها وعلم بها ان في الضرب في سبيل
الله هذا الخطر فكان ربما فتر عنه بين فضله لمن كانه قال حينئذ نقعد عن الجهاد لنسلم بقوله لا يستوي
القاعدون اي عن الجهاد حال كونهم من المومنين اي العريقين في الايمان ليفيد التصريح بتفضيل المومن المجاهد
على المومن القاعد ليلا يخصه احد بالكافر المجاهد ولما كان من الناس من عذره سبحانه برحمته استثناهم فقال
واصفا للقاعدون او مستثنيا منهم غير اولي الضرر اي المانع او العايق عن الجهاد في سبيل الله من عرج او مرض

او عمي ونحوه وبهذا بان ان الكلام في المهاجرين وفي البخاري في التفسير عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم املى عليه لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله فجاءه ابن ام مكتوم وهو يملها فقال يا رسول الله والله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فانزل الله غير اولي الضرر واخرجه في فضائل القرآن عن البراء رضي الله عنه قال لما نزلت لا يستوي القاعدون الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ادع لي زيدا وليجي باللوح والدواة ثم قال اكتب فذكره وحديث زيد اخرجه ايضا ابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية ابي داود قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فما وجدت شيا اثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سري عنه فقال لي اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون الى آخرها فقال ابن ام مكتوم وكان رجلا اعمى لما سمع فضيلة المجاهدين فقال يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المومنين فلما قضى كلامه غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعت فخذه على فخذي ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الاولى ثم سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقراء يا زيد فقرات لا يستوي القاعدون من المومنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اولي الضرر الآية كلها قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع كتف ورواه ابو بكر ابن ابي شيبة وابو يعلى الموصلي وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انزل عليه دلم بصر مفتوحة عيناه وقرع سمعه وقلبه لما يانيه من الله عز وجل ولما ذكر القاعد اتمه فسيمه المجاهد بقوله والمجاهدون في سبيل الله اي دين الملك الاعظم الذي من سلكه وصل الى رحمته باموالهم وانفسهم ولما كان نفي المساواة سببا لترتب كل من الحزبين الافضلية لان القاعد وان فاته الجهاد فقد تخلف الغازي في اهله ويحيي الدين بالاشتغال بالعلم ونحوه قال مستانفا فضل الله اي الذي له صفات الكمال المجاهدين ولما كان السالف في اول الامر ضيقا قال مقدما المال باموالهم وانفسهم اي جهادا كائنا بالفعل على القاعدين اي عن ذلك وهم متمكنون منه بكونهم في دار الهجرة درجة اي واحدة كاملة لانهم لم يفوتوهم بغيرها وفي البخاري في المغازي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يستوي القاعدون من المومنين عن بدر والخارجون الى بدر ولما شرك بين المجاهدين والقاعدين بقوله وكلا اي من الصنفين وعد الله اي المحيط بالجلال والاكرام اجرا على ايمانهم الحسنى بين ان القاعد المشارك انما هو الذي فيه قوة الجهاد القريبة من الفعل وهو التمكن من تنفيذ الامر بسبب هجرته لارض الحرب وكونه بين اهل الايمان واما القاعد عن الهجرة مع التمكن فليس بمشارك في ذلك بل هو ظالم لنفسه فانه ليس متمكنا من تنفيذ الاوامر فلا هو مجاهد بالفعل ولا بالقوة القريبة منه فقال وفضل الله اي الملك الذي لا كفوء له فلا مجير له المجاهدين اي بالفعل مطلقا بالنفس والمال على القاعدين اي عن الاسباب الممكنة من الجهاد وهي الهجرة اجرا عظيما ثم بينه بقوله درجات وعظمها بقوله منه وهي درجة الهجرة ودرجة التمكن من الجهاد بعد الهجرة ودرجة مباشرة الجهاد بالفعل ولما كان الانسان لا يخلو عن زلل وان اجتهد في العمل قال ومغفرة اي محوا للذنوب بحيث انها لا تذكر ولا يجازى عليها ورحمة اي كرامة ورفعة وكان الله اي المحيط بالاسماء الحسنى والصفات العلى غفورا رحيما ازلا وابدا لم يتجدد له ما لم يكن ثم على ذلك بابلغ حث على الهجرة فقال ان الذين توفيهم اي تقبض ارواحهم كاملة على ما عندهم من تقبض بعض المعاني مما تركوا من ركن الهجرة بما اشار اليه حذفا للتاء وفي الحذف ارشاد الى انه ان اتيح له من يسعى في حين بصدقة او حج ونحوه من افعال البر جبر لان الاساس الذي تبنى عليه الاعمال الصالحة موجود وهو الايمان الملائكة ظالمي انفسهم اي بالقعود عن الجهاد بترك الهجرة والاقامة في بلاد الحرب حيث لا يتمكنون من اقامة شعائر الدين كلها قالوا اي الملائكة موبخين لهم فيم كنتم اي في اي شيء من الاعمال والاحوال كانت اقامتكم في بلاد الحرب ولما كان المراد من هذا السوال التوبيخ لاجل ترك الهجرة قالوا معتذرين كنا مستضعفين في الارض اي ارض الكفار لا نتمكن من اقامة الدين وكانهم اطلقوها اشارة الى انها عندهم لاتساعها لكثرة الكفار كانها من الارض كلها كانه قيل هل قنع منهم بذلك فقيل لا لانهم لم يكونوا ضعفاء عن الهجرة فكانه قيل فما قيل لهم فقيل قالوا اي الملكة تبيانا لانهم لم يكونوا ضعفاء عن الهجرة الى موضع يامنون على دينهم الم تكن ارض الله اي المحيط بكل شيء الذي له كل شيء واسعة فتهاجروا اي بسبب اتساعها كل من بعاديكم في الدين ضاربين فيها اي الى حيث يزول عنكم المانع فالاية من الاحتباك ذكر الجهاد اولا في وفضل الله المجاهدين دليل على حذفه ثانيا بعد ظالمي انفسهم وذكر الهجرة ثانيا دليل على حذفها اولا بالقعود عنها ولذلك خص الطائفة الاولى بوعد الحسنى ولما دعوا على تركهم الهجرة سبب عنه جزاءهم فقيل فاولئك اي البعداء من اجتهادهم لانفسهم ماوىهم جهنم اي لتركهما الواجب وتكثيرهم سواد الكفار وانبساطهم في وجوه النار وساءت مصيرا وروى البخاري في التفسير والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي السهم يرمى به فيصيب احدهم فيقتله او يضرب فيقتل فانزل الله تعالى ان الذين توفيهم الآية ولما توعد على ترك الهجرة اتبع ذلك بما زاد القاعد عنها تحويفا بذكر من لم يدخل في المحكوم عليه بالقدرة على صورة الاستثناء تنبيها على انهم جديرون بالتسوية في الحكم لو لا فضل الله عليهم فقال تبيانا لان المستثنى منهم كاذبون

فيه و

في ادعائهم الاستضعاف الا المستضعفين اي الذين وجد ضعفهم في نفس الامر وعدوا ضعفا وتقوي عليهم غيرهم من الرجال والنساء والولدان ثم بين ضعفهم بقوله لا يستطيعون حيلة اي في ايقاع الهجرة ولا يهتدون سبيلا اي الى ذلك ولما كانت الهجرة شديدة وكان ربما تركها بعض الاقوياء واعتل بالضعف وربما ظن القادر مع المشقة انه ليس بقادر نفى من ذلك بالاشارة اليهم بادآة البعد فقال فاولئك ولما كان تعالى ان يفعل ما يشاء لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء بل له ان يعذب المطيع وينعم العاصي ويفعل ويقول ما يشاء لا يسئل عما يفعل احل هؤلاء المعذورين من محل الرجاء ايذانا بان ترك الهجرة في غاية الخطر فقال عسى الله اي المرجو الخليق والحذير من الملك المحيط باوصاف الكمال ان يعفو عنهم اي ولو واخذهم لكان له ذلك وكل ما جاء في القرآن من نحو هذا فهو للاشارة الى هذا المعنى وقول ابن عباس رضي الله عنهما ان عسى من الله واجبة معناه ان الله ان يفعل ما يشاء لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة على ما يستصوبه منهاج العقل السليم وكان الله اي الملك الذي له كل شيء فلا اعتراض عليه ازلا وابدا عفوا اي يمحوا الذنب اذا اراد فلا يعاقب عليه وقد يعاتب عليه غفورا اي يزيل اثره اصلا وداسا بحيث لا يعاقب عليه ولا يعاتب ولا يكون بحيث يذكر اصلا ولعل العفو راجع الى الرجال والغفران الى النساء والولدان ولما رهب من ترك الهجرة رغب فيها بما يسلي عما قد يوسوس به الشيطان من انه لو فارق رفاهية الوطن وقع من شدة الغربة وانه ربما جشم المشقة فاحترم قبل بلوغ القصد فقال تعالى ومن يهاجر اي يوقع الهجرة لكل ما اراده ورسوله يجد اي بغير ته في سبيل الله اي الذي لا اعظم من ملكه ولا اوضح من سبيله ولا اوسع مذهبا في الارض اي ذات الطول والعرض مراغما اي مهربا ومذهبا ومضطربا يكون موضعا لمراغمة يغضب الاعداء به ويرغم انوفهم بسبب ما يحصل من الرفق وحسن الحال فيخجل مهاجروه من سوء معاملتهم له من الرغم وهو الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب تقول راغمت فلانا اي هجرته وهو يكره مفارقتك لذلة تلحقه بذلك ولما كان ذلك الموضع وان كان واحدا فانه لكبره ذو اجزاء عديدة وصف بما يقتضي فقال كثيرا ولما كانت المراغمة لذة الروح فكانت اعز من لذة البدن فقدمها ابتغاء قوله وسعة اي في الرزق كما قال صلى الله عليه وسلم صوموا تصحوا وسافروا تغنموا اخرجه الطبراني عن ابي هريرة رضي الله عنه ولفظه واغزوا تغنموا وهاجروا تغلموا ولما كان ربما مات المهاجر قبل وصوله الى النبي صلى الله عليه وسلم فظن انه لم يدرك الهجرة مع تجشمه لفراق بلده قال ومن يخرج من بيته اي فضلا عن بلده مهاجرا الى الله اي الملك الذي له الكمال كله ورسوله اي ليكون عنده ثم يدركه الموت بعد خروجه من بيته ولو قبل الفصول من بلده فقد وقع اجره اي في هجرته بحسب الوعد فضلا بحسب الاستحقاق وعدا على الله اي الذي له تمام الاحاطة فلا ينقصه شيء وكذا كل من نوى خيرا ولم يدركه لاحسد الا في اثنين هو موفيه اياه توفيه ما يلتزمه الكريم منه ولما كان بعضهم ربما قصر به عن البلوغ توانيه في سيره او عن خروجه من بلده فظن ان هجرته هذه لم تجبر تقصيره قال وكان الله اي الذي له جميع صفات الكمال غفورا اي لتقصير ان كان رحيما يكرم بعد المغفرة بانواع الكرامات ولما اوجب السفر لهما دوالهجرة وكان مطلق السفر مظنة المشقة فكيف بسفر مجامع ما ينضم الى المشقة فيهما من خوف الاعداء ذكر تخفيف الصلوة بالقصر بقوله تعالى واذا ضربتم اي بالسفر في الارض اي سفر كان لغير معصية ولما كان القصر رخصة غير عزيمة بينه بقوله فليس عليكم جناح اي اثم وميل في ان تقصروا ولما كان القصر خاصا ببعض الصلوات اتى بالجار لذلك ولافادة انه في الكم لا في الكيف فقال من الصلوة اي فاقصروا ان اردتم وانما ان اردتم وبينت السنة اعيان الصلوات المقصورات ولم يقصر منها من ركعة وان القصر من الكمية لا من الكيفية بالايماء مثلا في صلوة الخوف بقول عمر رضي الله عنه ليعلى ابن امية حين قال له كيف تقصر وقد امنا عجبت مما عجبت منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وهذا هو حقيقة القصر والذي دلت عليه من وامثال الايماء ونحوه من كيفيات صلوة الخوف فابدال الكم قصرا والسياق كما ترى مشيرا الى شدة الاهتمام بشانها وانه لا يسقطها عن المكلف شيء وقاض بان المخاطرة بالنفس والمال لا تسقط الجهاد والهجرة اذ الخوف والخطر مبنيان امرهما وحط قصدهما فهذا سر قوله ان خفتم ان يفتنكم اي يخالطكم مخالطة مزعجة الذين كفروا لانه شرط في القصر كما بينت في شرطيته السنة والحاصل ان هذا الشرط ذكر لهذا القصد لا لمخالفة المفهوم المنطوق بشهادة السنة وقد كانت الصلوة قبل الهجرة ركعتين ركعتين فاتمت بعد الهجرة اشارة الى ان المدينة دار الاقامة وما قبلها كان محل سفر ونقله وروي الشيخان واحمد وهذا لفظه عن عائشة رضي الله عنها قالت فرضت الصلوة ركعتين ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتمت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر ولما ذكر الخوف منهم علله مشيرا بالاظهار موضع الاضمار وبالاسم الفاعل الى ان من تلبس بالكفر ساعة ما اغرق فيه اولان المجبول على العداوة المشار اليه بلفظ الكون انما هو الراسخ في الكفر المحكوم بموته عليه فقال ان الكافرين اي الراسخين منهم في الكفر كانوا اي جبلة وطبعا ولعله اشار الى انهم مغلوبون بقوله لكم دون عليكم عدوا ولما كان العدو مما يستوي فيه الواحد والجمع قال مبينا اي ظاهر العداوة بعد دون عليكم لقصد الاذى مهما وجدوا الى ذلك سبيلا فربما وجدوا الفرصة في ذلك عند طول الصلوة فلذلك قصرها ولولا انها رخصة فيها بوجه لوضعها عنكم في مثل هذه الحالة او جعلت التخفيف في الوقت فامرت بالتاخير ولكنه لاذكاء النفوس بدون تعلقها على ما حدد من

الوقت وغيره ولما اتم سبحانه بيان النصر في الكيفية مقرونا بالخوف لما ذكر وكان حضور النبي صلى الله عليه وسلم
الامن بالتاييد بالملائكة ووعد العصمة من الناس وما يشهد به من الشجاعة ونصره من الرعب وغير ذلك من الامور الخاصة
بان له العاقبة بين سبحانه حال الصلوة في الكيفية عند الخوف وان صلوة الخوف تفعل عند الامن بحضرته كما تفعل عندهم
الاستحاش بغيبته صلى الله عليه وسلم فجوازها لقوم ليس هو صلى الله عليه وسلم فيهم مفهوم موافقة فقال تعالى
واذا كنت فيهم اي في اصحابك حال الخوف الذي تقدم فرضه سواء كان ذلك في السفر او في الحضر فاقمت
لهم الصلوة اي الكاملة وهي المفروضة فلتقم طائفة منهم معك اي في الصلوة ولتقم الطائفة الاخرى وجاه العدو يطوفون
في كل موضع يمكن ان ياتي منه العدو وليأخذوا اي المصلون لانهم المحتاجون الى هذا الامر لدخولهم في حالة من يترك
السلاح اجدر اسلحتهم كما ياخذها من هو خارج الصلوة وسبب الامر بصلوة الخوف كما في صحيح مسلم وغيره عن جابر رضي
الله عنه انهم غزوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقاتلوا قوما من جهينة فقاتلوا قتالا شديدا قال جابر رضي الله عنه
فلما صلينا الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك فذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقالوا انها ستاتيهم صلوة هي احب اليهم من ابنائهم وفي لفظ
صففنا صفين والمشركون بيننا وبين القبلة الحديث فاذا سجدوا يمكن ان يكون المراد بالسجود ظاهره فيكون الضمير حينئذ
في فليكونوا للجمع الذين منهم هذه الطائفة المذكورين بطريق الاضمار في قوله واذا كنت فيهم وفي فلتقم منهم اي فاذا
سجد الذين قاموا معك في الصلوة فليكن المحدث عنهم وهم الباقون الذين انت فيهم وهذه الطائفة لهم من ورائكم فاذا انتهت
هذه الطائفة صلوتها فلتذهب الى الحراسة ولتات طائفة اخرى اي من الجماعة لم يصلوا فليصلوا معك كما صلت الطائفة
الاولى فان كانت الصلوة ثنائية ولم تصل بكل طائفة جميع الصلوة فلتتم بالطائفة الثانية وان كانت رباعية
ولم تصل بكل فرقة جميع صلوتها فلتتم صلوتها ولتذهب الى وجاه العدو ولتات طائفة اخرى وهكذا حتى تتم
الصلوة ويمكن ان يكون المراد بالسجود الصلوة من اطلاق اسم الجزء على الكل فكانه قال فاذا صلوا اي اتموا صلوتهم
على ما مضت الاشارة اليه والضمير حينئذ في فليكونوا الطائفة الساجدة وقوله وليأخذوا يمكن ان يكون ضميره لكل
ليلا يتوهم ان الامر بذلك يختص بالمصلي لان عذره لا عايق له عن الاخذ متى شاء اي ولتاخذ جميع الطوايف الحارسون للصلوة
حذرهم واسلحتهم في حال تحراستهم واتيانهم الى الصلوة وانصرافهم منها فجعل الحذر الذي هو التيقظ والتحذر باقبال
الفكر على ما يمنع كيد العدو كالة المحسوسة وخص في استعماله في الصلوة في شان العدو وخص اخر الصلوة بزيادة
الحذر اشارة الى ان العدو في اول الصلوة فلما يغلبون لكونهم في الصلوة بخلاف الاخر فلهذا خص بمزيد الحذر وهذا
الكلام على وجازته محتمل كما ترى لجميع الكيفيات المذكورة في الفقه لصلوة الخوف اذا لم يكن العدو في وجه القبلة
على انها تحتمل التنزيل على ما اذا كان في وجه القبلة بان نحمل الورا على ما وراءه السجود عنكم واتيان الطائفة الاخرى
على الاقبال على المتابعة للامام في الافعال ولم يصلوا اي بقيد المتابعة له فيها والله الهادي وما احسن اتصال
ذلك باول ايات الجهاد في هذه السورة يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فهو امر لقطع على المطلع ثم على امره لهذه الكيفية
على هذا الاحتياط والحزم بقوله مقويا لترغيبهم في ذلك بانبا الخطاب عليهم ود اي تمنى تمنيا عظيما الذين كفروا
اي باشروا الكفر وقتاما فكيف بمن هو عريق فيه لو تغفلون اي تقع لكم غفلة في وقت ما عن اسلحتكم ولما كانت
القوة بالاسلحة مرهبة للعدو ومنكية قال واسلحتكم ولما كانت الغفلة ضعفا ظاهرا تسبب عنها قوله
فيميلون واشار الى العلو والغلبة بقوله عليكم واشار الى سرعة الاخذ بقوله ميلة واكده بقوله واحدة
ولما كان الله وله المن قد رفع عن هذه الامة الحرج وكان المطر والمرض شاقين قال ولا جناح اي حرج عليكم ان كان
بكم اذى اي وان كان يسيرا من مطر اي لان حمل السلاح حينئذ يكون سببا لبله او كنتم مرضى اي متصفين بالمرض
وكان التعبير بالوصف اشارة الى ادنى شيء منه لا يرخص ان تضعوا اسلحتكم اي لان حملها يزيد المريض وهنا ولما
خفف ما اوجبه او لا من اخذ السلاح برفع الجناح في حال العذر فكانه لتقدير فضعوه ان شئتم عطف عليه بصيغة
الامر اشارة الى وجوب الحذر منهم في كل حال فقوله وخذوا حذركم اي في كل حالة فان ذلك بمنع لا يتوقع منه ضرر
ثم علل ذلك بما يشرفه بالنصر تشجيعا للمومنين واعلاما بان الامر بالجزم انما هو للجري على ما رسمه من الحكمة في ربط
المسببات بالاسباب فهو من باب افعلها وتوكل فقال ان الله اي المحيط علما وقدرة اعد اي في الازل للكافرين
اي الراسخين على الكفر لا من اتصف به وقتا ما وتاب منه عذابا مهينا اي مهينهم به من اعظمه حذركم الذي لا يدع
لهم عليكم مقدما ولا تمكنهم معه منكم فرصة ولما علم ما يفعلون في الصلوة حال الخوف اتبع ذلك ما يفعلون بعدها
ليلا يظن انها تغني عن مجرد الذكر فقال مشيرا الى انه قيد بها فاذا قضيتم الصلوة اي فرغتم من فعلها وادوها
على حالة الخوف او غيرها فاذكروا الله اي بغير الصلوة لاحاطته بكل شيء يستحق ان يراقب فلا ينسى قياما وقعودا
وعلى جنوبكم اي في كل حالة فان ذكره حصن لكم في كل حالة من كل عدو ظاهر او باطن ولما كان الذكر اعظم حافظ
للعبد وحارس من شياطين الانس والجن ومسكن للقلوب الا بذكر الله تطمئن القلوب اشار الى ذلك بالامر بالصلوة
حال الطمانينة تنبيها على عظم قدرها وبيانا لانها اوثق عرى الدين واقوى دعايمه وافضل مجليات القلوب ومهذبات

النفوس لانها مشتملة على مجامع الذكر ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فقال فاذا اطمانتم اي عما كنتم
فيه من الخوف فاقيموا الصلوة اي فافعلوها قايمة المعالم كلها على الحالة التي كنتم تفعلونها قبل الخوف ثم علل الامر بها في
الامن والخوف والسعة والضيق سفرا وحضرا بقوله ان الصلوة مظهرا لما كان الاصل فيه الاضمار تنبيها على عظيم
قدرها بما للعبد فيها من الوصلة بمعبوده كانت على المومنين كتابا اي هي مع كونها فرضا جامعة على الله لا يقاومها فيه غيره
موقوتا اي وهي مع كونها محدودة مضبوطة باوقات مشهورة فلا يجوز اخراجها عنها في امن ولا خوف فوت بما اشارت اليه
مادة وقت للابدان بما تسبب من الارزاق وللقلوب بما تجلب من المعارف والانوار ولما عرف من ذلك ان ايات الجهاد
في هذه السورة معلمة للحذر خوف الضرر مرشدة الى اتقان المكايد للتخليص من الخطر وكان ذلك مظنة لمتابعة النفس
المبالغة فيه وهو مظنة للتواني في امر الجهاد اتبع ذلك قوله تعالى منبها على الحد في امره وانه لم يدع في الصلوة ولا غيرها
ما يشغل عنه عاطفا على نحو فافعلوا ما امرتكم به او على فاقيموا الصلوة ولا تهنوا اي تضعفوا وتتوانوا بالاشتغال
بذكر ولا صلوة فقد يسرت ذلك لكم تيسيرا لا يعوق عن شي من الجهاد في ابتغا القوم اي طلبهم بالاجتهاد وان كانوا في
غاية القوة والقيام بالامور ثم علل ذلك بقوله ان تكونوا تالمون اي يحصل لكم الم ومشقة بالجهاد من القتل وما
دونه فانهم يالمون كما تالمون لانهم يحصل من ذلك ما يحصل لكم فلا يكونن على باطلهم اصبر منكم على حقكم ولما بين ما يكون
مانعا لهم من الوهن دونهم لانه مشترك بينهم بين ما يحملهم على الاقدام لاختصاصهم به فقال وترجون اي انتم من الله اي الذي
له جميع الاسماء الحسنى والصفات العلى ما لا يرجون اي من النصر والعز والكرم واللطف لانكم تقاتلون فيه وهم يقاتلون
في الشيطان وهذا لكل من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر سوا كان ذلك في جهاد الكفار او لا ولما كان العلم مبنى كل خير
وكانت الحكمة التي هي نهاية العلم وغاية القدرة بجميع الصفات العلى قال تعالى وكان الله اي الامر لكم بهذه الاوامر
وهو المحيط بكل شي عليما اي بالغ العلم فهو لا يامر الا بما يكون بالغ الحسن مصلحا للدين والدنيا حكيما فهو يتقن لمن يامره
الاحوال ويسدده في المقال والفعال فمن علم منه خيرا اراده ورقاه في درج السعادة ومن علم منه شرا كاده فنكس مبداه
ومعاده ولما كان اول هذه القصص التعجيب من حال الذين اوتوا نصيبا من الكتاب في ضلالهم واضلالهم ثم التعجيب
من ايمانهم بالجبت والطاغوت ثم التعجيب من حال من ادعى الايمان بهذا الكتاب مع الكتب السالفة ثم رضي بحكم غيره وساق
سبحانه اصول ذلك وفروعه ونصب الادلة حتى علت على الفرقدين وانتشر ضياوها على جميع الخافقين وختم ذلك
بمجاهدة المبطلين بالحجة والسيف وسور ذلك بصفتي العلم والحكمة ناسب اتم مناسبة الاخبار بانه انزل هذا الكتاب
بالحق وبين فايدته التي عدل عنها المنافقون في استحكام غيره فقال انا انزلنا اي بما لنا من العظمة التي لا تتقاصر
دونها كل عظمة اليك اي خاصة وانت اكمل الخلق الكتاب اي الكامل الجامع لكل خير بالحق اي ملتبسا بما يطابقه
الواقع لتحكم بين الناس اي عامة لان دعوتك عامة فلا اضل ممن عدل عن حكمك وابتغى خيرا من غير كتابك واشار الى انه
لا ينطق عن الهوى بقوله بما اراك الله اي عرفكه الذي له القدرة الشاملة والعمل الكامل فان كان قد بين لك
شيا غاية البيان فافعله والا فانتظر منه البيان ثم شرع سبحانه في اتمام ما بقي من اخبارهم وكشف ما بطن من اسرارهم
وبيان علاماتهم ليعرفوا ويجتنبها المومنون لئلا يوسموا بميسمهم ولما كان سبحانه قد خفف عليه صلى الله عليه وسلم
بان شرع له القناعة في الحكم بالظاهر وعدم التكليف بالتنقيب عن السرائر هم صلى الله عليه وسلم بالدفع عن
طعمة ابن ابيرق لان امره كان مشكلا فانه سرق درعا واودعها عند يهودي فوجدت عنده فادعى ان طعمة اودعها
عنده ولم يثبت ذلك على طعمة حتى انزل الله الاية فاراد تعالى انزاله في هذه النازلة وغيرها مما يريده سبحانه
في المقام الحضري من الحكم بما في نفس الامر مما لا يعلمه الا الله تعالى اذا كان الصحيح الذي عليه الجمهور كما نقله شيخنا
حافظ العصر قاضي الشافعية بمصر ابو الفضل احمد بن علي بن حجر رحمه الله في الاصابة في اسما الصحابة ان الخضر عليه
السلام نبي وكان نبينا صلى الله عليه وسلم قد اعطي مثل جميع معجزات الانبيا مع ما اختص به دونهم على جميعهم افضل
الصلوات واتم التسليم والبركات فقال تعالى عاطفا على ما علم تقديره من نحو فاحكم بما نريك من بحار العلوم التي اودعناها
هذا الكتاب ولا تكن للخاينين اي لاجلهم من طعمة وغيره خصيما اي خصيما لمن يخاصمهم واتبع ذلك قوله واستغفر
الله اي اطلب مغفرة من له الكمال كله من الهم بالذب عنه ثم علل بقوله ان الله اي الذي له الاحاطة التامة والغنى
المطلق كان اي ازلا وابدا غفورا رحيما وهذا الاستغفار لا عن ذنب اذ هو منزه عن ذلك معصوم منه ولكن عن
مقام عال تام للارتقا الى اعلى منه واتم وقد روى الترمذي سبب نزول هذه الايات الى قوله تعالى فقد ضل
ضلالا بعيدا من وجه مستقصى مبين بيانا شافيا وسمى بني ابيرق بشرا وبشيرا ومبشرا ولم يذكر طعمة والله اعلم
قال عن قتادة بن النعمن قال كان اهل بيت منا يقال لهم بنوا ابيرق بشر وبشير ومبشر وكان بشير رجلا منافقا
يقول الشعر يهجو به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينحله بعض العرب تقول قال فلان كذا فاذا سمع
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر قالوا والله ما يقول هذا الشعر الا هذا الخبيث وكانوا اهل
بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والاسلام فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك
فجعله في مشربة له وفي المشربة سلاح درع وسيف فعدي عليه فنقبت المشربة واخذ الطعام والسلاح فلما

اصبح

اصبح اتاني فقال يا ابن اخي انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقب مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا فتحسسنا في الدار
فقيل لنا قد راينا بني ابيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى الا على بعض طعامكم وكانوا بني ابيرق قالوا ونحن نسال في الدار
والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل رجلا منا له صلاح واسلام فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال انا اسرق فوالله
ليخالطنكم هذا السيف او لتبينن هذه السرقة قالوا اليك عنا ايها الرجل فما انت بصاحبها فسالنا في الدار حتى لم نشك
انهم اصحابها فقال لي عمي يا ابن اخي لو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فاتيته فقال النبي صلى الله عليه
وسلم سامر في ذلك فلما سمع بنوا ابيرق اتوا رجلا منهم يقال له اسير بن عروة فكلموه في ذلك فاجتمع في ذلك اناس من اهل الدار
فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمن وعمه عمدا الى اهل بيت منا اهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت
قال قتادة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمدت الى اهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير
ثبت وبينة قال فقال لي عمي فاخبرته ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله المستعان فلم يلبث ان نزل القرآن
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الى خصيما بني ابيرق واستغفر الله مما قلت لقتادة ان الله كان غفورا رحيما الى قوله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما فلما نزل القرآن اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرده الى رفاعة فلما نزل القرآن لحق بشير
بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية فانزل الله ومن يشاقق الرسول الى قوله ضلالا بعيدا وروى الحديث ابن
اسحق في السيرة وزاد ان حسانا قال في نزوله عندها ابياتا فطردته فلحق بالطائف فدخل بيتا يسرق منه فوقع عليه فمات
فقالت قريش والله ما يفارق محمدا من اصحابه احد فيه خير ولما نهاه عن الخصام لمطلق الخاين وهو من وقعت منه خيانة
ما اتبعه النهي عن المجادلة عمن تعمد الخيانة فقال تعالى ولا تجادل اي في وقت ما عن الذين يختانون اي يتجدد منهم تعمد ان يخونوا
انفسهم بان يوقعوها في الهلكة بالعصيان فيما يتموا عليه من الامور الخفيفة والتعبير بالجمع مع ان الذي نزلت فيه الاية
واحد للتعميم وتهديد من اعانه من قومه ويجوز ان يكون اشار بصيغة الافتعال الى ان الخيانة لا تقع الا مكررة فانه
يعزم عليها اولا ثم يفعلها فادنى ذلك ان يكون قد خان نفسه مرتين قال الامام ما معناه ان التهديد في هذه الاية عظيم
جدا وذلك انه تعالى عاتب خير الخلق عنده واكرمهم لديه هذه المعاتبة وما فعل الا الحق في الظاهر فكيف بمن يعلم الباطن
ويساعد اهل الباطل فكيف ان كان يغريهم ثم اشار تعالى الى ان من خان غيره كان مبالغا في الخيانة بالعزم وخيانة الغير
المستلزمة لخيانة النفس فلذا ختمت بالتعليل بقوله ان الله اي الجليل العظيم ذا الجلال والاكرام لا يحب اي لا يكرم
من كان خوانا اثيما بصيغتي المبالغة على ان مراتب المبالغين في الخيانة متفاوتة وفيه مع هذا استعطاف لمن وقعت
منه الخيانة مرة واحدة وقدم سبحانه ذلك لان فيه دفعا للضر عن البري وجلبا للنفع اليه ثم اتبعه بعيب هذا
الخاين وقلة تامله والاعلام بان المجادلة عنه قليلة الجدوى فقال تعالى معجبا منهم بما هو كالتعليل لما قبله يستخفون
اي هولاء الخونة طعمه ومن مالاه وهم يعلم باطن امره من الناس حياء منهم وخوفا من ان يضروهم لمشاهدتهم لهم وقوفا
مع الوهم كالبهائم ولا يستخفون اي يطلبون ويوجدون الخيفة بعدم الخيانة من الله اي الذي لا شي اظهر منه لما له من صفات
الكمال وهو اي والحال انه معهم لا يغيب عنه شي من احوالهم ولا يعجزه شي من نكالهم فالاستخفاء منه لا يكون الا بترك الخيانة
ومحض الاخلاص فوا سوءتاه من اغلب الافعال والاقوال والاحوال اذ اي حين يبيتون اي يرتبون ليلا على طريق الامعان
في الفكر والاتقان للراي ما لا يرضى من القول اي من البهت والحلف عليه فلا يستحيون منه ولا يخافون لاستيلاء الجهل
والغفلة على قلوبهم وعدم ايمانهم بالغيب ولما اثبت علمه سبحانه بهذا من حالهم عمم فقال وكان الله اي الذي له كل شي في
قبضته لانه الواحد الذي لا كفو له بما يعملون اي من هذا وغيره محيطا اي علما وقدرة ولما وبخهم سبحانه على جهلهم
حذر من مناصرتهم فقال مبينا انها لا تجديهم شيا مخوفا لهم جدا بالمواجهة بمثل هذا التنبيه والخطاب ثم الاشارة بعده
هانتم هولاء وزاد في الترهيب بالتعبير بما هو من الجدل الذي هو اشد الخصومة من جدل الجهل الذي هو شدة قتله
واظهاره في صيغة المفاعلة فقال مبينا لان المراد من الجملة السابقة التهديد جادلتم عنهم اي في هذه الواقعة او
غيرها في الحيوة الدنيا اي بما جعل لكم من الاسباب ولما حذرهم وبخهم على قلة فطنتهم زيادة في التحذير بان مجادلتهم
هذه سبب لوقوع الحكومة بين يديه سبحانه فقال فمن يجادل الله اي الذي له الجلال كله عنهم اي حين تنقطع الاسباب
يوم القيمة ولا يفترق الحال في هذا بين ان تكون ها من هانتم للتنبيه او بدلا عن همزة استفهام على ما تقدم فان معنى
الانكار هنا واضح على كلا الامرين ولما كان من اعظم المحاسن كف الانسان عما لا علم له به عطف على الجملة من اولها من غير
تقييد بيوم القيمة منبها على قبح المجادلة عنهم بقصور علم الخلايق قوله ام من يكون اي ما ياتي من الزمان عليهم وكيلا
اي يعلم منهم ما يعلم الله بان يحصي اعمالهم فلا يغيب عنه منها شي ليجادل الله عنهم فيثبت لهم ما فارقوه وينفي عنهم ما لم يلابسوه
ويرعاهم ويحفظهم مما ياتيهم به القدر من الضرر والكدر ولما نهى عن نصرة الخاين وحذر منها ندب الى التوبة من كل سوء
فقال عاطفا على ما تقديره فمن يصر على مثل هذه المجادلة يجد الله عليما حكيما ومن يعمل سوءا اي قبيحا متعديا بسوء غيره
شرعا عمدا كما فعل طعمه او غير عمد او يظلم نفسه بما لا يتعداه الى غيره شركا كان او غيره او بالرضى لها بما غيره اعلى منه
ولم يسمه بالسوء لانه لا يقصد نفسه بما يضرها في الحاضر ثم يستغفر الله اي يطلب من الملك الاعظم غفرانه بالتوبة
بشروطها يجد الله اي الجامع لكل كمال غفورا اي محاء للزلات رحيما اي مبالغا في اكرام من يقبل اليه من تقرب مني شبرا

تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة روي اسحق بن راهوية عن عمر
رضي الله عنه وابو يعلي الموصلي عن ابي الدرداء رضي الله عنه ان هذه الاية نسخت من يعمل سوء يجز به وانها نزلت بعدها
ولما ندب الي التوبة ورغب فيها بين ان ضرر اثمه لا يتعدي نفسه حثا علي التوبة وتهييجا اليها لما جبل عليه كل احد من محبة
نفع نفسه ودفع الضر عنها قال ومن يكسب اثما اي اثم كان فانما يكسبه علي نفسه لان وباله راجع عليه اذ الله له بالمرصاد
فهو مجازيه علي ذلك لا محالة غير حامل لشي من اثمه علي غيره كما انه غير حامل لشي من اثم غيره عليه والكسب فعل ما يجد نفعا او
ينفع ضرا ولما كان هذا لا يكون الا مع العلم والحكمة قال تعالي وكان الله اي الذي له كمال الاحاطة ازلا وابدا عليما اي بالغ
العلم بدقيق ذلك وجليله فلا يترك شيا منه حكيما فلا يجازيه الا بمقدار ذنبه واذا اراد شيا وضعه في احكم مواضعه
فلا يمكن غيره شي من نقضه ولما ذكر ما يخص الانسان من اثمه اتبعه ما يعديه الي غيره فقال ومن يكسب خطيئة اي ذنبا
غير متعمد له او اثما اي ذنبا تعمده ولما كان البهتان شديدا جدا قل من يجترئ عليه اشار اليه باداة التراخي فقال
ثم يرم به بريا اي ينسبه الي من لم يعمله كما فعل طعمة باليهودي وابن ابي بالصديقة رضي الله عنها وعظم جرم فاعل ذلك
بصيغة الافتعال في قوله فقد احتمل وبقوله بهتانا اي خطر كذب يبهت المرمي به لعظمه وكانه اشارة الي ما
يلحق الرامي في الدنيا من الدم واثما اي ذنبا كبيرا مبينا واثما كان مبينا لمعرفته بخيانة نفسه وبراءة المرمي به ولان
الله اجري عادته الجميلة ان يظهر قربه في الاخرة براءة المقذوف به يوما ما بطريق من الطرق ولو لبعض الناس ولما
وعظ سبحانه في هذه النازلة وحذر ونهي وامر بين نعمته علي نبيه صلي الله عليه وسلم في عصمته عما ازادوه من مجادلته
عن الخاين بقوله تعالي ولولا فضل الله اي الملك الاعلي عليك اي بانزال الكتاب ورحمته اي باعلا امرك وعصمتك
من كل ذي كيد وحفظك في اصحابك الذين اتوا يجادلون عن ابن عمهم سارق الدرع في التمسك بالظاهر وعدم قصد العناد
لهمت طايفة منهم اي فرقة وتدبر الافكار لا تزال تتخلق فتحيل الاراء وتقلب الامور فيها اهلية الاستدارة والتخلق في
ترتيب ما تريد اي يضلوك اي يوقعوك في ذلك بالحكم ببراءة طعمة ولكن الله حفظك في اصحابك فما هموا بذلك وانما
قصدوا المدافعة عن صاحبهم بما لم يتحققوه ولو هموا لما اضلوك وما يضلون اي علي حالة من احوال من حالات هذا الهم
الا انفسهم اذ وبال ذلك عليهم وما يضرونك اي يجددون في ضرك حالا ولا مالا باضلال ولا غيره من شي وهو وعد
بدوام العصمة في الظاهر والباطن كاية المايدة ايضا وان كانت هذه بسياقها ظاهرة في الباطن وتلك ظاهرة في الظاهر
وانزل الله اي الذي له جميع العظمة عليك وانت اعظم الخلق عصمة لامتك الكتاب اي الذي تقدم اول القصة
الاشارة الي كماله وجمعه لخيري الدارين والحكمة اي لامتك الفهم لجميع مقاصد الكتاب لتكون افعالك وافعال من
تابعك فيه علي اتم الاحوال فتظفروا بتحقيق العلم واتقان العمل وعم بقوله وعلمك ما لم تكن تعلم اي من المشكلات
وغيرها غيبا وشهادة من احوال الدين والدنيا وكان فضل الله اي المتوحد بكل كمال عليك عظيما اي بغير ذلك من
امور لا تدخل تحت الحصر وهذا من اعظم الادلة علي ان العلم اشرف الفضايل ولما كان قوم طعمة قد ناجوا النبي صلي الله
عليه وسلم في الدفع عنه نبههم سبحانه وغيرهم علي ما ينبغي ان يقع به التناجي ويحسن فيه التقاول والتجاذب علي وجه
ناه عن غيره اشد نهي بقوله تعالي لا خير في كثير من نجواهم اي نجوي جميع المناجين الا من اي نجوي من امر بصدقة
ولما خص الصدقة لعزة المال في ذاك الحال عم بقوله او معروف اي معروف كان مما يبيحه الشرع من صدقة
وغيرها ولما كان اصلاح ذات البين امرا جليلا نبه علي عظمه بتخصيصه بقوله او اصلاح بين الناس اي عامة
فقد بين سبحانه ان غير المستثني من التناجي لا خير فيه وكل ما انتفي عنه الخير كان مجتنبا كما روي احمد والطبراني
في الكبير بسند لا باس به وهذا لفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم ان عيسي عليه السلام
قال انما الامور ثلثة امر يتبين لك رشده فاتبعه وامر يتبين لك غيه فاجتنبه وامر اختلف فيه فرده الي عالمه
ولما كان التقدير فمن امر بشي من ذلك فنجواه خير وله عليها اجر عطف عليه قوله ومن يفعل ذلك اي الامر العظيم
الذي امر به من هذه الاشياء ابتغاء مرضات الله الذي له صفات الكمال لان العمل لا يكون له روح الا بالنية
فسوف نوتيه اي في الاخرة بوعد لا خلف فيه اجرا عظيما وهذه الاية من اعظم الدلايل علي ان المطلوب من اعمال
الظاهر رعاية احوال القلب في اخلاص المنية وتصفية الداعية عن الالتفات الي غرض دنيوي فان كان فيها
ريا انقلبت فصارت من اعظم المفاسد ولما رتب سبحانه الثواب العظيم علي الموافقة رتب العقاب الشديد
علي المخالفة والمشاققة ووكل المخالف الي نفسه بقوله تعالي ومن يشاقق اي الكامل في الرسلية فيكون بقلبه
او شي من فعله في جهة غير جهته علي وجه المقاهرة وعبر بالمضارع رحمة منه سبحانه بتقييد الوعيد بالاستمرار
واظهر القاف اشارة الي تعليقه بالمجاهدة ولان السياق لاهل الاوثان وهم مجاهرون وقد جاهر سارق الدرعين
الذي كان سببا لنزول الاية في اخر قصته كما مضي ولما كان في سياق تعليم الشريعة التي لم تكن معلومة قبل
الايحاء بها لا في سياق الملة المعلومة بالعقل اتي بمن تقييدا للتهديد بما بعد الاعلام بذلك فقال من بعد ما ولو حذفت
لفهم اختصاص الوعيد بمن استغرق زمان البعد بالمشاققة ولما كان ما جا به النبي صلي الله عليه وسلم في غاية
الظهور قال تبين له الهدي اي الدليل الذي هو سببه ولما كان المخالف للاجماع لا يكفر الا بمنابذة المعلوم

الرسول صح

بالضرورة

بالضرورة عبر بعد التبيين بالاتباع فقال ويتبع غير سبيل اي طريق المومنين اي الذين صار الايمان لهم صفة
راسخة والمراد الطريق المعنوي وجه الشبه الحركة البدنية الموصلة الي المطلوب في الحسي والنفسانية في
مقدمات الدليل الموصل الي المطلوب في المعنوي نوله اي بعظمتنا في الدنيا والاخرة ما تولى اي نكله الي ما اختارك
لنفسه وعالج فيه فطرته الاولي خذلانا منا له ونصله اي في الاخرة جهنم اي تلقاه بالكراهة والغلظة والعبوسة
كما تجهم اوليانا وشاققهم ولما كان التقدير فهو صاير اليها لا محالة بين حالها في ذلك فقال وساءت مصيرا وهذه
الاية داله علي ان الاجماع حجة لانه لا يتوعد الا علي مخالفة الحق وكذا حديث لا تزال طايفة من امتي قايمة بامر الله
وفي رواية ظاهرين علي الحق حتي ياتي امر الله رواه عن النبي صلي الله عليه وسلم عدة من الصحابة رضي الله عنهم
ثوبان والمغيرة وجابر بن سمرة وجابر بن عبد الله ومعوية وانس وابو هريرة بعض احاديثهم في الصحيحين وبعضها في
السنن وبعضها في المسانيد وبعضها في المعاجيم وغير ذلك ووجه الدلالة ان الطايفة التي شهد لها النبي صلي الله
عليه وسلم بالحق في جملة اهل الاجماع والله الموفق ولما كان فاعل ذلك بعد بيان الهدي هم اهل الكتاب ومن اضلوه
من المنافقين بما القوه اليهم من الشبه فردوهم الي ظلام الشرك والشك بعد ان بهرت ابصارهم اشعة التوحيد حسن
ايلاؤه قوله تعالي معللا تعظيما لاهل الاسلام وحثا علي لزوم هديهم وذما لمن نابذهم وتوعدا له اشارة الي ان من
خرق اجماع المسلمين صار حكمه حكم المشركين فكيف عن نابذ المرسلين ان الله اي الاحد المطلق فلا كفو له لا يغفر ان
يشرك به اي وقوع الشرك به من اي شخص كان وباي شي كان لان من قدح في الملك استحق البوار والهلك وسارق الدرع
احق الناس بذلك ويغفر ما اي كل شي هو دون ذلك اي الامر الذي لم يدع للشناعة موضعا كما هو شان من القي السلم
ودخل في ربقة العبودية ثم غلبته الشهوة فقصر في بعض انواع الخدمة ثم دل علي نفوذ امره بقوله لمن يشاء ولما
كان التقدير فان من اشرك به فقد افتري اثما مبينا عطف عليه قوله ومن يشرك اي يوقع هذا الفعل القذر حذا في
اي وقت كان من ماض او حال او استقبال مداوما علي تجديده بالله اي الملك الذي لا نزاع في تفرده بالعظمة لانه لا خفاء
في ذلك عند احد فقد ضل اي ذهب عن السنن الموصل ضلالا بعيدا لا تمكن سلامة مرتكبه وطوي مقدمة الافتراء
الذي هو تعمد الكذب وذكر مقدمة الضلال لان معظم السياق للعرب اهل الاوثان والجهل فيهم فاش بخلاف ما مضي
لاهل الكتاب فان كفرهم عن علم فهو تعمد الكذب ولما كان المنافقون هم المقصودين بالذات بهذه الايات وكان اكثرهم
اهل اوثان ناسب كل المناسبة قوله معللا لان الشرك ضلال ان اي ما يدعون وما انسب التعبير لعباد الاوثان
عن العبادة بالدعاء اشارة الي ان كل معبود لا يدعي في الضرورات فيسمع فعابده اجهل الجهلة ولما كان كل شي دونه
سبحانه لانه تحت قهره قال محقرا لما عبدوه من دونه اي وهو الرجز ولما كانت معبوداتهم اوثانا متكثرة وكل
كثرة تلزمها الفرقة والحاجة والضعف مع انهم كانوا يسمون بعضها باسماء الاناث من اللات والعزي ويقولون في الكل
انها بنات الله ويقولون عن كل صنم انثي بني فلان قال الا اناثا اي فجعلوا انفسهم للاناث عبادا وهم يانفون من ان يكن
لهم اولاد وفي التفسير من البخاري اناثا يعني الموات حجرا او مدرا او ما اشبه ذلك هذا مع ان مادة انث ووثن يلزمها
في نفسها الكثرة والرخاوة والفرقة وكل ذلك في غاية البعد عن رتبة الالهية وسياتي ان شاء الله تعالي بسط ذلك
في سورة العنكبوت وان هذا القصر قصر قلب لاعتقادهم انها الهة ومعني الحصر ما هي الا غير الهة لما لها من النقص
وان يدعون اي يعبدون في الحقيقة الا شيطانا اي لانه هو الامر لهم بذلك المزين له مريدا اي عاتيا صلبا عاصيا
ملازما للعصيان مجردا من كل خير محترقا بافعال الشر بعيدا من كل امن من شاط وشطن ومرد وعبر بصيغة فعيل
التي هي للمبالغة في سياق ذمهم تنبيها علي انهم تعبدوا لما لا الباس في شرارته لانه شر كله بخلاف ما في سورة الصافات
فان سياقه يقتضي المبالغة كما سياتي ان شاء الله تعالي ثم بين ذلك بقوله لعنه الله اي ابعده الملك الاعلي من كل خير
فبعد فاحترق ولما كان التقدير فقال اصرارا علي العداوة بالحسد وعزتك لاجتهدن في ابعاد غيري كما ابعدتني
عطف عليه قوله وقال لاتخذن اي والله لاجتهدن في ان اخذ من عبادك الذين هم تحت قهرك ولا يخرجون عن
مرادك نصيبا مفروضا اي جزاء انت قدرته لي ولاضلنهم اي عن طريقك السوي بما سلطتني به من الوساوس
وتزيين الاباطيل ولامنينهم اي كل ما اقدر عليه من الباطل من عدم البعث وغيره طول الاعمار وبلوغ الامال من
الدنيا والاخرة بالرحمة والحنو والاحسان ونحوه مما هو سبب للتسويف بالتوبة ولامرنهم ولما كان قد علم ما طبعوا
عليه من الشهوات والحظوظ التي هياتهم لطاعته وكانت طاعته في الفساد عند كل عاقل في غاية الاستبعاد اكد قوله
فليبتكن اي يقطعن تقطيعا كثيرا اذان الانعام ويشققونها علامة علي ما حرموه علي انفسهم ولامرنهم فليغيرن
خلق الله اي الذي له الحكمة الكاملة فلا كفو له بانواع التغيير من تغيير الفطرة الاولي السليمة الي ما دون ذلك
من فقء عين الحامي ونحو ذلك وهو اشارة الي ما حرم اهل الجاهلية علي انفسهم بالتقريب للاصنام من السايبة
وما معها المشار الي ابطاله في اول المايدة بقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلي عليكم المصرح به في اخرها
بقوله ما جعل الله من بحيرة الاية ويكون التعبير بالوسم والوشر ويدخل فيه كل ما خالف للدين فان الفطرة الاولي
داعية الي خلاف ذلك حتي ادخلوا فيه تشبيه الرجال بالنساء في التخنث وما يتفرع عنه وتشبيه النساء بالرجال

في السحق وما نحا نحوه ولما كان التقدير من تابعه في ذلك لانه صار للشيطان وليا عطف عليه معمما قوله ومن يتخذ اي
يتكلف منهم ومن غيرهم تغيير الفطرة الاولى فياخذ الشيطان وليا ولما كان ذلك ملزوما لمحادة الله وكان ما هو ادنى من رتبته
في غاية الكثرة بعض ليفهم الاستغراق من باب الاولى فقال من دون الله اي المستحق لكل وصف جميل فقد خسر باتخاذه ذلك
ولو على ادنى وجوه الشرك خسرانا مبينا اي في غاية الظهور والرداءة بما تعطيه صيغة الفعلان لانه تولى من لا خير عنده
ثم علل ذلك بقوله يعدهم بان يخيل اليهم بما يصل الى قلوبهم بالوسوسة في شي من الاباطيل انه قريب الحصول وانه لا
درك في تحصيله وانه ان لم يحصل كان في فواته ضرر فيسعون في تحصيله فيضيع عليهم في ذلك الزمان ويرتكبون ما لا
يحل من الاهوال والهوان ويمنيهم اي يزين لهم تعليق الامال بما لا يتاتى حصوله ثم بين ذلك بقوله وما اي والحال انه
ما يعدهم واظهر في موضع الاضمار تنبيها على مزيد النفرة فقال الشيطان اي المحترق البعيد عن الخير الا غرورا اي تزيينا
بالباطل خداعا ومكرا وتلبيسا اظهارا لما لا حقيقة له او له حقيقة سيئة في ابهى الحقايق واشرفها والزها الى النفس
واشهاها الى الطبع فان مادة غرور تدور على الشرف والحسن ورفاغة العيش فالغرور ازالة ذلك ولما اثبت لهم
ذلك انتج بلا شك قوله اوليك اي البعداء من كل خير ماويهم جهنم اي تتجهمهم وتتقد عليهم بما اتخذوا من خلق منها وليا
ولا يجدون عنها محيصا اي موضعا ما يميلون اليه شيا من الميل ولما ذكر ما للكافرين ترهيبا اتبعه ما لغيرهم ترغيبا
فقال والذين امنوا اي اقروا بالايمان وعملوا اي تصديقا لاقرارهم الصالحات سندخلهم اي بوعد لا خلف فيه جنات
تجري وقرب وبعض بقوله من تحتها الانهار اي لري ارضها فحيث ما اجري نهر منها جري ولما كان الارعاج عن
مطلق الوطن ولو لحاجة تعرض شديدا فكيف بهذا قال خالدين فيها ولما كان الخلود يطلق على مجرد المكث الطويل
دل على انه لا الى اخر بقوله ابدا ثم اكد ذلك بان الواقع يطابقه وهو يطابق الواقع فقال وعد الله حقا اي يطابقه
الواقع لان الملك الاعظم وقد برز وعده بذلك ومن احق من الله وعدا واخبر به خبرا صدقا يطابق الواقع ومن اصدق
من الله المختص بصفات الكمال قيلا واكثر من التاكيد هنا لانه في مقابلة وعد الشيطان ووعد الشيطان موافق الهوى
الذي طبعت عليه النفوس فلا تنصرف عنه الا بعسر شديد ولما اخبر تعالى عما اعد لهم ولمن اضلهم من العقاب وعما اعد
للمومنين من الثواب وكانوا يمنون انفسهم الاماني الفارغة من انه لا تبعة عليهم في التلاعب بالدين لا في الدنيا ولا في الاخرة
ويشجعهم على ذلك اهل الكتاب ويدعون انهم ابناء الله واحباؤه لا يواخذهم بشي ولا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
او من شفعوا فيه ونحو هذه التكاذيب مما يطمعون به من والاهم بانهم ينجونه وكان المشركون يقولون نحن اكثر اموالا
واولادا وما نحن بمعذبين ونحو ذلك كما قال العاصي بن وايل لخباب بن الارت وقد تقاضاه دينا كان له عليه دعني الى
تلك الدار فاقضيك مما لي فيها فوالله لا تكون انت وصاحبك فيها اثر عند الله مني ولا اعظم حظا فانزل الله في ذلك
افرايت الذي كفر باياتنا الايات من اخر مريم ويقول لهم اهل الكتاب انتم اهدى سبيلا لما كان ذلك قال تعالى رادا على
الفريقين ليس اي ما وعده الله واوعده بامانيكم اي ايها العرب ولا اماني اهل الكتاب اي التي يمنيكم جميعا بها الشيطان
ولما كانت امانيهم انهم لا يجازون باعمالهم الخبيثة انتج ذلك لا محالة قوله من يعمل سوءا يجز به اي بالمصايب من
الامراض وغيرها عاجلا ان اريد به الخير واجلا ان اريد به الشر وما احسن ايلاها لتمنية الشيطان المذكورة في قوله
يعدهم ويمنيهم ليكون الكلام وافيا بكشف عوار شياطين الجن ثم الانس في غرورهم لمن خف معهم مونسا لمن قبل منهم
وما ابدع ختامها بقوله ولا يجد له ولما كان كل احد قاصرا عن مولاه عبر بقوله من دون الله اي الذي حاز جميع
العظمة وليا اي قريبا يفعل معه ما يفعل القريب ولا نصيرا اي ينصره في وقت ما وما اشد التيامها بختام اول
الايات المحذرة منهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة الى قوله وكفى بالله وليا وكفى بالله
نصيرا اشارة الى ان مقصود المنافقين من مشايعة اهل الكتاب ومتابعتهم انما هو الولاية والنصرة وانهم قد ضيعوا
امنيتهم فاستنصروا بمن لا نصرة له وتركوا من ليست النصرة الا له ولما ابدى جزاء المسي تحذيرا اولاه اجر المحسنين
تبشيرا فقال ومن يعمل وخفف تعالى عن عباده بقوله من الصالحات ولما عم بذكر من صرح بما اقتضته في قوله
من ذكر او انثى وقيد ذلك بقوله وهو اي والحال مومن ليكون بناؤه الاعمال على اساس الايمان فاوليك اي العالوا
الرتبة وبني فعل الدخول للمفعول في قراءة ابن كثير وابي عمرو وابي جعفر وابي بكر عن عاصم وروح عن يعقوب
وللفاعل في قراءة غيرهم لان المقصود نفس الفعل لا كونه من فاعل معين وان كانت قراءة الاولين اكثر فايدة يدخلون
اي يدخلهم الله الجنة اي الموصوفة ولا يظلمون وبني الفعل للمجهول لان المقصود الخلاص منه لا بقيد فاعل معين
نقيرا اي لا يظلم الله المطيع منهم بنقص شي ما ولا العاصي بزيادة شي ما والنقير ما في ظهر النواة من تلك الوقية
الصغيرة جدا كني بها عن العدم وهذا على ما يتعارفه الناس والا فالله تعالى له ان يفعل ما يشاء فان ملكه تام وملكه
عام لا يتصور منه ظلم كيف ما فعل ولما كف سبحانه زورهم وبين فجورهم انكر ان يكون احد احسن دينا ممن اتبع
ملة ابرهيم الذي يزعمون انه كان على دينهم زعما فقدم كشف عواره وهتك استاره في ال عمران فقال عاطفا على
ما تقديره فمن احسن دائنا ومجازيا وحاكما منه سبحانه ومن احسن دينا او يكون التقدير لانهم احسنوا في دينهم
ومن احسن دينا منهم لكنه اظهر الوصف تعميما وتعليقا للحكم به وتعليما لما يفعل المومن وحثا عليه فقال ممن اسلم اي

اعطى

اعطى ولما كان المراد الاخلاص الذي هو اشرف الاشياء عبر عنه بالوجه الذي هو اشرف الاعضاء فقال وجهه
اي قياده اي الجهة التي تتوجه اليها بوجهه اي قصده كله الملائم لاسلام نفسه كلها لله فلا حركة له ولا سكنه الا
في ما يرضاه لكونه الواحد الذي لا مثل له فهو حصر بغير صيغة الحصر فافاد فساد طريق من لفت وجهه نحو سواه باستعانه
او غيرها ولا سيما المعتزلة الذين يرون الطاعة من انفسهم ويرون انها توجب لثوابهم والمعصية كذلك وانها موجبة
لعقابهم فهم في الحقيقة لا يرجون الا انفسهم ولا يخافون غيرها واهل السنة فوضوا التدبير والتكوين والخلق الى الحق
فهم المسلمون ولما عبر تعالى عن كمال الاعتقاد بالماضي مرطوفيه الدوام والاعمال الظاهرة بقوله وهو اي والحال
انه محسن اي مؤمن مراقب لا غفلة عنده اصلا بل الاحسان صفة له راسخة لانه يعبد الله كانه يراه فقد اشتملت هذه
الكلمات العشر على الدين كله اصلا وفرعا مع الترغيب بالمدح الكامل لمتبعه وافهام الذم الكامل لغيره ولما كان هذا
ينتظم من كان على دين اي نبي كان قبل نسخه قيده بقوله واتبع اي بجهده ملة ابرهيم الذي اشتهر عند جميع الطوائف
انه ما دعى الا الى الله وحده وتبرأ مما سواه من فلك وكوكب وصنم وطبيعة وغيرها حاذ كون ذلك المتبع حنيفا اي لينا
سهلا ميالا مع الدليل والملة ما دعت اليه الفطرة الاولى بمساعدة العقل السليم من كمال الاسلام بالتوحيد ولما كان
التقدير ترغيبا في هذا الاتباع فقد جعل الله ملة ابرهيم احسن الملل وخلقه يوم خلقه حنيفا عطف عليه قوله واتخذ
الله اي اخذ الملك الاعظم اخذ من هو معتن بذلك مجتهدا فيه ابرهيم خليلا لكونه كان حنيفا وذلك عبارة عن اختصاصه
بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله من ترديد الرسل بالوحي بينه وبينه واجابة الدعوة واظهار الخوارق
عليه وعلى آله والنصر على الاعداء وغير ذلك من الالطاف واظهر اسمه في موضع الاضمار تصريحا بالمقصود احتراسا من الابهام
واعلاما لقدره تنويها بذكره ولما احبر من بحبه ومن ببغضه وما يرضيه وما يغضبه وكان ربما توهم عدم القدرة على
اخذه لغير ما اخذ وحبله لغير ما جعل او تعنت بذلك متعنت فظن ان في الكلام دخلا بنوع احتياج الى المحاله او غيرها
قال ولله اي والحال ان المختص بالوحدانية فلا كفوء له ما في السموات ولما كان السياق للمشاقين والمشركين كرر فقال
وما في الارض من اعرض عليه السلام وغيره اشارة الى انه انتام الملك العظيم الملك فلا يعطي الا من تاجر اوليائه وجانب
اعدائه ولا يختار الا من علمه خيارا وهو مع ذلك قادر على ما يريد من اقرار وتبديل ولذلك قال وكان الله اي الملك الذي
له الكمال كله بكل شي اي منهما ومن غيرهما محيطا علما وقدرة فمهما اراد كان في وعده ووعيده للمطيع والعاصي لا يخفى
عليه احد منهم ولا يعجزه شي ولما كان سبحانه قد رتب هذا الكتاب على انه يذكر احكاما من الاصول او الفروع ثم
يفصلها بوعد ووعيد وترغيب وترهيب وينظمها بدلايل كبرياته وجلاله وعظم بره وكماله ثم يعود الى بيان
الاحكام على ابدع نظام لان القلب المراد في ذلك القالب اقرب الى القبول والنظم كذلك اجدر بالتاثير في القلوب
لان التكليف بالاعمال الشاقة لا ينقاد له النفوس الا اذا كان مقرونا ببشارة ونذارة وذلك لا يوثر الا عند القطع
بغاية الكمال لمن صدر عنه ذلك المقال ولا تنتقل مع ذلك من اسلوب الى آخر الا على غاية ما يكون من المناسبة بين آخر
كل نوع واول ما بعده بكمال التعلق لفظا ومعنى وفعل سبحانه في هذه السورة في احكام العدل الذي بداء السورة به
في المواصلة التي مبناها النكاح والارث الكاين عنه وغير ذلك مما اتصل به كما بين الى ان ختم هنا بالاسلام المستلزم لقبول
ذلك كله وعظمة الملك الموجبة لتمام الاسلام قامت ابراهين وسطعت حجج وكان من اعظم مقاصد السورة العدل في
الضعفاء من الايتام وغيرهم في الميراث وغيره وكان توريث النساء والاطفال ذكورا كانوا او اناثا مما ابته نفوسهم
واشربت بغضه قلوبهم وكان التفريق في اثبات ما هذا سبيله انجع والقاوه شيا فشيا في قوالب البلاغة انفع
وصل بذلك قوله تعالى ويستفتونك في جملة حالية من اسم الجلالة في الذي قبلها اي له ما ذكر فلا ساغ للاعتراض
عليه والحال انهم يسئلونك طلبا ان تفتيهم عليهم بالجواب في بعض ما اعطى من ملكه من الارث لبعض مخلوقاته في النساء
طمعا في الاستيثار عليهن بالمال وغيره محجبين بانه لا ينبغي ان يكون المال الا لمن يحمي الذمار والحال انهم قد عبدوا من
دونه اناثا وجعلوا لها ما حولهم فيه من الرزق الذي ملكهم له ضعيف من الحرث والانعام نصيبا فلا اعجب من حال
من كرر الاستفتاء الذي لا يكون في العرف غالبا الا فيما فيه اعتراض في اناث احيا واطفال ذكورا عطاهم المالك
التام الملك العظيم الملك بعض ما يريد ولم يعترض على نفسه حيث اعطى اناثا الاحياء لها والامنعة مما في يده وكله
في الحقيقة لعبيده ولم ياذن فيه المالك ملا ينتفع به المعطي ولما كان المقام بكثرة الاستفتاء محتاجا الى زيادة
الاعتناء قال قل الله اسما معبرا بالاسم الاعظم مبتدا على استحضار ما ذكر اول السورة يفتيكم اي يبين لكم حكمه
فيهن اي الآن لان تقوموا لهن بالقسط وما اي مع ما يتلى عليكم اي يجدد عليكم تلاوته الى آخر الدهر سيفا قاطعا
وحكما ماضيا جامعا في الكتاب اي فيما سبق اول السورة في قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما
طاب لكم من النساء وغير ذلك في يتامى النساء اي في شان ايتامي من هذا الضعف اللاتي لا تؤتونهن اي بسبب الوقوف
في ذلك وتكرير الاستفتاء عنه ما كتب لهن اي ما فرض من الميراث وسائر الحقوق فرضا هو في غاية اللزوم وترغبون
ان اي في ان او عن ان تنكحوهن لجمالهن اولدمامتهن ويفتيكم في المستضعفين اي الموجود ضعفهم والمطلوب اضعافهم
بمنعهم حقوقهم من الولدان ولما كان التقدير في ان تقوموا لهم بالقسط اي من ميراثهم وسائر حقوقهم ولا يحقروهم لضعفهم

عطف عليه قوله وان تقوموا اي تفعلوا فيه من القوة والمبادرة فعل القايم النشيط لليتامى من الذكور والاناث
بالقسط اي بالعدل من الميراث وغيره ولما كان التقدير فما تفعلوا في ذلك من شر فان الله كان به عليما وعليكم قديرا
عطف عليه قوله ترغيبا وما تفعلوا من خير اي في ذلك او غيره فان الله اي الذي له الكمال كله كان به عليما اي فهو جدير
وهو اكرم الاكرمين واحكم الحاكمين ان يعطي فاعله على حسب كرمه وعلو قدره فطيبوا نفسا وقروا عينا روى البخاري في
الشركة والنكاح ومسلم في آخر الكتاب وابو داود والنسائي في النكاح عن عروة انه سال عايشة رضي الله عنها عن
قول الله عز وجل فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الى رباع قالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله
فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها ان يتزوجها بغير ان يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا ان ينكحوهن الا
ان يقسطوا لهن ويبلغوا بهن اعلى سنتهن من الصداق وامروا ان ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن قالت عايشة رضي الله
عنها ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويستفتونك الى وترغبون ان تنكحوهن والذي
ذكر انه يتلى الآية الاولى التي قال فيها فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى قالت عايشة رضي الله عنها وقول الله تعالى في الآية
الاخرى وترغبون ان تنكحوهن من رغبة احدهم بيتيمته وقال مسلم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال
والجمال فنهوا ان ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء الا بالقسط من اجل رغبتهم عنهن زاد مسلم اذا كن قليلات
المال والجمال وقال البخاري في النكاح فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا
لها ويعطوها حقها الاوفى في الصداق وفي البخاري ومسلم في التفسير عن عروة ايضا عنها يستفتونك في النساء الآية
قالت هو الرجل يكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها فاشركته وقال مسلم لعلها ان تكون قد شركته في ماله حتى في العذق
فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فنزلت هذه الآية وفي رواية لمسلم نزلت
في الرجل يكون له اليتيمة وهو وليها ووارثها ولها مال وليس لها احد يخاصم دونها فلا ينكحها لمالها فيضر بها ويسيء
صحبتها فقال ان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب يقول ما احللت لكم ودع هذه التي تضر بها وفي رواية
له وللبخاري في النكاح فيرغب عنها ان يتزوجها ويكره ان يزوجها غيره فيشركه في ماله وقال البخاري فيدخل عليه في
ماله فيعضلها ولا يتزوجها ولا يزوجها زاد البخاري فنهاهم الله عن ذلك وحاصل ذلك ما نقله الاصبهاني رحمه الله انه
كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه فاذا فعل بها ذلك لم يقدر احد ان يتزوجها ابدا فان كانت
جميلة وهو بها تزوجها واكل مالها وان كانت دميمة منعها الرجال حتى تموت فاذا ماتت ورثها وما انسب ذكر هذا
الحكم الذي كثرت فيه المراجعة على وجه يؤذن بعدم اذعان بعض النفوس له عقب اية الاسلام الذي معناه الانقياد
والخضوع والاحسان الذي صار في العرف اكثر استعماله للاعطاء والتالف والعطف لا سيما للضعيف وذكر ابرهيم
عليه السلام الذي تقدم انه اتم ما ابتلاه الله به من الكلمات ووفى بها من غير مراجعة ولا تلعثم وانه كان حنيفا ميالا
مع الدليل تعنيفا لمن قام عليه دليل العقل واتاه صريح النقل وهو يراجع واذا تاملت قوله تعالى من يعمل سوءا يجز
به مع قوله فيما قبل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم لاحت لك ايضا مناسبة بديعة ولما
صاروا يعطون اليتامى اموالهم وصاروا يتزوجون ذوات الاموال منهن ويضاجرون بعضهن عقب ذلك تعالى بالافتاء
في احوال المشاقة بين الازواج فقال وان امراة اي واحدة او على ضراير ولما كان ظن المكروه مخوفا قال
خافت اي توقعت وظنت بما يظهر لها من القراين من بعلها نشوزا اي ترفعا بما ترى من استهانته لها بمنع حقوقها او اساءة
صحبتها او اعراضا عنها بقلبه بان لا ترى من محادثته وموانسته ومجامعته ما كانت ترى قبل ذلك تخشى ان يجر الى
الفراق وان كان متكلفا لملاطفتها بقوله وفعله فلا جناح اي حرج وميل عليهما ان يصالحا اي يوقع الزوجان بينهما
تصالحا ومصالحة هذا على قراءة الجماعة وعلى قراءة الكوفيين بضم الياء واسكان الصاد وكسر اللام التقدير اصلاحا لكنه
لما كان به يحصل باقل ما يقع عليه اسم الصلح بني المصدر على غير هذين الفعلين فقال مجردا له صلحا بان تلين هي بترك بعض
المهر او بعض القسم او نحو ذلك وان يلين لها هو باحسان العشرة في مقابلة ذلك ولما كان التقدير ولا جناح عليهما ان
يتفارقا على وجه العدل عطف عليه قوله والصلح اي يترك كل منهما حقه او بعض حقه خير اي من الخيور او من
المفارقة التي اشارت اليها الجملة المطوية لان الصلح مبناه الاحسان الكامل بالرضى من الجانبين والمفارقة مبناها
العدل الذي يلزمه في الاغلب غيظ احدهما وان كانت مشاركة للصلح في الخير لكنها مفصولة وتخصيص المفارقة
بالطي لان مبنى السورة على المواصلة وروى البخاري عن عايشة رضي الله عنها وان امراة خافت قالت الرجل تكون
عنده المراة ليس بمستكثر منها يريد ان يفارقها فتقول اجعلك في شاني في حل فنزلت هذه الآية في ذلك ولما
كان منشا التشاجر المانع من الصلح شكاسة في الطباع صور سبحانه ذلك تنفيرا عنه فقال اعتراضا بين هذه الجمل
للحث على الجود بانيا الفعل للمجهول اشارة الى ان هذا المحضر لا يرضى احد نسبته اليه واحضرت الانفس اي الناظرة
الى نفاستها عجبا الشح اي الحرص وسوء الخلق وقلة الخير والنكد والبخل بالموجود وكله يرجع الى سوء الخلق والطبع
الردي واعوجاج الفطرة الاولى الذي كنى عنه بالاحضار الملازم الذي لا انفكاك له الا بجهاد كبير ينال به الاجر
الكثير ولما كان هذا خلقا رديا لم يذكر فاعله والمعنى احضرها اياه محضر فصار ملازما لها لا تنفك عنه الا بتوفيق

من الله

من الله في مهرها عليه متذكرا ما عنده سبحانه من حسن الجزاء ولما كان التقدير فان شحتم فانه اعلم بما في النفوس من موجبات اللوم عطف عليه قوله وان تحسنوا اي توقعوا الاحسان بالاقامة على نكاحكم وما ندبتم اليه من حسن العشرة وان كنتم كارهين وتتقوا اي توقعوا التقوي بمجانبة كل ما يؤذي ذوي المروءات الى ان الشحيح لا محسن ولا متق فان الله اي وهو الجامع لصفات الكمال كان ازلا وابدا بما تعملون اي في كل وقت واحسان خبيرا اي بالغ العلم به وانتم تعلمون انه اكرم الاكرمين فهو مجازيكم عليه احسن جزاء ولما ذكر سبحانه ان الوقوف على الحق فضلا عن الاحسان وان كانت المراة واحدة متعسرا بعد ان ذلك عند الجمع اعسر فقال تعالى معبرا باداة التاكيد ولن تستطيعوا ان توجدوا من انفسكم طواعية بالغة دائمة ان تعدلوا اي من غير حيف اصلا بين النساء اي في جميع ما يجب لكل واحدة منهن عليكم من الحقوق ولو حرصتم اي على فعل ذلك وهذا مع قوله تعالى وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة كالمحتم للاختصار على واحدة ولما اخبر تعالى بانه لا يخلو نكاح العدد عن ميل سبب عنه قوله فلا اي فان كان لا بد لكم من العدل او فان وقع الميل من الزوجة واحدة فلا تميلوا ولما كان مطلق الميل غير معتد ورا على ميله فلم يكلف به بين المراد بقوله كل الميل ثم سبب عنه قوله فتذروها اي المراة كالمعلقة اي بين النكاح والعزوبة والزواج والانفراد ولما كان الميل الكثير معتد ورا على تركه فكان التقدير فان ملتم كل الميل مع ابقاء العصمة فان الله كان منتقما حسيبا عطف عليه قوله وان تصلحوا وتتقوا بان توجدوا الاصلاح بالعدل في القسم والتقوي في ترك الجور على تجدد الاوقات فان الله الذي له الكمال كله كان غفورا رحيما اي محاء للذنوب بليغ الاكرام فهو جدير بان يغفر لكم مطلق الميل ويسبغ عليكم ملابس الانعام ولما كان من الاصلاح المعاشرة بالمعروف ذكر قسيميه فقال وان يتفرقا اي يفترق كل من الزوجين من صاحبه يغن الله اي الذي له صفات الكمال كلا اي منهما بجعله غنيا هذه برجل وهذا بامراة او بغير ذلك من لطفه وبين منشا هذا الغنى فقال من سعته اي من شمول قدرته وغير ذلك من كل صفة كمال ولمزيد الاعتناء بتقدير هذه المعاني في النفوس لاحضارها الشح كرر اسمه الاعظم الجامع فقال وكان الله اي ذو الجلال والاكرام ازلا وابدا واسعا اي محيطا بكل شئ حكيما اي يضع الاشياء في اتقن محالها ولما كان مبنى هذه السورة على التعاطف والتراحم والتواصل لم يذكر فيها الطلاق الا على وجه ما في هذه الآية على وجه البيان لرافته وسعة رحمته وعموم تربيته وفي ذلك معنى الوصلة والعطف قال ابن الزبير ولكثرة ما يعرض من دعي حظوظ النفوس عند الزوجية ومع القرابة ويدق ذلك ويغمض لذلك ما تكرر كثيرا في هذه السورة الامر بالارتقاء وبه افتتحت اتقوا ربكم اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الآية ولما ذكر تعالى اية التفرق وختمها بصفتي السعة والحكمة دل على الاولى ترغيبا في سواله بقوله ولله اي الذي له العظمة كلها ما في السموات ولما كان في السياق بيان ضعف النفوس وجبلها على النقايص فكانت محتاجة الى تقوية الكلام المحرج لها عما الفت من الباطل قال وما في الارض وعلى الثانية بالوصية بالتقوى انه تعالى كرر الحث على التقوي في هذه الجمل في سياق الشرط بقوله وان تحسنوا وتتقوا وان تصلحوا وتتقوا فاخبر تعالى بعد اللطف بذلك السياق ان وصيته لهم لم تزل قديما وحديثا لان العلم بالمشاركة في الامر يكون داعي القبول واهون على النفس فقال تعالى ولقد وصينا اي على ما لنا من العظمة ولما كان الاشتراك في الاحكام موجبا للرغبة فيها والتخفيف لثقلها وكانت الوصية للعالم اجدر بالقبول قال الذين اوتوا الكتاب اي التوراة والانجيل وغيرهما وبني الفعل للمجهول لان القصد بيان كونهم اهل علم ليرغب فيما اوصوا به ودلالة على ان العلم في نفسه مهيئ للقبول ولافادة ان وصيتهم اعم من ان تكون في الكتاب او على لسان الرسول من غير كتاب ولما كان ايتاؤهم الكتاب غير مستغرق للماضي وكذا الايصاء قال من قبلكم اي من بني اسرائيل وغيرهم واياكم اي ووصينا كم مثل ما وصينا هم ولما كانت الوصية بمعنى القول فسرها بقوله ان اتقوا الله اي الذي لا يطاق انتقامه لانه كقوله ولما كان التقدير فان تتقوا فهو حظكم وسعادتكم في الدارين عطف عليه قوله وان تكفروا اي بترك التقوي فان لله اي الذي له الكمال المطلق ما في السموات ولما كان السياق لغرض الكفر حسن التاكيد في قوله وما في الارض منكم ومن غيركم من حيوان وجماد احيادا او اراولحا واحوالا ولما كان المعنى لا يخرج شئ عن ملكه ولا ارادته ولا يلحقه ضر بكفركم ولم تضروا ان فعلتم الا انفسكم لانه غني عنكم لا يزاد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي والسيئات اكده بقوله الا علي غناه واستحقاقه للحامد وكان الله اي الذي له الاحاطة كلها غنيا اي عن كل شئ المغني المطلق لذاته حميدا اي محمودا بكل لسان قال وحال كفرتم او شكرتم فكان ذلك غاية في بيان حكمته ولما كان الملك قد لا يمنع الاعتراض على المالك بين ان ذلك انما هو في الملك الناقص وان ملكه تام فقال ولله اي الذي له العلم الكامل والقدرة الشاملة ما في السموات اكد لمثل ما مضى فقال وما في الارض اي هو قايم بمصالح ذلك كله مستقل بجميع امره لا معترض عليه بل هما وكل ما بينهما ومن بينهما مظهر العجز عن امره ملوك مقاليد نفسه واحواله اليه طوعا او كرها فهو وكيل على كل ذلك فاعل به ما يفعل الوكيل من الاخذ والقبض والبسط ولمثل ذلك كرر الاسم الاعظم فقال وكفى بالله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه وكيلا اي قايما بالمصالح قاهرا انفردا بجميع الامور قادرا على جميع المقدور وقد بان كما تري ان جملة ما المكررة ثلاث مرات ذكرت كل مرة دليلا على شئ غير الذي قبله وكررت لان الدليل لواحد اذا كان دالا على مدلولات كثيرة يحسن ان يستدل به على كل واحد منها واعادته مع كل

واحد اولى من الاكتفاء بذكره مرة واحدة لان عند اعادته يحضر في الذهن ما يوجب العلم بالمدلول فيكون العلم الحاصل
بذلك المدلول اقوى واجل وفي ختم كل جملة بصفة من الصفات الحسنى تنبيه الذهن بها الى ان هذا الدليل دال على اسرار
شريفة ومطالب جليلة لا تنحصر فيجتهد السامع في التفكر لاظهار الاسرار والاستدلال على صفات الكمال لان الغرض الكلي
من هذا الكتاب صرف العقول والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستغراق في معرفته سبحانه وهذا التكرير مما يفيد
حصول هذا المطلوب وتوكده فكان في غاية الحسن والكمال ولما تقرر بهذا شمول علم من هذا شانه وتمام قدرته انتج قوله
مهددا متوعدا مخوفا مرهبا ان يشا يذهبكم وصرح بالعموم اشارة الى عموم الارسال بقوله ايها الناس اي المتفرعون
من تلك النفس الواحدة كافة لغناه عنكم وقدرته على ما يريد منكم ويات باخرين اي من غيركم يوالونه وكان الله اي الواحد
الذي لا شريك له ازلا وابدا على ذلك اي الامر العظيم من الايجاد والاعلام قديرا اي بالغ القدرة وهذا غاية البيان لغناه
وكونه حميدا وقاهرا شديدا واذا تاملت ختام قوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام في اخر هذه السورة سبحانه ان
يكون له ولد زاد ذلك هذا السر وهو كونه لا اعتراض عليه وضوحا ولما كان في هذا تهديد بليغ وتعريف بسعة الملك
وكمال التصرف وكان مدار احوال المتشاجرين في الارث وحقوق الازواج وغيرها الامر الدنيوي وكان سبحانه قد بين فيما
مضى ان مبنى احوال المنافقين على طلب العرض الفاني خصوصا قصة طعمة بن ابيرق الراضي لنفسه بالفضيحة في نيل شي
تافه قال تعالى تغليلا لارائهم وتخسيسا لهممهم حيث نزلوا الى الادنى مع القدرة على طلب الاعلى مع طلب الادنى ايضا
منه تعالى فلا يفوتهم شي من معولهم مع احراز النفس من كان يريد ثواب الدنيا لقصور نظره على المحسوس الحاضر مع خسته
كالبهايم فعند اي فليقبل الى الله فانه عند الله اي الذي له الكمال المطلق ثواب الدنيا الخسيسة الفانية والاخرة اي
النفيسة الباقية فلتطلبهما منه فانه يعطي من اراد ما شاء ومن علت همته عن ذلك فاقبل بقلبه اليه وقصر همه عليه فلم
يطلب الا الباقي جمع سبحانه له بينهما كمن يجاهد لله خالصا فانه يجمع له بين الاجر والمغنم وما اشد التيامهما مع ذلك بما قبلها
لان من كان تام القدرة واسع الملك كان كذلك ولما كان الناشي عن الارادة اما قولا او فعلا وكان الفعل قد يكون قلبيا قال
وكان الله اي المختص بجميع صفات الكمال سميعا اي بالغ السمع لكل قول وان خفي نفسيا كان او لسانيا بصيرا اي بالغ البصر
لكل ما يمكن ان يبصر من الافعال والعلم بكل ما يبصر وما لا يبصر منها ومن غيرها فيكون من البصر ومن البصيرة فليراقبه العبد
قولا وفعلا ولما كان ذلك من احسن المواعظ لقوم طعمة الذين اعتصبوا له التفت اليهم مستعطفا بصفة الايمان حاثا
بصيغة الامر على وجه يعم غيرهم قايلا ما هو كالنتيجة لما مضى من الامر بالقسط من اول السورة الى هنا على وجه اكده وحث
عليه يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم كونوا قوامين اي قايمين قياما بليغا مواظبا عليه مجتهدا فيه ولما
كان اعظم مباني هذه السورة العدل قدمه فقال بالقسط بخلاف ما ياتي في المايدة فان النظر فيها الى الوفاء الذي انما
يكون بالنظر الى الموفى له شهداء اي حاضرين متيقظين حضور المحاسب لكل شي اردتم الدخول لله اي لوجه الذي كل شي
بيده لا لشي غيره ولو كان ذلك القسط على انفسكم اي فاني لا ازيدكم بذلك الا عزا ولا تفعلوا ذلك قهرتكم على الشهادة على
انفسكم على روس الاشهاد ففضحتم في يوم يجتمع فيه الاولون والاخرون من جميع العباد ولما ذكر اعز ما عند الانسان اتبعه
ما يليه وبدا منه بمن جمع الى ذلك الهيئة فقال او اي او كان ذلك القسط على الوالدين واتبعه ما يعمهما وغيرهما فقال
والاقربين اي من الاولاد وغيرهم ثم علل ذلك بقوله ان يكن اي المشهود له او عليه غنيا اي ترون الشهادة له بشي
باطل دافعه ضرا منه للغير من المشهود عليه او غيره او مانعة فسادا اكبر منها او عليه بما لم يكن صلاحا طمعا في نفع الفقير
بما لا يضره ونحو ذلك او فقيرا فيخيل اليكم ان الشهادة له بما ليس له تنفعه رحمة له او بما ليس عليه لمن هو اقوى منه
تسكن فتنة فالله اي ذو الجلال والاكرام اولى بهما اي بنوعي الغني والفقير المندرج فيهما هذان المشهود بسببهما منكم فهو
المرجو لجلب النفع ودفع الضر بغير ما ظننتموه فالضمير من الاستخدام ولو عاد للمذكور لوجد الضمير لان المحدث عنه واحد
منهم ولما كان هذا السبب عنه قوله فلا تتبعوا اي تتكلفوا تبع الهوى وتنهمكوا فيه انهماك المجتهد فيه المحب له
ان اي ارادة ان تعدلوا فقد بان لكم انه لا عدل في ذلك ولما كان التقدير فان تتبعوه لذلك او غيره فان الله كان
عليكم قديرا عطف عليه قوله وان تلووا اي السنتكم لتحرفوا الشهادة نوعا من التحريف او تديروا السنتكم اي
تنطقوا بالشهادة باطلا وقرا ابن عامر وحمزة بضم اللام من الولاية اي تودوا الشهادة على وجه من العدل او تلي او تعرضوا
اي عنها وهو حق فلا تؤدوها لامر ما فان الله اي المحيط علما وقدرة كان اي لم يزل ولا يزال بما تعملون خبيرا اي بالغ العلم
باطنا وظاهرا فهو يجازيكم على ذلك بما تستحقونه فاحذروه ان خفتم وارجوه ان وفيتم وذلك بعد ما امضى من تاديبهم
على وجه الاشارة والايماء من غير امر وما انسبها لختام التي قبلها واشد التيام الختامين ختام هذه بصفة الخبر وتلك
بصفتي السمع والبصر ولما امر بالعدل على هذا الوجه امر بالحامل على ذلك وهو الايمان بالشارع والمبلغ والكتاب الناهج
لشرايعه المبين لسرايره التي افتتح القصة بحقيته وبيان فايدته فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ولما
ناداهم بوصف الايمان امرهم بما لا يحصل الا به فقال مفصلا له امنوا بالله اي لانه اهل لذلك لذاته المستحق لجميع
صفات الكمال ولما كان الايمان بالله لا يصح الا بالايمان بالوسايط وكان اقرب الوسايط الى الانسان الرسول قال
ورسوله اي لانه المبلغ عنه سوا كان من الملك او البشر والكتاب الذي ولما كان تنزيل هذا الكتاب القيم مفرقا عبر

بصيغة

بصيغة التفعيل لذلك وتذكيرا بما فيه من المنة فقال نزل اي مفرقا حسب المصالح تدريجا تثبيتا وتفهيما على رسوله
اي لانه المفصل لشريعتكم المتكفل بما تحتاجون اليه من الاحكام والمواعظ وجميع ما تصلحكم وهو القران الواصل اليكم بواسطة
اشرف الخلق والكتاب الذي انزله اي وجد انزاله ومضى ولما لم يكن انزاله مستغرقا للزمان الماضي بين المراد بقوله
من قبل من الانجيل والزبور والتورية وغيرها كان رسولكم يبلغكم ذلك فلا يحصل الايمان الا بتصديقه في كل ما يقوله ولما كان
المومن الذي الخطاب بعد عالما بان التنزيل والانزال لا يكونان الا من الله بنيا للمفعول في قراءة ابن كثير وابي عمرو وابن عامر للعلم
بالفاعل وصرحت قراءة الباقين به ولما كان التقدير فمن آمن بذلك فقد اهتدى ومن قطعا بالملائكة واليوم الاخر وغير
ذلك من كل ما دعا اليه الكتاب والرسول عطف عليه قوله ومن يكفر اي يوجد الكفر وجدده وقتا من الاوقات
بالله اي الذي عنت صدر كل مخلوق فلم يكن شيء اظهر منه وجلت عظمته فحقر امره فلم يكن شيء ابطن منه ولما كان الكافر بالحالق قد
اجترا بالتعظيم على خالقه اشد اجتراء وكان يلي ذلك الاجتراء على اعظم جنده الذي هم وسايط بينه وبين المكلفين ثم
على ما كانوا وسايط به ثم على ما كانوا وسايط اليه رتب هذا الترتيب قوله وملائكته وكتبه اي الذي انزلها على انبيائه
بواسطة ملائكته او بغير واسطة ورسله اي من الملائكة والبشر فكان الايمان بالتنزيل للاحتياج اليه وكان الكفر بالتنزيل
للاجتراء عليه ولما كان الايمان بالبعث وان كان اظهر شيء مما لا تستقل به العقول الصحيحة وان كانت لا تستقل بادراكه قبل تنبيه
الرسل لما عليه وهو روح الوجود وشرفه وقوامه وعماده فيه تكشف الحقايق وتجمع الخلايق ويظهر شمول العلم وتمام
القدرة وبسط ظل العدل وتجتني ثمرات الفضل فقد ضل وابلغ في التاكيد لكثرة المكذبين فقال ضلالا بعيدا اي لا
حيلة في رجوعه معه ولما كان المتمادي بعد نزول هذا المعدي موجد الكفر ومجدداله على اغراقه في البعد بنضبه
سبحانه لتماديه معلما ان الثبات على الكفر عظيم جدا وصوره بافتح صون وفي ذلك الطف استعطاف الى النزوع
عن الخلاف فقال ان الذين امنوا اي بما كانوا معينين له من الايمان بالنظرة الاولى ثم كفروا اي اوقعوا الكفر فعجلوا
ما اقامه الله من فطرهم ثم امنوا اي حقيقة او بالقوة بعد مجيء الرسول بما هيأ لهم له باظهار الادلة واقامة الحجج ثم
كفروا اي بذلك الرسول او برسول آخر بتجديد الكفر او التمادي فيه ثم ازدادوا كفرا اي باصرارهم على الكفر الى الموت
لم يكن الله اي الذي له صفات الكمال ليغفر لهم اي ما داموا على هذا الحال لانه لا يغفر ان يشرك به ولا ليهديهم سبيلا
اي من السبل الموصلة اي المقصود ولما كانت جميع صور الاية منطبقة على النفاق بعضها حقيقة وبعضها مجازا
قال جوابا لمن كانه سال عن حال امرهم متهكما بهم بشر المنافقين فاظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف بان
لهم عذابا اليما ثم وصفهم بما يدل على انهم المباشرون بالكفر بقوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اي المجاهدين بالكفر
اولياء اي يتفردون بهم تنفيرا من مقاربة صفتهم ليتميز المخلص من المنافق وبيانا لان مرادهم بولايتهم انما هو التعزز
بهم فان محط امرهم على العرض الدنيوي وبنته على دناءة امرهم وعلى ان الطريق في الايمان اعلى الناس بقوله من دون
المومنين اي المعريقين في الايمان ثم انكر عليهم هذا المراد بقوله ايبتغون اي المنافقون يتطلبون تطلبا عظيما
عندهم اي الكافرين العزة فكانه قال طلبهم العزة بهم سفه من الراي وبعد من الصواب لانه لا شيء من العز عندهم
ولما انكر عليهم هذا الابتغاء علله بقوله فان العزة لله اي الذي لا كفوله جميعا اي وبهم اعدا الله فانما يترتب
لهم ضرب الذلة والمسكنة وما احسن التفات هذه الاية الى اول الايات المحذرة من اهل الكتاب الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب المختمة بقوله وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا وقد اي تحذونهم والحال انه قد نزل عليكم
اي ايها الامة الصادقين منكم والمنافقين في الكتاب اي في سورة الانعام النازلة بمكة المشرفة النهي عن مجالستهم
فضلا عن موالاتهم افلا تخافون عزة من نصائحكم عن ذلك ان يضربكم بذل لا تخلصون منه ابدا لانهم لا ينكفون عن الكفر بايات
الله فانه لا يباح ولا يتهم في حال من الاحوال الا عند الاعراض عن الكفر وذلك هو المراد بقوله ان اي انه اذا ٥
سمعتم ايات الله اي ذي الجلال والاكرام ولما كان السماع مجلابين المراد بقوله يكفر بها اي يستر ما اظهرت
من الادلة من اي كافر كان من اليهود وغيرهم ويستهزا بها اي يطلب طلبا شديدا ان يكون مما يهزا به فلا تقعدوا
معهم اي الذين يفعلون ذلك بها حتى يخوضوا وعبر عن الشروع بالخوض ايما الى ان كلامهم لا يخلو عن شيء في غير موضعه
زجرا الى عدم مجالستهم على كل حال في حديث غيره فهذا الني عن مجرد مجالستهم فكيف بموالاتهم ولما كانت اية الانعام مكية
اقتصر فيها على مجرد الاعراض وقطع المجالسة لعدم التمكن من الانكار بغير القلب واما هذه الاية فمدنية فالتغيير عند
القدرة انما هو باللسان واليد ممكن كل مسلم فالمجالس من غير نكير راض فلهذا علل بقوله انكم اذن اي اذا قعدتم معهم وهم
يفعلون ذلك مثلهم اي في الكفر لان مجالسة المظهر للايمان للمصرح بالكفر دالة على ان اظهاره لما اظهر نفاق وانه راض
بما يصرح به هذا الكافر والرضى بالكفر كفر فاشتد حسن ختم الاية بجمع الفريقين في جهنم بقوله مستانفا لجواب
السوال عما تكون به المماثلة ان الله اي الذي احاط علمه فحكمت قدرته جامع ولما كان حاله الاخفى اهم قدم قوله
المنافقين اي الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر فيتعدون مع من يسمعونه يكفر والكافرين اي الذين يجاهرون
بكفرهم لرسوخهم فيه في جهنم التي هي سجن الملك جميعا كما جمعهم معهم مجلس الكفر الذي هو طعن في ملك الملك والتسوية

بينهم في الكفر بالتعود معهم دالة على التسوية بين العاصي ومجالسه بالخلطة من غير انكار ثم وصفهم سبحانه بما يعرف بهم
فقال الذين يتربصون بكم اي يثبتون على حالهم انتظارا لوقوع ما يغيظكم فان كان لكم فتح اي ظهور وعز وظفر وقال من الله
تذكيرا للمومنين بما بديم اعتمادهم عليه وافتقارهم اليه قالوا اي الذين امنوا انفاقا لكم ايها المومنون الم نكن معكم اي ظاهرا
بابداننا بما تسمعون من اقوالنا فاشركونا في فتحكم وان كان للكافرين اي المجاهدين وقال نصيب تحقيرا لظفرهم وانه لا
يضر بما حصل للمومنين من الفتح قالوا للكافرين ليشركوهم في نصيبهم الم نستحوذ عليكم اي نطلب حياطتكم والمحافظة على مودتكم
حتى غلبنا على جميع اسراركم واستولينا عليها وخالطناكم مخالطة الدم للبدن من قولهم حاذه اي حاطه وحافظ عليه
ونمنعكم من المومنين اي من تسلطهم عليكم بما كنا نخادعهم به ونشبع فيهم من الارجافات والامور المرغبات الصارفة لهم
عن كثير من المقاصد لتصديقهم لنا لاظهارنا الايمان ورضانا من مداهنة من نكره بما لا يرضاه انسان ولما كان هذا لاهل
الله امرا غايظا مقلقا موجعا سبب عنه قوله فالله اي بما له من جميع العظمة يحكم بينكم اي ايها المومنون والكافرون
المساترون والمجاهرون ولما كان الحكم له في الدارين بين انه في الدار التي لا يظهر فيها لاحد غيره امرا ظاهرا ولا باطنا
وتظهر فيها جميع المخبات فقال يوم القيمة ولما كان هذا ربما ايأسهم من النصر في الدنيا قال ولن يجعل الله عبر باداة
التاكيد وبالاسم الاعظم لاستبعاد الغلبة على الكفرة لما لهم في ذلك الزمان من القوة والكثرة للكافرين اي سوا كانوا
مساترين او مجاهرين على المومنين اي كلهم سبيلا اي بوجه في الدنيا ولا آخرة وهذا تسفيه لارائهم واستخفاف
بعقولهم فكانه يقول يا ايها المتربصون باحباب الله الدواير المتمنون لاعدائه النصر وقد قامت الادلة على ان العزة لله جميعا
لله ما اضلكم في ظنكم انه يخدع اولياءه وينصر اعداءه وما اغلظ اكبادكم ثم بين ان صورتهم في ضربهم الشقة بالوجهين صورة
المخادع وما اضلهم حيث خادعوا من لا يجوز عليه الخداع لعلمه بالخفايا فقال معللا لمنعهم السبيل ان المنافقين باظهارهم
لكل من غلب انهم منه يخادعون الله اي يفعلون باظهار ما يسر وابطان ما يضر فعل المخادع مع من له الاحاطة الكاملة بكل شي
لانه سبحانه يستدرجهم من حيث لا يشعرون وهم يخدعون المومنين باظهار الايمان وابطال الكفر وهو الذي امر
المومنين بما امرهم فكانهم يفعلون ذلك معه وهو خادعهم باستدراجهم من حيث لا يعلمون لانه قادر على اخذهم من مامنهم
وهم ليسوا قادرين على خدعه بوجه واذا اي يخادعونه والحال انهم قد فضحوا انفسهم بما اظهر مكرهم للمستبصرين
فهو انهم اذا قاموا الى الصلوة اي المكتوبة قاموا كسالى متقاعسين متثاقلين عادة لا ينفكون عنها بحيث يعرف ذلك منهم
كل من تاملهم لانهم يرون انها تعب من غير ارب فالداعي الى تركها وهو الراحة اقوى من الداعي الى فعلها وهو خوف الناس
ثم استانف في جواب من كانه قال ما لهم يفعلون ذلك فقال يراؤون الناس اي يفعلون ذلك ليراهم الناس ليس الا
ليظنوهم مومنين فيريهم الناس لاجل ذلك ما يسرهم من عدهم في عداد المومنين كما يرون هم المومنون يصلون ولا يذكرون
الله اي الذي له جميع صفات الكمال في الصلوة وغيرها الا قليلا اي حيث يتعين ذلك طريقا لمخادعتهم يفعلون ذلك
حال كونهم مذبذبين اي مضطربين كما يضطرب الشي الخفيف المعلق في الهوى وحقيقته الذي يذب عن كلا الجانبين
ذبا عظيما ولما كان ما تقدم يدل على ايمانهم تارة وكفرهم اخرى قال بين ذلك اي الايمان والكفر ولما كان الايمان
يدل على اهله والكفر كذلك قال لا الى اي لا يجدون سبيلا مقرا الى هولاء اي المومنين ولا الى هولاء اي الكافرين
كان التقدير لان الله اضلهم بني عليه قوله ومن يضلل الله اي الشامل القدرة الكامل العلم فلن تجد اي اضلاله
سبيلا اي طريقا الى شي يريده ولما انقضى ما اراد من الانكار على من ادعى الايمان في اتخاذ الكافرين اولياء
المستلزم للنهي عن ذلك الاتخاذ صرح به مخاطبا للمومنين فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم
صدقا او كذبا لا تتخذوا اي تكلفوا انفسكم غير ما تدعوا اليه الفطرة الاولى السليمة فتاخذوا الكافرين اي
المجاهرين بالكفر العريقين فيه اولياء اي اقرباء تفعلون معهم من الود والنصرة ما يفعل القريب مع قريبه ولما
كان العريق في الايمان اعلى الناس وكان تحت رتبته رتب متكاثرة على ذلك وعلى دناة مقصدهم بالجار فقال
من دون المومنين العريقين في الايمان وهذا اشارة الى انه لا يصح لمن يواليهم دعوى الايمان ولذلك قال منكرا
اتريدون اي بموالاتهم ان تجعلوا لله اي الذي لا يطاق سطوته لان له الكمال كله عليكم اي في النسبة الى النفاق
سلطانا اي دليلا على كفركم باتباعكم غير سبيل المومنين مبينا واضحا مسوغا لعقابكم وخزيكم وجعلكم في زمرة المنافقين
ولما نهاهم عن فعل المنافقين استانف بيان جزائهم عنده فقال ان المنافقين في الدرك اي البطن الاسفل من
النار لان ذلك اخفى ما في النار واستره وادناه واوضعه كما ان كفرهم اخفى الكفر وادناه وهو ايضا اخبث طبقات
النار كما ان كفرهم اخبث انواع الكفر وفيه ان من السلطان وضع فاعل ذلك في دار المنافقين لفعله مثل فعلهم
ومن تشبه بقوم فهو منهم وسميت طبقات النار ادراكا لانها متداركة متتابعة الى اسفل كما ان الدرج متراقية الى
فوق ولما اخبر انهم في هذا المحل الضنك اخبر بدوامه لهم على وجه مولم جدا فقال ولن تجد اي ابدا لهم نصيرا
واشار بالنهي عن موالاتهم وعدم نصرهم الى ختام اول الايات المحذرة من الكافرين وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا
ولما كان فيما تقدم ان الغفران للكافر اعم من ان يكون منافقا او لا متعذر واتبعه ما لايمه الى ان ختم بما دل
على ان النفاق اغلظ انواع الكفر استثنى منه دلالة على ان غيره من الكفرة في هذا الاستثنا اولى تنبيها على

ان

ان ذلك النفي المبالغ فيه انما هو لمن مات على ذلك ولكنه سيق على ذلك الوجه تهويلا لما ذكر في حيزه وتنفيرا عنه فقال
تعالى الا الذين تابوا اي رجعوا عما كانوا عليه من النفاق بالندم والاقلاع واصلحوا اي اعمالهم الظاهرة من الصلوة
التي كانوا يراؤون فيها وغيرها بالاقلاع عن النفاق واعتصموا بالله اي اجتهدوا في ان تكون عصمتهم اي ارتباطهم بالملك
الاعظم في عدم العود الى ما كانوا عليه ولما كان الاقلاع عن النفاق الذي من انواعه الربا اصلا وراسا في غاية العسر
قال حثا على مجاهدة النفس فيه واخلصوا دينهم اي كله لله اي الذي له الكمال كله فلم يريدوا بشيء من عباداتهم غير وجهه لا
رياء ولا غيره فاولئك اي العالوا الرتبة مع المؤمنين اي الذين صار الايمان لهم وصفا راسخا في الجنة وان عذبوا على
معاصيهم في الطبقة العليا من النار وسوف يؤت الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما المؤمنين اي بوعد لا خلف
فيه وان اصابهم قبل ذلك ما اصابهم وان طال عذابهم لعذيبا لهم من المعاصي بما اشار اليه لفظ سوف اجرا عظيما
اي بالخلود في الجنة لا ينقضي نعيمها ولا يتكدر يوما نزيلها فيشاركهم من كان معهم لانهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ولما
كان معنى الاستثناء انه لا يعذبهم وانهم يجدون الشفيع باذنه قال موكدا لذلك على وجه الاستئناف منكرا على من ظن
انه لا يقبل بعد الاغراق في المهالك ما يفعل الله اي وهو المتصف بصفات الكمال التي منها الغني المطلق بعذابكم
اي ايها الناس فانه لا يجلب له نفعا ولا يدفع عنه ضرا ولما كان الخطاب مع الذين امنوا قال ان شكرتم اي نعمه التي
من اعظمها انزال الكتاب الهادي الى الرشاد المنقذ من كل ضلال المبين لجميع ما تحتاج اليه العباد فادأكم التفكر في حال
الى معرفة مسديها فادعتكم له وهرعتم الى طاعته بالاخلاص في عبادته وبعدتم عن معصيته ولما كان الشكر هو ن
الحامل على الايمان قدمه عليه ولما كان لا يقبل الا به قال وآمنتم اي به ايمانا خالصا موافقا فيه القلب ما اظهره
اللسان ولما كان معنى الادكار انه لا يعذبكم بل يشكر لكم ذلك قال عاطفا عليه وكان الله اي ذو الجلال والاكرام لم
ازل ولا يزال ابدا شاكرا لمن شكره باثابته على طاعته فوق ما يستحقه عليما بمن عمل له شيأ وان دق لا يجوز عليه سهو ولا
غلط ولا اشتباه ولما تم سبحانه ما اراد من تعجيب حاد المجالسين الخايضين في اياته بما هي منزهة عنه ومما يتبعه
من وصفهم وبيان قصدهم بتلك المجالسة من النهي عن مثل حالهم وعن جزاء من فعل مثل فعلهم الى ان ختم باشد عذاب ن
المنافقين وحث على التوبة بما ختمه بصفتي الشكر والعلم اخبر انه يبغض جوض الكافرين الذين قر مجالستهم حال
التلبس به وكذا كل جهر بسوء الا ما استثناه فمن اقدم على ما لا يحبه لم يقم بحق عبوديته فقال معللا ما مضى قبل
افتتاح امر المنافقين من الامر باحسان التحية لا يحب الله اي المختص بصفات الكمال الجهر اي ما يظهر فيصير في عداد
الجهر بالسوء اي الذي يسوء ويؤذي من القول اي لاحد كايمان كان فان ذلك ليس من شكر الله في الاحسان الى
عباده وعياله ولا من شكر الناس في شيء ولا يشكر من لا يشكر الناس الا من اي جهر من ظلم اي كان من احد من الناس
ظلم اليه كايمان كان فانه يجوز له الجهر ليشكواه والظلم والدعاء عليه وان ساءه ذلك بحيث لا يعتدي ولما كان من
القول ما يسمع وكان من الظلم ما قد يخفى قال مرغبا مرهبا وكان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة سميعا اي لكل ما
يمكن سماعه من جهر وغيره عليما اي بكل ما يمكن ان يعلم فاحذروه ليلا يفعل بكم فعل الساخط وجهر من ظلم
وان كان داخلا فيما يحبه الله تعالى على تقدير كون الاستثناء متصلا لكن جعله من جملة السوء وان كان من باب المشاكلة
فان فيه لطيفة وهي نهي الفظن عن تعاطيه وحث على العفو لان من علم ان فعله بحيث يطلق عليه اسم السوء على
اي وجه كان اطلاقه كف عنه ان كان موفقا ولما كانت معاقد الخيرات على كثرتها منحصرة في قسمين ايصال النفع
ابدا او اخفاءه ودفع الضر وكان قد اشار سبحانه الى العفو وختم بصفتي السمع والعلم قال مصرحا بالندب الى العفو والاحسان
فكان ناديا اليه مرتين الاولى بطريق الاشارة الاولى البصارة والثانية بصريح العبارة للراغبين في التجارة حثا على
الاحب اليه سبحانه والافضل عنده والادخل في باب الكرم ان تبدوا خيرا اي من قول او غيره او تخفوه اي تفعلوه
خفية ابتداء وفي مقابلة سوء فعل اليكم ولما ذكر فعل الخير اتبعه نوعا منه هو افضله فقال او تعفوا عن سوء
اي فعل اليكم ولما كان التقدير يعلمه بما له من صفتي السمع والعلم فيجازي عليه بخير افضل منه وعفو اعظم من عفوكم
سبب عنه قوله فان اي فانتم جديرون بالعفو بسبب علمكم بان الله اي الذي له الغني المطلق والعظمة الكاملة
كان اي دائما ازلا وابدا عفوا ولما كان ترك العقاب لا يسمى عفوا الا اذا كان من قادر وكان الكف عن القدرة عن
الانتقام مما اثر في القلوب الاثار والعظام بعيدا شاقا على النفس شديدا قال تعالى مذكرا للعباد بذنوبهم اليه
وقدرته عليهم قديرا اي بالغ العفو عن كل ما يريد العفو عنه من افعال الجانين والقدرة على كل ما يريد ومن يريد
فالذي لا يشغله شان عن شان وعجز اولى بالعفو طما في عفوا القادر عنه وحوفا من انتقامه منه وتخلقا بخلقه العظيم
واقتداء بسنته ولما اقتضى ذلك على اتم وجه واحسن سياق ونحو وختم بصفتي العفو والقدرة شرع في بيان احوال
من لا يعفى عنه من اهل الكتاب وبيان انهم الذين اضلوا المنافقين بما يلقون اليهم من الشبه التي وسع عقولهم لها مالهم
به عليهم سبحانه من العلم فابدوا الشر وكتموا الخير فوضعوا نعمته حيث يكره ثم كشف سبحانه بعض شبههم فقال
مبينا لما افتتح به قصصهم من انهم اشتروا الضلالة بالهدى ويريدون ضلالكم بعد ان كان ختم هناك ما قبل
قصصهم بقوله عفوا غفورا ان الذين يكفرون اي يشترون ما عندهم من العلم بالله اي الذي له الاختصاص بالجلال والجمال

ورسله ولما ذكر آخر امرهم ذكر السبب الموقع فيه فقال ويريدون ان يفرقوا بين الله اي الذي له الامر كله ولا امر
لاحد معه ورسله اي فيصدقون بالله ويكذبون ببعض الرسل فينفون رسالاتهم المستلزم لنسبتهم الي الكذب علي الله
المقتضي لكون الله بريا منهم ولما ذكر الارادة ذكر ما ينشا عنها فقال ويقولون نؤمن ببعض اي من الله ورسله كاليهود
الذين امنوا بموسي وغيره الا عيسي ومحمدا صلي الله عليه وسلم فكفروا بهما ونكفر ببعض اي من ذلك وهم الرسل كمحمد صلي الله
عليه وسلم ويريدون ان يتخذوا ان يتكلفوا ان ياخذوا بين ذلك اي الايمان والكفر سبيلا اي طريقا يكفرون به وعطف
الجمل بالواو وان كان بعضها سببا لبعض اشارة الي انهم جديرون بالوصف بكل منها علي انفراده وان كل خصلة كافية في
نسبة الكفر اليهم وقدم نتيجتها وختم بالحكم بها علي وجه اضخم تقطيعا لحالهم واصل الكلام ارادوا سبيلا بين سبيلين
فقالوا نكفر ببعض فارادوا التفرقة فكفروا كفرا هو في غاية الشناعة علي علم منهم فانتج ذلك اولئك اي البعداء البغضاء
هم الكافرون اي العريقون في الكفر حقا ولزم الكفر بالجميع لان الدليل علي نبوة البعض لزم منه القطع بنبوة كل من حصل
منه مثل ذلك الدليل وحيث جوز حصول الدليل بدون المدلول تعذر الاستدلال به علي شي كالمعجزة فلزم حينئذ الكفر
بالجميع فثبت ان من كذب بنبوة احد من الانبياء لزمه الكفر لجميع الانبياء ومن لزمه الكفر بهم لزمه الكفر بالله وكل ما جاء
منه ولما كان التقدير فلاجرم انا اعتدنا اي هيانا لهم عذابا مهينا عطف عليه تعميما واعتدنا للكافرين اي جميعا
عذابا مهينا اي كما استهانوا ببعض الرسل وهم الجديرون بالحب والكرامة والاية شاملة لهم ولغيرهم ممن كان حاله
كحالهم وايلا ذلك لبيان احوال المنافقين انسب شي واحسنه للتعريف بانهم منافقون من حيث انهم يظهرون شيا من امر
النبي صلي الله عليه وسلم ويبطنون غيره وان كان ما يظهرونه علي الضد مما يظهره المنافقون وبانهم هم الذين اضلوا
المنافقين وللتحذير من اقوالهم وتزييف ما زخرفوا من محالهم وفي ذلك التفات الي اول هذه القصة يا ايها الذين امنوا
امنوا بالله ورسوله الاية ولما بين سبحانه ما اعد لهم بين ما اعد لاضدادهم من اهل طاعته بقوله والذين امنوا بالله
اي الذي له الجلال والجمال ورسله ولما جمعوهم في الايمان ضد ما فعل اهل الكفر صرح بما افهمه فقال ولم
يفرقوا اي في اعتقادهم بين احد منهم اي لم يجعلوا احدا منهم علي صفة الفرقة البليغة من صاحبه بان كفروا ببعض
وامنوا ببعض كما فعل الاشقياء والتفرقة تقتضي شيئين فصاعدا واحد عام في الواحد المذكر والمونث وتثنيتهما
وجمعهما فلذلك صح التعبير به بمعني بين اثنين او جماعة وكانه اختير للمبالغة بانه لو ان الواحد تمكن فيه التفرقة لكان
الايمان بالبعض دون البعض كفرا اولئك اي العالوا الرتبة في رتب السعادة ولما كان المراد تاكيد وعدهم وكان
الشاهد فيه غالبا التاخر قال سوف نؤتيهم اي بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه وان تاخر فالمراد تحقيقه لا
تحقيق تاخره ولكنه اتي بالارادة التي هي اكثر حروفا واشد تنفيسا لان هذا السياق لاهل الايمان المجرد الشامل لمن لم
يكن له عمل ولذا اضاف الاجور اليهم وختم بالمغفرة لئلا يحصل لهم باس وان طال المدي اجورهم اي كاملة نياتهم
واعمالهم ولما كان الانسان محل النقصان قال وكان الله اي الذي لا يبلغ الواصفون كنه ما له من صفات الكمال غفورا
لما يريد من الزلات رحيما اي بمن يريد اسعاده بالجنات ولما اخبر تعالي بما علي المفرقين بين الله ورسله وما لاضدادهم
اتبعه بعض ما ارادوا به الفرقة وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا من اليهود قالا كذبا ان كنت نبيا
فاتينا بكتاب جملة من السماء كما اتي موسي عليه السلام بكتابه كذلك فانزل الله تعالي موبخا لهم علي هذا الكذب مشيرا الي
كذبهم فيه موهيا لسوالهم محذرا من غوايله مبينا لكفرهم بالله ورسله يسئلك ولما كانت هذه من اعظم شبههم التي
اضلوا بها من اضل الله وذلك انهم ارادوا ان هذا الكتاب المبين اعظم المعجزات وان العرب لم يمكنهم الطعن فيه علي وجه
يمكن قبوله فوجهوا مكايدهم نحوه بهذه الشبهة ونحوها زيفها سبحانه اتم تزييف وفضحهم بسببها غاية الفضيحة
وزاد سبحانه في تبكيتهم بقوله اهل الكتاب اشارة الي ان العالم ينبغي له ان يكون ابعد الناس من التمويه فضلا عن
الكذب الصريح ان تنزل عليهم اي خاصا بهم باثبات اسمائهم كتابا من السماء وما اوهموا به في قولهم هذا من ان موسي عليه
السلام اتي بالتورية جملة كذبة تلقفها منهم من اراد الله من اهل الاسلام ظنا منهم ان الله تعالي اقرهم عليها وليس كذلك
كما يفهمه السياق كله وياتي ما هو كالصريح فيه في قوله انا اوحينا اليك الاية كما سياتي بيانه واليهود الان معترفون
بانها لم تنزل جملة وقال الكلبي في قصة البقرة التي ذبحوها لاجل القتيل الذي تداروا فيه وذلك قبل نزول
القسامة في التورية ولما كان هذا مما يستعظمه النبي صلي الله عليه وسلم اشار الي ذلك مبينا تسلية له صلي الله
عليه وسلم ان عادتهم التعنت وديدنهم الكفر وانهم اعرق الناس في غلظ الاكباد وجلافة الطبايع وان اوايلهم
تعنتوا علي من يدعون الايمان به الان وانهم علي شريعته واجب شي فيه مع ما اراهم من تلك الايات العظام التي منها
استنقاذهم من العبودية بل من الذبح وان ذلك تكرر منهم مع ما يشاهدونه من القوارع والعفو فقال فقد اي
ان تستعظم ذلك فقد سالوا اي اباؤهم وهم علي نهجهم في التعنت فهم شركاؤهم موسي لغير داع سوي التعنت اكبر
اي اعظم من ذلك اي الامر العظيم الذي واجهوك به بعد ما اظهرت من المعجزات ما اوحينا علي كل من علمها الايمان بك
والتادب معك ثم بينه بقوله فقالوا ارنا الله اي الملك الاعلي الذي لا شبيه له وتقصر العقول عن الاحاطة
بعظمته جهرة اي عيانا من غير ستر ولا حجاب ولا نوع من خفا بل تحيط به ابصارنا كما يحيط السمع بالقول الجهر وهذا يدل

على ان كلا من السؤالين ممنوع لكونه ظلما لادائه الى الاستخفاف بما تقدمه من المعجزات وعده غير كاف مع ان انزال الكتاب
جملة غير مناسب للحكمة التي بنيت عليها هذه الدار من ربط المسببات بالاسباب وبيانها عليها لان من المعلوم ان تفريق
الاوامر سبب لحفز حملها وذلك ادعى لامتثالها وايسر لحفظها واعون على فهمها واعظم تثبيتا للمنزل عليه واشرح لصدره
واقوى لقلبه وابعث لشوقه والرؤية على هذا الوجه الذي طلبوه وهو الاحاطة محال فسؤالهم لذلك استخفاف
مع انه تعنت ولذلك سبب عن سؤالهم قوله فاخذتهم اي عقب هذا السؤال وبسببه من امهال اخذ قهر وغلبة
الصاعقة اي نار نزلت من السماء بصوت عظيم هو جدير بان لا يسمى غيره اذا نسب اليه صاعقة فاهلكتهم بظلمهم اي بسبب
ظلمهم بهذا السؤال وغيره لكونه تعنتا من غير نقص له اصلا ولطلب الرؤية على وجه محال وهو طلب الاحاطة ثم بعد
العفو عنهم واحيائهم من اماتة هذه الصاعقة بالتنكيت قال من بعد وادخل الجار اعلاما بان اتخاذهم لم يستغرق
زمان البعد بل تابوا عنه ما جاءتهم البينات اي بهذا الاحياء وغيره من المعجزات فعفونا اي على ما لنا من العظمة عن ذلك
اي الذنب العظيم بتوبتنا عليهم من غير استيصال لهم واتينا اي بعظمتنا التي لا تدانيها عظمة موسى سلطانا اي تسلطا
واستيلاء قاهرا مبينا اي ظاهرا فانه امرهم بقتل انفسهم فبادروا الامتثال بعد ما ارتكبوا من عظيم هذا الضلال وفيه
رمز ظاهر الى انه سبحانه يسلط محمدا صلى الله عليه وسلم على كل من يعانده اعظم من هذا التسليط ولما بين هذا من عظمته
اتبعه امرا آخر اعظم منه فقال ورفعنا اي بعظمتنا ولما كان قد ملأ جهة الفوق بان وازى جميع ابدانهم ولم يسلم احد
منهم من ذلك نزع الجار فقال فوقهم الطور اي الجبل العظيم ثم ذكر سبب رفعه فقال بميثاقهم اي حتى التزموه وادعنوا
له وقبلوه ولما ذكر الميثاق على هذا الوجه العجيب اتبعه ما نقضوا فيه على سهولته دليلا على سوء طباعهم فقال
وقلنا لهم اي على ما تكرر لهم من رؤية عظمتنا ادخلوا الباب اي الذي لبيت المقدس سجدا اي فنقضوا ذلك العهد الوثيق
وبدلوا وقلنا لهم اي على لسان موسى عليه السلام في كثير من نصوص التورية لا تعدوا اي لا تتجاوزوا ما حددناه لكم في
السبت اي لا تعملوا فيه عملا من الاعمال تسمية للشيء باسم سببه سمي عدوا لان العامل للشيء يكون لشدة اقباله عليه كانه
يعدو واذ اخذنا منهم اي في جميع ذلك ميثاقا غليظا وانما جزمت بان المراد بهذا والله اعلم على لسان موسى عليه السلام
لانه تعالى كرر التاكيد عليهم في التورية في حفظ السبت واوصاهم به وعهد اليهم فيه ما قل ان عهده في شيء من الفروع
غيره قال بعض المترجمين للتورية في السفر الثاني في العشر الايات التي اولها انا الهك الذي اصعدتك من ارض مصر
من العبودية والرق لا يكون لك آلهة غيري ما نصه اذكر حفظ يوم السبت وطهره ستة ايام كد فيها واصنع جميع ما
ينبغي لك ان تصنعه واليوم السابع سبت الله ربك لا تعملن فيه شيئا من الاعمال انت وابنك وبنتك وعبدك
وامتك ودوابك والساكن في قراك لان الرب خلق السموات والارض في ستة ايام والبحور وجميع ما فيها واستراح
في اليوم السابع ولذلك بارك اليوم السابع وقدسه اكرم اباك الى آخر ما مر في سورة البقرة ثم اعاد العشر الايات
في اوايل السفر الخامس وقال في السبت احفظوا يوم السبت وطهروه كما امر الله ربكم واعملوا الاعمال في ستة ايام
واصنعوا ما اردتم ان تصنعوا فيها فاما يوم السبت فاسبوع ربكم لا تعملوا فيه عملا انتم وبنوكم وعبيدكم واماؤكم
وثيرانكم وحميركم وكل بهايمكم والساكن الذي في قراكم ليستريح عبيدكم الى آخر ما في اوايل هذه السورة عند ويهديكم
سنن الذين من قبلكم وقال في الثاني بعد ذلك وقال الرب لموسى وانت فامر بني اسرائيل ان يحفظوا السبوت
لانها امارة العهد وعلامة فيما بيني وبينكم لاحقابكم فتعلموا انا الرب الهكم مقدسكم احفظوا يوم السبت فانه مطهر
مخصوص لكم ومن نقضه واخذ العمل فيه فليقتل ومن عمل عملا فليهلك ذلك الانسان من سعيه اعملوا اعمالكم ستة ايام
واليوم السابع فهو يوم سبت قدس للرب لان الرب خلق السماء والارض في ستة ايام والبحور وما فيها وهذا في اليوم
السابع ودفع الى موسى لما فرغ كلامه له في طور سينا لوحي الشهادة وابلغ في تاكيد حفظه عليهم في غير ذلك من المواضع
حتى انه شرع لهم اسبات الارض ونحوها فقال في السفر الثاني ايضا ازرع ارضك ست سنين واحمل اثقالها وفي السنة
السابعة ابذرها ودعها فياكل مسكين شعبك وما يبقى بعد ذلك ياكله حيوان البر وكذلك فافعل بكرومك وزيتونك
اعمل عملك في ستة ايام وفي اليوم السابع تستريح لكي يستريح ثورك وحمارك وتستريح امتك وابن امتك والساكن في قراك
ثم ذكر الاعياد في السفر الثالث وحرم العمل فيها وقال في بعضها وكل نفس تعمل عملا في هذا اليوم تهلك تلك النفس
من شعبها فلا تعملوا فيه عملا لانه سنة جارية لكم الى الابد في جميع مساكنكم فليكن هذا اليوم سبت السبوت ثم
امرهم بعيد المظال سبعة ايام وقال ليعلم احقابكم انني اجلست بني اسرائيل في المظال حيث اخرجتهم من ارض ثم ذكر
بعض القرابين وقال ويصف هرون الخبز صفين في اليوم السادس وهو يوم الجمعة ويكون ذلك من عيد بني اسرائيل
وكلم الرب موسى وقال له في طور سينا كلم بني اسرائيل وقل لهم اذا دخلتم الارض التي اعطيكم ميراثا تسبت الارض
سبتا للرب ازرعوا مزارعكم ست سنين واكسحوا كرومكم ست سنين واستغلوا غلاتكم ست سنين فاما السنة
السابعة فلتكن سبتا الراحة للارض لا تزرعوا مزارعكم ولا تكسحوا كرومكم ولا تحصدوا ما ينبت في ارضكم في تلك
السنة من غير ان يزرع ولا تقطعوا عنب كرومكم بل يكون سبتا الراحة للارض لكم ولبنيكم ولعبيدكم ولاماءكم ولاخوانكم
وللسكان الذين يسكنون معكم واحصوا سبع مرات سبعا سبعا تسعا واربعين سنة وقدسوا سنة خمسين وليكن رد

اتخذوا العجل اي تكلفوا اخذه وعتوا انفسهم باصطناعه
ولما كان الضال بعد قرط البيان اجدر صح

الاشيا الي اربابها ولا تزرعوا ارضكم في تلك السنة ولا تحصدوا ما ينبت فيها ولا تقطعوا عشبها لانها سنة الرد واتقوا
الله لاني انا الله ربكم احفظوا وصاياي واعملوا بها واحفظوا احكامي واعملوا بها واسكنوا ارضكم بالسكون والطمانينة
لتغل لكم الارض غلاتها وتاكلوا وتشبعوا وتسكنوها مطمئنين وان قلتم من اين ناكل في السنة السابعة التي لا تزرع
فيها فلا تهتموا انا منزل لكم بركاتي في السادسة وتغل لكم ارضكم في تلك السنة غلة ثلاث سنين حتي اذا زرعتم في السنة
الثامنة لم تحتاجوا الي غلتها لانكم تاكلون من السنة السادسة الي السنة التاسعة واما الارض فلا تباع بيعا صحيحا ابدا
لان الارض لي وانما انتم سكان وحيث ما بيعت الارض في ميراثكم فتخلص وترد في سنة الرد وفيه مما لا يجوز اطلاقه في شرعنا
نسبة الاستراحة اليه سبحانه هذا مع انه اكد سبحانه العهود اليهم في التوحيد وحفظ جميع الاحكام في جميع التورية علي نحو ما
تراه فيما انقله منها في هذا الكتاب فلما بين سبحانه انه اكد عليهم الميثاق واكثر من التقدم في حفظ العهد بين انهم نقضوا
فاعقبهم بسبب ذلك ما هددوا به في التورية من الخزي وضرب الذلة مع ما ادخر لهم في الآخرة فقال فبما موكدا بالحال
ما نقضهم ميثاقهم اي فعلنا بهم بسبب ذلك جمع ما ذكرنا في التورية من الجزي وقد تقدم كثير منه في القرآن ولا يبعد عندي
تعليقه بقوله الآتي حرمنا عليهم طيبات واعتدنا ويكون من الطيبات الغرور غدا العيش وذلك جامع لنكد الدارين وعطف
علي هذا الامر العام ما اسندت به العناية من افراده عطف الخاص علي العام فقال وكفرهم بايات الله اي مما جاءهم علي
لسان محمد صلي الله عليه وسلم واقتضت حكمته سبحانه ان يكون عظمتها مناسبة لعظمة اسمه الاعظم الذي هو مسمي جميع
الاسماء فاستلزم كفرهم به كفرهم بما انزل علي موسي عليه السلام لانه اعظم ما نقضوا فيه واخص من مطلق النقض وقتلهم
الانبياء وهو اعظم من مطلق كفرهم لان ذلك سد لباب الايمان عنهم وعن غيرهم لان الانبيا عليهم السلام سبب الايمان وفي محو
السبب محو المسبب ولما كان الانبياء معصومين من كل نقيصة ومبراين من كل دنية لا يتوجه عليهم حق لا يودونه قال
بغير حق اي كبير ولا صغير اصلا وهذا الحرف لكونه في سياق طعنهم في القرآن الذي هو اعظم الايات وقع التعبير فيه بابلغ
من ثاني آل عمران الذي هو ابلغ مما سيق عليه لان هذا مع جمع الكثرة وتنكير الحق عبر فيه بالمصدر المفهم لان الاجتراء علي القتل
صار لهم خلقا وصفة راسخة بخلاف ما مضي فانه بالمضارع الذي ربما دل علي العروض ثم ذكر اعظم من ذلك كله وهو اسنادهم
عظايمهم الي الله تعالي فقال وقولهم قلوبنا غلف اي لا ذنب لنا لان قلوبنا خلقت من اصل الفطرة بعيدة عن فهم مثل ما يقول
الانبيا عليهم السلام لكونها في اغشية فهي شديدة الصلابة وذلك سبب قتلهم ورد قولهم وهذا بعد ان كانوا يقرون
بهذا النبي الكريم بقوله عطفا علي ما تقديره وقد كذبوا لانهم ولدوا علي الفطرة كساير الولدان فلم يكن قلوبهم في الاصل
غلفا بل طبع الله اي الذي له معاقد العز ومجامع العظمة عليها طبعا عارضا بكفرهم بعد ان خلقها اولا علي الفطرة متمكنة من
اختيار الخير والشر فلما اعرضوا بما هيا قلوبهم له من قبول النقص عن الخير واختاروا الشر باتباعهم شهواتهم الناشية
من نفوسهم وترك ما تدعوا اليه عقولهم طبع سبحانه عليها فجعلها فاشية محجوبة عن رحمته ولذا سبب عنه قوله
فلا يومنون اي يجددون الايمان في وقت من الاوقات الآتية ويجوز ان يتعلق بما تقديره تسمية لكلامهم طبع الله عليها
فهي لا تعي وتكون بل استدراكا للطبع بالكفر وحده لا به وبما انضم اليه وان يكون اضرب عن قولهم انها في غلف لكونها في الغلاف
قد يكون مهيئا لاخراجه من الغلاف الي الطبع الذي من شانه الدوام الا قليلا اي من الايمان بان يومنوا وقتا يسيرا كوجه
النهار ويكفروا في غيره ويومنوا ببعض ويكفروا ببعض او الا ناسا قليلا منهم كما كان اسلافهم يومنون بما ياتي به موسي عليه السلام
من الايات ثم لم يكن باسرع من كفرهم وتعنتهم بطلب اية اخري كما هو مذكور في توارثهم التي بين اظهرهم ونقلت كثيرا منه في
هذا الكتاب فقامت الحجة عليهم بانهم يفرقون بين قدرتهم علي الايمان وقدرتهم علي الطيران ولما بين كفرانهم بقتل الانبياء
بين كفرهم بالبهتان الذي هو سبب القتل والفتنة اكبر من القتل فقال معظما باعادة العامل وبكفرهم اي المطلق الذي
هو سبب اجترايهم علي الكفر بنبي معين كموسي عليه السلام وعلي القذف ليكون بعض كفرهم معطوفا علي بعض آخر ولذلك
قال وقولهم علي مريم اي بعد علمهم بما ظهر علي يديها من الكرامات الدالة علي براتها وانها ملازمة للعبادة بانواع الطاعات
بهتانا عظيما ثم بهمهم بما لم ينالوا من قتل اعظم من جاءه من انبيايهم باعظم ما راوا من الايات من بعد موسي وهو عيسي عليهما
السلام ثم بادعايهم لقتله وصلبه افتخارا به مع شكهم فيه فقال وقولهم انا قتلنا المسيح ثم بينه بقوله عيسي بن مريم
ثم تهكموا به بقولهم رسول الله اي الذي له انهي العظمة فجمعوا بين انواع من القبايح منها التشبع بما لم يعطوا ومنها انه
علي تقدير صدقهم جامع لاكبر الكباير مطلقا وهو الكفر بقتل النبي لكونه نبيا واكبر الكباير بعده وهو مطلق القتل ولم
يكفهم ذلك حتي كانوا يصفونه بالرسالة مضافة الي الاسم الاعظم استهزاء به وبمن ارسله عز اسمه وجلت عظمته
وتعالي كبرياؤه وتمت كلماته ونفذت اوامره لكونه لم يمنعه منهم علي زعمهم وما اي والحال انهم ما قتلوه وما صلبوه
وان كثر قايلوا ذلك منهم وسلمه لهم النصاري ولكن ولما كان المقصود وقوع اللبس عليهم الضار لهم لا كونه من معين
قال شبه لهم اي فكانوا في عزمهم بذلك متشبعين بما لم يعطوا ولما افهم التشبيه الاختلاف فكان التقدير فاختلفوا
بسبب التشبيه في قتله فمنهم من قال قتلناه جازما ومنهم من قال ليس هو المقتول ومنهم من قال الظاهر انه هو عطف
عليه قوله دالا علي شكهم اختلافهم وان الذين اختلفوا فيه اي في قتله لفي شك منه اي تردد مستوي الطرفين كلهم
وان جزم بعضهم ثم اكد هذا المعني بقوله ما لهم به واغرق في النفي بقوله من علم ولما كانوا يكلفون انفسهم اعتقاد

ذلك

ذلك بالنظر في شبهاته فلما ثوبت عندهم شبهة فصارت امارة اوجبت لهم لشغفهم باتباع الهاظنا ثم اضمحلت
في الحال لكونها لا حقيقة لها فعاد الشك وكان هذا ابلغ في التحير قال الا اي لكن اتباع الظن اي يكلفون انفسهم
الا رتقا من درك الشك الى رتبة الظن وعبر باداة الاستثناء دون لكن الموضوعة للانقطاع اشارة الى ان ادراكهم
لما زعموه من قتله مع كونه في الحقيقة شكا يكلفون انفسهم جعله ظنا ثم يجزمون به ثم صار عندهم متواترا قطعيا فلا
اجهل منهم ولما اخبر بشكهم فيه بعد الاخبار بنفيه اعاد ذلك على وجه ابلغ فقال وما قتلوه اي اشيء قتلهم له اشفاء
يقينا اي اشفاؤه على سبيل القطع ويجوز ان يكون حالا من واو قتلوه اي ما قتلوا القتل متيقنين انه عيسى عليه السلام
بل فعلوه شاكين فيه والحوا انهم لم يقتلوا الا الرجل الذي الق شبهة عليه والوجه الاول اولى لقوله بل رفعه الله
اي بما له من العظمة الباهرة والحكمة الباهرة رفع عيسى عليه السلام اليه اي الى مكان لا يصل اليه حكم آدمي وعن
وهب انه اوحي اليه ابن ثلثين ورفع ابن ثلاث وثلثين فكانت رسالته ثلاث سنين وكان الله اي الذي له جميع صفات
الكمال في كل حال عند قصدهم له وقبله وبعده عزيزا اي يغلب ولا يغلب حكيما اي اذا فعل شيأ اتقنه بحيث لا يطمع
احد في نقض شيء منه وختم الاية بهاتين الصفتين يدل على ان المراد حاقرته من استهزأ بهم وانه قصد الرد عليهم اي انه
قد فعل ما يمنع من استهزائكم فرفعه اليه بعزته وحفظه بحكمته وسوف ينزله بما لا قدرة فيردكم عن اهوائكم ويسفك
دماءكم ويبيد خضراءكم وله في رفعه واد خال الشبهة عليكم حكمة تدق عن افكار امثالكم قصة رفعه عليه السلام من
الانجيل الموجود اليوم بين اظهر النصارى وهي تتضمن الانذار بالدجال والاخبار بنزوله حينئذ والبشارة بنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم الذي وصفه بالنار قليط وبالاركون وان اخبارهم بقتله وصلبه ليس مستندا الا الى شك
كما قال الله تعالى ولحسن ما رد على الانسان بما يعتقده قال مترجمهم في انجيل متى انه عليه السلام دخل الى الهيكل
في يروشليم وهي القدس وجرت بينه وبين الاحبار محاورات كان اخرها ان قال لهم اني اقول لكم انكم لا تروني من الآن
حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب ثم خرج من الهيكل مجتازا الى تلاميذه كي يروه بناء الهيكل فاجاب وقال لهم انظروا
هذا كله الحق اقول لكم انه لا يترك ههنا حجر على حجر الا ينقض ثم جلس على جبل الزيتون قال مرقس قدام الهيكل مجتازا اليه
تلاميذه قائلين قل لنا متى هذا وما علامة مجيئك وانقضاء الزمان فقال لهم انظروا لا يضلنكم احد قال مرقس ولوقا
فان كثيرا ياتون باسمي قائلين انا هو المسيح ويضلون كثيرا فاذا سمعتم بالحروب واخبار الحروب انظروا لا تقلقوا فلا بد ان
يكون هذا كله تقوم امة على لغة ومملكة على مملكة ويكون خوف عظيم واضطراب وجوع ووبا قال لوقا وعلامات عظيمة
من السماء وزلازل في اماكن وكل هذا اول المخاض وقال مرقس وهذه بداية الطلق انظروا انتم انهم يسلمونكم الى المجامع
والمحافل وتضربون وقال لوقا وقبل هذا كله يضعون ايديهم عليكم ويطردونكم الى المجامع والسجون وتقامون امام
الملوك والقواد شهادة عليهم وعلى كل الامم ينبغي اولا ان يكرز بالانجيل فاذا قدموكم واسلموكم فلا تهتموا بما تقولون
ولا ماذا تجيبون فانكم تعطون في تلك الساعة الذي تتكلمون به ولستم المتكلمين لكن روح القدس قال لوقا فاني معطيكم
فما وحكمة لا يقدر الذين يناصبونكم بقاومونها ولا الجواب عنها ويسلم الاخ اخاه للموت والاب ابنه ويثب الابناء على اباهم
قال متى حينئذ يسلمونكم الى الضيق ويقتلونكم وتكونون مبغوضين من كل الامم وحينئذ يشك كثير ويسلم بعضكم بعضا
ويبغض بعضكم بعضا ويقوم كثير من الانبياء الكذبة ويضلون كثيرا ولكثرة الاثم تفتر المحبة من كثير والذي يصبر الى
المنتهى يخلص ويكرز بهذه البشارة في الملكوت في جميع المسكونة شهادة لكل الامم قال مرقس فاذا رايتم فساد الخراب
المذكور في دانيال النبي قائما حيث لا ينبغي فليفهم القاري حينئذ الذين في اليهودية يهربون الى الجبل والذي فوق السطح
لا يقدر ان ينزل الى بيته ليأخذ شيأ والويل للحبالى والمرضعات في تلك الايام وقال لوقا وحينئذ الذين في اليهودية
يهربون الى الجبال والذين في وسطها يغرون خارجا والذين في الكورة لا يدخلونها لان هذه هي ايام الانتقام لكي يتم
كل ما هو مكتوب يكون على الارض ضر وشدة عظيمة وسخط على هذا الشعب ويقعون بفم السيف ويسبون في كل
الامم ويروشليم موطيء الامم حتى يكمل الزمان وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم وتخرج نفوس اناس من الخوف
وقال متى وحينئذ ياتي الانتقام ثم قال سيكون في ضيق عظيم قال مرقس تلك الايام لم تكن شدة من اول الخالق
حتى الآن ولا يكون ولولا ان تلك الايام قصرت لم تخلص ذو جسد وقال مرقس فلولا ان الرب اقصر تلك الايام لم يحي
ذو جسد لكن لاجل المختارين قصرت تلك الايام فان قال لكم احد ان المسيح ههنا فلا تصدقوا فسيقوم مسيحون كذبة
وانبياء كذبة ويعطون علامات عظاما وايات ويضلون المختارين ان قدروا هو ذا قد تقدمت واخبرتكم فان قالوا
لكم انه في البرية فلا تخرجوا او في المخادع فلا تصدقوا وكما ان البرق يخرج من المشرق فيظهر في المغرب كذلك يكون
حضور ابن البشر لانه حيث تكون الجثة تجتمع النسور وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه
والكواكب تتساقط من السماء وقوات تتزعزع وحينئذ تظهر علامات ابن الانسان في السماء وتنوح كل قبائل الارض
وتروا ابن الانسان آتيا في سحاب السماء مع قوات ومجد كثير ويرسل الملائكة مع صوت الشوفار العظيم ويجمع مختاريه
من الاربعة الارياح من اقصي السموات وقال مرقس من اطراف الارض الى اطراف السماء فمن شجرة التينة وقال لوقا
ومن كل الاشجار تعلمون المثل اذا لان اغصانها وفرعت ورقها علمتم ان الصيف قد دنى كذلك انتم اذا رايتم هذا كله

وتكون؛

علمتم انه قد قرب على الابواب الحق اقول لكم ان هذا الجبل لا يزول حتى يتم هذا كله والسما والارض تزولان وكلامي لا يزول
لاجل ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفها احد ولا مليكة السموات وقال مرقس ولا الابن الا الرب وحده وقال لوقا ساله
الفريسيون متى ياتي مليكة الله فقال ليس ياتي ملكوت الله يرصد ولا يقولون هوذا هي ههنا او هناك ما هوذا ملكوت الله
ثم قال لتلاميذه ستاتي ايام تشتهون ان تروا يوما واحدا من ايام ابن الانسان فلا ترون فان قالوا لكم هوذا ههنا او
هناك فلا تذهبوا ولا تسرعوا لانه كمثل البرق الذي يضيء في السما فيضيء تحت السما كذلك تكون ايام ابن البشر انتهى
وكما كان في ايام نوح عليه السلام كذلك يكون استعلان ابن الانسان لانه كما كانوا قبل ايام الطوفان ياكلون ويشربون
ويتزوجون الى اليوم الذي دخل فيه نوح الى السفينة ولم يعلموا حتى جا الطوفان فادرك جميعهم كذلك يكون حضور ابن
الانسان وقال لوقا ومثل ما كان في ايام لوط ياكلون ويشربون ويبيعون ويشترون ويغرسون ويبنون الى اليوم
الذي خرج فيه لوط من سدوم وامطر في السما نارا وكبريتا واهلك جميعهم كذلك في اليوم الذي يظهر فيه ابن الانسان
وفي ذلك اليوم كان في السطح وآلته في البيت لا ينزل ياخذها ومن كان في الحقل ايضا لا يرجع هكذا الى ورايه انظروا
امراة لوط من اراد ان يحيي نفسه فليهلكها ومن اهلكها احياها اقول لكم ان في هذه الليلة وقال متى حينئذ يكون اثنان
في الحقل يوخذ واحد ويترك الاخر واثنتان تطحنان على رحى واحدة توخذ الواحدة وتترك الاخرى وقال مرقس فانظروا
واسهروا وصلوا لانكم لا تعلمون متى يكون الزمان اسهروا فانكم لا تعلمون متى ياتي رب البيت لئلا ياتي بغتة فيجدكم
نياما والذي اقول لكم اقوله للجميع اسهروا قال لوقا في كل حين وتضرعوا لكي تقووا على الهرب في هذه الامور الكاينة كلها
وتقفوا قدام ابن الانسان وقال متى فاسهروا فانكم لا تعلمون في اي ساعة ياتي ربكم واعلموا لو علم رب البيت في اي هجعة
ياتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب كذلك كونوا مستعدين لان ابن الانسان ياتي ساعة لا تظنونها من ترى هو العبد
الامين الحكيم الذي يقيمه سيده على بيته ليعطيهم الطعام في حينه طوبى لذلك العبد ياتي سيده فيجده يعمل هكذا الحق
اقول لكم انه يقيمه على جميع ماله فان قال ذلك العبد الردي في قلبه ان سيدي يبطي فيبدا ياكل ويشرب مع السكيرين
فياتي سيده في يوم لا يظنه وساعة لا يعرفها فيجعل نصيبه مع المرائيين هناك يكون البكا وصرير الاسنان يشبه
ملكوت السموات عشرة عذارى اخذن مصابيحهن وخرجن للقا العريس خمس منهن جاهلات وخمس حليمات فاما الجاهلات
فاخذن مصابيحهن ولم ياخذن زيتا واما الحليمات فاخذن زيتا في انا مع مصابيحهن فلما ابطا العريس نعس كلهن ونمن وانتصف
الليل فصرخ هوذا العريس قد اقبل اخرجن للقايه حينئذ قام جميع العذارى وزنن مصابيحهن فقال الجاهلات للحليمات
اعطيننا من زيتكن فان مصابيحنا قد طفيت فقلن ليس معنا ما يكفينا واياكن فاذهبن الى الباعة وابتعن لكن فلما ذهبن
ليبتعن جا العريس فالمستعدات ذهبن معه واغلق فجا بقية العذارى قايلات يا رب افتح لنا فاجاب وقال الحق
اقول لكن اني لا اعرفكن اسهروا الان فانكم لا تعرفون ذلك اليوم ولا تلك الساعة كمثل انسان اراد السفر فدعا
عبيده فاعطاهم ماله فاعطى خمس وزنات لواحد ووزنتين للاخر وواحدا وزنة كل منهم على قدر قوته وسافر
للوقت فمضى الذي اخذ الخمس فتجر فيها فربح خمس وزنات اخرى وهكذا الذي اخذ الوزنتين ربح فيها الوزنتين اخريين
واما الذي اخذ الوزنة فمضى وحفر في الارض ودفن فضة سيده وبعد زمان كبير جا سيد هولا فحاسبهم فجا الذي
اخذ الخمس وزنات فاعطى خمس وزنات اخرى قايلا يا رب خمس وزنات اعطيتني وهذه خمس وزنات اخرى ربحتها
قال له سيده قال لوقا جيد ايها العبد الصالح القيت امينا على القليل وقال متى نعم يا عبد صالح امين وجدت
في القليل امينا انا اقيمك على الكثير امينا ادخل الى فرح سيدك وجا الذي اخذ الوزنتين فقال يا سيدي وزنتين
دفعت الي وهوذا وزنتان اخريان ربحتهما فقال له سيده نعم يا عبد صالح امين وجدت في القليل امينا انا اقيمك
على الكثير ادخل الى فرح سيدك فجا الغير مصيب الذي اخذ الوزنة فقال يا سيد عرفت انك انسان شديد تحصد
ما لم تزرع وتجمع من حيث لا تبذر فخفت ومضيت فدفنت مالك في الارض ذا هو مالك فاجاب سيده وقال
ايها العبد الشرير الكسلان علمت انني احصد من حيث لا ازرع واجمع من حيث لا ابذر كان ينبغي لك ان تجعل فضتي على
مايدة وانا اتي واخذه الي مع ارباحه خذوا منه الوزنة واعطوها للذي له عشر وزنات لان من له يعطى ويزاد والذي
ليس له يوخذ منه ما معه والعبد الشرير الغير نافع القوة في الظلمة القصيا هناك يكون البكا وصرير الاسنان اذا جا
ابن الانسان في مجده وجميع الملايكة المقدسين معه حينئذ يجلس على كرسي مجده ويجمع اليه كل الامم فيميز بعضهم من بعض كما يميز
الراعي الخراف من الجدا ويقيم الخراف عن يمينه والجدا عن شماله حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي
ابي رثوا الملك المعد لكم من قبل انشا العالم جعت فاطعمتموني وعطشت فسقيتموني وغريبا كنت فاويتموني وعريانا
فكسوتموني ومريضا فعدتموني ومحبوسا فاتيتم الي حينئذ يجيب الصديقون ويقولون يا رب رايناك جايعا فاطعمناك
وعطشانا فسقيناك ومتى رايناك غريبا فاويناك او عريانا فكسوناك او مريضا او محبوسا فاتينا اليك فيجيب
الملك ويقول الحق اقول لكم الذي فعلتموه باحد هولا الحقيرين فبي فعلتم حينئذ يقول للذين عن يساره اذهبوا عني
يا ملاعين الى النار الموبدة المعدة لابليس وجنوده جعت فلم تطعموني الى اخره فيذهب هولا الى العذاب الدايم
والصديقون الى الحيوة الابدية ولما اكمل يسوع هذا الكلام كله قال لتلاميذه علمتم ان بعد يومين يكون الفسح

ومتى صح

دقال

وقال مرقس وكان الفسح والفطير بعد يومين واجتمع روسا الكتبه والكهنه ومشايخ العشب في دار رئيس الكهنه
الذي يقال له قيافا فتشاوروا علي يسوع ليمسكوه قال مرقس بمكر ويقتلوه وقالوا ليس في العيد ليلا يكون شجس
وقال مرقس شعب في الشعب وقال يوحنا فجمع عظما الكهنة والفريسيين محفلا وقالوا ماذا يصنع اذا كان هذا الرجل
يعمل ايات كثيرة وان تركناه هكذا فسيؤمن به جميع الناس وتاتي الروم فتتغلب علي امتنا وان واحدا منهم اسمه قيافا
كان رئيس الكهنة فقال انه خير لنا ان يموت رجل واحد عن الشعب من ان تهلك الامة كلها لان يسوع كان مزمعا ان يجمع
ابناء الله المتفرقين الي واحد في تلك الساعة تشاوروا علي قتله فاما يسوع فلم يكن يمشي بين اليهود علانية ولكنه انطلق
من هناك الي البرية الي كورة تسمي مدينة افريم وكان يتردد هناك مع تلاميذه وكان عيد فسح اليهود قد قرب فصعد كثير
من القري الي يروشليم ليطهروا انفسهم فطلب اليهود يسوع وكانوا امروا ان علم انسان مكانه ان يدلهم عليه وان يسوع
قبل ستة ايام من الفسح قصد الي بيت عنيا حيث كان العازر الميت الذي اقامه يسوع فصنعوا له هناك وليمة وجعلت
مرتا تخدم وعلم جمع كبير من اليهود فجاوا اليه ولينظروا الي العازر الذي اقامه من بيت الاموات وتشاور عظما الكهنة
ان يقتلوا العازر لان كثيرا من اليهود من اجله كانوا يومنون بيسوع وكان الجمع الذين معه يشهد له انه دعا العازر من القبر
واقامه ومن الغد سمعوا ان يسوع ياتي الي يروشليم فخرجوا للقايه يصرخون مبارك الاتي باسم الرب ملك اسرايل ووجد
يسوع حمارا فركبه كما هو مكتوب لا تخافي يا بنت صهيون هوذا ملكك ياتيك راكبا علي جحش ابن اتان ثم قال وقال
يسوع قد قربت الساعة التي يمجد فيها ابن البشر الحق الحق اقول لكم ان حبة الحنطة ان لم تقع في الارض وتمت بقيت وحدها
وان هي ماتت اتت بثمار كثيرة من احب نفسه فليهلكها ومن ابغض نفسه في هذا العالم فانه يحفظها لحيوة الابد وقال
يا رباه مجد اسمك فجا صوت من السما قد مجدت وايضا مجد فسمع الجمع الذي كان واقفا فقال بعضهم انما كان رعد وقال
اخرون ان ملاكا كلمه قال يسوع ليس من اجلي كان هذا الصوت ولكن من اجلكم قد حضر الان دينونة هذا العالم الان يلقي
رئيس هذا العالم الي خارج وانا اذا ارتفعت من الارض جيت الي كل احد فاجاب الجمع نحن سمعنا في الناموس ان المسيح يدوم
الي الابد فكيف تقول انت يرتفع ابن البشر فقال لهم يسوع ان النور معكم زمانا يسيرا فسيروا ما دام لكم النور ليلا يدرككم
الظلام ان الذي يمشي في الظلام ليس يدري اين يتوجه فما دام لكم النور امنوا بالنور لتكونوا ابنا النور تكلم يسوع بهذا ثم
مضي وتواري عنهم وقال يا بني انا معكم زمانا طويلا وتطلبوني وكما قلت لليهود ان الموضع الذي امضي اليه انا لستم تقدروا
علي المضي اليه قال يوحنا في محاورته لليهود في الهيكل قال يسوع انا امضي وتطلبوني وتموتون بخطاياكم وحيث
انا اذهب لستم تقدرون علي اتيانه فقال اليهود لعله يريد ان يقتل نفسه فقال لهم انتم من اسفل وانا من فوق انتم من
هذا العالم واما انا فلست من هذا العالم قد اخبرتكم انكم تموتون بخطاياكم فقالوا له انت من انت ثم قال وقالوا له ان
ابانا هو ابرهيم قال لو كنتم بني ابرهيم كنتم تعملون اعمال ابرهيم لكنكم تريدون قتل انسان كلمكم بالحق الذي سمعه من الله ولم
يفعل ابرهيم هذا انتم تعملون اعمال ابيكم فقالوا اما نحن فلسنا مولودين من زنا فقال لهم انتم من ابيكم ابليس وشهوة ابيكم
تهوون ان تعملوا ذلك الذي هو من البدء قتال الناس ولم يلبث علي الحق لانه ليس فيه حق واذا ما تكلم بالكذب فانما يتكلم
بما هو له واما انا فاتكلم بالحق ولستم تومنون بي من منكم يوبخني علي خطيئة انتهي واقول لكم الان ان تحب بعضكم بعضا
كما احببتكم فبهذا يعرف كل احد انكم تلاميذي وقال يسوع من مومن بي ليس يومن بي فقط بل وبالذي ارسلني ومن
راني فقد راي الذي ارسلني انا جيت نور العالم لكي ينجو كل من يومن بي من الظلام ومن يسمع كلامي ولا يومن بي انا لا
ادينه لاني لم آت لادين العالم بل لاحيي العالم من جحدني ولم يقبل كلامي فان له من يدينه الكلمة التي نطقت بها هي تدينه
في اليوم الاخر لاني لم اتكلم من نفسي لان الرب الذي ارسلني هو اعطاني الوصية ثم قال الحق الحق اقول لكم من يومن بي
يعمل الاعمال التي اعملها وافضل منها يصنع ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب من الاب يعطيكم فارقليط
اخر ليثبت معكم الي الابد روح الحق الذي لم يطق العالم ان يقبلوه لانهم لم يروه ولم يعرفوه وانتم تعرفونه لانه مقيم عندكم
وهو فيكم لست ادعكم يتامي لاني سوف اجيكم عن قليل من يحبني يحفظ كلمتي ومن لا يحبني ليس يحفظ كلامي الكلمة التي تسمعونها
ليست لي بل للرب الذي ارسلني كلمتكم بهذا الاتي عندكم مقيم والفرقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي هو يعلمكم
كل شي وهو يذكركم كلما قلت لكم السلام استودعكم سلامي خاصة اعطيكم لا تقلق قلوبكم ولا تجزع قد سمعتم اني قلت لكم
اني منطلق وعايد اليكم لو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون بمضي الي الرب لان الرب اعظم مني وما قد قلت لكم قبل ان يكون حتي اذا
كان تومنون ولست اكلمكم كثيرا لان اركون العالم ياتي وليس في شي ولكن ليعلم العالم اني احب الرب وكما اوصاني الرب
كذلك افعل انا هو الكرمة الحقيقية وربي الغارس كل غصن لا ياتي بثمار ينزعه والذي ياتي بثمار يبقيه لياتي بثمار
كثيرة انتم اتقيا من اجل هذا الكلام الذي كلمتكم به اثبتوا في وانا فيكم كما ان الغصن لا يطيق ان ياتي بالثمار من عنده
ان لم يثبت في الكرمة كذلك انتم ان لم تثبتوا في انا هو الكرمة وانتم الاغصان من ثبت في وانا فيه ياتي بثمار كثيرة وبغيري
لستم تقدرون تعملون شيا فان لم يثبت احد في طرح خارجا مثل الغصن الذي يجف فياخذونه ويطرحونه في النار
فيحترق وان انتم ثبتم في وثبت كلامي فيكم كان لكم كل ما تريدونه وبهذا مجد ربي بان تاتوا بثمار كثيرة وانتم احبا هي
ان عملتم كل ما وصيتكم به انما وصيتكم بهذا لكي يحب بعضكم بعضا فان كان العالم يبغضكم فاعلموا انه قد ابغضني قبلكم

لو كنتم من العالم كان العالم يحب ما هو منه لكنكم لستم من العالم بل اختركم من العالم من اجل هذا يبغضكم العالم لوم آت
والكلم لم يكن لهم خطيئة والآن ليس لهم حجة في خطيئتهم لوم اعمل اعمالا لم يعملها احر لم يكن لهم خطيئة لتتم الكلمة المكتوبة
في ناموسهم انهم ابغضوني باطلا اذا جاء المعزي الذي ارسله اليكم روح الحق الذي من الرب ينبثق هو يشهد وانتم تشهدون
لانكم معي صفوف كلمكم بهذا الكيلا تشكوا انهم سوف يخرجونكم من مجامعهم ولم اخبركم بهذا من قبل لاني معكم والآن فاني منطلق
الى من ارسلني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لاني ان لم انطلق لم يأتكم المعزي فاذا انطلقت ارسلته اليكم فاذا
جاء ذاك فهو يوبخ العالم على الخطيئة وان لي كلاما كثيرا اريد قوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن واذا جاء روح
الحق ذاك فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما يأتي وهو يمجدني لانه يأخذ مما
هو لي ويخبركم قليلا ولا ترونني وقليلا وتروني قالوا اما هذا القليل الذي يقول فقال لم انى هذا يراطن بعضكم بعضا الحق
اقول لكم انكم تبكون وتنوحون والعالم يفرح وانتم تحزنون لكن حزنكم يؤول الى فرح كالمرأة اذا حضرها ولادها تحزن لانها
قد جاءت ساعتها فاذا ولدت ابنا لم تذكر الشدة من اجل الفرح لانها ولدت انسانا في العالم تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه
الى السماء وقال يا رب قد حضرت الساعة مجد عبدك ليمجدك عبدك كما اعطيته السلطان على كل ذي جسد ليعطي كل
من اعطيته حيوة الابد وهذه هي حيوة الابد ان يعرفوك انك انت الاله الحق وحدك والذي ارسلته يسوع المسيح انا قد
مجدتك على الارض فذلك العمل الذي اعطيتني لاصنعه قد اكملت والآن مجدني انت يا رباه بالمجد الذي عندك قد اظهرت اسمك
للناس الآن علموا ان كل ما اعطيتني هو من عندك وعلموا حقا اني من عندك اتيت وامنوا انك ارسلتني وانا اجي اليك
ايها الرب القدوس احفظهم باسمك الذي اعطيتني كي يكونوا واحدا كما نحن اذ كنت معهم في العالم انا كنت احفظهم باسمك
ليس اسأل ان ينزعهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرير لانهم ليسوا من العالم كما اني لست من العالم قدسهم بحقك فان كلمتك
خاصة هي الحق كما ارسلتني الى العالم ارسلتهم انا ايضا الى العالم ولست اسأل في هؤلاء فقط بل وفي الذين يؤمنون بي
بقولهم ليكونوا باجمعهم واحدا كما انك يا رباه في وانا فيك ليكونوا ايضا فينا واحدا ليؤمن العالم انك ارسلتني قال
يسوع هذا وخرج مع تلاميذه الى عين عمره وادي الارز وكان هناك بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهوذا الذي اسلمه
يعرف ذلك المكان لان يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيرا وقبل عيد الفسح كان يسوع يعلم ان قد حضرت الساعة التي ينتقل
فيها من هذا العالم فلما حضر العشي خاطر الشيطان قلب يهوذا سمعان الاسخريوطي لكي يسلمه فقام يسوع عن العشا وترك
ثيابه وشد وسطه بمنديل وبدا يغسل اقدام التلاميذ وينشفها بمنديل كان مؤتزرا به فلما انتهى الى سمعون الصفا
قال له انت يا سيدي تغسل لي قدمي فقال يسوع ان الذي اصنعه لست تعرفه الآن ولكنك ستعرفه فيما بعد قال له
سمعون الصفا انك لست غاسلا لي قدمي الى الابد قال له يسوع ان انا لم اغسلها فليس لك معي نصيب قال سمعون
يا سيدي ليس تغسل لي قدمي فقط بل ويدي ورأسي قال له يسوع انا الذي يطهر ليس يحتاج الى غسل قدميه فلما غسل
ارجلهم تناول ثيابه واتكأ وقال لهم تعلمون ما صنعت بكم انتم تدعونني معلما وربا وما احسن ما تقولون فاذا كنت انا
معلمكم وربكم قد غسلت اقدامكم فكم انتم احرى ان يغسل بعضكم ارجل بعض والحق اقول لكم ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول
اعظم ممن ارسله وقال الحق الحق اقول لكم ان واحدا منكم يسلمني وقال متى ولما كان يسوع في بيت عينا في بيت سمعان
الابرص جاءت امرأة معها قارورة طيب كثيرا ثمن فاضته على راسه وهو متكئ حينئذ منفي احد الاثني عشر اي
الحواريين الذين سيذكرون في المائدة والانعام باسمائهم وهو الذي يقال له يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة
وقال لهم ماذا تعطوني حتى اسلمه اليكم فاقاموا له ثلثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه وفي اول
يوم الفطير قال مرقس لما ذبحوا الفسح قال له تلاميذه اين تريد ممضي نستعد لنأكل الفسح فقال اذهبوا الى المدينة
الى فلان وقولوا له المعلم يقول زماني قد اقترب وعندك اصنع الفسح مع تلاميذي ففعل التلاميذ كما امرهم يسوع واعدوا
الفسح وقال لوقا وكان في النهار يعلم في الهيكل ويخرج في الليل ويستريح في الجبل الذي يدعى جبل الزيتون وكان جميع
الشعب يبكرون اليه ليسمعوا منه وكان لما قرب عيد الفطير المسمى الفسح وطلب الكهنة كيف يهلكونه وكانوا يخافون
من الشعب فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الاسخريوطي الذي كان من الاثني عشر ممضى وكلم رؤساء الكهنة ليسلمه اليهم
ففرحوا ووعدوه وكان يطلب فرصة ليسلمه اليهم مفردا عن الجمع مجانا يوم الفطير الذي يذبح فيه الفسح فارسل بطرس
ويوحنا وقال امضيا واعدا لنا الفسح ثم قال فانطلقا واعدا الفسح قال متى ولما كان المساء اتكأ مع الاثني عشر تلميذا
قال فقال لهم شهوة اشتهيت ان اكل معكم الفسح فاني اقول لكم اني ايضا لا اكل منه حتى يتم في ملكوت الله وقال متى وفيما هم
يأكلون قال الحق اقول لكم ان واحدا منكم يسلمني فحزنوا جدا وشرع كل واحد منهم يقول لعلي انا هو وقال يوحنا وقال
الحق الحق اقول لكم ان واحدا منكم يسلمني فنظر التلاميذ بعضهم الى بعض وكان واحد من تلاميذه متكئا في حضن يسوع
وهو الذي كان يسوع يحبه فاومأ سمعون الصفا اليه ان يسأله من الذي قال لاجله موقع ذلك التلميذ على صدر يسوع
وقال له يا سيد من هذا فقال يسوع هو الذي ابل خبزا واناوله فبل خبزا ودفعه الى سمعون الاسخريوطي وقال متى
فقال الذي يجعل يده معي في الصحفة هو يسلمني وابن الانسان ماض كما كتب من اجله الويل لذلك الانسان الذي يسلم ابن الانسان
جيد له لو لم يولد اجابه يهوذا مسلمه وقال لعلي انا هو يا معلم قال انت قلت مسبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون وقال

لوقا فقال لهم ان ملوك الامم هم سادتهم والمتسلطون عليهم يدعون المحسنين اليهم فاما انتم فليس كذلك لكن الكبير منكم
يكون كالصغير والمقدم كالخادم من اكثر المتكئ ام الذي يخدم اليس المتكئ فاما انا فبينكم مثل الخادم وانتم الذين صبرتم معي
في تجاربي وانا اعد لكم كما وعدني ابي الملكوت لتاكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي وتدينوا اثني عشر سبطا
اسرائيل الى ان قال ثم خرج كالعادة ومضى الى جبل الزيتون ومعه ايضا تلاميذه فلما انتهى الى المكان قال لهم صلوا لئلا
تدخلوا التجربة وانفرد عنهم كرمية حجر وخر على ركبتيه فصلى وقال متى حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون في هذه
الليلة لانه مكتوب اضرب الراعي تتفرق خراف الرعية فاجاب بطرس وقال له لو شك جميعهم لم اشك انا قال له يسوع
الحق اقول لك اني في هذه الليلة قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات وقال يوحنا الحق الحق اقول لك لن يصيح الديك حتى
تنكرني ثلاث لا تضطرب قلوبكم امنوا بالله وامنوا بي وقال متى قال له بطرس لو الحيت الي ان اموت معك ما انكرتك ثم
وقال مرقس فتمادى بطرس وقال يا ابت وانا اضطررت الى ان اموت معك ليس انكرك وهكذا قال جميع التلاميذ حينئذ
جاء بهم الى قرية تدعى جيسمانية فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا لامضي اصلي هناك اكملوا واسهروا معي وبعد ذلك خر على
وجهه يصلي وجاء الى التلاميذ فوجدهم نياما فقال مرقس فقال لبطرس يا سمعان انت نايم ما قدرت تسهر معي ساعة واحدة
اسهروا واصلوا لئلا تدخلوا التجارب اما الروح فمستبشرة وقال مرقس مستعدة واما الجسد فضعيف ومضى ايضا
وصلى وجاء ايضا فوجدهم نياما لان عيونهم كانت ثقيلة فتركهم ومضى ايضا يصلي قال لوقا فظهر له ملاك من السما ليقويه
وكان يصلي توترا وكان عرقه كجبيط الدم نازلا على الارض وقال متى حينئذ جاء الى التلاميذ وقال لهم ناموا الآن و
استريحوا قد اقتربت الساعة وبينما هو يتكلم اذ جاء يهوذا الاسخريوطي احد الاثني عشر معه جمع كثير بسيوف وعصي من
عند رؤساء الكهنة ومشايخ الشعب وقال والذي اسلمه اعطاهم علامة وقال الذي اقبله هو هو فامسكوه وجاء الى
يسوع وقال له السلام يا معلم وقبله فقال له يسوع يا هذا لاجل هذا جئت حينئذ جاؤا فوضعوا ايديهم على يسوع وقبضوا
عليه ثم قال وفي تلك الساعة قال يسوع للجموع كانكم قد خرجتم الى لص بالسيوف والعصي لتاخذوني في كل يوم كنت
اجلس عندكم اعلم في الهيكل فما قبضتم علي وهذا كله كان لتكمل كتب الانبيا وقال يوحنا ان يهودا اخذ جندا من عند رؤسا
الكهنة والفريسيين وشرطا وجاء الى هناك بسرج ومصابيح وسلاح ويسوع كان عارفا بكل شيء ياتي عليه فخرج وقال لهم
من تطلبون قالوا ليسوع الناصري قال انا هو وكان يهوذا واقفا معهم فلما قال انا هو رجعوا الى وراء وسقطوا على
الارض فقال يسوع ان كنتم تطلبوني فدعوا هؤلاء يذهبوا لتتم الكلمة التي قال الذي اعطيتني لن يهلك منهم احد وقال
متى حينئذ تركه تلاميذه كلهم وهربوا والذين اخذوا يسوع اقتادوه الى دار قيافا رئيس الكهنة واما بطرس فتبعه على
بعد منه الى دار رئيس الكهنة ودخل الى داخلها وجلس مع الخدام لينظر النهاية وقال مرقس وجلس مع الخدام عند النار
يصطلي وقال يوحنا وان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يعني الذي تقدم ان عيسى كان يحبه تبعا يسوع وكان عظيم الكهنة
يعرف ذلك التلميذ فدخل يسوع الى دار عظيم الكهنة واما سمعان فكان واقفا خارج الباب فخرج التلميذ الآخر الذي كان
معارف رئيس الكهنة فقال للبوابة وادخل سمعون بطرس فقالت الجارية البوابة لسمعان اما انت من تلاميذ هذا الرجل
فقال لها لا وكان العبيد والشرط قياما وقد ضرموا نارا ليصطلوا لانها كانت ليلة باردة وقام سمعان معهم ايضا يصطلي
قال متى فقال رئيس الكهنة استحلفك بالله الحي ان تقول لنا ان كنت انت هو المسيح قال له يسوع انت قلت ثم ذكر انهم
افتوا بقتله وقال عند ذلك بصقوا في وجهه وصفعوه بثوب ولطموا وجهه فوقه قائلين ايها المسيح بين لنا
من هو الذي ضربك قال مرقس وبينما بطرس في اسفل الدار جاءت فتاة من جواري رئيس الكهنة فقالت له وانت ايضا
قد كنت مع يسوع الناصري وقال متى مع يسوع الجليلي وقال لوقا فلما رأته جارية جالسا عند الضوء وشددت فقالت
هذا كان معه فانكر وقال ما اعرفه وقال متى مجددين ايديهم اجمعين وعند خروجه الى الباب ابصرته جارية اخرى
فقالت وهذا ايضا كان مع يسوع الناصري مجددا ايضا بيمين اي لست اعرف الرجل وبعد قليل تقدم الوقوف فقالوا ام
لبطرس بالحقيقة انك منهم انت لان كلامك يدل عليك وقال مرقس وانت جليلي وكلامك يشبه كلامهم وقال
حينئذ اقبل بطرس يلعن ويحلف اني لست اعرف الانسان وفي الحال صاح الديك فذكر بطرس كلمة يسوع قبل ان يصيح الديك
مجددني ثلثا فخرج الى خارج وبكى بكاء مرا ولما كان الصبح عملوا كلهم مواما رة على يسوع حتى يميتوه فربطوه وساقوه
الى بيلاطس البنطي ولما ابصر يهوذا الاسخريوطي انه قد حكم عليه تندم ورد الثلثين الفضة على رؤساء
الكهنة قائلا قد اخطات اذ اسلمت دما زكيا فقالوا ماذا علينا فطرح الفضة في الهيكل ومضى فخنق نفسه فاخذ رؤساء
الكهنة الفضة وقالوا لن يجوز لنا ان نلقيها في داخل الزكوة لانها ثمن دم فتشاوروا واباعوا حقل الفاخوري
لدفن الغرباء لذلك دعي ذلك الحقل حقل الدم الى اليوم حينئذ كمل قول ارميا النبي القائل واخذوا الثلثين من الفضة
ثمن المكرم الذي ثمنه بنو اسرائيل وجعلوها في حقل الفاخوري على ما رسم لي واما يسوع فوقف امام الوالي ثم ذكر
ان الوالي كان كارها لقتله وان امراته ارسلت اليه تقول اياك ودم ذاك الصديق فاني توجعت اليوم
كثيرا من اجله في الحلم وانه اجتهد بهم ليطلقوه فابوا الا صلبه وصاحوا عليه وانه قال لهم اي شر عمل فازداد وا صياحا
وقالوا ليصلب فلما راى بيلاطس انه لا ينفع شيا اخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع وقال اني بريء من دم هذا الصديق

ان كان صاحب شريعة مستقلة واتباع مستكثرة امر قضاه الله في الازل فامضاه فاطيلوا ايها اليهود او اقصروا
بمعنى الاية اذن والله اعلم انه ما من احد من اهل الكتاب المختلفين في عيسى عليه السلام على شك الا وهو يؤمن بعيسى
عليه السلام قبل موته بعد نزوله من السماء انه ما قتل وما صلب ويؤمن به عند زوال الشبه والله اعلم روى البخاري
واحمد وابو بكر بن مردويه وغيرهم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده
ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا واماما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية حتى تكون
السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها وفي رواية وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين وفي رواية حتى يهلك
الله الملل كلها غير الاسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ثم يقول ابو هريرة اقرأوا ان شئتم وان من
اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الاية موت عيسى عليه السلام ثم يعيدها ابو هريرة ثلاث مرار ولنذهبن الشحنا
والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقتله احد وفي رواية ويفيض المال حتى لا يقبله احد ولمسلم عنه
رضي الله عنه كيف بكم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال الوليد بن مسلم احد رواة الحديث
قال بن ابي ذيب تدري ما امامكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
يقول لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيمة فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول اميرهم
تعالى صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امرا تكرمة الله هذه الامة وروى البخاري عن ابن عباس ومحمد بن علي المشهور بابن
الحنفية رضي الله عنهم انا المعنى الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موت ذلك الكتابي عند الغرغرة حين لا ينفعه الايمان
ليكون ذلك زيادة في حسرته قال الاصبهاني ويدل على صحة هذا التاويل قراءة ابي الا ليؤمنن قبل موتهم بضم النون
ولما اخبر تعالى عن حالهم معه في هذه الدار اتبعه فعلهم بهم في تلك فقال ويوم القيمة اي الذي يقطع ذكره القلوب
ويحمل التفكر فيه على كل خير ويقطع عن كل شر يكون وآذن بشقائهم بقوله عليهم شهيدا اي بما عملوا ولما اذن
حرف الاستعلاء في الشهادة بانه لا خير لهم في واحدة من الدارين وبان التقدير بظلمهم سبب عنه قوله دالة على
ان التورية نزلت منجمة فبظلم اي عظيم جدا راسخ ثابت وموجاع لتفصيل نقض الميثاق وما عطف عليه فيما استحلوه
بعد ان حرمته التورية وقال مشيرا الى زيادة تهكمهم من الذين هادوا اي تلبسوا بالهودية في الماضي ادغاما انهم
من اهل التوبة والرجوع الى الحق ولم يضر تعيينا لم زيادة في تقريعهم حرمنا عليهم طيبات احلت اي كان وقع اطلاقا
لهم في التورية لم كالشحوم الذي ذكرها الله تعالى في الانعام ولما ذكر ظلمهم ذكر مجامع من جزئياته وبدأها باعرامهم
عن الدين الحق فقال معيدا العامل تاكيدا له ويصدهم عن سبيل الله اي الذي لا اوضح منه ولا اسهل ولا اعظم لكون
الذي نهجه له من العظمة والحكمة ما لا يدرك وصد يجوز ان يكون قاصرا فيكون كثيرا صفة مصدر محذوف وان يكون
متعديا فيكون مفعولا به اي وصدهم كثيرا من الناس بالاضلال عن الطريق فمنعوا مستلذات تلك المآكل عاقبوا انفسهم
وغيرهم من لذاذة الايمان ولما ذكر امتناعهم ومنعهم من المحاسن التي لا اطيب منها ولا اشرف اتبعه اقدامهم على قبائح
دنيئة منها ظلمهم للخلق فقال واخذهم الربا اي وهو قبيح في نفسه متزر بصاحبه وقد اي والحال انهم قد نهوا عنه
فضموا الى مخالفة الطبع السليم الاجتراء على انتهاك حرمة الله العظيم ولما ذكر الربا اتبعه ما هو اعم منه فقال
واكلهم اموال الناس بالباطل اي سواء كانت ربا او رشوة او غيرهما ولما ذكر بعض ما عذبهم به في الدنيا اتبعه جزاءهم
في الاخرة فقال عاطفا على قوله فبظلم حرمنا واعتدنا للكافرين اي الذين صار الكفر لهم صفة راسخة فماتوا عليه ولما
علم ان منهم من يؤمن فيدخل الجنة قال منهم ولما كان الجزاء من جنس العمل قال عذابا اليما اي بسبب ما آلموا الناس
باكل اموالهم وتغطيتهم على حقوقهم من الفضائل والنوافل ذكر تحريم الاموال بالربا وغيره من انواع الباطل بقوله في
التورية قال في السفر الخامس منها بعد ما قدمته في البقرة من الامر بالاحسان الى الناس والنهي عن اذاهم وان اسلفت
ورقك المسكين الذي معك من شعبي فلا تكون له كالغريم ولا تاخذن منه ربا وقال في الثالث وان افتقر اخوك
واستعان بك فلا تتركه بمنزلة الغريب الساكن معك بل وسع عليه واياك ان تاخذ منه ربا او عينة ولا تقرضه
بالعينة وقال في الخامس ولا تظلموا ولا يدخل بيت الله ربكم اجر زانية ولا ثمن كلب ولا تاخذوا من اخوتكم ربا في
فضة ولا في طعام ولا في شئ مما تعاملونه واما الغريب فخذوا منه ان احببتم فقد ثبت في تورياتهم النهي عن الربا واما
تخصيصه بالغريب فتبديل منهم بلا ريب بدليل ما قدمته عنها في البقرة عنه قوله تعالى ان الذين لستوا والذين
هادوا من النهي عن عذر العدو وعنه قوله تعالى لا تعبدون الا الله من الاحسان الى عامة الناس لا سيما الغريب
والله الموفق ولما بين تعالى ما للمطبوع على قلوبهم المريقين في الكفر من العقاب بين ما للنيرين البصائر بالرسوخ
في العلم والايمان من الثواب فقال لكن الراسخون اي الثابتون المتمكنون في العلم منهم اي الذين هيئت قلوبهم
في اصل الخلقة لقبول العلم فايدها الطبع وجليت بالحكمة وشرحت بالرحمة فامتلأت من نور العلم وتمكنت
بالنور الايمان ولما ذكرت العلم المفيد لجميع الفضائل اتبعه ما نشأ عنه فقال والمؤمنون اي الذين هيئوا للايمان
ودخلوا فيه فصار لهم خلقا لازما منهم ومن غيرهم يؤمنون اي يجددون الايمان كل لحظة بما انزل اليك لانهم اعرف
الناس بانه حق وما انزل من قبلك اي على موسى عليه السلام وبسبب ايمانهم الخالص امنوا بما انزل على عيسى عليه السلام

ولمسلم ايضا عن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم

فقالوا دمه علينا وعلي اولادنا وقال لوقا وان بيلاطس قال لرؤسا الكهنة انا لم اجد علي هذا الانسان علة حتي قال
فلما علم انه من سلطان هيرودس يعني من الجليل ارسله الي هيرودس لانه كان في تلك الايام ببيروشليم وان هيرودس لما
راي يسوع فرح جدا لانه كان يشتهي ان يراه من زمان طويل لما كان يسمع عنه من الامور الكثيرة وكان يرجوان يعاين اية
يعملها وسالة عن كلام كثير ذكره وذكر انه لم يجبه فاحتقره هيرودس وجنده واستهزوا به والبسه ثيابا حمرا وارسله
الي بيلاطس وصار بيلاطس وهيرودس صديقين في ذلك اليوم لانه كان بينهما عداوة ثم ذكر ان بيلاطس قال لهم لم اجد عليه
علة آخذه بها ولا هيرودس ايضا وانهم لم تقبلوا منه ذلك وصاروا يصيحون اصلبه اصلبه وقال يوحنا ثم جلس يعني
فيلاطس علي كرسي في موضع يعرف برصيف الحجارة وبالعبرانية يسمي جاجله ثم ذكر جميع نقله انا جيلهم انهم صلبوه بين لصين
وانهم كانوا يستهزون به حتي اللصان المصلوبان قال مرقس فلما كانت الساعة السادسة تغشت الارض كلها ظلمة الي الساعة
التاسعة وانه صاح بصوت عظيم منه الهي الهي لم تركتني فانشق ستر حجاب الهيكل باثنين من فوق الي اسفل والارض تزلزلت
وتشققت الصخور وتفتحت القبور وكثير من اجساد القديسين القيام فاموا من قبورهم ودخلوا المدينة فظهروا لكثير وكان
هناك نسوة كثيرة ينظرن من بعيد وهن اللاتي تبعن عيسي من الجليل منهم مريم المجدلانيه ومريم ام يعقوب الصغير وام يوساوام
ابني زبدي وقال يوحنا وكان واقفا عند صليبه امه واخت امه مريم ابنة كلاوبا ومريم المجدليه ثم ذكروا انه دفن
وذكر مرقس انه كان يوم جمعه وقال يوحنا واما اليهود فلانه يوم الجمعه قالوا هذه الاجساد لا تبيت علي صلبها الان؟
السبب كان عظيما ثم ذكر انهم انزلوهم وان عيسي دفن وقال متي انا الملك جا بعد ثلاث واقامه وقال النسوة انه قد قام
فاسرعن فقلن لتلاميذه هوذا سبقكم الي الجليل وان رؤسا اليهود رشوا الجند الذين كانوا يحرسون قبره ليقولوا ان
تلاميذه سرقوه من القبر فقالوا واشاع ذلك عند اليهود الي اليوم فاما الاحد عشر تلميذا فمضوا الي الجليل الي الجبل الذي
امروا به فلما راوه سجدوا له وبعضهم شك وقال لوقا وفيما هم يتكلمون وقف عيسي في وسطهم وقال لهم السلام لكم
يا هؤلاء لا تخافوا فاضطربوا وخافوا وظنوا انهم ينظرون روحا فقال لهم ما بالكم تضطربون ولم تاتي الافكار في قلوبكم انظروا
يدي ورجلي فاني انا هو جسوني وانظروا ان الروح ليس له لحم وعظم كما ترون انه لي ولما قال هذا اراهم يديه ورجليه
واذا هم غير مصدقين من الفرح والتعجب وقال لهم اعندكم ههنا ما يوكل فاعطوه جزءا من حوت مشوي ومن شهد عسل
فاخذ قدامهم واكل واخذ الباقي واعطاهم ثم قال ثم اخرجهم خارجا الي بيت عينا فرفع يديه وباركهم وكان فيما هو يباركهم
انفرد عنهم وصعد الي السماء وقال يوحنا انه قال لمريم امضي الي اخوتي وقولي لهم اني صاعد الي ابي وابيكم والهي والهكم
وقال متي فجا يسوع فكلمهم فقال اعطيت كل سلطان في السماء وعلي الارض فاذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم انتهي ما
اردته هنا من الاناجيل من هذه القصة فقد بان لك ان اناجيلهم كلها اتفقت ان علمهم في امر انتهي الي واحد وهو
الاسخريوطي واما غيره من الاعداء فلم يكن يعرفه وانه انما وضع يده عليه ولم يقل بلسانه انه هو وان الوقت كان ليلا
وان عيسي نفسه قال لاصحابه كلكم تشكون في هذه الليلة وان تلاميذه كلهم هربوا فلم يكن لهم علم بعد ذلك بما اتفق في امره
وان بطرس انما تبعه من بعيد وان الذي دل عليه خنق نفسه وان انا قتل لان الملك قال انه قام من الاموات انما هو نسوة
كن عند القبر في مدة يسيرة وما يدري النسوة الملك من غيره ونحو ذلك من الامور التي لا تفيد غير الظن بالجهل واما الايات
التي وقعت فعلي تقدير تسليمها لا يضر فالتصديق بها وتكون لجرائهم علي الله بصلب من يظنونه المسيح ومن احسن ما في ذلك
قوله بعد اجتماعهم به رفعه اعطيت كل سلطان فاثبت ان المعطي غيره وهذا كله يصادق القرآن في انهم في شك منه
ويدل علي انا المصلوب ان صح انهم صلبوا من ظنوه اياه هو الذي دل عليه كما قال بعض العلماء انه القي شبهته عليه ويؤيد
ذلك قولهم انه خنق نفسه فالظاهر انهم لما لم يروه بعد ذلك ظنوا انه خنق نفسه مجزوما به والله اعلم وقوله انك
يا رتاه في وانا فيك ليكونوا اي التلاميذ فينا ونحو مما يومي هم خلوا المراد به الاتحاد في المراد بحيث ان واحدا منهم لا يريد
الا ما يريده الآخر ولا يرضي الا ما يرضاه فهو من وادي ما في الحديث القدسي كنت سمعه الذي يسمع به الي آخره وكذا طلاق
الاب والابن معناه انه يعاملهم في لطفه معاملة الاب ابنه فالمراد الغاية كما يوول ذلك في اطلاق الغضب والمحبة
ونحو ذلك في حق الله تعالي في شرعنا وقد مضي كثير من رد المتشابه في مثل ذلك الي المحكم في آل عمران ومضي في ذلك الموضع
وغيره ان كل ما اوهم نقصا لا يجوز في شرعنا اطلاقه علي الله تعالي والله الموفق ولما انجز الكلام الي امر عيسي عليه
السلام علي المنهاج البديع بما ذكر من فضائح اليهود وقبائح افعالهم وانهم قصدوا قتله عليه السلام فخاب قصدهم واصلد
زندهم وقالبهم ورد عليهم بغيهم وحصل له بذلك اعلي المناصب واولي المراتب قال محققا لما اثبته في الاية قبلها
من القطع بكذبهم مثبتا انهم مع سبالغتهم في عداوته سيكونون من اتباعه المصدقين بجميع امره الذي منه التصديق
بمحمد صلي الله عليه وسلم موكدا له اشد تاكيد لما عندهم من الانكار له وان اي والحال انه ما من اهل الكتاب اي احد
يدرك نزوله في اخر الزمان الا وعزتي ليومنن به اي بعيسي عليه السلام قبل موته اي موت عيسي عليه السلام اي انه
لا يموت حتي ينزل في اخر الزمان ويؤيد الله به دين الاسلام حتي يدخل فيه جميع اهل الكتاب اثارة الي ان موسي عليه
السلام ان كان قد ايده الله تعالي بانبياء كثيرين بعده دون دينه زمانا طويلا فالنبي الذي نسخ شريعة موسي وهو عيسي
عليهما السلام هو الذي يؤيد الله به هذا النبي العربي في تجديد شريعته وتمهيد امره والذب عن دينه ويكون من امته بعد

ثم بما انزل اليك ولما كانت الصلوة اعظم دعايم الدين ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر نصبت علي المدح من بين
هذه المرفوعات اظهارا لفضلها فقال تعالي والمقيمين الصلوة اي بفعلها بجميع حدودها ويجوز علي بعد ان يكون المقتضي
لنصبها جعل با لنسبة اليها بمعني الا وتضمينها لفظها لما بينهما من التناسخي فيكون المعني انهم مستثنون مما اعد له العذاب
الاليم علي معني ان الله سبحانه وهو الفاعل المختار سبق علمه بان يقيم بجميع حدودها لا يموت كافرا بل تناله بركتها فيسلم وهذا
اعظم مدح لها والحاصل ان لكن استعيرت بمعني الا بجامع ان ما بعد كل منهما مخالف في الحكم لما قبله كما استعيرت الا لمعني
لكن في الاستثناء المنقطع ولما كان الرجوع بما بعدها الي الاسلوب الماضي بين في مدحها فقال والموتون الزكوة ولما
ذكرانهم جمعوا الي صلة الخالق الاحسان الي الخلايق ذكر الايمان ثانيا تنبيها علي عظمته مفصلا له بعض التفصيل ومشيرا الي ان
نفعه كما يشترط ان يكون فاعلا يشترط ان يكون دائما فقال والمومنون بالله اي مستحضرين ما له من صفات الكمال وضم اليه
الحامل علي كل خير والمقعد عن كل شر ترغيبا وترهيبا فقال واليوم الاخر فصار الايمان مذكورا خمس مرات فان هذه الاوصاف
الموصوف واحد عطفت بالواو تفخيما لها واشارة الي ان وصف الرسوخ في العلم مقتض لانهم في الذروة من كل وصف منها
والاتصاف بكل منها يتضمن الايمان بيوم الدين فانه لا يمدح احد اتصف بشي منها عريا عن الايمان به لاجرم نبه علي فخامة
امرهم وعلو شانهم باداة البعد فقال اولئك اي العالوا الهمم ولكون السياق للراسخين العاملين اكتفي في التاكيد بالتنكير لكن
المنكر هنا اقل منه في الاية الاولي لم يضف الاجر ووصفه بالعظم فقال سنوتيهم اي بعظمتنا الباهرة بوعد لا خلف فيه
اجرا عظيما ولما كانت هذه الاوصاف منطبقة علي الانبياء عليهم السلام وكان من احوالهم الوحي قال تعالي ابطالا لشبههم
القايلة لو كان نبيا اتي بكتاب به جملة ومن السماء كما اتي موسي عليه السلام بالتوراة كذلك باقرارهم بنبوة هولاء الانبياء
عليهم السلام مع كونهم ليس لهم تلك الصفة ولم يكن ذلك قادحا في نبوة احدهم ولا رسالته انا ويصح ان يكون هذا تعليلا
ليومنون اي انهم امنوا بما انزل اليك لانا اوحينا اليك كما اي مثل ما اوحينا الي نوح وقد امنوا به لما اتي به من المعجزات
الموجب للايمان من غير توقف علي معجز اخر لنبي اخر ولا عين لان اثبات المدلول انما يتوقف علي ثبوت الدليل فاذا قام
الدليل كانت المطالبة بدليل اخر طلبا للزيادة واظهارا للتعنت والعجاج والله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
ولما كان في مقام الايحاء وهو الانباء من قبل الله قال والنبيين من بعده اي فهم يعلمون ذلك بما لهم من الرسوخ في العلم
وطهارة الاوصاف ولا يشكون في انا لكل مشكاة واحدة مع ان هذا الكتاب ابلغ والتعبير به عن المقاصد اجلي واحق فهم
اليه اميل وله اقبل واما المطبوع علي قلوبهم الممنوعون من رسوخ العلم فيها بكثافة الحجاب حتي انها لا تنظر الي سراج الا
من وراء غشاء فهم غير قابلين لنور العلم الالهي للايمان فاسرعوا الي الكفر وبادروا الي كل جرم فهم لا يضرون الا انفسهم
بما نالهم من العذاب في الدنيا بالذل والصغار وفي الاخرة بالسخط والنار ولما اجمل تعالي ذكر النبيين فصل فقال
منهما علي شرف من ذكرهم وشهرتهم واوحينا الي ابرهيم اي ابيكم وابيهم كذلك واسمعيل اي ابنه الاكبر الذي هو ابوكم دونهم
واسحق وهو ابنه الثاني وابوهم ويعقوب اي ابن اسحق والاسباط اي اولاد يعقوب ولما اجمل بذكر الاسباط
بعد تفصيل من قبلهم فصل من بعدهم فقال وعيسي اي الذي هو آخرهم من ذرية يعقوب وايوب وهو من ذرية عيصو بن
اسحق علي ما ذكروا ويونس وهرون وسليمان ولما كان المقام للتعظيم بالوحي وكان داود عليه السلام من اهل الكتب
قال وايتنا داود زبورا اي وهم يدعون الايمان به مع اعترافهم بانه لم ينزل جملة ولا مكتوبا من السماء ولما تم ما
اقتضاه مقام النبوة وكان فيهم رسل وكان ربما قال متعنت ان شان الرسل غير شان الانبياء في الوحي قال عاطفا علي
ما تقديره من بعدنا اوحينا ارسلنا من شيئنا من هولاء الذين قصصنا هم عليك هنا الي من شيئنا من الناس ورسلا اي
غير هولاء قد قصصنا هم اي تلونا ذكرهم عليك ولما كان القص عليه غير مستغرق للزمان الماضي قال من قبل اي من
قبل انزال هذه الاية ورسلا لم نقصصهم عليك اي الي الان ولما كان المراد انه لا فرق بيننا نبي والرسول في الوحي نبه
علي ذلك بقوله وكلم الله اي الذي له الكمال كله فهو يفعل ما يريد لا امر احد معه موسي تكليما اي علي التدريج شيئا فشيا
بحسب المصالح من غير واسطة ملك فلا فرق في الوحي بين ما كان بواسطة وبين ما كان بلا واسطة والمعني انكم لو كنتم
انما تنفون عن الايمان ببعض الانبياء شبهتا لتعلموا انه نفعل به ما فعل بموسي عليه السلام من الكرامة لم يومنوا
بابرهيم واسحق ويعقوب والاسباط وهرون وغيرهم فانه خص بالتكليم دونهم فلم جعلتم الاتيان بمثل ما اتي به
موسي عليه السلام شرطا في الايمان ببعض الانبياء دون بعض وان جعلتم الشرط الاتيان بالكتاب جملة ومن السماء
مدعين انه كان له ذلك دون التكليم وغيره مما جعل له كان ذلك علي تقدير التسليم تنزلا تحكما وترجيحا من غير مرجح
علي ان التوراة ايضا كما تقدم بيانه كهذا القران في انزالها منجمة علي حسب الوقايع علي ما اشار اليه تكليما ولم يكتب
منها جملة الا الالواح اللذان وضعا في تابوت الشهادة كما انزل بعض سورة القران جملة كسورة الانعام وليس في نزول
موسي عليه السلام بها من جبل الطور مكتوبين دليل علي نزولها من السماء ويدل علي ذلك كثير من نصوصها اصرحها انه
تعالي حرم عليهم العمل في السبت عقب اخراجهم من البحر عند انزال المن كما بين في السفر الثاني منها ولم يبين كيف يفعل
بالعاصي فيه الا بعد ذلك بدهر بدليل ما في السفر الرابع منها في قصة الذي وجد يحتطب يوم السبت فقدمه الذين وجدوه يحتطب الي موسي وهرون والي الجماعة كلها وحبسوه في السجن

لانه لم يكن اوحي الي موسي كيف يصنع به فقال الرب لموسي بقتل هذا الرجل يرجم بالحجارة خارجا من العسكر ورجمته
الجماعة كلها بالحجارة ومات كما امر الرب موسي ومنها انه امرهم كما بين في السفر الثاني بنصب قبة الزمان التي كانوا يصلون
اليها ويسمع موسي الكلام منها ثم بعد ذلك بمدة امرهم كما بين في السفر الرابع بالزيادة فيها ومنها انه كتب له الالواح في الطور
اللوحين اللذين كسرهما غضبا من تخاذلهم العجل ثم لوحين عوضا عنهما ثم لما نصبت قبة الزمان صار سبحانه وتعالي
يكلمه منها وغالب احكامهم انما شرعت بالكلام الذي كان في قبة الزمان كما هو في غاية الوضوح في التورية ومنها
ما قال في اواخر السفر الخامس وهو اخرها فلما اكمل موسي كتاب ايات هذه التورية في السفر وقرغ منها امر موسي الاحبار
الذين يحملون تابوت عهد الرب وقال لهم خذوا سفر هذه السنن واجعلوه في جوف تابوت عهد الله ربكم في جانب
من جوانبه ليكون هناك شاهدا لاني قد عرفت جفاكم وقساوة قلوبكم وما تصيرون اليه وكيف لا يكون ذلك وقد اغضبتم
الرب وانا حي معكم فمن بعد موتي احري ان تفعلوا ذلك فليجتمع الي اشياخ اسباطكم وكتابكم فاتلوا عليهم هذه الاقوال واشهد
عليهم السماء والارض لانكم مفسدون من بعد وفاتي تحيدون عن الطريق الذي امركم به ويصيبكم شر شديد في آخر الايام اذا
عملتم السيئات بين يدي الرب واغضبتموه باعمال ايديكم وقال موسي بين يدي جماعة بني اسرائيل انصتي ايتها السماء
فاتكلم ولتسمع الارض النطق مني وقال كلاما كثيرا في ذمهم اذكره ان شاء الله في التأييد عند من لعنه الله وغضب عليه
ثم قال يقول الله استخلوني مع العربا باوثانهم واغضبوني حين ذبحوا للشياطين ومضي يتكلم عن كلام الله الذي هو من
احسن التورية الي ان قال فلما اكمل موسي هذه الايات كلها لبني اسرائيل قال لهم اقبلوا بقلوبكم اي هذه الاقوال
ثم قال وكلم الرب موسي ذلك اليوم وقال له اصعد الي جبل العبرانيين هذا جبل النبو الذي بارض مواب
حيال ايريحا وانظر الي ارض كنعان التي اعطي بني اسرائيل ميراثا وذكر بعد ذلك كلاما كثيرا طويلا وفيها كلها ان يا لها
كثير مما هو ظاهر في ذلك بل صرح وفي قصتي نوح وابرهيم عليهما السلام ما هو صريح في ان الايحاء اليهما كان منجما كما مضي عنها
في قصة ابرهيم عليه السلام في البقرة وياتي ان شاء الله تعالي في ذكر الاصار في الاعراف وفي قصة نوح عليه السلام
في سورة هود والله الموفق وذكر ابتداء سبحانه في هذه الآية بنوح عليه السلام اول اولي العزم اصحاب الشرايع وجودا
ومن اول الانبياء وزمانه في القدم بحيث لا يعلم مقداره علي الحقيقة الا الله تعالي ثم ثني ببانيهم في الوجود وهو ابرهيم
عليه السلام ثم ذكر اولاده علي ترتيبهم والاسباط يحتمل ان يراد بهم اولاد يعقوب عليه السلام انفسهم وقبايلهم ويكون
المعني حينئذ وانبياء الاسباط ويكون مما استعمل في حقيقته ومجازه ويكون شاملا لجميع انبياء بني اسرائيل ثم صرح ببعض
من دخل منهم في العموم فبدا بهم بآخرهم بعثا وهو عيسي عليه السلام الذي هو احد نبيي اهل الكتابين وختم الاية باحد
اصحاب الكتب منهم وهو جده المشهور بالنسبة اليه فان اليهود كانوا يقولون لعيسي عليه السلام يا ابن داود لان امه من
ذريته وختم الآية باول نبيي اهل الكتابين موسي عليه السلام الذي اضرعشي علي الاسلام واهله المنتمون الي اتباعه ووسط
اخاه هرون عليه السلام بين اثنين من اهل البلاء ايوب ويونس واثنين من اهل الملك واحدهم صاحب كتاب وهما سليمان
وداود وكل ذلك اشارة الي انه لا فوق في كيفية الايحاء بحوما الي الانبياء بين متقدمهم ومتاخرهم سواء كان من بني اسرائيل
او من غيرهم وسواء منهم من اوتي الملك ومن لم يؤته ومن اوتي بكتاب ومن لم يات ومن لطايف هذا الترتيب
ان المخصوصين بالذكر في الاية الاولي بعد دخولهم في العموم احد عشر اسما الاسباط احدها والمشهور بالكتب والصحف
منهم ثلثة ابرهيم وعيسي وداود وقد وقع كل منهم سادسا لصاحبه وهو العدد الذي كان فيه الخلق فلعل ذلك اشارة
الي ان الله لا يحب العجلة فكانه لم يعجل في انشاء الخلق فكذلك لم يعجل بانزال الكتب التي بها قوامهم وبقاؤهم دفعة
بل انزلها منجمة تبعا لمصالحهم وتثبيتا لدعائمهم ومن لطايفه انه تعالي بدا المذكورين وختمهم باثنين من اولي
العزم اشتركا في ان كلا منها اهلكت من عانده لنفس واحدة بالاعراق ترهيبا لهؤلاء الملبسين علي اهل الاسلام
بالباطل المدعين انهم اتباع الثاني ووسط بينها وبين بقية المسمين عموم النبيين والمرسلين ولعله اخر الرسل
ليفهم ان كل من عطفوا عليه مرسل ولان رتبة النبوة قبل رتبة الرسالة بمعني انها اعم منها ولما سرد اسماء
من دخل في العموم بدا بهم باشرفهم ثم بالاقرب الي هذا النبي الكريم فالاقرب من المرتبين علي حسب ترتيبا لوجود الي
انه سن به في الوحي سنة ابايه واخوانهم وذرياتهم والله اعلم ولما كان معظم رسالة نبينا صلي الله عليه وسلم
بشارة ونذارة قال مبينا انهم مثله في ذلك كما كانوا قبله في الوحي لانا لمقصود من الارسال بجميع الرسل جمع الخلق
علي الحق بالبشارة والنذارة رسلا اي جعلناهم رسلا ويجوز ان يكون بدلا من رسلا الماضي وان يكون حالا
كونهم مبشرين ومنذرين ثم علل ذلك بقوله لئلا يكون اي لينتفي ان يوجد للناس اي نوع من فيه قوة النوس
ولما كانت الحجة قد تطلق علي مطلق العذر ولو كان مردودا عتبر باداة الاستعلاء فقال علي الله حجة اي واجبة
القبول علي ما يتعارفه العباد بينهم علي الملك الذي اختص بجميع صفات الكمال في ان لا يعذب عصاتهم ولما كانا المراد
استغراق النفي لجميع الزمان المتعقب للارسال اسقط الجار فقال بعد اي انتفاء ذلك انتفاء مستغرقا لجميع الزمان
الذي يوجد بعد ارسال الرسل وتبليغهم للناس وذلك دال علي ان وجوب معرفته تعالي انما ثبتت بالسمع واما
نفس المعرفة والنظر والتوحيد فطريقها العقل فالمعرفة متلقاة من العقل والوجوب متلقي من الشرع والنقل

ولما كان ذلك ربما اوهم انه ربما امتنع عليه قبل ذلك سبحانه احد بحجة او غيرها قال مزيلا لذلك وكان الله اي المستجمع لصفات
العظمة عزيزا اي يغلب كل شي ولا يغلبه شي فهو قادر على ما طلبوه ولكنه لا يجيب اليه لانه على سبيل اللجاج وهم غير معجزين
حكيما اي يضع الاشيا في اتقن مواضعها فلذلك رتب امورا لا يكون معها لاحد حجة ومن حكمته انه لا يجيب المعنت ولما لم يبق
سبحانه لهم شبهة واستمروا على عنادهم اشار تعالى الى ما تقديره انهم لا يقصدون الحق فهم لا يشهدون لك عند اتضاح الامر فقال
لكن اي ومع ما قام من البراهين على صدقك وكون كتابك من عند الله فهم لا يشهدون به لك لكن الله اي الذي له الامر كله فلا كفو
له يشهد اي لك بما انزل اليك اي من هذا الكتاب المعجز الذي قد اخرس الفصحا وابكم البلغا وفيه هذه الاحكام المصادقة
لما عندهم وهم يريدون الاضلال عنها فشهادته ببلاغته وحكمته بصدق الاتي به هي شهادة الله لانه قايله ولذلك علل
بقوله انزله بعلمه اي عالما بانزاله على الوجه المعجز مع كثرة المعارض فلم يقدر احد ولا يقدر على احداث شي فيه من تغيير
ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان ولا معارضة والملايكة ايضا يشهدون بذلك لانهم كانوا حضورا لانزاله وامنا على من
كان منهم على يده ليبلغه كما قاله الله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم وهذا
خطاب للعباد على حسب ما يعرفون ولما كان ربما افهم نقصا نفاه بقوله وكفى بالله اي الذي له الكمال كله شهيدا اي وكفى
بشهادته في ذلك شهادة عن شهادة غيره وذلك انه انزله سبحانه شاهدا بشهادته ناطقا بها لاعجازه بنظمه وبما فيه
من علمه من الحكم والاحكام وموافقة كتب اهل الكتاب فشهادته بذلك هي شهادة الله وهي لعمري لا تحتاج الى شهادة احد غيره
ولما بين سبحانه انه اقام الادلة على صحته بالمعجزات فصار كانه شهد بحقيقته كان انفع الاشيا اتباع ذلك بوصف من
جحده في نفسه وصد عنه غيره زجرا عن مثل حاله وتقبيحا لما ابدى من ضلاله فقال ان الذين كفروا اي اشتروا ما عندهم
من العلم بصدقه بما دل عليه من شاهد العقل وقاطع النقل من اليهود وغيرهم وصدوا عن سبيل الله اي الملك الاعلى الذي
لا امر لاحد معه بانفسهم وباضلال غيرهم بما تلقونه من الشبه من مثل هذه وقولهم كذبا ان في التورية ان شريعة موسى
عليه السلام لا تنسخ وقولهم ان الانبيا لا يكونون الا من ابنا هرون وداود عليهما السلام قد ضلوا اي عن الطريق الموصل
الى مقصودهم في حسده وضع ما يراد من اعلايه ضلالا بعيدا اي لان اشد الناس ضلالا مبطل يعتقد انه محق ثم يحمل غيره
على مثل باطله فصاروا بحيث لا يرجى لهم الرجوع الا الطريق النافع لا سيما ان ضم الى ذلك الحسد لان ذا الحسد ذو داء ثم
اغراقهم في الضلال باضلاله لهم لتماديهم فيما تدعوا اليه نقيصة النفس من الظلم بقوله وعيدا لهم ان الذين كفروا اي ستروا
ما عندهم من نور العقل وظلموا اي فعلوا بحسدهم وصدهم فعل الماشي في الظلام باعراضهم واضلالهم غيرهم بما يلقونه من
الشبهات لم يكن الله اي بجلاله ليغفر لهم اي لظلمهم ولا ليهديهم طريقا اي لتضييعهم ما اتاهم من نور العقل ومنابذتهم له
ثم يهكم بهم بقوله الا طريق جهنم اي بما تجهموا من ظلموه ولما كان المعنى فانه يسكنهم اياها قال خالدين فيها اي لان الله لا
يغفر الشرك واكد ذلك بقوله ابدا ولما كان ذلك مع ما لهم من العقول امرا عجيبا قال تعالى وكان ذلك اي الامر العظيم
من كفرهم وضلالهم وعذابهم على الله يسيرا لانه قادر على كل شي ولما وضح بالحجاج معهم الحق واستبان بمحو شبههم كلها
من وجوه كثيرة الرشد واوضح فساد طرقهم وابلغ في وعيدهم انتج ذلك صدق الرسول وحقيقة ما يقول فاذعنت النفوس
فكان انسب الاشيا ان عم سبحانه في الخطاب لما وجب من اتباعه على وجه العموم عند بيان السبيل ونهوض الدليل فقال
مرغبا مرهبا يا ايها الناس اي كافة قد جاكم الرسول اي الكامل في الرسلية الذي كان ينتظره اهل الكتاب لرفع الارتياب
ملتبسا بالحق اي الذي يطابقه الواقع وستنظرون الوقايع فتطبقونها على ما سبق فيها من الاخبار كاينا ذلك الحق
من ربكم اي المحسن اليكم فان اتبعتم رسوله قبلتم احسانه فتمت نعمته عليكم ولهذا سبب عن ذلك قوله فامنوا ولما كان
التقدير بما ارشد اليه السياق توعدا لهم ان تومنوا يكن الايمان خيرا لكم عطف عليه قوله وان تكفروا اي تستمروا على
كفرانكم او تجددوا كفرا يكن الكفران شرا لكم اي خاصا ذلك الشر بكم ولا يضره من ذلك شي ولا ينقصه من ملكه شيا كما ان الايمان
لم ينفعه شيا ولا زاد في ملكه شيا لان له الغنى المطلق وهذا معنى قوله فان لله اي الكامل العظمة ما في السموات والارض
فانه من اقامة العلة مقام المعلول ولم يؤكد بتكرير ما وان كان الخطاب مع المضطربين لان قيام الادلة اول الى حد من
الوضوح بشهادة الله لا مزيد عليه فصار المدلول به كالمحسوس ولما كان التقدير فهو غني عنكم وله عبيد غيركم لا يعصونه
وهو قادر على تعذيبكم باسقاط ما اراد من السما وخسف ما اراد من الارض وغير ذلك وكان تنعيم الموالف وتعذيب المخالف
وتلقي النصيحة بالقبول دايرا على العلم وعلى الحكمة التي هي نتيجة العلم والقدرة قال وكان الله اي الذي له الاختصاص التام
بجميع صفات الكمال ازلا وابدا مع ان له جميع الملك عليما اي فلا يسع ذا لب ان يعدل عما اخبر به من ان امر هذا الرسول
حق اذ هو لم يخبر به الا عن تمام العلم ولا يخفى عليه عاص ولا مطيع حكيما فلا ينبغي لعاقل ان يضيع شيا من اوامره لانه
لم يضعها الا على كمال الاحكام فهو جدير بان يحل بمخالفة اي انتقام ويثيب من اطاعه بكل انعام ولما اقتضى السياق
الاكمل فيما سبق اتمام امر عيسى عليه السلام اذ كان الكلام في بيان عظيم جراتهم وخفايهم وكان ما فعلوا معه ادل دليل
على ذلك وكان كل من اعدايه واحبابه قد ضل في امره وغلا في شانه اليهود بخفضه والنصارى برفعه اقتضى قانون العلم
والحكمة المشار اليهما بختام الاية السالفة بيان ما هو الحق من شانه ودعا الفريقين اليه فقال يا اهل الكتاب اي عامة
لا تغلوا في دينكم اي لا تفرطوا في امره فتجاوزوا بسببه حدود الشرع وقوانين العقل ولا تقولوا على الله اي الملك الاعلى

الذي لا يكون له شيء من القول الا الحق اي الذي يطابقه الواقع فمن قال عن عيسى عليه السلام انه بغير رشدة فقد
اغرق في الباطل فانه لو كان كذلك ما وفقت امه للدخول على الطاعات وما ظهرت عليها عجايب الكرامات ولا تكلم هو في المهد
وما ظهرت على لسانه ينابيع الحكمة ولا اقدر على احياء الموتى وذلك متضمن لان الله تعالى العليم الحكيم اظهر المعجزات على يد
من لا يحبه وذلك ينافي الحكمة فهو كذب على الله بعيد عن تنزيهه ومن قال انه الا وابن الله فهو ابطل وابطل فانه لو كان
كذلك لما كان حادثا ولما احتاج الى الطعام والشراب وما ينشأ عنهما ولا قدر احد على اذاه ولثبتت الحاجة الى الصاحبة
للاله فلم يصلح للالهية وذلك ابطل الباطل ولما ادعى اليهود انه غير رسول والنصارى انه اكمل حسن تعقيبه بقوله
انما المسيح اي المبارك الذي هو اهل لان يمسحه الامام بدهن القدس لما فيه من صلاحية الامامة وهو اهل ايضا ان يمسح
الناس ويطهرهم لما له من الكرامة ولما ابتدأ سبحانه بوصفه الاشهر وكان قد يوصف به غيره بينه بقوله عيسى
ثم اخبر عنه بقوله ابن مريم اتصل بها اتصال الولاد بامها لم لا تصح تسميته بالنبوة اي غيرها وليس هو الله ولا ابن الله
كما زعم النصارى رسول الله الذي له جميع صفات الكمال فلا يكون رسوله الا كاملا لا انه لغير رشدة كما كذبت اليهود ولما
كان تكونه بكلمة الله من غير واسطة ذكر جعل نفس الكلمة فقال وكلمته لانه كان بها من غير تسبيب عن اب بل كونا خارقا
للعوايد القاها اي اوصلها علوا امره وعظيم قدره ايصالا سريعا الى مريم وحصلها فيها وزاده تشريفا بقوله
وروح اي عظيمة ينفخها فيما تكون في مريم من الجسد الذي قام بالكلمة لا بمادة من ذكر والروح هو النفخ في لسان العرب وهو
كالريح الا انه اقوى مما له من الهواء والحركة المجانسة لها ولغلبة الروح عليه كان يحيي الموتى اذا اراد والكل بشرنه بقوله
منه اي وان كان جبريل هو النافخ واذا وصف شيء بغاية الظهارة قيل روح ولا سيما ان كان به حيوة في دين او بدن
ولما افصح بهذا الحق سبب عنه قوله فامنوا بالله اي الذي لا يعجزه شيء ولا يحتاج الى شيء ورسله اي عيسى عليه
السلام وغيره عامه من غير افراط ولا تفريط ولا تؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض فان ذلك حقا هو الكفر الكامل لما امرهم
ولما امرهم باثبات الحق نهاهم عن التلبس بالباطل فقال ولا تقولوا اي في امر عيسى عليه السلام ثلثة اي استمروا
ايها اليهود على التكذيب بما يقول فيه النصارى ولا تقولوا انه متولد من اب ولم لغير رشدة للتثليث وارجعوا ايها
النصارى عن التثليث الذي يريدون به ان الاله ثلثة وان ضمهم اليه انه اله واحد ان ذلك بديهي البطلان والحاصل
انه نهى كلا عن التثليث وان كان المراد ان به مختلفين وانما العدل فيه انه ابن مريم نهما اثنان لا غير وهو عبد الله ورسوله
وكلمته وروح منه ولما نهاهم عن ذلك بصيغة النهي صرح به في مادته مرغبا ومرهبا في صيغة الامر انتهوا اي عن
التثليث الذي نسبتموه الى الله بسببه وعن كل كفر وقد ارشد سياق النهي الى ان التقدير ان تنتهوا يكن الانتهاء
خيرا لكم ولما نفى ان يكون هو الله كما تضمن قولهم حصر القول فيه سبحانه في ضد ذلك كما فعل في عيسى عليه السلام فقال
انما الله اي الذي له الكمال كله ولما كان النزاع انما هو في الوحدانية من حيث الالهية لا من حيث الذات قال اله واحد اي
لا تعدد فيه بوجه ولما كان المقام عظيما زاد في تقريره فنزهه عما قالوه فقال سبحانه اي تنزه وبعد بعدا عظيما
وعلا علوا كبيرا ان اي عن ان يكون له ولد اي كما قلتم ايها النصارى فان ذلك يقتضي الحاجة ويقتضي التركيب والمجانسة
فلا يكون واحدا ثم علل ذلك بقوله له اي لانه اله واحد لا شريك له ما في السموات والكل لانا لمقام له فقال
وما في الارض اي خلقا وملكا وملكا فلا يتصور ان يحتاج الى شيء منها ولا الى شيء متحيز فيها ولا يصح بوجه ان يكون بعض
ما يملك المالك جزءا منه وولدا له وعيسى وامه عليهما السلام من ذلك وكل منهما محتاج الى غاية في الوجود ولما كان
معنى ذلك انه الذي دبرهما وما بينهما كان الارض في السماء وكل سماء في التي فوقها والسابعة في الكرسي والكرسي في العرش
وهو ذو العرش العظيم لا نزاع في ذلك وذلك هو وظيفة الوكيل بالحقيقة ليكفي من وكله كل ما يهمه كان كانه قيل وهو
الوكيل بنهما وفي كل ما فيهما في تدبير مصالحكم فبني عليه قوله وكفى بالله وكيلا اي يحتاج اليه كل شيء ولا يحتاج هو الى
شيء ولا لما كان كافيا ولما كان الوكيل من يقوم مقام الموكل ويفعل ما يعجز عنه الموكل وكان الله تعالى لا يعجزه شيء ولا
يحتاج الى شيء وكان عيسى عليه السلام لا يدعي القدرة على شيء الا بالله وكان يحتاج الى النوم والى الاكل والشرب وما يستلزمانه
صح انه عبد الله فقال سبحانه دالا على ذلك لن يستنكف اي يطلب ويريد ان يمتنع ويابى ويتحيى ويانف ويستكبر
المسيح اي الذي ادعوا فيه الالهية وانفوا له من العبودية لكونه خلق من غير ذكر ولكونه ايضا يخبر ببعض المغيبات
ويحيي بعض الاموات ويابى بخوارق العادات ان اي من ان يكون عبدا لله اي الملك الاعظم الذي عيسى عليه السلام من
جملة مخلوقاته فانه من جنس البشر في الجملة وان كان خلقه خارقا للعادة البشر ولا الملئكة اي الذين هم اعجب خلقا
منه في كونهم ليسوا من ذكر ولا انثى ولا ما يجانس عنصر البشر فكانوا لذلك اعجب خلقا من آدم عليه السلام ايضا وهم
لا يستنكفون بذلك عن ان يكونوا عباد الله ولما كان التقريب مقتضيا في الاغلب للاستخفاف وكان صفة عامة
للملئكة قال المقربون اي الذين هم في حضرة القدس فهم اجدر بعلم المغيبات واظهار الكرامات وجبريل الذي هو
احدهم كان سببا في حيوة عيسى عليه السلام وقد ادعى بعض الناس فيهم الالهية ايضا وبهذا طاح استدلال المعتزلة
بهذه الاية على افضلية الملك على البشر بان العادة في مثل هذا السياق الترقي من الادنى الى الاعلى بعد تسليم مدعاهم لكن
في الخلق لا في المخلوق ولما اخبر تعالى عن خلص عباده بالتشرف بعبوديته اخبر عمن ابى ذلك فقال ممهدا لمحذوم

المقصى ٢

ما نسخ في الحاشية

متوعدا ومن يستنكف اي من الموجودات كلهم عن عبادته ولما كان الاستنكاف قد يكون بمعنى مجرد الامتناع لا كبرا قال مبينا
للمراد من معناه هنا ويستكبر اي يطلب الكبر عن ذلك ويوجده لان مجرد الامتناع لا يستلزمه ولما كان الحشر عاما للمستكبر وغيره
كان الضمير في فسيحشرهم عايدا على العباد المشار اليهم بعبد او عبادتهم ولا يحسن عوده على من لان التفصيل يأباه فالتقدير
حينئذ فسيذلهم لانه سيحشر العباد اليه جميعا اي المستكبرين وغيرهم بوعد لا خلف فيه لان الكل يموتون ومن مات كان مخلوقا
محدثا قطعا ومن كان مقدورا على ابتدائه وافنائه كانت القدرة على اعادته اولى والحشر الجمع بكره ولما عم بالحشر المستكبرين
وغيرهم جا التفصيل الى القسمين فقال فاما الذين امنوا اي اذعنوا لله تعالى وخضعوا لله تعالى وعملوا الصالحات تصديقا
لاقرارهم بالايمان فيوفيهم اجورهم اي التي جرت العادات بينكم ان يعطوها وان كانوا في الحقيقة لا يستحقونها لان الله تعالى
هو الذي وفقهم لها فهي فضل منه عليهم ويزيدهم اي بعد ما قضت به العادات من فضله اي شيا لا يدخل تحت الحصر لانه ذو
الفضل العظيم واما الذين استنكفوا واستكبروا اي طلبوا كلا من الاباء والكبر فيعذبهم عذابا اليما اي بما وجدوا من
لذاذة الترفع والكبر والموا بذلك اولياء الله ولا يجدون لهم اي حالا ولا مالا من دون الله الذي لا امر لاحد معه وليا اي
قريبا يصنع معهم ما يصنع القريب ولا نصيرا وان كان بعيدا وفي هذا انم زاجر عما قصده المنافقون من موالاة اهل الكتاب
واعظم ناف لما يمنونهم اياه مما لهم زعموا من المنزلة عند الله المقتضية لان يقربوا من شاؤا ويبعدوا من شاؤا وهو من انسب
الاشيا لختام اول الايات المحذرة منهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ولما ازاح شبه جميع المخالفين من ساير الفرق اليهود
والنصارى والمنافقين واقام الحجة عليهم كلهم واقام الادلة القاطعة على حشر جميع المخلوقات فثبت انهم كلهم عبيده عم في الارشاد
لطفا منه بهم فقال يا ايها الناس اي كافة اهل الكتاب وغيرهم ولما كان السامع جديرا بان يكون قد شرح صدرا بقواطع
الادلة وتوقع ان تترجم متعجبها بكلام وجيز جامع قال قد جاكم برهان اي حجة نيرة واضحة مفيدة لليقين التام وهو رسول
مويد بالادلة القاطعة من المعجزات وغيرها من ربكم اي المحسن اليكم بارساله الذي لم تروا قط احسانا الا منه ولما كان القران
صفة الرحمن اتى بمظهر العظمة فقال وانزلنا اي بما لنا من العظمة والقدرة والعلم والحكمة على الرسول الموصوف منتهيا
اليكم نورا مبينا اي واضحا في نفسه موضحا لغيره وهو هذا القران الجامع باعجازه وحسن بيانه بين تحقيق النقل وتبصير
العقل فلم يبق لاحد من المدعوين به نوع عذر والحاصل انه سبحانه لما خلق للادمي عقلا لا يزيغ واسكنه نورا لا يضل ولا يميل
مهما جرد ولكنه سبحانه خصه بالشهوات والحظوظ والملل والفتور فكان في اغلب احواله قاصرا الا للانبيا عليهم السلام ومن الحقه
سبحانه بهم انزل كتبه بذلك العقل مجردا عن كل عايق وامرهم ان يجعلوا عقولهم تابعة له منقادة به لانها مشوبة وهو مجرد
لا شوب فيه بوجه ولما اشار في هذه الاية الى الرسول الاصفى والنبي الاهدى المجبول على هذا العقل الاقوم الاجلى والكتاب
الاتم الاوفى الجاري على هذا القانون الاعلى الوافي تعبيره الوجيز باحكام الاولى والاخرى الكفيل سياقه وترتيب اياته
بوضوح الادلة وظهور الحجج اخذ يقسم المنذرين فقال تعالى فاما الذين امنوا بالله اي الذي اتضح انه لا امر لاحد معه في ذاته
وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه بما دل عليه قاطع البرهان واعتصموا به جعلوه عصاما لهم في الفرايض التي هي من
اعظم مقاصد هذه السورة يربطهم ويضبطهم عن ان يضلوا بعد الهدى ويرجعوا من الاستبصار الى العمى لان العصام
هو الرابط للوعاء ان يخرج شي مما فيه وصيغة الافتعال تدل على الاجتهاد في ذلك لان النفس داعية الى الاهمال المنتج للضلال
فسيدخلهم اي بوعد لا خلف فيه ولعل السين ذكرت لتفيد مع تحقيق الوعد الحث على المثابرة والمداومة على العمل اشارة الى
عزة ما عنده سبحانه في رحمة منه اي ثواب عظيم هو برحمته لهم لا بشي استوجبوه واشار الى الزيادة على ما تقتضيه اعمالهم
لو كانت لهم بقوله وفضل اي عظيم يعلمون انه زيادة لا سبب لهم فيها ويهديهم اي في الدنيا والاخرة اليه صراطا اي عظيما
واضحا جدا مستقيما اي هو من شدة قومه كانه طالب لتقويم نفسه فهو يوصلهم لا محالة الى وعده بما يحفظهم في سرهم وعلنهم
بتجلي انوار عالم القدس في ارواحهم وتوفيقهم لاتباع ما هدت اليه من امر الفرايض وغيرها فقد اتى كما ترى بالما المقتضية
للتقسيم لا محالة واتى باحد القسمين المذكورين في الاية التي قبلها ووصلهم بالاعتصام بالله في النصرة وقبول جميع احكامه
في الفرايض وغيرها وافقت اهويتهم او خالفتها تعريضا بالمنافقين الذين والوا غيره بالكافرين الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض
وترك القسم الاخر وهو قسم المستنكفين والمستكبرين ووضع موضعه حكما من احكام الفرايض المفتتح بها السورة التي هي من
اعظم مقاصدها من غير حرف عطف بل بكمال الاتصال فقال منكرا عليهم تكرير السوال عن النسا والاطفال بعد ما في المقال
مبينا انه قد هدى في ذلك كله اقوم طريق يستفتونك اي يسلونك ان تفتيهم اي ان تبين لهم بما عندك من الكرم والجود
والسخا ما انغلق عليهم امره وانبهم لديهم سره من حكم الكلالة والاعتنا بامر المواريث قال اشارة الى ان الله تعالى لم يكل
امرها الى غيره قل الله اي الملك الاعظم يفتيكم في الكلالة وهو من لا ولد له ولا والد روى البخاري في التفسير عن البرا رضي
الله عنه قال اخر سورة نزلت براة واخر اية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وقال الاصبهاني عن الشعبي
اختلف ابو بكر وعمر رضي الله عنهما في الكلالة فقال ابو بكر هو ما عدا الوالد وقال عمر ما عدا الوالد والولد ثم قال
عمر اني لاستحي من الله ان اخالف ابا بكر رضي الله عنه ثم استانف قوله ان امرؤ هلك اي وهو موصوف بانه او حال كونه
ليس له ولد اي وان سفل سوا كان ذكرا او انثى عند ارث النصف وليس له ايضا والد فان كان احدهما لم يسم كلالة
وقد بينت ذلك السنة قال الاصبهاني رحمه الله وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والاخر بالسنة وهو قوله صلى الله

خصه

كما ترشد اليه السياق ايضا

عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فلاولي عصبة ذكر والاب اولي من الاخ والحال انه له اخت اي واحدة من
اب شقيقة كانت او لا لانه سياتي ان اخاها يعصبها فلو كان ولد ام لم يعصب فلها نصف ما ترك وهو اي وهو الاخ
الميت يرثها اي ان ماتت هي وبقي هو جميع مالها ان لم يكن لها ولد اي ذكرا كان او انثى كما مر في عكسه هذا ان اريد بالارث
جميع المال والا فهو يرث مع الانثى كما انها هي ايضا ترث مع الانثى دون النصف ولما بين الامر عند الانفراد اتبعه بيانه
عند الاجتماع وقدم اقله فقال فان كانتا اي الوارثتان ببيان السياق لهما وارشاده اليهما ولما اضمر ما دل عليه
السياق وكان الخبر صالحا لان يكون صالحتين او صغيرتين او غير ذلك بين ان المراد مطلق العدد على اي وصف اتفق فقال
اثنتين اي من الاخوات للاب شقيقتين كانتا او لا فلهما الثلثان مما ترك فان كانتا شقيقتين كان لكل منهما ثلث وان
اختلفتا كان للشقيقة النصف وللتي للاب فقط السدس تكملة الثلثين ولما بين اقل الاجتماع اتبعه ما فوقه فقال
وان كانوا اي الوراث اخوة اي مختلطين رجالا ونساء فللذكر اي منهم مثل حظ الانثيين وقد انهى سبحانه ما اراد من
بيان ارث الاخوة لاب فتم بذلك جميع احوال ما اراد من الارث وهو على وجازته كما ترى يحتمل مجلدات والله الهادي
ووضع هذه الآية هنا كما تقدم اشارة منه تعالى الى ان من ابى توريث النساء والصغار الذي تكرر الاستفتاء عنه فقد
استنكف عن عبادته واستكبر وان آمن بجميع ما عداه من الاحكام وما استنكف عن حكم منها من الاحكام فذاك هو الكافر
حقا كما ان من آمن ببعض الانبياء وكفر ببعض فهو الكافر حقا وهذا مراد شياطين اهل الكتاب العارفين بصحة هذه
الاحكام الحاسدين لكم عليها المريدين لضلالكم عنها لتشاركوهم في الشقاء الذي وقع لهم لما بدلوا الاحكام المشار اليهم
بعد ذكر ايات الميراث وما تبعها من احوال النكاح بقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وقوله
ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ثم المصرح بهم في قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم ولذلك والله اعلم ختم هذه الآية بقوله يبين الله
اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما لكم اي ولم يكلكم في هذا البيان الى بيان غيره وقال مرغبا مرهبا ان اي كراهة ان
تضلوا والله اي الذي له الكمال كله بكل شيء عليم اي فقد بين لكم بعلمه ما يصلحكم بيانه محيا ومماتا دنيا واخرى حتى
جعلكم على المحجة البيضاء في مثل ضوء النهار لا يزيغ عنها منكم الا هالك والحاصل ان تاخير هذه الآية الى هنا لما تقدم
من ان تفريق القول فيما تاباه النفوس والقاء شيئا فشيئا باللطف والتدريج ادعى لقبوله والاشارة الى شدة الاهتمام
بامر الفرايض بجعل الكلام فيها في جميع السورة اولها واثنائها واخرها والتخويف من ان يكون حالهم كحال المنافقين في اضلال
اهل الكتاب لهم بالقاء الشبه واخذهم من المواضع الذي تهواه نفوسهم ومضت عليه اوايلهم واشربته قلوبهم والترهيب
من ان يكونوا مثلهم في الايمان ببعض والكفر ببعض فيؤديهم ذلك الى كمال الكفر لان الدين لا يتجزأ بل من كفر بشيء منه كفر
به جميعه ومن هنا ظهرت مناسبة آخر هذه السورة لاولها لان اولها مشير الى ان الناس كلهم كشيء واحد وذلك يقتضي
عدم الفرق بينهم الا فيما شرعه الله واخرها مشير الى ذلك بالتسوية بين النساء والرجال في مطلق التوريث بقرب
الارحام وان اختلفت الانصباء فكانه قيل يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء وسوى بينهم فيما اراد من الاحكام فانه من استكبر ولو عن حكم من احكامه فسيجازيه يوم الحشر
ولا يجد له من دونه ناصرا ولا يخفى عليه شيء من حاله وما اشد مناسبة ختامها باحاطة العلم لما دل عليه اولها من تمام
القدرة فكان اخرها دليلا على اولها لان تمام العلم مستلزم لشمول القدرة قال الامام وهذان الوصفان هما اللذان
بهما يثبت الربوبية والالهية والجلال والعزة وبهما يجب على العبد ان يكون مطيعا للاوامر والنواهي منقادا
لكل التكاليف انتهى ولختام اول اية فيها بقوله ان الله كان عليكم رقيبا اي وهو بكل شيء من احوالكم وغيرها عليم
فلا تظنوا انه يخفى عليه شيء وان دق فليشتد حذركم منه ومراقبتكم له وذلك اشد شيء مناسبة لاول المايدة والله الموفق

سورة المايدة وتسمى سورة العقود وسورة الاحبار مائة وعشرون وثلث ايات

بلغ مقابلة

مقصودها الوفاء بما هدى اليه الكتاب ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق ورحمة الخلائق شكرا للنعمة واستدفاعا
للنقمة وقصة المايدة ادل ما فيها على ذلك فان مضمونها ان من زاغ عن الطمانينة بعد الكشف الشافي والانعام الوافي
نوقش الحساب فاخذه العذاب وتسميتها بالعقود اوضح دليل على ما ذكرت من مقصودها وكذا الاحبار بسم الله
الذي تمت كلماته فصدقت وعوده وعمت مكرماته الرحمن الذي عم بالدعاء الى الوفاء في حقوقه وحقوق مخلوقاته
الرحيم الذي نظر الى القلوب فبنت منها على الصدق ما جبله على التخلق بصفاته لما اخبر تعالى في اخر النساء ان اليهود
لما نقضوا المواثيق التي اخذها عليهم حرم عليهم طيبات احلت لهم منها كثير من بهيمة الانعام المشار اليها بقوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية واستمر تعالى في هتك استارهم وبيان عوارهم الى ان ختم باية في
الارث الذي افتتح اياته بالايصاء وختمها بانه شامل العلم ناسب افتتاح هذه بامر المومنين الذين اشتد تحذيره لهم
منهم بالوفاء الذي حل مبناه القلب الذي هو غيب فقال مشيرا الى ان الناس الذين خوطبوا اول تلك تاهلوا لاول
اسنان الايمان فاوصوا بما هم محتاجون اليه وتخصيصهم مشير الى ان من فوقهم من الاسنان عنده من الرسوخ ما يغنيه عن

الحمل بالامر وذلك ابعث له على التدبر والامتثال يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك بالسنتهم اوفوا اي صدقوا ذلك
بان توفوا بالعقود اي العهود الموثقة المحكمة وهي تعم جميع احكامه سبحانه فيما احل او حرم او ندب على سبيل العرض او غيره
التي من جملتها الفرايض التي افتتحها بلفظ الايصاء الذي هو من اعظم العهود وتعم ساير ما بين الناس من ذلك حتى ما كان في
الجاهلية من عقد يدعوا الى بر واما غير ذلك فليس بعقد بل حل بيد الشرع القوية تذكيرا بما اشار اليه قوله تعالى في حق
اوليك اذكروا نعمتي واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون واخبارا لهم بانه احل لهم ما حرم على اوليك فقال على
سبيل التعليل مشيرا الى ان المقصود من النعمة كونها لا بعبد فاعل مخصوص والى ان المخاطبين يعلمون انه لا منعم غيره سبحانه
احلت لكم والاحلال من اجل العقود بهيمة وبينها بقوله الانعام اي اوفوا لانه احل لكم بشامل علمه وكامل قدرته
لطفا بكم ورحمة لكم ما حرم على من قبلكم من الابل والبقر والغنم باحلال اكلها والانتفاع بجلودها واصوافها واوبارها واشعارها
وغير ذلك من شانها فاحذروا ان لا تنقضوا كما نقضوا فيحرم عليكم ما حرم عليهم ويعد لكم من العقاب ما اعد لهم ولا تعترضوا على
نبيكم ولا تتعنتوا كما اعترضوا وتعنتوا فان ربكم لا يسئل عما يفعل وسياتي في قوله لا تسئلوا عن اشيا ما يؤيد هذا ولما
كانوا ربما فهموا من هذا الاحلال ما الفوا من الميتات ونحوها قال مستثنيا من نفس البهيمة وهي من الاصل كل حي لا يميز مخبرا
ان من اعظم العقود ما قدم تحريمه من ذلك في البقرة الا ما يتلى عليكم اي من بهيمة الانعام انه محرم فانه لم يحل لكم ونصب
غير محلي الصيد على الحال ادل دليل على ان هذا السياق وان كان صريحه مذكرا بالنعمة لتشكر فهو مشار به الى التهديد
ان كفرت اي احل لكم ذلك في هذه الحال فان تركتموها انتفى الاحلال وهذه مشيرة الى تكذيب من حرم من ذلك ما اشير اليه
بقوله تعالى في التي قبلها حكاية عن الشيطان ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله من السايبة
وما معها مما كانوا اتخذوه دينا وفصلوا فيه تفاصيل كما سياتي صريحا في اخر هذه بقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة
ولا سايبة الاية وكذا في اخر الانعام وفي الامر بالوفا بالعقود بعد الاخبار بانه بكل شي عليم غاية التحذير من تعمد
الاخلال بشي من ذلك وان دق وفي افتتاح هذه المسماة بالمايدة بذكر الاطعمة عقب سورة النسا التي من اعظم مقاصدها
النكاح والارث المتضمن للموت المشروع فيهما الولايم والماتم اتم مناسبة وقال ابن الزبير لما بين تعالى حال اهل
الصراط المستقيم ومن تنكر عن نهجهم ومال الفريقين من المغضوب عليهم والضالين وبين لعباده المتقين ما فيه هداهم
وبه خلاصهم اخذا وتركا وجعل طي ذلك للاسهم الثمانية الواردة في حديث حذيفة رضي الله عنه من قوله للاسلام
ثمانية اسهم الشهادة سهم والصلوة سهم والزكوة سهم والصوم سهم والحج سهم والامر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم
وقد خاب من لا سهم له قلت وهذا الحديث اخرجه البزار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الاسلام ثمانية اسهم الاسلام سهم والصلوة سهم فذكره وصحح الدارقطني وقفه ورواه ابو يعلى الموصلي عن علي رضي
الله عنه مرفوعا وللطبراني في الاوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام
عشرة اسهم وقد خاب من لا سهم له شهادة ان لا اله الا الله سهم وهي الملة والثانية الصلوة وهي الفطرة والثالثة
الزكوة وهي الطهور والرابعة الصوم وهي الجنة والخامسة الحج وهي الشريعة والسادسة الجهاد وهي العروة والسابعة
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الحجة والتاسعة الجماعة وهي الالفة والعاشرة الطاعة وهي العصمة وفي سنده
من ينظر في حاله قال ابن الزبير وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس اي في الحديث الذي اخرجه الشيخان
وغيرهما عن ابن عمر وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بني الاسلام على خمس
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والحج وصوم رمضان قال ابن الزبير وقد
تحصلت الاسهم الثمانية والدعايم الخمس فيما مضى وتحصل مما تقدم ايضا ان اسوا حال المخالفين حال من غضب الله عليه
ولعنه وان ذلك ببغيهم وعدوانهم ونقضهم العهود فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وكان النقض كل مخالفة قال الله تعالى
لعباده المومنين يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود لان اليهود والنصارى انما اتي عليهم من عدم الوفا ونقض العهود
فحذر المومنين انتهى والمراد بالانعام الازواج الثمانية المذكورة في الانعام وما شابهها من حيوان البر ولكون الصيد
مراد الدخول في بهيمة الانعام استثنى بعض احواله فقال وانتم حرم اي احلت البهيمة مطلقا الا ما يتلى عليكم من ميتاتها
وغيرها في غير حال الدخول في الاحرام بالحج او العمرة او دخول الحرم واما في حال الاحرام فلا يحل الصيد اكلا ولا فعلا
ولما كان مدار هذه السورة على الزجر والاحجام عن اشيا اشتد الفهم لها والتفاتهم اليها وعظمت فيها رغباتهم
من الميتات وما معها والازلام والذبح على النصب واخذ الانسان بجريمة الغير والفساد في الارض والسرقة والخمر
والسوايب والبحاير الى غير ذلك ذكر في اولها بالعهود التي عقدوها على انفسهم ليلة العقبة حين تواثقوا على الاسلام
من السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر فيما احبوا وكرهوا وختم الاية بقوله معللا ان الله اي ملك
الملوك يحكم ما يريد اي من تحليل وتحريم وغيرهما على سبيل الاطلاق كالانعام وفي حال دون حال كما شابهها من الصيد
فلا يسئل عن تخصيص ولا تفصيل ولا غيره فما فهمتم حكمته فذاك وما لا فكلوه اليه وارغبوا في ان يلهمكم حكمته قال
الامام وهذا هو الذي يقوله اصحابنا ان علة حسن التكليف هو الربوبية والعبودية لا ما يقوله المعتزلة من رعاية
المصلي ولما استثنى بعض ما احل على سبيل الابهام شرع في بيانه ولما كان منه ما نهي عن التعرض له لا مطلقا بل ما لم

حشه اي الدين

يبلغ

يبلغ محله بدي به لكونه في ذلك كالصيد وقدم على ذلك عموم النهي عن انتهاك معالم الحج المنبه عليه بالاحرام او عن كل محرم في كل مكان وزمان فقال مكررا لندائهم تنويها بشانهم وتنبيها لعزايمهم وتذكيرا لهم بما التزموه انفسهم يا ايها الذين امنوا اي دخلوا في هذا الدين طايعين لا تحلوا شعائر الله اي معالم حج بيت الملك الاعظم الحرام او حدوده في جميع الدين وشعائر الحج ادخل في ذلك والاصطياد اولاها ولما ذكر ما عممه في الحرم او مطلقا اتبعه ما عممه في الزمان فقال ولا الشهر الحرام اي فان ذلك لم يزل معقدا على احترامه في الجاهلية والاسلام ولعله وحده والمراد الجمع اشارة الى ان الاشهر الحرم كلها في الحرمة سوا ولما ذكر الحرم والاشهر الحرم ذكر ما يهدي للحرم فقال ولا الهدي وخص منه اشرفه فقال ولا القلائد اي صاحب القلايد من الهدي وعبر بها مبالغة في تحريمه ولما اكد في احترام ما قصد به الحرم من البهايم رقى الخطاب الى من قصده من العقلا، فانه مما تقدم في انه قصد البيت الحرام حاجا له وزاجرا عنه مع ما زاد به من شرف العقل فقال ولا آمين اي ولا تحلوا التعرض لناس قاصدين البيت الحرام لان من قصد بيتا للملك كان محترما باحترام ما قصده ولما كان المراد القصد بالزيارة بينه بقوله يبتغون اي حال كونهم يطلبون على سبيل الاجتهاد فضلا من ربهم اي المحسن اليهم سكرا لاحسانه بان يثيبهم على ذلك كان ثوابه لا يكون على وجه الاستحقاق الحقيقي اصلا ولما كان الثواب قد يكون مع السخط قال ورضوانا وان لكم تكونوا انتم حرما فتصيد حلالكم وهذا ظاهر في المسلم ويجوز ولما كان التقدير فان لم يكونوا كذلك اي في اصل القصد والنية في وضعه فهم حل لكم وانتم تكونوا انتم حرما فالصيد حلال لكم عطف عليه التصريح بما افهمه التقييد فيما سبق بالاحرام فقال واذا حللتم اي من الاحرام بقضاء المناسك او الاحصار فاصطادوا وترك الشهر الحرام اذا كان الحرام فيه حراما في غيره وانما صرح به تنويها بقدره وتعظيما لحرمته ثم اكد تحريم قاصد المسجد الحرام وان كان كافرا وان كان على سبيل المجازاة بقوله ولا يجرمنكم اي يحملنكم شنان قوم اي شدة بغضهم ولما ذكر البغض اتبعه سببه فقال ان على سبيل الاشتراط الذي يفهم تعبير الحكم به انه سيقع هذا في قراءة ابن كثير وابي عمرو والتقدير في قراءة الباقين بالفتح لاجل ان صدوكم اي في عام الحديبية وغيره عن المسجد الحرام ان اي على ان تعتدوا اي ليشتد عدوكم عليهم بان تصدوهم عنه او بغير ذلك فان المسلم من لم يزده تعدي عدوه فيه حدوده الشرع الا وقوفا عند حدوده وهذا قبل نزول انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام سنة تسع ولما نهاهم عن ذلك وكان الانتهاء عن المحظوظ شديدا على النفوس فكان لذلك لابد في الغالب من منتهك وآب امرا بالتعاون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال وتعاونوا على البر وهو ما اتسع وطاب من خلال الخير والتقوى وهي كل ما يحمل على الخوف من الله فانه الحامل على البر فان كان منكم من اعتدى فتعاونوا على رده والا فازدادوا في المعاونة خيرا ولما كان المعين على الخير قد يعين على الشر قال تنبيها على الملازمة في المعاونة على الخير ناهيا ان يغضب الانسان لغضب احد من صديق او قريب الا اذا كان الغضب له داعيا الى بر وتقوى ولا تعاونوا على الاثم اي الذنب الذي يستلزم الضيق والعدوان اي المبالغة في مجاوزة الحدود والانتقام والتشفي وغير ذلك وكرر الامر بالتقوى اشارة الى انها الحاملة على كل خير فقال واتقوا الله اي الذي له صفات الكمال لذاته فلا تعتدوا شيا من حدوده ولما كان كف النفس عن الانتقام وزجرها عن شفاء داء الغيظ وتبريد غلة الاحن في غاية العسر ختم الاية بقوله ان الله اي الملك الاعظم شديد العقاب ولما تم الكلام على احترام اعظم المكان واكرم الزمان وما لابسهما وهذب النفوس بالنهي عن حظوظها وامر بعد تخليتها عن كل شر بتحليتها بكل خير عدد على سبيل الاستيناف ما وعد بتلاوته عليهم مما هو حرم مطلقا الا في حال الضرورة فقال حرمت بانيا الفعل للمفعول لان الخطاب لمن يعلم انه لا يحرم الا الله واشعارا بان هذه الاشيا لشدة قذارتها كانها محرمة بنفسها عليكم الميتة وهي ما فقد الروح بغير ذكاة شرعية فان دم كل ما سات حتف انفه محتبس في عروقه ويتعفن ويفسد فيضر اكله البدن لهذا الضرر الظاهر والدين بما يعلمه اهل البصاير والدم اي المسفوح وهو المتبادر الى الذهن عند الاطلاق ولحم الخنزير خصه بعد دخوله في الميتة لاتخاذ النصارى اكله كالدين وما اهل ولما كان القصد في هذه السورة الى حفظ محكم العهود المذكر بجلاله المعاهد قدم المفعول له فقال لغير الله اي الملك الاعلى به اي ذبح على اسم غيره من صنم او غيره على وجه التقرب عبادة لذلك الشي والاهلال رفع الصوت ولما كان من الميتات ما لا تعافه النفوس عيافتها لغيره نص عليه فقال والمنخنقة اي بحبل ونحوه سوا اختنقها خانق او لا والموقوذة اي المضروبة بثقل من وقذه اذا ضربه والمتردية اي الساقطة من عال المضطربة غالبا في سقوطها والنطيحة اي التي نطحها شي فماتت وما اكل السبع اي كالذيب والنمر ونحوهما ولما كان كل واحد من هذه قد تدرك حية فتذكى استثنى فقال الا ما ذكيتم اي من ذلك كله بان ادركتموه وفيه حيا مستقرة بان اشتد اضطرابه وانفجر منه الدم ولما حرم الميتات وعد في جملتها ما ذكر عليه اسم غير الله عبارة ذكر ما وقع على الحجارة التي كانوا ينصبونها للذبح عندها تدينا وان لم يذكر اسم شي عليها فقال وما ذبح على النصب وهو واحد الانصاب وهي حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح عندها تقربا اليها وتعظيما لها وان تستقسموا اي تطلبوا علم ما قسم لكم بالازلام اي القداح التي لا ريش لها ولا نصل واحدها يوزن قلم وعمر وكانت ثلثة على احدها مرني ربي وعلى آخر نهاني ربي والآخر غفل فان خرج الآمر فعل او الناهي ترك او المغفل اجيلت ثانيه فهو دخول

في علم الغيب وافترا على الله بارعا امره ونهيه او اركانه اي الصنم فهو الكفر الصراح وقال صاحب كتاب الزينة يقال انه
كانت عندهم سبعة قداح مستوية من شوحط وكانت بيد السادن مكتوب عليها نعم لا منكم من غيركم ملصق العقل فضل العقل فكانوا
اذا اختلفوا في نسب الرجل جاوا الى السادن بماية درهم ثم قالوا للصنم يا الهنا قد تمارينا في نسب فلان فاخرج علينا الحق فيه
فتجال القداح فان خرج القدح الذي عليه منكم كان اوسطهم نسبا وان خرج الذي عليه من غيركم كان حليفا وان خرج ملصق
كان على منزلته لا نسب له ولا حلف واذا ارادوا سفرا او حاجة جاوا بماية فقالوا يا الهنا اردنا كذا فان خرج نعم فعلوا وان
خرج لا لم يفعلوا واذا جنا احدهم جناية فاختلفوا فيمن يحمل العقل جاوا بماية فقالوا يا الهنا فلان جني عليه فاخرج الحق
فان خرج القدح الذي عليه العقل لزم من ضرب عليه وبري الاخرون وان خرج غيره كان على الاخرين العقل وكانوا اذا
عقلوا العقل ففضل الشي منه تداولوا فيمن يحمله فضربوا عليه فان خرج القدح الذي عليه فصار العقل الذي ضرب عليه
لزمه والا كان على الاخرين الذي لم يضرب عليهم فهذا الاستقسام الذي حرمه الله لانه يكون عند الاصنام ويطلبون ذلك
منها ويظنون ان الذي اخرج لهم ذلك هو الصنم واما اجالة السهام لا على هذا الوجه فهو جايز وهو تساهم واقتراع
لا استقسام وقال قال ابو عبيدة واحد الازلام زلم بفتح الزاي وقال بعضهم بالضم وهو القدح لا ريش له ولا نصل
فاذا كان مريشا فهو السهم والله اعلم ويجوز ان يراد مع هذا ما كانوا يفعلونه في الميسر على ما مضى في البقرة فانه طلب معرفة
ما قسم من الجزور ويلتحق بالاول كل كهانة وتنجيم وكل طيرة يتطيرها الناس الان من التشاوم ببعض الايام وبعض الاماكن
والاحوال فاياك ان تعرج على شي من الطيرة فتكون على شعبة جاهلية ثم اياك ولما كانت هذه الاشيا شديدة الخبث اشار
الى تعظيم النهي عنها باداة البعد وميم الجمع فقال ذلكم اي الذي ذكرت لكم تحريمه فسق اي فعله خروج من الدين ولما كانت
هذه المنهيات معظم دين اهل الجاهلية وكانه سبحانه قد نهاهم قبلها عن احلال شعاير الله والشهر الحرام وقاصدي المسجد
الحرام بعد ان كان اباح لهم ذلك في بعض الاحوال والاوقات بقوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام حتى يقاتلوكم فيه الشهر الحرام بالشهر الحرام واقتلوهم حيث ثقفتموهم علم ان الامر بالكف عن انتهاز الفرص انما هو
للامن من الفوت وذلك لا يكون الا عن تمام القدرة وهو لا يكون الا بعد اكمال الدين واظهاره على كل دين كما حصل به الوعد الصادق
وكذا الانتها عن جميع هذه المحارم انما يكون لمن رسخ في الدين قدمه وتمكنت فيه عزايمه وهممه فلا التفات له الى غيره ولا همة
الى سواه ولا مطمع لمخالفه فيه فعقب سبحانه النهي عن هذه المناهي كلها بقوله على سبيل النتيجة والتعليل اليوم اي وقت
نزول هذه الاية يئس الذين كفروا اي لا يسوا الكفر سوا كانوا راسخين فيه او لا من دينكم اي لم يبق لكم ولا لاحد منكم عذر في
شي من اظهار الموافقة لهم او التستر من احد منهم كما فعل حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه حين كاتبهم ليحمي بذلك ذوي رحمه
لان الله تعالى قد كثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة واحيا بكم منار الشرع وطمس معالم الجهل وهد منار الضلال فانا اخبركم
وانتم عالمون بسعة علمي ان الكفار قد اضمحلت قواهم وماتت هممهم وذلت نخوتهم وضعفت عزايمهم فانقطع رجاوهم من ان
يغلبوكم او يستميلوكم الى دينهم بنوع استمالة فانهم راوا دينكم قد قامت منابره وعلت في المجامع منابره وضرب بجرانه
وبرك بقواعده واركانه ولهذا سبب عما مضى قوله فلا تخشوهم اي اصلا واخشوني اي وامحضوا الخشية لي وحدي
فان دينكم قد اكتمل بدره وجل عن المحاق محله وقدره ورضي به الامر ومكنه على رغم انف الاعدا وهو قادر وذلك قوله
تعالى مسوقا مساق التعليل اليوم اكملت لكم دينكم اي الذي ارسلت اليكم به اكمل خلقي لتدينوا به وتدانوا واكماله بانزال
كل ما يحتاج اليه من اصل وفرع نصا على البعض وبيانا لطريق القياس في الباقي وذلك بيان لجميع الاحكام واما قبل ذلك
اليوم فهو ان كان كاملا لكنه بغير هذا المعنى بل الى حين ثم يزيد فيه سبحانه ما يشا فيكون به كاملا ايضا واكمل مما مضى وهكذا
الى هذه النهاية وكان هذا هو المراد من قوله واتممت عليكم نعمتي اي التي قسمتها في القدم من هذا الدين على لسان هذا الرسول
بان جمعت عليه كلمة العرب الذين قضيت في القدم باظهارهم على من ناواهم من جميع اهل الملل ليظهر بهم الدين وتنكسر شوكة
المفسدين من غير حاجة في ذلك الى غيرهم وان كانوا بالنسبة الى المخالفين كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود ورضيت
لكم الاسلام اي الذي هو الشهادة لله بما شهد به لنفسه من الوحدانية التي تمت بتبع الاذعان لها الاذعان لكل طاعة دينا
تتجاوزون به فيما بينكم وبجازيكم به ربكم روى البخاري في المغازي وغيره ومسلم في اخر الكتاب والترمذي في التفسير
والنسائي في الحج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المومنين اية في كتابكم تقراونها لو علينا
معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم فقال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك
اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم نزلت وهو قايم بعرفة يوم جمعة وفي التفسير من البخاري عن
طارق بن شهاب رضي الله عنه قالت اليهود لعمر انكم تقراون اية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر اني اعلم حيث انزلت
واين انزلت واين رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث انزلت وقال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك
اليوم خمسة اعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصارى والمجوس ولم تجتمع اعياد اهل الملل في يوم قبله ولا بعده
قلت ويوم الجمعة هو اليوم الذي اتم الله فيه خلق هذه الموجودات بخلق ادم عليه السلام بعد عصره وهو حين نزول هذه
الاية ان شا الله تعالى فكانت تلك الساعة من ذلك اليوم تماما وابتدا وروى هرون بن عنترة عن ابيه قال لما نزلت هذه
الاية بكا عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل

فانه

فانه لم يحل شيا لم تنص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدى وثمانين
يوما وقد روي انه كان يحترس النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة من العصر الى الغروب شهد الله انه لا اله الا هو الآيه
وكان ذلك كان جوابا منه صلى الله عليه وسلم لهذه الايه لفهمه صلى الله عليه وسلم ان ايه آل عمران سر الاسلام واعظمه
واكمله انتهى وهذه الآية من المعجزات لانها اخبار بمغيب صدقها قائم الى الان ولما تمت هذه الجمل الاعتراضية التي صار
بينها وبين ما قبلها وما بعدها باحكام الوصف وايثاق الربط بين الامتزاج اشد مما بين الروح والجسد المشيرة الى ان هذه
المحرمات هي التي تحقق لها اهل الكفر كمال المخالفة فايسوا اسها من المواصلة والموالفة رجع الى تتمات تلك المحظورات
فقال مسببا عن الرضي بالاسلام الذي هو الحنيفية السمحة المحرمة لهذه الخبايث لاضرارها بالبدن والدين فمن اضطر اي
الجيء الجاءه عظيما من اي شيء كان الى تناول شيء مما مضى انه حتم عن لا يمسكه معه الكف عنه في مخمصة اي مجاعة غير متجانف
اي متعمد ميلا لاثم اي باكل غير سد الرمق او بالبغي على مضطر اخر بنوع مكر او العدو عليه بضرب قهر ويراد بعد هذا التقييد
تحويفا بقوله فان الله اي الذي له الكمال كله غفور رحيم اي يمحو عنه اثم ارتكابه للنهي ولا يعاقبه عليه ولا يعاتبه
ويكرمه بان يوسع عليه من فضله ولا يضطره مرة اخرى الى غير ذلك من الاكرام وضروب الانعام ولما تقدم احلال الصيد
وتحريم الميتة وختم ذلك بهذه الرخصة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل الكلاب وكان الصيد رمحات في يد
الجارح قبل ادراك ذكاته سال بعضهم عما يحل من الكلاب وبعضهم عما يحل من ميتة الصيد احلالا مطلقا لا بقيد الرخصة
اذ كان الحال يقتضي هذا السوال روى الواحدي في اسباب النزول بسنده عن ابي رافع رضي الله عنه قال امرني رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب فقال الناس يا رسول الله ما احل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فانزل الله تعالى
يسلونك ولما كان هذا اخبارا عن غايب قال ماذا احل لهم دون لنا قال الواحدي اي من امساك الكلاب واكل الصيود
وغيرها اي من المطاعم ثم قال الواحدي رواه الحاكم ابو عبد الله في صحيحه وذكر المفسرون شرح هذه القصة قال
قالوا ابو رافع رضي الله عنه جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل يا رسول الله ولكنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فنظر فاذا في
بعض بيوتهم جرو فقال ابو رافع فامر في ان لا ادع بالمدينة كلبا الا قتلته حتى بلغت العوالي فاذا امراة عندها كلب يحرسها
فرحمتها فتركته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فامر في بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فلما امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقتل الكلاب جاء الناس فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فسكت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله هذه الآية فلما نزلت اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك
ما لا نفع فيه وامر بقتل الكلب الكلب والعقور وما يضر ويوذي ورفع القتل عما سواها مما لا ضرر فيه وقال سعيد
ابن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطايين رضي الله عنهما وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيد الخير وذلك انهما جاءا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب
والبزاة وان كلاب آل درع واك ابي جويرية تاخذ البقر والحمر والظبا والضب فمنه ما يدرك ذكاته ومنه ما تقتل
فلا ندرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فما ذا يحل لنا منها فنزلت يسلونك الآية الطيبات يعني الذباح والجوارح المكواة
من الكلاب وسباع الطير انتهى فاذا اريد كون الكلام على وجهه لم قيل قل لم في جواب من سال اخل وبناه للمفعول لطبق سوال
ولان المقصود الحل لا كونه من معين لكم الطيبات اي الكاملة الطيب فلا خبث فيها بنوع تحريم ولا تقذر من ذوي الطباع
السليم مما لم يرد به نص ولا صح فيه قياس وهذا يشمل كل ما ذكي وهو ما ذون في ذبحه ما كانوا يحرمونه على انفسهم من
السايبة وما معها وكل ما اذن فيه من غير ذبح كحيوان البحر وما اذن فيه من غير المطاعم وما وما على حذف مضاف للعلم به
فالمعنى وصيد ما علمتم من الجوارح اي التي من شانها ان تجرح او تكون سببا للجرح وهو الناب او من الجرح عنى الكسب وعلم
ما جرحتم بالنهار وهي كواسب الصيد من السباع والطير فاحل اسلافها المقتنية وصيدها وشرط فيه التعليم قال الشافعي
والكلب لا يصير معلما الا عند امور اذا اشلي استشلى واذا زجر انزجر وجس ولم ياكل واذا دعي اجاب واذا راه لم يفر منه
فاذا فعل ذلك مرات فهو معلم ولم يذكر حد الا ان الاسم اذا لم يكن معلوما من نص ولا اجماع وجب الرجوع فيه الى العرف وبني
الحال من الكلاب وان كان المراد العموم لانها المتاديب فيها اكثر فقال مكلبين اي حال كونكم مكلفين تعليم هذه الكواسب
وسبالغين في ذلك قالوا وفايدة هذه الحال ان يكون المعلم تحريرا في عمله موصوفا به واكد ذلك بحال اخرى او استيناف
فقال لم تعلمونهن وحوشا كن او طيورا مما علمكم الله اي المحيط بصفات الكمال من علم التكليب فافاد ذلك ان على كل طالب لشيء
ان لا ياخذه الا من اجل العلماء به واشدهم دراية له واعوضهم على لطايفه وحقايقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد
الابل فكم من اخذ من غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير ابهامه سبب عن ذلك قوله فكلوا ولما كان في الصيد
من العظم وغيره ما لا يوكل قال مما امسكن اي بحوارح مستقرا امساكها عليكم اي على تعليمكم لا على جبلتها وطبيعتها دون تعليمكم
وذلك هو الذي لم ياكلن منه وان مات قبل ادراك ذكاته واما ما امسك الجارح على ان مستقرا على جبلته وطبيعته ناظرا
فيه الى نفاسة نفسه فلا يحل واذكروا اسم الله اي الذي له كل شيء ولا كفوا له عليه اي على ما امسكن عند ارسال الجارح او عند
الذبح ان ادرك ذكاته لغا لغو الجاهلية وتاخذوه من مالكه وقد صارت نسبة هذه الجملة كما تري الى حرمت عليكم

الميتة نسبه المستثني الي المستثني منه والي مفهوم غير محلي الصيد وانتم حرم نسبه الشرح ولما كان تعليم الجوارح امرا
خارجا عن العادة في نفسه وان كان قد كثر حتي صار مالوفا وكان الصيد بها امرا تعجب سرعته وتهز النفوس كيفيته ختم
الآية بما هو خارج عن عادة البشر وطوقها من سرعة الحساب ولطف العلم بمقدار الاستحقاق من الثواب والعقاب فقال
محذرا من اهمال شي مما رسمه واتقوا اي حاسبوا انفسكم واتقوا الله اي عالم الغيب والشهادة القادر علي كل شي فيما ادركتم
ذكاته وما لم تدركوها وما امسكه علي نفسه الي غير ذلك من امور الصيد التي لا يقف عندها الا من غلبت عليه مهابة الله ۝
واستشعر خوفه فاتقاه فيما احل وما حرم علل ذلك بقوله ان الله اي الجامع لمجامع العظمة سريع الحساب اي عالم بكل
شي وقادر عليه في كل وقت فهو قادر علي جزا يريده لا يشغله احد عن احد ولا شان عن شان ولما كان قد تقدم النهي عن نكاح
المشركات والمنافرة لجميع اصناف الكفار وبيان بغضهم وعداوتهم والحث علي طردهم ومنابذتهم ها انتم اولاء تحبونهم ونحوها
لضعف الامر اذ ذاك وشدة الحاجة الي اظهار الفظاظة والغلظة لهم لتعظيم دين الله حتي كانت خلطتهم من امارات النفاق
كما سياتي في كثير من ايات هذه السورة وكان الدين قد وصل عند نزولها من العظمة الي حد لا يحتاج فيه الي تعظيم معظم
وكانت مخالطة اهل الكتاب لا بد منها عند فتوح البلاد التي وعد الصادق بها وسبق في الازل علمها وكانت الفتنة
في مخالطتهم قد صارت في حد الامن وسع الامر بحل طعامهم ونسائهم فقال تعالي مكررا ذكر الوقت الذي انزل فيه هذه الايات
تنبيها علي عظيم النعمة فيه بتذكر ما هم فيه من الكثرة والامن والجمع والالفة وتذكر ما كانوا فيه قبل ذلك من القلة والخوف
والفرقة فقال معيدا الصدر الاية التي قبلها اعلاما بعظيم النعمة فيه ومفيدا بذكر وقت الاحلال انه احلال مقصود به
الثبات لكونه يوم اتمام النعمة فهو غير الاول اليوم ولما كان القصد انما هو الحل لا كونه من محل معين مع ان المخاطبين بهذه
الايات يعلمون انه لا محل الا الله بني الفعل للمجهول فقال احل اي ثبت الاحلال فلا ينسخ ابدا لكم اي ايها المومنون الطيبات
اي التي تقدم في البقرة وصفها بالحل لزوال الاثم وملاءمة الطبع فهي الكاملة في الطيب ولما كانت الطيبات اعم من الماكل
قال وطعام الذين ولما كان سبب الحل الكتاب ولم يتعلق بذكر موتيه عرض بني الفعل للمجهول فقال اوتوا الكتاب اي مما يصنعونه
او يذبحونه وعبر بالطعام الشامل لما ذبح وغيره وان كان المقصود المذبوح لان غيره لا يختلف حاله من كتابي ولا غيره تصريحا
بالمقصود حل لكم اي تناوله لحاجتكم الي مخالطتهم للاذن في اقرارهم علي دينهم بالجزية ولما كان هذا مشعرا بابقائهم علي ما اختاروا
لانفسهم زاده تاكيدا بقوله وطعامكم حل لهم اي فلا عليكم في بذله لهم ولا عليهم في تناوله ولما كانت الطيبات اعم من المطاعم
وغيرها وكانت الحاجة الي المناكح بعد الحاجة الي المطاعم وكانت المطاعم حلالا من الجانبين والمناكح من جانب واحد قال
والمحصنات اي الحراير من المومنات ثم اكد الاشارة الي اقرار اهل الكتاب فقال والمحصنات اي الحراير من الذين اوتوا الكتاب
وبني الفعل للمفعول للعلم بموتيه مع انه لم يتعلق بالتصريح به غرض ولما كان ايتاوهم الكتاب لم يستغرق الزمن الماضي اثبت
الجار فقال من قبلكم اي وهم اليهود والنصارى وعبر عن العقد بالصداق للملابسة فقال مخرجا للامة لانها لا تعطي الاجر
وهو الصداق لانها لا تملكه بل يعطاه سيدها اذا اتيتموهن اجورهن اي عقدتم لهن ودل مساق الشرط علي تاكد وجوب
الصداق وان من تزوج وعزم علي عدم الاعطاء كان في صورة الزاني وورد فيه حديث وتسميته بالاجر يدل علي انه لا حد
لاقله ولما كان المراد بالاجر المهر وكان في اللغة يطلق علي ما يعطاه الزانية ايضا بينه بقوله محصنين اي قاصدين
الاعفاف والعفاف غير مسافحين اي قاصدين صب الماء لمجرد الشهوة جهارا ولا متخذي اخدان اي صدايق لذلك في السر
جمع خدن وهو يقع علي الذكر والانثي فكانت هذه الاية مخصصة لقوله تعالي ولا تنكحوا المشركات حتي يومن فبقي علي التحريم
مما تضمنته تلك ما عدا الكتابيات من الوثنيات وغيرهن من جميع المشركات حتي المنتقلة من الكتابيات من دينها الي غير دين الاسلام
وصرح هنا بالمومنات المقتضي لهن قوله تعالي في النساء واحل لكم ما وراء ذالكم وقوله فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات المومنات ولعل ذكر وصف الاحصان الواقع علي العفة للتنبيه علي انه لا يقصد المتصفة بغيره لمجرد الشهوة
الا من سلب الصفات البشرية واخلد الي مجرد الحيوانية فصار في عداد البهايم بل ادني مع ان التطبيق بذلك الوصف لا
يفهم الحرمة عند فقده بل الحل من باب الاولي لان من حكم مشروعية النكاح الاعفاف فاذا شرع اعفاف العفايف كان شرع
اعفاف غيرهن اولي لان زناها اما لشهوة او حاجة وكلاهما للنكاح مدخل عظيم في نفيه والله اعلم ولما كان السر في النهي
عن نكاح المشركات في الاصل ما يخشي من الفتنة وكانت الفتنة وان علا الدين ورسخ الايمان واليقين لم تنزل عن درجة
الامكان وكانت الصلوة تسمي ايمانا لانها من اعظم شرايعه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم وروي الطبراني في الاوسط
عن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة الصلوة
فان صلحت صلح ساير عمله وان فسدت فسد ساير عمله وله في الاوسط ايضا بسند ضعيف عن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة ينظر في صلوته فان صلحت فقد افلح
وان فسدت فقد خاب وخسر وكانت مخالطة الازواج مظنة للتكاسل عنها ولهذا انزلت آية حافظوا علي الصلوات
كما مضي بالمحل الذي هي به لما كان ذلك كذلك ختمت هذه الآية بقوله تعالي منفرا من نكاحهن بعد احلاله اشارة الي
ان الورع البعد عنه امتثالا للايات الناهية عن موادة المحاد لئلا يحصل ميل فيدعوا الي المتابعة او يحصل ولد
فتستميله لدينها ومن اي احل لكم ذلك والحال انه من يكفر اي يوجد ويجدد الكفر علي وجه طمانينة القلب به والاستمرار عليه

الى الموت بالايمان اي بسبب التصديق القلبي بكل ما جآت به الرسل وانزلت به الكتب الذي منه حل الكتابيات فيدعو ذلك الى نكاحهن فتحمله الخلطة على اتباع دينهن فيكفر بسبب ذلك التصديق ويكفر بالصلوة التي يلزم في الكفر بها الكفر به فاطلاقه عليها تعظيم لها وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم فقد حبط اي فسد عمله اي اذا اتصل ذلك بالموت بدليل قوله وهو في الاخرة من الخاسرين والآية مستدل بها امامنا الشافعي رضي الله عنه على استعمال اللفظ الواحد في حقيقته ومجازه فحيث قصد التحذير من الكفر حقيقة فالايمان حقيقة وحيث اريد الترهيب من اضاعة الصلوة فهو مجاز ومما يؤيد ذلك ان في السفر الثاني من التورية لا تعاهدن سكان الارض لكيلا تضلوا بآلهتهم وتذبحوا لآلهتهم او يدعوك فتاكل من ذبايحهم وتزوج بنيك من بناتهم وبناتك من بنيهم فتضل بناتك خلف آلهتهم ويضل بنوك بالهتهم وقال في السفر الخامس منها واذا ادخلكم الله ربنا الارض التي تدخلونها لترثوها واهلك شعوبا كثيرة من بين ايديكم حثيانيين وجرجاسيين واموريين وكنعانيين وجاوانيين وبانسانيين سبعة شعوب اكثر واقوى منكم ويدفعهم الله ربكم في ايديكم فاضربوهم واقتلوهم وانقوهم وجرموهم ولا تعاهدوهم عهدا ولا ترحموهم وتحالفوهم ولا تزوجوا بناتكم من بنيهم ولا تزوجوا بنيكم من بناتهم لئلا يغوين بنيكم عن عبادتي ويخدعنهم فيعبدوا آلهة اخرى ويشتد غضب الرب عليكم ويهلككم سريعا ولكن اصنعوا بهم هذا الصنيع استاصلوا مذابحهم وكسروا انصابهم وحطموا اصنامهم المصنوعة واحرقوا اوثانهم المنحوتة لانكم شعب طاهر لله ربكم انتهى واذا تاملت جميع ذلك وانعمت فيه النظر لاح لك سر تعقيبها بقوله تعالى في سياق مشيرا الى البشارة بان هذه الامة تطيع ولا تعصي فتوفق ولا تكفر لما خص به كتابها من البيان للاحكام في النظم المعجز مع شرف التذكير بما افاضه من جليل الايادي فافتتح هذه السورة بالامر بالوفاء بحق الربوبية واتبعه التذكير بما وفى به سبحانه من حق الربوبية من نوعي المنافع في لذة المطعم وتوابعه ولذة المنكح وتوابعه وقدم المطعم لان الحاجة اليه فوق الحاجة الى المنكح فلما تم ما الزمه نفسه الاقدس من عهد الربوبية وفضلا منه اتبعه الامر بالوفاء بعهد العبودية وقدم منه الصلوة لانها اشرفه بعد الايمان وقدم الوضوء لانه شرطها فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا به صدقوه بانكم اذا عبر باداة التحقق ايذانا بان الامة مطيعة قمتم اي بالعزم وهي العزم الثابت على القيام الذي هو سبب القيام الى الصلوة اي جنسها محدثين لما جبته النبي صلى الله عليه وسلم بجمعة لعدة صلوات بوضوء واحد وان كان التجديد اكمل وخصت الصلوة وسر المصحف من بين الاعمال بالامر بالوضوء تشريفا لها ويزيد جعل الايمان على الصلوة حسنا تقدم قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الثابت انها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد عصر يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم على ناقته يخطب وكان من خطبته في ذلك الوقت او في يوم النحر او في كليهما الا ان الشيطان قد ايس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم رواه احمد ومسلم في صفة الغيمة والترمذي عن جابر رضي الله عنه فقوله المصلون اشارة الى ان الماحي للشرك هو الصلوة فما دامت قائمة فهو زايل ومتى زالت والعياذ بالله رجع والى ذلك يشير ما رواه مسلم في صحيحه واصحاب السنن الاربعة عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي بيننا وبينهم الصلوة فمن تركها فقد كفر ولابي يعلى بسند ضعيف عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلوة واخر ما يبقى الصلوة ولما كان الوضوء في سورة النسآء انما هو على سبيل الاشارة اجمالا صرح به هنا على سبيل الامر وفصله فقال مبينا ان ابتداء الغسل يكون من الكفين لانهما لعظم النفع اولى بالاسم مجيبا للشرط اعلاما بان الامر بالوضوء تبع للامر بالصلوة لان المعلق على التي بحرف الشرط يعدم عند عدم الشرط فاغسلوا اي لاجل ارادة الصلوة ومن هنا تعلم وجوب النية لان فعل العاقل لا يكون الا مقصودا وفعل المامور به لاجل الامر هو النية وجوهكم وحد الوجه منابت شعر الراس ومنتهى اللحيين طولا وما بين الاذنين عرضا وليس منه داخل العين وان كان ماخوذا من المواجهة لانه من الحور وكذا ايصال الماء الى البشرة اذا كثفت اللحية خفيف الحور واكتفى عنه بظاهر اللحية واما المنفقة ونحوها من الشعر الخفيف فيجب وايديكم ولما كانت اليد تطلق على ما بين المنكب وروس الاصابع قال مبينا ان ابتداء الغسل يكون من الكفين لانهما لعظم النفع اولى بالاسم الى المرافق اي اخرها اخذا من بيان النبي صلى الله عليه وسلم بفعله فانه كان يدير الماء على مرفقيه وانما كان الاعتماد على البيان لان الغاية تارة تدخل كقوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وتارة لا تدخل كقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل والمرفق ملتقى العظمين وعبر عما فوق ذلك تخفيفا وامسحوا ولما عدل عن نقدية الفعل الى الراس لم يفعل كما فعل في الغسل مع الوجه بل اتى بالباء فقال برؤسكم علم ان المراد ايجاد ما يسمى مسحا في اي موضع كان من الراس دون خصوص التعميم وهو معنى قول الكثافي المراد الصاق المسح بالراس وما يح بعضه وستوعبه بالمسح كلاهما ملصق بالمسح ولما كان غسل الرجل منظنة الاسراف فكان مامورا بالاقتصاد فيه وكان المسح على الخف سايغا كما قيل تري وارجلكم بالجر على المجاورة اشار الى ذلك او العطف على به والمسح فيه بمعنى الغسل لقول العرب تمسحت للصلوة اي توضات وذلك لان التغاسل يدرك في الغالب قال في القاموس مسح الله ما به كمنع امرار اليد على الشي تسيل فيكون في ذلك اشارة ايضا الى استحباب الدلك والقرينة الدالة على استعمال هذا المشترك في احد المعنيين قراءة النصب وبيان النبي صلى الله عليه وسلم وسر استعماله فيه للاشارة الى الرفق وبالنصب على الاصل ولما كانت الرجل من موضع الانشعاب من الاسفل الى اخرها خفي بقوله الا بالغاية على ان المراد

بين الصحيح والحاكم عن بريدة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صحيحه

حكاه المتقدمون عن ابن مسعود وسلمان انهم هذا ان قص المعنى الصحيح وان الفعل يجمل

الغسل كما مضى في المرافق لان المسح لم يرد فيه غاية في الشريعة وعلى ان ابتداء الغسل يكون من رؤس الاصابع لان القدم اعظم
نعمه اولى باسم الرجل الى الكعبين ومما العظمان الناتيان عند مفصل الساق والقدم وثنى اشارة الى ان لكل رجل كعبين ولو قيل
الى الكعاب لفهم ان الواجب كعب واحد من كل رجل كما ذكره الزركشي في مقابلة الجمع بالجمع من حرف الميم من قواعده والفصل بالمسح
بين المغسولات معلم بوجوب الترتيب لان عادة العرب كما نقله الشيخ محي الدين النووي في شرح المهذب عن اصحابنا لا تفعل ذلك
الا للاعلام بالترتيب وقال غيره معللا لما الزمته العرب ترك التمييز بين النوعين بذكر كل منهما على حدته مستهجن في الكلام
البليغ لغير فائدة فوجب تنزيه كلام الله عنه ايضا فدلالة الآية على وجوب البداءة بالوجه مما لا مدفع له لترتيبها له بالجواية
على الشرط بالفاء وذلك مقتض لوجوب الترتيب في الباقي اذ لا قائل بالوجوب في البعض دون البعض ولعل تكرير الامر بالغسل
والتيمم للاهتمام بهما والتذكير بالنعمة في التوسعة بالتيمم وان حكمه باق عندانهم وسعتهم كراهة ان يظن انه انما كان عند
جوعهم وقلتهم وضيق البسط في الارض لظهور الكفار وغلبتهم كما كانت المتعة تبالي تارة وتمنع اخرى نظرا الى الحاجة وفقدها
وللامتنان الى انه من خصايص هذه كلامه والاعلام بانه لم يؤكد به ولا بشيء من المامورات والمنهيات قبله الحرج وانما اراد
طهارة الباطن والظاهر من ادناس الذنوب واوضار الخلايق السافلة فقال تعالى معبرا باداة الشك اشارة الى انه قد
يقع وقد لا يقع وهو نادر على تقدير وقوعه عاطفا على ما تقدير هذا ان كنتم محدثين حدثا اصغر وان كنتم اي حال القصد
للصلوة جنبا اي ممنيين باحتلام او غيره فاطهروا اي بالغسل ان كنتم خالين عن عذر لجميع البدن لانه اطلق ولم يخص ببعض
الاعضاء كما في الوضوء ولما اتم امر الطهارة عزيمة بالماء من الغسل والوضوء وبدأ بالوضوء لعمومه ذكر الطهارة رخصة
بالتراب فقال معبرا باداة الشك اشارة الى ان الرخا اكثر من الشدة وان كنتم مرضى اي بجراح او غيره فلم تجدوا ماء حسا او معنى
بعدم القدرة على استعماله وانتم جنب او على سفر طويل او قصير كذلك ولما ذكر الاكبر اتبعه الاصغر فقال او جاء احد منكم وهو
غير جنب من الغايط اي الموضع المطمئن من الارض وهو مكانا للتخلي اي قضيتم حاجة الانسان التي لا بد له منها وهي الكناية
عن التغوط لما فيها من انتفاء مرا نتفايصرا المذكرة له بشديد عجز وعظيم ضرورته وفقره ليكف من اعجابه وكبره وتوضعه وتخشعه
كما ورد ان بعض الامراء لقي بعض البله في طريق فلم يسلم له فغضب وقال كانك ما تعرفني فقال بلى والله اني لاعرفك اولك
نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة ولما ذكر ما يخص الاصغر ذكر ما يعم الاكبر فقال
او لامستم النسآء اي بالذكر او غيره امنيتم او لا فلم تجدوا ماء اي حسا او معنى بالعجز عن استعماله للمريض يخرج او غيره
فتيمموا اي قصدوا واقصدا متعمدا صعيدا اي ترابا طيبا اي طهورا خالصا فامسحوا ولما كان التراب لكثافته لا يصل
الى ما يصل اليه الماء بلطافته قصر الفعل وعداه بالحرف اشارة الى الاكتفاء بمرة والعفو عن المبالغة وبينت السنة ان
المراد جميع العضو فقال بوجوهكم وايديكم منه اي حال النية التي هي القصد الذي هو التيمم ثم اشار لهم الى حكمته سبحانه في
هذه الرخصة فقال مستانفا ما يريد الله اي الغني الغني المطلق ليجعل عليكم واعرق في النفي بقوله من حرج اي ضيق
علما منه بضعفكم فسهل عليكم ما كان عسرا على من كان قبلكم واكراما لكم لاجل نبيكم صلى الله عليه وسلم فلم يامركم الا بما يسهل
عليكم ليقل عاصيكم ولكن يريد ليطهركم اي ظاهرا وباطنا بالماء والتراب وبامتثال الامر على ما شرعه سبحانه عقلم معناه
او لا مع تسهيل الاوامر والنواهي ليلا يوقعكم التشديد في المعصية التي هي رجس الباطن وليتم نعمته اي في التخفيف في الغرايم
ثم في الرخص وفي وعدكم بالاجور على ما شرع لكم من الافعال عليكم لاجل تسهيلها ليكون فعلكم لها واستحقاقكم لما رتب
عليها من الاجر مقطوعا به الا من طبعه في الصوم وتمادى في الغواية والجهل والبطر لعلكم تشكرون اي فعل ذلك
كله من التسهيل وغيره ليكون حالكم لما سهل عليكم حال من يرجى صرفه لنعم ربه عليه في طاعته المسهلة المحببة اليه
روى البخاري في التفسير وغيره عن عايشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه
وليسوا على ماء وليس معهم ماء وفي رواية سقطت قلادة لي بالبيداء او بذات الجيش فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونزل فثنى راسه في حجري راقدا فاتى الناس الى ابي بكر رضي الله عنه فقالوا الا ترى ما صنعت عايشة فجاء ابو بكر فلكزني
لكزة شديدة وقال حبست النبي صلى الله عليه وسلم في قلادة فبي الموت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
اوجعني ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت يا ايها الذين امنوا اذا قمتم
الى الصلوة الآية وفي رواية فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل ابي بكر
ما انتم الا بركة لهم وفي رواية ما هي باول بركتكم يا آل ابي بكر قالت فبعثنا البعير الذي كنت عليه فاذا العقد تحته وفي رواية
له عنها في النكاح انها استعارت من اسما قلادة فهلكت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من اصحابه في طلبها
فادركتهم الصلوة فصلوا بغير وضوء فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه فنزلت اية التيمم فقال اسيد
ابن حضير جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك امر قط الا جعل الله لك لمنه مخرجا وجعل للمسلمين فيه بركة وهذا الحديث
يدل على ان هذه الآية نزلت قبل آية النسآء فكان تلك نزلت بعد ذلك لتاكيد هذا الحكم ومزيد الامتنان به لما فيه
من عظيم اليسر وليحصل في التيمم من الجناية نص خاص فيكون ذلك اضخم لشانها واد على الاهتمام بها ولما كان في هذه
المامورات والمنهيات حرج عن المالوفات وكانت الصلوة اوثق عرى الدين وكان قد عبر عنها بالايمان الذي هو اصل

الدين واساس الاعمال عطف عليها قوله تذكيرا لها بما يوجب القبول والانقياد واذكروا اي ذكرا لفاظ وتامل واعتبار ولما كان المقصود من الانعام غايته قال نعمة الله اي الملك الاعلى عليكم اي في هدايته لكم الى الاسلام بعد ان كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وفي غير ذلك من جميع النعم وانما جمع ليلا يظن ان المقصود تعداد النعم لا التذكير الى الشكر بتامل ان هذا الجنس لا يقدر عليه غيره سبحانه وعظم رسوله صلى الله عليه وسلم كما يستحقه بجعل فعله سبحانه فعله صلى الله عليه وسلم فقال وميثاقه اي عقده الوثيق الذي واثقكم به اي بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم حين بايعكم ليلة العقبة على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره اذ اي حين قلتم سمعنا واطعنا وفي ذلك تحذير من مثل ما اراد بهم كعب بن قيس وتذكير بما اوجب له صلى الله عليه وسلم عليهم من الشكر بهدايته لهم الى الاسلام المثمر لالتزام تلك العهود ليلة العقبة الموجبة للوفاء الموعود عليه الجنة والتقاتا الى قوله اول السورة او ثوابا للعقود وحديث اسباغ الوضوء على المكاره مبين لحسن هذا التناسب ولما كان امر الوفاء بالعهد صعبا لا يقوم به الا من صدقت عزيمته وصلحت سريرته وانما يحمل عليه مخافة الله قال واتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين ما يغضب الملك الاعظم الذي يفعل ما يشاء من نقض العهد وقاية من حسن القيام لتكونوا في اعلى درجات رعيته ثم علل ذلك مرغبا مرهبا بقوله ان الله اي الذي له صفات الكمال عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي احوالها من سرايرها وان كان صاحبها لم يعلمها لكونها لم تبرز الى الوجود وعلانيتها وان كان صاحبها قد نسيها ولما قدم القيام الى الصلوة وتقدم ذكر الازواج المامور فيهن بالعدل في اول النساء وانهاها وكان في الازواج المذكورات هنا الكافرات ناسب تعقيب ذلك بعد الامر بالتقوى بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ولما كان العدل في غاية الصعوبة على الانسان فكان لذلك يحتاج المخلوق به الى تدريب كبير ليصير صفة راسخة عبر بالكون فقال كونوا قوامين اي مجتهدين في القيام على النساء اللاتي احدثموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وعلى غيرهن في الصلوة وغيرها من جميع الطاعات اللاتي عاهدتم على الوفاء بها ولما كان مبنى الشان على الوفاء بالعهد الوثيق وكان الوفاء بذلك انما يخف على النفوس ويصح النشاط فيه ويعظم العزم عليه بالتذكر لجلالة موثقه وعدم انتهاك حرمته لانه المعاهدة انما تكون باسمه ولحفظ حده ورسمه قدم قوله لله اي الذي له الاحاطة بكل شئ بخلاف ما مضى في النساء ولما كان من جملة المعاقد عليه ليلة العقبة ليلة توائموا على الاسلام ان يقولوا بالحق حيث ما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم قال شهداء اي متيقظين محضرين انفسكم غاية الاحضار بحيث لا يشذ عنها شئ مما تريدون الشهادة به بالقسط اي العدل وقال الامام ابو حيان في نهره انا لنبي في سورة النساء جات في معرض الاعتراف على النفس وعلى الوالدين والاقربين فبدئ فيها بالقسط الذي هو العدل والشواهد من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة وهنا جات في معرض تلك العداوات والاحن فبدئ فيها بالقيام لله اذ الامر بالقيام لله اولا ادعى للمرء ثم ارد ف بالشهادة بالعدل فالتي في معرض المحبة والمحاباة بدئ فيها بما هو اكد وهو القسط والتي في معرض العداوة والشنان بدئ فيها بالقيام لله فناسب كل معرض ما جئ به اليه وايضا فتقدم هناك حديث النشوز والاعراض وقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا وقوله فلا جناح عليهما ان يصالحا فناسب تقديم القسط وهنا تاخر ذكر العداوة فناسب ان جاورها ذكر القسط انتهى ولما امر بهذا الخير نهى عما يحجب عنه فقال ولا يجرمنكم اي يحملنكم شنان قوم اي شدة عداوة من لهم قوة على القيام في الامور من المشركين بحيث تخشى من اهالهم ازدياد قوتهم على ان لا تعدلوا اي تتركوا قصد العدل وهو يمكن ان يدخل فيه بغض اهل الزوجة الكافرة او ازدراؤها هي في شئ من حقوقها لاجل خشية دينها فامروا بالعدل حتى بين هذه المراءة الكافرة وضرائرها المسلمات واذا كان هذا شان الامر به في الكافر فما الظن به في المسلم ثم استانف قوله امرا بعد النهي تاكيدا لامر العدل اعدلوا اي تحروا العدل واقصدوه في كل شئ حتى في هذه الزوجات وفيمن تجاوز فيكم الحدود فكلما عصوا الله فيكم اطيعوه فيهم فان الذي منعكم من التجاوز خوفه يزيكم من النصرة وصلاح الحال ما يسركم ولما كان ترك قصد العدل قد يتسع لصاحبه العدل انتقاما فيكون قريبا من التقوى قال مستانفا او معللا هو اي قصد العدل اقرب اي من ترك قصده للتقوى والاحسان الذي يتضمنه الصلح اقرب من العدل المجرد وتعدية اقرب باللام دون الى المقتضية لنوع بعد زيادة في الترغيب كما مر في البقرة ولما كان الشئ لا يكون الا عن علم وكان قد علم من هذا ان العدل مقدمة التقوى قال عاطفا على النهي او على نحو قاعدلوا واتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين غضب الله الاعظم وقاية بالاحسان فضلا عن العدل ويؤيد كون الآية ناظرة الى النكاح مع ما ذكر ختام اية الشقاق التي في اول النساء ان الله كان عليما خبيرا وختام قوله تعالى في اواخرها وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا وختام هذه بقوله معللا لما قبله ان الله اي المحيط بصفات الكمال خبير بما تعملون لان ما بين الزوجين ربما ضاق عليه عن ادراك غير العليم الخبير وقال ابو حيان لما كان الشنان محله القلب وهو الحامل على ترك العدل امر بالتقوى واتى بصفة خبير ومعناها عليم ولكنها مما يختص بها لطف ادراكه انتهى وشهدا يمكن ان يكون من الشهادة التي هي حضور القلب كما تقدم من قوله او القى السمع وهو شهيد وان يكون من الشهادة المتعارفة ويوضح المناسبة فيها مع تاييد ارادتها كونها بعد قوله ان الله عليم بذات الصدور مع قوله تعالى ومن يكتمها فانه اثم قلبه وختام اية النساء التي في الشهادة بقوله وان تلووا او تعرضوا

فان الله كان بما تعملون خبيرا كما ختمت هذه بمثل ذلك ولما امر سبحانه ونهى بشر وحذر فقال وعد الله اي الملك الذي
له الكمال المطلق فله كل شيء الذين امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم وعملوا تصديقا لهذا الاقرار الصالحات وترك المتوسل
الثاني اقعد في باب البشارة فانه يحتمل كل خير وتذهب النفس في تجويزه كل مذهب ولما كان الموعود شيئين فضلا ان
واسقاط حق قدم الاسقاط تأسيا للخوف فقال واضعا له موضع الموعود في صيغة دالة على الثبات والاختصاص لهم
مغفرة اي لما فرط منهم لما طبع الانسان عليه من النقص نسيانا او عمدا بعمل الواجبات ان كان صغيرة وبالتوبة ان كان
كبيرة وفيه اشارة الى انه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره ولما امنهم بالتجاوز اتبعه الجود بالعطا فقال واجر
اي على قدر درجاتهم من حسن العمل عظيم اي لا يدخل تفاوت درجاته تحت الحصر ولما قدم الوعد لانه في سورة الذين امنوا
اتبعه الوعيد لاضدادهم وهو اعظم وعد لاجابة المؤمنين ايضا فقال والذين كفروا اي عطوا ما اقتضى لهم عقولهم من ادلة
الوحدانية وكذبوا اي زيادة على الستر بالعناد بآياتنا على ما لها من العظمة في انفسها وباضافتها الينا اولئك اي البغضاء
البعداء خاصة من الرحمة اصحاب الجحيم اي النار التي اشتد توقدها فاشتد احرارها فلا يراها شيء الا اجم عنها فهم يلقون
فيها بما اقدموا على ما هو اهل الاجمام عنه من التكذيب بما لا ينبغي لاحد التكذيب به ثم يلازمونها فلا ينفكون عنها كما هو
شان الصاحب ولما كان من الاجرام يحصل من اسباب السعادة في الدنيا قال تعالى ذاكرا لهم بعض ذلك مذكرا ببعض
ما حاطهم به ليقدموا على مباينة الكفرة ويقفوا عند حدوده كاينة ما كانت يا ايها الذين امنوا اي صدقوا بالله
ورسوله وكتابه اذكروا نعمة الله اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما عليكم عظمها باعظامها ثم زادها تعظيما بالتذكير
بوقتها فقال اذ اي حين هم قوم اي لهم قوة ومنعة وقدرة على ما يقومون فيه ان يبسطوا اليكم ايديهم اي بالقتال
والقتل وهو شامل مع ما ذكر من اسباب نزوله مما اتفق صبيحة ليلة العقبة من ان قريشا تطست الخبر عن البيعة
فلما صح عندهم طلبوا اهل البيعة ففاتوهم الا انهم ادركوا سعد بن عبادة باذاخر والمنذر بن عمرو اخا بني ساعدة ان
وكلاهما كان نقيبا فاما المنذر فاعجزهم واما سعد فاخذوه فربطوه واقبلوا يفزرونه حتى خلصه الله منهم بجبير بن مطعم
والحرث بن حرب بن امية بما كان بينه وبينهما من الجوار فكان في سوق الآية بعد آية الميثاق الذي اعظمه ما كان
ليلة العقبة اعظم مذكور بذلك فكف ايديهم عنكم اي مع قلتكم وكثرتهم وضعفكم وقوتهم ولم يكن لكم ناصر الا الذي امنتم
به تلك الليلة وتوكلتم عليه وبايعتم رسوله فكف ببعض الاعداء عنكم ايدي بعض ولو شاء لسلطهم عليكم كما سلط ابن
آدم على اخيه وينبغي ان يعلم ان القصة التي عزيت في بعض التفاسير هنا الى بني قريظة في الاستعانة في دية القتيلين
انما هي لبني النضير وهي كانت سبب اجلائهم ولما امرهم بذكر النعمة عطف على ذلك الامر للامر بالخوف من المنع ان يبدل
نعمته بنقمة فقال واتقوا الله الملك الذي لا يطاق انتقامه لانه لا كفوء له اي حذرا من ان يسلط عليكم اعداءكم ومن
غير ذلك من سطواته ولما كان التقدير فعلى الله وحده في كل حالة فتوكلوا فانه جدير بنصر من انقطع اليه ولم يعتمد
الا عليه عطف على ذلك قوله تتميما وتعليقا للحكم بالوصف وعلى الله اي وحده لكونه لا مثل له فليتوكل المؤمنون
اي في كل وقت فانه يمنعهم اذا شاء كهذا المنع وان اشتد الخطب وتعاظم الامر فتوكلوا ولا تتكلوا عن اعدائكم الذين
وعدكم الله ارضهم وديارهم وابنائهم ونساءهم بوا جموعهم كما هاب بنو اسرائيل كما سيقص عليكم وقوله هنا المؤمنون وفي
قصة بني اسرائيل ان كنتم مؤمنين شديد التآخي معلم بمقامي الفريقين وحينئذ حسن كل الحسن تعقيبها ما تقدم من امر
العقبة وامر بني النضير في نقضهم عهودهم وغدرهم بما هموا به من قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالقاء الرحى عليه من سطح
البيت الذي احلسوه الى جانبه بقوله اشارة الى ان اليهود ما زالوا على النقض قديما تحذيرا للمؤمنين من ان يكونوا مثلهم
في النقض ليلا يحاربهم ما حل بهم من الصغار واعلاما بان عادته سبحانه في الالزام بالتكاليف قديمة غير مخصوصة بهم
بل هي عامة لعباده وقد كلف اهل الكتاب تشريفا لهم بمثل ما كلفهم به ورغبهم ورهبهم بسابقتهم في الطاعة فان الامر
اذا عم هان والانسان اذا سابق اجتهد في اخذ الرهان واكد الخبر بذلك لئلا يظن لشدة انهماكهم في النقض انه لم يسبق لهم
عهد فقال ولقد اخذ الله اي بما له من جميع الجلال والعظمة والكمال ميثاق بني اسرائيل اي العهد الموثق بما اخذ عليهم
من السمع والطاعة وبعثنا اي بما لنا من العظمة منهم اثني عشر نقيبا اي شاهدا على كل سبط نقيب يكفلهم بالوفاء بما
عليهم الوفاء به كما بعثنا منكم ليلة العقبة اثني عشر نقيبا واخذنا منكم الميثاق على ما اجاله الاسلام كما قال كعب
بن مالك رضي الله عنه في تخلفه عن تبوك ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا
على الاسلام واما تفصيله فمذكور في السير والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم كما قيل عريف لانه يتعرفها ومن ذلك
المناقب ومي الفضايل لانها تظهر الا بالتنقيب عنها وقال الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما لبني اسرائيل واكد
لتكرر جزعهم وتقلبهم فقال اني معكم وهو كناية عن الكفاية كان القادر اذا كان مع احد كان كذلك اذا لم يغصبه
ولما انهى الترغيب بالجملة استانف بيان شرط ذلك بقوله موكدا لمثل ما مضى لئن اقمتم اي اتشاءم الصلوة
اي التي في صلة ما بين العبد والخالق بجميع شروطها واركانها ولما كان المقصود من الانفاق المواساة بالايتاء
قال واتيتم الزكوة اي التي هي بين الخلق والخلايق ولما كان الخطاب مع من آمن بموسى عليه السلام وكانوا في كل قليل
يروغون عن اتباعه او كاد اتباعه وكان سبحانه عالما بان ميلهم بعده يكون اكثر فرتب في الازل انه يوالي انبياءهم بعده

الرسل

الرسل يحفظونهم عن الزيغ ويقومون منهم الميل قال وامنتم برسلي اي دمتم الايمان بموسى عليه السلام وجددتم الايمان
بمن يأتي بعده فصدقتموهم في جميع ما يأمرونكم به وعزرتموهم اي ذببتم عنهم ونصرتموهم ومنعتموهم اشد المنع والتعزير
والتنزير من باب واحد ولما كان من اعظم المصدق للايمان ونصر الرسل بذل المال فهو البرهان قال وأقرضتم الله اي
الجامع لكل وصف جميل قرضا حسنا اي بالانفاق في جميع سبل الخير واعظمها الجهاد والاعانة فيه للضعفاء ولما كان الانسان
محل النقصان فهو لا ينفك عن زلل او تقصير وان اجتهد في صالح العمل قال سادا بجواب القسم الذي وطأت له اللام الداخلة
على الشرط منه جواب الشرط لاكفرن اي لاسترن عنكم سيئاتكم اي فعلكم لما من شأنه ان يسوء ولادخلنكم اي فضلا مني جنات
تجري ولما كان المتأهل حسن الابقربه والمسافة عن بعض الارض قال من تحتها الانهار اي من شدة الري فمن كفر ولما كان الله سبحانه
لا يعذب حتى يبعث رسولا وكان الهلاك من المعاصي بعد الارسال ما اتصل بالموت فاحبط ما قبله نزع الجار فقال بعد ذلك اي
الشرط الموكد بالامر العظيم الشان منكم اي بعد ما راى من الآيات واقرب من الموانيق فقد ضل اي ترك وضيع يستعمل قاصرا
بمعنى جار ومتعديا كما هنا سواء اي وسط وعدل السبيل اي لان ذلك كفر بعد البيان العظيم فهو اعظم من غيره وفي هذا التحذير
شديد لهذه الامة لانا لمعنى فان نقضتم الميثاق كما نقضوا بمثل استدراج شاس بن قيس وغيره صنعنا بكم ما صنعنا بهم حين
نقضوا من الزامهم الذلة والمسكنة وغير ذلك من آثار الغضب وان وفيتم بالعقود آتيناكم اعظم مما آتيناهم من فتح البلاد
والظهور على سائر العباد قال ابن الزبير ولهذا الغرض والله اعلم اي غرض التحذير من نقض العهد ذكر هنا العهد المشار اليه
في قوله تعالى واوفوا بعهدي فقال تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله فقد ضل سواء السبيل ثم بين نقضهم
وبنى اللعنة وكل محنة ابتلوا بها عليه فقال فبما نقضهم ميثاقهم وذكر تعالى عهد الآخرين فقال ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم الآية ثم فصل تعالى للمؤمنين افعال الفريقين ليتبين لهم ما نقضوا فيه اي من ادعائهم في المسيح ما ادعوا
وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وكتمهم عن فتح الارض المقدسة واسرائهم في القتل وغيره وتغييرهم احكام التورية الى غير
ذلك مما ذكره في هذه السورة ثم بين تعالى لهم في البعد عن الاستجابة فقال تعالى لتجدن اشد الناس عداوة الآية انتهى ويبقى
ذكر النقباء من هذه الفرق الثلاث باسمائهم وما دعا الى ذلك تحقيقا للامر وزيادة بنصر اما اليهود فكان فيهم ذلك مرتين
الاولى قال في السفر الرابع من التورية ان الرب تبارك اسمه كلم موسى النبي في جبل سيناء وفي قبة الاحد في اول يوم من الشهر
الثاني في السنة الثانية لخروج بني اسرائيل من مصر وقال الله احص عدد جماعة بني اسرائيل كلها في قبائلهم كل ذكر من ابناء عشرين
سنة الى فوق كل من يخرج في الحرب واحصهم انت وهرون اخوك وليكن معكما من كل سبط رجل ويكون الرجل رئيسا في اهل
بيته ثم بين بعد ذلك ان كل رجل منهم يكون قائد جماعته ينزلون بنزوله حول قبة الزمان ويرحلون برحيله ويطيعونه
فيما يأمر به ففعل موسى وهرون ما امرهما الله به وانتدبوا اثني عشر رجلا كما امرالله فمن سبط روبيل اليصور بن شذاور
ومن سبط شمعون شلوميل بن صوريشداي ومن سبط يهوذا يحشون بن عنداب ومن سبط ايساخار نثنائيل بن صوعر
ومن سبط زابلون اليئيب بن حلون ومن سبط يوسف من اجل افرائيم اليشمع بن عميهود ومن سبط منشا جملئيل بن بكر صور
قلت ومنشا هو ابن يوسف وهو اخو افرائيم ومن سبط بنيامين ابيدان بن جدعوني ومن سبط دان جيعزر بن عيشداي
ومن سبط اشير فجعيئيل بن عجران ومن سبط جاد اليساف بن رعوائيل ومن سبط نفتال احيرع بن عينين وسبط
لاوي هم سبط موسى وهرون عليهما السلام لم يذكروا لانهم كانوا لحفظ قبة الزمان لموسى وهرون عليهم كما كان النبي صلى
الله عليه وسلم على قومه كما سيأتي والمرة الثانية كانت ليجسوا امر بيتا لمقدس قال في اثناء هذا السفر وكلم
الرب موسى وقال له ارسل قوما يجسون الارض التي اعطي بني اسرائيل ويكون الذي ترسل رجلا من كل سبط من رؤساء
اباءهم فارسلهم موسى من برية فاران عن قول الرب رجالا من رؤساء بني اسرائيل وهذه اسماؤهم من سبط روبيل ماموع
ابن زكور ومن سبط شمعون شافاط بن حوري ومن سبط يهوذا كالاب بن يوفنا ومن سبط ايساخار يغائيل بن يوسف
ومن سبط افرائم هوشاع بن نون ومن سبط بنيامين بلطي بن رافوا ومن سبط زابلون جادي ال بن سودي ومن سبط
يوسف من سبط منشا جدي بن سوسي ومن سبط دان عمئيال بن حملي ومن سبط اشير ساتور بن مخائيل ومن سبط نفتالي
نحبي بن وقسي ومن سبط جاد جوئيل بن ماخي هؤلاء الذين ارسلهم وتقدم اليهم بالوصية واما النصارى ففي الانجيل
متى ما نصه ودعا يعني عيسى عليه السلام تلاميذه الاثني عشر واعطاهم سلطانا على جميع الارواح النجسة لكي يخرجوها
ولكي يشفوا كل الامراض وفي انجيل مرقس وصعد الى الجبل ودعا الذين اجبهم فاتوا اليه وانتخب اثني عشر ليكونوا معه
ولكي يرسلهم ليكرزوا واعطاهم سلطانا على شفاء الامراض واخراج الشياطين وفي انجيل لوقا ودعا الاثني عشر الرسل
واعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين واشفاء المرضى وارسلهم يكرزون بملكوت الله ويشفون الاوجاع وهذه
اسماؤهم شمعون المسمى بطرس واندراوس اخوه ويعقوب بن زبدي ويوحنا اخوه وقال في انجيل مرقس
وسماهما باسمي بوانرجس اللذين هما ابنا الرعد وفيليس وبرتولوماوس وتوما ومتي العشار ويعقوب بن حلفا
وليا الذي يدعى تداوس وقد اختلفت الاناجيل في هذا ففي انجيل مرقس بدله ثدي وفي انجيل لوقا يهوذا بن يعقوب ثم
اتفقوا وسمعان القانائي وفي انجيل لوقا المدعو الغيور ويهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه واما نقباء الاسلام
فكانوا ليلة العقبة الاخيرة حين بايع النبي صلى الله عليه وسلم الانصار رضي الله عنهم على الحرب وان منعوه اذا وصل الى

بلدهم وقال لهم صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم كما اختار موسى من قومه فاخرجوا منهم اثني
عشر نقيبا يكونون على قومهم كما اختار موسى من قومه فاخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلثة من الاوس فقال
لهم انتم على قومكم بما فيهم كفلا ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومي قالوا نعم وهذه اسماؤهم من الخزرج ن
ابو امامة اسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبر بن معرور
وعبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر وعبادة بن الصامت والمنذر بن عمرو ومن الاوس اسيد بن الحضير وسعد بن خيثمة
ورفاعة بن عبد المنذر او ابو الهيثم بن التيهان قال ابن هشام وقال كعب بن مالك يذكرهم ابن عبد المنذر فيما انشدني
ابو زيد الانصاري وذكر ابو الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة فقال ن

ابلغ ابيا انه قال رايه ... وخان غداة الشعب والحين واقع
ابى الله ما منك نفسك انه ... بمرصاد امر الناس راء وسامع
وابلغ ابا سفين ان قد بدى لنا ... باحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترعين في حشد امر تريده ... والب وجمع كل ما انت جامع
ودونك فاعلم ان نقض عهودنا ... اباه عليك الربط حين تتابعوا
اباه البراء وابن عمرو كلاهما ... واسعد يا باه عليك ورافع
وسعد اباه الساعدي ومنذر ... لانفك ان حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع ان تناولت عهده ... بمسلمة لا يطمعن ثم طامع
وايضا فلا يعطيكه بن رواحة ... واخفاره من دونه السم ناقع
وفاء به والقوقلي بن صامت ... بمندوحة عما تحاول يافع
ابو هيثم ايضا وفي بمثلها ... وفاء بما اعطى من العهد خانع
وما ابن حضير ان اردت بمطمع ... فهل انت عن احموقة الغي نازع
وسعد اخو عمرو بن عوف فانه ... ضروح لما حاولت ملامر مانع
اولاك نجوم لا يغبك منهم ... عليك بنحس في دجى الليل طالع

فاما نقباء اليهود في جس الارض فلم يوف منهم الا اثنان كما سياتي قريبا عن نص التورية التي بين ايديهم واما نقباء
النصارى فنقض منهم واحد كما مضى عند قوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه وسياتي ان شاء الله تعالى في سورة الانعام عند
قوله لانذركم به ومن بلغ واما نقباؤنا فكلهم وفي وبر بتوفيق الله وعونه فله اتم الحمد ولما ذكر سبحانه ما اخذ
على اليهود من الميثاق ووعيده لهم ان كفروا بعد ذلك ذكروا انهم نقضوا مرة بعد مرة كما تقدم في سورة البقرة وغيرها كثير
فيه عن نص ما عندهم من التورية فاستحقوا ما هم فيه من الخزي فقال تعالى مسببا عما مضى موكدا بما النافية لضد ما
اثبته الكلام فبما نقضهم ميثاقهم اي بتكذيب الرسل الاتين من بعد موسى عليهم السلام وقتلهم الانبياء ونبذهم كتاب الله وراء
ظهورهم في كتمانهم امر محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك لا بغير ذلك كما نقض بنوا النضير فسلطكم الله عليهم بما اشار اليهم في
سورة الحشر لعناهم اي ابعدناهم بعد ان وعدناهم القرب بالكون معهم ان وفوا ولما كان البعيد قد يكون رقيق القلب
متاسفا على بعده ساعيا في اسباب قربه باكيا على عافية ربه فيرجى بذلك له غفران ذنبه اخبر انهم على غير ذلك بقوله
وجعلنا اي بعظمتنا قلوبهم قاسية اي صلبة عاسية بالغش فهي غير قابلة للنصيحة لان الذهب الخالص يكون لينا
والمغشوش يكون فيه يبس وصلابة وكل لين قابل للاصلاح بسهولة ثم بين قساوتها بما دل على بغضهم بقوله يحرفون
الكلم اي يجددون كل وقت تحريفه عن مواضعه فانهم كلما وجدوا شيئا من كلام الله يشهد بضلالهم حرفوه الى شهواتهم
واولوه التاويل الباطل باهوائهم فهم يحرفون الكلم ومعانيها ولما كانوا قد تركوا اصلا وراسا ما لا يقدرون لصراحته
على تحريفه قال معبرا بالماضي اعلاما بجزمهم بالبراءة من ذلك ونسوا حظا اي نصيبا نافعا معليا لهم مما ذكروا به
اي من التورية على السنة انبيائهم عيسى ومن قبله عليهم السلام تركوه ترك الناسي للشي لقلة مبالاته به بحيث لم يكن لهم
رجوع اليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولما ذكر
سبحانه ما يفعلونه في حقه في كلامه الذي هو صفته اتبعه ما يعم حقه وحق نبيه صلى الله عليه وسلم على وجه معلم
ان الخيانة ديدنهم تسلية له صلى الله عليه وسلم فقال ولا تزال اي بما نطلعك عليه يا اكرم الخلق تطلع اي تظهر ظهورا
بليغا على خائنة اي خيانة عظيمة تستحق ان تسمى فاعلة للخون لشدتها منهم اي في حقك بقصد الاذى وفي حق الله تعالى
باخفاء بعض ما شرعه لهم الا قليلا منهم فانهم يكونون على نهج الاستقامة اما بالايمان واما بالوفاء وهم متمسكون بالكفر ثم
سبب عن هذا الذي في حقه صلى الله عليه وسلم قوله فاعف عنهم اي امح ذنبهم ذلك الذي اجترحوه وهو دون النقض
والتحريف فلا تعاقبهم عليه ولما كان العفو لا يمنع المعاتبة قال واصفح اي واعرض عن ذلك اصلا وراسا فلا تعاتبهم
عليه كما لم تعاقبهم فان ذلك احسان منك واذا احسنت احبك الله ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال يحب المحسنين
وذلك كما روى الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له لبيد
ابن الاعصم وفي رواية للبخاري ان رجلا من بني زريق حليف ليهود وكان منافقا حتى كان يخيل اليه انه ياتي النساء
ولا ياتيهن وذلك اشد السحر ثم ان الله تعالى شفاه واعلمه ان السحر في بئر ذروان فقالت له عائشة رضي الله عنها
افلا اخرجته فقال لا اما انا فقد عافاني الله وكرهت ان اثير على الناس شرا فامرت بها فدفنت وهو في معجم الطبراني
الكبير وهذا لفظه ومسند ابي يعلى الموصلي وسنن النسائي الكبرى ومسند عبد بن حميد وابي بكر بن ابي شيبة واحمد بن
منيع عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فعقد له عقدا فجعله في بئر رجل من
الانصار فاتاه ملكان يعودانه فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما اتدري ما وجعه قال فلان
الذي يدخل عليه عقد له عقدا فالقاه في بئر فلان الانصاري فلو ارسل رجلا لوجد الماء اصفر فبعث رجلا فاخذ العقد

فحلها

فحلها فبرأ فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيا منه ولم يعاتبه وللشيخين عن انس
رضي الله عنه ان امراة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فاكل منها فجي بها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك قال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال علي قالوا افلا
نقتلها قال لا قال فما زلت اعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية انها كانت سبب موت النبي صلى الله
عليه وسلم بانقطاع ابهره الشريف منها بعد سنين وفي سنن ابي داود من وجه مرسل انه قتل اليهودية والاول هو الصحيح
وسياتي لهذا الحديث ذكر في هذه السورة عند والله يعصمك من الناس فهذا غاية العفو والاحسان امتثالا لامر الله سبحانه
ولما دخل النصارى فيما مضى لانهم من بني اسرائيل خصهم بالذكر لان كفرهم اشد واسمج فقال ومن الذين قالوا اي مسمين
انفسهم ملزمين لها النصرة لله موكدين قولهم ردا على من يرتاب فيه انا نصارى اي مبالغون في نصرة الحق فالتعبير بذلك
دون ومن النصارى تنبيه على انهم تسموا بما لم يفوا به اخذنا اي بما لنا من العظمة ميثاقهم اي كما اخذ على من قبلهم ولما كان
كفرهم في غاية الظهور والجلاء لم ينسبهم الى غير الترك فقال فنسوا اي تركوا ترك الناسي حظا اي نصيبا عظيما يتنافس
في مثله مما ذكروا به اي في الانجيل مما سبق لهم ذكره في التورية من اوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الحق
ولما ادى ذلك الى تشعبهم فرقا فانتج تشاحنهم وتقاطعهم وتدابرهم سبب عنه قوله فاغرينا اي الصقنا بعظمتنا
الصاق ما هو بالغراء لا ينفك بل يصير كجزء الشي بينهم اي النصارى بعد ان جعلناهم فرقا متباينين بتفريق الدين وكذا بينهم
وبين اليهود العداوة ولما كانت العداوة قد تكون عن بغي ونحوه اذا زال زالت او خفت قال معلما انها لامر باطني
نشا من تزيين الهوى فهو ثابت غير منفك والبغضاء بالاهواء المختلفة الى يوم القيمة ولما اخبر بنكدهم في الدنيا اتبعه
ما لهم في الاخرى فقال وسوف ينبئهم اي يخبرهم الله اي الملك الاعلى المحيط بكل شي قدرة وعلما اخبارا عظيم الشان بما
فيه من عظيم التقريع والتوبيخ في الاخرة بوعيد لا خلف فيه ولما كانت خبائثهم قد صارت لهم فيها ملكات بما لازموا
منها حتى ضروا بها ومرنوا عليها حتى صارت لهم احوالا لانفسهم واخلاقا لقلوبهم سماها فقال بما كانوا يصنعون
اي دربوا انفسهم عليه حتى صار كالصنعة فيجازيهم عليه بما يقيم عليهم من الحجة ولما علم بذلك كله احوال الفريقين
اقبل عليهم واعظا مانا مستعطفا مرغبا مرهبا فقال يا اهل الكتاب اي عامة قد جاءكم رسولنا اي الذي ارسلناه
بما لنا من العظمة فليظهرن بذلك على كل من ياواه يبين لكم اي يوضح ايضاحا شافيا كثيرا مما كنتم اي بما لكم من جبلة الشر
والكذب والخيانة تخفون من الكتاب اي العظيم المنزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الزنا وغيرهما لاحياء
سنة واماتة بدعة كما مضى منه ما شاء الله في سورة البقرة وذلك دال بلا شبهة على صحة رسالته ويعفوا عن كثير
اي فلا يفضحكم باظهاره امتثالا لامرنا له بذلك كما تقدم انه احسان منه صلى الله عليه وسلم لانه لا فايدة في اظهاره
الا فضيحتكم ولما اخبر عن فصله للخفايا وكان التفصيل لا يكون الا بالنور اقتضى الحال توقع الاخبار بانه نور فقال
مفتتحا بحرف التوقع والتحقيق قد جاءكم وعظمه بقوله معبرا بالاسم الاعظم من الله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال
نور اي واضح النورية وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي كشف ظلمات الشك والشرك ودل على جمعه مع فرقه بقوله
وكتاب اي جامع مبين اي بين في نفسه مبين لما كان خافيا على الناس من الحق ولما كانت هدايته مشروطة بشرط صلاح
الجبلة بين ذلك بقوله واصفا له يهدي به اي الكتاب الله اي الملك الاعظم القادر على التصرف في البواطن والظواهر
من اتبع اي كلف نفسه واجهدها في الخلاص من اسر الهوى بان تبع رضوانه اي غاية ما يرضيه من الايمان والعمل الصالح
ومعلوم ان ذلك لا يكون الا بتوفيقه ثم ذكر مفعول يهدي فقال سبل اي طرق السلام اي الله باتباع شرايع دينه
والعافية والسلامة من كل مكروه ويخرجهم من الظلمات اي كدورات النفوس والاهواء والوساوس الشيطانية الى
النور اي الذي دعا اليه العقل فيصيروا عاملين باحسن الاعمال كما يقتضيه اختيار من هو في النور باذنه اي بتمكينه
ولما كان من في النور قد يغيب عنه غرضه الاعظم فلا ينظره لغيبته عنه ببعده منه وتكثر عليه الاسباب فلا يدري
ايها يوصل او يقرب ايصاله ويسهل امره قال كافلا لهم بالفوز مريحا من تعب السير ويهديهم اي بما له من احاطة العلم
والقدرة الى صراط مستقيم اي طريق موصل الى الغرض من غير عوج اصلا وهو الدين الحق وذلك مقتض للقرب المستلزم
لسرعة الوصول ولما تم ذلك موضحا لان من لم يتبع الكتاب الموصوف كان كافرا وعن الطريق للامم جايرا وكان محصل حال
اليهود كما رايت فيما تقدم وياتي من نصوص التورية انهم لا يعتقدون على كثرة ما يرون من الايات ان الله مع نبيهم دايما
كان انسب الاشياء بعد الوعظ ان يذكر حال النصارى في نبيهم فانه مباين لحال اليهود من كل وجه فاولئك على شك في
انه معه وهولاء اعتقدوا انه هو فقال تعالى مبينا انهم في اظلم الظلام واعمى العمى لقد او يقال ان اليهود لما فرطوا
فكفروا فهم ذلك ان النصارى لما افرطوا كفروا فصار حالهم كالنتيجة لما مضى فقال لقد كفر الذين قالوا موكدين لبعد
ما قالوه من العقل فهو في غاية الانكار ان الله اي على ما له من جميع صفات الكمال التي لا يجهلها من له ادنى تامل اذا
توخى الهدى وانخلع من اسر الهوى هو المسيح اي عينه وهذا افظع الكفر وابينه بطلانا ووصفه بما هو في غاية
الوضوح في بطلان قولهم لبعده عن رتبة الالهية في الحاجة الى امراة فقال ابن مريم فهو محتاج الى كفالتها بما لها من الامومة
ولما بطل مدعاهم على اتقن منهاج واخصره وكان ربما دق على بعض الافهام اوضحه بقوله قل دالا على ان المسيح عليه السلام

عبد مملوك لله مسببا عن كفرهم فمن يملك من الله اي الملك الذي له الامر كله شيا اي من الاشيا التي يتوهم انها قد تمنعه مما يريد
بحيث يصير بذلك المملوك احق به منه فلا ينفذ له فيه تصرف ان اراد اي الله سبحانه ان يهلك المسيح وكرر وصفه بالنبوة ايضاحا
للمراد فقال ابن مريم وازال الشبهة جدا بقوله وامه ولما خصهما دليلا على ضعفهما المستلزم للمراد عم دلالة على عموم القدرة
المستلزم لتمام القهر لكل من يماثلهما المستلزم لعجز الكل المبعد عن رتبة الالهية فقال موصي للدليل بتسويتهما ببقية المخلوقات
ومن في الارض جميعا اي فمن يملك منعه من ذلك ولما كان التقدير فان ذلك كله لله يهلكه كيف شا متى شا عطف عليه ما هو اعم
منه فقال معلما بانه مع كونه مالكا ملك له تمام التصرف ولله اي الملك الاعلى الذي لا شريك له ملك السموات اي التي بها قيام الارض
والارض وما بينهما اي بين النوعين وبين افرادهما مما به تمام امرهما ثم استانف قوله دليلا على ما قبله ونتيجة له يخلق ما
يشاء على اي كيفية اراد كما تقدم ان له ان يعدم ما يشا كذلك فلا عجب في خلقه بشرا من انثى فقط لا بواسطة ذكر حتى يكون سببا
في ضلال من ضل به ولما دل ذلك على تمام القدرة على المذكور عم فقال والله اي ذو الجلال والاكرام على كل شي اي من ذلك وغيره
قدير ولما عم سبحانه في ذكر فضائح بني اسرائيل تارة وخص اخرى عم بذكر طامة من طوامهم حملهم عليها العجب والبطر بما انعم
الله به عليهم فقال وقالت اليهود والنصارى اي كل طائفة قالت ذلك على حدتها خاصة لنفسها دون الخلق اجمعين نحن ابنا
الله اي بما هو ناظر الينا به من جميع صفات الكمال واحباؤه اي عريقون في كل من الوصفين كما يدل عليه العطف بالواو ثم
شرع ينقض هذه الدعوى نقضا بعد نقض على تقدير كون النبوة على حقيقتها او مجازها والذي اورثهم هذه الشبهة ان لم
يكونوا قالوا ذلك عنادا ان في مواضع من التورية عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام شعبي بكري وقال في اول نبوة
موسى عليه السلام كما ذكرته في الاعراف وقل لفرعون هكذا يقول الرب ابني بكري اسرائيل ارسل ليعبدني فاني ابيت ان ترسل
ابني فاني اقتل ابنك بكرك ونحو هذا وفي كثير مما بين ايديهم من الانجيل عن قول عيسى عليه السلام افعلوا كذا لتكونوا بني ابيكم
الذي في السما ونحو ذلك وقد بينت معناه على تقدير صحته بما يوجب رده الى المحكم بلا شبهة في اول سورة آل عمران وقال
البيضاوي في اول سورة الكهف انهم كانوا يطلقون الاب والابن في تلك الاديان بمعنى المؤثر والاثر وقال في البقرة في تفسير
بديع السموات انهم كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاصلي ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة
ولذلك كفر قايله ومنع منه منعا مطلقا انتهى قال فاول نقض نقض به سبحانه وتعالى هذه الدعوى بيان انه يعذبهم
فقال قل فلم يعذبكم اي ان كنتم جامعين بين كونكم ابناء واحباء بين عطف النبوة وحنو المحبة بذنوبكم وعذابهم مذكور في نص
توراتهم في غير موطن ومشهور في تواريخهم بجعلهم قردة وخنازير وغير ذلك اي فان كان المراد بالنبوة الحقيقة فابن الاله
لا يكون له ذنب فضلا عن ان يعذب به لان الابن لا يكون الا من جنس الاب تعالى الله عن النوعية والجنسية والصاحبة
والولد علوا كبيرا وان كان المراد المجاز اي بكونه يكرمكم اكرام الولد والحبيب كان ذلك مانعا من التعذيب ولما كان معنى
ذلك انه يعذبكم لانكم لستم ابناء ولا احباء عطف عليه نقضا آخر اوضح من الاول فقال بل انتم بشر ممن خلق وذلك امر
مشاهد والمشاهدات من اوضح الدلايل فانتم مساوون لغيركم في البشرية والحدوث لا مزية لاحد منكم على غيره في الخلق
والبشرية وهما يمنعان النبوة فان القديم لا يلد بشرا والاب لا يخلق ابنه فامتنع بهذين الوصفين النبوة وامتنع بتعذيبهم
ان يكونوا احبا الله فبطل الوصفان اللذان ادعوهما ولما كان التقدير يفعل بكم ما يفعل بساير خلقه وصل به قوله جوابا
لمن يقول ما هو فاعل بمن خلق يغفر لمن يشاء اي من خلقه منكم ومن غيركم فضلا منه تعالى ويعذب من يشاء عدلا لما يشاهدونه
يكرم ناسا منكم في هذه الدار ويهين آخرين ولما كان التقدير لانه مالك خلقه وملكهم لا اعتراض عليه في شي من امرهم عطف
عليه قوله نقضا ثالثا بما هو اعم مما قبله فقال ولله اي الذي له الامر كله فلا كفو له ملك السموات وقدمها لشرفها
دلالة على ملك غيرها مزيارا اولى وصرح بقوله والارض وما بينهما اي وانتم مما بينهما وقد اجتمع بذلك مع الملك والابداع
الملك والتصرف التام وذلك هو الغنى المطلق ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شي من ولد ولا غيره ولا يكون لاحد عليه حق
ولا يسوغ عليه اعتراض ولما كان التقدير فمنه وحده للابتدا عطف عليه قوله واليه اي وحده المصير اي الصيرورة
والرجوع وزمان ذلك ومكانه يعني في الدنيا بانه لا يخرج شي عن مراده وحسا في الآخرة فيحكم بين مصنوعاته على غاية
العدل كما هو مقتضى الحكمة وشان كل ملك في اقامة ملكه بانصاف بعض عبيده من بعض لا يجوز عنده من موجب السيئات
اطلاق قويهم على ضعيفهم فان ذلك يؤدي الى خراب الملك وضعف الملك فاذا كان هذا شان الملوك من العبيد
الناقصين فما ظنك باحكم الحاكمين واذا عاملهم كلهم بالعدل اسبغ على من يريد ملابس الفضل ولما دحضت حجتهم ووضحت
اكذوبتهم اقتضى ذلك الالتفات الى وعظهم على وجه الامتنان عليهم وابطال ما عساهم يظنونه حجة فقال تعالى انتاجا
مما تقدم يا اهل الكتاب اي من الفريقين ولما كان ما حصل لهم من الضلال بتضييع ما عندهم من البينات وتغييرها
حالا يتوقع معه الارسال قال معبرا بحرف التوقع قد جاءكم رسولنا اي الذي عظمته من عظمتنا فاعظامه واجلاله
واجب لذلك ثم بين حاله مقدما له على متعلق جاء بيانا لانه اهم ما الى المرسل اليهم ارشادا الى قبول كل ما جاء به بقوله
يبين لكم اي يوقع لكم البيان في كل ما ينفعكم بيانا شافيا لما تقدم وغيره ولما كان مجيئه ملتبسا ببيانه وظرفا له غير
منفك عنه وكان بيانه مستعليا على وقت مجيئه وما مضى قبله وما ياتي بعده ببقاء كتابه محفوظا لعموم دعوته
وختامه وتفرده فلا نبي بعده قال معلقا بجاء على فترة اي طويلة بالنسبة الى ما كان يكون بين النبيين من بني اسرائيل

مبتدئة تلك الفترة من الرسل اي انقطاع من مجيئهم شبه فقدهم وبعد العهد بهم ونسيان اخبارهم وبلا رسومهم واثارهم وانطماس
معالمهم وانشوارهم بشي كان يغلي ففتر لم يبق من وصفه المقصود فيه الا اثر خاف ورسم دارس يقال فتر الشي اذا سكنت حدته
وصار اقل مما كان عليه وذلك لانه كان بين عيسى وبين النبي صلى الله عليه وسلم ستماية سنة فمبتدئ فيها امر الناس ولعله
عبر بالمضارع في يبين اشارة الى ان دينه وبيانه لا ينقطع اصلا بحفظ كتابه فكلما درست سنة منح الله تعالى بعالم يرد
الناس اليها بالكتاب المعجز القايم ابدا فلذلك لا يحتاج الامر الى نبي مجدد الا عند الفتنة التي لا يطيقها العلما وهي فتنة
الدجال وياجوج وماجوج ثم علل ذلك بقوله ان اي كرامة ان يقولوا اي اذا حشرتم وسيلتم عن اعمالكم ما جانا
ولتاكيد النفي قيل من بشير اي يبشرنا لنرغب فنعمل بما يسعدنا فنفوز ولا نذير اي يحذرنا لنرهب فنترك ما يشقينا
فنسلم لان الانسان موزع النقصان بين الرغبة والرهبة وقد كان اختلط في تلك الفترة الحق بالباطل فالتبس الامر وجهل
الحال لكنه لم يجهل جهلا يحصل به عذر في الشرك وسابينه في اول صرفه ولما كان المعنى فلا تقولوا ذلك سبب عنه قوله
قد جاكم اي من هو متصف بالوصفين معا فهو بشير ونذير اي كامل في كل من الوصفين وان تباينا ولما كان ربما توهم احد من
ترك الارسال زمن الفترة ومن ترك التعذيب بغير حجة الارسال وبالعدول عن بني اسرايل الى بني اسمعيل شيا في القدرة
قال كاشفا لتلك الغمة والله اي جاكم والحال ان الملك الذي له الكمال كله على كل شي اي من ان يرسل في كل وقت وان يترك
ذلك وان يهدي بالبيان وان يضل ومن ان يعذب ولا يقبل عذرا وان يغفر كل شي وغير ذلك قدير وفي الختم بوصف
القدرة واتباعه تذكيرهم ما صاروا اليه من العز بالنبوة والملك بعد ما كانوا فيه من الذل بالعبودية والجهل اشارة
الى ان انكارهم لان يكون من ولد اسمعيل عليه السلام نبي يلزم منه انكارهم للقدرة ولما ذكر سعة مملكته وتمام علمه
وشمول قدرته اتبع ذلك الدلالة عليه بقصة بني اسرايل واستنقاذهم من اسر العبودية والرق واعلا شانهم وايراثهم
ارض الجبارين بعد اهلاك فرعون وجنوده وغير ذلك مما تضمنته القصة اظهارا بعدم ردهم الى مصر التي باد اهلها
لتمام القدرة وسعة الملك وتعوذ الامر وهي مع ذلك دالة على نقضهم الميثاق وقسوتهم ونقض ما ادعوا من نبوتهم
ومحبتهم وذلك انها ناطقة بتعذيبهم وتفسيقهم وتبروهم من الله ولا شي من ذلك فعل حبيب ولا ولد فقال عطفا
على نعمه في واذكروا نعمة الله عليكم تذكيرا لهذه الامة بنعمة التوفيق للسمع والطاعة التي اباها بنوا اسرايل بعد ما راوا
من الايات ومما كف عنهم على ضعفهم وشجع به قلوبهم والزمهم الطاعة وكره اليهم المعصية بضد ما فعل ببني اسرايل
وغير ذلك مما يرشد اليه انعام النظر في القصة واذ اي واذكروا حين قال موسى لقومه اي من اليهود يا قوم اذكروا
اي بالقلب واللسان ذكر اعتبار واتعاظ بما لكم من قوة القيام بما تحاولونه ليقع منكم الشكر نعمة الله اي انعام الملك الاعظم
الذي له الاحاطة بالجلال والاكرام وعبر عن الانعام بالغاية لانها المقصود عليكم وعظم ذلك التذكير بالاسم الاعظم ونبه
بذكر ظرفها على احل النعم وهي النبوة المنقذة لهم من النار فقال اذ اي حين جعل فيكم وبشرهم بمن يات بعده من الانبيا من
بني اسرايل فجمع جمع الكثرة في قوله انبيا اي يحفظونكم من المهالك الدايمة ففعل معكم بذلك وغيره من النعم التي
فضلكم بها على العالمين في تلك الازمان فعل المحب مع حبيبه والوالد مع ولده ومع ذلك عاقبكم حين عصيتم وغضب عليكم
اذا بيتم فعلم ان الاكرام والاهانة دايران بعد مشيته على الطاعة والمعصية ولما نقلهم من الحيثية التي كانوا فيها
عبيد الفرعون لا يصلحون معها لملك ولا تحدثهم انفسهم به الى حيثية الحرية القابلة لان يكون كل منهم معها ملكا بعد
ان ارسل فيهم رسولا وبشر بانه يتبعه من الانبيا ما لم يكن في امة من الامم غيرهم قال وجعلكم ملوكا اي فكما جعلكم كذلك
بعد ما كنتم غير طايعين في شي منه فقد نقله منكم وجعله في غيركم بتلك القدرة التي انعم عليكم بها وذلك لكفركم بالنعم
وايثاركم الجهل على العلم فانكاركم لذلك وتخصيص النعم بكم تحكم وترجيح بلا مرجح ويوضح ذلك ان كفر النعمة سبب زوالها
وقد كانوا يهددون في التورية وغيرها بما هم فيه الان من ضرب الذلة والمسكنة التي لا يصلحون معها لملك ان هم
كفروا كما سياتي بعض ذلك في هذه السورة ولما ذكرهم تعالى ما ذكرهم به من النعم العامة اتبعه التذكير بنعمه خاصة
فقال واتاكم ما لم يوت اي في زمانكم ولا فيما قبله من سالف الزمان كما اقتضاه التعبير بلم احدا من العالمين اي من الايات
التي اظهرها على يد موسى عليه السلام فاخرجكم بها من الظلمات الى النور والكتاب الذي جعله تبيانا لكل شي اتبعه
ما تقيد به هذه النعمة من الشكر بامتثال الامر في جهاد الاعدا في سياق مؤذن بالنصر معلم بانه نعمة اخرى يجب شكرها
ولذلك وصله بما قبله وصل المعلول بالعلة فقال يا قوم ادخلوا عن امر الله الذي اعلمكم بما صنع من الايات انه غالب
على جميع امره الارض المقدسة اي المطهرة المباركة التي حكم الله ان يطهرها بانبيايه ورسله من نجس الشرك ووضر
المعاصي والافك ويبارك فيها ثم وصفها بما يوجب للمومن الاقدام لتحققه النصر فقال التي كتب الله اي الذي له
الامر كله فلا مانع لما اعطى لكم اي بان تجاهدوا اعداءه فترثوا ارضهم التي لا مثل لها فتحوزوا سعادة الدارين
وهي بيت المقدس التي وعد اباكم ابرهيم عليه السلام ان تكون ميراثا لولده بعد ان جعلها مهاجرة ولما امرهم بذلك
نهاهم عن التقاعد عنه فقال مشيرا الى ان مخالفة امر الله لا تكون الا بمعالجة الفطرة الاولى ولا ترتدوا اي تكلفوا انفسكم
الرجوع عن اخذها وصور لهم الفتور عن اخذها بما يستحيي من له همة من ذكره فقال على ادباركم ولما جمع بين الامر والنهي
خوفهم عواقب العصيان معلما بان ارتدادهم سبب لهلاكهم بغير شك فقال معبرا بصيغة الانفعال فتنقلبوا اي من عند

انتسكم من غير قالت يسلط عليكم خاسرين اي بخزي المعصية عند الله وعار الجبن عند الناس وخيبة المسعى من خيري الدارين ولما كان هذا السياق محركا للنفس الى معرفة جوابهم عنه اورده على تقدير سوال من كانه قال ان هذا الترغيب مشوق وترهيب مقلق فما قالوا في جوابه فقال قالوا معرضين عن ذلك كله بعدم مسافلته واحوالا نازلة مخاطبين له باسمه جفاء وخلافه وقلة ادب يا موسى واكدوا قولهم تاكيد من هو محيط العلم فقالوا مخاطبين بجراءة وقلة حيا لا علم اهل زمانه ان فيها قوما جبارين اي عتاة قاهرين لغيرهم مكوهين له على ما يريدون وانا لن ندخلها خوفا منهم حتى يخرجوا منها ثم صرحوا بالاتيان بالجملة الاسمية المؤكدة بانها كلهم على الدخول وانه لا مانع لهم الا الجبن فقالوا فان يخرجوا منها اي باي وجه كان وعبروا باداة الشك مع اعلام الله لهم باهلاكهم على ايديهم جلافة منهم وعراقة طبع في التكذيب فانا داخلون فكانه قيل ازهدت لسقطة ما سئلها فما اتفق لهم بعدها فقيل قال رجلان واشار الى كونهما من بني اسرايل بقوله ومما لمن تقاعس عن الامر منهم من الذين يخافون اي يوجد منهم الخوف من الجبارين ومع ذلك فلم يخافوا وثوقا منهما بوعد الله ولما كان منوا امرا لا علاقة لهم بمتعلقه وهو الخوف علم ان خوفهم من متعلقه وهو الجبابرة بالحرب لان الله معهم بعونه ونصره قرئ يخافون مبنيا للمفعول انعم الله اي بما له من صفات الكمال عليهما اي بالتثبيت على العمل بحق النقابة وبما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا كما انعم عليكم ايها العرب وخصوصا النقباء بالثباة في كل موطن ادخلوا عليهم الباب اي باب قريتهم امتثالا لامراه وايقانا بوعده ولما كانا يعلمان انه لا بد من دخولهم عليهم وان تقاعسوا وان طال المدى لان الله تعالى وعد بنصرهم عليهم ووعده حق عبر باداة التحقق خلاف ما مضى لجماهيرهم فقال فاذا دخلتموه ثم اكد اخبرهما ايقانا بوعد الله فقال فانكم غالبون اي لان الملك معكم دونهم وعلى الله اي الملك الاعظم الذي وعدكم بارثها وحده فتوكلوا اي لا على عدد منكم ولا عدة ولا حول ولا قوة ولما كان التوكل لا يخلو عن يلزمه التوكل وعدم الخوف من غير الله البتة بقوله ان كنتم اي جبلة وطبعا مومنين اي غريقين في الايمان بنبيكم صلى الله عليه وسلم والتصديق بجميع ما اتى به فكانه قيل لقد نصحا لهم وبرا واجتهدا في اصلاح الدين والدنيا فما خدعا ولا غرا فما قالوا فقيل لم يزدهم ذلك الا نفارا واستضعافا لانفسهم لاعراضهم عن الله واستصغارا لانهم قالوا معرضين عن خاطبا هم غير عادين لهم يا موسى واكدوا نفيهم للاقدام عليهم بقولهم انا وعظموا تاكيدهم بقولهم لن ندخلها وزادوه تاكيدا بقولهم ابدا وقيدوا ذلك بقولهم ما داموا اي الجبابرة فيها اي لهم اليد عليها ثم اتبعوه بما يدل على انهم في غاية الجهل باسه تعالى لما يريد الغني عن جميع العبيد فقالوا مسببين عن تعنتهم ذلك قولهم فاذهب انت وربك اي المحسن اليك فلم يذكروا انه احسن اليهم كثافة طباع وغلظ اكباد بل خصوه بالاحسان وهذا القول ان لم يكن قاطعوه يعتقدون التجسيم فهم مشارفون له ولذلك كان اليهود الآن عريقين في التجسيم ثم سببوا عن الذهاب قولهم فقاتلا ثم استانفوا قولهم موكدين لان من له طبع سليم وعقل مستقيم لا يصدق احدا يتخلف عن امر الله لا سيما ان كان مشافهة الرسول انا ههنا اي خلاصه قاعدون اي لا نذهب معكما فكان فعلهم فعل من يريد السعادة بمجرد ادعاء الايمان من غير تصديق له بامتحان بفعل يدل على الايقان روى البخاري في المغازي والتفسير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال المقداد بن عمرو يوم بدر يا رسول الله لا نقول كما قال قوم موسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول امض ونحن معك نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرايت النبي صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسره فكانه قيل فما قال موسى عليه السلام فقيل قال لما ايس منهم معرضا عنهم شاكيا الى الله تعالى رب اي ايها المحسن الي ولما كان من حق الرسول ان يقيه كل احد بنفسه وولده فكيف بما دون ذلك فكما لا يصدق احد ان اتباعه لا يطيعونه جدي على طبع البشر وان كان يخاطب علام الغيوب فقال موكدا اني ولما فهم من امر الرجلين لهم بالدخول انها فيد ادخولها بدخول الجماعة خص في قوله الا املك الا نفسي واخي اي ونحن مطيعان لما تامر به فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي الخارجين عن الطاعة قولا وفعلا ولا تجمعنا معهم في سمط واحد في فعل ولا جزاء قال فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم اي بسبب اقوالهم هذه وافعالهم لا يدخلها من قال هذه المقالة او رضيها احد بل يكونون اربعين سنة ثم استانف جوابا لمن تشوف فكره في تعرف حالهم في هذه الاربعين ومحلهم من الارض فقيل يتيهون اي يسيرون متحيرين في الارض حتى يهلكوا كلهم والتيه المفازة التي يحار سالكها فيضل عن وجه مقصده رويانهم اقاموا هذه المدة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين ثم يمسون في الموضع الذي ساروا منه ثم سبب عن اخبارهم بعقوبتهم قوله فلا تاس اي تحزن حزنا موليا على القوم اي الاقوياء الابدان الضعفاء القلوب الفاسقين اي الخارجين كل قيد الطاعات ثم بعد هلاكهم ادخلها بنيهم الذين نشا واني اليه لسلامتهم من اعوجاج طباعهم التي اكسبتهم اياها بلاد الفراعنة فاني كتبتها لبني اسرايل ولم اخبر بتعيينهم وان كانوا معينين في علمي كما اقتضت ذلك حكمتي وفي هذه القصة اوضح دليل على تصهم للتهود الذي بنيت السورة على طلبا لوفائها وافتتحت بها وصرح باخذها عليهم في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل الى ان قال وامتهم برسلي وعزرتموهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعلونه معه وتذكير له بالغفلة على قومه بالتوفيق وترغيب لمن اطاعهم وترهيب لمن عصى ومات في تلك الاربعين كل من قال ذلك القول او رضيه حتى النقباء العشرة وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويكون لهم عمود من نور بالليل يضيء عليهم وغير هذا من النعم لان المنع بالنقم كان تاديبا لهم لا عقابا فانهم تابوا شرح هذه القصة ما بين ايديهم من التورية وذكر بعض ما عدنهم فيه بدء تولهم

قال

قال في السفر الرابع منها وكلم الرب موسى وقال له ارسل قوما يحسبون الارض التي اعطي بني اسرايل فارسلهم موسى من برية
فاران رجالا من روساء بني اسرايل اثني عشر رجلا فيهم كالاب بن يوفنا وهو شاع بن نون ودعا موسى هو شاع بن نون يوشع
وارسلهم ليستخبروا ارض كنعان وقال لهم اعرفوا خبر الشعب الذي بها اقوى هو ام ضعيف اكثير هو ام قليل وما خبر الارض
التي هم فيها امخصبة ام لا افيها شجر ام لا وفي نسخة وما المدن التي يسكنونها وان كانت محوطا عليها ام لا وتعروا وخذوا
من ثمار الارض فصعدوا فاستخبروا الارض واخذوا من برية صين حتى انتهوا الى راخوب التي في مدخل حماد وصعدوا الى
التيمن فاتوا حبران وفي نسخة حبرون وكان بها بنوا الجبابرة ثم اتوا وادي العنقود وقطعوا قضيبا من الكرم فيه عنقود
عنب محمله رجلان باسطار ودعوا اسم ذلك الموضع وادي العنقود من اجل ذلك واخذوا من الرمان والتين ايضا
ورجعوا الى موسى بعد اربعين ليلة الى برية فاران الى رقيم واخبروا موسى والجماعة كلها خبر الارض وقالوا انطلقنا
فاذا الارض تغل اللبن والعسل وهذه ثمارها ولكن الشعب الذي في الارض عزيز قوي وقراهم كبار مشيدة ورأينا ثم بني
الجبابرة ثم ذكر ان الكنعانيين على ساحل البحر الى نهر الاردن قالوا وكنا عندهم مثل الجراد كذلك راينا انفسنا وضجت
الجماعة كلها ورفعوا اصواتهم بالبكاء وبكوا في تلك الليلة بكاء شديدا وتذمر جميع بني اسرايل على موسى وهرون في ذلك اليوم
وضجوا عليهما وقال لهما محافل بني اسرايل كلها يا ليتنا متنا بارض مصر على يدي الرب وليتنا متنا في هذه البرية ولا يدخلنا
الرب الى الارض التي نصرع فيها قتلا وتنتهب مواشينا واهلونا كان المثوى بارض مصر خيرا لنا وقال كل امرئ منهم لاخيه
اجتمعوا حتى نصير علينا رئيسا ونرجع الى ارض مصر فخر موسى وهرون على وجوههما ساجدين بين يدي جماعة بني اسرايل
كلها فاما يشوع بن نون وكالاب بن يوفنا اللذان كانا من الجواسيس فقالا الارض مخصبة جدا فان شاء الرب دفعها الينا فهي
ارض تغل السمن والعسل فلا تعصوا الرب ولا تفتتنوا ولا تخافوا شعب هذه الارض لان اهلها مبذولون لنا مثل الطعام للاكل
واعلموا ان قويهم سيضعف وتزول عنهم شدتهم ونحن الغالبون لان الرب معنا فلا تفرقوا منهم وظهر مجد الرب بالسحابة
في قبة الزمان تجاه بني اسرايل وقال الرب لموسى الى متى يسخطني هذا الشعب وكم الى كم لا يصدقونني الم يروا جميع الايات
التي اتيتهم بها ساضربهم بالموت واهلكهم واصيرك لشعب اعظم من هذا واعز منهم فقال موسى امام الرب يسمع اهل مصر
الذين اخرجت هذا الشعب من بينهم بقوتك ويقول سكان هذه الارض ايضا الذين سمعوا انك رب هذا الشعب فان انت
قتلت هذا الشعب جميعا كرجل واحد تقول الشعوب التي بلغها خبرك ان الرب لم يقدر ان يدخل هذا الشعب الارض التي
وعد اباءهم فلذلك قتلهم في البرية فلتعظم قوتك الان يرب كما وعدت وقلت يرب انت ذو المودة والنعمة تغفر الاثم
والخطايا وتزكي من ليس بمزكي اغفر يرب كما غفرت لهم مذ خرجوا من ارض مصر الى الان فقال الرب لموسى قد غفرت لهم كقولك
ولكني حي قيوم اقسم بذلك وبمجدي الذي امتلات الارض كلها منه ان جميع الرجال الذين عاينوا مجدي والايات التي اظهرت لهم
بمصر والفضا وجربوني عشر مرات ولم يطيعوا ولم يقبلوا قولي لا يعاينون الارض التي اقسمت لابائهم اني اعطيهم ولا يدخله
احد من الذين اغضبوني فاقبلوا غدا وارتحلوا الى طريق بحر سوف وقال الرب الى متى تهتز هذه الجماعة الردية بين يدي
فبي اقسم انكم تصيرون الى ما قلتم وكما فكرتم ذلك يصيبكم في هذه البرية فتسقط جثتكم فيها وتبلى اجسادكم ويهلك كل عددكم
وحسابكم من ابن عشرين سنة الى فوق لانكم تشوشتم وتذمرتم علي لا تدخلوا الارض التي رفعت يدي لانزلكم فيها ولا يدخلها
الا كالاب بن يوفنا ويوشع بن نون واما مواشيكم التي قلتم انها تنتهب وبنوكم الذين لا يعلمون الخير من الشر فهم يدخلون الارض
واصيرهم اليها واورثهم الارض فاجيفكم فتسقط وتبلى في هذه البرية وتمكث بنوكم يترددون في هذه المفازة اربعين سنة
يعاقبون حتى تهلك جثتكم في هذه البرية على عدد الايام التي اجتس الجواسيس الارض فيها لكل يوم سنة وتعاقبون باثمكم
لكل يوم سنة اربعين سنة لاربعين يوما فتعلموا اني انما فعلت ذلك لتذمركم بين يدي انا الرب قلت كذلك اصنع بهذه
الجماعة الردية التي اجتمعت بين يدي تهلك في هذه البرية يموتون كلهم والقوم الذين ارسلهم موسى ان يجتسوا الارض له
فانقلبوا وشعثوا عليه وافسدوا الجماعة كلها وذلك انهم اخبروا الشعب في امر الارض خبرا رديا وماتا القوم الذين
اخبروا الخبر السوء موت الفجاءة امام الرب فاما يشوع وكالاب فنجوا من الموت ولم يهلكا مع الذين استخبروا الارض
فاخبر موسى بني اسرايل هذه الاقوال وجلس في حزن شديد وقالوا نحن صاعدون الى الموضع الذي امر الرب ونقر بخطايانا
قال لهم موسى اعلموا انكم لا تنجحون ولا يتم امركم لا تصعدوا لان الرب ليس معكم لئلا يهزمكم اعداؤكم فان صعدتم هزمتم وقتلتم
لانكم اغضبتم الرب ورجعتم عن قوله فلذلك لا يكون الرب معكم فصعد القوم الى راس الجبل فاما تابوت عهد الرب
وموسى النبي فلم يبرحا من العسكر ونزل العلقمانيون والكنعانيون الذين يسكنون ذلك الجبل وحاربوهم وهزموهم
وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وطردوهم الى حرما وكان ذكر قبل ذلك في السفر الثاني وقبل معصيتهم في امر الجواسيس
قتالهم في رفيدين ورقيم لعماليق فقال ما نصه وان عماليق جا ليقاتل بني اسرايل برفيدين فقال موسى ليشوع اختر
رجلا من اهل الجلد والشدة واخرج بنا نقاتل عماليق غدا وانا واقف على راس الاكمة وقضيب الله في يدي فصنع يشوع
كما قال له موسى فخرج الى حرب عماليق وصعد موسى وهرون وجور الى راس الجبل وكان موسى اذا رفع يده قوي بنوا
اسرايل واذا خفض يده قوي عماليق فاعيت يد موسى فاخذ حجارة فوضعها تحته ثم استوى عليها جالسا وكان هرون
وجور يدعمان يديه احدهما يمينا والاخر شمالا حتى غربت الشمس فهزم يشوع عماليق ومن معه وقتلوهم بحد السيف

نسخ

من حدروا وفي نسخة حارذا ونزلوا مقهلوث وفي نسخة مهقلوث وظعنوا من مقهلوث ونزلوا تحاث وارتحلوا من
تحاث ونزلوا ترح وارتحلوا من ترح ونزلوا مثقا ونزلوا حشمونا وظعنوا من حشمونا فنزلوا مسروث وارتحلوا من مسروث
ونزلوا بحي بني يعقان وظعنوا من حي بني يعقان ونزلوا جبل جدجاذ وارتحلوا من جبل جدجاذ ونزلوا يطبث وفي نسخة
يطباثا وظعنوا من يطبث ونزلوا عجرونا وفي نسخة عبرونا وارتحلوا من عجرونا ونزلوا عصينعبار وهي قلزم ورحلوا
من عصينعبار ونزلوا برصين وفي نسخة برية صين المعروفة بقداش او هي رقيم وظعنوا من قداش ونزلوا هور الجبل
الذي في اقاصي ارض ادوم وفي نسخة وظعنوا من برية صين فنزلوا في قفر فاران وهي القدس وارتحلوا من القدس
فنزلوا في جبل هور بحذاء ارض ادوم وهم الروم وصعد هرون الحبر عن قول الله الى هور الجبل وتوفي هناك في سنة
اربعين لخروج بني اسرايل من ارض مصر في الشهر الاول اول يوم منه وقد كان اتى على هرون يوم توفي ماية وثلث وعشرون
سنة وبلغ الكنعاني ملك حديا الساكن بالتيمن في ارض كنعان وفي نسخة عبراد الساكن في الداروم في بلد ماب ان بني اسرايل
اتوا جده وظعنوا من هور الجبل ونزلوا صلمونا وارتحلوا من صلمونا ونزلوا فينون وظعنوا من فينون ونزلوا ابوث
وفي نسخة اباث وارتحلوا من ابوث ونزلوا العين المعروفة بالعبرانيين على حد مواب وفي نسخة ونزلوا عاياني العبر
على تخوم مواب وارتحلوا من عايا فنزلوا الجار وفي نسخة ورحلوا من عير العبرانيين ونزلوا ديبون قرية جاذ وارتحلوا
من قرية جاذ ونزلوا علمون التي في ديلثيم وفي نسخة ديلاثيم وظعنوا من علمون التي ديلثيم وفي نسخة ديلاثيم
فنزلوا جبل العبرانيين الذي امام نابوا وارتحلوا من جبل العبرانيين ونزلوا عزبة مواب التي باردن بريحا وفي نسخة
ونزلوا مغارب مواب على الاردن قبالة ريحا ونزلوا على شاطي الاردن من عند اشيموث الى اثل شاطيم التي عند عزبة
مواب وفي نسخة قبالة مغارب مواب وكلم الرب موسى على مغارب مواب عند الاردن قبالة ريحا فقال كلم بني اسرايل
وقل لهم انتم جايزون الاردن الى ارض كنعان لتهلكوا جميع سكان الارض وتحرقوا بيوت اصنامهم المسبوكة وتقلعوا
مذابحهم كلها وتصير الارض اليكم وترثونها فاقسموها لعشايركم سهاما وصيروا الكثير على قدر كثرتهم والقليل على قدر قلتهم
وكل قبيلة على ما يرتفع السهم بها وتصيبها القرعة وان لم تهلكوا سكان الارض من بين ايديكم فالذين يبقون منهم يكونون
اسنة في اعينكم وسهاما في اصداغكم ويضيقون عليكم في الارض التي تسكنونها وكما رايت ان اصنع بهم كذلك اصنع بكم فهكذا
اقسموا الارض في مواريثكم ارض كنعان بحدودها فاما حد التيمن فيكون لكم من ساحل البحر الملح من ناحية المشرق ويدور
حدكم من التيمن الى عقبة سفرويم ويجوز الى صين وتكون مخارجه من التيمن الى رقيم الجاي وتخرج من هناك الى حصر ادار
وفي نسخة الى رفح ويجوز الى عصمون الى وادي مصر وتكون مخارجه الى ناحية البحر ويكون حد البحر حدكم والبحر الاعظم
بحدوده هذا حدكم من ناحية البحر واما حدكم مما يلي الجربيا وفي نسخة الشمال فيكون من البحر الاعظم الى هور الجبل وحدود
ذلك من الجبل الى مدخل حماه وتكون مخارج الجبل الى صدره وتخرج الحد الى زفرون وتكون مخارجه الى حصر عينن الى
شافم وينزل الحد من شافم الى دفلت الى مشارق غاب حتى ينتهي الى بحر كبرت وفي نسخة البحيرة المنتنة من مشارقه
ويدور حتى ينزل الى حد الاردن وتكون مخارجه الى بحر الملح هذه حدود الارض التي ترثونها كما تدور ثم ذكر القسمة
وشيا من الاحكام ثم قال في اول السفر الخامس هذه الايات والاقوال التي قال موسى لبني اسرايل عند مجاز الاردن
في البرية في غرابا وفي نسخة البيدا وهو الجانب الغربي حيال سوف بين فاران وبين تفال ولبنان وحصروث وذرهاب
وفي نسخة وداء الذهب وهو اشارة الى الموضع الذي عبدوا فيه العجل مسيرة احد عشر يوما من حوريب الى ساعير
والى رقام الجاي لما كان في سنة اربعين من خروج بني اسرايل من مصر في الشهر الحادي عشر في اول يوم منه كلم موسى بني
اسرايل وامرهم بعد قتلهم سيحون ملك الامورانيين وعوج ملك متنين في مجاز الاردن في ارض مواب قال ان الله قال
لنا في حوريب قد طال مكثكم في هذا الجبل انهضوا فارتحلوا من ههنا وادخلوا جبل الامورانيين وكل ما حوله الى القرى
والجبل والى سواحل البحر اسفل الجبال والتيمن ارض الكنعانيين ولبنان الى النهر الكبير الذي هو الفرات ادخلوا ورثوا
الارض التي وعد الله اباكم ابرهيم واسحق ويعقوب اربعطيهم ويورثها نسلهم من بعدهم ثم قال وامرتكم في ذلك الزمان
بما ينبغي ان تصنعوا وارتحلنا من حوريب وسرنا في البرية العظيمة المرهوبة كما امرني الله ربنا وانتهينا الى رقيم
الجاني وقلت لكم قد انتهيتم الى جبل الامورانيين الذي اعطانا الله ربنا اصعدوا ورثوا الارض كما قال لكم الله رب
اباكم لا تخافوا ولا تفزعوا وتقدمتم الي باجمعكم وقلتم نرسل بين ايدينا رجالا يجتسون لنا الارض ويخبرونا بخبرها
ويدلونا على الطريق الذي نسير فيه والقرى التي ندخلها فكان قولكم عندي حسنا وعمدت الى اثني عشر رجلا منكم من
كل سبط رجل وارسلهم وصعدوا الى الجبل حتى انتهوا الى وادي العنقود واستخبروا الارض واخذوا من ثمار الارض
واتوا به واخبرونا وقالوا لنا ما اخصب الارض التي يعطينا الله ربنا ولم يعجبكم ان تصعدوا ولكن اجتنبتم قول
الله ربكم واغضبتموه وتشوشتم في خيمكم وقلتم بعضكم لبعض الرب اخرجنا من ارض مصر ايدفعنا في ايدي الامورانيين
ليهلكونا الى اين نصعد اخوتنا كسروا قلوبنا وقالوا الشعب اعظم واعز منا واقوى وقراهم عظيمة مشيدة الى
السماء ورايناهناك ابنا جبابرة وقلت لكم لا تخافوا ولا تفزعوا منهم من اجل ان الله ربكم هو يسير امامكم وهو مجاهد
عنكم كما صنع بكم في ارض مصر وفي البرية كما رايتم انه غذاكم كما يغذو الوالد ولده في كل الارض التي اسكنتموها حتى انتهيتم

منسوخ

فقال الرب لموسى اكتب هذا الامر في سفر الكتاب وضعه امام يشوع بن نون لاني امحق وابيد ذكر عماليق من تحت اديم
السماء فبنى للرب مذبحا ودعا اسمه الله حرب ثم قال وارسل رسلا من رقيم الى ملك ادوم بانهم نازلون في رقيم القرية
التي في حد بلاده واستاذنه في الجواز في بلاده فهددهم بالمقاتلة فقالوا لا نشرب لك ماء الا بثمن فقال لا تجوزوا في حدي
وخرج اليهم بجيش عظيم وسلاح شاك فصفى بنوا اسرايل عنه وظعنوا من رقيم واتى جميع بني اسرايل الى هور الجبل حيث
توفي هرون ثم قال ونزل موسى واليعازر من الجبل فرات محافل بني اسرايل كلها ان هرون قد توفي وبكى على هرون جميع بني
اسرايل ثلثين يوما وسمع الكنعاني ملك حدر الذي كان يسكن التيمن ان بني اسرايل قد نزلوا في طريق الجواسيس فحاربهم وسبى
منهم قوما فنذر بنوا اسرايل نذرا للرب وقالوا ان انت رفعت الينا هذا الشعب يرب وقويتنا عليه جعلنا قراهم حريمة
للرب فسمع الرب اصوات بني اسرايل ودفع اليهم الكنعانيين وقواهم عليهم وهزموهم وقتلوهم وجعلوا قراهم حريمة للرب
ودعوا اسم تلك البلاد حريمة فظعن الشعب من هور الجبل في طريق بحر سوف ليدوروا حول ارض ادوم فقرمت
انفس الشعب من شدة الطريق وكلت وتذمر الشعب على الله وعلى موسى وقالوا لم اصعدتنا من مصر لتميتنا في موضع ليس فيه
خبز ولا ماء قد ضاقت انفسنا من قلة الطعام فسلط الله عليهم حيات فنهشت قوما من الشعب ومات منهم كثير فاجتمعوا
الى موسى وقالوا قد اخطانا اذ تذمرنا على الله وعليك صل امام الرب لتنصرف عنا الحيات فصلى موسى فقال الرب له
اتخذ حية من نحاس مثال الحية وارفعها على خشبة علامة ومن نهشته حية ينظر الى الحية المعلقة فيبرا ففعل ذلك
فظعن بنوا اسرايل فنزلوا ابوث ثم ارتحلوا من ابوث ونزلوا على عين العبرانيين التي في البرية امام ارض مواب في الجانب
الشرقي وحيث مشارق الشمس ثم ظعنوا من هناك ونزلوا وادي زرود وارتحلوا من هناك ونزلوا عبر ارنون في البرية
التي تخرج من حد الامورانيين وهي في حد الموابيين ولذلك يقال في كتاب حروف الرب اللهب تعاصف في وادي ارنون
واصلحت الاودية المايلة الى سكان عار التي تنتهي الى حد الموابيين ثم ارسل بنوا اسرايل رسلا الى سيحون ملك الامورانيين
وقالوا له نجوز في ارضك من غير ان نطاء لك حقلا ولا كرما ولا نشرب من ماء جنانك ولكن نلزم الطريق الاعظم حتى نجوز
ارضك فابى سيحون وجمع جميع اجناده وخرج الى البرية وحارب بني اسرايل فقتل بنوا اسرايل سيحون واصحابه ووارثوا
ارضه وصعدوا الى ارض متنيين وخرج عوج ملك متنين اليهم هو واجناده ليحاربهم في اردعي وقال الرب لموسى لا تخفه
لاني دافعه في يدك واصير جميع شعبه وارضه في يدك فاصنع به كما صنعت بسيحون ملك الامورانيين فلما حاربوه قتل
هو وبنوه وجميع شعبه ولم يبق منهم احد فظعن بنوا اسرايل ونزلوا غربي مواب التي عند اردن اريحا ثم ذكر قصة بلعام
ابن بعور وغيرها وقال ثم قال الرب لموسى اصعد الى هذا الجبل جبل العبرانيين وانظر الى ارض كنعان التي اعطي بني
اسرايل فاذا نظرت اليها اجتمع مع شعبك وصر الى ما صار اليه اباؤك كما صار هرون اخوك فتكلم موسى امام الرب
وقال يامر الله رجلا يدبر الجماعة ويدخل ويخرج امامهم ويدخلهم ويخرجهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي ليس لها
راع فقال الرب لموسى اعمد الى يشوع بن نون رجل عليه من الروح نعمة فضع يدك عليه واقمه بين يدي اليعازر الحبر
امام الجماعة كلها ومن تجاههم قبلا واعطه من المجد الذي عليك فتطيعه جماعة بني اسرايل كلها ويقوم بين يدي اليعازر
الحبر ليكون يسال الرب عن حوايجه وسننه ويحفظ بنوا اسرايل قوله وعن قوله يخرجون وعن قوله يدخلون
وفعل موسى كالذي امره الله في يوشع وغيره ثم ذكر اشيا من القرابين والاعياد وفتح مدين وبقية قصة بلعام وغير ذلك
ثم قال وكثرت مواشي بني روبيل وبني جاد جدا ونظروا الى يعزير وارض جلعاد انه موضع يصلح للمواشي فقالوا
لموسى ان نحسن ظفرنا منك برحمة ورافة تعطي هذه الارض لعبيدك ميراثا ولا تجزنا نهر الاردن فقال موسى اخوتكم
يخرجون الى الحرب وانتم تستقرون ههنا لم تكسرون قلوب اخوتكم ان لا تجوزوا الى الارض التي يعطيهم الرب ميراثا
هكذا صنع ايضا اباؤكم فاشتد غضب الرب عليهم واقسم انه لا يعاين احد منهم الارض التي وعدت بها اباهم لانهم لم يتموا
قولي ولم يتبعوا وصيتي ما خلا كالاب بن يوفنا القيراني ويشوع بن نون انهما اتما قول الرب فاشتد غضب الرب على
بني اسرايل وتوههم في البرية اربعين سنة حتى هلك حقت الرجال الذين اسخطوا الرب وانتم اليوم ايضا تريدون
ان ينزل غضب الرب ببني اسرايل وان انتم انقلبتم عن امر الرب ايضا يعود ان يتوهكم في التيه وتفسدون على جميع
هذا الشعب فدنا منه القوم وقالوا نبني هنا قرى لعيالاتنا وحظاير لانعامنا ونحن نتسلح امام بني اسرايل حتى
ندخلهم الى مواضعهم ولا نرجع الى بيوتنا حتى يرث بنوا اسرايل كل انسان ميراثه ولا نرث معهم من عبر الاردن وما
خلف ذلك لانا قد قبضنا ميراثنا في مجاز الاردن في مشارق الشمس فقال لهم موسى اذا انتم فعلتم هذا الفعل
وتسلحتم امام ربكم حينيذ ترجعون وتستحلون ارضكم ويرضى بنوا اسرايل عنكم وتصير هذه الارض لكم ميراثا
وان لم تفعلوا هذا تصيروا امام الرب خطاة واعلموا ان خطاياكم تدرككم ثم قال وهذه مظاعن بني اسرايل
حيث خرجوا من ارض مصر فذكر ما تقدم في البقرة ثم قال وارتحلوا من مقبرة الشهوة ونزلوا حصروث وظعنوا من
حصروث ونزلوا رثما وارتحلوا من رثما ونزلوا رمون فرص وظعنوا من رمون فرص ونزلوا لبنا وفي نسخة لبونا
وارتحلوا من لبنا ونزلوا اراسيا وفي نسخة رسا وظعنوا من اراسيا اورسا ونزلوا قهاث وفي نسخة بقهلاث وارتحلوا
من قهاث ونزلوا جبل شافار وفي نسخة شافر وارتحلوا من جبل شافار ونزلوا حدروا وفي نسخة حرذا وارتحلوا

من

الى هذه البلاد وبهذا القول لم تصدقوا ان الله ربكم يُجعل لديكم انه يسير امامكم في الطريق ليهيئ لكم موضعا تسكنون فيه اليس هو الذي اراكم طريقا تسلكون فيه بالليل بالنار وستركم بالنهار من حر الشمس بالغمام وسمع الرب كلامكم واصواتكم وغضب واقسم وقال لا يعاين احد من هؤلاء القوم اهل هذا الحقب الردي الارض الحصبة التي اقسمت ان اعطي اباهم غير كالاب بن يوفنا اني ادفع اليه الارض التي مشى فيها واورثنا ولده لانه اتم قول الرب واكمل سنته وقال لي وانت ايضا لا تدخلها ولكن يشوع بن نون الذي يخدمك هو يدخل هناك اياه اقوي واؤيد لانه هو الذي يورثه بني اسرايل الارض الحصبة التي وعدت بها اباهم ان اعطيهم واما اولادكم التي قلتم انها تُسبب وبنوكم الذين لا يعلمون اليوم خير من الشر فهم يدخلون هناك واليهم ادفعها وهم يرثونها فاما انتم فانقلبوا وارتحلوا الى البرية في طريق بحر سوف فرددتم علي وقلتم اسأنا واجرمنا بين يدي الله ربنا نحن صاعدون ونجاهدون كما قال لنا وتسلح كل امرئ منكم بسلاحه ونضيأتم للصعود الى الجبل وقال لي الرب انذرهم وقل لهم لا تصعدوا ولا تجاهدوا لاني لست بينكم ليلا يهزمكم اعداؤكم وقلت ولم تقبلوا اجتنبتم قول الرب واغضبتموه وحشرتم وصعدتم الى الجبل وطردوكم كما تطرد الزنابير بالدخان ورفعوكم من ساعير الى حرما وجلستم وبكيتم ولم يسمع الرب اصواتكم فبكيتم امام الرب في رقام اياما كثيرة كما مكثتم فيها فانقلبنا فارتحلنا في البرية في طريق بحر سوف كما قال الرب وتوددنا حول جبل ساعير اياما كثيرة وقال لي الرب قد طال تودد كم حول هذا الجبل انقلبوا الى الجانب الجزبي فتقدم الى الشعب وقل لهم انتم مجوزون في حدود اخوتكم بني عاثو وفي نسخة عيصو الذين يسكنون ساعير فاحفظوا ان لا تقوموا لهم لاني لست اعطيكم من ارضهم ميراثا ولا موضع قدم ابتاعوا منهم طعاما لما كلتم وامتاروا منهم ماء بفضة لتشربوا بل يبارك الله ربكم عليكم ويبارك لكم في كل ما عملت ايديكم كما علم ان يسوسكم في هذه البرية اربعين سنة فاسه ربكم ما دام معكم لا يعوزكم شيء وجزنا طريق العربي وفي نسخة ابيه او ابلة واقبلنا وجزنا في البرية الى طريق موآب وقال لي الرب لا تضيق على الموآبيين ولا تحاربهم لاني لست اعطيك ميراثا بل قد جعلت هذه الارض ميراثا لبني لوط هذه التي سكنها امتي اولا شعبا كان عظيما كان الموآبيون يسمونهم امتي فاما ساعير فكان سكانها الحوريين اولا وورثها بنو عاثو فقوموا الآن مجوزوا وادي زرد فجزنا وادي زرد حينئذ وكان عدد الايام التي سرنا من رقيم الى ان جزنا وادي زرد ثمانية وثلثين سنة حتى هلك جميع الرجال الابطال اهل ذلك الحقب من عسكر بني اسرايل كما اقسم عليهم الرب لان يد الرب كانت عليهم حتى هلكوا فلما ماتوا من الشعب كلمني الرب وقال لي انت جايز اليوم الى حد موآب وتدنو من حد بني عمون ولا تتعرض لهم لست اعطيك ميراثا من ارض بني عمون لاني قد جعلتها ميراثا لبني لوط فقم وارتحل وجيروادي ارنون اني قد دفعت اليك سيحون ملك الاموريين ملك حشبون وارضه واحاربه واهلك واخذ قاني ابداء اعاقي خوفك وفزعك على الناس منذ يومك هذا وعلى جميع الشعوب التي تحت السماء حتى اذا سمعوا بخبرك قرفوا وفزعوا منك وارسلت رسلا من برية قدموث الى سيحون ملك حشبون بكلام طيب وبالسلام وقلت له نجوز في ارضك ونسير في الطريق الاعظم لا نميل يمنة ولا يسرة نمتار منكم طعاما بفضة لما كلنا وكذلك ابتاع ماء لنشربنا بثمن فدعونا نجز سايرين في الطريق كما صنع بنو اعاسو الذين في ساعير والموآبيون الذين في عار حتى نجوز في الاردن الى الارض التي يعطينا الله ربنا ولم يستر سيحون ملك حشبون ان نجوز في حدوده لان الله ربكم قسي قلبه وعظم روحه ليدفعه في ايديكم وخرج الينا هو وجميع اجناده ليحاربنا في ياهص فدفعه الرب الينا وقتلناه هو وجميع اجناده وفتحنا قراه واهلكنا كل من كان في قراه ولم يبق منهم احد واهلكنا نساءهم وعيالاتهم ولم يبق منهم احد من حدعر واعير التي على حد وادي ارنون والقرية التي في الوادي والى جلعاد ولم تفتنا قرية بل دفعها الله ربنا في ايدينا جميعا فاما ارض بني عمون فلم نقربها وكل ما كان على وادي يابوق وقرى الجبال ايضا وكل ما امرنا الله ربنا به ثم اقبلنا وصعدنا الى ارض متنين وخرج الينا عوج ملك متنين هو وكل شيعته ليحاربنا في ادرعي وقال لي الرب لا تخف فاني قد دفعته في يديك واسلمت اليك كل اجناده وارضه وقتلناهم ولم يبق منهم احد وطفرنا بكل قراه في ذلك الزمان ولم تفتنا قرية الا اخذناها منهم ستين قرية كل جبل ارجوب كل القلاي التي كانت سورانها مشيدة محصنة بالابواب الشديدة الموثقة واخربناهن كما صنعنا بسيحون واخذنا الارض في ذلك الزمان من يدي الاموريين الذين كانا عنه مجاز الاردن من وادي ارنون الى جبل جرمون فاما الصيدانيون فكانوا يدعون جرمون شريون واما الاموريون فكانوا يسمونها ساعير واخذنا كل القري التي كانت في الصهرا وكل جلعاد وكل متنين الى سلكي وادرعي جميع قري ملك عوج كان عوج باقيا من بقي وحده من الجبابرة وكان سرير من حديد وفي مدينة بني عمون التي تسمى ربث طوله تسع اذرع وعرضه اربع اذرع بذراع الجبابرة وورثنا هذه الارض في ذلك الزمان ثم قال وامرت يشوع في ذلك الزمان وقلت قد رايت بعينيك ما صنع الله ربكم بملكي الاموريين كذلك يصنع الرب بجميع الممالك التي تجوزون اليها لان الله ربكم هو يحارب عنكم وتضرعت الى الرب في ذلك الزمان وقلت اطلب اليك يا ربي والهي ان تظهر لعبدك عظمتك بيدك المنيعة وبذراعك العظيمة اي اله في السماء او في الارض يعمل مثل اعمالك وجبروتك اتاذن لي الآن فاعبر واعاين الارض المخصبة التي في مجاز الاردن هذا الجبل المخصب ولبنان ولم يستجب لي وقال لي الرب حسبك لا تعد ان تقول هذا القول بين يدي اصعد راس الاكمة وارفع عينيك الى المغرب والمشرق والى الجزبي والتيمن وانظر اليها نظرا

نسخ

نسخ

ولا تجز هذا الاردن ومر يشوع وتقدم اليه وقوه وايده لانه هو الذي يجوز امام هذا الشعب وهو يورثهم الارض التي
تراها ونزلنا الوادي حيال بيت بعور ثم قال واقسم اي الرب اني لا اجوز هذا الاردن ولا ادخل الى الارض التي اعطاكم
الله ربكم ميراثا فانا الآن متوفي في هذه الارض ولا اجوز هذا الاردن فاما انتم فتجوزون وترثون هذه الارض الخصبة
احفظوا لا تنسوا عهد الله ربكم الذي عاهدكم ولا تفسدوا وتتخذوا اصناما واشباها من اجل ان الله ربكم هو نار محرقة
وهو الاه غيور واذا ولد لكم بنون وبنوا بنين وعتقتم في الارض واتخذتم اصناما واشباها وارتكبتم الشر امام الله ربكم
واغضبتموه قد اشهدت عليكم السما والارض انكم تهلكون سريعا من الارض التي تجوزون لترثوها ولا تكثر ايامكم فيها ويبددكم
الرب من بين الشعوب ويبقى منكم عدد قليل بين الشعوب التي يفرقكم الرب فيها سلوا عن الايام الاول التي مضت قبلكم منذ
يوم خلق الله الناس على الارض من اقصى السما الى اقطارها هل كان مثل هذا الامر العظيم او سمع بمثله قط هل سمع شعب آخر
صوت الله يكلمه من النار كما سمعتم انتم وجربوا الله الذي اتخذهم شعبا من الشعوب بالبلايا والايات والاعاجيب والحروب
واليد المنيعة والذراع العظيمة وبالمناظر العظيمة كما صنع الله باهل مصر تجاهكم انتم وعاينتم وعلمتم ان الله هو رب كل شي
وليس الاه غيره اسمعكم صوته من السما ليعلمكم واراكم ناره العظيمة وسمعتم اقاويله من النار ولحبه لابايكم اختار نسلهم من
بعدهم واخرجكم بوجهه من مصر بقوته العظيمة ليهلك من بين ايديكم شعوبا اعظم واعز منكم ليدخلكم ويعطيكم ارضهم ميراثا
لتعلموا يومكم هذا وتقبلوا بقلوبكم لان الرب هو اله في السما فوق وفي الارض اسفل وليس الاه سواه احفظوا سننه ووصاياه
التي امركم بها يومكم هذا لينعم عليكم وعلى ابنايكم من بعدكم ويطول مكثكم في الارض التي يعطيكم الله ربكم طول الايام هذه الشهادات
والاحكام والسنن التي قص موسى على بني اسرايل حيث خرجوا من ارض مصر فانتهوا الى مجاز الاردن في الوادي في مشارق الشمس
والى بحر الغربي الى سدود وقرحا ثم قال بعد ذلك في اواخر هذا السفر بعد ان قص عليهم احكاما كثيرة وحكما غزيرة
الرب يقبل بكم الى الخير ويفرحكم كما فرح اباكم وذلك ان انتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم سننه ووصاياه المكتوبة في
هذا الكتاب من كل قلوبكم وانفسكم من اجل ان هذه الوصية لم تخف عليكم ولم تغب وليس هو بمستور في السما فتقولوا من
يصعد لنا الى السما وياتينا به فنسمعه ونعمل به وليس بغايب عنكم في اقصى البحر فتقولوا من ينزل لنا الى البحر وياتينا به
فنسمعه ونعمل به ولكن القول قريب من فيك وقلبك فاعمل به وانظر اني قد صيرت بين يديك اليوم الحيوة والخير واخبرتك
بالموت والشر وانا امرك اليوم ان تحب الله ربك وتسلك في طرقه وتحفظ سننه ووصاياه واحكامه لتحيا وتكثر جدا ويبارك
الله ربك عليك وينميك في الارض التي تدخلها لترثها وان مال قلبك وزاغ ولم تسمع وضللت وتبعت الالهة الاخرى
وسجدت لها فقد بينت لكم اليوم انكم تهلكون هلاكا ولا يطول مكثكم في الارض التي تجوزون الاردن لترثوها واوعزت اليكم
وناشدتكم السما والارض والحيوة والموت وفي نسخة واشهدت عليكم السما والارض وجعلت بين يديكم الحيوة والموت
وتلوت عليكم اللعن والدعا فاختر الحيوة لتحيا انت ونسلك اذا احببت الله ربك وسمعت قوله ولحقت بعبادته لانه
حياتك وطول عمرك وتسكن في الارض التي اقسم الرب لابايك ووعد ابرهيم واسحق ويعقوب ان يعطيك ثم انطلق موسى
فكلم بني اسرايل وقص عليهم هذه الاقوال كلها وقال لهم لي اليوم ماية وعشرون سنة ولست اقدر على الدخول والخروج
ايضا والرب قال انك لا تجوز هذا الاردن فالله ربكم هو يجوز امامكم وهو يهلك هذه الشعوب من بين ايديكم وترثونهم
ويشوع هو يجوز امامكم كما قال الرب وسيصنع بهم الرب كما صنع بسيحون وعوج ملكي الامورانيين اللذين اهلكهما وهزمهم
الله ربكم من بين ايديكم فاصنعوا بهم حينيذ ما امرتكم به فتقووا واعتزوا ولا تخافوا ولا تفزعوا ولا ترعب قلوبكم منهم
لان الله ربكم ساير امامكم لا يخذلكم ولا يرفضكم ودعا موسى يشوع بن نون وقال له بين يدي جماعة بني اسرايل تقو واعتز
لانك انت الذي تدخل هذا الشعب الارض التي انعم الله لابايهم ان يعطيهم وانت تورثها ابناهم والرب هو يسير امامكم وهو
يكون معك ولا يخذلك ولا يرفضك فلا تخف ولا تفزع ولا يرعب قلبك وكتب موسى هذه التورية وسننها ودفعها الى
الاحبار بني لاوي الذين يحملون تابوت عهد الرب والى جميع اشياخ بني اسرايل ثم قال وكلم الرب موسى في ذلك اليوم
وقال له اصعد الى جبل العبرانيين هذا جبل نابوا الذي في ارض موآب حيال تريحا وانظر الى ارض كنعان التي اعطى بني
اسرايل ميراثا ولتتوف هناك في الجبل الذي يصعد اليه واجتمع الى ابايك كما توفي اخوك هرون في الجبل وصار الى
قومه ثم قال في آخر هذا السفر وهو اخر التورية فطلع موسى من عربوب وفي نسخة من بيدا موآب الى جبل نبوا
الى راس الاكمة التي قبالة وجه اريحا واراه الله جميع جلعد الى دان وجميع ارض نفتال وجميع ارض افرام ومنشا
وجميع ارض يهودا الى آخر البحر والبرية وما حول بقعة بلد اريحا مدينة النخل الى صاغر فقال الرب لموسى ان
هذه هي الارض التي اقسمت لابرهيم واسحق ويعقوب وقلت اني لنسلكم اعطيها قد اريتكها بعينيك فاما انت فما تدخلها
وقضى عبد الله موسى بارض موآب بامر الرب فدفن يعني في ارض موآب حذا بيت فاغور ولم يعرف احد اين قضى الى يومنا
هذا وكان موسى وقت قضى ابن ماية وعشرين سنة لم يضعف بصره ولم يشخ جدا فناح بنوا اسرايل على موسى بعربوب
وفي نسخة في بيدا موآب ثلثين يوما وتم ايام بكا ماتم موسى وامتلا يشوع بن نون روح الحكمة لان موسى وضع عليه
يده واطاع له بنوا اسرايل وامتثلوا ما امر الرب به موسى انتهى ما اردته من اخبار التيه وما يتصل بذلك من مساواتهم
لجميع الناس في العذاب بالمعاصي والالطاف بالطاعات الهادم لكونهم ابنا او احبا وفيه مما يحتاج الى تفسير الجزي

وفاة موسى عليه السلام

وهو نسبة الى الجربيا بكسر الجيم والموحدة بينهما مهملة ساكنة ثم تحتانية ممدودة وهي جهة الشمال والتيمن بفتح الفوقانية
واسكان التحتانية وضم الميم وهو افق اليمن الذي يقابل الشمال فالمراد به الجنوب وفيه قاصمة لهم في انكار النسخ في امرهم
بنص التورية بالدخول الى بيت المقدس ثم نهيهم عن ذلك لما عصوا فانه قال اصعدوا ورثوا الارض كما قال لكم الله رب اباكم
لا تخافوا ولا تفزعوا ولما عصوا هذا الامر واعملهم موسى عليه السلام بغضب الله عليهم وعقوبتهم بالتيه ارادوا امتثال
الامر في الصعود توبة فقال لهم موسى عليه السلام وقال لي الرب انذرهم وقل لهم لا تصعدوا ولا تجاهدوا لاني لست بينكم
لئلا يهزمكم اعداؤكم هذا نصه فراجعه واما دخول ابنائهم الى بلاد القدس وغلبتهم على اهلها وتبسطهم في ارضها تصديقا
لمواعيد الله على يد يوشع بن نون عليه السلام فسيذكر ان شاء الله تعالى عند قوله تعالى في سورة يونس عليه السلام ولقد
بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ولكني اقدم هنا من امر يوشع بعد موسى عليهما السلام والمعونة بالله ما ينبئ عليه بعض مناسبات
الاية التي بعدها قال البغوي رحمه الله فتوجه يعني يوشع ببني اسرائيل الى اريحا ومعه تابوت الميثاق فاحاط بها
ستة اشهر ثم نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين فقتلوهم وكان
القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال لهم اردد الشمس علي فردت عليه وزيد
في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتبع ملوك الشام واستباح منهم واحدا وثلثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وفرق عماله
في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم
بيده فقال هلم ما عندك فاتاه براس ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجواهر فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار
فاكلت الرجل والقربان انتهى ورايت انا في تاريخ نبوة يوشع بعد موت موسى عليهما السلام ما ربما يخالف هذا في الاشهر
والبلد اما الاشهر فجعلها سبعة ايام واما البلد التي وقفت عندها الشمس فجيعون لا اريحا فانه قال ما نصه قال الرب ليشوع
انظر اني قد دفعت في يدك اريحا وملكها وكل اجنادها فليحط بالمدينة جميع الرجال المقاتلة ودوروا حول المدينة مرة
في اليوم وافعلوا ذلك ستة ايام ويحمل سبعة من الكهنة سبعة ابواق ويهتفون امام التابوت حتى اذا كان اليوم السابع
دوروا حول المدينة سبع مرات ويهتف الكهنة بالقرون واذا اهتفت الابواق وسمعتم اصواتها يهتف جميع الشعب
باعلى اصواتهم صوتا شديدا فيقع سور المدينة مكانه ويصعد الشعب كل انسان حياله انتهى ثم كر امتثالهم لامر الله
وفتحهم لاريحا على ما قال الله واما البلد التي ردت فيها الشمس فهي جيعون وذلك انه ذكر بعد فتح اريحا هذه ان سكان جيعون
وهم الجاوانيون صالحوا يوشع بحيلة فعلوها ثم قال وهذه اسماء قراهم جيعون واحعير او عيروث وبعران فلما سمع بذلك
اذو بصداق ملك اورشليم فرق فرقا شديدا لان جيعون كانت مدينة عظيمة كمثل مدن الملك وكان اهلها رجالا جبابرة
فارسل الى هوهم ملك حبران وفي موضع اخر حبرون والى يزاآن ملك برموث والى نافع ملك يحنس والى دابير ملك عغلون
وقال لي بعض اليهود ان المراد بهذه عجلون وقال لهم اصعدوا لتعينوني على محاربة اهل جيعون لانهم قد صالحوا يشوع
فاجتمع الخمسة من ملوك الاموراتيين وجميع عساكرهم فنزلوا على جيعون فارسل اهل جيعون الى يشوع فصعد يشوع من
الجلجال هو وجميع ابطال الشعب فاوحى الرب الى يشوع لا تخف ولا تفزع منهم لاني قد اسلمتهم في يدك فاتاهم بغتة لانه
صعد من الجلجال الليل اجمع فهزمهم الرب بين يدي آل اسرائيل وخرجوا منهم جرحى كثيرة في جيعون التي بحوران وهربوا
في طريق عقبة حوران ولم يزالوا يقتلون منهم الى عاقار ومقار فلما هرب الذين بقوا منهم ونزلوا عقبة حوران امطر
الرب عليهم حجارة برد كبار من السماء الى عاقار وماتوا فكان الذين ماتوا بحجارة البرد اكثر من الذين قتلوا ثم قام يشوع
امام الرب مصليا في اليوم الذي دفع الرب للاموراتيين في يدي بني اسرائيل وقال ايتها الشمس امكثي في جيعون ولا تسيري
وانت ايها القمر لا تبرح قاع ايلون فثبتت الشمس وقام القمر حتى انتقم الشعب من اعدائهم فكتبت هذه الاعجوبة في سفر
التسابيح لان الشمس وقفت في وسط السماء ولم تزل الى الغروب وصار النهار يوما تاما ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله
ولا بعده انتهى وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه القصة روى الشيخان البخاري في الخمس والنكاح ومسلم في المغازي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع
امراة وهو يريد ان يبني بها ولما يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا احد اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر
ولادها فغزا فدنا من القرية صلوة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علينا
فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل
فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين او ثلثة بيده فقال فيكم الغلول فجاء
براس مثل راس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فاكلتها ثم احل الله لنا الغنائم راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا
وفي زوائد المسند للحافظ نور الدين الهيثمي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشمس لم تحبس على بشر الا ليوشع ليال سار الى بيت المقدس قال وهو في الصحيح ولم ار فيه حصرا كما هنا وفي سيرة ابن
اسحاق ما ينقضه قال حدثنا احمد انبانا يونس عن الاسباط بن نصر الهمداني عن اسمعيل بن عبد الرحمن القرشي قال لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة عما في العير قالوا فمتى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك
اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم يجئ فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه

تنبيه على النسخ

الشمس

الشمس ولم ترد الشمس على احد الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يوشع بن النون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة
ولما كانت قصتهم هذه في امرهم بالدخول الى الارض المقدسة لما فيها من نقض اليهود والبرّ ومن امره والحكم عليهم بالفسق
والتعذيب ناقضة لكل ما ادعاه اليهود من النبوة كان ذلك كافيا في ابطال دعوى النصارى لذلك لانهم ابناء اليهود واذا بطل
كون ابيك ابنا لاحد بطل ان تكون انت ابنه لما كان ذلك كذلك تاسب ان تعقب بقصة ابني آدم لما يذكر فقال تعالى
عاطفا على قوله واذ قال موسى واتل عليهم اي المدعوين الذين من جملتهم اليهود تلاوة هي من اعظم الادلة على نبوتك
لان ذلك لا علم لك ولا لقومك به الا من جهة الوحي نبا ابني آدم اي خبرهما الجليل العظيم تلاوة ملتبسة بالحق اتى الخبر الذي
يطابقه الواقع اذا تعرف من كتب الاولين واخبار الماضين كاينا ذلك النبا اذ اي حين قربا اي ابنا آدم ولما لم يتعلق
الغرض في هذا المقام ببيان اي نوع قربانه قال قربانا اي بان قرب كل واحد منهما شيا من شانه ان تقرب الى المطلوب
مقاربة غاية القرب ولما كان المؤثر للحسد انما هو عدم التقبل لا بالنسبة الى مستقبل خاص بناه للمفعول فقال فتقبل
اي قبل قبولا عظيما ظاهرا لكل احد من احدهما لبعده ايضا لعدم الاحتياج في هذا السياق الى تعيينه ولم يتقبل من الاخر
علما ذلك بعلامة كانت لهم في ذلك اما اكل النار للمقبول كما قالوه او غير ذلك او مناسبتها لما قبلها من حيث انها ايضا
ناقضة لدعويهم النبوة لان قابيل ممن ولد في الجنة على ما قيل ومع ذلك فقد عذب لما نقض العهد فانتفى ان يكون ابنا
وكان هو وغيره شرها واحدا ايرا ارهم في العذاب والثواب على الوفاء والنقض من وفى كان حبيبا وليا ومن نقض
كان بغيضا عدوا واذا انتفت البنوة عمن ولد لآدم صفي الله مع كونه لصلبه لا واسطة بينهما ومع كونه ولد في الجنة
دار الكرامة فانتفاؤها عمن هو اسفل منه من باب الاولى وكذا المحبة ومن المناسبات ايضا ان كفر بني اسرائيل محمدا صلى
الله عليه وسلم انما هو للحسد فنبههم بقصة ابني آدم على ان الحسد جر الى ما لا يرضاه عاقل ويكب في النار ومنها ان في
قصة بني اسرائيل احجامهم عن قتال اعداء الله البعداء منهم المامورين بقتالهم الموعودين عليه بخيري الدارين وان الله
سبحانه وتعالى في قصة ابني آدم اقدام قابيل على قتل اخيه حبيب الله المنهي عن قتله المتوعد بان الله يتبرا منه ان قتله ففي
ذلك تاديب لهذه الامة عند كل اقدام واحجام وتذكير بالنعمة في حفظهم من مثل ذلك وان فيها ان موسى وهرون عليهما
السلام اخوان في غاية الطواعية في انفسهما ورحمة كل منهما للاخر والطاعة لله وقصة ابني آدم بخلاف ذلك وفي ذلك
تحذير مما جرا اليه وبلا الحسد وان في قصة بني اسرائيل انهم لما قدموا الغنائم للنار فلم تاكلها علم نبيهم صلى الله عليه وسلم
انها لم تقبل لغلول علموه فاستخرجه ووضعه فيها فاكلها ففي ذلك الاستدلال بعدم اكل النار على عدم القبول كما في قصة
ابني آدم وان بني اسرائيل عذبوا بالمنع من بيت المقدس بالتيه وقابيل نفي من الارض التي كان فيها بقتل اخيه وان بني اسرائيل
تاهوا اربعين سنة على عدد الايام التي غاب فيها نقباؤهم في جس اخبار الجبابرة وان قابيل حمل هابيل بعد ان قتله اربعين
يوما ذكره البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وقصده السباع تحمله على ظهره اربعين يوما وكل هذه محسنات
والعمدة هو الوجه الاول واحسن منه ان يكون الامر لموسى عليه السلام عطفا على النهي في لا تاس والمعنى
ان الارض المقدسة مكتوبة لهم كما قدمته انت اول القصة في قولك التي كتب الله لكم فانا مورثها لا محالة لا بنا يقسم
وانت ستتوفى قبل دخولها وقد اجريت سنتي في بني آدم بانهم اذا توطنوا واستراحوا تحاسدوا واذا تحاسدوا ابغى
فقتل بعضهم بعضا فاتل عليهم هذه القصة لتكون زاجرة لهم من ان يفعلوا ذلك اذا فرغوا من الجبابرة وابادوهم وصفت
لهم البلاد فتوطنوها واخرجت لهم بركاتها فاطرتهم النعم ولبسوا غوابل النقم ويكون ذلك وعظا لهذه الامة وماناعا
من فعل مثل ذلك بعد اكمال دينهم ووفاة نبيهم واظهارهم على الدين كله كما تقدم به الوعد لهم فقهروا العباد وفتحوا
البلاد وانتثلوا كنوزها وتحكموا في اموالها فنسوا ما كانوا فيه من القلة والحاجة والذلة فاطرتهم النعم
واركبوا افعال الامم واعرضوا عن غوابل النقم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد
والبغضاء هي الحالقة اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين اخرجه الترمذي والامام احمد وابو داود الطيالسي
في مسنديهما والبزار قال المنذري باسناد جيد والبيهقي وقال لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا ورواه الطبراني
ورواته ثقات وذكر الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعي في القسم الثاني من سيرته في فتح جلولاء من بلاد فارس
ان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما ارسل الغنيمة الى عمر رضي الله عنه اقسم عمر رضي الله عنه لا يجنها سقف
بيت حتى تقسم فوضعت في صحن المسجد فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن ارقم يحرسانه فلما جاء النار كشف
عنه فنظر عمر رضي الله عنه الى ياقوته وزبرجده وجوهره فبكا فقال له عبد الرحمن رضي الله عنه ما يبكيك يا امير
المومنين فوالله ان هذا الموطن شكر فقال عمر واها ما ذاك يبكيني وتالله ما اعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا
وتباغضوا ولا تحاسدوا الا القي باسهم بينهم شرح قصة ابني آدم من التورية قال المرجم في اولها بعد قصة
اكل آدم عليه السلام من الشجرة ما نصه فدعا آدم اسم امراته حوا من اجل انها كانت ام كل حي وصنع الرب لآدم ؟
وامراته سرابيل من الجلود والبسهما فارسله الله من جنة عدن ليحرث الارض التي منها اخذ فاخرجه الله ربنا لجامع
آدم امراته حوا فحبلت وولدت قابين وقالت لقد استفدت لله رجلا وعادت فولدت اخاه هابيل فكان هابيل
راعي غنم وكان قابين يحرث الارض فلما كان بعد ايام جا قابين من ثمر ارضه بقربان لله وجا هابيل ايضا من ابكار غنمه

بقربان فسر الله بهابيل وقربانه ولم يسر بقابين وقربانه فساء ذلك قابين جدا وهم ان يسوءه وعبس وجهه فقال الرب
لقابين ما ساءك ولم كسف وجهك ان احسنت تقبلت منك وان لم تحسن فان الخطيئة رابضة على الباب وانت تقبل اليها
وهي تتسلط عليك فقال قابين لهابيل اخيه تتمشى بنا في البقعة فبينما هما يتمشيان في الحرث وثب قابين على اخيه هابيل
فقتله فقال الله لقابين اين هابيل اخوك فقال لا ادري ارقيب انا على اخي قال الله ماذا فعلت فان دم اخوك ينادي
لي من الارض من الآن ملعون انت ثم الارض التي فتحت فاها فقبلت دم اخيك من يدك فاذا انت عملت في الارض فانها لا تعود
تعطيك حراثها وتكون فزعا تائها في الارض فقال قابين للرب عظمت خطيئتي من ان تغفرها وقد اخرجتني اليوم عن وجه
الارض واتواري من قدامك واكون فزعا تائها في الارض وكل من وجدني يقتلني فقال الله ربنا كلا ولكن كذلك كل قاتل واما
قابين فانه يجزى بدل الواحد سبعة فخرج قابين من قدام الله فجلس في ارض فود شرقي عدن انتهى قال البغوي رحمه الله
عن ابن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حوا في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوامته
فذكر قصته في النكاح وقتله لاخيه وشرب الارض لدمه وقول قابيل لله حين قال له انه قتله ان كنت قتلته فاين دمه فحرم
الله على الارض يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا انتهى ولما اخبر تعالى بان احدهما فعل معه من عدم القبول ما غاظه كان كانه
قيل فما فعل حين غضب فقيل قال اي لاخيه الذي قبل قربانه حسدا له لاقتلنك فكانه قيل بم اجابه فقيل بنهيه اولا على
ما يصل به الى رتبته ليزول حسده بان قال انما يتقبل الله اي يقبل قبولا عظيما المحيط بكل شي قدرة وعلما الملك الذي له
الكمال كله فليس هو محتاجا الى شي وكل شي محتاج اليه من المتقين اي الفريقين في وصف التقوى فلا معصية لهم يصرون عليها
بشرك ولا غيره فعدم تقبل قربانك من نفسك لا مني فلم تقتلني وقتلك لي مبعد لك عما حسدتني عليه ولما وعظه بما يمنعه من قتله
ويقبل به على خلاص نفسه اعلمه ثانيا ان الخوف من الله منعه من ان يمانعه عن نفسه ملينا لقلبه بما هو جدير بان يرده عنه
خشية ان يجره الممانعة الى تعدي الحد الماذون فيه لان اخاه كان عاصيا لا مشركا فقال موكدا بالقسم لان مثل ما يخبر به عظيم
لا يكاد يصدق لئن بسطت الي اي خاصة يدك لتقتلني اي لتوجد ذلك باي وجه كان ثم بالغ في اعلامه بامتناعه من
الممانعة فقال ما انا اعرق في النفي فقال بباسط اي اصلا وقدم المفعول به تعميما ثم خص المتعلق لمناسبة الحال فقال
يدي اليك لاقتلك اي في وقت من الاوقات ولعله اتى بالاسمية المفيدة لنفي الثبات والدوام ادبا مع الله في عدم الحكم على
المستقبل ثم علله بقوله اني اخاف الله اي استحضر جميع ما اقدر على استحضاره من كماله ثم وصفه بالاحسان الى خلقه
ليكون ذلك مانعا له من الاساءة الى احد منهم فقال رب العالمين اي الذي انعم عليهم بنعمه للايجاد ثم التربية فانا لا اريد ان
اخرب ما بني وهذا كما فعل عثمن رضي الله عنه ولما كان من النهايات للواصلين الى حضرات القدس ومواطن الانس بالله المتمكنين
في درجة الفنا عن غير الفاعل المختار ان لا يراد الا ما يريد سبحانه فان كان طاعة ارادة العبد ورضيه وان كان معصية
اراده من حيث انه مراد الله ولم يرضه لكونه معصية فيرضى بالقضا دون المقضي وكان من الممكن القريب ان يكون هابيل
قد كشف له عن انه سبق في علم الله ان اخاه يقتله قال مرهبا له معللا بتعليل آخر صاد له ايضا عن الاقدام على القتل اني
اريد اي بعدم الممانعة لك ان تبوء اي ترجع من قتلي ان قتلتني باثمي اي الاثم الذي ينالك من اجل قتلك لي واثمك اي الذي لا
سبب لي فيه وهو الذي كان سببا لرد قربانك واجتراؤك علي وعدوانك وافوز انا باجري واجرك اي اجري الذي لا
سبب لك فيه والاجر الذي اثمره لي استسلامي لك وكف يدي عنك فتكون اي انت بسبب ذلك من اصحاب النار اي الخالدين
فيها جزاء لك لظلمك بوضعك القتل في غير موضعه ثم بين ان هذا يعم كل من فعل هذا الفعل فقال وذلك جزاء الظالمين
اي الراسخين في وصف الظلم كلهم واكون انا من اصحاب الجنة جزاء لي باحساني في ايثار حياتك على حياتي وذلك جزاء المحسنين
وهذا مثل تمني الشهادة سوا ليس بمستلزم لارادة المعصية من حيث كونها معصية بارادة ظهور الكفار لما علم من ان النصر
بيد الله فهو قادر على نصر الباقي بعد استشهاد الشهيد ولما كان هذا الوعظ جديرا بان يكون سببا لطاعته وزاجرا له
عن معصيته بين تعالى انه قسى قلبه فجعله سببا لاقدامه فقال مبينا بصيغة التفعيل ان القتل لما جعل الله له من الحرمة
وكساه من الهيبة لا يقدم عليه الا بمعالجة كبيرة من النفس فطوعت له اي للذي لم يتقبل منه نفسه قتل اخيه اي فعالجته
معالجة كبيرة وشجعته وسهلت له بما عندها من النفاسة على زعمها حتى غلبت على عقله فانطاع لها وانقاد فاقدم عليه
وتحقيق المعنى ان من تصور النهي عن الذنب والعقاب عليه امتنع منه فكان فعله كالعاصي عليه ومن استولت عليه نفسه
بانواع الشبه في تزيينه صار فعله له واقدامه عليه كالمطيع له الممكن من نفسه بعد ان كان عاصيا عليه نافرا عنه ثم سبب
عن هذا التطويع قوله فقتله وسبب عن القتل قوله فاصبح اي فكان في كل زمن من الخاسرين اي الفريقين في صفة الخسران
بغضب الله عليه لاجترائه على افساد مصنوعه وغضب ابناء جنسه عليه لاجترائه على احدهم وعبر بالاصباح والمراد جميع
الاوقات لان الصباح محل توقع الارباح قيل انه لم يدر كيف يقتله فتصور له ابليس في يده طاير فشدخ راسه بحجر فقتله
فاقتدى به قابيل فاتى هابيل وهو نايم فشدخ راسه بحجر ولما كان التقدير ثم انه لم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت
فلم يكن الدفن معروفا فبعث الله الذي له كمال القدرة والحكمة ولما كان المعنى يحصل بالغراب الباحث فقط قال
غرابا يبحث اي يوجد البحث وهو التفتيش في التراب بتليين ما تراص منه وازاحته من مكانه ليبقى مكانه جورة خالية ولما
كان البحث مطلق التفتيش دل على ما ذكرته بقوله في الارض ليواري غرابا آخر مات ولما كان الغراب سبب علم ابن آدم القاتل

للدفن كان كانه بحث لاجل تعليمه فقال تعالى ليريه اي الغراب ابن آدم ويجوز اي يكون الضمير المستتر لله تعالى
والاول اولى لتوقيفه على عجزه وجهله بان الغراب اعلم منه واقرب الى الخير كيف يواري ولما كانت السوءة واجبة الستر
وكان الميت يصير بعد موته كله سوءة كان منبها على ذلك وعلى انها السبب في الدفن بالقصد بالقصد الاول سوءة
اي فضيحة اخيه اي اخي قابيل وهو هابيل المقتول وصيغة المفاعلة تفيد ان الجثة تريد ان يكون القاتل وراها
والقاتل يريد كون الجثة وراه فيكونان بحيث لا يرى واحد منهما الآخر ولعل بعث الغراب اشارة الى غربة القاتل باستيحاش
الناس منه وجعله مما ينفر عنه ويقتله كل من قدر عليه ومن ثم سمي غراب البين وتشاءم به من يراه ولما كان كانه قيل
ان هذا لعجب فما قال قيل قال الكلمة التي تستعمل عند الداهية العظيمة لما نبهه ذلك متفجعا متحسرا متلهفا عالما ان الغراب
اعلم منه واشفق منكرا على نفسه يا ويلتى اي احضرني يا ويل هذا اوانك ان لا يكون لي نديم غيرك ولما تفجع غاية الفجيعة
وتاسف كل الاسف انكر على نفسه فقال اعجزت اي ما جعل لي من القوة الناطقة ان اكون مع ما لي من الجوارح الصالحة لاعظم
من ذلك مثل هذا الغراب وقوله مبينا على ذلك فاواري سوءة اي عورة وفضيحة اخي نصب عطفا على اكون لا على
جواب الاستفهام لانه انكاري فمعناه النفي لانه لم يكن وقعت منه مواراة لينكر على نفسه ويوبخها بسببها ولو كانت
وقعت لم يصح انكارها على تقدير عدم العجز الذي افادته الهمزة فاصبح بسبب قتله من النادمين اي على ما فعل لانه فقد
اخاه واغضب ربه واباه ولم يفده ذلك ما كان سبب غيظه بل زاده بعدا وذكر ان آدم عليه السلام لما علم قتله رثاه
بشعر وعن ابن عباس رضي الله عنهما رد ذلك وان الانبيا عليهم السلام كلهم في النهي عن الشعر سوا وقال صاحب الكشاف
وقد صح ان الانبيا معصومون من الشعر ولا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم هذا كفل من دمها بما سن رواه مسلم وغيره عن
عبد الله وكذا كل من سن سنة سيئة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الايمة المضلون وهذا
لان الآدمي لنقصانه اسرع شي الى الاقتدا في النقايص وهذا ما لم يتب الفاعل فاذا تاب او كان غير متعمد للفعل كآدم عليه
السلام لم يكن سانا لذلك فلا شي عليه ممن عمل بذلك بعده ولما علم بهذا ان الانسان موضع العجلة والاقدام على الموبقات
من غير تامل فكان احوج شي الى نصب الزواجر اتبعه تعالى قوله من اجل ذلك اي من غاية الامر الفاحش جدا ومدته
وعظم الامر وشدة قبحه في نفسه وعند الله وصغره عند القاتل وحبسه ومنعه وجنايته واثارته وتهييجه وجراة الانسان
على العظايم بغير تامل كتبنا اي بما لنا من العظمة ليفيد ذلك عظمة المكتوب والتنبيه على ما فيه من الفحش ليفيد الانزجار على
بني اسرايل اي اعلمناهم بما لنا بهم من العناية في التورية التي كتبناها لهم ويفهم ذلك ايضا انهم اشد الناس جراة على القتل
ولذلك كانوا يقتلون الانبيا فاعلمهم الله بما فيه من التشديد ولما علم من الادميين لا سيما هم من الجراة عليه ليقيم عليهم بذلك
الحجة على ما يتعارفونه بينهم ويكف عن القتل من سبقت له منه العناية بما يتصور من قطاعة القتل وقبح صورته وفحش
اثره وعبر باداة الاستعلا التي هي للحتم من الوجوب والحرمة لان السياق للزجر فهي تفهم المنع عن الاقدام على القتل في هذا
المقام انه من قتل نفسا اي من بني آدم وكانه اطلق تعظيما لهم اشارة الى ان غيرهم جهاد بغير نفس اي بغير ان تكون قتلت
نفسا تستحق ان تقاد بها فاستباح قتلها لتلك النفس التي قتلها او قتلها بغير فساد وقع منها ولما كانت الارض مع انها
فراشنا وهي محل التوليد والتربية والتنمية دار الكدر وكان فساد من افسد فراشه الموصوف لا سيما وهو في كدر دالا
على سوء جبلته وكان سوء الجبلة موجبا للقتل قال في الارض اي يبيح ذلك الفساد دمها كالشرك والزنا بعد الاحصان
وكل ما يبيح اراقة الدم وقد علم بهذا ان قصة ابني آدم مع شدة التحامها بما قبل توطية لما بعد وتغليظ امر القتل
تقدم عن التورية في سورة البقرة وقوله فكانما قتل الناس جميعا من جملة الادلة المبطلة لما ادعوا من البنوة
اذ معناه ان الناس شرع واحد من جهة نفوسهم متساوون فيها كلهم اولاد آدم لا فضل لاحد منهم على اخر في اصل تحريم
القتل بغير ما ذكر من الموجب من قصاص او فساد لا من بني اسرايل ولا من غيرهم وذلك كما قال تعالى في ثاني النقوض
بل انتم بشر ممن خلق فصار من قتل نفسا واحدة بغير ما ذكر فكانما حمل اثم من قتل الناس جميعا لان اجتراءه على ذلك اوجب
اجتراء غيره ومن سن سنة كان كفاعلها ومن احياها اي بسبب من الاسباب كعفو او انقاذ من هلكة كغرق او مدافعة
لمن يريد ان يقتلها ظلما فكانما احيى اي بذلك الفعل الذي كان سببه الاحيا الناس جميعا اي بمثل ما تقدم في القتل
والاية دالة على تعليمه سبحانه لعباده الحكمة لما يعلم من طباعهم التي خلقهم عليها ومن عواقب الامور لا على انه يجب عليه
رعاية المصلحة ومما يحسن ايراده هنا ما ينسب الى امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ورايت من ينسبه للشافعي

الناس من جهة التمثيل اكفاء • ابوهم آدم والام حواء • نفس كنفس وارواح مشاكلة • واعظم خلقت فيهم واعضاء •
فان يكن لهم في اصلهم حسب • يفاخرون به فالطين والماء • ما الفخر الا لاهل العلم انهم • على الهدى لمن استهدى ادلاء •
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه • وللرجال على الافعال اسماء • وضد كل امرئ ما كان يجهله • والجاهلون لاهل العلم اعداء •
ففز بعلم تعش حيا به ابدا • فالناس موتى واهل العلم احياء • ولما اخبر سبحانه انه كتب عليهم ذلك اتبعه حالا منهم دالة
على انهم بعيدون من ان يكونوا ابنا او احبا فقال ولقد والحال انهم قد جاءتهم رسلنا اي على ما لهم من العظمة باضافتهم
الينا واختيارنا لهم لان ياتوا عنا فهم لذلك انصح الناس وابعدهم عن الغرض واجلهم واجمعهم للكمالات وارفعهم عن النقايص
لان كل رسول دال على مرسله بالبينات اي الايات الواضحة للعقل انها من عندنا آمرة لهم بكل خير زاجرة عن كل شر لم

تقتصر في التغليظ في ذلك على الكتاب بل واترنا الرسل اليهم مواترة ولما كان وقوع الاسراف وهو الابعاد عن حد الاعتدال في الامر منهم بعد ذلك بعيدا عتبر باداة التراخي موكدا بانواع التاكيد فقال ثم ان كثيرا منهم اي بني اسرائيل وبين شدة عتوهم باصرارهم خلفا بعد سلف فلم يثبت الجار فقال بعد ذلك اي البيان العظيم والزجر البليغ بالرسل والكتاب في الارض اي التي هي مع كونها فراشا لهم ويقبح على الانسان ان يفسد فراشه عظائم الكدورات وتوادفع القاذورات عن الكفاف فضلا عن الاسراف لمسرفون اي عريقون في الاسراف بالقتل وغيره ولما كان هذا الاسراف بعد هذه الموانع محاربة للناهي عنه وكان تارة يكون بالقتل وتارة بغيره وكان ربما ظن ان عذاب القاتل يكون باكثر من القتل لكونه كمن قتل الناس جميعا وصل به سبحانه قوله على طريق الحصر من الفساد انما جزاؤا وكان الاصل جزاؤهم ولكن اريد تعليق الحكم بالوصف والتعميم فقال الذين يحاربون الله اي الملك الاعظم الذي لا كفؤ له ورسوله اي لمحاربة من نهيا عن محاربته بقطع الطريق وهم مسلمون ولهم منعة من ارادهم ويقصدون المسلمين في دمائهم واموالهم سواء كانوا في البلد او خارجها ولما كان عباد الرحمن يمشون على الارض هونا اعلم ان هؤلاء عباد الشيطان بقوله ويسعون في الارض ولما كان هذا ظاهرا في الفساد صرح به في قوله فسادا اي حال كونهم ذوي فساد او للفساد ويجوز ان يكون مصدرا ليسعون على المعنى ولما كانت انعالهم مختلفة قسم عقوبتهم بحسبها فقال ان يقتلوا اي ان كانت جريمتهم القتل فقط لان القتل جزاؤه القتل وزاد بكونه في قطع الطريق صيرورته حتما لا يصح العفو عنه او يصلبوا اي مع القتل ان ضموا الى القتل اخذ المال بان يرفع المصلوب على جذع ومنهم من قال يكون ذلك وهو حي حينئذ تمديده اه مع الجذع والاصح عند الشافعية انه يقتل ويصلب عليه ثم يرفع على الجذع زجرا بشيع جرمه فيه لينزجر غيره ولا يزاد على ثلثة ايام وتقطع ايديهم اي اليمنى باخذهم المال من غير قتل وارجلهم اي اليسرى لحافة السبيل وهذا معنى قوله من خلاف اي ان كانت الجريمة اخذ المال فقط او ينفوا من الارض اي بالاخافة والارعاب ان لم يتعوا في قبضة الامام ليكونوا مشتتين من بلد الى آخر ذعرا وخوفا اي خاصا بهم ذلك اي النكال الشديد المتصل الى ما ذكر لهم اي خاصا بهم خزي اي اهانة وذل يبقى بهم في الدنيا اي لو يدع بهم غيرهم ولهم اي ان لم يتوبوا في الاخرة اي التي هي موطن الفصل باظهار العدل عذاب عظيم اي بحيث لا يدخل تحت عبارة فكم اكثر من وصفه بالعظم ولما كان التعبير بما يدل على تحتم الجزاء على هذا الوجه استثنى من المعاقبين هذه العقوبة بقوله الا الذين تابوا اي رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من الله تعالى ولذا قال من قبل واثبت الجار اشارة الى القبول وان طال زمن المعصية وقصر زمن التوبة ان تقدروا عليهم اي فان تحتم الجزاء المذكور يسقط فلا يجازون على ما يتعلق بحقوق الادمي الا اذا طلب صاحب الحق فان عفى كان له ذلك واما حق الله تعالى فانه يسقط والى هذه الاشارة ايضا بقوله تعالى فاعلموا ان الله اي على ما له من صفات العظمة غفور رحيم اي صفته ذلك ازلا وابدا فهو يفعل منه ما يشاء لمن يشاء وافهمت الاية ان التوبة بعد القدرة لا تسقط شيا من الحدود ولما ذكر تعالى حكمهم عند التوبة وختم الاية بما يناسب من الغفران والرحمة وكان ذلك ربما جرأ من يريد قدمه في الدين على جنابه المتعالي اتبع ذلك الامر بالتقوى وجهاد كل من افسد بقطع الطريق او الكفر او غيرهم فقال على وجه الاستنتاج مما قبله يا ايها الذين امنوا اي وجد منهم الاقرار بالايمان اتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين ما سمتم من وعيده للمفسدين وقاية تصديقا لما اقررتم به لما له سبحانه من العظمة التي هي جديرة بان تخشى وترجى لجمعها الجلال والاكرام ولما كانت مجامع التكليف منحصرة في تحل عن قضاع المنهيات وتحل بلابس المامورات وقدم الاول لانه من درء المفاسد اتبعه الثاني فقال وابتغوا اي اطلبوا طلبا شديدا اليه اي خاصة الوسيلة اي التقرب بكل ما يوصل اليه من طاعاته ولا تياسوا وان عظمت ذنوبكم لانه غفور رحيم ولما كان سبحانه قد قدم اوامر ونواهي وكان الاستقراء قد ابان ان الناس عند الامر والنهي بين مقبل ومعرض وكان قد امر المقبل بجهاد المعرض وكان للجهاد بما له من عظيم النفع وفيه من المشقة مزيد خصوصية افرد بالذكر تاكيدا لما مضى منه واعلاما بانه للعاصي مطلقا سواء كان بالكفر او بغيره فقال وجاهدوا في سبيله اي لتكون كلمته هي العليا لعلكم تفلحون اي لتكونوا حالكم حال من يرجى نيله لكل ما يطلبه وهذا شامل لكل امر معروف ونهي عن منكر في اعلى درجاته وادناها ولما كان ترك هذه الاوصاف المذلة التقوى وطلب الوسيلة والجهاد مزيلا للوصف الاول وهو الايمان ناسب كل المناسبة تحذيرا من تركها ذكر حال الكفار وانه لا تنفعهم وسيلة في تلك الدار فقال معللا لما قبله ان الذين كفروا اي بتركهم ما في الاية السابقة ورتب الجزاء على الماضي زيادة في التحذير لو ان لهم ما في الارض واكد ما افهمه الكلام من استغراق الظرف والمظروف فقال جميعا اي مما كان يطلب منهم شيء ليسير جدا منه وهو الاذعان بتصديق الجنان بما نافق الفضل من المال وزاد الامر هولا بقوله ومثله ولما كان لرفع الغد اجلة ما ليس له مقرقا قال معه ولما كان المقصود تحقير ذلك بالنسبة الى عظمه يوم التغابن وان كان عند الكفار الذين جعلوا غاية امرهم الحيوة الدنيا اعظم ما يكون والافهام بان المراد بالمثل الجنس ليشمل ما عساه ان يعرض من الامثال اعاد الضمير على هذين الشيئين على كثرتهما وعظمهما مفردا فقال معبرا بالمضارع الدال على تجديد الرغبة في المسئلة على سبيل الاستمرار لان السياق للمتصفين بالكفر والمحاربة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم والسعي في الارض بالفساد ولذلك صرح بنفي القبول على الهيئة الاتية ليفتدوا به

اي يجدد والافتدآ في كل لحظة بما ذكر من عذاب يوم القيمة ولما كان المراد تهويل الامر برده وكان ذلك يحصل بغير تعيين الراد قال ما تقبل منهم بالبناء للمفعول اي على حالة من الحالات وعلى يد من كان لان المدفوع اليه ذلك تام القوة وله الغنى المطلق ولما كان من النفوس ما هو سافل لا ينكيه الرد وكان الرد لاجل امضاء المعد من العذاب قال مصرحا بالمقصود ولهم اي بعد ذلك عذاب اليم اي بالغ الايجاع بما اوجبوا اوليآءه بسببهم لما اظهروا من شموس البيان ٥ وانتهكوا من حرمات الملك الديان ثم علل شدة ايلامه به وعامه فقال يريدون ان يخرجوا اي يكون لهم خروج في وقت ما اذا رفعهم اللهب الى ان يكاد ان يلقيهم خارجا من النار ثم نفى خروجهم على وجه التاكيد الشديد فقال وما هم وأغرق في النفي بالجار واسم الفاعل فقال بخارجين منها اي يثبت لهم خروج اصلا ولعله عبر في النفي بالاسمية اشارة الى انه يتجدد لهم الخروج من الحرور الى الزمهرير فان سمي احد ذلك خروجا فهو غير مرادهم ولما كان المعذبون في دار زمما دام لهم المكث فيها وانقطع عنهم العذاب قال ولهم اي خاصة دون عصاة المومنين عذاب اي نارة بالحرور تارة بالبرد وتارة بغير هما دايم الاقامة لا يبرح ولا يتغير مقيم ولما كانت السرقة من جملة المحاربة والسعي بالفساد وكان فاعلها غير متق ولا متوسل عقب بها فقال والسارق اي الآخذ لما هو في حرز خفية لكونه لا يستحقه والسارقة اي كذلك ولما كان التقدير وهما مفسدان وحكمها فيما يتلى عليكم سبب عنه قوله فاقطعوا وقال المبرد التعريف بمعنى الذي والتآء بنيت كقولك الذي يبين فلوسهم ايديهما اي الايامن من الكوع اذا كان الماخوذ ربع دينار فصاعدا وقاية للمال وهو انا لها للخيانة وديتها اذا قطعت في غير حقها خمس ماية دينار وقاية للنفس من غير ان ترخصها الخيانة ثم علل ذلك بقوله جزآء بما كسبا اي فعلا من ذلك ولو انه على ادنى وجوه السرقة من حرز مثله من غير شبهة له فيه كما بين جميع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ويرتفع القطع ما سرقه ثم علل هذا الجزاء بقوله نكالا اي منعا لهما كما يمنع القيد من الله اي الذي له جميع العظمة فهو المرهوب لكل مربوب واعاد الاسم الاعظم تعظيما للامر فقال والله اي الذي له جميع صفات الكمال عزيز اي في انتقامه فلا يعالبه شيء حكيم اي بالغ الحكم والحكمة في شرايعه فلا يستطاع الامتناع من سطوته ولا انتقاص شيء يفعله لانه يضعه في اتقن مواضعه ولما ختم بوصفي الحكمة والعزة سبب عنهما قوله فمن تاب اي ندم واقلع ودل على كرمه بالقبول في اي وقت وقعتا التوبة فيه ولو طال زمن المعصية باثبات الجار فقال من بعد وعدل عن ان يقول سرقته الى ظلمه تعميما لحكم في كل ظلم فشمل ذلك فعل طعمه وما ذكر بعده مما تقدم في النسآء وغير ذلك من كل ما يسمى ظلما واصلح اي اوجد الاصلاح واوقعه بردا للظلامة والثبات على الاقلاع فان الله اي بما له من كمال العظمة يتوب عليه اي يقبل توبته ويرجع به الى ام ما كان عليه قبل الظلم من سقوط عذاب الاخرة دون عقاب الدنيا رحمة من الله له ورفقا به ومن ظلمه وعدل بينهما لا يقدر احد ان يمنعه من ذلك ولا يحول بينه وبينه لحظة تمام علل ذلك بقوله ان الله اي الذي له الكمال كله ازلا وابدا غفور رحيم اي بالغ المغفرة والرحمة لا مانع له من ذلك ولا من شيء منه ولا من شيء يريد فعله بل هو فعال لما يريد والآية معطوفة على آية المحاربين وانما فصل بينهما بما تقدم لما ذكر من العلة الطالبة لمزيد العناية به ولما كان معنى ذلك انه لا اعتراض عليه سبحانه في شيء من ذلك ولا مانع لان قدرته تامة ليس هو كمن يناهده من الملوك الذين ربما يعجزون من اعتراض اتباعهم ورعاياهم عن تعريف بعض من لم يباشر اساءه وابعاد بعض من لم يباشر احسانا فكيف بغير ذلك قال تعالى مقررا لذلك بتفرده في الملك الم تعلم ان الله اي الذي له جميع العز له ملك السموات اي بعلو علوها وانقطاع اسباب ما دونها والارض اي ان الملك خالص له عن جميع الشوايب ولما كان ايقاع النقمة اول على القدرة وكان السياق لها لما تقدم من خيانة اهل الكتاب وكفرهم وقصة ابني آدم والسرقة والمحاربة وغير ذلك قدم قوله معللا لفعل ما يشآء بتمام الملك لا يعين من رعاية المصالح او غيرها يعذب من يشآء اي من بني اسرآئيل الذين ادعوا البنوة والمحبة وغيرهم وان كان مطيعا لمن له فعل ذلك لانه لا يقبح منه شيء ويغفر لمن يشآء اي وان كان عمله موبقا لانه لا يتصور منه ظلم ولا يسوغ عليه اعتراض ولما كان التقدير لانه قادر على ذلك عطف عليه قوله والله اي الذي له الاحاطة بكل كمال على كل شيء اي مشيء قدير اي ليس هو كغيره من الملوك الذين قد يعجز احدهم عن تعذيب ابنه وتبعيد اعدي عدوه وهذه العقيبة الضرورية ختم بها ما دعت المناسبة الى ذكره من الاحكام وكررها على اتم انتظام الى اوايل نقوض دعواهم في قوله بل انتم بشر ممن خلق الآية ولما تقرر ذلك كان من غير شك علة لعدم الحزن على شيء من امرهم ولا من امر غيرهم ممن عصى شيأ من هذه الاحكام كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها الى ان قال لكيلا تاسوا على ما فاتكم فقوله تعالى يا ايها الرسول اي المبلغ لما ارسل به معلول لما قبله واول دليل على ذلك قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ لا يحزنك اي لا يوقع عندك شيأ من الحزن صنع الذين يسارعون في الكفر اي يفعلون في اسراعهم فيه الوقوع فيه غاية الاسراع فعل من يسابق غيره وفي تعيينهم بالمنافقين واهل الكتاب بشارة باتمام النعمة على العرب بدوام اسلامهم ونصرهم عليهم وقدم ابتغوا القسمين فقال من الذين قالوا آمنا ولما كان الكلام هو النفسي اخرجه بتقييده بقوله بافواههم معبرا كلا منهم منافقين بما منه ما هو ابعد عن القلب من اللسان فهم الى الحيوان اقرب منهم الى الانسان وزاد ذلك بيانا بقوله ولم تومن قلوبهم ولما بين المسارعين بالمنافقين عطف عليهم قسما آخر هم اشد الناس مواخاة لهم فقال ومن الذين هادوا اي الذين عرفت قلوبهم وكفرت السنتهم بمخالفة قلوبهم لما عرف

عنادا وطغيانا ثم اخبر عنهم بقوله سماعون اي متقبلون غاية القبول بغاية الرغبة للكذب اي من قوم من المنافقين
ياعونك فينقلون عنك الكذب سماعون لقوم اخرين اي الصدق ثم وصفهم بقوله لم ياتوك اي لغلبة وذكر الضمير لارادة
الكلام لانه المقصود والبغض على ثنا تم يحرفون الكلم اي الذي يسمعونه عنك على وجهه فيبدلونه في تعبيره واما له بعد
ان يقيسوا المعنيين المعبر والمعبر اليه والقطبين فلا يبعد وابه بل ياخذون بالكلم عن حده وطرفه الى حد آخر قريب منه جدا
ولذلك اثبت الجار فقال من بعد اي يثبتون الاماله من مكان قريب من مواضعه النازلة عن رتبته بان يتاولوه على غير
تاويله او يثبتوا الفاظا غير الفاظه قريبة منها فلا يبعد عنها المعنى جدا وهذا اودع مكرا مما في النساء وهو من الحرف
وهو الحد والطرف والحرف عن الشيء ما دعنه قال الصغاني وتحريف الكلام عن مواضعه بتغييره وقال ابو عبد الله
التزاز والتحريف التفعيل من الحرف عن الشيء اذا مال فمعنى حرفتا الكلام ازلته عن حقيقة ما كان عليه في المعنى واثبت
له شبه اللفظ ومنه قوله تعالى يحرفون وذلك ان اليهود كانت تغير معاني التورية بالاشباه وفي الحديث يسلط عليهم
طاعون يحرف القلوب اي يغيرها عن التوكل ويدعوهم الى الانتقال عن تلك البلاد وحكى حرفته عن جهته اي بالتخفيف
مثل حرفته والمحارفة المقايسة من الحراف وهو الميل الذي لا يقاس به الجراح انتهى فالاية من الاحتباك حذف منها اولا
الايمان واثبت عدمه ثانيا للدلالة عليه وحذف منها ثانيا الصدق ودل عليه باثبات ضده الكذب في الاولى ولما
كان كانه قيل ما غرضهم باثبات الكذب وتحريف الصدق قال يقولون اي لمن يوانيهم ان اوتيتم اي من اي موت كان هذا اي
المكذوب والمحرف فخذوه اي اعملوا به وان لم تؤتوه اي بان اوتيتم غيره او سكت عنكم فاحذروا اي من ان تؤتوا غيره ۝
فتقبلوه ولما كان التقدير فاولئك الذين اراد الله فتنتهم عطف عليه قوله ومن يرد الله اي الذي له الامر كله فتنته
اي ان يحل به ما يميله عن وجه سعادته بالكفر حقيقة او مجازا فلن تملك له من الله اي الملك الاعلى الذي لا كفوء له شيا اي من
الاسعاد واذا لم تملك ذلك انت وانت اقرب الخلق الى الله فمن يملكه ولما كان هذا انتج لا محالة قوله اولئك اي البعداء
من الهدى الذين لم يرد الله اي وهو الذي لا راد لما يريده ولا فاعل لما لا يريده فهذه اشد الايات على المعتزلة ان يطهر
قلوبهم اي بالايمان والجملة كالعلة لقوله فلن تملك له من الله شيا ولما ثبت ان قلوبهم بحسبه انتج ذلك قوله لهم
في الدنيا خزي اي بالذل والهوان اما المنافقون فبانظهار الاسرار وافتضاح الكبار وخوفهم من الدمار واما
اليهود فبينان انهم حرفوا وبدلوا وضرب الجزية عليهم وغير ذلك من الصغار ولهم في الاخرة التي من حضرها فلا يرج
له بوجه عذاب عظيم اي لعظيم ما ارتكبوه من هذه المعاصي المتضاعفة ولما ذكر التحريف ذكر اثره وهو الحكم به فقال
مكررا الوصف زيادة في توبيخهم وتقبيح شانهم سماعون اي بهم في غاية الشهوة والانهماك في سماعهم للكذب اكالون اي على
وجه المبالغة للسحت اي الحرام الذي يسحت البركة اي يمحقها وهو كل ما لا يحل كسبه وذلك لانهم الرشا ليحكموا
بالباطل على نحو ما حرفوه وغيروه من كلام الله قال الشيخ ابو العباس المرسي ومن اثر من الفقراء السماع لهواه واكل
ما صرمه سولاه فقد استهوته نزغة يهودية فان القوال يذكر العشق والوجد والمحبة وما عنده منها شي ولما
كانوا قد ياخذون الرشوة ولا يقدرون على ابرام الحكم بما اراده فيطمعون في ان يفعلوا ذلك بواسطة ترافعهم الى النبي
صلى الله عليه وسلم فيترافعون اليه فان حكم بينهم بما اراده واقبلوه واحتجوا به على من لعله تخالفهم وان حكم بما لم يريدوه
قالوا ليس هذا في ديننا طمعا في ان يحليهم فلا يلزمهم ما حكم اعلمه الله تعالى ما يفعل في اثرهم وحزن غوايل مكرهم فقال
معوضا الخبرة اليه في امر المعاهدين الى مدة واما اهل الجزية فيجب الحكم بينهم اذا ترافعوا الى حاكمنا سببا عن
اكلهم الحرام وسماعهم الكذب فان جاوك اي طمعا في ان توبتهم ما حرفوا اليه الحكم فاحكم بينهم اي ان شئت بما انزل
الله عليك من الحق واعرض عنهم اي كذلك ولما كان قوله وان دالا بعطفه على غير معطوف عليه ان التقدير فان
حكمت بينهم لم ينفعوك شيا لاقبالك عليهم قال وان تعرض عنهم اي الكفرة كلهم من المصارخين والمنافقين فلن يضروك
شيا اي لاعراضك عنهم واستهانتك بهم ولما كان هذا التخيير غير مراد الظاهر في جواز الحكم بينهم عند الترافع
الينا وعدمه بل معناه عدم المبالاة بهم اعرض عنهم او لا تحقيقه بيان المصلحة على تقديري الفعل والترك علله
كيف يحكم بينهم فقال عاطفا على ما قدرته وان حكمت اي فيهم فاحكم اي اوقع الحكم بينهم بالقسط اي العدل الذي
اراكه الله على ان الاية ليست في اهل الذمة والحكم في تراضع الكفار الينا انه ان كان منهم او من احدهم التزام احكامنا
او منا التزام للذب عنهم وجب لقوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم والا لم يجب ثم علل ذلك
بقوله ان الله اي الذي له صفات الكمال يحب المقسطين اي الفاعلين للعدل الكسوي من غير حيف اصلا ولما
كان التقدير فكيف يحكمونك ولم يكذبونك ويدعون انك مبطل عطف عليه قوله معجبا منهم موبخا لهم وكيف
يحكمونك اي في شي من الاشياء وعندهم اي والحال انه عندهم التورية ثم استانف قوله ثم يتولون اي
من بعد ايراد الله اياه الذي له الامر كله فتنته اي الذي لا يعجزه شي اعظم منه ولا اعظم منه عظمه وهو الذي كان مقررا في شرعهم انه لا يسوغ خلافه فان كانوا يعتقدون ذلك الى الان لم يعجز لهم
العدول اليك على زعمهم وان كانوا لا يعتقدونه ويعتقدون ان حكمك هو الحق ولم يؤمنوا بك كانوا قد امنوا
ببعض وكفروا ببعض ولما كان الاعراض عن حكمه سبحانه عظيما وكان وقوعه ممن يدعي انه مؤمن به بعيدا عظيما
شدد به اقال ثم يتولون اي يتكلفون انفسهم الاعراض عنه سواء تايد بحكمك به او لا لاجل الاغراض الدنيوية ولما

كان المراد بالحكم الجنس وكانوا يفعلون بعض احكامها فلم يستغرق زمان توليهم زمان البعد ادخل الجار لذلك
فقال من بعد ذلك اي الامر العالي وهو الحكم الذي يعلمون انه حكم الله فلم يبق تحكيمهم لك من غير ايمان بك الا تلاعبا
ولما كان التقدير فما اوليك بالمريدين للحق في ترافعهم اليك عطف عليه قوله وما اوليك اي البعدا من الله
بالمومنين اي العريقين في صفة الايمان بكتابهم ولا بغيره مما يستحق الايمان به لانهم لو كانوا عريقين في ذلك لامنوا
بك لان كتابهم دعا اليك ولما تضمن هذا مدح التورية صرح به فقال تاكيدا لذمهم في الاعراض عما دعت اليه من
اصل وفرع وتحذيرا من مثل حالهم انا انزلنا اي على ما لنا من العظمة التورية ثم استانف قوله معظما لها فيها
هدى اي كلام يهدي بما يدعوا اليه الى طريق الجنة ونور اي بيان لا يدع لبسا ثم استانف المدح للعاملين بها فقال
يحكم بها النبيون ووصفهم باعلى الصفات وذلك هو الفنا المحض فقال مادحا لا مقيدا الذين اسلموا اي اعطوا
قيادهم لربهم سبحانه حتى لم يبق لهم اختيار اصلا وفيه تعريض بان اليهود بعدا من الاسلام والا لاتبعوا انبياءهم
فيه فكانوا يومنون بكل من قام الدليل على نبوته ولما كان من المعلوم ان حكمهم بامر الله لهم باتباع التورية ومراعاتها
علم ان التقدير بما استحفظوا من كتاب الله فحذف لدلالة ما ياتي عليه واشعار الاسلام به ثم بين المحكوم له
تقييدا به اشارة الى انها ستنسخ فقال للذين هادوا اي لمن التزم اليهودية والربانيون اي اهل الحقيقة منهم
الذين انسلخوا من الدنيا وبالغوا فيما يوجب النسبة الى الرب والاحبار اي العلما الذين اسلموا بما اي بسبب ما ولما
كان سبب الملام امرهم بالحفظ لا كونه من الله بلا واسطة بني للمفعول قوله استحفظوا اي الانبياء ومن بعدهم
من كتاب الله اي بسبب ما طلب منهم وامروا به من الحفظ لكتاب الذي له جميع صفات الكمال الذي هو صفته فعظمته
من عظمته وحفظه دراسته والعمل بما فيه له وكانوا اي وبما كانوا عليه شهدا اي رقبا حاضرين لا يغيبون عنه
ولا يتركون مراعاته اصلا فالاية كما ترى من فن الاحتباك ترك اولا بما استحفظوا لدلالة ما ذكر هنا عليه وترك
ذكر الاسلام هنا لدلالة ذكره اولا عليه وانما خص الاول بذكر الاسلام لان الانبياء احق به وهو داع الى الحفظ
قطعا وخص الثاني بالاستحفاظ لان الاتباع اولى به وهو دال على الاسلام ولما كان هذا كله ذما لليهود بما تركوا
من كتابهم ومدحا لمن راعاه منهم وكان ذلك الترك اما لرجا او خوف قال مخاطبا لهذه الامة كلها طايعها وعاصيها
محذرا لها من مثل حالهم ومرغبا في مثل حال الانبياء والتابعين لهم باحسان مسببا عن ذلك فلا تخشوا الناس
اي في العمل بحكم من احكام الله واخشون اي فان ذلك حامل لكم على العدل والاحسان فمن كان مسلما طايعا فليزد وطاعة
ومن لم يكن كذلك فليبادر بالانقياد والطاعة وهذا شامل لليهود وغيرهم ولما قدم الخوف لانه اقوى تاثيرا
اتبعه الطمع فقال ولا تشتروا ولما كان الاشترا معناه اللجاجة في اخذ شي بثمن وكان المثمن اشرف من الثمن من حيث
انه المرغوب فيه جعل الايات مثمنا وان اقترنت بالبا حتى يفيد الكلام التعجيب من الرغبة عنها وانها لا يصح كونها
ثمنا فقال باياتي ثمنا قليلا اي من الرشا وغيرها لتبدلوها كما بدل اهل الكتاب ولما نهى عن الامرين وكان نزل
الحكم بالكتاب اما لاستهانة او لخوف او رجا او شهوة رتب ختام الايات على الكفر والظلم والفسق قال ابن عباس
رضي الله عنهما من حجه حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق ولما كان التقدير فمن حكم بما انزل
الله فاوليك هم المسلمون عطف عليه ما افهمه من قوله ومن لم يحكم اي يوجد الحكم ويوقعه على وجه الاستمرار بما انزل
الله اي الذي له الكمال كله فلا امر لاحد معه تدينا بالاعراض عنه اعم من ان يكون تركه له حكما بغيره اولا فاوليك
اي البعدا من كل خير هم الكافرون اي المختصون بالعراقة في الكفر وهذه الايات من قوله تعالى يا ايها الرسول
لا يحزنك الى هنا نزلت في الزنا ولكن لما كان السياق للمحاربة وكان كل من القتل وقطع الطريق والسرقة محاربة
ظاهرة مع كونه فسادا صرح به ولما كان الزنا محاربة خفية بالنظر الى فحشه وحرمته وجره في بعض الصور
الى المحاربة وغير محاربة بالنظر الى كونه في الغالب عن تراض وصاحبه غير متربي بزي المحاربين لم يصرح في هذه
الايات باسمه وان كانت نزلت فيه روى البيهقي عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم انه قال في خطبته ان الله
بعث محمدا وانزل عليه كتابا وكان فيما انزل عليه اية الرجم فتلوناها ووعيناها الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده الحديث
وفي اخره ولولا اني اخشى ان يقول الناس زاد في كتاب الله لاثبته في حاشية المصحف واصله في الصحيحين وغيرهما
وللحاكم والطبراني عن ابي امامة بن سهل عن خالته العجما رضي الله عنها بلفظ الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة بما قضيا من اللذة وفي صحيح بن حبان عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال لزر بن حبيش كم تعدون
سورة الاحزاب من اية قال قلت ثلثا وسبعين قال والذي يحلف به كانت سورة الاحزاب توازي سورة البقرة
وكان فيها اية الرجم الشيخ والشيخة الحديث وللشيخين البخاري في مواضع ومسلم واحمد وابي داود وهذا لفظه
والدارمي والترمذي في الحدود والنسائي في الرجم عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال ان اليهود جاؤا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فذكروا ان رجلا منهم وامراة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في
التورية في شان الزنا فقالوا نفضحهم ويجلدون وفي رواية فقال لا تجدون في التورية الرجم فقالوا لا نجد فيها شيا

فقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فأتوا بالتورية فنشروها
فجعل احدهم وفي رواية مدراسها الذي يدرسها منهم يده على آية الرجم فجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له
عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفعها فقال ما هذه فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فامر بهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فرأيت الرجل يحنأ على المرأة يقيها الحجارة
وفي لفظ للبخاري في التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجدون في التورية الرجم فقالوا لا نجد فيها شيئا
فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتم فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين وفي لفظ له في التوحيد ولمسلم ورواية احمد
ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قال فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين ولابي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال اتي نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القف فاتاهم في بيت المدراس فقالوا يا ابا القسم
ان رجلا منا زنى بامرأة فاحكم فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلس عليها ثم قال ائتوني بالتورية ف
فاتي بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التورية عليها ثم قال امنت بك وبمن انزلك ثم قال ائتوني باعلمكم فأتي بفتى
شاب فذكر قصة الرجم نحو الذي قبله وسكت عليه ابو داود والحافظ المنذري في مختصره وسنده حسن ولمسلم
وابي داود وهذا لفظه والنسائي وابن ماجة عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيهودي محمم فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني فقالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال نشدتك بالله الذي انزل التورية
على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم فقال اللهم لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك نجد حد الزاني في كتابنا
الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الرجل الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا
تعالوا فنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد وتركنا الرجم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله عز وجل يا أيها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر الى قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا الى قوله ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الكافرون في اليهود الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون في اليهود الى
قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قال هي في الكفار كلها يعني هذه الآية وروى الدارقطني في
آخر السنن عن جابر رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم يهودي ويهودية قد زنيا فقال
ليهود ما يمنعكم ان تقيموا عليهما الحد فقالوا كنا نفعل اذ كان الملك لنا فلما ان ذهب ملكنا فلم نجتري على القتل فقال
لهم ائتوني باعلم رجلين فيكم فاتوه بابني صوريا فقال لهما انتما اعلم من وراكما قالا يقولون قال فأنشدكما بالله الذي
انزل التورية على موسى كيف تجدون حد الزاني في التورية فقال الرجل مع المرأة ريبه وفيه عقوبة والرجل على
بطن المرأة ريبة وفيه عقوبة فاذا شهد اربعة انهم راوه يدخل الميل في المكحلة رجم قال ائتوني بالشهود فشهدوا
اربعة فرجمها النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وهذه الآية ملتقطة الى آية يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا
اليه الوسيلة الآية والتي بعدها الى الكافرون وذلك ان هؤلاء لما تركوا هذا الحكم جروهم الى الكفر وليس في هذه
الروايات كما ترى تقييد الرجم بالاحصان وكذا ليس فيما هو موجود عندهم من التورية قال في السفر الثالث
وغيره ثم كلم الله موسى وقال له قل لبني اسرائيل اي رجل من بني اسرائيل ومن الذين يقبلون الي ويكونون بين بني اسرائيل
الذي زرعه في امرأة غريبة يقتل ذلك الرجل قتلا يرجمه جميع الشعب بالحجارة وانا ايضا انزل غضبي بذلك الرجل
واهلكه من شعبه لانه الذي زرعه في غريبه واراد ان ينجس اسم قدسي فان غفل شعب الارض عن الرجل الذي الذي زرعه
في غريبه ولم يوجبوا عليه القتل انزل غضبي بذلك الرجل وبقبيلته واهلكه واهلك من يضل به لانهم ضلوا بنسائهم
غريبات لسن لهم حلالا ثم قال الرجل الذي يأتي امرأة صاحبه وامرأة رجل غريب يقتلان جميعا والرجل الذي يرتكب
ذكر امثاله ينزل منه ما يرتكب من النساء فقد ارتكبا نجاسة يقتلان ودمهما في اعناقهما والرجل الذي يتزوج امرأة وامها
فقد ارتكب خطيئة حرق بالنار هو وهما والرجل الذي يرتكب من البهيمة ما يرتكب من النساء يقتل قتلا والبهيمة ترجم
ايضا والمرأة التي ترقد بين يدي البهيمة لترتكب منها ابلا تقتل المرأة والبهيمة جميعا يقتلان ودمهما في اعناقهما
والرجل الذي يأتي امرأة طامثا ويكشف عورتها قد كشف عن ينبوعها وهي ايضا كشفت عن ينبوع دمها يقطعان كلاهما
من شعبهما وقال والرجل الذي يأتي امرأة ابيه قد كشف هذا عورة ابيه يقتلان جميعا ودمهما في اعناقهما والرجل
الذي يتزوج اخته من امه او من ابيه ويرى عورتها وترى عورته هذا عار شديد يقتلان قدام شعبهم وذلك لانه
كشف عورة اخته يكون اثمهما في روسهما لانكشفن عورة عمتك ولا اخالتك لانها قرابتك ومن فعل ذلك يعاقب
باسم فضيحته والرجل الذي يأتي امرأة عمه قد كشف عورة عمه يعاقبان بخطيئتهما ويموتان والرجل الذي
يتزوج امرأة اخيه قد ارتكب انما لانه كشف عورة اخيه يموتان بلا ولد صريح يرجم البكر فقال في السفر الخامس
في من تزوج بكرا فادعى انه وجدها ثيبا وان كان قذفه اياها صفا فلم يجدها عذرا تخرج الجارية الى بيت
ابيها ويرجمها اهل القرية بالحجارة وتموت لانها ارتكبت حوبا بين بني اسرائيل وزنت في بيت ابيها نحوا الشر
عنكم وان وجد رجل يسخ بامرأة رجل يقتلان كلاهما الرجل والمرأة جميعا بل صريح يرجم البكر المكرمة فقال

عنز

عقب ما تقدم وان كان رجل خطيبة بكرم يبتهن لها بعد فخرجت خارجا فنظرها رجل وفهرها وضاجعها يخرجان
جميعا ويرجمان حتى يموتا وانما تقتل الجارية مع الرجل لانها لم تصرخ ولم تستغث انتهى فالاحاديث المقيدة بالاحصان
في هذه القصة ينبغي ان تكون مرجوحة لان رواتها ظنوا ان الحادثة الاسلامية شرع لهم ولما كان ختام هذه الاية
في ترهيب المعرض عن الحكم بما انزل الله مطابقا لقوله في اول سياق المحاربة ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض
لمسرفون رجع الى القتل مبينا انهم بدلوا في القتل كما بدلوا في الزنا ففضلوا بني النضير على بني قريظة فقال وكتبنا
اي بما لنا من العظمة عليهم فيها اي التوراة عطفا على قوله كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس واذا
انعمت النظر وجدت ما بينهما لشدة اتصاله وقوة الداعية اليه كانه اعتراض ان النفس اي مقتولة قصاصا
مثلا بمثل بالنفس اي بقتل النفس بغير وجه مما تقدم والعين اي تقلع بالعين اذا قلعت بغير شبهة والانف بقطع
بالانف كذلك والاذن تصلم بالاذن على ما تقدم والسن تقلع بالسن اذا قلعت عمدا بغير حق والجروح اي التي تنضبط كلها
قصاص مثلا بمثل سواء بسواء ولما اوجب سبحانه هذا ارخص لهم في النزول عنه فنبه على ذلك قوله فمن تصدق
به اي عفي عن القصاص ممن يستحقه سواء كان هو المجروح ان كان باقيا او وارثه ان كان هالكا فهو اي التصدق
بالقصاص كفارة له اي ستار لذنوب هذا العافي ولم يجعل لهم دية انما هو القصاص او العفو فمن حكم بما انزل الله
فاولئك هم المسلمون لانقيادهم في هذا الامر الصعب لامراه ومن لم يحكم اي على وجه الاستمرار بما انزل الله اي الذي
لا كفوء له فلا امر لاحد معه لخوف او رجاء او تدينا بالاعراض عنه سواء حكم بغيره او لا فاولئك اي البعداء عن طريق
الاستقامة البغضاء الى اهل الكرامة هم الظالمون اي الذين تركوا العدل فضلوا فصاروا كمن يمشي في الظلام
فان كان تدينا بالترك كان نهاية الظلم وهو الكفر والا كان عصيانا لان الله احق ان يخشى ويرجى روى ابن اسحق
في السيرة في تحاكمهم في الزنا نحو ما تقدم ثم قال وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الآيات من المائدة التي قال الله فيها فاحكم بينهم او اعرض عنهم الى المقسطين انما نزلت في الدية بين بني النضير
وبني قريظة وذلك ان قتلى بني النضير وكان لهم شرف يودون الدية كاملة وان بني قريظة كانوا يودون
نصف الدية فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الحق في ذلك فجعل الدية سواء قال ابن اسحق فالله اعلم اي ذلك كان واخرجه النسائي في سننه من طريق
ابن اسحق وروى من طريق آخر عن ابن عباس ايضا رضي الله عنهما قال كان قريظة والنضير وكان النضير اشرف
من قريظة وكان اذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ادي
مائة وسق من تمر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجل في النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه الينا
نقتله فقالوا بيننا وبينكم النبي فاتوه فنزلت وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط النفس بالنفس ثم نزلت افحكم الجاهلية
يبغون انتهى وهذا نص ما عندهم من التوراة في القصاص قال في السفر الثاني وكل من ضرب رجلا فمات فليقتل
قتلا واذا تشاجر رجلان فاصابا امراة حبلى فاخرجا جنينها ولم تكن الروح حلت في السقط بعد فليغرم على قدر
ما يلزمه زوج المراة وليود ما حكم عليه الحاكم فان كانت الروح حلت في السقط فالنفس بالنفس والعين بالعين
والسن بالسن واليد باليد والرجل بالرجل والجراحة بالجراحة واللطمة باللطمة وقال في السفر الثالث
بعد ذكر الاعياد في الاصحاح السابع عشر ومن قتل انسانا يقتل ومن قتل بهيمة يدفع الى صاحبها مثلها والرجل
يضرب صاحبه ويوثر فيه اثرا يعاب به يصنع به كما صنع والجروح قصاص الكسر بالكسر والعين بالعين والسن بالسن
كما يصنع الانسان بصاحبه كذلك يصنع به القضاء واحد لكم وللذين يقبلون الى وقال في الثاني واذا ضرب
الرجل عين عبده او امته ففقاها فليعتقه بدل عينه واذا قلع سن عبده او امته فليعتقه بدل سنه وذكروا
احكاما كثيرة ثم قال ومن ذبح الاوثان فيهلك بل هو وحده وقال في الرابع ومن يقتل نفسا لا يقتل الا
ببينة عادلة ولا تقبل شهادة شاهد واحد على قتل النفس ولا تقبلوا رشوة في انسان يجب عليه القتل بل يقتل
ولا تاخذوا منه رشوة ليهرب الى قرية الملجا ليسكنها الى وفاة الحبر العظيم ولا تنجسوا الارض التي تسكنونها
لان الدم ينجس الارض والارض التي يسفك فيها الدم لا يغفر لتلك الارض حتى يقتل القاتل الذي قتل وقال
في الخامس ولا يقتل من قد وجب عليه القتل الا بشهادة رجلين ولا يقتل بشهادة رجل واحد واذا رجم فالذي
يشهد عليه فليبدا برجمه الشهود والامم يبدا به جميع الشعوب واحكموا الذين يعملون الشر واستاصلوهم
من بينكم وان شهد رجل على صاحبه شهادة زور يقوم الرجلان قدام الحبر والقاضي فيفحصون عن امرهما
فحصا شديدا فان وجدوا رجلا شهد شهادة زور يصنعوا به مثل ما اراد ان يصنع باخيه ونحوا الشر من بينكم
وعاقبوا بالحق ليسمع الذين يتقوون فيفزعوا ولا يعودوا ان يفعلوا مثل هذا الفعل القبيح بينكم ولا تشفقوا
اعينكم على الظالم بل يكون قضاء لكم نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل ولما كانت هذه
الايات كلها مما فيها من الاسرار ناقضة ايضا لما ادعوه من البهت بما ارتكبوه من الذنوب من تحريف كلام الله وسماع
الكذب واكل السحت والاعراض عن احكام التوراة والحكم بغير حكم الله اتبعها بما اتى به عيسى عليه السلام الذي ادعى

فيه النصارى البتوة بما ارتكبوه من الذنوب من تحريف كلام الله وسماع الكذب واكل السحت والاعراض عن احكام
التورية والحكم بغير حكم الله اتبعها بما اتى به عيسى عليه السلام الذي ادعى فيه النصارى البتوة الحقيقية والتثليث
في الالهية وقد اتى بتصديق التورية في الشهادة على من خالفها من اليهود بالتبرؤ من الله متوكدا ما فيها من التوحيد
الذي هو عماد الدين واعظم اياته التي اخذت عليهم. تعالى اليهود ووضعت في تابوت الشهادة الذي كانوا يقدمونه
امامهم في الحروب فان كانوا باقين على ما فيه من الميثاق نصروا والا اخذوا واوناسخا لشريعتهم مجازاة لهم من جنس
كانوا يعملون من التحريف وشاهدا على من اطراه بالضلال فقال تعالى **وقفينا** الى آخرها وكذا كل ما بعدها من
ايا تهم الى آخر السورة لا تخلو اية منها من التعرض الى نقض عوايدهم لها بذكر ذنب او ذكر عقوبة عليه او ذكر تكذيب
لهم من كتابهم او نبيهم والمعنى اوجدنا التقفية وهي اتباع شيء لشيء تقدمه فيكون آتيا في قفاه لكونه وراءه والقائ
في مظهر العظمة لتعظم شان عيسى عليه السلام **على اثارهم** اي النبيين الذين يحكمون بالتورية وذكر الاثر يدل على انهم
كانوا قد تركوا دينهم لم يبق منهم الا رسم خفي **بعيسى** ونسبه الى امه اشارة الى انه لا والد له تكذيبا لليهود والى انه عبد
مربوب تكذيبا للنصارى فقال **ابن مريم تصديقا** اي عيسى عليه السلام في الاصول وكثير من الفروع **لما بين يديه**
اي مما اتى به موسى عليه السلام قبله **من التورية** والاشارة الى انه ناسخ لكثير من احكامها بقوله **واتيناه الانجيل** اي به
انزلناه بعظمتنا عليه كما انزلنا التورية على موسى عليه السلام ولما كان في الانجيل الحكم الذي يفهم كل احد والمتشا
الذي لا يفهم الا المراد من خلص العباد ولا يقف بعد تفهمه عند حدوده الا المتقون قال مبينا لحاله **فيه** اي اتيناه
اياه بعظمتنا كائنا فيه **هدى** اي والحكم يهتدي به كل من سمعه الى صراط مستقيم **ونور** اي حسن بيان كاشف للمشكلات
لا يدع ذلك الصراط لبسا ولما كان الناسخ للشيء بتغيير حكمه قد يكون مكذبا لله اعلم انه ليس كذلك بل هو مع النسخ
للتورية مصدق لها فقال مبينا لحاله الانجيل عطفا على محل فيه هدى **ومصدقا** اي الانجيل بكائه **لما بين يديه**
ولما كان الذي نزل قبله كثيرا عين المراد بقوله **من التورية** فالاول صفة لعيسى عليه السلام والثاني صفة
لكتابه بمعنى انه هو والتورية والانجيل متصادقون فكل من الكتابين يصدق الآخر وهو يصدقهما لما يتخالفوا في
شيء بل هو متخلق بجميع ما اتى به ولما كان المتقون خلاصة الخلق فهم الذين ينزلون كل ما في كتاب الله من محكم ومتشابه
على ما يتحقق به انه هدى ويتطابق به المتشابه والمحكم وكان قد بين ان فيه من الهدى ما يسهل به رد المتشابه اليه
فصار بعد البيان كله هدى قال معمما بعد ذلك التخصيص **وهدى وموعظة للمتقين** اي كل ما فيه يهتدون به ويتعظون
فترق قلوبهم ويعتبرون به ويتقلون مترقين من حال ما هم فيه الى حال اعلى منها ذكر بعض ما يدل على ذلك
من الانجيل الذي بين ظهراني النصارى الآن وقد مزجت فيه كلام بعض الاناجيل ببعض واغلب السياق لمتى وعينت
بعض ما خالفه قال **لوقا** وجاء اليه قوم واخبروه بخبر الجليليين الذين خلط بيلاطس دمائهم مع ذبائحهم
فاجاب يسوع وقال لهم لا تظنوا ان اولئك الجليليين اشد خطأ من كل الجليليين اذا صابتهم هذه الاوجاع لا اقول
لكم ان لم تتوبوا كلكم انتم تهلكون مثلهم واولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سيلوحا وقتلهم
اتظنون انهم اكبر جرما من جميع سكان يروشليم كلا اقول لكم ان لم تتوبوا فجميعكم تهلك وقال لهم شجرة تين كانت
لواحد مغروسة في كرمه جاء يطلب فيها ثمرة فلم يجد فقال للكرام هذه ثلاث سنين اني واطلب منها ثمرة فلا
اجد اقطعها ليلا تبطل الارض فقال له يارب دعها في هذه السنة لاحفرها واصلحها لعلها تثمر في السنة الآتية فان
هي اثمرت والا اقطعها قال **متى** ولما نزل من الجبل وتبعه جمع كبير واذا ابرص قد جاء فسجد له وقال ان شئت
فانت قادر ان تطهرني فمد يده ولمسه وقال له قد شئت فاطهر وللوقت طهر برصه وقال **لوقا** له يسوع لا تقل
لاحد ولكن امض فار تفسك للكاهن وقدم قربانا كما امر موسى للشهادة عليهم وقال **مرقس** بشهادتهم قال
لوقا فذاع عنه الكلام وزاد واجتمع جمع كثير ليسمعوا منه ويستشفوا من امراضهم واما هو فكان يمضي الى البرية
ويصلي هناك وقال **متى** ولما دخل كفرناحوم جاء اليه قايد مائة فطلب اليه قائلا يارب فتاي ملقى في البيت
مخلع وسقيم جدا فقال له اني آتي وابرئه فاجاب قايد المائة وقال يارب لست مستحقا ان تدخل تحت سقف
بيتي لكن قل كلمة فقط فيبرأ فتاي لاني تحت سلطان ولي جند ان قلت لهذا اذهب فيذهب ولآخر ايت فيأتي ولعبدي
اعمل هذا فيعمل فلما سمع يسوع تعجب وقال للذين يتبعونه الحق اقول لكم انني لم اجد مثل هذه الامانة في اسرائيل
اقول لكم ان كثيرا ياتون من المشرق والمغرب وقال **لوقا** والشمال والتيمن يتكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب
قال **لوقا** وكل الانبياء في ملكوت الله وانتم خارجا ويكون الاولون آخرين والآخرون اولين وقال
متى في ملكوت السموات وبنو الملكوت يلقون في الظلمة البرانية الموضع الذي يكون فيه البكا وصرير الاسنان
وقال يسوع لقايد المائة اذهب كما امنت يكن لك فبرأ الفتى في تلك الساعة وقال **لوقا** ولما اكمل جميع كلامه
ودخل كفرناحوم وكان عبد لقايد المائة قد قارب الموت وكان كريما عنده فلما سمع بيسوع ارسل الى شيوخ اليهود
يسئلونه المجيء ليخلص عبده فلما جاؤا الى يسوع طلبوا منه باجتهاد وقالوا انه تستحق ان تفعل معه هذا لانه
يحب امتنا وهو بنى لنا كنيسة فمضى يسوع معهم وفيما هو قريب من البيت ارسل اليه قايد المائة اصدقاءه قايلا

يارب لا استحق ان تدخل تحت سقف بيتي من اجل ذلك لم استحق ان اجيء انا اليك لكن قل كلمة فيبراء
لاني رجل ذو سلطان وتحت يدي جند فاقول لهذا امض فيمضي ولاخر ايت فياتي فلما سمع يسوع هذا تعجب منه والتفت
الى الجمع الذي يتبعه وقال الحق اقول لكم اني لم اجد في اسرائيل مثل هذه الامانة فرجع المرسلون الى البيت فوجدوا
المريض قد برء وفي غد كان يسوع ماضيا الى مدينة اسمها نايين وتبعه تلاميذه اجمع وجمع كبير فلما قرب من باب
المدينة اذا محمول قد مات وحيد لامه وكانت ارمله وجمع كبير من اهل المدينة معها فلما راها الرب تحنن عليها
وقال لها لا تبكي وتقدم ولمس النعش فوقف الحاملون له وقال له ايها الشاب لك اقول قم واجلس فجلس الميت
وبداء يتكلم ودفعه لامه واخذهم خوف ومجدوا الله قائلين لقد قام فينا نبي عظيم وتعاهد الله شعبه بصلاح نزل
هذا الكلام في كل اليهودية وكل الكور التي حولها فقال متى وجا يسوع الى بيت بطرس فنظر الى حماة سمعان ملقاة محمى
وقال مرقس وجا الى بيت سمعان واندراوس مع يعقوب ويوحنا فراى حماة سمعون في حمى شديدة فقالوا له
من اجلها فقدم واسك بيدها واقامها وقال متى فسر يدها فتركتها الحمى وقامت تخدمهم وقال لوقا ولفضت
للوقت تخدمهم فلما كان المسا قال مرقس عند غروب الشمس قدموا اليه مجانين كثيرا قال مرقس ووقف جميع اهل
المدينة على الباب وابرا كثيرا ممن بهم علة ردية واخرج شياطين كثيرا وقال متى وكان يخرج الارواح بكلمة
وابرا كل سقيم لكي يتم ما قيل في اشعيا النبي القايل انه اخذ امراضنا وحمل اوجاعنا وسحرا جدا قام وخرج الى
البرية ليصلي هناك وشمعون ومن معه يطلبونه فلما وجدوه قالوا له ان الجمع يطلبك فقال لهم نسير وانبا الى
القريبة والمدن القريبة لنكرز فاني لهذا وافيت فاقبل يبشر في مجامعهم في كل الجليل ويخرج الشياطين وقال لوقا
وفي غد اليوم خرج وذهب الى موضع قفر والجمع يطلبونه وجاوا اليه واسكوه ليلا يمضي من عندهم فقال لهم
انه ينبغي ان ابشر في المدن الاخر بملكوت الله لاني لهذا ارسلت وكان يكرز في مجامع الجليل وكان لما اجتمع اليه جمع
ليسمعوا كلام الله كان هو واقفا على بحيرة جابا ثم فراى سفينتين موقفتين على شاطي البحيرة والصيادون قد
صعدوا عليها ليغسلوا شباكهم فصعد الى احديها التي لسمعان وامره ان يبعدها عن الشط قليلا وجلس يعلم في
الجمع من السفينة ولما اكمل كلامه قال لسمعان تقدم الى الجح والقوا شباككم فقال يا معلم قد تعبنا الليل اجمع
ولم ناخذ شيا وبكلمتك نحن نلقي شباكنا ولما فعلوا ذلك اخذوا سمكا كثيرا وكادت شباكهم تخرق فاشاروا الى
شركائهم في السفينة الاخرى ليا توا يعينوهم فلما جاوا املاوا السفينتين حتى كادتا ان تغرقا فلما راى
سمعان ذلك خر عند قدمي يسوع وقال له ابعد عني يا سيدي لاني رجل خاطي لان الخوف اعتراه وكل من معه لاجل
صيد السمك الذي اصطادوا وكذلك يعقوب ويوحنا ابنا زبدي اللذان كانا صديقي سمعان فقال يسوع لسمعان
لا تخف من الان تكون صياد الناس وقربوا السفن الى الشط وتركوا كل شي وتبعوه وقال متى فلما نظر
يسوع الى الجمع الذي حوله امر ان يذهبوا الى العبر فجاء اليه كاتب وقال له يا معلم اتبعك الى حيث تمضي فقال له
يسوع ان للثعالب اجحارا ولطير السما اوكارا واما ابن الانسان فليس له موضع يسند راسه قال لوقا وقال
آخر اتبعني فقال يارب ائذن لي ان امضي اولا واد فن ابي فقال له يسوع اتبعني ودع الموتى يدفنوا موتاهم وقال
آخر فقال بل ناذن لي اولا ان ارتب اهل بيتي فقال ما من احد يضع يده على سكة الفدان وينظر الى ورا يصلح
لملكوت الله وقال متى فلما صعد السفينة تبعه تلاميذه وقال لوقا صعد السفينة هو وتلاميذه
وقال لهم امضوا بنا الى عبر البحيرة فساروا وفيما هم سايرون نام واذا اضطراب عظيم كان في البحر حتى كادت
الامواج تغطي السفينة لان الريح كانت مضادة لهم وهو نايم فتقدموا اليه تلاميذه وقالوا يارب وقال
مرقس وكانت رياح عواصف عظيمة وكانت الامواج تضرب السفينة وتدخلها المياه حتى كادت تمتلي وهو
نايم في مؤخرها على وسادة فايقظوه وقالوا له يا معلم نجنا فقد هلكنا فقال لهم ما اخافكم يا قليلي الامانة حينيذ
قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدو اعظيما ثم قال متى فلما صعد السفينة وجا الى العبر ودخل مدينته
قدم اليه مخلع ملقى على سرير وفي انجيل مرقس ولوقا انهم اراد وا الدخول به اليه فلم يقدروا لكثرة الجمع فصعدوا
الى السطح ودلوه بسريره اليه حينيذ قال للمخلع قم احمل سريرك واذهب الى بيتك فقام ومضى الى بيته فنظر
الجمع وتعجبوا ومجدوا الله الذي اعطى هذا السلطان هكذا للناس وقال يوحنا في انجيله وبعد هذا كان عيد
اليهود فصعد يسوع الى يروشليم وكان هناك بايروشليم مكان بيتي بالعبرانية بيت الرحمة وكان فيه خمسة
اروقة وكان خلق كثير من المرضى مطرحين فيها وعمي ومقعدون وجافون فكانوا يتوقعون تحريك الماء لان ملاكا
كان ينزل الى الضيعة في حين بعد حين وكان يحرك الماء والذي كان ينزل فيه اولا من بعد حركة الماء يبرا من
كل الوجع الذي به وكان هناك رجل سقيم منذ ثمان وثلثين سنة فنظر اليه يسوع ملقى فقال له اتحب ان تبراء
فقال نعم يا سيدي ولكن ليس لي انسان اذا تحرك الماء يلقيني في البركة واذا اقبل ان اجي انا ينزل قدامي آخر فقال
له قم احمل سريرك وامش فمن ساعته برا ونهض حاملا سريره وكان ذلك يوم سبت فقال له اليهود انه يوم سبت
ولا يحل ان تحمل سريرك فاجابهم الذي ابراني هو قال لي احمل سريرك وامش فسالوه من هو فلم يكن يعلم من هو لان يسوع

كان قد استتر في الجمع الكثير الذي كان في ذلك الموضع ثم قال وقال لهم يسوع لقد عملت عملا واحدا فعجبتم باجمعكم
اعطاكم موسى الختان وليس هو من موسى ولكنه من الآباء وقد تختنون الانسان يوم السبت لئلا تنقضوا سنة موسى
فلم تتذمرون علي لابرائي الانسان يوم السبت لا تحكموا بالمحاباة لكن احكموا حكما عدلا ثم قال فبينما هو مار راى رجلا
ولد اعمى فقال تلاميذه يا معلم من اخطا هذا ام ابوه حتى انه ولد اعمى فقال لا هو ولا ابوه ولكن لتظهر اعمال الله فيه
ينبغي ان اعمل اعمال من ارسلني ما دام النهار سياتي الليل الذي لا يستطيع احد يعمل فيه عملا ما دمت في العالم انا نور العالم
قال هذا وتفل على التراب وصنع من تفله طينا وطلى به عيني ذلك الاعمى وقال له امض واغتسل في عين سيلوحا
التي تاويلها المتعوبة فمضى وغسلهما فعاد ينظر فاما جيرانه والذين كانوا يرونه يتسول فقالوا ليس هو هذا
الذي كان يجلس ويتسول وآخرون قالوا انه يشبهه فاما هو فكان يقول اني انا هو فقالوا له كيف انفتحت عيناك
فقص عليهم فقالوا اين هو ذاك فقال ما ادري فاتوا به الى الفريسيين لان يسوع صنع الطين يوم السبت فساله
الفريسيون فاخبرهم فقال قوم منهم ليس هذا الرجل من الله اذ لا يحفظ السبت وآخرون قالوا كيف يقدر رجل خاطئ
ان يعمل هذه الآيات فوقع بينهم لذلك شقاق فقالوا للاعمى ما تقول انت من اجله قال لهم انه نبي ولم يصدق اليهود انه
كان اعمى حتى دعوا ابويه وسالوهما فقالا نحن نعلم ان هذا ولدنا وانه ولد اعمى ووقعت بين الاعمى وبينهم محاورة كان
آخر ما قالوا له انت ولدت بالخطايا وانت تعلمنا واخرجوه وقال متى واجتاز يسوع هناك فراى انسانا جالسا
على التعشير اسمه متى فقال له اتبعني فقام وتبعه وقال لوقا وبعد هذا خرج فنظر الى عشار اسمه لاوي جالسا
على المكس فقال له اتبعني فترك كل شي وقام وتبعه وصنع له لاوي في بيته وليمة عظيمة وكان جمع كثير من العشارين
وآخرون متكئون معه وقال مرقس ثم خرج الى شاطئ البحر واجتمع اليه جمع كبير وعلمهم وعند مضيه راى لاوي
ابن حلفا جالسا على العشارين فقال له اتبعني فقام وتبعه وبينما هو متكئ في بيته وقال متى وفيما هو متكئ في
بيت سمعان جاء عشارون وخطاة كثيرون فاتكاوا مع يسوع وتلاميذه فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا
معلمكم ياكل مع العشارين والخطاة فلما سمع يسوع قال لهم الاصحاء لا يحتاجون الى طبيب لكن ذووا الاسقام اذهبوا
فاعلموا ما هو اني اريد رحمة لا ذبيحة لم آت لادعوا الصديقين لكن الخطاة للتوبة وقال لوقا وطلب اليه واحد
من الفريسيين ان ياكل معه فدخل بيت ذلك الفريسي وجلس وكان في تلك المدينة امراة خاطئة فلما علمت انه
متكئ في بيت ذلك الفريسي اخذت قارورة طيب ووقفت من ورائه عند رجليه باكية وبدات تبل قدميه بدموعها
وتمسحها بشعر راسها وكانت تقبل قدميه وتدهنهما بالطيب فلما راى ذلك الفريسي الذي دعاه فكر في نفسه قائلا
لو كان هذا نبيا علم ما هذه وانها خاطئة فاجاب يسوع وقال له يا سمعان غريمان عليهما لانسان دين على احدهما خمسمائة
دينار وعلى الآخر خمسون ولم يكن لهما ما يوفيان فوهب لهما فايهما اكثر حبا له فقال اظن الذي وهب له الاكثر فقال
له بالحق حكمت ثم التفت الى المراة وقال يا سمعان دخلت بيتك فلم تسكب على رجلي ماء وهذه بلت رجلي بالدموع
ومسحتهما بشعر راسها انت لم تقبلني وهذه منذ دخلت لم تكف من تقبيل قدمي انت لم تدهن راسي بزيت وهذه
دهنت بالطيب قدمي لاجل ذلك اقول لكم ان خطاياها مغفورة لها لانها احبت كثيرا ثم قال لها اذهبي بسلام
ايمانك خلصك وكان بعد ذلك يسير الى كل مدينة ويكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر ونسوة كن ابراهن
من الامراض والارواح الخبيثة مريم التي تدعى المجدلانية التي اخرج منها سبعة شياطين وبريا امراة خوزي خازن
ميرودس واخر كثيرات وقال متى حينئذ جاء اليه تلاميذ يوحنا قايلين لماذا نحن والفريسيون نصوم كثيرا
وتلاميذك لا يصومون فقال لهم يسوع لا يستطيع بنوا العريس ان ينوحوا ما دام العريس معهم وسياتي ايام اذا
ارتفع العريس عنهم حينئذ يصومون ليس احد ياخذ خرقة جديدة يجعلها في ثوب بال لانها تاخذ ملاها من الثوب
فيصير الخرق اكبر وقال مرقس انه لا يرقع انسان ثوبا باليا بخرقة جديدة الا مد الجديد البالي فيخرقه وقال
متى ولا تجعل خمر جديدة في زقاق عتق فتنشق الزقاق وتهلك وتهراق الخمر لكن تجعل خمر جديدة في زقاق جدد
فيتحفظان جميعا قال لوقا وما من احد يشرب قديما فيحب الجديد للوقت لانه يقول ان القديم اطيب وقال
متى وفيما هو يكلمهم واذا رئيس قد جاء اليه ساجدا قائلا ان ابنتي ماتت الآن تاتي فتضع يدك عليها فتحيى فقام
يسوع وتبعه تلاميذه واذا امراة بها نزيف دم منذ اثنتي عشرة سنة قال مرقس اعيت من اطباء انفقت
كل ما لها لم تجد راحة بل تزداد وجعا فلما سمعت بيسوع قال متى جاءت من خلفه ومست طرف ثوبه فالتفت
يسوع فراها فقال لها ثقي يا ابنة ايمانك خلصك فبرات المراة في تلك الساعة وجاء يسوع الى بيت الرئيس قال
مرقس ولم يدع احدا يتبعه الا بطرس ويعقوب ويوحنا اخا يعقوب انتهى فنظر الى الجمع مضطربين فقال لهم اخرجوا
لم تمت الجارية لكنها قايمة فضحكوا منه فلما خرج الجمع دخل وامسك بيدها فقامت الجارية وقال مرقس
واخرج جميعهم واخذ معه ابا الصبية وامها والذين معه ثم دخل الى الموضع الذي فيه الصبية موضوعة واخذ
بيدها وقال لها طليبي قوم الذي تاويله يا صبية لك اقول قومي فللوقت قامت الصبية ومشت وكان لها اثنتا
عشرة سنة فبهتوا وعجبوا عجبا عظيما فامرهم كثيرا ان لا يعلموا احدا بهذا وقال اطعموها تاكل وقال متى وخرج

خبرها

وهم اتباع عيسى عليه السلام صح

خبرها في جميع تلك الارض ولما كان التقدير اتيناه ذلك لينتهي اهل التورية عما نسخه منها عطف عليه
قوله وليحكم في قراة حمزة بكسر اللام والنصب والتقدير على قراة الجماعة بالاسكان والجزم فلينته اهل التورية
عما نسخ منها وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله اي الواحد الاحد الذي له جميع صفات الكمال فيه من الدلايل على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ومن غير ذلك مما اودعناه اياه من الاحكام والمواعظ الجسام ولما كان التقدير فمن انتهى
فاوليك هم المسلمون ومن حكم بما انزل الله فيه فاوليك هم المفلحون عطف عليه قوله ومن لم يحكم بما انزل الله
اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه فله كل شي وليس لاحد معه شي وكل شي اليه مفتقر ولا افتقار له الى شي فيه او في غيره
وهو غير منسوخ تدينا بتركه او لشهوة دعته فاوليك اي البعداء عن كل خير البغضاء هم الفاسقون اي المختصون
بكمال الفسق فان كان تدينا كان كفرا وان كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية لان الحظوظ والشهوات تحمل على
الخروج من دايرة الشرع مرة بعد اخرى فمن ترك الحكم تكذيبا فقد جمع الدركات الثلاث ستر الدلايل فسقوا من
درجة النور الى دركة الظلام فانكب في مهواة الخروج من المحاسن فانحط الى اقبح المساوي والتعبير بالوصف الموذن
بالعراقة في ماخذ الاشتقاق معلم بان المراد بكل واحد منها الكفر فحقق ان المراد منه الشرعي لا مطلق السير غاية
التحقيق فبين بوصفه بالظلم انه ستر لما ينبغي اظهاره وبالفسق انه بلغ في كونه في غير موضعه النهاية حتى خرق جميع دايرة
الماذون فيه فخرج منها وهذا اشارة الى ذنوب اهل الانجيل لينتج نقض دعواهم النبوة والمحبة لان المعنى ومن الواضح
بكتابك الذي جعل مهيما على جميع الكتب انهم خالفوا احكامه فهم فاسقون اي خارجون عما من شانه الاستقرار فيه
لنفعه فواقعون في الظلمة الموجبة لوضع الشي في غير موضعه المقتضية للتغطية والستر وقدم الوصف بالكفر
لان السياق لمن حرف الكلم عن مواضعه وغير ما كتب من محكم احكام التورية من الحدود وذلك هو التغطية التي
هي معنى الكفر لانه من الظلام كما ان الفسق سبب الظلم لانه الخروج عما من شانه النفع فكان الاخر اولا في المعنى والاول
نهاية في الحقيقة والاية دالة على ان فيه احكاما وكذا قوله تعالى في آل عمران ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم
وهذا هو الحق فاعظم ما غير تحريم السبت الذي كان اعظم شعايرهم فاحله وغير ايضا غير ذلك من احكامهم
قال فيما رايته في ترجمة انجيل متى سمعتم ما قيل للاولين لا تقتل فان من قتل وجبت عليه لايمة الجماعة ومن قال لاخيه
احمق فقد وجبت عليه نار جهنم ان انت قدمت قربانك على المذبح وذكرت هناك ان اخاك واجد عليك فدع
قربانك هناك قدام المذبح وامض اولا وصالح اخاك وحينيذ فايت وقدم قربانك كن متفهما من خصمك سريعا
ما دمت معه في الطريق لئلا يسلمك الخصم الى الحاكم والحاكم الى المستخرج وتلقى في السجن وفي انجيل لوقا اذا رايتم
سحابة تظلم من المغرب قلتم ان المطر ياتي فيكون كذلك واذا هبت ريح الجنوب قلتم سيكون حر يا مراؤن تحسنون
تمييز وجه السماء والارض وهذا الزمان كيف تميزونه ولا تحكمون بالصدق من قبل نفوسكم لانك اذا ذهبت مع
خصمك الى الرئيس فاعطه ما يجب عليك في الطريق تتخلص منه لئلا يذهب بك الى الحاكم فيدفعك الحاكم الى المستخرج
ويلقيك المستخرج في السجن وقال متى الحق الحق اقول لك انك لا تخرج من هناك حتى تودي اخر فلس عليك
سمعتم ما قيل للاولين لا تزن وانا اقول لكم ان كل من نظر الى امراة واشتهاها فقد زنى بها في قلبه ان شككتك
عينك اليمنى فاقلعها والقها لانه خير لك ان تهلك احد اعضايك ولا تلقى جسدك كله في جهنم قيل ان من طلق امراته
فيدفع لها كتاب الطلاق وانا اقول لكم ان من طلق امراة من غير كلمة زنا فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلقة فقد
زنى وايضا سمعتم ما قيل للاولين لا تحنث في يمينك واوف الرب قسمك وانا اقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء
فانها كرسي الله ولا بالارض لانها موطي قدميه ولا بيروشليم فانها مدينة الملك العظيم ولا براسك لانك لا تقدر
تصنع شعرة بيضا او سودا ولتكن كلمتكم نعم نعم ولا لا وما زاد على ذلك فهو من الشر سمعتم ما قيل العين بالعين
والسن بالسن وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر ولكن من لطمك على خدك الايمن فحول له الاخر ومن اراد خصومتك
واخذ ثوبك فدع له رداك ومن سخرك ميلا فامض معه اثنين قال لوقا وكل من سالك فاعطه ومن اراد ان
يقترض منك فلا ترده ولا تطلب من الذي ياخذ مالك وكما تحبون ان يصنع الناس بكم كذلك فاصنعوا انتم بهم
وقال متى سمعتم ما قيل احبب قريبك وابغض عدوك وانا اقول لكم حبوا اعداكم وباركوا لاعينكم واحسنوا
الى من ابغضكم وقال لوقا يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويحزنكم لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات لانه
المشرق شمسه على الاخيار والاشرار والممطر على الصديقين والظالمين واذا احببتم من يحبكم فاي اجر لكم اليس
العشارون يفعلون مثل ذلك وان سلمتم على اخويكم فقط فاي فضل عملتم اليس كذلك يفعل العشارون وقال
لوقا ان كنتم انما تحبون من يحبكم فاي اجر لكم ان الخطاة يحبون من يحبهم وان صنعتم الخير مع من يحسن اليكم فاي فضل
لكم ان الخطاة هكذا يصنعون وان كنتم انما تقرضون من تظنون انكم تاخذون العوض منه فاي فضل لكم الخطاة
ايضا يقرضون الخطاة لكي ياخذوا منهم العوض لكن حبوا اعداكم واحسنوا اليهم وكونوا رحماء مثل ابيكم فهو روف
وقال متى كونوا انتم كاملين مثل ابيكم السماي فهو كامل ثم قال في الفصل الثالث والثلثين وفي ذلك الزمان
مر يسوع في سبت بالزروع وجاع تلاميذه فبدوا يفركون سنبلا وياكلون وفي لوقا كان تلاميذه يقطعون السنبل

ويفركون بايديهم وياكلون فلما ابصرهم الفريسيون قالوا له ما هوذا تلاميذك يعملون ما لا يحل في السبت وفي لوقا
لماذا تفعلون ما لا يحل ان يفعل في السبوت فقال لهم اما قراتم ما صنع داود لما جاع هو والذين معه كيف دخل الى بيت
الله واكل خبز التقدمة الذي لا يحل اكله الا للكهنة قال مرقس واعطى الذين كانوا معه ثم قال لهم السبت من اجل
الانسان كان ولم يخلق الانسان من اجل السبت قال متى او ما قراتم في الناموس ان الكهنة في السبت في الهيكل ينجسون
السبت وليس عليهم جناح اقول لكم ان ههنا اعظم من الهيكل لو كنتم تعلمون ما هو مكتوب اني اريد الرحمة لا الذبيحة لم تحكمون
على من لا ذنب له وقال لوقا ودخل بيت احد الرؤسا الفريسيين في سبت لياكل خبزا وهم كانوا يرصدونه فاذا
انسان به استسقاء فقال يسوع للكهنة والفريسيين هل يحل ان يبرا في السبت فسكتوا فاخذه وابراه ثم قال لهم
من منكم يقع ابنه في بير يوم السبت ولا يصعده في الوقت فلم يقدروا ان يجيبوه عن هذا ثم قال متى فجاء الفريسيون
ليجربوه قايلين هل يحل للانسان ان يطلق امراته لاجل كل كلمة اجاب اما قراتم ان الذي خلق في البدء خلقهما ذكرا وانثى
من اجل ذلك يترك الانسان اباه وامه ويلصق بامراته ويكونان كلاهما جسدا واحدا وليسا هما اثنين لكن جسد واحد
وما زوجه الله لا يفرقه الانسان وقال مرقس لا يقدر انسان يفرقه قالوا له لماذا امر موسى ان تعطى كتاب الطلاق
وتخلى قال لهم موسى من اجل قسوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساكم وفي مرقس انهم لما سالوه قال لهم بماذا اوصاكم
موسى قالوا امر ان يكتب كتاب الطلاق وتخلى قال لهم يسوع من اجل قسوة قلوبكم كتب لكم موسى هذه الوصية من
البدء لم يكن هكذا واقول لكم من طلق امراته من غير زنى فقد الجاها الى الزنى ومن تزوج مطلقة فقد زنى وفي انجيل
مرقس وفي البيت ايضا ساله التلاميذ عن هذا فقال لهم من طلق امراته وتزوج اخرى فقد زنى عليها وان هي خلت
زوجها وتزوجت اخر فهي زانية وفي لوقا كل من يطلق امراته ويتزوج اخرى فهو يزني وكل من تزوج مطلقة من زوجها
فهو يزني قال متى فقال له التلاميذ ان كان هكذا علة الرجل مع امراته فخير له ان لا يتزوج فقال لهم ما كل احد
يستطيع هذا الكلام الا الذين قد اعطوا الان خصيان ولدوا من بطون امهاتهم وخصيان اخصاهم الناس وخصيان
اخصوا انفسهم من اجل ملكوت السموات ومن استطاع ان يحتمل فليحتمل ولما ذكر سبحانه الكتابين ذكر ختامهما وتمامهما
وهو ما انزل الى هذا النبي الامي من الفرقان الشاهد على جميع الكتب التي قبله فقال تعالى وانزلنا اي بعظمتنا اليك
اي خاصة الكتاب اي الكامل في جمعه لكل ما يطلب منه وهو القران بالحق اي الكامل الذي لا يحتاج الى شي يتمه ثم
مدحه بمدح الانبياء الذين تقدموه فقال مصدقا لما بين يديه اي تقدمه ولما كانت الكتب السماوية من شدة
تصادقها كالشي الواحد عبر بالمفرد لافادته ما يفيد الجمع وزيادة دلالة على ذلك فقال من الكتاب اي الذي جاء به
الانبياء من قبل ومهيمنا اي شاهدا حفيظا مصدقا وامينا رقيبا عليه اي على كل كتاب تقدمه كما قاله البخاري
في اول الفضايل من الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي هذه الصفة بشارة بحفظه سبحانه لكتابنا حتى لا يزال
بصفة الشهادة فان الله تعالى استحفظهم كتبهم فعجزوا عنها فحرفها بحروفهم واسقط منها مسرفوهم فتكفل هو سبحانه
بحفظ كتابنا فكان قيما عليها فما كان رقيبا موافقا له فهو حق وما كان فيها مخالفا فهو اما منسوخ او مبدل فلا يعتبر
بل يحكم بما في كتابنا لانه ناسخ لجميع الكتب والاتي به مرسل الى جميع العالمين فملته ناسخة لجميع الملل فانتج هذا وجوب
الحكم بما فيه على الموالف والمخالف بشرطه فلذا قال مسببا عما قبله فاحكم بينهم اي بين جميع اهل الكتب فغيرهم من
باب الاولى بما انزل الله اي الملك الذي له الامر كله اليك في هذا الكتاب الناسخ لكتبهم المهيمن عليها في اثبات ما اسقطوه
منها من امرهم باتباعك ونحو ذلك من اوصافك ولا تتبع اهواءهم فيما خالفه منحرفين عما جاءك وبينه بقوله من الحق
ولما كان كل من كتابيهم من عند الله كان كانه قيل كيف يكون الحكم بكتابهم الذي يصدقه كتابنا انحرافا عن الحق علل
ذلك دالا على النسخ بقوله لكل اي لكل واحد جعلنا اي بعظمتنا التي نفعل بها ما نشا من نسخ وغيره ثم خصص
الابهام بقوله منكم اي يا اهل الكتب شرعة اي دينا موصلا الى الحيوة الابدية كما ان الشرعة موصلة الى الماء
الذي به الحيوة الدنيوية ومنهاجا اي طريقا واضحا مستنيرا ناسخا لما قبله وقد جعلنا شرعتك ناسخة لجميع الشرايع
وهذا وامثاله مما يدل على ان كل مشرع مختص بشرع وغير متعبد بشرع من قبله على الفروع وما دل على الاجتماع كاية
شرع لكم من الدين محمول على الاصول ولو شاء الله اي الملك الاعظم المالك المطلق الذي له التصرف التام والامر
الشامل العام ان يجمعكم على شي واحد لجعلكم امة اي جماعة متفقة يوم بعضها بعضا وحقق المراد بقوله واحدة
اي على دين واحد ولم يجعل شيا من الكتب ناسخا لشي من الشرايع لان الكل بمشيئته ولا مشيئة لاحد سواه الا بمشيئته
ولكن لم يشا ذلك بل شا ان تكونوا على شرايع مختلفة ليبلوكم اي ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر فيما اتاكم اي اعطاكم
وقسم بينكم من الشرايع المختلفة ليبرز الى الوجود ما تعملون في ذلك من اتباع واذعان اعتقادا ان ذلك مقتضى
الحكمة الالهية فترجعون عنه اذا قامت البراهين بالمعجزات على صدق ناسخه ونهضت الادلة البينات على صحة دعواه
بعد طول الالف له واخلاد النفوس اليه واستحكامه بمرور الاعصار وتقلب الادوار او زيغ وميل اتهاما
وتجويزا كما فعل اول المتكبرين ابليس فتوثرون الركون اليه والعكوف عليه لمتابعة الهوى والوقوف عند مجرد
الشهوة ولما كان في الاختبار اعظم تهديد سبب عنه قوله فاستبقوا الخيرات اي افعلوا في المبادرة اليها

بغاية

بغاية الجهد فعل من يسابق شخصا يخشى الفوت ان لم يسبقه له ثم علل ذلك بقوله الى الله اي الشارع لذلك لا الى غيره لانه المالك
الاعلى مرجعكم جميعا وان اختلفت شرائعكم حسا في القيمة ومعنى في جميع اموركم في الدارين فينبئكم اي يخبركم اخبارا
عظيما عما كنتم اي بجنب اجتناب الجبلات ولما كان به تحريم التقرب ابهام كان الافهام بعد الابهام اوقع في النفس قال
فيه تختلفون اي تجددون الخلاف مستمرين عليه ويعطي كلا ما يستحقه ويظهر سر الاختلاف وفايدة الوفاق والايتلاف
ولما كان الامر بالحكم فيما مضى لكونه سببا عما قبله من انزال الكتاب على الاحوال المذكورة اعاد الامر به سبحانه مصرحا
بذلك لذاته لا لشئ آخر ليكون الامر به موكدا غاية التاكيد بالامر به مرتين مرة لان الله امر به واخرى لانه علي وفق الحكمة
فقال تاكيدا له وتنويها بعظيم شانه ومحذرا من الاعداء فيما يلقونه من الشبه للصد عنه وان اي احكم بينهم بذلك ؟
لما قلنا من السبب وما ذكرنا من العلة في جعلنا لكل دينا ولانا قلنا امرين لك ان احكم بينهم اي اهل الكتب وغيرهم
بما انزل الله اي المختص بصفات الكمال لانه يستحق ان يتبع امره لذاته وبين ان مخالفتهم له واعراضهم عنه انما هو مجرد
هوى لان كتابهم داع اليه فقال ولا تتبع اهواءهم اي في عدم التقيد به واحذرهم ان يفتنوك اي يخالطوك بمكرهم
على الله وافترائهم وتحريفهم الكلم ومرائهم مخالطة تميلك عن بعض ما انزل الله اي الذي لا اعظم منه فلا وجه اصلا
للعدول عن امره اليك فان تولوا اي كلفوا انفسهم الاعراض عما حكمت به بينهم مضادا لما دعت اليه الفطر الاولى
من اتباع الحق ودعتا اليه كتبهم من اتباعك فاعلم انما يريد الله اي الذي له جميع العظمة ان يصيبهم لانه لو اراد لهم
الخير لهداهم الى القبول الذي سابق عليه شاهد العقل مما تدعوا اليه الفطر الاولى والنقل مما في كتبهم اما من الامر بذلك
الحكم بعينه واما من الامر باتباعك ببعض ذنوبهم اي التي هذا منها وابهمه زيادة في استدراجهم والضلالهم وتحذيرا
لهم من جميع مساوي اعمالهم ليلا يعلموا اعين الذنب الذي اصيبوا به فيحملهم ذلك على الرجوع عنه ويصير ذلك كالالجاء
او يكون ابهامه للتعظيم كما ان التنكير يفيد التعظيم فيوذن التعظيم الياتي بتعظيم هذا التولي وبكثرة ذنوبهم واجرامهم
على مواقعتها ولما كان التقدير فانهم بالتولي فاسقون عطف عليه وان كثيرا من الناس اي هم وغيرهم لفاسقون
اي خارجون عن دايرة الطاعات ومعادن السعادات متكلفون لانفسهم اظهار ما في بواطنهم من خفي الجبلة بقوة ولما
كان من المعلوم ان من اعرض عن حكم الله اقبل ولا بد على حكم الشيطان الذي هو عين الهوى الذي هو دين اهل الجهل الذين لا
كتاب لهم هادي ولا شرع ضابط سبب عن اعراضهم الانكار عليهم بقوله ؟ افحكم الجاهلية اي الخاصة مع ان احكامها
لا يرضى لها عاقل لكونها لم يدع اليها كتاب بل انما هي مجرد اهواء ومن اهل كتاب يبغون اي يريدون باعراضهم
عن حكمك مع ما دعا اليه كتابهم من اتباعك وشهد به كتابك بالعجز عن معارضته من وجوب رسالتك الى جميع
الخلايق وقراه ابن عامر بالتفات الى الخطاب ادل على الغضب ولما كان حسن الحكم تابعا لاتقانه وكان اتقانه
دايرا على صفات الكمال من تمام العلم وشمول القدرة وغير ذلك قال معلما ان حكمه احسن الحكم عاطفا على ما تقديره
فمن اضل منهم ومن ويجوز ان تكون الجملة حالا من واو يبغون اي يريدون ذلك والحال انه يقال ومن احسن
من الله اي المستجمع لصفات الكمال حكما ثم زاد في تقريرهم بكثافة الطباع وجمود الاذهان ووقوف الافهام
بقوله معبرا بلام البيان اشارة الى ان المعنى لهذا الخطاب لقوم اي فيهم لعضه وقوة محاوله لما يريدونه ان
يوقنون اي يوجد منهم اليقين يوما ما واما غيرهم فليس اهلا للخطاب فكيف العتاب انما عتابه شديد العقاب
ومن ذلك ايضا غاية التبكيت لهم والتقبيح عليهم من حيث انهم لم يزالوا يصفون اهل الجاهلية بالضلال وان
دينهم لم ينزل الله به من سلطان وقد عدلوا في هذه الاحكام اليه تاركين جميع ما انزل من الله من كتابهم والكتاب
الناسخ له فقد ارتكبوا الضلال بالشبهة على علم وتركوا الحق المجمع عليه ولما بين عنادهم وان عداوتهم لاهل
هذا الدين التي حملتهم على هذا الامر العظيم ليس بعدها عداوة نفى من اتسم بالايمان عن موالاتهم لانه لا يفعلها بعد
هذا البيان مومن ولا عاقل فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ولما كان الانسان لا يوالي غير قومه
الا باجتهاد في مقدمات يعلمها واشياء يتجنب الى اولئك الذين يريدان يواليهم اشار الى ذلك بصيغة الافتعال
فقال لا تتخذوا اي ان ذلك لو كان ينبغي بسهولة لما كان ينبغي لكم ان تفعلوه فكيف وهو لا يكون الا ببذل الجهد
اليهود والنصارى اولياء اي اولياء تفعلون معهم ما يفعل القريب مع قريبه وتزوجون منهم مثل ذلك وهم اكثر
الناس استخفافا بكم وازدراء لكم ثم علل ذلك بقوله ؟ بعضهم اولياء بعض اي كل فريق منهم يوالي بعضهم
بعضا وهم جميعا متفقون بجامع الكفر وان اختلفوا في الدين على عداوتكم باهل هذا الدين الحنيفي ومن يتولهم
منكم اي بعالج فطرته الاولى حتى يعاملهم معاملة الاقرباء فانه منهم لان الله غني عن العالمين فمن والى اعداه تبرا منه
ووكله اليهم ثم علل ذلك تزهيدا فيهم وترهيبا لمتوليهم بقوله ؟ ان الله اي الذي له الغني المطلق والحكمة البالغة
وكان الاصل لا يهدي قوما اولا يهديه ولكنه اظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال لا يهدي القوم الظالمين
اي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها فهم يعشون في الظلام فلذلك اختاروا غير دين الله اولا ونفي الهداية
عنهم دليل على ان البصيرة في الايمان القلب او معناه ان هذا الذي يظهر من الاقوار ممن موالاتهم ليس بشئ لان الموالي لهم
ظالم بموالاته لهم والظالم لا يهديه الله فالموالي لهم لا يهديه الله فهو كافر وهكذا كل من كان يقول او يفعل ما يدل

والعاصي لا تعلم موالاته ومن لم يهده الله
هدايته لم يقدر احد ان يهديه هم ن

دلالة ظاهرة على كفره وان كان يصرح بالايمان والله الهادي وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة
المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترآءى نارا هما ومنه قول عمر لابي موسى رضي
الله عنهما حين اتخذ كاتبا نصرانيا لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم
وروي ان ابا موسى رضي الله عنه قال لا قوام للبصرة الا به فقال عمر رضي الله عنه مات النصراني والسلام يعني
هب انه مات فما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الساعة ولما علل بذلك كان سببا لتمييز الخالص الصحيح من المغشوش
المريض فقال فترى اي فتسبب عن ان الله لا يهدي متوليهم انك ترى الذين في قلوبهم مرض اي وفساد في الدين كابن
ابي واصحابه اخزاهم الله يسارعون بسبب الاعتماد عليهم دون الله فيهم اي في موالاة اهل الكتاب حتى يكونوا من شدة
ملابستهم كانهم مظروفون لهم كان هذا الكلام الناهي لهم كان اغراء ويعللون بما لا يعتد به الا مريض الدين من النظر
الى مجرد السبب في النصرة عند خشية الدايرة يقولون اي قايلين اعتمادا عليهم ونبرا عن موالاتهم
نخشى اي نخاف خوفا بالغا ان تصيبنا دايرة اي مصيبة تحيط بنا والدوايرا التي تخشى والدوايل التي ترجى ولما
نصب سبحانه هذا الدليل الذي يعرف الخالص من المغشوش كان فعلهم هذا الخالص سببا في ترجي امر من عند الله ينصر
به دينه اما الفتح او غيره مما احاط به علمه وكونته قدرته يكون سببا لندمهم فلذا قال فعسى الله اي الذي لا اعظم
منه فلا يطلب النصر الا منه ان ياتي بالفتح اي باظهار الدين على الاعداء او امر من عنده باخذهم قتلا بايديكم او باخراج
اليهود من ارض العرب او بغير ذلك فينكشف لهم الغطاء ولما كانت المصيبة عند الاصباح اعظم عبرة وان كان
المراد التعميم فقال فيصبحوا اي فيسبب عن كشف غطايهم ان يصبحوا على ما اسروا ولما كان الاسرار لا يكون الا لما يخشى
من اظهاره فساد وكان يطلق على ما دار بين جماعة خاصة على وجه الكتمان عن غيرهم بين انه ادق من ذلك وانه على
الحقيقة منهم خوفهم من معاملته وعزته عندهم ان يبرزوه الى الخارج فقال في انفسهم اي من تجويز محو هذا الدين
واظهار غيره عليه نادمين اي ثابت لهم غاية الندم في الصباح وغيره ويقول الذين امنوا من رفعه عطفه على معنى
نادمين فان اصله يندمون ولكنه عبر بالاسم اعلاما بدوام ندمهم لبشارة به وام الظهور لهذا الدين على كل دين او على
يقولون تخشى ومن اسقط الواو جعله حالا ومن نصبه جاز ان يعطفه على يصبحوا اي يكون ذلك سببا لتحقق المومنين
امر المنافقين بالمسارعة في اهل الكتاب عند قيامهم سرورا بهم والندم عند خذلانهم ومحقهم فيقول بعض المومنين لبعض
تعجبا من حالهم او اعتباطا بما من الله عليهم به من التوفيق في الاخلاص مشيرين الى المنافقين تنبيها وانكارا اهؤلاء
اي الحقيرون الذين اقسموا بالله اي وهو الملك الاعظم جهد ايمانهم اي مبالغين في ذلك اجتراء على عظمته انهم لمعكم
ايها المومنون ويجوز ان يكون هذا القول من المومنين لليهود في حق المنافقين حيث قاسموهم على النصرة ثم ابتداء جوابا
من بقية كلام المومنين او من كلام الله لمن كانه قال فماذا يكون حالهم فقال حبطت اي فسدت فسقطت اعمالهم
فاصبحوا اي فتسبب عن ذلك انهم صاروا خاسرين اي ذا بي الخسارة بتنبههم في الدنيا بالاعمال وخيبة الامال وجنا
في الاخرة الوبال وعبر بالاصباح لانه لا اقبح من مصابحة السوء لما في ذلك من البغت بخلاف ما ينتظر ويوءمل
ولما نهى عن موالاتهم واخبر ان فاعلها منهم نفى المجاز مصرحا بالمقصود فقال مظهرا للنتيجة ما سبق يا ايها الذين
امنوا اي اقروا بالايمان من يوالهم منكم هكذا كان الاصل ولكنه صرح بان ذلك ترك للدين فقال من يرتد ولو على
وجه خفي مما اشار اليه الادغام في قراءة من سوى المذبين وابن عامر منكم عن دينه اي الذي معناه موالاة اولياء الله
ومعاداة اعداء الله فيوالون اعداءه ويتركون اولياءه فيبغضهم الله ويبغضونه ويكونون اعزة على المومنين اذلة
على الكافرين فانه غني عنهم فسوف ياتي الله اي الذي له الغنى المطلق والعظمة البالغة مكانهم وان طال المدى بوعد
صادق لا خلف فيه بقوم ليكون حالهم ضد حالهم يثبتون على دينه وهم ابو بكر والتابعون له باحسان رضي الله عنهم
ولما كانت محبته اصل كل سعادة قدمها فقال يحبهم فيثبتهم عليه ويثيبهم بكرمه احسن الثواب ويحبونه فيثبتون
عليه ثم وصفهم بما يميز ذلك فقال اذلة وهو جمع ذليل ولما كان ذلهم هذا انما هو الرفق ولين الجانب لا الهوان
كان في الحقيقة عزا فاشار اليه بحرف الاستعلاء مضمنا له معنى الشفقة فقال مبينا ان تواضعهم عن علو منصب
وشرف على المومنين اي يعلمهم ان الله يحبهم اعزة على الكافرين اي يظهرون الغلظة والشدة عليهم لعلمهم ان الله خاذلهم
ومهلكهم وان اشتد امرهم وظهر علوهم وقهرهم فالاية من الاحتباك حذف اولا البعض وما يثمره لدلالة الحب عليه
وحذف ثانيا الثبات لدلالة الردة عليه لهم على ذلك بقوله يجاهدون اي يوقعون الجهاد على الاستمرار
لمن يستحقه من غير ما خص مما لا ولا تكلف كالمنافقين وحذف المفعول تعميما ودل عليه موذنا بان الطاعة محيطة
بهم فقال في سبيل الله اي طريق الملك الاعظم الواسع المستقيم الواضح لا لشيء غير ذلك كالمنافقين ولما كان
المنافقون يخرجون في الجهاد فضلهم منهم بقوله ولا اي والحال انهم لا يخافون لومة لائم وان كانت عظيمة
وكان هو عظيما فبسبب ذلك هم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين امر بمعروف او نهي عن منكر كانوا كالمسامير
المحماة لا يروعهم قول قايل ولا اعتراض معترض ويفعلون في الجهاد في ذلك جميع ما تصل قدرتهم وتبلغ موتهم اليه
من انكار الاعداء واهانتهم ومناصرة الاولياء ومعاضدتهم وليسوا كالمنافقين يخافون لوم اوليايهم من اليهود ذلك

يفعلون وان كانوا مع المومنين شيا ينكيهم ولما كانت هذه الاوصاف من العلو في رتب المدح بمكان لا يلحق قال
مشيرا اليها باداة البعد واسم المذكر ذلك اي الذي تقدم من اوصافهم العالية فضل الله اي الحاوي لكل كمال يوتيه
اي الله لانه خالق لجميع افعال العباد من يشاء اي فليبذل الانسان كل الجهد في طاعته لينظر اليه هذا النظر برحمته والله
اي الذي له الاحاطة الكاملة واسع اي محيط بجميع اوصاف الكمال فهو يعطي من سعة ليس لها حد ولا يلحقها اصلا نقص
عليم اي بالغ العلم بمن يستحق الخير ومن يستوجب غيره وبكل ما يمكن علمه ولما نفى سبحانه ولاية من يتم بمعنى المحبة وبمعنى
النصرة وبمعنى القرب بكل اعتبار انتج ذلك حصر ولاية كل من يدعي الايمان فيه وفي اوليائه فقال انما وليكم الله اي لانه
القادر على ما يلزم الولي ولا يقدر غيره على شيء من ذلك الا به سبحانه ولما ذكر الحقيق باخلاص الولاية له علما بافراد
المبتدا انه الاصل في ذلك وما عداه تبع اتبعه من يعرف ولايته سبحانه بولايتهم باديا باحقهم فقال ورسوله
واضافه اليه اظهارا لرفعته والذين امنوا اي اوجدوا الايمان واقروا به ثم وصفهم بما يصدق دعوتهم الايمان فقال
الذين يقيمون الصلوة اي تمكينا لوصلتهم بالخالق ويوتون الزكوة احسانا الى الخلايق وقوله وهم راكعون يمكن
ان يكون معطوفا على يقيمون اي ويكونون من اهل الركوع فيكون فضلا مخصصا بالمسلمين وذلك لان اليهود والنصارى
لا ركوع في صلوتهم كما مضى بيانه في آل عمران ويمكن ان يكون حالا من فاعل الايتاء وفي اسباب النزول انها نزلت في علي رضي
الله عنه سأله سايل وهو راكع فطرح له خاتمه وجمع وان كان السبب واحدا ترغيبا في مثل فعله من فعل الخير والتعجيل
به ليلا يظن ان ذلك خاص به ولما كان التقدير فمن يتولى غيرهم فاولئك حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون
عطف عليه ومن يتول الله اي يجتهد في ولايه الذي له مجامع العز ورسوله الذي خلقه القران والذين امنوا واعاد
ذكر من خص الولاية بهم تبركا باسمايهم وتصريحا بالمقصود فانهم الغالبون هكذا كان الاصل ولكنه اظهر ما شرفهم
به ترغيبا لهم في ولايته فقال فان حزب الله اي القوم الذين يجمعهم على ما يرضي الملك الاعلى ما حزبهم اي اشتد عليهم
فيه هم الغالبون اي لا غيرهم بل غيرهم مغلوبون ثم الى النار محشورون لانهم حزب الشيطان ولما نبه سبحانه
على العلل المانعة من ولاية الكفار وحصر الولاية فيه سبحانه انتج ذلك قطعا قوله منبها على علل اخرى موجها للبراءة منهم
يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ونبه بصيغة الافتعال على ان من يوالهم يجاهد عقله على ذلك اتباعا لهواه
فقال لا تتخذوا الذين اتخذوا اي بغاية الجد والاجتهاد منهم دينكم اي الذي شرفكم الله به هزوا ولعبا ثم بين المنهي
عن موالاتهم بقوله من الذين ولما كان المقصود فهم مع العلم وهو كاف من غير حاجة الى تعيين الموتى نبي للمجهول
قوله اوتوا الكتاب ولما كان تطاول الزمان له تاثير فيما عليه الانسان من طاعة او عصيان وكان الايتاء المذكور
لم يستغرق زمانا لقبل قال من قبلكم يعني انهم فعلوا الهزؤ عنادا بعد تحققهم صحة الدين ولما حصرهم فقال
والكفار اي من عبدة الاوثان الذين لا علم لهم نقلي عن الايتاء وانما ستروا ما وضح لعقولهم من الادلة فكانوا ضالين
وكذا غيرهم سواء علم انهم يستهزؤن او لا كما ارشدت اليه قراءة غير البصريين والكسائي بالنصب اولياء اي فان الفريقين
اجتمعوا على حسدكم وازدرائكم فلن تصح لكم موالاتهم اصلا ولما كان المستحق لموالاة شخص اذا تركه ووالى غيره يسمى
في العادة حذرهم وقوعهم بموالاتهم على ضد مقصودهم فقال واتقوا الله اي خافوا في كل حركة وسكون منزلة الاحاطة
الكاملة فان من والى غير عاداه ومن عاداه هلك هلاكا لا بقاء معه ان كنتم مومنين اي راسخين في الايمان بحيث صار لكم
جبلة وطبعا فان لم تخافوه بان تتركوا ما نهاكم عنه فلا ايمان ولما عم في بيان استهزايهم جميع الدين خصص روحه وخلاصته
وشرعه فقال واذا ناديتم اي دعا بعضكم الباقين الى الاقبال الى الذي هو المجمع فاجابه الباقون بغاية الرغبة
ومنه دام الندوة او يكون المعنى ان المودي كلم المسلمين برفع صوته كلام من هو معهم في الندي بالقول فاجابوا بالفعل
فكان ذلك مناداة هذا اصله فعتبر بالغاية التي يكون الاجتماع لها فقال مضمنا له الانتهاء الى الصلوة اي التي هي
اعظم دعايم الدين وموصل الى الملك العظيم وعاصم بجمله المتين اتخذوها على ما لها من الغلظة والجد والبعد من الهزو
بغاية همهم وعزايمهم هزوا ولعبا فيعتمدون الضحك والسخرية ويقولون صاحوا كصياح العير ونحو هذا وبين سبحانه
ان سبب ذلك عدم انتفاعهم بعقولهم فكانهم لا عقول لهم وذلك لان تاملها في النظر لها وحسن حالها فاعلها
عند التلبس بها من التخلي عن الدنيا جملة والاقبال على الحضرة الالهية والتحلي بالقراءة لاعظم الكلام والتخشع والتخضع
لملك الملوك الذي لم تخف عظمته على احد ولا نازع قط في كبريايه وقدرته منازع بمجرده كاف في اعتقاد حسنها
وجلالها وهيبتها وكمالها فقال ذلك اي الامر العظيم الشناعة بانهم قوم وان كانوا اقوياء لهم قدرة على القيام
في الامور لا يعقلون اي ليست لهم هذه الحقيقة ولو كان لهم شيء من عقل لعلموا ان النداء بالغم احسن من التبوق وضرب
الناقوس بشيء لا يقايس وان التذلل بين يدي الله بالصلوة امر لا شيء احسن منه بوجه والاذان من الاسرار ما تعجز عنه
الافكار منه انه جعل تسع عشرة كلمه ليكف الله به عن قايله خزنة النار التسعة عشر وجعلت الاقامة احدى عشرة
كلمه رجا ان يكون معتقدها رفيقا للاحد عشر العشرة المشهود لهم بالجنة وقطبهم وقطب الوجود كله النبي صلى الله عليه وسلم
وناهيك ان من اسراره انه جمع الدين كله اصولا وفروعا كما بينت ذلك في كتابي الاذان بفتح اسرار التشهد والاذان
ولما كانت النفوس نزاعة الى الهوى عمية عن المصالح جامحة عن الدوا بما وقفت عنده من النظر الى زينة الحيوة

الدنيا وكان الدليل على سلب العقل عن اهل الكتاب دليلا على العرب بطريق الاولى وكان اهل الكتاب لكونهم اهل علم لا ينهض لمحاجتهم الا الافراد من خلص العباد قال تعالى ولا على ما ختم به الآية من عدم عقلهم امرا لا عظم خلقه بتبكيتهم وتوبيخهم وتقريعهم وانزلهم منزل البعد فقال مبكتا لهم بكونهم لتعلم ينعيهم عن الباطل يا اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى هل تنقمون اي تنكرون وتكرهون وتعيبون منا الا ان امنا اي اوجدنا الايمان بالله اي لما له من صفات الكمال التي ملأت الاقطار وجاوزت حد الاكثار وما انزل الينا اي لما له من الاعجاز في حالات الاطناب والتوسط والايجاز وما انزل ولما كان انزال الكتب والصحف لم يستغرق زمان الماضي اثبت الجار فقال من قبل اي لما شهد له كتابنا في هذه الاشياء التي امنا بها لا يحيد عنها عاقل لما لها من الادلة التي وضوحها يفوق الشمس فحسبها لا شك فيه ولا لبس وان اي امنا كلنا مع ان والحال ان اكثركم قيد به اخراجا لمن يؤمن منهم بما دل عليه التعبير بالوصف فاسقون اي عريقون في الفسق وهو الخروج عن دار السعادة بحيث لا يكن منهم رجوع الى المرضي من العبادة فبين انهم لا ينقمون من المؤمنين الا المخالفة والمخالفة انما هي بايمان المسلمين بالله وما امر به وكفر اهل الكتاب بجميع ذلك مع علمهم بما تقدم لهم ان من آمن كان الله معه فنصره على كل من ناواه وجعل مآله الى الفوز الدائم وان من كفر تبرأ منه فاهلكه في الدنيا وجعل مآله الى عذاب لا ينقضي سعيره ولا ينصرم انينه وزفيره ومن ركب ما يؤدي به الى ذلك على علم منه واختيار لم يكن اصلا احد اضل منه ولا اعدم عقلا وتمييز النقم بما صدر من المؤمنين يمنع عطف وان على ان امنا ولما انزل لهم سبحانه الى عداوة البهائم بكونهم ينسبونهم الى الشر بجعلهم اياهم موضع العزء واللعب ويكونهم ينظرون الى اي من خالفهم فيبعدون منه وينفرون عنه من غير ان يستعملوا ما امتازوا به عن البهائم فان المخالف ربما كان فيه الدواء المكروه قد يؤول الى الشفاء والمحبوب جرا الى العطب والتوى بين لهم ان تلك رتبة سنية ومنزلة عليه بالنسبة الى ما هم فيه فقال على سبيل التنزل وارخاء العنان قل اي يا من لا ينهض بمحاجتهم لعلمهم ولردهم عن غيهم لما جبلت عليه من قوة الفهم ثم لما انزل اليك من العلم هل انبئكم اي اخبركم اخبارا متقنا معظما جليلا من ذلك اي الامر العظيم الذي تقمتموه علينا مع كونه قيما وان تعاميتم عنه ووحد حرف الخطاب اشارة الى عمى قلوبهم وان هذه المقايسة لا يفهمها حق فهمها الا المؤيد بروح من الله مثوبة اي جزاء صالحا يرجع اليه فان المثوبة للخير كما ان العقوبة للشر وهي مصدر يه كالميسور والمعقول ثم نوه بشرفه بقوله عند الله اي المحيط بصفات الجلال والاكرام ثم رده اسفل سافلين بيانا لانه استعارة تهكمية على طريق محييه بينهم ضرب وصيع بقوله جوابا لمن كانه قال نعم من اي مثوبة من لعنه الله اي ابعده الملك الاعظم وطرده وغضب عليه اي اهلكه ودل على اللعن والغضب بامر محسوس فقال وجعل ودل على كثرة الملعونين بجمع الضمير فقال منهم اي بالمسخ على معاصيهم القردة تارة والخنازير اخرى والتعريف للجنس وقال ابن قتيبة ان التعريف يفيد ظن انهم لم يقرضوا وقرأ حمزة بضم الباء على انه جمع والاضافة عطف على القردة ثم عطف وقرأ الجماعة على قوله لعنه سبب ذلك بعد ان قدم المسبب اهتماما به لصراحته في المقصود مع ان اللعن والغضب سبب حقيقي والعبادة سبب ظاهري فقال وعبد الطاغوت وقرأه حمزة بضم الباء على انه جمع والاضافة عطف على القردة وهو كما قال في القاموس اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والاصنام وكل ما عبد من دون الله ومردة اهل الكتاب للواحد والجمع فعلوت من طغو وكل هذه المعاني تصلح ههنا اما اللات والعزى وغيرهما مما لم يعبدوه صريحا فلتحسينهم دين اهله حسدا للاسلام وقد عبدوا الاوثان في كل زمان حتى في زمان موسى عليه السلام كما في نص التورية ثم بالغوا في النجوم لاستعمال السحر فشاركوا الصابئين في ذلك فمعنى الآية تنزلنا الى ان نسبتكم لنا الى الشر صحيحة لكن لم يأت كتاب بلعننا ولا بالغضب علينا ولا مسخنا قردة ولا خنازير ولا عبدنا غير الله منذ اقبلنا عليه وانتم قد وقع بكم جميع ذلك لا تقدرون ان تتبرأوا من شيء منه فلا يشك عاقل انكم شر منا واضل والعاقل من اذا اراد ان يبين شرين لم يخبر الا اقلهما شرا فثبت كالشمس صحة دعوى انهم قوم لا يعقلون ولذلك ختم الآية بقوله اولئك اي البعداء البغضاء الموصوفون باللعن وما معه شر مكانا واذا كان ذلك لكانهم فما ظنك بانفسهم فهو كناية عن نسبتهم الى المراقة في الشر واضل اي ممن ينسبونهم الى الشر والضلال وسلم لهم ذلك فيهم ارخاء للعنان قصدا للابلاغ في البيان عن سواء اي قصد وعدل السبيل اي الطريق ويجوز ان تكون الاشارة في ذلك الى ما دل عليه الدليل الاول من عدم عقلهم ولا تنزل حينئذ وانما قلت انهم لا يقدرون على انكار شيء من ذلك لان في نص التورية التي بين اظهرهم في السفر الخامس فاذا رب يقول لكم وبالم كم ان تكونوا له شعبا حبيبا وتحفظوا جميع وصاياه وتعملوا بها فانه يرفعكم فوق جميع الشعوب واذا جزتم الاردن فضعوا الحجارة التي امركم بها اليوم على جبل جبل وكلسوها بالكلس وابنوا هناك مذبحا من حجارة لم يقع عليها حديد ولكن ابنوا الحجارة كاملة ثم تصعدوا وتقربوا عليها ذباحا كاملة امام الله ربكم وكلوا هناك وافرحوا امام الله ربكم واكتبوا على تلك الحجارة جميع ايات هذه السنة ثم عكس موسى رجاله يقومون على جبل اذا جازوا الاردن ويهتفون بصوت عال ويقولون لبني اسرائيل ملعونا يكون الذي يتخذ اصناما مسبوكة واوثانا منحوتة امام الرب والشعب كلهم يقولون امين ملعونا يكون من ينقل حد صاحبه ويظلمه في ارضه ويقول الشعب كلهم امين ملعونا يكون من يضل الاعمى عن الطريق ويقول الشعب كلهم امين ملعونا يكون من يحيف على المسكين واليتيم والارملة في القضاء ويقول الشعب كلهم امين الى ان قال ملعونا يكون

كل من لا يثبت على عهد ايات هذه التورية ويعمل بها ويقول الشعب كلهم امين ثم قال وان انتم لم تسمعوا قول الله
ربكم ولم تحفظوا ولم تعملوا بجميع سنته ووصاياه التي امركم بها اليوم ينزل بكم هذا اللعن الذي اقص عليكم كله ويدرككم
العقاب وتكونوا ملعونين في القرية ملعونين في الحرب ويلعن نسلكم وثمار ارضكم وتكونون ملعونين اذا دخلتم وملعونين
اذا خرجتم ينزل بكم الرب البلاء والحشرات وينزل بكم الضربات الشديدة وبكل شي تمدون ايديكم اليه لتعملوه حتى يهلككم
ويتلفكم سريعا من اجل سوء اعمالكم وترككم لعبادتي ويسلط عليكم هذه الشعوب حتى تهلكوا وتكون السماء التي فوقكم
عليكم شبه النحاس والارض تحتكم شبه الحديد ويكسركم الرب بين يدي اعدائكم تخرجون اليهم في طريق واحدة وتهربون
في سبعة طرق وتكونون مثلا وفزعا لجميع مملكات الارض وتكون جيفكم ماكلا لجميع السباع وطيور السماء ولا يذر احد عنكم
تكونون مقهورين مظلومين مغصوبين كل ايام حياتكم يسبي بنيك وبناتك شعب اخر وتنظر اليهم ولا تقدر لهم على خلاص
وتكون مضطهدا مظلوما طول عمرك يسوقك الرب ويسوق ملكك الذي ملكه عليك الى شعب لم يعرفه ابوك
وتعبد هناك الهة اخرى عملت من خشب وحجارة وتكون مثلا وعجبا ويفكر فيك كل من يسمع خبرك من جميع الشعوب التي
يقركم الله فيها تزرع كثيرا وتحصد قليلا ويتعظم عليك سكانك ويصيرون فوقك هذا اللعن كله يلزمك وينزل بك
ويدركك حتى تهلك لانك لم تقبل قول الله ربك ولم تحفظ سنته ووصاياه التي امرك بها وتظهر فيك ايات وعجائب
وفي نسلك الى الابد لانك لم تعبد الله ربك ولم تعمل بوصاياه ويصير اعداؤك دق الحديد على عنقك ويسلط الله عليك
شعبا ياتيك وانت جايع ظمآن عريان فقير قد اعوزك كل شي تحتاج اليه وتخدم اعداك ويسرع اليك مثل طيران
النسر شعب لا تعرف لغتهم شعب وجوههم صفيقة لا تستحيي من الشيوخ ولا ترحم الصبيان ويضيق عليك في جميع
قراك حتى يظفر بسوراتك المشيدة التي تتوكل عليها وتثق بها في كل ارضك وتضطر حتى تاكل لحم ولدك والرجل
المدلل منكم المفيق تنظر عيناه الى اخيه وحليلته والى من بقي من ولده جايعا لا يعطيهم من لحم ابنه الذي ياكل لانه لا
يبقى عنده شي من الاضطهاد والضيق الذي يضيق عليك عدوك وان لم تحفظ وتعمل بجميع الوصايا والسنن التي كتبت
في هذا الكتاب وتتقي الله ربك وتهاب اسمه المحمود المرهوب يخصك الرب بضربات موجعة ويبتليك بها ويبتلي
نسلك من بعدك ويبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التي كانت قد صارت مثل نجوم السماء لانك لم تسمع قول الله
كما فرحكم الرب وانعم عليكم وكثركم يستاصلكم بالعقاب والنكال ويدمر عليكم ويتلفكم وتجلون عن الارض التي تدخلونها
لترثوها ويفرقكم الرب بين جميع الشعوب هذه اقوال العهد التي امر الله بها موسى وان يعاهد بني اسرايل في ارض
تواب سوى العهد الذي عاهدكم بحوريب قال قالوا نحن لم ننقض بعد موسى عليه السلام حتى يلزمنا هذا اللعن
المشروط بنقض العهد قيل قد شهد عليكم بذلك ما بين ايديكم من كتابكم فانه قال في اخر اسفاره ما نصه وقال الرب
لموسى قد دنت ايام وفاتك فادع يشوع وقوما في قبة الزمان لآمره بما اريد وانطلق يسوع وموسى وقاما في قبة
الزمان وظهر الرب في قبة الزمان بعمود من سحاب وقام عمود من سحاب في باب قبة الزمان وقال الرب لموسى انت
مضطجع منقلب الى ابايك فيقوم هذا الشعب فيضل ويتبع الهة اخرى الهة الشعوب التي تدخل وترى وتسكن بينها
ويخالفني ويبطل عهدي الذي عهدته ويستهل غضبي عليه في ذلك اليوم واخذلهم وادبر وجهي عنهم ويصيرون ماكلا
لاعدائهم ويصيبهم شر شديد وغم طويل لانهم تبعوا الالهة الاخرى فاكتب لهم الان هذا التسبيح وعلمه بني اسرايل
وصيره في افواههم ليكون هذا التسبيح شهادة على بني اسرايل لاني مدخلهم الارض التي اقسمت لابايهم الارض التي تغل السمن
والعسل وياكلون ويشبعون ويتلذذون ويتبعون الالهة الاخرى ويعبدونها ويغضبوني ويطلبون عهدي فاذا
نزل بهم هذا الشر الشديد والغموم يتلى عليهم هذا التسبيح للشهادة ولا تعدمه افواه ذريتهم لاني عالم باهوائهم وكل ما
يصنعونه ههنا اليوم قبل ان ادخلهم الارض التي اقسمت لابايهم وكتب موسى هذا التسبيح ذلك اليوم وعلمه بني
اسرايل وذكر بعد هذا كلاما ذكرته عند انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح في النسا فراجعه ثم قال انصتي ايها
السماء فاتكلم ولتسمع الارض النطق في لانها ترجو كلامي عطشانه وكمثل الندا ينزل قولي وكالمطر على النخيل وشبه
الضباب على العشب لاني دعوت باسم الرب ابدا وابا لتعظيم لله الرب العدل وليس عنده ظلم الرب البار الصادق
اخطا اولاد الانجاس الجيل المتعوج المتقلب وبهذا كافاوا الرب لانه شعب جاهل وليس بحليم اليس الرب استخلصك
وخلقك اذكروا ايام الدهر وتفهموا ما مضى من سنني جيلا بعد جيل استخبر اباك فيخبرك وشيوخك فيفهموك حين
قسم العلي الامم بني ادوم الذين قرمهم واقام حدود الامم على عدد الملايكة وصار جزء الرب شعبه يعقوب وجيل
ميراثه اسرايل فارواه في البرية من عطش الحر حيث لم يكن ماء وحاطه وادبه وحفظه مثل حدقة العين وكمثل
النسر حيث يضل عشه والى فراخه اشتاق فنشر اجنحته وقبلهم وحملهم على صلبه الرب وحده ساقهم ولم يكن معهم
اله اخر واصعدهم الى علو الارض واطعمهم من ثمر الشجر وغذاهم عسلا من حجر من الصخرة اخرج لهم الزيت ومن سمن
البقر ولبن الغنم وشحم الخراف والكباش والثيران والجداء ولب القمح اكل يعقوب المخصوص حين شحم وغلظ وعرض
ترك الاله الذي خلقه وبعد من الله مخلصه يقول الله اسخطوني مع الغربا باوثانهم واغضبوني حين ذبحوا للشياطين
ولم يقربوا الالاة الالهة ولم يعرفه الجيل الجديد الذين اتوا ونسوا اباءهم هذا ما اردت ذكره من التورية في

الشهادة علي لزوم اللعن والغضب لهم لعبادتهم الطواغيت وقد صدق الله قوله فيها وانجز كلماته وهو اصدق القائلين
بما وقع لهم بعد وفاة موسي عليه السلام ثم بعد يوشع عليه السلام مع ما تقدم لهم في ايام موسي عليه السلام من عبادة
بعليون الصنم كما حضي عند قوله تعالي واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ذكر ما يصدق ذلك من سفر يوشع قال
ودعا يشوع جميع بني اسرايل وقال لهم انا قد شخت وطعنت في السن وانتم قد رايتم ما صنع الله بهذه الشعوب انه هو
اهلكهم من بين ايديكم وان الله ربكم هو يتولي حروبكم وظفركم قد علمتم اني لم اقسم لكم الشعوب التي بقيت فاما عند النهر
الاعظم في مغارب الشمس فقد قسمتها لكم والله ربكم يهزمهم ويهلكهم من امامكم وترثون ارضهم كما قال الله ربكم ولكن تقووا
جدا واعملوا بجميع ما كتب في سفر موسي عبد الرب احلك الرب من امامكم شعوبا عظيمة ولم يثبت لكم انسان الي اليوم الرجل
منكم يهزم الف رجل لان الله ربكم معكم وهو يجاهد عنكم كما قال لكم فاحترسوا لانفسكم ان انتم خالطتم الشعوب الذين بقوا
بينكم وصرتم لهم اختانا صاروا لكم فخاخا وعثرات واسنة في اصداغكم ومنارات في اعينكم حتي تهلكوا من الارض الصالحة
التي اعطاكم الله ربكم واما انا فسأبر في طريق اهل الارض كلهم وقد تعلمون يقينا من كل قلوبكم وانفسكم انه ما سقطت
كلمة واحدة من الكلام الذي وعدكم الله ربكم وكمم كل الكلام الصالح الذي وعدكم الله به كذلك ينزل بكم كل الشر
حتي تهلكوا وتبيدوا ان انتم عصيتم وتعديتم علي ميثاق الله ربكم والوصايا التي اوصاكم بها وجمع جميع بني اسرايل الي
سخم واقامهم امام الرب في قبة الزمان وقال اسمعوا قول الله اله اسرايل كان اباكم سكانا في مجاز النهر في الدهر الاول
ترح ابو ابرهيم وناخور وكانوا يعبدون هناك الهة اخري وعمدت الي ابرهيم ابيكم واخرجته من مجاز النهر وسيرته
في ارض كنعان كلها واكثرت ذريته ورزقته اسحق ابنا ورزقت اسحق يعقوب وعيسو واعطيت عيسو جبل ساعير
ميراثا فاما يعقوب وبنوه فنزلوا الي مصر وارسلت موسي وهرون وعاقبت اهل مصر واكثرت في ارضهم من الايات
والاعاجيب ومن بعد ذلك اخرجتهم منها وشق لهم الرب بحر سوف واجاز اباكم فيه مشيا فلما اراد المصريون ان يجوزوا
قلبا البحر عليهم وغرقهم ورات اعينكم ما صنعت باهل مصر ثم اتيت بكم المفازة وسكنتموها اياما كثيرة اتيت بكم ارض
الاموريين الذين يسكنون عند مجاز الاردن وجاربوكم ودفعتهم اليكم ووثب عليكم بالاق بن صفور ملك الموابيين
وحارب الي اسرايل وارسل فدعا بلعام بن بعور ليلعنكم ولم يسرني ان اسمع قول بلعام ولكن باركت عليكم ونجيتكم من يديه
ثم جزتم نهر الاردن واتيتم الي ارض اهل اريحا فحاربكم اهلها والاموريون ثم عدبقية الطوايف السبعة فدفعتهم
اليكم اجمعين واعطيتكم ارضهم لم تتعبوا فيها فاتقوا الرب واعبدوه بالبر والعدل واصرفوا عن قلوبكم الفكر في عبادة
الالهة الاخري التي عبدها اباؤكم عند مجاز النهر وفي ارض مصر واعبدوا الرب وحده وان كان يشق عليكم ان تعبدوا
الرب اختاروا لانفسكم يومنا هذا من تعبدون اتحبون ان تعبدوا الالهة الذي عبد اباؤكم عند مجاز نهر الفرات ام
الهة الاموريين الذي سكنتم بينهم اما انا واهل بيتي فانما نعبد الله الرب فاجاب الشعب وقالوا حاش لله ان نجتنب
عبادة الرب ونعبد الالهة الاخري لان الله ربنا هو الذي اخرجنا من اهل مصر وخلصنا من العبودية واكمل الايات
والاعاجيب امامنا وحفظنا في كل الطرق التي سلكناها وقوانا علي جميع الشعوب التي حاربناها لذلك نعبد الرب لانه
هو الاله وحده وهو الهنا فقال لا نظروا انكم تجتنبون عبادة الله وتعبدون الالهة الغريبة فيغضب الرب عليكم
وينزل بكم البلاء ويعدكم من بعد انعامه عليكم فقال الشعب لا يكون لنا عبادة اخري غير عبادة الله ربنا قال
يشوع اشهدتم علي انفسكم انتم الذي اخترتم عبادة الرب قالوا لم نشهد فاوصل ما دخل عليهم الدخيل انهم لم يستاصلوا
الكفرة وخالطوهم في ايام يوشع قال في سفره فصعد رسول الرب من الجلجال الي سحين وقال لبني اسرايل هكذا
يقول الرب انا الذي اصعدتكم من ارض مصر واتيت بكم الارض التي اقسمت لاباكم وقلت اني لا ابطل عهدي الي الابد
وامرتكم ان لا تعاهدوا اهل هذه الارض ولكن استاصلوا مذابحهم ولم تقبلوا ولم تطيعوني وانا ايضا قد قلت اني لا اهلكهم
من امامكم ولكن تكون لكم الهتهم عثرة فلما قال رسول الرب لبني اسرايل هذا القول رفع القوم اصواتهم بالبكاء ودعوا
اسم ذلك الموضع مختار اي موضع البكاء وذبحوا هناك ذبائح للرب وتوفي يشوع بن نون عبد الرب ابن مايه وعشرين
سنه ودفن في حدميراثه بمنسوح التي في جبل افرايم عن يسار جبل عاشر وكل ذلك الجيل ايضا قبضوا ونشا من
بعدهم جيل لم يعرف الرب ولم يعرف اعماله التي عملها وارتكب بنو اسرايل السيئات امام الرب واجتنبوا عبادة
الله الاه اباءهم الذي اخرجهم من ارض مصر وتبعوا الهة الشعوب التي حولهم وسجدوا لها وعبدوا بعلا واستراثا
الصنمين وغضب الرب علي بني اسرايل وسلط عليهم المنتهبين ودفعهم الي اعدايهم ولم يقدروا ان يثبتوا لاعدايهم
وكلما كانوا يخرجون الي الحرب كانت يد الرب عليهم بالعقاب والبلاء كما قال لهم الرب وكما اقسم لاباءهم واضطروا
وضاق بهم جدا فضيرا الرب عليهم قضاة واعان قضاتهم فخلصوهم من ايدي اعدايهم وكان الرب يسمع انينهم وما
يشكون من المضيقين عليهم والمزعجين لهم فلما توفيت قضاتهم رجعوا الي الفساد كاباءهم وعبدوا الاصنام وسجدوا
لها ولم ينتصوا من سوء اعمالهم الاولي وطريقتهم الردية فاشتد غضب الرب علي بني اسرايل وقال لان الشعب اعتدوا
الوصية التي اوصيتا باءهم ولم يسمعوا قولي كذلك اعود ان اهلك انسانا بين ايديهم من الشعوب التي خلف يشوع بعد وفاته
ليجرب الرب بها بني اسرايل هل يحفظون طرق الرب كما حفظ اباؤهم او لا فلذلك ترك الرب هذه الشعوب ولم يعلهم

سريعا ولم يسلمها في يدي يسوع والذين تركوا خمسة روسا اهل فلسطين وجميع الكنعانيين والصيدانيين والجاوانيين
والذين يسكنون جبل لبنان ومن جبل بني حرمون الى مدخل حماه ليجرب بهم بني اسرايل وجلس بنوا اسرايل بين الاموراينين
وبقية القبايل وزوجوا بنيهم من بناتهم وزوجوا ابنايهم من بنيهم وعبدوا آلهتهم وارتكب بنوا اسرايل السيئات امام
الرب ونسوا صنيع الرب اليهم وعبدوا بعلا واستراثا واشتد غضب الرب على بني اسرايل ودفعهم الى كوشان الاثيم
ملك حران فاستعبدهم ثماني سنين ودعا بنوا اسرايل الرب متضرعين وصير الرب لهم مخلصا وخلصهم عسايال بن فتر اخي
كالاب الاصغر فاعانه الرب وصار حكما لبني اسرايل فخرج الى الحرب واسلم الرب في يده كوشان الاثيم واستراحت الارض من
الحرب اربعين سنه وتوفي عسايال ابن فتر وعاد بنوا اسرايل في سوء اعمالهم امام الرب فقوي الرب عليهم هلك مواب واستمروا
هكذا في كل حين ينقصون ولسنة الرب كل قليل يرفضون لا يستقيمون الا بقدر ما ينسون حرارة النقم ويذوقون لذاذة النعم
ولولا خوف الاطالة الموجبة للسامة والملالة لذكرت من ذلك كثيرا من الكتب التي بين ايديهم لا يقدرون على انكار ما يلزمهم
بها من الفضيحة والعار والله الموفق ولما تم ذلك عطف سبحانه على واذا ناديتم الى الصلوة قوله دالا على استحقاقهم
اللعن ضلالهم وعلى ما اخبر به من شرهم وضلالهم بما فضحهم به من سوء اعمالهم دلالة على صحة دين الاسلام باطلاع شارعه
عليه افضل الصلوة والسلام على خفايا الاسرار واذا جاوكم اي ايها المومنون هولاء المنافقون من الفريقين واعادة ضمير
الفريقين عليهم لانهم في الحقيقة منهم ما افادتهم دعوى الايمان شيا عند الله والعدول الى خطاب المومنين دال على عطفه
على ما ذكرت وفيه اشارة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم في لحن القول فلا يغتر بخداعهم ولا يسكن الى مكرهم بما اعطى
من صدق الفراسة وصحة التوسم قالوا امنا اي لا تغتروا بمجرد قولهم الحسن الخالي عن البيان بما يناسبه من الافعال فكيف
بالمقترن بما ينفيه منها وقد علم ان الفصل بين المتعاطفين بالآيتين السالفتين لا يضر لكونهما علة للمعطوف عليه فهما كالجزء منه
ولما ادعوا الايمان كذبهم سبحانه في دعواهم بقوله مقربا لماضيهم من الحال وحالهم عند الدخول لانها تكاد تظهر ما هم
مخفوه توجبا لتوقع التصريح بها وقد اي قالوا ذلك والحال انهم قد دخلوا اي اليكم بالكفر مصاحبين له متلبسين به
ولما كان المقام يقتضي لهم بعد الدخول حسن الحال لما يرون من سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجليل وكلامه العذب
وديته العدل وهديه الحسن فلم يتاثروا لما عندهم من الحسد الموجب للعناد اخبر عن ذلك بابلغ من الجملة التي اخبرت بكفرهم
تاكيدا للاخبار عن ثباتهم على الكفر لانه امر ينكره العاقل فقال وهم اي من عند انفسهم لسوء ضمايرهم وجبلاتهم من غير سبب
من احد منكم لا منك ولا من اتباعك قد خرجوا به اي الكفر بعد دخولهم ورؤية ما راوا من الخير دالا على قوة عنادهم بالجملة
الاسمية المفيدة للثبات وذكر المسند اليه مرتين وهم بما اظهروا يظنون انه يخفى ما اضمروا ولما كان في قلوبهم من الفساد
والمكر بالاسلام واهله ما يطول شرحه نبه عليه بقوله والله اي المحيط بجميع صفات الكمال وبكل شي علما وقدرة اعلم اي منهم
وممن توسم فيهم النفاق بما كانوا اي بما في جبلاتهم من الدواعي العظيمة الى الفساد يكتمون اي من هذا وغيره في جميع احوالهم
من اقوالهم وافعالهم ولما كذبهم في دعوى الايمان اقام سبحانه الدليل على كفرهم بقوله مخاطبا لمن له البصر التام مفيدا
انه اطلعه صلى الله عليه وسلم على ما يعلم منهم مما يكتمونه من ذلك تصديقا لقوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول اطلاعا هو
كالرؤية عاطفا على ما تقديره وقد اخبرنا غيرك من المومنين بما نعلم منهم من ذلك واما انت فترى ما في قلوبهم بما اتيناك من الكشف
وترى اي لا يزال يتجدد لك ذلك كثيرا منهم اي اليهود والكفار منافقهم ومصارخهم ولما كان التعبير بالعجلة لا يصح هنا لانها
لا تكون الا في شي له وقتان وقت لايق ووقت غير لايق والاثم لا يتاتى فيه ذلك قال يسارعون اي يفعلون في تهالكهم
على ذلك فعل من يناظر خصما في السرعة فيما هو فيه محق وعالم بانه في غاية الخير وكان الموضع لان يعبر بالضمير فيقال فيه
اي الكفر فعبر عنه تعميما وتعليقا للحكم بالوصف افاده لان كفرهم عن جبلة هي في غاية الرداءة بقوله في الاثم اي كل ما
يوجب اثما من الذنوب وخص منه اعظمه فقال والعدوان اي مجاوزة الحد في ذلك الذي اعظمه الشرك حقق الامر
وصوره بما يكون لوضوحه دليلا على ما قبله من اقدامهم على الحرام الذي لا تمكن معه صحة القلب اصلا ولا بمسكنتهم انكاره
فقال واكلهم السحت اي الحرام الذي يستاصل البركة من اصلها فيمحقها ومنه الرشوة وكان هذا دليلا على كفرهم لانهم
لو كانوا مومنين ما اصروا على شي من ذلك فكيف بجميعه فكيف بالمسارعة فيه ولذلك استحقوا غاية الذم بقوله
لبيس ما كانوا ولما كانوا يزعمون العلم عبر عن فعلهم بالعمل فقال يعملون ولما كان المنافقون من الاميين واهل الكتاب قد
صاروا شيا واحدا في الانحياز الى المصارخين من اهل الكتاب فانزل فيهم سبحانه هذه الايات على وجه يعم غيرهم حتى تبينت
احوالهم وانكشف زيفهم ومحالهم انكر على من يردعونهم اسرارهم ويمنحونهم مودتهم واخبارهم من علمايهم وزهادهم عدم امرهم
بالمعروف ونهيهم عن المنكر لكونهم جديرين بذلك لما يزعمونه من اتباع كتابهم فقال لولا اي هلا ولولا ينهاهم اي يجدد لهم
النهي الربانيون اي المدعون للتخلي من الدنيا الى سبيل الرب والاحبار اي العلما عن قولهم الاثم اي الكذب الذي يوجبه
وهو مجمع له واكلهم السحت وذلك لان قولهم للمومنين امنا وقولهم لهم انا معكم انما نحن مستهزؤن لا يخلوا عن كذب وهو
محرم في توراتهم وكذا اكلهم الحرام فما سكوتهم عنهم في ذلك الا لتمرنهم على المعاصي وتمردهم في الكفر واستهانتهم بالجراءة
على من لا تخفى عليه خافيه ولا يبقى لمن عاداه باقيه ولما كان من طبع الانسان الانكار على من خالفه وكانت الفطرة الاولى
مطابقة لما اتت به الرسل من قباحة الكذب وما يتبعه من الفسوق وكان الانسان لا ينزل عن تلك الرتبة العالية الى

السكوت عن الفاسقين فضلا عن تحسين احوالهم الا بتدريب طويل وعمر عظيم حتى يصير له ذلك كالصفة التي صارت بالتدريب صنعة يالفها وملكة لا يتكلفها فجعل ذنب المرتكب للمعصية غير راسخ لان الشهوة تدعوه اليها وذنب المتارك للنهي راسخا لانه لا شهوة له تدعوه الى الترك بل معه حامل من الفطرة السليمة تحثه على النهي فكان اشد حالا قال ابيس يا ولما كان ذلك في جبلاتهم عبر بالكون فقال كانوا يصنعون اي في سكونهم عنهم وسماعهم منهم ولما لم تزل الادلة على ابطال دعوى اهل الكتاب في النبوة والمحبة تقوم وجيوش البراهين تنجر حتى انكشبت عليهم سهام الكلام اي انخشاب قال تعالى مخبرا عنهم بعد تعيين خاصتهم معللا بانهم لم يتناهوا بالسكوت عن المنكر حتى تكلموا بانكره مشيرا الى سفول رتبتهم ودناة منزلتهم باداة التانيث وقالت اليهود معبرين عن البخل والعجز جراة وجهلا بان قالوا اذا كرين اليد لانها موضع القدرة والفاضة الجود والنصرة يد الله اي الذي يعلم كل عاقل ان له صفات الكمال مغلولة اي فهو لا يبسط الرزق غاية البسط وهذا كناية عن البخل والعجز من غير نظر الى مدلول كل من الفاظه على حياله اصلا كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولم يقصد من ذلك غير الجود وضده لا غل ولا عنق ولا بسط اصلا بل صار هذا الكلام عبارة عما وقع مجازا عنه كانهما متعاقبان على معنى واحد حتى لو جاد الا قطع الى المنكب لقيل له ذلك ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة منه الاستواء وقالت في السما المراد منه كما قاله العلما انه ليس مما يعبد المشركون من الاوثان قال في الكشاف ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن ثبقر محجة الصواب في تاويل امثال هذه الآية ولم يتخلص عن يد الطاعن اذا عبثت به ولما تلفظوا بهذه الكلمة الشنعا وفاهوا بتلك الداهية الدهيا اخبر عما جازاهم به سبحانه على صورة ما كان العرب يقابلون به من يستحق الهلاك من الدعاء فقال معبرا بالمبني للمفعول افادة لتحتم الوقوع وتعليما لنا كيف ندعوا عليهم ولم يسببه عما قبله بالفا تقوية له على تقدير سوال سايل غلت ايديهم ودعا مقبولا وخبرا صادقا عن كل خير فلا تكاد تجد فيهم كرما ولا شجاعا ولا حاذقا في فن وان كان ذلك لم تظهر له ثمرة ولعنوا اي ابعدوا مطرودين عن الجناب الكريم بما قالوا والمعنى انهم كما راوا احوال المنافقين المقتضى في التورية بانها اثم واقروا عليها فكذلك نطق بعضهم بكلمة الكفر التي لا اقطع منها وسكت عليها الباقون فشاركوه ولما كان الغل كناية عن البخل وعدم الانفاق وكان الدعا بلعنهم وغلهم متضمنا ان الامر ليس كما قالوا برجه سبحانه بقوله بل يداه وهو منزه عن الجارحة وعن كل ما يدخل تحت الوهم مبسوطتان مشيرا بالتثنية الى غاية الجود ليكون رد قولهم وانكاره بابلغ ما يكون في قطع تعنتهم وتكذيب قولهم ولما كان معنى هذا اثبات ما تقوم على ابلغ الاحوال قال معبرا بالمضارع معرفا انه في انفاقه مختار فلا غرو ان يبسط لبعض دون بعض ينفق ولما كان انفاقه سبحانه تحقيقا للاختيار على احوال متباينة حيث انها تفوت الحصر اشار الى التعجيب من ذلك بالتعبير باداة الاستفهام وان قالوا انما في هذا الموطن تشرط فقال كيف اي كما يشاء اي على اي حالة اراد ايما من تقتير وبسط وغير ذلك ولما كان قولهم هذا غاية في العجب لان كلا منهم كاف في تقبيحه بل تقبيح ما هو دونه في التحش فكيف وقد انضم الى ذلك ما انزل في القران من واضح البيان قال سبحانه عاطفا على وترى لتيقن انهم موكدا المضمون ما سبق من قوله ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا بانه جعل سبب هذا القول منهم ما اتاهم من الهدى الاكمل في هذا الكتاب المعجز على لسان هذا النبي الذي هم به اعرف منهم بابنايهم وليزيدن كثيرا منهم اي ممن اراد الله فتنته ثم ذكر فاعل الزيادة فقال ما انزل اليك اي على ما له من النور وما يدعوا اليه من الخير من ربك اي المحسن اليك بكل ما ينفعك دنيا واخرى طغيانا اي تجاوز اعظيما عن الحد تمثلي منه الاكوان في كل اثم وشنان وذلك بما جره اليهم داء الحسد لانهم كلما راوه سبحانه قد زاد احسانه اليك طعنوا في ذلك الاحسان وهو لما له من الكمال وعلو الشان يكون الطعن فيه من اعظم الدليل عليه والبرهان فيكون اعدى العدوان وكفرا اي ستر الماظهر لعقولهم من النور ودعته اليه كتبهم من الخير وهذا كما يوذي الخفاش ضيا الصباح وكلما قوي الضيا زاد اذاه وفي هذا ايلاس من توبتهم وتاكيد لعداوتهم وزجر عن موالاتهم وموددتهم اي انهم لا يزدادون بحسن وعظك وجميل تلاوتك عليهم الا يات الا شقاقا ما وجدوا قوة فان ضعفوا انفقا قاولما كان الاخبار باجتماع كلمتهم على شقاوة الكفر ربما احدث خوفا من كيدهم نفى ذلك بقوله والقينا اي بما لنا من العظمة الباهرة بينهم اي اليهود العداوة ولما كانت العداوة وهي ان يبعد بعضهم الى اذى بعض ربما زالت بزوال السبب افاد انها لازمة لا تنفك بقوله والبغضا اي امورا باطنية وقعت في قلوبهم وقوع الحجر الملقى من علو الى يوم القيمة ولما كان ذلك مفيدا لوهنهم ترجه بقوله كلما اوقدوا على سبيل التكرار نارا للحرب اي باحكام اسبابها وتفتيح جميع ابوابها اطفاها اي خيب قصدهم في ذلك الله اي الذي له جميع صفات الكمال فلا تجدهم في بلد من البلاد الا في ذل وتحت قهر واصل استعارة النار لها ما في كل منهما من التسلط والغلبة والحرارة في الظاهر والباطن مع ان المحارب يوقد النار في موضع عال ليجمع اليه انصاره ولقد قام لعمري دليل المشاهدة على صدق ذلك بعزوة قينقاع ثم النضير ثم قريظة والقبايل الثلاث بالمدينة لم يتناصروا ولم ينصروا ثم غزوا خيبر واهل فدك ووادي القرى وهم متقاربون فلم يتناصروا ولم ينصروا هذا فيما في خاصتهم واما في غير ذلك فقد البوا الاحزاب وجمعوا القبايل واتفقوا في امرهم على زعمهم الكايد ثم اطفا الله نارهم حسا ومعنى بالرعب والملايكة والزمهم خزيهم وعارهم وجعل الدايرة عليهم وساق جيش المنون على ايدي المومنين اليهم والى ذلك واشباله من آذانهم الاشارة بقوله ويسعون اي يوجدون مجتهدين اجتهاد الساعي على سبيل الاستمرار مما يوجدون من المعاصي من كتمان ما عندهم من الدليل على صحة الاسلام وغير ذلك من انواع

الاجرام في الارض اي كلها ما قدروا عليه بالفعل والباقي بالقوة ولما كان الانسان لكونه محل النقصان لا ينبغي
ان يتحرك فضلا عن ان يمشي فضلا عن ان يسعى الا بما يرضي الله وحينيذ لا ينسب الفعل الا الي الله لكونه آمرا به خالقا له
فكانت نسبة السعي الى الانسان دالة على الفساد صرح به في قوله فسادا اي للفساد او ذوي فساد والله اي والحال
ان الذي له الكمال كله لا يحب المفسدين اي لا يفعل معهم فعل المحب فلا ينصر لهم جيشا ولا يعلي لهم كعبا ولا يصلح لهم شانا
وبذلك توعدهم سبحانه في التورية انهم اذا خالفوا امره سلط عليهم من عذابه بواسطة عباده وبغير واسطتهم ما يفوت
الحصر كما مضى ذلك قريبا عما بين ايديهم من التورية بنصه ولما اثبت بقوله وليزيدن انهم كانوا كفروا قبل اتيان هذا
الرسول عليه السلام وكررما اعده لهم من الخزي الدايم على نحو ما اخبرهم به كتابهم وعظمهم ورجاهم سبحانه استعطافا
لهم لئلا ييئسوا من روح الله على عادة منه في رحمته لعباده ورافته لهم بقوله تعالى عاطفا على ما تقديره فلو انهم كفوا
عن هذه الجرايم العظايم اضمحلت صغايرهم فلم تكن لهم سيات ولو ان ولما كان الضلال من العالم اقبح قال اهل الكتاب اي
الفريقين منهم ولما كان الايمان اساس جميع الاعمال قدمه اعلاما بانه لا نجاة لاحد الا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم
هذا مع انه حقيق باشتداد العناية به لما لغتهم في كتمان ما عندهم منه صلى الله عليه وسلم فقال امنوا اي لهذا النبي
الكريم وما انزل اليه من هذا القدري واتقوا اي ما عهد وا به في كتابهم على ترك الايمان به على حسب ما دعاهم اليه كتابهم
كما في قصة اسمعيل وغيرها الى ان كان آخر ما فارقهم عليه موسى عليه السلام في آخر كتابهم التصريح بنبوته عليه السلام
والاشارة الى ان اتباعه احق من اتباعه فقال جاء نا من سيناء وشرق من ساعير وتبدي من جبال فاران فاضاف الرب
اليهم وجعل الاتيان من جبال فاران التي هي مكة لا نزاع لهم في ذلك تبديا وظهورا اي لاخفايه بوجه ولا ظهور اتم منه
لكفرنا واشار الى عظيم جرايمهم بمظهر العظمة عنهم سياتهم اي التي ارتكبوها قبل مجيئه وهي ما يسوء اي يشتد تنكر النفس
له وتكرهها واشار الى سعة رحمته وانها لا تضيق عن شيء اراده بمظهر العظمة فقال ولادخلناهم اي بعد الموت جنات
النعيم اي بدل ما هم فيه من هذا الشقا الذي لا يدانيه شقا، ولما كان المعنى ما فعلوا ذلك فالزمناهم الخزي في الدنيا
والعذاب الدايم في الاخرة وكان هذا اجمالا لحالتيهم الدنيوية والاخروية وكان محط نظرهم الامر الدنيوي رجع بعد
ارشادهم الى اصلاح الحالة الاخروية لانها اهم في نفسها الى سبب قولهم تلك الكلمة الشنعاء والداهية القبيحة الصلعاء
وهو تقتير الرزق عليهم وبين السبب انما هو من انفسهم فقال ولو انهم اقاموا التورية اي قبل ان زاد الانجيل بالعمل بجميع
ما دعت اليه من اصل وفرع وثبات عليها وانتقال عنها والانجيل اي بعد انزاله كذلك وفي اقامته اقامة التورية الداعية
اليه وما انزل اليهم من ربهم اي الحسن اليهم من اسفار الانبياء المبشرة بعيسى ومحمد عليهما السلام ومن القران بعد انزاله
وفي اقامته اقامة جميع ذلك لانه مبشر به وداع اليه لاكلوا اي لتيسر لهم الرزق وغيره لان المراد بيان جهة المأكول
لا الاكل من فوقهم ولما كان ذلك كناية عن عظيم التوسعة قال موضحا له معبرا بالاحسن ليفهم غيره بطريق الاولى ومن
تحت ارجلهم اي تيسرا واسعا جرا متصلا لا يحصر او يكون كناية عن بركات السماء والارض فبين بذلك انه ماض بهم الى الله
والمسكنة الا تصديقا لما تقدم اليهم به في التورية قال مترجمها في السفر الخامس الدعاء والبركات وان اتم سمعتم قول
الله ربكم وحفظتم وعلمتم بجميع الوصايا التي امركم لها اليوم يصيركم الرب فوق جميع الشعوب فتصيرون الى هذا الدعا يبارك
لكل امرئ منكم في القرية والحقل يبارك ثمر اولادكم وارضكم يبارككم في نعايكم وما يضع في اقطاع بقركم واحزاب غنمكم
ويبارك فيكم اذا دخلتم ويبارك فيكم اذا خرجتم ويدفع اليكم الله اعداكم اساري يخرجون اليكم في طريق واحد ويهربون منكم
في سبعة طرق بامر الله يبركاته في اهراكم وفي جميع الاشياء التي تمدون ايديكم اليها وينظر اليكم جميع شعوب الارض ويعلمون
ان اسم الرب عليكم وقد وسمتم به فيخافونكم ويزيدكم الرب خيرا ويبارك في ثمار ارضكم يفتح الله ربكم اهوا السماء ليعطي
المطر على اهله في زمانه وتتسلطون على شعوب كثيره ولا يتسلط عليكم احد ويصيركم الرب راسا ولا يصيركم ذنبا وتصيرون
فوق ولا تصيرون اسفل اذا علمتم بجميع وصايا الله ربكم ولم تروغوا عنها يمنة ولا يسرة ولا تتبعوا الشعوب ولا تعبدوا
الهتها وان انتم لم تسمعوا قول الله ربكم ولم تحفظوا ولم تعملوا بجميع سننه ووصاياه التي امركم لها اليوم ينزل بكم هذا اللعن
الذي اقص عليكم كله ويدركم العقاب وتكونوا ملعونين في القرية الى آخر اللعن الذي تقدم قريبا وقال في الثالث
اذا سلكتم بسنتي وحفظتم وصايا ي وعملتم بها اديم امطاركم في وقتها وتنبذ الارض لكم غلاتها وتبذل لكم الشجر ثمارها
ويدرك الدراس القطاف والقطاف يدرك الزرع وتاكلون خبزا وتشبعون وتسكنون ارضكم مطمئنين ولا يكون من خرجكم
واصرفن عنكم السباع الضارية وتطردون اعداكم الخمسة منكم يهزمون مايه والماية منكم يهزمون عشرة الاف
وتقع اعداوكم قتلى بين ايديكم في الحرب واقبل اليكم واكثركم واديم مقدسي بينكم ولا ادبر عنكم بل اكون معكم واسير بينكم
وان لم تطيعوني وتسمعوا قولي ولا تعملوا بهذه الوصايا وابطلتم عهودي انا ايضا اصنع بكم مثل صليعكم وامر بكم البلايا
والبرص والبهق المقشر الذي لا يبراء والسل الذي يطفيء البصر ويهلك النفس ويكون تعبكم في الزرع باطلا وذلك
لان اعداكم ياكلون ما تزرعون وانزل بكم غضبي ويهزمكم اعداؤكم ويتسلط عليكم شناتكم وتنهزمون من غير ان يهزمكم
احد واصير السماء فوقكم مثل الحديد والارض تحتكم مثل النحاس ولا يغل لكم ارضكم غلاتها ولا تثمر الشجر ثمارها وارسل
عليكم السباع الضارية فتهلككم وتهلك بهايمكم وتستوحش الطرق منكم واسلط عليكم الموت واد فعكم الى اعداييكم

وتاكلون ولا تشبعون وتصيرون الى ضيق حتى تاكلوا لحوم بناتكم واخرب منازلكم وافرقكم بين الامم وتخرب قراكم
فحينئذ تهوي الارض اسباتها وتسبت كل ايام وحشتها ما لم تسبت حيث كنتم فيها عصاة لا تسبتون والذين يبقون منكم
القي في قلوبهم فزعة ويطردهم صوت ورقة تحرك ويهربون من صوت الورقة كما يهربون من السيف ويعنفون باثمهم
ويعاقبون باثم ابائهم ومن بعد ذلك تنكسر قلوبهم الغلف ولما كان ما مضى من ذمهم ربما افهم انه لكلهم قال مستانفا
جوابا لمن يسئل عن ذلك منهم اي اهل الكتاب امة اي جماعة هي جديرة بان تقصد مقتصدة اي مجتهدة في العدل لا غلو ولا
تقصير وهم الذين هداهم الله للاسلام بحسن تحريهم واجتهادهم وكثير منهم اي بني اسرائيل ساء ما يعملون اي ما اسوا فعلهم
الذي هم مستمرون على تجديده ففيه معنى التعجيب والتعبير بالعمل لانهم يزعمون انه لا يصدر منهم الا عن علم وهم الذين
حرفوا الكلم عن مواضعه وارتكبوا العظائم في عداوة الله ورسوله ولما اتم ذلك سبحانه وعلم منه ان من اريدت سعادته
يومن ولا بد ومن اريدت شقاوته لا يومن اصلا ومن اقام ما انزل اليه سعد ومن كفر بشي منه شقي وكان ذلك ربما فتر عن
الابلاغ قرن بقوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر قوله حاثا على الابلاغ لاسعاد من اريد
للسعادة وهم الامة المقتصدة منهم وان كانوا قليلا وكذا ابلاغ من عداهم يا ايها الرسول اي الذي موضوع امره البلاغ
بلغ اي اوصل الى من ارسلت اليهم ما انزل اليك اي كله من ربك اي المحسن اليك بانزاله غير مراقب احدا ولا خايف شيا
لتعلم ما لم تكن تعلم ويهدي على يدك من اراد الله هدايته فيكون لك مثل اجره ولما كان ابلاغ ما يخالف الاهواء من الشدة
على النفوس بمكان لا يعلمه الا ذووا الهمم العالية والاخلاق الزاكية كان المقام شديد الاقتضاء لتاكيد الحث على الابلاغ
فدل على ذلك بالاعتراض بين الحال والعامل فيها وبالتعبير بالفعل الدال على داعية هي الموقع بان قال وان لم تفعل اي وان لم
تبلغ جميع ذلك او ان لم تعمل به فما بلغت رسالته لان من المعلوم ان ما تقع على كل جزء مما انزل فلو ترك منه حرف واحد صدق
نفي البلاغ لما انزل ولان بعضها ليس باولى بالابلاغ من بعض فمن اغفل شيا منها فكانه اغفل الكل كما ان من لم يومن ببعضها لم
يومن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه الاخر فكانت لذلك في حكم شي واحد والمعنى فليجازينك ولكنه كنى بالسبب عن المسبب
اجلالا له صلى الله عليه وسلم وافادة لان المواخذة تقع على الكل لانه ينتفي بانتفاء الجزء ولما تقدم انهم يسعرون الحروب
ويسعون في ايقاع اشد الكروب وكان ذلك وان وعد سبحانه باخماده عند ايقاده لا يمنع من تجويز انه لا يخمد الا بعد قتل
ناس وجراح اخرين وكان كانه قيل اذا بلغ ذلك وهو ينقض اديانهم خيف عليه قال والله اي بلغ انت والحال ان الذي امرك
بذلك وهو الملك الاعلى الذي لا كفو له يعصمك اي يمنعك منعا تاما من الناس اي من ان يقتلوك قبل اتمام البلاغ وظهور
الدين فلا مانع من ابلاغ شي منها لاحد من الناس كائنا من كان ولما اذن ضمان العصمة بالمخالفة الموذنة بان فيهم من لا ينفعه
البلاغ فهو لا يومن فهو لا يزال يبغي الغوايل اقر على هذا الفهم بتعليل عدم الايمان بقوله ان الله اي الذي لا امر لغيره لا يهدي
القوم الكافرين اي المطبوع على قلوبهم في علم الله مطابقة لقوله ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا ويهدي
المومنين في علمه المشار اليهم بقوله ويغفر لمن يشاء والحاصل انه تبين من الاية الارشاد الى ان لترك البلاغ سببين
احدهما خوف فوات النفس والاخر خوف فوات ثمرة الدعاء فنفى الاول بضمان العصمة والثاني بختام الاية اي ليس عليك
الا البلاغ فلا يحزنك من لا يقبل فليس اعراضه لقصور في ابلاغك ولا حظك بل لقصور ادراكه وحظه لان الله ختم بكفره
وختم على قلبه لما علم من فساد طبعه والله لا يهدي مثله وتلخيصه بلغ فمن اجابك ممن اشير اليه فيما سلف من غير الكثير
الذين يريدهم ما انزل اليك عمي على عماهم ومن الامة المقتصدة وغيرهم فهو حظه في الدنيا والاخرة ومن ابى فلا يحزنك
امره لان الله هو الذي اراد ضلاله فالتقدير بلغ فليس عليك الا البلاغ والى الله الهدى والضلال ان الله لا يهدي القوم
الكافرين ويهدي القوم المومنين او فاذا بلغت هدى بك ربك من اراد ايمانه ليكتب لك مثل اجرهم واضل من شاء كفرانه
ولا يكون عليك شي من وزرهم ان الله لا يهدي القوم الكافرين والمعنى كما تقدم يعصمك من ان ينالوك بما يمنعك من الابلاغ
حتى يتم دينك ويظهر على الدين كله كما وعدتك وعلى مثل هذا دل كلام امامنا الشافعي رحمه الله قال في الجزء الثالث
من الام ويقال والله اعلم ان اول ما انزل عليه صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك الذي خلق ثم انزل طيه بعدها ما لم يومر
فيه بان يدعوا اليه المشركين فمرت لذلك مدة ثم يقال اتاه جبريل عليه السلام عن الله عز وجل بان يعلمهم نزول الوحي عليه
ويدعوهم الى الايمان فكبر ذلك عليه وخاف التكذيب وان يتناول فنزل عليه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فقال يعصمك من قتلهم ان يقتلوك حتى تبلغ ما انزل اليك انتهى ولقد
وفى سبحانه بما ضمن ومن اوفى منه وعدا واصدق قيلا فلما اتم الدين وارغم انوف المشركين انفذ فيه السم الذي تناوله
بخيبر قبل سنين فتوفاه شهيدا كما احياه سعيدا روى الشيخان البخاري في الهبة ومسلم في الطب وابو داود في الديات
عن انس بن مالك رضي الله عنه ان امراة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فاكل منها فجي بها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال
علي فقالوا لا نقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو داود هي اخت مرحب اليهودي
قال الحافظ عبد العظيم المنذري في مختصر سنن ابي داود وذكر غيره انها ابنة اخي مرحب وان اسمها زينب بنت الحرث
وذكر الزهري انها اسلمت ولابي داود والدارمي وهذا لفظه عن ابي سلمة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف قال كان رسول الله

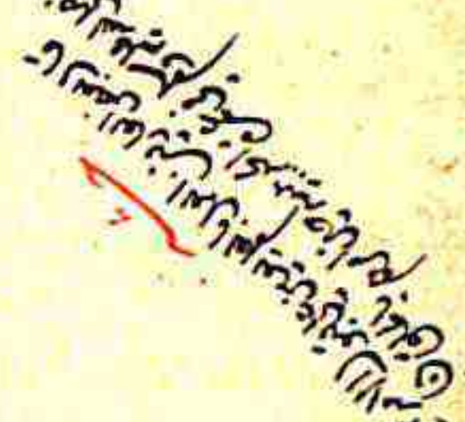

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم ياكل الهدية ولا يقبل الصدقة فاهدت له امراة من يهود خيبر شاة مصليه فتناول منها وتناول
بشر بن البراء ثم رفع النبي صلى الله عليه وسلم يده ثم قال ان هذه تخبرني انها مسمومة فمات بشر بن البراء رضي الله عنه
فارسل اليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما حملك على ما صنعت فقالت ان كنت نبيا لم يضرك وان كنت ملكا ارحت الناس
منك قال ابو داود وامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت زاد الدارمي فقال في مرضه ما زلت من الاكلة التي اكلت
بخيبر فهذا اوان انقطاع ابهري وهذا مرسل قال البيهقي ورويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة
رضي الله عنه وقال البيهقي يحتمل انه لم يقتلها في الابتداء ثم لما مات بشر امر بقتلها وقصة هذه الشاة عن ابي هريرة
رضي الله عنه رواها البخاري في الجزية والمغازي والطب والدارمي في اول المسند بغير هذا السياق كما مضى في البقرة
في قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقد مضى في اول هذه السورة عند قوله فاعف عنهم واصفح
ان الله يحب المحسنين شيء منه وعند ابي داود والدارمي عن ابن شهاب قال كان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث ان امراة
من اهل خيبر سمت شاة مصليه ثم اهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع
فاكل منها واكل رهط من اصحابه معه ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم وارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اليهودية فدعاها فقال لها اسممت هذه الشاة فقالت ايهود ية من اخبرك قال اخبرتني هذه في يدي للذراع قالت
نعم قال فما اردت قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يعاقبها وتوفي بعض اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل من
الشاة حجمه ابو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الانصار قال الدارمي وهو من بني ثعلبة وهم حي من
الانصار قال المنذري وهذا منقطع الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله وفي غزوة خيبر من تهذيب السيرة لابن هشام
فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحرث امراة سلام بن مشكم شاة مصليه وقد سالت
اي عضو من الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة
ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه
بشر بن البراء بن معرور قد اخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها واما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعاها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من
قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومات بشر من اكلته التي اكل وذكر موسى بن عقبة ان بشرا رضي الله عنه لم يسغ لقمته حتى اساغ النبي صلى الله عليه
وسلم لقمته وقال بعد ان اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم والذي اكرمك لقد وجدت ذلك في اكلتي التي اكلت فما منعني ان
الفظها الا اني اعظمت ان انغصك طعامك فلما اسغت ما في فيك لم اكن لارغب بنفسي عن نفسك وثقلت من خط شيخنا
حافظ عصره ابو الفضل احمد بن علي بن حجر الكناني الشافعي ما نصه واخرج الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار
في مسنده المشهور وابو القسم سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني في معجمه الكبير من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياكل من هدية حتى يامر صاحبها ان ياكل منها الشاة التي اهديت له بخيبر قال
شيخنا الحافظ ابو الحسن الهيثمي رجاله ثقات قلت وذكر محمد بن اسحق في السيرة الكبرى وكذلك الواقدي في المغازي
انتهى وقال ابن اسحق وحدثني مروان بن عثمان بن ابي سعيد بن المعلى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في
مرضه الذي توفي فيه ودخلت عليه ام بشر بنت البراء ابن معرور تعوده يا ام بشر ان هذا الاوان وجدت انقطاع
ابهري من الاكلة التي اكلت مع اخيك بخيبر قال فان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا
مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن ماجة في الطب عن ام سلمة رضي الله عنها قالت لا يزال يصيبك كل عام وجع من الشاة
المسمومة التي اكلت قال ما اصابني شيء منها الا وهو مكتوب علي وآدم في طينته وللبخاري في آخر المغازي عن عائشة رضي الله
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر
فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم قال ابن فارس في المجمل الابهر عرق مستبطن الصلب والقلب
متصل به وهو قوله صلى الله عليه وسلم هذا اوان قطعت ابهري وعبارة المحكم عرق في الظهر يقال هو الوريد في
العنق وبعضهم يجعله عرقا مستبطن الصلب وقال ثابت بن عبد العزيز في كتاب خلق الانسان وفي الصلب الوتين
وهو عرق ابيض غليظ كانه قضيب وفي الصلب الابهر والابيض وهما عرقان وقال الزبيدي في مختصر العين والابهران
عرقان مكتنفا الصلب وقيل هما الاكحلان وقال الغيروزابادي في قاموسه والابهر الظهر وعرق فيه والوريد
العنق والاكحل والكلية والوتين عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه وقال ابن القزاة في الوفاه من السيرة
من تاريخه قال الجربي العرق في الظهر يسمى الابهر وفي اليد الاكحل وفي العنق الوريد وفي الفخذ النسا وفي الساق الاجل
وفي العين الشان وهو عرق واحد كله يسمى الجدول وقال ابن كيسان ايضا هو الوتين في القلب والصافن وقال
الامام ابو غالب التياني الاندلسي في كتاب الموعب اسمعيل ابو حاتم الابهر عرق في الظهر يقال هو الوريد في العنق ثم قال
والابهر عرق مستبطن المتن الاضمي وفي الصلب الابهر وهو عرق صاحب العين الابهران الاكحلان ويقال هما عرقان

بعده

مكتنفا الصلب من جانبيه وقال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاد في كل عام فالان حين قطعت ابهري يعني عرقي
ويقال الابهر عرق مستبطن الصلب واذا انقطع فلا حياة بعده وهذا اللفظ الذي ذكره رواه البخاري والطبراني عن
عائشة رضي الله عنها ومعنى تعاد في تناظرني وتخالفني من العديد بمعنى الند الذي هو المثل المضاد والمنافر اي اني كلما زدت
في جسمي صحة نقصته بما لها من الضر والاذى ولما امر سبحانه بالتبليغ العام امره بنوع منه على وجه يؤكد ما ختمت به
آية التبليغ من عدم الهداية لمن ختم بكفره ويبطل مع تاكيده هذه الدعوى قولهم نحن ابنا واحبا فقال مرهبا لهم بعد ما تقدم من
الترغيب في اقامته قل يا اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى لستم على شيء اي شارا ويعتد به من دنيا ولا آخرة لانه لعدم
نفعه لبطلانه لا يسمى شيئا اصلا حتى تقيموا اي بالعمل بالقلب والقالب التورية والانجيل ومما فيهما الايمان بعيسى ثم بمحمد عليهما
السلام بالاشارة الى كل منهما بالخصوص بنحو ما تقدم في الاشراق من ساعير والظهور من فاران وبالاشارة بالعموم الى تصديق
كل من اتى بالمعجز وصدق ما قبله من منهاج الرسل وما انزل ولما كان ما عندهم انما اتى اليهم بواسطة الانبياء عداه بحرف الغاية
فقال اليكم من ربكم اي المحسن اليكم بانزاله على السنة انبيائكم من البشارة بهما وعلى لسان هذا النبي العربي الكريم مما يصدق
ما قبله فانهم يعلمون ذلك ولكنهم يجحدونه ولما كان السياق لان اكثرهم هالك صرح به دالا بالعطف على غير معطوف عليه
ان التقدير فليؤمنن به من اراد الله منهم فقال وليزيدن كثيرا منهم الى ما عندهم من الكفر بما في كتابهم ما انزل اليك من ربك
المحسن اليك بانزاله طغيانا اي تجاوزا شديدا للحد وكفرا اي سترا لما دل عليه العقل ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد
الشفقة على خلق الله سلاه في ذلك بقوله فلا اي فتسبب عن اعلام الله لك بذلك قبل وقوعه ثم عن وقوعه كما اخبر ان تعلم
انه بارادته وقدرته فيقال لك لا تاس اي تحزن على القوم الكافرين اي على فوات الفريقين في الكفر فانهم لم يضروا الا انفسهم
لان ربك العليم القدير لو علم فيهم خيرا لاقبل بهم اليك والحاصل انه ختم هذه الآية بمعلول الآية التي قبلها فكانه قيل بلغ فان
الله هو الهادي المضل فلا تحزن على من ادبر ولما كان ما مضى في هذه السورة غالبا في فضائح اهل الكتاب لا سيما اليهود
وبيان انهم عتوا على الكفر ومردوا على الجحد وتمرنوا على البهت وعتوا عن اوامر الله كان ذلك موجبا لانه ربما حدث في الخاطر
انه ان آمن منهم احد لم يقبل او لان يقولوا هم ليس في دعائنا حينئذ فائدة فلا تدعنا اخبر ان الباب مفتوح لهم ولغيرهم من
جميع اهل الملل وانه ليس بين الانسان وبين ان يكون من اهله الا عدم الاخلاص فاذا اخلص اذن في دخوله ونودي بقبوله او يقال
وهو احسن لما اخبر عن كثير منهم بالزيادة في الكفر رغب القسم الآخر على وجه يعم غيرهم او يقال انه لما طال الكلام معهم كان ربما
ظن ان الامر ترغيبا وترهيبا وامرا ونهيا خاص بهم فوقع الاعلام بانهم وغيرهم من جميع الفرق في ذلك سوا تشريفا لمقدار هذا
النبي الكريم بعموم الدعوة واحاطة الرسالة فقال سبحانه ان الذين آمنوا اي قالوا آمنا والذين هادوا اي اليهود والصابئون
اي القائلون بالاوثان السماوية والاصنام الارضية والنصارى اي الذين يدعون اتباع المسيح عليه السلام ولما
كان اليهود قد عبدوا الاصنام متقربين بها الى النجوم في استنزال الروحانيات انهما كانا في السحر الذي جاء نبيهم موسى صلى
الله عليه وسلم بابطاله وكان ذلك هو معنى دين الصابئة فرق بين فريقي بني اسرائيل بهم مكتفيا بهم عن ذكر بقية المشركين
لما مضى في البقرة ولما سبق في هذه السورة من ذم اليهود بالنقض للميثاق والكفر واللعن والقسوة وتكرر الخيانة واخفاء
الكتاب والمسارعة في الكفر والنفاق والتخصيص بالكفر والظلم والفسق وغير ذلك من الطامات ما سد الاسماع كان
قبول توبتهم جديرا بالانكار وكانوا هم ينكرون عناد افلاح العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن فاقتضى الحال كون الفريقين
في حيز التاكيد ولم يتقدم للصابئة ذكر هنا اصلا فاخرجوا منه تنبيها على ان المقام لا يقتضيه لهم فابتدى بذكرهم اعتراضا
ودل على الخبر عنهم بخبر ان او انه لما كان المقام للترغيب في التوبة وجعل هؤلاء مع شناعة حالهم بظهور ضلالهم كمن لا
انكار لقبول توبته كان غيرهم اولى بذلك ولما كان حال النصارى مشتبها جعلوا في حيز الاحتمال للعطف على اليهود لما
تقدم من ذمهم وعلى الصابئة لخفة حالهم بانهم مع ان اصل دينهم صحيح لم يبلغ ذمهم السابق في هذه السورة مبلغ ذم اليهود
من آمن اي منهم مخلصا من قلبه ولعله ترك الجار اغراقا في التعميم بالله اي الذي له جميع الجلال والاكرام واليوم الآخر
اي الذي يبعث فيه العباد بارواحهم واشباحهم ويبعث ذكره على الزهادة والجد في العبادة وبالايمان به يحصل كمال المعرفة
بالله تعالى باعتقاد كمال قدرته وعمل صالحا اي صدق ايمانه القلبي بالعمل بما امر به ليجمع بين فضيلتي العلم والعمل ويتطابق
الجنان مع الاركان فلا خوف عليهم يعتد به في دنيا ولا آخرة ولا هم اي خاصة يحزنون على شيء فات لانه لا يفوتهم شيء يوسف
عليه اصلا واما غيرهم فهم في الحزن ابدا وفي الآية تكذيب لهم في قولهم ليس علينا في الاميين سبيل المشار اليه في هذه السورة
بنسبتهم الى اكل السحت في غير موضع وفي نصوص التورية الموجودة بين اظهرهم الآن اعظم فاضح لهم في ذلك كما سبق في اول
البقرة وقال في السفر الرابع منها عند ذكر التيه ووصاياهم اذا دخلتم الى الارض المقدسة ومكنهم فيها باشياء منها
القربان وان سكن بينكم رجل غريب يقبل الي او بين اولادكم لاحقابكم ويقرب قربانا لريح قتار الذبيحة للرب يفعل كما
فعلتم انتم ولتكن السنة واحدة لكم وللذين يقبلون الي ويسكنون بينكم سنة جارية لاحقابكم الى الابد والذين يقبلون الي
من الغرباء يكونون امام الرب مثلكم ولتكن لكم سنة واحدة وحكومة واحدة لكم وللذين يقبلون الي ويسكنون معكم ولما كانت
هذه البشارة الصادقة من العزيز العليم الذي اهل الكتاب اعرف الناس به لمن آمن كائنا من كان موجبة للدخول في الايمان والتعجب
ممن لم يسارع اليه وكان اكثر اهل الكتاب انما يسارعون في الكفر كان الحال مقتضيا لتذكر ما مضى في قوله تعالى ولقد اخذ الله

ميثاق

ميثاق بني اسرآيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وزيادة العجب منهم مع ذلك فاعاد سبحانه الاخبار به موكدا له تحقيقا لامره وتفخيما
لشانه وساقه على وجه يرد دعوى النبوة والمحبة ملتفتا مع التذكير باول قصصهم في هذه السورة الى اول السورة اوفوا
بالعقود وعبر في موضع الجلالة بنون العظمة وجعل بدل النقبا الرسل فقال مستانفا لقد اخذنا اي على ما لنا من العظمة
ميثاق بني اسرايل اي على الايمان بالله ثم بمن ياتي بالمعجز مصدقا لما عندهم بحيث يقوم الدليل على انه من رسل الله الذين
تقدم اخذ العهد عليهم بالايمان بهم ودل على عظمة الرسل بقوله في مظهر العظمة وارسلنا اليهم رسلا اي لم نكتف بهذا
العهد بل لم نخلهم من بعد موسى من الرسل الذين يرونهم الايات ويجددون لهم اوامر الرب الى زمن عيسى عليه السلام روى
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه البخاري في بني اسرايل ومسلم في المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت بنوا
اسرآيل تسوسهم الانبيا كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي وسيكون خلفا فيكثرون قالوا فما تامرنا قال فوا ببيعة
الاول فالاول واعطوهم حقهم فان الله سايلهم عما استرعاهم انتهى ومع ذلك فلم يخل لهم زمان طويل من الكفر لا في زمن
موسى ولا في زمن من بعده من الانبيا عليهم السلام حتى قتلوا كثيرا من الرسل وهو معنى قوله جوابا لمن كانه قال
ما فعلوا بالرسل كلما جاءهم رسول اي من اوليك الرسل اي رسول كان بما لا تهوى انفسهم اي بشي لا تحبه نفوسهم محبة
تتساقط بها اليه خالفوه فكانه قيل اي مخالفة فقيل فريقا كذبوا اي كذبهم بنوا اسرآيل من غير قتل ودل على شدة بشاعة
القتل وعظيم شناعته بالتعبير بالمضارع تصويرا للحال الماضية وتنبيها على ان هذا ايدنهم وهو اشد من التكذيب فقال
وفريقا يقتلون اي مع التكذيب وليدل على ما وقع منهم من سم النبي صلى الله عليه وسلم وقدم المفعول للدلالة على انحصار
امرهم في حال التكذيب والقتل فلا حظ لهم في تصديق مخالف لاهويتهم وحسبوا اي لخفة عقولهم مع مباشرتهم لهذه العظائم
التي ليس بعدها شي ان لا تكون اي توجد فتنة اي انه لا يصيبهم بها عذاب في الدنيا ولا خزي في الاخرى بل استخفوا بامرها
فلا تعجب انت من جراتهم في ادعاهم انهم ابنا واحبا وقرئ تكون بالرفع تنزيلا للحسبان منزلة العلم فتكون مخففة من الثقيلة
التي للتحقيق وبالنصب لان الحسبان على بابه وان على بابها خفيفة ناصبة للفعل لان القاعدة كما ذكر الواحدي ان الافعال
على ثلثة اضرب فعل للثبات والاستقرار كالعلم والتيقن والبيان تقع بعده الثقيلة دون الخفيفة وفعل للزلزلة
والاضطراب كالطمع والخوف والرجا فلا تكون بعده الا الخفيفة الناصبة للمضارع وفعل يقع على وجهين كحسب تارة يكون
بمعنى اطمع فينصب وتارة بمعنى علم فيرفع فان رفع هنا كان الحسبان بمعنى العلم عندهم لقوة عنادهم وان نصب كان بمعنى
الطمع لانهم عالمون بان قتلهم لهم خطا فتنزل القراتان على فريقين والله اعلم وايضا فقراة الرفع تفيد تاكيد حسبانهم
المفيد لعدم خوفهم بزيادة عماهم فعموا اي فتسبب عن ادلالهم ادلال الولد والمحبوب جهلا منهم وحماقة بظنهم انهم لا
تنالهم فتنة انهم وجد عماهم العمى الذي لا عمى في الحقيقة سواه وهو انطماس البصاير فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور حتى في زمن موسى عليه السلام وصموا اي بعده وبعد يوشع عليهما السلام لان الصمم اضر من العمى
فصاروا كمن لا يهتدي الى سبيل اصلا لانه لا بصر له بعين ولا قلب ولا سمع ثم تاب الله اي الذي له الاحاطة بصفات
الكمال عليهم اي فرجعوا الى الحق وتكرر لهم ذلك ثم عموا اي في زمن المسيح عليه السلام وصموا اي بعده ولما كان
الاتيان بالضمير مفهما لان ذلك عمهم كلهم اعلم سبحانه ان ذلك ليس كذلك بقوله كثير منهم الا ان سوقه للعبارة هذا
المساق يدل على ان من لم يكفر منهم كان مزلزلا غير راسخ القدم في الهدى والله اعلم وربما دل عليه قوله والله اي المحيط
بكل شي قدرة وعلما بصير بما يعملون اي وان دق وان كانوا يظنون انهم اسسوا عملهم على علم وقد مضى في قوله
من لعنه الله وغضب عليه ما يشهد لهذا من عبادتهم بعلا الصنم وغيره من الاصنام مرة بعد مرة ولما اخبر تعالى
بفساد اعمالهم دل على ذلك بقوله مستنتجا مبينا من حال النصارى ما بين من حال اليهود وموكدا لختم آية التبليغ
بما ينقض دعواهم في النبوة والمحبة لقد كفر اي ستر ما دل عليه العقل وهدى اليه النقل الذين قالوا ان الله اي على ما له
من نعوت الجلال والجمال هو المسيح فبين بصيغة فعيل التي لا مانع من ان تكون للمفعول بعده عما ادعوه فيه ثم اوضح ذلك
بقوله ابن مريم ايضاحا لا خفا معه ولما كانت دعوى الاتحاد الذي هو قول اليعقوبية اشد في الكفر وانفى
للاله من دعوى التثليث الذي هو قول النسطورية والمليكة القايلين بالاقانيم قدمها وبين تعالى انهم خالفوا فيها
امر المسيح الذي ادعوا انه هو الاله فقال وقال اي قالوا هذا الذي كفروا به والحال انه قال لهم المسيح شفقة
عليهم ودعا الى ما هو الحق يا بني اسرآيل اي الذي كان يتشرف بعبادة الله وتسميته بانه عبده اعبدوا الله اي
الملك الاعظم الذي كل شي تحت قهره فامرهم باداء الحق لاهله مذكرا لهم بعظمته ثم ذكرهم باحسانه وانه واياهم في
ذلك شرع واحد فقال مقدما لما يتعلق به لانه اهم لانكارهم له ربي وربكم فلم يطيعوا الاله الحق ولا الذي ادعوه
الها فلا اضل منهم ولا اسفه قال ابو حيان في النهر وهذا الذي ذكره تعالى عنه هو مذكور في انجيلهم يقراونه ولا يعملون
به وهو قول المسيح يا معشر بني المعمودية وفي رواية يا معشر الشعوب قوموا بنا الى ابي وابيكم والهي والهكم ومخلصي ومخلصكم
انتهى وقد اسلفت انا في آل عمران وغيرها عن الانجيل كثيرا من شواهد ذلك وياتي في هذه السورة وغيرها كثير منه ولما
امرهم بما يفهم منه الاخلاص لله تعالى في العبادة لما ذكر من جلاله وان ما سواه مربوب ولانه اغنى الاغنيا فمن اشرك
به شيا لم يعتد له بعبادة علل ذلك بقوله انه من يشرك اي الآن او بعد الآن في زمن من الازمان بالله اي الذي تفرد

اي من الرسل صح

بالجلال في عبادة او فيما هو مختص به من صفة او فعل فقد حرم الله اي الذي له الامر كله فلا امر لاحد معه عليه الجنة اي منعه
من دخولها منعا عظيما متحتما ولما كان المنع من دار السعدا منهما للكون في دار الاشقيا صرح به فقال وماواه اي محل سكناه
النار ولما جرت عادة الدنيا بان من نزل به ضيم يسعى في الخلاص منه بانصاره واعوانه نفى ذلك سبحانه مظهرا للوصف
المقتضي اشقائهم تعليلا وتعميما فقال وما للظالمين اي لهم لظلمهم من انصار لا بفدا ولا بشفاعة ولا مغاهرة بمجاهرة ولا مسا
لان من وضع عمله في غير موضعه فكان ماشيا في الظلام لا تمكنه اصلا مقاومة من هو في اتم ضيا وهذا اعلى التهديد على الكفر
فلا يصح ان يكون على مطلق المعصية ولو كانت كبيرة فبطل قول المعتزلة ولما انقضى هذا النقض وقدمه لانه كما مضى
اشد اتبعه ابطال دعوى التثليث بقوله مبدلا من تلك النتيجة بنتيجة اخرى لقد كفر الذين قالوا بجراة على الكلام
المتناقض وعدم حيا ان الله اي على ما له من العظمة التي منها الغنى المطلق ثالث اي واحد ثلثة اي كلهم الهة واما القايل
بانه ثالث بالعلم فلا يكفر ولما اعلم بكفرهم اشار الى ابطاله كما اشار الى ابطال الاول كما سلف بما لا يخفى على احد تحقيقا
لتلبسهم بمعنى الكفر الذي هو ستر ما هو ظاهر فقال وما واعرق في النفي كما هو الحق واقتضاه المقام فقال من اله الا
اله واحد اي قالوا ذلك والحال انه لا يصح ولا يتصور في العقل ان يكون الاله متعددا لا تحقيقا ولا تقديرا بوجه من الوجوه
ولا يكون الا واحدا بكل اعتبار وهو الله تعالى لا غيره وقد بين عيسى عليه السلام في الانجيل الذي بين اظهرهم انه لا يصح
ان يكون الاله الا واحدا بالمعتمد من ادلة ذلك عند محققي اهل الاصول وهو برهان التمانع المشار اليه في كتابنا بقوله
تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فقال مترجمهم في انجيل متى حينئذ اتى اليه اي عيسى عليه السلام باعمى اخرس به
شيطان فابراه حتى انه تكلم وابصر فبهت الجمع كلهم وقالوا لعل هذا هو ابن داود فسمع الفريسيون فقالوا هذا لا يخرج
الشياطين الا بباعل زبول رئيس الشياطين فلما علم مكرهم قال لهم كل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب وكل مدينة او بيت
ينقسم لا يثبت فان كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم فكيف يقوم ملكه فان كنت انا اخرج الشياطين بباعل زبول
فابناؤكم بماذا تخرجونهم من اجل هذا هم يحكمون عليكم وان كنت انا بروح الله اخرج الشياطين فقد قربت منكم ملكوت الله وكيف
يستطيع احد ان يدخل بيت القوي ويخطف متاعه الا ان يربط القوي اولا حينئذ ينهب بيته وقال مرقس واما
الكتبة الذين اتوا من يروشليم فقالوا ان بعلزبول معه وباركون الشياطين يخرج الشياطين فدعاهم وقال لهم كيف
يقدر شيطان ان يخرج شيطانا وكل مملكة تنقسم لا تثبت تلك المملكة فاذا اختلف اهل البيت لا يثبت ذلك البيت
وان كان الشيطان الذي يقاوم نفسه وينقسم فلن يقدر ان يثبت لكن له انقضا لا يقدر احد ان يدخل بيت القوي وينهب
بيته الا ان يربطه اولا وينهب متاعه الحق اقول لكم ان كل شي يغفر لبني الناس من الخطايا والتجديف الذي يجدفونه
والمجدفين على روح القدس ليس يغفر لهم الى الابد بل يحاربهم العقاب الدايم لانهم يقولون ان معه روحا نجسا قال
متى من ليس معي فهو علي ومن لا يجمع معي فهو يفرق من اجل هذا اقول لكم ان كل خطيئة وتجديف يترك للناس والتجديف على روح
القدس لا يترك له في هذا الدهر ولا في الاتي اما ان تصيروا الشجرة الجيدة وثمرتها جيدة واما ان تصيروا الشجرة الردية
وثمرتها ردية لان من الثمرة تعرف الشجرة يا اولاد الافاعي كيف تقدرون ان تتكلموا بالصلاح وانتم اشرار انما يتكلم الفم
من فضل ما في القلب الرجل الصالح من كثرة الصالح يخرج الصلاح والرجل الشرير من كثرة الشرير يخرج الشر اقول لكم
ان كل كلمة يتكلم بها الناس بطالة يعطون عنها جوابا في يوم الدين لانك من كلامك تبرر ومن كلامك يحكم عليك وفي
انجيل لوقا وفيما هو يتكلم رفعت امراة من الجمع صوتها وقالت طوبى لبطن التي حملتك ولثدي التي ارضعتك فقال
فقال لها مهلا طوبى لمن يسمع كلام الله ويحفظه انتهى حينئذ اجابه قوم من الكهنة والفريسيين قايلين نريد يا معلم ان
ترينا اية اجابهم وقال لهم الجيل الشرير الفاسق يطلب اية فلا يعطى اية الا اية يونان النبي قال لوقا فكما كان
في يونان اية لاهل نينوى كذلك يكون ابن الانسان لهذا الجيل اية انتهى رجال نينوى يقومون في الحكم ويحاكمون هذا الجيل
لانهم تابوا بكريزة يونان وقال لوقا بانذار يونان وههنا افضل من يونان ملكة التيمن تقوم في الحكم مع هذا الجيل وتحاكمه
لانها اتت من اقصى الارض لتسمع من حكمة سليمن وههنا افضل من سليمن ان الروح النجس اذا خرج من الانسان ياتي امكنة
ليس فيها ما يطلب راحة فلا يجد فيقول حينئذ ارجع الى بيتي الذي خرجت منه فياتي فيجد المكان فارغا مكنوسا مزينا
فيذهب حينئذ وياخذ معه سبعة ارواح اخر شرا منه وياتي ويسكن هناك فتصير اخرة ذلك الانسان شرا من اولته
وهكذا يكون لهذا الجيل الشرير انتهى والتجديف هو الكفر بالنعم ويونان يونس عليه السلام والكريزة بينها لوقا بانها
الانذار والتيمن اليمن والاركون بضم الهمزة والكاف بينهما را مهملة ساكنة الكبير ويروشليم بفتح التحتانية وضم المهملة
ثم شين معجمة بيت المقدس وباعل زبول بموحدة وعين مهملة وزاي وموحدة هذا الدليل على التوحيد وان الشركة
في الالهية لا تصح اصلا واما الدليل على عدم شركة كل من عيسى وامه عليهما السلام بخصوصهما فسياتي تقريره بقوله
تعالى كانا ياكلان الطعام والمراد من ذلك كله انه متى دخلت الشركة اتى النقض فعلا او امكانا ومن اعترته شايبة
نقص لم يصح كونه الها ولما اخبر انهم كفروا واشار الى نقض قولهم كان انسب الاشيا بعده ان يعطف عليه ترهيبهم ثم
ترغيبهم فقال تعالى وان لم ينتهوا اي الكفرة بجميع اصنافهم عما يقولون اي من هاتين المقالتين وما واتاهما ليمسن اي
مباشرة من غير حايل الذين كفروا اي داموا على الكفر وبشر سبحانه بانه يتوب على بعضهم بقوله منهم عذاب اليم ولما

كان

ولما كان من شان العاقل انه لا يقدم على باطل فان وقع ذلك منه وشعر بنوع ضرر ياتي بشبهه بادر الى الاقلاع عنه
تسبب عن هذا الانذار بعد بيان العوار الانكار عليهم في عدم المبادرة الى التوبة ايضاحا لان معنى كفروا داموا عليه
فقال افلا يتوبون اي يرجعون بعد هذا الكفر الذي لا اوضح من بطلانه ولا ابين من فساده والوعيد الشديد الى الله اي
المتصف بكل وصف جميل ويستغفرونه اي يطلبون منه غفران ما اقدموا عليه من العار البين العوار ولما كان التقدير
فالله تواب حكيم عطف عليه قوله والله اي ويجوز ان يكون التقدير والحال ان المستجمع لصفات الكمال ازلا وابدا
غفور اي بليغ المغفرة يمحو الذنوب فلا يعاقب عليها ولا يعاتب رحيم بالغ الاكرام لمن اقبل اليه ولما ابطل الكفر كله باثبات
افعاله من ارساله وانزاله وغير ذلك من كماله واثبت التوحيد على وجه عام اتبع ذلك تخصيص ما كفر به المخاطبون
بالابطال فكان ذلك دليلا خاصا بعد دليل عام فقال تعالى على وجه الحصر في الرسلية ردا على من يعتقد فيه الالهية
واصفا له بصفتين لا يكونان الا لمصنوع مربوب ما المسيح اي الممسوح بدهن القدس المطهر المولود لانه ابن مريم الا رسول
وبين انه ما كان بدعا ممن كان قبله من اخوانه بقوله قد خلت من قبله الرسل اي فما من خارقة له الا وقد كان مثلها او
اعجب منها لمن قبله كادم عليه السلام في خلقه من تراب وموسى عليه السلام في قلب العصى حية تسعى ونحو ذلك ولما
كفروا بامه ايضا عليها السلام بين ما هو الحق في امرها فقال وامه صديقة اي بليغة الصدق في نفسها والتصديق
لما ينبغي ان يصدق فرتبتها تلي رتبة الانبياء ولذلك تكون من ارواح نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة وهذه الاية
من ادلة من قال ان مريم عليها السلام لم تكن نبية فانه تعالى ذكر اشرف صفاتهما في معرض الرد على من قال بالهيتهما اشارة
الى بيان ما هو الحق في اعتقاد ما لهما من اعلى الصفات وانه من رفع واحدا منهما فوق ذلك فقد اطراه ومن نقصه عنه فقد
ازدراه فالقصد العدل بين الافراط والتفريط باعتقاد ان اعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة واكمل صفات
امه الصديقية ولما كان المقام مقام البيان عن نزولهما عن رتبة الالهية ذكرا بعد الاوصاف منها فقال
كانا ياكلان الطعام وخص الاكل لانه مع كونه ضعفا لازما ظاهرا هو اصل الحاجات المعترية للانسان فهو تنبيه
على غيره ومن الامر الجلي ان الاله لا ينبغي ان يدنو الى جنابه عجز اصلا وقد اشتمل قوله تعالى وقال المسيح وقوله
كانا ياكلان على اشرف احوال الانسان واخسها فاشرفها عبادة الله واخسها الاشتغال عنها بالاكل الذي هو مبدا
الحاجات ولما اوضح ما هو الحق في امرهما حتى ظهر كالشمس بعدهما عما ادعوه فيهما اتبعه التعجب من تمام قدرته على
اظهار الايات وعلى الاضلال بعد ذلك البيان فقال انظر كيف نبين لهم الايات اي نوضح ايضاحا شافيا العلامات
التي من شانها الهداية الى الحق والمنع من الضلال ولما كان العمى عن هذا البيان في غاية البعد اشار اليه باداة التراخي
فقال ثم انظر انى اي كيف ومن اين ولما كان العجب قبولهم للصرف وتاثرهم به لا كونه من صارف معين بني للمفعول قوله
يؤفكون اي يصرفون على الحق وبيان الطريق صرف من لا نور له اصلا من اي صارف كان فصرفهم في غاية السفول وبيان
الايات في غاية العلو فبينهما بون عظيم ولما نفى عنهما الصلاحية لرتبة الالهية للذات اتبعها نفي ذلك من حيث الصفات
فقال منكرا مصرحا بالاعراض عنهم اشارة الى انهم ليسوا اهلا للاقبال عليهم قل اي للنصارى ايها الرسول الاعظم اتعبدون
ونبه على ان كل شيء دونه وانهم اتخذوهم وسيلة اليه بقوله من دون الله ونبه باثبات الاسم الاعظم على ان له جميع
الكمال وعبر عما عبدوه باداة ما لا يعقل تنبيها على انه هو سبحانه الذي افاض عليه ما رفعه عن ذلك الخير ولو شاء
لسلبه عنه فقال ما لا يملك لكم ضرا اي من نفسه فتخشوه ولا نفعا اي فترجوه ليكون لكم نوع عذر او شبهة ولا هو سميع
يسمع كل ما يمكن سمعه بحيث يغيث المضطر اذا استغاث به في اي مكان كان ولا عليم يعلم كل ما يمكن علمه بحيث يعطي على حسب
ذلك وكل ما يمكنه من ذلك فبتمليك الله له كما ملككم من ذلك ما شاء ولما نفى عنه ما ذكر تصريحا وتلويحا اثبته
لنفسه المقدسة كذلك فقال والله اي والحال ان الملك الذي له الاسماء الحسنى والصفات العلى والكمال كله هو اي
خاصة السميع العليم وهو وحده الضار النافع يسمع منكم هذا القول ويعلم هذا العقد السيئ وانما قرن بالسميع العليم
دون البصير لارادة التهديد لمن عبد غيره لان العبادة قول او فعل ومن الفعل ما محله القلب وهو الاعتقاد ولا يدرك
بالبصر بل بالعلم والاية كما ترى من الاحتباك دل بما اثبته لنفسه على سبيل القصر على نفيه في الجملة الاولى عن غيره وبما
نفاه في الجملة الاولى عن غيره على اثباته له والله الموفق ولما قامت الادلة على بطلان قول اليهود ثم على بطلان مدعي
النصارى ولم يبق لاحد علة امره صلى الله عليه وسلم ان ينهى الفريقين عن الغلو بالباطل في امر عيسى عليه السلام اليهود
بانزاله عن رتبته والنصارى برفعه عنها بقوله تعالى قل يا اهل الكتاب اي عامة لا تغلوا اي تجاوزوا الحد
علوا ولا نزولا في دينكم ولما كان الغلو ربما اطلق على شدة الفحص عن الحقايق واستنباط الخفي من الاحكام والرقائق
من خبايا النصوص نفى ذلك بقوله غير الحق وعرفه ليفيد ان المبالغة في الحق غير منهي عنها وانما المنهي عنه تجاوز
دائرة الحق بكمالها ولو نكر لكان من جاوز حقا الى غيره واقعا في النهي كمن جاوز الاجتهاد في صلوة النافلة الى الجد في
العلم النافع ولو قيل باطلا لاوهم ان المنهي عنه المبالغة في الباطل لا اصله ومطلقه ولما نهاهم ان يضلوا بانفسهم
نهاهم ان يقلدوا في ذلك غيرهم فقال ولا تتبعوا اي فاعلين فعل من يجتهد في ذلك اهواء قوم اي هووا مع ما لهم من القوة
فكانوا اسفل سافلين والهوى لا يستعمل الا في الشر قد ضلوا ولما كان ضلالهم غير مستغرق للزمان الماضي ادخل الجار فقال

من قبل اي من قبل زمانكم هذا عن منهاج العقل فضروا على ضلالهم وانسوا بما تمادوا عليه من محالهم واضلوا اي لم يكفهم
ضلالهم في انفسهم حتى اضلوا غيرهم كثيرا اي من الناس بتماديهم في الباطل من التثبيت وغيره حتى ظن حقا وضلوا اي بعد
بعث النبي صلى الله عليه وسلم بمنابذة الشرع عن سواء اي عدل السبيل اي الذي لا سبيل في الحقيقة غيره لان الشرع هو
الميزان القسط والحكم العدل وهذا اشارة الى انهم ان لم ينتهوا كانوا على محض التقليد لاسلافهم الذين هم في غاية البعد عن
المنهج وترك الاهتداء بنور العلم وهذا غاية في التبكيت فان تقليدهم لو كان فيما يشبه الحق كان جهلا فكيف وانما هو تقليد
في هو من ولما نهاهم عن ذلك وقبحه عليهم علله محذرا منه بقوله تعالى بانيا له للمفعول لان الفاعل معروف بقرينة
من هو على لسانهما لعن ووصفهم بما نبه على علمه لعنهم بقوله الذين كفروا وصرح بنسبتهم تعيينا لهم تبكيتا وتقريعا فقال
من بني اسرائيل واكد هذا اللعن وفخمه بقوله على لسان داود اي الذي كان على شريعة موسى عليه السلام وذلك باعتدائهم في
السبت فصاروا قردة وعيسى بن مريم اي الذي نسخ شرع موسى عليه السلام بكفرهم بعد المائدة فمسخوا خنازير لانهم خالفوا
النبيين معا فلانهم يقيدوا بما دعاهم اليه داود عليه السلام من شرعهم الذي هم مدعون التمسك به وعارفون بان ما دعاهم
اليه منه حقا ولانهم خرجوا عنه الى ما امروا بالخروج اليه على لسان موسى عليه السلام في بشارته به متقيدين بطاعته فلم تبق
لهم علة من التقيد به ولا التقيد بحق دعاهم اليه غيره فعلم قطعا انهم مع الهوى كما مضى ولم ينفعهم مع نسبتهم الى واحدة من
الشريعتين نسبتهم الى اسرائيل عليه السلام فانه لا نسب لاحد عند الله دون التقوى لا سيما في يوم الفصل اذ الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولما اخبر بلعنهم واشار الى تعليله بكفرهم صرح بتعليله بقوله ذلك اي اللعن
التام بما اي بسبب ما عصوا اي فعلوا في ترك احكام الله فعل العاصي على الله وكانوا يعتدون اي كانت مجاوزة الحدود
التي حدها الله لهم خلقا ذكر الاشارة الى لعنهم في الزبور والانجيل قال في المزمور السابع والسبعين من الزبور انصت
يا شعبي لوصاياي قربوا اسماعكم الى قول فمي فاني افتح بالامثال فمي وانطق بالسرائر الازلية التي سمعناها وعرفناها واخبرنا
اباؤنا بها ولم يخفوها عن ابنائهم ليعرفوا الجيل الاتي تسابيح الرب وقوته وعجائبه التي صنعها اقام شهادته في يعقوب
وجعل ناموسا في بني اسرائيل كالذي اوصى ابانا ليعلموا ابناءهم لكيما يخبر الجيل الاخر البنين الذين يولدون ويقومون ويعلمون
ايضا بنيهم ان يجعلوا توكلهم على الله ولا ينسوا اعمال الرب ويتبعوا وصاياه لئلا يكونوا كابائهم الجيل المنحرف المتخالف
الخلف الذي لم ينق قلبه ولم يؤمن بالله المفرج عنه بنوا افرام الذين اوتروا ورموا عن قسيهم وانهزموا في يوم القتال لانهم
لم يحفظوا عهد الرب ولم يساوا ان يسيروا في سبله وتسنوا احسن اعماله وصنايعه التي اظهرها قدام ابائهم العجائب التي
صنعها بارض مصر في مزارع صاعان فلق البحر واجازهم واقام المياه كالزقاق هداهم بالنهار في الغمام وفي الليل اجمع
بمصابيح النار فلق صخرة في البرية وسقاهم منها كاللجج العظيمة اخرج الماء من الحجر فجرت المياه كجري الانهار وعاد الشعب
ايضا في الخطيئة واسخطوا العلي حيث لم يكن ماء جربوا الله في قلوبهم بمسألة الطعام لنفوسهم دمدموا على الله وقالوا هل
يقدر ان يصنع لنا مائدة في البرية لانه ضرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الاودية هل يستطيع ان يعطينا خبزا او يعد
مائدة لشعبه سمع الرب فغضب واشتعلت النار في يعقوب وصعد الرجز على اسرائيل لانهم لم يؤمنوا بالله ولا رجوا خلاصه
فامر السحاب من فوق وانفتحت ابواب السماء وانزل لهم المن ليأكلوا اعطاهم خبز السماء اكله الانسان ارسل اليهم صيدا
ليشبعوا اهاج ريح التيمن من السماء واتى بقوة العاصف وانزل اللحم مثل التراب وطير السماء ذات الاجنحة مثل رمل البحار
يسقطن في محالهم حول خيامهم فاكلوا وشبعوا جدا اعطاهم شهوتهم ولم يحرمهم ارادتهم فبينما الطعام في افواههم اذ غضب
الله نزل عليهم فقتل في كثرتهم وصرع في مختاري اسرائيل ومع هذا كله اخطأوا اليه ايضا ولم يؤمنوا بعجائبه فنيت
بالباطل ايامهم وتصرمت عاجلا سنوهم فحين قتلهم رغبوا الى الله وعادوا وانتكروا اليه وذكروا ان الله معينهم
وان الله العلي مخلصهم احبوه بافواههم وكذبوه بالسنتهم ولم تخلص له قلوبهم ولم يؤمنوا بعهده وهو رحيم رؤوف يغفر ذنوبهم
ولا يهلكهم ويرد كثرة سخطه عنهم ولا يبعث كل رجزه وذكر انهم لحم وروح يذهب ولا يعود مرارا كثيرة اسخطوه في البرية
واغضبوه في ارض ظامئة وعادوا جربوا الله واسخطوا قدوس اسرائيل ولم يذكروا يده في يوم نجاهم من المضطهدين انتهى
هذا بعض ما في الزبور واما الانجيل فطافح بذلك منه ما في انجيل متى قال وانتقل يسوع من هناك وجاء الى عبر الجليل
وصعد الى الجبل وجلس هناك وجاء اليه جمع كثير معهم خرس وعمي وعرج وعسم وآخرون كثير فخروا عند رجليه فابراهم
وتعجب الجمع لانهم نظروا الخرس يتكلمون والصم يسمعون والعرج يمشون والعمي يبصرون ومجدوا اله اسرائيل وان يسوع
دعا تلاميذه وقال لهم اني اتحنن على هذا الجمع لان لهم معي ثلثة ايام ههنا وليس عندهم ما ياكلون ولا اريد اطلقهم صياما
لئلا يضيعوا في الطريق قال مرقس لان منهم من جاء من بعيد انتهى قال له التلاميذ من اين نجد من خبز القمح في البرية
ما يشبع هذا الجمع فقال لهم يسوع كم عندكم من الخبز فقالوا سبعة ارغفة ويسير من سمك فامر الجمع ان يجلس على الارض
واخذ السبع خبزات والسمك وبارك وكسر واعطى تلاميذه وناول التلاميذ الجمع فاكل جميعهم وشبعوا ورفعوا فضلات
الكسر سبع قفاف مملوة وكان الذين اكلوا نحو اربعة الاف رجل سوى النساء والصبيان واطلق الجمع وصعد السفينة
وجاء الى تخوم مجدل وقال مرقس الى نواحي مابونا وجاء الفريسيون والزنادقة يجربونه ويسألونه ان يريهم
آية من السماء فاجابهم يسوع قائلا اذا كان المساء قلتم ان السماء صاحية لاحمرارها وبالغداة تقولون اليوم شتاء

لاحمرار

لاحرار جوّ السماء العبوس رايتها المرآون تعلمون آية هذا الزمان الجيل الشرير الفاسق يطلب آية ولا يعطى الا آية
يونان النبي وتركهم ومضى ثم جاء التلاميذ الى العبر ونسوا ان ياخذوا خبزا قال مرقس ولم يكن في السفينة الا رغيف
واحد وان يسوع قال لهم انظروا واحترزوا من خمير الفريسيين والزنادقة وقال مرقس وخمير هيرودس ففكروا ام
قائلين انا لم نجد خبزا فعلم يسوع فقال لهم لماذا تفكرون في نفوسكم يا قليلي الامانة انكم ليس معكم خبزا ما تفهمون ولا
تذكرون الخمس خبزات لخمسة الاف وكم سلا اخذتم والسبع خبزات لاربعة الاف وكم قفة اخذتم لماذا لا تفهمون لاني لم
اقل لكم من اجل الخبز حينئذ فهموا انه لم يقل لهم ان يحترزوا من خمير الخبز لكن من تعليم الزنادقة والفريسيين وقال
لوقا احترزوا لانفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء لانه ليس خفي الا سيظهر ولا مكتوم الا سيعلم الذي تقولونه في
الظلام سيسمع في النور والذي وعيتموه في الاذان سوف ينادى به على السطوح اقول لكم يا احبائي لا تخافوا من يقتل
الجسد وبعد ذلك ليس له ان يفعل اكثر خافوا ممن اذا قتل له سلطان ان يلقي في نار جهنم وستاتي بقية الاشارة الى
لعنهم في سورة الصف ان شاء الله تعالى والعسم جمع اعسم مهملتين وهو من في يده او قدمه اعوجاج او يده يابسة ولما
علل تعالى لعنهم بعصيانهم وغلوهم في الباطل بينه مختصا للعلما منهم بزيادة تقديد لانهم مع كونهم على المنكر لا ينهون
غيرهم عنه مع انهم اجدر من غيرهم بالنهي فصاروا على منكرين شديدي الشناعة وسكوتهم عن النهي معونة لاهل الفساد
ومغرى لهم ولغيرهم على الدخول فيه والاستكثار منه فقال تعالى كانوا لا يتناهون اي لا ينهى بعضهم بعضا وبين اغراقهم
في عدم المبالاة بالتكبير في سياق النفي فقال عن منكر ولما كان الفعل ما كان من الاعمال عن داعية من الفاعل سواء كان عن علم
او لا عبر به اشارة الى ان لهم في ارتكاب المناكر غرضا من غلبت عليه الشهوة فلم يبق له نوع علم فقال فعلوه ولما كان من طبع
الانسان النهي عن كل ما خالفه طبعا او اعتقادا لا سيما ان تاييد بالشرع فكان لا يكف عن ذلك الا بتدريب النفس عليه
لعرض فاسد اداه اليه اكد مقسما معبرا بالفعل الذي يعبر بهم عما قد لا يصحبه علم ولا يكون الا عن داعية عظيمة فقال
لبئس ما كانوا جبلة وطبعا يفعلون اشارة الى انهم لما تكررت قبايحهم وتواترت فظايعهم صاروا الى حيز ما لا يتاتى منه
العلم ولما اخبر باقرارهم على المناكر دل على ذلك بامر ظاهر منهم لازم ثابت دائم يعوض لبنيان دينهم هادم فقال
موجها الخطاب لاصدق الناس فراسة واوفرهم علما واثبتهم توسما وفهما ترى كثيرا منهم اي اهل الكتاب ولما
كان الانسان لا يحاز الى حزب الشيطان الا بنازعة الفطرة الاولى السليمة اشار الى ذلك بالتفعل فقال يتولون اي
يتبعون بغاية جهدهم الذين كفروا اي المشركين مجتهدين في ذلك مواظبين عليه وليس احد منهم ينهاهم عن ذلك ولا يقبحه
عليهم مع شهادتهم عليهم بالضلال بهم واسلافهم الى ان جاء هذا النبي الذي كانوا له في غاية الانتظار وبه في نهاية الاستبشار
وكانوا يدعون الايمان به ثم خالفوه فمنهم من استمر على المخالفة ظاهرا وباطنا ومنهم من ادعى انه تابع واستمر على المخالفة
باطنا فكانت موالاته للمشركين دليلا على كذب دعواه وظهره لما اضمره من المخالفة واخفاه ولما كان ذلك منهم ميلا
مع الهوى بغير دليل اصلا قال لبئس ما قدمت اي تقديم النزل للضيف لهم انفسهم اي التي من شانها الميل مع الهوى ثم بين
المخصوص بالذم وهو ما قدمت بقوله ان سخط الله اي اي وقع سخطه بجميع ما له من العظمة عليهم ولما كان من وقع السخط
عليه يمكن ان يزول عنه قال مبينا ان مجرد وقوعه جدير بكل هلاك وفي العذاب اي الكامل من الاذى في الدنيا والاكبر
في الاخرة هم خالدون ولما كان هذا دليلا على كفرهم دل عليه بقوله ولو اي فعلوا ذلك مع دعواهم الايمان والجاد
انهم لو كانوا اي كلهم يومنون اي يوجد منهم ايمان بالله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة بكل شئ والنبي اي الذي له الوصلة
التامة بالله ولذا اتبعه قوله وما انزل اليه اي من عند الله اعم من القرآن وغيره ايمانا خالصا من غير نفاق ما اتخذوهم
اي المشركين مجتهدين في ذلك اولياء لان مخالفة الاعتقاد تمنع الوداد فمن كان منهم باقيا على يهوديته ظاهرا وباطنا
فالامر في النبي لكشف سريرته للعهد اي النبي الذي ينتظرونه ويقولون انه غير محمد صلى الله عليه وسلم او للحقيقة اي لو كانوا
يومنون بهذه الحقيقة اي حقيقة النبوة حاوا لومهم فانه لم يات نبي الا بتكفير المشركين كما اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم
بقوله الانبياء اولاد علات امهاتهم شتى ودينهم واحد كما سياتي قريبا في حديث ابي هريرة رضي الله عنه يعني والله اعلم ان
شرايعهم وان اختلفت في الفروع فهي متفقة في الاصل وهو التوحيد ومن كان منهم قد اظهر الايمان فالمراد بالنبي في اظهار
زيغه وميله وحيفه محمد صلى الله عليه وسلم لانه نهى عن موالاة المشركين بل عن مشاركتهم ولم يرض الا بمقارعتهم ومعاركتهم
ولما افهمت الشرطية عدم ايمانهم استثنى منهم مبينا بوضع الفسق موضع عدم الايمان على انه الحامل عليه فقال
ولكن كثيرا منهم فاسقون اي متمكنون في خلق المروق من دواعي الطاعات ولما دل كالشمس ميلهم الى المشركين دون المومنين
على انهم في غاية العداوة لهم صرح تعالى بذلك على طريق الاستيناف فقال دالا على رسوخهم في الفسق لتجدن اشد الناس
اي كلهم عداوة للذين امنوا اي اظهروا الاقرار بالايمان فكيف بالمتحنين فيه اليهود فانهم لانهم اشد الفريقين لانه لا اقبح
من ضال على علم والذين اشركوا لما جمعهم من الاستهانة بالانبياء هو لا جهلا واولئك عنادا وبغيا فعرف ان من صدق
في ايمانه لا يواليهم بقلبه ولا بلسانه ولا بهم ما اجتمعوا على الموالاة الا لاجتماعهم في اشدية العداوة لمن آمن فهذه الآية
تعليل لما قبلها كانه قيل هب انهم لا يومنون بالله والنبي وذلك لا يقتضي موادة المشركين فلم والومهم حينئذ فقيل لان الفريقين
اجتمعوا في اشدية العداوة للذين امنوا ولما اخبر تعالى بابعد الناس مودة لم اخبر بصدهم فقال ولتجدن اقربهم اي

الناس مودة للذين امنوا اي اوجدوا الايمان بالقلب او اللسان الذين قالوا وفي التورية نفي على قولهم اشارة الى انهم
كانوا على حقيقة النصرانية انا نصارى اي لقلة اهتمامهم بالدين بمجرد قولهم ذلك ولو لم يكونوا عريقين في الدين
واقبالهم على علم الباطن ولذلك علله بقوله ذلك بان منهم قسيسين اي مقبلين على العلم من القس وهو ملازمة الشيء وتتبعه
ورهبانا اي في غاية التخلي من الدنيا ولما كان التخلي منها موجبا للبعد من الحسد وهو سبب لمجانبة الكبر قال وانهم
لا يستكبرون اي لا يطلبون الرفعة على غيرهم ولا يوجدونها ولما كان ذلك علة في الظاهر ومعلولا في الباطن لرقة
القلب قال واذا سمعوا اي اتباع النصرانية ما انزل الى الرسول اي الذي بعثت رسالته بالمعجز فكان من شانه ان
يبلغ ما انزل اليه للناس ترى اعينهم ولما كان البكاء سببا لامتلاء العين بالدمع وكان الامتلاء سببا للفيض الذي حقيقة
السيلان بعد الامتلاء عبر بالمسبب عن السبب فقال تفيض من الدمع واصله يفيض دمعها ثم تفيض هي دمعا فهو من انواع
التمييز ثم علل الفيض بقوله مما عرفوا من الحق اي وليس لهم عرض دنيوي يمنعهم عن قبوله ثم بين حالهم في مقالهم بقوله
يقولون ربنا اي ايها المحسن الينا امنا اي بما سمعنا فاكتبنا ولما كان من شان الشاهد احضار القلب والقاء السمع والقيام
التام بما يتلى عليه ويندب اليه قال مع الشاهدين اي امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون على الامم يوم القيمة فان
تقويتنا على ذلك ليست الا اليك وما اي ويقولون ما اي اي شيء حصل او يحصل لنا حال كوننا لا نؤمن بالله اي الذي لا
كفوء له فلا خير الا منه وما اي وبما جاءنا من الحق اي الامر الثابت الذي مهما عرض على الواقع طابقه الواقع سواء كان حالا او
ماضيا او آتيا ولما كانوا يضمون انفسهم عبروا بالطمع الذي لا تظر معه لعمل فقالوا ونطمع ان يدخلنا ربنا اي بمجرد
احسانه لا بعمل منا وجزمهم في هذا المضمار عبروا بمع دون ان في قولهم مع القوم الصالحين هضما لانفسهم وتعظيما لرتبة
الصلاح ولما ذكر قولهم الدال على حسن اعتقادهم وجميل استعدادهم ذكر جزاءهم عليه فقال فاثابهم الله اي الذي لجميع
صفات الكمال بما قالوا اي جعل ثوابهم على هذا القول المستند الى خلوص النية الناشئ عن حسن الطوية جنات تجري
ولما كان المراد استمرار افساد البحر قال من تحتها الانهار ولما كانت اللذة لا تكمل الا بالدوام قال خالدين فيها
ولما كان التقدير لاحسانهم طرد الامر في غيرهم فقال وذلك اي الجزاء العظيم جزاء المحسنين اي كلهم واختلفوا في هذه
الواقعة بعد اتفاقهم على انها في النجاشي واصحابه وذلك مبسوط في شرحي لنظمي لسيرة النبوية فمن ذلك انه لما قدم جعفر
ابن ابي طالب رضي الله عنه من مهاجرة الحبشة مع اصحابه رضي الله عنهم قدم معهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي رضي الله عن
الجميع وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وهم
بحيرا الراهب وابرهة وادريس واشرف وثمام وقثم ودريد وايمن فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فانزل الله فيهم هذه الآيات
لتجدن اشد الناس الى آخرها ذكره الواحدي في اسباب النزول بغير سند ثم اسند عن سعيد بن جبير في قوله تعالى
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا قال بعث النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيار اصحابه ثلثين رجلا
فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يس فبكوا فنزلت فيهم هذه الآية واذا نظرت مكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم
للملوك اردت بصيرة في صدق هذه الآية فانه ما كاتب نصرانيا الا آمن او كان لينا ولو لم يسلم كهرقل والمقوقس
وهودة بن علي وغيرهم وغايتهم انهم ضنوا بملكهم واما غير النصارى فانهم كانوا على غاية الغلظة كسرى فانه مزق
كتابه صلى الله عليه وسلم ولم يجز رسوله شيء واما اليهود فكانوا جيران الانصار وموالي لهم واحباء لهم ومع ذلك فاحوالهم
في العداوة غاية كما هو واضح في السيرة مبينا جميعا في شرحي لنظمي السيرة وكان السر في ذلك مع ما تقدم من باعث الزهد
انه لما كان عيسى عليه السلام اقرب الانبياء زمنا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان المنقول اليه ولو كانوا اكفرة
اقرب الامم مودة لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم والى ذلك يشير ما رواه الشيخان في الفضايل عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والاخرة الانبياء اولاد علات وفي رواية
انباء وفي رواية اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيني وبينه وفي رواية وليس بيني وبين عيسى نبي
وفي رواية لمسلم انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الاولى والاخرة قالوا كيف يا رسول الله قال الانبياء اخوة من علات
امهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي ولما ذكر سبحانه جزاء المطيعين المبادرين الى الاذعان ترغيبا ذكر جزاء
من لم يفعل فعلهم ترهيبا فقال والذين كفروا اي ستروا ما اوضحته له عقولهم من الادلة على صحة ما دعتهم اليه الرسل
وكذبوا اي عنادا بايتنا اي بالعلامات المضافة لعظمها الينا اولئك اي البعداء من الرحمة اصحاب الجحيم اي الذين لا
ينفكون عنها لاعنادهم من المعصاة المومنين وان كثرت كبايرهم ولما مدح سبحانه الرهبان وكان ذلك داعيا الى الرغب
وكانت الرهبانية حسنة بالذات قبيحة بالعرض شريفة في المبدانية في المسآل فانها مبنية على الشدة والاجتهاد
في الطاعات والتورع عن اكثر المباحات والانسان مبني على الضعف مطبوع على النقايص فيدعوه طبعه ولياعده
ضعفه الى عدم الوفاء بما عاقد عليه ويسرع بما له من صفة العجلة اليه فيقع في الخيانة كما قال تعالى فما رعوها حق
رعايتها عقب ذلك بالنهي عنها في هذا الدين والاخبار بانه بناه على التوسط رحمة منه لاهله ولطفا بهم تشريفا لنبيهم
صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن الافراط فيه والتفريط فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اي وجد منهم الاقرار بذلك

لا تحرموا اي تمنعوا انفسكم بنذر او يمين او غير هما تصديقا لما اقررتم به ورغبهم في امتثال امره بان جعله موافقا لطباعهم ملائما لشهواتهم فقال طيبات ما اي الطيبات هي اللذائذ التي احل الله وذكر هذا الاسم الاعظم مرغب في ذلك فان الاقبال على المنحة يكون على مقدار المعطي واكد ذلك بقوله ﴿ لكم اي واما هو سبحانه فهو منزه عن الاغراض لا ضر يلحقه ولا نفع لان له الغنى المطلق ولما اطلق لهم ذلك حثهم على الاقتصاد وحذرهم من مجاوزة الحد افراطا ﴿ وتفريطا فقال ولا تعتدوا دل بصيغة الافتعال على ان الفطرة الاولى مبنية على العدل فعدولها عنه لا يكون الا بتكلف ثم علل ذلك بقوله ﴿ مؤكدا الاستبعاد ان ينهى عن الامعان في العبادة ان الله اي وهو الملك الاعظم لا يحب المعتدين اي لا يفعل فعل المحب من الاكرام للمفرطين في الورع بحيث يحرمون ما احللت ولا للمفرطين فيه الذين يحللون ما حرمت اي يفعلون فعل المحرم من المنع وفعل المحلل من التناول وما ذكر من سبب نزول الآية واضح في ذلك روى الواحدي في اسباب النزول بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اذا اكلت من هذا اللحم انتشرت الى النساء واني حرمت علي اللحم فنزلت لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وتزلت وكلوا مما رزقكم الله الآية واخرجه الترمذي في التفسير من جامعه وقال حسن غريب ورواه خلد الجزاء عن عكرمة مرسلا وقال الواحدي وتبعه عليه البغوي قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناس ووصف القيمة ولم يردهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة رضي الله عنهم في بيت عثمن بن مظعون الجمحي ﴿ وهم ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن واتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ائتوني انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا رمضان فما استقاموا هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله تعالى هذه الآية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا فانزل الله عز وجل قوله ﴿ لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم الآية ولا تعارض بين الخبرين لامكان الجمع بان يكون الرجل لما سمع تذكير النبي صلى الله عليه وسلم سال ولهم ﴿ يجمع صح ان يكون كل منهما سببا فالشيء الواحد قد تكون له اسباب جمة بعضها اقرب من بعض ومن الاحاديث الواردة في ذلك ما روى البغوي بسنده من طريق بن المبارك في كتاب الزهد عن سعد بن مسعود ان عثم بن مظعون رضي الله عنه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايذن لنا في الاختصاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصى ولا اختصى ان خصاء امتي الصيام فقال يا رسول الله ايذن لنا في السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله ﴿ فقال يا رسول الله ايذن لنا في الترهب فقال ان ترهب امتي الجلوس في المساجد انتظار الصلوة وللشيخين والترمذي والنسائي والدارمي عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال اراد عثمن بن مظعون رضي الله عنه يتبتل فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو اذن له وفي رواية ولو اجاز له التبتل لاختصينا وللدارمي عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ايضا قال لما كان من امر عثمن بن مظعون رضي الله عنه الذي كان من تركه النساء بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمن اني لم اومر بالرهبانية ارغبت عن سنتي قال لا يا رسول الله قال ان من سنتي ان اصلي وانام واصوم واطعم وانكح واطلق فمن رغب عن سنتي فليس مني يا عثمن ان لاهلك عليك حقا ولعينك عليك حقا قال سعد فوالله لقد كان اجمع رجال من المسلمين على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لو اقر عثمن على ما هو عليه لاختصى فتبتل وقال ايضا ابن حجر في تخريج احاديث الكشاف وروى الطبري من طريق ابن جريج عن مجاهد قال اراد رجال منهم عثمن بن مظعون وعبد الله بن عمرو ان يتبتلوا ويخصوا انفسهم ويلبسوا المسوح ومن طريق ابن جريج عن عكرمة ان عثمن بن مظعون وعلي بن ابي طالب وابن مسعود والمقداد بن الاسود وسالما مولى ابي حذيفة في جماعة رضي الله عنهم تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس وهموا بالاختصاء واجمعوا القيام الليل وصيام النهار فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية فبعثا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وصلوا وناموا فليس منا من ترك سنتنا وللترمذي عن سمرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل وقراده قتاده ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وللنسائي عن عائشة رضي الله عنها نحوه واشار اليه الترمذي وللطبراني في الاوسط عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالباءة وينهى عن التبتل

حم التبتل في كلامهم ترك النكاح وقيل انقطاع الرجال عن النساء وقيل ان يترهبن فلا يتزوجن ولا يتزوجن ويقعدن في الصوامع

حم عالنكاح وكره الاباء كلاهما ○

نهيا شديدا ويقول تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الانبيآء يوم القيمة ومنها ما رواه الشيخان عن عبد الله
رضي الله عنه انه قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لنا نسآء وفي رواية لنا وفي رواية كنا
ونحن شباب فقلنا يا رسول الله الا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا ان ننكح المرأة بالثوب ثم قرأ علينا عبد الله يا ايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية ومنها ما روى البخاري وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قلت
يا رسول الله اني رجل شاب واني اخاف على نفسي العنت ولا اجد ما اتزوج به النسآء قال فاستخصي فسكت عني ثم قلت
مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا اباهريرة جف القلم
بما انت لاق فاختصر على ذلك او ذر وقال النسائي اودع ومنها ما روى الشيخان وغيرهما عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال جآء ثلثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن يسئلون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم
وفي رواية مسلم والنسائي ان نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر
فلما اخبروا كانهم تقالوها فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال
احدهم اما انا فاني اصلي الليل ابدا وقال آخر انا اصوم الدهر ولا افطر وقال آخر وانا اعتزل النسآء فلا اتزوج ابدا
وفي رواية وقال بعضهم لا اكل اللحم وقال بعضهم لا انام على فراش فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه
وقال ما بال اقوام قالوا كذا وكذا وفي رواية فجآء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا وفي
رواية ما واني لاخشاكم لله واتقاكم له لكني اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النسآء فمن رغب عن سنتي فليس مني
والمبهمون في الحديث قال شيخنا في مقدمة شرحه لبخاري هم ابن مسعود وابو هريرة وعثمن بن مظعون وسيأتي تعرفا
ما يشير الى ذلك يعني ما قدمته انا قال وقيل هم سعد بن ابي وقاص وعثمن بن مظعون وعلي بن ابي طالب وفي مصنف
عبد الرزاق من طريق سعيد بن المسيب ان منهم عليا وعبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهم وقال شيخنا في
تخريج احاديث الكشاف ان هذا اصل ما رواه الواحدي عن المفسرين وللشيخين والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما اهلك الذين
من قبلكم كثرة سوالهم واختلافهم على انبيآئهم وفي رواية ذروني ما تركتكم وفي رواية تركتكم فانما هلك من كان قبلكم كثرة
سوالهم واختلافهم على انبيآئهم ولابي داود عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشددوا على انفسكم
فيشدد الله عليكم وللامام احمد في المسند عن انس رضي الله عنه والحاكم في علوم الحديث في فن الغريب وهذا لفظه عن
جابر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض عبادة الله اليك فان
المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى المتين الصلب الشديد والايغال المبالغة والمنبت بنون وموحدة وفوقانية مشددة
هو الذي انقطع ظهره وروى البخاري رضي الله عنه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين
يسر ولن يشاد الدين الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا وفي بعض الروايات والقصد القصد تبلغوا ولمسلم
وابن ماجه وهذا لفظه عن حنظلة الكاتب التميمي الاسيدي رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرنا الجنة والنار حتى كانا راي عين فمت الى اهلي فضحكت ولعبت فذكرت الذي كنا فيه فخرجت فلقيت ابا بكر
رضي الله عنه فقلت نافقت نافقت فقال ابو بكر انا لنفعله فذهب حنظلة فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا حنظلة لو كنتم كما تكونون عندي لصافحتكم الملايكة على فرشكم او على طرقكم يا حنظلة ساعة وساعة ولفظ مسلم
من طرق جمعت متفرقها عن حنظلة وكان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لقيني ابو بكر رضي الله عنه فقال كيف
انت يا حنظلة قلت نافق حنظلة قال سبحن الله ما تقول قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار
والجنة كانا راي عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات
نسينا كثيرا قال ابو بكر رضي الله عنه فوالله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت انا وابو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك
تذكرنا بالنار والجنة كانا راي عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم
الملايكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن ساعة وساعة وساعة ثلاث مرار وفي رواية قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوعظنا فذكرنا النار وفي رواية الجنة والنار ثم جئت الى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المراة فخرجت فلقيت ابا بكر
فذكرته الذي كنا فيه فخرجت فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله نافق حنظلة فقال له مه فحدثته بالحديث فقال ابو بكر وانا قد
فعلت مثل ما فعل فقال يا حنظلة ساعة وساعة فلو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملايكة حتى تسلم
عليكم في الطريق ومن هنا تبين لك مناسبة اول المجادلة لآخر الحديد التي كاع في معرفتها الافاضل وكع عن تطلبها
لعموضها الاكابر الاماثل وسيأتي ان شآء الله تعالى بيان ذلك وايضاح ما فيه من لطيف المسالك ومن هذه الآية وقوله الى قوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وقوله قل احل لكم الطيبات وما احسن تصديرها بيا ايها الذين امنوا
كما صدر اول السورة به وقد مضى بيان ان جميع ما مضى في الوفاء بالعقود فكان كانه تعالى قال اوفوا بالعقود فلا

تهتا ونوا بها فتنقضوها ولا تبالغوا فيها فتكونوا معتدين فتضعفوا فانه لن يشاد الدين احد الا غلبه بل سددوا وقاربوا والقصد القصد تبلغوا وقال ابن الزبير بعد قوله ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم ثم فصل للمؤمنين افعال الفريقين اي اليهود والنصارى ليبين لم فيما نقضوا ثم بين تعاونهم في البعد عن الاستجابة فقال تعالى لتجدن اشد الناس الآية ثم نصر عباده وبين لهم ابوابا منها دخول الامتحان وهي سبب في كل الابتلاء فقال لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا انا كم ان تعلم ذلك كنتم شارعين لانفسكم وظالمين انتهى وما احل شامل لكل ما كانوا ارادوا ان يتورعوا عنه من المآكل والملابس والمناكح والنوم وغير ذلك ولما كان الحال لما الزموا به انفسهم مقتضيا للتاكيد امر بالاكل بعد ان نهى عن الترك ليجيء على اباحة ذلك الامر والنهي فقال وكلوا ورغبهم فيه بقوله مما رزقكم الله اي الملك الاعظم الذي لا يرد عطاؤه ولما كان الرزق يقع على الحرام قيده بعد القيد بالتبعيض بقوله حلالا ولما كان سبحانه قد جعل الرزق شهيا وصفه امتنانا وترغيبا فقال طيبا ويجوز ان يكون قيدا محذرا مما فيه شبهة تنبيها على الورع ويكون معنى طيبه تيقن حله فيكون بحيث تتوفر الدواعي على تناوله دينا وتوفرها على تناول ما هو نهاية في اللذة نهوة وطبعا وان يكون مخرجا لما تعافه النفس مما اخذ في الفساد من الاطعمة لئلا يضر قال ابن المبارك الحلال ما اخذ من جهته والطيب ما غذا ونما فاما الطين والجوائد وما لا يغذي فمكروه الا على جهة التداوي وان يكون مخرجا لما فوق سد الرمق في حالة الضرورة ولهذا وامثاله قال واتقوا الله اي الملك الذي له الجلال والاكرام من ان تحلوا حراما او تحرموا حلالا ثم وصفه بما يوجب رعي عهوده والوقوف عند حدوده فقال الذي انتم به مؤمنون اي ثابتون على الايمان به فان هذا الوصف يقتضي رعي العهود وحض سبحانه على الاكل والمراد جميع ما نهى عن تحريمه من الطيبات كانه سبب لنوع من الممتعات فلما نزلت كما نقل البغوي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية قالوا يا رسول الله وكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه كما تقدم فانزل الله تعالى لا يؤاخذكم الله اي على ما له من تمام الجلال باللغو وهو ما يتبادر اليه اللفظ من غير قصد في ايمانكم على اني لم اعتمد على سبب النزول في المناسبة الا لدخوله في المعنى لا لكونه سببا فانه ليس كل سبب يدخل في المناسبة كما بينته في اول غزوة احد في آل عمران وانما كان السبب هنا داخلا في مناسبة النظم لان تحريم ما احل يكون تارة بنذر وتارة بيمين والنذر في المباح وهو مسلتنا لا ينعقد وكفارته كفارة يمين محينئذ لم تدع الحاجة الا الى التعريف بالايمان واحكامها فقسمها سبحانه الى قسمين مقصود وغير مقصود فاما غير المقصود فلا اعتبار به واما المقصود فقسمان حلف على ماض وحلف على آت فاما الحلف على الماضي فهو اليمين الغموس التي لا كفارة لها عند بعض العلماء وسيأتي في آية الوصية واما الحلف على الآتي وهو الذي يمكن التحريم به فذكر حكمه هنا بقوله تعالى ولكن يؤاخذكم ولما كان مطلق الحلف الذي منه اللغو يطلق عليه عقد اليمين اعلم ان المواخذة انما هي بتعمد القلب وهو المراد بالكسب في الآية الاخرى فعبر في التفعيل في قراءة الجماعة والمفاعلة في قراءة ابن عامر تنبيها على ان ذلك هو المراد من قراءة حمزة والكسائي بالتخفيف فقال بما عقدتم الايمان اي بسبب توثيقها وتوكيدها واحكامها بالجمع بين اللسان والقلب سواء كان على ادنى الوجوه كما تشير اليه قراءة التشديد فلا يحل لكم الحنث فيها الا بالكفارة بخلاف اللغو فانه باللسان فقط فلا عقد فيه فضلا عن تعقيد وما مصدرية ولما اثبت المواخذة سبب عنها قوله فكفارته اي الامر الذي يستر الثلث والحنث عن هذا العقيد ويزيل اثره بحيث تصيرون كانكم ما حلفتم اطعام عشرة مساكين اي احرار مسلمين لكل مسكين ربع صاع وهو حد من طعام وهو رطل وثلث بر او سطا ما كان عاداكم انكم تطعمون اهليكم اي من اعدله في الجودة والقدر كمية وكيفية وهو مد جيد من غالب القوت سواء كان من الحنطة او التمر او غيرهما ولما ابداء باقل ما يكفي تخفيفا ورحمة عطف على الاطعام ترقيا قوله او كسوتهم اي بثوب يغطي العورة من قميص او ازار او غيرهما مما ينطلق عليه اسم الكسوة او تحرير اي اعتاق رقبة اي مؤمنة سليمة مما يخل بالعمل كما تقدم في كفارة القتل حملا لمطلق الكفارات على ذلك المقيد ولان النبي صلى الله عليه وسلم استأذنه احد في اعتاق رقبة في كفارة فاختبر ايمانها هذا اما على المكلف على سبيل التخيير من غير تعيين والتعيين اليه اذا كان واجدا للثلثة او احدها والاتيان باحدها مبرئ من العهدة لان كل واحد من الثلثة بعينه اخص من احدها على الابهام والاتيان بالخاص يستلزم الاتيان بالعام فمن لم يجد اي واحدا منها فاضلا عن قوته وقوت من يلزمه مؤونته فصيام اي فكفارته صيام ثلثة ايام ولو متفرقة ولما تم ذلك اكده في النفوس وقرره بقوله ذلك اي الامر العدل الحسن الذي فكر كفارة ايمانكم اي المعقدة اذا حلفتم وارتم تكفيرها سواء كان ذلك قبل الحنث او بعده ولما كان التقدير فافعلوا ما قدرتم عليه منه عطف عليه ليلا تمتهن الايمان لسهولة الكفارة قوله واحفظوا ايمانكم اي فلا تحلفوا ما وجدتم الى ذلك سبيلا ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم فانه سبحانه عظيم ومن اكثر الحلف وقع في المحذور لا بد واذا حلفتم فلا تحنثوا دون تكفير ويجوز للمكفر الجمع بين هذه الخصال كلها واستشكل وحله بما قاله الشيخ سعد الدين التفتازاني في التلويح في بحث الواو المشهور في الفرق بين التخيير والاباحة انه يمتنع في التخيير الجمع ولا يمتنع في الاباحة لكن الفرق ههنا انه لا يجب في الاباحة الاتيان بواحد وفي التخيير يجب وحينئذ ان كان الاصل فيه الحظر وثبت الجواز بعارض الامر كما اذا قال لعبده

هذا او ذاك يمتنع الجمع ويجب الاقتصار على الواحد لانه المامور به وان كان الاصل فيه الاباحة ووجب بالامر واحد كما في
خصال الكفار يجوز الجمع بحكم الاباحة الاصلية وهذا يسمى التخيير على سبيل الاباحة انتهى ولما اشتملت هذه الايات من البيان على
ما يدهش الانسان كان كانه قيل هل يبين كل ما يحتاج اليه هكذا فنبه من هذه الغفلة بقوله كذلك اي مثل هذا البيان العظيم
الشان يبين الله على ما له من العظمة لكم اياته اي اعلام شريعته واحكامه على ما لها من العلو باضافتها اليه ولما اشتمل ما تقدم
من الاحكام والحكم والتنبيه والارشاد والاخبار بما فيها من الاعتبار على نعم جسيمة ومنن جليلة عظيمة ناسب ختمها بالشكر المزيل
لها في قوله على سبيل التعليل المؤذن بقطعها ان لم توجد العلة لعلكم تشكرون اي يحصل منكم الشكر بحفظ جميع الحدود الآمرة
والناهية ولما تم بيان الماكل وكان داعيه الى المشرب احتيج الى بيانه فبين تعالى المحرم منه فعلم ان ما عداه مأذون في التمتع
به وذلك محاذ في تحريم شيء مقترن بالازلام بعد احلال آخر لما في اول السورة من تحريم الميتة وما ذكر معها بعد احلال بهيمة الانعام
وما معها فقال تعالى مذكرا لهم بما اقروا به من الايمان الذي معناه الاذعان يا ايها الذين امنوا اي اقروا به ونبههم على ما يريد
العدو بهم من الشر بقوله تعالى انما الخمر وهي كل ما اسكر سواء فيه قليله وكثيره واضاف اليها ما واخاها في الضرر دينا
ودنيا وفي كونه سببا للخصام وكثرة اللغط المقتضي للحلف والاقسام تاكيدا لتحريم الخمر بالتنبيه على ان الكل من افعال الجاهلية
فلا فرق بين شاربها والذابح على النصب والمعتمد على الازلام فقال والميسر اي الذي تقدم ذكره في البقرة والانصاب والازلام
المتقدم ذكرهما اول السورة والزلم القدح لا ريش له قاله البخاري وحكمة ترتيبها هكذا انه لما كانت الخمر غاية في الحمل على
اتلاف المال قرن بها ما يليها في ذلك وهو القمار ولما كان الميسر مفسدة المال قرن به مفسدة الدين وهي الانصاب ولما
كان تعظيم الانصاب شركا جليا ان عبدت وخفيا ان ذبح عليها دون عبادة قرن بها نوعا من الشرك الخفي وهو الاستقسام
بالازلام ثم امر باجتناب الكل اشارة وعبارة على اتم وجه فقال رجس اي قذر اهل لان يبعد عنه بكل اعتبار حتى عن ذكره
سواء كان عينا او معنى وسواء كانت الرجسية في الحس او المعنى ووحد الخبر للنص على الخمر والاعلام بان اخبار الثلاثة حذفت
وقدرت لانها اهل لان يقال في كل واحدة منها على حدتها كذلك ولا يكفي عنها خبر واحد على سبيل الجمع ثم زاد في التنفير عنها
تاكيدا لرجسيتها بقوله من عمل الشيطان اي المحترق البعيد ثم صرح بما اقتضاه السياق من الاجتناب فقال
فاجتنبوه اي تعمدوا ان تكونوا عنه في جانب آخر غير جانبه وافرد لما تقدم من الحكم ثم علل بما يفهم انه لا فوز بشيء من المطالب
مع مباشرتها فقال لعلكم تفلحون اي تظفرون بجميع مطالبكم روى البخاري في التفسير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقد حرمت
الخمر وما بالمدينة منها شيء وفي رواية نزل تحريم الخمر وان بالمدينة يومئذ لخمسة اشربة ما فيها شراب العنب وفي رواية عنه
سمعت عمر على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب وفي رواية
من الزبيب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وعن ابن مالك رضي الله عنه قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم
هذا فاني لقائم اسقي ابا طلحة وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر قالوا اهرق هذه القلال يا انس فما سالوا عنها ولا
راجعوها بعد خبر الرجل وفي رواية عنه حرمت علينا الخمر حين حرمت وما نجد خمر الاعناب الا قليلا وعامة خمرنا البسر
والتمر قال الاصبهاني وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام ولما كانت حكمة النهي عن الانصاب والازلام قد تقدمت في اول
السورة وهي انها فسق اقتصر على بيان علة النهي عن الخمر والميسر اعلاما بانهما المقصودان بالذات وان الآخرين ما ضما اليها
الا لتاكيد تحريم هذين كما تقدم لان المخاطب اهل الايمان وقد كانوا مجتنبين لدينك فقال انما يريد الشيطان اي بتزيين الشرب
والقمار لكم ان يوقع بينكم العداوة ولما كانت العداوة قد تزول بزوال اسبابها ذكر ما ينشا عنها مما اذا استحكم تعسر او تعذر
زواله فقال والبغضاء في الخمر والميسر اي تعاطيهما ولما ذكر ضررهما في الدنيا ذكر ضررهما في الدين فقال ويصدكم عن
ذكر الله الملك الاعظم الذي لا اله لكم غيره ولا كفو له وكرر الجار تاكيدا للامر وتغليظا في التحذير فقال وعن الصلوة اما في
الخمر فواضح واما في الميسر فلان الفائز منتش بنظر الغلبة والخائب مغمور بهمه واعظم التهديد بالاستفهام والجملة الاسمية
الدالة على الثبات بعد التاكيد بالحصر والضم الى فعل الجاهلية وبيان الحكم الداعية الى الترك والشرور المنفرة عن الفعل
فقال فهل انتم منتهون اي قبل ان يقع بكم ما لا تطيقون ولما كان ذلك مالوفا لهم محبوبا عندهم وكان ترك المالوف امر من
ضرب السيوف اكد دعوتهم الى اجتنابه محذرا من المخالفة بقوله عاطفا على ما تقديره فانتهوا واطيعوا الله اي الملك
الاعلى الذي لا شريك له ولا امر لاحد سواه فيما امركم به من اجتناب ذلك واكد الامر باعادة العامل فقال واطيعوا الرسول
اي الكامل في الرسلية في ذلك وزاد في التخويف بقوله واحذروا اي من المخالفة ثم بلغ الغاية في ذلك بقوله فان توليتم
اي بالاقبال على شيء من ذلك واشار بصيغة التفعل الى ان ذلك انما يعمل بمعالجة من النفس للفطرة الاولى وعظم الشان
في ابتداء الجزاء بالتنبيه بالامر بالعلم فقال فاعلموا انكم لم تضروا الا انفسكم لان الحجة قد قامت عليكم ولم يبق على الرسول
شيء لانكم علمتم انما على رسولنا اي البالغ في العظمة مقدارا يجل عن الوصف باضافته الينا البلاغ المبين اي البين في
نفسه الموضح لكل من سمعه ما يراد منه لا غيره فمن خالف فلينظر ما ياتيه من البلاء من قبلنا وهذا ناظر الى قوله بلغ ما انزل
اليك من ربك فكانه قيل ما عليه الا ما تقدم من الزامنا له به من البلاغ فمن اختار لنفسه المخالفة كفر والله لا يهدي من كان مختارا
لنفسه الكفر ولما كانوا قد سالوا عن نزول الآية عما من شان الانفس الصالحة الناظرة للورع التحرك للسؤال عنه وهو
من مات منهم وهو يفعلهما قال جوابا لذلك السؤال ليس على الذين امنوا وعملوا اي تصديقا لايمانهم الصالحات جناح فبين سبحانه

ان

ان هذا السوال غير وارد لانهم لم يكونوا منعوا منهما وكانوا مومنين عاملين للصالحات متقين لما يسخط الرب من المحرمات وقد
بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال حرمت الخمر ثلاث مرات قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فانزل الله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر الاية فقال الناس لم تحرم علينا انما قال ان فيهما اثما فكانوا يشربون
الخمر حتى كان يوم من الايام صلى رجل من المهاجرين المغرب فخلط في قراته فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى فكانوا يشربونها حتى ياتي احدهم الصلوة وهو مفيق فنزلت يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر
الاية فقالوا انتهينا يرب وقال الناس يرسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر وياكلون
الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح الاية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم ولا يضر كونه من رواية ابي معشر وهو ضعيف لانه موافق لقواعد
الدين وروى الشيخان عن انس رضي الله عنه قال كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت ابي طلحة رضي الله عنه وما
شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر واذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت فقال ابو طلحة رضي الله عنه اخرج فاهرقها
فهرقتها فقال بعض القوم قد قتل فلان وفلان وهي في بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح
الاية على انه لو لم يرد هذا السبب كانت المناسبة حاصلة وذلك انه تعالى لما اباح الطيب من الماكل وحرم الخبيث من
المشرب نفى الجناح عمن ياكل ما اذن فيه او يشرب ما عدا ما حرمه فاتى بعبارة تعم الماكل والمشرب فقال فيما طعموا اي ماكلا
كان او مشربا وشرط ذلك عليهم بالتقوى ليخرج المحرمات فقال اذا ما اتقوا اي اوقعوا جميع التقوى التي تطلب منهم فلم
يطعموا محرما ولما بدا بالتقوى وهي خوف الله الحامل على البعد عن المحرمات ذكر اساسها الذي لا تقبل الا به فقال
وامنوا ولما ذكر الاقرار بالايمان ذكر مصداقه فقال وعملوا اي بما اداهم اليه اجتهادهم بالعلم لا اتفاقا الصالحات
ثم اتقوا اي فاجتنبوا ما جدد عليهم تحريمه وامنوا اي بانه من عند الله وان الله له ان يمحوا ما يشاء ويثبت ما يشاء
وهكذا كلما تكرر تحريم شيء كانوا يلابسونه ولما كان قد نفى الجناح اصلا وراسا شرط الاحسان فقال ثم اتقوا واحسنوا
اي لازموا التقوى الى ان اوصلتهم الى مقام المراقبة وهي الفناء عن رؤية غير الله فافهم ذلك ان من لم يبلغ رتبة الاحسان
لا يمتنع ان يكون عليه جناح مع التقوى والايمان يكفر عنه بالبلايا والمصايب حتى ينال ما قدر له مما لم يبلغه عمله من درجات
الجنان ومما يدلك على نفاسة التقوى وعزتها انه سبحانه كما شرطها في هذا العموم حث عليها عند ذكر الماكل بالخصوص كما مضى
فقال واتقوا الله الذي انتم به مومنون وهذا في غاية الحث على التورع في الماكل والمشرب واشارة الى انه لا يوصل
الى مقام الاحسان الاية والله الموفق ولما كان التقدير فان الله يحب المتقين المومنين عطف عليه قوله والله اي
الذي له صفات الكمال يحب المحسنين ولما ذكر ما حرم من المطعوم في كل حال وكان الصيد مما حرم في بعض الاوقات وكان
من امثل مطعوماتهم وكان قد ذكر لهم بعض احكامه عقب قوله احلت لكم بهيمة الانعام واحل لكم الطيبات اخذ هنا
في ذكر اشيا من احكامه وابتداها لانهم خافوا على من مات منهم على شرب الخمر قبل تحريمها بانه يبتليهم لتمييز الورع منهم من
غيره بالصيد في الحال التي حرمه عليهم فيها كما ابتلى بني اسرائيل في السبت فكان ذلك سببا لجعلهم قردة ومن سبحانه
على الصحابة من هذه الامة بالعصمة عند بلواهم بيانا لفضلهم على من سواهم فقال تعالى مناديا لهم بما يكفهم ذكره عن المخالفة
يا ايها الذين امنوا اي اوقعوا الايمان ولو على ادنى وجوهه نعم بذلك العالي والداني ليبلونكم الله اي يعاملكم معاملة المختبر
في قبولكم تحريم الخمر وغيره المحيط بكل شيء قدرة وعلما وذكر الاسم الاعظم اشارة بالتذكير بما له من الجلال الى ان له ان يفعل ما يشاء
واشار الى تحقير البلوى تسكينا للنفوس بقوله بشيء من الصيد اي الصيد في البر في الاحرام وهو ملتفت الى قوله هل
انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الاية وشارح لما ذكر اول السورة في قوله غير محلي الصيد وانتم حرم الاية وما
ذكر بعد المحرمات من قوله فكلوا مما امسكن عليكم ووصف المبتلى به بوصف هو من اعلام النبوة فقال تناله ايديكم
اي ان اردتم اخذه سالما ورماحكم اي ان اردتم قتله ثم ذكر المراد من ذلك وهو اقامة الحجة على ما يتعارفه العباد بينهم
فقال ليعلم الله اي وهو الغني عن ذلك بما له من صفات الكمال التي لا خفاء بها عند احد يعلم هذا الاسم الاعظم من يخافه بالغيب
اي بما حجب به من هذه الحيوة الدنيا التي حجبتهم عن ان يعرفوه حق معرفته سبحانه والمعنى انه يخرج بالامتحان
ما كان من افعال العباد في عالم الغيب الى عالم الشهادة فيصير تعلق العلم به تعلقا شهوديا كما كان تعلقا غيبيا لتقوم
بذلك على الفاعل الحجة في مجاري عاداتكم ويزداد من له اطلاع على اللوح المحفوظ من الملئكة ايمانا ويقينا وعرفانا
وقد حقق سبحانه معنى هذه الاية فابتلاهم بذلك عام الحديبية حتى كان يغشاهم الصيد في رحالهم ويمكنهم اخذه بايديهم
ولما كان هذا زاجرا في العادة عن التعرض لما وقعت البلوى به وحاشما للطمع فيه ممن اتسم بما جعل محط النداء من الايمان
سبب عنه قوله فمن اعتدى اي كلف نفسه تجاوز الحد في التعرض له ولما كان سبحانه يقبل التوبة عن عباده
خص الوعيد بمن استغرق الزمان بالاعتداء فاسقط الجار لذلك فقال بعد ذلك اي الزجر العظيم فله عذاب اليم بما التذ
من تعرضه اليه لما عرف بالميل الى هذا انه الى ما هو اشهى منه كالخمر وما معها اميل ولما اخبرهم بالابتلاء صرح لهم بما لوح اليه
بذكر المخافة من تحريم التعرض لما ابتلاهم به فقال منوها بالوصف الناهي عن الاعتداء يا ايها الذين امنوا وذكر القتل الذي هو اعم

من الذبح اشارة الى ان الصيد لما عنده من النفرة المانعة من التمكن من ذبحه يحبس باي وجه كان من انواع القتل فقال
لا تقتلوا الصيد اي لا تصطادوا واما ما يحل اكله من الوحش واما غير الماكول فيحل قتله فانه لا حظ للنفس في قتله الا الاراحة من اذاه
المراد بالفسق في قوله صلى الله عليه وسلم خمس من الدواب فواسق لا جناح على من قتلها في حل ولا حرم وذكر منهن السبع العادي
دل الحكم برفع الجناح عقب الوصف بالفسق على انه علة في الاباحة ولا معنى لفسقها الا اذاها وانتم حرم اي محرمون او في الحرم
ولما كان سبحانه عالما بانه لا بد ان يوافق موافق متبعا لامره ويخالف مخالف موافقه لمراده شرع لمن خالف كفارة تخفيفا منه
على هذه الامة ورفعا لما كان على من قبلها من الاصار فقال عاطفا على ما تقديره فمن انتهى فله عند ربه اجر عظيم ومن قتله منكم
متعمدا اي قاصدا للصيد ذاكرا للاحرام ان كان محرما والحرم ان كان فيه عالما بالتحريم ولما كان هنا الفعل المعد موجبا للاثم
والجزاء ميتا لختل وصف منه كان خطأ موجبا للجزاء فقط وكان سبحانه قد عفى عن الصحابة رضي الله عنهم العمد الذي كان سببا
لنزول الآية كما في اخرها لم يذكره واقتصر على ذكر الجزاء فقال فجزاء اي فكفارة مثل ما قتل اي اقرب الاشياء به شبها في الصورة
لا النوع ووصف الجزاء بقوله من النعم لما قتله عليه اي عليه اي يكافي ما قتله بمثله وهو من اضافة المصدر الى الفاعل
هذا على قراءة الجماعة باضافة جزاء الى مثل واما على قراءة الكوفيين ويعقوب بتنوين جزاء ورفع مثل فالامر واضح ولما كان
كانه قيل لم تعرف المماثلة قال يحكم به اي بالجزاء ولما كانت وجوه المشابهة بين الصيد وبين النعم كثيرة احتاج ذلك الى
زيادة التامل فقال ذوا عدل منكم اي المسلمين وعن الشافعي رضي الله عنه ان الذي له مثل ضربان ما حكمت فيه الصحابة وما لم
تحكم فيه فما حكمت فيه لا يعدل الى غيره لانه قد حكم به عدلان فدخل تحت الآية وهم اولى من غيرهم لانهم شاهدوا التنزيل وحضروا
التاويل وما لم يحكموا به يرجع فيه الى اجتهاد عدلين فينظر ان الى الاجناس الثلاثة من الانعام فكل ما كان اقرب شبها به يوجبانه
فان كان العدل خطأ جاز ان يكون القاتل احد الحكمين وان كان عمدا فلا لانه يفسق به ولما كان هذا المثل بيانا الى مكة المشرفة
على وجه الاكرام والنسك رفقا بساكنيها قال مبينا حاله من الضمير في به هديا ولما كان الهدي هو ما تقدم تفسيره صرح
به فقال بالغ الكعبة اي الحرم المنسوب اليها وانما صرح بها زيادة في التعظيم واعلاما بانها هي المقصودة بالذات بالزيارة
والعمارة لقيام ما ياتي ذكره ويذبح الهدي بمكة المشرفة ويتصدق به على مساكين الحرم والاضافة لفظية لان الوصف لم يثبه
يبلغ فلذا وصفت بها النكرة ولما كان سبحانه رحيما بهذه الامة خير هاتين بين ذلك وبين ما بعده فقال او عليه كفارة هي
طعام مساكين في الحرم بمقدار قيمة الهدي لكل مسكين مد او عدل ذلك اي قيمة المثل صياما اي من اي موضع تيسر له عن كل مد يوم
صاما والتخيير لانه الاصل فيها والقول بانها للترتيب يحتاج الى دليل ولما كان الامر مفروضا في المتعمد قال معلقا بالجزاء اي
فعليه ان يجازى عما ينقص المال او يولم الجسم ليذوق وبال اي ثقل امره وسوء عاقبته ليحترز عن مثل ما وقع فيه ولما
كان هذا الجزاء محكوما به في دار العمل التي لا يطلع اهلها بمجرد عقولهم فيها على غيب ولا يعرفون عاقبة امر الا تخرصا ظرد الحكم
في غير المتعمد ليلا يدعي المتعمد انه مخطئ كل ذلك حمى لحوزة الدين وصونا لحرمة الشرع وحفظا لجنابه ورعاية لشانه ولما
كان قد مضى منهم قبل نزولها من هذا النوع اشياء كانوا انهم قالوا فكيف نصنع عما اسلفنا قال جوابا عفى الله اي الغني عن
كل شيء الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال عما اي عما تعمدته اسلفتم اي لكم من ذلك لمن حفظ نفسه بعد هذا فان ومن عاد
الى تعمد شيء من ذلك ولو قل ولما كان المبتدا استضمنا معنى الشرط قرن الخبر بالفاء اعلاما بالسببية فقال فينتقم الله اي الذي
له الامر كله منه اي بسبب عوده بما يستحقه من الانتقام ولما كان فاعل ذلك منتهكا لحرمة الاحرام والحرم وكان التقدير
فالله قادر عليه عطف على ذلك ما اقتضاه المقام من الاتيان بالاسم الاعظم ووصفا لعزة فقال والله اي الملك الذي لا امر
لاحد غيره عزيز لا يغالب ذو انتقام ممن خالف امره ولما كان هذا عاما في كل صيد بين انه خاص بصيد البر
فقال احل لكم صيد البحر اي اصطياده الذي مبناه غالبا على الحاجة والمراد جميع المياه من الانهار والبرك وغيرها وطعامه
اي مصيده طريا وقديدا ولو كان طافيا قذفه البحر وهو الحيتان باسرها وكل ما لا يعيش في البر وما اكل مثله في البر ولما
احل ذلك ذكر علته فقال متاعا لكم اي اذا كنتم مسافرين ومقيمين وللسيارة اي يتزودونه الى حيث اراد وا من البر او البحر
وفي تحليل صيد البحر حال الاحتلام من النعمة على هذه الامة ما بين فضلها على من كان قبلها ممن جعل صيد البحر له محنة يوم
الاحتلام ولله الحمد والظاهر ان المراد بصيد البحر الفعل لان تمام الامرين الاصطياد والاكل والمراد بيان حكمها فكانه احل اصطياد
حيوان البحر واحل طعام البحر مطلقا ما اصطاد وما لم يصطاد وسواء كانوا مسافرين او مقيمين وذلك لانه لما
قدم تحريم اصطياد ما في البر بقوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اتبعه بيان احلال اصطياد مصيد البحر في حال
تحريم وانما اتبعه بيان حرمة مصيد البر بقوله وحرم عليكم صيد البر اي اصطياده واكل ما صيد منه لكم وهو ما لا
عيش له الا فيه وما يعيش فيه وفي البحر فان صيد لمحلال حل للمحرم اكله فانه غير منسوب اليه اصطياده بالفعل ولا بالقوة
ما دمتم حرما لان مبنى امره غالبا في الاصطياد والاكل مما صيد على الترف والرفاهية وقد تقدم ايضا حرمة اصطياد
مصيد البر وحرمة اكل ما صيد منه وتكرر ذلك بتكرر الاحرام في اية غير محلى الصيد واية لا تقتلوا الصيد وانتم
حرم فلا يعارضه منهيهم ما دمتم وعبر بذلك ليكون نصا في الحرمة في كل جزء من اجزاء وقت الاحرام الى تمام القتل
والله اعلم ولا يسقط الجزاء بالخطأ والجهل كسائر محظورات الاحرام ولما كان الاصطياد نشر المصيد الى حيث يعجز
عن الخلاص منه وكانت حالة الاحرام اشبه شيء بحالة الحشر في التجرد عن المخيط والاعراض عن الدنيا وتمتعاتها ختم الآية

بقوله

بقوله عطفا على ما تقديره فلا تاكلوا شيا منه في حال احرامكم واتقوا الله اي الذي له الامر كله اي في ذلك وفي غيره
من الاصطياد وغيره الذي اليه تحشرون ليكون التعرض عليه نصب اعينكم فكونوا مواظبين على طاعته محترزين عن
معصيته ولما كان الاحرام وتحريم الصيد فيه انما هو لقصد تعظيم الكعبة بين تعالى حكمة ذلك وانه كما جعل الحرم
والاحرام سببا لامن الوحش والطير جعله سببا لامن الناس وسببا لحصول السعادة دنيا واخرى فقال مستانفا
بيانا لحكمة المنع في اول السورة من استحلال من يقصدها للزيارة جعل الله اي بما له من العظمة وكمال الحكمة ونفوذ الكلمة
الكعبة وعبر عنها بذلك لانها ماخوذة من الكعب الذي به قيام الانسان وقوامه وبنيانها مادحا بقوله البيت الحرام
اي الممنوع من كل جبار ردا ايا الذي تقدم في اول السورة اني منعتكم من استحلال من يؤمه قياما للناس اي في امر معائشهم
ومعادهم لانها لهم كالعماد الذي يقوم به البيت فيامن به الخايف ويقوى فيه الضعيف ويقصده التجار والحجاج
والعمار فهو عماد الدين والدنيا ولما ذكر ما به القوام من المكان اتبعه ذلك من الزمان فقال والشهر الحرام اي الذي
يفعل فيه الحج وغيره يامن فيه الخايف ولما ذكر ما به من القوام العام من المكان والزمان اتبعه ما به قوام الفقراء من
شعايره فقال والهدي ثم اتبعه اعزه واخصه فقال والقلائد اي والهدي العزيز الذي يقلد فيذبح ويقسم على
الفقراء وفي الاية التفات الى ما في اول السورة من قوله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله الاية فقوامية ان من
قصدها في الشهر الحرام لم يتعرض له احد ولو قتل ابنه ومن قصدها في غير وقته هدي قلده اولم يقلده اولم يكن معه
هدي وقلد نفسه من الحا شجر الحرم لم يعرض له احد حتى ان بعضهم يلقى الهدي وهو مضطر فلا يعرض له ولو مات جوعا
وسواء في ذلك صاحبه وغيره لان الله تعالى اوقع في قلوبهم تعظيمها لانه تعالى جبل العرب على الشجاعة ليفتح بهم البلاد
شرقا وغربا ليظهر عموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم فلزم من ذلك شدة حرصهم على القتل والغارات وعلم ان ذلك
دام بهم شغلهم عن تحصيل ما يحتاجون اليه لمعيشتهم فادى الى فنائهم فجعل بيته المكرم وما كان من اسبابه اماكن يكون
به قوام معايشهم فكان ذلك برهانا ظاهرا على ان الاله عالم بجميع المعلومات وان له الحكمة البالغة ولما اخبر بعالي
الخطير لما امر بتعظيمه من نظم امور الناس ذكر علة ذلك الجعل فقال ذلك اي الجعل العظيم الذي تم امره على ما اراد جاعله
سبحانه لتعلموا اي هذا التدبير المحكم ان الله اي الذي له الكمال كله الذي جعل ذلك يعلم ما في السموات فلذلك رتبها
ترتيبا فصلت به الايام والليالي فكانت من ذلك الشهور والاعوام وفصل من ذلك ما فصل للقيام المذكور وما في الارض
فلذلك جعل فيها ما قامت به مصالح الناس وكف فيه اشدهم وافتكهم عن اضعفهم وامن فيه الطير والوحش فنودي ذلك
من له عقل رصين وفكر متين الى ان يعلم ان فاعل ذلك من العظمة ونفوذ الكلمة بحيث يستحق الاخلاص في العبادة وان من
يمثل امره في احلال ما احل من الطعام وتحريم ما حرم من الشراب وغير ذلك ولما ذكر هذا العلم العظيم ذكر ما هو اعم
منه فقال وان اي ولتعلموا ان الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما الذي فعل ذلك فتم له بكل شي عليم والا لما اثبت جميع
مقتضيات ذلك ونفى جميع موانعه حتى كان ولقد اتخذ العرب كما في السيرة الهاشمية وغيرها طوافيت وهي بيوت صغار
لها سدنة وحجابا وهدايا اكثروا منها وعظمت كل قبيلة ما عندها اشد تعظيم وطافوا به فلم يبلغ شي منها ما بلغ امر
الكعبة المشرفة ولا قارب ليحصل العلم بانه سبحانه لا شي مثله ولا شريك له ولما انتج هذا كله انه على كل شي قدير
لانه بكل شي عليم وكانت هذه الاية كما تقدم باطنة الى اول السورة من اية لا تحلوا شعاير الله وما بعدها ثم نظر ذكر
سبحانه ما اكتنفت اية حرمت عليكم الميتة من الوعيد الذي ختم به ما قبلها والوعد الذي ختمت هي به في هذه الاية
على ترتيبه سابقا له سياق النتيجة والثمرة لما قبله بيانا لان من ارتكب شيا من هذه المنهيات كان حظه فقال
محذرا ومبشرا لان الايمان لا يتم الا بهما اعلموا ان الله اي الذي له العظمة كلها الذي نهاه عنها شديد العقاب فليكن عباده
على حذر منه وان من اوقعه في شي منها القدر ثم فتح له التوفيق باب الحذر فكفر فيما فيه كفارة وتاب كان محاطا
بقوله وان اي واعلموا ان الله اي الذي له الجلال والاكرام مع كونه شديد العقاب غفور رحيم يقبل عليه ويمحوا
زلله ويكرمه فكان اكتنافها سببا للرجاء سابقا للانذار ولاحقا معلما بان رحمته غلبت غضبه وان العقاب انما هو
لاتمام رحمته قال ابن الزبير ثم قال لجعل الله الكعبة الاية فنبه على سر العاقبة في منع البحث عن التعليل وطلب
الوقوف على ما لعله مما استاثر الله بعلمه ومن هذا الباب اتى على بني اسرايل في امر البقرة وغير ذلك وجعل هذا التنبيه
ايماء ثم اعقبه بما يفسر يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء الاية ووعظهم بحال غيرهم في هذا وانهم سالوا فاعطوا
ثم امتحنوا وقد كان التسليم اولى لهم فقال تعالى قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ثم عرف عباده انهم
اذا استقاموا فلن يضرهم خذلان غيرهم يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم انتهى ولما رغب سبحانه ورهب علم انه المجازي
وحده فانتج ذلك انه ليس الا عين الا ما كلفه به فانتج ذلك ولا بد قوله ما على الرسول اي الذي من شانه الابلاغ
الا البلاغ اي بانه يحل لكم الطعام وغيره ويحرم عليكم الخمر وغيرها وليس عليه ان يعلم ما تضمرون وما تظهرون ليحاسبكم
عليه والله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما يعلم ما تبدون اي تجددون ابداه على الاستمرار وما تكتمون من ايمان وكفر
وعصيان وطاعة وتقدم لفتل الصيد وغيره ومحبة للخمر وغيرها وتعوق في الدين بتحريم الحلال من الطعام والشراب
وغيره افراطا وتفريطا لانه الذي خلقكم وقدر ذلك فيكم في اوقاته فيجازيكم على ما في نفس الامر من عصى اخذ بشديد العقاب

ومن اطاعه منحه حسن الثواب واما الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يحكم الا بما يعلمه مما تبدونه ما لم اكشف له الباطن
وامره فيه بامري وهذه ايضا ناظرة الى قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك ولما سلب سبحانه العلم عن كل احد
واثبته لنفسه الشريفة انتج ذلك انه لا امر لغيره ولا نهي ولا اثبات ولا نفي فاخذ سبحانه يبين حكمة ما مضى من الاوامر
في احلال الطعام وغيره من الاصطياد والاكل من الصيد وغيره والزواجر عن الخمر وغيرها بان الاشيا منها طيب
وخبيث وان الطيب وان قل خير من الخبيث وان كثر ولا يميز هذا من ذاك الا الخلاق العليم فربما ارتكب الانسان
طريقة شرعها لنفسه ظانا انها حسنة فجرته الى السيئة وهو لا يشعر فيهلك كالرهبانية التي كانوا عزموا عليها
والخمر التي دعا شغفهم بها الى الانزال فيها مرة بعد اخرى الى ان اكد فيها هنا اشد تاكيد وحذر فيها ابلغ تحذير فقال
تعالى صارفا الخطاب الى اشرف الورى صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه لا ينهض بمعرفة هذا من الخلق غيره قل لا يستوي
الخبيث اي من المطعومات والطاعمين والطيب اي كذلك فان ما يتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان
من جهة الخبث ولما كان الخبيث من الذوات والمعاني اكثر في الظاهر وايسر قال ولو اعجبك كثرة الخبيث والخبث
والطيب منه جسماني ومنه روحاني واخبثهما الروحاني واخبثه الشرك واطيب الطيب الروحاني واطيبه معرفة الله
وطاعته وما يكون للجسم من طيب او خبث ظاهر لكل احد فما خالطه نجاسة صار مستقذرا لارباب الطباع السليمة
وما خالط الارواح من الجهل صار مستقذرا عند الارواح الكاملة المقدسة وما خالطه من الارواح معرفة الله فواظب
على خدمته اشرق بانوار المعارف الالهية وابتهج بالقرب من الارواح المقدسة الطاهرة وكما ان الخبث والطيب لا يستويان
في العالم الجسماني فكذلك لا يستويان في العالم الروحاني والتفاوت بينهما في العالم الروحاني اشد لان مضرة خبث الجسماني
قليلة ومنفعته طيبة يسيرة واما خبث الروحاني فمضرته عظيمة دائمة وطيب الروحاني منفعته جليلة دائمة
وهي القرب من الله والانخراط في زمرة السعدا وادل دليل على ارادة العصاة والمطيعين قوله فاتقوا الله اي
اجعلوا بينكم وبين ما يسخط الملك الاعظم الذي له صفات الكمال من الحرام وقاية من الحلال لتكونوا من قسم الطيب
فانه لا مقرب الى الله مثل الانتهاء عما حرم كما تقدمت الاشارة اليه بقوله ثم اتقوا واحسنوا ويزيد المعنى وضوحا
قوله يا اولي الالباب اي العقول الخالصة عن شوايب النفس فتوثروا الطيب وان قل في الحس لكثرته في المعنى
على الخبيث وان كثر في الحس لنقصه في المعنى لعلكم تفلحون اي لتكونوا على رجا من ان تفوزوا بجميع المطالب وحينئذ
ظهر كالشمس مناسبة تعقيبها بقوله على طريق الاستيناف والاستنتاج يا ايها الذين امنوا اي اعطوا من نفوسهم
العهد على الايمان الذي معناه قبول جميع ما جا به من وقع به الايمان لا تسئلوا عن اشيا وذلك لانهم اذا كانوا على
خطر فيما يشرعون وفيما به ينتفعون من الماكل والمشارب وغيرها من الاقوال والافعال فهم مثله فيما عنه يسئلون
سوا سالوا شرعه او لا لانه ربما اجابهم من لا يضره شي الى ما فيه ضررهم عما سالوه فانهم لا يحسنون التفرقة بين الخبيث
والطيب كما فعل باهل السبت حيث ابوا الجمعة وسالوه فاشتد اعتناقها حينئذ بقوله ان الله يحكم ما يريد
وبقوله ما على الرسول الا البلاغ فكان كانه قيل فما بلغكم اياه فخذوه بقبول وحسن انقياد وما لا فلا تسئلوا عنه
وسبب نزولها كما في الصحيحين عن انس رضي الله عنه انهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخفوه المسئلة
فغضب فصعد المنبر فقال لا تسئلوني اليوم عن شي الا بينته لكم وشرع يكرر ذلك واذا رجل كان اذا لاحى الرجال
يدعى لغير ابيه فقال يا رسول الله من ابي قال حذافة ثم انشا عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد رسولا نعوذ بالله من الفتن وفي اخره فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم
وللبخاري في التفسير عن انس رضي الله عنه ايضا قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت
مثلها قط قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم
لهم حنين فقال رجل من ابي قال فلان فنزلت عن اشيا الاية وللبخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
كان قوم يسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزا فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي
فانزل الله فيهم هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا حتى فرغ من الاية كلها ولابن ماجة مختصرا والحافظ ابي
القسم ابن عساكر في الموافقات فيما افاده المحب الطبري في مناقب العشرة وابي يعلى في مسنده مطولا عن انس رضي الله
الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان ونحن نرى ان معه جبريل عليه السلام حتى صعد
المنبر وفي رواية فخطب الناس فقال سلوني فوالله لا تسئلوني عن شي اليوم الا اخبرتكم وفي رواية انباتكم
به فما رايت يوما كان اكثر باكيا منه فقال رجل يا رسول الله وفي رواية فقام اليه رجل فقال يا رسول الله انا
كنا حديث عهد بجاهلية من ابي قال ابوك حذافة لابيه الذي كان يدعى له وفي رواية ابوك حذافة الذي تدعى له
فقام اليه اخر فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار فقال في النار فقام اليه اخر فقال يا رسول الله اعلينا الحج
كل عام وفي رواية في كل عام فقال لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تقوموا بها ولو لم تقوموا بها عذبتم فقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وفي رواية رسولا
لا تفضحنا بسرايرنا وفي رواية فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال رسول الله انا كنا حديث عهد بجاهلية

تلا تبد علينا سرايرنا انفضحنا بسرايرنا اعف عنا عفا الله عنك فسري عنه ثم التفت الى الحايط فذكر مثل الجنة والنار
فيه وللامام احمد ومسلم والنسائي والدارقطني والطبري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خطب وفي رواية
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل وفي رواية النسائي
فقال الاقرع بن حابس التميمي اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلثا فقال لو قلت نعم لوجبت ثم اذا لا تسمعون ولا تطيعون ولكن حجة واحدة وفي رواية الدار
قطني والطبري لو وجبت ما اطقتموها ولو لم تطيقوها وفي رواية الطبري ولو تركتم لكفرتم فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم ثم قال دعوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم
على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه وفي رواية فاجتنبوه وهذا الحديث
له الفاظ كثيرة من طرق شتى استوفيتها في كتابي الاطلاع على حجة الوداع ولا تعارض بين هذه الاخبار ولو تعذر ردها
الى شيء واحد لما تقدم عند قوله تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم من ان الامر الواحد قد تتعدد اسبابه بل وكل ما
ذكر من اسباب تلك وما اشبهه كقوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما
كتب عليهم القتال الآية يصح ان يكون سببا لهذه وروى الدارقطني في آخر الرضاع من سننه عن ابي ثعلبة الخشني
وفي آخر المصيد عن ابي الدرداء رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرايض فلا
تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن اشيا من غير نسيان فلا تبحثوا عنها
وقال ابو الدرداء فلا تتكلفوها رحمة من ربكم فاقبلوها واخرج حديث ابي الدرداء ايضا الطبراني ولما
كان الانسان قاصرا عن علم ما غاب فكان زجره عنا لكشف عما يسوءه زجرا له عن كل ما يتوقع ان يسوءه قال تعالى
ان تبد اي تظهر لكم باظهار عالم الغيب لها تسؤكم ولما كان ربما وقع في وهم شنعت ان هذا الزجر انما هو لقصد
راحة المسؤل من السؤال خوفا من عواقبه قال وان تسئلوا عنها اي تلك الاشيا التي يتوقع مساءتكم عند ابدائها
حين ينزل القرآن اي والملك حاضر تبد لكم ولما كان ربما قال فما له لا يبدها سئل عنها ام لا قال عفا الله بما له من
الغنى المطلق والعظمة الباهرة وجميع صفات الكمال عنها اي سترها فلم يبدها لكم رحمة منه لكم وراحة مما يسؤكم
ويثقل عليكم في دين او دنيا ولما كانت صفاته سبحانه ازلية لا توقف لواحدة منها على غيرها وضع الظاهر موضع
المضمر ليلا يختص بما قبله فقال تنبيها لمن وقع منه ذنب الى التوبة والله اي الذي له مع صفة الجلال صفة الاكرام
غفور ازلا وابدا يمحوا الزلات عينا واثرا ويعقبها بالاكرام على عادة الحكماء حليم اي لا يعجل على العاصي بالعقوبة
ولما نهى عن السؤال عنها ليتعرف حالها علل ذلك بان غيرهم عرف اشيا وطلب ان يعطاها اما بان سأل غيره ذلك
واما بان شرعها وسأل غيره ان يوافقه عليها وهو قاطع بانها غاية في الحسن فكانت سبب شقائه فقال قد سالها
يعني اشالها ولم يقل سأل عنها اشارة الى ما ابديته قوم اي اولو عزم وبأس وقيام في الامور ولما كان وجود القوم
فضلا عن سؤالهم لم يستغرق زمان القبل ادخل الجار فقال من قبلكم ولما كان الشيء اذا جاء عن مسئلة جديرا بالقبول
لا سيما اذا كان من ملك فكيف اذا كان من ملك الملوك فكان رده في غاية البعد عبر عن استبعاده باداة البعد في
قوله ثم اصبحوا بها اي عقب اتيانهم اياها سؤالا من غير مهلة كافرين اي ثابتين في الكفر وهذا زجر بليغ لان يعودوا
لمثل ما اراد وامن تحريم ما احل لهم ميلا الى الرهبانية والتعمق في الدين المنهي عنه بقوله لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم ولما فرغ من زجرهم عن ان يشرعوا لانفسهم او يسئلوه في ان يشرع لهم او ان يسألوا من رحمهم بابتدائهم لهذا
الشرع عن شيء من الاشياء اعتمادا على انه ما ابتدا به لك الا وهو غير مخف عنهم شيا ينفعهم ولا مبد لهم شيا يضرهم لانه
بكل شيء عليم كما قدم التنبيه على ذلك قال معللا لاختام الآية التي قبلها ما جعل الله اي الذي له صفات الكمال فلا يشرع شيا
الا وهو على غاية الحكمة واغرق في النفي بقوله من بحيرة واكد النفي باعادة النافي فقال ولا سايبة ولا وصيلة
ولا حام الآية دالا بذلك على ان الانسان قد يقع في شرعه لنفسه على الخبيث دون الطيب وذلك لان الكفار شرعوا
لانفسهم هذا وظنوا انه من محاسن الاعمال فاذا هو مما لا يعبا الله به بل ومما يعذب عليه كونه اوقعهم فيما كانوا ان
معترفين بانه اقبح القباح وهو الكذب بل في اقبح انواعه وهو الكذب على ملك الملوك صار لهم دينا وصاروا ادبح
الناس فيه وهو عين الكفر وهم معترفون بانه ما شرعه الا عمرو بن لحي وهو اول من غير دين ابرهيم كما رواه الطبراني
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عمرا اول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان وبحر
البحيرة وسيب السوايب ووصل الوصيلة وحمى الحامي ورواه عبد بن حميد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه وفي اخره وكان عمرو بن لحي اول من حمل العرب على عبادة الاصنام ورواه البخاري في المناقب من صحيحه
ومسلم في صفة النار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر
قصبه في النار وكان اول من سيب السوايب قال ابن هشام في السيرة والبحيرة عندهم الناقة تشق اذنها فلا يركب
ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف ويتصدق به ويحمل الا لهتهم وروى البخاري في المناقب ومسلم في
صفة النار عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت ولا يحلبها احد من الناس والسايبة التي كانوا

يسيبونها لآلهتهم فلا يحملون عليها شيئا وكذا رواه البخاري ايضا في التفسير وقال والوصلة الناقة البكر تبكر في اول
نتاج الابل ثم تثنى بعد بانثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احديهما بالاخرى ليس بينهما ذكر وقال
البرهان السفاقسي في اعرابه قال ابو عبيد وهي الناقة اذا نتجت خمسة ابطن في آخرها ذكر شقوا اذنها وخلوا سبيلها
لا تركب ولا تحلب وقيل غير ذلك وقال ابو حيان في النهر قال ابن عباس رضي الله عنهما السايبة هي التي تسيب للاصنام
اي تعتق وكان الرجل يسيب من ماله شيأ فيجيء به الى السدنة وهم خدم الاصنام فيطعمون من لبنها للسبيل والوصيلة
قال ابن عباس رضي الله عنهما انها الشاة تنتج سبعة ابطن فان كان السابع انثى لم ينتفع النساء منها بشيء الا ان تموت فيأكلها
الرجال والنساء وان كان ذكرا ذبح واكلوه وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فتترك مع اخيها فلا تذبح ومنافعها
للرجال دون النساء فاذا ماتت اشترك الرجال والنساء فيها وقال ابن هشام والحامي الفحل اذا نتج له عشرة اناث
متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره فلم يركب ولم يجز وبره وخلى في ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك وقال السفاقسي
قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم واختاره ابو عبيد والزجاج هو الفحل ينتج من صلبه عشرة ابطن فيقولون قد حمي
ظهره فيسيبونه لاصنامهم فلا يحمل عليه شيء ولما كانوا قد حرموا هذه الاشياء وكانت التحريم والتحليل من خواص الاله وكان
لا اله الا الله كان حكمهم عليها بالحرمة نسبة لذلك الى الله سبحانه كذبا فقال تعالى بعد ان نفى ان يكون جعل شيأ من ذلك
ولكن الذين كفروا اي ستروا وما دل عليه عقلهم من ان الله ما جعل هذا لانهم لا وصول لهم اليه سبحانه وعز شانه فلذلك قال
يفترون اي يتعمدون بجعل هذه الاشياء من تحريم وتحليل على الله اي الملك الاعلى الكذب يحرمون ما لم يحرمه ويحللون ما لم
يحلله واكثرهم اي هؤلاء الذين جعلوا هذه الاشياء لا يعقلون اي لا يتجدد لهم عقل وهم الذين ماتوا على كفرهم ثم لما حرموا
هذه الاشياء اضطروا الى تحليل الميتة فحرموا الطيب واحلوا الخبيث ولما اتخذوه دينا واعتقدوه شرعا ومضى عليه
اسلافهم وعتم الحفوظ والانفة من نسبة اباء هم الى الضلال والشهادة عليهم بالسفه الى الاصرار عليه وعدم الرجوع
عنه بعد انكشاف قباحته وبيان بشاعته حتى افنى اكثرهم السيف ووطيتهم الدواهي فوطأت اكنافهم وذللت اعناقهم
واكثرهم فقال تعالى دالا على تمام الآية التي قبل من عدم عقلهم واذا قيل لهم اي من اي قايل كان ولو انه رسولهم بما ثبت
من كلامه بالمعجز عنه انه كلامه تعالوا اي ارتفعوا انفسكم عن هذا الحضيض السافل الى ما انزل الله اي الذي لا اعظم منه
وقد ثبت انه انزله لمعجزكم عنه والى الرسول اي الذي من شانه لكونه سبحانه ارسله ان يبلغكم ما يحبه لكم ويرضاه
قالوا حسبنا اي يكفينا ما وجدنا عليه اباءنا ولما كانوا عالمين بانه ليس في اباءهم عالم وانه كل من تامل ادنى تامل عرف
ان الجاهل لا يصدق في اي شيء قال منكرا عليهم موبخا لهم اولو اي ايكفيهم ذلك اولو قالوا ذلك ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيأ
اي من الاشياء حق علمه لكونهم لم ياخذوه عن الله بطريق من الطرق الموصلة اليه ولما كان من لا يعلم قد يشعر بجهله فيتعلم
فيهتدي فيصير اهلا للاقتداء به وقد لا يشعر لكونه جهله مركبا فلا يجوز الاقتداء به بين انهم من اهل هذا القسم فقال
ولا يهتدون اي لا يطلبون الهداية فلا توجد هدايتهم الى صواب لان من لا يعلم لا صواب له لانه ليس للهدي اله سوى العلم
وادل دليل على عدم هدايتهم انهم ضيعوا الطيب من اموالهم فاضطرهم ذلك الى اكل الخبيث من الميتة واعضوا بذلك
خالقهم فدخلوا النار فلا اقبح مما يختارون لنفسه المطبوع على الكرم ولا احسن مما يشرعه له رب البشر وهذه الآية ناظرة
الى قوله تعالى في سورة النساء ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا الى قوله فليبتكن اذان
الانعام فالبتك حينئذ الى قوله رجس من عمل الشيطان اي النفاث ولما كانا لما نع لهم من قبول الهدي كون ذلك
تشفيها لآبائهم فيعود ضررا عليهم يسبون به على زعمهم اعلم الله المومنين ان مخالفة الغير في قبول الهدي لا تضرهم
اصلا بان عقب انه الانكار عليهم في التقيد بآبائهم لمتابعتهم لهم في الكفر بقوله يا ايها الذين امنوا اي عاهدوا ربهم
ورسولهم على الايمان عليكم انفسكم اي الزموا هدايتها واصلاحها ولما كان كانه قيل انا نسبت بآبائنا وننسبهم
فرعا ضرتنا نسبتنا اليهم عند الله كما جوز اكثم بن الجون الخزاعي ان يضر سبته عمرو بن لحي به حتى سال النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فقال لا انك مومن وهو كافر كما في اوايل السيرة الهشامية عن ابي هريرة رضي الله عنه وكان ذلك رعاية
وقف باحد منهم عن الاسلام قال لا يضركم من ضل اي من المخالفين بكفر او غيره بنسبتكم اليه ولا يقول الكفار انكم سفهتم
اباكم ولا بغير ذلك من وجوه الضرر وحقق هدايتهم بشارة لهم باداة التحقيق فقال منها لوجود الضرر عند فقد
الهداية اذا اهتديتم اي بالاقبال على ما انزل الله وعلى الرسول حتى تصيروا علماء وتعملوا بعلمكم فتخالفوا من ضل
فان كان موجودا فبالاجتهاد في امره بالمعروف ونهيه عن المنكر بحسب الطاقة فان لم يستطع رده انتظره يوم
الجمع الاكبر والمحول الاعظم وان كان مفقودا فبمخالفته في ذلك الضلال وان كان اقرب الاقربا واولي الاحباء
والاكانا لباقي اسفه من الماضي وقد كان لعمري احدهم لا يتبع اباه اذا كان سفيها في امر دنياه عاجزا عن تحصيلها
ولا يتحاشى من مخالفته في طريقته بل بعد الكدح في تحصيلها والتعمق في اقتناصها وحسن السعي في غيرها ولطف
الحيلة في توسيعها من تعالي الاخلاق واصالة الراي وجودة النظر على ان ذلك ظل زايل وعرض تافه فكيف
لا يخالفه فيما به سعادته الابدية وحياته الباقية ويا خذ بالحزم في ذلك وليشمر ذيله في امره وليسهر ليله في اعمال
الفكر وترتيب النظر فيما امر الله بالنظر فيه حتى يظهر له الحق فيتبعه ويهتك له الباطل فيجتنبه ما ذاك

الا لمجرد الهوى وقد كان الحزم العمل بالحكمة التي كشفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه احمد والترمذي
وابن ماجة عن شداد بن اوس رضي الله عنه الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله وروى مسلم والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا
تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كان كذا وكذا وقال ابن ماجة ولا تقل لو اني فعلت كذا وكذا فان لو
تفتح عمل الشيطان وفي بعض طرق الحديث ولكن قل قدر الله وما شاء فعل يعني والله اعمل عمل الحزمة فاوسع النظر
حتى لا تترك امرا يحتمل ان ينفعك ولا يضرك الا اخذت به ولا تدع امرا يحتمل ان يضرك ولا ينفعك الا تجنبته فانك
ان فعلت ذلك وغلبك القضا والقدر لم تجد في وسعك امرا تقول لو اني فعلته او تركته ولكنك تقول قدر الله
وما شاء فعل بخلاف ما اذا لم تبعم النظر وعملت عمل العجزة فانك حتما تقول لو اني فعلت كذا وكذا لان الشيطان يفتح
لك تلك الابواب التي نظر فيها الحازم فيكثر لك من لو لانها مفتاح عمله وليس في الآية ما يتعلق به من يتهاون في الامر
بالمعروف كما يفعله كثير من البطلة روى احمد في المسند عن ابي عامر الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له في امر رآه يا ابا عامر الا غيرت فتلا هذه الآية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم فغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اين ذهبتم انما هي لا يضركم من ضل من الكفار اذا اهتديتم وروى احمد واصحاب السنن الاربعة والحرث
واحمد بن منيع وابو يعلى ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على
غير مواضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله
بعقابه قال البغوي وفي رواية لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فليسومنكم
سوء العذاب ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لكم والله الموفق ولما حكم تعالى وهو الحكم العدل انه لا ضرر عليهم
من غيرهم بشرط هداهم وكان الكفار يعيرونهم قال موكدا لما اخبر به ومقررا لمعناه الى الله اي الملك الاعظم الذي
لا شريك له لا الى غيره مرجعكم اي انتم ومن يعيركم ويهددكم وغيرهم من جميع الخلايق جميعا فينبئكم اي يخبركم اخبارا
عظيما مستوفى مستقصى بما كنتم تعملون اي تعمدا جبلة وطبعا ويجازي كل احد على حسب ما عمل ولا يواخذ احدا بما عمل غيره
ولا بما اخطا فيه او تاب منه وليس المرجع ولا شيء منه الى الكفار ولا معبوداتهم ولا غيرهم حتى تخشوا شيئا من غايلتهم في شيء
من الضرر ولما خاطب سبحانه اهل ذلك الزمان بانه نصب المصالح العامة كالبيت الحرام والشهر الحرام واشار
بآية البحيرة وما بعدها الى ان اسلافهم لا وفروا عليهم مالهم ولا نصحوا لهم في دينهم وختم ذلك بقهره للعباد بالموت
وكشف الاسرار يوم العرض بالحساب على النقير والقطمير والجليل والحقير عقب ذلك باية الوصية ارشادا منه سبحانه
الى ما يكشف سريرة من خان فيها علما منه سبحانه ان الوفا في مثل ذلك يقل وحثا لهم على ان يفعلوا ما امر سبحانه به
لينصحوا لمن خلفوه بتوفير المال ويقتدى بهم فيما ختم به الآية من التقوى والسماع والبعد من الفسق والنزاع
فقال تعالى مناديا لهم بما عقدوا به العهد بينهم وبينه من الاقرار بالايمان يا ايها الذين امنوا اي اخبروا عن انفسهم
بذلك شهادة بينكم هو كناية عن التنازع والتشاجر لان الشهود انما يحتاج اليهم عند ذلك وسبب نزول الآية قد ذكره
المفسرون وذكره الشافعي رضي الله عنه في الام فقال اخبرني ابو سعد معاذ بن موسى الجعفري عن بكير بن معروف عن
مقاتل بن حيان قال اخذت هذا عن مجاهد والحسن والضحاك ان رجلين نصرانيين من اهل دارين احدهما تميمي والاخر يماني
صحبهما مولى لقريش في تجارة فركبوا البحر ومع القرشي مال معلوم قد علمه اولياؤه من بين انية وبز فمرض القرشي فجعل
وصيته الى الداريين فمات وقبض الداريان المال فدفعاه الى اولياء الميت فانكر القوم قلة المال فقالوا للداريين
ان صاحبنا قد خرج معه بمال اكثر مما اتيتمونا به فهل باع شيئا او اشترى شيئا فوضع فيه او هل طال مرضه فانفق
على نفسه قالا لا قالوا فانكم خنتمانا فقبضوا المال ورفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم فلما نزلت امر النبي صلى الله عليه وسلم فقاما بعد الصلوة فحلفا بالله رب
السموات ما ترك مولاكم من المال الا ما اتيناكم به فلما حلفا خلى سبيلهما ثم انهم وجدوا بعد ذلك اناء من انية الميت فاخذوا
الداريين فقالا اشتريناه منه في حياته فكذبا وكلفا البينة فلم يقدرا عليها فرفعوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله عز وجل فان عثر يعني الى اخرها ثم ذكر وقت الشهادة وسببها فقال اذا حضر وقدم المفعول
تهويلا كما ذكر في النسا ولان الآية نزلت لحفظ ماله فكان اهم فقال احدكم الموت اي اخذته اسبابه الموجبة لظنه
ولما كان الايصاء اذ ذاك امرا متعارفا عرف فقال معلقا بشهادة كما علق به اذا او مبدلا من اذا لان الزمنين واحد
حين الوصية اي ان اوصى ثم اخبر عن المبتدا فقال اثنان اي شهادة بينكم في ذلك الحين شهادة اثنين ذوا عدل
منكم اي من قبيلتكم العارفين باحوالكم او اخران اي ذوا عدل من غيركم اي ان لم تجدوا قريبين يضبطان امر الوصية
من كل ما للوصي وعليه وقيل بل هما الوصيان انفسهما احتياطا بجعل الوصي اثنين وقيل اخران من غير اهل دينكم وهو
خاص بهذا الامر الواقع في السفر للضرورة لا في غيره ولا في غير السفر ثم شرط هذه الشهادة بقوله ان انتم ضربتم
اي بالارجل في الارض اي بالسفر كان الضرب بالارجل لا يسمى ضربا الا فيه لانه موضع الجد والاجتهاد فاصابتكم واشار الى

ان الانسان هدف لسهام الحدثان بتخصيصه بقوله مصيبة الموت اي اصابت الموصي المصيبة التي لا مفر منها ولا مندوحة
عنها ولما كان قد استشعر من التفصيل في امر الشهود مخالفة لبقية الشهادات فكان في معرض السؤال عن الشهود ماذا
يفعل بهم قال مستانفا تحبسونهما اي تدعونهما اليكم وتمنعونهما من التصرف لانفسهما لاقامة ما تحملاه من هذه الواقعة وادائه
ولما كان المراد اقامة اليمين ولو في ايسر زمن لا استغراق زمن البعد بالحبس ادخل الجار فقال من بعد الصلوة اي التي هي
اعظم الصلوات فكانت بحيث اذا اطلقت معرفة انصرفت اليها وهي الوسطى وهي العصر ثم ذكر الغرض من حبسهما فقال
فيقسمان بالله اي الملك الذي له تمام القدرة وكمال العلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليمين انما تكون اذا كانا من غيرنا
فان كانا مسلمين فلا يمين وعن غيره ان كان الشاهدان على حقيقتهما فقد نسخ تحليفهما وان كانا الوصيين فلا ثم شرط لهذا الحلف
شرطا فقال اعتراضا بين القسم والمقسم عليه ان ارتبتم اي وقع لكم شك فيما اخبرا به عن الواقعة ثم ذكر المقسم عليه بقوله
لا نشتري به اي هذا الذي ذكرناه ثمنا اي لم نذكره ليحصل لنا به غرض دنيوي وان كان في نهاية الجلالة وليس قصدنا به الا اقامة
الحق ولو كان اي الوصي الذي اقسمنا لاجله تبرئة له ذا قربى اي لنا اي ان هذا الذي فعلناه من التحري عادتنا التي اطعنا
فيها كونوا قوامين بالقسط شهداء لله الآية لا انه فعلنا في هذه الواقعة فقط ولا نكتم شهادة الله اي هذا الذي ذكرناه لم نبدل فيه
لما امر الله به من حفظ الشهادة وتعظيمها ولم نكتم شيئا وقع به الاشهاد ولا نكتم فيما يستقبل شيئا نشهد به لاجل الملك الاعظم
المطلع على السرائر كما هو مطلع على الظواهر ثم علل ذلك بما لقنهم اياه ليكون آخر كلامهم كل ذلك تغليظا وتنبيها على ان ذلك
ليس كغيره من الايمان فقال تذكيرا لهم وتحذيرا من التغيير انا اذا اي اذا فعلنا شيئا من التبديل او الكتم لمن الآثمين فان ولما
كان المراد مجرد الاطلاع بني للمفعول قوله عثر اي اطلع مطلع بقصد او بغير قصد قال البغوي واصله الوقوع على الشيء
اي من عثرة الرجل على انهما اي الشاهدين ان اريد بهما الحقيقة او الوصيين استحقا اثما اي بسبب شيء خانا فيه من امر
الشهادة فآخران اي من الرجال الاقرباء للميت يقومان مقامهما اي ليفعلا حيث اشتدت الريبة من الاقسام عند مطلق
الريبة ما فعلا من الذين استحق اي طلب وقوع الحق بشهادة من شهد عليهم هذا على قراءة الجماعة وعلى قراءة حفص بالبناء للفاعل
المعنى وجد وقوع الحق عليهم وهم اهل الميت وعشيرته ولما كان كانه قيل ما منزلة هذين الآخرين من الميت فقيل هما
الاوليان اي الاحقان بالشهادة الاقربان اليه العارفان ببواطن امره وعلى قراءة ابي بكر وحمزة بالجمع كانه قيل هما من الاولين
اي في الذكر وهم اهل الميت فهو نعت للذين استحق فيقسمان اي هذان الآخران بالله اي الملك الذي لا يقسم الا به لما له من كمال
العلم وشمول القدرة لشهادتنا اي بما يخالف شهادة الحاضرين للواقعة احق من شهادتهما اي اثبت فان تلك انما ثباتها في الظاهر
وشهادتنا ثابتة في نفس الامر وساعدها الظاهر بما عثر عليه من الريبة وما اعتدينا اي تعمدنا في يميننا مجاوزة الحق
انا اذا اي اذا وقع منا اعتداء لمن الظالمين اي الواضعين للشيء في غير موضعه كمن يمشي في الظلام وهذا اشارة الى انهم على بصيرة
ونور مما شهدوا به وذلك انه لما وجد الاناء الذي فقده اهل الميت وحلف الداريان بسببه انهما ما خانا طالبوهما
فقالا كنا اشتريناه منه فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا شيئا فقلتما لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر
فرفعوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر فقام اثنان من اقارب الميت فحلفا على الاناء فدفعه النبي صلى الله
عليه وسلم اليهما لان الوصيين ادعيا على الميت البيع فصار اليمين في جانب الورثة لانهم انكروا وسمي ايمان الفريقين شهادة
كما سميت ايمان المتلاعنين شهادة نبه على ذلك الشافعي رضي الله عنه وكان ذلك كما في البابين من مزيد التاكيد ولما تم
هذا على هذا الوجه الغريب بين سبحانه سره فقال ذلك اي الامر المحكم المرتب هذا الترتيب بالايمان وغيرها ادنى اي
اقرب ان اي الى ان ياتوا اي الذين شهدوا اولا بالشهادة اي الواقعة في نفس الامر على وجهها من غير ادنى ميل بسبب ان
يخافوا من الحنث عند الله بعد هذا التغليظ او يخافوا ان لم يمنعهم الخوف من الله ان ترد اي تثنى وتعاد ايمان اي من الورثة
بعد ايمانهم للعثور على ريبة فيصيروا بافتضاحهم مثلا للناس قال الشافعي رضي الله عنه وليس في هذا رد اليمين
انما كانت يمين الداريين على ما ادعى الورثة من الخيانة ويمين ورثة الميت على ما ادعى الداريان مما وجد في ايديهما واقرا
انه مال الميت وانه صار لهما من قبله فلم تقبل دعواهما بلا بينة فاحلف وارثاه قال واذا كان هذا كما وصفت فليست
الآية ناسخة ولا منسوخة لامر الله باشهاد ذوي عدل ومن يرضى من الشهداء هذا ما اقتضى ايلاءها لما قبلها وقد نزعها
الى مجموع هذه السورة منازع منها ما تقدم من ذكر القتل الذي هو من انواع الموت عند قصة ابني آدم وما بعدها ثم
تعقيب ذلك بالجهاد الذي هو من اسباب الموت وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية ثم ذكره ايضا
في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وقد جرت السنة الالهية بذكر الوصية عقب مثل ذلك في
البقرة ولم تذكر عقب واحدة من الآيات المذكورة لزيادتها على آية البقرة بمنازع منها الحلف فناسب كونها بعد
آية الايمان ومنها تغليظ الحلف والخروج به عما يشاكله من القسم على المال بكونه في زمان مخصوص بعد عبادة مخصوصة
فناسب ذكرها بعد تغليظ امر الصيد في حال مخصوص وهو الاحرام والخروج به عن اشكاله من الاحوال وبعد تغليظ
جزائه والخروج به عن اشكاله من الكفارات وتغليظ امر المكان المخصوص وهو الكعبة والخروج بها عن اشكالها من البيوت
وكذا تغليظ الزمان المخصوص وهو الشهر الحرام والخروج به عن اشكاله من الازمنة وكل ذلك لقيام امر الناس واصلاح
احوالهم وهكذا آية الوصية وما خرج من احكامها عن اشكاله كله لقيام الامور على السداد واصلاح المعاش والمعاد

وهي

وهي ملتفتة الى اول السورة اذ هي من اعظم العهود والوفا بها من اصعب الوفا والى قوله تعالى وتعاونوا على
البر والتقوى والى قوله تعالى كونوا قوامين لله شهدا بالقسط انظر الى ختمها بقوله ان الله خبير بما تعملون
والى كون هذه في سياق الاعلام بان الله عالم بالخفيات وقوله عطفا على ما تقديره فالزموا ما امرتكم به وارشدتكم
اليه تفلحوا واتقوا الله اي ذا الجلال والاكرام الى اخرها ملتفت الى قوله وميثاقه الذي واثقكم به الاية اي
خافوا الله خوفا عظيما يحملكم على ان تجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية لئلا تحلفوا كاذبين او تخونوا ادنى خيانة واسمعوا
اي الموعظة سمع اجابة وقبول ذاكرين لقولكم سمعنا واطعنا فان الله يهدي المتمسكين بالميثاق والله الذي له تمام
الحكمة وكمال العزة والسطوة لا يهدي القوم لا يخلق الهداية في قلوب الذين لهم قدرة على ما يحاولونه الفاسقين اي
الذين هم خارجون اي من عادتهم ذلك على وجه الرسوخ فهم ابدا غير متقيدين بقيد ولا منضبطين بدايرة عقد ولا
عهد ولما كان فيها اقامة الشهود وحبسهم عن مقاصدهم حتى يفرغوا من هذه الواقعة المبحوث فيها عن خفايا متعلقة
بالموت والتغليظ بالتحليف بعد صلوة العصر وكانت ساعة يجتمع فيها الناس وفريقا الملايكة المتعاقبين فينا ليلا
ونهارا مع انها ساعة الاصيل الموذنة بهجوم الليل وتقوض النهار حتى كانه لم يكن ورجوع الناس الى منازلهم وتركهم
لمعايشهم وكانت عادته سبحانه بانه يذكر انواعا من الشرايع والتكاليف ثم يتبعها اما بالالاهيات واما بشرح حال
الانبياء واما بشرح احوال القيمة ليصير ذلك موكدا لما تقدم من التكاليف ولا ينتقل من فن الى اخر الا بغاية الاحكام
في الربط عقبها تعالى بقوله يوم يجمع الله اي الملك الاعظم الذي له الاحاطة الكاملة الرسل اي الذين ارسلهم الى
عباده باوامره ونواهيه اشارة الى تذكر انصرام هذه الدار وسرعة هجوم ذلك اليوم بمشاهدة هذه الاحوال الموذنة
به وبانه يوم يقوم فيه الاشهاد ويجتمع فيه العباد ويفتضح فيه اهل الفساد الى غير ذلك من الاشارات لارباب
البصاير والقلوب والظاهر ان يوم ظرف للمضاف المحذوف الدال عليه الكلام فان من المعلوم انك اذا قلت خف من
فلان ان المعنى خف من عقابه ونحو ذلك فيكون المراد هنا واتقوا غضب الله الواقع في ذلك اليوم اي اجعلوا بينكم
وبين سطواته في ذلك اليوم وقاية او يكون المعنى اذكروا هذه الواقعة وهذا الوقت الذي يجمع فيه الشهود ويحبس
المعترف والجحود يوم الجمع الاكبر بين يدي الله ليسئلهم عن العباد ويسئل العباد عنهم فيقول اي للرسل تشريفا
لهم وبيانا لفضلهم وتشريفا للمحق من اممهم وتبكيتا للمبطل وتوبيخا المفرط منهم والمفرط ولما كان مما لا يخفى اصلا
انهم اجيبوا ولا يقع فيه نزاع ولا يتعلق بالسوال عنه غرض تجاوزه السوال الى الاستفهام عن نوع الاجابة فقال
ماذا اجبتم اي اي اجابة اجابكم من ارسلتكم اليهم اجابة طاعة او اجابة معصية ولما كان المقصود من قولهم
بيان الناجي من غيره وكانت الشهادة في تلك الدار لا تنفع الا فيما وافق فيه الاضمار الاظهار فكانت شهادتهم لا تنفع
المشهود له بحسن الاجابة الا ان طابق ما قاله بلسانه اعتقاده بقلبه قالوا نافين لعلمهم اصلا وراسا اذ كان موقوفا
على شرط هو من علم من غاب ولا علم لهم به لا علم لنا اي على الحقيقة لانا لا نعلم الا ما شهدنا وما غاب عنا اكثر واذا
كان الغايب قد يكون مخالفا للمشهود فما شهد ليس بعلم لانه غير مطابق للواقع ولهذا عللوا بقوله انك انت اي
وحدك علام الغيوب اي كلها تعلمها علما تاما فكيف بما غاب عنا من احوال قومنا فكيف بالشهادة فكيف بما شهدنا
من ذلك وهذا في موضع قولهم انت اعلم لكن هذا احسن ادبا فانهم محوا انفسهم من ديوان العلم بالكلية لان كل علم
يتلاشى اذا نسب الى علمه ويضمحل مهما قرن بصفته او اسمه ولما كان سواله سبحانه للرسل عن الاجابة متضمنا
لتبكيت المبطلين وتوبيخهم وكان اشد الامم افتقارا الى التوبيخ اهل الكتاب لان تمردهم تعدى الى رتبة الجلال
بما وصفوه سبحانه به من اتخاذ الصاحبة والولد ومن ادعى الالهية لعيسى عليه السلام لما اظهر من الخوارق التي
دعا بها الى الله مع اقترانها بما يدل على عبوديته ورسالته لئلا يهتضم حقه او تغلي فيه مع مشاركتهم لغيرهم
في ادنى الرسل عليهم السلام بالتكذيب وغيره وكان في الاية السالفة ذكر الاباء وما اثروا للابناء ذكر امر عيسى عليه السلام
بقوله مبدلا من قوله يوم يجمع معبرا بالماضي تذكيرا بما لذلك اليوم من تحتم الوقوع وتصويرا لعظيم تحققه
وتنبيها على انه لقوة قربه كانه قد وقع ومضى اذ قال الله اي المستجمع لصفات الكمال يا عيسى ثم بينه بما هو الحق
من نسبه فقال ابن مريم ولما كان ذلك يوم الجمع الاكبر والاحاطة بجميع الخلايق واحوالهم في حركاتهم وسكناتهم
وكان الحمد هو الاحاطة باوصاف الكمال امره بذكر حمده سبحانه على نعمته عنده فقال اذكر نعمتي عليك اي في خاصة
نفسك وذكر ما يدل للعاقل على انه عبد مربوب فقال وعلى والدتك الى اخره مشيرا الى انه اوجده من غير اب
فاراحه مما يجب للاباء من الحقوق ومما يورثون ابناءهم من اقتداء او اهتداء واقامه بحقوق امه فاقدره وهو
في المهد على الشهادة لها بالبراءة والحصانة والعفاف وكل نعمة انعمها سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم فهي نعمة على
امته دينا ودنيا ولما ذكر سبحانه هذه الامة المدعوة من العرب واهل الكتاب وغيرهم بنعمه عليهم في اول السورة
بقوله اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم وكانت هذه الايات من عند لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم كلها في النعم اخبرهم انه يذكر عيسى عليه السلام بنعمه في يوم الجمع اشارة الى انهم ان لم يذكروا
نعمه في هذه الدار دار العمل بالشكر ذكروها حين يذكرهم بها في ذلك اليوم قرا بالكفر وبانها فضيحة في ذلك الجمع

الاكبر والموقف الاهول وليتبصر اهل الكتاب فيرجعوا عن كفرهم بعيسى عليه السلام اليهود بالتقصير في امره والنصارى
بالغلو في شانه وقدره ولما كان اعظم الامور التنزيه بدا به كما فعل بنفسه الشريفة في كلمة الدخول الى الاسلام ولما
كان اعظم ذلك تنزيهه امه عليها السلام وتصحيح ما خرق لها من العادة في ولادته وكان احكم ما يكون ذلك بتقوية روحه
حتى يكون كلامه طفلا ككلامه كهلا قدمه فقال معلقا باذكر قارنا بكل نعمة ما يدل على عبوديته ورسالته ليخزى من
غلا في امره او قصه في وصفه وقدره اذ ايدتك اي قويتك بروح القدس اي الطهر الذي يحيي القلوب ويطهرها من اوضار
الانام ومنه جبريل عليه السلام فكان له منه في الصغر حظ لم يكن لغيره قال الحرالي وهو يد بسط لروح الله في القلوب
بما يحييها الله به من روح امره ارجاعا اليه في هذه الدار قبل ارجاع روح الحيوة بيد القبض من عزرائيل عليه السلام
ثم استانف تفسير هذا التاييد فقال تكلم الناس اي من اردت من عاليهم وسافلهم في المهد اي بما براه الله به امك واظهر به
كرامتك وفضلك ولما ذكر هذا الفضل العظيم اتبعه خارقا اخر وهو احياؤه نفسه وحفظه جسده اكثر من الف سنة
لم يدركه الهرم فانه رفع شابا وينزل على ما رفع عليه ويبقى حتى يصير كهلا وتسوية كلامه في المهد بكلامه في حالة بلوغ
الاسد وكمال العقل خرقا لما جرت به العوايد فقال وكهلا ولما ذكر هذه الخارقة اتبعها روح العلم الرباني فقال واذ علمتك
الكتاب اي الخط الذي هو مبدا العلم وتلقيح لروح الفهم والحكمة اي الفهم لحقايق الاشيا والعمل بما يدعوا اليه العلم والتورية
اي المنزلة على موسى عليه السلام والانجيل اي المنزل عليك ولما ذكر تاييده بروح الروح اتبعه تاييده بافاضة الروح
على جسد لا اصل له فيها فقال واذ تخلق من الطين اي هذا الجنس كهيئة الطير باذني ثم سبب عن ذلك قوله فتنفخ فيها اي في
الصورة المهياة فتكون اي تلك الصورة التي هياتها طيرا باذني ثم بافاضة روح ما على بعض جسد اما ابتدا في الاكمه
كما في الذي قبله واما اعادة كما في الحادث العمى والبرص بقوله وتبرئ الاكمه والابرص ولما كان من اعظم ما يراد بالسياق
توبيخ من كفر به كرر قوله باذني ثم يرد روح كامل الى جسدها بقوله واذ تخرج الموتى اي من القبور فعلا او قوة حتى يكونوا
كما كانوا من سكان البيوت باذني ثم تعصمه روحه هو ممن اراد قتله بقوله واذ كففت بني اسرائيل عنك اي اليهود لما هموا
بقتلك ولما كان ذلك ربما اوهم نقصا استحلوا قصده به بين انه بضد ذلك كعادة الناس مع الرسل والاكابر من اتباعهم
تسلية لهذا النبي الكريم والتابعين له باحسان فقال اذ جيتهم بالبينات اي كلها بعضها بالفعل والباقي بالقوة لدلالة ما وجد
عليه من الايات الدالة على رسالتك الموجبة لتعظيمك فقال الذين كفروا اي عطوا تلك البينات عنادا منهم ان اي ما
هذا الا سحر مبين ثم بتاييده بالانصار الذين احيى ارواحهم بالايمان واجسادهم باختراع الماكل الذي من شانه في العادة
حفظ الروح وذلك في قصة المايدة وغيرها فقال واذ اوحيت اي بالالهام باطنا وبايصال الاوامر على لسانك ظاهرا
الى الحواريين اي الانصار ان امنوا بي وبرسولي اي الذي امرته بابلاغ الناس ما امرهم به ثم استانف مبينا لسرعة اجابتهم
لجعله مجيبا اليهم مطاعا فيهم بقوله قالوا امنا ولما كان الايمان باطنا فلا بد في اثباته من دليل ظاهر وكان في سياق عد
النعم والطواعية لوحي الملك الاعظم دلوا عليه بتمام الانقياد وناسب المقام زيادة التاكيد باثبات النون الثالثة في
قولهم واشهد باننا بخلاف آل عمران مسلمون اي منقادون اتم انقياد فلا اختيار لنا الا ما تامرنا به وانظر ما انسب اعادة
اذ عند التذكير بروح كامل حسا او معنى وحذفها عند الناقص فاثبتها عند التاييد بها في اصل الخلق وفي الكمال الموجب
للحيوة الابدية وفي تعليم الكتاب وما بعده المفيض لحيوة الابد على كل من تخلق باخلاقه وفي خلق الطير وهو ظاهر وهكذا
الاخر ذكر شي مما عزي اليه من الحكمة في الانجيل قال متى وكان يشوع يطوف المدن والقرى ويعلم في مجامعهم ويكرز
ببشارة الملكوت ويشفي كل الامراض والاوجاع ثم قال فلما سمع يوحنا في السجن باعمال المسيح ارسل اليه اثنين من تلاميذه
قايلا انت هو الاتي ام ترجي اخر قال لوقا وفي تلك الساعة ابرا كثيرا من الامراض والاوجاع والارواح الشريرة ووهب
النظر لعميان كثير فاجاب يشوع وقال لهما قال متى اذهبا واعلما يوحنا بما رايتما وسمعتما العميان يبصرون والعرج يمشون
والبرص يتطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يوسرون فطوبى لمن لا يشك في فلما ذهب تلميذا يوحنا بدا
يشوع يقول للجمع من اجل يوحنا لماذا خرجتم الى البرية تنظرون قال لوقا قصبة تحركها الريح ام لماذا خرجتم تنظرون
انسانا لابسا لباسا ناعما ان اللباس الناعم يكون في بيوت الملوك وقال لوقا ان الذين عليهم لباس المجد والنعيم هم في
بيوت الملوك انتهى لكن لماذا خرجتم تنظرون نبيا نعم اقول لكم انه افضل من نبي هذا الذي كتب من اجله هوذا انا مرسل ملكي
امام وجهك ليسهل طريقك قدامك الحق اقول لكم انه لم يقم في مواليد النسا اعظم من يوحنا المعمد والصغير في ملكوت
السما اعظم منه وجميع الشعب الذي سمع والعشارون شكروا الله حيث اعتمدوا من معمودية يوحنا فاما الفريسيون
والكتاب فعلموا انهم رفضوا امر الله لهم اذ لم يعتمدوا منه قال متى ثم قال من له اذنان سامعتان فليسمع بماذا اشبه هذا
الجيل يشبه صبيانا جلوسا في الاسواق يصيحون الى اصحابهم قايلين زمرنا لكم فلم ترقصوا ونحنا لكم فلم تبكوا جا يوحنا
لا ياكل ولا يشرب فقالوا معه جنون جا ابن الانسان ياكل ويشرب فقالوا هذا انسان اكول شريب جليل العشارين
والخطاه فتبررت الحكمة من بنيها حينئذ بدا يعير المدن التي كان فيها اكثر قواته لانهم لم يتوبوا ويقول الويل لك يا كورزين
والويل لك يا بنت صيدا لان القوات اللاتي كن فيكما قديما لو كن في صور وصيدا لتابوا بالمسوح والرماد لكني اقول
لكم ان لصور وصيدا راحة في يوم الدين اكثر منكن وانت يا كفرناحوم لو ارتفعت الى السما ستهبطين الى الجحيم لانه لو كان

اي صارت بريه

في سدوم هذه القوات التي كانت فيك اذن لثبتت الى اليوم واقول لكم ايضا ان ارض سدوم تجد راحة يوم الدين
اكثر منك ثم قال وانتقل يسوع من هناك ودخل الى مجمعهم واذا رجل هناك يده يابسة وقالوا له يده اليمنى يابسة
فسالوه قايلين هل يحل ان يشفى في السبت فقال لهم اي انسان منكم يكون له خروف يسقط في حفرة في السبت ولا يمسكه
ويقيمه فكم احرى للانسان افضل من الخروف فاذن يجيد ان نفعل الخير في السبت وقال له توما فقال للرجل اليابس اليد
قف في الوسط فقام وقال لهم يسوع اسئلكم ماذا يحل ان يعمل في السبت خير ام شر نفس تخلص او تهلك فسكتوا قال
متى حينيذ قال للانسان امدد يدك فمدها فصحت مثل الاخرى فخرج الفريسيون قال مرقس مع اصحاب هيرودس متوامرين
في اهلاكه فعلم يسوع وانتقل من هناك وتبعه جمع كثير فشفى جميعهم وامرهم ان لا يظهروا ذلك لكي يتم ما قيل في اشعيا النبي القايل
ها هو ذا فتاي الذي هويت وحبيبي الذي به سرت اضع روحي عليه ويخبر الامم بالحكم لا يماري ولا يصيح ولا يسمع احد
صوته في الشوارع قصبة مرضوضة لا تكسر وسراج مطفوء لا يطفا حتى يخرج الحكم بالغلبة وعلى اسمه تتكل الامم ثم
قال وفي ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس جانب البحر فاجتمع اليه جمع كثير حتى انه صعد الى السفينة وجلس وكان
الجمع كله قياما على الشط وكلمهم بامثال كثيرة قايلا هو هذا خرج الزارع ليزرع وفيما هو يزرع سقط البعض على الطريق
فاتى الطير واكله وقال لوقا فدريس واكله طاير السما وبعض سقط على الصخرة حيث لم يكن له ارض كثيرة وللوقت شرق
اذ كيس له عمق ارض ولما اشرقت الشمس احترق وحيث لم يكن له اصل يبس وبعض سقط في الشوك فطلع الشوك وخنقه
وقال مرقس فخنقه بعلوه عليه فلم يات بثمر وقال متى وبعض سقط في الارض الجيدة فاعطى ثمرا للواحد مايه وللاخر
ستين وللاخر ثلثين قال لوقا فلما قال هذا نادى من له اذنان سامعتان فليسمع فتقدم اليه تلاميذه وقالوا له لماذا
تكلمهم بالامثال فاجابهم وقال انتم اعطيتم معرفة سرائر ملكوت السموات وقال لوقا فقال لهم لكم اعطي علم سرائر ملكوت الله
واولئك لم يعطوا ومن كان له يعطى ويزاد ومن ليس له فالذي له يوخذ منه وقال لوقا والذي ليس له ينزع منه الذي
يظن انه له فلهذا اكلمهم بالامثال لانهم يبصرون ويسمعون فلا يبصرون ولا يسمعون ولا يفهمون لكي يتم فيهم نبوة اشعيا
القايل سمعا يسمعون فلا يفهمون ونظرا ينظرون ولا يبصرون لقد غلظ قلب هذا الشعب وثقلت اذانهم عن السماع
وغمضوا عيونهم لكيلا يبصروا بعيونهم ولا يسمعوا باذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم فاما انتم فطوبى لعيونكم
لانها تنظر ولاذانكم لانها تسمع قال ومثل الزرع هذا هو كلام الله وقال متى كل من يسمع كلام الملكوت ولا يفهمه
ياتي الشرير فيخطف ما يزرع في قلبه هذا الذي زرع على الطريق والذي زرع على الصخرة هو الذي يسمع الكلام وللوقت
يقبله بفرح وليس له فيه اصل لكن في زمان يسير اذا حدث ضيق او طرد فللوقت يشك وقال مرقس لنسيب الكلة
فيشكون للوقت وقال لوقا وهم انما يؤمنون الى زمان التجربة وفي زمان التجربة يشكون والذي يزرع في الشوك
فهو الذي يسمع الكلام فتخنق الكلام فيه وقال مرقس فتغلب عليهم هموم هذا الدهر وطلب الغنى وقال مرقس
ومحبة الغنى وساير الشهوات التي يسلكونها فتخنق الكلمة فلا تثمر فيهم وقال متى فيكون بغير ثمر والذي زرع في
الارض الجيدة هو الذي يسمع الكلام ويتفهم ويعطي ثمرا وقال لوقا واما الذي وقع في الارض الصالحة فهم الذين يسمعون
الكلمة بقلب جيد فيحفظونها ويثمرون بالصبر قال متى للواحد مايه وللاخر ستين وللاخر ثلثين وضرب لهم مثلا اخر
قايلا يشبه ملكوت السموات انسانا زرع زرعا جيدا في حقله فلما نام الناس جاء عدو له فزرع زوانا في وسط القمح
ومضى فلما نبتا القمح وظهر الزوان فجا عبيد رب البيت فقالوا له يا سيد اليس زرعا جيدا زرعت في حقلك فمن اين صار
فيه زوان فقال لهم عدو فعل هذا فقال عبيده نريد ان نذهب فنجمعه فقال لهم لا لييلا تقلعوا مع الحنطة دعوهما
ينبتان جميعا الى زمان الحصاد واقول للحصادين اولا اجمعوا الزوان وشدوه حزما ليحرق فاما القمح فاجمعوه الي
اهرآي وضرب لهم مثلا آخر قايلا يشبه ملكوت السموات حبة خردل اخذها انسان وزرعها في حقله لانها اصغر
الزراريع كلها وقال مرقس وهي اصغر الحبوب التي على الارض فاذا طالت صارت اكبر من جميع البقول وتصير شجرة
وقال مرقس وصنعت اغصانا عظاما وقال لوقا فنمت وصارت شجرة عظيمة حتى ان طاير السما يستظل تحت
اغصانها وكلمهم بمثل آخر وقال لهم يشبه ملكوت السموات خميرا اخذته امراة وعجنته في ثلثة اكيال دقيق فاختمر
الجميع وقال مرقس وكان يقول لهم لعل يوخذ سراج فيوضع تحت مكيال او سرير لكن على منارة وقال لوقا
ليس احد يوقد سراجا فيغطيه ولا يجعله تحت سرير لكن يضعه على منارة فيرى نور كل من يدخل قال مرقس كذلك
ليس خفي الا سيظهر ولا مكتوم الا سيعلن وقال لوقا سراج الجسد العين فاذا كانت عينك بسيطة فجسدك كله
نير وان كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما احرص ان لا يكون النور الذي فيك ظلاما فان كان جسدك كله
نيرا وليس فيه جزء مظلم فانه يكون كاملا نيرا كما ان السراج ينير لك بلمع ضيائه وقال مرقس من له اذنان
سامعتان فليسمع وقال لهم انظروا ماذا تسمعون فبالكيل الذي تكيلون بكال لكم وتزادون ايها السامعون لان الذي
له يعطى ومن ليس عنده فالذي عنده يوخذ منه وقال يشبه ملكوت الله انسانا يلقي زرعه على الارض وينام ويقوم
ليلا ونهارا والزرع ينمو ويطول وهو لا يعلم اوكا اعشب وبعد ذلك سنبل ثم يمتلئ السنبل حتى اذا انتهتا الثمرة
حينيذ يضع المنجل اذ قد دنا الحصاد قال متى هذا كله قاله يسوع للجموع ليتم ما قيل في النبي القايل افتح فاي بالامثال

هذا يعرفون بان اعمار البعيد قصار واعمار البعيد مباركة معافية لتقلة واما من يتبع الناس فيكب في الارض

اي على النطع

وانطق بالخفيات من قبل اساس العالم حينئذ ترك الجمع وجا الى البيت فجا اليه تلاميذه وقالوا فسر لنا مثل زوان
الحقل اجاب الذي زرع الزرع الجيد هو ابن الانسان والحقل هو العالم والزرع الجيد هم بنوا الملكوت والزوان هم
بنوا الشر والعدو الذي زرعهم هو الشيطان والحصاد هو منتهى الدهر والحصادون هم الملئكة فكما انهم يجمعون
الزوان اولا وبالنار يحرق هكذا يكون منتهى هذا الدهر يرسل ملايكته ويجمعون من مملكته كل الشوك وفاعلي الاثم
فيلقونهم في اتون النار هناك يكون البكا وصرير الاسنان حينئذ يضي الصديقون مثل الشمس في ملكوت ابيهم
من له اذنان سامعتان فليسمع ويشبه ملكوت السموات كنزا مخفي في حقل وجده انسان فخباه ومن فرحه مضى
وباع كل شي واشترى ذلك الحقل وايضا يشبه ملكوت السموات انسانا تاجرا يطلب الجو هو الفاخر الحسن فوجد
درة كثيرة الثمن فمضى وباع كل ماله واشتراها وايضا يشبه ملكوت السموات شبكة القيت في البحر فجمعت من كل جنس
فلما امتلات اطلعوها الى الشط فجلسوا وجمعوا الخيار في الاوعية والردي رموه خارجا هكذا يكون في انقضاء هذا
الزمان تخرج الملايكة ويميزون الاشرار من وسط الصديقين ويلقونهم في اتون النار هناك يكون البكا وصرير الاسنان
فلما اكمل يشوع هذه الامثال انتقل من هناك وجا الى بلدته وكان يعلم في مجامعهم حتى انهم بهتوا وقالوا من اين له هذه
الحكمة والقوة وقال مرقس من اين له هذا التعليم وهذه الحكمة التي اعطيها والقوات التي تكون على يديه انتهى اليس
هذا ابن النجار وقال لوقا وكان جميعهم يشهدون له ويتعجبون من كلام النعمة الذي كان يخرج من فمه وكانوا يقولون
اليس هذا ابن يوسف انتهى اليس امه تسمى مريم واخوته يعقوب ويوشا وشمعان ويهودا اليس هو واخوته عندنا
جميعا فمن اين له هذا كله وكانوا يشكون فيه فان يشوع قال لهم لا يهان نبي الا في بلدته وبيته وقال مرقس ليس يهان
نبي الا في بلدته وعند انسابه وبيته وقال لوقا فقال لهم لعلكم تقولون لي هذا المثل ايها المتطبب اشف نفسك
والذي سمعنا انك صنعته في كفرناحوم افعله ايضا ههنا في مدينتك فقال لهم الحق اقول لكم ان لا يقبل نبي في مدينته
الحق اقول لكم ان الارامل كثيرة كن في اسرايل في ايام اليا اذا غلقت السما ثلاث سنين وستة اشهر وصار جوع عظيم في
الارض كلها ولم يرسل اليا الى واحدة منهن الا ارملة في صارفية صيدا وبرص كثير كانوا في اسرايل على عهد اليسع النبي
ولم يطهر واحدا منهم الا نعمان الشامي فامتلا جميعهم غضبا عندما سمعوا هذا واخرجوه خارج المدينة وجاوا به الى اعلى
الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه ليطرحوه الى اسفل فاما هو فجاز وسطهم ومضى ونزل الى كفرناحوم مدينة في
الجليل وكان يعلمهم في السبت وبهتوا من تعليمه لان كلامه كان بسلطان وقال في موضع اخر وجا اليه ناس من الفريسيين
وقالوا له اخرج فاذهب من ههنا فان هيرودس يريد يقتلك فقال لهم امضوا وقولوا لهذا الثعلب ان هوذا اخرج
الشياطين واتم الشفا اليوم وغدا وفي اليوم الثالث اكمل وينبغي ان اقيم اليوم وغدا وفي اليوم الاتي اذهب لانه ليس
يهلك نبي خارجا عن يروشليم ايا يروشليم ايا يروشليم يا قاتلة الانبيا وزاحمة المرسلين اليها كم من مرة اردت ان اجمع
بنيك مثل الدجاجة التي تجمع فراخها تحت جناحيها فلم يريدوا هوذا اترك بيتكم خرابا فسمع هيرودس رئيس الربع
بجميع ما كان فتحير لان كثيرا كانوا يقولون ان يوحنا قام من الاموات واخرون يقولون ان اليا ظهر واخرون يقولون نبي
من الاولين فقال هيرودس انا قطعت راس يوحنا فمن هو الذي نسمع عنه هذا وطلب ان يبصره وفي انجيل متى وفي
ذلك الزمان سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمداني وهو قام من الاموات من اجل
هذه القوات التي يعمل بها قوله المعمد من اعمده اذا غسله في ما المعمودية قوله تبررت اي صارت برية
بالنسبة اليهم قوله يعير المدن اي يذكر ما اوجب لها العار قوله القوات جمع قوة وهي المعجزات هنا قوله
الذي هويت يعني احببت حبا شديدا ولفظ الهوى الظاهر انه يفهم نقصا فلا يحل في شرعنا اطلاقه على الله تعالى قوله
مطفطف اي مملو الى راسه لا يزال كذلك قوله شرق وزن فرح اي ضعف من شرق بريقه وشرقت الشمس اذا
ضعف ضوءها قوله اتون هو وزن تنور وقد يخفف اخدود الجبار والجصاص قوله بسيطه اي على الفطرة
الاولى قوله يروشليم بتحتانيه ومهمله وشين معجمه بيت المقدس قوله ملكوت ابيهم تقدم ما فيه غير مرة
ولما كان من المقصود بذكر معجزات عيسى عليه السلام تنبيه الكافر ليؤمن والمومن ليزداد ايمانا وتسلية النبي صلى
الله عليه وسلم وتوبيخ اليهود المدعين انهم ابنا واحبا الى غير ذلك مما اراد الله قرعت به الاسماع ولم يتعلق بما يجيب
به يوم القيمة عند امره بذلك غرض فطوى ولما كان اجل المقاصد تاديب هذه الامة لنبيها عليه الصلوة والسلام
لتجله عن ان تبداه بسوال او تقترح عليه شيا في حال من الاحوال ذكر لهم شان الحواريين في اقتراحهم بعد ما تقدم
من امتداحهم بعدهم في عداد اولي الوحي ومبادرتهم الى الايمان امتثالا للامر ثم الى الاشهاد على سبيل التاكيد
بتمام الانقياد وسلب الاختيار فقال معلقا بقالوا امنا مقربا لزمن تعنتهم من زمن ايمانهم مذكرا لهذه الامة
يحفظها على الطاعة ومبكتا لبني اسرايل بكثرة تقلبهم وعدم تاملهم ابعادا لهم عن درجة المحبة فضلا عن النبوة وهذه
القصة قبل قصة الايحا اليهم فتكون اذ هذه ظرفا لتلك فيكون الايحا اليهم بالامر بالايمان من وقت سوالهم
هذه بعد ابتدائه ويكون فايدته حفظهم من ان يسالوا اية اخرى كما سالوا هذه بعد ما راوا منه صلى الله عليه وسلم
من الايات اذ قال واعاد وصفهم ولم يضمره تنصيصا عليهم بعد ما يذكر من حالهم هذا من حالهم الاول فقال الحواريون

وذكر

وذكرانهم ناده باسمه واسم امه فقالوا يا عيسى ابن مريم ولم يقولوا يا رسول الله ولا يا روح الله ونحو هذا من التبجيل
هل يستطيع ربك بالياء مسندا الى الرب وبالتاء الفوقانية مسندا الى عيسى عليه السلام ونصب الرب ومعناهما
واحد يرجع الى التهييج والالهاب بسبب الاجتهاد في الدعاء بحيث تحصل الاجابة وتكون هذه العبارة ايضا للتلطف
كما يقول الانسان لمن يعظمه هل تقدر ان تذهب معي الى كذا وهو يعلم انه قادر ولكنه يكني بذلك عن ان السائل يحب ذلك ولا
يريد المشقة على المسؤول ان ينزل اي الرب المحسن اليك علينا مائدة وهي الطعام وتقال ايضا للخوان اذا كان عليه
الطعام والخوان شيء يوضع عليه الطعام للاكل هو في العموم بمنزلة السفرة لما يوضع فيه طعام المسافر بالخصوص وهي من
ماده اذا اعطاه واطعمه ولما كان هذا ظاهرا في انها سماوية صرحوا به احترازا عما عودتم به صلى الله عليه وسلم
من انه يدعو بالقليل من الطعام فيبارك فيه فيمده الله فيكفي القيام من الناس فقالوا من السماء اي كاصنع للاديمين فيها
لتختص لهما عن تقدمنا من الامم ولما كان المقصود من هذا وعظنا وارشادنا الى ان لا نسيل نبينا صلى الله عليه وسلم
شيا اكتفاء بما يرحمنا به ربنا الذي رحمنا بانه ابانا بارسالها الينا لا يصالنا اليه سبحانه وتحويفا من ان نكون مثل من قضى
من المقترحين الذين كان اقتراحهم سببا هلاكهم دل على ذلك بالتزوع من اسلوب الخطاب الى الغيبة فقال مستانفا
ارشادا الى السؤال عن جوابه قال ولم يقل فقلت اتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الاعظم الذي له صفات
الكمال وغاية تمنعكم عن الاجتراء على الاقتراح ان كنتم مومنين اي بانه قادر وانبي رسوله فلا تفعلوا افعل من وقفا يمانه
على رؤية ما يقترح من الايات ولما كانت المعجزات انما يتطلب لايمان من لم يكن آمن وكان في هذا الجواب ايما زجر لهم
كشوف السامع الى جوابهم فقيل لم ينتهوا بل قالوا انما لا نريد ها لاجل ازالة شك عندنا بل نريد مجموع امور ان ناكل
منها فانا جياع ولما كان التقدير فنحصل لنا بركتها عطف عليه وتطمئن قلوبنا اي بضم ما رايناه الى ما سبق من معجزاتك
من غير سوانا فيه ونعلم اي بعين اليقين وحقه ان قد صدقتنا اي في كل ما اخبرتنا به ونكون عليها واشاروا الى عمومها
بالتبعيض فقالوا من الشاهدين اي شهادة رؤية مستعلية عليها بالفا وقعت لاشهاده ايمان بالفاجئة الوقوع ۵
قال عيسى ونسبه زيادة في التضرع به تحقيقا لانه لا اب له وتشفيها لمن اطراه او وضع من قدره فقال ابن مريم اللهم
فافتتح دعاءه بالاسم الاعظم ثم بوصف الاحسان فقال ربنا اي ايها المحسن الينا انزل علينا وقدم المقصود فقال
مائدة وحقق موضع الانزال بقوله من السماء ثم وصفها بما تكون به بالغة العجب عالية الرتب فقال تكون اي هي
او يوم نزولها لنا عيدا واصل العيد كل يوم فيه جمع ثم قيد بالسرور فالمعنى نعود اليها مرة بعد مرة سرورا بها ونعل
منها ما ياتي من البركات حين نزوله عليه السلام كما في الاحاديث الصادقة ويؤيد ذلك قولهم بعدا من لنا الاولنا
واخرنا ولما ذكر الامر الدنيوي اتبعه الامر الديني فقال وآية منك اي علامة على صدقي وارزقنا اي رزقا مطلقا
غير مقيد بها ولما كان التقدير فانت خير من عطف عليه قوله وانت خير الرازقين اي فانك تغني من تعطيه
وتزيده مما يؤمله ويرتجيه مما لا ينقص شيا مما عندك ولا تطلب منه شيا غير ان ينفع نفسه بما قويته عليه من طاعتك
بذلك الرزق قال الله اي الملك المحيط علما وقدرة ولما كان ظاهر سوالهم في الاستفهام عن الاستطاعة للاضطراب
وان كان الالهاب اكد الجواب فقال اني منزلها عليكم اي الآن بقدرتي الخاصة بي فمن يكفر بعد اي بعد انزالها منكم وهذا
السياق مشعرا بانه يحصل منهم كفر وقد وجد ذلك حتى في الحواريين على ما يقال في يهوذا الاسخريوطي احدهم الذي
دل على عيسى فالقي شبهه عليه ولذلك خصه بهذا العذاب فقال فاني اعذبه اي على سبيل البت والقطع عذابا لا اعذبه
اي مثله ابدا فيما ياتي في الزمان احدا من العالمين وفي هذا ايم زاجر لهذه الامة عن اقتراح الايات وفي ذكر قصة
المايدة في هذه السورة التي افتتحت باحلال المآكل واختتمت بها اعظم تناسب وفي ذلك كله اشارة الى تذكير هذه
الامة بما انعم عليها بما اعطى نبيها من المعجزات ومن عليها به من حسن الاتباع وتحذيرها من كفران هذه النعم المعدودة عليهم
وقد اختلف المفسرون في حقيقة هذه المايدة وفي احوالها قال ابو حيان واحسن ما يقال فيه ما اخرجه الترمذي
في ابواب التفسير عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المايدة من السماء
خبزا ولحما وامروا ان لا يدخروا لغد ولا يخونوا فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير انتهى قلت
ثم صحح الترمذي وقفه على عمار وقال لا نعلم الحديث المرفوع اصلا غير ان ذلك لا يضره لكونه لا يقال من قبل الراي ۵
ولا اعلم احدا ذكر عمارا فيمن اخذ عن اهل الكتاب فهو مرفوع حكما وهذا الخبر يوكد ان الخبز في الاية على بابه فيدفع قول
من قال انها لم تنزل لانهم لما سمعوا الشرط قالوا لا حاجة لنا بها لان خبره تعالى لا يخلف ولا يبدل لا لقول لديه وهذا
الرزق الذي من السماء قد وقع مثله لاحاد الامة روى البيهقي في اواخر الدلايل عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كانت
امراة من دوس يقال لها ام شريك اسلمت في رمضان فاقبلت تطلب من يصحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلقيت رجلا من اليهود فقال مالك يا ام شريك قالت اطلب رجلا يصحبني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فتعالي انا اصحبك قالت فانتظرني حتى املا سقائي ماء قال مي ما لا تريدين ماء فانطلقت معهم فساروا يومهم
حتى امسوا فنزل اليهودي ووضع سفرته فتعشى وقال يا ام شريك تعالي الى العشاء فقالت اسقني من الماء فاني عطشى
ولا استطيع ان اكل حتى اشرب فقال لا اسقيك حتى تهودي فقالت لا جزاك الله خيرا غربتني ومنعتني احمل ماء فقال

لا والله لا اسقيك سمه قطرة حتى تهودي فقالت لا والله لا اتهود ابدا بعد اذ هداني الله للاسلام فاقبلت الى بعيرها فعقله
ووضعت راسها على ركبته فنامت قالت فما ايقظني الا برده وقع على جبيني فرفعت راسي فنظرت الى ماء اشد بياضا من
اللبن واحلى من العسل فشربت حتى رويت ثم انضحت على سقائي حتى ابتل ثم ملاته ثم رفع بين يدي وانا انظر حتى توارى
مني في السماء فلما اصبحت جاء اليهودي فقال يا ام شريك قلت والله قد سقاني الله قال من اين انزل عليك من السماء قلت كم
والله لقد انزل الله علي من السماء ثم رفع بين يدي حتى توارى عني في السماء ثم اقبلت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقصصت عليه القصة فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها نفسها فقالت يا رسول الله لست ارضى نفسي لك ولكن
بضعي لك فزوجني من شئت فزوجها زيدا وامر لها بثلثين صاعا وقال كلوا ولا تكيلوا وكان معها عكة سمن هدية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت الجارية لها بلغي هذه العكة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولي ام شريك تقرئك السلام وتقول
هذه عكة سمن اهديناها لك فانطلقت بها فاخذوها ففرغوها وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم علقوها ولا توكوها
فعلقوها في مكانها فدخلت ام شريك فنظرت اليها مملوة سمنا فقالت يا فلانة الم امرتك ان تنطلقي بهذه العكة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت قد والله انطلقت بها كما قلت ثم اقبلت بها اصوبها ما يقطر منها شئ ولكنه قال علقوها
ولا توكوها فعلقتها في مكانها وقد اوكتها ام شريك حين رايتها مملوة فاكلوا منها حتى فنيت ثم كالوا الشعير فوجدوه
ثلثين صاعا لم ينقص منه شئ قال وروي ذلك من وجه آخر ولحديثه في العكة شاهد صحيح عن جابر رضي الله عنه
وروي باسناده عن ابي عمران الجوني ان ام ايمن هاجرت من مكة الى المدينة وليس معها زاد فلما كانت عند الروحاء وذلك
عند غيبوبة الشمس عطشت عطشا شديدا قال فسمعت حفيفا شديدا فرفعت راسي فاذا دلو مدلى من السماء برشاء
ابيض فتناولته بيدي حتى استمكنت به قالت فشربت منه حتى رويت قالت فلقد اصوم في اليوم الحار الشديد ثم اطوف
في الشمس كي اظمأ فما ظمئت بعد تلك الشربة وفي الجهاد من البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فذكر
الحديث حتى قال فابتاع خبيبا يعني ابن عدي الانصاري بنو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان خبيب هو قتل الحرث
بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيرا فاخبرني عبيد الله بن عياض ان ابنة الحرث قالت والله ما رايت اسيرا قط خيرا
من خبيب والله لقد وجدته يوما ياكل من قطف عنب في يده وانه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول انه لرزق
من الله رزقه خبيبا الحديث ومن الامر الجلي ان عيسى عليه السلام بعد ان امر الله تعالى له بذكر هذه النعم يقوم في ذلك الجمع
فيذكرها ويذكر المقصود من التذكير بها وهو الثناء على المنعم بما يليق بجلاله فيحمد ربه تعالى بمحامد تليق بذلك المقام
في ذلك الجمع ممن انتسب الامور حينئذ سواه وهو المحيط علما بمكنونات الضمائر وخفيات السرائر اثر التهديد لمن يكفر عما
كفر به النصارى فلذلك قال تعالى عاطفا على قوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي واذ قال الله اي بما له من
صفات الجلال والجمال مشيرا الى ما له من علو الرتبة بإداة النداء يا عيسى ابن مريم وذلك تحقيقا لانه عمل بمقتضى النعمة
وتبكيتا لمن ضل فيه من النصارى وانكارا عليهم آانت قلت للناس اي الذين ارسلت اليهم من بني اسرائيل وكانه عبر بذلك
لزيادة التوبيخ لهم بكونهم اعتقدوا ذلك وفيهم الكتاب فكانه لا ناس غيرهم اتخذوني اي كلفوا انفسكم خلاف ما تعتقده
بالفطرة الاولى في الله بان تاخذوني وامي الهين ولما كانت عبادة غير الله ولو كانت على سبيل الشرك مبطلة لعبادة الله
لانه سبحانه اغنى الاغنياء ولا يرضى الشرك الا الفقير قال من دون الله اي الملك الاعلى الذي لا كفوء له فيكون المعنى اتخذوا بالمنا
سلما تتوصلون به الى الله ويجوز ان يكون المعنى على المغايرة ولا دخل حينئذ للشركة ولما كان من المعلوم لنا في غير
موضع انه لم يقل ذلك صرح به هنا توبيخا لمن ادعاه وتاكيدا لما عنه نامن العلم وتجهيلا له صلى الله عليه وسلم بما يبدي من
الجواب وتفصيلا بالاعلام بانه لم يحد عن طريق الصواب بل بذل الجهد في الوفاء بالعهد وتقريعا لمن قال ذلك عنه وهو
يدعي حبه واتباعه عليه السلام وتجهيلا لهم فلما تشوفت لجواب الاستماع واصغت له الاذان وكان في ذكره من الحكم ما تقدمت
الاشارة اليه ذكره سبحانه قائلا قال فاتحا بالتنزيه سبحانك اي انك التنزه الاعظم عن كل شائبة نقص ودل بالمضارع
على ان هذا القول لا يزال ممنوعا منه فقال ما يكون لي اي ما ينبغي ولا يصح اصلا ان اقول اي وقت من الاوقات ما ليس
واغرق في المنفي كما هو حق المقام فقال بحق ولما بادر عليه السلام اعظاما للمقام الى الاشارة الى نفي ما سئل عنه ابتعه
ما يدل على انه كان ينبغي في الجواب عنه انت اعلم وانما اجاب بما تقدم اشارة الى ان هذا القول مكاد السموات ينفطرن
منه ومبادرة الى تبكيت من ادعاه له فقال دالا على انه لم يقع بما تضمن اعظم المدح لانا المقام للخنوع ان كنت قلته اي
مطلقا للناس او حدثت به نفسي فقد علمته وهو مبالغة في الادب واظهار الذلة وتفويض الامر كله الى رب العزة ثم علل الاخبار
بعلمه بما هو من خواص الاله فقال تعلم ولما كانت النفس يعبر بها عن الذات وكان القول يطلق على النفسي فاذا انتفى انتفى الثاني
قال ما في نفسي اي وان اجتهدت في اخفائه فانه خلقك وما انا له الا الة ووعاء فكيف به ان كنت اظهرته ولما ثبت
له سبحانه ذلك نفاه عن نفسه توبيخا لمن ادعى له الالهية فقال مشاكلة ولا اعلم ما في نفسك اي ما اخفيته عني من الاشياء
ثم علل الامرين كليهما بقوله انك انت اي وحدك علام الغيوب ولما نفى عن نفسه ما يستحق النفي ودل عليه اثبت ما قاله
لهم على وجه مصرح بنفي غيره ليكون ما نسبا اليه من دعوى الالهية منفيا مرتين اشارة وعبارة فقال معبرا عن الامر بالقول

مطابقة للسؤال وفسر بالامر بيانا لان كل ما قاله من مباح او غيره دائر على الامر من حيث الاعتقاد بمعنى ان المخاطب
بما قاله الرسول مامور بان يعتقد فيه انه بتلك المنزلة لا يجوز ان يعتقد فيه انه فوقها ولا دونها تعبدا لله تعالى بذلك
ما قلت لهم اي ما امرتهم شيئا من الاشياء الا ما امرتني به ثم فسره دالا بان المراد بالقول الامر بالتعبير في تفسيره بحرف التفسير
بقوله ان اعبدوا اي ما امرتهم الا بالعبادة الله اي الذي لم يستجمع نعوت الجلال والجمال احد غيره ثم اشار الى انه كما يستحق
العبادة لذاته يستحقها لنعمه فقال ربي وربكم اي انا وانتم في عبوديته سواء وهذا الحصر يصح ان يكون للقلب على ان دون
بمعنى غير والافراد على انها بمعنى سفول المنزلة وهو من بدائع الامثلة ولما فهم صلى الله عليه وسلم من هذا السؤال ان
اتباعه غلوا في شانه فنزه الله سبحانه وعز شانه من ذلك واخبره بما امر الناس به في حقه سبحانه من الحق اعتذر عن
نفسه بما يؤكد ما مضى نفيا واثباتا فقال وكنت عليهم اي خاصة لا على غيرهم ولما كان سبحانه قد ارسله شاهدا زاد في
الطاعة في ذلك الى ان بلغ جهده كاخوانه من الانبياء عليهم السلام فقال معبرا بصيغة المبالغة شهيدا اي بالغ الشهادة
لا ارى فيهم منكرا الا اجتهدت في ازالته ما دمت فيهم واشار الى الثناء على الله تعالى بقوله فلما توفيتني اي رفعتني الى
السماء كامل الذات والمعنى مع بذلهم جهدهم في قتلي كنت انت اي وحدك الرقيب اي الحفيظ القدير عليهم لا يغيب عليك شيء
من احوالهم وقد منعتهم انت ان يقولوا شيئا غير ما امرتهم انا به من عبادتك بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم على لساني
من البينات وانت على كل شيء اي منهم ومن غيرهم حيوان وجماد شهيد اي مطلع غاية الاطلاع لا يغيب عنك شيء منه سواء كان
في عالم الغيب والشهادة فان كانوا قالوا ذلك فانت تعلمه دوني لاني لما بعدت عنهم في المسافة انقطع علمي عن احوالهم ولما
كان هذا الذي سلف كله سؤالا وجوابا واخبارا حمدا لله تعالى وثناء عليه بما هو اهله بالتنزيه له والاعتراف بحقه
والشهادة له بعلم الخفايا والقدرة والحكمة وغير ذلك من صفات الجلال والجمال وكان هذا السؤال يفهم ارادة التعذيب
للمسؤول عنهم قال مشيرا الى الشفاعة فيهم على وجه الحمد لله تعالى والثناء الجميل عليه لان العذاب ولو للمطيع عدل والعفو
عن العاصي باي ذنب كان فضل مطلقا وغفران الشرك ليس ممتنعا بالذات ان تعذبهم اي القايلين لهذا القول فانهم
عبادك اي فانت جدير بان ترحمهم ولا اعتراض عليك في عذابهم لان كل حكمك عدل وان تغفر لهم اي تمح ذنوبهم عينا واثرا
فانك انت اي خاصة العزيز فلا احد يعترض عليك ولا ينسبك الى وهن الحكيم فلا تفعل شيئا الا في اعلى درج الاحكام
لا قدرة لاحد على تعقبه ولا الاعتراض على شيء منه ولما انقضى جوابه عليه السلام على هذا الوجه الجليل تشوف السامع
الى جواب الله له فقال تعالى مشيرا الى كون جوابه حقا ومضمونه صدقا منبها على مدحه حاثا على ما بنيت عليه السورة
من الوفاء بالعقود قال الله اي الملك المحيط بالجلال والاكرام جوابا لكلامه هذا اي مجموع يوم القيمة ولما كان ظهور
الجزاء النافع هو المقصود قال يوم هذا على قراءة الجماعة بالرفع وقرا نافع بالنصب غير منون ايضا لاضافته الى متمكن
بمعنى هذا الذي ذكر واقع او قال الله هذا الذي تقدم يوم ينفع الصادقين اي العريقين في هذا الوصف نفعا لا يضرهم
معه شيء صدقهم اي الذي كان لهم في الدنيا وصفا ثابتا فحداهم على الوفاء بما عاهدوا عليه فكانه قيل ينفعهم باي شيء فقال
لهم جنات اي هي من ري الارض الذي يستلزم زكاء الشجر وطيب الثمر بحيث تجري ولما كان تغرق المياه في الاراضي انتج بعض
فقال من تحتها الانهار ولما كان مثل هذا لا يريح الا اذا دام قال خالدين فيها واكد معنى ذلك بقوله ابدا ولما
كان ذلك لا يتم الا برضى المالك قال رضي الله اي الذي له صفات الكمال عنهم اي بجميع ما له من الصفات وهو كناية عن انه
اثابهم بما يكون من الرضى ثوابا متبوعا بتبوع ما له من جميع صفات الجلال والجمال ولما كان ذلك لا يكمل ويبسط ويجمل
الا برضاهم قال ورضوا عنه يعني انه لم يدع لهم شهوة الا انالهم اياها وقال الزبير بعد ما اسلفته عنه فلما طلب
تعالى المؤمنين بالوفاء فيما نقض فيه غيرهم وذكرهم ببعض ما وقع به النقض وما اعقب ذلك فاعلمه واعلمهم بثمرة التزام
التسليم والامتثال اراهم جل وتعالى ثمرة الوفاء وعاقبته فقال تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت
للناس الى قوله هذا يوم ينفع الصادقين الى اخرها فحصل من جملتها الامر بالوفاء فيما تقدمها وحال من حاد ونقض
وعاقبة من وفى وانهم الصادقون وقد امرنا ان نكون معهم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين انتهى
ولما كان سبحانه قد امرهم اول السورة بالوفاء شكرا على ما احل لهم في دنياهم ثم اخبر انه زاد الشاكرين منهم ورقاهم
الى ان اباحهم اجمل النفايس في اخراهم ووصف سبحانه هذا الذي اباحه لهم الى ان بلغ في وصفه ما لا مزيد عليه اخذ
يغبطهم به فقال ذلك اي الامر العالي لا غيره الفوز العظيم ولما كان هذا الذي اباحه لهم واباحهم اياه لا يكون الا
باسباب لا تسعها العقول ولا تكتنه بفروع ولا اصول علل اعطاه اياه وسهولته لديه بقوله مشيرا الى ان
كل ما ادعيت فيه الالهية مما تقدم في هذه السورة وغيرها بعيد عن ذلك لانه ملكه وفي ملكه وتحت قهره لله اي الملك
الذي لا تكتنه عظمته ولا تضعف قدرته لا لغيره ملك السموات بدا بها لانها اشرف واكبر واياتها ادل واكثر
والارض على اتساعهما ونمطهما وتباعد ما بينهما وما فيهن اي من جوهر وعرض ولما كان ذلك انهى ما نعلمه عمم بقوله
وهو على كل شيء اي من ذلك وغيره من كل ما يريد قدير فلذلك هو يحكم ما يريد لانه هو الاله وحده وهو قادر على اسعاد
من شاء واشقاء من شاء واحلال ما شاء وتحريم ما شاء والحكم بما يريد ونفع الصادقين الموفين بالعقود الثابتين
على العهود لان له ملك هذه العوالم وما فيها مما ادعي فيه الالهية من عيسى وغيره والكل بالنسبة اليه اموات بل موات

حديرون بان يعبر عنهم بما لا يمن فمن يستحق معه شيا ومن يملك معه ضرا او نفعا وقد انطبق آخر السورة على اولها كما ترى اي انطباق واتسقت جميع اياتها اخذا بعضها بحجز بعض اي اتساق فسبحان من انزل هذا القران على اعظم البيان مخجلا لمن اباه من الامم معجزا لاصحاب السيف والقلم ۞ والحمد لله وحده ۞ وصلى الله على من لا نبي بعده ۞

سورة الانعام مايتان وخمسون اية مكية

مقصودها الاستدلال على ما دعا اليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد بانه الحايز لجميع الكمالات من الايجاد والاعدام والقدرة على البعث وغيره وانسب الاشيا المذكورة فيها لهذا المقصد الانعام لان الاذن فيها كما ياتي مسبب عما ثبت له من الفلق والتفرد بالخلق وتضمن باقي ذكرها ابطال ما اتخذوه من امرها دينا لانه لم ياذن فيه ولا اذن لاحد معه لانه المتوحد بالالهية لا شريك له وحصر المحرمات من المطاعم التي هي جلها في هذا الدين وغيره فدل ذلك على احاطة علمه وسياتي في سورة طه البرهان على ان احاطة العلم ملزومة لشمول القدرة وساير الكمالات وذلك عين مقصود السورة وقد ورد من عدة طرق كما بينت ذلك في كتابي مصاعد النظر انها نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح وفي رواية ان نزولها كان ليلا وان الارض كانت ترتج لنزولها وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعين والقدرية واهل الملل الزايغة وعليها مبنى اصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وابطال مذاهب الملحدين وانزالها على الصورة المذكورة يدل على ان اصول الدين في غاية الجلالة وان تعلمه واجب على الفور لنزولها جملة بخلاف الاحكام فانها تعرف بحسب المصالح ونزولها ليلا دليل على غاية البركة لانه محل الانس بنزوله تعالى الى سماء الدنيا وعلى ان هذا العلم لا يقف على اسراره الا البصراء الايقاظ في سنة الغفلات اولوا الالباب اهل الخلوات والارواح الغالبة على الابدان وهم قليل بسم الله الذي بين دلايل توحيده بانه الجامع لصفات الكمال الرحمن الذي افاض على ساير الموجودات من رحمته بالايجاد والاعدام مما حير لعمومه الافهام فضاقت به الاوهام الرحيم الذي حبا اهل الايمان بنور البصاير حتى كان الوجود ناطقا لهم بالاعلام بانه الحي القيوم السلام الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال لله لما ختم سبحانه تلك بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله في ذلك اليوم في ذلك الجمع ثم بحمده لنفسه المقدسة بشمول الملك والقدرة اذ الحمد هو الوصف بالجميل افتتح هذه بالاخبار بان ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له استحقاقا ثابتا دايما قبل ايجاد الخلق وبعد ايجاده سوا شكره العباد او كفروه لما له من صفات الكمال على ما تقدمت الاشارة اليه في الفاتحة فاتى بهذه الجملة الاسمية المفتتحة باسم الحمد الكلي الجامع لجميع انواعه الدالة على الاستغراق اما بان اللام له عند الجمهور او بانها للجنس كما هو مذهب الزمخشري ويؤول الى مذهب الجمهور فان الجنس اذا كان مختصا به لم يكن فرد منه لغيره اذ الجنس لا يوجد الا ضمن افراده فمتى وجد فرد منه لغيره كان الجنس موجودا فيه فلم يكن الجنس مختصا به وقد قلنا انه مختص وهذا التحميد صار بوصفه فردا من افراد تحميد الفاتحة تحقيقا لكونها اما وعقبها سبحانه بالدليل الشهودي على ما ختم به تلك من الوصف بشمول القدرة بوصفه بقوله الذي خلق ولما كان تعدد السموات ظاهرا بالكواكب في سيرها وحركاتها في السرعة والبطوء واستنار بعضها ببعض عند الخسوف وغيره وغير ذلك مما هو محرر عند اهله جمعها فقال السموات اي على علوها واحكامها وقرنها لما تقدم قريبا والارض اي على تخللها بالمنافع وانتظامها ولما كان في الجعل معنى التضمين فلا يقوم المجعول بنفسه قال وجعل اي احدث وانشا لمصالحكم الظلمات اي الاجرام المتكاثفة والنور وجمع الاول تنبيها على ان طرق الشر والهلاك كثيرة تدور على الهوى وقد تقرر بهذا ما افتتح به السورة لان من تفرد باختراع الاشيا كان هو المختص بجميع المحامد ومن اختص بجميع المحامد لم يكن اله سواه ولم يكن له شريك لا ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة ولا غير ذلك وما احسن ختمها بعد الاشارة الى هذه المقاصد المبعدة لان تكفر به او يعدل به شي بقوله ثم الذين كفروا اي ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من ادلة وحدانيته التي لا خفا بها عن احد جرد نفسه من الهوى وعالج ادواه بانفع دوا لاحاطته بجميع صفات الكمال وزاد الامر تقبيحا عليهم بابدال ما كان الاصل في الكلام من الضمير بقوله بربهم اي المحسن اليهم الذي لم يروا احسانا الا منه يعدلون اي يجعلون غيره مما لا يقدر على شي معادلا له مع معرفتهم بانه الذي ابدع الاشيا كفرا لنعمته وبعدا من رحمته فبعضهم عدل به بعض الجواهر من خلقه من السما كالنجوم او من الارض كالاصنام او بعض ما ينشا عن بعض خلقه من الاعراض وهو خلقه كالنور والظلمة والحال ان تقلباتهما تدل باداني النظر على امرين الاولى بعدهما عن الصلاحية الالهية لتغيرهما اني لا احب الافلين والثاني قدرة خالقهما ومغيرهما على البعث لايجاد كل منهما بعد اعدامه كما هو شان البعث الى غير ذلك من الاسرار التي تدق عن الافكار وتقديم الظلمة مناسب لسياق العادلين والتعبير بثم للتنبيه على ما كان ينبغي لكل راء لهذا الخلق من الابعاد عن الكفر لبعده عن الصواب فقد لاح ان مقصود السورة الاستدلال على ما دعا اليه الكتاب الذي تبين انه الهدى من توحيد الله والاجتماع عليه والوفا بعهوده بانه سبحانه وحده الخالق الحايز لجميع الكمالات من القدرة على البعث وغيره وما انسب ذلك بختم المايدة بذكر يوم الجمع وان لملكه جميع الملك وهو على كل شي قدير وهذه السورة اول السور الاربع المشيرة الى جميع النعم المندرجة تحت النعم الاربع التي اشتملت عليها الفاتحة وكل سورة منها مشيرة الى نعمة من النعم الاربع فقوله خلق

السموات

السموات والارض الاية ثم خلقكم من طين ثم ومامن دابة في الارض الآية متكفل بتفصيل نعه الايجاد الاول
لجميع العالمين من السموات والارض وما بينهما وما فيهما من آدمي وغيره المشار اليه في الفاتحة برب العالمين كما قدم ولما
تكفلت السور المتقدمة بالرد على مشركي العرب واليهود والنصارى مع الاشارة الى ابطال جميع انواع الشرك
سبق مقصود هذه السورة في اساليب متكفلة بالرد على بقية الفرق وهم الثنوية من المجوس القائلون بالهين
اثنين واصلين النور والظلمة ويقرون ببنوة ابرهيم عليه الصلوة والسلام فقط والصابئة القائلون بالاوثان
السماوية والاصنام الارضية متوسطين الى رب الارباب وينكرون الرسالة في الصورة البشرية واصحاب
الروحانيات اعني مدبرات الكواكب والافلاك وينتسبون الى ملة ابرهيم عليه السلام ويدعون انه منهم وقد اعاده
الله من ذلك والشمسية القائلون بالهية الشمس مع تاكيد الرد على الفرق المتقدمة على ان جميع فرقهم يجتمعون في
اعتبار النجوم ويتبين ذلك لمن نظر في كتب فتوح بلاد الفرس في ايام الصديق والفاروق رضي الله عنهما وقد
تكلوشا البابلي في اول كتابه في احكام الدرج الفلكية ان القدماء من الكلدانيين استنبطوا غوامض اسرار الفلك
وكان عندهم اجل العلوم ولم يكونوا يظهرون علم الفلك لكل الناس بل كانوا يخفون اكثره عن عامتهم ويعطونهم منه بمقدار
ما يصلح ويتدارسون الباقي بينهم مطويا بين علمائهم وحكمائهم ثم ذكر تقسيمهم درج الفلك على ثلثمائة وستين ثم
قال وقسموا الدرج اقساما كثيرة حتى قالوا ان بعضها ذكور وبعضها اناث وبعضها مسعدة وبعضها منحسة ثم قال
كل ذلك يريدون فيه الدلالة منها على ما تدل عليه في عالمنا وعلى احوالنا حتى جعلوا لكل درجة عالما وخلقا تنفرد
بمدته وان ذلك العالم والخلق يندرسون ويفنيان بعدهم فيرجع الى غير ذلك من الكلام الذي يرجع الى اعتقاد تاثير
النجوم بنفسها تعالى الله عن ان يكون له شريك او يكون له كفوا احد ولما قرر سبحانه انه هو الذي خلق السموات
والارض الذين منها وفيها الاصنام والكواكب والاجرام التي عنها النور والظلمة لتثبت وجوده على ما هو عليه من
الاحاطة باوصاف الكمال التي اثبتها الحمد فبطلت جميع مذاهبهم فعجب منهم بكونهم يعدلون به غيره اتبع ذلك اختصاصه
بخلق هذا النوع البشري وهو مع ما فيه من الشواهد له بالاختصاص بالحمد والرد على المطرين لعيسى عليه السلام الخلق
من الطين خلق ابيهم آدم عليه السلام وكذا بطال مذهب الثنوية وذلك انهم يقولون ان النور خالق الخير والظلمة
خالق الشر فاذا ثبت انه الخالق لنوع الآدميين الذين منهم الخير والشر من شيء واحد وهو الطين الذي ولد منه المنى
الذي جعل منه الاعضاء المختلفة في اللون والصورة والشكل من القلب وغيره من الاعضاء البسيطة كالعظام والغضاريف
والرباطات والاوتار ثبت ان خالقها وصانعهم من الخير والشر واحد قدير عليم لان توليد الصفات المختلفة من المادة
المتشابهة لا يكون الا من صانع واحد مختار لا اثنان وهو الذي خلق الارض التي منها اصلهم وهو الله الذي اختص بالحمد
فقال هو الذي خلقكم ولما كانوا يستبعدون البعث لصيرورة الاموات ترابا فاختلاط تراب الكل ببعضه ببعض وتراب
الارض فيتعذر التمييز وكان تمييز الطين لشدة اختلاط اجزائه بالماء اسرع من تمييز التراب قال من طين اي مميز طينة
كل منكم مع ان منكم الاسود والابيض وغير ذلك والشديد وغيره من طينة الآخر بعد ان جعلها ماء ثخينا له قوة الدفق دماء
الى حيث شاء من الكبر ولما كان من المعلوم ان ما كان من شيء واحد كانت مدة بقائها واحدة نبه باداة التراخي على
كمال قدرته واختياره في المفاوتة بين الآجال فقال ثم قضى اي حكم حكما تاما وبت وا وجد اجلا اي وقتا مقدرا بانقضاء العمر وقطع الناخر لكل واحد منكم خيرا كان او شريرا قويا كان او ضعيفا من اجل باجل اجوا اذا تاخر وجعل
تلك الآجال مع كونها متفاوتة متقاربة بالنسبة الى احدكم بصفة الى آخر بصفة مغايرة لها وفاعل ذلك لا يكون الا واحدا
فاعلا بالاختيار ولما ذكر الاجل الاول الذي هو الابداع من الطين اشار الى ما فرع منه من الآجال المتفاوتة ذكر
الاجل الآخر الجامع لكل ان ذكر البداية ليستدعي ذكر النهاية فقال مشيرا الى تعظيمه بالاستيناف والتنكير واجل اي
عظيم مسمى اي لكم اجمعين لانقضاء البرزخ للاعادة التي هي في مجاري عاداتكم اهون من الابتداء لمجازاتكم والحكم بينكم
الذي هو محط حكمته ومظهر نعمته ونقمته في وقت واحد يتساوى فيه الكل وستر علمه عن الكل كما اشار اليه بالتنكير وهذا
لا يصح ان يكون الا لواحد متعدد والا لتباينت المقادير والارادات واتسق كل مقدور في صنف لا يتعداه والا لعلى
بعضهم على بعض وانهتك اسرار البعض بالبعض سبحان الله وتعالى عما يصفون وغير السياق الى الاسمية اشارة الى
اختصاصه بعلمه وانه ثابت لا شك فيه ويؤكده اثبات قوله عنده في هذه الجملة وحذفها من الاولى هنا وفي قوله
ثم يبتكم فيه ليقضي اجل مسمى وقدم المبتدا مع تنكيره والاصل تاخيره افادة لتعظيمه ولما كان في هذا من البيان
لوحدانيته وتمام قدرته لا سيما على البعث الذي هو مقصود حكمته ما يبعد معه الشك في الاعادة اشار اليه باداة
التراخي وصيغة الافتعال فقال ثم انتم تمترون اي تكلفون انفسكم الشك في كل من توحدانية والاعادة التي هي
اهون على مجاري عاداتكم من الابتداء بتقليد الآباء والركون الى مجرد الهوى والاعراض عن الادلة التي هي اظهر من ساطع
الضياء وهذه الآية نظير آية الروم اولم يتفكروا في انفسهم اي كيف خلقهم الله من طين وسلط بعضهم على بعض بالظلم
والعدوان وجعل لهم آجالا ماوتة بينها وساوى في ذلك بين الاصل والفرع فانتج هذا اية ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق اي بسببا خاصة العدل في جميع ما وقع بينكم من الاختلاف كما هو شان كل ملك في عبيده واجل مسمى الآية

ريف

وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما بين سبحانه وتعالى حال المتقين وهو الصراط المستقيم واوضح ما يحذر من جانبي
الاخذ والترك وبين حال من تنكب عنه ممن كان قد يلتحق وهم اليهود والنصاري وكونهم لم يلتزموا الوفاء وحادوا
عما امروا به وانقضى امر الفريقين ومالهما وبيانا لنقضهم وتحذيرا للمتقين ان يصيبهم ما اصابهم وختم ذلك ببيان
حال الموقنين في القيمة يوم ينفع الصادقين صدقهم وقد كان اخر مع ذلك ذكر مشركي العرب وصممهم عن الداعي وعماهم
عن الايات فكانوا اشبه بالبهائم منهم بالاناسي اعقب ذلك تعالى بالاشارة الى طائفة اوماتت الى النظر والاعتبار
فلم توفق لاصابة الحق وقصرت عن الاستضاءة بانوار الهدي وليسوا ممن درج الى شريعة قد حرفت وغيرت بل هم
في صون من هم ان يهتدي لهدي الفطرة ويستدل بما بسط الله تعالى في المخلوقات فلم يمعن النظر ولم يوفق فضل
ومنهم المجوس وسائر الثنوية فمن كان قصاري امره نسبة الفعل الى النور والاظلام ولم يكن تقدم لهما ذكر ولا
اضمار حال فقال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فبدا تعالى بذكر خلق السموات
والارض التي عنها وجد النور والظلمة اذ الظلمة ظلال هذه الاجرام والنور عن اجرام نيرة محمولة فيها وهي
الشمس والقمر والنجوم فكان الكلام الحمد لله الذي اوضح الامر لمن اعتبر واستبصر فعلم ان وجود النور والظلمة تتوقف
بحكم السببية التي شاءها تعالى على وجود اجرام السموات والارض وما اودع فيها ومع بيان الامر في ذلك حاد عنه
من عمي عن الاستبصار ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين مما يزيد هذا المعنى
وضوحا فانه تعالى ذكر اصلنا والمادة التي عنها اوجدنا كما ذكر النور والظلمة ما هو كالمادة وهو وجود السموات
والارض واشعر لفظ جعل بتوقف الوجود بحسب المشية على ما ذكر فكان قد قيل اي فرق بين وجود النور والظلمة
عن وجود السموات والارض وبين وجودكم عن الطين حتى يقع امتراء فتدعى نسبة الايجاد الى النور والظلمة
ومما لم يوجد الا بعد مادة او سبب كما طرأ في ايجادكم فلا امتراء في ذلك اوضح ثم انتم تمترون ثم مرت السورة من اولها
الى اخرها منبهة على بسط الدلالات في الموجودات مع التنبيه على ان ذلك لا يصل الى استثمار فائدته الا من هيئ
بحسب السابقة فقال تعالى انما يستجيب الذين يسمعون ثم قال تعالى والموتى يبعثهم الله وهو والله اعلم من نمط
اومن كان ميتا فاحييناه اجملها هنا ثم فسر بعد في السورة بعينها والمراد ان من الخلق من جعله الله سامعا عاقلا
متيقظا معتبرا باول وهلة وقدار في المثال سبحانه وتعالى من ذلك في قصة ابرهيم عليه السلام في قوله
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض فكانه يقول لعباده المتقين تقالوا ما تفحوا طريق الاعتبار ملة ابيكم
ابرهيم كيف نظر عليه السلام نظرا لسامع المتيقظ فلم يعرج في اول نظره على ما سبب وجوده بين فيحتاج فيه الى
فرض ما فرض في الكوكب والقمر والشمس بل نظر فيما عنه صدر النور لا في النور فلما جن عليه الليل راى كوكبا فتامل
كونه عليه السلام لم يطول النظر بالتفات النور ثم كان يرجع الى اعتبار الجرم الذي عنه النور بل لما راى النور
عن اجرام سماوية تامل تلك الاجرام وما قام بها من الصفات فراى الافول والطلوع والانتقاد والتقلب فقال
هذا لا يليق بالربوبية لانها صفات حدوث ثم رقى النظر الى القمر والشمس فراى ذلك الحكم جاريا فيها فحكم بان وراءها
مدبرا لها متنزها عن الانتقال والغيبة والافول فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وخص عليه
السلام ذكر هذين لحملها اجرام النور وسببيتها في وجود الظلمة ثم تامل هذا النظر منه عليه السلام وكيف خص
بالاعتبار اشرف الوجودين واعلاهما فكان في ذلك وجهان من الحكمة احدهما علو النظر ونفوذ البصيرة في اعتبار
الاشرف الذي اذا بان فيه الامر فهو فيما سواه ابين مجمع بين قرب التناول وعلو التهدي والوجه الثاني التناسب
بين حال الناظر والمنظور فيه والتقاول والجري على الفطرة العلية وهو من قبيل اخذ نبينا صلى الله عليه
وسلم اللبن حين عرض عليه اللبن والخمر فاختار اللبن فقيل له اخترت الفطرة فكان قد قيل هذا النظر والاعتبار
ما لهما لا نظر من اخلد الى الارض فعبد الضياء والظلام وينبغي ان يعتمد في قصة ابرهيم عليه السلام في هذا الاعتبار
انه صلى الله عليه وسلم في قوله هذا ربي انما قصد قطع حجة من عبد شيئا من ذلك اذ كان دين قومه فبسط لهم
الاعتبار والادلة واخذ يعترض ما قد تنزه قدره عن الميل اليه فهو كما يقول المناظر لمن يناظره هب ان هذا على ما
تقول يريد بذلك اذعان خصمه واستذناءه للاعتبار حتى يكون غير منافر له ما لا يعتقد ليبني على ذلك مقصوده
ليقلع خصمه وهو على يقين من امره فهذا ما ينبغي ان يعتمد هنا لقول يوسف عليه السلام ما كان لنا ان نشرك بالله
من شيء فالعصمة قد اكتنفتهم عما يتوهمه المبطلون وينقوله المفترون وليشهد لما قلناه قوله تعالى وتلك حجتنا
اتيناها ابرهيم على قومه فهذه حال من علت درجته من الذين يسمعون ممن الخلق من جعله الله سامعا باول وهلة
وهذا مثال شائع في ذلك ومنهم الميت والموتى على ضربين منهم من نزاح من جهله وعمهه ومنهم من يبقى في ظلمانه
هيتا لا حراك به يبين ذلك قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في
الظلمات ليس بخارج منها ولما كانت السورة مضمنة جهات الاعتبار ومحركة الى النظر وتعلنه من مجموع ايها ان
المعتبر والمتامل وان لم يكن متيقظا باول وهلة ولا سامعا اول محرك ولا مستجيبا لاول سامع قد تنتقل حاله
عن جموده وغفلته الى ان يسمع ويلحق بمن كان تيقظ في اول وهلة ثم سبب تحريك الاعباء وامرهم بالنظر ان تقع

الاشارة في صدر السورة الى حالتين حالة السامعين لاول وهلة وحالة السامعين في ثاني حال فقيل انما يستجيب
الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ولم تقع هنا اشارة الى القسم الثالث مع العلم به وهو الباقي على همود وموته فمن لم
يحركه زاجر ولا واعظ ولا اعتبار ولان هذا الضرب لو ذكر ههنا لكان فيه ما يكسل من ضعفت همته رجعت حاله ابتدائية
فقيل والموتى يبعثهم الله واطلق ليعمل الكل على هذا البعث من الجهل والتيقظ من سنة الغفلة كما دعي الكل الى الله دعاء
واحدا فقيل يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم اختلفوا في اجابة الداعي بحسب السوابق هكذا ورد هذا والموتى يبعثهم الله اسماعا
للكل وفي صورة التساوي مناسبة للدعاء لتقوم الحجة على العباد حتى اذا انبسطت الدلايل وانشرحت الصدور لتلقيها
وتشبثت النفوس وتعلقت بحسب ما قدر وفاز بالخير اهله قال تعالى بعد آي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس وكان قد قيل لمن انتقل عن حالة الموت فراى قدر نعمة الله عليه باحيائه هل تشبه الآن حالك النيرة
بما منحت حين اعتبرت بحالك الجمادية فاشكر ربك واضرع اليه في طلب الزيادة واتعظ بحال من لزم حال موته فلم
تغن عنه الايات وهو المشار اليه بقوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله سوا عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم وكان القسم المتقدم الذي سمع لاول وهلة لمن يكن ليقع ذكره هنا من جهة قصد ان ارادة قدر هذه
النعمة وانقاذ المتصف بها من حيرة شكه موقعها فيما تقدم من قوله انما يستجيب الذين يسمعون فذكر هنا ما هو واقع
في ارادة قدر نعمه للانقاذ والتخليص من عمى الجهل وهذا حال من انتقل بتوفيق الله وحال من بقي على موته او يكون
الضربان قد شملهما قوله او من كان ميتا فاحييناه واما الثاني وهو الذي تبينت فيه صورة النقل فامره صريح من
الاية واما الضرب الاول وهو السامع لاول وهلة المكفي المؤونة بواقي العصمة من طوارق الجهل والشكوك فدخوله
تحت مقتضى هذا اللفظ من حيث ان وقايته تلك او سماعه باول وهلة ليس من جهته ولا بما سبق او تكلف بل باسداء
الرحمة وتقديم النعمة ولو ابقاه لنفسه او وكله اليها لم يكن كذلك وما بكم من نعمة فمن الله فبهذا النظر قد تكون الاية
قد شملت الضروب الثلثة وهو اولى اما سقوط الضرب الثالث من قوله انما يستجيب الذين يسمعون فلما قدم والله
اعلم بما اراد ولما تضمنت هذه السورة الكريمة من بسط الاعتبار وابداء جهات النظر ما اذا تامله المتامل علم
ان حجة الله قايمة على العباد وان ارسال الرسل رحمة ونعمة وفضل واحسان واذا كانت الدلالات مبسوطة
والموجودات شاهدة مفضحة ودلالة النظر من سمع وابصار وافيدة موجودة فكيف يتوقف عاقل في عظيم رحمته
تعالى بارسال الرسل فتاكدت الحجة وتعاضدت البراهين فلما عرف الخلق بقيام الحجة عليهم بطريقي الاصغاء الى الداعي
والاعتبار بالصنعة قال تعالى قل فلله الحجة البالغة فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فما عذر المعتذر بعد هذا
اتريدون كشف الغطاء ورؤية الامر عيانا لو استبصرتم لحصل لكم ما منحتم هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتي
ربك او ياتي بعض ايات ربك الاية ثم ختمت السورة من التسليم والتفويض بما يجدي مع قوله فلو شا لهداكم اجمعين
وحصل من السور الاربع بيان اهل الصراط المستقيم وطبقاتهم في سلوكهم وما ينبغي لهم التزامه او تركه وبيان حال
المتنكبين عن سلوكه من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس انتهى ولما كان علم جميع احوال المخلوق دالا على
ان العالم بها هو خالقه او ان من ادعى ان خالقه عاجز عن ضبط مملكته ممن كشف غيره لعوراتها وعلم ما لا يعلمه هو منها فلم
يكن الها وكان الاله هو العالم وحده وكان المحيط العلم لا يعسر عليه تمييز التراب من التراب وكان صلى الله عليه وسلم
يخبرهم عن الله من مغيبات اسرارهم وخفايا اخبارهم بما يقصون منه العجب ويعلمون منه احاطة العلم حتى قال
ابو سفين بن حرب يوم الفتح لو تكلمت لاجزت عني هذه الحصبا قال تعالى عاطفا على هو الذي دالا على الوحدانية
بشمول العلم بعد قيام الدليل على تمام القدرة والاختيار لان انكارهم المعاد لامرين احدهما ظن ان المؤثر في الابدان امتزاج
الطبايع وانكار ان المؤثر قادر مختار والثاني انه على تقدير تسليم الاختيار غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز بدن
زيد عن اجزاء بدن عمرو فاذا قام الدليل على كمال قدرته واختياره وشمول علمه لجميع المعلومات الكليات والجزئيات
زالت جميع الشبهات وهو الله اي الذي له هذا الاسم المستجمع لجميع الاسماء الحسنى والصفات العلى المدعو به بالها
له وخضوعا وتعبدا وعلق بهذا المعنى قوله في السموات لان من في الشي يكون متصرفا فيه ولما كان الخطاب
لمنكري البعث اكد فقال وفي الارض اي هذه صفته دايما هذا المراد من انه سبحانه يات له هذا الاسم الذي تفرد به
على وجه التاله والتعبد في كل من جهتي العلو والسفل ولا يفهم ذو عقل صحيح ما يقتضيه الظاهر من انه محوي فان كل
محوي منحصر محتاج الى حاويه وحاصره ضعيف التصرف فيما وراءه ومن كان محتاجا نوع احتياج لا يصلح للالوهية
والمشبه بحديث الجارية اين الله قالت في السماء محجوج بحديث انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك
شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي فان ظاهره مناف لظاهر الاول وظاهر هذا
مؤيد بقاطع العقل من انه غير محتاج ومؤيد بصحيح النقل ليس كمثله شي اي لا في ذاته ولا صفاته ولا شي من شؤونه
وقد كان الله ولا شي معه وحديث ليس فوقك شي رواه مسلم والترمذي وابن ماجة في الدعوات وابو داود في الادب
عن ابي هريرة رضي الله عنه والله الموفق ولما كان المراد اثبات ان علمه تعالى محيط نسبة كل من الخفي والجلي اليه

على السوا وكان السياق هنا للخفي فانه في بيان خلق الانسان وعجيب صنعه فيه بما خلق فيه من ادراك المعاني وهياه له من
قبل ان يقدر على التعبير عنه ثم اقدره على ذلك قدم الخفي فقال شارحا لكونه لا يغيب عنه شئ يعلم سركم ولما كان لا ملازمة بين
علم السر والجهر لانه قد يكون في الجهر لفظ شديد يمنع اختلاط الاصوات فيه من علمه صرح به فقال وجهركم ونسبة كل منهما
اليه على حد سوا لا توصف واحدة منها بقرب في المسافة اليه ولا بعد ولما كان السر والجهر شايعين في الاقوال وكانت
الاقوال تتعلق بالسمع ذكر ما يعمها وهو شايع في الافعال المتعلقة بالبصر فقال ويعلم ما تكسبون فافاد ذلك صفتي السمع والبصر
مع اثبات العلم فلما تظاهرت الادلة وتظافرت الحجج وبهم عنها ناكبون وصل بذلك في جملة حالية قوله معرضا عنهم
ايذانا باستحقاقهم شديد الغضب وما تاتيهم اي هؤلاء الذين هم اهل الاعراض عنهم واغرق في النفي بقوله من آية
اي علامة على صحة ما دعاهم اليه رسولهم صلى الله عليه وسلم وبعض بقوله من ايات ربهم اي المحسن اليهم بنصب الادلة
وافاضة العقول وبعث الرسول الا كانوا عنها معرضين اي هذه صفتهم وانما قصد الاعناد ليلائم لزمهم الحجة ويجوز
ان يكون ذلك معطوفا على يعدلون ولما كان اعراضهم عن النظر سببا لتكذيبهم وموسبب لتعذيبهم قال فقد كذبوا
اي اوقعوا التكذيب الصادق بالحق اي بسبب الامر الثابت الكامل في الثبات كله لان الايات كلها متساوية في الدلالة
على ما تدل عليه الواحدة منها لما جاءهم اي لم يتاخروا عند المجئ اصلا لنظر ولا عنه وذلك ادل ما يكون على العناد ولما
كان الاعراض عن الشئ هكذا فعل المكذب المستهزي الذي بلغ تكذيبه الغاية القصوى وهي الاستهزاء قال فسوف ياتيهم
اي بوعد صادق لا خلف فيه عند نزول العذاب بهم وان تاخر اتيانه انبا ما كانوا اي جبلة وطبعا به يستهزؤن اي
يجدد ون الهزؤ به بغاية الرغبة في طلبه وهو ابعد شئ عن الهزء والهنا الخير العظيم وهو الذي يكون معه الجزاء
وافاد تقديم الظرف انهم لم يكونوا يهزؤن بغير الحق الكامل كما يرى كثيرا من المترفين لا يعجب من العجب ويعجب من غير العجب
او انه عدا استهزاءهم بغيره بالنسبة الى الاستهزاء به عدما ولما اخبر بتكذيبهم على هذا الوجه وتوعدهم بحتم
تعذيبهم اتبعه ما يجري مجرى الموعظة والنصيحة فعجب من عنادهم مع ما علموا من اهلاك من كان اشد منهم قوة واكثر
جمعا وحبي من سوابغ النعم بما لم يعشروه فيه مع ما ضمن الى تحقق اخبارهم من مشاهدة اثارهم وعجيب اصطناعهم
في ابنيتهم وديارهم مسببة لا بذلك على تحقيق ما قبله من التهديد على الاستهزاء فقال معقرا منكرا موبخا معجبا
الم يروا ودل على كثرة المخبر عنهم تهويلا للخبر بقوله كم اهلكنا ولما كان المراد اناسا معينين لم يستغرقوا من القبل
وهم اهل المكنة الزايدة كقوم نوح وهود وصالح ادخل الجار فقال من قبلهم وبين كم بقوله من قرن اي جماعة مقترنين
في زمان واحد وهم اهل كل مائة سنة كما صححه القاموس لقول النبي صلى الله عليه وسلم لغلام عشر قرنا فعاش مائة
هذا نهاية القرن والاقرب انه لا يتعذر بل اذا انقضى اكثر اهل عصر قبل انقضاء القرن ودل على ما شاهدوا من اثارهم
بقوله مكناهم اي ثبتناهم بتقوية الاسباب من البسطة في الاجسام والقوة في الابدان والسعة في الاموال في الارض
اي بالقوة والصحة والفراغ ما لم نمكنكم ومكناهم بالخفض والبسطة والسعة ما لم نمكن اي تمكينا لم نجعله لكم اي نخصكم
به فالاية من الالتفات من الغيبة الى الخطاب ليلا يلبس الحال لان ضمير الغايب يصلح لكل من المنفصل
والفاصل ولا ينفي اللبس التعبير بالماضي في قوله وارسلنا السماء اي المطر بسميه للشئ باسم سببه او السحاب عليهم
ولما كان المراد المطر كان التقدير حال كونه مدرارا اي ذا سيلان غزير متتابع لانه صفة مبالغة من المهر قالوا ويستوي
فيه المذكر والمونث ولما ذكر نفعهم بماء السماء وكان غير دايم اتبعه ما الارض له دايمه وملازمته للبساتين والرياض
فقال وجعلنا الانهار تجري ولما كان عموم الماء الارض وكبده ما نعا من تمام الانتفاع بها اشار الى قربه وعدم عموم
الارض به بالجار فقال من تحتهم اي على وجه الارض واسكناه في اعماقها فصارت بحيث اذا حفرت نبع منها من الماء ما
يجري منه نهر ولما كان من المعلوم انه من الماء كل شئ حي فكان من اظهر الاشياء انه غزر نباتهم واخضرت سهولهم
وجبالهم فكثرت زروعهم وثمارهم فاتسعت احوالهم وكثرت اموالهم فتيسرت اما لهم اعلم سبحانه ان ذلك ما كان ذلك الا
لهوانهم استدراجا لهم بقوله فاخذناهم مسببا عن ذلك فاهلكناهم اي بعظمتنا بذنوبهم اي التي كانت عن بطرهم النعمة ولم يالوا
بهم ولا اغنت عنهم نعمهم ولما كان الانسان مما ابقى على عينه او صاحبه خوفا من الاحتياج الى مثله بين انه سبحانه
غير محتاج الى شئ فقال وانشانا ولما كان لم يجعل سبحانه لاحد الخلد ادخل الجار فقال من بعدهم انه فيما كانوا فيه
قرنا ودل على انه لم يبق من الهالكين احدا وان هذا القرن الثاني يرجع اليهم بحسب بقوله آخرين ولم ينقص
ملكنا شيا فاحذروا ان تفعل بكم كما فعلنا بهم وهذه الاية مثل اية الروم اولم يسيروا في الارض الاية فمكنهم هو المراد
بالسدة هنا كل والتمكين لهم هو المراد بالعمارة والاهلاك بالذنوب هو المراد بقوله فما كان الله ليظلمهم الى اخر الاية
ولما كانت ترجمة ما مضى ثم هم يعدلون بربهم غيره ويكذبونك فيما جيئت به من الحق مع ما اوضحت عليه من الحجج
وضربت من الدلايل وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ايمانهم كان المقام يقتضي ان يقول لسان الحال اترك عليهم
ريب ما ينتقلون به من النظر بالفكر الى العيان كما اقترحوا علي فاخبر انهم لا يؤمنون بذلك بقوله عطفا على
وما تاتيهم من اية تحقيقا له وتصويرا في جزئي ولو نزلنا اي على ما لنا من العظمة عليك كتابا اي مكتوبا من السماء
في قرطاس اي ورق اجابة لما اشار عليهم اليهود باقتراحه ثم حققه انه واضح الامر ليس بخيال ولا فيه نوع لبس بقوله فلمسوه

اي زيادة على الرؤية وزاد في التحقيق والتصوير ورفع المجوز بقوله بابه بهم لقال واظهر ولم يضمر تعليقا للحكم بالوصف وتنبيها على ان من الموجودين من يسكت ويؤمن ولو بعد ذلك فقال الذين كفروا اي حكمنا بانه كفرهم ستر الايات عنادا ومكابرة ولعله استظهرهم اشارة الى عموم دعوته اي من العرب ومن غيرهم من اية دعوتك ولا سيما اليهود المشار الى تعنتهم وكذبهم بقوله تسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ان اي ما هذا الا سحر اي تمويه وخيال لا حقيقة له وزادوا في الوقاحة فقالوا مبين اي واضح ظاهر قال صاحب كتاب الزينة معنى السحر في كلام العرب التعليل بالشيء والمدافعة به والتغرير بشيء لا محصول له يقال سحره اذا علله وغره وشبه عليه حتى لا يدري من اين يتوجه ويقلب عن وجهه فكان السحرة يعللون الناس بالباطل ويشبهون الباطل في صورة الحق ويقلبونه عن جهته ولما بين ما يترتب على الاجابة الى ما اشار الى انا لهم واخرجوه من انزال الكتاب اخبرانهم اقترحوا ظهور الملك لهم وبين لوازمه فانهم قالوا لو بعث الله رسولا لوجب كونه ملكا ليكون اكثر علما واقوى قدرة واظهر امتيازا عن البشر فتكون الشبه في رسالته اقل والحكيم اذا اراد تحصيل امر كان الاولى تحصيله بما هو اشرع ايصالا اليه فقال وقالوا لولا اي هلا ولم لا انزل عليه ملك اي من السماء ظاهرا لنا يكلمنا ونكلمه ولا يحتجب عنا ولما ذكر قولهم مشيرا الى سببه نقضه بقوله ولو اي والحال انا لو انزلنا واسقطنا اداة الاستعلاء لعدم الاحتياج في رد كلامهم الى ذكرها وليلا يكون فيه تسليم لما لوحوا اليه من انكار ريم نزول الملك عليه بالوحي ملكا اي كما اقترحوه فلا يخلوا اما ان يكون على صورته او لا فان كان على صورته التي خلق عليها لم يثبتوا الرؤية ولو كان كذلك لقضي الامر اي بهلاكهم وبناؤه للمفعول اشارة الى طريق كلام القاهرين الى غاية السرعة لسهولة الامر وخفة مؤونته وانه لا ينظره احد منهم الا صعق ولين اعطيناهم قوة يثبتون لها لنظروه ليكون من قضاء الامر وانفصال النزاع من وجه آخر وهو ان ذلك كشف للغطاء وفوات للايمان بالغيب وقد جرت عادتنا بالاهلاك عند ذلك فاذن هم هالكون على كل من هذين التقديرين وهو معنى قوله مهموزا لو ثبتته بحرف التراخي ثم لا ينظرون اي على حالة من هاتين واما ان جعلناه على صورة يستطيعون نظرها فانا نجعله على صورة رجل فانها اكمل الصور وحينئذ يقع لهم اللبس الذي وقع لهم بدعائك وهو معنى ولو جعلناه اي مطلوبهم ملكا اي يمكن في مجاري العادات في هذه الدار رؤيتهم له وبقاؤهم بعد رؤيته لجعلناه رجلا اي في صورة رجل ولكنه عبر بذلك اشارة الى تمام اللبس حتى انه لا يشك احد يراه في كونه رجلا كما كان جبريل عليه السلام ينزل في بعض الاوقات على النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي فاذا راه بعض الصحابة رضي الله عنهم لم يشك انه دحية رضي الله عنه ولو جعلناه رجلا للبسنا عليهم ما يلبسون اي لخلطنا عليهم بجعلنا اياه رجلا ما يخلطونه على انفسهم وعلى غيرهم في قولهم ان الرسالة لا تصح في البشر فلو كان هذا الذي يقول انه رسول رسولا لكان ملكا فوقع اللبس عليهم بانه لما كان هذا الذي يقول انه رسول ملكا كان رجلا ويجوز ان يقرر ذلك على وجه آخر وهو ان يكون ولو نزلنا في حسنوا عنها معرضين اي اعرضوا عنها لو نزلناها عليك في غير قرطاس ولو نزلنا عليك من السماء كتابا في قرطاس يجعلنا لهم في ذلك بين حتى البصر واللمس لاعرضوا وقالوا الذين آبدنا كفرهم عنادا ومكابرة ما هذا الا سحر ظاهر ويكون وقالوا معطوفا على لقال الذين كفروا ويكون ذلك قبل اقتراحهم لذلك بما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الاسراء بقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخرها فيكون اخبارا بمغيب ولما قطع الرجا لهدايته من حكم بشقاوته وكان طلبهم لانزال الملك ونحوه انما هو على سبيل التعنت والاستهزاء وكان ذلك اشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضي الله عنهم غاية المشقة التفتت النفس الى الراحة منهم وتوقعته لما تقدم من مظاهر العظمة فاخبرها انه فاعل ذلك في سياق متكفل بتسليته وان قلك لم تزل سنته فيمن فعل فعلهم فقال عاطفا على قوله فسوف يأتيهم انباء ولقد اي هذا منهم انما هو استهزاء بك ولقد استهزئ اي اوقع الهزؤ واوجد من الامم وبني للمفعول لان المبني للاستهزاء لكونه من معين واشار الى انه كان يقع لهم ذلك من الاعلى والادنى برسل ولما كان القرب في الزمن في مثل هذا مما يتبلغ وكان كل من الارسال والاستهزاء لم يستغرق الزمان ادخل الجار فقال من قبلك فاهلكنا من هزاوا بهم وهو معنى فحاق اي فاحاط بالذين سخروا منهم اي من اولئك الرسل ما كانوا به يستهزئون اي من العذاب الذي كانوا يتوعدون به وكان سببا لهزئهم ولما علم تعالى انهم يقولون في جواب هذا ان هذا الا اساطير الاولين امره صلى الله عليه وسلم بعد ما مضى من التعجيب من كونهم لم ينظروا بقولهم او ابصارهم مصارع الماضين في قوله الم يروا كم اهلكنا ان يأمرهم بان يشاهدوا مصارع من تمكن في قلوبهم علم انهم اهلكوا بمثل تكذيبهم من قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ليعينهم ذلك عن مشاهدة ما اقترحوا فقال تعالى قل سيروا اي اوقعوا السير للاعتبار ولا تغتروا بامهالكم وتمكينكم في الارض الآية وهي كالدليل على قوله لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولما كان السياق للتهديد بالتحذير من مثل اخذ الامم الماضية وكان قد اسلف انه لا يقدمهم عن اجالهم امهالهم في النظر فانه اقوى في التهديد وادل على القدرة وادعى الى النصفة ولا سيما والسورة من اوائل القرآن نزولا واوائله ترتيبا فقال ثم انظروا واشار الى ان هذا اهل لان نسأل عنه بقوله كيف كان عاقبة اي آخر امر المكذبين اي انعموا النظر وبالغوا في التفكر واطيلوا التدبر اذا رأيتم اثار المعذبين

لاجل تكذيب الرسل فانكم اذا شاهدتم تلك الاثار كمل لكم الاعتبار وقوي الاستبصار وذلك اشارة الي ان الامر في غاية
الانكشاف فكلما طال الفكر فيه ازداد ظهورا ولما امرهم سبحانه بالسير سالهم هل يرون في سيرهم وتطوافهم وجولانهم
واعتسافهم شيا لغير الله تذكيرا لهم بما رحمهم به من ذلك في ايجادهم اولا وتيسير منافعه ورفع مضاره ثانيا استعطافا
لهم الي الاقبال عليه والاعراض عن الخضوع لما هو مثلهم او اقل منهم وهو ملكه سبحانه وفي قبضته وتقبيحا لان ياكلوا خيره
ويعبدوا غيره فقال مقررا لهم علي اثبات الصانع والنبوة والمعاد ومبكتا بسفههم وشدة جهلهم وعمههم قل لمن ونبه بتقديم
المعمول علي الاهتمام بالمعبود ما في السموات والارض ولما كانوا في مقام العناد حيث لم يبادروا الي الاذعان بعد نهوض الادلة
وازاحة كل علة اشار الي ذلك بقوله معرضا عن انتظار جوابهم توبيخا لهم بعدم النصفة التي يدعونها قل الله اي الذي له
الاحاطة الكاملة قدرة وعلما ولا كفو له لا لغيره وهم وان كانوا معاندين فانهم لا يمكنهم رد قولك لا سيما وجواب الانسان
عما ساله انما يحسن ان يتعاطاه هو بنفسه اذا كان قد بلغ في الظهور الي حد لا يقدر علي انكاره منكر وهو هنا كذلك لان اثار الحدوث
والامكان ظاهرة علي صفحات الاكوان فكان الاقرار ضروري لا خلاف فيه ولما كان اكثر ما في هذا الكون منافع مع كونها حسنة
لذيذة طيبة شهية وما كان فيه من مضار فهي محجوبة ممنوعة عنهم يقل وصولها اليهم الا بتسببهم فيها والكل مع ذلك دلايل
ظاهرة علي وحدانيته وتمام علمه وقدرته وكان ذلك اهلا لان يتعجب منه لعموم هذا الاحسان مع ما هم عليه من الاثم والعدوان
وتاخير العذاب عنهم مع العناد والطغيان قال دالا علي ان رحمته سبقت غضبه مستانفا كتب اي وعد وعدا هو كالمكتوب
الذي حتم واكد غاية التاكيد او كتب حيث اراد سبحانه ولما كانت النفس يعبر بها عن الذات علي ما هي عليه قال علي نفسه
الرحمة اي فلذلك اكرمكم هذا الاكرام بوجوه الانعام واخر عنكم الانتقام بالاستيصال ولو شا لسلط عليكم المضار وجعل
عيشكم من غير اللذيذ كالتراب وبعض القاذورات التي يعيش بها بعض الحيوانات ولما كان ذلك مطمعا للظالم البطر ومعجبا
محيرا موسفا للمظلوم المنكسر قال محذرا مرحبا مبشرا ملتفتا الي مقام الخطاب لانه ابلغ وانص علي المقصود دالا علي البعث
بما مضي من اثبات ان الاكوان لله لان كل ما فيه موصوف بصفات يجوز اتصافه باضدادها فاختصاص كل جسم بصفته
المعينة انما يكون بتخصيص الفاعل المختار فيكون قادرا علي الاعادة لان التركيب الاول انما كان لان صانعه قادر علي جميع
الممكنات لكونه عالما بجميع المعلومات والاتصاف بذلك لا يجوز انفكاكه عنه فهو ملك مطاع امرناه مرسل من يبلغ عنه
اوامره ونواهيه لاظهار ثمرة الملك من الثواب والعقاب في يوم الجمع ليجمعنكم اي والله محشورين شيا فشيا الي يوم القيمة
للعدل بين جميع العباد كاينا لا ريب فيه اي بوجه من الوجوه وذلك الجمع لتخصيص الرحمة في ذلك اليوم باوليايه والمقت والنقمة
باعدايه بعد ان كان عم بالرحمة الفريقين في يوم الدنيا وجعل الرحمة اظهر في حق الاعدا وبهذا الجمع تمت الرحمة من كثير
من الخلق ولولاه لارتفع الضبط وكثر الخبط كما كان في الجاهلية ولما كان ذلك كذلك في عدم الريب لاخبار الله به
علي السنة رسله ولما عليه من الادلة لما في هذا الخلق من بدايع الحكم مع خروج اكثر افعال الحيوان عن العدل فصار من
المعلوم لكل ذي وعي ان البعث محط الحكمة لاظهار التجلي بالصفات العلي لجميع الخلق الشقي والسعيد القريب والبعيد كان كانه
قيل فما لنا نري اكثر الناس كافرا به فقال جوابا الذين خسروا انفسهم اي باهلاكهم اياها بتكذيبهم به بمخالفة الفطرة الاولي
التي تهدي الاخرس وستر العقل السليم فهم اي بسبب خسارتهم لانفسهم باهمال العقل واعمال الحواس والتقيد بالتقليد
لا يومنون فصاروا كمن يلقي نفسه من شاهق ليموت لغرض من الاغراض الفاسدة لا بسبب خفا في امر القيمة ولا لبس يوقع
ريبا ومال المعني ان الذين لا يومنون في هذا اليوم هم المقضي بخسارتهم في ذلك اليوم ولما استنارت الادلة استنارة
الشمس وانتصبت البراهين حتي لم يبق اصلا نوع لبس عم بالخبر عما تقدم مما يشاهدونه وغيره فقال ذاكرا الزمان بعد
المكان وقدمه لانه اظهر والمعلم الكامل هو الذي يبدا بالاظهر فالاظهر مترقيا الي الاخفي فالاخفي فعم بذلك الخبر عن الزمان
والزمانيات والمكان والمكانيات وله اي وحده ما سكن اي حل وتحيز وحصل في الليل والنهار اي ما من شانه ان يسكن
فيهما وان كان متحركا ولكنه عبر بذلك دون التحرك لانها دار الموت ودخل في ذلك النور والظلمة اللذان اشرك بهما من
اشرك ولما دل ما مضي علي القدرة التامة وانقسم الي متحرك وساكن وكانت القدرة لا تتم الا بالعلم دل عليه بقوله
وهو اي لا غيره السميع اي البالغ السمع لكل متحرك العليم اي التام العلم بالبصر والسمع وغيرهما بكل متحرك وبكل ساكن من
اقوالكم وافعالكم وغيرهما فلا تطمعوا في ان يترك شي من مجازاتكم والعليم هنا ابلغ من البصير وذلك مثل ما تقدم في قوله
قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم وهو ترجمة قوله يعلم سركم وجهركم ويعلم ما
تكسبون ولما نهض من الحجج ما لم يبق معه لذي بصيرة شك كان لسان الحال مقتضيا لان ينادي بالانكار عليهم في الالتفات
عن جنابه والاعراض عن بابه وابرز تعالي ذلك في قالب الامر له صلي الله عليه وسلم بالانكار علي نفسه ليكون ادعي لهم وارفق
بهم ولان ما تقدم منهي عن غاية المخالفة منذر بما انذر من سوء عاقبة المشاققة فلانهم قالوا فهل من سبيل الي الموافقة
فقيل لا الا باتخاذكم الهي وليا وذاك لعمري سعادتكم في الدارين او بتطمعكم في اتخاذي اندادكم اوليا وهذا ما لا يكون ابدا
وهو معني قوله تعالي قل اي مصرحا لهم بانكار ان تميل الي اندادهم بوجه ولما كان الانكار منصبا الي كون الغير
متخذا الا الي اتخاذ الولي اولي غير الهمزة فقال اغير الله اي الذي لا شي يدانيه في العظمة اتخذ اي اكلف نفسي الي خلاف ما
تدعوا اليه الفطرة الاولي والعقل المجرد عن الهوي كما فعلتم انتم واخذ وليا اي اعبده لكونه يلي جميع اموري ثم وصفه بما

يحقق

يحقق ولايته ويصرف عن ولاية غيره فقال فاطر السموات والارض اي خالقهما ابتدآ لا على غير مثال سبق وهو اي والحال ان الله يطعم اي يرزق كل من سواه مما فيه روح ولما كان المنفي كونه سبحانه منعوتا من الطعم لاكون ذلك من مطعم معين بني للمفعول قوله ولا يطعم اي ولا يبلغ احد بوجه من الوجوه ان يطعمه والمعنى ان المنافع من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع فاستغنى في العقل اتخاذ غيره وليا لان غيره محتاج في ذاته وفي جميع صفاته اليه وهو سبحانه الغني على الاطلاق وهذا التفات اي قوله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام وتعريض بكل من عبد من دون الله ولا سيما الاصنام فانهم كانوا يعدون لها من الاطعمة فتاكلها الدواب والطيور فمعلوم انها لا تطعم ولا تطعم روى الدارمي في اول مسنده بسند حسن عن الاعمش عن مجاهد قال حدثني مولاي ان اهله بعثوا معه بقدح فيه زبد وكبن الى الصنم قال فمنعني ان اكل الزبد مخافتها فجاء كلب فاكل الزبد وشرب اللبن ثم بال على الصنم ومولاه كان شريك النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام فاختلف فيه فقيل هو قيس بن السائب ابن عويمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم وقيل قريبه السايب بن ابي السايب بن صيفي بن عايذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقيل انه عبد الله بن السايب والله اعلم وله عن ابي رجاء العطاردي وهو مخضرم قال كنا في الجاهلية اذا اصبنا جواحسنا عبدناه وان لم نصب جواجمعنا كثيبة من رمل ثم جينا بالناقة الصفي فنحلبها عليه فنحلبها على الكثيبة حتى نروى ثم نعبد ذلك الكثيب ما اقمنا بذلك المكان وفيه ايضا اشارة الى انه كما خلقكم كلكم من طين على اختلافكم في المقادير والالوان والاخلاق وهو غني عنكم فكذلك خلق المطعومات على اختلاف اشكالها وطعومها ومنافعها وانواعها من طين وجعلها منافع لكم وهو غني عنها وسيأتي التصريح بذلك في قوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء المسوق في مضمار فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وفي الاية كلها التفات الى قوله اول السورة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله في الى قبلها ولو كانوا يومنون بالله والنبي ما اتخذوهم اولياء في امثالها مما فيه توالي الكفار لغير خالقهم سبحانه وتعالى هذا لو لم يرد امر من قبل الخالق كان النظر الشديد كافيا في التنزه عنه كما كنت قبل البعثة لا التفت الى اصنامكم ولا اعتبر للعبادة شيأ من انصابكم فكيف وقد امرت بذلك وهو معنى قل اني امرت اي من جهة من له الامر ولا امر الا له وهو من تقدم ان له كل شيء وهو الله وحده ان اكون اي بقلبي وقالبي اول من اسلم في الرتبة مطلقا وفي الزمان النسبة الى الامة ولما كان الامر بالاسلام نهيا عن الشرك لم يكتف به بل صرح به جمعا بين الامر والنهي من هذا الرب الكريم الذي يده عواحسانه وكرمه الي ولايته وينهى تمام ملكه وجبروته عن شيء من عداوته في قوله عطفا على قل علي وجه التاكيد ولا تكونن اي بوجه من الوجوه في وقت من الاوقات اصلا من المشركين اي في عدادهم باتباعهم في شيء من اعراضهم وهذا التاكيد لقطع اطماعهم عنه صلى الله عليه وسلم في سوالهم ان يطرد بعض اتباعه ليوالوهم ونحو ذلك مما كانوا يرجون مقاربته منهم به اعلاما بان فعل شيء مما يريدون مضر للنسبة اليهم والكون في عدادهم من تشبه بقوم فهو منهم ولما كان فعل المنهي قد لا يعذب عليه قال معلما بان المخالفة في هذا من ابلغ المخالفات فصاحبها مستحق لاعظم الانتقام وكل ذلك فطالما عن الصع فيه واكده لذلك ولانكار المصور به قل اني ولما كان المقام للخوف قدمه فقال اخاف ان عصيت اي بشيء مما تريدون مني ان اوافقكم فيه مما امرت به او نهيت عنه ربي اي المحسن الي عذاب يوم ولما كان عظم الطرق بعظم مطرود عظيم ولما كان قد قدم من عموم رحمته ما اطمع الفاجر ثم اتاه من ذلك بما اشير اليه من الحساب صرح هنا بما اقتضاه ذلك المتقدم فقال واصفا لذلك العذاب مبينا ان الرحمة في ذلك اليوم على غير المعهود الآن فانها خاصة لاعامة دايمة السبوغ على من نالته لا زايله وكذا النقمة هكذا شان ذلك اليوم من يصرف عنه اي ذلك العذاب ولما كان المراد دوام الصرف في جميع اليوم فقال يومئذ اي يوم اذ يكون عذاب ذلك اليوم فقد رحمه اي فعل به بالانعام عليه فعل المرحوم وذلك اي لا غيره الفوز اي الظفر بالمطلوب المبين اي الظاهر جدا ومن لم يصرف عنه فقد اهانه وذلك هو العذاب العظيم ولما كان التقدير فان يصرف عنك ذلك العذاب فقد قرت عينك عطف عليه دليلا آخر لانه لا يجوز في العقل ان يتخذ غيره وليا فقال معمما الحكم في ذلك العذاب وغيره مبينا انه لا مخلص لمن اوقع به وان يمسسك الله اي الملك الاعظم الذي لا كفوء له ولما كان المقام للترهيب قدم قوله بضر اي هنا او هناك فلا كاشف له اصلا بوجه من الوجوه الا هو اي لانه لا كفوء له فهو قادر على ايقاعه ولا يقدر غيره على دفاعه لانه على كل شيء قدير وان يمسسك بخير اي في اي وقت اراد ولما كان القياس على الاول موجبا لان يكون الجزاء فلا مانع له كان في موضعه قوله فهو على كل شيء من ذلك وغيره قدير ولا يقدر غيره على منعه مبينا على ان رحمته سبقت غضبه ولما كانت الجملتان من الاحتباك فافاد تاما بما ذكر وما دل عليه المذكور ما حذف فانه تعالى غالب على امره قال معرضا بذلك وهو القاهر اي الذي يعجل مراده كله ويمنع غيره مراده ان شاء وصور قهره وحققه بتمكن الغلبة بقوله فوق عباده وكل ما سواه عبد ولما كان في القهر ما يكون مدعوما نفاه بقوله وهو اي وحده الحكيم فلا يوصل اثر القهر بانتفاع المكرم الا المستحق وانم المعنى بقوله الخبير اي بما يستحق كل شيء فتمت الادلة على عظيم سلطانه وانه لا فاعل غيره ولما ختم بصفتي الحكمة والخبرة كان كانه قيل فلم لم يعلم انا فكذبك بخبره

احتباك

فيرسل معك بحكمته من يشهد لك على ما تقول من انه امرك ان تكون اول من اسلم ونهاك عن الشرك لتصدقك من ملك
كما تقدم سوآلنا لك فيه او كتاب في قرطاس او غير ما فقال قد فعل ولم يرض له بالشهادة المقدسة فقال او يقال
انه لما اقام الادلة على الوحدانية والقدرة ووصل الى صفة القهر الموذن بالانتقام لم يبق الا شهاد عليهم اذ انا بما
يستحقونه من سوء العذاب وآنذارا به ليلا يقولوا اذا حل بهم انه لم ينا نذير فقال قل اي يا ايها الرسول لهم اي شئ اكبر
اي اجل واعظم شهادة فان انصفوا وقالوا الله فقل هو الذي شهد لي كما قال في النسآء لكن الله يشهد بما انزل اليك وكتمه قطع
الكلام هنا اشارة الى عنادهم او سكوتهم او الى تنزيلهم منزلة المعاند او العالم بالشئ العامل عمل الجاهل فقال امرا له صلى الله
عليه وسلم قل الله اي الملك الاعظم المحيط علما وقدرة اكبر شهادة ولما كانوا بمعرض ان يسلموا ذلك ويقولوا انه لذلك
ولكن هلم شهادته قال شهيد اي هو الذي شاهد يشهد بيني وبينكم اي هذا القران الذي ثبت بعجزكم عنه انه كلامه وبغيره من
الايات التي عجزتم عن معارضتها ولما قرر انه اعظم شهيد واشار الى شهادته بالايات كلها نبه على اعظمها لان اظهار تعالى
للقران على لسانه صلى الله عليه وسلم على وفق دعواه شهادة من الله له بالصدق فقال ذاكرا لغايته في سياق تهديد متكفل
تنبيها على ان الفاعل معروف للايجاز وبني للفاعل في الشواد واوحي الي وحقق الموحى به وشخصه بقوله هذا القران
ولما كان في سياق التهديد قال مقتصرا على ما يلائمه لانذركم اي اخوفكم واحذركم من اعتقاد شايبة نقص في الآلهة سيما
الشرك به ومن اي وانذر به كل من بلغ اي بلغه قال القرآ والعرب تضمر الفاعل في صلات الذي ومن وما وقال البخاري في
آخر الصحيح لانذركم به يعني اهل مكة ومن بلغ هذا القران فهو له نذير لفظه بصيغة الجزم عن ابن عباس رضي الله عنهما
ووصله اليه ابن ابي حاتم كما افاده شيخنا في شرحه وقال عبد الرزاق في تفسيره اخبرنا معمر عن قتادة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال بلغوا عن الله فمن بلغته اية من كتاب الله فقد بلغه امر الله وقال الامام تقي الدين بن علي بن عبد الكافي
السبكي في جواب سوآل ورد عليه سنة ثمان وثلثين وسبعمايه في ان النبي صلى الله عليه وسلم هل بعث الى الجن ومن
خطه نقلت الكتاب والسنة ناطقان بذلك والاجماع قايم عليه لا خلاف بين المسلمين فيه ثم اسند الاجماع الى ابي طالب
القضاعي وابي عمر بن عبد البر في التمهيد وابي محمد بن حزم في كتاب الفصل وغيرهم ثم قال اما الكتاب فايات احدها
لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما راى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله
عنهما فذكره وقال السدي من بلغ القران فهو له نذير وقال ابن زيد من بلغه هذا القران فانا نذير وهذه كلها اقوال
متفقة المعنى وقد امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا الكلام وانه ينذر بالقران كل من بلغه ولم يخص انسا ولا
جنا من اهل التكليف ولا خلاف ان الجن مكلفون انتهى وسياتي مما ذكر من الايات وغيرها ما يليق بالاستدلال على الارسال
الى الملكة عليهم السلام فالمعنى لمن صدق هذا القران فقد انذر ومن كذب فليات بسورة من مثله ثم عجزه شاهد على نفسه
بالكذب وهو شهادة الله لي بالصدق ولاجل ان الله هو الشاهد لم تنقض الشهادة بموت النبي صلى الله عليه وسلم بل استمرت
على مر الاباد وكر الاعوام لبقاء الشاهد وتعاليه عن شوايب النقص وسمات الحدث والى ذلك الاشارة بقوله النبي صلى
الله عليه وسلم ما من الانبياء نبي الا قد اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي
فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة اخرجه الشيخان عن ابي هريرة ولعل الاقتصار على الانذار مع ما تقدم اشارة
الى ان اكثر الخلق هالك وقد ذكر في نزول هذه الاية ان اهل مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اما وجد الله
رسولا غيرك ما نرى احدا يصدقك بما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انهم ليس عندهم منك ذكر فارنا
من يشهد انك رسول الله كما تزعم فانزل الله ولما لم يبق لمتعنت شبهة ساق قد لكة ذلك وقطب دايرته وهو لزوم
التوحيد الذي جلت الرسالة مرقى اليه فاذا ثبت في قلب فاضت انواره بحسب ثباته حتى انها ربما ملات الاكوان وعلى
على كيوان مشاق استفهام على طريقة الانكار والتعجيب تعظيما لشانه وتفخيما لمقامه وتبنيها لهم على ان بعده واعن الشر
فقال انكم لتشهدون ان مع الله اي الذي حاز جميع العظمة الهة ولما كانوا لكثرة تعنتهم ربما اطلقوا على سمايه سبحانه
آلهة كما قالوا حين سمعوه صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن كما سياتي ان شآ الله آخر الحجر وآخر سبحان ضرب المعقود
على وجه لا يحتمل النزاع فقال اخرى ولما كان كانه قيل انهم ليقولون ذلك فما ذا يقال لهم قال قل لا اشهد اي بعلمكم
بشئ ما تقولونه لانه باطل ولو كان حقا لشهدت به ولما كان هذا غير قاطع لطمعهم فيه اجتثه من اصله وبرمته بقوله
قل انما هو اي الاله الله واحد وهو الذي لا يعجزه شئ وهو يعجز كل شئ لانه واحد كقوله فانكم عاجزون عن الاتيان بسورة
من مثله كلامه وانتم افصح الناس ولما كان معنى هذا البرآة من انداد هم صرح به في قوله مؤكدا من جملة اسمه وانني
بريء مما تشركون اي الان وفي مستقبل الزمان ابعادا من تطمعهم ان يكون الموافقة بينه وبينهم باتخاذه الانداد او شيا
منها ولما اثبت التوحيد بهذه الاية باعظم طرق البيان وابلغ وجوه التاكيد ولقد امتثل صلى الله عليه وسلم الامر
بانذار من يمكن ابلاغه القران فلما استراح من حرث قريش وكثير ممن حوله من العرب في عام الحديبية وهو سنة ست
من الهجرة واعلمه الله تعالى ان ذلك فتح مبين ارسل الى من يليه من ملوك الامصار في ذلك العام وما بعده وكان اكثره
عند مصرفه من ذلك الاعتمار يدعوهم الى جنات والنار في دار القرار وينذرهم دار البوار قال اهل السير خرج رسول الله

صلا

صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من عمرة الحديبية التي صد عنها على اصحابه رضوان الله عليهم فقال ايها الناس ان الله
بعثني رحمة وكافة وانى اريد ان ابعث بعضكم الى ملوك الاعاجم وقال ابن عبد الحكم في فتوح مصر عن عبد الرحمن بن
عبد القاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر فحمد الله واثنى عليه وتشهد ثم قال اما بعد فاني اريد
ان ابعث بعضكم الى ملوك العجم فما دوا عني يرحكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون وقال ابن عبد الحكم بنوا اسرايل
على عيسى بن مريم عليه السلام فقال المهاجرون يا رسول الله والله لا نختلف عليك في شيء ابدا فمرنا وابعثنا فسألوه كيف اختلف
الحواريون على عيسى عليه السلام قال دعاهم الى الذي وفي رواية لمثل الذي دعوتكم اليه وقال ابن عبد الحكم ان الله تبارك
وتعالى اوحى الى عيسى عليه السلام ان ابعث الى ملوك الارض فبعث الحواريين فامن بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم واما
من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وثاقل قال ابن عبد الحكم وقال لا احسن كلام من تبعثني اليه فشكا ذلك عيسى
عليه السلام الى الله عز وجل فاصبح كل رجل وقال ابن عبد الحكم فاوحى الله تعالى اليه اني ساكفيك فاصبح المتنا قلون
وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التي بعث اليها فقال عيسى عليه السلام هذا امر قد عزم الله عليه فامضوا له وقال
الشيخ مجد الدين الفيروزابادي في القاموس انا لكانا الذي جمع به عيسى عليه السلام الحواريين وانقذهم الى النواحي
قرية بناحية طبرية تسمى الكرسي وقال ابن اسحق وحدثني يزيد بن ابي حبيب المصري انه وجد كتابا فيه ذكر من
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البلدان وملوك العجم وما قال لاصحابه حين بعثهم قال فبعث به الى محمد بن
شهاب الزهري فعرفه فذكر نحو ما تقدم الى ان قال قال ابن اسحق وكان من بعث عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم
من الحواريين والاتباع الذين كانوا بعدهم في الارض بطرس الحواري ومعه بولس وكان من الاتباع ولم يكن من الحواريين
الى رومية واندراوس وشتا الى الارض التي ياكل اهلها الناس وتوما الى ارض بابل من ارض المشرق وفيليبس الى
قرطاجنة وهي افريقية وبحفص الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوب الى اورشليم والى ايليا قرية بيت
المقدس وابن تلما الى الاعرابية وهي ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربر وهو ذا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يودس
انتهى كذا رايت في نسخة معتمدة مقابلة من تهذيب السيرة لابن هشام وكذا في مختصر الامام جمال الدين محمد بن المكرم
الانصاري عدد رسله واسمائهم وفي آخرهم قوله مكان يودس ولم يتقدم ليودس ذكر والذي حررته انا من
الاناجيل التي بايدي النصارى غير هذا ولعله اصح وقد جمعت ما تفرق من الفاظها قال في انجيل متى ما نصه وبعظم
السياق له ودعا يعني عيسى عليه السلام تلاميذه الاثني عشر واعطاهم سلطانا على جميع الارواح الكي يخرجوها ويشفوا
كل الامراض وفي انجيل مرقس وصعد الى الجبل ودعا الذين اجبهم فاتوا اليه وانتخب اثني عشر ليكونوا معه ولكي
يرسلهم ليكرزوا واعطاهم سلطانا على شفاء الامراض واخراج الشياطين وفي انجيل لوقا وكان في تلك الايام
خرج الى الجبل يصلي وكان ساهرا في صلوة الله فلما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر وقال في موضع
آخر ودعا الاثني عشر الرسل واعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفا المرضى وارسلهم يكرزون بملكوت
الله ويشفون الاوجاع وهذه اسماء الاثني عشر الرسل سمعان المسمى بطرس ونسبه في موضع من انجيل متى ابن يونا
واندراوس اخوه ويعقوب بن زبدي ويوحنا اخوه قال في انجيل مرقس وسماهما بانسمي ترا برجس اللذين
سماهما ابنا الرعد وفيليبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا ولبا الذي يدعى تداوس
وجعل في انجيل مرقس بدل هذا اندي وفي انجيل لوقا بدلهما يهوذا ابن يعقوب ثم انتقوا وسمعان القانائي وقال
في انجيل لوقا المدعو الغيور ويهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه اي دل عليه في الليلة التي ادعي اليهود القبض عليه
فيها هو كل الاثني عشر الرسل الذين ارسلهم ليسوع وفي انجيل مرقس ودعا الاثني عشر وجعل يرسلهم اثنين اثنين واعطاهم
السلطان على الارواح النجسة قائلا لا تسلكوا طريق الامم ولا تدخلوا مدينة السامرة وانطلقوا خاصة الى الخراف
التي ضلت من بيت اسرايل واذا ذهبتم فاكرزوا وقولوا قد اقتربت ملكوت السموات اشفوا المرضى اقيموا الموتى
طهروا البرص اخرجوا الشياطين مجانا اخذتم مجانا اعطوا لا تكنزوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم ولا
جرابا في الطريق ولا ثوبين ولا حذاء ولا عصى والفاعل مستحق طعامه وفي انجيل مرقس وامرهم ان لا ياخذوا في
الطريق غير عصى فقط ولا جرابا ولا خبزا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقهم الا نعالا في ارجلهم ولا يلبسوا قميصين
وفي انجيل لوقا وقال لهم لا تحملوا في الطريق شيئا ولا عصى ولا جرابا ولا خبزا ولا فضة ولا يكون لكم ثوبان واي
مدينة او قرية دخلتموها افحصوا فيها عمن يستحقكم وكونوا هناك حتى تخرجوا فاذا دخلتم الى البيت فسلموا عليه
فان كان البيت مستحقا لسلامكم فهو يحل عليه وان كان لا يستحق فسلامكم راجع اليكم ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم
فاذا خرجتم من ذلك البيت او تلك القرية او تلك المدينة انفضوا غبار ارجلكم وفي انجيل مرقس وقال لهم
اي بيت دخلتموه اقيموا فيه الى ان تخرجوا منه واي موضع لم يقبلكم ولم يسمع منكم فاذا خرجتم من هناك فانفضوا الغبار
الذي تحت ارجلكم للشهادة عليهم الحق اقول لكم ان الارض سدوم وعامورا راحة في يوم الدين اكثر من تلك المدينة
يهوذا انا مرسلكم كالخراف بين الذياب كونوا حكما كالحيات ووداعا كالحمام احذروا من الناس فانهم يسلمونكم الى المحافل
وفي مجامعهم يضربونكم وتقدمون اني الولاة والملوك من اجلي شهادة لكم وللامم وفي انجيل مرقس شهادة عليهم وعلى

الى بيت عينا فرفع يديه وباركهم وكان فيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء امامهم فرجعوا الى يروشليم
بفرح عظيم وكانوا في كل حين يسبحون ويباركون الله انتهى ما نقلته من الاناجيل وما كان فيه من لفظ يوهم نقصا
فقد تقدم في آل عمران انه لا يجوز في شرعنا اطلاقه على الله تعالى وان كان صح اطلاقه في شرعهم فهو مؤول وقد نسخ
وقال الامام محيي السنة البغوي في تفسير آل عمران فيما نقله عن وهب فلما كان بعد سبعة ايام من ادعاء اليهود
لصلبه قال الله تعالى لعيسى عليه السلام اهبط على مريم المجدلانية في جبلها فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم
يحزن احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى فاهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط
نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هي التي يدخن فيها النصارى فلما
اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى عليه السلام اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين هذا ما ذكر من شان رسل عيسى عليه السلام انهم كانوا دعاة واما رسل النبي صلى الله عليه
وسلم فانما كانوا مبلغين لكتبه صلى الله عليه وسلم فمن قبل ذلك كان حظه من الله ومن ابى كان جوابه السيف الماحق
لدولته كما ذكرته مستوفى في شرحي لنظمي للسيرة وهو مذكور في فتوح البلاد ولما بعث صلى الله عليه وسلم رسله
اتخذ لاجل مكاتبة الملوك الخاتم اخرج ابو يعلى في مسنده عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب الى كسرى وقيصر وفي رواية واكيدر دومة والى كل جبار يدعوهم الى الله واخرج الشيخان في صحيحيهما وهذا
لفظ مسلم عن انس بن مالك ايضا رضي الله عنه قال لما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب الى الروم وفي رواية
الى العجم قالوا انهم لا يقراون كتابا الا مختوما فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة كاني انظر الى بياضه
في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم نقشه محمد رسول الله فبعث دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه الى قيصر
ملك الروم وامره ان يوصل الكتاب الى عظيم بصرى ليوصله اليه فعظم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وقبله وقراه
ووضعه على وسادة وعلم صدقه صلى الله عليه وسلم وانه سيغلب على ملكه فجمع الروم وامرهم بالاسلام فابوا
فخافهم فقال انما اردت ان اجربكم ثم لم يقدر الله له الاسلام فازال الله حكمه عن الشام وكثير من الروم على يدي ابي بكر
وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثم عن كثير من الروم ايضا على يد من بعدهم ومكن بها الاسلام لكن اثابه الله على تعظيم
كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بان ابقى ملكه في اطراف بلاده الى الآن وبلغني ان الكتاب محفوظ عندهم الى هذا الزمان
وبعث شجاع بن وهب الاسدي رضي الله عنه الى الحرث بن ابي شمر الغساني وقال القضاعي المنذر بن ابي شمر عامل
قيصر على تخوم الشام ثم الى جبلة بن الايهم الغساني فاما الحرث او المنذر فغضب من الكتاب وهم بالمسير الى النبي صلى الله
عليه وسلم ليقاتله زعم فنهاه عن ذلك قيصر فاكرم شجاعا ورده واسلم حاجبه مري الرومي بما عرف من صفة النبي صلى
الله عليه وسلم في الانجيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم باد ملك الحرث وفاز مري فقل ما لبث الحرث حتى مات وولي بعده
في مكانه جبلة بن الايهم الغساني وهو آخر ملوك غسان على نواحي الشام فرد اليه النبي صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب
رضي الله عنه فرد على النبي صلى الله عليه وسلم ردا جميلا ولم يسلم واستمر يتربص حتى اسلم في خلافة عمر رضي الله عنه
لما راى من ظهور نور الاسلام وخمود نار الشرك ثم انه ارتد ولحق ببلاد الروم في لطمة اريد ان يقتص منه فيها فسبحان
الفاعل لما يشا وبعث عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه الى كسرى ملك الفرس وامره ان يدفع الكتاب الى عظيم
البحرين ليوصله اليه فلما راى ان النبي صلى الله عليه وسلم بدا باسمه الشريف مزق الكتاب قبل ان يعلم ما فيه فرجع
عبد الله فلما سكن غضب الخبيث التمسه فلم يجده فارسل في طلبه فسبق الطلب فلما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تمزيق
الكتاب دعا على كسرى ان يمزق كل ممزق فاجاب الله دعوته فشتت شملهم وقطع وصلهم على يد ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
ثم قتل يزدجرد آخر ملوكهم في خلافة عثمن رضي الله عنه فاصبح ملك الاكاسرة كامس الداير وعم بلادهم الاسلام وظهرت
بها كلمة الايمان بل تجاوز الاسلام ملكهم الى ما وراء النهر والى بلاد الخطا وبعث حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه
الى المقوقس صاحب مصر والاسكندرية فعلم من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ما علم قيصر من الانجيل فاكرم الرسول
واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ورد ردا جميلا ولم يسلم فاباد الله ملكه على يد عمرو بن العاصي اميرا لعمر رضي الله عنهما
وبعث عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي فآمن رضي الله عنه وقال اشهد انه النبي الامي الذي ينتظره
اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل عليهم السلام وان العيان ليس بالشفي من الخبر واهدى
للنبي صلى الله عليه وسلم هدايا كثيرة وارسل ابنه باسلامه في سبعين من الحبشة وقال في كتابه واني لا املك الا نفسي
ومن آمن بك من قومي وان احببت ان آتيك برسول الله فعلت فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على النجاشي واستغفر
له وبعث العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه الى المنذري ساوى العبدي ملك البحرين والى سبنخت مرزبان هجر بكتاب
يدعوهما فيه الى الاسلام او الجزية وارض البحرين من بلاد العرب لكن كان الفرس قد غلبوا عليها وبها خلق كثير من عبد
القيس وبكر بن وايل وتميم فاسلم المنذر وسبنخت وجميع من هناك من العرب وبعض العجم فاقره النبي صلى الله عليه
وسلم على عمله وبعث سليط بن عمرو العامري رضي الله عنه الى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة وكان عاملا لقيصر
على قومه فقرا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورد ردا دون رد فصادف ان قدم عليه راهب من دمشق فاخبره

كل من الامم ينبغي او لا ان تكرزوا بالانجيل فاذا اسلموكم فلا تهتموا بما تقولون وفي انجيل مرقس ولا ماذا تجيبون فانكم تعطون
في تلك الساعة ما تتكلمون به ولستم انتم المتكلمين لكن روح ابيكم وفي انجيل مرقس لكن روح القدس يتكلم فيكم وسيسلم
الاخ اخاه الى الموت والاب ابنه وتقوم الابناء على ابائهم فيقتلونهم وتكونون مبغوضين من الكل من اجل اسمي والذي يصبر
الى المنتهى يخلص فاذا طردوكم من هذه المدينة اهربوا الى اخرى الحق الحق اقول لكم انكم لا تكملون مدائن اسرائيل حتى يأتي
ابن الانسان ليس تلميذ افضل من معلمه ولا عبد افضل من سيده حسب التلميذ ان يكون مثل معلمه والعبد مثل سيده
ان كانوا سموا رب البيت باعل زبول فكم بالحري اهل بيته فلا تخافوهم فليس خفي الا سيظهر ولا مكتوم الا سيعلم الذي اقول
لكم في الظلمة قولوه انتم في النور وما سمعتموه باذانكم فاكرزوا به على السطوح لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع ان
يقتل النفس خافوا ممن يقدر ان يهلك النفس والجسد جميعا في جهنم اليس عصفوران يباعان بفلس وواحد منهما لا يسقط
على الارض دون ارادة ابيكم وانتم شعور رؤوسكم كلها محصاة فلا تخافوا فانكم افضل من عصافير كثيرة لا تظنوا اني
جئت لالقي على الارض سلاما لكن سيفا اتيت لافرق الانسان من ابيه والابنة من امها والعروس من حماتها واعداء الانسان
اهل بيته من احب ابا او اما اكثر مني مما يستحقني ومن وجد نفسه فليهلكها من اهلك نفسه من اجلي وجدها ومن قبلكم فقد
قبلني ومن قبلني فهو يقبل الذي ارسلني ومن يقبل نبيا باسم نبي فاجر نبي ياخذ ومن ياخذ صديقا باسم صديق فاجر صديق
ياخذ ومن سقى احد هؤلاء الصغار كاس ماء بارد فقط باسم تلميذ الحق اقول لكم ان اجره لا يضيع ولما اكمل يسوع امره
لتلاميذه الاثني عشر انتقل من هناك ليعلم ويكرز في مدنهم وفي انجيل مرقس فلما خرجوا يعني الرسل كرزوا بالتوبة
واخرجوا شياطين كثيرة ومرضى عدة يدهنونهم بالزيت فيشفون وفي انجيل لوقا ومن بعد هذا اقام الرب ٥
سبعين اخذوا رسلهم اثنين اثنين قدام وجهه الى كل مدينة وموضع ازمع ان يأتيه وقال لهم ان الحصاد كثير والفعلة قليل
اطلبوا الى رب الحصاد ليخرج فعلة لحصاده وفي انجيل متى ما ظاهره ان هذا الكلام كان للاثني عشر فانه قال قبل
ذكر عددهم فلما راى الجموع تحنن عليهم لانهم كانوا ضالين ومطروحين كالخراف التي ليس لها راع حينئذ قال للتلاميذه الاثني عشر
الى آخر ما ذكره عنه او لا نجمع بانه قاله للفريقين رجع الى السياق الاول اذهبوا هودا ارسلكم كالخراف بين الذئاب
لا تحملوا اهميانا ولا حذاء ولا جزوادا ولا تسلموا احدا في الطريق واي بيت دخلتموه فقولوا اولا سلام لاهل هذا البيت
فان كان هناك ابن سلامكم فان سلامكم يحل عليه والا فسلامكم راجع اليكم وكونوا في ذلك كلوا واشربوا مما عندهم فان الفاعل
مستحق اجره ولا تنتقلوا من بيت الى بيت واي مدينة دخلتموها ويقبلكم اهلها فكلوا مما يقدم لكم واشفوا المرضى الذين
فيها وقولوا لهم قد قربت ملكوت الله واي مدينة دخلتموها ولا يقبلكم اهلها اخرجوا من شوارعها وقولوا نحن ننفض لكم الغبار
الذي لصق بارجلنا من مدينتكم لكن اعلموا ان ملكوت الله قد قربت اقول لكم ان سدوم في ذلك اليوم لعار احة اكثر من تلك
المدينة الويل لك يا كورزين والويل لك يا بيت صيدا لانه لو كان في صور وصيدا القوات التي كن فيكن جلسوا وتابوا
بالمسوح والرماد واما صور وصيدا فلهما راحة في الدينونة اكثر منكم وانت يا كفرناحوم لو انك ارتفعت الى السماء
سوف تهبطين الى الجحيم من سمع منكم فقد سمع مني ومن محدكم فقد محدني ومن محدني فقد شتم الذي ارسلني فرجع السبعون
بفرح قائلين يا رب الشياطين تخضع لنا باسمك فقال لهم قد رايت الشيطان قد سقط من السماء مثل البرق
وها قد اعطيتكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء ولكن تفرحون لهذا ان الارواح
تخضع لكم افرحوا الان اسماكم مكتوبة في السموات وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح والتفت الى تلاميذه خاصة
وقال طوبى للاعين التي ترى ما ترايا اقول لكم ان انبيا كثيرا وملوكا اشتهوا ان ينظروا ما تنظرون فلم ينظروا ويسمعوا ما
تسمعون فلم يسمعوا وفي انجيل متى بعد ما ادعى اليهود صلبه انه ظهر لتلاميذه الاحد عشر اي ولهم لكن تقدم غير لهودا
الاسخريوطي الذي اسلمه في الجليل في الجبل الذي امرهم به يسوع وكلمهم قائلا اعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض
فاذهبوا الان وتلمذوا كل الامم وفي آخر انجيل مرقس انه ظهر لهم وهم مجتمعون وكانوا في تلك الايام يبكون وينوحون
فبكتهم لقلة ايمانهم وقسوة قلوبهم وقال لهم امضوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها فمن امن واعتمد
خلص ومن لم يؤمن يدان وهذه الايات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين ويتكلمون بالسنة حديثة ويحملون بايديهم
الحيات وان شربوا دواء مميتا لا يضرهم ويضعون ايديهم على المرضى فيبرأون ومن بعد ما كلمهم يسوع
ارتفع الى السماء فخرج اولئك يكرزون في كل مكان وفي انجيل لوقا فلما خرجوا كانوا يطوفون في القرى ويبشرون
ويشفون في كل موضع وفي آخره بعد ان ذكر تلامذته الاحد عشر وكلاما كانوا يخوضون فيه بعد ادعاء اليهود
لصلبه وفيما هم يتكلمون وقف يسوع في وسطهم وقال لهم السلام لكم انا هو لا تخافوا فاضطربوا وظنوا انهم ينظرون
روحا فقال لهم لما بالكم تضطربون ولم تاتي الافكار في قلوبكم انظروا يدي ورجلي فاني انا هو جسوني وانظروا ان
الروح ليس له لحم وعظم كما ترون انه لي ولما قال هذا اراهم يديه ورجليه واذ انهم غير مصدقين من الفرح قال لهم
اعندكم ههنا ما يوكل فاعطوه جزءا من حوت مشوي ومن شهد عسل فاخذ قدامهم واكل واخذ الباقي واعطاهم وقال
لهم هذا الكلام الذي كلمتكم به اذ كنت معكم وانه سوف يكمل كل شيء هو مكتوب في ناموس موسى والانبيا والمزامير كاجلي
وحينئذ فتح اذهانهم ليفهموا وقال لهم اجلسوا انتم في المدينة يروشليم حتى تدرعوا القوة من العلاء اخرجهم خارجا

انه لم يجب الى الاسلام فقال لم قال ضننت بملكي قال الراهب لو تبعته لاقرك والخير لك في اتباعه فانه النبي الذي بشر به
عيسى عليه السلام قال هوذه للراهب فما لك لا تتبعه فقال اجدني احسده واحب الخمر فكتب هوذه كتابا وبعث الى النبي
صلى الله عليه وسلم بهدية مكانة ذلك وشعر به قومه فاتوه فهددوه فرد الرسول واستمر على نصرانيته فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لما رجع اليه سليط باد هوذه وباد ما في يده فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من فتح مكة جاءه جبريل عليه
السلام بان هوذه مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبا يقتل بعدي فكان كذلك كما هو
مشهور من امر مسيلمة الكذاب وبعث المهاجر بن ابي امية المخزومي رضي الله عنه الى الحرث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن
فلما بلغه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم قال الحرث قد كان هذا النبي عرض نفسه علي فخطئت عنه وكان ذخرا لمن صار اليه
وسانظر وثباطا به الحال الى ان اسلم عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك سنة الوفود وكاتب النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك وبعث عمرو بن العاصي رضي الله عنه الى جيفر وعبد ابني الجلندي للازديين ملكي عمان فتوقفا واضطرب رايهما ثم عزم
الله لهما على الرشد فقال جيفر انه والله قد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول
تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر وانه يوفي بالعهد وينجز الوعد ولا يزال يطلع على سر قوم يساوي فيه اهله
واني اشهد انه رسول الله واسلم اخوه ايضا وكتبا الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهما فقال خيرا واثنى خيرا وكان في
سير هولاء الرسل لعمري غير ما ذكر احاديث عجايب واقاصيص غرايب من دلايل النبوة واعلام الرسالة خشيت من ذكرها
الاطالة وان تمل وان لم يكن فيها ما يقتضي ملاله وقد شفيت في شرحي لنظمي للسيرة باستيفايها الغليل في ترتيب جميل
ونظم اسلوبه لعمري جليل هولاء رسل البشر واما الرسل من الجن فقد روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن قال كانوا تسعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسلا الى قومهم قال الهيثمي وفي سنده النضر ابو عمر وهو متروك ويؤيد عموم هذه الاية في تناولها الملائكة عليهم السلام
قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا واذا تاملت سياق الايات التي بعدها مع اخر السورة التي قبلها قطعت بذلك لتنذر من
كان حيا انما تنذر من اتبع الذكر اذ هم من جملة العالمين وممن بلغه القران وممن هو حي وممن اتبع الذكر والخطاب بالانذار
وارد مورد التغليب اذ الانس والجن اهل له فانتفى ما يقال ان الملائكة في غاية الخوف من الله مع عصمتهم فليسوا ممن يخوف
ويزيد ذلك وضوحا قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ولا انذار اعظم
من ذلك وان عيسى عليه السلام من هذه الامة وممن شملته الايات الدالة على عموم الرسالة بغير شك وان النبي صلى الله عليه
وسلم قال والذي نفسي بيده او كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي اخرجه الامام احمد والدارمي والبيهقي في الشعب عن جابر
رضي الله عنه ومذهب اهل السنة ان رسل البشر افضل من رسل الملائكة وقد ثبتت رسالته الى الافضل المعصوم
بالفعل لعيسى وبالتعليق بالحيوة لموسى عليه السلام وقد اخذ الله سبحانه ميثاق النبيين كلهم عليهم السلام ان ادركوه
ليومنن به وقد خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وهو اشرف الخلق واكملهم بالانذار في غير اية فمهما اول به ذلك في حقه صلى
الله عليه وسلم قيل مثله في حقهم عليهم السلام ومما يرفع النزاع ويدفع تعلل المتعلل بالانذار قوله تعالى لتنذر به وذكرى
للمومنين فحذف مفعول تنذر دال على عموم رسالته وتعليق الذكرى بالمومنين مدخل لهم بلا ريب لانهم من روسهم عليهم السلام
وقوله تعالى لتبشر به المتقين الى غيرها من الايات فيكون عموم رسالته لهم زيادة شرف له وهو واضح وزيادة شرف
لهم بحمل انفسهم على طاعته والتقييد بما حده لهم من اعمال ملته طاعة لله تعالى زيادة في اجورهم ورفعة درجاتهم وذلك مثل
ما قال ابو حيان في قوله تعالى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين ان في الامر له بذلك مزيد تاكيد وحصول اجر بالامتثال
وقال القاضي عياض رحمه الله في الفصل السابع من الباب الاول من القسم الاول من الشفا في قوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ
عليه ميثاقه ان ادركه ليومنن به ويعضد ذلك ما قال في اول الباب الاول منه وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة المذكورة في قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين شي قال نعم كنت
اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروى مسلم في
كتاب الصلوة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت
جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون
وحمل من حمل الخلق على الناس للرواية التي فيها الى الناس تحكم بل العكس اولى لمطابقة الايات وقد خرج من هذا العموم
من لا يعقل بالدليل العقلي فبقي غيرهم داخلا في اللفظ لا يحل لاحد ان يخرج منه احدا منهم الا بنص صريح ودلالة قاطعة
ترفع النزاع وقال عياض في الباب الثالث من القسم الاول وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد
الله تعالى ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الاذان فذكر المعراج وسماع الاذان من وراء الحجاب ثم قال ثم اخذ الملك
بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام باهل السماء فيهم آدم ونوح انتهى وروى عبد الرزاق عن سلمان الفارسي رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل بارض قي فحانت الصلوة فليتوضا فان لم يجد ماء
فليتيمم فان اقام صلى معه ملكا وان اذن واقام صلى خلفه من جنود الله ما لا يرى طرفاه قال المنذري القي بكسر القاف

وتشديد

وتشديد الياء وبي الارض التقفز وروى مالك والستة الا الترمذي وابو يعلى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين وفي رواية اذا امن الامام
فامنوا فانه من وافق تامين الملائكة وفي رواية من وافق قوله قول الملئكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي رواية
في الصحيح اذا قال احدكم في الصلوة امين وقالت الملئكة في السماء امين فوافقت احديهما الاخرى غفر له ما تقدم من ذنبه
وفي رواية لابي يعلى اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الذين خلفه امين فتقت من اهل السماء واهل
الارض غفر لهم ما تقدم من ذنبه وللشيخين عن ابي هريرة ايضا رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قال
الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد فانه من وافق قوله قول الملئكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي رواية
فاذا وافق قول اهل السماء قول اهل الارض غفر له ما تقدم من ذنبه في اشكال ذلك مما يؤذن باتمام الملئكة بامننا وذلك
ظاهر في التقييد بشرعنا وروى احمد وابو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وجزم ابن معين
والذهلي بصحته عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وان الصف الاول لعلى مثل صف الملئكة ۞
وادلة من جميع ما مضى ما روى مالك والشيخان وابو داود وابن خزيمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنه ومن راح في الساعة الثانية
فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة
ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملئكة يستمعون الذكر وفي رواية فاذا قعد
الامام طويت الصحف وفي رواية لاحمد عن ابي سعيد رضي الله عنه فاذا اذن المؤذن وجلس الامام طويت الصحف ودخلوا
المسجد يستمعون الذكر فان تركهم لكتابة الناس واقبالهم على الاستماع دليل واضح على الايتمار بما رواه الشيخان وغيرهما
عن ابي هريرة ايضا رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب
فقد لغوت لكن قال الحليمي في الرابع من شعب الايمان في الجواب عما اورد على قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله من ان التخصيص بالانس والجن لا يمنع قدرة الملئكة على المعارضة ما نصه واما الملئكة
فلم يتحدوا عن ذلك لان الرسالة اذا لم تكن اليهم لم يكن القرآن حجة عليهم فسواء كانوا قادرين على مثله او عاجزين وهم عندنا
عاجزون وقال في الخامس عشر في ان من انواع تعظيمه الصلوة عليه فامر الله عباده ان يصلوا عليه ويسلموا وقدم
قبل ذلك اخبارهم بان ملئكته يصلون عليه ليلبيهم بذلك على ما في الصلوة عليه من الفضل اذا كانت الملئكة مع انفكاكهم
عن شريعته تتقرب الى الله تعالى بالصلوة والتسليم عليه ليعلموا انهم بالصلوة والتسليم عليه اولى واحق هذا نصه في
الموضعين ولم يذكر لذلك دليلا ونسب الجلال المحلي في شرحه لجمع الجوامع مثل ذلك الى البيهقي في الشعب فانه قال وصرح
الحليمي والبيهقي في الباب الرابع من شعب الايمان بانه عليه الصلوة والسلام لم يرسل الى الملئكة وفي الباب الخامس عشر
بانفكاكهم من شرعه قال وفي تفسير الامام الرازي والبرهان النسفي حكاية الاجماع في تفسير الآية الثانية اي ليكون
للعالمين نذيرا انه لم يكن رسولا اليهم انتهى وهو شهادة نفي كما تري لا يعارض بما ذكرته من المنصوص على ان الحليمي لم يقل بذلك
الا لقوله بان الملئكة افضل من الانبياء كما نقله عنه الامام فخر الدين في كتاب الاربعين والشيخ سعد الدين التفتازاني
في شرح المقاصد وغيرهما ولم يوافقه على ذلك احد من اهل السنة الا القاضي ابو بكر الباقلاني فكما لم يوافق على الاصل لا يوافق
على الفرع واما البيهقي فانما نقله عن الحليمي وسكوته عليه لا يوجب القطع برضاه قال الزركشي في شرح جمع الجوامع وهي
مسئلة وقع النزاع فيها بين فقهاء مصر مع فاضل دهرهم عندهم وقال لهم الملئكة ما دخلت في دعوته فقاموا عليه وقد ذكر
الامام فخر الدين في تفسير سورة الفرقان الدخول محتجا بقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا والملئكة داخلون في هذا العموم
انتهى وهذا يقدح فيما نقل عنه من نقل الاجماع وعلى تقدير صحته ففيه امور اما اولا فالاجماع لا يرجع فيه الا الى اهل الاطلاع
على المنقولات من حفاظ الاثار واقاويل السلف واما ثانيا فانه نقل يحتمل التصحيح والتضعيف لانه بطرقه احتمال
ان يكون نقل عمن لا يعتد به او يكون اخذه عن احد مذاكرة واحسن الظن به او حصل له سهو ونحو ذلك فلا وثوق الا بعد
معرفة المنقول عنه وسند النقل والاعتضاد بما يوجب الثقة ليقاوم هذه الظواهر الكثيرة واما ثالثا فانه سيأتي
عن الامام تقي الدين السبكي ان بعض المفسرين قال بارسال الى الملئكة وقال الامام ولي الدين ابو زرعه احمد بن الحافظ
زين الدين العراقي في شرحه لجمع الجوامع واما كونه مبعوثا الى الخلق اجمعين فالمراد المكلف منهم وهذا بيننا ولا انس والجن
والملئكة فاما الاول فبالاجماع واما الملئكة فمحل خلاف فاين الاجماع هذا على تقدير صحة هذا النقل واني لمدعي ذلك به فاني
راجعت تفسير الامام الاية المذكورة فلم اجد فيه نقل الاجماع وانما قال ثم قالوا هذه الآية تدل على احكام الاول ان العالم
كل ما سوى الله فيدخل فيه جميع المكلفين من الجن والانس والملئكة لكنا بينا انه عليه السلام لم يكن رسولا الى الملئكة فوجب
ان يبقى كونه رسولا الى الجن والانس حينئذ وبطل قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض الثاني ان لفظ العالمين
يتناول جميع المخلوقات فتدل الآية على انه رسول الى المكلفين الى يوم القيمة فوجب ان يكون خاتم الانبياء والرسل هذا
لفظه في اكثر النسخ وفي بعضها لكنا اجمعنا بدل بيننا وبني غير صريحة في اجماع الامة كما تري ولم يعين الموضع الذي احال عليه
في النسخ الاخرى فليطلب من مظانه ويتامل واما النسفي فمختصره والله الموفق ثم رايت في خطبة كتاب الاصابة في اسماء

الصحابة لشيخنا حافظ عصره ابي الفضل بن حجر في تعريف الصحابي وقد نقل الامام فخر الدين في اسرار التنزيل الاجماع على انه صلى الله
عليه وسلم لم يكن مرسلا الى الملئكة ونوزع في هذا النقل بل رجح الشيخ تقي الدين السبكي انه كان مرسلا اليهم واحتج باشيا يطول
شرحها انتهى والعجب من الرازي في نقل هذا الذي لا يوجد لغيره مع انه قال في اسرار التنزيل في اواخر الفصل الثاني من الباب الثالث
في الاستدلال على علو الادمي على وجود الخالق الوجه الرابع اي في تكريم بني آدم انه جعل اباهم رسولا الى الملئكة حيث قال انبئهم
باسمائهم وقد تقرر ان كل كرامة كانت لنبي من الانبياء فلنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها او اعظم منها وقال في تفسيره الكبير
في وعلم آدم الاسما ولا يبعد ايضا ان يكون مبعوثا الى من توجه التحدي اليهم من الملئكة لان جميعهم وان كانوا رسلا فقد يجوز الارسال
الى الرسول كبعثة ابرهيم الى لوط عليهما السلام انتهى وانت خبير بامر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء والحاصل ان رسالته
صلى الله عليه وسلم اليهم صلوات الله عليهم رتبة فاضلة ودرجة عالية كاملة حايزة له لايقة بمنصبه مطابقة لما ورد من القواطع
بعموم رسالته وشمول دعوته وقد دلت على حيازته لها ظواهر الكتاب والسنة مع انه لا يلزم من اثباتها له اشكال في الدين ولا
محذور في الاعتقاد فليس لنا التجرؤ على نفيها الا بقاطع كما قال امامنا الشافعي رحمه الله في كتاب الرسالة في آية الانعام قل لا
اجد فيما اوحي الي محرما الآية قال فاحتملت معنيين احدهما ان لا يحرم على طاعم يطعمه ابدا الا ما استثنى الله عز وجل وهذا المعنى
الذي اذا ووجه رجل مخاطبا به كان الذي يسبق اليه انه لا يحرم غير ما سمى الله عز وجل محرما وما كان هذا فهو الذي نقول له اظهر
المعاني واعمها واغلبها لو احتملت الآية معاني سواه كان هو المعنى الذي يلزم اهل العلم القول به الا ان تاتي سنة للنبي صلى الله عليه
وسلم بابي هو وامي تدل على معنى غيره مما تحتمله الآية فنقول هذا معنى ما اراد الله عز وجل ولا يقال بخاص في كتاب الله ولا سنة
الا بدلالة فيهما او في واحد ولا يقال بخاص حتى تكون الآية تحتمل ان يكون اريد بها ذلك الخاص فاما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها
بما لا تحتمل الآية انتهى وشرحه الامام ابو محمد بن حزم في المحلى فقال ولا يحل لاحد ان يقول في آية او خبر هذا منصوص او مخصوص
في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تاويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده
الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر او باجماع متيقن بانه كما ذكر او بضرورة حس موجبة انه كما ذكر برهانه وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقال فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة ومن ادعى ان المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد اسقط بيان النص واسقط وجوب
الطاعة له بدعواه الكاذبة وليس بعض ما يقتضيه النص باولى بالاقتصار عليه من ساير ما يقتضيه انتهى وقال اهل الاصول
ان الظاهر ما دل على المعنى دلالة ظنية اي راجحة والتاويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فان حمل عليه كدليل فصحيح او لما
يظن دليلا وليس في الواقع بدليل ففاسد او لا لشيء فلعب لا تاويل وقال الامام الغزالي في كتاب المحبة من الاحياء في الكلام
على ان رؤية الله تعالى في الآخرة هل هي بالعين او القلب والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في
العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وساير الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا بضرورة انتهى
وقال الامام تقي الدين السبكي في جواب السؤال عن الرسالة الى الجن الذي تقدم في اول الكلام على هذه الآية اني رايته بخطه
الآية العاشرة ليكون للعالمين نذيرا قال المفسرون كلهم في تفسيرها للجن والانس وقال بعضهم والملئكة الثانية عشرة وما
ارسلناك الا كافة للناس قال المفسرون معناه الا ارسالا عاما شاملا لجميع الناس اي ليس بخاص ببعض الناس فمقصود الآية
نفي الخصوص واثبات العموم ولا مفهوم لها فيما وراء الناس بل قوتها في العموم تقتضي عدم الخصوصية فيهم وحينئذ يشمل الجن
ولو كان مقصود الآية حصر رسالته في الناس لقال وما ارسلناك الا الى الناس فان كلمة الا تدخل على ما يقصد الحصر فيه فلما ادخلها
على كافة دل على ان المقصود بالحصر ويبقى قوله للناس لا مفهوم له اما اولا فلانه مفهوم لقب واما ثانيا فلانه لم يقصد
بالكلام واما ثالثا فلانه قد قيل ان الناس يشمل الانس والجن اي على القول بانه مشتق من النوس وهو التحرك وهو على هذا
شامل للملئكة ايضا وممن صرح من اهل اللغة بان الناس يكون من الانس ومن الجن الامام ابو ابرهيم اسحق بن ابرهيم الفارابي
في كتابه ديوان الادب قال السبكي السابعة عشرة ان هو الا ذكر للعالمين الثامنة عشرة انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن
بالغيب ونحوها كقوله لتنذر من كان حيا وكذا قوله هدى للمتقين واما السنة فاحاديث الاول حديث مسلم عن ابي
هريرة رضي الله عنه وارسلت الى الخلق كافة الى الخلق عام يشمل الجن بلا شك ولا يرد على هذا انه ورد في روايات هذا الحديث
من طرق اخرى في صحيح البخاري وغيره الناس موضع الخلق لانا نقول ذلك من رواية جابر وهذا من رواية ابي هريرة فلعلهما
حديثان وفي رواية الخلق زيادة معنى على الناس فيجب الاخذ به اذ لا تعارض بينهما ثم جوز ان يكون من روى الناس روى
بالمعنى فلم يوف به قال وهذا الحديث يؤيد قول من قال انه مرسل الى الملئكة ولا يستنكر هذا فقد يكون ليلة الاسرا
سمع من الله كلاما فبلغه لهم في السماء او لبعضهم وبذلك يصح انه مرسل اليهم ولا يلزم من كونه مرسلا اليهم من حيث الجملة
ان يلزمهم جميع الفروع التي تضمنتها شريعته فقد يكون مرسلا اليهم في بعض الاحكام او في بعض الاشياء التي ليست باحكام
او يكون يحصل لهم بسماع القرآن زيادة ايمان ولهذا جاء فيمن قرا سورة الكهف فنزلت عليه مثل الظلمة ثم قال في اثناء كلام
بخلاف الملائكة لا يلتزم ان هذه التكاليف كلها ثابتة في حقهم اذا قيل بعموم الرسالة لهم بل يحتمل ذلك ويحتمل في شيء خاص كما
اشرنا اليه فيما قبل انتهى قلت ولا ينكر اختصاص الاحكام ببعض المرسل اليهم دون بعض في شرع واحد كما في الاحرار
والعبيد والنساء والرجال والحطابين والرعايا بالنسبة الى بعض اعمال الحج وغير ذلك مما يكثر تعداده والله الموفق ومن تجرا

الشافعي رضي الله عنه

ابن حزم رحمه الله

على

على نفي الرسالة اليهم من اهل زماننا بغير نص صريح يضطره اليه كان ضعيف العقد مضطرب الايمان متزلزل اليقين سقيم الدين
ولو كان حاكيا لما قيل على وجه الرضى به فما كل ما يعلم يقال وكفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع ولعمري ان الامر لعلى ما قال صاحب البردة
وتلقته الامة بالقبول وطرب عليه في المحافل والجموع • دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم •
ولما ابنت شهادة الله تعالى له بالتصديق بانه محق وكان ذلك ربما اوهم ان غير الله تعالى لا يعرف ذلك لا سيما وقد ادعى كفار قريش
انهم سالوا اهل الكتابين فادعوا انهم لا يعرفونه اتبعه بقوله على طريق الاستيناف الذين اتيناهم اي عالمنا من العظمة من اليهود
والنصارى الكتاب اي الجامع لخيري الدنيا والاخرة وهو التورية والانجيل يعرفونه اي الحق الذي كذبتم به لما جاكم وحصل
النزاع بيني وبينكم فيه لما عندهم في كتابهم من وصفي الذي لا يشكون فيه ولما هم بمثله انسون مما اتيت به من المعجزات ولما في
هذا القران من التصديق لكتابهم والكشف لما اخفوا من اخبارهم ولاساليبه التي لا يرتابون في انها خارجة من مشكاة كتابهم مع زيادة
بالاعجاز فهم يعرفون هذا الحق كما يعرفون ابناءهم اي من بين الصبيان بخلائهم ونعوتهم معرفة لا يشكون فيها وقد وضعتموهم
موضع الوثوق وانزلتموهم منزلة الحكم بسواكم لهم عني غير مرة وقد امن بي جماعة منهم وشهد والي فما لكم لا تتابعونهم لعدوان
الهوى وانكشف عن ضلالكم الغطاء ولما كان اكثرهم يخفون ذلك ولا يشهدون به قال جوابا لمن يسئل عنهم الذين خسروا اي
منهم ولكنه حذفها للتعميم انفسهم فهم اي بسبب ذلك لا يومنون اي لما سبق لهم من القضايا الشقاء الذين خسروا به انفسهم
بالعدول عما دعت اليه الفطر السليمة والفكرة المستقيمة ومن خسر نفسه فهو لا يومن فكيف يشهد فقد بنيت هذه الجملة
ان من لا يشهد منهم فهو في الحقيقة ميت او موات لان من فاتت نفسه كذلك بل هم اشقى منه فلقد ارابهم ذلك الشقاء الى ان حرفوا
كتابهم واخفوا اكثر ما يشهد لي بالنبوة فكانوا اظلم الخلق بالكذب في كتاب الله للتكذيب لرسل الله ولما كان التقدير خسروا
فغاتهم الايمان لانهم ظلموا بكتمان الشهادة فكان الظلم سبب خسرانهم فمن اظلم منهم عطف عليه ما يودن بانهم بدلوا كتابهم او نسبوا
اليه ما ليس فيه فقال واضعا للظاهر موضع ضميرهم لذلك ومن اظلم ممن افترى اي تعمد على الله كذبا كهوءلاء الذين حرفوا كتابهم
ونسبوا الى الله ما لم يقله زيادة كتبوها بايديهم لا اصل لها اضلالا منهم لعباده او كذب بايته اي الآتي بها الرسل كالقرآن
وغيره من المعجزات كالمشركين لا احد اظلم منهم فهم لا يفلحون انه لا يفلح الظالمون اي فكيف بالاظلمين ولما كان معنى هذا انهم اكذب
الناس دل عليه بكذبهم يوم الحشر بعد انكشاف الغطاء فقال ويوم اي اذكر كذبهم على الله وتكذيبهم في هذه الدار واذكر العجب
من ذلك وهو كذبهم في عالم الشهادة عند كشف الغطاء وارتفاع العجب يوم نحشرهم اي نجمعهم بعالمنا من العظمة وهم كارهون صاغرون
جميعا اهل الكتاب والمشركين وغيرهم ومعبوداتهم واشار الى عظمة ذلك اليوم وطوله ومشقته وهوله بقوله باداة التراخي
ثم نقول اي بعالمنا من العظمة التي انكشفت لهم استارها وتبدت لهم بحورها واغوارها توبيخا وتندما للذين اشركوا اي سموا اشياء
من دوننا الها وعبدوه بالفعل من الاصنام او عزير او المسيح او الظلمة او النور او غير ذلك او بالرضى بالشرك فان الرضى بالشيء
فعل له لا سيما ان انضم اليه تكذيب الحق والشهادة للمبطل بان دينه خير اين شركاؤكم اضافهم الى ضميرهم لتسميتهم لهم بذلك الذين
كنتم تزعمون اي انهم شركاؤنا بالعبادة او الشهادة بما يؤدي اليها ادعوهم اليوم لينفعوكم مما تريدون من ضركم او يرفعوكم مما تريد من
وضعكم وسوالهم هذا يجوز ان يكون مع غيبة الشركاء عنهم وان يكون عند احضارهم لهم فيكون الاستفهام عما كانوا يظنون من نفعهم
فكان غيبتهم غيبتهم ولما كان اخبارهم بغير الواقع في ذلك اليوم مستبعدا بعد رفع الحجاب عن الاهوال واظهار الازل والاوجال
اشار اليه باداة البعد فقال ثم لم تكن فتنتهم اي عاقبة مخالطتنا لهم بهذا السوال وامثاله من البلايا التي من شانها ان تميل
ما خالطته فتحيله لو انه جبل عن حاله بما نالة من قوارعه وزلزاله الا كذبهم في ذلك الجمع وهو معنى قوله الا ان قالوا اشارة
منهم بما هم عريقون فيه من وصف الكذب والله فذكروا الاسم الاعظم الذي تندك لعظمته الجبال الشم وتنطق بابره الاحجار الصم
الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى التي ظهر لهم كثير منها في ذلك اليوم واكدوا ذلك بذكر الوصف المذكر بتربيتهم وهو لم الاحسان
اليهم فقالوا ربنا فلم يقنعوا بمجرد الكذب حتى اقسموا ولا بمجرد القسم حتى ذكروا الاسم الجامع والوصف المحسن ما كنا مشركين
اي ان تكذيبهم لك اوصلهم الى حد يكذبون فيه في ذلك اليوم بعد كشف الغطاء متطلعا بما ينتهم كما ترى الحاير المدهوش في الدنيا يفعل
مثل ذلك فهو يئاس من فلاح الجميع المشركين واهل الكتاب او يكون المعنى تندما لهم وتاسيفا انه لم يكن عاقبة كفرهم الذي افتتنوا
به في لزومه والافتخار به والقتال عليه لكونه دين الاباء الا جحوده والبراءة منه والحلف على انتفاء من اتدين به والمعنى
على قراءة النصب والرفع في فتنته على جعلها خبرا او اسما واحدا لمعنى قراءة النصب لم يكن شيء الا قولهم اي غير قولهم الكذب
فتنتهم اي لم يكن شيء فتنتهم الا هذا القول فهذا القول وحده فتنتهم فنفي عن فتنتهم وسلب عنها كل شيء غير قولهم هذا فالفتنة
مقصورة على قولهم الكذب والكذب قد يكون ثابتا لغيرها اي انهم يكذبون من غير فتنة بل في حال الرخاء وهذا بعينه معنى قراءة ابن
كثير وابن عامر وحفص برفع فتنة اي لم تكن فتنتهم شيئا غير كذبهم فقد نفيت فتنتهم عن كل شيء غير الكذب فانحصرت فيه ويجوز
ان يكون ثابتا في حال غيرها على ما مر وهذا التقرير نفيس عزيز الوجود دقيق المسلك يا تي ان شاء الله تعالى عند وما كان •
صلوتهم عند البيت في الانفال ما ينفع هنا فراجعه ولما كان هذا من اعجب العجب اشار اليه بقوله انظر وبالاستفهام
في قوله كيف كذبوا وبالاشارة الى انهم فعلوا مع علمهم بما انكشف لهم من العظمة انه لا يجدي بقوله على انفسهم وهو نحو قوله
فيحلفون له كما يحلفون لكم الآية ولما كان قولهم هذا مرتدا الى ان شركاءهم غابوا عنهم فلم ينفعوهم بنافعة وكان الاعلام بفوات ما
الخصم مقبل عليه فرح به سار الخصه جاليا لغمه صرح به في قوله وضل اي غاب عنهم ما حقيقة او مجازا او مما بالنظر الى وقتين ليكون

انكاء ما كانوا يفترون اي يتعدون الكذب في ادعاء شركته عناداً الما على ضده من الدلايل الواضحة ولما علم ان هذه الايات
قد ترابطت حتى كانت كانها اية واحدة وختم بان مضمون قوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم الآية قد صار وصفا لهم ثابتا حتى ظهر
في يوم الجمع قسم الموسومين بما كانت تلك الآية مبدا له وهو الاعراض عن الايات المذكور في قوله الا كانوا عنها معرضين فكان كانه
قيل فمنهم من اعرض بكليته فعطف عليه قوله ومنهم من يستمع اليك اي يصغي بجهده كما في السيرة عن ابي جهل بن هشام وابي سفيان بن
حرب والاخنس بن شريق ان كلا منهم جلس عند بيت النبي صلى الله عليه وسلم في الليل يستمع القران لا يعلم احد منهم بمجلس صاحبه فلما طلع
الفجر انصرفوا فصدهم الطريق فتلاوموا قالوا لو رآكم ضعفاؤكم لساءهم اليه وتعاهدوا على ان لا يعودوا ثم عادوا تمام ثلاث
ليال ثم سال الاخنس ابا سفيان عما سمع فقال سمعت اشياء عرفتها وعرفت المراد منها واشياء لم اعرفها ولم اعرف المراد منها فقال وانا
كذلك ثم سال ابي جهل فاجاب بما يعرف منه انه علم صدقه وترك تصديقه حسداً وعناداً وذلك هو المراد من قوله وجعلنا
اي والحال انا قد جعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية جمع كنان اي غطاء ان يفقهوه اي القران وفي اذانهم وقرا اي ثقلا يمنع
من سمعه حقا لسمع لانه يمنع من وعيه الذي هو غاية السماع انهم لا يلقون بما يسمع منك لذلك ولما ذكر ما يتعلق بالسمع ذكر ما يتعلق بالسمع
للعبر معبرا بما يعم السمع وغيره من اسباب العلم فقال وان يروا اي بابصارهم وبالبصيرة كل آية اي من ايانا سواه لا يؤمنوا بها لما عندهم
من العناد والتعمق في تقليد الآباء والاجداد حتى كانت غايتهم في هذا الطبع على قلوبهم انهم مع عدم فقههم اذا جاءوك يجادلونك اي في
بالفعل او بالقوة والغاية داخلة فكانه قيل تعجبا ماذا يقولون في جدالهم فقال مظهرا للوصف الذي ادايهم الى ذلك يقول الذين
كفروا اي غطوا ما هو ظاهر لعقولهم وهو معنى الطبع ان اي ما هذا اي الذي وصل الينا الا اساطير جمع سطور واسطر جمع سطر وهي
ايضا جمع اسطار واسطير بكسرهما واسطور بالضم في الكل الاولين وقد قال ذلك المطعم بن الحرث فصدق قوله اخبارهن الآية
وهم حال من فاعل يستمع اي يستمعون اليك والحال انهم ينهون عنه اي عن الاستماع او عن اتباع القران وينأون اي يبعدون عنه اي
كما وقع لابي جهل وصاحبيه في المعاهدة على ترك المعاودة للسماع وما يتبعه وان اي وما يهلكون اي بعبادتهم ومكابدتهم الا انفسهم
اي وما يضرون بضاير بك ولا بضاير احد من اتباعك بما يقدح في المقصود من ارسالك من اظهار الدين ومحو الشرك واذلال المعتدين
وما يشعرون اي وما لهم نوع شعور بما يعود بهم اليه الحال بل هم كالبهايم بل هي اصل حالا منهم ولما جعل عدم ايمانهم بشيء من الآيات
موصلا لهم الى غاية من الجهل عظيمة موبيخة من اذعانهم في هذه الدار وهي مجادلتهم له صلى الله عليه وسلم وختم الآية بما رايت من اعظم
التهديد استشرفت النفس الى معرفة حالهم عند ردهم الى الله تعالى والكشف لهم عما هددوا به فاعلم نبيه صلى الله عليه وسلم
ان حالهم اذا داك الايمان حيث ليس غاية السرور تصديقهم له وعنهم فتابعته لما يركبهم من الذل وحيطابهم من الصغار ولا يزيدهم
ذلك الا ضررا وغما وندما وحسرة فكانه قيل فلو رايت حالهم عند كشف الغطاء وهول المطلع لرايتهم يومنون ولو ترى اذ اي حين وقفوا
في الحشر وبني للمجهول لان المنكي للايقاف لا كونه من معين على النار اي عنها خالدين خلوها مشرفين على كل ما فيها من انواع النكال وذلك
اعظم في النكاية او على الحشر وهو الصراط وهي تحتهم او عرفوا حقيقتها ومقدار عذابها من قولك اوقفته على كذا اذا عرفته اياه ①
فقالوا عنينا للحال يا ليتنا نرد اي الى الدنيا ولما كان التقدير لبغاة قراءة من نصب الفعلين جوابا للتمني او احدهما فنطيع
عطف على الجملة قوله ولا اي والحال انا لا او نحن لا نكذب ان نرد دنا بايات ربنا اي المحسن الينا ونكون من المومنين اي الراسخين
في الايمان والتقدير عند ابن عامر في نصب الثالث ليتنا نرد وليتنا لا نكذب فنسعد وان نكون وعلى قراءة حمزة والكسائي
وحفص بنصبها الفعلين ليتنا نرد فنسعد وان لا نكذب وان نكون والمعنى لو رايت ايقانهم ووقوفهم في ذلك الذل والانكسار
والخزي والعار وسوالم وجوابهم لرايت امرا هايلا فظيعا ومنظرا كريها شنيعا لا يكتنه كنهه ولا يبلغ كنهه ولا يحيط به الوصف
من محبة تحصيله وكراهة تحويله ولكنه حذف تفخيما له لتذهب النفس فيه كل مذهب وجاز حذفه العلم به في الجملة ولما اخبروا في قراءة الرفع
عن انفسهم بما تمنوا لاجله الرد وتضمنت قراءة النصب الوعد فانه كما لو قال قايل ليت الله يردني حالا فاكافيك على صنيعك فانه
يحل الي ان رزقني الله ما لا كافاتك فصار لذلك ما يقبل التكذيب اضرب عنه سبحانه تكذيبا لهم بقوله بل اي ليس الامر كما قالوا الان
هذا التمني ليس عن حقيقة ثابتة في انفسهم من محبة مضمونه وتمريه بل بدا اي ظهر لهم من العذاب الذي لا طاقة لهم به ما كانوا يخفون
اي من لحوق الاخرة من انهم على باطل ولما كان اخفاؤهم ذلك في بعض الزمان قال من قبل اي يدعون انه خفي بل لا حقيقة له ؟
ويسترون ما تبديه الرسل من دلايله بما يلبسون من الشبه عنادا منهم مع انه اوضح من شمس النهار فلذلك تمنوا ما ذكروا ولو ردوا
اي الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه اي من الكفر والفضايح التي كانوا عليها وسترها انفضح لعقولهم من الدلايل وانهم لكاذبون
اي فيما اخبروا به عن انفسهم من مضمون تمنيهم انهم يفعلونه لو ردوا او اكد طبعهم على الكفر بقوله عطفا على قوله لعادوا
وقالوا اي بعد الرد ما كانوا يقولونه قبل الموت في انكار البعث ان هي اي ما هذه الحيوة التي نحن ملابسوها الا حيوتنا الدنيا
اي التي كنا عليها قبل ذلك وما نحن واعرقوا في النفي فقالوا بمبعوثين اي بعد ان عوتنا ومارويتنا لما رايتا قيل هذا من
البعث الا سحر لا حقيقة له ولم تنفعهم مشاهدة البعث بل صرتهم هذا المحتمل وظاهر ولكن الانسب لسياق الايات قبل وبعد ان
يكون هذا حكاية لقولهم له صلى الله عليه وسلم في هذه الدار عطفا على قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك على الوجه الاول
وقوله ولو ترى متصل بذلك اي قالوا هذا القول لما اخبرتهم بالبعث فشاهدت ذلك من قولهم والحال انك لو رايتا عتى امرهم به
اذ سالهم خالقهم لشرك ذلك من ذلهم وما يؤول اليه امرهم وعبر بالمضارع تصويرا لحالهم ذلك وقوله اذ وقفوا على ربهم
مجاز عن الحبس في مقام من مقامات الجلال بما اقتضاه اضافة الرب اليهم اي الذي طال احسانه اليهم وحلمه عنهم فاظهر لهم ما اظهر

في ذلك المقام من تبكيتهم وتوبيخهم وتقريعهم واطلقهم بما تقتضيه اداة الاستعلاء على ما له سبحانه من صفات
العظمة من الكبرياء والانتقام في التربية اذ لم يشكروا احسانه في تربيتهم وسياق الآية يقتضي ان يكون الجواب لرايتهم
قد منعتهم الهيبة وعدم الناصر وشدة الوجل من الكلام فكان سائلا قال المقام يرشد الى ذلك حتى كانه مشاهد فهل
يكلمهم الله لما يشعر به التعبير بوصف الربوبية قيل نعم لكن كلام انكار واخزاء واذلال قال اليس هذا اي الذي اتاكم به
رسولي من امر البعث وغيره مما ترونه الآن من دلائل كبريائي بالحق اي الامر الثابت الكامل في الحقية الذي لا خبال فيه ولا سحر
قالوا اي حين ايقافهم عليه فكان ما اراد بلى وزادوا على ما امروا به في الدنيا القسم فقالوا وربنا اي الذي احسن الينا بانواع
الاحسان وكان كلامهم هذا منزل على حالات تنكشف لهم فيها امور بعد اخرى كل امر اهول مما قبله ويوم القيمة كما قال
ابن عباس رضي الله عنهما ذوا لوان تارة لا يكلمهم الله وتارة يكلمهم فيكذبون وتارة يسئلهم عن شيء فينكرون فتشهد جوارحهم
وتارة يصدقون كهذا الموقف ويحلفون على الصدق ولما اقروا قهرا بعد كشف الغطاء وفوات الايمان بالغيب بما كانوا به
يكذبون تسبب عنه اهانتهم فلذا قال مستانفا قال اي الله مسببا عن اعترافهم حيث لا ينفع وتركهم له في الدنيا حيث كان
ينفع فذوقوا العذاب اي الذي كنتم به توعدون بما كنتم تكفرون اي بسبب دوامكم على ستر ما دلتكم عليه عقولكم من صدق
رسولكم ولا شك ان الكلام وان كان على هذه الصورة فيه نوع احسان لانه اهون من التعذيب مع الاعراض في مقام اخسأوا فيها
ولا تكلمون وكذا كان ذلك اخر المقامات ولما انتج هذا ما تقدم الاخبار به عن خسرانهم لانفسهم في القيمة توقع السامع ذكره
فقال تحقيقا لذلك وزاده الحمل فانه من ذوق العذاب قد خسر واظهر موضع الاضمار تعميما وتنبيها على ما اوجب لهم ذلك فقال
الذين كذبوا بلقاء الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه خسروا كل شيء يمكن احرازه من الثواب العظيم واستمر
تكذيبهم حتى اذا جاءتهم الساعة اي الحقيقية وكذا الموت الذي هو مبداؤها فان من مات جاءت ساعته وحذرهم منها بقوله بغتة
اي باغتة او ذات بغتة او بغتتهم باتيانها على حين غفلة لا يمكن ان يشعروا بعين الوقت الذي تجيء فيه نوعا من الشعور قالوا
يا حسرتنا اي تعالي احضرينا ايتها الحسرة اللائقة بنا في هذا المقام فانه لا نديم لنا سواك وهو كناية عن عظمة الحسرة وتنبيه
عليه لينتهي الانسان عن اسبابها على ما فرطنا اي قصرنا فيها اي بسبب الساعة ففاتنا ما يسعد فيها من تهذيب الاخلاق المهيئة
للسياق بترك اتباع الرسل وذلك ان الله خلق المكلف وبعث له النفس الناطقة القدسية منزلا لها الى العالم السفلي وافاض
عليه نعما ظاهرة وهي الحواس الظاهرة المدركة والاعضاء والآلات الجسمانية ونعما باطنة وهي العقل والفكر وغيرهما ليتوسل
استعمال هذه القوى والآلات الى تحصيل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة التي تعظم منافعها بعد الموت وبعث الانبياء
عليهم السلام للهداية واظهر عليهم المعجزات ليصدقوا فاعرضوا عما دعوا اليه من تزكية النفس واقبلوا على استعمال الآلات والقوى
في اللذات والشهوات الفانية ففاتت الآلات البدنية التي هي راس المال وما ظنوه من اللذات التي عدوها ارباحا فانت فقدوا
الزاد ولم يهيئوا النفوس للاهتداء فلا راس مال ولا ربح فصاروا في غاية الانقطاع والغربة ولا خسران اعظم من هذا ولما كان
هذا امرا مفظعا زاد في تقطيعه بالاخبار في جملة حالية لشدة تعبهم في ذلك الموقف ووهن ظهورهم بذنوبهم حتى كان عليهم احمالا ثقالا
فقال وهم اي قالوا ذلك والحال انهم يحملون اوزارهم اي احمال ذنوبهم التي من شانها ان تثقل وحقق الامر وصوره بقوله
على ظهورهم لاعتياد الحمل عليه كما يقال ثقل عليك كلام فلان ويجوز ان تجسد اعمالهم اجسادا ثقالا فيكلفوا حملها ولما كان ذلك
الحمل امرا لا يبلغ الوصف الذي تحتمله عقولنا كل حقيقة ما هو عليه من البشاعة والثقل اشار الى ذلك بقوله جامعا للذلهم
الا ساء ما يزرون فلما تاكد امر البعث غاية التاكد ولم يبق فيه لذي لب وقفة صرح بما اقتضاه الحال من امر هذه الدار فقال
منبها على خساستها معجبا منهم في قوة رغبتهم في ايثار لذاذتها معلما بانه قد كشف الحال عن ان ما ركنوا اليه خيال وما كذبوا به
حقيقة ثابتة ليس لها زوال عكس ما كانوا يقولون وما الحيوة الدنيا ولما كان السياق للخسارة وكانت اكثر ما تكون من
اللعب وهو فعل ما يزيد سرور النفس على وجه غير مشروع ويسرع انقضاؤه قدمه فقال الا لعب ولهو اي للاشقياء
والحياة الدنيا شر للذين يلعبون واللهو ما من شانه ان يعجب النفس كالغناء والزينة من المال والنساء على وجه لم يؤذن فيه
فيكون سببا للغفلة عما ينفع فتاخيره اشارة الى ان الجهلة كلما فتروا في اللعب وهو الاشتغال بالامور السافلة والشواغل
الباطلة بعثوا النفوس واثاروا الشهوات بالملاهي والمعنى انه تحقق من هذه الآيات زوال الدنيا فتحققت سرعته
لان كل آت قريب فحينئذ ما هي الا ساعة لعب يندم الانسان على ما فرط فيها كما يندم اللاعب ان كان له عقل على تفويت الارباح
اذا راى ما حصل اولوا الجد وارباب العزائم ولما كان التقدير بما ارشد اليه المعنى وما الدار الآخرة الا جد وحضور
وبقاء للاتقياء اتبعه قوله موكدا وللدار الآخرة خير ولما كان الكل مآلهم الى الآخرة خصص فقال للذين يتقون اي
يوجدون التقوى وهي الخوف من الله الذي يحمل على فعل الطاعات وترك المعاصي ليكون ذلك وقاية لهم من غضب الله فذكر
حال الدنيا وحذف نتيجتها لاهلها لدلالة ثمرة الآخرة عليه وحذف ذكر حال الآخرة لدلالة ذكر حال الدنيا عليه فهو احتباك
ولما كان من شان العقلاء الاقبال على الخير وترك غيره تسبب عن اقبالهم على الفاني وتركهم الباقي قوله منكرا افلا تعقلون
ولما كرر في هذه السورة امره بمقاولتهم واطال في الحث على مجادلتهم وختم بما يقتضي سلبهم العقل مع تكرير الاخبار بان المقضي
بخسارته منهم لا يؤمنون لآية من الآيات وكان من المعلوم انهم حال اسماعهم ما امر به لا يسكتون لما عندهم من عظيم النخوة
وشماخة الكبر وقوة الجراءة وانه لا جواب لهم الا السفه والبذاءة كما هو داب المعاند المغلوب وان ذلك يحزنه صلى الله

عليه وسلم لما جبل عليه من الحياء والشهامة والصيانة والنزاهة كان الحال محتاجا الى التسلية فقال تعالى قد نعلم
والمراد بالمضارع وجود العلم من غير نظر الى زمان وعدل عن الماضي لئلا يظن الاختصاص به فالمراد تحقق التجدد لتعلق
العلم بتجدد الاقوال انه ليحزنك اي يوقع على سبيل التجديد والاستمرار لك الحزن على ما فاتك من طلاب الصفا التي كدرها
الذي يقولون اي من تكذيبك فقد علمنا امتثالك لا وامرنا في اسماعهم ما يكرهون من تنزيهنا وعلمنا ردهم عليك بما يرضيك
وعلمنا انه يبلغ منك فلا تحزن لان من علم ان ربه يرضى المطيع له ويجزي عاصيه وهو عالم بما ينال المطيع في طاعته لا ينبغي
ان يحزن بل يسر وهو كقوله تعالى في سورة يس فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ولا شك ان الحزن عند
وقوع ما يسوء من طبع البشر الذي لا يقدر على الانفكاك عنه فالنهي عنه انما هو نهي عن ما ينشأ عنه من الاسترسال المودي
الى الجزع المودي الى عدم الصبر ونسيان ما يعزي فهو من النهي عن السبب للمبالغة في النهي عن المسبب وما انسب ذكر ما يحزن
بعد تقرير ان الدنيا لاهلها لعب ولهو وان الاخرة خير للمتقين ومن المعلوم انهما ضدان فلا تنال احدهما الا بضد ما للاخرى
فلا تنال الاخرة الا بضد ما لاهل الدنيا من اللعب واللهو وذلك هو الحزن الناشئ عن التقوى الحامل عليها الخوف كما روي في
حديث قدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ولما اخبره سبحانه بعلمه بذلك سبب عنه قوله فانهم اي فلا يحزنك ذلك
فانهم لا يكذبونك بل انت عندهم الامين ولكن علمنا بما تلقى منهم سببا لزوال حزنك وكذا اخبارنا لك بعدم تكذيبهم اك بل انت
عندهم في نفس الامر امين غير متهم ولكنهم لشدة عنادهم وموقوفهم مع المحظوظ وعجزهم عن جواب يبرد غللهم ويشفي عللهم ينكرون
ايات الله مع علمهم بحقيتها فليخفف حزنك لنفسك ما انتهكوه من حرمة من ارسلناك والاية من الاحتباك حذف من الجملة الاولى
اظهار الشرف النبي صلى الله عليه وسلم وادبا معه سبب الحزن وهو التكذيب لدلالة الثانية عليه ومن الثانية النهي عن السبب
لدلالة الاولى عليه روي الطبراني في تفسيره عن السدي انه لما كان يوم بدر قال الاخنس بن شريق لبني زهرة ان محمدا ابن اختكم
وانتم احق من كف عنه فانه ان كان نبيا لم تقاتلوه وان كان كاذبا كنتم احق من كف عن ابن اخته فقوا هنا حتى القى ابا الحكم
فان غلب مهر رجتم سالمين وان غلب محمد فان قومكم لن يصنعوا بكم شيا فيومئذ سمي الاخنس وكان اسمه ابي فالتقى الاخنس
وابو جهل فخلا الاخنس به فقال يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا من قريش احد غيري وغيرك
يسمع كلامنا فقال ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهبت بنو اقصي باللواء والحجابة والسقاية
والنبوة فما ذا يكون لسائر قريش وعن ناحيه قال قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولكن نتهم الذي جئت به
فانزل الله الاية وعلى ذلك يدل قوله تعالى ولكن وقال الظالمين في موضع الضمير تعميما وتعليقا للحكم بالوصف اي الذين
كانوا في مثل الظلام بايات اي بسبب ايات الله اي الملك الاكبر الذي له الكمال كله يجحدون قال ابو علي الفارسي في اول
كتاب الحجة اي يجحدون ما عرفوه من صدقك وامانتك وعلق الباء بالظالمين كما جي في قوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة
فظلموا بها ونحوها وقال ابن القطاع في كتاب الافعال جحد الشي جحدا وجحودا انكره وهو عالم به هذا قصدهم غير انه لا طريق
لهم الى انكار الايات الا بالتكذيب وما يؤول اليه وانت تعلم ان الذي ارسلك على كل شي قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم
الخبير فاقتضت قدرته وقهره وانتصاره لاهل ولايته وجبره ان يحل باعدائهم سطوة تجل عن الوصف واقتضت حكمته
عدم المعاجلة بها تشريفا لك وتكثيرا لامتك ولما سلاه بوعده النصرة المسببة عن علم المرسل القادر وبان تكذيبهم
انما هو له سبحانه وهو مع ذلك يصبر عليهم ويحلم عنهم بل ويحسن اليهم بالرزق والمنافع زاده ان ذلك سنته في اخوانه من
الرسل فقال ولقد ولما كان النكي هو التكذيب لا كونه من معين بني للمفعول قوله كذبت رسل ولما كان تكذيبهم لم يستغرق
الزمان وكان الاشتراك في شي يهون به وكل ما قرب الزمن كان احدر بذلك ادخل الجار فقال من قبلك بان محمد قومهم ما يعرفون
من صدقهم وامانتهم كما فعل بك فصبروا اي فتسبب عن تكذيب قومهم لهم انهم صبروا على ما كذبوا واوذوا اي فصبروا ايضا
على ما اوذوا ثم اشار الى الوعد بالنصر بشرط الصبر فقال حتى اي واشتد صبرهم حتى اتاهم نصرنا اي فليكن لك بهم اسوة
وقيهم سلاه فاصبر حتى ياتيك النصر كما اتاهم فقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون في قولنا فان حزب
الله هم الغالبون ولا مبدل لكلماته اي لان له جميع العظمة فلا كفؤ له ودل سبحانه على صعوبة مقام الصبر جدا بالتاكيد
فقال ولقد جاءك ودل على عظيم ما تحملوا بقوله من نبإ المرسلين اي خبرهم العظيم في ضميرهم واحتمالهم وطاعتهم وانتظامهم
ورفعتهم عمن ارسلوا اليهم ونصرنا لهم على من بغى عليهم ومجمل نبائهم تقدم اجمالا وتفصيلا اما اجمالا ففي مثل قوله وكاين من
نبي قتل معه ربيون كثير فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم واما تفصيلا ففي ذكر موسى وعيسى وغيرهما وفي قوله فصبروا
ادل دليل على ما تقدم من ان النهي عن الحزن نهي عن تابعه المودي الى عدم الصبر والعبر من التهيضة تهويل لما لقوا
وهو ابلغ في التعزية ولما سلاه بما هو في غاية الكفاية في التسلية اخبره بانه لا حيلة له غير الصبر فقال عاطفا على ما
تقدم فتسل واصبر كما صبروا وليصغر عندك ما تلاقي منهم في جنب الله وان كان كبر اي عظم جدا عليك اعراضهم اي عما
تاتيهم به من الايات الذي قدمنا الاخبار عنه بقولنا وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين وادت ان
تنتقل في اخبارنا لك بانه لا تنفعهم الايات المقترحات من علم اليقين الى عين اليقين فان استطعت ان تبتغي اي تطلب
بجهدك وغاية طاقتك نفقا اي منفذا في الارض تنفذ به الى ما عساك تقدر على الانتهاء اليه او سلما في السماء اي جهة
العلو لترتقي فيه الى ما تقدر عليه فتاتيهم باية اي مما اقترحوه عليك فافعل لتشاهدانهم لا يزدادون عند اتيانك بها الا

اعراضا كما اخبرناك لان الله قد شا ضلال بعضهم والمراد بهذا بيان شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم بانه لو
قدر على ان يتكلف النزول الى تحت الارض او فوق السما فياتيهم بما يومنون به لفعل ولما كان هذا السياق ربما اوهم
شيا في القدرة نفاه ارشادا الى تقدير ما قدرته فقال ولو شا الله اي الذي له العظمة الباهرة والقدرة الكاملة القاهرة
لجمعهم على الهدى اي لان قدرته شاملة وايمانهم في حد ذاته ممكن ولكنه قد شا افتراقهم باضلال بعضهم ولما كان صلى الله
عليه وسلم بعد اعلام الله له بما اعلم من حكمه بان الايات لا تنفع من حتم بكفره حريصا على اجابتهم الى ما يقترحونه رجا
جمعهم على الهدى لما طبع عليه من مزيد الشفقة على الغريب فضلا عن القريب مع ما اوصاه الله به ليلة الاسرا من غير
واسطة كما افاده الجر الى ادامة الشفقة على عباده والرحمة لهم والاحسان اليهم واللين لهم وادخال السرور عليهم
فتظافر على ذلك الطبع والايصا حتى كان لا يكف عنه الا بامر جازم ونهي موكد صارم سبب عن ذلك قوله فلا تكونن
فاكد الكلام سبحانه ليعلم صلى الله عليه وسلم انه قد حتم بافتراقهم فيشكن الى ذلك ويخالف ما جبل عليه من شدة الشفقة
عليهم من الجاهلين اي انك اعلم الناس مطلقا ولك الفراسة التامة والبصر النافذ والفكرة الصافية بمن لم تعاشره
فكيف بمن بلوتهم ناشيا وكهلا ويافعا فلا تعمل بحجة ما اوصاك الله به من الصبر والصفح وجبلك عليه من الاناة والحلم
في ابتغا ايمانهم بخلاف ما تعلم من خسرانهم فلا تطمع نفسك فيما لا مطمع فيه فان ما شاه لا يكون غيره فهذه الاية وامثالها
مما في ظاهره غلظة من الدلالة على عظيم رتبته صلى الله عليه وسلم ومن لطيف امداح القران له كما يبين ان شا الله
تعالى في سورة التوبة عند قوله تعالى عفا الله عنك ولما افهم هذا القضا الحتم انه قد صار حالهم حال من صم
بالموت فلا يمكن اسماعه الا الله ولا يمكن ان يستجيب عادة قال انما يستجيب اي في مجاري عاداتكم الذين يسمعون اي
فيهم قابلية السمع لانهم احيا فيتدبرون حينئذ ما يلقى اليهم فينتفعون به وهولا قد ساووا الموتى في عدم قابلية
السماع للختم على مشاعرهم والموتى اي كلهم حسا ومعنى يبعثهم الله اي الملك المحيط علما وقدرة فهو قادر على بعثهم بافاضة
الايمان على الكافر واعادة الروح الى الهالك فيسمعون حينئذ فالاية من الاحتباك حذف من الاول الحيوة لدلالة الموتى
عليها ومن الثاني السماع لدلالة يسمعون عليه ولما قرر ان من لا يومن كالميت حثا على الايمان وترغيبا فيه وقرر
قدرته على البعث خوف من سطواته بقوله ثم اليه اي وحده يرجعون اي معنى في الدنيا فانه قادر على ما يشا منهم
لا يخرج شي من احوالهم عن مراده اصلا وحسا بعد الموت فيساقون قهرا الى موقف يفصل فيه بين كل مظلوم وظالمه
ولما سلاه صلى الله عليه وسلم فيما احزنه من اقوالهم بما شرح صدره وسر خاطره واعلمه تخفيفا عليه ان امرهم
انما هو بيده ذكره بعض كلامهم الايل الى التكذيب عقب اخباره بالحشر الذي يجازي فيه كلا بما يفعل فقال عطفا على
قوله وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا او قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك يعجب منهم تعجيبا اخر وقالوا اي
مغالطة او عنادا او مكابرة لولا اي هلا نزل اي بالتدريج عليه اي خاصة اية اي واحدة تكون ثابتة بالتدريج لا
تنقطع وهذا منهم اشارة الى انهم لا يعدون القران اية ولا شيا مما اراده منه صلى الله عليه وسلم من غير ذلك نحو
انشقاق القمر من ربه اي المحسن اليه على حسب ما يدعيه لتستدل بها على ما يقول من التوحيد والبعث ولما
كان في هذا كما تقدم اشارة منهم الى انه لم يات باية على هذه الصفة اما مكابرة واما مغالطة امره بالجواب بقوله
قل ان الله اي الذي له جميع الامر قادر على ان واشار بتشديد الفعل الى اية القران المتكررة عليهم كل حين تدعوهم
الى المبارزة وتتحداهم بالمغالبة والمعاجزة فقال ينزل وقراة ابن كثير بالتخفيف مشيرة الى انهم بلغوا في الوقاحة
الغاية وانهم لو قالوا لولا انزل اي مرة واحدة لكان اخف في الوقاحة او الى انه ان اراد انزل عليهم اي اية كانت
فتلجيهم الى الايمان وتضطرهم اليه في ان واحد كما قال تعالى ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ولكنه لا يشا ذلك الا بالتدريج كما تشير اليه صيغة التفعيل في قراة غيره المذكرة بان اية القران لا تنقضي بل كلما
سمعها احد منهم او من غيرهم طول الدهر كانت منزلة عليه لكونها واصلة اليه فهو ابلغ من مطلوبهم اية ينزل عليه وحده
والحاصل انهم طلبوا اية باقية تخصه فلوح لهم الى انه هي مع كونها خاصة به فيما حصل له من الشرف عامة لكل من بلغته
باقية طول المدى اية اي مما اقترحوه من غيره لا يعجزه شي وفي كل شي له من الايات ما يعجز الوصف وكفى بالقران العظيم
مثالا لذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليس فيهم قابلية العلم فهم لا يتفكرون في شي من ذلك الذي يحدثه من مصنوعاته
ليدلهم على انه على كل شي قدير فلا فايدة لهم في انزال ما طلبوه واما غير الاكثر فهو سبحانه يردهم باية القران او غيرها
مما لم يقترحوه ولما عجب منهم في قولهم هذا الذي يقتضي انهم لم يروا له اية قط بعد ما جاهم من الايات الخاصة به
ما ملا الاقطار ورد الى الصم الاسماع وانار من العمي الابصار ذكرهم باية غير اية القران تشتمل على ايات مستكثرة
كافية لصلاحهم رتبها سبحانه قبل سوالهم تفضلا منه عليهم دالة على باهر قدرته على البعث وغيره من الايات
التي طلبوها وغيرها وعلى تفرده بجميع الامر اذا تاملوها حق تاملها كفتهم في جميع ما يراد منهم فقال تعالى وما اي قالوا
ذلك والحال انه ما وهي ناظرة اتم نظرا الى قوله هو الذي خلقكم من طين اي فعل ذلك بكم وما من دابة في الارض اي تدب
اي تنتقل برجل وغير رجل ولا طاير يطير وقرر الحقيقة بقوله بجناحيه وشمل ذلك جميع الحيوان حتى ما في البحر
لان سيرها في الما اما ان يكون دبيبا او طيرانا مجازا ولما كان المراد بالدابة والطاير الاستغراق قال الا امم اي

اي يقصد كل حي منها في نفسه ويقصد بنوعه وينضم الى شكله امثالكم اي في ذلك وفي انا خلقناهم ولم يكونوا شيأ
وحفظنا جميع احوالهم وقدرنا كل ارزاقهم واجالهم وجعلنا لكم فيهم احكاما جددناها لكم وجعلنا لكل منهم اجلا للموت لا يتعداه
بعد ان فاوتنا بينهم في الحيوة ولكل اجل كتب علمنا في البرزخ مثبت قبل ان نخلقهم لا ينقص ذرة ولا يزيد خردلة وجعلنا في
هذه الحيوانات ما هو اقوى منكم وما هو اضعف وجعلنا كم اقوى من الجميع بالعقل ولو شئنا لجمعنا له بين قوة البدن والعقل
وربما سلطنا الاضعف عليكم كالجراد والفار والدود بما تعجز عنه عقولكم ولو شئنا لسلطنا عليكم من اضعفها خلقا البعوض
ما اخذ بانفاسكم ومنعكم القرار واخرجكم عن حركات الاختيار الى ان اهلككم جميعا هلاك نفس واحدة الى غير ذلك من امور
تكل عنها العقول وتقف دونها نوافذ الفكر وهذا كله معنى قوله ما فرطنا اي تركنا واغفلنا لما لنا من القدرة الكاملة
والعلم الشامل في الكتاب اي اللوح المحفوظ والقرآن واغرق في النفي بقوله من شيء اي ليذهب ذكره كما يذهب العقد الذي
ينقطع سلكه فينتفرط بل ذكرنا جميع احوال الخلق من الجن والانس والملئكة وغيرهم من كل ناطق وصامت فصارت في غاية
الضبط حتى ان الحفظة يعرضون ما يحدث من عمل المكلفين وغيره اخوانهم على ما كان مثبتا في ام الكتاب فيجدونه كما هو لا يزيد
شيأ ولا ينقص فيزدادون ايمانا واثبتنا في هذا القرآن مجامع الامور ونوعا من تبيان لكل شيء من الاحكام الاصلية والفرعية
والدلالات على كل ذلك واخبار الاولين والاخرين وكل علم يمكن ان تحتاجه المخلوق ممن اراد الهداية هداه بدقيق اسراره ومن اعرض
اوقعه في الردى وعمي حتى عن واضحات البرهان والآية كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض الى ان قال وبث فيها من كل دابة
لآيات لقوم يعقلون وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد فلا يكون لكم في ذلك آيات تغنيكم عن ارسال الرسل فضلا عن ان تقترحوا
بعد ارسالهم ولا ترضوا منهم من خوارق العادات الا بما تقترحونه ولما اشار الى ما شارك فيه سائر الحيوان الادميين من
احوال الحيوة وغيرها نص على الحشر الذي هو محط الحكمة فقال ثم الى ربهم اي بعد طول الحيوة والاقامة في البرزخ الى بلدهم اي خاصة
وبني للمفعول على طريق كلام القادرين قوله يحشرون اي يجمعون كرها بعد ان بعيدهم كلهم كما بدأهم وينصف كل مظلوم منهم
من ظالمه كل ذلك عليه هين ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والكل محفوظون في كتاب مبين على اختلاف انواعهم وتباين
حقائقهم واشخاصهم وزيادتهم في الحد عن ان يوجه نحوهم العد سبحان من احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا ان ذلك على الله
يسير وهو على كل شيء قدير ولما كان التقدير بعد التذكير لهذه الآية التي تنوعت فيها الآيات وتكررت وتكثرت فيها الدلالات
فالذين امنوا احياء سامعون اقوالنا ناظرون بحامد نار آوون الى افعالنا عطف عليه قوله والذين كذبوا اي اوقعوا
التكذيب بآياتنا اي على ما لها من العظمة المقتضية لاضافتها الينا مرئية كانت او مسموعة تكذيبا متكررا على عدد الآيات
بالفعل او بالقوة وتوبالا عراض عنها صم اي اموات فهم لا يسمعون وبكم لا ينطقون في الظلمات اي عمي لا يبصرون فلذلك لا
يزالون خابطين خبط العشواء اعين غاية السعي الى الردى الآن ذلك شان من في الظلمة فكيف بمن هو في جميع الظلمات ولعله
جمعها اشارة الى ان المكذب لا ينتفع ببصر ولا ببصيرة وذلك انهم لما لم ينتفعوا باحيائهم ولا باسماعهم ولا بنطقهم ولا ابصارهم
ولا عقولهم كان كل ذلك عدما ولما بين ان الاصم الابكم الاعمى لا تمكن هدايته بين ان ذلك انما هو بالنسبة لغيره سبحانه فطما
عن طلب اجابتهم الى ما يقترحون من الآيات واما هو سبحانه فتفعاله لما يريد فقال في جواب من كانه قال اما تمكن هدايتهم
من يشاء الله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه اضلاله يضلله ومن يشأ هدايته يجعله واشار الى تمكنه باداة
الاستعلاء فقال على صراط مستقيم بان يخلق الهداية في قلبه ومن يهدي الله فما له من مضل ومن يضلل الله فما له من هاد مع ان
الكل عباده وخلقه متقلبون في نعمه عادون رايحون في بره وكرمه ان في ذلك على وحدانيته وتمام قدرته لآيات بينات
لقوم يعقلون ولما كانت هذه الآية بما فيها من التصريح بالتكذيب مئنة من الاعتناق لقوله ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا وقوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون رجع بالذكر بعدها الى تلك التفاصيل الماضية
وواسطة عقدها وفريدة درها وهو التوحيد الذي ابانته الادلة قبل الآيتين فقال دالا على اعتقادهم القدرة التي
استلزم تعنتهم بطلب الآية نفيها واعتقادهم للتوحيد في الجملة وهم يكذبون بآياته لانهم في الظلمات معمورون بيد المشيئة
لعدم تحاشيهم من التناقض متعجبا منهم قل ارأيتكم اي اخبروني يا من كذب بالآيات والقدرة عنادا وشهد ان مع الله آلهة اخرى
وعدل بالله الذي يعلم السر والجهر والموجد من يدعون في كل سماء وكل ارض بغيابته ونصره ولما كانت حقيقة ارأيتكم هل
رأيتم انفسكم وكان هذا لكونه سؤالا عن معلوم لا يجهله احد مشيرا الى انا لسؤال عن غيره مما قد يخفى من احوال النفس كان كانه
قيل عن اي احوال نفوسنا نسئل فقيل تنبيها لهم على حالة تلزمهم بالتوحيد او العناد الذي يصير في العلم به كالسؤال عن
رؤية النفس سواء ان اتاكم اي قبل مجيء الساعة كما اتى من قبلكم عذاب الله اي المستجمع لجامع العظمة فلا يقدر احد على كشف ما
يأتي به او اتتكم الساعة اي الآتية بما فيها من الاهوال ولما عجب منهم بما مضى كما مضى قال مجيبا للشرط موبخا لهم منكرا
عليهم عدم استمرارهم على دعائه ولزوم سؤاله وندائه ويجوز ان يكون جواب الشرط محذوفا فالتقدير هل تدعون ثم زادهم
توبيخا وتبكيتا بقوله غير الله اي الملك الذي له العظمة كلها تدعون اي لسدة من تلك الشدائد ولا تدعون الا اياه ذلك
الغير ان كنتم صادقين اي في ان غير الله يغني شيأ حتى يستحق الالهية وجواب الشرط محذوف تقديره فادعوا ذلك الغير
وهذه حجة لا يسعهم معها غير التسليم فان عادتهم كانت مستمرة انهم اذا اشتد الامر وضاق الخناق لا يدعون غير الله ولا
يوجهون الهمم الا اليه فان سلكوا سبيل الصدق الذي له ينتحلون وبه يتفاخرون فقالوا لا ندعو غيره فقد لزمتهم الحجة في

انه

انه لا يعدل به شيء ولا شريك له وان عاندوا نطق لسان الحال انهم على محض الضلال • وان سكتوا اثنت عليك الحقايب •
ومي مع ذلك كما ترى دليل على ما اخبرت به الاية قبلها من ان الامر كله لله اي انكم كلكم مشتركون في وضوح الامر في انه لا تصرف
الا الله وقد افترقتم فصدق بعض وكذب آخرون فلو ان الامر موقوف على وضوح الدلالة فقط كان الكل على نهج واحد هذا
ونقل ابو حيان عن الفراء انه قال للعرب في ارايت لغتان ومعنيان احدهما ان تسأل الرجل ارايت زيدا اي بعينك
فهذه مهموزة وثانيهما ان تقول ارايت وانت تريد اخبرني فههنا تترك الهمزة ان شئت وهو اكثر كلام العرب وتومي
الى ترك الهمزة الفرق بين المعنيين ثم قال ابو حيان وكون ارايت وارايتك بمعنى اخبرني نص عليه سيبويه وغيره
من ايمة العربية وهو تفسير معنى لا تفسير اعراب لان اخبرني تتعدى بعن وارايت تتعدى لمفعول به صريح والى جملة استفهامية
هي في موضع المفعول الثاني وقال في سورة يونس عليه السلام تقدم في سورة الانعام ان العرب تضمن ارايت معنى اخبرني
وانها تتعدى اذ ذاك الى مفعولين وان المفعول الثاني اكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها وما قبلها مبتدا وخبر
تقول العرب ارايت زيدا ما صنع المعنى اخبرني عن زيد ما صنع وقبل دخول ارايت كان الكلام زيد ما صنع انتهى قلت
وحقيقة المعنى كما مر هل رايت زيدا ولما استفهم عن رؤيته والمراد الخبر لان البصر علم ان السؤال عن بعض احواله فكانه
قيل ما له فقيل ما صنع ولما كان استفهام الانكار بمعنى النفي كان كانه قيل لا تدعون غيره فعطف عليه قوله بل اياه
اي خاصة تدعون اي حينيذ ولما كان يتسبب عن دعائهم تارة الاجابة واخرى غيرها قال فيكشف اي الله في الدنيا
او في الاخرة فانه لا يجب عليه شيء ولا يفوته منه شيء ما تدعون اليه اي الى كشفه ان شاء اي ذلك تفضلا عليكم كما هي عادته
معكم في وقت شدايدكم ولكنه لا يشا كشفه في الاخرة لانه لا يبدل القول لديه وان كان له ان يفعل ما يشا ولو كان يجيبكم
دايما وانتم لا تدعون غيره لكان ذلك كافيا في الدلالة على اعتقادكم انه لا قادر الا هو فكيف وهو يجيبكم في الدنيا اذا دعوتموه
تارة ويخيبكم اخرى ومع ذلك فلا يردكم عدم اجابته عن اعتقاد قدرته ودوام الاقبال عليه في مثل تلك الحالة الذي هو اكثر
في العقول السليمة والفطر الاولى من انه الفاعل المختار وعلى ذلك دل قوله عطفا على تدعون وتنسون اي تتركون في
تلك الاوقات دايما ما تشركون اي من معبوداتكم الباطلة لعلمكم انها لا تغني شيا كما هي عادتكم دايما في اوقات الشدايد رجوعا
الى الحال الاستقامة افلا يكون لكم هذا زاجرا عن الشرك في وقت الرخاء خوفا من اعادة الضراء ولما اقام لهم بهذه الاية
على توحيده الدليل حتى استنار السبيل في تذكيرهم ان التضرع قد يكشف به البلاء اخبرهم ان تركه يوجب الشقاء ترغيبا
في ادامته وترهيبا من مجانبته فقال تعالى ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة الى امم اي اناس يؤم بعضهم بعضا وهم
اهل لان يقصدهم الناس لما لهم من الكثرة والعظمة ولما كان المراد بعض الامم وهم الذين اراد الله اشهارهم وقص اخبارهم
ادخل الجار فقال من قبلك اي رسلا فخالفوهم وحسن هذا الحذف كونه مفهوما فاخذناهم اي فكان ارسالنا اليهم سببا
لان اخذناهم بعظمتنا ليرجعوا عما زين لهم الشيطان الى ما تدعوهم اليه الرسل بالبأساء من تسليط القتل عليهم والضراء
بتسليط الفقر والاوجاع لعلهم يتضرعون اي ليكون حالهم حال من يرجى خضوعه وتذلله على وجه بليغ بما يرشد اليه
مع صيغة التفعل للاظهار وكان مقصودها الاستدلال على التوحيد وعند الكشف للاصول ينبغي الابلاغ في العبادة
بخلاف ما ياتي في الاعراف ولما لم ينع منهم ما اوجبت الحال رجاءه تسبب عنه الانكار عليهم فقال فلولا اي فهلا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولما كان معنى الانكار انهم ما تضرعوا
قال ولكن قست قلوبهم اي فلم يذكروا ربهم اصلا وزين لهم الشيطان اي بما دخل عليهم به من باب الشهوات ما كانوا يعملون
من الخطايا والمناكر التي اوجبها النكس بالرد اسفل سافلين فلما نسوا ما ذكروا به اي فتسبب عن تركهم التذكر والاخذ
بغايته التي هي التخشع والتمسكن كما هو اللايق بهم لا سيما في تلك الحالة انا فتحنا اي بما يليق بعظمتنا عليهم ابواب كل شيء
اي من الخيرات والارزاق والملاذ التي كانت مغلقة عنهم ونقلناهم من الشدة الى الرخاء وذلك استدراجا لهم ومددنا
زمانه وطولنا ابانه حتى اذا فرحوا اي تناهى بهم الفرح بما اوتوا اي معرضين عمن اتاهم هذا الرخاء بعد ان كان ابتلاهم
بذلك فعلم انهم غاية في القباوة لا يرتدعون بالتاديب بسياط البلاء ولا ينتفعون بسياط المنة والرخاء بل ظنوا ان
البلا عادة الزمان والرخا باستحقاقهم الامتنان فعلم ان قلوبهم لا يرجى لها انتباه بحار ولا بارد ولا رطب ولا يابس
اخذناهم بعظمتنا وانما اخذناهم في حال الرخاء ليكون اشد لتحسرهم بغتة فلم نمكنهم من التضرع عند حقوق الامر
ولا امهلناهم اصلا بل بركت عليهم من اثقال العذاب واناخ بهم من احمال الشدايد وصروف البلايا ما اذهلهم
وشغلهم عن كل شيء حتى بهتوا فاذا هم مبلسون اي تسبب عن ذلك البغت ان ناحوا السكوت على ما في انفسهم واليأس
تحسرا وتحيرا واستمروا بعد ان سكتوا الى ان همدوا وخفتوا ففي نفي التضرع عن المتقدمين بعد ان اثبته للمشركين هذه
الامة استعطاف لطيف وفي ذكر استدراج اوليك بالمن عند نسيان ما ذكروا به الى ما اخذهم بغتة من قواصم النقم
غاية التحذير ولما كان من عادة الغالب من اهل الدنيا ان يفوته اخر الجيوش وشذانهم لمال اصحابه من الطلب
وصجرهم من الضرب والنهب وقصورهم عن الاحاطة بجميع الاربه اخبر تعالى ان اخذه على غير ذلك وان نيله الاخر كنيله
الاول على حد سواء فقال مسببا عن الاخذ الموصوف مشيرا بالبناء للمفعول الى تمام القدرة وبالدابر الى الاستيصال
فقطع دابر اي آخر القوم الذين ظلموا اي بوضع الشيء في غير موضعه داب الماشي في الظلام وضعوا القسوة موضع الرقة

التي تدعو اليها الشدة ووضعوا الفرح بالنعمة موضع الخشية من الرد الى الشدة كما ظلمتم انتم بدعاء الاصنام وقت الرخاء وكان ذلك موضع دعائهن عبد عموه وقت الرخاء ليلا تفعوا فيما جرت عادتكم بالدوم به • واذا تكون كريهة ادعالها • واذا يحاس الحيس يدعا بجندب • ولما كان استيصالهم من اجل النعم على من عاداهم فيه من الرسل عليهم السلام واتباعهم رضي الله عنهم نبه على ذلك بالحمد مع ما يشير اليه من ظهور الاستغناء المطلق فقال والحمد اي قطع امرهم كله والحال ان الاحاطة باوصاف الكمال لله المتفرد بنعوت الجلال والجمال رب العالمين الموجد لهم اجمعين اي له ذلك كله بعد فناء الخلق على اي صفة كانوا من ايمان او كفر كما كان له ذلك قبل وجودهم وعند خلقهم على كل من حالتيهم كما اشير اليه باول السورة فكانه قيل الكمال لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فقطع دابرهم والكمال له لم يتغير لانه لا يريده؟ وجود موجود ولا ينقصه فقد مفقود فهو محمود حال الاعدام والمحق كما كان محمودا حال الايجاد والخلق فلا تذهبن نفسك عليهم حسرات فانه لا يجزى شيء من ايمانهم ولا كفرانهم عن ارادته سبحانه فلا عليك منهم اقترحوا الايات او لا فانه ليس عليك الا البلاغ ولما قدم التنبيه بايتان مطلق العذاب في مطلق الاحوال وكان الايتان بالكاف ثم مشيرا مع افادة التاكيد الى ان ثم نوع مهلة واتبعه ان اخذ الامم كان بغتة اعقبه التنبيه بعذاب خاص بصور شناعته تهدد الاركان ويقطع الكبود ويملا الجنان فانه لا اشنع حالا من اصم اعمى مجنون فقال مشيرا باسقاط كاف الخطاب مع التعبير بالاخذ الذي عهد انه للبغت بالسطوة والقهر الى غاية التحذير من سرعة الاخذ قل ارايتم فكانت حقيقة المقترن بالكاف هل رايتم انفسكم وهذا مع هل رايتم مطلق رؤية لما تقدمت الاشارة اليه من الايماء الى طلب الاسراع بالجواب خوف المفاجاة بالعذاب وان كان المراد في الموضعين اخبروني ان اخذ الله اي القادر على كل شيء العالم بكل شيء سمعكم وافرده لقلة المقاومة فيه لانه اعظم الطرق في ادراك القلب الذي لا اعظم من المقاومة فيه حتى الانسان الواحد بالنسبة الى الاحوال المختلفة ليكون ذلك ادل على النعل بالاختيار وابصاركم اي قواكم عميا وصما ظاهرين او باطنين بسلب المنفعة وختم على قلوبكم مجملا لانها قد لا تعي اصلا او لا تنتفع بالوعي من اله اي معبود بحق لان له احاطة العلم والقدرة ثم وصف هذا الخبر بقوله غير الله اي الذي له جميع الوظائف ياتيكم به اي بذلك الذي هو اشرف معاني اشرف اعضائكم او بشيء منه ولما بلغت هذه الايات من الابلاغ في البيان في توحيده وبطلان كل معبود سواه اعلى المقامات نبه على ذلك بالامر بالنظر فيها وفي حالهم بعدها والاعلى ما قدم من ان ثم المقترحات لا تنفع من اراد سبحانه شقاوته فقال انظر كيف نصرف بما لنا من العظمة الايات اي نوجهها لهم ولغيرهم في كل وجه من وجوه البيان بالغ من الاحسان ما ياخذ بالعقول ويدهش الالباب ويكون كافيا في الايصال الى المطلوب ولما كان الاعراض عن مثل هذا في غاية البعد عبر باداة الترامي فقال ثم هم اي بعد هذا البيان بصميم ضمائرهم يعدلون اي يعرضون اعراضا لازما لهم لزوم الصفد ولما اقترن الاخذ بالبغت تارة صرحا وتارة اشارة باسقاط الكاف كان ربما وقع في وهم السؤال عن حالة الجهر اتبع ذلك ذكره مفصلا لما اجمل من الاحوال في الايتين قبل فقال قل ارايتكم ولما كان المعنى اخبروني وكان كانه قيل عما ذا قبل ان اتاكم عذاب الله اي الذي له جميع صفات الكمال فلا يعجزه شيء بغتة اي بحيث لا يدري الملتبسا بكم من غير ان يشعر به ويظهر شيء من امارائه او جهرة اي بحيث تروونه مقبلا اليكم مقدما عليكم هل يهلك اي في واحدة من الحالتين هلاكا هو الهلاك الا القوم اي الذين لهم قوة المدافعة وشدة المقاتلة في زعمكم والمقاومة الظالمون اي بوضع الاشياء في غير مواضعها من اعطاء الشيء لمن لا يستحقه ومنع المستحق ماله واما المصلح فانه ناج اما في الدارين واما في الاخرة التي من فاز فيها فلا سوى عليه وذكر ابو حيان انه لما كان مطلق العذاب صالحا لكل ما يعلم من تفاصيل احواله وما لا يعلم كان التوعد به اهول فلذلك اكد فيه في الايتين الخطاب بالضمير بحرف الخطاب والتوعد باخذ السمع وما معه من جملة الانواع التي اشتمل عليها ذلك المطلق فاعرض من حرف الخطاب ولما كان ذلك كله في مناضلة من كذب الرسل واعرض عما ارسلهم به ربهم من الايات التي ما منها الا ما امن على مثله البشر وطلب منهم ما لا يقدر عليه الا مرسلهم من الايتان بغير ما اتوا به من الايات بين لهم حقيقة الرسالة اشارة الى ظلمهم في طلبهم من الرسل ما لا يطلب الا من الاله فقال عاطفا على ولقد ارسلنا الى امم من قبلك وما نرسل اي بما لنا من العظمة المرسلين اي نوجد هذا الامر في هذا الزمان وكل زمان من الماضي وغيره الا مبشرين لمن اطاع ومنذرين لمن عصى عريقين في كل من الوصفين لا مجيبين الى ما تقترح الامم ولا معذبين لمن يعاندهم ثم سبب عن ذلك غاية الرسالة من النفع والضر فقال فمن آمن واصلح اي تصديقا لايمانه فلا خوف عليهم اي في الدنيا ولا في الاخرة اما في الاخرة فواضح واما في الدنيا فالغاية فلان خوفهم فيها يزيدانهم في الاخرة الباقية نهوا الى فناء الدنيا ولما كان الاعراض اضلالا لازما لهم لزوم الصفد ولما اقترن الاخذ بالبغت تارة صرحا وتارة اشارة باسقاط الكاف كان ربما وقع في وهم السؤال عن حالة الجهر اتبع ذلك ذكره مفصلا لما اجمل من الاحوال في الايتين قبل فقال قل ارايتكم ولما كان المعنى اخبروني وكان كانه قيل عما ذا قبل ان اتاكم عذاب الله اي الذي له جميع صفات الكمال فلا يعجزه شيء بغتة اي بحيث لا يدري الملتبسا بكم من غير ان يشعر به ويظهر شيء من امارائه او جهرة اي بحيث تروونه مقبلا اليكم مقدما عليكم هل يهلك اي في واحدة من الحالتين هلاكا هو الهلاك الا القوم اي الذين لهم قوة المدافعة وشدة المقاتلة في زعمكم والمقاومة الظالمون اي بوضع الاشياء في غير مواضعها من اعطاء الشيء لمن لا يستحقه ومنع المستحق ماله واما المصلح فانه ناج اما في الدارين واما في الاخرة التي من فاز فيها فلا سوى عليه وذكر ابو حيان انه لما كان مطلق العذاب صالحا لكل ما يعلم من تفاصيل احواله وما لا يعلم كان التوعد به اهول فلذلك اكد فيه في الايتين الخطاب بالضمير بحرف الخطاب والتوعد باخذ السمع وما معه من جملة الانواع التي اشتمل عليها ذلك المطلق فاعرض من حرف الخطاب ولما كان ذلك كله في مناضلة من كذب الرسل واعرض عما ارسلهم به ربهم من الايات التي ما منها الا ما امن على مثله البشر وطلب منهم ما لا يقدر عليه الا مرسلهم من الايتان بغير ما اتوا به من الايات بين لهم حقيقة الرسالة اشارة الى ظلمهم في طلبهم من الرسل ما لا يطلب الا من الاله فقال عاطفا على ولقد ارسلنا الى امم من قبلك وما نرسل اي بما لنا من العظمة المرسلين اي نوجد هذا الامر في هذا الزمان وكل زمان من الماضي وغيره الا مبشرين لمن اطاع ومنذرين لمن عصى عريقين في كل من الوصفين لا مجيبين الى ما تقترح الامم ولا معذبين لمن يعاندهم ثم سبب عن ذلك غاية الرسالة من النفع والضر فقال فمن آمن واصلح اي تصديقا لايمانه فلا خوف عليهم اي في الدنيا ولا في الاخرة اما في الاخرة فواضح واما في الدنيا فالغاية فلان خوفهم فيها يزيدانهم في الاخرة الباقية نهوا الى فناء الدنيا ولا في الاخرة اما في الاخرة فواضح واما في الدنيا فالغاية فلان خوفهم فيها يزيدانهم في الاخرة الباقية نهوا الى فناء ثم الى سرور دائم فهو عدم ولا هم يحزنون اي حزنا يضر بحياتهم الابدية ولما بين حال المصلحين اتبعه حال المفسدين فقال والذين كذبوا بايانا اي على ما لها من العظمة نسبتها الينا من العظمة يمسهم العذاب اي الدائم الشديد وكنى عن قوته بان جعل له ذوق المس كانه حي يريد فعال بما كانوا اي جبلة وطبعا يفسقون اي يديمون الخروج مما ينبغي الاستقرار فيه من الايمان وما يقتضيه واما الفسق العارض فان صاحبه يصدد التوبة منه فيعفى عنه ولما بين وظيفة الرسل وقسم المرسل اليهم امره بنفي ما يتسبب عنه قولهم من ان البشر لا يكون رسولا واقتراحهم عليه الايات من ظن قدرته على ما يريد او ان كل ما يقدر عليه يبديه لهم او الزامه بذلك منبها لهم على وجه ظلمهم بغلطهم او عنادهم فقال قل اي في جواب قولهم لولا انزل عليه اية ونحوه ولما لم يكن لهم عهد بان بشرا يكون عنده الخزائن ليتصرف فيها بما يريد وكان ما يتهم من الايات من

انشقاق

انشقاق القمر ومشي الشجر وكلام الضب والحجر ونبع الماء والحراسة بشواظ النار وفحل الجمال ونحو ذلك مما هو معلوم في
دلايل النبوة بها ربما اوقع في ظنهم ان لازمه دعواه لانه يملك الخزاين فكانوا يقترحون عليه الايات الزاما له بذلك لقصد
التكذيب نفي ما ظنوا انه يلزمه دعواه فقال لا اقول اي الآن ولا فيما يستقبل من الزمان ولما كان الله تعالى قد اعطاه مفاتيح
خزاين الارض فاباها تواضعا لله سبحانه قيد بقوله لكم افهاما لما يخبر به المومنين من ذلك ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم واما
الكفرة فان اخبارهم بذلك مما يغريهم على الاقتراحات استهزاء فلا فايدة له عندي خزاين الله اي الملك الاعظم الذي له الغنى المطلق
والعزة البالغة فلا كفو له فاتيكم بما تقترحونه من الايات وما تشتهونه من الكنوز وما تستهزؤن به من العذاب وانما الخزاين
بيده يفعل فيها ما يشاء ولما كانوا يعهدون ان بعض البشر من الكهان يخبرون بشي من المغيبات وكان الكهان يخلطون الصدق
بالكذب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم بمغيبات كثيرة فيكون كما قال دايما لا خلف في شي منها ولا زيادة ولا نقص فصاروا
يظنون انه يعلم الغيب ولكنهم يظنونه من بابة الكهان حتى اطلقوا عليه انه كاهن فكانوا يسئلونه عن وقت العذاب الذي يتوعدهم
به وعن غيره لعلهم يظفرون عليه بشي مما يقوله الكهان ولا يكون فيعدونه عليه نفي ما ظنوه غيرة على هذا المقام ان ينسب الى
غير مالكه الذي لا يجوز ان يكون لغيره فقال نافيا له من اصله لا للقول فقط كما في سابقه ولاحقه عاطفا على لا اقول لا على عندي
ولا اعلم الغيب اي فاخبركم بوقت الفصل بيني وبينكم من مطلق العذاب او قيام الساعة فان هاتين الحالتين ملك الخزاين وعلم
الغيب ليس الا لرتبة الالوهية وانا لم ادع الاول كما الزمتموني به ولا اتصفت بالثاني بما ظننتم ولما كانوا يظنون ان
الرسول لا يكون الا ملكا فكانوا يلزمونه بدعواه الرسالة دعوى الملكية ليلزموه بذلك ادعاء ما هو ظاهر البطلان قال
ولا اقول اي بدعوى الرسالة ولما كان صلى الله عليه وسلم اعلى الانبيا صفاء وانورهم قلبا واشدهم في كل هدى
اضاءة وانقاهم من بقايص البشر وكان هذا امرا من الله له قيد بقوله لكم افهاما لانه لا يمتنع عليه ان يقول ذلك بل لو
قاله كان صادقا ومثله كثير في مجازاتهم ومجاري عاداتهم في محاوراتهم واما اسقاط لكم في قصة نوح من سورة هود عليهما السلام
فتواضعا منه لكونه من قوله من غير تصريح باسناد الامر فيه الى الله تعالى اني ملك فاقوى على الافعال التي تقوى عليها الملايكة
من التجرد عن الماكل والمشرب وغيرهما من افعال الملايكة فلما انتفى عنه ما الزموه به وما ظنوه فيه من كونه الها او ملكا انحصر
الامر في انه رسول واقف عند ما حده له مرسله فقال على وجه النتيجة ان اي ما اتبع اي بغاية جهدي الا ما يوحى الي اي ما
رتبتي الا امتثال ما يامرني به ربي في هذا القرآن الذي هو بعجزكم عن معارضته اعظم شاهد لي ولم يوح الي فيه ان اقول شيا
مما تقدم نفيه واوحي الي لانذركم به خصوصا وانذر به كل من بلغه عموما وذلك غير منكر في العقل ولا مستبعد بل قد
وقع الارسال لكثير من البشر وقد قام على ثبوته لي واضح الدلايل وثابت الحجج وقاطع البراهين فان كان فيه الاذن لي بابراز
خارق ابرزته وان كان فيه الاعلام بمغيب ابديته والا اقتصرت على الابلاغ مع التحدي وهو مخبر بان الله الذي ثبت بعجزكم
عن معارضته انه قوله شاهد لي بصحة الرسالة وصدق المقالة ولما ثبت بهذا انهم عمي الابصار والبصاير لا يهتدون
الى ما ينفعهم ولا يقدرون على افحام خصم ولا التفصي عن وهم ولا وصم بل هم كالسالك بين المهالك يتبين بادي بدء في دعواه
الحكمة زوره وكذبه وفجوره لاتباع الهوى الذي هو ادواء داء وانه صلى الله عليه وسلم ابصر البصراء واحكم الحكماء لاتباعه
علام الغيوب وكان موضع ان يقال ما يوحى اليك في هذا المقام قال على وجه التبكيت لهم قل اي لكل من يسمع قولك بعد هذا
البيان الفايت لقوى الانسان هل يستوي اي يكون سوا من غير مزية الاعمى والبصير فان قالوا نعم كابروا الحس وان قالوا
لا قيل فمن تبع هذه الايات الجليات فهو البصير ومن اعرض عنها فهو العمي ومن سوى بين الخالق وبين شي من خلقه فهو اعمى
العمى ثم امره بعد الانكار للتسوية بينهما بان ينكر عليهم فساد نظرهم وعمى فكرهم بقوله افلا تتفكرون اي فيردكم
فكركم عن هذه الضلالات ولما امره بتوبيخهم امره عاطفا على قوله قل بالانذار على وجه مخز لهم ايضا فقال وانذر به
اي بما يوحى اليك وليس المراد تخصيص الانذار بالخايف بل الاشارة الى جلافتهم وعظيم بلادتهم وكثافتهم في عدم تجويز
الجايز الذي هو اهل لان يخافه كل احد بقوله الذين يخافون اي تجويزا للجايز عقلا وعادة ولما كان المرهوب الحشر
نفسه لا بقيد كونه من معين بني للمفعول قوله ان يحشروا اي يجمعوا وهم كارهون الى ربهم اي المحسن اليهم بالايجاد
والتربية مع التقصير في الشكر حال كونهم ليس لهم واشار الى تحقير ما سواه وسفوله بالجار فقال من دونه اي من المنزلة
التي هي تحت منزلته ومن المعلوم ان كل شي تحت قهر عظمته ومتضايل عن رتبته ليس لهم ذلك على وجه الانفراد او التوسل
ولي يتولى امورهم فينقذهم قهرا مما يخافون ولا شفيع ينقذهم بحسن سفارته وعظيم رتبته وتربيته لعلهم يتقون
اي لتكون حالهم حال من يرجى ان يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية ولما امره بدعاء من اعرض عنه ومجاهدته امره
بحفظ من تبعه وملاطفته فقال ولا تطرد الذين يدعون وهم الفقراء من المسلمين ربهم اي المحسن اليهم عكس ما عليه الكفار
في دعاء من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ثم بين من حالهم من الملازمة ما يقتضي الاخلاص فقال بالغداة والعشي اي في طرفي النهار
مطلقا او بصلاتيهما او يكون كناية عن الدوام ثم اتبع ذلك نتيجته فقال معبرا عن الذات بالوجه لانه اشرف على ما يتعارفه
وتذكره يوجب التعظيم ويورث الخجل من التقصير يريدون وجهه اي لانه لو كان رياء لاضمحل على طول الزمان وتناوب
الحدثان باختلاف الشان ولما كان اكابر المشركين واغنياؤهم قد وعدوه صلى الله عليه وسلم الاتباع ان طرد من تبعه ممن
يانفون من مجالستهم وزهدوه فيهم بفقرهم وبانهم غير مخلصين في اتباعه انما دعاهم الى ذلك الحاجة بين له تعالى انه لا حظ له

في طردهم ولا في اتباع اوليك بهذا الطريق الا من جهة الدنيا التي هو مبعوث للتنفير عنها فقال معللا لما مضى او مستانفا ما
عليك قدم الاهم عنده وهو تحمله من حسابهم واغرق في النفي فقال من شي اي ليس لك الا ظاهرهم وليس عليك شي من حسابهم حتى تعاملهم
بما يستحقون في الباطن من الطرد ان كانوا غير مخلصين وما من حسابك قدم اهم ما اليه ايضا عليهم من شي اي وليس عليهم شي من حسابك
فتخشى ان يحيفوا عليك فيه على تقدير غشهم او ليس عليك من رزقهم شي فيثقلوا به عليك وما من رزقك عليهم من شي فيضعفوا عنه
لفقرهم بل الرازق لك ولهم الله ثم اجاب النفي مسببا عنه فقال فتطردهم اي فيتسبب عن احد الشيئين طردك لهم ليقبل
عليك الاغنيا فلا يكلفوك ما كان اوليك يكلفونكم وان كلفتهم ما كان اوليك عاجزين عنه اطاقوه والحاصل انه يجوز ان يكون
معنى جملتي ما عليك من حسابهم الى اخرهما راجعا الى اية الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا فيكون المعنى ناظرا
الى الرزق يعني ان دعاك الى الله انما مداره الامر الاخروي فليس شي من رزق هولا عليك حتى تستثقل بهم وترغب في الاغنيا
ولا شي من رزقك عليهم فيعجزوا عنه وفي اللفظ من كلام اهل اللغة ما يقبل هذا المعنى قال صاحب القاموس وغيره
الحساب الكافي ومنه عطا حسابا وحسب فلان فلانا اطعمه وسقاه حتى شبع وروي وقال ابو عبيد الهروي يقال
اعطيته فاحسبته اي اعطيته الكفاية حتى قال حسبي وقوله ترزق من تشا بغير حساب اي بغير تقتير وتضييق وفي حديث
سماك ما حسبوا ضيفهم اي ما اكرموه وقال ابن فارس في المجمل واحسبته اعطيته ما يرضيه وحسبته ايضا واحسبني
الشي كفاني ولما نهاه عن طردهم مبينا انه ضرر بغير فايدة سبب عن هذا النهي قوله فتكون من الظالمين اي بوضعك الشي
في غير محله فان طردك هولا ليس سببا لايمان اوليك وليس هدايتهم الا الينا وقد طلبوا منا فيك لما فتناهم بتخصيصك
بالرسالة ما لم يخف عليك من قولهم لولا انزل عليه ملك ونحوه مما ارادوا به الصرف عنك فكما لم نقبلهم فيك فلا تقبلهم انت
في اوليائنا فانا فتناهم بك حتى سالوا فيك ما سالوا وتمنوا ما تمنوا وكذلك اي ومثل ما فتناهم بارسالك فتنا اي فعلنا فعل
المختبر فسرا بما لنا من العظمة بعضهم ببعض بالتخصيص بالايمان والغنى والفقر ونحو ذلك ليقولوا اي انكارا لان نفضل غيرهم
عليهم احتقارا لهم واستصغارا اهولا اي الذين لا يساوونا بل لا يقاربوننا في خصلة من خصال الدنيا من الله اي على جلاله
وعظمه عليهم اي وفقهم لاصابة الحق وما يسعدهم عنده وهم فيما نرى من الحقارة من بيننا فالاية ناظرة الى ما ياتي في هذه السورة
من قوله تعالى حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله ولما كان الانكار لا يسوغ الا مع نهاية العلم بمراتب الفضلين وان المفضل لا
يستحق التفضيل من الوجه المفضل به انكر انكارهم بقوله اليس الله اي الذي له جميع الامر فلا اعتراض عليه باعلم بالشاكرين
اي الذين يستحقون ان يفضلوا لشكرهم على غيرهم بكفرهم ولما نهاه صلى الله عليه وسلم عن طردهم علمه كيف يلاطفهم فقال
عاطفا على ما تقديره فاذا جاك الذين يحتقرون الضعفا من عبادي فلا تحفل بهم واذا جاك واظهر موضع الاضمار دلالة على
الوصف الموجب لاكرامهم وتعميما لغيرهم فقال الذين يومنون اي هم او غيرهم اغنيا كانوا او فقرا واشار بمظهر العظمة الى انهم
امنوا بما هو جدير بالايمان به فقال باياتنا على ما لها من العظمة بالنسبة الينا فقل اي لهم باديا بالسلام اكراما لهم وتطييبا
لخواطرهم سلام عليكم اي سلامة مني ومن الله ونكره لما يلحقهم في الدنيا من المصايب ثم علل ذلك بقوله كتب ربكم اي المحسن اليكم
على نفسه الرحمة ثم علل ذلك او استانف بما حاصله انه علم من الانسان النقصان لانه طبعه على طبايع الخسران الا من جعله
موضع الامتنان فقال انه من عمل منكم سوا اي اي سو كان ملتبسا بجهالة اي بسفه او بخفة وحركة اخرجته عن الحق والعلم
حتى كان كانه لا يعلم شيا ثم تاب اي رجع بالندم والاقلاع وان طال الزمن ولذلك ادخل الجار في قوله من بعده اي بعد
ذلك العمل واصلح بالاستمرار على الخير فانه اي ربكم بسبب هذه التوبة يغفر له لانه دايما غفور اي بالغ الستر والمحو لما كان
من ذلك رحيم يكرم من تاب هذه التوبة بان يجعله كمن احسن بعد ان جعله بالغفر كمن لم يذنب ومن اصر وافسد فانه يعاقبه
لانه عزيز حكيم ولما كانت الاية ناظرة الى ما قذفهم به المشركون من عدم الاخلاص ويكون حينيذ مرشحا لان المراد
بالحساب المحاسبة على الذنوب ولما اتى في هذه السورة وما قبلها بما اتى من عجايب التفاصيل لجميع الاحوال متضمنة
واضح الدلالات وباهر الايات البينات قال عاطفا على وكذلك فتنا عطفا للضد على ضده فان في الاختبار نوع حقا
وكذلك اي ومثل ذلك الفتن بايراد بعض ما فيه دقة وخفا من بعض الوجوه لنضل من نشا فيتميز الضال من المهتدي
نفصل الايات التي نريد بيانها لتتضح سبيل المصلحين فتتبع ولتستبين اي تظهر ظهورا بينا سبيل المجرمين فتجتنب
وخص هذا بالذكر وان كان يلزم منه بيان الاول لان دفع المفاسد لهم ولما كان محط حالهم في السوال في طرد الضعفا قصد
اتباع اهوايهم امره تعالى بان يخبرهم انه مباين لهم لما بين له بالبيان الواضح من سو عاقبة سبيلهم مباينة لا يمكن معها اتباع
اهوايهم وهي المباينة في الدين فقال قل اني نهيت اي ممن له الامر كله ان اعبد الذين تدعون اي تعبدون بنا منكم على محض
الهوى والتقليد في اعظم اصول الدين وحقر امرهم بسفول رتبتهم فقال من دون الله اي الذي لا اعظم منه فقد وقعتم
في ترك الاعظم ولزوم الدون الذي هو دونكم اعظم الجهل الموذن بعمى القلب مع الكفر بالمحسن فمباينتي مبناها على المقاطعة
فكيف تطمع معها في متابعة ثم اكد ذلك بامر اخر دال على انه لا شبهة لهم في عبادتهم فقال قل لا اتبع اهواكم اي عوضا عما انا
عليه من الحكمة البالغة المؤيدة بالبراهين الساطعة والادلة القاطعة ولما كان من المعلوم ان الهوى لا يدعو الى هدى
بل الى غاية الردى حقق ما افهمته هذه الجملة بقوله قد ضللت اذن اي اذا اتبعت اهواكم ولما كان الضال قد يرجع
بين ان هذا ليس كذلك لعراقتهم في الضلال فقال معبرا بالجملة الاسمية الدالة على الثبات وما انا اي اذ ذاك على شي من

الهداية

الهداية لا عد من المهتدين ولما كان طلبهم للايات اي العلامات الدالة على الصدق تارة بالرحمة في انزال الانهار والكنوز
وازاحة الجبال وتارة بالعذاب من ايقاع السماء عليهم كسفا ونحو ذلك ليس في يده ولا عنده تعيين وقت نزوله وامره
هنا ان يصرح لهم بالمباينة ويؤيسهم من الملاينة ما داموا على المداهنة امره بان يخبرهم بما هو متمكن فيه من النور
وما هم فيه من العمى بقوله قل اي واشار الى تمكنه في الادلة الظاهرة والحجج القاهرة بحرف الاستعلاء فقال
على بينة اي ان العدو انما يصانع عدوه اما لعدم الثقة بالنصرة عليه وتعذيبه بعداوته واما لعدم وثوقه بانه
على الحق واما انا فواثق بكلا الامرين من ربي اي المحسن الي بارسالي بعد الكشف التام لي عن سر الملك والملكوت والحال
انكم كذبتم به اي بربي حيث رددتم رسالته فهو منتقم منكم لا محالة ولما قيل ذلك فرض ان لسان حالهم قال فاتنا
بهذه البينة فقال ان ربي تام القدرة فلا يخاف الفوت فلا يعجل واما انا فعبد ما عندي اي في قدرتي وامكاني ما
تستعجلون به اي في قولكم امطر علينا حجارة من السماء ونحوه حتى احكم فيكم بما يقتضيه طبع البشر من العجلة ان اي ما
الحكم في شيء من الاشياء هذا وغيره الا لله اي الذي له الامر كله فلا كفر له ثم استانف قوله مبينا انه سبحانه اتى بالامر
في الوقت الذي حده له على ما هو الاليق به من غير قدرة لاحد غيره على تقديم ولا تاخير فقال يقضي اي يفصل وينفذ
بالتقديم والتاخير وهو معنى قراءة الحرميين وعاصم يقص اي يقطع القضاء او القصص الحق ويظهره فيفصله من الباطل
ويوضحه ليتبعه من قضى بسعادته ويتنكب عنه من حكم بشقاوته وهو خير الفاصلين لانه اذا اراد ذلك لم يدع لبسا
لمن يريد هدايته وجعل في ذلك الظاهر شبها لمن يريد ضلالته ثم اكد ذلك لمن زاد قلبه في الجلافة مبينا ما في غيره
من وخيم العاقبة فقال قل لو ان عندي اي على سبيل الفرض ما تستعجلون به اي من العذاب لقضي وبناه للمفعول
لان المخوف انما هو الهلاك لا كونه من معين الامر بيني وبينكم اي فكنت اهلك من خالفني غضبا لربي لما ظهر لي منه من التكبر
عليه وقد يكون فيهم من كتب في ديوان السعداء لكنه لم يكن الامر الي لاني لا اعلم الظالم عند الله من غيره فليس الامر الا الى الله
لانه اعلم بالمتصفين فينجيهم والله اي الذي له الكمال اعلم بالظالمين اي المكتوبين في ديوان الظلمة فيهلكهم ولما كانت
هذه الايات منبئة لجزئيات من علمه تعالى وقدرته وكان ختامها العلم بالظالم وغيره اتبعها الاختصاص بما هو اعم من
ذلك وهو علم مفاتيح الغيب الذي لا يصل اليه الا من حازها اذ لا يطلع على الخزائن الا من فتحها ولا يفتحها الا من حاز مفاتيحها
وعلم كيف يفتح بها فاثبات ذلك في هذا الاسلوب من باب الترقية في مراقي الاعتقاد من درجة كاملة الى اكمل منها فقال عاطفا
على معنى ما سبق وهو فعنده خاصة جميع ذلك وعنده اي وحده مفاتح الغيب التي لا يدرك الغيب الا من علمها ولما
كان معنى ذلك الاختصاص صرح به في قوله لا يعلمها الا هو وتخصيصها بالنفي دون الخزائن دال على ما فهمته من ان
التقييد فيها بلكم يفهم انه يجوز ان يقول ذلك للمؤمنين ولما ذكر علم الغيب اتبعه علم الشهادة لان القضايا العقلية
المحضة يصعب تحصيلها على سبيل التمام الا للكمل من الانام الذين تجردوا فتعودوا استحضار المعقولات المجردة والقرآن
انما انزل لنفع جميع الخلق الذكي منهم والغبي فكان ذكر المحسوسات الداخلة تحت القضية العقلية الكلية معينا على تصور
ذلك المعقول ورسوخه في القلب فقال مؤكدا لهذا المعقول الكلي المجرد بمثال داخل تحته يجري مجرى المحسوس وعطفه
بالواو عطف الخاص على العام اشارة الى تعظيمه فقال ويعلم ما في البر وقدمه لان الانسان اكثر ملابسة له بما فيه من القرى
والمدن والمفاوز والجبال والتلال وكثرة ما بها من الحيوان والنبات النجم وذي الساق والمعادن والبحر واخره لان احاطة
العقل باحواله اقل وان كان الحس يدل على ان عجائبها اكثر وطولها وعرضها اعظم وما فيها من الحيوانات واجناس المخلوقات
اعجب فكان هذا الامر المحسوس مقويا لعظمة ذلك الامر المعقول ولما ذكر ما يعم الثابت والمنتقل خص المنتقل تنصيصا على
على الجزئيات وتعظيما للعلم بتعظيم المعلومات فقال وما تسقط واغرق في النفي بقوله من ورقة ونكرها اتماما للتعميم
الا يعلمها ولما كان هذا مع عظمه ظاهرا ذكر ما هو ادق منه فقال ولا اي وما من حبة ودل على ان الارض ليس لها من نفسها
نور تنبيها على ما اودع هذا الآدمي المكون منها من الغرائب بقوله في ظلمات الارض اي ولو كان في اقصى بطنها فكيف
بما هو في النور وهو اكبر من الحبة ولما خص رجع الى تعميم ردا للآخر على الاول فقال ولا رطب ولا يابس اي وجدا ولم
يوجد وسيوجد الا في كتاب مبين اي موضح لاحواله واعيانه وكل اموره واحيانه فثبت انه فاعل لجميع العالم بجواهره
واعراضه على سبيل الاحكام والاتقان لانه وحده عالم بجميع المعلومات ومن اختص بعلم جميع المعلومات كان مختصا
بصنع جميع المصنوعات وقادرا على جميع المقدورات ولما كان من مفاتح الغيب الموت والبعث الذي ينكرونه وكان
من ادلته العظيمة النوم والايقاظ منه مع ما فيه من الاحسان المتكرر وكان فيه مع ذلك تقرير لكمال القدرة بعد تقريره
لكمال العلم اتبع ذلك قوله وهو اي وحده الذي يتوفاكم اي يقبض ارواحكم كاملة بحيث لا يبقى عندكم شعور اصلا
فيمنعكم التصرف بالنوم كما يمنعكم بالموت وذكر الاصل في ذلك فقال بالليل ويعلم اي والحال انه يعلم ما جرحتم اي كسبتم
بالنهار اي الذي تعقبه النوم من الذنوب الموجبة للاهلاك ويعاملكم فيها بالحلم بعد العلم ولا يعجل عليكم وهو معنى ثم يبعثكم
اي يوقظكم بعد ذلك النوم المستغرق فيصرفكم فيما يشاء فيه اي في النهار الذي يعقب ذلك النوم بعد استحقاقكم
للانتقام ليقضى اي يتم اجل مسمى كتبه للموتة الكبرى ولما تمهد بهذا النشر بعد ذلك الطي في الموتة الصغرى
القدرة على مثل ذلك في الموتة الكبرى وكان فيه تقريب عظيم له قال ثم يبعثكم من تلك الموتة كما بعثكم من هذه

ويكون اليه اي وحده مرجعكم اي حشا بالحشر الى دار الجزاء ومعنى بانقطاع الاسباب على ما عهد في الدنيا ثم بعد تلك المواقف
الطوال والاهوال ويمكن ان يشير باداة التراخي الى عظمة العلم بذلك واليه يرشد اكثر ما نعله من السياق ينبئكم
اي يخبركم اخبارا عظيما جليلا مستعقبي بما كنتم تعملون اي فيجازيكم عليه ولعله عبر بالعمل لان الحساب يكون على المكلفين
الذين لهم اهلية العلم فقرر مع كمال قدرته سبحانه على اختراع هذه الاشياء والعلم بها استقلاله بحفظها في كل حال وتدبيرها
على احسن وجه ولما اخبر بتمام العلم والقدرة اخبر بغالب سلطنته وعظيم جبروته وان افعاله هذه على سبيل القهر
لا تستطاع بمخالفتها فلو بالغ احد في الاجتهاد فجاء بنام في غير وقته ما قدر او ان يقوم وقت النوم لعجز او ان يحيي وقت الموت
لم يستطع الى غير ذلك فقال وهو اي بفعل ذلك والحال انه وحده بما له من غيب الغيب وجب اكبر القاهر وصور ذلك بقوله
فوق عباده اي في الاحاطة بالعلم والفعل اما قهره للعدم فبالتكوين والايجاد واما قهره للوجود فبالافناء والافساد بنقل الممكن
من العدم الى الوجود تارة ومن الوجود الى العدم اخرى فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار الى
غير ذلك من ضروب الكائنات وصنوف الممكنات ويرسل ورجع الى الخطاب لانه اصرح فقال عليكم من ملائكته حفظة اي يحفظون
عليكم كل حركة وسكون لتستحيوا منهم وتخافوا عاقبة كتابتهم وتقوم عليكم بشهادتهم الحجة على مجاري عاداتكم والا فهو سبحانه
غني عنهم لانه العالم القادر فيحفظونكم على حسب مراده فيكم حتى اذا جاء ولما كان تقديم المفعول اخوف قال احدكم الموت
اي الذي لا محيد له عنه ولا محيص توفته اي اخذت روحه كاملة رسلنا من ملك الموت واعوانه على ما لهم من العظمة بالاضافة
الينا وهم لا يفرطون في نفس واحدة ولا ما دونه ولا ما فوقه بالتواني عنه ليتقدم ذلك عن وقته او يتاخر ولما اشار سبحانه
الى قوته بالجنود التي تفوت الحصر وان كان عنهم غنيا بصفة القهر نبه بصيغة المجهول الى استحضار عظمته وشامل جبروته
وقدرته فقال ثم اي بعد حبسهم في قيد البرزخ ردوا اي ردهم راد منه لا يستطيعون رفاعه اصلا الى الله اي الذي لا
تحد عظمته ولا تعد جنوده وخدمته مولاهم اي مبدعهم ومدبر امورهم كلها الحق اي الثابت الولاية وكل ولاية غيره وهمية
من الحفظة وغيرهم عدم ان الحفظة لا يعلمون الا ما ظهر لهم وهو سبحانه يعلم السر واخفى ولما استحضر المخاطب عزته وقهره
وتصور جبروته وكبرياءه تاهل قلبه وسمعه لما يلقى اليه ويتلى عليه قال الا له اي وحده حقا الحكم ولما كان الانفراد بالحكم
من جميع الخلق امرا يحير الفكر ولا يكاد يدخل تحت الوهم قال محقرا له في جنب قدرته وهو وحده اسرع الحاسبين يفصل
بين الخلايق كلهم في اسرع من اللمح كما انه يقسم ارزاقهم في الدنيا في مثل ذلك لا يقدر احد ان ينقك من عقابه بمطاولة في الحساب
ولا مغالطة في ثواب ولا عقاب لانه سبحانه لا يحتاج الى فكر ورؤية ولا عقد وكتابة ولا يشغله حساب عن حساب ولا شيء
عن شيء ولما تعرف بافعاله وشؤونه حتى اتضح وحدانيته وثبت فرد انيته وذكرهم احوالهم في الاقرار بتوحيده
وقت الشدايد والرجوع عن ذلك عند الانجاء منها فكانوا كمن طلب من شخص شيئا واكد له المشاق في الشكر فلما احسن اليه
باعطائه سوله نقض عهده وبالغ في الكفر وذلك عندهم في غاية من القبح لا توصف فقال قل اي لهؤلاء الذين يدعون في
محاسن الاعمال من ينجيكم اي كثيرا وعظيما من ظلمات البر والبحر اي حيث لا هداية لكم نجم ولا جبل ولا غيرهما او عبر
بالظلمات عن الكروب التي بلغت شدتها الى ان صاحبها يكون كانه في اشد ظلام فهو بحيث انه لا يهتدي فيها الى وجه حيلة
بنوع وسيلة تدعونه اي على وجه الاخلاص له والتوحيد والاعراض عن كل شرك وشريك لزوال الحظوظ عند احاطة
الرعب واستيلائه على مجامع القلب فلا يبقى الا الفطرة السليمة قال الامام عبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي تضرعا
اي مظهرين الضراعة وهي شدة الفقر وحقيقة الخشوع وقوله وخفية اي تخفون في انفسكم مثل ما تظهرون قال
ثم يقال ضرع له وضرع وتضرع اي تخشع وذل ثم قال وضرع الرجل يضرع ضرعا اذا استكان وذل وهو ضارع
بين الضراعة وهؤلاء قوم ضرع اي اذلاء وهم ضرعة اي متضرعون والتضرع الى الله التخشع اليه والتذلل واذا كان الرجل
مختل الجسم قلت انه لضارع الجسم بين الضروع وفي الذل بين الضراعة انتهى ولما بين صفتهم وقت الدعاء بين قولهم
اذا اراك فقال لئن انجيتنا من هذه فاكدوا وخصوا وبينوا غاية البيان لنكونن من الشاكرين اي العريقين في الشكر
ولما كانوا مقرين بان فاعل ذلك هو الله ولكنهم يكفرون نعمته عدوا منكرين فامره بالجواب غير منتظر لجوابهم بقوله قل
الله اي الذي له جميع العظمة ينجيكم منها اي تلك الشدة ومن كل كرب اي وقعتم فيه وما اعظم موقع قوله ثم انتم
مع التزام الاخلاص في وقت الكرب ومع التزام الشكر تشركون مشيرا الى استبعاد بعضهم باداة التراخي مع ما فيه من الجناية
لما كان ينبغي لهم من انهم لشكورون ولما كانوا باشراكهم كانهم يظنون ان الشدة زالت عنهم زوالا لا يعود وكان اللايق
بهم دوام التذلل اما وفاء واما خوفا اخبرهم توهينا لهم من سطوته وتحذيرا من بالغ قدرته ان شدتهم تلك التي اذاقتهم
لم تزل في الحقيقة فان قدرة الملك عليها حالة الرخاء كقدرته عليها في وقتها سواء فانه خالق الحالتين واسبابها وما فيهما
وكنهم عمي البصائر اجلاف الطباع فقال قل هو وحده القادر ولم يصفه صيغة مبالغة لانهم لم يكونوا ينكرون قدرته
انما كانوا يدعون الملائكة التي نفاها بالتخصيص على ان التعريف المبالغة على ان يبعث اي في كل وقت يريده عليكم اي في
كل حالة عذابا من فوقكم باسقاط السماء قطعا او شيء منها كالحجارة التي حصب بها قوم لوط واصحاب الفيل او بتسليط
الاكابر كم اومن تحت ارجلكم اي بالخسف او اثارة الحيات او غيرها من الارض كما وقع لبعض من سلف او بتسليط سفلتكم وعبيدكم
عليكم او يلبسكم اي يخلط بينكم حال كونكم شيعا اي متفرقين كل شيعة على هوى فيكون ذلك سببا للسيف ويذيق بعضكم

اي بعض تلك الشيع باس بعض فيساوي في ذلك بين الحرم وغيره ويصير التخطف بالنهب والغارات عامًّا وسوق هذا الكلام
هكذا يفهم ايقاعه في وقت ما لناس ما لان كلام الملوك يصان عن ان لا تكون له صورة توجد وان كان على سبيل الشرط ونحوه
فكيف بملك الملوك علام الغيوب وللتدريب على مثل هذا الفهم في كلام الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي
في التفسير عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه اما انها كاينة ولم يات تاويلها بعد وقال حسن غريب وسياتي لهذا مزيد بسط
وتحقيق في قوله تعالى في الفرقان تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك الآية ولما كان هذا بيانا عظيما اشار الى عظمه
بقوله انظر وعظمه تعظيما آخر بالاستفهام فقال كيف نصرف الايات اي نكررها موجهة في جميع الوجوه البديعة النافعة
البليغة لعلهم يفقهون اي لتكون حالهم حال من يرجى فهمه وانتفاعه به كان هذا والحال انه كذب به اي هذا العذاب او القرآن
المشتمل على الوعد والوعيد والاسباب المبينة للخلق جميع ما ينفعهم ليلزموه وما يضرهم ليحذروه قومك اي الذين من حقهم
ان يقوموا بجميع امرك ويسر بسيادتك فان القبيلة اذا ساد احدها عزت به فان عزه عزها وشرفه شرفها ولا سيما اذا كان
من بيت الشرف ومعدن السيادة واذا سفل احدها اهتمت به غاية الاهتمام وسترت عيوبه مهما امكنها فان عاره لاحق بها فهو من
عظيم التوبيخ لهم ودقيق التقريع وزاد ذلك بقوله وهو اي والحال انه الحق اي الثابت الذي لا يضره التكذيب به ولا يمكن
زواله ولما كان الانسان ربما حصل له اللوم بسبب قومه كان صلى الله عليه وسلم في هذا المقام بمعرض ان يخاف عاقبة
ذلك ويقول فماذا اصنع بهم فقال تعالى معلما انه ليس عليه باس من تكذيبهم قل لست وقدم الجار والمجرور للاهتمام به معبرا
بالاداة الدالة على القهر والغلبة فقال عليكم بوكيل اي حفيظ ورقيب لا قهركم على الرد عما انتم فيه ولما كانوا بصدد ان يقولوا
تهكما كن كذلك فلا علينا منك قال مهودا لكل واشار الى خلاله خيره بقوله نبا اي خبرا خبرتكم به من هذه الاخبار العظيمة
ومعنى مستقر موضع قرار من صدق او كذب اي لا بد ان يحط الخبر على واحد منهما لا ينفك خبر من الاخبار عن ذلك وسوف تعلمون
اي محط خبره العظيم بوعد صادق لا خلف فيه وان تاخر وقوعه ولما امره بما يقول جوابا لتكذيبهم تقدم اليه فيما يفعل
وقت خوضهم في التكذيب فقال واذا رايت خاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ليكون اردع الذين يخوضون اي
يتكلمون في اياتنا اي بغير تامل ولا بصيرة بل طوع الهوى كما يفعل خايض الماء في وضعه لرجله على غير بصيرة لستر مواضع
الخطا وبغير تمام الاختيار لغلبة الماء فاعرض عنهم بترك المجالسة او ما يقوم مهامها ولما كان الخوض في الايات دالا على قلة
العقل قال حتى يخوضوا في حديث غيره فحكم على حديثهم فيما سوى ذلك ايضا بالخوض لان فيه العث والسمين لانه غير مفيد بنظام
الشرع ولما كان الله تعالى وله الحمد قد رفع حكم النسيان عن هذه الامة قال موكدا واما ينسينك الشيطان اي انساء
عظيما اشارة الى ان مثل هذا الامر جدير بان لا ينسى فلا تقعد بعد الذكرى اي التذكير لهذا النهي مع القوم الظالمين اظهر موضع
الاضمار تعميما ودلالة على الوصف الذي هو سبب الخوض وهو الكون في الظلام ولما كانت هذه الآية مكية وكانوا اذ ذاك
عاجزين عن الانكار بغير القلب قال وما على الذين يتقون اي يخافون الله فلا يكذبون باياته في مجالسة الكفرة من حسابهم اي
الخايضين اذا كانوا اقوى منهم من شي وما نهينا عن المجالسة لان عليهم فيها والحالة هذه اثما ولكن نهينا لتكون المفارقة اظهار
الكراهة ذكرى للخايضين لاستحيايهم من اذى الجليس لعلهم يتقون اي لتكون حالهم بذلك حال من ترجى منه التقوى فيجتنب الخوض
في الايات اكراما للجليس ولما ابرز هذا الامر في صيغة النهي اعاده بصيغة الامر اهتماما به وتاكيدا له واظهر لهم وصفا آخر
هو غاية الوصف الاول مع ما ضم اليه من الارشاد الى الانقاد من المعاطب فقال وذر اي اترك اي ترك كان ما يتبعه من البحاير
والسوايب ونحو ذلك فلا تبال بهم ولا يشغل قلبك امرهم الذين اتخذوا اي كلفوا انفسهم في اتباع الهوى بمخالفة العقل المستقيم
والطبع الفطري السليم بان اخذوا دينهم على نمط الاسخف من دنياهم ولما كان الدين ملكة راسخة في النفس لا شي من كيفيات
النفس ارسخ منها ولا اثبت وهو اشرف ما عند الانسان وكان اللعب ضده لا شي اسرع من انقضايه ولا اوهى من بنايه قال ذاما لهم
بانهم ابدلوا مقصود هذه السورة الذي هو الاستدلال على التوحيد الذي لا اشرف منه مطلقا ولا اعلى ولا انفس بوجه ولا اعلى بما
لا ادنى منه ولا اوهى ولا امحق للمروة ولا ادهى لعبا ولما كان ربما قيل انهم اذا انقضى اللعب عادوا الى الاشتغال بالدين اتبعه الباعث
عليه اشارة الى انه كلما ملوا اللعب بعثوا النفوس اليه باللهو كما ترى الراقص كلما فتر في رقصه بعثوه عليه بتقوية اللهو والانتقال
من فن الى آخر من فنونه وشان بديع من شؤونه فقال ولهوا اي في الاستهزاء بالدين الحق وغرتهم اي خدعتهم الحيوة الدنيا التي
هم من اعرف الناس بزوالها وان كل من بها هالك فمنتهم النعم التي من عليهم سبحانه بها فيما لا ينالونه من السعادة الا باتباع
اوامره واجتناب نواهيه ولما كان ربما افهم ذلك تركهم في كل حالة نفاه بقوله وذكر به اي بحديث الايات وهي
القرآن المتجدد انزاله والضمير في الحقيقة للايات اي دعهم يفعلوا ما ارادوا لا تبال بشي من ذلك ولا تترك وعظهم بهذا
القرآن اي ما عليك الا البلاغ لم تكلفك في هذه الحالة اكثر منه ان تبسل قال في المجمل البسل المخلي وابسلته اسلمته
للهلكة فالمعنى كراهة ان تخلي وتسلم نفس بما اي بسبب ما كسبت في دنياها كاينة ليس لها من دون الله اي المنفرد بالعظمة
ولي يتولى نصرها ولا شفيع ينقذها بشفاعته ولما كان الفدا من اسباب الخلاص قال وان تعدل اي تلك النفس لاجل
التوصل الى الفكاك كل عدل اي كل شي يظن انه يعدلها ولو كان انفس شي ولما كان الضار عدم الاخذ لا كونه من معين
بني للمفعول قوله لا يوخذ منها ولما انتج ذلك قطعا ان في هذا حالة هالك قال اولئك اي الذين عملوا هذه الاعمال
البعيدة عن الخير الذين ابسلوا اي اسلموا بما كسبوا ثم استانف قوله لهم شراب من حميم اي هو في غاية الحر تصهر به ما في

بطونهم بما اعتقدوا في الايات ما ظهر على السنتهم وعذاب اليم اي يعم دايما ظواهرهم وبواطنهم بما ظهر عليهم من ذلك بعد ما بطن
بما اي بسبب ما كانوا يكفرون اي يجددون من تغطية الايات ولما تقرر ان غير الله ولا يمنع من الله بنوع منع لا الهتهم التي
زعموا انها شفعاؤهم ولا غيرها ثبت انهم على غاية البينة من ان كل ما سواه لا ينفع شيا ولا يضر فكان في غاية التبكيت
لهم قوله قل اي بعد ما اقمت من الادلة على انه ليس لاحد مع الله امر منكرا عليهم موبخا لهم اندعوا اي دعا عباده وبين
حقارة معبوداتهم فقال من دون الله المنفرد بجميع الامر ولما كان السياق لتعداد النعمة الذي خلق السموات والارض خلقكم
من طين يطعم ولا يطعم ويرسل عليكم حفظة من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الله ينجيكم منها ومن كل كرب قدم النفع في قوله
ما لا ينفعنا ولا يضرنا اي لا يقدر على شي من ذلك ليكونوا على غاية الباس من اتباع حزب الله لهم وهذا كالتعليل لقوله اني
نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله ولما ذكر عدم المنفعة في دعايهم اشار الى وجود الخسارة في رجايهم فقال ونرد اي
برجوعنا الى الشرك وبناه للمفعول لان المنكر الرد نفسه من اي راد كان على اعقابنا اي فناخذ في الوجه المخالف لقصدنا
فنصير كل وقت في خسارة بالبعد عن المقصود بعد اذ هدانا الله اي الذي لا خير الا وهو عنده ولا ضر الا وهو قادر عليه الى التوجه
نحو المقصد ووفقنا له وانقذنا من الشرك ولما صور حالهم مثله فقال كالذي اي نرد من علو القرب الى المقصود الى سفول
البعد عنه وذا كرد الذي استهوته اي طلبت نزوله عن درجته الشياطين فانزلته عن افق مقصده الى حضيض معطبه مشبه
حاله بحال من سقط من عال في مهواة مظلمة فهو في حال هويه في غاية الاضطراب وتحقق التلف والعمى عن الخلاص في الارض
حال كونه حيران تايها ضالا لا يهتدي لوجهه ولا يدري كيف يسلك ثم استانف قوله له اي هو الذي هوى ~~هو قد اعتسف~~
~~المهمه تابعا للشياطين لا يجيبهم ولا ياتيهم لانه قد غلب عن نفسه وجعل بين الغير والنزوان~~ اصحاب اي عدة ولكنه لتمكن الحيرة
منه لا يقبل يدعونه الى الهدى وبين دعاهم بقوله ايتنا هو قد اعتسف المهمه تابعا للشياطين لا يجيبهم ولا ياتيهم لانه قد
غلب عن نفسه وجعل بين الغير والنزوان ولما كان هذا مما يعرفونه وشاهدوه مرارا وكانوا عالمين بان دعا اصحابه له في غاية
الفضيحة والخبر وانه ان تبعهم نجا والا هلك هلاكا لا تدارك له فكان جوابهم ان دعا اصحابه له لهدى بين انه مضمحل تافه
جدا بحيث انه يجوز ان يقال ليس هدى بالنسبة الى هذا الذي يدعوهم اليه بقوله قل ان هدى الله اي المستجمع لصفات
الكمال هو اي خاصة الهدى اي لا غيره كدعا اصحاب المستهوي بل ذاك الهدى مع انقاذه من الهلاك الى جنب هذا الهدى
كلا شي لان الشي هو لا وصل الى سعادة الابد ولما كان التقدير فقد امرنا ان نلزمه ونترك كل ما عداه عطف عليه امرا
عاما فقال وامرنا لنسلم اي ورد علينا الامر ممن لا امر لغيره بكل ما يرضيه لان نسلم بان نوقع الاسلام وهو الانقياد
التام فنتخلى عن كل هوى وان نقيم الصلوة بان نوقعها بجميع حدودها الظاهرة والباطنة فنتحلى بفعلها اشرف
حلى لرب العالمين اي لاحسانه الى كل احد بكل شي خلقه ثم فسر المامور به فكانه قال ان اسلموا وان اقيموا الصلوة
لوجهه واتقوه مع ذلك اي افعلوها لا على وجه الهزء واللعب بل على وجه التقوى والمراقبة ليدل ما ظهر منها على ما
بطن من الاسلام للمحسن ولما كان التقدير فهو الذي ابتدا خلقكم من طين فاذا انتم بشر مصورون وجعلكم احيا
فقدرته على مدى الايام تنتشرون عطف عليه قوله وهو الذي اليه اي لا الى غيره بعد بعثكم من الموت تحشرون فاتى بالبعث
الذي هم له منكرون لكثرة ما اقام من الادلة على تمام القدرة في سياق دال على انه مما لا مجال للخلاف فيه وان النظر انما هو
فيما وراء ذلك وهو ان عملهم للباطل سوغ تنزيلهم منزلة من يعتقد انه يحشر الى غيره سبحانه ممن لا قدرة له على جزايهم فاخبرهم
ان الحشر اليه لا الى غيره لانه لا كلام هناك لسواه فلا علق بين المحشورين ولا تناصر كما في الدنيا والجملة مع ذلك كالتعليل للامر
بالتقوى وقد بان ان الاية من الاحتباك فانه حذف الصلوة اولا لدلالة ذكرها ثانيا والاسلام ثانيا لدلالة ذكره اولا
ولما كانوا بعبادة غيره تعالى مع اقرارهم بانه هو خالق السموات والارض في حال من يعتقد ان ذلك الذي يعبدونه من دونه
هو الذي خلقهما او شارك فيهما فلا قدرة لغيره على حشر من في مملكته قال تعالى منبها لهم من غفلتهم وموقظا من رقدتهم
معيدا الدليل الذي ذكره اول السورة على وجه اخر وهو اي وحده الذي خلق اي اوجد واخترع وقدر السموات والارض
على عظمتهما وفوت ما فيهما من الحكم والمنافع الحصر بالحق اي بسبب اقامة الحق وانتم ترون انه غير قايم في هذه الدار ولا هو قريب
من القيام فوجب على كل من يعلم ان الله حكيم خبير ان يعتقد انه لا بد من بعثه العباد بعد موتهم كما وعد بذلك ليظهر العدل بينهم
فيبطل كل باطل ويحق كل حق ويظهر الحكمة لجميع الخلق ولما قرر ان اقامة الحق هي المراد قرر قدرته عليها بقوله ويوم
يقول اي الحق ولكل شي يريد في هذه الدار وتلك الدار كن فيكون اي فهو يكون لا يتخلف اصلا ولما قرر انه لا يتخلف شي عن
امره علله فقال قوله الحق اي لا قول غيره لان اكثر قول غيره باطل لانه يقول شيا فلا يكون ما اراد ولما كان في مقام
الترهيب من سطوته قال مقررا لقوله وهو الذي اليه تحشرون وله اي وحده بحسب الظاهر والباطن الملك يوم
ولما كان المقصود تعظيم النفخة بني للمفعول قوله ينفخ في الصور لانقطاع العلايق بين الخلايق لا كما ترون في هذه الدار
من تواصل الاسباب وقوله عالم الغيب وهو ما غاب عن كل ما سواه سبحانه والشهادة وهو ما صار بحيث يطلع عليه
الخلق مع كونه علة لما قبله من تمام القدرة كما سياتي ان شا الله تعالى في طه من تمام الترهيب الى انه لا يخفى عليه شي من احوالكم
فاحذروا جزاءه يوم تنقطع الاسباب ويذهب التعاضد والتعاون وهو على عادته سبحانه في انه ما ذكر احوال البعث
الا قرر فيه اصلين القدرة على جميع الممكنات والعلم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات لانه لا يقدر على البعث الا من

جمع

جمع الوصفين وهو اي وحده الحكيم اي التام الحكمة فلا يضع شيا في غير محله ولا على غير احكام فلا معقب لامره فلا
بد من البعث الخبير بجميع الموارد والمصادر فلا خفا لشي من افعال احد من الخلق عليه في ظاهر ولا باطن ليهملهم عن
الحساب ولما كان مضمون هذه الاية مضمون الايات الثلاث المفتتح بها السورة الهادمة لمذهب الثنوية وهم اهل
فارس قوم ابرهيم عليه السلام وكان ابرهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوايف لان اكثرهم من نسله كاليهود والنصارى
والمشركين من العرب والمسلمون لما يعلمون من اخلاصه لله تعالى وانتصابه لمحاجة من اشرك به واحتمال الاذى فيه سبحانه
تلاها بمحاجته لهم بما ابطل مذهبهم وادحض حججهم فقال واذ اي اذكر ذلك المتقدم كله لهم في الدلايل على اختصاصنا بالخلق
وتمام القدرة ما اعظمه وما اجله واضخمه وتفكر في عجايبه وتدبر في دقايقه وغرايبه تجد ما لا يقدر على مثله الا الله
واذكر اذ قال ابرهيم اي اذكر قوله وحكمه التذكير بوقته التنبيه على ان هذا لم يزل ثابتا مقررا على السنة جميع
الانبيا في جميع الدهور وكان في هذه المحاجة التصريح بما لوح اليه اول السورة من ابطال هذا المذهب وانعطف هذا
على ذاك اي انعطاف وصار كانه قيل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الاصنام والنجوم والنور والظلمة فنبههم برسول
الله على ذلك بانه لا متصرف غيرنا اذكر لهم اني انا الذي خلقتهم وخلقت جميع ما يشاهدون من الجواهر والاعراض فان
تنبهوا فهو حظهم والا فاذكر لهم محاجة خليلنا ابرهيم عليه السلام اذ قال لابيه ثم بينه في قراة الجر بقوله آزر وناراه
في قراة يعقوب بالضم قال البخاري في تاريخه الكبير ابرهيم بن ازر وهو في التورية تارح انتهى وقد مضى ذلك عن التورية
في البقرة فلعل احدهما لقب وكان اهل تلك البلاد وهم الكلدانيون ويقال لهم ايضا الكسدانيون بالمهملة موضع السلام
يعتقدون الهية النجوم في السما والاصنام في الارض ويجعلون لكل نجم صنما اذا ارادوا التقرب الى ذلك النجم عبدوا
ذلك الصنم ليشفع لهم زعموا الى النجم فقال عليه السلام لابيه منكرا عليه منبها له على ظهور فساد ما هو مرتكبه
اتتخذ اي اتكلف نفسك الى خلاف ما تدعوا اليه الفطرة الاولى بان تجعل اصناما آلهة اي تعبدها وتخضع لها ولا نفع فيها
ولا ضر فنبهه بهذا الانكار على ان معرفة بطلان ما هو قدين به لا يحتاج الى كبير تامل بل هو امر بديهي او قريب منه
فانهم يباشرون امرها بجميع حواسهم ويعلمون انها مصنوعة وليست بصانعة وكثرتها تدل على بطلان الهيتها بما اشار
اليه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولما خص بالنصيحة اقرب الخلق اليه عم بقية اقاربه فقال
اني اراك وقومك اي في اتفاقكم على هذا في ضلال اي بعد عن الطريق المستقيم مبين اي ظاهر جدا ببديهة العقل مع مخالفته
لكل نبي نباه الله تعالى من آدم عليه السلام فمن بعده فهو مع ظهوره في نفسه مظهر للحق من ان الاله لا يكون الا كافيا لمن
يعبده والا كان فقيرا الى تاله من يكفيه ولما كان كانه قيل بصرنا ابرهيم عليه السلام هذا التبصير في هذا الامر
الجزي من بطلان الاصنام قال عاطفا عليه وكذلك وقبل هذا التبصير العظيم الشان وحكى الحال الماضية بقوله
نري اي البصير والبصيرة على مر الزمان وكر الشهور والاعوام الى ما لا اخر له بنفسه وللصلحاء من اولاده ابرهيم
ملكوت اي باطن ملك السموات والارض اي ملكهما العظيم اجمع وما فيه من الحكم ليرسخ في امر التوحيد فيعلم ان كل من عبد
غير الله من صنم او غيره من قومه وغيرهم في ضلال كما علم ذلك في قومه في الاصنام وليكون من الموقنين اي الراسخين
في وصف الايقان في امر التوحيد كله بالنسبة الى جميع الجزئيات لما اراناه ببصره وبصيرته فتامل فيه حتى وقع
بعد علم اليقين على عين اليقين بل حق اليقين ولما كانت الامور السماوية مشاهدة لجميع الخلق دانيهم وقاصيهم وهي
اشرف من الارضية فاذا بطلت صلاحيتها الالهية بطلت الارضية من باب الاولى نصب لهم الحجاج في امرها فقال
مسببا عن الاراة المذكورة فلما جن اي ستر واظلم وقصره وان كان متعديا دلالة على شدة ظلام تلك الليلة ولذلك
عداه باداة الاستعلاء فقال عليه الليل اي اوقع الستر عليه فحجب ملكوت الارض فشرع ينظر في ملكوت السما راى
كوكبا اي قد بزغ فكانه قيل فماذا فعل فقيل قال هذا ربي فكان من بصره ان اتى بهذا الكلام الصالح لان يكون خبرا
واستفهاما ليوهمهم انه مخبر فيكون ذلك انفى للغرض وانجى من الشغب فيكون اشد استجلابا لهم الى انعام النظر وتنبيها
الى موضع الغلط وقبول الحجة ولمثل ذلك ختم الاية بقوله فلما افل اي غاب بعد ذلك الظهور الذي كان له به
سلطان قال لا احب الافلين لان الافول حركة والحركة تدل على حدوث المتحرك وامكانه ولا يجوز ان يظن به انه قال ما
قاله اولا عن اعتقاد ربوبية الكوكب لان الله تعالى قد دل على بطلان هذا التوهم بالاخبار بانه اراه ملكوت الخافقين
وجعله موقنا فاسند الامر الى نفسه تنبيها لهم واستدل بالافول لان دلالته لزوال سلطانه وحقارة شانه اتم ولم
يستدل بالطلوع لانه وان كان حركة دالة على الحدوث والنقصان شرف في الجملة وسلطان فالخواص يفهمون من الافول
الامكان والممكن لا بد له من موجد واجب الوجود يكون منتهى الامال ومحط الرحال وان الى ربك المنتهى والاوساط يفهمون
منه الحدوث للحركة فلا بد من الاستناد الى قديم والعوام يفهمون ان الغارب كالمغرول لزوال نوره وسلطانه وان ما
كان كذلك لا يصلح للالهية وخص الافول ايضا لان قومه الفرس كانوا منجمين ومذهبهم ان الكوكب اذا كان صاعدا من
الشرق الى وسط السما كان قويا عظيم التاثير فاذا كان نازلا الى المغرب كان ضعيف الاثر والاله هو من لا يتغير وهذا
الاستدلال برهان في ان اصل الدين مبني على الحجة دون التقليد ولما بصرهم قصور صغير الكواكب رقي النظر الى اكبر
منه فسبب عن الاعراض عن الكوكب لقصوره قوله فلما راى القمر بازغا اي طالعا اول طلوعه قال الازهري رحمه الله

ن
بطلان

كانه ماخوذ من البزغ الذي هو الشق كانه بنوره يشق الظلمة شقا قال هذا ربي دابه في الاولى ولما كان تامل ان الكوكب
محل للحوادث بالافول قد طرق اسماعهم فخالج صدورهم قال فلما افل قال موكدا غاية التاكيد لئن لم يهدني ربي الذي
قدر على الاحسان الي بالايجاد والتربية لكونه لا يتغير ولا شريك له يخلق الهداية في قلبي فدل ذلك على ان الهداية
ليست الى غيره ولا تحمل على نصب الادلة لانها منصوبة قبل ذلك ولا على معرفة الاستدلال فانه عارف به لاكونن اي
بعبادة غيره من القوم الضالين فكانت هذه اشد من الاولى واقرب الى التصريح بنفي الربوبية عن الكواكب واثبات ان
الرب غيرها مع الملاطفة وابعاد الخصم عما يوجب عناده ولما كان قد بقي من الاجرام السماوية ما ربما يعتل به الخصم
قال فلما راى اي بعينه الشمس بازغة اي عند طلوع النهار واشراق النور الذي ادعوا فيه ما ادعوا قال مبينا
لقصور ما هو اكبر من النور وهو ما عند النور هذا مذكرا اشارته لوجود المسوغ وهو تذكير الخبر اظهارا لتعظيمها ابعادا
عن التهمة وتنبيها من اول الامر على ان المؤنث لا يصلح للربوبية ربي كما قال في ما مضى ثم علل ذلك بيانا للوجه الذي
فارق فيه ما مضى فادرت شبهة فقال هذا اكبر اي مما تقدم فلما افلت اي غربت فخفي ظهورها وغلب نورها وهزمه
جيش الظلام بقدرة الملك العلام قال يا قوم فصرح بان الكلام لهم اجمعين ونادى على رؤوس الاشهاد ولما كانت القلوب
قد فرغت بما القي من هذا الكلام المعجب للحجة وتهيات لقبول الحق ختم الاية بقوله اني بريء مما تشركون اي من هذا
وغيره من باب الاولى فصرح بالمقصود لانه لم يبق في المحسوس من العالم العلوي كوكب اكبر من الشمس ولا انور فلما ابطل بذلك
جميع مذهبهم اظهر التوجه الى الاله الحق وانه قد انكشف له الصواب بهذا النظر والمراد هم ولكن سوقه على هذا الوجه
ادعى لقبولهم اياه فقال مستنتجا عما دل عليه الدليل العقلي في الملكوت اني وجهت وجهي اي اخلصت قصدي غير معرج على
شيء اصلا فعبر بذلك عن الانقياد التام لان من انقاد لشيء اقبل عليه بوجهه ودل على كماله وتفرده بالكمال بمبدعاته وعبر
باللام دون الى لئلا يوهم الحيز فقال للذي فطر السموات اي لاجل عبوديته من شق واخرج السموات والارض فختم الدليل بما
افتتحت به السورة من قوله الذي خلق السموات والارض وادل دليل على ما تقدم اني فسرت الحنف به من انه الميل
مع الدليل سهولة ولطافة على ما هو داب الفطرة الاولى التي فطر الله الناس عليها قوله بعد نصب هذا الدليل حنيفا
اي سهلا هشا لينا لطيفا هيالا مع الدليل غير كز جاف جامد على التقليد داب الغليظ البليد واكد البراءة منهم بقوله
وما انا من المشركين اي منكم ولكنه اظهر الوصف المقتضي للبراءة والتعميم اي لا اعد في عدادكم بشيء اقاربكم به ولما ابدى
هذه الادلة في ابطال الكواكب والشمس التي هي اوضح من الشمس عطف عليها الاخبار بانهم لم يرجعوا اليه بل حاجوه فقال
وحاجه قومه بانهم لا ينفكون عن عبادتها لانهم وجدوا اباءهم كذلك وانه ان لم يرجع عن الكلام فيها اصابته ببعض النوازل
وذلك من اعظم التسلية لهذا النبي العربي الكريم عليه افضل الصلوة والتسليم ولما كان من المعلوم ان محاجتهم بعد هذه
الادلة الواضحة في غاية من السقوط سفلت عن الحضيض نزه المقام عن ذكرها اشارة الى انها بحيث لا تستحق الذكر وبين
جوابه لما فيه من الفوائد الجمة بقوله قال اي منكرا عليهم موبخا لهم اتحاجوني وصرح باسم الرب العلم الاعظم في
قوله في الله اي شيء مما يختص به المستجمع لصفات الكمال لا سيما التوحيد وقد اي والحال انه قد هداني اي ارشدني
بالدليل القطعي الى معرفة كل ما يثبت له وينفي عنه لانه قادر فبين انه تعالى قد احسن اليه فهو يرجوه لمثل ذلك الاحسان
ويخافه من عواقب العصيان لان من رجي خيره خيف ضيره ومن كان بيده النفع والضر والهداية والاضلال فهو من وضوح
الامر وظهور الشان بحيث لا توجه نحوه المحاجة واتبعه بيان ان معبوداتهم مسلوب عنها ما يوجه اليها الهمم فقال عاطفا
على ما تقديره فانا ارجوه واخافه لانه قادر ولا اخاف ما تشركون به ولا ارجوه لهداية ولا اضلال ولا غيرهما لانه
عاجز فاثبت لله القدرة بالهداية لانها اشرف وطولى الاضلال لدلالتها ودلالة ما نفي في جانب الشركاء عليه واثبت لالهتهم
العجز بنفي الخوف المستلزم لنفي القدرة على الضر وذلك دال على ان الله تعالى اهل لان يخاف منه كل ذلك تلويحا لهم بان
العاقل لا ينبغي له ان يخالف الا من يامن ضره فهم في مخالفتهم لله في غاية من الخطر لا يرتكبها عاقل والاية من الاحتباك
ولما نفى عن نفسه خوف الهتهم ابدا في الحال والاستقبال وكان من الامر البين في الدين الحق انه لا يصلح الايمان الا مع الاقرار
بخفاء العواقب على العباد واثبات العلم بها لله تسليما لمفاتيح الغيب اليه وقصرها عليه قال مستثنيا من سبب النفي وهو
انها لا تقدر على شيء الا ان يشاء ربي المحسن الي في حال الضر كما هو محسن في حال النفع شيئا اي من تسليطها بانفسها او باتباعها
لانه قادر على ما يريد فان اراد انطق الجماد واقدره واخرس الناطق الفصيح واعجزه فانا لا اخاف في الحقيقة غيره
ولما كان هذا في صورة التعليق وكان التعليق وما شابهه من شانه ان لا يصدر الا من متردد فيكون موضع اطماع للخصم
فيه علله بما ازال هذا الخيال فقال وسع ربي كل شيء علما اي فاحاط بكل شيء قدرة فهو اذا اراد اقدار العاجز ازال عنه
كل مانع من القدرة واثبت له كل مقتض لها وذلك ثمرة شمول العلم كما سياتي برهانه ان شاء الله تعالى في سورة طه فالمراد
اني ما تركت الجزم لشك عندي وانما تركته لعدم علمي بالعواقب اعلاما بان تلك رتبة لا تصلح الا لله الذي وسع علمه كل شيء
وادل دليل على هذا اتباعه له بانكاره عليهم عدم الابلاغ في التذكر بقوله مظهرا تاء التفعل اشارة الى ان في جبلاتهم اصل
الذكر الصاد عن الشرك افلا تتذكرون اي يقع منكم تذكر فتميزوا بين الحق والباطل بان تذكروا ما لكم من انفسكم من ان من غاب
عن مربوبه فسد او كاد وان هذه الجمادات لا تنفع ولا تضر وانها مصنوعكم وتعجيبه منهم في ظنهم خوفه من معبوداتهم بقوله

الضلال صح

منكرا

منكرا وكيف اخاف ما اشركتم اي من دون الله من الاصنام وغيرها مع انها لا تقدر على شئ ولا اي والحال انكم انتم لا تخافون انكم اشركتم بالله اي المستجمع لصفات العظمة والقدرة على العذاب والنقمة ولما كان له سبحانه ان يفعل ما يشآء تال مالم ينزل به اي باشراكه ولما كان المقام صعبا لانه اصل الدين اثبت الجار والمجرور وقدمه فقال عليكم سلطانا اي حجة تكون مانعة من انزاله العضب بكم والحاصل انه صلى الله عليه وسلم اوقع الامن في موضعه وهم اوقعوه في موضع الخوف فعجب منهم لذلك فبان ان هذا وقول شعيب عليه السلام في الاعراف وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشآء الله ربنا الآية وقوله تعالى في الكهف ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشآء الله من مشكاة واحدة ولما كان المحذور المنفي هنا انما هو خوف الضرر من الهتهم وكان حصول الضرر لمخالفتها بواسطة اتباعها او غيرهم من سنن الله الجارية في عباده اقتصر الخليل عليه السلام على صفة الربوبية المقتضية للرافة والرحمة والكفاية والحماية وقد وقع في قصته الامران امكانهم من اسباب ضره بايقاد النار والقآئهم له فيها ورحمته بجعلها عليه بردا وسلاما ولما كان المحذوف في قصة شعيب عليه السلام العود في ملتهم زاد الاتيان بالاسم الاعظم الجامع لجميع الكمالات المنزه عن جميع النقايص المقتضي لاستحضار الجلال والعظمة والتفرد والكبرياء الماخوذ من دنو ساحات الكفر والله الموفق ولما بان كالشمس بما اقام من الدليل انه احق بالامن منهم قال مسببا عما مضى تقريرا لهم فاي الفريقين اي حزب الله وحزب ما اشركتم به ولم يقل فانا تعميما للمعنى احق بالامن والزمهم بالجواب حتما بقوله ان كنتم تعلمون اي ان كان لكم علم فاخبروني عما سالتكم عنه ثم وصل بذلك دلالة على انه لا علم لهم اصلا ليخبروا عما سئلوا عنه قوله مستانفا الذين امنوا اي اوجدوا هذا الفعل ولم اي وصدقوا دعوتهم بالفعل لم يلبسوا ايمانهم اي يخالطوه ويشوبوه بظلم ولما كان المعنى احق بالامن عدل عنه الى قوله مشيرا اليهم باداة البعد تنبيها على علو رتبتهم اولئك لهم اي خاصة الامن اي لما تقدم من وصفهم وهم مهتدون اي وانتم ضالون مائتم حالكون لاشراكم على الهالك وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الشيخان والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لهذا الظلم المطلق في قوله تعالى بظلم بالشرك الذي هو ظلم موصوف بالعظم في قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم تنبيه للصحابة رضوان الله عليهم على ان هذا التنوين للتعظيم ولانهم اهل اللسان المطبوعون فيه فنعوا بذلك واطمانوا اليه ولا شك ان السياق كله في التنفير عن الشرك وانه دال على الحث على التبرؤ عن قليل الشرك وكثيره فآل الامر الى ان المراد ولم يلبسوا ايمانهم بشئ من الشرك فالتنوين حينئذ للتحقير كما هو للتعظيم فهو من استعمال المشترك في حقيقته ومجازه او في معنييه المشترك فيهما لفظه معا والله اعلم ولما كان ابرهيم عليه السلام قد انتصب لاظهار حجة الله في التوحيد والذب عنها وكان التقدير تنبيها للسامع على حسن ما مضى ندبا لتدبره هذه مقاولة ابرهيم عليه السلام لابيه وقومه عطف عليه قوله معددا وجوه نعمه عليه واحسانه اليه دالا على اثبات النبوة بعد اثبات الوحدانية وتلك اي هذه الحجة العظيمة الشان التي تلوناها عليكم وبينا ما حاج ابرهيم عليه السلام به قومه وعظمه بتعظيمها فقال حجتنا اي التي يحق لها بما فيها من الجلالة ان تضاف الينا لانها من اشرف النعم واجل العطايا اتيناها اي عالمين بالعظمة ابرهيم واوقفناه على حقيقتها ونبهناه بها ونبهنا على ارتفاع شانها باداة الاستعلاء بمضمنا لاتينا انعامنا فقال على قومه اي مستعليا عليهم غالبا لهم قايمة عليهم الحجة التي نصبها ثم زاد في الاعلام بفضله لتفضلها بقوله مستانفا نرفع اي بعظمتنا درجات من نشآء بما لنا من القدرة على ذلك كما رفعنا درجة ابرهيم عليه السلام على جميع اهل ذلك العصر ولما كانت محاجته لهم على قانون الحكمة بالعالم العلوي الذي نسبوا الخلق والتدبير بالنور والظلمة اليه وكان في ختام محاجته لهم ان الجاري على قانون الحكمة انا الملك الحق لا يصير جنده فلا خوف عليهم وكان قبل ذلك في الاستدلال على البعث الذي هو محط الحكمة كان الانسب ان يقدم في ختم الآية وصف الحكمة فقال ان ربك خاصا النبيه صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة باسم الاحسان تنبيها على ان حجبه الدليل عمن يشآء الحكم اراداها سبحانه ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم حكيم اي فلا يفعل بحزبه الا ما ظنه به خليله صلى الله عليه وسلم مما يقر اعينهم اما في الدنيا واما في الاخرة واما فيهما عليم فلا يلتبس عليه احد من غيرهم فيفعل به ما يخل بالحكمة ولما اشار الى رفعته بآية نصره بالحجة حتى كان على بصيرة من امره وانه اعلاه على المخالفين برفع الدرجات اتبع ذلك ما دله عليها وعلى حكمته بعلمه بالعواقب فقال معلما بانه جعله عزيزا في الدنيا لان اشرف الناس الانبيآء والرسل وهم من نسله وذريته ورفع ذكره ابد الآجل فيما مدحنا به الذب عن توحيده ووهبنا له اي لخليلنا عليه السلام بما لنا من العظمة اسحق ولدا له على الكبر حيث لا يولد لمثله ولا لمثل زوجته ويعقوب اي ولد ولد ولده استانف به لان السياق للامتنان على الخليل عليه السلام وهو اشد سرورا بابنه الذي متع به ولم يؤمر بفراقه وابن ابنه الذي اكثر الانبيآء الداعين الى الله من نسله ومن خواصه وهو الموجب الاعظم للبداءة ان اباه طهر الارض المقدسة التي هي مهاجر ابرهيم عليه السلام ومختاره لتسكني بنفسه ونسله بل مختار الله له ولم بعده بمد طهرها من الشرك وعبادة الاوثان ودعوا الى الله ونوروا الارض بعبادته ولما كانت النعمة لا تتم الا بالهداية قال مستانفا مقدما المفعول ليشمل الكلام ايا منهما كلا اي منهما ومن ابيهما هدينا ثم اتبع ذلك بالمهتدين قديما وحديثا تاكيدا لان هذا المذهب لم تزل خلص العباد دعاة اليه من قديم الزمان وجديده فكانه يقول ان كنتم تلزمون دينكم لانه عندكم حق فقد تبين لكم بطلانه وان الحق انما هو التوحيد وان كنتم تلزمونه لقدمه فهذا الدين الذي دعاكم اليه رسولي مع وضوح الادلة على حقيقته هو القديم

الذي دعاكم اليه نوح عليه السلام ومن تلاه من خلص ذريته الى ابرهيم ابيكم الاعظم ومن بعده من خلص ذريته الى عيسى
ثم الى هذا الرسول الذي هو دعوة ابرهيم وبشارة عيسى على الكل ابلغ الصلوة واتم السلام فهو احق بالاتباع من جهة الحقية
والاقدمية وان كنتم تلزمونه لمجرد اتباع الاباء فليس في ابائكم مثل ابرهيم عليه السلام وقد تلوت عليكم في كلامي الذي اقمت
الدليل القطعي بعجزكم عنه على صحة نسبته الى ما حاج به اباه وقومه في ابطال الاوثان التي اضلتكم فهو اولى ابائكم ان تقتدوا
به والله الموفق ولما كان ربما وقع في وهم ان هداية كل من اسحق وابنه بتربية ابيه ذكر العاشر من اباء الخليل وهو نوح
عليهما السلام لدفع ذلك ولان السياق لانكار الاوثان وهو اول من نهى عن عبادتها وهو اجل اباء الخليل عليه السلام فقال
ونوحا هدينا اي بما لنا من العظمة من بين ذلك الجيل الاعوج ولما كانت لم تتجاوز زمنه وكان زمنه بعض الزمن المتقدم
اثبت الجار وقطعه عن الاضافة لتراخي زمانهم كثيرا عن زمانه فقال من قبل اي ولم تكن هدايته الا بنا في زمان كان اهله من
شدة الضلال ولزوم الظلم في مثل استقبال الليل كلما امتد احلولك ظلامه واشتد وطال ما دعاهم الى الله ورباهم فلم
يرجع منهم كبير احد حتى لقد خالفه زوجه وبعض ولده ولمثل ذلك فصل بين اسمعيل وابيه ويوسف وابيه عليهم السلام
اشارة الى فراق كل منهما لابيه في الحيوة وانه ما حفظ كلا منهما على سنن الهدى طول المدى الا الله ثم ابتدا المذكورين بعد
بمن بنى على يده ويد ابنه مسجدا هو بعد المسجد الذي بناه ابرهيم وولده اسمعيل عليهما السلام فقال ومن ذريته ولما كان
السياق كله لمدح الخليل وكان المذكورون الا لوطا من نسله وكان التغليب سايغا شايعا في لسان العرب لا سيما ولوط ابن
اخيه ومثل ولده حكم بان الضمير لابرهيم عليه السلام وقول من قال ان يونس عليه السلام ليس من نسله غير صحيح بل هو من
بني اسرايل وهو احد من ذكر في سفر الانبياء وسياتي خبره في السفر المذكور من سورة والصافات ان شا الله تعالى وقد صرح
ابو الحسن محمد بن عبد الله الكسائي في قصص الانبياء انه من ذرية ابرهيم واقتضى كلامه انه من بني اسرايل كما اقتضى ذلك
كلام البغوي في سورة الانبياء عليهم السلام واما ايوب فرومي من نسل عيص بن اسحق عليهما السلام داود اي هديناه وسليمن
اي اللذين بنيا بيت المقدس بامر الله داود بخطه وتاسيسه وسليمن باكماله وتشييده ولما كانا مع ذلك ملكين تلاهما بمن
شابههما في الملك او الحكم على الملوك فقال وايوب وقدمه لمناسبة ما بينه وبين سليمن في ان كلا منهما ابتلي باخذ كل ما في يده
ثم رده الله اليه ويوسف وكل من هولاء الاربعة ابتلي فصبر واغتنى فشكر وايوب ان لم يكن ملكا فقد كانت ثروته غير
مقصرة عن ثروة الملوك على ان بعض الطلبة اخبروني عن تفسير الهكاري فيما اظن انه صرح بانه ملك وايضا فالاثنان
الاولان كانا سبب اصلاح بني اسرايل بعد الفساد واستنقاذهم من ذل الفلسطينيين والاثنان الباقيان كل منهما ابتلي
بفراق اهله ثم ردوا عليه ايوب بعد ان ماتوا ويوسف قبل الموت وايضا فداود عليه السلام شارك ابرهيم عليه السلام
في انه كان سبب سلامته من ملك زمانه الاختفا في غار وذلك ان نمرود بن كنعان كان ادعى الالهية واطيع فيها وقال له
منجموه يولد في بلدك هذا العام غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك على يده فامر بذبح كل غلام في ناحيته في تلك
السنة وامر بعزل الرجال عن النساء وحملت ام ابرهيم عليه السلام به في تلك السنة فلما وجدت الطلق خرجت ليلا الى
غار قريب منها فولدت فيه ابرهيم واصلحت من شانه ثم سدت فم الغار ورجعت ثم كانت تطالعه فتجده يمتص ابهامه وكان
يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة واما داود عليه السلام فانه لما قتل جالوت وزوجه طالوت ابنته وناصفه
ملكه على ما كان شرط لمن قتل جالوت مال اليه الناس واحبوه فحسده فاراد قتله فطلبه فهرب منه فدخل غارا فنسجت
عليه العنكبوت فقال طالوت لو دخل هنا لخرق بنا العنكبوت فانجاه الله منه وتلاه بسليمن لانه مع كونه من اهل الملك
والبلاء شارك ابرهيم عليهما السلام في ابطال عبادة الشمس في قصة بلقيس رضي الله عنهما وقصة يوسف عليه السلام
في ابطال عبادة الاوثان شهيرة في قوله تعالى يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ولما
كان يوسف عليه السلام ممن اعلى الله كلمته على كلمة ملك مصر واعز اهلها وملكها واحياهم به اتبعه من اعلى الله كلمتهما
على كلمة ملك مصر واهلها واهلكهم بهما فكان بين بعض قصتيهم وفاق وبعضها تقابل وطباق فقال وموسى وهرون ولما
كان التقدير هديناهم جزاء لاحسانهم باهتدائهم في انفسهم ودعائهم لغيرهم الى الهدى لم تشغل احدا منهم منحة السراء ولا منحة
الضراء عطف عليه قوله وكذلك اي ومثل ما جزيناهم نجزي المحسنين اي كلهم ففي ذلك اشارة الى علو مقامهم من هذه
الجهة وهي انهم من اهل السراء المطغية والضراء المنسية ومع ذلك فقد احسنوا ولم يفتروا ولم ينوا ولما كان
المذكوران قبل ممن سلطهما على الملوك اتبعهما من سلط الملوك عليهما بالقتل فقال وزكريا ويحيى ثم اتبعهما من عاندهما
الملوك ولم يسلطوا عليهما وادام الله سبحانه حياتهما الى ان يريد سبحانه فقال وعيسى والياس ولما كان هولاء الاربعة
من الصابرين قال ما دحا لهم على وجه يعم من قبلهم كل اي من المذكورين من الصالحين ثم اتبعهم من لم يكن بينهما وبين الملوك امر
وهدى بهما من كانا بين ظهرانيه فقال واسمعيل واليسع هذا ان كان اليسع هو ابن اخطوب بن العجوز خليفة الياس كما ذكر
البغوي في سورة الصافات ان الله تعالى ارسل الى الياس وهو من سبط لاوي من نسل هرون عليه السلام فرسا من نار
فركبه فرفعه الله وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا ارضيا سمائيا وسلط الله على احب
يعني الملك الذي سلط على الياس عدوا فقتله ونبا الله اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرايل وايده فامنت به بنوا
اسرايل وكانوا يعظمونه وان كان اليسع هو يوشع ابن نون كما قال زيد بن اسلم فالمناسبة بينه وبين اسمعيل عليهما السلام

ان كا

ان كلامنهما كان صادق الوعد لان يوشع احد النقيبين اللذين وفيا لموسى عليه السلام حين بعثهم يجستون بلاد بيت المقدس
كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد اخذ نا ميثاق بني اسرآيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقوله وقال رجلان من الذين
يخافون انعم الله عليهما الآية وايضا فكل منهما كان سبب عمارة بلد الله الاعظم بالتوحيد فاسمعيل سبب عمارة مكة المشرفة
ويوشع سبب عمارة البلاد المقدسة كما ياتي في سورة يونس ان شآء الله تعالى ولما كان اسمعيل واليسع ممن هدي الله بهما
قومهما من غير عذاب ابتهما من هدي الله قومه بالعذاب وانجاهم بعد ايآس مخايله فقال ويونس اي هديناه ولما انقضت
ذرية ابرهيم عليه السلام ختم بابن اخيه الذي ضل قومه فهلكوا بغتة فبين قصتي هذين الاخيرين طباق من جهة الهلاك
والنجاة ووفاق من حيث ان كلامنهما ارسل الى غير قومه فقال ولوطا ثم وصفهم بما يعم من قبلهم فقال وكلا اي ممن ذكرنا
فضلنا اي بما لنا من العظمة بتمام العلم وشمول القدرة على العالمين فكل هؤلاء الانبيآء ممن هداه الله بهداه وجاهدني
الله حق جهاده وبداهم تعالى بابرهيم عليه السلام وختمهم بابن اخيه لوط عليه السلام على هذه المناسبة الحسنة وقيل ان
الله تعالى اهلك قوم ابرهيم نمرود وجنوده بعد هجرته فان صح ذلك تمت المناسبة في هلاك كل من قومه وقوم ابن اخيه
لوط بعد خروج نبيهم عنهم فيكون بينهما وفاق كما كان بين قصته وقصة يونس عليهم السلام طباق ومن لطايف ترتيبهم
هكذا ايضا ان اسمعيل عليه السلام يوازي نوحا عليه السلام فانه رابع في العد لهذا العقد اذا عددته من آخره كما ان
نوحا عليه السلام رابعه اذا عددته من اوله والمناسبة بينهما ان نوحا عليه السلام نشر الله منه الآدميين حتى كان منهم
ابرهيم عليه السلام الذي جعله الله ابا الانبيآء والمرسلين واسمعيل عليه السلام نشر الله منه العرب الذين هم خلاصة
الخلق حتى كان منهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله خاتم الانبيآء والمرسلين فهذا كان بداية وهذا كان نهاية وان
المذكورين قبل ذرية ابرهيم عليه السلام وبعدها ومما نوح ولوط عليهما السلام اهلك الله قوم كل منهما عامة وعبر هؤلآء
في جامد الارض كما اغرق اولئك في مآيع المآء واشتى بكل منهما زوجته بيانا لان الرسل كما يكونون لناس رحمة يكونون على قوم
نقمة وانه لا نجاة بهم ولا انتفاع الا بحسن الاتباع وان ابني عمران اشتركا مع ابرهيم عليه السلام في ان كلا من ملكي زمانهما
امر بقتل الغلمان خوفا ممن يغير دينه ويسلبه ملكه وكما ان الله تعالى انجى ابرهيم عليه السلام وابن اخيه لوطا عليه السلام
من ملك زمانهما المدعي الالهية فكذلك انجى موسى واخاه هرون عليهما السلام من ملك زمانهما المدعي الالهية وانجى ذرية
ابرهيم بها فاذا جعلت ابرهيم وابن اخيه لوطا لكونه تابعا له واحدا وموسى واخاه هرون ولهذا المثل ذكر وتظمت اسمآء
جميع هذه الانبيآء في سلك التقى لوط مع ابرهيم لموسى مع هرون وكان الاربعة واسطة عقده فبين ابرهيم وموسى حينئذ
سبعة كما ان بين هرون ولوط سبعة واذا ضممت اليهم المقصود بالذات المخاطب لهذه الايات المامور بقوله
فبهداهم اقتده كان منزله في السلك بين ابن عمه لوط وابيه ابرهيم ويكون من بين يديه تسعة ومن خلفه تسعة فمن ابرهيم
الى موسى تسعة ومن لوط الى هرون كذلك فكان صلى الله عليه وسلم واسطة العقد ومكمل العقد فانه العاشر من كل جانب
فيه تكمل الهدي واجناب الردي وذلك طبق قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة رضي
الله عنه مثلي ومثل الانبيآء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس
يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وللبخاري نحو عن جابر رضي الله
عنه هذا مع اقترانه باقرب اولي العزم رتبة ونسبا صاحب القصة ابرهيم عليهما السلام وان جعلت موسى وهرون
عليهما السلام كشيء واحد كانا واسطة من الجانب الاخر فان عددت من جهة ابرهيم عليه السلام كان بينه وبينهما ثمانية
وان عددت من جهة لوط عليه السلام كان كذلك ولما نفى سبحانه على هؤلآء وختم بتفضيل كل على العالمين اتبعه على
سبيل الاجمال ان غيرهم كان مهديا وان فضل هؤلآء بموعلة النص على اسمآئهم فقال ترغيبا في سلوك هذا السبيل بكثرة
سالكيه وحثا على منافستهم في حسن الاستقامة عليه والسلوك فيه ومن اي وهدينا او وفضلنا من آبآئهم اي اصولهم
وذرياتهم اي فروعهم من الرجال والنسآء واخوانهم اي فروع اصولهم وعطف على العامل المقدر قوله واجتبيناهم
اي واخترناهم ثم عقبه ببيان ما هدوا اليه حثا لنا على شكره على ما زادنا من فضله فقال وهديناهم اي بما تقدم
من الهداية الى صراط مستقيم واما الصراط المستقيم فخصصناكم به وامتناكم عليه فاعرفوا نعمتنا عليكم واذكروا
تفضيلنا لكم ولما كان ربما اوهم تنكيره نقصا فيه قال مستانفا بيانا لكماله وتعظيما للفضله وافضاله ذلك اي
الهدي العظيم الرتبة هدى الله اي المستجمع لصفات الكمال يهدي اي بخلق الهداية به اي بواسطة الاقامة عليه من يشآء
من عباده اي سوآء كان له اب يعلمه او كان له من يحمله على الضلال اولا ولما بين فضل الهدي ونص على رؤس اهله نفرد
من تركه كائنا من كان فقال منظرا للعز الالهية بالغنى المطلق منزها نفسه عما لوحظ فيه غيره ولو باد في لحظ ولو اشركوا
اي هؤلآء الذين ذكرنا من مدحهم ما سمعت وبينا من اختصاصنا لهم ما علمت شيا من شرك وقد اعاذهم الله من ذلك واقام
بهم معوج المسالك وانار لهم ظلام الارض بطولها والعرض لحبط عنهم اي فسد وسقط ما كانوا يعملون اي وان كان
في غاية الاتقان بقوانين العلم وزاد في الترهيب من التوابي في السير والزيغ عن سوآء القصد بقوله اولئك اي العالوا
الرتبة الذين قدمناه كرمهم واخبرنا انهم لو اشركوا اسقطت اعمالهم الذين آتيناهم اي بعظمتنا الكتاب اي الجامع لكل خير
من ذلك ما فيه من العلوم والمعارف حكم على البواطن وذلك لان الناس يحبونه وينقادون له ببواطنهم والحكم اي العمل المتقن

بالعلم ومنه نفوذ الكلمة على الظواهر بالسلطنة وان كرهت البواطن **والنبوة** اي العلم المزين بالحكمة وهي وضع كل شيء في احق مواضعه
فهي جامعة للمرتبتين الماضيتين فلذلك كان الانبياء يحكمون على البواطن بما عندهم من العلم وعلى الظواهر بما يظهرون من المعجزات
ثم سبب عن تعظيمها بذلك تعظيمها بانها لانبور فقال تسلية عن المصيبة بطعن الطاعنين فيها واعراض الجاهلين عنها وتوجيه عنه
ما يوجب اليأس من نفوذ اكثر المدعوين **فان يكفر بها** اي هذه الاشياء العظيمة **هؤلاء** اي اهل مكة الذين انت بين اظهرهم وقد جونا
بها على اتم وجه واكمله واعلاه واجله وانت تدعوهم الى ان يكونوا سعداء بما اشتملت عليه من الهدى وهم عنه معرضون ولعل
الاشارة على هذا الوجه لتحقيرهم **فقد وكلنا** اي بما لنا من العظمة في الماضي والحال والاستقبال **بها قوما** اي ذوي قوة
على القيام بالامور بالايمان بها والحفظ لحقوقها **ليسوا** وقدم الجار اهتماما فقال **بها بكافرين** اي بساترين لشيء مما ظهر من شموس
او لئها وهم الانبياء ومن تبعهم وقد صدق الله ومن اصدق من الله حديثا فقد جاء في هذه الامة من العلماء الاخيار والراسخين
الاحبار من لا يحصيهم الا الله ولما كان المراد بسوقهم هكذا والله اعلم ان كلامهم بادىء بدء الهداية الى الدعاء الى الله والغيرة على
جلاله من الاشراك لم يشغل احدا منهم عن ذلك سواء ولا ضراء بلاك ولا غيره من ملك او غيره بل لازموا الهدى والدعاء اليه على كل
حال قال مستانفا لتكرير امرهم بما يحمل على التحلي باوصافهم موكدا لاثبات الرسالة **اولئك** اي العالو المراتب **الذين هدى**
الله اي الملك الحائز لرتب الكمال الهدى الكامل ولذلك سبب عن مدحهم قوله **فبهداهم** اي خاصة مني واجبات الارسال
وغيرها **اقتده** واشار بها السكتة التي هي امارة الوقوف وهي ثابتة في جميع المصاحف الى ان الاقتداء بهم كاف غير محتاج الى شيء
ثم فسر الهدى بمعظم اسبابه فقال **قل** اي لمن تدعوهم كما كانوا يقولون مما ينفي التهمة ويمحض النصيحة فيوجب الاتباع الا
من شقي **لا اسئلكم** اي ايها المدعوون **عليه** اي على الدعاء **اجرا** فان الداعي تتوفر بسبب ذلك على الاقبال الى الداعي والاستجابة
للرشد ثم استانف قوله **ان** اي ما **هو** اي هذا الدعاء الذي ادعوكم به **الا ذكرى** اي تذكير بليغ من كل ما يحتاج اليه في المعاش
والمعاد **للعالمين** اي الجن والانس والملكة دائما لا ينقضي دعاؤه ولا ينقطع ندآؤه وفي التعبير بالاقتداء اشارة الى تبكيت
كفار العرب حيث اقتدوا بمن لا يصلح للقدوة من اباآئهم وتركوا من يجب الاقتداء به ولما حصر الدعاء في الذكرى وكان ذلك
نفعا لهم ورفقا بهم لا تزيد طاعتهم في ملك الله شيأ ولا ينقص اعراضهم من عظمته شيأ لان كل ذلك باراداته بني كلامهم فقال
تاكيد الامر الرسالة بالانكار على من تحدها والزاما بما هم معترفون به اما اهل الكتاب فعلما قطعيا واما العرب فتقليدهم
ولانهم سلموا لهم العلم وجعلوهم محط سوالهم عن محمد صلى الله عليه وسلم **وما** اي فعلنا ذلك لهم خاصة والحال انهم **ما قدروا**
اي عظموا **الله** اي المستجمع لصفات الكمال **حق قدره** اي عظيمه في جحدهم لذكرهم وصدهم عن ذكرهم ومقابلتهم للشكر عليه بالكفر
له قال الواحدي رحمه الله يقال قدر الشيء اذا عرف قدره وحزره واراد ان يعلم مقداره يقدره بالفم قدرا ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم فان غم عليكم فاقدروا له اي فاطلبوه ان تعرفوه هذا اصله في اللغة ثم قيل لمن عرف شيأ هو بقدر قدره واذا لم يعرفه
بصفاته انه لا يقدر قدره **اذ** اي حين **قالوا** اي اليهود والاية مدنية وقريش في قبولهم لتولهم ويمكن ان تكون مكية ويكون قولهم
هذا حين ارسلت اليهم قريش تسالهم عنه صلى الله عليه وسلم في امر رسالته واحتجاجه عليهم بارسال موسى عليه السلام وانزال
التورية عليه **ما انزل الله** اي ناسبين ما له من صفات الكمال **على بشر من شيء** لان من نسب لكتاب الملك الى انه لم يبث اوامره في
رعيته بما يرضيه ليفعلوه وما يسخطه ليجتنبوه فقد نسبه الى نقص عظيم فكيف اذا كانت تلك النسبة كذبا وهذا وان كان
ما قاله الاحبار بعض العالمين بل بعض اهل الكتاب الذين هم بعض العالمين اسند الى الكل لانهم لم يردوا على قائله ولم يعاجلوه بالاخذ
تعظيما للشان وتهويلا للامر وبيانا لانه يجب على كل من سمع باية من ايات الله ان يسعى اليها ويتعرف امرها فاذا تحققه فمن ظفر
فيها اخذ على يده بما تصل اليه قدرته كما انه كذلك كان يفعل لو كان ذلك ناشيا عن ابيه او احد ممن يكون تحت يده من ابناء الدنيا
وفي ذلك اتم اشارة الى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الامور كلها من فرط فيه هلك واهلك روى الواحدي في
اسباب النزول بغير سند عن ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد بن كعب القرظي ان اليهود قالوا اما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله
تعالى يعني هذه الاية فقال مشيرا الى ان اليهود قالوا ذلك وملزما لهم بالاعتراف بالكذب او المساواة للامتين في التمسك
بالهوى دون كتاب موبخا لهم ناعيا عليهم سوء جهلهم وعظيم لهتهم وشدة وقاحتهم وعدم حيآئهم **قل** اي لهؤلاء السفهاء الذين
تجرؤا على هذه المقالة غير ناظرين في عاقبتها وما يلزم منها توبيخا لهم وتوقيفا على موضع جهلهم **من انزل الكتاب** اي لجام الاحكام
والمواعظ وخيري الدنيا والاخرة **الذي جاء به موسى** اي الذي انتم تزعمون التمسك بشرعه حال كون ذلك الكتاب **نورا** اي ذا
نور يمكن الاخذ به من وضع كل شيء في حاق موضعه **وهدى للناس** اي ذا هدى لهم كلهم اما في ذلك الزمان فبالتقيد به واما
عند انزال الانجيل فبالاخذ بما ارشد اليه من اتباعه وكذا عند انزال القران فقد بان انه هدى في كل زمان تارة بالدعاء الى
ما فيه وتارة بالدعاء الى غيره ثم بين انهم اخفوا منه ما هو نص وصريح في الدعاء الى غيره اتباعا منهم لاهوى ولزوما للعمى فقال
تجعلونه اي ايها اليهود **قراطيس** اي اوراقا مفرقة لتتمكنوا بها من اخفاء ما اردتم مهما اردتم **تبدونها** اي تظهرونها
للناس وتخفون كثيرا اي منها مما تريدون به تبديل الدين هذا على قراءة الجماعة بالفوقانية وعلى قراءة ابن كثير وابي عمرو
بالغيبة هو التفات موذن ببشدة الغضب مشيرا الى ان ما قالوه حقيق بان يستحيي من ذكره فكيف بفعله ثم التفت اليهم الزيادة
في تبكيتهم اعلاما بانهم مساوون لبقية الانسان في اصل الفطرة بل العرب اذكى منهم واصح افهاما فلو لا ما اتاهم به موسى
عليه السلام ما قاموم بنهم ولا زاد واعليهم في علم فقال **وعلمتم** اي ايها اليهود بالكتاب الذي انزل على موسى **ما لم تعلموا انتم**

اي انها

اي ايها اليهود من اهل هذا الزمان ولا اباؤكم اي الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ولما كانوا قد وصلوا في هذه
المقالة الى حد من الجهل عظيم قال مشيرا الى عنادهم قل اي انت في الجواب عن هذا السؤال غير منتظر لجوابهم فانهم احلف
الناس واغتام الله اي الذي انزل ذلك الكتاب ثم بعد ان تقول ذلك لا تسمع لهم شيا بل ذرهم في خوضهم اي قولهم
وفعلهم المبنيين على الجهل المتبينين على انهم في ظلام الضلال كالخائض في الماء يعلمون ما لا يعلمون يلعبون اي يفعلون فعل
اللاعب وهو ما لا يجر اليهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا مع تضييع الزمان ولما اثبت سبحانه انه الذي انزل التورية تكميلا
لاثبات الرسالة بدليل علم اليهود دون من لا كتاب لهم عطف على ذلك قوله تاكيدا لاثباتها وتقريرا وهذا اي القرآن
الذي هو حاضر الآن في جميع الاذهان كتاب اي جامع لخيري الدارين وكان السياق لان يقال انزله الله ولكنه اتى بنون
العظمة لانها ادل على تعظيمه فقال انزلناه اي وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم من نفسه وانما هو بانزالنا اياه
اليه وارسالنا له به مبارك اي كثير الخير ثابت الامر لا يقدر احد من الخلق على انكاره ولا عجازه لتعلم اهل الكتاب خصوصا ان
حقيقته بتصديقه لكتابهم لانه مصدق الذي بين يديه اي كله من كتبهم وغيرها فيكون اجدر لايمانهم به وتعلم جميع اهل
الارض عموما ذلك بذلك وباعجازه ولتنذر اي به ام القرى اي مكة لانها اعظم المدن مما لها من الفضايل ومن حولها
ممن لا يؤمن بالاخرة فهو لا يؤمن به من اهل الارض كلها من جميع البلدان والقرى لانها ام الكل وهم في صلاتهم محافظون ۝
والذين يؤمنون بالاخرة اي فيهم قابلية الايمان بها على ما هي عليه من اهل ام القرى ومن حولها بكل خير يبشرون يؤمنون به
اي بالكتاب بالفعل لان الايمان بها داع الى كل خير بالخوف والرجا والكفر بها حامل على كل شر ولما تكرر وصف المنافقين
بالتكاسل عن الصلاة جعل المحافظة عليها علما على الايمان فقال وهم على صلوتهم يحافظون اي يحفظون لها غاية الحفظ فالآية
من عجيب فن الاحتباك ذكر الانذار والام اولا دالا على حذفهما ثانيا واثبات الايمان والصلوة ثانيا دليلا على نفيهما اولا ولما
كان في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء صريح الكذب وتضمن تكذيبه وحاشاه صلى الله عليه وسلم اما من اليهود فبالفعل واما
من قريش فبالرضى وكان بعض الكفرة قد ادعى الاتحاد الى نفسه اراده للطعن في القرآن قال تعالى مهولا لامر الكذب لا سيما عليه
لا سيما في امر الوحي عاطفا على مقول قل في من انزل مبطلا للتنبؤ بعد تصحيح امر الرسالة واثباتها اثباتا لامريته فهذه كانت
براهين اثباتها ادلة على ابطال التنبؤ وكذب مدعيه ومن اظلم ممن افترى اي بالفعل كاليهود والرضى كقريش على الله كذبا
اي اي كذب كان فضلا عن انكار الانزال على البشر او قال اوحي الي ولم اي والحال انه لم يوح اليه شيء فهذا التهديد على سبيل
الاجمال كعادة القرآن المجيد يدخل فيه كل من اتصف بشيء من ذلك كمسيلمة والاسود العنسي وغيرهما ثم رايت في كتاب غاية
المقصود في الرد على النصاري واليهود للسموءل بن يحيى المغربي الذي كان من اجل علمائهم في حدود سنة ستين وخمس مايه
ثم هداه الله للاسلام وكانت له يد طولى في الحساب والهندسة والطب وغير ذلك من العلوم فاظهر بعد اسلامه فضايحهم ان
الربانيين منهم زعموا ان الله كان يوحي الى جميعهم في كل يوم مرات ثم قال بعد ان قسمهم الى قرائين ورابنين وقال ان الرابنين اكثرهم
عددا وقال وهم الذين يزعمون ان الله كان يخاطبهم في كل مسئلة بالصواب قال وهذه الطايفة اشد اليهود عداوة لغيرهم من الامم
ومن قال سانزل اي بوعد لا بد منه مثل ما انزل الله كالنضر بن الحرث ونحوه ولما كان الجواب قطعا من كل منصف لا احد اظلم
منهم بل هم اظلم الظالمين كان كانه قيل فلو رايتهم وقد حاق بهم جزاء هذا الظلم ووجوههم مسودة وهم يسحبون في السلاسل
على وجوههم وجهنم تكاد تتميز عليهم غيظا وهم قد هدهم الندم والحسرة وقطع بهم الاسف والحيرة لرايت امرا يهول منظره
فكيف يكون مذاقه ومخبره فعطف عليه ما هو اقرب منه فقال كالمفصل لاجمال ذلك التهديد جبرا بديع ضمير هم الوصف
الذي دايم الى ذلك ولو ترى اي تكون منك رؤية فيما هو دون ذلك اذ الظالمون اي لاجل مطلق الظلم فكيف بما ذكر منه
واللام للجنس الداخل فيه هو كان دخولا اوليا في غمرات الموت اي شدايده التي قد عمرتهم كما يغمر البحر الجسم من يغرق فيه فهو
يرفعه ويخفضه ويبتلعه ويلفظه لا يدله معه والملئكة اي الذين طلبوا جهلا منهم انزال بعضهم على وجه الظهور لهم واخبرناهم
انهم لا ينزلون الا لفصل الامور وانجاز المقدور باسطوا ايديهم اي اليهم بالمكروه لنزع ارواحهم وسلها وافيد من اشباههم
كما يسل السفود المشعب من الحديد من الصوف المشتبك المبلول لا يعسر عليهم تمييزها من الجسد لا يخفى عليهم شيء منها في شيء منه
قايلين تروعا لهم وتصويرا للعنف والشدة في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يقولون
بعنف اخرجوا انفسكم فكانهم قالوا لماذا يا رسل ربنا فقالوا اليوم اي هذه الساعة وكانهم عبروا
به لتصوير طول العذاب تجزون عذاب الهون العذاب الجامع بين الايلام العظيم والهوان الشديد والخزي المديد بالنزع وسكرات
الموت وما بعده في البرزخ الى ما لا نهاية له بما كنتم تقولون اي تجددون القول دايما على الله اي الذي لجميع العظمة غير
الحق اي غير القول الممكن غاية التمكن في درجات الثبات ولو قال بدله باطلا لم يود هذا المعنى ولو قال الباطل لقصر
عن المعنى اكثر وقد مضى في المايدة ما ينفع هنا واذا نظرت الى ان السياق لاصول الدين ازداد المراد وضوحا وكنتم
اي وبما كنتم عن اياته تستكبرون اي تطلبون اكبر للمجاوزة عنها ومن استكبر عن اية واحدة كان مستكبرا عن الكل اي
لو رايت ذلك لرايت امرا فظيعا وحالا هايلا شنيعا وعبر بالمضارع تصوير الحالهم ولما كانوا ينكرون ان يحس الميت
شيا بعد الموت او يفهم كلاما وكان التقدير كما دل عليه السياق فتتوفاهم الملايكة لا يقه راجعه على منعهم فتقول لهم قد رايتم
ملايكتنا الذين اخبرناكم اول السورة انهم اذا ابصروا كان القضا الفصل والامر البت الحتم الذي ليس فيه مهل عطف عليه قوله

ن
قل

مشيرا الى ما كان سبب استكبارهم من الاجتماع على الضلال والتقوي بالاموال ولقد جئتمونا اي لما لنا من العظمة بالموت الذي
هو دال على شمول علمنا وتمام قدرتنا قطعا ودل على تمام العظمة وان المراد مجيئهم بالموت قوله فرادى اي متفرقين ليس احد منكم مع
احد منفردين عن كل شيء صدكم عن اتباع رسلنا كما خلقناكم اي بتلك العظمة التي امتناكم بها بعينها اول مرة في الانفراد والضعف
والفقر فاين جمعكم الذي كنتم به تستكبرون وتركتم ما خولناكم اي هلكناكم من المال ومكناكم من اصلاحه نعمة عليكم لتتوصلوا به
الى رضانا فظننتم انه لكم بالاصالة واعرضتم عنا بدلتم ما دل عليه من عظمتنا بضد ذلك من الاستهانة باوامرنا وراء ظهوركم فما اغنى
عنكم ما كنتم فيه تستكثرون ولما كانوا يعدون الاصنام آلهة ويرجون شفاعتها اما استهزاء واما في الدنيا واما في الاخرة على تقدير
التسليم لصحة البعث قال تهكما بهم واستهزاء بشانهم وما نرى معكم شفعاءكم اي التي كنتم تقولون فيها ما تقولون الذين زعمتم
اي كذبا وجراة وفجورا انهم فيكم شركاء اي ان لهم فيكم نصيبا مع الله حتى كنتم تعبدونهم في وقت الرخاء وتدعونه في وقت الشدة
اروناهم لعلمهم سترهم عنا ساترا وحجبنا عنهم حاجب ثم دل على بهتهم في جواب هذا الكلام الهايل المرعب حيرة وعجزا ودهشا ودلا بقوله
لقد تقطع اي تقطعا كثيرا ولما كان ذكر البين في شيء يدل على قربه في الجملة وحضوره ولو في الذهن لانه يقال بيني وبين كذا كذا وكان
فلان بيننا ونحو ذلك مما يدل على الحضور قال منبها على زوال ذلك حتى بالمرور بالبال والخطور في الذهن لشدة الاشتغال بينكم
فاسند القطع المبالغ فيه الى البين واذا تقطع البين تقطع ما كان فيه من الاسباب التي كانت سبب الاتصال فلم يبق لاحد منهم اتصال
بالاخر لان ما بينهما صار كالخندق بانقطاع نفس البين فلا يتاتى معه الوصول هذا على قراءة الجماعة بالرفع وهذا المثال حتى قراءة نافع والكسائي
وحفص عن عاصم بالنصب على الظرفية ولما رجع المعنى الى تقطع الوصل بين سبب ذلك وهو زوال المستند الذي كانوا يستندون
اليه فقال وضل عنكم اي ذهب وبطل ما كنتم تزعمون اي من تلك الاباطيل كلها ولما ثبتت الوحدانية والنبوة والرسالة
وتقاريع من تقاريعها وانتهى الكلام هنا الى ما تجلى به مقام العظمة وانكشف لنا قناع الحكمة وتمثل نفوذ الكلمة فتهيا السامع
لتامله وتفرغ فهمه لتدبره قال دالا عليه مشيرا اليه معلما ان ما مضى انتجه واظهره لابد وابرزه مذكرا ياته والذين يؤمنون
بالاخرة وبمحاجة ابرهيم عليه السلام مصرفا ما مضى اول السورة من دلايل الوحدانية على اوجه اخرى اعلاما بان دلايل الجلال
تفوق عد الرمال وتنبيها على ان القصد بالذات معرفة الله تعالى بذاته وصفاته ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال فهو
قادر على كل ما يريد فالق الحب اي فاطره وشاقه عن الزرع والنبات وعبر بذلك لان الشيء قبل وجوده كان معدوما والعقل
يتوهم ويتخيل من العدم ظلمة متصلة فاذا خرج من العدم المحض والفنا الصرف فكانه بحسب التخيل والتوهم شق ذلك العدم والنوى
اي وهو ما يكون داخل الثمار الماكولة كالتمر ولا يكون مقصودا لذاته يفلقها عن الاشجار وفي ذلك حكم واسرار تدق عن الافكار
وتدل على كمال الواحد المختار قال الامام الرازي رحمه الله ما حاصله ان النواة والحبة تكون في الارض الرطبة مدة فيظهر الله فيها
شقا في اعلاها واخر في اسفلها ويخرج الشجرة من الاعلى فتعلو وتهبط من الاسفل شجرة اخرى في اعماق الارض من العروق وتلك الحبة
او النواة سبب واصل بين الشجرتين الصاعدة والهابطة يشهد الحس والعقل بان طبع الصاعدة والهابطة متعاكس وليس ذلك
قطعا بمقتضى الطبع والخاصية بل بالايجاد والاختراع والتكوين والابداع ولا شك ان العروق الهابطة في غاية اللطافة والرقة
بحيث لو دلكت باليد بادنى قوة صارت كالماء وهي مع ذلك تقوى على النفوذ في الارض الصلبة التي لا تنفذ فيها المسلة والسكين
الحادة الا باكراه عظيم فحصول هذا النفوذ لهذه الاجرام اللطيفة لا يكون قطعا الا بقوة الفاعل المختار لا سيما اذا تاملت ظهور
شجرة من نواة صغيرة ثم تجمع الشجرة طبايع مختلفة في قشرها ثم فيما تحته من جرم الخشبة وفي وسط تدوير الخشبة جرم ضعيف
كالعهن المنفوش ثم يتولد من ساقها اغصانها ومن الاغصان اوراقها اولا ثم انوارها وازهارها ثانيا ثم الفاكهة ثالثا ثم قد
يحصل للفاكهة اربعة انواع من القشور مثل الجوز واللوز قشره الاعلى ذلك الجرم الاخضر وتحته القشر الذي كالخشب وتحته القشر
الذي كالغطاء الرقيق المحيط باللبة وتحته اللب المشتمل على جرم كثيف هو ايضا كالقشرة وعلى جرم لطيف هو الدهن وهو المقصود
بالذات فتولد عدة الاجسام المختلفة طبعا وصفة ولونا وشكلا وطعما مع تساوي تاثيرات الطبايع والنجوم والعناصر والفصول
الاربعة دال على القادر المختار وقد تجتمع الطبايع الاربع في الفاكهة الواحدة كالاترج قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه
بارد يابس ونوره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب مع انك تجد احوالها مختلفة بعضها لبه في
داخله وقشره في خارجه كالجوز واللوز وبعضه يكون المطلوب منه في الخارج وخشبه في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضه نواه
له لب كالمشمش وبعضه لا لب لنواه كالتمر وبعضه يكون كله مطلوبا كالتين فاختلاف هذه الطبايع والاحوال المتضادة
والخواص المتنافرة حتى عن الحبة الواحدة لا يكون عن طبيعة بل عن الواحد المختار والحبوب مختلفة الالوان والاشكال والصور
فشكل الحنطة كانه نصف مخروط وشكل الشعير كانه مخروطان اتصلا بقاعدتيهما وشكل الحمص على وجه آخر واودع سبحانه في
كل نوع فيها خاصية ومنفعة غير ما في الاخر وقد تكون الثمرة غذاء الحيوان وسما لحيوان آخر فهذا الاختلاف مع اتحاد الطبايع وتاثيرات
الكواكب دال على انها انما حصلت بالفاعل المختار ثم انك تجد في ورقة الشجرة خطا في وسطها مستقيما نسبته لتلك الورقة
نسبة النخاع الى بدن الانسان تنفصل عنه خيوط مختلفة وعن كل واحد منها خيوط اخرى ادق من الاولى ولا تزال على هذا المنهج
حتى تخرج الخيوط عن الحس والبصر كما ان النخاع تنفصل منه اعصاب كثيرة يمنة ويسرة في البدن ثم لا يزال ينفصل عن كل شعبة
شعب اخرى ولا يزال يستدق حتى تلطف عن الحس فعل سبحانه ذلك في الورقة لتقوى القوى المركوزة في جرم تلك الورقة
على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة فهذا يعلمك ان عنايته سبحانه في ايجاد جملة تلك الشجرة اكمل فعنايته

في تخليق الحيوان اكمل والمقصود من تخليق جملة الحيوان هو الانسان فعنايته في تخليقه اكمل وهو سبحانه انما خلق الحيوان
والنبات في هذا العالم ليكون غذاء وسكنا وآلة للانسان بحسب جسده والمقصود من جسده حفظ تركيبه لاجل المعرفة والمحبة
فالعبودية فسبيلك ان تنظر في ورقة الشجرة وتتامل في تلك الاوتار ثم تترقى منها الى اوج تخليق الشجرة ثم الى ما فوقها رتبة
رتبة لتعلم ان المقصود الاخير منها حصول المعرفة والمحبة في الارواح البشرية وحينئذ ينفتح لك باب من المكاشفات لا آخر له وتظهر
لك ان نعم الله في حقك غير متناهية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والله الهادي ولما كان خلقها عن النبات من جنس الاحياء لما
فيه من النمو فسر معنى الخلق وبينه اشارة الى الامتنان به وقفى بعد وقت بقوله يخرج اي على سبيل التجدد والاستمرار ان
تبين الامر البعث الحي اي كالنجم والشجر والطير والدواب من الميت من الحب والنوى والبيض والنطف فكيف تنكرون قدرته على البعث
ولما انكشف معناه وبان بمعزاه باخراج الاشياء من اضدادها ليلا يتوهم لو كان لا يخرج عن الشيء الا مثله ان الفاعل الطبيعة
والخاصية عطف على فالق زيادة في البيان قوله معبرا باسم الفاعل الدال على الثبات لانه لا منازعة لهم فيه فلم تدع حاجة
الى التعبير بالفعل الدال على التجدد ومخرج الميت اي من الحب وماسمه من الحي اي من النجم وماسمه ولما تقررت له سبحانه هذه
الاوصاف التي لا قدرة اصلا لاحد غيره على شيء منها قال منبها لهم على غلطهم في اشراكهم اعلاما بان كل شريك ينبغي ان يساوي
شريكه في شيء ما من الامر المشترك فيه ولا مكافئ له سبحانه في شيء من الاشياء فلا شريك له بوجه ذلكم اي العالي المراتب المنيع
المراتي الله اي المستجمع لصفات الكمال وحده فلا تحق الالهية الا له ولما كان هذا معنى الكلام سبب عنه قوله فانى اي
فكيف ومن اي وجه تؤفكون اي تصرفون وتقلبون عما ينبغي اعتقاده ولما وصف سبحانه نفسه المقدسة من فلق الجواهر
بما اقتضى حتما اتصافه بصفات الكمال وقدرته لكونه من اظهر ادلة القدرة على البعث الذي هذا اسلوبه مع الالف له بقربه
ومعالجته ابعد ما هو مثله في الدلالة على الاحياء لكنه في المعاني وهو سماوي شارح لما اشار اليه الخليل عليه السلام في محاجة
قومه من ابطال الهيتة كل من النور والظلمة والكواكب التي هي منشأ ذلك فقال ترقية من العالم السفلي الى العالم العلوي فالق
الاصباح اي موجده وحقيقته فالق ظلمة الليل عن الصباح لكنه لما كثر استعماله وامن اللبس فيه اسند الفعل الى الصبح
كما يقال انفجر الصبح وانجر عنه الليل ويمكن ان يراد بالفلق الكشف لانه يكشف من المفلوق ما كان خفيا فعبر عن المسبب الذي هو
الاظهار بالسبب الذي هو الفلق وعبر عن الصباح بهذه الصيغة التي تقال للدخول في الصبح فدلنا ذلك على وجاعل الاصباح
حركة وساوى الليل وجاعل الليل مما يكون من اظلامه سكنا يسكن الناس فيه واليه ويستريحون فيه فالاية من الاحتباك
حذف من الاول الحركة ودل عليها بالسكن وحذف من الثاني السكون ودل عليه بالفلق وهذا الفلق من اعظم الدلايل على قدرته
سبحانه وفيه دلالتان لان الاصباح يشمل الفجر الكاذب والصادق والاول اقوى دلالة لان مركز الشمس اذا وصل الى دايرة
نصف الليل فالموضع الذي تكون تلك الدايرة افقا له تطلع الشمس من شرقه فيضيء ذلك الموضع نصف كرة الارض فيحصل
الضوء في الربع الشرقي من بلدتك ويكون ذلك الضوء منتشرا مستطيرا في جميع الجو ويجب ان يقوى لحظة فلحظة فلو كان الاول
من قرص الشمس لامتنع ان يكون خطا مستطيلا بل كان يجب ان يكون مستطيرا في الافق منتشرا متزايدا لحظة فلحظة لكن ليس
هو كذلك فانه يبدو كالخيط الابيض الصاعد حتى شبهته العرب بذنب السرحان ثم تحصل عقبه ظلمة خالصة ثم يكون الفجر
الصادق المستطير فكان الاول دالا على القدرة لانه بتخليق الله ابتداء تنبيها على ان الانوار ليس لها وجود الا بايداعه والظلمات
ليس لها ثبات الا بتقديره ولما ذكر الضياء والظلمة ذكر منشأهما وضم اليه قرينه فقال جاعلا فاعلا ليس
بمعنى المضي فقط لتكون الاضافة حقيقية بل المراد استمراره في الازمنة كلها والشمس اي التي ينشأ عنها كل منهما هذا عن غروبها
وهذا عن شروقها والقمر اي الذي هو اية الليل حسبانا اي دوي حسبان وعليين عليه لان الحساب يعلم بدورها وسيرهما
وبسبب ذلك نظم سبحانه مصالح العالم في الفصول الاربعة فيكون عن ذلك ما يحتاج اليه من نضج الثمار وحصول الغلات
وعبر عنها بالمصدر المبني على هذه الصيغة البليغة اشارة الى ان الحساب بها امر عظيم كبير النفع كثير الدخول مع ماله في الدنيا
في ابواب الدين مهوحل نفعها الذي وقع التكليف به فكانه لما كان الامر كذلك كان حقيقتها التي يعبر عنها بها واما غير ذلك
من منافعها فلا مدخل للعباد فيه ولما كان هذا امرا باهرا ووضعا قاهرا اشار اليه باداة البعد فقال ذلك اي التقدير
العظيم الذي تقدم من الفلق وما بعده تقدير العزيز اي الذي لا يغالب فهو الذي قهرهما على ما سيرهما فيه وغلب العباد على
دبر من امرهم بهما فلو اراد احد ان يجعل ما جعله من النوم يقظة او اليقظة نوما او يجعل محل السكن للحركة او بالعكس او غير
ذلك مما اشارت اليه الاية لاعياه ذلك العليم اي الذي جعل ذلك بعلمه على منهاج لا يتعبر وميزان قويم لا يزيغ ولما ذكر
ذلك اتبعه منفعة اخرى لتمهاج غيرهما مبينا ما اذن فيه من علم النجوم ومنافعها فقال وهو اي لا غيره الذي جعل ولما
كانت العناية بنا اعظم قدم قوله لكم النجوم اي كلها سايرها وثابتها وان كان علمكم يقصر عنها كلها كما يقصر عن الرسوخ
والبلوغ في علم التسيير للسيارة منها لتهتدوا اي لتكلفوا انفسكم علم الهداية بها لتعلموا القبلة واوقات الصلوات والصيام
وغير ذلك مما نافعكم دينا ودنيا ولما كانت الارض والماء ليس لهما من نفسهما الا الظلمة وانضمت الى ذلك ظلمة الليل قال
في ظلمات البر اي الذي لا علم فيه وان كانت له اعلام فانها قد تخفى والبحر فانه لا علم به والاضافة اليهما للملابسة او تشبيه
الملبس من الطرق وغيرها بالظلمة روى الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي في جزء جمعه في النجوم من طريق احمد بن سهل
الاشناني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم انتهوا وتعلموا من الانساب ما

احتباك

تصلون به ارحامكم وتعرفون ما يجمل لكم ويحرم عليكم من النساء ثم انتهوا وفيه من طريق عبد الله بن الامام احمد في زياداته
على المسند عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اسبغ الوضوء وان شق عليك ولا تاكل الصدقة
ولا تنزو الحمير على الخيل ولا تجالس اصحاب النجوم وفيه عن ابي ذر رضي الله عنه عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا تسألوا عن النجوم ولا تفسروا القرآن برايكم ولا تسبوا اصحابي فان ذلك الايمان المحض وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النظر في النجوم رواه من طرق كثيرة وعن عائشة رضي الله عنها مثله سواء وعن ابن مسعود رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا
رواه من طرق واسند عن قتادة قوله تعالى وانهارا وسبلا قال طرقا وعلامات قال في النجوم قال ان الله عز وجل انما
خلق هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدي بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد اخطا
حظه وقال برايه واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به في كلام طويل حسن وهذا الاثر الذي عن قتادة اخرجه عنه البخاري في
صحيحه وقال صاحب كنز المواقيت في استيعاب المواقيت في مقدمة الكتاب واعلم ان العلم منه محمود ومنه مذموم لا يذم
لعينه انما يذم في حق العباد لاسباب ثلثة اولها ان يكون مؤديا الى ضرر كعلم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن
وانه سبب للتفرقة بين الزوجين وسحر النبي صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل عليه السلام واخرج السحر من
تحت حجر في قعر بئر كما ورد في الحديث الصحيح ومعرفة ذلك من حيث انه معرفه ليس مذموما ومن حيث انه لا يصل الا الاضرار بالخلق
يكون مذموما والوسيلة الى الشر شر الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كالقسم الثاني من علم النجوم الاحكامي المستدل
به على الحوادث بالاسباب كاستدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة مجاري سنة الله وعادته في خلقه
ولكنه ذمه الشرع وزجر عنه لثلثة اوجه احدها ان يضر باكثر الناس فانه اذا قيل هذا الامر بسبب سير الكواكب وقع في
نفس الضعيف العقل انه موثر فينحني ذكره الله عن قلبه فان الضعيف يقصر نظره على الوسايط بخلاف العالم الراسخ فانه يطلع على ان
الشمس والقمر والنجوم مسخرات وفرق كبير بين من يقف مع الاسباب وبين من يترقى الى مسبب الاسباب ثم ذكر ما حاصله ان السبب
الثاني في النهي عنه انه تخمين لا يتصل الى القطع والثالث انه لا فايدة فيه فهو خوض في فضول وان السبب الثالث مما يذم به ما يذم
من العلوم انه مما لا تبلغه عقول اكثر الناس ولا تستقل به ولا يكون العلم ضارا لبعض الاشخاص كما يضر لحم الطير بالرضيع انتهى
وروى ابو داود وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتبس علما من النجوم
اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وقال صاحب كتاب الزينة في آخر كتابه بعد ان ذكر العيافة والعرافة والزجر ونحو
وياتي اكبره عنه في سورة الصافات وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والنجوم فانها تدعو الى الكهانة قال
وهذه الاشياء كلها لها اصل صحيح فمنها ما كانت من علوم الانبياء مثل النجوم والخط وغير ذلك ولولا الانبياء الذين ادركوا علم
النجوم وعرفوا مجاري الكواكب في البروج وما لها من السير في استقامتها ورجوعها وما قد ثبت وصح من الحساب في ذلك مما
لا ارتياب فيه لما قدر الناس على ادراكه وذلك كله بوحي من الله عز وجل الى انبيائه عليهم السلام وقد روي انا ادريس عليه السلام
اول من علم النجوم وروي في الخط انه كان علم نبي من الانبياء ولولا ذلك لما ادرك الناس هذه اللطايف ولا عرفوها انتهى ولما
كانت هذه الايات قد بلغت في البيان حدا اعلا عن طوق الانسان والملايكة والجان لكونها صفة الرحمن فكانت محرابا يتوقع فيه
التنبيه عليه قال قد فصلنا اي بينا بيانا شافيا على ما لنا من العظمة الايات واحدة في اثر واحدة على هذا الاسلوب المنيع
والمثال الرفيع ولما كانت من الوضوح في حد لا يحتاج الى كبير تامل قال لقوم يعلمون اي لهم قيام فيما اتيهم ولهم قابلية العلم
استدلوا بالشاهد على الغايب ولما ذكر سبحانه بعض هذا الملكوت الارضي والسماوي اتبعه كما مضى في اول السورة الخلق
المفرد الجامع لجميع الملكوت وهو الانسان والاعلى كمال القدرة على كل ما يريد مبطلا بمفاوتة اول الابداع واخر الاجال ما اعتقدوا
في النور والظلمة والشمس والقمر وغيرهما لان واحدا منها لا اختيار له في شيء يصدر عنه بل هو سخر مقهور كما هو محسوس ومشهور
فقال وهو اي لا غيره الذي انشاكم اي وانتم في غاية التفاوت في الطول والعدد واللون والشكل وغير ذلك من الاعراض التي
دبرها سبحانه على ما اقتضته حكمته من نفس واحدة ثم اقتطع منها زوجها ثم فرعكم عنهما ولما كان اغلب الناس في الحيوة الدنيا
يعمل عمل من لا يحول ولا يزول لا يكون على شرف الزوال ما دامت فيه بقية من حيوة قال لمستقر اي فسبب عن ذلك انه
منكم مستقر على الارض هذا على قراءة ابن كثير وابي عمرو وبكسر القاف اسم فاعل والمعنى في قراءة الباقين بفتحة اسم مكان ولكم
في الارض مستقر ومتاع الى حين ولما كان من في البرزخ قد كشف عنهم الغطا فهم موقنون بالساعة غير عاملين على ضد ذلك
وكذا من في الصلب والرحم عبر بما يدل على عدم الاستقرار فقال ومستودع اي في الاصلاب او الارحام او في بطن الارض
فدلت المفاوتة في كل منهما ان الكل من نفس واحدة على القادر المختار لا يقدر غيره ان يعكس شيا من ذلك وكل ذلك مضمون
الآيتين في اول السورة وقدم الاصباح والليل ومتعلقهما لتقدمهما في الخلق ثم تلاه بخلق الانسان على حسب ما مر اول السورة
وذكرهما انه جعل ذلك الطين نفسا واحدة فرع الانس كلهم منها مع تفاوتهم فيما هناك وفي غيره ولما ذكر هذا المفرد الجامع
وفصله على هذه الوجوه العجيبة كان محلا لتوقع التنبيه عليه فقال قد فصلنا اي بعظمتنا الايات اي اكثرنا بيانها في هذا
المفرد الجامع في اطوار الخلقة واد وار الصنعة تارة بان يكون من التراب بشرا واخرى بان تخرج الانثى من الذكر وتارة بان تفرع
من الذكر والانثى ما لا يحيط به العد ولا يجمعه الحصر من النطفة الى الولادة الى الكبر ولما كان انشا الناس من نفس واحدة وتصريفهم

على تلك الوجوه المختلفة جدا اللطف وادق صنعة فكان ذلك محتاجا الى تدبر واستعمال فطنه وتدقيق نظر قال لقوم ن
يفقهون اي لهم اهلية الفقه والفطنه ولما ذكر وجوه الابداع التقريبي من هذين الكونين واسباب البقاء له بما ينشأ عنه
الفصول وغيرها اتبعه سببه القريب وهو الماء الذي جعل منه كل شيء حي فقال مفصلا ما اجمله في الحب والنوى سابقا له
مساق الاحسان كما قبله من الدلايل فان الدليل اذا كان على وجه الاحسان ومذكرا بالانعام كان تاثيره في القلب عظيما فينبغي م
للمشتغل بدعوة الخلق ان يسلك هذا المسلك ليكون للقلوب املك وهو اي لا غيره الذي انزل اي بقدرته وعلمه وحكمته
من السماء اي الحقيقية التي تعرفونها كما دل عليه صريح العبارة وما اشبهها من ذكور الحيوان المنبه عليه بطريق الاشارة
ماء اي منهمرا ودافقا ولما كان تقريع الخلق من الماء بمكان من العظمة لا يوصل اليه نبه عليه بالانتقال الى التكلم في مظهر
العظمة فقال فاخرجنا اي على ما لنا من العظمة التي لا يدانيها احد به اي الماء نبات كل شيء مختلفا طعومه والوانه وروايحه
وطبايعه ومنافعه وهو عما واحدا فالسبب واحد والمسببات كثيرة متفننه سواء كان ذلك النبات حقيقيا من النجم والشجر
او مجازيا من الانثى والذكر ثم سبب عن الحقيقي لظهوره قوله دالا على العظمة فاخرجنا منه اي النبات خضرا اي شيا اخضر
غضا طريا وهو ما تشعب من اهل النبات الخارج من الحبة ثم زاد في بيان عظمته بقوله نخرج اي حال كوننا مقدرين ان نخرج
منه اي من ذلك الخضر حبا متراكبا اي في السنبل يركب بعضه بعضا ونحوه من ان يلتقط الطير بعد ستره بالقشر تحك طويل
لطيف جدا لا يرخش بعد ان كان اصله حبة واحدة على صورتها او منفتة في التراب بعد ان طوره سبحانه في عدة اطوار ان
فاعل ذلك لقادر مختار ولما كرر نسبه الاخراج والابداع اليه سبحانه وحده في مظهر العظمة خصوصا وعموما فعلم ان الكل
منه وصار الحال في حد من الوضوح جدير بان يومن من نسبه شيء الى غيره لا سيما الذي نسبه له معالجون وبالعجز عن ابداعه ن
عالمون وبدا بما بدأ به اولا في اية الفلق من الحب ثنى بما من النوى فقال معيرا ذلك الى اسلوب ومن النخل وتقديم الجار عليه هنا
وفيما قبل يدل على ان الزرع افضل منه فانه قوت في اكثر البلاد لاغلب الحيوانات والغذاء مقدم على الفاكهة ثم ابدل مما اجمل
من ذلك قوله مبينا من طلعها اي النخلة وهو اول ما يخرج منها في اكمامه قنوان جمع قنو وهو العذق بالكسر للتمر او هو اكبار
والعرجون عوده الذي يكون فيه البسر دانية اي قريبة المتناول وان طال اصلها بما علكم وسهل لكم من صنعة الوصول اليها
ولما لم يكن لهم من معالجة الاعناب وغيرها ما لهم من معالجة النخيل عطف على نبات منبها لهم على انها كالنخيل هو سبحانه المتفرد
بابداعها وقدم النخيل لانها قوت للعرب وبينها وبين الانسان مشابهة في خواص كثيرة لا توجد في النبات ولهذا جاء في الحديث
اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من طينة آدم عليه السلام وليس من الشجر يلقح غيرها رواه ابو يعلى وابو نعيم في الحلية وابو الشيخ
عن علي رضي الله عنه فقال وجنات اي بساتين من اعناب وجمعها لكثرة انواعها وبدا بها بين الشجرتين لفضلها كما تقدم على ن
غيرهما لان ثمرها فاكهة وقوت وقدم الاول لانهم له اكثر ملابسة وان كان العنب اشرف انواع الفواكه فانه ينتفع به من اول
ظهوره لانه يكون له خيوط خضر وقيعة حامضه لذيذة ثم يكون الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء والمرضى وقد يتخذ منه رب الحصرم
واشربة لطيفة المذاق نافعة لاصحاب الصفرا ويطبخ منه الذ الاطعمة الحامضة وهو عنبا الذ الفواكه واسرعها وبدخر عنبا
قريبا من سنة ويكون زبيبه غذاء ويكون منه الدبس والخل وغير ذلك واخس ما فيه عجمه وهو يتخذ منه جوارشات عظيمة النفع للمعد
الضعيفة الرطبة وانفعها ما يليها في الفضيلة فقال والرمان اي اخرجناه وقدمه لكثرة نفعه وينفصل منه دهن عظيم النفع
في الاكل والدباغ وسايره وجوه الاستعمال والزمان ختم به لحسنه وعظيم نفعه وهو مركب من اربعة اشياء قشره وشحمه وعجمه وماية
فالثلثة الاول باردة يابسة ارضية كثيفة ممصصة قابضة جدا والماء بضدها وهو الذ الاشربة واللطفها واقربها الى الاعتدال
واشدها مناسبة للطبع المعتدل وفي ذلك تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من كل وجه دواء من وجه ولما ذكر الاقوات من
الثمار والحبوب والادهان واشرف الفواكه واعمها وكانت اشبه شيء بالآدمي في نشيه وبدئه واتفاقه واختلافه وكان اشبهه
بعضها واختلاف بعضها مع كونها تسقى بماء واحد وفي ارض واحدة دالا على القدرة والاختيار وكان السياق لاثبات الوحدانية
ونفي الشريك باثبات كمال القدرة التي هي منتفية عن غيره فلا يصح ان يكون له شريك لانه لا يكون الا مشابها لشريكه كمال المشابهة
فيما وقعتا الشركة فيه والبعث فكان المراد المتفكر في ظواهرها وتقلبها تهما من العدم الى الوجود وبعد الوجود والحاجة اهل الكتاب
الموسومين بالعلم المنسوبين الى حدة الادهان وغيرهم من الغرق وكان افتعل ياتي للتصرف وهو المبالغة في اثبات اصل الفعل
والاجتهاد في تحصيله والاعتمال فيه فكان حصوله اذا حصل اكمل حالا ناشيا حالا من كل ما تقدم مشتبها اي في غاية الشبه بعضه
لبعض حتى لا يكاد يتميز فلو قطع ثمرتا شجرتين منه لم تميز ثمرة هذه من ثمرة هذه فلا يقابله حينئذ نفي التفاعل فانه لمجرد مشاركة
امرين واكثر في اصل الفعل فعلم ان التقدير وغير مشتبه ومتشابها ثم لما كان ربما تمسك القايل بالطباع بهذه العبارة نفى ما
ربما ظن من ان لهذه الاشياء عملا في اشتباه بعضها ببعض فقال وغير متشابه اي غير طالب للاشتباه مع انه لا بد من شبه ما ؟
فلاية من الاحتباك اثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده وعلى المتشابه كذلك ولاجل ان الاشتباه ابلغ من المتشابه علق الامر بالنظر
الذي هو اثبت الحواس ودلالة على ان المراد انما هو ظاهر ذلك لانه كاف في الدلالة على البعث باداة التوحيد الدين هذا م
سياقه فقال انظروا الى ثمره وهذا بخلاف الحرف الثاني فانه في سياق الرد على العرب فيما يعلمون من خلقه لاصنامهم الى ما قدرة
لها على شيء اصلا ولذلك ختم الاية بالاذن لم في الاكل منه للانتهاء عما كانوا يحرمونه منه على انفسهم وبالامر بالتصدق على من امر
بالصدقة عليه ثم نبه على تعميم النظر في جميع حالاته بقوله اذا اثمر اي حين بدو امر كامه ضعيفا قليل النفع او عديمه

وبديعه اي وانظروا الي ادراكه اذا ادرك وحان قطافه وتعلم من ذلك النظر فيما بين ذلك لانه يلزم من مراقبة الاول والاخر فيعلم استحالة الوانه ومقاديره وطعومه واشكاله وغير ذلك من شؤونه واحواله ويلزم من ذلك ايضا النظر الي اشجاره ليعلم تفاوت بعضها واشتباه البعض الاخر في الطول والقصر والصغر والكبر وغير ذلك من سائر الاحوال كما ان ذلك موجود في الثمر فاستفاد هذه التبدلات والتغيرات ليس الا الي الفاعل المختار لان نسبته الي الطبايع والفصول علي حد سواء فلو استندت اليها لم تتغير ولما كان اتحاد هذه المذكورات اولا والمخالفة بين اشكالها ومقاديرها والوانها ثانيا دالا علي كمال القدرة المستلزم للوحدانية دل علي عظمته بقوله مستانفا مشيرا باداة البعد وميم الجمع ان في ذلكم اي الامر العظيم الشان العالي الرتبة لايات اي علامات علي قدرة الصانع واختياره ولما كانت الايات لاتغني عمن اريدت شقاوته قال لقوم يومنون اي حكم بالفهم عنهم وتشاطهم وقوتهم علي ما يحاولونه بجدون الايمان كلما تاملوا في مصنوعات الله الدالة عليه المشيرة بكل لسان اليه ولما كان المشركون علي اصناف منهم عبدة اصنام شركوا في العبودية لا في الخلق ومنهم آزر الذي حاجه ابرهيم عليه السلام ومنهم عبدة كواكب وهم فريقان منهم من قال هي واجبة الوجود ومنهم من قال ممكنة خلقها الله وفوض اليها تدبير هذا العالم الاسفل وهم الذين حاجهم الخليل عليه السلام بالافول ومنهم من قال لهذا العالم كله الهان فاعل خير وفاعل شر وقالوا ان الله وابليس اخوان فالله خالق النار والدواب والانعام وابليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور ويلقبون الزنادقة وهم المجوس كان الكتاب الذي زعم زردشت انه نزل من عند الله سمي بالزند فالمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق وكان هذا كله من قوله قال الاصباح شرحا لاية ان الله فالق الحب دلالة علي تمام القدرة الدال علي الوحدانية للدلالة علي البعث حسن كل الحسن العود الي تقبيح حال المشركين بالتعجيب منهم في جملة حالية من الضمير في قالوا وغيره مما تقدم فقال تعالي شارحا امر هذا الصنف لان امر غيرهم تقدم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية في الزنادقة وجعلوا اي هو سبحانه فعل هذا الذي لايدع لبسا في تمام علمه وقدرته وكمال حكمته ووحدانيته والحال ان الذي فعل ذلك لاجلهم قد جعلوا وعبر بالاسم الاعظم وقدمه استعظاما لان يعدل به شيء لله اي الذي له جميع الامر ولما كان الشرك في غاية الفظاعة والشناعة قدمه فقال شركاء يعني وما كان ينبغي ان يكون له شريك مطلقا لان الصفة اذا ذكرت مجردة غير مجراة علي شيء كان ما يتعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز ان تكون له تلك الصفة وحكم الانكار حكم النفي ولما اهتز السامع من هذا التقديم من زيادة المعني من غير زيادة اللفظ تشوف الي معرفة النوع الذي كان منه الشركاء فنبههم بقوله الجن اي الذين هم اضر الموجودات عليهم واعدائهم لهم فاطاعوهم كما يطاع الاله فكان عبادة لهم وتشريكا وقد رايت ما البيان بعد الابهام الحسن الباهر وخلقهم اي والحال انهم قد علموا ان الله خلقهم اي قدرهم بعلم وتدبير فلذلك كان خلقه لهم محكما وخرقوا اي العابدون له بنين اي كعزير والمسيح وبنات اي من الملكة بجهلوا بذلك جهالات هي غاية في الضلالات وصف الملكة بالانوثة والاجتراء علي مقام الربوبية بالحاجة وتخصيصه بعد ذلك بما لا يرضونه لانفسهم بوجه ومادة خرق تدل علي النفوذ والاتساع والاطلاق والتقدير بغير علم والمعرفة فيحدث عنه الفساد ولذلك قيل لمن لا يحسن العمل اخرق وللمرأة خرقا يعني انهم كذبوا واختلقوا ان واتسعوا في هذا القول الكذب فابعدوا به في المجاوزة عن حقيقته اتساع من سار في خرق اي برية واسعة يهلك وتتوفه جوفاء متباعدة للارجاء الي حيث لم يسبقه اليه بشر فضل عن الجادة بملا لا يرجي معه هدايته الا علي بعد شديد فصار جديرا بالهلاك والي ذلك يرجع معني ما قري في الشاذ وحرفوا بالمهملة والفاء ولما لم يكن لقولهم اصلا حقيقة ولا شبهة وكان الخرق التقدير بغير علم دل علي ذلك تصريحا بما افهمه محققا له تنبيها علي الدليل القطعي في احتياج قولهم من اصله وذلك انه قول لا حجة له ومسايل اصول الدين لا يصار الي شيء منها الا بقاطع وذلك نكتة في سياق النفي فقال بغير علم ثم نزه نفسه المقدسة تنبيها علي ما يجب قوله علي كل من سمع ذلك فقال سبحانه اي ابعده سبحانا يليق بجلاله ان يضاف اليه ولما كان معني التسبيح الابعاد عن النقص وكان المقام يقتضي كونه في العلو صرح به فقال وتعالى اي تباعد امر علوه الي حد لا حد له ولا انتهاء عما يصفون ولما ختم بالتنزيه عما قالوا من الشريك والولد استدل علي ذلك التنزيه بان الكل خلقه محيط بهم علما وان يكون المصنوع كالصانع فقال بديع السموات والارض اي مبدعهما وله صفة الابداع اي القدرة علي الاختراع؟ ثابتة ومن كان كذلك فهو غني عن التوليد فلذا حسن التعجيب في قوله انى اي كيف ومن اي وجه يكون له ولد وزاد في التعجيب بقوله ولم اي والحال انه لم تكن له صاحبة والحال انه خلق كل شيء اي مقدور ممكن من كل صاحبة تفرض وكل ولد يتوهم وكل شريك يدعي فكيف يكون المبدع محتاجا الي شيء من ذلك علي وجه التوليد او غيره ولما كانت القدرة لا تتم الا بشمول العلم قال وهو ولم يضمر تنبيها علي ان عموم العلم لا تخصيص فيه كالخلق فقال بكل شيء عليم اي فهو علي كل شيء قدير لان شمول العلم يلزمه تمام القدرة كما بين في برهانه ان شاء الله تعالي في سورة طه ومن كان له ولد لم يكن محيط العلم ولا القدرة بل يكون محتاجا الي التوليد ولما ثبت انه لا كفوء له بما ذكر من صفاته وافعاله وبتين فساد اقوال المشركين وفضل مذاهبهم علي احسن الوجوه وبتين فساد كل واحد منها بما تضمن الحجج فثبت بذلك ما افتتح السورة به من احاطته بصفات الكمال قال مشيرا الي ذلك كله بعينه اذا اخبر عنه بعدة اخبار ذلكم اي العالي الا وصاف جدا الذي لا حاجة له الي شيء وكل شيء محتاج اليه الله اي الذي له كل كمال ربكم اي الموجد لكم والمحسن بجميع انواع الاحسان فهي فذلكة ما قبلها وثمرته لان من اتصف بذلك كان هو رب الكل وحده والخالق لجميع ما استحق العبادة وحده فلذا اتبع ذلك قوله لا اله الا هو لان المقام للتوحيد

الانعام

اللازم للاحاطة باوصاف الكمال التي هي معنى الحمد المفتتح به السورة وساق قوله خالق كل شي الذي هو مطلع مما بعده مساق
التعليل دليلا على ذلك فلما قام الدليل تسبب عنه الامر بالعبادة فقال فاعبدوه اي وحده لان من اشرك به لم يعبده لانه
الغني المطلق ومن كان له الغني المطلق لا يحسن ان يقبل مشتركا وختم الاية بقوله وهو ولما كان المقام لنفي احتياجه الى شي
قدم قوله على كل شي وكيل اشارة الى ان الولد او الشريك انما يحتاجه العاجز المفتقر واما هو فهو القادر ومن سواه عاجز
وهو الغني ومن سواه فقير فكيف يحتاج القدير الغني الى العاجز الفقير هذا ما لا يكون ولا ينبغي ان تتخيله الظنون وفيه اشارة
الى ان العابد ينبغي ان يتفرغ لعبادته ويقطع اموره عن غير وكالته فانه يكفيه بفضله عمن سواه ولما كان كل والد وكل
شريك لا بد ان يكون مجانسا لولده وشريكه بوجه وصل بذلك من وصفه ما اقتضاه المقام من تنزيهه فقال لا تدركه
اي حق الادراك بالاحاطة الابصار اي ان من جعلتموه ولده او شريكه هو مدرك بابصاركم كعيسى وعزير عليهما السلام والاوثان
والنجوم والظلمة والنور واما الملئكة والجن فان كان حكمكم عليهم بذلك عن مشاهدة فهم كمن تقدمهم وان كان عن اخبار فهو عن
الانبياء ليس غير وكل منهم مخبر بانهم عباد الله كغيرهم وانه منزه عن شريك وولد وهذه كتبهم وصحاح اخبارهم شاهدة بذلك
ووراء ذلك كله انهم بحيث يدركون بالابصار في الجملة ليس ادراكهم مستحيلا واما هذا الاله العزيز فهو غير مدرك لكم بالبصر
كما يدرك غيره ادراكا تاما فيتامله ناظره فيزنه وينقده بالخبرة بما فيه من رضى وغضب وغيرهما بما ابدته الفراسة واوضحه
التوسم لانه سبحانه متعال عن ان يحاط به هذا على انه من عموم السلب وان كان من سلب العموم فالمعنى انه عزيز لا يراه كل احد بل
يراه الخواص اذا اراد فكشف لهم الحجاب واوجد لهم الاسباب وهو مع ذلك يدرككم بل ويدرك ما لا تدركونه من انفسكم الابصار وهي
القوى المودعة في عصبة العين لتدرك بها المبصرات وهو اللطيف عن ان تحيط به الابصار لانه يمنع الاسباب عن ان تنشا عنها
مسبباتها ويوجد ادق الاسباب واغربها فلا يستغرب عليه ادراك المعاني لانه الذي اوجدها الا يعلم من خلق واصل اللطف دقة
النظر في الاشياء الخبير اي المحيط بالابصار فاحاطته باصحابها اجدر وبتحقيق معنى الاسمين يتحقق المعنى قال الحرالي رحمه الله
في شرح الاسماء اللطف اخفاء التوسل الى الشي باظهار ما يضاده ولا يتم الا بخبرة ولذلك نظم باسمه الخبير لانه اخفا حكمة في ظاهر
يضادها فاللطف مخبرة في حكمة وباسمه تعالى اللطيف التام امر حكمة ما بين الدنيا والاخرة وبذلك اقام امر اهل ولايته في الدنيا
لما جمع لهم من امره فيها فيبدو عزهم من وراء ذل ويتراءى ذلهم ومن دونه عز فيسبق عزهم الى القلوب مع تذللهم في الحواس ويؤول
محسوسهم الى عز في عقبى الدنيا ومبادرة الاخرة مع تانس القلوب بهم ان ربي لطيف لما يشا لما اراد ان يملكه مصر جعل وسيلة ذلك
استعباده بها ولحصول معناه بتمام الخبرة والحكمة وملك ابداء الشي في ضده يتضح اختصاصه بالحق فهو الذي اطعم من جوع وامن
من خوف الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فهو تعالى اللطيف الذي لا لطيف الا هو ثم قال الخبرة ادراك خبايا الاشياء وخفاياها
بحيث لا يبدو منه خبيئة امر الا كان ادراك الخبير سابقا لبدوها وذلك لا يتم الا لمبديها الذي هو يخرج خبيئها وهو الذي يخرج
الخبء في السموات والارض ومخبرة الخلق لا بد فيها من اظهار باد ينبي عن الخبء بمقتضى التجربة والا لم يصح لهم الخبرة كما قيل
مخبرة المرء فيما يبدو من نطقه وما يظهره اليوم والليلة من عمله والخبير الحق خبير بالشي دون باد يرى الظاهر خبيئة امره
فهو بالحقيقة الذي لا خبير الا هو ولما اكثر لهم من اقامة الادلة على وحدانيته وختمها بهذا الدليل المحسوس الذي معناه ان كل
شريك وكل ابن يدرك شريكه واباه وهو متعال عن ان يدركه اي يحيط به احد ناسب ان يعظهم ويمدح الادلة حثا على تدبرها
وجعل ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه لنور قلبه وكمال عقله وصفا لبه وغزارة علمه وشريف
اخلاقه واستقامة غرائزه وبعد مدى همته عن ان ينسب الى جور او يرمى بعناد حقيق بان يقول بعد اقامتها من غير تلعثم
تقريرا لامر دعوته بعد تقرير المطالب العالية الالهية قد جاءكم ولما كانت الايات لقوتها وجلالتها التي اشار اليها تذكير
الفعل توجب المعرفة فتكون سببا لانكشاف الحقايق الذي هو كالنور في جلاء المحسوسات قال بصائر اي انوار هي لقلوبكم
بمنزلة الضياء المحسوس لعيونكم من ربكم اي المحسن اليكم بكل احسان فلا احسان اصلا لغيره عندكم فاصعدوا عن النظر بالابصار
الى الاعتبار بالبصائر ولا تهبطوا في حضيض التقليد الى ان تصلوا الى حد لا تفهمون معه الا ما يحس بالابصار بل ترقوا في
اوج المعرفة الى سموات الاجتهاد وجردوا لقطاع الطريق صوارم البصائر فانكم ان رضيتم بالدون لم تضروا الا انفسكم
وان نافستم في المعالي فاياها نفعتم ولذلك سبب عن هذا النور الباهر والسر الظاهر قوله فمن ابصر اي عمل بالادلة فلنفسه
اي خاصة ابصاره لانه خلصها من الضلال المودي الى الهلاك ومن عمي اي لم يهتد بالادلة فعليها اي خاصة عماه لانه يضل
فيعطب ولما كان المعنى انه ليس لي ولا لغيري من ابصاره شي ينقصه شيا ولا علي ولا غيري شي من عماه كان التقدير فانما
انا بشير ونذير عطف عليه قوله وما انا واشار الى ان حق الادمي التواضع واسلام الجبروت والقهر لله باداة الاستعلاء
فقال عليكم واغرق في النفي بقوله بحفيظ اي اقودكم قسرا الى ما ينجيكم وامنعكم قهرا مما يرديكم ولما كان التقدير التفاتا
الى مقام العظمة اعلاما بان القضا كله بيده لئلا يظن نقص في نفوذ الكلمة فانظروا ما صرفنا لكم في هذه السورة من الايات
واوضحنا بها من شريف الدلالات لقد اتينا فيها بعجايب التصاريف وكشفنا عن غرايب التعاريف عطف عليه قوله وكذلك
اي ومثل هذا التصريف العظيم نصرف اي ننقل جميع الايات من حال الى حال في المعاني المتنوعة سالكين من وجوه البراهين
ما يفوت القوى ويعجز القدر لتحير الباب المارقين وتنطلس افكار المالقين علما منهم بانهم عجزة عن الاتيان بما يدانيها فتلزمهم
الحجة وليقولوا اعتذارا عن ظهور عجزهم دارست اي غيرك من اهل الكتاب او غيرهم في هذا حتى انتظم لك هذا الانتظام وتم لك

هذا التمام فياتوا ببهتان بين عواره ظاهرة اسراره مهتوكة استاره فيكونوا كانهم قالوا انك اتيت به عن علم ونحن جاهلون لا نعلم شيئا
فيعلم كل موفق لانهم ما رضوه لانفسهم مع ادعاء الصدق والمنافسة في البعد عن اوضار الكذب الا لفرط الحيرة وتناهي الدهشة واعواز
القادح والحاصل انه اتى به على هذا المنهاج الغريب والاسلوب العجيب ليعمي باس عن بينة ويبصر آخرون وهم المرادون بقوله ولبينته
اي القرآن لانه المراد بالآيات المسموعة لقوم يعلمون اي ان المراد من الابلاغ في البيان ان يزداد الجهلة به جهلا ويهتدي به من كان للعلم
اهلا فلا يقولون دارست بل يقولون انه من عند الله فالآية من الاحتباك اثبات ادعاء المدارسة اولا يدل على نفيها ثانيا واثبات العلم ثانيا
يدل على عدمه اولا وهي من معنى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ولما انكشف بهذا في ابناء الادلة وتضاعيف البراهين ان القرآن كنز
لا يلقى مثله كنز وعز لا يدانيه عز وانه في الذروة التي تضاءلت دونها سوابح الافكار وكلت عن التماعها نوافذ الابصار وختم بان المراد
بالبيان العلما ناسب ان ينبه على ذلك لئلا يفتر عنه طعنهم بقولهم دارست ونحوه فقال مخصصا له صلى الله عليه وسلم بالخطاب
اعلاما بانه العالم على الحقيقة اتبع اي انت ومن تبعك ما اوحي اليك اي فالزم العمل به ثم اكد مدحه بقوله من ربك اي المحسن اليك
بهذا البيان ثم علل ذلك بقوله لا اله الا هو اي فلا يستحق غيره ان يتبع له امر ولا يلتفت اليه في نفع ولا ضر واعرض عن المشركين
اي بغير التبليغ فانه ما عليك غيره ومزيد حرصك على ايمانهم لا يزيد من اريدت شقوته الا تماديا في اشراكه وارتباكا في قيود
اشراكه ولما كان الحبيب اشر شي بما يريده حبيبه قال مسليا له صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به وردهم لقوله عاطفا على
ما تقديره فلو شاء الله ما خالفوك ولا تكلموا فيك ببنت شفة ولو شاء الله اي الذي له الامر كله ما اشركوا اي ما وقع بينهم اشراك
اصلا فقد اراد لك من الوقوع فيك ما اراده لنفسه فليكن لك في ذاك مسلاة ولما كان التقدير فانه سبحانه حفيظ عليهم
عطف عليه قوله وما جعلناك اي بعظمتنا واشار الى ان العلو ليس لغير الله سبحانه فقال عليهم حفيظا اي تحفظ اعمالهم لئلا
يكون منها ما لا يرضينا فتردهم عنه قسرا وما انت وقدم ما هو اهم من نفي التحقق بالعلو المحيط القاهر الذي هو خاص بالاله
فقال عليهم بوكيل اي فتاخذ الحق منهم قهرا وتعاملهم بما يستحقونه خيرا او شرا انما انت مبلغ عنا ثم الامر في هدايتهم واضلالهم
الينا ولما طال التنفير عما اتخذ من دونه من الانداد والبيان لانها اقل من ذلك واحقر كان ذلك ربما كان داعيه الى سبها
فنهى عنه لمفسدة يجرها السب كبيرة جدا فقال عاطفا على قوله واعرض عن المشركين غير مواجه له وحده صلى الله عليه
وسلم اكراما له ولا تسبوا ولما كانت الاصنام لا تعقل وكان المشركون يزعمون العقل والعلم ويسندون اليها الافعال اجرى الكلام
على زعمهم لانه في الكف عنها فقال الذين يدعون اي دعا عبادة من الاصنام او غيرهم بذكر ما فيهم من النقص ثم بين دفعا لتوهم اكرامهم
انهم في سفول بقوله من دون الله اي الملك الاعلى الذي لا كفو له عدلا بعلم منكم بما لهم من المعايب بل اعرضوا عن غير دعائهم الى
الله حتى عن سبب آلهتهم بما تستحقه فانا زينا لهم اعمالهم فوقعوا مع غزارة عقولهم فيما لا يرتضيه عاقل وكذبوا بجميع الآيات
الموجبة للايمان فربما جرهم سبكم لها لما عندهم من حمية الجاهلية الى ما لا يليق فيسبوا اي فيتسبب عن ذلك ان يسبوا الله
اي الذي تدعونه وله الاحاطة بصفات الكمال واظهر تصريحا بالمقصود واعظاما لهذا الامر وتهويلا له وتنفيرا منه ولما
كان الحنق يوجب الاسراع اشار اليه سبحانه بقوله عدوا اي جريا الى السب ولما كان العدو قد يكون مع علم قال مبينا
لانه يراد به مع الاسراع انه مجاوز للحد بغير علم لانا زينا لهم عملهم فالطاعة اذا استلزمت وجود منكر عظيم احترز منه ولو ادى
الحال الى تركها وقتا ما لتحصل القوة على دفع ذلك المنكر فحكم الآية باق وليس بمنسوخ ولما كان ذلك شديدا على النفس
ضايقا به الصدر اقتضى الحال ان يقال هل هذا التزيين مختص بهولاء المجرمين ام كان لغيرهم من الامم مثله فقيل كذلك اي
بل كان لغيرهم فانا مثل ذلك التزيين الذي زينا لهولاء زينا لكل امة اي طايفة عظيمة مقصوده عملهم اي القبيح الذي اقدموا
عليه بغير علم بما تخلقه في قلوبهم من المحبة له ردا منا لهم بعد العقل الرصين اسفل سافلين حتى راوا احسنا ما ليس بالحسن
لتبين قدرتنا فكان في ذلك اعظم تسلية وياسية وتعزية والآية من الاحتباك اثبات بغير علم اولا دال على حذفه ثانيا واثبات
التزيين ثانيا دليل على حذفه اولا ولما كان سبحانه طويل الاناة عظيم الحلم وكان الامهال ربما كان عن جهل بعمل العاصي نفى ذلك
بقوله ثم اي بعد طول الامهال الى ربهم اي المحسن اليهم بالحلم عنهم وهم يتقوون بنعمه على معاصيه لا الى غيره مرجعهم اي بالحشر
الاعظم فينبئهم اي يخبرهم اخبارا عظيما بليغا بما اي بجميع ما كانوا يعملون اي على سبيل الاستمرار بما في جبلاتهم من الداعية اليه
وان ادعوا انهم عاملون على مقتضى العلم ولما نصب سبحانه هذه الدلالات في هذه الآيات البينات حتى ختمها بما علم منهم من
الاسراع الى سب من احسن اليهم بان اوجدهم واوجد لهم كل ما في الكون وما من نعمة عليهم الا وهي منه عجب منهم في الوعد بالايمان
على وجه التاكيد بما ياتيهم من مقترحاتهم اعلاما بان ذلك مما زين لهم من عملهم وهو امنية كاذبة ويمين حانثة فقال عاطفا
على وجعلوا لله شركاء الجن واقسموا اي المشركون بالله اي الذي لا اعظم منه جهد ايمانهم اي باذلين فيها جهدهم حتى كانها
هي جاهدة ووطا للقسم فقال لئن جاءتهم آية اي من مقترحاتهم وتلقي القسم بقوله ليؤمنن بها ولما كانوا بهذا ظالمين
من اجل انهم طلبوا من الرسول ما ليس اليه بعد اتيانه من المعجزات بما ازال معاذيرهم واوجب عليهم الاتباع نبه على ذلك
بقوله مستانفا قل انما الآيات اي هذا الجنس عند الله اي الحائز لجميع صفات الكمال وليس الي ولا الى غيري شي من هذا
الجنس ليفيد الاقتراح شيا غير اعضائه ولما كان العبد لعجزه لا قدرة له على شي اصلا فلا يصح له ان يحكم على آت اصلا لا من
افعاله ولا من افعال غيره قال منكرا عليهم ملتفتا الى خطابهم اشارة الى انهم حقيقون بالمواجهة بالتبكيت وما اي واي شي
يشعركم اي ادنى شعور بما اقسمتم عليه من الايمان عند مجيئها حتى تتوهموه ادنى توهم فضلا عن الظن فكيف بالجزم ولا سيما على هذا

الوجه ثم علل الاستفهام بقوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بالآية المقترحة انها بالفتح في قراءة نافع وابن عامر وشعبه
في رواية عنه وحفص وحمزة والكسائي فكان كانه قيل انكرت عليكم لانها اذا جاءت لا يؤمنون بالخطاب في قراءة ابن عامر
وحمزة والالتفات الى الغيبة في قراءة غيرهم للاعلام بانهم بعيدون من الايمان فهم اهل الاعراض عنهم لما استحقوا
من الغضب والتعليل عند من كسرانها واضح ولما كانا لتقدير ما نطبع على قلوبهم ونزين لهم سوء اعمالهم عطف عليه
قوله ونقلب اي بما لنا من العظمة افئدتهم اي قلوبهم حتى لا يهتدوا بها وابصارهم حتى لا ينفعهم الابصار بها فلا
يعتبرون فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اي بمثل ذلك اول مرة اي عند اتيان الآيات التي قبل تلك ونذرهم اي نتركهم
في طغيانهم اي تجاوزهم للحدود يعمهون اي يديمون التحير على ان الحال لما فيه من الدلالة لا يقتضي حيرة بوجه ولما اخبر
انهم لا يؤمنون عند اية مقترحة عمم على وجه مفصل لاجمال ما قبله فقال ولو اننا اي على عظمتنا انا نفعة بما اشار اليه
جمع الموتى نزلنا اي على وجه يليق بعظمتنا اليهم الملئكة اي كلهم فزادهم عيانا وكلمهم الموتى اي كذلك وحشرنا عليهم
اي بما لنا من العظمة كل شيء قبلا جمع قبيل جمع قبيله في قراءة من ضم القاف والباء كرغيف ورغف اي جاهم ذلك المحشور كله قبيلا
وهذا المعنى الثاني هو معنى القراءة الثانية بكسر القاف وفتح الباء وبه فسرها ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة غيره وقال
المبرد وجماعة هي بمعنى جهة وناحية من قولهم لي قبل فلان دين ما كانوا ليؤمنوا اي على حال من الاحوال الا ان يشاء الله اي الا
حال مشيئته فاذن لا غيرة الا لمشيئته فلا اية دامغة لاهل القدر ولا مدخل لآية ولا غيرها في ذلك فلا يطمع احد في ايمانهم
بغير ذلك ويقرب عندي وان بعد المدى ان يكون وان تسمو امعطوفا على قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه
وهذا من المتعارف في كلام البلغاء ان يحكي الانسان جملة من كلام خصمه ثم يشرع في تهويتها ويخرج الى امور يجرها المقام كثيرة
الانواع طويلة الذيول جدا ثم يحكي جملة اخرى فيقول معجبا منه وقال كذا وكذا ثم يشرع فيما يتعلق بذلك من الرد والرد
ومما يؤيد ذلك توحيد ختمها بخلاف الاولى ولكن اكثرهم يجهلون اي اهل جهل مطبوع عون فيه
فلذلك يقسمون على الايمان عند مجيء آية مقترحة ولا يشعرون ان المانع لهم من الايمان انما هو المشيئة والا آمنوا بما جاءهم من
الآيات فانه كفاية في المبادرة الى الايمان والآيات كلها متساوية للاقدام في الدلالة على صدق الداعي بخرق العادة والعجز
عن الاتيان بمثلها ولما كان مضمون ما تقدم اثبات عداوة الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم كان كانه قيل تسلية له وتثبيتا
لفؤاده فقد جعلنا لم اعداء لك لانك عالم والجاهلون لاهل العلم اعداء وكذلك اي ومثل ما جعلنا لك اعداء من كفار
الانس والجن جعلنا لكل نبي اي ممن كان قبلك وعبر عن الجمع بالمفرد المراد به الجنس اشارة الى انهم يد واحدة في العداوة فقال
عدوا وبين ان المراد به الجنس وانهم اهل الشر فقال مبدلا شياطين اي شرار الانس والجن المتمردين منهم ومن ثم استعان
شيطان الجن بشيطان الانس لقرب قلبه منه ثم يكون نوعه اليه اميل واشار الى هوان امرهم وسوء عاقبتهم بقوله يوحي
بعضهم اي الشياطين من النوعين الى بعض اي بكلفه في خفاء زخرف القول اي مزينه ومنمقه ولما كان هذا يدل على انه
لكونه لا حقيقة له لولا الزخرفة ما قبل زاده بيانا بقوله غرورا اي لاجل ان يغروهم بذلك اي يخدعوهم فيصيروا في
قبوله كلامهم كالغافلين الذين شانهم عدم التحفظ والغرور هو الذي يعتقد فيه النفع وليس نافع ولما كان اول الآية
معلما ان هذا كان بمشيئة الله وجعله اية ذلك ومكنه في آخرها بانه لو شاء ما كان وكل ذلك غيرة على مقام الالهية وتنزيها
لصفة الربوبية ان يخرج شيء عنها فيدل على الوهن ويجر قطعا الى اعتقاد العجز فقال ولو شاء ولما كان في بيان ان اعداءه صلى الله
عليه وسلم والمسلطين عليه اشار الى ان ذلك لاكرامه واعزازه لا لهوانه فقال ربك اي بما له اليك من حسن التربية وتعزيز
الاحسان مع ما له من تمام العلم وشمول القدرة ان لا يفعلوه ما فعلوه اي هذا الذي انبانك به من عداوتهم وما تفرع عليها
ولما قرر ان هذا من باب التربية فعاقبته الى خير تسبب عنه قطعا قوله فذرهم اي اتركهم على اي حالة اتفقت
وما يفترون اي يتعمدون كذبه واختلاقه واذكر ما لربك عليك من العاطفة لتعلم ان الذين سلطهم على هذا في غاية
الرافة بك والرحمة لك وحسن التربية كما لا يخفى عليك فثق به واعلم ان له في هذا الطيف سرية تدق عن الافكار
بخلاف الآيات الآتية التي عبر فيها باسم الجلالة فانها في عظيم تجرؤهم على مقام الالهية ولما كان التقدير ذرهم لتعرض
عنهم قلوب الذين يؤمنون بالآخرة ولتصغى اي تميل ميلا قويا تغوص به اليه اي كذبهم وما في حيزه افئدة اي قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
اي ليس في طبعهم الايمان بها لانها غيب وهم لبلادتهم واقفون مع الوهم ولذلك استولت عليهم الدنيا التي هي اصل الغرور
وليرضوه اي بما تمكن من ميلهم اليه وليقترفوا اي يفعلوا بجهدهم ما هم مقترفون وهذه الجمل كما نبه عليه ابو حيان على
غاية الفصاحة لانه اما ان لا يكون الخدع فيكون الميل فيكون الرضى فيكون فعل الاقتراف فكان كل واحد مسببا عما قبله
ولما كان فيما تقدم الاخبار عن مغيب وهو انهم لا يؤمنون عند مجيء الآيات المقترحة وكانت عادة العرب دعا الاعداء
والمخالفين الى حاكم يفصل بينهم وكانوا انما يفزعون في الامور المغيبة الى الكهان كما كانوا يكثرون لهم بما يقذف اليهم
اخوانهم من الجان مما يسترقونه من السمع فيزيدونه كذبا كثيرا ثم لا يضرهم ذلك عندهم لذلك القليل الذي يصدقون فيه
كما ابتلينا به في هذا الزمان من الافتتان بمن يفعل مثل ذلك من المجانين والمتشبهين بهم وكانت الآيات التي فزع منها قد

اثبتت ان ايجادهم غرور تسبب عن ذلك وجوب نفي اتحاد غير الله حكما لما اتصف به من ايجاد ما خالف ايجادهم ففات القوي في
اخباره على حقايق الامور مفصلة احسن تفصيل في اساليب قصرت دونها بسوابق الافكار وكعت عنها نوافذ الافهام فثبتت به
نبوته ووضحت رسالته فكان اقتراحهم ظاهرا في كونه تعنتا لانهم كذبوا باعظم الايات القرآن ولم يؤمنوا به وطعنوا فيه بما
زادهم فضايح فثبت انه لا فايدة في اجابتهم الى مقترحاتهم فكان الجواب عما اقتضاه لسان حالهم من طلب التحاكم الى اوليائهم ببليغ
الانكار عليهم بقوله افغير الله اي الملك الاعظم على غاية من البلاغة لا تدرك والفاء فيه للسبب وانما تقدمت عليها همزة الانكار
لاقتضايها الصدر ابتغي اي اطلب حالة كون ذلك الغير حكما اي يحكم بيني وبينكم ويفصل نزاعنا ثم استدل على هذا الانكار
بتفصيل الكتاب هذا التفصيل المعجز فقال وهو اي والحال انه لا غيره الذي انزل اي بلطفه بكم اليكم اي خاصة نعمة علي
بالقصد الاول وعليكم بالقصد الثاني الكتاب اي الكامل المعجب وهو هذا القران الذي هو تبيان لكل شئ مفصلا اي مميزا فيه
الحلال والحرام وغير ذلك من جميع الاحكام مع ما تفيده فواصل الايات من اللطايف والمعارف الكاشفة لحقايق البدايات
والنهايات ولقد اشتد الاعتناء في هذه السورة بالتنبيه على التفصيل لوقوع العلم من ارباب البصاير في الصنايع بان من لا
يحسن التفصيل لا يتقن التركيب ولما كان التقدير فانتم وجميع ارباب البلاغة تعلمون حقيقته بتفصيله والعجز عن مثيله
عطف عليه قوله والذين ويجوز ان تكون جملة حالية اتيناهم اي بعظمتنا التي يعرفونها ويعرفون لها الحق من الباطل
الكتاب اي المعهود انزاله من التورية والانجيل والزبور يعلمون اي لما لهم من سوابق الانس بالكتب الالهية انه منزل ولما
تقدم ذكر الجلالة الشريفة في حاق موضعه في سياق الحكم الذي لا يكون الا مع التفرد بالكمال وكان هذا المقام بسياق الانزال
يقتضي الاحسان لم يضمر بل قال من ربك اي المحسن اليك بما خصك به في هذا الكتاب من انواع الفضايل بالحق اي الكامل لما عندهم
به من البشاير في كتبهم ولما له من موافقتها في ذكر الاحكام المحكمة والمواعظ الحسنة وكثرة ذكر الله على وجوه ترقق القلوب وتفيض
الدموع وتصدع الصدور مع ما يزيد به على كتبهم من التفصيل بما يفهم المعارف الالهية والمقامات الصوفية في ضمن الاحكام السياسية
والاعجاز بكل اية ولما كان اهل الكتاب يخفون ما عندهم من العلم ويقولون للمشركين انهم اهدى سبيلا مما قد موهم انهم يعتقدون
بطلانه او ان الامر ملبس عليهم سبب عن اخباره سبحانه تكوينه على طريق التهييج والاهاب فلا تكونن اي انت تنبيها موكدا جدا
ان تكون في وقت ما من الممترين اي العاملين عمل الشاك فيما اخبرناك به وان زاد اخفاؤهم له واظهارهم لما يوهم خلافه واذا
جاريتهم في ذلك وانت افطن الناس واعرفهم بما تظهره المحاورات من خفايا الاسرار تحققت ما قلناه وان اجتهدوا في الكتمان
كما كشفت عنه قصة المناشدة في امر الزانيين وغيرها وقال ابو حيان قال مشركو قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل
بيننا وبينك حكما من احبار اليهود وان شيئ من اساقفة النصاري ليخبرنا عدلك بما في كتابهم من امرك فنزلت ولما دل على كونه
حقا من عند الله بعلم اهل الكتاب صرحا واهل اللسان ملويحا دل عليه بوجه اخر شهودي وهو انه ما قال شيا الا كان على وفق ما
قال وانه لم يستطع ولا يستطيع احد منع شي مما اخبر به ولا تعويقه ساعة من نهار ولا اقل ولا اكثر بقوله تعالى منبها
في موضع الاضمار لتذكيره صلى الله عليه وسلم بما له سبحانه من الاحسان والتنبيه على ما يريد به من التشريف والاكرام وتمت اي نفذت
وتحققت كلمات ربك اي المحسن اليك المدبر لامرك حالة كونها صدقا اي لا يقدر احد ان يبدي في شي منها خدشا بتخلف ما
عن مطابقة الواقع ولما كان الصدق غير منافي للجور قال وعدلا ولما كان الصدق العدل قد لا يتم معه مراد القايل ولا
ينفذ فيه كلام الامر لمنع من هو اقوي منه اخبر انه لا رآد لامره ولا معقب لحكمه تصريحا بما انبهم مطلع الاية من التمام واظهر
موضع الاضمار تعميما وتبركا وتلذيذا فقال لا مبدل لكلماته اي من حيث انها كلماته مطلقا من غير تخصيص بنوع مثابل لكل ما
اخبرت به منهو كاين لا محالة رضي من رضي وسخط من سخط ولما كان المغير لشي انما يتم له ما يريد من التغيير يكون المغير
عليه لا يعلم الاسباب المنجحة لما اراد ليحكمها والموانع العايقة ليبطلها قال عاطفا على ما تقديره هنا العزيز الحكيم وهو اي
لا غيره السميع اي البالغ السمع لجميع ما يمكن سمعه من الاقوال والافعال العليم اي البالغ العلم بجميع ذلك فهو اذن الكامل القدرة
النافذ الامر في جميع الاسباب والموانع فلا تدع احدا يغير شيا منها وان دلس واشبه ولما اجاب عن شبهات الكفار وبين
صحة نبوته صلى الله عليه وسلم شرع في الحث على الاعراض عن جهل الجهال والاقبال على ذي الجلال فكانا التقدير فان اطمئنت
فيما امرك به اهتديت الى صراط الله الذي تتم لك لسلوكه جميع ما وعدك به عطف عليه قوله وان تطع ولما كانت
اكثر من في الارض اي توجد طاعتك لم
انفر الاكثر مقيدة بالاكثر اشارا الى ان ذلك لا يفعله الا جاهل مخلد الى التقليد فقال يضلوك عن سبيل الله
في شئ من الاوقات بعد ان علمت ان اكثرهم انما يتبع الهوى وان اكثرهم فاسقون لا يعلمون لا يشكرون
اي المستجمع لصفات الكمال ثم علل ذلك بقوله ان اي لانهم ما يتبعون في امورهم الا الظن اي كما يظن هو لا جهلا ان اباهم
كانوا على الحق ولما كان اكثر كلام من يجزم بالامور بما عاه اليه ظنه كذبا وكان الخارص يقال على الكاذب والمخمن والجازر
قال وانهم اي بعميم ضمايرهم الا يخرصون اي يجزمون بالامور بحسب ما يقدرون فيكشف الامر عن انها كذب فيعرف
الفرق بينك وبينهم في تمام الكلام ونفوذه نفوذ السهام او تخلفه عن المرام ونكوصه كالسيف الكهام فلا تبقى شبهة في امر
الحق والمبطل ولما كان المقام للعلم الكاشف للحقايق المبين لما يتبع وما يجتنب قال معللا لهذا الاخبار ان ربك اي
المحسن اليك بانزال هذا الكتاب الكاشف للاريتاب الهادي الى الصواب هو اي وحده اعلم وكون الحال شديد الاقتضاء
للعلم قطعه عما بعده ليسبق الى الفهم انه اعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقا ثم قال من اي يعلم من يضل اي يتبع منه ضلال

يوما تاعن سبيله اي الذي بيّنه بعلمه وهو اي وحده اعلم بالمهتدين كما انه اعلم بالضالين فمن امركم باتباعه فاتبعوه ومن نهاكم عنه فاجتنبوه فمن ضل اراده ومن اهتدي انجاه فاستمسكوا باسبابه حذرا من وبيل عقابه يوم حسابه ولما قدم سبحانه ما مضي من السوايب وما معها في المايدة مما يدين به اهل الجاهلية في اكل الحيوان الذي جرّ اليه الشرك وابتعه بيان انه لا ضرر علي اهل الايمان من دين اهل الضلال اذا اهتدوا واتبع ذلك ما لا يتم وانتظم في سلكه ولاحه حتي ظهر اي ظهورا ان اكمل ملكه وملكه وانه لا شريك له فوجب شكره وحده وكانوا مع ذلك قد كفروا بنعمه تعالي فاتخذوا معه شركاء ولم يكفهم ذلك حتي جعلوا لها مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فكانوا بذلك ما بين الحق عن اهله وما بخسين ما خولهم فيه من له الملك لما لا يملك ضرا ولا نفعا وتاركين حض ما انعم عليهم به صاحب الحق برعاية من لا حق له ولا حرمه وكانت منه الله تعالي قد جرت بانه يذكر نفسه الشريفة بالوحدانية ويستدل علي ذلك بخلق السموات والارض وما اودع فيها لنا من المنافع وما ابدع من المرافق والمصانع ثم يعجب ممن اشرك به ثم يامر بالاكل مما خلق تذكيرا بالنعمة ليكون ذلك داعيه لكل ذي لب الي شكره كما قال تعالي في البقرة معقبا والهكم اله واحد ان في خلق السموات والارض ثم قال ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا ثم يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا اجري هذه السنة الجليلة في هذه السورة ايضا فقال ان الله فالق الحب والنوي بعد ان وجهت وجهي ثم وجعلوا لله شركاء الجن ودل علي انه لا شريك له في ملكه ولا يملكه وختم بانه لا حكم سواه ينازعه في حكمه او يباريه في شئ من امره وبيّن ان من الهداية التي جعلها شرطا لعدم ضرر يلحق من دين اهل الشرك فسبب عن جميع ما ذكرت قوله فكلوا مما ذكر اي وقت الذبح اسم الله اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة فله كل شئ عليه سواء ذكر بالفعل او لا وعدل عن التعبير بما جعلته المراد ليفهم ان الذكر بالفعل مندوب اليه ولا تكونوا ممن بني دينه علي اتباع الاهوية والظنون الكاذبة فكانه قيل اتبعوا من يعرف الحق لاهله فانه معتمد غير معرجين علي غيره فانه ضلال والله اعلم بالفريقين فكونوا من المهتدين فكلوا مما خلق الله لكم حلالا شاكرين لنعمته وانما اطال هنا دون البقرة ما بين الجملتين الكلام تقريرا لمضامينها وما تستتبعه واحتجاجا علي جميع ذلك لانفاسون التفصيل وابي بالذكر والمراد قبول المأكول له اي كلوا مما يقبل ان يسمي عليه علي مقتضي ما شرعه وذلك هو الذي احله من الحيوان وغيره سواء كان مما جعلوه لاوثانهم او لا دون ما مات من الحيوان حتف انفه او ذكر عليه اسم غير الله او كان مما حرم اكله وان ذبح وذكر عليه اسم الله فانه لا يقبل التحليل بالتسمية فالتسمية في غير موضعها لورود النصوص بالتحريم ولا تتبعوا المشركين في شئ من انفسهم من جزء مما خلق الله لهم من الحرث والانعام بتسميتهم اياه لالهتهم التي لا غناء عندها ويكون ذلك حثا علي التسمية علي جميع المأكول الحلال فتكون الاية كاية البقرة بزيادة ولما كان هذا امرا لا يقبله الا من زال دين الشرك وجميع توابعه من قلبه قال ان كنتم اي بما لكم من الجبلة الصالحة باياته اي عامة التي منها ايات التحليل والتحريم مومنين اي عريقين في وصف الايمان وقد لاح بذلك حسن انتظام قوله وما لكم اي اي شئ يكون لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اي يقبل ان يذكر اسم الله اي الذي له كل شئ عليه فان التسمية قايمة مقام اذنه وقد اي والحال انه قد فصل لكم اي من قبل ذلك والخلق خلقه والامر امره ما حرم عليكم اي مما لم يحرم تفصيلا واضح البيان ظاهر البرهان الا ما اضطررتم اليه اي فانا الضرورة تزيل التفصيل عنه برده الي ما كان عليه قبل التفصيل فيصير الكل حلالا لا تفصيل فيه والمراد في هذه الاية مختلف باختلاف المخاطبين فاما من خوطب بها وقت الانزال فالمراد بالتفصيل الذي اتاه الاية الاتية آخر هذه فانها نزلت جملة وكذا كل ما شاكلها مما انزل بمكة قبل هذه السورة وكذا ما اخبر به صلي الله عليه وسلم في وحي متلو اذ ذاك ولعله نسخت تلاوته وبقي حكمه او وحي غير متلو من جميع الاحاديث التي تقدمت علي هذه السورة واما من خوطب بها بعد ترتيبه علي هذا الوجه فالمراد في حقه ما في البقرة والمايدة وغيرهما من السور الماضية من الحلال والحرام ولما كان التقدير من عمل لهذه الاوامر اهتدي بما نال من العلم وهم قليل عطف عليه قوله وان كثيرا اي من الناس ليضلون اي بقع منهم الضلال لينوقعون غيرهم فيه بتكوبهم عما دعت اليه اوامر الله وهدي اليه بيانه فيكونون بمعرض العطب باهوآيهم اي بسبب اتباعهم للهوي ولما كان الهوي وميول النفس ربما كان موافقا لما ادعي اليه العلم الصحيح الفكر وصريح العقل قال بغير علم اي دعا الي ذلك من شريعة ماضيه ممن له الامر ولما كانوا ينكرون هذا اثبت لنفسه الشريفة ما هو مسلم عند كل احد قال دليلا علي صحة ما اخبر به ان ربك اي المحسن اليك بانزال هذا الكتاب شاهدا لك بالعجان بالتصديق هو اي وحده اعلم وكان الموضع كالاضمار فاظهر للتعميم والتنبيه علي الوصف الذي وجب ذلك فقال بالمعتدين اي الذين يتجاوزون الحدود مجتهدين في ذلك ولما كان ما يقبل في نفسه في الجملة ان يذكر اسم الله عليه ما يحرم لكونه ملكا للغير او فيه شبهة نهي عنه علي وجه يعم غيره فقال عطفا علي علنوا وذروا اي اتركوا علي اي حالة اتفقت وان كنتم تظنونها غير صالحة ظاهر الاثم اي المعلوم الحرمة من هذا وغيره وباطنه من كل ما فيه شبهة من الاقوال والافعال والعقايد فان الله جعل له في القلب علامة وهو ان يضطرب عنده ولا يسكن كما قال صلي الله عليه وسلم والاثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر اخرجه مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه ثم علل ذلك بقوله ان الذين يكسبون الاثم اي ولو باخفي انواع الكسب بما دل عليه بمجرد الفعل وهو الاعتقاد ولما كانوا لعافل من خاف من بطلق الجزاء بني للمفعول قوله سيجزون اي بوعد لا خلف فيه بما اي بسبب ما كانوا اي بناء سجلا تهم يقترفون اي يكتسبون اكتسابا يوجب الفرق وهو اشد الخوف ويزيل الرفق ولما امرهم بالاكل مما ينفعهم ويعينهم علي شكر محذرا

من اكل ما يغبش مرآي بصايرهم اتبعه نهيهم نهيا جازما خاصا عن الاكل مما يضرهم في ابدانهم واخلاقهم وهو ما ضاد الاول في خلوه
من الاسم الشريف فقال ولا تاكلوا مما لم يذكر اي مما لا يقبل ان يذكر اسم الله اي الذي لا يوخذ شي الا منه لان له الكمال كله فله الاحاطة
الكاملة واشار باداة الاستعلاء الى الاخلاص ونفي الاشراك فقال عليه اي لكون الله قد حرمه فصار نجس العين او المعنى فصار مخبثا
للبدن والنفس مما ذكر عليه غير اسمه سبحانه بما دل عليه تسميته فسقا وتفسير الفسق في اية اخرى بما اهل به لغير الله وكذا ما
كان في معناه مما مات او كان حراما بغير ذلك واسمه تعالى منزه عن ان يذكر على غير الحلال فان ذكر عليه كان تلاعبا فلم يطهره واما
ما كان حلالا ولم يذكر عليه اسم الله ولا اسم غيره فهو حلال لما في الصحيح عن عايشة رضي الله عنها قالت قالوا يرسول الله ان هنا
اقواما حديث عهد بشرك ياتوننا بلحمان لا ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا قال البغوي
رحمه الله ولو كانت التسمية شرطا للاباحة كان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح انتهى ولما كان
التقدير فانه خبيث في نفسه مخبث عطف عليه قوله وانه اي الاكل منه او هو نفسه لكونه السبب لفسق فجعله نفس
الفسق وهو الخروج عما ينبغي الى ما لا ينبغي لانه عريق جدا في كونه سببه لما تامل عندهم من امره وانتشر من شره وهذا دليل
على ما اولت به لان النسيان ليس بسبب للفسق والذي تركت التسمية عليه نسيانا ليس بفسق والناسي ليس بفاسق كما قاله
البخاري والى ذلك الاشارة بحديث عايشة رضي الله عنها الماضي فهذا كله يدل على ان المراد انما هو كونه مما يحل ذبيحته وليس المراد
اشتراط التسمية بالفعل ولما كانت الشبه ربما زلزلت ثابت العقايد قال محذرا منها وان الشياطين اي اخابث المردة من
الجن والانس البعيدين من الخير المهيئين للشر المحترقين باللعنة من مردة الجن والانس ليوحون اي يوسوسون وسوسة بالغة
سريعة الى اوليايهم اي المقاربين لهم في الطباع المهيئين لقبول كلامهم ليجادلوكم اي ليفتلوكم عما امركم الله به بان يقولوا لكم ما قتله
الله احق بالاكل مما قتلتموه انتم وجوارحكم ونحو ذلك واهل الحرم لا ينبغي ان يقفوا في غيره والغريب لا ينبغي ان يساويهم في الطواف
في ثيابه والنذر للاصنام كالنذر للكعبة ونحو هذا من خرافاتهم التي بنوا امرهم فيها على الهوى الذي هم معترفون بانه فصل مضر
ويبالغون في الذم باتباعه والميل اليه ويكفي في هدم جميع شبههم اجمالا ان صاحب الدين ومالك الملك منع منها ولما كان
التقدير فان اطعتموهم تركتم الهدى وتبعتم الهوى وكان من المعلوم ان الهوى يقود الى الشرك عطف على هذا قوله وان اطعتموهم
اي المشركين تدينا بما يقولونه في ترك الاكل مما ذكر اسم الله عليه والاكل مما لم يذكر اسم الله عليه او في شي مما جادلوكم فيه انكم لمشركون
اي فانتم وهم في الاشراك سواء كما اذا سميتم غير الله على ذبايحكم على وجه العبادة لان من اتبع امر غير الله فقد اشركه بالله كما
قال صلى الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه في قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله من ان
عبادتهم لهم تحليلهم ما احلوا وتحريمهم ما حرموا فنبه صلى الله عليه وسلم بذلك على ان الاسما تتبع المعاني قال شيخ الاسلام
محي الدين النووي الشافعي رحمه الله في باب الضحايا من كتاب الروضة حكى في الشامل وغيره عن نص الشافعي رضي الله عنه
انه لو كان لاهل الكتاب ذبيحة يذبحونها باسم غير الله كالمسيح لم تحل وفي كتاب القاضي ابن كج ان اليهودي لو ذبح لموسى والنصراني
لعيسى عليهما السلام او للصليب حرمت ذبيحته وان المسلم لو ذبح للكعبة او لرسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان يقال
تحرم لانه ذبح لغير الله تعالى قال وخرج ابو الحسن رحمه الله وجها آخر انها تحل لان المسلم يذبح لله ولا يعتقد في رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يعتقده النصراني في عيسى عليه السلام قال واذا ذبح للصنم لم توكل ذبيحته سواء كان الذابح مسلما او
نصرانيا وفي تعليقه الشيخ ابرهيم المروذي ان ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارا بتحريمه لانه
مما اهل به لغير الله واعلم ان الذبح للمعبود وباسمه نازل منزلة السجود له وكل واحد منهما نوع من انواع التعظيم والعبادة
المخصوصة بالله تعالى الذي هو المستحق للعبادة فمن ذبح لغيره من حيوان او جماد كالصنم على وجه التعظيم والعبادة لم تحل
ذبيحته وكان فعله كفرا كمن سجد لغيره سجدة عبادة وكذا لو ذبح له ولغيره على هذا الوجه فاما اذا ذبح لغيره لا على هذا الوجه
بان ضحى او ذبح للكعبة تعظيما لها لانها بيت الله تعالى او لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا لا يجوز ان يمنع حل الذبيحة والى
هذا المعنى يرجع قول القايل اهديت للحرم او للكعبة ومن هذا القبيل الذبح عند استقبال السلطان فانه استبشار بقدومه
نازل منزلة ذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب الكفر وكذا السجود لغير الله تذللا وخضوعا فعلى هذا
اذا قال الذابح بسم الله او اسم محمد واراد اذبح بسم الله واتبرك باسم محمد فينبغي ان لا يحرم وقول من قال لا يجوز ذلك
يمكن ان يحمل على ان اللفظ مكروه لان المكروه يصح نفي الجواز والاباحة المطلقة عنه وحكى الرافعي رحمه الله انه وقعت في
هذا منازعة بين اهل قزوين افضت الى فتنة في انه هل تحل ذبيحته وهل يكفر بذلك قال والصواب ما بينا قال الشيخ
محي الدين ومما يؤيد ما قاله اي الرافعي ما ذكره الشيخ ابرهيم المروذي في تعليقه قال حكى صاحب التقريب عن الشافعي
رحمه الله ان النصراني اذا سمى غير الله كالمسيح لم تحل ذبيحته قال صاحب التقريب معناه ان يذبحها له فاما ان ذكر المسيح
على معنى الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجايز قال وقال الحليمي تحل مطلقا وان سمى المسيح والله اعلم ثم قال
في المسايل المنثورة الثالثة قال ابن كج من ذبح شاة وقال اذبح لرضى فلان حلت الذبيحة لانه لا ينصرف اليه بخلاف
من يتقرب بالذبح الى الصنم وقال الروياني ان من ذبح للجن وقصد به التقرب الى الله تعالى ليصرف شرهم عنه فهو حلال
وان قصد الذبح لهم فحرام ومما يوضح لك سر هذا الانتظام ويزيده حسنا ان هذه الايات كلها من قوله تعالى ان الله
فالق الحب والنوى الى اخر السورة تفصيل لقوله تعالى في اول السورة قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض الاية

فلما ذكر ابداعه السموات والارض بقوله ان الله فالق الحب والنوى ونحوه وانكر اتخاذ من دونه بقوله وجعلوا لله
شركاء الجن وما نجى نحوه قال فكلوا اشارة الى وهو يطعم ولا يطعم وقوله او من كان ميتا فاحييناه وقوله فمن يرد الله ان
يهديه ونحوها اشارة الى قوله قل اني امرت ان اكون اول من اسلم وقوله ويوم نحشرهم جميعا ونحوه مشيرا الى اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولما انقضى التفصيل عند قوله فسوف تعلمون الآية شرع في تفصيلها ثانيا بقوله
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى اخرها والسر في الاعادة ان الشيء اذا اثبت او نفي واقيمت الدلائل على اثبات
ما ثبت منه ونفي ما نفي ثم اعيد ذلك في اسلوب آخر كان اثبت في النفس والصق بالقلب لا سيما ان كان في الاسلوب الثاني كما هي
عادة القرآن زيادة في البيان وتنبيه على ما لم يتقدم اولا ولا سيما ان كانت العبارة فايقة والالفاظ عذبة رايقة وانت
خبير بان هذا كله داب القرآن في اساليب الافتنان قال الغزالي في اوايل كتاب الجواهر في الفصل الذي فيه اشتمال الفاتحة
على ثمانية اقسام وقوله ثانيا الرحمن الرحيم اشارة الى الصفة مرة اخرى ولا تظن انه مكرر فلا مكرر في القرآن اذ حد المكرر
ما لا ينطوي على مزيد فايدة وذكر الرحمة بعد ذكر العالمين وقبل ذكر مالك يوم الدين ينطوي على فايدتين عظيمتين في تفصيل
مجاري الرحمة ثم ذكر ما حاصله ان احديهما تلتفت الى خلق كل من العالمين على اكمل انواعه وافضلها وايتائه كل ما احتاج اليه
والثانية تلتفت الى ما بعده بالاشارة الى الرحمة في المعاد يوم الجزاء عند الانعام بالملك المؤبد قال وشرح ذلك
يطول والمقصود انه لا مكرر في القرآن وان رايت شيئا مكررا من حيث الظاهر فانظر الى سوابقه ولواحقه لينكشف لك
مزيد الفايدة في اعادته انتهى وفي ذلك نكتة اخرى وهي ان الرحمن مشير الى ما قال من جهة الربوبية في الايجادي الاول
والثاني والرحيم مشير بخصوصه بما ترضاه الالهية الى الايجاد الثاني والابقاء الثاني بالرحمة الجزائية والى ما يفهمه الخصوص
من النقمة بمن لم تخصه الرحمة كما مضت الاشارة اليه في الفاتحة ولما كان معنى التحذير من طاعة المشركين انكم ان فعلتم كنتم
قد رددتم انفسكم الى ظلام الضلال بعد ان منحتم نور الهداية فكان التقدير افمن كان هكذا كمن نصح لنفسه باتباع الادلة وتوقي
الشبه عطف عليه قوله او من كان ميتا اي بالغرق في امواج ظلام الكفر ليس لهم من ذواتهم الا الجمادية بل العدمية
فاحييناه اي بما لنا من العظمة باشراق انوار الايمان على قلبه الذي ان صلح صلح الجسد كله وان فسد فسد الجسد كله وجعلنا
اي بعظمتنا على وجه الخصوص له نورا اي بالهداية الى كل خير يمشي مستقينا به في الناس فيعرفون افعاله واخلاقه واقواله
كمن مثله اي الذي يمثل به وهو ما يكشف بوجه الشبه روح لبه وخلاصة حال قلبه او يكون المعنى صفته انه في الظلمات
اي ما له من نفسه من ظلمة الجهل وظلمة ما ينشا عنه من الهوى وظلمة ما نشا عن الهوى من الكفر واذا كان المثل الذي هو اعلى من
الممثول في شيء كان الممثول عريقا فيه بطريق الاولى فلذلك قال ليس بخارج اي ذلك المثل منها اي الظلمات بما زين له من سوء اعماله
حتى صار احب اليه من نفسه وماله واذا لم يخرج المثل من شيء لم يخرج الممثول منه والا لم تكن بينهما مماثلة وذلك لانه زين له عمله وهي
ناظرة الى قوله اول السورة انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله وقوله والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات
ولما كان ايحاء الشياطين الى اوليائهم بما يوجب لزوم العمى ليس الا تزيينا للقبائح فكان حالهم مما يشتد العجب منه كانه كانه
قيل لولا رويتنا لحالهم ما صدقنا ان عاقلا يرضى ما فعلوه بانفسهم فهل وقع لاحد قط مثل حالهم فقيل نعم كذلك اي مثل ما زين لهم
سوء اعمالهم زين للكافرين اي كلهم ما كانوا بما جبلناهم عليه يعملون فهم ابدا في الظلمات فالآية من الاحتباك اثبت اولا كونه في
الظلمات دليلا على تقديره ثانيا وثانيا التزيين دليلا على تقديره اولا ولما كان معلوما ان عداوتهم له صلى الله عليه وسلم المشار
اليها بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا الآية لا يقوم بها الا اكابر الناس لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من جلالة المنصب وشرف
العشيرة وكثرة الاقارب وانه لا يتمادى عليها الا جاهل مطموس البصيرة مزين له قبيح اعماله عطف تعالى على التزيين للكافرين
قوله وكذلك اي مثل ما زينا للكافرين سوء اعمالهم فكان اكابر اهل مكة يمكرون فيتبع غيرهم مكرهم جعلنا اي بما لنا من
العظمة في اقامة الاسباب لما يعلي كلمة الانسان او يجعله حقير الشان في كل قرية اي بلد جامع ولما كان الكبر مختلف الانواع
باختلاف اشخاص المجرمين طابق بافعل التفضيل المقصودين بها في الجمع على احدى اللغتين وعبر بصيغة منتهى الجموع دلالة على
تناهيهم في الكثرة فقال اكابر مجرميها اي القاطعين لما ينبغي ان يوصل ولما كان من شان الانسان استجلاب اسباب الرفعة
لنفسه وكان لا يصل الى ذلك في دار ربط المسببات بحكمة الاسباب الا بالمكر وكان الاكابر اقدر على انفاذ المكر وترويج الاباطيل
بما لاغلب الناس من السعي في رضاهم طمعا فيما عندهم وكان الانسان كلما تمكن من ذلك امعن فيه وكان الكبير انما يصل الى ما قدر
له من ذلك بتقدير الله له كان بما قدر له من ذلك كانه خلقه له فقال معبرا بالجعل لما فيه من التصيير والتسبيب ليمكروا فيها
اي يخدعوا اصاغرهم ويغروهم بما يلبسون عليهم من الامور حتى يتبعوهم فيعادوا بهم حزب الله ولما كان ذلك موجعا
وغايظا محزنا قال تصغيرا لشانهم وتحقيرا لامرهم وما اي والحال انهم ما يمكرون الا بانفسهم لان عملهم بالمكر وبال عليهم
موبق لهم ولان مكرهم باولياء الله انما هو مكر بالله وذلك غير متات ولا كاين بوجه من الوجوه وكيف يتاتى مكر من لا يعلم
شيئا من الغيب بمن يعلم جميع الغيب وما يشعرون اي وما لهم نوع شعور بان مكرهم عايد على نفوسهم لان الله تعالى الذي
يعلم سرهم وجهرهم يجعل بما يزين لهم تدميرهم في تدبيرهم وانما اجرى تعالى سنته الالهية بذلك لما يشتمل عليه من اعلام
النبوة فان غلبة شخص واحد بمفرده او باتباع كثير منهم ممن لا يوبه لهم مع قلة العدد وضعف المدد لرؤساء الناس
واقويائهم مع طول مكثه بينهم منابذا لهم مناديا عليهم بان دينكم يمحى وديني يظهر وان كرهتم من خوارق العادات وبواهر الآيات

تصديقا لقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون في امثال ذلك ولما قرر هذا اتبعه بمقالة لهم تدل
على تعظيمهم وتكبرهم فقال عاطفا على واقسموا بالله جهد ايمانهم تعجيبا من حالهم فيما زين لهم من ضلالهم وتصديقا لما تقدم من الاخبار
بانهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية الا ان يشاء الله وتحقيقا لما في الآية السالفة من مكرهم بغيرهم وعوده على انفسهم واذا جاءتهم
اي الكافرين من اكابر المجرمين واتباعهم آية قالوا حسدا لمن خصه الله بالنبوة لكونهم اكابر مؤكدين للنفي لما للمعجزات الانبياء عليهم السلام
من القهر الموجب لظن الاذعان لاعتى اهل الكفران لن نؤمن اي ابدا حتى نؤتى لما لنا من العلو والعظمة المقتضية لان لا يختص احد عنا
بشيء مثل ما ولما كان نظرهم مقصورا على عالم الحس من غير نظر الى جانب الله لكونه غيبا سوا للمفعول قولهم اوتي رسل الله يجوز ان يكون
المراد حتى يوحى الينا ليلا يكونوا اعظم منا كما قال تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة وتقدم في اول السورة عن ابي جهل انه
قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف حتى اذا كنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء ويحك متى تدرك هذه والله
لا نؤمن به ابدا وان يكون المراد اتيانه صلى الله عليه وسلم بمثل آيات الاولين من شق البحر واليد والعصى واحياء الموتى ونحوها
وسموهم رسلا تنزلا او استهزاء وعبروا بالجلالة اشارة الى القدرة التامة فلا عذر ولما ذكر اسم الجلالة ايذانا بعظم ما اجترأوا
عليه لعماهم بما طمس على انوار قلوبهم من ظلمات الهوى عما للرسل من الجلال الذي تخضع له شوامخ الانوف اعادها ايضا تهويلا
للامر وتنبيها على ما هناك من عظيم القدر فقال ردا عليهم فيما تضمن قولهم من دعوى العلم بالحكمة والاعتراض على الله الله اي بما له
من صفات الكمال اعلم اي من كل من يمكن منه علم حيث يجعل اي يصير بما يسبب من الامور رسالاته اي كلها بالنسبة الى كل فرد
من افراد الخلق فهو لا يضع شيئا منها بالتشهي ولما كشف هذا النظم عن انهم اجترأوا على ما لا ينبغي الاجتراء عليه وانهم اصروا على اقبح
المعاصي الكفر لا لطلب الدليل بل لداء الحسد تافت النفس الى معرفة ما يحل بهم فقال جوابا سيصيب اي بوعد لا خلف فيه
واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال الذين اجرموا اي قطعوا ما ينبغي ان يوصل صغار اي رضى بالذل لعدم
الناصر ولما كان الشيء يعظم بعظمة محله ومن كان منه ذلك الشيء قال عند الله اي الجامع لصفات العظمة وعذاب اي مع الصغار
شديد اي في الدنيا بالقتل والخزي وفي الآخرة بالنار بما اي بسبب ما كانوا يمكرون ولما تقدم انه تعالى اعلم بمن طبع على قلبه
فلا ينفك عن الضلال ومن يقبل الهداية في الحال والمآل وان مكر المجرمين انما هو بارادته ونافذ قدرته علم ان الامر امره
والقلوب بيده فتسبب عن ذلك قوله فمن يرد الله اي الذي له جميع الجلال والاكرام ان يهديه اي يخلق الهداية في قلبه
من اكابر المجرمين او غيرهم يشرح صدره اي يوسعه بان يجعله مهيئا قابلا بالنور للاسلام قال الامام ابو جعفر النحاس رحمه الله
روي ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال يا رسول الله وهل ينشرح الصدر فقال نعم يدخل القلب نور فقال وهل لذلك من
علامة فقال صلى الله عليه وسلم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل الموت وفي رواية
الفوت ومن يرد اي الله ولم يظهر هنا اشارة الى ان الضلال على مقتضى الطبع ان يضله اي يخلق الضلال ويديمه في قلبه
يجعل صدره اي الذي هو سكن قلبه الذي هو معدن الانوار ضيقا حرجا اي شديد الضيق فيصير مرتجسا اي مضطربا روي
ان عمر رضي الله عنه احضر اعرابيا في كنانة من بني مدلج فقال له ما الحرجة فقال شجرة لا تصل اليها وحشية ولا راعية وساق
البغوي القصة ولفظه قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء ثم اتفقا فقال
عمر رضي الله عنه كذلك قلب الكافر لا يصل اليه شيء من الايمان والخير وزاد البغوي قال سيبويه الحرج بالفتح المصدر ومعناه
ذا حرج وبالكسر الاسم وهو اشد الضيق وقال المهدوي هنا الحرج الشديد الضيق وقد تقدم القول فيه وقال في النساء
في قوله تعالى ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اي ضيقا والى هذا المعنى يرجع قول مجاهد انه الشك وقول الضحاك
انه الاسم كانه ضيق شك او ضيق اثم وقال النحاس حرجا مما قضيت اي شكا وضيقا واصل الحرج الضيق انتهى
وتحقيق ذلك ان الآية هنا فيها بعد التاكيد بالاتيان بصيغة فيعل دون فاعل تاكيد آخر اما بالمصدر او باسم الفاعل فافاد
زيادة على اصل الفعل وهي الشدة فيه فمعنى الفتح ضيقا ضيقا بكسر الضاد واسكان الياء ومعناه ان كسرت حرجا ضيقا
ضيقا باعادة اسم الفاعل ومادة حرج بخصوص هذا الترتيب تدور على المكان الضيق الكثير الشجر ويلزمه الشخوص على
وجه الارض والارتفاع والجمع والمنع والشدة والحيرة والحر والبرد وهي باي ترتيب كان وهي خمسة حرج حجر رجح جحر جرح
تدور على الحجر الذي هو الجسم المعروف ويلزمه الثقل والمنع والحدة والشخوص والصلابة التي هي القسوة ويلزمها الضيق
فيرجع الى الصلابة الحرج بمعنى الضيق والحرجة للغيضة والحرج للقلادة من الودع والحرجوج للريح الشديدة الباردة
والناقة الحرجوج الوقادة القلب ويجوز رجوعها الى الحدة والحرج لسرعة الموتى لضيق الصدر من ذكره ولضيقه عن
اسرة الاحياء ومنه ايضا جحر الضب ونحوه للثقب المحتفر في الارض ويرجع الى الثقل الحرج بمعنى الاثم وينشأ
عن ذلك التعب المفضي الى الحيرة ومنه حرجت عينه اي حارت فلا تطرف ويلزم الثقل ايضا الحرج بمعنى الطعن النافذ
في البدن ومن ذلك احترج اذا اكتسب مالا لانه من آثاره ومنه الرجحان بمعنى الثقل والحلم الراجح الذي يوجب رزانة
صاحبه ومنه الارجوحة لان كلا من طرفيها يرجح بالآخر ويرجع الى المنع الحجر بمعنى العقل وبمعنى الحصن والحرام والفرس
الانثى لانها قد تمنع من الركوب للحمل او الولد والحجر في المال والحجرة الناحية القريبة لان الشيء اذا بعد عنك ولو قدر
باع امتنع منك وكان التانيث فيه لقربه ويرجع الى الشخوص الحرج الناقة الطويلة وقال الامام ابو الفتح ابن جني
رحمه الله في كتابه المحتسب في توجيه القراءات الشواذ عند قوله تعالى في هذه السورة وحرت حرج فيمن قرأ بتقديم

الراء

الرآء ان جميع تراكيب هذه المادة الخمسة تلتقي معانيها في الضيق والشدة والاجتماع واذا انعمت النظر وتركت المثل والصخر وجدت الامر كما قال والله اعلم فحجر الحجر واسم حجر الطين والحجرة وبقيته وكله الى التماسك والضيق ومنه الحرج الضيق والحرج مثله والحرجة التف من الشجر فلم يمكن دخوله ومنه الحجر وبابه لضيقه ومنه الحرج لمخالطة الحديد اللحم وتلاحمه عليه ومنه رجح الميزان لانه مال احد شقيه نحو الارض فقرب منها وضاق ما كان واسعا بينه وبينها فان قلت فانه اذا مال احدهما الى الارض فقد بعد الآخر قيل كلامنا على الراجح والراجح هو الذي الى الارض فاما الآخر فلا يقال له راجح واذا ثبت ذلك وقد ثبت فكذلك قوله تعالى وحرث حرج في معنى حجر معناه عندهم انها ممنوعة محجورة لن يطعمها الا من يشاؤن ان يطعموه اياها بزعمهم انتهى ولما كان صاحب هذا الصدر لانكاد الهداية تصل اليه وان وصل اليه شيء منها على لسان واعظ من طريق مرشد ناصح لم يجد مسلكا فنكصت وهكذا لا تزال في اضطراب وتردد ابدا كانت ترجمته قوله كانما يصعد اي يتكلف هذا الشخص في قبول الهداية الصعود في السماء في خفاء حيا من مزاولة ما لا يمكن بما اشارت اليه قرآة من ادغام التاء في الصاد فكلما اصعد تلك حركته الاختيارية اهبطته حركته الطبيعية القسرية كما يرى بعض الحمراء يحمل شيئا ثقيلا ويصعد به في جدار املس فيصير يتكلف ذلك فيقع ثم يتكلف الصعود ايضا فربما وصل الى مكانه الاول وسقط وربما سقط دونه فهو فيما يمتنع عادة فلا يزال مرتجسا مضطربا ويجامع الاضطراب عقبه بما بعده كما ياتي ولما كان ما وصف به صدر الضال مما ينفر منه وكان الرجس في الاصل لما يستقذر والمستقذر ينفر منه وكان هذا الكلام ربما اثار سؤالا وهو ان يقال لم هذا وهو جعل الضال على هذه الصفة خاص باهل هذا الزمان اجيب بما حاصله لا كذلك اي مثل ما جعل الله الرجس على من اراد ضلاله من اهل هذا الزمان يجعل الله اي بما له من القدرة التامة والعظمة الباهرة الرجس اي الاضطراب والتذبذب على الذين لا يؤمنون من اهل زمان لاراده سبحانه دوام ضلالهم فالآية من الاحتباك ذكر اولا الضلال دليلا على حذفه ثانيا وذكر الرجس ثانيا دليلا على حذفه اولا والآية نص ان الله يريد هدى المؤمن وضلال الكافر ولما ذكر ما الزمه اهل الضلال بلفظ ما يستقذر كان في غاية الحسن تعقيبه بالصراط فانه مما يعشق لاستقامته واضافته الى الرب الذي له مع استجماع الكمالات كلها صفة العطف والاحسان واللطف واضافة الرب الى هذا الرسول الذي يعشق خلقه وخلقه كل من يراه او يسمع به واحسن من ذلك وامتن ان مادة رجس تدور على الاضطراب الملزوم المعوج الملزوم للضلال المانع من الايمان فلما مثل سبحانه حال الضال بحال المضطرب واخبر انه الزم هذا الاضطراب كل من لا يؤمن اتبعه وصف سبيله بالاستقامة التي هي ابعد شيء عن الاضطراب الملزوم للعوج وكان التقدير فمن هذه حاله اهل الضلال فعطف عليه قوله وهذا اي الذي ذكرناه من الشرايع الهادية في هذا القرآن التي ختمنا ها بان الهادي المضل هو الله وحده لا الاتيان بالمقترحات ولوحات كل آية صراط اي طريق ربك اي المحسن اليك حال كون هذا الصراط مستقيما اي لا عوج فيه اصلا بل هو على منهاج النظر الاول التي جبل في احسن تقويم بالعقل السليم الذي لم يشبه هوى ولم يشنه خلل في ان الامر كله بيد الله لكيلا يزال الانسان خائفا من الله وراجيا له لانه القادر على كل شيء واما غيره فلا قدرة له الا بتقديره لانه خالق القوى والقدر عندنا وعند المعتزلة فلذلك الجزئيات كذلك لان الخلق لا يتصور بغير علم وليس غير الله محيط العلم قال الامام فالآية التي قبلها من المحكمات فيجب اجراؤها على ظاهرها ويحرم التصرف فيها بالتاويل ولما كان جميع ما في هذا الصراط على منهاج العقل ليس شيء منه خارجا عنه وان كان فيه ما لا يستقل بادراكه العقل بل لا بد له فيه من ارشاد الهداه من الرسل اخبر عن الله قال بينا المدحه مرشدا الى انتظامه مع العقل قد فصلنا اي غاية التفصيل بما لنا من العظمة الآيات اي كلها فصلا فصلا بحيث تميزت تميزا لا يختلط واحد منها بالآخر لقوم يذكرون اي بجهدون انفسهم في التخلص من شوايب الموايق للعقل من الهوى وغيره ولو على ادنى وجوه الاجتهاد بما يشير اليه الادغام ليذكروا انه ما من شيء ذكرناه الا وقد اودعنا في عقولهم شاهدا عليه ولما كان التذكر عند الآيات لا يكون الا من اهل العنايات في طرق الهدايات قال مرغبا في التذكر فانه سبب الفيض الالهي على القلوب المهيأة له لهم اي المتذكرين دار السلام اي الجنة اضافها سبحانه اليه زيادة في الترغيب فيها وخص هذا الاسم الشريف لانه لا يلم بها شيء فيه عطب ولا خوف ولا نصب ثم زاد الترغيب فيها بقوله عند ربهم اي في ضمان المحسن اليهم وحضرته بما هيأ لهم لا ويسره لهم وهو اي وحده وليهم اي المتكفل بتولي امورهم لا يكلهم الى احد سواه وهذا يدل على قرب منهم والعندية تدل على قربهم منه بما شرح من صدورهم بالتوحيد ولما كان ذلك ربما قصر على التذكر بين ان المراد منه التادية الى الاعمال فانها معيار الصدق وميزانه فقال بما اي بسبب ما كانوا اي كما جبلهم عليه مما كان ذلك الا بفضله يعملون ولما فصل سبحانه احوال الفريقين وحض على التذكر تنبيها على ان كل ما في القرآن مما يهدي اليه العقل وذكر حال المتذكرين فاتبعهم ان غيرهم الى عطب لانهم تولوا ما يضرهم لانهم تبعوا اهواءهم وكان من المعلوم انهم يعبدون غير خالقهم وانه ما من عبد يخدم غير سيده بغير امر سيده الا عابثه او عاقبه هذا امر كوزي في كل عقل ذكر سبحانه ما يتقدم ذلك الى المآل من الاهوال في الاجل المسمى الذي اخفاه عنده وجعله من اعظم مباني هذه السورة واولها وبين في اثنائها بعض احواله مرارا في وجوه من الافانين ابيانا وهو يوم الحشر فذكرهنا سبحانه بعض احوال الغافلين وبعض ما يقول لهم فيه وما يفعله معهم من عتاب وعقاب لطفا بهم واستعطافا الى المتاب فقال جامعا الفريقين ويوم اي واذكر في تذكرك يوم نحشرهم اي اهل ودنا واهل عداوتنا جميعا لا نذر منهم احدا اي فنقول على لسان من شئنا من جنودنا لاهل عداوتنا تبكيتا وتوبيخا

حين لا يكون لهم مدافعة اصلا يا معشر الجن اي المستترين الموحشين من مردة الشياطين المسلطين على الانس وهم يرونهم من حيث
لا يرونهم قد استكثرتم اي طلبتم واوجدتم الكثرة من الانس اي من اغواء المونسين الظاهرين حتى صار اكثرهم اتباعكم فالاية من الاحتباك
عبر بما يدل على الستر اولا دلالة على ضده وهو الظهور ثانيا وبما معناه الاستيناس والسكون ثانيا دلالة على ضده وهو الايحاش والنفرة
اولا وقال هو على عطف على جواب الجن المستتر المسبب عن العامل في يا معشر الذي تقديره كما يهدي اليه الايات التي تاتي في السور الاتية
في تفصيل هذه المحاورة فقالوا ربنا هم ضلوا لانهم كانوا يستمتعون بنا في تعودهم وسماعهم الاخبار الغريبة هنا فاستوجبوا العذاب
بمفردهم وستر جواب الجن لانه مع كونه لا يخفى لدلالة المعطوف عليه مناسب لحالهم في الاستتار مع شهرتهم وذكره بلفظ الماضي
اشارة الى تحقق وقوعه لانه خبر من لا يخلف الميعاد والمراد بهذه المحاورة ضرب مما ياتي تفصيله بقوله قالت اخراهم لاولاهم
ربنا هولاء اضلونا الاية وقوله فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا الاية اولياؤهم اي الجن من الانس اي الذين
تولوهم بالاتباع والطاعة فيما دعوهم اليه من الضلال معترفين مستعطفين ربنا ايها المربي لنا المحسن الينا استمتع اي طلب المتاع
واوجده بعضنا ببعض نحن بهم فيما قالوا وهم بنا في طاعتنا لهم وعياذنا بهم وبلغنا اي نحن وهم اجلنا واحالوا الامر على فقالوا الذي
اجلت لنا وهو الموت الذي كتبته علينا وسويت بيننا في سوط قهره وتجرع كؤس حره ومره ثم هذا اليوم الذي كنا مشتركين في التكذيب
به فاستوجبنا العذاب كلنا ولما تم ذلك كان كانه قيل فما قال الله لهم بعد هذه المحاورة الغريبة التي هي ضرب من كلام اهل الباطل
في الدنيا لجلج مضطرب لا حاصل له فقيل قال اي المخاطب لهم عن الله النار مثويكم اي منزلكم جميعا من غير ان تنفعكم الاحالة على القدر
خالدين فيها اي الى ما لا اخر له لان الاعمال بالنية وقد كنتم على عزم ثابت انكم على هذا الكفر ما بقيتم ولو الى ما لا اخر له فالجزاء من جنس
العمل ولما كان من المقرر انه لا تمام لملك من يجب عليه شي ويلزمه بحيث لا يقدر على الانفكاك عنه بين سبحانه ان ملكه ليس كذلك
بل هو على غاية الكمال لا يجب عليه شي ولا يقبح منه شي بل كل فعله جميل وجميع ما يبدو منه حسن فعلق دوام عذابهم على المشية
فقال الا ما شاء ولما كان القصد في هذه السورة الى اظهار العظمة للغيرة على مقام الالهية عبر بالاسم الاعظم فقال الله اي الذي
له رداء الكبر فلا يستطيع احد ان يعترض عليه ولا ان يهم بذلك هيهات هيهات انقطعت دون ذلك الامال وطلت ناكسة اعناق
الرجال وبيده ازار العز فمن اختلج في سره ان يرفع ناكس عنقه ضربه بمقامع الذل وانزله في مهاوي الخزي وقد تقرر انه سبحانه
لا يشاء انقطاع شي في ذلك عنهم في حال من الاحوال ونطق الكتاب بذلك في صرائح الاقوال وفي سوقه معلقا هكذا مع ما تقدم
زيادة في عذابهم بتعليق رجائهم من انقطاع بلائهم بما لا مطمع فيه ولما كان في اظهار الجلال في هذا الحال من عظيم الاهوال ما لا يسعه
المقال اتبعه اللطف بالمخاطب به صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك اي المحسن اليك برفع اوليائك وخفض اعدائك ولما
كان السياق في مثل هذه المقاولة في مجمع الحكم للحكمة والعلم وكان النظر الى الحكمة في تنزيل كل شي منزلة اعظم قدم وصفها فقال
حكيم اي فلا يعذب المخلص ويترك المشرك ولا يعذب بعض من اشرك ويترك بعضا عليم اي بدقايق الامور وجلايلها من الفريقين فلا
يخفى عليه عمل احد فيهمله لذلك ولما استبان بهذا انه ولي الكفرة من ظالمي الجن ظالمي الانس وسلطهم عليهم اخبر تعالى ان هذا
عمله مع كل ظالم من اي قبيل كان سواء كان كافرا او لا فقال وكذلك اي ومثل تلك التولية التي سلطنا بها الجن على الانس بما زاد عذاب
الفريقين نولي اي نتبع في جميع الازمان من جميع الخلق بعض الظالمين اي الفريقين في الظلم بعضا اي بان نجمع بين الاشكال في الاوصاف
الباطنة والخصال ونسلط بعضهم على بعض في الضلال والاضلال والاوجاع والانكال بما كانوا بجبلاتهم يكسبون اي بسبب
اجتماعهم في الطباع التي طبعناهم عليها يجتمعون وينقاد بعضهم لبعض بحسب ما سببنا من الاسباب الملايمة لذلك الظلم الذي يسرنا
لهم حتى صارت اعمالهم كلها في غير مواضعها فيظلم بعضهم بعضا ويهلك بعضهم بعضا وهم لا يزدادون الا التياما حتى يستحق الكل
ما كتبنا لهم من عذاب روى الطبراني في الاوسط عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
يقول انتقم ممن ابغض بمن ابغض ثم اصير كلا الى النار وعن مالك بن دينار رضي الله عنه قرات في بعض كتب الله المنزلة ان الله
تعالى يقول افني اعدائي باعدائي ثم افنيهم باوليائي او يقال فقد اخبرنا ان الله ولي المومنين بسبب محاسن اعمالهم ومثل ما
تولاهم ليعزهم يولي بعض الظلمة بعضا ليهينهم بسبب ما كانوا يتعاطونه من مساوي الاعمال وردي الخلال وغث الخصال
فيوديهم الى مهلك الاوجاع والاوجال او يقال فقد بان ان كلا من ظالمي الانس والجن كان وليا لكل وكما جعلنا بعضهم اولياء
بعض في الدنيا نفعل اذا حشرناهم في النار فنجعل بعضهم اولياء الى اتباع بعض ليستمتع بعضهم ببعض وينصر بعضهم بعضا ان
قدروا وهيهات بينهم ذلك هيهات شغلهم البكاء والعويل والندم والنحيب ولما انقضت هذه المحاورة وما انتجته من بغيض
الموالاة والمجاورة وكان حاصلها انها موالاة من ضرت موالاته اتبعها سبحانه بمحاورة اخرى حاصلها معاداة من ضرت معاداته
فقال مبدلا من الاولى اتماما للتقريع والتوبيخ والتشنيع يا معشر الجن قدمهم لان السياق لبيان غلبتهم والانس وبكتهم بقوله
محذرا للسامعين الان ومستعطفا لهم الى التوبة الم ياتكم رسل ولما صار القبيلان بتوجيه الخطاب نحوهم دفعة كالشي الواحد
قال منكم وان كان الرسل من الانس خاصة ولما كان النظر في هذه السورة الى العلم غالبا لاثبات تمام القدرة الذي هو من لوازمه
بدليل يعلم سركم وجهركم اليس الله باعلم بالشاكرين وعنده مفاتح الغيب وغيرها ولذلك اكثر فيها من ذكر التفصيل الذي لا يكون
الا لعالم فكان النص الذي هو تتبع الاثر انسب لذلك فقال يقصون اي بالتلاوة والبيان لمواضع الدلايل عليكم اياتي اي يتبعون
بالعلامات التي يحق لها بما لها من الجلال والعظمة ان ينسب الى مواضع شبهكم فيجلونها جلاء مقطوعا به وينذرونكم اي يخوفونكم
لقاء يومكم هذا اي بما قالوا لكم انه يطلبكم طلبا حثيثا وانتم سايرون اليه في سفن الايام ومراكب الاثام وانتم لا تشعرون سيرا

سريعا

سريعًا قالوا معذرين عن انفسهم بالذل والخضوع شهدنا بما فعلت بنا انت سبحانك من المحاسن وما فعلنا نحن من القبائح على انفسنا
اي باتيان الرسل الينا ونصيحتهم لنا بدليل الآية الاخرى قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وبين ان ضلالهم كان
بارداء الوجوه واسحقها الدنيا بحيث انهم اغتروا بها مع وطنا الحضور هاعن الاخرة مع شرفها لغبائها وغرتهم اي شهدوا هذه
الشهادة والحال انهم قد غرتهم الحيوة الدنيا اي الحاضرة عندهم اذ ذاك الدنية في نفسها لغبائها عن اتباع الرسل داب الجاهل
في الرضى بالدون والدابة في القناعة بالحاضر بشهادتهم ضارة لهم ولكن لم يستطيعوا كتمانها قابل وشهدوا ان في هذا الموطن من
مواطن القيمة الطوال على انفسهم ايضا بما هو اصرح في الضرر عليهم من هذا وهو انهم كانوا جبلة وطبعًا كافرين اي عريقين في وصف
الكفر ويجوز ان يكون الغرور بانهم ظنوا احوال الاخرة تمشي على ما كانوا بالفونه في الدنيا من ان الاعتراف بالذنب والتكلم بالصدق
قد ينفع المذنب ويكف من سورة المغضب حتى يترك العقاب ويصفح عن الجريمة فلذلك شهدوا باتيان الرسل اليهم واقامة الحجة
عليهم وشهدوا على انفسهم بالكفر فما زادهم ذلك الا وبالا وخزيا ونكالا ولما ذكر سبحانه اقامة الحجة على الكافرين المعاد بالرسل
عليهم السلام علل ارسالهم ترغيبا وحثا في اتباعهم في ايام المهلة بعد ترهيب وتنبيها وارشادًا في ضمن تخويف وتاديب فقال
ذلك اي الامر العظيم الجدوي هو انا ارسلنا الرسل ان اي لاجل انه لم يكن ربك اي المحسن اليك بتشريف قومك مهلك اي ثابتا
باهلاكه القرى بظلم اي بسبب ظلم ارتكبوه واهلها غافلون اي غريقون في الغفلة عما يجب عليهم مما لا تستقل به عقولهم بما ركب
فيهم من الشهوات وغلب عليهم من الالذات فاوقف عقولهم عن نافذ المعرفة بما يراد منهم فارسلنا اليهم الرسل حتى يقظوهم من رقدتهم
وانبهوهم من غفلتهم فصار تعذيبهم بعد تنكيبهم هو الحق الواجب والعدل الصائب ويجوز ان يكون المعنى مهلكهم ظالما فيكون المنفي من
الظلم كالمنفي في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولما بين سبحانه ان احد الفريقين دار السلام وللآخر دار الملام قال
جامعا الفريقين عاطفا على قوله لهم دار السلام عند ربهم وكل اي عامل من الفريقين صالح اوطالح من قبيلي الجن والانس في
الدارين درجات اي يعليهم الله بها مما اي من اجل ما عملوا ودركات يهويهم فيها كذلك ولما تقدم انه تعالى لا يهلك المحسنين الا
بعد الاعذار اليهم وتضمن ذلك امهالهم وختم احوالهم بانهم موضع لثبوت الغفلة ودوامها نفى ان يلم شيء من ذلك بجناب عظمته
على وجه اثبت له احاطة العلم بجميع اعمالهم فقال وما ربك اي المحسن اليك باعلاء اوليائك واسفال اعدائك واغرق في النفي
لاثبات مزيد العلم فقال بغافل عما تعملون اي عن شيء يعمله احد من الفريقين بل هو عالم بكل شيء من ذلك وبما يستحقه العامل قادر
على جزائه فلا يقع في وهم ان الامهال لخفاء او استحقار بخفاء الموجب له فالآية من النصوص في اثابة الصالحين من الجن ولما
كان طلب العبادة للايتمار والانتهاء ربما اوهم الحاجة اليها لنفع في الطاعة او ضر بلحقه سبحانه من المعصية وكان الامهال
مع المبارزة ربما ظن انه عن عجز قال مرغبا مرهبا وربك اي المحسن اليك واليهم بارسالك وحصر الخبر في المبتدا بقوله
الغني اي وحده الغني المطلق عن كل عابد وعبادته فليعمل العامل لنفع نفسه او ضرها ذو الرحمة اي وحده بالامهال ان
والارسال للتنبيه على ما يستحقه من الاعمال ولما ذكر اختصاصه بالغنى والرحمة فلا رحمة الا منه ولا غنى الا عنه وانه ما
رتب الثواب والعقاب الا رحمة منه وجودًا استانف بيان ذلك او اخبر عن هذا المبتدا بوصفيه عند من جعلها وصفين بقوله
مصرحًا بما افاداه ان يشا يذهبكم اي جميعًا بالاهلاك فلا يقع في ظن احدكم ان الاهلاك متوقف على شيء غير مشيئته ولكنه قضى
بامهالكم الى اجالكم رحمة لكم واكراما لنبيكم صلى الله عليه وسلم قال تحقيقا لغناه ايضًا ويستخلف ولما كان لم يجعل احدا الخالد
ادخل الجار فقال من بعدكم اي بعد اهلاككم ما يشاء اي يبدع غيركم من الخلق من جنسكم او غير جنسكم كما ابدع اباكم آدم من التراب
والتراب من العدم وفرعكم منه كما انشاكم من ذرية اي نسل قوم آخرين اي بعد ان اهلككم اجمعين وهم اهل السفينة وقد كنتم
نطفا في اصلابهم لم تكونوا في واحدة منها حيوة ولما تقرر ان له الوصفين الملك ومن للقدرة انتج ذلك قوله جوابا لاستعجالهم
بالعذاب استهزاء انما توعدون اي من البعث وغيره لآت اي لا بد من وقوعه لان الموعد لا يبدل القول لديه ولا كفوا له ان
يعارضه فيه وما انتم بمعجزين اي بثباتكم لما تيان شيء يعجز عنه الخصم فتمهد الامر من جهته ومن جهتكم لوجود المقتضي وانتفاء
المانع وفي ذلك تقرير لا مر رحمته لان القادر اذا اراد النقمة اخذ على غرة ولم يعدد واذا اراد الرحمة تقدم بالوعيد ليحذر
الغايرون ويستسلم الخاسرون ولما تقرر ذلك من التهديد على انكار البعث وتحوز بانتج الاجتهاد للعاقل ولا بد في العمل ان
وكان اكثر الخلق احمق امره سبحانه بالنصيحة بقوله قل يا قوم اي يا اقرب الخلق الي واعزهم علي ومن لهم قيام في الامور
وكفاية عند المهمات اعملوا واشار الى مزيد القوة بعد التعبير بالقوم بصرف الاستعلاء فقال على مكانتكم اي على ما لكم من القدرة
على العمل والمكنة قبل ان تاتي الدواهي وتسبقكم القواصم بحتوف لا جل وفيه مع النصيحة تخويف اشد مما قبله لان التهديد
الحاضر على لسان الغير مع الاعراض اشد من مواجهته بالتهديد اي انكم ان لم تقبلوا بذلك التهديد الاول كنتم اهلا للاعراض والبعد
ولما كان ادل شيء على النصيحة مبادرة الناصح الى مباشرة ما نصح به ودعا اليه قال مستانفا او معللا انى عامل اي على
مكانتي وبقدر استطاعتي قبل الفوت بحادث الموت ويمكن ان يكون مستحضا للتهديد فيكون المعنى اعملوا بما انتم تعملون الآن
من مخالفتي بغاية ما لكم من القوة اي كذلك اعمل فيما جئت به ولما كان وقوع الموعود به سببا للعلم بالعاقبة وكان السياق
لعدم تذكرهم وغرورهم وقلة فطنتهم حسن اثبات الفاء دون اسقاطها لان الاستيناف لا يكون الا مضع للقال متعطف السؤال
فقال فسوف تعلمون اي يقع لكم بوعد لا خلف فيه العلم فكانه قيل اي علم فقيل من تكون له كونا كانه جبل عليه عاقبة الدار اي
مني ومنكم وهذا في اثبات الفاء بخلاف ما في قصة شعيب عليه السلام من سورة هود عليه السلام في حذفها ولما كان التقدير

جوابا لما يقدر من سوآلهم عاقبة الدار للعامل العدل استانف قوله انه لا يفلح الظالمون اي الفريقين في الظلم كاينين من كانوا فلا
تكون لهم عاقبة الدار فالآية من الاحتباك ذكر العاقبة اولا دليل على حذفها ثانيا وذكر الظلم ثانيا دليل على حذف العدل اولا ولما
تمت هذه الايات في قبح طريقتهم وانكار البعث وحسن طريقه للاسلام على هذا الاسلوب البديع والمثال البعيد المنال الرفيع وختمت
بحال الظالم شرع في تفصيل قوله افغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض على اسلوب آخر ابتداه ببيان ظلمهم وجهالاتهم
واباطيلهم تنبيها على سخافة عقولهم تغيرا عنهم بوضعهم الاشيا في غير مواضعها واخراجها عمن هي له ونسبتها الى من لا يملك شيا وقتل
الاولاد وتسييب الانعام وغير ذلك فقال عاطفا على وجعلوا لله شركاء الجن واجعلوا اي المشركون العادلون بربهم الاوثان لله
اي الملك الاعلى الذي لا كفو له مما ذرا اي خلق وانشا وبث ولم يشركه في خلقه احد من الحرث اي من الحبوب وغيرها والانعام نصيبا
اي وجعلوا لشركائهم نصيبا ولما كان الجعل لا يعرف الا بالقول سبب عنه قوله فقالوا اي بالسنتهم بعد ان قالوا بافئدتهم هذا
لله اي الملك الاعلى بزعمهم اي ادعائهم الباطل وتصرفهم بكذب ادعاهم التخصيص بالله ولذا اسقط الزعم من قوله وهذا لشركائنا
اي وليس لهم سند في هذه القسمة الا اهواؤهم ولما كان هذا سفها بتسويتهم من لا يملك شيا بمن يملك كل شي بين من فعلهم ما هو اشد
سفها منه بشرح ما لوح اليه التعبير بالزعم فقال مسببا عن ذلك ومفرعا فما كان لشركائهم اي بزعمهم انهم شركاء فلا يصل الى الله
اي الذي هو المالك مع اتصافه بصفات الجلال والجمال وما كان لله على ما له من الكبر والعظمة والجلال والعزة فهو يصل الى شركائهم
فاذا هلك ما سموا لشركائهم او اجدب وكثر ما لله قالوا ليس لالهتنا بد من نفقة واخذوا ما لله فانفقوه على آلهتهم واذا اجدب الذي لله
وكثر ما لآلهتهم قالوا لو شاء الله لازكى الذي له فلا يردون عليه شيا مما للآلهة ولما بلغ هذا غاية السفه قال ساء ما يحكمون اي حكمهم
هذا اسوا حكم ذكر الامام ابو الربيع سليمن بن سالم الكلاعي في سيرته في وفد خولان انه كان لهم صنم يسمى عم انس وانهم لما وفدوا
على النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا له انهم كانوا يجعلون من انعامهم وحروثهم جزءا له وجزءا لله بزعمهم قالوا كنا نزرع الزرع
فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرة لله عز وجل فاذا مالت الريح بالذي سميناه لله جعلناه لعم انس واذا مالت
الريح بالذي جعلناه لعم انس لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل انزل عليه في ذلك وجعلوا
لله الآية قالوا وكنا نتحاكم اليه فنكلم فقال صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم قالوا فاصبحنا يا رسول الله وقلوبنا تعرف
انه كان لا يضر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لم يعبده وقال ابن هشام رحمه الله في مقدمة السيرة انهم كانوا يقسمون له فما دخل
في حق عم انس من حق الله الذي سموه له تركوه وما دخل في حق الله من حق عم انس ردوه عليه قال وهم بطن من خولان يقال لهم
الاديم وقال عبد الرزاق في تفسيره اخبرنا معمر عن قتادة قال كانوا يعزلون من اموالهم شيا فيقولون هذا لله وهذا لاصنامهم
فان ذهب بغير مما جعلوا لشركائهم يخالط شيا مما جعلوا لله ردوه وان ذهب شي مما جعلوا لله يخالط شيا مما جعلوا لشركائهم تركوه
وان اصابتهم سنة اكلوا مما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم فقال عز وجل ساء ما يحكمون وقال البغوي رحمة الله عليه
كانوا يجعلون لله من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر اموالهم نصيبا فما جعلوه لله صرفوه للضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام
انفقوه على الاصنام وخدمها فان سقط شي مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شي من
نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة وكان اذا هلك او انتقص شي مما جعلوه لله لم يبالوا به
واذا هلك او انتقص شي مما جعلوه للاصنام جبروه مما جعلوه لله ولما كان هذا متضمنا لانهم نقصوا اموالهم بانفسهم
في غير طائل فجعلوها لمن لا يستحقها نبه تعالى على ان ذلك بتزيين من اضلهم من الشياطين من سدنة الاصنام وغيرهم من الانس
ومن الجن المتكلمين من اجواف الاصنام وغيرهم فقال منبها على انهم زينوا لهم ما هو ابين منه وكذلك اي ومثل ما زين لجميع المشركين
تضييع اموالهم والكفر بربهم شركاؤهم زين لكثير من المشركين ولما كان المزين لخسته اهلا لان لا يقبل تزيينه ولا يلتفت اليه
فكان امتثال قوله غريبا وكان الاقدام على فعل الامر المزين اشد غرابة قدمه تنبيها على ذلك فقال قتل اولادهم اي
بالواد خشية الاملاق والنحر لآلهتهم وشتان بين من يوجد لهم الولد ويرزقه والرزق ويخلقه وبين من لا يكون الا سببا
في اعدامه ولما كان هذا في غاية الغرابة تشوفت النفس الى فاعل التزيين فقال شركاؤهم اي وهم اقل منهم بما يخاطبون
به من اجواف الاصنام وبما يحسن لهم السدنة والاهوية بسبب الاصنام ولما كان هذا امرا معجبا كان الامر في قراءة ابن
عامر المولود في زمان النبي صلى الله عليه وسلم المشمول ببركة ذلك العصر الاخذ عن جلة الصحابة الموصوف بغزارة العلم
وفنانة الدين وقوة الحفظ والضبط وصحة النقل في اسناد القتل الى الشركاء باضافة المصدر الى فاعله اعجب وفصل
بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول وهو الاولاد لان وقوع القتل فيهم كما تقدم اعجب ولما كان ذلك ربما كان لفائدة
استهين لها هذا الفعل العظيم ذكر انه ليس له فائدة الا الهلاك في الدنيا والدين الذي هو هلاك في الآخرة ليكون ذلك
اعجب فقال ليردوهم اي ليهلكوهم هلاكا لا فائدة تحته بوجه وليلبسوا اي يخلطوا ويشبهوا عليهم دينهم وهو دين ابرهيم
الذي امره الله بذبح ولده اسمعيل عليهما السلام فما اقدم عليه الا بامر الله ثم انه فداه ولم يمض ذبحه فخالف هولاء عن امر الشركاء
الامرين معا فجمعوا لهم بذلك بين اهلاكين في النفس والدين فان القتل في نفسه عظيم جدا ووقوعه تدينا بغير اصل ولا شبهة
اعظم فلا اضل ممن تبع من كان سببا لاهلاك نفسه ودينه ولما كان العرب يدعون الاذهان الثاقبة والافكار الصافية
والآراء الصائبة والعقول الوافرة النافذة ذكر لهم ذلك على سبيل التعليل استهزاء بهم يعني انهم فعلوا ذلك لهذه العلة فلم
تفطنوا بهم ولم تدركوا ما ارادوا بكم مع انهم حجارة فانتم اسفل منهم ولما اثبت للشركاء فعلا هو التزيين وكان قد نفى سابقا عنهم

احتباك

رسول الله صلعم

وعن

وعن سائر اعداء الانبياء الاستقلال به وناط الامر هناك لان السياق للاعداء بصفة الربوبية المقتضية للحياطة
والكفاية وكان الكلام هنا في خصوص الشركاء علق الامر باسم الذات الدال على الكمال المقتضي للعظمة والجبروت والكبر
وسائر الاسماء الحسنى على وجه الاحاطة والجلال فقال ولو شاء الله اي بما له من العظمة والاحاطة بجميع اوصاف الكمال المقتضية
للعلو عن الانداد والتنزه عن الشركاء والاولاد ان لا يفعله المشركون ما فعلوه اي ذلك الذي زينه لهم بل ذلك انما هو بارادته
ومشيئته احتراسا من ظن انهم يقدرون على شيء استقلالا وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخفيفا واكد التسلية
بقوله فذرهم وما يفترون اي يتقولون من الكذب ويتعمدونه ولما ذكر اقدامهم على ما قبحه الشرع ولاءمه على تقبيحه
العقل من قتل الاولاد اتبعه احجامهم عما حسنه الشرع من ذبح بعض الانعام لنفعهم وضم اليه جملة مما منعوا انفسهم منه ودانوا
به بمجرد اهوائهم فقال وقالوا اي المشركون سفها وجهلا هذه اشارة الى قطعة من اموالهم عينوها لالهتهم انعام وحرث حجر
اي حرام محجور عليه فلا يصل احد اليه وهو وصف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات
لا يطعمها اي ياكل منها الا من نشاء اي من السدنة ونحوهم بزعمهم اي بتقولهم بمجرد الهوى من غير سند عن الله الذي له ملك السموات
والارض وهم كاذبون في هذا الزعم في اصل التحريم وفي نفوذ المنع فلو اراد الله ان توكل لاكلت ولم يقدروا على منع وانعام ولما
كان ذمهم على مجرد التحريم لا على كونه من معين بني للمجهول قوله حرمت ظهورها يعني البحاير وما معها فلا تركب وانعام لا
يذكرون اي هؤلاء المتقولون على الله اسم الله الذي حاز جميع العظمة عليها اي في الذبح او غيره افتراء اي تعمدا للكذب عليه
ولما كان هذا العظمة من جهة انه تعمد الكذب على ملك الملوك موضع تشوف السامع الى ما يكون عنه استانف قوله سيجزيهم
اي بوعد صادق لا خلف فيه بما اي بسبب ما كانوا اي جبلة وطبعا يفترون اي يتعمدون من الكذب اما بعد اظهار الحق فواضح
وما قبله فلكونه في غاية ما يكون من ظهور الفساد ولما ذكر من سفههم ما فيه اقدام محض وما فيه احجام خالص بحت اتبعه
ما هو مختلط منهما فقال وقالوا اي المشركون او بعضهم واقره الباقون ما في بطون هذه اشارة الى ما اقتطعوه لالهتهم وبينوه
بقولهم الانعام اي من الاجنة خالصة اي خلوصا لا شيب فيه انث للحمل على معنى الاجنة او تكون التاء للمبالغة او تكون مصدرا
كالعافية اي ذو خالصة لذكورنا ولما كان المراد العرافة في كل صفة اتى بالواو فقال ومحرم وحذف الهاء اما حملا على
اللفظ او تحقيقا لان المراد بخالصة المبالغة على ازواجنا اي اناثنا وكانه عبر بالازواج بيانا لموضع السفه بكونهن
شقايق الرجال هذا ان ولد حيا وان يكن اي ما في بطونها ميتة وكانه اثبت هاء التانيث مبالغة وانث الفعل ابو جعفر وابن
عامر وابو بكر عن عاصم حملا على معنى ما ورفع الاسم على التمام ابن كثير وابو جعفر وابن عامر وذكر ابن كثير لان التانيث غير حقيقي
ونصب الباقون على جعلها ناقصة مع التذكير حملا على لفظ ما فهم اي ذكورهم واناثهم فيه اي ذلك الكاين الذي من البطون
شركاء اي على حد سواء ولما كان ذلك كله وضعا منهم الاشياء في غير مواضعها التي يحبها الله قال سيجزيهم وصفهم اي بان يضع
العذاب الاليم في كل موضع يكرهون وضعه فيه حتى يكون مثل وصفهم الذي لم يزالوا يتابعون الهوى فيه حتى صار خلقا
لهم ثابتا فهو يريهم وخيم اثره ثم علل ذلك بقوله انه حكيم اي لا يجازي على الشيء الا بمثله ويضعه في احق مواضعه واعلاها
عليم اي بالمماثلة ومن يستحقها وعلى اي وجه يفعل وعلى اي كيفية يكون اتم واكمل وفي ذلك اتم اشارة الى ان هذه الاشياء في
غاية البعد عن الحكمة فهو متعال عن ان يكون شرعها وهو سفه محض لا يفعلها الا ظالم جاهل ولما ذكر تعالى تفاصيل سفههم
واشار الى معانيها جمعها وصرح بما اثمرته من الخيبة في سبع خلال كل واحدة منها سبب تام في حصول الذم فقال
قد خسر واظهر في موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال الذين قتلوا قراها ابن عامر وابن كثير بالتشديد لارادة
التكثير والباقون بالتخفيف اولادهم سفها اي حفه الى الفعل المذموم وطيئا توزهم الشياطين الذين يتكلمون على السنة
الاصنام او سدنتها الى ذلك ازا ولما كان السفه منافيا لرزانة العلم الذي لا يكون الفعل الناشي عنه الا عن تان وتدبر
وتفكر وتبصر قال مصرحا بما افهمه بغير علم اي واما من قتل ولده بعلم كما اذا كان كافرا او قاتلا او محصنا زانيا فليس حكمه
كذلك ولما ذكر عظيم ما اقدموا عليه ذكر جليل ما احجموا عنه فقال وحرموا ما رزقهم الله اي الذي لا ملك سواه رحمة لهم
من تلك الانعام والغلات بغير شرع ولا نفع بوجه افتراء اي تعمدا للكذب على الله اي الذي له جميع العظمة ولما كانوا قد
خسروا ثلاث خسارات مع ادعائهم غاية البصر بالتجارات النفس بقتل الاولاد والمال بتحريم ما رزقهم الله فافادهم
ذلك خسارة الدين كانت نتيجته قوله قد ضلوا اي حاروا وحادوا عن الحق وجاروا ولما كان الضال قد يكون ضلاله
فلتة عارضة له وتكون الهداية وصفا اصيلا فيه نبه على ان الضلال وصفهم الثابت بقوله وما كانوا اي في شيء
من هذا في خلق من الاخلاق مهتدين اي لم يكن في كونهم وصف الهداية بل زادوا بذلك ضلالا قال البخاري في المناقب
من صحيحه حدثنا ابو النعمان نا ابو عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا سرك ان تعلم
جهل العرب فاقرا ما فوق الثلثين ومائة في سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها الى قوله وما كانوا
مهتدين وله في وفد بني حنيفة من المغازي عن مهدي بن ميمون قال سمعت ابا رجاء العطاردي يقول كنا نعبد الحجر
فاذا وجدنا حجرا احسن منه القيناه فاخذنا الاخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه
ثم طفنا به فاذا دخل شهر رجب قلنا منصل الاسنة فلا ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة الا نزعناه فالقيناه
شهر رجب ولما كان مدار القرآن على تقرير التوحيد والنبوة وتوابعها والمعاد والقضاء والقدر والفعل بالاختيار

واتقن تقرير هذه الاحوال لاسيما في هذه السورة وانتهى الى شرح احوال السعداء والاشقياء وعجب سبحانه ممن اشرك وانكر
البعث وفعل افعال المشركين تعجيبا بعد تعجيب وهجن طريقتهم ووبخهم توبيخا في اثر توبيخ بتكذيبهم للداعي من غير حجة وحكى اقوالهم الباطلة
ودعاويهم الفاسدة مع ادعائهم انهم انصف الناس ومخالفتهم للهادي بغير ثبت ولا بينة مع ادعائهم انهم ابصر الناس وبطلبهم الايات
تعنتا مع ادعائهم انهم اعقل الناس واخلاصهم في الشدة واشراكهم في الرخاء مع ادعائهم انهم اشكر الناس وعبادتهم للجن وتعوذهم بهم
مع ادعائهم انهم اشجع الناس الى ان عجب منهم فيما شرعوه لانفسهم فيما رزقهموه سبحانه من حيوان وجماد ومضوا عليه خلفا عن سلف
تنبيها على ضعف عقولهم وقلة علومهم تنفيرا للناس عن الالتفات اليهم والاغترار باحوالهم قال في موضع الحال من وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث الاية مبينا عظيم ملكه وشمول قدرته وباهر اختياره وعظمته زيادة في التعجيب منهم في تصرفهم في ملكه بغير
اذنه وشرعهم ما لم ياذن فيه في سياق كافل باقامة الحجة على تقرير التوحيد عودا على بدء وعللا بعد نهل لانه الدار الاعظم والاصل
الاقوم وهو اي لا غيره الذي انشا اي من العدم جنات اي من العنب وغيره معروشات اي مرفوعات عن الارض على الخشب ونحوه
لا تصلح الا معروشة ومتى لم ترفع عن الارض تلف ثمرها وغير معروشات لا تصلح الا مطروحة على الارض متقلة بما يحكم وصولها
اليها ومتى ارتفعت عن الارض تلفت فما ذلك لطبيعة ولا غيرها والا لاستوت الجنات كلها لان نسبتها الى السماء والارض واحدة
فما اختلفت الا بفاعل مختار واحد لا شريك له لا يكون الا ما يريد ولما ذكر الجنات الجامعة ذكر افضلها فضلهم وادلها على الفعل
بالاختيار وبدا باشهرها عند المخاطبين بهذه الايات فقال والنخل اي وانشا النخل والزرع حال كونه مختلفا اكله اي اكل احد النوعين
وهو ثمره الذي يوكل بالنسبة الى الاخر واكل كل نوع بالنسبة الى الاشجار وغيرها في الحمل والطعم وغيره بل ويوجد في العذق الواحد
الاختلاف واما اختلاف مقداره يكون هذا في غاية الطول وهذا في غاية القصر فامر واضح جدا والزيتون والرمان ولما كان
معظم القصد في هذا السياق نفي الشريك واثبات الفعل بالاختيار لم يدع الحال الى ذكر كمال الشبه فاكتفى باصل الفعل فقيل
متشابها اي كذلك وغير متشابه اي في اللون والطعم والفساد وعدمه والتفكه والاقتيات والدهن والماء الى غير ذلك من
احوال وكيفيات لا يحيط بها حق الاحاطة الا بارئها سبحانه وعز شانه ولعله جمع الاولين لان كلا منهما يدخر للاقتيات ولا
يسرع فساده مع المقاربة في الشكل والاختلاف في النوع بالشجر والنجم والتفاوت العظيم في المقدار والاخيرين لان الاول
لا يفسد بوجه والثاني يسرع فساده ويدخر كل منها بالعلاج على غير الهيئة التي يدخر عليها الاخر مع كونهما من الاشجار وتقاربهما
في المقدار وتفاوت ثمرتهما في الشكل والقدر وغير ذلك ولما كان قوله وهو الذي انزل من السماء ما في سياق الاستدلال
على انه لا فاعل الا الله امر فيه بالنظر الى الثمر والينع ليعتبر بحالهما وكانت هذه الاية في سياق التعنيف لمن حرم ما رزقه
الله والامر بالاكل من حلال ما انعم به والنهي عن تركه تدينا فقال تعالى هنا كلوا وقدم الاولى المستدل بها على وجود الباري
وتفرده بالامر لان اعتقاد ذلك سعادة روحانية ابدية وقال ابو حيان في النهر لما كان مجيء تلك الاية في معرض الاستدلال
بها على الصانع وقدرته والحشر واعادة الارواح الى الاجساد بعد العدم وابراز الجسد وتكوينه من العظم الرميم وهو عجب
الذنب قال انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه اشارة الى الايجاد والى غايته وهنا لما كان في معرض الامتنان واظهار الاحسان
بما خلق قال لنا كلوا ودل على ان الرزق اكثر من الخلق بقوله من ثمره ولما كان هذا الامر الاباحة لا للارادة قيده لئلا يقتضي
ايجاد الثمر في كل جنة في كل وقت فقال اذا اثمر فحصل بمجموعهما الحيوة الابدية والحيوة الدنياوية السريعة للانقضاء وتقدم
النظر وهو الفكر على الاكل لهذا السبب وعبر باذا دون ان تحقيقا لرجاء الناس في الخصب وتسكينا لامالهم رحمة لهم ورفقا
بهم اعلاما انه ان وقع جدب كان في ناحية دون اخرى وفي نوع دون اخر واباحة الاكل في جميع احوال الثمرة نضيجة وغير
نضيجة ولما كان في الايات الحاكية مذاهب الكفار تقبيح ان يجعلوا شيئا من اموالهم لاحد باهوائهم اشار هنا الى انه مرض
فيها حقا وجعل له مصارف بقوله واتوا حقه ولما اباح سبحانه اكله ابتداء وانتهاء بين انه خفف عنهم الوجوب قبل الانتهاء
فقال يوم حصاده اي قطعه جدادا كان او حصادا فذلك اول وقت انصباب الامر وهو موسع والحق اعم من الواجب والمندوب
فان اريد الندب عم الانواع الخمسة الماضية العنب المشار اليه بالعرش وما بعده وان اريد الوجوب فقد اشير بالتعبير
بالحصاد الى ان الاصل في ذلك الحبوب المقتاتة واما غيرها لتابع علم ببيان النبي صلى الله عليه وسلم ليطلق عليه الحصاد
مجازا ولما امر الله بالاكل من ثمره وبايتاء حقه نهى عن مجاوزة الحد في البسط والقبض فقال ولا تسرفوا وهذا النهي يتضمن
افراد الاسراف فيدخل فيه الاسراف في اكل الثمرة حتى لا يبقى منها شيء للزكاة والاسراف في الصدقة حتى لا يبقى لنفسه ولا لعياله
شيئا ويؤيده وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ولا يبسطها كل البسط ثم علله بقوله انه لا يحب المسرفين اي لا يعاملهم معاملة
المحب فلا يكرمهم وقيل لحاتم الطائي لا خير في السرف ولا سرف في الخير ولما كان السياق للماكل من الحرث والانعام من حلال
وحرام وفرع من تقرير امر الحرث الذي قدم في الجملة الاولى لانه مادة الحيوان قال ومن اي وانشا من الانعام حمولة
اي ما تحمل الاثقال وفرشا اي وما يفرش للذبح او للتوليد ويعمل من وبره وشعره فرش ولما استوفى القسمين امر بالاكل
من ذلك كله على وجه يشمل غيره مخالفة للكفار فقال كلوا مما رزقكم الله اي لانه الملك الاعظم الذي لا يسوغ رد عطيته ولا
تتبعوا ولعله شدد اشارة الى العفو عن هفوة اذا ذكر الانسان فيها رجع ولم يمتد في هواه خطوات الشيطان اي طريقه في
التحليل والتحريم كما قال في البقرة كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان وعبر بذلك لانه مع كونه من مادة
الخطيئة دال على ان شرايعه سريعة الاندراس لولا مزيد الاعتناء من الفسقة بالتتبع في كل خطوة حال تاثيرها لبادر اليها

المحو

المحو لبطلانها في نفسها فلا امر من الله يحييها ولا كتاب يبقيها وانما اسقط هنا حلالا طيبا لبيانه سابقا في قوله كلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ولاحقا في قوله قل لا اجد فيما اوحي الي ثم علل نهيه عن اتباعه فقال انه لكم عدو اي نهو لذلك لانه امركم بخير مبين اي ظاهر العداوة لان امره مع ابيكم شهير ولما رد دين المشركين واثبت دينه وكانوا قد فصلوا الحرمة بالنسبة الى ذكور الآدمي واناثه الزمهم تفصيلها بالنسبة الى ذكور الانعام واناثه فتفصل امرها في اسلوب ابان فيه ان فعلهم رث القوى هلهل النسج بعيد من قانون الحكمة فهو موضع الاستهزاء واهل للتهكم فقال مبينا لحمولة وفرشا ثمانية ازواج اي اصناف لا يحل صنف منها الا بالآخر انشاها ازواجا كل من الذكر والانثى الآخر ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر ولما كان الزوج قد يطلق على الاثنين وعلى ما معه اخر من نوعه قال مبينا ان هذا هو المراد الاثنان منفصلا لهذه الثمانية من الضان جمع ضائن وضائنة كصاحب وصحب اثنين اي ذكرا وانثى كبشا ونعجة ومن المعز جمع ماعز وماعزة كخادم وخدم وفي قراءة ابن كثير وابي عمرو وابن عامر وتاجر وتجر وفي قراءة غيره اثنين اي زوجين ذكرا وانثى تيسا وعنزا ولما كان كانه قيل ما المراد بهذا التفصيل قيل سوالم عن دينهم قل اي لهم مستفهما ولما كان هذا الاستفهام بمعنى التوبيخ والتهكم والانكار اتى فيه بام التي من مع الهمزة قبلها بمعنى اي ليستفهم لفاعما يعلم ثبوت بعضه وانما يطلب تعيينه فقال معترضا بين المعدود ات تاكيدا للتوبيخ لان الاعتراضات لا تساق الا لتاكيد آلذكرين ولما كان المستفهم عنه ينصه ما بعده وما قبله قال حرم اي الله فان كان كذلك لزمكم تحريم جميع الذكور ام الانثيين ليلزمكم تحريم جميع الاناث واستوعب جميع ما يفرض من سائر الاقسام في قوله اما اي ام حرم بما اشتملت اي انضمت عليه وحملته ارحام الانثيين اي من الذكور والاناث ومتى كان كذلك لزمكم تحريم الكل فلم تلتزموا شيئا مما اوجبه هذا التقسيم فلم تمشوا على نظام ولما علم انه لا نظام لم تعلم انهم جديرون بالتوبيخ زاد في توبيخهم فقال نبئوني اي اخبروني عما حرم الله من هذا اخبارا جليلا عظيما ولما كان هذا الاخبار الموصوف لا يكون مبنيا فيه شك قال بعلم اي امر معلوم من جهة العلم لا مطعن فيه ان كنتم صادقين اي ان كان لكم هذا الوصف ولما فصل النعم الى ضان ومعز اعنى ذلك عن تنويع الابل الى العراب والبخت والبقر الى العراب والجواميس ولان هذه بتتاج بعضها من بعض بخلاف الغنم فانها لا يطرق احد نوعيها الآخر نقله الشيخ بدر الدين الزركشي في كتابه الوصايا من شرح المنهاج عن كتاب الاضداد لابن سراقه فقال ومن الابل اثنين اي ذكرا وانثى ومن البقر اثنين اي كذلك قل اي لهؤلاء الذين اخترعوا جهلا وسفها ما تقدم عنهم آلذكرين اي من هذين النوعين حرم اي حرمهما الله ام الانثيين اي حرمهما اما اي الذي اشتملت عليه اي ذلك المحرم على زعمكم ارحام الانثيين اي حرمه الله ولما كان التقدير اجاءكم هذا عن الله الذي لا حكم لغيره على لسان نبي ما وله توبيخا لهم وانكارا عليهم بقوله ام كنتم شهداء اي حاضرين اذ وصاكم الله اي الذي لا ملك غيره فلا حكم لسواه بهذا اي كما جزمتم عليه به او حرمتم بالحرمة فيما حرمتموه والحل فيما احللتموه ولا محرم ولا محلل غير الله فكنتم بذلك ناسبين الحكم اليه ولما كان التقدير كما انتجه السياق لقد كذبتم على الله حيث نسبتم اليه ما لم تاخذوه عنه لا بواسطة ولا بغير واسطة سبب عنه قوله ممما ليعلم ان هذا اذا كان في التحريم والتحليل كان الكذب في اصول الدين اشد فمن اظلم ووضع موضع منكم قوله ممما ومعلقا للحكم بالوصف ممن افترى اي تعمد على الله اي الذي لا اعظم منه لانه ملك الملوك كذبا كعمرو بن لحي الذي غير شريعة ابرهيم عليه السلام وكل من فعل فعله ولما كان يلزم من شرعهم لهذه الامور اضلال من تبعهم فيها عن الصراط السوي وكانوا يدعون انهم اوطن الناس واعرفهم بدقايق الامور في بدايتها ونهايتها وما يلزم عنها جعل غاية تعلم مقصودا لتهكمهم بهم فقال ليضل الناس ولما كان الضلال قد يقع من العالم الجاهل خطأ قال بغير علم ولما كان هذا محل عجب ممن يفعل هذا كشفه سبحانه بقوله استينافا ان الله وهو الذي لا حكم لاحد سواه لا يهدي القوم الظالمين اي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها فكيف بالظلمين وما احسن هذا الختم لاحكامهم وانسبه لما بناها عليه من قوله انه لا يفلح الظالمون ولما تضمن قوله افترآء عليه افتراآء على الله والتعبير في ذلك كله بالاسم الاعظم ان كون التحريم ليس الا من الله امر معلوم ليس موضعا للشك لانه الملك الاعظم ولا حكم لغير الملك ومن حكم عن غير امره ندب حسن بعد ابطال دينهم والبيان بان من حرم شيا بالتشهي فضل وظالم قوله مبينا البيان الصحيح لما يحل ويحرم جوابا لمن يقول فما الذي حرمه سبحانه وما الذي احله قل معلما ان التحريم لا يثبته الا بوحي من الله لا اجد اي الآن ولا فيما يستقبل من الزمان فان لا كلمة تدخل على مضارع الا وهو بمعنى الاستقبال فيما ولما كان ما اتاه صلى الله عليه وسلم قد ثبت اعجزهم عن معارضته انه من الله بني للمفعول فقوله اوحي الي اي من القرآن والسنة شيا مما تقدم مما حرمتموه مطلقا او على حال دون حال وعلى ناس دون اخرين طعاما ما حرما على طاعم اي طاعم كان من ذكر او انثى يطعمه اي يتناوله اكلا او شربا او دواء او غير ذلك الا ان يكون اي ذلك الطعام ميتة اي شرعا والميتة الشرعية هي ما لا يقبل التزكية وهو كل ما زالت حيوته بغير ذكاة شرعية او دما مسفوحا اي مراقا من شانه السيلان لا ما من شانه الجمود كالكبد والطحال ولما كان النصارى قد اتخذوا اكل الخنزير دينا نص عليه وان كان داخلا في قوله ميتة على ما قررته في المراد بها وقال او لحم خنزير ليفيد تحريمه على كل حال سواء ام لا ولو قيل او خنزير لاحتمل ان يراد تحريم ما اخذ منه حيا فقط وقال فانه اي الخنزير رجس ليفيد نجاسة عينه

وهو حي فلحمه وكذا سائر اجزائه بطريق الاولى وكل ما وافقه في هذه العلة كان نجسا ولا يعاد الضمير الى اللحم لانه قد علمت نجاسته
من تحريمه لعينه فلو عاد عليه لكان تكرارا ولما ذكر المحرم لعينه ذكر المحرم لعارض فقال مبالغا في النهي عنه بان جعله نفس المعني
الذي وقع النهي لاجله او فسقا اي او كان الطعام خروجا مما ينبغي القرار فيه من فسيح جناب الله الذي من توطنه امن واهتدي
وسلم الى صيق الهوي في ذكر الغير الذي من خرج اليه خاف وضل وهلك ثم قال مفسرا له عد ما لما هو ادخل في الفسق من الالتفات
الى الغير اهل لغير الله اي الذي له كل شئ لان له الكمال كله به اي ذكر غير اسمه عليه بان ذبح له تدينا ثم ذكر لطفه بهذه الامة
في اباحته لهم في حال الضرورة كل محرم رحمة منه لهم وسترا لتقصيرهم فقال فمن اضطر اي حصل له جوع خشي منه التلف
وبني الفعل للمفعول لان المعتبر حصول الاضطرار لا كونه من معين ومن لتعميم ذلك تو خذ رخصة ما زاد على سد الرمق لانه حينئذ لا يكون مضطرا غير باغ اي علي غيره بمكيدة ولا عاد اي علي غيره بقوته ولا متجاوز سد الضرورة فان ربك اي
المحسن اليك بارسالك والي امتك الضعيفة بجعل دينها الحنيفية السمحة غفور اي لمحو الذنب اذا اراد رحيم اي يكرم
الذنب بعد الغفران بانواع الكرامات نبه جدير بان يحوم عن هذا المضطر اثر تلك الحرمة التي قررها ويكرمه بان يجعل له في
حفظه بذلك لنفسه اذا صحت فيه نيته اجرا عظيما وقد تكفلت الاية علي وجازتها بجميع المحرمات من المأكولات مع الاشارة
بلفظ الرجس والفسق الى جميع اصناف المحرمات والى ان ارتكابها موجب كالخبث والانسلاخ من الخير وذلك هو سبب تحريمها
قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي رحمه الله في كتاب العروة وجه انزال هذا الحرف اي حرف الحرام طهره الخلق من مضار ابدانهم
ورجاسة نفوسهم وجهالة قلوبهم فما اجتمعت فيه كان اشد تحريما وما وجد فيه شئ منها كان تحريمه بحسب تاكد الضرورة الى؟
طهرته وكما اختلفت احوال بني آدم بحسب اختلاف طينتهم من بين خبيث وطيب وما بين ذلك اختلفت احوالهم فيما به تجد ذكاتهم
من رزقهم ممن اغتذي بدنه من شئ ظهرت اخلاق نفس ذلك المغتذي به واوصافه في نفسه وربما علي القلب اوصافا لتقوته به
بما يسمي عليه من ذكر الله او كفر به بذكر غيره وجامع منزله علي حده من استثنا قليله من منتسع الحلال قوله تعالي فمن اجد
فيما اوحي الي محرما علي طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا هذا المضر به البدن او لحم خنزير وهذا لتخبيثه للنفس وتوجيبه
لها كما قال تعالي فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به وهذا لرينه علي القلب وهذه الاية مدنية واثبتها تعالي في سورة مكية
اشعارا بان التحريم كان مستحقا في اول الدين ولكن اخر الي حين اجتماع جمة الاسلام بالمدينة تاليفا لقلوب المشركين وتيسيرا
علي ضعفا الذين امنوا واكتفا للمومنين بتنزههم عن ذلك وعما يشبهه استبصارا منهم حتي ان الصديق رضي الله عنه كان قد حرم
الخمر علي نفسه في زمن الجاهلية لما راي فيها من خرف العقل فكيف باحوالهم بعد الاسلام والحق تعالي في سورة الذين امنوا ما كان
قتله سطوة من غير ذكر الله عليه من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم بالتذكية المنهي
وللدم المؤهل في التحريم لفساد مسفوحه بما هو خارج عن حد الطعام في الابتدا اي قبل التذكية والاعضا في الانتها المشدودة
ببركة التسمية اثر ما اصابها من مفاجاة السطوة والحق بها ايضا في هذه السورة تحريم الخمر لرجسها كالخنزير كما الحق المقتوله
بالميتة وكما حرم الله ما فيه جاع الرجس من الخنزير وجاع الاثم من الخمر حرم رسول الله صلي الله عليه وسلم ما كان فيه حظ من ذلك
فالحق بالخنزير السباع حماية من سورة غضبها لشدة المضرة في ظهور الغضب من العبيد لانه لا يصلح الا لسيدهم وحرم الخمر
للاهلية حماية من بلادتها وحوانها الذي هو علم غريزة الخرق في الخلق والحق صلي الله عليه وسلم بتحريم الخمر التي سكرها ان
مطبوع تحريم المسكر الذي سكره مصنوع وكما حرم الله ما يضر العبد في ظاهره وباطنه حرم عليه فيما بينه وبينه ما يقطعه عنه
من اكل الربا الربح بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وجامع منزله في قوله تعالي الذين ياكلون الربا الي قوله واحل
الله البيع وحرم الربا الي انتهاء ذكره الي ما ينتظم من ذلك في قوله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة الاية
الي ما يلحق بذلك في قوله وما اتيتم من ربا الاية هكذا قال ان هذه الاية مدنية وهو مع كونها امره لغيره شكل بقوله وقد
فصل لكم ما حرم عليكم الاية ولما كان تحريم الربا لما بين الرب والعبد كان فيه الوعيد بالاية ان يحرب من الله ورسوله ولذلك
حمت الائمة ذراعه اشد الحماية وكان اشدهم في ذلك عالم المدينة حتي انه حمي من صورته مع الثقة بسلامة الباطن منه وعمل
بضد ذلك في محرمات ما بين العبد ونفسه وكما حرم الله الربا فيما بينه وبين عبده من هذا الوجه الاعلي كذلك حرم اكل المال
بالباطل فيما بين العبد وبين غيره من الطرف الادني وجامع منزله في قوله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
بها الاية الي ما ينتظم بذلك من قوله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
الي ما ينتظم به من قوله تعالي واتوا اليتامي اموالهم الايات في اموال اليتامي تحريمه تعالي من جهة الاعلي والمثيل والادني
وانتظم التحريم في ثلثة اصول من جهة ما بين الله وبين عبده ومن جهة ما بين العبد وبين نفسه ومن جهة ما بين العبد وبين
غيره مما تستقرا بجملة ايه في القرآن واحاديثه في السنة ومسائله في فقه الاية ولما كان له متسع وقع فيما بين الحلال
البين والحرام البين امور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس لانها تشبه الحلال من وجه وتشبه الحرام من وجه فلو فوعها
بينهما تختلف فيها الائمة علما ويجتنب جميعها الصالحون عملا من اتقي الشبهات استبرا لدينه في العقبي ولعرضه في الاولي
وعن حماية الله عباده عن وبيل الحرام تحقق لهم اسمه الطبيب فلم يتطبب بطب الله من لم يحم عن مجرماته ومتشابهاتها
وهو الورع الذي هو ملاك الدين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال في ما به تحصل قراءة حرف الحرام تماما
في العلم والحال والعمل اعلم ان الانسان لما كان خلقا جامعا كانت فيه بزرتان بزرة للخير وبزرة للشر وحسب تطهره

وتخلصه

وتخلصه من مزلجة نبات بزرة الشر تنمو فيه وتزكو ابزرة الخير ولكل واحدة من البزرتين نبت في جسمه ونفسه؟
وفواده فاول الحروف في الترتيب العملي والاساس لما بعده هو قراءة حرف الحرام لتحصل به طهرة البدن الذي هو السابق
في وجود الانسان فمن غذي بالحرام في طفولته لم يقدر على اجتناب الاثام في كهولته الا ان يطهره الله بما شاء من نار الحدود
في الدنيا من الامراض والضراء فهو الاساس الذي يبنى عليه تطهر النفس من المناهي وتطهر الفؤاد من العمه والمجاهل والذي
تحصل به قراءة هذا الحرف هو الورع الحاجز عما يضر بالجسم ويؤدي النفس وما يكره الخلق وما يغضب الرب فمن اصاب
شيا من ذلك ولم يبادر اليه بالتوبة عذب بكل آية قراها وهو مخالف لحكمها من لم يبال من اي باب دخل عليه رزقه لم يبال
الله من اي باب اوخله النار ولما كان الورع كفا اليد ظاهرا عن الشيء الضار وكانت الجوارح لا تنقاد الا عن تاثر من النفس
لم يصح الورع ظاهرا الا ان تقع في النفس روعة باطنه من تناول ذلك الشيء ولما كانت النفس لا تتاثر الا عن تبصر القلب في التي
الضار كما لا تكف اليد الا عند تعذر النفس لما تدرك العين قذى حتى ان النفس الرضية تانف من المحرمات كما يانف المستنظف
من المستقذرات فاكلة الحرام بهم دوديجفة الدنيا يستقذرهم اهل البصاير كما يستقذرون بهم دوديجف المزابل ولما
كان الحرام ما يضر العبد في نفسه كالميتة يتسرع الى المستبصر كف يده عنها لما يدري من مضرتها بجسمه وكذلك الدم المسفوح لانه
حيته بانفصاله عن الحي ومفارقته لروح الحيوة التي تخالطه في العروق قلت وسياتي قريبا تعليله في التوراة بما
يقتضي انه اكثر فعلا في النفس وتطبيقا لها بخلق ما هو ومنه من الدم والله الموفق وكذلك ما يضر بنفسه كلحم الخنزير لانه رجس
والرجس هو خباث الاخلاط التي هي عند العقلا اقبح من خباث الابدان وذلك لان من اغتذى جسمه بلحم حيوان اغتذت نفسه
بنفسانية ذلك الحيوان وخلق من اخلاقه وفي نفس الخنزير مجامع رذايل الاخلاق من الهبا والحران والكبر والاقدام على ما
يعاين فيه الهلاك ومتابعة الفساد والانكباب على ما يقبل عليه في اديء الاشياء على ما ظهرت في خلقته اياته فانه ليس له
استشراف كذوات الاعناق وكذلك ما يضر بها وبالعقل كالخمر في تنزيها للعقل وتصديرها الناس وايقاعها العداوة
والبغضاء في خلق النفس ولذلك هي جماع الاثم فالمتبصر في المحرمات يانف منها لما يدري من مضرتها واذاها في الوقت الحاضر
وفي مغبتها في يوم الدنيا الى ما اخبر به من سوء عقباها في يوم الدين ومن شرب الخمر ومات ولم يتب منها كان حقا على الله ان
يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة اهل النار ولو هدد شاربها في الدنيا من له امر بان يسقيه من سوله ورضيعه لوجد من
الدوخ ما يحمله على الورع عنها واذا استبصر ذو دراية فيما يضر في ذاته فانف منه رعاية لنفسه لحق له بذلك التزام
رعايتها عما يتطرق له منه درك من جهة غيره فيتورع عن اكل اموال الناس بالباطل لما يدري من المواخذة عليها في العاجل
وما اخبر به عن المعاقبة عليها في الاجل ولها في ذاته مضرة في الوقت يتصونها من موارد القران بنور الايمان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وان لم يحسن تاويله ليس تاويله الوعد بالنار لان ذلك انباء عنه قوله تعالى
وسيصلون سعيرا وكذلك اذا انف ما يضر في نفسه وخاف ما يتطرق اليه ضرر من غيره اعظم ان يقرب حمى ما يتطرق اليه
السطوة من ربه لاجله وذلك فيما حرم عليه حماية لعظيم ملكه وعدم التفاوت في مرر حمايته في محرم الربا ولما فيه ايضا من
مضرة وقته الحاضر التي يقبلها بالايمان من تقريف رتبه فانه تعالى كما عرف ان اكل مال الغير بالباطل نار في البطن عرف ان اكل مال
الرباخنون في العقل وخبال في النفس الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ولعظم
من ذلك ما حرمه الله لمرآيته عن اسمه عند ازهاق روحه لانه ماخوذ من غير اذنه وما اخذ من غير اذنه كان اكله فسقا وكفرا لانه
تناول الروح من يد من لا يملكها ولذلك فوضت التسمية في التذكية ونفلت فيما سوى ذلك فلا تصح قراءة هذا الحرف الا بتبصر
القلب عنه وروعة النفس منه وورع اليد عنه والا فهو من الذين يقراون حروفه ويضيعون حدوده الذين قال فيهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كثر هولاء من القراء لا كثرهم الله ومن لم تصح له قراءة هذا الحرف لم تصح له قراءة حرف سواه ولا تصح
له عبادة وهو الذي لا تزيده صلوته من الله الا بعدا ولا يقبل منه دعاء الرجل بطلبا مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه
حرام وغذي بالحرام يقول يوب يرحمك فاني يستجاب لذلك فهذه قراءة هذا الحرف وشرطه والله ولي التوفيق ولما كان
قوله طاعم نكرة في سياق النفي يعم كل طاعم من اهل شرعنا وغيرهم وكان سبحانه قد حرم على اليهود اشياء غير ما تقدم
اقتضت احاطة العلم ان قال مبينا لاحاطة علمه وملذبا لليهود في قولهم لم يحرم الله علينا شيا وانما حرمنا على انفسنا حرم
حرم اسرآيل على نفسه وعلى الذين هادوا اي اليهود حرمنا بما لنا من العظمة التي لا تدافع كل ذي ظفر اي على ما هو كالاصبع
للآدمي من السباع والطيور التي تتقوى باظفارها ومن البقر والغنم اي التي هي ذوات الاظلاف حرمنا اي بما لنا من العظمة
عليهم شحومهما اي الصنفين ثم استثنى فقال الا ما حملت ظهورهما اي من الشحوم مما علق بالظهر والجنب من داخل بطونها
او الحوايا وهي المعاء التي هي متعاطفة مستوية جمع حوية موزنها فعايل كشفية وسفاين وقيل جمع حاوية او حاوياء
كقاصعاء تهي فواعل او ما اختلط اي من الشحوم بعظم مثل شحم الالية فان ذلك لا يحرم وهذا السياق بتقدم الجار وبناء
الكلام عليه يدل على ان ما عدا المذكور من الصنفين حلال لهم ولما كان كانه قيل لم حرم عليهم هذه الطيبات قيل ذلك
اي التحريم العظيم والجزاء الكبير وهو تحريم الطيبات جزيناهم اي بما لنا من العظمة ببغيهم اي في امورهم التي تجاوزوا
فيها الحدود وفي اثلاء هذه الآية التي فيها ما حرم على اليهود لما قبلها مع الوفاء بالمقصود من حصر محرمات الطاعم على هذه
الامة وغيرها امران جليلان احدهما بيان اطلاعه صلى الله عليه وسلم على تفصيل ما اوحي الى من تقدمه وما يشاهم احدا

من اتباعهم ولا دارس علما قط فلا دليل على صدقه على امة اعظم من ذلك والثاني تفضيله هذه الامة بانه احل
لها الخبائث عند الضرورة رحمة لهم وازال عنها في تلك الحالة ضرها ولم يفعل لها كما فعل باليهود في انه حرم عليهم طائفة من الطيبات
ولم يحلها لهم في حال من الاحوال عقوبة لهم وفي ذلك امة تحذير لهذه الامة من ان يبغوا فيباقبوا كما عوقب من قبلهم على مانبه عليه
في قوله غير محلي الصيد وانتم حرم فبان الصدق وحصحص الحق ولم يبق للمعتبت كلام محسن جدا ختم ذلك بقوله وانا الصادقون
اي ثبات صدقنا ازلا وابدا كما اقتضاه ما لنا من العظمة وتعقيبه بقوله فان اي وتسبب عن هذا الايجاز الجامع الوجيز
الدال على الصدق الذي لا شبهة فيه انا نقول لك ان كذبوك فقل والتعبير باداة الشك مشيرا الى انا لا نحاول يقتضي ان يستبعد
ان يتبع منهم تكذيب بعد هذا ربكم اي المحسن اليكم بالبيان والامهال مع كل امتنان ذو رحمة واسعة اي تهوم افئدة ان قد تقضي
انه يحلم عنكم بالامهال الى اجل يعلمه ولما اخبر عن رحمته نوه بعظيم سطوته فقال ولا يرد باسه اي اذا اراد الانتقام عن القوم
المجرمين اي القاطعين لما ينبغي وصله فلا يغتر احد بامهاله في سوء اعماله ويحقق ضلاله وفي هذه الاية من شديد التهديد من
لطيف الاستعطاف ما هو مستول على الحد الاقصى من البلاغة ولما تم ذلك تعلم ان اقدامهم على الاحكام الدينية بغير حجة اصلا
اقتضى الحال ان يقال قد بطل بالعقل والنقل جميع ما قالوه في التحريم على وجه ابطل شركهم فهل بقي لهم مقال فاخبر سبحانه
بشبهة يقولونها اعتذارا عن جملهم على وجه هو وحده كاف في الدلالة على حقية ما يقوله من الرسالة فوقع طبق ما قال عن
اهل الضلال فقال مخبرا بما سيقولونه قبل وقوعه دلالة على صدق رسله وكذب المشركين فيما يخالفونهم فيه سيقول
اي في المستقبل واظهر موضع الاضمار تنصيصا عليهم وتبكيتا لهم فقال الذين اشركوا تكذيبا منهم لو شاء الله اي الذي له جميع الكمال
عدم اشراكنا وتحريمنا ما اشركنا اي بصنم ولا غيره ولا اباؤنا اي ما وقع منا اشراك ولا حرمنا من شيء اي مما تقدم من البحائر
والسوائب والزروع وغيرها ولكنه لم يشأ الترك وشاء الفعل ففعلنا طوع مشيته وهو لا يشاء الا الحق والحكمة لانه قادر فلو لم
يكن حقا يصاء لمنعنا منه وبلم يمنعنا منه فهو حق ولما كان هذا عنادا منهم ظاهر البعد وضوح الامر عما اقام على صدق رسله
من البينات كان كانه قيل تعجبا منهم هل فعل احد غيرهم مثل فعلهم هذا وقال مثل ما قالوا فقيل لهم كذلك اي مثل ذلك التكذيب البعيد
عن الصواب كذب الذين ولما لم يكن التكذيب على ما ادخل الجار فقال من قبلهم من الامم الخالية بما او تعوا من نحو هذه المجادلة في
قولهم اذا كان الكل بمشيته الله كان التكليف عبثا فكانت دعوى الانبياء باطلة وهذا القول من المشركين عناد بعد ثبوت الرسالة
بالمعجزات واخبار الرسل بانه يشاء الشيء ويعاقب عليه لان ملكه تام وملكه عام فهو لا يسئل عما يفعل وتمادى بهم غرور التكذيب
حتى ذاقوا باسنا اي عذابنا بما لنا من العظمة فان من له الامر كله لا يسئل عما يفعل فلم ينفعهم عنادهم عند ذوق البأس بل اعلت
عزائمهم فخضعوا لنا وامنوا برسلنا فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فالاية من الاحتباك اثبت اولا الاشراك دليلا على
حذفه ثانيا واثبتا ثانيا التكذيب دليلا على حذفه اولا وسيأتي توجيه انه لا بد من تضليل احدى الطائفتين وان كان الكل بمشيته الله
لانه لا مانع من اتيان الامر على خلاف الارادة ولما كان ما قالوه شبهة بعيدة عن العلم اعلى درجاتها ان تكون من انواع
الخطابة فتفيد الظن في اعظم مسائل علم الاصول الذي لا يحل الاعتماد فيه الا على القواطع امره ان يقول لهم ما ينبههم على ذلك
فقال قل اي لهؤلاء الذين تلقوا ما يلقيه الشيطان اليهم كما اشير اليه في سورة الحج تهكما بهم في بعدهم عن العلم وجدالهم بعد نهوض
الحج هل عندكم ايها الجهلة واعرق في السوآل فقال من علم اي ليصح الاحتجاج به في مثل هذا المقام الضنك فتخرجوه لنا اي لي
او لاتباعي وان كان مما يجب ان يكون مكنونا مضنونا به على غير اهله محزونا نهو تهكم بهم ولما كان جوابهم عن هذا السكوت
لانه لا علم عندهم قاله الا على ذلك ان اي ما يتبعون اي في قولكم هذا وغالب امورهم الا الظن اي في اصول دينهم وهي لا يحل فيها
قول الا بقاطع وان اي وما انتم الا تخرصون اي تقولون تارة بالحزر والتخمين وتارة بالكذب المحض اليقين ولما انتفى ان
تكون لهم حجة وثبت ان الامر انما هو مبني على ثبوت انه المختص بالحجة الواضحة فقال مسببا عن ذلك قل فلله اي الاله الاعظم وحده
الحجة البالغة اي التي بلغت اعلى درجات الحق قوة ومتانة ووبيانا ووضوحا ورصانة بسبب انه شامل العلم كامل القدرة
كما اقررتم بذلك حيث قلتم لو شاء الله ما اشركنا وان كنتم قلتموه على سبيل الالزام والعناد لا لاجل التدين والاعتقاد فلو شاء
اي الله لهداكم اي انتم ومخالفيكم اجمعين ولكنه لم يشأ ذلك بل شاء هداية بعض وضلال آخرين فوقع ذلك على الوجه الذي
شاءه فلزم على قولكم ان يكون الشيء الواحد حقا غير حق في حال واحد وهذا لا يقوله عاقل
ويلزمكم على ذلك ايضا ان توالوا اصنامكم ولا تعادوهم وان تفعلوا ما فعلوا لانه حق برضى الله لانه بمشيته وانتم لا تقولون
ذلك فبطل قولكم فثبت انه قد يشاء الباطل لانه لا يسئل عما يفعل ويرسل الرسل لازالته ليقيم بهم الحجة على من يريد عقابه
على ما يتعارفه الناس بينهم وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ولما صدق الحق وانكسر جند الباطل واندق بطلان
جميع شبههم ونطقت الدلائل والحم المجادل فبان انه لا شاهد لهم بحق لانه لا حق لهم كان كانه قيل قل لهم هانا قد شهد لي بما
قلته من لا ترد شهادته وزكاني الذي لا تقبل الا تزكيته لهذا الكتاب الذي كان عجزكم عن الاتيان بشيء من مثله شاهدا بانه قوله
فهل انتم من شاهد يقبل ولما لم يكن لهم شاهد غير متخرصيهم فان المبطل يظهر باطله عند المحاققة سئة من الله مستمرة
فيظهر لمشهود لهم بما يلوح من نعتهم انهم ليسوا على شيء امره سبحانه ان يأمرهم به فكابهم ليظهر خزيهم وتشهير فضيحتهم فقال
قل هلم اي احضروا وهي كلمة دعوة يستوي فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع عند الحجازيين شهداءكم ولما كان كانه قيل
اي شهداء قال الذين يشهدون اي يوقعون الشهادة على انه اي الذي لا حكم لغيره حرم هذا اي الذي ذكروه من قبل واضافة

الشهداء اليهم ووصفهم بالدين دليل على انهم معروفون موسومون بنصرة مذهبهم بالباطل ولو قال شهداء من غير اضافة
لافهم ان المطلوب من يشهد بالحق وليس كذلك لانه اقيم الدليل العقلي على انه لا حجة لهم وان الحجة لله على خلاف ما ادعوه فبطل
قطعا ان يكون احد يشهد على ذلك بحق ولما كان كانه قيل فانهم اذا احضروا لا يقدرون ان كان لهم عقل او فيهم حثا على النطق
اذا سمعوا هذا الحق بني عليه قوله فان اجترأوا بوقاحة وشهدوا اي كذبا وزورا بذلك الذي ابطلناه بالادلة القطعية
فلا تشهد معهم اي فاتركهم ولا تسلم لهم فانهم على ضلال وليست شهادتهم مستندة الا الى الهوى ولا تتبع اهواء واظهر موضع
الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف دلالة على ان القائد الى التكذيب وكل ردي انما هو الهوى وان من خالف ظاهر الايات انما هو
صاحب هوى فقال الذين كذبوا اي اوقعوا التكذيب باياتنا اي على ما لها من الظهور بما لها من العظمة باضافتها الينا ولما وصفهم
بالتكذيب اتبعه الوصف بعدم الايمان ودل بالنسق بالواو على العراقة في كل من الوصفين فقال والذين لا يؤمنون بالاخرة
اي التي هي دار الجزاء فانهم لو جوزوها ما اجترأوا على الفجور وهم بربهم اي الذي لا نعمة عليهم ولا خير عندهم الا وهو منه وحده
يعدلون اي يجعلون غيره عديلا له وسيعلمون حين يقولون لشركائهم وهم في جهنم يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين ولما ابطل دينهم كله اصولا وفروعا في التحريم والاشراك وبين فساده بالدلايل النيرة ناسب ان يخبرهم
بالدين الحق بما حرمه الملك الذي له الخلق والامر ومن غيره فليس التحريم لاحد غيره فقال قل تعالوا اي اقبلوا الي صاعدين من
حضيض الجهل والتقليد وسوء المذهب الى اوج العلم ومحاسن الاعمال قال صاحب الكشاف هو من الخاص الذي صار عاما يعني
حتى صار يقوله الاسفل للاعلى اتل اي اقرأ من التلاوة وهي اتباع بعض الحروف بعضا والقصد عموم كل احد بالتلاوة وانما خص
المخاطبين بالذكر لاعتقادهم خلاف ذلك ولما كان المحرم اهم قدمه فقال ما حرم ربكم اي المحسن اليكم بالتحليل والتحريم
عليكم فسخطه منكم وما وصاكم به اقداما واحجاما فرضيه لكم من قبيلي الاصول والفروع ثم فسر فعل التلاوة ناهيا عن الشرك وما
بعده من مصحوب لا امرا بما عري عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا الايات مرتبا جملها احسن ترتيب فبدأ بالتوحيد في صريح البراءة
من الشرك اشارة الى ان التخلي عن الرذايل قبل التحلي بالفضايل لان التنقية بالحمية قبل الدواء وقرن به البر لانهما من باب شكر
المنعم وتعظيما لامر العقوق ثم اولاه القتل الذي هو اكبر الكباير بعد الشرك وبداءه بقتل الولد لانه افحشه وافحش من مطلقه
فعله خوف القلة فلما وصى بادل واجب للمنعم الاول الموجد من العدم اتبعه ما لاول منعم بعده بالتسبب في الوجود فقال
ناهيا عن الاساءة في صورة الامر بالاحسان على اوكد وجه لما للنفوس من التهاون في حقهما وكذا جميع المامورات ساقها هذا
السياق المفهم لان اضدادها منهي عنها لتكون مامورا بها منهيا عن اضدادها فيكون ذلك اوكد لها واضخم وبالوالدين اي افعلوا بهما
احسانا ولما اوصى بالسبب في الوجود نهى عن التسبب في الاعدام وبدأ باشده فقال ولا تقتلوا اولادكم ولما كان النهي عاما
وكان ربما وجب على الولد قتل خص ببيان الجهة فقال من املاق اي من اجل فقر حاصل بكم ثم علل ذلك ولاجل ان الظاهر حصول
الفقر قدم الاباء فقال نحن نرزقكم بالخطاب اي ايها الفقراء ثم عطف عليهم الابناء فقال واياهم وظاهر قوله في الاسراء خشية
املاق ان الاباء موسرون ولكنهم يخشون من اطعام الابناء الفقر فبدأ بالاولاد فقال نحن نرزقهم ثم عطف الاباء فقال واياكم
نبه عليه ابو حيان ولما كان قتلهم افحش الفواحش بعد الشرك اتبعه النهي عن مطلق الفواحش وهي ما غلظت قباحته وعظم
امرها بالنهي عن القربان فضلا عن الغشيان فقال ولا تقربوا الفواحش ثم ابدل منها تاكيدا للتعميم قوله ما ظهر منها اي
الفواحش وما بطن ثم صرح منها بمطلق القتل تعظيما له بالتخصيص بعد التعميم فقال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي الملك الاعلى
عليكم قتلها الا بالحق اي الكامل ولا يكون كاملا الا وهو كالشمس وضوحا لا شبهة فيه فصار قتل الولد منهيا عنه ثلاث مرات ثم اكد
المذكور بقوله ذلكم اي الامر العظيم في هذه المذكورات ولما كانت هذه الاشياء شديدة على النفس ختمها بما لا يقوله الا المحب
الشفوق ليتقبلها القلب فقال وصاكم به امرا ونهيا ولما كانت هذه الاشياء لعظيم خطرها وجلالة وقعها في النفوس لا تحتاج
الى مزيد فكر قال لعلكم تعقلون اي لتكونوا على رجاء من المشي على منهاج العقل فعلم من ذكر الوصية ان هذه المذكورات هي الموصى بها
والمحرمات اضدادها فصار شانها موكدا من وجهين التصريح بالتوصية بها والنهي عن اضدادها ولما كان المال عديل الروح
من حيث انه لا قوام لها الا به ابتداء الاية التي تليها بالاموال ولما كان اعظمها خطرا وحرمة مال اليتيم لضعفه وقلة ناصره
ابتدأ به فنهى عن قربه فضلا عن اكله او شربه فقال ولا تقربوا مال اليتيم اي بنوع من انواع القربان عمل فيه او غيره الا بالتي
هي احسن من الخصال من السعي في تنميته وتثميره وليستمر ذلك حتى يبلغ اشده وهو سن يبلغ به او ان حصول عقله عادة وعقل
يظهر به رشده ثم ثنى بالمقادير على وجه يعم فقال واوفوا اي اتموا الكيل والميزان لانهما الحكم في اموال الايتام وغيرهم ولما
كان الشيء ربما اطلق على ما قاربه نحو قد قامت الصلوة ان قرب قيامها وهذا وقت كذا اذا قرب جدا ازيل هذا الاحتمال بقوله
بالقسط اي ايفاء كاينا به من غير افراط ولا تفريط ولما كانت المقادير لا تكاد تتساوى لا سيما الميزان فانه ابعدها من ذلك
واقربها الذرع وهو داخل في الكيل فانه يقال كال الشيء بالشيء قاسه اشار الى انه ليس على المكلف المبني امره على العجز للضعف
الا الجهد فقال لا نكلف اي على ما لنا من العظمة نفسا الا وسعها وما وراء الوسع معفو عنه ثم ثلث بالعدل في القول لانه
الحكم على الاموال وغيرها وقدم عليه الفعل لانه دال عليه فصار الفعل موصى به مرتين فقال واذا قلتم اي في شهادة او حكم
او توفيق بين اثنين او غير ذلك فاعدلوا اي توفيقا بين القول والفعل اي الكيل والميزان ونحوهما ولما كانت النفوس مجبولة
على الشفقة على القريب قال ولو كان اي المقول في حقه له او عليه بشهادة او غيرها ذا قربى ولا تحابوه طمعا في مناصرته او خوفا

والذي لا يحل اكله مما يجتر وله يشق ظلفه الجمل الذي يجتر وظلفه غير مشقوق فانه غير طاهر لكم والارنبوع وفي نسخة الضباب
الذي يجتر وظلفه غير مشقوق فانه لا يطهر لكم والارنب الذي يجتر وظلفه غير مشقوق فانه لا يطهر لكم والخنزير فانه
مشقوق الظلف ويخرج اظفاره التي ظلفه وهو لا يجتر فانه لا يطهر لكم فلا تاكلوا من لحومها ولا تمسوا اجسامها فان ذلك
لا يطهر لكم رجع الى نسختي ثم ذكر في الطير وداب البر قريبا مما في شرعنا الى ان قال ولا تاكلوا شيا نجسه بل ادفنوها
الى السكان الذين في قراكم ياكلونها او يبيعونها من الغرباء لانك شعب طاهر لله ربك لا تطبخوا جدي بابن امه وقال
في ترجمة الاثنين والسبعين ولا يطبخ الخروف بابن امه وقال في السفر الخامس وكلوا من الطير ما كان زكيا وحرموا
هذه التي اصفها لكم لا تاكلوا منها شيا النسر والحداة وكذا نحو مما عندنا وقال في نسختي في الثالث فمن مس شيا من هذه
اي المحرمات يكون نجسا الى المساء ومن حمل منها شيا فليغسل ثيابه ويكون نجسا الى الليل انتهى الظبي بالمعجمة المساه معروف
والجوذر بفتح الجيم والذال المعجمة ولد البقرة الوحشية والريم بكسر المهملة الظبي الخالص البياض والثيتل مثلثتين
مفتوحتين بينهما تحتانية ساكنة بقر الوحش والابل بفتح الهمزة وكسر التحتانية المشددة الوعل بفتح الواو وكسر المهملة
وهو تيس الجبل والحمل بفتح المهملة الرضيع من اولاد الضان وقوله لا تطبخوا جدي بابن امه الظاهر ان معناه النهي عن اكله
ما دام يرضع وما بعد الذي في الثالث هو معظم التوريه والذي في الخامس انما هو اعادة لما في الثالث فان الخامس تخيير
جميع ما تقدمه من القصص والاحكام مع زيادات فصدق ان اتيا الكتاب اي معظمه بعد تحريم ما حرم عليهم وبجوز وهو
احسن ان يكون معطوفا على محذوف تقديره ذلكم وصاكم به كما وصى بني اسرائيل في الفصل الذي لسبته من التوريه نسبه ام
القران من القران وذلك هو العشر الايات التي هي اول ما كتبه الله لموسى عليه السلام وهي اول التوريه في الحقيقة
لانها اول الاحكام وما قبلها انما هو قصص وحاصل هذه العشر انا الرب الهك الذي اصعدك من ارض مصر من العبودية والرق
لا يكون لك الها غيري لا تقسم باسمي كذبا احفظ يوم السبت اكرم والديك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد الزور لا تشتهي
عينيك الى ما في ايدي الناس فالمعنى ذلك وصينا كم به كما وصينا بني اسرائيل به في العشر الايات وبعض ما اتينا موسى من
التوريه وبجوز ان يكون التقدير تكون هذه الايات محللة في كل الشرايع لم تنسخ في امة من الامم ولا تنسخ وصاكم به يا بني
آدم في الزمن الاقدم ولم يزد الامر بها في التوصية الا شدة ثم اتينا اي بما لنا من العظمة موسى الكتاب اي جميعه وهي
فيه خالد كونه تماما لم ينقص عما يصلحهم شيا على الوجه الذي احسن اي اتى بالاحسان فاثبت الحسن وجمعه بما بين من الشرع
وبما حمى طوايف اهل الارض به من الهلاك بعامة فانه نقل ان الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد انزال التوريه
وتفصيلا لكل شي من جملة ذلك الفصل المحتوي على الكلمات العشر الحاوية لكل شي يحتاج اليه من امر الدين والدنيا كما ان القران
تفصيل لكل شي من الجوامع السبع التي حوتها ام القران الحاوية لمصالح الدارين وفي هذين الاحتمالين المقتضيين لكون ثم على
حقيقتها من الترتيب والمهلة علم من اعلام النبوة وهو الاطلاع على ان العشر الايات وتحريم ما حرم عليهم بالبغي في اوايل
ما اوحي الى موسى عليه السلام بعد اغراق فرعون وان معظم التوريه انزل بعد ذلك وهذا لا يعرفه الا اخباريهم وهدى
اي بيانا ورحمة اي اكراما لمن يقبله ويعمل به لعلهم اي بني اسرائيل بلقاء ربهم الذي اخرجهم من مصر من العبودية والرق
بقوته العظيمة وكلماته التامة يوقنون اي ليكون حالهم بعد انزال الكتاب لما يرون من حسن شرايعه وفخامة كلامه
وجلالة امره حال من يرجى ان يجدد الايمان في كل وقت بلقاء ربه لقدرته على البعث الذي الايمان به نهاية تصديق الانبيا
لانه لا تشتغل به العقول وانما يثبت بالسمع مع تجويز العقل له فيعلموا انه لا يشبهه شي كما ان كلامه لا يشبهه كلام فلا يبغوا ان
باتخاذ عجل غاية امره خوارا لا يفهم ومجمجة لا تفيد فلما بين ان انزال الكتب رحمة منه لان غايتها الدلالة على منزلها فتمتثل
اوامره وتتقي مناهيه وزواجره بين انه لم يخص تلك الامم بذلك بل انزل على هذه الامة كتابا ولم يرض لها كونه مثل تلك
الكتب بل جعله اعظمها بركة وابينها دلالة فقال وهذا اي القران كتاب اي عظيم انزلناه اي بعظمتنا اليكم بلسانكم
حجة عليكم مبارك اي ثابت كل ما فيه من وعد ووعيد وخبر وغيره ثباتا لا يمكن ازالته مع اليمن والخير ولما كان هذا
معناه وكان داعيا اليه مجتبا فيه سبب عنه قوله فاتبعوه اي بجهدكم لتكون جميع امورهم ثابته يمنونه ولما
امر باتباعه وكان الانسان ربما اتبعه في الظاهر امر بايقاع التقوى الصحيحة للباطن اتقانا عاما ولذلك حذف المفعول فقال
واتقوا اي ومع ذلك فاوقعوا التقوى هي ايجاد الوقاية من كل المحذور فان الخطر شديد والسلامة على غير القياس فلا تزايلوا
الخوف من منزله فان ذلك اجدر ان يحملكم على تمام الاتباع واخلاصه لعلكم ترحمون اي ليكون حالكم حال من يرجى له الاكرام
بالعطايا الجسام والاتيان ناظرتا ان الى قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الى قوله وهم على صلاتهم
يحافظون ثم بين المراد من انزاله وهو اقامة الحجة ابتداء فقال ان اي لان لا تقولوا او كراهة ان تقولوا اينها الامة
الامية انما انزل الكتاب اي الرباني المشهور على طايفتين وقرب الزمن وبعضه باداة الجار فقال من قبلنا اي اليهود
والنصارى وان اي وانا او وان الشان كنا عن دراستهم اي قراتهم لكتابهم قراءة مرددة ولما كانت هي المخففة
اتى باللام الفارقة بينها وبين النافية فقال لغافلين اي لا نعرف حقيقتها ولا تثبت عندنا حقيتها ولا هي بلساننا او تقولوا
اي ايها العرب لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا عالمين بها ولكنه لا يجب اتباع الكتاب الا على المكتوب اليه فلم نتبعه
ولو انا اهلنا لما اهلوا له حتى انزل علينا الكتاب اي جنسه او الكتاب الذي انزل اليهم من عند ربنا لكنا اهدى منهم

من مضاررته ثم ختم بالعهد لجمعه الكل في القول والفعل فقال **وبعهد الله** اي الملك الاعظم خاصة **اوفوا** وهذا يشمل كل ما على
الانسان وله فان الله لم يهمل شيا بغير تقدم فيه ثم اكد تعظيم ذلك بقوله **ذلكم** اي الامر المعتني به **وصاكم به** اي ربكم المحسن اليكم ولما
كانت هذه الافعال والاقوال سديدا على النفس العدل فيها لكونها شهوات تقدم بالترغيب فيها والترهيب منها بان كل من يفعل شيا منها
مع غيره يوشك ان يفعل معه مثله فلذلك حض على التذكر في الوصية بها ولانها خفية تحتاج الى مزيد تدبر فقال **لعلكم تذكرون**
اي لتكونوا بحيث يحصل لكم التذكر ولو على وجه خفي بما اشار اليه الادغام فيما جبلت عليه نفوسكم من محبة مثل ذلك لكم فتحكموا لغيركم
بما تحكمون به لانفسكم ولما قرر هذه الشرايع نبه على تعظيمها بالخصوص على وجه يعم جميع ما ذكر في السورة بل وفي غيرها فقال
وان اي ولان على قراءة الجماعة بالفتح اي اتبعوه لذلك وعلى قراءة ابن عامر ويعقوب بالكسر هو ابتداء **هذا** اي الذي شرعته لكم
صراطي حال كونه **مستقيما فاتبعوه** اي بغاية جهدكم لانه الجامع للعباد على الحق الذي فيه كل خير ولما كان الامر باتباعه متضمنا
للنهي عن غيره صرح به تاكيدا لامره فقال **ولا تتبعوا السبل** اي المتشعبة عن الاهوية المفرقة بين العباد ولذا قال مسببا
فتفرق بكم اي تلك السبل الباطلة **عن سبيله** على وجه خفي ملبس كما اشار اليه الادغام ولما مدحه امرا به ناهيا عن غيره مبينا
للعلة في ذلك اكد مدحه فقال **ذلكم** اي الامر العظيم من اتباعه **وصاكم به** ولما كان قد حذر من الزلل عنه وكان من المعلوم ان من ضل عن
الطريق الاقوم وقع في المهالك وكان كل من يتخيل انه يقع في مهلك يخاف قال **لعلكم تتقون** اي اتبعوه واتركوا غيره لتكون حالكم
حال من يرجى له ان يخاف من ان يزل فيضل فيهلك وهذا كما مدحه سبحانه سابقا في قوله وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا
الايات لقوم يذكرون وفصل ما هنا من الاحكام في ثلاث ايات وختم كل اية منها بالوصية ليكون ذلك اكد في القول فيكون ادعى
للقبول وختم كل واحدة منها بما ختم لانه اذا كان العقل دعا الى التذكر فحمل على التقوى ولما كانت هذه الايات الثلاث وافية
بالايات العشر التي كتبها الله لموسى عليه السلام على لوحي الشهادة في اول ما اوحي اليه في طور سينا المشار اليها بقوله وعلمتم ما لم
تعلموا انتم ولا اباؤكم وبنى عليها التورية وامره ان يودعها في تابوت العهد لتكون شهادة عليهم وعلى اعقابهم كما هو مذكور في وسط
السفر الثاني من التورية وقد مضى بيانه في البقرة وياتي في اخر هذه القولة وزايدة عليها من الاحكام والمحاسن ما شاء الله
حسن ان تذكر بعدها التورية فقال مشيرا باداة التراخي الى كل من الترتيب والتعظيم **ثم اتينا** اي بما لنا من العظمة التي تقتضي
تعظيم ما كان من عندنا **موسى الكتاب** اي المشار اليه بقوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى وهي والله اعلم معطوفة
على قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر لانه تعالى بعد ان اعطى موسى العشر الايات واعده الى الجبل مواعدة ثانية فشرع
له بعض الاحكام وامره بنصب قبة الزمان التي يوحى اليه فيها ويصلون اليها وببعض ما يتخذ من الاتها كما مضى في البقرة ثم
ذكر بعد ذلك بيسير تحريم الشحوم عليهم فقال في اوايل السفر الثالث وهو سفر الكهنة وفيه تلخيص امر القرابين ودعا الرب
موسى وكلمه في قبة الامد وقال له كلم بني اسرايل وقل لهم كل انسان منكم اذا قرب للرب قربانا من البهايم فلتكن قرابينكم من البقر ومن
الغنم الى ان قال ويقرب قربانا للرب الحجاب المبسوط على الاحشاء وكل الشرب الذي على الاكشاح والكليتين والشحم الذي عليهما
وعلى الجنب الى ان قال وكل الشحوم للرب عهد الابد ولا تاكلوا دما ولا شحما ثم قال وكلم الرب موسى وقال له كلم بني اسرايل وقل لهم
لا تاكلوا شحم البقر ولا شحم الغنم الضان والماعز جميعا لان كل من اكل شحم بهيمة تقرب قربانا للرب تهلك تلك النفس من شبعها
ولا تاكلوا دما حيث ما سكنتم لا دم البهايم ولا دم الطير واية نفس اكلت وما تهلك تلك النفس من شبعها وقال في السفر
الخامس فاما الدم فلا تاكلوا ولكن ادفقوه على الارض مثل الماء ثم قال بعده بقليل وكلوا في قراكم من كل شهوات انفسكم ولكن اياكم
ان تاكلوا دما لان دم البهيمة هو في نفسها فلا تاكلوا النفس مع اللحم ليحسن اليكم والى اولادكم من بعدكم اذا عملتم الحسنات امام الله ربكم
رجع الى السفر الثالث ثم قال ودخل موسى وهرون الى قبة الزمان وخرجا ودعوا الشعب وظهر مجد الرب امام جميع الشعب
ونزلت نار من قبل الرب فاحرقت الشحم والذبيحة الكاملة لله على المذبح وعاين ذلك جميع الشعب وحمدوا الله وخر الشعب كله على
وجهه ثم ذكر عقب ذلك بيسير محرمات الحيوان وكذا ذكره في السفر الخامس وقد جمعت بينهما ومعظم السياق للخامس قال لا
تاكلوا شيا نجسا هذا كلوا من جميع البهايم الثور والجمل والنعجة والمعز والايل والظبي والجودر واللرح والريم والوعل والتيتل
كل بهيمة ذات ظلف مقسوم ظلفها تجتر كلوها وحرموا من التي تجتر ومن التي لها ظلوف مقسومة ولا تجتر الجمل والارنب والوبر
التي تجتر وليس لها اظلاف مقسومة هي نجسة لكم وفي الثالث وحرموا من البهايم التي ليست لها اظلاف والتي تجتر الجمل
الذي يجتر وليس له اظلاف هو نجس محرم عليكم والارنب الذي يجتر وليس له اظلاف منجس محرم عليكم رجع والخنزير الذي له اظلاف
ولا يجتر هو نجس لا تاكلوا من لحوم هذه ولا تقربوا الى اجسادها وقال في الثالث ولا تمسوا لحومها لانها نجسة محرمة
عليكم وقال في الخامس من ترجمة الاثنين والسبعين واياكم ان تاكلوا كل نجس ويكون الذي تاكلونه من الدواب العجل من
البقر والخروف من الغنم والجدي من المعز او الايل والغزال والعين والوعل وعنز الجبل واليحمور وناقة الثمر والزرافة
وكل دابة مشقوقة الظلف وهي تنبت اظافير في كل ظلفها واجتر من الدواب فاياه فكلوا والذي لا تاكلون منه من الذي
يجتر ومن المشقوق الظلف الذي ينبت له اظافير الجمل والارنب واليربوع فان ذلك يجتر ولكنه غير مشقوق الظلف وهو
لا يحل لكم والخنزير ايضا فان ظلفه مشقوق وينبت في ظلفه اظافير غير انه لا يجتر وما لا يجتر فانه لا يحل لكم فلا تاكلوا من
لحومها ولا تقربوا اجسادها وقال في الثالث منها وكلم الرب موسى وهرون وقال لهما كلما بني اسرايل وقولا لهما ان الذي تاكلونه
من الواشي من جميع الانعام التي على الارض كل بهيمة قد شق ظلفها وهي تخرج اظفارا في كلا ظلفيها وتجتر فذلك الذي تاكلونه من الانعام

والذي

اي لما لنا من الاستعداد بوفور العقل وحدة الاذهان واستقامة الافكار واعتدال المزجة والاذعان للحق ولذلك
سبب عن هاتين العلتين قوله فقد جاءكم وذكر الفعل مع حال هذا القرآن وتفضيلا وتشريفا له على كل ما تقدمه وتبينها
على ان به بيان هذه السورة في النهاية لانها مسوقة اصول الدين بينة اي حجة ظاهرة بلسانكم من ربكم اي المحسن اليكم على لسان
رجل منكم تعرفون انه اولاكم بذلك وهدى اي بيان لمن تدبره عظيم ورحمة اي اكرام لمن قبله فكذبتم بها ولما كانت عليهم الحجة
حسر وقوع التقرير بقوله فمن اي فتسبب عن تكذيبكم انه يقال بيانا لانكم اظلم الناس من اظلم ممن كذب اي اوقع التكذيب
بايات الله اي الذي لا اعظم منه فلا اعظم من اباية لان الامر على قدر المؤثر وصدف اي اعرض اعراضا صار به كانه في صدف اي
قيد عن سهولة الانقياد دليل عنها بعد ما عرف صحتها ولما كان الجواب قطعا لا احد اظلم منه فكان الحال مقتضيا للوقوع مما
يجازى به قال سنجزي اي بوعد صادق لا خلف فيه واظهر ما اصله الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال الذين
يصدفون اي يجددون الاعراض ولا يتوبون عن اياتنا اي على ما لها من العظمة سوء العذاب اي الذي يسوء منه بما كانوا
يصدفون اي بسبب اعراضهم الذي كان عادة لهم ولما كان سوء العذاب حقوق العذاب وكان حقوقه بعدم قبول التوبة
فسره بقوله مهونا له ومسهلا بتجريد الفعل هل ينظرون اي ما ينتظر هؤلاء المكذبون اذ بي انتظار واقربه وايسره
الا ان تاتيهم اي حال تكذيبهم الملئكة اي بالامر الفيصل من عذابهم كما هي عادتها في اتيانها المكذبين او ياتي ربك اي ظهور امر المحسن
اليك اتم ظهور بجميع الايات التي تحملها العقول وذلك يوم الجزاء او ياتي وابتهم بهولا للامر وتعظيما فقال بعض ايات ربك
اي اشراط الساعة التي يكون فيها ظهور التام واحسانه اليك الاعظم مثل دابة الارض التي تميز الكافر من المؤمن وطلوع
الشمس من مغربها المؤذن باغلاق باب التوبة روى البخاري في التفسير وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا راها الناس امن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل ثم قرا الآية ولما كان اتيان الملائكة اي كلهم امرا لا تحمل العقول وصف عظمته ولا بشري للمجرمين عند رويته
فانه لو وقع على صورهم لتقطعت اوصالهم ولم تحمله قوائم فتقضي الامر بهم لا ينظرون واما تجلي الرب سبحانه وعز اسمه وجلت
عظمته فالامر اعظم من مقاله قائل ان رقوا البقاء او ان فخموا ترك ما يترتب عليه وقال يوم ياتي اي يتكشف ويظهر
بعض ايات ربك اي المحسن اليك بالاتيان بذلك تصديقا لك وترويعا وتدميرا المخالفيك لا ينفع نفسا اي كافرة ايمانها
اي اذ ذاك ولا نفسا مؤمنة كسبها الخير اذ ذاك في ايمانها المتقدم على تلك الاية بالتوبة فما دراها ولذلك بينه بقوله
واصفا نفسا لم تكن اي الكافرة آمنت ويسر الامر ببعض زمان القبل ولم يكلف باستغراقه بالايمان فقال من قبل اي قبل مجيء الاية
في زمن متصل بمجيئها ولما ذكر الكافرة اتبعها المؤمنة فقال عاطفا على آمنت او لم تكن المؤمنة العاصية كسبت اي من قبل
ايمان كافر ولا توبة فاسق كما قاله البغوي لان المقصود من التصديق والتوبة الايمان بالغيب وقد فات بالاية الملجئة
فيكون فاعل الفعل المقدر وهي كسبت محذوفا والتقدير لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل او لم تكن كسبت في ايمانها خيرا ايمانها وكسبها
فالايمان راجع الى من لم يؤمن والكسب راجع الى من لم يكسب وهو ظاهر والتهديد بعدم نفع الايمان عند مجيء الاية اعظم دليل
على ما ذكرته من التقدير والاية من الاحتباك ذكر ايمانها اولا دليل على حذف كسبها من الجملة الثانية وذكر جملتي آمنت وكسبت
ثانيا دال على حذف كافرة ومؤمنة اولا ولما كان هذا تهديدا كما ترى هائلا اتبعه ما هو اشد منه للتنبيه على ان اهل
الايمان سالمون من ذلك بقوله قل انتظروا اي بغاية جهدكم ايها المكذبون انا منتظرون بجهدنا وستعلمون لمن تكون
العاقبة ولما نهى عن اتباع السبل لانها سبب التفرق عن الحق وكان قد كرر في هذه السورة نصب الحجج وانارة الادلة وانارة
الشكوك ومحو اثار الشبه واشرفت السورة على الانقضاء وكان من المعلوم قطعا ان الحق من حيث هو حق شديد التاثير في
ازهاق الباطل فكيف اذا كان كلام الملك الذي لا يخالف امره ولا يخرج عن ارادته اشتد استشراف النبي صلى الله عليه وسلم
الى رؤية ذلك الاثر مما عنده من الحرص على اسلام قومه لما طبعه الله عليه من الشفقة على جميع الخلق عموما وعليهم خصوصا
وانما يكون ذلك الاثر باجتهاد هدايتهم ومحو غوايتهم فلما ختم سبحانه بهذين التهديدين العظيمين الدالين على عسرتهم فانه صلى
الله عليه وسلم ما كان رجاه من هدايتهم امر كانه كان قد حصل وذلك مورث للشفوق من الاسف ما لا يدري قدره ولا يوصف
جبره فيثبته سبحانه وسلاه بقوله ان الذين فرقوا اي بعدا بلغك اياهم دينهم اي بتكذيبهم ببعض ايات الله وصدوفهم
عنها وايمانهم ببعضها فغاروا قوم لان الكفر ببعضه كفر بكله واضيف الدين الهم لشدة رغبتهم فيه ومقاتلتهم عليه وكانوا
شيعا كل حرفة تشايع وتشيع امامها كالعرب الذين تحزبوا احزابا بالاستكثار من الاصنام فكان في كل قطر لهم معبود او اثنان
فاكثر وكاهل الكتاب الذين ابتدعوا في دينهم بدعا او صلتهم الى تكفير بعضهم بعضا وامنوا ببعض الانبياء وكفروا ببعض وكالمجوس
الذين فرقوا دينهم باعتقاد ان الاله اثنان النور والظلمة وعبدوا الاصنام والنجوم وجعلوا لكل نجم صنما يتوسل به الى
زعمهم اليه لست منهم اي من حسابهم ولا عقابهم ولا من خلق الهداية في قلوبهم في شيء وفي هذا غاية الحث على الاجتماع ونهاية
التوعد على الافتراق ولما خفف عنه صلى الله عليه وسلم بتبرئته منهم اسند الى نفسه المقدس ما يحق له في احاطة علمه
وقدرته فقال جوابا لمن يقول فالى من يكون امرهم انما امرهم اي في ذلك كله وفي كل ما يتعلق بهم مما لا يحصر حدا ولا يحصيه

عز

عد الى الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه لا الى غيره فمن شاء هداه ومن شاء اعماه ومن شاء اهلكه ومن شاء ابقاه لان له كمال العظمة
ولما كان الحشر متراخيا عن ذلك كله في الرتبة وفي الزمان لا تبلغ كنه عظمته العقول نبه على ذلك بالتعبير باداة التراخي والتنبيه
ثم بعد استيفاء ما ضرب لهم من الاجال ينبئهم اي تنبيه عظيمه جليله مستقصاه بعد ان يحشرهم اليه ذاخرين بما كانوا اي
جبلة وطبعا يفعلون اي من تلك الاشياء القبيحة التي كان لهم اليها اتم داعيه غير متوقفين في اصدارها على علم مع ادعاء التدين
بها والآية مع ما تقدم من مقتضياتها تعليل لقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ولما اخبر ان امرهم ليس الا اليه
كان كانه قيل فماذا يفعل بهم حينئذ فاجيب بقوله من جاء اي منهم او من غيرهم بالحسنة اي الكاملة بكونها على اساس
الايمان فله من الحسنات عشر امثالها كرما واحسانا وجودا وامتنانا يجازيه بذلك في الدنيا او في الاخرة وهذا المحقق لكل
احد ويزاد البعض بحسب النيات وذكر العشر لانه بمعنى الحسنة وهو مضاف الى ضميرها ولما تضمن قوله واوفوا الكيل
والميزان بالقسط مع تعقيبه بقوله لا نكلف نفسا الا وسعها الاشارة الى ان المساواة في الجزاء مما تنقطع دونه اعناق الخلق
اخبر ان ذلك عليه هين لان علمه شامل وقدرته كاملة بقوله ومن جاء بالسيئة اي اي شيء كان من هذا الجنس فلا يجزى
اي في الدارين الا مثلها اذا جوزي ويعفو عن كثير ولما كانت المماثلة لا يلزم كونها من كل وجه وان كانت ظاهرة في ذلك
ولا سيما في هذه العبارة صرح بما هو ظاهره لانه اطيب للنفس واسكن للروع فقال وهم لا يظلمون اي بكونها مثلها في الوحدة
وان كانت اكبر او من جنس اشد من جنسها ونحو ذلك بل المماثلة موجودة في الكم والكيف فلا ينقص احد في ثواب ولا يزاد في عقاب
ولما تضمن ما مضى تصحيح التوحيد بالادلة القاطعة وتحقيق امر القضاء والقدر وابطال جميع اديان الضلال ووصفها بتفرق
اهلها الدال على بطلانها واعوجاجها وختم بهذا التحرير الذي لا شيء اقوم منه ولا اعدل امره صلى الله عليه وسلم بالاعلان
بامره وان يصف دينه الذي شرعه له وهداه اليه بما فيه من المحاسن تحبيبا فيه وحثا عليه ولان ذلك هو نتيجة هذه السورة
فقال قل واكد بالاتيان بالنونين فقال انني هداني اي بيانا وتوفيقا ربي اي المحسن الي بكل خير لا سيما هذا الذي اوحاه الي وانزله
علي الى صراط اي طريق واسع بين مستقيم ثم مدحه بقوله دينا قيما اي بالغ الاعتدال والاستقامة ثابتها هذا على قراءة
ابن كثير ونافع وابي عمرو بفتح القاف وتشديد الياء المكسورة وهو في قراءة الباقين بكسر القاف وفتح الياء الخفيفة مصدر لمعنى
القيام وصف به للمبالغة وزاده مدحا بقوله مذكرا لهم لتقليدهم الاباء بانه دين ابيهم الاعظم ملة ابرهيم والملة ما اظهره
نور العقل من الهدى في ظلم ما التزمه الناس من عوايد امر الدنيا افاده الحرالي رحمه الله ولذلك قال حنيفا اي لينا
هشا سهلا قابلا للاستقامة بكونه ميالا مع الدليل غير جاف ولا كز واقف مع التقليد عمي عن نور الدليل كما تقدم ذلك في البقرة
وهو معنى قوله وما اي والحالة انه ما كان من المشركين اي الجامدين مع اوهامهم في ادعاء شريك لله مع رؤيتهم له في كونه
لا يضر ولا ينفع ولا يصلح لشركة ادمي فضلا عن غيره بوجه لا ينقادون لدليل ولا يصغون الى قيل فكان هذا مدحا لهذا الدين
الذي هدي اليه صلى الله عليه وسلم وبيانا لانه الذي اختاره سبحانه لخليله ابرهيم عليه السلام رجوعا الى واذ قال ابرهيم
لابيه آزر الذي بنيت السورة في الحقيقة عليه والقيت ازمة اطرافها اليه وترغيبا في هذا الدين لان جميع المخالفين يتشبثون
باذيال ابرهيم عليه السلام العرب واهل الكتابين بنسبة الابوة والمجوس بنسبة البلد والاخوة واشار بذلك الى ان محمدا
صلى الله عليه وسلم فهم ما حاج به ابوه ابرهيم عليه السلام قومه وقبله فلم ينسب كغيره الى جمود ولا عناد ولما كان كان سائلا
قال ما هذه الملة التي تكرر مدحها والدعاء اليها اجاب بقوله ليتاسى به اهل الايمان فيلتزموا جميع ما يدعوا اليه على الاخلاص
قل ان صلاتي اي التي هي لباب الدين وصفاوته ونسكي اي جميع عبادتي من الذبايح وغيرها ومحياي اي حياتي وكل ما تجمعه من
زمان ومكان وفعل ومماتي لله اي الملك الاعظم الذي لا يخرج شيء عن امره ولما علم بالاسم الاعظم انه يستحق ذلك لذاته اعلم
انه يستحقه من كل احد لاحسانه اليه وانعامه عليه فقال رب العالمين الموجد والمدبر والمربي لهم ولما اعلم انه يستحقه
لذاته ووصفه اعلم انه يستحقه وحده فقال لا شريك له ليكون لشريكه على زعمكم شيء من العبادة ان كان له شيء من الربوبية
فابان بهذا ان وجهه صلى الله عليه وسلم ووجه من تبعه واحد لا افتراق فيه وهو قصد الله وحده على سبيل الاخلاص كما انه
توحد بالاحياء والاماتة فينبغي ان يوحد بالعبادة ولما دل على ذلك ببرهان العقل اتبعه بجازم النقل فقال عاطفا على
ما تقديره الى ذلك ارشدني دليل العقل وبذلك اي الامر العالي من توجيه اموري اليه على وجه الاخلاص ولما كان له سبحانه
في كل شيء اية تدل على انه واحد فكان كل شيء آمرا بالتوحيد بلسان حاله او ناطق مقاله بني للمفعول قوله امرت يعني ان هذا
الدين لو لم يرد به امر كان ينبغي للعاقل ان يدين به ولا يعدل عنه لشدة ظهوره وانتشار نوره بما قام عليه من الدلايل ودرج
على اتباعه من الافاضل والاماثل فكيف اذا برزت به الاوامر الالهية ودعت اليه الدواعي الربانية وانا اول المسلمين
اي المنقادين لما يدعوا اليه داعي الله في هذا الدين لا اختيار لي اصلا بل انا مسلوب الاختيار فيه منقاد اتم انقياد وهذه
الاولية على سبيل الاطلاق في الزمان والرتبة بالنسبة الى امته صلى الله عليه وسلم وفي الرتبة بالنسبة الى من تقدمه من
الانبياء وغيرهم وهذا ايضا من باب الاحسان في الدعاء بالتقدم الى ما يدعوا اليه وان يحب للمدعو ما يحبه لنفسه ليكون انفى
للتهمة وادل على النصيحة فيكون ادعى للقبول ولما حاجوه في الشرك في هذه السورة غير مرة كما حاج ابرهيم عليه السلام
قومه وكان آخر ذلك ان دعاهم صلى الله عليه وسلم الى تلاوة ما انزل عليه سبحانه في تحريم الشرك وشرح دينه القيم
ثم كرر هنا ذمهم بالتفرق الدال على الضلال ولا بد ومدح دين الرسل الذي تقدم انهم لم يختلفوا فيه اصلا وايناس

حاصله انه ليس له شريك في الربوبية باقرارهم فلا يكون له شريك في الالهية لان من لا ربوبية له لا الوهية له

الكفار من مواقعته صلى الله عليه وسلم لهم نوعا من الموافقة وميله معهم شيا من الميل امره سبحانه بعد ان ثبت باول السورة
واثنائها واخرها انه لا رب غيره بالانكار على من يريد منه ميلا الى غير من تفرد بمحياه ومماته فكان له التفرد بما بينهما وما بعد ذلك
من غير شبهة والتوبيخ الشديد فقال قل اي لهولاء الذين يطمعون ان تطرد اصحابك من اجلهم اغير الله اي الذي له الكمال كله ابغي اي
اطلب واريد بالاشراك فان الغني المطلق لا يقبل ممن اشرك به شيا ربا اي منعما يتولى مصالحي كما بغيتم انتم فهو تعريض بهم وتنبيه لهم
والاسناد اليه صلى الله عليه وسلم والمراد جميع الخلق من باب الانصاف في المناظرة للاستعطاف وهو اي والحال انه كما ثبت بالقواطع
وركز في العقول الثوابت وطبع في انوار الافكار اللوامع رب كل شي اي موجده ومربيه افينبغي لاحد ان يدين لغير سيده وذلك
الغير مربوب مثله لسيده هذا ما لا يرضاه عاقل لنفسه ولما انكر على من يجنح الى غيره من عموم بره وخيره اتبعه الترويع من قويم
عدله في عظيم خيره فقال ولا اي والحال انه لا تكسب كل نفس اي ذنبا وان قل مع التصميم والعزم القوي الذي هو بحيث يصدقه
العمل كما مضى في اية البقرة الا عليها اي لا يمكن ان يكون باطلا لا عليها ولا على غيرها واذا كان عليها لا يمكن ان يحاسب به سبحانه
سواها لانه عدل حكيم فكيف ادعو غيره دعاء جليا او خفيا وذلك اعظم الذنوب وللتنفير من الشرك الخفي بالريا وكل معصية وان
صغرت جرد الفعل عن الافتعال لئلا يتوهم انه لا يكون عليها الا ما بالغت فيه والسياق هنا واضح في ان الكسب مقيد بالذنب فانه في
دعا غير الله واية البقرة للايما الى ان الذنب لا يقع الا بشهوة شديدة من النفس له لطبعها على النقايص فهي لا تنافي هذه لان ما كسبته
من الذنوب قد علم من ثم انه اكتساب فاحش من هذا ان يقال ولما كان المعنى اني ان بغيت ربا غيره وكلني الى ما توليته وانا انسان
والانسان مطبوع على النقايص فهلكت عبر عنه بقوله مجردا للفعل لقصد العموم ولا تكسب كل نفس بما هي نفس ناظرة في نفاستها
معرضة عن ربها موكولة الى حولها وقوتها الا عليها ولا يحمل عنها غيرها شيا من وزرها ولما كان ربما حمل احد عن غيره شيا
من اثقاله مساعدة له نفى ذلك بقوله ولا تزر وازرة اي تحمل حاملة ولو كانت والدا او ولدا وزر اي اثم اخرى وان تدع
مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى فاذا كان الامر كذلك فلا يحمل بعاقل ان يعرض نفسه لحمل شي من غضب هذا الملك الذي
لا شريك له واليه المرجع وان طال المدى ولما عم في الكسب وحمل الوزر لئلا يقول متعنت ان خص هذا لك لا لناعم في المرجع
ايضا لمثل ذلك فقال مهددا لهم بعد كمال الايضاح عاطفا على ما ارشد اليه الانكار في النفي من نحو ان يقال اني لا افعل شيا من ذلك لا
ابغي ربا غير ربي اصلا واما انتم فافعلوا ما انتم فاعلون فان ربكم عالم به ثم اي بعد طول الامهال لكم لطفا منه بكم الى ربكم اي الذي
احسن اليكم بكل نعمة لا الى غيره مرجعكم اي بالحشر وان عمرتم كثيرا وبقيتم طويلا فينبئكم اي يخبركم اخبارا جليلا عظيما مستوفى
ولما كان قد تقدم انهم فرقوا دينهم قال بما كنتم اي جبلة وطبعا ولذلك قدم الجار ليفيد الاهتمام به لقوة داعيتهم اليه من غير
اكراه ولا ذهول ولا نسيان فقال فيه تختلفون اي مع رسولي وغيره ويدينكم على جميع ذلك بما تستحقونه وحالكم جدير بان يعظم
عقابكم لانكم كفرتم نعمته قال ابو حيان حكى النقاش انه روي ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى ديننا
واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج اليه في دنياك واخرتك فنزلت هذه الاية انتهى ولما قدم انه
المحسن الى كل شي بالربوبية وختم بالتهديد بالحشر اتبعه التذكير بتخصيصهم بالاحسان فقال عطفا على وهو رب كل شي مستعطفا
لهم اليه بالتذكير بنعمته وهو اي لا غيره الذي جعلكم اي ايها الانس خلايف الارض اي تفعلون فيها فعل الخليفة متمكنين
من كل ما تريدونه ويجوز ان يراد بذلك العرب ويكون ظاهر الكلام ان المراد بالارض ما هم فيه من جزيرة العرب وباطنه البشارة
باعلا دينهم الاسلام على الدين كله وغلبتهم اكثر اهل الارض في هذه الازمان وعلى جميع اهل الارض في اخر الزمان ورفع بعضكم
في مراقي العقل والعلم والدين والمال والجاه والقوة الحسية والمعنوية فوق بعض درجات اي مع كونكم من نفس واحدة وربما
كان الوضيع اعقل من الرفيع ولم ينفعه عقله فيدل ذلك دلالة واضحة على ان ذلك كله انما هو فعل الواحد القهار لا لعجز ولا جهل
ولا بخل ثم علل ذلك بقوله ليبلوكم اي يفعل معكم فعل المختبر ليقيم الحجة عليكم وهو اعلم بكم منكم فيما اتاكم فينظر هل يرحم
الجليل الحقير ويرضى الفقير بعطايه اليسير ويشكر القوي ويصبر الضعيف ولما ذكر علو بعضهم على بعض وكان من طبع الادمي
التجبر اتبعه التهديد للظالم والاستعطاف للتايب بما يشير بما له سبحانه من علو الشان وعظيم القدرة الى ضعف العالي منهم وعجزه
عن عقاب السافل بمن يحول بينه وبينه من شفيع وناصر وبما يحتاج اليه من تمهيد الاسباب محذرا من البغي والعصيان فقال
موجها الخطاب الى اكمل الخلق تطييبا لقلبه اعلاما بانه رباه سبحانه اجمل تربية وادبه احسن تاديب ان ربك اي المحسن اليك
سريع العقاب اي لمن يريد عقابه ممن يكفر نعمته لكونه لا حايل بينه وبين من يريد عقابه ولا يحتاج الى استحضار الات العقاب
بل كل ما يريد حاضر لديه عتيد انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وفي ذلك تهديد شديد لمن لا يتعظ ولما هدد
وخوف رجى من اراد التوبة واستعطف فقال وانه لغفور رحيم معلما بانه على تمام قدرته عليهم وانهماكهم فيما يوجب
الاهلاك بليغ المغفرة لهم عظيم الرحمة ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة حثا على عفو الرفيع عن الوضيع
وتاكيده الثاني دون الاول ناظر الى قوله كتب على نفسه الرحمة ان رحمتي سبقت غضبي لانه في سياق التاديب لهذه
الامة والتذكير بالانعام عليهم بالاستخلاف وسياتي في الاعراف بتاكيد الاثنين لانه في حكاية ما وقع لبني اسرايل من
اسراعهم في الكفر ومبادرتهم اليه واستحقاقهم على ذلك العقوبة وجا ذلك على طريق الاستيناف على تقدير ان قايلا قال
حينئذ يسرع العال الى عقوبة السافل فاجيب بان الله فوق الكل وهو اسرع عقوبة فهو قادر على ان يسلط الوضيع او احقر
منه على الرفيع فيهلكه ثم رغب بعد هذا الترهيب في العفو بانه على غناه عن الكل اسبل ذيل غفرانه ورحمته بامهاله العصاة

وقوله

وقبوله اليسير من الطاعات بانه خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور منافع لهم ثم هم به يعدلون ولولا غفرانه ورحمته
لاسرع عقابه لمن عدل به غيره فاسقط عليهم السموات وخسف بهم الارضين التي انعم عليهم بالخلافة فيها واذهب عنهم النور وادام
الظلام فقد ختم السورة بما به ابتداءها فان قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض هو المراد بقوله هو الذي خلقكم من طين
وقوله اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شي هو معنى قوله خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون ن والله الهادي للصواب ٭ واليه المرجع والمآب ن

سورة الاعراف مايتان وست ايات

مقصودها انذار من اعرض عما دعا اليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد والاجتماع على الخير والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل
في الانعام وتحذيره بقوارع الدارين وهذا احسن مما كان ظهر لي وذكرته عند والوزن يومئذ الحق وادل ما فيها على هذا المقصد امر
الاعراف فان اعتقاده يتضمن الاشراف على الجنة والنار والوقوف على حقيقة ما فيهما وما اعد لاهلهما الداعي الى امتثال كل خير واجتناب
كل شر والاتعاظ بكل مرقق بسم الله المتردي برداء الكبر وازار العظمة والجلال الرحمن الذي من رحمته انتقامه من اهل الظلم
والضلال الرحيم الهادي لاهل الاصطفاء الى لزوم طريق الوفاء المص لما ذكر سبحانه في آخر التي قبلها انه انزل اليهم كتابا مباركا وامر
باتباعه وعلل انزاله وذكر ما استتبعه ذلك مما لا بد منه في منهاج البلاغة وميدان البراعة وكان من جملته ان امر المدعوين به ليس
الا اليه ان شاء هداهم وان شاء اضلهم واستمر فيما لا بد منه في تتميم ذلك الى ان ختم السورة بما انعطف على ما افتتحت به فاشتد اعتناقه
له حتى صار كشي واحد اخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب وما تقدمه فقال مخبرا عن مبتدا تقديره
هو كتاب اي عظيم اوضح الطريق المستقيم فلم يدع به لبسا ولم يذر خيرا الا امر به ولا شرا الا نهى عنه فانزاله من عظيم رحمته ثم وصفه
بما اكد ما اشار اليه من رحمته به بقوله انزل اليك اي وانت اكرم الناس نفسا واوسعهم صدرا واحلمهم قلبا واعرفهم اصالة
واعرفهم باستعطاف المباعد واستجلاب النافر الباغض وهذا شي قد خصك به فرفعك على جميع الخلق درجات لا تحصى ومراتب لا
حد لها فيستقصى ولما كان المقصود من البعثة اولا النذارة للرد عما هم عليه من الضلال وكانت مواجهة الناس بالانذار شديدة
على النفوس وكان الاقدام عليها من الصعوبة بمكان عظيم قدم قوله مسببا عن تخصيصه بهذه الرحمة فلا يكن وعبر عن القلب
بمسكنه الذي هو اوسع منه مبالغة في الامر فقال في صدرك حرج اي شي من ضيق بهم او خوف ونحو ذلك منه على ما تعلق بانزل
من قوله لتنذر به اي نذري لكل من بلغه او للمخالفين من سرعة العقاب على نحو ما اوقع سبحانه بالقرون الماضية والامم السالفة
كما اشار اليه آخر الانعام وسيقص من اخبارهم في هذه السورة ولتذكر به ذكرى اي عظيمة للمومنين اي بالبشر والمواعظ والغفران
والرحمة على ما اشار اليه ختام الانعام وحذف المفعول يدل على عموم الرسالة لكل من امكن انذاره وتذكيره من العقلاء ويجوز ان
بمعنى النهي اي انف الحرج لكذا فان من كان منشرح الصدر اقدم على ما يريد او يكون التقدير لتنذر به وتذكر به فانه نذري للكافرين وذكرى
للمومنين والآية على كل تقدير من الاحتباك اثباته لتنذر اولا دال على حذف لتذكر ثانيا واثبات المومنين ثانيا دال على حذف المخالفين
اولا فان النفوس على قسمين نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في طلب اللذات الجسمانية والشهوات الحيوانية فبعثة
الرسل في حقهم انذار وتخويف ونفوس شريفة مشرقة بالانوار الالهية فبعثة الرسل في حقهم تذكير لان هذه النفوس بمقتضى
جواهرها الاصلية وجبلتها الخلقية مستعدة الاعذاب الى عالم القدس الا انه ربما غشيها غواش من عالم الاجساد فيعرض لها
نوع ذهول وغفلة فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصلت بها انوار ارواح رسل الله تذكرت مركزها وابصرت منشاها فاشتاقت
الى ما حصل هناك من الروح والريحان فطارت نحوهم كل مطار فتمخضت لديها تلك الانوار وقال ابو حيان واعتلاق هذه
السورة بما قبلها هو انه لما ذكر تعالى قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واستطرد منه لما بعده الى قوله في آخر
السورة وهو الذي جعلكم خلائف الارض وذكر ابتلاءهم فيما اتاهم وذلك لا يكون الا بالتكاليف الشرعية ذكر ما تكون به التكاليف
وهو الكتاب الالهي وذكر الامر باتباعه كما امر في قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه انتهى وقال شيخه الامام ابو
جعفر بن الزبير لما قال تعالى ابتداء بالاعتبار الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء
عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين ثم قال تعالى ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ثم قال تعالى قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين ثم قال تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا الآية وقال تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك
فاخذناهم بالباساء والضراء الآية وقال تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فوقعت الاحالة
في هذه الآي على الاعتبار بالامم السالفة وما كان منهم حين كذبوا انبياءهم وهلاك تلك القرون بتكذيبهم وعتوهم وتسلية رسول
الله صلى الله عليه وسلم بجريان ما جرى له بمن تقدمه من الرسل قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فاستدعت الاحالة والتسلية
بسط اخبار الامم السالفة وتلك القرون الماضية والاعلام بصبر الرسل عليهم السلام عليهم وتلطفهم في دعائهم ولم يقع في السور
الاربع قبل سورة الانعام مثل هذه الاحالة والتسلية وقد تكررت في سورة الانعام كما تبين بعد انقضاء ما قصد من بيان طريق
المتقين احدا وتركا وحال من حاد عن سننهم ممن رامه او قصده فلم يوفق له ولا تم له امله من الفرقتين المستندة للسمع والمعتمدة
النظر فحاد الاولون بطارئ التغيير والتبديل وتنكب الآخرون بسوء التناول وقصور الافهام وعلة حيد الفريقين السابقة

الازلية فلما انقضى امر هولاء وصرف الخطاب الى تسليته عليه السلام وتثبيت فؤاده بذكر احوال الانبياء مع اممهم وامر الخلق
بالاعتبار بالامم السالفة وقد كان قدم لرسوله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الانبياء اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده بسط تعالى
حال من وقعت الاحالة عليه واستوفى الكثير من قصصهم الى آخر سورة هود الى قوله سبحانه وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت
به فؤادك فتامل بما افتتحت به السورة المقصود بها قصص الامم وبما اختتمت يلح لك ما اشرت اليه والله اعلم بمراده وتامل افتتاح
سورة الاعراف بقوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وختم القصص فيها بقوله فاقصص القصص لعلهم يتفكرون بعد تعقيب
قصص بني اسرائيل بقصة بلعام واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية ثم قال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فتامل هذا الايماء
بعد ذكر القصص وكيف الحق من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم بمن قص ذكره من المكذبين وتامل افتتاح ذكر
الاشقياء بقصة ابليس وختمها بقصة بلعام وكلاهما ممن كفر على علم وفي ذلك اعظم موعظة قال الله تعالى اثر ذلك من يهدي الله فهو
المهتدي الآية فبدا لاستجابة نبيه صلى الله عليه وسلم بذكر ما انعم عليه وعلى من استجاب له فقال تعالى المص كتاب انزل اليك فاشار
الى نعمته بانزال الكتاب الذي جعله هدى للمتقين واشار هنا الى ما يحمله من التسلية وشرح الصدور بما جرى من العجائب والقصص
مع كونه هدى ونورا فقال فلا يكن في صدرك حرج منه الى انه قد تضمن مما احلناك عليه ما يرفع الحرج ويسلي النفوس لتنذر به كما انذر
من قبلك ممن نقص خبره من الرسل ولتستن في انذارك ودعائك وصبرك بسنتهم وليتذكر المؤمنون ثم امر عباده بالاتباع لما انزله
فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فان هلاك من نقص عليكم خبره من الامم انما كان لعدم الاتباع والركون الى اوليائهم من شياطين الجن
والانس ثم اتبع ذلك بقصة آدم عليه السلام ليتبين لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط الشيطان وكيده وانه عدو لهم يا بني
آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ووقع في قصة آدم هنا ما لم يقع في قصة البقرة من بسط ما اجمل هناك كتصريح
اللعين بالحسد وتصور بخلقه من النار وطلبه الانظار والتسلط على ذرية آدم والاذن له في ذلك ووعيده ووعيد
متبعيه ثم اخذه في الوسوسة الى آدم عليه السلام وحلفه له وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وكل هذا مما اجمل في سورة البقرة
ولم تتكرر قصة الا وهذا شانها اعني انها تفيد مهما تكررت ما لم يكن حصل منها اولا ثم انجرت الآي الى ابتداء قصة نوح
عليه السلام واستمرت القصص الى قصص بني اسرائيل فبسط هنا من حالهم واخبارهم شبيه ما بسط في قصة آدم وما جرى من
محنة ابليس وفصل هنا الكثير وذكر ما لم يذكر في البقرة حتى لم يتكرر بالحقيقة ولا التعرض لقصص طائفة معينة فقط ومن
عجيب الحكمة ان الواقع في السورتين من كلا القصتين مستقل شاف واذا ضم بعض ذلك الى بعض ارتفع اجماله ووضح كماله فتبارك
من هذا كلامه ومن جعله حجة قاطعة وآية باهرة ولما اعقب تعالى قصصهم في البقرة بامره نبيه والمؤمنين بالعفو والصفح
فقال تعالى فاعفوا واصفحوا اعقب تعالى ايضا هنا بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين وقد خرجنا عن المقصود فلنرجع اليه انتهى ولما تقدم سبحانه اليه صلى الله عليه وسلم في امر الانذار والاذكار بالكتاب
تقدم الى اتباعه فامرهم باتباعه ونهاهم عن اتباع اهل الضلال وما يوحي اليهم اولياؤهم من زخارفهم بعد ان اخبر بكونه ذكرى انه
سبب لعلو شانهم وعز سلطانهم فقال ملتفتا اليهم مقبلا بعز جلاله عليهم اتبعوا اي احملوا انفسكم حملا عظيما بجد ونشاط
على اتباع ما انزل اليكم اي خصصتم به دون غيركم فاشكروا هذه النعمة من ربكم اي الذي لم يزل محسنا اليكم ولا تتبعوا ولعله عبر
بالافتعال ايماء الى ان ما كان دون علاج بل هفوة وبنوع غفلة في محل العفو من دونه اي دون ربكم اولياء اي من الذين نهيناكم عنهم
في الانعام وبينا ضررهم لكم من شياطين الانس والجن وعدم اغنائهم وان الامر كله لربكم ولما كانوا قد خالفوا في اتباعهم صريح العقل
وسليم الطبع وعندهم امثلة ذلك لو تذكروا قال منبها لهم على تذكر ما يعرفون من تصرفاتهم قليلا واكد التقليل بما وبادغام تاء
التفعل فقال ما تذكرون اي يعالجون انفسكم على ذكر ما هو مركوز في فطركم الاولى فانكم مقرون بان ربكم رب كل شيء فكل من تدعون
من دونه مربوب وانتم لا تجدون في عقولكم ولا طباعكم ولا استعمالاتكم ما يدل بنوع دلالة على ان مربوبا يكون شريكا لربه
ولما كان من اعظم ما يتذكر سار النعم وضار النقم للاقبال على الله والاعراض عما سواه وعدم الاغترار باسباب الامن والراحة
قال وكم اي قل تذكركم وخوفكم من سطواتنا والحال انه كم من قرية وان جلت ولما كان المراد المبالغة في الاهلاك المسندة الى
القرية والمراد اهلها فقال اهلكناها اي بما لنا من العظمة لظلمها باتباع من دون الله فلا تغتروا باوليائكم من دونه وانتم
عالمون بانهم لم ينفعوا من ضل من الامم السالفة وقت انزالنا بهم السطوة واحلالنا بهم النقمة وتحقق المهلكون اذ ذاك مع
انهم كانوا اشد منكم بطشا واكثر عددا وامتن كيدا عدم اغنائهم فلم يوجهوا امالهم نحوهم ولما كان المعنى اردنا اهلاكها وحكمنا
به سبب عنه قوله فجاءها باسنا اي عذابنا بما لنا من القوة والعظمة او الاهلاك على حقيقته وهذا تفصيل له وتفسير
ولما كان لا فرق في اتيان عذابه سبحانه بين كونه ليلا او نهارا وكان افحش الباس واشده ما كان في وقت الراحة والرعة
والغفلة قال بياتا اي وقت الاستكنان في البيوت كما جاء قوم لوط عليه السلام ولما كان المراد بالقرية اهلها بينه بقوله
لانه اذا حذف المضاف جاز فيه اعتبار ان بحسب ما يحسن من المعنى ان لا يلتفت اليه كما في اول الآية وان يلتفت اليه كما في
هذا الآخر لبيان ان الاهل هم المقصودون بالذات لانه موضع التهديد ليلا او هم قائلون اي نائمون وقت القائلة ومستريحون
من غير نوم كما اهلك قوم شعيب عليه السلام يعني انهم كانوا في كل من الوقتين غافلين بسبب انهم كانوا آمنين لم يظنوا ان
شيئا من اعمالهم موجب للعذاب ولا كانوا مترقين لشيء منه فالتقدير بياتا هم فيه بائتون اي نائمون او قائلة هم فيها قائلون
اي نائمون فالآية من الاحتباك دل اثبات بياتا اولا على حذف قائلة ثانيا واثبات هم قائلون ثانيا على حذف هم بائتون اولا

على

خيريته

والزي

والذي ارشدنا الى هذا المعنى سوق هم من غير واو وهذا قريب من قوله تعالى فيما ياتي اذا من اهل القرى ان ياتيهم باسنا
بياتا وهم نايمون فالاقرب ان يكون المحذوف اولا نايمون وثانيا نهارا فيكون التقدير بياتا هم فيه نايمون او نهارا هم
فيه قايلون وبين عظمة ما جاءهم وهوله بانهم في كل من الوقتين لم يقع في فكر احد منهم التصويب الى مدافعته بما سبب عن
ذلك من قوله فما كان دعواهم اي قولهم الذي استدعوه اذ جاءهم باسنا اي بما لنا من العظمة الا ان قالوا اي الا قولهم انا
كنا اي بما لنا من الجبلة ظالمين اي في انا لم نتبع ما انزل الينا من ربنا فلم يعدهم ذلك شيا غير شدة التحسر ثم سبب عما مضى من امر
الرسول والامم قوله دفعا لوهم من يظن ان الامر انقضى بما عذبوا به في الدنيا فلنسئلن اي بما لنا من العظمة على جهة التوبيخ
والتقريع للعصاة والتشريف والتعظيم للمطيعين واظهر موضع الاضمار تعميما فقال الذين ولما كانت الملامة على تكذيب الرسول
لا بقيد كونه معينا بني للمفعول قوله ارسل اليهم اي وهم الامم هل امتثلوا اوامرنا واحجموا عند زواجرنا كما امرتهم الرسل
ام لا ولنسئلن اي بعظمتنا المرسلين اي هل كان في صدورهم حرج مما ارسلناهم به وهل بلغوه ام لا يوم تكونون شهداء على
الناس بما علمتم من شهادتي في هذا القران ويكون الرسول عليكم شهيدا فانا لا بد ان نحييكم بعد الموت ثم نسئلكم في يوم تظهر
فيه السراير وتنكشف وان اشتد خفاؤها الضماير ولنزنن الافعال والاقوال ولا نترك شيا من الاحوال ولما كان السؤال
يفهم خفاء المسؤل عنه على السايل سبب عن ذلك ما يزيل هذا الوهم بقوله موذنا بانه اعلم من المسؤلين عما سالهم عنه
فلنقصن اي بما لنا من صفات العظمة المستلزمة لكل كمال عليهم اي المسؤلين من الرسل واممهم جميع احوالهم وما يستحقون من
جزايها بعلم اي مقطوع به لا مظنون فقد كنا معهم في جميع تقلباتهم وما كنا اي في وقت من الاوقات غايبين اي مطلقا ولا
عن احد من الخلق بل علمنا شامل لجميع الكليات والجزئيات لان ذلك مقتضى العظمة ومقتضى ما لنا من صفات الكمال ومن لم
يكن محيط العلم حتى يميز بين المطيع والعاصي لا يصح ان يكون الها ولما تقدمت الاشارة بقوله تعالى واوفوا الكيل والميزان
بالقسط الاية الى ان المساواة الحقيقية في الميزان معجوز عنها وانه ابعد المقادير عن التساوي والنص في قوله تعالى ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثلها على قدرة القدير على ذلك وختم الاية السالفة باحاطة العلم على الوجه الابلغ المقتضي لذلك على اعلى
الوجوه اكد الامر ايضا وقصره على علمه هنا فقال والوزن بميزان حقيقي لصحف الاعمال او للاعمال انفسها بعد تصويرها بما
تستحقه من الصور او بغير ذلك بعد ان يقذف الله في القلوب العلم به ولعله حال من نون العظمة في الاية التي قبلها اي انا لا
نكتفي بما نقص بل نزنه فيصير بحيث يظهر لكل احد انه على غاية ما يكون من التساوي قال ابو حيان وعلي بن الحسين النحوي
الاصفهاني في اعرابه الوزن مبتدا يومئذ ظرف منصوب به الحق خبر المبتدا اراد الاصفهاني فقال واستضعف اعمال
المصدر وفيه لام التعريف وقد ذكرنا انه جاء في التنزيل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم انتهى اي الوزن في ذلك
اليوم مقصور على الحق يطابقه الواقع مطابقة حقيقية لا فضل فيها اصلا ولا يتجاوز الوزن في ذلك اليوم الحق الى شي من
الباطل بزيادة ذرة ولا نقصها ولا ما دون ذلك فتحرر ان مقصود السورة الحث على اتباع الكتاب وهو يتضمن الحث
على اتباع الرسول والدلالة على التوحيد والقدرة على البعث ببيان الافعال الهاملة في ابتداء الخلق واهلاك الماضين
اشارة الى ان من لم يتبعه ويوحد من انزله على هذا الاسلوب الذي لا يستطاع والمنهاج الذي وقفت دونه العقول والطباع
لما قام من الادلة على توحيده بعجز من سواه عن اقواله وافعاله اوشك ان يعاجله قبل يوم البعث بعقاب مثل عقاب الامم
السالفة والقرون الخالية مع ما ادخر له في ذلك اليوم من سوء المنقلب واظهار اثر الغضب ولما اخبر ان العبرة بالميزان
على وجه يظهر انه لا حيف فيه بوجه تسبب عنه قوله فمن ثقلت اي رست ورسبت على ما يعهد في الدنيا موازينه
اي موزونات اعماله اي اعماله الموزونة ولعله عبر بها عنها اشارة الى ان كل عمل يوزن على حدة ليسعى في اصلاحه
فاولئك اي العالوا الهمم هم اي خاصة المفلحون اي الظافرون بجميع مآربهم ومن خفت اي طاشت موازينه التي توزن
فيها الاعمال الصالحة فاولئك المبعدون الذين خسروا انفسهم اي التي هي راس مالهم فكيف بما دونها بما كانوا باياتنا
اي على ما لها من العظمة يظلمون اي باستمرار ما يجددون من وضعها في غير المحل الذي يليق بها فعل من هو في ظلام قال
الحسن وحق لميزان توضع فيها الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيها السيئات ان يخف ولما امر الخلق بمتابعة الرسل
وحذرهم من مخالفتهم فابلغ في تحذيرهم بعذاب الدنيا ثم بعذاب الاخرة التفت الى تذكيرهم ترغيبا في ذلك باسباغ نعمه وتحذيرا
من سلبها لان المواجهة ادرع للمخاطب فقال في موضع الحال من خسروا انفسهم ولقد مكناكم اي خسروها والحال انا مكناهم
من انجايها بخلق القوى والقدر واذرار النعم وجعلنا مكانا يحصل التمكن فيه في الارض اي كلها ما منها من تبعة الا وهي
صالحة لانتفاعهم بها ولو بالاعتبار وجعلنا لكم اي بما لنا من العظمة فيها معايش جمع معيشة وهي اشياء يحصل بها
العيش وهي التصرف ايام الحيوة بما ينفع والياء اصلية ولذا لا تهمز وكذا ما ولي الف جمعه حرف علة اصلي وليس قبل الفه
واو كاوايل ولا ياء كخيار جمع اول وخير فانه لا يهمز الا شاذا كمنابر ومصايب جمع منارة ومصيبة ولما كان حاصل ما
مضى انه سبحانه اوجدهم وقواهم وخلق لهم ما يديم قواهم فاكلوا خيره وعبدوا غيره انتج قوله على وجه التاكيد
قليلا ما تشكرون اي لمن اسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة بما تنجون به انفسكم وقال ابو حيان انه راجع للذين خوطبوا
باتبعوا ما انزل اليكم وما بينهما اورد مورد الاعتبار والاتعاظ بذكر ما آل اليه امرهم في الدنيا وما يؤول اليه في الاخرة
انتهى ولما ذكر سبحانه ما منحهم به من التمكين ذكرهم ما كانوا عليه قبل هذه المكنة من العدم تذكيرا بالنعم في سياق دال

على البعث الذي فرع من تقريره وعلى ما خص به اباهم آدم عليه السلام من التمكين في الجنة بالخلق والتصوير وافاضة روح
الحيوة وروح العلم وامر اهل سمواته بالسجود له والغضب على من عاداه وطرده عن محل كرامته ومعدن سعادته واسكانه
هو بذلك المحل الاعلى والموطن الاسنى ماذوناله في كل ما فيه الا شجرة واحدة فلما خالف الامر ازاله عنه واخرجه منه وفي ذلك
تحذير لاهل المكنة من ازالة المنة في استدرار النعمة واحلال النقمة فقال **ولقد خلقناكم** اي بما لنا من صفات العظمة
ثم صورناكم اي قدرنا خلقكم ثم تصويركم بان جعلنا فيكم قابلية قريبة من ذلك بتخصيص كل جزء من المادة بمقدار معين
بتخمير طينة آدم عليه السلام على حالة تقبل ذلك كما يهيئ التراب بتخميره بانزال المطر لان يكون منه شجرة وقد تكون تلك
الشجرة معتادة لقبول صورة الثمرة وقد لا تكون كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه
خلقا آخر وقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين
يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح وعنه ايضا رضي الله عنه
عن مسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها
وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك الحديث فظاهر هذا
هذا الحديث مخالف للفظ الذي قبله وللآية فينحمل على ان معنى صورناكم هيأناها في مدة الاربعين الثانية لقبول الصورة
لهيئة قريبة من الفعل وسهلنا لها بالتخمير على هيئة مخصوصة بخلاف ما قبل ذلك فانها كانت نطفة فكانت بعيدة عن
قبول الصورة ولذلك اختلفوا في احترامها وهل يباح افسادها والتسبب في اخراجها ومعنى خلق قدر اي جعل لكل شيء من ذلك
حدا لا يتجاوزه في الجملة والدليل على هذا المجاز شكه في كونها ذكرا او انثى ولو كان ذلك على ظاهره لما حصل شك في كونها ذكرا
او انثى اذ آلة الذكر والانثى من جملة الصورة وبهذا يلتئم هذه الآية مع قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق
بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فهذا خلق بالفعل والذي في هذه الصورة بادعاء القوة
القريبة منه والمراد من الآية التذكير بالنعم استعطافا الى الموالفة وتعظيما لحال المخالفة اي خيروا انفسهم والحال
انا انعمنا عليهم بنعمة التمكين بعد ان انشانا بهم على الصورة المذكورة بعد ان كانوا عدما واسجدنا ملائكتنا لابيهم وطردنا من
تكبر عليه طردا لا طرد مثله وابعدناه عن محل قدسنا بعدا لا قرب معه واسكنا ابانا الجنة دار رحمتنا وقربنا فقال
تعالى مترجما عن ذلك **ثم قلنا** اي على ما لنا من الاختصاص بالعظمة **للملائكة** اي الموجودين في ذلك الوقت من اهل السموات
والارض كلهم بما دل عليه انه سوى قلنا انها للاستغراق والجنس **اسجدوا لآدم** اي بعد كونه رجلا فآتيما سويا ذا روح
كما هو معروف من التسمية ثم سبب عن هذا الامر قوله **فسجدوا** اي كلهم بما دل عليه الاستثناء في قوله **الا ابليس**
ولما كان معنى ذلك لا خراجه ممن سجد انه لم يسجد صرح به فقال **لم يكن من الساجدين** اي لآدم ولما كان مخالف الملك في
محل العقاب تشوف السامع الى خبره فاجيب بقوله **قال** اي ابليس انكارا عليه وتوبيخا له واستخراجا لكفره الذي كان
يخفيه بما يبدي من جوابه ليعلم الخلق سبب طرده **ما منعك** ولما كانت هذه العبارة قد صرحت بعدم سجوده فكان المعنى
لا يليس بادخال لا في قوله **ان لا تسجد** اتى بها لتفيد التاكيد بالدلالة على اللوم على الامتناع من الفعل والاقدام على
الترك لان مقصود هذه السورة الانذار وهو اليق شيء بتاكيد هذا التهديد بخلاف سورة ص فيكون كانه قيل ما منعك من السجود
وحملك على تركه **اذ** اي حين **امرتك** اي حين حضر الوقت الذي يكون فيه اداء المامور به **قال** اي ابليس ناسبا ربه سبحانه
الى الجور او عدم العلم بالحق **انا خير منه** اي فلا يليق لي السجود لمن هو دوني لا امري بذلك لانه منافٍ للحكمة ثم بين
وجه الخيرية التي تصورها بسوء فهمه او بما قاده اليه سوء طبعه بقوله **خلقتني من نار** اي هي اغلب اجزاء ذي هي
مشرقة مضيئة عالية غالبة **وخلقته من طين** اي هو اغلب اجزائه وهو كدر مظلم سافل مغلوب وقد غلط غلطا فاحشا
فان الايجاد خير من الاعدام بلا نزاع والنار سبب الاعدام والحق لما خالطته والطين سبب النماء والتربية لما خالطه
هذا لو كان الامر في الفضل باعتبار العناصر والمبادي وليس كذلك بل هو باعتبار الغايات ولما كان هذا امرا ظاهرا ان
وكان مجرد التكبر على الله كفرا على اي وجه كان اعرض عن جوابه بغير الطرد الذي معناه نزول المنزلة الذي هو ضد ما
طلبه من غيرها فاستانف قوله **قال** مسببا عن اباه قوله **فاهبط منها** مضمرا الدار التي كان فيها وهي الجنة فانها
لا تقبل عاصيا وعبر بالهبوط الذي يلزم منه سقوط المنزلة دون الخروج لان مقصود هذه السورة الانذار وهو
ادل عليه وسبب عن امره بالهبوط الذي معناه النزول والحدور والانحطاط والنقصان والوقوع في شيء قوله
فما يكون اي يصح ويتوجه بوجه من الوجوه **لك ان تتكبر** اي تتعمد الكبر ولا وهو الرفعة في الشرف والعظمة والتجبر
ولا مفهوم لقوله **لك** ولا لقوله **فيها** لوجوه النصراني بالمنع من الكبر مطلقا انه لا يحبنا لمتكبرين كذلك يطبع
الله على كل قلب متكبر قال الذين استكبروا انا كل فيها وانما قيد بذلك تهويلا للامر فكانه قيل لا ينبغي التكبر الا لنا وكلما
قرب التخمر من محل القدس الذي هو مكان المطيعين المتواضعين جل تحريم الكبر عليه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
حبة من خردل من كبر رواه مسلم وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه وسبب عن كونها لا تقبل الكبر قوله **فاخرج**
اي من الجنة دار الرضوان فانتفى ان يكون الهبوط من موضع عال من الجنة الى موضع منها احط منه ثم علل امره بالهبوط والخروج

قوله

بقوله مشيرا الى ان كل من اظهر الاستكبار البس الصغار انك من الصاغرين اي الذين هم اهل للطرد والبعد والحقارة والهوان
ولما علم ان الجسد قد ابعده ونزل به عن ساحة الرضى واقعده تمادى فيه فنال ما يتسبب به الى انزال المحسودين
عن درجاتهم العالية الى دركته السافلة ولم يسل لشقاوته فيما يليه من دركته السافلة الى درجاتهم العالية وذلك
بان قال اي ابليس وهو استيناف ولما كان السياق ولا سيما الحكم بالصغار العاري عن تقييد ما في ان يكون سببا لسؤاله
الانظار وذكره لصفة الاحسان قال انظرني اي بالامهال اي اجعلني موجودا بحيث انظر وانصرف في زمن ممتد الى يوم
يبعثون اي من القبور وهو يوم القيمة وكانه علم ان التعيين طلب لهذا انه لا يموت فان ذلك الوقت ليس وقتا للموت انما هو وقت
افاضة الحيوة الابدية في شقاوة او سعادة فاعلم سبحانه انه حاله الى الانظار لكن لا على ما اراد ولا على انه اجابة له
ولكن هكذا سبق في الازل في حكمه في قديم علمه والى ترشد التعبير بقوله قال انك من المنظرين اي في الجملة ومنعه
من الحماية عن الموت بقوله كما ذكره في سورتي الحجر وص الى يوم الوقت المعلوم وهو وقتا النفخة الاولى التي يموت فيها
الاحياء فيموت هو معهم وكان ترك هذه الجملة من هذه السورة لان هذه السورة للانذار وابهام الامر اشد في ذلك والجاه
الى الانظار وهو يريد به الفساد لانه لا يعد وامره فيه وتقديره به ولانه سبحانه لا يسئل عما يفعل ولتظهر حكمته تعالى
في الثواب والعقاب ولما كان قد حكم عليه بالشقا قابل نعمه الامهال واطالة العمر بالتمادي في الكفر واخبر عن
نفسه بذلك بان قال مسببا عن ابقاعه في المعصية بسبب نوع الآدميين فبما اغويتني اي فبسبب اغوائك لي
وهو ايجاد الغي وهي اعتقاد الباطل في قلبي من اجلهم والله لاقعدن لهم اي افعل في قطعهم عن الخير فعل المتمكن المقبل ان
بكليته المتأني الذي لا شغل له غيرما اقبل عليه في مدة امهالك لتظهم عنك بمنعهم من فعل ما امرتهم به وحملهم على فعل ما
نهيتهم عنه كما يقعد قاطع الطريق على السابلة للخطف صراطك اي في جميع صراطك بما دل عليه نزع الخافض المستقيم
وهو الاسلام بجميع شعبه ومن اسند الاغواء الى غير الله بسبب اعتقاده ان ذلك مما ينزه الله عنه فقد وقع في شر مما فر منه
وهو انه جعل في الوجود فاعلين يخالف اختيار احدهما اختيار الآخر ولما كان قد اقام نفسه في ذلك بغاية الجد هو ينفعل
فيه بالوسوسة بنفسه ومن اطاعه من شياطين الجن والانس ما يفوت تالحد ويعجز القوي اشار اليه بحرف التراخي فقال
موكدا ثم لآتينهم اي اتيانا لا بد لي منه كما اتينا ابتداء من بين ايديهم اي مواجهة فاحملهم على ان يفعلوا ما يعلمون انه
خطاء وكما اتينا من خلفهم اي معاقلة فيفعلون ما هو فاسد في غاية الفساد ولا شعور لهم بشيء من فساده حين تعاطيه فاذ زهم
بذلك على تعاطي مثله وهم لا يشعرون وعن اي مجاوزا للجهة التي عن ايمانهم اليهم وعن اي ومجاوزا لها عن شمايلهم اي
مخاتلة فيفعلونه وهو مشتبه عليهم وهذه هي الجهات التي يمكن الاتيان منها ولعل مادة عن المنبهة للمجاوزة وصل خطى
العدام والخلف ليكون اتيانه مستوعبا لجميع الجهة المحيطة وانهمت الجهات الاربع كما قدمته وتلبيسه فيما يعلمون حق علمه
وما لا يعلمون منه وما هو مشتبه عليه اشتباها قليلا او كثيرا وفهم من ترك ذكرها على انه لا قدرة له على الاتيان منه ليلا يلبس
امره بالملكية وقد ذكره ذلك في بعض المواضع كما ذكرته في ترجمة ورقة بن نوفل رضي الله عنه ولما عزم اللعين على هذا غوايا
صادقا ورأى اسبابه متيسرة من الانظار ونحوه ظن بما رأى لهم من الشهوات والحظوظ انه يظفر باكثر حاجته فقال
عاطفا على ما تقدير فلاغوينهم وليتبعنني ولا تجد اكثرهم كما هي عادة الاكثر في الخبث شاكرين فاريد به الشقاوة غرق
في الحسد ولو اريد بالشكر الخير لاستبعد لتأتي الحسد الغبطة فطلب ان يرتقي هو الى درجاتهم العالية بالبكاء والندم والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصيحة خضوعا لمقام الربوبية وذلا لعظيم شانه ولما كان كانه قيل ساداقال
له قيل قال في جواب ما ذكر لنفسه في هذا السياق من العزم والاقتدار وابان عنه من الكبر والافتخار ما دل على انه من
اهل الصغار لا يقدر على شيء الا بقدرة العزيز الجبار مصرحا بما اريد من المهبوط الذي ربما حمل على النزول من موضع من الجنة
عال الى مكان منها احط منه اخرج منها اي الجنة مذءوما اي محقورا مجزيا بما تفعل قال ابن القطاع ذأمت الرجل
جزيته وقال ابن فارس ذأمته اي حقرته مدحورا اي مبعدا مطرودا عن كل ما اريده ولما علم بعض حاله نشوف
النفس الى حال من تبعه فقال مقسما موكدا بما يحق له من القدرة التامة والعظمة الكاملة لمن تبعك منهم اي بني آدم واجاب
القسم بما اغنى عن جواب الشرط فقال لاملان جهنم منكم اي منك ومن قبيلك ومنهم اجمعين اي لا يفوتني منكم احد فلم يرد
من فعل ذلك منكم على اذى نفسه ولا ابالي انا بشيء ولما اوجب له ما ذكر من الشقاوة تمادى به في الحسد وكثرة كلامه في
محسوده التفت الى محسوده الذي لم يتكلم فيه كلمة واحدة بل اشتغل بنفسه في البكاء على ذنبه واكتفى بفعل ربه بما يحبه
من جميل مكره التي نصبها بما ذكر ليكون ذلك سبب سعادته فقال عطفا على اخرج منها ويا آدم اسكن ولما كان المراد بهذا
الامر هو نفسه لا التجوز به عن بعض من يلابسه اكد ضميره ليصح العطف ورفع التجوز فقيل انت وزوجك الجنة ولما
كان السياق هنا للتعريف بانه مكن لاعدائه في الجنة اعظم من تمكينه لنا في الارض بان حباه فيها رغد العيش مقارنا للوجوده
ثم حسن في قوله فكلا العطف بالفاء الدال على ان الماكول كان مع الاسكان لم يتاخر عنه ولا مناقاة بينه وبين التعبير
بالواو في البقرة لان مفهوم الفاء نوع داخل تحت مفهوم الواو ولا مناقاة بين النوع والجنس وقوله من حيث شئتما
بمعنى رغدا اي واسعا فانه يدل على اباحة الاكل من كل شيء منها غير المنهي عنه واما اية البقرة فتدل على اباحة الاكل منها
في اي مكان كان وهذا السياق آيل الى ان من خالف امر تعالى ثل عرشه وهدم عزه وان كان في غاية المكنة ونهاية

القوة كما اخرج من اعظم له المكنة باسجاد مليكته واسكان جنته واباحة كل ما فيها غير شجرة واحدة اكد تحريمها بالنهي عن
قربانها دون الاكتفاء بالنهي عن غشيانها فقال ولا تقربا اي فضلا عن ان تتناولا هذه الشجرة مشيرا الى شجرة بعينها او نوعها
ثم سبب عن القربان العصيان فان من حام حول الحمى اوشك ان يواقعه فقال فتكونا اي بسبب قربها من الظالمين اي بالاكل
منها الذي هو مقصود النهي فتكونا بذلك فاعلين فعل من يمشي في الظلام ثم سبب عن ذلك بيان حال الحاسد مع المحسودين فيما سال
الانظار بسببه وانه وقع على كثير من مراده واستغوى منهم امما تجاوزوا الحد وقصر عنهم مدى العد ثم بين انه اقل من ان يكون
له فعل وان الكل بيده سبحانه هو الذي جعله آلة لمراده منه ومنهم وان من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون
فقال فوسوس اي القى في خفاء وتزيين وتكرير واشتهاء لهما الشيطان اي بما مكنه الله منه من انه يجري من الانسان
مجرى الدم ويلقي له في خفاء ما يميل به قلبه الى ما يريد ثم بين علة الوسوسة بقوله ليبدي اي يظهر لهما ما ووري
اي ستر وغطي بان جعل كانه وراءهما لا يلتفتان اليه عنهما والبناء للمفعول اشارة الى ان الستر بشيء لا كلفة عليهما فيه
كما ياتي في قوله ينزع عنهما لباسهما من سوآتهما اي المواضع التي يسوءهما انكشافها وفي ذلك ان اظهار السوء موجب
للبعد من الجنة وان بينهما منعية الجمع وكمال التباين ولما اخبر بالوسوسة وطوى مضمونها فهما انه امر كبير وخداع طويل
عطف عليه قوله وقال اي في وسوسته ايضا اي زين لهما ما حدث بسببه في خواطرهما هذا القول ما نهاكما
وذكرهما بوصف الاحسان تذكيرا باكرامه لهما تجريئة لهما على ما يريد منهما فقال ربكما اي المحسن اليكما بما تعرفانه من انواع
احسانه عن اي ما جعل نهايتكما في الاباحة للجنة بتجاوزه عن هذه الشجرة جمع بين الاشارة والاسم زيادة في الاعتناء
بالتنصيص الا ان اي كراهة ان تكونا ملكين اي في عدم الشهوة وفي القدرة على الطيران والتشكل وغير ذلك من خواصهم
او تكونا اي بما يصير لكما من الجبلة من الخالدين اي الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة اصلا ولما اوصل اليهما هذا
المعنى اخبر انه اكده تاكيدا عظيما كما يوكد الحالف ما يحلف عليه فقال وقاسمهما اي اقسم لهما لكن ذكر المفاعلة ليدل
على انه حصلت بينهما في ذلك مراوغات ومحاولات بذل فيها الجد واكد لمعرفته انهما طبعا على النفرة من المعصية ما اقسم
عليه انواعا من التاكيد في قوله اني لكما فافاد تقديم الجار المفهم للاختصاص انه يقول اني خصصتكما بجميع نصيحتي لمن
الناصحين وفيه تنبيه على الاحتراز من الحالف وان الاغلب ان كل حلاف كذاب فانه لا يحلف الا عند ظنه ان سامعه لا
يصدقه ولا يظن ذلك الا وهو معتاد للكذب ولما اخبر ببعض وسوسته لهما سبب عنها ترجمتها بانها اهباط من اوج
شرف الى حضيض اذى وسرف فقال فدلاهما اي انزلهما عما كانا فيه من علو الطاعة مثل ما فعل بنفسه بالمعصية التي
اوجبت له الهبوط من دار الكرامة بغرور اي بخداع وحيلة حتى نسي آدم عهد ربه وقوله فلما ذاقا مشيرا الى الاسراع
في الجزاء بالفاء والذوق الذي هو مبدا الاكل الشجرة اي وجدا طعمها بدت اي ظهرت لهما سوآتهما اي عوراتهما اللاتي
يسوءهما ظهورها وتهافت عنها لباسهما فابصر كل واحد ما كان مستورا عنه من عورة الآخر وذلك قصد الحسود فاستحييا
عند ذلك وطفقا اي شرعا واقبلا يخصفان عليهما اي يصلان بالخياطة من ورق الجنة ورقة الى اخرى وناداهما ربهما
اي المحسن اليهما بامرهما ونهيهما ولم يفعلا شيئا من ذلك الا بمرأى منه فقال منكرا عليهما ما فعلاه ومعاتبا يا عبدي الم انهكما
اي اجعل لكما نهاية فيما اذن لكما فيه متجاوزة عن تلكما الشجرة اي التي كان حقها البعد منها الموجبة للغربة عن هذا
الموضع الشريف احسانا اليكما واقل لكما ان الشيطان اي الذي تكبر عن السجود حسدا لك يا آدم ونفاسة عليك فاحترق
بغضبي وطرد وابعد عن رحمتي لكما اي لك ولزوجك ولكل من تفرع منكما ونسب اليكما عدو مبين ظاهر العداوة ياتيكم
من كل موضع يمكنه الاتيان منه مجاهرة ومساترة ومماكرة فهو مع ظهور عداوته دقيق المكر بما اقدرته عليه من اقامة
الاسباب فاني اعطيته قوة على الكيد واعطيتكم قوة على الخلاص وقلت لكم تغالبوا فان غلبتموه فانتم من حزبي وان غلبكم
فانتم من حزبه مع ما له اليكم من العداوة فالآية منبهة على ان من غوى فانما هو تابع لاعدى اعدائه تارك لاولى اوليائه
ولما كان هذا تشوف السامع الى جوابهما فاجيب بقوله قالا اي آدم وحوى عليهما السلام وازكى التحية والاكرام
قول الخواص باسراعهما في التوبة ربنا اي ايها المحسن الينا والمنعم علينا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بان اخرجناها من نور
الطاعة الى ظلام المعصية فان لم ترجع بنا وتتب علينا لنستمر عاصيين وان لم تغفر لنا اي تمحوا ما عملناه عينا واثرا
وترحمنا فتعلي درجاتنا لنكونن من الخاسرين فاعربت الآية عن انهما فزعا الى الانصاف بالاعتراف وسميا ذنبهما وان
كان انما هو خلاف الاولى لانه بطريق النسيان كما في طه ظلما كما هي عادة الاكابر في استعظام الصغير منهم ولم يجادلا كما
فعل ابليس وفي ذلك ارشاد الى ان المبادرة الى الاقرار بالذنب من فعال الاشراف لكونه من معالي الاخلاق وانه لا مثل
له في اقتضاء العفو وازالة الكدر وان الجدال من فعال الارذال ومن مساوي الاخلاق وموجبات الغضب المقتضي
للطرد ولما تشوفت النفس الى جواب العلي الكبير سبحانه اجيبت بقوله قال اهبطوا اي الى دار المجاهدة
والمقارعة والمناكدة حال كونكم بعضكم لبعض عدو اي انتما ومن ولدتماه اعداء ابليس ومن ولد وبعض اولادكم
اعداء لبعض ولا خلاص الا باتباع ما منحتكم من هدى العقل وما انزلت اليكم من تاييده بالنقل وفي ذلك تهديد صادع
لمن له ادنى مسكة بالاشارة الى قبح مغبة المخالفة ولو مع التوبة وحث على دوام المراقبة خوفا من سوء المعاقبة
ولكم في الارض اي جنسها مستقر اي موضع استقرار بالسهول وما شابهها ومتاع الى حين اي انقضاء آجالكم ثم انقضاء

اجل

اجل الدنيا ولما علم بهذا ان للكون في الارض آخرا وكان من الفلاسفة التناسخية وغيرهم ممن يقر بالوحدانية من يقول
ان النفوس مجردة عن الجسمية وعلايقها وانه اذا هلك الجسد اتصلت بالعلويات اما بكوكب او غيره او انخرطت في سلك الملئكة
وبطل تعلقها بالبدن من كل وجه فلا تتصل به لا بتدبير ولا غيره ولا بالبعث عند من قال منهم بالبعث كان كانه قيل فماذا يكون
بعد ذلك فاجيب بقوله قال اي الله رادا عليهم ما يعتقدون من بطلان التعلق بالبدن معبرا في الخطاب في الضمير الذي
يعبر به عن هذا الهيكل المخصوص روحا وجسدا فيها اي الارض لا في غيرها تحيون اي اولا وثانيا على ما انتم عليه بظواهركم
وبواطنكم ابدانا وارواحا وفيها اي كذلك لا في غيرها كما انتم لذلك مشاهدون تموتون اي من الحيوة الاولى بجملتكم فيكون للارواح
تعلق بالابدان بوجه ما حتى يقعد الميت في القبر ويجيب الملكين عليهما السلام وتلتذ الاجساد بلذتها وتتالم بالمها فاشير الى
الحشر مع تفصيل حال الكون في الارض وختمت القصة بما ابتديت به من الاعلام بالبعث بقوله ومنها اي لا من غيرها
باخبار الصادق تخرجون اي روحا وبدنا بعد موتكم فيها وعودكم الى ما كنتم عليه اولا ترابا للجزاء واظهار ثمرة الملك بانصاف
بعضكم من بعض والتجلي بصفة العدل فيما كان بعضكم يفعل مع بعض من العسف والجور الذي لا يرضى اقل روسايكم ان يقر
عليه عبيده وعلم بهذا ان الدلالة على الحشر فذلكة القصة وهذا ابين من ذكره فيما مضى في قوله فلنسئلن الذين
ارسل اليهم الايات ولما بين فيما مضى ان موجب الاخراج من الجنة هو ما اوجب كشف السوآت من المخالفة وفرغ مما استتبعه
حتى اخبر بانه حكم باسكاننا هذه الدار بعد تلك الدار شرع يحذرنا من عدونا كما حذر ابانا عليه السلام وبدا بقوله
بيانا لانه انعم علينا فيها بكل ما يحتاج اليه في الدين والدنيا ولهذا نابما في كشف العورة من الفضيحة والابعاد عن كل خير واشعار
بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى يا بني آدم ولما كان الكلام في كشف العورة وان ادم عليه السلام اعوزه الساتر حتى
فزع الى الورق كان موضع ان يتوقع ما يكون في ذلك فقال مفتتحا بحرف التوقع قد انزلنا عليكم من اثار بركات
السماء اما ابتداء بخلقه واما بانزال اسبابه من المطر ونحوه لباسا اي لم يقدر عليه ابوكم في الجنة يواري سوآتكم ارشادا
الى دواء ذلك الداء واعلاما بان نفس الكشف نقص لا يصلح لحضرات الكمال وقال وريشا اشارة الى انه سبحانه زادنا على
الساتر مايه الزينة والجمال استعارة من ريش الطاير تحبيبا فيما يبعد من الذنب ويقرب الى حضرات الرب ولما ذكر
اللباس الحسي وقسمه الى ساتر ومزين اتبعه المعنوي فقال مشيرا بقطعه في قراءة الجمهور عما قبله الى كمال تعظيمه حثا عليه
وندبا اليه ولباس التقوى فعلم ان ساتر العورات حسي ومعنوي والحسي لباس الثياب والمعنوي التحلي بما يبعث على المتاب
ثم زاد في تعظيم المعنوي بقوله ذلك خير اي ولباس التقوى هو خير من لباس الثياب ولكنه فصل باسم الاشارة المقترن
باداة البعد ايماء الى علو رتبته وحسن عاقبته لكونه اعم اللباسين لان نزعه يكون بكشف العورة الحسية والمعنوية
فلو تجمل الانسان باحسن الملابس وهو غير متق كان كله سوآت ولو كان متقيا وليس عليه الا خريقة تواري عورته كان
في غاية الجمال والستر والكمال بل ولو كان مكشوف العورة في بعض الاحوال كما قال صلى الله عليه وسلم ستر ما بين عوراتكم
واعين الجن ان يقول احدكم اذا دخل الخلاء باسم الله اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث رواه الترمذي وابن ماجه
عن علي رضي الله عنه والذي يكاد يقطع به ان المعاصي سبب احلال السوء الذي منه ضعف البدن وقصر العمر حسا او
معنى يمحق البركة منه لما يفهم ما تقدم في البقرة في بدء الخلق عن التورية ان الله تعالى قال لآدم عليه السلام كل من جميع
اشجار الفردوس فاما شجرة علم الخير والشر فلا تاكل منها لانك في اليوم الذي تاكل منها تموت موتا اي تتهيا للموت حسا ويقضي
عليك بالاشتغال باسباب المعيشة فيقصر عمرك معنى بذهاب بركته والله اعلم ولما كان في شرع اللباس تمييزا للانسان
عن بقية الحيوان وتهيئة اسبابه التي لم يجدها آدم عليه السلام في الجنة من الفضل والنعمة والدلالة على عظمة المنعم
ورحمته وقدرته واختياره ما هو معلوم قال ذلك اي انزال اللباس من ايات الله اي الذي حاز صفات الكمال الدالة على
فضله ورحمته لعباده ولعل الالتفات من الخطاب الى الغيبة في لعلهم يذكرون ولو على ادنى وجوه التذكر بما يشير
اليه الادغام لئلا يقول المتعنت ان الحث على التذكر خاص بالمخاطب ويدعي انه المسلمون فقط اي انزلنا ذلك ليكون حالهم
حال من يتذكر فيعرف انه يستقبح منه ما يستقبح من غيره ولما كان المقصود من ذكر القصص لا سيما قصص الانبياء
عليهم السلام الاعتبار بها فكان بيان ما وقع بين آدم عليه السلام وبين الشيطان من شديد العداوة مقتضيا للتحذير من
الشيطان وكان المقام خطرا والتخلص عسرا اشار الى ذلك بالتاكيد وبيان ما سلط الشيطان به من المكايد الخفية
والاسباب الدقيقة ليعلم الناجي انه انما نجا بمحض التوفيق ومجرد اللطف فيقبل على الشكر متبريا من الحول والقوة فقال
مناديا لهم بما يفهم الاستعطاف والتراؤف والتحنن والترفق والاستضعاف يا بني آدم اي الذي خلقته بيدي واسكنته
جنتي ثم انزلته الى دار محنتي اراده الاعلاء لكم الى الذروة من عبادتي والاسفال الى الحضيض من معصيتي لا يفتننكم اي
يخالطنكم بما يميلكم ويحيلكم عن الاعتدال الشيطان اي البعيد مني المحترق بالذنوب بصدكم عما يكون سببا لردكم الى وطنكم
بتزيين ما ينزع عنكم من لباس التقوى المفضي الى هتك العورات الموجب لخزي الدنيا فيمنعكم بذلك من دخول الجنة ويدخلكم
النار كما اخرج ابويكم من الجنة بما فتنهما به بعد ان كانا سكناها وتمكنا فيها وتوطناها وقد علمتم ان الدفع اسهل من الرفع فاياكم
ثم اياكم فالاية من الاحتباك ذكر الفتنة اولا دليلا على حذفها ثانيا والاخراج ثانيا دليلا على حذف ضده او نظيره اولا ولما
كان الشيطان قد بذل الجهد في اخراجهما فسر الاخراج مشيرا الى ذلك باطالة الوسواس وادامة المكر والخديعة بالتعبير

بالفعل المضارع فقال في موضع الحال من ضمير الشيطان ينزع عنهما اي بالتسبيب والاخذ من المامن لباسهما اي الذي كان
الله سبحانه قد سترهما به ماداما حافظين لانفسهما من مواقعة ما نهيا عنه ودل على منافاة الكشف للجنة بالتعليل بقوله
ليريهما سوآتهما فان ذلك مبدا ترك الحياء والحياء والايمان في قرن كما اخرجه الطبراني وابو نعيم في الحلية عن ابن عمر
رضي الله عنهما والحياء لا ياتي الا بخير كما رواه الشيخان عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ولما كان نهي الشيطان عن فتنتنا انما
هو في الحقيقة نهي لنا عن الافتتان به فهو في قوة ليشتد حذركم من فتنته فانه دقيق الكيد بعيد الغور بديع المخاتلة علل
ذلك بقوله انه يراكم اي الشيطان هو وقبيله اي جنوده من حيث لا ترونهم عن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا
تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله ولما كان كانه قيل لم سلطوا علينا هذا التسليط العظيم الذي لا يكاد يسلم معه احد
قال مخففا لامرهم موهيا في الحقيقة لكيدهم انا اي فعلنا ذلك لانا بما لنا من العظمة جعلنا الشياطين اي المحترقين بالغضب
البعيدين من الرحمة اولياء اي اقرباء وقرناء للذين لا يؤمنون اي يجددون الايمان لان بينهم تناسبا في الطباع يوجب
الاتباع واما اولياؤنا الذين منعناهم بقوتنا منهم او فتناهم يسيرا بهم ثم خلصناهم بلطفنا منهم فليسوا لهم باولياء بل هم
لهم اعداء وآيتهم انهم يؤمنون والمعنى انا مكناهم من مخاتلتكم بسترهم عنكم واظهاركم لهم فسلطناهم بذلك على من حكمنا بانه
لا يؤمن بتزيينهم لهم وتسويلهم واستخفافهم بان ينصروهم في بعض المواطن ويوصلوهم الى شيء من المطالب فعلنا ذلك ليتبين
الرجل الكامل الذي يستحق الدرجات العلى وتتردد اليه الملائكة بالسلام والحبى من غيره فخذوا حذركم فان الامر خطر والخلاص
عسر وبعبارة اخرى انا سلكناكم طريقا وجعلنا بجنبتها عدوا يرونكم ولا ترونهم واقدرناهم على بعضكم فمن سلك سواء
السبيل نجا ومن شذ اسره العدو ومن دنا من الحافات بمواقعة الشبهات قارب العدو ومن قاربه استغواه فكلما دنا
منه تمكن من اسره وكل من تمكن من اسره بعد من الخلاص فاحذروا وعدم رؤيتنا لهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم
على انه قد صح تصورهم في الاجسام الكثيفة ورؤية بني آدم لهم في تلك الاجسام كالشيطان الذي رآه ابو هريرة رضي الله
عنه حين امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ الصدقة وكذا ابي بن كعب رضي الله عنه وحديث خالد بن الوليد رضي
الله عنه في شيطان العزى معروف في السير وكذا حديث سواد بن قارب رضي الله عنه في ارشاد رئيه من الجن له وكذا
خطر بن ملك رضي الله عنه في مثل ذلك وغيرهما وفي شرحي لنظمي للسيرة كثير من ذلك وكذا حديث العفريت الذي تفلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعلة من نار ليقطع عليه صلاته فاخزاه الله وامكن منه وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لولا دعوة اخي سليمن عليه السلام لاصبح مربوطا بسارية المسجد يتلعب به ولدان اهل المدينة قال ابو حيان
الا ان رؤيتهم في الصور نادرة كما ان الملائكة عليهم السلام تبدو في صور كحديث جبريل عليه السلام ولما جعل امارتهم
في ولاية الشيطان عدم الايمان عطف على ذلك امارة اخرى فقال واذا فعلوا فاحشة اي امرا بالغا في القبح كالشرك
وكشف العورة في الطواف قالوا معللين لارتكابهم اياها وجدنا عليها اي الفاحشة آباءنا ولما كانت هذه العلة
ظاهرا عارها بينا عوارها ضموا اليها افتراء ما يصلح للعلية فقالوا معبرين بالاسم الاعظم غير محتشمين من جلاله وعظمته
وكماله والله امرنا بها ولما كانت العلة الاولى ملغاة وكان العلم ببطلانها بديهيا كان من المعلوم انهم لو وجدوهم على
سفه في تحصيل المال ما تابعوهم اعرض عنها اشارة الى ذلك وامر بالجواب عن الثانية الذي هي افتراء على الملك الاعلى
مع ادعائهم انهم ابعد الناس عن مطلق الكذب واشدهم تحريا بقوله قل ان الله اي الذي له الكمال كله لا يامر بالفحشاء
اي بشيء من هذا الجنس ولما كان الكذب قبيحا في نفسه وهو عندهم اقبح القبيح مطلقا فكيف به على كبير منهم فكيف اذا
كان على اعظم العظماء قال منكرا عليهم موبخا لهم مهددا اتقولون على الله اي الذي له جميع العظمة ما لا تعلمون لانكم لم تسمعوا
ذلك من الله بلا واسطة ولا نقل اليكم بطريق صحيح عن نبي من انبيائه عليهم السلام وفيه تهديد شديد على الجهل والقول
على الله بالظن ولما كان تعليلهم بامر الله مقتضيا لانه اذا امر بشيء اتبع امره ان يبلغهم امره الذي جاء به دليل العقل مؤيدا
بجازم النقل فقال قل اي لهؤلاء الذين نابذوا الشرع والعرف امر ربي المحسن الي بالتكليف بمحاسن الاعمال التي تدعوا
اليها الهمم العوال بالقسط وهو الامر الوسط بين ما فحش في الافراط صاعدا عن الحد وفي التفريط هابطا منه ولما كان
التقدير فاقسطوا اتباعا لما امر به او كان القسط مصدرا ينحل الى ان اقسطوا عطف عليه واقيموا وجوهكم مخلصين غير
مرتكبين لشيء من الجور عند كل مسجد اي مكان ووقت وحال يصلح للسجود فيه ولا يتقيدن احد بمكان ولا زمان بان يقول
وقد ادركته الصلوة اذهب فاصلي في مسجدي وادعوه عند ذلك كله دعاء عبادة مخلصين له الدين اي لا تشركوا به
شيئا ولما كان المعنى فان من لم يفعل ذلك عذبه بعد اعادته له بعد الموت ترجمه مستدلا عليه بقوله معللا كما بداكم
اي في النشاة الاولى فانتم تبتديون يعيدكم بعد الموت فانتم تعودون حال كونكم فريقين فريقا هدى اي خلق الهداية في
قلوبهم فحق لهم ثواب الهداية وفريقا اضل ثم فسر اضل لانه واجب التقدير بالنصب بقوله حق اي ثبت ووجب
عليهم الضلالة اي لانه اضلهم فيحشرون على ما كانوا عليه في الدنيا من الاديان والابدان وقد تبين ان ههنا اختباكين
اثبت في اولهما بداء دليلا على حذف يعيد وذكر تعودون دليلا على حذف يبتديون واثبت في الثاني هدى دليلا على حذف
اصل وذكر حقوق الضلالة دليلا على حذف حقوق الهدى ولما كرر سبحانه ذكر البعث كما تدعوا اليه الحكمة في تقرير
ما ينكره المخاطب تانيثا له به وكسرا لشوكته وايهانا لقوته وقمعا لسورته الى ان ختم بما هو ادل عليه مما قبل من قوله

ومنها

ومنها تخرجون ولنسئلن الذين ارسل اليهم علل ما ختم به هذا الدليل من حقوق الضلالة الى وجوبها الى وجوب وبالها عليهم
بقوله انهم اتخذوا اي كلفوا انفسهم ضد ما دعتهم اليه الفطرة الاولى بان اخذوا الشياطين اولياء اي اقرباء وانصارا من دون
الله اي الملك الاعلى الذي لا مثل له ويحسبون اي والحال انهم يظنون بقلة عقولهم انهم مهتدون فاشار بذلك الى انهم استحقوا
النكال لانهم قنعوا في الاصول التي يجب فيها الانتهاء الى القطع بالظنون ولما امر سبحانه بالقسط وباقامة الوجه عند كل مسجد
امرهم بما ينبغي عند تلك الاقامة من ستر العورة التي تقدم الحث عليه وبيان فحش الهتك وسوء اثره معبرا عنه بلفظ الزينة ترغيبا
فيه واذنا في الزينة وبيانا لانها ليس مما يتورع عنه بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب اذا بسط على عبد رزقه ان يرى اثر
نعمته عليه رواه احمد والترمذي وابن منيع عن ابي هريرة رضي الله عنه واتبع ذلك اعظم ما ينبغي لابن آدم ان تعتبر فيه القسط
من المأكل والمشرب فقال مكررا النداء استعطافا واظهارا لعظيم الاشفاق وتذكيرا بقصة ابيهم آدم عليه السلام التي اخرجته من
الجنة مع كونه صفي الله ليشتد الحذر يا بني آدم اي الذي زيناه فغره الشيطان ثم وقيناه شره بما انعمنا عليه به من حسن التوبة وعظيم
الرغبة خذوا زينتكم اي التي تقدم التعبير عنها بالريش لستر العورة والتجمل عند الاجتماع للعبادة عند كل مسجد واكد ذلك كونهم كانوا
قد شرعوا ان غير الحمس يطوفون عراة ولما امر بكسوة الظاهر بالثياب لان صحة الصلوة متوقفة عليها امر بكسوة الباطن بالطعام
والشراب لتوقف القدرة عادة عليها فقال وكلوا واشربوا وحسن ذلك ان بعضهم كان يتدين في الحج بالتضييق في ذلك ولما امر
بالملبس والمطعم نهى عن الاعتداء فيهما فقال ولا تسرفوا بوضع شيء من ذلك فيما لا يكون احق مواضعه ولو بالزيادة على المعا ومن ذلك
ان يتبع السنة في الشرب فيسير لان العكر يرسب في الاناء فربما اذى من شربه ولذلك نهى عن التنفس في الاناء لانه ربما انتن فعافته
النفس واما الطعام فيلحس اناؤه والاصابع لنيل البركة وهو انظف ثم علل ذلك بقوله انه لا يحب المسرفين اي لا يكرمهم ولا شك
ان من لا يحبه لا يحصل له شيء من الخير فيحيط به كل شر ومن جملة السرف الاكل في جميع البطن والاقتصاد الاقتصار على الثلث كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وما ملأ ابن آدم
وعاء شرا من بطن والكافر يأكل في سبعة امعاء والمؤمن يأكل في معا واحد اخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الاطباء
الامعاء سبعة فالمعنى حينئذ ان الكافر يأكل شبعا فيملأ الامعاء السبعة والمؤمن يأكل تقوتا فيأكل في معا واحد وذلك شبع بطنه
واليه الاشارة بلقيمات فان لم يكن ففي معاين وشي وهو الثلث والله اعلم وسبب الآية انهم كانوا يطرحون ثيابهم اذا ارادوا الطواف
يقولون لا نطوف في ثياب اذنبنا فيها ونتعرى منها لنتعرى من الذنوب الا الحمس وهم قريش ومن ولدوه وكانوا لا يأكلون من الطعام
الا قوتا ولا يأكلون دسما فقال المسلمون يا رسول الله فنحن احق ان نفعل ذلك فانزلت ولما كان من المعلوم ان من صح كانوا الفوه واتخذوه
دينا يستعظمون تركه لان الشيطان يوسوس لهم بانه توسع في الدنيا والتوسع فيها مما ينبغي الزهد فيه كما دعا اليه كثير من الآيات
اكد سبحانه الاذن في ذلك بالانكار على من حرمه فقال منكرا عليهم اعلاما بان الزهد الممدوح ما كان مع صحة الاعتقاد في الحلال والحرام
واما ما كان مع تبديل شيء من الدين بتحليل حرام او عكسه فهو مذموم قل منكرا موبخا من حرم زينة الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه
التي اخرج لعباده اي ليتمتعوا بها من النبات والمعادن وغيرها ولما ذكر الملابس التي هي شرط في صحة العبادة على وجه عم غيرها
من المراكب وغيرها اتبعها المأكل والمشارب فقال والطيبات اي الحلال المستلذ من الرزق كالبحاير والسوائب ونحوها ولما
كان معنى الانكار لم يحرمها من يعتبر تحريمه بل احلها وكان ربما غلا في الدين غال تمسكا بالآيات المنفرة عن الدنيا المهونة لشانها
مطلقا فضلا عن زينة اللباس وطيبات الرزق قال مستانفا لجواب من يقول لمن قل هي اي الزينة والطيبات للذين آمنوا
وعبر بهذه العبارة ولم يقل ولغيرهم تنبيها على انها لهم بالاصالة في الحيوة الدنيا واما الكفار فهم تابعون لهم في التمتع بها وان
كانت لهم اكثر فهي غير خالصة لكم وهي للذين آمنوا خالصة اي لا يشاركهم فيها احد هذا على قراءة نافع بالرفع والتقدير على قراءة غيره
حال كونها خالصة يوم القيمة وفي هذا تاكيد لما مضى من احلالها بعد تاكيد ومحو للشكوك وداعية للتامل في الفصل بين المقامين
لبيان ان الزهد المامور به انما هو بالقلب بمعنى انه لا يكون للدنيا عنده قدر ولا له اليها التفات ولا هي اكبر همه واما كونها
ينتفع بها فيما اذن الله فيه وهي محقورة غير مهتم بها فذلك من المحاسن ولما كان هذا المعنى من دقايق المعاني ونفايس
المباني اتبعه تعالى قوله جوابا لمن يقول ان هذا التفصيل فايق فهل يفصل غيره هكذا كذلك اي مثل هذا التفصيل البديع
نفصل الآيات اي نبين احكامها ونميز بعض المشتبهات من بعض لقوم يعلمون اي لهم ملكة وقابلية للعلم ليتوصلوا به الى الاعتقاد
الحق والعمل الصالح ولما بين ان ما حرموه ليس بحرام فتقرر ذلك تقررا نزع من النفوس ما كانت الفته من خلافه ومحي من القلوب
ما كانت اشربته من ضده كان كانه قيل فماذا حرم الله الذي ليس التحريم الا اليه فامره تعالى بان يجيبهم عن ذلك ويزيدهم بانه لم
يحرم غيره فقال قل انما حرم ربي اي المحسن الي بجعل ديني احسن الاديان الفواحش اي كل فرد منها وهي ما زاد قبحه ولما كانت
الفاحشة ما تزايد قبحه فكان ربما ظن ان الاسرار بها غير مراد بالنهي قال ما ظهر منها بين الناس وما بطن ولما كان هذا خاصا
بما عظمت شناعته قال والاثم اي مطلق الذنب الذي يوجب الجزاء فان الاثم الذنب والجزاء ولما كان البغي زايد القبح مخصوصا
بانه من اسرع الذنوب عقوبة خصه بالذكر فقال والبغي وهو الاستعلاء على الغير ظلما لكنه لما كان قد يطلق على مطلق الطلب
حقق معناه العرفي الشرعي فقال بغير الحق اي الكامل الذي ليس فيه شائبة باطل فمتى كان فيه شائبة باطل كان بغيا ولعله يخرج
العلو بالحق بالانتصار من الباغي فانه حق كامل الحقية وتكون تسميته بغيا على طريق المشاكلة تنفيرا بادخاله تحت اسم البغي من
تعاطيه وندبا الى العفو كما تقدم مثله في لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ويمكن ان يكون تقييده تاكيدا لمنعه بانه

لا يتصور الا موصوفا بانه بغير الحق كما قال تخصيصا وتنصيصا تنبيها على شدة الشناعة **وان تشركوا بالله** اي الذي اختص بصفات الكمال **ما لم ينزل به سلطانا** فانه لا يوجد ما يستند احد شريكا الا وهو مما لم ينزل به الله سلطانا بل ولا حجة به في الواقع ولا برهان ولعله انما قيده بذلك ارشادا الى ان اصول الدين لا يجوز اعتماده ها الا بقاطع فكيف باعظمها وهو التوحيد ولذلك عقبه بقوله **وان** اي وحرم ان **تقولوا على الله** اي الذي لا اعظم منه ولا كفؤ له **ما لا تعلمون** اي ما ليس لكم به علم بخصوصه ولا هو مستند الى اعلم منكم ان يكون من الاصول او لا ولما تقدم ان الناس فريقان مهتد وضال وتكرر ذم الضال باجترائه على الله بفعل ما منعه منه وترك ما امره به وكانت العادة المستمرة للملوك انهم لا يميلون من تكرر مخالفته لم كان كانه قيل فلم لا يهلك من يخالفه فقيل وعظا وتحذيرا انهم لا يضرون بذلك الا انفسهم ولا يفعلون شيا منه الا باراداته فسواء عنده بقاؤهم وهلاكهم انما يستعجل من يخاف الفوت او يخشى الضرر ولم اجل لابد من استيفائه وليسر ذلك خاصا بهم بل **ولكل امة اجل** او هو عطف على فيها تحيون وفيها تموتون **فاذا جاء اجلهم** ولما كان نظرهم الى الفسحة في الاجل وكان قطع رجائهم منه من جملة عذابهم قدمه فقال **لا يستاخرون** اي عن الاجل **ساعة** عبر بها والمراد اقل ما يمكن لانها اقل الاوقات في الاستعمال في العرف ثم عطف على الجملة الشرطية بكمالها لا على جزائها قوله **ولا يستقدمون** اي على الاجل المحتوم لان الذي ضربه لهم ما ضربه الا وهو عالم بكل ما يكون من امرهم لم يتجدد له علم لم يكن يتجدد شي من احوالهم ويجوز ان يكون معطوفا على قوله **ولكم في الارض** مستقر ومتاع الى حين وتكون الآية معللة بانهم سيتنا سلون فيكثرون حتى يكونوا امما ولا ينقرضون جملة بل يكون كل امة وقت ولما كان استشراف النفس الى السؤال عما يكون بعد حين المستقر والمتاع اشد من استشرافها الى هذا لكونه اخفى منه فهو ابعد من خطوره في البال قدم قوله قال فيها تحيون الآية ولما كان ذكر الدواء لداء هنك السوءة اهم قدم انزل لنا عليكم لباسا ثم ما بعده حتى كان الانسب لهذه الآية هذا الموضع فنظمت فيه ولما تقدمت الاشارة الى الحث على اتباع الرسل باياتي المتضمنة الاول من مقاصد هذه السورة كقوله تعالى كتاب انزل اليك ولتنذروا اتبعوا ما انزل اليكم وقوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم الآية وقوله قل امر ربي بالقسط انما حرم ربي الفواحش والتحذير من الشياطين بقوله ويا بني آدم لا يفتننكم الشيطان وغيره فتحرر انه لا سبيل الى النجاة الا باتباع الرسل وختم ذلك بالاجل حثا على العمل في ايام المهلة اتبع ذلك قوله حاثا على التعلق باسباب النجاة باتباع الرعاة الهداة قبل الفوت محادث الموت ببيان الجزاء لمن احسن الاتباع في الدارين **يا بني آدم** ولما كان له سبحانه ان يعذب من خالف داعي العقل من غير ارسال رسول وكان ارسال الرسل جايزا له وفضلا منه سبحانه اذ لا واجب عليه اشار الى ذلك بحرف الشك فقال **اما** هي ان الشرطية وصلت بها ما تاكيدا **ياتينكم رسل** ولما كانت زيادة الخبرة بالرسول اقطع للعذر واقوى في الحجة قال **منكم** اي من نوعكم من عند ربكم ولما كان الاغلب على متصدر هذه السورة العلم كما تقدم في فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين وباتي في ولقد جيناهم بكتاب وفصلناه على علم وغيرها كان التعبير بالقص الذي هو تتبع الاثر كما تقدم في الانعام اليق فقال **يقصون عليكم اياتي** اي يتابعون ذكرها لكم على وجه مقطوع به ويتبع بعضهم بعضا اثر بعض لا يتخالفون في اصل واحد من الاصول ولما كان لقاء الرسل حتما والهجرة اليهم واجبة لان العمل لا يقبل الا بالاستناد اليهم مهما وجد الى ذلك سبيل ربط الجزاء بالفاء فقال **فمن اتقى** اي خاف مقامي وخاف وعيد بسبب التصديق للرسل والتلقي عنهم **واصلح** اي عمل صالحا باقتفاء اثارهم **فلا خوف** اي غالب **عليهم** اي بسبب ذلك من شيء يتوقعونه **ولا هم** اي بضمايرهم **يحزنون** اي يتجدد لهم في وقت ما حزن على شيء فانهم لان الله يعطيهم ما تقر به اعينهم وكانه غاير في التعبير لان اجلالهم لله تعالى وهيبتهم له يمكن ان يطلق عليها خوف ولما ذكر المصدق اتبعه المكذب فقال **والذين كذبوا باياتنا** اي على ما لها من العظمة باضافتها الينا ولما كان التكذيب قد يكون عن شبهة او نوع من العذر نفى ذلك بقوله **واستكبروا عنها** اي اوجدوا الكبر ايجادا من هو طالب له عظم الرغبة فيه مجاوزين عنها الى ضدها وما دعت اليه ولما كان ذلك ليس سببا حقيقيا للتعذيب وانما هو كاشف عن ذراءه اهله لجهنم لاقامة الحجة عليه قبل الفوت بحادث الموت ببيان الجزاء لمن احسن الاتباع في الدارين **لب

انهم واسطة لكم عند الملك الاعظم وتدعونهم حالكونكم معرضين عن اله ادعوهم الآن ليمنعوكم من عذاب الهون
الذي نذيقكم قالوا ضلوا اي غابوا عنا فلا ناصر لنا ولما كان الاله لا يغيب فعلوا ضلالهم بغيبتهم عنهم قال مترجما
عن ذلك وشهدوا على انفسهم اي بالغوا في الاعتراف انهم كانوا كافرين اي ساترين عناء الما كشف لهم عنه نور العقل
فلا مانع منه الا حظوظ النفوس ولزوم البؤس ولما كان كانه قيل لقد اعترفوا والاعتراف كما قيل انصاف فهل ينفعهم
قيل هيهات فات محله بفوات دار العمل الاجرم قال اي الذي جعل الله اليه امرهم ادخلوا كائنين في امم اي في جملة جماعات
وفرق قام بعضها بعضا ثم وصفهم دالا بتا التانيث على ضعف عقولهم فقال قد خلت ولما كان في الزمن الماضي من آمن
ادخل الكفار فقال من قبلكم ولما كان الجن الاصل في الاغواء قدمهم فقال من الجن والانس ثم ذكر محل الدخول فقال في النار
ولما جرت عادة الرفاق بانهم يتكالمون وحين الاجتماع يتساءلون لتشوف السامع الى حالهم في ذلك فقال مجيبا له كلما دخلت
امة اي منهم في النار لعنت اختها اي القريبة منها في الزمن والملة التي قفت اثارها واتبعت مسارها بلعن اليهود
والنصارى النصارى وهكذا واستمر ذلك منهم حتى اذا ادارکوا اي تداركوا وتلاحقوا بركب بعضهم بعضا لما يشير اليه
الادغام فيها جميعا لم تبق منهم امة ولا واحد من امة قالت اخراهم اي في الزمن والمنزلة وهم الاتباع والسفل لاولاهم
اي لاجلهم مخاطبين له خطاب المخلص ربنا ايها الذي ما قطع احسانه في الدنيا عنا على ما كان منا من مقابلة احسانه بالاساءة
هؤلاء اي الاولون اضلونا اي لكونهم اول من سن الضلال فاتهم اي اذقهم بسبب ذلك عذابا ضعفا اي يكون بقدر
عذاب غيرهم مرتين لانهم ضلوا واضلوا الا انهم سنوا الضلال ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها
الى يوم القيمة ومنه لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل ثم اكدوا شدة العذاب
بقولهم من النار ولما كان كانه قيل لقد قالوا ما له وجه فلم اجيبوا قيل قال اي جوابا لهم لكل اي من السابق واللاحق
والمتبوع والتابع ضعف وان لم يكن الضعفان متساويين لان المتبوع وان كان سببا لضلال التابع فالتابع ايضا كان
سببا لتمادي المتبوع في ضلاله وشدة شكيمته فيه بتقويته بالاتباع وتاييده بالمناضلة عنه والدفاع ولما كانوا
جاهلين استحقاقهم الضعف بسبب هذه الدقيقة قال ولكن لا تعلمون اي بذلك ولما ذكر سلام الاخرين على الاولين
عطف عليه جواب الاولين فقال وقالت اولاهم لاخراهم مسببين عن يائسهم لهم الضلال
ودعائهم اليه فما كان لكم علينا اي بسبب انقيادكم لنا واتباعكم في الضلال من فضل اي لنحمل عنكم بسببه شيا من
العذاب لانه لم يعد علينا من ضلالكم نفع وقد شاركتمونا في الكفر فذوقوا اي بسبب ذلك العذاب في سجين بما اي
بسبب ما كنتم تكسبون لا بسبب اتباعكم لنا في الكفر ولما جرت العادة بان اهل الشدايد يتوقعون الخلاص اخبر ان هؤلاء
ليسوا كذلك لانهم انجاس فليسوا اهلا لمواطن الاقدار فقال مستانفا لجواب من كانه قال اما لهؤلاء خلاص واظهر موضع
الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ان الذين كذبوا بايتنا اي وهي المعروفة بالنظم بالنسبة الينا واستكبروا
عنها اي اوجدوا الكبر متجاوزين عن اتباعها لا تفتح لهم اي لصعود اعمالهم ولا دعائهم ولا ارواحهم ولا لنزول البركات
عليهم ابواب السماء لانها طاهرة عن الارجاس الجسية والمعنوية فاذا صعدت ارواحهم الخبيثة بعد الموت مع ملائكة
العذاب اغلقت الابواب دونها ثم القيت من هناك الى سجين ولا يدخلون الجنة اي التي هي اطهر المنازل واشرفها حتى
يكون ما لا يكون بان يلج اي يدخل ويحول الجمل على كبره في سم اي خرق الخياط اي الابرة هو تعليق على محال فان الجمل
مثل في عظم الجرم عند العرب وسم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة ومنه الماهر الحريت للدليل
الذي يهتدي في المضايق المشبهة باخرات الابر وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهاله
للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر غير هذا الظاهر تكلف ولما كان هذا الكذبين المستكبرين اخبر انه لمطلق المقاطعين
ايضا فقال وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء لهذا العذاب ونحوه ان دخول الجنة محال عادة نجزي المجرمين اي القاطعين
لما امر الله به ان يوصل وان كانوا اذنابا مقلدين للمستكبرين المكذبين ثم فسر جزاء الكل فقال لهم من جهنم مهاد اي
فرش من تحتهم جمع مهدية ولعله لم يذكره لان المهاد كالصريح فيه ومن فوقهم غواش اي اغطية جمع غاشية كمغشيهم من
جهنم وصرح في هذا بالفوقية لان الغاشية ربما كانت عن يمين او شمال او كانت بمعنى مجرد الوصول والادراك ولعله
اغا حذف الاول لدلالة الاية من الاحتباك فذكر جهنم اولا دليلا على ارادتها ثانيا وذكر الفوق ثانيا دليلا على ارادة التحت
اولا ولما كان بعضهم ربما لا تكون له اهلية قطع ولا وصل قال عاما لجميع انواع الضلال وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء
نجزي الظالمين ليعرف ان المدار على الوصف والمجرم المذنب وما ذيه ترجع الى القطع والظالم الواضع للشي في غير
موضعه كفعل من يمشي في الظلام ويجوز ان يكون نبه سبحانه بتغاير الاوصاف على تلازمها فمن كان ظالما لزمه الاجرام
والتكذيب والاستكبار وبالعكس ولما اخبر عن احوالهم ترهيبا اتبعه الاخبار عن احوال المومنين ترغيبا فقال
والذين امنوا في مقابلة الذين كذبوا ولما قال وعملوا الى تصديقا لايمانهم في مقابلة الذين استكبروا الصالحات وكان
ذلك قطعة لتوهم ان عمل جميع الصالحات لانه جمع محلى بالالف واللام شرط في دخول الجنة خفف ذلك بجملة اعتراضية تدل
على التخفيف فقال لا نكلف نفسا الا وسعها وترغيبا في اكتساب ما يوصف من النعيم بما هو في الوسع اولئك اي العالوا
الرتب اصحاب الجنة ولما كانت الصحبة تدل على الدوام صرح به فقال هم فيها خالدون ولما كانت الدار لا تطيب الا

يعرفونهم اي باعيانهم واما معرفتهم اجمالا فتقدم وانما قال هنا بسيماهم لان النار قد اكلتهم وغيرت معالمهم مع تغيرهم
بالسمن وسواد الوجوه وعظم الخبث ونحوه قالوا نفيا او استفهاما توبيخا وتقريعا ما اغنى عنكم جمعكم اي للمال والرجال
وما كنتم تستكبرون اي تجددون بها هذه الصفة وتوجدونها دايما في الدنيا زاعمين انه لا غالب لكم ثم زادوا في توبيخهم
وتقريعهم وتحزينهم وتاسيفهم والانكار عليهم بقولهم مشيرين الى ناس كانوا يستضعفونهم من اهل الجنة ويحتقرونهم اهولاء
وكانه يكشف لهم عنهم حتى يروهم زيادة في عذابهم الذين اقسمتم اي في الدنيا لا ينالهم الله اي الذي له صفات الكمال برحمة فكيف
بكمال الرحمة ولما كان التصريح بامرهم بدخول الجنة افكا لاهل النار لانه انفى لما اقسموا عليه قالوا ادخلوا اي قال الله لهم
او قايل من قبله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم اي من شي يمكن توقع اذاه ولا انتم تحزنون اي يتجدد لكم حزن في وقت من الاوقات
على شي فات لما عندكم من الخيرات التي لا تدخل تحت الوصف ولما تقدم نداء اصحاب الجنة عند ما حصل لهم السرور بدخولها لاصحاب
النار بما يولم وينكي وختم بهذه الرحمة التي تطمع المحروم فيما يسر ويزكي اخبر ان اصحاب النار ينادون اصحاب الجنة عند ما حصل لهم
من الغم بدخولها لكن بما شانه ان يرقق ويبكي فقال ما يدل على ان عندهم كل ما نفي عن اهل الجنة في ختام الاية السالفة من الخوف
والحزن ونادى اصحاب النار اي بعد الاستقرار اصحاب الجنة بعد ان عرفهم اياهم وامر الجنة فتزخرفت فكان ذلك زيادة في
عذابهم ثم فسر المنادى به فقال ان افيضوا علينا من الماء اي لانكم اعلامنا فاذا افضتموه وصل الينا وهذا من فرط ما هم فيه
من البلاء فان بين النار والجنة اهوية لا قرار لها ولا يمكن وصول شي من الدارين الى الاخرى معها ولما كانت الافاضة تتضمن
الانزال قالوا او اي او انزلوا علينا مما رزقكم الله اي الذي له الغنى المطلق من اي شي هان عليكم انزاله قالوا اي اصحاب الجنة
ان الله اي الذي حاز جميع العظمة حرمهما اي منعهما بتلك الاهوية وغيرها من الموانع على الكافرين اي الساترين لما دلهم عليه
قويم العقل وصريح النقل الذين اتخذوا اي تكلفوا غير ما دلهم عليه العقل الفطري حين نبه بالعقل الشرعي بان اخذوا دينهم
بعد ما محقوا صورته وحقيقته كما يمحق الطين اذا اتخذته خزفا فصار الدين لهوا اي اشتغالا بما من شانه ان يغفل وينسى
عن كل ما ينفع من الامور المعجبة للنفس من غير نظر في عاقبة فجوزوا من جنس عملهم بان لم ينظر لهم في اصلاح العاقبة ولما قدم
ما هو ادعى الى الاجتماع على الباطل الذي هو ضد مقصود السورة من الاجتماع على الحد وادعى الى الغفلة وكان من شان الغفلة عن
الخير ان تجر الى استجلاب الافراح والانهماك في الهوى حقق ذلك بقوله ولعبا اي اقبالا على ما يجلب السرور ويقطع الوقت الحاضر
بالغرور ولذلك اتبعه قوله وغرتهم اي في فعل ذلك الحيوة الدنيا اي بما فيها من الاعراض الزايلة من تاميل طول العمر
والبسطة في الرزق ورغد العيش حتى صاروا بذلك محجوبين عن نظر معانيها وعما دعا اليه تعالى من الاعراض عنها فلم يحسبوا
حساب ما وراها ولما كان تركهم من رحمته سبحانه موبدا اسقط الجار فقال فاليوم اي فتسبب عن ذلك انا في هذا اليوم
ننساهم اي نتركهم ترك المنسي كما فعلوا هم بانفسهم بان نسوا اي تركوا لقاء يومهم هذا فلم يعدوا له عدته وما اي وكما كانوا
اي جبلة وطبعا باياتنا على ما لها من العظمة بنسبتها الينا يجحدون اي ينكرون وهم يعرفون حقيقتها لانها في غاية الظهور ولما
ذكر نسيانهم وجحودهم ذكر حالهم عند ذلك فقال ولقد اي فعلوا ذلك والحال انا وعزتنا قد جيناهم اي على عظمتنا باتيان
رسولنا اليهم عنا بكتاب ليس هو موضعا للجحد اصلا ثم بين ذلك في سياق مرغب للموالف مرهب للمخالف فقال فصلناه اي بينا
معانيه لم ندع فيه لبسا وجعلنا لاياته فواصل حال كون ذلك التفصيل على علم اي عظيم فجاء معجزا في نظمه ومعناه وساير
علمه ومغزاه وحال كونه هدى اي بيانا ورحمة اي اكراما ثم خص المنتفعين به لان من لا ينتفع بالشي فهو كالمعدوم في حقه
فقال لقوم يؤمنون اي فيهم قابلية ذلك وفيه رجوع الى وصف الكتاب الذي هو احد مقاصد السورة على ابدع وجه في
احسن اسلوب ولما وصف الكتاب وذكر المنتفع به تشوفت النفس الى السؤال عن حال من لا يومن به وهم الجاحدون فقال
مشيرا الى ان حالهم ووقوفهم عن المتابعة بعد العلم بصدقه بعجزهم عنه كحال من ينتظر ان ياتي مضمون وعيده هل ينظرون
اي ينتظرون ولكنه لما لم يكن لهم قصد في ذلك بغير ما يفهمه الحال جرد الفعل ولافادة انه لتحقق اتيانه في غاية القرب حتى كانه
مشاهد لهم الا تاويله اي تصيير ما فيه من وعد ووعيد الى مقاره وعواقب امره التي اخبر انه يصير اليها ولما كان كانه قيل
ما يكون حالهم حينئذ قال التحسر والاذعان حيث لا ينفع والتصديق والايمان حين لا يقبل وعبر عن ذلك بقوله يوم ياتي
تاويله اي بلوغ وعيده الى مبلغه في الدنيا او في الاخرة ولما قدم اليوم اهتماما به اتبعه العامل فيه فقال يقول الذين
نسوه اي تركوه ترك المنسي ويجوز ان يكون عد ذلك نسيانا لانه ركز في الطباع ان كل ملك لا بد له من عرض جنده ومحاسبتهم
فلما اعرضوا عن ذلك فيما هو من جانب الله عده نسيانا منهم لما ركز في طباعهم ولما كان نسيانهم في بعض الزمان السابق ادخل
الجار فقال من قبل اي قبل كشف الغطاء محققين للتصديق قد جاءت اي فيما سبق من الدنيا رسل ربنا اي المحسن الينا بالحق اي
المطابق لهذا الواقع الذي نراه مما كانوا يتوعدوننا به فما صدقوا حتى راوا فلم يؤمنوا بالغيب ولا اوقعوا الايمان في دار
العمل فلذا لم ينفعهم ولما وصفوه سبحانه بالاحسان لما كشف الحال عنه من حلمه وطول اناته سببوا عن ذلك قولهم
فهل لنا من شفعاء اي في هذا اليوم وكانهم شفعوا الشفعاء لدخولهم في جملة الناس في الشفاعة العظمى لفصل القضاء سببوا
عن ذلك تحقيق كونهم لهم اي بالخصوص فقالوا فيشفعوا لنا اي سواء كانوا من شركائنا الذين كنا نتوهم فيهم النفع او من غيرهم
ليغفر لنا ما قدمنا من الجرائم او نرد اي ان لم يغفر لنا الى الدنيا التي هي دار العمل والمعنى انه لا سبيل لنا الى الخلاص الا احد
هذين الشيئين ثم سببوا عن جواب هذا الاستفهام الثاني قولهم فنعمل اي في الدنيا غير الذي كنا اي بجبلاتنا من غير نظر عقلي

بحسن الجوار قال ونزعنا اي بما لنا من العظمة التي لا يعجزها شيء ما كان في الدنيا في صدورهم من غل اي ضغينة وحقد وغش
من بعضهم على بعض بغل اي يدخل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى الذنوب الدقيقة ويقال غل في الشيء
وتغلغل فيه اذا دخل فيه بلطافة كالحب يدخل في صميم الفؤاد حتى ان صاحب الدرجة السافلة لا يحسد صاحب العالية ولما كان
حسن الجوار لا يلذ الا بطيب القرار باحكام الدار وكان الماء سبب العمارة وطيب المنازل وكان الجاري منه اعم نفعا واشد استجلابا
للسرور قال تعالى تجري من واشار الى علوهم بقوله تحتهم الانهار فلما تمت لهم النعمة بالماء الذي به حياة كل شيء فعرف انه تكون
عنه الرياض والاشجار وكل ما به حسن الدار اخبر عن تعاطيهم الشكر لله ولرسوله المستجلب للزيادة بقوله وقالوا الحمد اي الاحاطة
باوصاف الكمال لله اي المحيط بكل شيء علما وقدرة لذاته لا لشيء آخر ثم وصفوه بما يقتضي ذلك له لاوصافه ايضا فقالوا معلمين
انه لا سبب لهم في الوصول الى النعيم غير فضله في الاولى والاخرى الذي هدانا اي بالبيان والتوفيق واوقعوا الهداية على ما
وصلوا اليه اطلاقا للمسبب على السبب فقالوا لهذا اي للعمل الذي اوصلنا اليه وما اي والحال انا ما كنا لنهتدي اصلا لبناء
جبلاتنا على خلاف ذلك لولا ان هدانا الله اي الذي له الامر كله وقراءة ابن عامر بغير واو على ان الجملة موضحة لما قبلها والقراءتان
دامغتان للقدرية ولما كان تصديقهم للرسل في الدنيا ايمانا بالغيب من باب علم اليقين اخبروا في الاخرة بما وصلوا اليه من عين
اليقين سرورا وتبجحا لا تعبدا وثناء على الرسل ومن ارسلهم بقولهم مفتتحين بحرف التوقع لانه محله لقد جاءت رسل ربنا
اي المحسن الينا بالحق اي الثابت الذي يطابقه الواقع الذي لا زوال له ولما غبطوا انفسهم وحقروها واثبتوا الفضل لاهله
عطف على قولهم قوله مانا عليهم بقبول اعمالهم ولما كان السار للاخبار عن الايراث لا كونه من معين بني للمفعول قوله ونودوا
اي اتماما لنعيمهم ان هي المخففة من الثقيلة او هي المفسرة تلكم الجنة العالية اورثتموها اي صارت اليكم بغير تعب ولا منازع
بما اي بسبب ما كنتم تعملون لانه سبحانه جعله سببا ظاهريا بكرمه والسبب الحقيقي هو ما ذكروه هم من توفيقه ولما
استقرت بهم الدار ونودوا بدوام الاستقرار اخبر سبحانه انهم اقبلوا متبجحين على اهل النار شامتين بهم في احلالهم دار البوار تلذيذا
لانفسهم بالنعيم وتكديرا على الاشقياء في قوله ونادى اصحاب الجنة اي بعد دخول كل من الفريقين الى داره اصحاب النار يخبرونهم
بما اسبغ عليهم من النعم ويقررونهم بما كانوا يتوعدونهم به من حلول النقم ثم فسر ما وقع له النداء بقوله ان اي هي مخففة
من الثقيلة وذكر حرف التوقع لانه محله فقال قد وجدنا اي بالعيان كما كنا واجدين له بالايمان ما وعدنا ربنا اي المحسن الينا
في الدارين من الثواب حقا اي ووجدنا جميع ما وعد ربنا لنا ولغيرنا حقا كما كنا نعتقد فهل وجدتم اي كذلك ما وعد واثبت
المفعول الاول في الاول تلذيذا وحذفه هنا احتقارا للمخاطبين وليشمل ما للفريقين فيكون وجد بمعنى العلم وبمعنى اللقي وفي
التعبير بالوعد دون الوعيد مع ذلك تهكم بهم ربكم اي الذي احسن اليكم فقابلتم احسانه بالكفران من العقاب حقا لكونكم وجدتم
ما توعدكم به ربكم حقا قالوا نعم اي قد وجدنا ذلك كله حقا قال سيبويه نعم عده اي في جواب اتعطيني كذا وتصديق في مثل
قد كان كذا والاية من الاحتباك اثبت المفعول الثاني اولا دليلا على حذف مثله ثانيا وحذفه ثانيا دليلا على حذف مثله اولا والله
اعلم ولما حبوا من النعم بما تقدم وكان منه الجار الحسن وكان العيش مع ذلك لا يهنا الا بابعاد جار السوء اخبروا ببعده وزيدوا
سرورا باهانته في قوله فاذن اي بسبب ما اقر به اهل النار على انفسهم مؤذن بينهم اي بين الفريقين ان مخففة ومفسرة
في قراءة نافع وابي عمرو وعاصم وشددها الباقون ونصبوا لعنة الله اي طرد الملك الاعظم وابعاده على وجه الغضب على
الظالمين اي الذين كانوا مع البيان الواضح يضعون الاشياء في غير مواضعها كحال من لم ير نورا اصلا الذين يصدون اي لهم فعل
الصد لمن اراد الايمان ولمن امن ولغيرهما بالاضلال بالارغاب والارهاب والمكر والخدوع عن سبيل الله اي طريق دين الملك
الذي لا كفو له الواضح الواسع ويبغونها اي يطلبون لها عوجا بالقاء الشكوك والشبهات وقد تقدم ما فيه في آل عمران وهم
بالاخرة كافرون اي ساترون ما ظهر لعقولهم من دلائلها فمتى وجدت هذه الصفات الاربع حقت اللعنة وبينهما اي وحال الفريقين
عند هذه المناداة انه بينهما اي بين الدارين حجاب اي سور كيلا يجد اهل النعيم في دارهم ما يكدر نعيمها وعلى الاعراف جمع عرفة
وهو كل عال مرتفع لانه يكون اعرف مما انخفض وهي الشرفات من ذلك الحجاب رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم فوقفوا هنالك حتى
يقضي الله فيهم ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته كما جاء مفسرا في مسند ابن ابي خيثمة من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم يعرفون كلا اي من اصحاب الجنة واصحاب النار قبل دخول كل منهم داره بسيماهم اي علامتهم ونادوا اي اصحاب الاعراف
اصحاب الجنة اي بعد دخولهم اليها واستقرارهم فيها ان سلام عليكم اي سلامه وامن من كل ضار ولما كان هذا السلام ربما
اشعر انه بعد دخول اهل الاعراف الجنة فكانه قيل اكان نداؤهم بعد مفارقتهم الاعراف ودخولها فقيل لا لم يدخلوها اي
الجنة بعد وهم اي والحال انهم يطمعون في دخولها وعبر بالطمع لانه لا سبب للعباد الى الله من انفسهم وان كانت لهم اعمال
فضلا عن هؤلاء الذين لا اعمال لهم ولما دل ما تقدم على انهم مقبلون على الجنة واهلها قال مرغبا مرهبا واذا صرفت بناه
للمفعول لان المخيف لهم الصرف لا كونه من معين ابصارهم اي صرفها صارف من قبل الله بغير اختيار منهم تلقاء اي وجاه اصحاب
النار اي بعد استقرارهم فيها فرأوا ما فيها من العذاب قالوا اي اصحاب الاعراف رجال كونهم لم يدخلوها وهم يخافون
مستعيذين منها ربنا اي ايها المحسن الينا في الدنيا بكل احسان وفي الاخرة بكونك لم تدخلنا الى هذا الوقت الى النار لا تجعلنا مع
القوم الظالمين بان تدخلنا مدخلهم ولما تقدم كلامهم لاهل الجنة بالسلام اخبر انهم يكلمون اهل النار بالتوبيخ والملام فقال
ونادى واظهر الفاعل لئلا يلتبس باهل الجنة اصحاب الاعراف اي حال صرف وجوههم الى جهة اهل النار رجالا اي من اهل النار

احتباك م

يعرفونهم

نعمل ولما كان من المعلوم عند من صدق القرآن وعلم مواقع ما فيه من الاخبار انه لا يكون لهم شي من ذلك كانت نتيجته قوله قد
خسروا انفسهم اي فلا احد اخسر منهم وضل اي غاب وبطل عنهم ما كانوا اي جبلة وطبعا لا يمكنهم الرجوع عنه الا عند رؤية
الباس يفترون اي يتعمدون في الدنيا من الكذب في امره لقصد العناد للرسل من ادعا ان الاصنام تشفع لهم ومن غير ذلك من اكاذيبهم
ولما كان مدار القران على تقرير الاصول الاربع التوحيد والنبوة والمعاد والعلم وطال الكلام في اخباره سبحانه عن اوامره
ونواهيه وافعاله باوليائه واعدائه الدالة على تمام القدرة والعلم وختم بان شركائهم لا تغني عنهم علل ذلك بانه الرب لا غيره في
سياق دال على الوحدانية التي هي اعظم مقاصد السورة كفيل باظهار الحجج عليها وعلى المقصد الثاني وهو الاعادة التي فرغ من تقرير
احوالها بالابداء الذي تقرر في العقول انه اشد من الاعادة بادلة متكفلة بتمام القدرة والعلم فقال ان ربكم اي المحسن اليكم بالايجاد
من العدم وتدبير المصالح هو الله اي الملك الذي لا كفو له وحده لا صنم ولا غيره ثم وصفه بما حقق ذلك فقال الذي خلق السموات
والارض اي على اتساعهما وعظمتهما ولما كان ربما قال الكفار ما له اذا كان قادرا وانت محق في رسالتك لا تعجل لنا الاتيان بتاويله
بين ان عادته الاناة وان كان امره واحدة كلمح بالبصر اذا اراد فقال في ستة ايام اي في مقدارها ولما كان تدبير هذا الخلق امرا
باهرا لا تسعه العقول ولهذا كانت قريش تقول كيف يسع الخلق اله واحد اشار الى عظمته وعلو رتبته باداة البعد فقال ثم
استوى على العرش اي اخذ في التدبير لما اوجده واحدث خلقه اخذا مستوفى مستقصى مستقلا به لان هذا شان من يملك ملكا ويأخذ
في تدبيره واظهار انه لا منازع له في شي منه ليكون خطاب الناس على ما الفوه من ملوكهم لتستقر في عقولهم عظمته سبحانه وذكر في فطرهم
الاولى من نفي التشبيه ويقال فلان جلس على سرير الملك وان لم يكن هناك سرير ولا جلوس وكما يقال في ضد ذلك فلان ثل عرشه
اي ذهب عزه وانتقض ملكه وفسد امره فيكون هذا كناية لا يلتفت فيه الى اجزاء التركيب والالفاظ على ظواهرها كقولهم
للطويل طويل النجاد وللكريم عظيم الرماد ولما كان سبحانه لا يشغله شان عن شان ابتدا في التدبير بما هو آية ذلك بمشاهدته
في تغطية الارض بظلامه في آن واحد فقال دالا على كمال قدرته المراد بالاستواء بامر يشاهد كل يوم على كثرة منافعه التي جعل
سبحانه بها انتظام هذا الوجود يغشي اي استوى حال كونه يغشي الليل النهار قال ابو حيان وقرا حميد بن قيس يغشي الليل بفتح
الياء وسكون الغين وفتح الشين وضم اللام كذا قال عنه ابو عمرو الداني وقال ابو الفتح ابن جني عن حميد بنصب الليل ورفع النهار
قال ابن عطية وابو الفتح اثبت هذا الذي قاله من ان ابا الفتح اثبت كلام لا يصح اذ رتبة ابي عمرو الداني في القراءة وضبط رواياتها
واختصاصه بذلك بالمكان الذي لا يدانيه احد من ائمة القراءة فضلا عن النحاة الذين ليسوا مقرئين ولا رووا القراءة عن احد
ولا روى عنهم القراءة احد هذا مع الديانة الزائدة والتثبت في النقل وعدم التجاسر ووفور الحظ من العربية فقد رايت له
كتابا في كلا وكتابا في ادغام ابي عمرو الكبير دالا على اطلاعه على ما لا يكاد يطلع عليه ائمة النحاة ولا المقرئين الى سائر تصانيفه
والذي نقله ابو عمرو الداني عن حميد امكن من حيث المعنى لان ذلك موافق لقراءة الجماعة اذ الليل في قراءتهم وان كان منصوبا
هو الفاعل من حيث المعنى اذ همزة النقل والتضعيف صيره مفعولا ولا يجوز ان يكون مفعولا ثانيا من حيث المعنى لان المنصوبين
يعدى اليهما الفعل واحدهما فاعل من حيث المعنى فيلزم ان يكون الاول منهما كما لزم ذلك في ملكت زيدا عمروا اذ رتبة التقديم هي الموضحة
انه الفاعل من حيث المعنى كما لزم ذلك في ضرب موسى عيسى انتهى ولما اخبر سبحانه ان الليل يغطي النهار دل على ان النهار كذلك بقوله
مبينا لحال الليل يطلبه اي الليل يجدد طلب النهار وابقاء طلبا حثيثا اي سريعا جدا لتغطية الليل وذلك لان الشي لا يكون
مطلوبا الا بعد وجوده واذا وجد النهار كان مغطيا لليل لانهما ضدان وجود احدهما ماح لوجود الاخر وابتدا سبحانه بذكر
الليل لان اغشاءه اول كائن بعد تكمل الخلق وحركتهما بواسطة حركة العرش ولذا ربطهما به وهي اشد الحركات سرعة واكملها
شدة وللشمس نوعان من الحركة احدهما بحسب ذاتها يتم بقطع الدرج كلها في جميع الفلك وبسببه تحصل السنة والثاني بحسب
حركة الفلك الاعظم تتم في اليوم بليلته والليل والنهار انما يحصلان بسبب حركة السماء الاقصى الذي يقال له العرش لا بسبب
حركة النيرين واجاز ابن جني ان يكون يطلبه حالا من النهار في قراءة الجماعة وان كان مفعولا اي حال كون النهار يطلب الليل حثيثا
ليغطيه وان يكون حالا منهما معا لان كلا منهما طالب للاخر وبهذا ينتظم ما قاله في قراءة حميد فان كلا منهما يكون غاشيا للاخر قال
في كتابه المحتسب في القراءات الشواذ ووجه صحة القراءتين والتقاء معنييهما ان الليل والنهار يتعاقبان وكل واحد منهما وان
ازال صاحبه ايضا مزيل له وكل واحد منهما على هذا فاعل وان كان مفعولا ومفعول وان كان فاعلا على ان الظاهر في الاستحثاث
هنا انما هو النهار لانه بسفوره وشروقه اظهر اثرا في الاستحثاث من الليل ولما ذكر الملوين اتبعهما اية كل فقال والشمس
والقمر والنجوم اي خلقها او يغشي كل قبيل منهما ما الاخر آيته حال كون الكل مسخرات اي للسير وغيره بامره وهو ارادته وكلامه
تقودها الملائكة كما روي ان لله ملائكة يجرون الشمس والقمر ولما صح ان جميع ما نراه من الذوات خلقه وما يعلمه من المعاني
امره انتج قطعا قوله الا له اي وحده وقدم المسبب على السبب ترقية كما هو مقتضى الحكمة من المحسوس الى المعقول
فقال الخلق وهو ما كان من الايجاد بتسبيب وتنمية وتطوير وقال الرازي فكل ما كان جسما او جسمانيا كان مخصوصا
بمقدار معين فكان من عالم الخلق فعالم الخلق بتسخيره وعالم الامر بتدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره
والامر وهو ما كان من ذلك اخراجا من العدم من غير تسبب كالروح وما كان حفظا وتدبيرا بالكلام كالاديان وكل ما يلاحظ
القيومية وقال الرازي كل ما كان بريئا من الحجم والمقدار كان من عالم الامر وعد الملائكة من عالم الامر فانتج ذلك قطعا قوله
على سبيل المدح الذي تنقطع دونه الاعناق وتتقاصر دون عليائه ذرى الافاق تبارك اي ثبت ثبوتا لا ثبوت في الحقيقة

غيره

عنه مع اليمن والبركة وكثرة الاثار الفاضلة والنتائج الشريفة الله اي ذو الجلال والاكرام ولما دل على انه يستحق هذا الثناء الزائد دل على انه يستحقه لصفاته فقال رب العالمين اي مبدع ذلك كله ومربيه خلقا وتصريفا بامره وفي الجزء السادس من فوائد المخلص عن سفين بن عيينة انه قال لما يقول لهذه الدويبة يعني بشرا المريسي قالوا يا ابا محمد يزعم ان القرآن مخلوق فقال كذب قال الله عز وجل الا له الخلق والامر فالخلق خلق الله والامر القرآن انتهى وهو الذي فسر به ما تحتمله الآية بان يكون الامر هو المراد بقوله بامره وهو الارادة والكلام مع احتمال ما قدمته ولما ذكر تعالى تفرده بالخلق والامر المقتضي لتفرده بالعبادة التوجه الى تحصيل المعارف النفسانية والعلوم الحقيقية امر لهذا المقتضي اللائق بتلك المعارف وهو الدعاء الذي هو مخ العبادة فقال ادعوا ربكم اي الدائم الاحسان اليكم دعاء عبادة وخضوع تضرعا اي تذللا للاظاهرا وخفية اي وتذللا للاباطنا وقد اثنى على عبده زكريا عليه السلام فقال اذ نادى ربه نداء خفيا اي اجمعوا الى خضوع الظاهر خضوع الباطن اي اخلصوا له العبادة انه يحب المخلصين لان تفرده بان يدعا هو اللايق بمقام عز الربوبية والتنزل على هذه الصفة هو اللايق بمقام ذل العبودية فهذا هو المقصود من الدعاء لا تحويل العلم الالهي وهو المقصود من جميع العبادات فان العبد لا يدعو الا وقد استحضر من نفسه الذل والضعف والحاجة ومن ربه العلم والقدرة والكفاية وهذا هو المقصود من جميع العبادات فاذا كان الدعاء مخ العبادة وقد جمع هذا الكلام على وجازته كل ما يراد تحقيقه وتحصيله من شرائط الدعاء بحيث انه لا مزيد عليه ومن فعل خلاف ذلك فقد تجاوز الحد والى ذلك اوما بتعليله بقوله انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين لما امروا به في الدعاء وغيره قالوا فالمعنى ان من ترك هذا لا يحبه الله اي لا يثيبه ولما كان كسب العبد من اعظم اسباب حصول ذلك له بحيث انه عبر به عنه في قوله تعالى فالآية من الاحتباك اجرها يدل على حذف ضده من صدرها وصدرها يدل على انه حذف قبل الآخر ولا تفسدوا الخ تكونوا معتدين ولما كان ذلك من الوفاء بحق الربوبية والقيام بحق العبودية مقتضيا للصلاح امر بادامته بالنهي عن ضده في قوله ولا تفسدوا اي لا توقعوا فسادا في الارض اي بالشرك والظلم وهو منع من ايقاع ماهية الافساد في الوجود وذلك يقتضي المنع من جميع انواعه فيتناول الكليات الخمس التي اتفقت عليها الملل وهي الاديان والانفس والاعراض والانساب والاموال بعد اصلاحها والظاهر ان الاضافة بمعنى اللام وهي اضافة الى المفعول اي لا يفسدوها بفساد بعد ان اصلحها لكم خلقا بما سوى فيها من المنافع المشار اليها بقوله يغشى الليل النهار الآية الدال على الوحدانية الداعي الى الحق اقامة للابدان وامرا بما انزل من كتبه على السنة رسله عليهم الصلوة والسلام اقامة الاديان تجمع الى الايجاد الاول الابقاء الاول ولما كان ذلك ربما اقتضى الاقتصار بكمالا التنزل على مقام الخوف نفى ذلك بقوله وادعوه خوفا اي من عدله ولما كان لا سبيل للعباد من انفسهم في الوصول اليه سبحانه عبر بالطمع فقال وطمعا اي في فضله فان من جمع بين الخوف والرجاء كان في مقام الاحسان وكانه مشاهد للرحمن ما زجره زاجر الجلال بسياط سطوته الا دعاه داعي الجمال الى بساط رافته ومن جاز مقام الاحسان كان اهلا للرحمة ان رحمة الله اي اكرام ذي الجلال والاكرام لمن يدعوه على هذه الصفة وختمها بالتذكير لاضافتها الى غير مؤنث فيما قال سيبويه فقال قريب وكان الاصل منكم ولكنه اظهر تقييما وتعليقا للحكم بالوصف فقال من المحسنين ولما كان دولم الصلاح لا يكون الا بالغيث وهو من اجل انواع الرحمة لا يكون الا بالسحاب ولو لا يكون الا بالريح قال تعالى عطفا على ان ربكم الله تنبيها بعد تحقيق المبدا على تحقيق المعاد وهو اي لا غيره الذي يرسل اي بالتحريك الرياح هذا في قراءة الجماعة وانواعها خمس جنوب وشمال وصبا ودبور ونكبا وهي كل ريح انحرفت فوقعت بين ريحين ووحد ابن كثير وحمزة والكسائي على ارادة الجنس نشرا بضمتين في قراءة اهل الحجاز والبصرة اي منتشرة جمع نشور من النشر وهو بسط ما كان مطويا وتفريقه في كل وجه لا لذات الريح والا لدوام ذلك منها ولا بنوة ذلك او نحن لان نسبتها الى الهواء واحدة بين يدي اي قبل رحمته اي المطر ولعله عبر فيه باليدين اليمنى والشومى لما انه مع ما فيه من الغمامة على انه تارة يكون رحمة وتارة عذابا كما كان على قوم نوح وان كانت الرحمة فيه اغلب وهي ذات اليمين وتارة يكون الرياح جامعة لها لحفظ الماء وتارة مفرقة مبطلة لها وتارة تكون معقومة للزروع والاشجار مكملة لها وهي الواقح وتارة تكون مهيبة لها او مهلكة كما يكون في الخريف تارة تكون طيبة وتارة مهلكة اما بشدة الحرارة او البرودة لم يعين الارسال بقوله حتى اذا اقلت سحابا اي حملتها لعلتها عنها لثقلها عليها ثقالا اي بالماء ولما دل على العظمة بالجمع وحقق الامر بالوصف المجرد عن الفظاظة دل على غاية العظمة لسوقه سوقا مجتمعا كانه قطعة واحدة لا يفترق جزء منه عن سائره اذ لو تفرق لاختل امره فقال سقناه اي لاجله ميت اي جدب النبات فانزلنا اي مما لنا من العظمة به اي بالبلد او بسبب ذلك السحاب الماء اي هذا الجنس واشار الى عظمة الانبات بالتوحيد فنكال فاخرجنا به اي بالماء من كل الثمرات اي الحقيقية على الاشجار والمجازية من النبات وحبوبه ولما كان هذا مما فيه من التذكير بالنعمة المقتضية لتوحيده بالدعوة دليلا ثانيا على ما دل عليه الاول قال تعالى كذلك اي مثل ما اخرجنا هذا النبات من الارض بعد ان لم يكن نخرج الموتى اي من الارض بعد ان صاروا ترابا لعلكم تذكرون اي فلما هذا لتكون حالكم حال من يرجى تذكره بهذه الآية المشاهدة الدورية المتواصلة ولو على اوفى وجوه التذكر بما اشار اليه الادغام لانه سبحانه كما قدر على اعادة النبات بجمع الماء له من جوف الارض بعد ان كان فوقها في الارض وصار ترابا واجرى الشجرة بعد ان كانت كالروح لها بادخال الثمرة التي بها قوامها ثانيا وثالثا على اعادة الانشاء وابراعها الاول كما كانت اولا لحكمة كانه لا فرق بين الاخراجين لما كانا الموتى سواء ومعلوما كما اشير اليه في الادغام في آية انما السبيل الذين يستاذنونك الخ

وايه او من كان ميتا فاحييناه كان كانه قيل لا فرق في ذلك عندنا بين اموات الايمان واموات الابدان فكما انا قادرون على احياء
الاراضي تخلق بعضها جيدا وبعضها رديئا كذلك قادرون على احياء الناس بجعل بعضها طيبا وبعضها خبيثا فالجيد العنصر يسهل ايمانه
والخبيث الاصل يعسر اذعانه وتبعد استقامته وايقانه والبلد الطيب اي الذي طابت ارضه فكانت كريمة منبته يخرج نباته
اي اذا انزل عليه الماء اخرج كثيرا حسنا سهلا غزيرا باذن اي بتمكين ربه اي المربي له بما هيأه له والذي طاب في الجملة ولم يصل
الى الغاية يخرج له نبات دون ذلك والخبيث لا يخرج له نباتا اصلا بمنع ربه له والذي خبث اي حصلت له خباثة في جبلته بكون
ارضه سبخة او نحوها مما لم يعنه الله تعالى للانبات لا يخرج اي نباته الا حادكونه نكدا اي قليلا ضعيفا المنفعة وانما كونه
دالا على ان ذلك ما كان على ما وصف مع استواء الاراضي في الاصل واستواء المياه ونسبتها الى الافلاك والنجوم الا بالفاعل المختار
مثل ضربه سبحانه للمؤمن والكافر عند سماعهما للذكر من الكتاب والسنة والاية من الاحتباك ولما استوت هذه الايات على
الدروة من بدايع الدلالات كان السامع جديرا بان يقول هل تبين جميع الايات هذا البيان فقيل كذلك اي نعم مثل هذا التصريف وهو
التردد مع اختلاف الانحاء لاختلاف الدلالات وابرازها في قوالب الالفاظ الفايقة والمعاني الرايقة في النظوم المعجزة على وجوه
لا يكاد يدخل تحت الحصر نصرف الايات اي كلها ولما تم ذلك على هذا المنهاج العزيب والمنوال العجيب المذكور بالنعم في اسلوب دال
على التفرد وتمام القدرة كان اسبب الاشياء ختمه بقوله مخصصا بها المنتفع لانها بالنسبة الى غيرهم كانها لم توجد لعلهم
يشكرون اي يوجد منهم الشكر للنعم وجودا مستمرا فلا يشركون بل يتمتعون مما انعم عليهم به وحده وينظرون
بعقولهم اذا قدرهم بنعمه على ما هم عاجزون عنه فلا يسلبون عنه شيا من قدرته على بعث ولا غيره فانهم يزعمون انهم اهل معالي
الاخلاق التي منها انه ما جزاء الاحسان الا الاحسان ولما طال تهديده سبحانه لمن اصر على فساده ولم يرجع عن غيه وعناده بمثل
مصارع الاولين ومهالك الماضين ونوع في هذه الايات محاسن الدلالات على التوحيد والمعاد بوجوه ظاهرة وبراهين
قاطعة وحجج ساطعه ساق سبحانه تلك القصص دليلا حسيا على ان في الناس الخبيث والطيب مع الكفالة بالدلالة على تمام القدرة والغرض
من الشرك على تلك الحضرة بتفصيل احوال من سلفت الاشارة الى اهلاكهم وبيان مصارعهم وانه لا تغن عنهم قوتهم شيا ولا كثرتهم بقوله
تعالى وكم من قرية اهلكناها الاية وقوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتقوية في
لصلحي اتباعه بالتنبيه على ان الاعراض عن الايات ليس من خواص هذه الامة بل هذه عادة الامم السالفة وعلى ان النعم خاصة بالشاكر
ولذا كانت النقم مقصورة على الكافرين فقال تعالى لقد ارسلنا اي بعظمتنا وافتتحه بحرف التوقع لما للسامع القطن من التشوف
الى ذكره لما تكرر من الاشارة اليه ولان اللام المجاب بها القسم المحذوف لا ينطقون لها غالبا الا مقترنة بقد لان الجملة القسمية
لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم
نوحا يعني ابن لمك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس عليه السلام وكان عند الارسال ابن خمسين سنة ولما كانا رسالة صلى الله عليه
وسلم قيل تفرق القبايل باختلاف اللغات قال الى قومه اي الذين كانوا يملاون الارض كما في حديث الشفاعة في الصحيحين وغيرهما عن انس
رضي الله عنه ايتوا نوحا اول نبي بعثه الله الى اهل الارض وفيهم من القوة على القيام بما يريدون ما لا يخفى على من تامل اثارهم
وعرف اخبارهم فان كانت اثارهم فقد حصل المراد وان كانت لمن بعدهم علم بحكم قياس الاستقراء انهم اقوى على مثلها واعلى منها
ولسوق ذلك دليلا على ما ذكر جاء مجردا عن واو العطف وهو مع ذلك كله منبه على ان جميع الرسل متطابقون على الدعوة
الى ما دل عليه برهانا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض من التوحيد والصلاح الى غير ذلك من محور الدلايل والحجاج المتلاطمة
الامواج والله الهادي الى سبيل الرشاد وكون نوح عليه السلام رسولا الى جميع اهل الارض لانهم قومه لوعده لسانهم لا يقدح في
تخصيص نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة كان معنى العموم ارساله الى جميع الاقوام المختلفة باختلاف الالسن والى جميع
من يونس من الانس والجن والملايكة وسياتي ان شاء الله تعالى في سورة الصافات لهذا مزيد بيان ولما كان من المقاصد العظيمة
الاعلام بان الذي دعي اليه هذا الرسول لم تزل الرسل على جميعهم افضل الصلوة والسلام والتحية والاكرام تدعوا اليه وكان
نوح اول رسول ذكرت رسالته عقب ذكر ارساله بذكر ما ارسل به بالفاء بقوله فقال يا قوم فتحبب اليهم بهذه الاضافة
اعبدوا الله اي الذي له جميع العظمة من الخلق والامر فانه مستحق لذلك وقد كلف عباده به ولما كانا لمقصود افراده بذلك
علله بقوله فموكدا له باثبات الجار ما لكم واغرق في النفي فقال من الله غيره ثم قال معللا او مستانفا مخوفا موكدا لاجل تكذيبهم
اني اخاف عليكم في الدنيا والاخرة ولعله قال هنا عذاب يوم عظيم وفي هود اليم وقال في المومنون افلا تتقون لان ترتيب
السور الثلاث وان كان الصحيح انه باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم فلعله جاء على ترتيبها في النزول لانها مكيات وعلى ترتيب
مقاد نوح عليه السلام لهم فالامن لهم اولا المقاد من حيث انه اوهم ان العظم الموصوف به اليوم لا بسبب العذاب بل لامر
اخر فيصير العذاب مطلقا يتناول اي عذاب كان ولو قل فلما تمادى تكذيبهم بين لهم ان عظمه انما هو من جهة ايلام العذاب
الواقع فيه فلما الجوا في عتوهم قال لهم قول الناصح اذا هدد عند مخالفة غيره له الا تفعل ما اقول لك اي متى خالفت
بعد هذا اعاجلتك بالعقاب وانت تعرف قدرتي لما لم ذلك وكان الحال مقتضيا لما نصب من الادلة الواضحة على
الوحدانية لان يجيبوا بالتصديق كان كانه قيل فماذا كان جوابهم فقال قال الملا اي الاشراف الذين ملاوا العيون
مرءاة من عظمه وتتوجه العيون في المحافل اليهم ولم يصفهم في هذه السورة بالكفر لان ذلك ادخل في التسلية لانها اول سورة
قص فيها مثل هذا في ترتيب الكتاب ولان من آمن به مطلقا كان في جنب من لم يؤمن في غاية القلة فكيف عند تقييدهم بالشرف

واكد ذمهم تسلية لهذا النبي الكريم بالتعريف بقربهم منه في النسب بقوله من قومه وقابلوا رقته وادبه بغلظه موكدا تضمنته من البهتان لان حالهم حكذب لهم فقالوا انا لنراك اي كل واحد منا يعتقد اعتقادا هو في الثقة به كالرؤية انك في ضلال اي خطا وذهاب عن الصواب هو ظرف لك محيط بك مبين اي ظاهر في نفسه حتى كانه يظهر ذلك لغيره ولما قدم وصفه بضلال مقيد بالوضوح نفى الضلال المطلق الذي هو الاعم وسفيه ينتفي كل اخصياته بل نفى اقل شئ من الضلال فقال تعالى مخبرا عنه قال يا قوم مجدوا الاستعطافهم ليس بي ضلالة فنفى وحدة غير معينة ولا يصدق ذلك الا بنفي كل فرد فهو انص من نفي المصدر ولم يصف الملا من قومه هنا بالذين كفروا ووصفهم بذلك في سورة هود اما لانها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يختل المعنى باثباتها ولا نفيها او لانهم اجابوه بذلك مرتين احدهما قبل ان يسلم احد من اشرافهم والثانية بعد ان اسلم بعضهم ولما نفى ما رموه به على هذا الوجه البليغ اثبت له ضده باشرف ما تكرر من صفات الخلق فقال مستدركا بعد نفي الضلال اثبات ملزوم ضده ولكني رسول اي اليكم بما امرتكم به فانا على اقوم طريق من رب العالمين اي المحسن اليهم بارسال الرسل لهدايتهم بانقاذهم من الضلال فرد الامر عليهم بالطف اشارة ثم استانف الاخبار عن وظيفته ببيانا لرسالته فقال ابلغكم وكان ابواب كثيرة جمع باعتبارها او باعتبار تعدد معجزاته او تعدد نوبات الوحي من الازمان المتطاولة والمعاني المختلفة او انه جمع لما ارسل به من قبله كما دل عليه وجوده وهو ثلثون صحيفة وشيث وهو خمسون صحيفة عليهما السلام فقال رسالات ربي اي المحسن الي من الاوامر والنواهي وجميع انواع التكاليف من احوال الاخرة وغيرها الا زيد فيها ولا انتقص منها كما هو شان كل رسول مطيع ولما كان الضلال من الجهل قال واعلم من الله اي من صفات الذي له صفات الكمال وما هو شؤونه ما لا تعلمون اي من عظيم اخذه لمن يعصيه وغيره لكم مما ليس لكم قابلية لعلمه بغير سفارتي فخذوه عني تصيروا علماء ولا تتركوه بنسبتي الى الضلال تزدادوا ضلالا ولما كان الحامل لهم على هذا مجرد استبعاد ان يختص عنهم بفضيلة وهو منهم كما سياتي في غير هذه السورة انكر ذلك عليهم بقوله أو عجبتم اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ومن معنى جاء معنى انزل فلذلك جعلت صلته على فقال ذكر اي رسالة من ربكم اي المحسن اليكم بالايجاد والتربية منزلا على رجل اي كامل من الرجولية وهو مع ذلك بحيث لا تتهمونه فانه منكم لقولهم ما سمعنا بهذا اي ارسال البشر في اباينا الاولين لينذركم ليحذروا ما ينذركموه ولتتقوا اي تجعلوا بينكم وبين ما تحذرونه وقاية لعلكم ترحمون اي ولتكون حالكم اذا اتقيتم الله حال من ترجى رحمته بان يرفعه الله في الدارين ولما نسبوه اولا الى الضلال وهو قد يكون خطأ عن ذهول ونحوه فاقام لهم الدليل على انه على الصواب اخبر انه لم يتسبب عن ذلك الا تصرتهم بما توجوا اليه اولا بالضلال من التكذيب فقال فكذبوه اي الملا وتبعهم مزدونهم ولما تسبب عن تكذيبهم له تصديق الله له باهلاكهم وانجائه ومن امن به قال معدما لانجائه اهتماما به فانجيناه بما لنا من العظمة من اهل الارض كلهم ولمن عذابنا الذي اخذنا بهم والذين معه اي بصحبة الاعمال الدينية في الفلك وهو السفينة التي من الله على الناس بتعليمه عملها لنقيه من الطوفان فكانت اية ومنفعة عظيمة لمن اتى بعدهم واغرقنا اي بالطوفان وهو الماء الذي طبق ظهر الارض فلم يبق منها موضعا حتى احاط به واظهر موضع الاضمار تعليقا للفعل بالوصف اشارة الى ان من فعل مع الرسول شيئا فانما فعله مع مرسله فهو مجازيه بما يستحقه فقال الذين كذبوا بايانا اي وهي من الظهور في حد لا خفاء به لما لها من العظمة بالنسبة الينا وعدي هنا فعل النجاه بالهمزة وهي الاصل في التعدية وقوبت بالدرن لانه اخلص الموصولات واصرحها ولما اعيدت القصة في سورة يونس عليه السلام كان الا ليق بكلام البلغاء والا شبه بطرايق الفصحا التفنن في العبارة فعدي بالتضعيف مع ما فيه من الابلغية بافهام مزيد الاعتناء مناسبة لما قدم من مزيد التفويض في قوله فاجمعوا امركم وشركاءكم الاية وتلي ممن ضما للفرع الى الفرع فان من مشترك بين الوصل والشرط وهي ايضا قد تطلق على ما لا يعقل فناسب ذلك الحال وزيد هناك في وصف الناجين وجعلناهم خلائف نظرا الى قوله تعالى اول السورة ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا الاية ثم قال وجعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون فلوح لهم بالاهلاك ان ظلموا ثم اشار لهم في قصة نوح عليه السلام بكونه اعلمهم ان الخلائف هم الناجون لما في ذكرهم وذريتهم الى انه تفضل عليهم بالتوفيق الى الاجابة ورحمهم لهذا النبي الكريم عليه افضل الصلوة والتسليم فقضى انهم غير مهلكين ولما افتتحت القصة بنسبتهم له الى الضلال باطلا وهو نائي عن عمى البصيرة او البصر ناسب ان يقلبا الامر عليهم على وجه الحق فقال موكدا لانكارهم ذلك انهم كانوا اي لما في جبلتهم من الموج قوما عمين اي مطبوعين في عمى القلب مع قوتهم فيما يحاولونه ثابت لهم ذلك بما اشار اليه فعل دون ان يقال فاعل وختمت القصة في يونس بقوله فانظر كيف كان عاقبة المنذرين لقوله اولما ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري اي انذاري اي انه اعلم انه كبر عليهم ولو كان تبشيرا لما عز عليهم ولما كان عاد بعدهم ولم يكن هنا ما يقتضي تشويش الترتيب اتبعهم نفسه مقدما المرسل اليهم ليفيد تخصيص رسالته بهم وهم بعض اهل الارض فقال والى عاد اي خاصة اخاهم اي في النسب لانهم عنه انهم وعالمون بانه في النقة والامانة اعرف ولما عطفه على نوح عليهما السلام بعد تقديم المرسل اليهم بينه بقوله هودا بخلاف قوم نوح فانهم كانوا جميع اهل الارض لان القبايل لم تكن فرقت الناس ولا الالسنة اذ كان لسان الكل واحدا ولم تفترق الالسنة الا بعد الصرح ولهذا عم الغرق جميع اهل الارض فكان المعنى حينئذ لا يختلف في قصته بتقديم ولا تاخير فناسب تقديم الرسالة والمرسل لانه اهم ولما كانت قصة نوح عليه السلام اول قصص الانبيا مع قومهم ولم يكن للعرب عهد بمحاورات الانبيا ومن يرسلون اليه فاتى فيها بالاصل ارسلناه فقال مسافا واحدا اخبارا الى من هو فارغ الذهن من كل جزء من اجزائها انت قصة هود عليه السلام بعد علم السامعين بقصة نوح عليه السلام

على ما نقل عن الشيخ في قوله وانصح لكم فقال ان النصح والنصيحة الارادة الخير لمن ينصح له والمصلحة مع خلوص النية من شوايب الكدر ولما كان

بما وقع من تبليغه لهم وردهم عليه فلما ذكر ارساله تشوف السامع الى انه هل قال لهم كما قال نوح وهل ردوا عليه كرد قومه او كان
الامر بخلاف ذلك فاجيب سوآل المتشوف بقوله ﴿قال﴾ كقول نوح عليه السلام سوآء ﴿يا قوم﴾ مذكرا لهم بانه احدهم يعمهم ما يعمهم ﴿اعبدوا
الله﴾ اي لاستحقاقه ذلك لذاته ثم علل او استانف بقوله ﴿ما لكم﴾ واغرق في النفي فقال ﴿من اله غيره﴾ ولما كانوا عارفين بما اصاب قوم
نوح قال ﴿افلا تتقون﴾ اي فلا تجعلوا بينكم وبين عذاب هذا الواحد الجبار وقاية ولما تشوف السامع الى جوابهم بعد هذا الترغيب
الممزوج بالترهيب اجيب بقوله ﴿قال الملا﴾ اي الاشراف الذين يملأون العيون لهجة والصدور رهبة ولما كانت عادة قليلا
بالنسبة الى قوم نوح عليه السلام وكان قد اسلم من اشرافهم من له غنآء في الجملة قيد بقوله ﴿الذين كفروا﴾ اي ستروا ما من حقه الظهور
من ادلة التوحيد ووصفوا تسلية لهذا النبي الكريم فيما يرى من جفا قومه بان مثل ذلك كان لاخوانه من الانبيآء بقوله ﴿
من قومه﴾ واكدوا ما واجهوه به من الجفآء لانهم عالمون بان حاله في علمه وحكمه بكذبهم بقولهم ﴿انا لنراك﴾ اي نعلمك علما متيقنا حتى كانه
محسوس ﴿في سفاهة﴾ اي طيش وقالحفة العقل نهي محيطة بك من جميع الجوانب لاخلاص لك منها فلذا ادتك الى قول لا حقيقة له فالتنوين
للتعظيم فان قيل بل للتحقير كانهم توقفوا في وصفه بذلك كما توقفوا في الجزم بالكذب فقالوا ﴿وانا لنظنك من الكاذبين﴾ اي المتعمدين
للكذب وذلك لانه كان عندهم علم من الرسل وما ياتي مخالفهم من العذاب من قصة نوح عليه السلام ولم يكن العهد بعيدا واما قوم نوح
فجوزوا بالضلال واكدوه بكونه مبينا لانه لم يكن عندهم شعور باحوال الرسل وعذاب الامم قبل ذلك ولهذا قالوا اما سمعنا بهذا
في آبائنا الاولين قيل ليس كذلك فقد ورد في جواب قوم نوح في سورة هود مثل هذا وهو قوله ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ فان قيل انما
كان هذا في ثاني الحال بعد ان نصب لهم الادلة واقام البراهين على صحة مدعاه وثارت حظوظ الانفس بالجدال يبعد ان يكون قومه ممن
اجابوه بذلك اول ما دعاهم قيل والامر كذلك في قصة هود عليه السلام سوآء انه لم يقل له ذلك الا الكفار من قومه فتقييدهم بالقول
يدل على انه كان فيهم من اتبعه بل وان متبعه كان من اشرافهم وتعبيرهم بالظن في الكذب ارادتهم انه يكفي في وصفه بالسفاهة
التي زعموها اقدامه على ما يحتمل معه ظنهم الكذب او يكون قوله ﴿غير الحق في زعمهم مردادا بين ان يكون قالوه عن تعمد او حمله عليه
ما رموه به من السفه من غير تامل ولما قابلوا لينه لهم وشفقته عليهم لهذا الغلظة اعرض عن ذلك وعاملهم من الحلم بضد ما يحمون
به بان ﴿قال﴾ معلما الادب في مخاطبة السفهآء ﴿يا قوم﴾ مذكرا بما بينهم من النسب الداعي الى الود والمناصحة والعطف والملاطفة ﴿ليس
بي سفاهة﴾ فنفى ان يكون به شيء من خفه حلم فانتفى ان يكون ادبا لان الداعي الى الكذب الخفة والطيش فلم يحتج الى تخصيصه بنفي
ولما نفى السفاهة اثبت ما يلزم منه ضدها بقوله ﴿ولكني رسول﴾ وبين المرسل تعظيما للامر بقوله ﴿من رب العالمين﴾ اي الذي
احسن اليهم بعد نعمة الايجاد والارزاق بارسال الرسل اليهم ليكسبهم معالي الاخلاق التي بها انتظام نعمة الابقآء ﴿ابلغكم﴾ وجمع
الرسالة لما تقدم في قصة نوح عليه السلام فقال ﴿رسالات ربي﴾ اي المحسن الي بتعليمي عالم اكن اعلم وتاهيلي لما لم يكن في حسابي ولما
كانوا قد رموه بالسفه الذي هو من غرائز النفس انه ضد الحلم والرزانة عبر عن مضمون الجملة النافية له بما يقتضي الثبات فقال
﴿وانا لكم ناصح﴾ اي لم يزل النصح من صفتي وليس هو مما اكتسبته بل غريزة في قد بلوتموني فيه قبل الرسالة واظهار هذه المقالة
دهرا دهيرا وزمانا طويلا ولما قالوا انهم يظنون كذبه زادهم صفة الامانة فقال ﴿امين﴾ ولما كان يعرف ما يعتقدون من امانته
وعقله وظن انه ما حملهم على هذا الا العجب من ان يطلع على ما لم يطلعوا عليه انكر عليهم ذلك ذاكرا لما ظنه حاملا لهم ملوحا بالعطف
الى التكذيب فقال ﴿او عجبتم﴾ اي اكذبتم وعجبتم ﴿ان جاءكم ذكر﴾ اي شرف وتذكير ﴿من ربكم﴾ اي الذي لم يقطع احسانه عنكم قط منزلا ﴿على رجل
منكم﴾ اي عزه عزكم وشرفه شرفكم فما فاتكم شيء ﴿لينذركم﴾ اي يحذركم ما لمن كان على ما انتم عليه من وخامة العاقبة ولما كان التقدير
فاحذروا عطف عليه تذكيرهم بالنعمة مشيرا به الى التحذير من عظيم النقمة في قوله ﴿واذكروا اذ﴾ اي حين ﴿جعلكم خلفاء﴾ اي فيما
انتم فيه من الارض ولما كان زمنهم متراخيا بعدهم اتى بالجار فقال ﴿من بعد قوم نوح﴾ او يكون المحذوف ما اقتضاه الاستفهام
في قوله ﴿او عجبتم﴾ من طلب الجواب اي اجيبوا واذكروا اي ولا تبادروا بالجواب حتى تذكروا ما انتم به عليكم وفيه الاشارة الى
التحذير مما وقع لقوم نوح او يكون العطف على معنى الاستفهام الانكاري في افلا تتقون او عجبتم اي اتقوا ولا تعجبوا واذكروا
اويكون العطف ومدخوله من عطف الجمل على اعبدوا الله وقوله ﴿خلفاء﴾ قيل انه يقتضي ان يكونوا قاموا مقامهم ومن المعلوم ان قوم نوح كانوا
ملء الارض وان عادا انما كانوا في قطعة منها يسيرة وهي الشحر من ناحية اليمن فقيل ان ذلك لكون شداد بن عاد ملك جميع الارض فكانه
قيل جعلكم خليفة في جميع الارض فلو حصل الشكر لتمت النعمة فاطيعوا يزدكم من فضله فقيل ان في قصة ثمود مثل ذلك ولم يكن
قيل جعلكم خليفة في جميع الارض وان عادا انما كانوا في قطعة منها يسيرة ﴿فاجيب﴾ بما يطرد ويطرد ان عادا لما كانوا اقوى اهل الارض بدانا واعظمهم اجسادا واشدهم
فيهم من ملك الارض ولا ارض عاد فاجيب بما يطرد ويطرد ان عادا لما كانوا اقوى اهل الارض بدانا واعظمهم اجسادا واشدهم
خلقا واشهرهم قبيلة وذكرا كان سائر الناس لهم تبعا وكذا ثمود فيما اعطوه من القدرة على نحت الجبال ونحوها بيوتا وعندي ان
السؤال من اصله لا يرد فان بين قولنا فلان خليفة فلان وفلان خليفة من بعد فلان من الفرق ما لا يخفى فالمخلوف في الثاني لم يذكر
فكانه قيل جعلكم خلفاء لمن كان قبلكم في هذه الارض التي انتم بها وخص قوم نوح وعاد بالذكر تذكيرا بما حل بهم من العذاب ولهذا
بعينه خص الله هذه الامم التي وردت في القران بالذكر والا فقد كانت الامم كثيرة العدد زائدة على الحد عظيمة الانتشار في جميع
الاقطار ومعلوم ان الله تعالى لم يترك واحدة منها بغير رسول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفي قصة هود في سورة الاحقاف
وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ولها سر آخر وهو ان هذه الامم كان عند العرب كثير من اخبارهم ففصلت لهم احوالهم
وطوي عنهم من لم يكن عندهم شعور بهم فلم يذكروا الا اجمالا ليلا يسارعوا الى التكذيب بما ينزل فيهم من غير دليل شهودي يقام
عليهم ولما ذكرهم بمطلق النعم بعد ذلك الاغراق العام اتبعه التذكير بالزيادة فقال ﴿وزادكم﴾ اي علي من قبلكم او علي من هو موجود

في الارض في زمانكم في الخلق اي الخاص كم بسطة اي في الجسم بطول الابدان والمعنى بقوة لما كان قيل كان طول كل واحد منهم ثمانين عشر ذراعا وقيل اكثر ولما عظمت النعمة كرر عليهم التذكير فقال مسببا عن ذلك فاذكروا آلاء الله اي نعم الذي استجمع صفات العظمة التي انعم عليكم بها من الاستخلاف والقوة وغيرهما واذكروا انه لا نعمة عندكم لغيره اصلا فصار مستحقا لان تخصوه بالعبادة لعلكم تفلحون اي لتكون حالكم حال من يرجى فلاحه وهو ظفره بجميع مراده لان الذكر موجب للشكر الموجب للزيادة ولما كان هذا منه موجبا ولا بد لكل سامع منصف المبادرة الى الاذعان لهذه الحجة القطعية وهي استحقاقه الافراد بالعبادة للتفرد بالانعام اراد تشوف المخاطب الى جوابهم فاجيب بقوله قالوا منكرين عليه معتمدين على محض التقليد اجئتنا اي من عندمن ادعيت انك رسوله لنعبد الله اي الملك الاعظم وحده ولما كان هذا منهم في غاية العجب المستحق للانكار اتبعوه ما هو كالعلة لانكارهم عليه فادعاهم اليه فقالوا ونذر اي نترك على غير صفة حسنة ما كان يعبد اباؤنا اي مواظبين على عبادته بما دلوا عليه بكان وصيغة المضارع مع الاشارة لها الى تصوير اباتهم في حالهم ذلك ليحسن في زعمهم انكار مخالفتهم لهم ولما كان معنى هذا الانكار انا لا نطيعك وكان قد لوح لهم بالتذكير بقوم نوح وقوله افلا تتقون الى آخر ان اصروا سببوا عن ذلك قولهم فاتنا اي عاجلا بما تعدنا اي من العذاب بما لوح اليه ايماؤهم الى التكذيب يقولهم ان كنت من الصادقين وتسميتهم للانذار بالعذاب وعدا من باب الاستهزاء ولما كانوا قد بالغوا في السفه في هذا القول وكان قد علم من مجاورته صلى الله عليه وسلم لهم الحلم عنهم اشتد التطلع الى ما يكون من جوابه لهذا والتوقع له فتشوف غليل هذا التشوف بقوله قال قد وقع اي حق ووجب وقرب ان يقع عليكم من ربكم اي الذي عرفكم به تواترا احسانه اليكم وطول املائه لكم رجس اي عذاب شديد الاضطراب في تتبع اقصاكم واد ناكم موجب لشدة اضطرابكم وغضب اي شدة في ذلك العذاب لا تقلعون منها ولما اخبرهم بذلك بين لهم ان سببه كلامهم هذا في سياق الانكار فقال اتجادلونني ولما كانت العتهم تلك التي يجادلون فيها لا تزيد على الاسماء لكونها خالية من كل معنى قال في اسماء ثم بين انه لم يستمها الا من يعتد به فقال سميتموها انتم وآباؤكم ولما كان لله تعالى ان يفعل ما يشاء وان يامر بالخضوع لمن يشاء قال نافيا التنزيل فانه يلزم منه نفي الانزال ما نزل الله اي الذي ليس الامر الا له بها اي بتعبدكم لها او بتسميتكم اياها واغرق في النفي فقال من سلطان ولعله اتى بصيغة التنزيل لان التفعيل ياتي بمعنى الفعل المجرد وبمعنى الفعل بالتدريج فقصد انه في سياق المجادلة وفي سورة مقصودها انذار من اعرض عما دعا اليه هذا الكتاب النازل بالتدريج النفي بكل اعتبار سواء كان تجريدا او تدريجا واشارة الى انه لو نزل عليهم في الامر بعبادتها شيء واحد لتوقفوا فيه لعدم فهمهم لمعناه حتى يكرر عليهم الامر فيه مرة بعد اخرى فيعلموا ان ذلك امر حتم لا بد منه كما فعل بنو اسرائيل في الامر بذبح البقرة لاجل القتيل لاجل انهم لم يعقلوا معناه فدل ذلك قطعا على ان الامر لهم بعبادتها انما هو ظلم الهوى لانه عمى محض من شان الانسان ركوبه بلا دليل اصلا ولما اخبرهم بوقوع العذاب وسببه بين لهم ان الوقوع ليس على ظاهره في الانجاز وانما معناه الوجوب الذي لا بد منه فقال فانتظروا ثم استانف الاخبار عن حاله بقوله اني واشار بقوله معكم الى انه لا يفارقهم لخشية منهم ولا غيرها من المنتظرين ولما كان هذا ينبغي ان يكون سببا للتصديق الذي هو سبب الرحمة بين انه انما سبب لهم العذاب وله ولمن تبعه النجاة فبدا بالمومنين لان اهتمامه باشانهم بقوله فانجيناه اي عما لنا من العظمة انجاء وحيا سريعا سللنا هو به من ذلك العذاب كسل الشعرة من العجين والذين معه اي في الطاعة واشار الى انه لا يجب على الله شيء بقوله برحمة اي باكرام وحياطة منا اي لا بعمل ولا غيره ولما قدم الانجاء اهتماما باتباعه حالهم فقال معللا بان اخذه على غير اخذ الملوك الذين يعجزون عن الاستقصاء في الطلب فتفوتهم اوائل العساكر وشذان الجنود والاتباع وقطعنا دابر اي اخرهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر تصريحا بالمقصود وبيانا لعلة اخذهم فقال دابر اي اخر اي استاصلنا وجعلنا ذلك الاستيصال معجزة لهود عليه السلام الذين كذبوا بآياتنا اي ولم يراقبوا عظمتها بالنسبة الينا وقوله وما كانوا اي خلقا وجبلة مومنين عطف على صلة الذين وهي كذبوا بآياتنا وهي جارية مجرى التعليل لاخذهم موذنة بانه لا يحصل منهم صلاح كما ختم قصة نوح بقوله انهم كانوا قوما عمين تعليلا لاغراقهم اي انا قطعنا دابرهم وهم مستحقون لذلك لانهم غير قابلين للايمان لما فيهم من شدة العناد ولزوم الالحاد فالمعنى وما كان الايمان من صفتهم اي ما امنوا في الماضي ولا يومنون في الاتي فيخرج منه لكن امن وكان قد كذب قبل ايمانه ومن لم يولد في حاله عابه لهم وفي علم الله انه سيومن ويزيده حسنا انهم لما افتتحوا الكلام بان نسبوه الى السفاهة كان بين ناسب ختم القصة بان يقلب الامر عليهم فيوصفوا بمثل ذلك صدقا بكلام يبين ان تصالحهم به هو الموجب لما فعل بهم لان الايمان لا يصدر الا عن كمال النباتة والرزانة وترك الهوى ورفع رعونات النفس والانقياد لواضح الادلة وظاهر البراهين فمن تركه مع ذلك فهو في غاية الطيش والخفة وعدم العقل وايضا فوصفهم بالتكذيب بالنسل الماضي لا يفهم دوامهم على تكذيبهم فقال سبحانه ذلك لنفي احتمال انهم امنوا بعد التكذيب وان اخذهم انما كان لطائل صدور التكذيب منهم وانهم لم يبادروا الى الايمان قبل التكذيب ويحتمل ان تكون الجملة حالا والمعنى على كل تقدير قطعنا دابرهم في حال تكذيبهم وعدم ايمانهم ولما تمم سبحانه ما اراد من قصة عاد اتبعهم ثمود افقال والى ثمود اخاهم صالحا استانف الاخبار عن قوله كما مضى في هود عليه السلام فقال قال يا قوم مستعطفا لهم بالتذكير

بالقرابة وعاطف النسابة اعبدوا الله اي الذي لا كمال الا له ما لكم واكد النفي بقوله من اله غيره ولما دل على صدقه في
ذلك انهم دعوا اوثانهم فلم تجبهم ودعا هو صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه فاخرج لهم الناقة علل صحة ما دعا اليه بقوله
قد جاءتكم بينة اي آية ظاهرة جدا على صدقي في ادعاء رسالتي وصحة ما امرتكم به وزادهم رغبة بقوله من ربكم اي الذي
لم يزل محسنا اليكم ثم استانف بيانها بقوله هذه مشيرا اليها بعد تكوينها تحقيقا لها وتعظيما لشانها وشانه في عظيم خلقها
وسرعة تكوينها لاجله ولما اشار اليها سماها فقال ناقة الله شرفها بالاضافة الى الاسم الاعظم ودل على تخصيصها بهم
بقوله لكم حال كونها آية اي لمن شاهدها ولمن سمع بها وصح عنده امرها ثم سبب عن ذلك قوله فذروها اي اتركوها
ولو على ادنى احوال الترك تاكل في ارض الله اي مما انبت الله الذي له كل شيء وهي ناقته كما ان الارض كلها مطلقا ارضه
والنبات رزقه ولذلك اظهر لئلا يخص اكلها بارض دون اخرى ولما امرهم بتركها لذلك اكد الامر بنهيهم عن اذاها فقال
ولا تمسوها بسوء فضلا عما بعد المس فياخذكم اي اخذ قهر بسبب ذلك المس وعقبه عذاب اليم اي مولم ولما امرهم ونهاهم
ذكر لهم ترغيبا مشيرا الى ترهيب فقال واذكروا اي نعمة الله عليكم اذ جعلكم خلفاء اي فيما انتم فيه من بعد عاد اي اهلاكهم
وبوأكم في الارض اي جعل لكم في جنسها مساكن تبوؤن اي ترجعون اليها وقت راحتكم سهل عليكم من عملها في اي ارض اردتم ما لم
يسهله على غيركم ولهذا فسر المراد بقوله تتخذون اي بما لكم من الصنائع من سهولها قصورا اي ابنية باللبن والطين والآجر
واسعة عالية حسنة تقصر امل الامل ونظر الناظر عليها مما فيها من المرافق والمحاسن وتنحتون الجبال اي اي جبل اردتم
تقدرونها بيوتا ولما ذكرهم بهذه النعم مرغبا مرهبا كرر ذلك اشارة وعبارة فقال مسببا عما ذكرهم به فاذكروا اي
ذكر اذعان ورغبة ورهبة آلاء اي نعم الله اي الذي له صفات الكمال فلا حاجة به الى احد فاحسانه هو الاحسان في الحقيقة
ولا تعثوا في الارض من العثي وهو الفساد وهو مقلوب عن العيث قاله ابن القطاع وحينئذ يكون قوله مفسدين بمعنى
متعمدين للفساد ولما حصل الالتفات الى جوابهم قيل قال الملأ اي الاشراف وبين بقوله الذين استكبروا اي اوقعوا
الكبر واتصفوا به فصار لهم خلقا فلم يؤمنوا ونبه على الناشئة بقوله من قومه ولما قال للذين استضعفوا كان ربما
فهم انهم امنوا كلهم فنفى ذلك بقوله مبدلا منه لمن امن منهم اي المستضعفين فهو اوقع في النفس واورع للجنان من البيان في
اول وهلة مع الاشارة الا ان اتباع الحق هم الضعفاء وانه لم يؤمن الا بعضهم ففيه ايماء الى ان الضعف اجل النعم لملازمته لطرح
النفس المؤدي الى الاذعان للحق وبناؤه للمفعول دليل على انهم في غاية الضعف بحيث يستضعفهم كل احد اتعلمون بداوهم بالانكار
صدا لهم عن الايمان ان صالحا سموه باسمه جفاء وغلظة وارهابا للمسؤولين ليجيبوهم بما يرضيهم مرسل من ربه وكانهم قالوه
ليعلموا حالهم فيبنوا عليه ما يفعلونه لان المستكبرين لا يتم لهم كبرهم الا بطاعة المستضعفين ولما علموا ذلك منهم اعلموهم
بالمنابذة اعتمادا على الكبير المتعال الذي يضمحل كل كبر عند كبره ولا يعد لاحد امر مع امره بان قالوا منبهين لهم على غلظتهم
وغلظهم في توسمهم في حالهم معبرين بما يدل على العلم بذلك والاذعان له انا بما ارسل به وبني للمفعول اشارة الى تعميم التصديق
والى ان كونه من عند الله امر مقطوع به لانه لا يحتاج الى تعيين مؤمنون اي غريقون في الايمان به ولذلك قال الذين
استكبروا اي في جوابهم معبرين بما يدل على المخالفة لهم والمعاندة انا بالذي ووضعوا موضع ارسل به ردا لما جعلوه
معلوما واخذوه مسلما امنتم به اي كائنا ما كان كافرون ثم سبب عن قولهم قوله فعقروا الناقة اي التي جعلها الله
لهم آية وعبر بالعقر دون النحر لشموله كل سبب لقتلها لان ابن اسحق ذكر انه اجتمع لها ناس منهم فرماها احدهم بسهم وضرب
اخر قوائمها بالسيف ونحرها آخر فاطلق اسم السبب على المسبب لكن قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وقوله
اذ انبعث اشقاها وقوله صلى الله عليه وسلم انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في قومه قالوا وهو قدار بن سالف جعلت
له امراة من قومه ابنتها ان عقرها ففعل فكان اشقى الاولين واشقى الاخرين عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي بن ابي طالب
رضي الله جعلت له قطام امراة من بني عجل جميلة نفسها ان قتله فالمناسبة بينهما ان كلا منهما القى نفسه في المعصية العظمى لاجل
شهوة فرجه في زواج امراة وقوله صلى الله عليه وسلم اشقى الاولين عاقر الناقة يدل على ان عاقرها رجل واحد وحينئذ
يكون المراد به قطع القوائم فحيث جمع اراد الحقيقة والمجاز معا وحيث افرد اراد الحقيقة فقط فالتعبير به لانه الاصل والسبب
الاعظم في ذبح الابل قال البغوي قال الازهري العقر هو قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم
ينحره انتهى وكان هذا اشارة الى ان المراد بالعقر في كلامه النحر ولا ريب في ان اصل العقر في اللغة القطع ومادته تدور
على ذلك عقر النخلة اذا قطع راسها فيبست والفرس ضرب قوائمها بالسيف واكثر ما يستعمل العقر في الفساد واما النحر
فيستعمل غالبا في الانتفاع بالمنحور لحما وجلدا وغيرهما فلعل التعبير به دون النحر اشارة الى انهم لم يقصدوا بنحرها الا
اهلاكها عتوا على الله وعنادا وفعلا للسوء مخالفة لنهي صالح عليه السلام ولا يشكل ذلك بما ورد من انهم اقتسموا لحمها
لانه لم يدع ان العقر يلزمه عدم الانتفاع بالمنحور وعلى التنزل فهم لم يريدوا بذلك الانتفاع باللحم وانما قصدوا حيث
لم تمكنهم المشاركة جميعا في العقر ان يشتركوا فيما نشا عنه تعريفا برضاهم به ومشاركتهم فيه بما يمكنهم وعتوا اي تجاوزوا
الحد في الغلظة والتكبر عن امر اي امتثال امر ربهم اي المحسن اليهم الذي اتاهم على لسان رسوله من تركها وقالوا زيادة
في العتو يا صالح ائتنا ولما تركوا وعيده لهم حيث لم يؤمنوا به منزلة الوعد والبشارة قالوا بما تعدنا استخفافا منهم
ومبالغة في التكذيب كانهم يقولون نحن على القطع بانك لا تقدر على ان تاتينا بشيء من ذلك وان كنت صادقا فافعل ولا تؤخره

دفعانا

رفقا بنا وشفقة علينا فانا لا نتاذى بذلك بل نتلذذ به تلذذ من يلقى الوعد الحسن وحاصله التهكم منهم به والاشارة
الى عدم قدرته واكدوا ذلك بقولهم باداة الشك ان كنت من المرسلين اي الذي سمعنا اخبارهم فيما مضى ثم سبب عن عتوهم
قوله فاخذتهم الرجفة اي التي كانت عنها او منها الصيحة اخذ من هو في القبضة على غاية من الصغار والحقارة ولعل
توحيد الدار هنا مع الرجفة في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام في قوله تعالى فاصبحوا في دارهم اي مساكنهم وجمعها في
القصتين مع الصيحة في سورة هود عليه السلام للاشارة الى عظم الزلزلة والصيحة في الموضعين وذلك ان الزلزلة اذا كانت
في شي واحد كانت امكن فتكون في المقصود من النكال اعظم والصيحة من شانها الانتشار فاذا عمت الاماكن المتنائية والديار
المتباعدة فاهلكت اهلها ومزقت جماعتها وفرقت شملها كانت من القوة المفرطة والشدة البالغة بحيث تنزعج من تامل وصفها
النفوس وتجب له القلوب وحاصله انه حيث عبر بالرجفة وحد الدار اشارة الى شدة العذاب بعظم الاضطراب وحيث عبر
بالصيحة جمع ايماء الى عموم الموت بشدة الصوت ولا مخالفة لان عذابهم كان بكل منهما ولعل احدهما كانت سببا للاخرى ولعل
المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطرابا قطعها او ان الدار رعفت فرجفت القلوب وهو اقرب وخصت الاعراف بما
ذكر فيها لان مقصودها انذار المعرضين والرجفة اعظم قرعا لعدم الالف لها والله اعلم جاثمين اي باركين على ركبهم لازمين اماكنهم
لا حراك باحد منهم ولم يبق منهم في تلك الساعة الا رجل واحد كان في الحرم فلما خرج منه اصابه ما اصاب قومه وهو ابو رغال
ومسافة الحرم عن ارضهم تزيد على مسيرة عشرة ايام ومن الايات العظيمة ان ذلك الذي خلع قلوبهم وازال ارواحهم لم يوثر في
صالح عليه السلام والمستضعفين معه شيا وذلك مثل الريح التي زلزلت الاحزاب وانالتهم اشد العذاب ورمتهم بالحجارة والتراب
حتى هزمتهم وما نال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منها كبير اذى وكفاها الله عن حذيفة وكذا البرد الذي كان ذلك زمانه لما
ارسله النبي صلى الله عليه وسلم ليتعرف له اخبارهم ولما اصابهم ذلك سبب له الهجرة عن ديارهم ديار السوء والغضب
واللعنة فقال تعالى اعلاما لنا بذلك فتولى اي كلف نفسه الاعراض عنهم وقال اي لما ادركه من احوال البشر من الرقة على فوات
ايمانهم وهم اصله وعشيرته يا قوم اي الذين يعز علي ما يؤذيهم لقد ابلغتكم ولعله وحد قوله رسالة ربي لكون آيته واحدة
ونصحت وقصر الفعل وعداه باللام فقال لكم دلالة على انه خاص بهم روي انه خرج عنهم في ماية وعشرة من المسلمين وهو
يبكي وكان قومه الفا وخمسماية دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولما كان التقدير ففعلت معكم ما هو مقتض
لان تحبوني لاجله عطف عليه قوله ولكن لم تحبوني هكذا كان الاصل ولكنه عبر بما يفهم ان هذا كان دابهم وخلقا لهم مع كل
ناصح فقال لا تحبون لحالهم الماضية الناصحين اي كل من فعل فعلي من النصح التام ولما اتم سبحانه ما وفى بمقصد هذه
السورة في هذا السياق من قصتهم اتبعه من بعدهم ممن تعرفه العرب كما فعل فيما قبل فقال ولوطا اذ قال ولما كانت رسالته
الى مدن شتى وكانهم كانوا قبايل شتى قيل كانوا خمسة وهي المؤتفكات وقيل كانوا اربعة الاف من الشام والمدينة الشريفة قال
لقومه وقد جوزوا ان يكون العامل فيه ارسلنا واذكر ولا يلزم من تقدير ارسلنا ان يكون ارساله في وقت تفوهه لهم بهذا
القول غير سابق عليه لانه كما ان ذلك الزمن المنطبق على اول قوله واخره وقت له فكذلك ذلك اليوم الذي وقع فيه هذا القول
وقت له بل وذلك الشهر وتلك السنة وذلك القرن فان من شان العرب تسمية الايام المشتركة في الفعل الواحد يوما قالوا
يوم القادسية وهو اربعة ايام ان اعتبرنا مدة القتال فقط وعدة شهور ان اعتبرنا الاجتماع له وكذا يوم صفين وقال
تعالى في قصة بدر واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم الى ان قال اذ تستغيثون ربكم الى ان قال اذ يغشاكم النعاس امنة
منه اذ يوحي ربك الى الملئكة وكلها ابدال من قوله واذ يعدكم الله احدى الطايفتين ولا ريب في ان زمان الكل لم يكن متحدا
الا بتاويل جميع الايام المتعلقة بالوقعة من سير وقتال وغير ذلك والله اعلم وعبر في قصة نوح عليه السلام بارسلنا نوحا
الى قومه لم نسق من بعده عليه فقيل والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا والى مدين اخاهم شعيبا وعدل عن هذا
الاسلوب في قصة لوط فلم يقل والى اهل اذ وما اخاهم لوطا او والى اهل سدوم لوطا او وارسلنا لوطا الى قومه ونحو
ذلك كما سياتي في قصة موسى عليه السلام لان من اعظم المقاصد بسياق هذه القصص تسلية النبي صلى الله عليه وسلم
في مخالفة قومه له وعدم استجابتهم وشدة اذاهم وانذار قومه ان يحل بهم ما حل بهذه الامم من العذاب وقصص من عدا
قوم لوط مشابهة لقصة قريش في الشرك بالله والاذى لعباده المومنين واما قصة قوم لوط فزايدة عن ذلك بامر
فظيع عظيم الشناعة شديد العار والفحش فعدل عن ذلك النسق تنبيها عليه تهويلا للامر وتبشيعا له ليكون في التسلية
اشد وفي استدعاء الحمد والشكر اتم وحينئذ يترجح ان يكون العامل اذكر لا ارسلنا اي واذكر لوطا وما حصل عليه
من قومه زيادة على شركهم من رؤيته فيهم هذا الامر الذي لم يبق للشناعة موضعا فالقصة في الحقيقة تسلية وتذكير
بنعمة معافاة العرب من مثل هذا الحال وانذار لهم بسوء المآل مع ما شاركت فيه اخواتها من الدلالة على سوء جبلة
هولاء القوم وشرارة جوهرهم المقتضي لتفردهم عن اهل الارض بذلك الامر الفاحش والدليل على انه اشنع الشنع
بعد الشرك مع ما جعل الله تعالى في كل طبع سليم من النفرة عنه اختصاصه بمشاركته للشرك في انه لم يحل في ملة من الملل
في وقت من الاوقات ولا مع وصف من الاوصاف وبقية المحرمات ليست كذلك فاما قتل النفوس فقد حل في الجهاد والقصاص
وغير ذلك والوط في القبل لم يحرم الا بقيد كونه زنا ولولا الوصف لحل واكل المال الاصل فيه الحل وما حرم الا بقيد كونه
بالباطل وكذا غير ذلك قال ابو حيان ولما كان هذا الفعل معهودا قبحه ومركوزا في العقول فحشه اتى معرفا اي في قوله

بعد انكاره عليهم وتقريعه وتوبيخه لهم اتاتون الفاحشة اي تفعلون السيئة المتمادية في القبح وان كان بينكم وبينها
مسافة بعيدة او تكون الي فيه للجنس علي سبيل المبالغة فانه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش ولبعد العرب عن ذلك البعد
التام بخلاف الزنا فانه قال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ولما كان غير مستبعد علي صفاقة وجوههم ووقاحتهم ان
يقولوا لم تكون فعلتنا منكرا موبخا عليها قال ما سبقكم بها واغرق في النفي بقوله من احد وعظم ذلك بتعميمه في قوله
من العالمين فقد اخترعتم شيا لا يكون مثل فحشه لتذكروا به اسوا ذكر كما ان ذوي الهمم العوال والفضل والكمال يستنبطون
من المحاسن والمنافع ما يبقي لهم ذكره وينفعهم اجره وفي ذلك اعظم اشارة الي تقبيح البدع والتشنيع علي فاعليها لان العقول لا
تستقل بمعرفة المحاسن ولما ابهم الفاحشة ليحصل التشوف الي معرفتها عينها في استفهام اخر كالاول في انكاره وتوبيخه
ليكون ادل علي تناهي الزجر عنها فقال اينكم لتاتون الرجال اي تغشونهم غشيان النسا ولما ابقي للتشوف مجالا عين بقوله
شهوة اي مشتهين او لاجل الشهوة لا حامل لكم علي ذلك الا الشهوة كالبهايم التي لا داعي لها من جهة العقل وصرح بقوله
من دون النسا فلما لم يدع لبسا وكان هذا ربما اوهم اقامة عذر لهم في عدم وجدان النسا او عدم كفايتهن لهم اضرب عنه بقوله
بل انتم قوم ولما كان مقصود هذه السورة الانذار كان الاليق به الاسراف الذي هو غاية الجهل المذكور في سورة النمل مسرفون
اي لم يحملكم علي ذلك ضرورة لشهوة تدعونها بل اعتياد المجاوزة للحدود ولم يسم قوم لوط في سورة من السور كما سميت عاد وثمود
وغيرهم صونا للكلام عن تسميتهم واما قوم نوح فانما لم يسموا لعدم تفرق القبايل اذ ذاك فكانوا لذلك جميع اهل الارض ولذا
عمهم الغرق والله اعلم ولما كان كانه قيل هذا التقريع يوجب غاية الاستحيا بل ان يذهب كل من سمعه منهم الي مكان لا يعرف فيه
ستر الحاله فيا ليت شعري ما كان حالهم عنده فقيل كان انهم اجابوه بوقاحة عظيمة وفجور زايد علي الحد فما كان جوابهم الا اذي
لوط عليه السلام واله مما استحقوا منهم به شديد الانذار الذي هو مقصود السورة عطف عليه قوله وما كان جواب
قومه اي الذين كانوا اهل قوة شديدة وعزم عظيم وقدرة علي القيام بما يحاولونه الا ان قالوا ولما كان المقصود بيان انهم
اسرعوا اجابته بما ينكيه اضمر ما لا يشكل بالاضمار وانه لما كان السياق لبيان الخبيث بين انه لا اخبث من هولا الذين بلغ
من رذاتهم انهم عدوا الطاهرين المتطهرين مما يصان اللسان عن ذكره فقال تعالي مشيرا الي ذلك في حكاية قولهم اخرجوهم اي
المحدث عنهم وهم لوط ومن انضم اليه من قريتكم والمراد ببيان الاسراع في هذا تسلية النبي صلي الله عليه وسلم في رد قومه لكلامه
ليلا يكون في صدره حرج من انذارهم ثم عللوا اخراجهم بقولهم انهم اناس اي ضعفا يتطهرون وكانهم قصدوا بالتفعل نسبتهم
الي محبة هذا الفعل القبيح وان تركهم له انما هو تصنع وتكليف لنفوسهم يردها عما هي مايلة اليه واقبال علي الطهر من غير وجهه
واظهار له ريا بما اشار اليه اظهار تاء التفعل وفيه مع ذلك ضرب من السخرية وحصر جوابهم في هذا المعني المؤدي بهذا
اللفظ لا ينافي اية العنكبوت القايلة فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله الاية لان اطلاق الجواب علي هذا يجوز
والمعني فما كان قولهم في جوابه الا اتيانهم بما لا يصلح جوابا وذلك مضمون هذا القول وغيره مما لا يتعلق بالجواب او ان هذا الجواب
لما كان لما فيه من التكذيب والايذان بالاصرار والاغلاظ لرسول الله صلي الله عليه وسلم مستلزما للعذاب كانوا كانهم نطقوا به
فقالوا ايتنا بعذاب الله جعل نطقهم بالسبب نطقا بالمسبب او انهم استعملوا لكل مقام مقالا ويؤيده ان المعني لما اتحد هنا وفي
النمل حصر الجواب في هذا اي فما كان جوابهم لهذا القول الا هذا ولما زادهم في العنكبوت في التقريع فقال اينكم لتاتون الرجال
وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر اتوه بابلغ من هذا تكذيبا واستهزاء فقالوا ايتنا بعذاب الله الاية ولما تسبب
عن عنادهم اهلاكهم وانجاؤه وكان الاعلام بانجائه مع كونه يفهم اهلاكهم اهم قال فانجيناه واهله اي من اطاعه الا امراته
ولما كان كانه قيل ما لها قال كانت من الغابرين اي الباقين الذين لحقتهم بالعذاب الغبرة والتذكير اشارة الي انها اصابها
مثل عذاب الرجال سوا لم تنقص عنهم لانها كانت كافرة مثلهم ولما افهم هذا اهلاكهم بينه دالا علي نوعه بقوله وامطرنا
اي حجارة الكبريت بعد ان قلعت مدايتهم ورفعت وقلبت حتي رجم بها مسافروهم وشذانهم لانه عذاب الاستيصال ممن لا يعجزه
شي واوضحه بقصر الفعل وتعديته بحرف الاستعلا فقال عليهم واكد كونه من السما لا من سطح او جبل ونحوه بقوله مطرا
واشار الي عظمه مزيلا للبس اصلا بما سبب عنه من قوله فانظر كيف كان عاقبة اي اخر امر المجرمين واظهر موضع الاضمار
تعليقا للحكم بوصف القطع لما حقه الوصل بوصل ما حقه القطع من فاحش المعصية دليلا علي ان الرجم جزاء من فعل هذا الفعل
بشرطه لان الحكم يدور مع العلة وسياتي في سورة هود عليه السلام سياق قصتهم من التورية بعد ان مضي في البقرة عند اذ قال
له ربه اسلم اوايل امرهم وهذا كما سومت الحجارة لقريش لما اجمعوا ان يرجعوا بعد توجههم عن غزوة احد من الطريق ليفرغوا
من النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه علي زعمهم كما قال النبي صلي الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة
ولو رجعوا لكانوا كامس الذاهب ولكنه صلي الله عليه وسلم لما كان رسول رحمه لم يقض الله برجوعهم فمضوا حتي اسلم بعد ذلك
كثير منهم وكما امطر الله الحجارة علي اصحاب الفيل سنة مولده صلي الله عليه وسلم حماية لبلده ببركته ولما انقضت هذه
القصة العجيبة والقصص اعاد النسق الاول فقال والي مدين اي ارسلنا وهي بلد وقيل قبيلة من اولاد مدين بن ابرهيم
الخليل عليه السلام اخاهم اي من النسب وبينه بقوله شعيبا وهو موصوف بانه خطيب الانبيا عليهم السلام لحسن مراجعته
قومه ثم استانف قوله علي ذلك النسق قال يا قوم دالا علي النصيحة والشفقة بالتذكير بالقرابة وبدا بالاصل المعتبر في
جميع الشرايع الماثورة عن الانبيا عليهم السلام فقال اعبدوا الله اي الذي يستحق العبادة لذاته بما له من الاسما الحسني والصفات

العلي ولما كان المراد افراده بالعبادة لانه لا يقبل الشرك لانه غني علل ذلك بقوله ما لكم واغرق في النفي بقوله من اله
غيره ثم استانف التذكير بما دل على صحة دعواه في نفسها وصدقه في دعوي الرسالة بقوله قد جاءتكم اي على يدي بينة
ولما كنا عالمين من قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي اخرجه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ما من الانبياء نبي الا اوتي من
الايات ما مثله امن عليه البشر اي هذه البينة معجزة مثلها كاف في صحة الدعوي ولم تدع ضرورة الاذكرها لنا لم تعين ثم زادهم
ترغيبا بقوله من ربكم اي الذي لم تروا احسانا الا منه ولما كان ايتانه بالبينات سببا لوجوب امتثال امره قال مسببا
عنه فاوفوا الكيل اي والمكيال والوزن والميزان اي ابذلوا ما تعطون بها وافيا فالاية من الاحتباك وكان المحكي عنه هنا من
اوايل قوله لم يترك التاكيد الرافع لمجاز المقاربة بذكر القسط ولما كان الامر بالوفاء يتضمن النهي عن البخس صرح به على وجه
يعم غيره فقال ولا تبخسوا اي تنقصوا او تفسدوا والكما تفسد السبخة الناس اشياءهم اي شيا من البخس في كيل ولا وزن ولا غيرهما
والناس قال في القاموس يكون من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزا دخل عليه ال وقال ابو عبيدة الميزان
الناس اصله عند البصريين اناس ثم ادخلوا الالف واللام على ذلك وحذفوا الهمزة فبقي الناس وكان اصله فعال من انست به
فكانه قيل اناس يعني على القلب قال لانه يونس اليهم انتهى اذا علم هذا علم ان نهيه صلى الله عليه وسلم ممن يخس الجمع الذين فيهم قوة
المدافعة نهي عن بخس الواحد من باب الاحري لان الشرايع انما جات بتقوية الضعيف على حقه ولما نهي عن الفساد بالبخس عم
كل فساد فقال ولا تفسدوا اي توقعوا الفساد في الارض بوضع شي من حق الحق او الخلق في غير موضعه ولما نهاهم عن هذه
الرذايل ذكر نعمة الله تاكيدا للنهي بما في ذلك من التخويف وحثا على التخلق بوصف السيد فقال بعد اصلاحها اي اصلاح الله
لها بنعمه الايجاد الاول بخلقها وخلق منافعها وما فيها على هذا النظام البديع المحكم ثم بنعمة الابقاء الاول بانزال الكتب
وارسال الرسل ونصب الشرايع التي بها يحصل النفع وتتم النعمة باصلاح امر المعاش والمعاد بتعظيم امر الله والشفقة على خلق
الله وجمع ذلك كله التنزه عن الاساءة ولما تقدم اليهم بالامر والنهي اشار الي عظمة ذلك حثا لهم على امتثاله فقال ذلكم
اي الامر العظيم العالي الرتبة مما ذكر في هذه القصة خير لكم ولما كان الكلام قرنا فحص المدارك كامل المهالك اشار الى ذلك بقوله
ان كنتم مومنين اي فلا تفسدوا اوفانتم تعرفون صحة ما قلته واذا عرفتم صحته علمتم به واذا علمتم به افلحتم كل الفلاح ويجوز
وهو احسن ان يكون التقدير فهو خير لكم لان المومن يثاب على فعله لبنائه على اساس الايمان والكافر اعماله فاسدة فلا يكون
فعله لهذه الاشيا خيرا له من جهة اسعاده في الاخرة لانه لا ثواب له ولما كان التعميم بعد التخصيص والتفصيل بعد
الاجمال من الموقع في النفوس ما لا يخفي وكان النهي عن الافساد بالصد عن سبيل الله هو المقصود بالذات لانه ينهي عن كل
فساد خصه بالذكر اشارة الى انه زبدة المراد بعد التعميم فقال ولا تقعدوا اي تفعلوا فعل المترصد المتقبل بكليته
بكل صراط اي طريق من طرق الدنيا والدين من الحلال والحرام والاوامر والنواهي والمحكم والمتشابه والامثال توعدون
اي تتهددون من يسلكه بكل شر ان لم يوافقكم على ما تريدون ولما كان طريق الدين يزاحم خصه بالذكر فقال وتصدون
اي توقعون الصد على سبيل الاستمرار عن سبيل الله اي طريق نزله الامر كله ولما ذكر المصدود عنه ذكر المصدود
فقال من آمن به اي بالله فسلك سبيله التي لا اقوم منها ولما كانوا لا يقنعون بمطلق الصد بالتهديد ونحوه بل يريدون
للصدود شبهها توهمه انه على ضلال قال عاطفا وتبغونها عوجا اي وتطلبون السبيل حال كونها ذات عوج اي تطلبون
اعوجاجها بالقاء الشبهات والشكوك كما يقول اريد فلانا ملكا اي اريد ملكه وقد تقدم في آل عمران ان نصبه على الحال
ارجح وان قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح ابغني احجارا استنفض بها يرجح نصبه على المفعولية والله اعلم ○
ولما كانت افعالهم تنحل الناس اما في الاموال بالبخس واما في الايمان والنصرة بالصد ذكرهم ان الله تعالى فعل معهم ضد
ذلك من التكثير بعد القلة في سياق منذر باجتثاثهم عن وجه الارض وحضهم فضلا عن تقليلهم ونقصهم فقال عطفا
على قوله اعبدوا الله وما بعده من الاوامر والنواهي واذكروا اذ اي حين كنتم قليلا اي في العدد والمدد فكثركم
اي كثر عددكم واموالكم وكل شي ينسب اليكم فلا تقابلوا النعمة بضدها فان ذكر النعمة مرغب في الشكر ولما رغبهم
بالتذكير بالنعمة حذرهم بالتذكير باهل النقمة فقال وانظروا كيف كان عاقبة اي آخر امر المفسدين اي في عموم الاهلاك
بانواع العذاب لتحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم كما صرح به في سورة هود عليه السلام لكون الحال هناك م
مقتضيا للبسط كما سياتي ان شا الله تعالى ولما حذرهم وخامة الفساد الذي نهاهم عنه وعلق انتهاهم عنه بوصف
الايمان رجع الى قسيم ما شرط به الانتها عن الافساد فقال وان كان طايفة منكم اي جماعة فيهم كثرة بحيث يتخلقون
بخلق يريدون امنوا بالذي ارسلت به ونباه للمفعول اشارة الى ان الفاعل معروف بما تقدم من السياق وانه صار
بحيث لا يتطرق اليه شك لما نصب من الادلة والايات وطايفة اي منكم لم يومنوا اي بالذي ارسلني به من ايد بي مما
علمتم من البينات وحذرهم سطوته بقوله فاصبروا اي ايها الفريقان حتى يحكم الله اي الذي له جميع العظمة
بيننا اي بين فريقينا باعزاز المصلح واهلاك المفسد كما اجرى بذلك عادته وهو اي والحال انه خير الحاكمين لانه
ينفصل النزاع على اتم وجه واحكمه ولما انتهى كلامه عليه السلام على هذا الوجه البديع اخبر سبحانه بما انتهى ان قومه
لم يجدوا عنه جوابا اصلا لانهم انتقلوا الى الدفاع بالفعل وهو امارة الانقطاع فقال مستانفا قال الملا الى ان
الاشراف الذين استكبروا اي اوجدوا الكبر ايجاد من هو طالب له بغاية الرغبة وخصهم ليحصل تمام التسلية بقوله

ولكنه اظهر الوصف بالشرف اشارة الى انه الذي حملهم على نتيجة الاستكبار وهي الكفر ثم لم يرضوا حتى اضافوا اليه تكفير غيرهم فقال وقال الملا اي الاكابر الذين يملاون العيون مرأى والقلوب مهابة تحملهم التكبر على انهم كفروا ولما كان من المستبعد ان يكون اقاربه يتنكبون عما اتاهم به من الخير لحسد او انتقام او غير مما فكان ربما ظن ان هؤلاء الذين يعاملونه بهذه الغلظة اجانب عنه قال من قومه بيانا لان الفضل بيد الله فقد يؤتيه البغيض البعيد وعنعه الحبيب القريب انك لا تهدي من احببت ووطا والقسم بقولهم لئن اتبعتم اي ايها الاتباع ممن لم يؤمن بعد شعيبا اي وتركتم ما انتم عليه مما اورثكم اباؤكم واحاب القسم بما سد عن جواب الشرط بقوله انكم اذن اي وقتا اتباعه لخاسرون اي لانكم استبدلتم بدين الاباء غيره وحرمتم فوايد البخس والتطفيف وقطع السبل ولما كل انهم بالضلال والاضلال استحقوا الاخذ فقال فاخذتهم اي فتسبب عن اقوالهم هذه وافعالهم انه اخذتهم الرجفة اي الزلزلة العظيمة في القلوب او الديار التي كانت سببا للصيحة او مسببة عنها فاصبحوا في دارهم اي مساكنهم وتقدم سر توحيدها جاثمين اي باركين على الركب او لازمين امكنتهم لا حراك بهم وهذا دون ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت الملئكة بحنين فكان الكفار يسمعون في اجوافهم مثل وقع الحصاة في الطست ودون ما كان بجد مخالفة من الرعب منه مسيرة شهر من ورائه وشهر من امامه ولكونه كان نبي الرحمة ما اقتضى ذلك الملاك بل النجاة ولما اخبر سبحانه بهلاكهم وما سببه من اقوالهم وافعالهم وكان التلخيص من العظة في القلوب بتصوير الملخص للاذهان ما لا يخفى لخص ذلك فاكد انه حل لهم بالخصوص ما نسبوا الى المومنين من الخسارة فقال الذين كذبوا شعيبا اي نسبوه الى الكذب فيما قاله عنا وايدناه فيه بالبينات كان اي هم المخصوصون بالملاك حتى كانهم لم يغنوا اي ينزلوا ويقيموا ويطلب لهم لاهين بالافراح والغنا والاستغنا من المغاني وهي المنازل والاستغنا فيها اي الدار بسبب تكذيبهم ولما كان تكذيب الصادقين لا سيما الرسل في غاية الشناعة كرره اشارة الى ذلك واعلاما بانه سبب لهم اعظم من هلاك الاشياع ضد ما سبب التصديق للمومنين فقال الذين كذبوا شعيبا اي فكان تكذيبه سببا لهلاكهم كانوا اي بسبب التكذيب ايضا هم اي خاصة الخاسرين اي خسروا ارواحهم كما خسروا اشباحهم فهم لما سوى ذلك اخسر واما الذين اتبعوه فما نالهم شئ من الخسار وفي هذا الاستيناف والابتدا والتكرير مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لآرائهم واستهزا بنصحهم لقومهم واستعظام لما جري عليهم ولما صارت تلك الدار محل الغضب سبب ذلك ان هجرت عنها كما كانت عادة من قبله من الانبيا عليهم السلام فقال فتولى عنهم اي بعد نزول العذاب او قبله عند رؤية محاله ذاهبا الى مكان غيره يعبد ربه فيه وقال متاسفا على ما فاته من هدايتهم يا قوم اي يا عشيرتي واقرب الناس الي لقد ابلغتكم ولعله جمع لاجل كثرة ما اتاهم به من المعجزات فقال رسالات ربي اي المحسن الي بانجائي ومن تبعني من عذابكم للتوفيق لنا الى ما يرضيه ونصحت اي واوقعت النصح لكم اي خاصة ولما كان هذا معنى ما هو طبع البشر من الاسف على اهله وعشيرته سبب عنه منكرا على نفسه قوله فكيف اسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين اي عريقين في الكفر فعرف انه اسف عليهم من اجل قومهم وفوات الايمان لهم غير اسف عليهم من اجل كفرهم وتخصيص تكرير هذه القصص الخمس على هذا الترتيب في كثير من سور القرآن دون قصة ابرهيم عليه السلام وهو اعظمهم لانتظامهم في انهم اقرت اعينهم بان راوا مصارع من خالفهم واما ابرهيم عليه السلام فانه وقع النص في قوله اني ذاهب الى ربي سيهدين بانه خرج من بين قومه قبل عذابهم ولم يشاهد به سبيا لهم في اقرار عينه باهلاك من كذبه بحضرته وهو افضلهم لان الكلام في قصته اعظم في الافضلية وهو طبق ما اتفق لوالده افضل البشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانظر الى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم تعرف ما في هذا المقام من الاكرام وان الامر كما قيل لعين تجازي الف عين وتكرم ولما قدم سبحانه اجمال الانذار بما اشتركت فيه الامم من الاهلاك بقوله تعالى وكم من قرية اهلكناها الآية ثم اتبعه بعد تقديم ما يحتاج اليه على النظم الذي سبق التنبيه عليه تفصيل ما انفردت به كل امة من العذاب الحائك على سبيل الصواب اتبع ذلك اجمالا آخر ابسط من الاول دال على نمط غريب دال على عادته المستمرة وسنته المستقرة في شرح حال هؤلاء الامم الذين ذكرهم وغيرهم ليلا يظن ان غيرهم كان حاله غير حالهم فبين ان الكل على نهج واحد وان السبب في استيصالهم واحد وهو التكذيب والاستكبار على الحق ليكون الاجمال كالضوابط والقواعد الكلية لتطبق على الجزئيات وذلك للاستبصار بما يكون من نافع او ضار وعدم الاغترار باحوال المستدرجين الاشرار متكفلا بالتسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم والتاسية متقدم على قصة موسى وهرون عليهما السلام لطولها وتعجيلا بما في ذلك من صادع الانذار بقوله تعالى وما اي ارسلنا فلانا فكان كذا وفلانا فكان كذا وما ارسلنا اي بما لنا من العظمة في قرية اي من قرى اولئك وغيرهم من نبي اي من الانبيا الذين تقدموك الا كان ما تجد به من ترهيبهم من سطواتنا وهوانا اخذنا اي بعظمتنا اهلها اي اخذ قهر وسطوة لاجل استكبارهم عن الحق بالباساء اي قهر الرجال والضراء اي المرض والفقر لعلهم يضرعون اي لتكون حالهم عند المساة حال من يرجى تضرعه وتذلله وتخضعه لمن لا يكشف ذلك عنه غيره ولو كان التضرع في ادنى المرات على ما اشار اليه الادغام لان ذلك كاف في الانقاذ من عذاب الانذار الذي هذه صورته بخلاف ما مضى في الانعام ولعالم يتضرعوا صادقين من قلوبهم معترفين بالحق لاهله كما يحق له استدراجهم بادرار النعم فقال مشيرا الى طول مدة الابتلا او استبعادهم لكشف ذلك البلاء ثم بدلنا ومظهر العظمة يؤيد الاحتمال الثاني مكان اي جعلنا بدل السيئة اي النقمة الحسنة اي النعمة ويتاكد مد النعمة بقوله حتى عفوا اي كثروا وكثرت انعامهم

من قومه لنخرجنك وبين غلظتهم وجفاهم بقولهم يا شعيب من غير استعطاف ولا اجلال والذين امنوا ويجوز ان يتعلق
قوله معك بامنوا وبنخرج من قريتنا اي من المكان الجامع لنا لمفارقتكم ايانا او لتعودن اي الا ان تعودوا اي ليكون
احد الامرين اما الاخراج واما العود في ملتنا اي بالسكوت عنا كما كنتم ولم يريدوا منه العود الى الكفر لانه صلى الله عليه
وسلم كان محفوظا قبل النبوة كاخوانه من الانبياء عليهم السلام بل كانوا يعدون سكوته عليه السلام قبل ارساله اليهم
عن دعائهم وسب الهتهم وعيب دينهم كونا في ملتهم ومرادهم الان رجوعه عليه السلام الى تلك الحالة والقناعة
ممن اتبعه بذلك فيكون مرادهم بالعود حقيقته في الجميع ولما كان كل من الاخراج والرد مستعظما اخبر تعالى انه
انكره بقوله قال اولو اي اتخرجوننا او تعيدوننا لو كنا راضين للاخراج والعود ولو كنا كارهين ولما كان العرب
ابعد الناس من مطلق الكذب واشدهم له تحاميا ومنه نفرة فكيف بالكذب على الاكابر فكيف بالكذب على الملوك فكيف
به على ملك الملوك علق الكذب على الله تعالى بالعود الى ملتهم بقوله مستانفا الاخبار لمن تشوف الى علم ما كان منه
بعد هذا الكلام اللين وتوقع غيره قد افترينا اي تعمدنا الان بما نقوله لكم من ان الله حرم الكفر والاقرار عليه
على الله اي الذي له جميع العظمة كذبا ويجوز ان يكون تنوينه للتعظيم ويجوز ان يكون للتحقير ولكل وجه يدعوا اليه المقام
لا يخفى ان عدنا اي ساعة من الدهر في ملتكم اي بسكوتنا او بسكوتي وكفر من كان ممن تبعني كافرا بعد اذ نجانا الله اي
الملك الاعلى اعي خارقا للعادة بما كنا جديرين بالانغماس فيه متابعة للاباء والاجداد والعشيرة بما له من القدرة والعظمة
منها اي ان فعلنا ذلك فقد ارتكبنا اقبح القبائح على بصيرة منا بذلك فهو تعليق على محال عادة وهو وادي قول الاشتر النخعي
بقيت وفري وانحرفت عن العلى ولقيت اضيافي بوجه عبوس ان لم اشن على ابن هند غارة لم تخل يوما من نهاب نفوس
غير ان المعلق في البيت تقديري وفي الاية تحقيقي لانهم اخبروهم ان الله تعالى نهى عن الكفر وامرهم بانذار كل كافر فمتى تركوا
ذلك لزمهم الكذب حتما وما يكون لنا اي ما يصح وما يتفق ان نعود فيها اي ملتكم ولما كان لله سبحانه ان يفعل ما يشاء لا واجب
عليه ولا قبيح منه اشار الى ذلك بقوله الا ان يشاء الله فذكر اسم الذات اشارة الى ان له جميع الحمد لذاته ثم ذكر صفة
الاحسان عياذا من ان يراد بهم الهوان فقال ربنا اي خرق العادة فله ذلك فهو من باب التذكر للمخاوف والاشراف
على امكان سوء العواقب للصدق في التضرع الى الله تعالى والالتجاء اليه والاستعاذة من مكره ولذلك اتى باسم الجلالة
الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى وصفة الربوبية الملتمس بذكرها فعل ما يفعل المربي الشفيق فكانه قال ان عودنا الى
ملتكم غير ممكن عادة والمحال عادة لا يقدر عليه الا باقدار من الله بل ولا توجه الهمم اليه والله تعالى اكرم من ان يعود فيما
وهبه لنا من هذا الامر الجليل وينزع عنا هذا اللباس الجميل وهو صريح في ان الكفر يكون بمشيئة الله تعالى بل ولا يكون الا
بمشيئته وقوله وسع ربنا اي المحسن الينا كل شيء علما زيادة في حث امته على الالتجاء والتبرؤ من الحول والقوة اي لا
علم لنا بخواتم الاعمال والعلم لله فهو التام العلم الكامل القدرة فهذه الجملة كالتعليل للتعليق بالمشيئة قطعا لما عساه ان
يحدث من طمع المخاطبين في عودهم كانه قيل وانما علقنا العود بالمشيئة لنقص علومنا فربما كان في سعة علمه قسم ثالث
وهو ان يكون في القرية على ديننا وتكونون انتم اذلاء او توافقوننا على ما نحن عليه وهكذا ينبغي للمربوب ولا ينبغي الجزم
بامر يستقبل الا لله ربنا لاحاطة علمه والاية تدل على انه كان في الازل عالما بكل شيء في الكليات والجزئيات لان وسع ماض
وقد تقدم في الانعام ان قول الخليل عليه السلام وهذا واية الكهف من محز واحد والله اعلم ولما كان المراد من هذا ما
ذكر كان مزعجا للقلوب مقلقا للنفوس مزعزعا للخواطر مزلزلا للافكار بتامل هذه الاخطار المشفية على غاية الخسار
فكان المومنين قالوا ما العمل واين المفر فقال على الله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه وحده لا على غيره توكلنا اي
فوضنا جميع امورنا اليه وهو اكرم من ان يختار لنا غير الارشد وقد تبرانا من حولنا وقوتنا واعتصمنا بحوله وقوته
وجعلنا جميع امورنا كلها محمولة على قدرته كما يحمل الوكيل امر موكله عنه ويريحه من همه وقلقه منه ولما جرت العادة
بان الموكل يخبر الوكيل بما يريد ليفعله اتبع ذلك الدعاء بالحكم بما يقتضيه ظاهر الحال من نصر المحق وخذل المبطل فقال
ربنا اي ايها المحسن الينا افتح اي احكم بيننا ولما كان يريد استعطافهم لاسعادهم قال وبين قومنا وفيه اشارة الى
ميله الى الدعاء بهدايتهم وادب بعدم التصريح بما لم يؤذن له فيه بالحق اي بالامر الفيصل من معاملة كل من المحق والمبطل
بما يستحقه شرعا وعرفا بحيث يكون لكل فريق باب يصل به الى غاية امره وهذا مقام الانصاف فقد علم من اشارة قوله
العناية بقومه ومن عبارته الانصاف من نفسه ولو اراد ترجيح نفسه ومتبعيه لدعا لهم ان يعاملوا بالفضل وان
يعامل ضدهم بالعدل والاية معلمة بان له تعالى ان يفعل ما يريد من خذلان الظالم ونصر المظلوم وتعذيب العاصي
واثابة الطائع وعكس ذلك لا يسئل عما يفعل لانه التام الملك العظيم الملك الشامل القدرة الحكيم الخبير ويجوز ان
يكون المراد لا نعود الى ساكنا عليه من السكوت عن دعائكم الى الله ونهيكم عن افعال الضلال لانا امرنا بانذاركم الا ان
يشاء الله سكوتنا بامر يحدثه الينا في ذلك لمصلحة اقتضاها علمه وقصرت عنها علومنا فاذا اراد ذلك وامرنا به
فعلنا فله الخلق والامر ولما اشار الى الدعاء لقومه اشار بالعطف على غير معطوف عليه ظاهرا الى ان التقدير فانت خير
الراحمين وانت خير الفاتحين اي على من سدت عليه الابواب ولم يجد مخلصا ولما انقضى جواب الفصل المبني على ابطال
الفضل واظهار العدل ذكر سبحانه قولهم بعده عاطفا له على ما مضى من قولهم او على قوله وكان الاصل ان يقال وقالوا

ولكن

فلم يشكروا وقالوا مسندين الامر الى غير اهله قد مس آباءنا الضراء اي الشدة والسراء اي الرخاء والنعمة معتقدين
ان هذه عادة الدهر لا فعل الفاعل المختار ولما لم يعتبروا ويعلموا ان ذلك ممن يجب ان لا يعدل عن بابه ولا يغفل
عن جنابه وظنوا ان ذلك داب الدهر وفعل الزمان واستمروا على فسادهم في حال الشدة والرخاء سبب عنه قوله
فاخذناهم اي بعظمتنا اشد الاخذ واقطعه في الظاهر والباطن بغتة اي فجاءة حتى لا تنفعهم التوبة واكد معنى البغت
تحقيقا لامره بقوله وهم لا يشعرون فحق من سمع هذا ان يبادر الى الرجوع عن كل مخالفة هو فيها خوفا من الاخذ بغتة
ولما بين تعالى ما كان قولهم سببا له من الاخذ بغتة بين ما كان يكون ضد قولهم سببا له من البركات لو وقع بقوله ولو ان
اهل القرى اي هذه التي قصصنا اخبارها امنوا اي بما اتتهم به رسلهم واتقوا اي خافوا امر الله وجعلوا بينهم وبين سخطه
وقاية من طاعاته فاستمروا على ايمانهم لفتحنا عليهم بركات اي خيرات ثابتة لا يقدر احد على ازالتها من السماء اي بالمطر
الذي يكون كافواه القرب وما شابهه والارض بالنبت الغليظ وما قاربه وقراه ابن عامر بالتشديد دلالة على كثرة تلك
البركات واصل البركة المواظبة على الخير ولما كان الكلام مما افهمته لو في قوة انهم لم يؤمنوا عبر بقوله ولكن كذبوا اي
كان التكذيب ديدنهم وشانهم فلذلك لم يصدقوا رسلنا في شيء ولما كان التكذيب موضع الجلافة والجمود الذي هو سبب
لعدم النظر في الدليل سبب عنه العذاب فقال فاخذناهم اي بما لنا من العظمة بما اي بسبب ما كانوا يكسبون اي بجبلاتهم
الخبيثة من الاعمال المناسبة لها ولما كانوا قد ضلوا ضلالا بعيدا في غلطهم في جعلهم السراء والضراء سببا للامن من مكر
الله قال منكرا عليهم امنهم عاطفا له على كذبوا لانه سبب الغلط وهو سبب الامن فقال افامن اهل القرى اي كذبوا ان
نامين افعالنا المرهبة بالمضار والمرغبة بالمسار فامنوا ان ياتيهم باسنا اي الشيء مما لنا من العظمة التي لا يناسبها الا حاسر
بياتا اي ليلا وهم قد اخذوا الراحة في بيوتهم ولما كان النوم شيئا واحدا يغمر الحواس فيقتضي الاستمرار عبر بالاسم الدال
على الثبات فقال وهم نائمون اي على غاية الغفلة عنه ولما كان ربما قال جاهل لو جاءهم وهم ايقاظ لا يمكن ان يدافعوا قال
او امن اهل القرى اي مجتمعين او منفردين فانه لا فرق عندنا في ذلك ان ياتيهم باسنا ضحى في وقت راحتهم واجتماع قواهم
ونشاطهم ولما كانت اليقظة موجبة للحركة عبر بالمضارع في قوله وهم يلعبون اي يتجددون لهم شيئا فشيئا في ذلك
الوقت وفيه تقريع لهم بنسبتهم الى انهم صبيان العقول لانتفاتهم الى غير اللعب ولما كان ضلالهم الذي نسبوا فيه
الامر الى غير اهله اشنع ضلال لتضمنه التعطيل وما يجر اليه من الاباطيل كرر الانكار عليهم على وجه اشد من الاول فقال
مسببا الانكار عما اثبت هذا الكلام من العظمة التي لا يتمارى فيها ذو لب افامنوا مكر الله اي فعله الذي يشبه المكر باخذ الانسان
من حيث لا يشعر بالاستدراج بما يريد من النعم والنقم وسبب عن ذلك قوله فلا يامن مكر الله اي الذي لا اعظم منه فلا يرد له
امر الا القوم الخاسرون اي الذين كانت قوابلهم سببا لعراقتهم في الافعال الضارة والخصال المهلكة ولما بان بما مضى
حال الكفار مجملا ومفصلا وكان المقصود من ذلك عبرة السامعين وكان اخذهم بالباساء والضراء مع ابقاء صحتهم وحفظ
كالبهائم لا يسمعون الدعاء ونداء فسماعهم حيث لا نهم للاسماع نجعلوا ذلك سببا للامن انكر عليهم ذلك بقوله افامن اهل
آخره ثم انكر عليهم عدم الاستدلال على القدرة فقال عاطفا على افامن اولم يهد اي يبين اخذنا اللائم الماضية بالباساء
والضراء ثم اهلاكهم اذا لم يتعظوا للذين يرثون الارض واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واشارة الى
بلادتهم لعدم البحث عن الاخبار ليعلموا منها ما يضر وما ينفع فلا يكونوا كالبهائم فانهم لو تاملوا احوالهم واحوال من ورثوا
ارضهم واحوال الارض لكفاهم ذلك في الهداية الى سواء السبيل ولما كان ارثهم غير مستغرق للزمان اتى بالجار فقال
من بعد اهلها ثم ذكر مفعول يهد بقوله ان اي اني نشاء اي في اي وقت اردنا اصبناهم بذنوبهم اي اصابه فحققهم
بها كما فعلنا بمن ورثوا ارضهم ولما كان هذا تخويفا للموجودين بعد المهلكين ومنهم قريش وسائر العرب الذين نخاطبون
بهذا القرآن فكان المخوف به لم يقع بعد عطف على اصبناهم قوله ونطبع على قلوبهم اي بازالة عقولهم حتى يكونوا
كالبهائم ولذلك سبب عنه قوله فهم لا يسمعون اي سماع فهم وعبر عن الاصابة بالماضي اشارة الى سرعة الاهلاك
مع كونه شيئا واحدا غير متجزئ وعن الطبع بالمضارع ايماء الى التجدد بحيث لا يمر زمن الا كانوا فيه في طبع جديد ولما
اقتضى ذلك على هذا الوجه الاعظم والنظم الابلغ الاحكم وكانت هذه القرى بحيث تعرفها العرب ويرون اثارها اشار اليهم حثا على
الاعتبار بهم ولما كان اهلها جديرين بالبعد عنهم والهرب منهم عبر عنهم باداة البعد فقال تلك القرى اي محال القبائل
الخمس ويجوز ان يكون البعد لعظم ما حل باهلها من العذاب ويؤيده قوله مبينا لحالها نقص عليك ولما كان
السامع قد يكفيه ادنى شيء هول الامر بان اخبارها تفوت الحصر وانما قص منها ما يكفي المعتبر فقال من انبائها
اي اخبارها العظيمة الهائلة المطابقة للواقع شيئا بعد شيء كما يفعل من يتتبع الاثر وانث الضمير لان رؤية القرى
انفسها مدخلة في معرفة اخبارها اهلها ولما كان المقام مقام العجب من التكذيب بعد ذلك البيان كان زعما تخيل متخيل انهم
لم يوتوا بالبيان الثاني فشهد الله تعالى للرسل عليهم السلام تصديقا لمن قال منهم قد جاءتكم بينة بقوله ولقد اي
والحال انه قد جاءتهم اي اهل القرى لانهم المقصودون بالذات رسلهم اي الذين ارسلناهم اليهم بالبينات فما اي فلم

تجبر

يتسبب عن ذلك بسبب طبعنا على قلوبهم الا انهم ما كانوا موفقين ليؤمنوا اي عند مجيها وقد اكد منافاة حالهم للايمان
والكون اتم تاكيد بما اي بالذي كذبوا اي به وحذفها ادل على الزجر عن مطلق التكذيب واوفق لمقصود السورة ولما
كان تكذيبهم غير مستغرق للزمان الماضي ادخل الجار فقال من قبل اي قبل مجي الرسل اليهم او بتكذيبهم الواقع منهم للرسل فيما
اتوا به عن الله من قبل الاخذ بغتة او من قبل مجي الرسل بالايات فانهم اول ما جاؤهم فاجاؤهم بالتكذيب فجوزوا على تكذيب
الحق من غير نظر في دليل بالطبع على قلوبهم فاتوهم بالمعجزات فاصروا على ذلك التكذيب ووقفوا لذلك الطبع مع حظوظهم ومنعهم
شماختهم وشدة شكايمهم عن الايمان لئلا يقال انهم خفوا اولا فيما وقع منهم من التكذيب فكانوا فيه على غير بصيرة او انهم خافوا
ثانيا ما قرعتهم به الرسل من الوعيد فدخلوا جبنا فيما يعلمون بطلانه فكان تزيين هذا لهم طبعا على قلوبهم فكانه قيل ان
هذا لعجب هل يقع في مثل ذلك احد فقيل نعم مثل ما طبعنا على قلوبهم حتى صارت مع الفهم لا تنتفع فكانها لا تفهم فكانها لا تسمع
كذلك يطبع الله اي الجامع لصفات الكبر ونعوت الجلال بما يجعل من الدين بما له من العظمة على قلوب الكافرين اي كل من يغطي
ما اعطاه الله من نور العقل بما تدعوه اليه نفسه من الهوى عريقا في الاتصاف بذلك فيترك ايات الله ولما كان نقض
العهد اقطع شي ولا سيما عند العرب قال عاطفا على فما كانوا وما وجدنا اي في عالم الشهادة لاكثرهم اي الناس واكد
الاستغراق فقال من عهد طبق ما كان عندنا في عالم الغيب وهذا اما اشارة الى الميثاق يوم الست بربكم ان كان ذلك
على حقيقته او الى ما يفعلون حال الشدايد من الاقلاع عن المعاصي والمعاهدة على الشكر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين او الى اقامة الحجج باقامة العقول ونصب الادلة فصار بنصبها وايضاحها للعقول كانه اخذ العهد على من عقل
انه يبذل الجهد في التامل ولا يتجاوز ما ابداه له صحيح النظر وان اي وانا وجدنا اي علمنا في عالم الشهادة اكثرهم لفاسقين
اي خارجين عن دايرة العهد مارقين مما اوقفهم عنه الحد عريقين في ذلك طبق ما كنا نعلمه منهم في عالم الغيب وما ابرزناه
في عالم الشهادة الا لنقيم عليهم به الحجة على ما يتعارفونه بينهم في مجاري عاداتهم ومدارك عقولهم ولما انقضى بيان هذا
الاجمال الخالع لقلوب الرجال اتبعه الكشف عما كان بعد قصة شعيب عليه السلام من قصة صهره موسى عليه السلام
مع فرعون وقومه وهي كالدليل على ايات الاجمال كما كانت القصص الماضية كالدليل على ما في اول السورة من الاجمال فان
قصة فرعون مشتملة على الاخذ بالباساء والضراء ثم الانعام بالرخاء والسراء ثم الاخذ بغتة بسبب شدة الوقوف
مع الضلال بعد الكشف الشافي والبيان لما على قلوبهم من الطبع وما قادت اليه الحظوظ من الفسق وكانه فصلها عن
القصص الماضية تنويها بذكرها وتنبيها على علي قدرها لان معجزات صاحبها اعظم من معجزات من كان قبله وجهل من عالجهم
كان اعظم وافحش من جهل تلك الامم ولذلك عطفها باداة البعد مع قرب زمنها من التي قبلها اشارة الى بعد رتبتها بما فيها
من العجايب وما اشتملت عليه من الرغايب والغرايب ولذلك مد لها الميدان واطلق في سياقها للجواد العنان فقال
ثم بعثنا اي على عظمتنا من بعدهم اي الرسل المذكورين والامم المهلكين موسى باياتنا اي التي يحق لها العظمة باضافتها الينا
فثبتت بها النبوة الى فرعون هو علم جنس لملوك مصر ككسرى لملوك فارس وقيصر لملوك الروم وكان اسم فرعون موسى
عليه السلام قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملائه اي عظماء قومه وخصهم لانهم اذا اذعنوا اذعن من دونهم
فكانهم المقصودون والارسال اليهم ارسال الى الكل ولما سببت لهم الظلم قال فظلموا اي وقعوا في مثل الظلام حتى
وضعوا الاشياء في غير مواضعها فوضعوا الانكار موضع الاقرار بها اي بسبب رؤيتها خوفا على رياستهم ومملكتهم الفانية
ان تخرج من ايديهم ولما كان ذلك من اعجب العجب وهو ان سبب العدل يكون سبب الظلم وكان هذا الظلم اعظم الفساد
سبب عنه قوله معجبا فانظر اي بعين البصيرة كيف كان عاقبة اي اخر امر المفسدين فلخص في هذه الاية على وجازتها
جميع قصتهم على طولها وقدم ذكر الايات اهتماما بها ولانها الدليل على صحة دعوى البعث ولما كان التقدير عطفا على فظلموا
بها ووضعها موسى مواضعها عبر عنه بقوله وقال موسى يا فرعون خاطبه بما يعجبه امتثالا لامر الله تعالى له ان يلين
في خطابه وذلك لان فرعون لقب مدح لمن ملك مصر ولما اتاهم عليه السلام وهم عارفون بامانته وصدقه وعظم
مكانته ومكارم اخلاقه وشريف عنصره وعظيم مخبره وفرعون اعظمهم معرفة به لانه ربي في حجره كان هذا حالا مقتضيا
لان يلقي اليهم الكلام غير موكد لكن لما كان الارسال من الله امرا عظيما جدا وكان المقصود به تخلية سبيل بني اسرايل وكان
فرعون ضنينا بذلك اكده بعض التاكيد فقال اني رسول ثم بين مرسله بقوله من رب العالمين اي المحسن اليهم
اجمعين وانتم منهم بايجادهم وتربيتهم فهو تنبيه لمن سمعه على ان فرعون مربوب مقهور ولما خلعه بهذا مما يدعيه
من الربوبية دالا على تسويته ببقية العالمين ناطقهم وصامتهم فكان لذلك بعيدا من الاذعان لهذا الكلام اتبعه قوله
على وجه التاكيد مستانفا بيان ما يلزم للرسول حقيق اي بالغ في الحقية وهي الثبات الذي لا يمكن زواله على ان لا
اقول على الله اي الذي له جميع الكمال ولا عظمة لسواه ولا جلال الا الحق اي الثابت الذي لا تمكن المماراة فيه اصلا
لما يصدقه من المعجزات وحاصل العبارة ومثالها حق على قول الذي اطلقه على الله ان لا يكون الا الحق اي غير الحق
ولذلك عبر بالاسم الاعظم الجامع لجميع الصفات وقراه نافع بتشديد ياء الاضافة في على بمعنى هذا سواء لان من حق
عليه شي حق على كلامه ولما كان الحال اذ ذاك يقتضي توقع اقامة موسى عليه السلام البينة على صحة رسالته
كان كانه قيل ما دليل صدقك فقال مفتتحا بحرف التوقع والتحقيق قد جئتكم اي كلكم لا اخص احدا منكم ببينة دليلا على

رسالتي وقول الحق من ربكم اي المحسن اليكم بكل نعمة ترونها لديكم من خلقكم ورزقكم وكف الامم عن انتزاع هذا الملك منكم
واهلاككم وتلك البينة هي المعجزة فكرر البيان في هذا الكلام على ان فرعون ليس كما يدعي لانه مربوب لا فرق بينه وبين
بقية العالمين في ذلك ولما كان من المعلوم ان مثله في تمام عقله وشرف خلايعه لا يدعي في تلك المجامع الا حقا مع ما نبه عليه
من البيان على تفرد الله بالالهية كما تفرد بالاحسان كان كانه اظهر البينة التي اقلها كفهم عن اهلاكه فاتبع ذلك طلب النتيجة
اعلاما بغاية ما يريد منهم بقوله مسببا عن مجرد هذا الاخبار الذي كانه قد اوقع مضمونه فارسل اي يا فرعون معي بني
اسرائيل اي فتسبب عن اقامتي الدليل على صحة ما قلته ان آمر بما جئت له وهو ارسالهم معي امر من صار له سلطان باقامة
البينة لنذهب كلنا الى بيت المقدس مواطن آبائنا التي اقسم الله لهم ان يورثها ابناءهم وفي جعل ذلك نتيجة الارسال اليه
تنبيه على ان رسالته مقصورة على قومه فكانه قيل فماذا قال فرعون في جواب هذا الامر الواضح فقيل قال معرضا عنه مقميا
له خوفا من غايلته عند من يعرف موسى عليه السلام حق المعرفة معبرا باداة الشك ايقافا لهم ان كنت جئت باية اي علامة
على صحة رسالتك فأت بها فاوهم انه لم يفهم الا ان المراد اية سيقيمها من غير ان يكون في كلامه السابق دلالة على صدقه واكد
الابهام والشك بقوله ان كنت اي جبلة وطبعا من الصادقين اي في عداد اهل الصدق العريقين فيه لتصح دعواك
عندي وتثبت ولما ساق هذا الطلب مساقا دالا على انه مثال في امره اخبر تعالى انه فاجاه باظهار الاية دالا على ذلك بالفاء
المسببة المعقبة من غير مهلة فقال عن فعل موسى عليه السلام فالقى عصاه وعن فعله هو سبحانه فاذا هي اي العصى ثعبان
مبين اي ظاهر في كبره وسرعة حركته بحيث انه لشدة ظهوره كانه ينادي الناس فيظهر لهم امره وهو موضح لصدق من تسبب
عن فعله في جميع مقالته روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان ثعبانا اشعر فاغر فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه
الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فوثب من سريره هاربا واحدث وحمل على الناس فانهزموا وصاحوا
فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا وصاح فرعون يا موسى خذه وانا اومن بك فاخذه فعاد عصى ثم قال هل معك
اية اخرى قال نعم ونزع يده اي اخرجها من جيبه بعد ان اراه اياها محترقة ادما كما كانت وهو عنده فاذا هي بيضاء ونبه على
ثبات بياضها وزيادة اعجابه بقوله للناظرين قال ابو حيان اي للنظارة وفي ذلك تنبيه على عظم بياضها لانه لا يعرض
العجب لهم الا اذا كان بياضها خارجا عن العادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما صارت نورا ساطعا يضيء ما بين السماء والارض
له لمعان مثل لمعان البرق فخروا على وجوههم وما اعجب امر هذين الخارقين العظيمين احدهما في نفسه وذلك اليد البيضاء والاخر
في غير نفسه وهي العصا التي يمسكها بيده وجمع بدينك تبديل الذوات من الخشبية الى الحيوانية وتبديل الاعراض من السمرة
الى البياض الساطع فكانا دالين على جواز الامرين انتهى ولما اتى بالبيان واقام واضح البرهان اقتضى الحال السوال عما
ابرزوه من المقال في جوابه فقال قال الملأ اي الاكابر من قوم فرعون ما تلقفوه من فرعون واحدا بعد واحد يلقيه اكبرهم
الى اصغرهم ان هذا لساحر اي فهذا الذي رايتموه ايها الناس من تخييله ما لا حقيقة له فلا تبادروا الى متابعته ولما كان
ذلك خارجا عما القوه من السحرة قالوا عليم اي ماهر فيه بالغ في علمه الى حد عظيم فلذلك جاء ما رايتم منه فوق العادة فكان فرعون
قال ذلك ابتداء كما في سورة الشعراء فتلقفوه منه وبادروا الى قوله بقوله بعضهم لبعض اعلاما بانهم على غاية الطواعية
له خوفا على رياستهم تحقيقا لقوله تعالى فاستخف قومه فاطاعوه واختير هنا اسناده اليهم لان السياق للاستدلال
على فسق الاكثر واما هناك فالسياق لانه ان اراد سبحانه انزل آية خضعوا لها كما خضع فرعون عند رؤية ما راى من موسى
عليه السلام حتى رضي لنفسه بان يخاطب عبيده على ما يزعم على ما يقتضي ان يكون لهم عليه امر فلذا كان اسناد القول اليه
احسن لان النصرة في مقارعة الراس اظهر وخضوع عنقه اضخم واكبر ولما خيلوهم حتى اوقفوهم عما فهموا عنهم من المبادرة
الى الى المتابعة بادعاء انه ساحر نفروهم من ذلك وخوفوهم بانه يريد ان يحكم فيهم قومه الذين كانوا عبيدا لهم ويريحوهم
من ديارهم التي هي لاشباحهم مثل اشباحهم لارواحهم بقولهم يريد ان يخرجكم اي ايها القبط من ارضكم اي هذه التي اثلها لكم
اباؤكم وبها قوامكم ولما كان السياق لبيان فسقهم اسقط قولهم في الموضع الاخر بسحره ايهاما لعجامهم في ابرام الامر في ضره
اشارة الى تغاليهم في الفسق بعلمه انه محق وليس بساحر ولما كان المقصود بهذا الكلام استعطاف المخاطبين استعطفوهم
بعد ان اوقفوهم ثم خوفوهم بما سببوا عن الخطاب السابق من قولهم فماذا تامرون اي تقولون في هذه السورة ايها السادة
ليمتثل ولما كان كانه قيل فعلى اي شيء استقر رايهم فقيل على تاخير الامر الى حشر السحرة للمعارضة فاخبر تعالى دلالة
على ان اصل قول الملأ منه انهم اقبلوا عليه مخاطبين له ملغين من ابلغهم عنه تعظيما له مسندين الامر اليه بقوله قالوا
اي الملأ لفرعون بعد ما استقر في اذهانهم ما نسبوه اليه من الارادة ارجه اي موسى عليه السلام واخاه اي اخرهما
تنفيسا لنا من هذا الخناق الى وقت ما حتى ننظر في امرهما وارسل في المدائن اي من ملك مصر حاشرين يحشرون لك
السحرة ويجمعونهم من كل فج والحشر الجمع بكره ياتوك بكل ولما كانت دلالة السياق هنا على رعب فرعون اقل مما في الشعراء
لما اقتضاه الحال في كل منهما قرا الجمهور ساحر عليم اي بالغ العلم في السحر وفي قراءة حمزة والكسائي سحار زيادة مبالغة
ايضا لما راوا من فلق فرعون في الجملة وهذا يدل على ان السحرة كانوا في ذلك الزمان عندهم في غاية الكثرة ويدل على ان
في طباع الناس المعارضة فمهما امكنت بطلت دعوى النبوة واذا تعذرت صحت الدعوى ولما كان التقدير فاخر امرهما
وارسل كما قالوا فجمعوا من وجدوه منهم عطف عليه قوله وجاء السحرة فرعون ولما تشوف السامع الى خبرهم قال مجيبا له

استئنافا

استيقنا فقالوا اى لفرعون عند ما حضروا بين يديه مستوثقين لنفع انفسهم مستفهمين له انهم غالبون لا مانع لهم من ذلك الا عدم انصافهم سايقين الكلام فى قراءة الجماعة مساق الاستفهام ادباسه فى طلب الاكرام ان لنا لاجرا فاكد واطلبا لاخراج الوعد على حال التاكيد ان كنا نحن اى خاصة الغالبين ومن اجرى اراد الاستفهام وهم نافع وابن كثير وحفص عن عاصم قال اى فرعون نعم اى لكم اجر موكد الخبر به وزاد بيان التاكيد بما زادهم به رغبة فى قوله وانكم اى زيادة على ذلك لمن المقربين اى عندى فى الحضرة ولما فرغوا من محاورته تشوفت النفس الى قولهم لموسى عليه السلام فاستانف قوله جوابا قالوا يا موسى بخبرين له ادباسه كما هى عادة عقلاء الخصام قبل وقوع الخصام فى سياق منهم ان قصدهم الالقاء اولا وذلك قولهم اما ان تلقى اى انت اولا تريد ان تلقيه للمغالبة فى اظهار صحة دعواك واما ان نكون نحن اى خاصة الملقين اى لما سنا اولا ولما فهم موسى عليه السلام مرادهم مما عبر هذا النظم عن حقيقة معناه من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر وادخام الفصل وكان واثقا من الله تعالى بما وعده به جاريا مع مراده لا فرق بين ان يقدم او يتاخر اجابهم الى سولهم وهو اوفق فى ادب النفس فاستانف سبحانه الخبر عنه بقوله قال القوا اى انتم ايها السحرة ما تريدون القاءه وهو امر تعجيز ولما اذن لهم بادروا الى ذلك كما انبهم العطف بالفاء فى قوله فلما القوا اى ما اعدوه للسحر سحروا اعين الناس اى عن صحة ادراكها حتى خيلوا اليها ما لا حقيقة له وبى ان حبالهم وعصيهم وكانت كثيرة جدا صارت تتحرك ويلتوى بعضها على بعض ويعين جماعة منهم جماعة يشاهدون ايها الناس احذروا واسترهبوهم اى واوجدوا رهبهم ايجادا راعبا فيها طالبا لها غاية الطلب ولما قابل ذلك كان ربما ظن انهم خافوا مما لا يخاف من مثله فقال تعالى مبينا انهم معذورون فى خوفهم وجاءوا بسحر عظيم قال صاحب كتاب الزينة والسحر على وجوه كثيرة من الاخذ بالعين ومنه ما يفرق به بين المرء وزوجه ومنه غير ذلك واصله ما خوذ من التعليل بالباطل وقلب الامر عن وجهه كما ذكرنا من لغة العرب ولما تناهى الامر واشتد التشوف الى ما صنع موسى عليه السلام قال تعالى عطفا على وجاءوا واوحينا اى مظهرين لعظمتنا على رءوس الاشهاد مما لا يقدر احد ان يضاهيه الى موسى ان الق عصاك اى فالقاها فاذا هى من حين القائه لها تلقف اى تلتقم التقاما حقيقيا شديدا سريعا جابا دل عليه حذف التاء ودل على كثرة ما هم صنعوا بقوله ما يافكون اى يجددون حين القائهم فى تزويره وقلبه عن وجهه وابتلعت ما كان ملاء الوادى من العصى والحبال ثم اخذها موسى عليه السلام فاذا هى كما كانت لم يزد شئ من مقدارها على ما كان عليه وفى هذا السياق والعلم بثبات موسى عليه السلام بعد عظيم ما راى من سحرهم الى الايحاء اليه بيان لادبه عليه السلام فى ذلك المقام الضنك وسكونه تحت المقادير مع مرسله سبحانه الى بروز اوامره الشريفة ولما علم ان ما صنعوه انما هو خيال وما صنعه موسى عليه السلام اثبت من الجبال سبب عنه معقبا قوله فوقع الحق اى الذى لا ينبغى اثبت منه فالواقع يطابقه لان باطن الامر مطابق لما ظهر منه من ابتلاعها لامتعتهم فالاخبار عنه صدق وفيه تنبيه على ان فعلهم انما هو خيال بالنسبة الى ظاهر الامر واما فى الباطن والواقع فلا حقيقة له فالاخبار عن تحرك ما القوه كذب ولما اخبر عن ثبات الحق اتبعه زوال الباطل فقال وبطل بحيث عدم اصلا ورأسا ما كانوا يعملون فدل بكان والمضارع على انهم مع بطلان ما عملوا انسوا علمهم بحيث انه اندرس باب العمل بعد ان كان لهم به ملكة كملكة ما هو كالجبلة والله اعلم ثم سبب عن هذا قوله فغلبوا هنالك اى عند هذا الامر العظيم العالى الرتبة وانقلبوا اى جزاء على قلبهم لتلك الحقايق عن وجوهها حال كونهم صاغرين اى بعد ان كانوا عند انفسهم ومن يقول بقولهم وهم الاغلب عالين وللا وله ومنفارا عظيما فى حق المبطل من ظهور بطلان قوله على وجه لا تكون فيه حيلة ولما كان الادبر وذل النفس لا يأتى الا بخير لانه اللايق بالعبيد قاد كثيرا منهم الى السعادة الابدية فلذلك قال والقى السحرة اى القاهم ملقى الخوف من الله والشوق الى الخضوع بين يديه والذل لديه حين عرفوا ان ما فعله موسى عليه السلام امر سماوى صدقه الله به موسى عليه السلام فى انه رسوله ولم يتاخروا بعد ذلك اصلا حتى كانهم خروا من غير اختيار ساجدين شكرا لله تعالى وانسلاخا عن الكفر ودليلا على اقصى غايات الخضوع فعل الله به لك حتى بهر به فرعون وملاه وتحير عقول لعنهم ولما كانوا بعرض التشوف العظيم الى معرفة قولهم بعد فعلهم اخبر عن ذلك سبحانه بقوله قالوا اى حالا القائم للسجود امنا اى كلنا برب العالمين اى الذى خلق فرعون ومن قبله وما يعبدون به ثم خصوا من حدا بهم الله على ايديهما تصريحا بالمراد وتشريفا لهما فقالوا رب موسى ثم ازالوا الشبهة بحذف اخيرها الان فرعون ربما ادعى تربية موسى عليه السلام انه المراد بقولهم وهرون وفى الاية دليل على ان ظهور الاية موجب للايمان عند من ظهرت له ولو ان الرسول غير مرسل اليه ولما صرحوا بالذى امنوا به قصر تحاشى فرعون ان يدلس معه بما يخيل به على قومه شرع فى تهديدهم على وجه يكر فيه بقومه ويلبس عليهم ايقاظا لهم عن المبادرة الى الايمان كما بادروا السحرة الى وقت ما فاستانف الخبر عنه سبحانه بقوله قال فرعون مصرحا باسمه غير معمر له كما فى غير هذه السورة لان مقصود السورة الانذار وهو احق الناس بالمناداة عليه فى ذلك المقام وقصته مسوقة لبيان فسق الاكثر وهو افسق اهل ذلك العصر قال فرعون منكرا عليهم موبخا لهم بقوله ءامنتم اى صدقتم به اى موسى عليه السلام تصديقا امنه من رجوعكم عنه ومن اخبر اراد الاستفهام واوهم فرعون من فهم عنهم من القبط ارادة الايمان لاجل ما راوا من دليل صدق موسى عليه السلام واقتداءه بالسحرة بقوله قبل ان اذن لكم ليوقفهم عن خطر الخائفة له بما رجا بهم فيه من اذنه فلما ظن انهم وقفوا خبلهم بما يذهب عنهم ذلك الخاطر صلادراسا بقوله موكدا نفيا لما على معنون قوله من لوائح الكذب ان هذا لمكر اى عظيم جدا وطول الكلام تبيينا لما اراد وتنسية لخاطر الايمان فقال

مكرتموه في المدينة اي على ميعاد بينكم وبين موسى وحيلة احتلتموها قبل اجتماعكم وليس لان صدقه ظهر لكم ثم علل بما يقلق
به فكرهم ويشوش قلوبهم فقال لتخرجوا اي انتم وموسى عليه السلام منها اهلها وتسكنوها انتم وبنوا اسرائيل ولما استتب
له ما اراد من دقيق المكر شرع في تهديدهم بما يمنع غيرهم وربما ردهم فقال مسببا عن ذلك فسوف تعلمون اي بوعد لا خلف فيه
ما افعل بكم من عذاب لا يحتمل ثم فسره اجمل من هذا الوعيد بقوله لاقطعن ايديكم اي اليمنى مثلا وارجلكم اي اليسرى ولذلك
فسره بقوله من خلاف اي يخالف الطرف الذي تقطع منه اليد الطرف الذي تقطع منه الرجل ولما كان مقصود هذه
السورة الانذار فذكر فيها ما وقع لموسى عليه السلام والسحرة على وجه يهول ذكر ما كان من امر فرعون على وجه يقرب من
ذلك فعبر بحرف التراخي لان فيه مع الاطناب الذي يكون شاغلا لاصحابه عما ادهشهم مما راوه تعظيما لامر الصلب فيكون
ارهب للسحرة ولمن تزلزل بهم من قومه فقال ثم لاصلبنكم اي اعلقكم ممدودة ايديكم لتصيروا على هيئة الصليب او حتى
يتقاطر صليبكم وهو الدهن الذي فيكم اجمعين اي لا اترك منكم احدا الا جعلكم نكالا لغيركم ولما كان حالا يشوق النفوس الى جوابهم
استانفه بقوله قالوا اي اجمعون لم يرتع منهم انسان ولا تزلزل عما منحه الله به من رتبة الايمان انا الى ربنا اي الذي
ما زال يحسن الينا بنعمه الظاهرة والباطنة حتى جعل آخر ذلك اعظم النعم لا الى غيره منقلبون اي بالموت انقلابا ثابتا لا
انفكاك لنا عنه ان صلبتنا او تركتنا لا طمع لنا في البقاء في الدنيا فنحن لا نبالي بعد علمنا بانا على حالة السعداء بالموت على اي
حالة كان او المراد انا ننقلب اذا قتلتنا الى من يحسن الينا بما منه الانتقام منك ولذلك اتبعوه بقولهم وما تنقم اي تنكر منا
اي في فعلك ذلك بنا وتعيب علينا الا ان امنا اي الا ما هو اصل المفاخر كلها وهو الايمان بايات ربنا اي التي عظمت
بكونها صادرة عنه ولم يزل محسنا الينا فوجب علينا شكره لما اي حين جاءتنا لم نتاخر عن معرفة الصدق وهذا يوجب
الاكرام لا الانتقام ثم اذنوه بانهم يقدمون على كل ما عساه ان يفعل بهم فقالوا ربنا اي ايها المحسن الينا القادر على خلاصنا
افرغ اي صب صبا غامرا علينا اي فيما تهددنا به هذا الذي توتيه علينا صبرا اي كثيرا تغمرنا به كما يغمر الماء من يفرغ
عليه حتى لا يروعنا ما يخوفنا به وتوفنا اي اقبض ارواحنا وافية حال كوننا مسلمين اي عريقين في الانقياد بالظاهر
والباطن لدلايل الحق والظاهر ان الله تعالى اجابهم فيما سالوه تلويحا بذكر الرب فلم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن
اتبعكما الغالبون ولم يات في خبر يعتمد انه قتلهم وسياتي في آخر الحديد عن تاريخ ابن عبد الحكم ما هو صريح في خلاصهم ولما
قنع فرعون في ذلك الوقت الذي بهرت قومه تلك المعجزة الظاهرة بالانفصال على هذا الوجه الذي لم يدع فيه حيلة الا خيل
بها وخلص موسى عليه السلام بقومه متمكنا منهم بعض التمكن وكان السياق لبيان ان اكثر الخلق فاسق اخبر تعالى بما قال
قوم فرعون بعد ما راوا من المعجز الباهر دليلا على ذلك فقال عاطفا على والقى السحرة ساجدين وما بعده او على قول فرعون
وقال الملا اي الاشراف من قوم فرعون اي ظانين ان فرعون متمكن مما يريد بموسى عليه السلام من الاذى منكرين لما وصل
اليه الحال من امر موسى عليه السلام حين فعل ما فعل وامن به السحرة وما عمل فرعون شيئا لا قتله ولا حبسه لانه كان لا يقدر
على ذلك ولا يعترف به لقومه اتذر موسى وقومه ولما كان ما كان في اول مجلس من ايمان السحرة جديرا بان يجر اليه امثاله
سموه فسادا وجعلوه مقصودا لفرعون احماء له واستغضابا فقالوا ليفسدوا اي يوقعوا الفساد وهو تغيير الدين
في الارض اي التي هي الارض كلها وهي ارضنا هذه او الارض كلها لكون مثل هذا الفعل جديرا برد اهل الارض كلهم عن عقايدهم
ويذرك والهتك قيل كان امر قومه ان يعبدوا الاصنام تقربا اليه وقال الامام الاقرب انه كان دهريا منكرا لوجود
الصانع وكان يقول مدبر هذه الاعالم السفلى هو الكواكب والمحروم في العالم للخلق او لتلك الطايفة والمربي لهم ثم قال واذا كان
مذهبه ذلك لم يبعد ان يقال انه كان قد اتخذ اصناما على صور الكواكب ويعبدها على ما هو دين عبدة الكواكب انتهى ولذلك
قال انا ربكم الاعلى هكذا قيل وهو ظاهر عبارة التورية الآتية في آية القمل ولكن اراد به غير ملايمة لهذه المعادلة بل الظاهر
انه كان سمى امراة آلهة وسمى لكل امير قوما يتالهونه اي يطيعونه فانه نقل عنهم انهم كانوا يسمون الحاكم بل والكبير الها كما
سياتي عن عبارة التورية فحيث وقعت الموازنة بين موسى عليه السلام وقومه وبين فرعون وقومه عبر بالالهة تعظيما
لجانبه بالاشارة الى انه اله اي حاكم معبود ليس وراءه منتهى وملاوه كلهم آلهة اي حكام دونه وموسى عليه السلام ليس
باله ولا في قومه اله بل هم محكوم عليهم فهم ضعفاء فكيف يتركون وحيث نفى الالهية عن غيره فبالنظر الى خطابه للملا
ما علمت لكم من اله غيري وحيث حشر الرعية ناداهم بقوله انا ربكم الاعلى وكان ذلك كان يطلق على الحاكم مجازا فجعلوه
حقيقة وصاروا يفعلون ما يختص به الاله من التحليل والتحريم كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
فكفروا بادعاء الربوبية بمعنى المعبودية ونفي المعبود الحق بدليل آية ما علمت والحاصل انهم عيروه بالرضى بان يكون
رئيسا على القبط وموسى عليه السلام رئيسا على بني اسرائيل فيكونوا بهذه المتاركة اكفاء للقبط ولما اعجزه الله سبحانه
ان يفعل بهم اكثر مما كان يعمل قبل مجيء موسى عليه السلام لما يراد به من الاستدراج الى الهلاك اخبر عنه سبحانه بما يفهم
ذلك فقال مستانفا قال اي فرعون سنقتل اي تقتيلا كثيرا ابناءهم اي كما كنا نفعل ونستحيي نساءهم اي نبقيهم
احياء اذلالا لهم وامنا من عايلتهم في المستقبل وانا فوقهم اي الآن قاهرون ولا اثر لغلبة موسى لنا في هذه المناظرة
لئلا يتوهم العامة انه المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده فيثبطهم ذلك عن الطاعة موهما بهذا
ان تركه لاذى موسى عليه السلام لعدم التفاته اليه لا لعجزه عنه ولما كان هذا امرا يزيد من قلق بني اسرائيل لما شموا من

رايحة

رايحة الفرج استانف سبحانه الخبر عما ثبتهم به موسى عليه السلام قايلا قال موسى لقومه اي بني اسرايل الذين فيهم قوة وقيام فيما يريدون من الامور لو اجتمعت قلوبهم استعينوا اي الصقوا طلب العون بالله الذي لا اعظم منه بما يرضيه من العبادة واصبروا ثم علل ذلك بانه فعال لما يريد لا اعتراض عليه ولا مغير من حكمه فقال ان الارض اي كلها مصر وغيرها لله اي الذي لا امر لاحد معه كره تذكيرا بالعظمة وتصريحا وتبركا ثم استانف قوله يورثها من يشاء من عباده ولما اخبر ان نسبه الكل اليه واحدة اخبر بما يرفع بعضهم على بعض فقال والعاقبة اي والحال ان آخر الامر وان حصل بلا للمتقين اي الذين يقون انفسهم بحظ الله بعمل ما يرضيه فلا عبرة بما ترون في العاجل فانه قد يكون استدراجا ولما تشوف السامع الى ما كان من جوابهم اشار تعالى الى ان قلقهم كان وصل الى حد لا صبر معه بقوله مستانفا قالوا ولما كان الموجع هو الاذي لكونه من معين بنوا للمفعول قولهم اوذينا اي بالقتل والاستعباد ولما كان اذاهم غير مستغرق اذخلوا الجار فقالوا من قبل ان تاتينا اي كما تعلم ومن بعد ما جيتنا اي فما الذي انا دنا مجيبك قال مسليا لهم وداعيا ومصرحا بما رمز اليه من قبل عسى ربكم اي الذي احسن الي ابائكم بما تعرفون واليكم بارسالي اليكم ان يهلك عدوكم فلا يصولن لكم ما ترون ويستخلفكم اي ويوجد خلافتكم لهم متمكنين لا يحكم عليكم غيركم في الارض اي جنسها ان كنتم متقين ثم سبب عن الاستخلاف قوله مذكرا لهم محذرا من سطواته سبحانه فينظر اي وانتم خلفاء متمكنون كيف تعملون اي يعاملكم معاملة المختبر وهو في الازل عالم بما تعملون منكم بعد ايقاعكم للاعمال ولكنه يفعل ذلك لتقوم الحجة عليكم على مجاري عاداتكم ولما رجاهم موسى عليه السلام بذلك اخبر سبحانه انه فعل ما اخبرهم به فذكر مقدماته فقال ولقد اي قال لهم ما قال والحال انا وعزتنا قد اخذنا اي قهرنا آل فرعون ولتينا عريكتهم وسهلنا شكيمتهم بالسنين اي بالقحط والجوع فان السنة تطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العام ولما كانت السنة تطلق على نقص الحبوب صرح بالثمار فقال ونقص من الثمرات اي بالعاهات وان كان الماء كثيرا او السنة للبادية والنقص للحاضر لعلهم يذكرون اي لتكون حالهم حال من يرجوا ناظر ان يتذكر في نفسه ولو بادني وجوه التذكر مما اشار اليه الادغام فان التصريف السماحة التي هي مظنة الوقوف مع المحظوظ ويوجب للانسان الرقة فيقول هذا انما حصل لي بسبب تكذيبي لهذا الرسول وعباده التي من لا يكشف الستور عن نفسه ولا غيره ولما لم يذكروا ولا انوا سبب عن اخذهم قوله معرفا بغباوتهم معبرا في الخير باداة التحقق اشارة الى انه اغلب من الشر حثا على الشكر فاذا اي فما تسبب عن ذلك الا انهم كانوا اذا جاتهم الحسنة اي الحالة الكاينة التي يحبونها من الخصب وغيره وعرفنا بعد تحقيقها اشارة الى اكمالها قالوا لنا هذه اي نحن حقيقون بها ودل على ان الخير اكثر من غيره بقوله باداة الشك مع التنكير وان تصبهم سيئة اي حالة يكرهونها ولما كانت الاصابة بالسيئات تخصهم ولا يلحق بني اسرايل منها شيء فكان اظهارهم للتطير بهم ظاهرا في رده عليهم وتكذيبهم فيه اشار سبحانه باداة الغاية الى انهم كانوا لغاية سوئهم الى من يمكنهم اخداعه من الجهلة والاغنياء على وجه الحيلة والخفا بخلاف ما في ياسين فقال يطيروا اي يتشاءموا بموسى ومن معه اي بان يقولوا ما حصل لنا هذا الشر الا بشؤمهم وهو تفعل من الطير وهو تعمد قصد الطير لان يطير للتفاؤل به من خير او شر واصله ان العرب كانوا اذا مر الطاير من ميامنهم الى جهة مياسرهم قالوا بارح اي مشوم من البرح وهو الشدة فاذا طار من جهة اليسار الى جهة اليمين عدوه مباركا قالوا امر لي بالناجح بعد البارح اي بالمبارك بعد المشوم وعرف ان المراد هنا التشاؤم لاقترانه بالسيئة ولما كذبوا في الموضعين قال مستانفا على وجه التاكيد الا انما طايرهم اي قدرهم الذي سبق في الازل من الخير والشر فلا يزاد ولا ينقص عند الله اي الملك الذي لا امر لغيره وقد قدر كل شيء فلا يقدر على المجيء به غيره اصلا ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا علم لهم اصلا فهم لا يهتدون الى ما ينفعهم ويظنون ان للعباد مدخلا في ذلك فلذلك تراهم يضيفون الاشياء الى اسباب يتوهمونها ولما كان هذا الذي قالوه يدل على سوء المزاج وجلافة الطباع بما لا يقبل العلاج ابعه ما هو شر منه وبلواهم جزموا بانه كلما اتاهم شيء في المستقبل قابلوه بالكفر فقال وقالوا مهما اي مركبة من ما مرتين الاولى الشرطية والثانية تاكيد قلبتا الفا الاولى هاء استثقالا وقيل مه اي الصوت الذي يكون للكف وما الشرطية اي كف عنك ما انت فيه ثم استانفوا ما تاتنا به اي في اي وقت وعلى اي حالة كان ثم بينوا المأتي به بقولهم من اية اي علامة على صدقك وهذا على زعمه ولذلك عللوه بقولهم لتسحرنا اي تخيل على عقولنا بها وتلفتنا عما نحن عليه الى ما تريده فنحن نسميها سحرا وانت تسميها اياه ثم اجابوا الشرط بقولهم فما نحن اي كلنا لك اي خاصة بمؤمنين اي من ان نكذبك ولما بارزوا لهذه العظيمة استحقوا النكال فسبب عن ذلك قوله فارسلنا عليهم اي عذابا لم ما ينهم حرف الاستعلاء الطوفان اي الرعد والبرق والنار مع المطر والبرد الكبار الذي يقتل البقر فما دونها والظلمة والريح الشديدة التي عمت ارضهم وطافت بها ولما كان ذلك ربما اخصبت به الارض اخبر انه ارسل ما يفسد ذلك فقال والجراد ولما كان الجراد ربما طار وقد ابقى شيا اخبر بما يستمر ان في الارض حتى يدع بها شيا فقال والقمل قال في القاموس القمل كسكر صغار الذر والدبا الذي لا اجنحة له وهو صغار الجراد او شيء صغار يخالط احمر وشيء يشبه الحلم خبيث الرايحة او ذوات صغار كالقردان يعني الجراد وقال البخاري في بني اسرايل من صحيحه القمل الخمان يشبه صغار الحلم ولما كان ربما كان عندهم شيء مخزون ناسب ان يصل اليه ذلك اخبر بما يسقط نفسه في الاكل فيفسده او ينغصه فقال

والضفادع فانها عمت جميع اماكنهم وكانت تتساقط في اطعمتهم وربما وثبت الى افواههم حين يفتحونها للاكل ولما تمم ما يضربا لماكل اتبعه ما افسد المشرب فقال والدم فان مياههم انقلبت كلها دما مننا وعم الدم الشجر والحجارة وجميع الارض في حق القبط واما بنو اسرآيل فسالمون من جميع ذلك ولما ذكر تعالى هذه الايات العظيمة نبه على عظمها بذكر حالها فقال ايات اي علامات على صدقه عظيمات مفصلات اي يتبع بعضها بعضا وبين كل واحدة واختها حين يختبرون فيه مع ان مغايرة كل واحدة لاختها في غاية الظهور وكذا العلم بانها من ايات الله التي يقدر عليها غيره ولما كانت حقيقة بان يتسبب عنها الايمان عند سلامة القلب سبب عنها قوله فاستكبروا بينا ان الذي منعهم من الايمان مرض القلب بالكبر والطغيان وكانوا قوما مجرمين اي في جبلتهم قطع ما ينبغي وصله مع قوتهم على ما يحاولونه ولما كان هذا في الحقيقة نقضا لما اخذه الله على العباد بعهد العقل اتبعه نقضا حقيقيا فقال بينا الحالهم عند كل آية ولعله عبر بما يشملها ولم ينصر علي التكرار لان ذلك كاف فيما ذكر من النقض والفسق ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل الموجب للاضطراب قالوا يا موسى ادع لنا ربك اي المحسن اليك ولم يسموا كبرا وشماخة ان يعترفوا به ليقولوا ربنا بما عهد عندك اي من النبوة التي فيها هذا البر الذي نراه يصنعه بك ثم اكدوا العهد بقولهم استينا فاوتعليلا لئن كشفت عنا الرجز اي العذاب الذي اضطربت قلوبنا؟ وجميع احوالنا له لنؤمنن لك اي لنجعلك امنا من التكذيب بايقاع التصديق ويكون ذلك خالصا لاجلك وخاصا بك ○ ولنرسلن معك اي في صحبتك لا تحبس احدا منكم عن الآخر بنى اسرآيل اي كما سالت وهذا على قرب الاجابة بالفاء في قوله فلما كشفنا اي بعظمتنا عنهم الرجز كرره تصريحا وتهويلا وعدنا الكشف الى اجل اي حد من الزمان هم بالغوه اي في علمنا اذا هم اي بضمايرهم التي تجري ظواهرهم على حسبها ينكثون ولما اخبرانهم فاجاوا النكث وكرروه سبب عنه قوله فانتقمنا منهم اي انتقاما ليس كذلك الذي كنا نؤدبهم به بل انتقام اهلاك بمرة لوصولهم بعد كشفه جميع الشبه الى محض العناد ثم فسر بقوله فاغرقناهم بما لنا من العظمة في اليم اي في البحر الذي يقصد لمنافعه بانهم اي بسبب انهم كذبوا بايتنا اي على ما لها من العظمة بما عرف من صحة نسبتها الينا ودل سبحانه على انهم كذبوا بغير شبهة عرضت لهم بل عنادا بقوله وكانوا اي جبلة وطبعا عنها غافلين اي يكون حالهم بعدها كحالهم قبلها فكانها لم تاتهم اصلا فاستحقوا الاخذ لوقوع العلم بان الايات لا تفيدهم ولما اخبر عن اهلاكهم عطف عليه ما صنع ببني اسرايل فقال واورثنا اي بعد اهلاكهم بما لنا من العظمة القوم ولما اشار بهذه العبارة التي معناها انه كانت فيهم قوة وكثرة وشدة عزم على ما يحاولونه ويقومون به الى انه هو الذي اذلهم لفرعون اتبعه ما يدل عليه فقال الذين كانوا يستضعفون اي يطلب منعهم ويوجد بالشوكة واجتماع الكلمة بحاكم قد تمكنت عظمته في القلوب التي لهم غالب عليها وهم بنو اسرآيل مشارق الارض اي الكاملة لبركاتها ومغاربها اي ارض الشام من الفرات الى بحر سوف الموضع الذي خرجوا منه من البحر وغرق فيه فرعون وآله كما معنى نقله في المآبدة عن التورية يعني حكمنا بايراثهم ذلك واخرتاه لابنا الذين خرجوا من مصر بعد اهلاكهم في ليلة ثم وصفها تغبيطا بها بقوله التي باركنا فيها اي في ارضها بالمياه والاشجار والثمار والخصب وفي ارزاقها بالكثرة والطيب وفي رجالها بالعلم والنبوة وفي طباعهم بالاستقامة وفي عزايمهم بالنجدة والشجاعة والمكارم وفي جميع احوالهم بانه لا يبغيهم ظالم الا عوجل بالنقمة وتمت اي وجدت صحتها بوجود مضمونها في عالم الشهادة وظهوره من مستور الغيوب كلمة ربك اي التي هي احسن الكلام وهي وعده على هذه الوجوه المفيدة مع اعجازها لغاية العلم والحكمة الحسنى مستعلية على بني اسرآيل اي التي هي احسن الكلام وهي وعده سبحانه لهم بالخلاص من العبودية وايرائهم مساكن آبائهم كما كانوا يسمعون من اسلافهم واذا استعلت عليهم منعت اعدائهم من الوصول اليهم بما صبروا اي بسبب صبرهم على الاستعباد وذبح الاولاد وما حصل بعد ذلك من طويل الانكاد ودمرنا اي اهلكنا اهلا كا عظيما جعل مدمرا كالرماد لا خير فيه اصلا ما كان يصنع اي صنعا بغاية الاقبال عليه حتى كانهم خلقوا له فرعون وقومه اي من الصنايع الهايلة المعجبة لكل من يراها او يسمع بها مع انهم قد مرنوا عليها فصارت اسهل شي عندهم وما كانوا اي بما هو كالجبلة والطبع يعرشون اي من الجنان والقصور العالية الاركان وكفى بهذه الآية حاثة على الصبر وضامنة على كل حال الاجر بالتفريج عن المظلوم ونصره واهلاك الظلوم وقهره شرح ما يحتاج الى شرحه هنا من التورية الموجوده الآن بين اظهر اليهود قال مترجمها في الاصحاح الثالث من السفر الثاني ما نصه وقال الرب لموسى في مدين انطلق راجعا الى مصر لان الرجال الذين كانوا يطلبون نفسك قد هلكوا جميعا فانطلق موسى بامراته وابنيه وحملهم على حمار واخذ بيده عصى الرب وقال الرب لموسى انظر كل اية اجريتها على يدك فاصنعها امام فرعون وانا اقسي قلبه فلا يرسل الشعب وقل لفرعون هكذا يقول الرب ابني بكري اسرآيل ارسل ليعبدني فان ابيت ان ترسل ابني فاني قاتل ابنك بكرك فلما صار موسى في الطريق في المبيت لقيه ملاك الرب فاخذت صفورا حجرا من حجارة المروه فختنت غرلة ابنها واخذت برجله وقالت لنسخة السبعين وقعت عند رجليه وقالت ان اليوم عرس الدم يعني الختان فقال الرب لهرون اخرج فتلقى اخاك في القفر فخرج فلقيه في جبل الله في حوريب فعانقه وقبله فاخبر موسى هرون بجميع قول الرب الذي ارسله فيه وما امره به من الايات وانطلق موسى وهرون فجمعا شياخ بني اسرآيل فقص عليهم جميع ما قال الرب لموسى وجرح جراحا وايات قدام الشعب وفي نسخة السبعين فجمعا شياخ بني اسرآيل وتكلم هرون بجميع الكلام الذي كلم الله به موسى وعمل الايات قدام الشعب فامن الشعب وسمعوا ان الرب قد ذكر بني اسرايل وابصر اي خضوعهم وجثا الشعب وسجد والرب من بعده من

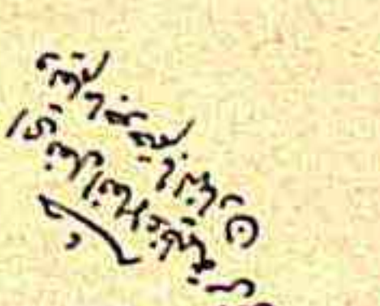

الايات

الايات والخطوب دخل موسى وهرون وقالا لفرعون هكذا يقول الله رب اسرايل ارسل شعبي يحجون الى القفر وفي نسخة
السبعين ليعبدني في البرية عوض يحجون الى القفر فقال فرعون ومن هو الرب حتى اطيعه لا اعرف الرب ولا ارسل بني اسرايل
وقالا له الرب اله العبرانيين اعتلن لنا فننطلق مسيرة ثلثة ايام في القفر ونذبح الذبايح لله ربنا لكيلا ينزل بنا الحزن والوبا
وفي نسخة السبعين لئلا يفاجينا موت او قتل قال فرعون ما بالكما تبطلان الشعب من اعمالهم فامر فرعون ولاة الشعب
وكتبتهم وقال لهم لا تعودوا ان تعطوا الشعب تبنا لضرب اللبن كما كنتم تعطونهم بل هم ينطلقون فيجمعون لانفسهم التبن وخذوهم
بحساب اللبن على ما كنتم تاخذونهم به امس واول امس وفي نسخة السبعين في كل يوم ولا تنقصوهم شيا من عملهم لانهم بطروا
لذلك يضجون يقولون ننطلق فنذبح للرب الاهنا فليشتد العمل على الرجال وفي نسخة السبعين فليتضاعف عمل هولاء القوم
حتى يهتموا به ولا يهتموا بكلام الباطل فخرج ولاة الشعب وكتبتهم بما قال فرعون فتفرق الشعب في جميع ارض مصر في جمع
التبن وجعل ولاتهم يلحون عليهم ويقولون ارفعوا الينا العمل كما كنتم ترفعون من قبل حيث كنتم تعطون التبن فزادت كتبة
بني اسرايل وعوقبوا من الذين ولوهم عليهم وقالوا لم لم ترفعوا الينا حساب اللبن كما كنتم ترفعون فاتى كتبة بني اسرايل
فشكوا الى فرعون وقالوا ما بال عبيدك يصنع بهم هذا الصنيع فقال فرعون انتم قوم بطرون تقولون ننطلق لنذبح
لربنا فساء راي الكتبة في بني اسرايل وقالوا لهم لا تنقصوا من لبنكم شيا بل ارفعوا الينا كما كنتم ترفعون من قبل كل يوم
فلقوا موسى وهرون وهما واقفان امامهم وفي نسخة السبعين وهما يجيان نحوهم اذ خرجوا من بين يدي فرعون فقالوا
لهم الله يحكم بيننا وبينكما لانكما حرضتما علينا فرعون وعبيده حتى ضيق علينا بان يضع السلاح فينا فيقتلنا فرجع
موسى الى الرب وقال يا رب لم اسات بشعبك واضررت به لاني ساعة اتيت فرعون فذكرت اسمك اسا بهذا الشعب
وشق عليهم وانت فلم تخلص شعبك فقال الرب لموسى الا ترى ما اصنع بفرعون لانه سيرسلهم وفي نسخة السبعين سوف
ترى ما اصنع بفرعون وكيف يرسلهم بيد منيعة وبذراع عظيمة يخرجهم من ارض مصر انا الرب الذي اعتلنت لابرهيم واسحق
ويعقوب وسميت باله المواعيد ولم اعلمهم اسم الرب وفي نسخة السبعين واسمي الرب فلم اظهره لهم واثبت عهدي ايضا ووعدتهم
ان اعطيهم ارض كنعان ارض غربتهم التي سكنوها وقد سمعت ضجيج بني اسرايل من تعبد اهل مصر وانجيكم من اعمالهم واخلصكم بيد
منيعة وذراع غالبة وباحكام عظيمة واختصكم لي شعبا واكون لكم الها وتعرفون اني انا الرب الهكم الذي اخرجتكم من تعبد
المصريين واقبل بكم الى الارض التي رفعت يدي لاعطيها اباكم ابرهيم واسحق ويعقوب واجعلها لكم ميراثا الى الدهر انا الرب
فقال موسى لبني اسرايل هذه الاقاويل فلم يسمعوا من موسى ولم يطيعوه من شدة حزنهم واستشفاف نفوسهم من اللذ
الشديد وكلم الرب موسى وقال له انطلق الى فرعون ملك مصر وقل له فيرسل بني اسرايل من ارض مصر فقال موسى للرب ان بني
اسرايل لا يسمعوني ولا يطيعوني وانا ارث المنطق ثقيل اللسان فكيف يطيعني فرعون ويسمع مني فقال الرب لموسى انظر اني
قد جعلتك الها لفرعون وهرون اخوك يكون نبيا عليك انت تقضي جميع ما امرك به وهرون اخوك يقول لفرعون
وفي نسخة السبعين وهرون اخوك يكون لك نبيا وانت فتكلم بجميع ما امرتك به وهرون اخوك يكلم فرعون ليرسل بني اسرايل
من ارضه وانا اقسي قلب فرعون فاكثر اياتي وعجايبي بارض مصر فلا يطيعكما فرعون ولا يسمع منكما فامد يدي على مصر واخرج
جميع جنودي وشعبي بني اسرايل من ارض مصر بالاحكام العظام فيعرف اهل مصر اني انا الرب فصنع موسى وهرون كما امرهما
الرب وانتهيا الى امره وكان قد اتى على موسى ثمانون سنة وكان هرون ابن ثلاث وثمانين سنة اذ كلما فرعون فقال
الرب لموسى وهرون ان قال لكما فرعون اظهرا لي اية وجريحة قل لهرون خذ عصاك القها بين يدي فرعون فتكون تنينا
عظيما فاتى موسى وهرون الى فرعون فصنعا كما امرهما الرب فالقى عصاه وفي نسخة السبعين فالقى هرون عصاه بين يدي
فرعون وامام اجرايه وفي نسخة السبعين وعبيده فصارت تنينا عظيما فدعا فرعون بالحكماء والسحرة فصنع سحرة
مصر ايضا بسحرهم كذلك فالقى كل امرء منهم عصاه فصارت تنينا فابتلعت عصي هرون عصيهم فقسى قلب فرعون وابى ان
يرسلهم كما قال الرب وقال الرب لموسى ان قلب فرعون قد قسا وابى ان يرسل الشعب انطلق الى فرعون بالغداة هوذا
يخرج ليغتسل على شاطي البحر وخذ العصي التي تحولت في يدك ثعبانا وقل ان الرب اله العبرانيين ارسلني اليك يقول
لك ارسل شعبي حتى يعبدني في البرية لانك حتى الان لا تسمع ولا تطيع هكذا يقول الرب بهذا تعلم اني انا الرب ها انا ذا
اضرب ماء النهر بعصاي فيصير دما وتموت الحيتان التي في النهر وينتن وفي نسخة السبعين ولا يقدر اهل مصر ان يشربوا
الماء من هذا النهر وقال الرب لموسى مر هرون ان ياخذ عصاه وارفع يدك على ماء المصريين على انهارهم وعلى غدرانهم
وعلى اجامهم وعلى دواليب مياههم وفي نسخة السبعين وقال الرب لموسى قل لهرون خذ عصاك ومد يدك على ماء مصر
وعلى انهارها واجامها ونقارها وعلى كل مايها المستنقع فيتحول دما فيصير الدم في جميع اهل مصر في الارض والخشب والحجارة
فصنع موسى وهرون كما امرهما الرب فرفع هرون العصي التي في يده فضرب بها ماء النهر وفرعون وعبيده ينظرون اليه
فتحول ماء النهر فصار دما وماتت الحيتان التي في النهر ففسد ماء النهر وانتن ولم يقدر اهل مصر على شرب الماء من الدم
فصار الدم في جميع ارض مصر وقسى قلب فرعون فلم يطعهما كالذي قال الرب فانصرف فرعون فدخل منزله ولم يفكر في شي
من ذلك وتهاون به وكملت سبعة ايام من بعد ما ضرب الرب النهر وقال الرب لموسى انطلق الى فرعون وقل له هكذا
يقول الرب ارسل شعبي حتى يعبدني فان ابيت ان ترسله فاني اضرب جميع حدودك بالضفادع فتدب الضفادع فتصعد

اطلاق الاله على الحاكم

فتدخل الى بيتك وقيطونك وفي مبيتك وعلى مضجعك واسرتك وفي بيوت عبيدك وشعبك ومخاوعك وبيوت طعامك
وتدب الضفادع عليك وعلى جميع شعبك فقال الرب لموسي قل لهرون اخيك ان مديدك بعصاك على الانهار وعلى الدواليب
وعلى الاجام فاصعد الضفادع على ارض مصر فرفع هرون يده على مياه المصريين فاصعد الضفادع فغشت ارض مصر فدعا فرعون
موسي وهرون وقال لهما صليا بين يدي الرب فتنصرف الضفادع عني وعن شعبي حتى ارسل الشعب فيذبحوا بين يدي الرب
فقال موسي لفرعون مل وقتا اصلي عليك فيه وعلى عبيدك وشعبك فتنصرف الضفادع عنك وعن بيتك وفي نسخة السبعين
عنك وعن قومك وعن بيوتك فقال له غدا فقال له موسي سيكون كما سالت فتعلم انه لا اله غيرا لهنا فتصرف الضفادع عنك
وعن بيتك وفي نسخة السبعين ببيوتك وعن عبيدك وعن شعبك ماخلا الضفادع التي في النهر فخرج موسي وهرون من بين
يدي فرعون فصلي موسي بين يدي الرب فاستجاب الرب لموسي فماتت الضفادع في الدور والبيوت والرياض فجمعوها اباببر
اباببر فاصلت الارض واجنت وفي نسخة السبعين فجمعوها صببا صببا فانبتت الارض فراي فرعون الفرج والراحة
وجفا قلبه فلم يطعهما كالذي قال الرب فقال الرب لموسي مر هرون فيرفع عصاه ليضرب ثري الارض فيكون القمل في جميع عمل
ارض مصر ففعلوا ذلك فذبت القمل في الناس والبهايم وصار جميع ثري الارض قملا في جميع ارض مصر فصنع مثل ذلك السحرة بسحرهم
فلم يقدروا ان يصنعوا القمل فذبت القمل في الناس والبهايم فقالت السحرة لفرعون ان هذا فعل رب العالمين ففتي قلب فرعون
فلم يطعهما كما قال الرب فقال الرب لموسي ادلج باكرا وقف بين يدي فرعون وهو ذا يخرج ليغتسل وفي نسخة السبعين
فانه يخرج الى الماء. تقل له هكذا يقول الرب ارسل شعبي فيعبدني فان انت ابيت فها انا ذا مرسل وفي نسخة السبعين فاني مرسل
عليك وعلى شعبك وعلى اهل بيتك هوام وحشرة من كل جنس فتمتلئ وفي نسخة ذباب الكلب فتمتلئ بيوت المصريين من
الهوام والحشرة مثل ثري الارض التي هم عليها واميز في ذلك اليوم ارض جشان التي يسكنها شعبي فلا يكون فيها من الهوام والحشرة
شي لتعلم اني انا الرب واميز بين شعبي وشعبك وتكون هذه الاية غدا وفعل الرب كذلك وانزل الهوام على بيت وفي نسخة
بيوت فرعون وعبيده وعلى جميع ارض مصر ففسدت الارض بالهوام فدعا فرعون موسي وهرون وقال لهما انطلقوا فاذبحوا
الذباح لله ربكم في هذه الارض فقال موسي لا يحسن بنا ان نفعل ذلك لانا انما نذبح للرب الاهنا من نجاسة المصريين وبدعهم
فان نحن ذبحنا امام الهة المصريين رجمونا بل ننطلق مسيرة ثلثة ايام في القفر فنذبح هناك للرب الاهنا على ما يامرنا
ويقول لنا فقال فرعون انا ارسلكم فتذبحوا الذباح للرب الهكم في البرية ولكن لا تنطلقوا فتتوانوا بل صلوا علي ايضا
وفي نسخة السبعين ولكن لا تبعدوا وصلوا علي ايضا الى ربكم فقال موسي لفرعون ها انذا اخرج من بين يديك فاصلي بين يدي
الرب فيصرف الهوام والحشرة عن فرعون وعن عبيده وشعبه غدا ولكن لا يعود فرعون ان يكذب في قوله ويابى ان يرسل
الشعب ليذبحوا الذباح فخرج موسي من بين يدي فرعون وصلى بين يدي الرب فعمل الرب صلوة موسي وصرف الهوام فلم يوجد
منها ولا واحد فقسي قلب فرعون بعد هذا ايضا ولم يرسل الشعب فقال الرب لموسي انطلق الى فرعون وقل له هكذا يقول
الرب اله العبرانيين ارسل شعبي حتى يعبدني فان ابيت ان ترسله وفي نسخة السبعين وتمسك به حتى الان فهذه يد الرب
وفي نسخة السبعين وتمسكت به فان يد الرب تضرب ماشيتك التي في القفر من الخيول والحمير والبقر والغنم فيقع فيها الوبا
العظيم المتعب الشديد ويميز الرب بين دواب بني اسرايل وبين بهايم اهل مصر فلا يموت من بهايم الاسرايل ولا واحد ووقت
الرب وقتا ليكمل فيه هذا القول على الارض فاكمل الرب هذا الامر من غد ذلك اليوم فماتت جميع بهايم المصريين ولم يمت
من دواب بني اسرايل ولا واحد وارسل فرعون فاذي انه لم يمت من دواب بني اسرايل ولا دابة فقسا قلب فرعون فابي
ان يرسل الشعب فقال الرب لموسي وهرون خذا في حفيبتكما من رماد الاتون فيذره موسي الى السماء نحو فرعون فيكون
الغبار في ارض مصر فيضرب الناس والبهايم جميعا قروح ناتئة رخوة في ارض مصر كلها فاخذا رمادا الاتون ووقفا بين يدي
فرعون فذره موسي نحو السماء امام فرعون فظهرت قروح ناتئة رخوة فاشتعلت في الناس والبهايم فلم يقدر السحرة على
الوقوف بين يدي موسي من كثرة القروح التي ظهرت في السحرة وفي جميع اهل مصر فقسي الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما ولم
يطعهما كالذي قال الرب لموسي فقال الرب لموسي ادلج باكرا وقف بين يدي فرعون وقل له هكذا يقول الرب اله العبرانيين
ارسل شعبي فيعبدني فانك ان لا تفعل ولا ترسل شعبي فها انا مرسل في هذا الوقت ضربتي على قلبك وعلى عبيدك وعلى شعبك لتعلم انه لا اله غيري على
الارض كلها لاني مجمع من الان ان امد يدي فاضربك وشعبك نالوبا وتبيد عن حديد الارض وانما ابقيتك بهذا الامر لاظهر بك
عزي وقدرتي وليتنادى باسمي في الارض كلها وانت حتى الان تتمسك بالشعب وتابى ان ترسله وغدا في هذا الوقت
اهبط البرد العظيم الشديد مالم يكن وفي نسخة السبعين الذي لم يكن مثله بمصر منذ اليوم الذي استست فيه قواعدها
الى يوم الناس والان ارسل فادخل جميع دوابك وكل مالك في الحقل لان كل بهيمة او انسان يبقى في الحقل ولا يدخل
البيت يهبط عليهم البرد فيموتون وكل من خاف كلمه الله من عبيد فرعون نقل عبيده وبهايمه الى البيوت والذي لم
يفكر في كلمة الله وتهاون بها ترك دوابه وعبيده في الحقل وقال الرب لموسي ارفع يدك الى السماء ليهبط البرد
على جميع ارض مصر على الناس والبهايم وجميع الحقول وفي نسخة السبعين على الناس والدواب وجميع نبات الصحرا فرفع
موسي عصاه نحو السماء فارعدهم الرب بالرعد والبرق وجعلت النار تضطرم على الارض فاهبط الرب البرد وكان البرد
يهبط والنار تضطرم في البرد وكان شديدا عظيما ولم يكن مثله في جميع ارض مصر منذ اليوم الذي سكنها بنوا البشر فضرب

البرد

البرد جميع ارض مصر لكل من كان في الحقل من الناس والبهايم واهلك الرب جميع عشب الحقل وحطم جميع اشجار الغياض فاما
ارض خشان التي كان آل اسرايل يسكنونها فلم يهبط عليها البرد فارسل فرعون فدعا موسى وهرون فقال لهما قد خطيت
في هذه المرة ايضا والرب بار وانا وشعبي منافقون وفي نسخة السبعين اني قد اخطات والرب بار وانا وشعبي فجار
فصليا بين يدي الرب فانه ذو امهال واناة فيصرف عنا الرجفة والرعد والبرد فارسلكم فلا تعودوا ان تتاخروا ن
وفي نسخة السبعين وانا ارسلكم ولا اعود ان اوخركم فقال موسى لفرعون اذا ما خرجت من القرية ابسط يدي للرب
فيصرف عنكم صوت الرعد والرجفة ولا يعود البرد يهبط ايضا لكي تعلم ان الارض وما عليها لله وانا اعلم انك وعبيدك الى الآن
لم ترهبوا الله ولم تخافوا عقابه وقد هلك الكتان والشعير وفي نسخة السبعين وضرب البرد الشعير والكتان لان الشعير
كان قد بدا ان يسنبل والكتان قد بدا ان يبزر فاما زرع الحنطة والكسب فلم يهلك لانه كان متاخرا فلما جا موسى من القرية
من بين يدي فرعون بسط وفي نسخة السبعين فاما زرع الحنطة والذرة فانه لم يضرهما لانهما كانا لقسا وخرج موسى من عند
فرعون خارج المدينة فبسط يديه بين يدي الله نحو السما فصرف عنهم الرعد والبرد وانقطع المطر عن الارض فراى فرعون
ان القطر والبرد والرعد قد انقطع وسكن فعاد وخطا وقسا قلب فرعون وعبيده وفي نسخة السبعين وقسا قلبه
وقلب عبيده وجفا ولم يرسل بني اسرايل كرسالة الرب وفي نسخة السبعين على ما تكلم به الرب على يد موسى فقال الرب
لموسى انطلق الى فرعون لاني انا الذي اقسي قلبه وقلوب عبيده فاظهر هذه الايات لتخبر بنيك وبني بنيك بما صنعت
باهل مصر من الايات الكثيرة التي اظهرت فيعلموا اني انا الرب فاتى موسى وهرون الى فرعون وقالا له هكذا يقول الرب
اله العبرانيين حتى متى تابى ان تخافني وترهبني ارسل شعبي ليعبدني فان ابيت ان ترسل شعبي فها انا مجدر على جميع تخومك
الجراد وفي نسخة السبعين فاني اجلب عليك غدا هذا الوقت جرادا عظيما على جميع حدودك فيغطي عين الارض فلا يقدر
انسان على النظر الى الارض فمهما ابقى لكم البرد اكله وياكل جميع الشجر التي تنبت لكم في الحقل وتمتلي منه بيوتك وبيوت
عبيدك وبيوت جميع المصريين ما لم ير مثله اباؤك واجدادك من اليوم الذي اسست الارض الى يوم الناس هذا ورجعا
من بين يدي فرعون فقال لعبيده حتى متى تكون لنا هذه العثرة نرسل القوم فيعبدون وفي نسخة السبعين فقال عبيد
فرعون لفرعون حتى متى يكون لنا هذا البلا ارسل القوم فيعبدوا الرب الاههم اما تعلم وفي نسخة السبعين او ما علمت
ان مصر قد خربت فردوا موسى وهرون الى فرعون فقال لهم انطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب الهكم ولكن من منكم ينطلق
فقال له موسى انا ننطلق بشبابنا وشيوخنا وبنينا وبناتنا وبغنمنا وبقرنا لانه عيد لنا للرب فقال لهما ليكن كما
قلتما والله يصحبكما اذا ما ارسلتكم وحشمكم لعله ان يعرض لكم في الطريق آفة ولكن ليس هكذا انطلقوا الآن معاشر الرجال
اعبدوا بين يدي الرب لانكم انما تطلبون بذلك الراحة فاخرجوهما من بين يدي فرعون فقال الرب لموسى ارفع يدك على
ارض مصر فياكل عشب الحقل وجميع ما نجا من البرد فرفع موسى عصاه على ارض مصر فاهب الرب على الارض ريح السموم
جميع ذلك اليوم وفي نسخة السبعين والرب جلب ريحا قبلية على الارض نهار ذلك اليوم وتلك الليلة فلما كان بالغداة
احتملت ريح السموم الجراد فصعد الجراد وفي نسخة السبعين اخذت الريح القبلية الجراد واصعدته على جميع ارض مصر فسقط
على جميع تخوم ارض المصريين وكان منيعا عظيما جدا ولم يكن مثل ذلك الجراد فيما خلا ولا يكون مثله فيما بعده فغطى جميع عين الارض
فاظلمت الارض واكل جميع عشب الحقل وجميع الشجر التي نجت من البرد ولم يبق في الشجر غصن ولا ورق ولا في الحقل عشب
في جميع ارض مصر فاستعجل فرعون ودعا موسى وهرون وقال لهما قد خطيت بين يدي الله الاهكما والآن اعفوا عن ذنبي وجهلي
هذه المرة وصليا بين يدي الرب الهكم فيصرف عني هذه الآفة والموت فخرج موسى من بين يدي فرعون وصلى بين يدي
الرب فعاد الرب بريح السموم عاصفا فاحتملت الجراد فقذفت به في بحر سوف وفي نسخة السبعين فغير الرب تلك الريح
بريح من البحر شديدة فاخذت الجراد والقته في البحر الاحمر ولم يبق في جميع تخوم المصريين شي من الجراد فقسى الرب قلب فرعون
فلم يرسل بني اسرايل فقال الرب لموسى ارفع يدك الى السما فليكن الدجى والحنادس على جميع ارض مصر فتذلهم الظلمة فرفع موسى
يده الى السما فكانت الظلمة والدجى وفي نسخة السبعين فصارت ظلمة وزوبعة على جميع ارض مصر ولم ير المرء منهم صاحبه
ثلثة ايام فاما جميع بني اسرايل فكان لهم الضيا والنور في مساكنهم فدعا فرعون موسى فقال له انطلقوا فاعبدوا بين يدي
الرب الاهكم فاما بقركم وغنمكم فدعوها ههنا واما حاشيتكم فانطلقوا بها معكم فقال موسى لفرعون وانت ايضا تعطينا من
الذبايح فنذبح لله ربنا وبهايمنا ايضا ننطلق بها معنا ولا يبقى منها ههنا ظلف على الارض لانا انما ناخذ من مالنا لنذبح
بين يدي الرب الاهنا ولسنا نعلم بماذا نعبد الله اذا بلغنا هناك فقسى الرب قلب فرعون وابى ان يرسلهم فقال فرعون
لموسى اخرج من بين يدي واحذر ان تتراءى لي ايضا لان اليوم الذي تتراءى لي بين يدي تموت فيه قال له موسى ما احسن
قولك لست بعايد ان ارى وجهك قال الرب لموسى اني اعود ايضا فانزل بفرعون والمصريين ضربة واحدة وعند
ذلك ارسلكم من ههنا فاذا ارسلتكم فاخرجوا كلكم وامر الشعب وقال لهم ليستعر المرء منكم من صاحبه والمراة من جارتها
حلي ذهب وفضة وفي نسخة السبعين انية الفضة وانية الذهب والكسوة وجعل الرب للشعب في قلوب المصريين
محبة ورحمة وموسى كانت له هيبة وكرامة عظيمة في جميع ارض مصر وفي نسخة السبعين عند المصريين وعند فرعون
وعند جميع عبيده فقال موسى هكذا يقول الرب اني خارج نصف الليل فاجوز في ارض مصر فاتوفى جميع ابكار مصر من بكر فرعون

الجالس على منبره الى بكر الامة التي في بيت الرجل وعوته جميع ابكار البهايم فتسمع الولولة العظيمة والصراخ والانين التطبع
مالم يسمع مثله ايضا وفي نسخة السبعين ولا يعوه ايضا ان يكون مثلها فالما آل اسرايل فلا يصاب منهم ولا الناس ولا البهايم
ولا الكلب بلسانه وفي نسخة السبعين ولا يعوي من جميع بني اسرايل كلب بلسانه ليعلموا ان الرب قد ميز بين المصريين وآل
اسرايل فينهبط جميع عبيدك هؤلاء فيسجدون لي ويقولون اخرج انت وجميع الشعب معك وبعد ذلك اخرج فخرج موسى من بين
يدي فرعون بغضب شديد فقال الرب لموسى ان فرعون لا يطيعكما ذلك لاكثر اياتي وعجائبي بارض مصر وان موسى وهرون
جرجا هذه الجراد واظهرا هذه الايات كلها بين يدي فرعون فقسى الرب وفي نسخة السبعين واقسى الرب قلب فرعون فلم يرسل
بني اسرايل عن ارضه وقال الرب لموسى وهرون بارض مصر هذا الشهر اي نيسان يكون لكم راس الشهور ويكون هذا اول شهور
السنة قل لجميع جماعة بني اسرايل في عشر من هذا الشهر فليأخذ الرجل منهم حملا وفي نسخة السبعين خروفا لبنيه وحملا
لآل بيته وان كان آل البيت قليلا لا يحتاجون الى حمل فليشترك هو وجاره القريب الى بيته على عدة الناس وعد واكل امرء
منهم على قدر اكله من الحمل حملا بلا عيب فيه ذكرا يمنا يكون الحمل حوليا من الخراف والجدي وتاخذونه ويكون محفوظا لكم
حتى يوم ١٤ اربعة عشر من هذا الشهر ويذبحه كل جماعة من كنيسة بني اسرايل اصيلا ويأخذون من دمه ويضعون على القايمين
والعتبة من البيت الذي ياكلونه فيه اي علامة للملئكة الذين يومرون بقتل ابكار المصريين ويأكلون اللحم في هذه الليلة مشويا
بنطير ولا تاكلوا منه نيأ ولا مطبوخا بالماء ولا بتقوا منه شيا للغد ولا تكسروا منه عظما وما فضل منه الى غد واحرقوه بالنار
وكلوه وانتم قيام وقد شددتم اوساطكم ونعالكم في ارجلكم وعصيكم في ايديكم وكلوه بعجلة فانه فصح للرب وانا فاني اعبر في
ارض مصر في هذه الليلة واضرب كل بكر بارض مصر من الناس والبهايم واعمل نقمة من جميع الهة المقربين انا الرب ويكون لكم هذا
اليوم ذكرا وتعيدونه عيدا للرب لدهوركم الى الابد وتعيدونه سبعة ايام وتاكلون فطيرا او تغربون الخمير من بيوتكم من اول
يوم وكل من ياكل خميرا فان تلك النفس تبيد من اسرايل من اليوم ١ الاول الى اليوم السابع وكل عمل يعمل فلا تعملوه فيها واحفظوا هذه
الوصية ففي هذا اليوم خرج عسكركم من مصر فاجعلوا هذا اليوم لدهوركم سنة فاذا بدا يوم ١ اربعة عشر من الشهر ١ الاول
من العشي كلوا فطيرا الى يوم احد وعشرين من الشهر الى العشا ولا يوجد خمير في بيوتكم سبعة ايام وكل من ياكل مخمرا فان تلك
النفس تبيد من جماعة اسرايل من الملة والذمة ومن سكان ١ الارض وكل ما كان خميرا فلا تاكلوه وكلوا فطيرا في جميع مساكنكم فدعا
موسى جميع اشياخ بني اسرايل وقال لهم عجلوا فخذوا غنما لقبايلكم واذبحوا الفصح وخذوا حزمة من ريحان ١ ربان واغمسوها
بدم الحمل ورشوا على معالم ابوابكم ومعاضدها وفي نسخة السبعين على العتبه وكلا القايمين من الدم الذي في ١ انا وكلا
يخرج احد منكم من باب بيته الى غدوة وفي نسخة السبعين الى الصباح فتحفظون هذه السنة والوصية انتم وبنوكم الى ١ الابد
واذا دخلتم ١ ارض التي يعطيكم الرب كما وعدكم فاحفظوا هذا العمل واذا سال بنوكم فقالوا لكم ما هذا الفعل فقولوا لهم هذه
ذبيحة فصح الرب اذ قصح على بيوت بني اسرايل بمصر اذ قتل المصريين وخلص بيوتنا فركع الشعب كله ساجدا لله وانطلق بنوا
اسرايل فصنعوا كما امراه موسى وهرون وفي بيوت اسرايل فلما كان عند نصف الليل قتل الرب ابكار ارض مصر وفي نسخة
السبعين كل بكر بارض مصر من بكر فرعون الجالس على منبره وفي نسخة السبعين على كرسيه وحتى بكر المسبي المجوس في
السجن وجميع ابكار البهايم فوثب فرعون في تلك الليلة هو وجميع عبيده وكل ارض مصر وفي نسخة السبعين وجميع المصريين
وكانت ولوله عظيمه في جميع ارض مصر لانه لم يوجد بيت لم يكن فيه ميت فدعا فرعون بموسى وهرون في تلك الليلة وقال لهما
انهضا فاخرجا من بين شعبي انتما وبنوا اسرايل ايضا وانطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب كقولكما وسوقوا غنمكم وبقركم
ايضا كما قلتما وانطلقوا وصلوا علي ايضا وادعوا لي فالح المصريون على الشعب ليخرجوهم عن الارض مسرعين لانهم قالوا
انا جميعا سنموت فحمل الشعب عجينهم قبل ان يختمر والبارد من فطيرهم مشدودا في عمايمهم ملقى على اعناقهم وصنع بنوا اسرايل
كما امرهم موسى واستعاروا من المصريين حلي ذهب وفضة وكسوة وفي نسخة السبعين انية الفضة والذهب والكسوة
وجعل الرب للشعب في اعين المصريين محبة ورحمة فاعاروهم فخربوا المصريين وطمن بنوا اسرايل من رعمسيس وعلى حاشية
نسخة السبعين انفاعين شمس يطلبون ساحوت ستمايه الف رجل سوى الخشم والعيال وصعد معهم من الغربا ايضا من كل
خلط ومن البقر والغنم والماشية كثيرجدا فاختبزوا العجين الذي اخرجوه معهم من مصر رغفا وفي نسخة السبعين فراني
فطيرا لم يختبزوه وفي نسخة السبعين لم يختمر وذلك ان المصريين اخرجوهم فلم يقدروا ان يلبثوا ولم يتزودوا زادا
للطريق ايضا وكان مسكن بني اسرايل في ارض مصر اربعماية وثلثين سنة وفي هذا اليوم خرج جميع جنود الرب من ارض مصر
وفي نسخة السبعين ليلا لان الرب وقت في سابق علمه حفظ تلك الليلة التي خرجوا فيها من مصر وكانت هذه الليلة محفوظة
معروفة لدى الرب لهلاك ابكار مصر ولاخراج جميع بني اسرايل ليكون ذكر ذلك في جميع احقابهم وخلوفهم وقال الرب
لموسى وهرون هذه سنة الفصح لا ياكل منه غريب وكل عبد لرجل اشتراه اذا ختنته عند ذلك فاطعموه الفصح والمجير
والساكن فلا ياكل منه في بيت واحد فليوكل وفي نسخة السبعين وكل عبد لرجل اشتراه فليختتن ثم ياكل منه المتجي ٥
والمجير وليوكل في بيت واحد ولا تخرجوا من اللحم خارجا من البيت شيا ولا تكسروا فيه عظما واذا سكن معكم غريب فيختتن
كل ذكر في بيته عند ذلك فليقترب وفي نسخة السبعين وليختتن منهم كل ذكر ثم يدنون من بعد ذلك الى اكل الفصح وليكن عند
ذلك بمنزلة اهل ١ الارض ولا ياكل منه اغرل ولتكن سنة واحدة لاهل ١ الارض والغربا الذين ليسكنون معكم وصنع جميع بني

اسرايل كما امر موسى وهرون وفي هذا اليوم اخرج الرب بني اسرآيل من ارض مصر وجميع جنودهم وقال الرب لموسى طهر
لي كل ذكر يفتح كل رحم من بني اسرايل من الناس والبهايم يكونون لي فقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من
مصر من العبودية والرق لان الرب اخرجكم من ههنا بيد منيعة الى آخر ما مضى في سورة البقرة ثم ذكر في الخامس علة الفصح
فقال احفظوا شهر البهار واعملوا فصحا لله ربكم لانه انما اخرجكم من ارض مصر في شهر البهار ليلا فاذبحوا فصحا لله ربكم من البقر
والغنم في الموضع الذي يختار الله ربكم فلا تاكلوا فيه خميرا بل كلوا فطيرا سبعة ايام خبزا يدل على التواضع لانه انما خرجتم
من ارض مصر بعجلة لتذكروا اليوم الذي اخرجتم فيه من مصر كل ايام حياتكم ولا يرى الخمير في حدودكم سبعة ايام ولا يحل
لكم ان تاكلوا الفصح في قرية من القرى التي يعطيكم الله ربكم ولكن في الموضع الذي يختار الله ربكم ان يصير فيه اسمه ففيه
اذبحوا الفصح ويذبح عند غروب الشمس في الوقت الذي خرجتم من ارض مصر ثم قال واحصوا سبعة سوابيع من بعد عيد
الفصح ثم اعملوا عيد السوابيع وائتوا بخواص غلاتكم للرب كما بارك لكم الله ربكم في الموضع الذي يختار الرب ان تصيروا اسمه
فيه واذكروا انكم كنتم عبيدا بارض مصر فاحفظوا هذه السنن كلها واعملوا بها واعملوا عيد المظال سبعة ايام اذا ما
ادخلتم بيادركم وخزنتم معاصركم ليبارك الله ربكم لكم في جميع غلاتكم وفي كل عمل ايديكم وتكونوا فرحين ويرى ذكركم امام الله
ربكم في الموضع الذي يختار ثلاث مرات في السنة في عيد الفطير وعيد السوابيع وعيد المظال انتهى وفيه مما لا يجوز اطلاقه
في شرعنا اضافة الابن في قوله ابني بكري وهو مؤول بانه يكرمه اكرام الولد واطلاق الاله على غير الله سبحانه مرادا به
الحاكم ولا يجوز هذا الاطلاق عندنا ولما انقضى ما اراهم سبحانه من الافعال الهايلة التي استخلصهم بها من ذلك الجبار
شرع يذكر ما قابلوه به من الجهل به سبحانه وما قابلهم به من الحلم ثم ما احل بهم بعد طول المهلة من ضرب الذلة والمسخ
بصورة القردة فقال عاطفا على قوله فاغرقناهم في اليم او قوله ثم بعثنا من بعدهم موسى وجاوزنا اي قطعنا
بما لنا من العظمة وساقه على طريق المفاعلة تعظيما له روي ان جوازهم كان يوم عاشورا وان موسى عليه السلام صامه
شكرا لله تعالى على انجايهم واهلاك عدوهم ببني اسرآيل بعد الايات التي شاهدوها البحر وانما جعلته معطوفا على اول
القصة لان هذه القصص كلها بيان لان في الناس السيئ الجوهر الذي لا يغنيه الايات كما مضى عند قوله والبلد الطيب
وبيان لقوله اخذنا اهلها بالباساء والضراء الى آخرها ويدل على ذلك ما ابتدئت به القصص ختمها بقوله ذلك
مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وقوله ولقد ذرانا لجهنم وحسن موقعها بعد قوله وتمت كلمة ربك الحسنى لانه لما
قيل بما صبروا تشوفت النفس الى فعلهم حال الرخاء هل شكروا فبين ان كثيرا منهم كفروا تصديقا لقوله وما وجدنا
لاكثرهم من عهد وما شاكله وما احسن تعقيب ذلك بقوله فاتوا اي مروا بفاء التعقيب على قوم اي ذوي قوة
قيل كانوا من لخم يعكفون اي يدورون ويتحلقون ملازمين مواظبين على اصنام لهم اي لا قوة فيها ولا نفع فهم في عكوفهم
عليها مثل في الغباوة وقيل انها كانت تماثيل بقر وكان ذلك اول ام العجل ولما اخبر سبحانه بذلك علم السامع انهم
بين امرين اما شكروا واما كفروا فتشوف الى ما كان منهم فاجاب سبحانه سوله بقوله قالوا اي لم يلبث ذكرهم لما اراهم
سبحانه من عظمته وشكرهم لما افاض عليهم من نعمته الا ريثما امنوا من عدوهم بمجاوزتهم البحر واغراقه فيه
حتى طلبوا الها غيره بقولهم يا موسى سموه كما ترى باسمه جفا وغلظة اعتمادا على ما عمهم من بره وحلمه غير متادبين بما
بهرهم من جلالة حظه من الله وقسمه اجعل لنا الها اي شيا نراه ونطوف به تقيدا بالوهم كما لهم آلهة وهذا منهم قول
من لا يعد الاله الذي فعل معهم هذه الافاعيل شيا ولا يستحضره بوجه ولما كان هذا منهم عظيما استانف جواب من
تشوف الى قول موسى عليه السلام لهم ما هو بقوله قال انكم قوم اي ذوو اقيام في شهوات النفوس وقال تجهلون
مضارعا اشعارا بان ذلك منهم كالطبع والغريزة لا ينتقلون عنه في ماض ولا مستقبل واعلم انه لا تكرر في هذه
القصص فان كل سياق منها لامر لم يسبق مثله فالمقصود من قصة موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة والملام هنا
الاستدلال الوجودي على قوله وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ومن هنا تعلم ان سياق قصة بني اسرآيل بعد الخلاص من
عدوهم لبيان اسراعهم في الكفر ونقضهم للعهود واستمر سبحانه في هذا الاستدلال الى آخر السورة وما انسب واذ اخذ
ربك من بني آدم الآية لقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وذكر في اول التي تليها تنازعهم في الانفال تحذيرا لهم من ان
يكونوا من الاكثر المذمومين في هذه وهذا بخلاف المقصود من سياق قصص بني اسرآيل في البقرة فانه هناك الاستجلاب
للايمان بالتذكير بالنعم لان ذلك في سياق خطابه سبحانه لجميع الناس بقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم وما شاكله من الاستعطاف بتعداد النعم ودفع النقم والله اعلم ولما استفيد من كلامه
لهم غاية الانكار عليهم علل هذا الانكار بقوله ان هؤلاء اي القوم متبر ما هم فيه اي مكسر مفت مهلك على وجه
المبالغة واذا فسد الظرف فسد المظروف واليه الاشارة بجعل هؤلاء اسما لان وامكانه خبرا لجملة الواقعة خبرا مقدما
على مبتدا به ولما كان الشي قد يهلك في الدنيا وهو حق اعلمهم بان هذا الهلاك انما هو عند الله اعم من كونه في الدنيا او في
الآخرة لبطلان ما هم فيه فقال معبرا بالاسمية اشارة الى انه الآن كذلك وان رئي بخلافه وباطل اي مضمحل زايل ما
كانوا اي جبلة وطبعا يعملون اي مواظبين عليه من الاصنام والعكوف وجميع اعمالهم لاجله لا وزن لشي منها اصلا ولا
اعتبار وفيه اشارة الى ان العباءة لا تنبغي الا للباقي الذي لا يجوز عليه التغير فاذا كان كذلك كان العمل له ايضا ثابتا

باقيا لا يجوز عليه البطلان وفي تعقيبها لتدمير آل فرعون اشارة الى موجب ذلك وان كل من كان على مثل حالهم من عبادة غير
الله كانت عاقبته الدمار ولما كان هذا استدلالا على ان مثل هذه الاصنام التي مروا عليها لا تصلح لان تعبد كان ذلك غير كاف
لهم لما تقرر من جهلهم فربما ظنوا ان غيرها مما سوى الله تجوز عبادته فكانه قيل هذا لا يكفي جوابا لمثل هؤلاء فهل قال لهم غير ذلك فقيل
نعم قال منكرا معجبا اغير الله اي الذي له جميع العظمة فهو المستحق للعبادة ابغيكم اي اطلب لكم الها فانكر ان يتاله غيره وحصر الامر
فيه ثم بين بقوله وهو اي والحال انه هو وحده فضلكم دون غيركم ممن هو في زمانكم او قبله على العالمين انه لو لم يكن لوجوب
اختصاصهم له بالعبادة سبب سوى اختصاصه لهم بالتفضيل على ساير عباده الذين بلغهم علمهم ممن هو اقوى منهم حالا واكثر عددا
واموالا لكان كافيا ولما اثبت ان الالهية لا تصلح لغيره وان غيره لم يكن يقدر على تفضيلهم وكان المقام للعظمة وكان كانه قيل
ايذانا بغلظ اكبادهم وقلة فطنتهم وسوء مقابلتهم للمنعم اذكروا ذلك اي تفضيله لكم باصطفاء ابائكم ابرهيم واسحق ويعقوب
وما تقدم له عندهم وعند اولادهم من النعم لا سيما يوسف عليه السلام الذي حكمه في جميع الارض التي استذلكم اهلها عطف عليه
اشارة اليه قوله التفاتا الى مظهر العظمة تذكيرا بعظمة مدخوله واذ اي واذكروا اذ انجيناكم اي على ما نحن عليه من العظمة
التي انتم بها عارفون ولها كل وقت في تلك الايات تشاهدون من آل فرعون وما افضنا عليكم بعد الانجاء من النعم الجسام واريناكم
من الايات العظام تعرفوا انا فضلناكم على جميع الانام ثم استانف بيان ما انجاهم منه بقوله يسومونكم اي ينزلون بكم دايما
سوء العذاب ولما كان السياق كما مضى لبيان اسراعهم في الكفر وشدة عنادهم وقسوتهم وجلافتهم وكان مقصود السورة انذار
المعرضين وتحذيرهم من القوارع التي احلها بالماضين بين سوء العذاب عادلا في بيانه عن التذبيح لانه قد لا يكون عنه الانذباح
وهو في الاصل لمطلق الشق الى التعبير بالقتل لانه ادل على الاماتة واهول لانه قد يكون على هيئة شديدة بشعة فالتقطيع
والنخس والخبط وغير ذلك مع انه لا بد فيه من تفويت النفس فقال يقتلون اي تقتيلا كثيرا ابناءكم ودل على حقيقة القتل
بقوله ويستحيون ولما كان المعنى انهم لا يعرضون للاناث صغارا ولا كبارا وكان انكا ما يكون ابقاء النساء بلا رجال لما
يخشى من الضياع والعار وكان مظنة العار الكبر عبر عنهن بقوله نساءكم وتنبيها على ان قتل الابناء انما هو للخوف من صيرورتهم
رجالا لئلا يسلبهم واحد منهم اعلمهم به كهانهم ملكهم واشار الى شدة ذلك بقوله وفي ذلكم اي الامر الصعب المهول بلاء اي
اختبار لكم ولهم من ربكم اي المحسن اليكم في حال الشدة والرخاء فانه اخفى عنهم الذي قصدوا القتل لاجله وانقذكم به بعد ان
رباه عند الذي هو مجتهد في ذبحه عظيم ولما ذكرهم بنعمة انجاء الابدان اتبعها التذكير باكبر منها اذ كانت لحفظ الاديان وصيانة
جوهرة الايمان بما نصب لهم من الشرع في التورية فقال معجبا من حالهم اذ كان في الانعام عليهم بنصب الشرع الهادي لهم
من الضلال واختصاص نبيهم بمزيد القرب بالمناجاة وهم في اتخاذ الرسول لا نفع فيه اصلا ولا يرضى كلب لو عقل ان يعبده
عاطفا له على ما سبق تعجيبه به منهم في قوله وجاوزنا ببني اسرائيل وواعدنا اي على ما لنا من باهر العظمة موسى ثلثين
اي مناجاة ثلثين ليلة اي عقبها واتممناها اي المواعدة بعشر اي ليال وذلك لانه لما مضت ثلثون ليلة وهو شهر
ذي القعدة فيما قيل وكان موسى عليه السلام قد صامها ليلها ونهارها ادرك من فمه خلوفا فاستاك فاعلمه الله انه قد افسد
ريح فمه وامره بصيام عشرة ايام اخرى هي عشر ذي الحجة ليرجع ما ازاله من ذلك وذلك ان موسى عليه السلام وعد بني
اسرائيل وهو بمصر انه اذا اهلك سبحانه عدوهم اتاهم بكتاب من عنده فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما اهلك الله عدوهم
سال موسى عليه السلام الكتاب فامره بصوم ثلثين يوما ثم امره بالعشر ولما كان من الممكن ان يكون الثلثون هي النهاية
وتكون مفصلة الى عشرين ثم عشر ازال هذا الاحتمال بقوله فتم ميقات ربه اي الذي قدره في الازل لان يناجيه بعده
بالفاء ولما كانت العشر غير صريحة في الليالي قال ليلة وعبر بالميقات لانه ما قدر فيه عمل من الاعمال واما الوقت
فزمان الشيء سواء كان مقدرا ام لا وعبر بالرب اشارة الى اللطف به والعطف عليه والرحمة له والميقات هو الاربعون
قاله الفارسي في الحجة وقدر انتصاب اربعين بمعدودا هذا العدد كما تقول تم القوم عشرين اي معدودين هذا العدد
واجمل سبحانه الاربعين في البقرة لان المراد بذلك السياق تذكيرهم بالنعم الجسام والمت اليهم بالاحسان والاكرام ليكون
ذلك ادعى الى رجوعهم الى الايمان وامكن في نزوعهم عن الكفران بدليل ما سبق قصتهم من قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم
كيف تكفرون بالله وما اكتنفها اولا واخرا من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الايتين المبدوء بها
والمختوم بها وفصل هنا الاربعين الى ثلثين وعشر لان المراد بهذا السياق كما تقدم بيان كفرهم ومرودهم على خزيهم
ومكرهم وانه لم ينفعهم توالي المعجزات ولا اغنى عنهم شيئا تواتر النعم والايات كما كان ذلك في قصص الامم الخالية والقرون
الماضية ممن ذكر في هذه السورة استدلالا كما تقدم على ان المفسد اكثر من المصلح الى غير ذلك مما اجمل في قوله وما ارسلنا
في قرية من نبي الا اخذنا اهلها الى اخره وتسلية لهذا النبي الكريم وترهيبا لقومه بما وقع لهم من العقاب الاليم والفصل
بين السياقين يدق الا عن اولي البصائر والله اعلم فيكون المراد بتفصيل الاربعين هنا بيان ان ابطاء موسى عليه السلام
عما علموه من الميعاد انما كان بعشرة ايام فارتكبوا فيها هذه الجريمة التي هي اعظم الجرائم واشار تعالى الى عظيم جراتهم وعراقتهم
في السفه بقوله عاطفا على واعدنا وقال موسى اي لما واعدناه لاخيه ثم بينه تصريحا باسمه فقال هرون اخلفني
اي كن خليفتي فيهم تفعل ما كنت افعل واكد الارتسام بما يحده له بقوله في قومي واشار الى حثه على الاجتهاد بقوله
واصلح اي كن على ما انت عليه من ايقاع الاصلاح ولما كان عالما بانه صلى الله عليه وسلم مبرا عن السوء غير ان عنده لينا

اربعين صح

قال ولا تتبع اي تكلف نفسك غير ما طبعت عليه بان تتبع سبيل المفسدين اي استصلاحهم وخوفا من تغييرهم فاختلفوا عن الطريق كما تغير فيهم موسى عليه السلام ولم يذكروا ما فيه فلاحهم خافوا بطش من بطش ممن كان يسومهم سوء العذاب ولا نهم سمعوا لاخيه في الصلاح وقالوا انتظروه عشرة ايام فلا اخف منهم احلاما ولا اشد على المعاصي اقداما ولما ذكر سبحانه مواعدته واحتياطه في اصلاح قومه شرح امره حال المواعدة وحالهم بعد غيبته عنهم فقال ولما جاء موسى لميقاتنا اي عند اول الوقت الذي قدرناه للمناجات ولما كان مقام الجلال مهولا لا يستطاع وعي الكلام معه التفت الى مقام الاكرام فقال وكلمه اي من غير واسطة ربه اي المحسن اليه بانواع الاحسان المتفضل على قومه بانواع الامتنان والذي سمعه موسى عليه السلام عند اهل السنة من الاشاعرة هو الصفة الازلية من غير صوت ولا حرف ولا بعد في ذلك كما لا بعد في رؤيته ذاته سبحانه وهي ليست بجسم ولا جوهر ولا عرض وليس كمثله شيء وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سبحانه كلمه في جميع المياقات وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين والاول اولى ولما كلمه بصفة الربوبية الناظرة الى العطف واللطف وكانت الروية جاسرة الشوق الى الروية شوقا لم يتمالك معه لما استحلاه من لذاذة الخطاب فسالها لعلمه انها جايزه فقال اسقط الاداة كعادة اهل القرب رب ارني اي ذاتك الاقدس بان ترفع عني الحجاب فتجعلني متمكنا من النظر وهو معنى قول الحبر ابن عباس اعطني وحقق انها روية العين بقوله في جواب الامر انظر اي اصوب تحديق العين واشار الى عظمته سبحانه وعلو شانه علو العظمة لا المسافة بالتعدية بحرف النهاية بعد ان اشار بحرف اداة الندا الى غاية القرب بالاحسان فقال اليك اي فاراك ولما كان سبحانه قد قضى انه عليه السلام لا يراه في الدنيا قال لن تراني ودل سبحانه بهذه العبارة على جواز روية حيث لم يقل لن ارى اولن يراني احترام زادة ذلك بيانا بتعليقه بممكن فقال ولكن انظر الى الجبل اشارة الى جميل يعهده وهو اعظم جبل هناك وزاده في الاشارة الى امكان الروية بالتعبير باداة الشك واتباعها بامر ممكن فقال فان استقر مكانه اي وجد قراره وجوده انا ما واشار الى بعد الروية ايضا وجلاله المطلوب منها بقوله فسوف تراني اي بوعد لا خلف فيه فلما تجلى ربه اي المحسن اليه بكل عطاء ومنع وبين بتعبيره اللام انه تجلي قرب وخصوصية ولو عبر بعلى مثلا لكان امرا حر فقال للجبل اي بان كشف الجبل عن ما شاء من حجب عظمته جعله دكا اي مدكوكا والدك والدق اخوان وخر اي وقع موسى صعقا اي مغشيا عليه مع صوته هائل فعلم ان معنى الاستدراك انك لن تثبت لرؤيتي في هذه الدار ولا تعرف ذلك الآن ولكنك تعرفه بمشاهدتيكه وهو الجبل فانا الفاني كما نقل عن الامام مالك رضي الله عنه لا ينبغي له ان يرتجي البقاء فلما افاق اي من غشيته قال سبحانك اي تنزهت اليك عن ان اطلب منك ما لم تاذن فيه تبت اليك اي من ذلك وانا اول المؤمنين اي مبادر غاية المبادرة الى الايمان بكل ما اخبرت به وكل ما تضمنته هذه الايات فتعبيره بالايمان في غاية المناسبة لعدم الروية لان شرط الايمان بالغيب وقد ورد في نبينا صلى الله عليه وسلم اتيان احدهما يمكن ان تشير الى الروية بالتعبير بالمسلمين دون المؤمنين في قوله وانا اول المسلمين والثانية توحي الى عدمها وهي آخر الرسول الى قوله كل امن بالله والله اعلم وكل هذا تنكيت على قومه وتبكيت لهم في عبادتهم العجل وردع لهم عن ذلك وتنبيه لهم على ان الالهية مقرونة بالعظمة والكبرياء بعيدة جدا عن ذوي الاجسام لما يعلم سبحانه من انهم سيكررون عبادة الاصنام فاثبت للاله الحق الكلام والتردي عن الروية بحجاب الكبر والعظمة وانه كاك الجبل عند تجليه ونصب الشرع الهادي الى اقوم سبيل تعريضا والى ذلك يرشد قوله تعالى الم يروا انه لا يكلمهم الآية ولما منعه الروية بعد طلبه اياها وقابل ذلك بمحاسن الانعام والاقوال تشوف السامع الى ما قوبل به من الاكرام فاستانف سبحانه الاخبار عما منحه به تسلية له عما منعه وامرا بشكره بقوله قال يا موسى مذكرا له نعمه في سياق دال على عظيم قدرها واعجاب شكرها مستقطا عنه مظهر العظمة تانيسا له ورفقا به اني اصطفيتك اي اخترتك اختيارا بالغا كما يختار ما يصفى من الشيء عن كل دنس على الناس اي الذين في زمانك برسالاتي اي الايات المستكثرة التي اظهرتها واظهرها على يديك من اسفار التورية وغيرها وبكلامي اي من غير واسطة وكانه اعاد حرف الجر للتنبيه على ذلك كما اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على الناس عامة في كل زمان برسالته العامة وبكلامه المعجز وبتكليمه من غير واسطة في السماء التي قدست دائما ونزهت عن التدنيس بمعصيته ولما كان ذلك مقتضيا لغاية الاقبال والنشاط سبب عنه قوله فخذ ما اتيتك اي مخصصا لك به وكن من الشاكرين اي العريقين في صفة الشكر المجبولين عليها ولما انتضى ما انسبه سبحانه به لغت الكلام في الاخبار لنا عن عظيم ما اتاه الى مظهر العظمة فقال منفصلا لتلك الرسالة ومبينا بعض ما كان من الكلام وكتبنا اي بعظمتنا له في الالواح عرفها لعظمتها تنبيها على انها من الجلالة ما اختصت به كانها المختصة بهذا الاسم واعظم من هذا جعل قلب النبي الامي لوحا قابلا لما يلقى اليه جامعا لعلوم الاولين والاخرين من كل شيء اي يحتاجه بنو اسرائيل وذلك هو العشر الايات التي نسبتها الى التورية نسبة الفاتحة الى القرآن تفيها اصول الدين واصول الاحكام والتذكير بالنعم والامر بالزهد والورع ولزوم محاسن الاعمال والبعد عن مساويها ولذا قال مبدلا موعظة وتفصيلا اي على وجازتها بما كانت سببا لكل شيء اي من النافع كونها امهات وجوامع منفصلة ترجع اليها بحور العلم وتنشق منها ينابيعها ولما كان هكذا تسبب عنه جوابه قوله تعالى التفاتا الى خطاب موسى عليه السلام بخطاب التانيس اشارة الى ان التزام التكاليف صعب فخذها اي الالواح بجد وعزيمة بقوة اي في العلم والعمل وامر قومك اي الاقوياء على محاولة ما يراد باخذوا باحسنها كانه سبحانه اطلق لموسى عليه السلام الاخذ بكل ما فيها لما عنده من الملكة الحاجزة له عن شيء من المجاوزة ولذلك قال له بقوته وقيدهم بالاحسن ليكون الحسن جدا ما تقابل من الوصول الى القبيح

ناقا النصوص وهو الروية وهو التحديق بالعين صحيح وهو النظر الذي هو التحديق بالعين

وذلك كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر ولما كان كانه قيل وهل يترك الاحسن احد فقيل نعم الفاسق يتركه بل
ويتجاوز الحسن الى القبيح بل والى اقبح القبيح ومن تركه اهلكته وان جل آله وعظمت جنوده واموالهم قال كالتعليل لذلك
سأريكم دار الفاسقين اي الذين يخرجون عن اوامري الى ما انهاهم عنه فانصركم عليهم وامكنكم بفسقهم من رقابهم واموالهم
من الكنعانيين والحاثانيين وغيرهم من سكان الاراضي المقدسة لتعلموا ان من اغضبني وترك امري امكنت منه وانما ذكر الدار
ليلا تغرهم منعتها اذا استقروا بها فيظنوا ان لا غالب لهم فيها بوعورة ارضها وشهوق جبالها واحكام اسوارها واذا تاملت
ما سياتي في شرح هذه الايات من التورية لاح لك هذا المعنى وكذا ما ذكر من التورية عند قوله تعالى في المائدة قل هل
انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله وفي هذه الجملة المختصرة بشارة باتمام الوعد بنصرتهم عليهم بطاعتهم ونذارة على تقدير
معصيتهم فكانه قيل ان اخذوا بالاحسن اريتهم دار الفاسقين واتممت عليهم النعمة ما داموا على الشكر وان لم ياخذوا اهلكتهم
كما اهلك الفاسقين من بين ايديهم فحذرهم ليلا يفعلوا افعالهم اذا استقرت بهم الدار وزالت عنهم الاكدار ويؤيد كون المراد
القدس لا مصر فزاه من قرا ساورثكم من الارث لانها هي المقصودة باخراجهم من مصر وبعث موسى عليه السلام ولا ينفي ذلك احتمال
مصر ايضا والله اعلم ولما انقضى ذلك كان كانه قيل وكيف يختار عاقل ذلك فكيف بمن راى الايات وشاهد المعجزات فقال
ساصرف عن اياتي اي المسموعة والمرئية على عظمتها بما اشارت اليه الاضافة بالصرف عن فهمها واتباعها والقدرة على الطعن
فيها بما يؤثر في ابطالها الذين يتكبرون اي يطلبون الكبر بما ليس لهم ويعملون قواهم فيه في الارض اي جنسها الذي امرت
بالتواضع فيه ولما كان من رفعه الله بصفة فاضلة فوضع نفسه موضعها ولم يهنها نظرا لما انعم الله به عليه ومنحه اياه
ربما سمي ذلك منه كبرا وربما سمي طلبه لتلك الاخلاق التي توجب رفعته تكبرا وليس كذلك وان وافقه في الصورة لمفارقته له
في المعنى فانه صيانة النفس عن الذل وهو انزال النفس دون منزلتها ضعة لا تواضعا والكبر رد الحق واحتقار الناس ففي
التقييد هنا اشارة خفية بالاثبات العزة بالحق والوقوف على حد التواضع من غير انحراف الى الضعة وقوفا على شرط العزة
المنصوب على متن نار الكبر قاله الامام السهروردي قال ولا يؤيد في ذلك ويثبت عليه الا اقدام العلماء الراسخين قال تعالى
احترازا عنه ومدخلا كل كبر خلا عن الحق الكامل بغير الحق اي انما يختار غير الاحسن من يختاره بقضائي الذي لا يرد وامري العالي على
امر كل ذي جد فازين لمن علمت خبائه عنصره ورداءة جوهره ما اريد حتى يرتكبوا كل قبيحة ويتركوا كل مليحة فينصرفون عن الايات
ويعمون عن الدلالات الواضحات ولما اخبر بتكبرهم في الحال عطف عليه فعلهم في المآل فقال وان يروا كل اية اي مرئية
او مسموعة لا يؤمنوا بها اي لتكبرهم عن الحق وان يروا سبيل اي طريق الرشد اي الصلاح والصواب الذي هو اهل للسلوك
لا يتخذوه سبيلا اي بغاية الشهوة والتعمد والاعتمال لسلوكه ولما كان هذا محل عجب اجاب من يسال عنه بقوله ذلك
اي الصرف العظيم الذي زاد عن مطلق الصرف بالعمى عن الايمان والاتخاذ الرشاد بانهم اي بسبب انهم كذبوا باياتنا اي على ما لها
من العظمة وكانوا عنها خاصة جبلة وطبعا غافلين اي كان دابهم وديدنهم معاملتهم لها بالاعراض عنها حتى كانها مغفول عنها
فهم لذلك يصرون على ما يقع منهم ولما ذكر احوال المتكبرين الذين اداهم كبرهم الى التكذيب في الدنيا ذكر احوالهم في الاخرة فقال
والذين اي كذبوا بها والحال ان الذين كذبوا باياتنا اي فلم يعتبروا عظمتنا ولقاء الاخرة اي ولقائهم اياها او ولقائهم ما
وعدوا به فيها اللازم من التكذيب بالايات الحامل التصديق به على معالي الاخلاق حبطت اي فسدت فسقطت اعمالهم والاية
من الاحتباك اثبات الغفلة اولا يدل على ارادتها ثانيا واللقاء ثانيا يدل على ارادته اولا ولما كان كانه قيل لم بطلت قيل
هل يجزون الا ما اي جزاء ما كانوا يعملون اي بابطال اعمالهم وان عملوا كل حسن سوى الايمان بسبب انهم ابطلوا الايات
والاخرة بتكذيبهم بها اي عدوها باطلة والجزاء من جنس العمل والحاصل انهم لما عموا عن الايات لانهم لم ينظروا فيها ولا
انقادوا مع ما دلت عقولهم عليه من امرها بل سدوا باب الفكر فيها زادهم الله عمى فختم على مداركهم فصارت لا ينتفع بها
فصاروا لا يعون وهذه الايات اعظم زاجر عن التكبر فانها بينت انه يوجب الكفر والاصرار عليه والوهن في جميع الامور
ولما كان ذلك كله مما يتعجب الموفق من ارتكابه اعقبه تعالى مبينا له ومصورا ومحققا لوقوعه ومقررا قوله عطفا
عطفا على فاتوا على قوم يعكفون مبينا لاسراعهم في الكفر واتخذ اي بغاية الرغبة قوم موسى اي باتخاذ السامري ورضاهم
ولم يعتبروا شيئا مما اتاهم به من تلك الايات التي لم ير مثلها من بعده اي من بعد ابطائه عنهم بالعشرة الايام التي اتممنا بها
الاربعين من حليهم اي التي كانت معهم من مالهم ومما استعاروه من القبط عجلا ولما كان العجل اسما لولد البقر بين انه
انما يشبه صورته فقط فقال مبدلا منه جسدا ولما كان الاخبار بانه جسد مفهما لانه خال مما يشبه الناشي عن الروح
قال له خوار اي صوت كصوت البقر والمعنى انه لا اضل ولا اعمى من قوم كان معهم حلي اخذوه ممن كانوا يستعبدونهم ويؤذونهم
وهم مع ذلك اكفر الكفرة فكان جديرا بالبغض لكونه من اثار الظالمين الاعداء فاعتقدوا انه بالصوغ صار الها وبالغوا
في حبه والعبودية له وهو جسد يرونه ويلمسونه ونبيهم الذي هداهم الله به واصطفاه لكلامه يسال رؤية الله فلا يصل
اليها ولما لم يكن في الكلام نص باتخاذه الها دل على ذلك بالانكار عليهم في قوله الم يروا اي الذين اتخذوه الها انه لا يكلمهم
اي كما كلم الله موسى عليه السلام ولا يهديهم سبيلا كما هداهم الله تعالى الى سبل النجاة منها سلوكهم في البحر الذي كان سببا
لاهلاك عدوهم كما كان سببا لنجاتهم قال ابو حيان سلب عنه هذين الوصفين دون ما في اوصاف الالهية لان انتفاء التكليم
يستلزم انتفاء العلم وانتفاء الهداية الى سبيل انتفاء القدرة وانتفاء هذين الوصفين يستلزم انتفاء باقي الاوصاف ولما

كان

كان هذا امرا عظيما جدا مستبعدا الوقوع ولا سيما من قوم فيهم نبيهم ولا سيما وقد اراهم من النعم والايات ما ملات انوارها الافاق كان جديرا بالتاكيد فقال تعالى اتخذوه اي بغاية الجد والنشاط والشهوة وكانوا اي جبلة وطبعا مع ما اثبت لهم من الانوار ظالمين اي حالهم حال من يمشي في الظلام او ان المقصود ان الظلم وصف لهم لازم فلا يدع اذا فعلوا امثال ذلك ولما كان هذا في سياق ذلك بانهم كذبوا بايانا وكانوا عنها غافلين وكان قد تقدم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بايانا وكانوا عنها غافلين فاتج ان من كذب على هذه الصفة اهلك فانتظر السامع الاخبار بتعجيل هلاكهم اخبر بانه منعهم من ذلك وحرمهم المبادرة بالتوبة ولما اشتد من تشوف السامع اليه قدمه على سببه وهو رجوع موسى عليه السلام اليهم وانكاره عليهم ولان السياق في ذكر اسرافهم في الفسق لم يذكر قبول توبتهم كما في البقرة ولما كان من المعلوم انهم تبين لهم من قرب سوء مرتكبهم لكون نبيهم فيهم عبر بما افهمان التقدير فسقط في ايديهم وعطف عليه قوله سياتي ما هو معروف ولما سقط اي سقطت اسنانهم في ايديهم بعضها اثر بعض سقوطا كانه بغير اختيار لما غلب فيه من الوجد والاسف الذي ازال تاملهم ولذلك بناه للمفعول ورأوا انهم قد ضلوا اي عن الطريق الواضح قالوا توبة ورجوعا الى الله كما قال ابوهم آدم عليه السلام لئن لم يرحمنا ربنا اي الذي لم يقطع قط احسانه عنا فيكف غضبه ويديم احسانه ويغفر لنا اي بمحو اثر ذنوبنا عينا واثرا اي لا ينتقم منا في المستقبل لنكونن من الخاسرين اي فينتقم منا بذنوبنا ولما اخبر بالسبب في تاخير الانتقام عنهم عن مساواتهم لمن اوقعت لهم التعمة في موجب الانتقام اخبر سبحانه بحال موسى عليه السلام معهم عند رجوعه اليهم من الغضب لله والتبكيت لمن خالفه مع ما اشتمل عليه من الرحمة والتواضع فقال ولما رجع موسى اي من المناجات الى قومه غضبان اي في حال رجوعه لما اخبره الله تعالى عنهم من عبادة العجل اسفا اي شديد الغضب والحزن قال بئسما اي خلافته خلافتكم التي خلفتموني اي قمتم مقامي وفعلتم خلفي ولما كان هذا رعاوهم انهم تعلوه من ورائه وهو حاضر في طرف العسكر قال من بعدي اي حيث عبدتم غير الله ايها العبدة وحيث لم تكفوهم ايها الموحدون بعد ذهابي الى الجبل للمواعدة الالهية وبعد ما سمعتم مني من التوحيد لله تعالى وافراده عن خلقه بالعبادة ونفي الشركاء عنه وقد رايتم حين كففتكم وزجرتكم عن عبادة غيره حين قلتم اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف ولا يخالفوه في شيء ولما كان قد امرهم ان لا يحدثوا حدثا حتى يعود اليهم انكر عليهم عدم انتظاره فقال اعجلتم قال الصغاني في الجمع سبقتم وقال غيره عجل عن الامر اذا تركه غير تام ويضمن معنى سبق فالمعنى سابقين امر ربكم اي مبعاده الذي ما زال يحسنا اليكم اي فعلتم هذا قبل بلوغ امر الموعد الذي زاد فيه ربي وهو العشرة الايام برجوعي اليكم الى حده فظننتم اني مت فغيرتم كما غيرت الامم بعد موت انبيائها وقال الامام ابو عبد الله القزاز ايضا عجلتم سبقتم ومنه تقول عجلت فلانا سبقته واسنده ابن التياني الى الاصمعي والى الالواح اي التي فيها التوراة غضبانا لله وارهابا لقومه ودل هذا على ان الغضب بلغ منه حدا لم يتماكن معه وذلك في الله واخذ برأس اخيه اي بشعره يجره اليه اي بناء على انه قصر واعلاما لهم بان الغضب من هذا الفعل قد بلغ منه مبلغا يجل عن الوصف لانه اجتثاث للدين من اصله ولما كان هرون عليه السلام غير مقصر في نفسه اخذ في اعلام موسى عليه السلام بذلك مخصصا الام وان كان شقيقه تذكيرا له بالرحم الموجبة للعطف والرقة ولا سيما وهي مومنة وقد قاست فيه المخاوف فاستانف سبحانه الاخبار عن ذلك بقوله قال ابن ام وحذف اداة النداء ويا الاضافة لما يقتضيه الحال من الايجاز وفتح الجمهور الميم تشبيها له بخمسة عشر او على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وكسر الميم ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بنية حذف ياء الاضافة تخفيفا ان القوم اي عبدة العجل الذين يعرف قيامهم في الامور التي يريدونها استضعفوني اي عدوني ضعيفا واوجدوا ضعفي بارهابهم لي وكادوا يقتلونني اي قاربوا ذلك لانكاري ما فعلوه فسقط عن الوجوب ولما تسبب عن ذلك اطلاعه خاف ان يمنعه الغضب من ثبات ذلك في ذهنه وتقرره في قلبه فقال فلا تشمت بي الاعدا اي لا تسرهم عما تفعل بي فاكون ملوما منهم ومنك ولما استعطفه بالتذكير بالشمائة التي هي شماتة به ايضا ابعه ضررا يخصه فقال ولا تجعلني اي عواخذتك لي مع القوم الظالمين اي فتقطعني بعدك لي منهم وجعلي في زمرتهم عن اجابه من البعضه من الفاسدين الذين فعلوا فعل من هوى في الظلام فوضعوا العبادة في غير موضعها من غير شبهة ولا لبس اصلا ولما تبرا له ما هو اللايق بمنصب اخيه الشريف من انه لم يقصر في دعائهم الى الله ولا وني في تفهيمهم عن الضلال وراى ان ما ظهر منه من الغضب مرهب لقومه وازع لهم عما ارتكبوا دعاله ولنفسه مع الاعتراف بالعجز وانه لا يسع احدا الا العفو وساق سبحانه ذلك مساق الجواب لسوال بقوله قال رب اي ايها المحسن الي اغفر لي اي ما حملني عليه الغضب لك من ان يقاعني باخي ولاخي اي في كونه لم يبلغ ما كنت اريده منه من حصادهم؟ ولما دعا محا التقصير اتبعه الاكرام فقال وادخلنا اي انا واخي وكل من انتظم معنا في رحمتك لتكون غامرة لنا محيطة بنا ولما كان التقدير فانت خير الغافرين عطف عليه وانت ارحم الراحمين اي لانك تنعم بما لا يحصره الحد ولا يحصيه العد من غير نفع يصل اليك ولا اذى يلحقك بفعل ذلك ولا تركه ولما كان السوال له ولاخيه وهما معصومان من الذنوب طوي ما يتعلق بالمغفرة وذكر متعلق الرحمة بخلاف ما ياتي في السوال له وللسبعين من قومه فانه عكس فيه ذلك ولما صحت براءة الخليفة واشير الى انه مع ذلك فقير الى المغفرة التفت النفس الى حال المفسدين فقال مخبرا عن ذلك ان الذين اتخذوا العجل اي رغبوا رغبة تامة في اخذهم الهامع المخالفة لما ركز في الفطرة الاولى ودعاهم اليه الكليم عليه السلام سينال اي بوعد لا خلف فيه غضب اي عقوبة فيها طرد وابعاد ولعله ما امروا به من قتل انفسهم واشار الى انه فيه رفق بهم وحسن تربيه لتوبة من بقي منهم بقوله من ربهم اي الذي لا محسن اليهم غيره يلحقهم في الدنيا ويتبعهم في الاخرة

وذلة في الحيوة الدنيا اي جزاء لهم على افترآئهم وكذا كل من رضي فعلهم ولا سيما ان كان من اولادهم كتربيطه والنضير واهل خيبر وكذلك اي ومثل جزآئهم نجزي المفترين اي المتعدين الكذب وهذا نص في ان كل مفتر ذليل كما هو المشاهد وان اظهر الجراة بعضهم ولما ذكر المصرين على المعصية عطف عليه التايبين ترغيبا في مثل حالهم فقال والذين عملوا السيئات عبر بالعمل اشارة الى العفو وان اقدموا عليها على علم وجمع اعلاما بانه لا يتماظمه ذنب وان عظم وكثر وان طال زمانه ولذلك عطف باداة البعد فقال ثم تابوا وحقق الامر ونفى المجاز بقوله من بعدها ثم ذكر الاساس الذي لا يقبل عمل لم يبن عليه على وجه يفهم انه لا فرق بين ان يكون في السيئات ردة او لا فقال وامنوا ثم اجاب المبتدا بقوله ان ربك اي المحسن اليك بقبول توبة التايبين لما يسرك من ذلك لانك بهم روف رحيم من بعدها اي التوبة لغفور اي محاء لذنوب التآيبين عينا واثرا وان عظمت وكثرت رحيم اي فاعل بهم فضل الرحيم من البر والاكرام واللطف والانعام وكان المصرين هم الذين قتلوا لما امرهم موسى عليه السلام بقتل انفسهم فلما اهلك المصر وتاب الباقي وصحت براءة اخيه وبقاؤه على رتبته من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتهاد في مراعاة زال موجب الغضب فاخبر سبحانه عما تعقبه فقال ولما سكت اي كف شبه الغضب بمتكلم كان بحث موسى عليه السلام ويضربه على ما يوجبه ويقتضيه فلما شفي غيظه سكن وقطع كلامه مخلفه ضده وهو الرضى عن موسى الغضب وهو غليان القلب بما تاذى به النفس اخذ الالواح اي التي جاء بها من عند الله بعد ما القاها وفي اي والحال انه في نسختها اي الامر المكتوب فيها فعلة بمعنى مفعوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما القاها صام للمناجاة اربعين يوما اخرى نزلت عليه في لوحين مكان ما تكسر هدى اي شيء يوضح للمقاصد ورحمة اي سبب للاكرام للذين هم لربهم اي لاجله يرهبون اي هم اهل لان يخافوا خوفا عظيما مقطعا للقلوب موجبا للهرب ويستمرون على ذلك شرح ما في هذه الايات من عند قوله ساريكم دار الفاسقين من البداية من التورية قال المترجم في السفر الخامس منها بعد ان بكتهم ببعض ما فعلوه مما اوجب لهم الغضب والعقوبة بالتيه وحتم عليهم لزوم امر الله لينصرهم فاما الوصايا التي امركم بها اليوم فاحفظوها واعملوا بها لتحيوا وتكثروا وترثوا الارض التي اقسم الله لابايكم فتذكروا كل الطريق الذي سيركم الله ربكم فيه ودبركم متذ اربعين سنة في البرية ليواضعكم ويجربكم ويعلم ما في قلوبكم هل تحفظون وصاياه ام لا فواضعكم واجاعكم واطعمكم منا لم تعرفوه انتم ولا آباؤكم ليبين لكم انه ليس انما يعيش الانسان بالخبز فقط بل انما يعيش بما يخرج من فم الله ولم تبل ثيابكم ولم تحف اقدامكم متذ اربعين سنة احفظوا وصايا الله ربكم وسيروا في طرقه واتقوه لان الله ربكم هو الذي يدخلكم الى الارض المخصبة ارض كثيرة الاودية والينابيع والعيون التي تجري في الصحاري والجبال ارض الحنطة والشعير فيها الكروم والتين والرمان والزيتون والدهن والعسل ارض لا تحتاجون فيها ولا تاكلون خبزكم بالقفر ولا يعوزكم فيها شيء ارض حجارتها حديد تستخرجون النحاس من جبالها فاحتفظوا لا تنسوا الله ربكم واحفظوا وصاياه وشرايعه التي امركم بها اليوم لا تبطروا فاذا اكلتم وشبعتم وبنيتم بيوتا وسكنتموها وكثر غنمكم وبقركم وكثرت اموالكم فتعظم قلوبكم وتنسوا الله ربكم الذي اخرجكم من ارض مصر واقوزكم من العبودية ودبركم في البرية المرهوبة العظيمة حيث الحيات الحردات والعقارب وفي مواضع العطش وحيث لم يكن لكم ماء اخرج لكم من صما والظران واطعمكم منا لم تعرفه اباؤكم ليواضعكم ويجربكم ويحسن اليكم آخر ذلك وانظروا لا تقولوا في قلوبكم انا انما استفدنا هذه الاموال بقوتنا وعزة قلوبنا ولكن اذكروا الله ربكم الذي قواكم ان تستفيدوا هذه الاموال ليثبت العهد الذي اقسم لابايكم وان انتم نسيتم الله ربكم وتبعتم الهة اخرى وعبدتموها وسجدتم لها اشهدت عليكم اليوم فاعلموا انكم تهلكون هلاكا سوءا كالامم التي اباد الرب بين ايديكم كذلك تهلكون اسمعوا يا بني اسرايل انتم تجوزون اليوم نهر الاردن وتتملكون لتهلكوا الشعوب التي هي اقوى واعظم منكم وتظفروا بالقري الكبار المشيدة الى السما وبشعب كبير عظيم بني الجبارة وقد علمتم وسمعتم انه ما يقدر انسان ان يقوم بين يدي الجبارة وتعلمون يومكم هذا ان الله ربكم يجوز امامكم وهو نار محرقة وهو يهلكهم ويهزمهم امامكم ولا تقولوا في قلوبكم انه انما ادخلنا الرب لنرث هذه الارض من اجل برنا لانه انما يهلك الرب هذه الشعوب من اجل خطاياهم وليثبت الاقوال التي وعد بها اباكم ابرهيم واسحق ويعقوب فاعلموا انه ليس من اجل بركم يورثكم الله هذه الارض المخصبة لانكم صلاب الرقاب اذكروا ولا تنسوا انكم اسخطتم الله ربكم في البرية متذ يوم خرجتم من ارض مصر حتى انتهيتم الى هذا البلاد ولم تزالوا مسخطين لله ربكم ومحوريب ايضا اغضبتم الرب وغضب الرب عليكم واراد هلاككم حيث صعدت الى الجبل واخذت لوحي العهد الذي عاهدكم الرب ومكثت في الجبل اربعين يوما بليلها لم اذق خبزا ولم اشرب ماء واعطاني الرب لوحين من حجارة مكتوب عليهما باصبع الله وكانت كل الاياة التي كلمكم الرب بها من الجبل يوم الجماعة ومن بعد اربعين واعطاني لوحي العهد قال الرب قم فانزل من ههنا سريعا لان شعبك الذي اخرجت من ارض مصر قد فسدوا وما لوا عن الطريق الذي امرتهم عاجلا وعملوا لهم آلها مسبوكا وقال لي الرب رايت هذا الشعب فاذا هو شعب قاسي القلب فدعني الآن حتى اهلكهم وابيد اسماءهم من تحت السما واصير مدبر الشعب اعظم واعز منهم واقبلت فنزلت من الجبل والجبل يشتعل نارا ولوحا العهد بيدي ورايت انكم قد اثمتم امام الله ربكم سريعا وعمدتم الى لوحي الحجارة فرميت بهما من يدي وكسرتهما قدامكم وصليت امام الرب كما صليت اولا اربعين يوما بليلها لم اذق طعاما ولم اشرب شرابا من اجل جميع الخطايا التي ارتكبتم وما عملتم من الشر بين يدي الرب واغضبتموه لاني فزعت وخفت غضب الله ورجزه انه اراد اهلاككم واستجاب الله لي في ذلك الزمان واما عجل خطاياكم التي عملتم فاخذته واحرقته بالنار وسحقته وطحنته جدا حتى صار مثل التراب وطرحت ترابه في الوادي الذي ينزل في الجبل وبالحريق والبلايا وبقبور اصحاب الشهوة اغضبتم الرب واذ ارسلكم ربكم من رقام الحي وقال لكم اصعدوا ورثوا الارض التي اعطيكم اجتنبتم قول الرب واغضبتموه ولم

تومنوا به ولم تسمعوا قوله ولم تزالوا لله مسخطين منذ يوم عرفتكم وصليت امام الرب اربعين يوما بلياليها لان الرب امر
بهلاككم وقلت في صلاتي يرب لا تهلك شعبك وميراثك الذي خلصت بعظمتك واخرجتهم من ارض مصر بيد عزيزة ولكن
اذكر عبيدك ابرهيم واسحق ويعقوب ولا تنظر الى معصية هذا الشعب واثمه وخطاياه ليلا يقول سكان تلك الارض التي
اخرجتهم منها ان الرب لم يقو ان يدخلهم الارض التي قال لهم وانما اخرجهم من عندنا بالبغضة لهم ليضلهم في البرية وهو شعبك
وميراثك الذي اخرجتهم بقوتك العظيمة وذراعك العزيزة فقال لي الرب في ذلك الزمان ان انقر لوحين من حجارة مثل اللوحين
الاولين واصعد الى الجبل الي واعمل تابوتا من خشب الشمشار وفي نسخة السنط ونقرت اللوحين من الحجارة مثل اللوحين الاولين
وصعدت الى الجبل واللوحان في يدي وكتب على اللوحين الكتاب الاول وهي العشرة الايات التي كلمكم الرب بها من الجبل من النار يوم
الجماعة ودفعها الرب الي فاقبلت نازلا من الجبل ووضعت اللوحين في التابوت الذي عملت وتركتهما فيه كما امر الرب وارتحل بنو
اسرايل من برواث بني يعقان وموسار وتوفي هرون هناك وصار اليعازر ابنه حبرا مكانه وارتحلوا من هناك الى جدجد
ومن جدجد الى يطبث ارض مسايل الماء في ذلك الزمان افرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب وان يقوموا امام
الرب ويخدموه وان يبركوا باسم الرب الى اليوم ولذلك ليس لبني لاوي حصة مع بني اسرايل في ميراثهم لان ميراثهم لله ربهم
كما قال لهم وانا قمت بين يدي الرب في الجبل مثل الايام الاولى اربعين يوما بلياليها واستجاب لي الرب في ذلك الزمان ايضا ولم
يخذلكم الله ربكم ولم يفسدكم وقال لي الرب قم فارتحل وسر امام الشعب لتدخلوا وترثوا الارض التي اقسمت لابايهم ان اعطيهم والان
يا بني اسرايل ما الذي يطلب الله ربكم منكم ما يطلب الان الا ان تتقوا الله ربكم من كل قلوبكم وتسيروا في طرقه وتحبوه وان تعبدوا الله
ربكم من كل قلوبكم وانفسكم وان تحفظوا وصايا الله ربكم التي امركم بها اليوم ليحسن اليكم لان السما وسما السما هما لله ربكم والارض وجميع
ما فيها ويابايكم وحدهم سر الرب واحبهم وانتخب نسلهم من بعدهم وفضلهم على جميع الشعوب كاليوم اخشوا غفلة قلوبكم ولا تقسوا
رقايقكم ايضا لان الله ربكم هو الاه الالهة ورب الارباب اله عظيم جبار مرهوب لا يحابي ولا يرتشي ينتصف للايتام والارامل ويحب
الذي يقبل اليه يرزقه طعاما وكسوة فاحبوا الذين يقبلون اليه واذكروا انكم كنتم سكانا بارض مصر فاتقوا الله ربكم واتبعوه
واعبدوه واقسموا باسمه لانه الهكم ومريحكم وهو الذي اكمل لديكم العجايب التي رات اعينكم واعلموا انه انما انزل اباءكم الى مصر
سبعين رجلا والان فقد كثركم الله ربكم مثل نجوم السما احبوا الله ربكم واحفظوا سننه واحكامه كل الايام واعلموا يومكم هذا
انه ليس لبنيكم الذين لم يعاينوا ولم يعلموا مادب الرب وعظمته ويده المنيعة وذراعه العظيمة واياته واعماله التي عمل بمصر
وبفرعون ملك مصر وكل ارضه وما صنع باجناد ملك مصر وما فعل بالخيل والمراكب وفرسانها الذين قلب عليهم ما بحر سوف
حيث خرجوا في طلبكم واهلكهم الرب الى اليوم وجميع ما صنع بكم في البرية حيث انتهيتم الى هذه البلاد وما صنع بذابان وابيرم
ابني البب بن روبيل الذين فتحت الارض فاها وابتلعتهما وبنيهما وخيامهم وكل شي هو لهم اذ كانوا قياما على ارجلهم بين يدي جميع
بني اسرايل ولكن قد رات اعينكم جميع اعمال الله العظيمة التي عمل فاحفظوا جميع الوصايا التي امركم الله بها اليوم لتدخلوا الارض
التي تجوزون اليها لترثوها وتطول اعماركم في الارض التي اقسم الله لابايكم ان يعطيهم ويرثها نسلهم وستاتي تتمته ان شا الله
تعالى عند ولقد بوا يا بني اسرايل مبوا صدق وفيه من المتشابه قوله فم الله واصبع الله والاول مع كونه لا يجوز اطلاقه في شرعنا
موول بالكلام والثاني بالقدرة ولما فرغ سبحانه من ذكر الوعد بالميقات المقصود به سعي الكليم عليه السلام فيما يهديهم الى
صراط الله وذكر سعيهم هم في ما اضلهم عن الطريق باتخاذهم العجل وكان ختام ذلك ما بدا اي موسى عليه السلام من الشفقة على اخيه
ثم على الكافة باخذ الالواح عند الفراغ مما يجب من الغضب لله رد الكلام على ذكر شي فعله في الميقات مراد به عصمتهم في صراط
الله بنقلهم بمشاركته في سماعهم لكلام الله من علم اليقين الى عين اليقين بل حق اليقين شفقة عليهم ورحمة لهم ليكون اخبارهم
عما راوا مويدا لما يخبر به فيكون ذلك سببا لحفظهم من مثل ما وقعوا فيه من عبادة العجل ومع ذلك وقع منهم العصيان بطلب ما لا
ينبغي لهم من الروية على وجه التعنت فقال واختار اي اجتهد في اخذ الخيار موسى قومه ثم ابدل منهم قوله سبعين رجلا
اشارة الى ان من عداهم عدم لا يطلق عليهم اسم القوم في المعنى الذي اراده وهو نحو مما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه
الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما الناس كالابل المايه لا تكاد تجد فيها راحلة ثم ذكر علة الاختيار فقال لميقاتنا اي فما اختار الا
من راى انه يصلح لما نريد من عظمتنا في الوقت الذي حددناه له ودنى بهم من الحضرة الخطابية في الجبل هو وهرون عليهما السلام
واستخلف على بني اسرايل يوشع بن نون عليهما السلام كل ذلك عن امر الله له وهذا الكلام عطف على قوله وواعدنا موسى ثلثين ليلة
فيكون الميقات هو الاول وهو ظاهر التورية كما مر بيانه في البقرة ويجوز ان يكون عطفا على قوله واتخذ قوم موسى
او على قوله اخذ الالواح وحينئذ يكون هذا الميقات غير الميقات الاول ويويده ما نقل من ان هرون عليه السلام كان معهم
وكانهم لما سمعوا كلام الله طلب بعضهم الروية جا عليها شرطا لايمانهم فقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة كما فعل النقبا الاثنا
عشر حين ارسلهم لجس احوال الجبارين فنقض اكثرهم فاخذتهم الرجفة فماتوا فخشي موسى عليه السلام ان يتهمه بنوا اسرايل
في موتهم كنفس واحدة فلما اخذتهم اي اخذ قهر وغلبة الرجفة اي التي سببتها الصاعقة التي تقدمت في البقرة فزلزلت
قلوبهم فاماتتهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هولاء غير السبعين الذين قالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وان اوليك
كانوا قبل هولاء فالظاهر ان سبب الرجفة ما راوا عند سماع الكلام من جلال الله وعظيم هيبته من الغمام الذي تغشى الجبل والقتار
والبروق واصوات القرون وغير ذلك بحيث كادت الرجفة وهي رعدة كادت تفرق اوصالهم بعضها من بعض قال اي موسى تملقا لربه

سبحانه رب ايها المحسن الي لو شئت اهلكتهم اي امتهم ولما لم يكن اهلاكهم مستغرقا لما مضى دخل الجار فقال من قبل واياي اي
قدرتك علي وعليهم قبل ان نقترب من هذه الحضرة المقدسة ونحن حضرة قومنا كقدرتك علينا حين تشرفنا بها وقد اسبلت علينا ذيل
عفوك واسبغت علينا نعمتك ونحن في غير هذه الحضرة فلم تهلكنا فانعامك علينا ونحن في حضرة القدس وبساط القرب والانس اولي
ثم لما كان الحال مقتضيا لان يقال الم تر الي ما اجترأوا عليه وكان كانه قال انما قال ذلك قوم منهم سفهاء لعلي ذلك بقوله
استعطافا افتهلكنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجفتهم كانت بسبب انهم لم ينهوا عن عبادة العجل مع انهم لم يرضوا بذلك وكان
موسى عليه السلام عبر بهذه العبارة المقتضية لاهلاك الجميع لانه جوز انه كما اهلك هو كذلك يهلك غيرهم لتقصير آخر بسبب ذلك لعدم
الجهاد مثلا حتى يعمهم الهلاك بما فعل السفهاء منا فكانه صلى الله عليه وسلم رضي انه ان لم يشملهم العفو ان يخص العفو بمن لم يذنب
بالفعل ويعفو عمن قصر بالسكوت وعلى تقدير كون الميقات غير الاول يجوز ان يكون بعد اتخاذهم العجل كما تقدم عن ابن عباس رضي
الله عنهما فيكون موسى عليه السلام خاف ان يكون اهلاكهم فتنة لبني اسرائيل وسببا لكفرهم كما كان ابطاؤه عنهم بزيادة عشرة
ايام على الثلثين في الميقات الاول سببا لاتخاذهم العجل ويجوز حينئذ ان يراد بفعل السفهاء اتخاذ العجل ويؤيده التعبير بالفعل
دون القول وقد تقدم نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما ولما كان قوله هذا ربما افهم رضاه بهلاك المذنبين قال معرضا بالسؤال
في العفو عن الجميع ان هي اي الفتنة التي وقعها السفهاء الا فتنتك اي ابتلاؤك واختبارك تضل بها من تشاء اي تظهر في عالم الشهادة
من ضلاله ما كان معلوما لك في عالم الغيب وتهدي من تشاء اي تظهر ما في علمك من ذلك ولما اثبت ان الكل بيده اثبت ان الكل بيده
استانف سؤاله في ان يفعل لهم الاصلح فقال انت اي وحدك ولينا اي نعتقد انه لا يقدر على عمل يصالحنا غيرك وانت لا تنفع لك
في شيء من الامور ولا تضر بل الكل بالنسبة اليك على حد سواء ونحن على بصيرة من ان افعالك لا تعلل بالاغراض وعفوك عنا ينفعنا ان
وانتقامك منا يضرنا ونحن في حضرتك قد انقطعنا اليك وحططنا رحال افتقارنا لديك ولما اثبت انه الفعال لما يشاء وانه
لا ولي لهم غيره وكان من شان الولي جلب النفع ودفع الضر سبب عن كونه الولي وحده قوله باديا بدفع الضر فاغفر لنا اي ما
ذنوبنا وارحمنا اي ارضنا ولما كان التقدير فانت خير الراحمين عطف عليه قوله وانت خير الغافرين اي لان غيرك يتجاوز عن
الذنب طلبا للثناء او الثواب او دفعا للصفة الخسيسة وهي صفة الحقد ونحوه وانت منزه عن ذلك وكانه احس العفو عنهم
فقال عاطفا على سؤاله فيه واكتب لنا اي في هذه احيائك لنا في هذه الدنيا اي الحاضرة والدنيه حسنة اي عيشة راضية وحياة
طيبة وفي الاخرة اي كذلك ثم علل ذلك بقوله انا هدنا اي تبنا اليك اي عملا يليق بجنابك كما امرتنا ان نخبر ما عساه يقع منا
بالمبادرة الى التوبة فبدا بذكر عزة الربوبية وثنى بذكر العبودية وهما قوي اسباب السعادة وهذا تلقين لهم وتعليم وتحذير من
مثل ما وقعوا فيه وحث على التسليم وكانه لما كان ذنبهم الجهر بما لا يليق به سبحانه من طلب الرؤية عبر لهذا اللفظ او مما يدل على
معناه تنبيها لهم على ان اسمهم يدل على التوبة والرجوع الى الحق والصيرورة الى الصلاح واللين والضعف في الصوت والامساك
في الكلام والسكوت عما لا يليق وان يهود الذي اخذ اسمه من ذلك انما سموا به ونسبوا اليه تفاؤلا لهم ليبادروا الى التوبة
ولما كان في كلامه عليه السلام انكار اهلاك الطايع بذنب العاصي وان كان ذلك انما كان على سبيل الاستعطاف منه والتملق
مع العلم بانه عدل منه تعالى وله ان يفعل ما يشاء ليل قوله لو شئت اهلكتهم من قبل واياي استانف سبحانه الاخبار عن الجواب
عن كلامه على وجه منبه للجماهير على ان له التصرف المطلق بقوله قال عذابي اي انتقامي الذي يزيل كل عذاب به عمن وقع به
اصيب به اي في الدنيا والاخرة من اشاء اي اذنب اولم يذنب ورحمتي اي انعامي واكرامي ولما كان الايجاد من الرحمة فانه خير
من العدم فهو اكرام في الجملة قال وسعت كل شيء اي هذا شانها وصفتها في نفس الامر وان بلغ في القبايح ما عساه ان يبلغ وهذا هو
معنى حديث ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيح ان رحمتي سبقت وفي رواية غلبت غضبي سواء قلنا ان السبق معنى الغلبة او قلنا
انه على بابه اما الاول فلان تعلق الرحمة اكثر لان كل من تعلق به الغضب تعلقت به الرحمة بايجاده وافاضة الرزق عليه ولا عكس
كالحيوانات البهم والجمادات واهل السعادة من المومنين والملايكة والحور وغيرهم من جنود الله التي لا تحصى ولما علم ان رحمته واسعة
وقدرته شاملة وكان ذلك موسعا للطمع سبب عن ذلك قوله ذاكرا شرط اتمام تلك الرحمة ترهيبا لمن يتواني عن تحصيله الا الشرط
فساكتبها اي اخصها بدوامها بوعد لا خلف فيه لاجل تمكني بتمام القدرة مما اريد مبتوتا امرها بالكتابة للذين يتقون اي يوجد لهم
هذا الوصف الحامل على كل خير ولا يخل بوسمها ان امنع دوامها بعد الايجاد من غيرهم فان الكل لو دخلوا فيها دايما ما ضاقت بهم فهي في
نفسها واسعة لكني افعل ما اشاء ولما ذكر نظرهم الى الخالق بالانتهاء عما نهي عنه والايتمار بما امر به اتبعه النظر الى الخلايق فقال ويوتون
الزكوة ولعله خصها لان نزعها كان في هذا الميقات كما تقدم في البقرة ولانها امانة فيما بين الخلق والخالق كما ان صفات النبي صلى
الله عليه وسلم التي كتبها لهم وشرط قبول اعمالهم باتباعه كذلك ثم عمم بذكر ثمرة التقوي فقال مخرجا لمن يوجد منه
ذانك الوصفان في الجملة على غير جهة العموم والذين هم بايانا اي كلها يومنون اي يصدقون بالقلب ويقرون باللسان ثم يبرهنون
تصديقا لذلك بالاركان فلا يكفرون ببعض ويومنون ببعض ولما كان اليهود من ادعاء ذلك اكابره اوضح غاية الايضاح
بقوله الذين يتبعون اي بغاية جهدهم الرسول ولما كان هذا الوصف وحده غير مبين للمراد ولا صريح في الرسالة عن الله وان
كونه من البشر قال النبي اي الذي يأتيه الوحي من الله فبدا بالاشرف وثنى بما خصه برسالة الله وكونه من الادميين لا من الملايكة
ولما لم يتم المراد قال بينا الاعظم المعجزات وهي ان علمه بغير معلم من البشر الامي اي الذي هو مع ذلك العلم المحيط على صفة الامم وامة
العرب لا يكتب ولا يقرا ولا خالط العلماء فتعلم منهم بل لتعليمهم فانطبق الوصف على الموصوف مع التنويه بجلالة الاوصاف والتشويق

الى الموصوف ولم يعطف ليلا يوهم تعداد الموصوف والمعنى اني لا اغفر لاحد من بني اسرآيل ولا من غيرهم الا ان اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا الاتباع تارة يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه وتارة يخرج من القوة الى الفعل ممن لحق زمانه دعوته فمن علم الله منه انه لا يتبعه اذا ادركه لا يغفر له ولو عمل جميع الطاعات غير ذلك وعرفه لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق اليه عند مجيئه ريب ولا يتعلل في امره بعلة ولذلك اتبعه بقوله الذي يجدونه اي علما بني اسرآيل ولما اشتد تشوف السامع بذكر النعوت ان قال مكتوبا ثم قرب الامر بقوله عندهم ثم بين انه مما لا يرخله شك بقوله في التورية والانجيل اي الذين يعلمون انهما من عند الله بصفته البينة كما تقدم بيانه عما غفلوا عن تبديله منهما في البقرة عند واذ ابتلى ابرهيم ربه وفي آل عمران عند ان الله اصطفى آدم ونوحا الايات وفي النسآ عند وما قتلوه يقينا وفي التورية ايضا من ذلك في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس واذا دخلتم الارض التي يعطيكم الله ربكم فلا تعملوا مثل اعمال تلك الشعوب ولا يوجد فيكم من يطلب تعليم العرافين ثم قال لان هذه الشعوب التي ترثونها كانت تطيع العرافين والمنجمين فاما انتم فليس هكذا يعطيكم الله ربكم بل يقيم لكم نبيا من اخوتكم مثلي فاطيعوا ذلك النبي كما طلبتم الى الله ربكم في حوريب يوم الجماعة وقلتم لا اسمع صوت الله ربنا ولا اعاين هذه النار العظيمة كيلا نموت فقال الرب ما احسن ما تكلموا اي سأقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك اجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما امره به والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي انا انتقم منه ومن سبطه انتهى هكذا رايته مترجما في بعض نسخ التورية ثم رايت السموءل ابن يحيى المغربي ترجمه في كتابه الذي ذكر فيه سبب اسلامه وكان من اكابر علمآئهم بل العلمآ فقال نبيا اقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك به فليومنوا انتهى وهو بين ان يكون هذا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم لانه من بني اسمعيل اخي اسحق وقد اتى بشريعة مستقلة لا تعلق لها بشريعة قبلها ولا موقف عليها وذلك ان في العبارة كلمتين مثل واخوة وحقيقة الاخ ابن احد الابوين وهو لا يتاتى في احد من ابنيآ يعم فاقرب المجازات الى حقيقته الحمل على اخي الاب وهو اسمعيل عليه السلام والشايع في الاستعمال في نحو ذلك على تقدير ارادة احد منهم ان يقال من انفسهم لا من اخوتهم وحقيقة المثل المشارك في اخص الصفات واخص صفات موسى عليه السلام الرسالة والكتاب بشريعة مستقلة ولم ياتِ منهم بعده من هو بهذه الصفة لان عيسى عليه السلام لم ينسخ من شريعة موسى عليه السلام الا بعض الاحكام وعلى تقدير دعوى ذلك فيه لكونه نسخ في الجملة وتسليم ذلك لا ياتي قصده لهذا النص لوجهين احدهما انه ليس من رجا لهم الا بواسطة امه فحق العبارة فيه من بني اخوانهم جمع اخت واذا اريد انها امه كان المجاز فيهم ابعد من المجاز في بني اسمعيل لما تقدم ولا ينتقل الى الابعد الا بقرينة تصرف عن الاقرب والله اعلم وقال السموءل ابن يحيى احد احبارهم في سبب اسلامه ان اليهود يتولون ان هذه البشارة نزلت في حق شموال احد انبيآئهم الذين بعد موسى لانه كان مثل موسى عليهم السلام في انه من سبط لاوي وقال انه راى شموال عليه السلام في المنام وانه دفع اليه كتابا فوجد فيه هذه البشارة فقال له هنيئا لك يا بني الله ما خصك الله به فنظر مغضبا وقال اوايا اي اراد الله بهذا يا ذكي ما افادتك اذن ابراهيم الخندستيه فقلت يا بني الله فمن اراد الله بهذا قال الذي اراد الله بهذا في قوله هو فيج بها ران وتفسيره اشار الى نبوة وعد بنزولها على جبال فاران فعرفت انه يعني المصطفى صلى الله عليه وسلم لانه المبعوث من جبال فاران وهي جبال مكة ثم قال اوما علمت ان الله لم يبعثني بنسخ شيء من التورية وانما بعثني اذكرهم بها واحيي شرايعها واخلصهم من اهل فلسطين قلت بلى يا بني الله قال فاي حاجة بهم الى ان يوصيهم لهم باتباع من لم ينسخ دينهم ولم يغير شريعتهم اراتهم احتاجوا الى ان يوصيهم بقبول نبوة دانيال او يرميا او حزقيل قلت لا لعمري فاخذ الكتاب من يدي وانصرف مغضبا فارتعبت لغضبه وازدجرت لموعظته واستيقظت مذعورا وقال في كتابه غاية المقصود في الرد على النصاري واليهود ان الله تعالى يطلق الاخوة على غير بني اسرآيل كما قال في بني العيص من اسحق عليه السلام في الجزء الاول من السفر الخامس ما تفسيره انتم عابرون في تخم اخوتكم بني العيص فاذا كان بنو العيص اخوة لبني اسرايل لانا لعيص واسرايل ولدا اسحق فكذلك بنو اسمعيل اخوة لجميع ولد ابرهيم عليه السلام قال وفي الجزء الثالث من السفر الاول من التورية في ذكر البشارة لابرهيم عليه السلام ما تفسيره واما في اسمعيل فقد قبلت دعاك ها قد باركت فيه واثمره واكثره جدا جدا وقال ان جدا جدا بلسان العبراني معناه مئة وهاتان الكلمتان اذا عددنا حروفهما حساب الجمل كانا اثنين وتسعين وذلك عدد حساب حروف اسم محمد صلى الله عليه وسلم يعني فتعين ان يكون مرادا بهما لانها في البشارة بتكثير اسمعيل عليه السلام وليس في اولاده من كثره الله به وعدد اسمه هذا العدد غير محمد صلى الله عليه وسلم قال وانما اجمل ذلك في هذا الموضع ملغزا لانه لو صرح به لبدلته اليهود او اسقطته من التورية كما عملوا في غيره انتهى وفي آخر فصول التورية ما موسى عند الله لبني اسرايل قبل وفاته وقال اتانا ربنا من سينا وشرق لنا من جبل ساعير وظهر لنا من جبل وفي نسخة جبال فاران معه ربوات الاظهار على يمينه اعطاهم وحبهم الى الشعوب وبارك على جميع اطهاره وهم يتبعون اثارك ويتقبلون كلماتك وفي نسخة بدل معه ربوات الاظهار الى آخره واتى ربوات القدس بشريعة نور من يمينه لهم واصطفى ايضا شعبا مجميع خواصه في طاعتك وهم يقفون اثارك ويتنا قبلون كلماتك انتهى فالذي ظهر من جبال فاران هو محمد صلى الله عليه وسلم لانهم معترفون انها مكة ومعه ربوات اي جماعات الاظهار وامته حببت الى الشعوب لان كلا من فريقي اهل الكتاب يعدهم على الفريق الاخر ولم يقبل احد جميع كلام موسى عليه السلام ويتبع جميع اثاره في بشارته بمن ياتي بعده غيرهم هذا واما الانجيل فالبشارة فيه اكثر وقد تقدم كثير منها وهي تكاد ان تكون صريحة في سورة النسآء في قصة رفعه عليه السلام ومما فيه ايضا ما في انجيل متي وغيره واغلب السياق له كثيرا اولون يصيرون اخرين واخرون يصيرون اولين شبه ملكوت

السموات انسانا رب بنت خرج بالغداة يستاجر فعله لكرمه فشارط الاكرة على دينار واحد في اليوم وارسلهم الى كرمه ثم خرج
في ثالث ساعة فابصر آخرين قياما في السوق بطالين فقال لهم امضوا انتم الى كرمي وانا اعطيكم ما تستحقون فمضوا وخرج ايضا في
الساعة السادسة والتاسعة فصنع كذلك وخرج في الحادية عشرة فوجد آخرين قياما فقال ما قيامكم كل النهار بطالين فقالوا له لم
يستاجرنا احد فقال لهم امضوا انتم بسرعة الى الكرم وانا اعطيكم ما تستحقون فلما كان المسا قال رب الكرم لوكيله ادع الفعلة واعطهم
الاجرة وابدا بهم من الاخرين الى الاولين فجا اصحاب الساعة الحادية عشرة فاخذوا دينارا كل واحد فجا الاولون وظنوا انهم ياخذون
اكثر فاخذوا دينارا كل واحد فلما اخذوا تقمقموا على رب البيت وقالوا ان هولا الآخرين عملوا ساعة واحدة جعلتهم اسوتنا ونحن حملنا
ثقل النهار وحره فقال لواحد منهم يا صاحب ما ظلمتك الست بدينار شارطتك خذ شيك وامض اريد ان اعطي هذا الاخير مثلك
او ما لي ان افعل ما اردت بمالي وانت عينك شريرة كذلك يكون الاخرون اولين والاولون آخرين ما اكثر المدعوين واقل المنتخبين
وقال ودخل الى الهيكل فجا اليه روسا الكهنة وشيوخ الشعب وقالوا له وهو يعلم باي سلطان تفعل هذا ومن اعطاك هذا السلطان
اجاب يسوع وقال لهم انا اسيلكم عن كلمة واحدة فان انتم قلتم لي قلت لكم باي سلطان افعل هذا معمودية يوحنا من اين هي من السما
او من الناس ففكروا في نفوسهم قايلين ان قلنا من السما قال لنا لماذا لم تومنوا به وان قلنا من الناس خفنا من الجمع وقال لوقا
وان قلنا من الناس فان جميع الشعب يرجمنا لانهم قد تيقنوا ان يوحنا نبي وقال متى لان يوحنا كان عندهم مثل نبي وقال مرقس
لان جميعهم كان يقول ان يوحنا نبي قال متى فقالوا لا نعلم فقال ولا انا ايضا اعلمكم بان سلطان افعل هذا قال مرقس وبدا يكلمهم
باشال قايلا قال متى ماذا تظنون بانسان كان له ابنان فجا الى الاول فقال له يا بني اذهب اليوم واعمل في الكرم فاجاب وقال
ما اريد وبعد ذلك ندم ومضى وجا الى الثاني وقال له مثل هذا فاجاب وقال نعم يا رب انا امضي ولم يمض من منهما فعل ارادة الاب
فقالوا له الاول فقال لهم يسوع الحق اقول لكم ان العشارين والزناة يسبقونكم الى ملكوت الله حاكم يوحنا بطريق العدل فلم تومنوا
به والعشارون والزناة امنوا به فاما انتم فرايتم ذلك ولم تندموا اخيرا لتومنوا به اسمعوا مثلا آخر انسان رب بنت غرس كرما
واحاط به سياجا وحفر فيه معصرة وبنى فيه برجا ودفعه الى فعلة وسافر قال لوقا زمانا كثيرا فلما قرب زمان الثمار ارسل عبيده
الى الفعلة لياخذوا ثمرته فاخذ الفعلة عبيده ضربوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا فارسل ايضا عبيدا آخرين اكثر من الاولين
فصنعوا بهم كذلك وفي الآخر ارسل اليهم ابنه وقال لعلهم يستحون من ابني فلما راى الفعلة الابن قالوا هذا هو الوارث تعالوا
نقتله وناخذ ميراثه فاخذوه واخرجوه خارج الكرم وقتلوه فاذا جا رب البيت ماذا يفعل بهولايك الفعلة قالوا له يهلكهم ويدفع
الكرم الى آخرين ليعطوه ثمرته في حينه قال لهم يسوع اما قراتم قط في الكتب ان الحجر الذي رذله البناؤن صار راس الزاوية هذا
كان من قبل الرب وهو عجب في اعيننا من هذا اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى الامم يصنعون ثمرتها ومن سقط هذا الحجر ترضض
ومن سقط عليه طحنه فلما سمع روسا الكهنة والفريسيين امثاله علموا انه يقول من اجلهم فهموا ان يمسكوه وخافوا من الجموع
لانه كان عندهم مثل نبي وقال ايضا يشبه ملكوت السما رجلا صنع عرسا لابنه فارسل عبيده ليدعوا المدعوين الى العرس فلم يريدوا
ان ياتوا ثم ارسل عبيدا آخرين وقال قولوا للمدعوين ان طعامي معد وعجولي المعلومة قد ذبحت وكل شي معد فتعالوا الى
العرس فتكاسلوا وذهبوا فمنهم الى حقله ومنهم الى تجارته والبقية امسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم فلما بلغ الملك غضب
وارسل جنده واهلك هولايك القتلة واحرق مدينتهم حينيذ قال لعبيده اما العرس فمستعد والمدعوون غير مستحقين
اذهبوا الى مسالك الطرق وكل من وجدتموه ادعوه الى العرس فخرج اوليك العبيد الى الطرق فجمعوا كل من وجدوا اشرارا
وصالحين فامتلا العرس من المتكيين فلما دخل الملك لينظر الى المتكيين راى هناك رجلا ليس عليه ثياب العرس فقال يا هذا
كيف دخلت ههنا وليس عليك ثياب العرس فسكت حينيذ قال الملك للخدام شدوا يديه ورجليه واخرجوه الى الظلمة البرانية
هناك يكون البكا وصرير الاسنان ما اكثر المدعوين واقل المنتخبين وعبارة لوقا عن ذلك انسان صنع وليمة عظيمة ودعا كثيرا
فارسل عبده يقول للمدعوين ياتون فهوذا كل شي معد فبداوا باجمعهم يستعفون فالاول قال قد اشتريت كرما والضرورة
تدعوني الى الخروج ونظره فاسيلك ان تعفيني فما اجي وقال آخر قد اشتريت خمسة ازواج بقر وانا ماض اجربها اسيلك
ان تعفيني فما اجي وقال الآخر قد تزوجت امراة لاجل ذلك ما اقدر اجي فاتى العبد واخبر سيده فحينيذ غضب رب البيت
وقال لعبده اخرج مسرعا الى الطريق وشوارع المدينة وادع المساكين والعور والعميان والمقعدين اخرج الى الطرق
والسياحات والح عليهم حتى يدخلوا ويمتلي بيتي ولا احد من هولايك يذوق لي عشا وقال يوحنا الحق اقول لكم ان من لا
يدخل من الباب الى حظر الخراف بل يتسور من موضع آخر فان ذلك لص الذي يدخل من الباب هو راعي الخراف والبواب يفتح
له والخراف تسمع له وكباشه تتبعه لانها تعرف صوته والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف فاما الآخر الذي ليس براعي
وليست الخراف له فاذا راى الذيب قد اقبل يدع الخراف ويهرب فياتي الذيب ويخطف ويبدد الخراف وانما يهرب الاجير
لانه مستاجر وليس يشفق على الخراف انا الراعي الصالح ولي كباش آخر ليست من هذا القطيع فينبغي لي ان آتي بهم ايضا وتكون
الرعية واحدة فوقع ايضا بين اليهود خلف من اجل هذا القول وقال كثير منهم ان به شيطانا قد جن فما استماعكم منه
وقال آخرون ان هذا ليس كلام مجنون وفي اوايل السيرة الهشامية قال ابن اسحق وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى
ابن مريم فيما جاءه عن الله في الانجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما اثبت بجنس الحواري لهم حين نسخ لهم الانجيل انه
قال من ابغضني فقد ابغض الرب ولولا اني صنعت بحضرتهم صنايع لم يصنعها احد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا

فعلهم

وظنوا انهم يعزونني وايضا الرب ولكن لابد من ان تتم الكلمة التي في الناموس انهم ابغضوني مجانا اي باطلا فلو قد جاء المنحمنا
هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب روح القسط هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد علي وانتم ايضا لانكم قديما كنتم معي
هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا فالمنحمنا بالسريانية محمد وهو بالرومية البارقليطس انتهى ولما دل سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم
باوصافه في نفسه وفي الكتب الالهية دل عليه بشريعته فقال يأمرهم بالمعروف اي بكل ما يعرفونه من التورية والانجيل ومما
يعرفونه فيهما انه ينسخ شرعهم ويأتي من عند الله بعذا المذكور وينهاهم عن المنكر اي عن كل ما ينكرونه فيهما فتثبت بذلك رسالته
فانه لكونه اتيا لا يعرف المعروف والمنكر فيهما الا وهو صادق عن علام الغيوب ثم شرع بعد ثبوت رسالته يبين لهم مافي
رسالته من المنة عليهم بالتخفيف عنهم باباحة ما كانوا قد حملوا ثقل تحريمه فكانوا لا يزالون يعصون الله بانتهاك حرماته ن
والاعراض عن تبعاته فقال ويحل لهم الطيبات اي التي كانت حرمت عليهم عقوبة لهم كالشحوم ويحرم عليهم وعبر بصيغة
منتهى الجموع اشارة الى ان الخبيث اكثر من الطيب في كل ما في الارض فقال الخبائث اي كل ما يستخبثه الطبع السليم او يؤدي الى الخبث
كالخمر المودية الى الاسكار والربى المودية الى النار بعد قبيح العار ويضع عنهم اصرهم اي ثقلهم الذي كان حمل عليهم فجعلهم لثقله
كالمحبوس الممنوع من الحركة والاغلال التي كانت عليهم اي جميع ما حملوه من الاثقال التي هي لثقلها وكراهة النفوس لها كالغل الذي
يجمع اليد الى العنق فيذهب القوة فالذين امنوا به اي اوجدوا بسببه الايمان من التكذيب بشيء من ايات الله وعزروه اي منعوه
من كل من يريده بسوء وقووا يده تقوية عظيمة عن كل من يكيده قال في القاموس والتعزير ضرب دون الحد او هو اشد
الضرب والتعظيم والتعظيم ضد والاعانة كالعزر والتقوية والنصر انتهى وقال عبد الحق العزر المنع تقول عزرت فلانا عن كذا
اي منعته انتهى فالمادة كلها تدور على هذا المعنى والضرب واضح فيه والتعظيم وما في معناه منع من يكيده ونصروه اي ايدوه
وتمموا مخالفته واتبعوا النور اي الوحي من القران والسنة الذي انزل معه اي مصاحبا انزاله ارساله سمي نورا لانه يجعل
المقتدي به ببيان طريق الحق كالماشي في ضوء النهار اولئك هم اي خاصة المفلحون اي الفائزون بكل مامول ولما ترا سلت
الآي وطال المدى في اقاصيص موسى عليه السلام وبيان مناقبه العظام ومآثره الجسام كان ذلك ربما اوقع في بعض النفوس ان
انه اعلى المرسلين منصبا واعظمهم رتبة فساق سبحانه هذه الايات هذا السياق على هذا الوجه الذي يبين ان اعلام مراتب واز كام
مناقب الذي خص برحمته من يشاء من خلقه قوة او فعلا وجل سبحانه ذلك في اثناء قصة بني اسرائيل اهتماما به وتجيلا
له مع ما سيذكر مما يظهر افضليته ويوضح اكليته بقصته مع قومه في مبدا امره واوسطه ومنتهاه في سورتي الانفال وبراءة
بكالمها فذكر شيء من الآصار التي كانت عليهم وخففت عنهم لو دخلوا في الاسلام ببركته صلى الله عليه وسلم غير ما اسلفته في ن
آخر البقرة عند قوله تعالى ولا تحمل علينا اصرا وفي المائدة عند قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل قال في السفر الثاني من
التورية وقال الرب لموسى اعمد فخذ طيبا الى ان قال وليكن مجونا طيبا للقدس ودقه واسحقه وتخرسه فتدام تابوت الشهادة
في قبة الزمان لا واعدك الى هناك ويكون عندكم طهرا مخصوصا وايما رجل اتخذ مثله ليتبخر به فليهلك ذلك الرجل من شعبه وقال
في الثالث ثم كلم الرب موسى قال له كلم هرون وبنيه وجماعة بني اسرايل وقل لهم هذا ما امر في به الرب ان اخبركم اي رجل من بني
اسرايل يذبح في محله بني اسرايل او يذبح خارجا من العسكر ولا يجيء بقربانه الى باب قبة الزمان ليقربه بما يجب ذلك الرجل عقوبة
من قتل قتيلا وكلم الرب موسى وقال له كلم هرون وقل له من كان فيه عيب من نسلك اي من الاحبار في جميع الاحقاب لا يدنو من مذبحي
لا يقرب قربانا مثل الرجل الاعرج والاعمى والاقطس والاصم الاذنا ورجل مكسور اليد او رجل قصيرا ومنخز او رجل قد
انتثر حاجباه او اجهر العين او من في عينه بياض او برص او اجرب او رجل له خصيه واحده اي رجل كان فيه عيب من
نسل هرون الكاهن لا يدنو من المذبح ليقرب قربان الرب لان فيه عيبا وقال في السفر الرابع وهو من الحج على ان التورية
لم تنزل جملة وكلم الرب موسى في برية سينا في السنة الثانية لخروج بني اسرآيل من مصر في الشهر الاول وقال ليعمل بنو ا
اسرآيل الفصح في وقته في اربعة عشر يوما من هذا الشهر الى ان قال وعملوا الفصح والقوم الذين تنجسوا بانفس الناس لم
يقدروا ان يعملوا الفصح فقالوا قد تنجسنا بانفس الناس اي ميتا فلم نحرم علينا عمل الفصح فقال لهم موسى قوموا في
مواضعكم حتى تسمعوا ما يامر الرب فيكم وكلم الرب موسى وقال له قل لهم الرجل اذا تنجس منكم بميت او كان في مكان بعيد ليعمل
فصحا الرب في اربعة عشر يوما من الشهر الثاني ومن كان زكيا ولم يكن مسافرا ولم يعمل الفصح في وقته تهلك تلك النفس من بين
بني اسرايل وقال قبل ذلك وكلم الرب موسى وقال له مر بني اسرايل ان يخرجوا من عسكرهم كل من به برص او سلس وكل من
كان نجسا بنفسه ذكرا كان او انثى يخرجونهم خارج العسكر ولا تنجسوا عساكرهم اني نازل بينكم ثم ذكر الرجل اذا غار على امراته
واتهمها انه ياتي الكاهن فيقيمها ويلقنها لعنا فاذا قالته كتبه واخذ ما قد سقاني وعاء فخار ووضع فيه من التراب الذي
اسفل المذبح وسقاه لعنا فان كانت خانت انتفخ بطنها وتسقط فخذاها وتصير لعنة في شعبها وان كانت لم تخن تطهرت وولدت
ذكرانا ثم امرهم بذبح بقره واحراقها حتى تصير رمادا ويغسل الحبر الذي دمها ثيابه ويديه فكل من يقترب الى ميت ولا ينضح
عليه من ذلك الماء فقد نجس خبا الرب فلتهلك تلك النفس لانه لم ينضح عليه من ماء الرش فلذلك يكون نجسا ولا تفارقه
نجاسته وهذه سنة الانسان اذا مات في قبة الزمان كل من كان هناك في القبة وكل من يدخلها يكون نجسا سبعة ايام
وكل وعاء يكون مكشوفا غير منطق يكون نجسا وكل من دنا من قتيل او ميت عظم انسان او يدخل القبر يكون نجسا سبعة ايام
ويوخذ للمتنجس من رماد البقرة ويصب في وعاء ماء عذب وينضح منه على كيفية ذكرها ليكون زكيا ومن تنجس ولم يرش عليه

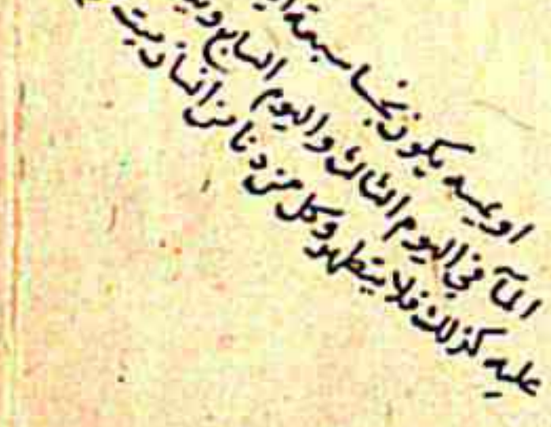

من ذلك الماء تهلك نفسه من جماعتها ومن وجد نامن ماء الدش يكون نجسا الي الليل ومن اقترب الي ذلك الذي تنجس يكون
نجسا الي الليل ثم قال ثم كلم الرب موسي وقال له مر بني اسرايل وقل لهم قرابيني تكون محفوظة في اوقاتها ثم ذكر
له كثيرا من امر القرابين ثم ذكر من اوقاتها يوم السبت ورؤس الشهور ثم قال وفي اليوم عشر ليلة من الشهر الاول وهو
فصح الرب ويوم خمسة عشر اتخذوه عيدا وكلوا الفطير سبعة ايام وسيروا اول يوم من السبعة مميزا مطهرا لا تعملوا فيه عملا
واليوم السابع يكون مميزا مطهرا لا تعملوا فيه عملا واول يوم من الشهر السابع يكون مختصا مطهرا لا تعملوا فيه شيا ما يعمل بل صيروه
يوما يهتف فيه بالقرون وقربوا ذبايح كاملة ثم وصفها وكذا عشره من الايام ثم قال وكذلك فاعلوا في اول الشهر ابدا وفي
عشر من الشهر السابع اجلوه يوما مختصا مطهرا لا تعملوا فيه عملا ولكن قربوا ويوم خمسة عشر من هذا الشهر السابع ويكون مدعوا
لا تعملوا فيه عملا بل اتخذوه عيدا للرب سبعة ايام ثم قال حتي اذا كان اليوم الثامن فاحتفلوا باجمعكم ولا تعملوا شيا مما يعمل
وقربوا قرابين كاملة واطال في ذلك جدا علي كينيات حفظها فضلا عن العمل بها في غاية المشقة ثم قال وقربوا الرب في ايام
اعيادكم غير نذوركم وغير خواصكم التي تختصون للرب ثم قال مخاطبا للمجاهدين في مدين واما انتم فاثبتوا خارجا من المعسكر
سبعة ايام كل من قتل نفسا او مس قتيلا ينضح عليه من ماء التطهير في الثالث والسابع وامرهم باشياء من الامصار ثم قال وتطهروا
بالماء في اليوم السابع ثم بعد ذلك تدخلون المعسكر ثم قال في الخامس هذه السنن والاحكام التي تجب عليكم ان تعملوها وتحفظوها
في الارض التي يعطيكم اله ربكم سيرا كل ايام حياتكم خربوا كل البلدان التي ترثونها والالهة التي عبدها اهلها فيها علي الجبال الرفيعة
والاكام تحت كل شجرة كبيرة تظللوا واستاصلوا مذابحهم وكسروا انصابهم واحرقوا اصنامهم المصنوعة وكسروا اوثانهم
المنحوتة ولا تصنعوا انتم مثل ما صنع اولئك في عبادتكم اله ربكم ولكن المواضع التي تختارها اله ربكم ان تصيروا اسمه فيها من جميع
قبايلكم وافحصوا عن محلته وانطلقوا بجمعكم بقرابينكم الكاملة كلوا هناك امام اله ربكم انتم واهاليكم ولا تعملوا كما يعمل ههنا
اليوم اي قبل الوصول الي ارض الميراث ثم قال انظروا لا تقربوا قرابينكم في المواضع التي تريدون لكن في الموضع الذي يختار
الرب في احد اسباطكم ثم قال واذا بنيتم بيتا جديدا فاجعل علي البيت ليلا يقع انسان من فوقه فيلزمك دمه ولا تزرع
في حرثك خلطا ليلا تفسد غلة زرعك وكرمك لا تحرث بالثور والحمار جميعا ولا تلبسوا ثوبا من قطن وصوف جميعا اعملوا خيوطا
في اربعة اطراف ردايك الذي تلبس ثم قال وان وجد رجل فتاه عذرا لم تملك فيظفر بها ويضاجعها ويوخذ يدفع الي ابيها
خمسين مثقالا من فضة وتصير امراته لانه فضحها ولا يقدر ان يطلقها حتي يموت ولا يدخل ولد الزنا الي بيت الرب ولا يدخل
نسله من بعده الي عشرة احقاب ولا يدخل عماني ولا موابي الي بيت الرب ولا يدخل نسلهما من بعدهما الي عشرة احقاب لانهم
لم يضيفوكم ولم يعشوكم بالخبز والماء حيث خرجتم من ارض مصر لانهم اكتروا بلعام بن بعور من فتنور آرام من بين النهرين وهي حران
ليلعنكم ولم يحب الرب ان يسمع قول بلعام بن بعور وقلب اله لعنه الي الدعا كان اله ربكم احبكم فلا تريدوا لهم الخير ايام حياتكم
لا تدنعوا الادومي عنكم لانه اخوكم ولا تبعدوا المصري ايضا لانكم كنتم سكانا بارض مصر وان كان في معسكركم رجل اصابته جنابة
يخرج خارج المعسكر ولا يجلس بين اصحابه في المعسكر واذا كان العشي فليستحم بالماء واذا غابت الشمس وامسي يدخل المعسكر وليكن
لكم موضع معروف خارج المعسكر تخرجون اليه الي الخلاء ويكون علي سلاحكم وتد من حديد فاذا جلستم الخلاء احفروا موضعا للخلاء
وغطوا رجيعكم لان اله ربكم معكم في المعسكر لينقذكم ويدفع اليكم اعداكم فليكن معسكركم مطهرا ان كيا لبلا يري فيكم امرا قبيحا فيرتفع
عنكم ولا يصحبكم ثم قال واذا سكن اخوان جميعا ومات احدهما ولم يخلف ولدا لا تتزوج امراته من رجل غريب ولكن يتزوج بها
وارثه ويقيم زرعا واول ولد تلد ينسب الي اخيه الذي مات ويقال انه ابن ذلك الذي مات ولم يخلف ولدا للابيد اسمه
من بني اسرايل وان لم يحب الرجل ان يتزوج امراة اخيه ترتفع امراة اخيه الي المشيخة فيدعونه فان ثبت علي قوله تتقدم اليه
المراة بين يدي المشيخة وتخلع خفيه من قدميه وتبصق في وجهه وتقول كذلك يصنع بالرجل الذي لا يحب ان يبني بيتا لاخيه ويدعا
اسمه بين بني اسرايل صاحب خلع الخفين وان شاجر الرجل صاحبه فدنت امراة احدهما لتخلص زوجها من الذي يقاتله فتمد يدها
الي مذاكير الرجل تقطع يدها ولا يشفق عليها ولا ترحم انتهي وكل هذه الاصار علي النصاري ايضا مما لم يرد في الانجيل نسخها ولما
تم ما نظمه تعالي في اثناء هذه القصص من جواهر اوصاف هذا النبي الكريم حثا علي الايمان به وايجابا له علي وجه علم منه ان
رسوله كل مكلف تقدم زمانه او تاخر امره سبحانه ان يصرح بما تقدم التلويح اليه ويصدح بما اخذ ميثاق الرسل عليه
تحقيقا لعموم رسالته وشمول دعوته فقال قل واتي باداة البعد لانه محلها يا ايها الناس وقد مضي في الانعام ان اشتقاقهم
من النوس وان الامام السبكي قال ان ذلك يقتضي دخول الجن والملايكة فيهم وتقدم عنده ولا تتخسوا الناس اشياءهم في هذه السورة
ما ينفع هنا اني رسول الله اتي الذي له جميع الملك اليكم جميعا اي لا فرق بين من ادركني ومن تاخر عني او تقدم علي في ان الكل يشترط
عليهم الايمان بي والاتباع لي وهذا المراد بقوله صلي الله عليه وسلم فيما اخرجه الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه
حين رفع اليه الذراع فنهش منها فقال انا سيد الناس يوم القيمة وللدارمي في اوايل مسنده عن جابر رضي الله عنه ان النبي
صلي الله عليه وسلم قال انا قايد المرسلين ولا فخر وانا خاتم النبيين ولا فخر وانا اول شافع ومشفع ولا فخر وللترمذي في
المناقب عن انس رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا
خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا آيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد آدم علي ربي ولا فخر
وقال حديث حسن غريب وله في المناقب ايضا عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة

كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وقال حسن صحيح غريب وللترمذي والدارمي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا اول شافع وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وانا
اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وللترمذي وقال حسن عن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم
فمن سواه الا تحت لوائي الفخر ادعاء العظمة والكبر والشرف اي لا اقوله تبجحا ولكن شكرا وتحدثا بالنعمة وما اجتمع بهم في مجمع الا
كان امامهم قبل موته وبعده اجتمع بهم ليلة الاسرا في بيت المقدس فصلى بهم اماما ثم اجتمع بهم في السما فصلى بجميع اهل السما اماما
واما يوم الجمع الاكبر والكرب الاعظم فيحيل الكل عليه ويوميون بالرياسة اليه وما احاله بعض الاكابر على بعض الاعلما منهم
بان الختام يكون به ليكون اظهر الاعتراف بامامته والانقياد لطاعته لان الحيل على الحيل على الشي محيل على ذلك الشي ولو احال احد
ممن قبل عيسى عليهم السلام عليه لطرقه احتمال والحاصل انه صلى الله عليه وسلم تظهر في ذلك الموقف رسالته بالفعل الى
الخلق كافة فيظهر سر هذه الآية الذين يتبعون الرسول والله الموفق ولما دل بالاضافة الى اسم الذات الدال على جميع الصفات
على عموم دعوته وشمول رسالته حتى للجن والملكة ابد ذلك بقوله الذي له اي وحده ملك السموات والارض اي فلا بدع ان يرسله
الى جميع من فيهما بل وما فيهما ولما كان مما نافه في الدنيا انه ربما كان في مملكة الملك من يناظره او يقرب منه كمن ولي عهد او نحوه
فربما رد بعض امره في صورة نصح او غيره نفى ذلك بقوله بينا تمام ملكه لا اله الا هو اي فالكل منقادون لامره خاضعون له لانه
لا موجود بالفعل ولا بالامكان من يصلح للالهية سواه ثم علل ذلك بقوله يحيي ويميت اي له هاتان الصفتان مختصا بهما ومن
كان كذلك كان منفردا بما ذكر وادا راجعت ما ياتي ان شا الله تعالى في اول الفرقان مع ما مضى في اوايل الانعام لم يبق عندك
شك في دخول الملكة عليهم السلام في عموم الدعوة ولما تقرر انه لا منازع له تسبب عن ذلك توجيه الامر بالانقياد لرسوله
فقال فامنوا بالله اي لما ثبت من العظمة والاحاطة باوصاف الكمال وبكل شي فان الايمان به اساس لا ينبني شي من الدين الا عليه
ولما كان اقرب الفروع الاصلية الرسالة قال ورسوله اي لانه رسوله ثم وصفه بما دل على قربه فقال النبي اي الذي يخبره
بما يريد من الامور العظيمة غيبا وشهادة ويطلعه عن كل مخلوق باخباره بارساله ولما كان علو على كل عالم مع انه لم يتعلم من ادمي
ادل شي على صدقه قال الامي اي الذي هو مع كونه لا يحسن كتابة ولا قرآة بل هو على الفطرة الاولى السليمة التي لم يخالطها هوى
ولا دنسها حظ ولا شهوة بحيث يوم ويقصد الفتنة اليه لما حوى من علوم الدنيا والاخرة والتخلق باوصاف الكمال ولما
اشار بهذه الصفة الى ان سبب الايمان الخلاص من الهوى بالكون على الفطرة الاولى قال منبها على وجوب الايمان به لكونه اول
فاعل لما يدعوا اليه الذي يؤمن بالله اي لاجل ما تقتضيه ذاته سبحانه من التعبد له لما له من العظمة فكلما تجدد له علم من علوم
الذات حسب ترقيه في رتب الكمال من رتبة كاملة الى اكمل منها الى ما لا نهاية له تجدد له ايمانا حسبه لا تعتريه غفلة ولا تخالطه
سهو ولا شايبة فتور وكلماته كذلك ايضا كلما تجدد له علم بصفة منها تجدد لها ايمانا ومنها المعجزات التي جرت على يديه كل
واحدة منها كلمة لان ظهورها بالكلمة كما سمي عيسى عليه السلام كلمة لذلك ولما تقرر انه امثل ما امر به فثبتت بذلك رسالته
استحق ان يكون قدوة فقال واتبعوه اي في كل ما يقول ويفعل ما ينهى عنه او يامر به او ياذن فيه لعلكم تهتدون اي ليكون
حالكم حال من يرجى له حصول ما سال في الفاتحة من الاهتدا الى خلق الهداية في القلب مع دوامه ولما كثر عد مثالب بني
اسرايل وختم بتخصيص المتبع لهذا النبي الكريم بالهداية والرحمة المسببة عنها وكان فيهم المستقيم على ما شرعه له ربه
المتمسك بما لزمه اهل طاعته وحزبه سوا كان من صفات النبي صلى الله عليه وسلم او غيرها مع الاذعان لذلك كله نبه عليه
عايدا الى تتميم اخبارهم ثم ما وقع في ايام موسى عليه السلام وبعدها من شرارهم تعزيه لهذا النبي الكريم وتسلية وتطييبا
لنفسه الزكية وتاسية وهو مع ما بعده من ادلة ساصرف عن ايات الآية فقال تعالى عاطفا على واتخذ قوم موسى من بعده
ومن قوم موسى امة اي قوم يستحقون ان يوموا لانهم لا يتكبرون في الارض بغير الحق بل يعدون اي يوقعون الهداية وهي
البيان بالحق به اي خاصة يعدلون اي يجعلون القضايا المختلفة المتنازع فيها متعادلة ليقع الرضى بها لا يقع منهم حيف
في شي منها ومنهم الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام ومخيريق رضي الله عنهما ولما مدحهم شرع يذكرهم
شيا ما اسبغ عليهم من النعم لاجل هوكا المهتدين من التكثير بعد القلة والاعزاز بعد الذلة بجعلهم ممن يوم استعطافا لغيرهم
ويذكر بعض عقوبا تهم ترهيبا فقال وقطعناهم اي فرقنا بينهم بالتخاص بعد ان كانوا اماما واحدا من تخمس واحد وهو
اسرايل عليه السلام وصرح بالكثرة بعد ان لوح بها بالتقطيع اثنتي عشرة وميز موضع المفرد الذي هو مميز العشرة
بالجمع الاشارة الى ان كل سبط يشتمل لكثرته على عدة قبايل بقوله اسباطا والسبط بالكسر ولد الولد والقبيلة من اليهود
وهذه المادة تدور على الكثرة والبسط وبين عظمهم وكثرة انتشارهم وتشعبهم بقوله امما اي هم اهل لان يتصدى الناس لما
لهم من الكثرة والقوة والدين او ان كل امة منهم قوم خلاف ما تومه الاخرى ولما وصفهم بهذه الكثرة وكان ذلك محز الذكر
الانعام عليهم بالكفاية في الاكل والشرب ذكر نعمه خارقة للعادة في الماء وبداء به لانه الاصل في الحيوة وهي من نوع تقسيمهم
من نفس واحدة مشيرة الى ظلمهم واسراعهم في المروق فقال واوحينا الى موسى اذ اي حين استسقاه قومه اي طلبوا منه في
برية لا ماء بها ان اسقهم وذلك في التيه والتعبير بالقوم اشارة الى تبكيتهم بكونهم اهل قوة ولم يتاسوا بموسى عليه السلام
في الصبر الى ان يا تي الله الذي امرهم بهذا المسير بالفتح بل طلبوا منه ذلك على الوجه المذكور في البقرة من اظهار القلق والتذ

ولما كان هذا بلاء عظيما قال مجيبا لسوال من كانه قال لشدة ما بهره من هذا الامر هل وقع مثل هذا مشيرا الى انه وقع ولم يكتف
به بل وقع لهم امثاله لاظهار ما في عالم الغيب منهم الى عالم الشهادة كذلك اي مثل هذا البلاء العظيم نبلوهم اي نجدد اختبارهم كل
قليل بما اي بسبب ما كانوا جبلة وطبعا يفسقون اي يجددون في علمنا من الفسق وهو الخروج مما هو اهل للتوطن من الطاعات
ولما اخبر ان الفسق ديدنهم اكده بقوله عطفا على اذ يعدون واذ واسئلهم عن خبرهم حين قالت امة منهم اي جماعة ممن يعتبر
ويقصد من الواعظين الصالحين الذين وعظوا حتى ايسوا لامة اخرى منهم تخويفا للموعوظين بما يتجاوزون به لم تعظون قوما
اي معتمدين على قوتهم الله اي الذي له الملك كله مهلكهم اي لا محالة لانهم لا ينتهون عن الفساد ولا يتعظون بالمواعظ او معذبهم
عذابا شديدا اي بعظيم ما يرتكبونه وتماديهم فيه قالوا اي الامة الاخرى من الواعظين وعظنا معذرة الى ربكم اي المحسن اليكم
بالحفظ عما وقعوا فيه من الذنب والاقبال على الوعظ حتى اذا سالنا عن امرنا في عصيانهم نقول فعلنا في امرهم جهدنا هذا ان لم
يرجعوا ولعلهم يتقون اي ولتكون حالهم حال من يرجى خوفه لله فيرجع عن غيه ولما تراجعوا بهذا الكلام ليكون زاجرا للعاصين
فلم يرجعوا اخبر انه صدق ظنهم بايقاع الامرين معا العذاب الشديد والاهلاك فقال فلما نسوا ما ذكروا به اي فعلوا في اعراضهم
عنه فعل الناسي وتركوه ترك المنسي وهو ان الله لا يهملهم كما ان الانسان لا يمكن ان يهمل احدا تحت يده ليفعل ما يشاء من غير اعتراض
انجينا اي بعظمتنا الذين ينهون اي استمروا على النهي عن السوء اي الحرام واخذنا اي اخذ غلبة وقهر الذين ظلموا اي بالعدو في
السبت بعذاب بئيس اي شديد جدا بما كانوا اي جبلة وطبعا يفسقون اي بسبب استمرارهم على تجديد الفسق ولما ذكر ما
هددوهم به من العذاب الشديد اتبعه الهلاك فقال فلما عتوا اي تكبروا جلافة ويبسا عن الانتهاء عما نهوا عنه اي بعد الاخذ
بالعذاب الشديد وتجاوزوا الى الاجتراء على جميع المعاصي عنادا وتكبرا بغاية الوقاحة وعدم المبالاة كان مواقعتهم لذلك الذنب
وامهالهم مع الوعظ اكسبتهم ذلك وغلظت اكبادهم عن الخوف بزاجر العذاب من عتا يعتو عتوا اذا اقدم على الاثام فهو عات قال
عبد الحق في كتابه الواعي وقيل اذا اقدم على كل اموره ومنه هذه الاية وقيل العاتي هو المبالغ في ركوب المعاصي المتمرد الذي لا
ينفع فيه الوعظ والتنبيه ومنه قوله سبحانه فعتوا عن امر ربهم اي جاوزوا المقدار والحد في الكفر انتهى وحقيقته جاوزوا
الامر الى النهي او جاوزوا الايتمار بامره والمادة ترجع الى الغلظ والشدة والصلابة قلنا لهم اي بما لنا من القدرة العظيمة
كونوا قردة اي في صور القردة حال كونكم خاسئين اي صاغرين مطرودين بعيدين عن الرحمة كما يبعد الكلب ولما تبين بما
مضى من جراتهم على المعاصي واسراعهم فيها استحقاقهم لدوام الخزي والصغار اخبر انه فعل بهم ذلك على وجه موجب للقطع
بانهم مرتكبون في الضلال مرتكبون سيئ الاعمال ما دام عليهم ذلك النكال فقال واذ وهو عطف على واسئلهم اي واذكر لهم
حين تاذن اي اعلم اعلاما عظيما جهرا معتنى به ربك اي المربي لك والممهد لاذلة شريعتك والناصر لك على من خالفك ولما
كان ما قيل جاريا مجرى المقسم تلقى بلامه فكان كانه قيل تاذن مقسما بعزته وعظمته وعلمه وقدرته ليبعثن اي من مكان بعيد
وافهم انه بعث عذاب باداة الاستعلاء المفهمة لان المعنى ليسلطن عليهم اي اليهود ومد زمان التسليط فقال الى يوم
القيمة الذي هو الفيصل الاعظم من يسومهم اي ينزل بهم دائما سوء العذاب بالاذلال والاستصغار وضرب الجزية
والاحتقار وكذا فعل سبحانه فقد سلط عليهم الامم ومزقهم في الارض كل ممزق من حين انكروا رسالة المسيح عليه السلام كما
اتاهم به الوعد الصادق في التورية وترجمة ذلك موجودة بين ايديهم الان في قوله في اخر السفر الاول لا يزول القضيب
من آل يهودا لا يعدم سبط يهودا ملكا مسلطا وافخاذه نبيا مرسلا حتى ياتي الذي له الملك وفي نسخة الكل واياه تنتظر
الشعوب يربط بالجبلة جحشه وقال السموءل في كتابه غاية المقصود نقول لهم اليس في التورية التي في ايديكم ما تفسيره
لا يزول الملك من آل يهودا والراسم بين ظهرانيهم الى ان ياتي المسيح فلا يقدرون على جحده فنقول لهم افما علمتم انكم كنتم
اصحاب دولة وملك الى ظهور المسيح ثم انقضى ملككم انتهى ومن ايام رسالة المسيح عليه السلام سلط الله عليهم الامم
ومزقهم في الارض فكانوا مرة تحت حكم البابليين واخرى تحت ايدي المجوس وكرة تحت قهر الروم من بني العيص واخرى في
اسر غيرهم الى ان اتى النبي صلى الله عليه وسلم فضرب عليهم الجزية هو وامته من بعده ولما كان السياق للعذاب وموجباته
علل ذلك موكدا بقوله ان ربك اي المحسن اليك باذلال اعدائك الذين هم اشد الامم لك ولمن آمن بك عداوة لسريع العقاب
اي يعذب عقب الذنب بالانتقام باطنا بالنكتة السوداء في القلب وظاهرا ان اراد بما يريد وهذا بخلاف ما في الانعام
فانه في سياق الانعام بجعلهم خلائف ولما رهب رغب بقوله وانه لغفور اي محاء للذنوب عينا واثرا لمن تاب وآمن
رحيم اي مكرم منعم بالتوفيق لما يرضاه ثم بما يكون سببا له من الاعلاء في الدنيا والاخرة ذكر شيء مما هددوا به في التورية
على العصيان والبغي والعدوان غير ما تقدم في المائدة عند من لعنه الله وغضب عليه وغيرها من الايات قال في
السفر الخامس وان لم تحفظ وتعمل بجميع الوصايا والسنن التي كتبت في هذا الكتاب وتتقي الله ربك وتهاب اسمه المحمود المرهوب
يخصك الرب بضربات موجعة ويبتليك بها ويبتلي نسلك من بعدك وتدوم عليك ويبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم
التي كانت قد صارت مثل نجوم السماء وتجلون عن الارض التي تدخلونها لترثوها ويفرقكم الرب بين الشعوب وتعبدون هنالك
للالهة الاخرى التي عملت من الحجارة والخشب ولا تسكنون ايضا بين تلك الشعوب ولكن يصير الله قلوبكم هناك فزعة مرتجفة
بالغداة تقولون متى نمسي والعشي تقولون متى نصبح وذلك من فزع قلوبكم وخوفكم وقلة حيلتكم ويردكم الله الى ارض مصر في الوف
في الطريق الذي قال الرب لا تعودوا ان تروه وتباعون هناك عبيدا واماء ولا يكون من يشتريكم هذه اقوال العهد التي امر الله بها

لا يقلعون عن الوعظ صح

ان اضرب بعصاك اي التي جعلناها لك اية وضربت بها البحر فانفلق الحجر اي اي حجر اردته من هذا الجنس وبين سبحانه
سرعة امتثال موسى عليه السلام وسرعة التاثير عن ضربه بحذف فضربه وقوله مشيرا اليه فانبجست اي فانشقت وظهرت
ونبعت وذلك كاف في تعنيفهم وذمهم على كفرهم بعد المن به في هذا السياق الذي هو لبيان اسراعهم في وهو لا ينافي ان يكون على وجه
الانفجار ويكون التعنيف حينئذ اشد منه اثنتي عشرة عينا على عدد الاسباط واشار الى شدة تمايزها بقوله قد علم كل اناس
اي من الاسباط مشربهم ولما لم يتقدم للاكل ذكر ولا كان هذا سياق الامتنان لم يذكر ما اتم هذه الاية به في البقرة ولما ذكر
تبريد الاكباد بالماء اتبعه تبريدها بالظل فقال وظللنا اي في التيه عليهم الغمام اي لئلا يتاذوا بالشمس ولما اتم تبريد الاكباد
اتبعه غذاء الاجساد فقال وانزلنا عليهم المن اي خبزا والسلوى اداما وقال السموءل بن يحيى وهو طائر صغير يشبه السماني
وخاصيته ان اكل لحمه يلين القلوب القاسية يموت اذا سمع صوت الرعد كما ان الخطاف يقتله البرد فيلهمه الله عز وجل ان يسكن
جزائر البحر التي لا يكون بها مطر ولا رعد الى انفصال اوان المطر والرعد فيخرج من الجزائر وينتشر في الارض ولما ذكر عظمته
في ذلك ذكر نتيجته فقال كلوا من طيبات ما رزقناكم اي بصفة العظمة القاهرة لما نريد مما لم تعالجوه نوع معالجة ودل على انهم
قابلوا هذا الاحسان بالطغيان والظلم والعدوان بقوله عطفا على ما تقديره فعدلوا عن الطيبات الماذون فيها واكلوا الخبائث
التي حرمناها عليهم بالاصطياد يوم السبت كما ياتي وفعلوا غير ذلك من المحرمات فظلموا انفسهم بذلك وما ظلمونا اي بشيء مما قابلوا
فيه الاحسان بالكفران ولكن كانوا اي دائما جبلة وطبعا انفسهم اي خاصة يظلمون وهو مع كونه من ادلة ساصرف عن اياتي الاية
دليل على صحة وصف هذا الرسول بالنبي فان من علم هذه الدقائق من اخبارهم مع كونه اميا ولم يخالط احدا من احبارهم كان
صادقا عن علام الغيوب من غير مرية وكذا ما بعده ولما ذكر ما حباهم به في القفار اتبعه انعامه عليهم عند الوصول الى الدار فقال
واذ اي اذكر لهم هذا ليصدقوك او يصيروا في غاية الظلمة كاصحاب السبت فيتوقعوا مثل عذابهم واذكر لهم ما لم تكن حاضرة
ولا اخذتهم عنهم وهو وقت اذ وعدل عن الاكرام بالخطاب وموت العظمة لان السياق للاسراع في الكفر فقال قيل لهم اسكنوا اي
ادخلوا مطمئنين على وجه الاقامة ولا يسمى ساكنا الا بعد التوطن بخلاف الدخول فانه يكون بمجرد الولوج في الشيء على اي وجه كان هذه
القرية فهو دليل اخر على الامرين الصرف والصدق وعبر هنا بالمجهول في قيل اعراضا عن تلذيذهم بالخطاب ايذانا بان هذا السياق
للغضب عليهم بتساقطهم في الكفر واعراضهم عن الشكر من اي قائل كان وباي صيغة ورد القول وعلى اي حالة كان واظهارا للعظمة
حيث كانت ادنى اشارة منه كافية في سكناهم في البلاد واستقرارهم فيها قاهرين لاهلها الذين ملأوا قلوبهم هيبة حتى قالوا
انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها ولما خلت نعمة الاكل في هذا السياق عما دعا اليه سياق البقرة من التعقيب وهو الاستعطاف
ذكرت بالواو الدالة على مطلق الجمع وهي لا تنافي تلك فقال وكلوا منها اي القرية حيث شئتم واسقط الرغد لذلك وقدم وقولوا
حطة ليكون اول قارع للسمع مما امروا به من العبادة مشعرا بعظيم ما تحملوه من الاثام ايذانا بما سيقت له هذه القصص في هذه
السورة من المقام ولما امروا بالحطة قولا امروا ان يشفعوها بفعل لتحط عنهم ذنوبهم ولا ينافي التقديم هنا التاخير في البقرة
لان الواو لا ترتب فقال وادخلوا الباب اي باب بيت المقدس حال كونكم سجدا نغفر لكم ولما كان السياق هنا لبيان اسراعهم في
الكفر ناسب ذلك جمع الكثرة في قوله خطاياكم في قراءة ابي عمرو واما قراءة ابن عامر خطيئتكم بالافراد وقراءة غيرهما خطياتكم
جمع قلة فالاشارة الى انها قليل في جنب عفوه تعالى وكذا تغفر للمجهول تانيثا وتذكيرا كل ذلك ترجية لهم واستعطافا الى التوبة
ولذلك ساق سبحانه ما بعده مساق السؤال لمن كانه قال هذا الرجاء قد حصل فهل مع المغفرة من كرامة فقال سنزيد اي
بوعد لا خلف فيه عن قريب وهو لا ينافي اثبات الواو في البقرة المحسنين اي العريقين في هذا الوصف وللسياق الذي
وصفت قيد قوله فبدل الذين ظلموا بقوله منهم لئلا يتوهم انهم من الدخلاء فيهم قولا غير الذي ولما كان من المعلوم ان القائل
من له الزامهم بناه للمجهول فقال قيل لهم وقال فارسلنا اي بما لنا من العظمة عليهم بالاضمار تهويلا لاحتمال العموم بالعذاب
رجزا من السماء ولفظ الظلم في قوله بما كانوا يظلمون بما يقتضيه من انهم لا ينفكون عن الكون في الظلام اما مطلقا واما مع
تجديد فعل كفعل من هو فيه اهول من لفظ الفسق المقتضي لتجديد الخروج مما ينبغي الاستقرار فيه كما ان لفظ الارسال
المعدى بعلى كذلك بالنسبة الى لفظ الانزال ولما فرغ من هتك استارهم فيما عملوه ايام موسى عليه السلام وما يليها
اتبعه حربا اخر اشد مما قبله كان بعد ذلك بمدة لا يعلمه احد الا من جهتهم او من الله واذا انتفى الاول اثبت الثاني فقال
واسئلهم اي بني اسرائيل مبكتا لهم ومقررا عن القرية اي البلد الجامع التي كانت حاضرة البحر اي على شاطئه وهي ايلة
ولعله عبر بالسؤال ولم يقل واذ تعدو القرية التي الى اخره ونحو ذلك لان كراهتهم للاطلاع على هذه الفضيحة اشد مما مضى
وهي دليل على الصرف والصدق ولما كان السؤال عن خبر اهل القرية قال مبدلا بدل اشتمال من القرية اذ اي حين يعدون
اي يجوزون الحد الذي امرهم الله به في السبت اذ اي العدو حين تاتيهم وزاد في التبكيت بالاشارة الى المسارعة في الكفر
بالاضافة في قوله حيتانهم اي ايما الى انها مخلوقة لهم فلو صبروا نالوها وهم مطيعون كما في حديث جابر رضي الله عنه
رفعه بين العبد وبين رزقه حجاب فان صبر خرج اليه والا هتك الحجاب ولم ينل الا ما قدر له يوم سبتهم اي الذي يعظمونه
بترك الاشتغال فيه بشيء غير العبادة شرعا اي قريبة مشرفة لهم ظاهرة على وجه الماء بكثرة جمع شارعة وشارع اي دان
ويوم لا يسبتون اي لا يكون سبت ولعله عبر بهذا اشارة الى انهم لو عظموا الاحد على انه سبت جاءتهم فيه وهو من سبتت
اليهود اذا عظمت سبتها لا تاتيهم اي ابتلاء من الله لهم فلو انهم صبروا ازال الله هذه العادة فاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم

موسى وان يعاهد بني اسرايل في ارض مؤاب سوى العهد الذي عاهدهم بحوريب ثم دعا موسى جميع بني اسرايل وقال لهم قد
رايتم ما صنع الله بارض مصر بفرعون وجميع عبيده وكل شعبه والبلايا العظيمة التي رات اعينكم والايات والاعاجيب التي
شهدتموها ولم يعطكم الرب قلوبا تفهم وتعلم ولا اعيننا تبصر ولا اذانا تسمع الى يومنا هذا وديركم في البرية اربعين سنة
لم تبل ثيابكم عليكم ولم تخلق خفافكم ايضا ولا تاكلوا خبزا لتعلموا اني انا الله ربكم وانا الذي اتيت بكم الى هذه البلاد فاحفظوا وصايا
هذه التورية واعملوا بها واتموا جميع الاعمال في طاعة الله واكملوها لانكم قد عرفتم جميعا انا كنا سكانا بارض مصر وجزنا بين الشعوب
ورايتم نجاستهم واصنامهم لعل فيكم اليوم رجلا او امراة او قبيلة او سبطا ميل قلبه عن عبادة الله ربنا ويطلب عبادة الهة
تلك الشعوب فيسمع اقوال هذا العهد فيقول يكون لي السلام فاتبع مسرة قلبي هذا لا يريد الرب ان يغفر له ولكن هناك يشتد غضب
الرب وزجره عليه وينزل به كل اللعن الذي في هذا الكتاب ويستاصل الرب اسمه من تحت السماء ويفرزه الرب من جميع اسباط بني
اسرايل للشر والبلايا ويقول الحقب الاخر بنوكم الذين يقومون من بعدكم والغربا وينظرون الى ضربات تلك الارض والاوجاع
التي انزل الله بها ويقول الشعب لماذا صنع الرب هكذا ولماذا اشتد غضبه على هذا الشعب العظيم ويقولون لانهم تركوا عهد
الله اله ابايهم فاشتد غضب الرب على هذه الامة وامر ان ينزل بها كل اللعن الذي كتب في هذا الكتاب ويجليهم الرب عن بلادهم
بغضب وزجر شديد ويبعدهم الى ارض غريبة كما ترى اليوم فاما الخفايا والسراير فهي لله ربنا والامور الظاهرة المكشوفة
هي لنا ولما اخبر سبحانه بالتاذن كان كانه قيل فاشرعنا في عقابهم بذنوبهم وبعثنا عليهم من سامهم سوء العذاب بالقتل
والسبي فعطف عليه قوله وقطعناهم اي بسبب ما حصل لهم من السبي المترتب على العذاب بما لنا من العظمة تقطيعا كثيرا
بان اكثرنا تفريقهم في الارض حال كونهم امما يتبع بعضهم بعضا فصار في كل بلدة قليل منهم ليست لهم شوكة ولا يدفعون عن
انفسهم ظلما ولما كان كانه قيل فهل اطيقوا بعد هذا العذاب على الخير قيل لا بل فرقتهم الاديان نحو فرقة الابدال منهم
الصالحون اي الذين ثبتوا على دينهم الى ان جا الناسخ له فتبعوه امتثالا لدعوة كتابهم ومنهم دون ذلك اي بالفسق تارة
وبالكفر اخرى وبلوناهم اي عاملناهم معاملة المبتلي لتظهر للناس ما نحن به منهم عالمون بالحسنات اي النعم والسيئات
اي النقم لعلهم يرجعون اي ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن غيه رغبة او رهبة ولما كان العذاب الذي وقع التاذن
بسببه ممتدا الى يوم القيمة تسبب عنه قوله فخلف اي نشا ولما كانوا غير مستغرقين لزمان البعد اتى بالجار فقال من بعدهم
خلف اي قوم هم اسوا حالا منهم ورثوا الكتاب اي الذي هو نعمه وهو التورية فكان لهم نقمة لشهادته عليهم بقبح افعالهم لانه
بقي في ايديهم بعد اسلافهم يقراونه ولا يعملون بما فيه قال ابن فارس والخلف ما جاء من بعد اي سوا كان محركا او ساكنا وقال
ابو عبيد الهروي في الغريبين ويقال خلف سوء اي بالسكون وخلف صدق وقال الزبيدي في مختصر العين والخلف خلف السوء
بعد ابيه والخلف الصالح وقال ابن القطاع في الافعال وخلف خلف سوء صاروا بعد قوم صالحين وخلف سوء قال الاخفش
هما سوا منهم من يسكن ومنهم يحرك فيهما جميعا ومنهم من يقول خلف صدق اي بالتحريك وخلف سوء اي بالسكون يريد بذلك الفرق
بينهما وكل ذلك اذا اضاف يعني فاذا لم يضف كان السكون للفساد والتحريك للصلاح وقال في القاموس خلف نقيض قدام
والقرن بعد القرن ومنه خلف سوء والردي من القول وبالتحريك الولد الصالح فاذا كان فاسدا سكنت اللام وربما استعمل كل
منهما مكان الاخر يقال هو خلف صدق من ابيه اذا قام مقامه او الخلف بالسكون وبالتحريك سوا الليث خلف للاشرار خاصة وبالتحريك
ضده والمادة ترجع الى الخلف الذي هو نقيض قدام كما بينت ذلك في فن المضطرب من حاشيتي على شرح الفية العراقي ولما كان
المظنون بمن يرث الكتاب الخير فكان كانه قيل ما فعلوا من الخير فيما ورثوه قال مستانفا ياخذون اي يجددون الاخذ دايما
وحقر ما اخذوه بالاعلام بانه مما يعرض ولا يثبت بل هو زايل فقال عرض وزاده حقارة باشارة الحاضر فقال هذا وصرح
بالمراد بقوله الادنى اي من الموجودين وهو الدنيا ويقولون اي دايما من غير توبة ولما كان النافع الغفران من غير نظر الى
معين بنوا للمفعول قولهم سيغفر لنا اي من غير شك فاقدموا على السوء وقطعوا بوقوع ما يبعد وقوعه في المستقبل حكما على
من يحكم ولا يحكم عليه وصرح بما افهمه ذلك من اصرارهم معجبا منهم في جزمهم بالمغفرة مع ذلك بقوله وان اي والحال انه ان
ياتهم عرض مثله اي في الدناءة والخسة والحرمة كالرشى ياخذوه ولما كان هذا عظيما انكر عليهم مشددا للنكير بقوله مستانفا
الم يوخذ عليهم بناه للمفعول اشارة الى ان العهد يجب الوفا به على كل حال ثم عظمه بقوله ميثاق الكتاب اي الميثاق المؤكد
في التورية ان لا يقولوا اي قولا من الاقوال وان قل على الله اي الذي له كمال العظمة الا الحق اي المعلوم ثباته وليس من المعلوم
ثباته اثبات المغفرة على القطع بغير توبة بل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب ولما كان ربما وقع في الوهم انه اخذ على اسلافهم
ولم يعلم هولا به نفى ذلك بقوله ودرسوا ما فيه اي ما في ذلك الميثاق الذي في الكتاب او الكتاب بتكرير القراة للحفظ
والدار الاخرة اي فعلوا ما تقدم من مجانبة التقوى والحال ان الاخرة خير اي مما ياخذون للذين يتقون اي وهم يعلمون ذلك
باخبار كتابهم ولذلك انكر عليهم بقوله افلا يعقلون اي حين اخذوا ما يشقيهم ويفنى بدلا مما يستعدهم ويبقى وعلى قراة نافع وابن
عامر وحفص بالخطاب يكون المراد الاعلام بتناهي العصب ولما بين ما للمفسدين من كونهم قالوا على الله غير الحق فلا يغفر لهم بين ما
للمصلحين المذكورين في قوله من قوم موسى امة يهدون بالحق ومنهم الصالحون فقال عاطفا على ما تقديره اولئك حبطت
اعمالهم فيما درسوا من الكتاب ولا يغفر لهم ما اتوا من الفساد والذين يمسكون اي يمسكون امساكا شديدا يتجدد على وجه الاستمرار
وهو اشارة الى ان التمسك بالسنة في غاية الصعوبة لا سيما عند ظهور الفساد بالكتاب اي فلا يقولون على الله الا الحق ومن جملة

تمسيكهم المتجدد انتقالهم عن ذلك الكتاب عند اتيان الناسخ لانه ناطق بذلك والله الموفق ولما كان من تمسيكهم بالكتاب عند
نزول هذا الكلام انتقالهم عن دينهم الى الاسلام كما وقع الامر به في المواضع التي تقدم بيانها عبر عن اقامة الصلوة المعهودة لهم بلفظ
الماضي دون المضارع لئلا يجعلوه حجة في الثبات على دينهم فيفيد ضد المراد فقال واقاموا الصلوة وخصها اشارة الى ان الاولين
تركوها كما صرح به في اية مريم وتنويها بشانها بيانا لانها من اعظم شعاير الدين ولما كان التقدير اخبارا عن المبتدا سنوتيهم
اجرهم لاصلاحهم وضع موضعه للتعميم قوله انا لا نضيع اي بوجه من الوجوه اجر المصلحين ولما ذكر الكتاب وانه رهبهم من
مخالفته ورغبهم في موالفته وكان عذاب الاخرة مستقبلا وغايبا وكان ما هذا شانه لا يوثر في الجامدين امره ان يذكرهم بترهيب
دنيوي مضى ايقاعه بهم لياخذوا مواثيق الكتاب بغاية الجد مع انه لا يعلمه الا علماؤهم فيكون علم الامي له من اعلام نبوته الظاهرة
فقال واذ اي اذكر لهم هذا فان لم يتعظوا اذكر لهم اذ نتقنا اي قلعنا ورفعنا واتى بنون العظمة لزيادة الترهيب الجبل عرفه
لمعرفتهم به وعبر به لدلالة لفظه على الصعوبة والشدة دون الطور كما في البقرة لان السياق لبيان نكدهم باسراعهم في المعاصي الدالة
على غلظ القلب ولما كان مستغرقا لجميع الجهة الموازية لعساكرهم حذف الجار فقال فوقهم ثم بين انه كان اكبر منهم بقوله كانه ظلة
اي سقف وحقق انه صار عليهم موازيا لهم من جهة الفوق كالسقف بقوله وظنوا هو على حقيقته انه واقع ولما كان ما تقدم
قد حقق العلو لم يحتج الى حرف الاستعلاء فقال مشيرا الى السرعة واللصوق بهم اي ان لم ياخذوا عهود التورية قالوا ولما راوا
ذلك خر كل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وصار ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فزعا من سقوطه وهي سنة لهم في سجودهم الى الان
يقولون هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما كان كانه قيل فقالوا اخذنا برب عهودك قال مشيرا الى عظمته ليشتد
اقبالهم عليه اشارة الى انه علة رفع الجبل خذوا ما اتيناكم اي بعظمتنا فهو جدير بالاقبال عليه وان يعتقد فيه الكمال واكد ذلك بقوله
بقوة اي عزم عظيم على احتمال مشاقه ولما كان الاخذ للشي بقوة ربما نسيه في وقت قال واذكروا ما فيه اي من الاوامر والنواهي
وغيرها فلا تنسوه لعلكم تتقون اي ليكون حالكم حال من ترجى تقواه فدل سبحانه بهذا على تاكيد المواثيق عليهم في اخذ جميع ما في الكتاب
الذي من جملته ان لا يقولوا على الله الا الحق ولا يكتموا شيا منه قالوا ولما قرا موسى عليه السلام الالواح وفيها كتاب الله لم يبق على
الارض شجر ولا جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يسمع التورية الا اهتز وانفض راسه ولما ذكر انه الزمهم احكام الكتاب
على هذه الهيئة القاهرة الملجية القاسرة التي هي من اعظم المواثيق عند اصل الاخذ وانه اكد عليهم المواثيق في كثير من فصول الكتاب
وكان ذلك كله خاصا بهم امره ان يذكر لهم انه ركب لهم في عموم هذا النوع الادمي من العقول ونصب من الادلة الموضحة للامر ايضاح
المشهود للشاهد ما لو عذب تاركه والمتهاون به لكان تعذيبه جاريا على المناهج ملايما للعقول ولكنه لسبق رحمته وغلبة رافته
لم يواخذ بذلك حتى ضم اليه الرسل وانزل معهم الكتب واكثر فيها من المواثيق وزاد في الكشف والبيان والى ذلك الاشارة باسم الرب
فكان من عنده علم اشد ملامة من الجاهل فقال واذ اي واذكر لهم اذ اخذ اي خلق بقوته وقدرته ربك اي المحسن اليك بالتمهيد
لرسالتك كما يوخذ القمل بالمشط من الراس ولما كان السياق لاخذ المواثيق والاخذ بقوة ذكر اخذ الذرية من اقوى نوعي الادمي
وهم الذكور فقال من بني آدم وذكر انه جعلها من امتن الاعضا فقال من ظهورهم كل واحد من ظهر ابيه ذرياتهم اشارة الى انه لما
اكد عليهم المواثيق وشددها وامرهم بالقوة في امرها اعطاهم من القوى في التركيب والمزاج ما يكونون به مطيقين لذلك فهو تكليف بما
في الوسع وجعل لهم عقولا عند من قال هو على حقيقته كنملة سليمان عليه السلام واشهدهم على انفسهم اي اوضح لهم من البراهين من الانعام
بالعقول مع خلق السموات والارض وما فيهما على هذا المنوال الشاهد له بالوحدانية وتمام العلم والقدرة ومن ارسال الرسل المويدين
بالمعجزات ما كانوا به كالشهود بانه لا رب غيره وقد ذكر معنى هذا الامام حجة الاسلام الغزالي في الكلام على العقل في باب العلم من
الاحيا فانه قال في معنى هذه الاية والمراد اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة
والاشخاص ثم ذكر ان النفوس فطرت على معرفة الاشيا على ما هي عليه لقرب الاستعداد للادراك ولما تبين انه فرد لا شريك له
فلا راد لامره وانه رب فلا اراف منه ولا ارحم كان ذلك ادعى الى طاعته خوفا من سطوته ورجا لرحمته فكانوا بذلك بمنزلة من
سيل عن الحق فاقر به فلذلك قال الست بربكم اي المحسن اليكم بالخلق والتربية بالرزق وغيره قالوا بلى شهدنا اي كان علمنا بذلك
علما شهوديا وذلك لانهم وصلوا بعد البيان الى حد لا يكون فيه الجواب الا ذلك فكانهم قالوه فهو والله اعلم من وادي قوله تعالى
ولله يسجد من في السموات وما في الارض من دابة والملايكة وهم لا يستكبرون ولما كان كانه قيل لم فعل ذلك قيل دلالة على
ان المتقدم انما هو على طريق التمثيل بجعل تمكينهم من الاستدلال كالاشهاد فعله كراهة ان يقولوا يوم القيمة اي ان لم تنصب
لهم الادلة ان كنا عن هذا اي وحدانيتك وربوبيتك غافلين اي لعدم الادلة فلذلك اشركنا او يقولوا اي لو لم نرسل
اليهم الرسل انما اشرك اباؤنا من قبل اي قبل ان توجد وكنا ذرية من بعدهم فلم نعرف لنا مربيا غيرهم فكنا لهم تبعا فشغلنا
اتباعهم عن النظر ولم ياتنا رسول منبه فيتسبب عن ذلك انكارهم في قولهم افتهلكنا بما فعل المبطلون اي من ابائنا قال
ابو حيان والمعنى ان الكفرة لو لم يوخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم
حجتان احديهما كنا غافلين والاخرى كنا تبعا لاسلافنا فكيف والذنب انما هو لمن طرق لنا واضلنا انتهى ولما يويد معنى
التمثيل حديث انس في الصحيح يقول الله لاهون اهل النار عذابا لو ان لك ما في الارض من شي كنت تفتدي قال نعم قال فقد سالتك
ما هو اهون من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي شيا فابيت الا الشرك وذلك لان التصريح بالاباء ينافي كون الاقرار على حقيقته
والاخذ وهو في الصلب انما هو بنصب الادلة وتقدير الخلق على وجه مهيئ للاستدلال بتركيب العقل على القانون الموصل الى المقصود

عند التخلي من الحظوظ والشوايب وهذا الذي وقع تاويل الاية به لا يعارضه حديث الاستنطاق في عالم الذر على تقدير صحته فانه
روي من طرق كثيرة جدا ذكرتها في كتابي سر الروح منها في الموطا ومسند احمد واسحق ابن راهويه ومحمد بن نصر المروزي وابي يعلى
الموصلي ومستدرك الحاكم وكتاب المائتين لابي عثمن الصابوني عن صحابة وتابعين مرفوعا وموقوفا منهم عمر وابي بن كعب وابو هريرة
وحكيم بن حزام وعبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وعن محمد بن كعب وعطا بن يسار وسعيد
ابن المسيب وابي العالية رحمهم الله وانما كان لا يعارضه لان في بعض طرقه عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه سبحانه قال بعد
ان استنطقهم فاني اشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع واشهد عليكم اباكم آدم ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين
فلا تشركوا بي شيا فاني ارسل اليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وانزل عليكم كتبي فقالوا نشهد انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك
فالاستنطاق في الحديث على بابه عبرة لابينا آدم عليه السلام ومن حضر ذلك من الخلق وايقافا لهم على بديع قدرته وعظيم علمه واشهاد
ما اشهد من المخلوقات بمعنى انه نصب فيها من الادلة ما يكون اقامة الحجة به عليهم بالنقض ان اشركوا كشهادة الشاهد الذي لا يرد
وليس في شي من الروايات ما ينافي هذا والحاصل انه اخذ علينا عهدان احدهما حالي تهدي اليه العقول وهو نصب الادلة والاخر
مقالي اخبرت به الرسل كل ذلك للاعلام بمزيد الاعتنا بهذا النوع البشري لما له من الشرف الكريم ويراد به من الامر العظيم والله
الموفق ولما كان كانه قيل تنبيها على جلالة هذه الايات انظر كيف فصلنا هذه الايات هذه التفاصيل الفايقة وابرزناها في هذه
الاساليب الرايقة قال وكذلك ومثل ذلك التفصيل البديع الجليل الرفيع نفصل الايات اي كلها لئلا يواقعوا ما لا يليق بجنابنا جهلا
لعدم الدليل ولعلهم يرجعون اي وليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن الضلال الى ما تدعوا اليه الهداة من الكمال عن قرب ان
حصلت غفلة فواقعوه وذلك من ادلة والذي خبث لا يخرج الا نكدا وما وجدنا لاكثرهم من عهد وساصرف عن اياتي ولما ذكر
لهم ما اخذ عليهم في كتابهم من الميثاق الخاص الذي انسلخوا منه واتبعه الميثاق العام الذي قطع به الاعذار اتبعهما بيان ما يعرفونه
من حال من انسلخ من الايات فاسقطه الله من ديوان السعدا فامره صلى الله عليه وسلم ان يتلوا ذلك عليهم لانه مع الوفا بتبكيتهم
من ادلة نبوته الموجبة عليهم اتباعه فذكرهم ما وقع له في نبذ العهد والانسلاخ من الميثاق بعد ان كان قد اعطي الايات وافرغ
عليه من الروح فقال واتل اي اقرا شيا بعد شي عليهم اي اليهود وساير الكفار بل الخلق كلهم نبا الذي وعظم ما اعطاه بمظهر
العظمة ولفظ الايتا بعد ما عظم خبره بلفظ الانبا فقال اتيناه ولما كان تعالى قد اعطاه من اجابة الدعا وصحة الرويا وغير
ذلك مما شا سبحانه امرا عظيما بحيث دله على الله تعالى دلالة شك فيها وكانت الايات كلها متساوية الاقدام في الدلالة وان كان
بعضها اقوى من بعض قال اياتنا وهو بلعام من غير شك للسباق واللحاق وقيل هو رجل بعثه موسى عليه السلام الى ملك مدين
فرشاه فتبع دينه فافتتن به الناس وقيل هو امية بن ابي الصلت الثقفي الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر
قلبه قاله عبد الله بن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وقيل هو ابو عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق
وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم فانكروه ولما كان الذي جراهم على عظمته سبحانه ما انعم
عليهم به من اعطا الكتاب ظنا منهم انه لا يشقيهم بعد ذلك رهبهم ببيان ان الذي سبب له هذا الشقا هو ايتا الايات فقال
فانسلخ منها اي فارقها بالكلية كما تنسلخ الحية من قشرها وذلك بسبب انه لما كان مجاب الدعوة ساله ملك زمانه الدعا على موسى
وقومه فامتنع فلم يزل يرغبه حتى خالف امر الله فاشار عليه ان يرسل اليهم النسا مزينات ويامرهن ان لا يمتنعن من احد فاشقاه الله
وهذا معنى فاتبعه الشيطان اي فادركه مكره فصار قرينا له فكان اي فتسبب عن ادراك الشيطان له ان كان من الغاوين الضالين
الراكبين هوى روسهم وعبر في هذه القصة بقوله اتل دون واسلهم على نحو ما مضى في القرية لان هذا الخبر مما يخبون ذكره لان
سلخه من الايات كان لاجلهم فهو شرف لهم فلو سالهم عنه لبادروا الى الاخبار به ولم يتلعثموا فلا تكون تلاوته صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك لما انزل في شانه واقعا موقع ما لو اخبرهم به قبل ولعل المقصود الاعظم من هذه الاية والتي قبلها الاستدلال على كذب
دعواهم في قولهم سيغفر لنا بما هم قايلون به فيكون من باب الالزام وكانه قيل انتم قايلون بان من اشرك لا يغفر له لتركه ما
نصب له من الادلة حتى انكم لتقولون ليس علينا في الاميين سبيل لذلك فما لكم توسعون المغفرة لكم في ترك ما اخذ عليكم به الميثاق
الخاص وقد ضيقتموها على غيركم في ترك ما اخذ عليهم به الميثاق العام ما ذلك الا مجرد هوى فان قلتم الامر في اصل التوحيد
اعظم فلا يقاس عليه قيل لكم اليس المعبود قد حرم الجميع وعلى التنزل فمن المسطور في كتابكم امر بلعام وانه ضل وقد كان اعظم
من احادكم فانا اتيناه الايات من غير واسطة رسول وكان سبب هلاكه كما تعلمون وخروجه من ربقة الدين واحلال ذمة
مشورته على ملك زمانه بان يرسل النسا الى عسكر بني اسرايل متزينات غير متمنعات ممن ارادهن وذلك من الفروع التي هي
اخف من باب الاموال فقد تحتم كذبكم في قولكم سيغفر لنا وانكم لم تتبعوا فيه الا الهوى كما تبعه بلعام فانتظروا ما فعل به
ولما كان هذا السياق موهما لمن لم يرسخ قدمه في الايمان ان الشيطان له تاثير مستقل في الاغوا نفى ذلك غيره على هذا المقام
في مظهر العظمة فقال ولو شينا اي ان نرفعه بها على ما لنا من العظمة التي من دنا من ساحتها بغير اذن محق لرفعناه اي في المنزلة
رفعة دايمة بها اي الايات حتى لا يزال عاملا بها ولما علق الامر بالمشية تنبيها على انها هي السبب الحقيقي وان ما لم يشا سبحانه
لا يكون وكان التقدير ولكنا لم نشا ذلك وشينا له الكفر فاخلدناه الى آخره عبر عنه تعليما للادب في اسناد الخير الى الله والشر الى
غيره وان كان الكل خلقه حفظا لعقول الضعفا من ايهام نقص او ادخال لبس بقوله مسندا نقصه اليه ولكنه اخلد اي فعل
فعل من اوقع الخلد وهو الدوام واوجده الى الارض اي رمى بنفسه الى الدنيا رميا تهالكا على ما فيها من الملاذ الحيوانية والشهوات

النفسانية

النفسانية واتبع اي اتباعا شديدا هواه فاعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات مقدما لداعي نفسه على داعي روحه لان
القلب الذي هو نتيجتهما في عالم الامر له وجهان وجه الى الروح العلوي الروحاني الذي هو الاب وله الذكور المناسبة للعلو ووجه الى
النفس التي هي الروح الحيواني التي هي الام ولها المناسبة للارض بالانوثة وبان اصلها من التراب الذي له الرسوب بوضع الجبلة فالتقدير
فحط نفسه حطا عظيما لانا لم نشا رفعه بما اعطيناه من الايات وانما جعلناه وبالا عليه فلا يغتر احد بما اوتي من المعارف وما حاز
من المفاخر واللطايف فان العبرة بالخواتيم ولنا بعد ذلك ان نفعل ما نشا ولما كان هذا حاله تسبب عنه ان قال تعالى فمثله اي مع ما
اوتي من العلم في اتباعه لمجرد هواه من غير دليل بعد الامر بمخالفة الهوى كمثل الكلب اي في حال دوام اللهث ولما كان كانه قيل مثله
في اي احواله قال في حال كونه ان تحمل عليه اي لتضربه يلهث او تتركه يلهث فان اوجب لك الحمل عليه ظن ان لهثه لما حاول من ذلك
التعب ردك عنه لهثه في الدعة فتعلم حينئذ انه ليس له سبب الا اتباع الهوى فتابع الهوى مثل للكلب كما بين ومثال هذا المنسلخ
الجاهل الذي لا يتصور ان يتبع غير الهوى لانه يتبع الهوى مع ايتاء الايات فبعد الانسلاخ منها اولى فقد وضح تشبيه مثله بمثل الكلب
لا تشبيه مثله بالكلب وهذه القصة تدل على ان من كانت نعم الله في حقه اكثر كان بعده عن الله اذا اعرض عنه اعظم واكبر ولما تقرر
المثلان وكان كل منهما منطبقا على حال كل مكذب كانت النتيجة قوله ذلك اي كل من المثلين مثل القوم اي الاقويا على ما يحاولونه
الذين كذبوا باياتنا اي في ان تركهم لها انما هو لمجرد الهوى لان لها من الظهور والعظمة بنسبتها الينا ما لا يخفى على من له ادنى بصيرة
فاقصص القصص اي فاخبر الاخبار العظيم الذي تتبعت به مواقع الوقايع واثار الاعيان حتى لم تدع في شي منها لبسا على كل من يسمع لك
من اليهود وغيرهم وهو مصدر قص الشي اذا تبع اثره واستقصى في ذلك لعلهم يتفكرون اي ليكون حالهم حال من يرجى تفكره في هذه
الايات فيعلمون انه لا ياتي بمثلها من غير معلم من الناس الا نبي فيردهم ذلك الى الصواب حذرا من مثل حال هذا ولما ظهر بهذا ان
مثل الكلب الذي اكتسب من ممثوله من السور والقذارة ما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى مثل المكذبين بالايات انتج ذلك قوله
تاكيدا لذمهم وزجرهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم الذين كذبوا باياتنا اي فلو لم يكن عليهم درك في فعلهم الا تنزل هذا المثل عليهم لكان
اعظم زاجر لمن له ادنى مروة لانهم نزلوا عما لمن يتبعها من العظمة الى ما ظهر بهذا المثل من الخسة فكيف وهم يضرون انفسهم بذلك ولا
يضرون الا اياها وذلك معنى قوله وانفسهم اي خاصة كانوا يظلمون اي كان ذلك في طبعهم جبلة لهم لا يقدر غير الله على تغييره
ولما كان ذلك محل عجب ممن يحيد عن المنهج بعد ايضاحه هذا الايضاح الشافي قال جوابا لمن كانه قال فما لهم لا يومنون مفصلا لقوله
ولو شينا لرفعناه بها من يهدي الله اي يخلق الهداية في قلبه الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه فهو المهتدي اي لا غيره ولما
كان في سياق الاستدلال على ان اكثر الخلق هالك بالفسق ونقض العهد وحد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الضال نظرا الى معناها فقال
ومن يضلل فاولئك اي البعدا البغضا خاصة لا غيرهم هم الخاسرون اذ لا فعل لغيره اضلا والاية من فذلكة ما مضى وما احسن ختمها بالخسران
في وعظ من ترك الاخرة باقباله على ارباح الدنيا واعراضها الفانية ثم تعقيبها بدرء جهنم الذين لا اخسر منهم ذكر قصة بلعام من التوراة قال
في السفر الرابع منها بعد ان ساق قتالهم لسيحون ملك الاموريين وفرق المواتيون من الشعب فرقا شديدا لانهم راوه شعبا عظيما فاضطرب
المواتيون ورجفت قلوبهم خوفا من بني اسرائيل وقال ملك مواب لاشياخ مدين اعلموا ان هذا الجمع يرتعي حولنا ولا يدع احدا الا اهلكه
ويرتعي كل من حولنا كما يرتعي الثور عشب الارض وكان ملك المواتيين في ذلك الزمان بالاق بن صفور فارسل رسلا الى بلعام بن فغور العراف
المعبر للاحلام الذي كان ينزل على شاطي النهر قريبا من ارض بني عمون ليدعوه اليه فيستعين به اخبرك انه قد خرج شعب من ارض مصر
فغشي وجه الارض كلها وقد نزلوا جبالنا فاطلب اليك ان تاتي وتلعن هذا الشعب لانه اقوى واعز منا لعلنا نقدر ان نحاربه ونهلكه عن
جديد الارض لاني عارف ان الذي تباركه هو مبارك والذي تلعنه هو ملعون وانطلق اشياخ مواب واشياخ مدين ومعهم هدايا وحوامز
فاتوا بلعام فقالوا له قول بالاق فقال لهم بيتوا ههنا ليلتكم هذه فاخبركم بما يقول الرب فاقام اشراف مواب عند بلعام فاتى ملك
الله بلعام وقال له من القوم الذين اتوك قال بلعام للملاك بالاق بن صفور ملك مواب ارسل الي وقال قد خرج شعب من ارض مصر
فملا وجه الارض فاقبل الينا حتى تلعنه لعلي اقدر ان اجاهده واهلكه وقال الملاك لبلعام لا تنطلق مع القوم ولا تلعن الشعب لانه
مبارك فقال بلعام بكرة لعظما بالاق انطلقوا الى صاحبكم لان الرب لم يحب ان يدعني انطلق معكم ونهض عظما مواب فاتوا بالاق
وقالوا له لم يهو بلعام اتيانك معنا فعاد بالاق ايضا فارسل رسلا اعظم واكرم من الاولين فاتوا بلعام وقالوا له هكذا يقول
بالاق بن صفور لا تمتنع ان تاتيني لاني ساعظمك واكرمك جدا وما قلت لي من شي فعلت واقبل الينا هذا الشعب فرد بلعام على رسل
بالاق قايلا لو ان بالاق اعطاني ملء بيته ذهبا وفضة لم اقدر ان اتعدى قول ربي والهي ولا احيد عن قول صغير ولا كبير من
اقواله فعرجوا انتم ايضا عندنا ليلتكم هذه حتى انظر ما يخبر في ملاك الله من امركم فنزل وحي الله على بلعام ليلا وقال له ان
كان هولاء القوم انما اتوك ليدعوك فقم فانطلق معهم ولكن اياك ان تعمل الا ما اقول فنهض بلعام بكرة واسرج اتانه وانطلق
مع عظما مواب فقام ملاك الرب في الطريق ليكون له لدادا فرات الاتان ملاك الله قايما في الطريق محترطا سيفه ممسكه في
يده فحادت عن الطريق وسارت في الحرث فضربها بلعام ليردها الى الطريق فقام ملاك الرب في سبيل ضيق بين كرمين فرات
الاتانه ملك الرب فرجمت الحايط وضغطت رجل بلعام في الحايط فعاد يضربها ايضا ثم عاد ملاك الرب وقام في موضع ضيق
حيث ليس لها موضع تحيد يمنة ولا يسرة فبصرت بملاك الرب وربضت تحت بلعام فاشتد غضب بلعام وضرب الاتان بالعصي
وفتح الرب فم الاتان وقالت لبلعام ما الذي صنعت بك حتى ضربتني ثلاث مرات قال بلعام لانك رزنت بي ولو انه كان في يدي
سيف كنت قد قتلتك الان فقالت الست اتانتك التي تركبني منذ صباك الى اليوم هل صنعت مثل هذا الصنع قط قال لها لا وجلي

الرب عن بصر بلعام فراي ملك الله قايما في الطريق مخترطا سيفه ممسكه بيده فجثا وخر على وجهه ساجدا فقال له ملاك الرب ما
بالك ضربت اتانك ثلاث مرات انا الذي خرجت لاكون لك لدادا لانك اخذت في طريق خلافا لامري فلما راتني الاتان حادت عني ثلاث
مرات ولو انها لم تحد عني كنت قد قتلتك وابقيت عليها قال بلعام لملاك الرب اسات واجرمت لم اعلم انك قايم بازاي في الطريق
فالان ان كان انطلاقي مما تكرهيه رجعت قال ملاك الرب بلعام انطلق مع القوم واياك ان تفعل شيا الا ما اقول لك فانطلق بلعام فسمع
بالاق فخرج ليتلقاه وقال بالاق لم تاتني قال قد اتيتك الان لعلك تظن اني اقدر ان اقول شيا الا القول الذي يجريه الله على لساني به انطق
فلما كان الغد اعهد بالاق الى بلعام واصعده الى بيت بعلا الصنم فراي من هناك اقاصي منارك شعب اسرايل وقال بلعام لبالاق ابن لي ههنا
سبع مذابح وهيي لي سبع ثيران وسبع كباش وفعل بالاق كما قال له بلعام ورفع بالاق الكباش والثيران على المذبح قربانا وقال بلعام
لبالاق قم ههنا عند قرابينك حتى انطلق انا لعل الرب يوحي الي ما اهواه وانا مظهر لك ما يوحي به الي فانطلق فظهر الله له والهمه قولا
وقال له انطلق الى بالاق وقل له هذا القول فاتاه وهو قايم عند قرابينه وجميع قوار مواب معه ورفع بلعام صوته بامثاله وقال
ساقني بالاك ملك المواببين من ارام التي في المشرق وقال لي اقبل حتى تلعن يعقوب وتهلك ال اسرايل فكيف العنه ولم يلعنه الله وكيف
اهلكه والرب لا يريد هلاكه رايته من روس الجبال ونظرت اليه من فوق الاكام واذا هو شعب وحده لا يعد مع الشعوب ومن يقدر
يحصي جميع عدد يعقوب او من يقدر يحصي عدد ربع بني اسرايل تموت نفسي موتا وتكون اخري الى اخراهم قال بالاق لبلعام دعوتك
لتلعن اعداي فاذا انت تباركهم وتدعوا لهم فرد بلعام قايلا الذي يلهمني الرب ويجري على لساني اياه احفظ وبه انطق قال له بالاق
مر معي الى موضع اخر لتراهم من هناك وانما اسوقك لتري اخرهم ولا تراهم اجمعين وانطلق به الى حقل الربية واقامه على راس الاكمة
وابتنى هناك سبع مذابح وقرب عليها الثيران والكباش وقال بلعام قف ههنا عند قرابينك حتى انطلق انا الان فانظر ما الذي يقال
وتجلى الرب على بلعام واجرى على فيه قولا وقال له انطلق الى بالاق فاخبره بهذا القول فاتاه وهو قايم عند قرابينه ومعه اشراف
مواب فرفع بلعام صوته بامثاله وقال انهض بالاق واسمع قولي واصغ لشهادتي يا ابن صفور اعلم ان الله ليس مثل الرجل يحلف ويكذب
اذا قال الرب قولا فعله وكلامه دايم الى الابد ساقني لادعو وابرك ولا ارد البركه ولا اخالف ما امرت به لست اري في ال يعقوب
اثما ولا عذرا عند بني اسرايل ولا ظلما لان الله ربه معه الله الذي اخرجهم من ارض مصر بعزة وعظمة قوية ولست اري في ال يعقوب
طيرة ولا حساب نجوم او عراف بين بني اسرايل كيف اقول والشعب قايم مثل الضرغام لا يربض حتى يفترس فريسة ويشرب دم القتلى
فقال بالاق لبلعام اطلب ان لا تلعنه ولا تدعو له فرد بلعام على بالاق قايلا الست قلت لك اني انما انطق بما يقول لي الرب فقال
بالاق انطلق بنا الى موضع اخر لعل الله يرضى بغير هذا فتلعنه من هناك فاصعده الى راس فعور الذي بازا استيمون فامره بمثل ما تقدم
من الذبح والقربان فراي بلعام ان الرب يحب ان يدعو لبني اسرايل ولم ينطلق كما كان ينطلق في كل وقت ليطلب الوحي ولكن اقبل
بوجهه الى البرية ومد بصره فراي بني اسرايل نزولا قبايل قبايل فحل عليه روح الله ورفع صوته بامثاله وقال قل يا بلعام
ابن فعور قل ايها الرجل الذي اجلي عن بصره قل ايها الذي سمع قول الله وراي رويا الله وهو ملقى وعيناه مفتوحتان ما احسن
منزلك يا يعقوب ومنازلك يا اسرايل وخيمك كالاودية الجارية ومثل الفراديس التي على شاطي النهر ومثل الخباء الذي ذكره الله
ومثل شجر الارز على شاطي النهر يخرج رجل من بيته ذريته اكثر من الماء الكثير ويعظم على الملك وذلك بقوة الله الذي اخرجهم
من ارض مصر بعزة قدرته ياكل خيرات شعوب اعدايه ويكثر عظامهم ويقطع ظهورهم رتع وربض كالاسد ومثل شبل الليث ومن
يقدر ان ينعته يبارك مباركوك ويلعن لاعنوك فاشتد غضب بالاق على بلعام وصفق بيديه متلهفا وقال دعوتك لتلعن اعداي
فاذا انت تباركهم وتدعوا لهم ثلاث مرات انصرف الان الى بلادك قد كنت عزمت على اكرامك واجازتك فاذا الرب قد حرمك
ذلك فرد بلعام على بالاق قايلا قد كنت قلت لرسلك الذين ارسلتهم الي انه لو وهب لي بالاق ملء بيته من ذهب وفضة لم
اقدر ان اتعدى عن قول الرب ولكن انما انطق بما يلهمني الرب فانا منطلق الان الى ارضي فاسمع ما اشير عليك واخبرك ما يصنع
هذا الشعب بشعبك اخر الايام ثم رفع صوته بامثاله وقال قل لبلعام ابن فعور قل ايها الرجل المجلي عن بصره قل ايها الذي
سمع قول الله وعلم علم العلي وراي رويا الله اذ هو ملقى وعيناه مفتوحتان قال رايته واذا ليس ظهوره الان وان كان متدانيا
ونظرت في امره واذا ليس بقريب يشرق نجم من ال يعقوب ويقوم رئيس من بني اسرايل ويهلك جبابرة من مواب ويستعبد جميع
بني شيث وتصير ادوم ميراثه وساعير وراية اعدايه تصير له ويستفيد بنوا اسرايل قوة بقوته ونحو ذلك من الكلام الذي
فيه ما يكون سببا لانسلاخه من الايات لكن ذكر المفسرون انه اشار عليه باختلاط نساء بلاده ببني اسرايل متزينات غير ممتنعات
ممن ارادهن منهم ليزنوا بهن فيحل بهم الرجز فوقع بهم ذلك وهو الصواب لانه ستاتي الاشارة اليه في التورية عند فتح مدين
بقوله لماذا ابقيتم على الاناث وهن كن عثرة لبني اسرايل عن قول بلعام ومشورته وسياتي ذلك قريبا وما فيه من ذكر الوحي فهو محمول
على المنام او غير ذلك مما يليق ثم قال وقام بلعام فرجع منصرفا الى بلاده وبالاق رجع ايضا الى بيته وسكن بنوا اسرايل
ساطيم وبدا الشعب ان يسفح ببنات مواب ودعين الشعب الى ذبايح الهتهم واكل الشعب من ذبايحهم وسجد لالهتهم وكمل بنوا اسرايل
لعبادة بعليون الصنم واشتد غضب الله على بني اسرايل فقال الرب لموسى اعمد الى جميع بني اسرايل فافضحهم فقال لموسى لهم يقتل
كل رجل منكم كل من اخطا وسجد لبعليون واذا رجل من بني اسرايل قد اتى بجراه امام اخوته من غير ان يستحيي فدخل على امراة
مدينية وموسى وبنوا اسرايل يبكون في باب قبة الامد فراه فنحاس بن اليعازر بن هرون الحبر فنهض من الجماعة غضبا لله
واخذ بيده رمحا ودخل الى البيت الذي كانا فيه فطعنهما بالرمح فقتلهما فكف الموت الفاشي عن بني اسرايل وكان عدد الذين

ماتوا

ماتوا في الموت البغتة اربعة وعشرين الفا وكلم الرب موسى وقال له فنحاس صرف غضبي عن بني اسرايل وغار غيرة لله
بينهم وطهر بني اسرايل وكان اسم القتيل الذي قتل مع المدينية زمري بن سلو وكان رئيسا في قبيلة شمعون وكانت المراة
المدينية ركيسي بنت صور وكان ابوها رئيسا من روساء اهل مدين وقال بعض المفسرين انه خرج رافعا للحربة الى السماء
قد اعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى الحيية فمن هنالك يعطي بنوا اسرايل ولد فنحاس من كل ذبيحة القبة والذراع
واللحي والبكر من كل اموالهم وانفسهم لانه كان بكر العيزار بن هرون عليه السلام انتهى ثم كلم الرب موسى وقال له ضيق على اهل
مدين واهلكهم كما ضيقوا عليكم ونجسوكم ثم قال ثم كلم الرب موسى وقال له اني لمنتقم من المدينيين ما صنعوا ببني اسرايل ثم
تقبض الى شعبك ثم قال موسى للشعب يتسلح منكم قوم للحرب لينتقموا للرب من المدينيين وليكونوا اثني عشر الفا فانتخب موسى
من بني اسرايل الفا من كل سبط اثني عشر الفا ابطالا متسلحين وارسلهم وصير قايدهم فنحاس بن اليعازر الحبر ومعه اوعية
القدس وقرون ينفخ بها وتقووا على مدين كما امر الرب موسى وقتلوا كل ذكر فيها وقتلوا ملوك مدين مع القتلى وقتل بلعام بن بعور
معهم في الحرب وسبى بنوا اسرايل نسا مدين وانتهبوا مواشيهم وسلبوا جميع دوابهم واموالهم واخربوا جميع قرى مساكنهم واتوا
بما انتهبوه الى موسى وخرج موسى وجميع عظماء الجماعة فتلقوهم خارج العسكر وغضب موسى على روساء الاحبار وروساء الالوف
والمئين الذين اتوه من الحرب فقال لهم لماذا ابقيتم على الاناث وهن كن عشرة لبني اسرايل عن قول بلعام ومشورته وفتنوا
وغدروا ومردوا على الرب في امر فعور وفي نسخة السبعين فان هولاء كن سببا لبني اسرايل كقول بلعم ان يتباعدوا ويتهاونوا
بكلمة الرب من اجل فعور فواقعت السخطة جماعة الرب وفي النسخة الاخرى وتسلط الموت على جماعة الرب بغتة فاقتلوا
الان جميع الذكور من الصبيان وكل امراة ادركت وعقلت وعرفت الرجال فاقتلوها وابقوا على جميع النساء اللواتي لم يعرفن
الرجال واما انتم فانزلوا خارجا من العسكر سبعة ايام الى اخر ما مضى قريبا في الاصار ولما انقضت هذه القصص
فاسفرت عن ان اكثر الخلق هالك صرح بذلك فقال مقسما لانه لا يكاد يصدق ان الانسان يكون اضل من البهايم عاطفا على ما
تقديره هولاء الذين قصصنا عليكم اخبارهم ذراناهم لجهنم ولقد عزتنا وجلالنا ذرانا اي خلقنا بعظمتنا وانشانا وبثثنا
ونشرنا لجهنم كثيرا اي والجاناهم اليها ولم نجعل بينهم وبينها حايلا ولما كانوا يعظمون الجن ويخافونهم ويضلون بهم بدا بهم فقال
من الجن اي بنصبهم انفسهم الهة باضلالهم الانس في تزيين عبادة غير الله فهم في الحقيقة المعبودون لا الحجارة ونحوها والانس
اي بعبادتهم من لا يصلح وعلم ان الاية صالحة لان تكون معطوفة على الجملة التي قبلها فهي من فذلكة ما تقدم ولما كان كانه قيل ما
لهم رضوا لانفسهم بطريق جهنم قيل لهم وكما كان السياق للتفكر بدا بالقلوب فقال قلوب لا يفقهون بها اي الفقه الذي كلفوا
به وهو النظر في ادلة التوحيد وثبوت النبوة وما تفرع عن ذلك وهو الفقه المسعد عد غيره عدما لانه لم ينفعهم النفع المقصود
في الحقيقة وما احسن التعبير بالفقه في سياق اقامة الادلة التي منها ارسال الرسل وانزال الكتب ولما كان البصر اعم من
السمع لانه ينتفع به الصغير الذي لا يفهم القول وكذا من في حكمه قدمه فقال ولهم اعين ولما لم يترتب عليها الابصار النافع في
الاخرة الباقية نفى ابصارهم وان كانوا احد الناس ابصارا فقال لا يبصرون بها اي الايات المرئية ابصار تفكر واعتبار ولهم
اذان ولما لم يترتب على سمعها ما ينفعهم نفاه على نحو ما مضى فقال لا يسمعون بها اي الايات المسموعة وما يدل عليها سماع ادكار
وافتكار ولما سلبت عنهم هذه المعاني كانت النتيجة اوليك اي البعدا من المعاني الانسانية كالانعام اي في عدم الفقه ولما
كانوا قد زادوا على ذلك بفقد نفع السمع والبصر قال بل هم اضل لانهم اما معاند واما جاهل بما يضره وينفعه والانعام تهرب
اذا سمعت صوتا منكرا فرات بعينها انه يترتب عليه ضرها وتنظر ما ينفعها من الماء والمرعى فتقصده والانعام لا قدرة لها على ما
يترتب على هذه المدارك من الفقه وهولاء مع قدرتهم على ذلك اهملوه فنزلوا عن رتبها درجة كما ان من طلب الكمال وسعى له سعيه
مع نزاع الشهوات علا عن درجة الملايكة بما قاسى من الجهاد ولما شاركوا الانعام بهذا في الغفلة وزادوا عليها انتج ذلك قطعا
على طريق الحصر اوليك اي البعدا البغضا هم اي خاصة الغافلون لا الانعام فانها وان كانت غافلة عما يراد بها غير خالدة في
العذاب فلم تشاركهم في العمى والصمم عما ينفعها ولا في الغفلة عن الخسارة الدايمة فقد اشارت الاية الى تفضيل الانسان على الملك
كما اقتضته سورة الزيتون لانه جعل في خلقه وسطا بين الملك الذي هو عقل صرف والحيوان الذي هو شهوة مجردة فان غلب
عقله كان اعلى بما عالجه من جهاد الشهوات فكان في احسن تقويم وان غلبت شهوته كان اسفل من الحيوان بما اضاع من عقله فكان
اسفل سافلين ولما انتج هذا ان لهم الاسماء السواي ولمعبوداتهم اسوا منها عطف عليه دفعا لوهم من يتوهم بالحكم بالضلال
والذرء لجهنم ما لا يليق وتنبيها على ان الموجب لدخول جهنم الغفلة عن ذكر الله ودعايه قوله ولله اي الملك الاعلى المحيط بجميع صفات
الكمال وحده الاسماء ولما كان الاسم اذا لحظت فيه المناسبة كان بمعنى الصفة انث في قوله الحسنى اي كلها باتصافه دون غيره
بصفات الكمال التي كل واحد منها احسن شي واجمله وتنزهه عن شوايب النقص وسمات الحدث فكل افعاله حكمة وانما كان مختصا
بذلك لان الاشيا غيره ممكنة لتغيرها وكل ممكن محتاج وادنى ما يحتاج الى مرجح يرجح وجوده وبذلك نعلم وجود المرجح ونعلم
ان ترجيحه على سبيل الصحة والاختيار لا الوجوب والا لدام العالم بدوامه وبذلك ثبتت قدرته وبكون افعاله محكمة ثبت
علمه فثبتت حياته وسمعه وبصره وكلامه وارادته ووحدانيته والا لوقع التنازع فوقع الخلل فالعلم بصفاته العلى ليس في
درجة واحدة بل مترتبا وعلم بهذا ان الكمال له لذاته واما غيره فكماله به وهو بذاته غرق في بحر الفنا واقع في حضيض
النقصان فادعوه اي فصفوه وسموه واسالوه بها لتنجوا من جهنم وتنالوا كل ما تحمد عاقبته فان القلب اذا غفل عن ذكر الله

اقبل على الدنيا وشهواتها فوقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال من رغبة الى رغبة حتى لا يبقى له مخلص واذا اقبل على الذكر تخلص
عن نيران الآفات واستشعر بمعرفة الله حتى يتخلص من رق الشهوات فيصير حرا فيسعد بجميع المرادات وكثرة الاسماء لا تقدح في
التوحيد بل تدل على عظم المسمى **وذروا** اي اتركوا على حالة زرية **الذين يلحدون** اي يميلون عما حد لهم بزيادة فيشبهوا او نقص
فيعطلوا **في اسمائه** اي فيطلقونها على غيره بان يسموه الها فيلزمهم ان يطلقوا عليه جميع اوصاف الاله فقد الحدوا في البعض بالفعل
وفي الباقي باللزوم او بان يسموه بما لم ياذن فيه وما لم ياذن فيه تارة يكون ماذونا فيه في الجملة كالضار فلا يجوز ذكره الا مع النافع
وتارة لا مثل اطلاق الاب عليه والجسم وكذا كل ما اوهم نقصا فلم يكن احسن ولو ورد اطلاق بعض اشتقاقاته عليه مثل علم لا يجوز
ان يقال لاجله معلم وكذا يحبهم لا يجوز لاجله محب وكذا الخالق لا يجوز لاجله ان يقال يا خالق الزيدان والقردة مثلا وكذا لا يجوز ان
يذكر اسم لا يعرف الذاكر معناه ولو كان الناس يفهمون منه مدحا كما يقول بعض اليد ويا ابيض الوجه يا ابا المكارم فان ذلك كله الحاد وهذا
الفعل يستعمل مجردا ومزيدا فيقال لحد في كذا والحد فيه بمعنى واحد وهو العدول عن الحق والادخال فيه ما ليس فيه نقله ابو
حيان عن ابن السكيت وقال الامام ابو القسم علي بن جعفر بن القطاع في كتاب الافعال لحد الميت لحدا والحده شق له في جانب القبر
والى الشيء وعنه وفي الدين مال وقرئ بهما كذلك ولما كان كانه قيل فما يفعل بمن الحد وكان المرهب ايقاع الجزاء لا كونه من معين
قال بانيا للمفعول **سيجزون** اي في الدنيا والاخرة بوعد لا خلف فيه **ما كانوا** اي بجبلاتهم **يعملون** اي فيفعل بهم من انواع الاهانة
والعقوبة ما يوجب وصفهم باقبح الاوصاف ضد ما كانوا يسمعونه في الدنيا ممن يرائيهم ولما اخبر تعالى عن ذرء جهنم من القبيلين
تشوف السامع الى معرفة حال الباقين منهما فقال مصرحا بالخبر عنهم عطفا على ولقد ذرانا مشيرا بمن التبعيضية الى قلتهم تصديقا
لقوله وان وجدنا اكثرهم لفاسقين **وممن خلقنا** اي بما لنا من العظمة **امة** اي جماعة عرفت من هو اهل لان يؤم ويهتدى به
فقصدته فاقتبست من انواره فصارت هي اهلا لان تقصد ويؤتم بها ولما افهم لفظ الامة هذا صرح به في قوله **يهدون**
بالحق اي الثابت الذي يطابقه الواقع **وبه** اي الحق خاصة **يعدلون** اي يجعلون الامور متعادلة لا زيادة في شيء منها على ما ينبغي
ولا نقص لانا وفقناهم فكشفنا عن بصائرهم حجاب الغفلة التي الزمناها اولئك قال اكثر المفسرين امة محمد صلى الله عليه وسلم
ورواه بعضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وابهم الامر بعد تعيين قوم موسى عليه السلام تعظيما لهم ولما تبين حال الهادين المهتدين
وكان اصل السياق للضالين المضلين اتبعه بقية الحديث عنهم على وجه ملوح بان علة الهداية التوفيق فقال عاطفا على ما تقديره
فنحن نغلي امرهم ونطيب ذكرهم **والذين كذبوا** اي نسبوا الرسل الى الكذب بسبب اتيانهم **باياتنا** على ما يشاهد من عظمتها **سنستدرجهم**
اي نستنزلهم ونستدنيهم بوعد لا خلف فيه الى ما نريد بهم من الشر العظيم درجة درجة بسبب انهم كلما احدثوا جريمة اسبغنا
عليهم نعمه واذا عملوا طاعة قصرنا عنهم في الانعام او ضربناهم بسوط الانتقام فيظنون ان المعاصي سبب النعم فينسلخون من الدين
ولذلك قال **من حيث لا يعلمون** اي فيرتكبون ما يتعجب من مداناته فضلا عن مباشرته ومعاناته من له ادنى بصيرة حتى يكمل ما نريد
منهم من المعاصي وهو من ادلة ساصرف عن اياتي واتي في الاستدراج باداة العظمة وفي الاملاء بضمير الواحد فقال **واملي لهم**
اي امهلهم بوعد جازم زمانا طويلا وامد لهم وهم يعصون حتى يظنوا ان الله يحبهم حتى يزيدوا في ذلك لانهم لا يفعلون شيئا الا
بمرادي ولا يفوتني ولم يات بهما على نهج واحد لان الاستدراج يكون بواسطة وبغيرها فكانه قال ساستدرجهم بنفسي من غير واسطة
تارة وبمن اتيح لهم النعم على يده من عبيدي وجنودي اخرى واما الاملاء وهو تطويل الاجل فلا يتصور ان يكون الا من الله تعالى
ولما كان هذا موجبا لهم ولا بد الاصرار على المعاصي حتى يصلوا الى ما حكم عليهم به من النار قال مستانفا **ان كيدي** اي فعلي الذي ظاهره
رفعه وباطنه ضعه ظاهره احسان وباطنه خذلان **متين** اي شديد قوي لا يمكن احدا قطعه قال الامام بعد تاويل المعتزلة
حملهم عليه ايجابهم رعاية الاصلح وانا شديد التعجب من المعتزلة يرون القرآن كالبحر الذي لا ساحل له مملوا من هذه الايات والدلائل
العقلية العامرة مطابقة لها ثم يكتفون في تاويلها اي عن انه تعالى يريد الشر بهذه الوجوه الضعيفة الا ان علمي بان ما اراد الله
كائن يزيل هذا التعجب ولما كان السياق من اول السورة لانذارهم وكان لا بد في صحة الانذار من تصحيح الرسالة وختم بامر الاستدراج
وكانوا قد واقعوا من المعاصي ما لا يجترئ عليه الا مطموس البصيرة وكان عندهم ان من قال انهم على حال سيئ مع ما هم فيه من النعم
الظاهرة مجنون وكان التقدير دلالة على صحة الاستدراج الم يروا انهم يقدمون على ما لا يرضاه لنفسه عاقل من عبادتهم للحجر
وشماختهم على اكمل البشر ووصفه بالجنون ووصفهم افضل الكلام بالسحر والكذب الى غير ذلك مما يغضب من لبس النفع والضر
الا بيده وهو مع ذلك يوالي عليهم النعم ويدفع عنهم النقم هل ذلك الا استدراج قال منكرا عليهم عطفا على ما ارشد السياق
والعطف على غير معطوف عليه الى تقديره **اولم يتفكروا** اي يعملوا انكارهم ويمعنوا في ترتيب المقدمات ليعلموا انه لا يتوجه
لهم طعن يورث شبهة بوجه من الوجوه وبين المراد من هذا التفكر وعينه بقوله **ما بصاحبهم** اي الذي طالت خبرتهم لانه
امتنهم عقلا وافضلهم شمائل ولم يقل ما يرشد لي ونحوه لئلا يقول متعنتهم ما لا يخفى واغرق في النفي فقال **من جنة** اي حالة من
حالات الجنون ولما بقي ان يكون به شيء مما نسبوه اليه وافتروه عليه فثبتت رسالته حصر امره في النذارة لانها النافعة
لهم مع ان المقام لها في هذه السورة فقال **ان** اي ما **هو الا نذير** اي بالغ في نذارته **مبين** اي موضح للطريق ايضاحا لا يصل اليه
غيره ومن ادلة ذلك عجز الخلق عن معارضة شيء مما ياتي به مع انه احسن الناس خلقا واعلاهم خلقا وافضلهم عشرة وارضاهم
طريقة واعدلهم سيرة واطهرهم سريرة واشرفهم علما واحكمهم علما وارصنهم رايا واعظمهم عقلا واشدهم امانة واطهرهم مثلا
ولما كان النظر في امر النبوة مفرعا على تقرير ادلة التوحيد وكان المقصود من الانذار الرجوع عن الاتحاد قال منكرا عليهم

عدم النظر في دلايل التوحيد الراد عن كل حال سيئ اولم ولما كان الامر واضحا قال ينظروا اي نظر تامل واعتبار ودل على انه
بالبصيرة لا بالبصر بالصلة فقال اشارة الى ان كل ذرة فيها دلايل جمة في ملكوت وعظم الامر بقوله السموات والارض اي ملكهما البالغ
من حد العظمة امرا باهرا بظاهره الذي يعرفونه وباطنه الذي يلوح لهم ولا يدركونه ولما كانت ادلة التوحيد تفوت الحصر ففي كل
ذرة برهان قاهر ودليل ساطع باهر قال وما خلق الله اي على ما له من الجلال والجمال من شي اي غيرهما ليعلموا انه لا يقدر على شي من
ذلك فضلا عن ذلك غيره ويتحققوا ان كتابه سبحانه مباين لجميع مخلوقاته فيعلموا انه صفته سبحانه وكلامه فلا يلحدوا في اسمايه فلا
يسموا بشي منها غيره لما ظهر لهم من تمام قدرته وتمام عجز غيره عن كل شي ومن شمول علمه وتناهي جهل غيره بكل شي الى غير ذلك حتى يعلموا ان
بعظمة هذا الكون انه سبحانه عظيم وبقهره لكل شي فيه انه قهار شديد وبعجز كل شي عن كل شي من امره انه عزيز وباسباغه النعم انه رحيم
كريم الى غير ذلك من اسمايه الحسنى وصفاته العلى التي تنطق الاشيا بها بالسنة الاحوال وتتحدث بها صدور الكاينات وان لم يكن لها مقال
ويشرحها كلام التدبير بما له من الكمال وان عسى اي وينظروا في الاشفاق والخوف من انه يمكن وخليق وجدير ان يكون قد اقترب اي دنا
دنوا عظيما اجلهم اي الذي لا شك عندهم في كونه بموته من موتات هذه الامم التي اسلفنا اخبارها كنفس واحدة او بالتدريج فيبادروا
بالايمان به خشية انخرام الاجل للنجاة من اعظم الوجل فان كل عاقل اذا جوز خطرا ينبغي له ان ينظر في عاقبته ويجتهد في الخلاص منه
ولما كان قد تقدم في اول السورة النهي عن التحرج من الانذار بهذا الكتاب وبان بهذه الايات انه صلى الله عليه وسلم اتصف بالانذار
به حق الاتصاف وبان ان القران به والتخويف من احلال اجله قبل ذلك فيقع فيما لا يمكنه تداركه وذلك في اسلوب دال على ان الايمان
بعد هذا البيان مما لا يسوغ التوقف فيه الا لانتظام كلام آخر فقال فباي حديث اي كلام يتجدد له في كل واقعة بيان المخلص منها بعده اي
بعد هذه الرتبة العظيمة يومنون فقد دلت هذه الاية على ان للايمان طريقين احدهما سمعي والآخر عقلي قال الحرالي رحمه الله في كتاب
له في اصول الفقه الحكم انما يتلقى من خطاب الله البالغ على السنة رسله وقد اتضح واشتهر ان السمع من طرق تفهم خطاب الله الذي تبلغه
الرسل وكذلك ايضا قد تحقق لقوم من اولي الالباب ان الروية وساير الحواس طريق من طرق تفهم خطاب الله ايضا يعي منه اللب العقلي معنى
ارسال في كتابه المخلوق كما يعي العقل معنى الارسال من مفهوم كلامه المنطوق وقوم ممن فهم من مرئي كتاب الله المشهود ارسالا ولقن
احكاما يسمون الحنيفيين كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وقد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان كل واحد منهم
يبعث امة وحده لاهتدايه من نفسه من غير رسالة هاد خارج عنه بل من رسول موجدته واحساسه للعالم ولانه انما اخذ بكلية
حكم الايمان ووجوب المناصفة مع الخلق من مشهود خلق الله وصار مع ذلك يترقب تاكيد ما يحصل له عقلا من مسموع خطاب الله
وعلى نحو هذه الحال واتم هي حال الانبيا والصديقين قبل مورد الوحي على النبي وقبل سماع صديقه وارد وحيه وهولاء هم الذين لا
يتوقفون عن الايمان بالنبي عند ابتدا دعوته وكما ان النبي لا يلزم ويحكم بل يبلغ عن الله فكذلك نظر العقل لا يلزم ولا يحكم بل يبلغ عن
الله فيكون الحكم الذي هو تصرف الحق في افعال الخلق بهذا على ضربين شرعي اي ماخوذ من الارسال الشرعي وعقلي اي ماخوذ من
الارسال العقلي وحاصل ذلك ان العالم المشهود مبين عن امر الله وكل مبين مبلغ فالعالم مبلغ اي بما يفهمه الفاهم من كلامه عن الله
فان النحاة قالوا كما ذكره ابن عصفور في شرح الايضاح لابي علي وكذا غيره ان الكلام في الاصطلاح لا يقع الا على اللفظ المركب وجودا
او تقديرا المفيد بالوضع قال واحترزوا باللفظ عما يقال له كلام لغة وليس بلفظ كالخط والاشارة وما في النفس وما يفهم من حال
الشي وقال الحرالي رحمه الله نحو حال الخجل والغضبان وبالفعل نحو الاشارة باليد والعقد بالانامل وباثار الفعل كالصنايع
والاعمال وباللفظ الذي يلفظ به القلب الى ظاهر اللسان وباثار رقوم يحاذي بها حذو مفهوم اللفظ وهو الخط انتهى ولما
كان ذلك من اعجب العجب كانت فذلكته قطعا تعليلا لما قبله من اعراضهم عما لا ينبغي الاعراض عنه دليلا على ان الامر ليس الا بيد منزلة
سبحانه قوله من يضلل الله اي الذي له جميع العظمة فلا هادي له اصلا ويذرهم اي يتركهم على حالة قبيحة وعبر بالظرف
اشارة الى احاطة حكمه بهم فقال في طغيانهم اي تجاوزهم للحدود حال كونهم يعمهون اي يتحيرون ويترددون في الضلال
لا يعرفون طريقا ولا يفهمون حجة ولما بين التوحيد والنبوة والقضا والقدر اتبعه المعاد لتكمل المطالب الاربعة التي هي امهات
مطالب القران مبينا ما اشتمل عليه هذا الكلام من تبلدهم في العمه وتلددهم في اشراك الشبه بقوله يسئلونك اي مكررين لذلك
عن الساعة اي عن وقتها سوال استهزا ايان مرساها اي اي وقت ثبات ثقلها واستقراره والمرسى يكون مصدرا وزمانا ومكانا
من رست السفينة اذا ثبتت بالحديدة المتشعبة وانما كان هذا بيانا لعمههم لانهم وقعوا به في الضلال من وجهين السوال عما غيره
لهم اهم وجعله على طريق الاستهزا مع ما قام عليه من الادلة وسيكرره في هذه السورة وكان اللايق بهم ان يجعلوا بدل السوال
عنها اتقاها بالاعمال الصالحة ولما كان السوال عن الساعة عاما ثم خاصا بالسوال عن وقتها جاء الجواب عموما عنها بقوله
قل انما علمها اي علم وقت ارسايها وغيره عند ربي اي المحسن الي باقامتها لينعم على من تبعني وينتقم ممن تركني لم يطلع على ذلك احدا
من خلقه ولا يقيمها الا في احسن الاوقات وانفعها لي واخفاوها انفع للخلق لانه اعظم لشانها واهيب فيكون ادعى الى الطاعة وازجر
عن المعصية واقرب الى التوبة ثم خصصت من حيث الوقت بقوله مشيرا الى ان لها اشراطا تتقدمها لا يجليها اي يبينها
غاية البيان لوقتها الا هو ولما كان قد اشار الى ثقل الساعة بالارسا وكان الشي اذا جهل من بعض الوجوه اشكل واذا اشكل
ثقل قال ثقلت اي الساعة فغاصت الى حيث لم يتغلغل اليها علم العباد فاهمهم كلهم شانها ولذلك عبر بالظرف فقال في السموات
والارض اي نسبة اهلهما الى خفايها والخوف منها على حد سوا لان مالكها قادر على ما يشا وله ان يفعل ما يشا ثم قرر خفاها على الكل
فقال لا تاتيكم اي في حالة من الحالات الا بغتة اي على حين غفلة ولما كانوا قد الحفوا في سواله صلى الله عليه وسلم عنها وكانت

اي وهي ما صح

صفة الربوبية المذكورة في الجملة الاولى ربما حملت على سؤاله طمعا في تعرفها من المحسن اليه قطع الاطماع بقوله موكدا للمعنى
يسئلونك اي عن الساعة مطلقا اي مطلقا في وقت وقوعها وما يحصل من امورها ويحدث من شدايدها ويلحفون في سؤالك كلما
اخبرتهم انه لا يعلمها الا الله كانك حفي اي عالم بامرها مستقص مبالغ في السؤال عنها قل اي قطعا لسؤالهم انما علمها عند الله اي الذي
له جميع العزة والعظمة والكبرياء فلا يستطاع علم شي مما عنده الا باذنه ولم ياذن في علمها لاحد من الخلق ولكن اكثر الناس اي الذين
غلبت عليهم صفة الاضطراب لا يعلمون اي ليسوا من اهل العلم فهم بالسؤال عنها يستهزئون ولو كانوا من اهله ما كذبوك فواقعوا ما لا
يعنيهم من السؤال عنها وغيره من انواع التعنت وتركوا ما ينجيهم ويغنيهم من المبادرة الى الايمان بهذا القران خوف انخرام الاجال
وهم يهيمون في اودية الضلال ولما كان علم الغيب ملزوما لجلب الخير ودفع الضير وكانت الساعة ادق علم الغيب امره بنفي هذا
اللازم فينتفي الاعم فينتفي بانتفائه الاخص وقدم النفع لانه اهم الى النفس وليس في السياق ما يوجب تاخيره بخلاف ما في سورة
يونس عليه السلام فقال امرا باظهار ذل العبودية قل لا املك اي في وقت من الاوقات اصلا لنفسي نفعا اي شيا من جلب النفع
قليلا ولا كثيرا ولا ضرا كذلك فان قدرتي قاصرة وعلمي قليل وكل من كان عبدا كان كذلك ولما كان من المعلوم بل المشاهد ان كل حيوان يضر
وينفع اعلم ان ذلك انما هو بالله فقال الا ما شاء الله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد سواه ان يقدر في عليه ولما بين لهم بهذا ان
سوالهم عن الساعة وغيرها من المغيبات جهل منهم لان حاله واضح في انه لا يعلم من ذلك الا ما علمه الله الذي اختص بعلم الغيب دل عليه
بقوله ولو كنت اي من ذاتي اعلم الغيب اي جنسه لاستكثرت اي اوجدت لنفسي كثيرا من الخير باستجلاب المنافع بنصب اسبابها
ولما كان الضر لا يحتمل منه شي قال وما مسني السوء اي هذا الجنس باقامة الموانع له عني لان من لازم احاطة العلم شمول القدرة كما سيقرر
ان شاء الله تعالى في سورة طه ولما بين ان علم الغيب رتبة الاله ختم الاية ببيان رتبته فقال قالبا ما ادعوه فيه من الجنون لما بات
يقول يا بني عبد مناف اتقوا الله يا بني فلان يا بني فلان وكذا ما لزم عن الزامهم له بعلم الساعة من انه يكون الها ان انا الا ولما كانت
السورة للانذار قدمه فقال نذير اي مطلقا للكافر ليرجع عن كفره والمومن ليثبت على ايمانه وبشير لقوم يومنون اي خاصة او هي
الصفتان لهم خاصة بالنظر الى النفع واما ما لا نفع فيه فعدم ولما ذكر سبحانه الساعة هنا كما ذكرها اول السورة بما لم يذكره هنا
من تهكمهم واستهزائهم وختم هنا بحصر العلم والقدرة في الله الموجب لتفرده بالالهية وكان الذي جرهم الى ذلك الاستهزاء اشراكهم ذكر
ما ذكر قبلها اول السورة من ابتداء الخلق على وجه الحصر المستلزم لتمام القدرة الموجب لنفي الشريك واعتقاد القدرة على الساعة
وغيرها والصدق في كل ما وقع الاخبار به من امرها وغيره الموجب للاستقامة في قبول بشارته ونذارته والاقبال بالكلية على الخالق
فقال مقررا للتوحيد بما من هو اي وحده الذي خلقكم اي ولم تكونوا شيا من نفس واحدة اي خلقها ابتداء من تراب وهي ادم عليه
السلام كما مر بيانه ومن قدر على اختراع حي من شي ليس له اصل في الحيوة كان على اعادته حيا من ذلك الشي بعد ان صار له اصل في
الحيوة اقدر ولما كان ادم عليه السلام بعد صيرورته لحما ودما اقرب الى السببية لخلق ذات لحم ودم منه قال معبرا بالواو
لانه كاف في نفي الشرك الذي السياق للتحذير منه بخلاف الذم فانه للقهر وتاخير المسببات عن الاسباب مدة ادل عليه لانه خلاف
الاصل وجعل لان الجعل كما قال الحرالي رحمه الله اظهار امر عن سبب وتصيير منها اي لا من غيرها زوجها اي حوا من لحمها ودمها
وعظمها ولما كان المراد بالنفس ادم عليه السلام وكان الزوج يقال على الذكر والانثى استخدم ضميره في المذكر ذاكرا علة الجعل
بقوله ليسكن اي ادم لانه هو المراد بالنفس هنا ولما كان الزوج هنا هو المراة انث الضمير فقال اليها وتنقلكم بذلك السكون
منه اليها لان النفس الى الجنس اميل وعليه اقبل ولا سيما ان كان بعضا الا ترى الى محبة الوالد لولده والقريب لقريبه وانما منع
سبحانه من نكاح الاصل والفرع لما في ذلك من الضرار وغيره من الحكم الكبار فيغشاها عندما يسكن اليها فيحصل الحبل والولادة
فتتفرع النفوس من تلك النفس ولما كان السكون هنا كناية عن الجماع اعاده بلفظ اقرب منه الى الدلالة على ذلك فقال
موذنا بقرب غشيانها بعد جعلها او ناسقا له على ما تقديره فسكن اليها فمالت نفسه اليها فلم يتمالك ان غشيها فلما تغشاها اي
غشيها ادم عليه السلام المعبر عنه بالنفس بهمة عظيمة حملت حملا خفيفا اي لانه نطفة فمرت به اي فعالجت به اعمالها وقامت
وقعدت لم يعقها عن شي من ذلك اعلاما بان امرها فيه كان على عادة النساء التي نعرفها فلما اثقلت اي صارت ثقيلة بكبره
وتحركه في بطنها دعوا الله اي ادم وحوا عليهما السلام ولما ذكر الاسم الاعظم استحضارا لانه المدعو هو الذي له جميع الكمال
فهو قادر على ما دعوا به لانه قادر على كل ما يريد الرصفة الاحسان رجا القبول والامتنان فقال ربهما اي الذي احسن اليهما
مقسمين لئن اتيتنا صالحا اي ولدا لا عيب فيه لنكونن من الشاكرين اي نحن واولادنا على نعمتك علينا وذلك انهما جوزا ان
يكون غير سوي لقدرة الله على كل ما يريد لانه الفاعل المختار لا الطبيعة ولا غيرها واشار بالفاء الى قرب الولادة من الدعاء
فقال فلما اتاهما اي ابواكم ادم وحوا صالحا اي جنس الولد الصالح في تمام الخلق بدنا وقوة وعقلا فكثروا في الارض
وانتشروا في نواحيها ذكورا واناثا جعلا اي النوعان من اولادهما الذكور والاناث لان صالحا صفة لولد وهو للجنس
فيشمل الذكر والانثى والقليل والكثير فكانه قيل فلما اتاهما اولادا صالحي الخلقة من الذكور والاناث جعل النوعات له
شركاء اي بعضهم اصناما وبعضهم نارا وبعضهم شمسا وبعضهم غير ذلك هذا على قراءة الجماعة وعلى قراءة نافع وابي بكر عن
عاصم بكسر الشين واسكان الراء والتنوين التقدير ذوي شرك فيما اتاهما اي من القوى بالعبادة والرزق بالنذور
ونحوها ولما لم يضر المشركون بالاشراك الا انفسهم سبب عن ذلك قوله فتعالى الله اي بما له من صفات الكمال التي ليست
لغيره تعاليا كبيرا عما اراده النوعين قوله عما يشركون بالجمع وكذا ما بعده من عيب عبادة الاصنام ولما ذكر علوه سبحانه

شرع يذكر من اوصافه عبارة واشارة ما يدل على ذلك ويقيم الادلة على عدم صلاحية ما اشركوا به للشركة بعجزها
بانها من جملة خلقه ولا تصرف لها تستحق به وجها من التعظيم فقال منكرا على عبادها الا على ان المراد الشرك الحقيقي
لا ما ذكر من قضية ابليس في تسببه في التسمية بعبد الحرب ونحوه ايشركون اي المشركون اولادهما في العبادة ما لا يخلق اي من
الاصنام والطبايع والكواكب وغيرها شيا اي يوجده من العدم كما يفعل الله الذي اشركوها به ولما كان يلزم ان يكون ما لا يخلق
شيا مخلوقا لانه لا يكون عاجز بغير قادر اوجده صرح به في قوله مجريا للاوثان مجرى اولي العلم لتنزيلهم منزلتهم في الاعتقاد
والعبادة وهم ولما كان المصنوع لا يكون صانعا اكتفى بالبناء للمفعول فقال يخلقون اي متجددا خلق اعراضهم وذواتهم
وامثالهم ولا يستطيعون لهم اي للمشركين الذين يعبدونها نصرا وهو المعونة على العدو ولعله عبر بصيغة العاقل اشارة
الى انهم لو كانوا يعقلون وكانوا بهذه الصفات الخسيسة ما اهلوهم لان يكونوا احبابهم فضلا عن ان يجعلوهم اربابهم ولما كان
من لا ينصر غيره قد ينصر نفسه نفى ذلك بقوله ولا انفسهم ينصرون اي في وقت من الاوقات عند ما يصيبهم بسوء بل عبدتهم
يدافعون عنهم ولما تبين من هذا الاستفهام الانكاري المعجب من حالهم في ضلالهم في اسلوب الغيبة ان من اشركوه ليس فيه نوع
قابلية لما اهلوه له فان المعبود يجب ان يكون قادرا ومن كان عاجزا نوع عجز كان مربوبا وكان للتنبيه بالخطاب ما ليس له بالغيبة
اتبع ذلك في اسلوبه تعجيبا اخر منهم اشد من الاول وذلك ان معبوداتهم التي اشركوا بها كما انها لا تفعل شيا من تلقاء انفسها لان
تفعله عند دعاء الداعي ولا تهتدي اليه فقال تعالى وان تدعوهم اي وان تدعوا ايها المشركون اصنامكم دعاء مستمرا لتجدد
الى الهدى اي الذي يدل الداعي اليه قطعا على ان المتخلف عنه سيئ المزاج محتاج الى العلاج لكونه تخلف عما لا يتخلف عنه
من له نوع صلاح لكونه اشرف الاشياء فالمتخلف عنه راض لنفسه بالدون لا يتبعوكم اي في ذلك الهدى الذي دعوتموهم
اليه ولو بالغتم في الاستتباع ولعله عبر بصيغة الافتعال اشارة الى انها لا يتصور منها قصد التبع فضلا عن ايجاده ثم بين
ان ذلك ليس بامر عارض بل هو مستمر دايم بقوله مستانفا تاكيدا للمعنى سواء عليكم ولما كان السواء لا يكون الا بين امرين تشوف
السامع اليهما فقال ادعوتموهم اي وجد منكم ذلك الدعاء الذي اشير الى استمراره وعبر بالاسمية اشارة الى انهم لا يدعونهم في وقت
الشدايد بل يدعون الله فقال ام انتم صامتون اي عن ذلك على الدوام على عادتكم في الاعراض عن دعايهم في اوقات الملمات
والذين يدعون معتقديهم في وقت الضرورات اقبح حالا في ذلك من المشركين ويجوز ان تكون الاية من الاحتباك فيكون نظمها ان
ادعوتهم مرة ام انتم داعوهم دايما او صمتم عن دعايهم في وقت ما ام انتم صامتون عن دعايهم دايما حالكم في كل هذه الاحوال
سواء في عدم الاجابة لا اختلاف فيه بوجه دل بالفعل اولا على حذف مثله ثانيا وبالاسم ثانيا على حذف مثله اولا ثم بين ان ذلك
ليس بامر عارض بل هو مستمر دايم بقوله ولما كان اتباع من يدعي انه اعقل الناس وابعدهم عن النقايص واعرقهم في معالي
الاخلاق وارفعهم عن سفسافها لمن هذا سبيله اخزى الخزي واقبح العار وكانوا مع العلم بهذا الذي وصفت به معبوداتهم
يفعلون في الاشراك بهم وفي خوفهم ورجايهم ما هو عين الجهل كرر تبكيتهم باتباعهم في اسلوب اخر اوضح مما قبله في تبيين
النقايص والتنبيه على المعايب ملجي الى الاعتراف او التصريح بالعناد او الجنون فقال موكدا ان الذين تدعون اي ايها
المشركون دعاء عبادة ملازمين لذلك او انه اطلق الدعاء على العبادة اشارة الى انه لا تصح عبادة من ليس فيه قابلية
ان يدعا والحاصل ان الدعاء يلازم المعبود ولما كان دعاؤهم لهم انما هو على سبيل الاشراك قال مشيرا الى سفول رتبتهم
باثبات الجار من دون الله اي الذي له صفات الكمال والعظمة والجلال عباد امثالكم اي في العجز عن كل شي لا سيما عما وقع به
التحدي من معارضة القران وغيرها وانتم تريدون عليها بالحيوة والعقل والمعبود لا يصح ان يكون مثل العابد فكيف اذا كان
دونه ولما كانوا لا يسلمون انهم امثالهم سبب عن ذلك امرهم بدعايهم لبيان دعوى المثلية بل الدونية فقال فادعوهم
اي الى شي من الاشياء ولما كان الاله الحق يجيب وليه عند التحدي من غير تخلف اشار الى ذلك الربط بالفاء فقال فليستجيبوا
لكم اي يوجدوا لكم اجابة بينة في الاتيان بسورة تماثل شيئا من القران او في شي من المنافع ولما كان المقام محتاجا الى
مزيد توبيخ والهاب قدم منه ما رايت ثم زاد في الالهاب فقال ان كنتم اي جبلة وطبعا صادقين اي في دعوى انهم
الهة فان رتبة الاله تقتضي ذلك وقرا سعيد بن جبير ان خفيفة وعبادا امثالكم بنصب الدال واللام واتفق المفسرون
على تخريجها على ان ان هي النافية اعملت عمل ما الحجازية فرفعت الاسم ونصبت الخبر واعمالها هذا العمل فيه خلاف اجازه
الكسائي واكثر الكوفيين ومن البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني ومنع منه الفرا واكثر البصريين واختلف النقل عن
سيبويه والمبرد والصحيح ان اعمالها لغة ثبت ذلك في النظم والنثر ذكر ذلك كله ابو حيان وذكر انه اشبع الكلام فيه
في شرح التسهيل واعترض على هذا التخريج بانه يلزم منه منافاتها للقراة المشهورة وانما يسلم له ذلك لو توارد النفي والاثبات
على شي واحد وليس الامر هنا كذلك فالاثبات لمماثلتها لهم في مطلق العجز والنفي لمساواتها لهم فيه لزيادتهم عنها بالبطش ونحوه
او يكون الامر كما قال الزمخشري ان الاثبات على سبيل التنزل والنفي على الحقيقة ولما اثبت عجزهم وانهم امثالهم دل عليه
وعلى انهم دونهم باسلوب انكار وتعجيب مفصلا لبعض ما نفاه عنهم فقال مقدما الارجل لان اول ما يخشى من الشي انتقاله الهم
ارجل ولما كانت لهم جوارح مصنوعة بين المراد بقوله يمشون بها ولما كان المخشي بعد الانتقال مد اليد قال ام لهم ايد اي
موصوفة بانهم يبطشون بها اي نوعا من البطش ولما كان المخوف بعد البطش باليد البصر خوفا من الدلالة قال ام لهم اعين
اي منعوتة بانهم يبصرون بها اي ضربا من الابصار ولما كان الانسان ربما خاف مما يقصد ضره فتغيب عنه فلا يصل اليه

احتباك

بعد ذلك الا بالسمع قال خاتما ام لهم اذان اي مقول فيها انهم يسمعون بها اي شيا من السمع ولما سواها بهم ونفي عنها ما تقدم
لزم نقصانها عنهم وانه في الحقيقة مسلوب عنهم لانهم ليس لهم من ذواتهم الا العدم والقدرة فيما يقدرون عليه انما هي لله
الصانع لهم اشركهم معها وقال دالا على ذلك مستانفا قل اي لهولاء المشركين ادعوا شركاكم اي هذه التي تقدمت ومهما
شيتم غيرها واستعينوا بها في عداوتي ولما كان هذا تحديا عظيما يحق لفاعله التمدح به نبه عليه باداة التراخي فقال
ثم كيدون اي جميعا انتم وهم وانتم اكثر من حصى البطحاء ورمل الفضاء وانا وحدي ولما كان المعنى وعجلوا عطف بفاء السبب
قوله فلا تنظرون اي تمهلون لحظة فما فوقها لئلا تعتلوا في الانظار بعلة وعلل عدم المبالاة بكيدهم بقوله دالا على اتصاف
معبوده بما نفاه عن شركائهم من الاحاطة بمنافع الدارين فيما يتعلق بالاديان والابدان وقدم الدين اشارة الى انه الاهم
فقال موكدا في مقابلة انكارهم ان وليي اي ناصري ومتولي جميع امري الله اي الجامع لصفات الكمال الذي نزل اي بحسب التدريج
متكفلا بفصل الوقايع الكتاب اي الجامع لعلوم الاولين والاخرين وامر المعاش والمعاد واحوال الدارين وكل ما فيه صلاح
من احوال القلوب وغيرها الذي عجزتم باجمعكم ومن ادعيتم شركته عن معارضة شي منه ولما تكفل هذا التنزيل بجميع الصفات
وهي الحيوة التامة المستلزمة للارادة والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام وكان عجزهم عن المعارضة للكتاب دليلا شهوديا
قوليا على كذبهم اتبع ذلك دليلا آخر شهوديا فعليا فقال وهو اي وحده يتولى اي يلي ولاية تامة الصالحين اي كلهم بنصرهم
على كل مناو وكفايتهم لكل مهم وقد علمتم ما قدمه في هذه السورة من وقايعه بمن كذب انبياه واستهزا برسله وانه انجى كل من
والاه واهلك جميع من عاداه لا كمن عدوهم الهة وهو وما بعده وما قبله ملتفت الى قوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
ولا تتبعوا من دونه اولياء بالشرح وهو دال على انه هو الذي فعل ما تقدم لاجل اوليائه بدليل انه اعجزهم عن معارضة شي
من كتابه وعن الوصول الى جميع ما يريدون من اوليائه واحبابه ولما صور بهذا جلاله وقرر عظمته وكماله باتصافه بجميع
الصفات العلى التي منها القدرة التي تكفهم عنه كرر التنفير عن انداده في اسلوب آخر تاكيدا للمعنى السابق بزيادة بالغة
في العجز وهي تصويب النظر من غير ابصار مع ان الاول للتقريع وهذا للفرق بين من يعبد بحق ومن يعبد بباطل ليرجعوا عن
غيهم وعنادهم فقال مبينا انهم ليسوا في شي من صفاته مصرحا بنفي النصرة الذي اثبتها له عنهم مع المواجهة بالخطاب الذي
هو اقطع في الجواب والذين تدعون اي تديمون دعاهم من دونه فانهم يدعونه سبحانه في بعض الاوقات او تدعونهم تاركين له
لا يستطيعون نصركم اي بوجه من وجوه النصرة بدليل عجزكم عني وانا وحدي وانتم اهل الارض ولا انفسهم ينصرون بدليل ان
الكلب يبول عليهم فلا يمنعونه ولما كان دعا الجماعة اقرب الى السماع من دعا الواحد نسق على ما قبله قوله وان تدعوهم اي
يا من هم اضل منهم واعجز الى الهدى اي الذي هو اشرف الخلال ليهتدوا في نصر انفسهم او غير ذلك لا يسمعوا اي شيا من ذلك
الدعا ولا غيره ولما كان حالهم في البصر بالنسبة الى كل احد على حد سوا قال مفردا للمخاطب وتراهم اي ايها الناظر اليهم
ينظرون اليك اي كانهم ينظرون لما صنعوا لهم من الاعين وهم لا يبصرون اي نوعا من الابصار وما اشبه مضمون هذه
الايات بما في سفر انبياء بني اسرايل في نبوة اشعيا هكذا يقول الرب ملك اسرايل ومخلصه انا الاول وانا الاخر وليس
اله غيري ومن مثلي يدعا ويظهر قوته ويخبر بما كان منذ بسطت الدنيا الى الابد والايات القديمة تظهر للشعوب فلا يفزعون
ولا يخافون الم اسمعكم منذ اول الدهر واظهرها لكم وابين لكم الامور وانتم شهداي ان ليس اله غيري وليس عزيز منيع الا
وانا اعز منه لان جميع الصناع الذين يعملون الاصنام انما عملهم باطل وليس في اعمالهم منفعة وان الصناع الذين يعملونها
هم يشهدون عليها انها لا تبصر ولا تسمع ولا تعلم لذلك يخزى جميع صناع الاوثان المسبوكة لان جميع ما صنعوا لا عقل له فيجمعون
كلهم ويخزون ويفتضحون لان النجار نحت بحديدة وهيا صنما بمنقاره وشدده بقوة ساعده وجاع وعطش في عمله والنجار
اختار خشبة وقدرها والصق بعضها الى بعض بالغرا وركبها وعملها كشبه ابن الانسان اقام من الخشب الذي قطع من الغيضة
كشبه رجل الذي نبت من شرب المطر ليصير للناس للوقود فعملوه لهم الها وعبدوه وسجدوا له الذي بنصفه خبزوا لهم خبزا
وشووا لهم لحما على جمرة واكلوا وشربوا واصطلوا وقالوا قد حمينا لانا اوقدنا نارا واصطلينا والذي بقي منه اتخذوه الها
منحوتا وسجدوا له وصلوا نجنا لانك الهنا ولم يخطر على بالهم فكر ان يقولوا انا قد اوقدنا نصفه بالنار وخبزنا خبزنا وشوينا
على جمرة اللحم واكلنا ولم يعلموا ان باقيه قد عمل منه صنم وسجدوا له لان قلوبهم متمرغة في رماده وضلت عقولهم فلا يقدرون ينجون
انفسهم ولا يقولون ان ايادينا التي عملت الباطل واتخذت الكذب ثم قال اليس انا الرب منذ اول وليس اله غيري حلفت بيميني
ولا مخلص سواي ادنوا الي يا جميع الذين في اقطار الارض لتنجوا لاني انا الرب وليس اله غيري حلفت بيميني واخرجت
كلمة صدق ولست ارجع عنها لانه لي تنحني كل ركبة وبي يحلف كل انسان ويقول انما البر بالرب واليه تدنوا الاعزا وتخزى
جميع المبغضين وبي يمتدح ويتبرر بمن شبهتموني والى من قسمتموني بالضالين الذين اخرجوا الذهب من اكياسهم ووزنوا
الفضة بالميزان واكثروا الصناع حتى عملوا لهم الهة يسجدون لها ويحملونها على اكتافهم ويمشون بها ثم يصلون لها ويدعونها
ولا تجيبهم ولا تخلصهم من شدايدهم ثم يحملونها ايضا ويردونها الى مواضعها اذكروا هذه الاشيا واعقلوا ايها الاثمة واخطروا
على قلوبكم واذكروا الايام التي كانت من الابتداء اني انا الله الخالق وليس اله غيري ولا مثلي انا اظهر العتيدات واخبر بالذي
يكون قبل ان يكون ليكون واثبت راي واكمل ارادتي وهو آي وادعوا من في المشارق فياتون اسرع من الطير وآتي بالرجل الذي
قد عمل مسرتي من الارض البعيدة لاني انا اذا تكلمت بشي فعلته انا خلقت وانا اخلق وفي الزبور في المزمور الثالث عشر بعد المائة

الهنا

الهنا في السماء وفي الارض كل ما يشاء يصنع اوثان الامم ذهب وفضة عمل ايدي البشر لها افواه ولا تتكلم لها اعين ولا تنظر
لها اذن ولا تسمع وانا ف ولا تشم وايدي ولا تلمس وارجل ولا تمشي ولا صوت بحناجرها ولا روح في افواهها فليكن صانعوها
مثلها وجميع من يتوكل عليها انتهى ولما كان محصل امرهم الاعراض عما اتاهم بالتكذيب والاقبال على ما لم ياتهم بالطلب
والتعنت كالسوال عن الساعة والامر بالمنكر من الشرك وما يلزم عنه من مساوي الاخلاق والنهي عن المعروف الذي هو التوحيد
وما يتبعه من محاسن الشرع وذلك هو الجهل وختم ذلك بالاخبار بانه سبحانه اصلح له الدين بالكتاب والدنيا بالحفظ له من كل ما
ينتاب وكان حالهم ربما كان موئسا من فلاحهم مفترا عن دعائهم الى صلاحهم كان الداعي لهم صلى الله عليه وسلم كانه قال فما اصنع
في امرهم فاجابه بالتحذير من مثل حالهم والامر بضد قالهم وفعالهم والابلاغ في الرفق بهم فقال **خذ العفو** اي ما اتاك من الله
والناس بلا جهد ومشقة وهذه المادة تدور على السهولة وتارة تكون من الكثرة وتارة من القلة فعفا المال اي كثر فصار يسهل
اخراجه ويسمح به لزيادته على الحاجة وعفا المنزل اي درس فسهل امره حتى صار لا يلتفت اليه ولما امره بذلك في نفسه امره
به في غيره فقال **وامر بالعرف** اي بكل ما عرفه الشرع واجازه فانه من العفو سهولة وشرفا وقد تضمن ذلك النهي عن المنكر فاغنى
بذلك عن ذكره لان السياق للمساهلة ولما امره بالفعل في نفسه وغيره اتبعه الترك فقال **واعرض عن الجاهلين** اي فلا تكافئهم
بخفتهم وسفههم اي ولا تمارهم فان ذلك اسهل من غيره وذلك بعد نصيحتهم بالدعاء وذلك لان محط حالهم اتباع الهوى
فيدعوهم الى تكلف ضد هذه الخصال وفيه اشارة الى النهي عن ان يذهب نفسه عليهم حسرات مبالغة في الشفقة عليهم وعن
جعفر الصادق انه ليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق منها ولما كان الشيطان بعداوته لبني آدم مجتهدا في التنفير من
هذه المحاسن والترغيب في اضدادها وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نزع منه حظ الشيطان بطرح تلك العلقة السودا
من قلبه اذ شق جبريل عليه السلام صدره وغسل قلبه وقال هذا حظ الشيطان منك شرع لامته ما يعصمهم منه عند نزغه
مخاطبا له بذلك ليكون ادعى لهم الى القبول واجدر باشتداد الخوف المقتضي للفرار المثمر للنجاة لانهم اذا علموا قصد الشيطان
لمن نزع منه حظه وعصم من كل محنة علموا انه لهم اشد قصدا واعظم كيدا وصدا فقال موكدا بانواع التاكيد اشارة الى شدة
قصد الشيطان للفتنة وافراطه في ذلك ليبالغ في الحذر منه وان كان قصده بذلك في محل الانكار لعلمه بالعصمة ولذلك
عبر باداة الشك واشارة الى ضعف كيده للنبي صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اعانه على قرينه فاسلم **واما** اي ان واكدت
بما اثباتا للمعنى ونفيا لضده **ينزغنك** اي ينخسنك نخسا عظيما **من الشيطان نزغ** اي نخس بوسوسته من شانه ان يزعج فيسوق
الى خلاف ما تقدم من المحاسن في نحو غضب من جهل الجاهل وسفه السفيه او افراط في بغض اوجب كما يساق الدابة بما تنخس به
فيفسد وجعل النخس ناخسا اشارة الى شدته **فاستعذ** اي فاوجد او اطلب العوذ وهو الاعتصام **بالله** اي الذي له جميع العز
والعظمة والقدرة والقهر لانقطاعك عن الاخوان والابصار اليه فلا ولي لك ولا ناصر الا هو فانه اذا اراد اعانتك ذكرك
غزير نعمه وشديد نقمه ما يرد عن الفساد رغبا ورهبا والاية ناظرة الى قوله تعالى اولها لاقعدن لهم صراطك المستقيم
ولما ابطل تعالى ان يكون لشركائهم سمع او علم صار اثبات ذلك له كافيا في اختصاصه به من غير حاجة الى الحصر المتضمن لنفيه
عن غيره لتقدمه صريحا بخلاف ما في فصلت فقال معللا **انه سميع** اي بالغ السمع فهو يسمع استعاذتك فيجيبك ان شاء **عليم** شامل
العلم بما تريد ويريد منك عدوك فلا يعجزه شيء وختم بصفة العلم في الموضعين لان الوسوسة من باب ما يعلم وختمها في سورة
المومن بالبصير المشتق من البصر والبصيرة لان المستعاذ منه امر الناس ومنه ما يبصر ولما كان لا يحصل للنبي صلى الله عليه
وسلم الا شيء خفيف جدا كما نبه عليه بالنزغ وهو ليس بمحقق كما نبهت عليه اداة الشك وكان لا يستعيذ بالله الا المتقون فكان
كانه قيل افعل ذلك عند اول نزغه لتكون من المتقين علله بقوله **ان الذين اتقوا** اي حصل لهم هذا الوصف وحقق اداه لهم
باداة التحقيق بخلاف ما مضى عند افراد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فقال **اذا مسهم طيف** اي طواف على انه مصدر ويجوز
ان يكون تخفيف طيف كميت وهو بمعنى قراءة طايف على انه فاعل كميت ومايت ويجوز ان يكون مصدرا ايضا وهو اشارة الى ان
الشيطان داير حولهم لا يفارقهم فتارة يوثر فيهم طوافه فيكون قد مسهم مسا هو اكبر من النزغ لكونه اطاف بهم من جميع الجوانب
وتارة لا يوثر **من الشيطان** اي البعيد من الرحمة المحترق باللعنة **تذكروا** اي كلفوا انفسهم ذكر الله بجميع ما ينفعهم في ذلك اقداما
واحجاما ولما كانوا باسراع التذكر كانهم لم يمسهم شيء من امره اشار الى ذلك بالجملة الاسمية موكدا لسرعة البصر فاذا الفجائية
فاذا هم اي بنور ضمايرهم **مبصرون** اي ثابت ابصارهم فلا يتابعون الشيطان فان المتقي من يشتهي فينتهي ويبصر فيقصر وفي ذلك
تنبيه على ان من تمادى مع الشيطان عمي لانه ظالم والظالم هو من يكون كانه يمشي في الظلام ولما وصف المتقين الذين هم العلماء
ملوحا الى نصح وليهم لهم وعرف من حالهم انهم اعداء الشيطان وعرف ان اضدادهم اولياؤه اتبعه وصف الجاهلين وغش
اوليائهم لهم والكل غير متقين فقال **واخوانهم** اي واخوان الجاهلين من شياطين الانس والجن **يمدونهم** اي يمدون الجاهلين
من المد وهو الامهال والاطالة على قراءة الجماعة وهو بمعنى قراءة اهل المدينة بالضم من الامداد على الاضلال والاغواء **في الغي**
وهو ضد الرشاد واشار الى مزيد اعتنائهم بالاغواء ومثابرتهم على الاضلال والاغواء باداة التراخي فقال **ثم لا يقصرون**
اي لا يتركون اغواءهم ولا لحظة لجهلهم وشرهم ولما تقرر ما شرعه من التعفف وعدم التنطع والتكلف وكان قد اخبر ان من عمههم
تكلفهم السوال عن الساعة وان الشياطين لا يفترون عن اغوائهم اخبره عن مطلق تكلفهم تعجيبا منهم واشهادا لتماديهم مع اغواء
شياطينهم وامره صلى الله عليه وسلم بما يجيبهم به فقال عطفا على تلدونهم **واذا لم تاتهم باية** اي على حسب اقتراحهم **قالوا لولا**

وقال الواحدي ان هذا اكثر ما ياتي فيما يحمد كامددناهم بفاكهة فهو من استعمال
الشيء في ضده نحو فبشرهم بعذاب وكانه يشير الى ان الشيطان اكثر ما ياتي الانسان
في صورة الناصح الشفيق والاوجه ان يكون الاخوان الجاهلين لانهم في مقابلة الذين
اتقوا ويكون الضمير للشيطان المراد به الجنس اي واخوان الشياطين وهم
الجاهلون الذين لا يتقون يمدهم اولياؤهم من الشياطين صح صح صح

اي هلا اجتبيتها والجبي الجمع والاجبا تركه والاجتبا الجد في الجمع ويلزم منه الاصطفا والاختيار فمعنى اجتبيتها اجتليتها
اي تكلفت من عند نفسك الاتيان بها مختارة ولما كان المقام داعيا الى السؤال في تعليم الجواب اسعف بذلك قوله قل اي اذا
قالوا ذلك انما اتبع اي اتعمد واتكلف اتباع ما يوحى الي اي يأتيني به الملك من ربي اي المحسن الي بتعليمي ما ينفعني لا اني آتي بشي
من عند نفسي ولا اقترح على ربي ولا حصر حاله في اتباع الوحي كان كانه قيل ما هذا الذي يوحى اليك فقال ويجوز ان يكون تعليلا
لاتباعه لانه كاف في اثبات نبوته مغن عن الآيات المقترحة قاهر في وجوب اتباعه هذا مشيرا الى ما يوحى اليه تنبيها على انه
يجب ان يكون مستحضرا في سائر الاذهان حاضرا بين عيني كل انسان بصائر اي اشيا هي على حسب ما طلبتم مجتباة بل هي خيار الخيار يكون
بها نور القلب فيصير للعيون ايضا بصر تعبر به مما يحث الكتاب على نظره من الآيات المرئيات الى علوم لم تكن لها قبل ذلك وهي حجج بينة
قاهرة على تصديقي في قبول كل ما جئت به وسماه بذلك لانه سبب لبصر العقول بدلايل التوحيد والنبوة والمعاد وجميع الشريعة
اصولا وفروعا فهو تسمية للسبب باسم المسبب واعلى مدحها بقوله من ربكم اي الذي لم يقطع احسانه عنكم اصلا فهو جدير بان يتلقى
ما اتى منه بكل جميل ولما كانت البصائر جمعا وكانت العادة جارية بان مفردات الجمع تكون متفاوتة اكدها بما يشير الى انها خارقة
للعادة في انها على حد سوا في اعلى طبقات الهداية فقال وهدى اي بيان ولما كان البيان قد لا يكون على وجه الاكرام قال
ورحمة اي اكرام ولما كان من لا ينتفع بالشي يصح ان ينفى عن الشي النافع النفع بالنسبة اليه قال لقوم يؤمنون اي يوجدون هذه
الحقيقة ويستمرون على تجديدها في كل وقت واما غيرهم فقد يكون عليهم عذابا ولما عظم الله شان القرآن فكان التقدير فامنوا
به تفلحوا عطف عليه قوله واذا قرئ القرآن اي وهو هذا الذي يوحى الي فتادبوا وتواضعوا لانه صفة ربكم فاستمعوا له
اي القوا اليه اسماعكم مجتهدين في عدم شاغل يشغلكم عن السمع ولما كان بعض الفهما يسمع وهو يتكلم اشار الى ان هذا الكتاب
اعلى قدرا من ان يناله من يشتغل عنه بادنى شغل فقال وانصتوا اي للتامل والتدبر لتنجلي قلوبكم فتعلموا حقيقته فتعلموا
بما فيه ولا يكون في صدوركم حرج ولما كان ظاهر الآية وجوب الانصات لكل قارئ على كل احد رغب فيه تعظيما لشانه فقال
لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجا من ان يكرمكم ربكم ويفعل بكم كل ما يفعله الراحم مع المرحوم ولما تقدم الامر بالذكر عند نزغ
الشيطان ومر الى ان امر بالاستماع لاعظم الذكر وكان التالي ربما بالغ في الجهر ليكثر سامعه وربما اسر لئلا يوجب على غيره الاصغا
علمهم اداب القراة واطلق ذلك في كل حال لانه ربما فهم فاهم الاقتصار على الذكر في حالة النزع ورقي الخطاب منهم الى امامهم
ليكون ادعى لقبولهم مع الاشارة الى انه لا يكاد يقوم بهذا الامر حق قيامه غيره صلى الله عليه وسلم فقال واذكر اي بكل ذكر من القرآن
وغيره ربك اي الذي بلغ الغاية في الاحسان اليك في نفسك اي ذكرا يكون راسخا فيك مظروفا لك لفهمك لمعانيه وتخلقك
بما فيه وليكن سرا لان ذلك اقرب الى الاخلاص واعون على التفكر وكونه سرا دال على اشرف الاحوال وهو المراقبة مع تحقق
القرب فاذا كان كذلك اثمر قوله تضرعا اي حال كونك ذا تضرع بالظاهر وخيفة اي لتدعو المخافة الى تذلل قلبك لتجمع بين
تضرع السر والعلن وبهذا يكمل ذل العبودية لعز الربوبية ولما امر بالسر قال مقابلا له ودون الجهر اي لانه ادخل في الاخلاص
ومن المعلوم انه فوق السر والا لم تفد الجملة شيا ولما كان الجهر قد يكون في الافعال اكده بقوله من القول اي فان ذلك يشعر
بالتذلل والخضوع من غير صياح كما تناجي الملوك وتستجلب منهم الرغايب وكما قال صلى الله عليه وسلم للصحابة وقد جهروا بالدعا
فوق المقدار انكم لا تدعون اصم ولا غايبا فان المقصود حصول الذكر اللساني لبعض الذكر القلبي والمقصود حاصل باسماع النفس
فانه يتاثر الخيال فيتقوى الذكر القلبي ولا تزال الانوار تتزايد فتنعكس تراجع بعضها الى بعض حتى يزداد الترقي من ظلمات عالم الاجسام
الى انوار مدبر النور والظلام ولما امر بالذكر مكيفا له بكيفيته اللايقة به امره صلى الله عليه وسلم بالمداومة عليه ذاكرا احسن
الاوقات له واحقها به لكونها لما فيه من الشغل ادل على ايثاره لمزيد المحبة والتعظيم فقال بالغدو اي اوقات البكر ولعله افرده
على جعله مصدر غدا لانه ما تم الا صلوة الصبح وجمع ما بعده للعصرين والمغرب فقال والاصال اي اوقات العشي وقيل الغدو
جمع غدوة فيزاد حينئذ مع الصبح الضحى وآخر كل نهار متصل باول ليلة اليوم الثاني فسمي آخر اليوم اصيلا لانه متصل بما هو اصل
اليوم الثاني وخص هذين الوقتين وان كان المراد الدوام بتسمية كل من اليوم والليل باسم جزئه ليذكر بالغدو والانتشار من الموت
وبالاصيل السكون بالموت والرجوع الى حال العدم فيستحضر بذلك جلال الله فيكون ذلك حاديا على تعظيمه حق تعظيمه ولما
كان ربما اوهم هذا الخصوص بهذين الوقتين وان كان ظاهرا في الدوام قال مصرحا ولا تكن من الغافلين اي في وقت غيرهما بل كن ذاكرا
في كل وقت على كل حال ثم علل الامر بالمراقبة الدالة على اعظم الخضوع بانها وظيفة المقربين فقال ان الذين وزاد ترغيبا في ذلك
بقوله عند ربك اي المحسن اليك بتقريبك من جنابه وجعلك اكرم احبابه وهم الملايكة الكرام اولوا العصمة والقرب دنو
مكانة الامكان لا يستكبرون اي لا يوجدون ولا يطلبون الكبر عن عبادته اي الخضوع له والتلبس بانحا التذلل مع مزيد
قربهم وغاية طهارتهم وحبهم ويسبحونه اي ينزهونه عن كل ما لا يليق مع خلوصهم عن دواعي الشهوات والحظوظ ولما كان هذا
يرجع الى المعارف وقدمه دلالة على ان الاصل في العبادة اعمال القلوب اردفه بقوله وله اي وحده يسجدون اي يخضعون
باثباتهم له كل كمال وبالمباشرة لمحاسن الاعمال وقد تضمنت الآية الاخبار عن الملايكة الابرار بثلاثة اخبار عدم الاستكبار الذي
هو اجل انواع العبادة اذ هو الحامل على الطاعة ان ضده حامل على المعصية والتسبيح الذي هو التنزيه عن كل ما لا يليق
وتخصيصه بالسجود ولما كانت العبادة ناشية عن انتفا الاستكبار وكانت على قسمين قلبية وجسمانية اشار الى القلبية
بالتنزيه والى الجسمانية بالسجود وهو الحال الذي يكون العبد به عند ربه كالملايكة قربا وزلفى اقرب ما يكون العبد من ربه

وهو ساجد نبه عليه ابو حيان على ان العبادتين مرجعهما القلب واحديهما مدلول عليها بالقول والاخرى بالفعل وقد رجع آخر
السورة في الامر باتباع القرآن الى اولها احسن رجوع ولوصف المقربين بعدم الاستكبار والمواظبة على وظايف الخضوع الى وصف
ابليس بعصيان امر الله في السجود لآدم عليه السلام على طريق الاستكبار اي التفات بل شرع في رد المقطع على المطلع حين اتم
قصص الانبياء فقوله ولقد ذرانا هو قوله والذي خبث لا يخرج الا نكدا يتضح لك ذلك اذا راجعت ما قدمته في المراد منه
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها هو ادعوا ربكم تضرعا وخفية وممن خلقنا امة هو والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا
الا وسعها اوليك اصحاب الجنة والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم هو اذا جاء اجلهم
لا يستاخرون ويسئلونك عن الساعة هو كما بداكم تعودون ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وهو الذي خلقكم من نفس
واحدة هو ولقد خلقناكم ثم صورناكم وانما اتبع ما يوحى الي من ربي الى اخرها بعد التنفير من الانداد هو كتاب انزل اليك فلا
يكن في صدرك حرج منه الى قوله ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون فسبحان من هذا كلامه وتعالى حجابه
وعز مرامه وعلى من انزل عليه صلاته وسلامه وتحيته واكرامه صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

سورة الانفال وتسمى الجهاد سبعون وست ايات

بسم الله الذي له جميع الحول والقوة والطول الرحمن الذي احاط دايرة العقل بشموس الادلة من كل منقول الرحيم الذي
من على من شاء من الاتباع بحسن الاتباع مقصد هذه السورة تبرء العباد من الحول والقوة وحثهم على التسليم لامر الله واعتقاد
ان الامور ليست الا بيده وان الانسان ليس له فعل ليثمر ذلك الاعتصام بامر الله المثمر لاجتماع الكلمة المثمر لنصر الدين واذلال
المفسدين المنتج لكل خير والجامع لذلك كله انه لما ثبت بالسور الماضية وجوب اتباع امر الاله والاجتماع عليه لما ثبت من تفرده
واقتداره كان مقصود هذه ايجاب اتباع الداعي اليه بغاية الاذعان والتسليم والرضى والتبرؤ من كل حول وقوة الى من انعم بذلك
ولو شاء سلبه وادل ما فيها على هذا قصة الانفال التي اختلفوا في امرها وتنازعوا قسمها فمنعهم الله منها وكف عنهم حظوظ الانفس
والزمهم الاخبات والتواضع واعطاها نبيه صلى الله عليه وسلم لانه الذي هزمهم بما رمى من الحصيات التي خرق الله فيها العادة
بان بثها في اعين جميعهم وبما ارسل من جنوده فكان الامر له وحده يمنحه من يشاء ثم لما صار له صلى الله عليه وسلم رده فيهم منة
منه عليهم واحسانا اليهم واسمها الجهاد كذلك لان الكفار دايما اضعاف المسلمين وما جاهد قوم من اهل الاسلام قط الا كثر منهم
وتجب مصابرة الضعف فلو كان النظر الى غير قوته سبحانه ما اطيق ذلك ولهذه المقاصد سنت قراءتها في الجهاد لتنشيط
المومنين للجلاد وان كثرت من الاعادي الجموع والاعداد وتوالت اليهم زمر الامداد من ساير العباد كما ذكره الحافظ ابو الربيع
سليمن بن موسى بن سالم الكلاعي المغربي في فتوح البلاد من كتابه الاكتفا في سيرة المصطفى واصحابه الثلاثة الخلفا وكذا
شيخه الخطيب ابو القسم عبد الرحمن بن محمد بن حبيش في كتابه الذي جمعه في الفتوح قالا في وقعة اليرموك من فتوح الشام عن
حديث سيف بن عمر وهذا لفظ بن سالم قال وكان القاري يوم ذاك المقداد قالوا ومن السنة التي سن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد بدر ان تقرا سورة الجهاد عند اللقاء وهي سورة الانفال ولم يزل الناس بعد على ذلك وقالا في وقعة الفار
من فتوح فارس واللفظ لابن سالم ايضا قالوا ولما صلى سعد يعني ابن ابي وقاص رضي الله عنه الظهر امر غلاما كان عمر رضي الله
عنه الزمه اياه وكان من القرا يقرا سورة الجهاد وكان المسلمون كلهم اذ ذاك يتعلمونها فقراها على الكتيبة التي تليه وقرات
في كل كتيبة فهشت قلوب الناس وعرفوا السكينة مع قراءتها قال مصعب بن سعد وكانت قراءتها سنة يقراها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند الزحوف ويستقر بها فعمل الناس بذلك انتهى ومناسبتها للاعراف انه لما ذكر تعالى كما تقدم قصص الانبياء
عليهم السلام مع اممهم في تلك ناسب ان يذكر قصة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مع قومه وتقدم انه لما اطنب سبحانه في قصة
موسى عليه السلام كان ذلك ربما اوهم تفضيله على الجميع فاتى بقصة المخاطب بهذا القرآن في سورتين كاملتين الانفال في
اول امره واثنايه وبراءة في ختام امره وانتهايه وفرق بين القضيتين وذلك ان قوم موسى عليه السلام كانوا في سوء العذاب
وكانوا يعلمون عن اسلافهم ان الله سيذكرهم وينجيهم من ايدي القبط فلما اتاهم موسى عليه السلام وبين لهم الآيات التي امره الله
بها لم يشكوا في انه الموعود به من رحمة الله له واتيانه نفع لهم عاجل مع ما فيه من النفع الآجل فاطبقوا على اتباعه وكانوا اكثر
من ستماية الف مقاتل ومع ذلك فقد كانوا يخالفون عليه في كل قليل ولا يجدون قلوبا يواجهون بها القبط في الاباء عن امتثال
اوامرهم واما محمد صلى الله عليه وسلم فاتى قومه ولا حس عندهم من نبوة ولا علم لهم بها ولم يكونوا تحت ذل احد بل كانوا ملوك
العرب فعندهم انه جاء يسلبهم عزهم ويصيرهم له تبعا فخالفوا اشد المخالفة ولم يدعوا كيدا حتى باشروه في رده عما جاء به
فنصره الله عليهم ولم يزل يؤيده حتى دخل الناس هم وغيرهم في دين الله افواجا واظهر دينه على الدين كله كما وعد سبحانه ثم
ايد امره من بعده ولم يزل اتباعه ظاهرين ولا يزالون الى يوم الدين فبين القضية فرقان لاولي البصاير والاتقان
واما مناسبة اولها لآخر تلك فقد تبين ان آخر الاعراف آخر قصة موسى عليه السلام المختتمة بقصة بلعام وان ما بعد
ذلك انما هو تتمات لما تقدم لا بد منها وتتمات للتتمات حتى كان آخر ذلك مدح من اهلهم لعنديته سبحانه بالاذعان وتمام
الخضوع فلما اضيفوا الى تلك الحضرة العالية اقتضى ذلك سوالا عن حال الذين عند المخاطب صلى الله عليه وسلم فاجيب
بقوله تعالى يسئلونك اي الذين عند ربك هم الذين هزموا الكفار في الحقيقة كما علمتم ذلك وسياتي بيانه فهم المستحقون

سية

للانفال وليس لهم اليها التفات وانما همهم العبادة والذين عندك انما جعلتهم آلة ظاهرة ومع ذلك فهم يسألون عن الانفال التي نولتهم
اياها بايدي جنودي سؤال منازعة ينبغي الاستعاذة بالله منها كما نبه عليه آخر الاعراف لان ذلك يفضي الى افتراق الكلمة والضعف عن
مقاومة الاعداء وهو جمع نفل بالتحريك وهو ما يعطاه الغازي زيادة على سهمه والمراد بها هنا الغنيمة وهي المال المأخوذ من اهل الحرب
قهرا سميت هنا بذلك لان اصلها في اللغة الزيادة وقد فضل المسلمون بها على سائر الامم ولما كان السؤال عن حكمها كان كانه قيل فماذا
يفعل فقال دالا على انهم سألوا عن مصرفها وحكمها ليطابق الجواب السؤال قل اي لهم في جواب سؤالهم الانفال لله اي الذي ليس النصر الا من عنده
لما له من صفات الكمال والرسول اي الذي كان جازما بامر الله مسلما لقضائه ماضيا فيما ارسله به غير متخوف من مخالطة الردى بمواقعة
العدى قال ابو حيان ولا خلاف ان الآية نزلت في يوم بدر وغنائمه وقال ابن زيد لا نسخ انما اخبر ان الغنائم لله من حيث انها ملكه ورزقه
وللرسول عليه السلام من حيث هو مبين لحكم الله والصادع فيها بامره ليقع التسليم من الناس وحكم القسمة نازل خلال ذلك انتهى ولما
اخبر سبحانه انه لا شيء لهم فيها الا عن امر الله ورسوله وكان ذلك موجبا لتوقفهم الى بروز امره سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
وكانت التقوى موجبة للوقوف خوفا حتى يأتي الدليل الذي يجسر على المشي وراءه سبب عن ذلك قوله فاتقوا الله اي خافوا خوفا
عظيما في جميع احوالكم من الذي لا عظمة لغيره ولا امر لسواه فلا تطلبوا شيئا بغير امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تتخاصموا فان الله تعالى
الذي رحمكم بارسال رسوله لنجاتكم وانزال كتابه لعصمتكم غير مهمل ما يصلحكم فهو يعطيكم ما سبق في علمه الحكم بانه لكم ويمنعكم ما ليس لكم
واصلحوا ذات بينكم اي الحال التي هي صاحبة افتراقكم واجتماعكم فان اغلب امرها البين الذي هو القطيعة وقد اشرفت على الفساد
بطلب كل فريق الاثرة على صاحبه فاقبلوا على رعايتها بالتسليم لامر الله ورسوله الآمرين بالاعراض عن الدنيا ليقسمها بينكم على سواء القوي
والضعيف سواء فانكم انما ترزقون وتنصرون بضعفائكم لتجتمع كلمتكم فيشتد امركم ويقوى ازركم فتقدروا على اقامة الدين وقمع المفسدين
واطيعوا الله اي الذي له جميع العظمة ورسوله اي الذي عظمته من عظمته في كل ما يأمرانكم به من تنفيل لمن يراه وانفاذ شرط لمن شرط
ووفاء عهد لمن عاهده ولما امر ونهى هيج والهب فقال مبينا كون الايمان مستلزما للطاعة ان كنتم مؤمنين اي صادقين في دعوى
الايمان فليس كل من يدعي شيئا يكون صادقا في دعواه حتى يحصل البيان بالامتحان ولذلك وصل به قوله مؤكدا غاية التأكيد لان
التخلص من الاعراض الدنيوية عسر انما المؤمنون اي الراسخون في وصف الايمان الذين اذا اي يقيمون الدليل على دعوى الايمان بتصديق
افعالهم لاقوالهم فيكونون اذا ذكر الله اي الجامع لصفات الكمال من الجلال والجمال بمجرد ذكره في نحو قوله الانفال لله وجلت اي خافت خوفا
عظيما يتخلل صميم عظامهم ويجول في سائر معانيهم واجسامهم قلوبهم اي بمجرد ذكره استعظاما له واذا تليت اي قرئت على سبيل
الموالاة والاتصال من اي تال كان عليهم آياته اي كما يأتي في اقامة الادلة على ذلك الحكم الذي ورد ذكره فيه زادتهم ايمانا اي
بايمانهم بها وبما حصل لهم من نور القلب طمأنينة اليقين بسببها فانها هي الدالة على الله بما تبين من عظيم افعاله ونعوت جلاله وجماله
وتظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه وكمال قدرة الله تعالى انما يعرف بواسطة آثار حكمته في مخلوقاته وذلك بحر لا ساحل له ولما كانت
المراتب لا نهاية كانت مراتب التجلي والمعرفة لا نهاية لها فالزيادة في اشخاص التصديق وعلى اي والحال انهم على ربهم اي الدائم الاحسان
اليهم وحده يتوكلون اي يجددون اسناد امورهم اليه مهما وسوس لهم الشيطان بالفقر او غيره ليكفيهم من حيث لا يحتسبون فان خزائنه
واسعة ويده سحاء الليل والنهار كما انهم لما توكلوا عليه في القتال نصرهم وقد كانوا في غاية الخوف من الخذلان وكان حالهم جديرا بذلك
لقلتهم وخوفهم وقلتهم وضعفهم ولما وصفهم بالايمان الحامل على الطاعة والتوكل الجامع للهم الدافع للمانع منها قال منتقلا من عمل
الباطن الى عمل الظاهر مبينا ان همتهم انما هي العبادة والمكارم الذين يقيمون الصلوة اي لا يفترون عن تجديد ذلك ولما كانت
صلة بين الخلق والخالق اتبعها الوصلة بين الخلائق فقال ومما رزقناهم اي على عظمتنا وهولنا دونهم ينفقون ولو كانوا مقلين
اعتمادا على ما عندنا فالانفاق واهانة الدنيا همتهم لا الحرص عليها فحينئذ يكونون كالذين عند ربك في التحلي بالعبادة والتخلي من
الدنيا اعراضا وزهادة وهو تذكير بوصف المتقين المذكور اول الكتاب بقوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون ولما حققوا ايمانهم بافعال القلوب والجوارح والاموال فاستوفوا بذلك جميع شعب الدين عظم سبحانه
شأنهم بقوله اولئك اي العالوا الهمم هم اي خاصة المؤمنون واكد مضمون الجملة بقوله حقا ولما كانت صفاتهم الخمس المذكورة
المشتملة على الاخلاق والاعمال لها تأثيرات في تصفية القلوب وتنويرها بالمعارف الالهية وكلما كان المؤثر اقوى كانت التأثيرات
اعلى فلما كانت هي درجات كان جزاؤها كذلك فلهذا قال تعالى في جواب من كانه قال فما جزاؤهم على ذلك لهم درجات ولما كثرها بجمع
السلامة بما دل عليه سياق الامتنان عظمها بقوله عند ربهم اي بتسليمهم لامره ولما كان قدر الله عظيما وكان الانسان عن بلوغ
ما يجب عليه من ذلك ضعيفا حقيرا وكان بادنى شيء من اعماله يستفزه الاعجاب اشار سبحانه الى انه لا يسعه الا العفو ولو بذل
فوق الجهد فقال ومغفرة اي لذنوبهم ان رجعوا عن المنازعة في الانفال وغيرها ورزق كريم اي لا ضيق فيه ولا كدر بوجه ما
من منازعة ولا غيرها فهو يغنيهم عن هذه الانفال ويملأ ايديهم من الاموال من غنائم فارس والروم وغير ذلك هذا في الدنيا
واما في الآخرة فما لا يحيط به الوصف قال ابو حيان لما تقدمت ثلاث صفات قلبية وهي الوجل وزيادة الايمان والتوكل
وبدنية ومالية ترتب عليها ثلاثة اشياء فقوبلت الاعمال القلبية بالدرجات والبدنية بالغفران وقوبلت المالية بالرزق الكريم
وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع انتهى ولما كان الايمان عند الشافعي رحمه الله الاعتقاد والاقرار والعمل جوز ان يقال
مؤمن ان شاء الله لان استثناء الاعمال مشكوك فيه وان كان الاعتقاد والاقرار يقينا وعند ابي حنيفة رحمه الله رضي الله عنه الايمان
الاعتقاد والاقرار فقط فلم يجوز الاستثناء فالخلاف لفظي هذا اذا كان الاستثناء للشك وان كان لغيره كان لكسر النفس عن التمدح

وللشهادة بالجنة التي هي للمؤمن وللحكم على حالة الموت على ان هذه الكلمة لا تنافي الجزم فهي لمجرد التبرك كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله آمنين ذكر الامام فخر الدين ولما كان ترك الدنيا شديدا على النفس وترك النزاع بعد الانتشاب فيه اشد شرع
يذكر لهم ما كانوا له كارهين ففعله بهم وامرهم به لعلمه بالعواقب فحمدوا اثره ليكون ادعى لتسليمهم لامره وازدجارهم بزجره فشبه
حال كراهتهم لترك مرادهم في الانفال بحال كراهتهم لخروجهم معه ثم بحال كراهتهم للقاء الجيش دون العير ثم انهم راوا حسن العاقبة
في كلا الامرين فقال كما اي حالهم في كراهية تسليم الانفال مع كون التسليم هو الحق والاولى لهم كما كانت حالهم اذ اخرجك ربك اي
المحسن اليك بالارشاد الى جميع مقاصد الخير من بيتك بالحق اي الامر الفيصل الفارق بين الثابت والمزلزل وان اي والحال ان فريقا
عبر به لان اراهم كانت تؤول الى الفرقة من المؤمنين اي الراسخين في الايمان لكارهون ثم ذكر دليل كراهتهم فقال يجادلونك اي يكررون
ذلك ارادة ان يفتلوك عن اللقاء للجيش الى الرجوع عنه ولما كان لقاء الجيش امرا قد حتمه الله فلا بد من وقوعه مع انه يرضيه قال
في الحق اي الذي هو ايثار الجهاد بعد ما تبين اي وضح وضوحا عظيما سهلا من غير كلفة نظر بقرائن الاحوال بفوات العير وتيسير امر
النفير وباعلام الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تارة صريحا وتارة تلويحا كقوله والله لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع
فلان وذاك مصرع فلان ولما كان سبحانه قد حكم باللقاء والنصرة تاييدا لدينه واعلاء لكلمته مع شدة كراهتهم لذلك شبه سوقه لهم
الى مراده فقال بانيا للمفعول لان المكروه اليهم السوق لا كونه من معين كانما يساقون اي يسوقهم سائق لا قدرة لهم على ممانعته الى
الموت وهم ينظرون لانها كانت اول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيها لقاء وكانوا غير متاهبين للقتال غاية
التاهب انما خرجوا للقاء العير هذا مع انهم عدد يسير وعدد اهل النفير كثير وكانوا في غاية الهيبة للقائهم والرعب من قتالهم
وكل هذا تذكير لهم بانه لم ينصرهم الا الله بلا صنع منهم بل كانوا في يد قدرته كالالة في يد احدهم لينتج ذلك انه ليس لهم ان ينازعوا
في الانفال ولما لانوا بهذا الخطاب واقبلوا على الملك التواب اقبل عليهم فقال واذ اي اذكروا هذا الذي ذكره الله لكم وقد
كان حالكم فيه ما ذكره ثم افضى الى سعادة عظيمة وعز لا يشبهه عز واذكروا اذ يعدكم الله اي الجامع لصفات الكمال احدى الطائفتين
العير او النفير وابدل من الاحدى ليكون الوعد بها مكررا قوله انها لكم اي فتكرهون لقاء ذات الشوكة وتودون اي والحال
انكم تحبون محبة عظيمة ان غير ذات الشوكة اي السلاح والقتال والكفاح الذي به تعرف الابطال ويميز بين الرجال من ذوات
الحجال تكون لكم اي العير لكونها لم يكن فيها الا ناس قليل يقال انهم اربعون رجلا جهلا منكم بالعواقب ثم تبين لكم ان ما فعله الله خير لكم
بما لا يبلغ كنهه فسلموا له الامر في السر والجهر تنالوا الغنى والنصر وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير العاصمي في مناسبة
تعقيب الاعراف بهذه السورة ومناسبة اخر تلك لاول هذه ما نصه لما قص سبحانه على نبيه عليه السلام في سورة الاعراف
اخبار الامم وقطع المؤمنين من مجموع ذلك بانه لا يكون الهدى الا بسابقة السعادة لافتتاح السورة من ذكر الاشقياء بقصة
ابليس وختمها بقصة بلعام وكلاهما كفر على علم ولم ينفعه ما قد كان حصل عليه ونبه تعالى عباده على الباب الذي اتى منه على
بلعام بقوله سبحانه ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فاشار سبحانه الى ان اتباع الاهواء اصل كل ضلال نبهوا على ما فيه
الحزم من ترك الاهواء جملة فقال تعالى يسئلونك عن الانفال الآية فكان قد قيل لهم اتركوا ما ترون انه حق واجب لكم وفوضوا
في امره لله وللرسول فذلك اسلم لكم واحزم في ردع اغراضكم وقمع شهواتكم وترك اهوائكم وقد الف في هذه الشريعة السمحة البيضاء
حسم الذرائع كثيرا واقامة مظنة الشيء مقامه كتحريم الجرعة من الخمر والقطرة والخطبة في العدة واعتداد النوم الثقيل ناقضا
فهذه مظان لم يقع الحكم فيها على ما هو لانفسها ولا بما هي كذا بل بما هي مظان ودواع لما منع لعينه او استوجب حكما لعينه وعلته
الخاصة به ولما امر المسلمون بحل ايديهم عن الانفال يوم بدر اذ كان المقاتلة قد هموا باخذها وحدثوا انفسهم بالانفراد بها
ورأوا انها من حقهم وان من لم يباشر قتالا من الشيوخ ومن انحاز فئة لهم فلا حق له فيها ورأى الآخرون ايضا ان حقهم فيها ثابت
لانهم كانوا فئة للمقاتلين وعدة وملجأ وراء ظهورهم كان ما امرهم الله به من تسليم الحكم في ذلك الى الله ورسوله من باحسم الذرائع
لان تمشية اغراضهم في ذلك وان تعلق كل من الفريقين بحجة مظنة لرياسة النفوس واستسهال اتباع الاهواء فامرهم الله
بالتنزه عن ذلك والتفويض لله ولرسوله فان ذلك اسلم لهم واوفى لدينهم وابقى في اصلاح ذات البين واجدى في الاتباع
فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم الآية ثم ذكروا بما ينبغي لهم ان يلتزموا فقال تعالى انما المؤمنون الى قوله زادتهم ايمانا ثم
نبهوا على ان اعراض الدنيا من نفل او غيره لا ينبغي للمؤمن ان يعتمد عليه اعتمادا يدخل عليه ضررا من الشرك او التفاتا الى غير
الله سبحانه بقوله وعلى ربهم يتوكلون ثم ذكروا بما وصف به المتقين من الصلوة والانفاق ثم قال تعالى اولئك هم المؤمنون
حقا تنبيها على ان من قصر عن هذه الاحوال ولم يات بها على كمالها لم يخرج عن الايمان ولكن ينزل عن درجة الكمال بحسب تقصيره
وكان في هذا اشعارا بعذرهم في كلامهم في الانفال وانهم قد كانوا في مطلبهم على حالة من الصواب وشرب من التمسك والاتباع
لكن اعلى الدرجات ما بين لهم ومنحوه وآته الكمال والفوز ثم نبههم سبحانه بكيفية امرهم بالخروج الى بدر وودهم ان غير ذات
الشوكة تكون لهم وهو سبحانه يريهم حسن العاقبة فيما اختاره لهم فقد كانوا تمنوا لقاء العير واختاروا ذلك على لقاء العدو
ولم يعلموا ما وراء ذلك ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين الى ما قصه تعالى عليهم من النبأ فهم برحمته
وشمول الطافه والآية وبسط نفوسهم ونبههم على ما يثبت يقينهم ويزيد في ايمانهم ثم اعلم ان الخير كله في التقوى فقال
يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا الآية وهذا الفرقان هو الذي حرمه ابليس وبلعام وكان منهما ما تقدم
من اتباع الاهواء القاطعة لهم عن الرحمة وقد تضمنت الآية حصول خير الدنيا والآخرة بنعمة الاتقاء ثم اجمل الخيران معا

المؤمنون

في قوله والله ذو الفضل العظيم بعد تفصيل ما اليه اسراع المومنين من الفرقان والتكفير والغفران ولم يقع التصريح
بخير الدنيا الخاص بها مع اقتضاء الاية اياه تنزيها للمومن في مقام اعطاء الفرقان وتكفير السيئات والغفران عن ذكر
متاع الدنيا التي هي لهو ولعب فلم يكن ذكر متاعها الفاني ليذكر مفصلا مع ما لا يجانسه ولا يشاكله وان الدار الاخرة لهي
الحيوان ثم التحمت الاي ووجه آخر وهو انه سبحانه لما قال واذا قرئ القران فاستمعوا بين لهم كيفية هذا الاستماع وما
الذي يتصف به المومن من ضروبه فقال انما المومنون الذين اذا ذكر الله الاية فهولاء لم يسمعوا باذانهم فقط ولا كانت لهم
اذان لا يسمعون بها ولا قلوب لا يفقهون بها ولو كانوا كذا لما وجلت وعمهم الفزع والخشية وزادتهم الايات ايمانا فاذن انما
يكون سماع المومن هكذا ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ولما كان هولاء انما اتى عليهم من اتباع اهوائهم والوقوف
مع اغراضهم وشهواتهم ياخذون عرض هذا الادنى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه وهذه بعينها كانت آفة ابليس راى لنفسه
المزية واعتقد بها الحق ثم اتبع هذا الهوى حين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون فلما كان اتباع
الاهواء اصلا في الضلال وتنكب الصراط المستقيم امر المومنون بحسم باب الاهواء والتسليم فيما لهم تعلق وان لم يكن هوى مجردا
لكنه مظنة تيسير اتباع الهوى فافتتحت السورة بسوالهم عن الانفال واخبروا انها لله ولرسوله يحكم فيها ما يشاء فاتقوا الله
واحذروا الاهواء التي اهلكت من قص عليكم ذكره واصلحوا ذات بينكم برفع التنازع وسلموا لله ولرسوله والا لم تكونوا سامعين
وقد امرتم ان تسمعوا السماع الذي عنه ترجى الرحمة وبيانه في قوله انما المومنون الايات ووجه آخر وهو ان قصص
بني اسرائيل هنا بياض عقب بوصاة المومنين وخصوصا بالتقوى وعلى حسب ما يكون الغالب فيما يذكر من امر بني اسرائيل ففي البقرة
اتبع قصصهم بقوله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ولما كان قصصهم مفتتحا بذكر تفضيلهم يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين افتتح خطاب هذه الامة بما يشعر بتفضيلهم وتامل ما بين يا بني اسرائيل
ويا ايها الذين امنوا وامر اولئك بالايمان وامنوا بما انزلت وامر هولاء بتعبد احتياطي فقيل وقولوا انظرنا واسمعوا ثم
اعقبت البقرة بآل عمران وافتتحت ببيان المحكم والمتشابه الذي من جهته اتى على بني اسرائيل في كثير من مرتكباتهم ولما ضمنت
سورة آل عمران من ذكرهم ما ورد فيها اعقب بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم
بعد ايمانكم كافرين ثم اعقبت السورة بقوله يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وعدل عن الخطاب باسم
الايمان للمناسبة وذلك ان سورة آل عمران خصت من مرتكبات بني اسرائيل بجرائم كقولهم في الكفار هولاء اهدى من الذين امنوا
سبيلا فهذا بهت ومنها قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء الى ما تخللها تين من الايات المنبئة عن تعمدهم الجرائم فعدل عن
يا ايها الذين امنوا الى يا ايها الناس ليكون اوقع في الترتيب واوضح مناسبة لما ذكر ولما ضمنت سورة النساء قوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات الى قوله واكلهم اموال الناس بالباطل اتبعت بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود
ثم ذكر لهم ما احل لهم وحرم عليهم ليحذروا مما وقع فيه اولئك فعلى هذا لما ضمنت سورة الاعراف من قصصهم جملة وبين فيها
اعتداءهم وبناه على اتباع الاهواء والهجوم على الاغراض طلب هولاء باتقاء ذلك والبعد عما يشبهه جملة فقيل في اخر السورة
ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا ثم افتتحت السورة الاخرى بصرفهم عما لهم به تعلق واليه تشبث يقيم
عذرهم شرعا فيما كان منهم فكان قد قيل لهم ترك هذا اسلم وابعد عن اتباع الاهواء فسلموا في ذلك الحكم لله ورسوله واتقوا
الله ثم تناسج السياق والتحمت الاي وقد تبين وجه اتصال الانفال بالاعراف من وجوه والحمد لله انتهى ولما اخبر
تعالى بما هو الحق من ان ارادتهم بل ودادتهم انما كانت منصبة الى العير لا الى النفير تبين انه لا صنع لهم فيما وقع اذ لو كان
لكان على ما ارادوا فلا حظ لهم في الغنيمة الا ما يقسمه الله لهم لان الحكم لمراده لا لمراد غيره فقال تعالى عاطفا على وتودون
ويريد الله اي بما له من العز والعظمة والعلم ان يحق الحق اي يثبت في عالم الشهادة الثابت عنده في عالم الغيب وهو هنا اصابة
ذات الشوكة بكلماته اي التي اوصاها الى نبيه صلى الله عليه وسلم انهم يهزمون ويقتلون ويوسرون وان هذا مصرع فلان
وهذا مصرع فلان ليعلي دينه ويظهر امره على كل امر ويقطع دابر اي آخر الكافرين اي كما يقطع اولهم اي يستاصلهم بحيث لا
يبقى منهم احد يشاقق اهل حزبه فهو يدبر امركم على ما يريد فلذلك اختار لكم ذات الحد والشوكة ليكون ما وعدكم به من اعلاء
الدين وقمع المفسدين يقطع دابرهم ليحق الحق اي هو دينه القيم وفيه فوز الدارين ويبطل الباطل وهو كل ما خالفه ولو كره
اي ذلك المجرمون اي الذين يقطعون ما امر الله به ان يوصل ويكسر قوتهم بضعفكم ويفني كثرتهم بقلتكم ويمحق عزهم بذلكم فيظهر
علو امره ويخضع الاعناق لذكره اذ ظرف ليحق الحق تستغيثون ربكم اي تطلبون اغاثة المحسن اليكم وهو بدل من اذ يعدكم
فهو من البيان لكراهتهم لقاء ذات الشوكة بشدة جزعهم الموجب لهم الاستغاثة مع اسفار العاقبة عن ان الخير فيما كرهوه
وانه احق الحق واظهر الدين واوهن امر المشركين ولما اسرع سبحانه الاجابة دل على ذلك بقوله فاستجاب اي فاوجد
الاجابة ايجاد من هو طالب لها شديد الرغبة فيها لكم بغاية ما تريدون تثبيتا لقلوبكم ان اي بان يمدكم اي موجد المدد لكم
اي بامدادكم ولعله حول العبارة لما في التصريح بضميره من العظمة والبركة بالف من الملائكة حال كونهم مردفين اي متبعين
بامثالهم ولما كانت نصرة المسلمين في هذه الغزوة ظاهرة جدا قال وما جعله الله اي الامداد والوعد به على ما له سبحانه من
العظمة التي من راقبها لم يهب شيئا الا بشرى اي لتستبشر به نفوسكم ولم يحتج الى تقييد بان يقال لكم واما في قصة احد فقد
كان المقتول منهم اكثر من المقتول من الكفار فلولا قوله لكم لربما طرق بعض الاوهام حين سماع اول الكلام ان الامداد بشرى للكفار

لعله سقط
منها قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات م

ولم

ولما كان الذي وقع الحكم به هنا على الامداد انه بشرى نفسه من غير قيد علم ان العناية به اشد فكان المحكوم
به الطمانينة كذلك فكان اصل الكلام هو وطمانينة هو فلذلك وجب تقديم ضميره في قوله به على القلوب تاكيدا
لامره وتفخيما لشانه واشارة الى اتمامه على عادة العرب في تقديم ما هم به اعني وهو عندهم اهم فقال ولتطمئن
اي وطمانينة لتطمئن به اي وحده من غير نظر الى شي من قوتكم ولا غيرها قلوبكم فالاية من الاحتباك واما في قصة
احد فلما قيدت البشرى بالامداد بلكم لما تقدم علم ان الطمانينة كذلك فكان الانسب تاخير ضميره وتقديم القلوب
الملابسة لضميرهم موازنة لقوله لكم ولما كان ذلك مفهما ان النصر ليس الا بيده وان شيا من الامداد او غيره لا يوجب
النصر بذاته صرح به في قوله وما النصر اي حاصلا وموجودا بالملايكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله
اي لان له وحده صفات الكمال فما عنده ليس منحصرا في الامداد بالملايكة فالنصر وان كان بها فليس من عندها
فلا تعتمدوا على وجودها ولا تهنوا بفقدها اعتمادا عليه سبحانه خاصة فان ما عنده من الاسباب لا يحاط به علما
هذا اذا اراد النصر بالاسباب وان اراد بغير ذلك فعل فكان التعبير بعند الافهام ذلك ولما كانت هذه الغزوة
في اول الامر وكانوا بعد بروز الوعد الصادق لهم باحدى الطايفتين كارهين للقاء ذات الشوكة جدا ثم وقع لهم
ما وقع من النصر كان المقام مقتضيا لاثبات عزة الله وحكمته على سبيل التاكيد اعلاما بان صفات الكمال ثابتة
له دايما فهو ينصر من صبر واتقى بعزته ويحكم امره على اتم وجه بحكمته هذا فعله دايما كما فعل في هذه الغزوة
فلذلك قال معللا لما قبله موكدا ان الله اي الملك الاعظم عزيز اي هو في غاية الامتناع والقهر لمن يريد قهره ازلا
وابدا لا يغالب ولا يحوج وليه الى زيادة العدد ولا نفاسة العدد حكيم اي اذا قضى امرا كان في غاية الاتقان
والاحكام فلا يستطيع احد نقض شي منه هذا له دايما فهو يفعل في نصركم هكذا مهما استانستم الى بشراه ولم تنظروا
الى قوتكم ولا غيرها مما سواه فلا تقلقوا اذا امركم بالهجوم على الباس ولو كان فيه لقاء جميع الناس ولما اكد هنا لم يحتج
الى اعادة تاكيده في آل عمران فقيل العزيز الحكيم اي الذي اخبركم عن عزته وحكمته في غزوة بدر بما يليق بذلك المقام
من التاكيد واخبركم انكم ان فاديتم الاسرى قتل منكم في العام المقبل مثل عددهم فوقوع الامر على ما قال مغن عن التاكيد
ولم يكن احد من المسلمين في احد مترددا في اللقاء ولا هايبا له الا ما وقع من الهم بالفشل من الطايفتين والعصمة منه
في الحال وقد مضى في آل عمران لهذا مزيد بيان ولما ذكر البشرى والطمانينة بالامداد ناسب ان يذكر لهم انه اتبع
القول الفعل فالقى في قلوبهم بعزته وحكمته الطمانينة والامن والسكينة بدليل النعاس الذي غشيهم في موضع هو
ابعد الاشياء عنه وهو موطن الجلاد ومصاولة الانداد والتيقظ لمخاتلة اهل العناد وكذا المطر واثره فقال
مبدلا ايضا من اذ يعدكم او معلقا بالنصر او بما في الظرف من رايحة الفعل مصورا لعزته وحكمته اذ يغشاكم
بفتح حرف المضارعة في قراة ابن كثير وابي عمرو فالفاعل النعاس وضم الباقون اليا واسكن نافع العين وفتحها
الباقون وشددوا السين المسكون فالفاعل في القراة الاولى مفعول هنا والفاعل ضمير يعود على الله تعالى ولما
ذكر هذه التغشية العربية الخارقة للعوايد ذكر ما فعلت لاجله فقال امنة ولما كان ذلك خارقا للعادة جا الوصف
بقوله منه اي بحكمته لانه لا ينام في مثل تلك الحال الا الامن ويمنع عنكم العدو وانتم نايمون بعزته ولم يختلف
فاعل الفعل المعلل في القراآت الثلاث لان كون النعاس فاعلا مجاز ويصح عندي نصبها على الحال ولما كان النعاس
اية الموت ذكر بعده اية الحيوة فقال وينزل عليكم وحقق كونه مطرا بقوله من السماء ماء ووقع في البيضاوي
واصله وكذا تفسير ابي حيان ان المشركين سبقوا الى الماء وغلبوا عليه وليس كذلك بل الذي سبق الى بدر وغلب
على مايها المومنون كما ثبت في صحيح مسلم وغيره فيكون شرح القصة انهم مطروا في المنزل الذي ساروا منه الى
بدر فحصل للمسلمين منه ما ملاوا منه اسقيتهم فتطهروا من حدث او جنابة وليد لهم الرمل وسهل عليهم المسير
واصاب المشركين ما زلق ارضهم حتى منعهم المسير فكان ذلك سببا لسبق المسلمين لهم الى المنزل وتمكينهم من بناء الحياض
وتغوير ما وراء الماء الذي نزلوا عليه من القلب كما هو مشهور في السير ويكون زجر الشيطان وسوسته لهم بالقلة
والضعف والتخويف بكثرة العدو والربط على القلوب طمانينتهم وطيب نفوسهم بما اراهم من الكرامة كما يوضح
ذلك جميعه قول ابن هشام وينزل عليكم من السماء ماء المطر الذي اصابهم تلك الليلة فحبس المشركين ان يسبقوا
الى الماء وخلى سبيل المومنين اليه ليطهركم به اي من كل درن وابتدا من فوايد الماء بالتطهير لانه المقرب من صفات
الملايكة المقربين من حضرات القدس وعطف عليه بقوله ويذهب عنكم اي لا عن غيركم رجز الشيطان بغير لام ما
هو لازم له وهو البعد الذي كان مع الحدث الذي منه الجنابة المقربة من الخبايث الشيطانية بضيق الصدر
والشك والخوف لابعادها من الحضرات الملايكة لا تدخل الملايكة بيتا فيه جنب والرجز يطلق على القذر وعبادة
الاوثان والعذاب والشرك فقد كان الشيطان وسوس لهم ولا شك ان وسوسته من اعظم القذر فانها تجر من
تمادى معها الى كل ما ذكر ثم عطف عليه ما تهيا له القلب من الحكم الالهية وهو افراغ السكينة فقال وليربط
اي بالصبر واليقين ولما كان ذلك ربطا محكما عاليا غالبا عبر فيه باداة الاستعلاء فقال على قلوبكم اي بعد
اسكانها الوثوق بلطفه عند كل ملمة حتى امتلات من كل خير وثبت فيها بالربط فشبهها بجراب ملي شيا ثم ربط راسه

حتى لا يخرج من ذلك الذي فيه شي واعاد اللام اشارة الى انه المقصد الاعظم وما قبله وسيلة اليه وعطف عليه
بغير لام لازمه من التثبيت فقال ويثبت به اي بالربط او بالمطر الاقدام اي لعدم الخوف لان الخايف لا تثبت قدمه
في المكان الذي يقف به بل تصير رجله تنتقل من غير اختياره او بتلبيد الرمل ولما ذكر حكمة الامداد وما تبعه من
الاثار المثبتة للقلوب والاقدام ذكر ما امر به المدد من التثبيت بالقول والفعل فقال اذ بدلا بالثاني من اذ يعدكم
او ظرفا ليثبت يوحي ربك اي المحسن اليك بجميع ذلك الى الملئكة وبين ان النصر منه لا من المدد بقوله اني معكم
اي ومن كنت معه كان ظافرا بجميع ما موله فثبتوا اي بسبب ذلك الذين امنوا اي بانواع التثبيت من تكثير سوادهم
وتقوية قلوبهم وقتال اعدايهم وتقليلهم في اعينهم وتحقير شانهم ثم بين المعية بقوله سالقي اي بوعد لا خلف فيه
في قلوب الذين كفروا اي اوجدوا الكفر الرعب فلا يكون لهم ثبات فاضربوا اي ايها المومنون من الملئكة والبشر
غيرها يثبتن بسبب ذلك ولما كان ضرب العنق والراس اوحى مهلك للانسان وكان العنق يستر في الحرب غالبا عبر
بقوله فوق الاعناق اي الروس او اعالي الاعناق منهم لانها مفاصل ومذابح ولما كان افساد الاصابع انكى ما يكون
بعد ذلك قال واضربوا منهم كل بنان اي فانه لا مانع من ذلك لكوني معكم ثم علل تسليطهم عليهم بقوله ذلك اي
التسليط العظيم واخبر عنه بقوله بانهم اي الذين تلبسوا الان بالكفر ولو كانوا ممن يقضي بايمانه بعد شاقوا الله
اي الملك الاعلى الذي لا يطاق انتقامه ورسوله اي طلبوا ان يكونوا بمخالفة الاوامر والنواهي في شق غير الشق الذي فيه
حزب الهدى في مكر منهم وخداع وشاققوه باشهار السيف جهرا ثم بين ما لفاعل ذلك فقال عاطفا على ما تقديره فمن شاق
الله ورسوله فافعلوا به ذلك فاني فاعل به ما فعلت بهولاء واظهر الادغام في المضارع لان القصة للعرب وامرهم في
عداوتهم كان بعد الهجرة شديدا ومجاهرة وادغم في الماضي لان ما مضى قبلها كان ما بين مساتره بالمماكره ومجاهره بالمقاهره
وعبر بالمضارع ندبا الى التوبة بتقييد الوعيد بالاستمرار وادغم في الحشر في الموضعين لان القصة لليهود وامرهم كان
ضعيفا ومساتره في مماكره ومن يشاقق الله اي الذي له الامر كله فلا امر لاحد معه ويشاقه سرا او جهرا ورسوله بان
يكون في شق غير الشق الذي يرضيانه فان الله اي الذي له جميع صفات الكمال شديد العقاب اي له هذه الصفة
فليتوقع مشاققة عذابه فالاية من الاحتباك ذكر الفعل المدغم اولا دليلا على حذف المظهر ثانيا والمظهر ثانيا على حذف
المدغم اولا ولما ختم الاية ببيان السبب الموجب لاهانة الذين كفروا وبما له من الوصف العظيم اتبعه ما يقول لهم لسان
الحال عند ذلك بقوله التفاتا اليهم لمزيد التبكيت والتوبيخ ذلكم اي هو سبحانه بما له من هذا الوصف الهايل يذيق
عدوه من عذابه ما لا طاقة لهم به ولا يدان فيصير لسان الحال مخاطبا لهم نيابة عن المقال الامر الذي حذرتكم منه الرسل
واتتكم به الكتب وكنتم تستهزيون به ايها الكفرة هو هذا الامر الشديد وقعه البعيد على من يبرك عليه دفعة قد دهمكم
فما لكم لا تدافعونه كلا والله شغل كلا ما قابله ولم يقدر ان يزاوله ولما كان ما وقع لهم في وقعة بدر من القتل والاسر
والقهر يسير جدا بالنسبة الى ما لهم في الاخرة سماه ذوقا لانه يكون بالقليل ليعرف به حال الكثير فقال فذوقوه اي
باشروه قهرا مباشرة الذايق واعلموا انه بالنسبة الى ما تستقبلونه كالمذوق بالنسبة الى المذوق لاجله وان اي
والامر الذي اتتكم به الرسل والكتب ان لكم مع هذا الذي ذقتموه في الدنيا هكذا كان الاصل ولكنه اظهر تعميما وتعليقا
بالوصف فقال للكافرين اي على كفرهم وان لم يظهروا المشاققة عذاب النار وهو مواقعكم وهو اكبر وسترون ولما
قرر اهانتهم في الدنيا والاخرة بما جسر عليهم القلوب حسن ان يتبع ذلك نهي من ادعى الايمان عن الفرار منهم وتهديد من
نكص عنهم بعد هذا البيان وهو يدعي الايمان فقال يا ايها الذين امنوا اي بما اتاهم من عند ربهم اذا لقيتم الذين كفروا
اي بايات ربهم فشاققوه وعبر عن حال لقايهم بالمصدر مبالغة في تشبيهه به فقال زحفا اي حال كونهم زاحفين
محاربين وهم من الكثرة بحيث لا يدرك من حركتهم وان كانت شريعة الا مثل الزحف فلا تولوهم الادبار اي هربا منهم
وان كنتم اقل منهم ومن يولهم ولما كان الاغلب في وقوع القتال النهار وكانت التولية مما لا يكون الظرف معيارا له لانها
مما لا يمتد زمنه فالعصيان يقع بمجرد الالتفات بقصد الفرار والتمادي تكرير امثال لا شرط في صحة اطلاق الاسم
عبر باليوم وجرده عن في ندبا الى الكر بعد الفر مع عدم الالباس فان الظرف لا يكون معيارا للفعل الا اذا كان ممتد
الزمان كالعوم فقال يومئذ اي اذ لقيتهم على هذه الحالة في اي وقت كان من اوقات القتال من ليل كان او نهار دبره
اي يجعل ظهره اليهم لشي من الاشيا تولية لا يريد الاقبال الى القتال منها الا حال كونه متحرفا او الا لحال التحرف وهو
الزوال عن جهة الاستوا لقتال اي لا يتسهل له الا بذلك او يخيل الى عدوه انه منهزم جدا بما له ثم يكر عليه او
متحيزا اي منتقلا من حيز الى حيز ومنتحيا الى فية اي جماعة اخرى من اهل حزبه هم اهل لا يد يرجع اليهم يستعين
بهم او يعينهم ولما كان هذا محل توقع السامع للجواب وتفريغ ذهنه له اجاب رابطا بالفا اعلاما بان الفعل
المحذر عنه سبب لهذا الجزا فقال فقد باء اي رجع بغضب من الله اي الحايز لجميع صفات الكمال وماواه جهنم
اي تتجهمه كما انه هاب لجهم الكفار ولقا الوجوه العابسة بوجه كالح عابس وبيس المصير هذا اذا لم يزد
الكفار عن الضعف كما سياتي النص به ولما تقدم اليهم في ذلك علله بتقرير عزته وحكمته وان النصر ليس الا من
عنده فمن صح ايمانه لم يتوقف عن امتثال اوامره فقال مسببا عن تحريمه الفرار وان كان العدو كثيرا تذكيرا بما

صنع لهم

صنع لهم في بدر ليجريهم على مثل ذلك ومنعا لهم من الاعجاب بما كان على ايديهم في ذلك اليوم من الخوارق فلم تقتلوهم اي حل على
المدبر الغضب لانه قد تبين لكل مومن انه تعالى لا يامر احدا الا بما هو قادر سبحانه على تطويقه له فانه قد وضح مما يجري على
قوانين العوايد انكم لم تقتلوا قتلى بدر وان تعاطيتم اسباب قتلهم لانكم لم تدخلوا قلوب ذلك الجيش العظيم الرعب الذي
كان سبب هزيمتهم التي كانت سبب قتل من قتلهم لضعفكم عن مقاومتهم في العادة وفيه مع ذلك زجر لهم عن ان يقول احد
منهم على وجه الافتخار قتلت كذا كذا رجلا وفعلت كذا ولكن الله اي الذي له الامر كله فلا يخرج شي عن مراده قتلهم اي بان هزمهم
لكم لما راوا الملايكة وامتلات اعينهم من التراب الذي رماهم به صلى الله عليه وسلم وقلوبهم جزعا حتى تمكنتم من قتلهم خرق عادة
كان وعدكم بها فصدق مقاله وتمت افعاله ولما رد ما باشروه اليه سبحانه اتبعه ما باشره نبيه صلى الله عليه وسلم
دلالة على ذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما راى قريشا مقبلة قال اللهم هذه قريش التي اقبلت بخيلايها وفخرها تحادك
وتكذب رسولك فقال جبريل عليه السلام خذ قبضة من تراب فارمهم بها ففعل فامتلات اعينهم فانهزموا فقال وما رميت
اي يا سيد المرسلين الرمل في اعين الكفار اذ رميت اي اوقعت صورة قذفه من كفك لان هذا الاثر الذي وجد عن رميك
خارق للعادة فمن الواضح انه ليس فعلك وهذا هو الجواب عن كونه لم يقل فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم لان زهوق النفس عن
الجراح المثخن هو العادة فهم الذين قتلوهم حين باشروا ضربهم فلا يصح فلم تقتلوهم حين قتلتموهم والمنفي انما هو السبب المتقدم
على القتل الممكن من القتل وهو تسكين قلوبهم الناشي عنه اقدامهم وارعاب الكفار الناشي عنه ضعفهم وانهزامهم الممكن منهم
فالمنفي عنهم البداية والمنفي عنه صلى الله عليه وسلم الغاية او ان الملايكة عليهم السلام لما باشرت قتل بعضهم صح ان ينفي عنهم
قتل المجموع مطلقا او انهم لما افتخر بعضهم بقتل من قتل نفاه سبحانه عنهم مطلقا لان مباشرتهم لقتل من قتل في جنب ما اعد لهم
من الاسباب وايدهم به من الجنود عدم واما النبي صلى الله عليه وسلم فانه فعل ما امر به من رمي الرمي ولم يعد فعله
ولا ذكره فاثبته سبحانه له مع نفي تاثيره عنه واثباته لمن اليه ترجع الامور تاديبا منه سبحانه لهذه الامة اي لا ينظر احد
الى شي من طاعته فانا قد نفينا هذا الفعل العظيم عن اكمل الخلق مع انه عالم مقر بانه منا فليحذر الذي يرى له فعلا من عظيم
سطواتنا ولكن لينتسب جميع افعاله الحسنة الى الله تعالى كما نسب الرمي اليه بقوله ولكن الله الذي لا راد لامره رمى لانه الذي
اوصل اثره بما كان هازما للكفار فعل ذلك كله ليبلي الكفار منه بايدي من اراد من عباده بلا عاقبته سيئة وليبلي
المومنين اي الراسخين في الايمان منه اي وحده بلا حسنا من النصر والغنيمة والاجر وماده بلا يائيه كانت او واويه
باي ترتيب كان يدور على الخلطة وتارة تكون مطلقة نحو ابلاه عذرا وتارة بكثرة ومحاولة وعناء وهو اغلب احوال
المادة وتارة تكون للامتحان واخرى لغيره وما اباليه باله اظنه من البال الذي هو الخاطر فهو من بول لا بلو اجوف
لا من ذوات الاربعة ومعناه ما افاعله بالبال اي ما اكترث به فما اصرف خاطري الى مخالطة احواله حيث يصرف هو
خاطره الي اي ما افكر في امره لهوانه علي وسياتي بسط معاني المادة ان شا الله تعالى في سورة يوسف عليه السلام
عند قوله تعالى ما بال النسوة وهذه المادة معناها ضد الدعة لان هذه يلزمها شغل الخاطر الذي عنه ينشا التعب
بمدافعة الملابس والدعة يلزمها هدو السر وفراغ البال الذي هو منشا الراحة فمعنى الاية انه تعالى فعل ذلك من الامكان
من اذلال الكفار ليخالطهم من شوونه ما يكون لهم في مدافعته عاقبة سيئة وليخالط المومنين من ذلك ما يكون لهم في
مزاولته عاقبة حسنة بل احسن من الراحة لانه يفضي بهم الى راحة دايمة والدعة تفضي الى تعب طويل والله الموفق
ولما ثبت بما مضى ان له تعالى الافعال العظيمة والبطشات الجسيمة ودلت احوال من قال من المومنين انا لم نتاهب للقاء
ذات الشوكة على ضعف العزايم ختم الاية بقوله ان الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال سميع اي لاقوالكم من استغاثة
في المعونة على النصرة وغيرها عليم اي بعزايمكم وان لم تتكلموا بها فهو يجازي المومن على حسب ايمانه والكافر على ما يبدي
ويخفي من كفرانه الامر ذلكم العظيم الشان البعيد المتناول الذي امركم فيه باوامره ونهاكم به عن مناهيه وابلاكم فيه
البلاء الحسن واراكم باعينكم توهينه لهذه الطايفة التي قصدتكم وانتم عندها اكلة جزور وعصفور بين يدي صقور
وبين لكم من علل ذلك وعجايب مقدوره ما لم يبق معه عذر لمومن فالزموا طاعته وتسابقوا في طاعة رسوله ولا
تنظروا في عاقبة شي مما يامر به فانه ما ينطق عن الهوى بل انما يامر عنا ونحن لم نامر بشي الا بعد تدبيره على احكم الوجوه
واتقنها وان اي والامر ايضا ان الله اي الحاوي لجميع صفات العز والعظمة والكبر موهن اي مضعف اضعافا شديدا
ثابتا دايما ابدا كيد الكافرين اي الراسخين في الكفر جميعهم فلا تهنوا في ابتغاء القوم وان نالكم قرح فانا نجعله لكم تطهيرا
وللكافرين تدميرا والعاقبة للتقوى فيطلعكم على عوراتهم ونلقي الرعب في قلوبهم ونفرق كلمتهم وننقض ما ابرموه
ولما تضمن ذلك ايقاع الاهانة بالكفار بهذه الوقعة والوعد بالزامهم الاهانة فيما ياتي كان ذلك مفصلا للالتفات
الى تهديدهم في قالب استجلابهم والاستهزا بهم وتفخيم امر المومنين فقال ان تستفتحوا اي تسالوا الفتح ايها الكفار
بعد هذا اليوم كما استفتحتم في هذه الوقعة عند اخذكم استار الكعبة وقت خروجكم بقولكم اللهم انصر اهدى الحزبين
واكرم الجندين واعلى الفئتين وافضل الدينين ووقت تراي الجمعين بقول ابي جهل اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما
لا يعلم فاحنه الغداة اتاكم الفتح كما اتاكم في هذا اليوم فقد جاكم اي في هذا اليوم بنصر المومنين الفتح اي الذي استفتحتم
له لانهم اهدى الفئتين واكرم الطايفتين وان تنتهوا اي بعد هذا عن مثل هذه الاقوال والافعال المتضمنة للشك او العناد

مادة بلو

فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني فلم آته حتى صليت ثم اتيته فقال ما منعك ان تاتي فقلت كنت اصلي فقال الم
يقل الله يا ايها الذين امنوا استجيبوا الاية ثم قال لاعلمنك اعظم سورة في القران قبل ان اخرج من المسجد فذهب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليخرج فذكرت له فقال هي الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وللترمذي عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابي وهو يصلي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي فخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يرسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك فقال يرسول الله اني كنت في الصلوة
قال فلم تجد فيما اوحى الله الي ان استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله قال تحب ان اعلمك سورة
لم ينزل في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قال نعم يرسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف تقرا في الصلوة قال فقرا ام القران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انزلت في التورية ولا
في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وانها سبع من المثاني والقران العظيم الذي اعطيته هذا حديث حسن صحيح
ولما كان الانسان اذا كان على حاله يستبعد جدا ان يصير على غيرها قال تعالى مرغبا مرهبا واعلموا ان الله اي الذي له
جميع العظمة يحول اي بشمول علمه وكمال قدرته بين المرء وقلبه فيرده الى ما علم منه فيصير فيما كشفه الحال كافرا معاندا
بعد ان كان في ظاهر الحال مومنا مستسلما فيكون ممن علم الله انه لا خير فيه وفسره على الاجابة فلم يستمر عليها ويرد الكافر
بعد عناده الى الايمان بغاية ما يرى من سهولة قياده فكنى سبحانه بشدة القرب اللازم للحيلولة عن شدة الاقتدار
على تبديل العزايم والمرادات وهو تحريض على المبادرة الى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ما دامت القلوب مقبلة على
ذلك خوفا من تغييرها ولما خوفهم عاقبة الحال حذرهم شان المآل فقال وانه اي واعلموا انه تعالى اليه تحشرون
لا الى غيره فيحشر المستجيبين في زمرة المومنين والمعرضين في عداد الكافرين وان ابوا حكما واحدا لان الدين لا يتجزا وقد علم
ان اذا ليست قيدا وانما هي تنبيه على وجوب اتباعه في كل ما يدعو اليه لعصمته وحكمه الاتيان بها الاعلام بانه ما ترك خيرا
الا دعا اليه قال الحرالي في اواخر كتاب له في اصول الفقه ولها اي العصمة معنيان احدهما عصمة الحفظ وهو معنى ينشا
من التزام الحكم عليه بماضي شرعته وهي العصمة العامة للانبياء وفي هذه الرتبة يقع الكلام في الحفظ من الصغاير بعد الاتفاق
على الحفظ عما يخل بالتبليغ وحط الرتبة من الكباير وحقيقة الصغاير مقدمات الذنوب التي لم تتم فيكون تمامها كبيرتها
وعلى ذلك بني قوم احتمال وقوع الفعل محظورا من نبي وكل ذلك وان كان من احوال انبيا فان المتحقق من امر النبي صلى الله
عليه وسلم انما هو علو عن هذا المحل المعنى الثاني من العصمة رفع الحكم عن النبي بما حفظه الحافظ من ماضي ظاهر شرعته وبما
بلغ اليه فهمه من مبادي التنشو من سننه واتخاذ فعله مبدا للاحكام في كل آن من غير التفات لما تقرر في ماضي الزمان
وهذه هي العصمة الخاصة بالنبي الجامع فلا يكون لفعله حكم الا ما يفهمه انباؤه عن حال وقوعه وتكون الاحكام تبعا لفعله
لا ان فعله يتبع حكما فهذا وجه عصمته الخاصة الممتنع عليها جواز الخروج عنها فمن كان يسبق اليه من اكابر الصحابة نحو من
هذا المعنى لا يتوقف في شي من امره كالصديق رضي الله عنه وكما كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في اقتدائه حتى في ادارة
راحلته وصبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية ونحو ذلك من امره وامر من حذا منهم هذا الحذو ومن كان يتوهم
الحكم عليه بمقتضى علمه وفهمه من امر شرعته لا يكاد يسلم من وقوع في امر يرد عليه انتحاله كما حكم ابي رضي الله عنه لما كان يصلي
بامضا عمل الصلوة اذ دعاه حتى بين له قصور فهمه عن الله في حقه اي بقوله الم تسمع الله يقول استجيبوا لله وللرسول
وكالذي قال له انزل فاجدح لنا فقال ان عليك نهارا فقال له في الثالثة او الرابعة انزل فاجدح لنا ويلك او ويحك ۝
فماذا وضح ان فعله مبدا الحكم ومعلم الانباء لزم صحة التاسي به في جميع احواله اما على بيان من تعين رتبة الحكم من وجوب
او ندب او اباحة او على مطلق التاسي مع ابهام رتبة الحكم والاتكال على ما عنده هو صلى الله عليه وسلم من العلم فنيه التاسي
به على ابهام في الحكم ربما كان اتم من العمل بما تبين حكمه احرم علي رضي الله عنه وهو باليمن موجه الى مكة باحرام رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا يتطرق لشي من امره صلى الله عليه وسلم بما وقع من كونه يفتي بامر ثم يوافق في غيره لان الاخذ
في ذلك عن قصور في العلم بمكانته من علم رحمانية الله وكلمته وتنزيله الى موافقة امر سنة الله وحكمته نحو الذي
افتاه بتكفير الجهاد كل ذنب بناء على علمه برحمانية الله وامضاء كلمته ثم ذكر له ما قال جبريل عليه السلام من استثناء الدين
مما انزل على حكم امر الله في محكم شرعته وسنته يعني والله اعلم ان من صح جهاده تكفر كل ذنوبه وان توقف الدين على ارضاء
الله لخصمه فالاخبار بالكفارة ناظر الى المآل والاخبار بنفيها ناظر الى الابتداء وكذلك افتى بترك التلقيح بناء على انفاذ
كلمة الله وردهم الى عادة دنياهم حين لم يتحشموا الصبر الى ظهور كلمة الله على مستمر عادته فقد عمل باولى فتياه غير واحد
ممن لم يسترب في نفاذ حكمه وصحته فاخفق ثمرات ثلاث سنين ثم عاد في غنى عن التلقيح الى احسن من حاله في متقدم
عادته ولا يتقاصر عن ادراك ذلك من امره في كل نازلة من نحوه الا من لم يسم به التاييد الى معرفة حظ من مكانته
فاذا وضح ذلك فكل فعل فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان بيانا لواجب فهو منج من عقاب الله وان كان تعليما
لقربى من الله فهو وصلة الى محبة الله كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وان لم يتضح له محمل منهما
تاسى بها على ابهام يعينه عمله وتعلو به نيته وما كان مختصا به فلا بد من اظهار امر اختصاصه بخطاب من الله سبحانه

حشه اي ان يرفع تابعه عنه الحكم بما حفظه من كذا فلا يتوقف
في شي من افعاله بسبب ما يظهر له من انه مخالف لما مضى مما
شرعه فقد تبين لابي وابي سعيد بن المعلى رضي الله عنهما
انهما اخطاءا في عدم البدار الى اجابته صلى الله عليه وسلم ۝

فهو خير لكم وقد رأيتم دلايل ذلك وان تعودوا اي الى المغالبة لانكم لم تنتهوا نعد اي الى خذلانكم ولن تغني عنكم اي ابدا فئتكم اي
جماعتكم التي ترجعون اليها للاعتزاز بها شيئا اي من الاغناء ولو كثرت لان الله على الكافرين وان الله اي الملك الاعظم مع المؤمنين
اي الراسخين في الايمان ولعله عبر بالمستقبل في الشرط والماضي في الجزاء اشارة الى انكم استفتحتم في بدر وجاءكم من الفتح ما
رأيتم فان كان اعجبكم فالزموه في المستقبل فاني لا اجيبكم ابدا ما دمتم على حالكم الا بما اجبتكم به يومئذ والفتح يحتمل ان يكون بمعنى
النصر فيكون تهكما بهم وان يكون بمعنى القضاء ولما كان سبب ما احله بالكفار من الاعراض عن اجابتهم فيما قصدوا من دعائهم
ومن خذلانهم في هذه الوقعة وايجاب مثل ذلك لهم ابدا هو عصيانهم الرسول وتوليهم عن قبول ما يسمعونه منه من الروح
حذر المؤمنين من مثل حالهم بالتمادي في التنازع في الغنيمة او غيرها فقال يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك اطيعوا الله اي
الذي له جميع العز والعظمة ورسوله تصديقا لدعواكم الايمان ولما كانت طاعة الرسول هي طاعة الله لانه انما يدعوا اليه
وانما خلقه القران وحد الضمير فقال ولا تولوا عنه اي عن الرسول في حال من الاحوال في امر من الاوامر من الجهاد وغيره
من الغنايم وغيرها خف او ثقل سهل او صعب وانتم اي والحال انكم تسمعون اي لكم سمع لما يقوله او وانتم تصدقونه لان
ارتكاب شيء من ذلك يكذب دعوى الايمان وينطبق على احوال الكفار والى ذلك اشار بقوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
اي باذاننا وهم لا يسمعون اي لا يستجيبون فكانهم لم يسمعوا لما انتفت الثمرة عد المثمر عدما ولما كانت حال من هذا شانه
مشابهة بحال الاصم في عدم السماع لعدم الانتفاع به والابكم في عدم كلامه لعدم تكلمه بما ينفع والعادم للعقل في عدم عقله
لعدم انتفاعه به قال معللا لهذا النهي معبرا بانسب الاشياء لما وصفهم به ان شر الدواب اي التي تدب على وجه الارض جعلهم
من جنس الحشرات او البهايم ثم جعلهم شرها ولما كان لهم من يفضلهم وكانت العبرة بما عنده لله سبحانه قال عند الله اي الذي
له جميع الكمال من احاطة العلم والقدرة وغيرهما الصم البكم اي الطرش الخرس طرشا وخرسا بالغين الذين لا يعقلون اي لا
يتجدد لهم عقل ومن لم ينتفع بسماع الداعي كان كذلك ولما كان ذلك ربما دعا السامع الى ان يقول ما للقادر لم يقبل من هذا
شانه الى الخير اجاب بانه جبلهم من اول الامر وله ان يفعل في ملكه وملكه ما يريد جبلة عريقة في الفساد وجعل جواهرهم
شريرة كجوهر العقرب التي لا تقبل التاديب بوجه ولا تمر بشيء الا لسبته فعلم سبحانه انه لا خير فيهم فتركهم على ما علم منهم
ولو علم الله اي الذي له الكمال كله فيهم خيرا اي قبولا للخير لاسمعهم اي اسماعا هو الاسماع وهو ما تعقبه الاجابة المستمرة ولما
كان علم الله تعالى محيطا وجب ان يعلم كل ما كان حاصلا فكان عدم علمه بوجود الشيء من لوازم عدمه فلا جرم كان التقدير هنا
لكنه لم يعلم فيهم خيرا بل علم ان لا خير فيهم فلم يسمعهم هذا الاسماع ولو اسمعهم وهم على هذه الحالة من عدم القابلية للخير اسماعا
قشرهم فيه على الاجابة لتولوا اي بعد اجابتهم وهم معرضون اي ثابت اعراضهم مرتدين على اعقابهم ولم يستمروا على اجابتهم
لما جبلوا عليه من ملائمة الشر ومباعدة الخير فلم يزيدوا الاسلام واهله بعد اقبالهم الا وهنا كما كان لاهل الردة الذين قتلوا
مرتدين بعد ان كانوا دخلوا في الاسلام خوفا من السيف او رغبة في المال وهو من وادي ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فان
علم الله اربعة اقسام جملة الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما كيف يكون حاله وان
كل واحد من المعدومات لو كان موجودا كيف يكون حاله والقسمان الاولان علم بالواقع الاخيران علم بالمقدر والاية من القسم
الاخير ولعمري انا دفعنا الى زمان اغلب من فيه على قريب من هذا الامر اجراء الناس على الباطل واثبتهم في المصاولة فيه
واوسعهم حيلا في التوصل اليه واجبنهم عند الدعوة الى الحق واسرعهم نكوصا عند الاقدام بعد جهد عليه والكنهم عند
الجدال له فصار ما كان مقدرا مفروضا حاصلا وموجودا وكلمة لو هنا يحتمل ان تكون هي التي يعلق بها امر على آخر هو
بضده اولى فيكون المراد ان المعلق وهو الثاني موجود دائما مثل قول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب رضي الله عنه
لو لم يخف الله لم يعصه فالمراد هنا على هذا انهم اذا كانوا يقولون مع الاسماع والاجابة فتوليهم مع عدمهما اولى نبه على ذلك
الرضي ويحتمل ان تكون على بابها من ان الجزئين بعدها منفيان وانتفاء التوالي انما يكون خيرا اذا نشا عن الاسماع المترتب
على علم الخير فيهم واما عدمه لعدم اسماعهم الاسماع الموصوف لانه لا خير فيهم فليس من الخير في شيء بل هو شر محض والتوالي المنتفي
عنهم ليس هو الموجود منهم بل هو الناشئ عن الاسماع الموصوف فلا يناقض ادعاؤه تحقق عنادهم وعدم انقيادهم وتحقيقه
ان المنفي انما هو زيادة التولي الناشئة عن الاسماع فالمعنى ولو اسمعهم لزادوا اعراضا فالمنفي في هذا السياق تلك الزيادة
والله الموفق ولما كان ما مضى من نكال الكافرين مسببا عن عدم الاستجابة امر المؤمنين بها تحذيرا من الكون مع الكفرة في مثل
حالهم فيحشروا معهم في مثالهم فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم استجيبوا اي صدقوا دعواكم ذلك
بايجاد الاجابة ايجاد من هو في غاية الرغبة فيها لله اي واجعلوا اجابتكم هذه خاصة الذي له جميع صفات الكمال وللرسول
الذي ارسله الى جميع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم لا محالة لان الله تعالى امره بدعائهم وكان لا يدعوهم
الا الى ما امره الله به وكان سبحانه لا يدعوا الا الى صلاح ورشد عبر باداة التحقق ووجه الضمير وطرق بالمثار الحيوة
فقال اذا دعاكم اي الرسول بالندب والتحريض ولما كان اجتناء ثمرة الطاعة في غاية القرب نبه على ذلك باللام دون
الى فقال لما يحييكم اي ينقلكم من الايمان والعلم عن حال الكفرة من الصمم والبكم وعدم العقل الذي هو الموت المعنوي الى
الحيوة المعنوية ولا يعوقكم عن الاستجابة في امر من الامور ان تقولوا انا استجبنا الى الايمان وكثير من شرايعه فلولا ان
ربنا علم فينا الخير ما اسمعنا فنحن ناجون روى البخاري في التفسير وغيره عن ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال كنت اصلي

او منه عليه السلام كما قال تعالى خالصة لك من دون المؤمنين انتهى ولما كان المجيب ربما قال ليس علي الا الاجابة في خاصة
نفسي وليس علي تعريض نفسي للاذى بالاخذ على يد غيري نبه سبحانه على ان ذلك منابذ للدين واجتثاث له من اصله لان ترك
العاصي على عصيانه كترك الكافر على كفرانه وذلك موجب لعموم البلاء ومرير القضاء فقال تعالى واتقوا فتنة اي بلاء
مميلا مجيلا ان لا تتقوه يعمكم هكذا كان الاصل لكن لما كان نهي الفتنة عن اصابتهم اروع من سوق ذلك مساق الشرط ومن نهيهم
عن التعرض لها لما فيه من تصوير حضورها وفهما للنهي اتى به ولما كان نهيها عن تخصيص الظالم اشد روعة لافهامه امرها
بان تعم قال مسببا للامر لا تصيبن ولحقه نون التوكيد لان فيه معنى النهي الذين ظلموا اي فعلوا بمواقعة المعصية ما لا يفعله
الا من لا نور له منكم ايها المامورون بالتقوى خاصة اي بل تعمكم فهو نهي للفتنة والمراد نهي مباشريها اي لا يفعل احد منكم
الذنب يصيبكم اثره عموما او لا يباشر اسباب العذاب بعضكم والبعض الاخر مقر له يعمكم الله به وذلك مثل لا ارينك ههنا
والمعنى تكن ههنا فاراك فالتقدير واجعلوا بينكم وبين البلاء العام وقاية باصلاح ذات بينكم واجتماع كلمتكم على امر الله
ورد من خالف الى امر الله ولا تختلفوا كما اختلفتم في امر الغنيمة فتفشلوا فيسلط عليكم عذاب عام من اعدائكم او غيرهم
فان كان الطامع منكم اقوى من العاصي او ليس اضعف منه فلم يزده فقد اشترك الكل في الظلم ذاك بفعله وهذا برضاه
فيكون العذاب عذاب انتقام للجميع روى اصحاب السنن الاربعة وحسنه الترمذي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه قال في خطبة خطبها ايها الناس انكم تقراون هذه الاية وتاولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر
عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وللترمذي وحسنه عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه
فلا يستجيب لكم وللامام احمد عنه رضي الله عنه انه قال لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحاضن على الخير او
ليسحتنكم الله جميعا بعذاب او ليؤمرن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم وهو في حكم المرفوع لانه لا يقال
من قبل الراي فان كان الطايع اضعف من العاصي نزل على ما روى ابو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه عن ابي ثعلبة
الخشني رضي الله عنه انه قيل له كيف تقول في هذه الاية عليكم انفسكم فقال اما والله لقد سالت عنها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بل ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي
راي برايه فعليك بنفسك ودع عنك امر العوام فان من ورايكم ايام الصبر صبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر
خمسين رجلا يعملون مثل عمله قال يرسول الله اجر خمسين رجلا منهم قال اجر خمسين منكم والاحاديث في مثله كثيرة وحينئذ يكون
العذاب للعاصي نقمة وللطايع رحمة ويبعثون على نياتهم ولما حذرهم سبحانه عموم البلاء اتبعه الاعلام بانه قادر مرهوب
ليلزموا سبيل الاستقامة فقال واعلموا ان الله اي الذي له الاحاطة بصفات العظمة شديد العقاب ولما كان من اشد
العقاب الاذلال حذرهموا بالتذكير بما كانوا فيه من الذل لانه ابعث على الشكر وازجر عن الكفر فقال واذكروا وذكر المفعول
به فقال اذ انتم اي في اوايل الاسلام قليل اي عددكم ولما كان وجود مطلق الاستضعاف دالا على غاية الضعف بني للمفعول
قوله مستضعفون اي لا منعة عندكم في الارض اطلقها والمراد مكة لانها لعظمها كانها هي الارض كلها ولان حالهم كان في
بقية البلاد كحالهم فيها او قريبا من ذلك ولذلك عبر بالناس في قوله تخافون اي حال اجتماعكم فكيف عند الانفراد ان يتخطفكم
اي على سبيل التدريج الناس اي كما تتخطف الجوارح الصيود فحذرهم سبحانه بالتنبيه على انه قادر على ان يعيدهم الى ما كانوا
عليه من هذه الاحوال بالمخالفة بين كلمتهم وترك التسبب الى اجتماعها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك ايضا اشارة
الى انهم لما كانوا في تلك الحالة التي هي في غاية الضعف وكانت كلمتهم مجتمعة على امر الله الذي هو توحيده وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم اعقبهم الايواء في دار منيعة وايدهم بالنصر واحسن رزقهم وذلك معنى قوله تعالى مسببا عما قبله فاواكم اي في دار
الهجرة رحمة لكم وايدكم بنصره اي باهلها مع الملائكة ورزقكم من الطيبات اي الغنايم الكاملة الطيب بالاحلال وعدم المنازع
التي لم تحل لاحد قبلكم وغيرها لعلكم تشكرون اي لتكون حالكم حال من يرجى شكره فيكون بعيدا من المنازعة في الانفال وذلك
اشارة الى انهم مهما استمروا على تلك الحالة كان باقيا لهم على مثل ما اتاهم به وزادهم من فضله ان جعلهم سادة في الدارين بما يهب
لهم من الفرقان الاتي في الاية بعدها والتوفيق عند ايتائه فالاية منصبة الى الصحابة رضي الله عنهم بالقصد الاول وهي صالحة
للعرب كافة فتنصرف اليهم بالقصد الثاني قال قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واجوعهم بطنا
واعراهم جلدا وابينهم ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم تردى في النار معكوفين على راس الحجرين الشديدين فارس والروم
يوكلون ولا ياكلون وما في بلادهم شي عليه يحسدون حتى جاء الله بالاسلام فمكن لهم من البلاد ووسع لهم في الرزق والغنايم وجعلهم
ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام اعطى الله ما رايتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم يحب شكره والشاكر في مزيد من الله ولما
ختم الاية بما هو في غاية النصيحة منه تعالى لهم من الايواء والنصر والرزق الطيب المشار به الى الامتنان باحلال المغنم وختم
ذلك بالحث على الشكر نهانا عن تضييع الشكر في ذلك بالخيانة في اوامره بغلول او غيره فقال يا ايها الذين امنوا تذكيرا بما الزموا
به انفسهم من الوفاء لا تخونوا الله اي تنقصوا من حقوق الملك الاعظم فان اصل الخون النقص ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء
فصارت نقصا خاصا والرسول بغلول ولا غيره بل ادوا الامانة في جميع ذلك ولعله كرر العامل في قوله وتخونوا اماناتكم

من الفرايض والحدود والنوافل وغيرها اشارة الى ان الخيانتين مختلفتان فخيانتهم لله حقيقة وخيانتهم للامانة استعارة
لان حاملها لما اخل بها كان كانه خانها وخفف عنهم بقوله وانتم تعلمون حال الغفلة ونحوها ويجوز ان يكون المفعول غير مراد فيكون
المعنى وانتم علما والعالم هو العارف بالله والعارف به لا ينبغي ان ينفك عن المراقبة ولما كان سبب الخيانة غالبا محبة المال
او الولد وكان سبب التقاول المسبب عنه انزال هذه السورة كما سلف بيانه اولها الاموال من الانفال وكان من اعظم الخيانة
في الانفال الغلول وكان الحامل على الغلول المحبة بحب جمع المال اما استلذاذا به او لانفاقه على محبوب وكان الولد اعز
محبوب حسن كل الحسن ايلا ذلك قوله واعلموا وهي كلمة ينبه بها السامع على ان ما بعدها مهم جدا انما اموالكم قلت او جلت
هانت او عزت واولادكم كذلك فتنة اي سببها يفعل الله بها فعل المختبر لينكشف للعباد من يغتر بالعاجل الفاني ممن تسموا
نفسه عن ذلك فلا يحملنكم ذلك على مخالفة امر الله فتهلكوا وان الله اي المحيط بكل كمال عنده اجر عظيم عاجلا واجلا لمن وقف عند
حدوده فيحفظ له ماله ويثمره واولاده ويبارك له فيهم مع ما يدخره له في دار السعادة وعنده عذاب اليم لمن ضيعها فاقبلوا
بجميع هممكم اليه تسعدوا وزاد وضعها هنا حسنا سبب نزول التي قبلها من قصة ابي لبابة رضي الله عنه الحامل له عليها ماله
وولده وكانت قصته في قريظة سنة خمس وغزوة بدر في السنة الثانية ولما ذكرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف
وامتن عليهم بما اعزهم به وختم هذه بالتحذير من الاموال والاولاد الموقعة في الردى وبتعظيم ما عنده الحامل على الرجا تلاها بالامر
بالتقوى الناهية عن الهوى وبالاشارة الى الخوف من سطواته اشارة الى انه يجب الجمع بينهما وبين تعالى انه يتسبب عنه الامن
من غيره في الاولى والنجاة من عذابه في الاخرى فقال تعالى يا ايها الذين امنوا تكريرا لهذا الوصف تذكيرا بما يلزم بادعائه
ان تتقوا الله اي الذي له الامر كله باصلاح ذات بينكم وذلك جامع لامر الدين كله يجعل لكم فرقانا اي نصرا لان مادة فرق ترجع الى الفصل
فكان الشي اذا كان متصلا كان كل جزء منه مقهورا على ملازمة صاحبه فاذا جعل له قوة الفرق قدر على الاتصال والانفصال فحقيقته
يجعل لكم عزا تصيرون به بحيث تفترقون ممن اردتم متى اردتم لما لديكم من قوة المدافعة ان يجعل لكم ما يصير لكم به قوة التصرف
فيما تريدون من الفصل والوصل الذي هو وظيفة السادة المرجوع الى قولهم عند التنازع لا كما كنتم في مكة لا تامنون في المقام
ولا تقدرون على الكلام فضلا عن الخصام الا على تهيب شديد ومع ذلك فلا يوثر كلامكم اثرا يسمى به فارقا والفاروق من الناس
الذي يفرق بين الامور ويفصلها وبه سمي عمر رضي الله عنه لانه اظهر الاسلام بمكة اظهارا فيه عز وقوة جعل فيه الايمان مفارقا
للكفر لا يخافه وفرق بالكسر بمعنى خاف يرجع الى ما دارت عليه المادة فان المراد به تفرقت همومه من اتساع الخوف والفرق الذي
هو المكيال الكبير كانه هو الفارق بين الغني والفقير قال الهروي هو اثنى عشر مدا وافرق من علته اذا برا اي صارت له حالة
فرقت بين صحته ومرضه الذي كان به ومنه الفريقة وهي تمر وحلبة يطبخ للنفسا وقرفت الشي بتقديم القاف قشرته والقرف
الخلط كانه من الازالة لانهم قالوا ان فعل يدخل في كل باب ومنه قرف الشي واقترفه اكتسبه والاقتراف بمعنى الجماع ويمكن ان يرجع
الى الوعا لانه يفصل مظروفه عن غيره وفلان قرفني اي موضع ظني منه كانه صار وعا لذلك وفرس مقرف بين القرفة اي هجين
لانه واضح التميز من العربي وقرف بسوء رمي به اي جعل وعا له او فرق همومه والقفر بتقديم القاف المكان الخالي لانفصاله
من الناس واقفر المكان خلا واقفر الرجل من اهله انفرد عنهم واقفر خلا من الادم ورجل قفر الراس لا شعر عليه لانفصاله
عنه وفقر الجسد لا لحم عليه والقفار الطعام لا ادم له واقتفرت الاثر اتبعته لتفصله من غيره والفقرة بتقديم الفا والفقارة
ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجب لتميز كل واحدة عن اختها وفقرت الارض فقرا حفرتها حفرا فصارت
كل واحدة منفصلة من الاخرى والفاقرة الداهية الكاسرة للفقار ومنه الفقر والافتقار للحاجة وافقرني دابته اعارني
ظهرها ورامية من ادنى فقرة من ادنى معلم لان المعالم منفصل بعضها عن بعض والتفقير في رجل الدابة بياض لانفصاله
عن بقية لونها ورفقت بالامر لطفت به ولا يكون ذلك الا بفصله عما يضره ومنه الرفيق للصاحب من الرفقة والمرفق من ذلك
لما يحصل به من اللطف ولما كان الانسان محل النقصان فلا يخلوا من زلة او هفوة اشار الى ذلك بقوله ويكفر عنكم
سياتكم اي يسترها ما دمتم على التقوى ويغفر لكم اي يمحوا ما كان منكم غير صالح عينا واثرا وفيه تنبيه لهم على ان السادات
على خطر عظيم لانهم مامورون بالمساواة بين الناس والنفس مجبولة على ترجيح من لامها على من نافرها واشارة الى ان الحكم بالعدل
في اعلا الدرجات لا يتسنمه الا الفرد النادر وقوله والله اي المحيط بجميع صفات الكمال ذو الفضل العظيم مرج للزيادة على
الكفارة والمغفرة من فضله ومعلم بانه لا يمتنع عليه شي فمن الممكن ان يلزم كلا منهم طريق العدل وان كانت من خرق العادة في اعلى
محل وفي الاية اعظم مناسبة لقصة ابي لبابة رضي الله عنه لانه لما كان الحامل له على ما فعل بنفسه من العقوبة التقوى
فكفرت عنه خطيته وغفر له عقبت بها ترغيبا لغيره في الاسراع بالتوبة عند مواقعة الهفوة وختم هذه الاية بالفضل
على ما كان من نقص اشارة الى تفضله سبحانه بما رزق اهل الاسلام من علو المنزلة وانتشار الهيبة وفخامة الامر في قلوب
المخالفين كما هو مشاهد وختم الاية المحذرة من المداهنة بشديد العقاب اشارة الى ما البسهم من الاحوال المذكورة في التي
تليها من قلة متقيهم واستضعافهم وخوفهم من تخطف المخالفين لهم ولكنه تعالى رحمهم بان جعل ذلك من بعضهم ممن يشمله اسم
الاسلام لبعض لا من غيرهم فلبسهم شيعا واذاق بعضهم باس بعض فكل خايف من الاخر وصار المتقي من كثرة المخالف لا يزال
من المعاطب والمتالف خايفا يترقب ومباعدا لا يقرب على انهم لا يعدمون انصارا يويدهم الله بهم ولا يزال اهل الظلم
يختلفون فيما بينهم فيرجع الفريقان اليهم ويعولون عليهم فمن نصروه فهو المنصور فكلامهم عند المضايق هو الفرقان ولهم في

مادة فرق

قلوب الظالمين هيبة وان نزلت بهم الحال اكثر مما للظلمة في قلوبهم من الهيبة ليتيقن الكل انهم على الحق الذي الله ناصره وان اهل الشر
على الباطل الذي الله خاذله قال الحسن البصري رحمه الله في حق العالين في الارض اما والله ان للمعصية في قلوبهم لذلا وان طقطقت بهم
اللجم فقد انقسم الخوف بينهم نصفين وشتان بين الحزبين فخوفهم يزيدهم الله به اجرا ويجعله لهم ذخرا وخوف اهل الباطل يزيدهم
به وزرا ويجعله لدينه ازرا فهذه حقيقة الحال في وصف اهل الحق والمحال ولما وعد سبحانه بهذا الفضل العظيم والنبأ
الجسيم ذكرهم من احوال داعيهم وقايدهم وهاديهم عليه الصلوة والسلام والتحية والاكرام بما يدعوهم الى ملازمة اسبابه في سياق
المخاطبة له صلى الله عليه وسلم تذكيرا بنعمته واشارة الى دوام نصرته فقال تعالى عاطفا على اذ انتم واذ يمكر بك اي يدبر في
اذاك على وجه الستر الذين كفروا اي اوجدوا هذا الوصف وفيهم من لم يكن راسخ القدم فيه ثم بين غاية مكرهم فقال ليثبتوك
اي ليمنعوك من التصرف بالحبس في بيت يسدون عليك بابه كما هو واضح من قصة مشاورتهم في دار الندوة في امره صلى الله عليه وسلم
في السير ومن قراها بالموحدة ثم التحتانية من البيات الذي معناه اهلاك العدو ليلا فعطف او يقتلوك عنده بمعنى القتل نهارا
جهارا وكانه عد البيات للاستخفاء به عدما بالنسبة الى المجاهرة او يخرجوك اي من مكة ويمكرون اي والحال انهم يمكرون باخفاء
ما يريدون بك من ذلك وغيره من الكيد ويمكر الله اي يفعل المحيط بكل شيء قدرة وعلما في امرهم فعل من يمكر باخفاء ما يقابلهم به والله خير
الماكرين لانه لا يمكن احدا علم ما يريد اخفاءه لانه الملك الاعلى المحيط بالجلال والجمال فالنافذ انما هو مكره والعالي انما هو نصره
فكانه تعالى يقول انظروا الى مصداق ما وعدتكم به في احوال نبيي صلى الله عليه وسلم فانه كان وحده وجميع الناس يخالفونه فثبت
على اداء الرسالة اليهم وابلاغ النصيحة لهم على ما يصله منهم من الاذى ولا يزيده اذاهم له الا اجتهادا في اداء ما ينفعهم اليهم ۝
ولما ذكر مكرهم بالرسول ذكر مكرهم بما ارسل به فقال عاطفا على اذ انتم واذا تتلى اي من اي تال فرض عليهم اياتنا اي التي هي الفرقان
جلالة وعظما لم يدعوها تؤثر في تلك الحالة بل قالوا اظهارا لعنادهم لها وتشبعا بما لم يعطوا وادعاء لما لم ينالوا قد سمعنا ولما لم
يتاثر عن سماعهم الاذعان تشوف السامع الى علة اعراضهم فقال معللا او مستانفا لو نشاء اي في اي وقت اردنا لقلنا مثل هذا
اي لانه ليس قول الله كما يزعم محمد ان اي ما هذا اي الذي يتلى الا اساطير جمع سطور واسطار جمع سطر الاولين اي من بني آدم سطروا
فيها علومهم واخبارهم فهو من جنس كلامنا وقايله من جنسنا وهذا غاية المكابرة لانه قد تحداهم بقطعة من مثله ان كان له كما يزعمون
مثل وبالغ في تقريعهم فما منعهم من ابراز شيء مما يدعون وليس بينهم وبينه بزعمهم الا ان يشاؤا مع انتقالهم الى اشد الامور السيف الماحق
على تهالكهم على قهره صلى الله عليه وسلم وعلى ما لهم من فرط الانفة من العار والبعد مما يقضي عليهم بالغلب او ان يوصفوا بالكذب
الماحق الا علمهم بان ذلك فاضحهم ومخزيهم مدى الدهر وقابحهم والمعنى اني اثبت هذا النبي الكريم على صبره على ذلك ومثابرته
على اداء الامانة بالاجتهاد في النصيحة على ما يلقى ان نجيته منهم ومنعته من جميع ما كادوه به وكنت لا ازال اويده باتباع من اعلم
فيه الخير الى ان هيات له دارا وخبات له انصارا وجعلت داره بالاصحاب منيعة وبنيت لها اعمدة بصوارم الاحباب ثابتة رفيعة
ونقلته الى ذلك مع اجتهاد اهل العناد وهم جميع اهل الارض في المنع فلم يؤثر كيدهم ولا افادهم مع ايدي ايديهم وجعلت نفس نقلته
له فرقانا يفرق بها بين الحق والباطل وصار الى ما ترون من قبول الامر وجلالة القدر ونفاذ الفصل بين الامور وظهور دينه
اي ظهور فلازموا التقوى ملازمته وداوموا على الطاعة مداومته اهب لكم من سيادته واجملكم بملابس امامته ولما كان ذلك
موضع عجب من عدم اعجال الضلال بالعذاب وامهالهم الى ان اوقع بهم في غزوة بدر لا سيما مع قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
بين السر في ذلك وان بالغوا في استعجاله فقال واذ قالوا اي ارادة المكابرة بالتخييل الى الناس انهم على القطع من انه باطل
والا لما دعوا بهذا الدعاء اللهم اي يا من له تمام الملك وعموم الملك ان كان هذا اي الامر الذي اتانا به محمد هو اي لا ما نحن عليه ۝
الحق حال كونه منزلا من عندك وقال الزجاج انه لا يعلم احد اقرا الحق بالرفع افاده ابو حيان فامطر علينا حجارة ولعل تقييده
بقوله من السماء مع ان الامطار لا يكون الا منها لازالة وهم من يتوهم ان الامطار مجاز عن مطلق الرجم وانه انما ذكر لبيان ان الحجارة
المرجوم بها في الكثرة مثل المطر او ائتنا بعذاب اليم اي غير الحجارة ولعل مرادهم بقولهم ذلك الاشارة الى ان مجيء الوحي اليك
من السماء خارق كما ان اتيان الحجارة منها كذلك فان كنت صادقا في اتيان الوحي اليك منها فائتنا بحجارة منها كما اتت الحجارة منها
اصحاب الفيل صوتا من الله لبيته الذي اراد الحبس انتهاك حرمته واعظاما له اشار الى ذلك ابو حيان وهذه الاية والتي
قبلها في النضر بن الحرث اسره المقداد يوم بدر فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد رضي الله عنه اسيري يا رسول
الله فقال انه كان يقول في كتاب الله ما يقول فعاد المقداد لقوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك
فقال ذاك الذي اردت يا رسول الله فقتله النبي صلى الله عليه وسلم فانشدت اخته قتيلة ابياتا منها ۝
• ما كان ضرك لو مننت وربما • من الفتى وهو المغيظ المحنق • فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو بلغني هذا الشعر قبل قتله
لمننت عليه وعن معاوية رضي الله عنه انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك
قالوا ان كان هذا هو الحق الاية وما قالوا فاهدنا به والسر الذي بينه في هذه الاية في امهالهم هو انه ما منعه من الاسراع في
اجابة دعائهم كما فعل في وقعة بدر الا اجلال مقامه صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم فقال تعالى وما كان الله اي مع ما له من
صفات الكمال والعظمة والجلال واكد النفي بقوله ليعذبهم اي ليجدد لهم ذلك في وقت من الاوقات وانت اي يا اكرم الخلق
فيهم فانه • لعين تجازى الف عين وتكرم • ولما بين بركة وجوده اتبعه ما يخلفه صلى الله عليه وسلم اذا غاب في العيان
من العذاب فقال وما كان الله اي الذي له الكمال كله معذبهم اي مثبتا وصف تعذيبهم بحيث يدوم وهم يستغفرون اي يطلبون

الغفران

الغفران بالدعا او يوجدون هذا اللفظ فيقولون استغفر الله فان لفظه وان كان خبرا فهو دعا وطلب فوجوده صلى الله عليه وسلم في
قوم ابلغ من نفي العذاب عنهم وهذا الكلام ندب لهم الى الاستغفار وتعليم لما يدفع العذاب عنهم كما تقول ما كنت لاضربك وانت تطيعني
اي فاطعني نبه عليه الامام ابو جعفر النحاس وفي ذلك حث عظيم اي صار صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم من المسلمين صادقهم ومنافقهم
على الرغبة في مواصلته والرهبة من مفارقته وتعريف لهم بما لهم في حلول ذاته المشرفة في ساحتهم من جليل النعمة ترغيبا في المحبة
لطول عمره والاستمساك بعزه في نهيه وامره اذ المراد والله اعلم بالاستغفار طلب المغفرة بشرطه من الايمان والطاعة وعن
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان في هذه الامة امامان اما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى قال واما الاستغفار فهو كاين
فيكم الى يوم القيمة ولما كان هذا ليس نصا في استحقاقهم العذاب قال تعالى عاطفا على ما تقديره وليعذبنهم الله اذا هاجرت عنهم
ولم يومنوا فيستغفروا وما لهم قال ابو حيان الظاهر ان ما استفهامية اي اي شي لهم في انتفاء العذاب وهو استفهام معناه
التقرير اي كيف لا يعذبون وهم متصفون بهذه الصفة المقتضية للعذاب وهي صدهم المومنين عن المسجد الحرام وليسوا بولاة البيت
انتهى وتقدير الكلام واي حظ لهم في ان لا يعذبهم الله اي الذي له كمال العز والعظمة على الظالم والاكرام والرفق بالطايع عاجلا وهم
اي والحال انهم مستحقون العذاب فهو واقع بهم لا محالة وان تاخر مدة ابانه وابطا عنهم اوانه وقوعا ينسيهم ما نالوه من اللذات
وان عظم عندهم شانها وامتد طويلا زمانها لانهم يصدون اي يوجدون الصد عن المسجد اي من اراد تعظيمه بالصلوة التي وضع المسجد
لها وغيرها الحرام اي العظيم حرمته عند كل احد فلا اختصاص به لشخص دون آخر اي شانهم فعل حقيقة الصد في الماضي والحال والمآل
لا ينفكون عن ذلك كما كانوا يمنعون من شاوا من دخول البيت ويقولون نحن ولاته نفعل ما نشا ويصدون المومنين عن الطواف به
بالتعذيب والفتنة وصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه بالاخراج ثم صدوهم عام الحديبية عن الوصول الى البيت
وعام عمرة القضية عن الاقامة بعد الثلاثة الايام وما اي والحال انه لم يكن لهم ذلك لانهم ما كانوا اولياءه اي اهلا لولايته بحيث ان
صدهم ربما يقع موقعه روى البخاري في التفسير عن انس رضي الله عنه قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فنزلت وما كان الله ليعذبهم الى عن المسجد الحرام ولما نفى عنهم الولاية ذكر اهلها فقال ان اي ما
اولياؤه اي بالاستحقاق الا المتقون اي العريقون في الوصف بما يجعلون بينهم وبين ما يسخط الله من وقايات الطاعات لا كل من
آمن بل خاصة المومنين وهم ليسوا كذلك لتلبسهم الآن بالكفر ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم علم بالامور ليميزوا بين الحق والباطل
والمتقي والفاسق وحسن العواقب وسيئها ولعله عبر بالاكثر اعلاما بان فيهم المعاند ولانه كان منهم من آمن بعد ذلك فصار من
اولي العلم ولما كانوا يفعلون عند البيت ما ينزه البيت عنه مما هو غاية في الجهل قال مبينا لجهلهم واستحقاقهم للنكال وبعدهم
عن استحقاق ولايته وما كان صلاتهم اي التي ينبغي ان تكون مبنية على الخشوع وزاد في التشنيع عليهم بقوله عند البيت اي فعلهم
الذي يعدونه صلاة او يبدلونها به الا مكاء اي صفيرا يشبه صفير الطير والدبر بريح الحدث من مكا يمكو مكوا ومكاء اذا
صفر بفيه او شبك اصابعه ونفخ فيها ومكت الشجة بريحها صوتت والدبر بريح الحدث صوت قال ابو حيان وجا مكا على فعال
اي بالضم ويكثر فعال في الاصوات كالصراخ انتهى وتصدية اي وتصفيقا كان اهل الجاهلية يطوفون عراة ويصفرون
بافواههم ويصفقون بايديهم فيكون تصويتهم ذلك يشبه الصدى الذي هو رجع الصوت في المكان الخالي فهو كناية عن ان صلاتهم
لا معنى لها واصله صدد مضاعف اذا اعرض ومال مثل التظن من ظنن فهذا لهولا عبادة وهزء لا جد مع ان الامر جد واي جد
كما قال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون اي ولا تبكون في حال جدكم بدائكم في العمل الصالح فهذا
الذي يعملونه مناف لحال البيت فهو تخريب لا تعمير قال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى في المسجد قام رجلان من
المشركين عن يمينه يصفران ويصفقان ورجلان كذلك عن يساره ليخلطوا عليه صلاته وتقدير الكلام على قراءة الاعمش صلاتهم
بالنصب وما كان شي الا مكاء وتصدية صلاتهم فنفى عما يجعلونه صلوة كل شي الا المكاء والتصدية فالصلوة مقصورة عليهما بهذا
الاعتبار فقد صارت بهذا الطريق بمعنى القراءة المشهورة سواء فتامله فانه نفيس جدا وخرج عليه الخلاف في آية الانعام ثم لم
تكن فتنتهم وغيره وقد مضى هناك ما ينفع هنا ومما يجب ان يعلم ان هولاء لم يذمهم الله بهذا الفعل لكونه مذموما لان الكفر اقبح
القبيح وهو يكفي في ذمهم لانه اعلى الذم بل ذمهم لكونهم اتخذوا العبادة لعبا لينبه بذلك على ذم من اشبههم في ذلك فعمد الى ما هو
مباح في اصله فاتخذوا دينا فكيف اذا كان مكروها ام كيف اذا كان حراما فقبح الله قوما ادعوا انهم اعرضوا عن الدنيا ثم اتخذوا
الطبول والغنا والتصدية شعارهم ثم ضروا به حتى فعلوه في المساجد وزادوا على فعل الجاهلية الرقص الذي ابتدعه قوم السامري
لما عبدوا العجل فاخذوا انواعا من افعال انواع من الكفرة وجعلوها عادتهم وشعارهم وديانتهم فلقد انتهكوا حرمات الشريعة
وبدلوها واستهانوها واسترذلوها ولما كان مساق الكلام لبيان استحقاقهم العذاب وانه لا مانع لهم منه وكان قد اوقع
بهم في هذه الغزوة مبادية وكانت المواجهة بالتعنيف وقت ايقاع ما لا يطاق بالعدو انكا قال مسببا عن قبيح ما كانوا
يرتكبونه فذوقوا العذاب اي الذي توعدكم الله به والذي رايتموه ببدر فطلبتموه في استفتاحكم استهانة به بما كنتم
تكفرون اي انكم قد صرتم بهذا الفعل اهلا لذوقه بما تسترون مما دلتكم عليه عقولكم من هذا الحق الواضح ولما اخبر سبحانه
عن احوال الكفار في الاعمال البدنية وكان غلبهم مع كثرتهم وقوتهم مستبعدا اخبر بما يقربه مبينا لاعمالهم المالية فقال
ان الذين كفروا اي مع كثرتهم لانهم ستروا مراي عقولهم التي هي الانسان بالحقيقة فنقصوا بذلك نقصا لا يدرك كنهه ينفقون
اموالهم اي يعزمون على انفاقها فيما ياتي ليصدوا اي بزعمهم انفسهم وغيرهم عن سبيل الله اي عن سلوك طريق الذي لا يداني عظمته

بهزيمتهم وقلة ثباتهم لما ألقى في قلوبهم من الرعب ويؤيده ذلك قوله فاعلموا انما اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شيء مولاكم اي متولي
امورکم فهو يعلم منكم ما يعلم من تولي امر من يحبه من الاجتهاد في تحصيل ما ينفعه ودفع ما يضره فهو لا محالة ناصركم ثم استانف مدحه بما من
اهله تعريفا بقدره وترغيبا في توليه فقال نعم المولى ولم يدخل فاء السبب هنا لان المامور به العلم واعتقاد كونه مولى واجب لذاته لا
لشيء آخر بخلاف ما في آخر الخ فان المامور به هناك الاعتصام ونعم النصير اي فلا تخافوهم اصلا وان زادت كثرتهم وقويت شوكتهم
فلا تبارحوهم حتى لا يكون الا كلمة الله ولما كان التقدير فاذا اعانكم مولاكم عليهم وغلبتموهم وغنمتم منهم فلا تنسبوا الى انفسكم فعلا بل
اعلموا انه هو الفاعل وحده لان جميع الافعال متلاشية بالنسبة الى فعله فلا تتنازعوا في المغنم تنازع من اخذه بقوته وحانه بقدرته
عطف عليه قوله واعلموا ايتها الامراء اشارة الى ان ما بعدها من المهمات لتبذلوا الجهد في تفريغ اذهانهم لوعيه وتنزيله منازله ان
ورعيه ان ما اي الذي غنمتم والغنيمة لغة الفوز بالشيء وشرعا ما وصل في ايدي المسلمين من مال الكفار قهرا بالخيل والركاب وزاد في
التعميم حتى لا قل ما يمكن بقوله من شيء اي حبر الخيط والمخيط فانه كله له لانه هو الناصر وحده وانما انتم آلة لا قدرة لكم على مقاومة
الاعداء لانهم جميع اهل الارض ولا نسبة لكم منهم في عدد ولا قوة اصلا فما جاري على منهاج العدل المتعارف عندكم ان ياخذه كله ولا يمكنكم
من شيء منه كما كان فيمن قبلكم ينزل نار من السماء فتاكله ولكنه سبحانه علم ضعفكم فمن عليكم به ورضي منكم منه بالخمس فداء لنفسه
رده عليكم وهو معنى قوله فان لله اي الذي له كل شيء خمسه ولما كان من المعلوم ان الله تعالى اجل من ان ينال له نفع او ضر كان من
المعلوم ان ذكر اسمه سبحانه انما هو للاعلام بان سلام هذا الخمس والتحلل عنه لاحظ للنفس فيه وانما هو لمحض الدين تقربا اليه سبحانه
فذكر مصرفه بقوله وللرسول اي يصرف اليه خمس هذا الخمس ما دام حيا ليصرفه في مصالح المسلمين ويصرف بعده الى القائم مقامه
يفعل فيه ما كان صلى الله عليه وسلم يفعله ولذي القربى اي من الرسول وهم الآل الذين تحرم عليهم الزكوة بنو هاشم وبنو المطلب
واليتامى اي لضعفهم والمساكين لعجزهم وابن السبيل اي المسافر لان الاسفار مظنات الافتقار فالحاصل انه سبحانه لم يرزاكم من المغنم
شيئا اعرضوا فضله عليكم اولا بالانعام بالنصر وثانيا بحل المغنم وثالثا بالامكان من الاربعة الاخماس ورابعا بره الخمس الخامس فيكم
فاشتغلوا بشكره فضلا عن ان تغفلوا عن ذلك فضلا عن ان تتوهموا ان لكم فعلا تستحقون به شيئا فضلا عن ان تتعلوا من المنازعة
في المغنم فعل القاطع بالاستحقاق واعلموا ذلك كله علم المصدق الموقن المذعن لما علم لتنشاعنه ثمرة العمل ان كنتم صادقين في انكم امنتم
بالله اي الذي لا امر لاحد معه وما اي وبالذي انزلنا اي انزالا واحدا سريعا لاجل التفريج عنكم من القرآن والجنود والسكينة في قلوبكم
وغيرة لك مما تقدم وصفه على عبدنا اي الذي يريه ايانا ان الانعام كلها لنا فلا ينسب لنفسه شيئا الا بنا يوم الفرقان اي يوم بدر
الذي جعلناكم فيه عزا تنفذ به اوامركم وانعاكم في فصل الامور ولما وصفه سبحانه بالفرقان تذكيرا لهم بالنعمة بينه بما صور
حالهم فيه انما ما لذلك ابدا لمنه فقال يوم التقى اي عن غير قصد من الفريقين بل لمحض تدبيره الجمعان اي الفئتان احدهما انتم
وكنتم حيز النزاي لو لا فضلنا قاطعين بالموت وثانيهما اعداؤكم وكانوا على اليقين بانكم في قبضتهم وذلك هو الجاري على مناهج العوائد
ولو قيل يوم بدر لم يفد هذه الفوائد ولما كان انعكاس الامر في النصر محل عجب ختم الآية بقوله والله على كل شيء اي من نصر القليل على
الكثير وعكسه وغير ذلك من جميع الامور قدير فكان ختمها بذلك كالشفاء للسر ومزيلا للعجب وبينا ان ما فعل هو الجاري على سنن سنته
المطردة في قديم عادته عند من يعلم اياما له الماضية في جميع الاعصر الخالية ولما ذكرهم يوم ملتقاهم صور لهم حالتهم الموضحة للامر
المبينة لما كانوا فيه من اعترافهم بالعجز تذكيرا لهم بذلك ردعا عن المنازعة وردا الى المطاوعة فقال معبدا من يوم الفرقان اذ انتم
بالعدوة الدنيا اي القريبة الى المدينة وهم اي المشركون بالعدوة القصوى اي البعدي منها القريبة الى البحر والقياس
قلب واو ياء وقد جاء كذلك الا ان هذا اكثر استصوب وقل استصاب والعدوة بالكسر في قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وبالضم
في قراءة غيرهم جانب الوادي وشطه وعادتها اي ترتيب كان تدور على الاضطراب ويلزمه المجاورة والسكون والانبال والرجوع
والاستباق والمحل القابل لذلك فكانها الموضع الذي علا عن محل السيل فكان موضعا للعدو والركب اي العير الذي فيه المتجر الذي
خرجتم لاقتطاعه ورئيس جماعته ابو سفيان ونصب على الظرف قوله اسفل منكم اي ايها الجمعان الى جانب البحر على مدى من تريه تكادون
تقعون عليه وتمدون ايديكم اليه مسافة ثلاثة اميال كما قال البغوي وهو كان قصدكم وسولكم فلو كانت بكم قوة على طروقه
لبادرتم اليه الطرف وغالبتم عليه الحتف ولكن منعكم من ادراك مامولكم منه من كان جاثما بتلك العدوة جثوم الاسد والتقا بامر
فيه من التقوي والعدد كما قال صلى الله عليه وسلم لسلمة بن سلامة بن وقش رضي الله عنه لما قال في تحقيرهم بعد قتلهم وتدميرهم
ان وجدنا الا عجائز صلعا ما هو الا ان لقيناهم فنحرونا اكنافهم جوابا له اولئك يا ابن اخي الملا لورايتهم لهبتهم ولوارووك من
لطعنهم مع استضعافكم لانفسكم عن مقاومتهم لو لا رسولنا ببشركم وجودنا تثبتكم والى مثل هذه المعاني اشار تصوير مكانهم
ومكان الركب ايما الى ما كان فيه العدو من قوة الشوكة وتكامل العدة وتمهد اسباب الغلبة وضعف حال المسلمين وان ظنهم
في مثل هذا الحال ليس الا صنعا من الله وما في البيضاوي تبعا للكشاف من ان العدوة الدنيا كانت تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها
تقدم رده اول السورة بان المشهور في صحيح مسلم والسير وغيرها ان المومنين هم السابقون الى الماء وان جميع ارض ذلك المكان
كانت رملا تسوخ فيه الاقدام فاتى المسلمين به من المطر ما ابدلهم الارض واتى المشركين منه ما لم يقدروا معه على الحركة ولو تواعدتم
اي انتم وهم على المواقاة الى تلك المواضع في آن واحد لاختلفتم في الميعاد اي لان العادة قاضية بذلك لامرين اخر هما بعد المسافة
التي قطعتم بها منها وتعذر توقيت سير كل فريق بسير صاحبه والثاني ذكر احتمالهم لما وقر في انفسكم من قوتهم وضعفكم وقد كان
الذي كف ايديكم عن لقائهم قادر على ان يكبره اليهم لقائكم فيقع الاختلاف من جهتهم كما كان في بدر الموعد واما في هذه الغزوة فدعاهم

التنا شيء على الاقتصار على الامر بالعلم
وهذا الكلام مرتب على الامر بالعلم ان

مادة عدوهم

مع اتباعه ووضوحه وسهولته فسينفقونها اي عكم قاهر لهم لا يقدرون على الانفكاك عنه ثم تكون اي بعد انفاقها بمدة وعبر بعبارة ظاهرة في مضرتها فقال عليهم وابلغ في ذلك بان اوقع عليها المصدر فقال حسرة اي لضياعها وعدم تاثيرها ثم يغلبون اي كما انفقوا في بدر سواء فانهم انفقوا مع الكثرة والقوة ولم يغن عنهم شيء من ذلك شيأ مما اراده بهم بل كان وبالا عليهم فانه كان سببا لجراتهم حتى اقدموا نظرا الى الحاضر وقصورا عن الغايب كما بينا ثم فهلكوا وكان ذلك قوة للمومنين فما كان في الحقيقة الا لهم وهذا الكلام منطبق على ما كان سبب نزول الاية وعلى كل ما شاكله وذلك انهم لما قهروا في بدر قال لهم ابو سفين ينبغي ان تنفقوا اموالكم التي كانت معه وبجت على حرب محمد فاجابوا وانفقوه على غزوة احد فحصل لهم فيها بعض ظفر ثم تعقبه الحسرة والمغلوبية في بدر الموعد وكل ما بعدها ثم اظهر وصفهم الذي استحقوا به ذلك تعليقا للحكم به وتعميما منذرا لهم بما هو اشد من ذلك فقال والذين كفروا اي حكم بدولهم كفرهم عامة سواء زادوا على الكفر فعل ما تقدم او لا الى جهنم اي لا الى غيرها ولما كان المنكي هو الحشر لا كونه من معين بني للمفعول قوله يحشرون اي بعد الموت منهم في خزي دايم دنيا واخري ويجوز ان يجون بجهنم عن اسبابها فيكون المعنى انهم يستمرون بمباشرة اسبابها الموبقة لهم ويحملون في الدنيا عليها وهذه الايات مع كونها معلمة بما لهم في الدنيا وما لهم في الاخرة من ان اخر امرهم في الدنيا الغلب كما كشف عنه الزمان علما من اعلام النبوة وفي الاخرة جهنم هي مبنية لكونهم في قولهم لو نشا لقلنا مثل هذا انهم لو كانوا صادقين في دعواهم لقالوا اسئله ثم قالوا لو كان هذا هو الحق لا عين لما قلنا سئله موضع قولهم ان كان هذا هو الحق الى آخره واما اية المكاء والتصدية فكانها تقول هذا القران في اعلى درج البلاغة ولم توهلوا انتم مع ادعايكم السبق في البلاغة لان تعارضوا بشيء له اهلية لشيء من البلاغة بل تزلتم الى اصوات الحيوانات العجم حقيقة فلا اجلى من هذا البيان على ما ادعيتم من الزور والبهتان واما اية الانفاق فعايله لو قد رتم في معارضته على انفاق الاموال لما عدلتم عنه الى انفاق الاموال المفضي الى مقاساة الاهوال وفساد الاشباح ونفوق ما حوت من الارواح المؤدي الى النزل السرمد بالعذاب المؤبد ولما ذكر حشر الكافرين ذكر علته فقال معللا يحشرون ليميز الله اي الذي له صفات الكمال بذلك الحشر الخبيث من الطيب اي انما جعل للكفار دار انجهم ويخصونها لاظهار العدل والفضل بان يميز الكافر من المومن فيجعل لكل دارا يتميز بها عدلا في الكافرين وفضلا على المومنين بجعل الطيب في مكان واسع حسن ويجعل الخبيث اي الفريق المتصف بهذا الوصف بعضه على بعض والركم جمع الشيء بعضه فوق بعض فكان قوله فيركمه جميعا عطف تفسير يوكد الذي قبله في ارادة الحقيقة مع افهام شدة الاتصال حتى يصير الكل كالشيء الواحد كالسحاب المركوم والنتيجة قوله فيجعله في جهنم اي دار الضيق والغم والنجهم والهم ولما كان هذا امرا لا فلاح معه استانف قوله جامعا تصريحا بالعموم اولئك اي البعداء المنحطون الذين اتصفهم اسم الجنس بالخبيث هم الخاسرون اي خاصة لتناهي خسرانهم لانهم اشتروا باموالهم اهلاك انفسهم ولما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية وكان في كثير من العبارات السالفة القطع الذين كفروا بلفظ الماضي بالشقاء كان ذلك موهما لان مراد من اوقع الكفر في الزمن الماضي وان تاب فيكون موتيا من التوبة فيكون موجبا للشتات على الكفر قال تعالى متلطفا بعباده مرشدا لهم الى طريق الصواب مبينا المخلص مما هم فيه من الوبال في جواب من كانه قال اما لهم من حيلة يتخلصون بها من الخسارة قل للذين كفروا اي لاجل الذين كفروا اي قبل توبة من تاب منهم مجرد انتهايه عن حاله ان ينتهوا اي يتجدد لهم وقتا ما الانتهاء عن مغالبتهم بالانتهاء عن كفرهم فيذلوا له ويخضعوا لامره يغفر لهم بناه للمفعول لان النافع نفس الغفران وهو محو الذنب ما قد سلف اي مما اجترحوه كاينا ما كان فيمحى عينا واثرا فلا عقاب عليه ولا عتاب وان يثبتوا على كفرهم ويعودوا اي الى المغالبة فقد مضت سنة الاولين اي طريقة الاولين اي وجدت وانقضت ونفدت فلا مرد لها بدليل ما سمع من اخبار الماضين وشوهد من حال اهل بدر مما اوجب القطع بان الله مع المومنين وعلى الكافرين ومن كان معه نصر ومن كان عليه خذل واخذ وقد كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولينصرن الله من ينصره والعاقبة للمتقين وان كانت الحرب سجالا ولما اشار ختم الاية الى قتالهم ان اصروا وكان التقدير فقد مضى فيهم ما علمتم وكم اقدام الليوث الحربة غيرها تبين كثرتهم ولا تعلمونهم فان الله خاف لم عطف عليه قوله مصرحا بالمقصود وقاتلوهم اي دايما حتى لا تكون فتنة اي سبب يوجب ميلا عن الدين اصلا ويكون الدين ولما كانت هذه الوقعة قد سرت كتايب هيبتها في القلوب فوجبت ايما وجيب فضاقت وضعفت صدور الكافرين وانشرحت وقويت قلوب المومنين اقتضى هذا السياق التاكيد فقال كله لله اي الملك الاعظم خالصا غير مشوب بنوع خوف او اعتضاد على قذي واصل الفتن الخلطة المحيلة ويلزم ذلك ان يكون السبب عظيما لان الشيء لا يحول عن حاله الا امر عظيم لان مخالفة المالوف عسرة ومنه التف وكذا افتتن القديس وهو ان يغلي المرق فيلزق بحوابها والتنوفة القفر لانه موضع كذلك ويلزمه الاخلاص من فتنتا الذهب اذا ادنيته فتميز جيده من رديه وتارة يكون الميل الى جهة الردي وهو الاغلب وتارة الى الجيد ومنه ونتناك فتونا ولما كان لهم حالا ان اسلام واقبال وكفر واعراض واخلال قال مبينا الحكم القسمين فان انتهوا اي عن قتالكم بالمواجهة بالاسلام فاقبلوا منهم وانتهوا عن مسهم بسوء ولا تقولوا انهم متعوذون بذلك غير مخلصين تمسكا بالتاكيد بكله فانه ليس عليكم الا ردهم عن المخالفة الظاهرة واما الباطن فالى الله فان الله اي المحيط علما وقدرة وقدم المجرور اهتماما به انها ما لا ان العلم به كالمختص فقال بما تعملون اي وان دق بصير فيجازيهم عليه واما انتم فلستم عالمين بالظاهر والباطن معا فعليكم قبول الظاهر والله يتولى السراير وان تولوا اي عن الاجابة تبشيرا لهم

من حماية غيرهم داع لم يستطيعوا التخلف معه وطمس الله بصائرهم وقسى قلوبهم مع قول ابي جهل الذي كان السبب الاعظم في اللقاء
لمن عرض عليه المدد بالسلاح والرجال ان كنا نقاتل الناس فما بنا ضعف عنهم وان كنا انما نقاتل كما يزعم محمد الله فما لاحد بالله من طاقة
وقوله ايضا في هذه الغزوة للاخنس بن شريق ان محمدا صادق وما كذب قط فعل الله ذلك لما علم في ملاقاتهم لكم من اعلاء كلمته
واظهار دينه ولكن اي دبر ذلك سبحانه حتى توافيتم الى موطن اللقاء كلكم في يوم واحد عن غير ميعاد ولم تختلفوا في موافاة ذلك
الموضع مع خروج ذلك عن العادة لكونه اتقن اسبابه فاطمعكم في العير اولا مع ما انتم فيه من الحاجة ثم وعدكم احدى الطائفتين مبهما
واخرج قريشا لحماية غيرهم اخراجا لم يجدوا منه بدا ولما نجت عيرهم اوردهم الرياء والسمعة والبطر بما هم فيه من الكثرة والقوة
كما قال ابو جهل لا نرجع حتى نرد بدرا فننحر بها الجزور ونشرب الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم من حضرنا من العرب فلا يزالون يهابوننا
مدى الزمان ليقضي الله اي الذي له جميع الامر من اعزاز دينه باعزازكم واذلالهم امرا كان كما تكون الجبلات والطبائع في التمكن والتمام
مفعولا اي مقدرا في الازل من لقائكم وما وقع فيه من قتلهم واسرهم على ذلك الوجه العظيم فهو مفعول لا محالة ليتبين به ايمان من آمن
باعتماده على الله وتصديقه بموعوده وكفر من كفر ولما علل ذلك التدبير في اللقاء بقوله ليقضي علل تلك العلة بقوله
ليهلك اي بعد رؤية ذلك القضاء الخارق للعادة من هلك اي من فريقي الكفار في حالة القتال وبعدها والمسلمين هلاكا متجاوزا
وناشئا عن حالة بينة لما بان من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الوقعة في كل ما وعد به وكذب الكفار في كل ما كانوا
يقولونه قاطعين به مع ان ظاهر الحال يقضي لهم فكان ذلك من اعظم المعجزات ويحيى من حيي اي بالاسلام حيوة هي في اعلا الكمال بما تشير اليه
قراءة نافع والبزي عن ابن كثير وابي بكر عن عاصم باظهار اليائين او في ادنى الكمال بما يشير اليه ادغام الباقين تخفيفا حيوة متجاوزة
وناشئة عن حالة بينة اي كائنة بعد البيان في كون الكافرين على باطل والمؤمنين على حق لما سيأتي من انهم كانوا يقولون غر هؤلاء
دينهم فحينئذ تبين المغرور وكشفت عجائب المقدور عن اعين القلوب الستور ولما كان التقدير فان الله في فعل ذلك لعزيز حكيم
عطف عليه قوله وان الله لسميع اي لما كنتم تقولونه وغيره عليم بما كنتم تضمرونه وغيره فاستكينوا لعظمته وارجعوا عن منازعتكم
لخشيته ثم اتم سبحانه تصوير حالتهم بقوله مبينا ما اشار اليه من لطف تدبيره اذ اي اذكر اذا اردت علم ذلك حين يريكهم الله اي
الذي له صفات الكمال فهو يفعل ما يشاء في منامك قليلا تاكيدا لما تقدم اعلامه به من ان المصادمة فضلا عما نشا عنها ما كان الا منه
وانهم كانوا كالآلة التي لا اختيار لها وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم رآهم في منامه قليلا فحدث اصحابه رضي الله عنهم بذلك
فاطمأنت قلوبهم وشجعهم ذلك وعين ما كان يحصل من الفساد لولا ذلك فقال ولو اراكهم اي في منامك او غيره كثيرا ولما كان الاخبار
بعد الوقعة بضد ما وقع فيها مما يقتضي طبع البشر التوقف فيه اكد قوله لفشلتم اي جبنتم ولتنازعتم اي اختلفتم فنزع كل واحد
منزعا خلاف منزع صاحبه في الامر اي فوهنتم فزادكم ذلك ضعفا وكراهة للقائهم ولكن الله اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما سلم
اي ولكن لم يركهم كذلك فحصلت السلامة عما كان يتسبب عنها من النكوص ثم بين العلة في ترتيبه ذلك واخباره بهذا الامر المفروض
بقوله انه عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي ضمائرها من الجراة والجبن وغيرهما قبل خطورها في القلوب ولما بين ما نشا عن
رؤيته صلى الله عليه وسلم من قلتهم وما كان ينشا عن رؤيته الكثرة لو وقعت لانه صلى الله عليه وسلم لما هو عليه من النصيحة والشفقة
كان يخبرهم بما راى كما اخبرهم في غزوة احد بالبقر المذبحة اتبعه ما فعل من اللطف في رؤيتهم بانفسهم يقظة فقال واذ اي واذكروا
ايضا اذ يريكموهم اي يبصركم اياهم اذ اي حين التقيتم ونبه على ان الرؤية ليست على حقيقة ما هم عليه بقوله في اعينكم اي لا في نفس
الامر حال كونهم قليلا اي عددهم يسيرا امرهم مصداقا لما اخبركم به النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤياه ليجترئوا عليهم روي
عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا
رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا قال الحرالي في آل عمران فجعل القليل وصفا لهم لازما راتبا دائما عليهم بما اوجب فيهم من نقص
ذواتهم بخفاء فطرتهم وما وراء خلق الفطرة من الذوات قال تعالى ويقللكم صيغة فعل واقع وقت لا وصفا لهم من حيث
انه لو اراهم اياه على الاراءة الحقيقية لراوهم مضاعفين بالعشر فكانوا يرونهم ثلاثة آلاف ومائتين وثلثين انتهى في اعينهم
قبل اللقاء ليجترئوا على مصادمتكم حتى قال ابو جهل انما هم اكلة جزور ثم كثركم في اعينهم حين المصادمة حتى انهزموا حين فاجأتهم
الكثرة فظنوا الظنون قال الحرالي رحمه الله قللهم حين لم يرهم اياهم على الحقيقة العشرية ولا اراهم اياهم على الصورة الحسية
فكان ذلك آية للمؤمنين على قراءة يا الغائب اي في آل عمران وكانت آية للكفار على قراءة ترونهم بتاء الخطاب فكان في ذلك في اظهار
الاراءة في اعين الفئتين نحو ما كان من الاراءتين الواقعة بين موسى عليه السلام والسحرة في ان موسى عليه السلام ومن معه خيل اليهم
من سحرهم انها تسعى وان فرعون ومن معه راوا ثعبانا مبينا يتلقف ما يافكون رؤية حقيقية فتناسب ما بين الآيات
الماضية والآيات القائمة لهذه الامة بوجه ما وكانت هذه الآية اشرف والطف بما هي في مدافعة بغير آلة من عصى ولا
حبل في ذوات الفئتين واحتباسهم انتهى ولما ذكر ما احاله سبحانه من احساس الفئتين علله بقوله ليقضي الله اي الذي له
العزة البالغة والحكمة الباهرة من نصركم وخذلانهم بان تفاجئهم كثرتكم بعد رؤيتكم قليلا فيبخعهم ذلك ويهزمهم امرا كان
مفعولا اي من اعجالهم بما فجئهم من الكثرة بعد القلة عن الحذر والاستعداد لذلك ومما فعل بايديكم في هذه الغزوة من القتل والاسر
والهزيمة المثمر لذل جميع اهل الكفر كان مقدرا في الازل فلا بد من وقوعه على ما حده لانه لا راد لامره ولا يبدل القول لديه
فعل ذلك كله وحده ولما كان التقدير فبيده سبحانه ابتداء الامور بتقديره اياها في الازل لا بيد احد غيره والى الله اي
الملك الاعلى الذي بيده وحده كل امر ترجع الامور اي كلها فلا ينفذ الا ما يريد انفاذه فلا تجري الامور على ما يظنه العباد وهو من

قولك

قولك هذا الامر راجع اليك اي مهما اردته فيه مضى ولو فرض ان غيرك عالجه لم يؤثر فيه ولا يزال كذلك حتى يرجع اليك فيمضي فالحاصل
ان فيه قوة الرجوع بهذا الاعتبار وان لم يكن هناك رجوع بالفعل وفي هذا تنبيه على ان امور الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما
المراد منها ما يصلح ان يكون زادا ليوم المعاد ولما تقرر ذلك وتم على هذا السبيل الاحكم والمنهاج الاقوم كان عليه لمضمون قوله يا ايها الذين
امنوا الايتين فكانتا نتيجته لانه اذا علم ان الامر كله له ولا اثر لقلة ولا كثرة اثمر لمن هو في ادنى درجات الايمان فضلا عن غيره قلة المبالاة
بالظالمين وان تجاوزت قواهم الحد وزادوا كثرة على العدد والايتان تذكير لهم بحالتهم التي اوجبت نصرتهم ليلزموها في كل معترك ولا يتنازعوا
كما تنازعوا في المغنم اذا لقيتم اي قاتلتم لان اللقاء اسم للقتال غالب فئة اي طائفة مستحقة للقتال كما اغنى عن وصفها بذلك وصفهم
بالايمان فاثبتوا اي في لقائها بقتالها كما ثبتم في بدر ولا تحدثوا انفسكم بفرار واذكروا الله اي الذي له كل كمال فكل شيء يطلب فهو عنده يوجد
كثيرا اي كما صنعتم ثم لان ذلك امارة الصدق في الاعتماد عليه وحده وذلك موجب للنصر لا محالة كما في الحديث القدسي ان عندي كل عندي
للذي يذكرني عند لقاء قرنه ولما امر بذلك علله باداة الترجي ليكون ادل على انه سبحانه لا يجب عليه شيء فيكون اثبت للايمان فقال
لعلكم تفلحون اي لتكونوا على رجاء من الفلاح وهو الظفر بالمراد من النصر والاجر كما كنتم اذ ذاك واطيعوا الله اي الذي له الغنى المطلق
فلا يقبل الا الخالص والكمال الاكمل فلا يفعل الا ما يريد ورسوله اي في الاقدام والاحجام بجهلكم بالعواقب وتلك الطاعة امارة اخلاصكم في الذكر
ولا تنازعوا بان يريد كل واحد نزع ما لصاحبه من رأي وغيره واثبات ماله واشار الى عظيم ضرر التنازع ببيان ثمرته المرة فقال
فتفشلوا اي تضعفوا قال في القاموس فشل كفرح فهو فشل كسل وضعف وتراخى وجبن انتهى والمادة راجعة الى الفيشلة وهي
الحشفة ومن لازمها الرخاوة وينشأ عن الرخاوة الجبن مع الصلف والخفة والطيش ولما كان الفشل ربما كان معه الظفر بفشل في العدو
اكثر منه او غير ذلك عطف ما يلزمه غالبا بالواو دون الفاء فقال وتذهب ريحكم اي غلبتكم وقوتكم واصله ان الريح اذا كانت في الحرب من
جهة صف كانت في وجوه اعدائهم فمنعتهم مما يريدون فخذلوا فصارت كانها قوة من اتت من عنده فصارت يكنى بها عنها ثم ختم هذه الاسباب
بالجامع لشملها الناظم لمقاصد اهلها فقال واصبروا اي على ما يكون من تلك المشاق فانكم ان تكونوا تالمون فان اعداءكم كذلك وانتم ترجون
من الله ما لا يرجون ثم علله بما يكون عنه النصر في الحقيقة فقال ان الله اي المحيط بصفات الكمال مع الصابرين اي لانهم لا يصبرون الا اعتمادا
عليه ومن كان معه عز وهذه الجملة جمع فيها كما قال الامام شمس الدين محمد بن قيم الجوزية في اخر كتاب الفروسية المحمدية تدبير الحروب
احسن جمع على اتم وجه فامر فيها بخمسة اشياء ما اجتمعت قط في فئة الا انتصرت وان قلت في جنب عدوها وخامسها ملاك ذلك وقوامه
واساسه وهو الصبر فعلى هذه الدعائم الخمس تنبني قبة النصر ومتى زالت او بعضها زال من النصر بحسبه واذا اجتمعت قوي بعضها بعضا
وصار لها اثر عظيم لما اجتمعت في الصحابة رضي الله عنهم لم تقم لهم امة من الامم ففتحوا البلاد شرقا وغربا ودانت لهم العباد سلما وحربا
ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل الامر قليلا قليلا الى ما ترى فلا قوة الا بالله والجامع لذلك كله طاعة الله ورسوله فانها موجبة
لتاييد المطيع بقوة من هو في طاعته وذلك سر قول ابي الدرداء رضي الله عنه الذي رواه البخاري في باب عمل صالح قبل القتال
انما تقاتلون الناس باعمالكم وهو شرع قديم قال في اثناء السفر الخامس من التورية وان انتم سمعتم قول الله ربكم وتحفظتم وعملتم
بكل هذه الوصية التي امركم بها اليوم يبارك عليكم الله ربكم كما قال لكم وترزقون ان تقرضوا شعوبا كثيرة ولا تقرضون وتسلطون
على شعوب كثيرة ولا يتسلطون عليكم ولما ذكرهم سبحانه ما اوجب نصرهم امرا لهم بالثبات عليه ذكر لهم حال اعدائهم الذي اوجب
قهرهم ناهيا عنه تعريضا بحال المنازعة في الانفال وانها حال من يريد الدنيا فيوشك ان يتمادى ان يجر الى مثل حال هؤلاء الذين
محط نظرهم الدنيا فقال ولا تكونوا اي يا معشر المؤمنين كالذين وصور قبح عملهم من اوله الى اخره فقال خرجوا من ديارهم اي كل
واحد من داره وهم اهل مكة وكل من عمل مثل عملهم كان مثلهم ولذا عبر بالوصف ليعم بطرا اي طغيانا وتكبرا على الحق ومادة بطر
باي ترتيب اتفق تدور على اللين القابل للعمل حتى ربط فانه لولا الضعف ما استوثق من المربوط ومنه بطر الجرح وهو شقه والبيطار
وتارة يكون ذلك اللين عن دهش ومنه ابطرت حلمه اي ادهشته عنه وذهب دمه بطرا اي باطلا للضعف عنه للحيرة في الامر
الموصل اليه وتارة يكون عن مجاوزة الحد في الصلابة ومنه بطر النعمة اذا لم يشكرها فتجاوز الحد في المرح فان فاعل ذلك يمكن
الحكيم من مقاتله فياخذه وهو يرجع الى عدم احتمال القوي للشكر ففاعل ذلك ضعيف وان ظهر منه خلاف ذلك كما قال عمر رضي الله عنه
العدل وان ربي لينا اكف عن الظلم من الجور وان ربي شديدا او كما قال رضي الله عنه واقرب من ذلك ان تكون المادة دائرة
على الخلطة الناقلة من حال الى حال ولما ذكر الحامل لهم على الخروج من انفسهم ذكر ما اوجبه لهم من غيرها فقال ورئاء الناس
اي خرجوا يرون الناس خروجهم وما يتاثر عنه ليروهم ما يقولون فيه فانهم لما قيل لهم قد نجى الله عيركم فارجعوا بطروا النعمة
تبعا لابي جهل حيث قال والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنشرب الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان فتسمع بنا العرب فلا تزال
تهابنا ابدا فسقوا مكان الخمر كؤوس المنايا الحمر وناحت عليهم نوائح الزمان مكان العزف والقيان ولما ذكر نفس الخروج
وما فيه من الفساد ذكر ثمرته الخبيثة الناشئة عن ذينك الخلقين وعبر عنهما بالاسم اشارة الى الثبات كما هو شان الاخلاق
وعن الثمرة بالمضارع تنبيها على انهم لا يزالون يجددونها فقال ويصدون ان يوجدون الصد وهو المنع لانفسهم وغيرهم عن
سبيل الله اي الملك الاعظم في ذلك الوجه وهم عازمون على تجديد ذلك في كل وقت فلما كانت هذه مقاصدهم كان نسجهم هلهلا
وبنيانهم واهيا فانها من عمل الشيطان وكل عمل لا يكون لله اذا صدم بما هو لله اضمحل بذلك سبحانه اجرى سنته ولن تجد لسنته
تحويلا فان العاملين عبيد الله والله اي فعلوا ذلك والحال ان المحيط بكل شيء الذي عادوا اولياءه بما او يكون ذلك معطوفا على ما
تقديره فابطل الله بجلاله وعظمته اعمالهم وهو بكل ما يعملون محيط فهم في قبضته فاوردهم اذ خرجوا يحادونه بدرا فنحر مكان

مادة فشل

مادة بطر

تعالى كداب اي عادة هولاء الكفار وشانهم الذي دابوا فيه وداوموا وواظبوا فمرنوا عليه كعادة آل فرعون اي الذين هولاء اليهود
من اعلم الناس باحوالهم والذين ولما كان المهلكون لاجل تكذيب الرسل بعض اهل الزمان الماضي ادخل الجار فقال من قبلهم وهو مع ذلك من ادلة فلم
تقتلوهم لان هولاء الذين اشار اليهم كان هلاكهم بغير قتال بل بعضهم بالريح وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالغرق وبعضهم بالخسف الذي هو غرق في الجامد
فكانه يقول لا ينسب احد لنفسه فعلا فانه لا فرق عندي في اهلاك اعدائي بين ان يكون اهلاكهم بتسليط من قتال او غيره الكل بفعلي لولا انا ما وقع
وهو زاجر عظيم لمن افتخر بقتل من قتله الله على يده او نازع في النفل وهو راجع الى قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وفي ذلك
حث على التمرن على عدم الاكتراث بشي يكون للنفس فيه ادنى حظ ليصير ذلك خلقا كما هو داب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضيف شيا من محاسنه
الا الى خالقه الا ان كان مامورا فيه بالتشريع بل يقول قتلهم الله صرفهم الله نصرنا الله كفى الله فاذا صار ذلك للمستمسكين به خلقا افضى بهم الى
مدح الخالق والمخلوق لهم كما قال كعب بن زهير في مدحهم رضي الله عنهم • ليسوا مفاريح ان نالت رماحهم • يوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا •
ثم بين تعالى الحال الذي شابهوا فيه من قبلهم بقوله كفروا بايات الله اي ستروا ما دلتهم عليه انوار عقولهم من دلالات الملك الاعلى وعظوها
لانهم لم يعملوا بها وصدوا عن ذلك من تبعهم فكان جزاؤهم ما تسبب عن ذلك من قوله فاخذهم الله اي الذي له مجامع الكبر ومعاقد العظمة والعز
اخذ غلبة وقهر وعقوبة بذنوبهم كما اخذهم فانهم تجرؤا على رتبة الالوهية التي تخشا دون شوامخها نوافذ الابصار وتظلم عند بوارق
اشعتها سواطع الانوار وتضمحل بالبعد عن اولى مراقيها القوى وتنقطع بتوهم الدنو من فيافيها الاعناق فنزلت بهم صواعق هيبتها واناخت
عليهم صروف عظمتها فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ولا تحس الا ملاعبهم واماكنهم ولما اخبر باخذهم علله بقوله ان الله اي الذي له الاحاطة الشاملة
قوي اي يغلب كل شي ولا يغلبه شي شديد العقاب ولما كان كانه قيل فما له يمهلهم ولا يعاجلهم بالاخذ قبل النكاية في اوليائه واهل وده
واصفيائه قال ذلك اي الاخذ على هذه الحالة بان الله اي بسبب انهم غيروا ما في انفسهم وقد كان له سبحانه ان ياخذهم قبل ان يغيروا لعلمه
بما في ضمايرهم ولكنه تعالى اجرى سنته الالهية لتمام علمه وكمال قدرته واحاطته بجميع صفات الكمال بانه لم يك هكذا كان الاصل ولكن
حذف اختصارا تقريبا لبيان تعميم العلة انقاذا للسامع من مثل ذلك وحذف نون يكن ارشادا الى ان هذه الموعظة خليقة بان يوجز بها
غاية الايجاز فيبادر الى القائها لما في حسن تلقيها من عظيم المنفعة لان من خالفها جدير بتعجيل الانتقام مغيرا نعمة اي قلت او جلت وبين انه
لا نعمة على احد الا منه فقال انعمها على قوم اي من اي طائفة كانوا حتى يغيروا اي يبدلوا ما يعتقدونه بانفسهم بغيره مما هو غريزة لهم
وهو خفي عنهم يظنون اتصافهم بضده مما هو ظاهر لهم اتصافا غريزيا وان اي وبسبب ان الله اي الذي له الكمال كله سميع اي لما يكذبون به
الرسول ولاقوالهم ان ما يظهرونه وصفهم الحقيقي عليم اي بما تكن ضمايرهم من غيره وان جهلوه هم فيبتليهم ببلاء يظهر به ذلك المكنون
ويبرز كل سر مصون فاذا تعلق به العلم ظاهرا علق به الحكم قاهرا لتمام قيام الحجة ولتمام علمه بحالهم امهلهم وانما يستعجل من يخاف ان
تخيب فراسته او يتغير علمه واما الذي علمه بالظواهر والضماير على حد سوا فالحالتان عنده سيان فهو يمهل لاتمام الحكمة ولا يهمل من استحق
النقمة وذلك التغيير الذي اظهره البلاء هو التكذيب بالحق عنادا والبعد عما كانوا يدعونه من العدل والمشي على مناهج العقل والاستحيا
من العناد والتنزه من طرق الفساد هكذا كانت كل امة ارسلت اليها الرسل تدعي وما عندها من خلاف ذلك مستور في ضمايرها مكنون في
سرايرها لا تعلمه كما تشاهد اكثر من تعاشره يظن في نفسه ما ليس فيها وعند الامتحان يكذبه العيان فلما جاءتهم الرسل واوضحوا لهم الامر
ايضاحا ليس معه لبس فكذبوهم غيروا ما كان في نفوسهم مما كانوا يزعمونه ثم كرر قوله كداب آل فرعون اي فرعون وقومه فانهم اتباعه
فلا يتخيل انهم يفعلون شيا الا وهو قايدهم فيه والذين من قبلهم لدقيقة وهي انه قد تقدم انه ما من امة الا ابتليت بالضراء والسراء
فالاولى ينظر اليها مقام الالهية الناظر الى العظمة والكبريا والقهر والانتقام والثانية ثمرة مقام الربوبية الناشي عنه التودد
والرحمة والرافة والاكرام ولذا عبر في الاولى باسم الذات الجامع لجميع الصفات الذي لفظه عند من يقول باشتقاقه موضوع لمعنى الالهية
اشارة الى انهم اعرضوا في حال الضراء عن التصديق وعاملوا بالتجلد والاصرار ولذا عبر في هذه الثانية باسم الرب فقال كذبوا اي
عنادا زيادة على تغطية ما دل عليه العقل بالتكذيب بالنقل بايات ربهم فاشار بذلك الى بطرهم بالنعم وتكذيبهم انها بسبب دعاء
الرسل ولما اشار بالتعبير به الى انه غيرهم معاملته بالعطف والاحسان قال فاهلكناهم اي جميعا بذنوبهم واغرقنا فاتى بنون
العظمة اشارة الى انه اتاهم بما انساهم ذلك البر آل فرعون اشارة الى انهم نسوا ان الرب كما انه يتصف بالرحمة فلا بد ان يتصف بالعظمة
والنقمة والا لم تتم ربوبيته وهذا واضح مما تقدم في الاعراف عن التورية في شرح فارسلنا عليهم الطوفان الى آخرها من ان فرعون
كان يسئل موسى عليه السلام عند كل نازلة الدعاء برفعها معتلا بان الرب ذو حلم واناة ورحمة وقدم الاولى اشارة الى انهم بلغوا
الغاية في الجراة والتعبير فيها بكفروا مويد لذلك اي ان مجرد الستر للايات بالاعراض عنها كاف في ايجاب الانتقام ولو لم يصرح
بتكذيب لعظم المقام ومادة كفر باي ترتيب كان تدور على الخلطة المميلة المحيلة وخصوص هذا الترتيب تدور على الستر
اي غطوا التصديق بايات ربهم ويجوز وهو الاحسن ان يكون دورانها مطلقا لا بقيد ترتيب على الفكر وهو ارسال عين
البصيرة في طلب امر ويلزمه الكشف والستر لانه تارة يرفع اذيال الشبه عن ذلك الامر فينجلي ويتحقق وتارة يسلط قواطع
الادلة عليه فيعدم ويتمحق وربما ارخى اذيال الشبه عليه فاخفى بعد ان كان جليا كما كان شمرها عنه فالفى وقد كان خفيا ولما
اخبر سبحانه بهلاكهم اخبر بالوصف الجامع لهم في الهلاك فقال وكل اي من هولاء ومن تقدمهم من آل فرعون ومن قبلهم كانوا اي
جبلة وطبعا ظالمين اي لانفسهم وغيرهم واضعين الايات في غير مواضعها وهم يظنون بانفسهم العدل ثم علل اتصافهم بالظلم او استانف
بيانا له بقوله ان شر الدواب اي ظلموا لانهم كفروا بايات ربهم الذي تفرد بالاحسان اليهم وشر الدواب عند الله اي في
حكم الحكم العدل الذي له الامر كله وفي علمه الذين كفروا اي منهم ومن غيرهم اي حكم عليهم بلزوم الكفر لما ركب فيهم من فساد الامزجة

مادة كفر

الجزور رقابهم وسقاهم مكان الخمور كؤوس المنايا واصاح عليهم مكان القيان صوائح النوائح ولعله قدم الجار اشارة الى انه لشدة احاطته
باعمالهم كانه لا نظر له الى غيرها فلا شاغل له عنها ولما بين لهم فساد اعمالهم لفساد نياتهم تنفيرا منها زاد في التنفير بالاشارة الى الامر بدوام
تذكرها بعاطف على غير معطوف عليه مذكور فقال واذ فعلم ان التقدير قطعا اذكروا ذلك واذكروا اذ وزاد في التنفير بذكر العدو المبين
والتنبيه على ان كل ما يامر به انما هو خيال لا حقيقة له كما كان ما سول لهم من هذا الامر فقال زين لهم الشيطان اي العدو المحترق البعيد
من الخير اعمالهم التي اتقنوها بزعمهم في معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه تبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني حين
خافوا من قومه بني كنانة ان يخلفوهم في اهليهم بسوء لما كان بينهم مما يوجب ذلك فكاد ذلك ان يثبطهم عن المسير وقال غار لهم في انفسهم
لا غالب لكم والجار خبر لا والا لانتصب اسمها لكونه يكون اذ ذاك شبيها بالمضاف اليوم من الناس وغار لهم فيمن خلفوه بقوله واني جار لكم
من ان تخلفكم كنانة بشيء تكرهونه وسار معهم الى بدر ينشطهم ويشددهم ويبسطهم بهذا القول الظاهر الى ما يوسوس لهم به في الصدور
فلما تراءت الفئتان اي رات كل فئة الاخرى وراى جبريل عليه السلام في جنود الله نكص اي رجع يمشي القهقرى وبطل كيده واثار وسوسته
على عقبيه اي الى ورائه فقالوا اين ابي سراق ولا يظنونه الا سراقة فمر ولم يجبهم ولا عرج عليهم وقال اي بلسان الحال او القال وهم
يسمعونه او لا يسمعونه اني بريء منكم ثم علل براءته منهم بقوله اني ارى اي بعين بصري ما لا ترون اي من الملائكة والغضب الذي هو نازل
بكم فقال له الحرث بن هشام وكانت يده في يده والله ما نرى الا جواسيس يثرب فاستانف قوله موكدا لانكارهم لذلك اني اخاف الله
اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما ان يهلكني معكم بالمعاجلة بالعقاب والله اي الملك الاعظم شديد العقاب فكانوا يقولون انهزم بنا سراقة
فقال بلغني انكم تقولون كذا والله ما علمت بمسيركم الا عند ما بلغني انهزامكم فكانوا يكذبونه حتى اسلموا فعلموا ان الذي غرهم الشيطان
وذلك مشهور في السير وهو اولى من ان يحمل على مجرد الوسوسة وفي الحديث ما رؤي ابليس يوما اصغر ولا احقر ولا اغيظ من يوم عرفة
لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤي يوم بدر ولما استوفى ما كان يقطع به في حق اولئك مما هو من انفسهم ومما هو من تزيين الشيطان
ابدل منه ما كان يقطع به في حقهم هم من اهل الجهل بالله وبايامه الماضية واثاره عند اوليائه واعدائه فقال اذ يقول المنافقون
اي من العرب وبني اسرائيل قولا يحددونه كل وقت لما لهم فيه من الرغبة والذين في قلوبهم مرض اي ممن لم يرسخ الايمان في قلبه ممن آمن
ولم يهاجر او من اليهود المصارحين بالكفر حين يرون الكفار وقوتهم وكثرتهم والمؤمنين وضعفهم وقلتهم غر هؤلاء مشيرين اليكم دينهم
اي في اقدامهم على ما يقطع فيه بهلاكهم ظنا منهم ان الله ناصرهم وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف هم ملوك العرب فيغيظكم
ذلك فكذبهم الله وصدق امركم بتوكلكم عليه وصبركم على دينكم ومن اي قالوا ذلك عالمين بانكم متوكلون على من تدينون له والحال انه
من يتوكل على الله اي الذي له الاحاطة الشاملة فهو يفعل ما يشاء منكم ومن غيركم بشرطه من الايمان والسعي في الطاعة كما فعلتم فانه معز
ومكرم فان الله اي الذي له الكمال المطلق عزيز اي غالب لكل من يغالبه فهو جدير بنصره حكيم اي متقن لافعاله فهو حقيق بان ياخذ
عدو المتوكل عليه من الموضع الذي لا تنفعه فيه حيلة ولما ذكر ما سرهم من حال اعدائهم المجاهرين والمساترين في الدنيا مرصعا ذلك
بجواهر الحكم وبدائع الكلم التي بملازمتها تكون السعادة وبالاخلال بها تحل الشقاوة اتبعه ما يسرهم من حال اعدائهم عند الموت
وبعده فقال مخاطبا لمن لو كشف الغطاء لم يزدد يقينا حاديا بتخصيصه بالخطاب كل سامع على قوة اليقين ليوهل لمثل هذا الخطاب
حكاية لحالهم في ذلك الوقت ولو اي يقولون ذلك والحال انك لو ترى يا اعلى الخلق اذ يتوفى اي يستوفي اخراج نفوس الذين كفروا اي
من هؤلاء القائلين ومن غيرهم ممن قتلتموهم ببدر ومن غيرهم بعد ذلك وقبله الملائكة اي جنودنا الذين وكلناهم بهم حال كونهم
يضربون ولما كان ضرب الوجه والدبر ادل ما يكون على الذل والخزي قال وجوههم وادبارهم اي اعطى اجسامهم وادناها فغيره
اولى وحال كونهم يقولون لهم ذوقوا ما كنتم به تكذبون وذوقوا عذاب الحريق اي لرايتم منظرا هائلا وامرا فظيعا فسركم ذلك
غاية السرور وما اثر كلامهم في غيظكم فانهم يعلمون حينئذ من الذي غره دينه ولو وان كانت تقلب المضارع ماضيا فلا يخلوا
التعبير بالمضارع في حيزها من فائدة وهي ما ذكر من الاشارة الى ان هذا لا يخص ميتا منهم دون ميت بل لا فرق بين متقدمهم ومتاخرهم
من مات ببدر او غيرها وليس في الكلام ما يقتضي ان يكون القائلون غر هؤلاء دينهم حضروا بدرا بل الظاهر ان قائليه كانوا بالمدينة
وتعبيرهم بهؤلاء التي هي اداة القرب للتحقير واستسهال اخذهم كما ان اداة البعد تستعمل للتعظيم ببعد الرتبة وعلى مثل هذا يتنزل
قول فرعون بعد ان سار بنوا اسرائيل زمانا اقله ليلة وبعض يوم كما حكاه الله عنه ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ان البغوي
قد نقل في تفسير قوله تعالى يرونهم مثليهم راي العين ان جماعة من اليهود حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة واذا
تاملت هذا مع قوله تعالى كداب آل فرعون علمت ان جل المقصود من هذه الايات الى قوله ذلك بانهم قوم لا يفقهون اليهود وفي
تعبيره بلا يفقهون تبكيت شديد لهم كما قال تعالى في آية الحشر لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون
ولما عذبوهم قولا وفعلا عللوا لهم ذلك بقولهم زيادة في تاسيفهم ذلك اي هذا الفعل العظيم الذي يفعله بكم من العذاب
الاليم بما قدمت ايديكم اي من الجراة على الله وان اي وبسبب ان له ان يفعل ذلك وان لم تقدموا شيئا فان الله اي الذي له
صفات الكمال ليس بظلام اي بذي ظلم للعبيد فان ملكه لهم تام والمالك التام الملك على ما يملكه الملك الذي لا شيء يخرج عن دائرة
ملكه وهو الذي جبلكم هذه الجبلة الشريرة التي تاثرت عنها هذه الافعال القبيحة وهو لا يسئل عما يفعل من الذي يسئله
ويجوز ان يكون المعنى وليس بذي ظلم لانه لا يترك الظالم يبغي على المظلوم من غير جزاء لكم على ظلمكم لاهل طاعته وسياتي في فصلت
حكمة التعبير بصيغة تحتمل المبالغة ولما بين بما مضى ما يوجب الاجتماع عليه والرجوع في كل امر اليه وبين ان من خالف ذلك
هلك كائنا من كان اتبعه بما يبين ان هذا من العموم والاطراد بحيث لا يخص زمانا دون زمان ولا مكانا سوى مكان فقال

تعالى

بعدم الملايمة للخير فكانوا بذلك قد نزلوا عن رتبة الانسان الى رتبة مطلق الحيوان ثم الى دركة الحشرات والديدان بل الجعلان لان شر
الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود فهم اي بسبب ذلك لا يؤمنون اي لا يتجدد منهم ايمان يستمرون
عليه لما سبق من علم الله فيهم فلم ينتفعوا بما اتاهم من صفة الربوبية فمحقتهم صفة الالهية ولعله انما خص آل فرعون تذكيرا لاكثر من كان يقول
غر هؤلاء دينهم وهم اليهود بانهم كانوا بالنسبة الى فرعون واله اضعف من الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة الى قريش واتباعهم فان اليهود
مع قلتهم عندهم كانوا قد دانوا لهم بذل العبيد لمواليهم بل اعظم ومع ذلك فانهم نصروا عليهم لما كان الله معهم واعلاما لهم بانهم الآن
كآل فرعون في العناد مع ما هم فيه من القلة والذلة فقد جمعوا من كل قوم اخس صفاتهم واردا حالاتهم ولذلك ابدل من عموم الذين
كفروا الذين عاهدت منهم وهم اليهود بلا شك اما بنو قينقاع او النضير او قريظة او الجميع بحسب التوزيع فكل منهم نقض ما كان اخذ
عليه صلى الله عليه وسلم من العهود واخلف ما كان اكده من الوعود ولما كان العهد جديرا بالوفاء ولا سيما من العلماء عبر بقوله ثم
ينقضون عهدهم اي يجددون نقضه كلما لاح لهم خلب برق او زور بطل يغير في وجه الحق ثم عظم الشناعة عليهم بقوله في كل مرة
ثم نبه على رضاهم من رتبة الشرف العلية القدر وهدة الشرف والسفه بعدم الخوف من عاقبة الغدر بقوله وهم لا يتقون اي الناس
في الذم لهم على ذلك ولا الله في الدنيا بان يمكن منهم ولا في الآخرة بان يخزيهم ثم يركسهم بعد المناداة بالعار في النار ولما ايأسه من
تقواهم بما اشتملوا عليه من تكرير النقض الناشي عن غاية الحسد وصلابة الرقاب وقساوة القلوب والغشاوة على الكفر امره بما يوهن
قواهم ويحل عراهم من الباس اليأس بانزال البأس كما جرت عادته سبحانه انه يوصيه بالرفق ببعض الناس لعلمه ان عمله يزكو لبنيانه
على احسن اساس فقال موكدا لاجل ما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من محبة الرفق فاما تثقفنهم اي تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب
اي التي من شانها ان تحرب اي تسلب اعز ما له وتقتل فيندربوا حربا فيها المبطل ويربح ويرحب المحق المجمل فشرد بهم من خلفهم اي فنكل بهم
تنكيلا يصدع ويفرق عن محاربتك من وراءهم ممن هو على مثل رايهم في المنافرة لك ولا تتركنهم اصلا لان اتباعك امهر منهم واحذق فهم
لذلك اثبت وامكن فاذا اوقعت بهم ذلك لم يجسر عليك احد بعده اتعاظا بهم واعتبارا بحالهم ومادة شرد بكل ترتيب تدور
على النفوذ فان كان على قصد وسنن فهو رشد ويلزمه الاجتماع وان كان على غير سنن وجامع استقامة فهو شرود ودرسه اي حاجه
ويلزمه التفرق قال ابن فارس شرد البعير شرودا وشردت به تشريدا فاما قوله فشرد بهم فالمراد نكل بهم وسمع وقال القزاز
شردت الرجل تشريدا اذا طردته وشردت به اذا سمعت به وذكرت عيوبه للناس وقوله تعالى فشرد بهم اي اجعلهم مطردين
انتهى فالمراد المبالغة في الايقاع بهم لانهم اذا ضربوا ضربة تفرقوا فيها على غير وجه ولا انتظام علم من شردوا اليه ممن وراءهم
انه قد تناهى بهم الذعر قد عرهو فوقع في الشرود قوة او فعلا فعلى قراءة من جعل من حرف جر يكون المفعول محذوفا والتقدير
اوقع بما تفعل بهؤلاء من الامور الهائلة التشريد في المكان الذي خلفهم بشرود من فيه قوة او فعلا بما سمعوا او راوا من حال
هؤلاء حين واجهوك للقتال وعلى قراءة من جعلها اسما موصولا تكون هي المفعول فالمعنى شرد الذين خلفهم عن اماكنهم اما بالفعل او بالقوة
بان تفترق قلوبهم بما تفعل بهؤلاء فتصير بما ترى من قبيح حالهم قابلة للشرود ويكون اختلاف المعنى بالتبعيض في جعل من حرف جر
والتعميم في جعلها موصولا بالنظر الى القوة والفعل ولما ذكر الحكم ذكر ثمرته باداة الترجي ادارة له على الرجاء فقال لعلهم اي
المشردين والمشرد بهم يذكرون ما سبق من ايام الله فيعلموا ان هذه افعاله وهؤلاء رجاله فينفعهم ذلك فلا ينقضوا عهدا بعده
ولقد فعل بهم صلى الله عليه وسلم ذلك فانهم ان كانوا بني قريظة فقد ضربهم صلى الله عليه وسلم ضربة لم يفلت منهم مخبر بل ضرب
اعناقهم في حفائر في سوق المدينة وكانوا نحو سبعمائة على دم واحد الا من اسلم منهم وهم يسير وسبى ذراريهم ونساءهم وغنم اموالهم
وان كانوا قينقاع فقد نزل بساحتهم بعد نقضهم واظهارهم غاية الاستخفاف والعناد فلم يلبثهم الله ان جعلهم في قبضته وما بقي الا
ضرب اعناقهم كما وقع لبني قريظة فساله فيهم عبد الله بن ابي المنافق والح عليه صلى الله عليه وسلم في امرهم وكان يتالفه ويتالف بهم
فتركهم له صلى الله عليه وسلم واجلاهم من المدينة وكانت واقعتهم اول وقائع اليهود بالمدينة وان كانوا بني النضير فقد نقضوا
ايضا فاحاط بهم ومناهم المنافقون الغرور فقذف الله الرعب في قلوبهم فسالوه صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم
ففعل ثم اتم الله له الامر فيهم في خيبر ووادي القرى وغيرهما الى ان لم يدع منهم في جزيرة العرب فريقا الا ضربه بالذل واجرى عليه
الهوان والصغار ووقائعه فيهم مشهورة الخبر معروفة في السير ولما امره بما يفعل بمن تحقق نقضه ارشده الى ما يفعل بمن خاف
غدره فقال واما تخافن واكده اشارة الى ظهور القرائن ووضوح الامارات من قوم اي ذوي قوة بينك وبينهم عهد خيانة اي في ذلك
العهد فانبذ اي اطرح طرح مستهين محتقر اليهم اي ذلك العهد نبذا كائنا على سواء اي امر مستو في العلم بزواله بينكم وبينهم وعدل
ونصفه ولا تناجزوهم وهم على توهم من بقاء العهد وهذا اشارة الى ان يكونوا على غاية الحذر والفحص عن اخبار العدو بحيث لا يتركونه
الى ان ينقض بل يعلمون ميله الى النقض فينبذون اليه عهده لان ذلك اردع له فهو ادعى الى السلم ثم علل جواز النبذ ووجوب
النصفة بقوله ان الله اي الذي له صفات الكمال لا يحب الخائنين اي لا يفعل بهم فعل المحب لا منكم ولا من غيركم ولما كان نبذ العهد
مظنة الخوف من تكثير العدو وايقاظه وكان الاتباع اولى بالخوف اتبع سبحانه ذلك ما يجري عليه ويسلي عن فوت من هرب من
الكفار في غزوة بدر فلم يقتل ولم يؤسر فقال ولا يحسبن بالياء غيبا على قراءة ابن عامر وحمزة وحفص اي احد من اتباعك في وقت
من الاوقات ووجه قراءة الباقين بالخطاب ان امر الرئيس ونهيه اوقع في نفوس الاتباع وادعى لهم الى السماع الذين كفروا اي عامة
من نبذ ومن لم ينبذ سبقوا اي وقع لهم سبق وهو الظفر في وقت ما فانهم لم يفوتوا شيئا من مرادنا ثم علل ذلك بقوله انهم لا
يجزون اي لا يفوتون شيئا مما نريد تسليطه عليهم اي لا يغرنك علوهم وكثرتهم وجري كثير من الامور على مرادهم فكل ذلك بتدبيرنا

مادة شرد

ولا يخرج شي عن مرادنا ولا بد ان نهلكهم فانهم في قبضتنا لم يخرجوا منها ولا يخرجون فضلا عن ان يفوتوها فاصبر ولما كان هذا
ربما ادى الى ترك المناصبة والمحاربة والمغالبة اعتمادا على الوعد الصادق المويد بما وقع لهم في بدر من عظيم النصر مع نقص العدة
والعدة اتبعه ما يبين ان اللازم ربط الاسباب بمسبباتها وليتبين الصادق في دعوى الايمان من غيره فقال واعدوا لهم اي للاعدا
ما استطعتم اي دخل في طاعتكم وكان بقوة جهدكم تحت مقدوركم وطاقتكم من قوة اي قوة كانت وفسرها النبي صلى الله عليه وسلم بالرمي
اشارة الى انه اعظم عدده على نحو الحج عرفة وفي امرهم بقوله ومن رباط الخيل ايما الى باب من الامتنان بالنصر في بدر لانه لم يكن معهم
فيه غير فرسين والرباط هو الخيل التي تربط في سبيل الله الخمس منها فما فوقها وخصها مع دخولها فيها قبل اشارة الى عظيم غنائها والرباط
ايضا ملازمة ثغر العدو وربط الخيل به اعدادا للعدو ثم اجاب من كانه قال لم نفعل ذلك وما النصر الا بيدك بقوله ترهبون
اي تخوفون تخويفا عظيما باهرا يودي الى الهرب على ما اجريت من العوايد به اي بذلك الذي امرتكم به من المستطاع او من الرباط
عدو الله اي الذي له العظمة كلها لانه الملك الاعلى وعدوكم اي المجاهرين والاليق بقوله واخرين اي وترهبون بذلك اخرين من دونهم
ان يحمل على المنافقين لوصفهم بقوله لا تعلمونهم كما قال تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق
لا تعلمهم ولانهم لا يكونون دونهم الا اذا لم يكونوا في العداوة مثلهم وكل من فرض غير المنافقين مظهرون للعداوة واما المنافقون
فانهم مدعون باظهار الاسلام انهم اولياء لا اعداء الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما يعلمهم اي فهو يكفيكم ما بطن من امرهم وليس عليكم
الا الجهد بحسب ما تعلمون والاية بالنسبة الى ما تقدمها من باب اعقلها وتوكل والمعنى لا تظنوا ان الكفار فاتونا وافلتوا من عذابنا
بامتناعهم منكم فانهم في قبضتنا اين ما توجهوا وحيث ما حلوا فسوف نهلكهم ولا يعجزوننا ومع ذلك فلا يحملنكم الاتكال على قوتنا
على ترك اسباب مغالبتهم بما اعطيناكم من القوى بل ابذلوا جهدكم وطاقتكم في اعداد مكايد الحرب وما يتعلق بالرمي من القوة وبالخيل
من الطعن والضرب والفروسية لنلقي بذلك رعبكم في قلوب عدوكم القريب والبعيد من تعلمونه منهم ومن لا تعلمونه ولما كان
اغلب معاني هذه الاية الانفاق لان مبنى اعداد القوة عليه رغب فيه بقوله وما تنفقوا من شي اي من الاشياء وان قل في سبيل الله
اي طريق من له صفات الكمال من الجهاد وغيره يوف اليكم اي اجره كاملا في الدنيا والاخرة او في ما يكون مضاعفا احوج ما تكونون اليه
وانتم لا ولما كان المخوف مطلق النقص بني للمفعول قوله تظلمون اي لا تنقصون شيا منه واما الزيادة فلا بد منها وهي على قدر النية
ولما كان ضمان النصر والخلف في النفقة موجبا لدوام المصارمة والبعد من المسالمة اتبعه قوله امرا بالاقتصاد وان جنحوا
اي مالوا واقبلوا في نشاط وطلب جازم للسلم اي المصالحة والتعبير باللام دون الى لا يخلو عن ايما الى التهالك على ذلك ليتحقق صدق
الميل فاجنح ولما كان السلم مذكرا يجوز تانيثه قال لها اي المصالحة او تكون تانيثه بتانيث ضده الحرب وكانه اختير التانيث
اشارة الى انه يقتصر فيه على اقل ما يمكن من المدة بحسب الحاجة هذا اذا كان الصلاح للمسلمين في ذلك بان يكون بهم ضعف واقصى
مدة الجواز عشر سنين اقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الزيادة ولما كان ذلك مظنة ان يقال انه قد عهد منكم من الخداع
ما اعلم انهم مطبوعون منه على ما لا يومنون معه فمسالمتهم خطر بغير نفع لوح الى ما ينافي ذلك بقوله وتوكل على الله اي الذي له مجامع
العظمة في ما تعهد من خداعهم فانه يكفيك امره ويجعله سببا لدمارهم كما وقع في صلح الحديبية فان غدرهم فيه كان سبب الفتح
وحرف الاستعلاء في هذا وامثاله معلم بانه يفعل مع المتوكل فعل الحامل لما وكل اليه المطيق لحمله ثم علل الامر بالتوكل الذي
معناه عدم الخوف من عاقبة امرهم في ذلك بقوله انه هو اي وحده السميع اي البالغ العلم وحده السمع فهو يسمع كل ما ابرموه في
ذلك وغيره سرا كما يسمعه علانية العليم اي البالغ العلم وحده فهو يعلم كل ما اخفوه كما انه يعلم كل ما اعلنوه ثم صرح بالاستهانة بكيدهم
فقال وان يريدوا اي الكفار ان يخدعوك اي بما يوقعون من الصلح او بغيره فان حسبك اي كافيك الله اي الذي له صفات العز كلها
ثم علل كفايته او استانف بيانها بقوله هو اي وحده الذي ايدك بنصره اي اذ كنت وحدك وبالمومنين اي بعد ذلك في هذه
الغزوة التي كانت العادة قاضية فيها بان من معك لا يقومون للكفار فواق ناقة ولعل هذا تذكير بما كان من الحال في اول
الاسلام اي ان الذي ارسلك مع وحدتك في مكة بين جميع الكفار وغربتك فيهم وان كانوا بني عمك بسبب دعوتك الى هذا الدين
وعلوك عن احوالهم البهيمية الى الاخلاق الملكية هو الذي قواك وحده بالنصر عليهم حتى لم يقدروا لك على اذى يردك عن الدعاء
الى الله مع نصب جميعهم لك ولمتبعيك شباك الغدر ومدهم اليكم ايدي الكيد ثم سلكم من بين اظهرهم كما تسل الشعرة من العجين مع اجتهادهم
في منعكم من ذلك وايدكم بالانصار وجمع بين كلمتهم بعد شديد العداوة والف بين قلوبهم بعد غاية التباغض فصار البعيد منهم قريبا
والبغيض حبيبا والعدو صديقا وكانوا على قلب واحد ثم استانف الاخبار بما دل على تعذر الفتهم لولا هو فقال لو انفقت
اي وانت اتقن الخلق لما تصنعه ما في الارض جميعا اي في ارادة ذلك ما الفت بين قلوبهم ثم اكد ذلك بقوله ولكن الله اي وهو
الذي له جميع صفات الكمال الف بينهم ثم علل نفوذ امره فيه بقوله انه عزيز حكيم اي انه لولا عزته التي تغلب كل شي ولا يغلبها
شي وحكمته التي يتقن بها ما اراد بحيث لا يمكن لاحد ان يغير شيا منه لما تالفوا بعد ان كان قتل كل احد من فريقيهم للاخر اشهى
من لذيذ الحيوة وصافي العيش لما بينهم من الاحن التي لا تزال تثور فتغلي لها الصدور حتى تفور بقتل الاحباب من الوالدين
والاولاد والقهر بانواع الاذى مع المجاورة المقتضية لدوام التحاسد واثارة الضغاين وكذا فعل سبحانه بجميع العرب بعد ما
كان بينهم من القتل المنتشر مع ما لهم من الحمية والانفة الحاملة على الانتقام والذي امدك بهذه الالطاف حتى لا يموت باق على ما كان
عليه من القدرة والقوة فهو الكفيل بحراستك ممن يريد خداعك فاذا امركم بامر فامتثلوه غير مفكرين في عاقبة فانه قد ثبته بعزته
واتقنه بحكمته وستعلمون ولما صرح بان الله كافيه وكانت الكفاية وكانت كفاية الله للعبد اعظم المقاصد التفتت الانفس الى

انه هل يكفيه مطلقا وهل فعل مع المومنين ايضا مثل ذلك فاتبعها بقوله معبرا بوصف النبوة الذي معناه الرفعة والاطلاع من جهة الله
على ما لا يعلمه العباد لانه في سياق الاخبار ببعض المغيبات والتصرف في القلوب يا ايها النبي اي العالي القدر الذي نعلمه بعواقب اموره حسبك
اي كافيك الله اي الذي بيده كل شيء ومن اي مع من اتبعك من المومنين فيجوز ان تكون المعية من ضميره صلى الله عليه وسلم فيكون المومنون
مكفيين وان تكون من الجلالة فيكونوا كافين حتى يكون المعنى فهو كافيهم ايضا وهم كافوك لانه معهم وساق سبحانه هذا هكذا تطييبا لقلوبهم
وجبرا لخواطرهم وبالمعنى الثاني لتضمنه الاول وزيادته عليه قال ابن زيد والشعبي حسبك الله وحسبك من اتبعك وساقها سبحانه
على وجه مكرر لكفاية نبيه صلى الله عليه وسلم محتمل لان في من كان على اتباعه في ذلك الوقت كفاية لئلا يستقلوا بالنسبة الى كثرة
اعدائهم ولما بين انهم كافون مكفيون وكان ذلك مشروطا بفعل الكيس والحزم وهو الاجتهاد بحسب الطاقة امره بان يامرهم بما يكونون
به كافين من الجد في القتال وعدم الهيبة للابطال في حال من الاحوال فقال معبرا بالوصف الناظر الى جهة التلقي عن الله يشتد
وثوق السامع بما يسمعه يا ايها النبي اي الرفيع المنزلة عندنا الممنوح من اخبارنا بكل ما يقر عينه وعين اتباعه حرض المومنين اي
العريقين في الايمان على القتال اي بالغ في حثهم عليه وندبهم بكل سبيل اليه ومادة حرض باي ترتيب كان حرض حضر رحض
رضح ضرح ترجع الى الحضور ويلزمه الخفض والدعة ويلزمه الكسل فيلزمه الضعف فيلزمه الفساد ومنه الحرض الذي اشفى
على الهلاك اي حضر هلاكه وحضر هو موضعه الذي هو فيه فصار لما به لا يزايله ما دام حيا ورحض الثوب اي غسله من الدعة التي
هي شان الحضور غير المسافرين والرحضاء عرق الحمى تشبيه بالمغسول والمرضاح الحجر الذي لا يزال حاضرا لرضح النوى والضريح
شق مستطيل يوضع فيه الميت فيكون حاضره لازما له دايما الى الوقت المعلوم ويلزمه الرمي والطول ومنه المضرحي للطويل
الجناحين من الصقور ولان كل صيد عنده حاضر لقوة طيرانه والرجل الكريم لعلو همته واحضرت الدابة عدت فجعلت الغايب
حاضرا والتحريض الحث على حضور الشيء فحرض على القتال حث على الطيران اليه بتعاطي اسبابه والاستعداد لحضوره حتى يصير
المحثوث كانه حاضر متى قيل يا صباحاه طار الى المنادي وكان اول حاضر الى النادي لانه لا مانع له من شيء من الاشياء بل استعداده
استعداد الحاضر في الصف وقال الامام ابو الحسن علي بن عيسى الرماني في تفسيره والتحريض الدعاء الوكيد بتحريك النفس على امر
من الامور والحث والتحريض والتحضيض نظاير ونقيضه التفتير والتحريض ترغيب في الفعل بما يبعث المبادرة اليه مع الصبر
عليه انتهى فهذه حقيقته لا ما قال في الكشاف وتبعه عليه البيضاوي ولما ندبهم الى القتال اعلمهم بانهم منصورون فيه
ان لازموا آلة النصر فقال استينافا جوابا لمن قال ما عاقبتهم اذا رغبوا فبادروا الى ذلك ان يكن ولما كانت لذة الخطاب تثير
الهمم وتبعث العزايم وتوجب غاية الوثوق بالوعد عدل عن الغيبة فقال منكم عشرون اي رجلا صابرون اي الصبر المتقدم يغلبوا
مايتين اي من الكفار والاية من الوعد الصادق الذي حققه وقايع الصحابة رضي الله عنهم وان يكن منكم ماية اي صابرة يغلبوا الفا
اي كاينين من الذين كفروا فالاية من الاحتباك اثبت في الاول وصف الصبر دليلا على حذفه ثانيا وفي الثاني الكفر دليلا على حذفه اولا
ولعل ما اوجبه عليهم من هذه المصابرة علة للامر بالتحريض اي حرضهم لاني اعنت كلا منهم على عشرة فلا عذر لهم في التواني وعلل علوهم
عليهم وغلبتهم لهم على هذا الوجه بقوله بانهم اي هذا الذي اوجبته ووعدت بالنصر عنده بسبب انهم اي الكفار قوم لا يفقهون
اي ليس لهم فقه يعلمون به علم الحرب الذي دربه اهل الايمان وان كنتم ترونهم اقويا الابدان فيهم كفاية للقيام بما ينوبهم من امر
الدنيا لانهم ابدان بغير معان كما ان الدنيا كذلك صورة بلا روح لانهم لم يبنوا مصادمتهم على تلك الدعايم الخمس التي قدمتها لكم والهمتكم
اياها في بدر فمن لم يجمعها لم يفقه الحرب لان الجيش ان لم يكن له رئيس يرجع اليه لم يفلح وذلك الرئيس ان لم يكن امره مستندا الى ملك الملوك
كان قلبه ضعيفا وعزمه وان كثرت جموعه مضطربا فانهم يكونون صورا لا معاني لها والصور منفعلة لافعاله والمعاني هي الفعالة
والمعتمد على الله صورته مقترنة بالمعنى فاقل ما يكون في مقابلة اثنين من اعدائه كما حطه عليه الامر في الجهاد ولعل هذا هو السر في
انتصار الخوارج من اتباع شبيب وانظاره على قلتهم على الجيوش التي كانوا يلقونها عن ملوك زمانهم على كثرتها فان الخوارج معتقدون
ان قتالهم لله مستندين في هذا الاعتقاد الى ظلم اوليك الملوك وخروجهم عن امر الله والذين يلقونهم عن اوليك الملوك وان اعتقدوا
انهم اهل طاعة لطاعتهم الامام الواجب طاعته لكنهم يعلمون ان استناد امامهم الى الله ضعيف لمخالفته لمنهاج الاستقامة وذلك
الرئيس نفسه معتقد ذلك وان ولايته مفسدة وان تحريم النبي صلى الله عليه وسلم لقتاله انما هو درء الاعظم المفسدتين فصار
استناد الخوارج الى ملك الملوك اعظم من استناد اوليك ولهذا نشا عن استناد الخوارج الزهد الذي هو اعظم اسباب النصر
ونشا عن استناد اوليك الملوك الاخلاد الى الدنيا الذي هو اعظم الموجبات للخذلان مصداق ذلك انهم لما خرجوا على
علي رضي الله عنه فسار فيهم بسنة الله من اللطف بهم وتقديم وعظهم والاعذار اليهم وردهم الى الله فلما لم يقبلوا قصدهم
في ساعة قال له بعض من كان يعتني بالنجوم انها ساعة نحس ان سار فيها خذل فقال سيروا فيها فانه ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم
منجمون فلما لقي الخوارج لم يواقفوه حلب ناقة ولا افلت منهم احد ولا قتل من جماعته انسان وفهم الايجاب في قوله تعالى
ان يكن منكم عشرون الاية وان الخبر فيه بمعنى الامر من قوله الان خفف الله اي الملك الذي له الغنى المطلق وجميع صفات الكمال
عنكم اي رحمة لكم ورفقا بكم وعلم اي قبل التخفيف وبعده ان فيكم ضعفا اي في العدد والعدد ولكنه اوجب عليكم ذلك ابتلاء فبعد
التخفيف علم ضعفهم واقعا وقبله علم انه سيقع وتصديره هذه الجملة بالان يشير الى ان النسخ كان قبل ان تمضي مدة يمكن فيها غزو
وفايدة الامر المعقب بالنسخ حيازة الاجر بقبوله والعزم على امتثاله وقيل ما كان النسخ الا بعد مدة بعد ان سالوا في التخفيف وروى
البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم

مادة حرض

ان لا يفر واحد من عشرة فجاء التخفيف الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم والمعنى
انه كان كتب مقدارا من الصبر لكل مؤمن فلما خفف ازال ذلك بالنسبة الى المجموع وهذا لا يمنع استمرار البعض على ما كان كما فعل سبحانه بالصحابة
رضوان الله عليهم في غير موضع منها غزوة موتة فقد كانوا فيها ثلثة الآف وكان من لقوا من جموع هرقل مايتي الف ماية من الروم وماية من
العرب المتنصرة فصبروا لهم ونصروا عليهم كما في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مخبرا عنهم في هذه الغزوة ثم اخذ الراية عن غير
امره سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عامة الناس حتى لم يثبت على الاسلام
عشر العشر فصبر الصحابة رضوان الله عليهم لهم ونصروا عليهم بل الذي صبر في الحقيقة ابو بكر رضي الله عنه وحده ثم افاض الله من صبره
ونوره على جمع الصحابة رضي الله عنهم فصبروا ثم جهز الجيش واميرهم الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الدين فاخمد الله به نار
الشرك وقطع بصبره وحسن نيته جاذرة الكفر فلم تمض سنة وفي بلاد العرب مشرك فلما جمع الله العرب بهذا الدين على قلب رجل واحد
قصدوا الاعاجم من الفرس والروم والقبط فقاتلوا اهل فارس في عدة وقايع منها القادسية وكان الصحابة رضي الله عنهم فيها دون
اربعين الفا وكان المجوس اكثر من اربعماية الف وقاتلوا الروم كذلك فكانوا في اليرموك دون اربعين الفا وكان الروم نحو اربعماية
الف الى غير ذلك من الوقايع وقد صبروا في اكثرها ونصروا ثم كانت لهم العاقبة فطردوا الشرك واهله واظهر الله بهم دينه كما وعد به
سبحانه وما اجتمع اهل الاسلام واهل الضلال قط في معرك الا كانت قتلى الكفار اضعاف قتلى المسلمين غير ان الله تعالى جده وتبارك اسمه
وتمت كلمته لطف بالعرب علما منه بانهم خلاصة الناس بما طبعهم سبحانه عليه من الخصال الحميدة والاخلاق السديدة فاسلم كل من اشتملت
عليه جزيرتهم بعد وقايع كثيرة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وزمان الردة ولم تبلغ قتلاهم فيما اظن عشرة الآف انسان ثم لما جاهدوا
الاعاجم من فارس والروم وغيرهم كانت قتلى الكفار تبلغ في المعركة الواحدة ماية الف ومايتي الف كما هو مشهور في كتب الفتوح
للمدايني وسيف وابن عبد الحكم والبلاذري وغيرهم وقد جمع اشتات ذلك الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعي وشيخه ابن حبيش ولعله
حذف في الثانية التقييد بالكفار ليشمل كل من استحق القتال من البغاة وغيرهم فقال تعالى مسببا عن التخفيف المذكور رداء الامر
من ايجاب مصابرة عشرة الى الامر بمصابرة الضعف فان زاد العدد على الضعف جاز الفرار والصبر احسن فان تكن منكم ماية صابرة
اي الصبر الذي تقدم التنبيه عليه يغلبوا مايتين اي من غيركم باذن الله وان يكن منكم الف اي على النعت المذكور وهو الصبر يغلبوا
الفين ثم ارشد الى ان المراد بالصبر هو كل المامور به في اية اذا لقيتم فية فاثبتوا فقال باذن الله اي بارادة الذي له جميع الامر
ذلك واباحته لكم وتمكينه فان لم يقع الاذن لم يقع الظفر فالاية من الاحتباك ذكر في الاول صابرة دلالة على حذفه ثانيا وذكر ثانيا
الاذن دليلا على حذفه اولا ثم نبه على عموم الحكم بقوله والله اي المحيط بصفات الكمال مع الصابرين اي بنصره ومعونته ومن ثم قال
ابن شبرمة وانا ارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك ومادة اذن مهموزة وغير مهموزة واوية ويائية بتقاليبها الاربعة
اذن ذان ذون ذين ترجع الى العلم الناشي عن جاسر السمع المتعلق بجارحة الاذن وتارة يثمر الاباحة وتارة المنع فاذن بالشيء
كسمع علم به فاذنوا بحرب اي كونوا على علم من ان حربكم ابيح واذن له بالشيء كسمع ايضا اباحة له واذنه الامر وبه اعلمه وزنا ومعنى
فجعله مباحا له او ممنوعا منه واذن فلانا تاذينا عرك اذنه واذنه رده عن الشرب فلم يسقه كان التفعيل فيه للازالة واذن
النعل وغيرها جعل لها اذنا وفعله باذني بعلمي وتمكيني واذن اليه وله كفرح استمع باذنه اي اباح ذلك سمعه وقلبه واذن لرايحة
الطعام اشتهاه كانه اباحه لنفسه واذنه ايذانا اعجبه مثل ذلك سوا واذنه ايضا منعه كان الهمزة للازالة والاذن الجارحة
المعروفة بضمة وبضمتين والمقبض والعروة من كل شيء وحبل لان كلا من ذلك سبب للتمكن من حمل ما هو فيه والاذن الرجل المستمع
القابل كلما يقال له كانه لما قبله اباحه قلبه ومكنه منه والاذان النداء الى الصلوة لانه اعلام باباحتها والمكنة منها وتاذن اقسم
واعلم وتارة يتاثر عنه اباحة ومكنه من الشيء وتارة منع وحرمه فيكون من الازالة واذن العشب بدا يجف فبعضه رطب وبعضه
يابس كانه امكن من جزه وجمعه يبدو صلاحه والاذن الحاجب لانه للتمكين والمنع والاذنة محركة صغار الابل والغنم كانها تبيح كل
احد ما يريد منها وطعام لا اذنة له لا شهوة لريحه فكانه ممنوع منه لعدم اشتهائه وتاذن الامير في الناس نادى فيهم بتهدد فهو يرجع الى
المنع والزجر عن شيء تعزيزا والذين بالكسر والياء العنب وكذا الذان بالالف منقلبة عن واو العنب كانه لسهولة تناوله ولذة
مطعمه امكن من نفسه والتذون بالواو مشددة الغنى والنعمة لانهما سبب للامكان مما يشتهى والذؤنون مهموزا كزنبور نبت من
نبات الارض والمعنى انه انما اذن لكم في ذلك اذا فعلتم الشرط المذكور لانكم فقهتم علم الحرب وبنيتم امركم فيه على دعايمه الخمس التي
ملاكها والداخل في كل منها الصبر فكان الله معكم وهو مع كل صابر هذا الصبر المنبث في الدعايم الخمس في كل اوان ومما يسئل عنه في
الاية انه ابتدى في العشرات بثاني عقودها وفي الميات والالاف باولها سالت شيخنا الامام الراسخ محقق زمانه شمس الدين
محمد بن علي القاياتي قاضي الشافعية بالديار المصرية ما حكمته فقال الاصل الابتداء باول العقود لكن لو قيل ان تكن منكم عشرة
صابرة يغلبوا ماية لربما توهم انه لا تجب مصابرة الواحد للعشرة الا عند بلوغ المؤمنين هذا العقد فعدل الى الابتداء بثاني عقود
هذه المرتبة لينتفي هذا المحذور فلما انتفى وعلم انه يجب مصابرة كل واحد لعشرة ذكر باقي المراتب في الباقي على الاصل المعتاد
واما تكرير المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده فللدلالة كما قال في الكشاف على ان الحال مع القلة
والكثرة لا يتفاوت وان كان قد يظن تفاوته ولم يذكر الاحاد بشارة بكثرة هذه الامة واجتماعها وبدا بالعشرات وختم بالالوف
ليستوفي مراتب الاعداد الاصلية والله اعلم ولما تقدم الامر بالاثخان في فشرد بهم ثم باعداد القوة ثم بالتحريض على القتال بعد الاعلام
بالكفاية ثم ايجاب ثبات الواحد لعشرة ثم انزال التخفيف الى اثنين كان ذلك مقتضيا للامعان في الاثخان فحسن عتاب الاحباب في اختيار

مادة اذن

فالله يجزيك به واما ظاهر امرك فقد كان علينا قال ليس لي مال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم واين المال الذي وضعت عند ام
الفضل حين خرجت وليس معك احد ثم قلت ان اصبت في سفري هذا فاعطي الفضل كذا وعبد الله كذا فقال والذي بعثك بالحق ما علم بهذا احد
غيري وغيرها ففدى نفسه بمائة اوقية وكل واحد باربعين اوقية وقال تركتني اسئل الناس واسلم وامر عقيلا فاسلم ولم يسلم من الاسارى غيرهما
ولما كان التقدير فان صدقوك وقبلوا بشرى الله وفي الله لهم عطف عليه قوله وان يريدوا اي الاسرى او الكفار كلهم او احد منهم كابي
عزة خيانتك اي وانت اعلى الخلق في عهد من اسلام او غيره يوثقونه لك ترضى به في المن على احد منهم بغير فداء يرد الله ان يكون وبال
ذلك راجعا اليهم فيمكن منهم فلا تخش من امرهم فقد خانوا الله اي الملك الاعظم ولما كانت خيانتهم غير مستغرقة للزمان ادخل الجار فقال
من قبل اي من قبل هذا الوقت بالكفر وغيره من انواع الفسق فامكن اي فاوجد الامكان منهم وقصره ليدل على انهم صاروا سلما لكل احد منهم
اي يوم بدر بسبب خيانتهم فمثل ما امكن منهم عند وقوع الخيانة سيمكنك منهم اذا ارادوا الخيانة فان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
والله اي الذي له الاحاطة بكل شيء عليم اي بالغ العلم مطلقا فهو يعلم الاشياء كلها التي منها احوالهم حكيم اي بالغ الحكمة فهو يتقن كل ما يريده
فهو يوهن كيدهم ويتقن ما يقابلهم به فيلحقهم لا محالة وكذا فعل سبحانه في ابي عزة الجمحي فانه سال النبي صلى الله عليه وسلم في المن عليه بغير
شيء لفقره وعياله وعاهده على ان لا يظاهر عليه احدا ومدحه ثم خان فظفر به في غزوة حمراء الاسد عقب يوم احد اسيرا فاعتذر له
وساله في العفو عنه فقال لا تمسح عارضيك بمكة وتقول سخرت بمحمد مرتين لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين وامر به فضربت عنقه
وقال ابو حيان في الخيانة هي كونهم اظهر بعضهم الاسلام ثم رجعوا الى دينهم ولما بين للاسرى ان الخير الذي لم يطلع عليه من
قلوبهم غير الله لا ينفعهم في اسقاط الفداء عنهم لانه لا دليل عليه وكل ما لا دليل عليه فحكمه حكم العدم لان مبنى الشرع على ما يمكن المكلف
معرفته وهو الظواهر وختم بصفتي العلم والحكمة شرع يبين الخير الذي يفيد القرب الذي تنبني عليه المناصرة وكل خير فقال
مقسما اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اقسام قسم جمع الايمان والهجرة اولا والجهاد وقسم آوى وقسم آمن ولم يهاجر وقسم
هاجر من بعده ان الذين آمنوا اي بالله ورسوله وهاجروا اي واوقعوا الهجرة من بلاد الشرك وهم المهاجرون الاولون هجروا
اوطانهم وعشائرهم واحبابهم حبا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجاهدوا اي اوقعوا الجهاد وهو بذل الجهد في توهين الكفر
واهله ولما كانت الايات المتقدمة في آلات الجهاد من النفس والمال تارة بالحث على انفاقه واخرى بالنهي عن حبه وتارة بالتسلية
للاسرى عن فقده كان الانسب تقديم قوله باموالهم اي بانفاقهم لها في الجهاد وتضييع بعضها بالهجرة من الديار والنخيل وغيرها
وانفسهم باقدامهم على القتال مع شدة الاعداء وكثرتهم وقدم المال لانه سبب قيام النفس وكان في غاية العزة في اول الامر واخر
قوله في سبيل الله اي الملك الاعظم كذلك وفي سببيته اي جاهدوا بسببه حتى لا يصد عنه صاد فتظهر محاسنه ويسهل المرور
فيه من غير قاطع ولعله عبر بفي اعلاما بانه ينبغي ان يكون متمكنا من السبيل تمكن المظروف من ظرفه حتى يكون بالدين غالبا عليه
لا يخرج عنه بوجه من الوجوه واما في سورة براءة فلما كان السياق في بعض الاماكن بها للسبيل قدم كما سياتي وايضا فان هذه السورة
نزلت في اوائل الامر بعد وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة وكان الحال اذ ذاك شديدا جدا والاموال في غاية القلة والاعداء
لا يحصون فناسب الاهتمام بشان المال والنفس فقدما ترغيبا في بذلهما واما براءة فنزلت في غزوة تبوك في اواخر سنة تسع وكان المال
قد اتسع والدين قد عز وضخم وقوي وعظم واسلم غالب الناس فبعدت مواضع الجهاد فعظمت المشقة وتواكل الناس بعضهم على بعض
ورغبوا في الاقبال على اصلاح الاموال فناسب البداءة هناك بالسبيل ولما ذكر اهل الهجرة الاولى اتبعهم اهل النصرة وهو القسم
الثاني من المؤمنين الذين كانوا على زمنه صلى الله عليه وسلم والذين آووا اي من هاجر اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم فاسكنوهم في ديارهم وقسموا لهم من اموالهم وعرضوا عليهم ان ينزلوا لهم عن بعض نسائهم ليتزوجوهن وانما قصر
الفعل اشارة الى تعظيم فعلهم بحيث كانه لا ايواء في الوجود غير ما فعلوا وكذا قوله ونصروا اي الله ورسوله والمؤمنين وهم الانصار
رضي الله عنهم حازوا هاذين الوصفين الشريفين فكانوا في الذروة من كلتي الحسنيين واشار الى القسمين ولولا ايواؤهم ونصرهم لما
تم المقصود والمهاجرون الاولون اعلى منهم لسبقهم في الايمان الذي هو رئيس الفضائل ولحملهم الاذى من الكفار زمانا طويلا وصبرهم
على فرقة الاوطان والعشائر واشار الى القسمين باداة البعد لعلو مقامهم وعز مرامهم فقال اولئك اي العالوا الرتبة بعضهم
اولياء بعض اي في الميراث دون القرب العاري عن ذلك فبين ان الايمان ان لم يقترن بشهيدين هما الهجرة والجهاد من الغريب عن
المدينة وشهيدين هما الايواء والنصرة من اهل المدينة كان عائقا عن مطلق القرب بل مانعا من نفوذ لحمة النسب كل النفوذ فكان من
آمن ولم يهاجر لم يرث بمن هاجر قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومادة ولي بجميع تصاريفها ترجع الى الميل ويلزم منه القرب
والبعد وربما نشا عن كل منهما الشدة وترتيب ولي بخصوصه يدور على القرب ومن لوازمه النصرة فالمعنى بعضهم اقرباء
بعض يلزم كلا منهم في حق الآخر من المناصرة وغيرها ما يلزم القريب لقريبه فمتى جمعهم وصف جعلهم شركاء فيما يثمره فوصف
الحضور في غزوة يشترك بينهم في الغنائم لان انواع الجهاد كثيرة وكل واحد منهم باشر بعضها فعن حضور الكل نشات النصرة
والمهاجر في الاصل من فارق الكفار بقلبه ولاواهم ورافق المؤمنين بحبه ولبه لكن لما كان هذا قد يخفى نيط الامر بالمظنة
وهي الدار لانها امر ظاهر فصار المهاجر من باعد دار المشركين فرارا بدينه ثم صار شرط ذلك بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
ان تكون النقلة الى دار هجرته المدينة الشريفة هذا حكم كل مهاجر الا ما كان من خزاعة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد علم
من مؤمنهم وكافرهم حبه ونصحه وبغض عدوه فلم يلزم مؤمنهم النقلة قال الحافظ ابو عمر بن عبد البر في كتاب المدخل الى الاستيعاب
ويقال لخزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم حلفاء بني هاشم وقد ادخلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب القضية

مادة ولي

غير ما افهمه هذا الخطاب بكون ذلك اقعد في الامتنان عليهم بالعفو والغفران بسبب ان اكثرهم مالوا الى فداء الاساري فان النبي صلى الله عليه
وسلم استشارهم فيهم فاشار ابو بكر رضي الله عنه بالمفاداة وما دمعه الا كثر واشار عمر رضي الله عنه بضرب اعناقهم وروي انه قال صلى الله عليه
وسلم لو نزل من السماء عذاب اي في هذا ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما فقال تعالى استينا فاوا استئنافا جاما كان اي ما صح وما
استقام لنبي اي في شرع نبي من الانبياء مستقل او مقرر ولعله عبر بوصف النبوة ليفيد مع العموم ان كلا من رفعه القدر والاخبار من
الله يمنع من الاقدام على فعل بدون اذن خاص ان يكون له اسرى اي ان يباح له اسرا العدو حتى يثخن في الارض اي يبالغ في قتل اعدائه
فهو عتاب لمن اسر من الصحابة غير من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله من المشركين اورضي بذلك وانما اسند الى نبي وقري شاذا
بالتعريف ولم يقل ما كان في شرع نبي تهويلا للامر تعظيما للعفو لمبالغة في القيام بالشكر وهذا كان يوم بدر والمسلمون يومئذ
قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله تعالى فاما منا بعد واما فداء قاله ابن عباس رضي الله عنهما وما دة نخن تدور على
الضخامة وتارة يلزمها اللين والضعف وتارة الصلابة والقوة بحقيقته يبالغ في القتل فيغلظ امره ويقوي ويلين له اعداؤه
ويضعفوا فهم بين لهم ان الميل عن ذلك انما هو لارادة الاغراض الدنيوية المبكت به اليهود في اخرى قبلها بقوله تعالى ياخذون
عرض هذا الادنى كما ان النزاع في الانفال ميل الى الدنيا وكل ذلك بمعزل عن معالي الاخلاق وكرايم النجايا معللا لعدم الكون المذكور
بما تقديره لان الاسر انما يراد به الدنيا هكذا في الاصل ولكنه ابرز في اسلوب الخطاب لانه اوقع في النفس فقال تريدون اي ايها
الموسنون المرغبون في الانفاق لكم في الجمع باستبقائهم عرض الدنيا قال الراغب العرض ما لا ثبات له ومنه استعاره المتكلمون للا ثبات له
الا بالجوهر كاللون وقال ابن هشام في تهذيب السيرة الى المتاع الفداء باخذ الرجال والله اي الذي له الكمال كله يريد اي لكم الاخرة اي ثوابها
لانه ثابت يامر به لك امر ابوفي تاكيده ليمتثل كالارادة التي لا يتخلف مرادها وذلك بالاثخان في قتلهم لظهور الدين الذي تريدون اظهاره
والذي به تدرك الاخرة انتهى ولا ينبغي للمحب ان يريد الا ما يريد حبيبه والله اي الملك الاعظم عزيز اي منزه جنابه العلي عن يحاق به شيء مما
فيه ادنى سفول حكيم اي لا يصدر عنه فعل الا وهو في غاية الاتقان فهو يامر بالاثخان عند ظهور قوة المشركين فاذا اضعفت وقوي
المسلمون فانتم بالخيار ولا يصح اعتراضه الا لمن ترقى في معارج صفاته فيكون عزيزا في نفسه فلا يدنسها بالاطماع الخابنة وفعله فلا
يحطه عن اوج المعالي الى حضيض المهاوي وحكيما فلا ينشا عنه فعل الا وهو في غاية الاتقان ولما علم من الاية ما اشارت اليه فكان
كانهم قالوا رضي الله عنهم فما تقتضي عزته وحكمته سبحانه من تظهير نا عامة نسابه استانف تعالى الجواب عن ذلك ممتنا غاية الامتنان
ومحذرا من التعرض لموانع الخسران فقال لولا كتاب اي قضاء حتم سابق مبرم من الله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شيء قدرة وعلما
سبق اي في ام الكتاب من الحكم باستعادكم ومن انه لا يعذب احدا الا بعد التقدم اليه بالنهي ومن انه سيحل لكم الغداء والغنايم التي كانت
حراما على من قبلكم تشريفا لكم كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لمسكم فيما اخذتم اي من الاسري لمراد بهم الغداء عذاب عظيم ولكن سبق حلمي
بان المغنم ولو بالغداء لكم حل وان تعجلتم فيه امرا يدل لما ساق سبحانه هذه البشارة في المنزان سبب عنها قوله فكلوا مما غنمتم اي من الذبايح
وغيرها حالكونه حلالا اي لا درك ولا تبعة فيه من جهتي طيبا اي نهيا لكم ملايما لطباعكم وهذا اذا كان مع الشروط التي اقتضتها كم من عدم
الغلول والخيانة بوجه من الوجوه والاستيثار وشديد الرغبة السابقة الى ما لا يليق من التنازع وغير ذلك مما تقدمت فيه ايكم
واتقوا الله اي الذي له جميع صفات الكمال في جميع ذلك فلا تغلوا ولا تنازعوا ولا تقدموا الا على ما يبيحه لكم الرسول صلى الله عليه وسلم
ان الله اي المتصف بالجلال والاكرام غفور اي لمن يعلم من قلبه انه من اهل التقوي رحيم اي له فلاجل ما علم في قلوبكم من الخير غفر لكم فلم
يعذبكم بتسرعكم الى اسار من لم يامركم به الرسول صلى الله عليه وسلم للمفاداة دون توقف على اذنه ورحمكم فاحسن اليكم فاحل لكم الغنايم
انظر الى قوله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سياتكم ويغفر لكم تعرف حسن تعليل الامر بالتقوي بالمغفرة والرحمة
ويجوز ان يكون علة للاكل اي كلوا فان الله قد غفر لكم ما عانيتم عليه وفايدة الامر بالتقوي التحذير من العود اعتمادا على سعة الحلم
وايضا فقد تقدم تهديد ومغفرة فناسب ان يدل على ان علة المغفرة التقوي فكان ترجمة ذلك انه لما رهبهم بمس العذاب عند اخذ
الغداء لو لا سبق الكتاب رغبهم بانه كلما صدهم عن جنابه صارف ذنب قربهم اليه عاطف تقوي اسبل عليهم ذيل المغفرة والرحمة ولما
علم من هذا اباحة ما يوخذ من الاسري من الغداء وكان ما يوخذ منهم تعظم مشقته عليهم اقبل عليهم مستعطفا لهم ترغيبا في الاسلام فاقبل
على نبيه صلى الله عليه وسلم بالامر بمخاطبتهم تنبيها على انهم ليسوا باهل لخطابه سبحانه بما ابعدوا انفسهم عنه من اختيارهم للكون في زمن
الاعداء على الكون في عداد الاولياء فقال معبرا بوصف الناظر الى تلقي العلم ترغيبا في التلقي منه صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي
اي الذي انبيته بكل معنى جليل يظهر دينه ويزكي امته مع رفع مقداره واتمام انواره قل لمن في ايديكم اي في ايدي اصحابك واهل دينك
فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب من الاساري ترغيبا لهم فيما عند الله ان يعلم الله بما له من صفات الجلال والجمال في قلوبكم خيرا
اي شيا من تقواه الحاملة على الايمان الذي راس الخير وعلى كل خير يوتكم خيرا مما اخذ منكم اي مما يفتح به عليكم من المغانم في الدنيا ويدخر
لكم من الثواب في الاخري ويغفر لكم اي ما سلف من ذنوبكم والله اي الذي بيده كل شيء غفور رحيم اي من شانه ذلك والعيني على ما علم
من قصة العباس الاتية رضي الله عنه انه سبحانه يعاملكم وامثالكم في غير ما ياخذه منكم جبرا بالكرم واما انه يحكم باسقاط الفداء
عنكم ويامركم بتركه واطلاقكم مجانا بما يعلم في قلوبكم من خير وايمان كنتم تكتمونه فلا تطلعوا فيه لان ذلك يفتح باب الدعاوي الباطلة
المانعة من الغنايم الموهنة للدين قال الحافظ ابو عمر بن عبد البر في سيرته قال ابن عباس وسعيد بن المسيب كان العباس رضي
الله عنه في الاسري فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افد نفسك وابني اخيك عقيلا ونوفلا وحليفك فانك ذو مال فقال
يا رسول الله اني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم باسلامك ان كان حقا ما تقول

فانم

عام الحديبية الى ان قال واعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم منزلة لم يعطها احدا من الناس ان جعلهم مهاجرين بارضهم وكتب لهم بذلك كتابا
انتهى وقال شاعرهم بجيد بن عمران الخزاعي يفخر بذلك وغيره مما خصهم الله به على يد رسوله صلى الله عليه وسلم ٥
وقد انشا الله السحاب بنصرنا ٭ ركام سحاب الهيدب المتراكب ٭ وهجرتنا في ارضنا عندنا بها ٭ كتاب اتى من خير ممل وكاتب ٭
ومن اجلنا حلت بمكة حرمة ٭ لندرك ثارا بالسيوف القواضب ٭ ذكر ذلك الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعي في غزوة الفتح من سيرته
والذي تولى حلفهم اولا هو عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم قال الواقدي في اول غزوة الفتح وكانت خزاعة حلفا لعبد
المطلب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عارفا لقد جاءته يومئذ يعني يوم الحديبية خزاعة بكتاب عبد المطلب فقراه
وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سراوتهم واهل الراي غايتهم مقر بما قضى عليه شاهدهم ان
بيننا وبينكم عهد الله وعقوده ما لا ينسى ابدا اليد واحدة والنصر واحد ما اشرق ثبير وثبت حرا وما بل بحر صوفة لا يزاد فيما
بيننا وبينكم الا تجددا ابدا ابدا الدهر سرمدا فقراه عليه ابي بن كعب رضي الله عنه فقال ما اعرفني بحلفكم وانتم على ما اسلمتم عليه من
الحلف وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا حلف في الاسلام قال الواقدي وجاءته اسلم وهو بغدير الاشطاط
جاءهم بريدة بن الحصيب فقال يرسول الله هذه اسلم وهذه محالها وقد هاجر من هاجر منها وبقي قوم منهم في مواشيهم ومعاشهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم مهاجرون حيث كنتم ودعا العلاء بن الحضرمي فامره ان يكتب لهم كتابا فكتب هذا كتاب من محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسلم لمن آمن منهم بالله وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فانه امن بامان الله وله ذمة
الله وذمة رسوله وان امرنا وامركم واحد على من دهمنا من الناس بظلم اليد واحدة والنصر واحد ولاهل باديتهم ما لاهل قرارهم
وهم مهاجرون حيث كانوا وكتب العلاء بن الحضرمي فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يرسول الله نعم الرجل بريدة بن الحصيب لقومه عظيم
البركة عليهم مررنا به ليلة مررنا ونحن مهاجرون الى المدينة فاسلم واسلم معه من قومه من اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم الرجل بريدة لقومه وغير قومه يا ابا بكر ان خير القوم من كان مدافعا عن قومه ما لم ياثم فان الاثم لا خير فيه انتهى واسلم شعب من
اربعة شعوب من خزاعة ولما فتحت مكة انقطعت الهجرة لظهور الدين وضعف المشركين وقام مقام الهجرة النية الخالصة المدلول
عليها بالجهاد كما قال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان
كان المومن لا يتمكن من اظهار دينه وجبت عليه النقلة ولما بين سبحانه امر من جمع الشروط شرع يبين حكم من قعد عن بعضها وهو القسم
الثالث فقال والذين امنوا اي اشتهر ايمانهم ولم يهاجروا اي قبل الفتح بل استمروا في بلادهم ما لكم من ولايتهم واغرق في النفي فقال
من شيء اي لا في التوارث ولا في غيره ورغبهم في الهجرة بقوله حتى يهاجروا اي يوقعوا الهجرة لدار الشرك ومن فيها وان استنصروكم
اي طلبوا نصركم في الدين اي بسبب امر من اموره وهم متمكنون من الدين تمكن المظروف من الظرف فعليكم النصر اي واجب عليكم ان تنصروهم
على المشركين فالمعنى انه ليس لهم عليكم حق القريب الا في الاستنصار في الدين فان ترك نصرهم يجر الى مفسدة كما ان موالاتهم تجر الى
مفاسد ثم استثنى من الوجوب فقال الا على قوم وقع وكان بينكم وبينهم ميثاق اي استنصارهم يوقع بين مفسدتين ترك نصرة
المومن ونقض العهد وهو اعظمها فقدمت مراعاته وتركت نصرتهم فان نصرهم الله على الكفار فهو المراد من غير ان تدنسوا بنقض
وان نصر الكفار حصل لمن قتل من اخوانكم الشهادة ولمن بقي الضمان بالكفاية وكان ذلك داعيا لهم الى الهجرة ومن ارتد منهم ابعده
الله ولن يضر الا نفسه والله غني حميد فقد وقع كما ترى تقسيم المومنين الى ثلثة اقسام اعلاها المهاجر ويليه الناصر وادناها
القاعد القاصر وبقي قسم رابع ياتي قال ابو حيان فبدا بالمهاجرين اي الاولين لانهم اصل الاسلام واول من استجاب لله
تعالى فهاجر قوم الى المدينة وقوم الى الحبشة وقوم الى ابن ذي يزن ثم هاجروا الى المدينة وكانوا قدوة لغيرهم في الايمان
وسبب تقوية الدين من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة وثنى بالانصار لانهم ساووهم في الايمان
وفي الجهاد بالنفس والمال لكنه عادل بالهجرة الايوا والنصرة وانفرد المهاجرون بالسبق وذكر ثالثا من آمن ولم يهاجر ولم ينصر
ففاتهم هاتان الفضيلتان وحرموا الولاية حتى يهاجروا ثم قال آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار
فكان المهاجري يرثه اخوه الانصاري اذا لم يكن له بالمدينة ولي مهاجري ولا توارث بينه وبين قريبه المسلم غير المهاجر قال
ابن زيد واستمر امرهم كذلك الى فتح مكة انتهى لكن ما ذكر ابن عبد البر كما سياتي من اي حكم ذلك زال بوقعة بدر اولى للاية الاتية آخر
السورة مع ما يويد ذلك من اية الاحزاب ولما كان التقدير فالله بمصالحكم خبير وكانت للنفوس دواع الى مناصرة الاقارب والاحباب
ومعاداة غيرهم خفية ولها دسايس لا تدرك حذر من ذلك بقوله عاطفا على هذا المقدر والله اي المحيط علما وقدرة ولما كان
السياق لبيان المصالح التي تنظم الدين وتهدم ما عداه وكان للنفوس كما تقدم احوال اقتضى تاكيد العلم بالخفايا فقدم الجار الدال على
الاختصاص الذي هو كناية عن احاطة العلم فقط فقال مرهبا بما تعملون بصير ترغيب في العمل بما حث عليه من الايمان والهجرة والنصرة
والانفاق والتحري في جميع ذلك وترهيب من العمل باضدادها وفي البصير اشارة الى العلم بما يكون من ذلك خالصا او مشوبا ففيه
مزيد حث على الاخلاص ولما بين شرط موالاة المسلم بين موالاة الكافر وما يجب من مناظرتهم ومباراتهم فيها وانه لا شرط لها غير
مطلق الكفر فانه وان اختلفت انواعه وتباعدت انحاؤه يجمعه عداوة الله وولاية الشيطان فقال والذين كفروا اي اوجدوا
هذا الوصف على اي حال كانوا فيه بعضهم اولياء بعض اي في الميراث والنصرة وغيرهما وهو خبر محض مشيرا الى نهي المسلم عن موالاتهم
واما الذي مضى في حق المومنين فهو امر في صورة الخبر وصيغته يعني ان في كل من الكفار قوة الموالاة للآخر عليكم والميل العظيم
الحاث لهم على المسارعة في ذلك وان اشتدت عداوة بعضهم لبعض لانكم حزب وهم حزب يجمعهم داعي الشيطان بوصف الكفران كما يجمعكم

داعي

داعي الرحمن بوصف الايمان قال ابو حيان كانوا قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعادي اهل الكتاب منهم قريشا ويتربصون بهم الدوائر
فصاروا بعد بعثته صلى الله عليه وسلم يوالي بعضهم بعضا الباً واحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وما ذكره مذكور في السير مشهور
عند اهل الاثر ان لا تفعلوه اي مثله من تولي المومنين ومعاداة الكافرين كما يفعل الكفار بالتعاضد والتعاون بالنفس والمال كما ارصدوا المال
الغير الذي فاتكم حتى استعانوا به على قتالكم في احد فاللائق بكم ان تكونوا اعظم منهم في ذلك لانهم يريدون بذلك رم واهي دنياهم الفانية وانتم
تبنون آخرتكم الباقية وداعيكم ولي غني وداعيهم محدود في فضلا عن ان تنزلوا الى حضيض التنازع في الغنائم تكن فتنة اي عظيمة في الارض
اي خلطة مميلة للمقاصد عن وجوهها وفساد كبير اي ينشا عن تلك الفتنة والكبر ناظرا الى العظم وقرئ شاذا بالمثلثة فيكون عظمه حينئذ
مخصوصا بالانواع وبيان الفساد انه اذا قارب المومن الكافر والكافر المومن وتناصروا او ترك المومنون التناصر فيما بينهم انحل النظام
فاختل كل من النقض والابرام فاختلف الكلام فتباعدت القلوب فتزايدت الكروب فالواجب عليكم ان تكونوا الباً واحداً ويداً واحدة في
الموالاة وتقاطعوا الكفار بكل اعتبار ليقوم امركم وتطيب حياتكم وتصلح غاية الصلاح دنياكم وآخرتكم والآية شاملة لكل ما يسمى توليا
حتى في الارث وقتال الكفار ومدافعة المسلمين بالامر والانكار ولما ترك بعض العلما اعانة بعض فيه حصل ما خوف الله تعالى منه
من الفتنة والفساد حتى صار الامر الى ما ترى من علو المفسدين وضعف اهل الدين فالآمر بالمعروف فيهم في غاية الذل والغربة يرد
عليه ادنى الناس فلا يجد له ناصرا ويجد ذلك للآخر له على الرد اعوانا كثيرة وصار احسن الناس حالا مع الآمر واعظمهم له محبة من يقنع
بلومه على فعله ظنا منه ان ذلك شفقة عليه والله المستعان ولما تقدمت انواع المومنين المهاجر والناصر والقاعد وذكر احكام
موالاتهم اخذ يبين تفاوتهم في الفضل فقال والذين امنوا اي بالله وما اتى منه وهاجروا اي فيه من يعاديه سابقين مع نبيه صلى
الله عليه وسلم وجاهدوا اي بما تقدم من المال والنفس او باحدهما في سبيل الله اي الذي له صفات الكمال فبذلوا الجهد في اذلالهم
كما بذل الاعدا الجهد في اذلالهم ولم يذكر آلة الجهاد لانها مع تقدم ذكرها لازمة والذين اووا اي من هاجر اليهم ونصروا اي حزب الله واعلم
بقوله اولئك اي الصنفين الاولين خاصة هم المومنون حقا اي حق الايمان لانهم حققوا ايمانهم المهاجر بالانسلاخ من كل ما يحبه من الامور
الدنيوية والناصر من جميع اهل الكفر بايواء اهل الله ونصرتهم ولما بين وصفهم بين ما حباهم به بقوله دالا على ان الانسان محل النقصان
فهو وان اجتهد حتى كان من القسم الاعلى لا ينفك عن مواقعة ما يحتاج فيه الى الغفران لهم مغفرة اي لزلاتهم او هفواتهم لان مبنى الادمي على
العجز اللازم عنه التقصير وان اجتهد والدين متين فلن يشاده احد الا غلبه ولما ذكر تطهيرهم بالمغفرة ذكر تزكيتهم بالرحمة فقال
ورزق اي من الغنائم وغيرها في الدنيا والآخرة كريم اي لا كدر فيه بوجه لا في قطعه ولا في نقصانه ولا في شي من شانه ولما
حصر المومنين حقا في الموصوفين بين ان من ترك ما هو عليه من لزوم دار الكفر والقعود عن الجهاد لحق بمطلق درجتهم وان كانوا فيها
اعلى منه فقال ذاكرا القسم الرابع والذين امنوا ولما كانوا قد تاخروا عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مدة ادخل الجار فقال من بعد
اي بعد تاخر ايمانهم عن السابقين وهاجروا اي لاحقين للسابقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم من هاجر بعد الحديبية قال وهي الهجرة
الثانية وجاهدوا معكم اي من تجاهدونه من حزب الشيطان فاولئك منكم اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم من المواريث والمغانم وغيرها
لان الوصف الجامع هو المدار للاحكام وان تاخرت رتبتهم عنكم بما افهمته اداة البعد ولما بين انهم منهم بين انه متى جمعهم الوصف المحصل
للولاية كان القرب في الرحم اولى من غيره فقال واولوا الارحام اي من المومنين الموصوفين بعضكم اولى ببعض اي في الارث وغيره
من المتصفين بولاية الدين الخالية عن الرحم في كتاب الله اي القرآن او في حكمه وقسمه الذي انزله اليكم الملك الاعظم في ايات الارث
وهي مقيدة بالعصبات فنسخت الدلالة على توريث غيرهم وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة المنذر بن عمرو ان بدرا قطعت
المواخاة بين الصحابة رضي الله عنهم يعني فتكون هذه الآية ناسخة اية بعضهم اولياء بعض وتكون تلك حينئذ مبينة امر ما كان قبل غزوة
بدر وهو حسن والآية التي في سورة الاحزاب مويدة له ثم علل سبحانه ما ذكر بما يرغب فيه فقال ان الله اي الذي له صفات الكمال كلها
بكل شي عليم فهو يعلم ان هذا هو الذي تدور عليه المصلحة وتدوم به الالفة كما علم في اول الامر ان نوط الارث وغيره من لوازم القرب بالاخوة
الاسلامية اولى لما في ذلك من تكثير قلتكم ونصر ذلتكم وجمع شتاتكم وجعل ما بينكم من الاخوة كلحمة النسب فاما الآن فقد ضرب الدين بجرانه
وثبت بقواعده واركانه وولى الكفر بشيطانه ونكص مدبرا باعوانه فتوارثوا بالاسلام والقرابة وقاطعوا الكفار قربوا او ابعدوا
وانحازوا عنهم كما انحازوا عنكم وتبرأوا منهم كما تبرأوا منكم فقد انطبق آخر السورة بالاعراض عن الدنيا واصلاح ذات البين وبيان
المومنين حقا وتقليد العليم في جميع الاعمال من غير اعتراض على اولها وببيان من يوالي ومن يعادي على اول براءة والله الموفق

سورة التوبة مائة وثلاثون آية مكية

مقصودها معاداة من اعرض عما دعت اليه السور الماضية من اتباع الداعي الى الله في توحيده واتباع ما يرضيه وموالاة من
اقبل عليه وادل ما فيها على الابلاغ في هذا المقصد قصة المخلفين فانهم لاعترافهم بالتخلف عن الداعي بغير عذر في غزوة تبوك
المحتمل على وجه بعيد منهم رضي الله عنهم للاعراض بالقلب هجروا واعرض عنهم بكل اعتبار حتى بالكلام فذلك معنى تسميتها بالتوبة
وهو يدل على البراءة لان البراءة منهم بهجرانهم حتى في رد السلام كان سبب التوبة فهو من اطلاق المسبب على السبب وتسميتها ببراءة
واضح ايضا فيما ذكر من مقصودها وكذا الفاضحة لان من افتضح كان اهلا للبراءة منه والبحوث لانه لا يبحث الا عن حال البغيض
والمبعثرة والمنفرة والمثيرة والحافرة والحفارة والمخزية والمهلكة والمشردة والمدمدمة والمنكلة لانه
لا يبعثر الا حال العدو وكذا ما بعده والمشردة عظيمة المناسبة مع ذلك لما اشارت اليه الانفال في فشرد بهم من خلفهم وسورة العذاب

ايضا واضحة في مقصودها وكذا المقشقشة لانهم قالوا ان معناه المبرئة من النفاق من تقشقشت قروحه اذا تقشرت للبرء وتوجيهه
ان من عرف ان الله بريء منه ورسوله والمؤمنون لامر فهو جدير بان يرجع عن ذلك الامر وعندي انه مضاعف القش الذي معناه الجمع لانها
جمعت اصناف المنافقين واحوالهم وعليه خرج قاسم ما في وصف ابي جهم بن حذيفة لمن اراد نكاحها اخاف عليك قشقاشته اي تتبعه
لمداق الامور اخذا من القش الذي هو تطلب الماكول من ههنا وههنا او عصاه التي هي غاية ذلك ومادة قش ومقلوبها شق ومضاعفها
قشقش وشقشق تدور على الجمع وتلازمه الفرقة فانه لا يجمع الا ما كان مفرقا ولا يفرق الا ما كان مجتمعا وقد اقتسم هذان المثالان المعنيين
الا قليلا فقش القوم صلحوا واجبوا بعد الهزال لجمع اللحم والرجل اكل من ههنا وههنا ولف ما قدر عليه مما على الخوان واضح في ذلك واقشوا
وانقشوا اذا انطلقوا فجفلوا ومروا ذاهبين وقد انقشوا اذا مروا وذهبوا مسرعين لاجتماعهم على ذلك وجمعهم ما قدروا عليه من متاعهم
والقش والاقشاش طلب الماكول من ههنا وههنا لجمعه والقشة بالكسر القردة كانها لجمعها ما رات مما يوكل في فيها والصبية الصغيرة
القصيرة الجثة لا تكاد تنبت كانه لاجتماعها في نفسها وكذا القشيش للصغير من الصبيان ودويبة كالجعل اما لاجتماعها في نفسها او لجمعها
القاذورات والقشيش كامير اللقاطة لانها يجمعها اللقاطون وصوت جلد الحية يحك بعضها ببعض لانه لا يكون الا عند التثني والتجمع
واقش من الجدري بريء منه كتقشقش يصلح ان يكون من الفرقة لانه فارقه ومن الجمع لان البرء جمعه كله فازاله ويمكن ان تكون همزته
للازالة وتقششت القروح وتقشقشت اذا تقشرت للبرء اما من الجمع لاجتماع القوى للصحة واما من الفرقة والزوال وكذا تقشقش
البعير اذا برا من الجرب ويقال قششهم بكلام اذا تكلم بقبيح وآذاهم اي لجمعه هموهم على بغضه او معايبهم وكذا قش الشيء جمعه والناقة
اسرع حلبها اي جمع الزمان الطويل يجمع ما في ضرعها والشيء حكمه بيده حتى يتحات اي قشره جميعه فهو يصلح للفرقة والجمع وقش مشى مشي
المهزول اي اضطرب وهو يوجب الاسراع والتثني فيصلح للجمع والفرقة وقش اكل مما يلقيه الناس على المزابل او اكل كسر الصدقة
لان ذلك غاية في الجمع وقش النبات يبس فاستحق ان يجمع والقش ردي النخل كالدقل ونحوه لانه يجمع في نفسه والدلو الضخم لكثرة ما يجمع
وفي الحديث قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان اي المبريتان من الشرك لما في الحديث اقرا قل يا ايها الكافرون عند منامك
فانها براءة من الشرك فالمعنى انها تجمعان كل شرك ونفاق دقيق وجليل فتزيلانه والقشقشة يحكي بها الصوت قبل الهدير في محض
الشقشقة قبل ان ترعد بالهدير لان مبادي صوت الهدير زايد الضخامة فكانه جامع فكذا ما يحكيه والقشقاشة العصا لجمعها ما يراد بها
او لانها يقشر عنها لحاها كما يقشر جلد الحية واما مقلوبه فيقال فيه شقه صدعه اي فرقه وقال الخليل الصدع ربما كان في احد
الوجهين غير نافذ والشق لا يكون الا نافذا وشق ناب البعير طلع لانه فرق اللحم وشق العصى فرقها باثنتين وفرق بين الجماعة وشق عليه
الامر ضعف ففرق نفسه وشق عليه اوقعه في مشقة وشق بصر المحتضر نظر الى شيء لا يرتد عليه طرفه لانه لتصويبه الى جهة واحدة
مفترق من بقية الجهات والشق واحد الشقوق والصبح لانه يفرق جيش الظلام وجوبة ما بين الشفرين من جهاز المراة والتفريق
ومنه شق عصى المسلمين واستطالة البرق الى وسط السماء من غير ان ياخذ يمينا وشمالا لانه يشق السحاب مستقيما كما يشق اللوح والعصى
والشق بالكسر الجانب لانه مفارق للجانب الآخر واسم لما نظرت اليه لانه في جانب واحد وجنس من اجناس الجن لانه فرقة منهم ومن
كل شيء نصفه ويفتح والمال بيني وبينك شق الشعرة ويفتح نصفان سواء والشقة بالكسر شظية من لوح ومن العصا والثوب
وغيره ما شق مستطيلا والشقية ضرب من الجماع كانه على شق واحد والشقة بالضم والكسر البعد والناحية يقصدها المسافر
والسفر البعيد وكله واضح في الفرقة والمشقة ايضا لانها تاخذ احد شقي النفس والفرس الاشق البعيد ما بين الفروج والطويل
كان اجزاءه تفرقت فطال ضد ما تقدم في الصبية الصغيرة والاشق ايضا العجل اذا استحكم كانه لما تاهل من شق الارض بالحراثة
وكل ما اشتق نصفين والشقيقة كسفينة الفرجة بين الجبلين تنبت العشب لانها فرقت بين الجبلين وفرق عشبها بين ملتئم ارضها
والمطر الوابل المتسع لان الغيم تشقق عنه ومن البرق ما انتشر من الافق لانه يشق السحاب ووجع ياخذ نصف الراس والوجه
وشقايق النعمان معروفا سميت لحمرتها تشبيها بشقيقة البرق كذا قالوا وعندي انها سميت لتفرق اوراقها وتصفقها فكانها
مشققة مع التجمع والشقاق كغراب تشقق يصيب ارساغ الدواب والشقشقة بالكسر شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج
كانه يشق حلقه فيخرج ويوجب هديره الذي يشق انطباق تجويفه ليصوت ومنه شقشق الفحل هدر والعصفور صوت
وشقق الكلام اخرجه احسن مخرج وشقق الحطب فرق كل واحد باثنتين او اكثر وانشقت العصى تفرق الامر والاشتقاق
اخذ شق الشيء والاخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد لانه يشقق جهات المعاني وهو ايضا اخذ الكلمة من الكلمة
فكانه فرق بين اجزائها وهذا اخي وشق نفسي وشقيقي كانه يشق نسبه من نفسه او كانه شقه منه وهذه السورة آخر
سورة نزلت روى البخاري في التفسير وغيره من صحيحه عن البراء رضي الله عنه قال آخر آية نزلت يستفتونك قل الله
يفتيكم في الكلالة وآخر سورة نزلت براءة ولما كانت مناسبة اولها الداعي الى البراءة ممن يخشى نقضه لآخر الانفال المبين
لمن يصلح للولاية المختتم بشمول العلم في حد عظيم من الظهور مع ما تقدم من بيان مناسبة آخر الاعراف لاول الانفال قدمت الانفال
مع قصرها على براءة مع طولها واشتباه امرها على الصحابة في كونها سورة مستقلة او بعض سورة كما قدمت آل عمران مع قصرها
على النساء لمثل ذلك من المناسبة فكان ما ذكر في براءة من البراءة والتولي شرحا لآخر الانفال روى الامام احمد في المسند وابو
داود في السنن والترمذي في الجامع وحسنه وابن ماجة وابن حبان في صحيحه واسحق بن راهويه وابو يعلى والبزار والبيهقي
والامام ابو محمد اسحق بن ابرهيم البستي القاضي في تفسيره بسند الترمذي والبيهقي والامام ابو جعفر النحاس بغير سند عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال قلت لعثمن بن عفان رضي الله عنه ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين

فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول ما حملكم على ذلك فقال عثمن رضي الله عنه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مما وقال البستي ربما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشي دعا بعض
من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوايل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من
آخر القران نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها ○
قال النحاس وذهب عني ان اسئله عنها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع
الطول زاد بن راهويه وكانتا تدعيان القرينتين انتهى فبين انهما اشتبها عليه وانه وضعهما في الطول لمناسبتهما لها على
تقدير كونهما سورة واحدة قال في القاموس والسبع الطول كصرد من البقرة الى الاعراف والسابعة سورة يونس او الانفال
وبراءة جميعا لانهما سورة واحدة انتهى وقال في الكشاف وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال
تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مايتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد
اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما
فرجة لقول من يقول هما سورتان وتركت بسم لقول من يقول هما سورة واحدة انتهى وعن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال
انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت احديهما بجنب الاخرى والمراد بالمثاني هنا ما دون
المئين وفوق المفصل قال ابو عبيد الهروي قيل لها مثاني لان المئين جعلت مبادي والتي تليها مثاني انتهى والاحسن كون ذلك
بالنسبة الى المفصل من وجهين الاول ان المفصل اول لقب جامع للسور باعتبار القصر وفوقه المثاني ثم المئون ثم الطول
فالمثاني ثانية له حقيقة وما هي ثانية للمئين الا ان الغينا البداءة بالطول من الطرف الآخر الثاني انها لما زادت على المفصل
كانت قسمة السورة منها في ركعتين من الصلاة كقراءة سورتين من المفصل فكانت مثاني لتثنيتها في مجموع الصلوة باعتبار قراءة بعضها
في كل من الركعتين قال ابو جعفر النحاس قال ابو اسحق حدثني بعض اصحابنا عن صاحبنا محمد بن يزيد انه قال لم تكتب في اول
سورة براءة بسم الله الرحمن الرحيم لان بسم الله الرحمن الرحيم افتتاح خير وبراءة اولها وعيد ونقض للعهود فلذلك لم تكتب في اولها
بسم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سالت عليا رضي الله عنه لم لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ههنا قال لان بسم الله الرحمن الرحيم
امان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهد وليس فيها امان انتهى وبهذا اخذ الامام ابو القسم الشاطبي رحمه الله في قصيدته
حيث قال • ومهما تصلها او بدات براءة • لتنزيلها بالسيف لست مبسملا • وقال في الكشاف وسئل بن عيينة فقال
اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مومنا قيل فان النبي صلى
الله عليه وسلم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على
من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة انتهى
ولا يعارض هذا خبر ابن عباس عن عثمن رضي الله عنهما بل هو سببه لما نزلت من غير بسملة للمعنى المذكور اشتبه امرها على
الصحابة رضوان الله عليهم ولم يقع السوال عنها حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت موافقتها للسور في تسميتها
باسم بعضها دليلا على انها سورة براسها ومخالفتها في ترك انزال البسملة في اولها مع احتمال انها تركت للمعنى المذكور او لغيره
دليلا على انها بعض سورة فقد روى ابو داود والحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يعرف فصل السورة وفي رواية لا يعلم انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم قال الحافظ ابو شامة
هذا حديث حسن وللحاكم في المستدرك ايضا عن ابن عباس ايضا رضي الله عنهما قال كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى
ينزل بسم الله الرحمن الرحيم فاذا نزل علم ان السورة قد انقضت فلما اشتبه امرها تركوا كتابة البسملة في اولها وفصولها
عن الانفال قليلا والله الموفق هذا وقد مضى بيان تشابه قصتيهما في اول الانفال واثناء الاعراف اجمالا واما تفصيلا
فلما في كل منهما من نبذ العهد الى من خيف نقضه وان المسجد الحرام لا يصلح لولايته الا المتقون وان المشركين نجس لا صلاحية
فيهم لقربانه وان قلة حزب الله لا تضرهم اذا لزموا دعائم النصر الخمس وكثرتهم لا تغنيهم اذا حصل في نياتهم لبس والحث على
الجهاد في غير موضع وضمان الغنى كما اشار اليه في الانفال بقوله لهم مغفرة ورزق كريم وذكر احكام الصدقات التي هي من
وادي الغنايم وعد اصناف كل والامر بالانفاق المشار اليه في الانفال بقوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اي بالتناصر
في الانفاق وغيره كما فعلوا في مال التجارة الذي ارصدوه حتى استعانوا به على غزوة احد المشار اليه باية ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم مع آية ان لا تفعلوه وبيان احوال المنافقين المشار اليهم في الانفال بقوله اذ يقول المنافقون الآية
والامر الجامع للكل انهما معا في بيان حال النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره واثنائه ومنتهاه وقال الامام ابو جعفر بن
الزبير في كتابه اتصالها بالانفال اوضح من ان يتكلف توجيهه حتى ان شدة المشابهة والالتيام مع ان الشارع عليه
السلام لم يكن بين انفصالهما اوجب ان لا يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك ان الانفال قد تضمنت الامر بالقتال
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وبين احكام الفرار من الزحف وحكم النسبة المطلوب فيها بالثبوت ولحوق التاثيم للفار وانها
على الضعف وحكم الاسرى وحكم ولاية المومنين وما يدخل تحت هذه الولاية ومن يخرج عنها ثم ذكر في السورة الاخرى حكم
من عهد اليه من المشركين والبراءة منهم اذا لم يوفوا وحكم من استجار منهم الى ما يتعلق بهذا وكله باب واحد واحكام متواردة
على قضية واحدة وهو تحرير حكم المخالف فالتحمت السورتان اعظم التحام ثم عاد الكلام الى حكم المنافقين وهتك استارهم انتهى

الا رجل من اهلي فتبين ان المراد من اطلاق الكل على الجزء لا سيما وهو الذي في البراءة وما سميت السورة براءة الا به وان المعنى لا يودي عني
في العهود ولا نطلقا فقد ارسل رسلا للاداء عنه من غير اهل بيته وقال المهدوي في تفسير فسيحوا في الارض وروي ان هذه الآية نزلت
على النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروج ابي بكر رضي الله عنه بالناس ليحج بهم سنة تسع فبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه
ليتلوها على الناس بالموضع الذي يجمع فيه الغرباء وهو مني وامره ان ينادي ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فنادى علي رضي
الله عنه واعانه ابو هريرة وغيره رضي الله عنهم وكان على مكة حينئذ عتاب بن اسيد رضي الله عنه استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الفتح وهو عام ثمان وكان حج عتاب وابي بكر سنة تسع في ذي القعدة كذا قال وسيأتي بيان بطلانه وتقدم خلافه عن ابن اسحق ○
ودلايل النبوة وقال الامام ابو محمد اسحق بن ابرهيم البستي القاضي في تفسيره حدثنا قتيبة حدثنا الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال
اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من تبوك فاراد الحج فقال انه يحضر البيت المشركون يطوفون عراة فلا احب ان احج
حتى لا يكون ذلك فارسل ابا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا في الناس بذي المجاز وبامكنتهم التي كانوا يتبايعون بها كلها وبالموسم كله
واذنوا اصحاب العهد بان يامنوا اربعة اشهر يعني شهر الحرم المنسلخات المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة الى عشر تخلوا من ربيع الآخر ثم لا
عهد لهم فاذن الناس كلهم بالقتال الا ان يؤمنوا فامن الناس اجمعون وفي سيرة ابن اسحق حدثنا يونس يعني ابن بكير عن اسباط بن نصر
الهمداني عن اسمعيل بن عبد الرحمن السدي فسيحوا في الارض اربعة اشهر قال عشرين من ذي الحجة الى عشر من ربيع الآخر ثم لا امان لاحد ولا
عهد الا السيف او الاسلام وقال ابن هشام حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاذن في الناس بالذي امره به
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجل الناس اربعة اشهر من يوم اذن فيهم ليرجع كل قوم الى مامنهم وللترمذي عن زيد بن اثيع قال
سالت عليا رضي الله عنه باي شيء بعثت قال باربع لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع المسلمون والمشركون
بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته ومن لا مدة له فاربعة اشهر ونقل ابن سيد الناس
عن ابن عايذ انه لما ضرب للمشركين هذا الاجل قالوا بل الآن لا يبتغي تلك المدة نبرا منك ومن ابن عمك الا من الضرب والطعن فجج
الناس عامهم ذلك فلما رجعوا ارعب الله المشركين فدخلوا في الاسلام طوعا وكرها وصدق الله ورسوله فلم يحج بعد ذلك العام مشرك
ولم يطف بالبيت عريان وقد وردت نصوص وظواهر في كثير من سورة براءة انه نزل قبل الرجوع من تبوك او قبل الاعذار
فمن النصوص قوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ويحلفون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم وقوله فان رجعك الله الى طايفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا الآيات يعتذرون اليكم اذا رجعتم
اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم الى ان قال سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم الآيات
واما الظواهر فان الواقدي قال في سيرته فانزل من القران في غزوة تبوك ثم ذكر اكثر سورة براءة وقال هو وغير من اصحاب
السير وكان رهط من المنافقين يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك منهم وديعة بن ثابت فذكروا القصة التي فيها ان بعضهم
قال ترهبنا للمومنين الحسبون قتال بني الاصفر كقتال غيرهم والله لكانا بكم غدا مقرنين في الحبال وقال كل منهم شيئا الى ان قال
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر ادرك القوم فانهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فان انكروا فقل بل قلتم كذا وكذا
الى ان قال ان بعضهم قال انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيه وليسالنهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله بانهم كانوا مجرمين ثم قال وجا الجلاس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف ما قال من ذلك شيا وكان قد قال ان كان محمد صادقا فنحن شر
من الحمير فانزل الله عز وجل فيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الى آخرها فاعترف الجلاس حينئذ وتاب وحسنت
توبته وذكروا مسجد الضرار وان اهله كانوا سالوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو متجهز الى تبوك ان يصلي لهم فيه فاعتذر اليهم
بشغله بالسفر ووعدهم ان يصلي فيه اذا رجع فلما نزل صلى الله عليه وسلم بذي اوان قال ابن هشام بلد بينه وبين المدينة
ساعة من نهار اتاه خبره وخبر اهله من ليلته فدعا اثنين من اصحابه فامرهما به فاحرقاه وتفرق اهله ونزل فيه من القران ما نزل
والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الى آخر القصة قال الواقدي وكان عاصم بن عدي يقول كنا نتجهز الى تبوك مع النبي صلى الله
عليه وسلم فرايت عبد الله بن نبتل وثعلبة بن حاطب قائمين على مسجد الضرار الى ان قال فوالله ما رجعنا من سفرنا حتى نزل القران
بذمه وذم اهله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الى آخرها ومن ذلك تسميتها بالفاضحة فلولا نزولها قبل معرفة اخبارهم لم تكن فاضحة
وهي في الظاهر للمعاهدين وفي الباطن مشيرة الى اهل الردة وان لا يقبل منهم ايمان حتى يجمعوا بين الصلوة والزكوة كما فهم ابو بكر
رضي الله عنه واجمعت على ذلك قرائن منها تكرير الجمع بين الصلوة والزكوة في سياق الايمان تكريرا لم يكن في غيرها من السور فهي من اعلام
النبوة وروى ابو محمد اسحق بن ابرهيم القاضي البستي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان هذا الاسلام ثلثون سهما عشر منها
في براءة وعشر في الاحزاب وعشر في المومنين وسال سايل ولما علمهم سبحانه بانه رد اليهم عهدهم وكانوا مختلطين مع اهل
الاسلام جعل لهم مخلصا ان اثروا البقاء على الشرك مع اعلامهم بانه لا خلاص لهم الا لهم في قبضته فقال مخاطبا لهم ولكل مشرك
سيبا عن البراءة فسيحوا والسياحة الانتشاع في السير والبعد عن المدن والعمارة مع الاقلال من الطعام والشراب ولذلك يقال
للصايم سايح والمراد هنا مطلق السير ولما كانت السياحة تطلق على غير حقيقة المعنى بقوله في الارض اي في اي جهة شيتم اربعة
اشهر اي من ايام الحج فيكون آخرها عاشر شهر ربيع الآخر تامنون فيها هنا لا عرضكم لسوء بل تذهبون في هيئة شيتم او تومنون
حسبوكم وتهابون سلاحكم وتامنون شعثكم لا نقدركم كان ديننا مبنيا على المحاسن ولولا ان الامر يتعلق بنفوسنا ما نبذنا عهدكم ولا
فضضنا عقدكم ولكن الحظ في النفس وقد ظهرت منكم امارات الغدر ولوايح الشر ○ وعن اي نفس بعد نفسي اقاتل ○ فاذا انقضت

واما تطابق اواخر الانفال مع اوائلها فقد ظهر مما مضى وايضا فلما ذكر في آخر الانفال قبلها امر العهد تارة بنبذه الى من خيفت خيانته كما بناه من كان في قوله فانبذ اليهم على سواء وتارة بالتمسك به عند الامن من ذلك في قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق وبين من يصل للموالاة ومن لا يصل وختمت بالاخبار بشمول علمه ابتدئت هذه السورة بالامر بالنبذ الى الناس باعيانهم فنقضوا او خيف منهم ذلك وللاشعار بما اقتضته ايات الموالاة من التي قبلها من ان احدى العزتين لا تصلح للموالاة الاخرى فقال تعالى براءة اي عظيمة ثم وصفها بقوله من اي حاصله وواصله من الله اي المحيط بصفات الكمال فهو العالم بمن يستحق الولاية ومن يستحق البراءة ورسوله اي المتابع لامره لعلمه به ولما كانوا قد توقفوا في الحديبية او كثير منهم تارة في نفس العهد وتارة في التأخر عن الامر بالخلق ثم تابعوا في كل منها وكان الكفار لمحل البعد عن كل خير اشار الى ذلك باداة الغاية وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الله اشارة الى انه لا يخالفه اصلا واسند البراءة اليهم اشارة الى ذلك الموقف تحذيرا من ان يتبع مثله فقال مخبرا عن المبتدا الموصوف الى الذين عاهدتم اي اوقعتم العهد بينكم وبينهم من المشركين ۝ اي وان كانت معاهدتكم لهم انما كانت باذن من الله ورسوله فكما فعلتم المعاهدة باذنهما فافعلوا النقض تبعا لهما ودل سياق الكلام وما حوله من بديع الانتظام ان العهد انما هو لاجل المؤمنين واما الله ورسوله فغنيان عن ذلك اما الله فبالغني المطلق واما الرسول صلى الله عليه وسلم فبالذي اختاره للرسالة لانه ما فعل ذلك به الا وهو قادر على نصره بسبب وبغير سبب وعلم ان ذلك فيمن نقض او قارب من قوله بعد الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيا الآية قال البغوي لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم الآية انتهى وذكر ذلك ابن اسحق وغيره ولعله اطلق هنا ولم يقيد بمن خيف نقضه ليكون اول السورة موذنا بان الخيانة والهم بالنقض كان شان اكثرهم ولا سيما مشركوا قريش وهم لكون قريش رؤس الناس والناس تبع لهم في الخير والشر يستحقون ان يعبر عنهم بما يفهم الكل وبنى هذه السورة على البراءة من المشركين والموالاة للمؤمنين الدال على ايمانهم طاعة الله بالصلاة والزكوة والجهاد لمن امر بالبراءة منه قل او كثر قرب او بعد في المنشط والمكره والعسر واليسر ولما كان ظاهرا لمحال وقت تكامل نزولها وهو شوال او ذو القعدة او ذو الحجة سنة تسع بعد رجع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك ان الحرب قد وضعت اوزارها واطفات نارها بتبسط الاسلام في الخاص والعام ما بين اليمن والشام وانتشار الويته واعلامه وتاييد ربه وايمانه بتهور جيوش الكفار وقصد الناس له بالمبايعة من جميع الامصار اكد امر الجهاد ومصارمة الانداد في هذه السورة تاكيدا لم يوكد في غيرها ذكر الواقدي في اواخر غزوة تبوك كلاما تاما قال قالوا وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يعني من غزوة تبوك في رمضان سنة تسع ثم قال وجعل المسلمون يهيئون للحج ويقولون قد انقطع الجهاد فجعل القوي منهم يشتري بعيرا لفضل قوته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك وقال لا تزال عصابة من امتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الرجال وانما قلت ان تكامل نزولها كان في شوال او في ذي القعدة او في ذي الحجة لان البغوي نقل عن الزهري انها نزلت في شوال وقال ابن اسحق ونقله عن البيهقي في دلايل النبوة ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من تبوك بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الحج في سنة تسع ليقيم للمؤمنين حجهم والناس من اهل الشرك على مناسكهم من حجهم واسند البيهقي في دلايله الى عروة قال فلما انشا الناس الحج تمام سنة تسع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر اميرا على الناس وكتب له سفن الحج انتهى فخرج ابو بكر رضي الله عنه والمؤمنون رضي الله عنهم ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينه ان لا يصد عن البيت احد جاءه ولا يخاف احد في الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من اهل الشرك ونقل ابو محمد السبتي عنه انه قال فكانت هذه المدة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين العرب انه لا يصد احد عن البيت ولا يستعرض لحاج ولا معتمر ولا يقاتل في الشهر الحرام وكان اماننا مستفيضا من بعضهم لبعض على غير مدة معلومة رجع الى ما رايته انا في سيرته وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبايل من العرب خصايص الى اجال مسماة فنزلت فيه وفي من تخلف من المنافقين في تبوك وفي قول من قال منهم فكشف الله فيها سرائر اقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ۝ ثم قال ابن هشام قال ابن اسحق وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن ابي جعفر محمد بن علي انه قال لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث ابا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم للناس الحج قيل له يا رسول الله لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل من اهل بيتي ثم دعا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال اخرج بهذه القصة من صدر براءة فاذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمني انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له الى مدته فخرج فيه انها نزلت بعد سفر ابي بكر رضي الله عنه وانما قدمت انا بتكامل نزولها لانه ورد انها التي نزلت في النقض فبعث به عليا رضي الله عنه انما هو عشر ايات او سبع وفي بعض الروايات التصريح بنزولها قبل سفر ابي بكر رضي الله عنه ففي زيادات مسند الامام احمد عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت عشر ايات من براءة على النبي صلى الله عليه وسلم دعا ابا بكر رضي الله عنه فبعثه بها ليقراها على اهل مكة ثم دعاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادرك ابا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به الى اهل مكة فاقراه عليهم فذكر وفيه ان ابا بكر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما رجع انزل في شيء قال لا ولكن جبريل عليه السلام جاءني فقال لن يؤدي عنك الا انت او رجل منك وفي نقل البغوي عن ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر بعشر آيات من صدر سورة براءة ليقراها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا رضي الله عنه على ناقته العضباء ليقرا على الناس براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة وفيه ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله انزل في شيء قال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا

الا

الاربعة الاشهر فيهيئوا لقتالنا وتدرعوا لنزالنا ولما كان الاسلام قد ظهر بعد ان كان خفيا وقوي بعد ان كان ضعيفا افتتح وعظهم
بالكلمة التي تقال اولا لمن يراد تفريغ سمعه وايقاظ قلبه وتنبيهه على ان ما بعدها امر مهم ينبغي مزيد الاعتناء به واعلموا انكم اي ايها الكفرة
وان كثرتم غير معجزي الله لان علمه محيط بكل شي فهو قادر على كل ممكن وان الله اي لما له من الاحاطة بالجلال والاكرام مخزي الكافرين اي كلهم منكم ومن
غيركم في الدنيا والاخرة لان قوله قد سبق بذلك ولا يبدل القول لديه والاخزاء الاذلال مع اظهار الفضيحة والعار واظهر الوصف موضع الضمير
تعميما وتعليقا للحكم به ولعل الالتفات الى الخطاب اشارة الى ان من ترك امر الله حدبا على قريب او عشير فهو منهم وقد برئت منه الذمة فلينج
بنفسه ولا نجاء له او ليكون لاستعطاف الكفار بلذيذ الخطاب وترهيبهم بزواجر العقاب ولما انزل البراءة امر بالاعلام بها في المجمع الاعظم
ليقطع الحجج فقال عاطفا لهذه الجملة التي مضمونها الاخبار بوجوب الاعلام بما ثبت بالجملة الاولى المعطوفة عليها من البراءة واذان اي وهذا
اعلام واعلان واقع وواصل من الله اي المحيط بجميع صفات العظمة ورسوله اي الذي عظمته من عظمته فلا يوجهه الى شي الا اعلاه عليه
ولما كان المقصود الابلاغ الذي هو وظيفة الرسول عداه بحرف الانتهاء فقال الى الناس اي كلهم من اهل البراءة وغيرهم يوم الحج الاكبر قيده
لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولما كان كانه قيل ما هذا الاعلام قال مفسرا له مصرحا بما هو المقصود لئلا يقع فيه نوع لبس حاذفا الغفلة اعلاما
بان هذا مستانف على تقدير سوال سائل لا معمول لاذان ان الله اي الذي له الغنى المطلق والقوة الباهرة بري من المشركين اي الذين لا عهد لهم
خاص فلا مانع من قتالهم قيل والذين وقعت البراءة منهم صنفان احدهما كانت مدته دون اربعة اشهر فرفع اليها والاخر مدته بغير حد فقصر
عليها ولم يكن له عهد فهو اولى ومن كان عهده محدودا باكثر من اربعة اشهر ولم يحدث شرا امر باتمام عهده الى مدته ورسوله اي بري منهم
فهو مرفوع عطفا على المنوي في بري او على محل ان المكسورة واسمها عند من كسرها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع
وبالجر على الجوار وقيل على القسم قاله في الكشاف قال ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقروها فقال ان كان الله بريا من رسوله فانا منه بري
فلببه الرجل الى عمر رضي الله عنه فحكى الاعرابي قراءته فعذرها امر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية وروى الامام ابو بكر محمد بن القسم بن بشار
الانباري في مقدمة كتاب الوقف والابتداء بسنده عن ابن ابي مليكة قال قدم اعرابي في زمان عمر رضي الله فقال من يقرئني مما انزل الله
على محمد صلى الله عليه وسلم فاقراه رجل براءة فقال ان الله بري من المشركين ورسوله بالجر فقال الاعرابي او قد برئ الله من رسوله ان
يكن الله بري من رسوله فانا ابرا منه فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الاعرابي فدعاه يعني فساله فاخبره فقال عمر رضي الله عنه ليس هكذا
يا اعرابي قال فكيف هي يا امير المومنين فقال ان الله بري من المشركين ورسوله فقال الاعرابي وانا والله ابراهما بري الله ورسوله منه فامر
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان لا يقرئ القران الا عالم باللغة وامر ابا الاسود فوضع النحو ونحو ذلك في الاهتمام بشان العربية ما حكاه
الشريف محمد بن اسعد الجواني النسابة في كتابه في الانساب في ترجمة ابي الاسود الدولي بسنده اليه انه قال دخلت على امير المومنين علي رضي الله
عنه فرايته مطرقا مفكرا فقلت فيم تفكر يا امير المومنين فقال اني سمعت ببلدكم هذا لحنا فاردت ان اضع كتابا في اصول العربية فقلت له
ان فعلت هذا بقيت فينا هذه اللغة ثم اتيته بعد ايام فالقى الي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما انبا
عن المسمى والفعل ما انبا عن حركة المسمى والحرف ما انبا عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم ان الاشيا
ثلاثة ظاهر ومضمر وشي ليس بظاهر ولا مضمر وانما يتفاضل الناس في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر قال ابو الاسود الدولي فجمعت
اشيا فعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وان وليت ولعل وكان ولم اذكر لكن فقال لي لم تركتها فقلت لم احسبها
فيها فقال بلى هي منها فردها فيها وقال ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في طبقات النحويين وقال ابو العباس محمد بن يزيد سيل ابو الاسود
الدولي عمن فتح له الطريق الى الوضع في النحو وارشده اليه فقال تلقنته من علي بن ابي طالب وفي حديث اخر القى الي اصولا احتذيت عليها
وفي مختصر طبقاتهم للحافظ محمد بن عمران المرزباني كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قد رسم لابي الاسود الدولي حروفا يعلمها الناس لما
فسدت السنتهم فكان لا يحب ان يظهر ذلك ضنا به بعد علي رضي الله عنه فلما كان زياد وجه اليه ان اعمل شيا تكون فيه اماما وينتفع به
الناس فقد كنت شرعت فيه لتصلح السنة الناس فدافع بذلك حتى مر يوما بكلاء البصرة واذا قارئ يقرا ان الله بري من المشركين ورسوله
وحتى سمع رجلا قال سقطت عصاتي فقال لا يحل لي بعد هذا ان اترك الناس فجا الى زياد فقال انا افعل ما امر به الامير فليبغ لي كاتبا
حصيفا ذكيا يعقل ما اقول فاتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فاتي باخر من ثقيف وقال ابن الانباري في كتاب الوقف حدثني ابي
انبانا ابو عكرمة قال قال العتبي كتب معوية الى زياد يطلب عبيد الله ابنه فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن فرده الى زياد وكتب اليه
كتابا يلومه فيه ويقول امثل عبيد الله يضيع فبعث زياد الى ابي الاسود فقال يا ابا الاسود ان هذه الحمراء قد كثرت وافسدت من
السن العرب فلو وضعت شيا يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله فابى ذلك ابو الاسود وكره اجابة زياد الى ما سال فوجه
زياد رجلا وقال له اقعد في طريق ابي الاسود فاذا مر بك فاقرا شيا من القران وتعمد اللحن فيه ففعل ذلك فلما مر به ابو الاسود رفع الرجل
صوته يقرا ان الله بري من المشركين ورسوله فاستعظم ذلك ابو الاسود وقال عز وجه الله ان يبرا من رسوله ثم رجع من فوره الى زياد
فقال يا هذا قد اجبتك الى ما سالت ورايت ان ابدا باعراب القران فابعث الي ثلثين رجلا فاحضرهم زياد فاختار منهم ابو الاسود
عشرة ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس فقال خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد فاذا فتحت شفتي فانقط
واحدة فوق الحرف واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف واذا كسرتها فاجعل النقطة الى اسفله فان اتبعت شيا من هذه
الحركات غنة فانقط نقطتين فابتدا بالمصحف حتى اتى على اخره ثم وضع المختصر المنسوب اليه بعد ذلك انتهى ويوم الحج المذكور هنا
للجنس اي في جميع ايام الحج قاله سفين الثوري كيوم صفين والجمل وبعاث يراد به الحين والزمان الذي كان فيه ذلك ولهذا نادى علي
رضي الله عنه بنفسه ومن ندبه لذلك في جميع تلك الايام وقال ابو حيان الظاهر انه يوم واحد فقال عمر رضي الله عنه وجماعة هو يوم

اي الاعاجم

عرفة

عرفة وروي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو موسى رضي الله عنه وجماعة هو يوم النحر وقيل ايام الحج كلها قاله
سفين بن عيينه والذي تظافرت به الاحاديث ان عليا رضي الله عنه اذن بتلك الايات يوم عرفة اثر خطبة ابي بكر رضي الله عنه ثم
رايا انه لم يعم الناس بالاسماع فتتبعهم بالاذان بها يوم النحر وفي ذلك اليوم بعث ابو بكر رضي الله عنه من يعينه بها كابي هريرة وغيره
رضي الله عنهم وتتبعوا بها ايضا اسواق العرب كذي المجاز وغيره وبهذا يترجح قول سفين رضي الله عنه انتهى وروى عبد الرزاق
عن علي رضي الله عنه انه يوم الضحى قال في تفسيره ايضا اخبرنا معمر عن الحسن قال انما سمي الحج الاكبر لانه حج ابو بكر رضي الله عنه الحجة
التي حجها واجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق ذلك ايضا عيد اليهود والنصارى ولما اعلم سبحانه بالبراءة سبب عنها مرغبا مرهبا
موكلا التفاتا الى الخطاب فان تبتم اي عن الكفر والغدر فهو اي ذلك الامر العظيم وهو التاب خير لكم اي لانكم تفوزون بحظوظ الدنيا والاخرة
الدنيا وفي الاسلام بالسلامة في الدارين ولما كانت التوبة محبوبة بالطبع لما لها من النفع قال وان توليتم اي كلفتم انفسكم خلاف ما تشتهي من
التوبة موافقة للنظم الاول اصررتم على الكفر والغدر راتباعا للهوى المكتسب من خباثة الجبلة ورداءة الاخلاط التي فقدت بالروح
عن اوجها الاولى الحضيض الاسفل فاعلموا اي علما لا شبهة فيه انكم غير معجزي الله اي لان له صفات الكمال من الجلال والجمال والالتفات
هنا شامله في فسيحا والاشارة به الى ما ذكر في ذاك ولما واجههم بالتهديد اعرض عنهم وجه الخطاب تحقيرا لهم مخاطبا الاعلى خلقه مبشرا
له في اسلوب التحكم لهم فقال عاطفا على ما تقديره فبشر القادرين بالحذلان او فبشر التائبين بنعيم مقيم وبشر الذين كفروا اي اوقعوا
هذا الوصف بعذاب اليم اي في الدنيا او الاخرة او فيهما ولما اعلم بالبراءة وبالوقت الذي يوذن بها فيه وكان معنى البراءة منهم انه لا عهد
لهم استثنى بعض المعاهدين فقال الا الذين عاهدتم اي اوقعتم بينكم وبينهم عهدا من المشركين ثم اي بعد طول المدة انقصوا بانهم لم ينقصوكم
شيا اي من الامارات الدالة على الوفاء في انفسهم كما نقضت بنو الديل من بني بكر في قتالهم لخزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يظاهروا
اي يعاونوا معاونة تظهر عليكم احدا اي من اعدائكم كما ظاهرت قريش حلفاءهم من بني الديل على حلفائكم من خزاعة فاتموا واشار الى بعدهم
عن الخير بحرف الغاية فقال اليهم عهدهم الى مدتهم اي وان طالت قال البغوي وهم بنو ضمرة حي من كنانة وكان قد بقي من عهدهم تسعة
اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا وقال الضحاك ويقال ان هذا مخصوص مراد به بنو ضمرة خاصة وقال ابو محمد البستي
حدثنا قتيبة حدثنا الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال كان بين بني مدلج وخزاعة عهد وهم الذين قال الله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
ولما كانت محافظتهم على عهدهم من افراد التقوى وكان الامر بالاحسان الى شخص من افعال المحب قال تعالى معللا ان الله اي الذي له صفات
الكمال يحب المتقين اي يفعل بهم وبكم افعال المحب فهو قول حاث للكل على التقوى وكل ينزله على ما يليق فهو من الاعجاز الباهر ولما قرر
امر البراءة اثباتا ونفيا امر بما يصنع بعد ما ضرب لهم من الاجل فقال فاذا اي فتسبب عن ذلك انه اذا انسلخ اي انقضى وانجرد وخرج
ومضى الاشهر الحرم اي التي حرمت عليكم فيها قتالهم وصيرتها اجلا لسياحتهم والتعريف فيها مثله في فارسلنا الى فرعون رسولا فعصى
فرعون الرسول فاقتلوا المشركين اي الناكثين الذين صربتم لهم هذا الاجل احسانا وكرما قال البغوي قال الحسن نسخت هذه
الاية كل اية في القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعداء انتهى ومعنى حيث وجدتموهم اي في حل او حرم في شهر حرام او غيره
وخذوهم اي بالاسر واحصروهم اي بالحبس عن ايمان المسجد والتصرف في بلاد الاسلام وكل مقصد واقعدوا لهم اي لاجلهم خاصة فان ذلك
من افضل العبادات كل مرصد اي ارصدوهم وخذوهم بكل طريق يمكن ولو على غرة اعتبارا من غير دعوة وانتصابه على الظرف كان معنى
اقعدوا لهم ارصدوهم ومتى كان العامل في الظرف المختص من لفظه او من معناه جاز ان يصل اليه بغير واسطة في فكما يتعدى الفعل الى
المصدر من غير لفظه اذا كان بمعناه فكذلك الى الظرف ذكره ابو حيان والتعبير بالقعود للارشاد الى التأني وفي الترصد والاستعداد
والتمكن وايصال الفعل الى الظرف اشارة الى ان يشغلوا في الترصد كل جزء من اجزاء كل مرصد ان قدروا على ذلك بخلاف ما لو عبر بفي فانه
انما يدل على شغل كل مرصد بصادق بالكون في موضع واحد منه اي موضع كان ولما امر تعالى بالتضييق عليهم بين ما يوجب الكف
عنهم فقال فان تابوا اي عن الكفر واقاموا اي صدقوا عوائم التوبة بالبينة العادلة بان اقاموا الصلوة واتوا الزكوة اي فوصلوا ما
بينهم وبين الخالق مما بينهم وبين الخلائق خضوعا لله وتركا للفساد ومباشرة للصلاح على الوجه الذي امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا وجد هذان الشاهدان العدلان خلوا اي بسبب ذلك سبيلهم اي بان لا تعرضوا لشي مما تقدم لانا نه يقبل ذلك منهم ويغفر لهم
ما سلف ان اي لان الله اي الذي له الجلال والاكرام غفور رحيم اي بليغ المحو للذنوب التي تاب صاحبها عنها والاتباع له بالاكرام ولما
سد عليهم طريق مخالطتهم ما لم يتصفوا بالتوبة المدلول عليها بالشهيدين المذكورة سدا مطلقا وفتحه عند الاتصاف بها فتحا مطلقا
عطف على ذلك طريقا آخر وسطا مقيدا فقال وان احد من المشركين اي الذين امرناكم بقتالهم استجارك اي طلب ان تعامله في الاكرام
معاملة الجار بعد انقضاء مدة السياحة فاجره اي فامنه ودافع عنه من يقصده بسوء حتى يسمع كلام الله اي الملك الاعظم بسماع
التلاوة الدالة عليه فيعلم بذلك ما يدعو اليه من المحاسن ويتحقق انه ليس من كلام الخلق ولما ذكر اجارته وكان له بعدها توبة
واصرار وكان حال التائب قد ذكر بين ما يفعل به ان اصر فقال ثم ابلغه اي ان اراد الانصراف ولم يسلم مامنه اي الموضع الذي
يامن فيه ثم قاتله بعد بلوغه المامن ان شئت من غير عذر ولا خيانة قال الحسن هي محكمة الى يوم القيمة على ذلك بما يبين عزمهم
بقوله ذلك بانهم اي الامر بالاجارة للعرض المذكور بسبب انهم قوم لا يعلمون اي لا علم لهم لانه لا عهد لهم بنبوة ولا رسالة ولا كتاب
فاذا علموا او شك ان ينفعهم العلم ولما كان الامر بالنبذ مظنة لان يعجب منه عجب تعالى ممن يتعجب منه وانكر عليه فقال كيف
يكون للمشركين اي اهل العراقة في الشرك الذين توجب عراقتهم فيه ومحبتهم لظهوره تلك العهد الذي لا اقبح منه عند العرب ولا اشنع
عهد عند الله اي المستجمع لصفات الكمال فهو لا يجاريه نقص من اوليائه فكيف به من اعدائه وعند رسوله اي الذي هو اكمل الخلق واتمهم

واحفظهم للعهود وارعاهم فهم اضداده فاعمالهم اضداد اعماله وقد بدا منهم الغدر ولما كان استفهام الانكار في معنى النفي صح الاستثناء
منه فكانه قيل لا يكون للمشركين عهد الا الذين عاهدتم اي منهم كما تقدم عند المسجد الحرام اي الحرم يوم الحديبية وهذا مما يدل على ان الاستثناء المتقدم
من الذين في قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال البغوي قال السدي والكلبي وابن اسحق من قبايل بكر بنو جذيمة
وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الديل الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر باتمام
العهد لمن لم ينقض ولما استثنى بين حكم المستثنى فقال فما استقاموا لكم اي ركبوا الطريق الاقوم في الوفاء بعهدهم فاستقيموا لهم والقول في
ان الله اي المحيط بالجلال والجمال يحب المتقين كما سبق ولما انكر سبحانه ان يكون للمشركين غير المستثنين عهد بين السبب الموجب للانكار
مكررا اداه الانكار تاكيدا للمعنى فقال كيف اي يكون لهم عهد ثابت وان اي والحال انهم مضمرون لكم الغدر والخيانة فهو ان يظهروا عليكم
اي ان يعلوا امرهم على امركم بان يظفروا بكم بعد العهد والميثاق لا يرقبوا اي لا ينظروا ويرعوا فيكم اي في اذاكم بكل جليل وحقير الا اي قرابة
محققة ولا ذمة اي عهدا يعني ان الامر المبيح للنبذ خوف الخيانة وعلام الغيوب يخبركم انهم في غاية الخيانة لكم والال هنا القرابة
وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والمادة تدور على الالة وهي حربة في نصلها عرض ويلزمها الصفا والرقة والبريق ويشبه به الاسراع
في العدو والثبات في نفسها ومنه القرابة والعهد والتغير في وصفها ومنه تغير رايحة الاناء وفساد الاسنان والصوت ومنه الانين
والجؤار في الدعاء مع البكاء وخرير الماء والطعن والقهر ومنه ان هذا اي كلام مسيلمة ما يخرج من ال اي من ربوبية وفي ال الله اي
قدرته والهيبة ولما كان ذلك مظنة لان يقال قد اكدوا لنا الايمان واوثقوا العهود ولم يدعوا بابا من ابواب الاستعطاف قال
معللا لما مضى مجيبا لمن استبعده يرضونكم وعبر باقصى ما يمكن الكلام به من القلوب تحقيقا لانه ليس في قلوبهم شي منه فقال بافواههم
اي بذلك التاكيد وصرح بالمقصود بقوله وتابى قلوبهم اي العمل بما ابدته السنتهم وقليل منهم من يحمله الخوف ونحوه على الثبات او يرجع عن
هذا الفسق ويومن واكثرهم فاسقون اي راسخوا الاقدام في الفسق خارجون بمخالفة الفعل للقول عما تريدونه واذا نقض الاكثر اضطر
الاقل الى موافقتهم ولما قدم ما ترى من كشف سرايرهم شرع سبحانه يقيم لهم الدليل على فسقهم وخيانتهم بتذكيرهم ما بدا من بعضهم من
النقض بعد ان اثبت فيما مضى انهم شرع واحد بعضهم اولياء بعض وفيما ياتي انهم بعضهم من بعض فقال معبرا بما يفيد انهم تمكنوا من الايمان
تمكنا صار به كانه في حوزتهم اشتروا اي لجوا في اهويتهم بعد قيام الدليل الذي لا يشكون فيه فاخذوا بايات الله اي الذي لا شي مثله
في جلال ولا جمال على ما لها من العظم في انفسها وباضافتها اليه ثمنا قليلا من اعراض الدنيا فرضوا بها مع مصاحبة الكفر وذلك ان ابا سفين
اطعمهم اكلة فنقضوا بها عهودهم فصدوا اي تسبب لهم ذلك واداهم الى ان صدوا عن سبيله اي من يريد السير عليه ومنعوا من الدخول
في الدين انفسهم ومن قدروا على منعه ولما دل على ما اخبر به من فساد قلوبهم استانف بيان ما استحقوه من عظيم الذم بقوله معجبا منهم
انهم ساء ما وبين عراقتهم في القبايح وانها في جبلتهم بذكر الكون فقال كانوا يعملون اي يجددون عمله في كل وقت وكانه سبحانه يشير بهذا
الى ما فعلت عضل والقارة بعاصم بن ثابت وخبيب بن عدي ذكر ابن اسحق في السيرة عن عاصم بن عمر والبخاري في الصحيح عن ابي
هريرة رضي الله عنه كل يزيد على صاحبه وقد جمعت بين حديثيهما انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل
والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القران ويعلموننا شرايع الاسلام
فبعث معهم نفرا ستة وقال البخاري عشرة وامر عليهم عاصم بن ثابت فخرجوا معهم حتى اذا كانوا بالرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا
عليهم هذيلا فلما اتوهم اخذوا اسيافهم ليقاتلوهم فقالوا انا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه
ان لا نقتل منكم احدا فاما عاصم فلم يقبل وقاتل حتى قتل هو وناس من اصحابه ونزل منهم ثلثة نفر على العهد والميثاق فلما استمكنوا منهم اطلقوا
اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال رجل منهم هذا اول الغدر والله لا اصحبكم ان لي بهولاء اسوة يريد القتلى فجروه وعالجوه فابى ان يصحبهم
فقتلوه فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فقتلوهما وقصة العرنيين الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاظهروا الاسلام ثم خرجوا الى لقاح النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا الراعي واستاقوا اللقاح بعد ما راوا من الايات فبعث النبي صلى الله عليه
وسلم في اثارهم فقتلهم وفي تاريخ ابن الفرات عن القتبي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن عوسجة البجلي الى بني حارثة بن عمرو بن قرط
بكتاب فرفعوه دلوهم بالكتاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لهم اذهب الله عقولهم فهم اهل رعدة وكلام مختلط ولما خرج اهل
مكة بعد ان عاملهم صلى الله عليه وسلم بغاية الاحسان اعتقهم وعفى عنهم بعد تلك الحروب والاذى في المبالغة في النكايات التي لا يعفوا عن
مثلها الا الانبياء خرجوا معه الى حنين غير مريدين لنصره ولا محبين لعلو امره بل هم الذين انهزموا بالناس كما نقله البغوي عن قتادة وقال
ابو حيان ويقال ان الطلقاء من اهل مكة فروا وقصدوا القاء الهزيمة في المسلمين وبلغ فلهم مكة انتهى وقال الواقدي وخرج رجال مكة
مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يتغادر منهم احد على غير دين ركبانا ومشاة ينظرون لمن تكون الدبرة فيصيبون من الغنايم ولا يكرهون ان
تكون الصدمة بمحمد واصحابه وقال هو وغيره فلما كانت الهزيمة حيث كانت والدبرة على المسلمين تكلم قوم بما في انفسهم من الكفر والضغن
والغش وذكروا انه عزم ناس منهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الله منعه منهم هذا بعض ما غدر فيه كفار العرب واما اليهود فكلهم
نقض بنو قينقاع ثم النضير ثم قريظة ثم اهل خيبر حتى كان ذلك سبب اخراجهم منها واجلائهم الى بلاد الشام ويجوز ان يكون ذلك اشارة
الى انهم قد تبين لهم مثل الصبح جميع ما اخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فلما لم يرجعوا لمجرد اهوائهم كانوا قد اشتروا بذلك ثمنا قليلا وهو
التمتع بما هم فيه مدة حياتهم على ما صاروا اليه من سفول الكلمة وادبار الامر فمن قاده هواه الى ترك السعادة العظمى لهذا العرض الزايل
اليسير كان غير مامون على شي لانه رهينة داعي الهوى وامر الشيطان لانه اول ما بدا بنفسه فغدر بها وغشها غير ناظر في مصلحة ولا معتكر
في عاقبة ولما اخبر تعالى بعراقتهم في الفسق دل عليه بان خيانتهم ليست خاصة بالمخاطبين بل هي عامة لكل من اتصف بصفتهم من الايمان

مادة الان

مدار خيانتهم على الوصف فقال لا يرقبون في مؤمن الا اي قرابة واصلا جيدا ثابتا ولا ذمة اي عهدا اكيدا واولئك اي البعد آمن كل خير هم
اي خاصة لتناهي عراوتهم المعتدون اي عادتهم المبالغة في حمل انفسهم على ان يعدوا الحدود لعدم مايردعهم عن ذلك من نوازع الحق وروادع
شرعي كما فعل عامر بن الطفيل باهل بئر معونة مع انهم في جوار عمه وكان من خبرهم ان عمه ابا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة قدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني اخشى عليهم اهل نجد قال ابو براء انا لهم جار فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة المعنق ليموت في سبعين
رجلا من اصحابه من خيار المسلمين فلما نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل فلم ينظر في
كتابه وعدا عليه فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فابوا وقالوا لن نخفر ابا براء فاستصرخ عليهم قبايل من سليم عصيه ورعلا وذكوان فقتلوهم
ولم يفلت منهم الا الثلثة نفر عمرو بن امية الضمري احدهم فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا على قتلتهم شهرا قال البغوي وقال
ابن عباس رضي الله عنهما ان اهل الطايف امدوهم يعني قريشا بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا الذي احكمه
تعالى من نبذ العهد اليهم نظرا للدين لانه نظر لجميع اهله الذين لا يوجد الا بهم ولما بين ما اوجب عدهم منهم وعداتهم لهم بين ما يصيرون
به اهلا فقال فان تابوا اي بالايمان بسبب ما ابرم لهم من الغلظة واقاموا اي ايدوا ذلك بان اقاموا الصلوة اي بجميع حدودها واتوا الزكوة
اي كاحد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخوانكم اي هم وبين انها ليست اخوة النسب فقال في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فلا تعرضوا لهم
بما يكرهونه ولما كان كأنه قيل بعدا وتحريضا على تأمل ما فصل قد فصلنا اي ابرم في هذه الايات تفصيلا عطف عليه قوله ونفصل اي
في كل امر تحتاجون اليه جميع الايات وعظم هذه الايات وحثهم على تدبرها بقوله لقوم يعلمون اي صار العلم لهم صفة فلهم ملكة يتصرفون بها
في اصوله وفروعه لا يقترون بمجرد كلام من شانه الرداءة والمخالفة بين القول والعمل والاعتراض بهذا بين هذه الجمل المتلائمة اشارة
الى عظم الامر الذي نبه عليه وتحريض على اتمام النظر فيه ليعلم ان مدخوله جليل الامر عظيم القدر لئلا يظن انه تكرار ولما بين السبب؟
الموجب لجواز انهم يجنس عليهم وهو البراءة منهم وما يتبع ذلك الى ان ختم بتقدير توبتهم رجع الى قسيم قوله مما استقاموا لكم فقال وان نكثوا
ايمانهم اي التي حلفوها لكم ولما كان النقض ضارا وان قصر زمنه اتى بالجار فقال من بعد عهدهم اي الذي عقدوه وطعنوا اي اوقعوا
الطعن في دينكم اي بقول او فعل ولما كان هذا الفعل لا يستقل به في الاغلب الا الرؤساء اشار الى ذلك بقوله فقاتلوا ووضع موضع ضميرهم
تحريضا على قتالهم واشارة الى انهم ما نكثوا واقدموا على هجنة الكذب ولم يستهجنوا الخروج عن عادات الكرام الا وقد رسخوا في الكفر فقال
ائمة الكفر ثم اشار بقوله تعليلا لجواز المقاتلة انهم لا ايمان لهم الى ان ذلك ولو فعله الاتباع ولم يكفهم الرؤساء نهوا عن تمالئهم فابدوا
بالرؤس فاقطعوها تنقطع الاذناب وقراءة ابن عامر بالكسر مستأنفا لا ايمان لهم لانهم قد نقضوا العهد الموجب لهم بما وقع منهم ومن طعن
من اهل الذمة في الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله فان العهد ما خوذ عليه ان لا يطعن ثم علل المقاتلة بقوله لعلهم ينتهون اي اجعلوا قصدكم
قتالهم ان يكون حالهم حالة من ينتهي عن غيه بما يرى منكم من صادق الجد بما مضى الجذري البخاري في التفسير عن حذيفة رضي الله عنه
قال ما بقي من اصحاب هذه الاية الا ثلثة ولا من المنافقين الا اربعة احدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده ولما نفى ايمانهم
بنفي ايمانهم شرع يقيم الدليل على ذلك بامور ان تكبوها كل منها سبب باعث على الاقدام عليهم وحث على قتالهم في صورة تعجب من يتوانى
فيه فقال الا وهو حرف عرض ومعناه هنا الحض لدخول همزة الانكار على النافي فنفته فصار مدخولها مثبتا على سبيل الحث عليه فهو
ابلغ مما لو اثبت بغير هذا الاسلوب تقاتلون قوما اي وان كانوا ذوي منعة عظيمة نكثوا ايمانهم اي في قصة عاصم واصحابه والمنذر
واصحابه والاعانة على خزاعة وغير ذلك فكان النكث لهم عادة وخلقا وهذا يدل على ان قتال الناكثين اولى من قتال غيرهم ليكون في
ذلك زاجر عن النقض وكانت قصة خزاعة انه كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة قتل في الجاهلية وكانت خزاعة قد دخلت
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية لما كان لهم فيه من المحبة من مسلمهم وكافرهم لما بينهم من الحلف كما تقدم آخر الانفال ودخلت بنو
بكر في عهد قريش فمرت على ذلك مدة ثم ان انسان من بني الديل هجى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام من خزاعة فوقع به فشجه فخرج
الى قومه فاراهم شجته فثار الشر مما كان بينهم وما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمايها فكملت بنو نفاثة من بني بكر اشراف قريش
فوجدوا القوم الى ذلك سراعا فاغاموهم بالسلاح والكراع والرجال فخرج نوفل بن معوية الديلي وهو يومئذ قايدهم قال ابن اسحق
وليس كل بني بكر تابعه وقال الواقدي واعتزلت بنو مدلج فلم ينقضوا العهد حتى بيتت خزاعة وهم على الوتير ماء لهم فاصابوا منهم
رجلا ونجا زواو اقتتلوا وقاتل منهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا منكر بن منقذين صفوان بن امية ومكرز بن حفص بن الاخيف
وهويطب بن عبد العزى وعكرمة بن ابي جهل واجلبوا معهم ارقاءهم وكانت خزاعة آمنة لكان العهد والموادعة ولما ذكرهم مطلق
نكثهم في حقهم عامة ذكرهم بما خصوا به سيدهم بل سيد الخلق كلهم فقال وهموا باخراج الرسول اي من مكة في عمرة القضاء بل اسروه
بالخروج عند انقضاء الثلثة الايام والجواني ذلك وهو وان كان قاصما لهم على ذلك لكن قد نقل ابن اسحق وغيره في قصة ابي جهيم
براءة انه كان في القصبة والعهد الذي كان بينه وبينهم ان لا يمنع من البيت احدا جاءه زايرا ولعلهم هموا باخراجه قبل الثلثة الايام
لما داخلهم من الحسد عند ما عاينوا من نشاط اصحابه وكثرتهم وحسن حالهم وذلك غير بعيد من افعالهم واظهارهم التبرم به صلى
الله عليه وسلم حتى اجترأوا وهو على الخلق مقدانا واظهرهم هيبة وانوارا واظهرهم رسوخا واثارا على الاحاح عليه في الخروج من بلده
آبايه واجداده الذين هم احق بها ومسقط راسه وموضع مرباه وكل هذا يزعجه للخروج منها وهو عندي على ما فيه اولى مما ذكروه من
الهمهم باخراجه عند البحث على ما لا يخفى او يكون المراد هم به ابن ابي المنافق ومن تابعه من اصحابه من اخراج النبي صلى الله عليه وسلم من
المدينة حيث قال في غزوة المريسيع لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل بعد اعطائهم العهود على الايواء والنصر والاسلام

وذلك لتذكير المؤمنين بمسارعتهم الى النقض بعد ان اثبت انهم في الالتحام في كيد الاسلام كالجسد الواحد فكانه يقول اذا ترك هؤلاء ايمانهم
فاولئك احرى ان ينقضوا ايمانهم وهو بعث للمؤمنين على التبرؤ من الكافرين منافقين كانوا او مجاهرين مقاربين او مباعدين ولما ذكرهم
بالخيانة عامة وخاصة اتبعها ما حققها بالقتال فقال وهم بدؤكم اي بتطابق من ضمايرهم وظواهرهم اول مرة اي بالقتال والصد في الحديبية
بعد اخباركم اياهم بانكم لم تجيئوا للقتال وانكم ما جئتم الا زورا للبيت الحرام الذي الناس فيه سواء وانتم احق به منهم وذلك اولى بالنسبة الى
هذا الثاني مثل قوله انكم رضيتم بالقعود اول مرة وقال بعض المفسرين المراد باول مرة قتالهم خزاعة وهو واضح لانه بعد عقد الصلح
وقيل في بدر بعد ما سلمت غيرهم وقالوا لا نرجع حتى نستاصل محمدا واصحابه وقيل المراد بمطلق القتال لان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم
بالكتاب المنير ودعاهم بغاية اللين وتحداهم به عند التكذيب فعدلوا عن ذلك الى القتال فهم البادئون والبادي اظلم ولما امرهم
بالقتال وكان مكرها الى النفوس على كل حال شرع يبين الاسباب الحاملة على التواني عن قتالهم وحصرها في الخشية والعاطفة وقسم
العاطفة الى ما سببه القرب في محاسن الافعال والى ما سببه القرب في النسب والصهر ونقض الكل وبين انه لا شيء منها يصلح للسببية فقال
بادئا بالخشية لانها السبب الاعظم في ترك المصارمة منكرا عليهم موبخا لهم ليكون ابلغ في الحث على قتالهم منبها على ان التواني عنهم مصحح
موصف بالجبن ورقة الدين اتخشونهم اي اتخافون ان يظفروا بكم في القتال بان يكونوا على باطلهم اشد منكم على حقكم فالله اي الذي له مجامع العظمة
احق اي منهم ان تخشوه اي بان يكون مخشيا لكم لما تعلمون من قدرته في اخذه لمن خالفه ولو بعد طول الاناة ان كنتم مؤمنين اي فان من صدق بانه
الواحد الذي تفرد بصفات العظمة لم ينظر الى غير هيبته ولما بكت في التواني عنهم وعدهم بما يزيل خشيتهم منهم بل يوجب اقدامهم عليهم
ورغبتهم فيهم فقال مصرحا بما تضمنه الاستفهام الانكاري في الا تقاتلون من الامر قاتلوهم اي لله لا لغرض غيره يعذبهم الله اي الذي انتم
مؤمنون بانه المتفرد بصفات الجلال والجمال بايديكم اي بان تقتلوهم وتاسروهم وتهزموهم ويخزهم اي بالذل في الدنيا والفضيحة والعذاب
في الاخرى ولما كان ذلك قد لا يقتضي النصر الذي هو علو العاقبة قال وينصركم عليهم اي فترضوا ربكم بذلك لاذلاله من يعاديه بكم ولما
كان نكالهم بما ذكر يثمر لبعض المؤمنين سرورا لهم فيه حظ بين تعالى انه لا يؤثر في العمل بعد ثباته على اساس الاخلاص فقال ويشف اي بذلك
صدور قوم مؤمنين اي راسخين في الايمان اسلفوا اليهم مساوي اوجبت ضغاين واحنا كخزاعة وغيرهم ممن اعانوا عليه او اساؤا اليه
ولما كان الشفاء قد لا يراد به الكمال اتبعه تحقيقا لكماله قوله ويذهب غيظ قلوبهم اي يثبت بها من اللذة ضد ما لقوه منهم من المكروه وينفي
عنها من الالم بقتل من يريد سبحانه من اعدائهم وذل الباقين ما كان قد برح بها ولقد وفى سبحانه بما وعد به فكانت الاية من ظواهر الدلائل
ولما كان التقدير قاتلوهم فانكم ان قاتلتموهم كان كذا عطف سبحانه على اصل هذه الجملة قوله ويتوب الله اي الملك الذي له صفات الكمال
على من يشاء اي منهم فيصيروا اخوانا لكم اولياء والمعنى قاتلوهم يكن القتال سببا لهذه الخمسة الاشياء واما التوبة فتارة تتسبب عنه وتارة
عن غيره ولاجل احتمال تسببها عنه قرئ شاذا بالنصب على ان الواو للصرف ولما كان ما تضمنه هذا الوعد الصادق يدور على القدرة والعلم
وكان العلم يستلزم القدرة فكان التقدير فالله على كل شيء قدير عطف عليه قوله والله اي الذي له الاحاطة بكل شيء قدرة وعلما عليم اي بكل شيء
وبمن يصلح للتوبة ومن لا يصلح وما في قلوبكم من الاقدام والاحجام لو برز الى الخارج كيف كان يكون حكيم اي احكم جميع اموره ولم يعلق الاحكام
الشرعية من افعالكم الكسبية الا بما تعلق العلم به في حال ظهوره ولما كان التقدير لما ارشد اليه تقاعدهم عن القتال وادخال الميم المرشد
الى ان مدخوله وسط الكلام فان الابتداء له للالف وحدها وهل احسبتم انه تعالى لا يعلم ذلك او لا يقدر على نصركم بني عليه قوله موبخا لمن
تثاقل عن ذلك بنوع تثاقل ام حسبتم اي لنقص في العقل انه يبني الامر فيه على غير الحكمة وذلك هو المراد بقوله ان تتركوا اي قارين
على ما انتم عليه من غير ان تبتلوا بما يظهر به المؤمن من المنافق ولما عبر بها لدلالتها مع استغراق الزمان الماضي على ان تبين ما بعدها متوقع
كائن يعلم الله اي المحيط بجميع صفات الكمال الذين جاهدوا منكم اي علما ظاهرا تقوم به الحجة عليكم في مجاري عاداتكم على مقتضى عقولكم بان يقع الجهاد
في الواقع بالفعل ولما كان المعنى جاهدوا مخلصين ترجمه وبسطه بقوله ولم اي ولما يعلم الذين لم يتخذوا ويجوز ان يكون حالا ودل على
تراخي الرتب ممن مكانته سبحانه بقوله من دون الله اي الذي لا يعدل عنه ويرغب في غيره من له ادنى بصيرة كما دل عليه الافتعال لانه
المنفرد بالكمال واكد النفي بتكرير لا فقال ولا رسوله اي الذي هو خلاصة خلقه ولا المؤمنين اي الذين اصطفاهم من عباده وليجة اي
بطانة تباطنونها وتسكنون اليها فتلج اسراركم اليها واسرارها اليكم فان الوليجة كل شيء ادخلته في شيء ليس منه والرجل يكون في قوم
وليس منهم وليجة فوليجة الرجل من يختصه بمداخلة امره دون الناس يقال هو وليجتي وهم وليجتي للواحد والجمع نقل ذلك البغوي
عن ابي عبيد وقال ابن هشام وليجة دخيلا وجمعها ولائج يقول لم تتخذوا دخلا من دونه تسرون اليه غير ما تظهرون نحو ما يصنع
المنافقون يظهرون الايمان للذين امنوا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم والحاصل انه لا يكون الترك بدون علم الامرين حاصلين
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم فالمعنى ولما يكن مجاهدون مخلصون ولما كان ظاهر ذلك مظنة ان يتمسك به من لم يرسخ قدمه في المخالف
ختم بقوله والله اي الذي له الاحاطة الكاملة خبير بما تعملون اي سواء برز الى الخارج او لا ولما حذرهم من اتخاذ وليجة من دونه
شرع يبين ان الوليجة الذي يتخذها بعضهم لا تصلح للعاطفة بما اتصفت به من محاسن الاعمال ما لم توضع تلك المحاسن على الاساس الذي
هو الايمان المبين بدلائله فقال سائقا له مساق جواب قائل قال ان فيهم من افعال الخير ما يدعو الى الكف عنهم من عمارة المسجد الحرام وخدمته
وتعظيمه ما كان للمشركين عبر بالوصف دون الفعل لان جماعة ممن اشرك اسلم بعد ذلك فصار اهلا لما نفي عنهم ان يعمروا مساجد الله
وهو المنزه باحاطته بصفات الكمال قال البغوي قال الحسن ما كان للمشركين ان يتركوا فيكونوا اهل المسجد الحرام ثم قال في توجيه
قراءة الجمع قال الحسن انما قال مساجد الله لانه قبلة المساجد كلها يعني فعامره عامر جميع المساجد ويجوز ان يراد الجنس واذا لم يصلحوا لعمارة
الجنس دخل المسجد الحرام لانه صدر الجنس وذلك اكد لانه بطريق الكناية قال الفراء وربما ذهب الواحد الى الجمع والجمع الى الواحد الا ترى

الوريج

ان الرجل يركب البرذون فيقول اخذت في ركوب البراذين ويقال فلان كثير الدرهم والدينار انتهى فتحرر ان المعنى منعهم من اقامة شعائره بطواف او زيارة
او غير ذلك لانهم نجس كما ياتي شاهدين على انفسهم اي التي هي معدن الارجاس والاهوية بالكفر اي باقرارهم انه بيت الله وهم يعبدون غير الله وقد
نصبوا فيه الاصنام بغير اذنه وادعوا انها شركاؤه فاذن عمارتهم تخريب لتنافي عقدهم وفعلهم قال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنهما شهادتهم
سجودهم للاصنام وذلك انهم كانوا نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا شوطا سجدوا للاصنام
ولما نفى قبيح ما يفعلون حسن ما يعتقدون اشار الى بعدهم عن الخير بقوله اولئك حبطت اعمالهم اي من العمارة والحجابة والسقاية وغير ذلك فسدت ببطلان
معانيها لبنائها على غير اساس وفي النار هم اي خاصة ومن فعل كفعلهم فهو منهم خالدون اي بجعلهم الكفر مكان الايمان ولما نفى عنهم اهلية العمارة بين
من يصلح لها فقال انما يعمر مساجد الله اي انما يؤهل لذلك القرب ممن له الاسماء الحسنى والصفات العلى حسا باصلاح الذات ومعنى بالتعظيم بالقربات
من قيها وتنظيفها ورم ما تهدم منها وتنويرها بالمصابيح الحسية وبالمعنوية من الذكر والقراءة ودرس العلم احل ذلك وصيانتها ما لم تبن له
من احاديث الدنيا من امن بالله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله واليوم الاخر اي فكان من اهل المعرفة الذين تصح عبادتهم وتفيدهم فانها انما تفيد
في ذلك اليوم ولم يذكر الايمان بالرسول لان هذه البراءة عن لسانه اخذت فالايمان بها ايمان به لا محالة فعدم ذكره اقعد في ايجاب الايمان به
واقام الصلوة واتى الزكوة اي وايد دعواه الايمان بهذين الشاهدين وذلك ان عمارة المساجد ليست مقصودة لذاتها بل للدلالة على رسوخ
الايمان والصلوة اعظم عماراتها والزكوة هي المعين لعمرتها على عماراتها ولما كان ربما فهم من قوله امن انه يكفي في الايمان مجرد الاقرار
باللسان اعلم انه لا بد في ذلك من ايجاد التصديق حقيقة المثمر لخشية الله فلذلك قال ولم يخش اي في الاعمال الدينية الا الله اي ولم
يعمل بمقتضى خشية غير الملك الاعظم من كف عما يرضي الله بما فيه سخطه بل مقدم على ما انحصر رضى الله فيه ولو ان فيه تلفه وحاصله
انه يقدم خشيته من الله على خشيته من غيره فهو يرجع الى قوله فالله احق ان تخشوه لكن هذا ابلغ لكونه نفى نفس الخشية وان كان
المراد نفي لازمها عادة وفيه تعريض لهم بانهم لا يصلحون لخدمته لانهم يخافون الاصنام ويفعلون معها بعبادتها فعل من يخافها
ولما تسبب عن ما مضى نفيا واثباتا ان المتصف بهذه الاوصاف يكون جديرا بالهداية وحقيقا بها قال تعالى فعسى اولئك اي
العالوا الهمم ان يكونوا اي جبلة ورسوخا من المهتدين فاقامهم مع ما قدم لهم من الكمال بالمعارف والافعال بين الرجا والخوف مع الاشارة
بافراد الخشية الى ترجيح الخوف على الرجا ايذانا بعلو امره وعظيم كبره اشارة الى انه لا حق لاحد عليه وانه ان شاء اثاب وان اراد حكم
وهو الحكم العدل بالعقاب لا يسئل عما يفعل وكرر الاسم الاعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام وعزة المرام ومادة عسى بجميع تصاريفها
تدور على الحركة وهذه بخصوصها للاطماع فالحاصل ان من اتصف بالاوصاف الاربعة كان صالحا وخليقا وجديرا وحقيقا بان يتحرك
طمعه ويمتد امله الى ان يكون من جملة اهل الهدى فكيف توجبون انتم لمن لم يتصف بواحد منها ما يختص به المهتدون من الموالاة هكذا
كان ظهر لي اولا في مدار المادة ثم ظهر لي ان ذلك في اكثر تقاليبها مع امكان ان يكون غيره للازالة وان الشامل لها يائية وواوية
بتقاليبها العشر عسى عيس سعى سيع عسو عوس سعو سوع وسع وعس انها لما يمكن ان يكون وهو جدير وخليق بان يكون من قولهم
اعس به اي اخلق وبالعسى ان يفعل اي بالحري وانه لمعساة بكذا اي مخلقة وبهذا فسرها سيبويه قال ابن هشام الخضراوي في شرح
الايضاح لابي علي وقال سيبويه ان عسى بمنزلة اخلولق والمعساة كمكال الجارية المراهقة لانها جديرة بقبول النكاح ومن ثم اتت
للطمع والاشفاق وقد يزيد الرجاء فيطلق على القرب فتكون مثل كاد وقد يشتد فيصل الى اليقين فتستعمل حينئذ في معنى كان ومنه عسى
الغوير ابؤسا لكن قال الرضي وانا لا اعرف عسى في غير كلامه تعالى لليقين وقد يضعف الرجاء فيصير شكا ومنه المعسية كمحسية
للناقة يشك ابها لين ام لا وعسى النبات كفرح ودعا غلظ ويبس اي صار خليقا لان يرعى وان يقطع واليد من العمل مثله اي فصارت جديرة
بالصبر على المشاق والعاسي النخل لانه جدير بكمال ما يطلب منه من المنافع وعسى الشيخ كرضي عساء وعسى كدعا يعسو كبر اي صار خليقا
بالموت وبان لا يتعلم ما لم يكن في غريزته وكذا عسى وعسا الانسان عن الادب اي كبر عنه والعود يبس وصلب واشتد اي فصار خليقا
لما يراد منه والليل اشتدت ظلمته فصار جديرا بمطابقة اسمه لمسماه وبتغطية الامور والعسو الشمع كانه لازالته ظلمة الليل بنوره
اذا احرق وعسى بالشيء كفرح لزمه اي فصار جديرا باضافته اليه والعيس بالفتح ضراب الفحل ويقال ماؤه لانه جدير بالانتاج والعيس
بالكسر الابل البيض يخالط بياضها شقرة وجمل وظبي اعيس وناقة عيساء لانها خليقة بكل محمدة لحسن لونها وتعيست الابل صارت
بياضا في سواد كذلك ايضا وعيساء امراة والانثى من الجراد لشبهها بكون العيس واعيس الزرع اذا لم يكن فيه رطب لانه صار حقيقا
بالحصاد والعوس بالفتح والعوسان الطوفان بالليل لانه جدير ببلوغ المقاصد وبالضم ضرب من الغنم وهو لبش عوسي اسما قالها
بالعيس لكنها لصغرها اختير لها الضم جبرا لها وتقوية وتفاؤلا بالكبر واختير للابل الكسر تفاؤلا بسهولة القياد وبالتحريك دخول
الشدقين عند الضحك وغيره تشبيها بالغنم فكانه جدير بان يترك ما يحدث منه ذلك من الضحك وغيره والنعت اعوس وعوسا وعاس
على عياله كد عليهم وكدح وعياله قاتهم وماله عوسا وعياسة احسن القيام عليه فعمل بما هو الاليق به في كل ذلك والعواسة
بالضم الشربة من اللبن وغيره لانها جديرة بالري والاعوس الصيقل والوصاف للشيء لانه جدير باظهار الخبء والعواسا كثرا كالحامل
من الخنافس لانها في تلك الحالة اجدر بما تفهمه مادتها من الكراهة فانه يقال خنفس عن القوم كرههم وعدل عنهم والخنافس بالضم
الاسد لانه جدير بان يكره ويعدل عنه والسعي عدو دون الشديد وكل عمل سعي قال في القاموس سعى كرعى قصد وعمل ومشى وعدى
ونم وكسب كل ذلك يكون به جديرا بدرك حاجته والسعاية مباشرة عمل الصدقات التي بها يدرك الامام اخذ الحقوق فيكون خليقا
باغناء الفقراء وسعت الامة بغت فكانت خليقة بعمل الاماء عند العرب وساعاها طلبها للبغاء واسعاه جعله يسعى والمسعاة
المكرمة والمعلاة في انواع المجد لانها جديرة بان يسعى لها واستسعى العبد كلفه من العمل ما يؤدي به عن نفسه اذا عتق بعضه ليعتق به

مادة عسى

ما بقي لانه جدير بذلك والسعاية بالكسر ما كلف من ذلك والسيع الماء الجاري على وجه الارض وقد انساع اذا جدي لان الماء خليق بالجري
والحركة ساع الماء والشراب اضطرب على وجه الارض وسيعاء من الليل وكسيرا قطع منه كانه ينظر الى الساعة وهي جزء هو لنفاسته
خليق بان يحفظ ولا يضيع وان يتدارك ان ضيع والسياع بالفتح ما يطين به والشحم تطلى به المزادة كانه يمنع ما هو خليق بالجري وقد سيعت
الحب اذا طينته بطين او جص وكذلك الزق والسفن اذا طليت بالقار والمسيعة خشبة مملسة يطين بها تكون مع حذاق الطيانين
والتسييع التطيين والتدهين وقال القزاز والسياع تطيينك بالجص والطين او القير تسيع به السفن والسياع شجر من شجر العضاه
له ثمر كهيئة الفستق وشجر اللبان وكل منها خليق بالرغبة فيه والمسياع الناقة تذهب في المرعى كانها شبهت بالماء الجاري وهي ايضا
خليقة بالشمس والتي تحمل الضيعة وسوء القيام عليها والتي يسافر عليها ويعاد لانها خليقة بان يرغب فيها واساعه اهمله اي ازال ما هو
خليق به من الحفظ فصار خليقا بالهلاك والسعوة بالكسر الساعة كالسعوا بالكسر والضم وقد تقدم تخريجها والمراة البذية الخالعة
كانها جديرة بسرعة الفراق كالساعة والساعي الوالي على اي امر وقوم كان ولليهود والنصارى رئيسهم لانه خليق بان يسعى عليهم ويذب
عنهم والسعاة التصرف لان الانسان جدير به وسعيه علم للعنز لانها خليقة بالسعي والسعاوي بالضم الصبور على السهر والسفر نسبه
الى السعي على وجه بليغ وهو خليق بان يرغب فيه واسعوا به اي اطلبوه بقطع همزتها والساعة جزء من اجزاء الجديدين والوقت الحاضر
والقيمة لان كل ذلك جدير وحقيق بالاحتفاظ من اضاعته والهالكون كالجاعة للجياع كانهم اضاعوا ساعتهم فكانوا جديرين بما حصل
لهم وساعة سوعاء شديدة وساعت الابل تسوع بقيت بلا راع فصارت جديرة بالهلاك والضياع واتساعه اهمله وضيعه فصار
كذلك ومنه ناقة مسياع تدع ولدها حتى ياكله السباع وبعد سوع من ليل وسواع اي هداة واسوع انتقل من ساعة الى ساعة فصار
جديرا بان يتحفظ فيتدارك في الثانية ما فاته في الاولى واسوع الحمار ارسل غرموله فصار جديرا بالنزوان وسواع اسم صنم في
عهد نوح عليه السلام غرقه الطوفان فاستثاره ابليس حتى عبد ايضا لانه كان خليقا عندهم وفي زعمهم بما اهلوه له تعالى الله عن ذلك
والوسع مثلثة الجدة والطاقة كالسعة ومعناها الخلاقة بالاحتمال وسعة الشيء بالكسر يسعه ليضعه سعة كدعة وزنة كان جديرا
باحتماله والهم سع علينا اي وسع وليسعك بيتك امر بالقرار فيه وهذا الاناء يسع عشرين كيلا اي يتسع لها والواسع ضد الضيق
كالوسيع وفي الاسماء الحسنى الكثير العطاء الذي يسع لما يسئل والمحيط بكل شيء الذي وسع رزقه جميع خلقه ورحمته كل شيء والوساع
كسحاب الندب وهو الخفيف في الحاجة الظريف النجيب لانه جدير بما يندب له ومن الخيل الجواد او الواسع الخطو والذرع كالوسيع
وقد وسع ككرم وساعة وسعة وواسع صار ذا سعة والله عليه اغناه وتوسعوا في المجلس تفسحوا فصاروا جديرين باحتمال
الداخل بينهم وسعه توسيعا ضد ضيقه ورحمة الله وسعت كل شيء اي احاطت به ووسع كل شيء علما اي احاط به واحصاه والوعس
كالوعد شجر تعمل منه البرابط والعيدان لانه احق الاشجار بذلك والرمل السهل يصعب فيه المشي لانه يرى لسهولته خليقا بان يمشي فيه
واذا حقق النظر كان خليقا بصعوبة المشي لكونه رملا واوعس ركبه والوعساء رابية من رمل لينة تنبت احرارا لبقول لانها
للينها حقيقة من بين روابي الرمل بالنبت ومكان اوعس وامكنة وعس والميعاس ما تنكب عن الغلظ فهو جدير بالمشي فيه والارض
لم توطا فهي جديرة بالكف عن سلوكها والطريق لانه جدير بان يسلك قال في القاموس كانه ضد والمواعسة ضرب من سير الابل
كانه وسط فهو جدير بالخير والمباراة في السير او لا يكون الا ليلا وقال القزاز توعست في وجهه حمرة او صفرة اي كانت خليقة
بالظهور قال واذا ذكروا الرملة قالوا وعسا واذا ذكروا الرمل قالوا اوعس هذا ما في تنزيل الجزئيات من اللغة على ما دار هذه
المادة واما كلام اهل العربية في قواعد عسى الكلية فقال ابو عبد الله القزاز هو فعل لا يتصرف فلا يقول يعسى ولا هو عاس
وقال عبد الحق الاشبيلي ولا ياتي منه مستقبل ولا فاعل ولا مفعول ولا مصدر قال القزاز ويصحبه ان ويجوز حذفها وان
وما بعدها بمعنى المصدر وهي في موضع نصب ولا يقع بعدها المصدر ولا اسم الفاعل وانما جاء هذا في مثل العرب عسى الغوير ابوسا
وابوس جمع باس وهذا يدل على ان خبر عسى في موضع نصب وقال في القاموس والابوس الداهية ومنه عسى الغوير ابوسا اي داهية
وقال ابو عبيد في الغريب كانه اراد عسى الغوير ان يحدث ابوسا او ان ياتي بابوس فهذا طريق النصب ومما يبينه قول الكميت
قالوا اتينا بنو بكر فقلت لهم عسى الغوير بانشاس واغوار وقال شارح الجزولية ابو محمد بن الموفق لما كانت للرجاء دخلها معنى
الانشاء فلم تتصرف لان تصرفها ينافي الانشاء لانها اذا تصرفت دلت على الخبر فيما مضى والحال والاستقبال وذلك ينافي معنى الانشاء الذي
لا يصلح لماض ولا مستقبل وقال بعض المتاخرين عسى موضوعة لفعل يتوهم كونه في الاستقبال وهو على لفظ الماضي فاحتيج
الى ان بعده اذ لا مستقبل له وذهب بعضهم الى ان عسى حرف لعدم تصرفها ولان معناها في غيرها والصحيح انها فعل لفظا ومعنى اما
لفظا فظاهر اي للحاق الضمائر وتاء التانيث الساكنة واما معنى فلانه اخبار عن طمع وقع للمتكلم وجعل لفظها بلفظ الماضي لان الطمع قد وقع
وانما المطموع هو الذي يتوقع وينتظر وادخل ان على المطموع فيه لانه لم يقع بعد وجردت اخواتها عن ان لان خبرها محقق في الحال
اذ قد شرع فيه الا كاذاقتها للمقاربة في الجملة وقال ابن هشام المصري في توضيحه ويجب كون خبرها جملة وشذ كونه مفردا
نحو عسى الغوير ابوسا ويكون الاسم مرفوعا بعسى وان والفعل في موضع نصب على الخبر وقال الرضي انما لم يتصرف في عسى لتضمنه
معنى الحرف اي انشاء الطمع والرجاء وقوله ابوسا وصايما لتضمن عسى معنى كان فاجري مجراه ومذهب المتاخرين ان عسى ترفع الاسم
وتنصب الخبر لكان وقال ابو طالب العبدي في شرح الايضاح للفارسي الافعال موضوعة للتصرف من حيث كانت مقسمة باقسام
الزمان ولولا ذلك لاغنت المصادر عنها ولهذا قال سيبويه فاما الافعال فامثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء فبنيت لما مضى
ولما يكون ولما هو كائن لم ينقطع ولما خالفت هذه الافعال يعني عسى ونعم وبئس وفعل التعجب سائر الافعال في الدلالة ترك تصرفها

ابدًا بما اريدت له من المبالغة فيما جعلت دالة عليه فمعنى عسى الطمع والاشفاق كذا قال سيبويه ولما اختصت بهذا المعنى ترك
تصرفها وقال الرماني منعت ذلك حملا على لعل كما حملت ما على ليس والاولى الاولى لانه ليس ينبغي ان يحمل باب الافعال على الحروف لان الافعال
في بابها بمنزلة الحروف في بابها في لزوم البناء وانما الاسماء تحمل عليها كما تقول في قطام وحذام انه بني لوقوعه موقع الفعل وان اسماء
الاستفهام بنيت لوقوعها موقع الحرف ولا تقول في الافعال انها بنيت حملا على الحروف ولا الحروف بنيت حملا على الافعال بل كل منهما اصل
فكذلك التصرف ليس امتناعه لحمله على الحرف وجريه مجراه وعسى من اخوات كان وانما لم تذكر معها للمخالفة بترك التصرف وبلزوم ان الخبر
وبكونه فعلا ويدل على انها من اخوات كان عسى الغوير ابوسا فقد انكشف الاصل كما انكشف اصل اقام واطال ونحوه بقوله
صددت واطولت الصدود وقلما • وصال على طول الصدود يدوم • ولزوم الفعل لخبرها لجعله عوضا من التصرف الذي كان
ينبغي ان يكون لها واما لزوم ان فلما اريد من صرف الكلام الى تاويل الاستقبال لان ان تخلص اليه والبيت الممثل به فيه شيء ظريف وهو
مصدر مجموع واقع موقع مصدر واقع موقع فعل والمصادر في اصلها لا تجمع ولكنه ضرورة ومثل فالاصل ان يبأس ثم باسا ثم ابؤسا انتهى
كلام العبدي وعندي انه عندما يقوي المعنى الذي سيقت له من طمع او اشفاق يجعل خبرها اسما تنبيها على انها الآن بمنزلة كان لما اشتد
من شبهها لها بذلك قال ابو طالب واذا وليها ان والفعل كان في موضع رفع وسد طول الكلام مسد الخبر ومعناها الذي هو الاشفاق
والطمع قريب من المقاربة في كاد فلذلك حذف ان من خبرها حملا لها على كاد كما جوزوا دخول ان في خبر كاد حملا لها على عسى وقال شارح
الجزولية وحذف ان من خبر عسى اكثر من الحاق ان في خبر كاد لمقاربة كاد ذات الفعل وان تنافي ذلك قال ومن الفرق بينهما ان عسى لا
يضمر فيها ضمير الشان والقصة لشبهها بالحرف لعدم تصرفها وتضمر في كاد لتصرفها ثم رجح انه يضمر فيها وان لم تتصرف كما اضمر في نعم وبئس وقال
ابن هشام الخضراوي في شرح الايضاح ايضا ان سيبويه قدر عسى بقارب اي فترفع وتنصب لان قارب متعد وقدرها بقرب لاي فلا تنصب
لعدم تعديه قال ولا تدخل عسى على الماضي قال ابو علي لانها للاستقبال المحض ولذلك وقع بعدها ان فلا تصلح للماضي بوجه وقال
شارح الجزولية عسى لها مع الظاهر مذهبان احدهما ان تكون ناقصة بمعنى كان الناقصة تحتاج الى اسم وخبر الا انه يشترط في خبرها
ان يكون فعلا واصله ان يكون اسما مثل خبر كان الا انه عدل عنه الى الفعل تنبيها على الدلالة على ما هو المقصود من الرجا وتقوية لما
يفيده الرجا من الاستقبال وشبهت في هذا الوجه بقارب زيد الخروج تحقيقا لبيان الاعراب لا في المعنى لان قارب زيد الخروج
ليس فيه انشاء رجاء ولا غيره وانما هو تمثيل لتقدير الاعراب اللفظي لان اصلها ان تكون كذلك وانما طرا عليها انشاء الرجا كما كان ذلك
في التعجب ونعم وبئس وغيرهما والمذهب الثاني ان تاتي تامة فتستعمل استعمال قرب فتدخل على ان مع الفعل فتقول عسى ان يقوم زيد
واستغني فيها بان والفعل عن الجزئين كما استغني في ظننت ان يقوم زيد عن المفعولين وذلك لاشتماله على مسند ومسند اليه وهو المقصود
بهذه الافعال فاذا قلت زيد عسى ان يقوم احتمل ان تكون الناقصة فيكون فيها ضمير يعود على زيد هو اسمها وان مع الفعل خبرها
ويحتمل ان تكون التامة فلا يكون فيها ضمير وتكون ان مع الفعل فاعلها وقال ابن الخباز الموصلي في كتابه النهاية في شرح كتابه الكفاية
عسى للطمع وللمبالغة في الطمع فلا يكون خبرها ماضيا لان معناها الرجا والطمع والماضي لا يطمع فيه ولا يرجى لحصوله واستدل على انها
لا تستعمل الا في المستقبل بقول بعض شعراء الحماسة • عسى طيئ من طيئ بعد هذه • ستطفئ غلات الكلى والجوانح • فاتى بالسين
لانه لم يمكنه الاتيان بان في الشعر وقال شارح الجزولية ما معناه انه التزم في خبرها الفعل للدلالة على الاستقبال والزم ان تقوية
لذلك ولهذا لم يكن خبرها اسما وان كان اصله ان يكون اسما اذ لا دلالة للاسم على الزمان ولم يوضع مكانها السين وسوف لانهما يدلان
على تنفيس في الزمان والغرض هنا تقريبه وقد يجي في الشعر قليلا وانشد البيت المذكور وقال ابن الخباز ودخول الاستفهام عليها
يوذن بانها ليست للطمع لان الاستفهام لا يدخل على الطمع ولا على ما ليس بخبر فدخول هل عليها بما يوذن بانها خبر انتهى فتفسيرها بما ذكرته
من انها لا يمكن ان يكون وهو خليق بان يكون اولى ويكون الطمع لازما لمضمون الكلام لا انه مدلولها بالمطابقة والله الموفق ولما بين
سبحانه الصالح لذلك من غيره انكر على من لم يفرق بين الصنفين فقال اجعلتم سقاية الحاج اي مجردة عن الايمان وعمارة المسجد الحرام اي
كذلك كالايمان بالله واليوم الآخر والجهاد واهل السقاية والعمارة من غير ايمان في موالاتهم والكف عن معاداتهم كمن آمن بالله اي
الحامل اعتقاد كماله على كل كمال واليوم الآخر اي الحاث خوفه على كل خير وجاهد في سبيل الله اي الملك الاعلى المحيط بكل شيء فالآية على
قراءة الجماعة من الاحتباك حذف اولا المشبه به لدلالة المشبه عليه وثانيا المشبه لدلالة المشبه به عليه واما على رواية عيسى بن
وردان عن ابي جعفر شاذا سقاة وعمرة بالجمع فلا يحتاج الى تقدير ولما كان كانه قيل كنا نظن ذلك فما حالهم قال لا يستوون عند الله
اي الذي له الكمال كله لان المشركين ظلموا بترك الايمان والله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه لا يهدي القوم الظالمين اي الذي
وضعوا الاشياء في غير مواضعها والكفر اعظم الظلم فلا توجبوا لهم الهداية ولا المساواة بالمهتدين وان باشروا جميع افعال المهتدين
ما عدا الايمان ومن فعل ذلك منكم كان ظالما وخيف عليه سلب موجب الهداية ولما نفى عنهم المساواة من غير تصريح باهل الترجيح
ليشتد التشوف الى التصريح فيكون اثبت في النفس واوقر في القلب كان كانه قيل فمن الراجح فقال الذين آمنوا اي اوقعوا هذا الفعل
وهو ايمان المخاطب من ان يكذبوه بشيء مما يخبر به عن الله وقصر الفعل وهو في الاصل متعد ليفيد انه لا ايمان غير هذا وان وجد غيره
فهو عدم بالنسبة اليه وكذا كل فعل قصر فهو على هذا المنوال يشار به الى انه لعظيم نفعه لا فعل من جنسه غيره وهاجروا وجاهدوا
ولما كان المحدث عنه فيما قبل المجاهد في سبيل الله اقتضى المقام تقديمه على الآلة بخلاف ما في آخر الانفال فان المقام اقتضى
هناك تقديم المال والنفس لما تقدم من موجبه في غير آية كما سلف بيانه وايضا ففي هذا الوقت كان المال قد كثر ومواضع الجهاد
قد بعدت فناسب الاهتمام بالسبيل فلذا قدم في سبيل الله اي مخلصين له لانه الملك الذي لا كفو له ثم اتبعه قوله باموالهم وانفسهم

احتباك

فصرح بالنفس ترغيبا في المباشرة بها اعظم درجة اي من جهة ارتفاع الدرجة وهي الفضيلة المقربة الى الله ولما لم تكن العبرة الا بما عنده
سبحانه لا بما عند الناس قال عند الله اي الملك الاعظم من اهل السقاية وما معها من غير ايمان مدلول عليه بشواهده وانما لم يذكر المفضل عليه
ليفيد ان فضلتهم على الاطلاق فيكون المفضل عليه من جملة المدلول عليه وكرر الاسم الاعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام وصعوبة المرام وافهم
هذا ان تلك الافعال شريفة في انفسها فمن باشرها كان على درجة عظيمة بالنسبة الى من لم يباشرها ومن بناها على الاساس كان اعظم ثم بين
ما يخص اهل حزبه فقال واولئك اي العالوا الرتبة هم اي خاصة لا انتم ايها الفاخرون مع الشرك الفائزون اي بالخير الباقي في الدارين
دون من عداهم وان فعل من الخيرات ما فعل لانهم ترقوا من العبدية الى العندية ولما بين ان جزاء اولئك الخلود في النار بين ما
لهؤلاء فقال مفسرا لفوزهم يبشرهم ربهم اي المحسن اليهم بهدايتهم واجتبائهم وناهيك بهذه البشارة الدالة على علو مقامهم انها بلا
واسطة وكون البشارة على قدر المبشر دال على ان هذه البشارة لا نهاية لها ولا يحاط بمعرفة مقدارها برحمة اي عظيمة وزادها عظما
بقوله منه اشارة الى انه لا نجاة بدون العفو ثم اخبر بان الرحمة كما اثمرت العفو الذي هو ادنى المنازل اسعدت باعلاها فقال
ورضوان اي بان يكون راضيا عن الله الرضى بقضاء الله وذلك يكون اذا قصر نظره على الله فانه لا يتغير ابدا بقضاء من اقضيته كما ان
الله الذي هو راحمه لا يتغير ومن كان نظره لطلب حظ له كان ابدا في تغير من الفرح الى الحزن ومن السرور الى الغم ومن الراحة الى
الجراحة ومن اللذة الى الالم فثبت ان الرحمة التامة لا تحصل الا للراضي بقضاء الله وتكون البدنية الخاصة بالدار التي فيها القرار
فقال وجنات اي بساتين كثيرة الاشجار والثمار لهم فيها نعيم اي عظيم جدا خالص عن كدر ما ودل على الخلود بقوله مقيم ثم صرح بخلودهم
فيها بلفظ الخلود ليكون اقر للنفس فقال خالدين فيها وحقق امره بقوله ابدا ثم استانف المدح لذلك موذنا بالمزيد بقوله ان الله اي
الذي له الغنى المطلق والقدرة الكاملة عنده اجر عظيم وناهيك بما يصفه العظيم بالعظم وخص هؤلاء المومنين بهذا الثواب المعبر
عن دوامه بهذه العبارات الثلاث المقرونة بالتعظيم والاسم الاعظم فكان اعظم الثواب لان ايمانهم اعظم الايمان ولما فرغ من
العاطفة بمحاسن الاعمال شرع في العاطفة بالانساب والاموال وقدم الاول اشارة الى ان المجانسة في الافعال مقدمة على جميع
الاحوال ولما كان محط الموالاة المناصرة وكانت النصرة بالاباء والاخوان اعظم من النصرة بغيرهم لان مرجعها الى كثرة الاعوان
والاخدان اقتصر عليهما فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالسنتهم بالايمان بربهم معرضين عما سواه من الانداد الظاهرة صدقوا
ادعاكم ذلك بان لا تتخذوا اي تتعمدوا وتتكلفوا ان تاخذوا اباءكم واخوانكم اولياء اي على ما يدعوا اليه الطباع وتقويه الاطماع
فتلقوا اليهم اسراركم وتوثروا رضاهم والمقام عندهم ان استحبوا اي طلبوا واوجدوا ان احبوا الكفر وهو تغطية الحق والتكذيب
على الايمان نبه بصيغة الاستفعال على ان الايمان لكثرة محاسنه وظهور دلائله معشوق بالطبع فلا يتركه احد الا بنوع معالجة
ومكابرة لعقله ومجاهدة ولما كان اعز الاشياء الدين وكان لا ينال الا بالهداية وكان قد تقدم سلبها عن الظالم رهبهم من انتزاعه
بقوله ومن يتولهم اي يتكلف ان يفعل معهم ما يفعل القريب مع قريبه منكم اي بعد ان اعلمكم الله في امرهم بما اعلم فاولئك اي
المبعدون عن الحضرات الربانية هم الظالمون اي لوضعهم الموالاة في غير موضعها بعد ان تقدم اليهم سبحانه بمثل هذه الزواجر
وهذا رجوع بالاحتراس الى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الاية الوالية لبيان المومنين حقا واشارة الى انه يضلهم ولا
يهديهم لما تقدم من الخبر بانه لا يهدي الظالمين ولما كانت الانفس مختلفة الهمم متباينة الشجايا والشيم كان هذا غير كاف في التهديد
لكلها فاتبعه تهديدا اشد منه بالنسبة الى تلك النفوس فقال منتقلا من اسلوب الاقبال الى مقام الاعراض الموذن بزواجر
الغضب قل اي يا اعظم الخلق شفقة ورفقا ونصيحة لمن لم يزعه ما تقدم من الزواجر انه يجب تحمل جميع هذه المضار في الدنيا
ليبقى الدين سالما ولا ينثلم ان كان اباؤكم اي الذين انتم اشد شيء توقيرا لهم وابناؤكم اي الذين هم اعز الناس لديكم واحبهم
اليكم واخوانكم اي الذين هم من اصولكم فهم كانفسكم وازواجكم اي اللاتي هن سكن لكم وعشيرتكم اي التي بها تمام الراحة وقيام العز
والمنعة وهم اهل الانسان الادنون الذين يعاشرونه ولما قدم سبحانه ما هو مقدم على المال عند اولي الهمم العوال قال
واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها بالمعالجة من الاسفار وغيرها لمعاشكم وتجارة تخشون كسادها اي لفوات اوقات نفاقها
بسبب اشتغالكم بما ندب الله سبحانه اليه فيفوت على ما تتوهمون ما به قوامكم ومساكن ترضونها اي لانها تجمع لذلك كله ولقد
رتبها سبحانه احسن ترتيب فان الاب احب المذكورين لما هنا من شائبة النصرة وبعده الابن ثم الاخ ثم الزوج ثم العشير الجامع
للذكور والاناث ثم المال الموجود في اليد ثم المتوقع ربحه بالمتجر وختم بالمسكن لانه الغاية التي كل ما تقدم اسباب للاسترواح
فيه والتجمل به احب اليكم من الله اي الجامع لصفات الكمال الذي انعم عليكم بجميع ما ذكر ومتى شاء سلبكموه ورسوله اي الذي
اتاكم بما به حفظ هذه النعم في الدارين وجهاد في سبيله اي لرد الشارد من عباده اليه وحملهم عليه وفي قوله فتربصوا اي
انتظروا متبصرين وهو تهديد بليغ حتى ياتي الله اي الذي له الاحاطة بكل شيء بامره اي الذي لا تبلغه اوصافكم ولا تحتمله قواكم
ولما كان من اثر حب شيء من ذلك على حبه تعالى كان مارقا من دينه راجعا الى دين من اثره وكان التقدير فيصيبكم بقارعة لا
تطيقونها ولا تهتدون الى دفعها بنوع حيلة لانكم اخترتم لانفسكم منابذة الهداية ومعلوم ان من كان كذلك فهو مطبوع في الفسق
عطف عليه قوله والله اي الجامع لصفات الكمال لا يهدي القوم اي لا يخلق الهداية في قلوب الفاسقين اي الذين استعملوا ما
عندهم من قوة القيام فيما يريدون في الفساد حتى صار الفسق خلقا من اخلاقهم ولازما من لوازمهم بل يكلهم الى نفوسهم فيخسروا
الدنيا والاخرة ولما كان في بعض النفوس من الغرور بالكثرة ما يكسبها سكرة تغفلها عن بعض مواقع القدرة ساق قصة
حنين دليلا على ذلك الذي ابهمه من التهديد جوابا لسائل كان كانه قال ما ذاك الامر الذي نتربص لاتيانه ونخشى من عظيم شانه

وذلك صح

فقيل

فقيل الذل والهوان والافتقار والانكسار فكانه قيل وكيف يكون ذلك فقيل بان يسلط القدير عليكم وان كنتم كثيرا اقويا غيركم
وان كانوا قليلا ضعفا كما سلطكم وقد كنتم كذلك حتى صرتم الى ما صرتم اليه لقد نصركم الله اي الملك الاعلى مع شدة ضعفكم في مواطن
اي مقامات ومواقف واماكن توطنون فيها انفسكم على لقاء عدوكم كثيرة اي من الغزوات التي تقدمت لكم كبدر وقريظة والنضير
وقينقاع والحديبية وخيبر وغيرها من مخاصمات الكفار وكنتم من الذلة والقلة والانكسار بحال لا يتخيل معها نصركم وظهوركم على جميع
الكفار وانتم فيهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وما وكلكم الى مناصرة من تقدم امره لكم بمقاطعتهم فدل ذلك على ان من اطاع
الله ورجح الدين على الدنيا اتاه الله الدين والدنيا على احسن الوجوه وان عاداه الناس اجمعون ودل بما بعدها من قصة حنين على ان
من اعتمد على الدنيا فاته الدين والدنيا الا ان يتداركه الله برحمته منه فيرجع به فقال تعالى ويوم اي ونصركم بعد ان قواكم وكثركم
هو وحده لا كثرتكم وقوتكم يوم حنين وهو واد بين مكة والطايف الى جانب ذي المجاز وهو الى مكة اقرب وهو وراء عرفات الى
الشمال ولما كان سلمة بن سلامة بن وقش الانصاري رضي الله عنه قد قال حين التقى الجمعان واعجبته كثرة الناس لن نغلب اليوم
من قلة فساء النبي صلى الله عليه وسلم كلامه وان يعتمد الا على الله وكان الاعجاب سما قاتلا للاسباب ادبنا الله سبحانه في هذه الغزوة
بذكر سوء اثره لنحذره ثم عاد سبحانه بالانعام لكون الذي قاله شخصا واحدا كره غيره مقالته فقال اذ اي حين اعجبتكم كثرتكم
اي فقطعتم لذلك انه لا يغلبها غالب واسند سبحانه الفعل للجميع اشارة الى انهم لعلو مقامهم ينبغي ان لا يكون منهم من يقول مثل
ذلك فلم تغن عنكم شيا اي من الاغناء وضاقت عليكم الارض اي الواسعة بما رحبت اي مع اتساعها فصرتم لا ترون ان فيها مكانا
يحصنكم مما انتم فيه لفرط الرعب فما ضاق في الحقيقة الا ما كان من الامال التي سكنت الى الاموال والرجال ولعل عطفه لتوليهم
باداة التراخي في قوله ثم وليتم اي تولية كثيرة ظهوركم الكفار وحقق ذلك بقوله مدبرين اي انهزاما مع ان الفرار كان حين اللقاء لم يتاخر
اشارة الى ما كان عندهم من استبعاده اعتمادا على القوة والكثرة ثم انزل الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال سكينته اي رحمته وهي الامر
الذي يسكن القلوب عن ان تتاثر بما يدهمها من البلاء من الوثوق به سبحانه ومشاهدة جنابه الاقدس والغنا عن غيره ولما كان المقام للرسالة
وكان تاييد مدعيها من امارات صدقه في دعوى انه رسول وان مرسله قادر على ما يريد لا سيما ان كان تاييده على وجه خارق للعادة عبر
به دون وصف النبوة فقال على رسوله اي زيادة على ما كان به من السكينة التي لم يحز مثلها احد ثبت بها لثلثين الفا او عشرين الفا
او اربعة الاف على اختلاف الروايات في عشرة انفس او مايه او ثلثمايه على الاختلاف ايضا لم يكن ثباتهم الا به ثم لم يزده ذلك الا تقدما
حتى ان كان العباس عمه وابو سفين بن الحرث ابن عمه رضي الله عنهما ليكفان بغلته عن بعض التقدم ولعل العطف بثم اشارة الى علو رتبة ذلك
الثبات واستبعاد ان يقع مثله في مجاري العادات وعلى المومنين اي اما من كان منهم ثابتا فزيادة على ما كان له من ذلك واما غيره فاعطي ما لم يكن
في ذلك الوقت له وذلك انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس رضي الله عنه بعد ما فر الناس ناد فيهم يا عباس فنادى وكان صيتا
يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ويحتمل ان يكون ذكر الرسول عليه السلام
لمجرد التبرك كما في ذكر الله في قوله فان لله خمسه وزيادة في تعظيم الامتنان به لان النفوس الى ما اعطي منه الرسول اميل والقلوب له
اقبل لاعتقاد جلاله وعظمته وكماله وانزل اي من السماء جنودا لم تروها اي من الملايكة عليهم السلام وعذب اي بالقتل والاسر والهزيمة
والسبا والنهب الذين كفروا عبر بالفعل لان فيهم من امن بعد ذلك ولما كان ما عذب به من اوجد مطلق هذا الوصف عظيما اتبعه
بيان جزاء العريق في ذلك ترهيبا لمن اثر حب شي مما مضى على حب الله فقال وذلك اي العذاب الذي منه ما عذب به هولاء وغيره
جزاء الكافرين اي الراسخين في وصف الكفر الذين اثروا حب من تقدم من الاباء وغيرهم على الله فثبتوا على تقليد الاباء في الباطل
بعد ما راوا من الدلايل ما بهر الشمس ولم يدع شيا من لبس واما الذين لم يكن كفرهم راسخا فكان ذلك صلاحا لهم لانه قادهم الى الاسلام
فقد تبين ان للمنصور من نصره الله قليلا كان او كثيرا وان القلة والكثرة والقوة والضعف بالنسبة الى قدرته سوا فلا تغتروا بما
الزمكم من النعم فانه قادر على نزعها لا يستحق احد عليه شيا ولا يقدر احد على رد قضايه وفي ذلك اعلام بانه لا يرتد بعد ايمانه الا من
كان عريقا في الكفر وفيه ابلغ تهديد لانه اذا عذب من اوجد الكفر وقتا ما فكيف بمن رسخ فيه ولما بين ان العذاب جزاء الكافرين
بين انه يتوب على من يريد منهم وهم كل من علم منه قابلية الايمان وان كان شديدا في وصف الكفران فقال عاطفا على وعذب ثم يتوب الله
اي الذي له الاحاطة علما وقدرة ولما لم يكن احد تستغرق توبته زمان البعد ادخل الجار فقال من بعد ذلك اي العذاب العظيم
على من يشاء اي فيهديه الى الاسلام ويغفر له جميع ما سلف من الاثام والله غفور رحيم اي محا للخطايا عظيم الاكرام لمن تاب وفي ذلك
اشارة الى انه جعل هذه الوقعة لحكمته التي اقتضت ربط المسببات باسبابها سببا لاسلام من حضرها من كفار قريش وغيرهم
من المولفة بما قسم فيهم صلى الله عليه وسلم من غنايم هوازن وبما راوا من عز الاسلام وعلوه فكان في ذلك ترغيب لهم بالمال وترهيب
بسطوات القتال ولاسلام وفد هوازن بما حصل لهم من القهر وما شاهدوا للنبي صلى الله عليه وسلم من عظيم النصر ولاسلام
غيرهم من العرب بسبب علم كل منهم بهذه الوقعة انهم اضعف ناصرا واقل عددا كل ذلك رحمة منه سبحانه لهم ورفقا بهم وقد كان
جميع ذلك كما اشار اليه سبحانه فاسلم الطلقا وحسن اسلامهم وقدم وفد هوازن وسالوا النبي صلى الله عليه وسلم جبرهم برد
ما اخذ لهم فقال لهم اني استانيت بكم فلما ابطاتم قسمت بين الناس فيئهم فاختاروا المال او السبي فاختاروا السبي فشفع لهم
عند الناس فاجابوه فرد اليهم ابناءهم ونساءهم رحمة منه لهم وذل العرب لذلك فدخلوا في الدين افواجا وختم هذه الاية بالمغفرة
والرحمة على ما هو الانسب لسياق التوبة بذلك على انه ما عدل الى ختم الاولى بعليم حكيم الا لما قررته من جعل ام في ام حسبتم معادلة
للهمزة والله اعلم ولما تقدم من الاوامر والنواهي وبيان الحكم المرغبة والمرهبة ما لم يبق لمن عنده ادنى تمسك بالدين شيا من الالتفات

اي الذي له صفات الكمال صح

الى المفسدين يتزايد العلة في مدافعتهم وشديد مقاطعتهم انهم نجس وان المواضع التي ظهرت فيها انوار عظمته وجلالته واشرقت عليها
شموس نبوته ورسالته ولمعت فيها بروق كبره وجلالته صوارم نهيه وامره مواضع القدس ومواطن الانس من دنى اليها من غير اهلها
احرق بنارها وبهرت بصره اشعة انوارها فقال مستخلصا مما تقدم ومستنتجا يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالسنتهم بالايمان وهم
ممن يستقبح الكذب انما المشركون اي المعربقون في الشرك بديل استمرارهم عليه ولما كانوا متصفين به وكانوا لا يغتسلون ولا يغسلون
ثيابهم من النجاسة بولغ في وصفهم بها بان جعلوا عينها فقال نجس اي وانتم تدعون انكم ابعد الناس عن النجس حسا ومعنى فيجبان
يقذروا وان يبعدوا ويحذروا كما يفعل بالشيء النجس لما اشتملوا عليه من خلال الشر واتصفوا به من خصال السوء واما ابدانهم فما تقع النجاسة
على ظهارتها لان النبي صلى الله عليه وسلم شرب من اوانيهم ولم ينه عن مواكلتهم ولا امر بالغسل منها ولو كانت نجسة ما طهرها الاسلام ولما
تسبب عن ذلك ابعادهم قال فلا يقربوا اي المشركون وهذا نهي للمسلمين لمن تمكينهم من ذلك عبر عن تمكينهم عن ذلك مبالغة فيه المسجد الحرام
اي الذي احرجوكم منه وانتم اطهر الناس واستمر ذلك الزمان فاسقط الجار ونبههم على حسن الزمان واتساع الخير فيه بالتعبير بالعام
فقال بعد عامهم وحقق الامر وازال اللبس بقوله هذا وهو آخر سنة تسع سنة الوفود مرجعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فبعد
بقوله لا باتيانه بعد التقدم اليهم بان لا يقبل من مشرك الا الاسلام او القتل اشارة الى اخراج المشركين من جزيرة العرب وانها لا يجمع
لهما دينان لانها كلها محل النبوة العربية وموطن الاسرار الالهية ممن كان فيها ولو في اقصاها فقد قارب بجميع ما فيها وتكون حينئذ
بالنسبة الى الحرم كافنية الدور ورحاب المساجد وفي الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر رضي
الله عنه اميرا على الحج بعد رجوعه من تبوك ثم اردفه بعلي رضي الله عنه فامره ان يوذن ببراءة قال ابو هريرة رضي الله عنه فاذن
معنا علي يوم النحر في اهل منى ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وهذه سنة قديمة فقد امر الله تعالى
نبيا اسرائيليا في غير موضع من التورية بان لا يبقوا في جميع بلاد بيت المقدس احدا من المشركين بخلاف غيرها من البلاد التي يفتحها الله
عليهم منها ما قال المترجم في اواخر السفر الخامس واذا قدمتم الى قرية او مدينة لتقاتلوا اهلها ادعوهم الى الصلح فان قبلوه وفتحوا
لكم من كان فيها من الرجال يكونوا عبيدا لكم يودوا اليكم الخراج وان لم يقبلوا الصلح وحاربوكم فحاربوهم وضيقوا عليهم فاذا الله ربكم
يدفعها اليكم وتظفرون بمن فيها فاذا ظفرتم بمن فيها فاقتلوا الذكور كلهم بالسيف كذلك اصنعوا بجميع القرى البعيدة الثانية
التي ليست من قرى هذه الشعوب واما قرى هذه الشعوب التي يعطيكم الله ميراثا فلا تبقوا من اهلها احدا بل اقتلوهم قتلا كما اذي
امركم الله به ليلا يعلموكم النجاسة التي يعملونها لالهتهم ومثل ذلك كثير فيها وقد مضى بعضه فيما ذكرته عن التورية والله الموفق وجملة
بلاد الاسلام في حق الكفار ثلثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال لظاهر هذه الآية الثاني الحجاز وما في حكمه
وهو جزيرة العرب فيدخله الكافر باذن ولا يقيم اكثر من مقام السفر ثلثة ايام لان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا المشركين
من جزيرة العرب وهي من اقصى عدن ابين وهي في الجنوب الى اطراف الشام وهي في الشمال طولا ومن جدة وهي اقصى الجزيرة غربا على
شاطئ بحر الهند الى ريف العراق وهو في المشرق عرضا الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر الاقامة فيها بذمة وامان ما شاء
ولكن لا يدخل المساجد الا باذن مسلم ذكر ذلك البغوي قال ابن الفرات في تاريخه عند غزو بخت نصر لبني اسرائيل وارض العرب
وانما سميت بلاد العرب جزيرة لاحاطة البحار والانهار بها فصارت مثل الجزيرة من جزائر البحر وذلك ان الفرات اقبل من بلاد
الروم وظهر من ناحية قنسرين ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى وقع في البحر من ناحية البصرة والابلة واستدار البحر من ذلك
الموضع مطيفا ببلاد العرب فاتى منه عنق على كاظمة وتعدى الى القطيف وهجر وعمان والشحر وما لمنه الى حضرموت وناحية
البحر وعدن واستطال ذلك العنق فطعن في تهامة اليمن ومضى الى ساحل جدة واقبل النيل في غربي هذا العنق من اعلا بلاد
السودان مستطيلا معارضا البحر معه حتى وقع في بحر مصر والشام ثم اقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فمر بعسقلان
وسواحلها واتى على بيروت ونفد الى سواحل حمص وقنسرين حتى خالط الناحية التي اقبل منها الفرات منحطا على اطراف قنسرين
والجزيرة الى سواد العراق واقبل جبل السراة من تعز اليمن حتى بلغ اطراف الشام فسمته العرب حجازا لانه حجز بين الغور ونجد
فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه الغور وهو تهامة وما دونه في شرقيه نجدا انتهى ولما كان ما والاها من ارض الشام وغيرها
كله انهارا وجداول جعل كانه بحر لانه في حكم شاطئه ولما كان قوامهم بالمتاجر وكان قوام المتاجر باجتماعهم في اسواقهم
وكان نفيهم من تلك الاداضي مظنة لخوف انقطاع المتاجر وانعدام الارباح المفضي الى الحاجة وكان قد امر بنفيهم رعاية لامر الدين
وكان سبحانه عالما بان ذلك يشق على النفوس لما ذكر من العلة ولا سيما وقد قال بعضهم لما قرأ علي رضي الله عنه ان آيات
البراءة على اهل الموسم يا اهل مكة ستعلون ما تلقونه من الشدة بانقطاع السبيل وبعد المحولات وعد سبحانه وهو الواسع العليم
بما يغني عن ذلك لان من ترك الدنيا لاجل الدين اوصله سبحانه الى مطلوبه من الدنيا مما تقدم به من امر الدين من ترك شيء هو
الله خير منه فقال وان خفتم اي بسبب منعهم من قربان المواطن الالهية عيلة اي فقرا وحاجة فسوف يغنيكم الله اي وهو ذو
الجلال والاكرام من فضله وهو ذو الفضل والطول والقوة والحول ولما كان سبحانه الملك الغني القادر القوي الذي لا
يجب لاحد عليه شيء ويجب طاعته على كل شيء نبه على ذلك بقوله ان شاء ولما كان ذلك عندهم مستبعدا علله تقريبا له بقوله
ان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة عليم اي بوجوه المصالح حكيم اي في تدبير استجلابها وتقدير ادرارها ولقد صدق سبحانه
ومن اصدق منه قيلا فانه اغناهم بالمغانم التي انتظمها بايديهم بعد نحو ثلاث سنين من انزالها من كنوز كسرى وقيصر على ما لم
يطرق اوهامهم قط ثم جعل ذلك سببا لاختلاط بعض الطوائف من جميع الناس ببعض لصيرورتهم اخوانا في الدين الذي كان سببا

لان يجتمع في سوق منى وغيره في ايام الحج كل عام من المتاجر مع العرب والعجم ما لا يكون مثله في بقعة من الارض والعيلة القافة والاقتفاء
ومادتها لهذا الترتيب تدور على الحاجة واشداد وجوه الحيلة وقد تقدم اول النساء انها لبعيد ترتيب تدور قاليبها الكمالية
على الارتفاع ويلزمه الزيادة والميل ومنه تاتي الحاجة ويرهن على ذلك في جميع الجزئيات ولما كان ذلك موضع عجب يكون سببا
لان يقال من اين يكون ذلك المعنى اجاب بقوله قاتلوا اي اهل الاموال والمعنى الذين لا يؤمنون بالله اي الذي له جميع صفات الكمال ايمانا
هو على ما اخبرت به عنه ورسله ولو آمنوا هذا الايمان ما كذبوا برسول من الرسل وايضا فالنصارى مثلثة وبعض اليهود مشبهة ولا
باليوم الآخر اي كذلك واقل ذلك انهم لا يقولون بحشر الاجسام ولا يحرمون ما حرم الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله ورسوله اي من
الشرك واكل الاموال بالباطل وغير ذلك وتبديل التورية والانجيل ولا يدينون اي يفعلون ويقيمون اشتق من الدين فعلا ثم اضافه
الى صفته اغراقا في اتحاده بذلك الوصف فقال دين الحق اي الذي اخذت عليهم رسلهم العهود والمواثيق باتباعه ثم بين الموصول
مع صلته فقال من الذين ودل على استهانته سبحانه بهم وبرأته منهم بان بنى للمفعول قوله اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى
ومن الحق بهم حتى يعطوا الجزية اي وهي ما قرر عليهم في نظير سكناهم في بلاد الاسلام آمنين عن يد اي قاهرة ان كانت يد الآخذ او مقهورة
ان كانت يد المعطي من قولهم فلان اعطى بيده وهم صاغرون ففي ذلك غنى لا يشبه ما كنتم فيه من قتال بعضكم لبعض لتغنم ما في يده
من ذلك المال الحقير ولا ما كنتم تعدونه غنى من المتاجر التي لا يبلغ اكبرها اصغر ما ارشدناكم اليه مع ما في ذلك من العز المكين من الاصلاء
والطاعة وسترون وعبر باليد عن السطوة التي ينشأ عنها الذل والقهر لانها الآلة الباطشة فالمعنى عن يد قاهرة لهم اي عن قهر
منكم لهم وسطوة بانفاكم التي اصغر لهم عظمها واذلتهم شدتها قال ابو عبيدة يقال لكل من اعطى شيئا كرها عن غير طيب نفس اعطاه
عن يد انتهى وعبر بعن التي هي للمجاوزة لان الاعطاء لا يكون الا بعد البطش المذل هذا اذا اريد باليد يد الآخذ ويمكن ان يراد
يد المعطي وتكون كناية عن التنكس كان مقصود الجزية المال واليد اعظم اسبابه فالمعنى حتى يعطي كل واحد منهم الجزية عن نفسه ولما
كان المراد التعميم اتى بها نكرة لتفيد ذلك ويؤيد هذا ما نقل العلماء عن الرواة لفتوح البلاد منهم الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعي
قال في كتابه الاكتفاء في وصفه جلوا من بلاد فارس قالوا قال بعضهم فكان الفلاحون للطرق والجسور والاسواق والحرث والزراعة مع
الجزية عن ايديهم على قدر طاقتهم وكانت الدهاقين للجزية عن ايديهم والعمارة وانما اخذوا الجزية من المجوس لان النبي صلى الله عليه وسلم
اخذها من مجوس هجر واخذها منهم لانهم اهل كتاب في الاصل قال الشافعي في باب الجمل والمفسر من كتاب اختلاف الحديث والمجوس
اهل كتاب غير التورية والانجيل وقد نسوا كتابهم وبدلوا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخذ الجزية منهم اخبرنا مسلم
عن ابي سعد سعيد بن مرزبان عن نصر بن عاصم قال قدم فروة بن نوفل الاشجعي على عمر فقال توخذ الجزية من المجوس وليسوا باهل كتاب
فقام اليه المستورد فاخذ بتلبيبه فقال يا عدو الله تطعن على ابي بكر وعلى عمر وعلى امير المومنين يعني عليا وقد اخذوا منهم الجزية
فذهب به الى القصر فخرج علي رضي الله عنه عليهما فقال البدا البدا فجلسا في ظل القصر فقال علي انا اعلم الناس بالمجوس كان
لهم علم يعلمونه وكتاب يدرسونه وان ملكهم سكر فوقع على ابنته او اخته فاطلع عليه بعض اهل مملكته فلما صحا جاؤا ليقيموا عليه
الحد فامتنع عليهم فدعا اهل مملكته فقال تعلمون دينا خيرا من دين آدم وقد كان آدم ينكح بنيه من بناته فانا على دين آدم فبايعوه
وقاتلوا الذين خالفوهم حتى قتلوهم فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم وذهب العلم الذي في صدورهم وهم اهل
الكتاب وقد اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما منهم الجزية ولما امر بقتالهم ووصفهم بما هو
السبب الباعث على ذلك عطف عليه بعض اقوالهم المبيحة لقتالهم الموجبة لنكالهم فقال وقالت اي قالوا اهل الكتاب لما لم
كفروا بما وصفناهم به وقالت اليهود منهم كذبا وبهتانا عزير وتنوين عاصم والكسائي له موضح لكونه مبتدا والباقون منعوه
نظرا الى عجمته مع العلمية وليس فيه تصغير والخبر في القراءتين قولهم ابن الله اي الذي له العلو المطلق فليس كمثله شيء وعزير هذا الموالمسمى عندهم
في سفر الانبياء ملاخيا ويسمى ايضا العازر وهو الله صلى والعزير تقريبه واما الذي جمع لهم هذه التورية التي بين ايديهم فقال
التيموذ له بن يحيى المعروف بالذي كان يهوديا فاسلم انه شخص آخر اسمه عزرا وانه ليس بنبي وذكر ذلك في كتابه غاية المقصود في الرد على
النصارى واليهود وهو كتاب حسن جدا وكان التيموذ له هذا مع تمكنه من المعرفة بشريعة اليهود واخبارهم متمكنا من علوم الهندسة
وغيرها وكان فصيحا بليغا وكان حسن الاسلام يضرب المثل بعقله ورايت اليهود في غاية النكاية منه وارانى بعضهم رسالة اليه لبعض
احبارهم ليسفه رايه في اسلامه ويشبه عليه باشياء خطابيته وشعريه فاجابه بجواب بديع افتتحه بقوله تعالى سيقول لسفهاء من
الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ثم رد كلامه احسن رد ثم قال له ما حاصله دع عنك مثل هذه الخرافات واجب عن الامور
التي الزمتكم بها في كتاب غاية المقصود مما اجاز جوابا ثم القائل لهذا القول منهم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اربعة وقيل
قائله واحد واسند الى الكل كما يقال فلان يركب الخيول وقد لا يكون له الا فرس واحدة وهو كقوله تعالى الذين قال لهم الناس الآية
وقيل كان ذا شيا فيهم فلما عابهم الله به تركوه وهم الآن ينكرونه والله تعالى اصدق حديثا وقالت النصارى اي منهم افكا وعدانا
المسيح واخبروا عنه بقولهم ابن الله مع ان له الغنى المطلق والكمال الاعظم والمسيح هذا هو ابن مريم بنت عمران ثم استانف قوله
مترجما لقولهم ذلك اي القول البعيد من العقول المكذب للمنقول قولهم بافواههم اي حقيقة ثم احتشموا من قوله مع نكارته
وهو مع ذلك قول لا تجاوز حقيقته الافواه الى العقول لانه لا يتصوره عاقل بل هو قول يهذي كاصوات الحيوانات العجماء لا يتحقق
له معنى تاليا ومعناه الخالي ان قائله لا عقل له ليس له معنى وراء ذلك ولبعده عن ان يكون مقصود العاقل عبر فيه بالافواه التي
هي ابعد من الالسنة الى القلوب ولما كان كانه قيل فما لهم اذا كان هذا حالهم قالوه قال ما حاصله انهم قوم مطبوعون على التشبه

الذي امركم بقتالهم لينصركم ويظهر اياته ولعل الختم بقوله ولو كره المشركون ابلغ لان الكفر قد لا يكون فيه عناد والشرك مبناه
على العناد باتخاذ الانداد اي لا بد من نصركم خالف من خالف مجرد مخالفة او ضم الى ذلك العناد بالاستعانة بمن اراد ولما حقر امرهم
بتقسيم اعتمادهم على روسائهم وحالهم معروف في انه لا نفع عندهم ولا ضر واعلى امر اهل الله باجتماعهم عليه وهو القادر على كل شي وكان
الاقبال على الدنيا اعظم امارة على الخذلان ولو انه بحق فكيف اذا كان بالباطل اقبل سبحانه وعز شانه على اهل وده مستعطفا متلطفا
مناديا باسم الايمان الذي بنى امره في اول هذا الكتاب على الانفاق لا على التحصيل ولو كان بحق فكيف اذا كان بباطل ويوتون الزكوة
ومما رزقناهم ينفقون منبها على سفه من ترك من لا يسله على بذل الهدى والدعوة الى دين الحق اجرا وهو سفير محض لا ينطق عن الهوى
ولم يعتقده رسولا واتخذ مربوبا مثله وهو ياخذ ماله بالباطل ربا وذلك مقتض لتحقيرهم لا لمطلق تعظيمهم فضلا عن الرتبة التي
انزلوهم بها واهلوهم لها مع الترفع عليهم لقصد اكل اموالهم بالباطل فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بايمان داعيهم من التكذيب ومما
يوول اليه ان كثيرا من الاحبار اي من علماء اليهود والرهبان اي من زهاد النصارى لياكلون اي يتناولون ولكنه عبر به لانه معظم
المراد من المال واشارة الى تحقير الاحبار والرهبان بانهم يفعلون ما ينافي مقامهم الذي اقاموا انفسهم فيه اموال الناس بالباطل
اي باخذها بالرشا وانواع التصيد باظهار الزهد والمبالغة في التدين المستجلب لها بالنذور ونحوها فيكنزونها ولا ينفقونها
في سبيل الله من اتاهم بها بالاقبال بقلوب عباده اليهم ولما اخبر عن اقبالهم على الدنيا اتبعه الاخبار عن اعراضهم عن الاخرة فقال
ويصدون اي يحتالون في صرف من ياتيهم بتلك الاموال وغيرهم عن سبيل الله اي دين الملك الذي له الامر كله بابعادهم عنه باخفاء
الايات الدالة عليه عنهم خوفا على انقطاع دنياكم بزوال رياستهم لو اقبل اولئك على الحق ولما كان اكثرهم يكنزون تلك الاموال شرع
سبحانه يهدد على مطلق الكنز ففهم منه من باب الاولى الصد الذي هو سبب الجمع الذي هو سبب الكنز فقال والذين اي يفعلون ذلك
والحال انهم يعلمون ان الذين يكنزون اي يجمعون تحت الارض او فوقها من قولهم للمجتمع اللحم مكتنز الذهب والفضة اي منهم ومن غيرهم
من غير تزكية ولما كان من المعلوم انهما اجل مال الناس وكان الكنز دالا على المكاثرة فيهما اعاد الضمير عليهما بما يدل على الانواع الكثيرة
فقال ولا ينفقونها اي ينفقون ما وجب عليهم من هذه الاموال التي جمعوها من هذين النوعين مجتمعين او منفردين ولو ثني لاوهم
ان اجتماعهما شرط للترهيب وانما اعاد الضمير عليها من غير ذكر من وهي مراده لمزيد الترغيب في الانفاق والترهيب من تركه ويجوز ان يعود
الضمير الى الفضة لان الذم على كنزها والحاجة اليها لكثرتها اقل فالذم على كنز الذهب من باب الاولى لانه اعلى منها واعز بخلاف الذم
على كنز الذهب وقال الحرالي في ال عمران فاوقع الانفاق عليها ولم يحصه من حيث لم يكن ولا ينفقون منها كما قال في المواشي خذ من
اموالهم لان هذين الجوهرين خواتم ينال بها اهل الدنيا منافعهم وقد صرف عنهم الانتفاع بهما فلم يكن لوجودهما فايدة الا بانفاقهما
لانهما صنما هذه الامة فكان كسرهما باذهابهما انتهى في سبيل الله اي الوجه الذي امر الله بانفاقها فيه فبشرهم اي مقول فيهم بسبب
ذلك تهكما بهم بشرهم بعذاب اليم عوضا عما ارادوا بهما من السرور بانجاح المقاصد ولما كان السياق دالا دلالة واضحة على ان هذا
العذاب يحصل لهم ويقع بهم نصب بذلك قوله يوم يحمى اي يحصل الاحماء وهو الايقاد الشديد عليها اي الاموال التي جمعوها
في نار جهنم اي التي لا تقاربها ناركم وتلقى داخلها بالتجهم والعبوسة كما كان يلقى بذلك الفقراء وغيرهم من اهل الله لا سيما من منعه
ما يجب له من النفقة فتكوى بها اي بهذه الاموال جباههم التي هي اشرف المصاهم لانها مجمع الوجوه والروس وموضع الجاه الذي
يجمع المال لاجله ولتعبيسهم بها في وجوه الفقراء وجنوبهم التي يحوونه لملئها بالماكل المشتهاة والمشارب المستلذة ولازورارهم
بها عن الفقراء وظهورهم التي يحوونه لتقويتها وتجميلها بالملابس وتحليتها ولتوليتهم اياها اذا اجتمعوا مع الفقراء في مكان ثم يقال
لهم هذا ما كنزتم واشار الى الحامل على الجمع المنافي للعقل بقوله لانفسكم اي لتنافسوا به وتلتذوا فلم تنفقوه فيما امر الله فذوقوا ما
اي وبال وعذاب ما كنتم تكنزون اي تجددون جمعه على سبيل الاستمرار حريصين عليه واشار بفعل الكون الى انهم مجبولون على
ذلك روى البخاري في التفسير عن زيد بن وهب قال مررت على ابي ذر رضي الله عنه بالربذة قال كنا بالشام فقرات والذين يكنزون
الذهب والفضة الاية قال معاوية ما هذه فينا ما هذه الا في اهل الكتاب قلت انها لفينا وفيهم وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما
انه قال هذا قبل ان تنزل الزكوة فلما انزلت جعلها الله طهرا للاموال يعني فما اعطى صاحبه ما وجب عليه فيه فليس بكنز ولما
تقدم كثير مما ينبني على التاريخ الحج في غير موضع والاشهر واتمام عهد من له مدة الى مدته والزكوة والجزية وختم ذلك بالكنز الذي
لا يطلق شرعا الا على ما لم تؤد زكوته وكان مشركوا العرب الذين تقدم الامر بالبراءة منهم والتاذين بهذه الايات يوم الحج الاكبر
فيهم قد احدثوا في الاشهر بالنسي الذي امروا ان ينادوا في الحج بابطاله ما غير السنين عن موضوعها الذي وضعها الله عليه فضاهوا
به فعل اهل الكتاب بالتدين بتحليل اكابرهم وتحريمهم كما ضاهى اولئك قول اهل الشرك في النبوة والابوة قال تعالى ان عدة الشهور
اي منتهى عدد شهور السنة عند الله اي في حكم وعلم الذي خلق الزمان وحده وهو الاله وحده فلا امر لاحد معه اثنا عشر شهرا
اي لا زيادة عليها ولا تغيير لها كما تفعلونه في النسي في كتاب الله اي كلام الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما وحكمه الذي هو مجمع الهدى
فهو الحقيق بان يكتب وليست الشهور ثلثة عشر ولا اكثر كما كان يفعل من امرتكم بالبراءة منهم كائنين من كانوا في النسي يوم اي كان
ذلك وثبت يوم خلق السموات والارض اي اللذين نشا عنهما الزمان والمعنى ان الحكم بذلك كان قبل ان يخلق الزمان منها اي الشهور
اربعة حرم اي باعيانها لا بمجرد العدد ذلك اي الامر العظيم والحكم العالي الرتبة في الاتقان الدين القيم اي الذي لا عوج فيه ولا
مدخل للعباد وانما هو بتقدير الله تعالى للقمر روى البخاري عن ابي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعني في حجة
الوداع ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات

بمن يفعل المفاسد كما انهم تشبهوا بعبدة الاوثان فعبدوها غير مرة والانبيا بين اظهرهم يدعونهم الى الله وكتابهم ينادي بمثل ذلك وينذرهم
اشد الانذار يضاهون اي حال كونهم يشابهون بقولهم هذا قول الذين كفروا اي بمثله وهم العرب حيث قالوا الملايكة بنات الله كما انهم لما راوا
الذين يعكفون على اصنامهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة ولما كان لا يمتنع ان يكون الذين شابهوهم انما كانوا بعدهم او في زمانهم
من قبل ان يبين فساد قولهم نفى ذلك بقوله مشيرا بحرف الجر الى ان كفرهم يستغرق زمن القبل من قبل اي من قبل ان يحدث منهم هذا القول
وهذا دليل على ان العرب غيروا دين اسمعيل عليه السلام واجترأوا على مثل هذا القول قبل ايقاع بختنصر باليهود او في حدوده وليس ذلك
ببعيد مع طول الزمان واغواء الشيطان فقد كان بين زمان ابرهيم وعزير عليهما السلام نحو الف وخمسماية سنة هذا على ما ذكره بعض علماء
اهل الكتاب عن كتبهم وايده ما ذكره المسعودي من مروج الذهب في تاريخ ملوك بابل من نمرود الى بختنصر وذكر بعض المورخين ان
بين الزمنين زيادة على الفي سنة على انهم قد نقلوا ما هو صريح في كفر العرب في ذلك الزمان فرووا عن هشام بن الكلبي انه قال كان بدء
نزول العرب الى ارض العراق ان الله عز وجل اوحى الى برخيا من ولد يهوذا ان ايت بختنصر فمره ان يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم
ويطا بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح اموالهم واعلمه بكفرهم بي واتخاذهم الالهة دوني وتكذيبهم انبيايي ورسلي
وعن غير ابن الكلبي انه نظم ما بين ايلة والابلة خيلا ورجالا ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كل ذي روح فدروا عليه واوصى الله برخيا
وارميا بمعد بن عدنان الذي من ولده محمد المختوم به النبوة وكان ذكر مشابهتهم لاهل الشرك تحقيرا لشانهم وتجرية على الاقدام عليهم
اذ جعلهم مشابهين لمن دربوا قتالهم وضروا عليهم فاذلوهم بعد ان كانوا في عزة لا يخشون زوالها وعزايم شديدة لا يخافون انحلالها
كل ذلك بطاعة الله في قتالهم وطلب مرضاته بنزالهم لانه عليهم ومن كان عليه لم يفلح والى مثل ذلك اشار بقوله في حق هولاء قاتلهم الله
اي اهلكهم الملك الاعظم لان من قاتله لم ينج منه وقيل لعنهم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وكل شي في القرآن من مثله فهو لعن
انى يوفكون اي كيف ومن اين يصرفون عن الحق مع قيام الادلة القاطعة عليه ثم زادهم جراة عليهم بالاشارة الى ضعف مستندهم حيث
كان مخلوقا مثلهم بقوله اتخذوا اي كلفوا انفسهم العدول عن الله القادر على كل شي واخذوا احبارهم اي من علماء اليهود والحبر في الاصل
العالم من اي طايفة كان ورهبانهم اي من زهاد النصارى والراهب في الاصل من تمكنت الرهبة من قلبه فظهرت اثارها على وجهه
ولباسه فاختص في العرف بعلماء النصارى اصحاب الصوامع اربابا اي الهة لكونهم يفعلون ما يختص به الرب من تحريم ما حرموا وتحليل
ما حللوا واشار الى سفول امرهم بقوله من دون الله اي الحايز لجميع صفات الجلال فكانوا يعولون عليهم ويسندون امورهم اليهم
حتى ان كانوا ليتبعونهم في الحلال والحرام والمسيح اي المبارك الذي هو اهل لان يمسح بدهن القدس وان يمسح غيره ابن مريم اي اتخذوه
كذلك لكونهم جعلوه ابنا فاهلوه للعبادة بذلك مع كونه ابن امراة فهو لا يصلح للالهية بوجه لمشاركته للادميين في الحمل والولادة والتربية
والاكل والشرب وغير ذلك من احوال البشر الموجبة للحاجة المنافية للالهية ومع تصريحه لهم بانه عبد الله ورسوله فتطابق العقل
والنقل على انه ليس باله ولما قبح عليهم ما اختاروه لانفسهم قبحه عليهم من جهة مخالفته لامره تعالى فقال وما اي فعلوا ذلك والحال
انهم ما امروا اي من كل من له الامر من ادلة العقل والنقل الا ليعبدوا اي ليطيعوا على وجه التعبد الها واحدا اي لا يقبل القسمة بوجه
لا بالذات ولا بالمماثلة وذلك معنى وصفه بانه لا اله الا هو اي لا يصح ان يكون معه اله آخر فلما تعين ذلك في الله وكانت رتبته زايدة البعد
عما اشركوا به نزهه بقوله سبحانه اي بعدت رتبته وعلت عما يشركون في كونه معبودا او مشرعا ذكر ابو محمد اسحق بن ابرهيم البستي
القاضي في تفسيره وغيره عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اقطعه
فقطعته ثم اتيته وهو يقرا سورة براة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
لا اله الا هو سبحانه عما يشركون قلت يرسول الله انا لم نكن نعبدهم قال اجل اليس كانوا يحلون لكم ما حرم الله فتستحلونه ويحرمون عليكم ما احل الله
فتحرمونه قلت بلى قال تلك عبادتهم ولما وهى سبحانه امرهم من جهة استنادهم زاده توهية من جهة مرادهم بالاعلام بانهم بقتالهم
لاهل الطاعة انما يقاتلون الله وانه لا ينفذ غرضهم بل يريد غير ما يريدون ومن المقرر انه لا يكون الا ما يريد فقال مستانفا او معللا لما
مضى من اقوالهم وافعالهم يريدون ان يطفوا اي بما مضى ذكره من احوالهم نور الله اي دين الملك الاعلى الذي له الاحاطة العظمى وشرعه
الذي شرعه لعباده على السنة الانبياء والرسل كل ذلك ليتمكنوا من العمل بالاغراض والاهوية فان اتباع الرسل حاسم للشهوات
وهم ابعد الناس عن ذلك ولما حقر شانهم هدمه بالكلية بقوله بافواههم اي بقول حال عن شي يثبته او يمضيه وينفذه وفي
تسمية دينه نورا ومعاندتهم اطفا بالافواه تمثيل لحالهم بحال من يريد اطفا نور الشمس بنفخه ويابى اي والحال انه يفعل فعل الابي
وهو انه لا يرضى الله اي الذي له جميع العظمة والعز ونفوذ الكلمة الا ان يتم نوره اي لا يقتصر على مجرد اشراقه بل وعد وقوله
الحق بانه لا بد من اكماله واطفايه لكل ما عداه واحراقه ولما في يابى من معنى الجحد دخل عليها الاستثنا اي انه يابى كل حالة الا حالة
اتمامه نوره على التجدد والاستمرار ولو كره الكافرون اي العريقون في الكفر فكيف بغيرهم ولما اخبر انه معل لقوله ومكمل ومبطل
لقولهم ومسفل علل ذلك بما حاصله انه شان الملوك وهو انهم اذا برز لهم امر بشي لم يرضوا ان يرده احد فان ذلك روح الملك
الذي لا يجازي الطاعن فيه الا بالهلك فقال هو اي وحده الذي ارسل رسوله اي محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى اي البيان الشافي
بالمعجزات القولية والفعلية ودين الحق اي الكامل في بيانه وثباته كمالا ظاهرا لكل عاقل ثم زادهم جراة على العدو بقوله معللا
لارساله ليظهره اي الرسول صلى الله عليه وسلم والدين ادام الله ظهوره على الدين كله وساق ذلك كله مساق الجواب لمن كانه
قال كيف نقاتلهم وهم في الكثرة والقوة على ما لا يخفى فقال لم لا تقاتلونهم وانتم لا تعتمدون على احد غير من كل شي تحت قهره وهم انما
يعتمدون على مخاليق مثلكم كيف لا تجسرون عليهم وهم في قتالكم انما يقاتلون ربهم الذي انتم في طاعته ام كيف لا تصادمونهم وهو

الذي

ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وانما بين الامر بسبب عنه بقوله فلا تظلموا فيهن اي الاشهر الحرم
انفسكم اي بسبب انسأ بعضها وتحريم غيره مكانه لتوافقوا العدد والعبرة اللازم عنه احلال كل منها بايقاع الظلم فيه وتحريم كل من غيرها
قال قتادة العمل الصالح والفاسد فيها اعظم منه في غيرها وان كان ذلك في نفسه عظيما فان الله يعظم من امره ما شاء وقال ابو حيان الحامل له
ان العرب تعيد الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال منها اربعة اي من الشهور وعلى جمع القلة لما لا يعقل نون جمع المؤنث
فلذا قال فلا تظلموا فيهن اي في الاربعة ولما كان انسأؤهم انما هو لتحل لهم المقاتلة على زعمهم قال وقاتلوا المشركين كافة اي كلكم
في ذلك سواء في الائتلاف واجتماع الكلمة كما يقاتلونكم كافة اي كلهم في ذلك سواء وذلك الحكم في جميع السنة لا انفاكم عن قتالهم في شهر
منها فانتم لا تحتاجون الى تغيير حكمي فيها لقتال لا غير ان اتقيتم الله فلا تخافوهم وان زادت جموعهم وتضاعفت قواهم لان الله يكون
معكم واعلموا ان الله اي الذي له جميع العظمة معكم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الوصف تعليقا للحكم به وتعميما فقال مع المتقين اي جميعهم
وهم الذين يبنون تقواهم على ما شرعه لهم لا على النسيء ونحوه ومن كان الله معه نصر لا محالة ولما فهم من هذا ابطال النسيء لانه فعل
اهل الجاهلية فلا تقوى فيه كان كانه قيل انما في النسيء تقوى فان سببه انما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال في الشهر الذي
حرمه وذلك انهم كانوا اصحاب غارات وحروب وكانوا يحترمون الاشهر الحرم عن القتال حتى لو راى الانسان قاتل ابيه لا مانع منه
لم يعرض له فكان اذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم تركه وكان يشق عليهم ترك ذلك ثلاثة اشهر متوالية فحللوا النسيء لذلك
فقيل تصرفوا بما انتهه ما مضى ليس فيه شيء من ذلك انما النسيء اي تاخير الشهر الى شهر آخر على انه مصدر نساه نسيئا اذا اخر وهو
اسم مفعول الشهر الذي توخر العرب حرمته من الاشهر الحرم عن وقتها زيادة في الكفر اي لانه على خلاف ما شرعه الله وفيه ستر
تحريم ما اظهره الله بخرمه ولما بين ما في النسيء من القباحة وتحريرانهم وقعوا على ضد مرادهم فانهم كانوا لو قاتلوا في الشهر الحرام
قاتلوا وهم معتقدون الحرمة خايفون عاقبتها فكانوا غير خارجين عن دايرة التقوى بالكلية فاذا هم بتحليله قد صاروا عن دايرتها
بمراحل لا تكاد تسمع فيه كل عظيمة مع الامن من اعتقاد الحل بتحليل ذلك الذي اعتقدوه ربما فكان يقول اني لا اجاب ولا اعاب والله
لا مرد لقضايي واني احللت المحرم وحرمت صفرا الى غير ذلك من الكلام الذي لا يليق الا بالاله وذلك معنى قوله تعالى بيانا لما
قبله يضل به اي بهذا التاخير الذي هو النسيء الذين كفروا اي يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله هذا على قراءة الجماعة والمعنى
على قراءة حمزة والكسائي وحفص بالبناء للمفعول يضلهم مضل من قبل الله وعلى قراءة يعقوب بالفتح يضلهم الله ثم بين ضلالهم بقوله
يحلونه اي ذلك الشهر وعبر عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة اشارة الى انهم يفعلونه ولو لم يضطرهم الى ذلك حرب سنة
ولا عض زمان بل لمجرد الشهي فقال عاما ويحرمونه عاما فكذا دايما كلما ارادوا وليس المراد انهم كل سنة يفعلون ذلك من غير
اخلال السنة من التغيير وهذا الفعل نسخ منهم مع انهم يجعلون النسخ من معايب الدين ليواطئوا اي يوافقوا عدة ما حرم الله اي الجمع
بالجلال والاكرام في كون الاشهر الحرم اربعة فيحلوا اي فيتسبب عن هذا الفعل ان علوا ما حرم الله اي الملك الاعظم منها كلها فلا يدع
لهم هذا الفعل شهرا الا انتهكوا حرمته فاراد وابذلك عدم انتهاك الحرمة فاذا ايما لم يدعوا حرمة الا انتهكوها فما ابعده من ضلال
ولما انتهكت بهذا البيان قباحه فعلهم كان كانه قيل ان هذا العجب حاملهم على ذلك فقيل زين اي زين مزين وقوي شاذا
باسناد الفعل الى الله لهم سوء اعمالهم اي حتى راوا حسنا ما ليس بالحسن فضلوا ولم يهتدوا فاضل الله بهم ذلك لما علم من
طبعهم على الكفر فلم يهد والله اي الذي له صفات الكمال لا يهدي اي يخلق الهداية في القلوب القوم الكافرين اي الذين طبعهم على
الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه والنسيء قال في القاموس الاسم من نسأ الشيء بمعنى رجره وساقه واخره قاد وشهر
كانت تؤخره العرب في الجاهلية فنهى الله عز وجل عنه وقال ابن الاثير في النهاية والنسيء فعول بمعنى مفعول وقال ابن فارس
في الجمل والنسيء في كتاب الله التاخير وكانوا اذا صدروا عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول انا الذي لا يرد لي قضاء فيقولون
انسئنا شهرا اي اخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر انتهى وعادة نسائة وعلى التغيير وسبب فعلهم هذا انهم كانوا ربما
اراد وا قتالا في شهر حرام فيحلونه ويحرمون فكانه شهر ان شهر الحل ويؤخرون ذلك الشهر قال ابن فارس وذلك انهم كانوا
يكرهون ان تتوالى عليهم ثلثة اشهر لا يغيرون فيها لان معاشهم في الغارة فيحل لهم الكتاني المحرم انتهى وكان النساءة من بني فقيم من
كنانة وكان اول من فعل ذلك منهم القلمس وهو حذيفة بن عبيد بن فقيم واخرهم الذي قام عليه الاسلام ابو ثمامة جنادة بن عوف
ابن امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبيد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة فيما ارجح سنة
كانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فحرم الاشهر الحرم الاربعة فاذا اراد وا ان يحل منها شيا احل المحرم فاحلوه وحرم
مكانه صفرا فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة الاشهر الحرم فاذا اراد وا الصدر قام فيهم فقال اللهم اني احللت احد الصفرين الصفر
الاول ونساءت الاخر للعام المقبل ذكره كل اهل السير وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول من نساء عمرو بن لحي وتحقيق
معنى ما كانت العرب تفعله واختلاف اسماء الشهور حتى يوجب دوران السنين فلا تصادف اسماء الشهور مسمياتها الا الحين
بعد الحين عشر قل من ارتاب فيه بما يتضح به قول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما مضى ان الزمان قد استدار كهيئة
يوم خلق الله السموات والارض وهانا اذكر فيه ما لا ينبغي جهله ليسر ان شاء الله تعالى لمعنى قوله ونساءة الاخر للعام المقبل
انه اذا احل المحرم وسماه صفرا ابدا السنة بعده بالمحرم ثم صفرا الى آخرها فيصير بين صفر وذي الحجة الذي وقع النسيء
فيه شهرا زوقد كان ينبغي ان يكون بينهما شهر واحد فاخر هذا الذي ينبغي الى العام المقبل فاذا جاء العام المقبل انتهى ما اخره
واذا انتهى رجع الى محله ويمكن ان يحمل على هذا قول ابي عبيد في غريب الحديث قال بعد النصف من الجزء الثالث عشر في

شرح الاستدارة ان بدء ذلك والله اعلم ان العرب كانت تحرم الشهور الاربعة وكان هذا مما تمسكت به من ملة ابرهيم عليه السلام فربما احتاجوا
الى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم فيكرهون ان يستحلوه ويكرهون تاخيرهم حربهم فيوخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون
المحرم وهذا هو النسي الذي قال الله انما النسي الاية وكان ذلك في كنانة هم الذين كانوا ينساون الشهور على العرب والنسي هو التاخير
فكانوا يمكثون بذلك زمانا يحرمون صفرا وهم يريدون بذلك المحرم ويقولون هو احد الصفرين وقد تاول بعض الناس قول النبي صلى
الله عليه وسلم لا صفر على هذا ثم يحتاجون ايضا الى تاخير صفر الى الشهر الذي بعده كحاجتهم الى تاخير المحرم فيوخرون تحريمه الى ربيع
ثم يمكثون بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون الى مثله ثم كذلك فكذلك يتدافع شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها فقام الاسلام
وقد رجع المحرم الى موضعه الذي وضعه الله به وذلك بعد دهر طويل فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والارض يقول رجعت الاشهر الحرم الى مواضعها وبطل النسي وقد زعم بعض الناس انهم كانوا يستحلون المحرم
عاما فاذا كان من قابل ردوه الى تحريمه قال ابو عبيد الاول احب الي لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار وليس
في التفسير الاخير استدارة وعلى هذا التفسير الذي فسرناه قد يكون قوله يحلونه عاما ويحرمونه عاما مصدقا له لانهم اذا حرموا العام
المحرم وفي قابل صفرا ثم احتاجوا بعد ذلك الى تحليل صفر ايضا احلوه وحرموا الذي بعده فهذا تاويل قوله في التفسير يحلونه عاما
ويحرمونه عاما وقال ابو حيان في النهر ما حاصله كانت العرب لا عيش لاكثرها الا من الغارات فيشق عليهم توالي الاشهر الحرم وكان
بنو فقيم اهل دين وتمسك بشرع ابرهيم عليه السلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفة بن عبيد بن فقيم فنسا الشهور للعرب ثم خلفه
على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه امية ثم خلفه ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام كانوا اذا
فرغوا من حجهم جاء اليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا انسينا شهرا فيحل المحرم ثم يلتزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الاشهر الاربعة
ويسمون ذلك الصفر المحرم ويسمون ربيع الاول صفرا وربيعا الاخر ربيعا الاول وهكذا ساير الشهور فيسقط على هذا حكم المحرم
الذي حلل لهم وتجي السنة من ثلثة عشر شهرا اولها المحرم الذي هو في الحقيقة صفر وقال البغوي قال مجاهد كانوا يحجون
في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين وحجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور فوافقت حجة ابي بكر السنة
الثانية من ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجة شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة وقال
عبد الرزاق في تفسيره اخبرنا معمر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله انما النسي زيادة في الكفر قال فرض الله الحج في ذي الحجة
فكان المشركون يسمون الاشهر ذا الحجة والمحرم وصفر وربيع وربيع وجمدى وجمدى ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذا
القعدة وذا الحجة ثم يحجون فيه مرة اخرى ثم يسكتون عن المحرم ولا يذكرونه فيسمون احسبه قال المحرم صفر ثم يسمون رجب بجمدى
الاخرة ثم يسمون شعبان رمضان ورمضان شوال ثم يسمون ذا القعدة شوالا ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة
ثم يحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا كمثل هذه الصفة فكانوا يحجون عامين في كل شهر حتى وافق حجة ابي بكر الاخرة من
العامين في ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج فوافق ذلك ذا الحجة فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقال ابن اسحق في السيرة سالت ابن ابي نجيح عن قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال كانت قريش يدخلون في كل سنة شهرا وانما كانوا يوافقون ذا الحجة كل اثنتي عشرة سنة مرة فوافق الله عز وجل
لرسوله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج ذا الحجة فحج فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السموات والارض فقلت لابن ابي نجيح فكيف بحجة ابي بكر وعتاب بن اسيد فقال على ما كان الناس يحجون عليه ثم قال ابن ابي نجيح
كانوا يحجون في الحجة ثم العام المقبل في المحرم ثم صفر حتى يبلغوا اثني عشر شهرا انتهى وقوله هذا يوهم ان في حج ابي بكر وعتاب
رضي الله عنهما اختلالا وتقدم عن المهدوي وغيره التصريح بانه كان في ذي القعدة وفيه نظر لان السنة التي حج فيها ابو بكر رضي الله عنه
نودي فيها بتحريم النسي وغيره من امور الجاهلية فلا شك انه لم يكن في ذلك العام انساء ولما مضى من الشهر الذي حج فيه عشرة
اشهر وكان الحادي عشر وهو ذو القعدة سار النبي صلى الله عليه وسلم في اواخره الى الحج موافيا لهلال ذي الحجة فلما وقف بعرفة
اخبر ان الزمان قد استدار فعلم قطعا ان استدارته كانت في حجة ابي بكر رضي الله عنه وكذا في سنة ثمان وهي السنة التي حج فيها
عتاب بالمسلمين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يعتبرون حساب اهل الجاهلية لا نساءهم
ولا غير نساءهم لانه يلزم من القول بانهم اعتبروا امر النساءة انهم اعتبروا ما هو زيادة في الكفر وهذا ما لا يقوله ذو مسكة
وقد تقدم النقل ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر رضي الله عنه الى الحج في اواخر ذي القعدة او بعد انقضائه من سنة تسع
ووافاه العرب في ذي الحجة الكفار وغيرهم ووقع اعلامهم ببراءة في ايام الحج واماكنه فلو كان حصل في سنة عتاب اختلال في العدد
بنسي لكان ذو الحجة بحساب الكفار هو المحرم بحساب الاسلام فكان يتاخر مجي الكفار للحج عن مجي المسلمين فثبت بهذا ايضا ان حجه
رضي الله عنه كان في ذي الحجة فحفظ الله اهل الاسلام من ان يقع في حجهم اختلال في سنة من السنين وما هي باول نعمة عليهم والله
الموفق وقال الامام ابو العباس احمد بن ابي احمد المشهور بابن القاص من اكابر متقدمي اصحاب الشافعي رحمه الله في كتابه
دلايل القبلة في باب معرفة عدد ايام السنة فالسنة اثني عشر شهرا بالاهلة وربما كان الشهر ثلثين وربما كان تسعا وعشرين
فمبلغ السنة الهلالية ثلثماية واربعة وخمسون يوما وثمان ساعات واربعة اخماس ساعة وقالت الهند السنة ثلثماية
وخمسة وستون يوما وست ساعات وخمس ساعة وجزء من اربعماية جزء من ساعة وذلك من دخول الشمس راس الحمل الى ان تدخل
فيه من قابل ففضل ما بين السنة الهلالية والسنة الشمسية عشرة ايام واحدى وعشرون ساعة وخمسا ساعة فاذا زيدت عليها

هذه الساعات والايام استقام حسابه مع دوران الشمس وكانت العرب تزيده في الجاهلية وكان الذي ابدع لهم ذلك رجل من كنانة يقال
له القلمس وذلك انه يجمع هذه الزيادة فاذا تمت شهرا زاده في السنة وجعل تلك السنة ثلثة عشر شهرا وسماها نسيا وحج بهم تلك
السنة في المحرم فانزل الله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر فلما كانت السنة التي حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق الحج
في تلك السنة ذا الحجة لما اراد الله تعالى باثبات الحج في تلك السنة فخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس الا ان السنة قد استدارت
كهيئتها يوم خلق الله السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم يعني به الحساب القيم فالحرم رجب بين جمدى وشعبان وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم فسمي ذلك الحج الاقوم وقال الشاعر • وابطل ذو العرش النسيء وقلمسا • وفاز رسول الله بالحج الاقوم • انتهى
والقلمس بفتح اللام وتشديد الميم فالنسيء في البيت متروك الثمر ليصح الوزن والاقوم منقول حركة الهمزة وقوله ان علة النسيء التطبيق
بين السنة الشمسية والقمرية فيه نظر والظاهر ان علته ما ذكر في السير من اضطرارهم الى القتال وامر الاستدارة في كل من هذه
الاقوال واضح الاستنارة وليس المراد منها مصادفة كل فصل من فصول السنة لموضعه من الحر والبرد ومصادفة اسم كل شهر لمسماه بحسب
اشتقاقه حتى يكون رمضان في شدة الحر مثلا وكذلك غيره وان كان الواقع ان الامر كان في هذه الحجة كذلك لما تقدم من ان غزوة تبوك كان
ابتداؤها في شهر رجب وكان ذلك في شدة الحر وحين طابت الثمار وانما المراد الاعظم بالاستدارة مصادفة اسم كل شهر لمسماه لا تسمى
شهر آخر لاجل الدوران بالنسيء بدليل انه صلى الله عليه وسلم ما ذكرها الا لاجله فقال في بعض طرق حديث جابر الطويل رضي الله عنه
ان النسيء زيادة في الكفر وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثني عشر شهرا فانظر الى تعقيبه
بحصر الاشهر في الاثني عشر نفيا لجعلهم اياها سنة النسيء ثلثة عشر وقال منها اربعة حرم وعينها وقال اي شهر هذا فلما سكتوا قال
ذو الحجة شهر حرام كل هذا لبيان ان المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره اهل الجاهلية الى موضعه الذي وضعه الله به موافقا
اسمه لمسماه وجعلت اشهرنا هلالية مع المنع من النسيء لتحصل الاستدارة فيحصل بسببها كل عبادة تعبدنا بها من صوم وعيد وحج وغيره
في كل فصل من فصول السنة بخلاف من شهوره بالحساب فان عباداتهم خاصة بوقت من السنة لا تتعداه والله الموفق وقال
القاضي ابو محمد اسحق بن ابرهيم البستي في تفسيره حدثنا ابن ابي عمر ثنا سفين عن عمرو بن دينار عن طاوس قال الشهر الذي انتزعه
الله من الشيطان المحرم والحاصل انه لا شك في ان النسيء لم يكن قط الا للمحرم لما تقدم وان الحج لم يكن قط في جاهلية ولا اسلام الا في
شهر يسمى ذا الحجة لما قاله نقلة اللغة والحديث والاخبار قال ابن الاثير في النهاية ونشوان اليمني في شمس العلوم والقزاز في ديوانه
وابن مكتوم في ترتيب العباب والمحكم ذو الحجة بالكسر شهر الحج زاد المحكم سمي بذلك للحج وقال القزاز ان الفتح فيه اشهر وفي النهاية
يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة سمي به لانهم كانوا يروون فيه من الماء لما بعده اي يستقون ويسقون وقال المجد في القاموس
يوم عرفة التاسع من ذي الحجة وفي كتاب اسواق العرب لابي المنذر هشام بن محمد الكلبي رواية ابي سعيد السكري ان عكاظ كانت من
اعظم اسواق العرب فاذا اهل اهلها هلال ذي الحجة ساروا باجمعهم الى ذي المجاز وهي قريب من عكاظ وعكاظ في اعلى نجد فاقاموا
بها حتى يوم التروية ووافاهم بمكة حجاج العرب ورؤسهم ممن اراد الحج ممن لم يكن شهد تلك الاسواق وقال الازرقي في تاريخ
مكة فاذا راوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز فاقاموا بها ثماني ليال اسواقهم قائمة ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز
الى عرفة فيتروون ذلك اليوم من الماء بذي المجاز وانما سمي يوم التروية لترويهم الماء بذي المجاز ينادي بعضهم بعضا ترووا
من الماء انه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ ثم ذكر انه لا يحضر ذلك الا التجار قال ومن لم يكن له تجارة فانه يخرج من اهله متى اراد
ومن كان من اهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية وروى البيهقي في دلايل النبوة بسنده عن عروة وموسى بن عقبة
فرقهما قالا واهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة من الجعرانة في ذي القعدة ثم اسند عن ابن اسحق انه قال فلما فرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعا الى المدينة واستخلف عتاب بن اسيد على مكة وخلف معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين
ويعلمهم فكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة او في ذي الحجة وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه
وحج تلك السنة عتاب بن اسيد في سنة ثمان وحديث اعتماره صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة رواه الشيخان ومعنى على ما كانت
العرب من الطواف عراة ونحوه وذكر الواقدي عن مشايخه قالوا وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة ليلة الخميس
لخمس ليال خلون من ذي القعدة فاقام بالجعرانة ثلث عشرة ليلة فلما اراد الانصراف الى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الاربعاء لاثنتي
عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا فاحرم فذكر عمرته ثم قال واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن اسيد على
مكة وخلف معاذ بن جبل وابا موسى الاشعري رضي الله عنهما يعلمان الناس القران والفقه في الدين واقام للناس الحج عتاب
ابن اسيد رضي الله عنه تلك السنة وهي سنة ثمان وحج ناس من المسلمين والمشركين على مدتهم وقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة قال الواقدي فاقام بقية ذي القعدة وذا الحجة فلما راى هلال المحرم
بعث المصدقين انتهى اذا تقرر هذا علم ان الحج لم يكن قط الا في شهر يسمونه ذا الحجة وهو مما لا يدور في خلد ولا يقع في وهم
فيه تردد ولا يحتاج الى تطويل يذكره ولا اطناب في امره وتارة يوافق اسمه مسماه وتارة لا يوافقه لاجل النسيء وعلم ايضا ان حج
عتاب بن اسيد كان في ذي الحجة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة الى المدينة الشريفة وانه ما تاخر عن ذي الحجة
والا لنقل وان حج ابي بكر رضي الله عنه سنة تسع كان في ذي الحجة لذلك ولما تقدم من ان سفره له من المدينة الشريفة كان في
آخر ذي القعدة او اول ذي الحجة ولقولهم ان الاربعة الاشهر التي ضربت للمشركين من يوم النحر كان آخرها عاشر ربيع الآخر
وعلم ان ذا الحجة تلك السنة لو كان وافق مسمى ذي القعدة لم يقع ذو الحجة سنة عشر التي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم في موضعه

الذي وضعه الله به الا بان تكون تلك السنة ثلثة عشر شهرا بنسيء او غيره وكل من الامرين باطل اما الاول فلان الله تعالى ابطل النسيء
في تلك السنة فيما ابطله من امور الجاهلية في هذه السورة وارسل النبي صلى الله عليه وسلم بالمناداة بها كما مر واما الثاني فهو امر خارق
للعادة لم يكن مثله من حين خلق الله السموات والارض والخارق مما تتوفر الدواعي على نقله ولا ناقل لهذا اصلا فبطل واذا بطل ثبت ان سنة
عشر كانت اثني عشر شهرا ولا سيما بعد انزال الله تعالى في ذلك ما انزل في هذه السورة واذا كان الامر كذلك كان الشهر الذي وقف فيه
النبي صلى الله عليه وسلم في موضع الشهر الذي وقف فيه الصديق رضي الله عنه سوا بسوا وقد ثبت ان الزمان كان فيه قد استدار
كهيئة يوم خلق الله السموات والارض فثبت من غير مرية ان شهر الصديق رضي الله عنه كذلك كان وثبت ايضا ان سنة عتاب بن اسيد
رضي الله عنه كذلك كانت بما قدمت من انه لم يكن فيها نسيء لتوافق حج المسلمين والمشركين في سنة تسع فدل ذلك على انها كانت اثني عشر
شهرا فكان ذو الحجة فيها في موضعه الذي وضعه الله به كما كانت سنة تسع بل ظاهر قول ابي عبيد فقام الاسلام وقد رجع المحرم
الى موضعه كما مضى ان الله حفظ زمن الاسلام كله عن نسيء وهو الذي اعتقده وقد لاح بذلك ان السبب في قول من قال ان حج الصديق
رضي الله عنه وافق ذا القعدة انه فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار ان الاستدارة لم تكن الا في تلك السنة
وليس ذلك مدلول هذا التركيب كما لا يخفى والله الموفق ثم وجدت النقل الصريح في زوايد معجمي الطبراني الاوسط والاصغر للحافظ
نور الدين الهيثمي بمثل ما فهمته قال في تفسير براءة حدثنا ابرهيم يعني ابن هاشم البغوي ثنا الصلت بن مسعود الجحدري نا محمد بن عبد الرحمن
الطفاوي حدثنا داود بن ابي هند عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده يعني عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال كانت العرب يحلون
عاما شهرا وعاما شهرين ولا يصيبون الحج الا في كل ست وعشرين سنة مرة وهو النسيء الذي ذكره الله عز وجل في كتابه فلما كان
عام حج ابو بكر رضي الله عنه بالناس وافق ذلك العام الحج فسماه الله الحج الاكبر ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل
فاستقبل الناس الاهلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض لم يروه
عن عمرو الا داود تفرد به الصلت انتهى وهو حديث حسن ان شا الله ثم رايت السمي في مجمع الزوايد قال رجاله ثقات فاكد ذلك
الجزم بما فهمت من انه حسن وانما اطلت هذا بما قد لا يحتاج في ايضاحه اليه لكثرة جدال المجادلين المعاندين ومحال المماحلين الجاحدين
ولما اوعز سبحانه في امر الجهاد وازاح جميع عللهم وبين ان حسنه لا يختص به شهر دون شهر وان بعضهم كان يحل لهم ويحرم
فيتبعونه بما يؤدي الى تحريم الشهر الحلال وتحليل الشهر الحرام بالقتال فيه عاتبهم الله سبحانه على تخلفهم عن رسوله صلى الله عليه
وسلم الامر لهم بالنفر في غزوة تبوك عن امره سبحانه وكان ابتداؤها في شهر رجب سنة تسع فقال تعالى على سبيل الاستعطاف
والتذكير بنعمة الايمان بعد ختم التي قبلها بانه لا يهدي الكافرين الذي يعم الحرب وغيره الموجب للجزاء عليهم لان من لا هداية له اعمى
والاعمى لا يخشى يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك ما لكم اي ما الذي يحصل لكم في انكم اذا قيل لكم اي من اي قايل كان انفروا اي اخرجوا
مسرعين بجد ونشاط جماعات ووحدانا امدادا لحزب الله ونصرا لدينه تصديقا لدعواكم الايمان والنفر مفارقة مكان الى مكان
لامر هاج على ذلك في سبيل الله اي بسبب تسهيل الطريق الى الملك الذي له جميع صفات الكمال وقال ابو حيان بني قيل للمفعول
والقايل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر اغلاظا ومحاسنة لهم وصونا لذكره اذا اخلد الى الهوينا والدعة من اخلد وخالف امره
انتهى اثاقلتم اي تثاقلتم تثاقلا عظيما وفيه ما لم يذكروا له سببا ظاهرا بما اشار اليه الادغام اخلادا وميلا الى الارض اي لبرد
ظلالها وطيب هوائها ونضج ثمارها فكنتم ارضيين في سفول الهمم لا سمائيين بطهارة الشيم ولما لم يكن في الاسباب التي تقدم انها
كانت تحمل على التباطؤ عن الجهاد ما يحتمل القيام بهم في هذه الغزوة الا الخوف من القتل والميل الى الاموال الحاضرة وثوقا بها
والاعراض عن الغنى الموعود به الذي ربما يلزم من الاعراض عنه التكذيب فيؤدي الى خسارة الاخرة هذا مع ما يلزم على ذلك
ولا بد من الزهد في الاجر المثمر لسعادة العقبى بهذا الشيء الخسيس قال مبينا خسة ما اخلدوا اليه تزهيدا فيه وشرف ما اعرضوا
عنه ترغيبا فيه منبها على ان ترك الخير الكثير لاجل الشر اليسير شر عظيم منكرا على من تثاقل موبخا لهم ارضيتم بالحيوة الدنيا اي بالخفض
والدعة في الدار الدنية الفارة من الاخرة اي الفاخرة الباقية قال ابو حيان ومن تظافرت اقوال المفسرين انها بمعنى بدل
واصحابنا لا يثبتون ان من تكون للبدل انتهى والذي يظهر لي انهم لم يريدوا انها موضوعة للبدل بل انه يطلق عليها لما قد يلزمها
في مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها فانها لابتدا الغاية فاذا قلت رضيت بكذا من زيد كان المعنى انك اخذت ذلك
اخذا مبتديا منه غير ملتفت الى ما عداه فكانك جعلت ذلك بدل كل شيء بقدر انه ينالك منه من غير ذلك الماخوذ ولما كانوا
قد اعطوا الاخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتناع كان اقبالهم على الدنيا كانه مبتدي مما كانوا قد توطنوه من الاخرة مع الاعراض
عنها فكانه قيل ارضيتم بالميل الى الدنيا من الاخرة ويؤيد ما فهمته ان العلامة علم الدين ابا محمد القسم بن الموفق الاندلسي ذكر في
شرح الجزولية انهم عدوا لمن خمسة معان كلها ترجع الى ابتداء الغاية عند المحققين وبين كيفية ذلك حتى في البيانية
فمعنى فاجتنبوا الرجس من الاوثان الذي ابتداؤه من الاوثان لان الرجس جامع للاوثان وغيرها ولما كان الاستفهام انكاريا
كان معناه النهي فكان التقدير لا ترضوا بها فان ذلك اسفه راي وافسده فقال تعالى معللا لهذا النهي فما اي بسبب انه ما
متاع الحيوة الدنيا في اي مغمورا في جنب الاخرة الا قليل والذي يندب هم المتجر ويدعي النصر به ويحاذر الخلل فيه يعد فاعل
ذلك سفيها ولما كان طول الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف وترك الانصاف توعدهم بقوله ان لا تنفروا اي في سبيله
يعذبكم اي على ذلك عذابا اليما اي في الدارين ويستبدل اي يوجد بدلا منكم قوما غيركم اي ذوي بامر ونجدة مخالفين لكم في
الخلال التي كانت سببا للاستبدال لولايته ونصر دينه ولما هددهم بما يضرهم اخبرهم انهم لا يضرون بفتورهم غير انفسهم

فقال ولا تضروه اي الله ورسوله شيئا لانه متم امره ومنجز وعده ومظهر دينه ولما اثبت بذلك قدرته على ضره لهم وقصورهم
عن الوصول الى ضره كان التقدير لانه قادر على نصر دينه ونبيه بغيركم فعطف عليه تعميما لقدرته ترهيبا من عظيم سطوته قوله
والله اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة على كل شيء قدير ولما وصف سبحانه نفسه الاقدس بما هو له اهل من شمول القدرة وعظيم
الباس والقوة اتبع ذلك بدليل يتضمن ان المستنفر لهم وهو نبيه صلى الله عليه وسلم غير محتاج اليهم ولا متوقف نصره عليهم كما لم يحتج اليهم
بحياطة القادر له فيما مضى من الهجرة التي ذكرها وان نفع ذلك انما هو لهم باستجلاب ما وعدوه واستدفاع ما اوعدوه في الدارين
المشار الى ذلك كله بقوله فما متاع الآية وقوله ان لا تنفروا الآية فقال ان لا تنصروه اي انتم طاعة لامر الله والضمير للنبي صلى الله عليه
وسلم اما على طريق الاستخدام من سبيل الله لانه الموضح له الداعي اليه او لتقدم اسمه الشريف اضمارا في قوله اذا قيل لكم اي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم استنصارا منه لكم واظهارا في قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله الآية وقوة ما في كل جملة من المناسبة المقتضية
لان تعانق التي بعدها ولا تنفك عنها قصر الفعل بين الظاهر وضميره وذكر الغار والصاحب اوضح الامر وذلك انه سبحانه لما عابهم
باتخاذ الرؤساء اربابا اشتدت الحاجة الى بيان انهم في البعد عن ذلك على غاية لا تخفى على متامل فوصفهم بالاكل المستلزم للجسمية
المستلزمة للحاجة وبان ماكولهم اموال غيرهم باطلا وبانهم يعشونهم لصدهم اياهم عن السبيل التي لا يخفى حسنها على من له ادنى نظر
ولما كان ذلك شديد الاثارة لتشوف النفوس الى السؤال عن العرب هل فعلوا فعلهم واتبعوا سنتهم اجاب بان عملهم في تحليل
النساءة لهم بعض الاشهر الحرم وتحريم بعض اشهر الحل والزيادة في عدة اشهر السنة لعملهم سواء ولما امر بقتال المشركين كافة
وحثهم على التقوى وكان بعضهم قد توانى في ذلك اشتد اقتضاء الحال للمعاتبة على التثاقل عن النفر فلما تم ذلك في هذا الاسلوب
البديع والطراز الرفيع حث على نصر الرسول الذي ارسله ليظهره على الدين كله فقال جوابا للشرط فقد اي ان لم يتحدد منكم له
نصر فان الله قادر على نصره وسينصره ويغنيه عنكم ولا تضرون الا انفسكم فقد نصره الله اي الملك الاعظم وحده والامر في غاية
الشدة ولا شك عند عاقل ان المستقبل عنده كالماضي اذ اي حين اخرجه الذين وعبر بالماضي لان فيهم من اسلم بعد ذلك فقال
كفروا اي من مكة وهم في غاية التمالؤ عليه حين تشاوروا في قتله او اخراجه او اثباته فكان ذلك سببا لاذن الله له في الخروج من بينهم
حال كونه ثاني اثنين اي احدهما ابو بكر رضي الله عنه ولا ثالث لهما ينصرهما الا الله اذ هما في الغار اي غار ثور الذي في اعلى الجبل المواجه
للركن اليماني باسفل مكة على مسيرة ساعة منها لما كمنا به ثلاث ليال ليفتر عنهما الطلب وذلك قبل ان يصلا اليكم او يعولا في النصر عليكم
اذ يقول اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه اي ابي بكر الصديق رضي الله عنه وثوقا بربه غير منزعج من شيء لا تحزن والحزن
هم غليظ بتوجع يرق له القلب حزنه واحزنه بمعنى وقال في القاموس او احزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا ثم علل نهيه
لصاحبه بقوله معبرا بالاسم الاعظم مستحضرا لجميع ما جمعه من الاسماء الحسنى والصفات العلى التي تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك
لعظمتها شوامخ الجبال الصلاب ان الله اي الذي له الامر كله معنا اي بالعون والنصرة وهو كاف لكل مهم قوي على دفع كل ملم فالذي
تولى نصره بالحراسة في ذلك الزمان كان قادرا على ان يامر الجنود التي ايده بها ان تهلك الكفار في كل موطن من غير ان يكون لكم في ذلك
امرا ويحصل لكم به اجر وكما انه كان موجودا في ذلك الزمان باسمائه الحسنى وصفاته العلى هو على ذلك في هذا الزمان وكل زمان
فتبين كالشمس ان النفع في ذلك انما هو خاص بكم وانه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المنوال الا لفوزكم وفي هذه الآية من التنويه
بمقدار الصديق وتقدمه وسابقته في الاسلام وعلو منصبه وفخامة امره ما لا يعلمه الا الذي اعطاه اياه قال ابو حيان وغيره
العلماء من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة ولما كان رضي الله عنه نافذ البصيرة
في المعارف الالهية راسخ القدم في ذلك المقام ولذلك لم يتلعثم من اول الامر في عناد جميع العباد بخلع الانداد ثم تدرب فيه مترقيا
ثلث عشرة سنة وكان الذي به من القلق انما هو الخوف من ان يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم اذى فيدركه من الحزن لذلك ما
يهلكه قبل سروره بظهور الدين وقمع المعتدين ولم يكن حينا ولا سوء ظن لما كان ذلك كذلك كان رضي الله عنه حقيقا بحصول
السكينة له عند سماع الاسم الشريف الاعظم الدال على ذلك المقام المذكر بتلك العظمة التي يتلاشى عندها كل عظيم ويتصاغر
في جنبها كل كبير فلذلك ذكر هذا الاسم الاعظم وقدم واشرك الصديق في المعية وبدئ بالنهي عن الحزن لانه المقصود بالذات
وما بعده علة له واما بنوا اسرائيل فلم يكن عندهم من المعرفة الا ما شاهدوا من احسانه تعالى الى موسى عليه السلام باظهار تلك
الآيات على يده حتى استنقذهم بها مما كانوا فيه ومنع موسى عليه السلام مع وحدته من سطوات فرعون على عظمته وما كان
يواجهه به من المكروه فلما راوا جموعه مقبلة كان حالهم مقتضيا للسؤال عن ذلك المحسن باظهار تلك الآيات هل هو مع
موسى عليه السلام على ما كان عليه فيمنعهم ام لا فلذلك قدم انكار الادراك ثم اثبات المعية على سبيل الخصوص به وعبر
عن الاله باسم الرب الدال على ذلك الاحسان المذكور به فقال كلا ان معي ربي فكانه قيل ماذا يفعل والبحر امامنا والعدو
وراءنا فقال سيهدين اي الى ما افعل يعرف ذلك من كان متضلعا بالسير وقصص بني اسرائيل على ما ذكرتها في الاعراف
عن التورية مستحضرا لان الصديق رضي الله عنه كان في صعودهما الى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه وسلم
ليفديه بنفسه ثم يذكر الطلب فيتاخر ثم يذكر ما عن اليمين والشمال فينتقل اليهما ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم ان قتلت
انا فانا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة وانه كان عارفا بان الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسوله صلى الله
عليه وسلم المتضمن لحراسة نفسه الشريفة قبل ذلك ولذلك كان به في هذا اليوم من القلق ما ذكر وكان عند وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم اثبت الناس ولذلك اتى بالفاء المعقبة في قوله فانزل الله اي الملك الاعظم سكينته اي السكون

المبالغ

المبالغ فيه المؤثر للنسك عليه اي الصديق رضي الله عنه كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لان السكينة لم تفارق النبي صلى الله عليه وسلم
ثم عطف على نصرة الله قوله وايده اي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف الضماير هنا لا يضر لانه غير مشتبه بجنود لم تروها اي من الملائكة
الكرام وجعل كلمة اي دعوة الذين كفروا اي اوقعوا الكفر من امن منهم بعد ذلك وغيره السفلى فخيب سعيهم ورد كيدهم ثم ابتدا الاخبار
بما له سبحانه على الدوام من غير انقطاع اصلا في وقت من الاوقات فقال وكلمة الله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي ونصبها يعقوب
عطفا على ما سبق هي العليا اي وحدها لا يكون الا ما يشاؤه دايما ابدا فالله قادر على ذلك والله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما عزيز
اي مطلقا يغلب كل شي من ذلك وغيره حكيم لا يمكن ان ينقض شي من مراده لما ينصب من الاسباب التي لا مطمع لاحد في مقاومتها فلا محيص
عن نفوذها ولما بلغت هذه المواعظ من القلوب الواعية مبلغا هتاها به للقبول اقبل عليها سبحانه بالامر فقال انفروا خفافا
وثقالا والمراد بالخفة كل ما يكون سببا لسهولة الجهاد والنشاط اليه وبالثقل كل ما يحمل على الابطا عنه وقال ابو حيان والخفة
والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ولمن يمكنه بصعوبة واما من لا يمكنه كالاعمى ونحوه فخارج عن هذا انتهى قال البغوي
قال الزهري خرج سعيد بن المسيب رحمه الله الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله
الخفيف والثقيل فان لم تمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وروى ابو يعلى الموصلي في مسنده بسند صحيح عن انس ان ابا طلحة
رضي الله عنهما قرا سورة براءة فاتى على هذه الاية فقال الا ارى ربي يستنفرني شابا وشيخا جهزوني فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه
فيها الا بعد سبعة ايام فما تغير وجاهدوا اي اوقعوا جهدكم ليقع جهد الكفار ولما كانت هذه الاية في سياق المعاتبة لمن تثاقل
الى الارض عن الجهاد عند الاستنفار في غزوة تبوك وكان سبب التثاقل ما كان في ذلك الوقت من العسرة في المال والشدة بالحر
وما كان من طيب الظلال في اراضي الجنان وقت الاخذ في استواء الثمار كما هو مشهور في السير اقتضى المقام هنا تقديم المال والنفس
بخلاف ما مضى فان الكلام كان في المفاضلة بين الجهاد في سبيل الله وخدمة البيت ومن يحجه في هذه السورة التي صادف وقت نزولها
بعد مواطن الجهاد وطول المفارقة للاموال والاولاد وقدم المال لان النظر اليه من وجهين قلته ومحبة الاقامة في الحدايق ايثارا
للتمتع بها وخوفا من ضياعها ان بها قوام الانفس فصار النظر اليها هو الحامل على الشح بالانفس فقال تعالى باموالكم وانفسكم اي بهما
معا على ما امكنكم او باحدهما في سبيل الله اي الملك الاعلى حتى لا يبقى منه مانع ذلكم اي الامر العظيم خير اي في نفسه حاصل لكم اي خاص بكم
ويجوز ان يكون افعل تفضيل بمعنى ان عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كاينا ما كان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لمن ساله هل يمكن بلوغ درجة المجاهد فقال هل تستطيع ان تقوم فلا تفتر وتصوم فلا تفطر وختم الاية بقوله ان كنتم تعلمون
اشارة الى ان هذا الامر وان كان عاما فانما ينتفع به ذوو الاذهان الصافية والمعالم الوافية فان العلم ولا يعد علما الا النافع
يحث على العمل وعلى احسانه باخلاص النية وتصحيح المقاصد وتقوية العزم وغير ذلك وضده يورث ضده ولما كان هذا العتاب
موذنا بان فيهم من تباطا عن الجهاد اشتغالا بنحو الاموال والاولاد وكان ما اشتملت عليه هذه الايات من الاوامر والزواجر والمواعظ
جديرا فان يخفف كل متثاقل وينشط كل متكاسل تشوفت النفوس الى ما اتفق بعد ذلك فاعلم سبحانه به في اساليب البلاغة المخبرة
عن احوال القاعدين واقاصيص الجامدين المفهمة ان هناك من غلب عليه الشقاء فلم ينتفع بالمواعظ فالتفت من لطف الاقبال الى
تبكيت المتثاقلين باسلوب الاعراض الموذن بالغضب المحقق للسخط المبين لفضايحهم المبعثر لقبايحهم المخرج لهم مما دخلوا فيه من
عموم الدعاء باسم الايمان فقال لو كان اي ما تدعوا اليه عرضا اي متاعا دنيويا قريبا اي سهل التناول وسفرا قاصدا اي
وسطا عدلا مقاربا لاتبعوك اي لاجل رجاء العرض مع سهولة السفر لان هممهم قاصرة منوطة بالحاضر ولكن اي لم يتبعوك تثاقلا
الى الارض ورضى بالفاني الحاضر من الباقي الغايب لانها بعدت عليهم الشقة اي المسافة التي تطوى بدرع الارجل بالمسير فيحصل
بها الكلال والمشقة فلم يوازما يحصل لهم بها من التعب ما يرجونه من العرض فاستاذنوك وفي هذا اشارة الى ذمهم بسفول الهمم
ودناءة الشيم بالعجز والكسل والنهم والثقل والى ان هذا الدين متين لا يحمله الا ماضي الهم صادق العزم ○ ○ ○
اذا هم القى بين عينيه عزمه ○ واعرض عن ذكر العواقب جانبا ○ فلله در اولي العزايم والصبر على الشدايد والمغارم ولما
ذمهم بالشح بالدنيا اتبعه وصمهم بالسماح بالدين فقال مخبرا عما سيكون منهم علما من اعلام النبوة وسيحلفون اي المتخلفون باخبار
محقق لا خلف فيه بالله اي الذي لا اعظم منه عند رجوعكم اليهم جمعا الى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لانتهاك حرمة الله ○
بالكذب قايلين والله لو استطعنا اي الخروج الى ما دعوتمونا اليه لخرجنا معكم يحلفون حال كونهم يهلكون انفسهم اي بهذا الحلف
الذي يريدون به حياتها لانهم كذبوا فيه فانتهكوا حرمة اسم الله والله اي والحال انه الملك الاعظم المحيط علما وقدرة سبحانه
يعلم انهم لكاذبون فقد جمعوا بين اهلاك انفسهم والفضيحة عند الله بعلمه بكذبهم في انهم غير مستطيعين وجزاء الكاذب في مثل ذلك
الغضب المؤبد الموجب للعذاب الدايم المخلد ولما بكتهم على وجه الاعراض لاجل التخلف والحلف عليه كاذبا اقبل اليه صلى الله عليه
وسلم بالعتاب في لذيذ الخطاب على الاسترسال في اللين لهم والاستيلاف واخذ العفو وترك الخلاف الى هذا الحد فقال
موذنا بانهم ما تخلفوا الا باذنه صلى الله عليه وسلم لاعذار ادعوها كاذبين فيها كما كذبوا في هذا الحلف مقدما للدعاء على العتاب
لشدة الاعتناء بشانه واللطف به صلى الله عليه وسلم عفا الله اي ذو الجلال والاكرام عنك وهذا كما كانت عادة العرب في
مخاطبتهم لاكابرهم بان يقولوا اصلح الله الامر والملك ونحو ذلك ولما كان من المعلوم انه لا ياذن الا لما يرى انه يرضي الله من تالفهم
ونحوه بين انه سبحانه يرضى منه ترك الاذن فقال كناية عن ذلك لم اذنت لهم اي في التخلف عنك تمسكا بما تقدم من الامر باللين
لهم والصفح عنهم موافقا لما جبلت عليه من محبة الرفق وهذا انما كان في اول الامر لخوف التنازع والفتنة واما الان فقد علا

الدين وتمكن امر المومنين فالمامور به الاغلاظ على المنافقين فهلا تركت الاذن لهم حتى يتبين لك اي غاية البيان الذين صدقوا
اي في التزام الاوامر بما اقروا به من كلمة التوحيد وتعلم الكاذبين اي فيما اظهروا من الايمان باللسان فانك لو لم تاذن لهم لقعدوا
بلا اذن غير مراعين ميثاقهم الذي واثقوك عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره قال ابو حيان وحتى غاية الاستفهام
انتهى وذلك لانه وان كان داخلا على فعل مثبت فمعناه النفي اي ما لك لم تحملهم على الغزو ومعك التحقق بذلك الحمل من يطيع ومن يعصي
فالحاصل ان الذي فعله صلى الله عليه وسلم حسن موافق لما امره الله به فانه لا ينطق عن الهوى بل عن امر الله اما بايحاء واصل جديد
او استناد الى وحي سابق حاصل عتيد والذي اشار اليه سبحانه احسن فهو مثل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك من باب حسنات الابرار
سيات المقربين ومن باب الترقية من مقام عال الى مقام اعلى تسييرا فيهم بالعدل لما انكشف انهم ليسوا باهل للفصل قال
الاستاذ ابو الحسن الحرالي رحمه الله في اخر كتاب العروة في تفاوت وجه الخطاب فيما بين ما انزل على وفق الوصية او انزل على حكم الكتاب
اعلم ان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لجميع العالمين وخلقه بالعفو والمعروف كما ورد في الكتب السابقة من
قوله تعالى واجعل العفو والمعروف خلقه وبذلك وصاه كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اوصاني ربي من غير ترجمان
ولا واسطة بسبع خصال بخشية الله في السر والعلانية وان اصل من قطعني واصفح عمن ظلمني واعطي من حرمني وان يكون نطقي
ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة فكان فيما اوصاه به ربه تبارك وتعالى من غير ترجمان ولا واسطة ان يصل من قطعه ويصفح عمن
ظلمه ولا اقطع له ممن كفر به وصد عنه فكان هو صلى الله عليه وسلم بحكم ما بعث به وجبل عليه ووصى به ملتزما للعفو عمن ظلمه
والوصل لمن قطعه الا ان يعلن عليه بالاكراه على ترك ذلك والرجوع الى حق العدل والاقتصاص والانتصاف المخالف لسعة وصيته
الموافق لما نقل من احكام سنن الاولين في مواخذتهم بالحق والعدل الى جامع شرعته ليوجد فيها نحو مما تقدم من الحق والعدل وان قل
ولتفضل شرعته بما اختص هو به صلى الله عليه وسلم من البعثة تسعة الرحمة والفضل والله يامر بالعدل والاحسان وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم فمن القران ما انزل على الوجه الذي بعث له وجبل عليه ووصى به نحو قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة
وقوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل وقوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام
واصل معناه في مضمون قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم فما كان من المنزل على هذا الوجه
تعاضدت فيه الوصية والكتاب وقبله هو صلى الله عليه وسلم جبلة وحالا وعملا ولم تكن له عنه وقفة لتظافر الامرين وتوافق
الخطابين خطاب الوصية وخطاب الكتاب وهو الوجه من المنزل خاص بالقران العظيم الذي هو خاص به صلى الله عليه وسلم لم يوته
احد قبله ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ومن القران ما انزل على حكم العدل والحق المتقدم فضله في سنن الاولين
وكتب المتقدمين وامضاء عدل الله سبحانه في المواخذين والاكتفاء بوصل الواصل وابعاد المستغني والاقبال على القاصد والانتقام
من الشارد وذلك خلاف ما جبل الله عليه نبيه وما وصى به حبيبه صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه اي
من الكتاب على مقتضى الحق وامضاء العدل ترقب تخفيفه وترجى تيسيره حتى يعلن عليه بالاكراه في اخذه والتزام حكمه فحينئذ
يقوم لله به ويظهر عذره في امضائه فيكون له في خطاب التشديد عليه في اخذه اعظم مدح وابلغ ثناء من الله ضد ما يتوهمه الجاهلون
فمما انزل انباء عن مدحه بتوقفه على امضاء حكم العدل والحق رجاء تدارك الخلق واستعطاف الحق ما هو نحو قوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا ونحو قوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ونحو قوله
تعالى ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون ومما انزل على وجه الاعلان عليه بما هو عليه من الرحمة وتوقفه عن الاخذ بسنن
الاولين حتى يكره عليه ليقوم عذره في الاقتصار على حكم الوصية وحال الجبلة ما هو نحو قوله تعالى ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ونحو قوله تعالى ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره
الناس حتى يكونوا مومنين ونحو قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقراون الكتاب من قبلك لقد جاءك
الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي لا تتوقف لطلب الرحمة لهم كما يتوقف الممتري في الشيء او الشاك فيه لما قد علم انه لا بد لامته
من حظ من مضاء كلمة العدل فيهم وحق كلمة العذاب عليهم واجراء بعضهم دون كلهم على سنة من تقدمهم من اهل الكتب الماضية في
المواخذة بذنوبهم وانفاذ حكم السطوة فيهم فاخذهم الله بذنوبهم فكلا اخذنا بذنبه ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الايات
الان وقد عصيت قبل لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم وذلك ان كل مطالع بالعذاب راجع ولا بد عن باطله حين لا
ينفعه وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا لما ابطن
تعالى في قلب نبيهم عليه السلام عزما على هلاكهم اظهر تعالى رحمة عليهم ولما ملا نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة لامته كافرهم
ومومنهم ومنافقهم اشاد باي من اظهار مواخذتهم واعلم بكف نبيه صلى الله عليه وسلم عن تالفهم واحسبه بمومنهم دون كافرهم
ومنافقهم يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وكل ذلك معلوم عنده صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه بمضمون قوله
تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا سنة الله التي قد خلت من قبل فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك نسلكه في قلوب
المجرمين لا يومنون به وقد خلت سنة الاولين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حين انزل عليه فان كنت في شك مما انزلنا اليك
اما انا فلا اشك ولا اسال لانه قد علم جملة امر الله من ان منهم من تتداركه الرحمة ومن تحق عليه كلمة العذاب ولكنه لا يزال ملتزما
لتالفهم واستجلابهم حتى يكره على ترك ذلك بعلن خطاب نحو قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى

او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة
فمن شاء ذكره ونحو قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز
حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فهذه الآي
ونحوها يسمعها العالم بموقعها على اكراه لنبي الرحمة حتى يرجع الى عدل الملحمة من جملة امداح القران له والشهادة له بوفائه بعهد
وصيته حتى يحقق له تسميته بنبي الرحمة ثباتا على الوصية ونبي الملحمة امضاء في وقت لحكم الحق واظهار العدل فهو صلى الله عليه
وسلم بكل القران ممدوح وموصوف بالخلق العظيم جامع لما تضمنته كتب الماضين وما اختصه الله به من سعة القران العظيم
فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية والكتاب في محكم الخطاب والله سميع عليم انتهى ولما فاته صلى الله عليه وسلم معرفتهم بهذا
الطريق شرع العالم بما في الضماير يصفهم له بما يعوض عن ذلك فقال على طريق الجواب للسؤال لا يستاذنك اي يطلب اذنك بغاية
الرغبة فيه الذين يؤمنون بالله اي يجددون الايمان كل وقت حقا من انفسهم بالملك الذي له صفات الكمال واليوم الآخر اي الذي
يكون الجزاء بالثواب والعقاب ان اي في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم بل يبادرون الى الجهاد عند اشارتك اليه وبعثك عموما
عليه فضلا عن ان يستاذنوك في التخلف عنه فان الخلص من المهاجرين والانصار كانوا يقولون لا نستاذنه صلى الله عليه وسلم
لهذا في الجهاد فان ربنا ندبنا اليه مرة بعد مرة فاي فايدة في الاستيذان ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا وكانوا بحيث لو امرهم
صلى الله عليه وسلم بالقعود شق عليهم كما وقع لعلي رضي الله عنه في غزوة تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى ولما كان التقدير فمن اتصف بذلك فاعلم انه متق باخبار الله تعالى عطف عليه قوله
والله اي الذي له الاحاطة الكاملة عليم بالمتقين اي الذين يخافون كلهم ولما اخبر بالمتقين عرف بغيرهم على وجه الحصر تاكيدا
لتحقيق صفة العلم بما اخبر به سبحانه فصار الاستيذان منفيا عن المؤمنين مرتين فثبت للمنافقين على ابلغ وجه انما يستاذنك اي في مثل
ذلك فكيف بالاستيذان في التخلف الذين لا يؤمنون اي يتجدد لهم ايمان بالله اي الملك الاعلى الذي له نهاية العظمة ايمانا مستجمعا
للشرايط واليوم الآخر لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا وان ادعوا ذلك بالسنتهم ولما كانت هذه صفة المصارحين
بالكفر بين ان المراد المنافقون بقوله وارتابت قلوبهم اي تابعت الوساوس وتعمدت المشي معها حتى تخلقت بالشك ولما
كان الشاك لا يزال يتجاذبه حسن الفطرة وسوء الوسوسة قال فهم اي فتسبب عن ذلك انهم في ريبهم يترددون بين
النفي والاثبات داب المتحير لا يجزمون بشيء منهما وان صدقوا ان الله موجود فان المشركين يصدقون بذلك ولكنه لا ينفعهم للاخلال
بشرطه وليس استيذانهم في ان يجاهدوا لارادة الجهاد بل توطئة لان يقولوا اذا امرتهم به انه لا عدة لنا في هذا الوقت
فايذن لنا في التخلف حتى نستعد وقد كذبوا ما ذلك بهم انما بهم انهم لا يريدون الخروج معك ولو ارادوا الخروج لاعدوا له
اي قبل حلوله عدة اي قوة واهبة من المتاع والسلاح والكراع بحيث يكونون متصفين بما قدمت اليهم من التحريض على نحو ما
وقع الامر به في الانفال فيكونون كالحاضرين في صلب الحرب الواقفين في الصف قد استعدوا لها بجميع عدتها ولكن لم يريدوا
ذلك قط فلم يعدوا له عدة فلما امرت به شرعوا يعتلون بعدم العدة وما ذاك بهم انما مانعهم كراهتهم للخروج وذلك بسبب ان
كره الله اي ذو الجلال والجمال بان فعل فعل الكاره فلم يرد انبعاثهم اي سيرهم معك مطاوعة لامرهم بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم
له فثبطهم اي حبسهم عنه حبسا عظيما بما شغلهم بما حبب اليهم من الشهوات وكره اليهم من ارتكاب المشقات بسبب انهم لا يرجون
ثوابا ولا يخشون غير السيف عقابا فقصروا هممهم الدنية على الصفات البهيمية فلما استولت عليهم الشهوات وملكتهم الانفس
الدنيات نودوا من قبلها الى اين تخرجون وقيل اي لهم لما اسرعوا الاقبال اليها اقعدوا اي عن جندي لا تصحبوهم وفي قوله
مع القاعدين اي الذين شانهم ذلك كالمرضى والزمنى والصبيان والنساء من التبكيت ما لا يعلم مقداره الا اولوا الهمم العلية
والانفس الابية وعبر بالمجهول اشارة الى انهم يطيعون الآمر بالقعود حقيقة ومجازا كائنا من كان كما انهم يعصون الآمر
بالنفر كائنا من كان لان انفسهم قابلة للدنايا غير صالحة للمزايا بوجه ولما كان كانه قيل ما له ثبطهم وقد كنا قاصدين
سفرا بعيدا وعدوا كثيرا شديدا فنحن محتاجون الى الاسعاد ولو بتكثير السواد قيل لو اي فعل بهم ذلك لانهم لو اخرجوا
فيكم اي وان كانوا قليلا مغمورين بجماعاتكم ما زادوكم اي بخروجهم شيئا من الاشياء الا خبالا اي ما اتوكم بشيء زايد على ما عندكم
من الاشياء غير الخبال والاستثناء مفرغ والمستثنى منه المقدر الثابت لهم الاتصاف به هو الشيء وذلك لا يقتضي اتصاف
احد منهم بالخبال قبل خروج المنافقين والخبال الفساد وهو ينظر الى الخداع والاخذ على غرة ولاوضعوا اي اوقعوا الايضاع
حذف المفعول اشارة الى ان مرادهم الايضاع نفسه لا بقيد دابه وعبر بالايضاع لانه للراكب وهو اسرع من الماشي خلالكم
اي لاسرعوا في السير ذهابا وايابا بينكم في تتبع عوراتكم وانتظار زلاتكم ليجدوا منها مدخلا الى الفساد بالنميمة وغيرها
ان لم يجدوها والايضاع في السير يكون برفق ويكون باسراع والمراد به هنا الاسراع ومادة وضع بجميع تراكيبها
تدور على الحركة وتارة تكون الى علو وتارة الى سفول ويلزم ذلك السكون والمحل القابل لذلك وعلى ذلك يتمشى العضو
والعوض وعوض الذي هو بمعنى الدهر وضوع الريح والتصويت بالبكاء والضعة كشجرة في البادية والوضع للطرح
في مكان والسير اللين والسريع والخلال جمع خلل وهو الفرجة يبغونكم اي حال كونهم يريدون لكم الفتنة اي بتشتيت الشمل
وتفريق الاصحاب وتقدم عندو قاتلوهم حتى لا تكون فتنة انها الخلطة المميلة المحيلة اي يريدون لكم الشيء الذي يصيبكم
فيغير حالتكم الى ما يسوءكم فيسرهم وفيكم اي والحال انه فيكم سماعون لهم اي في غاية القبول لكلامهم لضعف معارفهم

مادة وضع

وارايهم وربما كان سماعهم منهم موديا الى مطلوبهم والله اي الذي اخبركم بهذا من حالهم وله الاحاطة بكل شي عليم بهم فثقوا باخباره
هكذا كان الاصل وانما قال بالظالمين اشارة الى الوصف الذي اوجب لهم الشقا بمنعهم عن موطن الخير وتعميما للحكم بالعلم بهم وبمن يسمع
لهم وبكل ظالم والحاصل انه شبه سعيهم فيهم بالفساد بمن يوضع بعيره في ارض فيها اجرام شاخصة متقاربة فهو في غاية الالتفات
الى معرفة ما فيها من الفرج والتامل لذلك حذرا من ان يصيبه شي من تلك الاجرام فيسقيه كاس الحمام فلا شغل لهم الا بغيه
فسادكم بعدم وصولكم الى شي من مرادكم ولما اخبر سبحانه بذلك وحث على قبول اخباره بما وصف به ذاته الاقدس من احاطة العلم
شرع يقيم الدليل على ما قال بتذكيرهم باشيا تقدمت مشاهدتها منهم فقال معللا لما اخبر به لقد ابتغوا اي طلبوا طلبا عظيما كلهم لكم
الفتنة اي لتشتيتكم من قبل اي قبل هذه الغزوة في يوم احد بكسر قلوب العسكر بالرجوع عنه حتى كاد بعضهم ان يفشل وفي المريسيع
بما قال ابن ابي ليخرجن الاعز منها الاذل وفي غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب في اخذ كنوز كسرى وقيصر والارجاف بكم في
نقض بني قريظة وغير ذلك كما صنعوا قبله في غزوة قينقاع والنضير في قصدهم تقوية كل منهم عليكم وفي غير ذلك من ايام الله التي
عكس فيها قصودهم واتعس جدودهم وقلبوا اي تقليبا كثيرا لك الامور اي التي لك فيها اذى ظهر البطن باجالة الاراء وتدبير
المكايد والحيل لعلهم يجدون فرصة في نقض امرك ينتهزونها او ثغرة في حالة يوسعونها وامتد بهم الحال في هذا المجال حتى جاء
الحق اي الثابت الذي لا مرام في مزاولته مما تقدم به وعده سبحانه من اظهار الدين وقمع المفسدين وظهر امر الله اي المتصف بجميع صفات
الكمال من الجلال والجمال حتى لا مطمع لهم في ستره وهم كارهون اي لجميع ذلك فلم يبق لهم مطمع في محاولة بمواجهة ولا مخاتلة فصار هممهم
الان الاعتزال والمبالغة في اخفاء الاحوال وستر الافعال والاقوال ولما اجملهم في هذا الحكم وكان قد اشار الى ان منهم من كان قد
استاذن في الخروج توطئة للاعتذار عنه شرع يفصلهم وبدا المفصلين بمن صرح بالاستيذان في القعود فقال عاطفا على لقد ابتغوا
ومنهم من يقول اي في جبلته تجديد هذا القول من غير احتشام ائذن لي اي في التخلف عنك ولا تفتني اي تكون سببا في فتنتي بالجزم
بالامر بالسفر فافتتن اما بان اتخلف فاكون مصارحا بالمعصية او اسافر فاميل الى نساء بني الاصفر فارتد عن الدين فانه لا صبر لي عن النساء
وقايل ذلك هو الجد بن قيس كان من الانصار منافقا ولما اظهروا انهم قصدوا البعد من شي فاذا هم قد ارتبكوا فيه انتهزت فرصة
الاخبار بذلك على ابلغ وجه بادخال ناف على ناف ليحصل الثبوت الاكيد باقرار المسول فقيل الا في الفتنة سقطوا اي بما قالوا وفعلوا
فصارت ظرفا لهم فوضعوا انفسهم بذلك في جهنم وفي التعبير بالسقوط دلالة على انتشابهم في اشراك الفتنة انتشابا سريعا بقوة
فصار يعسر خلاصهم معه وان جهنم لمحيطة اي بسبب احاطة الفتنة التي اسقطوا انفسهم فيها بهم وانما قال بالكافرين تعميما وتنبيها
على الوصف الذي حملهم على ذلك ولما كان كانه قيل ما الفتنة التي سقطوا فيها فاحاطت بهم جهنم بسببها قيل ان اي هي كونهم
ان ويجوز ان تكون علة لاحاطة جهنم بهم وكانهم لاجل انهم من الاوس والخزرج فالانصار اقاربهم حصوا النبي صلى الله عليه وسلم
بالعداوة وشديد الحنق ولذا ايضا كان لا يسوءهم ويسرهم من الحسنة والسيئة الا ما له وقع بما اذن به التعبير بالاصابة دون المس
لا ما دونه حفظا لقلوب اقاربهم ورعيا لاسرار نسابتهم فقال اشارة الى ذلك تصبك اي بتقدير الله حسنة اي بنصر او غيره
تسؤهم اي لما في قلوبهم من الضغن والمرض وان تصبك مصيبة اي نكبة وان صغرت كما وقع يوم احد يقولوا اي سرورا وتبجحا
بحسن ارايهم قد اخذنا امرنا اي عصينا الذي امرنا ولم نسلم قيادنا لاحد فنكون كالامعة لان الامر الحادثة وضد النهي ومنه الامير
ورجل امر وامره بتشديد الميم المفتوحة مع كسر الهمزة وبفتح ضعيف الراي يوافق كل احد على ما يريد من امره كله وهو الامعة
وزنا ومعنى من قبل اي قبل ان تكون هذه المصيبة فلم نكن مؤتمرين بامره فيصيبنا ما اصاب من تبعه فكان امرهم لو كانوا مطيعين
كان شيا متحققا بيد الامر فلما عصوه كانوا كانهم قد اخذوه منه ولما كان قولهم هذا بعيدا عن الاستقامة فكان جديرا
بان لا يقال وان قيل كان حقيقا بان يستقال بالمبادرة الى الرجوع عنه والاستغفار منه اشار تعالى الى تماديهم فيه فقال
ويتولوا اي عن مقامهم هذا الذي قالوا فيه ذلك وان طال الى اهاليهم وهم فرحون اي لمصيبتكم لكفرهم ولخلاصهم منها ولما
كان قولهم هذا متضمنا لتوهمهم القدرة على الاحتراس من القدر قال تعالى معلما لجوابهم مخاطبا للراس لعلو المقام قل اي انا نحن
لا نقول مقالتكم لمعرفتنا بانا لا نملك ضرا ولا نفعا بل نقول لن يصيبنا اي من الخير والشر الا ما كتب اي قدر الله اي المحيط بكل شي
قدرة وعلما ولما كان قضاء الله كله خيرا للمومن ان اصابته سرا شكر وان اصابته ضرا صبر عبر باللام فقال لنا اي لا يقدر على رده
عنا الا هو سبحانه هو اي وحده مولانا اي القريب منا الذي يلي جميع امورنا لا قريب منا سواه فلو اراد لدفع عنا كل مصيبة
لانه اقرب الينا منها لا تصل الينا بدون علمه وهو قادر فنحن نعلم ان له في ذلك لطيف سريرة تتضال دونها ثواقب الافكار
وتخسا عن الاحاطة بحقيقتها نوافذ الابصار فنحن لا نتهمه في قضائه لانا قد توكلنا عليه وفوضنا امورنا اليه والموكل لا
يتهم الوكيل وعلى الله اي الملك الاعلى لا غيره فليتوكل المومنون اي كلهم توكلا عظيما جازما لا معدل عنه فالفيصل بين المومن
والكافر هو اسلام النفس اليه وحده بلا اعتراض عليه يقلبها كيف شاء ويحكم فيها بما يريد ولما تضمن ذلك ان سراءهم وضراءهم
لهم خير من حيث ان الرضى بمر القضا موجب لاقبال القاضي على المقضي عليه بالرافة والرحمة صرح بذلك في قوله قل هل تربصون
اي تنتظرون انتظارا عظيما بنا الا احدى الحسنيين اي وهي ان نصيب اعدانا فنظفر ونغنم ونوجر ويصيبونا بقتل او غيره
فنوجر وكلا الامرين حسن اما السراء التي توافقوننا على حسنها فامرها واضح واما الضراء فموجبة لرضى الله عنا ومثوبته لنا بالصبر
عليها ورضانا بها اجلالا له وتسليما لامره فهي حسنى كما نعلم لا سواي كما تتوهمون ونحن نتربص بكم اي ننتظر احدى السوايين وهي ان
يصيبكم الله اي الذي له جميع القدرة ونحن من حزبه بعذاب من عنده اي لا تسبب لنا فيه كما اهلك القرون الاولى بصاير للناس او بايدينا

اي بسببنا من قتل او نهب واسر وضرب وغير ذلك لان حذركم لا يمنعكم من الله وكل ذلك مكروه عندكم ولما تسبب عن هذا البيان
ان السوأى خاصة بحزب الشيطان حسن ان يومروا تهكما بهم بما اداهم الى ذلك تخسيسا لشانهم فقال فتربصوا اي انتم بنا انا اي نحن
معكم متربصون اي بكم نفعل كما تفعلون والقصد مختلف والاية من الاحتباك حذف اولا الاصابة للدلالة عليها بما اثبت ثانيا وثانيا احدى
السوأيين للدلالة عليها باثبات الحسنيين اولا ولما كان من جملة ما يصيبهم منهم من العذاب الانفاق بتزكية ما ظهر من اموالهم
وبالاعانة في سبيل الله خوفا من اتهامهم بالنفاق في اقوالهم ليفتدوا انفسهم به من السفر قال قل انفقوا اي اوجدوا الانفاق
لكل ما يسمى انفاقا طوعا او كرها اي مطهرين الطواعية او مطهرين الكراهية ولما كان الاعراض عنهم انما سببه كفرهم لا انفاقهم لم
يربط الجواب بالفاء بل قال لن يتقبل منكم اي يقع تقبل لشيء ياتي من قبلكم اصلا من احد له ان يتقبل كائنا من كان ولذلك بناه للمفعول لان
قلوبكم كارهة ليست لها نية صالحة في الانفاق ولا في غيره فانقسام انفاقكم الى طوع وكره انما هو باعتبار الظاهر وكانه عبر بالتفعل
اشارة الى قبوله منهم ظاهرا ولما كان غير مقبول باطنا على حال من الاحوال علل بقوله انكم كنتم اي جبلة وطبعا قوما فاسقين
اي عريقين في الفسق بالغين انهى غاياته ولما علل بالعراقة في الخروج عن الطاعة بينه في قوله وما منعهم ان تقبل اي باطنا ولذا
عبر بالمجرد وبناه للمفعول لان النافع القبول في نفس الامر لا كونه من معين منهم نفقاتهم اي وان جلت الا انهم كفروا بالله اي الذي له جميع
صفات الكمال من الجلال والجمال لفساد جبلاتهم وسوء غرائزهم ولما كان قبول النفقات مهيئا للطهارة التي تؤثرها الصلوة كان
السياق لعدم قبولها ليتسبب عنه النهي عن الصلوة عليهم ابلغ لانه ادل على الخبث فاكد كفرهم بزيادة الجار اشعارا بان الكفر بكل منهما
على حياله مانع فقال وبرسوله اي فسقهم بانهم غير مومنين وهو السبب المانع بمفرده من القبول ثم قدح في شاهدي ما يظهرون من
الايمان وهما الصلوة والزكوة وغيرها من الانفاق في الخيرات بما هو لازم للكفر ودال عليه فقال ولا ياتون الصلوة اي المفروضة وغيرها
الا وهم كسالى اي في حال كسلهم لا ياتونها قط بنشاط ولا ينفقون اي نفقة من واجب او غيره الا وهم كارهون اي في حال الكراهة
وان ظهر لكم خلاف ذلك وذلك كله لعدم النية الصالحة واعتقاد الاخرة وهذا لا ينافي طوعا لان ذاك بحسب الفرض او الظاهر وهذا
بحسب الواقع ولما انتفى عن اموالهم النفع الاخروي الذي هو النفع تسبب عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات اليها وعدم
اعتقاد ان فيها بركة ودلالة على خير فقال مبينا ما فيها من الفساد الذي يظن انه صلاح فلا بفاء السبب فالسياق ابلغ من سياق
الاتية بعد النهي عن الصلوة عليهم تعجبك اموالهم اي وان انفقوها في سبيلي وجهزوا بها الغزاة فان ذلك عن غير اخلاص منهم
ولا حسن نية ولا جميل طوية وانما هو لما اذلهم من عزة الاسلام واخافهم من سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب وعطف عليها الاولاد
لمشاركتها لها في الملاذ والقوة والاستعمال في الجهاد فقال موكدا للنفي باعادة النافي ولا اولادهم فكانه قيل فماذا يراد باعطائهم ذلك
ولو منعوها واعطيها المخلصون لكانت قوة للدين فقال انما يريد الله اي يوقع الارادة لهم بها الملك الذي له الاحاطة بجميع الحكمة
كما ان له الاحاطة بتمام القدرة وابلغ في الحصر بادخال اللام في قوله ليعذبهم اي لاجل ان يعذبهم بها في الحيوة اي وان كان
يتراءى انها لذيذة لان ذلك من شان الحيوة فانما هي لهم موت في الحقيقة الدنيا اي تارة بجمعها وتربيتها وتارة ببذلها كرها في
سبيل الله او في تزكيتها وتارة بغير ذلك وتزهق اي وانما يريد بتمكينهم منها لاجل انه تخرج وقت الموت بغاية الصعوبة انفسهم
اي بسببها وهم اي والحال انهم كافرون اي عريقون في الكفر وهكذا كل من اراد استدراجه سبحانه فانه في الغالب يكثر اموالهم
واولادهم لنحو هذا لانهم اذا راوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا ان ذلك انما هو لكرامتهم وحسن حالتهم فيستمرون عليها حتى يموتوا
فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم بل فتنتهم ومحنتهم واما الدين فان القادر يقويه بغير ذلك فيكون اظهر لدليله واوضح لسبيله فالحاصل
انه ظهر لهم انهم اكرموا بها وخفي عنهم انها سبب لعذابهم في الحيوة بانكلابهم عليها وفي الممات بصعوبته عليهم المشار اليه
بالزهوق وفي الاخرة بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها واما المومن فلا يموت حتى يرى من الثواب ما يسليه
عن كل شيء فيشتاق الى لقاء الله وتخرج نفسه وهو في غاية المحبة لخروجها لان البدن عائق له عما يرى ولما وضح بهذه الامور
مغايرتهم للمومنين وخروجهم من ربقة الدين المصحح لوصفهم بالفسق اوضح لبسا اخر من احوالهم يقيمونه بالايمان الكاذبة فقال
ويحلفون اي طلبوا لكم الفتنة والحال انهم يجددون الايمان بالله اي على ما له من تمام العظمة انهم اي المنافقين لمنكم اي ايها
المومنون على اعتقادكم باطنا كما هم ظاهرا وما اي والحال انهم ما هم صادقين في حلفهم انهم منكم ولكنهم قوم اي مع ان لهم قوة وقياما
شديدا فيما يحاولونه يفرقون اي يخافون منكم على دمائهم خوفا عظيما يفرق همومهم فهو الملجي لهم الى الحلف كذبا على التظاهر بالاسلام
فكانه قيل فما لهم يقيمون بيتا والمبغض لا يعاشر من يبغضه فقيل لانهم لا يجدون ما يحميهم منكم لو يجدون ملجا اي شيئا يلجاون
اليه من حصن او جبل او قوم يمنعونهم منكم او مغارات في الجبال تسعهم جمع مغارة مفعلة من غار في الشيء اذا دخل فيه والغور
ما انخفض من الارض ولما كانت الغيران وهي النقوب في الجبال واسعة والوصول اليها سهلا قال او مدخلا اي مكانا يدخلونه
بغاية العسر والصعوبة لضيقه او لمانع في طريقه او قوما يداخلونهم وان كانوا يكرهونهم بما ارشد اليه التشديد لولوا
اليه اي لاشتدوا في التوجه اليه متولين مرتدين عنكم على اعقابهم وهم يجمحون اي حالهم حال الدابة التي كانت مسرعة
في طواعية راكبها فاذا هي قد نكصت على عقبها ثم اخذت في غير قصده بغاية الاسراع ونهاية الرغبة والداعية لا يردها بئر
تقع فيه ولا مهلكة ولا شيء ولما قرر حال من يتخلف عن الجهاد وربما بذل ماله فيه افتداء لسفره شرع في ذكر من يشاركه في النفاق
ويخالفه في الانفاق فقال ومنهم من يلمزك اي يعيبك عند شياطينه على طريق الملازمة في تستر وخفاء وتظاهر وقلة حياء
في الصدقات اي اللاتي تؤتيها لاتباعك ولما اخبر عن لمزه اخبر انه لحظ نفسه لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا اي عنك

وان لم يعطوا منها فاجاوا السخط الذي يتجدد في كل لحظة ولم يتخلفوا عنه اصلا وعبر عن ذلك بقوله اذا هم يسخطون فوافقوا الاولين
في جعل الدنيا همهم وخالفوهم فان اولئك انفقوا ليتمتعوا بالتخلف وهولاء طلبوا ليتنعموا بنفس المال الذي ياخذونه قيل انها نزلت
في ذي الخويصرة لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنايم حنين اعدل يا محمد فاني لم ارك تعدل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل وسياتي حديثه ولما اخبر تعالى عن حالهم السيء الدني الذي لا يجديهم في الدنيا ويهلكهم في الاخرى
نبههم على ما هو الاصلح لهم من الحال الشريف السني فقال ولو انهم اي المنافقين رضوا ما اتاهم الله اي المنعم بجميع النعم لان له جميع الكمال
ورسوله الذي عظمته من عظمته قل ذلك الموتى او كثر طال زمنه او قصر وقالوا اي مع الرضى حسبنا الله اي كافينا لان له جميع
العظمة فهو الغني المطلق ولما كانت الكفاية تارة تكون بالتنجيز العاجل وتارة بالوثوق بالوعد الاجل بين ان الثاني هو المراد لانه
ادل على الايمان فقال سيوتينا الله اي الملك الاعظم بوعد لا خلف فيه واعتقدوا ان لا حق عليه لاحد فقالوا من فضله ورسوله
اي الذي لا يخالف امره ما قدر لنا في الازل ثم عللوا ذلك بقولهم انا الى الله اي المستجمع لصفات الكمال وحده راغبون اي عريقون
في الرغبة فلذلك نكتفي بما ياتي من قبله كاينا ما كان اي لكان ذلك خيرا لهم لانه لا ينالهم الا ما قسم سبحانه لهم شاؤا او ابوا ولما اخبر
عن لمزهم في الصدقات وقرر ما هو خير لهم ارشادا لهم الى النجاة علل فعل رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وبين انه لا يفعل غيره لانه
الحق الذي لا يجوز في شرعه الا كمل غيره لمزوا او تركوا زهدوا او رغبوا فقال معبرا باداة القصر على من ذكر انما الصدقات اي هذا
الجنس بجميع ما صدق من افراده والظاهر انه قدم الاهم فالاهم فلذا قال الشافعي رحمه الله ان الفقير اشدهم حاجة لكونه ابتدا به فقال
للفقراء اي الذين لا شي لهم او لهم شي لا يقع موقعا من كفايتهم والمساكين اي الذين لا كفاية لهم بدليل اما السفينة الاية واما مسكينا
ذا متربة فتقييده دل على ان المطلق بخلافه والعاملين عليها اي المؤتمنين في السعاية والولاية على جمعها والمؤلفة قلوبهم اي ليسلموا
او يسلم بسببهم غيرهم او يثبتوا على اسلامهم روى البخاري في التفسير وغيره عن ابي سعيد رضي الله عنه قال بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم
بشي فقسمه بين اربعة وقال اتالفهم فقال رجل ما عدلت فقال يخرج من ضيضي هذا قوم يمرقون من الدين وفي رواية فاستاذنه
رجل في ضرب عنقه فقال لا دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته الحديث وفيه لين ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد ولا يقال ان العلة
مقتضية لقتلهم لا للكف عنهم فانه عمل بالمقام الحضري لما تقرر انه ما من كرامة لنبي الا وله صلى الله عليه وسلم مثلها او اعلى منها بنفسه
او باحد من امته ولما فرغ من الاصناف الاربعة الذين يعطون الصدقة في ايديهم يتصرفون فيها كيف شاؤا كما دل عليه التعبير باللام
اتبعهم من يعطى في حاجة معينة لا يصرف ما يعطاه في غيرها كما دل عليه التعبير بفي فقال وفي الرقاب اي والمكاتبين بسبب فك
رقابهم من الرق والغارمين اي الذين استدانوا في غير معصية يصرف ما يعطونه الى قضاء ديونهم فقط وفي اي والمجاهدين في
سبيل الله اي الذي له الامر كله بالنفقة والحمل والاعانة بالسلاح وغير ذلك ونقل القفال عن بعض الفقهاء انه عمم السبيل فاجاز
صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وعمارة المساجد ونحوها وابن السبيل وهو المسافر المنقطع عن بلده يعطى ما يوصله
اي ان رسولنا صلى الله عليه وسلم لم يفعل ما ادى الى لمزهم له بسببه الا بامرنا فانا قد عينا له اهل الصدقات فهو لا يعدل عنهم
لشي من الاشياء لانه واقف عند ما يرضينا فان كانوا منهم اعطاهم والا منعهم رضي من رضي وسخط من سخط وقد فرض ذلك او كاينة
للفقراء حال كونها فريضة كاينة من الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما لعلمه بان في ذلك اعظم صلاح وهذا كالزجر عن مخالفة الظاهر
والله اي الذي له جميع صفات الكمال عليم اي بالغ العلم بما يصلح الدين والدنيا ويولف بين قلوب المؤمنين حكيم اي فهو يجعل افعاله من الاحكام
بحيث لا يقدر غيره على نقصها قال ابو حيان انما ان كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها وان لم توضع للحصر فالحصر
مستفاد من الاوصاف اذ مناط الحكم بالوصف يقتضي التعليل به والتعليل بالشي يقتضي الاقتصار عليه وحكمة الزكوة من جهة
المالك ان المال محبوب لانه يحصل المحبوب والتمادي في حبه يوجب الاعراض عن الله المعطي له فكان من الحكمة تذكير المالك له
بالمالك الحقيقي في انه اوجب عليه اخراج طايفة منه ليكف ذلك انصباب النفس بالكلية اليه ويطهر النفس عن محبتها له ويطهره
عن محض الانفاق في الشهوات ومن جهة الاخذ انه لما اجتمعت حاجته اليه وحاجة المالك ولو احتمالا كان هناك سببان للتسلط
على المال احدهما اكتساب المالك له والثاني احتياج الاخذ اليه فروعي السببان بقدر الامكان ورجح المالك بابقاء الكثير وصرف
الى الاخذ اليسير واجرى الشافعي رضي الله عنه الاية على ظاهرها فقال ان اخرجها ذو المال سقط سهم العامل مع سهم المؤلفة
وصرف الى الستة الاصناف وان قسم الامام فعلى سبعة ويجب ان يعطى من كل صنف ثلثة انفس ومن لم يوجد من الاصناف رد نصيبه
على الباقين ويسوي بين الاصناف لا بين احاد الصنف وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يجوز صرف الكل لواحد من الاصناف
لان الاية اوجبت ان لا تخرج الصدقة عنهم لا ان تكون في جميع الاصناف وهو قول عمر بن الخطاب وحذيفة وابن عباس رضي الله
عنهم وسعيد بن جبير وعطا وابي العالية وميمون بن مهران ولما بين الصنفين السالفين وختم امرهما بصفتي العلم والحكمة
اتبعهما بصنف اخر يوذي بما يجعله نقصا في صفات الرسول صلى الله عليه وسلم فيلزم الطعن في علم مرسله وحكمته فقال
ومنهم الذين يؤذون النبي اي الذي اعلى الله مقداره فهو ينبئه بما يريد سبحانه من خفايا الاسرار ولما اخبر بمطلق الاذى
الشامل للقول والفعل عطف عليه قوله ويقولون هو اي من فرط سماعه لما يقال له اذن ومرادهم انه يصدق كل ما يسمع
ويقبل قول كل احد كما سمي الجاسوس عينا قال ابو حيان كان جد ام بن خالد وعبيد بن هلال والجلاس بن سويد في اخرين
يوذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شينا فان محمدا
اذن سامعه ثم ناتيه فيصدقنا فنزلت وقيل غير ذلك يقال رجل اذن اذا كان يسمع مقال كل احد يستوي فيه الواحد والجمع

ومرادهم انه صلى الله عليه وسلم لا يعرف مكر من مكر به وخداع من خادعه وكذب الواضع فيما يخبر به ذلك ولكنه يعرض عنه المصاح لا يليق بمحاسن الدين غيرها بينها تعالى بقوله قل اذن خير ثم بين ان نفع ذلك عايد اليهم بقوله لكم ثم فسر ذلك بقوله يؤمن اي يوقع الايمان للملكة الذين يأتونه عز اسمه من التكذيب بان يصدقهم معترفا بانه اي بسبب ما يخبرونه عنه به حق الايمان لما له من كمال العلم بحقائق من صفات الجلال والاكرام وحاصله ان فعل الايمان ضمن فعل التصديق ثم حذف وانتزعت منه حال اقيمت مقامه ثم حذفت اي بصلة تدل عليها كما قالوا في قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم ان التقدير حامدين على ما هداكم فالتقدير هنا يؤمن مصدقا بالله لهذا حقيقته ولم يثمر محبة المؤمنين ورحمتهم ولذا اتبعه قوله ويؤمن للمؤمنين اي اذا سخرين يوقع الايمان لهم من التكذيب بان يصدقهم في كل ما يخبرونه به مما يحتمل التصديق وذلك لاجل مصالحهم والتاليف بينهم مع ما ثبت من صدقهم فانه لو حملهم على عقله وبلغ غلظة تجنبه الكاذب وعاقب الخائن بمجرد علمه وتفرسه لقصرت عن ذلك غالب الافهام وتاهت بسببه اكثر الاوهام فتفر القلوب ووقع من الاغلب الاتهام ولما كان التصديق بوجود الاله على ما له من صفات الكمال المقتضي للامر والنهي عدي بالباء وهنا لما كان التصديق انما هو في الاخبار باي شئ كان عدي باللام واشير بتصدر الفعل وهو متعد الى المبالغة في التصديق بحيث كانه لا تصديق غيره ولما بين سبحانه ان تصديقه ظاهرا وباطنا انما هو لاجل السخرين في الايمان بين ان تصديقه تغريرهم انما هو في الظاهر فقال ورحمة اي وهو رحمة للذين امنوا اي اظهروا الايمان بالسنتهم منكم فهو والله اعلم اشارة الى المنافقين ومن في حكمهم ممن جزم لسانه وقلبه مزلزل اي ان اظهار تصديقهم قبولا لما ظهر منهم وستر قبايح اسرارهم سبب الكف عن دمائهم واظهار المؤمنين لمقتهم وربما كان ذلك سببا لصدق ايمانهم مما يرون من محاسن الايمان بتمادي الزمان ولا يستبعد كون التعبير بالماضي اشارة الى المنافقين لا سيما بعد التعبير باسم الفاعل فقد قال الامام ابو الحسن الحرالي في كتاب المفتاح ما نصه الباب الرابع في رتب البيان عن تطور الانسان بترقيه في درج الايمان وترديه في دركات الكفران اعلم ان الله محيط بكل شئ خلقا وامرا اولا واخرا ظاهرا وباطنا وهو جده وله علو في ظهور امره وكبير خلقه واحتجاب في مقابل ذلك من خلقه وامره بما ابداه من حكمته واسباب هداه وفتنته وذلك العلو هو الاهيته والاحتجاب هو ملكه وبينهما اقامة كل خلق لما خلقا له وتاييد كل امر من الامرين لما اقيم له وذلك هو ربانيته وكل فتق من خلقه وامره رتق سابق وكل تفاوت سواه وذلك هو رحمانيته وكل اقرب في مدد الحجاب اختصاص وذلك هو رحيميته وكل ابعد في مدد الحجاب بطئ منه شديد في رده الى القرب وتلك هي نقمته وكل من تنزلاته العلية ظاهرا وباطنا امر خاص وكل امر خلق يرد بيان القرآن بكل خلق بحسب كنه ذاته واختصاص رتبة قربه ومحل بعده وان الله سبحانه جعل آدم وذراه خليفة له في جميع امره وتفصيله وانزل القرآن نبأ عن جملة ذلك فاردا الاحوال لهذا المستخلف المحل الذي يسمى فيه بالانسان وهو حيث انس بنفسه وغيره ونسي عهد ربه فيرد لذلك بناؤه بالذم في القرآن قتل الانسان ما اكفره ان الانسان لربه لكنود ثم المحل الذي تداركه فيه تنبيه لسماع الزجر من ربه وهو له بمنزلة سن التميز كان سمع ولا يقع الا عن اجتماع وتراء وذلك هو السن المسمون فيه بالناس لنوسهم اي تردهم بين سماع الزجر من ربهم وغلبة اهوائهم عليهم فيرد لذلك بناؤهم بذم اكثرهم في القرآن ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولا يشكرون ثم المحل الذي يتحقق لهم قبول وسماع وايمان لغايب الامر والخلق ولكنهم يتزلزلون عنه كثيرا عند كل عارضة نيل وخارة رفعة وهو لهم بمنزلة سن الحلم الذي قد ذاق طعم بدو النطفة من باطنه الناجم العقل للنظر في حقايق المحسوسات وذلك هو السن الذي يسمون فيه الذين امنوا وهو اول سن التلقي فلذلك جميع اداب القرآن وتعليمه انما تورده اهل هذا السن كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول اذا سمعت الله عز وجل يقول يا ايها الذين امنوا فارعها سمعك فانه خير يامر به او شر ينهى عنه وكما ان ما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي المميز وما يخص المميز لا يدخل فيه البالغ كذلك خطاب الذين امنوا لم يصل اليه الناس بعد وخطاب الناس قد جاوز الذين امنوا لانهم قد انزجروا بما قبلت قلوبهم عما ينزجر عنه الناس وقد ايتمروا بما يأتمر به الناس وهذه الاسنان الخالية عندا ولي البصاير وخاص خطابها اشد ظهورا من اسنان الابدان عند اصحاب الابصار وعدم التبصر بهذه المراتب في الاحوال والبيان هي اقفال القلوب المانعة من تدبر القرآن وكذلك ما فوق سن الذين امنوا من سن الذين يؤمنون وهم في اول حد القرب بمنزلة بلوغ الاشد وسن الذين امنوا والناس في حد وحد البعد ولذلك يخاطبون بحرف يا الموسلة الى حد البعد يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وفوق ذلك سن المؤمنين وادنى قربا ولذلك لم يرد في القرآن في خطابهم يا ايها البعد وهذا السن بمنزلة الاكتمال وسن الشيب وتمام سنهم المؤمنون حقا وكذلك الى سن المحسنين الى غيب سن الموقنين الى ما وراء ذلك فان اسنان الجسم اربع واسنان القلب سابع يعرفها من تطور فيها وبجهلها من ثبت سن قلبه على الجهل وتطور سن حسه الى الهرم يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص والامل فالحرص فقره ولو ملك الدنيا والامل هدمه وتعبه فمن لم يتحقق اسنان القلب وتفاوت خطابها لم يتفتح له الباب الى فهم القرآن ومن لم يتفتح له تنزلات الخطاب لم يبن له خطاب الله من خطاب الملك الديان انتهى ولما بين ما لمن صدقه باطنا وظاهرا من الرحمة بين ما على من كذبه فاذاه من النقمة فقال والذين يؤذون اي من هو آء ومن غيرهم رسول الله اي الذي اظهر وهو الملك الاعلى شرفه وعظمه بالجمع بين الوصفين واعلاه باضافته اليه وزاد في رفعته بالتعبير باسمه الاعظم الجامع وهو واسطة بين الحق والخلق في اصلاح احوالهم فانما يستحق منهم الشكر والاكرام لا الاذى والايلام ولما كان اذاهم مولما جل جزاءهم من جنسه فقال لهم عذاب اليم ثم علل ذلك باستهانتهم بالله ورسوله واخبر انهم يحلفون على دمائهم فيصلحون بلوامهم حفظا لها بالايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله اي الذي له تمام العظمة لكم اي انهم ما اذوا النبي صلى الله عليه وسلم خصوصا

حم اي تسلة من الذرية ومن الحاق

الظاهر

ولا اذوكم بالمخالفة عموما وبين غاية مرادهم بقوله ليرضوكم ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ليس باذن بالمعنى الذي ارادوه
بين انه لم يكن راضيا بايمانهم لعدم وقوع صدقهم في قلبه ولكنه اظهر تصديقهم لما تقدم من الاصلاح فقال والله اي الذي له الامر كله
ولا امر لاحد معه ورسوله اي الذي هو اعلى خلقه وبلغ النهاية في تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة الراضي لان كل ما يرضي احدهما
يرضي الآخر فقال احق ان اي بان يرضوه ولما كان مناط الارضاء الطاعة ومدار الطاعة الايمان قال معبرا بالوصف لانه محزه ان كانوا
مومنين اي فهم يعلمون انه احق بالارضاء فيجتهدون فيه وذلك اشارة الى انهم ان جددوا ارضاءه كل وقت كان دليلا على ايمانهم وان
خالفوه كان قاطعا على كفرانهم ولما بين ان حلفهم هذا انما هو لكراهة الخزي عند المومنين وذكر من هو الاحق بان يرضوه اقام
الدليل على ذلك في استفهام انكار وتوبيخ مبينا انهم فروا من خزي منقض فسقطوا في خزي دائم والخزي استحيا في هوان فقال
الم يعلموا اي لما علم من الدين بالضرورة ولما كان ذكر الشي مبهما ثم مفسرا اضخم اضمر للشان فقال انه اي الشان العظيم من يحادد الله
وهو الملك الاعظم ويظهر المحادة بما اشار اليه الفك ورسوله اي الذي عظمته من عظمته بان يفعل معهما فعل من يخاصم في حد ارض فيريد
ان يغلب على حد خصمه ويلزمه ان يكون في حد غير حده فان له نار جهنم اي فكونها له جزاء له على ذلك حق لا ريب فيه خالدا فيها
اي دائما من غير انقضاء كما كانت نيته المحادة ابدا ثم نبه على عظمة هذا الجزاء بقوله ذلك اي الامر البعيد الوصف العظيم الشان
الخزي العظيم ولما علل فعل المستهزئين اتبعه تعليل امر صنف اخف منهم نفاقا بما عندهم مما يقارب التصديق فقال يحذر المنافقون
وعبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيرا لهم من ادنى النفاق فانه يجر الى اعلاه ان تنزل ولما كانت السورة الفاضحة لهم داهية
ونائبة من نوائب الدهر وشدائده عدي الفعل بعلى فقال عليهم سورة اي قطعة من القران شديدة الانتظام تنبئهم اي تخبرهم
اخبارا عظيما مستقصى بما في قلوبهم لم يظهروا عليه احدا من غيرهم او احدا مطلقا ولعل هذا الصنف كانوا يسلفون الايمان
لعلها تشكك بعض الناس او تخفف عنهم اذا نزل ما يهتكهم ردي انهم كانوا يقولون ما يوذي ويدل على النفاق ويقولون عسى الله
ان لا يفشي علينا سرنا وقال بعضهم بعد كلام قالوه والله اني لارانا شر خلق الله ولوددت اني قدمت فجلدت ماية جلدة وانه لا ينزل
فينا شي يفضحنا ولما كان حذرهم مع العمل بما ينافيه من كلام النفاق فعل المستهزي قال مهددا قل استهزوا اي افعلوا فعل المستهزي
بغاية الرغبة ان الله اي المحيط بكمال العلم وتمام القدرة مخرج اي ثابت له وصف اخراجه ما تحذرون اي اخراجه من قبايحكم وعن
الحسن كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة حفرت ما في قلوب المومنين واظهرته ولما وصفهم بالنفاق حققه بعدم مبادرتهم
الى التوبة التي هي فعل المومنين وباجترائهم على الانكار مع كون السائل لهم من بلغ الغاية في الجلال والوقار والكمال فقال ولئن سالتهم
اي وانت من يجب ان يصدقه مسوله عما اخرجت السورة مما اظهروا بينهم من الكفر وذلك حين قال بعضهم انظروا الى هذا الرجل
يظن ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاعلمه الله فقال احبسوا على الركب فسالهم ليقولن انما اي ما قلنا شيا من
ذلك انما كنا نخوض اي نتحدث على غير نظام ونلعب اي بما لا حرج علينا فيه ويحمل عنا ثقل الطريق فكانه قيل فماذا يقال لهم اذا
حلفوا على ذلك على العادة فقال قل اي لهم تقريرا على استهزائهم متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا اعلاما بانه غير اهل لان يسمع
جاعلا لهم كانهم معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزا به بلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته
تكذيبا لهم في قولهم انك اذن بالمعنى الذي ارادوه وبيانا لما في اظهارك لتصديقهم من الرفق بهم ابالله اي وهو المحيط بصفات
الكمال واياته اي التي لا يمكن تبديلها ولا تخفى على ذي بصر ولا بصيرة ورسوله اي الذي عظمته من عظمته وهو مجتهد في اصلاحكم
وتشريفكم واعلائكم كنتم اي دائما تستهزؤن ولما حقق استهزاءهم انتج قوله لا تعتذروا اي لا تبالغوا في اثبات العذر وهو ما
ينفي الملام فان ذلك لا يغنيكم وان اجتهدتم فيه لان القطع حاصل بانكم قد كفرتم اي بقولكم هذا ودل على ان كفرهم احبط ما كان لهم
من عمل بنزع الخافض تشديدا على من نكب منهم تخويفا له وتحقيقا لحال من اصر فقال بعد ايمانكم اي الذي ادعيتموه بالسنتكم
صدقا من بعضكم ونفاقا من غيره ولما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا اليه بعد اكفارهم من توبتهم او اصرارهم بين انهم قسمان
مطبوع على قلبه ومقضي بتوبته وحبه وهذا الاشرف هو المراد بقوله بانيا للمفعول اعلاما بان المقصود الاعظم هو الفعل لا بالنظر
الى فاعل معين ان يعف لان كلام الملك وان جرى في مضمار الشرط فهو مرشد الى تحققه ليحصل الفرق بين كلام الاعلى والادنى عن
طائفة منكم اي لصلاحيتها للتوبة تعذب طائفة اي قوم ذوو عدد فيهم اهلية الاستدارة وقرا عاصم ببناء الفعلين للفاعل على
العظمة بانهم اي بسبب انهم كانوا مجرمين اي كسبهم للذنوب القاطعة عن الخير صفة لهم ثابتة لا تنفك فهم غير متاهلين للعفو
وشرح هذه القصة انه كان يسير بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثلثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان
بالقران والرسول والآخر يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا
يقولون ان محمدا يزعم انه نزل في اصحابنا المقيمين في المدينة قران وانما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم
على ذلك فقال احبسوا الركب علي فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب
نقطع الطريق بالحديث واللعب قال ابن اسحق والذي عفي عنه رجل واحد وهو مخشن بن حمير الاشجعي يقال هو الذي كان يضحك
ولا يخوض وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فلما نزلت الآية تاب وقال اللهم لا ازال اسمع آية تقرا تقشعر منها الجلود
وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من
المسلمين الا عرف مصرعه غيره رضي الله عنه ولعل اطلاق الطائفة عليه تعظيما له وسترا عليه وتبشيرا بتوبة غيره ولعل
مخشنا كان مومنا ولكن كان ايمانه مزلزلا فكذا عبر هنا بقوله اكفرتم بعد ايمانكم والتعبير بذلك امنع في الذم ولا سيما عند العرب

لانهم يتمادحون بالثبات على اي امر اختاروه ويتدامون بالطيش ولعل الجلاس المعني بالقصة الآتية وحده او مع غيره
لم يكن آمن كغيره من عني بها وما آمن الا حين تاب فلذا عبر هناك بقوله وكفروا بعد اسلامهم قال ابو حيان قال ابن عمر
رايت وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكته وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابالله واياته الآية ولما بين سبحانه افعالا واقوالا لطوايف من المنافقين منهم من كان معه صلى الله
عليه وسلم في العسكر هي في غاية الفساد كان ذلك ربما اقتضى ان يسئل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم فقال جوابا عن ذلك
واستدلالا على ان اجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم المنافقون والمنافقات اي الذين اظهروا الايمان وابطنوا الكفران بعضهم
ولما كان مرجعهم الجمود على الهوى والطبع والعادة والتقليد من التابع منهم للمتبوع قال من بعض اي كالجسد الواحد امورهم متشابهة
في اقوالهم وافعالهم وجميع احوالهم والقصد ان حالهم يضاد حال اهل الايمان ولذلك بينه بقوله يامرون بالمنكر اي مما تقدم
من الخبال والايضاع في الخلال وغير ذلك من سيئ الخصال وينهون عن المعروف اي من كل ما يكون فيه تعظيم الاسلام واهله يبغون
بذلك الفتنة ويقبضون ايديهم اي يشحون فلا ينفقون الا وهم كارهون ولما كان كانه قيل اما خافوا بذلك من معاجلة العقاب
اجاب بقوله نسوا الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه ويصلح ان يكون علة لما تقدم عليه ولما اقدموا على ذلك
سبب عنه قوله فنسيهم اي فعل بهم فعل الناسي لما استهان به بان تركهم من رحمته فكان ذلك الترك سببا لحلول نقمته ولما
تطبعوا بهذه النقايص كلها اختصوا بكمال الفسق فشرح ذلك في اسلوب التعجيب من حالهم فقال مظهرا موضع الاضمار تعميما وتعليقا
للحكم بالوصف ان المنافقين هم اي خاصة الفاسقون اي الخارجون عن دايرة ما ينفعهم من الطاعة الراسخون في ذلك فقد علم بهذا انهم
لو غزوا فعلوا فعل هولاء سوا لان الكل من طينة واحدة ولما بين كثيرا من احوالهم واشتد التشوف الى مآلهم وكان مقصودهم
باظهار الايمان والاعتذار عن النقايص بتاكيد الايمان انما هو التقرب الى المومنين والتحبب طمعا في العيش في اكنافهم وفرقا من المعاجلة
بما يستحقون من اتلافهم بين ان لهم هذا الخداع العذاب الدايم والطرد اللازم وجمع معهم المصارحين بالكفر اعلاما بانهم ان لم يكونوا
اعظم عنادا منهم فهم سوا فقال وعد الله وصاغه بصيغة البشارة تهكما بهم وابلاغا في مساءتهم المنافقين والمنافقات اي المساترين
باعتقادهم والكفار اي المجاهرين في عنادهم ولما كانوا مجبولين على تجهم المومنين والانقباض عنهم وان اظهروا خلاف ذلك
فهو تصنع قال نار جهنم اي الدار التي من شانها تجهم اهلها ولقاوهم بالعبوسة الزايدة خالدين فيها اي لا براح لهم عنها هي حسبهم
اي كافيتهم في العذاب لكن لما كان الخلود قد يتجوز به عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج قال ولعنهم الله اي طردهم وابعدهم من رحمته
وهو الملك العليم الحكيم الذي لا امر لاحد معه فافهم انه لا فرج لهم ثم نفى كل احتمال بقوله ولهم اي بالامرين عذاب مقيم اي لا وصف
له غير الاقامة في الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة الاسلام وجنوده الكرام الاعلام وفي الاخرة بما لا يعلمه حق علمه الا الملك العلام
ولما كان حالهم في الاقبال على العاجلة لكونها حاصلة والاعراض عن العاقبة لانها غايبة مشابها لحال من كان قبلهم من الامم الخالية
والقرون الماضية بين لهم ذلك وختم ببيان سوء احوالهم وقبح مآلهم بتلاشي اعمالهم فقال ملتفتا الى اسلوب الخطاب لانه اوقع في باب
العقاب واقعد في استجلاب الصالح للمتاب كالذين اي حاصل ما مضى من امركم ايها المنافقون انكم مثل الذين ولما كان فاعل ما يذكر
انما هو بعض من مضى اثبت الجار فقال من قبلكم اي من الامم الخالية ثم شرع في شرح حالهم وذكر وجه الشبه فقال كانوا اشد منكم قوة
لان الزمان كان اذ ذاك اقرب الى سن الشباب واكثر اموالا واولادا وهذا ناظر الى قوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فاستمتعوا
اي طلبوا المتاع والانتفاع في الدنيا بغاية الرغبة معرضين عن العقبى بخلاقهم اي نصيبهم الذي قدره الله وخلقه لهم وكان الاليق
بهم ان يتبلغوا به في السفر الذي لا بد منه الى الاخرة فاستمتعتم بخلاقكم اي كالمقتفين لاثارهم والقاصدين لنارهم كما استمتع
وفي الاتيان بقوله الذين ولما كانوا يستغرقوا الزمن الماضي اثبت الجار فقال من قبلكم بخلاقهم ظاهرا غير مضمر تنبيه على ذمهم
بقلة النظر لانفسهم المستلزم لقلة عقولهم حيث كانوا دونهم في القوة ابدانا واموالا واولادا ولم يكفوا عن الاستمتاع والخوض خوفا
مما محق اوليك الاحزاب على قوتهم من العذاب من غير ان ينفعهم سبب من الاسباب وخضتم اي ذهبتم في اقوالكم وافعالكم خبطا على
غير سنن قويم كالذي اي كخوضهم الذي خاضوا وهو ناظر الى قولهم انما كنا نخوض ونلعب قال ابو حيان وهو مستعار من
الخوض في الماء ولا يستعمل الا في الباطل لان التصرف في الحق انما هو على ترتيب ونظام وامور الباطل انما هي خوض ومنه قوله
رب متخوض في مال الله له النار يوم القيمة ولما اذن هذا النظم لهم بالخسارة حصل التشوف الى عاقبة امرهم فاخبر عن
ذلك بقوله اوليك اي البعدا من الخير والظاهر انه اشارة الى الذين وصفهم بالشدة وكثرة الاموال والاولاد حبطت
اي فسدت فبطلت اعمالهم في الدنيا اي بزوالها عنهم ونسيان لذاتها والاخرة اي وفي الدار الباقية لانهم لم يسعوا
لها سعيها وزاد في التنبيه على بعدهم مما قصدوا لانفسهم من النفع فقال واوليك هم اي خاصة الخاسرون اي لا خاسر في
الحقيقة غيرهم لانهم خسروا خلاقهم في الدارين فخسروا انفسهم فلا اخسر ممن تشبه بهم ولعل في الالتفات الى مقام الخطاب
ايضا اشارة الى تحذير كل سامع من مثل هذه الحال لصحة ان يكون مرادا بهذا المقال فان من اسرار القران في اعجازه ان تكون
عبارته متوجهة الى شي واشارته شاملة الى غيره من حيث اتصافه بعلة ذلك الحال او غير ذلك من الخلال قال الامام
ابو الحسن الحرالي رحمه الله في اخر عروة المفتاح في بيان تناول كلية القران لكلية الامة ولكل قارئ يقراوه من اهل الفهم
والايقان اعلم ان الله سبحانه انزل القران نبا عن جميع الاكوان وان جميع ما انبا عنه من امر ادم الى زمان محمد عليهما السلام
من امر النبوات والرسالات والخلافات واصناف الملوك والفراعنة والطغاة واصناف الجناة وجميع ما اصابهم من المثوبات

والمثلات في يوم آدم عليه السلام الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ستة آلاف سنة ونحوها كل ذي متكرر بجملته في يوم محمد صلى الله
عليه وسلم الذي هو الف سنة او نحوها اعدادا باعداد واحوالا باحوال في خير او شر فلكل من الماضين مثل متكرر في هذه الامة الخاتمة كما قال
صلى الله عليه وسلم لكل نبي قبلي في امتي نظير ثم ذكر صلى الله عليه وسلم نظراء مثل ابرهيم كابي بكر ومثل موسى كعمر ومثل هرون كعثمن ومثل
نوح كعلي ومثل عيسى كابي ذر وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعرف النظراء من امتي باسمائهم واسماء ابائهم وعشائرهم كافرهم ومؤمنهم
ممن كان وممن هو كائن وممن سيكون بعد ولو شئت ان اسميهم لفعلت فمما صد اكثر هذه الامة عن فهم القران ظنهم ان الذي فيه من قصص الاولين
واخبار المثابين والمعاقبين من اهل الاديان اجمعين ان ذلك انما مقصوده الاخبار والقصص فقط كلا وليس كذلك انما مقصوده الاعتبار
والتنبيه لمشاهدة متكررة في هذه الامة من نظائر جميع اولئك الاعداد وتلك الاحوال والاثار حتى يسمع السامع جميع القران من اوله
الى خاتمته منطبقا على هذه الامة وائمتها هداتها وضلالها فحينئذ ينفتح لهم باب الفهم ويضيء له نور العلم ويتجه له حال الخشية ويرى في
اصناف هذه الامة ما سمع من احوال القرون الماضية وانه كما قيل في المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ثم اذا شهد انطباق القران
على كلية الامة فكان بذلك عالما ينفتح له باب ترق فيترقى سمعه الى ان يجد جميع كلية القران المنطبق على كلية الامة منطبقا على ذاته في احوال
نفسه وتقلباته وتصرفات افعاله وازدحام خواطره حتى يسمع القران منطبقا عليه فينتفع بسماع جميعه ويعتبر باي آية سمعها منه ۝
فيطلب موقعها في نفسه فيجدها بوجه ما رغبة كانت او رهبة تقريبا كانت او تبعيدا الى ارفع الغايات او الى انزل الدركات فيكون بذلك
عارفا هذا مقصود التنبيه في هذا الفصل جملة ولنتخذ لذلك مثالا يرشد لتفهم ذلك الانطباق على كلية الامة علما وعلى خصوص
ذات القارئ السامع عرفانا فاعلم ان اصول الاديان المزدوجة التي لم تترق الى ثبات حقائق المؤمنين فمن فوقهم من المحسنين
والموقنين التي حملتها تحت حياطة الملك والجزاء والمداينة الذين تروعهم رابعة الموت اولا ثم رابعة القيمة ثانيا الى ما يشتمل عليه
يوم الدين من احوال المواقف الخمسين التي كل موقف منها الف من السنين في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فعدد هذه الاديان سبعة
ما من دين منها الا ويوجد في صنف من اصناف هذه الامة ويجده المعتبر في نفسه في وقت ما بقلة او كثرة بدوام او خطرة بضعف
او شدة على اثر دين غالب او عن لمح عين زائل وهذه الاديان السبعة هي دين الذين امنوا من هذه الامة ولم يتحققوا بحقيقة
الايمان فيكونوا من المؤمنين الذين صار الايمان وصفا ثابتا في قلوبهم الموحدين المتبرئين من الحول والقوة المتحققين لمضاء اقدار
الله عليهم بما شاء لا بما يشاؤون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون اولئك هم
المؤمنون حقا واما الذين امنوا فهم الذين لا يثبتون على حال ايمانهم ولكن تارة وتارة ولذلك هم المنادون والمنهيون والمامورون
في جميع القران الذين يتكرر عليهم النداء في السورة الواحدة مرات عديدة من نحو ما بين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين الى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه الى ما بين ذلك من نحو قوله تعالى ان الذين امنوا ثم كفروا ثم
امنوا فهؤلاء هم اهل دين ثابت ينتظمون به مع من ليس له ثبات من ماضي الاديان المنتظمين مع من له اصل في الصحة من الاديان الثلثة
في نحو قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر المنتظمين ايضا مع المغيرين
لاديانهم والمفترين لدين لم ينزل الله به من سلطان في نحو قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا فهذا هو الدين الاول واما الدين الثاني فهو دين الذين هادوا الذين منهم الذين حملوا التورية ثم
لم يحملوها والذين ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه والذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله والذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله والذين ياكلون الربا وقد نهوا عنه والذين
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم واما الدين الثالث فدين الذين قالوا انا نصارى الذين منهم
الذين ضلوا عن سواء السبيل الذين غلوا في دينهم وقالوا على الله غير الحق واتخذوا رهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم واما
الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متالهوا النجوم عباد الشمس والقمر والكواكب ومغيروهم هم بالترتيب اول من عبد محسوسا
سماويا واما الدين الخامس فدين المجوس الثنوية الذين جعلوا الهين اثنين نورا وظلمة وعبدوا محسوسا افاقيا واما
الدين السادس فدين الذين اشركوا وهم الذين عبدوا محسوسا ارضيا غير مصور وهم الوثنية او مصورا وهم الصنمية فهذه الاديان
الستة الموفية لعد الست لما جاء فيه واما الدين السابع فاعلم ان الله سبحانه جعل السابع ابدا جامعا لستة خيرا كانت او شرا
فالدين السابع هو دين المنافقين الذين ظاهرهم مع الذين امنوا وباطنهم مع احد سائر الاديان الخمسة المذكورة الى ادنى دين شركها
الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم فهذه الاديان السبعة متكررة بكليتها في هذه الامة
نحو ما وقع قبل في الامم الماضية وهو مضمون الحديث الجامع لذكر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم لتاخذن كما اخذت الامم من قبلكم
ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو ان احدا من اولئك دخل في جحر الضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله كما صنعت
فارس والروم قال فهل الناس الا هم وما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث هو من مضمون قوله تعالى كالذين من
قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم
كالذي خاضوا واهل هذه الاديان السبعة هم او منهم عمرة دركات جهنم السبع على ترتيبهم والناجون بالكلية الفائزون
هم المؤمنون فمن فوقهم من المحسنين والموقنين ومزيد تفصيل في ذلك وتثنية قول بما نبه عليه بحول الله تعالى
من جهات تتبع طوائف من هذه الامة سنن من تقدمهم في ذلك اما وجه تكرار دين الذين اشركوا في هذه الامة فباتخاذهم
اصناما والهة يعبدونها من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون الاصنام والاوثان من الحجارة والخشب واتخذت

هذه الامة بوجه الطف واخفى اصناما واوثانا فانها اتخذت الدينار والدرهم اصناما والسبايك والنقرا وثانا
من حيث ان الصنم هو ما له صورة والوثن ما ليس له صورة قال صلى الله عليه وسلم صنم امتي الدينار والدرهم وقال
صلى الله عليه وسلم لكل امة عجل وعجل امتي الدينار والدرهم فلا فرق بين ظن المشرك ان الصنم الذي صنعه بيده ينفعه وظن
المفتونين من هذه الامة ان ما اكتسبوا من الدينار والدرهم ينفعهم حتى يشير مثلهم ما ينفعك الا درهمك يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم فما من آية نزلت في المشركين في ذكر احوالهم وتبيين ضلالهم وتفاصيل سرهم واعلانهم
الا وهي منطبقة على كل مفتون بديناره ودرهمه فموقع قول المشركين في اصنامهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى مثله موقع
نظيره من قول المفتون ما احب المال الا لاعمل الخير واستعين به على وجوه البر ولو اراد البر لكان ترك التكسب والتمول له ابر قال
صلى الله عليه وسلم انما اهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم فكل من احبها واعجب بجمعها فهو مشرك هذه الامة وهما لاته
وعزاه اللتان يبطلان عليه قول لا اله الا الله لانه تاله ماله قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله نجاة لعباد الله من عذاب الله ما لم
يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فمن وجد من هذا مسة فليسمع جميع ما انزل في المشركين من القران منطبقا عليه ومنزلا اليه وحاقا به
حتى يخلصه الله من خاص شركه كما خلص من اخرجه من الظلمات الى النور من الاولين فيخلص هذا المشرك بماله من ظلمته التي غشيت
ضعيف ايمانه الى صفاء نور الايمان في مضمون قوله تعالى ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور فهذا
وجه تفصيل يبين نحوا من تكرر دين الشرك في هذه الامة واما وجه وقوع المجوسية ونظيرها في هذه الامة فاطباق
الناس على رؤية الافعال من انفسهم خيرها وشرها واسنادهم افعال الله الى خلقه حيث استحكمت عقايدهم على ان فلانا فاعل
خير وفلانا فاعل شر وفلانا يعطي وفلانا يمنع وفلانا حرمني وفلانا اعطاني حتى ملأوا الدواوين من الاشعار والخطب والرسايل
امداحا لخلق الله على ما لم يفعلوا وذما لهم على ما لم يمنعوا يحمدون الخلق على رزق الله ويذمونهم على ما لم يؤته الله ويلحدون في اسمايه
حتى يكتب بعضهم لبعض سيدي وسندي واسني عددي عبدك ومملوكك يبطلون بذلك اخوة الايمان ويكفرون تسوية خلق
الرحمن ويدعون لانفسهم افعال الله فيقولون فعلنا وصنعنا واحسنا وعاقبنا كلمة نمرودية ان اتاهم الله ما لم يشعروا باختصاص
الله فيه بامره كالذي حاج ابرهيم في ربه ان اتاه الملك حين قال انا احيي واميت وهذه هي المجوسية الصرف والقدرية المحضة
التي لا يصح دين الاسلام معها لان المسلم من اسلم الخلق والامر لربه اسلمت وجهي لله ومن ابتغى الا له الخلق والامر وما سوى ذلك
قدرية هي مجوسية هذه الامة حيث جعلوا للعبد شركة في فعل الرب وجعلوا له معه تعالى قدرة وقوة ومشيئة واختيارا
وتدبيرا ولم يعلموا ان المقدور منع التدبير وانه تعالى هو يدبر الامر من السماء الى الارض قال صلى الله عليه وسلم القدرية
مجوس هذه الامة فكل ما انزل الله عز وجل في القران الجامع لذكر جميع الملل والاديان مما عزاه لمن وزع الافعال بين الحق
والخلق من كلام ذي فرعنة او نمرودية او ذي سلطان فللمعتقد المدح والذم حظ منه على حسب توغلهم واستغراقهم في
الذين زعموا انهم فيهم شركاء فخافوهم ورجوهم فكل خايف من الخلق او راج فيهم من عداد الذين امنوا والذين اسلموا في هذه الامة
فهم من مجوس هذه الامة فليسمع السامع من يقراوه من ذلك حجة عليه يسئل الله تعالى التخلص منها وليعلم ان ذلك لم يزل حجة عليه وان كان
لم يشعر به قبل فهذا وجه من وقوع المجوسية في هذه الامة واما وجه وقوع الصابئية ونظيرها في هذه الامة فما غلب على اكثرهم
وخصوصا ملوكها وسلاطينها وذووا الرياسة منها من النظر في النجوم والعمل بحسب ما تظهره هيئتها عندهم من سعد ونحس والاستمطار بالنجوم
والاعتماد على الانواء واقبال القلب على الاثار الفلكية قضاء بها وحكما بحسب ما جرى عليه النحليون الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون من العناية بها قال صلى الله عليه وسلم اربعة من امتي هن بهم كفر وليسوا بتاركيهن فذكر منها الاستمطار
بالنجوم فالمتعلق خوفهم ورجاؤهم بالاثار الفلكية هم صابئة هذه الامة كما ان المتعلق خوفهم ورجاؤهم بانفسهم وغيرهم من الخلق
هم مجوس هذه الامة وكما ان المتعلق خوفهم ورجاؤهم بدرهمهم ودينارهم هم مشركوا هذه الامة وما انطوى عليه سر كل طايفة منهم مما
تعلق به خوفهم ورجاؤهم فهو ربهم ومعبودهم الذي اليه تصرف جميع اعمالهم واسم كل امرئ مكتوب على وجه ما اطمأن به قلبه
فكل ما انزل في القران من تزييف اراء الصابئة فهو حجة عليه حيث يقراوه او يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرا قوم القران وهو نذير لهم
بين يدي عذاب شديد وهم لا يشعرون ويحسبون انهم يرجمون به وهم به الاخسرون ولا يزيد الظالمين الا خسارا فمما يختص بهذه
الطايفة المتصبئة ما هو نحو قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين الايات في ذكر الكوكب والقمر
والشمس الى ايات ذكر التسخير لهن نحو قوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره وسخر لكم الشمس والقمر دايبين هو الذي جعل لكم الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وانه هو رب الشعرى كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق ورجاءهم عن الافلاك والنجوم
المسخرة الى المسخر القاهر فوق عباده الذي استوى على جميعها فهذا وجه من وقوع الصابئية في الذين امنوا والذين اسلموا
في هذه الامة واما وجه وقوع ما غلب على وجه هذه الامة وكثر فيها وفشا في اعمالها واحوالها من تمادي طوايف
منهم على نظير ما كان عليه اليهود والنصارى في اختلافهم وغلبة احوال ملوكهم وسلاطينهم على احوال انبيائهم وعلمائهم واوليائهم
فهو الذي حذرته هذه الامة واشعر اولوا الفهم بوقوعه فيهم بنحو ما في مضمون قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
من بعد ما جاءهم البينات وما انبا به صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب لاتبعتموهم وفي بعض طرقه حتى لو كان فيهم من اتى امه جهارا لكان فيكم ذلك قلنا يرسول الله اليهود والنصارى قال فمن

وانما قوي وكثر في هذه الامة حال هاتين الملتين لما اتاهما الله من الكتاب والعلم والحكمة فاختلفوا فيها بالاغراض والاهواء وايثار عرض الدنيا
وسامحوا الملوك والولاة وحللوا لهم ما حرم الله وحرموا لهم ما حلل الله وتوصلوا بهم الى اغراضهم في الاعتداء على من حسدوه من اهل الصدق
والتقوم وكثر البغي بينهم فاستقر حالهم على مثل حالهم وسلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم وتمادى ذلك فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكا الى ان تضع
الحرب اوزارها وتصير الملل كلها ملة واحدة ويرجع الافتراق الى الفة التوحيد فكل من اقتطع واقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر
والباطن حظا مختصا من ظاهر او باطن ولم يجمع بينهما في علمه وحاله وعرفانه فهو لما لزم الظاهر الشرعي دون حقيقة باطنه من يهود هذه الامة
كالمقيمين لظواهر الاحوال الظاهرة التي بها تستمر الدنيا على حسب ما يرضي ملوك الوقت وسلاطينهم المضيعين لاعمال السراير المنكرين
لاحوال اهل الحقايق الشاهد عليهم تعلق خوفهم ورجايهم باهل الدنيا المؤثرين لعرض هذا الادنى فبهذا ظهرت احوال اليهود في هذه الامة مر
الاعراب مع النبي صلى الله عليه وسلم بسدرة خضراء نضرة وكان لاهل الجاهلية سدرة يعظمونها ويجتمعون عندها وينيطون بها اسلحتهم ويسمونها
ذات انواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا هذه السدرة ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال صلى الله عليه وسلم قلتموها ورب الكعبة كما قالت
بنوا اسرايل اجعل لنا الها كما لهم الهة انها السنن فحيث ظهرت احداث اليهود من البغي والحسد وتعظيم ما ظهر تعظيمه من حيث الدنيا واستحقار
ضعفاء المومنين فهنالك اعلام اليهودية ظاهرية وكذلك ايضا من اقتصر من هذه الشريعة الجامعة المحمدية على باطن من اصلاح حال او قلب
مع تضييع ظاهر الامر ومجامع الخير وتعاضد الاسلام واكتفى بما استبطن وتهاون بما استظهر فهو من نصارى هذه الامة ليس بصاحب فرقان
فكيف ان يكون صاحب قرآن وذلك ان هذا الدين الجامع انما يقوم بمعالم اسلام ظاهرة وشعاير ايمان في القلوب واحوال نفس باطنة وحقايق
احسان شهودية لا يشهد المحسن مع الله سواه ولا يؤمن المومن مع الله بغيره ولا يخضع المسلم الى شي من دونه فبذلك يتم وقد التزم
بمعالم الاسلام طوايف يسمون المتفقه والتزم بشعاير الايمان طوايف يسمون الاصوليين والمتكلمين وترامى الى الاحسان طوايف تسمى
المتصوفة فمتى كان المتفقه منكر الصدق احوال الصوفية لما لعله يراه من خلل في احوال المتصوفة فقد تسنن بسنن اليهودية ومتى
كان المتصوف غير مجل للفقها لما لعله يراه من خلل في احوال المتفقهة فقد تسنن بسنن النصارى وكذلك حال المتكلم بين الفرقتين
لانهما مال وانما ايمة الدين الذين جمع الله لهم اقامة معالم الاسلام وايمان اهل الايمان وشهود اهل الاحسان تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله فتاتم بهم الصوفية وتظهر انوار قلوبهم على ظلم المتشابهات فياتم بهم اهل الايمان وتبدو في اعمالهم معالم الاسلام
تامة فياتم بهم اهل الاسلام عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما افضل الناس مومن في خلق
حسن وشر الناس كافر في خلق سيئ فاولوا الفرقان جامعون ومستبصرون فمن اقتصر على ظاهر وانكر باطنا لزمته مذام اليهود
فيما انزل من القرآن فيهم بحسب توغله او اقتصاره ومن اقتصر على باطن دون ظاهر لزمته مذام النصارى فيما انزل من القرآن فيهم يذكر
ان رجلا من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها دلني على موضع طاهر اصلي فيه فقال الراهب طهر قلبك مما سواه وقم حيث شئت
قال ذلك الصالح المسلم فخجلت منه فاعلم ان كل واحد من هذين الحالين ليس حال صاحب فرقان ولا حال صاحب قرآن لان صاحب القرآن
لا يخجل لهذا القول لانه حاله وقلبه مطهر مما سوى الله ومع ذلك لا بد ان ينظف ظاهره لان الله سبحانه كما انه الباطن فيحب صفاء البواطن
فانه الظاهر يحب صلاح الظواهر فصاحب القرآن اذا دعي الى صفاء باطن اجاب ولم يتلعثم واذا دعي الى صلاح ظاهر اجاب ولم يتلكا لقيامه
بالفرقان وحق القرآن يذكر ان مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال
له صبي يا شيخ قم فاركع فقام وركع ولم يحاجه بما يراه مذهبا فقيل له في ذلك فقال خشيت ان اكون من الذين اذا قيل لهم اركعوا لا
يركعون ووقف النبي صلى الله عليه وسلم على سقاية زمزم وقد صنع العباس رضي الله عنه احواضا من شراب فضيخ التمر والمسلمون
يردون عليه وقد خاضوا فيه بايديهم فاهوى النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من شرابهم فقال له العباس رضي الله عنه يا رسول الله
الا نسقيك من شراب لنا في اسقيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشرب من هذا التمس بركة ايدي المسلمين فشرب منه صلى الله عليه وسلم
فصاحب القرآن يعبد الله تبارك وتعالى بقلبه وجسمه لا يقتصر على ظاهر دون باطن ولا على باطن دون ظاهر ولا على اول دون
آخر ولا على آخر دون اول قال صلى الله عليه وسلم امتي كالمطر لا يدري اوله خير ام آخره فمن حق القاري ان يعتبر القرآن في نفسه
ويلحظ مواضع مذامه للفرق ويزن به احوال نفسه من هذه الاديان الستة في هذه الامة واما وجه وقوع النفاق واحوال
المنافقين فهي داهية القراء وآفة الخليقة قال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي امتي قراوها وقال بعض كبار التابعين ادركت
سبعين ممن راى النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه واصل مداخله على الخلق من ايثار حرمة الخلق على حرمة
الحق جهلا بالله عز وجل واغترارا بالناس فيلتزم لذلك محاسنه اولي البر والصدق ظاهرا وتكرههم بقلبه باطنا وتتبع ذلك من
الذبذبة بين الحالين ما وصف الله تعالى من احوالهم وما نبه النبي صلى الله عليه وسلم من علاماتهم حتى قال صلى الله عليه وسلم
بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وكما قال تبارك وتعالى لا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم
كارهون ينظر المنافق الى ما يستسقط به فضايل اهل الفضل ويتعامى عن محاسنهم كما روي ان الله يبغض التارك لحسنة المومن الآخذ
لسيئته والمومن الصادق يتغافل عن مساوي اهل المساوي فكيف بمعايب اهل المحاسن ومن اظهر علامات المنافق تبرمه باعمال
الصادق كما ذكر من كان مومن فيما مضى ولا مومن فيما بقي الا والى جنبه منافق يكره عمله وعن ذلك المنافق غماز لما زنجيل جبان مرتاع
مستثقل في مجامع الخير اجنبي منها مستخف في مواطن الشر متقدم فيها طلق اللسان بالغيبة والبهتان ثقيل اللسان عن مداومة ذكر
الله تبارك وتعالى عم عن الله عز وجل في كل حال ناظر الى الناس بكل وجه وهو مع ذلك يصانعهم ولا يصادقهم ياخذ من الدين ما
ينفع في الدنيا ولا ياخذ ما ينفع في العقبى ويجتنب في الدين ما يضر في الدنيا ولا يجتنب ما يضر في العقبى مما لا يضر في الدنيا فهذا وجه

من وقوع شياع النفاق في هذه الامة فلذلك من حق القاري ان يستشعر مواقع آي القران من نفسه في ذات قلبه وفي احوال نفسه واعمال
بدنه وفي سره مع ربه وفي علانيته مع خلقه فانه بذلك يجد القران كله منطبقا عليه خاصا به حتى كان جميعه لم ينزل الا اليه حتى اذا
رغب في امر رغب هو فيه من وجه ولا يقول هذا انما انزل في كذا واذا رهب القرآن من امر رهبه من وجه ما واذا اعلى فكذلك واذا
اسفل فكذلك ولا يقول هذا انما انزل في كذا حتى يجد لكل القران موضعا في عمله اي عمل كان ومحلا في نفسه اي حال كان ومشعرا لقلبه اي ملحظ
كان فيسمع القرآن بلاغا من الله سبحانه وتعالى اليه بلا واسطة بينه وبينه فعند ذلك يوشك ان يكون ممن يقشعر له جلده ابتداء ثم يلين
له جلده وقلبه انتهاء وربما يجد من الله سبحانه وتعالى نفح رحمة يفتح له بابا الى التخلق بالقرآن اسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم سئلت
عايشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وبذلك هو ذو الخلق العظيم والله واسع عليم
انتهى ولما قرر سبحانه بهذه الآية تشابههم في التمتع بالعاجل وختمها بهذا الختام المؤذن بالانتقام اتبع ذلك بتخويفهم من مشابهتهم
فيما حل بطوايف منهم ملتفتا الى مقام الغيبة لانه اوقع في الهيبة فقال مقررا لخسارتهم الم ياتهم اي هولاء الاخابث من اهل النفاق نبا
الذين من قبلهم اي خبرهم العظيم الذي هو جدير بالبحث عنه ليعمل بما يقتضيه حين عصوا رسلنا ثم ابدل من ذلك قوله قوم نوح اي في طول
اعمارهم وامتداد اثارهم وطيب قرارهم بحسن التمتع في ارضهم وديارهم اهلكهم بالطوفان لم يبق من عصاتهم انسان وعطف على قوم القبيلة
فقال وعاد اي في قوة ابدانهم وعظيم شانهم ومصانعهم وبنيانهم وتجبرهم في عظيم سلطانهم اهلكهم بالريح الصرصر لم يبق ممن كفر منهم
بشر وثمود اي في تمكنهم من بلاد الحجر عرضها وطولها جبالها وسهولها اهلكوا بالرجفة لم يبق من الكفار منهم ديار وقوم ابرهيم اي في
ملك جميع الارض بطولها والعرض سلب الله منهم الملك بعد شديد الهلك واصحاب مدين اي في جميع الاموال ومد الآمال الى اخذها
من حرام وحلال ونقص الميزان والمكيال فعمهم الله بالنكال ولما حصل لمدائن قوم لوط من العذاب ما حصل لهم بالخسف والقلب
والغمر بالماء الخبيث عطفها بدون ذكر الاصحاب فقال والموتفكات اي في اعراضهم عن صيانة اعراضهم في اتباع لذايذ اغراضهم فاثمر
لهم فعلهم بعد الخسف عموم انقراضهم ولما كان كانه قيل ما بناؤهم قال اتتهم اي جميع المذكورين رسلهم اي اتى كل امة منهم رسولها
بالبينات اي بالمعجزات الواضحات جدا بسبب انهم ارتكبوا من القبايح ما اوجب دمارهم فما اي فتسبب عن ذلك انه ما كان الله اي مع ما
له من صفات الكمال مريدا ليظلمهم اي لان يفعل بهم في الاهلاك قبل الانذار واثارة البينات فعل من تعدونه فيما بينكم ظالما ولكنه
ارسل اليكم الرسل فكذبوا ما اتوهم به من البينات فصار العالم بحالهم اذا سمع بهلاكهم وزوالهم يقول ما ظلمهم الله ولكن كانوا اي
دايما في طول اعمارهم انفسهم اي لا غيرها يظلمون اي بفعل ما سبب هلاكها فان لم ترجعوا انتم فنحن نحذركم مثل عذابهم ولعله خص
هولاء بالذكر من بين بقية الامم لما عند العرب من اخبارهم وقرب ديارهم من ديارهم مع انهم كانوا اكثر الامم عددا وانبياؤهم اعظم
الانبياء نبه على ذلك ابو حيان ولعله قدم اصحاب مدين على قوم لوط وهم بعدهم في الزمان لان هذا في شان من وصفوا بانهم
لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم من ملجا او مغارات او مدخل كما ان من قبل الموتفكات جمعهم هذا
الوصف فقوم نوح عليه السلام لم يمنعهم لما اتاهم الماء معقل منيع ولا جبل رفيع مع انه يقال انهم هم الذين بنوا الاهرامات منها ما
هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذي هددوا به ان كان ماء ومنها ما هو بالطوب النيء ليحميهم منه ان كان نارا وعاد لما اتتهم الريح
بادروا الى البيوت فقلعت الابواب وصرعتهم في اجواف بيوتهم ولم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المتقنة والقصور المشيدة
والحصون الممنعة وحال ثمود معروف في توسعهم في البيوت جبالا وسهولا فما منعتهم من الصيحة التي اعقبت الرجفة وقوم ابرهيم
عليه السلام بنوا الصرح ارتفاعه خمسة الاف ذراع او فرسخان ليتوصل به نمرود زعم الى السماء فاتى الله بنيانهم من القواعد القت
الريح راسه في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون واصحاب مدين لما اتاهم العذاب فاخذتهم
الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم وان كانوا هم اصحاب الايكة فانهم لما اشتد عليهم الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها
احر من وجه الارض فخرجوا منها هاربين فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خيلته اليهم ولبست به عليهم فلما اجتمعوا تحتها احرقتهم نارها
وبقي عليهم عارها واما قوم لوط فاتاهم الامر بغتة لم يشعروا حتى قلبت مدائنهم بعد ان رفعت الى عنان السماء واتبعت حجارة الكبريت
تضطرم نارا ولعله خص قوم لوط بالذكر من بين من ليس له هذا الوصف لان العرب كانوا يمرون على مواضع مدائنهم ويشاهدونها
وعبر عنهم بالموتفكات لان القصص للمنافقين الذين مبنى امرهم على الكذب وصرف الامور عن ظواهرها وتقليبها عن وجوهها فالمعنى
ان اولئك لما قلبوا فعل النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مدائنهم فهولاء جديرون بمثل هذه العقوبة لقلب القول عن وجهه
ومادة افك بكل ترتيب تدور على القلب فاذا كافات الرجل فكانك قلبت فعله فرددته اليه وصرفته عنك واكاف الدابة
شبه بالاناء المقلوب والكذب صرف الكلام عن وجهه فهو افك لذلك والله اعلم ولما بين سبحانه ان المنافقين بعضهم من بعض
وما توعدهم به وما استتبعه من تهديدهم باهلاك من شابهوه وختم بما سبب هلاكهم من اصرارهم وعدم اعتبارهم عطف
ببيان حال المومنين ترغيبا في التوبة طمعا في مثل حالهم فقال والمومنون والمومنات اي بما جاءهم عن ربهم بعضهم اولياء
ولم يقل كما قال في المنافقين من بعض دلالة على ان احدا منهم لم يقلد احدا في اصل الايمان ولا وافقه بحكم الهوى بل هم كلهم مصونون
بالذات وبالقصد الاول الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدليل القطعي على حسب فهم كل واحد منهم فذلك دليل على صحة ايمانهم
ورسوخهم في تسليمهم واذعانهم ثم بين ولايتهم بانهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له ساير
الجسد بالحمى والسهر فقال يامرون اي كلهم على وجه التعاضد والتناصر بالمعروف وهو كل ما عرفه الشرع واجازه وينهون كذلك
عن المنكر لا يحابون احدا ولما ذكر الدليل القطعي على صحة الايمان اتبعه افضل العبادات فقال ويقيمون الصلوة اي يوجدونها

مادة افك

على صفة تقتضي قيامها بجميع اركانها وشروطها وحدودها مراقبة لربهم واستعانة بذلك على جميع ما يتوبهم ويؤتون الزكاة اي
مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلايق بعد خدمة الخالق وذلك موازٍ لقوله في المنافقين ويقبضون ايديهم ولما خص امهات الدين عم
بيانا لانهم لا يلسون الله طرفة عين بل يذكرونه في كل حال بقوله ويطيعون الله اي الملك الاعظم الذي لا ملك سواه ورسوله اشارة
الى حسن سيرتهم وجميل عشرتهم ولما ذكر مكارم افعالهم اتبعه حسن مآلهم فقال اولئك اي العظماء الشان سيرحمهم الله اي المستجمع
لصفات الكمال بوعد لا خلف فيه وهذا مع الجملة قبله موازٍ لقوله في المنافقين نسوا الله فنسيهم وهو اشارة الى ان الطريق وعر والامر
شديد عسر فالساير مضطر الى الرحمة وهي المعاملة بعد الغفران بالاكرام لا قدرة له على قطع مفاوز الطريق الا بها ولا وصول له اصلا
الا بسببها ولما بين ان حال المومنين مبني على الموالاة وكانت الموالاة فقيرة الى الاعانة قال ان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة
عزيز اي غالب غير مغلوب بوجه فهو قادر على نصر من يوالي حزبه وان ينيله من ثمرات الرحمة ما يريد من غير ان يقدر احد على ان يحول
بينه وبين شي من ذلك حكيم اي فلا يقدر احد على نقض ما يحكمه وحل ما يبرمه وفي ذلك اشارة الى ان المومنين لا يزالون منصورين
على كل مفسد ما داموا على هذه الخلال من الموالاة وما معها من جيد الخصال ولما ختم الاية بوصف العزة والحكمة المناسب لافتتاحها
بالموالاة وتعقيبها باية الجهاد وذلك بعد الوعد بالرحمة اجمالا اتبعها بما هو اشد التئاما بها بيانا للرحمة وتفصيلا لها ترغيبا للمومنين
بالانعام عليهم بكل ما رامه المنافقون بنفاقهم في الحيوة الدنيا وزادهم بانه دايم واخبر بان ذلك هو الفوز لا غيره فقال وعد الله اي
الصادق الوعد الذي له الكمال كله المومنين والمومنات اي الراسخين في التصديق بكل ما اتاهم به الرسول صلى الله عليه وسلم جنات تجري
من تحتها الانهار اي فهي لا تزال خضرة ذات بهجة نضرة ولما كان النعيم لا يكمل الا بالدوام قال خالدين فيها ولما كانت الجنان لا تروق الا
بالمنازل والدور الفسيحة والمعازل قال ومساكن طيبة ولما كان بعض الجنان اعلى من بعض وكان اعلاها ما شرف بوصف العدنية
الموذن بالقرب مع بنائه مما يوكد معنى الدوام قال في جنات عدن اي اقامة دائمة وهناء وصحة جسم وطيب مقر وموطن ومنبت
وذلك كما قال في حق اضدادهم عذاب مقيم وما انسب ذكر هذه الجنة في سياق التعبير بالوصف الموذن بالرسوخ فانه ورد في الحديث
انها خاصة بالنبيين والصديقين والشهداء ولما كان ذلك لا يصفوا عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال مبتديا اشارة الى انهي
التعظيم ورضوان اي رضى لا يبلغه وصف واصف بما تشير اليه صيغة المبالغة ولو كان على ادنى الوجوه بما افاده التنوين من الله
اي الذي لا اعظم منه عنهم اكبر اي مطلقا فهو اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز ولا يقع السرور الذي هو اعظم النعيم الا برضى
السيد واذا كان القليل منه اكبر فما ظنك بالكثير ولما تم ذلك على احسن مقابلة بما وصف به اضدادهم قال يصفه زيادة في الترغيب
فيه ذلك اي الامر العالي الرتبة هو اي خاصة لا غيره الفوز العظيم اي الذي يستصغر دونه كل شي من امور الدنيا والاخرة وفي كون ذلك
وعدا لمن اتصف لاجل ما اتصف به ترغيب في الجهاد المامور به بعدها لكونه من افراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والداعي
الاعظم الى الموالاة ولما ثبتت موالاة المومنين ومقاطعتهم للمنافقين والكافرين وكان ما مضى من الترغيب والترهيب كافيا في الانابة
وكان من لم يرجع بذلك عظيم الطغيان عريقا في الكفران اتبع ذلك الامر بجهادهم بما يليق بعنادهم فقال آمرا لاعظم المتصفين بالاوصاف
المذكورة مفخما لمقداره باجل افراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يا ايها النبي اي العالي المقدار بما لا يزال يتجدد له منا من الانباء
وفينا من المعارف ولما كان الجهاد اعرف في المصارحين وكانوا اولى به لشدة شكايمهم وقوة نفوسهم وعزايمهم بدا بهم فقال جاهد الكفار
اي المجاهرين والمنافقين اي المساترين كلا بما يليق به من السيف واللسان ولما كان صلى الله عليه وسلم مطبوعا على الرفق موصى به
قال تعالى واغلظ عليهم اي في الجهادين ولا تعاملهم بمثل ما عاملتهم به من اللين عند استيذانهم في القعود وهذا بخلاف ما مضى في وعيد
المنافقين حيث قدمهم فقال المنافقين والمنافقات والكفار فقدم في كل سياق الاليق به ولما كان المعنى فانك ظاهر عليهم وقاهر
لهم وهم طعام السيف وطوع العصى عطف عليه قوله وماواهم اي في الآخرة جهنم وبئس المصير ولما اتى بالدليل العام على اجرامهم
اتبعه الدليل الخاص عليه وهو ايضا دليل على الدليل فقال يحلفون بالله اي الملك الاعلى الذي لا شي اعظم قدرا منه ما قالوا اي ما وقع
منهم قول فقصر الفعل تعميما للمفعول اعلاما بانهم مهما عنفوا على قول كاينا ما كان بادروا الى الحلف على نفيه كذبا لانهم مردوا
على النفاق فتطبعوا بالكذب ومرنوا على سيئ الاخلاق فصار حاصل هذا انهم اطمعوا في العفو وحذروا من عذاب الباقين بسبب
اجرامهم لانهم يامرون بالمنكر وما يلايمه مقتفين اثار من قبلهم في الانهماك في الشهوات غير مقلعين خوفا من الله ان يصيبهم بمثل ما
اصابهم ولا رجاء له ان ينيلهم مما اعد للمومنين مجترئين على الايمان الباطلة باعظم الحلف على اي شي فرض سوا كان يستحق اليمين او لا
غير خايفين من الله ان يهتكهم كما هتك غيرهم ممن فعل مثل افعالهم ثم دل على عظيم اجرامهم وما تضمنه قوله المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض الاية من كباير اثامهم ويجوز ان تكون هذه الاية واقعة موقع التعليل للاية التي قبلها بانهم يقدمون على ما
يستحقون به الجهاد والغلظة والنار من الحلف كذبا على نفي كل ما ينقل عنهم استخفافا بالله وباسمايه اتخذوا ايمانهم جنة
فتكون جوابا لمن كانه قال اما جهاد الكفار فالامر فيه واضح واما المنافقون فكيف يجاهدون وهم يتكلمون بلفظ الايمان ويظهرون
افعال اهل الاسلام فقال لانهم يحلفون ولقد اي والحال انهم كاذبون لقد قالوا كلمة الكفر اي الذي لا اكبر في الكفر منه وهي
تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا السياق لصنف يجددون الاستخفاف بالله تعالى بما دل عليه المضارع كل وقت
دل على ان اقرارهم بالايمان كذب وافعالهم صور لا حقايق لها فعبر بالاسلام فقال وكفروا اي اظهروا الكفر بعد اسلامهم
اي بما ظهر من افعالهم واقوالهم وذلك غاية الفجور ولما كان اعلى شغف الانسان بشي ان تحدثه نفسه فيه بما لا يصل اليه فيكون
ذلك ضربا من الهوس قال وهموا بما لم ينالوا اي من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم او اخراجه من المدينة فجمعوا بين انواع الكفر القول

والفعل

والفعل والاعتقاد ويجوز ان يكون حالا من الضمير في ماواهم والتقدير على هذا يدخلون جهنم حالفين بالله ما قالوا كلمة
الكفر ولقد قالوها فيكون كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ولما بين من احوالهم التي لا يحمل على فعلها
الا امر عظيم قال وما اي قالوا وفعلوا والحال انهم ما نقموا اي كرهوا شيا من الاشيا التي اتتهم من الله الا ان اغناهم الله اي الذي
له جميع صفات الكمال وهو غني عن العالمين ورسوله اي الذي هو احق الخلق بان يجوز عظمة الاضافة اليه سبحانه وكان اذاهم
هذا للنبي صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله مع اعطايه لهم ما اغناهم بخلاف الاية السابقة فكان الاقعد في ذمهم تاخير قوله من فضله
فهو من باب ولا عيب فيهم ولما نبه على ان هذه المساوي قابلوا بها المحسن اليهم رغبهم بانه قابل المتاب عليهم ورهبهم بانه لا مرد لما
يريد من العذاب بقوله فان يتوبوا ولما كان المقام جديرا بان يشتد تشوف السامع الى معرفة حالهم فيه حذف نون الكون اختصارا
تنبيها على ذلك فقال يك اي ذلك خيرا لهم من اصرارهم ولما كان للنفوس من اصل الفطرة الاولى داعية شديدة الى المتاب وكان
القرآن في وعظه زاجرا مقبول العتاب عظيم الاخذ بالقلوب والعطف للالباب اشار الى ذلك بصيغة التفعل فقال وان يتوبوا
اي يكلفوا انفسهم الاعراض عن المتاب يعذبهم الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما بحوله وقوته عذابا اليما اي لا صبر لهم عليه في
الدنيا اي بما هم فيه من الخوف والخزي والكلف وغيرها والاخرة اي بالعذاب الاكبر الذي لا خلاص لهم منه وما لهم في الارض اي
التي لا يعرفون غيرها بسفول هممهم من ولي اي يتولى امورهم فيصلح ما افسد العذاب منهم او يشفع لهم ولا نصير ينقذهم واما السما
فهم اقل من ان يطمعوا منها بشي ناصر او غيره واغلظ اكبادا من ان ترتقي فكرهم الى ما لها من العجايب وما بها من الجنود وسبب نزول
الاية على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا في ظل حجرة فقال سياتكم انسان ينظر اليكم بعيني
شيطان فاذا جا فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك
فانطلق الرجل فجا باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله الاية وقال الكلبي نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال جلاس ان كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير
فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب علي يا رسول الله
فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب
علي عامر وقام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر رضي الله عنه يديه الى السما فقال
اللهم انزل على نبيك الصادق منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون امين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه
الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك اي التوب خيرا لهم فقام الجلاس فقال يرسول الله اسمع الله قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس
فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته ولا مانع
من ان يكون كل ذلك سببا لها كما تقدم ويأتي والا وفق لها في السببية الخبر الاول للتعبير في الكفر بال المؤذنة بالكمال ومن شتم
نبينا صلى الله عليه وسلم فقد ارتكب كل كفر وفي الاية دليل على قبول توبة الزنديق المسر الكفر المظهر الايمان كما قاله ابو حيان
وقال وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي رحمهما الله وقال مالك لا يقبل فان جا ثانيا من قبل نفسه من قبل ان يعثر عليه قبلت توبته
ولما اقام سبحانه الدليل على ان ما ذكر بهذه الاية التي ختمها بانه اغناهم من فضله اتبعها باقامة الدليل عليها وعلى انهم يقبضون
ايديهم وعلى اجترايهم على اقبح الكذب فقال ومنهم من عاهد الله اي الذي لا اعظم منه لين اتانا اي من غير ما عنده فاعترف بانه لا حق لاحد
عليه بقوله من فضله اي باي طريق كان من تجارة او غنيمة او زراعة او غيرها واكد لانه كاذب فظن ان الناس يكذبونه وهكذا
كل كاذب فقال ليصدقن اي مما اتانا من غير ريا بما يشير اليه الادغام ولنكونن اي كونا هو الدال على انا مجبولون على الخير من الصالحين
اي لكل خير نندب اليه فلما اتاهم وكرر قوله من فضله تقريرا لما قاله المعاهد تاكيدا للاعلام بانه لا حق عليه لاحد ولا صنع
فيما ينعم به ولا قدرة عليه بوجه بخلوا به اي كذبوا فيما عاهدوا عليه واكدوه غاية التاكيد فلم يتصدقوا بل منعوا الحق
الواجب اظهاره فضلا عن صدقه السر وتولوا اي كلفوا انفسهم الاعراض عن الطاعة لمن تفضل عليهم مع معرفتهم بقبح نقض العهد
ولما كان التولي قد يحمل على ما بالجسد فقط قال وهم معرضون اي بقلوبهم والاعراض وصف لهم لازم لم يتجدد لهم بل كان
غريزة فيهم ونحن عالمون بها من حين اوقعوا العهد قال ابو حيان قال الضحاك هم نبتل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير
وثعلبة بن حاطب وفيهم نزلت الاية انتهى وحسن تعقيبها بها ايضا ان في الاولى كفران نعمة الغني من غير عهد وفي هذه كفرانها مع
العهد فهو ترق من الادنى الى الاعلى ودل على عظيم شان العهد بتعظيم الجزا على خيانته بقوله فاعقبهم اي الله او التمادي على البخل
جزاء على ذلك نفاقا متمكنا في قلوبهم اي بان لا يزالوا يقولون ما لا يفعلون الى يوم يلقونه اي بالموت عند فوت الفوت
بما اخلفوا الله اي وهو الملك الاعظم ما وعدوه لان الجزا من جنس العمل ولما كان اخلاف الوعد شديد القباحة فكان مرتكبه
غير متحاش من مطلق الكذب قال وبما كانوا يكذبون اي يجددون الكذب دايما مع الوعد ومنفكا عنه فقد استكملوا النفاق
عاهدوا فغدروا ووعدوا فاخلفوا وحدثوا فكذبوا ولما كانت المعاهدة سببا للاغنا في الظاهر وكان ذلك ربما كان
مظنة لان يتوهم من لا علم له ان ذلك لخفا امر البواطن عليه سبحانه وكان الحكم هنا واردا على القلب بالنفاق الذي هو اقبح الاخلاق
مع عدم القدرة لصاحبه على التخلص منه كان ذلك ادل دليل على انه تعالى اعلم بما في كل قلب من صاحب ذلك القلب فعقب ذلك
بالانكار على من لا يعلم ذلك والتوبيخ له والتقريع فقال الم يعلموا ان الله اي الذي له صفات الكمال يعلم سرهم وهو ما اخفته
صدورهم ونجواهم اي ما فاوض فيه بعضهم بعضا لا يخفى عليه شي منه وان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة علام الغيوب اي كلها

الم يعلموا انه تعالى لا يخادع لعلمه بالعواقب فيخشوا عاقبته فيوفوا بعهده وفايدة الاعطاء مع علمه بالخيانة اقامة الحجة قال ابو
حيان وقرا علي وابو عبد الرحمن والحسن الم تعلموا بالتاء وهو خطاب للمومنين على سبيل التقرير انتهى وفايدة الالتفات الاشارة الى ان
هذا العلم انما ينفع من هيئ للايمان ولما اخبر تعالى انه لم يكفهم كفران نعمة الغنى من غير معاهدة حتى ارتكبوا الكفران بمنع الواجب
مع المعاهدة اخبر انهم لم يكفهم ايضا ذلك حتى تعدوه الى عيب الكرماء الباذلين بصفة حبهم لربهم ما لم يوجبه عليهم فقال تعالى معبرا
بصيغة تصلح لجميع ما مضى من اقسامهم افهاما لانهم كلهم كانوا متخلفين بذلك وان لم يقله الا بعضهم الذين يلمزون اي يعيبون في خفا
المطوعين اي الذين ليس لهم واجب في اموالهم فهم يتصدقون ويحبون اخفا صدقاتهم بما يشير اليه الادغام من المومنين اي الراسخين
في الايمان في الصدقات ولما كان ما مضى شاملا للموسر والمعسر نص على المعسر لزيادة فضله واشارة الى ان الحث على قليل الخير كالحث
على كثيره فقال عاطفا على المطوعين والذين لا يجدون اي من المال الا جهدهم اي طاقتهم التي اجهدوا انفسهم فيها حتى بلغوها ولما
كان اللمز هو العيب وهو ينظر الى الخفا كالغمز ومادته بكل ترتيب تدور على اللزوم والمعنى يلمزون المطوعين عيبا ولا يظهرون ذلك
لكل احد وانما يتخافتون به فيما بينهم وهو يرجع الى الهزء والسخرية سبب عنه قوله فيسخرون منهم ولما كان لا شي اعظم للشخص من
ان يتولى العظيم الانتقام له من ظالمه قال سخر الله اي وهو الذي له الامر كله ولا امر لغيره منهم اي جازاهم على فعلهم باهل حزبه
وزادهم قوله ولهم عذاب اليم اي بما كانوا يولمون القلوب من ذلك واذا حوققوا عليه دفعوا عن انفسهم ما يردعهم عنه بالايمان
الكاذبة روى البخاري في التفسير عن ابي مسعود رضي الله عنه قال لما امرنا بالصدقة كنا نتحامل فجا ابو عقيل بنصف صاع وجا
انسان باكثر منه فقال المنافقون ان الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الاخر الا رياء فنزلت الذين يلمزون الاية ولما كان صلى الله
عليه وسلم معروفا بكثرة الاحتمال وشدة اللين المشير اليه عفا الله عنك لم اذنت لهم للمبالغة في استجلابهم والحرص على نجاة جميع
الخلق فكان معروفا بالاستغفار لهم تارة على وجه الخصوص بسوالهم عند اعتذارهم وحلفهم وتارة على وجه العموم عند استغفاره لجميع
المسلمين اخبره تعالى من عاقبة امره بما يزهده فيهم ليعرض عنهم اصلا وراسا لانهم تجاوزوا حق الله في ترك الجهاد ومنع الصدقة وحمله
صلى الله عليه وسلم في لمزه في الصدقات ووصفه بما يجل عنه الى حقوق المجاهدين الذين هو سبحانه خليفتهم في انفسهم واهليهم
واموالهم مع ما سبق في علمه للمنافقين من انه لا يغفر لهم فقال تعالى استغفر اي اطلب الغفران لهم او لا تستغفر لهم اي استوى
في امرهم استغفارك لهم وتركه ان تستغفر اي تسال الغفران لهم سبعين مرة اي على سبيل الحقيقة او المبالغة ولما كان الاخبار
باستوا الامرين الاستغفار وتركه ربما كان مسببا عن الغفران وبما كان مسببا عن الخسران عينه في هذا الثاني فقال فلن يغفر الله
اي الذي قضى بشقايهم وهو الذي لا يرد امره لهم وهو يحتمل ان يكون جوابا للامر وجواب الشرط محذوف لدلالته عليه والمراد
بالسبعين على ما ظهر في المثال المبالغة في انه لا يغفر لهم لشي من الاشيا ولو غفر لهم لشي لكان لقبول شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم
والعرب تبالغ بما فيه لفظ السبعة لانها غاية مستقصاه جامعة لاكثر اقسام العدد وهي تتمة عدد الخلق كالسموات والارض والبحار
والاقاليم والاعضا ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على رشدهم ونفعهم وكان حقيقة نظم الاية التخيير في الاستغفار وتركه ونفي
المغفرة بالاستغفار بالعدد المحصور في سبعين جعل صلى الله عليه وسلم هذه الاية مقيدة لما في سورة المنافقين فاستغفر لابن ابي
وصلى عليه وقام على قبره وصرح بانه لو يعلم انه لو زاد على السبعين قبل لزاد واستعظم عمر رضي الله عنه ذلك منه صلى الله عليه وسلم
وشرع يمسكه بثوبه ويقول اتصلي عليه وقد نهاك الله عن ذلك لانه لم يفهم من الاية غير المجاز لما عنده من بغض المنافقين واما النبي
صلى الله عليه وسلم فراى التمسك بالحقيقة لما في الرفق بالخليقة من جميل الطريقة بتحصيل الايتلاف الرافع للخلاف وغيره من
الفوايد وجليل العوايد ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول لما نزل النهي الصريح فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي تفطنت بعد هذا الصريح ان ذلك الاول كان محتملا والا لانكر الله الصلوة عليه وفي موافقة الله تعالى لعمر رضي الله عنه
منقبة شريفة له وقد وافقه الله تعالى مع هذا في اشيا كثيرة روى البخاري في التفسير وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما
توفي عبد الله بن ابي جا ابنه عبد الله بن عبد الله رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه
اباه فاعطاه ثم ساله ان يصلي عليه وفي رواية في اللباس فاعطاه قميصه وقال اذا فرغت فاذنا فلما فرغ اذنه فجا وفي رواية
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه
وقد نهاك الله ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر
لهم سبعين مرة وسازيده على السبعين وفي رواية لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال انه منافق فصلى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الى وهم فاسقون فترك الصلوة عليهم
قال فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم وله في اواخر الجهاد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
قال لما كان يوم بدر اتي بالاسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله
ابن ابي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه قال ابن عيينة
كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد فاحب ان يكافيه وفي رواية عنه في اللباس انه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن ابي
بعد ما ادخل قبره فامر به فاخرج ووضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه انتهى فكان ابنه رضي الله عنه استحيى
من ان يوذن النبي صلى الله عليه وسلم به لما كان يعلم من نفاقه او اذنه صلى الله عليه وسلم به فصادف منه شغلا فدفنه فجا صلى
الله عليه وسلم بعد ادخاله القبر وقبل تمام الدفن فاخرجه تطييبا لخاطر ابنه ودفعا لما قد يتوهمه من احنة عليه وتاليفا لغيره

فقد روي انه قال صلى الله عليه وسلم اني اومل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فاسلم الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفا بثوب
النبي صلى الله عليه وسلم ففي بعض الروايات انه هو الذي طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يكفنه في قميصه ويعطيه عليه ادعى الى تراحم المسلمين
وتعاطف بعضهم على بعض وقوله والبسه قميصه بالواو لا ينافي الرواية الاولى او تحمل الرواية الاولى على انه وعده اعطاء القميص لمانع كان
من التنجيز وقت السوال فحمل الجزم بالاعطاء على الوعد الصادق ثم انجزه بعد اخراجه من القبر والله اعلم وورد هذه الاية على طريق
الجواب لمن كانه قال ما تقدم من احوال المنافقين كان اما انتهاكا لحرمة الله او لحق الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يرد فيه انه يهينهم بالامانة على
النفاق فكان يكفي فيه استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لهم واما هذان القسمان فاحدهما اخبر بانه يميتهم منافقين والثاني انتهاك
حرمة المخلصين من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فهل ينفعهم الاستغفار لهم فكانه قيل استوى الاستغفار وعدمه في انه لا ينفعهم وختمها بعلة
عدم المغفرة في قوله ذلك اي الامر الذي يبعد فعله من الحليم الكريم بانهم كفروا بالله اي وهو الملك الاعظم ورسوله اي فهم لا يستاهلون
الغفران لانهم لم يهتدوا لاصرارهم على الفسق وهو معنى قايم بهم في الزيادة على السبعين كما هو قايم بهم في الاقتصار على السبعين والله اي المحيط
علما وقدرة لا يهدي القوم الفاسقين اي انه لا يهديهم لانه جبلهم على الفسق وكل من لا يهديه لانه جبله على الفسق لا يغفر له فهو لا يغفر لهم
لما علم منهم مما لا يعلمه غيره فهو تمهيد لعذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره قبل العلم بالطبع الذي لا يمكن معه رجوع ولما علل سبحانه عدم
المغفرة بفسقهم واتى بالظاهر موضع المضمر اشارة الى اتصافهم به وتعليقا للحكم بالوصف علل رسوخهم في الفسق بعد ان قدم ان المنافقين
بعضهم من بعض فهم كالجسد الواحد بقوله فرح المخلفون اي الذين وقع تخليفهم باذنك لهم وكراهة الله لانبعاثهم بمقعدهم اي قعودهم
عن غزوة تبوك ولعله عبر بهذا المصدر لصلاحيته لموضع القعود ليكون دلالته على الفرح اعظم دلالة بدلالته على الفرح بالموضع وهو
مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما واظهر الوصف بالتخلف موضع الضمير زيادة في تهجين ما رضوا به لانفسهم وزاده تهجينا ايضا بقوله
خلاف اي بعد وخلف او لاجل خلاف رسول الله اي الملك الاعظم الذي من تخلف عن حزبه هلك وكرهوا ان يجاهدوا ولما كان هذا في
سياق الاموال تارة بالرضى بنيلها والسخط لحرمانها وتارة بقبض اليد عن بذلها وتارة بالاستمتاع بالخلاق الذي هو النصيب اعم
من ان يكون بالمال او النفس وتارة بعيب الباذلين وغير ذلك من شانها قدم قوله باموالهم وانفسهم على قوله في سبيل الله اي طريق الملك
الذي له صفات الكمال لانه ليس فيهم باعث الايمان وداعي الايقان الذي بعث المومنين ودل ذلك على عراقتهم في الفسق بان الانسان قد يفعل
المعصية ويحزن على فعلها وهولاء سروا بها مع ما فيها من الدناءة وقد يسر الانسان بالمعصية ولا يكره ان يكون بذلها او معها طاعة
وهولاء ضموا الى سرورهم بها كراهة الطاعة وقد يكره ولا ينهى غيره وهولاء جمعوا الى ذلك كله نهي غيرهم ففعلوا ذلك كله وقالوا اي لغيرهم
لا تنفروا في الحر بعدا من الاسلام وعمي عن سيد الاحكام لان غزو تبوك كان في شدة الحر ولما كان هذا قول من لم يخطر الاخرة على باله
امره تعالى بان يحذر من يصغي اليهم او يقبل عليهم بقوله قل اي يا اعلم خلقنا استحمالا لهم نار جهنم اي التي اعدها الله لمن خالف امره اشد حرا
ولفت الكلام الى الغيبة يدل على ان اعظم المراد بهذا الوعظ ضعفاء المومنين لئلا يتشبهوا بهم طمعا في الحلم فقال تعالى لو كانوا اي المنافقون
يفقهون اي لو كان لهم فهم يعلمون به صدق الرسول وقدرة مرسله على ما توعد به لعلموا ذلك فما كانوا يفرون من الحر الى اشد حرا منه لان
من فر من حر ساعة الى حر الابد كان اجهل الجهال وقال ابو حيان لما ذكر تعالى ما ظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه الى غزوة
تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه يعني في قوله فرح المخلفون انتهى فتكون الاية حينئذ جوابا لمن كانه قال
هذه احوال من خرج فما حال من قعد وقد خرج بما في هذه الاية من الاوصاف كعب بن مالك ورفيقاه رضي الله عنهم ونحوهم ممن لم يفرح بالقعود
ولا اتصف بما ذكر معه من اوصافهم ولما كان غاية السرور الضحك وكان اللازم لهم في الاخرة البكا في دار الشقا الذي هو غاية الحزن لهم
فيها زفير وشهيق وهم يصطرخون فيها قال تعالى مهددا لهم مسببا عن قبيح ما ذكر من فعلهم مخبرا في صورة الامر ايذانا بانه امر لا بد من وقوعه
فليضحكوا قليلا اي فليتمتعوا في هذه الدار بفرحهم بمقعدهم التمتع الذي غاية المسرور به الضحك يسيرا فانها دار قلعة وزوال وانزعاج
وارتحال وليبكوا كثيرا اي في نار جهنم التي اغفلوا ذكر حرورها واهملوا الاتقا من شديد سعيرها بدل ذلك الضحك القليل كما استبدلوا
حرها العظيم بحر الشمس الحقير جزاء بما كانوا يكسبون اي من الفرح بالمعاصي والسرور بالشهوات والانهماك في اللذات ولما كان المسرور
بشي المكاره لضده الناهي عنه لا يفعل الضد الا تكلفا ولا قلب له اليه وكان هذا الدين مبنيا على العزة والغنى اتبع ذلك بقوله مسببا
عن فرحهم بالتخلف فان رجعك الله اي الملك الذي له العظمة كلها فله الغنى المطلق من سفرك هذا الى طايفة منهم وهم الذين عد الله في
اعمارهم الى ان ترجع اليهم وهذا يدل على انه اهلك سبحانه في غيبته بعضهم فاردت الخروج الى سفر اخر فاستاذنوك اي طلبوا ان تاذن لهم
للخروج اي معك في سفرك ذلك فقل عقوبة لهم غنى عنهم وعزة عليهم ناهيا لهم بصيغة الخبر ليكون صدقك فيه علما من اعلام النبوة
وبرهانا من براهين الرسالة لن تخرجوا معي ابدا اي في سفر من الاسفار لان الله قد اغناني عنكم واحوجكم الي ولن تقاتلوا معي عدوا لانكم
جعلتم انفسكم في عداد ربات الحجال فلا تصلحون لقتال والتقييد بالمعية كما يوذن باستثقالهم تخرج ما كان بعده صلى الله عليه وسلم
مع اصحابه رضي الله عنهم من سفرهم وقتالهم ولما اخزاهم سبحانه بما اخزوا به انفسهم علله بقوله انكم رضيتم بالقعود اي عن
التشرف بمصاحبتي ولما كانت الاوليات ادل على تمكن الغرايز من الايمان والكفران وغيرهما قال اول مرة اي في غزوة تبوك
ومن فاتنا يكفيه انا نفوته قال ابو حيان فعلل بالمسبب وهو الرضى الناشي عن السبب وهو النفاق انتهى ولما انهى الحكم والعلة
سبب عنه قوله فاقعدوا مع الخالفين اي الذين رضوا لانفسهم بهذا الوصف الذي من جملة معانيه الفاسد فهم لا يصلحون لجهاد
ولا يلقون ابدا في مواطن الامجاد وقال بعضهم المراد بهم الذين تخلفوا بغير عذر في غزوة تبوك او النسا والصبيان او ادنيا الناس
او المخالفون او المرضى والزمنى او اهل الفساد والاولى الحمل على الجميع اي لان المراد تبكيتهم وتوبيخهم ولما اتم سبحانه الكلام في الاستغفار

وتعليله الى ان ختم باهانة المتخلفين وكان القتل المسبب عن الجهاد سبب لترك الصلوة على الشهيد تشريفا له جعل الموت الواقع في القعود
المرضي به عن الجهاد سببا لترك الصلوة اهانة لذلك القاعد فقال عاطفا على ما افهمته جملة استغفر لهم او لا تستغفر لهم الآية من
نحو فلا تستغفر لهم اصلا ولا تصل اي الصلوة التي شرعت لتشريف المصلي عليه والشفاعة فيه على احد منهم ثم وصف الاحد بقوله مات
وقوله ابدا متعلق بالنهي لا بالموت ولا تقم على قبره اي لان قيامك رحمة وهم غير اهل لها ثم علل ذلك بقوله انهم كفروا بالله اي الذي له العظمة
كلها ولما كان مطلق الموت على الكفر مانعا من الصلاة على الميت بجميع معانيها لم يحتج الى التاكيد باعادة الجار فقيل ورسوله اي الذي هو اعظم
الناس نعمة عليهم بما له من نصائحهم بالرسالة والمعنى انهم لعظيم ما ارتكبوا من ذلك لم يهدهم الله فاستمروا على الضلال حتى ماتوا على صفة
من وقع النهي عن الاستغفار لهم المشار اليها بقوله والله لا يهدي القوم الفاسقين وذلك المراد من قوله معبرا بالماضي والمعنى على المضارع
تحقيقا للخبر وانه واقع لا محالة وماتوا وهم اي والحال انهم بضمايرهم وظواهرهم فاسقون اي عريقون في الفسق ولما كان ابن ابي سبب
النهي عن الاستغفار لهم وكان ابنه عبد الله بن عبد الله من خيار المومنين وخلص المحسنين وكان لبعض المنافقين ابنا مثله وكان من طبع
البشر ان يذكر في كثير من مقاله غلطا ما يندم عليه وكان شديد الوقوف لما حف به من العلايق البدنية وشمله من العوايق بالاوهام
النفسانية مع اوهامه وعوايقه قاصرا على قيوده وعلايقه فكان لاعادة الكلام وتكريره وترديده ومزيد تقريره تاكيد في النفوس
وتغريه وتثبيت في القلوب كرراية الاعجاب لهذه الاسباب ولان يكون حكمها على بال من المخاطب لا ينساه لاعتقاد ان العمل به مهم جدا
يفتقر الى فضل عناية وان ذلك شبيه بما اهم صاحبه فهو يتكلم فيه ثم ينتقل الى غيره لغرض صحيح ثم يرجع اليه في اثنا حديثه لشدة
اهتمامه به تنبيها على ذلك ولا يرجع اليه الا على غاية ما يكون من حسن الربط وبداعة التناسب وعطفها بالواو دون الفا لان ذلك
ليس مسببا عما قبله كما سبق في الآية الاولى اي لا تستغفر لهم ولا تصل عليهم ولا يعجبك قولهم مستعطفين لك في طلب صحبتك وان
زخرفوه واكدوه بالايمان التي اتخذوها جنة ولا تعجبك اموالهم واسند النهي اليها ابلاغا فيه ولما لم يكن هنا ما اقتضى تاكيد
النفي مما مضى في الآية الاولى لم النافي ولا اثبت اللام ولا الحياة وقال واولادهم اي وان اظهروا انهم يجاهدون بها معك
ويتقربون بها الى الله فان الله لا يريد بهم ذلك فلا ييسره لهم لما علم من مباعدتهم للخير وعدم قابليتهم له فلا يحملك الاعجاب بشي من ذلك
على فعل شي مما تقدم النهي عنه تاليفا لامثالهم للمساعدة باولادهم واموالهم او تطييبا لقلوب المومنين من اولادهم فانهم ان كانوا
مومنين لم يضرهم ترك ذلك والا فبعدا لهم وسحقا انما يريد الله اي بعزه وعظمته وعلمه واحاطته ان يعذبهم اي تعذيبهم بها
فالفعل واقع بخلافه في الآية السابقة في الدنيا اي بجمعها ومحبة الاخلاد اليها والى الاولاد ان كانوا مثلهم في الاعتقاد والا كانوا زيادة
عذاب لهم في الدارين وتزهق اي تخرج بغاية العسر انفسهم وهم لاعترارهم بها كافرون ولا شك ان خطاب الراس بشي اوقع في قلوب
اصحابه فلذلك وقع الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره من تباعه وجماعته واشياعه ممن قد يجنح الى الاسباب ويقف
عندها كما هو طبع النفوس في تامل ما شهد ونسيان ما غاب وعهد تدريبا لهم على الحب في الله والبغض فيه لانه ادق من ابواب
الدين فهما واجلها قدرا وعليه ينبني غالب ابوابه ومنه تجتني اكثر ثمراته وآدابه وذلك انه ربما ظن الناظر فيمن بسطت عليه الدنيا
انه من الناجين فيوآده لحسن قوله غافلا عن سوء فعله او يظن ان اهل الدين فقراء الى مساعدته لهم في جهاد او غيره بماله ودونه
فيداويه فاعلمهم تعالى ان ما هذا سبيله مقطوع البركة نهيا عن النظر الى الصور وتنبيها على قصر الانظار على المعاني قل لا يستوي
الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث الآية واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم ولما افتتحت قصتهم بان المتقين
لا يتوقفون في الانتداب الى الجهاد على امر جديد ولا استيذان بل يكتفون بما سبق من عموم الحث عليه والندب اليه فيبادرون اليه
الطرف ولا يحادرون الحتف وان من المنافقين من يستاذن في الجهاد جاعلا استيذانه فيه بابا للاستيذان في التخلف عنه ومنهم
من يصرح بالاستيذان في القعود ابتداء من غير تستر وعقب ذلك بالنهي عن الاعجاب باموالهم واولادهم ثم مر في ذكر اقسامهم وما
لزمهم من فضايحهم واثامهم الى ان ختم القصة بان اموالهم انما هي لفتنتهم لا لرحمتهم ولمحنتهم لا لمنحتهم اتبع ذلك بدليله من انهم لا يتوصلون
بها الى جهاد ولا يتوسلون الى دار المعاد فقال عاطفا على ما افهمه السياق من نحو ان يقال لانهم لا يفعلون بها خيرا ولا يكسبون اجرا
او بانيا حالا من الكاف في تعجبك واذا انزلت سورة اي وقع انزال قطعة من القران ولما كان الانزال يدل على المنزل حتما
فسره بقوله ان امنوا بالله اي الذي له الكمال كله وجاهدوا اي اوقعوا الجهاد مع رسوله استاذنك اي في التخلف من لا عذر له وهم
اولوا الطول اي اهل الفضل من الاموال والسعة والثروة في غالب الاحوال منهم وخصهم بالذكر لان الذم لهم الزم ولا سيما
بعد سماع القران ويجوز ان يكون معطوفا على خبر ان في قوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله هذا مع ما تضمن استيذانهم من
رذايل الاخلاق ودنايا الهمم المحكي بقوله وقالوا ذرنا اي اتركنا ولو حالة سيئة نكن اي بما يوافق جبلاتنا مع القاعدين اي بعذر
المتضمن لا سيما بعد التعبير بذرنا الذي مادته تدور على ما يكره دون دعنا لما استانف به او بين من قوله رضوا بان يكونوا اي كونا
كانه جبلة لهم مع الخوالف اي النسا وطبع اي ووقع الطبع المانع على قلوبهم اي حتى رضوا لانفسهم بالتخلف عن سبب السعادة مع
الكون في عداد المخدرات بما هو عار في الدنيا ونار في العقبى ولما ابهم فاعل الطبع نفي دقيق العلم فقال فهم اي بسبب هذا الطبع
لا يفقهون اي لا فقه لهم يعرفون به ما في الجهاد من الغزو والسعادة في الدارين وما في التخلف من الشقاء والعار فلذلك لا
يجاهدون فلا شي اضر من هذه الاموال والاولاد التي ابعدت عن الممادح والزمت المذام والقوادح فقد اكتنف آية الاموال
في اول القصة واخرها ما يدل على مضمونها ولما افتتح القصة بمدح المتقين بمسابقتهم الى الجهاد من دون استيذان ختمها بذلك وذكر
ما اعد لهم فقال معلما بالغنى عنهم بمن هو الخير المحض تبكيتا لهم وتقريعا لكن الرسول اي الذي بعثته لرد العباد عن الفساد الى السداد

والذين امنوا اي ايمانا عظيما كاين او كاين معه اي مصاحبين له ذاتا وحالا في جميع ما ارسلناه اليهم به جاهدوا باموالهم وانفسهم اي بذلوا
كلا من ذلك في حبه صلى الله عليه وسلم فتحققوا بشرط الايمان ولكن واقعه موقعها بين متنافيين لان ما مضى من حالهم كله ناطق بانهم لم يجاهدوا
ولما كان السياق لنحلهم بالنفس والمال ولسلب النفع من اموالهم واولادهم اقتصر في مدح اوليائه على الجهاد بالنفس والمال ولم يذكر السبيل
وقال واولئك دالا على انه معطوف على ما تقديره فاولئك الذين نورت قلوبهم فهم يفقهون وقوله لهم اي لا لغيرهم الخيرات تعريض بذوي
الاموال من المنافقين لان الخير يطلق على المال وتحليته بال تدل على استغراقه لجميع منافع الدارين والتعبير باداة البعد اشارة الى علو مقام
اوليائه وبعد منا له الا بفضل منه تعالى وكذا التعريض بهم بقوله واولئك هم اي خاصة المفلحون اي الفائزون بجميع مرادهم لا غيرهم
ثم بين الافلاح الاعظم بقوله اعد الله اي الذي له صفات الكمال لهم اي الان لينعمهم بها بعد موتهم وانتقالهم من هذه الدار التي هي معدن
الاكدار جنات تجري اي دائما من تحتها اي مع قربها الانهار ثم عرض بهذه الدنيا السريعة الزوال فقال خالدين فيها ثم رغب فيها بقوله
ذلك اي الامر العالي الرتبة الفوز العظيم اي لا غيره ولما ختم قصص اهل المدر بذم اولي الطول منهم بتخلفهم وكان ذمهم انما هو لكونهم
قادرين على الخروج في ذلك الوجه وقدمهم لكثرة سماعهم للحكمة وكان اهل الوبر اقدر الناس على السفر لان مبنى امرهم على الحل والارتحال
فهم اجدر بالذم لانهم في غاية الاستعداد لذلك تلاهم به فقال وجاء المعذرون اي المبالغون في اثبات الخفايا من الاعذار المانعة لهم
من الجهاد بما اشار اليه الادغام وحقيقة المعذر ان يوهم ان له عذرا ولا عذر له والعذر ايساع الحيلة في وجه يدفع ما ظهر من التقصير
من الاعراب قيل هم رهط عامر بن الطفيل من بني عامر وقيل اسد وغطفان وقيل رهط من غفار ليؤذن اي ليقع الاذن من اي اذن كان
في تخلفهم عن الغزو لهم اي فاعتذروا بما كذبوا فيه وقعدوا عن الغزو معك هكذا كان الاصل فوضع موضعه وقعد الذين كذبوا الله اي
وهو المحيط علما وقدرة ورسوله تنبيها على وصفهم وليكون اظهر في شمول الاعراب وغيرهم ولما كان منهم المختوم بكفره وغيره قال
سيصيب اي بوعد لا خلف فيه الذين كفروا اي ختم بكفرهم منهم عذاب اليم اي في الدارين ولما كان من القاعدين من اهل المدر
والوبر من له عذر استثناهم سبحانه وساق ذلك مساق النتيجة من المقدمات الظاهرة فقال ليس على الضعفاء اي نحو الهرم
ولا على المرضى اي نحو الحمى والرمد ولا على الذين لا يجدون ولو بدين يؤدونه في المستقبل ما ينفقون اي لحاجتهم وفقرهم حرج اي
اثم يميل بهم عن الصراط المستقيم ويجرح دينهم ولما كان ربما كان احد من المنافقين بهذه الصفة احترز عنه بقوله اذا نصحوا اي
في تخلفهم وجميع احوالهم الله اي الذي له الجلال والاكرام ورسوله اي سرا وعلانية فانهم حينئذ محسنون في نصحهم الذي منه تحسرهم
على القعود عن هذا الوجه وعزمهم على الخروج متى قدروا وقوله ما على المحسنين في موضع ما عليهم لبيان احسانهم بنصحهم مع عذرهم
من سبيل اي طريق الى ذمهم او لومهم والجملة كلها بيان لنصحوا لله ورسوله وقوله والله اي الذي له صفات الكمال غفور اي محا للذنوب
رحيم اي محسن مجمل اشارة الى ان الانسان محل التقصير والعجز وان اجتهد فلا يسعه الا العفو ثم عطف على ذلك قوله ولا على الذين اذا واكد
المعنى بقوله ما اتوك اي ولم ياتوا بغير قصدك راغبين في الجهاد معك لتحملهم وهم لا يجدون محملا قلت اي اتوك قائلا او حال قولك وقد
مضمرة كما قالوا في حصرت صدورهم لا اجد ما اي شيئا احملكم عليه واجاب اذا بقوله ويجوز ان يكون استينافا وقلت هو الجواب تولوا اي
عن سماع هذا القول منك واعينهم تفيض اي تمتلي فتسيل واسناد الفيض اليها ابلغ من حيث انها جعلت كلها دمعا ثم بين الفايض بقوله
من الدمع اي دمعا والاصل يفيض دمعها ثم علل فيضها بقوله حزنا ثم علل حزنهم بقوله ان لا يجدوا اي لعدم وجدانهم ما ينفقون فحزنهم
في الحقيقة على فوات مرافقتك والكون في حزبك وهذه قصة البكائين صرح بها وان كانوا داخلين في الذين لا يجدون اظهارا لشرفهم
وتقريرا لان الناصح وان اجتهد لا غنى له عن العفو حيث بين انهم مع اجتهادهم في تحصيل الاسباب وتحسرهم عند فواتها بما افاض اعينهم
ممن لا سبيل عليه او ممن لا حرج عليه المغفور له ولما نفى السبيل عمن وصف كر على ذم من انتفى عنه الوصف فقال تعالى انما السبيل
اي باللوم وغيره على الذين يستاذنونك اي يطلبون اذنك في التخلف عنك راغبين فيه وهم اغنياء اي فلا عذر لهم في التخلف عنك
وعدم مواساتك وتضمن قوله تعالى مستانفا رضوا بان يكونوا اي كونا كانه جبلة مع الخوالف انتفاء الضعف والمرض عنهم من حيث
انه علل فعلهم برضاهم بالتخلف فافهم ذلك انه لا علة لهم سواه وافهم ايضا ان كل من كان كذلك كان مثلهم ولو انه ضعيف او مريض
وكرر ذكر الخوالف تكريرا لعيبهم برضاهم بالكون في عداد النساء اذ كان ذلك من اعظم المعايب عند العرب وسمي الفاعل للطبع حيث حذفه
من الاولى ولما ذكره عظم الامر فاقتضى ذلك عظم الطبع فنفى مطلق العلم فقال عاطفا على رضوا وطبع الله اي الذي له القدرة الكاملة
والعلم المحيط على قلوبهم ثم سبب عن ذلك الرضى والطبع قوله فهم لا يعلمون اي لا علم لهم فلذلك جهلوا ما في الجهاد من منافع الدارين فلذلك
رضوا بما لا يرضى به عاقل وهو ابلغ من نفي الفقه في الاولى وزاد المناسبة حسنا ضم الاعراب في هذه الايات الى اهل الحاضرة وهم
بعيدون من الفقه جديرون بعدم العلم ثم شرع يخبر عن اشياء تقع منهم عند الرجوع دلالة على ان هذا كلامه وانه عالم بالمغيبات كلها
وجزئيها يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فقال مبينا لعدم علمهم يعتذرون اي يثبتون الاعذار لانفسهم واشار
الى بعدهم بالقلوب بقوله اليكم اي عن التخلف اذا رجعتم اليهم اي من هذه الغزوة فكانه قيل فماذا يقال في جوابهم فقال
للراس الذي لا تاخذه في الله لومة لائم قل لا تعتذروا اي فان اعذاركم كاذبة ولذلك علل النهي بقوله لن نؤمن لكم اي نصدقكم في شيء
منها ثم علل عدم تصديقهم بما اوجب لهم القطع بذلك فقال قد نبانا الله اي اعلمنا الملك الذي له الاحاطة الكاملة بكل شيء اعلاما
جليلا من اخباركم اي التي ظننتم جهلا بالله انها تخفى فقد علمناها ثم هددهم بقوله وسيرى الله اي لانه عالم بكل شيء وان دق قادر
على كل شيء عملكم اي بعد ذلك اتنيبون ام تثبتون على حالكم هذا الخبيث كما راى الذي قبل ورسوله اي بما يعلمه به سبحانه وحيا
او تفرسا ولما كان الكلام في المنافقين فكانت الرؤية لنفاقهم الذي يجتهدون في اخفائه وكان المؤمنون لا اطلاع لجميعهم عليه

لم يذكرهم بخلاف من يأتي بعد فانهم مؤمنون ولما كان هذا ربما اوهمهم انه لا يعلم الا ما اوقعوه بالفعل نفى ذلك باظهار وصفه في موضع الاضمار
مهددا بقوله مشيرا باداة التراخي الى استبعادهم لقيامهم الى معادهم ثم تردون اي براد قاهر لا تقدرون على دفاعه اي بعد استيفاء آجالكم
وهو الموت وان طالت ثم بالبعث الى عالم الغيب وهو ما غاب عن الخلق والشهادة وهو ما اطلع عليه احد منهم فصار بحيث يطلعون عليه وهذا ترجمة
عن الذي يعلم الشيء قبل كونه كما يعلمه بعد كونه فينبئكم اي يخبركم اخبارا عظيما جليلا مستوعبا بما كنتم اي بجبلاتكم تعملون اي مما ابرزتموه الى
الخارج ومما كان في جبلاتكم ولو تأخرتم لبرز وهو تهديد عظيم ووقع ترتيبهم للاعتذار على الاسهل فالاسهل على ثلاث مراتب الاولى مطلق الاعتذار
وقد مضى ما فيها الثانية تأكيد ذلك بالحلف للاعراض عنهم فقال سبحانه سيحلفون بالله اي الذي لا اعظم منه لكم اذا انقلبتم اليهم اي جهد
ايمانهم انهم كانوا معذورين في التخلف كذبا منهم ارادة ان يقلبوا قلوبكم عما اعتقدتم فيهم لتعرضوا عنهم اي اعراض الصفح ثم اعراض المقت
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجالسوهم ولا تظلموهم علل وجوب الاعراض بقوله انهم رجس اي لا يطهرهم العتاب فهو عبث ولما
كان من المقرر انه لا بد لهم من جزاء وان النفس تتشوف الى معرفته قال وماواهم اي في الآخرة جهنم جزاء اي لاجل جزائهم بما كانوا يكسبون
اي فلا تتكلفوا لهم جزاء غير ذلك بتوبيخ ولا غيره المرتبة الثالثة الحلف للرضى عنهم فقال يحلفون لكم اي مجتهدين في الحلف بمن تقدم
انهم يحلفون به وهو الله لترضوا عنهم خوفا من غائلة غضبكم فان ترضوا عنهم اي لمجرد ايمانهم المبني على عدم ايمانهم فان الله اي الذي
له الغنى المطلق لا يرضى عنهم هكذا كان الاصل ولكنه قال عن القوم الفاسقين اشارة الى ان تعليق الحكم بالوصف وتعميما لكل من اتصف
بذلك والمعنى انه لا ينفعهم رضاكم وتكونون به مخالفين لله فهو في الحقيقة نهي للمؤمنين عن الرضى عنهم ابرز في هذا الاسلوب العجيب
المرقص وفي ذلك رد على من يتوهم ان رضى المؤمنين لو رضوا عنهم تقتضي رضى الله فان ذلك نزعة مما يفعل الاحبار والرهبان في رضاهم
وغضبهم وتحليلهم وتحريمهم الذي يعتقد اتباعهم انه عن الله ولما رتب سبحانه الاستيذان في القعود والرضى بما فيه من الدناءة
على عدم الفقه تارة والعلم اخرى وختم بصنف الاعراب بين ان الاعراب اولى بذلك لكونهم اعرق في هذا الوصف واجرا على الفسق لبعدهم
عن معدن العلم وصرفهم افكارهم في غير ذلك من انواع المخازي لتحصيل المال الذي كلما داروا عليه طار عنهم فابعد فهم لا يزالون في همة قد
شغلهم ذلك عن كل هم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقال تعالى الاعراب اي اهل البدو اشد اي من اهل المدر كفرا ونفاقا لبعدهم
عن دار الهجرة ومعدن العلم وجفائهم بان مرائي قلوبهم لم تصقل بانوار الكتاب والسنة واجدر ان اي واحق بان لا يعلموا ولما كان الاحجام
اصعب من الاقدام واطراف الاشياء المختلطة في غاية الالباس قال حدود ما انزل الله اي المحيط علما وحكمة بكل شيء على رسوله اي الذي
هو اعلم الخلق من القرآن والشرائع والاحكام لعدم اقبالهم عليه شغلا بغيره فان الله يعلم ذلك منهم والله اي الذي له جميع صفات الكمال
عليم اي بالغ العلم بكل شيء حكيم اي بالغ الحكمة فهو يضع الاشياء في اتم محالها ولما اثبت هذا الوصف لهذا الصنف بين ان افراده انقسموا
الى من ثبت على ما هو الاليق بحالهم وقسم نزع الى ما هو الاليق باهل المدر كما انقسم اهل المدر الى مثل ذلك وبدأ بالخبيث لانه الاصل فيهم
فقال ومن الاعراب اي المذكورين من يتخذ اي يتكلف غير ما تدعوا اليه الفطرة الاولى من الازيحية والهمم العلية بان يعد ما ينفق مغرما
اي فلا يبذله الا كرها ولا يرى له فائدة اخروية بل يراه مثل الضائع بالنهب ونحوه ويتربص اي يكلف نفسه الربص وهو ان يسكن ويصبر
وينتظر بكم الدوائر اي الدواهي التي تدور بصاحبها فلا يتخلص منها وذلك ليستريح من الانفاق وغيره مما الزمه به الدين ولما تربصوا
هذا التربص دعا عليهم بمثل ما تربصوه فقال عليهم دائرة السوء اي دائما لا تنفك اما باذلال الاسلام واما بعذاب الاصطلام فهم
فيما ارادوه بكم على الدوام وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين على معناه الشر والضر وقراءة الباقين بالفتح على انه مصدر فهو ذم
للدائرة ولما كان الانتقام من الاعداء وايقاع الباس بهم لا يتوقف من القادر غالبا الا على سماع اخبارهم والعلم بها جرت سنته
تعالى في ختم مثل ذلك بقوله والله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة الكاملة سميع فهو يسمع ما يقولون عليم فهو يعلم ما يضمرون عطفا على
نحو ان يقال فالله على كل شيء قدير ونحوه قوله انني معكما اسمع وارى ولما افتتح الآية الثانية بقوله ومن الاعراب من يؤمن اي لا يزال
يجدد ايمانه بتجدد آثار الدين بالله واليوم الآخر علم ان القسم الاول غير مؤمن بذلك وانما وقع منهم الاقرار باللسان من غير اذعان والايمان
هو الاصل الذي يترتب عليه الانفاق عن طيب نفس لما يرجى من ثوابه في اليوم الآخر الذي لولا هو انتفت الحكمة من هذا الخلق على هذا
الترتيب ثم عطف عليه ما يثمره الايمان فقال ويتخذ اي يحث نفسه ويجاهدها ان عرضت له الوساوس الشيطانية على ان يعد
ما ينفق اي فيما امر الله به قربات جمع قربة لما يقرب اليه سبحانه عند الله اي الذي لا اشرف من القرب منه لانه الملك الاعظم
وصلوات اي دعوات الرسول اي الذي وظيفته التبليغ فهو لا يقول لهم شيئا الا عن الله واطلق القربة والصلوة على سببهما
ولما اخبر عن افعالهم اخبر عن عاقبتهم ومآلهم فقال مستأنفا محققا لرجائهم ترغيبا في الصدقة بابلغ تأكيد لما لاعدائهم من التكذيب
الا انها اي نفقاتهم قربة لهم اي كما ارادوا ثم بين ثمرة كونها قربة بقوله سيدخلهم الله اي الذي له صفات الكمال بوعد لا خلف
فيه في رحمته اي اكرامه فتكون محيطة بهم ثم علل ذلك بقوله معبرا بالاسم الاعظم تنبيها على انه لا يسع الانسان الا العفو وان اعظم
الاجتهاد ان الله اي الذي لا يقدر احد على ان يقدره حق قدره غفور اي بليغ الستر لقبائح من تاب رحيم اي بليغ الاكرام ذلك وصف
له ثابت بجلله كل من يستأمله ولما ذكر القسم الصالح منهم وكانوا متفاوتين فمنهم السابق واكثرهم التابع اللاحق اتبعه ذكر السابقين
على وجه شامل حاصر لصقر البادي والحاضر اشارة الى انه وان اخره اصله فقد قدمه وصفه بحيث ساوى اهل الكمال في مطلق
الانخراط في سلكهم والفوز بدرجتهم لاحسانه في اتباعهم ترغيبا لاهل المغفرة والرحمة في اتباع اهل الرضوان والنعمة فقال
والسابقون ولما دل على سبقهم بالعلو في مراتبه دل على قديم دخولهم فيه فقال الاولون اي الى هذا الدين القيم من المهاجرين اي
لدار الكفر فضلا عن اهلها والانصار اي الذين آووا ونصروا والذين اتبعوهم اي الفريقين باحسان اي في اتباعهم فلم يخرجوا عن شيء من

طريقهم

طريقهم رضي الله اي الذي له الكمال كله عنهم اي بافعالهم هذه التي هي وفق ما امر به ورضوا عنه اي بما اتاهم عنه من البشرى وقذف في
قلوبهم من النور بلطيف الوعظ والذكرى واعد لهم اي جزاء على فعلهم جنات تجري ونبه على عموم ريها وكثرة مائها بنزع الجار على قراءة
الجماعة فقال تحتها الانهار اي هي كثيرة المياه فكل موضع اردته نبع منه ماء فجرى منه نهر ولما كان المقصود من الماء انما هو السهولة
في انباطه بقربه ويسر جريه وانبساطه اثبته ابن كثير دلالة على ذلك كسائر المواضع ولعل تخصيص هذا الموضع بالخلاف لانه يخص
هذه الامة فلعلها تخص بجنة هي اعظم الجنان ريا وحسنا وزيا ولما كان اعظم العيوب الانقطاع نفاه بقوله خالدين فيها واكد المراد
من الخلود بقوله ابدا ثم استانف مدح هذا الذي اعده لهم بقوله ذلك اي الامر العالي المكانة خاصة الفوز العظيم ولما استوفى الاقسام
الاربعة قسمي الحضر وقسمي البدو ثم خلط بين قسمين منهم تشريفا للسابق وترغيبا للاحق خلط بين الجميع على وجه آخر ثم ذكر منهم فرقا منهم
من نجز الحكم بجزائه باصرار او متاب ومنهم من اخر امره الى يوم الحساب وابتدا الاقسام بالمستور عن غير علمه ليعلم اهل ذلك القسم انه سبحانه
عالم بالخفايا فلا يزالوا اذلاء خوفا مما هددهم به فقال مصرحا بما لم يتقدم التصريح به من نفاقهم وممن حولكم اي حول بلدكم المدينة
من الاعراب اي الذي قدمنا انهم اشد كفرا لما لهم من الجفا منافقون اي راسخون في النفاق وكانه قدمهم لجلافتهم وعتوهم واتبعهم
من مواضع منهم في النفاق فقال ومن اهل المدينة اي منافقون ايضا ثم بين انهم لا يتوبون بوصفهم بقوله مردوا اي صلبوا وداموا
وعتوا وعسوا وعصوا وصار لهم به دربة عظيمة وضراوة حتى ذلت لهم فيه جميع اعضائهم الظاهرة والباطنة وصار لها خلقا على
النفاق اي استعلوا على هذا الوصف بحيث صاروا في غاية المكنة منه ثم بين مهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي باعيانهم مع ما لك من عظيم
الفطنة وصدق الفراسة لفرط توقيهم وتحامي ما يشكل من امرهم ثم هددهم وبين خسارتهم بقوله نحن اي خاصة نعلمهم ثم استانف جزاءهم
بقوله سنعذبهم اي بوعد لا خلف فيه مرتين اي احديهما برجوعك سالما وشفوف امرك وعلو شانه وضخامة اركانه وعز سلطانه
وظهور برهانه فانهم قطعوا لغباوتهم وجلافتهم وقساوتهم كما اشرت اليه بقولي ويتربص بكم الدوائر انك لا ترجع هذه المرة
من هذه السفرة لما يعرفون من ثباتك للاقران واقدامك على الليوث الشجعان واقتحامك للاهوال اذا ضاق المجال ونكص الضراغمة
الابطال ومن عظمة الروم وقوتهم وتمكنهم وكثرتهم وغاب عن الاغبياء وخفي عن الاشقياء الاعتياء ان الله الذي خلقهم اعظم
منهم واكبر وجنوده اقوى من جنودهم واكثر والثانية بعد وفاتك بقهر اهل الردة ومحقهم ورجوع ما اصلته بخليفتك
الصديق رضي الله عنه الى ما كان عليه في ايامك من الظهور وانتشار الضياء والنور والحكم على من خالفه بالويل والثبور وسياتي
انه يمكن ان تكون المرة الثانية احزاب مسجد الضرار والاخبار بما اضمروا في شانه من خفي الاسرار ثم يردون اي بعد الموت
الى عذاب عظيم اي لا يعلم عظمه حق علمه الا الله تعالى وهو العذاب الاكبر الدائم الذي لا ينفك اصلا ولما ذكر هذا القسم
المارد الجافي ثنى بمقابله اللين الصافي وهي الفرقة التي نجز المتاب عليها والنظر بعين الرحمة اليها فقال وآخرون اي وممن حولكم
من الاعراب ومن اهل المدينة آخرون اعترفوا بذنوبهم اي كلفوا انفسهم ذكرها توبة منهم ندما واقلاعا وعزما ولم يفزعوا
الى المعاذير الكاذبة وهم المقتصدون ولما كان الخلط جمعا في امتزاج كان بمجرد ذكره يفهم ان المخلوط امتزج بغيره فالاتيان
بالواو وفي آخر يفهم ان المعنى خلطوا عملا صالحا بسيئ وآخر سيئا بصالح فهو من الطف شاهد لنوع الاحتباك ولعل التعبير
بما افهم ذلك اشارة الى تساوي العملين وانه ليس احدهما باولى من الآخر ان يكون اصلا وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك في اناس رآهم في المنام شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح كما رواه البخاري في التفسير عن سمرة رضي الله عنه ثم اوجب تحقق
توبتهم الملزومة للاعتراف بقبولها بقوله عسى الله اي بما له من الاحاطة باوصاف الكمال ان يتوب عليهم فان عسى منه سبحانه
وتعالى واجبة لان هذا داب الملوك ولعل التعبير بها يفيد مع الايذان بانه لا يجب عليه لاحد شيء وان كل احسان يفعله
فانما هو على سبيل الفضل اشارة الى انهم صاروا كغيرهم من خلص المؤمنين غير المعصومين في مواقعة التقصير وتوقع الرحمة
من الله بالرجوع بهم الى المراقبة فكما ان اولئك معدودون في حزب الله مع هذا التقصير المرجو له العفو فكذلك هؤلاء ثم علل
فعله بهم مرجيا للمزيد بقوله ان الله اي ذا الجلال والاكرام غفور رحيم اي لم يزل موصوفا بقبول المعرض اذا اقبل وابدال
سيئته بحسن فضلا منه واكراما روى البخاري في صحيحه في التفسير عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لنا اتاني الليلة آتيان ابتعثاني فانتهيا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر
من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا
قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن صورة قالا لي هذه جنة عدن وهذاك منزلك قالا ام القوم الذين كانوا شطر
منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عفى الله عنهم ولما كان من شان الرضوان قبول القربان امره
صلى الله عليه وسلم تطهيرا لهم وتطييبا لقلوبهم بقوله خذ ورحمهم بالتبعيض فقال من اموالهم صدقة اي تطيب انفسهم
باخراجها تطهرهم اي هي من ذنوبهم وتجري لهم مجرى الكفارة وتزكيهم اي انت تزيدهم وتنميهم بها بتكثير حسناتهم وصل
اي اعطف عليهم واظهر شرفهم بدعائك لهم ثم علل ذلك بقوله ان صلواتك اي دعواتك التي تصلهم بها فتكون موصلة لهم
الى الله سكن لهم اي تطمئن بها قلوبهم بعد قلق الخوف من عاقبة الذنب لما يعلمون من ان القبول لا يكون الا ممن حصل الرضى
عنه ومن ان الله يسمع قولك اجابة لك ويعلم قصدك في صلاحهم والله اي المحيط بكل شيء سميع عليم اي لكل ما يمكن ان يسمع وما
يمكن ان يعلم منك ومنهم ومن غيركم فهو جدير بالاجابة والاثابة وذلك ان هذا الصنف لما اشتد ندمهم على التخلف اوثقوا
انفسهم بسواري المسجد فسال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم فقيل ندموا على التخلف عنك فحلفوا لا يطلقهم الا

انت فقال وانا لا اطلقهم حتى اومر بذلك فانزل الله هذه الايات فقالوا يرسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها فقال
ما امرت بذلك فلما انزل الله هذه الاية اخذ الثلث فتصدق به ولما ساق توبتهم سبحانه في حيز عسى وكان الاصل فيها الترجية في المحبوب
والاشفاق في المكروه وامر سبحانه بالاخذ من اموالهم لذلك وكان اخراج المال شديدا على النفوس لا سيما في ذلك الزمان كان ربما استوقف
الشيطان من لم يرسخ قدمه في الايمان عن التوبة وما يترتب عليها من الصدقة لعدم الجزم بانها تقبل فاتبع ذلك سبحانه بقوله الم يعلموا اي
المعترفون بالذنوب حتى تسمح انفسهم بالصدقة او غيرهم حتى يرغبوا في التوبة والصدقة ان الله اي الذي له الكمال كله هو اي وحده يقبل اي
من شانه ان يقبل التوبة تجاوزا عن عباده اي التائبين المخلصين ويأخذ الصدقات اي ممن يتقرب بها اليه بنية خالصة وان الله اي
المحيط بصفتي الجلال والاكرام هو اي وحده التواب الرحيم اي لم يزل التجاوز والاكرام من شانه وصفته وفي ذلك انكار على غيرهم من المتخلفين
في كونهم لم يفعلوا مثل فعلهم من الندم الحامل على ان يعذبوا انفسهم بالايثاق في السواري ويقربوا بعض اموالهم كما فعل هؤلاء او نحو ذلك مما
يدل على الاعتراف والندم ولما امره من تطهيرهم بما يعيدهم الى ما كانوا عليه قبل الذنب عطف على قوله خذ قوله تحذيرا اليهم من مثل ما
وقعوا فيه وقل اعملوا اي بعد طهارتكم فسيرى الله اي الذي له الاحاطة الكاملة عملكم اي بما له من احاطة العلم والقدرة فاعملوا عمل من
يعلم انه بعين الله ورسوله اي باعلام الله له ولما كان هذا القسم من المؤمنين فكانت اعمالهم لا خفاء فيها قال والمؤمنون فزينوا اعمالكم
جهدكم واخلصوا وفي بعض الاحاديث لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها لاظهر الله عمله للناس كائنا ما كان ولما كان هذا السياق للمؤمنين
حذف منه ثم لكنه لما كان للمذنبين اكد بالسين فقال وستردون اي بوعد لا خلف فيه الى عالم الغيب والشهادة اي بعد الموت والبعث
فينبئكم اي يعلمه بكل شيء بما كنتم تعملون اي ما اظهرتم عمله وما كان في غرائزكم فلو تاخرتم لظهرتم يجازيكم على حسنه ويزيد من فضله وعلى
سيئه عدلا ان شاء ولا يظلم مثقال ذرة ولما ذكر القسمين المنجز عذابهم ومتابهم ذكر المؤخر امرهم وهم القسم الظالم لنفسه في الذي
بدا به في سورة فاطر سورة الحشر الاخر ولا يبعد ان يكون هذه سورة الحشر الاول لانه صلى الله عليه وسلم ساق الناس الى ارض المحشر فقال
وآخرون اي ومنهم اخرون مرجون اي مؤخرون بين الرجاء والخوف لامر الله اي لما يامر به فيهم الملك الاعظم الذي له الامر كله لا يدرون
ايعذبون ام يرحمون وقدم قوله اما يعذبهم ان اصروا تخويفا حملا على المبادرة الى التوبة وتصفيتها والاخلاص فيها وحثا على ان يكون
الخوف ما دام الانسان صحيحا اغلب وثنى بقوله واما يتوب عليهم اي ان تابوا ترجية لهم وترقيقا لقلوبهم بالتذكير بمنزل الانس الذي
اخرجوا انفسهم منه ومنعوها من حلوله وطيب مستقره ومقيله وحلي اوقاته وعلى مقاماته وشهي اوقاته ولما كان ربما قال
قائل ما فائدة التاخير وما المانع من التنجيز قال والله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما عليم حكيم ترهيبا وترغيبا وتبعيدا وتقريبا
واحتراسا مما قد يوهمه الترديد من الشك وتدريبا وقراءة غفور رحيم للزيادة في الترجية ولما ذكر الذين اقامهم في مقام الخطر اتبعه
تعيين طائفة من القسم الاول المستور الموصوف بالمرود فالحق بهم الضرر فقال والذين وهو معطوف في قراءة من اثبت الواو على قوله
واخرون وخبره على ما يليق بالقصة منافقون ماردون واما على قراءة المدنيين وابن عامر بحذفها فيكون على تقدير سؤال سائل وذلك انه
لما قال تعالى لا تعلمهم نحن نعلمهم تشوفت النفس الى الاعلام بهم فلما قال واخرون اعترفوا بذنوبهم اشتغل السامع بتفهمه وربما ظن انه ياتي
في اخر الكلام من تسميتهم ما يغنيه عن السؤال فلما انتقل بقوله واخرون مرجون الى قسم اخر وختم الاية بصفتي العلم والحكمة ليعلم ان الترديد
للتقسيم وانه ان كان شك فهو بالنسبة الى العباد واما الله تعالى فمنزه عنه فذكر السامع بالصفتين ما كان دار في خلده ومال اليه
قلبه من الاعلام بالماردين على النفاق فاشتد تشوفه اليه فكان كانه قال من من الماردين منهم فقال تعالى الذين اتخذوا مسجدا من الماردين
وهم من اعظمهم مهارة في النفاق واخفاء الكيد والشقاق لانهم توصلوا الى ذلك بان كلفوا انفسهم الاخذ الاعظم عرى الدين مع المنازعة
للفطرة الاولى والحذر من ان يفضحوا فكان ختام هذه الاية من بديع الختام فانه احتراس عما يتوهم فيما قبله ودليل على ما بعده ولذلك
ختم قصتهم ايضا بصفتي العلم والحكمة ولاح من هذا ان قوله سنعذبهم مرتين يمكن ان يراد به مرة برجوعك ومرة باخراجك مسجدهم
وتفريقك لشملهم بعد هتك سرائرهم بكشف ضمائرهم وبين سبحانه علة اتخاذهم بقوله ضرارا اي لاهل مسجد قبا او لحزب الله عامة
وكفرا اي بالله لاتخاذ دينه هزوا وتفريقا اي بما يبيتونه من المكايد وباستجلابهم لبعض من يخدعونه من المؤمنين ويطمعون فيه لياتي
مسجدهم ويترك المسجد المؤسس على التقوى بين المؤمنين اي الراسخين في الايمان بما جاء من عند الله لانهم كانوا يجتمعون في مسجد قبا
فينقص بهم وارصادا اي اعدادا وانتظارا لمن حارب الله اي الملك الاعظم ورسوله ولما لم تكن محاربتهم مستغرقة للزمن الماضي
ادخل الجار فقال من قبل اي قبل اتخاذهم لهذا المسجد بزمن قريب وهو ابو عامر الفاسق لياتي اليهم فيزيدهم قوة على نفاقهم بان يصير
كهفا ياوون اليه وراسا لم يتجمعون عليه وذلك انه كان من بني غنم بن عوف وهو والد حنظلة الغسيل الذي كان من خيار الصحابة
رضي الله عنهم وكان ابو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ما هذا الدين الذي
جئت به قال الحنيفية دين ابرهيم قال ابو عامر انا عليها قال صلى الله عليه وسلم لست عليها قال بلى ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها
قال ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء نقية قال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا شريدا وحيدا غريبا فقال صلى الله عليه وسلم
امين وسماه الفاسق ثم تحيز الى قريش وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم معهم يوم احد وقال لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم
فلما قاتل يوم حنين مع هوازن وانهزموا ايس وهرب الى الشام وارسل الى المنافقين اني استعدوا فاني ذاهب الى قيصر فآت بجنود
ومخرج محمدا وكانوا قد حسدوا اخوانهم بني عمرو بن عوف على مسجد قبا لما بنوه وكان النبي صلى الله عليه وسلم ياتيه ويصلي فيه فبنوا
مسجد الضرار وارسلوا اليه صلى الله عليه وسلم لياتيهم فيصلي فيه وكان يتجهز لتبوك فقال انا على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا
صلينا فيه ان شاء الله فلما قدم فكان قريبا من المدينة نزلت الاية فدعا مالك بن الدخشم وجماعة وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم

اهله

اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر صلى الله عليه وسلم ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام وحيدا
غريبا طريدا وقيل كل مسجد بني مباهاة او لغرض ليس فيه اخلاص او بمال مشتبه فهو لاحق بمسجد الضرار ولما اخبر عن سرايرهم اخبر
عن نفاقهم في ظواهرهم بقوله وليحلفن اي جهد ايمانهم ان اي ما اردنا اي باتخاذنا له الا الحسنى اي من الخصال ثم كذبهم بقوله والله اي
الذي له الاحاطة الكاملة يشهد اي يخبر اخبار الشاهد انهم لكاذبون وقد بان بهذا كله ان سبب فضيحتهم ما تضمنه فعلهم من عظيم
الضرر للاسلام واهله ثم قال ناهيا عن اجابتهم الى ما ارادوا به من التلبيس انتاجا عن هذا الكلام الذي هو امضى من السهام لا تقم فيه
اي مسجد الضرار ابدا اي سوا تابوا اولا او اراد بعض المخلصين ان ياخذه اولا اي لا بد من اخرابه ومحو اثره عن وجه الارض
ولما ذمه وذم اهله مدح مسجد النبي صلى الله عليه وسلم اما الذي بالمدينة الشريفة واما الذي ببني عمرو بن عوف بقبا على الخلاف
في ذلك وهو الذي اتخذ في اول الاسلام مسجدا احسانا وايمانا وجمعا بين المومنين واعدادا لمن صادق الله ورسوله ومدح
اهله ارشادا لكل من كان مال اليه من المومنين لقرب او غيره الى العوض عنه ولعله ابهم تعيينه وذكر وصفه ليكون صالحا
لكل من المسجدين ولما اتصف بهذا الوصف من غيرهما فقال موكدا تعريفا بما له من الحق ولما للمنافقين من التكذيب لمسجد اسس اي وقع
تاسيسه على التقوى اي فاحاطت التقوى به لانها اذا احاطت باوله احاطت باخره ولما كان التاسيس قد تطول مدة ايامه
فيكون اوله مخالفا لاخره قال من اول يوم اي من ايام تاسيسه وفيه اشارة الى ما تقدم من احتمال ان يريد احد من اهل الاخلاص ان يتخذه
مصلى فبين انه لا يصلح لذلك لان تاسيسه كان لما هو مباعد له احق ان تقوم فيه اي بالصلوة والوعظ وغيره من مسجد لم تقصد به
التقوى على تقدير فرض محال الا في ثاني الحال ولما مدحه مدح اهله بقوله فيه رجال اي لهم كمال الرجولية يحبون ان يتطهروا
اي في ابدانهم وقلوبهم كمال الطهارة بما اشار اليه الاظهار فهم دايما في جهاد انفسهم في ذلك فاحبهم الله والله اي الذي له صفات
الكمال يحب اي يفعل ما يفعل المحب من الاكرام بالفضل والاحسان ولاثبات ما افهم لاجتهاد حصل الغنى عن اظهار تاء التفعل او للندب
الى الطهارة الى الطهارة ولو على ادنى الوجوه المجزية فقال المتطهرين اي قاطبة منهم ومن غيرهم ولما علم من هذا بطريق الاشارة
والتلويح ان التاسيس مثل ابتداء خلق الحيوان فمن جبل من اول امره جبلة شر لا يصلح للخير ابدا ولا يقبله كما قال تعالى ولو اسمعهم لتولوا
وهم معرضون ذكره على سبيل التصريح فسبب عما مضى قوله ممثلا الباطل ببناء على حرف واد واه جدا على سفير جهنم افمن اسس
بنيانه اي كما اشرت اليه في المسجد المحثوث بالاقبال عليه على تقوى من الله اي الملك الاعلى ورضوان فكان كمن بنى بنيانه على جبل لا
تهدمه الامطار ولا تؤثر فيه السيول خيرا ممن اسس بنيانه على فسق وفجور وعدم اكتراث بالامور فكان كمن بنى بنيانه على شفا
اي حرف ومنه الشفة جرف اي مكان حفره السيل وجرفه فصار مشرفا على السقوط ولذلك قال هار اي هاير من هار الجرف
اذا اشرف لتخريق السيول على السقوط فانهار اي فكان بناؤه كذلك سببا لانه سقط سقوطا لا تماسك معه به اي وهو فيه
امنا من سقوطه بقلة عقله وسفاهة رايه في نار جهنم فالجواب لا شك الاول خير بل لا خير في الثاني اصلا والعجب كل العجب
من كونه بنى هذا البناء هكذا فاجيب بانه لا عجب لان الامر بيد الله لا مفر من قضائه وهو قد هدى الاول الى ما فيه صلاحه ولم
يهد الثاني لما علم فيه من عدم قابلية الخير والله اي الذي له صفات الكمال لا يهدي القوم اي الذين لهم قوة المحاولة لما يريدون
الظالمين المطبوعين على ظلام البصاير فهم لا يفكرون في شي الا جاء في غير موضعه وعلى غير نظام كخطوات الماشي في الظلام وقد
علم ان الاية من قبيل الاحتباك اثبت اولا التقوى لان اهل الاسلام احق بها فدلت على حذف ضدها ثانيا واثبت ثانيا ضعف البنا
حسا لان مسجد الضرار اولى به فدل على حذف ضده اولا فذكر النهاية المعقولة لاهلها والبداية المحسوسة للناظرين لها وروي
عن جابر رضي الله عنه قال رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار وحكي عن خلف بن يسار انه راى فيه حجرا يخرج منه الدخان في
اول دولة بني العباس ولما كان ما تقدم غير قاطع في اخرابه لما ثبت للمساجد من الحرمة استانف الاخبار عن انه لا يعد في عداد
المساجد بوجه وانما هو في عداد بيوت الاصنام فهو واجب الاعدام فقال لا يزال بنيانهم اي نفس المبني وهو المسجد الذي بنوا
ريبة اي شكا ونفاقا في قلوبهم كما ان بيوت الاصنام كذلك لاهلها فكان ذلك حثا على اخرابه ونحره وقطع اثره والمعنى
انه جامع لهم على الريبة في كل زمان يمكن ان يكون الا ان ولما كان القطع محصلا للمقصود من غير نظر الى قاطع معين قال بانيا للمفعول
تقطع قلوبهم اي الا زمانا يوجد فيه القطع البليغ الكثير لقلوبهم وعزايمهم ويباعد بينهم ويفرق شملهم باخرابه وقراة يعقوب بالى
الجارة واضحة في المراد او يكون المراد انه لا يزال حاملا لهم على التصميم على النفاق الى ان يموتوا فهو كناية عن عدم توبتهم ولما كان
التقدير فالله عليم بما اخبركم به فلا تشكوا فيه عطف عليه تعميما للحكم وتعظيما للامر قوله والله اي الذي له الاحاطة بكل شي عليم اي بالغ
العلم بكل معلوم حكيم فهو يتقن ما يامر به ولما تقدم الانكار على المتثاقلين عن النفر في سبيل الله في قوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم انفروا
الاية ثم الجزم بالامر بالجهاد بالنفس والمال في قوله انفروا خفافا وثقالا الاية وكان امره تعالى كافيا للمومن الذي صدق ايمانه
بالاسلام في امتثاله لذلك في منشطه ومكرهه وكان كثير منهم قد فعلوا بتثاقلهم ما يقدح في ايمانهم طمعا في ستره بمعاذيرهم وايمانهم
اقتضى المقام تبكيت المتثاقلين وتانيب المنافقين على وجه مهتك لاستارهم مكشف لاسرارهم فلما استوفى تعالى في ذلك
افسامهم ونكس الويتهم واعلامهم وختمهم بهذه الطايفة التي ظهر فيها امتثاله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم بان هد مسجدهم وحرقه بالنار وازال بنيانه وفرقه وقد اديمه عن جديد الارض ومزقه اتبع ذلك سبحانه بتذكير
المومنين ما امرهم به في قوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر وقوله انفروا خفافا وثقالا ليفعلوا فيه ما فعله
صلى الله عليه وسلم فيما امر به فساق مساق الجواب لسواك من كانه قال لقد طال المدى وعظم الخطب في هذه السورة في ابانة الفضايح

وهتك السرائر واظهار القبائح فلم فعل ذلك وقد جرت عادته بالامر بالستر واخذ العفو قوله ان الله اي الملك الذي لا ملك في الحقيقة
غيره ولا يخشى الا عذابه ولا يرجى الا خيره اشترى اي بعهود اكيدة ومواثيق غليظة شديدة وبذلك عبر بما يدل على اللجاج فينا فقال من المؤمنين
اي بالله وما جاء من عنده وقدم النفس اشارة الى ان المبايعة سابقة على اكتساب المال فقال مقدما للاعز انفسهم اي التي تفرد بخلقها واموالهم
اي الذي تفرد برزقها وهو يملكها دونهم ولما ذكر المبيع اتبعه الثمن فقال بان لهم الجنة اي خاصة بهم مقصورة عليهم لا تكون لغير مؤمن
فميزهم حتى يعامل كل بما يستحقه فكانه قيل اشترى منهم ذلك لماذا فقيل يقاتلون في سبيل الله اي الملك الاعلى بسبب دينه الذي لا يرضى غيره
قتالا يكون الدين محيطا به وطرفا له فلا يكون فيه شائبة لغيره ثم سبب عن ذلك ما هو حقيق به فقال فيقتلون ويقتلون اعم من ان
يكون ذلك بالقوة او بالفعل فيخصهم بالجنة كما وعدهم وقراءة حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول امدح لان من طلب الموت لا يقف
له خصمه فيكون المعنى فطلبوا ان يكونوا مقتولين فقتلوا اقرانهم ويجوز ان يكون النظر الى المجموع فيكون المعنى انهم يقاتلون بعد رؤية
مصارع اصحابهم من غير ان يوهنهم ذلك وعن بعض الاعراب انه لما سمع هذه الآية قال بيع والله مربح لا تقيل ولا تستقيل فخرج الى الغزو
فاستشهد ولما كان القتل لكونه سببا للجنة بشارة ووعدا اكد ذلك بقوله وعدا وزاده بحرف الايجاب فقال عليه واتم التاكيد
بقوله حقا ولما اكد هذه المتابعة الكريمة هذه التاكيدات العظيمة زاد ذلك بذكره في جميع الكتب القديمة فقال في التورية كتاب موسى
عليه السلام والانجيل كتاب عيسى عليه السلام والقرآن اي الكتاب الجامع لكل ما قبله ولكل خير وهؤلاء المذكورون في هذه السورة كلهم
ممن ادعى الايمان وارتدى به حلل الامان ثم انهم فعلوا بتخلفهم عن الاقباض وتوقفهم عن الاسراع والايفاض وغير ذلك من اقوالهم ومساوي
افعالهم فعل الكاذب في دعواه او الشاك اعم من ان يكون كذب بالاخرة المشتملة على الجنة او يكون شك في وعد الله بايراثهم اياها او بتخصيصهم
بها وجوز ان يدخلها غيرهم وطمع ان يكون هو ممن يدخلها مع التكذيب والله تعالى منزه عن جميع ذلك وهو وفي بعده ومن اي وعد بذلك
والحال انه اوفى المعاهدين فهو مقول فيه على طريق الاستفهام الانكاري من اوفى بعهده من الله اي الذي له جميع صفات الكمال لان الاخلاف
لا يقدم عليه الكرام من الناس فكيف بخالقهم الذي له الغنى المطلق ولما كان ذلك سببا للبشر لانه لا ترغيب في الجهاد احسن منه قال
مهنئا لهم فاستبشروا اي فاوجدوا في نفوسكم غاية البشر يا معاشر المجاهدين ولما ذكره في ابتداء العقد بلفظ يدل على التاكيد ذكره
في آخره بلفظ يدل على السعة اشارة الى سعة الجزاء فقال ببيعكم الذي بايعتم اي اوقعتم المبايعة لله به فانه موفيكم لا محالة فذلك هو الاجر
الكريم وذلك اي ايراثكم الجنة وتخصيصكم بها هو اي خاصة لا غيره الفوز العظيم فالحاصل ان هذه الآية واقعة موقع التعليل للامر
بالنفر بالنفس والمال ولما ثبتت المعاقدة واحكامها وصف المعاقدين على طريق المدح للحث على اوصافهم فقال التائبون مبتدئا
اوصافهم بالتوبة التي هي اساس العمل الصالح ثم ابتدأ المؤسس بمطلق العبادة الشاملة لجميع انواع الدين من العلم وغيره فقال
العابدون اي الذين اقبلوا على العبادة فاخلصوها لله ولما كان التزام الدين لا يعرف الا بالاقرار باللسان اتبع ذلك الحمد الذي تدور
مادته على بلوغ الغاية الذي من جملته الثناء اللساني بالجميل الشامل للتوحيد وغيره فقال الحامدون اي المثنون عليه سبحانه ثناء
عظيما تطابقت عليه السنتهم وقلوبهم فتبعته آثارهم ولما كان الاقرار باللسان لا يقبل الا عند مطابقة القلب تلاه بالسياحة التي
تدور بكل ترتيب على الاتساع الذي منه اصلاح القلب ليتسع للتجرد عن ضيق المالوفات الى فضاء الحضرات الالهيات فقال السائحون
ولما كانت الصلوة نتيجة ذلك لكونها جامعة لعمل القلب واللسان وغيرهما من الاركان وهي اعظم موصل الى بساط الانس في حضرات
القدس واعلى مجرد عن الوقوف مع المالوف وكان اول مراتب التواضع القيام واوسطها الركوع وغايتها السجود وكان جميع اشكال الصلوة
موافقا للعادة الا الركوع والسجود اشار اليه بقوله مخصصا لهما بالذكر تنبيها على ان المراد من الصلوة نهاية الخضوع الراكعون فبين ان
تمام هذه البشرى لهذه الامة لان صلاة غيرهم لا ركوع فيها واتمها بقوله الساجدون ولما كان الناصح لنفسه بتهذيب لسانه وقلبه
وجميع جوارحه لا يقبل الا اذا بذل الجهد في نصيحة غيره كما صرح به مثال السفر في السفينة ليحصل المقصود من الدين وهو جمع الكل على
الله المقتضي للتعاضد والتناصر الموجب لدوام العبادة والنصرة وبذلك يتحقق التجرد عن كل مالوف مجانس وغير مجانس اتبع ذلك
قوله الآمرون بالمعروف اي السنة ولما كان الدين متينا فلن يشاده احد الا غلبه كان المراد من المامورات مسماها دون تمامها
ومنتهاها اذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم والمراد من المنهيات تركها كلها ومن الحدود الوقوف عندها من غير مجاوزة واذا
انتهيتكم عن شيء فاجتنبوه رواه البخاري في الاعتصام من صحيحه ومسلم ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه وكانت العرب كما تقدم في البقرة
عند قوله تعالى والصلوة الوسطى وفي آل عمران عند قوله الصابرين والصادقين عن الاستاذ ابي الحسن الحرالي رحمه الله اذا اتبعت بعض
الصفات بعضا من غير عطف علم انها غير تامة فاذا عطفتها ارادت التمكن فيها والعراقة والتمام فاعلم سبحانه ان المراد فيما تقدم من
الاوصاف الاتيان بما امكن منها فاتى بها اتباعا دون عطف لذلك واشار الى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف عند الحدود
لا يقنع منه الا بالتمام لان المقصر في شيء من ذلك اما راض بهدم الدين واما هادم نفسه فيجب التجرد التام فيه لان النهي اصعب اقسام
العبادة لانه متعلق بالغير وهو مثير للغضب موجب للحمية وظهور الخصومة فربما كان عنه ضرب وقتل فلذلك عطفها ولم يتبعها فقال
والناهون اي بغاية الجد عن المنكر اي البدعة ولما كان فاعل الخير لا ينفعه فعله الا باستمراره عليه الى الموت اتبعه قوله
والحافظون اي بغاية الحزم والقوة لحدود الله اي الملك الاعظم التي حدها في هذا الشرع القيم فلم يتجاوزوا شيئا منها فختم بما به بدأ
مع قيد الدوام بالرعي والقوة والحاصل ان الوصف الاول للتجرد عن ربقة مالوف خاص وهو شرك المعصية بشرك او غيره
والثاني للتجرد عن قيود العادات الى فضاء العبادات والثالث لبلوغ الغاية في تهذيب الظاهر والرابع للتوسع الى التجرد عن قيود
الباطن والخامس والسادس للجمع بين كمال الباطن والظاهر والسابع للسير الى افاضة ذلك على الغير والثامن للدوام على تلك الحدود

بترك

بترك جميع القيود فمقصوده الاية العروج من الحضيض الجسماني الى الشرف الروحاني ثم امره صلى الله عليه وسلم بتبشير المتخلق بهذه الاوصاف عاطفا الامر به على محذوف تقديره والله اعلم فانذر من تخلى منها بكل ما يسوؤه بعد سجنه في دار الشقاوة فانه كافر وبشرهم اي هؤلاء الموصوفين هكذا كان الاصل الاضمار ولكنه اظهر ختما بما به بدا وتعليقا بالوصف وتعميما فقال وبشر المومنين اي المتخلقين بها بكل ما يسرهم بعد تخصيصهم بدار السعادة وفي ختم الايتين بالبشارة تاه من الخالق وتاه من اكمل الخلايق اعظم مزية للمومنين وفي جعل الاولى من امره اعظم ترغيب في الجهاد واعلى حث على خوض غمرات الحلاد وفي ابتداء الايتين بالوصف المشعر بالرسوخ في الايمان الذي هو الوصف المتم للعشر وختمها بمثله اشارة الى ان هذه مايدة لا يجلس عليها طفيلي وان من عدا الراسخين في درجة الاحمال لا كلام معهم ولا التفات بوجه اليهم ولما كثرت في هذه السورة الاوامر بالبراءة من احياء المشركين وجا الامر ايضا بالبراءة من اموات المنافقين بالنهي عن الدعاء لهم حان هذه الاية مشيرة الى البراءة من كل مشرك فوقع التصريح بعدها بما اشارت اليه وذلك انه لما ثبت بهذه الاية في تقديم الجار ان المباينة وقعت على تخصيص الجنة بالمومنين وانه تعالى اوفى من عاهد ثبت انه لا يجوز ان يدخل غيرهم الجنة وان غيرهم اصحاب النار لانه قد علم ان الاخرة داران جنة ونار ولما ثبت هذا كله علم قطعا علم النتيجة من المقدمات الصحيحة انه ما كان اي في نفس الامر للنبي اي الذي لا ينطق الا بما عنده فيه بيان من الله والذين امنوا اي اقروا بانهم صدقوا بدعوته فلا يفعلون الا ما عندهم منه علم ان يستغفروا اي يطلبوا المغفرة ويدعوا بها للمشركين اي الراسخين في الاشراك في عبادة ربهم ولو كانوا اي المشركون اولي قربى اي للذين امنوا من بعد ما تبين لهم اي عموهم على الشرك وانزال هذه الاية للحتم بالتخصيص بالجنة انهم اصحاب الجحيم اي لاهليتهم لها للجنة فان الاستغفار معناه محو الذنوب حتى يغفر صاحبها من النار ويدخل الجنة وكما ينبغي لهم ان يكون لهم ابهم التفات قال ذلك ربما جر الى ملابسة تفتر عن القتال الواقع عليه المباينة فما ينبغي الا محض المقاطعة والمجانبة والمنازعة وتقييد النهي بالتبين يدل على جواز الدعاء للحي فان المقصد بالاستغفار الاقبال به الى الايمان الموجب للغفران ولما انكر ان يكون لهم ذلك وكان الخليل عليه السلام المامور بالاقتداء به والالزوم لملته قد استغفر لابيه بين انه كان ايضا قبل العلم بما في نفس الامر من استحقاقه للتابيد في النار فقال دالا بواو العطف على ان التقدير فما استغفر لهم بعد العلم احد من المومنين وما كان استغفار ابرهيم اي خليل الله لابيه اي بعد ان خالفه في الدين الا عن موعدة اي وعى قوله لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شي واكد صدور الوعد بقوله وعدها اياه اي الخليل لابيه قبل ان يعلمه انه ابدي الشقاوة وقيل الضمير لابيه كان وعده انه يسلم فاستغفر له ظنا منه انه صدق في وعده فاسلم والذي يدل على انه كان قبل علمه بذلك قوله فلما تبين له اي بيانا شافيا قاطعا انه عدو لله اي الملك الاعلى مؤبد العداوة له بموته على الكفر او بالوحي بانه يموت عليه تبرا اي اكره نفسه على البراءة منه ثم علل ما افهمته صيغة التفعل من المعالجة بقوله ان ابرهيم لاواه اي سديد الرقة الموجبة للتاوه من خوف الله ومن الشفقة على العباد قال الزجاج والتاوه ان يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء حليم اي سديد التحمل والاغضاء عن المؤذي له هكذا اخلقه في حد ذاته فكيف في حق ابيه ولو قال له لارحمنك واهجرني واضعاف ذلك قال الامام ابو محمد اسحق بن ابرهيم بن اسمعيل البستي القاضي في تفسيره حدثنا حرملة ثنا ابن وهب اخبرني ابن جريج عن ايوب بن هانيء عن مسروق بن الاجدع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وخرجنا معه حتى انتهى الى المقابر فامرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها فجلس اليه فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم اقبل الينا فتلقاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ما الذي ابكاك يا نبي الله فقد ابكانا وافزعنا فاخذ بيد عمر رضي الله عنه ثم اقبل الينا فاتيناه فقال افزعكم بكائي قلنا نعم يا رسول الله قال ان القبر الذي رايتموني اناجي قبر امنة بنت وهب وانني استاذنت ربي في الاستغفار لها فلم ياذن لي ونزل علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين حتى ختم الاية وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فاخذني ما ياخذ الولد من الرقة فذلك الذي ابكاني وهذا اسناد حسن ولمسلم وابي داود والنسائي وابن ماجة في الجنايز عن ابي هريرة رضي الله عنه قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله ثم قال استاذنت ربي في ان استغفر لها فلم ياذن لي واستاذنته ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت وللبخاري في التفسير وعنده ومسلم في الايمان عن ابن المسيب عن ابيه رضي الله عنه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اي عم قل لا اله الا الله احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب وفي رواية فكان اخر ما كلمهم ان قال هو على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من احببت الاية ولعله استمر يستغفر له ما بين موته وغزوة تبوك حتى نزلت وروي في سبب نزولها غير هذا ايضا وقد تقدم انه يجوز ان تتعدد الاسباب ولما كان الاستغفار للمشركين امرا عظيما وكان فيه نوع ولاية لهم اظهر سبحانه للمومنين ما من عليهم به من عدم المواخذة بالاقدام عليه تهويلا لذلك وقطعا لما بين اوج الايمان وحضيض الكفران بكل اعتبار فقال تعالى وما كان الله اي الذي له صفات الكمال ولما كان الضلال سبب الهلاك وكان من شرع شريعة ثم عاقب ملتزمها من غير بيان لمن ضل على طريق غير موصل فهلك صاحبه فكان الداعي بذلك مضلا قال ليضل قوما اي يفعل بهم ما يفعل بالضالين من العقوبة لاجل ارتكابهم لما ينهى عنه بناسخ نسخه بعد اذ هداهم اي بشريعة نصبها لهم حتى يبين لهم اي بيانا شافيا لدرء الهوى ما يتقون اي مما هو جدير بان يحذروه ويجتنبوه خوفا من غايلته بناسخ ينسخ حال الاباحة التي كانوا عليها ولما كان الذي يامر بتبلوك طريق ثم يترك فيها ما يحتاج الى بيان انما يوتى عليه من الجهل او النسيان نفى ذلك سبحانه عن نفسه فقال معللا لعدم الاضلال الا بعد البيان انه اي المحيط

بصفات الكمال بكل شيء عليم اي بالغ العلم فلا يتطرق اليه خفا بوجه من الوجوه في حين من الاحيان فهو يبين لكم جميع ما تاتون وما تذرون
مما يتوقف عليه الهدى وما تركه فهو انما يتركه رحمة لكم لا يضل ربي ولا ينسى فلا تبحثوا عنه ثم علل علمه بكل شيء بان قدرته شاملة فهو قادر على
نصرة من يريد والانتقام ممن يريد فلا ينبغي لاحد ان يحب الا فيه ولا يبغض الا فيه ولا يهتم بعداوة احد ممن عاداه فقال ان الله اي الملك الاعظم
له اي بكل اعتبار تعدونه من اعتبارات الكمال ملك السموات والارض فلا يخفى عليه شيء فهو خبير بكل ما ينفعكم او يضركم وهو وليكم يبينه لكم ومن
كان له جميع الملك كان بحيث لا يستعصي على امره شيء علم ولا غيره لان العلم من اقوى القوى والقدر ولا يكون الملك الا عالما قادرا ثم علل قدرته
وعلمه بما يشاهد متكررا من فعله في الحيوان والنبات وغير ذلك فقال يحيي ويميت اي بكل معنى فهو الذي احياكم وغيركم الحياة الجسمانية
وخصكم انتم بالحياة الايمانية وكما جعل غيركم بعضهم اولياء بعض وجمعهم كلهم على ولاية عدوهم الشيطان جعلكم انتم اولياء ربكم الرحمن فهو
وليكم وناصركم وما اي والحال انه ما لكم ولما كان ليس لاحد ان يجوز كل ما دون رتبته سبحانه اثبت الجار فقال من دون الله اي الذي له الامر
كله واغرق في النفي بقوله من ولي اي قريب يفعل معكم من الحياطة والنصح ما يفعل القريب من النصر وغيره ولما كان الانسان قد ينصره
غير قريبه قال ولا نصير اي فلا توالوا الا من كان من حزبه واهل حبه وقربه وفيه تهديد لمن اقدم على ما ينبغي ان يتقى لا سيما الملاينة
لاعداء الله من المساترين والمصارحين فان غاية ذلك موالاتهم وهي لا تغني من الله شيئا ولما اشار الى انه هو وليهم احياهم بروح منه
مبين لهم ما يصلحهم وانه لا ولي لهم غيره اقام الدليل على ذلك بقوله لقد تاب الله اي الذي له الجلال والاكرام على النبي اي الذي لا يزال عنده
من الله خبر عظيم يرشده الى ما يوذن بتقوية حياته برفع درجاته فما من مقام يرقيه اليه الا راى انه لمزيد علوه توبة للمقام الذي كان
دونه فهو في كل لمحة في ارتقاء من كامل الى اكمل الى ما لا نهاية له ولما اخبر تعالى بعلو رتبة النبي صلى الله عليه وسلم بترقيته في رتب
الكمالات والاكمليات الى ما لا نهاية له على وجه هو في غاية البعث لكل مومن على المبادرة الى التوبة اكد ذلك بقوله والمهاجرين والانصار
بمحو هفواتهم ورفع درجاتهم الذين اتبعوه اي النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة العسرة اي ازمنة غزوة تبوك كانوا في عسرة من الزمان
بالجدب والضيقة الشديدة والحر الشديد وعسرة من الظهر يعتقب العسرة على بعير واحد وعسرة من الزاد تزودوا التمر والشعير
المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى
نحروا الابل واعتصروا فروثها وسماها ساعة تهوينا لاوقات الكروب وتشجيعا على مواقعة المكاره فان امدها يسير واجرها عظيم خطير
فكانت حالهم باتباعه في هذه الغزوة اكمل من حالهم قبلها واشار سبحانه الى تفاوتهم في الثبات على مقامات عالية ترقوا بالتوبة الى اعلامها
وفي قبول وساوس ابعدتهم التوبة عن قبولها بقوله من بعد ما كاد اي قرب قربا عظيما تزيغ اي تزول عن اماكنها الموجبة لصلاحها
واشار بمن الى تقارب ما بين كيدوده الزيغ والتدارك بالتوبة ولما كان المقام للزلزال تناسب التعبير بما منه الانقلاب والفرقة فقال
قلوب فريق اي هم بحيث تحصل منهم الفرقة لما هناك من الزلازل المميلة منهم اي من عظيم ما نالهم من الشدايد فقيل لذلك عن الحق كابي خيثمة
ومن احب الراحة وهاب السفر في ذلك الحر الشديد الى بني الاصفر الملوك الصيد الابطال الصناديد وهم ملء الارض كثرة وقد الحصى
عدة ومثل الجبال شدة ثم عزم الله له فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع سبحانه بالجميع الى ما كانوا عليه قبل مقاربة الزيغ من
مباعدته ولما صاروا كمن لم يقارب الزيغ اعلاهم الى مقام آخر عبر عن عظمته باداة التراخي فقال ثم تاب عليهم اي كلهم تكريرا للرفعة
او على من كاد يزيغ بالثبات على مباعدة الزلات وبالترقي في اعالي الدرجات الى الممات ونقل ابو حيان عن الحسن ان زيغها همها بالانصراف
لما لقيت من المشقة قال وقيل ساء ظنها بما راته من شدة العسرة وقلة الوفر وبعد الشقة وقوة العدو المقصود انتهى ويجوز ان يكون
عبر بثم لوصولهم الى حالة يبعد معها الثبات فضلا عن مباعدة مواقع الزلات فثبتها حتى عادت كالحديد من غير سبب ظاهر من جيش او غيره
فثبت بذلك انه مالك الملك متمكن من فعل كل ما يريده وانه لا ولي لهم سواه ثم علل لطفه بهم بقوله انه بهم رؤف رحيم والرافة شدة
الرحمة فقدم الابلغ فيقال فيه ما قيل في الرحمن الرحيم فالمعنى انه يرحمهم اعلى الرحمة باسباغ جلايل النعم ودفع جلايل النقم ويرحمهم ايضا
باسباغ دقايق النعم ودفع دقايق النقم وقيل الرافة ازالة الضر والرحمة ايصال النفع ومادة راف تدور مع السعة على ما اشير
اليه في سورة سبحان على شدة الوصلة فالرافة كما قال الحرالي رحمه الله في البقرة عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة فهي رحمة
ذي الصلة بالراحم والرحمة تعم من لا صلة له بالراحم انتهى فتكون الرافة حينئذ للثابتين والرحمة لمن قارب الزيغ فيصير الثابت مرحوما
مرتين لانه منظور اليه بالصفتين وتقدم عند الحزبين من البقرة ما ينفع هنا ولما صرح بالتوبة على من قارب الزيغ وخلط معهم اهل
الثبات اشارة الى ان كل احد فقير الى الغني الكبير وليكون اقترانهم باهل المعالي وجعلهم في حيزهم تشريفا لهم وتانيسا لئلا يشتد انكسارهم
اتبعه التوبة على من وقع منه الزيغ فقال غير مصرح بالزيغ تعليما للادب ونهي الناس عن كلامهم واخر الحكم فيهم وعلى اي ولقد تاب الله على
الثلاثة الذين ولما كان الخالع للقلوب مطلق التخليف بني للمفعول قوله خلفوا اي خلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجران ونهى
الناس عن كلامهم لياتي امر الله في بيان امرهم واستمر تخليفهم حتى اذا ضاقت واشار الى عظيم الامر باداة الاستعلاء فقال عليهم الارض
اي كلها بما رحبت اي مع شدة اتساعها اي ضاق عليهم فسيحها وواسعها ولما كان هذا قد يراد به الحقيقة وكان ضيق المحل قد لا يستلزم
ضيق الصدر اتبعه الدلالة على ان المراد المجاز فقال وضاقت عليهم بالهم المزعج والغم المقلق انفسهم اي من شدة ما لاقوا من الهجران
حتى بالكلام حتى برد السلام ولما كان ذلك لا يقتضي التوبة الا بالمراقبة اتبعه بيانا للتخلق بها قوله وظنوا اي ايقنوا ولعله عبر
بالظن ايذانا بانهم لشدة الحيرة كانت قلوبهم لا تستقر على حال فكان يقينهم لشدة الخواطر كانه ظن او يقال وهو احسن ان التعبير به
عن يقين المخلصين اشارة الى ان اعلى اليقين في التوحيد لا يبلغ الحقيقة على ما هي عليه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره كما قال اصدق الخلق
صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وهذا من النفايس فاستعمله في امثاله ان لا ملجا اي مهرب ومفزع

من الله اي الذي له الاحاطة الكاملة الا اليه اي بما يرضيه وعومل لتحيرهم في امرهم وجواب اذا المحذوف دل عليه صدر الكلام
تقديره تداركهم بالتوبة فرجعوا الى ما كانوا عليه قبل مواقعة الذنب ولما كان ما عملوه من التخلف عن امر الرسول صلى الله عليه
وسلم عظيما بمجرد المخالفة ثم بترك المواساة ثم بالرغبة عنه صلى الله عليه وسلم ثم بامور عظيمة شديدة التنفير وخيمة فكان يبعد
معه الزيادة عن رتبة التوبة لعلم سبحانه انه رقاهم في رتب الكمال بان جعل ذلك سببا لتطهيرهم من جميع الادناس وتنقيتهم من
سائر الادران المقتضي لمزيد القرب بالعروج في مصاعد المعارف كما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب رضي الله عنه ابشر بخير
يوم مر عليك منذ ولدتك امك اتم ذلك سبحانه الاعلام به بقوله مشيرا الى بعده لولا فضل الله بادأة الاستبعاد ثم تاب عليهم اي
رجع بهم بعد التوبة الى مقام من مقامات سلامة الفطرة الذي هو احسن تقويم ليعد لعلوق بالنسبة الى ما دونه توبة ليتوبوا
اي ليرجعوا الى ما تقتضيه الفطرة الاولى من الثبات على ما كانوا عليه من الاحسان في الدين والتخلق باخلاق السابقين ولعله عبر
بالظن موضع العلم اشارة الى انه يكفي في الخوف من جلاله للانقطاع اليه مجرد الظن بانه لا سبب اليه الا منه لانه محيط بكل شيء لا يعجز
شيء ويمكن ان يكون التعبير بثم اشارة الى عظيم ما قاسوا من الاهوال وما توقعوا اليه من مراتب الخوف وامتنانا عليهم بالتوبة من
عظيم ما ارتكبوا وانما خصوا عن رفقائهم بان ارجئوا الامر اعلاما لعلو مقامهم بما لهم من السابقة ورسوخ القدم في الاسلام فالمخالفة
اليسيرة منهم اعظم من الكبيرة من غيرهم لانهم امة الهدى ومصابيح الظلم ومن هذا البارق حسنات الابرار سيئات المقربين ثم علل
التوبة بامر يعم غيرهم ترغيبا فقال صبرا بما يشير مع اعلاء مقامهم الى نزوله عن مقام من قبلهم انه اي الذي له الكمال كله هو اي وحده
التواب اي البليغ التوبة على من تاب وان عظم جرمه وتكررت توبته لتكرر ذنوبه الرحيم اي المكرم لمن اراد من عباده بان يحفظه
على ما يرضيه فلا يزيغ ويبالغ في الانعام عليه ولما كان الذي نالوا به الاقبال من مولاهم عليهم مما وصفهم به من الضيق وما معه هو
التقوى والصدق في الايمان كما كان ما عده الانسان في نفسه مما الموت عنده والقذف في النار احب اليه من التلفظ به صرح بان ذلك
بشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم رغب سبحانه في الصدق فقال يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك اتقوا الله اي خافوا سطوة من له
العظمة الكاملة تصديقا لدعواكم فلا تفعلوا الا ما يرضيه وكونوا اي كونا صادقا بجميع الطبع والجبلة مع الصادقين اي في كل ارب يطلب
منهم ولعله اخرج الامر مخرج العموم ليشمل كل مؤمن ممن كان متصفا كانت آية له بالحاق ومن كان سابقا كانت حائلة له على حفظ
مقام الاستباق ولعله عبر بمع ليشمل ادنى الدرجات وهو الكون بالجثة روى البخاري توبة كعب احد هؤلاء الثلاثة رضي الله
عنهم في مواضع من صحيحه منها التفسير وكذا رواه غيره عن كعب نفسه رضي الله عنه انه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة غزاها قط غير غزوتين غزوة العسرة يعني هذه وغزوة بدر وان تخلفه ببدر انما كان لان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يندب الناس اليه ولا حثهم عليها لانه ما خرج اولا الا لاجل العير قال فاجمعت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
قل ما يقدم من سفر سافره الا ضحى وكان يبدأ بالمسجد فيركع ركعتين ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي يعني مراره
ابن الربيع العمري وهلال بن امية الواقفي ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال
علي الامر وما من شيء اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس
بتلك المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يصلي علي فانزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخر من الليل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة رضي الله عنها وكانت ام سلمة محسنة في شاني معنية في امري فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ام سلمة تيب على كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذن يحطمكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة حتى اذا صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلوة الفجر آذن بتوبة الله علينا وكان اذا استبشر استنار وجهه حتى كانه قطعة من القمر وكنا ايها الثلثة
الذين خلفوا خلفنا عن الامر الذين قبل من هؤلاء الذين اعتذروا حين انزل الله لنا التوبة فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشر ما ذكر به احدا قال الله عز وجل يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم الآية
ولما كان ما نالهم من الاهوال انما نالهم بتخلفهم عن اشرف الخلق والذي التفت بهم الى مرابع الاقبال انما هو الصدق قال تعالى
ناهيا بصيغة الخبر ليكون ابلغ جاعلا اياهم من كان على مثل حالهم في مطلق التخلف ما كان اي ما صح وما انبغى بوجه من الوجوه لاهل
المدينة اي التي هي سكن الرسول صلى الله عليه وسلم وهي دار الهجرة ومعدن النصرة ومن حولهم اي من جميع نواحي المدينة الشريفة
من الاعراب اي سكان البوادي الذين اتسموا بالاسلام ان يتخلفوا في امر من الامور عن رسول الله اي الملك الاعلى ومن شان المرسل
اليه ان لا يبرح عن جناب المرسل لا سيما وهو راس الصادقين الذين وقع الامر باكون معهم ولا يرغبوا اي وما كان لهم ان يرغبوا
وليله قللهم بصيغة القلة بالنسبة الى من ايده به صلى الله عليه وسلم من جنود فقال بانفسهم عن نفسه اي التي هي اشرف
النفوس مطلقا بان يصونوها عما باشره صلى الله عليه وسلم بل يلقوها في المتالف دونه وصيانة لنفسه الشريفة عن ادنى الاذى
نهي كالتعليل للامر بالتقوى اي خافوا اسوا صدقوه كما صدق هؤلاء ليتوب عليكم كما تاب عليهم فانه لم يكن لكم التخلف نهو نهي بليغ
مع تقبيح وتوبيخ وتهديد ولما علل الامر بالتقوى على النهي عن التخلف بما يدل على صدق الايمان فيصير نقيضه دالا على
نقيضه فقال ذلك اي النهي العظيم عن التخلف بما يدل على صدق الايمان في هذا الاسلوب الثاني للكون بانهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش
شديد ولا نصب اي تعب بالغ ولا مخمصة اي شدة مجاعة في سبيل الله اي طريق دين الملك الاعظم الموصل به الى جهاد اعدائه
ورتبت هذه الاشياء ترتيبها في الوجود فان مطلق الحركة يهيج الحرارة فينشا العطش وتمادي يورث التعب والاغلب ان يكون
قبل الجوع ولما كان المقصود من جهاد النفس بما ذكر ارغام الكفار باقتحام ارضهم الموصل به الى ايمانهم بالنيل منهم اتبع ذلك

قوله ولا يطأون موطئا اي وطيا او مكان وطء يغيظ الكفار اي وطئهم له بارجلهم او دوابهم ولا ينالون من عدو نيلا اي كائنا ما كان
صغيرا او كبيرا الا كتب لهم به اي في صحايف الاعمال بني للمفعول لان القصد اثباته لا من معين عمل صالح اي يرتب لهم عليه اجر جزيل ولما
كان فاعل هذه الاشياء مقدما على المعاطب في نفسه ومحصلا لغرض الجهاد اشير على وجه التاكيد في جملة اسمية الى انه محسن اما في حق نفسه
فباقامة الدليل بطاعته على صدق ايمانه واما في حق غيره من المومنين فبحمايتهم عن طمع الكافرين واما في حق الكفار فبحملهم على الايمان بغاية
الامكان فقال تعالى معللا للمجازاة ان الله اي الذي له صفات الكمال لا يضيع اي لا يترك ترك ما من شانه الاهمال اجر المحسنين واظهر
موضع الاضمار تعميما وتعليقا بالوصف ولما كانت المشقة بالانفاق العايد ضرره الى المال وطي مطلق الارض الذي قد لا يلزم منه
وصول الى ما يغيظ العدو دون المشقة الحاصلة في النفس بالظما وما معه من فعل ما يغيظ العدو وينقصه قدم ذلك على قوله
ولا ينفقون ولما كان القليل قد يحتقر ابتداء به ترغيبا في قوله نفقة صغيرة ولما كان ربما تعنت متعنت فجعل ذكرها قيدا
قال ولا كبيرة اعلاما بانه معتد به ليلا يترك وفيه اشارة الى آية اللمز للمطوعين في الصدقات ولا يقطعون واديا اي من الاودية
بالسير في الجهاد والوادي كل منفرج بين جبال واكام ينفذ فيه السيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال الا كتب لهم اي ذلك
الانفاق والقطع بناه للمفعول لان القصد الحفظ بالكتابة مطلقا ليجزيهم الله اي ذو الجلال والاكرام بذلك من فضله احسن ما كانوا اي
جبلة وطبعا يعملون مما عنده على قدر النيات واكدت فاصلة الاولى دون هذه لزيادة تلك في المشقة والنفع ولذا صرح فيها بالاجر
والعمل الصالح نبه على ذلك الامام ابو حيان ومن هنا بل من عند ان الله اشترى شرع في عطف الآخر على الاول الذي مضمونه البراءة
من المشركين والاجتهاد في قتالهم بعد انقضاء مدتهم حيث وجدوا الى ان قال قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله الى ان قال ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ثم قال انفروا خفافا وثقالا ثم اتبع ذلك
قصص المنافقين كما انه فعل هنا كذلك الى ان ختم بقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الاية ثم اتبعها ذكر المنافقين ولما تواترت النواهي
للمتخلفين وتواصلت الزواجر وتعاظم التبكيت والتهديد طارت القلوب واشفقت النفوس فكان ذلك مظنة ان لا يتخلف بعدها احد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمن يقوم مقامه فيتمكن حينئذ الاعداء من الاموال والذراري والعيال فاتبع ذلك قوله تعالى
وما كان المومنون اي الذين حثهم على النفر الرسوخ في الايمان لينفروا كافة اي جميعا فان ذلك يخل بكثير من الاغراض الصالحة وهو
تعليم لما هو الانسب بالدين والدنيا من انقسام الناس قسمين قسما للجهاد وقسما للتفقه وحفظ الاموال والاولاد كل ذلك بامره عليه
الصلاة والسلام والعمل بما يرضاه ولا يخفى ذلك على المخلص ولعل التعبير بالفعل الماضي في قوله مسببا عما قبله فلولا نفر ليفهم تبكيت
من قصد تبكيته من المتخلفين في جميع هذه السورة بانه كان عليهم ان ينفر مع النبي صلى الله عليه وسلم من كل فرقة اي ناس كثير ليسهل
افتراقهم قالوا وهو اسم يقع على ثلثة منهم طائفة اي ناس لا ينفكون حافين بالنبي صلى الله عليه وسلم يلزمونه قيل والطائفة واحد
او اثنان فالآية حجة على قبول خبر الواحد ووجوب العمل به وكانه عبر بها للاشارة الى الحث على كثرة النافرين كما هو اصل مدلولها
الاغلب فيه ليتفقهوا اي ليكلف النافرون انفسهم الفهم منه صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا في الدين اي بما يسمعونه من اقواله ويرونه
من جميل افعاله ويصل الى قلوبهم من مستنير احواله وهذا غاية الشرف للعلم حيث جعل غاية الملازمة له صلى الله عليه وسلم
في الجهاد هذا ان كان هو صلى الله عليه وسلم النافر في تلك الغزاة وان كان غيره كان ضمير يتفقهوا للباقين معه صلى الله عليه
وسلم ولما كان من العلم بشارة ومنه نذارة وكان الانسان لما فيه من النقصان احوج شيء الى النذارة خصها بالذكر فقال عطفا
على نحو ليخافوا في انفسهم فيعملوا في خلاصها ولينذروا قومهم اي يحذروهم ما امامهم من المخاوف ان فرطوا في جانب التقوى اذا رجعوا
اليهم اي ما انذرهموه الرسول صلى الله عليه وسلم ويبشروهم بما بشرهم به ثم بين غاية العلم مشيرا الى ان من جعل له غاية غيرها من
ترفع او افتخار فقد ضل ضلالا كبيرا فقال موجبا لقبول خبر من بلغهم لعلهم اي كلهم يحذرون اي ليكون حالهم حال اهل الخوف من الله
بما حصلوا من الفقه لانه اصل كل خير به تنجلي القلوب فتقبل على الخير وتعرض عن الشر فان الحذر تجنب الشيء لما فيه من الضرر والمراد
بالفقه هنا حفظ الكتاب والسنة وفهم معانيهما من الاصول والفروع والاداب والفضايل وقال الرماني الفقه فهم موجبات
المعاني المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها ولما علمت المقاصد وتهيات القلوب لقبول الفوايد وامر بالانذار بالفقه وكان من
الناس من لا يرجع الا بشديد الباس اقبل على الكل مخاطبا لهم بادنى اسنان القلوب ليتوجه الى الادنى ويتناول الاعلى منه من باب
الاولى فقال يا ايها الذين امنوا اي ادعوا بالسنتهم الايمان قاتلوا اي تصديقا لدعواكم ذلك الذين يلونكم اي يقربون منكم من الكفار
فالذين يلونهم ان لم تروا غيره اصلح لمعنى يعرض لما في ذلك من حسن الترتيب ومقتضى الحكمة ولان الجهاد معروف واحسان والاقربون
اولى بالمعروف ولتبعدوا العدو عن بلادكم فيكثر صلاحكم ويقل فسادكم وتكونوا قد جمعتم بالتفقه والقتال بين الجهادين جهاد الحجة
وجهاد السيف مع الاحتراس بهذا الترتيب من ان يبقى وراكم اذا قاتلتم من تخشون كيده ولما كانت الملاينة اولى بالمسالمة والمجاشنة
اولى بالمصارمة قال وليجدوا من الوجدان فيكم غلظة اي شدة وحمية لان ذلك اهيب في صدورهم واكف عن فجورهم وحقيقة
الغلظة في الاجسام استعيرت هنا للشدة في الحرب وهي تجمع الجراة والصبر على القتال وشدة العداوة فاذا فعلوا ذلك كانوا
جامعين بين جهاد الحجة والسيف كما قيل • من لا يعد له القران كان له • من الصعاد وبيض الهند تعديل •
نبه عليه ابو حيان ولما كان التقدير وليكن كل ذلك مع التقوى لا بسبب مال ولا جاه فانها ملاك الامر كله قال منبها على ذلك
بقوله واعلموا ان الله اي الذي له الكمال كله مع المتقين فلا تخافوا ان يودي شيء من مصاحبتها الى وهن فان العبرة بمن كان الله معه
ولما ذكر هذه السورة اي الطائفة الخاصة بصيغة لولا على النفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الآمرة بجهاد الكفار والغلظة

عليهم

عليهم وكان لا يحمل على ذلك الا ما اشار اليه ختم الاية السالفة من التعويل بتجديد الايمان كلما نزل شئ من القران وكان قد ذكر سبحانه
المخالفين لامر الجهاد بالتخلف دون امر الايمان حين قال واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول
منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين التفت الى ذلك ليذكرا قبح الاخر ومواقعا عن الايمان فقال واذا واكدا ثانيا تنبيها على فضل
الايمان فقال ما ولما كان المنكر لهم مطلق النزول بنى للمفعول كقوله انزلت سورة اي قطعة من القران في معنى من المعاني لهم اي
المنزل اليهم من يقول انكارا واستهزاء وهم المنافقون ايكم اي ايها العصابة المنافقة زادته هذه ايمانا ايها ما لانهم متصفون
باصل الايمان لان الزيادة ضم الشئ الى غير ما يشاركه في صفته هذا ما يظهرون تسترا واما حقيقة حالهم عند اشالهم فالاستهزاء
استبعادا لكون نفاق بعد احد في حالة شبابه وسبب شكهم واستهزائهم ان ساعيها انتسبوا الى قسمين مومنين ومنافقين ولذلك
اجاب تعالى بقوله مسببا عن انزالها فاما الذين امنوا اي اوقعوا الايمان حقيقة لصحة ازجة قلوبهم فزادتهم اي تلك السورة
ايمانا اي بايمانهم بها الى ما كان لهم من الايمان بغيرها وبتدبيرها ورقة القلوب بها وفهم ما فيها من المعارف الموجبة لطمانينة القلوب
وشرح الصدور ولما كان المراد بالايمان الحقيقة وكانت الزيادة مبهمة المزيد عليه استغنى عن ان يقول الى ايمانهم لذلك ن
ولدلالة الذين امنوا عليه وهم يستبشرون اي يحصل لهم البشر بما زادتهم من الخير الباقي الذي لا يعدله شئ واما الذين وبين
ان اشرف ما فيهم سكن الامنة فقال في قلوبهم مرض فمنهم الايمان واثبت لهم الكفران فلم يومنوا ولما كان المراد بالمرض فساد
المعنوي المودي الى جنث العقيدة عبر عنه بالرجس فقال فزادتهم رجسا اي اضطرابا موجبا للشك وزادهم امرا بانا بان المراد
المجاز بقوله الى رجسهم اي شكهم الذي كان في غيرها وماتوا اي واستمر بهم ذلك لتمكنه عندهم الى ان ماتوا وهم كافرون اي
عريقون في الكفر وسمي الشك في الدين مرضا لانه فساد في الروح يحتاج الى علاج كفساد البدن في الاحتياج ومرض القلب اعضل
وعلاجه اعسر واشكل ودواه اعز واطباؤه اقل ولما زاد الكفار بالسورة رجسا من اجل كفرهم بها كانت كانها هي التي زادتهم
رجسا وصفها بذلك كما حسن كفي بالسلامة داء وكما قال الشاعر ادي بصري قد رابني بعد صحه وحسنك داء ان تصح وتسلما
قاله الرماني فالمومنون مخبرون عن زيادة ايمانهم وهو كذلك يخبرون عن عدده في وجدانهم فهذا موجب شكهم وتماديهم في غيهم
وافكهم ولو انهم رجعوا الى حاكم العقل لازال شكهم وعرفهم صدق المومنين بالفرق بين حالتيهم فان ظهور الثمرات من ازيل للشبهات
والآية من الاحتباك اثبات الايمان اولا دليلا على حذف ضده ثانيا واثبات المرض ثانيا دليلا على حذف الصحة اولا ولما كان
التقدير تسببا عما جزم به من الحكم بعراقتهم في الرجس وازديادهم منه افلا يرون الى تماديهم في النفاق وثباتهم عليه عطف
عليه تقريرهم بعذاب الدنيا والانكار عليهم في قوله او لا يرون اي المنافقون قال الرماني والرؤية هنا قلبية لان رؤية
البصر لا تدخل على الجملة لان الشئ لا يرى من وجوه مختلفة انهم اي المنافقين ولما كان مطلق وقوع الفتنة من العذاب بنى للمفعول
قوله يفتنون اي يخالطون من حوادث الزمان ونوازل الحدثان مما يضطرهم الى بيان اخلاقهم باظهار سرايرهم في نفاقهم
في كل عام اي وان كان الناس اخصب مما يكونون وارفه عيشا مرة او مرتين فيفضحون بذلك وذلك موجب للتوبة للعلم بان
من علم سرايرهم الذين هم مجتهدون في اخفائها عام بكل شئ قادر على كل مقدور فهو جدير بان تمتثل اوامره وتخشى زواجره ولما كان
عدم توبتهم مع فتنتهم على هذا الوجه مستبعدا اشار اليه باداة التراخي فقال ثم لا يتوبون اي لا يجدد ون توبة ولا هم اي بل
بضمايرهم يذكرون اي ادنى تذكر بما اشار اليه الادغام فلولا انه حصلت لهم زيادة في الرجس لا وشك تكرار الفتنة ان يوتي
رجسهم الى ان يزيله ولكن كلما اوتي شيا خلفه مثله او اكثر بسبب الزيادات المترتبة على وجود نجوم القران والتذكر طلب
الذكر للمعنى بالتكرير فالاية داعية لهم على عدم التوبة باصابة المصايب لعدم تذكرانه سبحانه ما اصابهم بها الا بذنوبهم
ويعفوا عن كثير كما ان احدهم لا يعاقب فتاه الا بذنب وما لم يتب فهو يوالي عقابه ولما ذكر ما يحدث منهم من القول استهزاء
اتبعه تاكيدا للزيادة كفرهم وتوضيحا لتصويب ما يجدث من فعلهم استهزاء من الايمان والتغاير بالعيون فقال واذا واكدا
بالتاء فقال ما ولما كان الغرض من نفس الانزال لا تعيين المنزل بني للمفعول قوله انزلت سورة اي طايفة من القران نظر
بعضهم اي المنافقين الى بعض اي متغامزين بسخرية واستهزاء قايلين هل يراكم واكدوا العموم فقالوا من احد اي من المومنين
ان انصرفتم فانه يشق علينا سماع مثل هذا ويشق علينا ان يطلع المومنون على هذا السر منا ولما كان انصرافهم عن مثل هذا المقام
مستهجنا اشار الى شدة قبحه باداة التراخي فقال ثم انصرفوا اي ان لم يكن احد يراهم وان دأبهم احد من المومنين تجشموا المشقة
وثبتوا ولما كانوا مستحقين لكل سوء اخبر عنهم في اسلوب الدعاء بقوله صرف الله اي الذي له الغنى المطلق والكمال كله
قلوبهم اي عن الايمان ثم علل ذلك بقوله بانهم قوم وان كانوا ذوي قوة على ما يحاولونه فانهم لا يفقهون اي قلوبهم
مجبولة على عدم الفهم لما بها من الغلظة وهذا دليل على ختام الاية قبلها وهاتان الاياتان المختمتان بلا يفقهون التاليتان
للامر بالجهاد في قوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار المواذي انذروا اخفاقا وثقالا الاية قد احتوتا مع وجازتهما على حاصل
اوصاف المنافقين التالية لاية انذروا المختتم ما هو العام منها في اهل الحاضرة في قوله استاذنك اولوا الطول منهم بلا
يفقهون ثم عند اعادة ذكرهم بلا يعلمون وتصويبها تين الايتين الى اهل الحاضرة ظاهر لكونهم ممن يحضر نزول الذكر كثيرا
مع احتمالها للعموم والختم هنا بلا يفقهون انسب لان المقام وهو النظر في زيادة الايمان بالنسبة اليهم يقتضي فكرا وتاملا
وان كان بالنظر الى المومنين في غاية الوضوح ولما امر صلى الله عليه وسلم ان يبلغ هذه الاشياء الشافة جدا من امر هذه الشون
وكان من المعلوم انه لا يحتمل ذلك الامر وفقه الله والمنافقون فيكرهون ذلك وكان انصرافهم دالا على الكراهة عوفهم ان

اصحاب الكرام
حسبنا الله ونعم الوكيل ما استادناك
ربحلة فيها سبعة وعشرون
على ذات ومعنى والعين بلا بصر

الامر كان يقتضي توفر دواعيهم على محبة هذا الداعي لهم المقتضي لملازمته والبعد عما يفعلونه به من الانصراف عنه أن احواله
الداعية لهم الى محبته اعظم من احوال اباآئهم التي أوجبت لهم منهم من المحبة وعليهم من الحقوق ما هم مغترون بالتلبس به والغفلة
فيه وان كل ما يحصل لهذا القرآن من العز والشرف في الدنيا هو لكل من آمن به فقال لقد جاءكم رسول ولما كان الرسول يجب اكرامه
والوقوف في خدمته لاجل مرسله ولو تجرد عن غير ذلك الوصف شرع يذكرهم منا وصانه ما يقتضي لهم مزيد اكرامه فقال
من انفسكم اي تر جمون معه الى نفس واحدة بانكم لاب قريب وذلك اقرب الى الالفة واسرع الى فهم الحجة وابعد من الحكم واللجاجة
عزيز اي شديد جدا عليه ما عنتم والعنت امتناع التي بما يتعذر معه ما يحاول منه بالتعذر او بالشدة او بالصعوبة والعنت
لحاق الاذى الذي يضيق الصدر به ولا يهتدي للمخرج منه حريص اي بليغ الحرص عليكم اي على نفعكم والحرص شدة طلب الشيء على
الاجتهاد فيه وقدم الجار لافادة الاختصاص فقال بالمؤمنين اي المعترفين بهذا الوصف كائنة خاصة ولما ذكر الوصف المقتضي
للرسوخ قدم ما يقتضي العطف على ما يتسبب له بما يقتضي الوصلة فقال رؤف اي شديد الرحمة لمن له منه عاطفة وصله لما
تقدم من معنى الرأفة قريبا ولما كان المؤمن يطلق مجازا على من عكن منه الايمان موصلته الآن ليست بالفعل بل بالامكان قال
تعميما لرحمته صلى الله عليه وسلم كما هو اللايق بشريف منصبه وعظيم خلقه رحيم ولاجل مثل هذه الاغراض النفيسة رتب سبحانه
هذين الوصفين هكذا ولكن المعاني المرادة تارة يظهرها الله تعالى لعبده حجة له واكراما وتارة تخفيها اظهارا للعجز وتنقصا
ثم يظهرها له في وقت آخر ان صدق في التضرع واظهار الافتقار والتذلل وآداب الطلب او لغيره ممن هو اقل منه علما واضعف
نظرا وفهما واذا تاملت كتابي هذا ظهر لك ان كثيرا من الايات فسرها على غير المراد منها قطعا اكابر الصحابة فمن بعدهم
فعلى الانسان اذا خفي عليه امر ان يتوقف لا اعلم ولا يظن انه رتب شيء من هذا الكتاب العزيز لاجل التواصل فذلك امر لا يليق بكلام الله تعالى وقد
عاب النبي صلى الله عليه وسلم السجع لان الساجع يكون محط نظره الالفاظ فيدير المعاني عليها ويتبعها اياها فربما عجز اللفظ عن
تر فية المعنى روى البخاري في الطب وغيره من صحيحه وسلم في الديات وابو داود والنسائي وغيرهم عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في الجنين يقتل في بطن امه بغرة عبد او وليدة فقال الذي قضي عليه كيف اغرم
ما لا شرب ولا اكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هذا من اخوان الكهان من اجل سجعه الذي
سجع وفي رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم بحق كسجع الاعراب وذلك والله اعلم انه لو كان نظره الى المعنى وتصحيحه لاغنى
عن هذا السجع ان يقال كيف اغرم من لا حياة له ولو قصد السجع وتهذيب المعنى لاتى بما يدل على نفي الحياة التي جعلها محط امن
فان ما اتى به لا يستلزم نفيها ولو تقيد بالصحة لاغنى بنفي النطق عن نفي الاستهلال لصح بهذا انه وان رجع تحسين اللفظ صح
المعنى ام لا ولا ينطبع في عقل عاقل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يذم السجع وهو ياتي به ويقصده في القرآن او في السنة
ولو كان ذلك لاسرعوا الرد عليه وذكر اصحاب فتوح البلدان في فتح طبرستان من بلاد فارس ان الحكم بن عمرو لما فتحها ارسل بالاخماس
مع صحار العبدي فلما قدم على عمر رضي الله عنه سأله عن طبرستان وكان لا يأتيه احد الا سأله عن الوجه الذي يجيء منه فقال يا امير
المؤمنين ارض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير بها قليل والقليل بها
ضائع وما وراءها شر منها فقال اسجاع انت ام مخبر فقال لا بل مخبر قال لا والله لا يغزوها جيش لي ما اطعت فعد جعل الفاروق
السجع قسيما للخبر فدل على ان التقيد به عيب لاخلاله بالفائدة او بتمام الفائدة ولعله انما جوز ان يكون مخبرا لانه انك عن
السجع في آخر كلامه وكرر لفظ قليل فكان ما ظنه لانه لو اراد السجع لامكنه ان يقول والكثير بها ذليل والقليل بها ضايع كذليل
وما وراءها شر منها يا قوم قيل وقد نفى سبحانه عن هذا القرآن المجيد تصويب النظر الى السجع كما نفى عنه الشعر فانه تعالى
قال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون فكما ان قول الشاعر اتيانه بالكلام موزونا فكذلك
قول الكاهن اتيانه بالكلام مسجوعا والقرآن ليس من هذا ولا من هذا وان وقع فيه كل من الامرين فغير مقصود اليه ولا معول
عليه بل لكون المعنى انتظم به على اتم الوجوه فيوتى به لذلك ثم يبين انه غير مقصود بالانكاك عنه في كثير من الاماكن بقرينة
ليس لها مجانس في اللفظ كتمام المعاني المرادة عندها فيعلم قطعا ان ذلك غير مقصود اصلا لان مثل ذلك لا يرضى به اقل
الساجعين بل يراه عجزا وضيقا عن تكميل المشاكلة وتنقصا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ومما يوجب كون النظم بان ترتيب
هذين الامرين الشريفين هكذا لغير مراعاة الفواصل قوله تعالى في صورة الحديد وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة
وسيأتي ان شاء الله تعالى في سورة طه عن الفخر الرازي والقاضي ابي بكر الباقلاني منع النظر الى السجع في الكتاب العزيز نقلا
عن جميع الاشاعرة واذا تاملت الفواصل في الاتيان لها تارة بكثرة وتارة بقلة وتارة بترك بالكلية ويوتى في كل آية
بفاصلة لا توافق الاخرى علمت ان هذا المذهب هو الصواب ولا سيما اخر سورة اقرا واذا تاملت كتب اهل العدد
اتقنت علم هذا المستند واذا تاملت ما قلته في هذا النحو من كتابي في مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور لم يبق عندك
شك في شيء من هذا فاياك ان تجنح لهذا القول فتكون قد وقعت في امر عظيم وانت لا تشعر وأورد سبحانه هذه الآية ايراد
المخاطب المتلطف المزيل لما عندهم من الريب بالقسم فكانه قال لهم تنصرفون عن حضرته الشماء وشمايله العلا والله لقد جاءكم
الى اخره ثم اقبل عليه مسليا له مقابلا لاعراضهم ان اعرضوا بالاعراض عنهم وابراة منهم ملتفتا الى اول السورة الآمر بالبراءة
من كل مخالف قايلا مسببا عن النصيحة بهذه الآية التي لا يشك عاقل في مضمونها فان تولوا اي اجتهدوا في تكليف فطرهم
الاولى ان ولوا مدبرين عنك بالانصراف المذكور او غيره بعد النصيحة لهم بهذه الآية فقل استعانه بالله وتفويضا

اليه حسبي اي كافي قال الرماني وهو من الحساب لانه جل ثناؤه يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره ويزيد من
نعمته ما لا يبلغ الى حد ونهاية اذ نعمه دايمة ومننه متظاهرة الله اي الملك الاعلى الذي لا كفو له وانما كان كافيا لانه
لا اله الا هو فلا مكافي له فلا راد لامره ولا معقب لحكمه ولما قام الدليل على انه لا كفو له وجب قصر الرغايب عليه فقال
عليه اي وحده توكلت لان امره نافذ في كل شي وهو رب اي مالك ومخترع ومدبر ولما كان في سياق القهر والكبريا بالبراة
من الكفار والكفاية للابرار كان المقام بالعظمة انسب لانه النمل فقال العرش العظيم اي المحيط بجميع الاجسام الحاوي
لساير الاجرام الذي ثبت بانه الكرسي وغيرها ان ربه اعظم منه لان عظمته على الاطلاق فلا شي الا وهو في قبضته
وداخل في داير مملكته واذا كان كافي فانا بري ممن تولى عني وبعد مني كاينا من كان في كل زمان ومكان فقد عانق اخر
السورة اولها وصافح منتهاها مبتداها وتاكد ما فهمته من شر الالتفاف في فسيحوا وفي فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم
فاعلموا انكم غير معجزي الله والله تعالى اعلم بالصواب ۞ واليه المرجع والمآب ۞ والحمد لله رب العالمين ۞

سورة يونس عليه السلام وهي اولى المئين ان جعلنا براءة مع الانفال من الطوال والا فبراءة اولا

مقصودها وصف الكتاب بانه من عند الله لما اشتمل عليه من الحكمة وانه ليس الا من عنده سبحانه لان غيره لا يقدر على شي
منه وذلك دال بلا ريب على انه واحد في ملكه لا شريك له في شي من امره وتمام الدليل على هذا قصة قوم يونس عليه السلام بانهم
لما امنوا عند المخايل كشف عنهم فدل قطعا على ان الاتي به هو الله الذي امنوا به اذ لو كان غيره لكان ايمانهم به موجبا للايقاع
بهم ولو عذبوا كغيرهم لقيل هذه عادة الدهر كما قالوا قد مس اباؤنا الضراء والسراء ودل ذلك على ان عذاب غيرهم من
الامم انما هو من عند الله لكفرهم لما اتسق من ذلك طردا باحوال ساير الامم من انه كلما وجد الاصرار على التكذيب وجد العذاب
وعكسا من انه كلما انتفى في وقت يقبل قبول التوبة انتفى والله الموفق بسم الله الذي لا امر لاحد سواه فلا كلام يشبه كلامه
فلا كفو له الرحمن الذي عم بكلامه جميع خلقه باوضح البيان الرحيم الذي اتم لمطيعهم نعمة الامتنان الر فخم الف را ابن كثير
ونافع وحفص عن عاصم وامالها ورش عن نافع بين بين والباقون بالامالة المحضة والاصل في ذلك الفتح وكذا ما كان من
امثالها مما الفاتها ليست منقلبة عن يا نحو ما ولا وامالتها للتنبيه على انها اسماء للحروف وليست حروفا نقل ذلك عن الواحدي
لما قدم في اول الاعراف الحث على ابلاغ النصيحة لهذا الكتاب وفرغ مما اقتضاه السياق من التحذير من مثل وقايع الاولين
ومصارع الماضين ومما استتبع ذلك من توصيل القول في ترجمة هذا النبي الكريم مع قومه في اول امره واثنايه واخره في
سورتي الانفال وبراة وختم ذلك بان سور الكتاب تزيد كل احد مما هو ملايم له متهيئ لقبوله وتبعده عما هو منافر له بعيد عن
قبول ملايمته وان الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قد حوى من الاوصاف والحلى والاخلاق العلى ما يوجب الاقبال عليه ۞
والاسراع اليه والاخبار بان توليهم عنه لا يضره شيا لان ربه كافيه لانه لا مثل له وانه ذو العرش العظيم لما كان ذلك كذلك
اعاد سبحانه القول في شان الكتاب الذي افتتح به الاعراف وختم به سورة التوبة وزاده وصف الحكمة واشار باداة
البعد الى ان رتبته فيها بعيدة المنال بديعة المثال فقال تلك اي الايات العظيمة جدا التي اشتملت عليها هذه السورة
او السور التي تقدمت هذه السورة او هذه الحروف المقطعة المشيرة الى ان القران كلام الله والا لما اعجز القادرين على
التلفظ بهذه الاحرف ايات الكتاب اي الذكر الجامع لكل خير وهو هذا القران الذي وافق كل ما فيه من القصص كل ما في
التورية والانجيل من ذلك فدل ذلك على صدق الاتي به قطعا لانه لم يكن يعرف شيا مما في الكتابين ولا جالس احدا يعلمه الحكيم
فكان فيما مضى ان كونه من عند الله كاف في وجوب اتباعه وفي ما هنا تاكد الوجوب بكونه مع ذلك حكيما والاية العلامة التي
تنبي عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والحكيم الناطق بالحكمة وهي المعرفة بما يجتمع عليه مما يمنع الفعل من الفساد والنقض
استعير له ذلك لانه دليل كالناطق بالحكمة لانه يودي الى المعرفة التي يميز بها طريق النجاة من طريق الهلاك وهو حاكم
يبين الحق من الباطل في الاصول والفروع ويحكم بالعدل الذي لا جور فيه بوجه في كل نازلة ومحكم لما اتى به مانع له من
الفساد لا يمحوه الماء ولا تحرقه النار ولا تغيره الدهور هذا ما ظهر لي في التحامها بما قبلها وقال الامام ابو جعفر
ابن الزبير لما تضمنت سورة براة قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وقوله عفى الله عنك لم اذنت لهم وقوله
ورحمة للذين امنوا منكم والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقوله لقد جاكم رسول الى اخر السورة الى ما تخلل
اثنا اي هذه السورة الكريمة مما شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتخصيصه بمزايا السبق والقرب والاختصاص والملا
في الخطاب ووصفه بالرافة والرحمة هذا مع ما انطوت هي والانفال عليه من قهره اعداه وتاييده ونصره عليهم وظهور
دينه وعلو دعوته واعلاء كلمته الى غير هذا من نعم الله سبحانه عليه كان ذلك كله مظنة لتعجب المرتاب وتوقف الشاك
ومثيرا لتحرك ساكن الجسد من العدو لعظيم ما منحه عليه السلام قال تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر
الناس الى قوله لسحر مبين ثم قال ان ربكم الله الايات فبين انفراده تعالى بالربوبية والخلق والاختراع والتدبير فكيف
تعترض افعاله او يطلع البشر على وجه الحكمة في كل ما يفعله ويبديه واذا كان الكل ملكه وخلقه فيفعل في ملكه ما يشاء
ويحكم في خلقه بما يريد ذلكم الله ربكم فاعبدوه ما خلق الله ذلك الا بالحق ثم توعد سبحانه الغافلين عن التفكر في عظيم اياته
حتى ادتهم الغفلة الى مرتكب سلفهم في العجب والانكار حتى قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقالوا لولا انزل

طفة

علينا الملئكة او نرى ربنا وهذه مقالات الامم المتقدمة قالوا ما انتم الا بشر مثلنا ما نراك الا بشرا مثلنا قالوا لنؤمنن
لبشرين مثلنا ان هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فقال تعالى متوعدا للغافلين ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا
بالحيوة الدنيا الآية ثم وعد المعتبرين فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم الايات وكل هذا بين الالتحام
جليل الالتيام ثم تناسجت آي السورة انتهى ولما كان كونه من عند الله مع كونه حكيما موجبا لقبوله بادي بدء والسرور به
لما تقرر في العقول وجبلت عليه الفطر من انه تعالى الخالق الرازق كاشف الضر ومدبر الامر كان ذلك موضع ان يقال ما كان
حال من تلي عليهم فقيل لهم يؤمنوا فقيل ما شبهتهم هل قدروا على معارضته او الطعن في حكمته فقيل لا بل تعجبوا من انزاله على محمد
صلى الله عليه وسلم وليس باكثرهم مالا ولا باقدمهم سنا فرجع حاصل تعجبهم الى ما قاله تعالى انكارا عليهم فانه لو ارسل ذا سن قالوا
مثل ذلك وهل ذلك محل العجب اكان اي بوجه من الوجوه للناس اي الذين فيهم اهلية التحرك للمعالي عجبا والعجب تغير النفس بما لا
تعرف سببه مما خرج عن العادة ثم ذكر الحامل على العجب وهو اسم كان فقال بعد ما حصل اتم شوق اليه ان اوحينا اي القينا
او امرنا بما لنا من العظمة بواسطة رسلنا في خفاء منهين الى رجل اي هو في غاية الرجولية وهو مع ذلك منهم بحيث انهم يعرفون
جميع امره كما فعلنا بمن قبلهم والملك العظيم الملك المالك التام الملك لا اعتراض عليه فيما به تظهر خصوصيته من اعلاء من شاء ولما
كان في الايحاء معنى القول فسره بقوله ان انذر الناس اي عامة وهم الذين تقدم نداؤهم اول البقرة ما امامهم من البعث وغيره ان لم
يؤمنوا اصلا او ايمانا خالصا ينفي كل معصية صغيرة او كبيرة وكل هفوة جليلة او حقيرة على اختلاف الريب وتباين المقامات
وبشر اي خص الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف وعملوا تصديقا لدعواهم له الصالحات اي من الاعمال اللسانية وغيرها
بالبشارة بقبول حسناتهم وتكفير سيئاتهم والتجاوز عن هفواتهم وبرفع درجاتهم كما كان ارسال الرسل قبله وكما هو مقتضى
العدل في اثابة الطايع وعقاب العاصي والانذار الاعلام بما ينبغي ان يحذر منه والتبشير التعريف بما فيه السرور واضاف القدم
الذي هو السابقة بالطاعة الى الصدق في قوله تعالى موصلا فعل البشارة الى المبشر به دون حرف جر ان لهم اي خاصة قدم
صدق اي اعمالا حقة ثابتة قدموها لانفسهم صدقوا فيها واخلصوا فيما يسروا له لانهم خلقوا له وكان مما يسعى اليه بالاقدام
وزاد في البشارة بطوله عند ربهم ففي اضافة القدم تنبيه على انه يجب ان تخلص له الطاعة كاخلاص الصدق من شوائب
الكذب وفي التعبير بصفة الاحسان اشارة الى المضاعفة ولما ثبت ان الرسول وما ارسل به على وفق العادة انتفى
ان يكون عجبا من هذه الجهة فصار المحل قابلا لان يتعجب منهم فيقال ما قالوا حين اظهروا العجب ومن اي وجه راوه عجبا فقيل
قال الكافرون اي الراسخون في هذا الوصف منهم وتبعهم غيرهم موكدين لما يحق لقولهم من الانكار ان هذا اي القول وما
تضمنه من الاخبار بما لا نعرف من البعث وغيره لسحر او محمد لساحر كما في قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي مبين اي ظاهر في
نفسه وهو من شدة ظهوره مظهر لكل شيء انه كذلك فجاؤا بما هو في غاية البعد عن وصفه فان السحر قد تقرر لكل ذي لب
انه مع كونه تمويها لا حقيقة له شر محض ليس فيه شيء من الحكمة فضلا عن ان يتمطى الذروة منها مع ان في ذلك ادعاءهم
امرا متناقضا وهو انه من قول البشر كما هي العادة في السحر وانهم عاجزون عنه لان السحر فعل تخفى الحيلة فيه حتى يتوهم
الاعجاز به فقد اعترفوا بالعجز عنه وكذبوا في ادعاء انه سحر لان الآتي به منهم لم يفارقهم قط وما خالط عالما لا بسحر ولا
بغيره حتى تخالطهم فيه شبهة فهم يعلمون ان قولهم في غاية الفساد فشرع سبحانه يقيم الدليل على بطلان قولهم من انه مع ما تضمنه
من البعث سحر وعلى حقية انه من عنده من غير شبهة وعلى ان الرسالة لا عجب فيها لانه سبحانه خلق الوجود منه كله وهو نافذ
الامر فيه وقد ابتلى من فيه من العقلاء ليردهم اليه ويحاسبهم فانه لم يخلقهم سدى لانه حكيم فلا بد من رسول يخبرهم بما يرضيه
وما يغضبه لتقوم بذلك الحجة فقال ان ربكم اي الموجد لكم والمربي والمحسن الله اي ان من رب شيئا ينبغي ان يكون حكيما
وقادرا على اسباب صلاحه فايقظوا انفسكم من سنة غفلتها تعلموا ان هذا الكتاب من عند من له العظمة كلها قطعا وانه قادر
على بعثكم لان ربكم الذي بدا الخلق بان خلق اي قدر واوجد السموات والارض على اتساعهما وكثرة ما فيهما من المنافع في ستة
ايام لحكمة ارادها على ان ذلك وقت يسير لا يفعل مثل ذلك في مثله الا من لا يعجزه شيء ولما اوجد سبحانه هذا الخلق الكبير
المتباعد الاقطار الواسع الانتشار المفتقر الى عظيم التدبير ولطيف التصريف والتقدير عبر سبحانه عن عمله فيه عمل
الملوك في ممالكهم بقوله مشيرا الى عظمته باداة التراخي ثم استوى اي عمل في تدبيره واتقان ما فيه واحكامه عمل المعتني
بذلك على العرش المتقدم وصفه بالعظمة وليست ثم للترتيب بل كناية عن علو الرتبة وبعد منالها ثم بين ذلك الاستواء
بقوله يدبر لان التدبير اعدل احوال الملك فالاستواء كناية عنه الامر اي كله فلا تخفى عليه عاقبة امر من الامور فحصل الامن
بهذا من ان يفعل شيء بغير علمه لان التدبير تنزيل الامور في مراتبها على احكام عواقبها وهو مع ذلك منزه عما تعرفونه من
احوال الملوك من انه يكون في ممالكهم من يقضي بعض الامور بغير اذن منهم وان علموا به لعجزهم عن المجاهرة بادامة دفعه
بل هو متصف بانه ما من شفيع اي وان كان بليغ الاتصاف بذلك ولما كان تمام قهره وعظيم سلطانه لا يفيد احدا
عند اذنه له اذنا عاما لجميع الازمان والاماكن اتى بالجار فقال الا من بعد اذنه فاذا لم يقدر شفيع على الكلام في الشفاعة
الا باذنه فكيف يقدر احد ان ياتي بشيء من الاشياء بغير اذنه فكيف ياتي بكتاب حكيم ليس من عنده يعجز الخلق عن معارضته
فحصل الامن من ان يكون غيره قاله او شفع فيمن ابلغه فابلغه من غير ارادة منه سبحانه فتحرر انه ليس الا من عنده وانه امر
بابلاغه وقد عرف من هذا ان ما من شفيع في موضع الدلالة على انه لا يخرج عن تدبير امر من الامور ولا يغلبه شيء اصلا فبطل ما

كانوا

كانوا يقولون في الاصنام من الشفاعة وغيرها والشفيع السائل في غيره بتبليغ منزلته من عفو او زيادة منزلة وقدم
ذكر الكتاب والرسول والعرش مرتبا في اول حزه على ما رتب اخر تلك فلما تقرر ما وصف به من العظمة التي لم يشاركه
فيها احد وجب ان يفرد عبادة لا يشاركه فيها شيء فنبه على ذلك بقوله ذلكم اي العظيم الشان العالي المراتب الله اي الملك
الاعلى ربكم اي الذي تقرر له من العظمة والاحسان بالايجاد والتربية ما لا يبلغه وصف فاعبدوه اي فخصوه بالعبادة
فان عبادتكم مع الاشراك ليست عبادة ولو افضله لم يكن لمن زل ادنى زلة طاعة ولما سبب سبحانه عن اوصافه
العلى ما وجب له من الامر بالعبادة تسبب عن ذلك الانكار عليهم في التوقف عنها والاحتياج فيها الى بروز الامر لها لما قام
على استحقاقه للافراد بها من الادلة التي فيهم شواهدها فقال افلا تذكرون اي ولو بادنى انواع التذكر بما اشار اليه
الادغام ما اخبركم سبحانه به ونبهكم عليه بما يعلمه كل احد من نفسه من انه لا يقدر احد ان يعمل كل ما يريده ويعمل كثيرا مما
لا غرض له فيه ويعلم انه يضره الى غير ذلك من الامور ليعلم قطعا ان الفاعل الحقيقي غيره وانه لا بد لهذا الوجود من موثر
فيه هو في غاية العظمة لا يضر بوجه ان يشاركه شيء ولو كان اعظم ما يعرف من الاشياء فكيف بجماد لا يضر ولا ينفع فلما تقرر
انه هو الذي بدأ الخلق تقرر بذلك انه قادر على اعادته فقال اليه اي خاصة مرجعكم اي رجوعكم وموضع رجوعكم ووقته
حال كونكم جميعا لا يتخلف منكم احد تقدم وعده لكم بذلك وعد الله اي الذي له الكمال كله حقا فهو تعليل لعبادته لوحدانيته
فيحيون بعد الموت ويحشرون الى موضع جزاء الله لهم في زمانه الذي قدره له ويرفع ما كان لهم من المكنة في الدنيا فعلم
قطعا انه لا بد من الرسول فاستعدوا للقائه هذا الملك الاعظم بكل ما امركم به رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اوضح التنبيه
على قدرته ضمنا له بيان حكمته فقال معللا لوجوب المرجع اليه موكدا اعدالهم في عناد المنكر للابتداء لاجل انكارهم ما يلزم
عنه من تمام القدرة على البعث وغيره انه يبدأ الخلق اي ينشئه النشاة الاولى له هذه الصفة متجددة التعلق على
سبيل الاستمرار ثم يعيده ليتم العدل في خلقه بان ينجز لمن عبده وعده بان يعزه ويذل عدوه وذلك معنى قوله
ليجزي ولما كان في سياق البعث قدم اهل الجزاء وبدأ باشرفهم فقال الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف الذي هو
الاساس المتقن لكل عمل صالح وعملوا اي وصدقوا ايمانهم بان عملوا الصالحات جزاء كافيا بالقسط واقتصر على العدل
دون الفضل ليفهم ان ترك الحشر محل بالعدل الذي هو محط الحكمة التي هي اعظم مطالع السورة والجزاء الاعطاء بالعمل ما
يقتضيه من خير او شر فلو كان الاعطاء ابتداء لم يكن جزاء ولو كان ما لا يقتضيه العمل لم يكن جزاء مطلقا والقسط العدل
والذين كفروا اي اوجدوا هذا الوصف لهم اي في الجزاء على جهة الاستحقاق شراب من حميم اي مسخن بالنار اشد الاسخان
وعذاب اليم اي بالغ في الايلام بما كانوا اي جبلة وطبعا يكفرون فان عذابهم من اعظم نعيم المومنين الذين عاد وهم فيه سبحانه
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وكانه قال بدا مضارعا كما
قال في اية اخرى كما بدأكم تعودون حكاية للحال وتصويرا للعاقبة على تامل ما يتجدد انشاؤه ليكون ادعى لهم الى تصور
القدرة على الاعادة قال الرماني وقد تضمنت الاية البيان عما يوجبه التمكين في الدنيا من تجديد النشاة لتجزى لانه
لا بد مع التمكين من الحسن والقبيح من ترغيب وترهيب لا يومن معه العذاب على الخلو ليخرج المكلف بالزجر عن القبيح عن حال
الاباحة له برفع التبعة عليه انتهى فقد لاح بما ذكرته مع ما يعتني في اثناء السورة بتكريره لتوضيحه وتقريره ان مقصودها
وصف الكتاب بما يدل قطعا على انه من عنده سبحانه وباذنه لانه لا غائب عن علمه ولا مداني لقدرته ولا مجتري على عظمته
وانه تام القدرة منفرد بالخلق والامر فهو قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء وان المراد بالكتاب البشارة والنذارة
للفوز عند البعث والنجاة من غوايل يوم الحشر مع انه سبحانه نافذ القضاء فلا تعني الايات والدلالات البينات عمن حكم
بشقاوته وقضى بغوايته وان ذلك من حكمته وعدله فيجب التسليم لامره وقطع الهمم عن سواه ثم شرع سبحانه يقرر امر
بديئه للخلق واعادته في سياق مذكر بالنعم التي يجب شكرها ويسمي المعرض عن شكرها كافرا فقال هو اي لا غيره الذي جعل
اي بما هيأ من الاسباب الشمس ولما كان النور كيفية قابلة للشدة والضعف خالف سبحانه في الاسماء بما يدل على ذلك
فقال في نور الشمس ضياء اي ذات نور قوي ساطع وقدرها منازل هكذا التقدير لكن لما كانت في تقلبها بطيئة بالنسبة
الى القمر كرره دونها فقال والقمر اي وجعل القمر نورا اي انورا من نورها وقدره اي وزاده عليها بان قدر مسيره
منازل سريعا تقلبه فيها وباختلاف حاله في زيادة نوره ونقصانه تختلف احوال الرطوبات والحرارات التي دبر
الله بها هذا الوجود الى غير ذلك من الاسرار التي في فرع وجود الليل والنهار لتعلموا بذلك علما سهلا عدد السنين
اي المنقسمة الى الفصول الاربعة وما يتصل بذلك من الشهور وغيرها ليمكن لكم تدبير المعاش في احوال الفصول
وغيرها والحساب اي في غير ذلك مما يدل على بعض تدبيره سبحانه ولما كان ذلك مشاهد الامزية فيه وصل به قوله
ما خلق الله اي الذي له الكمال كله ذلك اي الامر العظيم جدا الا بالحق اي خلقا ملتبسا بالحق الكامل في الحقية لا مزية
فيه فعلم انه قادر على ايجاد الساعة كذلك اذ لا فرق واذا كان خلقه كذلك فكيف يكون امره الناشي عنه الخلق غير حق
بان يكون من السحر الذي مبناه على التمويه والتخييل الذي هو عين الباطل او ما خلقه الا بسبب اظهار الحق من العدل
بين العباد باعزاز المطايع واذلال العاصي فانه لا نعيم كالانتصار على المعادي والانتقام من المشاني والجمل وجوده ما به يكون
الشيء على صفة لم يكن عليها والشمس جسم عظيم النور به يكون ضياء النهار والقمر جسم نير يبسط نوره على جميع الظاهر من الارض ويكسفه نور

الشمس بالنور شعاع فيه ما ينافي الظلام والحساب عدد يحصل به مقدار الشي من غيره ولما كان النظر في هذه الايات
من الوضوح بحيث لا يحتاج الى اكثر من الاتصاف بقابلية العلم ختم الاية بقوله يفصل اي الله في قراة ابن كثير وابي عمرو وحفص
عن عاصم بالياء التحتية وبالالتفات الى اسلوب العظمة تعظيما للبيان في قراة الباقين بالنون الايات اي يبين الدلايل
الباهرة واحدة في اثر واحدة متفاصلة بيانا شافيا ولما كان البيان لمن لا علم له كالعدم قال لقوم اي لهم قوة المحاولة
لما يريدون يعلمون اي لهم هذا الوصف على سبيل التجدد والاستمرار ولما كانت لهم المعرفة التامة والنظر الثاقب في
منازل القمر عدت من الجلي ولما اشار سبحانه الى الاستدلال على فناء العالم بتغيره والى القدرة على البعث بايجاد كل من الملوين
بعد اعدامه في قوله موكدا له لانكارهم ان يكون في ذلك دلالة ان في اختلاف الليل اي على تباين اوصافه والنهار اي كذلك
وما اي وفي ما خلق الله اي الذي له الاحاطة الكاملة في السموات والارض اي من احوال السحاب والامطار وما يحدث من ذلك
ومن الخسف والزلازل والنبات والمعادن والحيوانات وغير ذلك من احوال الكل التي لا يحيط البشر باحصائها لما اشار الى
ذلك ختمها بقوله الايات اي دلالات بينات جدا لقوم يتقون اي ان من نظر في هذا الاختلاف وتامل تغير الاجرام الكبار كان
جديرا بان يخاف من ان تغير احواله وتضطرب اموره فيتقي الله لعلمه قطعا بان اهل هذه الدار غير مهملين فلا بد لهم من امر ونهي
وثواب وعقاب والاختلاف ذهاب كل من الشيئين في غير جهة الاخذ فاختلاف الملوين ذهاب هذا في جهة الضيا وذاك
في جهة الظلام والليل ظلام من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني وهو جمع ليلة كتمر وتمرة والنهار اتساع الضيا من طلوع
الفجر الثاني الى غروب الشمس والخلق فعل الشي على ما تقتضيه الحكمة واصله التقدير ونبه بما خلق في السموات والارض على
وجوه الدلالات لان الدلالة في الشي قد تكون من جهة خلقه او اختلاف صورته او حسن منظره او اثر نفعه او عظم امره او غير
ذلك ولما اشير بالاية الى انقراض الدنيا بان الحادث لا ثبات له وقام الدليل القطعي على المعاد ناسب تعقيبها بعيب
من اطمان اليها في سياق مبين ان سبب الطمانينة انكار الطمانينة اعتقادا او حالا ولما كان ختم تلك بيتقون لاح ان ثم من يتقي
ومن لا يتقي ولما كان المغرور اكثر بدي به تنفيرا عن حاله لان درا المفاسد اولى من جلب المصالح فقال موكدا لاجل انكارهم
ان الذين ولما كان الخوف والرجا معدن السعادة وكان الرجا اقرب الى الحث على الاقبال قال مصرحا بالرجا ملوحا الى الخوف
لا يرجون لقاءنا بالبعث بعد الموت ولا يخافون ما لنا من العظمة ورضوا اي عوضا عن الاخرة بالحيوة الدنيا اي فعملوا لها
عمل المقيم فيها مع ما اشتملت عليه مما يدل على حقارتها واطمانوا اليها راضين بها طمانينة من لا يزعج عنها مع ما يشاهدونه من
سرعة زوالها والذين هم اي خاصة عن اياتنا اي على ما لها من العظمة لا عن غيرها من الاحوال الدنية الفانية غافلون
اي عريقون في الغفلة وتضمن قوله تعالى استينافا اولئك اي البعدا البغضا ماواهم النار بما اي بسبب ما كانوا اي جبلة
وطبعا يكسبون فان كسبهم كله ضلال انه لا يعاجلهم بالعقاب على تاخير المتاب وجعلت ملاقاة ما لا يقدر عليه الا الله ملاقاة
لله تفخيما لشانها كما جعل اتيان جلايل ايات الله في قوله الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام ونحوه والاطمينان الركون الى الشي
على تمكن فيه فهولا مكنوا الاحوال للدنيا فصار فرحهم وسخطهم لها والغفلة ذهاب المعنى عن القلب بما يضاد حضوره اياه
واليقظة نقيضها ولما انقضى هذا القسم حالا ومالا اتبعه سبحانه القسم الاخر بقوله موكدا لانكار الكفار هدايتهم ان الذين
امنوا اي اوجدوا هذا الوصف بما لهم من القوة النظرية التي كمالها معرفة الاشيا وسلطانها معرفة الله وعملوا اي
وصدقوا دعواهم الايمان بان عملوا الصالحات بالقوة العملية التي سلطانه عبودية الله تعالى والصالح ما جا بالحث عليه
الانبيا عليه السلام يهديهم اي على سبيل التجديد والاستمرار ربهم اي المحسن اليهم بايمانهم اي بسبب تصديقهم وادعائهم
لمعرفة الايات التي غفل عنها الذين يا ملون البقا ولا يرجون اللقا فقادتهم الى دار السلام وهذا كما كان كثير من الصحابة
رضي الله عنهم بعد اسلامهم يستدعي تعجبهم مما كان من تباطوهم عن الاسلام وكما ترى انك تحنق على بعض الكملة فلا يدعك حظ
النفس ترى احسنه ثم انك قد ترضى عنه فتراه كله محاسن ولما ذكر ان مال القسم الاول النار ذكر مال هذا القسم في
معرض سوال من يقول ماذا تورثهم هدايتهم فقيل له تجري واشار الى قرب منال المياه وانكشافها عن كل ما ينتفع به في غير
ذلك باثبات الجار فقال من تحتهم اي تحت غرفهم واسرتهم وغير ذلك من مشتهياتهم كقوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا
وكذا قول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي الانهار كاينين في جنات النعيم اي التي فيها شي غيره ولما كان الواجب على العباد
اولا تنزيهه تعالى عن النقايص التي اعظمها الاشراك وكان من فعل ذلك سلم من غوايل الضلال فربح نفسه فعرف ربه وفاز
في شهود حضرته بمشاهدة اوصاف الكمال اشار الى التسليك في ذلك بقوله دعواهم اي دعاوهم العظيم الثابت الكثير
الذي يقولونه فيها لا على وجه التكليف بل يلهمونه الهام النفس في الدنيا فيها واشار الى مجامع التنزيه عن كل شايبة
نقص فقال سبحانك اللهم اشارة الى الامر الاول الذي هو الاساس وهو المعراج في الاخرة وتحيتهم اي لله وفيما بينهم
فيها سلام اشارة الى اول نتايج الاساس بانه لا عطب معه بوجه وهو نزول عن المعراج بالنظر في احوال الخلق
واخر دعواهم اي دعايهم العظيم وهو المعراج الكمالي ان الحمد اي الكمال لله اي المحيط بجميع اوصاف الجلال والجمال يعني
ان التنزيه عن النقص اوجب لهم السلامة ولما سلموا من كل نقص وصلوا الى الحضرة فغرقوا في بحار الجلال وانكشفت
لهم سمات الكمال والدعوى قول يدعى به الى امر والتحية التكرمة بالحال الجليلة واصله من قولهم احياك الله حيوة طيبة
واشار بقوله رب العالمين اي نعمة الايجاد ارشادا بذلك الى القدرة على المعاد وفيه هبوط عن المعراج الكمالي الى الخلق

وذلك

وذلك اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن الحاجة والنقصان ولما اشير في هذه الآية الى تنزيهه تعالى وعلوه وتفرده بنعوت الكمال وذلك ختمها بالحمد على احاطته وبر العالمين على تمام قدرته وحسن تدبيره في ابدايه واعادته اتبعت بما يدل على ذلك من لطفه في معاملته من انه لا يفعل شيا قبل اوانه لان الاستعجال من سمات الاحتياج بل وروي ابو يعلى واحمد ابن منيع عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التاني من الله والعجلة من الشيطان قال شيخنا ابن حجر وفي الباب عن سهل وسعد رضي الله عنهما فقال تعالى عاطفا على قوله يدبر الامر ما معناه انه تعالى يفعل فعل من ينظر في ادبار الامور فلا يفعل الا ما هو في غاية الاحكام فهو لا يعجل العصاة بل يمهلهم ويسبغ عليهم النعم وهم في حال عصيانهم له افضل من النعم يطلبون خيراته ويستعجلونه بها ولو يعجل الله اي المحيط بصفات الكمال الناس اي الذين اتخذوا القرآن عجبا لما لهم من صفة الاضطراب الشر استعجالهم اي عاملا في ارادته لايقاع الشر بهم مثل عمله في ارادتهم وطلبهم للعجلة بالخير لقضي اي حتم وبت وادي بناه للمفعول في قراءة الجماعة دلالة على هوانه عنده ولان المحذور بمجرد فراغه لا كونه من معين وبناه ابن عامل للفاعل ونصب الاجل اليهم اي الناس بخاصة اجلهم اي عمرهم او اخر لحظة تكون منه مهلك من في الارض فاختل النظام الذي دبره ولكنه لا يفعل الا ما تقدم من امهاله لهم الى ما سمي من الاجال المتفاوتة وذلك سبب ضلال من يريد ضلاله ولعل التعبير بتون العظمة في فنذر اشارة الى ان الامر في غاية الظهور فكان العباس هذا بهم لكثرة ما عليه من الدلايل الظاهرة ولكنه تعالى اراد ضلالهم وهو من العظمة بحيث لا يعجزه شي ويجوز ان يكون معطوفا على قوله اولئك ما واهم النار لان معناه اولئك يمهلهم الله الى انقضاء ما ضرب لهم من الاجال مع مبالغتهم في الاعراض ثم يكون ما واهم النار ولا يعجل لهم ما يستحقونه من الشر ولو يعجل الله للناس الشر اي ولو يريد عجلة الشر للناس اذا خالفوه او اذا استعجلوه به في نحو قولهم امطر علينا ودعاء الانسان على ولده وعبده مثل استعجالهم اي مثل ارادتهم تعجيل الخير وعدل عن ان يقال ولو يستعجل الله الناس الشر استعجالهم بالخير اي يعجل دفعا لايهام النقص بان من يستعجل الشي ربما يكون طالبا عجلته من غير لعدم قدرته وتنبيها على ان الامر ليس الا بيده لقضي اليهم اجلهم فانه اذا اراد شيا كان ولم يتخلف اصلا ولما كان التقدير لان لو امتناعية ولكنه سبحانه لا يفعل ذلك لانه لا يفوته شي بل يمهل الظالمين ويدر لهم النعم ويضر لهم الشي من النقم حتى يقولوا هذه عادة الدهر قد مس اباءنا الضراء والسراء سبب عنه قوله فنذر اي على اي حالة كانت ووضع موضع الضمير تخصيصا وتنبيها على ما اوجب لهم الاعراض والجراءة قوله الذين واشار بنفي الرجاء الى نفي الخوف على الوجه الابلغ فقال لا يرجون لقاءنا اي بعد الموت لهذا الاستدراج على ما لنا من العظمة التي من آثارها كان اضل من الانعام في طغيانهم اي تجاوزهم الحدود تجاوزا لا يفعله من له ادنى رويه يعمهون تحكم مشيتنا السابقة في الازل عميا عن رؤية الايات صماعن سماع البينات والتعجيل تقديم الشي على وقته الذي هو اولى به والشر ظهور ما فيه الضر واصله الاظهار من قولهم شررت الثوب اذا اظهرته للشمس ومنه شرر النار لظهوره بانتشاره والطغيان الغلو في ظلم العباد وانعم شدة الحيرة ولما بين تعالى ان دابهم استعجالهم بالخير وكان منه استكشاف الضر بين ان حالهم عنده الاعتراف وشكرهم على النجاة منه الانكار فدابهم الطغيان والعمه وذلك في غاية المنافاة لما يدعونه من رجاحة العقول واصالة الآراء وسلامة الطباع فالحاصل ان الانسان عند البلاء غير صابر وعند الرخاء غير شاكر فكانه قيل فاذا مس الانسان منهم الخير كان في غفلة بالفرح والاشر والمرح واذا مس الانسان منهم الضر وان كان من جهة يتوقعها لطغيان هوى فيه ولا ينزع عنه خوفا مما يتوقعه من حلول الضر لشدة طغيانه وجهله دعانا مخلصا معترفا بحقنا عالما بما لنا من كمال العظمة عاملا بذلك معرضا عما ادعاه شريكا لنا كائنا لجنبه اي مضطجعا حال اراده للراحة وكانه عبر باللام اشارة الى ان ذلك اسر احواله اليه او قاعدا اي متوسطا في احواله او قائما اي في غاية السعي في مهماته لا يشغله عن ذلك شي في حال من الاحوال بل يكون ظرف المس بالضر ظرف الدعاء بالكشف ويجوز ان يكون عبر بالاحوال الثلثة عن مراتب الضر فقال لجنبه اشارة الى استحكام الضر وغلبته بحيث لا يستطيع جلوسا كما يقال فلان لما به واشار بالقعود الى قرب زمن الكشف فقال فلما كشفنا اي بما لنا من العظمة عنه ضره اي الذي دعانا لاجله مر اي في كل ما يريده لاحيانا بكل اعتبار كان اي كانه لم يدعنا اي على ما كان يعترف به وقت الدعاء من عظمتنا ولما كان المدعو ياتي الى الداعي فيعمل ما دعاه لاجله قال الى كشف ضر مسه اي كانه لم يكن له بنا معرفة اصلا فضلا عن ان يعترف بانا نحن كشفنا عنه ضره فهذه الآية في بيان ضعف الانسان وسوء عبوديته والتي قبلها في بيان قدرة الله وحسن ربوبيته والمستلقا من غير فصل والدعا طلب الفعل من القادر عليه والضر ايجاب الالم بفعله او للسبب المودي اليه ولما كان هذا من فعل الانسان من اعجب العجب كان كانه قيل لم يفعل ذلك فقيل لما يزين له من الامور التي يقع بها الاستدراج لاسرافه وهذا دابنا ابدا كذلك اي مثل هذا التزيين العظيم الرتبة ولما كان الضار مطلقا التزيين بني للمفعول قوله زين للمسرفين اي كلهم العريقين في هذا الوصف بما كانوا اي بجبلاتهم يعملون اي يقبلون عليه على سبيل التجديد والاستمرار من المعصية بالكفر وغيره مع ظهور فساده ووضوح ضرره والاسراف الاكثار من الخروج عن العدل ولما كان محط نظرهم الدنيا وكان هذا صريحا في الامهال للظالمين والاحسان الى المجرمين اتبعه بقوله تعالى مهددا لهم راد عا عاما فيه من اتباع الزينة موكدا لانهم ينكرون ان هلاكهم لاجل ظلمهم ولقد اهلكنا اي بما لنا من العظمة القرون اي على ما لهم من الشدة والقوة ولما كان

المهلكون هلاك العذاب المستاصل بعض من تقدم اثبت الجار فقال من قبلكم لما ظلموا اي تكامل ظلمهم اهلاكا عم اخرهم واولهم
كنفس واحدة دفعا لتوهم انه سبحانه لا يعم بالهلاك وقال تعالى عطفا على اهلكنا وجاءتهم رسلهم اي الى كل امة رسولها بالبينات
اي التي تثبت بمثلها الرسالة وما اي والحال انهم ما كانوا اي بجبلاتهم واكد النفي لئلا يتوهم ان يتأخر ايمانهم عن البيان
فقال ليؤمنوا ولو جاءتهم كل آية تنبيها لمن قد يطلب انه سبحانه يريهم بواد را العذاب او ما اقترحوه من الآيات ليؤمنوا بين
سبحانه ان ذلك لا يكون سببا للايمان من قضى بكفر بل يستوي في التكذيب حاله قبل مجيء الآيات وبعدها ليكون سببا لهلاكه
فكأنه قيل هل يختص ذلك بالامم الماضية فقيل بل كذلك اي مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي القوم اي الذين لهم قوة على محاولة ما
يريدونه المجرمين لان السبب هو العراقة في الاجرام وهو قطع ما ينبغي وصله مجتمعا ما وجد وجد جزاؤه والاهلاك الابقاء فيما
لا يتخلص منه من العذاب والقرن اهل العصر لمقارنة بعضهم لبعض ولما صرح بان ذلك عام لكل مجرم اتبعه قوله ثم
جعلناكم اي ايها المرسل اليهم اشرف رسلنا خلائف في الارض اي لا في خصوص ما كانوا فيه ولما كان زمانا لم يستغرق
ما بعد زمان المهلكين ادخل الجار فقال من بعدهم اي القرون المهلكة اهلاك الاستيصال لننظر ونحن عالمان من العظمة
اعلم بكم من انفسكم وانما ذلك لنراه في عالم الشهادة لاقامة الحجة كيف تعملون فيتعلق نظرنا باعمالكم موجودة تخويفا للخاطبين
من ان يحرموا فيصيبهم ما اصاب من قبلهم ولما تقدم ان من قضي بشقاوته لا يأتي ايمانه بآية من الآيات حتى ينزل به مطوي
ويذيقه باسه ونقمته وكان القرآن اعظم آية انزلت الى الناس لما لا يخفى اتبع ذلك عطفا على قوله قال الكافرون ان هذا
لسحر مبين بقوله بيانا لذلك واذا تتلى بناه للمفعول ايذانا بتكذيبهم عند تلاوة اي تال كان وابداه مضارعا اشارة الى انهم
يقولون ذلك ولو تكررت التلاوة عليهم اي على هؤلاء الناس اياتنا اي لعلي ما لها من العظمة باسنادها الينا بينات فانهم مع ما
اشتمل عليه بما الزمهم به الاقرار بحقيقته قالوا فيه ما لا معنى له الا التلاعب والعناد ويجوز عطفه على ثم جعلناكم خلائف
الآية والالتفات الى مقام الغيبة للايذان بانهم اهل الاعراض لاساتم الخلافة والموصول بصلته في قوله قال الذين لا
يرجون لقاءنا في موضع الضمير تنبيها على ان هذا الوصف عليه قولهم ولعله عبر بالرجاء ترغيبا لهم لان الرجاء محط امرهم في
طلب تعجيله للخير ودفعه للضير فكان من حقهم ان يرجوا لقاءه تعالى رغبة في مثل ما اعده لمن اجابه ولوح الى الخوف بنون
العظمة ليكون ذلك ادعى لهم الى الاقبال ائت اي من عندك بقرآن اي كلام مجموع جامع لما تريد غير هذا في نظمه ومعناه
او بدله اي بالفاظ اخرى والمعاني باقية وقد كانوا عالمين بانه صلى الله عليه وسلم مثلهم في العجز عن ذلك ولكنهم
قصدوا انه ياخذ في التغيير حرصا على اجابة مطلوبهم فيبطل دعواه او يهلك ولما كان كأنه قيل فماذا اقول لهم
قال قل ما يكون اي يصح ويتصور بوجه من الوجوه لي ولما كان التبديل بهم التمييز الماضيين قال ان ابدله وقال من تلقاء
اي عند وقبل نفسي اشارة الى الرد عليهم في انكار تبديل الذي انزله بالنسخ حسب المصالح كما انزل اصله لمصلحة العباد
مع نسخ الشرايع الماضية به فانتج ذلك قطعا قوله ان اتبع اي بغاية جهدي الا ما ولما كان قد علم ان الموحى اليه الله قال
يوحى الي اي سواء كان بدا او اصلا ثم علل ذلك بقوله موكدا لانكارهم مضمونه اني اخاف اي على سبيل التجدد والاستمرار
ان عصيت ربي اي المحسن الي والموجد لي والمربي والمدبر بفعل غير ما شرع لي عذاب يوم عظيم فاني مؤمن به غير مكذب
ولا شاك كغيري ممن يتكلم من الهذيان بما لا يخاف عاقبته في ذلك اليوم واذا خفته مع استحضار صفة الاحسان هذا
الخوف فكيف يكون حوفي مع استحضار صفات الجلال ولما تم ما دفع به مكرهم في طعنهم اتبعه لعذر صلى الله عليه وسلم
في ما بلاغ على وجه يدل قطعا على انه كلام الله وما تلاه الا باذنه فيجتث طعنهم من اصله ويزيله بخذا فيزه فقال
قل اي لهم معلما انه سبحانه انما ان يشأ الفعل وايا ان يشأ عدمه وليست ثم حالة سكوت اصلا لو شاء الله اي الذي له
العظمة كلها ان لا اتلوه عليكم ما تلوته اي ثابت قراءته انا عليكم ولا ادراكم اي اعلمكم على وجه المعالجة هو سبحانه به علي
لساني ولما ذكر ذلك اتبعه السبب المعرف به فقال فقد لبثت فيكم عمرا ولما كان عمره لم يستغرق زمان القبل قال
من قبله مقدارا بين سنة بغير واحد من الامرين لكون الله لم يشأ واحدا منهما اذ ذاك ثم اتبعهم بهذا الكتاب الاحكم المشتمل
على حقايق علم الاصول ودقايق علم الفروع ولطايف علم الاخلاق واسرار قصص الاولين في عبارة قد عجزتم وانتم افصح الناس
وابلغهم عن معارضة آية منها موقع بذلك العلم القطعي الظاهر جدا انه من عند الله فلذلك سبب عنه انكار العقل فقال
افلا تعقلون اشارة الى انه يكفي في معرفة ان القرآن من عند الله وان غيره عاجز عنه كون الناظر في امر وامري من اهل العقل
اي افلا يكون لكم عقل فتعرفوا به حقيقة القرآن بما ارشدكم اليه في هذه الآية من هذا البرهان الظاهر والسلطان القاهر
القايم على انه ما يصح لي بوجه ان ابدله من قبل نفسي لاني مثلكم وقد عرفتم انكم عاجزون عن ذلك مع التظاهر فانا وحدي
مع كوني اميا اعجز ومن انه تعالى لو شاء ما بلغكم ومن اني مكثت فيكم قبل اتياني به زمنا طويلا لا اتلوا عليكم شيا ولا ادعي
فيكم علما ولا اتردد الى عالم وتعرفوا ان قابل ما قلتم مكذب بايات الله وفاعل ما طلبتم كاذب على الله وكل من ذلك اظلم
الظلم فمن اي فهو سبب لان يقال من اظلم ممن افترى اي تعمد على الله اي الذي حاز جميع العظمة كذبا اي اي كذب كان وكان
الاصل مبني على تقدير ان لا يكون هذا القرآن من عند الله ولكنه وضع هذا الظاهر مكانه تعميما وتعليقا للحكم بالوصف
او كذب بآياته كما فعلتم انتم وذلك من اعظم الكذب ولما كان التقدير لا احد اظلم منه فهو لا يفلح لانه محروم علله بقوله
مؤكدا لاجل انكارهم انه لا يفلح اي بوجه من الوجوه المجرمون فقد وضح ان المنصوب في الكذب عن نفسه صلى الله عليه وسلم

للحاوي

والحاق الوعيد حيث كذبوا بالايات بعد ثبوت انها من عند الله والاعلام بانه لا احد اظلم منهم لانهم كذبوا على الله في كل ما
ينسبونه اليه مما نهى عنه وكذبوا باياته والاتيان بالغير قد يكون مع وجود الاول والتبديل لا يكون الا برفع الاول
ووضع غيره مكانه والتلقاء جهة مقابلة الشيء وقد يجعل ظرفا والتلاوة اتباع بعض الحروف بعضا في التكلم بها وتلاوة
الشيء اتبعه بمجيئه بعده والمشيئة خاصة تكون سببا مؤديا الى وقوع الشيء ومرتبا له على وجه قد يمكن ان يقع على خلافه
والارادة نظيرها والعقل العلم الغريزي الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغايب ويجوز ان يكون ويعبدون
حالا من الذين لا يرجون لقاءنا اي قالوا ذلك عابدين من دون الله اي الملك الاعلى الذي له جميع صفات الكمال الذي
ثبت عندهم ان هذا القرآن كلامه لعجزهم عن معارضة شيء منه وهو نهاهم عن عبادة غيره وهم يعلمون قدرته على الضر
والنفع ولما كان السياق للتهديد والتخويف قدم الضر لذلك وتنبيها لهم على انهم مغمورون في نعمه التي لا قدرة
لغيره على منع شيء منها فعليهم ان يقيدوها بالشكر فقال ما لا يضرهم اي اصلا من الاصنام وغيرها ولا ينفعهم في معارضة
القرآن بتبديل او غيره ولا في شيء من الاشياء ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية والا كانت
عبادته عبثا معرضين عما جاءهم من الايات البينات من عند من يعلمون انه يضرهم وينفعهم ولا يملك شيئا من ذلك احد سواه
وقد اقام الادلة على ذلك غير مرة وفي هذا غاية التبكيت لهم بمنابذة العقل مع ادعائهم رسوخ الاقدام فيه وتمكن المجال
منه والعبادة خضوع بالقلب في اعلى مراتب الخضوع ثم عجب منهم تعجيبا آخر فقال ويقولون اي لم يكفهم قول ذلك مرة من
الدهر حتى يجددوا قوله مستمرين عليه هؤلاء اي الاصنام او غيرهم شفعاؤنا اي ثابتة شفاعتهم لنا عند الله اي الملك
الاعظم الذي لا يمكن الدنو من شيء من حضراته الا باذنه وقد مضى ابطال ما تضمنته هذه المقالة في قوله ما من شفيع الا من بعد
اذنه وفيه تخجيلهم في العجز عن تبديل القرآن او الاتيان بشيء من مثله حيث لم تنفعهم في ذلك فصاحتهم ولا اغنت عنهم شيئا
بلاغتهم واعوزهم في شماتة فصحاؤهم وضل عنهم شفعاؤهم فدل ذلك قطعا على انه ما من شفيع الا من بعد اذنه فكانه قال
بماذا اجيبهم فقال قل منكرا عليهم هذا العلم اتنبئون اي تخبرون اخبارا عظيما الله وهو العالم بكل شيء المحيط بكل كمال
بما لا يعلم اي لا يوجد له به علم في وقت من الاوقات في السموات ولما كان الحال مقتضيا لغاية الايضاح كرر النافي تصريحا
فقال ولا في الارض وفي ذلك من الاستخفاف بعقولهم ما لا يقدرون على الطعن فيه بوجه ما يخجل الجماد فان ما لا يكون معلوما
لله لا يكون له وجود اصلا فلا نفي ابلغ من هذا كما انك اذا بالغت في نفي شيء عن نفسك تقول هذا شيء ما علمه مني ولما بين
تعالى هنا ما هم عليه من سخافة العقول وركاكة الآراء ختم ذلك بتنزيه نفسه بقوله سبحانه اي تنزه عن كل شائبة
نقص تنزها لا يحاط به وتعالى اي وفعل بما له من الاحاطة باوصاف الكمال فعل المبالغ في التنزه عما يشركون اي يوجدون
الاشراك به ولما بين شرارتهم بعبادة غير الله وختم بتنزيهه وكماله بين ان هذا الدين الباطل حادث وبين نزاهته
وكماله ببيان ان الناس كانوا اولا مجتمعين على طاعته ثم خالفوا امره فلم يقطع احسانه اليهم بل استمر في امهالهم مع تماديهم
في سوء اعمالهم على ما سبق في علمه ومضى به قضاؤه فقال تعالى وما كان الناس اي كلهم مع ما لهم من الاضطراب الا امة
ولما افهم ذلك وحدتهم في القصد حققه واكده فقال واحدة اي حنفاء متفقين على طاعة الله فاختلفوا في ذلك على
عهد نوح عليه السلام كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عقب وحدتهم بسبب ما لهم من النوس فاستحق كافرهم تنجيز العقاب
ولولا كلمة اي عظيمة سبقت اي في الازل من ربك اي المحسن اليك برحمة امتك بامهالهم وبين التاكيد بما للام لاجل انكارهم
ان يكون تاخيرهم لاجل ذلك فقال لقضي بينهم اي عاجلا بايسر امر فيما ولما لم يبن الكلام على الاتخاذ الذي محط امره معالجته
بالباطن لم يذكر الضمير بخلاف الذم فقال فيه اي لا في غيره بان يعجل جزاؤهم عليه يختلفون واشار ذلك الى ان هذا الامر
الذي دعوا اليه ليس امرا طاريا حادثا فيكون بحيث يتوقف فيه للنظر في عواقبه والتامل في مصادره وموارده بل
هو مع ظهور دلايله واستقامة مناهجه وصحة مذاهبه والقاء الفطر ازمة الانقياد اليه اصل ما كان العباد عليه وما
هم فيه الآن هو الطاري الحادث مع ظهور فساده ووضوح سقمه وهو ناظر الى قوله تعالى اكان للناس عجبا لان قوله قال
الكافرون ان هذا لسحر مبين دال على انهم قسمان كافر ومؤمن والامة الجماعة على معنى واحد في خلق واحد كانها تؤم اي
تقصد شيئا واحدا ثم قال تعالى عطفا على قوله ويعبدون ويقولون اي انهم لما اتتهم البينات قالوا ائت بقرآن غير هذا
كافرين بمنزلها عابدين من دونه ما لا يرضى عاقل بتسويته بنفسه فكيف بعبادته قايلين لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد
لولا اي هلا ولم لا انزل اي باي وجه كان عليه آية اي واحدة كائنة او آتية من ربه اي المحسن اليه غير ما جاء به
وذلك اما لطلبهم آية ملجئة لهم الى الايمان او لكونهم لم يعدوا ما انزل عليه عداد الايات فضلا عن كونها بينات وكفى
بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة في الايات دقيقة المسلك بين المعجزات مع عجزهم عن معارضته
بتبديل او غيره فاي عناد اعظم من هذا ولما كان في ذلك شوب من الاستفهام قال مسببا عن قولهم فقل قاصرا قصرا
حقيقيا انما الغيب اي الذي عناه عيسى عليه السلام بقوله ولا اعلم ما في نفسك وهو ما لم يطلع عليه مخلوق اصلا لله
اي الذي له الاحاطة الكاملة وحده لا علم لي بعلة عدم انزال ما تريدون وهل تجابون اليه ام لا ولما خصه سبحانه بالعلم
وكان انزال الايات من الممكنات سبب عنه قوله فانتظروا ثم اجاب من كانه يقول فما تعمل انت بقوله اني معكم اي في
هذا الامر غير مخالف لكم في التشوف الى آية تحصل بها هدايتكم ثم حقق المعنى واكده بقوله من المنتظرين اي لما يرد علي من آية

وغيرها ولما كان طلبهم لذلك محركا لنفوس الخيرين الى ترجي اجابة سوآلهم اتبعه سبحانه بما يبين ان ذلك غير نافع لهم لانه
محض تعنت فقال تعالى عاطفا على قوله قال الكافرون ان هذا لسحر مبين او على قوله واذا مس الانسان الضر مبينا ان رحمة الله
محققة الوجود كثيرة الورود اليهم مبينا ان لهم آية عظمى من انفسهم لا يحتاجون معها الى التعنت بطلب اية وهي دالة على نتيجة
مقصود السورة الذي هو الوحدانية وعلى ان اشراكهم انما هو بما لهم من نقص الغرايز الموجب لكفران الاحسان وذلك انهم عامة
اذا اكرموا بنعمة قابلوها بكفر جعلوا ظرفه على مقدار ظرف تلك النعمة بما اشار اليه التعبير باذا ثم اذا مسهم الضر الجاهم الى
الحق فاخلصوا لم يختلف حالهم في هذا قط وهذا الاجماع من الجانبين دليل واضح على كلا الامرين الكفر ظلما بما جر اليه من البطر
والتوحيد حقا بما دعا اليه من الفطرة القويمة الكائنة في احسن تقويم بما زال عنها بحاق الضر من الحظوظ والشهوات والفتور
وهذا كما وقع في سورة الروم الموافقة لهذه في الدلالة على الوحدانية فلذا عبر في كل منهما بالناس ليكون اجماعهم دليلا كافيا عليها
وسلطانا جليلا مضطرا اليها والله الهادي واذا اذقنا اي على ما لنا من العظمة الناس اي الذين لهم وصف الاضطراب
رحمة اي نعمة رحمناهم بها من غير استحقاق ولما كان وجود النعمة لا يستغرق الزمان الذي يتعقب النقمة ادخل الجار
فقال من بعد ضراء اي قحط وغيره مستهم فاجاوا المكر وهو معنى اذا لهم مكر اي عظيم بالمعاصي التي يفعلون في الاستخفا باغلبها
فعل الماكر في اياتنا اشارة الى انهم لا ينفكون عن اياته العظام فلو كانوا منتفعين بالايات اهتدوا بها فاذا اتتهم رحمة من بعد
نقمة لم يعدوها آية دالة على من ارسلها لهم بخرقها لما كانوا فيه من عادة النقمة مع انهم يعترفون بانه لا يقدر على ارسالها وصرف
الشدة الا هو سبحانه بل يعملون فيها عمل الماكرين بان يصرفوها عن ذلك بانواع الصوارف كان ينسبوها الى الاسباب كنسبة
المطر للانوآء ونحو ذلك غير خايفين من اعادة مثل تلك الضرآء او ما هو اشد منها ولما كانت هذه الجملة دالة على اسراعهم بالمكر
من ثلثة اوجه التعبير بالذوق الذي هو اول المخالطة وبلفظ من التي هي للابتدآء واذا الفجائية كان كانه قيل اسرعوا ان
جهدهم في المكر فقيل قل الله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي اسرع مكرا ومعنى الوصف بالاسرعية انه قضى بعقابهم
قبل تدبيرهم مكايدهم نبه عليه ابو حيان ولما كان المكر اخفاء الكيد بين لهم سبحانه انهم غير قادرين على مطلق المكر
في جهته عز شانه وتعالى كبرياؤه وسلطانه لانه عالم بالسر واخفى بل لا يمكرون مكرا الا ورسله سبحانه مطلعون عليه
فكيف به سبحانه وعز شانه فقال تعالى موكدا لاجل انكارهم ان رسلنا اي على ما لهم من العظمة باضافتهم الينا يكتبون اي
كتابة متجددة على سبيل الاستمرار باستمرار المكتوب ما تمكرون لانهم قد وكلوا بكم قبل كونكم نطفا ولم يوكلوا بكم الا بعد
علم موكلهم بكل ما تفعلونه ولا يكتبون مكركم الا بعد اطلاعهم عليه واما هو سبحانه فانه اذا قضى قضاء لا يمكن ان يطلع عليه
رسله الا باطلاعه فكيف بغيرهم واذا تبين انه عالم بامورهم وهم جاهلون بامور علم انه لا يدعهم يدبرون كيدا الا وقد
سبب له ما يجعله في نحورهم والمكر قتل الشي الى غير وجهه على طريق الحيلة فيه والسرعة عمل الشي في وقته الذي هو احق
به وقد تضمنت الآية البيان عما يوجبه حال الجاهل من تضييع حق النعمة والمكر فيها وان جلت منزلتها وانت على فاقة اليها
وشدة حاجة الى نزولها مع الوعيد بعائد الوبال على الماكر فيها ثم اخذ سبحانه يبين ما تضح به اسرعية مكره في مثال دال
على ما في الآية قبلها من نقله سبحانه لعباده من الضرآء الى النعمة ومن سرعة تقلبهم فقال هو اي لا غيره الذي يسيركم اي في كل
وقت تسيرون فيه سيرا عظيما لا تقدرون على الانفكاك عنه في البر والبحر اي يسبب لكم اسبابا توجب سيركم فيهما ويقدركم
على ذلك ويهديكم من بين سائر الحيوانات الى ما فيه من اصناف المنافع مع قدرته على اصابتكم في البر بالخسف وما دونه وفي
البحر بالغرق وما اشبهه ولما كان العطب باهوال البحر اظهر مع ان السير فيه من اكبر الايات واوضح البينات بينه معرضا
عن ذكر البر فقال حتى اذا كنتم اي كونا لا براح لكم منه في الفلك اي السفن يكون واحدا وجمعا واعرض عنهم بعد الاقبال
لما سياتي فقال وجرين اي السفن بهم ولما ذكر جريها وهم فيها ذكر سببه فقال بريح طيبة ثم اوضح لهم عدم علمهم بالعواقب
بقوله وفرحوا بها اي بتلك الريح وبالفلك الجارية بها جاءتها ريح عاصف فازعجت سفنهم وساءتهم وجاءهم الموج اي المعروف
لكل احد بالرؤية او الوصف من كل مكان اي يعتاد الاتيان منه فارجف قلوبهم وظنوا انهم ولما كان المخوف الهلاك لا كونه
من معين بني للمفعول ما هو كناية عنه لان العدو اذا احاط بعدوه ايقن بالهلاك فقال احيط بهم ولما كان ما تقدم من
حالهم الغريبة التي تجب لها القلوب وتضعف عندها القوى مقتضيا لان يسئل عما يكون منهم عند ذلك اي المقال على مقتضى
هذا السوآل مخبرا عن تركهم العناد واخلاصهم الدال على جزعهم عند سطواته وانحلال عزايمهم في مشاهدة ضرباته وعبارة
الرماني اتصال دعوا اتصال الاجوبة كانه قيل لما ظنوا انهم احيط بهم دعوا الله اي الذي له صفات الكمال بالرغبة اليه
في الخلاص والعبادة له بالاخلاص مخلصين اي عن كل شرك له الدين اي التوجه والقصد بالظاهر والباطن وقد تضمنت
الآية البيان عما توجبه بديهة العقل من الفزع عند الشدة الى واهب السلامة ومسبغ النعمة في كشف تلك البلية ثم
اتبع سبحانه ذلك حكاية حالهم في وعدهم الشكر على النجاة ثم كذبهم في ذلك مع ادعائهم انهم اظهر الناس ذيولا عن الكذب
واشدهم استقباحا له وابعد الناس من كفران الاحسان فقال تعالى حاكيا قولهم الذي دلوا بتاكيدهم له انهم قالوه بغاية
الرغبة نافين ما يظن بهم من الرجوع الى ما كانوا فيه قبل تلك الحال من الكفر لئن انجيتنا اي ايها الملك الذي لا سلطان لغيره
من هذه اي الفادحة لنكونن اي كونا لا ننفك عنه من الشاكرين اي المديمين لشكرك العريقين في الاتصاف به ولما اعلم سبحانه
انهم اكدوا هذا الوعد هذا التاكيد اتبعه بيان انهم اسرعوا في نقضه غاية الاسراع فقال فلما انجاهم ولما ابانت الفاء عن

الاسراع

الاسراع في النقض اكد مفاجاتهم لذلك بقوله اذا هم يبغون اي يتجاوزون الحدود في الارض اي جنسها بغير الحق اي الكامل فلا يزالون اباغين مذمومين حتى يكون على الحق الكامل الذي لا باطل فيه بوجه وجاء الخطاب اولا في يسيركم ليعم المومنين لان السير يصلح للامتنان ثم التفت الى الغيبة تحقيقا صدور ما لا يليق بهم نبه على ذلك ابو حيان واحسن منه ان يقال انه سبحانه اقبل عليهم تنبيها على انه جعلهم بما هيأ فيهم من القوى اهلا للخطاب به ثم اعرض عنهم اشارة الى انهم استحقوا الاعراض عن اعراضهم اغترارا بما اتاحهم من اثر الطيبة في محل يجب فيه الاقبال عليه والغناء عن كل ما سواه لعظم الخطر وشدة الامر وكانه يذكر لغيرهم من حالهم ما يعجبه منه لينكر عليهم ويقبح حالهم والتسيير التحريك في جمعة تعتد كالسير والبر الارض الواسعة التي تقطع من بلد ومنه البر لاتساع الخير به والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه والفلك السفن التي تدور في الماء واصله الدور ومنه فلكة المغزل والفلك الذي تدور فيه النجوم والنجاة التخلص من الهلاك والبغي قصد الاستعلاء بالظلم واصله الطلب والحق وضع الشيء في موضعه على ما يدعو اليه العقل ثم بين ان ما هم فيه من الامهال انما هو متاع الدنيا وانها دار زوال فقال تعالى يا ايها الناس اي الذي غلب عليهم وصف الاضطراب انما بغيكم اي كل بغي يكون منكم على انفسكم لعود الوبال عليها خاصة وهو على تقدير انتفائكم به عرض زايل متاع الحيوة الدنيا ثم يبقى عار وخزيه بعد الموت ثم الينا اي خاصة مرجعكم بعد البعث فننبئكم على ما لنا من العظمة انباء عظيما بما كنتم اي كونا هو كالجبلة تعملون ونجازيكم عليه ولما كان في السياق ما يابى البعث وتخويفهم به وكانوا ينكرونه ويعتقدون بقاء الدنيا وانها انما هي ارحام تدفع وارض تبلع دائما بلا انقضاء نهى دارا يرضى لها وللتنفير من البغي والتعزز بغير الحق وكانت الامثال اجلى للمحال الاشكال قال تعالى ممثلا لمتاعها قاصرا امرها على الفناء رادا عليهم في اعتقاد دوامها من غير بعث انما مثل الحيوة الدنيا اي يتنافسون فيها في سرعة انقضائها وانقراض نعيمها بعد عظم اقباله كماء انزلناه اي عما لنا من العظمة وحقق امره وبينه بقوله من السماء فتشبه بامر النبات وانه عما قليل يبلغ منتهاه فتصبح الارض منه بلاقع بعد ذلك الاخضرار والينوع وفي ذلك اشارة الى البعث والى انه تعالى قادر على ضربه قبل نهايته او بعدها ببعض الافات كما يوجد في بعض السنين فيقفرون منه وينفرون اليه وفي ذلك تحذير عظيم فاختلط اي بسبب انزالنا له به اي بسبب تليينه ولطافته نبات الارض عموما في بطنها مما ياكل الناس كافة والانعام من الحبوب والثمار والبقول فظهر على وجهها ولم يزل لذلك ينمو ويزيد في الحسن والحرم حتى ولما كان الخضب هو الاصل عبر باداة التحقق فقال اذا ولما كانت بهجة النبات بانعة للخضب فكان الماء كانه يعطيها اياها فتاخذه قال اخذت الارض اي التي لها اهلية النبات زخرفها وازينت بانواع ذلك النبات زينة منها الجلي ومنها الخفي بما يبهه الادغام وظن اهلها اي ظنا موكدا جدا بما افاده العدول عن قدرتهم الى انهم قادرون اي ثابتة قدرتهم عليها باجتنا المتع من ذلك النبات وغاب عنهم لجهلهم علم العاقبة فلما كان ذلك اتاها امرنا اي الذي لا يرد من البرد او الحر المعز طين ليلا او نهارا فجعلناها اي زرعها وعينها بعظمتنا بسبب ذلك الامر وبعقبه بالاهلاك حصيدا وعبر عما افهمه فعيل من المبالغة والثبات بقوله كان اي كانها لم تغن اي تكن غانية اي ماكنة حسنة غنية ذات وفر مطلوبة مرعوبا فيها اي زرعها وعينها بالامس فكان حالها الدنيا في سرعة انقضائها وانقراض نعيمها بعد عظيم اقباله كحال نبات الارض في خفائه وذهابه حطاما بعد ما التف وزين الارض بخضرته والوانه وبهجته ولما كان هذا المثل في غاية المطابقة للساعة هز السامع له فازداد تعجبه من حسن تفصيله بعد تاصيله فقيل جوابا له كذلك اي مثل هذا التفصيل الباهر نفصل اي تفصيلا عظيما الايات لقوم اي ناس اقوياء فيهم قوة المحاولة لما يريدون يتفكرون اي يجددون التفكر على وجه الاستمرار والمبالغة والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالاول والاختلاط تداخل الاشياء بعضها في بعض والزخرف حسن الالوان ولما قرر سبحانه هذه الايات التي حذر فيها من انواع الافات وبين ان الدار التي رضوا بها واطمانوا اليها دار المصايب ومعدن المهلكات والمعاطب وانها ظل زايل تحذيرا منها وتنفيرا عنها بين تعالى ان الدار التي دعا اليها سالمة من كل نصب وهم ووصب ثابتة بلا زوال فقال تعالى عاطفا على قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض ترغيبا في الاخرة وحثا عليها والله اي الذي له الجلال والاكرام يدعوا اي يملوا دعاه على سبيل التجدد والاستمرار بالمدعوين الى دار السلام على قتادة انه سبحانه اضافها الى اسمه تعظيما لها وترغيبا فيها يعني بانها لا عطب فيها اصلا والسلامة فيها دايمة والسلام فيها فاش من بعضهم على بعض ومن الملئكة وغيرهم والدعاء طلب الفعل بما يتبع لاجله والداعي الى الفعل خلاف الصوارف عنه ولما اعلم بالدعوة بالهداية بالبيان وانهم ختم الاية بقوله ويهدي من يشاء اي بما يخلق في قلبه من الهداية الى صراط مستقيم ان من الناس من يهديه ومنهم من يضله وان الكل فاعلون لما يشاء كان موضع ان يقال هل هم واحد في جزايه كلهم واحد في الانقياد لمراده فقيل لا بل هم فريقان للذين احسنوا اي الاعمال في الدنيا منهم وهم من هداه الحسنى اي الخصلة التي هي في غاية الحسن من الجزاء وزيادة اي عظيمة من فضله اما الناس مريد خرجت هدايته من الجهاد والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومراد خرجت هدايته من المشيئة فالدعوة الى الجنة بالبيان عامة والهداية الى الصراط خاصة لانها الطريق الى المنعم ولما كان النعيم لا يتم الا بالدوام والامن من المضار قال ولا يرهق اي يغشى ويلحق وجوههم قتر اي غبرة كغبرة الموت وكربه وهو تغير في الوجه معه سواد وعبوسة تزيلها غلبة ولا ذلة اي كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار والهوان ولما كان هذا واضحا في انهم اهل السعادة وصل به قوله اولئك اي العالو الرتبة اصحاب الجنة ولما كانت الصحبة جديرة بالملازمة صرح بها في قوله هم اي لا غيرهم فيها اي خاصة

خالدون اي مقيمون لا يبرحون لانهم لا يريدون ذلك لطيبها ولا يراد بهم ولما بين تعالى التفضل في من احسن بين حال العدل فيمن اساء فقال والذين كسبوا اي منهم السيئات اي المحيطة لهم جزاء سيئة اي منهم مثلها بعدلها من غير زيادة وترهقهم ذلة هي من جملة جزائهم فكانه قيل اما لهم انتكاك عن ذلك فقيل جوابا ما لهم من الله اي الملك الاعظم واغرق في النفي فقال من عاصم اي يمنعهم من شيء يريده بهم ولما كان من المعلوم ان ذلك مغير لاحوالهم وصل به قوله كانما ولما كان المكروه مطلق كونها بالمنظر السيئ بنى للمفعول قوله اغشيت وجوههم اي اغشاها مغشى لشدة سوادها لما هي فيه من السوء قطعا ولما كان القطع بوزن عنب مشتركا بين ظلمة آخر الليل جمع القطعة من الشيء بين واكد فقال من الليل اي هذا الجنس حال كونه مظلما ولما كان ذلك ظاهرا في انهم اهل الشقاوة وصل به قوله اولئك اي البعداء البغضاء اصحاب النار ولما كانت الصحبة الملازمة بينها بقوله هم فيها اي خاصة خالدون اي لا يكون من مفارقتها والرهق لحاق الامر ومنه راهق الغلام اذا لحق حال الرجال والقتار الغبار ومنه الاقتار في الانفاق لقلته والذلة صغر النفس بالاهانة والكسب الفعل لاجلاب النفع الى النفس واستدفاع الضر ولما بين سبحانه مآل الفريقين بنبه على بعض مقدمات ذلك المانعة ان يشفع احد من غير اذنه بقوله ويوم اي واذكر لهم بينهم لانه لا انساب هناك ولا اسباب فلا تناصر يوم نحشرهم اي الفريقين الناجين والهالكين العابدين منهم والمعبودين حال كونهم جميعا ثم نقطع ما بين المشركين وشركائهم فلا ينفع فيهم شيء مما يعتقدون شفاعته ولا ينفعهم بنافعة بل يظهرون الخصومة ويبارزون بالعداوة وهو ناظر الى قوله تعالى انه يبدأ الخلق ثم يعيده والى قوله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم والحشر الجمع بكره من كل جانب الى موقف واحد واشار سبحانه الى طول وقوفهم بقوله ثم نقول للذين اشركوا اي بنا من لم يشاركه في خلقهم وقوله مكانكم نقل ابو حيان عن النحويين انهم جعلوه اسما لم يتوا ورد على الزمخشري بتقديره بالزموا لانه متعد ويجب ان يساوي بين الاسم والمسمى في التعدي واللزوم اي نقول لهم قفوا وقوفا لازما انتم وشركاؤكم حتى ينفذ فيكم امرنا اظهار الضعف معبوداتهم التي كانوا يرجونها ويحسبونها لهم فلا تمكنهم مخالفة ذلك ولما كان التقدير فقفوا موافقة للامر لانه على حسب الارادة عطف عليه مسببا عنه قوله فزيلنا اي ازلنا ازالة كبيرة مفرقة ما كان بينهم في الدنيا من الوصلة والالفة حتى صارت عداوة ونفرة فقال الكفار ربنا هؤلاء الذين اضلونا وكنا ندعوا من دونك وقال شركاؤهم لهم مبرئين منهم بما خلق لهم سبحانه من النطق ما كنتم اي ايها المشركون واضاف الشركاء اليهم لانهم هم الذين نصبوهم بغير امر ولا دليل ولانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم ايانا تعبدون اي تخصوننا بالعبادة لانا لا نستحق ذلك اشارة الى انه لا يعبد الا من يستحق الاطلاع في ذلك بان يعبد وحده من غير شريك ومن لا يستحق ذلك لا يستحق مطلق العبادة ولا يصلح لها وكل عبادة فيها شرك لا تعد اصلا ولا يرضى بها جماد لو نطق فمتى نفى المقيد بالخلوص نفى المطلق لانه لا اعتداد به اصلا ومن المعلوم ان ما كان بهذه الصفة لا يقدم عليه احد فنحن نظن انه لم يعبد ثم عابد فضلا عن ان نخصنا بذلك والشخص يجوز له ان ينفي ما يظن نفيه ونحن لم نعلم شيئا من ذلك؟ ولما نفوا ذلك عطفوا عليه مسببين عنه قولهم فكفى بالله اي المحيط علما وقدرة شهيدا اي هو يكفينا كفاية عظيمة جدا من جهة الشهادة التي لا عيبة فيها بوجه ولا ميل اصلا بيننا وبينكم في ذلك يشهد لنا وعلينا ثم استانفوا اخبارا يصح بها نفيهم قالوا مؤكدين لانهم كانوا يعتقدون علمهم ان اي انا كنا اي كونا هو جبلة لنا عن عبادتكم لنا او لغيرنا مخلصة او مشوبة ولما كانت ان هي المخففة من الثقيلة تلقبت باللام الفارقة بينها وبين النافية فقيل لغافلين اي لانه لا ارواح فينا لم نكن بحيث نامر بالعبادة ولا نرضاها فالوم عليكم دوننا وذلك افتداء من موقف الذل اوانهم لما تخيلوا في الشركاء صفات عبدوها لاجلها وكانت خالية عنها صح النفي لانهم عبدوا ذوات موصوفة بصفات لا وجود لها في الاعيان وايضا فانهم ما عبدوا الا الشياطين التي كانت تزين لهم ذلك وتغويهم او يكون التقدير على ما دل عليه السياق فزيلنا بينهم اي منعناهم مما كانوا فيه من التواصل والتوادد المقتضي للتناصر بعبادة الاوثان فقال المشركون لشركائهم لما ابطأ عنهم نصرهم ان كنا نعبدكم من دون الله فاغنوا عنا كما كنا نذب عنكم وننصركم بكم وقال شركاؤهم ما كنتم اياانا تعبدون اي كشف لنا اليوم بتفهيم الله انه ليس الامر كما زعمتم وانكم لم تخصونا بالعبادة حتى يلزمنا منعكم على انكم لو خصصتمونا ما قدرنا على ذلك كما قال الشيطان ما انا بمصرخكم فكفى اي فتسبب عن تنزيلنا لذلك على ما كشف لنا من العلم ان نقول كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم في ذلك يشهد انكم لم تخصونا احدا من الله ومنا بعبادة بل كنتم مذبذبين وهذا كله اشارة الى ان العبادة المشوبة لا اعتداد بها ولا يرضاها جماد لو نطق وان من استحق العبادة استحق الاخلاص فيها وان لا يشرك به احد وانه لا يستحق ذلك الا القادر على كشف الكرب والمنع من ان يقطع بينه وبين متوليه وعابده قاطع ولما كانت فائدة الشاهد ضبط ما قد يتناساه المتشاهدان علموا القيام بشهادة الله بقولهم ان كنا عبادتكم في تلك الازمان لغافلين فاقروا لهم بما هو الحق مما كان يعلمه كل من له تامل صحيح انهم لم يشعروا بعبادتهم ساعة من الدهر قبل ساعتهم هذه فهم اجدر الخلق بالكفاية بشهادة الشهيد لانهم اسوأ حالا ممن يعلم المشهود به ويخشى النسيان او يقال فقال المشركون لشركائهم انا كنا نعبدكم فهل انتم ناصرونا او شافعون لنا فيمنحونا مما وقعنا فيه وقال شركاؤهم ما كنتم اياانا وحدنا تعبدون اي ما كنتم تخلصون لنا العبادة حتى يلزمنا ان نخلصكم كما اعلمنا بذلك الله ربنا وربكم المحيط بكل شيء علما فكفى اي فتسبب عن ذلك انه كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم في ذلك فكان المشركين قالوا قد تضمن كلامكم انا عبدناكم على غير منهج الاخلاص افليس قد عبدناكم افلا تغنون عنا شيئا فاجاب الشركاء بقولهم ان كنا عن عبادتكم خالصة كانت او مشوبة لغافلين فلا نقركم بعبادة اصلا وان تيقنا الاخلاص لسلبا العلم

عنا بما كنا فيه من الجادية فضلا عن ان تامركم او ترضى بعبادتكم على انه لا غناء عندنا على تقدير من التقادير او يقال وهو
احسن مما مضى وقال شركاؤهم لما تحققوا العذاب طلبا لان يخفف عنهم منه بتوزيعه عليهم وعلى كل من عبدوه من غيرهم
ما كنتم ايها العابدون لنا ايانا اي خاصة تعبدون بل كنتم تعبدون ايضا غيرنا وهذا يعم والله كل من رآئيه غير يعمل
وهو يعلم انه يرآئيه فيقرره ولا ينكره عليه ولما افهموا بنفي العبادة بقيد الخصوص انهم كانوا يعبدون معهم غيرهم
وكان المخلوق قاصر العلم غير محيطه بوجه باحوال نفسه فكيف باحوال غيره سببوا عن ذلك قولهم فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم ان اي في انا كنا عن عبادتكم اي في الجملة لغافلين والحاصل ان هذا ترجمة كلام الكفار وهو ناشئ منهم عن
محض غلبة ودهش وفرط غم وندم وقلق فلا يشترط ان يكون معناه على الوجه الاسد والطريق الابلغ فالاعجاز في نظمه
ومرادهم به ان يخفف عنهم من العذاب ولو بمشاركة من كانوا يعبدونهم معهم فهو من وادي قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا
من عذاب الله من شيء فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار فانهم عذابا ضعفا من النار ونحو فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا
العذاب والله اعلم اخبر عن حال المشركين تشوف النفس الى الاطلاع على حال غيرهم فقال مستانفا مخبرا عن كلا الفريقين
هنالك اي في ذلك الموقف من المكان والزمان العظيم الاهوال المتوالي الزلزال تبلوا اي تخبر وتخالط مخالطة تميله
تحيله كل نفس طايعة وعاصية ما اسلفت اي قدمت من العمل فتعرف هل كان خيرا او شرا وهل يودي الى سعادة او
شقاوة ولما كان مطلق الرد وملوصرف الشيء الى الموضع الذي ابتدا منه كافيا في الرهبة لمن له لب بني للمفعول قوله
وردوا اي بالبعث بالاحياء كما كانوا اولا الى الله اي الملك الاعظم مولاهم الحق فلم يكن لهم قدرة على قصد غيره ولا الالتفات
الى سواه من ذلك الا باطيل بل انقطع رجاؤهم من كل ما كانوا يدعونه في الدنيا وهو المراد بقوله وضل عنهم اي بطل وذهب
وضاع ما كانوا اي كونا هو جبلة لهم يفترون اي يتعمدون كذبه من ان معبوداتهم شركاء وتيقنوا في ذلك المقام
ان توليهم لغير الله كان باطلا غير حق والتزييل تفريق يزول به كل واحد عن مكانه وهو من تفريق الجمع ليس من الواوي
بل من اليائي يقال زلته عن الشيء ازيله اذا فرقت بينه وبينه والكفاية بلوغ مقدار الحاجة في دفع الاذية او حصول
المنفعة والاسلاف تقديم امر لما بعده والرد الذهاب الى الشيء بعد الذهاب عنه كالرجع والمولى من يملك تولي امر موكله
ولما قدم سبحانه ان شركاءهم مربوبون مقهورون لا قدرة لهم الا على ما يقدرهم الله عليه وانه وحده المولى الحق
وبانت بذلك فضايحهم اتبعه ذكر الدليل على فساد مذهبهم فونخهم بان وجه السؤال لهم عما هم معترفون بانه مختص
به وبدل قطعا على تفرده بجميع الامر الموجب من غير وقفة لاعتقاد تفرده بالالهية فقال قل اي يا اكرم خلقنا
وارفقهم بالعباد من يرزقكم اي يجلب لكم الخيرات ايها المنكرون لسعة المدعون للشركة من السماء اي بالمطر وغيره من
المنافع والارض بالنبات وغيره لتعيشوا ام من يملك السمع اي الذي تسمعون به الايات ووحده لتساوي فيه في الغالب
والابصار التي تبصرون بها ما انتم عليكم به في خلقها ثم حفظها في المدد الطوال على كثرة الافات فيقبضها عليكم لتكمل حياتكم
الحسية ببقاء الروح والمعنوية بوجود العلم روي عن علي رضي الله عنه انه قال سبحان من يبصر بشحم واسع بعظم
وانطق بلحم فلما سئل عن اوضح ما هم فيه وانبههم على ما قبله من بدء الخلق فقال ومن يخرج الحي من الحيوان والنبات
من الميت اي من النطفة ونحوها ويخرج الميت اي النطفة ونحوها مما لا ينمو من الحي اي فينتقل من النقص الى الكمال ثم عم
فقال ومن يدبر الامر اي كله التدبير العالم ولما كانوا مقرين بالرزق وما معه من الخلق والتدبير اخبر عن جوابهم
اذا سئلوا عنه بقوله فسيقولون الله اي مسمى هذا الاسم الذي له الكمال كله الحيوة والقيومية بخلاف ما سياتي
من الاعادة والهداية فقل اي فتسبب عن ذلك انا نقول لك قل لهم مسببا عن جوابهم هذا الانكار عليهم في عدم
التقوى افلا تتقون اي تجعلون وقاية بينكم وبين عقابه على اعترافكم بتوحده فتخلعوا بوبيته واشراككم غيره في
الالهية ثم علل انكار عدم تقواهم بقوله فذلكم اي العظيم الشان الله اي الذي له الجلال والاكرام فكانت هذه قدرته
وانه اله ربكم اي الموجد لكم المدبر لامركم الذي لا احسان عندكم لغيره الحق اي الثابتة ربوبيته ثباتا لا ريب فيه
لاجتماع الصفات الماضية له لا غير لانه لا يكون الرب حقيقة لمن لم تجتمع له تلك الصفات فما اي فتسبب عن ذلك
ان يقال لكم ماذا بعد الحق اي الذي له الكمال الا الضلال فانه لا واسطة بينهما بما ابنا عنه اسقاط الجار ولا يعدل
عاقل عن الحق الى الضلال ولذلك سبب عنه قوله فاني اي فكيف ومن اي جهة تصرفون اي انتم عن صارف ما كانا ما
كان عن الحق الى الضلال ولما كانوا جديرين عند تقريرهم بهذه الآية واقرارهم بمضمونها بان يقولوا اسلمنا فاسلمنا
ولا نصرف عن الحق ابدا فلم يقولوا كانوا حقيقين بان يقال لهم حقت عليكم كلمة الله لشقكم وروغانكم عن الحق فقيل هل
خصوا بذلك فقيل بل كذلك اي مثل ذلك الحقوق العظم حقت كلمة ربك اي المحسن اليك باهلاك اعدائك الكلمة الواحدة
النافذة التي لا ترد دينها ومعنى الجمع في قراءة نافع وابن عامر انه لا شيء من كلماته ينافض الكلمة التي اوجبت عذابهم
بل كلها توافقها فالمراد واحد او يكون ذلك كناية عن ان عذابهم آيم فان كلماته لا تتغير على كل الذين فعلوا فعلهم
لانهم فسقوا اي اوقعوا الترك لامر الله واوجدوا عصيانه وفعلوا الخروج عن طريق الحق والخروج من دآئرة الصلاح
وهو كونهم امة واحدة على دين ابيهم آدم صفي الله عليه ثم علل ذلك الحقوق بقوله انهم لا يومنون اي لا يتجدد منهم ايمان
اصلا وعبر بالفسق المراد به الكفر لان السياق للخروج عن دآئرة الدين الحق في قوله وما كان الناس الا امة واحدة

فاختلفوا وهذا المعنى احق بالتعبير بالفسق الذي اصله الخروج عن محيط من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اي خرجت او يكون
المعنى حقت الربوبية له سبحانه بهذا الدليل وهو فعل هذه الامور المحتمة بالتدبير المقتضي للوحدانية قطعا لانه لو كان قادر
يساويه في مقدوره لامكن ان يمانعه وبطل ان يكون قادرا او حق ان من زاغ عن الحق كان في الضلال كما حق هذا كذلك حقت
اي ثبتت ثباتا عظيما كلمة ربك على كل الذين قضي بفسقهم منهم وانهم لا يؤمنون تفسير لكلمته التي حقت والرزق جعل العطا الجاري
ولما علم انهم معترفون بامر البداية وما يتبعها من الرزق والتدبير اعاد سبحانه السوال عنها مقرونة بالاعادة تنبيها لهم على
ما يتعارفونه من ان الاعادة اهون فانكارها مع ذلك اما جمود او عناد وانكار المسلمات كلها هكذا وسوقه على طريق الاستفهام
ابلغ واوقع في القلب فقال قل اي على سبيل الانكار عليهم والتوبيخ لهم هل من شركائكم اي الذين زعمتموهم شركائي واشركتموهم
في اموالكم من انعامكم وزروعكم من يبدا الخلق كما بداته ليصح لهم ما ادعيتم من الشركة ثم يعيده ولما كان الجواب قطعا من غير توقف
ليس فيهم من يفعل شيئا من ذلك وكان لجاجهم في انكار الاعادة وعنادهم لا يدعهم ان يجيبوا بالحق امره بجوابهم بقوله قل الله اي
الذي له الامر كله يبدا الخلق اي مهما اراد ثم يعيده واتى هنا بجزئي الاستفهام وكذا ما ياتي في السوال عن الهداية تاكيدا
للامر بخلاف ما اعترفوا به فانه اكتفى فيه باحد الجزئين في قوله فسيقولون الله ولم يقل يرزقنا الى اخره ثم زاد في تبكيتهم
على عدم الاذعان لذلك بالتعجيب منهم في قوله فانى تؤفكون اي كيف ومن اي جهة تصرفون باقبح الكذب على وجه الصواب من
صارف ما وقد استنارت جميع الجهات ورتب هذه الجمل احسن ترتيب وذلك انه سالهم اولا عن سبب دوام حياتهم وكمالها
بالرزق والسمع والبصر وعن بدء الخلق في اخراج الحي من الميت وما بعده وكل ذلك تنبيها على النظر في احوال انفسهم مرتبا
على الاوضح فالاوضح فلما اعترفوا به كله اعاد السوال عن بدء الخلق ليقرن به الاعادة تنبيها على انهما بالنسبة الى قدرته على حد
سوا فلما فرغ من احوال الجسد امره ان يسلم عن غاية ذلك والمقصود منه من احوال الروح في الهداية التي هي سبب السعادة
امعانا في الاستدلال بالمصنوع على الصانع على وجه مشير الى التفضيل فقال قل اي يا افهم العباد واعرفهم بالمعبود هل من
شركائكم اي الذين زعمتم انهم شركاء لله فلم تكن شركتهم الا لكم لانكم جعلتم لهم حظا من اموالكم واولادكم من يهدي اي بالبيان
او التوفيق ولو بعد حين الى الحق فضلا عن ان يهدي للحق على اقرب ما يكون من الوجوه واعلاها ولما كانوا جاهلين بالجواب
الحق في ذلك او معاندين امره ان يجيبهم معرضا عن انتظار جوابهم آتيا بجزئي الاستفهام ايضا فقال قل الله اي الذي
له الاحاطة الكاملة يهدي ولما كان قادرا على غاية الاسراع عبر باللام فقال للحق ان اراد ويهدي الى الحق من شاء لا احد
ممن زعموهم شركاء فالاشتغال بشي منها بعبادة او غيرها جهل محض واختلال في المزاج كبير فالاية من الاحتباك ذكر الى الحق
اولا دليلا على حذفه ثانيا وللحق ثانيا دليلا على حذفه اولا فتسبب عن ذلك انكار اتباعهم لهم فقال افمن يهدي اي منتهيا
في هداه ولو على بعد الى الحق اي الكامل الذي لا زيغ فيه بوجه ولو على ابعد الوجوه احق ان يتبع اي بغاية الجهد ام من لا
يهدي اي يهتدي فضلا عن ان يهدي غيره الى شي من الاشياء اصلا وراسا وادغام تاء الافتعال للايماء الى انتفاء جميع اسباب
الهداية حتى ادانيها فان التاء عند ارباب القلوب معناها انتهاء التسبيب الى ادناه الا ان يهدى اي يهديه هاد غيره
كانها من كان وهذا يعم كل ما عبد من دون الله ممن يعقل ومما لا يعقل فلما اتم ذلك على هذا النهج القويم كان كانه قيل اتجيبون
ام تسكتون واذا اجبتم اتؤثرون الحق فترجعوا عن الضلال ام تعاندون فتسبب عن ذلك سوالهم على وجه التوبيخ بقوله
فما اي اي شي ثبت لكم في فعل غير الحق من كلام او سكوت ثم استانف تبكيتا آخر فقال كيف تحكمون فيما سالناكم عنه مما لا
ينبغي ان يخفى على عاقل ابالباطل ام بالحق فقد تبين الرشد من الغي والبدء الفعل الاول والاعادة ايجاد الشي ثانيا والهداية
التعريف بطريق الرشد من الغي ولما اخبر تعالى باقرارهم عن بعض ما يسالون عنه ثم عقبه بما لوح الى انكارهم او سكوتهم
عن بعضه مما يتعلق بشركائهم عطف على ما صرح به من قولهم فسيقولون وما لوح اليه فسينكرون او فسيسكتون قوله
وما يتبع اي بغاية الجهد اكثرهم اي في نطقه او سكوته في عبادته للاصنام وقوله انها شفعاء ويمد ذلك الا ظنا تنبيها
على انهم انما هم مقلدون وتابعون للاهواء ولما كان الظن لا ينكر استعماله في الشرائع نبه على ان محله انما هو حيث لا يوجد نص
على المقصود فيقاس حينئذ على النصوص بطريقه واما اذا وجد القاطع في حكم فانه لا يجوز العدول عنه بوجه من الوجوه فقال
تعالى في جواب من يقول او ليس الظن مستعملا في كثير من الاحكام ان الظن لا يغني اي اصلا من الحق اي الكامل شيئا اي بدله ولا يكون
بدل الحق الا اذا كان تابعه مخالفا فيه لقاطع يعلمه ولما صار ظهور الفرق ضروريا اوقع تهديد المتمادي في غيه في جواب
من كانه قال ان ذلك غير خفي عنهم ولكنهم يستكبرون فلا يرجعون فقال ان الله اي المحيط بكل شي عليم اي بالغ العلم بما يفعلون
فاصبر فلسوف يعلمون ولما قدم في هذه السورة قولهم لولا انزل عليه آية من ربه واتى فيها ردا عليهم ووعظا لهم
من الايات البالغة في الحكمة حدا يتجاوز قوى البشر وتضمحل دونه من الخلق القدر وكان آخر ذلك التنبيه على ان
شركاءهم لا يهتدون الا ان هداهم الهادي فضلا عن ان يهدوا واقامة الدليل على ان مذاهبهم ليست مستندة الى علم
بل هي تابعة للهوى اتبع ذلك دليلا قطعيا في امر القران من انه لا يصلح اصلا ان يوتى به من دون امره سبحانه ردا لقولهم
انه مفترى لانه من وادي ما ختم به هذه الايات من اتباعهم للظنون لانه لا سند لهم في ذلك بل ولا شبهة اصلا وانما هو
مجرد هوى بل واكثرهم عالم بالحق في امره فنفى ذلك مما يريح الظنون ويدمغ الخصوم ولا يدع شبهة لمفتون واثبت انه هو
الاية الكبرى والحقيق بالاتباع لانه هدى فقال تعالى وما كان عاطفا له على قوله ما يكون لي ان ابدله الى آخره فهو حينئذ

احتباك

مقول

مقول القول اي قل لهم ذاك الكلام وقل لهم ما كان اي قط بوجه من الوجوه وعينه تعيينا لا يمكن معه لبس فقال
هذا القران اي الجامع لكل خير مع التادية باساليب الحكمة المعجزة لجميع الخلق ان يفترى اي يقع في وقت من الاوقات تعمد
نسبته كذبا الى الله من احد من الخلق كائنا من كان وعرف بتضاؤل رتبهم دون شامخ رتبته سبحانه بقوله من دون الله
اي الذي تقرر انه يدبر الامر كله فما من شفيع الا من بعد اذنه وما يعزب عنه شي فسبحان المتفضل على عباده بايضاح الحجج
وازالة الشكوك والدعاء الى سبيل الرشاد مع غناه عنهم وقدرته عليهم والافترا الاخبار على القطع بالكذب لانه من فري
الاديم وهو قطعه بعد تقديره ولما كان اتيان الامي الذي لم يجالس عالما بالاخبار والقصص الماضية على التحرير دليلا
قطعيا على صدق الاتي في ادعائه انه لا معلم له الا الله عبر باداة العناد فقال ولكن اي كان كونا لا يجوز غيره تصديق الذي
تقدم بين يديه اي قبله من الكتب والدليل على المصادقة شاهد الوجود مع ان القوم كانوا في غاية العداوة له صلى الله
عليه وسلم وكان اهل الكتابين عندهم في جزيرة العرب على غاية القرب منهم مع انهم كانوا يتجرون الى بلاد الشام وهم متمكنون
من السوال عن كل ما ياتي به فلو وجدوا معمزا ما لقدحوا به فدل عدم قدحهم على التصادق قطعا ولما كان ذلك سلطانا قاهرا
على صدقه صلى الله عليه وسلم زاده ظهورا بما اشتمل الكتاب الاتي به عليه من التفصيل الذي هو نهاية العلم فقال وتفصيل
الكتاب اي الجامع المجموع فيه الحكم والاحكام وجوامع الكلام من جميع الكتب السماوية في بيان مجملاتها وايضاح مشكلاتها
فهو ناظر الى قوله افمن يهدي الى الحق الاية فهو برهان على انه هو الهادي وحده فهو الحقيق بالاتباع والتفصيل تبيين الفصل
بين المعاني الملتبسة حتى يظهر كل معنى على حقه ونظيره التقسيم ونقيضه التخليط والتلبيس وبيان تفصيله انه اتى من العلوم
العلمية الاعتقادية من معرفة الذات والصفات باقسامها والعملية التكليفية المتعلقة بالظاهر وهي علم الفقه وعلم
الباطن ورياضة النفوس بما لا مزيد عليه ولا يدانيه فيه كتاب وعلم الاخلاق كثير في القران مثل خذ العفو الاية ان الله
يامركم بالعدل الاية وامثالهما ولما كان مع الشهادة لنفسه بالصدق بتصديق ما ثبتت حقيقته معجزا بالجمع والتفصيل
لجميع العلوم الشرعية عقليها ونقليها اعجازا لما يثبت لغيره ثبت انه مناقض للافترا حال كونه لا ريب فيه وانه من رب
العالمين اي موجدهم ومدبر امرهم والمحسن اليهم لانه مع الجمع لجميع ذلك لا اختلاف فيه بوجه وذلك خارج عن طوق البشر
ولما كان هذا موضع ان يذعنوا لان هذا القران ليس الا من عند الله وبامره قطعا كان كانه قيل ارجعوا عن غيهم فامنوا
واستقاموا ام استمروا على ضلالهم يقولون على سبيل التجديد والاستمرار عنادا افتراه اي تعمد نسبته كذبا الى الله
فكانه قيل تمادوا على عتوهم فقالوا ذلك فكانوا كالباحث عن حقه بظلفه لانهم اصلوا اصلا فاسدا لزم عليه قطعا امكان
ان ياتوا بمثله لانهم عرب مثله بل منهم من قرا وكتب وخالط العلما واشتد اعتناؤه بانواع البلاغة من النظم والنثر والخطب
وتمرنه فيها بخلافه صلى الله عليه وسلم في جميع ذلك فلهذا امره في جوابهم بقوله قل اي لهم يا ابلغ خلقنا واعرفهم بمواقع الكلام
بجميع انواعه واتى بالفاء السببية في قوله فاتوا اي انتم تصديقا لقولكم هذا الذي تبين انكم فيه معاندون ولما كانوا قد
جزموا في هذه السورة بانه افتراه وكان مفصلا الى سور كل سورة منها لها مقصد معين يستدل فيها عليه وتكون خاتمتها مرتبطة
بفاتحتها متحدة بها اكتفى في تحديهم بالاتيان بقطعة واحدة غير مفصلة الى مثل سوره لكن تكون مثل جميع القران في الطول
والبيان وانتظام العبارة والتيام المعاني فلذلك قال بسورة قال الرماني والسورة منزلة محيطة بايات من اجل الفاتحة
والخاتمة كاحاطة سورة النبا وهذا نظرا الى ان المتحدى به سورة اصطلاحية والصواب انها لغوية وهي كما قال
الحرالي رحمه الله تمام جملة من المسموع تحيط بمعنى تام بمنزلة احاطة السور بالمدينة ووصفها بقوله مثله اي في البلاغة
وحسن النظم وصحة المعاني ومصادقة الكتب وتفصيل العلوم لانكم مثلي في العربية وتزيدون بالكتابة ومخالطة العلما
من غير اتيان بمن لما تقدم من ان المراد كونها مثل القران كله ولذلك وسع لهم في الاستعانة بجميع من قدروا عليه ووصلت
طاقتهم اليه ولم يقصرهم على من بحضرتهم فقال وادعوا اي لمعاونتكم من استطعتم اي قدرتم على طاعته ولو ببذل الجهد من
الجن والانس وغيرهم وحقق ان هذا القران من عنده سبحانه باستينائه في قوله من دون الله اي الذي له الكمال كله ونبه
على انهم متعمدون لما نسبوه اليه وحاشاه من تعمد الكذب وانهم معاندون بقوله ان كنتم اي جبلة وطبعا صادقين اي في
اني اتيت به من عندي لان العاقل لا يجزم بشي الا اذا كان عنده منه مخرج وذلك لا يكون الا عن دليل ظاهر وسلطان قاهر
باهر وقد مضى في البقرة وياتي في هود ان شا الله تعالى ما يوضح هذا المعنى والاستطاعة حالة تتطاوع بها الجوارح
والقوى للفعل لانه ماخوذ من الطوع ثم كان كانه قيل فقال لهم ذلك فلم ياتوا لقولهم بشبهة توجب شكا فضلا عن
مصدق لانه معجز لكونه كلاما في اعلا طبقات البلاغة بحسن النظام والجزالة منزلا من عند الله المحيط علما وقدرة
فهو مشتمل من كل معنى على ما علا كل العلو عن مدان بل واحسن من ذلك انه لما اقام الدليل على ان القران كلامه وكان
الدليل انما من شانه ان يقام على من عرض له غلط او شبهة وكان قولهم افتراه لا عن شبهة وانما هو مجرد عناد نبه سبحانه
على ذلك وعلى انه انما اقام الدليل لاظهار عنادهم لا لان عندهم شبهة في كونه حقا بالاضراب عن قولهم فقال بل اي لم يقولوا
افتراه عن اعتقاد منهم لذلك بل كذبوا اي اوقعوا التكذيب الذي لا تكذيب اشنع منه مسرعين في ذلك من غير ان يتفهموه
مستهينين بما لم يحيطوا بعلمه اي في نظمه او معناه من غير شبهة اصلا بل عنادا وطغيانا ونفورا مما يخالف دينهم وشرادا
فهو من باب من جهل شيئا عاداه والاحاطة ادارة ما هو كالحائط حول الشي فاحاطة العلم بالشي العلم به من جميع وجوهه

ولما كان لابد من وقوع تاويله وهو اتيان ما فيه من الاخبار بالمغيبات على ما هي عليه قال ولما ياتهم اي الى زمن تكذيبهم تاويله
اي ترجيعنا لاخباره الى مراجعها وغاياتها حتى يعلموا اصدق هي ام كذب فانه معجز من جهة نظمه ومن جهة صدقه في اخباره والتاويل
المعنى الذي يؤول اليه التفسير وهو منتهى التصريح من التضمين ولما كان كانه قيل ان فعلهم هذا العجب فما حملهم على التمادي فيه فقيل
تبعوا في ذلك من قبلهم لموافقتهم في سوء الطبع قال مهددا لهم ومسليا له صلى الله عليه وسلم كذلك اي مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم
في الشناعة قبل تدبر المعجز كذب الذين ولما كان المكذبون بعض السالفين اثبت الجار فقال من قبلهم اي من كفار الامم الخالية فظلموا فاهلكناهم
بظلمهم ولما كان التكذيب خطر الماثير من الشرور سبب عنه تحذيرا منه النظر في عاقبته فقال فانظر اي بعينك ديارهم وبقلبك
اخبارهم ولما كان من نظر هذا النظر وجد فيه اجل معتبر واعلى مزدجر وجه السؤال اليه بقوله كيف كان عاقبة اي آخر امر الظالمين
اي الذين رسخت اقدامهم في وضع الاشياء في غير مواضعها حتى كذبوا من لا يجوز عليه الكذب بوجه ومن المقطوع به ان هذا المسؤل
يقول من غير تلعثم ولا تردد عاقبة وخيمة قاصمة دميمة والعاقبة سبب تؤدي اليه البادية فالذي ادى الى هلاكهم بعذاب
الاستيصال ما تقدم من ظلمهم لانفسهم وعتوهم في كفرهم ولما ذكر سبحانه تكذيبهم كان ذلك ربما اياس من اذعانهم وتصديقهم
وآذن باستيصالهم لتكمل المشابهة للاولين وكان صلى الله عليه وسلم شديد الشفقة عليهم والحرص على ايمانهم فاتبعه تعالى بقوله
بيانا لان علمه بانقسامهم اوجب عدم استيصالهم عاطفا على كذبوا ومنهم اي قومك من يؤمن به اي في المستقبل ومنهم من لا يؤمن به
اي القرآن اصلا ولو راى كل اية وربك اي المحسن اليك بالرفق بامتك اعلم بالمفسدين اي الذين هم عريقون في الافساد فسيعاملهم
بما يشفي صدرك ولما قسمتهم هذه الآية قسمين وتليت بذكر القسم الثاني بالواو عرف انه معطوف على مطوي القسم الاول فكان
كانه قيل فان صدقوك فقل الله ولي هدايتكم ولي مثل اجوركم بتسببي فيها فضلا من ربي وان كذبوك فقل قول منصف معتمد
على قادر عالم لي عملي بالايمان والطاعة ولكم عملكم ما لاحد منا ولا عليه من جزاء الاخر شيء ثم صرح بالمقصود من ذلك بقوله
محذرا لهم انتم بريئون مما اعمل اي فان كان خيرا لم يكن لكم منه شيء وان كان غيره لم يكن عليكم منه شيء وانا بريء مما تعملون لا جناح علي
في شيء منه لاني لا اقدر على ردكم عنه والبراءة قطع العلقة الذي يوجب رفع المطالبة ولا حاجة الى ادعاء نسخ هذه الآية باية
السيف فانه لا منافاة بينهما لان هذه في رفع لحاق الاثم وهو لا ينافي الجهاد ولما قسمهم الى هذين القسمين قسم القسم الاخير الى
قسمين فقال ومنهم اي المكذبين من ولما كان المستمع اليه اكثر لانهم اشهى الناس الى تعرف حاله وكان طريق ذلك السمع والبصر
وكان تحديق العين اليه لا يخفى فكان اكثرهم يتركه اظهارا لبغضه وخوفا من انكار من يراه عليه وكان القاء السمع بغاية الجهد
يمكن اخفاؤه بخلاف الابصار عبر هنا بالافتعال وجمع دالا على كثرتهم نظرا الى معنى من وافرد في النظر اعتبارا للفظها ودالا على
قلة الناظر لما ذكر فقال يستمعون وضمن الاستماع الاصغاء ليؤدي مؤدى الفعلين ودل على الاصغاء بصلته معلقة بحال انتزعت
منه فكانه قال مصغين اليك اي عند قراءة القرآن وبيانه بالسنة ولكنهم وان كانوا قسمين بالنسبة الى الاستماع والنظر فهم قسم واحد
بالنسبة الى الضلال فكان تعقيب ذلك بحشرهم بعد قصر الهداية عليه سبحانه كذكر حشرهم فيما مضى بعد تقسيمهم الى قسمين بعد قوله
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ولما كان صلى الله عليه وسلم يريد باسماعه لهم ما انزل اليه هدايتهم به سبب عن استماعهم
انكار اسماعهم الاسماع المترتب عليه الهدى فقال افانت اي وحدك تسمع الصم اي في اذان قلوبهم لانهم يستمعون اليك وقد ختم
على اسماعهم فهم لا ينتفعون باستماعهم لانهم يطلبون السمع للرد لا للفهم والسمع ادراك الشيء بما به يكون مسموعا فكانوا بعدم انتفاعهم
كانهم صم مجانين لان الاصم العاقل ربما فهم بالتفرس في تحريك الشفاه وغيرها فلذا قال ولو كانوا اي جبلة وطبعا لا يعقلون
اي لا يتجدد لهم عقل اصلا فصاروا بحيث لا يمكن اسماعهم لانه لا يمكن الا بسماع الصوت الدال على المعنى وبفهم المعنى والمانع من
الاول الصمم ومن الثاني عدم العقل فصاروا شرا من البهائم لانها وان كانت لا تعقل فهي تسمع والاصم المفسد السمع عما يمنع من ادراك
الصوت ومنهم من ينظر محدقا او راميا ببصره من بعيد اليك فهو من التضمين كما سبق في يستمعون نقل عن التفتازاني انه قال في
حاشية الكشاف حقيقة التضمين ان يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل آخر يناسبه وهو كثير في كلام العرب وذلك مع حذف
حال ماخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية ويتعين جعل الفعل المذكور اصلا والمذكور حالة تبعا لان حذفه
والدلالة عليه بصلته يدل على اعتباره في الجملة لا على زيادة القصد اليه ومن امثلته احمد اليك الله اي منهيا اليك حمده
ويقلب كفيه على كذا اي نادما عليه ولا تعد عيناك عنهم اي مجاوزتين عنهم الى غيرهم ولا تاكلوا اموالهم ضاميها الى اموالكم الرفث
مفضين الى نسائكم ولا تعزموا اي على النكاح وانتم تنوون عقدته ولا يسمعون مصغين الى الملاء الاعلى سمع الله اي مستجيبا
لمن حمده والله يعلم المفسد مميزا له من المصلح والذين يولون ممتنعين من وطء نسائهم ولما كان المعنى انك يا اكرم الخلق تريد
بنظر هذا الناظر اليك ان ينظر الى ما تاتي به من باهر الآيات فيهتدي وهو غير منتفع بنظره لما جعل عليه من الغشاوة فكان
كالاعمى الذي زاد على عدم بصره عدم العقل فلا بصر ولا بصيرة قال منكرا لذلك افانت تهدي العمي اي عيونا وقلوبا ولو كانوا
اي بما جبلوا عليه لا يبصرون اي لا يتجدد لهم بصر ولا بصيرة فلا تمكن هدايتهم لان هداية الطريق الحسي لا تمكن الا بالبصر وهداية الطريق
المعنوي لا تمكن الا بالبصيرة والنظر طلب الرؤية بتقليب البصر ونظر القلب طلب العلم بالفكر والعمى آفة تمنع الرؤية عن العين والقلب والابصار
ادراك الشيء بما به يكون مبصرا فكانه قيل ما له فعل بهم هذا والامر بيده فقيل لانه تام الملك والملك وهو متفضل في جميع نعمه لا يجب عليه
لاحد شيء فهو لا يسئل عما يفعل وبنى عليه قوله ان الله واحسن منه ان يقال ولما كان التقدير اذا علمت ذلك فخفف عنك
بعض ما انت فيه فانك لا تقدر على اسماعهم ولا هدايتهم لان الله تعالى اراد ما هم عليه منهم لاستحقاقهم ذلك لظلمهم انفسهم علله

بقوله

قوله ان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال لا يظلم الناس شيا وان كان هو الذي جبلهم على الشر ولكن الناس اي لما عندهم من شدة الاضطراب والتقلب انفسهم اي خاصة يظلمون بحملهم لها على الشر وصرف قوابلهم فيه باختيارهم مع زجرهم عن ذلك وحجبهم عما جبلوا عليه وان كان الكل بيده سبحانه ولا يكون الا بخلقه ولما كان في هذه الايات ما ذكر من قانين جدالهم في ابطالهم وضلالهم وكان فعل ذلك ممن لا يرى حشرا ولا جزاء ولا نعيما ولا يرى نعيم هذه الدار فعل فارغ السر مستطيل الزمان اين من نوازل الحدثان حسن تعقيبه بانهم يرون يوم الحشر من الاهوال ما يستقصرون معه مدة لبثهم في الدنيا فقد خسروا اذ دنياهم بالنزاع واخرتهم بالعذاب الذي لا يستطاع وليس له انقطاع فقال تعالى مهددا لهؤلاء الكفار الذين يعاندون فلا يسمعون ولا يبصرون عاطفا على ويوم نحشرهم الاولى ويوم نحشرهم اي واستقصروا مدة لبثهم في الدنيا يوم الحشر لما يستقبلهم من الاهوال والازل الطوال فكانه قيل الى اي غاية فقيل كان اي كانهم لم يلبثوا في دنياهم او الجملة في موضع الحال من ضمير نحشرهم البارز اي مشبهين من لم يلبثوا الا ساعة اي حقيرة من النهار وقوله يتعارفون بينهم حال اي لم تغدهم تلك الساعة اكثر من ان عرف فيها بعضهم بعضا ليزدادوا بذلك حسرة في ذلك اليوم بعدم القدرة على التناصر والتعاون والتظافر كما كانوا يفعلون في الدنيا ولما كانت حالهم هذه هي الخسارة التي ليس معها تجارة فكان السامع متوقعا للخبر عنها قال معجبا منهم موضع ما اخبرهم قد خسر اي حقا الذين كذبوا اظهر موضع الاضمار تسجيلا وتعليقا للحكم بالوصف ○ مستهينين بلقاء الله اي الملك الاعلى بما اخذوا في الدنيا من الخسيس الفاني وتركوا ما كشف لهم عنه البعث من النعيم الشريف الباقي ولما كان الذي وقع منه تكذيب مرة في الدهر قد يفيق بعد ذلك فيهتدي قال عاطفا على الصلة وما كانوا اي جبلة وطبعا مهتدين مشيرا الى تسفيههم فيما يدعون البصر فيه من امر المتجر والمعرفة بانواع الهداية ولما كان اخبار الصادق بهلاك الاعداء معتبرا للعين وكانت مشاهدة هلاكهم اقر لها عطف على قوله قد خسر واما نرينك اي ارادة عظيمة قتل وفاتك بعض الذي نعدهم اي في الدنيا بما لنا من العظمة فهو اقر لعينك او نتوفينك قبل ذلك فانينا مرجعهم فنريك فيما هنالك ما هو اقر لعينك واسر لقلبك فالآية من الاحتباك ذكر اولا الارادة دليلا على حذفها ثانيا والوفاة ثانيا دليلا على حذفها اولا وثم في قوله ثم الله اي المحيط بكل شي شهيد اي بالغ الشهادة على ما يفعلون في الدارين يمكن ان تكون على بابها فتكون مشيرة الى التراخي بين ابتداء رجوعهم بالموت واخره بالقيمة وليس المراد بقوله شهيد ظاهره بل العذاب الناشئ عن الشهادة في الاخرة اي ان الله يعاقبهم بعد مرجعهم فيريك ما يعدهم لانه عالم بما يفعلون ولما كان في هذه الآية التهديد بالعذاب اما في الدنيا او في الاخرة غير معينين له صلى الله عليه وسلم واحدة منهما انبعها بما هو صالح للامرين بالنسبة الى كل رسول اشار الى ان احوال الامم على غير نظام واحد فلذلك لم يجزم بتعيين واحدة من الدارين للمجزاء وجعل الامر منوطا بالقسط فمتى اي دار كان احكم جعله فيها فقال تعالى دالا على انه نشر ذكر الاسلام وهو الايمان بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر من عهد آدم عليه السلام الى آخر الدهر على وجه لم يحصل له اندراس في دهر من الدهور ممن تركه استحق العذاب سواء كان ممن بين عيسى ومحمد عليهما السلام ام لا فلا تغتر بما يقال من غير هذا ولكل امة اي من الامم التي خلت قبلك رسول يدعوهم الى الله ثم سبب عن اتيان رسولهم بيانا لقضاء الله فيهم فقال فاذا جاء اي اليهم رسولهم في الدنيا بالبينات والهدى وفي الاخرة في الموقف بالاخبار بما صنعوا به في الدنيا من تكذيب او تصديق قضي بينهم اي في جميع الامور بما افاده نزع الخافض على اسهل وجه من غير شك بما افاده البناء للمفعول ولما كان السياق بالترهيب اجدر قال بالقسط فاظهر ما كان خفيا من استحقاقهم في القضاء بالعدل والقسمة المنصفة بينهم كلهم بالسوية فاعطي كل احد منهم مقدار ما يخصه من تعجيل العذاب وتاخيره كما فعل معك ولما كان ذلك لا يستلزم الدوام قال وهم لا يظلمون اي لا يجد لهم ظلم منه سبحانه ولا من غيره ولما تقدم في هذه الايات تهديدهم بالعذاب في الدنيا او في الاخرة حكى سبحانه جوابهم عن ذلك عطفا على قوله ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقال ويقولون اي هؤلاء المشركون مجددين لهذا القول مستمرين على ذلك استهزاء متى هذا الوعد اي بالعذاب في الدنيا او في الاخرة والمعنوا وهيجوا بقولهم ان كنتم اي انت ومن قال بقولك صادقين والقول كلام مضمن في ذكره بالحكاية وقد يكون كلاما لا يعبر عنه فلا يكون له ذكر مضمن بالحكاية فلا يكون قولا لانه انما يكون قولا من اجل تضمين ذكره بالحكاية قاله الرماني والتضمين جعل الشي في وعاء والوعد خبر عما يعطى من الخير والوعيد خبر عما يعطى من الشر وقد يراد المجال كما هنا فيطلق الوعد على المعنيين وعد المحسن بالثواب والمسي بالعقاب والصدق الخبر عن الشي على ما هو به والكذب الخبر عنه على خلاف ما هو به ولما تضمن قولهم هذا استعجاله صلى الله عليه وسلم بما يتوعدهم به امر بان يتبرا من القدرة على شي لم يقدر الله عليه بقوله قل اي لقومك المستهزئين لا املك لنفسي فضلا عن غيري ولما كان السياق للنعمة قدم الضر منبها على ان نعمه اكثر من نقمه وانهم في نعمة عليهم ان يقيدوها بالشكر خوفا من زوالها فضلا عن ان يتمنوا فقال ضرا ولا نفعا ولما كان من المشاهد ان كل حيوان يتصرف في نفسه وغيره ببعض ذلك قال الا ما شاء الله اي المحيط علما وقدرة ان املكه من ذلك فكانه قيل فمالك لا تدعوه بان يشاء ذلك او يقدرك عليه فقيل لكل امة اجل فكانه قيل ما ذا يكون فيه فقيل اذا جاء اجلهم هلكوا ولما كان قطع رجائهم من السخرة في الاجل من اشد عذابهم قدم قوله فلا يستاخرون اي عنه ساعة ثم عطف على الجملة الشرطية بكمالها ولا يستقدمون فلا يستعجلوا فان الوفاء بالوعد لا بد منه والسين فيهما بمعنى الوجدان اي لا يوجد لهم المعنى الذي صيغ منه الفعل مثل استكمل الشي واستثقله

ويجوز كونها لمعنى لا يوجدون التاخر ولا التقدم وان اجتهدوا في الطلب فيكون في السين معنى الطلب والملك قوة يتمكن بها من تصريف الشئ اتم تصريف والنفع ايجاب اللذة بفعلها او السبب المودي اليها والضر ايجاب الالم بفعله او السبب اليه والاجل الوقت المضروب لوقوع امر ولما كان جل قصدهم بذلك الاستهزاء وكان وقوعه امرا ممكنا وكان من شان العاقل ان يبعد عن كل خطر ممكن امر صلى الله عليه وسلم بجواب آخر حذف منه واو العطف ليلا يظن انه لا يكفي في كونه جوابا الا بضمة الى ما عطف عليه فقال قل اي لمن استبطاوعيدنا بالعذاب في الدنيا او في الاخرى وهو لا يكون الا بعد الاخذ في الدنيا اعلاما بان الذي يطلبونه ضرر لهم محض لا نفع فيه بوجه فهو مما لا يتوجه اليه قصد عاقل ارايتم وهي من رؤية القلب لانها دخلت على الجملة من الاستفهام ان اتاكم عذابه في الدنيا ولما كان احد الليل انكا واسرع قدمه فقال بياتا اي في الليل بغتة وانتم نائمون كما ينعل العدو ولما كان الظفر ليلا لا يستلزم الظفر نهارا مجاهرة قال او نهارا اي مكاشفة وانتم مستيقظون استمرون على عنادكم فلا توسنوا فكانهم قالوا فليعجل به لنري فقيل انكم لا تدرون ما تطلبون انه لا طاقة لمخلوق بنوع منه ولا يجري على مثل هذا الكلام الا مجرم ماذا اي ما الذي ويجوز ان يكون هذا جواب الشرط يستعجل اي يطلب العجلة منه اي من عذابه وعذابه كل مكروه لا يحتمل شئ منه المجرمون ان سنة الله قد استمرت بان المكذب لا يثبت الا عند مخايله واما اذا برك بكلكله واناخ بثقله فانه يومئذ من حيث لا ينفعه الايمان ولن تجد لسنة الله تحويلا وهذا معنى التراخي في قوله ثم اذا ما وقع اي عذابه وانتفى كل ما يضاده امنتم به وذلك انه كانت عادتهم لكن قبلهم الاستعجال بالعذاب عند التوعد به وكانت سنة الله قد جرت بان المكذب بين اذا اتاهم العذاب يتراخى ايمانهم بعد مجيء مقدماته وقبل احتشاتهم بعظايم صدماته لشدة عنادهم فيه وتوطنهم عليه كما وقع للاولين من الامم نبيا وعتوا كقوم صالح كما تغيرت وجوههم بالوان مختلفة في اليوم الاول ثم الثاني ثم الثالث وايقنوا بالهلكة وودع بعضهم بعضا ولم يؤمنوا وجرت بانهم اذا قاسوا العذاب واخذتهم مواجيه الصعاب شغلتهم دواهيه عن العناد واضطرتهم اهواله الى سهل الانقياد فكان في غاية الحسن وضع تقريعهم على الاستعجال عقب الوعيد ثم وضع التراخي عن الايمان بالعناد بعد الايمان على الهلاك ومعاينة التلف فكان كانه قيل اخبروني ان اتيكم عذابه الذي لا عذاب اعظم منه كما دل على ذلك اضافته اليه فبيتكم او كاشفكم ماذا تتعجلون الا موسنون فقالوا الان فليعجل به لنري فناسب لما كانوا استعجالهم بعد هذا الانذار تسفيههم على ذلك فقيل ماذا اي اي نوع منه يطلب عجلته المجرمون ولا نوع منه الا وهو فوق الطاقة ووراء الوسع ان هذا المنكر من الاراذل افبعد تراخي ايمانكم عن مخايل صدمته ومشاهدة مباديء عظمته وشدته اوجد تم الايمان به عند وقوعه يقال لكم حين اضطرتكم مواجيه الى الايمان وحملتكم قوارعه على صهوة الاذعان الان تومنون به اي بسببه بعد ان ازال بطشنا قواكم وحل عزايم همكم واوهاكم وقد كنتم اي كونا كانكم مجبولون عليه به تستعجلون اي تطلبون تعجيله طلبا عظيما حتى كانكم لا تطلبون عجلة شيء غيره تكذيبا وعزما على العناد لو وقع فلم يقبل ايمانكم هذا منكم ولا كف عذابنا عنكم بل صيركم كاس الدابر ولما كان ما ذكروا العذاب الدنيوي اتبعه ما بعده اعلاما بانه لا يقتصر عليه في جزائهم فقال ثم قيل اي من اي قائل كان استهانة الذين ظلموا اي وبعد ازكم في الدنيا والبرزخ بالعذاب وهزكم لتبديد العقاب قيل لكم يوم الدين لتظلم بالايات وبما امرتم به فيها بوضعكم كلا من ذلك في غير موضعه ذوقوا عذاب الخلد فالاتيان بثم اشارة الى تراخي ذلك عن الاهلاك في الدنيا بالملك في البرزخ او الى ان عذابه ادنى من عذاب يوم الدين هل تجزون بناه للمفعول لان المحيف مطلق الجزاء ولما كان الاستفهام الانكاري بمعنى النفي وكان المعنى بشيء استثني منه فقال الا ما كنتم تكسبون اي في الدنيا من العزم على الاستمرار على الكفر ولو حال المدى لا تنكرون عنه لشيء من الاشياء وان عظم فكان جزاوكم الخلود في العذاب طبق الفعل بالفعل والعذاب الالم المستمر واصله الاستمرار ومنه العذوبة لاستمرارها في الحلق والبيات اتيان الشيء ليلا لاذ الذوق طلب الطعم بالفم في ابتدار الاخذ ولما انقضى ما اشتملت عليه الاية من التهديد وصادع الوعيد اخبر تعالى انهم صاروا الى ما هو جدير بسماع ذلك من النزول عن ذلك العناد الى مباديء الانقياد بقوله تعالى ويستنبئونك عطفا على قوله ويقولون متى هذا الوعد اي ويطلبون بنبك الانباء وهو الاخبار العظيم عن حقيقة هذا الوعيد الجسيم ويمكن ان يكون ذلك منهم على طريقة الاستهزاء كالاول فيكون التعجيب والتوبيخ فيه بعد ما مضى من الادلة اشد احق هو اي اثابت هذا الذي تتوعدنا به ام هو كالسحر لا حقيقة له كما تقدم انهم قالوه قل اي في جوابهم اي وربي اي المحسن الي المدبر لي والمصدق لجميع ما اتي به ولما كانوا منكرين اكد قوله فقال انه لحق اي كاين ثابت لا بد من نزوله بكم ولما كان الشيء قد يكون حقا ويكون الانسان قادرا على دفعه فلا يهوله قال نفيا لذلك وما انتم اي كلكم بمعجزين بما يراد بكم ولما اخبرهم بحقيقته اخبرهم بما يكون منهم من الظلم ايضا عند معاينته بالسماح ببذل جميع ما في الارض حيث لا ينفع البذل بعد ترك المامور به وهو من ايسر الاشياء واحسنها فقال ولو ان لكل نفس ظلمت اي عند المعاينة ما في الارض اي كلها من خزائنها ونفايسها لافتدت به اي جعلته فدية لها من العذاب لكنه ليس لهم ذلك ولو كان ما قبل منهم فاذا وقع ما يوعدون استسلموا واسروا الندامة اي اشد ندمهم ولم يقدروا على الكلام لما راوا العذاب لانهم بهتوا لعظم ما دهمهم فكان فعلهم فعل المسر لانهم لم يطيقوا بكاء ولا شكاية ولا شيئا مما يفعله الجازع والاستنباء طلب النبا كما ان الاستفهام طلب الفهم والنبا خبر عن يقين في امر كبير والحق عقد على المعنى على ما هو به تدعو الحكمة اليه وكل ما بني على هذا العقد فهو حق لاجله والحق في الدين ما شهد به الدليل على الثقة فيما طريقه العلم والثقة فيما طريقه غالب الامر وذلك فيما يحمل امرين احدهما اشبه بالاصل الذي جاء به النص والاقتداء ايقاع الشيء بدل غيره لرفع

الكرن

المكروه فداه فدية وفداء وافتداه افتداء وفاداه مفاداة وفداه تفدية وتفادى منه تفاديا والاسرار اخفاء الشيء
في النفس والندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وهي حال معقولة يتاسف صاحبها على ما وقع منها ويود انه لم يكن اوقعها
ولما اشتملت الايات الماضيات على تحتم انجاز الوعد والعدل في الحكم ختمت بقوله وقضي اي اوقع القضاء على ايسر وجه
واسهله ولما استغرق القضاء جميع وقايعهم دل عليه بنزع الجار فقال بينهم اي الظالمين والمظلومين والظالمين والاظلمين
بالقسط اي العدل ولما كان وقوع ذلك لا ينفي الظلم في وقت آخر قال وهم اي والحال انهم لا يظلمون اي لا يقع فيهم ظلم من احد
اصلا كائنا من كان في وقت ما ولما كان السبب الحامل لملوك الدنيا على الكذب والجور والظلم العجز او طلب التزيد في الملك
اشار الى تنزهه عن ذلك بقوله موكدا سوقا لهم مساق المنكر لان فعلهم في عبادة الاصنام فعل من ينكر مضمون الكلام الا ان
لله اي الملك الاعظم وحده ما في السموات بدا بها لعلوها معنى وحسا وعظمتها ولما كان المقام للغنى عن الظلم لم يحوج الحال
الى تاكيد باعادة النافي فقال والارض اي من جوهر وعرض صامت وناطق فلا شيء خارج عن ملكه يحوجه الى ظلم او اخلاف
وعد لحيازته والحاصل انه لا يظلم الا ناقص الملك واما من له الملك كله فهو الحكم العدل لان جميع الاشياء بالنسبة اليه
على حد سواء ولا يخلف الوعد الا ناقص القدرة واما من له كل شيء ولا يخرج عن قبضته شيء فهو المحق في الوعد العدل في الحكم
وفي الاية زيادة تحسير وتنديم للنفس الظالمة حيث اخبرت بان ما تود ان تفتدي به ليس لها منه شيء ولا تقدر على التوصل اليه
ولو قدرت ما قبل منها وانما هو لمن رضي منها بالقليل منه فضلا منه عليها على ما امر به على لسان رسله وعلى هذا فيجوز ان يكون
التقدير لو ان لها ذلك لافتدت به لكنه ليس لها بل لله فلما ثبت بذلك حكمه بالعدل وتنزهه عن اخلاف الوعد صرح بمضمون
ذلك بقوله موكدا لانكارهم الا ان وعد الله اي الذي له الكمال كله حق لانه تام القدرة والغنى فلا حامل له على الاخلاف ولكن
اكثرهم اي الذين تدعوهم وهم يدعون دقة الافهام وسعة العقول لا يعلمون اي لا علم لهم فهم لا يتدبرون ما نصبنا من الادلة
فلا ينقادون لما امرنا به من الشريعة فهم باقون على الجهل معدودون مع البهائم والا مركبة من همزة الاستفهام ولا وكانت تقريرا
وتذكيرا فصارت تنبيها وكسرت ان بعدها لانها استينافية ينبه بها على معنى يبتدا ولذا يقع بعدها الامر والدعاء بخلاف
لو والا للاستقبال فلم يجز بعدها الا كسر ان واما قد تكون بمعنى حقا في قولهم اما انه منطلق وهي للحال فجاز في ان بعدها الوجهان
ذكره الرماني والسموات طبقات مرفوعة اولها سقف مزين بالكواكب وهي من سما بمعنى علا ولما تقرر انه لا شيء خارج
عن ملكه وانه تام القدرة لانه منجا من عذابه شامل العلم لقضائه بالعدل صادق الوعد لانه لا حامل له على غيره وثبت
تفرده بانه يحيي ويميت ثبت انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء فثبت انه لا يكون الرد الا اليه فنبه على ذلك بقوله
هو اي وحده يحيي اي كما انتم به مقرون ويميت كما انتم له مشاهدون واليه اي لا الى غيره ترجعون لانه وعد بذلك في
قوله اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا وفي قوله فالينا مرجعهم وفي قوله اي وربي انه لحق وغير ذلك ولا مانع منه والحياة
معنى يوجب صحة العلم والقدرة يضاد الموت وهو يحل سائر اجزاء الحيوان فيكون بجميعه حيا واحدا والحي هو الذي يصح
ان يكون قادرا والقادر هو الذي يصح ان يذم ويحمد بما فعل والموت معنى يضاد الحيوة على البنية الحيوانية وليس كذلك
الجمادية ولما ثبت ان ذلك كله حق مباين للسحر الذي مبناه على التخييل اقبل على الذين تقدم الاخبار عنهم في اول السورة
في قوله اكان للناس عجبا انهم قالوا انه سحر فقال يا ايها الناس اي الذين قالوا ان وعدنا والاخبار به سحر ولما كان
بين الارواح والابدان حب غريزي بالتعلق والتذ الروح لذلك بمشتهيات هذه الحياة الدنيا بما انطبع فيه بمظاهر الحس
فلم ياته نور العقل حتى تعود النقايص بقوة التعلق فحدثت له اخلاق ذميمة هي امراض روحانية فارسل ربه الذي اوجده
ودبره واحسن اليه طبيبا حاذقا هو الرسول صلى الله عليه وسلم لعلاج هذه الامراض وانزل كتابه العزيز لوصف الادوية
فكان احكم الطب منع المريض عن اسباب المرض قال تعالى قد جاءتكم موعظة اي زاجر عظيم عن التخلي عن كل ما يشغل القلب عن
الله من المحظورات وغيرها من كل ما لا ينبغي وذلك هو الشريعة ولما كان تناول الموذي شديد الخطر وهو لذيذ الى النفس
لما بينهما من ملائمة النقص وكان الانكفاف عنه اشق شيء عليها رغبها في القبول بقوله من ربكم اي المحسن اليكم المدبر لمصالحكم بهذا
القران ولما كان اليق ما يعمل بعد الحية تعاطي الدواء المزيل للاخلاط الفاسدة من الباطن قال وشفاء اي عظيم جدا لما
في الصدور من ادواء الجهل وذلك الشفاء يحصل بتطهير الباطن بعد التخلي عن الاخلاق الذميمة بالتحلي بالصفات الحميدة
ليصير الباطن سالما عن العقايد الفاسدة والاخلاق الناقصة كما سلم البدن من الافعال الدنية وهذا هو الطريقة
ولما كانت الروح اذا انصقلت مرآتها فصارت قابلة لتجلي الانوار عليها تفيض عليها البروق الالهية والنفحات
القدسية والمواهب الملكوتية لانها دائمة اللمعان كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني عن محمد بن مسلمة رضي الله
عنه ان لربكم ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها الحديث وليس المانع من نزولها في كل قلب الا عدم القابلية من بعضها لتراكم
الظلمات فيها من صداء المخالفة ورين الاعراض والغفلة فيكون بذلك كالمرايا الصدئة لا تقبل انطباع الصور بها قال
تعالى وهدى الى الحق لانه نور عظيم يقود صاحبه ولا بد الى الطريق الاقوم وهذا للصديقين وهو الحقيقة ولما كان هذا
النور اذا زاد عظمه وانتشر اشراقه يفيض بعد الوصول الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية على ارواح
الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام العالم فينير كل قابل له مقبل عليه قال تعالى ورحمة اي اكرام عظيم بالامامية بالغ
في الكمال والاشراق الى حد لا مزيد عليه وهذا للانبياء عليهم السلام ولما كان لا ينتفع بانوارهم الا من توجه اليهم ثم ان الانتفاع

بهم تيفاوتت بتفاوت درجات التوجه اليهم والاقبال عليهم قال للمؤمنين الذين اتبعوه وهم راسخون في التوجه الى المرشدين
والاستسلام لهم فكان ذلك سببا لنجاتهم اشار الى هذا الامام وقال فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها
بهذه الكلمات الاربع القرانية على وجه لا يمكن تاخير شئ منها عن موضعه ولا تقديمه وهذا بخلاف ما ينسبوه اليه صلى الله عليه وسلم
من السحر فانه داء كله وضلال يدل الى الشقاء والموعظة انه تدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والوعظ ما
دعا الى الخشوع والنسك وصرف عن التسوق والاثم والشفا ازالة الداء والداء الجهل اضر من داء البدن وعلاجه اعسر واطباؤه
اقل والشفا منه اجل والصدر موضع القلب وهو اجل موضع في الحي واشرف القلب والهدى بيان عن معنى يودي الى الحق وهو
دلالة تودي الى المعرفة والرحمة نعمة على المحتاج ولما ثبت ذلك حتم عليه لبعده عن السحر بثباته وعدم القدرة على زلزلة
فضلا عن ازالته وبانه شفا وموعظه وهدى ورحمة فهو جامع لمراتب القرب الاخر كلها وزهدهم فيما هم عليه مقبلون من
الحطام لمشاركته للسحر في سرعة التحول والتبدل بالفناء والاضمحلال فهو اهل للزهد فيه والاعراض عنه فقال تعالى قل بفضل الله
الآية وحسن كل الحسن تعقيب ذلك لقوله هو يحي ويميت لما ذكر من سرعة الرحيل عنه ولان القران محي لميت الجهل من اقبل عليه
افادة العلم والحكمة فكان للقلب كالحياة للجسد ومن اعرض عنه صار في ضلال وخبط فوصل الى الهلاك الدائم فكان اعراضه
عنه ميتا له وجعل ابو حيان متعلق الباء في بفضل محذوفا تقديره قل ليفرحوا بفضل الله اي الملك الاعلى وبرحمته عطف على
ذلك فبذلك اي الامر العظيم جدا وحده ان مزحوا يوما ما تا بشئ فليفرحوا انهما جلتان وقال ان ذلك اظهر وفايدة الثانية
قصر الفرح على ذلك دون ما يسرون به من الحطام فان السعادات الروحانية افضل من السعادات الجسمانية ثم صرح بسبب
الفرح فقال هو اي المحدث عنه من الفضل والرحمة خير مما يجمعون اي من حطام الدنيا وان كان اشرف ما فيها من المتاع وابين فيه على
تعاقب الاوقات والعاقل يختار لتعبه الافضل والفضل الزيادة في النعمة والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى ولما وصف القران
العظيم بالشفا وما معه المقتضي لاستقامة المناهج وسداد الشرايع ووضوح المذاهب واشار الى ان العاقل ينبغي له ان يخصه
بالفرح لبقاء اثاره وما يدعوا اليه وزهد فيما يجمعون لفنايه وكانه يدعوا الى زذايل الاخلاق فيخبط من اوج المعالي اشار الى
انهم كما خبطوا في الفرح مخصوه بما يغني معوضين عما يبقى فكذلك خبطوا في طريق الجمع فوعروها على انفسهم بل حرموا بعض ما احله
فمنعوا انفسهم مأمم به فرحوزد وزا من مزاعمه تعالى فنقصوا بذلك حظهم في الدنيا بهذا المنع وفي الاخرة بكدبهم على ربهم في تحريمه
حيث جعلوه شرعا مرضيا وهو في غاية الفساد والبعد عن الصواب والقصور عن مراتي السداد فقال تعالى قل اي لهولاء الذين
يستهزؤن بك استهزاء قاضيا عليهم بانهم لا عقول لهم مستهزئا بهم وموبخا لهم توبيخا هو في احكم مواضعه وساقه على طريق
السؤال بحيث انهم لا يقدرون على الجواب اصلا بغير الاقرار بالافتراء فقال ارايتم اي اخبروني وعبر عن الخلق بالانزال تنبيها على
انه شئ لا يمكن ادعاؤه لاصنامهم لنزول اسبابه من موضع لا تعلق لهم به بوجه فقال ما انزل الله اي الذي له صفات الكمال
التي منها الغني المطلق لكم اي خاصا بكم من رزق اي اي رزق كان فجعلتم منه اي ذلك الرزق الذي خصصكم به حراما وحلالا على
النحو الذي تقدم في الانعام وغيرها قصة وبيان فساده على انه جلي الفساد ظاهر الفروج ثم ابتدا اخرا تاكيدا للانكار
عليهم فقال قل اي من اذن لكم في ذلك الله اي الملك الاعلى اذن لكم فتوضحوا المستند به ام لم ياذن لكم فيه مع نسبتكم اياه اليه
لانكم فصلتموه الى حرام وحلال ولا محلل ولا محرم الا الله فانتم على الله اي المحيط بكل شئ عظمة وعلما تفترون مع نسبتكم الافتراء الى
هذا القران الذي اعجز الافكار والشرع الذي بهر العقول وادعائكم انكم ابعد الناس عن مطلق الكذب واطهرهم ديوثا منه ان
وتقديم الجار للاشعار الى زيادة التشنيع عليهم من حيث انهم اشد الناس تبرؤا من الكذب وقد خصوا الله على تقدير التسليم لهم
بان تعمدوا الكذب عليه ولما كان قد مضى من ادلة المعاد ما صيره كالشمس وكان افتراؤهم قد ثبت بعدم قدرتهم على مستند باذن
الله لهم في ذلك قال مشيرا الى ان القيمة مما هو معلوم لا يسوغ انكاره وما ظن الذين يفترون اي يتعمدون على الله اي الملك الاعظم
الكذب انه نازل بهم يوم القيمة اي هب انكم لم تستحيوا منه ولم تخافوا عواقبه في الدنيا فما تظنون انه يكون ذلك اليوم؟
اتظنون انه لا يحاسبكم فيكون حينئذ قد فعل ما لا ينبغي له رب مع مربوبه ولما كان تعالى يعاملهم بالحلم وهم يتمادون في هذا
العقوق قال ان الله اي الذي له الكمال كله لذو فضل اي عظيم على الناس اي بنعم منها انزال الكتب مفصلا فيها ما يرضاه وما
يسخطه وارسال الرسل عليهم السلام لبيانها بما تحتمله عقول الخلق منها وسترها طول امهالهم على سوء اعمالهم فكان شكره واجبا
عليهم ولكن اكثرهم اي الناس لاضطراب ضمايرهم لا يشكرون اي لا يتجدد منهم شكر فهم لا يتبعون رسله ولا كتبه فهم يخبطون خبط
عشوا فيفعلون ما يغضبه سبحانه والتحريم عقد معنى النهي عن الفعل والتحليل حل معنى النهي بالاذن والشكر حق يجب بالنعمة
من الاعتراف بها والقيام فيما تدعوا اليه على قدرها وافترا الكذب تزويره وتنميقه فهو اخص من مطلق الكذب ولما وصف
القران بما وصفه به من الشفا وما معه بعد اقامة الدليل على اعجازه واشار الى ان مانه ينوابه في غاية الخبط وانه مع كونه
كذبا يقدر كل احد على تغييره باحسن منه لكونه غير مبني على الحكمة وختم ذلك بتهديدهم على افترآء الكذب في شرع ما لم ياذن به
مع ادعايهم ان القران مفترى وهم عاجزون عن معارضته وبانهم لم يشكروه على نعمه التي اجلها تخصيصهم بهذا الذكر الحكيم
والشرع القويم وكان قد اكثر في ذلك كله من الامر له صلى الله عليه وسلم بمحاجتهم قل لا املك لنفسي قل ارايتم ان اتاكم عذابه
قل اي وربي انه لحق قل بفضل الله الآية قل ارايتم ما انزل الله لكم قل الله اذن لكم قال تعالى ناظرا الى قوله وما كان هذا القران
ان يفتري الآية تسلية له صلى الله عليه وسلم وتقوية لهمته وزيادة في تهديدهم عطفا على ما تقديره فقد انزلت اليهم على لسانك

ما هو شرف لهم ونعمة عليهم وهو في غاية البعد عن مطلق الكذب فان كل شي منه في احكم مواضعه واحسنها لا يتطرق اليه
الباطل بوجه وهم يقابلون نعمته بالكفر وما تكون انت في شان اي اي شان كان وما تتلو منه اي من القران المحدث عنه
في جميع هذه السورة الذي تقدم انهم كذبوا به من غير شبهة لهم من قرآن اي قليل او كثير ولا تعملون اي كلكم طايعكم
وعاصيكم واغرق في النفي فقال من عمل صغير او كبير الا كنا اي بما لنا من العظمة عليكم شهودا اي عاملين باحاطة علمنا ووكالة
جنودنا عمل الشاهد اذ تفيضون فيه الآية ايذانا بانك بعيني في جميع هذه المراجعات وغيرها من شؤونك وانا العالم بتدبيرك
والقادر على نصرتك وهي كلها من كتابي الذي تتضاءل القوى دونه وتقف الافكار عن مجاراته لانه حكيم لكونه من عندي فجل
عن مطلق المعارضة لفظا او معنى فضلا عن التغيير فضلا عن الاتيان بما هو مثله فكيف بما هو احسن منه لاستقامة امره وتناسب
احكامه وكونها شفاء وهدى وما كان كذلك فهو من عندي قطعا وباذني جزما لاني عالم بالافاضة فيه والانفصال عنه
وجميع الامور الواقعة منك ومنهم ومن غيرهم ولما كان ربما ظن ظان من افهام كنا وشهودا للجنود انه سبحانه محتاج اليهم
نفى ذلك بقوله وما اي والحال انه ما يعزب اي يغيب ويخفى عن ربك المربي لكل مخلوق بعام افضاله ولك بخاص نعمه
واشرف نواله واغرق في النفي فقال من مثقال ذرة اي وزن نملة صغيرة جدا وموضع وزنها وزمانه ولما كان في شؤون
اهل الارض كان تقديمها اولى فقال في الارض ولما لم يدع السياق الى الجمع كما سياتي في سبا قال اكتفاء بالمفرد الدال على الجنس
ولا في السماء اي ما علا عن الارض كاينا ما كان ولما كان ربما ادى الجمود بعض الاغبيا الى ان يحمل المثقال على حقيقته ويجهل
ان المراد به المبالغة قال عاطفا على الجملة من اولها وهو الابتداء سواء رفعنا الرائين على قراءة حمزة ويعقوب او نصبناهما
عند الباقين ولا اصغر من ذلك اي من مثقال الذرة ولا اكبر ولما اتى بهذا الابتداء الشامل الحاضر اخبر عنه بقوله الا اي لا
شي من ذلك الا موجود في كتاب اي جامع مبين اي ظاهر في نفسه مظهر لكل ما فيه وسياتي في سبا ما يتم به هذا المكان وفي ذلك
تهديد لهم وتثبيت له صلى الله عليه وسلم ولاح بهذا ان ما بعد الا حال من الفاعل اي ما تفعل شيا الا وانت باعيننا فثبت ان
القرآن بعلمه فلو افتراه احد عليه لا يمكن منه والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه وهو الانبساط في العمل اخذا
من فيض الاناء اذا انصب ما فيه من جوانبه او افضتم تفرقتم كتفرق الماء الذي يتصبب من الاناء والعزوب ذهاب المعنى
عن العلم وضده الحضور والذر صغار النمل وهو خفيف الوزن جدا ولما تقدم انه سبحانه شامل العلم وعلم من وضع احوال
ما لا تسع ومن لا تسع مجرد اسمائهم الارض في كتاب مبين اي مهما كشف منه وجد من غير خفاء ولا احتياج الى تفتيش انه كامل القدرة
بعد ان تقدم انهم فريقان صادق في امره ومفتر عليه وانه متفضل على الناس بعدم المعاجلة والتاخير الى القيمة وخوف
المفتري عواقب امره عاجلا وآجلا ورجى المطيع كان موضع ان يقال ليت شعري ماذا يكون تفصيل حال الفريقين في الدارين على
الجزم فاجيب بان الاولياء فايزون والاعداء هالكون ليشمر كل مطيع عن ساعد جده ويبذل غاية جهده في لحاق المخلصين وتحامي
جانب المفترين بقوله تعالى موكدا لاعتقادهم انهم يهلكون حزب الله وانكارهم غاية الانكار ان يفوتوهم الا ان اولياء الله اي
الذين يتولون بالطاعة من لا شي اعز منه ولا اعظم ويقواهم لا خوف اي ثابت عال عليهم اي من شي يستقبلهم ولا هم اي بضمايرهم
يحزنون اي يتجدد لهم حزن على فايت لان قلوبهم معلقة بالله سبحانه فلا يوثر فيهم خوف لذلك ولا حزن اثرا يقطع قلوبهم
كما يعرض لغيرهم وفسرهم بقوله الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف المصحح للاعمال وبه كمال القوة العلمية وكانوا اي كونا
صار لهم جبلة وخلقا يتقون اي يوجدون التقوى وهي كمال القوة العملية في الايمان والاعمال ويجددونها فانه لا يقدر
احد ان يقدر الله حق قدره وانتهى الجواب بقوله ان الذين يفترون على الله الكذب الآية وهذا الذي فسر الله به الاولياء لا مزيد
على حسنه وعن علي رضي الله عنه هم قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الخوى وقيل الولي من لا
يرائي ولا ينافق وما اقل صديق من هذا خلقه وصح عن الامامين ابي حنيفة والشافعي رحمهما الله كما نقل ذلك عنهما الشيخ
محي الدين النووي رحمه الله في مقدمة شرح المهذب والتبيان ان كلا منهما قال ان لم يكن العلماء اولياء الله فليس لله ولي وهذا
في العالم العامل بعلمه كما بينته عند قوله تعالى في سورة الزمر قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولما نفى عنهم
الخوف والحزن زادهم فقال مبينا لتوليه لهم بعد ان شرح توليهم له لهم اي خاصة البشرى اي الكاملة في الحيوة الدنيا
اي بان دينهم يظهر وحالهم يشهر وعدوهم يخذل وعمله لا يقبل وبالرؤيا الصالحة وفي الاخرة بانهم هم السعداء واعداؤهم
الاشقياء وتتلقاهم الملئكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ولما كان الغالب على احوال اهل الله في الدنيا الضيق ولا سيما
في اول الاسلام كان السامع لذلك بمعرض ان يقول يا ليت شعري هل يتم هذا السرور فقيل نعم واكد بنفي الجنس لان الجبابرة
ينكرون ذلك لهم لما يرون من ان عزهم من وراء ذل ليس فيه ما لباطل المتكبرين من السورة والارجاف والصولة لا تبديل
اي بوجه من الوجوه لكلمات الله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة بكل شي علما وقدرة وقوله ذلك اي الامر العالي الرتبة
هو اي خاصة الفوز العظيم في موضع البيان والكشف لمضمون هذه البشرى والخوف انزعاج القلب بما يتوقع من المكروه
ونظيره الجزع والفزع ونقيضه الامن والحزن انزعاجه وغلظ همه مما وقع من المكروه من الحزن الى الارض الغليظة ونقيضه
السرور وهما يتعاقبان على حال الحي الذاكر للمحبوب والبشرى الخبر الاول بما يظهر سروره في بشرة الوجه ولما تقدمت
البشرى بنفي الخوف والحزن معا عن الاولياء علم ان المعنى هذه البشرى للاولياء وانت راسهم فلا تخف فعطف عليه قوله ولا يحزنك
قولهم اي في نحو قولهم انهم يغلبون وفي تكذيبك والاستهزاء بك وتهديدك فان ذلك قول يراد به تبديل كلمات الله الغني القدير

وهيهات ذلك من الضعيف الحقير فكيف بالعلي الكبير والى هذا يرشد التعليل لهذا النهي بقوله ان العزة اي العلية والقهر وتمام العظمة لله اي الملك الاعلى جاذكونها جميعا اي فسيذلهم ويعزه دينه والمراد بذلك التسلية عن قولهم الذي يؤذونه به ولما بدئت الآية بقولهم ختمها بالسمع له والعلم به وقصر هما عليه لان صفات كل موصوف متلاشية بالنسبة الى صفاته فقال هو اي وحده السميع اي البليغ السمع لاقوالهم العليم اي المحيط العلم بضمايرهم وجميع احوالهم فهو البالغ القدرة على كل شيء فيجازيهم بما تقتضيه وهو تعليل لتفرده بالعزة لانه تفرد بهذين الوصفين فانتفيا عن غيره ومن انتفيا عنه كان ذليلا دون الحيوانات المجرمة فانى تكون له عزة والعزة قدرة على كل جبار عما يرام ولا يضام والمعنى انه يعزك على من ناواك والنهي في ولا يحزنك في اللفظ للقول وفي المعنى للسبب المودي الى الناهي بالقول وكسرت ان ههنا للاستيناف بالتذكير بما ينفي الحزن لانها بعد القول لانها ليست حكاية عنهم وقرئ بفتحها على معنى لان ولما اختصت بعموم سمعه وعلمه بعد قصر العزة عليه كان كانه قيل ان العزة لا تتم الا بالقدرة فاثبت اختصاصه بالملك الذي لا يكون الا بها فقال موكدا لما يستلزمه اشراكهم من الانكار لمضمون هذا الكلام الا ان لله اي الذي له الاحاطة الكاملة ولما كان بعض الناس قد اشركوا ببعض النجوم جمع فقال معبرا باداة العقلاء تغليبا بما افهمه التعبير سابقا باداة غيرهم من في السموات اي كلها وابتدأ بها لان ملكها يدل على ملك الارض بطريق الاولى ثم صرح بها في قوله موكدا لما تقدم ومن في الارض اي كلهم عبيده ملوكهم ومن دونهم نافذ فيهم تصريفه منقاد دون لما يريده وهو ايضا تعليل ثان لقوله ولا يحزنك قولهم او للتفرد بالعزة وعبر بمن التي للعقلاء والمراد كل ما في الكون لان السياق لنفي العزة عن غيره والعقلاء بها اجدر فنفيها عنهم نفي عن غيرهم بطريق الاولى ثم غلبوا اشرفهم على غيرهم ولذا انطلق ما التي هي لغيرهم في سياق يوهبها احق ثم يراد بها العموم تغليبا للاكثر الذي لا يعقل على الاقل ثم نفى ان يكون له في ذلك شريك بقوله عاطفا على ما قدرته مما له شريك مما ادعاه المشركون منها او من احد بها وما يتبع اي بغاية الجهد الذين يدعون اي على سبيل العبادة من دون الله اي الذي له العظمة كلها شركاء على الحقيقة ويجوز ان تكون ما موصولة تحقيرا للشركاء بالتعبير باداة ما لا يعقل ومعطوفة على من ان اي ما يتبعون في ذلك الذي هو اصل اصول الدين يجب فيه القطع وهو دعاؤهم لهم شركاء الا الظن اي المخطئ على انه لو كان صوابا كانوا مخطئين فيه حيث قنعوا في الاصل بالظن ثم نبه على الخطأ بقوله وان اي وما هم الا يخرصون اي يحزرون ذلك ويقولون ما لا حقيقة له اصلا والاتباع طلب اللحاق بالاول وعلى تصرفها حال فهو لا اتبعوا الداعي الى عبادة الوثن ونصر قوا معه فنادعا اليه وظنهم في عبادتها انما هو شبهة ضعيفة كقصد زيادة التعظيم لله وتعظيم تقليد الاسلاف ويجوز ان يكون شركاء مفعولا لتنازعه يتبع ويدعون ثم اثبت سبحانه اختصاصه بشيء جامع للعلم والقدرة تاكيدا لاختصاصه بالعزة وتفرده بالوحدانية وان من اشرك به خارم لا علم له بوجه لكثرة الدلايل على وحدانيته ووضوحها فقال هو اي وحده الذي جعل اي بسبب دوران الافلاك الذي اتقنه لكم اي نعمه منه الليل اي ظلما لتسكنوا فيه راحة لكم ودلالة على قدرته سبحانه على الايجاد والاعدام وانشا التمييز لذكر هما والنهار واعاد السبب وصف المبصر فقال مبصرا اي لتنتشروا فيه حذف وصف الليل وذكر علته عكس ما فعل بالنهار ليدل لما اثبت على ما حذف فالآية من الاحتباك ولما كانت هذه الايات من الظهور بحيث لا تحتاج الى اكثر من سماعها قال ان في ذلك اي الامر العظيم لايات لقوم اي لهم قوة المحاولة على ما يريدونه يسمعون اي لهم سمع صحيح وفي ذلك ادلة واضحة على انه مختص بالعزة فلا شريك له لان الشريك لا بد وان يقاسم شريكه شيئا من الافعال او الاحوال او الملك ولما عند انتفاء جميع ذلك فانتفاء الشركة اوضح من ان تحتاج فيه الى دليل ويجوز ان يكون المعنى لايات لقوم يبصرون ابصار اعتبار ويسمعون سماع تامل وادكار ولكنه حذف يبصرون لدلالة مبصرا عليه ويزيد ذلك حسنا كون السياق لنفي الشركاء فهو اشارة الى انها لا تسمع ولا تبصر اصلا فكيف بالاعتبار والافتكار فالذين هم عبدوهم اكمل حالا منهم ولما لم يكن شبههم على ادعاء الولد سبحانه ولا لهم اطلاع عليه بوجه ساق قوله قالوا اتخذ اي تكلف الاخذ بالتسبب على ما نهد اله اي المسمى بهذا الاسم الذي يقتضي تسميته به ان يكون له الكمال كله فلا يكون محتاجا الى شيء بوجه ولدا ساق ابيان لقوله ان تتبعون الا الظن وهذا اصالح لان يكون تعجيبا ممن ادعى في الملائكة او عزيرا والمسيح وغيرهم ولما عجب منهم في ذلك لما فاته بما يدل عليه من النقص لما ثبت لله تعالى من الكمال كما مر نزه نفسه الشريفة عنه فقال سبحانه اي تنزه عن كل شائبة نقص التنزه كله ثم علل تنزهه او بينه بقوله هو اي وحده الغني اي عن الولد وغيره لانه فرد منزه عن الابعاض والاجزاء والمجانسة ثم بين غناه بقوله له ما في السموات ولما كان سياق الاستدلال يقتضي التاكيد اعاد ما فقال وما في الارض من صامت وناطق فهو غني بملك ذلك عن ان يكون شيء منه ولدا لان الولد لا يملك وعدم ملكه نقص منافٍ للغنى ولعله عبر بما لان الغني محط نظر الصامت مع شموله للناطق ولما بين بالبرهان القاطع والدليل الباهر الساطع امتناع ان يكون له ولد بكتهم بنفي ان يكون لهم بذلك نوع حجة فقال ان عندكم واعرق في النفي فقال من سلطان اي حجة بهذا اي الاتخاذ وسميت الحجة سلطانا لاعتلاء يد الممسك بها ثم زادهم تبكيتا بالانكار عليهم بقوله اتقولون اي على سبيل التكرير على الله اي الملك الاعظم على سبيل الاستفهام ما لا تعلمون كان ما لا برهان عليه في الاصول فهو جهل فكيف بما قام الدليل على خلافه والسلطان البرهان القاهر لانه يتسلط به على صحة الامر ويقهر به الخصم واصله القاهر للرعية بعقد الولاية ولما تقدم ان قولهم كذب وكفر عليه موجبة اتبعه بما يشير الى انهم اهل للاعراض في سياق مهدد على الكذب فقال معرضا عن خطابهم موكدا لان اجترامهم على الله على الكذب بالمواخذة عليه قل اي للذين

ادعوا

ادعوا الولد لله وحرموا ما رزقهم من السائبة ونحوها ان الذين يفترون اي يتعمدون على الله اي الملك الاعلى الكذب لا يفلحون
ثم بين عدم الفلاح بقوله متاع اي لهم ونكره اشارة الى قلته كما قال في الاية الاخرى متاع قليل واكد ذلك بقوله في الدنيا اي لانها دار
ارتحال وما كان الى زوال وتلاش واضمحلال كان قليلا وان تباعد امده وتطاولت مدده وجل مدده وزاد على الحصر عدده وبين حالهم
بعد النقلة بقوله ثم اي بعد ذلك الاملاء لهم وان طال الينا اي على ما لنا من العظمة لا الى غيرنا مرجعهم بالموت فنذيقهم عذابا شديدا
لكنه دون عذاب الاخرة ثم نذيقهم يوم القيمة العذاب الشديد بما اي بسبب ما كانوا اي كونا هو جبلة لهم يكفرون ووجب كسر ان بعد
القول لانه حكاية عما يستانف الاخبار به كما فعل في لام الابتداء لذلك ولما تقدم سوالهم الاتيان بما يقترحون من الايات ومضت
الاشارة الى ان تسييرهم في الفلك من اعظم الايات وان كانوا لا لفهم له قد نسوا ذلك وتناسجت الاي كما سلف الى ان بين هنا ان متاع المفترين
للكذب قليل تخويفا من شديد السطوة وعظيم الاخذ عقب ذلك بقصة قوم نوح عليه السلام لانهم كانوا اطول الامم الظالمة مدة
واكثرهم عدة ثم اخذوا اشد اخذ فزالت اثارهم وانطمست اعلامهم ومنارهم فصاروا كانهم لم يكونوا اصلا ولا اظهروا قولا ولا
فعلا فقال تعالى عاطفا على قوله قل ان الذين مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لان المصيبة اذا عمت خفت
وتخويفا للكفار ليرجعوا او يخفوا من اذاهم واتل اي اقرا قراءة متتابعة مستعلية عليهم نبا نوح اي خبره العظيم مذكرا باول كون
الفلك وانه كان اذ ذاك اية غريبة خارقة للعادة عجيبة وان قوم نوح لم ينفعهم ذلك ولا اغنى عنهم افتراؤهم وعنادهم مع
تطاول الامد وتباعد المدد بل صار امرهم الى زوال واخذ عنيف ونكال كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم مع نجاة
رسولهم وخيبة مامولهم وقد لبث فيهم ما لم يلبثه نبي في قومه ولا رسول في امته الفا سنة الا خمسين عاما وما امن معه الا
قليل اذ قال لقومه اي بعد ان دعاهم الى الله فاطال دعاءهم ومتعوا في الدنيا كثيرا واملى لهم طويلا فما زادهم ذلك الا نفورا
يا قوم اي يا من يعز علي خلافهم ويشق علي ما يسوءهم لتهاونهم بحق ربهم مع قوتهم على الطاعة ان كان كبر اي شق وعظم
مشقة صارت كالجبلة عليكم ولما كانت عادة الوعاظ والخطباء ان يكونوا حال الخطبة واقفين قال مقامي اي قيامي ولعله
خص هذا المصدر لصلاحيته لموضع القيام وزمانه فيكون الاخبار بكراهته لاجل ما وقع فيه من القيام ادل على كراهة القيام
وتذكيري اي لكم بايات الله اي الذي له الجلال والاكرام فان ذلك لا يصدني عن مجاهرتي بما يكبر عليكم من ذلك خوفا منكم لان الله
امرني به وانا اخاف عذابه ان تركت ولا ابالي بكراهتكم لذلك خوف عاقبة قصدكم لي بالاذى فعلى اي فاني على الله اي الذي له
العزة كلها وحده توكلت فاقامة ذلك مقام الجزاء من اطلاق السبب الذي هو التوكل على المسبب الذي هو انتفاء الخوف مجازا
مرسلا اعلاما لهم بعظمة الله وحقارتهم بسبب انهم اعرضوا عن الايات وهم يعرفونها بما دل عليه التعبير بالتذكير فدل ذلك
على عنادهم بالباطل والمبطل لا يخشى امره لان الباطل لا ثبات له ودل على ذلك بقوله فاجمعوا امركم اي في اذاي بالاهلاك
وغيره اعزموا عليه وانووه واجزموا به والواو بمعنى مع في قوله وشركاءكم ليدل على انه لا يخافهم وان كان شركاؤهم احياء
كائنين من كانوا وكانت كلمتهم واحدة لا فرقة فيها بوجه ولما كان الذي يتستر بالامور بما تفوته بعض المقاصد لاشتراط التستر
اخبرهم انه لا يمانعهم سواء ابدوا او اخفوا فقال ثم لا يكن اي بعد التاني وطول زمان المحاورة في المشاورة امركم اي الذي تقصدونه
لي عليكم غمة اي خفيا يستتر عليكم شيء منه بسبب ستر ذلك عني لئلا اسعى في معارضتكم فلا تفعلوا ذلك بل جاهروني به مجاهرة
فانه لا معارضة لي بغير الله الذي يستوي عنده السر والعلن والتعبير بثم اشارة الى التاني واتقان الامر للامان من معارضته
بشيء من حول منه او قوة ثم اقضوا ما تريدونه اي بتوه بت المقضي به واصلا الي ولما كان ذلك ظاهرا في الانجاز
وليس صريحا صرح به في قوله ولا تنظرون اي ساعة ما وكل ذلك لاظهار قلة المبالاة بهم للاعتماد على الله لانه لا يعجزه
شيء ومعبوداتهم لا تغني شيئا ثم سبب عن ذلك قوله فان توليتم اي كلفتم انفسكم الاعراض عن الحق بعد عجزكم عن اهلاكي ولم
ينفعكم علمكم بان الذي منعني وانا وحدي منكم وانتم ملاء الارض له العزة جميعا واني من اوليائه الذين تقدم وعده الصادق
بانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فما اي فلم يكن توليكم عن تفريط مني لاني سقت الامر على ما يجب ما سالتكم اي ساعة من الدهر
واغرق في النفي فقال من اجر اي على دعائي لكم يفوتني بتوليكم ولا تتهمونني به في دعائكم ولما كان من المحال ان يفعل عاقل
شيئا لا لغرض بين غرضه بقوله مستانفا ان اي ما اجري الا على الله اي الذي له صفات الكمال ثم عطف عليه غرضا اخر
وهو اتباع الامر خوفا من حصول الضر فقال وامرت اي من الملك الاعلى الذي لا امر لغيره وبناه للمفعول للعلم بانه هو الامر
وليزيد في الترغيب في المامور به وتعظيمه بجعله عمدة الكلام باقامته مقام الفاعل فقال ان اكون اي كونا اتخلق به فلا
انفك عنه ولما كان في مقام الاعتذار عن مفاجاته لهم بالانذار عبر بالاسلام الذي هو الافعال الظاهرة فقال
من المسلمين اي الراسخين في صفة الانقياد بغاية الاخلاص لي ما لهم وعلي ما عليهم انا وهم في الاسلام سواء لا مزية لي فيه
اتهم بها وان استسلم لكل ما يصيبني في الله لا يرد في ذلك عن انفاذ امره والحاصل انه لم يكن بدعائه اياهم في موضع تهمة
لا سالهم غرضا دنيويا يزيده ان اقبلوا ولا ينقصه ان ادبروا ولا اتى بشيء من عند نفسه ليظن انه اخطا فيه ولا سلك به
مسلكا يظن به استعباده اياهم في اتباعه بل اعلمهم بانه اول مؤتمر بما امرهم به مستسلم لما دعاهم اليه ولكل ما يصيبه
في الله ولما لم يردهم كلامه هذا عن غيهم سبب عنه قوله مخبرا بتماديهم فكذبوه اي ولم يزدهم شيء من هذه البراهين
الساطعة والدلائل القاطعة الا ادبارا وكان [illegible] اخر المدة على مثل ما كانوا عليه من التكذيب فنجيناه اي تنجية عظيمة
بما لنا من العظمة الباهرة بسبب امتثاله لا [illegible] بصدق اعتماده علينا ومن معه اي من العقلاء وغيرهم في الفلك كما وعدنا

اوليآنا وجعلنا ذلك آية للعالمين وجعلناهم اي على ضعفهم بما لنا من العظمة خلآيف اي في الارض بعد من اغرقناهم
فمن فعل في الطاعة فعلهم كان جديرا بان نجازيه بما جازيناهم واغرقنا اي بما لنا من كمال العزة الذين كذبوا اي مستخفين
مستهينين باياتنا كما توعدنا الذين يفترون على الله الكذب ولما كان هذا امرا باهرا يتعظ به من له بصيرة سبب عنه
امرا على الخلق فهما بنظره اشارة الى انه لا يعتبر به حق لاعتبار غيره فقال فانظر واشار الى انه اهل لان يبحث عن شانه
باداة الاستفهام وزاد الامر عظمه بذكر الكون فقال كيف كان اي كونا كان كانه جبلة عاقبة اي آخر امر المنذرين
اي الفريقين في هذا الوصف وهم الذين انذرتهم الرسل فلم يكونوا اهلا للبشارة لانهم لم يومنوا لتعلم ان من تنذرهم
كذلك لا ينفع من اردنا شقاوته منهم انزال اية ولا ايضاح حجة والتوكل تعمد جعل الامر الى من يدبره للتقدير في تدبيره
والغمة ضيق الامر الذي يوجب الحزن والتولي الذهاب عن الشيء والاجر النفع المستحق بالعمل والاسلام الاستسلام لامر
الله بطاعته بانها خير ما يكتسبه العباد ولما لم يكن في قصص من بينه وبين موسى عليهم السلام مما يناسب مقصود هذه
السورة الا ما شاركوا فيه قوم نوح عليه السلام من انهم لم تنفع الايات من اريدت شقاوته منهم ذكره سبحانه طاويا لما
عداه فقال تعالى ثم اي بعد مدة طويلة بعثنا اي على عظمتنا ولما كان البعث لم يستغرق زمان البعد ادخل الجار فقال
من بعده اي نوح عليه السلام رسلا كهود وصالح وابرهيم ولوط وشعيب عليهم الصلوة والسلام ولما كان ربما ظن
ان قوم الانسان لا يكذبونه وان كذبوه لم يتمادوا على التكذيب لا سيما ان اتاهم بما يقترحونه من الخوارق قال الى قومهم اي
ففاجاهم قومهم بالتكذيب فجآوهم اي فتسبب عن استنادهم الى عظمتنا ان جآوهم بالبينات ليزول تكذيبهم فيومنوا فما
اي فتسبب عن ذلك ضد ما امروا به وقامت دلايله وهو انهم ما كانوا اي بوجه من وجوه الكون ليومنوا اي مقرين بما كذبوا
اي مستهينين به اول ما جآوهم ولما كان تكذيبهم في بعض الزمن الماضي ادخل الجار فقال من قبل اي قبل مجيء البينات
لانا طبعنا على قلوبهم قال ابو حيان وجا النفي مصحوبا بلام الجحود ليدل على ان ايمانهم في حيز الاستحالة والامتناع انتهى
ويجوز ان يكون التقدير من قبل مجيء الرسل اليهم ويكون التكذيب اسند اليهم لان اباهم كذبوا لما بدلوا ما كان عندهم من الدين
الصحيح الذي اتتهم به الرسل ورضوا بما احدث اباؤهم استحسانا له او لانه كان بين اظهرهم بقايا على بقايا مما شرعه الرسل
فكانوا يعظونهم فيما يبتدعون ولا يعون ولا يسمعون كما كان قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهم
قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم لكن المعنى الاول اولى ولما قرر عدم انتفاعهم بالايات بنى ما يليه على سوآل من لعله
يقول هل استمر هذا الخلق فيمن بعدهم فكانه قيل نعم كذلك اي مثل ما طبعنا على قلوبهم هذا الطبع العظيم نطبع اي نوجد الطبع
ونحدده متى شئنا بما لنا من العظمة على قلوب المعتدين في كل زمن لكل من تعمد العدو فيما لا يحل له وهذا كما اتى موسى عليه
السلام الى فرعون فدعاه الى الله فكذبه فاخبره ان معه اية تصدقه فقال له ان كنت جئت باية فائت بها ان كنت من الصادقين
فلما اتاه بها استمر على تكذيبه وكان كلما راى اية ازداد تكذيبا وكان فرعون قد قوي ملكه وعظم سلطانه وعلا في كبريائه
وطال تجبره على الضعفا فطمست امواله وآثاره وبقيت احاديثه واخباره ولهذا افصح سبحانه بقصته فقال دالا على
الطبع ثم بعثنا اي وبعد زمن طويل من اهلاكنا اياهم بعثنا ولعدم استغراق زمن البعد ادخل الجار فقال من بعدهم اي بعد
اولئك الرسل موسى وكذا بعثنا هرون تاييدا له لان اتفاق اثنين اقوى لما يقررانه واوكد لما يذكرانه ولما استقر
في الاذهان بما مضى ان ديدن الامم تكذيب من هو منهم حسدا له ونفاسة عليه كان ربما ظن ان الرسول صلى الله عليه وسلم
لو اتى غير قومه كان الامر على غير ذلك فبين ان الحال واحد في القريب والغريب فقال مقدما لقوله الى فرعون وملايه اي
الاشراف من قومه فان الاطراف تبع لهم باياتنا اي التي لا تكتنه عظمتنا لنسبتها الينا فطبعنا على قلوبهم فاستكبروا اي
طلبوا الكبر على قبول الايات واوجدوا ما يدل عليه من الرد فسبب انبعاثه اليهم وعقب ذلك وكانوا اي جبلة وطبعا
قوما مجرمين اي طبعهم قطع ما ينبغي وصله ووصل ما ينبغي قطعه فلذلك اجترأوا على الاستكبار مع ما فيها ايضا من شديد
المناسبة لما تقدم من قول الكافرين هذا سحر مبين في نسبة موسى عليه السلام اليه وبيان حقيقة السحر في زواله وخبيه
متعاطية لافساده الى غير ذلك من الاسرار التي تدق عن الافكار هذا الى ما ينضم اليه من مناسبة ما بين اهلاك القبط وقوم نوح
باية الغرق وانه لم ينفع احدا من الفريقين معاينة الايات ومشاهدة الدلالات البينات بل ما امن لموسى عليه السلام الا ذرية
من قومه بعد تلك المعجزات الباهرة والبراهين الظاهرة ثم اتبعهم فرعون بعد ان كانت انحلت عن حبسهم عراه وتلاشت
من تحيره قواه وشاهد من الضربات ما يهد الجبال ودخل في طلبهم البحر بجراءة لا تقرب ساحتها الابطال لما قدره عليه
ذو الجلال ولم يومن حتى اتاه البأس حيث يفوت الايمان بالغيب الذي هو شرط الايمان فلم ينفعه ايمانه مع اجتهاده
فيه وتكريره لفوات شرطه اجابة لدعوة موسى عليه السلام ثم ان بني اسرائيل كانوا قبل مجيء موسى عليه السلام على منهاج
واحد فما اختلفوا الا بعد مجيء العلم اليهم وبيان الطريق واضحة لديهم ولهذا المراد ذكر هنا هرون عليه السلام لان من اعظم
مقاصد السورة المنع من طلب الايات لمن يعد الايمان عند الاتيان بها اشارة الى ان القول من الاثنين اوكد ومع ذلك
فلم يصدق من حكم القدير بشقاوته كل ذلك حثا على الرضى والتسليم ووكل الامر الى الرب الحكيم فمهما امر به قبل وما اعرض
عنه ترك السوآل فيه رجا تدبيره باحسن التدبير وتقديره الطف المقادير ولما اخبر سبحانه باستكبارهم بين انه
تسبب عنه طعنهم في معجزاته من غير تامل بل بغاية المبادرة والاسراع بما اشعرت به الفا والسياق فقال تعالى فلما جآهم

اي فرعون

اي فرعون وملاه الحق اي البالغ في الحقية ثم زاد في عظمته بقوله من عندنا اي على ما لنا من العظمة التي عرفوا بها انه منا لا
من الرسولين قالوا اي غير متاملين له ولا ناظرين في امره بل عنادا ودلالة على استكبارهم موكدين لما علموا من تصديق الناس
به ان هذا لسحر مبين كما قال الناس الذين اخبر عنهم سبحانه في اول السورة في هذا القرآن وما ابانه من البعث فلما قالوا ذلك
كان كانه قيل فماذا اجابهم فاخبر انه انكر عليهم بقوله قال موسى ولما كان تكريرهم لذلك القول اجدر بالانكار عبر بالمضارع
الدال على انهم كرروه لينسخوا ما ثبت في قلوب الناس من عظمته اتقولون للحق ونبه على انهم بادروا الى التكذيب من غير نظر ولا
توقف بقوله لما جاءكم اي هذا القول الذي قلتموه وهو انه سحر او لا حذف فان القول يطلق على المكروه تقول فلان قال في
فلان يعني ذمه وفلان يخاف المقالة وبين الناس تقاول ثم كرر الانكار بقوله اسحر هذا اي الذي هو في غاية الثبات والمخالفة
للسحر في جميع الصفات حتى تقولون فيه ذلك فالآية من الاحتباك ذكر القول في الاول دال على حذف مثله في الثاني وذكر السحر
في الثاني دال على حذف مثله في الاول ولما كان التقدير اتقولون هذا والحال انكم قد رايتم فلاحه بني عليه قوله ولا يفلح
اي يظفر بما يريد في وقت من الاوقات الساحرون اي العريقون فيه لان حاصل امرهم تخييل وتمويه في الاباطيل فالظفر بعيد
عنهم ويجوز ان تجعل هذه الجملة معطوفة على قوله اسحر هذا لانه انكاري بمعنى النفي فلما انكر عليهم عليه السلام بما ظهر به
الفرق الجلي بين ما اتى به في كونه اثبت الاشيا وبين السحر لانه لا ثبات له اصلا عدلوا عن جوابه الى الاخبار بما يتضمن انهم
لا يقرون بحقيته لانه يلزم على ذلك ترك ما هم عليه من العلو وهم لا يتركونه واوهموا الضعفا ان مراده عليه السلام الاستكبار
معللين لاستكبارهم عن اتباعه بما دل على انهم لا مانع لهم منه الا الكبر فقال تعالى حكاية عنهم قالوا اي منكرين عليه معللين بامرين
التقليد والحرص على الرياسة ولما كان هو الاصل في الرسالة وكان اخوه له تبعا وحدوا الضمير فقالوا اجئتنا اي انت
يا موسى لتلفتنا اي لتفتلنا وتصرفنا عما وجدنا عليه وقالوا مستندين الى التقليد غير مستحيين من ترك الدليل اباءنا
من عبادة الاصنام والقول بالطبيعة لنحقر نحن بذلك وتكون لكما اي لك انت ولاخيك دوننا الكبرياء اي بالملك في الارض
اي ارض مصر التي هي لما فيها من المنافع كانها الارض كلها وما اي وقالوا ايضا ما نحن لكما وبالغوا في النفي وغلب عليهم الدهش
فعبروا بما دل على انهم غلبهم الامر فعرفوا انه صدق ولم يذعنوا فقالوا بمومنين اي عريقين في الايمان فهو عطف على اجئتنا اي
قالوا ذاك وقالوا هذا او يكون عطفا على نحو فما نحن بموصليك الى هذا الغرض افردوه اولا بالانكار عليه في المجي ليضعف
ويكف اخوه عن مساعدته واشركوه معه ثانيا تاكيدا لذلك الغرض وقطعا لطمعه والبعث الاطلاق في امر يمضي فيه وهو
خلاف الاطلاق من عقال والملا الجماعة الذين هم وجوه القبيلة لان هيبتهم تملا الصدور عند منظرهم والاستكبار طلب الكبر
من غير استحقاق والمجرم من اكتسب سيئة كبيرة من جرم التمر اذا قطعه فالجرم يوجب قطع الخير عن صاحبه والسحر ايهام المعجزة
على طريق الحيلة ويشبه به البيان في خفا السبب والحق ما يجب الحمد عليه ويشتد دعاء الحكمة اليه ويعظم النفع به والضرر بتركه
والكبريا استحقاق صفة الكبر في اعلى المراتب وهي صفة مدح لله وذم للعباد لانها منافية لصفة العبودية ولما لبسوا بوصفه
بما هم به متصفون ارادوا الزيادة في التلبيس بما يوهم ان ما اتى به سحر تمكن معارضته ايقافا للناس عن اتباعه فقال تعالى حكاية
عطفا على قوله قالوا اجئتنا وقال فرعون اراده المناظرة لما اتى به موسى عليه السلام ائتوني بكل ساحر عليم اي بالغ في علم السحر
لئلا يفوت شي من السحر بتاخر البعض وقراة حمزة والكسائي بصيغة فعال دالة على زيادة قلق فرعون وقراة الجماعة بصيغة
فاعل انسب لهذا السياق لان دلالته على زيادة زعيمه اقل من سياق الشعرا كما مضى في الاعراف ولما كان التقدير فامتثلوا
امره وجمعوهم دل على قرب اجتماعهم بالفا في قوله فلما جا السحرة اي كل من في ارض مصر منهم قال لهم موسى مزيلا لهذا الايهام
القوا جميع ما انتم ملقون اي راسخون في صنعة القائه اشارة الى ان ما جاوا به ليس اهلا لان يلقى اليه بال فلما القوا اي
وقع منهم الالقا لحبالهم وعصيهم على اثر مقالته وخيلوا بسحرهم لعيون الناس ما زلزل عقولهم قال موسى منكرا عليهم ما جئتم به
ثم بين انه ما استفهم عنه جهلا بل احتقارا وانكارا وزاد في بيان كل من الامرين بقوله السحر اي لانه استفهام ايضا سوا قطعت
الهمزة ومدت كما في قراة ابي عمرو وابي جعفر او جعلت همزة وصل كما في قراة الباقين قال همزة الاستفهام مقدرة والتعريف
اما للعبد واما للحقيقة وهو اقرب ويجوز في قراة الجماعة ان يكون خبرا لما يقصد به الحصر اي هو السحر لا ما نسبتموه الي ثم
استانف بيان ما حقره به فقال ان الله اي الذي له احاطة العلم والقدرة سيبطله اي عن قريب بوعد لا خلف فيه ثم علل
ذلك بما بين انه فساد فقال ان الله اي الذي له الكمال كله لا يصلح اي في وقت من الاوقات عمل المفسدين اي العريقين في الفساد
بان لا ينفع بعملهم ولا يديمه ثم عطف عليه بيان اصلاحه عمل المصلحين فقال ويحق اي يثبت اثباتا عظيما الله اي الملك
الاعظم الحق اي الشي الذي له الثبات صفة لازمة ولما كان في مقام تحقيرهم دل على ذلك بتكرير الاسم الجامع الاعظم واشار
الى ما له من الصفات العلى بقوله بكلماته اي الازلية التي لها الثبات الاعظم وزاد في العظمة بقوله ولو كره المجرمون اي
العريقون في قطع ما امر الله به ان يوصل فكان كما قال عليه السلام بطل سحرهم واضمحل مكرهم وحق الحق كما بين في سورة الاعراف
ولما حكى سبحانه ان موسى عليه السلام ابان ما ابان من بطلان السحر وكونه افسادا فثبت ما اتى به لمخالفته له اخبر تعالى
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفطما عن طلب الاجابة للمقترحات انه ما تسبب عن ذلك في اول الامر عقب ابطال سحرهم
من غير مهلة الا ايمان ناس ضعفا غير كثير فقال تعالى فما آمن اي متبعا مصدقا لموسى اي بسبب ما فعل ليعلم ان الايات ليست
سببا للهداية الا لمن اردنا ذلك منه وبين ان الصغار اسرع الى القبول بقوله الا ذرية اي شبان هم اهل لان تذر فيهم

احتباك م

البركة من قومه اي قوم موسى عليه السلام الذين لهم قدرة على القيام في المحاولة لما يريدونه والظاهر انهم كانوا ايتاما او اكثرهم كما
قاله مجاهد على خوف اي عظيم من فرعون وملائهم اي اشراف قوم الذرية ولما كان انكار الملا انما هو بسبب فرعون ان يسلبهم
رياستهم انحصر الخوف فيه فاشار الى ذلك بوحدة الضمير فقال ان يفتنهم واتبعه ما يوضح عذرهم بقوله موكدا تنزيلا لقريش منزلة
من يكذب بعلو فرعون لتكذيبهم لان ينصر عليهم الضعفا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لعلوهم وان فرعون لعال اي غالب قاهر
متمكن بما فتناه به من طاعة الناس له في الارض اي ارض مصر التي هي بكثرة ما فيها من المرافق كانها جميع الارض وانه لمن المسرفين
اي العريقين في مجاوزة الحدود بظاهره وباطنه واذا ضممت هذه الاية الى قوله تعالى وان المسرفين هم اصحاب النار كان قياسا
بديهيا منتجا انتاجا صريحا قطعيا ان فرعون من اصحاب النار تكذيبا لاهل الوحدة في قولهم انه آمن ليهونوا المعاصي عند الناس
فيحلوا بذلك عقايد اهل الدين ولما ذكر خوفهم وعذرهم اتبعه ما يوجب طمانينتهم وهو التوكل على الله الذي من راقبه تلاشى عنده
كل عظيم فقال وقال موسى اي لمن آمن به موطنا لهم على ان الجنة لا تنال الا بمشقة عظيمة يبتلي الناس على قدر ايمانهم يا قوم فاستعطفهم
بالتذكير بالقرب وهزهم الى المعالي بما فيهم من القوة ثم هيجهم والهبهم على الثبات بقوله ان كنتم اي كونا هو في ثباته كالخلق الذي
لا يزول امنتم بالله وثبتهم بذكر الاسم الاعظم وما دل عليه من الصفات واجاب الشرط بقوله فعليه اي وحده لما علمتم من عظمته
التي لا يدانيها شيء سواه توكلوا وليظهر عليكم اثر التوكل من الطمانينة والثبات والسكينة ان كنتم اي كونا ثابتا مسلمين جامعين
الى تصديق القلب اذعان الجوارح وجواب هذا الشرط ما دل عليه الماضي من قوله فعليه توكلوا فقالوا اي على الفور كما تقتضيه
الفاء على الله اي الذي له العظمة كلها وحده توكلنا اي فوضنا امورنا كلها اليه ربنا اي ايها الموجد لنا المحسن الينا لا تجعلنا
فتنة اي موضع مخالطة بما يميل ويحيل للقوم الظالمين اي لا تصبنا انت بما يظنون به تهاونك بنا فيزدادوا نفرة عن دينك
لظنهم انا على الباطل ولا تسلطهم علينا بما يفتننا عن ديننا فيظنوا انهم على الحق ونجنا برحمتك اي اكرامك لنا من القوم اي
الاقويا الكافرين اي العريقين في تغطية الادلة وفي دعائهم هذا اشارة الى ان امر الدين اهم من امر النفس ولما اجابوه الى
اظهار الاعتماد عليه سبحانه وفوضوا الامور اليه اتبعه ما يزيدهم طمانينة من التوطن في ارض العدو اشارة الى عدم المبالاة به
لانه روي انه كانت لهم متعبدات يجتمعون فيها فلما بعث موسى عليه السلام اخربها فرعون فامر الله تعالى ان تجعل في بيوتهم لئلا
يطلع عليهم الكفرة فقال تعالى عاطفا على قوله وقال موسى واوحينا اي بما لنا من العظمة البالغة الى موسى واخيه اي الذي
طلب موازرته ومعاضدته ان تبوءا اي اتخذا لقومكما مصر وهي ما بين البحر الى اقصى اسوان والاسكندرية منها بيوتا تكون
لهم مرجعا يرجعون اليه ويأوون اليه واجعلوا اي انتما ومن معكما من قومكما بيوتكم قبلة اي مصلى لتتعبدوا فيها مستترين
عن الاعدا تخفيفا من اسباب الخلاف واقيموا الصلوة اي بجميع حدودها واركانها مستخفين ممن يؤذيكم جمعا بين التي النصر
الصبر والصلوة وتمرنا على الدين وتثبيتا له في القلب ولما كان الاجتماع فيما تقدم اضخم واعز واعظم وكان واجبا على الامة
كوجوبه على الامام جمع فيه وكان اسناده البشارة عن الملك الى صاحب الشريعة اثبت لامره واظهر لعظمته واثبت في قلوب
اصحابه واقر لاعينهم افرد في قوله وبشر المؤمنين اي الراسخين في الايمان من اخيك وغيره ولما ختم ببشارة من دل على
ايمانهم اسلامهم بفعل ما يدل على هوان امر العدو وكان هلاك المشاني من اعظم البشاير وكان ضلال فرعون وقومه بالزينة والمال
اضلالا لغيرهم سال موسى عليه السلام ازالة ذلك كله للراحة من سره فقال تعالى حاكيا عنه وقال موسى اي بعد طول دعائه
لفرعون واظهار المعجزات لديه وطول تكبره على امر الله وتجبره على المستضعفين من عباده ولما كان من اعظم اهل الاصطفا
اسقط الاداة تسننا بهم واشار بصفة الاحسان الى ان هلاك اعدائهم اعظم احسان اليهم فقال ربنا اي ايها المحسن الينا
انك اكد لما للجهال من انكار ان يكون عطا الملك الاعظم سببا للاهانة اتيت فرعون وملاءه اي اشراف قومه على ما هم فيه
من الكفر والكبر زينة اي عظيمة يتزينون بها من الحلية واللباس وغيرهما واموالا اي كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما
في الحيوة الدنيا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب
وفضة وزبرجد وياقوت ثم بين غايتها لهم فقال مفتتحا بالندا باسم الرب ليعيذه واتباعه من مثل حالهم ربنا اي ايها
الموجد لنا المحسن الينا والمدبر لامورنا ليضلوا في انفسهم ويضلوا غيرهم عن سبيلك اي الطريق الواسعة التي نهجتها للوصول
الى رحمتك ولما بين ان مآلهم الضلال دعا عليهم فقال مفتتحا ايضا بالندا باسم الرب بالثا لان ذلك من امارات الاجابة
كما اشير اليه في آخر آل عمران واشارة الى انه لا صلاح لهم بدون هلاكهم وهلاكها ربنا اطمس اي اوقع الطمس وهو التسوية
بين المطموس وبين غيره مما ليس له تبعه على اموالهم ولما كان قد راى منهم من التكبر على الله والتكذيب لاياته والتعذيب
لاوليائه ما لا يشفي غيظه منه الا ادامة شقائهم دنيا واخرى وكان عالما بان قدرة الله على ابقائهم على الكفر مع تحسيرهم
بسبب المال كقدرته على ذلك باستدراجهم اليه بالمال قال واشدد اي شدا ظاهرا لكل احد بما اشار اليه الفك مستعليا
على قلوبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما اطبع عليها وامنعها من الايمان واجاب الدعاء بقوله فلا يؤمنوا اي ليتسبب
عن ذلك الشد عدم ايمانهم اذا راوا مبادي العذاب بالطمس حتى يروا اي باعينهم العذاب الاليم حيث لا ينفعهم الايمان
فيكونوا جامعين ذل النفوس المطلوب منهم اليوم ليفيدهم العز الدائم الى شدة الغضب بوضع الشيء في غير موضعه المنتج
لدوام ذلهم بالعقاب وهذه الاية منبهة على ان الرضى بكفر خاص لا يستلزم استحسان الكفر من حيث هو كفر قال
الامام الحليمي في كتابه شعب الايمان المسمى بالمنهاج واذا تمنى مسلم كفر مسلم فهذا على وجهين احدهما ان يتمناه له كما يتمنى الصديق

لصديقه

لصديقه الشيء يستحسنه فيجب ان يكون له فيه نصيب فهذا كفر لان استحسان الكفر كفر والآخر ان يتمناه له كما يتمنى العدو لعدوه الشيء يستعظمه فيجب ان يقع فيه فهذا ليس بكفر تمنى موسى صلوات الله عليه وسلامه بعد ان اجهده فرعون ان لا يؤمن فرعون وملاه ليحق عليهم العذاب وزاد على ذلك ان دعا الله تبارك وتعالى فلم ينكر تعالى ذلك عليه لعلمه ان شدته على فرعون وغلظته عليه لما رآه من عتق وتجبر هي التي حملته على ذلك فمن كان في معناه فله حكمه وقد نقل ذلك عنهم الزركشي في حرف التاء من قواعده مرتضيا له ونقل عنه ايضا انه قال ولو كان في قلب مسلم على كافر فاسلم لخرج المسلم لذلك وتمنى لو عاد اي الكفر لا يكفر لان استقباحه الكفر هو الذي حمله على تمنيه واستحسانه الاسلام هو الحامل له على كراهته ونقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه لو قتل عدو للانسان ظلما ففرح هل يأثم ان فرح بكونه عصى الله فيه فنعم وان فرح بكونه خلص من شره فلا باس لاختلاف سببي الفرح انتهى ويؤيده ما روى البيهقي في دلايل النبوة بسنده عن مقسم مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن ابي وقاص يوم احد حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال عليه الحول حتى مات كافرا الى النار ومسئلة ان الرضى بالكفر كفر نقلها الشيخان عن المتولي وسكتا عليها لكن قال الشيخ محي الدين في شرح المهذب ان ذلك افراط مما تقدم من التفصيل عن الحليمي وابن عبد السلام هو المعتمد والمسكة في اصل الروضة فانه قال لو قال لمسلم سلبه الله الايمان او لكافر لا رزقه الله الايمان فليس بكفر لانه ليس برضى بالكفر لكنه دعا عليه بتشديد الامر والعقوبة قلت ذكر القاضي حسين في الفتاوي وجها ضعيفا انه لو قال لمسلم سلبه الله الايمان كفر والله اعلم وحكى الوجهين عن القاضي في الاذكار وقال ان الدعا بذلك معصية ولما اخبرنا سبحانه عن دعائه عليه السلام اخبر باجابته بقوله مستانفا قال ولما كان الموضع محل التوقع للاجابة افتتحه بحرفه فقال قد اجيبت دعوتكما والبنا للمفعول اذ لا علم اقدر واوقع في النفس من جهة الدلالة على الفاعل بالاستدلال وثنى للاعلام بان هرون عليه السلام مع موسى عليه السلام في هذا الدعا لانه معه كالشيء الواحد لا خلاف فيه له اصلا وان كان غائبا وذلك كما ياتي ان النبي صلى الله عليه وسلم عن عثمن رضي الله عنه في عمرة الحديبية فضرب باحدى يديه على الاخرى وهو غائب في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا ضرب له في غزوة بدر بسهمه واجره وكان غائبا ولما كانت الطاعة وانتظار الفرج وان طال زمنه اعظم اسباب الاجابة سبب عن ذلك قوله فاستقيما اي فاثبتا على التعبد والتذلل والخضوع لربكما كما ان نوحا عليه السلام ثبت على ذلك وطال زمانه جدا ان واشتد اذاه ولم يضجر ولما كان الصبر شديدا اكد قوله ولا تتبعان بالاستجال او النزع عن الشكر سبيل الذين لا يعلمون ولما امر بالثبات الذي هو نتيجة العلم عطف على ذلك الاخبار بالاستجابة بقوله وجاوزنا اي فعلنا بعظمتنا في اجازتهم فعل المناظر الاخر المباري له ودل بالصاق الباء بهم على مصاحبته سبحانه لهم دلالة على رضاه بفعلهم فقال ببني اسرائيل اي عبدنا المخلص لنا البحر اعلاما بانه امر بالخروج من مصر واخبرهم ما وعد فاهلك فرعون وملاه باتباعهم سبيل من لا يعلم بطيشهم وعدم صبرهم ونجى بني اسرائيل بصبرهم وخضوعهم والالتفات من الغيبة الى التكلم لما في هذه المجاوزة ومقدماتها ولواحقها من مظاهر العظمة ونفوذ الاوامر ومضاء الاحكام وبين سبحانه كيفية اظهار استجابة الدعوة بقوله مسببا عن المجاوزة فاتبعهم اي بني اسرائيل فرعون وجنوده اي اوقعوا اتباعهم اي حملوا انفسهم على اتباعهم وهو السير في اثرهم واتبعه اذا سبقه فلحقه ويقال تبعه في الخير واتبعه في الشر ولما افهم ذلك صرح به فقال بغيا اي لقدرتهم على الحق واستهانة بهم وعدوا اي ظلما وتجاوزا للحد ولما كان فاعل ذلك جديرا بان يرجع عما سلكه من الوعورة عجب منه في تماديه فقال عاطفا على ما تقديره واستمر يتمادى في ذلك حتى ولما كانت رؤية انفراج البحر عن مواضع سيرهم مظنة تحقق رجوع الماء الى مواضعه فيغرق عبر باداة التحقق فقال اذا ادركه اي قهره واحاط به الغرق اي الموت بالماء كما سال موسى عليه السلام في انه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم قال آمنت اي اوقعتا ايمان الداعي لي من التكذيب ثم علل ايمانه بقوله مبدلا من آمنت في قراءة حمزة والكسائي بالكسر موكدا من شدة الجزع انه وعلى تقدير الباء تعليلا في قراءة الجماعة اي معترفا بانه لا اله الا الذي ويجوز ان يكون اوقع آمنت على انه وما بعدها اي امنت نفي الالهية عن كل شيء غير من استثنيته من ان اغيره او ارجع عنه ولما كان قد تحقق الهلاك وعلم انه لا نجاة الا بالصدق اراد الاعلام بنهاية صدقه فقال آمنت اي اوقعتا التصديق بمعترفه به بنوا اسرائيل فعينه تعيينا ازال الاحتمال ثم قال وانا من المسلمين فكرر قبول ما كان دعي اليه فاباه استكبارا وعتوا بما دل على ادعاء الرسوخ فيه بيانا لانه ذل ذلا لم يبق معه شيء من ذلك الكبر ولم ينفعه ذلك لفوات شرطه فانصل ذلك بذل الخزي في البرزخ وما بعده وقد كانت المرة الواحدة كافية له عند وجود الشرط وزاده تعالى ذلا بالاباء من قبول ما كان دعي اليه من الايمان بالغيب الذي لا يصح ان يقع اسم الايمان الا عليه وقد اي والحال انك قد عصيت اي بالكفر قبل اي في جميع زمان الدعوة الذي قبل هذا الوقت ومعصية الملك توجب الاخذ والغضب كيف كانت فكيف وهي بالكفر وكنت اي كونا جبليا من المفسدين اي العريقين في الفساد والافساد ثم اكده بذل شماتة الاعداء به الذين كانوا عنده اقل شيء واحقره بقوله مسببا عما تضمنه ذلك الانكار من الاذلال بالاهلاك اشارة الى ان الماء احاط به وصار يرتفع قليلا قليلا حتى استدعى زمانا للتوبيخ فاليوم ننجيك اي تنجية عظيمة ولما كان ذلك سائغا وكانت المسافة بما بهم البر وانكا دل على ان ذلك بعد نزع روحه ببدنك اي من غير روح وهو كامل

لم ينقص منه شي حتى لا يدخل في معرفتك لبس لتكون اي كونا هو في غاية الثبات لمن خلفك اي يتاخر عنك في الحيوة من بني اسرايل
وغيرهم آية في انك عبد ضعيف حقير لست برب فضلا عن ان تكون اعلى ويعرفوا ان من عصى الملك اخذ وان كان اقوى الناس
واكثرهم جنودا وقد ادعى بعض الملحدين ايمانه بهذه الآية ارادة لما يعيذ الله منه حل العقد الواجب من ان فرعون من اكفر الكفرة
باجماع اهل الملل ليهون للناس الاجتراء على المعاصي وادعى انه لا نص في القرآن على انه من اهل النار وصل عن الصرايح التي في
القرآن في ذلك في غير موضع وعن ان قوله تعالى وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين مع قوله وان المسرفين هم اصحاب
النار قياس قطعي الدلالة بديهي النص على انه من اهل النار والآية كما ترى دليل على قوله قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا
الآية لو كان فرعون مثل قريش فكيف ولا نسبة لهم منه في شدة الاستكبار التابعة لكثرة الجموع ونفوذ الكلمة بضخامة الملك
وعز السلطان والقوة بالاموال والاعوان وقد روي ان جبريل عليه السلام كان اتاه بفتيا في عبد نشا في نعمة سيده فكفر
نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق
ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه ولما لم يعمل فرعون وآله بمقتضى ما راوا من الآيات كان حكمهم حكم الغافلين عنها فكان
التقدير لقد غفلوا عما جاءهم من الآيات وان كثيرا اكده لان مثله ينبغي لبعده عن الصواب ان لا يصدق ان احدا يقع فيه من الناس
اي وهم من لم يصل الى حد اول استان اهل الايمان لما عندهم من النوس وهو الاضطراب والانس بانفسهم عن آياتنا اي على ما لها من
العظمة لغافلون والاصلاح بقويم العمل على ما ينفع بدلا مما يضر واحقاق الحق اظهاره وتمكينه بالدلايل الواضحة حتى يرجع
الطاعن عنه حسيرا والمناصب له مغلولا والاسراف الابعاد في مجاوزة الحق والفتنة والبلية وهي معاملة تظهر الامور
الباطنة والنجاة الخلاص مما فيه المخافة ونظيرها السلامة وعلقوا النجاة بالرحمة لانها انعام على المحتاج بما تطلع اليه
نفوس العباد فهو على اوكد ما يكون من الدعاء الى الصلاح والوحي القاء المعنى الى النفس في خفاء والايحاء والايماء والاشارة
نظاير ولا يجوز ان تطلق الصفة بالوحي لا لنبي وتبوا اتخذ واصله الرجوع فالمتبوا المنزل لانه يرجع اليه للمقام فيه
والطمس محو الاثر فهو تغير الى الدثور والدروس والاجابة موافقة الدعوة فيما طلب بها لوقوعها على تلك الصفة والدعوة
طلب الفعل بصيغة الامر وقد تكون بالماضي والمجاوزة الخروج عن الحد من احد الجهات والبحر مستقر الماء الواسع بحيث لا
يدرك طرفيه من كان في وسطه وهو ماخوذ من الاتساع والاتباع اللحاق بالاول والبغي طلب الاستعلاء بغير حق والآن فصل
الزمانين الماضي والمستقبل مع انه اشارة الى الحاضر ولهذا بني كما بني ذا والبدن مسكن روح الحيوان على صورته ولما ذكر
تعالى عاقبة امر فرعون وقومه وانهم لم ينتفعوا بما جاءهم من الآيات مع ما كان فيها من جلي البيان وفي بعضها من الشدايد
والامتحان حتى كان آخرها انه لما راى مبدا الهلاك من انفراق البحر لم يزعه عن لجاجة غفلة منه عن عاقبته وختمها بالاخبار
بكثرة الغفلة اشارة الى ان هذا الخلق في غير القبط ايضا اتبع ذلك ذكر خاتمة امر بني اسرايل فيما خولهم فيه بعد الانجاء من
النعم المقتضي للعلم القطعي بانه لا اله غيره وان من خالفه كان على خطر الهلاك وانهم مع مشاهدتهم الآيات الآتية بسببهم الى
فرعون اتاهم من الآيات الخاصة بهم المنجزة لصدق وعده سبحانه لآبايهم ما فيه غاية الاحسان اليهم والاكرام لهم وانهم
كانوا تحت يد فرعون على طريق واحد ليس بينهم خلاف وما اختلفوا فصاروا فرقا في الاعتقادات واحزابا في الديانات
حتى جاءهم العلم الواضح من الله فكان المقتضي لاجتماعهم على الله مفرقا لهم على سبل الشيطان لخبث سرايرهم وسوء ضمايرهم
وقوفا على الشاهد الزايل وجمودا مع المحسوس الفاني ونسيانا للغايب الثابت والمعلوم المتيقن كل ذلك لانا قضينا به
فالامر تابع لما نريد لا لما نامر به وننهى عنه فكان اعظم زاجر عن طلب الآيات وظن انها توجب الرد عن الغوايات فقال تعالى
ولقد بوانا اي اسكنا بما لنا من العظمة التي تنقطع الاعناق دون عليايها وتتضاءل ثواقب الافكار عن احصايها بني اسرايل
مسكنا هو اهل لان يرجع اليه من خرج منه وهو المراد بقوله مبوا صدق اي في الارض المقدسة لان وعدنا كان قد تقدم
لهم بها وعادت العرب انها اذا مدحت الشي اضافته الى الصدق لانه مع ثباته حبيب الى كل نفس ويصدق ما يظن به
من الخير ولما كان المنزل لا يطيب الا بالرزق وكان التعبير عنه بالمبوا دالا على الرزق بدلالة الالتزام صرح به فقال
ورزقناهم اي بما لنا من العظمة من الطيبات اي الحسية حلا واشباها من الفواكه والحبوب والالبان والاعسال وغيرها
والمعنوية من الشريعة والكتاب والمعارف كما تقدم وعدنا لآبايهم بذلك ولما كانوا كغيرهم اذا كانوا على امور يتواضعون
عليها تقاربوا فيها وتوافقوا واذا كانوا على حدود حدها لهم المحسن اليهم وحده لم يلبثوا ان يختلفوا عابهم الله بذلك فقال
فما اي فتسبب عن صدقنا لهم في الوعد انهم ما اختلفوا اي اوقعوا الخلف المفضي الى جعل كل منهم صاحبه خلفه ووراء
ظهره واستهان به حتى جاءهم العلم الموجب للاجتماع على كلمة واحدة لما له من الضبط حتى يكون اتباعه على قلب واحد
فكانه قيل فماذا يفعل بهم لا هم بعقولهم ينتفعون ولا بما جاءهم من الحق يرجعون فقيل موكدا لانكار العرب البعث ان ربك
اي المحسن اليك بايصاء الانبياء بك ووصفك في كتبهم وجعلك صاحب لواء الحمد في القيمة يقضي بينهم ولما كان هذا
تهديدا عظيما زاده هولا وعظمة بقوله يوم القيمة اي الذي هو اعظم الايام فيما كانوا اي بافعالهم الجبلية فيه
يختلفون فيميز الحق من الباطل والصديق من الزنديق ويسكن كلا داره ذكر بعض ما في التورية من المن
عليهم بالارض المقدسة قال في اثناء السفر الخامس قد رات اعينكم جميع اعمال الله العظيمة التي عمل فاحفظوا جميع
الوصايا التي امركم الله بها اليوم لتدخلوا الارض التي تجوزون اليها لترثوها وتطول اعماركم في الارض التي اقسم الله لآبايكم

ان

ان يعطيهم ويرثها نسلهم الارض التي تفل السمن والعسل لان الارض التي تدخلونها لترثوها ليست مثل الارض مصر التي خرجتم
منها التي كنتم تحتاجون فيها ان تسقوا بارجلكم وتسقوها مثل بساتين البقي ولكن الارض التي تجوزون اليها لترثوها ارض
الجبال والصحاري وانما تشرب من مطر السما يتعاهدها الله ربكم في كل حين وعينا الله ربنا فيها منذ اول السنة الى آخر السنة
فان انتم سمعتم الاحكام التي آمركم بها اليوم وتتقون الله ربكم وتعبدونه من كل قلوبكم وانفسكم يدم مطر ارضكم
في الخريف والربيع جميعا وتستغلون طعاما وشرابا وزيتا وينبت في حرثكم عشبا لمواشيكم وتاكلون وتشبعون احفظوا
ان لا تخدع قلوبكم وتروغوا الى الهة اخرى وتسجدوا لها وتعبدوها فيشتد غضب الرب عليكم ويمنع السما من المطر
والارض من غلاتها وتهلكون سريعا من الارض التي يعطيكم الله ربكم بل اجعلوا هذه الآيات في قلوبكم وصيروها ميسما بين
اعينكم وعلموها بنيكم ان يتكلموا بها في حضوركم وفي سفركم واذا رقدتم واذا قمتم واكتبوها على معاقم بيوتكم وابوابكم لتطول
اعماركم واعمار اولادكم في الارض التي اقسم الله لآبائكم ان يعطيهم وان انتم حفظتم هذه الوصايا كلها وعملتم بها واحبتم الله
ربكم وسرتم في طرقه والتحقتم بعبادته يهلك الرب الملوك كلها من بين ايديكم وترثون شعوبا اعظم واعز منكم وكل بلاد
تطاوها اقدامكم تكون لكم بين البرية ولبنان ومن النهر الى الفرات النهر الاكبر وتكون تخومكم عند البحر الآخر ولا يقدر احد
ان يقاومكم ويلقي الله ربكم خوفكم وفزعكم على كل الارض التي تطاونها كما قال لكم الرب انظروا اني اتلو عليكم دعاء ولعنا اما
الدعاء فتصيرون اليه ان انتم حفظتم وصايا الله ربكم واما اللعن فيدركم ان انتم لم تسمعوا وصايا الله ربكم وزغتم عن
الطريق الذي آمركم به اليوم وتبعتم الهة اخرى لم تعرفوها واذا ادخلكم الله ربكم الى الارض التي تدخلونها لترثوها اتلوا الدعا
على جبل جوريب واللعن على جبل من جبالها في مجاز الاردن خلف الطريق عند مغارب الشمس في ارض الكنعانيين الذين
يسكنون المعرب بازاء الجبال وجبال بلوط وفي نسخة مزج ممري لانكم تجوزون الاردن لتدخلوا وترثوا الارض التي يعطيكم
الله ربكم وتسكنونها وتحفظون وتعملون بجميع الوصايا التي آمركم بها اليوم انتهى وفي سفر يوشع بن نون عليه السلام ولما
كان بعبد موسى عبد الله قال الله ليوشع بن نون خادم موسى عليها السلام موسى عبدي مات والآن قم فاعبر هذا الاردن انت
وكل هذا الشعب الى الارض التي انا معطيها لبني اسرائيل كل موضع تطاؤه ارجلكم لكم اعطيته كما قلت لموسى عبدي من البر
وهذا لبنان والى النهر الكبير نهر الفرات كل ارض الحرثيين لا يقف احد قدامك طول ايام حياتك كما كنت مع موسى اكون
معك لا ادعك ولا اتركك اشتد وتايد فانك انت تنحل هذا الشعب الارض التي قسمت لآبائهم لاعطائك لهم لا يزول
من فمك كتاب هذه الشريعة من فيك وتلهج به نهارا وليلا لكي تحفظ للعمل بجميع المكتوب فحينئذ تنجح طرقك وحينئذ ترشد
ليس قد اوصيتك اشتد وتايد ولا ترهب ولا تذعر لان معك الله ربك في جميع ما تسير فيه واوصى يوشع عرفاء القوم
قائلا جوزوا في وسط العسكر واوصوا القوم قائلين لهم اعدوا لكم زادا فانكم بعد ثلثة ايام عابرون هذا الاردن للدخول
لملك الارض التي الله ربكم معطيها لكم اذكروا ذكرا القول الذي امركم به موسى عبد الله قائلا الله ربكم مريحكم بما اعطاكم هذه
الارض نساكم واطفالكم ومواشيكم تجلسون في مدنكم التي اعطاكم موسى في مجاز الاردن وانتم تجوزون مجزومي الخواصر
الى ان يريح الله اخوتكم كما اراحكم فيرثوا ايضا الارض التي الله ربكم معطيكم حينئذ ترجعون الى ارض حوزتكم التي اعطاكم موسى
عبد الله في مجاز الاردن مشرق الشمس فاجابوا يوشع قائلين جميع ما اوصيتنا به نعمل وكل موضع ترسلنا نمضي كجميع ما قبلنا
من موسى كذلك نقبل منك اذ كان الله معك كما كان مع موسى كل انسان يخالف امرك ولا يقبل كلامك بجميع ما تامره به يقتل
فاشتد وتايد فبعث يوشع بن نون من الكفرين رجلين جاسوسين في خفية قائلا امضيا انظروا الارض وكل هذا مع اريحا فمضيا
ودخلا الى بيت امراة سواقة اسمها راحاب واضطجعا ثم قيل لملك اريحا هو ذا اناس من بني اسرائيل قد جاوا الى هنا
الليلة لتجسس البلد فارسل ملك اريحا الى راحاب قائلا اخرجي القوم الجائين اليك الذين دخلوا دارك فانهم لتجسس جميع البلد
جاوا فاخذت المراة الرجلين فاخفت امرهما وقالت كذلك كان القوم جاوا الي ولم اعلم من اين هم وكان عند اغلاق الباب
في الظلام ثم خرج القوم ولم اعلم اين مضوا اطلبوهم سرعة فانكم تلحقونهم ثم اصعدتهما الى السطح وطمرتهما في قش الكتان
والقوم طلبوهما في طريق الاردن الى المعابر وفي نسخة الى المخاضات والباب اغلقوا بعد ما خرج الطالبون خلفهما وهما
قبل ان يناما صعدت اليهما راحاب الى السطح فقالت لهما قد علمت ان الله سلم اليكم البلد وانه قد وقعت هيبتكم علينا وقد
ماج جميع سكان البلد من قبلكم وانا سمعنا ان الله ابيس لكم بحر القلزم عقب خروجكم من مصر وما عملتم بملكي الاموريين اللذين
في مجاز الاردن سيحون وعوج اللذين اصطلمتموهما فعند ما سمعنا ذابت قلوبنا ولم يثبت ايضا روح في واحد منا من جهتكم
فان الله ربكم هو الله من في السموات من فوق ومن على الارض من تحت والآن فاحلفوا لي باسم الله اذ قد عملت معكم فضلا
فتعملان ايضا انتما مع اهل ابي فضلا وتعطيا لي علامة هي حق لتستبقوا ابي وامي واخوتي وجميع من اتصل بهم وتخلصوا
انفسنا من القتل فقالا لها نبذل انفسنا دونكم الموت ان لم تخبروا بخبرنا هذا فيكون عند تسليم الله لنا الارض نعمل معك
فضلا وامانة فاحدرتهما بالحبل من داخل الطاقة اذ منزلها في حائط السور وفي السور هي ساكنة وقالت لهما سيرا
الى الجبل كيلا يلقاكما الطالبون وتعبدا ذلك سيرا لطريقكما فقالا لها ابرئين نحن من قسمك هذا الذي استقسمتنا ان لم
تفعلي ما تقوله لك هو ذا نحن داخلون الى البلد فاعقدي حمصلة حمر من القرمز في الطاقة التي احدرتنا منها وابوك
وامك واخوتك وكل بيت ابيك تضمينهم اليك الى المنزل فيكون كل من يخرج من ابواب منزلك الى خارج دمه في عنقه

ونحن ابرياء وكل من يكون معك في المنزل دمه في اعناقنا ان بطشت به يد وان اخبرت بخبرنا هذا فنحن ابرياء من قسمك الذي
استقسمتنا فقالت كما قلتما فاطلقتهما ومضيا وعقدت خصلة القرمز في الطاقة فمضيا الى الجبل وجلسا ثم ثلثة ايام الى
ان رجع الطالبون فلم يجدوهما ورجع الرسولان وانحدرا من الجبل وجاز الاردن وجاءا الى يوشع بن نون وقصا له كل ما وافاهما
وقالا ليوشع ان الله دفع بايدينا كل الارض وقد ماج جميع سكانها منا وادلج يوشع بالغداة ورحلوا من الكفرين وجاءوا الى
الاردن هو وجميع بني اسرائيل وباتوا ثم قبل ان يجوزوا فلما كان من بعد ثلثة ايام جاز النقباء في وسط العسكر وامروا القوم
قائلين لهم عند نظركم صندوق عهد الله ربكم والايمة اللاويين حاملين له انتم ترحلون من موضعكم وتمشون خلفه لكن ليكن
بينكم وبينه بعد مقدار الفي ذراع بالمساحة لا تقربوا منه لاجل ان تعرفوا الطريق التي تمشون فيها اذ لم تمشوا فيها امس
واول امس وقال يوشع للقوم استعدوا فان الله غدا يعمل الله في وسطكم عجايب وقال يوشع للايمة احملوا صندوق
العهد وجوزوا اقدام القوم فحملوا صندوق العهد وساروا قدام القوم وقال الله ليوشع هذا اليوم ابتدي بتعظيم
اسمك بحضرة جميع اسرائيل لكي يعلموا انني كما كنت مع موسى اكون معك وقال يوشع لبني اسرائيل تقدموا ههنا واسمعوا الله
ربكم قال يوشع بهذه الخلة تعرفون ان قادرا حيا لذاته في وسطكم وان قارضا يقرض من قدامكم قبايل الامم الكنعانيين
والذاعرين وفي نسخة الحاثيين المنسوبين الى حاث جدهم والخبزيين اي الفصحاء البلغاء وفي نسخة المجتمعين الى الحي والربضيين
والفلاحين والامورانيين اي الرؤساء واليبوسيين اي الجبارين القاهرين ها هو ذا صندوق العهد سيد كل الارض جايزا
قدامكم في الاردن والان خذوا لكم اثني عشر رجلا من اسباط اسرائيل رجلا واحدا من كل سبط ويكون عند قرار اقدام ارجل الايمة
حاملي صندوق العهد سيد كل الارض في مياه الاردن من الامر العظيم انه تنقطع مياه الاردن المنحدرة من فوق وتقف طودا واحدا
كانها في زق محصورة ولما ارتحل الشعب وقطعوا خيمهم ليجوزوا الاردن سار الكهنة الذين حملوا التابوت امام الشعب
فلما انتهوا الى الاردن وكان ممتليا يفيض كل ايام الحصاد انشق الاردن وقام الماء الذي كان ينحدر من فوق كانه في زق ناحية
وتباعد عن قرية ارام التي عند صريم جدا والذي كان يجري الى البحر الغربي الذي يدعى بحر الملح انشق وحار وانقطع وجاز
الشعب حيال اريحا وقام الكهنة الذين حملوا تابوت العهد في الاردن يابسا حتى عبر جميع الشعب بحر الاردن فلما جاز الشعب
جميعا قال الرب ليشوع اعمد الى اثني عشر رجلا من الشعب من كل سبط رجل واحد وقل لهم خذوا من ههنا من جوف الاردن
من تحت اقدام الكهنة اثني عشر حجرا وعبروها معكم وانصبوها في موضع المبيت الذي تبيتون فيه الليلة فامرهم يشوع بذلك
وان يحمل كل رجل حجره على عاتقه فاخذوها الى موضع مبيتهم ونصبوها هناك فمكثت الحجارة التي اخذوها من الاردن من
تحت اقدام الكهنة الذين حملوا التابوت موضوعة هناك الى اليوم والكهنة الذين حملوا التابوت كانوا قياما حتى تمت
جميع الاقوال التي امر الرب يشوع ان يقص على الشعب كما اوصى موسى يشوع وعجل الشعب على المجاز وجازوا فلما جاز جميع الشعب
وجاز الكهنة الذين كانوا حاملين التابوت امام الشعب وجاز بنو اروبال وبنو اجاد ونصف سبط منشاوهم متسلحون
امام اخوتهم كما امر موسى اربعون الفا ذووا قوة جازوا امام الرب الى قاع اريحا للمحاربة في ذلك اليوم عظم يشوع
عند جميع بني اسرائيل وفرقوه كفرقهم من موسى طول ايام حياته وقال الرب ليشوع مر الكهنة الذين حملوا تابوت
الشهادة يصعدوا من الاردن فامرهم فلما صعدوا رجع ماء الاردن الى مواضعه اول ما استقرت اقدام الكهنة في الشط
وجرى في سواحل الاردن كما كان اولا فصعدوا من الاردن في عشر خلت من الشهر الاول قلت وهو نيسان على ما قال بعض
فضلاء اليهود ونزلوا الجلجال اقصى مشارق اريحا فاما الاثني عشر حجرا التي اخذوها من الاردن فنصبها يشوع في الجلجال
وقال يشوع لبني اسرائيل اذا سالكم بنوكم غدا وقالوا ما هذه الحجارة قولوا لهم ان بني اسرائيل فلق لهم هذا الاردن فجازوه
يابسا لان الله ربكم يبس ماء الاردن امامهم حتى جازوه كما فعل الله ربكم ببحر سوف الذي يبسه امامنا حتى جزناه ليعلم
جميع شعوب الارض ان يد الرب قوية وتتقوا الله ربكم كل الايام فلما سمع جميع ملوك الامورانيين الذين في جانب الاردن
الغربي وجميع ملوك كنعان الذين على شاطي البحر ان الرب يبس ماء الاردن امام بني اسرائيل حتى جازوا فزعت قلوبهم
ولم يبق فيهم رمق فزعا من بني اسرائيل في ذلك الزمان قال الرب ليشوع اتخذ سيفا من طوران واختن بني اسرائيل
ثانية فختن بني اسرائيل ثانية في اكمة الغلف والذي ختن يشوع هم جميع الذكورة الذين كانوا ولدوا في البرية حين
خرجوا من ارض مصر لان جميع الرجال الابطال المقاتلة هلكوا في البرية لانهم لم يطيعوا الله ربهم وكانوا كلهم
مختنين فاقسم الرب عليهم ان لا يريهم الارض التي وعد اباءهم ان يعطيهموها الارض التي تغل السمن والعسل فبنوهم الذين
كانوا من بعدهم هم الذين ختن يشوع لانهم كانوا غلفا فلما ختن جميع الشعب مكثوا مواضعهم في المعسكر حتى براوا
وقال الرب ليشوع اليوم صرفت عنكم عار اهل مصر ودعا اسم ذلك الموضع جلجالا ونزل بنوا اسرائيل الجلجال
وعملوا فصحا في اربعة عشر يوما من الشهر الاول عند المسا في قاع اريحا واكلوا من بر الارض بعد الفصح واكلوا في ذلك
اليوم فطيرا وسنبلا مقلوا وارتفع المن لبني اسرائيل بعد ذلك اليوم واكلوا من بر الارض وغلات ارض كنعان
في تلك السنة وبينا يشوع في قاع اريحا قايما اذ نظر رجلا قايما ازاءه مخترطا سيفه ممسكه بيده فاقبل يشوع
اليه وقال له انت منا ام من اعدائنا قال انا سيد اجناد الرب الان اتيتك فخر يشوع ساجدا على وجهه على
الارض وقال ما الذي يقول السيد لعبده قال اخلع خفيك عن قدميك فان الموضع الذي انت قايم فيه طاهر ففعل

يشوع

يشوع ذلك وكان بنوا اسرائيل قد حاصروا اريحا ولم يكن يقدر احد من اهلها يدخل ولا يخرج فقال الرب ليشوع انظر اني قد دفعت في يدك اريحا وملكها وكل اجنادها فليحط بالمدينة جميع الرجال المقاتلة ودوروا حول المدينة في اليوم واعملوا ذلك ستة ايام ويحمل سبعة من الكهنة سبعة ابواق ويقتفون امام التابوت حتى اذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات وتقتف الكهنة بالقرون فاذا هتفت الابواق وسمعتم اصواتها فليهتف جميع الشعب باعلى اصواتهم صوتا شديدا فيقع سور المدينة مكانه ويصعد الشعب كل انسان حياله فدعا يشوع الكهنة وقال لهم احملوا تابوت عهد الرب ويحمل سبعة من الكهنة سبعة قرون وينفخون فيها امام تابوت الرب ثم قال للشعب دوروا حول المدينة والمتسلحون يجوزون امام تابوت الرب فحمل سبعة من الكهنة سبعة قرون وهتفوا امام تابوت الرب فلم يزالوا ينفخون في القرون والذين كانوا يحملون التابوت يتبعون اصحاب الابواق والمتسلحون يسيرون امام الكهنة الذين يهتفون بالقرون ويسيرون التابوت وقال يشوع للشعب لا تهتفوا ولا تسمعوا اصواتكم ولا تخرج كلمة من افواهكم الى اليوم الذي آمركم ان تهتفوا فدارت الجماعة بالتابوت كل يوم مرة كما امرهم يشوع فلما كان اليوم السابع ادلجوا سحرا وحاطوا بالمدينة كسنتهم ولكن في ذلك اليوم السابع داروا حولها سبع مرات وفي المرة الثانية هتف الكهنة بالقرون وقال يشوع للشعب اهتفوا الان الرب قد دفع المدينة في ايديكم وكل صيروا هذه المدينة وكل ما فيها حرمة للرب لا يستبق انسان منكم وابقوا على راحاب الزانية يعني الفندقانية كما اخبرني بعض فضلائهم ويؤيده التعبير عنها فيما مضى بالزانية والله اعلم وعلى كل من معها في بيتها لانها عيبت الدسيسيين الذين ارسلنا فاما انتم فاحتفظوا من الحرام ولا تتنجسوا انتم باخذ الحرام فتصيروا عسكر بني اسرائيل حراما فنفخوا في القرون فلما سمع الشعب صوت الابواق ضجوا كلهم ضجة شديدة جدا فوقع سور المدينة فصعد الشعب الى المدينة كل انسان حياله فاستحوها وقتلوا كل من فيها رجالها ونساءها والشيخ والصبيان والثيران والحمير والغنم قتلوها بالسيف واما الرجلان اللذان اجتسا الارض فقال لهما يشوع ادخلا الى بيت المرأة الزانية يعني الفندقانية كما مضى فاخرجاها واخرجا كل من معها في البيت كما حلفتما لها ففعلوا وانزلوهم خارج عسكر بني اسرائيل واحرقوا المدينة وكل من فيها بالنار واحيا يشوع الزانية ووالديها وكل من لها واقسم يشوع في ذلك الزمان ولعن وقال ملعون يكون امام الرب الرجل الذي يقوم ويبني مدينة اريحا هذه وكان الرب معونة مع يشوع ونصره وشاع خبره في الارض كلها واثم بنوا اسرائيل وتناولوا من الحرام وذلك لان عاخار بن كرمي بن زبدي بن زرح من قبيلة يهوذا نجزا واخذ من الحرام وغيب في خيمته فاشتد غضب الرب على بني اسرائيل ثم ارسل يشوع رجالا الى عاي التي عند بيت اون من شارق بيت ايل ليجسوها فقالوا له انه يجزي في اخذها الفان او ثلثة لان اهلها قليل فصعد واتحاربوهم عند باب المدينة فانهزم بنوا اسرائيل وجرح منهم جرحى كثير فذكر القصة في سجود يشوع وانزعاجه واخبار الله تعالى اياه ان قومه علوا ثم امر بالقرعة حتى خرج الزكي عنده الغلول وهو عاخار وكان غلوله طنفسه بابلية ومايتي مثقال فضه وسبيكة من ذهب فيها خمسون مثقالا فاخرجه يشوع مع كل شيء هوله وقد مضى ذلك في البقرة عند اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة وتحكم في المائدة فتح بعض بلاد بيت المقدس بالمجوبة اخرى واستمروا هكذا يفتحونها بلدا بعد بلد ويقتلون من جبابرتها عددا لا يعده عدد ويرون في ذلك من عجايب الامور وبدايع المقدور ومايبقى على كر الاباد ومر الدهور ويتم في اثناء ذلك كل قليل يكفرون وينقضون الى اليهود ولا يشكرون كما هو مبين في سفر يوشع بن نون وقد مضى شيء منه في المائدة عند قوله تعالى فعموا وصموا الآية كل ذلك بعد ان جاءهم من العلم ما لا يدخله مرية ولا يخالطه شك ولا يدنو منه لبس فتبارك من له الامر كله لا مضل لمن هدى ولا هادي لمن يضلله ولما كان ما مضى من آيات هذه السورة البينة ان من اريدت شقاوته لا تنفعه مشاهدة الآيات سببا لنفي الشك عنها واثبات اليقين بمضامينها بما سلف من الادلة على تلك المضامين الى ان ختم ذلك بذم من عمل عمل الشاك بعد ان جاءه ما يوجب اليقين من العلم وكان صلى الله عليه وسلم كما مضى في آخر التي قبلها اشفق الخلق لا سيما على العرب لا سيما على قومه منهم وكانت الوصية قد برزت من الجناب الالهي له بما يوافق طبعه من بذل الجهد في ملاطفتهم كان ذلك جديرا بان يحرك طمع البشر لتمني الاجابة لما يقترحون وكان طلب ذلك بعد العظام عنه من افعال الشك في الجملة فاريد صرف النفس عنه بالكلية ولو بالخطور في البال فقيل مسببا عما قبله فان كنت اي يا ارجح الخلق في شك ولم يرد بهذا الكلام حقيقته والله اعلم بل تقوية اليقين وتاكيده ورسوخه وتابيده بان هذا امر قد عزم عليه وفرغ منه فلا يحتمل مراجعه وذلك لان المعنى ان ثباتهم على الشقاوة امر لا يعلم الا من قبلنا وذلك باحد امرين اما بواسطة الامين جبريل عليه السلام بما يأتي به من الوحي عنا عند اضطرارنا لمحفوظا من التغيير فلا تحريف فيه ولا تبديل واما بواسطة اهل الكتاب عن انبيائهم وفي ذلك نزوله مرجئين مع تجويز التحريف والتبديل وهذا ما لا يرضاه ذو همة عليه ونفر ابيه فالمعنى انا قد اخبرناك بان الآيات لا تزيد المقتضي لشقاوته الا ضلالا وانا خبير بذلك ولا ينبئك مثل خبير فلا تطلب اجابتهم الى ما يقترحون عليك رجاء ان تضر فانهم لا يؤمنون بذلك فان كنت اي وقتا من الاوقات في شك اي ولو قل مما انزلنا اي بحفظنا واصلاء على لسان الواسطة اليك في ذلك فاسأل اي بسبب ذلك الشك الذين يقرأون اي مواظبين لذلك الكتاب اي السماوي من اليهود والنصارى فانهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك

على حد عظيم ومن آمن منهم او كان منصفا جدير بان يزداد من فاوضه في ذلك ايمانا ولما كانوا بعض من اوتي الكتاب في الزمن
السالف التفت الجار فقال من قبلك وسم عن ذلك الخبر بمراحل فلا تصغ الى سوال غيري وهذا مضمون قوله تعالى موكدا آتيا
بحرف التوقع لان كلام الامرين في احق مواضعه لقد جاءك الحق اي الثابت الكامل ثباته وهو اصطناع العدل فيهم وزاده
تشريفا وترغيبا فيه بقوله من ربك اي المحسن اليك باصطفائك لذلك فلذا سيق مساق البيان له من غير واو فاذا ثبت
انه الثابت اعلى الثبات تسبب عنه البعد من تزلزل من جاءه فناسب اتباعه بقوله فلا تكونن اكده لانه حقيق بان لا ينثني
عنه احد بوجه من الوجوه من الممترين اي الغافلين عن ايات الله فتطلب الفضل لاهل العدل قال ابن عباس رضي الله
عنهما لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم ولما نهي عن ذلك لم يبق بما اقتضته القسمة العقلية الا العناد ممن يمكن
منه كما فعل بنو اسرائيل بعد مجيء العلم فاتبعه النهي عن مثل حالهم بقوله ولا تكونن اي بوجه من الوجوه والمراد بهذا اتباعه
من الذين كذبوا اي فعلوا فعل المكذب مستهينين بايات الله اي التي لا اعظم منها باضافتها الى من لا اعظم منه فتكون اي كونا
راسخا من الخاسرين بل اثبت على ما انت عليه من اليقين والطمانينة والثقة بالله والسكينة وهذا ونحوه مما غلظت فيه
العبارة دلالة على مزيد قرب المخاطب وان كان المراد غيره وعظيم منزلته ولطيف خصوصيته كما مضى بيانه عن الامام
ابي الحسن الحرالي رحمه الله في سورة براءة عند قوله تعالى عفا الله عنك الآية وتغليظ العبارة فيه تاديب عظيم لتابعيه والشك
الوقوف بين النقيضين وهو من شك العود فيما ينفذ فيه لانه يقف بذلك الشك بين جهتيه والانزال نقل الشيء من علو
الى شفل والامر اطلب التشكك مع ظهور الدليل من مري الضرع وهو مسحه ليدر ولما كان ما مضى من هذه الآيات وما كان
من طرازها ماضيا بانه لا تغني الآيات عنهم صرح به في قوله تعالى ان الذين حقت اي وجبت وثبتت عليهم اي بانهم اشقيا
وعبر بالاسم المنهم للاحسان اعلاما بانه ما اوجب عليهم العذاب الا احسانا اليه بما يقاسي من معالجتهم وغير ذلك من الحكمة كلمة
ربك اي المحسن اليك في جميع امرك لا يومنون اي لا قبول لهم لتجدد الايمان ولو جاءتهم كل آية ونسبتها الى قوله لقد جاءك
الحق نسبة لقد جاءك الحق الى فان كنت في شك الآية في البيان المستفاد من حذف العاطف واذا كان الكلام في معنى واحد
كان بمنزلة الكلمة الواحدة فسمي بها حتى يروا العذاب الاليم اي حين لا ينفعهم الايمان لفوات شرطه كما لم ينفع فرعون لذلك
سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تحويلا ولما كان هذا موضع ان يقال انما تطلب الآيات لما يرجى من تسبب
الايمان عنها تسبب عنه ان تجاب بقوله تعالى فلولا اي فهلا كانت قرية اي واحدة من قرى الامم الماضية التي اهلكناها
آمنت اي آمن قومها عند اتيان الآيات او عند رؤية اسباب العذاب فنفعها اي فتسبب عن ايمانها ذلك انه نفعها ايمانها
ولما كان معنى لولا النفي كان التقدير لم تؤمن قرية منهم الا عند صدم العذاب كما فعل فرعون لو انه عند رؤية البحر على حال
الغلق او عند توسطه وقبل انشيابه عليه قبل ولكنه ما آمن الا بعد انهماره وحسه وذلك حين لا ينفع لفوات شرطه
من الايمان بالغيب الا قوم يونس فانهم آمنوا عند المخايل وقد بقي زمان التكليف فنفعهم ذلك فانهم لما امنوا ودل على انه
كان قد اظلهم بقوله كشفنا اي بعظمتنا عنهم اي حينا ما فهم روي انه لم يبق بينهم وبين العذاب الا قدر ميل عذاب
الخزي اي الذي كان يوجب لهم لو برك عليهم موازا لدارين في الحيوة الدنيا اي فلم ياخذهم وقت رويتهم له ومتعناهم
اي تمتيعا عظيما الى حين وهو انقضاء اجالهم متفرقة كل واحد منهم في وقته المضروب له وما ذكرته في معنى الآية نقله
القاضي ابو محمد اسحق بن ابرهيم البستي في تفسيره المسند عن ابن ابي عمر قال قال سفين الثوري فلولا كانت قرية آمنت
قال فلم تكن قرية آمنت وهذا تفسير معنى الكلام واما لولا هنا بمعنى هلا وهي على وجوه تحضيض وتانيب اي توبيخ وهي هنا
للتوبيخ ويجوز ان تكون استفهامية تتضمن معنى لم تا ويلزم كلا من المعنيين النفي والنفي ايجاب اللذة بفعلها او ما يودي اليها
كما لذا او الكريه المودي الى اللذة والخزي هو ان يفضح صاحبه وهو وضع من القدر للغم الذي يلحق به واصله الغيب ولما
كان ما مضى ربما اوجب اعتقاد ان ايمان مثل اولئك يحال جاءت هذه الآية في مقام الاحراس منه مع البيان كان حرص الرسول
صلى الله عليه وسلم على ايمانهم لا ينفع ومبالغته في ازالة الشبهات وتقرير الدلائل لا يفيد الا بمشيئة الله تعالى لتوفيقهم
وهدايتهم ولو كان ذلك وجده كما فيما مضى من هذه السورة فانها ازالت شبهاتهم وبينت ضلالاتهم وحققت بقصتي
نوح وموسى عليهما السلام ضعفهم وهن مدانغاتهم فقال تعالى ولو شاء اي ايمان الناس ربك اي المحسن اليك بابادة
من اقبل لعلمه الخير فيه وادبار من ادبر لعلمه قابليته للخير لامن من في الارض من الكفار ولما كان هذا ظاهرا في الكل
موكدا الا نا المقام يقتضيه فقال كلهم جميعا اي مجتمعين في آن واحد لا يختلفون في شيء منه ولكن لم يشا ذلك وانت
لحرصك على امتثال اوامري ووصيتي لك باللطف بخلقي الموافق لما جبلتك عليه من الخير تريد ذلك افانت تكره الناس
اي الذين لم يرد الله ايمانهم مع ما طبعهم عليه من الاضطراب حتى يكونوا اي كونا جبليا مومنين اي راسخين في الايمان
وابلاء الاستفهام الانكار متقدما على الفعل للاعلام بان الفعل وهو هنا الاكراه ممكن من غير ذلك الاسم وهو هنا الله وهو
القادر على تحويل الطباع فان قدرته قاهرة لكل شيء ومشيئته نافذة في كل شيء مع الدلالة على ان وقوع خلاف المشيئة
مستحيل لا يمكن لغيره تعالى باكراه ولا غيره والمشيئة معنى يكون به الفعل مرادا اذا اخذت من الشيء والمراد بالآية
تخفيف ما يلحق النبي صلى الله عليه وسلم من التحسر للحرص على ايمانهم وما كان اي وما ينبغي ولا يتاتى لنفس اي واحدة مما
موقتها ان تومن اي تقع منها ايمان في وقت ما الا باذن الله اي بارادة الملك الاعلى الذي له الخلق والامر وتمكينه فيجعل

الثبات والطمانينة اللازمين للايمان الذي هو ابعد شيء عن السحر على الذين ينتفعون بعقولهم فيلزمون معالي الاخلاق
التي هي ثمرات الايمان وجعل الرجس اي الاضطراب والتزلزل الذي يلزمه التكذيب الذي هو اشبه شيء بالسحر لانه تخييل
حالة حقيقة له والقذر والفباحة والغضب والعقاب الناشيء عنه ولما كان ما في هذه السورة من الادلة قد وصل في
البيان الى حد لا يحتاج فيه الى غير مجرد العقل قال على الذين لا يعقلون اي لا يوجد لهم عقل نهم لذلك لا ينتفعون بالايات
وهم يدعون انهم اعقل الناس فيتساقطون في مساوي الاخلاق وهم يدعون انهم ابعد الناس عنها فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وانفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ونفسه وذاته واحد ولما تقرر ما مضى من النهي
عن الاصغاء اليهم في طلب الايات وختم بتعليق الامر بمجرد المشيئة كان كانه قيل فماذا يقال لهم اذا طلبوا فقال قل اي
يا اشرف الخلق لهم غير مهتم بامرهم ومنبها لهم على ابطال مذهب الجبر المتعلق اصحابه بنحو هذه الآية لان المشيئة
معنيه والعبد مامور ببذل الجهد في الطاعة بما له من القدرة والاختيار ولما امر بهذا الذكر فكان ربما ظن لاجله
ان للانسان قدرة مستقلة نبه على مذهب اهل السنة القابل بالكسب الذي هو كما قال الامام علي رضي الله عنه امرين
امرين لا جبر ولا تفويض فقال معلما ان من حكم بشقاوته لا ينفعه شيء انظروا اي بابصاركم وبصائركم لتخرجوا بالانتفاع
بالعقل عن عداد البهائم قال الامام ولو ان الانسان تفكر في كيفية حكمة الله تعالى في خلق جناح بعوضة لانقطع فكره
قبل ان يصل الى اول مرتبة من مراتب تلك الحكم والفوائد فلذلك ابهم في قوله ماذا اي الذي في السموات والارض اي
من الايات وواضح الدلالات التي احرجتموها بالفكر لها عن عداد الايات وهي عند التامل من اعظم خوارق العادات قال
الامام فكانه سبحانه نبه على القاعدة الكلية حتى يتنبه لاقسامها وقال ابو حيان اخذا من الامام السبيل الى معرفته
تعالى بالتفكر في مصنوعاته ففي العالم العلوي في حركات الافلاك ومقاديرها واوضاعها والكواكب وما يختص بذلك
من المنافع والتوليد وفي العالم السفلي في احوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان وخصوصا حال الانسان انتهى
ولما كان ما فيها من الآيات في غاية الدلالة نبه سبحانه على ان المتوقف عن الايمان بعد التنبيه على كيفية الاستدلال
معاند فقال وما وهي نافية او استفهامية تغني الايات اي وان كانت في غاية الوضوح والنذر والانذارات او الرسل
المنذرون عن قوم اي وان كانت فيهم قوة لا يؤمنون اي لتحكم بشقاوتهم فكان ذلك سببا لتعديدهم بقوله فهل ينتظرون
اي بجميع قواهم في تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم وتخلفهم عن الايمان الا ايام اي وقايع مثل ايام الذين
خلوا ولما كان اهل الايام الخالية بعض من كان قبل اتى بالجار فقال من قبلهم اي من مكذبي الامم وهم الفبط وقوم نوح ومن
طوي بينهما من الامم من حقوق الكلمة عليهم فيحل بهم باسنا ثم ننجيكم لايمانكم كما كنا نحل بامثالكم اذا كذبوا رسلنا ثم ننجي
الرسل ومن آمن بهم حقا علينا ذلك للعدل بين العباد ولما تقدمت الاشارة الى ان الكلمة حقت على الكافرين بعدم الايمان
والرجس الذي هو العقاب زاد في تقديرهم بالاعتراض بما سببه عن فعلهم فعل من ينتظر العذاب بقوله قل فانتظروا
اي بجميع جهدكم ما تزعمونه واتقاءكم بسبب ما تقرر عندكم مما كان يقع بالماضين في ايام الله وزاد التحذير باستيناف قوله
مؤكدا لما لهم من التكذيب اني واعلمهم بالنصفة بقوله معكم من المنتظرين ولما كان التقدير فانا كنا في ايام الذين خلوا
موقع الرجس بالمكذبين عطف عليه بيانا لما كان يفعل بالرسل عليهم السلام واتباعهم اذا اهلك الظالمين قوله ثم ننجي
اي تنجية عظيمة وننجيهم انجاء عظيما وجاء به مضارعا حكاية للاحوال الماضية وتصويرا لها تحذيرا لهم من مثلها واعلاما
بانه كذلك يفعل بعذا الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه رضي الله عنهم واشار بادلة التراخي الى طول زمان الابتلاء
وعظيم رتبة التنجية وحذف مقابل الانجاء لان المقام بعد آية الاسراء ان اولياء الله ناظرا الى البشارة اكثر من النظر الى النذارة
رسلنا اي الذين عظمتهم من عظمتنا والذين امنوا اي بالرسل وهم معهم في زمانهم ولو كانوا في ادنى درجات الايمان تشريفا
للرسل فانهم بعبدوا الرسوخ بملازمتهم ثم وصل بذلك تشريفا للمؤمنين ترغيبا في مثل حالهم قوله كذلك اي كما حق علينا
اهلاك الكافرين هذا الاهلاك العظيم حقا علينا اي بما اوجبناه على جنابنا الاعظم ننجي المؤمنين اي لعريقين في الايمان
ولو كانوا بعد موت الرسل تنجية عظيمة وننجيهم انجاء عظيما فالآية من الاحتباك لما اشارت اليه القراءتان بالتخفيف
والتثقيل او يكون ذلك بني على سؤال من لعله يقول هل حقوق النجاة مختص بالرسل ومن معهم فقيل لا بل كذلك الحقوق
حقا علينا على ما لنا من العظمة ننجي المؤمنين في كل زمن وان لم يكن بين ظهرانيهم رسول لان العلة الاتصاف بالايمان
الثابت فيكون الكاف مبتدا ونجي خبره والنظر طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر كما يطلب ادراك المحسوس بالعين والغني
حصول ما ينافي الضر وصفة النقص ونقيضه الحاجة والنذر جمع نذير من النذارة وهي الاعلام بموضع المخافة لتتقى
به السلامة والانتظار الثبات لتوقع ما يكون من الحال والمثل ان كان من الجنس فهو ما سد مسد غيره في الحس وان كان
من غيره فالمراد ما كان فيه معنى يقرب به من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكافر بالسراب والنجاة من النحوة وهي
الارتفاع من الهلاك ولما تقدم العظام عن الميل لمن يطلب الايات وكان طلبهم لها انما هو على وجه الشك وان لم يكن على
ذلك الوجه فانه فعل الشاك غالبا وتقدمت اجوبة لهم وختم ذلك بتهديدهم وبشارة المؤمنين الموجبة لثباتهم ناسب
كل المناسبة ان اتبعت بالامر بجواب آخر دال على ثباته صلى الله عليه وسلم وانه مطهر دينه رضي من رضي وسخط من
سخط لان البيان قد وصل الى غايته في قوله تعالى قل يا ايها الناس اي الذين هم في حيز الاضطراب لم توقعهم همتهم الى رتبة

الثبات ان كنتم اي كونا هو كالجبلة منغمسين في شك كاين من جهة ديني تطلبون لزواله بعد تكفل العقل بالدلالة عليه انزال
الايات فانا لست على شك من صحة ديني وبطلان دينكم فاعرضوه على عقولكم وانظروا ما فيه من الحكم مستحضرين ما لدينكم من الوهي
الذي تقدم بيانه في قوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق ونحوه فلا اعبد اي الآن ولا في مستقبل الزمان الذين تعبدون
اي الآن او بعد الآن من دون الله اي الملك الاعظم لعدم قدرتهم على شيء من ضري فلا تطمعوا في انه يحصل لي شك بسبب حصول
الشك لكم فانا لا اعبد غير الله اصلا ولما كان سلب عبادته عن غيره ليس صريحا في اثباتها له قال ولكن اعبد الله اي الجامع
لاوصاف الكمال عبادة مستمرة ثم وصفه بما يوجب الحذر منه ويدل على كمال قدرته الذي يتوفاكم بانتزاع ارواحكم التي لا شيء
عندكم يعدلها فلا تطمعون عند ارادته لنزعها في المحاولة لتوجيه دفاع عن ذلك وفي هذا الوصف مع ما فيه من الترهيب اشارة
الى الدلالة على الابداء والاعادة فكانه قيل الذي اوجدكم من عدم كما انتم به مقرون ويعدمكم بعد هذا الايجاد وانتم صاغرون
فثبت قطعا انه قادر على اعادتكم بعد هذا الاعدام بطريق الاولى فاحذروه لتعبدوه كما اعبده فانه قد امرني بذلك وانتم تعرفون
غايلة الملك اذا خولف وقال ان كنتم في شك مع انهم يصرحون ببطلان دينه لانهم في حكم الشاك لاضطرابهم عند ورود
الايات او لان فيهم الشاك فغلب لانه اقرب الى الخير والشك وقوف بين المعنى ونقيضه وضده الاعتقاد فانه قطع بصحة المعنى
دون نقيضه وعبر عن اشارة الى ان فعلهم ذلك ابتداء من الدين ولو عبر بفي لافهم انهم دخلوا فيه لانهم في الشك
والشك في الدين والظرف لظرف الشيء ظرف لذلك الشيء وترك العطف اشارة الى ان كل جواب منها كاف على حياله ولما
قرر ما هو الحقيق بطريق العقل اتبعه بما ورد من النقل بتاييده وايجابه بقوله وامرت اي بامر جازم ماض ممن لا امر لاحد
معه وعظم المامور به بجعله عمدة الكلام باقامته في مقام الفاعل فقال ان اكون اي دايما كونا جبليا ولما كان السياق لما
يحتمل الشك من الامر الباطن عبر بالايمان الذي هو للقلب فقال من المومنين اي الراسخين في هذا الوصف وان اقم ايها الرسول
وجهك اي كليتك على سبيل الاخلاص الذي لا شوب فيه للدين فوصل اولا كلمة ان بمعنى اي ان اكدة دون كن الامر وثانيا بلفظ
وهو اقم جمعا بين الاسلوبين وكلاهما بمعنى المصدر وخص الثاني بذلك لطوله لانه كالتفصيل للاول فالخطاب فيه اوكد والذ وقوله
حنيفا حال من فاعل اقم ومعناه مسلما ميالا مع الدليل كما اوضحته في البقرة اي اجمع بين الايمان بالقلب والاستسلام بالجوارح
ولا تكونن اي في وقت من الاوقات من المشركين الذين هم على ضد صفة الاسلام من الجفا والغلظة والجمود والقسوة ولما
نهاه عن الشرك اكده بما هو كالتعليل له بما يلزمه من العبث بالخضوع لما لا ضر فيه ولا نفع بقوله ولا تدع اي في رتبة من
الرتب الكاينة من دون الله اي الذي بيده كل شيء ما لا ينفعك اي ان فعلت شيا من ذلك فاتاك باسنا ولا يضرك اي ان
اقمت على طاعتنا مع نصرنا فان فعلت اي شيا مما نهيناك عنه فانك اذا اي اذا دعوت ذلك الغير بسبب ذلك من الظالمين
اي العريقين في وضع الدعوة في غير محلها لان ما هو كذلك في غاية البعد عن منصب الالهية قال تعالى عاطفا على قوله
فان فعلت وان يمسسك الله اي الذي لا راد لامره بضر اي اي ضر كان على اي وجه كان ولو كان ظاهرا جدا بما انبا عنه
الاظهار فلا كاشف له اي اصلا بوجه من الوجوه الا هو لانه اراده وما اراده لا يكون غيره فلا ترج سواه في ان يبدله بخير
وعبر بالمس لانه اخوف وان يردك اي يطلق ارادة بخير فلا اي اصابك لا محالة فانه لا راد ونبه على انه لا يجب عليه سبحانه
شيء بان وضع مكان الضمير قوله لفضله اي عمن يريده به كما يفعل بعض العاتين من اتباع ملوك الدنيا في رد بعض ما يريدون
بل هو بحيث لا ينطق احد الا باذنه فلا تخش غيره فالاية من الاحتباك ذكر المس اولا دليلا على ارادته ثانيا والارادة ثانيا
دليلا على حذفها اولا ولم يستثن في الارادة كما استثني في الكشف لان دفع المراد محال وعبر بالارادة في الخير وبالمس في الضر
تنبيها على انه صلى الله عليه وسلم مراد بالخير بالذات وبالضر بالعرض تطييبا لقلبه لما تكرر في هذه السورة من الاخبار باحقاق
العذاب على الفاسقين والايناس من الظالمين فلما تقرر ذلك حسن موقع قوله مبينا لحال ذلك الفضل يصيب به اي
ذلك الفضل او ما تقدم من الخير والضر من يشاء اي كاينا من كان من ادنى واعلى وبين العلة في كونهم مقهورين بقوله
من عباده وهذا كله اشارة الى ان ما اوجب الاعراض عن معبوداتهم بانسلابه عنها اوجب الاقبال عليه بثبوته له
واختصاصه به وختم الاية بقوله وهو الغفور اي البليغ الستر للذنوب الرحيم اي البالغ في الاكرام اشارة الى ان اصابته
بالخير لا يمكن ان تكون الا فضلا منه بعد الستر للذنوب والرحمة للضعف فهو الحقيق بان يعبد والمس اجتماع التقائين من غير
نقصان ونظيره المطابقة والمجامعة ونقيضها المباينة والكشف رفع الساتر جعل الضر كانه مانع من ادراك الانسان
وسانزله ولما كثرت في هذه السورة الاوامر والنواهي والاجوبة بسبب ما يقترحونه على وجه التعنت وختم بان من
دعا غيره كان راسخا في الظلم لا مجير له منه ختم ذلك بجواب معلم بان فايدة الطاعة ليست راجعة الا اليهم وضرر النفور
ليس عايدا الا عليهم فقال تعالى قل يا ايها الناس اي عامة كل من له قابلية التحرك والاضطراب قد جاءكم الحق اي الكامل بهذا
الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الكتاب وذلكم خير عظيم اصابكم الله به وزاد الرغبة فيه بقوله من ربكم اي المحسن اليكم
فمن اي فتسبب عن ذلك انه من اهتدى اي آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعمل بما في الكتاب فانما يهتدي لنفسه لانه
تبع الحق الثابت وترك الباطل الزايل فانقذ نفسه من النار واوجب لها الجنة ومن ضل اي كفر بهما او بشيء منهما فانما
يضل عليها لانه ترك الباقي وتمسك بما ليس في يده منه شيء لانه فان غر نفسه وما انا ولما كان السياق لنفي تصرفه
فيهم وان ذلك انما هو الى الله تعالى كان تقديم ضميرهم اهم فقال عليكم بوكيل فيطلب مني حفظكم مما يودي الى الهلاك ومنعه

احتباك

عنكم

عنكم كما يطلب من الوكيل ولما كان اكثر ذلك وعظا لهم وتذكيرا ختمه بامره صلى الله عليه وسلم بما يفعله في خاصة نفسه
اجابوا او لم يجيبوا فقال عطفا على قوله قل يا ايها الناس واتبع اي بجميع جهدك ما يوحى اليك وبناه للمفعول لان ذلك كان
بعد ان تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم وعلم ان كل ما ياتيه من عند الله فكان ذلك امكن في امره باتباع كل ما ياتيه منه سبحانه
وفي الايذان بانه لا ينطق عن الهوى واصبر في تبليغ الرسالة على ما اصابك من عظيم الضرر وبليغ الخطر من ضلال من لم
يهتد واعراضه وجفوته واذاه حتى يحكم الله اي الملك الاعظم بين من ضل من امتك ومن اهتدى وهو اي وحده خير
الحاكمين لانه يوقع الحكم في اولى مواقعه واحقها واحسنها واعدلها وهو المطلع على السرائر فاعمل انت بما تؤمر به وبشر
وانذر واخبر وادع الى الله بجميع ما امرك به واترك المدعوين حتى يامرك فيهم بامره قال الزمخشري وروي انها لما
نزلت هذه الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني وتبعه
على ذلك ابو حيان وغيره فان صح فالسر فيه والله اعلم انه لما اعلمت هذه الآية ان من اتبع الوحي ابتلي بما ينبغي الصبر عليه
وافهمت ان من كان له اشد اتباعا كان اشد بلاء كان الانصار رضي الله عنهم اجمعين احق بهذا الوصف من غيرهم من حيث
انهم كانوا اول قبيلة جمعها الايمان ومن حيث كانوا له اسهل قيادا والين عريكة مع كونهم لم يتقدم لهم عشرة بالنبي
صلى الله عليه وسلم ولا خبرة باحواله توجب لهم من اتباعه ما يوجب لمن كان من بني عمه قريش يخالطه ويانس به ويرى
منه من معالي الاخلاق وكريم الشمائل ما يوفر داعيته على اتباعه فلما كان ذلك كذلك خص النبي صلى الله عليه وسلم الانصار
رضي الله عنهم بهذا الامر فتفضيلهم في ذلك من الجهتين المذكورتين فلا يتوهم تفضيلهم على المهاجرين بل المهاجرون افضل لانهم
جمعوا الى النصرة الهجرة مع ان اكثرهم له من قرب النسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبق في الاسلام حظ وافر
هذا ما ظهر لي في مناسبته على تقدير الصحة والذي في الصحيحين عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد
ان يقطع للانصار من البحرين فقالت الانصار حتى تقطع لاخواننا من المهاجرين مثل الذي تقطع لنا وقال سترون بعدي اثرة
فاصبروا حتى تلقوني فهذا فيه ان السبب حرصهم على الانصاف وهو يدل على ان المنصف يقل انصاف الناس له وهو مستقرا
والوحي القاء المعنى الى النفس في خفاء وهو هنا ما يجيء به الملك الى النبي عليهما السلام عن الله تعالى فيلقيه اليه على اختصاصه
به من غير ان يرى ذلك سواه من الناس والصبر تجرع مرارة الامتناع من المشتهى الى الوقت الذي ينبغي فيه تعاطيه ويعين
عليه غلبة العلم بعاقبته وكثرة الفكر في الخير الذي ينال به واعتياد الصبر في خصلة يسهل الصبر في خصلة اخرى لان الخير
يدعوا الى الخير فيتمكن الانسان في خصلة يصير له ملكة تدعوه الى ما شاكلها وقد ختم سبحانه السورة بما ابتداها
به من امر الكتاب والاشارة الى الارشاد لما ينفع من ثمرة انزاله وهو العمل بما دل عليه او اشار اليه الى ان يتجلى الحكيم الذي
انزله للحكم في الدنيا او في الآخرة بما لا مرد له مما برزت به مواعيده الصادقة في كلماته التامة وهذا بعينه هو اول التي بعدها
فكان ختم هذه السورة وسطا بين اولها واول التي تليها ففيه رد المقطع على المطلع ومنبع لما استتبع والله الموفق

سورة هود عليه السلام مائة وعشرون آية مكية

مقصودها وصف الكتاب بالاحكام والتفصيل في حالتي البشارة والنذارة المقتضي ذلك للمنزل سبحانه وضع كل شيء
في اتم محاله وانفاذه مهما اريد الموجب للقدرة على كل شيء وانسب ما فيها لهذا المقصد ما ذكر في سياق قصة هود عليه
السلام من احكام البشارة والنذارة بالعاجل والآجل والتصريح بالجزم بالمعاجلة بالمنابذة الناظر الى اعظم مداراة السورة
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك والعناية بكل دابة والقدرة على كل شيء من البعث وغيره المقتضي للعلم بكل معلوم اللازم منه
التفرد بالملك وسياتي في الاحقاف وجه اختصاص كل منهما باسمها بسم الله الذي له تمام العلم وكمال الحكمة وجميع القدرة
الرحمن لجميع خلقه بعموم البشارة والنذارة الرحيم لاهل ولايته بالحفظ في سلوك سبيله الر لما ختمت السورة التي قبلها
كما ترى بالحث على اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الصبر المؤدية الى مفاوز الخير اعتمادا على
المتصف بالجلال والكبرياء والكمال ابتدئت هذه بوصفه بما يرغب فيه فقال بعد الاشارة الى اعادة القرع بالتحدي على ما
سلف في البقرة كتاب اي عظيم جامع لكل خير ثم وصفه بقوله احكمت بناه للمفعول بيانا لان احكامه امر قد فرغ منه
على ايسر وجه عنده سبحانه آياته اي اتقنت اتقانا لا نقض معه فلا ينقضها الذي انزلها بنسخها كلها بكتاب آخر ولا
غيره ولا يستطيع غيره نقض شيء منها ولا الطعن في شيء من بلاغتها او فصاحتها لشيء يقبل والمراد بمحكمات في آل عمران
عدم التشابه ولما كان للتفصيل رتبة هي في غاية العظمة اتى باداة التراخي فقال ثم اي وبعد هذه الرتبة
العالية التي لم يشاركه في مجموعها كتاب جعلت له رتبة اعلى منها جدا بحيث لم يشاركه في شيء منها كتاب وذلك انه
فصلت اي جعلت لها مع كونها مفصلة الى حلال وحرام وقصص وامثال فواصل ونهايات تكون بها مفارقة
لما بعدها وما قبلها تفهم منها علوم جمة ومعارف مهمة واشارات الى احوال عالية وموارد عذبة صافية ومقامات
من كل علة شافية كما تفصل القلائد بالفرائد وهذا التفصيل لم يشاركه في شيء منه شيء من الكتب السالفة بل هي مدمجة
ادماجا لا فواصل لها كما يعرف ذلك من طالعها ويكفي في معرفة ذلك ما سقته منها في تضاعيف هذا الكتاب وما
انسب ختام هذه الآية للاحكام والتفصيل بقوله من لدن اي نزلت آياته محكمة مفصلة حال كونها مبتداة من حضرة

هي اعزب الحضرات الكاينة من آله حكيم خبير منتهية اليك وانت اعلى الناس في كل وصف فلذلك لا يلحق احكامها ولا تفصيلها ن
ارسلناك به قايلا ان لا تعبدوا اي بوجه من الوجوه الا الله اي الاله الاعظم ولما كان هذا معظم ما ارسل به صلى الله عليه وسلم
ومداره استانف الاخبار بانه ارسله سبحانه موكدا لاجل انكارهم فقال انني ولما كان ارساله صلى الله عليه وسلم لاجل رحمة العالمين قدم
ضميرهم فقال لكم منه اي خاصة ثم اجمل القران كله في وصفيه صلى الله عليه وسلم بقوله مقدما ما هو انسب لختام التي قبلها بالصبر
نذير وبشير كامل في كل من الوصفين غاية الكمال وهذا التقدير يرشد اليه قوله تعالى اول التي قبلها اكان للناس عجبا ان اوحينا
الى رجل منهم ان انذر الناس الاية مع ايضاحه لما عطف عليه قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ان عطفناه عليه واظهاره
لفايدة عطفه كما سياتي ان شا الله تعالى ويرجح ان لا ناهية جازمة لتعبدوا عطف ان استغفروا عليه فقد ظهر من تلويح هذا ان
وتصريحه وتصريح ما في بقية السورة ان مقصودها وصف الكتاب بالاحكام والتفصيل بما يعجز الخلق لانه من عند من هو شامل
العلم كامل القدرة فهو بالغ الحكمة يعيد الخلق للجزاء كما بداهم للعمل فوجب افراده بالعبادة وان يمتثل جميع امره ولا يترك شي منه رجا
اقبال احد ولا خوف ادباره ولا يخشى غيره ولا يركن الى سواه على ذلك مضى جميع النبيين ودرج ساير المرسلين صلى الله وسلم عليهم
اجمعين ولما تقدم انه نذير وبشير اتبع ذلك بما يشمل الامرين بقوله عطفا على ان لا تعبدوا مشيرا الى انه لا يقدر احد ان يقدر
الله حق قدره وان استغفروا ربكم اي اطلبوا مع الاخلاص في العبادة ان يغفر لكم المحسن اليكم ما فرطتم فيه واشار باداة التراخي
الى علو رتبة التوبة وان لا سبيل الى طلب الغفران الا بها فقال ثم توبوا اليه اي ارجعوا بالظاهر والباطن رجوعا لا رجعة
فيه وان كان المراد بها الدوام فجليل رتبته غير خفي يمتعكم اي يمد في تلذيذكم بالعيش مدا من منع النهار ارتفع والضحى بلغ غايته
وامتعه الله بكذا ابقاه وانشاه الى ان يبلغ شبابه ولما كان التمتيع وهو المتاع المبالغ فيه حتى لا يكون فيه كدر لا يكون الا في
الجنة حذف المصدر ووضع مكانه اسم المصدر فقال متاعا ووصفه بقوله حسنا ليدل على انه انهى ما يليق بهذه الدار ولقد
كان ما اوتيه الصحابة رضي الله عنهم في زمن عمر رضي الله عنه من الظفر بالاعداء وسعة الدنيا ورغد العيش كذلك الى اي ممتدا
الى اجل مسمى اي في علمه اما بالموت لكل واحد او بانقضاء ما ضربه من الاجل للنعمة التي اشار اليها ويؤت كل ذي فضل اي عمل
فاضل فضله اي جزاء ما قصد بعمله على وجه التفضل منه سبحانه فانه لا يجب لاحد عليه شي وهو مع ذلك على حسب التفضيل
الحسنة بعشر امثالها قال ابن مسعود رضي الله عنه هلك من غلبت احاده عشراته ولما انقضى التبشير بهم وما به اتبعه
التحذير مخوفا منه لطفا بالعباد واستعطافا لهم فقال وان تولوا اي تكلفوا انفسكم ضد ما طبعها الله عليه من سلامة
الفطرة في سهولة الانقياد من الاعراض ولو باد في درجاته بما اشار اليه حذف التاء فاني اخاف عليكم اي والعاقل من ابعد
عن المخاوف عذاب يوم كبير اي لكبر ما فيه من العذاب ممن قدر على اثابتكم وخص اسم الرب تذكيرا بما له من النعم في الايجاد
والانشاء والتربية وعلى وفي التعبير عن العمل بالفضل اشارة الى انه لم يقع التكليف الا بما في الوسع مع انه من معالي الاخلاق
لان الفضل في الاصل لما فضل عن الانسان وتعانيه من كريم الشمايل وما كان كذلك فهو في الذروة من الاحكام لانه منع الفعل
من الفساد والحكيم من الحكمة وهي العمل بما يجمع عليه مما يمنع الفعل من الفساد والنقص وبها يميز الحسن من القبيح والفاسد من
الصحيح وقد اشارت الاية الى ان الاستغفار والتوبة سبب السعة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وان الاعراض سبب الضيق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب ن
يصيبه وفي ذكر الفضل اشارة الى ثواب الاخرة فالتوبة سبب طيب العيش في الدنيا والاخرة وقال الامام ابو جعفر
ابن الزبير ولما كانت سورة يونس عليه السلام قد تضمنت من اي التنبيه والتحريك للنظر ومن العظات والتخويف والتهديد
والترهيب والترغيب وتقريع المشركين والجاحدين والقطع بهم والاعلام بالجريان على حكم السوابق ووجوب التفويض والتسليم
ما لم تشتمل على مثله سورة لتكرر هذه الاغراض فيها وسبب تكرر ذلك فيها والله اعلم انها اعقبت بها السبع الطوال وقد مر التنبيه
على ان سورة الانعام بها وقع استيفاء بيان حال المتنكبين عن الصراط المستقيم على اختلاف احوالهم ثم استوفت سورة الانعام
ما وقعت الاحالة عليه من احوال الامم السالفة كما تقدم وبسطت ما اجمل من امرهم ثم اتبع ذلك بخطاب المستجيبين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وحذروا وانذروا وكشف عن حال من تلبس بهم من عدوهم من المنافقين وتم المقصود من هذا في سورة
الاعراف وبراءة ثم عاد الخطاب الى طريقة الدعاء الى الله والتحذير من عذابه بعد بسط ما تقدم فكان مظنة لتاكيد التخويف
والترهيب لاتيان ذلك بعد بسط حال وايضاح ادلة فلهذا كانت سورة يونس عليه السلام مضمنة من هذا ما لم يضمن غيرها
الا ترى افتتاحها بقوله ان ربكم الله الايات ومناسبة هذا الافتتاح دعاء الخلق الى الله في سورة البقرة بقوله تعالى
يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم قد نبهوا هناك فقال تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله ثم تاكدت المواعظ والزواجر
والاشارات الى احوال المكذبين والمعاندين فمن التنبيه ان ربكم الله هو الذي جعل الشمس ان في اختلاف الليل والنهار قل هل
من شركايكم من يبدا الخلق ثم يعيده قل هل من شركايكم من يهدي الى الحق قل انظروا ما في السموات والارض الى غير هذا وعلى
هذا السنن تكررت العظات والاغراض المشار اليها في هذه السورة الى قوله تعالى يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم
فحصل من سورة الاعراف والانفال وبراءة ويونس تفصيل ما كان اجمل فيما تقدمها كما حصل مما تقدم تفصيل احوال السالكين
والمتنكبين فلما تقرر هذا كله اتبع المجموع بقوله كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وتامل مناسبة الاتيان
بهذين الاسمين الكريمين وهما الحكيم الخبير ثم تامل تلاوم صدر السورة بقوله يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم وقد كان تقدم

لعله الاعراف

لعله الانفال

قوله تعالى لقد جاءتكم موعظة من ربكم فاتبع قوله قد جاءكم الحق من ربكم بقوله في صدر سورة هود كتاب احكمت اياته ثم فصلت فكانه في معرض بيان الحق والموعظة واذا كانت محكمة منفصلة فحق لها ان تكون شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين وحق توبيخهم في قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه والعجب في عمههم مع احكامه وتفصيله ولكن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يومنون وتامل قوله سبحانه آخر هذه السورة وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك وجاءك في هذا الحق وموعظة وذكرى للمومنين فكل الكتاب حق وموعظة وذكرى وانما الاشارة والله اعلم بما اراد الى ما تقرر الايماء اليه من كمال بيان الصراط المستقيم وملتزمات متبعيه اخذا وتركا وذكر احوال المتنكبين على شتى طرقهم واختلاف اهوائهم وغاياتهم وشرهم ابليس فانه متبعهم والقائل بجميعهم في اخبار الله تعالى ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وقد بسط من امره وقصته في البقرة والاعراف ما يسر على المومنين الحذر منه وعرفهم به وذكر اليهود والنصارى والمشركون والصابيون والمنافقون وغيرهم وفصل مرتكب كل فريق منهم كما استوعب ذكر اهل الصراط المستقيم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وفصل من احوالهم ابتداء وانتهاء والتزاما وتركا ما اوضح طريقهم وعين حزبهم وفريقهم اولئك الذين هدى الله وذكر احوال الامم مع انبيائهم واخذ كل من الامم بذنبه منفصلا وذكر ابتداء الخلق في قصة آدم عليه السلام وحال الملئكة في التسليم والاذعان وذكر فريقا الجن من مومن وكافر وامر الاخرة وانتهاء حال الخلائق واستقرارهم الاخروي وتكرر دعاء الخلق الى الله تعالى لطفا فيه ورحمة واعلام الخلق بما هو عليه سبحانه وما يجب له من الصفات العلى والاسماء الحسنى ونبه العباد على الاعتبار وعلموا طرق الاستدلال ورغبوا ورقبوا وبشروا وانذروا وامروا ان يفتقروا الى مخلوقاته بجملتها اليه سبحانه كما هو المنفرد بخلقهم الى ما تحلل ذلك مما يعجز الخلائق عن حصره والاحاطة به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فلما تقدم هذا كله في السبع الطوال وما تلاها اعقب ذلك بقوله كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ثم اتبع هذا الايماء الى فصول ثلاثة عليها مدار اي الكتب وهي فصل الالهية وفصل الرسالة وفصل التكاليف اما الاول فاشار اليه قوله ان لا تعبدوا الا الله واما فصل الرسالة فاشار اليه قوله سبحانه اني لكم منه نذير وبشير واما فصل التكاليف فاشار اليه قوله سبحانه وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وهذه الفصول الثلثة هي التي تدور عليها آي القرآن وعليها مدار السورة الكريمة فلما حصل استيفاء ذلك كله فيما تقدم ولم يبق وجه شبهة للمعاند ولا تعلق للجاحد واتضح الحق وبان قال سبحانه وتعالى وجاء في هذه الحق اشارة الى كمال المقصود وبيان المطلوب واستيفاء التعريف بوضوح الطريق وقد وضح من هذا تلاؤم هذه السورة الكريمة لما تقدمها وما يتبعها هذا والله اعلم

قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وقوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا فقد وضح طريقك وفاز بالفلاح حزبك وفريقك ولا تركنوا الى الذين ظلموا فقد عرفتم سبيلهم ومصيرهم فقد بان طريق الحق وكيف تنكب من حرم سلوكه من الخلق ونظير قوله سبحانه وجاء في هذه الحق عقب ما ذكر سبحانه لمن الملك اليوم وقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله فتامل ذلك والله المستعان انتهى ولما خوفا المنذرون اليوم الكبير كانوا كانهم قالوا ما هذا اليوم فكان الجواب يوم يرجعون اليه ولما كانوا ربما جعلوا الرجوع على مجرد الموت والصيرورة ترابا نبههم على انه بغير المضي الذي يتوهمونه بل بمعنى اعادتهم كما كانوا فقال الى الله اي الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما وحده مرجعكم اي رجوعكم ووقته ومكانه لاجل الحساب لا الى التراب ولا غيره وهو بكل شي عليم ومنه مبداوكم لاخذ الزاد للمعاد وجعل فاصله الاية حكما على المراد فقال وهو اي وحده على كل شي اي ممكن قدير اي بالغ القدرة لانهم يقرون بقدرته على اشياء هي اعظم من الاعادة فهو قادر على الاعادة كما قدر على البداءة فالاية من الاحتباك ذكر المرجع اولا دليلا على المبداء ثانيا وتمام القدرة ثانيا دليلا على تمام العلم اولا لانها متلازمان ولما تقدم من التخويف والاطماع ما هو مظنة لاقبالهم ورجوعهم على التولي بخصوصه فكان موضع ان يقال هل اقبلوا فقيل لا قال مبينا ان التولي باطنا كالتولي ظاهرا الا ان الباطن هو العمدة موكدا لانه امر لا يكاد يصدق والتاكيد اقعد في تبكيتهم الا انهم اي الكفار المعاندين يثنون صدورهم اي يطوونها ويحرفون عن الحق على غل من غير اقبال لان من اقبل على الشي اقبل عليه بصدره ليستخفوا منه اي يريدوا ان يوجدوا الاخفاء سرهم على غاية ما يكون من امره فان كان مرادهم بالثني الاستتار من الله تعالى فالامر في عوده الضمير اليه سبحانه واضح وان كان من النبي صلى الله عليه وسلم فلانه استخفا ممن ارسله ثم اعلم ان ذلك غير نافع عنهم لانه يعلم سرهم وعلنهم في اخفى احوالهم عندهم وهو حين يستغشون ثيابهم اي يوجدون تغشيا نفسها اي تغطيتها لرؤسهم للاستخفا كراهية لسماع كلام الله واخبار رسوله صلى الله عليه وسلم يعلم ما يسرون اي يوقعون اسراره في اي وقت كان ومن اي نوع كان من غير تلبث لتدبر او تامل ولما لم يكن بين علم السر والعلن ملازمة لاختصاص العلن بخفا يكون لعنبة او اختلاط باصوات ولغط او اختلاف لغة ونحو ذلك قال تقريرا وما يعلنون اي يوقعون اعلانه لا تفاوت في علمه بين اسراره واعلانه فلا وجه لاستخفائهم نفاقا فان سوق نفاقهم غير نافق عنده سبحانه ثم علله بما هو اعم من ذلك كله مع شموله للنوعين فقال انه عليم اي بالغ العلم جدا بذات الصدور اي بضمائر قلوبهم التي في دواخل صدورهم التي يثنونها من قبل ان يقع لهم من اضمارها بل من قبل ان يخلقهم واصل الثني العطف ومنه الاثنان لعطف احدهما على الاخر والثنا لعطف المناقب في المدح ولهذا قال العبد في الفاتحة الرحمن الرحيم تعبد الحمد قال الله اثنى علي عبدي كما في

يعني عقب ما ذكر من هذه السورة والتي وصل فيها الامر بالتوبة بوجه بين بان تعالى فيه حقيقتها بان تعالى في جوابه لمن الملك اليوم والتفصيل الى الحد من الملك اليوم حقيقتا بان تعالى عقبه يوم لا تملك نفس الخ وان كان ما يوم الدين جوابا بان تعالى فيه ان ذلك كان ما يوم الدين جوابا بان تعالى فيه ان ذلك كان

حديث قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين والاستثناء لعطف الثاني على الاول بالاستخراج منه والاستخفاء طلب
خفاء الشيء ثم اتبع ذلك بما يدل على شمول العلم والقدرة معا فقال وما واغرق في العموم بقوله من دابة ودل على ان الانتفاع
بالاموال مخصوص باهل العالم السفلي بقوله في الارض اي صغرت او كبرت الا على الله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة وحث على
هذه رزقها اي قوتها وما تنتفع وتعيش به بمقتضى ما اوجبه على نفسه تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه لان الانفصال
على كل نفس بما لا تعيش الا به ولا يلابسها الا هو مدة حياتها ادق مما مضى في العلم مع تضمنه لتمام القدرة والآية مع ذلك ناظرة الى
ترغيب اية وان استغفروا ربكم فالمراد اخلصوا العبادة له ولا تغتروا عن عبادته للاستغناء بالرزق فانه ضمنه لكم وهو عالم
بكل نفس فلا تخشوا من انه ينسى احدا وقال في الارض ليعم ما يمشي على وجهها وما في اطباقها من الديدان ونحوها مما لا يعلمه الا هو ولقد
شاهدت داخل حصاة من شاطئ بحر قبرس شديدة الصلابة كانها العقيق الابيض دودة عندها ما تاكل واخبرني الفاضل
عز الدين محمد بن احمد التكروري الكتبي انه شاهد غير مرة في داخل حجارة تقطع من جبل مصر الدود وعنده ما ياكل من الحشيش
الاخضر وما يشرب من الماء ونبه بقوله ويعلم مستقرها اي مكانها الذي تستقر فيه ومستودعها اي موضعها الذي تودع
فيه قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضه او بعده من قبر او فلاة او غير ذلك على ما يحيط به علمه من تفاصيل السكنات
والحركات ما كان منها وما يكون من كل ذلك مما تحير الفكر ويدهش الالباب ثم جعل فاصلة الآية ما هو في غاية العظمة عند الخلق
وهو كل اي من ذلك في كتاب مبين فانه ليس كل ما يعلمه العبد يقدر على كتابته ولا كل ما يكتبه يكون مبينا حيث انه كلما اراد
الكشف منه وجد ما يريده واذا وجده كان مفهما له والدابة الحي الذي من شانه الدبيب والمستقر الموضع الذي يقر فيه الشيء
وهو قرار ومكانه الذي يأوي اليه والمستودع المعنى المجعول في قرار كالولد الذي يكون في البطن والنطفة التي في الظهر
وقد جعل سبحانه في كتابه ما ذكر حكما منها ما للملائكة فيه من العبرة عند المقابلة بما يكون من الامور المكتوبة قبل وجودها
ولما كان خلق ما منه الرزق اعظم من خلق الرزق وتوريطه في شمول العلم والقدرة مما تلاه بقوله وهو اي وحده الذي
خلق اي اوجد وقدر السموات والارض لم يشركه في ذلك احد كما انتم به معترفون في ستة ايام ولما كان خلق العرش اعظم من ذلك
كله فان جميع السموات والارض بالنسبة اليه كحلقة ملقاة في فلاة واعظم من ذلك ان يكون محمولا على الماء الذي لا يمكن حمله
في العادة الا في وعاء وضابط محكم تلاه بقوله وكان اي قبل خلقه لذلك عرشه مستعليا على الماء ولا يلزم من ذلك الملاصقة
كما ان السماء على الارض من غير ملاصقة وقد علم من هذا السياق انه كان قبل الارض فثبت انه وما تحته محمولان بمحض القدرة
من غير سبب آخر قريب او بعيد فثبت بذلك ان قدرته في درجات من العظمة لا تتناهى وهذا زيادة تفصيل لما ذكر في سورة
يونس عليه السلام من امر العرش لان هذه سورة التفصيل ونبه بقوله تعالى معللا خلق ليبلوكم اي انه خلق ذلك كله لكم سكنا
كاملا مهده وسقفه ورزقه من اكله وشربه وكل ما تحتاجون فيه وما يصلحكم وما يفسدكم ومكنكم من جميع ذلك والحكمة في خلق
ذلك على هذا الوجه انه يعاملكم معاملة المختبر ودل على شدة الاهتمام بذلك بسوقه مساق الاستفهام في قوله ايكم اي ايها العباد
احسن عملا على انه فعل هذه الافعال العالية لاجل هذه الامور التي هم لها مستهينون ولها مستهزئون وعلق فعل البلوى
عن جملة الاستفهام لما فيه من معنى العلم لانه طريق اليه روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى عز وجل انفق انفق عليك وقال يد الله ملاى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال
ارايتم ما انفق منذ خلق السماء والارض فانه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي الآية
حث على محاسن الاعمال والترقي دائما في مراتب الكمال من العلم الذي هو عمل القلب والعمل الظاهر الذي هو وظيفة الاركان ولما
ثبت ببدء الخلق الذي هم به معترفون القدرة على اعادته وثبت بالابتلاء انه لا تتم الحكمة في خلق المكلفين الا باعادتهم ليجازي
كلا من المحسن والمسيء بما فعل وانهم ما خلقوا الا لذلك عجب من انكارهم له واكده لذلك فقال ولئن قلت اي لهؤلاء الذين ما
خلقت هذا الخلق العظيم الا لابتلائهم انكم مبعوثون اي موجود بعثكم ثابت قطعا لا بد منه ولما كان زمن البعث بعض الزمن
قال من بعد الموت الذي هو غاية الابتداء ليقولن اكده دلالة على العلم بالعواقب علما من اعلام النبوة الذين كفروا ان اي ما
هذا اي القول بالبعث الا سحر مبين اي شيء مثل السحر تخييل باطل لا حقيقة له او خداع لعرفنا الناشئ عن الانهماك في الذات
والدخول في طاعة الامر ولما كان ما تقدم عنهم من الافعال ومضى من الاقوال مظنة لمعاجلتهم بالاخذ وكان الواقع انه تعالى
يعاملهم بالامهال فضلا منه وكرما حكى مقالتهم في مقابلة رحمته لهم فقال ولئن اخرنا اي بما لنا من العظمة التي لا يفوتها
شيء عنهم اي الكفار العذاب اي المتوعد به الى امة اي مدة من الزمان ليس فيها كدر معدودة اي محصورة الايام اي
قصيرة معلومة عندنا حتى بعد الانفاس ليقولن على سبيل التكرار ما يحبسه اي العذاب عن الوقوع استجهالا له تكذيبا
واستهزاء وهو تهديد لهم بانه اتيهم عن قريب فليعتدوا لذلك ولما كان العاقل لا ينبغي ان يسئل عن مثل ذلك الا بعد
قدرته على الدفع اعرض عن جوابهم وذكر لهم انهم عاجزون عن دفاعه عند ايقاعه اعلاما بانهم عكسوا في السؤال وتحققا
لان ما استهزاوا به لاحق بهم لا محالة فقال موكدا لشديد انكارهم الا يوم وهو منصوب بخبر ليس المقدم على جواز تقدم
الخبر بانهم ليس العذاب مصروفا عنهم اي بوجه من الوجوه ووضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد
فقال وحاق بهم اي ادركهم اذ ذاك على سبيل الاحاطة ما كانوا اي جبلا تهم وسجاياهم وطباعهم وقدم الظرف اشارة الى
شدة ابائهم على الهزء به حتى كانهم لا يهزاون بغيره فقال به ولما كان استعجالهم استهزاء وضع موضع يستعجلون قوله

يستهزئون اي يوجدون الهزء به ايجادا عظيما حتى كانهم يطلبون ذلك ولما كان قولهم ذلك ناشئا عن طبع الانسان
على الوقوف مع الحالة الراهنة والعمى عن الاستضاءة بنور العقل فيما يزيلها في العاقبة بين ذلك ليعلم ان طبعه مناف لما تضمنه
مقصود السورة من الاحكام الذي هو ثمرة العلم وبعلم ذلك يعلم مقدار نعمته على من حفظه على ما فطره عليه من احسن تقويم
بقوله موكدا لان كل احد ينكر ان يكون طبعه كذلك ولئن اذقنا اي بما لنا من العظمة الانسان اي هذا النوع المستانس
بنفسه ولما كان من اقبح الخلال استملاك المستعار وكانت النعم عواري من الله يمنحها من شاء من عباده قدم الصلة دليلا على
العارية فقال منا رحمة اي نعمة عظيمة فضلا منا عليه لا بحوله ولا بقوته من جهة لا يرجوها بما دلت عليه اداة الشك وسكناه
من التلذذ بها تمكين الذائق من المذوق ثم نزعناها اي بما لنا من العظمة وان كره ذلك منه اخذا لحقنا انه ليؤوس اي شديد
الياس من ان يعود له مثلها كفور اي عظيم الستر لما سلف له من الاكرام لان شانه ذلك وخلقه الا من رحم ربك ولئن اذقناه نعماء
من فضلنا ولما كان استملاكه العارية طبعا له لا ينفك عنه الا بمعونة شديدة من الله دل عليه بما افهم انه لو كان طول عمره
في الضر ثم نال حالة يرضاها عقب زمن الضر سوا بادر الى اعتقاد انها هي الحالة الاصلية له وانه لا تفارقه اصلا ولا يشوبها
نوع ضرر ولا يخالط صفوها شي من كدر فقال دالا على اتصال زمن الضر بالقول منزع الخافض من الظرف بعد ضراء اي
فقر شديد مضر ببدنه ولم يسند المس اليه سبحانه كما فعل في النعماء تعليما للادب فقال مسته اي بما كسبت يداه ليقولن
مع قرب عهده بالضراء خفة وطيشا ذهب السيئات اي كل ما يسوءني عني وقوله انه الضمير فيه للانسان فالمعنى ان الانسان
فهي كلمة مسورة بمستغرق اي ان كل انسان لفرح فخور اي خارج عن الحد في فرحه شديد الافراط في فخره على غيره بكل نعمة
تفضل الله عليه بها لا يملك ضبط نفسه ومنعها من ذلك فلذا اتصل بها قوله مستثنا من الانسان المراد به اسم الجنس الا الذين
صبروا في وقت الشدايد وزوال النعم رجاء لمولاهم وحسن ظن به بسبب ايمانهم الموجب لتقيدهم بالشرع وعملوا الصالحات
من اقوال الشكر وافعاله عند حلول النعم فهم دايما مشغولون بمولاهم شكرا وصبرا وهم الذين اتم عليهم سبحانه نعمة خلقهم في
احسن تقويم وهو اقل من القليل لعظيم جهادهم لنفوسهم فيما جبلت عليه من الحظوظ والشهوات وغيرها وشياطينهم ولما كان
كانه قيل فانهم لم يكونوا كذلك انتج السياق مدحهم فقال اولئك اي العالوا المراتب لهم مغفرة اذا وقعت منهم هفوة واجر
كبير على صبرهم وشكرهم والذوق تناول الشي بالفم لادراك الطعم كما ان الشم ملابسة الشي بالانف لادراك الرايحة والنزع
رفع الشي عن غيره مما كان مشابكا له كالقلع والقشط والياس القطع بان الشي لا يكون وهو ضد الرجاء وبوس كثير الباس
وهو ذم لانه للجهل بسعة الرحمة الموجبة لقوة الامل في كل ما يجوز في الحكمة فعله والنعما انعام يظهر اثره على صاحبه كما ان
الضرا مضرة يظهر الحال بها لانها اخرجت مخرج الاحوال الظاهرة من حمراء وعوراء مع ما في مفهومها من المبالغة والسيئة
ما يسوء من جهة نفور طبع او عقل وهي هنا المرض والفقر ونحوه والفرح انفتاح القلب بما يلتذ به وعبارة البغوي هو
لذة في القلب بنيل المشتهى وهو اعظم من ملاذ الحواس والفخر التطاول بتعديد المناقب والصبر حبس النفس عن المشتهى من
المحارم ونحوها والصبر على مر الحق يودي الى الفوز في الاخرة مع ما فيه من الجمال في الدنيا والكبير واحد يقصر مقدار غيره
عنه والكثير جمع يزيد على عدد غيره ولما استثنى سبحانه من الجارين مع الطبع الطايشين بالهوى من تحلى برزانة الصبر
الناشي عن وقار العلم المثمر لصالح العمل وكان صلى الله عليه وسلم راس الصابرين وكان ما مضى من اقوالهم وافعالهم مثل قولهم
ما يحبسه وثنيهم صدورهم اسبابا لضيق صدره صلى الله عليه وسلم فربما كانت مظنة لرجائهم تركه صلى الله عليه وسلم بعض
ما يوحى اليه من عيب الهتهم وتضليل ابائهم وتسفيه احلامهم وغير ذلك مما يشق عليهم طمعا في اقبالهم او خوفا من ادبارهم
فانهم كانوا يقولون ما نراه يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكرنا به من الشر قال تعالى مسببا عن
ذلك ناهيا في صيغة الخبر فلعلك تارك اي اشفاقا او طمعا بعض ما ولما كان الموحى قد صار معلوما لهم وان نازعوا فيه
بني للمفعول قوله يوحى اليك كالانذار وتسفيه احلام ابائهم وضائق به اي بذلك البعض صدرك مخافة ردهم له اذا
ابلغته لهم ثم علل بقوله ان اي مخافة او لاجل ان يقولوا تعنتا ومغالبة اذ لو كانوا مسترشدين لكفتهم اية واحدة لولا
اي هلا ولم لا انزل عليه كنز ليستغني به ويتفرغ لما يريد وبنوه للمفعول لان المقصود مطلق حصوله وكانوا يتهاونون
بالقرآن لعلمهم انه الاية العظمى فكانوا لا يعدونه اية عنادا منهم ومكابرة او جاء معه ملك اي ليؤيد كلامه ويشهد له فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لمثل اقوالهم هذه ويثقل عليه ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه
الله بهذا لاداء الرسالة كائنا فيها ما كان فكان المعنى فاذا تقرر ان الانسان مطبوع على نحو هذا من التقلبات فلا تكن موضع
رجائهم في ان تكون تاركا ما يغيظهم مما نامرك به بل كن من الصابرين قال اهل السير فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قومه بالاسلام وصدع به كما امره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر الهتهم وعابها فلما فعل ذلك اعظموه وناكروه
واجمعوا خلافه الا من عصم الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ايتنا بكتاب ليس فيه
سب الهتنا ولما افهم السياق الانكار لما يفتر عن الانذار كان كانه قيل هذا الرجاء والمرجو منكر والمقصود الاعظم من
الرسالة النذارة لانها هي الشاقة على النفوس واما البشارة فكل من قام يقدر على ابلاغها فلذا قال انما انت نذير فبلغهم
ما ارسلت به فيقولون لك ما يقدره الله لهم فلا يهمنك فليس عليك الا البلاغ وما انت عليهم بوكيل تتوصل الى ردهم الى الطاعة
بالقهر والغلبة بل الوكيل الله الفاعل لما يشاء والله اي الذي له الاحاطة الكاملة ولما كان السياق لاحاطته سبحانه قدم قوله

على كل شيء منهم ومن غيرهم ومن قبولهم وردهم ومن حفظك منهم ومن غيره وكيل فهو يدبر الامور على ما يعلمه من الحكم فان شاء جاء بما سألوا
وان لم يشأ لم يأت به ولا اعتراض عليه فتوكل عليه في كل امر وان صعب ولعله اقتصر على النذارة لان المقام يقتضيها من اجل انهم اهل
كتاب وانها هي التي يطمعون في تركها باطماعهم في الموالفة بالاعراض عما يوجب المخالفة والصدر مسكن القلب يشبه به رئيس القوم
والعالي المجلس لشرف منزلته على غيره من الناس والكنز المدفون وقد صار في الدين صفة ذم لكل مال لم يخرج منه الواجب من الزكوة
وان لم يكن مدفونا والآية من الاحتباك نفي اولا قدرته صلى الله عليه وسلم على الاتيان بما سألوا ليدل على قدرة مرسله على ذلك وغيره
ثانيا واثبت الوكالة ثانيا ليدل على نفيها اولا ولما كان ذوو المهم العوالة لا يصوبون الى الكنوز والاموال وكان الملك انما
يراد لتطييب النفس بتثبيت الامر وكان فيما يشهد به اعجاز القرآن ببديع نظمه وباهر حكمه وحكمه وزاجر غرايبه ووافر
علمه ما يغني عن ذلك وكان في كل آية منه ما يبين للفهم سفساف قدحهم في الرسالة كان موضع الانكار له فكان كانه قيل اينقولون
ذلك تعنتا منهم واقتراحا واعراضا عن معجز القران فاعرض عنه فانه لا يعتبر في وجه الدليل ام يقولون اي بل يقولون افتراه فكان
ذلك موضع ان يقال نعم انهم ليقولون ذلك فيقعدون في الدليل فماذا يقال لهم فقيل قل اي لهم على سبيل التنزل فاتوا يا معاشر العرب
فانكم مثلي في العربية واللسان والمولد والمزلي وفيكم من يزيد علي بالكتابة والقرآءة ومخالطة العلماء والتعلم من الحكماء ونظم الشعر
واصطناع الخطب والنثر وتكلف الامثال وكل ما يكسب الشرف بعشر سور اي قطع كل قطعة منها تحيط بمعنى تام يستدل فيها
عليه مثله اي تكون العشر مثل جميع القرآن في طوله وفي مثل احتوايه على اساليب البلاغة وافانين العذوبة والمتانة والفخولة
والرشاقة حال كونها مفتريات اي انكم قد عجزتم عن الاتيان بسورة اي قطعة واحدة آية وآيات من مثله فيما هو عليه من البلاغة
والاخبار بالمغيبات والحكم والاحكام والوعد والوعيد والامثال وادعيتم مكابرة انه مفتري فارغ عن الحكم فاتوا بعشر مثله
في مجرد البلاغة غير ملزمين بحقايق المعاني وصحة المباني ذكره البيضاوي عن المبرد وقد مضى في البقرة عند فاتوا بسورة من
مثله عن الجاحظ وغيره ما يؤيده قال ابو حيان وشان من يريد تعجيز شخص ان يطالبه اولا بان يفعل امثالا مما يفعل هو ثم اذا
تبين عجزه قال افعل مثالا واحدا انتهى فكانهم تحدوا اولا بجميع القرآن في مثل قوله فليأتوا بحديث مثله اي في النظم والتطبيق
على الوقايع سورا واياتا بحدث ويتجدد شيا في اثر شيء ثم قطع بعد عجزهم بد ولم عجزهم في قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن الاية تبكيتا لهم واخزاء وبعثا على ذلك واغراء ثم تحدوا في سورة يونس عليه السلام بسورة واحدة مثل جميع القرآن غير
معتنين فيها بالتفصيل الى السور تخفيفا عليهم واستهانة بامرهم فلما عجزوا تحدوا بعشر مفتراة ولما خفف عنهم فيها التقيد بصدق
المعنى وحقية المباني لزمهم بما خففه عنهم في يونس من التفصيل ولم يخلهم من التخفيف اشارة الى هوان امرهم واحتقار شانهم
بان جعلها الى عشر فقط فلما عجزوا اعيد في المدينة الشريفة لاجل اهل الكتاب تحديهم بسورة اي قطعة واحدة مقرونا ذلك
بالاخبار بدوام عجزهم عن ذلك في قوله تعالى في البقرة فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاية فالمتحدى به في كل سورة غير المتحدى
به في الاخريين وقد حصي في يونس والبقرة وياتي في سبحان والطور ان شاء الله تعالى ما يتم به لهم هذا المقام والبلاغة ثلاث
طبقات فاعلاها معجز واوسطها وادناها ممكن والتحدي وقع بالعليا وليس هذا امرا بالافترا لانه تحد فهو للتعجيز وادعوا
من استطعتم اي طلبتم ان يطيعكم فتفعل ولما كانت الرتب كلها تحت رتبته تعالى والعرب مقرة بذلك قال من دون الله اي
الملك الاعلى واشارا الى عجزهم بقوله ان كنتم صادقين وفي ذلك زيادة بيان وتثبيت للدليل فان كل ظهير من سوايهم دونهم
في البلاغة فعجزهم عجز لغيرهم بطريق الاولى ولما كان ادنى درجات الافترا اتيان الانسان بكلام غيره من غير علمه وكان عجزهم
عن المعارضة دليلا قاطعا على انهم لم يصلوا الى شيء من كلامه تعالى بغير علمه ولا وجد وامكانيا له ياتيهم بمثله ثبت قطعا ان هذا
القرآن غير مفتري فقال تعالى مخاطبا للجمع مخالفا ما في القصص اشارة الى وضوح الامر لا سيما في القرآن عند كل احد وان
المشركين قد وصلوا من دل التبكيت بالتحدي مرة بعد مرة وروزهم لانفسهم في ذلك المضمار كرة في اثر كرة الى حد من العجز
لا يقدرون معه على النطق في ذلك ببنت شفه فان لم يستجيبوا لكم اي يطلبوا اجابتكم ويوجدوها فاعلموا ايها الناس كافة
انما انزل اي ما وقع انزال هذا القرآن الا ملتبسا بعلم الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما بمقتضى ان محمدا واحد منهم تمنع العادة
ان ينفرد دون جميع اهل الارض على ما ذر فيه ربه من كلامه فضلا عن ان يكون مخترعا له ويجوز ان يكون ضمير يستجيبوا
للمشركين وكم للمشركين وكذا في فاعلموا وانتم وان اي واعلموا ان لا اله الا هو فانه لو كان معه اله آخر لكافاه في الاتيان
بمثل كلامه وفيه تهديد واقناط من ان يجيبهم من باس الله الهتهم ولما كان هذا دليلا قطعيا على ثبوت القرآن سبب عنه
قوله مرغبا مرهبا فهل انتم ايها الناس كافة او القائلون اند افتراه مسلمون اي منقادون اتم انقياد ولما كان في هذا من
الحث على الثبات على الاسلام والدخول فيه والوعيد على التقاعس عنه حاث حق السامع له ان يبادر اليه وكان من حق المسلم
الاعراض عن الدنيا لسوء عاقبتها وكان اعظم الموانع للمشركين من التصديق استيلاء احوال الدنيا عليهم ولذلك تعنتوا
بالكنز اشار الى عواقب ذلك بقوله من كان يريد اي بقصده واعماله من الاحسان الى الناس وغيره الحيوة الدنيا اي
ورضي بها مع دناءتها من الآخرة على علوها وشرفها وزينتها فاخلد اليها لحصورها وفني ما يوجب الاعراض عنها من فنائها
وكدرها نوف موصلين اليهم اعمالهم اي جزآها فيها اي الدنيا بالجاه والمال ونحو ذلك وهم فيها اي في الاعمال او الدنيا
لا يبخسون اي لا ينتقص شيء من جزآيهم فيها واما ابدانهم وارواحهم واديانهم فكلها خسر في الدارين معا وفي الجملتين بيان
سبب حبس العذاب عنهم في مدة امهالهم مع سوء اعمالهم ولما بين حالهم في الدنيا بين حالهم في الاخرى مشيرا بادلة البعد

الى انهم اهل البعد واللعنة والطرد في قوله نتيجة لما قبله اولئك اي ابعدا البعضا الذين ليس لهم اي شيء من الاشياء
في الاخرة الا النار اي لسوء اعمالهم واستيفائهم جزاءها في الدنيا وحبط اي بطل وفسد ما صنعوا فيها اي مصنوعهم او صنعهم
تبنايه على غير اساس ولما كان تقييد الحبوط بالاخرة ربما اوهم انه شيء في نفسه قال وباطل اي ثابت البطلان في كل من
الدارين ما كانوا يعلمون اي معمولهم او علمهم وان دابوا فيه داب من هو مطبوع عليه لانه صورة لا معنى لها لبنايه على غير
اساس والدينة تجسيز للشيء بغيره من لبسه او حليه او هيئة والتوفية تادية الحق على تمام وحبوط العمل بطلانه من قولهم
حبط بطنه اذا فسد بالماكل الردي ولما اتضحت الدلايل فاعرضتهم موالي اللجج كان ذلك موضع الانكار على
من يسوي بين المهتدي والمعتدي فكيف من يفضل اما باعتبار النظر الى الرياسة الدنيوية غفلة عن حقايق الامور واعتادا
كمن قال من اليهود للمشركين انتم اهدى منهم فقال افمن كان على بينة اي برهان وحجة من ربه بما اتاه من نور البصيرة وصفاء العقل
فهو يريد الاخرة ويبني افعاله على اساس ثابت ويتلوه اي ويتبع هذه البينة شاهد هو القرآن منه اي من ربه تاييد ذلك
البرهان برسالة رسول عربي بكلام معجز وكان من قبله اي هذا الشاهد موليا له كتاب موسى اي شاهدا ايضا وهو التورية
حال كونه اماما يحق الاقتدا به ورحمة لكل من اتبعه ولما كان الجواب ظاهرا حذفه وتقديره والله اعلم كمن هو على الضلالة
فهو يريد الدنيا فهو يفعل من المكارم ما ليس مبنيا على اساس صحيح فيكون في دار البقاء والسعادة هباء منثورا ولما كان هذا
الذي على البينة عظيما ولم يكن يراد به واحدا بعينه استانف البيان لعلو مقامه باداة الجمع بشارة لهذا النبي الكريم بكثرة
امته فقال اولئك اي العالوا الرتبة بكونهم على هدى من ربهم وتاييده ايهم بشاهد من قبله وشاهد من بعده مصدق له
يومنون به اي بهذا القران الذي هو الشاهد ولا يكسبون الا بي به الى انه افتراه ومن يكفر به اي بهذا الشاهد من الاحزاب
من جميع الفرق واهل الملل سواء سوى بين الفريقين جهلا او عنادا فالنار موعده اي وعيده وموضع وعيده يصلى سعيرها
ويقاسي زمهريرها ولما عم بوعيد النار اشتد تشوف النفس لما سبب عنه فقرب ازالة ما حملت من ذلك باتم اعجاز فاقتضى
الامر حذف نون تكن فقيل فلا تك اي ايها المخاطب الاعظم في مرية اي شك وريب منه اي من القرآن ولا يضيق صدرك عن ابلاغة
او من الموعد الذي هو النار والخيبة وان انعما على المتوعد بذلك ونعماه في الدنيا ثم على النهى انه اي القرآن او الموعد الحق
اي الكامل وزاد في الترغيب فيه بقوله من ربك اي المحسن اليك بانزاله عليك ولما كان كونه حقا سببا يعلق الامل بايمان
كل من سمعه قال ولكن اكثر الناس اي الذين هم في حيز الاضطراب لا يومنون بانه حق لاكون الريب يتطرق اليه بل لما على قلوبهم
من الرين ويؤولون اليه من العذاب البدلهم ممن لا يبدل القول لديه ولا ينسب الظلم اليه والقصد بهذا الاستفهام الحث على
ما حث عليه الاستفهام في قوله فهل انتم مسلمون من الاقبال على الدين الحق على وجه مبين لسخافة عقول الممترين وركاكة ارائهم
ولما كان الكافرون قد كذبوا على الله بما احدثوه من الدين من غير دليل وما نسبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من الافتراء اتبع
ذلك سبحانه قوله ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن افترى اي تعمد ان اختلق متكبرا على الله اي الملك الاعظم كذبا الاية وموضع
ضمير لواتي به لقيل لا يومنون ظلما منهم ومن اظلم منهم اي هم اظلم الظالمين فاتى بهذا الظاهر بيانا لما كفروا به لانه اذا علق الحكم
بالوصف دل على انه علته ولما بين انهم اظلم الجمع جزاهم بقوله اسينا فاولئك اي المستحقوا البعد ولما كان نفس العرض
محقوقا بني للمجهول قوله يعرضون اي لذلك والدلالة على انهم على صفة الهوان وستسلمون لكل عارض فعرضهم في غاية السهولة
على ربهم اي الذي احسن اليهم فلم يشكروه العالم بالخفايا فيفتضحون بين يديه بما قابلوا به احسانه من اللوم ويقول على سبيل
التكرار الاشهاد وهم الذين امنوا بالكتب الشاهد بعضها ببعض المشار اليها بقوله ويتلوه شاهد منه والملئكة الذين شهدوا
اعمالهم واعضاؤهم حين يختم على افواههم هولاء اشارة باداة القرب الى تحقيرهم الذين كذبوا متكبرين على ربهم في ادعاء الشريك
والولد والتحليل والتحريم وغير ذلك بما غرهم من احسانه وطول حلمه وفي الاتيان بصفة الربوبية غاية التشنيع عليهم
فتكررت بهذا القول فضيحتهم عند جنسهم وبعدهم عن كل من سمع هذا الكلام لانه ابعد عن القلوب من الكاذب فكيف بالجري
بالكذب على الروساء فكيف على الملوك الذي ربايهم وكل من اهل الموقف مرتقب بره خايف من انتقامه فكانه قيل فما لهم بعد هذا
العذاب العظيم لهذه الفضيحة فقيل الا لعنة الله وهي طرد الملك الاعظم وابعاده وانظر الى تهويل الامر باسم الذات ما اشده
على الظالمين فكيف اظلم الظالمين ثم فصل ظلمهم بقوله الذين يصدون اي يعرضون في انفسهم وعينون غيرهم عن سبيل
اي دين الله اي الملك الذي له الكمال كله مع انه الولي الحميد ويبغونها اي يريدون لطريق الدين السهلة الواسعة
عوجا بالقاء الشبهات والطعن في الدلايل مع كونها في غاية الاستقامة ولما كانوا لنظر شديدا اي بيان كذبهم وتكذيبهم
بولغ في تاكيد قوله وهم اي بضمايرهم وظواهرهم ولما تكذيبهم بالاخرة شديدا قدم قوله بالاخرة واعاد الضمير تاكيدا
لتعيينهم واثبات غاية الفساد لبواطنهم واختصاصهم بمزيد الكفر فقال هم كافرون اي عريقون في هذا الوصف والعرض
اظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله والصد المنع بالاعراض الصارف عن الامر والبغية طلب امر من الامور وهي ارادة
وجدان المعنى بما يطمع فيه والعوج العدول عن طريق الصواب وهو في المعنى كالدين بالكسر وفي غيره كالعود بالفتح فرقا بين
ما يرى وما لا يرى جعلوا التهلل للسهل والصعب للصعب روى البخاري في التفسير عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال في النجوى يدني المومن من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا يقول اعرف
يقول رب اعرف مرتين ويقول ستر تها عليك في الدنيا واغفرها لك اليوم ثم يعطى صحيفة حسناته واما الاخرون او

الكفار فينادي على رؤوس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ولما هددهم بامور الآخرة اشار
الى بيان قدرته عليهم في الدارين بقوله اولئك اي البعداء عن حضرات الرحمة لم يكونوا اي بوجه من الوجوه معجزين واشار الى
عجزهم بانهم لا يقدرون على بلوغ العالم العلوي بقوله في الارض اي ما كان الاعجاز وهو الامتناع من مراد الله لهم ولا هو في
قدرتهم لان قدرته على جميع الممكنات على حد سوا ولما نفى التعزز بانفسهم نفاه من جهة غيرهم فقال وما كان لهم ولما كانت
الرتب التي دون عظمته سبحانه متكاثرة جدا بين انهم معزولون عن كل منها باثبات الجار فقال من دون الله اي الملك الاعظم
واغرق في النفي بقوله من اولياء اي يفعلون معهم ما يفعل القريب من تولي المصالح والحماية من المصايب ومن لم يقدر على الامتناع
وهو حي لم يمتنع بعد موته فكانه قيل ماذا يفعل بهم فقيل يضاعف اي يفعل فيه فعل من يناظر آخر في الزيادة وبناه للمفعول
لان الموجع وجود المضاعفة مطلقا لهم العذاب بما كانوا يضاعفون المعاصي ثم علل سبب المضاعفة بانه خلق لهم سمعا وبصرا
فضيعوهما بتصامهم عن الحق وتعاميهم عنه فكان لا فرق بينهم وبين فاقديهما فقال ما كانوا اي بما لهم من فساد الجبلات يستطيعون
السمع اي يقدرون لما غلب على فطرهم الاولى السليمة بانقيادهم للهوى من التخلق بنقايص الشهوات على ان توجد طاعته لهم
فما كانوا يسمعون وما كانوا يستطيعون الابصار فما كانوا يبصرون حتى يعرضوا عن الشهوات فتوجد استطاعتهم للسمع والابصار
وهو كناية عن عدم قبولهم للحق وان شدة اعراضهم عنه وصلت الى حد صارت فيه توصف بعدم الاستطاعة كما يقول الانسان
لما تشتد كراهته له هذا مما لا استطيع ان اسمعه وتكون المضاعفة بالكفر والصد ونفي الاستطاعة اعرق في العيب وادل على
النقص وانكا من نفي السمع لانهم قد يحملونه على الاجابة واما نفي البصر فغير منفك عن النقص سوا كان للعين او للقلب هذا ان لم تخرج
الآية على الاحتباك وان خرجت عليه استوى الامران وصار نفي الاستطاعة اولا دالا على نفيها ثانيا ونفي الابصار ثانيا يدل على
نفي السمع اولا ولما ثبت انهم لا سمع ولا بصر ثبت انهم لا شيء فقال اولئك اي البعداء البغضاء الذين خسروا انفسهم اي بتضييع
الفطرة الاولى التي هي سهولة الانقياد للخير وصعوبة الانقياد للشر ولما كان العاجز ربما نفعه من كان يخدمه فيكسبه قوة
بعد الضعف ونشاطا بعد العجز نفى ذلك بقوله على احسن وجه وضل عنهم ما كانوا اي كونا لجبلوا عليه فصاروا لا ينفكون عنه
يفترون اي يتعمدون كذبه فما ادعوا كونهم آلهة ولا شك ان من خسر نفسه ومن خسرها من اجله بادعاء انه شريك لخالقه
ونحو ذلك كان اخسر الناس فلذلك قال لا جرم اي لا شك انهم اي هؤلاء الذين بالغوا في انكار الآخرة في الآخرة ولما كان المقام
جديرا بالمبالغة في وصفهم بالخسارة اعاد الضمير فقال هم اي خاصة الاخسرون اي الاكثرون خسرانا من كل من يمكن وصفه بالخسران
والاعجاز الامتناع من المراد بما لا يمكن معه ايقاعه والمضاعفة الزيادة على المقدار بمثله او اكثر والاستطاعة قوة تنطاع بها
الجوارح للفعل واما لا جرم فقد اضطرب علماء العربية في تفسيرها قال الرضي في شرح الحاجبية والبرهان السفاقسي في اعرابه
ما حاصله والغالب بعد لا جرم الفتح اي في ان فلا اما رد للكلام السابق على ما هو مذهب الخليل او زايدة كما في لا اقسم لان في جرم
معنى القسم وهو فعل ماض عند سيبويه والخليل مركبة مع لا وجعلها سيبويه فعلا بمعنى حق فان فاعله وقيل جرم بمعنى حق
وهو اسم لا وانهم خبره وقال الكسائي معناها لا صد ولا منع وعن الزجاج انها غير مركبة ولا نفي لما قيل من ان لهم اصناما تنفعهم
وجرم فعل ماض بمعنى كسب وفاعله مضمر معبر به عن فعلهم وانهم مفعوله وقال الفراء هي كلمة كانت في الاصل بمعنى لا بد
ولا محالة لانه يروى عن العرب لا جرم يعني بضم ثم سكون والفعل يعني هكذا والفعل يعني محركا يشتركان في المصادر كالرشد
والرشد والبخل والبخل والجرم القطع اي لا قطع من هذا كما انه لا بد بمعنى لا قطع فكثرت وجرت على ذلك حتى صارت بمعنى القسم
فلذلك تجاب بما يجاب به القسم فيقال لا جرم لآتينك ولا جرم انك قايم فمن فتح فللنظر الى اصل لا جرم كما تقول لا بد ان تفعل كذا
وانك تفعل اي من ان ومن انك تفعل ومن كسر فلمعنى القسم العارض في لا جرم انتهى فتفسيره لها بالقطع نظر منه الى ان مادة جرم
بخصوصها دايرة على القطع والاصنع تفسيرها بالظن نظرا الى ما تدور عليه المادة من حيث هي باي ترتيب كان من جرم وجمر
ورجم ورمج ومجر ومرج وانما جعلتها كذلك لانهم قالوا جرم النخل خرصها واجمر النخل ايضا خرصها ورجم اذا ظن والمجر العقل
ويلزم الظن اتقاد الذهن ومنه جمرة النار والجرم للارض الشديدة الحر ويلزم الظن ايضا اجتماع الفكر ومنه الجمرة للقبيلة
وكل ما شاكلها في الجمع ومنه الجرم بالكسر وهو الجسد فانه بالنظر الى جميعه والصوت او جهارته فانه يجمع فيه الخلق لقطعه ويلزم
الاجتماع ايضا العظمة ومنه اجرم اذا عظم والجمير كامير مجتمع القوم ومن الجمع الربا والعقل فينشا منه الصفا ومنه مارج من
نار اي لا دخان فيه ومنه اجرم لونه صفا ومن الاجتماع المجر بالتحريك وهو ان يملا بطنه من الماء ولم يرو والكسب جرم
لاهله اذا كسب ومنه الذنب فانه كسب خاص ويمكن ان يكون من القطع لانه يقطع صاحبه عن الخير ويلزم الاجتماع ايضا
الاستتار ومنه اجمرت الليلة استتر فيها الهلال والمجر لما في بطون الحوامل من الابل والغنم او يجعل هذا مما يلزم نفس الظن
من الخفا ومن الاجتماع الضمور اجمر الخيل اضمرها وشاة مجرة مهزولة ويلزم الاجتماع الصلابة والتمام ومنه حول مجرم
كمعظم تام فينشا الافتراق ومنه تجرم الليل ذهب وابنا جمير كامير الليل والنهار او يكون ذلك من لوازم القطع كما ياتي ومن الاجتماع
الرجم الذي هو الخليل والنديم ويلزم الظن الفصل بين الاشياء ومنه جرام النخل لصرامها والجمرة للحصاة فيلزم مطلق الرمي
فينشا الرمي بالجمار وهي الحجارة فينشا القتل للمرجوم وهو يرجع ايضا الى نفس القطع فانه قطع النفس عما كانت عليه ويلزم الفصل
القذف والعيب والرماح كسحاب كعوب الرمح لانفصال بعضها عن بعض والرمج بالفتح وهو القاء الطير ذرقه ويلزم الظن
المبالغة في النظر فتاتي المبالغة في الكلام والعزيمة ومنه المرجام للماد عنقه في السير من الابل واجمر اسرع في السير وقد

احتباك

يلزم

يلزم الظن الحيرة ومنه حديث مرجم يعظم لا يوقف على حقيقته فيلزم حينئذ الريب والفساد والقلق والاضطراب ومنه
امرج العهد لم يتف به اي جعله مارجا من لزوم الخصوص والترجيح افساد سطور بعد كتبها ويلزم الظن الاختلاط ومنه الجزم
للون لانه لا يخلو عن شوب واجرم الدم به لصق والاجرام متاع الراعي او هي من الكسب والجرم كرمان السمك والمرج موضع الرعي
وقد علم من هذا ان جميع تصاريف المادة تدور على الاضطراب وملوبين في غير العقل واما فيه فانه بقدر العقل يكون اضطراب
الراي لان العاقل كلما انعم النظر انتفح له ما كان مغلقا فيعدل اليه فاذا ظهر هذا ظهر ان معنى لا جرم انهم لا ظن ولا اضطراب في انهم
ويكون نفي الظن في مثل هذا السياق نفيا لجميع ما يقابله الا العلم الذي هو بمعنى القطع كما اذا قيل لا شك في كذا ولا ريب فانقضح
ان تفسيرهم لها بحقا تفسير معنى لمجموع الكلمتين لانه اذا نفي في مثل هذا السياق الظن ثبت اليقين والقطع واليه يرجع تفسير سيبويه
بلا حق لانه يريد والله اعلم ان الاصلة وموضوعها في الاصل النفي فهي نافية لصدر ما دخلت عليه فكانه قيل حق وثبت انهم كذا وانتفى
كل ما يضاده فهذا وجه كونها صلة موكدة وقريب من ذلك ما قيل في انما نحو انما زيد قائم اي ان زيدا قائم ما هو الا كذلك فقد بان
ان الثاني في مثل ذلك موكد والله الموفق ولما توعد الكافرين واخبر عن مآلهم بسببه كان موضع ان يسال عن حال المومنين فقال
ان الذين امنوا اي اوجدوا هذه الحقيقة وعملوا الصالحات ولما كان حاصل ما مضى من وصف الكافرين بعد مطلق الاعمال السيئة
الاعراض عن ربهم والنفرة من المحسن اليهم جلافة وغلظة وصف المومنين بالاقبال عليه والطمانينة اليه فقال واخبتوا اي خشعوا
متوجهين منتظمين الى ربهم اي المحسن اليهم فشكروه موفقوه لاستطاعة السمع والابصار ولما ذكر وصفهم ذكر جزاءهم عليه بقوله
اولئك اي العالوا الرتبة اصحاب الجنة ولما كانوا مختصين بها او بالخلود من اول الامر اعاد الضمير فقال هم فيها اي خاصة لا في
غيرها خالدون ولما استوفى ما في الحزبين وجزاءهم ضرب لكل مثلا بقوله مثل الفريقين اي الكافرين والمومنين وهو من باب اللف
والنشر المرتب فان الكافر ذكر فيما قبل اولا كالاعمى اي الاعم في بصر وبصيرته والاصم في سمعه كذلك فهذا الكافر والبصير
بعينه وقلبه والسميع على اتم احوالهما وهذا المومنين وفي افراد المثل طباق مرتب ايضا هل يستويان اي الفريقان مثلا اي من
جملة المثل ولما كان الجواب قطعا لمن له ادنى تامل لا يستويان مثلا فلا يستويان ممنوع حسن بسبب الانكار عنه في قوله
افلا تذكرون اي يحصل لهم ادنى تذكر بما اشار اليه الاحكام فتعلموا صدق ما وصفوا به بما يرونه من احوالهم وذلك ما قدم في صفة
الكفار من قوله ما كانوا يستطيعون السمع الآية والاخبات الخشوع المستمر على استواء فيه واصله الاستواء من الخبت وهي
الارض المستوية الواسعة ولعله وصله بالي في موضع اللام اشارة الى الاخلاص اي اخباتا ينتهي الى ربهم من غير ان يحجب عنه
والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الاول والامثال لا تغير عن صورتها ولما تم ذلك على اوضح المسالك وختم
بالحث على التذكر وكان تقديم ذكر كتاب موسى عليه السلام محركا للتوقع ذكر نبائه ونبإ غيره من الرسل عطف مقرونا بحرف
التوقع على العامل الذي قررته في قوله الا تعبدوا الا الله او على قوله انما انت نذير وهو احسن واقرب قوله ولقد
ارسلنا اي بما لنا من العظمة نوحا الى قومه اي الذين هم على لسانه وكذا ذكر ما بعد ذلك من القصص تقريرا لمضمون
هذا المثل وتثبيتا وتسلية وتاييدا وتعزية لهذا النبي الكريم ليلا يضيق صدره بشيء مما امر بابلاغه خوفا على ايما
احد وان كان اقرب الخلائق اليه واعزهم عليه كما تقدمت الاشارة اليه في قوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه
وقوله وضائق به صدرك وياتي في قوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك فوضح ان هذه القصص
لهذا المعنى سيقت وان سياقها في الاعراف وغيرها كان لغير ذلك كما تقدم وان تضمن هذا العرض بيان اهلاك من كانوا
اشد من العرب قوة واكثر جمعا واكثر اموالا واقوى عتادا واعظم فسادا واحد شوكة وما اتقوى في دمارهم من الطامات
والاهوال المفظعات تحذيرا من مثل حالهم بارتكاب افعالهم فغرق بين ما يساق للشيء وما يلزم منه الشيء ولهذا العرض
المقصود هنا طولت قصة نوح في هذه السورة عما طولت به في غيرها وصدرت بقوله اني اي قائلا على قراءة الجمهور
بالكسر والتقرير عند ابن كثير وابي عمرو والكسائي ملتبسا باني لكم اي خاصة نذير مبين اي مخوف بليغ التحذير ابين مما
ارسلت به غاية البيان وذكر فيه انه طالت مجادلته لهم وانه لما وضح له امرانه لن يؤمن من قومه الا من قد امن
وخلالته قصته بقوله ام يقولون افتراه خطابا لهذا النبي الكريم وختمت بقوله فاصبر ان العاقبة للمتقين وذكرت
قصة ابرهيم عليه السلام لما ضمنته من انه بشر بالولد بعد ما لم تجر العادة فلم يزده ذلك الا تعجبا وانه حادل الرسل في ابن
اخيه لوط عليه السلام وانه لما تحقق حتم الامر وثبت الحكم سلم لربه مع كونه حليما اواها منيبا الى غير ذلك مما يومئ
اليه سياق القصص فكانه قيل انما انت نذير ارسلناك لتبلغ ما ارسلت به من الانذار وان شق عليهم وعزتنا
لقد ارسلنا من قبلك رسلا منذرين فدعوا الى ما امرت بالدعوة اليه وانذروهم ما يشق عليهم من باسنا فما استكانوا لامرنا
وما تركوا اشياعهم خوفا من اعراضهم ولا رجاء في اقبالهم على ان امرهم قالوا لهم ما قالت لك امتك كما يشير اليه قوله تعالى
عن نوح عليه السلام ولا اقول لكم عندي خزائن الله الآية وقد كان في المخالفين من امرهم التوبيخ منهم نسبة والتوبيخ
عليهم امره من ابن وصاحبه وغير بما هذا مع ان قصصهم دليل على قوله الا

قال فتعنت عند التحدي قد استوفى البليغ على الاسلوب الاكمل البديع في هذه القصص فلم تبق لنا الفاظ نعبر بها عن هذه
المعاني حتى تاتي بمثل هذه القصة فاتى بها ثانيا اظهارا لعجزه وقطعا لحجته وربما كررت ثالثا ورابعا توكيدا لذلك وتمكينا
للاعتبار بضروب البيان وتصبيرا للنبي صلى الله عليه وسلم على اذى قومه حالا فحالا فان قيل فما بالها تاتي تارة في غاية البسط
وتارة في غاية الايجاز وتارة على الوسط قيل هذا من اعلى درجات البلاغة واجل مراتب الفصاحة والبراعة فان قيل فانا نرى
القصة تبسط في بعض السور غاية البسط ثم توجز في غيرها غاية الايجاز ويوتى فيها بما لم يوت في المبسوطة كما في العنكبوت
فانه عين فيها مقدار لبثه وانه كان الف سنة الا خمسين عاما فلم لا استوعبت جميع المعاني في الموضع المبسوط كما هو الاليق بمقام
البسط لا سيما لمن لا يخفى عليه شي ولا ينسى واذا وقع حذف كان ما في الموجزة قيل قال شيخنا حافظ العصر ابو الفضل
ابن حجر ان الامام ابا حاتم ابن حبان البستي ذكر في كتابه التقاسيم والانواع انه لما لم يرتبه ليحفظ اذ لو رتبه ترتيبا سهلا
لاتكل من يكون عنده على سهولة الكشف منه فلا يتحفظه واذا وعر طريق الكشف كان ادعى الى حفظه ليكون على ذكر من جميعه
وذكر انه فعل ذلك اقتداء بالكتاب العزيز فانه ربما اتى بالقصص غير مرتبة قال شيخنا ومن هنا يظهر ان من اسرار
تخصيص بعض الموجزات بما ليس في المبسوط الحث على حفظ الجميع انتهى وهذه فوايد لا ينبغي اهمالها بل تستعمل حيث امكن والعمدة
في المناسبة الوجه الاول وهو انها في كل سورة لمناسبة تخص تلك السورة ثم يراعى في البسط وغيره المعاني المناسبة
للمقصد الذي سيقت له القصة والله الموفق واللام في لقد للقسم قال الامام ابو الحسن علي بن عيسى الرماني لانها تدخل على
الفعل والحرف الذي يختص بالفعل مما يصح معناه معه ولام الابتداء للاسم خاصة ومعنى قد توقع الخبر للتقريب من الحال
يقال قد ركب الامير لقوم يتوقعون ركوبه فعلى هذا القول جرى ولقد ارسلنا والابانة اظهار المعنى للنفس بما يمكن ادراكه
واصله القطع فالابانة قطع المعنى من غيره ليظهر في نفسه انتهى والمقصود من الرسالة قوله سبحانه ان اي نذير لاجل ان
لا تعبدوا اي شيا اصلا الا الله اي الملك الاعظم ومعنى النذارة هو قوله اني اخاف عليكم وعظم العذاب المحذر منه بقوله
عذاب يوم اليم واذا كان اليوم مولما فما الظن بما فيه من العذاب فهو اسناد مجازي مثل نهاره صايم ولم يذكر بشارة كما
تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انني لكم منه نذير وبشير ارشادا الى ما سيقت له القصة من تقرير معنى انما انت
نذير ولذلك صرح بالالم بخلاف الاعراف وكذا ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم اول هذه من عذاب يوم كبير وهما متقاربان
بان ثم ساق سبحانه جواب قومه على وجه هو في غاية التسلية والمناسبة للسياق بقوله فقال اي فتسبب عن هذا النصح
العظيم ان قال ولما كان هذا بعد ان تبعه بعضهم قال الملا وبين ان الجدال مع الضلال بعد ان بين انهم هم الاشراف زيادة
في التسلية بقوله الذين كفروا وبين انهم اقارب اعزة بقوله من قومه اي الذين هم في غاية القوة لما يريدون محاولة القيام
به ما نراك اي شيا من الاشياء الا بشرا اي ادميا مثلنا اي في مطلق البشرية لست بملك تصلح لما لا تصلح له من الرسالة
وهذا قول البراهمة وهو منع نبوة البشر على الاطلاق وهو قول من يحسد على فضل الله ويعمى عن جلي حكمته فيمنع ان يكون النبي
بشرا ويجعل الاله حجرا ولما كانت العظمة عندهم منحصرة في عظمة الاتباع قالوا وما نراك ولما نفوا الرؤية عنه فتشوف
السامع الى ما يقع عليه من المعاني بينوا ان مرادهم رؤية من اتبعه فقالوا اتبعك اي تكلف اتباعك الا الذين هم اي خاصة
اراذلنا اي كالحايك ونحوه وليس منا رذل غيرهم وهو جمع ارذل كاكلب جمع رذل ككلب والرذل الخسيس الدني وهذا
ينتج انه لم يتبعك احد له قدر قالوا واتبعك عامل في قوله بادي الراي وهو ظرف اي اتبعوك بديهة من غير تامل فاتباعهم
لا يدل على سداد لما اتبعوه من وجهين رذالتهم في انفسهم وانهم لم يفكروا فيه لكن يضعفه ايراد الاتباع بصيغة الافتعال
التي تدل على علاج ومجاذبة فالاحسن اسناده كما قالوه ايضا الى اراذل اي انهم بحيث لا يتوقف ناظرهم عند اول وقوع
بصره عليهم انهم سفلة اسقاط ويجوز ان يكون المراد بادي رايك اي انك تظن انهم اتبعوك ولم يتبعوك ولما كانوا لا
يعظمون الا بالتوسع في الدنيا قالوا وما نرى لكم اي لك ولمن اتبعك علينا واغرقوا في النفي بقولهم من فضل اي في شرف
ولا مال وهذا مع ما مضى من قولهم قول من يعرف الحق بالرجال ولا يعرف الرجال بالحق وذلك انه يستدل على كون الشي
حقا بعظمة متبعه في الدنيا وعلى كونه باطلا بحقارته فيها ومجموع قولهم يدل على انهم يريدون لو صح كون النبوة في البشر
لكانت في واحد ممن اقروا له بالعلو في الارض وعمل اتبعك في بادي يمنعه تمادي الاتباع على الايمان فانتفى الطعن بعدم
التامل بل نظنكم كاذبين اي لكم هذا الوصف لازما دايما لانكم لم تتصفوا بما جعلناه فطنة الاتباع مما يوجب العظمة
في القلوب والانقياد للنفوس بالتقدم في الدنيا بالمال والجاه فكان داوهم بطر الحق وغمط الناس وهو احتقارهم
وهذا قد سرى الى اكثر اهل الاسلام فصاروا لا يعظمون الا بذلك وهو اجهل الجهل لان الرسل عليهم السلام اتوا للتزهيد
في الدنيا وانظر الى رضاهم لانفسهم بالعدول عن البينة الى اتباع الظن ما ارداه وهذا اقطع مما حكي هنا من قول قريش
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك والشع والبشر الانسان لظهور بشرته اي ظاهر جلده لان الغالب على غيره من الحيوان
سترها بالصوف او الشعر او الوبر او الريش والمثل السادس مسد غيره من الحيوان سترها بالصوف في الخس بمعنى انه لو
ظهر للمشاهدة لسد مسده والفضل الزيادة من الخير والافضال مضاعفة الخير التي توجب الشكر ولما كان ختام جوابهم
اشد بدا في جوابه برده مبينا لضلالاتهم مغضبا عن شناعاتهم شفقة عليهم ومحبة لنجاتهم فقال تعالى حكاية عنه قال
يا قوم وشرع يكرر هذه اللفظة كل قليل تذكيرا لهم انه منهم لتعطفهم الارحام وتردهم القرابات عن حسده او اتهامه الى

قبول

قبول ما يلقي اليهم من الكلام واشار باداة البعد مع قربهم الى مباعدتهم فيما يقتضي غاية القرب ارايتم اي اخبروني ان كنت
على سبيل الفرض منكم والتقدير على بينة اي برهان ساطع وزاد ترغيبا فيه بقوله من ربي اي الذي اوجدني واحسن الي بالرسالة
وغيرها تشهد بصحة دعواي شهادة لا يتطرق اليها عند المنصف شبهة فكيف بالظن واتاني فضلا منه علي لا لمعنى في ازيد
عليكم به بل رحمة اي اكراما بالرسالة بعد النبوة وعظمها بقوله من عنده فيها فضل عظيم النور واضح الظهور ولما كانت
البينة من الرحمة وحد الضمير فقال افعميت اي فتسبب عن تخصيصي بها اني اظلمت ووقع ظلامها عليكم اي فعميتم انتم
عنها لضعف عقولكم ولم يقع عليكم شي من نورها وذلك ان الدليل اذا كان اعمى عاد ضرره على التابع بالحيرة والضلال وهو
معنى قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالبناء للمفعول مشددة انلزمكموها وقوله وانتم لها كارهون مع تسميته لها
بينة اشارة الى انها لم تعم ولا خفيت عليهم لقوة نورها وشدة ظهورها وانما هم معاندون في نفيهم لفضله وفضل من تبعه
والتعبير عن ذلك بالجملة الاسمية واسم الفاعل اشارة الى ان افعالهم افعال من كراهته لها ثابتة مستحكمة وكانه لم يكن
مامورا بالقتال كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم في اول الامر والاية ناظرة الى قوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا
مومنين ويجوز ان يكون ذلك كناية عن انهم معاندون مع قطع النظر عن الجهاد وغيره فان الانبيا عليهم السلام مامورون بالمجادلة
للمعاندين الى ان يلزموهم الحجة وهي لا تفيد الا الالزام في الظاهر مع الانكار والكراهة في الباطن والدعوة الى سبيل الله بالحكمة
للكاملين وبالموعظة والخطابة للناقصين الذين لا يعاندون ويحسنون الظن في الداعي فيكون المعنى ان البينة لم تنفعكم
لشكاسة واعوجاج في طباعكم فلم يبق الا الموعظة وهي لا تفيد الا مع حسن الظن واما مع الكراهة فلا ينفعكم النصح فلا فايدة في
المجادلة الا الالزام وهو مع الكراهة غير نافع لكم ولما كان نفي ذلك عاما للفضل الدنيوي وكان الاتصاف بقلة ما في اليد
انما يكون ضارا اذا كان صاحبه يسيل غيره نفى عنه هذا اللازم العايب فقال مجيبا عن نفيهم الفضل عنه وعن اتباعه بانه
قد يريد منهم على ذلك ثوابا دنيويا ويا قوم استعطافا لهم لا اسئلكم اي وقت من الاوقات عليه اي الانذار كما ياخذ منكم
من ينذركم امر من يريد بكم بعض ما تكرهون في امور دنياكم حتى تكون عاقبة ذلك ان تتهموني ما لا ان اي ما اجري الا على الله
اي الذي له الجلال والاكرام فبيده الخزاين كلها ونبه بهذا على انه لا غرض له من غرض دنيوي ينفر المدعو عنه فوجب
تصديقه وفيه تلقين للجواب عن قول قريش لولا القي اليه كنز كما سياتي بابين من ذلك عقب قصة يوسف عليه السلام
في قوله وما نسئلهم عليه من اجر لان هذه القصص كالشي الواحد متتابعة في بيان حقية هذا القران والتاسية في الاقتدا
بالرسل في الصبر على اذا جميع الرسالة مع ما يلزم ذلك من جليل العبر وبديع الحكم فلما اتحد الغرض منها مع تواليها اتحدت
متفرقاتها ولما كان التعبير بردالة المتبع مما ينفر اهل الدنيا عن ذلك التابع بين لهم ان شانه غير شانهم وانه رفيق على
من امن به رفيق به رحيم له وان كان متاخرا في الدنيا محروما منها خوفا من الله الذي اتبعوه فيه فقال وما انا واغرق
في النفي بقوله بطارد الذين امنوا اي اقروا بالسنتهم بالايمان ثم علل ذلك بقوله موكدا لانكارهم انهم ملاقوا ربهم
اي المحسن اليهم بعد ايجادهم وتربيتهم بهدايتهم فلو طردتهم لشكوني اليه فلا ارى لكم وجها في الاشارة الى طردهم ولا في شي
مما اجبتموني به ولكني اراكم اي اعلمكم علما هو كالرؤية قوما تجهلون اي تفعلون افعال اهل الجهل فتكذبون الصادق
وتعيرون المومنين بما لا يعيبهم وتنسون لقاء الله وتوقعون الاشيا في غير مواقعها وفي تعبيره بتجهلون دون جاهلين
اشارة الى ان الجهل متجدد لهم وهو غير عادتهم استعطافا لهم الى الحلم ثم عطف الى صريح الاستعطاف في سياق محذر من سطوات
الله فقال ويا قوم اي الذين هم اعز الناس علي من ينصرني من الله اي الذي له جميع العظمة ان طردتهم ولو لم يشكوني اليه لاطلاعه
على ما دق وجل ولما تم الجواب عن ازدرايهم سبب عنه الانكار لعدم تذكرهم ما قاله لهم بما يجدونه في انفسهم فقال
افلا تذكرون اي ولو ادنى تذكر بما يشير اليه الادغام فتعلموا ان من طرد صديقا لكم عاديتموه وقصدتموه بالاذى فترجعوا
عما طرا لكم من الجهل الى عادتكم من الحلم الباعث على التامل الموقف على الحق والطرد ابعاد الشي على جهة الهوان والقوم الجماعة
الذين يقومون بالامر اسم جمع لا واحد له من لفظه والتذكير طلب معنى قد كان حاضرا للنفس والتفكر طلبه وان لم يكن حاضرا
ولما كان نفيهم للفضل شاملا للاموال وعلم الغيب اقرهم على ذلك منبها على خطابهم فيه بانه لم يقل بينهم قط ما يكون سببا
له فقال عاطفا على قوله لا اسئلكم عليه اجرا ولا اقول لكم اي في وقت من الاوقات عندي خزاين الله اي الملك الاعظم
فاتفضل عليكم بها ولما كان من الجايز ان يمكن الله من يشا من خزاين الارزاق ونحوها فيسوغ له ان يطلق ملك ذلك مجازا
ولا يجوز ان يمكنه من علم الغيب وهو ما غاب عن الخلق كلهم لانه خاصته سبحانه قال عاطفا على اقول لا على المقول
ولا اعلم الغيب لا حقيقة ولا مجازا فاعلم وقت ما توعدون به او ما في قلوب المومنين مما قذفتموهم به من السوء واعلمهم
انه لا مانع من ارسال البشر بقوله ولا اقول اني ملك فتكون قوتي افضل من قوتكم او خلقي اعظم قدرا من خلقكم ونحو من الفضل
الصور الذي جعلتموه هو الفضل فلا يكون الاية دليلا على افضلية الملايكة وتقدم في الانعام سر اسقاطه لكم ولما
كان تعريضهم بنفي الملايكة عنه من باب الازرا اتبعه تاكيد قبوله لمن امن كاينا من كان وان ازدروه بقوله
ولا اقول للذين اي لاجل الذين تزدري اي تحتقر وتستصغر اعينكم اي تقصرون به عن الفضل عند نظركم له وتعيبونه
ان يوتيهم الله اي الذي له الكمال له خيرا ولما كان كانه قيل ما لك لا تقول ذلك اجاب بما تقديره لاني لا اعلم ضمايرهم ولا
احكم الا على الظاهر الله اي المحيط بكل شي اعلم اي حتى منهم بما في انفسهم ومن المعلوم انه لا يظلم احدا فمن كان في نفسه خير

جازاه عليه ويجوز ان يكون هذا راجعا الى بادي الراي بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم ثم علل كفه عن ذلك بقوله
موكدا لانكارهم ظلمه على ذلك التقدير اني اذن اي اذا قلت لهم ذلك لمن الظالمين اي العريقين في وضع الشي في غير موضعه والخزاين
اجنبية المتاع الفاخر وخزاين الله مقدوراته لانه يوجد منها ما يشاء وفي وصفها بذلك بلاغة والغيب ذهاب الشي عن الادراك
ومنه الشاهد خلاف الغايب واذا قيل علم غيب كان معناه علم من غير تعليم والازدراء الاحتقار وهو افتعال من الزراية زريت
عليه اذا عبته وازريت عليه اذا قصرت به والملك اصله مالك من الالوكة وهي الرسالة فلما استوفى نقض ما ابرموه في
زعمهم من جوابهم على غاية الانصاف واللين والاستعطاف استانف الحكاية عنهم بقوله قالوا اي قول من لم يجد في رده شبهة
يبديها ولا مدفعا يغير به يا نوح قد جادلتنا اي اردت فتلنا وصرفنا عن ارائنا بالحجاج واردنا صرفك عن رايك بمثل ذلك
فاكثرت اي فتسبب عن ذلك انك اكثرت جدالنا اي كلامنا على صورة الجدال فاتنا اي فتسبب عن ذلك تضجرنا وعن تضجرنا
انا نقول لك لم تصح عندنا دعواك ائتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت اي كونا هو جبلة لك من الصادقين اي العريقين في الصدق
في انه ياتينا فصرحوا بالعناد المبعد من الانصاف والانتصاف بالسداد وسموه باسمه ولم يسمحوا بان يقولوا له يا ابن عمنا مرة
واحدة كما كرر لهم يا قوم فكان المعنى انا غير قابلين لشي مما تقول وان اكثرت واطلت بغير حجة منهم بل عنادا وكبرا فلا تتعب بل قصر
الامر بما تتوعدنا به وسموه وعدا سخرية به اي ان هذا الذي جعلته وعيدا هو عندنا وعد حسن سار باعتبار انا نحب حلوله
المعنى انك لست قادرا على ذلك ولا انت صادق فيه فان كان حقا فاتنا به فكانه قيل ماذا قال لهم فقيل قال جريا على سنن قوله
ولا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب انما ياتيكم به الله اي الذي له الاحاطة بكل شي فتبرا من الحول والقوة ورد ذلك الى من
هو له واشار بقوله ان شاء الى انه مخير في ايقاعه وان كان قد تقدم قوله به ارشادا الى انه سبحانه لا يجب عليه شي ولا يقبح منه
شي بل ولا يسال عما يفعل وان كان لا يقع الا ما اخبر به ثم بين عجزهم وخطاهم في تعرضهم للهلاك فقال وما انتم بمعجزين اي في شي من
الاوقات لشي مما يريده بكم سبحانه والاكثار الزيادة على مقدار الكفاية والمجادلة المقاتلة بما يفتل الخصم عن مذهبه بحجة او
شبهة وهو من الجدل وهو شدة الفتل والمطلوب به الرجوع عن المذهب والمطلوب بالحجاج ظهور الحجة فهو قد يكون مذموما
كالمراء وذلك حيث يكون للتشكيك في الحق بعد ظهوره وحيث قيد الجدال بالتي هي احسن فالمراد به اظهار الحق ولما بين انهم
انما هم في قبضته سبحانه زاد في بيان عظمته وان ارادته تضمحل معها كل ارادة في سياق دال على انه بذلك ناصح لهم وان نصحه
خاص بهم فقال جوابا لما اوهموا من ان جداله لهم كلام بلا طايل ولا ينفعكم نصحي وذكر ارادته لما يريد ان يذكره من ارادة الله فقال
ان اردت اي جمعت الى فعل النصح ارادة ان انصح لكم باعلام موضع الغي ليتقي والرشد ليتبع وجزاؤه محذوف تقديره لا ينفعكم
نصحي ان كان الله اي الذي له الامر كله يريد ان يغويكم اي يضلكم ويركبكم غير الصواب فان ارادته سبحانه تغلب ارادتي وفعلي معا
ولا ينفعكم شي اشارة الى انكم لا تقدرون على دفع العذاب بقوة فتكونوا غالبين ولا بطاعة فتكونوا محبوبين مقربين ان كان الله
يريد اهلاككم بالاغواء وان اردت انا نجاتكم واشارة الى اني لا املك الا ارادتي لنصحكم فاذا اردته فغاية ما يترتب عليه من
فعلي وقوع النصح واخلاصه لكم واما النفع به فلا شي منه الي بل هو تابع لمراد الله فان اراد غوايتكم حصلت لا محالة ولم يقع ما
قد يترتب على النصح من عمل المنصوح بمقتضاه المستجلب للنفع المستدفع للضر ثم رغبهم في احسانه ورهبهم في انتقامه بقوله معللا
لعدم ما لا يريده هو ربكم اي الموجد لكم المدبر لاموركم فهو يتصرف فيكم وحده بما يريد ولما كان التقدير فمنه مبداوكم عطف عليه
قوله واليه اي لا الى غيره ترجعون اي بايسر امر واهونه بالموت ثم البعث فيجازيكم على اعمالكم كما هي عادة الملوك مع عمالهم
ولما كان مضمون هذه الاية نحو مضمون قوله انما انت نذير والله على كل شي وكيل فان النذير من ينصح المنذر والوكيل هو المرجوع اليه
في امر الشي الموكول اليه وما قبلها تعريضا بنسبة نوح عليه السلام الى الافتراء تلاه بما تلي به ذاك من النسبة الى الافتراء اشارة
الى ان هذه القصص كلها للتسلية في امر النذارة والتاسية فكانه قيل ايقولون لك مثل هذه الاقوال فقد قالوها لنوح كما ترى
ثم والى عليهم من الانذار ما لم يطمعوا معه في ترك شي مما امرناه به اعجبهم او اغضبهم فلك به اسوة وحسبك به قدوة في ان تعد
كلامهم عدما وتقبل على ما ارسلناك به من بذل النصيحة بالنذارة ام يقولون في القرآن افتراه اصرارا على ما تقوله فدمغه
الدليل وادحضته الحجة فكانه قيل نعم انهم يقولون ذلك فقيل لا عليك فانه قول يقصدون به مجرد العناد وهم يعلمون خلافه
بعد ما قام عليهم من الحجج التي وصلوا معها الى عين اليقين فلا يهمنك قولهم هذا فانهم يجعلونه وسيلة الى تركك بعض ما يوحى اليك
فلا تفعل بل قل في جواب قولهم هذا ان افتريته اي قطعت كذبه فعلي اي خاصا بي اجرامي اي وباله وعقابه دونكم واذا استعلى
على الاجرام عرف ذلك لارباب العقول وظهر ظهورا افتضح به وانتم اعرف الناس باني ابعد من ذلك مما بين اجتماع الضدين
وارتفاع النقيضين لما تعلمون مني من طهارة الشيم وعلو الهمم وطيب الذكر وشريف القدر وكريم الامر هذا لو كنت قادرا
على ذلك فكيف وانا وانتم عنه في العجز سوا وانا بريء اي غاية البراءة مما تجرمون اي توجدون اجرامه ليس علي من اجرامكم
عايد ضرر بعد ان اوضحته لكم وكشفت عنكم غطاء الشبه انما ضرره عليكم فاعملوا على تذكر هذا المعنى فان سوق جوابهم على هذا
الوجه انكاء لهم من اقامة حجة اخرى لانهم يعلمون منه انه الزام لهم بالفضيحة لانقطاعهم لدى من له وعي ويمكن ان يكون
التقدير هل انتبه قومك يا محمد فعلموا قبح مثل هذه الحال وانها حال المعاندين فرجعوا تكرما عن ركوب مثلها واستحيا ام
يقولون افتراه اي كذبه متعمدا استمرارا على العناد وتماديا في البعاد كما تمادى قوم نوح فيحل بهم ما حل بهم اي هل رجعوا
بهذا المقدار من قصة قوم نوح ام هم مستمرون على ما نسبوك اليه في اوايل السورة من افترايه فمحتاجون الى تكميل القصة بما

وقع من عذابهم ليخافوا مثل مصابهم وافترآ الكذب افتعاله من قبل النفس فهو اخص من مطلق الكذب لانه قد يكون تعليلا للغير
ولما فرغ من هذه الجملة التي هي المقصود بهذا السياق كله وان كانت اعتراضية في هذه القصة رجع الى اكمالها بيانا لان نوحا عليه
السلام كان يكاشف قومه بجميع ما امر به وان عظمت مشقته عليهم بحيث لم يكن قط موضع رجآ لهم في ان يتركن شيا منه وتحذيرا لكل من
سمع قصتهم من ان تحل به ما حل بهم فقال واوحي اي من الذي لا يوحي الا هو وهو ملك الملوك الى نوح بعد تلك الخطوب انه لن يؤمن
بما جيئت به من قومك الا من ولما كان الذي يجيب الانسان الى ما يسأله فيه ملوح عليه مخايل قبل الاجابة يتوقع السآئل بها الاجابة
قال قد آمن فلا اي فتسبب عن علمك بانه قد تم شقآؤهم انا نقول لك لا تبتئس اي يحصل لك بوسر اي شدة يعظم عليك خطبها
بكثرة تاملك في عواقبها بما كانوا اي بما جبلوا عليه يفعلون فانا نأخذ لك بحقك منهم قريبا وكانه كان اعلمه انهم ان لم يجيبوه
اغرقهم وانجاه ومن تبعه في فلك يحلم فيه على متن الماء فقال واصنع الفلك حال كونك محفوظا باعيننا نحفظك ان تزيغ في عملها
وجمع مبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل ووحينا فنحن نلهمك اصلح ما يكون من عملها وانت تعلم ما لنا من العظمة التي تغلب
كل شيء ولا يتعاظمها شيء فلا تهتم بكونك لا تعرف صنعتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه اوحي اليه ان يصنعه مثل جؤجؤ الطائر
اي صدره واشار الى شفقته على قومه وحبه لنجاتهم كما هو حال هذا النبي الكريم مع امته فقال ولا تخاطبني اي بنوع مخاطبة
وان قلت في الذين ظلموا اي اوجدوا الظلم واستمروا عليه في ان يغيبهم ثم علل النهي بان الحكم فيه قد ابرم فقال انهم مغرقون
قد فرغ من ذلك والابتئاس حزن في استكانة لان اصل البؤس الفقر والمسكنة والوحي القآء المعنى الى النفس في خفآء وقد
يكون افهاما من غير كلام باشارة ونحوها وقد يكون بكلام خفي والفلك السفينة يونث ويذكر واحده وجمعه سواء واصله الادارة
من الفلكة ولما امر تعالى ونهاه اخبر انه امتثل ذلك بقوله عاطفا على ما تقديره فايس من ايمان احد منهم فترك دعاءهم وشرع
يسلي نفسه ويصنع اي صنعة ماهر جدا له ملكة عظيمة بذلك الصنع الفلك فحكى فعله حال علمه بانه سبحانه بت الامر بانه كان
يعمل ما امر به سبحانه ولم يخاطبه فيهم ولا اسف عليهم واشار الى انهم ازدادوا بغيا بقوله وكلما اي والحال انه كلما مر عليه ملا
اي اشراف من قومه واجاب كلما بقوله سخروا منه اي ولم ينههم شرفهم من ذلك وذلك انهم راوه يغالي ما لم يروا قبله مثله لجري
على الماء وهو في البر وهو على صفة من العمل عظيمة فمن الحسن ان طولها الف ذراع وماية ذراع وعرضها ستماية فقالوا يا نوح ما تصنع قال ابني بيتا على الماء ويجوز ان يكون سخروا صفة لملا وجواب كلما قالوا لما ايأسه الله من خيرهم ترك ما
كان لينهاهم واستعطافهم فعلم ان ذلك ما كان الا لامر سبحانه فقال حاكيا عنه قال ان تسخروا منا ولما كانوا يظنون انه غاب
في عمله كان عندهم موضعا للتخري والسخرية وكان هو صلى الله عليه وسلم عالما بان علمهم سبب لحزنهم بالعذاب المستاصل فكان
المعنى ان تسخروا منا اي مني وممن يساعدني لظنكم ان علمنا غير مثمر فان تسخروا اي توجد السخرية منكم جزآ لكم كما تسخرون منا الآن لان
علمنا منج وعملكم ليس مقتصرا على الضياع بل هو موجب لما توعدون من العذاب فانتم المخزيون دوني ولما كان قوله نسخر منكم
واضا موهما هذا الاخبار حسن الاتيان بالقآء المودنة بمسبب العلم المذكور عنه في قوله فسوف تعلمون اي بوعد لا خلف فيه
من يأتيه عذاب يخزيه اي يفضحه فيذله وكان المراد به عذاب الدنيا ويحل عليه اي حلول الدين الذي لا محيد عنه عذاب
مقيم وهو عذاب الآخرة وقد مضى نحو في الانعام عند قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار والسخرية اظهار ما يخالف
الابطان على جهة تفهم استضعاف العقل من التسخير وهو التذليل استضعافا بالقهر وهي تفارق اللعب بان فيها خديعة
استنقاص فلا تكون الا بحيوان واللعب قد يكون بجماد لانه مطلق طلب الفرح والخزي العيب الذي تظهر فضيحته والعارية
ونظيره الذل والهوان واستمر ذلك دابه ودابهم حتى اذا جآ امرنا اي وقت اردنا اهلاكهم وفار اي علا وطفح التنور
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد انه الحقيقي الذي يخبز فيه وهذا هو الظاهر فلا يعدل عنه الا بدليل لان صرف
اللفظ عن ظاهره بغير دليل عبث كما قاله اهل الاصول قلنا بعظمتنا احمل ولما كان الله تعالى قد امره ان يجعل لها غطآ كما قاله
اهل التفسير ليلا تمتلي من شدة الامطار كانت الظرفية فيها بحرف غيرها من السفن واضحة فلذلك قال فيها اي السفينة من كل
زوجين من الحيوانات والزوج فرد يكون معه آخر لا يحل نفعه الا به اثنين ذكرا وانثى واهلك اي احملهم والاهل العيال
الا من سبق غالبا عليه القول باني اغرقه وهو امرانه وابنه كنعان ومن اي واحمل من آمن قال ابو حيان وكانت السفينة
ثلاث طبقات السفلى للوحوش والوسطى للطعام والشراب والعليا له ولمن آمن معه ثم سلى المخاطب لهذه القصص صلى الله عليه
وسلم وذكره نعمته بكفيه من اتبعه مع صدهم عموم الانذار على قصر الزمان دون نوح عليه السلام مع تطاول الزمن فقال
وما اي والحال انه ما آمن كاينا معه اي بانذاره الا قليل بسبب تنويرنا لا باعضالهم بما كوفحوا به من الانذار والتنور
قال ابو حيان وزنه فعول عند ابي علي وهو اعجمي وقال ثعلب وزنه تفعول من النور واصله تنوور همزت الواو ثم خففت
وشدد الحرف الذي قبلها والزوج قد ذكر على الرجل الذي له امرأة قال الرماني وقال الحسن في ومن كل شيء خلقنا من
زوجين السمآء زوج والارض زوج والشتآء زوج والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج حتى يصير الامر الى الله
الفرد الذي لا يشبهه شيء ومعنى ذلك في صحيح البخاري واقل ما قيل في من كان في السفينة ثمانية نوح وامرأته وثلثة بنيه
سام وحام ويافث ونساؤهم واكثر ما قيل انهم ثمانون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولما اتاه الامر بذلك بادر
الامتثال فجمع من امره الله به الى السفينة بعد ان هيأها لهم وقال اي لمن امر بحمله اركبوا ولما كانت الظرفية اغلب على السفينة
قال فيها اي السفينة ولما امرهم بالركوب فركبوا استانف قوله او امرهم بالركوب تآبلين بسم الله اي الذي له الاحاطة الكاملة

مجراها ومرساها اي اجراؤها وارساؤها ومحلهما ووقتهما وقرا الحسن وقتادة وحميد الاعرج واسمعيل بن مجالد عن عاصم بكسر الراء
والسين كسرا خالصا بعده يا ان خالصتان على ان الاسمين صفتان للجلالة ثم علل نجاتهم بالارجاء والارساء اعترافا بانه لا نجاة الا
بعفوه بقوله ان ربي اي المحسن الي بما دبر من هذا الامر وغيره وزاد في التاكيد تطييبا لقلوب من معه معرفا لهم بان احدا لن يقدر
الله حق قدره وان العبد لا يسعه الا العفو فقال لغفور اي بالغ الستر للزلات والهفوات رحيم اي بليغ الاكرام لمن يريد فركبوها
واستمروا سائرين فيها يقولون باسم الله وهي اي والحال انها تجري بهم ولما كان الماء مهيئا للاغراق فكان السير على ظهره من
الخوارق اشار الى ذلك بالظرف فقال في موج ونبه على علوه بقوله كالجبال اي في عظمه وتراكمه وارتفاعه فالجملة حال من
فركبوها المقدر لانه لظهوره في قوة الملفوظ وكان هذه الحال مع ان استدامة الركوب ركوب اشارة الى سرعة امتلاء الارض
من الماء وصيرورته فيها امثال الجبال عقب ركوبهم السفينة من غير كبير تراخ قالوا وكان اول ما ركب معه الدرة واخر ما ركب
الحمار وتعلق ابليس بذنبه فلم يستطع الدخول حتى قال له نوح عليه السلام ادخل ولو كان الشيطان معك كذا قالوا وقيل انه منع
الحية والعقرب وقال انكما سبب الضرر فقالا احملنا ولك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قال سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم تضراه ولما كان ابتداء الحال في تفجر الارض كلها عيونا وانهمار السماء انهمارا مرشدا الى ان
الحال سيصير الى ما اخبر الله به من كون الموج كالجبال لا ينجي منه الا السبب الذي اقامه سبحانه تلا ذلك بامر ابن نوح فقال
عاطفا على قوله وقال اركبوا ونادى نوح ابنه اي كنعان وهو لصلبه نقله الرماني عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك
وكان الابن في معزل اي عن ابيه في مكانه وفي دينه لانه كان كافرا وبين ان ذلك المعزل كان على بعض البعد بقوله يا بني صغره
تحننا وتعطفا اركب كائنا معنا اي في السفينة لتكون من الناجين ولا تكن اي بوجه من الوجوه مع الكافرين اي في دين ولا مكان
اشارة الى ان حرص الرسل عليهم السلام وشفقتهم وان كانت مع رؤية الايات العظام والامور الهائلة ليست سببا للين
القلوب وخضوع النفوس ما لم ياذن الله انظر الى استعطاف نوح عليه السلام بقوله يا بني مذكرا له بالنبوة مع تصغير التحنن
والتراؤف وفظاظة الابن في عدم سماحه بان يقول يا ابة ولم يلن مع ما راى من الايات العظام ولا تناهى لشيء منها عن تقحم
الجهل بدلا من العلم وتعسف الشبهة بدلا من الحجة ولما كان الحال حال دهش واختلال كان السامع جديرا بان لا يصير بل يبادر
الى السؤال فيقول فما قال فقيل قال قول من ليس له عقل تبعا لمراد الله ساوي الى جبل يعصمني اي يعلوه من الماء اي فلا اغرق
قال اي نوح عليه السلام لا عاصم اي مانع من جبل ولا غيره موجود اليوم اي لاحد من امر الله اي الملك الاعظم المحيط امره وقدرته
وعلمه وهو حكمه بالغرق على كل ذي روح لا يعيش في الماء الا من رحم اي الا مكان من رحمه الله فانه مانع من ذلك وهو السفينة
او لكن من رحمه الله فان الله يعصمه ولما ركب نوح عليه السلام ومن امره الله به واراده ولم يبق حاجة في تدريج ارتفاع الماء
فعلا وطما وغلب وعتى فهال الامر وزاد على الحد والقدر قال تعالى عاطفا على ما تقديره فلم يسمع ابنه ذلك منه بل عصى اياه
كما عصى الله فاوى الى الجبل الذي اراده فعلا الماء عليه ولم يمكنه بعد ذلك اللحاق بابيه ولا الوصول اليه وحال بينهما اي
بين الابن والجبل او بينه وبين ابيه الموج المذكور في قوله موج كالجبال فكان اي الابن باهون امر من المغرقين وهم كل من لم
يركب مع نوح عليه السلام من جميع اهل الارض قال ابو حيان قيل كانا يتراجعان الكلام فما استتمت المراجعة حتى جاءت
موجة عظيمة وكان راكبا على فرس قد بطر واعجب بنفسه فالتقمته وفرسه وحين بينه وبين نوح عليه السلام فغرق
انتهى والركوب العلو على ظهر الشيء ركب الدابة والسفينة والبر والبحر والجري مر سريع يقال هذه العلة تجري في احكامها
اي تمر من غير مانع والموج جمع موجة لقطعة عظيمة من الماء الكثير يرتفع عن جملته واعظم ما يكون ذلك اذا اشتدت الريح
والجبل جسم عظيم الغلظ شاخص من الارض هولها كالوتد والعصمة المنع من الافة وقيل اي بادني اشارة بعد هلاك اهل
الارض وخلوها من الكافرين وتدمير من في السهول والجبال من الخاسرين وهو من اطلاق المسبب وهو القول على السبب
وهو الارادة لتصوير امر ومامور بهو في غاية الطاعة فانه اوقع في النفس ولما كان كل شيء دون مقام الجلال والكبرياء
والعزة بامر لا يعلمه الا الله دل على ذلك باداة البعد فقال يا ارض ابلعي اي اجذبي من غير مضغ الى مكان خفي بالتدريج
وعين البلوع ليلا يعم فتبتلع كل شيء على ظهرها من جبل وغيره ولذلك افرد ولم يجمع فقال ماءك اي الذي تجدد على ظهرك
للاغراق ليكون لك كالغذاء للاكل الذي يقوى بدنه به فتقوى به على الانبات وسائر المنافع وجعله ماءها لاتصاله
بها اتصال الملك بالمالك ويا سماء اقلعي اي امسكي عن الامطار ففعلتا مبادرتين لامر الملك الذي لا يخرج عن مراده شيء
وغيض الماء اي المعهود حكم عليه بالرسوب في اعماق الارض من المتعدي فانه يقال غاض الماء وغاضه الله كما يقال نقص
الشيء ونقصته انا وقضي الامر اي فرغ وانبت وانبرم في اهلاك من هلك ونجاة من نجا كما اراد الجليل على ما تقدم به
وعده نوحا عليه السلام لم يقدر احد ان يحبسه عنهم ولا ان يصرفه ولا ان يؤخره دقيقة ولا اصغر منها فليحمد الله من اخر
عنه العذاب ولا يقل ما يحبسه ليلا ياتيه مثل ما اتى هؤلاء او من بعدهم واستوت اي استقرت واعتدلت السفينة
على الجودي اشارة باسمه الى ان الانتقام العام قد مضى وما بقي الا الجود بالنماء والخير والخصب والرحمة العامة وهو
جبل بالموصل بعد خمسة اشهر قال قتادة استقلت بهم لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم
واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشورا وقيل اي اعلاما بهوان المهلكين والراحة منهم بعدا هو من بعد
بالكسر مرادا به البعد من حيث الهلاك فان حقيقته بعد بعيد لا يرجى منه عود ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء وعبر

بالمصدر

بالمصدر لتعليقه باللام الدالة على الاستحقاق والاختصاص للقوم اي المعهودين في هذه القصة التي كان فيهم من شدة القيام
فيما يحاولونه ما لا يعلمه الا الله الظالمين اي العريقين في الظلم وهذه الآية تسع عشرة لفظة فيها احد وعشرون نوعا من البديع
عدها ابو حيان وقال وروي ان اعرابيا سمعها فقال هذا كلام القادرين وذكر الرماني عدة من معانيها منها اخراج الامر على جهة
التعظيم لفاعله من غير معاناة ولا لغوب ومنها حسن تقابل المعاني ومنها حسن ايتلاف الالفاظ ومنها حسن البيان في تصوير
الحال ومنها الايجاز من غير اخلال ومنها تقبل الفهم على اتم الكمال والبلع اجراء الشيء في الحلق الى الجوف والاقلاع اذهاب
الشيء من اصله حتى لا يبقى له اثر والغيض غيبة الماء في الارض على جهة النشف وابراز الكلام على البناء للمفعول ادل على الكبرياء
والعظمة للفاعل للاشارة الى انه معلوم لانه لا يقدر على مثل هذه الافعال غيره ونقل الاصبهاني عن صاحب المفتاح فيها كلاما
اغلى من الجوهر ولما كان الاستثناء من اهله في قوله الا من سبق عليه القول يجوز ان يراد به امراته فقط فتكون نجاة ابنه
جائزة وكان ما عند الانبياء عليهم السلام من فرط الشفقة على الخلق لا سيما الاقارب يحملهم على السعي في صلاحهم ما كان لذلك
وجه كما تقدم مثل ذلك في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لان اجنحة الخلق كسيرة وايديهم قصيرة
وامرهم ضعيف وحالهم رث فادنى هوان يورثهم الخسران واما جناب الحق ففسيح وشانه عظيم وامره علي فلا يلحقه نقص
بوجه ولا يدانيه ضرر ولا يعتري امره وهن لما كان ذلك كذلك سال نوح عليه السلام نجاة ولده كما اخبر عنه تعالى في قوله
ونادى نوح ربه اي الذي عوده بالاحسان الجزيل ودل سبحانه بالعطف بالفاء دون ان ياتي بالاستيناف المفسر للنداء
على ان ما ذكر هنا من نداء نوح عليه السلام بعض ندائه وان هذا المذكور مرتب معقب على شيء منه اقربه ان يكون ما ارشده
اليه سبحانه في سورة المؤمنين ويشعر به قوله تعالى بعد هذا جوابا له يا نوح اهبط بسلام منا فيكون تقدير الكلام
قال رب انزلني منزلا مباركا وما قدر له من الكلام فقال اي عقبه لما حمله على ذلك من رحمة النبوة وشفقة الابوة
وسجية البشر متعرضا لنفحات الرحمة وعواطف العفو او الفاء تفصيل لمجمل نادى مثلها في يوصا فقال رب ان ابني
اي الذي غرق من اهلي اي وقد امرتني بحمل اهلي وذلك الامر محتمل للاشارة الى ارادة نجاتهم وان وعدك الحق اي الكامل في
نجاتهم الا من سبق عليه القول وقد علمت ذلك في المراة الكافرة وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم ومن كان اعلم كان احكم
فتعلم ان قولك الا من سبق عليه القول يصح باستثنائها وحدها فان كان ابني ممن نجا فائتني به وان كان هذا الدعاء عند حيولة
الموج بينهما فالمعنى فلا تهلكه قال يا نوح واكد في نفي ما تقدم منه اثباته فقال انه ليس من اهلك اي المحكوم بنجاتهم لايمانهم
وكفره ولهذا علل بقوله انه عمل اي ذو عمل ولكنه جعله نفس العمل في قراءة الجماعة مبالغة في ذمه وذلك لان الجواهر متساوية
الاقدام في نفس الوجود لا تشرف الا باثارها فبين انه ليس فيه اثر صالح اصلا وبينت قراءة يعقوب والكسائي بالفعل ان من باشر
السوء مطلق مباشرة وجبت البراءة منه ولا سيما للاكابر فلا يواصل الا باذن وعبر بالعمل دون الفعل لزعمه ان اعماله مبنية على العلم
واكده لما لا يخفى من سوال نوح عليه السلام هذا غير صالح بعلمي وقد حكمت في هذا الامر اني لا انجي منه الا من اتصف بالصلاح
وانا عليم بذات الصدور وانت يخفى عليك كثير من الامور فربما ظننت الايمان بمن ليس بمؤمن لبنائك الامر على ما تراه
من ظاهره وقد نقل الرماني عن الحسن انه كان ينافق باظهار الايمان وهذا يدل على ان الموافق في اللين الصق ما يكون
وان كان في غاية البعد في النسب والمخالف فيه ابعد ما يكون وان كان في غاية القرب في النسب ولما تسبب عن هذا
الجواب ان ترك السوال كان اولى ذكر امرا كليا يندرج فيه فقال فلا تسئلني اي بنوع من انواع السوال ما ليس لك به علم
فلا تعلم اصواب السوال فيه ام لا لان اللائق بامثالك من اولي القرب بناء امورهم على التحقق وانتظار الاعلام منا انظر الى
قول موسى عليه السلام في حديث الشفاعة في الصحيح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها
ومن المعلوم ان تلك النفس كانت كافرة من آل فرعون اني اعظك اي بمواعظي كراهية ان تكون اي كونا تتخلق به من الجاهلين
اي في عداد الذين يعملون بالظن لانهم لا سبيل لهم الى الوقوف على حقائق الامور من قبلنا فتسل مثل ما يسئلون
ولما انجلى للسامع ما هو فيه صلى الله عليه وسلم من علو المقام وعظيم الشان الموجب للعتاب على كثير من الصواب فتشوف
لجواب استانف بيانه بقوله قال اي مبادرا على حسب ما يقتضيه ما له من كمال الصفات رب اي ايها المحسن الي واكد
دلالة للسامعين على عظيم رغبته فقال اني اعوذ بك ان اي من ان اسالك اي في شيء من الاشياء ما ليس لي به علم تادبا باذنك
واتعاظا بموعظتك وارتقاء لما رقيتني اليه من علو الدرجة ورفيع المنزلة والا تغفر لي اي الآن وفي المستقبل وترحمني
اي تستر زلاتي وتمحها وتكرمني اكن من الخاسرين اي العريقين في الخسارة فكانه قيل ماذا اجيب عن ذلك فقيل قيل بالبناء
للمفعول دلالة على العظمة والجلال الذي يكون للامور العظيمة لاجله بادنى اشارة يا نوح اهبط اي من السفينة بسلام
اي عظيم منا اي ومن سلمنا عليه فلا هلك يلحقه وبركات اي خيرات نامية صالحة عظيمة عليك اي خاصة بك
وعلى امم اي ناشئة ممن معك لكونهم على ما يرضينا ولا نمتعهم بالدنيا الا قليلا ولهم اذا رجعوا الينا نعيم مقيم وقد دخل
في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وامم اي منهم سنمتعهم في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش على
وفق علمنا وارادتنا ولا بركات عليهم منا ولا سلام فالاية من الاحتباك ذكر البركات والسلام اولا دليلا على نفيهما ثانيا
والمتاع والعذاب ثانيا دليلا على حذف ضدهما اولا ثم يمسهم منا اي في الدارين او في الاخرة عذاب اليم لجريهم على غير هدينا
وجراتهم على ما يسخطنا ويجوز ان يكون وامم مبتدا من غير تقدير صفة محذوفة فيكون المسوغ للابتداء كون المقام مقام التفصيل

احتباك م

والعياذ طلب النجاة بما يمنع من الشر والبركة ثبوت الخير بنمائه حالا بعد حال واصله الثبوت ومنه البروك والبركة لثبوت
الماء فيها ذكر قصة نوح عليه السلام من التورية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن يازد بن مهلاليل بن قينان بن انوش
ابن شيث بن آدم عليه السلام وذلك لانه في اوايل السفر الاول منها وان آدم طاف نحو حليلته فحبلت وولدت له ابنا فسماه شيث
وقال الآن اخلف الله علي نسلا آخر بدل هابيل الذي قتله قابين وذلك بعد ان عاش آدم ماية وثلثين سنة وكان جميع حياة آدم
تسعماية وثلثين سنة وعاش شيث ماية وخمس سنين فولد له انوش وكان جميع حياة شيث تسعماية واثنتي عشرة سنة فعاش
انوش تسعين سنة فولد له قينان وكان جميع حياة انوش تسعماية وخمس سنين وعاش قينان سبعين سنة فولد له مهلاليل
وكان جميع حياة قينان تسعماية وعشرين سنة وعاش مهلاليل خمسا وستين سنة فولد له يازد وكانت جميع حياة مهلاليل
ثمانماية سنة وخمسا وتسعين سنة وعاش يازد ماية واثنتين وستين سنة فولد له خنوخ فكانت جميع حياة يازد تسعماية
واثنتين وستين سنة وعاش خنوخ خمسا وستين سنة فولد متوشلخ وكانت جميع حياة خنوخ ثلثماية وخمسا وستين سنة
وعاش متوشلخ ماية وسبعا وثمانين سنة فولد له لمك وكانت جميع حيوة متوشلخ تسعماية وتسعا وستين سنة وعاش لمك
ماية واثنتين وثمانين سنة فولد له ابن فسماه نوحا ثم قال هذا يريحنا من اعمالنا وكدا يدينا في الارض التي قد لعنها الله
وكانت جميع ايام حياة لمك سبعماية وسبعا وسبعين سنة وتوفي ونوح ابن خمسماية سنة فولد لنوح بنون سام وحام
ويافث فلما بدا الناس ان يكثروا على وجه الارض وولد لهم البنات نظر بنوا الاشراف منهم بنات العامة حسانا جدا فاحذروا
منهم النسا على ما اختاروا واحبوا فقال الله عند ذلك لا تحل عنايتي وشفقتي على هولاء الناس لانهم يتبعون اهوا الجسد
واللحم وكان على الارض جبابرة في تلك الايام ومن بعدها لان بني الاشراف دخلوا على بنات العامة فولد لهم جبابرة مذكورون
فراى الرب ان شر الناس قد كثر على الارض وان هوى فكرهم وحقدهم هم ردي في جميع الايام فقال الرب امحق الذين خلقت
وابيدهم عن جديد الارض من الناس والبهايم حتى الهوام وطير السما وظفر نوح من الله برحمة ورافة وكان نوح رجلا بارا
تقيا في حقبه فارضى الله وفسدت الارض بين يدي الله وامتلات اثما وفجورا فراى الرب الاله ان الارض قد فسدت وقال
الله لنوح قد وصل الي امر جميع الناس وسوء اعمالهم لان الارض قد امتلات اثما وفجورا بسوء سيرتهم فها انا ذا مفسدهم مع الارض
فاتخذ لك انت تابوتا مربعا من خشب الساج وفي نسخة الشمشار واجعل في التابوت علالي واطلها بالقار من داخلها وخارجها
وليكن طول الفلك ثلاثماية ذراع وعرضه خمسين ذراعا وسمكه ثلثين ذراعا واجعل في التابوت كوى وليكن عرضها من
اعلاها ذراعا واحدا واجعل باب الفلك في جانبه واجعل فيه منازل اسفل واوساط وعلالي وها انا ذا مجدر ماء الطوفان
على الارض لافسد به كل ذي لحم فيه نسمة الحيوة من تحت السما ويبيد كل ما على الارض واثبت عهدي بيني وبينك وتدخل التابوت
انت وبنوك وامراتك ونسا بنيك معك ومن كل حي من ذوي اللحوم من كل صنف اثنان لتحيا معك ولتكن ذكورا واناثا
من كل الطيور لاجناسها ومن الانعام لاصنافها ومن كل الهوام التي تدب على الارض لجواهرها اثنين اثنين ادخل معك من كلها لتستحييها
ذكرا وانثى واجعل من كل ما يوكل فاخزنه معك وليكن ماكلك وماكلها فصنع نوح كل شي كما امر الله ثم قال الله لنوح ادخل انت
وكل اهل بيتك الى التابوت لاني اياك وجدت بارا تقيا في هذا الحقب ومن كل الانعام الزكية ادخل معك سبعة سبعة
من الذكور والاناث ومن الانعام التي ليست بزكية ادخل معك اثنين اثنين ذكورا واناثا ومن الطير الزكي سبعة سبعة
ذكورا واناثا ليحيا منها نسل على وجه الارض لاني من الآن الى سبعة ايام اهبط القطر على وجه الارض اربعين يوما ولياليها
وابيد كل ما خلقت على وجه الارض فصنع نوح امره الرب الاله فلما كان بعد ذلك بسبعة ايام نزلت مياه الطوفان تفجرت مياه
الغمر وتفتحت مشاعب السما واقبلت الامطار على وجه الارض اربعين نهارا واربعين ليلة وفي هذا اليوم دخل نوح وسام
وحام ويافث بنوا نوح وامراة نوح ونسا بنيه الثلاث معه الفلك هم وجميع السباع لاجناسها وجميع الدواب لاصنافها
وكل حشرة تدب على الارض لجواهرها وجميع لاجناسها ودخل مع نوح التابوت من كل عصفور وكل ذي جناحين اثنان اثنان
ومن كل ذي لحم فيه روح الحيوة وكل شي دخل من ذوي اللحوم دخلوا ذكورا واناثا كما امر الله نوحا ثم اغلق الله الرب الباب
عليه وكان الطوفان على الارض اربعين يوما واربعين ليلة وكثرت المياه حتى احتملت التابوت فارتفع عن الارض وغزرت المياه
وكثرت على الارض جدا وجعل التابوت يسير على وجه الما واشتدت المياه على وجه الارض جدا جدا وتوارت جميع الجبال
العالية الشاهقة التي تحت السما وارتفعت المياه من فوق كل جبل خمسة عشر ذراعا وباد كل ذي لحم على الارض من الطيور
اجمع والسباع والدواب وجميع الحشرة التي تدب على الارض وجميع الناس والبهايم ومات كل شي كان فيه نسمة الحيوة
مما في اليبس وبقي نوح ومن معه في الفلك واشتدت المياه على الارض ماية وخمسين يوما وان الله ذكر نوحا وكل السباع
والدواب وجميع الطيور التي معه في التابوت فاهاج الله ريحا على وجه الارض فسكنت المياه والامطار وانسدت
ينابيع الغمر وميازيب السما وغاضت المياه بعد ماية وخمسين يوما وسكن التابوت ووقف في الشهر السابع لثلاث
عشرة ليلة بقيت من الشهر على جبال قودي وجعلت المياه تتصرف وتنتقص الى الشهر العاشر وظهرت روس الجبال
في اول يوم من الشهر العاشر فلما كان بعد ذلك باربعين يوما فتح نوح الكوة التي عملها في التابوت فارسل الغراب فخرج
الغراب من عنده فلم يعد اليه حتى يبست المياه عن وجه الارض ثم ارسل الحمامة من بعده ليرى هل قلت المياه عن وجه
الارض فلم تجد الحمامة موضعا لموطي رجليها فرجعت الى التابوت لان المياه كانت بعد على وجه الارض فمد يده فاخذها

وادخلها

وادخلها اليه وانتظر سبعة ايام اخري ثم عاد فارسل الحمامة فعادت عند المساء وفي منقارها ورقة زيتون فعلم ان الماء قد غاض عن وجه الارض فصبر ايضا سبعة ايام اخر ثم ارسل الحمامة فلم تعد اليه ايضا ففتح نوح باب الفلك فراي فاذا وجه الارض قد ظهر وجفت الارض فكلم الرب الاله نوحا وقال له اخرج من التابوت انت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك وكل السباع التي معك من كل ذي لحم والطيور والدواب واخرج كل الهوام التي تدب على الارض معك وتتوالد وتنمو في الارض وتكثر وتزداد على الارض فخرج نوح ومن ذكور وبني الرب مذبحا واخذ من جميع الدواب والطيور الزكية فاصعد منها على المذبح قربانا للرب الاله فقال الرب الاله لا اعود العن الارض ايضا من اجل اعمال الناس لان هوي قلب الانسان وحفن رديء منذ صباه ولا اعود ايضا ابيد كل حي كما فعلت ومن الآن جميع ايام الارض يكون فيها الزرع والحصاد والبرد والحر والقيظ والشتا مبارك الله علي نوح وبنيه وقال لهم انموا واكثروا واملاوا الارض وكيفش رعبكم وحوفكم جميع السباع وبهايم الارض وكل طيور السماء وكل دابة تدب علي الارض وجميع حيتان البحور تكون تحت ايديكم وكل الدواب الطاهرة الحية تكون لاكلكم وقد جعلت الاشيا كلها حلالا لكم مثل عشب البرية وخضرها واما واما المخنوق الذي دمه فيه فلا تاكلوه فان دمه نفسه واما دماؤكم من انفسكم فاطلبها بالهي من يد جميع الحيوان ومن يد جميع الناس اي انسان قتل اخاه طالبته يده ومن سفك دم الانسان سفك دمه لان الله خلق آدم بصورته وانتم فانموا واكثروا وتولد وانمي الارض واكثروا فيها وقال الله لنوح ولبنيه معه ها انا اقيمت عهدي بيني وبينكم ومع انسالكم من بعدكم ومع كل نفس حية منكم ومع الطيور والدواب ومع كل سباع الارض جميع الذين خرجوا من الفلك واثبت عهدي بيني وبينكم فلا يبيد كل ذي لحم ايضا بماء الطوفان ولا يصير الطوفان ايضا ليفسد جميع الارض قال الله لنوح هذه علامة العهد الذي اجعله بيني وبينكم وبين كل نفس حية معكم في جميع احقاب العالم قد اظهرت قوسي في السحاب فهي امارة ذكر العهد بيني وبينك وبين اهل الارض فاذا انشات السحاب في الارض وظهرت قوس السحاب فاذكروا العهد الذي بيني وبينكم وكان بنوا نوح الذين خرجوا معه من التابوت سام وحام ويافث وحام يكني اباكنعان هولاء الثلاثة هم بنوا نوح وتفرق الناس من هولاء في الارض كلها ثم ذكر ان نوحا عليه السلام نام فراي حام عريه فاظهر ذلك لاخوته فتناول سام ويافث ردآءه فالقياه علي اكتافهما ثم سعيا علي اعقابهما مدبرين فواريا عري ابيهما فلما علم نوح ما صنع ابنه الاصغر دعا عليه ان يكون عبدا لاخويه وكانت جميع ايام حيوة نوح تسعماية سنة وخمسين سنة ثم توفي عليه الصلوة والسلام والتحية والاكرام ثم ذكر ان الناس بعده ارادوا ان يبنوا صرحا لاحقا بالسماء واجتمع جميعهم علي ذلك لان لغتهم كانت واحدة ورايهم واحد فغرق الله السنتهم وفرقهم من هنالك علي وجه الارض ولم يبنوا القرية التي هموا بها ولذلك سميت بابل وبوبا لمعناه بالعبراني الشتات وما في تفسير البنوي وغيره من ان عوج بن عوق بضمهما كما في القاموس كان ذكر نوح عليه السلام وسلم من الطوفان وان الماء لم يجاوز ركبتيه ونحو هذا كذب بحت مناف لقوله تعالي ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وقوله رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا ونحوها فان كل من ذكر ذلك ذكوان موسي عليه السلام قتله كفرا ولما تمت هذه القصة علي النحو الوافي ببيان اجتهاد نوح عليه السلام في ابلاغ الانذار من غير مراعاة اقبال ولا ادبار وكانت مع ذلك دالة علي علم تام واطلاع علي دقايق الاسباب اليها الا من جهة الملك العلام نهي علي ازالة اللبس عن امر صلي الله عليه وسلم اوضح من الشمس قال تعالي منبها علي ذلك تلك اي هذه الانباء البديعة الشان الغريبة الامر البعيدة عن طوق المعارف العلمية الرتب عن يد المتناول من انباء الغيب اي اخباره العظيمة ثم اشار الي انه لا يزال يجدد له امثالها بالمضارع في قوله نوحيها اليك فكانه قيل ان بعض اهل الكتاب يعلم بعض تفاصيلها فاشار الي ان ذلك مجموعه غيب وبما يعلمونه غيب نسبي بقوله ما كنت تعلمها اي علي هذا التفصيل انت ولما كان خفاؤها عن قومه دليلا علي خفائها عنه لانه لم يخالط غيرهم قال ولا قومك اي وان كانوا اهل قوة في القيام علي ما يحاولونه وعددا كثيرا ومنهم من يكتب ويخالط العلما ولما كان زمان خفاء ذلك عنهم وان كان عاما لهم بعض الزمان الماضي ادخل الجار فقال من قبل هذا اي من ايحائي اليك حتي يطرق الوهم حينئذ انك تعلمتها من احدهم وان كان يعلم كثيرا من اهل الكتاب كما رايت عن نص التورية فبانا ان لا غرض لقومك الا العناد فاصبر علي ذلك ولا تفتر عن الانذار فستكون لك العاقبة كما كانت لنوح لاجل تقواه ان العاقبة اي آخر الامر في الفوز والنصر والسعادة للمتقين اي العريقين في محافة الله في كل زمن وقد تضمنت القصة ابيان عما يوجبه حال اهل الحيز والايمان واهل الشر والطغيان من الاعتبار بالنبا عن العريقين ليجتنبي حال هولاء ويتقي حال اولئك لسوء العاقبة في الدنيا والاخرة ولما تم من ذلك ما هو كفيل بغرض السورة وختم بان العاقبة وآيما للمتقين اتبع بالدليل علي ذلك من قصص الانبيا مع اقوامهم بما سيقت له قصة نوح علي جميعهم السلام من الحث علي المجاهرة بالانذار فقال تعالي والي اي ولقد ارسلنا الي عاد اخاهم وبينه فقال هودا ولما تقدم امر نوح عليه السلام مع قومه استشرف السامع الي معرفة ما قال هود عليه السلام هل هو مثل قوله اولا فاستانف الجواب بقوله قال يا قوم اي الذين هم اعز الناس لدي اعبدوا الله اي ذا الجلال والاكرام وحده ثم صرح وعلل فقال ما لكم واغرق في النفي فقال من اله اي معبود بحق غيره فدعا الي اصل الدين كما هو دابه ساير النبيين والمرسلين ثم ختم

ذلك بمواجهتهم بما يسوءهم من الحق وما ثناه عن ذلك رجاء ولا خوف فقال ان اي ما انتم الا مفترون اي معدون الكذب على
الله في اشراككم به سبحانه لان ما على التوحيد من ادلة العقل غير خاف على عاقل فكيف مع تنبيه النقل وذلك مكذب لمن اشرك
اي فاحذروا عقوبة المفتري ثم نفى ان يكون له في ذلك غرض غير نصحهم بقوله موضع اني ناصح لكم بهذا الامر فلا تسوءكم مواجهتي
لكم فيه بما تكرهون يا قوم مكررا الاستعطاف لا اسالكم اي في المستقبل كما لم اسالكم في الماضي عليه اي على هذا الانذار اجرا اي فلست
موضع تهمة ان اي ما اجري ثم وصف من توكل عليه سبحانه بما يدل على الكفاية وعلى وجوب شكره فقال الا على الذي فطرني اي
ابتداء خلقي ولم يشاركه فيه احد فهو الغني المطلق لا اوجه رغبتي الى غيره كما يجب على كل احد ذلك لكونه فطره ولما كان الخلاف
الذي لاحظ فيه من جهة الدنيا لا يحتاج الانسان في الدلالة على ان صاحبه ملجا اليه من جهة الله وانه لا نجاة الا به الى غير العقل
سبب عن قوله هذا الانكار عليهم في قوله افلا تعقلون ولما دعاهم مشيرا الى ترهيبهم مستدلا على الصدق بنفي الغرض رغبهم
في ادامة الخوف مما مضى بقوله ويا قوم ومن هم اعز الناس علي ولهم قدرة على طلب منهم استغفروا ربكم اي اطلبوا غفرانه
بطاعتكم له لما يجب له باحسانه اليكم واشار الى علي رتبة التوبة باداة التراخي فقال ثم توبوا اليه اي تسنموا على هذه
الرتبة بان تطلبوا ستر الله لذنوبكم ثم ترجعوا الى طاعته بالندم والاقلاع والاستمرار يرسل السماء اي الماء النازل منها
او السحاب بالماء عليكم مدرارا اي هاطلة بمطر غزير متتابع ويزدكم قوة اي عظيمة مجموعة الى قوتكم ثم عطف على قوله
استغفروا قوله ولا تتولوا اي تكلفوا انفسكم غير ما جبلت عليه من سلاسة الانقياد فتبالغوا في الاعراض بما اشار اليه
اثبات التاء مجرمين اي قاطعين لانفسكم ببناء امركم على الظنون الفاسدة عن خيرات الدنيا والاخرة ولما محض لهم النصح على
غاية البيان ما كان جوابهم الا ان قالوا اي عاد بعد ان اظهر لهم هود عليه السلام من المعجزات ما مثله امن عليه البشر يا هود
نادوه باسمه غلظة وجفا ما جئتنا ببينة فاوضحوا لكل ذي لب انهم مكابرون لقويم العقل وصريح النقل فهم مفترون كما كان
العرب يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان اتاهم من الايات على يده ما تفوت الحصر لولا انزل عليه اية من ربه وما نحن
واغرقوا في النفي فقالوا بتاركي الهتنا مجاوزين لها او صادرين عن قولك وتركهم للعطف بالفاء المؤذنة بان الاول
سبب للثاني الى الواو في قولهم وما نحن لك اي خاصة واغرقوا في النفي فقالوا بمؤمنين دليل على انهم تركوا اتباعه عنادا
الا انهم يعتقدون انه لم يات ببينة والى ذلك يرشد ايضا تعبيرهم بالاسمية التي تدل على الثبات فاذا نفي لم ينتف الاصل والبينة
الحجة الواضحة في الفصل بين الحق والباطل والبيان فصل المعنى من غيره حتى يظهر للنفس محررا مما سواه والحامل على ترك
البينة بعد ظهورها صد الشبهة عنها او تقليد الرؤساء في دفعها او اتهام موردها او اعتقاد اصول فاسدة تدعوا الى
جحدها او العناد للحسد ونحوه والجامع له كله وجود الشبهة ولما قالوا هذا الكلام البين الفساد من غير تعرض لنقض ما
قال لهم بنوع شبهة كان كانه قيل لهم هذا الذي قلته له وهو لا ابين منه ولا اعدل افرضوا انه ما ظهر لكم صحته فما تقولون
انه حملني عليه مع ان فيه منابذتكم وانتم اولاد عمي واعز الناس علي فقالوا ان نقول الا اعتراك اي اصابك وغشيك غشيانا
التصق العروة بما هي فيه مع التعمد والقوة بعض الهتنا بسوء من نحو الجنون والخبل فذاك الحامل لك على النهي عن عبادتها
ولما كان الطبع البشري قاضيا بان الانسان يخشى ممن مسه بسوء وهو يتوهم انه قادر على ضرره فلا يواجهه بما يكره وكان
قولهم محركا للسامع الى الاستعلام عن جوابه لهم استانف سبحانه الاخبار عنه بقوله قال نافيا لما قالوا مبينا ان الهتهم
لا شيء ضاما لهم معها واكد لانهم بحيث لا يظنون ان احدا يقول ما قاله اني اشهد الله اي الملك الاعظم ليقوم عذري عنده وعدل
ادبا مع الله عن ان يقول واشهدكم لئلا يتوهم تسويته الى صنعه الامر تهاونا بهم فقال واشهدوا اي انتم لتقوم الحجة عليكم
لا بكم ويبين عجزكم ويعرف كل احد انكم بحيث يتهاون بكم وبدينكم ولا يبال بكم ولا به اني بريء مما تشركون وبين سفولها بقوله
من دونه كائنا ما كان ومن كان فكيف اذا لم يكن الا جمادا فكيدوني حال كونكم جميعا اي فرادى ان شئتم او مجتمعين انتم
والهتكم ولما كانت المعاجلة في الحرب اهول وكان شانها اصعب واخطر بين عظمها باداة التراخي فقال ثم لا تنظرون
والكيد طلب الغيظ بالسر في مكر وهذه الاية من اعلام النبوة الواضحة لهود عليه السلام فكانه قيل هب ان الهتنا لا شيء فما
حملك على الاجتراء على مخالفتنا نحن وانت تعلم كثرتنا وقوتنا وانت لا تزيد على ان تكون واحدا منا فقال اني اي جسرت على ذلك
لاني توكلت معتمدا على الله الملك المرهوب عقابه الذي لا ملك سواه ولا رب غيره وبين احاطة ملكه بقوله ربي وربكم
اي الذي اوجدنا ودبر امورنا قبل ان يخلقها فعلم ما يعمل كل منا في حق الاخر لانه ما من دابة اي صغرت او كبرت الا هو اخذ
اي اخذ قهر وغلبة بناصيتها اي قادر عليها وقد صار الاخذ بالناصية عرفا في القدرة لان الكل جارون مع مراده لا مع
مرادهم بل لا ينفك احد عن كراهة لبعض ما هو فيه فدل ذلك قطعا على انه بغير مراده وانما هو بمراد قاهر قهره على
ذلك وهو الملك الاعلى سبحانه والناصية شعر مقدم الراس ومن اخذ بناصيته فقد انقاد لاخذه لا يستطيع ميلا ان
اي لان ربي اي المحسن الي بما اقامني فيه على صراط اي طريق واسع بين مستقيم ظاهر امره لكل احد لا لبس فيه اصلا ولا خلل
ولا اضطراب ولا اعوجاج بوجه فلذلك كان كل من في الكون يتالهه ويدعوه ويخافه ويرجوه وان اتخذ بعضهم من دونه
شركاء واما ما يعبد من دونه فلا يعظمه الا عابده واما غير عابده فانه لا يقيم له وزنا فصح بهذا انه غالب على كل شيء غلبه
يعلمها كل موجود من غير خفاء اصلا فهو مرجو مرهوب باجماع العقلاء بخلاف معبوداتكم والحاصل انه يلزم الصراط المستقيم
الظهور فيلزم عدم الاختلاف لانتفاء اللبس فمن كان عليه كان على القدر شهير الامر بصيرا بما يريد مع الثبات والتمكن مرهوب

العاقبة

العاقبة مقصودا بالاتباع والمحبة من لم يقبل اليه ضل ومن اعرض عنه اخذ لكثرة اعوانه وعز سلطانه فظهرت قدرته
على عصمة من يتوكل عليه وعجز معبوداتهم معهم لان نواصي الكل بيده وهو ربها وربهم ورب كل شيء فقد انطبق ختام الآية على
قولهم ما جئتنا ببينة رداله لان من كان على صراط مستقيم لم يكن شيء ابين من امره وعلى جوابه في توكله وما في حيزه اتم انطباق
والناصية اصلها الايصال من قولهم مفازة تناصي مفازة اذا كانت متصلة بها ولما استوفى تشييد امره وهدم قولهم اخذ
يحذرهم فقال مبينا ان العدول عما جاء به لا يكون الا بمعالجة للطبع السليم فان تولوا ولو ادنى تولية بما يشير له حذف التاء
فعليكم اللوم دوني لاني فعلت ما علي فقد اي بسبب اني قد ابلغتكم ما اي كل شيء ارسلت اي تقدم ارسال من عند من لا مرسل في
الحقيقة غيره به اليكم كاملا لم ادع منه شيئا رجاء لاقبالكم ولا خوفا من اعراضكم فابيتم الا التكذيب لي والاستكبار عما جئت به
فالذي ارسلني ينتقم منكم فيهلككم ويستخلف ربي اي يوجد المحسن الي باقامتي فيما يرضيه قوما غيركم يخلفونكم في دياركم واموالكم
فتكونون اعداءه ويكون المستخلفون متعرضين لان يكونوا اولياءه مع كونهم ذوي باس وقوة فيختص الضرر بكم ولا تضرونه
اي الله باعراضكم شيئا ثم علل وعيده لهم بقوله موكدا لان العاصي فاعل بعصيانه فعل من يظن ان الله غافل عنه ان ربي اي
المحسن الي المدبر لمصالحي ولما كان الاهم في هذا السياق بيان استعلائه وقدرته قدم قوله على كل شيء صغير او كبير خليل او
حقير حفيظ اي عالم بكل شيء وقادر على كل شيء وبالغ الحفظ له فيعلم ما يعمل محفوظه فيجازيه بما يستحق من نعمة ونقمة فهو تعليل
لاستخلاف غيرهم وتنزهه عن لحوق ضرر لان الحفظ الحراسة ويلزمها العلم والقدرة فمن القدرة حافظ العين اي لا يغلبه نوم
والحفيظة للحمية والغضب ومنهما معا المحافظة للمواظبة على الشيء والتولي عن الشيء الذهاب الى غير جهته اعراضا عنه والابلاغ
الحاق الشيء نهايته والاستخلاف جعل الثاني بدلا من الاول يقوم مقامه والضر ايجاب الالم بفعله او التسبب له ولما تم
ذلك كان كانه قيل فلم يرجعوا ولم يرعووا لبينة ولا رغبة ولا رهبة فانزلنا بهم امرنا ولما جاء امرنا اي وقت ارادتنا لاهلاك
عاد نجينا اي تنجية عظيمة بما لنا من العظمة هودا والذين امنوا كائنين معه في الايمان والنجاة من قومهم فلم يقدروا ان يصلوا
اليهم بسوء مع اجتهادهم في ذلك واعجابهم بقواهم ويقال ان المومنين كانوا اربعة الاف ولما كان سبحانه بحيث لا يجب عليه
لاحد شيء لانه لا يقدر احد ان يقدره حق قدره وان اجتهد في طاعته فان طاعته نعمة منه عليه اشار الى ذلك بقوله برحمة منا
تحقيقا لتوكل عبدنا ولما بين انجاءهم من قومهم بين انجاءهم مما اهلكهم به فقال مكررا ذكر التنجية دلالة على ان عذابهم كان في
غاية الفظاعة ونجيناهم اي بما لنا من العظمة وبين فظاعة ما اهلك به اعداءهم بقوله من عذاب غليظ اي اهلكنا مخالفيهم
وهو الريح الصرصر وهذا اولى من حمله على عذاب الاخرة لما ياتي من قوله ومن خزي يومئذ كانهم كانوا اذا راوا مخايل العذاب
قصدوا نبيهم ومن آمن به ليهلكوهم قبلهم كما صرح به في قصة صالح والنجاة السلامة من الهلاك وحقيقة الغلظ عظم الجثة
فاستعير للعذاب لثقله على النفس وطول مكثه ولما تمت قصتهم على هذا الوجه البديع والاسلوب المطرب قال تعالى عاطفا
على قوله تلك من انباء الغيب وتلك عاد اي قصة القوم البعداء البغضاء ما كنت تعلمها على هذا التفصيل انت ولا قومك ولا
اهل الكتاب وانما نفيت عن اهل الكتاب لانهم لا يعلمون الا ما له اصل عن انبيائهم وهذه وقصة ثمود ليستا في التورية ولا شيء
من اسفار انبيائهم وسالت بعض علمائهم فلم اجد عنده شيئا من علمها ولا حرفا واحدا ولا سمع بعاد ولا هود وتلخيص قصتهم انهم
جحدوا اي كذبوا عنادا استهانة بايات ربهم المحسن اليهم وعصوا رسله فان من عصى واحدا منهم فقد عصى الكل لاتفاقهم
على امر واحد مع التساوي في مطلق المعجزة واتبعوا اي بغاية جهدهم امر كل جبار اي قاهر بليغ القهر يجبر غيره على ما يريد وهذا
يدل على انه لا عذر في اصل الدين بوجه فان الضماير لا يعلمها الا الله فيمكن كل احد مخالفة الجبار فيه وهو لا يعلم عنيد اي طاغ باغ
لا يقبل الحق بوجه فاهلكوا فلم يمنعهم تجبرهم ولا اغنى عنهم عنادهم وتكبرهم واتبعوا جميعا بعد اهلاكهم بايسر وجه لعظيم قدرة
المتبع في هذه الدنيا حقرها في هذه العبارة بما اشارت اليه الاشارة من التصغير وبما دل على الدنو وبان من اغتر بها فهو ممن
وقف مع الشاهد لما له من الجمود لعنة اي طردا وبعدا وهلاكا ويوم القيمة اي كذلك بل اشد فكانه قيل افما لمصيبتهم من تلاف
فقيل لا الا افتتاحا للاخبار عنهم بهذه الاداة التي لا تذكر الا بين يدي كلام يعظم موقعه ويجل خطبه والتاكيد في الاخبار بكفرهم
تحقيق لحالهم وفيه من ادلة النبوة واعلام الرسالة الرد على طائفة قد حدثت بالقرب من زماننا يصوبون جميع الملل وخصوا
عادا هذه لكونها اغناهم بان قالوا انهم من المقربين الى الله وانهم بعين الرضى منه فالله المسؤول في الادالة عليهم وشفاء الصدور
منهم وهم اتباع ابن عربي الكافر العنيد اهل الاتحاد المجاهرون بعظيم الالحاد المستخفون برب العباد فلذلك قال تعالى
مبينا لحالهم بيانا لا خفاء معه ان عادا كفروا ولم يقصر الفعل بل عداه اعظاما لطغيانهم فقال ربهم اي عطوا جميع انوار
الظاهر الذي لا يصح اصلا خفاؤه لانه لا نعمة على مخلوق الا منه فكان كفرهم اغلظ الكفر ومع ذلك فلم ينثن هود عليه السلام
عن ابلاغهم جميع ما امر به ولا ترك شيئا مما اوحي اليه فلك بهم اسوة وفيهم قدرة ومن كفر من احسن اليه بعد بعدا لا قرب معه
ولما كان الامر عظيما والخطب جليلا كرر الاداة التي تقال عند الامور الجليلة فقال الا بعدا لعاد هو بعد بكسر العين اذا
كان بعده بالهلاك وبينهم بقوله قوم هود تحقيقا لهم ولانهم عادان الاولى والاخرة وايما الى ان استحقاقهم للابعاد بما جرى
لهود عليه السلام معهم من الانكاد والدعاء عليهم بعد الهلاك كناية عن الاخبار بانهم كانوا مستحقين للهلاك والجحد الخبر عما يعلم
صحته انه لا يعلمها وهو ضد الاعتراف كما ان النفي ضد الاثبات فهو خبر بمجرد العدم فهو اعم والعصيان خلاف ما امر به الداعي
على طريق الايجاب واللعنة الدعاء بالابعاد واصلها الابعاد من الخير والاتباع جعل الثاني على اثر الاول والابلاغ اخص منه

والمراد هنا بلوغها لهم لان الذي قضى بذلك قادر وقد الحق بهم عذاب الدنيا المبعد لهم من مظان الرحمة ولما انقضت
قصة عاد على ما اراد سبحانه اتبعها قصة من كانوا عقبهم في الزمن ومثلهم في سكنى ارض العرب وعبادة الاوثان والمناسبة في الامر
المعذب به لان الموصل للصيحة الى الاسماع هو الريح وفي خفاء امرهم مفصلا على اهل ذلك الزمان فقال والى اي ولقد ارسلنا الى
ثمود اخاهم وبينه بقوله صالحا ثم اخرج قوله صلى الله عليه وسلم على تقدير سوال فقال قال يا قوم اي يا من يعز على ان يحصل لهم
سوء اعبدوا الله اي الملك الاعظم وحده لان عبادتكم له مع غيره ليست بشيء ثم استانف تفسير ذلك فقال ما لكم واغرق في النفي
فقال من اله غيره جريا على منهاج الدعاة الى الله في اصل الدين وهو من افراد المنعم بالعبادة ولما امرهم بذلك ذكرهم قدرته ونعمته
مرغبا مرهبا فقال هو اي وحده انشاكم اي ابتدا خلقكم من الارض بخلق ادم عليه السلام منها بغير واسطة وبخلقكم من المني من
الدم وهو من الغذاء وهو من النبات وهو من الارض كما انشا اوثانكم منها ورفع مقداركم عليها بان استعمركم اي اهلكم لما لم تؤهل له
الاوثان من ان تكونوا عمارا فيها فلا تنسوا حق الهكم وما فضلكم به من حق انفسكم بخضوعكم لما لا يساويكم فكيف بمن انشاكم واياها
والانشاء الابتداء بالايجاد من غير استعانة بشيء من الاسباب ولما بين لهم عظمته سبحانه وكان الشيطان قد سبه عليهم انه
لعظمته لا يوصل اليه الا بوسيلة كما هو حال الملوك والقى اليهم ان الاوثان وسايل نفى ذلك مبينا طريق الرجوع اليه بقوله
فاستغفروه اي فاقبلوا بكل قلوبكم عليه طالبين ان يستر ذنوبكم وذكر شرط المغفرة بقوله مشيرا باداة البعد الى عظيم المنزلة
ثم توبوا اي ارجعوا بجميع قلوبكم اليه ثم علل ذلك بلطفه وعطفه ترغيبا في الاقبال اليه فقال موكدا لان من يرى امهاله
للعصاة يظن الظنون ومن عصاه كان عمله عمل من ينكر قربه واجابته ان ربي الذي اخلصت له العبادة لاحسانه الي وادعوكم
الى الاخلاص له لاحسانه اليكم قريب من كل من اقبل اليه من غير حاجة الى معاناة مشي ولا حركة جارحة مجيب لكل من ناداه لا
كمعبوداتكم في الامرين معا ولما دعاهم الى الحق ونصب لهم عليه من الادلة ما هم به معترفون وذكرهم نعمه موميا الى التحذير
من نقمه وسهل لهم طريق الوصول اليه ما كان جوابهم الا ان سلخوه من طور البشرية بمحض التقليد فلذلك استانف
الاخبار عن جوابهم بقوله قالوا اي ثمود يا صالح نادوه باسمه قلة ادب منهم وجفا قد كنت فينا اي فيما بيننا اذا تذاكرنا
امرك مرجوا اي في حيز من يصح ان يرجى ان يكون فيه خير وسودد ورشد وصلاح واستغرقوا الزمان فحذفوا الجار وقالوا
قبل هذا اي الذي دعوتنا اليه فاما بعد هذا فانسلخت من هذا العداد ثم بينوا ما اوجبوا سقوطه عندهم بقولهم منكرين انكار
محترق اتنهانا اي مطلق نهي ان نعبد اي دائما ما يعبد اباؤنا وعبروا بصيغة المضارع تصويرا للحال كان اباؤهم موجودون
فلا تمكن مخالفتهم اجلالا لهم فاجلوا من يرونه سببا قريبا في وجودهم ولم يهابوا من اوجدهم واباءهم اولا من الارض وثانيا من
النطف ثم خولهم فيما هم فيه ثم فزعوا في اصل الدين بعد ذكر الحامل لهم على الكفر المانع لهم من تركه الى البهت بان ما يوجب القطع
لكل عاقل من ايته الباهرة لم يؤثر عندهم الا ما هو دون الظن في ترك اجابته فقالوا موكدين لان شكهم حقيق بان ينكر لانه في امر
واضح جدا لا يحتمل الشك اصلا وانا لفي شك وزادوا التاكيد بالنون واللام وبالاشارة بالظرف الى احاطة الشك بهم
مما ولما كان الداعي واحدا وهو صالح عليه السلام لم يلحق الفعل غير نون واحدة هي ضميرهم بخلاف ما في سورة ابرهيم عليه السلام
فلذلك قالوا تدعونا اليه من عبادة الله وحده مريب اي موقع في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين والرجا
تعلق النفس بمجيء الخير على جهة الظن ونظيره الامل والطمع والنهي المنع من الفعل بصيغة لا تفعل ولما ابرزوا له امرهم في
قالب الشك على سبيل الجزم قابلهم بمثله على سبيل الفرض انصافا لهم او لملايم الخطاب حال المخاطبين فاستانف سبحانه الاخبار
عنه بذلك في قوله قال اي صالح نادبا لهم الى النظر في امره برفق يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت ذا يقين واستعلاء
على بينة من ربي المحسن الي لا شك عندي فيه واتاني منه رحمة اي اوامر هي سبب الرحمة فمن ينصرني واظهر موضع الاضمار
وعبر بالاسم الاعظم لاقتضاء المقام التهويل فقال من الله اي الملك الاعظم ان عصيته اي ان وقوعكم في الشك على زعمكم
حملكم على هيبة الاباء في التلبس باعمالهم مع زوالهم واضمحلالهم ولو كانوا موجودين وعصيتموهم لم تبالوا بهم واما انا فالذي
امرني بعبادته حي قادر على جزاء من يطيعه او يعصيه واقل ما يحمل على طاعته الشك في عقوبته وهو كاف للعاقل في ترك
الخطر فما اي فتسبب عن نهيكم عن الدعاء اليه سبحانه انكم ما تزيدونني بذلك شيئا في عملي بما ترومونه مني من عطفي عنه باتباعكم
في عملكم او الكف عنكم لا صير في عداد من يرجى عندكم ممن له عقل غير تخسير اي ايقاعي في الخسارة على هذا التقدير فلا تطمعوا في
تركي لشيء من مخالفتكم ما دمتم على ما انتم عليه والاية كما ترى ناظرة الى قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك ولما
اخبرهم ان معصية الله خسران ذكرهم ان امر الناقة التي اخرجها سبحانه لهم من الارض شاهدا على كونهم مساوين للاوثان
في كونهم منها مفضلين عليها بالحيوة محذرا لهم من شديد انتقامه فقال ويا قوم هذه اشارة الى حاضر وذلك بعد ان اخرجها
لهم سبحانه عند ما دعاه صالح عليه السلام وبين الاشارة بقوله ناقة الله اي الملك الاعلى ثم بنى حالا من اية مقدما عليها
لئلا يكون صفة لها فقال لكم اي خاصة لنظركم اياها عند ما خرجت ولكل من سمع بها بعدكم وليس الخبر كالمعاينة اشير اليها
حال كونها اية بكون الله اخرجها لكم من صخرة وهي عشراء على حسب ما اقترحتم وانتم تشاهدون وبكونها تنفرد بشرب يوم
وتنفردون كلكم بشرب يوم وتنفرد برعي يوم وتنفرد جميع الحيوانات من دوابكم ووحوش بلادكم برعي يوم الى غير ذلك
من ما انتم له مبصرون وبه عارفون فذروها اي اتركوها على اي حالة كان تركككم لها تاكل اي مما ارادت في ارض الله اي
الملك الذي له الامر كله التي خلقها منها ولا تمسوها بسوء والاكل مضغ يقع عنه بلع والمس مطلق الاصابة ويكون بين الحيوان

وغيره

وغيره والمس اخص منه لما فيه من الاذراك فياخذكم اي فيتسبب عن ذلك ان ياخذكم عذاب قريب اي من زمن اصابتكم لها بالسوء ثم اشار الى قرب مخالفتهم لامره فيها بقوله مسببا عن اوامره ونواهيه ومعقبا فعقروها اي الناقة فقال اي عند بلوغه الخبر تمتعوا اي انتم تعيشون في داركم اي هذه وهي بلدة الحجر ثلثة ايام اي بغير زيادة عليها فانظروا ماذا يغني عنكم تلذذكم وترفهكم وان اجتهدتم فيه ولما كان كانه قيل هل في هذا الوعيد مثنوية قال مجيبا ذلك اي الوعد العالي الرتبة في الصدق والغضب وعد غير مكذوب اي فيه والتمتع التلذذ بالمدركات الحسان من المناظر والاصوات وغيرها مما يدرك بالحواس وسميتا بلاد دار لانها جامعة لاهلها كما تجمع الدار ويدار فيها واشار الى تعقب العذاب للايام وتسببه عن الوعيد المعين بقوله فلما جاء امرنا بالفاء بخلاف ما في قصة هود وشعيب عليهما السلام اي مع مضي الايام كان اول ما فعلنا ان نجينا بما لنا من العظمة اولياءنا صالحا والذين معه من كيد قومهم وبين ان احسانه سبحانه لا يكون الا فضلا منه بقوله برحمة منا وذلك انه عليه السلام قال لهم تصبحون غدا يوم مولس يعني الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم عروبة يعني الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول اي الاحد فقال التسعة الرهط الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد الحقنا به ناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملكة بالحجارة فلما ابطاوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا الصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لم والله لا تقتلونه ابدا فقد وعدكم ان العذاب يكون بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم وراء ما تريدون فانصرفوا فلما اصبحت وجوههم مصفرة عرفوا انه قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فجأ الى بطن منهم يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم فغيبه عنده فعدوا على اصحاب صالح عليه السلام يعذبونهم ليدلوهم عليه فقالوا يا نبي الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك افندلهم قال نعم فدلوهم عليه فاتوه فقال الغنمي لهم عندي ولا سبيل اليه فتركوه وشغلهم عنه ما انزل الله بهم ذكر ذلك البغوي عن ابن اسحاق ووهب وغيرهما مطولا ولما ذكر نجاتهم من كل هلكة ذكر نجاتهم من خصوص ما عذب به قومهم فقال ونجينا اي بما لنا من العظمة من خزي اي ذل وفضيحة يومئذ اي يوم اذ جاء امرنا باهلاكهم بالصيحة وحل بهم دونهم من قارب من اوليائنا واعدائنا وحذف نجينا هنا يدل على ان عذابهم دون عذاب عاد ثم عقب ذلك بتعليله اهلاكا وانجاء باختصاصه بصفات القهر والغلبة والانتقام فقال ان ربك اي المحسن اليك كما احسن الى الانبياء من قبلك هو اي وحده القوي فهو يغلب كل شئ العزيز اي القادر على منع غيره من غير ان يقدر احد عليه او على الامتناع منه من عز الشئ اي امتنع ومنه العزاز للارض الصلبة الممتنعة بذلك عن التعرف فيها والخزي العيب الذي تظهر فضيحته ويستحى من مثله ثم بين ايقاعه باعدائه بعد انجائه لاوليائه فقال معظما للاخذ بتذكير الفعل واخذ الذين ظلموا الصيحة وسبب عنها قوله فاصبحوا في ديارهم جاثمين اي ساقطين على وجوههم وقيل جاثمين على الركب موتى لا حراك بهم وتقدم سر التعبير بالديار مع الصيحة والرادع الرجفة في الاعراف وخصت هود بما ذكر فيها لان المقصود بها اعظم نظرا الى التفصيل وكل من الديار والصيحة اقرب الى ذلك ولما كان الجثوم كناية عن الموت اوضحه بقوله كان اي كانهم لم يغنوا اي يقيموا اغنياء حين بالغنا عنها ثم نبه على ما استحقوا به ذلك لمن اعله يفعل فيسئل بقوله منتحيا بالاداة التي لا تقال الا عند الامور الهائلة الا ان ثمود قرأه الصرف دالة على الاستخفاف بهم لطيشهم في المعصية كفروا ربهم اي اوقعوا التغطية والستر على المحسن اليهم بالخلق والرزق والارسال وهو الظاهر بصفاته وافعاله فلا يخفى على احد اصلا فما يصادف الفعل دون قصره كما في اكثر اغراب بيان لغلظ كفرهم ثم كرر ذلك تاكيدا له واعلاما بتابيد هلاكهم بقوله الا بعدا لثمود ترك صرفهم في قراءة غير الكسائي اي ابعدوا بعدا ولم لبثهم في الطرد والبعد والصيحة صوت عظيم من فم حي وقال ابن عباس زيادة في التخويف والتاسيف بما وقع لهم من التحسير لو ادركه احد منهم لان الانسان يفرح اذا اصبح بقيامه من مؤمنه مستريحا قادرا على ما يريد من الحركات للاستمتاع بما يشتهي من التصرفات فاصبح هو لا بعد هذه الصفة على ما قص الله خفوتا اجمعين كنفس واحدة رجالا ونساء صغارا وكبارا فانهم لا يكونوا اصلا ولا اصدروا فعلا ولا وصلا كانهم لم يكونوا العيون قرة ولم يعدوا في الاحياء مرة كان لم يقيموا لانقطاع اثارهم الا ما بقي من اجسادهم الدالة على الخزي والمغاني المنازل واصل الغنا الاكتفاء ومعنى الا التنبيه قال الرماني وهي الف الاستفهام دخلت على لا فالف تقتضي معنى ولا تنفي معنى فاقتضى الكلام بهما معنى التنبيه مع نفي الغفلة انتهى وكان حقيقته والله اعلم ان الا دخلت على ما بعدها فنفته ثم دخلت عليها همزة الانكار فنفتها ومن المعلوم ان نفي النفي اثبات فرجع المعنى كما كان على اتم وجوه التاكيد كان اثبات المعنى بعد نفيه اكد من اثباته عريا عن النفي ولا سيما اذا كان المفيد لذلك الانكار وهذا المعنى حطرد في الام العرضية وحلا التحضيضية ونحوهما ويجيء في كل صلة بان ترد الى اصل مدلولها في اللغة ثم تتصرف بما يقتضيه الحال والله الهادي ولما اقتضت القصة على هذا الوجه الرائع ابتها قصة لوط عليه السلام اذ كانت اشهر الوقايع بعدها وهي اقطع منها واروع وقدم عليها ما يتعلق بها من امر ابرهيم عليه السلام وذكر نبئه لما في ذلك كله من التنبيه لمن تعنت بطلب انزال الملئكة في قوله او جاء معه ملك على ان ذلك ليس عزيزا عليه وقد اكثر من فعله ولكن تزدلهم مرهب وامرهم عند المكاشفة مرعب وامامع الستر فلا يقطع تعنتهم هذا مع ما في ذلك من مناسبة امر هذا الولد الكامر الناقة في تكوين كل منها بخارق للعادة اشارة الى تمام القدرة وكمال العلم المبني عليه امر السورة في احكام الكتاب وتفصيله

وتناسب جدا الى نوح وابرهيم عليهما السلام في ان كلامنها شفقة على الكافرين رجاء لنجاتهم من العذاب بحسن المتاب ولعله سبحانه
كرر لعذ في صدرها عطفها على ما في قصة نوح للتنبيه على مثل هذه الاعراض لان قد للتوقع فجات لتوذن بان السامع في حال التوقع لذلك
لانه اذا انقضت قصة توقع الخبر عما بعدها فقال تعالى ولقد قال الرماني ودخلت اللام لتاكيد الخبر كما يوكد القسم جاءت رسلنا اي
الذين عظمتهم من عظمتنا قيل كانوا جبريل وميكايل واسرافيل عليهم السلام ابرهيم هو خليل الله عليه السلام بالبشرى اي التي هي
من اعظم البشائر وهي اكرامه باسحق عليه السلام ولدا له من زوجته سارة رضي الله عنها جاؤه في الصفة التي بجتها وهي صفة
الاضياف فلم يعرفهم مع انه الخليل بل انكرهم كما قال تعالى في الذاريات قال سلام قوم منكرون فيحمل انكاره اولا على الاستمرات
بمعنى انه لم ير عليهم زي اهل تلك البلاد ولا اثر السفر فكانه قيل ما كان من امرهم فقيل قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما عظيما
قال سلام اي ثابت دائم عليكم لا زوال له ابدا فللرفع مزية على النصب لانه اخبار عن ثابت والنصب تجديد عالم يكن فصار منذر رجاء
في محيوا باحسن منها ثم اكرم نزلهم وذهب يفعل ما طبعه الله عليه من سجايا الكرم وافعال الكرام في ادب الضيافة من التعجيل
مع الاتقان فما لبث اي تسبب عن مجيئهم وتعقبه انه ما تاخر ان جاء بعجل حنيذ اي مشوي على حجارة محماة في اخدود وفوقه
حجارة محماة ليشتد نضجه فكان بعد الشيء يفطر وسمه لانه سمين كل ذلك وهو لا يعرف انهم ملئكة بل هو قاطع بانهم ممن ياكل
وهذا ناظر الى قول قوم نوح عليه السلام وما نريكم علينا من فضل وقوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم الآية اي ان الله
جعل المعاني في القلوب وناط بها السعادة والشقاوة وقد تخفى تلك المعاني كما خفي على اكمل اهل ذلك الزمان ان صنيعه ملئكة
حتى خاف منهم وقد اتوه بالبشرى فلا ينبغي لاحد ان يحتقر احدا الا بما اذن الله فيه ولما وضع الطعام بين ايديهم لم يلموا به فلما
راى ايديهم اي الرسل عقب الوضع سوا لا تصل اليه اي العجل الذي وضعه لياكلوا نكرهم اي اشتدت نكارته لهم وانفعل
لذلك وهذا يدل على ما قال بعضهم العلما ان نكر ابلغ من انكر واوجس اي اضمر مخفيا في قلبه منهم خيفة اي عظيمة لما راى من احوالهم
وشاهد من جلالهم واصل الوجوس الدخول والدليل على ان خوفه كان لعلمه بالتوسم انهم ملئكة نزلوا لامر يكرهه من تعذيب
من يعيز عليه او نحو هذا انهم قالوا لا تخف ثم عللوا ذلك بقولهم انا ارسلنا اي ممن لا يرد امره الى قوم لوط فانهم نفوا الخوف
عنه بالاعلام بمن ارسلوا اليه لا بكونهم ملئكة قالوا ذلك وبشروه بالولد وامراته اي جائته الرسل بالبشرى اي ذكروها
له والحال ان زوجة ابرهيم عليه السلام التي هي كاملة المروة وهي سارة رضي الله عنها قائمة قيل على باب الخيمة لاجل ما علمها
تفوز به من المعاونة على خدمتهم فسمعت البشارة بالولد الذي دل عليها فيما مضى قوله بالبشرى فضحكت اي تعجبت من تلك
البشرى لزوجها مع كبره وما ظنته من غيرها لا نها مع انها كانت عقيما عجوزا فهو من اطلاق المسبب على السبب اشارة الى انه
تعجب عظيم فبشرناها اي تسبب عن تعجبها انا اعدنا لها البشرى مشافهة بلسان الملئكة تشريفا لها وتحقيقا انه منها
باسحق ولده ومن وراء اسحق يعقوب اي يكون يعقوب عليه السلام ابنا لاسحق عليه السلام والذي يدل على ما قدرته من انهم
بشروه بالولد قبل امراته فسمعت فجيئت ما ياتي عن نص التورية والحكم العدل على ذلك كله قوله تعالى في الذاريات قالوا
لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها الآية ولما شاهدوها بذلك صرخت بوجه التعجب من انه جامع
بين عجيبين في كونه منه ومنها بان قالت يا ويلتى وهي كلمة تودن بامر فظيع تخف على افواه النسا ويستعملنها الى اليوم لكنهن يغيرن
في لفظها كما غير كثير من الكلام والويل حلول الشر والالف في آخره بدل عن ياء الاضافة كني بها هنا عن التعجب الشديد لما فيه من الشهرة
ومراجعة الظنون وقال الرماني ان معناها الايذان بورود الامر الفظيع كما تقول الهرب يا للدواهي اي تعالين فانه من احيائك
فحضور ما حضر من اشكالك ولما كان ما بشرت به منكرا في نفسه بحسب العادة قالت ءالد وانا اي والحال اني عجوز وهذا
من هو حاضر يرى بعلي شيخا ثم ترجمت ذلك بما هو نتيجته فقالت موكدة لانه لما له من حرق العوايد في حيز المنكر عند الناس ان هذا
اي الامر المبشر به لشيء عجيب فكانه قيل فماذا قيل لها فقيل قالوا اي الملئكة متعجبين من تعجبها اتعجبين من امر الله اي الذي له الكمال
كله وهو لا ينبغي لك لانك معتادة من الله بما ليس لغيركم من الخوارق والعجب انما يكون مما خرج عن اشكاله وخفي سببه وانت
لثبات علمك بالسبب الذي هو قدرة الله على كل شيء وحضوره لديك مع اصطفاء الله لكم وتكرر خرقه للعوايد في شؤونكم لست
كغيرك ممن ليس كذلك ثم عللوا انكارهم لتعجبها بقولهم رحمة الله اي كرامته الذي له الاحاطة بصفات الجلال والاكرام وبركاته
اي خيراته النامية الثابتة عليكم وبينوا خصوصيتهم باستنباط اداة النداء مدحة لهم فقالوا اهل البيت قد تمرنتم على
مشاهدة العجايب لكثرة ما ترون من اشاره بمثل ذلك وغيره ثم علل احسانه اليهم موكدا تثبيتا لاصل الكلام الذي انكرته
فقال انه اي بخصوص هذا الاحسان حميد مجيد اي كثير التعرف الى من يشاء من جلايل النعم وعظيم الجدود ومما يعرف فانه يستحق
الحمد على المجد وهو الكرم الذي ينشا عنه الجود فلما سمعوا ذلك واطمانوا اخذ في قصص ما كان بعده فقال تعالى فلما ذهب
زمن الانكار الذي هو سبب الفزع عن ابرهيم الروع اي الخوف والفزع الشديد وجاءته البشرى
فاستلا سرورا بجادلنا اي اخذ يفعل معنا مجادلة رسلنا فعل المجادل الذي يكثر كلامه ارادة لفتل مخاطبه عما يتوله
في قوم لوط اي يسلنا في نجاتهم سوا لا يحرص فيه حرص المجادل في صرف الشيء من الجدل وهو الفتل ووضع المضارع موضع
الماضي اشارة الى تكرر المجادلة مع تصوير الحال اي جادلنا فيهم جدالا كثيرا ثم علل مجادلته بقوله ان ابرهيم لحليم اي بليغ
الحلم وهو احمال صاحب الذنب على ما يقتضيه العقل اواه اي رجاع للتاوه حوفا من التقصير منيب اي رجاع الى
الله بالسبق في ارتقا درج القرب فهو لما عنده من هذه المحاسن لا يزال يتوقع الاقلاع من العصاة ولما اكثر المجادلة لما

عنده من الشفقة على عباد الله لما له من هذه الصفات الجليلة اعلمه الله ان الامر قد حتم بقوله حكاية ان الرسل قالت له بعد
طول المجادلة منادين بالاداة التي هي ام الباب اعلاما بان ما بعدها عظيم الشان عالي المنزلة يا ابرهيم اعرض اي بكليتك عن هذا اي
السوآل في نجاتهم ثم علل ذلك بقوله موكدا لانه لمجادلته في حيز من ينكر بت الامر انه قد افتتحه بحرف التوقع لانه موضعه جا امر
ربك اي الذي عودك باحسانه الجم فلولا انه حتم الامر بعذابهم لامهلهم لاجلك ولذا عطف على العد قوله موكدا اعلاما بانه امر قد
ابرم ومضى وانهم اتيهم اي اتيانا ثابتا عذاب غير مردود اي بوجه من الوجوه من احد كائنا من كان والاعراض الانصراف وحقيقته
الذهاب عن الشي في جهة العرض والرد اذهاب الشي الى ما جاء منه كالرجع والدفع اعم لانه قد يكون الى جهة القدام فلما علم مراد
الله تعالى فيهم قدمه على مراده ولم ينطق بعده ببنت شفة ذكر هذه القصة من التورية قال في السفر الاول واستعلن الله لابرهيم
في مرج وفي نسخة بين بلوط ممري الاموراني وكان جالسا على باب خيمته اذ اشتد النهار فرفع عينيه فنظر فاذا هو بثلاثة رجال
وقوف على راسه فلما راهم احضر اليهم من باب الخيمة وسجد على الارض وقال يرب وفي نسخة يا ولي الله ان كان لي عندك مودة فلا تبعد عن
عبدك حتى آتي بما اغسل به ارجلكم واتكيوا تحت الشجرة واصيبوا شيا من الطعام تقرون به انفسكم ثم حينئذ تجوزون لانكم مررتم
بعبدكم بغتة فقالوا له اصنع كما قلت فاستعجل ابرهيم فاحضر الى الخيمة الى سارة وقال عجلي بثلاثة اصع من درمك وفي نسخة دقيق سميد
فاعجنيه واخبزي منه مليلا وسعى الى قطيع البقر فاخذ عجلا سمينا شابا فدفعه الى الغلام وامر بتعجيل صنعته واخذ سمنا ولبنا
والعجل الذي صنع له ايضا فقربه اليهم وكان هو واقفا بين ايديهم تحت الشجرة وقالوا له اين سارة امراتك فقال هي في الخيمة فقال
له اني ارجع اليك في مثل هذا الحين من قابل وهي في الحيوة ولها منك ابن فسمعت سارة وهي على باب الخيمة مستترة وكان هو خلفها
وكان ابرهيم وسارة قد شاخا وقدم سنهما وانقطع عن سارة سبيل النساء فضحكت سارة في قلبها وقالت اين بعد ما بليت ارجع شابة
وسيدي قد شاخ فقال الله لابرهيم لم ضحكت سارة وقالت اني لي بالولد وقد شخت ايعسر هذا على الله اني ارجع اليك في هذا الحين من
قابل وهي حية ولها ابن فجحدت سارة وقالت كلا ما ضحكت لانها فزعت فقال ولكنك قد ضحكت ثم قام الرجال وتعمدوا طريق
سدوم وعامورا وانطلق معهم ابرهيم ليشيعهم وقال الله اكتم عبدي ابرهيم شيا مما اصنع وابرهيم يكون رئيسا لشعب عظيم كبير
وتتبارك به شعوب الارض لاني عالم انه يوصي بنيه واهل بيته من بعده ان يحفظوا طرق الرب ليعملوا بالبر والعدل لان الرب يكمل
لابرهيم جميع ما وعده به فقال الرب لابرهيم لقد وصل الي حديث سدوم وعامورا وقد كثرت خطاياهم جدا ثم ولى القوم ومضوا
الى سدوم وكان ابرهيم بعد واقفا قدام الرب فدنا ابرهيم وقال يرب تهلك الابرار مع الفجار بغضب واحد ان كان في القرية خمسون
بارا اتهلكهم بغضب واحد حاشاك يرب ان تصنع هذا الصنع وتهلك البري مع السقيم ويكون البري بحال السقيم حاشى لك يا حاكم
الارض كلها لا يكون هذا من صنيعك فقال الرب ان وجدت بسدوم خمسين بارا في القرية عفوت عن جميع البلد من اجلهم فاجاب ابرهيم
وقال اني قد بدات بالكلام بين يدي الرب وانما انا تراب ورماد فان نقص من الخمسين بارا خمسة تخرب القرية كلها من اجل الخمسة
فقال لا اخربها ان وجدت بها خمسة واربعين بارا فعاد ابرهيم وقال له فان وجد فيها اربعون فقال لا اخربها ان وجدت فيها
اربعين فقال لا يملن الرب كلامي فاتكلم فان كان هنالك ثلثون فقال لا اخربها ان وجدت فيها ثلثين فقال اني قد امعنت في الكلام
بين يدي الرب فان وجد بها عشرون فقال لا اخربها من اجل العشرين فقال لا يشقن على الرب فاتكلم هذه المرة يرب فقط فان وجد
بها عشرة رهط فقال لا افسدها من اجل العشرة فارتفع استعلان الرب عن ابرهيم لما فرغ ابرهيم من كلامه ورجع ابرهيم الى موضعه
انتهى وقد مضى امر حبل سارة وولادها في البقرة ولما انقضى امر انبائهم ببشارة الاولياء وهلاك الاعداء وعلم من ذلك انهم
لا ينزلون الا للامور الهايلة والاحوال المعجبة اخذ يقص امرهم مع لوط عليه السلام فقال عاطفا على ما تقديره فعلوا مع ابرهيم عليه
السلام ما ذكر ثم فارقوه نحو لوط ولم يذكر الحرف المصدري لان السياق ومقصود السورة لا يقتضي ذلك كما اشير اليه في العنكبوت
ولما جاءت رسلنا على ما قارنهم من عظمتنا لوطا بعد انفصالهم عن ابرهيم عليه السلام وبين البلدين ثمانية اميال وقيل اربعة فراسخ
استضافوه فلم يجد بدا من قبولهم على ما اوصى الله بالضيف مطابقا لعوايد اهل المكارم فقبلهم وازمع المقاتلة عنهم لما راى من
حسن اشكالهم ورونق جمالهم مع ما يعلم من قبح افعال قومه وخبث سرايرهم ولما جاؤه على هذه الصفة سيء بهم اي حصلت لهم
المساءة بسبب مجيئهم الى قريته لما يعلم من لوم اهلها والتعبير عن هذا المعنى بالمبني للمفعول احضر واوقع في النفس وارشق وضاق
بهم ذرعا اي ذرعه اي اتساعه في كل قوة اوتيها وهو مثل يقال لمن لم يجد من المكروه مخلصا ومادة ذرع باي ترتيب كان
تدور على الاتساع لانه لا يذرع الا الكثير وذرع الرمل اتسع وموت ذريع فاش والمذرع الذي امه عربية وابوه غير عربي
فهو اكثر انتشارا ممن انحصر في احدهما والذريعة ما يختل به الصيد فهو يوسع له من الامل ما يحمله على الاقدام وحلقة يتعلم عليها
الرمي لانها تسع السهم او لان مصيبها واسع الامر في صناعة الرمي والوسيلة لانها توصل المتوسل والذعر الخوف لاتساع
الفكر فيه وتجويز ادنى احتمال والعذر ايساع الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من التقصير من العذور للحمار الواسع الجوف وهو
ايضا الملك لسعته والعذار اوسع ما في الوجه واعذرت الغلام ختنته اي اوسعت لكمرته والاعذار لطعام الختان ونحوه فيه
وعذره الجارية موجبة لعذرها في النفرة للخوف على نفسها والعذرة وجع في الحلق وهو سقوطه حتى يغمز كانه شبه بعذرة
البكر في شدة الحلق بما يوجب الغمز وكذا العذرة للناصية لبذل الجهد في المدافعة عنها والعذرا نجم اذا طلع اشتد الحر فاتسع
بساط الارض والعذرة بفتح ثم كسر فنا الدار وبه سمي الحدث والعذراء شي من حديد يعذب به الانسان كانه سمي لانه يوسع
الخوف بما يجتنب العذر فلم يبق لسهولته وجه واعذر اذا كثرت عيوبه اي دخل فيما يطلب له العذر كانجد ولما ذكر حاله

ذكر قاله بقوله وقال اي لوط عليه السلام هذا اي اليوم يوم عصيب اي شديد جدا لما اعلم من جهالة من انما بين ظهرانيهم وهو
مشتق من العصب وهو اطناب المفاصل وروابطها ومداره على الشدة وجاءه قومه اي الذين فيهم قوة المحاولة يهرعون اي كانهم
يحملهم على ذلك حامل لا يستطيعون دفعه اليه اي في غاية الاسراع فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه فهو يضطرب لذلك او لاجل الرعب
من لوط عليه السلام او من الملائكة عليهم السلام ولما كان وجدانهم فكيف عصيانهم لم يستغرق زمن القبل ادخل الجار فقال ومن قبل
اي قبل هذا المجيء كانوا اي جبلة وطبعا يعملون اي مع الاستمرار السيئات اي الفواحش التي تسوء غاية المساءة فضروا بها ومرنوا
عليها حتى زال عندهم استقباحها فهو يعرف ما يريدون وكانهم كانوا لا يدعون ملتحيا ولا غيره من الغرباء فلذلك لم يذكر ان الرسل عليهم السلام
كانوا على هيئات الرسل الحسان ولا قيد الذكر ان في قصتهم في موضع من المواضع فكانه قيل فما قال لهم فقيل قال يا قوم مستعطفا لهم
هؤلاء بناتي حاديا لهم الى الحياء والكرم ولما كان كانه قيل ما نفعل بهن قال هن ولما كان في مقام المدافعة باللين قال ارخاء للعنان
في تسليم طهارة ما يفعلونه على زعمهم مشيرا بلطافة الى خبث ما يريدونه اطهر لكم وليس المراد من هذا حقيقته بل تنبيه القوم على
انهم لا يصلون اليهم الا ان وصلوا الى بناته لان الخزي فيهما على حد سواء او في الضيف اعظم ومثل هذا ان يشفع الانسان فيمن
يضرب فاذا عظم الامر القى نفسه عليه فصورته انه فعله ليقيه الضرب بنفسه ومعناه احترامه باحترامه وعلى هذا يدل قوله
في الاية الاخرى ان كنتم فاعلين وهنا قوله فاتقوا الله اي الملك الاعظم في هذا الامر الذي تريدونه ولا تخزوني اي توقعوا بي
الفضيحة التي فيها الذل والهوان والعار في ضيفي اذ لا يشك ذو مسكة من امره في ان التقوى اذا حصلت منعت من الامرين وان
الخزي على تقدير عدمها في البنات اعظم لانه عار لازم للزوم البنات للاب وكل هذا دليل على انه لا يشك انهم ادميون ولم يلم
بخاطره انهم ملائكة فهو تنبيه للكفار على انه لا ينتفع بانزال الملائكة الى البار الراشد التابع للحق ثم انكر اشد الانكار حالهم في انهم
لا يكون منهم رشيد حثا على الاقلاع عن الغي ولزوم سبيل الرشد فقال اليس منكم رجل اي كامل الرجولية رشيد كامل الرشد
ليكفكم عن هذا القبيح فلم يكن منهم ذلك بل قالوا لقد علمت اي يا لوط مجرين الكلام على حقيقته غير معرجين على ما كني به عنه ما لنا في
بناتك واغرقوا في النفي فقالوا من حق اي حاجة ثابتة ولم يريدوا به ضد الباطل لان البنات والضيف في نفي حقهم عنهم فيه
سواء واكدوا معلمين بما لهم من الرغبة في الفجور وقاحة وجراة فقالوا وانك لتعلم اي علما لا تشك فيه ما نريد وهو اتيان
الذكور للتطرف والتظرف فحملوا عرضه لبناته على الحقيقة خبثا منهم وشرعوا يبنون على ذلك بوقاحة وعدم مبالاة بالعظائم
فاخبر تعالى عن قوله لهم على طريق الاستيناف بقوله قال اي متمنيا ان يكون له بهم طاقة ليروا ما يصنع من الايقاع بهم متفجعا
على فوات ذلك لو ان لي بكم اي في دفعكم قوة بنفسي او لو اني آوي من الاعوان والانصار الى ركن شديد اي جماعة هم كالركن الموصوف
بالشدة لحلت بينكم وبين ما جئتم له وحذفه ابلغ لذهاب النفس فيه كل مذهب والسوء ما يظهر مكروهه لصاحبه والعصيب
الشديد في الشر خاصة كانه التف شره والقوة خاصة يمكن ان يقع بها الفعل وان لا يقع والركن معتمد البناء بعد الاساس
والركن هنا من هو مثله والشدة تجمع يصعب معه الامكان ووصفه الركن بالشدة وهو يتضمنها تاكيد يدل على ان قومه كانوا في
غاية القوة والجلادة وانه كان يود معاجلتهم لو قدروا ذلك ان مادة ركن بكل ترتيب تدور على الرزانة من ركن بالضم بمعنى رزن
ويلزمها القوة ومنه الركن للجانب الاقوى والامر العظيم وما يتقوى به من ملك وجند وغيره والعز والمنعة ومن ذلك النكر بالضم
للدهاء والفطنة والنكر للمنكر والامر الشديد وما يخرج من الزحير من دم او قيح ونكر الامر صعب وطريق منكور على غير قصد والمنكر
ضد المعروف لان الشيء اذا جهل صعب امره وتناكر القوم تعادوا والتنكر التغير من حال تسر الى حال تكره والمكنر كمحدث الضخم
الشمج ويلزم الرزانة ايضا الميل والسكون ومنه ركن اليه بالفتح مال وسكن وركن بالمنزل بالكسر اقام والكنارة بالكسر
والتشديد الشقة من ثياب الكتان لانه يمال اليه لبهجته وكذا الكنارات للعيدان والطبول والكران ككتاب للعود او الصنج
او يكون ذلك من الشدة لقوة اصواتها والله اعلم فلما عظم الشقاق وضاق الخناق كان كانه قيل فما قال له الرسل فقيل قالوا
ودلوا بحرف النداء الموضوع للبعد على انه كان قد خرج عن الدار واجاف بابها او ان الصياح كان شديدا يا لوط انك لتاوي الى
ركن شديد ثم عللوا ذلك بقولهم انا رسل ربك الى المحسن اليك باحسانك وكل ما تزي مما يسوءك ويسرك ثم لما ثبت له ذلك كان
من المحقق انه سبب في ان لا يدانيه معه سوء فاوضحوه بقولهم لن يصلوا اليك من غير احتياج الى الربط بالفاء اي ونحن مهلكوهم
وقالبوا مدنهم بهم فاسر اي سر بالليل ماضيا باهلك موقعا ذلك السير والاسراء بقطع اي طائفة اي والحال انه قد بقي عند
خروجك جانب من الليل ولا يلتفت اي ينظر الى ورائه ولا يتخلف منكم احد اي لا تلتفت انت ولا تدع احدا من اهلك يلتفت
الا امرأتك استثناء من احد بالرفع والنصب لان النهي كالمنفي في جواز الوجهين والنهي له صلى الله عليه وسلم فالفعل بالنسبة اليه
منهي وبالنسبة اليهم منفي ويمكن ان يكون اخرجها معه لان معنى الاستثناء انه غير مامور بالاسراء بها لا انه منهي عنه واستثناؤها
من الالتفات مفهم انه لا حجر عليه في الاسراء بها او انه خلفها فتبعتهم فتكون قراءة النصب من اهلك وقراءة الرفع من احد ولا يلزم
من ذلك امرها بالالتفات بل مخالفتها للمستثنى منه في عدم النهي ولذلك عللوا ما افهمه اهمالها من الاسراء والنهي من انها تلتفت بقولهم
موكدين لان تعلق الامل بنجاتها رحمة لها شديد انه اي الشان مصيبها لا محالة ما اصابهم سواء التفتت او لا ثم ظهر لي من التعبير
في حقها باسم الفاعل وفي حقهم بالماضي انه حكم باصابة العذاب لهم عند هذا القول للوط عليه السلام لان ذنوبهم تمت واما هي فانما
يبرم الحكم بذلك في حقها عند تمام ذنوبها التي رتبت عليها الاصابة وذلك عند الالتفات ولما عبروا بالماضي تحقيقا للوقوع
وتنبيها على انه تقدم دخولها معهم في اسباب العذاب كان منبها لان يقال كان الايقاع بهم قد دنى جدا فقيل نعم واكد تحقيقا للوقوع

تلذيذا به ولانه لقرب الوقت بحيث ينكر ان موعدهم اي ابتداء الاخذ الصبح وكان لوط عليه السلام ابطأ في جمع اهله وما يصلحهم فكان فعله فعل من يستبعد الصبح فانكروا ذلك بقولهم اليس الصبح بقريب اي فاسرع الخروج بمن امرت بهم والاسرا سير الليل كالسري ولما انتضى تكوين لوط عليه السلام والتقدم اليه بما يفعل اخبر تعالى عن حال قومه فقال فلما جاء امرنا بالفاء لما مضى في قصة صالح عليه السلام من التسبيب والتعقيب اي فلما خرج منها لوط باهله جاءها امرنا ولما جاء امرنا الذي هو عذابنا او الامر به جعلنا بما لنا من العظمة عالي ها اي عالي مدنهم وهم فيها سافلها وامطرنا عليها اي على مدنهم بعد قلبها من اجلهم وسياتي في سورة الحجر سر الاتيان هنا بضمير هاء دون ضمير هم حجارة من سجيل اي مرسلة من مكان هو في غاية العلو منضودة بالحجارة هي فيه متراكبة بعضها على بعض جاء كونها مسومة اي معلمة بعلامات تدل على انها معدة للعذاب من السيرة والسومة وهي العلامة تجعل للابل السائمة لتتميز اذا اختلطت في المرعى وفي الذاريات حجارة من طين وذلك ان الحجارة اصلها تراب يجعل الله فيه بواسطة الماء قابلية الاستحجار كما جعل فيه قابلية التحول الى المعدن من الذهب والفضة والحديد وغيرها فيا عتبار اصله موطنين وباعتبار اوله حجر وكبريت ونار ولعل حجر الكبريت انثقل الحجارة مع ما فيه من قوة النار وقيل الرمي بمن فخمها بقوله عند ربك وعبر بالرب اشارة الى كثرة احسانه اليه صلى الله عليه وسلم وانه انما امره صلى الله عليه وسلم بالانذار رحمة لامته التي جعلها خير الامم وسيجعلها اكثر الامم ولا يهلكها كما اهلكهم وما هي من الظالمين ببعيد اي بل هي قريبة منهم بالزمان والمكان وما ادراك ما هي ثم بين ما هي بقوله نبأ القرى نقص عليك منها قائم وحصيد ولما كان المعنى انها من مكان هو في غاية العلو لعظم وقعها حسن كل الحسن اتباع ذلك قوله وما هي على شدة بعد مكانها من الظالمين اي من احد من العرب يتعين في الظلم في ذلك الزمان ولا هذا ولا زمن من الازمان ببعيد لئلا يتوهم الاحتياج في وصولها الى الرمي بها الى زمن طويل ذكر هذه القصة من التوراة قال في السفر الاول بعد ما مضى في قصة تبشير ابرهيم عليه السلام فاتى الملكان الى سدوم عشاء وكان لوط جالسا على باب سدوم فنظر اليهما لوط فتلقاهما ثم خر على وجهه ساجدا على الارض وقال اني طالب اليكما يا سيدي اعدلا الى منزل عبدكما فبيتا فيه واغسلا اقدامكما وبكرا فانطلقا في طريقكما فقالا لا ولكنا نبيت في السوق فالح عليهما لوط الحاحا شديدا فانصرفا معه ودخلا منزله فاعد لهما طعاما ومن قبل وقتا لهجوع اذا اهل القرية اهل سدوم قد احاطوا بالباب من الشبان الى المشايخ جميع الشعب باسره فدعوا بلوط وقالوا له اين الرجلان اللذان اتياك الليلة ائتنا بهما لنعرفهما وفي نسخة حتى نواقعهما فخرج لوط اليهم واغلق الباب خلفه فقال لهم لوط لا تسيئوا يا اخوتي هذا الي ابنتان لم يمسهما رجل اخرجهما اليكم فاصنعوا بهما ما حسن في اعينكم ولا تركبوا من هذين الرجلين شيئا لانهما دخلا لظل بيتي فقالوا له تنح عنا ان واحدا اتى ليسكن بيننا فصار يحكم فينا فالآن نسيء اليك اكثر منهما فجاهدوا لوط القوم جدا فدنوا ليكسروا الباب فمد الرجلان ايديهما فادخلا لوطا اليهما الى منزله ثم ان القوم الذين كانوا بالباب ضربوا بالعشا من كبيرهم حتى صغيرهم فاعيوا في طلب الباب فقالا المكان للوط ما تصنع ههنا اعد الى اختانك وبنيك وبناتك وجميع مالك في هذه القرية فاخرجهم من هذه البلدة لانا نريد الخسف بالبلدة لان نعالهم وخبث صنيعهم قد بلغ الرب فارسلنا الرب لنفسدها فخرج لوط وكلم اختانه وازواج بناته وقال لهم قوموا فاخرجوا من هذه القرية فان الرب مزمع لخرابها وكان عند اختانه كالمستهزئ بهم فلما كان عند طلوع الصبح الح الملكان على لوط وقالا له قم فاخرج امرأتك وابنتيك اللتين معك لكيلا تبتلى بخطاياء اهل هذه القرية فابطا لوط فاخذ الملكان بيده وبيد امرأته ولبنتيه لان الله رحمه فاخرجاه وصيراه خارجا عن القرية فلما اخرجاهم خارجا قالا له اخ بنفسك ولا تلتفتن الى خلفك ولا تقف في شيء من جميع القاع والجبل الى الجبل وخلص نفسك فقال لهما لوط اطلب اليكما يا سيدي ان اظفر الآن عندكما برحمة ورافة وكثرت نعماكما التي لتحيي نفسي لست اقدر ان انجو الى الجبل لعل الشر يرهقني فاموت وهذه القرية هي قريبة للرب اليها وهي صغيرة انا ذان لي بالهرب اليها لانها حقيرة فلتحيا نفسي فقال له قد شفعتك في هذه ايضا فلا اقلب هذه القرية التي سالت اسرع فخلص نفسك الى هناك لانا لسنا نقدر ان نعمل شيا حتى تدخلها ولذلك سميت تلك القرية صاغار وفي نسخة زغر فشرقت الشمس على الارض وقد دخل لوط صاغار وفي نسخة زغر فاهبط الرب على سدوم وعامورا نارا وكبريتا من بين يدي الرب من السماء فقلب هذه القرى والقاع باسره واهلك جميع سكانها وجميع ما نبت الارض فالتفتت امرأته الى خلفها لتنظر فصارت نصبة ملح فاديج ابرهيم باكرا الى الموضع الذي كان يقف فيه بين يدي الرب فمد بصره نحو سدوم وعامورا والى جميع ارض القاع فنظر فلفاده دخان القرية يرتفع كدخان الاخدود فلما خسف الله قرى القاع ذكر الله ابرهيم فارسل لوطا من الفوكه اذ قلبها في القرى التي كان يثوي لها لوط من صاغار وفي نسخة زغر فسكن الجبل هو وبناته معه لانه تخوف ان يسكن صاغار فجلس في مغارة وبناتاه معه فلما انتهت القصة معلمة بما قام به لوط عليه السلام من امر الله غير وان فيه لرغبة ولارهبة وبما في انزال الملكة من الخطر اتبعت اقرب القصص الشهيرة اليها في الزمن فقال تعالى والى اي ولقد ارسلنا الى مدين وهم قبيلة ابوهم مدين ابن ابرهيم عليه السلام اخاهم شعيبا فكان قايلا قاد ما قال لهم فقيل قال ما قال لاخوانه من الانبياء في البداءة باصل الدين يا قوم

مستعطفا لهم مظهرا غاية الشفقة اعبدوا الله اي الملك الاعلى غير مشركين به شيا لانه واحد ما لكم واغرق في النفي فقال
من اله غيره فلقد اتفقت كما ترى كلمتهم واتحدت الى الله وحده دعوتهم وهذا وحده قطعي الدلالة على صدق كل منهم لما علم قطعا
من تباعد اعصارهم وتنائي ديارهم وان بعضهم لم يلم بالعلوم ولا عرف اخبار الناس الا من الحي القيوم قال الامام شهاب الدين عمر
ابن محمد السهروردي في كتابه رشف النصائح الايمانية وكشف الفضائح اليونانية في ذكر الانبياء اتحدت مصادرهم كانهم بنيان مرصوص
عبروا بالسنة مختلفة تنتهي الى بحر متصل بالقلوب متحد بها يستمد من البحر المحيط بعالمي الشهادة والغيب واختلفت الموارد من
الشرائع بحسب ما اقتضت الحكمة الالهية من مصلحة اهل كل زمان وكل ملة فما ضر اختلافهم في الفروع مع اتحادهم في الاصول وقال
قبل ذلك ان الفلاسفة لما لم يغترفوا من بحار الانبياء وقفت بهم افراس افكارهم في عالم الشهادة فلما حاولوا الخوض في الالهيات
انكشفت عورة جهلهم وافتضحوا باضطرابهم واختلافهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى انقطع بهم سير الفكر في منتهى عالم الملك والشهادة
ولم يدخل اسكندر نظرهم ظلمات عالم الغيوب حتى يظفروا بعين الحيوة التي من شرب منها لا يموت انتهى ولما دعا الى العدل فيما بينهم
وبين الله دعاهم الى العدل فيما بينهم وبين عبيده في اقبح ما كانوا قد اتخذوه بعد الشرك دينا فقال ولا تنقصوا اي بوجه من
الوجوه المكيال والميزان لا الكيل ولا آلته ولا الوزن ولا آلته والكيل تعديل الشي بالآلة في القلة والكثرة والوزن تعديله
في الخفة والثقل فالكيل للعدل في الكمية والوزن للعدل في الكيفية ثم علل ذلك بقوله اني اراكم بخير اي بسعة تغنيكم عن البخس
مرهبا ومرغبا بالاشارة الى ان الكفر موجب للنقمة كما ان الشكر موجب للنعمة ولما كان كانه قيل فاني اخاف عليكم الفقر بالنقص
عطف عليه موكدا لانكارهم واني اخاف عليكم به وبالشرك عذاب يوم محيط بكم صغارا وكبارا وباموالكم طيبا وخبيثا اي مهلك
كقوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ لانه محيط بما فيه من عذاب وغيره والعذاب محيط
بالمعذب فذكر المحيط بالمحيط اهول وهو الدائر بالشي من كل جانب وذلك يكون بالتقاء طرفيه والنقصان اخذ شي من المقدار
كما ان الزيادة ضم شي اليه وكلاهما خروج عن المقدار ومن الاحاطة ما رواه ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لم ينقص قوم المكيال
والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكوة اموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم
لم يمطروا ولما كان عدم النقص قد يفهم منه التقريب اتبعه ما ينفي هذا الاحتمال وللتنبيه على انه لا يكفي الكف عن تعمد التطفيف
بل يلزم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى بدونها ولان التصريح بالامر بالشي بعد النهي عن ضده اوكد فقال مستعطفا لهم بالتذكير
بانه منهم بسوءه ما يسوءهم وبانهم لما اعطاهم الله من القوة جديرون بان يعرضوا عن تعاطي سفساف الاخلاق ورذائلها ويا قوم
اي ايها الذين لهم قوة في القيام فيما ينوبهم اوفوا اي اتموا اتماما حسنا المكيال والميزان اي الكيل والوزن والتهما واكده
بقوله بالقسط اي العدل السوي فصار الوفا مامورا به في هاتين الجملتين مرارا تاكيدا له وحرصا عليه واظهارا لعموم نفعه
وشمول بركته فزال بالمجموع توهم المجاز على ابلغ وجه وقد مضى في الانعام ويأتي في هذه السورة عند غير منقوص ان الشي يطلق
مجازا على ما قاربه ثم اكده ايضا بتعميم النهي عن كل نقص بذلك وغيره في جميع الاموال فقال ولا تبخسوا اي تنقصوا على وجه الجحد
والاهانة الناس اشياءهم ثم بين ان افعالهم ثمرة الهجوم عن غير فكر لانها ليست ناشئة عن شرع فاولها سفه واخرها فساد
فقال ولا تعثوا في الارض اي تتصرفوا وتضطربوا فيها عن غير بصيرة ولا تامل حال كونكم مفسدين اي فاعلين ما يكون فسادا في
المعنى كما كان فسادا في الصورة فهو دعا الى تقديم التامل والتروي على كل فعل وذلك ان مادة عثي بكل ترتيب دائرة على
الطلب عن غير بصيرة من العيث للارض السهلة فانها لسهولتها يغتر بها فيسلكها الغبي بلا دليل فياتي الخفا والجهل ومنه
التعييث لطلب الاعمى الشي والاعثى الاحمق الثقيل ولون الى السواد والكثير الشعر ويلزم ذلك اتباع الهوى فياتي الافساد
والمسارعة فيه وذلك هو معنى العثي قال ايمة اللغة عثي وعاث افسد وفي مختصر العين للزبيدي عثي في الارض بمعنى عاث
يعيث عيثا وهو الاسراع في الفساد فالمعنى على ما قال الجمهور ولا تفعلوا الفساد عمدا وهو واضح وعلى ما قدرته من اصل المعنى
الذي هو المدار اوضح وعلى ما قال الزبيدي ولا تسرعوا فيه فلا يظن انه يكون الاسراع حينئذ قيدا حتى ينصب النهي اليه بل
هو اشارة الى انه لا يكون الاقدام بلا تامل الا كذلك للايمة للشهوة والله اعلم والوفا تمام الحق والبخس النقص فهو اخص من الظلم
لانه وضع الشي في غير موضعه ولما كان نظرهم بعد الشرك مقصورا على الاموال وكان نهيه عما نهى عنه موجبا لمحقها في زعمهم
كانوا كانهم قالوا انا اذا اتبعناك فيما قلت فنيت اموالنا او قلت فتضعضعت احوالنا فلا يبقى لنا شي فقال بقية الله اي
فضل الملك الاعلى المحيط بصفات الكمال وبركته في اموالكم وجميع احوالكم وابقاؤه عليكم ونظره لكم واليكم الموجب لعفوه
الذي هو ثمرة اتباع امره خير لكم مما تظنونه زيادة بالنقص والظلم وذلك ان بقية الشي ما فضل منه وتكون ايضا بمعنى
البقيا من ابقى عليه يبقي ابقاء واستبقيت فلانا اذا عفوت عن ذنبه كان ذلك الذنب اوجب فناء وده او فناءه عندك
فاذا استبقيته فقد تركت ما كان وجب ويقولون اراك تبقي هذا ببصرك اذا كان ينظر اليه قاله الامام ابو عبد الله
القزاز في ديوانه الجامع وسياتي في آخر السورة بيان ما تدور عليه المادة ولما كانت خيرية ما يبقيه العدل من الظهور
بمحل لا يخفى على ذي لب تركها وبين شرطها بقوله ان كنتم اي جبلة وطبعا مؤمنين اي راسخين في الايمان اشارة الى ان خيرتها
لغير المؤمن مبنية على غير اساس فهي غير مجدية الا في الدنيا فهي عدم لسرعة الزوال والتروح عنها والارتحال ودلت الواو
العاطفة على غير مذكور ان المعنى فامنوا فاعلين ما امرتكم به لتظفروا بالخير فانما انا نذير وما انا وقدم ما يتوهمونه من قصده
للاستعلاء نافيا له فقال عليكم واغرق في النفي فقال بحفيظ اعلم جميع اعمالكم واقدر على كفكم عما يكون منها فسادا ولما

مادة عثا

خ المستجمع لصفات ن

كان

كان حاصل ما دعاهم اليه ترك ما كان عليه اباؤهم من السفه في حق الخالق بالشرك والخلائق بالخيانة وكان ذلك الترك عندهم قطيعة وسفها كان ذلك بحكم العقول ومحزا للاداء يعرف به نافزها من جامدها فكان كانه قيل ما قالوا فقيل قالوا يا شعيب سموه باسمه جفاء وغلظة وانكروا عليه مستهزئين بصلاته اصلواتك تامرك اي تفعل معك فعل من يامر آمرا بتكليفا ان نترك ما يعبد اي على سبيل المواظبة اباؤنا او نترك ان نفعل اي دائما فما لوا الى ما نشاء من قطع الدرهم والدينار وافساد المعاملة والمقامرة ونحوها مما يكون افسادا للاموال يعنون ان ما تامرنا به لا يمشي على منهاج العقل فما يامرك به الا ما تراك تفعله من هذا الذي تسميه صلاة اي انه من وادي فعلك للصلوة وعادة صلاوتية ويا بيه مهموزة وغير مهموزة بجميع تقاليبها تدور على الوصلة فالصلاة لصلة العبد بربه وكذا الدعاء والاستغفار وصلوات اليهود كنايسهم اللاتي تجمعهم والصلا وسط الظهر ومجمعه وما حول الذنب ايضا والمصلي من الخيل التابع للسابق وصال الفحل اذا حمل على العانة ولصوت الرجل ولصيته عبثه كانك الصقت به العيب والوصلة واضحة في ذلك وكانها الحقيقة التي تفرعت منها جميع معاني المادة وشيا في شرح ذلك عند قوله تعالى بالغدو والاصال في سورة الرعد ان شاء الله تعالى فمعنى الآية حينئذ أصلاتك تامرك بالصلوات الحقيقية ذات الاركان والمعنوية من الدعاء والاستغفار وجميع افعال البر الحاملة على انواع الوصل الناهية عن كل قطيعة تاركنا لمجاهرتنا لابائنا بالقطيعة مع تقدير حضورهم ومشاهدتهم لما تفعل مما يخالف اغراضهم وبترك التسمية لاموالنا بالنقص ومع مخالفة افعال الاباء بتبذير نهوسفه فدارت شبهتهم في الامرين على تقليد الاباء وتنزيههم عن الغلط احتمال ان يكون لافعالهم وجه من الصواب خفي عنهم وزادت في الاموال بتظن التبذير فقد صرت به عاينا الى كل من الامرين حينئذ داعيا الى ضده ما انت متلبس انك اذن لانت وحدك الحليم في رضاك بما يغضب منه دنو والارحام الرشيد في تضييع الاموال يريدون بهذا زعموا سلخه من كل ما هو متصف به دونهم من هاتين الصفتين الفايقتين ما خيل اليهم سفههم انه دليل عليه قاطع وعنوا بذلك نسبته الى السفه والغي على طريق التهكم ولما اتهموه بالغلبة والسفه شرع في ابطال ما قالوا ونفي التهمة فيه واخرج مخرج الجواب لمن كانه قال ما الجامع به فقيل قال يا قوم مستعطفا لهم بما بينهم من عواطف القرابة حثها لهم على حسن النظر فيما ساقه على سبيل العرض والتقدير ليكون ادعى الى الوفاق والانصاف ارايتم اي اخبروني ان كنت اي كونا هو في غاية الثبات على بينة اي برهان من ربي الذي احسن الي بما هو احسان اليكم وعطف على جملة الشرط المستفهم عنه قوله ورزقني وعظم الرزق بقوله منه رزقا حسنا جليلا وما لا جما حلالا لا اظلم فيه احدا والجواب محذوف لتذهب النفس فيه كل مذهب ويمكن ان يقال فيه هل يسع عاقلا ان ينسبني الى السفه بتبذير المال بترك الظلم او يسعني ان اعلم عمن عبد غيره واترك دعاكم الى الله فقد بان بهذا اني ما امرتكم بما يسوءكم من ترك ما الغتم وتعرضت لغضبكم كلكم وتركت مثل افعالكم الخوف من غضبه ورجاء لرضاه فظهر ان لا تهمة في شيء من امري ولا خطاء ما فعلت قط ما نهيتكم عنه فيما مضى وما اريد اي في وقت من الاوقات ان اخالفكم اي بان اذهب وحدي الى ما انهاكم عنه فيما استقبل وما انقص ما لي بتركي مثل افعالكم فهو ارشاد الى النظر في باب ما نهاه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم فابتاه بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم وقد بنيت هذه الاجوبة الثلاثة على ان العاقل يحب ان يراعي في كل ما ياتي ويذر احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق العباد على وجه الاخلاص في الكل فتثبت ببعده عن التهمة مع سداد الافعال وحسن المقاصد حمله صلى الله عليه وسلم ورشده فلذلك ابعده ما تضمن معناه مصرحا به فقال ان اي ما اريد اي شيا من الاشياء الا الاصلاح واقربا لجر فقال ما استطعت اي مدة استطاعتي للاصلاح وهو كما اردت فان مالي مع اجتنابي ما انتم عليه صالح ليس بدون مال احد منكم فعلم مشاهدة ان لا تبذير في العدل واما التوحيد فهو مع انتفاء التهمة عني فيه دعاء الى القادر على كل شيء الذي لا خير الا منه ولا محيص عنه الا الرجوع اليه ثم تبرا من الحول والقوة واسند الامر الى من هو له فقال وما توفيقي اي فيما استطعت من فعل الاصلاح الا بالله اي الذي له الكمال كله ثم بين انه الاهل لان يرجى فقال مشيرا الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا عليه اي وحده توكلت ولما طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذر من الله والاستعانة في مجامع امره واقبل عليه بكليته وحسم اطماع الكفار عنه واظهر الفراغ منهم وعدم المبالاة بهم وكان في قوله ما استطعت اقرار بانه محل التقصير اخبر بانه ايزال يجدد التوبة لعظم الامر وعبر عن ذلك بعبارة صالحة للتحذير من يوم البعث تهديدا لهم فقال منبها على معرفة المعاد وليكمل الايمان بالله واليوم الاخر واليه اي خاصة انيب اي ارجع بعد الموت الى حيث لا ملك غيري للتوبة وحسابي فيجزي بالتبث بعد الموت والتوفيق خلق قدرة بما هو وفق الامر من الطاعة من الموافقة للمطابقة والتوكل على الله تفويض الامر اليه على الرضا بتدبيره مع التمسك بطاعته ولما بين لهم عذره بما انتفت به تهمته اتبعه ما يدلهم على ان الحق وضح لهم وضوحا لم يبق معه الا المعاندة فحذرهم عواقبها وذكرهم امر من ارتكبها فقال ويا قوم واعز الناس علي لا يجرمنكم اي يحملنكم شقاقي اي شقاقكم لي على ان يصيبكم من العذاب مثل ما اي العذاب الذي اصاب قوم نوح بعد طول اعمارهم وتمادي اقطارهم او قوم هود على شدة ابدانهم وتمادي اماناتهم او قوم صالح مع نحتهم البيوت من الصخور وتشييدهم عوالي القصور ولما كان للمقاربة اثر في المشاكلة والمناسبة غير الاسلوب تعظيما للتهويل فقال وما قوم لوط اي على قبح اعمالهم وسوء حالهم وقوة اخذهم وما بالعهد منكم ببعيد اي لا في الزمان ولا في المكان فانتم اجرا الناس بذكر حالهم للاتعاظ بها واغا فسرت

جرم بحمل لان ابن القطاع نقل انه يقال جرمت الرجل حملته على الشيء وقد عزا الرماني تفسيرها بذلك للحسن وقتادة ويجوز ان
تفسر بما تدل عليه المادة من القطع اي لا يقطعنكم شقاقي عن اتباع ما ادعوكم اليه خوف ان يصيبكم وقد جوزه الرماني ولما
رهبهم اتبعه الترغيب في سياق موذن بانهم ان لم يبادروا الى المتاب بادرهم العذاب بقوله عاطفا لهذا الامر على ذلك النهي
المتقدم واستغفروا ربكم اي اطلبوا ستر المحسن اليكم ونبه على علو مقدار التوبة باداة التراخي فقال ثم توبوا اليه ثم علل ذلك
مرغبا في الاقبال عليه بقوله ان ربي اي المختص لي بما ترون من الاحسان دينا ودنيا رحيم ودود اي بليغ الاكرام لمن يرجع اليه
بان يحفظه على ما يرضاه بليغ اقتحبب اليه ولم يبداه بالاستعطاف على عادته بقوله يا قوم اشارة الى انه لم يبق لي وقت آمن
فيه وقوع العذاب حتى اشتغل فيه بالاستعطاف فربما كان الامر اعجل من ذلك فاطلبوا مغفرته بان تجعلوها غرضكم ثم توصلوا
اليها بالتوبة فثم على بابها في الترتيب واما التراخي فباعتبار عظم مقدار التوبة وعلو رتبتها لان الغفران لا يحصل بالطلب الا
ان اقترن بها هذا الشان في كل كبيرة من انها لا تكفر الا بالتوبة وذلك لان الطاعة المفعولة بعدها تكون مثلها كبيرة في جنس الطاعات
كما ان تلك كبيرة في جنس المعاصي فلا تقوى الطاعة على محوها وتكرر الطاعات يقابله تكرر المعاصي بالاصرار الذي هو بمنزلة تكرير
المعصية في كل حال فلما راوه لا ينزع عنهم ولم يقدروا الكلامه على جواب اياسوه من الرجوع اليه بان انزلوا انفسهم عنادا في الفهم
لهذا الكلام الواضح جدا الى عداد البهائم وهددوه فاخبر تعالى عنهم بذلك استينافا في جواب من يقول ما قالوا بعد هذا الدعا الحسن
بقوله قالوا يا شعيب منادين له باسمه جفاء وغلظة ما نفقه اي الآن لان ما تخص بالحال كثيرا مما تقول واذا لم يفهم الكثير من الكلام
لم يفهم مقصوده يعنون خفض عليك واترك كلامك فانا لا نفهمه تهاونا به كما يقول الانسان لخصمه اذا نسبه الى الهذيان انا لا ادري
ما تقول ولما كان غرضهم مع العناد قطع الامر خصوا عدم الفهم بالكثير ليكون اقرب الى الامكان وكانهم والله اعلم اشاروا الى انه كلام
غير منتظم فلا حاصل له ولا لمضمونه وجود في الخارج ولما كان في ذلك اشارة الى انه ضعيف العقل لان كلامه مثل كلام المجانين
اتبعوه قولهم وانا لنراك اي روية مجددة مستمرة فينا ضعيفا اي في البدن وغيره فلا تتعرض لسخطنا فانك لا تقدر على الامتناع
من مكروه نحله بك بقوة عقل ولا جسم ولا عشيرة واشاروا الى ضعف العشيرة بتعبيرهم بالرهط في قولهم ولولا رهطك لرجمناك
اي قتلناك شر قتلة فان الرهط من ثلثة الى عشرة واكثر ما قيل ان فخذه اربعون فما انت علينا بممتنع لضعفك وقلة قومك
وما انت اي خاصة لان ما لنفي الحال وللحال اختصاص بالزمان والقياس ان يكون مدخولها فعلا او شبهه وحيث اوليت الاسم
لا سيما الضمير دل على ان التقديم للاهتمام والاختصاص علينا بعزيز بكريم مودود تقول اعززت فلانا اذا كان له عندك ود بل
قومك هم الاعزة عندنا لموافقتهم لنا ولو كان المراد ما عززت علينا لكان الجواب لم لا اعز وقد شرفني الله او نحو هذا ويصح ان يراد
بالعزيز القوي الممتنع ويصير افهامه لامتناع رهطه محمولا على ان المانع لهم موافقتهم لهم لا قوتهم والفقه فهم الكلام على ما تضمن من
المعنى وقد صار اسما لضرب من علوم الدين واصل الرهط الشدة من الترهيط لشدة الاكل ومنه الراهط جحر اليربوع لشدته
وتوثقه ليخبا فيه ولده ولما كان تخصيصهم نفي العزة به يفهم ان رهطه عليهم اعزة انكر عليهم ذلك في سياق مهدد لهم فقال
تعالى حاكيا عنه استينافا قال اي شعيب يا قوم ولم يخل الامر من جذب واستعطاف بذكر الرحم العاطفة ارهطي اي اقاربي
الاقربون منكم اعز عليكم من الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما حتى نظرتم اليهم في لقرابتي منهم ولم تنظروا الى الله في قربي منه بما ظهر
على من كرامته واتخذتموه اي بما كلفتم به انفسكم مما هو خلاف الفطرة الاولى وراءكم اي اعرضتم عنه اعراض من جعل الشيء وراءه
وحقق معنى الوراء بقوله ظهريا اي جعلتموه كالشيء الغائب عنكم المنسي عندكم الذي لا يعبا به ولم تراقبوه في لنسبتي اليه
بالرسالة والعبودية ولما كان معنى الكلام لاجل الانكار انكم عكستم في الفعل فلم تعرفوا الحق لاهله اذا كان ينبغي لكم ان لا تنسوا
الله بل تراقبوه في كل اموركم حسن تعليل هذا المفهوم بقوله ان ربي اي المحسن الي ولما كان المراد المبالغة في احاطة علمه تعالى
باعمالهم قدم قوله بما تعملون محيط من جليل وحقير فهو مقتدر في كل فعل من افعالكم على انفاذه وابطاله فهو محيط بكم لا يرده عن نصرتي
منكم والايقاع بكم مراعاة احد لعزة ولا قوة بل لكم عنده اجل هو مؤخركم اليه لانه لا يخشى الفوت والاتخاذ اخذ الشيء لامر يستمر
في المستانف كاتخاذ البيت والمحيط المدير على الشيء كالحائط يحصره بحيث لا يفوته منه شيء ولما ختم الآية بتهديدهم بما بين
ان تهديدهم له عدم لا يبالي به اتبعه ما يصدقه من انه ليس يتارك شيئا من عمله لشيء مما خيلوا به وزاد في التهديد فقال ويا قوم
اعملوا اي اوقعوا العمل لكل ما تريدون قارين مستعلين على مكانتكم اي حالكم الذي تتمكنون به من العمل اني عامل على ما صار لي مكانة
اي حالا اتمكن به من العمل لا انفك عنه ما انا عامل من تحذيري لمن كفر وتبشيري لمن آمن وقيامي بكل ما اوجب علي الملك غير هائب
لكم ولا خائف منكم ولا طامع في موالفتكم ولا معتمد على سواه ولما كانت ملازمتهم لاعمالهم سببا لوقوع العذاب المتوعد به ووقوعه
سببا للعلم بمن يخزى لم يعلم اي هذين الامرين يراد ذكره بعد هذا التهديد فحسن حذف الفاء من قوله سوف تعلمون اي بوعد
لا خلف فيه وان يتاخر زمانه وسوقه مساق الجواب لمن كانه قال ما المراد بهذا الامر بالعمل المبالغ قبل في النهي عنه وقد تقدم
في قصة نوح عليه السلام ما يوضحه واحسن منه انهم لما قالوا ما نفقه كثيرا مما تقول كذبهم في اخراج الكلام على تقدير سوال
من هو منصب الفكر كله الى كلامه قائل ماذا يكون اذا عملنا وعملت فهذا وصل خفي مشير الى تقدير السوال ولو ذكر الفا لكان
وصلا ظاهرا وقد ظهر الفرق بين كلام الله العالم بالاسباب وما يتصل بها من المسببات المامور به اشرف خلقه صلى الله عليه
وسلم في سورتي الانعام والزمر والكلام المحكي عن نبيه شعيب عليه السلام في هذه السورة من اي اينا او الذي ياتيه عذاب
يخزيه ولما كان من مضمون قولهم ما نفقه كثيرا مما تقول النسبة الى الكذب لانه التكلم بما ليس له نسبة في الواقع تطابقه قال

ومن هو كاذب اي مني ومنكم فالتقدير ان كانت من موصولة ستعلمون المخزي بالعذاب والكذب انا او انتم وان كانت استفهامية
اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب فالزموا مكانتكم لا تتقدموا عنها وارتقبوا اي انتظروا ما يكون من عواقبها ولما كانوا
يكذبونه وينكرون قوله اكد فقال اني معكم رقيب لمثل ذلك وانما قدرت هذا المعطوف عليه لفصل الكلام في قوله سوف ويجوز
عطفه على اعملوا وجرد ولم يقل مرتقب اشارة الى ان همة الاجتهاد في العمل بما امره الله لا انه مبالغ في ارتقاب عاقبته معهم ٥
استهانة بهم ولما كان كانه قيل فاخذوا الكلام على ظاهره ولم ينتفعوا بصادع وعيده وباهره فاستمروا على ما هم عليه من
القبيح الى ان جا امرنا في الاجل المضروب له قال عاطفا عليه وكان العطف بالواو لانه لم يتقدم وعيد بوقت معين كما في قصتي صالح
ولوط عليهما السلام يتسبب عنه المجي ويتعقبه ولما جا امرنا اي تعلق ارادتنا بالعذاب نجينا بما لنا من العظمة شعيبا اي
تنجية عظيمة والذين امنوا كائنين معه منهم ومما عذبناهم به وكان انجاونا لهم برحمة منا ولما ذكر نجاة المومنين اتبعه هلاك
الكافرين فقال واخذت الذين ظلموا اي اوقعوا الظلم ولم يتوبوا الصيحة وكانها كانت دون صيحة ثمود لانهم كانوا اضعف
منهم فلذلك ابرز علامة التانيث في هذه دون تلك ولما ذكر الصيحة ذكر ما تسبب عنها فقال فاصبحوا اي في الوقت الذي يتوقع
الانسان فيه السرور وكل خير في ديارهم جاثمين اي ساقطين لازمين لمكانهم ولما كان الجثوم قد لا يكون بالموت اوضح المراد بقوله
كان لم يغنوا فيها اي لم يقيموا في ديارهم اغنيا متصرفين مترددين مع الغواني لاهين بالغنا ولما كان مضمون ذلك الابعاد اكده
بقوله الا بعدا لمدين بعدا مع انه بمعنى ضد القرب معه هلاك فهو من بعد بالكسر وايد ما فهمته من ان امرهم كان اخف من امر
ثمود بقوله كما بعدت ثمود ولما كان شعيب ختن موسى عليهما السلام كان ذكر قصته هنا متوقعا مع ما حرك الى توقعها من ذكر
كتابه اول السورة وما في عصى موسى من مناسبة ناقة من ختم بالتشبيه بحالهم فذكرها بعدها مفتتحا لها بحرف التوقع فقال
موكدا تنبيها على ان فرعون فعل فعل قريش في الادبار عن الايات العظيمة ولم يترك موسى عليه السلام شيا مما اوحي اليه من انذاره
ولقد ارسلنا اعاد الفعل وابرزه في مظهر العظمة اشارة الى باهر معجزاته موسى باياتنا اي المعجزات التي اظهرها وسلطان اي
امر قاهر للقبط والظاهر انه حماية موسى عليه السلام منه على ما كان له من السطوة والتحرق عليه مبين اي بين بنفسه وهو في
قوة بيانه كانه مبين لغيره ما فيه من الاسرار والاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما
فيه جلا الى فرعون طاغية القبط وملايه اي اشراف قومه الذين يتبعهم الاذناب لان القصد الاكبر رفع ايديهم عن بني اسرايل
ولما كان الناصح لنفسه من لا يتبع احدا الا فيما يعلم انه صواب قال معجبا من الملا مشيرا الى سرعة تكذيبهم بالبينات واتباعهم
فيما ضلاله لا يخفى على من له مسكة فاتبعوا اي لتسبب عن هذا الامر الباهر ان عصى فرعون وحمل ملاوه انفسهم على ان تبعوا
لارادتنا ذلك منهم امر فرعون اي كل ما يفهمون عنه انه يهواه ويامر به وتبعهم السفلة فاطبقوا على المنابذة الا من شا الله
منهم وما اي والحال انه ما امر فرعون برشيد اي شديد مع ان في هذا التعقيب بعد ذكر ثمود من التذكير بايتي الناقة والعصى
اشارة الى القدرة على البعث المذكور اول السورة الموجب خوفه لكل خير كما ان ذلك ايضا كان من فوايد تعقيب قصة ابرهيم
لقصة صالح عليهما السلام واقتصر هنا على ذكر فرعون وقومه لان المقصود من هذه القصص كما تقدم التثبيت في المكافحة ٥
بابلاغ الانذار وان اشتدت كراهية المبلغين وقل المتبع منهم وان لا يترك شي منه خوف اصرارهم او ادبارهم ولا رجا اقبالهم
وكثرة موفيهم وهذه حال آل فرعون واما بنوا اسرايل فانهم لم يتوقفوا الا خوفا من فرعون في اول الامر ثم اطبق كلهم على الاتباع
ثم صاروا بعد ذلك كل قليل يبدلون لا كراهية للانذار بل لغير ذلك من الامور وعجايب المقدور كما بين في قصصهم والملا الاشراف
الذين تملا الصدور هيبتهم عند رويتهم والاتباع طلب الثاني للتصرف بتصرف الاول في اي جهة اخذ وقد يكون عن كره بخلاف
الطاعة والامر الايجاب بصيغة افعل وهو يتضمن ارادة المامور به في الجملة وقد لا يراد امتثال عين المامور والرشيد القايد
الى الخير الهادي اليه ثم اوضح عدم رشد امر فرعون بقوله يقدم قومه اي الذين كان لهم قوة المدافعة يوم القيمة ويكونون له
تبعا كما كانوا في الدنيا واشار بايراد ما حقه المضارع ماضيا الى تحقق وقوعه تحقق ما وقع ومضى فقال فاوردهم النار
اي كما اوردهم في الدنيا عطاها وهو البحر ولما كان التقدير فبيس الواردون عطف عليه بيان الفعل والمفعول وبيس
الورد المورود كما كان البحر اذ وردوه اقبح ورد ورده انسان لان الورد يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد وهذا
يفيد ضد ذاك ولما كان فرعون موصوفا بعظم الحال وكثرة الجنود والاموال وضخامة المملكة حقر تعالى دنياه بتحقير جميع
الدنيا التي هي منها باسقاطها في الذكر اكتفا بالاشارة اليها ولم يثبتها كما في قصة عاد فقال واتبعوا ببنايه للمفعول لان
المنكي الفعل لا كونه من معين في هذه اي الحياة الخسيسة لعنة فهم يلعنون فيها من كل لاعن من المسلمين وغيرهم من اهل الملل
فلعنة الله على من حسن حالهم وارتضى ضلالهم لاضلال العباد من اهل الالحاد بفتنة الاتحاد ويوم القيمة ايضا يلعنهم اللاعنون
حتى اهل الاتحاد الاخلاء يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم بين ما يحق ان يقوله سامع ذلك بقوله بيس الرفد المرفود
اي التبع المتبوع والعون المعان فان اللعنة تابعة لعذابهم في الدنيا ومتبوعة باللعنة في الاخرة والعذاب رفد لها وهي
رفد له ومادة رفد تدور على التبع او يكون المراد ان لعنهم لا يزال مترادفا تابعا بعضه لبعض فكل لعنة تابعة كشي
من الخزي عذاب او لعن متبوعة بلعنة مضافة اليها وسمي ذلك رفدا وهو حقيقة العون من باب قولهم تحية بينهم ضرب
وجيع ومعنى يقدم انه يكون قدامهم غير سايق لهم بل هم على اثره متلاحقين فيكون دخولهم الى النار معا والقيمة القومة من
الموت للحساب والاتباع طلب الثاني للحاق بالاول كيف تصرف واللعن من الله الابعاد من الرحمة بالحكم بذلك ومن العباد

الدعاء به ولما كانت هذه الاخبار على غاية من التحرير لا يعرفه الا بالغ في العلم كان من المعلوم قطعا انه صلى الله عليه وسلم لم يات
بها الا من عند الله للعلم المشاهد بانه لم يعان علما ولا الم بعالم يوما هذا مع ما اشتملت عليه من انواع البلاغة وتضمنته من انحاء الفصاحة
واومات اليه بحسن سياقاتها من صروف الحكم وافادة تفصيلها من فنون المعارف فلذلك استحقت ان يشار اليها باداة البعد ايما الى
بعد الرتبة وعلو الامر فقال تعالى ذلك اي النبا العظيم والخطب الجسيم من انباء القرى واكد هذا المعنى بلفظ النبا لانه الخبر بما
فيه عظيم الشان ومنه النبي واشار بالتعبير بالمضارع في قوله نقصه عليك الى انا كما قصصناها عليك في هذا الحال للقصد
المتقدم سنقصها عليك لغير ذلك من الاغراض في فنون البلاغة وتصاريف الحكم كما سترى عند قصه ثم اشار بما اخبر من حالها
بقوله منها اي القرى قائم وحصيد الى انك مثل ما سمعت ما قصصنا عليك من امرها نادنك ووعيته بقلبك تحسها بعينك
بمشاهدة ابنيتها واثارها قائمة او مستحصدة اي متهدمة لم يبق من بنيانها الا بعد جدرانها ولما كان فيما تقدم في هذه السورة
من القصص اشد تهديد واعظم وعيد لمن له تبصرة صرح لغليظي الاكباد بان الموجب للايقاع بهم انما هو الظلم فقال تعالى عاطفا
على نحو ان يقال فعلنا بهم ما انبأناك به وما ظلمناهم في شيء منه ولكن ظلموا انفسهم واعتمدوا على اندادهم معرضين عن جنابنا
آمنين من عذابنا فاخذناهم فما اي فتسبب عن اعتمادهم على غيرنا انه ما اغنت عنهم اي بوجه من الوجوه آلهتهم التي وصور حالهم
الماضية فقال يدعون اي دعوها واستمروا على دعائهم لها الى حين الاخذ وبين خسة رتبتها فقال من دون الله اي الذي له
جميع صفات الكمال وذكر مفعول اغنت مغرقا في النفي فقال من شيء اي وان قل لما جاء امر اي عذاب ربك اي المحسن اليك بتاخير
العذاب المستاصل عن امتك وجعلك نبي الرحمة وما زادوهم في احوالهم التي كانت لهم قبل عبادتهم اياها غير تتبيب اي اهلاك
وتخسير فانهم كانوا في عداد من يرجى فلاحه فلما تورطوا في عبادتها ونشبوا في غوايتها وبعدوا عن الاستقامة بضلالتها خسروا
انفسهم التي هي راس المال فكيف لهم بعد ذلك بالارباح والقصص اتباع الاثر فهو هنا الاخبار بالامور التي يتلوا بعضها بعضا والدعا
طلب الطالب الفعل من غيره ونداء الشيء باسمه بحرف النداء وكلا الامرين مرادان ومن دون من منزلة ادنى من منزلة عبادة
الله لانه من الادون وهو الاقرب الى جهة السفل ولما كان المقصود من ذلك رمي قلوب العرب بما فيه من سهام التهديد
ليقلعوا عما تمكنوا فيه من عمى التقليد قال تعالى معلما بان الذي اوقع باوليك لظلمهم هو لكل ظالم بالمرصاد سوا ظلم نفسه
او غيره وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ العظيم اخذ ربك ذكره بوصف الاحسان ما له اليه من البر ليلا يخاف على قومه من مثل
هذا الاخذ اذا اخذ القرى اي اهلها وان كانوا غير من تقدم الاخبار عنهم وان عظموا وكثروا ولكن الاخبار عنها اهول
لانه يفهم انه ربما يعمها الهلاك لاجلهم لشدة الغضب من فعلهم كقرى قوم لوط عليه السلام وهي ظالمة روى البخاري في التفسير
عن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ
ربك الاية ولما كان مثل هذا الاخذ لا يدانيه مخلوق ولا يقدر عليه ملك حسن كل الحسن اتباع ذلك قوله ان اخذه اليم اي
مولم قاطع للامال مالئ للبدن والروح والنفس بالنكال شديد اي صعب مفتت للقوى ولعله عبر هنا باسم الرب مضيفا
له الى المنبا بهذه الانباء مكررا لذلك في هذا المقام الذي ربما سبق فيه الوهم الى انه باسم الجبار والمنتقم مثلا اليق اشارة
الى انه سبحانه يربيك احسن تربية في اظهارك على الدين كله وانقياد العظماء لامرك وذل الاعزة لسطوتك وخفض الروس
لعلو شانك فلا تتكلف انت شيا من قصد اجابتهم الى انزال آية او ترك ما يغيظ من انذار ونحو ذلك والله الموفق ولما
كان مما جر هذه القصص وهذه المواعظ تكذيبهم لما يوعدون من العذاب الناشي عن انكار البعث المذكور في قوله تعالى
ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت الايات اشار تعالى الى تحقق امر الاخرة وانه مما ينبغي الاهتمام به ردا للمقطع على
المطلع واعلاما بانه لا فرق بينه وبين ما تحقق ايقاعه من عذاب هذه الامم في القدرة عليه بقوله موكدا لاجل جحودهم
ان يكون في شيء مما مضى دلالة عليه بوجه من الوجوه ان في ذلك اي النبا العظيم والقصص والوعظ بما يذكر لاية اي
لعلامة عظيمة ودلالة بينة ولما كان وجود الشيء عدما بالنسبة الى من لا نفع له به قال لمن خاف عذاب يوم الحيوة
الاخرة لانه نفع خاص به وانما كان آية له لانه اذا نظر الى اهلاكه للظالمين اهلاكا عاما بسبب ظلمهم وانجائه للمومنين علم انه
قادر على ما يريد وانه لا بد ان يجازي كلا بما فعل فاذا راى ان ظلمه كثيرين يموتون بغير انتقام علم انه لا بد من يوم يجازيهم فيه
وهو اليوم الذي اخبرت به عند رسله وزاد سبحانه في الاشارة الى تهويله باعادة اسم الاشارة في قوله ذلك اي اليوم
العظيم الذي يكون فيه عذاب الاخرة يوم واشار الى يسر البعث وسهولته عليه وانه امر ثابت لا بد منه باسم المفعول
من قوله مجموع له اي لاجل اظهار العدل فيه والفضل الناس اي كل من فيه اهلية التحرك والاضطراب وما ثم يوم غيره
يكون بهذه الصفة اصلا ولما لم يسبقه يوم اجتمع فيه جميع الخلق من الجن والانس والملئكة وجميع الحيوانات احيا كان
ذلك مسوغا لان تعد شهادة غيره عدما فقال تعالى وذلك اي اليوم العظيم يوم مشهود اي هو نفسه لهم ولغيرهم من
جميع الخلق فيكون تنويه للتعظيم بدلالة المقام او يكون المعنى انه اهل لان يشهد وتتوفر الدواعي على حضوره لما فيه من
عجايب الامور والاهوال العظام والمواقف الصعبة فلا يكون ثم شغل الا نظر ما فيه والاحاطة بحوادثه خوف التلاف
ورجاء الخلاص والخوف انزعاج النفس بتوقع الشر وضده الامن وهو سكون النفس بتوقع الخير والعذاب استمرار الالم
ولما تقدم قولهم ما يحبسه كان كانه قيل في الرد عليهم نحن قادرون على تعجيله وهو كما اشرنا اليه في هذه الاية عندنا متى
شئنا في غاية السهولة وما نؤخره اي اليوم او الجزاء مع ما لنا من العظمة والقدرة التامة على ايجاده لشيء من الاشياء الا لاجل

اي لاجل

اي لاجل انتهاء اجل معدود سبق في الازل تقديره ممن لا يبدل القول لديه وكل شي في حكمه فهو لا يخشى الفوت ومادة اجل
بتراكيبها الاربعة اجل وجال وجلا ولجا تدور على المدة المضروبة للشي فالاجل محركة مدة الشي وغاية الوقت في الموت وحلول
الدين من تسمية الجزء باسم الكل والتاجيل تحديد الاجل ويلزمه التاخير ومنه اجل الشي كفرح اذا تاخر والاجلة الاخرة
واجل الشي بالفتح حبسه ومنعه لان الاجل حابس ومانع للموجل ومنه اجلى كجمزى وهو مرعى لهم معروف كانه لحسنه يحبس الراعي
فيه واجل الشر عليهم جناه او اثاره وهيجه ولاهله كسب وجمع واحتال لان ذلك كله من لوازم ذي الاجل والمعنى انه اوجد
اجل ذلك وكمقعد ومعظم مستنقع الماء لانه محيط به احاطة الاجل بالموجل واجله فيه تاجيلا جمعه فتاجل والماجل الحوض
يحبس فيه الماء واجلوا ما لهم حبسوه في المرعى والاجل بالكسر قطيع من بقر الوحش تشبيها له في اجتماعه من حيث انه احصن له
بالاجل لانه كما قيل حصن حصين والاجل بالكسر ايضا وجع في العنق لانه من اسباب حلول الاجل واجله داواه منه وبالضم
جمع اجيل للمتاخر وللمجتمع من الطين يجعل حول النخلة لاحاطته بها احاطة الاجل وتحصينه لها وتاجل القوم تجمعوا لان التجمع
احصن لهم واجل بفتحتين ثم سكون جواب كنعم وزنا ومعنى الا انه احسن منه في التصديق ونعم احسن منه في الاستفهام وحقيقة
ذلك الاخبار بان اجل اي وقت ذلك الفعل الموجب والمستفهم عنه قد حضر وفعلت ذلك اجلك من غير من ومن اجلك ومن
اجلاك ويكسر في الكل اي من جللك قاله في القاموس وقال في فصل الجيم وفعلته من جلك بالضم وجلالك وجللك
محركا وتجلتك واجلالك بالكسر ومن اجل اجلالك ومن اجلك بمعنى انتهى وحقيقته ان فعلي مبتدا من اجلك بالتحريك او تكون
من سببية اي اجلك سبب فيه ولولا وجودك ما فعلته فهو لتعظيمك والملجا واللجا محركة المعقل والملاذ كانه شبه بالاجل
ومنه لجا اليه كمنع وفرح لاذ والجا امره الى الله اسنده والجا فلانا الى كذا اضطره والتلجية الاكراه واللجا محركا الضفدع
لالتجائها الى الماء ومن ذلك الجيال كصيقل وجيال وجيالة ممنوعين وجيل بلا همز كله اسم الضبع لكثرة لجائها الى وجارها
ومنه جيل كفرح جالانا عرج كانه يشبه بمشيتها لان من اسمائها العرجا او تشبه بمشية الراقي في درج الملجا اي الحصن وكذا
الاجل كقنب وقبر وهو ذكر الاوعال لان قرونه كالحصن له وجيالة الجرح غثيثه وهو مريه لانه من اسباب قرب الاجل
وكذا الاجيلال اي الفزع ربما كان سببا لذلك وربما كان سببا للمبادرة الى الحصن وجيال كمنع ذهب وجاء والصوف
جمعه واجتمع لازم متعد كله من لوازم الاجل بمعنى المدة وجلا بالرجل كمنع صرعه وبثوبه رماه كانه جعله في قوة من
حضر اجله وان شئت قلت في ضبط ذلك ان المادة مع دورانها على المدة تارة تنظر الى نفس المدة وتارة الى اخرها
وتارة الى امتدادها وتاخرها وتارة الى ما يدني منه وتارة الى منفعتها وتارة الى ما يلزم فيها فمن النظر الى نفس المدة
التاجيل بمعنى تحديد الاجل وهو مدة الشي وفعلت هذا من اجلك اي لولا وجودك ما فعلته واجل بمعنى نعم اي حضرت مدة
الفعل ومن النظر الى الاخر ذي الاجل في الموت والدين ومن النظر الى التاخر اجل الشي اذا تاخر والاجلة الاخرة ومن النظر
الى السبب المدني الاجل بالكسر لوجع في العنق وجيالة الجرح لغثيثه اي مريه وجلا بالرجل صرعه وبثوبه رماه واجل
الشر عليهم جناه او اثاره وهيجه والاجيلال الفزع ومن النظر الى المنفعة وهي ان التاجيل الذي هو تحديد الاجل للشي
مانع من اخذه دون ما ضرب له من المدة الاجل بالكسر للقطيع من بقر الوحش واجل الشي حبسه ومنعه واجلى كجمزى مرعى
لهم معروف وتاجل القوم تجمعوا وجال الصوف جمعه واللجا والملجا المعقل والملاذ والضفدع للزومها ملجاها من الماء
والجيال للضبع للزومها وجارها ولذلك تسمى ام عامر وجيل كفرح عرج كانه شبه بمشيتها لانها تسمى العرجا والاجل كقنب
وقبر لذكر الاوعال لتحصنه بقرونه والاجل بالضم المجتمع من الطين يجعل حول النخلة والماجل الحوض يحبس فيه الماء
ومستنقع الماء مطلقا واجله تاجيلا جمعه ومن النظر الى ما يلزم في المدة اجل لاهله كسب وجمع وجلب واجتال وجال كمنع
جاء وذهب فقد تبين ان المراد بالاجل هنا الحين ولما كان كانه قيل يا ليت شعري ماذا يكون حال الناس اذا اتى ذلك
الاجل وفيهم الجبابرة والرؤسا وذووا العظمة والكبرا اجيب بقوله يوم ياتي اي ذلك الاجل لا يقدرون على الامتناع ولا
على مطلق الكلام وحذف ابن عامر وعاصم وحمزة الياء اجتزاء عنها بالكسرة كما هو فاش في لغة هذيل وكان ذلك اشارة الى ان
شدة هوله تمنع اهل الموقف الكلام اصلا في مقدار ثلثيه ثم يؤذن لهم في الكلام في الثلث الاخر بدلالة المحذوف وقرينة
الاستثناء فان العادة ان يكون المستثنى اقل من المستثنى منه لا تكلم ولو اقل كلام بدلالة حذف التاء نفس من جميع الخلق
في ذلك اليوم الذي هو يوم الاخرة وهو طرف هذا الاجل وهو يوم طويل جدا ذو الوان وفنون واهوال وشؤون تارة
يؤذن فيه في الكلام وتارة يكون على الافواه الختام وتارة يسكنهم الخوف والحسرة والالام وتارة ينطقهم الجدال والخصام
الا باذنه اي باذن ربك المكرر ذكره في هذه الايات اشارة الى حسن التربية واحكام التدبير ولما علم من هذا انه يوم
عظمة وقهر سبب عن تلك العظمة تقسيم الحاضرين فقال فمنهم اي الخلائق الحاضرين لامره شقي ثبتت له الشقاوة فيسر في
الدنيا لاعمالها وسعيد ثبتت له السعادة فمشى على منوالها والتاخير الاذهاب عن جهة الشي بالابعاد منه وضده
التقديم واللام تدل على العلة والغرض والحكمة بخلاف الى والشقا قوة اسباب البلا ولما كان اكثر الخلق هالكا مع ان
المقام مقام تهديد وتهويل بدا تعالى بالاشقياء ترتيبا للتقسيم على ترتيب التفريق فقال فاما الذين شقوا اي ادركهم
العسر والشدة ففي النار اي محكوم لهم بانهم يدخلون النار التي هي النار لو علمتم لهم فيها زفير اي عظيم جدا وشهيق من زفر
اذا اخرج نفسه بعد مدة اياه وشهق اذا تردد البكاء في صدره قاله في القاموس وقال ابن كثير في تفسير سورة الانبيا

الزفير خروج انفاسهم والشهيق ولوج انفاسهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت
الضعيف وعن الضحاك ومقاتل الزفير اول نهيق الحمار والشهيق آخره حين يفرغ من صوته اذا اراده في جوفه وسيأتي كلام
الرماني في ذلك خالدين فيها اي بلا انقطاع وعبر عنه بقوله جريا على اساليب العرب ما دامت السموات والارض ولما كان
له كل شيء لا يقبح منه شيء وملوكا قادرا على كل شيء دل على ذلك بقوله الا ما شاء اي مدة شاءها فانه لا يحكم لهم بذلك فيها فلا يخلدونها
ولما كان الحال في هذه السورة مقتضيا كما تقدم للتسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما اخبر به سبحانه في قوله فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك الآية من ضيق صدره ولذلك اتى بهذه الفصول كما مضى بيان ذلك عبر باسم الرب اشارة الى انه يحسن اليه
بكل ما يسر قلبه ويشرح صدره فقال ربك وقد جرى الناس في هذه الاستثناء على ظاهره ثم اطالوا الاختلاف في تعيين المدة
المستثناة والذي ظهر لي والله اعلم انه لما تكرر الجزم بالخلود في النار وان الشرك لا يغفر والايمان موجب للجنة فكان ربما
ظن انه لا يمكن غير ذلك كما ظنته المعتزلة لا سيما اذا تؤول القطع في مثل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به مع تقييد غيره بالمشية
في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء جاء هذا الاستثناء معلما ان الامر فيه الى الله كغيره من الامور له ان يفعل في كلها ما يشاء
وان جزم القول فيه لكنه لا يقع غير ما اخبر به وهذا كما تقول ايكن هذه الدار عمرك الا ما شاء زيد وقد لا يشاء زيد شيئا فكما ان
المعلق بدولم السموات والارض غير مراد الظاهر كذلك الاستثناء لا يشاء الله قطع الخلود لاحد من الفريقين وسوقه هكذا
ادل على القدرة واعظم في تقليد المنة ثم رايت الامام ابا محمد البغوي قد ذكر معنى هذا آخرا ما اورده في تفسير من الاقوال في الآية
وحكى نحوه عن الفراء ومثله بان تقول والله لاضربنك الا ان اراي وعن عمتك ان تضربه وعزاه الطحاوي في بيان المشكل الى
اهل اللغة منهم الفراء ولما كان تخليد الكفار من الحكم بالقسط بين الفريقين لانه من اكبر نعيم المومنين الذين عادوهم في الله
كما تقدم التنبيه عليه اول سورة يونس عليه السلام عند قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط كان ربما توهم
ان الاستثناء لو اخذ على ظاهره لم يكن اخراجهم من النار حسنا نفى هذا التوهم بقوله ان ربك اي المحسن اليك فعال لما يريد
اي لا يجوز عليه ابدا الرجوع عما اراده ولا المنع عن مراده ولا يتعذر عليه شيء منه مع كثرة المرادات فلا اعتراض عليه ولا
يلزمه لاحد شيء بل له ان يخلد العاصين في الجنة ويخلد الطائعين في النار لكنه كما ثبت ذلك ليعتقد لكونه من صفة الكمال
ثبت انه لا يفعل ذلك سبحانه ولا يبدل القول لديه لان ذلك من صفات الكمال ايضا ان في ختم الآية بذلك ترجية لاهل
النار في اخراجهم منها زيادة في عذابهم ولما تم امر الاشقياء عطف عليه قسيمهم فقال واما الذين سعدوا اي فازوا بمطالبهم
وتيسرت امورهم ففي الجنة اي التي صارت معلومة من الدين بالضرورة خالدين فيها ابدا ما دامت السموات والارض على
ما جرت به عادة العرب في ارادة التابيد بلا آخر مثل هذا الا ما شاء ربك وادل دليل على ما قلت في الاستثناء قوله
عطاء مو نصب على المصدر غير مجذوذ اي مقطوع ولا مكسور ولا مفصول لعل من الاعطية ولا ينغص ولا استهان به لانهم
لو انكدوا من النعم حقيقة او معنى ولو لحظة لكان مقطوعا او منقوصا وفي الختم بذلك من الجزم بالدوام ما تطمئن به الجنة
زيادة في نعيمهم عكس ما كان لاهل النار قال ابو الحسن الرماني والزفير تردد النفس مع الصوت حتى يمتنع الطلوع واصله
الشدة من الموفور الخلق والزمر الحمل على الظهر لشدته والزمر السيد لانه يطيق حمل الشدايد وزفرت النار اذا سمعت
لها صوتا في شدة توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بعد النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق
اي ممتنع طولا والخالد الكائن في الشيء ابدا والدائم الباقي ابدا ولهذا يوصف الله تعالى بالدائم دون الخالد ولما اخبره تعالى
بوقوع القضاء بتمييز الناس في اليوم المشهود الى القسمين المذكورين على الحكم المشروح مرهبا ومرغبا كان ذلك كالمبني على
اسرار الله والمضي لانفاذ جميع ما ارسل به وان شق امتثاله على النفوس في ذلك اليوم بخصوصه فكان ذلك سببا للنهي
عن القلق في شيء من الاشياء وان جل وعظم خطبه فقال تعالى فلا ولما كان ما تضمنه هذا التقسيم امرا عظيما وخطبا
جسيما اقتضى عظيم تشوف النفس وشديد شوقها لعلم ما سبب عنه فاقتضى ذلك حذف النون من كان ايجازا في الكلام
للاستراح بالايقاف على المراد والابلاغ في نفي الكون على اعلى الوجوه فقال تك اي بحالة من الاحوال في مرية والمرية
الشك مع ظهور الدلالة للتهمة قاله الرماني مما يعبد هولاء اي لا تفعل فعل من هو في مرية بان تضطرب من اجل ما يعبدون
سواطبين على عبادتهم بجد دين ذلك كل حين فتنبغ نفسك في ارادة مبادرتهم الى امتثال الامر في النزوع عن ذلك بالكف
عن مكاشفتهم بغائظ الانذار والطلب لاجابة مقترحاتهم رجاء الارد جار كما مضى في قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك الآية وذلك ان مادة مري باي ترتيب تدور على الاضطراب وقد يلزمه الطرح والفصل رمى يرمي رميا ان
والرماة ظلف الشاة لانه يطرح والرمي قطع من السحاب رقاق والرمم البراح ما يرمم يفعل كذا ما يزال والرمم الدرج
للاضطراب فيها والعبر لنبذة في جانب من الارض وطرح الميت فيه ورمم فلان بالمكان اقام به مجاوزا العين منفصلا
عنه كانه رمى بنفسه فيه ورمعت السحابة اذا دامت فلم تقلع لان من شانها رمي القطر ومرمي القطر مسحه للكلب
والرمح يمري السحاب والمري المعدة لقذفها ما فيها والمرية الشك اي تزلزل الاعتقاد والمراء جلب الطعام ثم استانف
تعالى خبرا هو بمنزلة العلة لذلك فقال ما يعبدون اي يوقعون العبادة على وجه الاستمرار الا كما يعبد اباؤهم ولما كانت
عبادتهم في قليل من الزمن الماضي ادخل الجار فقال من قبل اي انهم لم يفعلوا ذلك لشبهة اذا كشف عنها انقشع رجوابل المحض
تقليد الاباء مع استحسارهم لتلبسهم بالعبادة كانهم حاضرون لديهم يشاهدونهم مع العمى عن النظر في الدليل والحج كما كان من

صفحنا

قصصنا عليك اخبارهم من الامم في تقليد الاباء سوا بسواء مع عظيم شكيمتهم وشدة عصبيتهم للاجانب فكيف بالاقارب فكيف
بالاباء فاقم عليهم الحجة بابلاغ جميع ما نامرك به كما فعل من قصصنا عليك انباهم من اخوانك من الرسل غير محظر في البال شيا
مما قد يترتب عليه الى ان ينفذ ما نريد من اوامرنا كما سبق في العلم فلا تستعجل فانا نذير للامر في سفول شانهم وعلو شانك
كما نريد وانا بما لنا من العظمة موفوهم نصيبهم من الخير والشر من الاجال وغيرها وفاء هو ثابت ثباتا لا يفارق اصلا ولما
كانت التوفية قد تطلق على مجرد الاعطاء وقد يكون ذلك على التقريب نفى هذا الاحتمال بقوله غير منقوص والنصيب القسم
المجعول لصاحبه كالحظ والمنقوص المقدار الماخوذ جزء منه والنقص اخذ جزء من المقدار ولما ذكر في هذه الاية اعراضهم
عن الاتباع مع ما اتى به من المعجزات وانزل عليه من الكتاب سلاه باخيه موسى عليهما السلام لان الحال اذا عم خف وابتدا ذكره
بحرف التوقع لما دعا الى توقعه من قرب ذكره مع فرعون مع ذكر كتابه اول السورة فقال تعالى ولقد اتينا اي بما لنا من العظمة
موسى الكتاب اي التورية الجامعة للخير ولما كان الضار والمسلي نفس الاختلاف بني للمفعول قوله فاختلف فيه
فامن به قوم وكفر به اخرون مع انه امام ورحمة وكتب سبحانه له فيه من كل شي موعظة وتفصيلا لكل شي وكان معجبا لاهل
ذلك الزمان كما اختلف في كتابك مع اعجابه لاهل هذا الزمان وبيانه للهدى اتم بيان اشارة الى ان الخلق مهما جاءهم عن الله
وهو لا يكون الا مصحوبا بالادلة القاطعة ناؤا عنه واختلفوا فيه ومهما تلقفوه عن ابائهم تلقوه بالقبول وناضلوا عنه
وسمحوا فيه بالمهج وان كان منابذا للعقول فكان قوم موسى باختلافهم في الكتاب كل قليل يابى فريق منهم بعض احكامه ويريدون
نقض ابرامه كما سلف بيانه غير مرة عن نص التورية وسفر يوشع الى ان آل امرهم الان الى ان صاروا ثلاث فرق ربانيين
وقرائين وسامرة يضلل بعضهم بعضا ومع ذلك فلم يعاجلهم بالاخذ مع قدرته على ذلك كما فعل بمن قص امره من الامم لما سبق من
حكمه بتاخيرهم الى الاجل المعدود وفصل بين هذا وبين قصة موسى عليه السلام مع فرعون ليكون مع ما دعا الى تقديم ما
تقدم من الايات اوقع في التسلية وابلغ في التعزية والتاسية كما هو شان كل ما القي الى المحتاج شيا فشيا ولولا كلمة اي
عظيمة لا يمكن تغييرها لانها من كلام الملك الاعظم سبقت من ربك اي المحسن اليك واليهم بارسالك رحمة للعالمين لقضي اي لوقع
القضا بينهم اي بين من اختلف في كتاب موسى عاجلا ولكن سبقت الكلمة ان القضا الكامل انما يكون يوم القيمة كما قال في سورة
يونس عليه السلام فما اختلفوا حتى جاءهم العلم الاية ولما كان الاختلاف قد يكون بغير الكفر بين انه به فقال موكدا لان
كل طائفة من اليهود تنكر شكها فيه وفعلها فعل الشاك وانهم لفي شك اي عظيم محيط بهم منه اي من القضاء او الكتاب مريب
اي موقع في الريب والتهمة والاضطراب مع ما راوا من الايات التي منها سماع كلام الله ورؤية ما كان يتجلى في جبل الطور
من الجلال ويتبدى لهم في قبة الزمان من خارق الاحوال وان كلا من المختلفين في الحق من قوم موسى عليه السلام وغيرهم
ممن هو الحق وممن هو على الباطل وان عند نافع وابن كثير وابي بكر عن عاصم عاملة مع تخفيفها من الثقيلة في قراءة غيرهم اعتبارا
باصلها لما هي في قراءة ابن عامر وحمزة وعاصم بالتشديد الجازمة حذف فعلها قال ابن الحاجب وهو شايع فصيح وفي قراءة
غيرهم بالتخفيف مركبة من لام الابتداء وما الموكدة بنفي نقيض ما اثبته الكلام ليكون ثبوته مع نفي نقيضه على ابلغ وجه
ولما كان الشرط في حذف الفعل بعد لما الجازمة ان يكون مما يتوقع بوقوع فعل قبلها يدل عليه كان التقدير يقض بينهم
وسيقضى وهو معنى ما قرن بعدها بلام القسم من قوله ليوفينهم ربك اي المحسن اليك باقامتك على المنهاج الاعدل والفصل
بين العباد اعمالهم لا يدع منها شيا لانه لا يخفى عليه منها شي انه بما تعملون قدم الظرف لتاكيد الخبر خبير فاذا علمت ان
شانك في امتك شان الرسل في اممهم وانه لا بد من الاختلاف في شان الرسول والكتاب كما جرت بذلك السنة الالهية
وان الجزاء بالاعمال كلها لا بد منه فاستقم اي اوجد القوم بغاية جهدك بسبب انك لا تكلف الا نفسك وان الذي ارسلك
لا يغفل عن شي ومن استقام استقيم له ولما كان من المقطوع به ان الامر له صلى الله عليه وسلم من له الامر كله بني للمفعول
قوله كما امرت اي كما استقام اخوانك من الانبياء في جميع الاصول والفروع سوا كان في نفسك او في تبليغ غيرك معتدلا
بين الافراط والتفريط ولا يضق صدرك من استهزائهم وتعنتهم واقتراحهم للايات وارادتهم ان تترك بعض ما يوحى اليك
من التشنيع عليهم والعيب لدينهم بل صارحهم بالامر واتركهم واهواءهم نحن ندبر الامر كما نريد على حسب ما نعلم ولما كان الفاصل
بين المعطوف والمعطوف عليه يقوم مقام تاكيد الضمير المستتر عطف عليه قوله ومن اي وليستقم ايضا من تاب عن الكفر
مومنا معك على ما امروا تاركين القلق من استبطائهم للنصرة كما روى البخاري وابو داود والنسائي عن خباب بن الارت
رضي الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين
شدة فقلنا الا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيه فيجاء
بالميشار فيوضع فوق راسه فيشق باثنين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من عظم
وعصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب
على غنمه ولكنكم تستعجلون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم اية اشق ولا اشد من هذه
الاية والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة ولما كانت وسطا بين افراط وتفريط وكان التفريط لا يكاد يسلم
منه الا الفرد النادر وهو في الاغلب يورث انكسار النفس واحتقارها والخوف من الله وكان الافراط يورث اعجابا
وربما اقتضى بالانسان الى ظن انه شارع فينسلخ لذلك من الدين طوى التفريط ونهى عن الافراط فقال ولا تطغوا اي تتجاوزوا

الحد فيما امرتم به او نهيتم عنه بالزيادة افراطا فان الله تعالى انما امركم ونهاكم لتهذيب نفوسكم لا لحاجته الى ذلك ولن
تطيقوا ان تقدروا الله حق قدره والدين متين لن يشاده احد الا غلبه فقد رضي منكم سبحانه بالاقتصاد في العمل مع حسن
المقاصد ويجوز ان يكون المعنى ولا تبطركم النعمة فتخرجكم عن طريق الاستقامة يمنة او يسرة ولما نهى عن الافراط
وهو الزيادة تصريحا فافهم النهي عن التفريط وهو النقص عن المامور تلويحا من باب الاولى علل ذلك موكدا تنزيلا لمن يفرط
او يفرط منزلة المنكر فقال انه بما تعملون قدم الظرف لما تقدم من تاكيد الابصار بصير ومادة طغى واوية ويائية
بكل ترتيب تدور على مجاوزة الحد مع العلو فالغطاء ما ستر به الشيء عاليا عليه ولا يكون ساترا لجميعه الا اذا فضل عنه فتجاوز
حده وغطى الليل اذا غشي وكل شيء ارتفع فهو غاط وطغى السيل اذا جاء بماء كثير والبحر هاجت امواجه والطغيان مجاوزة الحد
في العصيان والغايط والغيط المطمئن من الارض لان ما كان كذلك وكانت ارضه طيبة كانت لا تزال رقى فيعلو ما نبت فيها
ويخصب فيتجاوز الحد في ذلك ومنه الغوطة لموضع بالشام كثير الماء والشجر ولما نهى عن الافراط والتفريط على وجه عام وكان
الحب في الله والبغض فيه اوثق عرى الايمان اشار الى ضده الذي هو من اوثق عرى الشيطان ولا تركنوا اي شيئا من ركون
وقال الى الذين ظلموا اي وجد منهم الظلم ولم يقل الظالمين اي بالميل اليهم بان تثاقل انفسكم نحوهم للميل الى اعمالهم ولو بالرضى
بها والتشبه بهم والتزيي بزيهم وحاصل الايتين لا تظلموا بانفسكم ولا تستحسنوا افعال الظالمين وفسر الزمخشري الركون
بالميل اليسير وهو حسن من جهة المعنى لكني لم اره لغيره من اهل اللغة وقال الرماني وهو اقرب الركون السكوت الى الشيء بالمحبة
والانصباب اليه ونقيضه النفور عنه وهو على التفسير الثاني في تطغوا من عطف الخاص على العام والاية ملتفتة الى قوله
تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك فتمسكم النار اي فيتسبب عن ركونكم اليهم مسها لكم فلا تقدروا على التخلص منها بنوع حيلة
من انفسكم ومن اجلال النبي صلى الله عليه وسلم افراده بالخطاب في الامر بافعال الخير والاتيان بجمع بضمير الجمع في النهي عن افعال
الشر نبه على ذلك الامام ابو حيان ولما كان كل موجود سوى الله في قهره وتحت امره قال تعالى وما لكم ولما كان دون رتبته
تعالى من الرتب والذوات ما لا يحصيه غيره سبحانه ادخل الجار تبعيضا فقال من دون الله اي الملك الاعظم واغرق في النفي
فقال من اولياء اي يخلصونكم من عذابه لما تقرر ان دون من الادون وهو الاقرب الى جهة السفل والولي المختص بان من شانه
تولي المعونة عند الحاجة واشار الى ان نصر من لا ناصر له من الله محال باداة البعد وبناء الفعل للمفعول فقال ثم لا تنصرون
اي ثم اذا فاتكم هذا وذاك فما ابعدكم من النصرة ولما كان العلم حاصلا بما سبق من الحكم من ان الادمي محل العجز والتقصير اتبع
ذلك باعلى مكفر لما يوجبه العجز ويقضي به الفتور والوهن من الصغاير واعمه واجلبه للاستقامة وذلك يدل على انها بعد
الايمان افضل العبادات فقال تعالى واقم الصلوة اي اعملها على استواء طرفي النهار بالصبح والعصر كما كان مفروضا بمكة في
اول الامر قبل الاسراء ويمكن ان يراد مع ذلك الظهر لانها من الطرف الثاني وزلفا اي طوايف ودرجات واوقات جمع زلفة
من الليل يمكن ان يكون المراد به التهجد فقد كان مفروضا في اول الاسلام ويمكن ان يراد المغرب والعشاء مع الوتر او التهجد
ثم علل ذلك بقوله ان الحسنات اي الطاعات كلها الصلوة وغيرها المبنية على اساس الايمان يذهبن السيئات اي الصغاير
واما الكباير التي يعبر عنها بالفواحش ونحوه فقد تقدم في قصة شعيب عليه السلام عند قوله ثم توبوا اليه انه لا يكفرها الا
التوبة لما فيها من الاشعار بالتهاون بالدين واجتنابها لا يكفر الا اذا كان عن نية صالحة كما افهمه صيغة الافتعال من قوله
ان تجتنبوا روى البخاري في التفسير عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر له ذلك فانزل الله عليه اقم الصلوة طرفي النهار الاية قال الرجل الى هذه قال لمن عمل بها من امتي وهذا الحديث يؤيد
قول ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية من هذه السورة المكية مدنية ولما تم هذا على هذا الوجه الاعلى والترتيب الاولى
قال تعالى مادحا له ليعرف مقداره فيلزم ذلك اي الامر العالي الرتبة الذي تقدم من الترغيب والترهيب والتسلية وتعليم
الداء والدواء للخلاص من الشقاء ذكرى اي ذكر عظيم للذاكرين اي لمن فيه اهلية الذكر والانتباه به بحضور القلب وصفاء
الفكر ونفوذ الفهم ولما كان الصبر لله على المكاره اعلى الطاعة اتبع ذلك قوله واصبر اي ليكن منك صبر على الطاعات
وعن المعاصي ولا تترك انذارهم بما امرت به مهما كان ولا تخفهم فان العاقبة لك اذا فعلت ولما كان مقام الصبر صعبا
والاستقامة على المحمود منه خاصة خطرا وكانت النفس لما لها من الجزع في كثير من الاحوال كالمنكرة اكد قوله فان اي الصبر
هو الاحسان كل الاحسان وان الله اي المحيط بصفات الكمال لا يضيع اي بوجه من الوجوه اجر المحسنين اي العريقين في وصف
الاحسان بحيث انهم يعبدون الله كانهم يرونه فلذلك يهون عليهم الصبر وذلك لان الطاعة كلفة فلا يكون الا بالصبر
وكل ما عداها فهو هدى النفس لا صبر فيه فالدين كله صبر حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ولذا فضل ثواب الصابر
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصبر المحمود حبس النفس عن الخروج الى ما لا يجوز من ترك الحق ونقيضه
الجزع قال الشاعر • ان تصبرا فالصبر خير مغبة • وان تجزعا فالامر ما تريان • وهو في الصبر الذي هو
المر المعروف لانه تجرع مرارة الحق بحبس النفس عن الخروج الى المشتهى مع الزاجر المعتبر من الشرع والعقل فهو اكره شيء
الى النفس والمعين عليه ما في استشعار لزوم الحق من العز والاجر بالطاعة والعلم بما يعقب من الخير في كل وجه وعادة
النفس له وقد غلب اطلاقه على الحق حتى لا يجوز اطلاقه الا فيه قاله الرماني ولما كان ما تقدم كله مشيرا الى استبعاد
ايمان المعاندين بشيء من تدبير آدمي كما تكاد القصص تنطبق به وكذا الاعلام بان عبادتهم انما هي للتقليد وباختلاف قوم موسى

مادة طغى

في كتابه الذي هو هدي ورحمة وكل ذلك فطما عن طلب ما قد تجسر في الخاطر من تمني اجابتهم الى ما يقترحون او الكف
عن بعض ما يغيظ من الانذار وكان من طبع البشر البعد عن الانتهاء عن الخواطر الا بعد التجربة كان ذلك ربما اوجب ان يقال
لو اجيبوا الى سولهم لربما رجعوا عن كثير مما هم فيه فدعاهم ذلك الى الرشاد فتسبب عنه ان يقال وفعاله فلولا كان ويجوز
ان يكون مناسبتها انه لما ذكر اهلاك القرون الماضية والامم السالفة بما مضى الى ان ختم بالامر بالصبر على الاحسان من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر كان من الجائز ان يقع في فكر المعترض بان يقال ما الموجب لذلك فبين ان سبب الهلاك الاعراض عن
نهي متهتكي الحرمات والجسري على هتك الاستار الجليلة والرتع في الحمى مع تمكنهم بما اودع فيهم سبحانه من القوي والقدر على
اختيار جانب الخير والاعراض عن جانب الشر فقال تعالى فلولا بصيغة تحمل التحضيض وفيها معنى التفجع والتاسف كان على
مثل حالهم من القرون اي المهلكين الاسدا الكائنين في زمان مّا ولما كان المراد القرون التي تقدم ذكر اهلاكها وكانت ازمنتهم
بعض الزمان الماضي اتى بالجار فقال من قبلكم اولوا اي اصحاب بقية اي حفظ وخير ومراقبة لما يصلحهم لان مادة بقي تدور
على الجمع وتلزمه القوة والثبات والحفظ من قولهم الله بقوتك ما لك وزيادة اي احفظه حفظك ما لك ويلزمه
النظر والمراقبة بقيت الشيء اذا نظرت اليه ورصدته ويلزمه الثبات بقي بقاء اذا دام والخير والجودة قال
الزمخشري لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله ويقال فلان من بقية قوم اي من خيارهم وسيأتي شرح ذلك
مستوفى عند قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا ان شاء الله تعالى ينهون اي يجدون النهي في كل حين اشارة الى كثرة المفسدين
عن الفساد الكائن في الارض ولولا هنا كالتي في يونس توبيخية او استفهامية كما جوزهما الرماني ويجوز ان تكون تحضيضية
كما قال الزمخشري ويكون التحضيض للسامع لا للهالك لان الآية لما تضمنت اهلاك المقر على الفساد كان في ذلك اقوى حث
لغيرهم على الامر والنهي واوفى تقريد زاجر عن ارتكاب مثل حالهم الموقع في اضعاف نكالهم وفي تعقيب هذه الآية لآية الصبر
اشارة الى ان الصبر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الذروة العليا والآية ناظرة الى قوله تعالى انما انت نذير
ولما كانت المعاني الثلثة متضمنة لنفي كان المعنى لم يكن من يفعل ذلك فاتصل الاستثناء في قوله الا قليلا اي ممن
انجينا منهم والظاهر ان من بيانية اي هم الذين انجينا فانهم نهوا عن الفساد وعبر بالانجاء لانه الدال على الخير الحامل
للنهي عن الفساد دون التنجية الدالة على التدريج والابتلاء في الانجاء فلو عبر بها فسد المعنى واتبع الاكثرون هم الذين ظلموا
اي اوقعوا الظلم بترك النهي عن الفساد وما احسن الطافها عن التقييد بمنهم ما ولما كان المبطر لهم نفس الترف بني للمفعول
قوله اترفوا فيه فابطرتهم النعمة حتى طغوا وتجبروا وكانوا مجرمين اي منصفين على سبيل الرسوخ بالاجرام وما قطع
حبل الله على الدوام فاهلكهم ربك لاجرامهم ولولا ذلك لما فعل فان اهلاكهم على تقدير الانفكاك الاجرام يكون ظلما على ما يتعارفونه
ولما لاح مما مضى ان العبرة في الاهلاك والانجاء للاكثرون واكده وبينه بقوله وما كان ربك ذو سبحانه بالتوصف المفهم
للاحسان تثبيتا له وتامينا ليهلك القرى اي اهلاكا عاما بظلم اي في حال ظلم واهلها مصلحون بان يوقع اهلاكهم في حال اصلاحهم
الذي هم عريقون فيه فيكون الاهلاك في غير موضعه على ما يتعارفه العباد مع العلم بان له ان يفعل ذلك في نفس الامر لانه لا
يسئل عما يفعل والاهلاك ايجاب ما يبطل به الاحساس والهلاك ضياع الشيء وهو حصوله بحيث لا يدري اين هو والاصلاح
ايجاب ما يستقيم به الامر ولما كان مثل هذه الآيات ربما اوهم ان ايمان مثل هؤلاء مما يدخل تحت المشيئة نفى ذلك بقوله
مبينا انفكاك المشيئة عن الامر بقوله ولو شاء ربك اي المحسن اليك بكل احسان يريدك رفعة جعل الناس اي كلهم
امة واحدة على الاصلاح فهو قادر على ان يجعلهم كلهم مصلحين متفقين على الايمان فلا يهلكهم ولكنه لم يشأ ذلك بل شاء اختلافهم
والامر تابع لمشيئته فاختلفوا ولا يزالون مختلفين اي ثابتا اختلافهم لكونهم على اديان شتى الا من رحم ربك اي المحسن اليك
بالتاليف بينهم في جعلهم من اهل طاعتك فانهم لا يختلفون في اصول الحق ولما كان ما تقدم ربما اوجب ان يقال لم لم يقبل
بقلوبهم الى الهدى ويصرفهم عن موجبات الردى اذا كان قادرا قال تعالى مجيبا عن ذلك ولذلك اي الاختلاف خلقهم اي اخرجهم
واوجدهم من العدم وقدرهم وذلك انه لما طبعهم سبحانه على خلايق من الخير والشر تقتضي الاختلاف لتفاوتهم فيها جعلوا كانهم
خلقوا له مجرورا بالقضاء والقدر ولم يكنهم الجري على ما تدعوا اليه العقول من الاتفاق رحمة والاختلاف نقمة فاستحق
فريق منهم النار وفريق الجنة وليس ذلك مخالفا لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بل هو من شكله اي انه
تعالى لما ركبهم على العجز وسخرهم العقول مع نصب الادلة كان ذلك محببا للعبادة فكانوا كانهم ما خلقوا الا لها اي ما خلقتهم
الا ليعرفوني بنعوتي وتصاريفي وتصاريفي فيهم فيعبدون اي يخضعوا لي فمن كان منهم طايعا فهو عابد حقيقة ومن كان
عاصيا كان عابدا مجازا اي خاضعا للامر لتفوذه فيه وعجزه عن الامتناع كما قال تعالى وله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها الآية فقد بان ان خلقهم للعبادة فقط لا ينافي خلقهم للاختلاف لان جريهم في قضائه بالاختلاف عبادة ويجوز
لغة وذلك ان ما دل على عبد وسجد ذل وان على الخضوع والذل والانقياد وبذلك كان الكل عبيد الله او الاشارة الى مجموع الاتفاق
والاختلاف ليظهر فضله على من ثبتهم ويظهر عدله فيمن خذلهم ولما كان هذا الاختلاف سبب الكفر الذي ارسل رسله
بالقتال عليه كان ربما ظن انه بغير مشيئته فبين انه انما هو بمراده ولا اعتراض عليه فقال وتمت اي بادروا الى ما
خلقهم له معرضين عن اوامره ولم تفن عنهم عقولهم وتمت حينئذ كلمة ربك اي المحسن اليك بقهر اعدائك التي سبقت في الازل
وهي وعزتي لاملان جهنم اي التي تلقى المعذب فيها بالجهم والعبوسة من الجنة اي قبيل الجن قدمهم لانهم اصل في الشر ثم عم فقال

والناس اجمعين فمشوا على ما اراد ولم يمكنهم مع عقولهم الجيدة الاستعداد وقواهم الشداد غير القاء القياد فمن قال انه يخلق
فعله او له قدرة على شي فليفعل غير ذلك بان يخبر باتفاقهم ثم يفعله ليتم قوله والا فليعلم انه مربوب مقهور فيسمع رسالات ربه ويقبل
اليه بقالبه وقلبه ولما اخبر سبحانه بما فعل بالقرى الظالمة وحذر كل من فعل افعالهم بسطواته في الدنيا والاخرة وامر باتباع
امره والاعراض عن اختلافهم الذي حكم به واراده عطف على قوله نقصه عليك قوله وكلا نقص اي ونقص عليك كل نبا اي خبر
عظيم جدا من انباء الرسل من اممهم صالحهم وفاسدهم فعم تفخيما للامر ولما كان الذي جر هذه القصص ما مضى من قوله فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك وضايق به صدرك الاية وكان ساكن الصدر القلب وهو الفواد الذي به قوام الانسان بل الحيوان
وهو اجر ما فيه ولذا عبر عنه بما اشتق من الفاد وهو الحرق وكان من لازم الحرارة الاضطراب والتقلب الذي اشتق منه القلب
فيضيق به الصدر ابدل من كلا قوله ما نثبت اي تثبيتا عظيما به فوادك اي فيسكن في موضعه ويطمئن ويزداد يقينه
فلا يضيق الصدر من قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك ونحوه وبهذا تبين ان المراد بذلك العام خاص لحصول المقصود
به وهو التسلية نظرا الى قوله تعالى وضايق به صدرك لان المشاركة في الامور الصعبة تهون على الانسان ما يلقى من الاذى والاعلام
بعقوبات المكذبين فيها تانيس للمكروب والتثبيت تمكين اقامة الشي والفواد العضو الذي من شانه ان يحمى بالغضب الحال فيه
من المعتاد وهو المشتوي ولما بين ان كل ما قص عليه من اخبارهم يستلزم هذا المقصود بين انه ليس كما يعلل به غالبا من الاخبار
الفارغة والاحاديث المزخرفة الباطلة ولا مما ينقله المورخون مشوبا بالتحريف فقال وجاءك في هذه اي الاخبار الحق اي
الكامل في الثبات الذي لا مرية فيه وفايدة الظرف التاكيد لعظم المقصود من اية فلعلك وصعوبته ولما كان الحق حقا
بالنسبة الى كل احد عرفه ونكر ما هو خاص بقوم دون قوم فقال وموعظة اي مرقق للقلوب وذكرى اي تذكير عظيم جدا للمومنين
اي الراسخين في الايمان وقد تضمنت الاية الاعتبار من قصص الرسل بما فيها من حسن صبرهم على اسمهم واجتهادهم على دعايهم الى عبادة
الله بالحق وتذكير الخير والشر وما يدعوا اليه كل منهما من عاقبة النفع والضر للثبات على ذلك جميعه اقتدا بهم ولما ذكر نفع هذا
الحق كان كانه قيل فعظهم بذلك وذكرهم به فعطف عليه قوله وقل ويجوز ان يكون معطوفا على قوله واصبر اي اصبر على ما امرناك
به من تبليغ وحينا وامتثاله وقل للذين اي لم تؤثر فيهم هذه الموعظة فهم لا يومنون اي لا يتجدد منهم ايمان منذرا لهم
اعملوا متمكنين على مكانتكم اي طريقتكم التي يتمكنون من العمل عليها ولما كان العمل واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى كل من تبعه
فهم عاملون لا محالة سوا عمل الكفار او لا قال موكدا لاجل انكار الكفار ان يدوموا على العمل المخالف لهم مع ما يصل اليهم لاجله
من الضر معربا له عن فاء السبب لذلك او الاستيناف انا اي انا ومن معي عاملون اي ثابت عملنا لا نحول عنه لان ما كان لله
فهو دايم بدوامه سبحانه وحذف النون الثانية اكتفاء بمطلق التاكيد لانه كاف في الاعلام بالجزم في النية وفيه تادب بالاشارة
الى ان المستقبل امر لا اطلاع عليه لغير الله فينبغي ان لا يبلغ في التاكيد فيه غيره وهذا بخلاف ما في سورة فصلت بما هو جار على السن
الكفرة وانتظروا اي ما انتم منتظرون له من قهرنا انا منتظرون اي ما وعدنا الله في امركم فان الله مهلكهم ومنجيك لانه عالم
بغيب حالك وحالهم وقادر عليكم والانتظار طلب الادراك لما ياتي من الامر الذي يقدر النظر اليه والتوقع طلب ما يقدر انه يقع
وهما يكونان في الخير والشر ومع العلم والشك والترجي لا يكون الا مع الخير والشك ولما تضمن هذا التهديد العلم والقدرة
قال عاطفا على ما تقديره فلله كل ما شوهد من امرنا وامركم وامر عالم الشهادة كله وما كان من ابتداء امورنا ولله اي المحيط
وحده بكل شي مع ذلك غيب السموات والارض اي جميع ما غاب علمه عن العباد فهو تام العلم ومنه ما ينهى عنه وان ظن الجهلة انه
خارج عن قدرته لما اظهر من الزجر عنه ومن كراهته ولما كان السياق هنا لانه سبحانه خلق الخلق ذواتهم ومعانيهم للاختلاف
وكان تهديدهم على المعاصي ربما اوهم انه يعتبر ارادته فكان ربما قال جاهل انا نرى المخالفين لاوليائه كثيرا جدا وعادة
الخلق ان من خالفهم خارج عن امرهم كان الجواب على تقدير التسليم لهذا الامر الظاهري فله كان الامر كله بدءا ظاهرا وباطنا
واليه اي وحده يرجع بعد ان كان ظهر لكم بل انه خرج عنه والرجوع ذهاب الشي الى حيث ابتدا منه الامر كله في الحال على لبس
وخفا وفي المال على ظهور وانضاح وجلاء فهو شامل القدرة كما هو شامل العلم فلا بد من ان يرجع اليه امرك وامر اعدائك اي
يعمل فيه عمل من رجع اليه الامر فيجازي المحسن باحسانه والمسي باساءته ولذلك سبب عن اسناد الامور كلها اليه قوله فاعبده
اي وحده عبادة لا شوب فيها وتوكل معتمدا في امورك كلها عليه فانه القوي المتين وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل
تنبيه على انه انما ينفع العابد ولما كانت العادة جارية بان العالم قد يغفل نزه عن ذلك سبحانه نفسه فقال مرغبا
مرهبا وما ربك اي المحسن اليك بما يعلمه باحاطة علمه احسانا واغرق في النفي فقال بغافل عما يعملون ولا تهديد ابلغ من
العلم وهذا بعينه مضمون قوله تعالى كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير والله الموفق

سورة يوسف عليه السلام ماية واحدى عشرة اية

مقصودها وصف الكتاب بالابانة لكل ما يوجب الهدى لما ثبت فيما مضى وياتي في هذه السورة من تمام علم منزله غيبا وشهادة
وشمول قدرته قولا وفعلا وهذه القصة كما ترى انسب الاشياء لهذا المقصد وادل عليه مما في اخرها فلذلك سميت سورة
يوسف والله اعلم بسم الله الذي وسع كل شي قدرة وعلما الرحمن الذي لم يدع لبسا لعموم رحمته في طريق الهدى الرحيم الذي خص
حزبه بالابعاد عن موطن الردى لما خلل سبحانه تلك بما خللها به من القصص والايات القاطعة بان القران من عنده وباذنه

نزل

نزل وانه لا يؤمن الا من شاء ايمانه وانه مهما شاء كان وبين عظيم قدرته على مثل ما عذب به الامم وعلى التالف بين من اراد والايتاع الخلاف بين من شاء واشار الى انه حكم بالنصر لعابديه فلا بد ان يكون ما اراد لانه اليه يرجع الامر كله تلا هذه السورة لبيان هذه الاغراض لهذه القصة العظيمة الطويلة التي لقي فيها يوسف عليه السلام ما لقي من اقرب الناس اليه ومن غيرهم ومن الغربة وشتات الشمل ثم كانت له العاقبة فيه على اتم الوجوه لما تدرع به من الصبر على شديد البلاء والتفويض لامر الله جل وعلا تسلية لهذا النبي الامين وتاسية بمن مضى من اخوانه المرسلين فيما يلقى في حياته من اقاربه الكافرين وبعد وفاته ممن دخل منهم في الدين في آل بيته كما وقع ليوسف عليه السلام من تعذيب عقبه وعقب اخوته ممن بالغ في الاحسان اليهم وقد وقع ليوسف عليه السلام بالفعل ما هم الكفار من اقارب النبي صلى الله عليه وسلم بفعله به كما حكاه سبحانه في قوله ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك فنجاه منهم ان يكون شيء منه بايديهم الا ما كان من الحصر في شعب ابي طالب ومن الهجرة بامر الحكيم العليم ثم نصر الله يوسف عليه السلام على اخوته الذين فعلوا به ذلك وملكه قيادهم فكان في سوق قصته عقب الاخبار بان المراد بهذه القصص تثبيته صلى الله عليه وسلم وتسلية فؤاده اشارة الى البشارة بما وقع له صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من تلك قيادهم ورد عنادهم ومنه عليهم واحسانه اليهم وفي اشارتها بشارة بان المحسود يعان وينبغي ان يعمل ما هو الاحري به والاولى ومن فوايد ذكرها التنبيه على ان الحسد اعظم شديد التمكن في النفوس حتى انه بعظم تمكنه وكثرة مكامنه وتعدد كمائنه ربما غلب اهل الصلاح الامن بادر منهم بالتوبة داعي الفلاح وتركت اعادتها دون غيرها من القصص صونا للاكابر عن ذكر ما ربما اوجب اعتقاد نقص او توجيه طعن وغض او هو رداءة الحسد عند ذي تهور وارد وحلها سبحانه يليق الحكم وختمها بما انتجت من ثبوت امر القران ونفي التهمة عن هذا النبي العظيم هذا مناسبة ما بين السورتين واما مناسبة الاولى للآخرة فانه تعالى لما اخبر في آخر تلك بتمام علمه وشمول قدرته دل على ذلك اهل السبق في الفصاحة والفوت في البلاغة في اول هذه بما فعل في كلامه من انه تعالى يقدر على ان ياتي بما تذهب الافهام والعقول على كر الازمان وتعاقب الدهور وتوالي الايام وتمادي الليال في معناه كل مذهب وتطير كل مطار مع توفر الدواعي واستجماع القوي والوقوف من ذلك على امر محقق ولا مراد معلوم وعلى ان ياتي بما يفهم باوايل النظر اداني معناه فيما يوثق بانه مراده ثم لا يزال الدبر منه من دقايق المعاني كلما كرر التامل وتغلغل الفهم الى حد يعلم انه معجوز عن كل ما فيه من جليل معانيه ولطيف مبانيه فقال تعالى الر قال الرماني لم تعد من الفواصل لانها لا تشاكل رؤس الآي لانها على حرفين فاجريت مجري الاسماء الناقصة وانما يؤم بالفواصل التمام واما طه فيعد لانه يشبه رؤس آيها انتهى وهذا قول من ذهب سهوا الى ان السجع مقصود في القران وهو قول مردول غير معتد به كما مضى القول فيه في آخر سورة براءة فانه لا فرق بين نسبته الى انه شعر وبين نسبته الى انه سجع لان السجع منع الكهان فيودي ذلك الى ادعاء انه كهانة وذلك كفر لا شك فيه وقد اطنبت فيه في كتابي مصاعد النظر وبينت مذاهب العادين للايات وان مرجعها التوقيف مثل نقل القرآت سواء اداه الهادي ولما ابتدات السورة الماضية بان هذا الكتاب محكم وختمت بالحكمة المقصودة من قصص انباء الرسل وكان السياق للرد عليهم في تكذيبهم به في قوله لم يقولون افتراه ودل على انه انزل بعلمه ابتدات هذه لاتمام تلك الدلالة بالاشارة الى ما له من علو المحل وبعد الرتبة فعقب سبحانه هذه المشكلة التي القاها بالاحرف المقطعة وبان انفاسها اشكالها عند التامل واضحة بقوله مشيرا الى ما تقدم من القران او الى هذه السورة تلك اي الايات العظيمة العالية ايات الكتاب اي الجامع لجميع المرادات ولما تقدم اول سوري يونس وهود وصفه بالحكمة والاحكام والتفصيل وصف هنا باخص من ذلك فقال تعالى المبين اي البين في نفسه انه جامع معجز لا يشبهه على العرب بوجه والموضح لجميع ما جوي وهو جميع المرادات لمن امعن التدبر وانعم التفكر ولانه من عند الله ما كان حديثا يفتري ولكن موعظة وذكري للمومنين والبيان اظهار المعنى للنفس بما يفصله عن غيره وهو غرض كل حكيم في كلامه ويزيد عليه البرهان بانه اظهار صحة المعنى بما يشهد به وابانه لازم متعد ثم علل المبين بقوله معبرا بالانزال لانه في سياق تكذيبهم به بخلاف ما عبر فيه بالجعل كما ياتي في الزخرف انا انزلناه بنون العظمة اي الكتاب المفسر لهذه السورة او بالقران كله قرانا سمي بعضه بذلك لان القران اسم جنس يقع على الكل والبعض عربيا وعلل انزاله كذلك بقوله لعلكم تعقلون اي لتكونوا على رجاء من ان تكونوا من ذوي العقل او من ان تعقلوا ما يراد منكم قال ابو حيان ولعل ترج فيه معنى التعليل وهذه الآية تدل على ان اللسان العربي افصح الالسنة واوسعها واقومها واعدلها لان من المقرر ان القول وان خص بخطابه قوم يكون عاما لمن سواهم ولما بين انه يقص عليه من انباء الرسل ما يثبت به فواده قال مثبتا ومعللا له بانه الكتاب بعلة اخري شاهدة هي اخص من الاولى نحن نقص عليك وعظم هذه القصة بمظهر العظمة واكد ذلك بقوله احسن القصص اي الاقتصاص او المقصوص بان نتبع بعض احديثك كما نفعله بعضا فتبينه احسن البيان لانه من قصص الاثر تثبيتا لفوادك وتصديقا لنبوتك وتاييدا لرسالتك على احسن ترتيب واحكم نظام واكمل اسلوب واوفى تحرير وابدع طريقة مع ما نفصلها به من جواهر الحكم وبدايع المعاني من الاصول والفروع وهي قصة يوسف عليه السلام قصة طويلة هي في التورية في نيف وعشرين ورقة لا يضبطها الاحذاق واحبارهم من تامل اقتصاصها فيها او في غيرها من توارخهم ذاق معنى قوله تعالى احسن القصص حتى لقد اسلم قوم من اليهود لما راوا من حسن اقتصاصها وروى البيهقي في اوائل الدلايل بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جزا من اليهود دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وكان قاريا للتورية فوافقه وهو يقرا سورة يوسف عليه السلام

لان السجع لا يقع الا من الكلمتين فالسجع كونوا الشيء كذلك فلا فرق بينهما في ان السجع قرينة وفواصل الايات قرائن

كما انزلت على موسى عليه السلام في التورية فقال له الحبر يا محمد من علمكها قال الله علمنيها فرجع الى اليهود فقال لهم اتعلمون والله ان محمدا
ليقرا القرآن كما انزل في التورية فانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة ونظروا الى خاتم النبوة بين كتفيه فجعلوا يستمعون
الى قراءته لسورة يوسف فتعجبوا منه وقالوا يا محمد من علمكها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنيها الله فاسلم القوم عند ذلك وقد
ضمنها سبحانه من النكت والعبر والحكم امرا عظيما وذكر فيها حسن محاورة يوسف عليه السلام لاخوته وصبره على اذاهم وحلمه عنهم
واغضاه عند لقياهم عن تبكيتهم وكرمه في العفو والانبيا والصالحين والملئكة والشياطين والانس والجن والانعام والطير
وسير الملوك والمماليك والتجار والعلما والجهال والرجال والنسا ومكرهن والتوحيد والنبوة والاعجاز والتعبير والسياسة
والمعاشرة وتدبير المعاش وجميع الفوايد التي تصلح للدين والدنيا وذكر الحبيب والمحبوب ولم يدخل فيها شيا من غيرها دون ساير
القصص وكان عقباها الى خير وسلامة واجتماع شمل وعفو من الله وتجاوز عن الكل بما اوحينا اي بسبب ايحائنا اليك ولما كان
انزال القرآن مجمع الخيرات عين المراد بالاشارة والاسم العلم فقال هذا القرآن الذي قالوا فيه انه مفترى فنحن نتابع فيه القص
لقصة بعد قصة والحكم حكمة في اثر حكمة حتى لا يشك شاك ولا يمتري ممتر في انه من عندنا وباذننا ويكون امره في البعد من اللبس
اظهر من الشمس ولما كانوا مع معرفتهم به صلى الله عليه وسلم عارفين بانه كان مباعدا للعلم والعلما وكان فعلهم في التكذيب فعل من ينكر
ذلك قال وان اي وان الشان والحديث كنت ولما كان كونه لم يستغرق الزمان الماضي اثبت الجار فقال من قبله اي هذا الكتاب
او ايحائنا اليك به لمن الغافلين اي عن هذه القصة وغيرها موكدا له بانواع التاكيد وهو ناظر الى قوله آخرها وما كنت لديهم
اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون بعد التفاته عن كثب الى آخر التي قبلها وما ربك بغافل عما تعملون والحسن معنى يتقبله العقل ويطرق
الى طلب المتصف به انواع الحيل ومادة غفل بكل ترتيب تدور على الستر والحجب من الغلاف الذي يوضع فيه الشي فلا ينظر
منه شيا ولا ينظره شي ما دام فيه ومنه الغلفة للجلدة التي على الكمرة والغفل بالضم ما لا علامة له من الارض ودابة غفل لا سمة
لها لان عدم العلامة مودي الى الجهل بها فكانها في غلاف لا ينظر منه ومنه رجل غفل لا حسب عنده لان ذلك اقرب الى جهله
والتغفل الختل اي اخذ الشي من غير ان يشعر فقد ظهر ان مقصود السورة وصف الكتاب بعد الحكمة والتفصيل بالابانة
عن جميع المقاصد المنزل لها وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير هذه السورة من جملة ما قص عليه صلى الله عليه وسلم من انبا
الرسل واخبار من تقدمه مما فيه التثبيت الممنوح في قوله سبحانه وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك ومما
وقعت الاحالة عليه في سورة الانعام كما تقدم وانما افردت على حدتها ولم تنسق على قصص الرسل مع انهم في سورة واحدة
لمفارقة مضمونها تلك القصص الا ترى ان تلك قصص ارسال من تقدم ذكرهم عليهم السلام وكيفية تلقي قومهم لهم واهلاك
مكذبيهم اما هذه القصة فحاصلها فرج بعد شدة وتعريف بحسن عاقبة الصبر فانه تعالى امتحن يعقوب عليه السلام
بفقد ابنيه وبصره وسنات بنيه وامتحن يوسف عليه السلام بالجب والبيع وامراة العزيز وفقد الاب والاخوة والسجن
ثم امتحن جميعهم بشمول الضر وقلة ذات اليد مسنا واهلنا الضر وجينا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل ثم تداركهم الله
بالفهم وجمع شملهم ورد بصر ابيهم وايتلاف قلوبهم ورفع ما نزغ به الشيطان وخلاص يوسف عليه السلام من كيد من كاده
واكتنافه بالعصمة وبراته عند الملك والنسوة وكل ذلك مما اعقبه جميل الصبر وجلالة اليقين في حسن تلقي الاقدار
بالتفويض والتسليم على توالي الامتحان وطول المدة ثم انجر في اثنا هذه القصة الجليلة انابة امراة العزيز ورجوعها
الى الحق وشهادتها ليوسف عليه السلام بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يشين ثم استخلاص العزيز اياه الى ما انجر في هذه
القصة الجليلة من العجايب والعبر لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب فقد انفردت هذه القصة بنفسها ولم تناسب
ما ذكر من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام وما جرى في اممهم فلهذا فصلت عنهم وقد اشار
في سورة براسها الى عاقبة من صبر ورضي وسلم ليتنبه المومنون على ما في طي ذلك وقد صرح لهم بما اجملته هذه السورة
من الاشارة في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الى قوله امنا وكانت قصة
يوسف عليه السلام بجملتها اشبه شي بحال المومنين في مكابدتهم في اول الامر وهجرتهم وتشتتهم مع قومهم وقلة ذات ايديهم
الى ان جمع الله شملهم اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا واورثهم الارض وايدهم
ونصرهم ذلك بجليل ايمانهم وعظيم صبرهم فهذا ما اوجب تجرد هذه القصة عن تلك القصص والله اعلم واما تاخر ذكرها
عنها فمناسب لحالها ولانها اخبار بعاقبة من امن واتعظ ووقف عند ما حد له فلم يضره ما كان ولم تذكر اثر قصص الاعراف
لما بقي من استيفا تلك القصص الحاصل ذلك في سورة هود ثم ان ذكر احوال المومنين مع من كان معهم من المنافقين
وصبرهم عليهم مما يجب ان يتقدم ويعقب بهذه القصة من حيث عاقبة الصبر والحض عليه كما مر فاخرت الى عقب سورة
هود عليه السلام لمجموع هذا والله تعالى اعلم ثم ناسبت سورة يوسف ايضا ان تذكر اثر قوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات وقوله واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة
الآية وقوله وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون فتدبر ذلك اما نسبتها
للاولى فان ندم اخوة يوسف واعترافهم بخطا فعلهم وفضل يوسف عليهم لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين وعفوه عنهم
لا تثريب عليكم اليوم وندم امراة العزيز وقولها الآن حصحص الحق الآية كل هذا من باب اذهاب الحسنة السيئة وكان
ذلك مثال لما عرف المومنون من اذهاب الحسنة السيئة واما نسبة السورة لقوله تعالى واصبر فان الله لا يضيع

مادة غفل

اجر المحسنين فان هذا امر منه سبحانه لنبيه عليه السلام بالصبر على قومه فاتبع بحال يعقوب ويوسف عليهما السلام
وما كان من صبرهما مع طول المدة وتوالي امتحان يوسف عليه السلام بالجب ومفارقة الاب والسجن حتى خلصه الله اجمل
خلاص بعد طول تلك المشقات الا ترى قول نبينا وقد ذكر يوسف عليهما السلام فشهد له بجلالة الحال وعظيم الصبر فقال
ولو لبثت في السجن ما لبث اخي يوسف لاجبت الداعي فتامل عذره له عليهما السلام وشهادته بعظم قدر يوسف وكلا نقص
عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك لما قيل له عليه السلام واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين اتبع بحال يعقوب
ويوسف من المحسنين ووهبنا له اسحق ويعقوب الى قوله وكذلك نجزي المحسنين وقد شملت الاية ذكر يعقوب
ويوسف عليهما السلام ونبينا عليه الصلوة والسلام قد امر بالاقتداء في الصبر بهم وقيل له فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل ويوسف عليه السلام من اولي العزم ثم ان حال يعقوب ويوسف عليهما السلام في صبرهما ورؤية حسن عاقبة
الصبر في الدنيا مع ما اعد الله لهما من عظيم الثواب انسب شي لحال نبينا عليه السلام في مكابدة قريش ومفارقة وطنه ثم
تعقب ذلك بظفره بعدوه واعزاز دينه واظهار كلمته ورجوعه الى بلده على حالة قرت بها عيون المومنين وما فتح
الله عليه وعلى اصحابه فتامل ذلك ويوضح ما ذكرناه ختم السورة بقوله تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم
قد كذبوا جاءهم نصرنا الاية فحاصل هذا كله الامر بالصبر وحسن عاقبة اولياء الله فيه واما النسبة لقوله ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين فلا انسب لهذا ولا اعجب من حال اخوة فضلاء لاب واحد من انبياء الله
وصالحي عباده جرى بينهم من اكتشفت ما جعله الله عبرة لاولي الالباب واما النسبة لاية التهديد فبينة وكان الكلام في
قوة اعملوا على مكانتكم وانتظروا فلن نصبر عليكم مدة صبر يعقوب ويوسف عليهما السلام فقد وضح بفضل الله وجه
ورود هذه السورة عقب سورة هود والله اعلم ولما تم ما اراد تعالى من تعليلي الوصف بالمبين ابدل من قوله احسن
القصص قوله اذ اي نقص عليك خبر اذ اي خبر يوسف اذ قال يوسف اي ابن يعقوب اسرائيل الله عليهما السلام لابيه
وبين ادبه بقوله مشيرا باداة البعد الى ان اباه على المنزلة جدا والى ان الكلام الاتي مما له وقع عظيم فينبغي ان يهتم
بسماعه والجواب عنه وغير ذلك من امره يا ابت تاوه للتانيث لانه يوقف عليها عند بعض القراء بالهاء وكسرتها عند من
كسر دالة على ياء الاضافة التي عوض عنها بتاء التانيث واجتماع الكسرة معها كاجتماعها مع الياء وفتحتها عند من فتح عوض
عن الالف القائمة مقام ياء الاضافة ولما كان صغيرا وكان المنام عظيما خطيرا اقتضى المقام التاكيد فقال اني رايت
اي في منامي فهو من الرؤيا التي هي رؤية في المنام فرق بين حال النوم واليقظة في ذلك بالف التانيث احد عشر كوكبا
اي نجما كبيرا ظاهرا جدا مضيئا براقا وفي عدم تكرار هذه القصة في القران رد على من قال كررت قصص الانبياء عليهم السلام
تمكينا لفصاحتها بترادف السياق وفي تكرير قصصهم رد على من قال ان هذه لم تكرر لئلا تفتر فصاحتها فكان عدم تكريرها
لان مقاصد السورة لم تقتض ذلك والله اعلم ولما كان للنيرين اسمان يخصانهما هما في غاية الشهرة قال معظما لهما والشمس والقمر
ولما تشوفت النفس الى الحال التي راهم عليها فكان كانه قيل على اي حال وكانت الرؤية باطن البصر الذي هو باطن النظر
فكان للتعبير بها للاشارة الى غرابة هذا الامر زاد في الاشارة الى ذلك باعادة الفعل والحقه ضمير العقلاء لتكون دلالته
على كل من عجيب امر الرؤيا ومن فعل المرئي الذي لا يعقل فعل العقلاء من وجهين فقيل رايتهم لي اي خاصة ساجدين
فكانه قيل ماذا قال له ابوه فقيل قال عالما بان اخوته سيحسدونه على ما تدل عليه هذه الرؤيا ان سمعوها يا بني
فبين شفقته عليه واكد النهي باظهار الادغام فقال لا تقصص رؤياك اي هذه على اخوتك ثم سبب عن النهي قوله
فيكيدوا اي فيوقعوا لك كيدا اي يخصك فاللام للاختصاص وفي الاية دليل على انه لا نهي عن الغيبة للنصيحة بل هي مما
يندب اليه قال الرماني والرؤيا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فاذا تصور
الانسان المعنى توهم انه يراه وقال الامام الرازي في اللوامع هي ركود الحواس الظاهرة عن الادراك والاحساس
وحركة المشاعر الباطنة الى المدارك فان للنفس الانسانية حواس ظاهرة ومشاعر باطنة فاذا سكنت الحواس الظاهرة
استعملت الحواس الباطنة في ادراك الامور الغائبة فربما تدركها على الصورة التي هي عليها فلا يحتاج الى تعبير وربما
تراها في صورة محاكية مناسبة لها فيحتاج الى التعبير مثال الاول رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم انه دخل المسجد الحرام
والثاني كرؤيا يوسف عليه السلام وقال الرماني والرؤيا الصادقة لها تاويل والرؤيا الكاذبة لا تاويل لها
انتهى وهذا لمن ينام قلبه وهم من عد الانبياء عليهم السلام ولما كانت العادة جارية بان شفقة الاخوة يمنع من مثل
ذلك علله تقريبا له بقوله ان الشيطان اي المحترق المبعد للانسان اي عامة ولا سيما الاكابر منهم عدو مبين اي واضح
العداوة وموضحها لكل واع فيوقع العداوة بما يختله من فوت الحظوظ بتركها وفي الاية دليل على ان امر الرؤيا مشكل فلا
ينبغي ان تقص الا على شفيق ناصح ولما علم يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ما سيصير اليه ولده من النبوة والملك
قال وكذلك اي قد اجتباك ربك للاطلاع على هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز ومثل ما اجتباك لها يجتبيك
اي يختارك ويجمع لك معالي الامور ربك المربي لك بالاحسان للملك والنبوة ويعلمك من اي بعض تاويل الاحاديث من
الرؤيا وغيرها من كتب الله وسنن الانبياء وغوامض ما تدل عليه المخلوقات الروحانية والجسمانية لان الملك والنبوة
لا يقومان الا بالعلم والتاويل المنتهي الذي يصير اليه المعنى وذلك فقه الحديث الذي هو حكمة لانه اظهار ما يؤول اليه

امره مما عليه معتمد فايدته واكثر استعماله في الرؤيا ويتم نعمته بالنبوة عليك بالعدل ولزوم المنهج السوي وعلى آل يعقوب
اي جميع اخوتك ومن اراد الله من ذريتهم فيجعل نعمتهم فيما لدنيا موصولة بنعمة الاخرة لانه عبر عنهم في هذه الرؤيا بالنجوم ٥
المهتدي بها ولا يستعمل الآل الا فيمن له خطر وشرف واضافته منصوص على اعلام الناطقين قال الراغب واما الصليبي
ان صح نقله فشاذ ويستعمل فيمن لا خطر له الا هل كما انمها على ابويك ولما كان وجود مما لم يستغرق الماضي ادخل الجار فقال
من قبل اي قبل هذا الزمان ثم بين الابوين بجده وجد ابيه فقال ابرهيم اي بالخلة وغيرها من الكرامة وولده اسحق بالنبوة
وجعل الانبياء والملوك من ولده واتمام النعمة الحكم بدوامها على خلوصها من شائب ينقصها ولما كان ذلك لا يقدر عليه الا
بالعلم المحيط بجميع الاسباب ليقام منها ما يصلح والحكمة التي بها يحكم ذلك السبب عن ان يقاومه سبب غيره وكان السياق
بالعلم اولى لما ذكر من علم التاويل مع ما تقدم من قوله ٥ آخر تلك وله غيب السموات الآية وما شاكل ذلك اولها هذه قال
ان ربك عليم اي بالغ العلم حكيم اي بليغ الحكمة وهي وضع الاشياء في اتقن مواضعها ولما كان ذلك موقع السامع له ما يكون ٥
بينه وبين اخوته هل يكيدهم الرؤيا او يعلمهم بها وعلى كلا التقديرين ما يكون فقال تعالى جوابا لمن كانه قال لما كان من اجرم
فتتحاله بحرف التوقع والتحقيق بعد لام القسم تاكيدا للامر واعلاما بانه على اتقن وجه لقد كان اي كونا هو في احكم
مواضعه في يوسف واخوته اي بسبب هذه الرؤيا وما كان من تاويلها واسباب ذلك آيات اي علامات عظيمة دالات
على وحدانية الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما تضمنته القصة للسائلين الذين يسئلون عنها من قريش واليهود
وغيرهم وايات على عظمة الله وقدرته في تصديق رؤيا يوسف عليه السلام ونجاته ممن كاده وعصمته واعلاء امره والمراد
باخوته هنا العشرة الذين هم من ابيه وهم رؤبيل ٥ وشمعان ٥ معجمة اوله ٥ ولاوي ٥ ويهودا ٥ وزبلون بزاي وموحدة ٥
وإيساخار بهمزة مكسورة وتحتانية وسين مهملة وخاء معجمة ٥ ودان بمهملة ٥ وجاد بجيم بينهما وبين الكاف ٥ وآشير بهمزة
ممدودة وشين معجمة ثم تحتانية ومهملة ٥ ونفتالي بنون مفتوحة وفا ساكنة ومثناة فوقانية ولام بعدها ياء ٥ وشقيقه
بنيامين بضم الموحدة هكذا ذكرهم في التورية وحررت التلفظ بهم من اعلماء بها وقد تقدم ذلك في البقرة بزيادة والآية
الدالة على ما كان من الامور العظيمة وشلها العلامة والعبرة والحجة اخص منها لانها معتمدة البينة التي توجب الثقة
بصحة المعنى الذي فيه اعجوبة ولما تقرر ذلك ابتداء بذكر الآيات الواقعة في ظرف هذا الكون فقال اذ قالوا اي
كان ذلك حين قال الاخوة بعد ان قص الرؤيا عليهم وسول لهم الشيطان كما ظن يعقوب عليه السلام مقسمين دلالة على غاية
الاهتمام بهذا الكلام وانه ما حركهم غاية التحريك او هي لام الابتداء الموكدة المحققة لمضون الجملة ليوسف واخوه اي
شقيقه بنيامين اب وحد والاب افعل من يستوي فيه الواحد وما فوقه مذكرا كان او مونثا اذا لم يعرف او يضف
الى ابينا منا اي بحبها اكثر مما يجبنا والحب ميل يدعو الى ارادة الخير والنفع للمحبوب بخلاف الشهوة فانها ميل النفس
ومنازعتها الى ما فيه لذتها والحال انا نحن عصبة اي اشداء في انفسنا ويشد بعضنا بعضا واما هما فصغيران لا كفاية
عندهما والعصبة من العشرة الى الاربعين فكانه قيل فكان ماذا على تقدير ان يكونا احب اليه فقالوا موكدين لان حاله
ابيهما في الاستقامة والهداية داع الى تكذيبهم ان ابانا لفي ضلال اي ذهاب عن طريق الصواب في ذلك مبين حيث
فضلهما علينا والقرب المقتضي للحب في كلنا واحد انا في البنوة سواء ولنا مزية تقتضي تفضيلنا وهي انا عصبة لنا
من النفع له والذب عنه والكفاية ما ليس لهما قال الامام ابو حيان واحب افعل التفضيل وهو مبني من المفعول
شذوذا ولذلك عدي بالى لانه اذا كان ما تعلق به فاعلا من حيث المعنى عدي اليه بالى واذا كان مفعولا عدي اليه بفي
تقول زيد احب الى عمرو من خالد فالضمير في احب مفعول من حيث المعنى وعمرو هو المحب واذا قلت زيد احب في عمرو
من خالد كان الضمير فاعلا وعمرو هو المحبوب ومن خالد في المثال الاول محبوب وفي الثاني فاعل قالوا والضلال هنا
هو الهوى قاله ابن عباس رضي الله عنهما انتهى ولما كان ذلك وكان عندهم ان الشاغل الاعظم لابيهم عنهم انما هو حب
يوسف عليه السلام وجب اخيه انما هو تابع كان كانهم تراجعوا فيما بينهم فقالوا فكيف تقرر هذا مما انتم صانعون فقالوا او
من شاء الله منهم اقتلوا يوسف اصل القتل اماتة الحركة بالسكون او اطرحوه ارضا او صلوا الفعل بدون حرف وذكروها
دلالة على انها كون منكور مجهولة بحيث يهلك فيها وعنى قائلهم بذلك ان تورعتم عن مباشرة قتله بايديكم ولما كان
التقدير ان تفعلوا ذلك اجابة بقوله ٥ يخل لكم اي خاصا بكم وجه ابيكم اي قصده لكم وتوجهه اليكم وقصدكم وبينكم
له ولما كان الذين لا يعلمون اصلاح دينهم كانه محط امرهم قالوا وتكونوا اي كونا هو في غاية التمكن ولما كانوا عالمين
بان الموت لا بد منه فهو مانع من استمرارهم للزمان الآتي ادخلوا الجار فقالوا من بعده اي يوسف عليه السلام قوما اي
ذوي نشاط وقوة على محاولة الامور صالحين اي عريقين في وصف الصلاح مستقيمين على طريقة تدعوا الى الحكمة
بوقوع الالفة بينكم واستجلاب محبة الوالد بالمبالغة في بره وبالتوبة من ذنب واحد يكون سببا لزوال الموجب
لداء الحسد الملازم لذنوب متصلة من البغضا والمقاطعة والتخاصم فعزموا على التوبة قبل وقوع الذنب فكانه قيل
ان هنا لمن اعجب العجب من مطلق الاقارب فضلا عن الاخوة فماذا قالوا عند سماعه فقيل قال ولما كان السياق لان الامر
كله لله فهو ينجي من يشاء بما يشاء لم يتعلق القصد ببيان الذي كانت على يده النجاة فقال مبهما اشعارا بانه يجب قبول النصح
من اي قائل كان وان الانسان لا يحقر نفسه في بذل النصح على اي حال كان قائل ثم عينه بعض المعينين فقال منهم اي اخوة يوسف

علم الروم

عليهم السلام لا تقتلوا يوسف لا بايديكم ولا بالالقاء في المهالك فان القتل اكبر الكبائر بعد الشرك وكانه لم يكن في ناحيتهم
تلك غير جب واحد فعرفه فقال والقوه وكانه كان فيه ماء ومكان يمكن الاستقرار فيه ولا ماء به فاراده بقوله
في غيابة الجب اي غوره الغائب عن الاعين فان ذلك كاف في المقصود وانكم ان تفعلوا يلتقطه بعض السيارة جمع سيار وهو
المبالغ في السير هذا ان كنتم ولا بد فاعلين ما اردتم من تغييبه عن ابيه ليخلو لكم وجهه والجب البئر التي لم تطو لانه قطع
عنها ترابها حتى بلغ الماء وعن ابي عمرو ان هذا كان قبل ان يكونوا انبياء فكانه قيل ان هذا الحسن من حيث انه صرفهم عن
قتله فهل استمروا عليه او قام منهم قائم في استنزالهم عنه بعاطفة الرحم وود القرابة فقيل بل استمروا لانهم قالوا اعمالا
للحيلة في الوصول اليه مستفهمين على وجه التعجب لانه كان احسن منهم الشر فكان يحذرهم عليه يا ابانا ما لك اي اي شيء لك
في حال كونك لا تامنا على يوسف والحال انا له لناصحون والنصح دليل الامانة وسببها ولهذا قرنا في قوله ناصح امين
والامن سكون النفس الى انتفاء الشر وسببه طول الامهال في الامر الذي يجوز قطعه بالمكروه فيقع الاغترار بذلك
الامهال من الجهال وضده الخوف وهو انزعاج النفس لما يتوقع من الضر والنصح اخلاص العمل من فساد يتعمد وضده الغش
واجمع القراء على حذف حركة الرفع في تامن وادغام نونه بعد اسكانه تبعا للرسم بعضهم ادغاما محضا وبعضهم مع الاشمام
وبعضهم مع الروم دلالة على نفي سكون قلبه عليه عليهما السلام بامنه عليه منهم على ابلغ وجه مع انهم اهل لان يسكن اليهم
بذلك غاية السكون ولو ظهرت ضمة الرفع عند احد من القراء فات هذا الايماء الى هذه النكتة البديعة ولما كان هذا موضع
ان يقال لاي غرض يكون ذلك قالوا في جوابه ارسله معنا غدا الى مرعانا ان ترسله نرتع اي ناكل ونشرب في الريف
ونتسع في الخصب ونلعب اي نعمل ما تشتهي الانفس من المباحات تاركين الحد وهو كل ما فيه كلفة ومشقة فان ذلك له
سار وانا له لحافظون اي بليغون في الحفظ قال ابو حيان وانتصب غدا على الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق على اليوم
الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد واصل غد غدو فحذفت لامه انتهى فكانه قيل ماذا قال لهم فقيل
قال ما زاد صدورهم توغرا لان ما قالوه له هو بحيث يسر به لسرور يوسف عليه السلام به اني ليحزنني اي حزنا ظاهرا
محققا بما اشار اليه اظهاره النون واثباته لام الابتداء ان تذهبوا به اي يتجدد الذهاب به مطلقا لاني لا اطيق فراقه
ولا لحظة وفتح لهم بابا يحتجون به عند فعل المراد بقوله جامعا بين مشقتي الباطن والبلاء كما قالوا موكل بالمنطق واخاف
اي اذا ذهبتم به واشتغلتم بما ذكرتم ان ياكله الذئب اي هذا النوع كانه كان كثيرا بارضهم وانتم عنه اي خاصة غافلون
اي عريقون في الغفلة لاقبالكم على ما يهمكم من مصالح الرعي والحزن القلب بما كان من فراق المحبوب ويعظم اذا كان فراقه
الى ما يبغض والاكل تقطيع الطعام بالمضغ الذي بعده البلع فكانه قيل ان تلقيهم لمثل هذا العجب فماذا قالوا فقيل قالوا
مجيبين عن الثاني بما يلين الاب لارساله موكدين ليطيب خاطره دالين على القسم بلامه لئن اكله الذئب ونحن اي والحال انا
عصبة اي اشداء يغضب بعضنا لبعض واجابوا القسم بما اغنى عن جواب الشرط انا اذا اي اذا كان هذا لخاسرون اي
كاملون في الخسارة لانا اذا ضيعنا اخانا فنحن لما سواه من اموالنا اشد تضييعا واعرضوا عن جواب الاول لانه لا يكون
الا بما يوغر صدره ويعرف منه انهم من تقديمه في الحب على غاية من الحسد لا توصف واقله ان يقولوا ما وجه الشح بفراقه
يوما والسماح بفراقنا كل يوم وذلك مما يحول بينهم وبين المراد فكانه قيل ان هذا لكيد عظيم وخطب جسيم فما فعل
اتوهم فقيل اجابهم الى سؤلهم فارسله معهم فلما ذهبوا ملصقين ذهابهم به واجمعوا اي كلهم اجمع كل منهم بان عزم عزما
صادقا والاجماع على الفعل العزم عليه باجتماع الدواعي كلها ان يجعلوه والجعل ايجاد ما به يصير الشيء على خلاف
ما كان عليه ونظيره التصيير والعمل في غيابة الجب فعلوا ذلك من غير مانع ولكن لما كان هذا الجواب في غاية الوضوح
لدلالة الحال عليه ترك لانهم اذا اجمعوا عليه علم انهم لا مانع لهم منه ثم عطف على هذا الجواب المحذوف لكونه في قوة
الملفوظ قوله واوحينا اي بما لنا من العظمة اليه اي الى يوسف عليه السلام ولما كان في حال الفجاءة منها بعيدة
جدا اكد له قوله لتنبئنهم اي لتخبرنهم اخبارا عظيما على وجه يقل وجود مثله في الجلالة بامرهم هذا الذي فعلوه بك
وهم لا يشعرون لعلو شانك وكبر سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات المغير للصور
والاشكال انك يوسف قاله ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وابن جريج على ما نقله الرماني والشعور ادراك الشيء
مثل الشعرة في الدقة ومنه المشاعر في البدن وكان يوسف عليه السلام حين القوه في الجب ابن اثنتي عشرة سنة قاله
الحسن قالوا وتصديق هذا انهم لما دخلوا عليه ممتارين دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني
هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان ابوكم يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في الجب وقلتم
لابيكم اكله الذئب ولما كان من المعلوم انه ليس بعد هذا الفعل الا الاعتذار عطف على الجواب المقدر قوله وجاؤا
اباهم دون يوسف عشاء في ظلمة الليل لئلا يتفرس ابوهم في وجوههم اذا راها في ضياء النهار ضد ما جاؤا به من
الاعتذار وقد قيل لا نطلب الحاجة بالليل فان الحيا في العينين ولا نعتذر بالنهار من ذنب فنتلجلج في الاعتذار والاية دالة
على ان البكاء لا يدل على الصدق لاحتمال التصنع يبكون والبكاء جريان الدمع من العين عند حال الحزن فكانه قيل انهم اذا
بكوا حق لهم البكاء خوفا من الله وشفقة على الاخ ولكن ماذا يقولون اذا سالهم ابوهم عن سببه فقيل قالوا يا ابانا
ولما كانوا عالمين بانه عليه السلام لا يصدقهم لما له من نور القلب وصدق الفراسة ولما لهم من الريبة اكدوا فقالوا

انا ذهبنا نستبق اي نوجد المسابقة بغاية الرغبة من كل منا في ذلك وتركنا يوسف اخانا عند متاعنا اي ما كان معنا مما
نحتاج اليه في ذلك الوقت من ثياب وزاد ونحوه فاكله اي فتسبب عن انفراده ان اكله الذيب وما اي والحال انك ما انت بمؤمن
لنا اي من التكذيب اي بمصدق ولو كنا اي كونا هو جبلة لنا صادقين اي من اهل الصدق والامانة بعلمك لانك لم تجرب علينا
قط كذبا ولا حفظت عنا شيئا منه جدا ولا لعبا ولما علموا انه لا يصدقهم من وجوه منها ما هو عليه من صحة الفراسة لنور القلب
وقوة الحدس ومنها ان الكذب في نفسه لا يخلوا عن دليل على بطلانه ومنها ان المرتاب يكاد يعرب عن نفسه اعملوا الحيلة في التاكيد
بما يقرب قولهم فقال تعالى حاكيا عنهم وجاؤا على قميصه اي يوسف عليه السلام بدم كذب اي مكذوب اطلق عليه المصدر مبالغة
لانه غير مطابق للواقع لانهم ادعوا انه دم يوسف عليه السلام والواقع انه دم سخلة ذبحوها ولطخوه بها نقله الرماني عن ابن
عباس رضي الله عنهما وعن مجاهد قال والدم جسم احمر سيال من شانه ان يكون في عروق الحيوان وله خواص تدرك بالعيان من
ترجرج وتلزج وسهوكة روي ان يعقوب عليه السلام اخذ القميص منهم والقاه على وجهه وبكا حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق قميصه فكان في القميص ثلاث ايات دلالته على كذبهم ودلالته على صدق
يوسف عليه السلام في قده من دبر وعود البصر الى ابيه به فكانه قيل هل صدقهم فقيل لا لان العادة جرت في مثله انه لا ياكله
كله فلا بد ان يبقى منه شيء يعرف معه انه هو ولو كان كذلك لاتوا به تبرئة لساحتهم وليدفنوه في جبانتهم مع بقية اسلافهم
وقد كان قادرا على مطالبتهم بذلك والله اعلم انهم ما قالوا ذلك الا بعد عزم صادق على امور لا تطاق فخاف ان يفتح البحث من الشرور
اكثر مما جاؤا به من المحذور بدليل قوله بعد ذلك فتجسسوا من يوسف واخيه ونحو ذلك فكانه قيل فماذا قال فقيل قال بل
اي لم ياكله الذيب بل سولت اي زينت وسهلت من السول وهو الاسترخاء لكم انفسكم امرا اي عظيما ابعدتم به يوسف فصبر اي
فتسبب عن ذلك الفادح العظيم انه يكون صبر جميل مني وهو الذي لا شكوى معه للخلق والله اي المحيط علما وقدرة المستعان
اي المطلوب منه العون على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف عليه السلام ولا يقال انهم بهذا جمعوا اوصاف المنافق اذا
وعد اخلف واذا حدث كذب واذا اوتمن خان لان هذا وقع منهم مرة والمنافق يكون ذلك فعله دايما او في اغلب احواله ومادتا
سول بتقاليبها الخمسة ولس وسلا ووسل ولوس وسول وسيل بتقاليبها الخمسة لسي ويسل وسيل وسلي وليس تدوران
على ما يطمع فيه من المراد ويلزمه رغد العيش والزينة وبرد القلب والشدة والرخاوة والعلاج والمخادعة والملازمة فمن
الرجا للمراد السول بالواو وقد يهمز وهو المطلوب والوسيلة الدرجة والمنزلة عند الملك قال القزاز وقيل توسلت
وتوصلت بمعنى والوسيلة الحاجة ووسل فلان اذا طلب الوسيلة واللووس الظفر ومن العمل والعلاج توسل بكذا اي تقرب
واللوس الاكل ولاس الشيء في فيه بلسانه اذا اداره ولاست الناقة في مشيتها تليس ولسانا لضرب من العنق ومن رغد العيش
فلان في سلوة من العيش اي رغد يسليه الهم ومنه السلوى وهي طاير معروف وهي ايضا العسل واسلى القوم اذا امنوا السبع
ومن الزينة سولت له نفسه كذا اي زينته فطلبه ومن برد القلب سلوت عن الشيء اذا تركه قلبك وكان قد صبا به وسقيتني منك
سلوة اي طيبت نفسي عنك والليس محركا الغفلة والاليس الديوث لا يغار والحسن الخلق وتلايس عنه اغمض ومن الرخاوة السلا
الذي يكون فيه الولد وهو يابي تقول منه سليت الشاة كرضي سلا انقطع سلاها ومنه السول وهو استرخاء في مفاصل
الشاة والسحاب الاسول الذي فيه استرخاء لكثرة مائه والاسول المسترخي ومنه ليس احت كان لان الشيء اذا زاد في
الرخاوة ربما عد عدما ومنه سال بمعنى جرى والسايلة من الغرر المعتدلة في قصبة الانف واسال غرار النصل اطاله
والسيلان بالكسر سنخ قايم السيف ونبات له شوك ابيض طويل اذا نزع خرج منه اللبن او ما طال من السمر ومن المخادعة الولس
وهي الخيانة والموالسة المداهنة والتوسل السرقة ومن اللزوم الليس محركا والمتلايس البطي وهو ايضا من الرخاوة والاليس
من لا يبرح منزله ومن الشدة اللبس محركا وهو الشجاعة وهو اليس والاليس البعير يحمل ما حمل والاسد ووقعوا في سلا جمل
امر صعب لان الجمل لا سلا له وانقطع السلا في البطن مثل كبلغ السكين العظم ويمكن ان يكون من الشدة ايضا اليسل بفتح وسكون
وهم يد اي جماعة من قريش الظواهر والبسل بالباء الموحدة اليد الاخرى ولسا اكل اكلا شديدا ولما تم امرهم هذا وشنوا
على ابيهم نار الحزن التفتت النفس الى الخبر عن يوسف عليه السلام فيما اشار اليه قوله لتنبئنهم الاية فقال تعالى مخبرا عن ذلك
في اسبابه وجاءت سيارة اي قوم بليغوا السير الى الارض التي القوا يوسف عليه السلام في جبها فارسلوا واردهم اي
رسولهم الذي يرسلونه لاجل الاشراف على الماء الى الجب ليستقي لهم فادلى فيه دلوه اي ارسلها في البير ليملاها واما دلا
فاخرجها ملاى فاستمسك بها يوسف عليه السلام فاخرجه فكانه قيل ماذا قال حين ادلى للماء فتعلق يوسف بالحبل
فاطلعه فاذا هو بانسان اجمل ما يكون فقيل قال اي الوارد يعلم اصحابه بالبشرى يا بشراي اي هذا اوانك فاحضري فكانه
قيل هم يدعوا البشرى فقال هذا غلام فاتى به الى جماعته فسروا به كما سر واسروه اي الوارد واصحابه بضاعة
اي حال كونه متاعا بزعمهم يتجرون فيه والله اي المحيط علما وقدرة عليم اي بالغ العلم بما يعملون وان اسروه قال ابو حيان
ويعم ما قال وتعلقه بالحبل يدل على صغره اذ لو كان ابن ثمانية عشر او سبعة عشر لم يحمله الحبل غالبا ولفظه غلام ترجح
ذلك اذ تطلق عليه ما بين الحولين الى البلوغ حقيقة وقد تطلق على الرجل الكامل انتهى ولما كان سرورهم به مع ما هو
عليه من الجمال والهيبة والجلال مقتضيا لان ينافسوا في امره ويتعالوا بثمنه اخبر تعالى انهم لم يفعلوا ذلك ليعلم ان جميع
اموره على نسق واحد في خرقها للعوايد فقال وشروه اي تمادى السيارة ولجوا في اشرارهم اياه بضاعة حتى باعوه من العزيز

سول سيل

ولمعنى

ولمعنى التمادي عبر بشري دون باع ويمكن ان يكون شري هنا بمعنى اشترى اي واشتراه السيارة من اخوته بثمن وهو البدل
من الذهب او الفضة وقد يقال على غيره تشبيها به بخس اي قليل ومادة شري يائية بتقاليبها الثلاثة شري وشير
وريش وواوية بتراكيبها الستة شور وشرو ووشر وورش ورشو وروش ومهموزة بتراكيبها الثلاثة ارش واشر
ورشا تدور على اللجاجة وهي التمادي في الانتشار ويلزمه تبين ذلك الامر ويلزمها القوة تارة والضعف اخرى فمن مطلقه
شريت الشيء بمعنى ملكته بالبيع وشريته بمعنى ازلت ملكي عنه به وكذا اشتريت فيهما والاسم الشرا بالمد ويقصر فحصل التمادي
والانتشار تارة بالازالة وتارة بالتحصيل وكل من ترك شيا وتمسك بغيره فقد اشتراه وشاراه مشاراة بايعه وشروي الشيء
مثله واوه من ياء كانه ماخوذ من بدل المبيع لانه يتحرى فيه المماثلة وهو اوسع مما لم يوجد له مثل وشري البرق استطار وزيد
غضب ولج حتى استطار غضبا والفرس في سيره بالغ واستشري الرجل لج والبرق لمع والمشاراة الملاجة والمجادلة والمبايعة
والشرية كغنية الطريقة والطبيعة وكان هذا اصل المعنى الذي عنه تفرعت اغصانه لان الطبع مظنة اللجاج وشري الثوب
واللحم والاقط شررها اي وضعها على خصفة او غيرها منشورة لتجف وشري فلانا سخر به او ارغمه كانه تمادى معه حتى قهره
وشري بنفسه عن القوم تقدم بين ايديهم فقاتل عنهم او الى السلطان فتكلم عنهم والشري كعلي الجبل لانتشاره علوا والطريق
للانتشار فيه وطريق بسلمى كثيرة الاسد وجبل بتهامة كثير السباع لانتشارها فيه او لان السائر فيه اقوى الناس والجهم وجبل
بنجد لطيئ والناحية ويمد واشراه ملاه واماله لما يلزم من انتشار ما فيه واشري الجمل تقلقلت عقيقته اي صوفه
وبينهم اغرى وشري البعير في سيره اسرع وشري الفرس لجامه اذا جذبه والشرية كغنية من النساء اللاتي تلد الاناث كانها
تمادت في الميل مع طبعها الانوثة فلجت فيه او هو راجع الى الضعف اللازم للحاجة والمشتري نجم لتلالؤه وطائر للمعة بجناحه
وانتشاره واشروري اضطرب وشري زمام الناقة كثر اضطرابه وهو من الانتشار ومن الضعف واستشرت الامور تفاقمت
وعظمت وشري جلده اصابه بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا كانها سميت لانتشارها في جميع
البدن وقوتها وتشري القوم افترقوا وتشري السحاب تفرق والشري شجر الحنظل او الحنظل نفسه والنخل ينبت من النواة
كانه لنباته بغير سبب من ادمي لجوج والشريان من شجر القسي كانه لقوته ونشره السهام اذا رميت عنه وواحد الشرايين
للعروق النابضة لقوتها وانتشارها وشيار بالكسر يوم السبت لانه اول يوم ابتديت فيه الخلائق فكانها انتشرت عنه
والريش بالكسر من الطائر معروف كالراش لانه منتشر في جميع بدنه وله قوة نشره متى شاء وهو سبب صلاحه وقوته على
الانتشار في الهواء ومنه الريش والرياش للباس الفاخر والعصب والمعاش وذات الريش نبات كالقيصوم وراش الصديق اطعمه
وسقاه وكساه واصلح حاله وكلا ريش كهين وهين كثير الورق والريش محركا كثرة الشعر في الاذنين والوجه والمريش كمعظم
البعير الازب ورشت السهم فوقته اي الزقت عليه الريش عند فوقه فكان له بذلك قوة الانتشار ورمح اراش خوار يشبه
بالريش ضعفا والمريش الرجل الضعيف الصلب وهو ايضا البرد الموشى لتلونه كالريش وهو ايضا القليل اللحم وناقة مريشة
قليلة اللحم لان ذلك اقوى لها على السير والمريش ايضا الهودج المصلح بالقد لان ذلك سبب قوته وهو له كالريش والعصب
والشوار والشورة والشارة الحسن والجمال والهيبة واللباس والسمن والزينة واستشار فلان لبس لباسا حسنا كانه من
الريش ولانها ملزومة اللجاج والانتشار غالبا واستشارت الابل واخذت مشوارها سمنت والمشوار بالكسر المكان تعرض
فيه الدواب وشارها راضها اي انتشر بها لتقوى على ما يراد منها وشار العسل واستشاره استخرجه من الوقبة للمبالغة
في ذلك والشرو مقدم الراء بالفتح ويكسر العسل والمشوار ما شاره به وما ابقت الدابة من علفها معرب كانه شبه بما يبقى
من مشتار العسل مما لا يعتد به او اصله نشوار بالنون فابدلت منها الميم لتقاربهما فان كان كذلك فهو من نشر والشوار مثلثة
متاع البيت لانتشاره فيه وذكر الرجل وخصياه واسته لما ينتشر من كل منها وشور بفلان فعل به فعلا يستحيي منه كانه
لج في ذلك حتى قطع انتشاره في الاعتذار وتشور الرجل جهل كانه مطاوع شورته وشور اليه او ما كاشار لنشر ما اشار به
واشار النار رفعها والشوران العصفر للمعة وجبل قرب عقيق المدينة فيه مياه سماء كثيرة لقوته على امساكها وقوة من يقيم
فيه بها على الانتشار فيه وخيل شيار سمان حسان والشورة بالضم الناقة السمينة لقوتها على الانتشار وبالفتح الحجلة لانتشارها
وعلوها واشرت عليه بكذا امرته للانتشار في الكلام قبل الاشارة للوقوع على الراي والاسم المشورة او هو من الاشارة التي
هي تحريك اليد او الحاجب ونحوهما نحو المشار اليه والرشوة مثلثة الجعل ورشاه اعطاه اياها فنشره للفعل ولا يفعل
ذلك الا من لج في الامر ويمكن رده الى الضعف والرايش السفير بين الراشي والمرتشي واسترشى طلب الرشوة والفصيل
طلب الرضاع وارشية اليقطين والحنظل خيوطهما لانتشارها وشبهها بالرشا بالكسر والمد وهو الحبل والرشي كغني
الفصيل او البعير يقف فيصيح الراعي ارشه ارشه او ارشه ارشه فيحك خورانه اي مبعره بيده فيعدو وقال
ابن فارس والخوران مجرى الروث من الدابة وارشى فعل ذلك والقوم في دمه شركوا لان ذلك انتشار وبسلاحهم فيه
اسرعوه والرشا نبت يشرب للمشي ومن مهموزه رشا جامع ولا الج من المتهيئ للجماع وفيه الانتشار ايضا ورشات
الظبية ولدت والرشا بالتحريك اسم للظبي اذا قوي ومشى مع امه فيكون حينئذ اهلا للانتشار واللجاج في الجري والرشا
ايضا شجرة تسمو فوق القامة وعشبه كالقرنوة بالقاف كانها شديدة الحرافة فشبهت باللجوج لان القرنوة يدبغ بها
انتهى المهموز ووشر الخشبة بالميشار غير مهموز لغة في اشرها اذا نشرها اي فرقها باثنين او اكثر والوشر ايضا بحديد

المرأة اسنانها وترقيقها وهو من القوة واللمعان والتفريق والموتشرة التي تسأل ان يفعل بها ذلك وموشر العضدين
ويهمز الجعل لان اعضاده كالمنشرة حزوزا ومن مهموزه اشر بالكسر اي مرح اي ازدرى الخلق وعاملهم معاملة المستهين بهم
فظلمهم ولج في عتوه وناقة ميشر نشيطة واشر الاسنان تحزيزها تشبيها لها باسنان الميشار الذي يقطع به الخشب
ونحوه قطعا سريعا فهو كفعل اللجوج انتهى المهموز وورش الطعام تناوله واكل شديدا حريصا وطمع واسف لمذاق الامور
لان ذلك لا يكون الا عن تمادٍ ولجاج وورش فلان بفلان اغراه وورش عليهم دخل وهم ياكلون ولم يدع وورش اسم وشيء
يصنع من اللبن لانه انتشر عن اصل خلقته والورش بالتحريك وجع في الجوف وككتف النشيط الخفيف من الابل وغيرها وهي
بهاء والتوريش التحريش والورشان طائر ومن مهموزه الارش وهو الدية لانها يلج في طلبها والرضى بها واكثر ما يتعاطى
من امرها وهو ايضا الرشوة وما نقص من العيب من الشيء قال في القاموس لانه سبب للارش والخصومة وبينهما ارش
اي اختلاف وخصومة والارش الاغراء والاعطاء لان المعطي يغلب نفسه فكانه خاصمها فلج حتى غلبها والارش الخلق لانه
منشأ اللجاج يقال ما ادري اي الارش هو اي الخلق والماروش المخلوق وآرش كصاحب جبل انقضى المهموز والروش الاكل
الكثير والاكل القليل ضد فهو من التمادي والضعف الذي ربما يشأ من التمادي مع شبهه بالريش وجمل راش كثير شعر الاذن
ومن التبيين شار الدابة اذا ركبها عند العرض على مشتريها وشورها نظر كيف مشوارها اي سيرها او بلاها ينظر ما
عندها او قلبها وكذا الامة واستشار الفحل الناقة كدمها فنظر اليها الاقح هي ام لا واستشار امر فلان تبين والمستشير
من يعرف الحامل من غيرها وهو يرجع الى التمادي لانه لولاه ما عرف الامر ومن الضعف راشاه حاباه وصانعه وترشاه لابنه
وانك لمسترش لفلان مطيع له لمسرته وهو من الرشوة وجمل راش ضعيف الصلب وكذا رمح راش وهي بهاء وراشة المريض
ضعفه كانه من الريش وكل ذلك يرجع بعد التامل الى التمادي والله اعلم ومادة نحس مكل ترتيب من نحس وخبس وسبخ
وسخب تدور على القلة ويلزمها الاخذ بالكف نحسته حقه نقصته فجعلته اقل مما كان والنحس فقؤ العين فهو نقص خاص
والنحس ارض تنبت بلا سقي كانه لقلة ما ينبت بها بالنسبة الى ارض السقي والنحس المكس وسبخت عن فلان خففت عنه والسبخة
ارض ملحة لقلة نبتها ونفعها وسبخت القطن اذا قطعته فصارت جملته قليلة والتسبيخ ما يسقط من ريش الطائر لنقصه
منه والتسبيخ النوم الشديد لنقصه صاحبه وتخفيفه ما عنده من الثقل ومن ذلك الخبس وهو الاخذ بالكف وهو لازم
للقلة ومنه قيل للاسد الحابس لاخذه ما يريده بكفه والسخاب قلادة من قرنفل ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ ولما كان النحس
القليل الناقص ابدل منه تاكيدا للمعنى تسفيها لرايهم وتعجيبا من حالهم قوله دراهم اي لا دنانير معدودة اي اهل لان
تعد لانه لا كثرة لها يعسر معها ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما وكانوا اي كونا هو كالجبلة
فيه اي خاصة دون بقية متاعهم انتهازا للفرصة فيه قبل ان يعرف عليهم فينزع من ايديهم من الزاهدين اي كمال
الزهد حتى رغبوا عنه فباعوه بما طف والزهد انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه عند الزاهد وهذا يعين
ان الضمير للسيارة لان حال اخوته في امره فوق الزهد بمراحل فلو كان لهم لقيل وكانوا له من المبعدين او المبغضين ونحو
ذلك ولما كانت العادة جارية بان القن يمتهن اخبر تعالى انه اكرمه عن هذه العادة فقال منبها على ان شراه كان بمصر
وقال الذي اشتراه اي اخذه برغبة عظيمة ولو توافقوا عليه غالى في ثمنه من مصر اي البلدة المعروفة والتعبير بهذا
دون ما هو اخصر منه للتنبيه على ان بيعه ظلم وانه لم يدخل في ملك احد اصلا لامرأته آمرا لها باكرامه على ابلغ وجه
اكرمي مثواه اي موضع مقامه وذلك اعظم من الامر باكرامه نفسه فالمعنى اكرميه اكراما عظيما بحيث يكون ممن يكرم كل ما
لابسه لاجله ليرغب في المقام عندنا ولما كانت كانها قالت ما سبب ايصائك لي بهذا دون غيره استانف قوله
عسى ان اي ان حاله خليق وجدير بان ينفعنا اي وهو على اسم المشتري او نتخذه اي برغبة عظيمة ان رايناه اهلا ولدا
فانا طامع في ذلك ولما اخبر تعالى بمبدا امره وكان من المعلوم ان هذا انما هو لما مكن له في القلوب مما اوجب توقيره
واجلاله وتعظيمه اخبر تعالى بمنتهى امره مشبها له بهذا المضمون للعلم به فقال وكذلك اي ومثل ما مكنا ليوسف
بتزهيد السيارة اهل البدو تارة واكرام مشتريه ومنافسته فيه اخرى مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر التي هي
كالارض كلها لكثرة منافعها بالملك فيها لتمكنه من الحكم بالعدل وبالنبوة لنعلمه بما لنا من العظمة من تاويل الاحاديث
اي بترجيعها من ظواهرها الى بواطنها فاشار تعالى الى المشبه به مع عدم التصريح به لما دل عليه من السياق واثبت
التمكين في الارض ليدل على لازمه من الملك والتمكين من العدل وذكر التعليم ليدل على ملزومه وهو النبوة فدل اولا
بالملزوم على اللازم وثانيا باللازم على الملزوم وهو كقوله تعالى فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فهو
احتباك او قريب منه ولما كان من اعجب العجب ان من وقع التمكين من ان يفعل به مثل هذه الافعال يتمكن من ارض هو
فيها مع كونه غريبا مستعبدا فردا لا عشيرة له فيها ولا اعوان قال تعالى نافيا لهذا العجب والله اي الملك الاعظم غالب
على امره اي الامر الذي يريده غلبة ظاهر امرها لكل من له بصيرة امر يعقوب يوسف عليهما السلام ان لا يقص رؤياه حذرا
عليه من اخوته فغلب امره سبحانه حتى وقع ما حذره فاراد اخوته قتله فغلب امره عليهم وارادوا ان يلتقطه بعض السيارة
ليندرس اسمه فغلب امره سبحانه وظهر اسمه واشتهر ثم باعوه ليكون مملوكا فغلب امره تعالى حتى صار ملكا وسجدوا بين يديه
ثم ارادوا ان يغروا اباهم ويطيبوا قلبه حتى يخلو لهم وجهه فغلب امره تعالى فاظهره على مكرهم واحتالت عليه امراة العزيز

لتخدعه

لتخدعه عن نفسه فغلب امره سبحانه فعصمه حتى لم يهم بسوء بل هرب منه غاية الهرب ثم بذلت جهدها في ادلاله ٥
والقاء التهمة عليه فابى الله الا اعزازه وبراءته ثم اراد يوسف عليه السلام ذكر الساقي له فغلب امره سبحانه فانساه ذكره
حتى مضى الاجل الذي ضربه سبحانه وكم من امر كان في هذه القصة وفي غيرها يرشد الى ان لا امر لغيره سبحانه ولكن اكثر
الناس اي الذين هم اهل الاضطراب لا يعلمون لعدم التامل انه تعالى عال على كل امر وان الحكم له وحده لاشتغالهم بالنظر
في الظواهر للاسباب التي يقيمها فهو سبحانه محتجب عنهم بحجاب الاسباب ذكر ما مضى من قصة يوسف عليه السلام من التورية
قال في اواخر السفر الثاني منها كان يوسف بن يعقوب ابن سبع عشرة سنة وكان يرعى الغنم مع اخوته وكان اسرائيل يحب
يوسف اكثر من حبه اخوته لانه ولد على كبر سنه فاتخذ له قميصا ذا كمين فراى اخوته ان والدهم اشد حبا له منهم فابغضوه
ولم يستطيعوا ان يكلموه بالسلام فراى رؤيا فقصها على اخوته فقال لهم اسمعوا هذه الرؤيا التي رايت رايت كانا نحزم
حزما من الزرع في الزراعة فاذا حزمتي قد انتصبت وقامت واذا حزمكم قد احاطت بها تسجد لها قال له اخوته اترى
تملكنا وتتسلط علينا وازدادوا له بغضا لرؤياه وكلامه فراى رؤيا اخرى فقال اني رايت رؤيا اخرى رايت كان
الشمس والقمر واحد عشر كوكبا يسجدون لي فقصها على ابيه واخوته فزجره ابوه وقال له ما هذه الرؤيا هل اتيك انا
وامك واخوتك فنسجد لك على الارض فحسده اخوته وكان ابوه يحفظ هذه الاقاويل وانطلق اخوة يوسف يرعون غنمهم
في نابلس فقال اسرائيل ليوسف هوذا اخوتك يرعون في نابلس هلم ارسلك اليهم فقال هاندا فقال ابوه انطلق فانظر كيف
اخوتك وكيف الغنم واتيني بالخبر فارسله يعقوب عليه السلام من قاع حبرون فاتى الى نابلس فوجده رجل وهو يطوف في
الحقل فساله الرجل وقال ما الذي تطلب في الحقل فقال اطلب اخوتي دلني عليهم اين يرعون قال له الرجل قد ارتحلوا من
ههنا وسمعتهم يقولون ننطلق الى دوثان فتبع يوسف اخوته فوجدهم بدوثان فراوه من بعيد ومن قبل ان يقترب اليهم
بقتله فقال بعضهم لبعض هوذا حالم الاحلام قد جاء تعالوا نقتله ونطرحه في بعض الجباب ونقول قد افترسه سبع
خبيث فننظر ما يكون من احلامه فسمع روبيل فانقذه من ايديهم وقال لهم لا تقتلوا نفسا ولا تسفكوا دما بل القوه في هذا
الجب الذي في البرية ولا تمدوا ايديكم اليه واراد ان ينجيه من ايديهم ويرده الى ابيه فلما اتى يوسف اخوته خلعوا عنه
القميص ذا الكمين الذي كان لابسه واخذوه فطرحوه في الجب فارغا لا ماء فيه فجلسوا ياكلون خبزا فمدوا ابصارهم فراوا
فاذا رفقة من العرب مقبلة من جلعاد وفي نسخة من الجرش وكانت ابلهم موقرة سمنا ولبنا وبطما وكانوا معتمدين الى مصر
فقال يهوذا لاخوته ما منفعتنا بقتل اخينا وسفك دمه تعالوا نبيعه من العرب ولا نبسط ايدينا اليه لانه اخونا لحمنا
ودمنا فاطاعه اخوته فمر بهم قوم تجار مدينيون فاصعدوا يوسف من الجب وباعوه من الاعراب بعشرين درهما فاتوا به
الى مصر فرجع روبيل الى الجب فاذا ليس فيه يوسف فشق ثيابه ورجع الى اخوته قال لهم اين الغلام الى اين اذهب انا الان
فاخذوا قميص يوسف فذبحوا عتودا من المعز ولونوا القميص بدمه وارسلوا به مع من اتى به اباهم وقالوا وجدنا هذا
اثبته هل هو قميص ابنك ام لا فعرفه وقال القميص قميص ابني سبع خبيث افترس يوسف ابني افتراسا فحزن على ابنه اياما
كثيرة فقام جميع بنيه وبناته ليعزوه فابى ان يقبل العزاء وقال انزل الى القبر وانا حزين على يوسف فبكى عليه ابوه ٥
وباع المدينيون يوسف من قوطيفر الامير صاحب شرطة فرعون انتهى وفيه ما يخالف ظاهر القرآن ويمكن تاويله
والله اعلم ولما اخبر تعالى عما يريد بيوسف عليه السلام بما ختمه بالاخبار عن قدرته اتبعه الاعلام بايجاد ذلك الفعل
دلالة على تمام القدرة وشمول العلم فقال ولما بلغ اشده اي مجتمع قواه اتيناه اي بعظمتنا حكما اي نبوة او ملكة يكف
بها النفس عن هواها من حكمة الفرس فلا يقول ولا يفعل الا امرا فصلا تدعوا اليه الحكمة قال الرماني والاصل في
الحكم تبيين ما يشهد به الدليل لان الدليل حكمه من اجل انه يقود الى المعرفة وعلما اي تبيينا للشيء على ما هو عليه جزاء له لانه
محسن وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الذي جزيناه به نجزي المحسنين اي العريقين في الاحسان كلهم الذين راسهم محمد صلى الله
عليه وسلم الذي اسرى به فاعلاه ما لم يعل غيره وعن الحسن من احسن عبادة الله في شبيبته اتاه الحكمة في اكتهاله ٥
والاشد كمال القوة وهو جمع شدة عند سيبويه مثل نعمة وانعم وقال غيره جمع شد قال ابن فارس في المجمل وبعضهم يقول
لا واحد لها ويقال واحدها شد انتهى قيل وهذا هو القياس نحو ضب واضب وصك واصك وحظ واحظ وضر
واضر وشر واشر قال الرماني قال الشاعر • هل غير ان كثر الاشر واهلكت حرب الملوك اكاثر الاموال •
انتهى واختلفوا في حد الاشد فقيل هو من الحلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه من عشرين سنة وروي غير ذلك
والمادة تدور على الصعوبة وهي ضد الرخاوة ويلزمها القوة فالشد على العدو منها وشد الحبل وغيره احكم فتله
والشديد والمتشدد البخيل لصعوبة البذل عليه والشدة صعوبة الزمان وشد النهار ارتفاعه وهو قوته وشدت
فلانا قويت يده ودبرت امره واشد القوم اذا كانت دوابهم شدادا فهم مشدون ضد مضعفين ولما اخبر تعالى
ان سبب النعمة عليه احسانه اتبعه دليله فقال وراودته اي راجعته الخطاب ودارت عليه بالحيل فهو كناية عن
المخادعة التي هي لازم معنى راد يرود اذا جاء وذهب التي هي متمكنة منه غاية المكنة بكونه هو في بيتها وهو في عنفوان
الشباب عن نفسه اي مراودة لم يكن لها سبب الا نفسه لان المراودة لا يمكن ان تتجاوز نفسه الا بعد مخالطتها كما تقول
كان هذا عن امره وذلك بان دارت عليه بكل حيلة ونصبت له اشراك الخداع واقامت حينا تفتل له في الذروة والغارب

مادة شدم

وذلك لا مادة راد واوية ويائية بجميع تقاليبها السبعة رود ودور وورد ودير وردي وريد ودري تدور
على الدوران وهو الرجوع الى موضع الابتداء ويلزم منه القصد والاتيان والاقبال والادبار والرفق والمهلة واعمال
الحيلة وحسن النظر وربما يكون عن غير قصد فتاتي منه الحيرة فيلزم الفساد والهلاك يقال دار فلان يدور اذا مشى على هيئة
الحلقة والدهر دوار لدورانه باهله بالرفع والحط والدوار شبه دوران في الراس ودارة القمر معروفة والدايرة
الحلقة والدار تجمع العرصة والبنا لدوران بنائها وللدوران فيها وللذهاب منها والرجوع اليها والداري الملاح الذي يلي
الشراع وهو القلع لانه يديره على عمود المركب او لانه يلزم دار السفينة والرايد الذي يرتاد الكلا اي يذهب ويجي في طلبه لما
لم يكن مقصد من الارض معين كان كانه يدور فيها والذي لا منزل له وكل طالب حاجة قاله ابن دريد وراودت الرجل
ادرته على فعل ورايد الرحى يدها اي العود الذي تدار به ويقبض عليه الطاحن والرياد اختلاف الابل في المرعى مقبلة
ومدبرة ورادت المراة اذا اختلفت الى بيوت جاراتها وراد وساده اذا لم يستقر والرود الطلب والذهاب والمجي
وامش على رود بالضم اي مهل وتصغيره رويد والمرود الذي يكتحل به لانه يدار في العين وحديدة تدور في اللجام ومحور
البكرة من حديد والدير معروف ويقال للرجل اذا كان راس اصحابه هو راس الدير كانه من ادارة اصحابه به وترديت
بالرداء وارتديت كانه من الادارة والرداء السيف لانه يتقلد به في موضع الرداء والرديان محركا مشي الحمار بين اريه
ومتمعكه وراديت فلانا مثل راودته وردت الجارية اذا رفعت احدى رجليها وقفزت بواحدة لان مشيها حينئذ يشبه الدوران
والريد بالكسر الترب لانه يراودك اي يمشي معك من اول زمانك ومن الاتيان المورود وهو اتيان المورد من ماء وطريق
والوارد الصاير الى الماء للاستقاء منه وهو الذي ينزل الى الماء ليتناول منه والورد معروف ونور كل شجرة ورد لانه
يقصد للشم وغيره ويخرج هو منها فهو وارد اي آت وهو ايضا مع ذلك مستدير والورد بالكسر يوم الحمى اذا اخذت صاحبها
لوقت لانها تاتيه وهو من الدوران ايضا لانها تدور في ذلك الوقت بعينه وهذا كله يصلح للاقبال ومنه ارنبة وارده
اي مقبلة على السبلة والريد انف الجبل قاله ابن فارس وقال ابن دريد والريد الجيد الناتي من الجبل والجمع ريود
وفي القاموس الجيد من الجبل شاخص كانه جناح ويسمى السجاع الوارد لاقباله على كل ما يريده واستعلايه عليه والوريدان
عرقان مكتنفا صفحتي العنق مما يلي مقدمه غليظان والورد النصيب من القرآن لانه يقصد بالقراءة ويقبل عليه ويدار عليه
ودريت الشي علمته فانت مقبل عليه وارد اليه والدريئة مهموزة حلقة يتعلم عليها الطعن والرمي والدريئة مهموزة
وغير مهموزة دابة يستتر بها رامي الصيد فيختله فهي من الاقبال والخداع وان بني فلان ادروا مكانا اي اعتمدوه
بالغزو والغارة والمدري شبيه بمدري الثور وهو قرنه لانه يقصد به الشي ويقبل به على مراده فيصلحه به وما
ادري اين ردي اين ذهب والارواد المهلة في الشي وامش رويدا على مهل والرادة والريدة السهلة من الرياح فكانها
تاتي على مهل ومن الحيرة والفساد والهلاك ردي الرجل اذا هلك واراده الله وتردى في هوة تهور فيها ورديته بالحجارة
رميته والمرادة الصخرة يكسر بها الشي والمرادي المرامي ومن حسن النظر ارديت على الخمسين زدت لانه يلزم حسن النظر
الزيادة واراد الشي على غيره اي ربا عليه وسياتي بيان المهموز من هذه المادة في سنراود من هذه السورة ان شاء الله تعالى
وغلقت اي تغليقا كثيرا الابواب زيادة في المكنة قالوا وكانت سبعة والاغلاق اطباق الباب بما يعسر معه فتحه
وقالت هيت اي تهيات وتصنعت لك خاصة فاقبل الي وامتثل امري والمادة على تقدير اصالة التاء وزيادتها
بجميع تقاليبها يائية وواوية مهموزة وغير مهموزة تدور على ارادة امتثال الامر هيت لك مثلثة الآخر وقد يكسر اوله
هلم وهيت به تهييتا صاح ودعاه وهات بكسر التاء اعطني قال في القاموس والمهاياة مفاعلة هيه والهيت
الغامض من الارض كانه يدعو اذا الهمة الى الوقوف على حقيقته والتيه بالكسر الكبريا والصلف فالتاه داع بالقوة
الى امتثال امره والمفازة فانها تقهر سالكها والضلال من المفازة تسميه للشي باسم موضعه ومنه تهى بمعنى غفل ومنه
مضى تهوا من الليل بالكسر اي طايفة لانها محل الغفلة او لانها تدعوا ساهرها الى النوم ونايمها الى الانتباه هذا على تقدير
اصالة التاء واما على تقدير انها زايدة فهاء بنفسه الى المعال رفعها فهو يراها اهلا لان يمتثل امرها والهوء الهمة
والامر الماضي والهوء ايضا الظن ويضم وهوت به فرحت ولا يكون ذلك الا لفعل ما يشتهي فكانه امتثل امرك وهوى اليه
كفرح همّ وهاء كجاء لبى اي امتثل الامر وهاء بالكسر هات وهاء كجاء اي هاك بمعنى خذ والهيئة حال الشي وكيفيته
الداعية الى تركه او لزومه وتهايؤوا توافقوا وهاء اليه اشتاق فكانه دعاه الى رويته وتهيا للشي اخذ له هيئته
فكانه صار قابلا للامر او لان يمتثل امره وهياه اصلحه والهيء بالفتح والكسر الدعاء الى الطعام والشراب ودعاء الابل
للشرب وايه بكسر الهمزة كلمة استزادة واستنطاق وباسكان الهاء زجر بمعنى حسبك واها قهقه في ضحكه ولا
يكون ذلك الا بمن امتثل مراده ولما قالت ما قالت وفعلت ما فعلت مع ما هي عليه من القدرة في نفسها ولها عليه من
التسلط وهو عليه من الحسن والشباب كان كانه قيل ان هذا الموطن لا يكاد ينجو منه احد فماذا كان منه فقيل قال
اي يوسف مستعملا للحكم بالعلم معاذ اي اعوذ من هذا الامر معاذ الله اي الزم حصن الذي له صفات الكمال وهو محيط
بكل شي علما وقدرة وملجاه الذي ينبغي الاعتصام به واللجا اليه ثم علل ذلك بقوله انه اي الله ربي اي موجدي
ومدبري والمحسن الي في كل امر فانا ارجوا احسانه في هذا احسن مثواي بان جعل لي في قلب سيدي مكانة عظيمة حتى

مادة راد

مادتا هاء وهيت

خولني

خولني في جميع ما يملك وايمنني على كل ما لديه فان خالفت امر ربي فخنت من جعلني موضعا للامانة كنت ظالما واضعا الشيء في
غير موضعه وهذا التقدير مع كونه ابق بالصالحين المراقبين احسن لانه يستلزم نصح العزيز ولو اعدنا الضمير على العزيز لم
يستلزم التقوى ولما كان من المعلوم ان لسان حالها يقول وان كان ظلما كان ما ذا قال ما تقدير اني اذن لا افلح وعلله بقوله
انه لا يفلح اي لا يظفر بمراد اصلا الظالمون اي العريقون في الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه الذي صرت في عداده على تقدير
الفعل فيا له من دليل على احسانه وحكمه وعلمه فانه لما راى المقام الرحض بادر الى الاعتصام بمن بيده ملكوت كل شيء ثم استحضر
احسانه اليه الموجب للتشكر عليه المباعد عن الهفوات ثم مقام الظلم وما يوجب لصاحبه عن الحزن بعدم الفلاح ولما كان
هذا الفعل لا يتم حسنه الا اذا كان عند غلبة الهوى وتراي الشهوة كما هو شان الرجولية قال تعالى رادا على من يتوهم ضد ذلك
ولقد همت به اي اوقعت الهم وهو القصد الثابت والعزم الصادق المتعلق بموافقته ولا مانع لها من دين ولا عقل ولا عجز
فاشتد طلبها وهم بها كما هو شان النحول عند توفر الاسباب لولا ان راى اي بعين قلبه برهان ربه اي الذي اتاه اياه من الحكم والعلم
اي لهمت بها لكنه كان البرهان حاضرا لديه حضور من يراه بالعين لم يغلبه وفور شهوة ولا غلبة هوى فلم يصر اصلا مع كونه في غاية
الاستعداد لذلك لما اتاه الله من القوة مع كونه في سن الشباب فلولا المراقبة لم يهما لتوفر الدواعي عليه ان نور الشهود محاها اصلا
وهذا التقدير هو اللايق بمثل مقامه مع انه هو الذي تدل عليه اساليب هذه الايات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم
السوء وان السجن احب اليه من ذلك مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا الآية من مطلق الارادة
ومع ما يحتم تقدير ما ذكر بعد لولا في خصوص هذا التركيب من اساليب كلام العرب فانه يجب ان يكون المقدر بعد كل شرط من معنى ما
دل عليه ما قبله وهذا مثل قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها اي لابدت به واما ما ورد عن السلف
مما يعارض ذلك فلم يصح منه شيء عن احد منهم مع ان الاقوال التي رويت عنهم اذا جمعت تناقضت فتكاذبت ولا يساعد على شيء
منها كلام العرب لانهم قدروا جواب لولا المحذوف بما يدل عليه من سياق الكلام ولا احقه نبه على ذلك الامام ابو حيان
وسبقه الى ذلك الامام الرازي وقال ان هذا قول المحققين من المفسرين واشبع في اقامة الدليل على هذا بما يطرب الاسماع
وقدم ما يدل على جواب الشرط ليكون اول ما يقرع السمع ما يدل على انه كان في غاية القدرة على الفعل وانه ما منعه منه غير
العلم بالله فكانه قيل ان هذا التثبيت عظيم فقيل اشارة الى انه لازم له كما هو شان العصمة كذلك اي مثل ذلك التثبيت
نثبته في كل امر لنصرف عنه السوء اي العمر بالزنا وغيره والفحشا اي الزنا وغيره فكانه قيل لم فعل به هذا فقيل انه
من عبادنا اي الذين عظمناهم بما لنا من العظمة المخلصين اي هو في عداد الذين هم خير صرف لا يخالطهم غش ومن ذريتهم ايضا
وهذا مع قول ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين شهادة من ابليس ان يوسف عليه السلام بري من الهم في هذه
الواقعة قال الامام فمن يشبه الي الهم ان كان من اتباع دين الله فليقبل شهادة الله وان كان من اتباع ابليس وجنوده
فليقبل شهادة ابليس بطهارته قال ولعلهم يقولون كنا تلامذة ابليس ثم زدنا عليه كما قيل

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى ... بي الامر حتى صار ابليس من جندي ... فلو مات قبلي كنت احسن بعده ... طرائق فسق ليس يحسبها بعدي

ثم ذكر سبحانه مبالغته في الاستباق بالجد في الهرب دليلا على اخلاصه وانه لم يهم اصلا فقال واستبقا الباب اي اوجد
المسابقة بغاية الرغبة من كل منهما هذا الهرب منها وهذه تمنعه فاوصل الفعل الى المفعول بدونا الى دليلا على ان كلا منهما
بذل اقصى جهده في السبق فلحقته عند الباب اقصى ما انه كان قد سبقها بقوة الرجولية وقوة الداعية الى الفرار الى الله
ولكن عاقته اتقانها المكر بكون الابواب كانت مغلقة فكان يشتغل بفتحها فتعلقت بادني ما وصلت اليه من قميصه وهو ما كان
من دراية حوف مؤاته فاشتد تعلقها به مع اعراضه هو عنها وهربه منها ففتحه واراد الخروج فمنعته ولم تزل تنازعه
حتى قدت قميصه وكان القد من دبر اي الناحية الخلفية منه وانقطعت منه قطعة فبقيت في يدها والفيا اي وجدا مع ما
بهما من الغبار والهيئة التي لا تليق بهما سيدها اي زوجها ولم يقل سيدهما لان يوسف عليه السلام لم يدخل في رق كما
مضى لان المسلم لا يملك ولو السيد لدى اي عند ذلك الباب اي الخارج على كيفية عجيبة جدا هكذا ينبغي ان يفهم هذا المقام
لان السيد لا يقدر على فتحه فضلا عن الوصول الى غيره لتغليق الجميع ولما علم السامع انهما الفياه وهما على هذه الحالة
كان كانه قيل فما اتفق فقيل قالت مبادرة من غير حياء ولا تفهم ما نافيه ويجوز ان يكون استفهامية جزاء اي شيء اراد اي منه
ومن غيره كاينا من كان لما لك من العظمة باهلك سوءا اي ولو الله غير الزنا الا ان يسجن اي يودع في السجن الى وقت ما
ليحكم فيه بما يليق او عذاب اليم اي دائم ثابت غير السجن والجزاء مقابلة العمل بما هو حقه هذا كان حالها عند المفاجاة
واما هو عليه السلام فجري على سجايا الكرام بان سكت سترا عليها وتنزها عن ذكر الفحشاء فكانه قيل فما ذا قال
حين قذفته بهذا فقيل قال دافعا عن نفسه لاهتكالها هي بضمير الغيبة لاستحيائه عن مواجهتها باشارة او ضمير خطاب
راودتني عن نفسي وما قاله ذلك الا حين اضطرته اليه بنسبته الى الخيانة وصدقه لعمري فيما قال للاحتاج الى بيان اكثر
من الحال الذي كانا فيه وهو اتهامها عند الباب ولو كان الطلب منه لما كانا الا في محلها الذي تجلس فيه وهو صدر البيت
واشرف موضع فيه وشهد ولما كان كل صالح للشهادة كافيا فلم تدع ضرورة الى تعيينه قال شاهد اي عظيم من اهلها
لان الاهل اعظم في الشهادة رضيع بيرأته نقله الرماني عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهما وسعيد بن جبير كانهم
للنبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع صبي من اهل اليمامة يوم ولد بانه رسول الله فكان يدعى مبارك اليمامة فقال

ذلك الشاهد ان كان اي حال المراوغة قميصه اي فيما يتبين لكم قد اي شق شقا مستاصلا من قبل اي من جهة ما اقبل من جسده
فصدقت والآية من تقدير فعل التبين فان الشروط لا تكون معانيها الا مستقبلة وان كانت الفاظها ماضية ولما كان صدقها ليس
قاطعا في منع صدقه قال وهو من الكاذبين لانه لولا اقباله وهي تدفعه عنها او تهرب منه وهو يتبعها ويعثر في قميصه ما كان القد
من القبل وان كان اي فيما يظهر لكم قميصه اي يوسف عليه السلام قد من دبر اي من جهة ما ادبر منه وبني قد للمجهول للنزاع في القاد
فكذبت ولما كان كذبها في ارادته السوء لا يعين صدقه في ارادتها له قال وهو من الصادقين لانه لولا ادباره عنها واقبالها عليه
لما وقع ذلك فعرف سيدها صحة ذلك بلا شبهة لان معنى ان هنا الشرط في جهة التقرير للمعنى الذي يوجب غيره لا على الشك
وقدم امارة صدقها لانه مما يحبه سيدها فهو في الظاهر اهتمام بها وفي الحقيقة تقرير لكذبها مرتين الاولى باللزوم والثانية
بالمطابقة ولما كان المعنى فنظر بني عليه قوله فلما راى اي سيدها قميصه اي يوسف عليه السلام قد من دبر قال لها وقد قطع
بصدقه وكذبها موكدا لاجل انكارها انه اي هذا القذف له من كيدكن معشر النساء والكيد طلب الانسان بما يكرهه ان كيدكن عظيم
والعظيم ما ينقص مقدار غيره عنه حسا او معنى فاستعظمه لانه ادق من مكر الرجال والطف واخفى لان الشيطان عليهن
لنقصهن اقدر وكيدهن الذي هو من كيد الشيطان اضعف ضعيف بالنسبة الى ما يدبره الله عز وجل في ابطاله ثم قال العزيز امرا
له عليه السلام مسقطا لحرف النداء دلالة على ان قربه من قلبه على حاله يوسف اعرض اي انصرف بكليتك مجاوزا عن هذا اي
اجعله بمنزلة ما تصرف وجهك عنه الى جهة العرض بان لا تذكره لاحد ولا تهتم به فاني لم اتاثر منك بوجه لان عذرك قد بان
واقبل اليها فقال واستغفري اي اطلبي الغفران لذنبك في ان لا يحصل لك عقوبة مني ولا من الله واستانف بيان ما اشار اليه
بقوله انك كنت اي كونا جبليا من الخاطئين اي العريقين في الخطا بغاية القوة يقال خطي يخطا اذا اذنب متعمدا ولما
كان في هذا من شرف العفة ما يدل على كمال العصمة اكده تعالى بما يدل على تسامي حسنه وتعالي جماله ولطفه لان العادة جرت
بان ذلك اذا كان بعضه لاحد كان مظنة لميله لتوفر الدواعي على الميل اليه فقال تعالى وقال نسوة اي جماعة من النساء لما شاع الحديث
ولما كانت البلدة كلما عظمت كان اهلها اعقل واقرب الى الحكمة قال في المدينة اي التي فيها امراة العزيز ساكنة امراة العزيز
فاضفنها الى زوجها ارادة الاشاعة للخبر لان النفس الى سماع اخبار اولي الاخطار اميل والعزيز المنيع بقدرته من ان يضام فالعزة
اخص من مطلق القدرة وعبرن بالمضارع في تراود فتاها اي عبدها نازلة من افتراش العزيز الى افتراشه عن نفسه افهاما لان
الاصرار على المراودة صار لها كالسجية والفتى الشاب وقيده الرماني بالقوي قال وقال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شيخا
كان او شابا ففيه اشتراك على هذا قد شغفها ذلك الفتى حبا اي من جهة الحب قال الرماني شغاف القلب غلافه وهو جلدة عليه
يقال دخل الحب الجلد حتى اصاب القلب عن السدي وابي عبيدة وعن الحسن انه باطن القلب وعن ابي علي وسط القلب انتهى والذي
قال في المجمل وغيره انه غلاف القلب واحسن من توجيه ابي عبيدة له ان حبه صار شغافا لها اي حجابا اي ظرفا محيطا بها واما شغفها
بالمهملة فمعناه غشي شغفه قلبها وهي راسه عند معلق النياط وقال الرماني اي ذهب بها كل مذهب من شغف الحبال
وهي روسها ولما قيل ذلك كان كانه قيل فكان ماذا فقيل واكد لان من راه عذرها وقطع بانهن لو كن في محلها عملن عملها ولم
يضللن فعلها انا لنراها اي نعلم امرها علما هو كالرؤية في ضلال اي محيط بها مبين لرضاها لنفسها بعد عز السيادة بالسفول
عن رتبة العبد ودل بالفاء على ان كلامهن نقل اليها بسرعة فقال فلما سمعت اي امراة العزيز بمكرهن وكانهن اردن بهذا الكلام
ان يتاثر عنه ما فعلت امراة العزيز ليرينه فلذلك سماه مكرا ارسلت اليهن لتريهن ما يعذرنها بسببه فتسكن قالتهن واعتدت
اي هيات واحضرت لهن متكا اي ما يتكئن عليه من الفرش اللينة والوسايد الفاخرة فاتينها فاجلستهن على ما اعدته لهن
وآتت كل واحدة على العموم منهن سكينا ليقطعن بها ما يحتاج الى القطع مما يحضر من الاطعمة في هذا المجلس قال ابو حيان فقيل
كان لحما وكانوا لا ينهشون اللحم انما ياكلونه جزا بالسكاكين وقال الرماني ليقطعن فاكهة قدمت اليهن انتهى هذا الظاهر من علة
ايتائهن وباطنه اقامة الحجة عليهن بما لا يجدن له مدفعا مما يتاثر عن ذلك وقالت ليوسف فتاها عليه السلام اخرج عليهن فامتثل
ما امرته به كما هو دابه في كل ما لا معصية فيه وبادر الخروج عليهن فلما راينه اي النسوة اكبرنه اي اعظمن يوسف عليه السلام
حدا اعظاما كربهن وقطعن اي جرحن جراحا كثيرة ايديهن وعاد لومهن عذرا والتضعيف يدل على التكثير فكان السكين
كانت تقع على يد احديهن فتجرحها فترفعها عن يدها بطبعها ثم يغلبها الدهش فتقع على موضع اخر وهكذا وقلن حاشى اي تنزيها
عظيما جدا لله اي الملك الاعلى الذي له صفات الكمال التي خلق ما مثل هذا ولما كان المراد بهذا التنزيه تعظيمه بينه بقولهن
ما هذا بشرا لانه فاق البشر في الحسن جدا واعرض عن الشهوة من غير علة تراها مانعة له لانه في غاية القوة والفحولية
فكانه قيل فما هو فقلن ان اي هذا اي في هذا الحسن والجمال واعدن الاشارة دفعا لامكان الغلط الا ملك كريم وذلك لما ركز
في الطباع من نسبة كل معنى فايق الى الملائكة من الحسن والعفة وغيرهما وان كانوا غير مرئيين كما ركز فيها نسبة ضد ذلك الى الجن
والشياطين فكانه قيل فما قالت لهن امراة العزيز فقيل قالت فذلكن اي الفتى العالي الرتبة جدا الذي لمتنني فيه ولما علمت
انهن عذرنها قالت موكدة استلذاذا بالتهتك في حبه ولقد اي اقول هذا والحال اني والله لقد تحقق اني راودته عن نفسه
اي لا اصل اليه بما اريد فاستعصم اي فاوجد العصمة والامتناع علي فاشتد اعتصامه وما انا براجعة عنه ثم توعدته وهو
يسمع ليلين فقالت لهن موكدة لان حال حبها يوجب الانكار لان تفعل ما يوذي المحبوب ولئن لم يفعل اي هذا الفتى الذي قد قام
عذري عندكن فيه ما آمره اي امري ليسجنن اي ليمنعن من التصرف بالحبس بايسر سعي مني ولما كان عزمها على السجن اقوى من العزم

قدح

على ايقاع الصغار به اكدته بالنون الثقيلة وقالت وليكونا بالنون الخفيفة من الصاغرين اي الاذلا وان الزيادة في تاكيد
السجن لانه يلزم منه ابعاده وابعاد الحبيب اولى بالانكار من اهانته فقال له النسوة اطعها لئلا تسجنك وتهينك فكانه قيل
فما قال فقيل قال يهتف عن فني بشهوده عن كل مشهود دافعا عن نفسه ما ورد عليه من وسوسة الشيطان في امر جمالها وامر
رياستها ومالها ومن مكر النسوة اللاتي نوعن له القول في الترغيب والترهيب عالما بان القوة البشرية تضعف عن مثل
هذا الا بتاييد عظيم مسقطا الاداة على عادة اهل القرب رب السجن وهو محيط مانع من الاضطراب فيما خرج عنه احب الي
اي اقل بغضا مما يدعونني اي هولاء النسوة كلهن اليه لما علم من سوء عاقبة المعصية بعد سرعة انقضاء اللذة وهذه العبارة
تدل على غاية البغض لموافقتها فان السجن لا يتصور حبه عادة وانما المعنى انه لو كان يتصور الميل اليه كان ميلي اليه اكثر لكنه لا يتصور
الميل اليه لانه شر محض ومع ذلك فانا اوثره على ما دعونني اليه لانه اخف الضررين والحاصل انه اطلق المحبة على ما يضادها
في هذا السياق من البغض بدلالة الالتزام فكانه قيل السجن اقل بغضا الي وذلك هو ضد احب الذي معناه اكثر حبا ولكن
حولت العبارة ليكون كدعوى الشيء مقرونا بالدليل وذلك انه لما فوضل في المحبة بين شيئين احدهما مقطوع ببغضه
فهم قطعا ان المراد انما هو ان بغض هذا البغيض دون بغض المفضول فعلم قطعا ان ذلك الذي يظن حبه ابغض من هذا
المقطوع ببغضه وكذا كل ما فوضل بينهما في وصف يمنع من حمله على الحقيقة كون المفضل متحققا بضده والله الموفق والدعا
طلب الفعل من المدعو وصيغته كصيغة الامر والا تصرف اي انت يرب الآن وفيما يستقبل من الزمان مجاوزا عني كيدهن اي ما
قد التبس بي من مكرهن وتدبيرهن الذي يردن به الخبث احتيالا على الوصول الى قصدهن خديعة وغرورا اصب اي امل ميلا
عظيما اليهن لما جبل الادمي عليه من الميل النفساني الى مثل ذلك ومتى انخرق سياج صيانته بواحدة تبعها امثالها واتسع الخرق
على الراقع ولذلك قال واكن اي كونا هو كالجبلة من الجاهلين اي العريقين في الجهل بارتكاب مثل افعالهم فاستجاب له ربه اي
اوجد المحسن اليه ايجادا عظيما اجابة دعائه الذي تضمنه هذا الثناء لان الكريم يغنيه التلويح عن التصريح كما قيل
اذا اثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء ونعل ذلك سبحانه اكراما له وتحقيقا لما سبق من وعده في قوله
كذلك لنصرف عنه السوء الآية فصرف عنه كيدهن ثم علل ذلك بقوله انه هو السميع اي للاقوال العليم بالضماير والنيات
فيجيب ما صح فيه القصد وطاب منه العزم ولما كانت هذه الامور موجبة لرفعته فكان حينئذ ابعد شيء عن السجن لو كان
الناس متمكنين من جري امورهم على حسب السديد من عقولهم اخبر تعالى انهم خالفوا داعي السداد واستبدلوا الغي بالرشاد
لحكمه بان السجن سبب عظيم لصرف كيدهن عنه واثبات العز والمكنة له ففعلوا مع علمهم بان ذلك ظلم وسفه اجابة لغالب
امر الله واظهارا لعلي قدره بمخالفة العوايد مرة بعد مرة وهدم شداد الاسباب كرة اثر كرة فقال ثم لهذا المعنى وهو انهم
كان ينبغي ان يكونوا من سجنه في غاية البعد بدا اي ظهر بعد الخفا كما هي عادتهم لهم والبدا في الراي التلون فيه لظهور ما لم يكن
ظهر منه ولما كان الظهور في حين من الدهر تلونوا بعده الى راي آخر ادخل الجار دلالة على ذلك فقال من بعد ما راوا اي
رؤيتهم الايات القاطعة ببراءته القاضية بنزاهته من قد القميص وشهادة الشاهد وغير ذلك ولما كان فاعل بدا بدا
اي راي فسره بقوله موكدا لانه لا يصدق ان الانسان يفعل ما ظهر له المانع منه ليسجننه فيمكث في السجن حتى حين اي الى
ان تنسى تلك الاشاعة ويظهر للناس انها لو كانت تحبه ما سعت في سجنه وقيل ان ذلك الحين سبع سنين قيل كان سبب ذلك
انها قالت للعزيز ان هذا قد فضحني في الناس وهو يعتذر اليهم ويصف الامر كما يحب وانا محبوسه فاما ان تاذن لي فاخرج
فاعتذر كما يعتذر واما ان تسويه بي في السجن قال ابو حيان قال ابن عباس رضي الله عنهما فامر به فحمل على حمار وضرب
امامه بالطبل ونودي عليه في اسواق مصر ان يوسف العبراني اراد سيدته فهذا جزاؤه ان يسجن قال ابو صالح ما
ذكر ابن عباس رضي الله عنهما هذا الحديث الا بكى انتهى وهذا دليل على قوله ان كيدكن عظيم قال الامام فخر الدين الرازي
في كتاب اللوامع وعلى الجملة فكل احوال يوسف عليه السلام لطف في عنف ونعمة في طي بلية ونقمة ويسر في عسر ورجاء في ياس
وخلاص من بعد لات مناص وسايق القدر ربما يسوق القدر الى المقدور بعنف وربما يسوقه بلطف والقهر والعنف احمد
عاقبة واقل تبعة انتهى ولما ذكر السجن وكان سببا ظاهرا في الاهانة شرع سبحانه يقص من امره فيه ما حاصله انه
جعله سبب الكرامة كل ذلك بيانا للغلبة على الامر والاتصاف بصفات القهر مع ما في ذلك من بيان تحقق ما تقدم به الوعد
الوفي ليوسف عليه السلام وغير ذلك من الحكم فقال تعالى ودخل اي فسجنوه كما بدا لهم ودخل معه السجن فتيان خباز الملك
وساقيه رفع اليه ان الخباز اراد ان يسمه وظن ان الساقي مالاه على ذلك ومع تدل على الصحبة واستحداثها فهي تدل على دخول
الثلاثة السجن في آن واحد قاله ابو حيان فلما دخلوا السجن كان يوسف عليه السلام يحسن الى اهله فيسلي حزينهم
ويعود مريضهم ويسل لفقيرهم ويهديهم الى الخير ويذكرهم بالله فمالت اليه القلوب وكلفت به النفوس لحسن حديثه ولطف
تاتيه وما حباه الله به من الفضل والنبل وحسن الخلق والخلق وكان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم
فلم يزل يرفق بهم حتى قالوا بارك الله فيك ما احسن وجهك واحسن خلقك واحسن حديثك لقد بورك لنا في جوارك ما
نحب انا كنا في غير هذا لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والثواب والطهارة من انت يا فتى فاخبرهم بنسبه الشريف فقال
عامل السجن لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك وايثارك واحبه الفتيان ولزماه فقال انشدكما الله ان
تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من جهته بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من

حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي هذا فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني فابيا الاحبه فكانه قيل اي شي اتفق لهما بعد الدخول
معه فقيل قال احدهما ليوسف عليه السلام ولعل التاكيد اما لانه كانت عادتهما المزح واما لانهما ما رايا شيا كما قال الشعبي
وانما صنفا هذا لتختبراه اني اراني حكي الحال الماضية في المنام اعصر والعصر الاعتماد على ما فيه مائية لتتحلب منه خمرا اي عنبا
يؤول الى الخمر وقال الاخر مؤكدا لمثل ما مضى اني اراني احمل والحمل رفع الشي بعماد يقله فوق راسي خبزا اي طعاما مهيا للاكل بالخبز
وهو عمل الدقيق المعجون بالبسط واللزق في حام بالنار حتى يصلح للاكل تاكل الطير منه وسياتي شرح الرويا من التورية فكانه قيل
فماذا تريدان من الاخبار بهذا فقالا نبئنا اي اخبرنا اخبارا عظيما بتاويله اي ما يرجع امره ويصير اليه فكانه قيل وما يدريكما اني
اعرف تاويله فقالا انا نراك اي على حال علمنا بها علما هو كالرؤية انك من المحسنين اي العريقين في وصف الاحسان لكل امر تعانيه
فلذلك لاح لنا انك تحسن التاويل قياسا فلما راهما بصيرين بالامور قال اشارة الى انه يعرف ذلك وادق منه ليقبلا نصحه فيما
هو اهم المهم لكل احد وهو ما خلق العباد له من الاجتماع على الله لتفريغهما للفهم لكلامه والقبول لكل ما يلقيه لاحتياجهما الى افتائهما
موكدا ما وصفاه به من الاحسان بما اتبعه من وصف نفسه بالعلم انتهازا لفرصة النصيحة عند هذا الاذعان باعظم ما يكون النصح
به من الامر بالاخلاص في عبادة الخالق والاعراض عن الشرك فعلى كل ذي علم اذا احتاج الى سؤاله احد ان يقدم على جوابه نصحه بما
هو الاهم له ويصف له نفسه بما يرغبه في قبول علمه ان كان الحال محتاجا الى ذلك ولا يكون ذلك من باب التزكية بل من الارشاد الى
الايتمام به بما يقرب الى الله فيكون له مثل اجره لا ياتيكما اي في اليقظة طعام وبين انه خاص بهما دون اهل السجن بقوله ترزقانه
بناه تعميما الا نبأتكما اي خبرتكما اخبارا جليلا عظيما بتاويله اي به ربما يؤول ويرجع اليه امره ولما كان البيان في جميع
الوقت الذي بينه وبين الطعام الذي قبله نزع الخافض فقال قبل ان ياتيكما اي اخبرتكما ان اردتما بانه ياتيكما طعام كذا فيكون
سببا لكذا فان المسبب الناشي عن السبب هو المآل ولما وصف نفسه من العلم بما يدعو كل ذي همة الى السعي في الاسباب
التي حصل له ذلك بها ليصير مثله او يقرب منه وكان محل ان يقال من علمك ذلك قال مرشدا الى الله داعيا اليه احسن دعاء بما
تميل اليه النفوس من الطمع والفضل ذلكما اي الامر العظيم ونبه على غزارة علمه بالتبعيض في قوله مما علمني ربي اي الموجد لي
والمربي لي والمحسن الي ولم اقله عن تكهن ولا تنجيم فكانه قيل ما لغيرك لا يعلمه مثل ما علمك فقال معللا له مطمعا كل من فعل فعله
في فضل الله موكدا اعلاما بان ذلك امر عظيم يحق لمثله ان يفعل اني تركت ملة قوم اي وان كانوا اقويا على محاولة ما يريدون
فلذلك قدروا على اذاي وسجني بعد رؤية الايات الشاهدة لي ونبه على ان ذلك لا يقدم عليه الا من لا يحسب العاقبة بوجه
فقال لا يؤمنون اي يجددون الايمان لما لهم من العراقة في الكفر بالله اي الملك الاعظم الذي لا يخفى امره على ذي لب من اهل مصر
وغيرهم ثم لوح الى التحذير من يوم الجزاء الذي لا يعني فيه احد عن احد منبها على ان الكفر به هو القاطع عن العلم وعن كل خير فقال
موكدا تاكيدا عظيما اشارة الى ان امرهم ينبغي ان ينكره كل من يسمعه ولا يصدقه لما على الاخرة من الدلائل الواضحة جدا الموجبة
لان لا يكذب بها احد وهم بالاخرة اي الدار التي لا بد من الجمع اليها لانها محط الحكمة هم اي بضمائرهم كما هم بظواهرهم وفي تكرير
الضمير تنبيه على ان هؤلاء اختصوا بهذا الجهل وان غيرهم وقعوا على الهدى كافرون اي عريقون في التغطية لها فلذلك اظلمت
قلوبهم فكانوا صورا لا معاني لها والملة مذهب جماعة يحمي بعضها لبعض في الديانة واصله من المليلة وهي حمى تلحق الانسان
قاله الرماني وفي القاموس ان المليلة الحر الكامن في العظم وعبر بتركت موضع تجنبت مثلا مع كونه لم يلابس تلك الملة قط
تانيسا لهما واستدراجا الى تركهما ثم اتبع ذلك بما يدل على شرف اصله وقدم فضله بانه من بيت النبوة ومعدن الفتوة ليكون
ذلك ادعى الى قبول كلامه واصابة سهامه اقصى مرامه فقال واتبعت اي بغاية جهدي ورغبتي ملة ابائي ابرهيم خليل الله وهو
جد ابيه واسحق ابنه نبي الله وهو جده ويعقوب ابنه اسرائيل الله وهو ابوه حقيقة وتلك هي الحنيفية السمحة التي هي الميل
مع الدليل من غير جمود مع هوى بوجه من الوجوه روى البخاري في التفسير وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسئلك قال فاكرم الناس يوسف نبي
الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسئلك قال فعن معادن العرب تسئلوني قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية
خياركم في الاسلام اذا فقهوا فكانه قيل ما تلك الملة فقال ما كان لنا اي ما صح وما استقام بوجه من الوجوه لما عندنا من
نور العلم الذي لم يدع عندنا لبسا بوجه اصلا ان نشرك اي نجدد في كل وقت شيئا من اشراك بالله اي الذي له الامر كله
واغرق في النفي فقال من شيء اي بما شرعه لنا من الدين القويم كانت ملتنا التوحيد ومن لتاكيد العموم في سياق النفي
ليعم ذلك كل شي من عاقل ملك او انسي او جني او غيره ثم علل ذلك بما يعرف به انه كما وجب عليهم ذلك وجب على كل احد فقال
ذلك اي كان هذا الانتفاء او ذلك التشريع للملة الحنيفية وتسهيلها وجعل الفطر الاولى منقادة لها مقبلة عليها العلي
الشان العظيم المقدار من اجل فضل الله اي المحيط بالجلال والاكرام علينا خاصة وعلى الناس الذين هم اخواننا في النسب
عامة فنحن وبعض الناس شكرنا الله فقبلنا ما تفضل به علينا فلم نشرك به شيئا والفضل النفع الزائد على مقدار الواجب
فكل عطاء الله فضل فانه لا واجب عليه فكان لذلك واجبا على كل احد اخلاص التوحيد له شكرا على فضله لما تظافر عليه
دليلا العقل والنقل من ان شكر المنعم واجب ولكن اكثر الناس اي لما لهم من الاضطراب مع الهوى عموا عن هذا الواجب فهم
لا يشكرون فضله باخلاص العمل له ويشركون به اكراها لفطرهم الاولى فالاية من الاحتباك ذكر نفي الشرك اولا يدل على وجوده
ثانيا وذكر نفي الشرك ثانيا يدل على حذف اثباته اولا ولما اقام لهم الدليل على ما هو عليه من الدين الحنيفي تبعا لخلاصة الخلق

احتباك ن

بما تقرر في الاذهان من ان الله تعالى هو المنعم وحده سبحانه فيجب شكره بعد ان قرر لهم امر نبوته واقام دليلها بما يخبرهم
به من المغيبات ودعاهم الى ما يجب عليهم من التوحيد وهو الاسلام وكان اكثر الخلق الا الفذ النادر يقرون بالاله الحق ولكنهم
يشركون به بعض خلقه اتبعه برهان التمانع على فساد كل ملة غير الاسلام الذي تطابق عليه الانبياء والرسل كلهم تاييدا لادلة النقل
بقاطع العقل فقال مناديا لهما باسم الصحبة بالاداة التي تقال عند ماله وقع عظيم في النفوس في المكان الذي تخلص فيه المودة
وتمحض فيه النصيحة وتصفى فيه القلوب ويتعمد الاخلاص رجاء الخلاص يا صاحبي السجن والصحبة ملازمة اختصاص كاصحاب
الشافعي مثلا لملازمة الاختصاص بمذهبه وهي خلاف ملازمة الاتصال ولما فرغ افهامهما بالنداء لما يلقيه قرع اسماعهما
بالانكار مع التقرير فقال ءارباب اي الهة متفرقون متباينون بالذوات والحقايق تشاهدونهم محتاجين الى المكان مع كونهم
جمادا ولو كانوا احياء لامكن تمانعهم فادى الى امكان عجز كل منهم القاطع بعدم صلاحيته للالهية خير اي اعظم في صفة المدح
واولى بالطاعة ام الله اي الملك الاعلى الواحد بالذات فهو لا يحتاج الى شي اصلا القهار لكل شي لا يزال قهره يتكرر ابدا فهذا
برهان لاخطابه كما ظن وابرزه صلى الله عليه وسلم على وجه الاستفهام استجلابا للسامع برد العلم اليه وسماها اربابا لمثل ذلك
بناء على زعمهم وكذا المشاركة في افعل التفضيل لان ذلك اقرب الى الانصاف لكونه ابين في القول فيكون ادعى الى القبول
ولما كان الجواب لكل من يعقل الله خيرا اشار الى ذلك بجزم القول بعد ذلك الاستفهام في سلب صلاحيتهم قبل هذا الامكان
بعدم حياتهم وعلى تقدير حياتهم بعجزهم فقال ما تعبدون والعبادة خضوع بالقلب في اعلى مراتب الخضوع وبين حقارة معبوداتهم
وسفولها بقوله من دونه اي الله الذي قام برهان التمانع الذي هو البرهان الاعظم على الهيئة وعلى اختصاصه بذلك
الا اسماء وبين ما يريد واوضحه بقوله سميتموها اي ذوات اوجدتم لها اسماء انتم واباؤكم لا معاني لها لانه لا ارواح لها فضلا
عن ان تتحقق بمعنى ما سميتموها به من الالهية وان كان لها ارواح فهي منتف عنها خاصة الالهية وهي الكمال المطلق الذي
يستلزم احاطة العلم والقدرة ولما كان مقصود السورة وصف الكتاب بالابانة للهدى وكان نفي الانزال كافيا في الابانة
لان عبادة الاصنام باطلة ولم يكن في السياق كالاعراف مجادلة توجب مماحكة ومماطلة ومعالجة ومطاولة قال نافيا الانزال
باي وصف كان ما انزل الله اي المحيط علما وقدرة فلا امر لاحد معه بها واغرق في النفي فقال من سلطان اي برهان يتسلط به
على تعظيمها لذاتها او لغيرها وصار حاصل الدليل لو كانوا احياء يحكمون لم يصلحوا للالهية لامكان تمانعهم المودي الى امكان
عجز كل منهم الملزوم لانهم لا صلاحية فيهم للالهية لكنهم ليسوا احياء فهم اجدر بعدم الصلاحية فعلم قطعا انه لا حكم لمقهور
وان كل من يمكن ان يكون له شان مقهور فانتج هذا قطعا ان الحكم انما هو لله الواحد القهار وهو لم يحكم بتعظيمها وذلك معنى قوله
ان اي ما الحكم الا لله اي المختص بصفات الكمال والحكم فصل الامر بما تدعوا اليه الحكمة ولما انتفى الحكم عن غيره وكان ذلك كافيا
في وجوب توحيده رغبة فيما عنده ورهبة مما بيده اتبعه تاكيدا لذلك والزاما به انه حكم به فقال امر ان لا تعبدوا اي ايها
الخلق في وقت من الاوقات على حال من الاحوال الا اياه اي وهو النافذ الامر المطاع الحكم ولما قام الدليل على هذا الوجه
البين كان جديرا بالاشارة الى فضله فاشار اليه باداة البعد تنبيها على علو مقامه وعظيم شانه فقال ذلك اي الشان
الاعظم وهو توحيده وافراده عن خلقه الدين القيم الذي لا عوج فيه فيأتيه الخلل من جهة عوجه الظاهر امره لمن كان
له قلب ولكن اكثر الناس اي لما لهم الاضطراب مع الحظوظ لا يعلمون اي ليس لهم علم لانهم لا ينتفعون بعقولهم فكانهم في عداد
البهائم العجم فلاجل ذلك هم لا يفردون الله بالعبادة ولما تم نصحه وعلا قدحه بالقائه اليهما ما كان اهم لهما لو علما لمآله
الى الحيوة الابدية والرفعة السرمدية اقبل على حاجتهما تمكينا لما ذكره وتاكيدا للذي قرره فناداهما بالاداة الدالة
على ان ما بعدها كلام له موقع عظيم لتجتمع انفسهما لسماع ما يلقى اليهما من التعبير فقال يا صاحبي السجن اي الذي تزول فيه الحظوظ
ويحصل الانكسار للنفس والرقة في القلب فتخلص فيه المودة ولما كان في الجواب ما يسوء الخباز ابهم ليجوز كل واحد انه
الفائز فان الجاه الى التعيين كان ذلك عذرا له في الخروج عن الاليق فقال اما احدكما وهو الساقي فيخلص ويقرب فيسقي ربه
اي سيده الذي كان في خدمته خمرا كما كان واما الاخر وهو الخباز ولما كان الذي له قوة ان يصلب انما هو الملك بني
للمفعول قوله فيصلب ويعطب فتاكل اي فيتسبب عن صلبه انه تاكل الطير من راسه والاية من الاحتباك ذكر ملزوم
السلامة والقرب اولا دليلا على العطب ثانيا وملزوم العطب ثانيا دليلا على السلامة اولا وسياتي شرح تعبيره من التورية
فكانه قيل انظر جيدا ما الذي تقول وروي انهما قالا ما راينا شيئا انما كنا نلعب فقال مشير بصيغة البناء للمفعول
الى عظمة الله وسهولة الامور عليه قضي الامر وبينه بقوله الذي فيه اي لا في غيره تستفتيان اي تطلبان الافتاء فيه
عملا بالفتوة فسالتما عن تاويله وهو تعبير رؤيا كما كذبتما او صدقتما لم اقله عن جهل ولا غلط وما احسن ايلاء هذا
العلم الثابت لختم الاية السالفة بنفي العلم عن الاكثر والاحد المختص من المضاف اليه بمبهم له مثل صفة المضاف ولا لذلك
البعض فلا يصدق رايت احد الرجلين الا برجل منهما بخلاف بعض والفتيا الجواب بحكم المعنى وهو غير الجواب بعلته ذكره
الرماني ولعل رؤيتيهما تشيران الى ما تشير اليه رؤيا الملك فالعصير يشير الى السنابل الخضر والبقر السمان لانه لا يكون
الا عن فضل والخبز الذي طارت به الاطيار وسارت بروح صاحبه الاقذار يشير الى اليابسة والعجاف والله اعلم
ولما كان كل علم بالنسبة الى علم الله عدما عبر عن علمه بالظن ويمكن ان يكون الظن على بابه لكونه قال ما مضى اجتهادا بقرائن
فيوجد منه انه يسوغ الجزم بما ادى الى ظن فقال وقال اي يوسف عليه السلام للذي ظن مع الجزم بانه اراد به العلم

احتباك

لقوله قضي الامر ويجوز ان يكون ضمير ظن للساقي فهو حينئذ على بابه انه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك اي سيدك ملك
مصر بما رايت مني من معالي الاخلاق وطهارة الشيم الدالة على بعدي مما رميت به والمراد بالرب هنا غير المراد به في قوله
ءارباب متفرقون فنجا الساقي وصلب صاحبه وفق ما قال لهما يوسف عليه السلام فانساه اي الساقي الشيطان اي
البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ذكر يوسف عليه السلام عند ربه اي بسبب اعتماده عليه في ذلك فلبث اي يوسف عليه السلام
بسبب هذا النسيان في السجن من حين دخل الى ان خرج بضع سنين ليعلم ان جميع الاسباب انما اثرها بالله تعالى وحقيقة البضع
من الثلاث الى التسع والمروي هنا انه كان سبعا ذكر ما مضى من هذه القصة من التورية قال بعد ما مضى فاهبط المدينيون
يوسف الى مصر فاشتراه قوطيفر الامير صاحب شرطه فرعون رجل مصري من يد الاعراب الذين اهبطوه الى هنالك فكان الرب
يعونه مع يوسف وكان رجلا منجحا واقام في منزل المصري سيده فراى سيده ان الرب يعونه معه وان الرب ينجح جميع
افعاله فظفر يوسف منه برحمة ورافة فخدمه وسلطه على بيته وخوله جميع ماله ومن اليوم الذي سلطه على بيته
وخوله جميع ماله بارك الرب في بيت المصري من اجل يوسف وفي سببه فحلت بركة الرب في جميع ماله في البيت والحقل فخول
كل شيء له ولم يكن يعلم بشيء من ماله في يده لثقته به ما خلا الخبز الذي كان ياكله وكان يوسف حسن المنظر صبيح الوجه فلما
كان بعد هذه الامور لمحت امراة سيده بنظرها الى يوسف فقالت له ضاجعني فابى ذلك وقال لامراة سيده ان سيدي
لثقته بي ليس يعلم ما في بيته وقد سلطني على جميع ماله وليس في هذا البيت اعظم مني ولم يمنعني شيا ما خلاك انت لانك
امراته فكيف ارتكب هذا الشر العظيم فاخطي بين يدي الله واذا كانت تراوده كل يوم ولم يطعها ليضاجعها ويصير معها
فبينا هو ذات يوم دخل يوسف الى البيت ليعمل عملا ولم يكن احد من اهل البيت هناك فتعلقت بقميصه وقالت له ضاجعني
فترك قميصه في يدها وهرب فخرج الى السوق فلما رات انه قد ترك قميصه في يدها وخرج هاربا الى السوق دعت باهل
بيتها وقالت لهم انظروا انه اتانا رجل عبراني ليفضحنا لانه دخل علي يريد مضاجعتي وهتفت بصوت عال فلما راني قد
رفعت صوتي وهتفت ترك قميصه في يدي وهرب الى السوق فصيرت قميصه عندها حتى دخل سيدها البيت فقالت له
مثل هذه الاقاويل دخل علي هذا العبد العبراني الذي خلبته علينا يريد يفضحني فلما رفعت صوتي فصحت ترك قميصه في يدي
وهرب فخرج الى السوق فلما سمع سيده كلام امراته استشاط غيظا فامر به سيده فقذف في الحبس الذي كان اسرى الملك
فيه محبوسين فمكث هناك في السجن وكان الرب يبصره ورزقه المحبة والرحمة والقى له في قلب السجان رحمة فولى يوسف جميع
المسجونين الذين في الحبس وكل فعل كانوا يفعلونه هناك كان عن امره ولم يكن رئيس السجن يضرب على يديه في شيء لان الرب
كان يعونه معه وكل شيء كان يفعله ينجحه الرب فلما كان بعد هذه الامور اذنب صاحب شراب ملك مصر والخباز وفي نسخة
موضع الخباز ورئيس الطباخين بين يدي سيدهما ملك مصر فغضب فرعون على خادميه على رئيس اصحاب الشراب ورئيس
الخبازين وفي نسخة الطباخين فامر بحبسهما في سجن صاحب الشرطه في الحبس الذي كان فيه يوسف فسلط صاحب السجن
يوسف عليهما فخدمهما فلبثا في السجن اياما فرايا رؤيا جميعا كل واحد منهما رؤيا كل في ليلة واحدة وكل واحد منهما احب
تعبير حلمه الساقي وخباز وفي نسخة وطباخ ملك مصر فدخل عليهما يوسف بالغداة فراهما عابسين مكتئبين فسالهما وقال ما
بالكما يومكما هذا عابسين مكتئبين فقالا له انا راينا رؤيا وليس لها معبر فقال لهما يوسف ان علم التعبير عند الله قصا علي
فقص رئيس اصحاب الشراب على يوسف وقال له اني رايت في الرؤيا كان حبلة بين يدي في الحبلة ثلاثة قضبان فبينا هي
كذلك اذ فرعت ونبت ورقها واينعت عناقيدها فصارت عنبا وكان كاس فرعون في يدي فتناولت من العنب فعصرته
في كاس فرعون وناولت الكاس فرعون فقال له يوسف هذا تفسير رؤياك الثلاثة قضبان هي ثلاثة ايام ومن بعد
ثلاثة ايام يذكرك فرعون فيردك على عملك وتناول فرعون الكاس في يده على العادة الاولى التي لم تزل تسقيه فاذكرني
حينئذ اذا انعم عليك وانعم علي بالنعمة والقسط فاذكرني بين يدي فرعون واخرجني من هذا الحبس لاني انما سرقت من
ارض العبرانيين سرقة وحصلت في الحبس ههنا ايضا بلا جرم جاء مني فراى رئيس الخبازين وفي نسخة الطباخين انه قد
فسر تفسيرا حسنا فقال ليوسف رايت انا ايضا في منامي كان ثلاثة اطباق فيها خبز درقك على راسي وفي الطبق الاعلى
من كل ما كل فرعون مما يصنعه الخباز وفي نسخة عمل طباخ حاذق وكان السباع والطير تاكلها من الطبق من فوق راسي فاجاب
يوسف وقال له هذا تفسير رؤياك ثلثة اطباق هي ثلثة ايام وبعد ثلثة ايام يامر فرعون بضرب عنقك وصلبك على
خشبة وياكل الطير لحمك فلما كان اليوم الثالث وهو يوم ولاد فرعون اتخذ فرعون وليمة فجمع عبيده وافتقد رئيس
اصحاب الشراب ورئيس الخبازين وفي نسخة الطباخين فامر برد رئيس اصحاب الشراب على موضعه وسقى فرعون الكاس
كعادته وامر بصلب رئيس الخبازين كالذي فسر لهما يوسف فلم يذكر رئيس اصحاب الشراب يوسف ونسيه ولما بطل هذا
السبب الذي امر به يوسف عليه السلام وهو تذكير الشرابي به اثار الله سبحانه سببا ينفذ به ما اراد من رياسته
وقضى به من سجوه من دلت عليه الكواكب فقال دالا على ذلك وقال الملك وهو شخص قادر واسع المقدور اليه السياسة
والتدبير لملائه وهم السحرة والكهنة والحزاة والقافة والحكما واكد ليعلم انه محق في كلامه غير ممتحن اني ارى عبر
بالمضارع حكاية للحال لشدة ما هاله من ذلك سبع بقرات سمان والسمن زيادة البدن من اللحم والشحم ياكلهن سبع اي بقرات
عجاف والعجف يبس الهزال واني ارى سبع ولما كان تاويل المنام الجدب والقحط والشدة اضاف العدد الى جمع القلة

ذكر المولد

بخلو

بخلاف ما كان في سياق المضاعفة في قوله انبتت سبع سنابل فقال سنبلات خضر واني اري سبع سنبلات واخر يابسات
اللوت على الخضر فغلبت عليها وكانه حذف هذا لدلالة المحاف عليه والسنبلة نبات كالقصبة حمله حبوب منتظمة ن
فكانه قيل فكان ماذا فقيل قال الملك يا أيها الملا اي الاشراف النبلاء الذين تملأ العيون مناظرهم والقلوب مخابرهم
ومآثرهم افتوني اي اجيبوني وبينوا لي كرماءكم بقوة وفهم ثاقب ولما كان مراده ان لا يخرجوا بالجواب عن القصد
ولا يبعدوا به عبر بما يعم الظرف فقال في رؤياي ومنعهم من الكلام بغير علم بقوله ان كنتم للرؤيا اي جنسها تعبرون
وعبارة الرؤيا تاويلها بالعبور من علمها الى سرها كما تعبر من عبر النهر اي شطه الى عبره الآخر ومثله اولت
الرؤيا اذا ذكرت مشاكلها ومرجعها المقصود بضرب للمثال والمادة بتراكيبها الستة عرب وعبر ورعب وربع وبعر
وبرع تدور على الجواز من محل الى محل ومن حال الى حال واكثر ذلك الى اجود فالعرب سموا الان سبني امريهم على الارتحال استجادة
المنازل واعرب اذا افصح اي تكلم بكلام العرب فابان عن مراده اي اجازه من اللجمة والابهام الى البيان واعرب الغرس اذا اخلصت
عربيته فكانه جاز مرتبة العجم الى العراب وكذا الابل العراب والعروبة يوم الجمعة لعلو قدرها عن بقية الايام والعروب
المراة الضحاكة العاشقة لزوجها المتحببة اليه المظهرة له ذلك وهي ايضا العاصية لزوجها لان كل ذلك من افعال العرب فهم
اعشق الناس واقدرهم على الاشتمالة بالكلام العذب وهم اعصى الناس واجفاهم اذا اراد والعرب وعرك النشاط لانه
انتقال عن الكسل وقد عرب كفرح اذا نشط واذا ورم لان الورم يتجاوز هيئة عينه وعربت البئر كثر ماؤها فارتفع وعرب
كضرب اكل والعربة محركة النهر الشديد الجري والنفس لكثرة انتقالها بالفكر والعربون ما عقد به المبايعة من الثمن ن
فتنقل السلعة من حال الى حال واستعربت البقرة اشتهت الفحل اما من العروب العاشقة لزوجها واما لتنقل الشهوة لها
من حال الى اخرى وتعرب اقام بالبادية مع الاعراب الذين لا يوطنون مكانا واتاهم الربيع وعروبا اسم السماء السابعة ن
لارتفاعها عن جميع السموات فكانها جازت الكل ولان حركتها حركة للكل والعرب بالكسر بيض ابهى لانه صار اهلا للنقل ولو
بتطيير الهواء والعربي شعير ابيض سنبله حرمان كانه نسب الى العرب لجودته والاعراب اجراء الغرس ومعرنتك بالزرع
العربج من الصحيح للانتقال من حال الجهل بذلك الى حال العلم وان لا يلحن في الكلام كانه انتقل بذلك من اللجمة الى العربية
وعرب الرجل بالكسر اذا اتخم وكذا الغرس من العلف وعدته فسدت وجرحه بقي به اثر بعد البرء وكل ذلك ناقل من حال
الى غيرها والتعريب تهذيب المنطق من اللحن كانه رفع نفسه الى العرب وقطع سعف النخل لانه نقلها عن حالها الى اصلح
منه وان تكون الدابة على شاكلتها ثم تبزغ بمبزغ والتعريب ايضا والاعراب ما قبح من الكلام وتعريب قول القائل كانه
حكم بزوال العربية ومما ايضا الرد عن القبيح وذلك ادخال له في خصال العرب التي هي معالي الاخلاق ومما ايضا النكاح
او التعريض به لانه نقله من حال الى حال وفعل الى فعل قولا وعملا والتعريب الاكثار من شرب الماء الصافي واتخاذ فرس
عربي وما بها عريب اي احد يعرب وعبر الرؤيا اذا فسرها واخبر بما يؤول اليه امرها كانه جاز ظاهرها الى ما بطن ن
وعبرت الكتاب اعبره عبارة عبرته ولم ترفع به صوتك وعبرت النهر قطعته من عبره اي شطه الى عبره والعبر ايضا الجانب
لانه يعبر منه واليه والمعبر سفينة يعبر عليها وشط هيتي للعبور وعبر القوم ماتوا والعبرة بالكسر العجب وبالفتح ن
الدمعة قبل ان تفيض كان لها قوة الجري او هي ترد البكاء في الصدر او الحزن بلا بكاء لان ذلك ميد اجري الدمع وفي
مختصر العين وعبرة الدمع جزيه والعبرة الدمع نفسه والعبر بالضم ويحرك سخنة العين والكثير من كل شي والجماعة لان ذلك
جواز عن حد القلة والضم يجيزون ماشاؤا او مجلس عبر بالكسر والفتح كثير الاهل من ذلك وايضا هو اهل لان يعبر
بجماعته من حال الى حال وامراة مستعبرة وتفتح الباء غير خطيته اي هي اهل الجري العبرة وناقة عبر اسفار مثلثة ن
قوية وعبرت عن الرجل تكلمت عنه كانك عبرت من خاطر الى خاطر المخاطب وعبرت الدنانير تعبيرا وزنتها ولم تبالغ
في وزنها كانك عبرت من الجهل بمقدارها الى الظن وعابر سبيل اي مار والشعير العبور بجم خلف الجوزاء والعبور
الجذعة من الغنم لانها جازت سنه وتاهلت للعبور مع الغنم وكانت في عدادها والعبور الاقلف لان مكرته عابرة في قلفته
وغلام معبر لم يختن ورجل عبر كاد ان يحتلم ولم يختن بعد الى كاد ان يصير الى حد البالغين على هذه الحال وهي ان مكرته
عابرة في قلفته وعبر به الامر تعبيرا اشتد عليه كانه جاز به من حالة الرخاء الى الشدة وعبرت به اهلكته والمعبرة
بالتخفيف ناقة لم تلقح ثلاث سنين فتكون اصلب لها لانها صارت اهلا لان يعبر عليها في الاسفار والعبر ضرب من الطيب
للعبور ريحه والزعفران للعبور لونه وريحه والعبري السدر النهري لبقائه في غير النهر والمعبر من الجمال الكثير الوبر
ومن الشاء التي لم تجز كانه لجواز الصوف عن حد جلدها وسهم معبر وعبير كثير الريش كانه عبر عن حد العادة والعبر
بالضم النكلي لانها اهل لارسال العبرة والسحاب التي تنير شديدا والعقاب لقوتها على قطع المسافات وبنات عبر
الكذب والباطل لسرعة زواله ورعبت فلانا افزعته فهو مرعوب لانك اجزته من الامن الى الخوف وسيل راعب اي
يملا الوادي وراعب ارض منها الحمام الراعبية والحمام ايضا لها قوة العبور بالرسائل من مكان الى مكان ورعبت
الحمامة في سوقها ترعيبا رفعته ورعبت السنام قطعته والرعبوبة قطعة منه لانها جازت مكانها وجارية رعبوبة
ورعبوب حسنة القوام تامة كانها جازت اقرانها عنفا والرعب القصار واحدهم رعيب وارعب تشبيه بالقطعة
من السنام والبعر جميع الخف والظلف الا البقر الاهلية لانها تخيي والوحشية تبعر لانه يجوز من مكانه من غير ان

بلونه فلا يبقى منه به شيء والمبعر مكانه والبعير الجمل البازل او الجذع وقد يكون للحمار وكل ما يحمل وفي مختصر العين واذا رأت العرب ناقة او جملا من
بعيد قالوا هذا بعير فاذا عرفوا قالوا للجمل ذكر وللانثى ناقة والبعرة بالتحريك الكمرة تشبيها بها والربع المنزل والدار بعينها والمحلة لانها تخرج منها وتدخل اليها ولذلك
سميت متبوأ لانها تبوأ اليها اي يرجع وربع يربع اقام واربع على نفسك انتظر كانه من الربع اي المنزل لانه يقام فيه وربع اذا اخصب
للانتقال من حال الى اخرى وهم على ربعاتهم اي استقامتهم وامرهم الاول كانه من المنزل والربوع كجوهر الضعيف الدني كان ذلك يلزم من
الاقامة في المنزل وبها داء او قصر العرقوب والرجل القصير كانه تشبيه بالربعة في مطلق القصر عن الطويل وربع الحجر رفعه
والحمل رفعه على الدابة والمربوع المنعوش المنفس عنه لتحول الحال في كل ذلك والمربعة خشبة يرفع بها العدل والمرابعة ان تاخذ
يد صاحبك وترفعا الحمل على الدابة كانه مع النقل ماخوذ من الاربعة وهي ايضا المعادلة بالربيع ومنه تربعت الناقة شيئا ما طويلا
اي حملته وربيع الشهور شهران بعد صفر وربيع الفصول اثنان الذي فيه النور والكماة والذي تدرك فيه الثمار للانتقال في كل
منهما والربع كصرد الفصيل ينتج في الربيع وناقة مربع ذات ربع واربع القوم صاروا اربعة ودخلوا في الربيع واقاموا في المربع
وربعت الارض اصابها مطر الربيع والمرابيع الامطار اول الربيع واربع الرجل اذا ولد له في شبابه تشبيها للشباب بالربيع وناقة
مرباع اذا كانت عادتها ان تنتج في ربعية القيظ والربعية اول الشتاء والربيع الجدول لجريه واثبات ما حوله وجمعه اربعاء
والحجر يشيلونه لتجربة القوي والرابع تلو الثالث لانه جاز الجمع ووتر وحبل مربوع مفتول على اربع قوى وربعت القوم
اربعهم صرت رابعهم والاربعاء يوم والمرباع ربع الغنيمة كان ياخذها الرئيس والرباعية كثمانية السن بين الثنية والناب وعدتها
اربع وكل ما بلغ الاربعة رباع كثمان ويقول للغنم في الرابعة وللبقر والحافر في الخامسة وللخف في السابعة اربعت كانه لا يجوز في
كل نوع من حد الصغر الى الكبر الا بذلك واربع الفرس القى رباعيته وحمى ربع تاتي في اليوم الرابع وقد ربع الرجل واربع وهو معنى
ما قال في القاموس وربعته الحمى اخذته الحمى يوما بعد يومين لان يومها الثاني هو رابع يومها الاول والربعة بالفتح جونة العطار
لتضوع ريحها والرجل بين الطويل والقصير وتحرك كالمربوع لجواز حد كل منهما هذا الى الطول وهذا الى القصر واربع صار ربعة
والربعة محركة اشد عدو الابل والمسافة بين اثافي القدر لعبور كل منها عن محل صاحبتها واربع ماء الركية كثر فجاز عن محله الاول
وعلى فلان سأله ثم ذهب ثم عاوده وعلى المرأة كر الى جماعها والقوم ابلهم مكان كذا رعوها وارسلوها على الماء ترد متى شاءت
ويجوز ان يكون هذا ايضا من الربيع واربعت الناقة اذا استغلقت رحمها فلم تقبل الماء كانها ازالت العبور اي الانتقال من حال
الى اخرى والربيعة المبيضة من السلاح لنقلها صاحبها الى الحصانة والروضة لجواز النبت فيها عن حد الارض والمربع شراع
السفينة لانه آلة السير والمربع الرجل الكثير النكاح لعبوره عن حاله الاولى ولجلوسه بين الشعب الاربع وتربع في جلوسه
ضد جبا اما لانه صار على شكل المربع واما اخذا من الربع اي المنزل لانها جلسة المقيم في منزله وتربعت النخيل خرفت وصرمت
لتحول حالها واستربع الرمل تراكم اما لجوازه عن حاله الاولى واما من الاقامة في الربع واستربع الغبار ارتفع والبعير للسير
قوي عليه وصبر والرجل بالامر استقل وصبر وفلان يقيم رباعة قومه اي شانهم وحالهم اي يجيزهم من حال الى اخرى
ومضى من بني فلان ربوع بعد ربوع اي احيا بعد احيا اما لان ذلك جواز من دار الى دار وحال الى حال واما على حذف مضاف
اي اهل ربوع اي منازل واليربوع دابة كالفار اما لشدة جريها واما لجعلها نافقين تهرب من ايهما شاءت فهي عابرة منتقلة بالقوة
وان كانت ساكنة واليربوع لحمة المنتن كانه مشبه بالدابة وتبرع الرجل مثلثة كان اصحابه في علم او غيره او تم في كل
فضيلة وجمال وهذا ابرع منه اضخم لانه جاز مقداره والبارع الاصيل الجيد الراي وتبرع بالعطاء تفضل بما لا يجب عليه من عند
نفسه كانه جاز رتبة الواجب والله اعلم وفي الآية ما يوجبه حال العلماء من حاجة الملوك اليهم فكانه قيل فما قالوا فقيل قالوا
هذه الرؤيا اضغاث اي اخلاط جمع ضغث بكسر الضاد واسكان الغين المعجمة وهو قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس
احلام مختلفة مختلطة مشتبهة جمع حلم بضم الحاء واسكان اللام وضمه وهو الرؤيا فقيدوها بالاضغاث وهو ما يكون من
الرؤيا باطلا لكونه من حديث النفس او وسوسة الشيطان لكونها تشبه اخلاط النبات التي لا تناسب بينها لان الرؤيا
تارة تكون من الملك وهي الصحيحة وتارة تكون من تحزين الشيطان وتخليطاته وتارة من حديث النفس ثم قالوا وما نحن اي
باجمعنا بتاويل اي ترجيع الاحلام اي مطلق الاضغاث وغيرها واغرقوا في النفي بقولهم بعالمين فدلسوا من غير وجه جمعوا
وهي حلم واحد ليجعلوها اضغاثا لا مدلول لها ونفوا عن انفسهم العلم بالمطلق المستلزم لنفي العلم بالمقيد بعد ان اتوا بالكلام
على هذه الصورة ليوهموا انهم ما جهلوها الا لكونها اضغاثا والله اعلم والقول كلام متضمن بالحكاية في البيان عنه فاذا ذكر انه
قال اقتضى الحكاية لما قال واذا ذكر انه تكلم لم يقتض حكاية لما تكلم به ومادة حلم بجميع تقاليبها تدور على صرف
الشيء عن وجهه وعادته وما تقتضيه الجبلة كما ياتي في الرعد في قوله شديد المحال ولما كان هذا حالا مذكرا للساقي
بيوسف عليه السلام اخبر سبحانه بانه ذكره بعد نسيانه فقال عادلا عن الفاء ايذانا بانه من الملاء وقال الذي نجا
اي خلص من الهلاك منهما اي من صاحبي السجن وهو الساقي والحال انه ادكر بالمهملة اي طلب الذكر بالمعجمة وزنه افتعل
بعد امة من الازمان اي ازمان مجتمعة طويلة انا انبئكم اي اخبركم اخبارا عظيما بتاويله اي بتفسير ما يؤول اليه معنا
هذا الحكم وحده كما هو الحق وسبب عن كلامه قوله فارسلون اي الى يوسف عليه السلام فانه اعلم الناس فارسلوه اليه
قال ابن عباس رضي الله عنهما ولم يكن السجن في المدينة فاتاه فقال الساقي المرسل بعد وصوله اليه مناديا له نداء القرب
تحببا اليه يوسف وزاد في التحبب بقوله ايها الصديق ايها البليغ في الصدق والتصديق لما يحق تصديقه بما جربناه

منه ورأيناه لايخفا عليه افتنا اي اذكر لنا الحكم في سبع وميز العدد بجمع السلامة الذي هو للقلة كما مضى لما مضى فقال بقرات سمان اي رعاف الملك يأكلن سبع اي من البقر عجاف اي بهازيل جدا وفي سبع سنبلات جمع سنبلة وهي بجمع الحب من الزرع؟ خضر وفي سبع اخر اي من السنابل يابسات وساق جواب السوال اي سياق التوجي اما جريا على عوايد العقلا في عدم البت في الامور المستقبلة واما لانه ندم بعد ارساله خوفا من ان يكونا كاذبا وبل شيا لا يواجه به الملك فعزم على الهرب على هذا التقدير واما استحيا ليوسف عليه السلام بالافتاء ليسرع الرجوع فانا الناس في غاية التلفت اليه فقال لعلي ارجع الى الناس قبل ما ينفضوا عني ولما كان قصده بقولهم ليوسف عليه السلام وعلمهم بمنزلك بفضله وعلمهم بما اريد به خطونا قال لعلهم يعلمون اي ليكونوا على رجاء من ان يعلموا فضلك وما يدل ذلك عليه من خير وشر فيعملوا لكل حال ما يمكنهم عمله فكانه قيل ما قال له فقيل قال تا وبلغة انكم تزرعون اي توجدون الزراعة فهو اخبار بمغيب فهو اقعد في معنى الكلام ويمكن ان يكون خبرا بمعنى الامر سبع سنين دابا اي دابين مجتهدين والدأب استمرار الشيء على عادته كما اشارت اليه رؤياك بعصر الخمر الذي لا يكون الا بعد الكفاية وولت عليه رؤيا الملك للبقرات السمان والسنابل الخضر والتعبير بذلك يدل على ان هذه السبع تكون كما تعرفون من اغلب احوال الزمان في توسطه تخصب ارض وجدب اخرى وعجز الماء عن بقعة واغراقه اخرى كما اشار اليه الدأب ثم ارشدهم الى ما يفعلون به ما يأتي من الشر فقال فما حصدتم اي من شيء بسبب ذلك الزرع والحصد قطع الزرع بعد استوايه في تلك السبع الخصبة فذروه اي اتركوه على كل حال في سنبله ليلا يفسد بالسوس وغيره الا قليلا مما تاكلون قال ابو حيان اشار برأي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه الا بحيلة ابقايها في السنبل انتهى ولما تم المشورة رجع الى بقية عبارة الرؤيا فقال ثم يأتي ولما كان مدة الاتيان غير مستغرقة لزمان البعد اتى بالجار فقال من بعد ذلك اي الامر العظيم وهو السبع التي تعملون فيها هذا العمل سبع اي سنون شداد بالمحط العظيم وهن ما اشارت اليه رؤيا صاحبك الذي طاب برزقه الطيور وسار بروحه غالب المقدور ودلت عليه رؤيا الملك من البقرات العجاف والسنابل اليابسات يأكلن اسند الاكل اليهن مجازا عن اكل اهلهن تحقيقا للاكل ما قدمتم اي بالادخار من الحبوب لهن والتقديم التقريب الى جهة القدام وبشرهم بان الشدة تنقضي ولم يفرغ ما اعدوه فقال الا قليلا مما تحصنون والاحصان الاحراز وهو القاء الشيء فيما هو كالحصن المنيع هذا تعبير الرؤيا ثم زادهم على ذلك قوله ثم يأتي وعبر بالجار لمثل ما مضى فقال من بعد ذلك اي الجدب العظيم عام وهو اثنى عشر شهرا وتطلق الحول والسنة وهو ما خوذ من العوم لما لاحظ فيه من السبح الطويل قاله الزماني والتعبير به دون مراد فانه اشارة الى انه يكون فيه من السعة بعموم الري وظهور الخصب وغير ذلك امر عظيم ولذا اتبعه بقوله فيه ولما كان المشوف اليه الاغاثة على انه من المعلوم انه لا يقدر عليها الا الله قال بانيا للمفعول يغاث الناس من الغيث وهو المطر او من الغوث وهو الفرج فعلى الاول يجوز بناؤه من ثلاثي ومن رباعي يقال غاث الله الارض واغاثها امطرها وفي الثاني هو من رباعي خاصة يقال استغاث به فاغاثه من الغوث وهو واوي ومعناه النفع الذي يأتي على شدة حاجته بنفي المضرة والغيث يأتي وهو المطر الذي يأتي في وقت الحاجة وفيه اي ذلك العام الخصب ولما كان العصر للاذهان وغيرها لا يكون الا عن فضلة قال يعصرون اي يخرجون عصارات الاشياء وخلاصاتها وكانه اخذ من انتهاء المحط ابتداء الخصب الذي دل عليه العصر في رؤيا السابل والخضر والسمن في رؤيا الملك فانه ضد المحط وكل ضدين انتهى احدهما ابتداء الاخر لا محالة فجاء الرسول فاجر الملك بذلك فاعجبه ووقع في نفسه صدقه وقال الملك اي الذي العزيز في خدمته ائتوني به لاسمع ذلك منه واكرمه فاتاه الرسول ليأتي به الى الملك فلما جاءه اي يوسف عليه السلام عن قرب من الزمان الرسول بذلك وهو الساقي قال له يوسف ارجع الى ربك اي سيدك الملك فاسأله بان تقول له مستفهما ما بال النسوة ولوح بمكرهن به ولم يصرح ولا ذكر امراة العزيز كرما وحياء فقال اللاتي قطعن ايديهن اي ما خبرهن في مكرهن الذي خالطني فاشتد به بلائي فانظر بعلمك ان امراة العزيز مان دعتهن الى بعد شهادتهن بالنفار او دتني ثم اعترفت لهن بالنفار او دتني واني عصيتها اشد عصيان فاذا سالهن بان الحق؟ فان ربك جاهل بامرهن ولما كان هذا موطنا يسئل فيه عن علم ربه سبحانه لذلك قال ستانفا مؤكدا ان ربي بكل شيء عليم اي فلا يخفى عليه امرهن الذي علمه ربي لتظهر براءتي على رؤس الاشهاد مما وصموني به من السجن الذي من شانه ان لا يكون الا عن جرم وان اظهر براءتي لم تنقطع عني كلام الحاسدين ويوشك ان يسعوا في حط منزلتي عند الملك وليلا يقولوا ما لبث هذه المدة في السجن الا لذنب عظيم فيكون في ذلك نوع من العار وفي هذا دليل على ان السعي في براءة العرض حسن بل واجب واخرج الكلام على سوال الملك عن امرهن لا على سوالهن فيما ان يفحص عن امرهن لان سوال الانسان عن علم ما لم يعلم يهيجه ويلهمه الى البحث عنه بخلاف سوالهن في ان يفتشن لعين ليعلم ذلك الغير فاراد بذلك حثه لان يجد في السوال حتى يعلم الحق ليقبل بعد ذلك جميع ما حدثه به واكيد الاحتباك في ايصال الضرر وانما نشرت بالرد لذلك لان ما وتيه يأتيه بتراكيبها الخمسة بلى ويل ولبي وليب ويلب وواوية بتراكيبها الستة يول ويلو وولب وويل ولوب ولبو ومهموز بتراكيبها الاربعة لبأ وبأل ولأل وألب تدور على الخلطة المحيلة الممتلة وكان حقيقتها البلا بمعنى الاختبار والامتحان والتجربة ويكون في الخير والشر اي خالطه لبس يعرف منه خفي امره قال العزاز والفتنة تكون في الشر خاصة والبلاء اعم فتقول ابليته خيرا اذا اصطنعت

بلاه
بلاء

عنده وقد تقدم في سورة الانفال شي من معاني المادة وناقة بلو سفر وبلي سفر اذا انضاها السفر واذا كانت قوية
عليه والبلوى البلية وابليت فلانا عذرا اي جيت فيما بيني وبينه ما لا لوم فيه اي خالطته بشي ازال اللوم والبلية
دابة كانت تشد في الجاهلية عند قبر صاحبها ولا تعلف ولا تسقى حتى تموت ويقال الناس بذي بلي وبذي بليان اي متفرقين
كان حقيقته انه حل بهم صاحب خلطة شديدة فرقت بينهم وبلي الشي بالكسر بلي مقصور وبلا ممدود اذا فني وعطب
وبلي فلان بكذا مبنيا للمفعول وابتلي به اذا اصابه ذلك والبول ولد الرجل والعدد الكثير والانفجار وضد الغايط ولا
ريب ان كلا من ذلك اذا خالط الحيوان احال حاله والبال الاكتراث والفكر والهم ومن ذلك عندي ما باليت به لم اكترث به
وكذا ما اباليه بالة وهي مصدر منه ولم ابال به ولم ابل ولكنهم قلبوه من باولت به لئلا يلتبس بالبول والله اعلم وحقيقتها
ما استعملت بالي الذي هو فكري فيه وان اعمل هو فكره في امري اي انه اقل من ان يفكر في امره ومن المعلوم ان الفكر محل الخلطة
المميلة والبال المر الذي يعتمل به في ارض الزرع لمشقة العمل به والبال سمكة غليظة تسمى جمل البحر لان من خالطته احالت
امره والبال رخاء العيش والحال والبالة القارورة كانها من البول والحراب ووعاء الطيب والولب الوصل ولبت الشي وصلته
وولب هو وصل ودخل واسرع والوالب الذاهب في وجهه كانه خالطه من الهم ما حمله على ذلك وولب الزرع اذا صارت
له والبة وهي افراخ تولدت من اصوله والوالبة نسل القوم ونسل المال والوالبة سريع النبات ولاب يلوب اذا عطش
واللابة الحرة وهي مكان ذو حجارة سود كبيرة متصلة صلبة خشنة فمن خالطها اتعبته واعطشته وبها سميت الابل السود
المجتمعة والضان واللابة شقشقة البعير وهي شي كالرية يخرجه البعير من فيه اذا هاج كانها هي التي اهاجته والملاب ضرب
من الطيب والزعفران والملوب كمعظم من الحديد الملوي واللوب بالضم البضعة التي تدور في القدر لانها تغير ما في القدر
بدورانها واللوب ايضا اللعاب ولاب عطشت ابله واللبوة انثى الاسد والوابل المطر الكثير الشديد الوقع الضخم القطر
والوابلة نسل الابل والغنم وراس العضد الذي في الحق وما التف من لحم الفخذ والموابلة المواظبة والميبل ضفيرة من قد
مركبه في عود تضرب به الابل ووبل الصيد طرد حثيث شديد وبالنعجة وبلة شديدة اذا ارادت الفحل والوبال الشدة
وسوء العاقبة وهو من الشدة والثقل واصابه وبل الجوع اي جوع شديد والوبيل المرعى الوخيم واستوبلت الارض
اذا لم توافقك في مطعمك وان كنت محبا لها وهو من الوبيل للطعام الذي لا يشتهي والوبيل من العقوبة الشديد وهو ايضا
العصي وخشبة القصار التي تدق بها الثياب بعد الغسل وخشبة صغيرة يضرب بها الناقوس والحزمة من الحطب وبلى حرف
يجاب بها الاستفهام الداخل على كلام منفي فتحيله الى الاثبات بخلاف نعم فانه يجاب بها الكلام الموجب وتاتي بلى في النفي من
غير استفهام يقال ما اعطيتني درهما فتقول بلى ولبى من الطعام كرضي اكثر منه واللبابة بالضم شجر الامطي واللباب بتقديم
التحتانية وزن سحاب اقل من ملاء الفم واليلب محركة الترسة ويقال الدرق والدروع من الجلود او جلود يخرز بعضها الى
الى بعض تلتش على الروس خاصة والعظيم من كل شي والجلد والابيل كامير العصي والحزين بالسريانية ورئيس النصارى او
الراهب او صاحب الناقوس صنيع مختصر العين يقتضي ان همزته زايدة وصنيع القاموس انها اصلية وعلى كلا التقديرين
هو من مدار المادة فان من خالطته العصي غيرته وكذا الرسن ومن مهموزه اللبا كصلع اول اللبن وهو احق الاشيا بالاحالة
ولبا الفصيل شده الى راس الخلف اي حلمة ضرع الناقة ليرضع اللبا ولبات وهي ملبي وقع اللبا في ضرعها ولا
يكون ذلك الا بما يخالطها فيحيل ذلك منها واللبء بالفتح اول السقي وهو اشد مما في الاثنا في الخلطة والاحالة وبها
الاسدة وخلطتها محيلة للذكور من نوعها ولغيرها بالنفرة منها وكذا اللبوة بالواو وعشار ملابي كملاقح دنا نتاجها
وهو واضح في الاحالة ولبات الشاة ولدها والباته ارضعته اللبا ولبات الشاة والتباتها حلبت لباها والبئل
كامير الصغير الضعيف بؤل ككرم ويقال ضئيل بئيل والابئل بكسرتين وتسكن البا معروف واحد يقع على الجمع ليس
بجمع ولا اسم جمع جمعه آبال الاحالة في خلطتها بالركوب والحمل وغيره واضحة والابل السحاب الذي يحمل ماء المطر وهو
ظاهر في ذلك وتابل عن امراته امتنع من غشيانها من الازالة ونسك اي امتنع عن خلطة الدنيا المحيلة وبالعصي
ومن خالطته العصي احالته وابل العشب ابولا طال فاستمكن منه الابل وهو ظاهر في الاحالة والابالة كالاجانة
القطعة من الطير والخيل والابل المتتابعة منها من نظر شيا من ذلك حاله عن حاله وكامير العصي ورئيس النصارى او الراهب
او صاحب الناقوس وكل ذلك واضح في الاحالة والابل بضم البا الحزمة من الحشيش وخلطتها محيلة لما ياكلها والابالة
ككتاب السياسة وهي في غاية الاحالة لمن خولط بها والابلة كفرحة الحاجة والطلبة وهي معروفة في ذلك والمباركة
في الابل وانه لا يابل لا يثبت على رعيه الابل ولا يحسن مهنتها او لا يثبت عليها راكبا اي انه سريع التاثر والاحالة
من خلطتها وتابيل الابل تسمينها اي مخالطتها بما احالها والابلة بالكسر العداوة واحالتها معروفة وبالضم العاهة
وهي كذلك وبالفتح او بالتحريك الثقل والوخامة والاثم كذلك وتابيل الميت تابينه اي الثنا عليه بعد موته وهو
تهييج الحزن عليه وجا في ابالته بالكسر وابلته بضمتين مشددة اصحابه ولا شك ان من جا كذلك احال من اتاه وضغث
على ابالة كاجانة ويخفف بليته على اخرى او خصب على خصب كانه ضد وهو من واضح الاحالة وابلت الابل تابل وتابل
ابولا وابلا جزات اي اكتفت بالرطب عن الما والرطب بضمتين الاخضر من البقل والشجر او جماعة العشب الاخضر
والابول الاقامة في المرعى ولا شك ان من خالط ذلك احاله والب اليه القوم اتوه من كل جانب وذلك محيل والب الابل

ساقتها والابل انساقت وانضم بعضها الى بعض والحمار طريدته طردها شديدا وجمع واجتمع واسرع وعاد والاحالة
في كل ذلك ظاهرة والتمادام مطرها اي فاحالة الارض واهلها والتائب كثلب المجتمع منا ومن حمر الوحش والوعل
وهي لغة وملكان كذلك احالة ماخالطه والابل بالكسر الغبر وشجرة كالانرج سم وذلك ظاهر في الاحالة وبالفتح نشاط
الساقي وميل النفس الى الهوى والعطش والتدبير على العدو من حيث لايعلم ومسك السخلة والبسم والطرد الشديد وشدة
الحمى والحر وابتداء برء المدنف وكل ذلك ظاهر الاحالة وريح الوبا باردة تشفي التراب ورجل الوبا سريع اخراج الدلو او
نشيط فمن خالطه احاله وبم عليه ألبت وإلبك واحد مجتمعون عليه بالظلم والعداوة وذلك محيل لاشك فيه والالبة بالضم
المجاعة وبالتحريك البلية والتائب التحريض والافساد وكل ذلك ظاهر في الاحالة وكذا المتلك للسريع والالب الضغو
وهو محيل والالب بالتحريك الايلب وقد مضى انها الترسة والله اعلم ولما قال يوسف عليه السلام ذلك وابى ان يخرج من
السجن قبل تبين الامر رجع الرسول الى الملك فاخبره بما قال عليه السلام فكانه قيل فما فعل الملك فقيل قال للنسوة بعد ان
جمعهن ماخطبكن اي شانكن العظيم وقوله اذ راودتن اي خادعتن بمكر ودوران ومراوغة يوسف عن نفسه دليل على ان
براءته كانت متحققة عند كل من علم القصة وكان الملك وبعض الناس وان علموا مراودتهن وعفته ماكانوا يعرفون المراودة
هل هي لهن كلهن او لبعضهن فكانه قيل ماقلن فقيل مكرن في جوابهن اذ اسالهن عما علمن من السوء منه فاعرضن عنه واجبن
بنفي السوء عنه عليه السلام وذلك انهن قلن حاشى لله اي عياذا بالملك الاعظم وتنزيها له من هذا الامر فاوهمن بذلك براءتهن
منه ثم لشرز هذا العياذ بان قلن تعجبا من عفته التي لم يرين مثلها ولا وقع في اوهامهن ان تكون لآدمي وان بلغ مابلغ ○
ماعلمنا عليه اي يوسف عليه السلام واغرقن في النفي فقلن من سوء فخصصنه بالبراءة وهذا كما تقدم عنه قول الملا اضغاث
احلام هذا وهو جواب للملك الذي تبهر رويته وتخشى سطوته فكان من طبع البلد عدم الافصاح في المقال حتى لاينفك
عن طروق احتمال فيكون للتفصي فيه محال وعياوه الملوك الا من شاء الله منهم ولما تم ذلك كانه قيل فما قالت التي
هي اصل هذا الامر فقيل قالت امراة العزيز مصرحة بحقيقة الحال الآن حصحص الحق اي حصل على اكمل وجوهه وانقطع
عنا باطل بظهور من حصحص شعره اذا استاصل قطعه بحيث ظهر ما تحته ومنه الحصة القطعة من الشي ونظيره كب
وكبكب وكف وكفكف فهذه زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق وهو قول الزجاج قاله الرماني وافقه الرازي
في اللوامع وقال الازهري هو من حصحص البعير اثرت ثفناته في الارض اذا برك حتى تستبين اثارها فيه انا
راودته اي خادعته وداورته عن نفسه واكدت ما افصحت به مدحا ونفيا لكل سوء بقولها موكدا لاجل ماتقدم من انكارها
وانه لمن الصادقين اي العريقين في هذا الوصف في نسبة المراودة الي وتبرئة نفسه فقد شهد النسوة كلهن ببراءته
وانه لم يقع منه ما ينسب به شيء من السوء اليه فمن نسب اليه بعد ذلك بما او غيره فهو تابع لمجرد الهوى في بني من الخاصين
ولما اجمل الامر امر الملك باحضار ليستعين به فيما اليه من الملك لكن لما كانت براءة الصديق اهم من ذلك وهي المقصود
من رد الرسول قدم بقية الكلام فيها عليه وليكون كلامه في براءته متصلا بكلام النسوة في ذلك والذي دل على ان ذلك
كلامه مافيه من الحكم التي لايعرفها في ذلك الزمان غيره فقال بناء على ماتقدم فلما رجع الرسول الى يوسف عليه السلام
فاخبره بتبين براءته قال ذلك اي الخلق العظيم في تثبتي في السجن الى ان تبين الحق ليعلم العزيز علما موكدا انى لم اخنه
اي في اهله ولا في غيرها بالغيب اي والحال ان كلا منا غائب عن صاحبه وليعلم باقرارها وهي في الامن والسعة وتثبتي
وانا في محل الضيق والخوف ما من شانه الخفاء عن كل من لم يويده الله بروح منه من ان الله اي الذي له الاحاطة ما وصاف
الكمال لايهدي اي يسدد ويفتح بوجه من الوجوه كيد الخائنين اي العريقين في الخيانة بل لابد ان يقيم سببا لظهور الخيانة
وان اجتهد الخائن في التعمية والخيانة مخالفة الحق بنقض العهد العام وضدها الامانة والغدر نقضه خاصا والمعنى
اني لما كنت بريئا سدد الله امري وجعل عاقبتي الى خير كبير وبراءة تامة ولما كان غيري خائنا انطقه الله بالاقرار
بها ولما كان ذلك ربما جر الى الاعجاب قال وما ابرئ اي تبرئة عظيمة نفسي عن مطلق الزلل وان غلبة التوفيق والعصمة
اي لم اقصد بالبراءة عما تقدم مجرد التزكية للنفس وعلل عدم التبرئة بقوله موكدا لما لاكثر الناس من الانكار اوان
اتباعهم لاهويتهم فعل من ينكر فعل الامارة ان النفس اي هذا النوع لامارة اي شديدة الامر بالسوء اي هذا الجنس دائما
لطبعها على ذلك في كل وقت الا ما اي وقت ان رحم ربي بكفها عن الامر به او بسره بكفها عن فعله بعد اطلاقها على الامر به
او الا ما رحمه ربي من النفوس فلا يامر بسوء ثم علل ذلك بقوله موكدا دفعا لظن من يظن انه لا توبة له ان ربي اي المحسن
الي غفور اي بليغ الستر للذنوب رحيم اي بليغ الاكرام لمن يريد ولما تم ما قدمه مما هو الاهم من نزاهة الصديق
وعلم الملك ببراءته وما يتبعها على ماكان قبله من امر الملك باحضان اليه ابتعه اياه عاطفا له على ماكان في نسقه من
قوله قال ماخطبكن فقال وقال الملك صرح به ولمن يستغن بضمير كراهية الالباس لما تخلل بينه وبين جواب امراة
العزيز من كلام يوسف عليه السلام ولو كان الكل من كلامها لاستغني بالضمير ولم يحج الى ابراز ائتوني به استخلصه اي
اطلب واوجد خلوصه لنفسي اي فلا يكون لي فيه شريك قطعا لطمع العزيز عنه ودفعا لتوهم انه يرده اليه ولعل هذا
مراد يوسف عليه السلام بالتلبث في السجن الى انكشاف الحال خوفا من ان يرجع الى العزيز فتعود المراة الى حالها الاولى
فيزداد البلاء ولما كان التقدير فرجع رسول الملك اليه فاخبره ان الملك سال النسوة فقلن ماقلن وامر باحضان ليستخلصه

لنفسه فقال يوسف عليه السلام ما تقدم من تلك الحكم البالغة واجاب امر الملك فاتي اليه بعد ان دعا لاهل السجن فقال
اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحيا وبيوت الاحزان
وتجربة الاصدقا وشماتة الاعدا ثم اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا وقصد اليه عطف عليه بالفا دليلا على اسراعه في ذلك
قوله فلما كلمه وشاهد الملك فيه ما شاهد من جلال النبوة وجميل الوزارة وخلال السيادة ومخايل السعادة قال موكدا تمكينا
لقوله دفعا لمن يظن انه بعد السجن وما قارنه لا يرفعه هذه الرفعة انك اليوم وعبر بما هو لشدة الغرابة تمكينا للكلام ايضا
فقال لدينا مكين اي شديد المكنة من المكانة وهي حالة يتمكن بها صاحبها من مراده امين من الامانة وهي حال يومن معها نقض
العقد وذلك انه قيل ان الملك كان يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فعرفها كلها ثم دعا للملك بالعبراني فلم يعرفه الملك فقال له
ما هذا اللسان قال لسان ابائي فعظم عنده جدا فكانه قيل فما قال الصديق فقيل قال ما يجب عليه من السعي في صلاح الدين والدنيا
اجعلني قيما على خزاين الارض اي ارض مصر التي هي لكثرة خيرها كانها الارض ثم علله بما هو مقصود الملوك الذي لا يكادون يقعون
عليه فقال اني حفيظ اي قادر على ضبط ما الي امين فيه عليم اي بالغ العلم بوجوه صلاحه واستنمائه فاخبر بما جمع الله له من
اذاتي الحفظ والفهم مع ما يلزم الحفظ من القوة والامانة لنجاة العباد مما يستقبلهم من السوء فيكون ذلك سببا لردهم عن الدين
الباطل الى الدين الحق ولما سال ما تقدم قال معلما بانه اجيب بتسخير الله له وكذلك اي ومثل ما مكنا ليوسف في قلب الملك من المودة
والاعتقاد الصالح وفي قلوب جميع الناس ومثل ما سال من التمكين مكنا اي بما لنا من العظمة ليوسف في الارض اي مطلقا لا سيما ارض
مصر بتولية ملكها اياه عليها يتبوا اي يتخذ منزلا يرجع اليه من باء اذا رجع منها حيث يشاء بانجاح جميع مقاصده لدخولها كلها تحت
سلطانه لتبقى انفس اهل المملكة وما والاها على يده فيحوز الاجر وجميل الذكر مع ما يزيد به من علو الشان وفخامة القدر فكانه
قيل لم كان هذا فقال لامرين احدهما ان لنا الامر كله نصيب على وجه الاختصاص برحمتنا بما لنا من العظمة من نشاء من مستحق فيما ترون
وغيره لا نسال عما نفعل وقد شئنا اصابة يوسف بهذا والثاني انه محسن يعبد الله فانيا عن جميع الاغيار ونحن لا نضيع بوجه
اجر المحسنين اي العريقين في تلك الصفة وان كان لنا ان نفعل غير ذلك روى ابو القسم عبد الرحمن بن عبد الحكم في اول فتوح مصر
من طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فاتاه الرسول فقال الق عنك ثياب السجن والبس ثيابا جددا وهو يومئذ ابن
ثلثين سنة فلما اتاه راى غلاما حدثا فقال ايعلم هذا رؤياي ولا يعلمها السحرة والكهنة واقعده قدامه ثم قال قال عثمن يعني ابن
صالح وغيره في حديثهما فلما استنطقه وسايله عظم في عينه وجل امره في قلبه فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف بابه رجع الى
ابن عباس قال وضرب بالطبل بمصر ان يوسف خليفة الملك وعن عكرمة ان فرعون قال ليوسف قد سلطتك على مصر غير اني اريد
ان اجعل كرسيي اطول من كرسيك باربع اصابع قال يوسف نعم ولما كان هذا مما يستعظمه الناس في الدنيا وكان عزها لا يعد
في الحقيقة الا ان كان موصولا بنعيم الاخرة نبه على ما له في الاخرة مما لا يعد هذا في جنبه شيا فقال موكدا لتكذيب الكفرة
بذلك ولاجر الاخرة خير ولما كان سياق الاحكام على وجه عام لتعليقها باوصاف يكون السياق مرغبا فيها او مرهبا منها احسن
وابلغ قال للذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف وكانوا اي بجبلاتهم يتقون اي يوجدون الخوف من الله واتخاذ الوقايات منه
ايجادا مستمرا وهو من اجلهم حظا واعلاهم كعبا كما تقدم بيانه مما يدل على كمال ايمانه وتقواه ولما كان من المعلوم ان من
هذه صفاته يقوم بما وليه اتم قيام وينظر فيه احسن نظر كان كانه قيل فجعله الملك على خزاين الارض فدبرها بما امره الله به وعلمه
حتى صلح الامر وجاء الخير وذهب الشر وانما طوي هذا للدلالة عليه بلوازمه من قصة اخوته التي هي المقصودة بالذات كما سياتي
وقد فهم من هذه القصة ان الغالب على طبع مصر الرداءة بغض الغريب واستذلال الضعيف والخضوع للقوي فانهم اساؤا
اليه اولا بالسجن بعد تحقق البراءة ثم عفي عنهم واحسن اليهم بما استبقى به مهجهم ثم اعتقهم بعد ان استرقهم ورد اليهم اموالهم
بعد ان استاصلها بما عنده من الغلال فجروه على ذلك بان استعبدوا اولاده واولاد اخوته بعده وساموهم سوء العذاب
وادل دليل على ان هذا طبع البلد ان بني اسرائيل لما خرجوا مع موسى عليه السلام وخلصهم من جميع ذلك الذل وشرفهم بما شرفهم
الله به من الايات العظام والكتاب المبين كانوا كل قليل ينكثون مجترئين على ما لا يطاق الاجتراء عليه واذا امرهم عن الله
بامر جبنوا عنه كما مضى ذلك عن نص التورية في الاعراف والبقرة وغيرهما فعاقبهم الله بالتيه وكان يسميهم الجيل المعوج
لما علم من سوء طباعهم حتى مات كل من نشا بارض مصر ثم صار اولادهم يمتثلون الاوامر حتى ملكوا ما وعد الله به اباءهم من
البلاد وقد ذكر ذلك في زبور داود عليه السلام في غير موضع منها في المزمور الرابع والتسعين هلموا نسجد ونركع ونخضع
امام الرب خالقنا لانه الهنا ونحن شعب رعيته وضان ماشيته اليوم اذا سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم وتسخطوه كمثل السخط
يوم التجربة في البرية حيث جربني اباؤكم فاحصوا اعمالي ونظروها اربعين سنة مقت ذلك الجيل وقلت هو شعب في كل
حين يطغون بقلوبهم فلم يهتدوا لسبلي كما اقسمت برجزي انهم لا يدخلون راحتي اباؤنا بمصر لم يفهموا عجايبك ولم يذكروا
كثرة رحمتك حين اغضبوك وهم صاعدون من البحر الاحمر فنجيتهم باسمك لتظهر عجايبك زجر البحر الاحمر فجف اجازهم
في اللجج كانهم في البر خلصهم من ايدي الاعداء وانقذهم من ايدي المبغضين واطلق الماء على مبغضيهم فلم يبق منهم واحد فامنوا
بكلامه ومجدوا بسبحته ثم اسرعوا فنسوا اعماله ولم ينتظروا ارادته اشتهوا شهوة في البرية جربوا الله حيث لا ماء
فاعطاهم سؤلهم وارسل شبعا لنفوسهم اغضبوا موسى في المعسكر وهرون قديس الرب انفتحت الارض وابتلعت داثان
وانطبقت على جماعة ايبرون واشتعلت النار في محافلهم واحرق اللهيب الخطاة صنعوا عجلا في حوريب وسجدوا للمنحوت

وبدلوا مجدهم بشبه عجل يأكل عشبا ونسوا الله الذي نجاهم وصنع العظايم بمصر والعجايب في ارض حام والمهولات في البحر الاحمر
قال انه يهلكهم لولا موسى صفيه قام بين يديه ليصرف سخطه لئلا يستاصلهم رذلوا الارض الشهية ولم يؤمنوا بكلمته وتمقملوا
في مضاربهم ولم يسمعوا صوت الرب فرفع يده عليهم ليهلكهم في البرية ويفرق ذريتهم في الامم ويبددهم في البلدان لانضمن
قربوا لبعل فاغور واكلوا ضحايا ميته واسخطوا بافعالهم وكثر الموت فيهم بغتة فقام فنحاس واستغفر لهم فارتفع الموت عنهم
فحسب ذلك برا الجيل بعد جيل الى الابد اسخطوه على ماء الخصام وتألم موسى لاجلهم اغضبوا روحه وخالفوا الكلام شفتيه
ولم يستاصلوا الامم الذين أمرهم الرب واختلطوا بالشعوب وتعلموا اعمالهم فكانت عثرة لهم ذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين وضحوا
لاصنام كنعان ودنسوا الارض بالدماء وتنجسوا باعمالهم وزنوا بافعالهم فاشتد غضب الرب على شعبه ورذل ميراثه فاسلمهم
في ايدي الشعوب وسلط عليهم شانئيهم واستعبدهم اعداؤهم وخضعوا تحت ايديهم مرارا كثيرة نجاهم وهم يسخطونه بافكارهم
وذلوا بسيئاتهم انتهى على انك اذا تاملت وجدت ان الله تعالى يعلي كعب الغريب الذي يستدلونه ويجل مقدره ويؤثل مجده
كما فعل بيوسف عليه السلام بعد السجن وبني اسرايل بعد الاستعباد ونعم المولى ونعم النصير فليحذر الساكن بها من ان يغلب
عليه طبعها فينتصف بكل ذلك من ملة الغربة وبغض الغريب والجراة في الباطل استصناعا ومداهنة والجبن في الحق وكمال
الذل للجبارين والمحجة في الكلام بان لا يزال يتعهد نفسه باوامر الله ويحملها على طاعته واتباع رسوله ومحبته والنظر في سيرته
وسير اتباعه والتعشق لذلك كله حتى يصير له طبعا يسلخه من طبع البلد كما فعل عبادها واهل الورع منها وزهادها اعاذنا
الله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ذكر ما مضى بعد ما تقدم من هذه القصة من التوراة قال فلما كان بعد سنتين راى
فرعون رؤيا كانه واقف على شاطئ البحر وكان سبع بقرات صعدن من بحر النيل حسنات المنظر سمينات اللحوم يرعين في المرج
وكان تسع بقرات صعدن خلفهن من النيل قبيحات المنظر وحشات مهزولات اللحوم فوقفن الى جانب البقرات على شاطئ النهر
فابتلع البقرات القبيحات الحسنات المنظر السمينات فهبت فرعون من سنته ورقد ايضا فراى ثانية فاذا كان سبع سنبلات
طلعن في قصبة واحدة ممتلئة سمانا وكان سبع سنبلات مهزولات ضربهن ريح السموم وفي نسخة العبول نبتن بعدهن
فابتلع السنبل المهزول السبع سنبلات الممتلئات فاستيقظ فرعون فاذا رؤياه فلما كان بالغداة كربت نفس فرعون فارسل
فدعا جميع السحرة وكل حكماء مصر فقص عليهم رؤياه فلم يوجد انسان يفسرها لفرعون فتكلم رئيس اصحاب الشراب بين يدي فرعون
وقال اني ذكرت يومي هذا ذنبي عند غضب فرعون على عبده فقذفني في محبس صاحب الشرطة فحبست انا ورئيس الخبازين وفي
نسخة الطباخين فرايانا جميعا رؤيا في ليلة واحدة راى كل امرء منا كتفسير رؤياه وكان معنا هناك في الحبس فتى عبراني
عند صاحب الشرطة فقصصنا عليه ففسر احلامنا وعبر لكل منا على قدر رؤياه وكل الذي فسر لنا كذلك اصابنا اما انا
فرد في الملك الى موضعي واما ذلك فامر بصلبه فارسل فرعون فدعا يوسف فاحضروه من السجن فحلق شعره وغير ثيابه
ودخل فوقف بين يدي فرعون فقال فرعون ليوسف اني رايت رؤيا وليس من يفسرها وقد بلغني عنك انك تسمع الرؤيا
فتفسرها فاجاب يوسف فقال لفرعون لعلك تخال اني اجب فرعون بسلام عن غير امر الله فقال فرعون ليوسف اني رايت
في الرؤيا كاني واقف على شاطئ النهر وكان سبع بقرات طلعن من النهر حسنات المنظر سمينات اللحم يرعين في المرج وكان سبع بقرات
طلعن من النهر بعدهن سمجات قبيحات المنظر مهزولات اللحم جدا لم ار على هزالها في جميع ارض مصر فابتلعت البقرات المهزولات الضعيفات
القبيحات اولئك السبع بقرات السمان فدخلن اجوافهن فلم يتبين دخولهن وكان منظرهن قبيحا كالذي كان من قبل فانتبهت
فاضطجعت فرايت في الرؤيا كان سبع سنبلات حسنات في قصبة واحدة ممتلئة سمانا حسانا وكان سبع سنبلات مهزولات
ضربهن ريح السموم نبتن خلفهن فابتلع السنبل المهزول الضعيف السبع سنبلات الممتلئات الحسان فقصصت ذلك على السحرة
فلم اجد من يبين فقال يوسف لفرعون الرؤيا يا فرعون واحدة اطلع الله فرعون على ما هو مزمع ان يفعله السبع البقرات
الحسان والسبع سنبلات الحسان هي سبع سنين خير الرؤيا واحدة والسبع بقرات الضعيفات المهزولات اللاتي صعدن
بعدهن والسبع سنبلات المهزولات التي ضربتها ريح السموم تكون سبع سني جوع وهذا القول الذي قلت لفرعون انا الله اظهر
ما هو مزمع عنيدا ان يفعله وهذه سبع سنين ياتي الشبع والخصب العظيم جميع ارض مصر وياتي بعدها سبع سنين احر يكون فيها
الجوع وينسى جميع الشبع والخصب الذي كان في جميع ارض مصر فيبيد اهل الارض من اجل الجوع الذي ياتي من بعد لكرته
وشدته وانما اعيدت الرؤيا لفرعون ثانية من اجل ان الامر معد بين يدي الرب والله معجل فعله والآن فلينظر فرعون رجلا
حكيما فيوليه ارض مصر فيقاسم اهل مصر على الخمس في السبع سنين فيجمعوا جميع اقوال هذه السنين الخصب الآتية ويخزنوا
الاقوال تحت يدي فرعون ويحفظ القمح في القرى وليكن القوت معدا محفوظا لاهل مصر لسبع سني الجوع والمزمع ان يكون
في جميع ارض مصر ولا يبيد اهل الارض بالجوع فحسن هذا القول عند فرعون وعند عبيده فقال فرعون لعبيده هل يوجد
مثل هذا الرجل الذي روح الله حال فيه فقال فرعون ليوسف اذا اطلعك الله على هذا كله ليس احد فيهم مثلك انت
المسلط على بيتي وعن امرك وقولك يقبل جميع الشعب وانما انا اعظم منك بالمنبر فقط وقال فرعون ليوسف انظر
قد وليتك جميع ارض مصر وخلع فرعون خاتمه من خنصر يده وجعله في خنصر يوسف والبسه ثياب كتان وطوقه بطوق من
ذهب وحمله على بعض مراكبه ونادى بين يديه هذا اب ومسلط وسلطانه على جميع ارض مصر ثم قال فرعون ليوسف اني قد
امرتك ان لا يكون احد يشير بيده او بخطوا بقدميه دون امرك في جميع ارض مصر ودعا فرعون اسم يوسف صوخم الخفايا وزوجه

(انها)

(الهم)

باسنه وفي نسخة باسنات بنت قوطيفرع امام اسكندريه وفي نسخة حيروان فخرج يوسف واليا على جميع ارض مصر وكان قد اتى
على يوسف ثلثون سنة اذ وقف بين يدي فرعون فطاف في جميع ارض مصر واغلت الارض في السبع سنين الخصب مل الخزائن وجمع الاقوال في
القرى جمع في حصول كل قرية وما احاط بها فخزنه فيها فخزن يوسف من الاقوال مثل كثيب وفي نسخة ومل البحر كثيرا جدا حتى اعيى احصاء
ذلك فصار كغير محصى فولد ليوسف ابنان قبل دخول سنة الجوع ولدت له اسنه وفي نسخة اسنات بنت قوطيفرع خيروان وفي نسخة
امام اسكندريه فدعا يوسف اسم ابنه بكره منشا لانه قال ان الله انساني جميع تعبي وفي نسخة شقاي وما كان منه في بيت ابي ونحى الاخر
افرايم وقال لان الله كثرني في ارض تعبدي فنفدت سنوا الشبع الذي كان في ارض مصر وبدات سنوا الجوع ليالي كما قال يوسف فكان الجوع
في جميع ارض مصر ولم يوجد الخبز في جميع ارض مصر فجاع جميع اهل مصر فضج الشعب على فرعون من اجل الخبز فقال فرعون لجميع المصريين انطلقوا
الى يوسف فافعلوا جميع ما يامركم به ولما كان المعنى كما تقدم مجعل اليه خزائن الارض فجات السنون المخصبة فذبرها بما علمه الله شبر
جاءت السنون المجدبة فاجدبت جميع ارض مصر وما والاها من بلاد الشام وغيرها فاخرج ما كان ادخره من غلال سبع سنين بالتدريج اولا
فاولا كما حده له العليم الحكيم فتتابع به الناس مجاوا للاضطرار منه من كل اوب وجا اخوة يوسف العشرة لذلك وخلف ابوهم بنيامين
اخا يوسف لامه عنده ودل على تسهيله اذنهم بالقاء فقال فدخلوا عليه اي لانه كان يباشر الامور بنفسه كما هو فعل الكفاة الحوذة
لا يثق فيه بغيره فعرفهم لانه كان مرتقبا لحضورهم لعلمه بجدب بلادهم وعقد همته بهم مع كونه يعرف هيئاتهم في لباسهم وغيره ولم
يتغير عليه كبير من حالهم لمفارقته اياهم رجالا ولهم له منكرون ثابت انكارهم عريق فيهم وصفهم به لعدم خطور ببالهم لطول
العهد مع ما تغير عليهم من هيئته بالسن وانضاف اليه من الحشم والخدم واللباس وهيئة البلد وهيبة الملك وعز السلطان وغير
ذلك مما ينكر معه المعروف ويستوحش لاجله من المالوف ونحو ما قال تعالى لتنبيههم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وادخول الاشكال
الى محيط والمعرفة تبين الشيء بالغلب بما لوشوهد لفرق بينه وبين غيره مما ليس على خاص صفته ولما كان المعنى في قوله ان
يقال فطلبوا منه الميرة فباعهم بعد ان استخبرهم عن امرهم وقال لهم لعلكم جواسيس وسالهم عن جميع حالهم فاخبروه بابيهم واخيهم
منه ليعلم صلاحهم ولا يظن انهم جواسيس عطف عليه قوله ولما جهزهم اي يوسف عليه السلام بجهازهم الذي جاؤا له وقد ن
احسن اليهم والجهاز فاخر المتاع الذي يحمل من بلد الى بلد قال اي لهم ايتوني ايتها العصابة باخ لكم كاين من ابيكم يابي برسالة من ابيكم
الرجل الصالح حتى اصدقكم اوانهم طلبوا منه لاجل حملانا ظهرانه لم يصدقهم وطلب احضاره ليعطيه فانه كان يوزع الطعام على
قدر الكفاية ثم رغبهم باطماعهم في مثل ما نزل بهم من الاحسان وكان قد احسن نزلهم فقال مقررا لهم بما راوا منه الا ترون اي تعلمون
علما موكدا لرؤيته اني اوفي الكيل اي اتمه واتما على ما يوجب الحق وانا خير المنزلين اضيف الشيء الى اولى شاذله ولما رغبهم رهبهم
فقال فان لم تاتوني به اي باخيكم اول قدمة تقدمونها فلا كيل لكم وعرفهم انه لا يظلمهم بانه لا يمنعهم من عوده فقال عندي لا تقربون
ومع ذلك فلم عطر ببالهم انه يوسف فكانه قيل مما قالوا فقيل قالوا سنراود اي بوعد لا خلف فيه حين نصل عنه اباه اي نكلمه
فيه ونشارعه الكلام ونحتال فيه ونلطف في ذلك ولا ندع جهدنا كله واذ لك بعد الجملة الفعلية المصدرة بالسين بالجملة
الاسمية الموكدة بحرفي التاكيد فقالوا وانا لفاعلون اي ما امرتنا به والتمسناه وقد مضى عند وراودته ان الماده ياتية
وواويه بهمز وبغير همز تدور على الدوران ومن لوازمه القصد والاقبال والادبار والرفق والمهلة وقد مضى بيان غير الهموز
واما الهموز فمنه دراه اي دفعه لان المدفوع يرده الى الموضع الذي اتى منه والمدارا ة المدافعة والمنازعة مطلقا اي
سواء كانت برفق او بعنف ثم كثرت فقصرت على الملاينة ويلزم من الدفع حلول المدفوع في موضع لا يريده بغته ومنه دراء على
اي خرج مفاجاة قال الفراء واصله من تولهم جاء السيل دراء اي يدرا بعضه بعضا وهو الذي ياتي من حيث لا يعلم به
وادراه فلان علينا بالشر اذا اتى به من حيث لم ندر والدراء الشوز وهو من الدفع وكوكب دري متوقد متلالئ كان نوره
يدفع بعضه بعضا ومنه درات النار اضاءت وادراه الحريق انتشر ودراه الشيء بسطه لان المبسوط لا يخلو عن دفع وتدارا القوم
تدافعوا في الخصومة ودراه البعير اعدو مع الهدة ورم في ظهر وناقة دارية مسنة وذلك لان الهدة ملزومة للدفع لاستفك
عنه بالقتب والراكب وغيرهما وكل ناتئ في الجسد هذا شانه ومنه الدرء لعظمة في الجبل مشرفة وناقة مدري انزلت اللبن
وارخت ضرعها عند النتاج كانها دفعتها وادرات الصيد على افتعلت اتخذت له دريئة وقد تقدمت الدريئة في الوادي ومنه
ادراه فلانا اذا اعتمدته والدرء الميل والميوح لانه اهل لان يدفع ليقوم وطريق ذو درء اي كسور واخاديق اي شقوق
فكانها تدفع صاحبها عن القصد وتدراوا عليهم نطاولوا لان ذلك لا يخلوا عن مدافعة كالنشور ويلزم الرفع والقوة ومنه رجل
دوديرا اي منعة وقوة وردا نه بكذا ابتعدكم الرداء جعلته قوة له وعمادا يدافع عنه والردء العون والمادة والعدل الفعل
لانه يدافع ليعتدل ورداه الحايط دعمه وردا ه بحجر رماه به لانه اذا اصابه دفعه والابل احسن القيام عليها لان ذلك لا يكون
الا بمدافعة وارداه الستر ارخاه بدفعه له من المكان الذي كان به وارداه الولد سكنه وانه فرخ المصر عنه وارداه الشيء افرخه
كانه لسبب الرفع وكذا ارداه اي افسده اما لانه لم يدافعه باحسان القيام عليه فافسده او اندز اد في الرفع حتى مسد ومن ذلك
ارداه اذا فعل رديا اي فعلا فاسدا ليس بجيد وكان من ذلك الادرة بالضم ساكنة وتحرك وهي عظم الخصيتين في النار والجبل
ومن الترافع ترا ادت الحية اهتزت في ابيا بها ورفعت راسها والرمح اضطربت فكان بعضها يدفع بعضا ومنه راد الضحى ارتفع
وتراود القوم ارتفع وكذلك الجارية الرادة والرود بالضم اي الناعمة وقال الفراء الرياة الشابة حسن غداؤها وقال
ابو زيد جارية راداه غير مهموز كثيرة اللحم والذهاب فاذا قلت جارية رداه فهي الناعمة فاذا فسرت بالذهاب واللحم فهو من الوراد

الذي هو المدار واذا فسرت بالناعمة فهو من الاضطراب اللازم له وغصن رود بالضم رطب من ذلك قال القزاز واحسب
الجارية الناعمة انما سميت رودا من هذا وتراءد اهتز نعمة وزيد قام فاخذته رعدة والغصن تغنيا والعنق التوى كله من الدوران
وما يلزمه من الاضطراب ورئيد الانسان صديقه لانه يراوده ويداوره والراد اصل اللحي وهو اصول نبت الاسنان وهو العظم
الذي يدور فيه طرفا اللحيين مما يلي الصدغين ومن الرفق والمهلة الرودة بالضم وهي التهمة ولما اعلمنا سبحانه انه رغبهم
في شان اخيه ورهبهم بالقول اعلمنا بانه رغبهم فيه بالفعل فقال عاطفا على قوله الماضي لهم وقال اي يوسف عليه السلام
شفقة على اخوته وارادة لنصحهم فيما سالهم فيه لفتيته اي غلمانه واصل الفتى الشاب القوي وسياتي شرحه عند قوله
تعالى تفتؤ تذكر يوسف اجعلوا بضاعتهم اي ما بضعوه اي قطعوه من مالهم للتجارة واخذناه منهم ثمنا لطعامهم الذي دفعناه لهم
في رحالهم اي عدولهم والرحل ما اعد للرحيل من وعاء او مركب لعلهم يعرفونها اي بضاعتهم وعبر باداة التحقق تفاولا لهم بالسلامة
او ظنا او علما بالوحي فقال اذا انقلبوا راجعين الى اهلهم اي يعرفون انها هي بعينها رددتها عليهم احسانا اليهم ويجزمون بذلك ولا
يظنون ان الله اخلف عليهم مثلها نظرا الى حالهم وكرامة لابيهم ويعرفون هذه النعمة لي لعلهم يرجعون اي ليكون حالهم حال من يرجع
الينا اذا عرفوها لردها تورعا او للميرة بها ان لم يكن عندهم غيرها او طمعا في مثل هذا وانما لم يبادر الى تعريفهم بنفسه والتعجيل
بادخال السرور على ابيه لان ذلك غير ممكن عادة لما ياتي من الحكم البالغة والتدبير المتين ودل على اسراعهم في الرجوع بالفاء فقال
فلما رجعوا اي اخوة يوسف عليه السلام الى ابيهم حملهم ما راوا من احسان الصديق وحاجتهم اليه وتبريتهم لانفسهم عن ان يكونوا
جواسيس على ان قالوا يا ابانا ولما كان الضار لهم مطلق المنع بنوا للمفعول قولهم منع منا الكيل لاخينا بنيامين على بعيره
لغيبته ولنا كلنا بعد هذه المرة ان لم نذهب به معنا ليظهر صدقنا والمنع ايجاد ما يتعذر به على القادر الفعل وضده التسليط
واما العجز فضده القدرة فارسل اي بسبب ازالة هذا المنع معنا اخانا انك ان ترسله معنا نكتل اي لنفسه كما يكتال كل واحد منا
لنفسه هذا على قراءة حمزة والكسائي بالتحتانية وليأوله على قراءة الجماعة بالنون من الميرة ما وظفه العزيز وهو لكل واحد
حمل واكدوا لما تقدم من فعلهم بيوسف عليه السلام مما يوجب الارتياب بهم فقالوا وانا له اي خاصة لحافظون اي عن ان يناله
مكروه حتى نرده اليك عريقون في هذا الوصف فكانه قيل ما فعل في هذا بعد ما فعلوا اذا ارسل معهم يوسف قيل عزم على
ارساله معهم ولكنه اظهر اللجا الى الله في امره غير قانع بوعدهم المؤكد في حفظه لما سبق منهم من مثله في يوسف عليه السلام بان
قال هل امنكم اي اقبل منكم الان وفي مستقبل الزمان تامينكم لي فيه مما يسوءني تامينا مستعليا عليه اي بنيامين الا كما امنتكم
اي في الماضي على اخيه اي يوسف عليه السلام ولما كان لم يطلع لهم في يوسف عليه السلام على خيانة قيل ما فعلوا به وكان
ايتمانه لهم عليه انما هو في زمان يسير اثبت الجار فقال من قبل فانكم اكدتم غاية التاكيد فلم تحفظوه لي ولم تردوه الي والامن
اطمئنان القلب الى سلامة النفس فانا في هذا لا امن عليه الا الله فالله اي المحيط علما وقدرة خير حفظا منكم ومن كل احد وهو
اي باطنا وظاهرا ارحم الراحمين فهو ارحم بي من ان يفجعني به بعد مصيبتي باخيه فارادوا تفريغ ما قدموا به من الميرة ولما
فتحوا اي اولاده متاعهم اي اوعيتهم التي حملوها من مصر وجدوا بضاعتهم اي ما كان معهم من كنعان لشراء القوت ولما
كان المفرح مطلق الرد بني للمفعول قوله ردت اليهم والوجدان ظهور الشيء للنفس بحاسة او ما يغني عنها فكانه قيل ما قالوا
فقيل قالوا اي لابيهم يا ابانا ما اي اي شيء نبغي اي نريد فكانه قال لهم ما الخبر فقالوا بيانا لذلك وتاكيدا للسؤال في
استصحاب اخيهم هذه بضاعتنا ثم بينوا مضمون الاشارة بقولهم ردت الينا هل فوق هذا من اكرام ولما كان التقدير فنرجع
بها اليه باخينا فيظهر له نصحنا وصدقنا ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الميرة برجوعنا اليه والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد
الى بلد ونحفظ اخانا فلا يصيبه شيء مما نخشى عليه تاكيدا للوعد بحفظه وبيانا لعدم ضرر في سفره ويدل على ما في التورية
من انه كان سجن احدهم ليأتوا باخيهم الاصغر قوله ونزداد كيل بعير اي فيكون حمله ما ناتي به بعد الرجوع اليه اثني عشر حملا
لكل منا حمل وللمسجون حملان لكرية الاولى والثانية وذلك انه كان لا يعطي الا حملا لكل راس فكانه ما اعطاهم لما جهزهم غير
تسعة احمال فكانه قيل وهل يجيبكم الى ذلك في هذه الازمة فقالوا نعم لان ذلك كيل يسير بالنسبة الى ما راينا من كرم شمائله
وضخامة ملكه وفخامة همته فكانه قيل فما قال لهم فقيل قال اي يعقوب عليه السلام لن ارسله اي بنيامين كائنا معكم اي في
وقت من الاوقات حتى تؤتوني من الايتاء وهو الاعطاء الى ايصال الشيء الى الاخذ موثقا وهو العقد المؤكد ولما كان مراده
موثقا ربانيا وكان الموثق الرباني وهو ما كان باسمائه تعالى لكونه اذن سبحانه فيه وامر بالوثوق به كانه منه قال
من الله اي الملك الاعظم بايمان عظيمة والله لتاتنني كلكم به من الاتيان وهو المجيء في كل حال الا في حال ان يحاط اي تحصل
الاحاطة بمصيبة من المصائب لا طاقة لكم بها بكم فتهلكوا من عند اخركم كل ذلك زيادة في التوثق لما حصل له من المصيبة
بيوسف وان كان الاعتماد في حفظه انما هو على الله وهذا من باب اعقلها وتوكل فاجابوه الى جميع ما سال فلما اتوه اي
اعطاه بنوه موثقهم قال الله اي الذي له جميع صفات الكمال على ما نقول وكيل هو القادر على الوفاء به المرجو للتصرف
فيه بالغبطة لا انتم وكما سمح لهم بخروجه معهم اتبع تعالى ذلك الخبر عن امره لهم بالاحتياط من المصائب لانهم احد عشر رجلا
اخوة اهل جمال وبسطة وكانوا قد شهروا عند المصريين بعض الشهرة بسبب ما دار بينهم وبين يوسف عليه السلام من
الكلام في المرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مع شغل الناس بما هم فيه من القحط فقال حكاية عنه وقال اي يعقوب عليه السلام
لبنيه عندما ارادوا السفر يا بني تحذيرا لهم من شر الحسد والعين لا تدخلوا اذا قدمتم الى مصر من باب واحد من ابوابها

العين ح

والواحد على الاطلاق الذي لا ينقسم واما المقيد باجزائه على موصوف كباب واحد فهو ما لا ينقسم في معنى ذلك الموصوف واحترز من أن تكون متلاصقة او متقاربة جدا فقال متفرقة اي متفرقا كثيرا وهذا حكم التكليف ليلا تصابوا بالعين كما نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة والضحاك والسدي فان العين حق وهي من قدر الله وقد ورد شرعا ذلك ففي الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق وفي رواية عند احمد وابن ماجة تحضرها الشيطان وحسد ابن ادم ٥ ولمسلم والترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا ولابي نعيم في الحلية عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر ولابي داود عن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ما لي اراجسام بنات اخي ضارعة تصيبهم الحاجة فقال لا ولكن العين تسرع اليهم قالت لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين قال الامام الرازي ومنشأ اصابة العين توهم النفس الخبيثة هلاك من تصيبه وقد تقدم معنى ذلك في رواية احمد وابن ماجة من حديث ابي هريرة مع انعدام حضور الشيطان وهذا الاحتياط من باب الاخذ بالاسباب المامور بها لا نفاس القدر لا من باب التحرز من القدر كما روى مسلم واحمد وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان معناه والله اعلم افعل الاقوى ولا تفعل فعل العجزة وذلك بان تتم النظر وتمعن في التامل وتاني حتى تعلم المصادر والموارد فلا تدع شيئا يحتمل ان ينفعك في الامر الذي انت مقبل عليه ولا يضرك الا فعلته ولا تدع امرا يمكن ان يضرك الا تركته واحترزت منه جهدك فانك اذا فعلت ذلك واتى امر من عند الله خلاف مرادك كنت جديرا بان لا تقول في نفسك لو اني فعلت كذا فانك لم تترك شيئا واما اذا فعلت فعل العجزة وتركت الحزم فما اوشك ان تقول يا قدر الله وما شاء فعل فما اقربك الى ان تقول ما يفتح عمل الشيطان من لو ولما خاف ان يسبق من امره هذا الى بعض الاوهام ان الحذر يعني من القدر نفى ذلك بينا انه لم يقصد غير تعاطي الاسباب على ما امر الله وان الامر بعد ذلك اليه ان شاء سبب عن الاسباب مسبباتها وان شاء ابطل تلك الاسباب واقام اسبابا باضدادها ويتاثر عنها المحذور فقال وما اغنى اي اجزي واسد وانوب عنكم من الله اي بعض امر الملك الاعظم وعم النفي فقال من شيء اي ان اراد بكم سوءا كنتم منتزعين او مجتمعين وهذا حكم التقدير ثم علل ذلك بقوله ان اي ما الحكم وهو فصل الامر عما تدعوا اليه الحكمة الا لله اي الذي له الامر كله لا يقدر احد سواه على التقصي عن شيء من مراده او الفرار من شيء من قدره ولهذا المعنى وهو انه لا ينفع احد سبب الا باذنه انزل الله التسمية مقرونة بباء السبب اول كتابه وامرنا بها اول كل شيء وروى ابو نعيم في الحلية في ترجمة امامنا الشافعي رضي الله عنه بسنده اليه ثم الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه خطب الناس يوما فقال في خطبته واعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اذلته الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعد بالرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته مصيبة فمه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف وان افرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد قال فقام اليه رجل عمر كان شهد معه الجمل فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال بيت مظلم فلا تدخله فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال سر الله فلا تتكلفه فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال اما اذ ابيت فانه امر بين امرين لا جبر ولا تفويض قال يا امير المومنين ان فلانا يقول بالاستطاعة وهو حاضرك فقال علي به فاقاموه فلما راه سل من سيفه قدر اربع اصابع فقال الاستطاعة تملكها من اعلاها او من دونها والا كان تقول احدهما فتردد فاضربه بعنقك فقال لها اقول يا امير المومنين قال قل املكها بالله الذي ان شاء ملكنيها وسيأتي ان شاء الله تعالى في سورة الحج عند ان الله يفعل ما يشاء ما يتصل بهذا ولما قص الامر كله عليه سبحانه وجب رد كل امر اليه وقصر النظر عليه فقال سبحانه على ذلك عليه اي على الله وحده الذي ليس الحكم الا له توكلت اي جعلته وكيلي فرضيت فكل ما يفعل وعليه اي وحده فليتوكل المتوكلون اي الثابتون في باب التوكل فان ذلك من اعظم الواجبات من فضله فاز ومن اغفله خاب ثم انه سبحانه صدق يعقوب في ما قال موكدا لما اشار الى اعتقاده فقال ولما وعطفه بالواو يدل على انهم ما اسرعوا الكثر في هذه المرة حوفا من ان يقول لهم لم يفرغ ما عندكم حتى تضطروا الى الاستبدال به والزمان زمان رفق لان زمان بسط دخلوا اي اخوة يوسف عليه السلام عند وصولهم الى مصر من حيث امرهم اي به ابوهم من ابواب متفرقة قالوا وكان لمصر اربعة ابواب حاكان ذلك الدخول يغني اي يدفع ويجزي عنهم من الله اي الملك الاعلى الذي لا راد لامره واغرق في النفي فقال من شيء كما تقدم من قول يعقوب عليه السلام الا حاجة اي شيا غير انهم حاجه في نفس يعقوب وهي الدخول على ما امر به شفقة عليهم قضاها يعقوب وابرزها من نفسه الى اولاده فعملوا بما امرهم به بمراده فاغنى عنهم ذلك الخلاص من عقوق ابيهم فقط فانهم ابتلوا في هذه السفرة بامر عظيم لم يحدوا منه خلاصا وهو نسبتهم الى السرقة وانتزاع اخيهم منهم قال ابو حيان وفيه حجة لمن زعم ان لما صرف وجوب لوجوب لظرف زمان لمعنى حين اذ لو كان ظرف زمان ما جاز ان يكون معمولا لما بعد ما النافية انتهى ولما كان ذلك ربما اوهم انه لا فايدة في الاحتياط اشار تعالى الى رد ذلك بمدح يعقوب عليه السلام حثا على الاقتداء به في التسبب مع اعتقاده ان الامر بيد الله فقال وانه اي يعقوب عليه السلام مع امره لبنيه بذلك لذو علم اي معرفة بالحكمين حكم التكليف وحكم التقدير واطلاع على الكونين عظم لما اي للذي علمناه اياه من اصول الدين وفروعه ويجوز ان يكون المعنى لذو علم لاجل تعليمنا اياه فافتدوا به في الاحتياط في تعاطي الاسباب مع اعتقاد انه لا اثر لها الا ان امضاها الواحد القهار فبهذا التقدير يتبين ان الاستثناء متصل وفايدة ابراز في صورة الاستثناء ان عند من جعله منقطعا الاشارة الى تعظيم يعقوب عليه السلام وانه جدير بان يكون ما يامر به مغنيا لانه من امر الله فلو كان شيء يغني من قدر الله لاغنى ما اشار به وانما صرت يغني بيدفع لان مادة غنى باي ترتيب كان تدور على الاقامة فيكون اغنى السلب وهو معنى الدفع بيانه ان غنى

خ ردهم
خ اردهم
خ ردهم بجمع
خ بجمع
خ بجمع
خ

بمعنى اقام وعاش ولقي ومغنى الدار موضع الحلول ويلزم من الاقامة الكفاية والتمول لان الفقير منزعج مضطرب والغني
كالي التزوج واذا فتح مد والاسم الغنية بالضم وذلك لان التزوج لازم الاقامة والغانية المراة تطلب ولا تطلب والغنية
بحسنها عن الزينة او الشابة المتزوجة او الشابة العفيفة ذات زوج كانت ام لا ومثلها يلزم المنزل ويقصر في
في الخيام واغنى عنه غناء فلان ناب عنه منابه واجرا مجراه وحقيقته جعل اقامة كذا متجاوزة عنه فالمفعول
محذوف فاذا قال مثلا فلان اغنى عني في الحرب كان المعنى اغنى عني ضرب الابطال او شدة الحرب اي ازال اقامة ذلك
عني فجعله متجاوزا ولا شك ان معنى ذلك دفعه عني وكذا كل ما كان من ذلك وما فيه غنا ذاك اي اقامته والاضطلاع
به ويلزم ايضا من الاقامة التي هي المدار والكفاية التي هي سببها الغناء بالكسر والمد وهو التطريب بالصوت
والغنا ايضا الرمل لاقامته وغنى بالمراة تغزل اي نظم فيها الغزل وغنى بزيد مدحه او هجاه من لوازم الاقامة والكفاية
ومنه غنى الحمام صوت ونغى كرمى تكلم بكلام مفهم لان ذلك يسكن الخاطر عن القلق ومنه المناغاة وهي تكليم الصبي بما
يهوى ونغيت اليه نغية اي القيت اليه كلمة والنغية كالنغمة واول الخبر قبل ان يستثبته من تسمية الجزء باسم الكل
وناغاه داناه ومنه الموج يناغي السماء اذا ارتفع وناغاه باراه اي عارضه والمراة غازلها اي حادثها كل ذلك من
لوازم الاقامة والغين حرف هجاء مجهور مستعل لانها لقوتها مقيمة في مخرجها غير متزعزعة عنه كالراء والحروف الهوائية
وغيرها والغين العطش لانه الاصل لاقتضاء الحرارة له والري حادث والغين الغيم لاقامته في الهوا والغينة ارض
لانها موضع الاقامة والاشجار الملتفة بلا ماء هي ايضا موضع لذلك لانها ظليلة ولا ماء بارضها يمنع من الانتفاع بشيء
من ظلها والغينا الخضرا من الشجر وبئر وبالقصر قنة ثبير من الاثبرة السبعة لان ذلك كله موضع للاقامة ولعل قنة هذا
الجبل كثيرة الشجر فترجع الى الشجرة والاغين الطويل اما تشبيه بقنة الجبل او بالشجرة والغانة حلقة راس الوتر في
القوس وغين على قلبه غطي عليه اي اقام عليه ساترا له فصار كالسماء بالنسبة الى الغيم ومنه غين عليه اذا تغشته
الشهوة والبس او غشي عليه او احاط به الرين وهو الطبع والدنس والغينة بالكسر الصديد وما سال من الميت كانه
من سلب الاقامة وكذا الغين بالكسر لموضع كثير الحمى غانت نفسي تغين غثت والابل غامت اي حصل لها داء كالقلاب غير
انه لا يقتل ولما كان قد يظن ان كل احد يكون كذلك اي يعلم ما علمه نفى ذلك سبحانه ولكن اكثر الناس اي لاجل ما لهم
من الاضطراب لا يعلمون اي ليسوا بذوي علم لما علمناهم لاعراضهم عنه واستفراغ قولهم في الاهتمام بما وقع التكفل
لهم به من احوال الدنيا ومغالبة فطرهم القويمة السليمة بردها الى ما تدعوا اليه الحظوظ والشهوات حتى لا يكون
فيها طب لمخلوق ولما اخبر تعالى عن دخولهم الى البلد اخبر عن دخولهم لحاجتهم الى يوسف عليه السلام فقال
ولما دخلوا اي بنوه عليه السلام على يوسف في هذه القدمة الثانية اوى اليه اخاه شقيقه بنيامين بعد ان قالوا
له هذا اخونا الذي امرتنا به قد احضرناه فقال اصبتم وستجدون ذلك عندي والايواء ضم النفس بالتصيير الى موضع
الراحة وسبب ايوائه اليه انه امر كل اثنين منهم ان ياكلوا على حدة فبقي بنيامين بلا ثان فقال هذا ياكل معي ثم قال
ليأو كل اثنين منكم في بيت من خمسة ابيات افردها لهم وهذا الوحيد يكون معي في بيتي وهذا التفريق موافق لما امرهم
به ابوهم في تفريق الدخول فكانه قيل ماذا قال له هل اعلمه بنفسه او كتم ذلك عنه كما فعل بساير اخوته فقيل بل
قال معلما له لانه لا سبب يقتضي الكتم كما سياتي بيانه موكدا لما للاخ من انكاره لطول غيبته وتغير احواله وقطع الرجاء
منه اني انا اخوك يوسف ثم سبب عن ذلك قوله فلا تبتئس اي تجتلب البوس وهو الكراهة والحزن بما كانوا اي ساير
الاخوة كوناهم راسخون فيه يعملون مما يسوءنا وان زعموا انهم بنوا ذلك العمل على علم وقد جمعنا الله على خير ما يكون عليه
الاجتماع ولا نعلمهم بشيء من ذلك ثم انه ملا لهم اوعيتهم كما ارادوا وكانه في المرة الاولى ابطا في تجهيزهم ليتعرف اخبارهم
في طول المدة من حيث لا يشعرون ولذلك لم يعطف بالفاء واسرع في تجهيزهم في هذه المرة قصدا الى انفراده باخيه
من غير رقيب بالحيلة التي دبرها فلذلك اتت الفاء في قوله فلما جهزهم اي اعجل جهاز واحسنه بجهازهم ويويده فلما
جا امرنا اي في قصتي صالح ولوط عليهما السلام كما مضى في سورة هود عليه السلام جعل اي بنفسه او بمن امره السقاية التي
له وهي اناء يسقى به في رحل اخيه شقيقه ليحتال بذلك على ابقائه عنده مع علمه بان البصير لا يقضي بسرقته بذلك
مع احتمال ان يكون الصواع دس في رحله بغير علمه كما فعل ببضاعتهم في المرة الاولى واما غير البصير فضرر ثبوت ذلك
في ذهنه مغتفر لانه يسير بالنسبة الى ما يترتب عليه من النفع من الف اخوته بيوسف وزوال وحشتهم منه باقامته
عنده كما سياتي مع مزيد بيان هذا مع تحقق البراءة عن قرب فهو من باب ارتكاب اخف الضررين ثم امهلهم حتى انطلقوا
ثم ارسل اليهم فحبسوا ثم اي بعد انطلاقهم وامعانهم في السير اذن اي اعلم فيه بالنداء موذن قايلا برفيع صوته وان كانوا
في غاية القرب منه بما دل عليه اسقاط الاداة ايتها العير اي اهلها واكد لما لهم من الانكار انكم لسارقون اي ثابت لكم
ذلك لا محالة حقيقة بما فعلتم في حق يوسف عليه السلام او مجازا بانكم فاعلون فعل السارق كما ياتي بيانه انفا مع ان
هذا النداء ليس من قول يوسف عليه السلام ويحتمل ان لا يكون بامره حتى يحتاج الى تصحيحه بل يكون قايله فهم ذلك من
قوله عليه السلام صواعي مع الركب او كانهم اخذوا صواعي فاذهب فايتني بهم او به ونحو ذلك مما هو حق في نفسه
والعير القافلة التي فيها الاحمال والاصل فيها الحمير ثم كثر حتى اطلق على كل قافلة تشبيها بها وقد تضمنت الاية البيان عما

ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه
ضم اليه بنيامين وحيدا فبكى
وقال لو كان اخي يوسف حيا
لجلس معي فاجلسه معه على مايدته
ثم قال لينزل كل اثنين بيتا على
الطعام او في المنزل روي انه
اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى
فبقي بنيامين وهذا لا ثانية له
فيكون معي فبات عنده وقال
له الحب ان اكون اخاك
بدل اخيك الهالك قال من
يجد اخا مثلك ولكن لم يلد
يعقوب وراحيل قال اني انا
اخواك فلا تبتئس فلا تحزن
افتعال من البوس بما كانوا
يعملون في حقنا قاضي بيضاوي

بوجبه التلطف في بلوغ المراد من ايقاع الاسباب التي تودي اليه وتبعث عليه بظاهر جميل وباطن حق مما يخفى على كثير من الناس موقعه ويشكل عليه وجهه لانه انفذ له وابلغ للمطلوب منه فكانه قيل ان هذه لتهمة عظيمة فما قالوا في جوابها قيل قالوا في جواب الذين لحقوهم والحال ان آل اسرائيل اقبلوا وهو دليل على ان الذين لحقوهم كانوا جماعة الموذن احدهم كما هو شان ذوي الرياسة اذا ارسلوا في مهم بالجمع في قوله على اثرهم اي على جماعة الملك المنادي وغيره ماذا تفقدون لنا مما يمكننا اخذه قالوا نفقد وكان السقاية كان لها اسمان فعبروا هنا بقولهم صواع الملك والصواع الجام يشرب فيه ولمن جاء به اي اظهره ورده من غير تفتيش ولا عناء حمل بعير وهو بالكسر قدر من المتاع مهيا لان يحمل على الظهر واما الحمل في البطن فبالفتح وانا به زعيم اي ضامن وكفيل اؤديه اليه وافراد الضمير تارة وجمعه اخرى دليل على ان الكفيل واحد وانه نسب الى الكل لرضاهم به وفي الاية البيان مما يوجبه حال بعث الانسان للتثبت في الامر وترك الاسراع الى ما لا يجوز من القول فكانه قيل فما قال اخوة يوسف فقيل قالوا تالله اي الملك الاعظم فاقسموا قسما مقرونا بالتاء لانها يكون فيها التعجب غالبا قال الرماني لانها لما كانت نادرة في ادوات القسم جعلت للنادر من المعاني والنادر من المعاني يتعجب منه وقال الفارسي لان الواو والباء بدل من التاء التاء بدل من فلذلك ضعفت عن التعريف في سائر الاسماء ثم اكدوا براءتهم بقولهم لقد علمتم اي علما جربتم من امانتنا قبل هذا في كرتي مجيئنا ماجئنا واكدوا النفي باللام فقالوا لنفسد اي نوقع الفساد في الارض ولقد علمتم ما كنا اي بوجه من الوجوه سارقين اي موصوفين لهذا الوصف قط بمارايتم من اجوالنا من رد بضاعتنا التي وجدناها في رحالنا وغير ذلك مما عاينتم من شرف نفوسنا مع علمنا بالفاقة التي تضطر بعض الاحرار الى ركوب بعض المعاصي فظهر لبعض الحاضرين ممن لم يكن حاضرا حين قيل ما قال الذين من جملة العزيز قيل قالوا قولوا واثقين بانه في رحالهم فما جزاؤه اي الصواع ان كنتم كاذبين في تبرئكم من السرقة والجزاء مقابلة العمل بما يستحق عليه من خير او شر قالوا وثوقا منهم بالبراءة واخبارا بالحكم عندهم جزاؤه اي الصواع من ولما كان العبرة بنفس الوجدان بنوا للمفعول قولهم وجد في رحله ولتحققهم البراءة علقوا الحكم على مجرد الوجدان لا السرقة ثم اكدوا ذلك بقولهم فهو جزاؤه اي ليس غير فكانه قيل هل هذا امر احدثتموه الآن او هو شرع لكم فقالوا كذلك اي بل هو سنة لنا مثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين اي بالظلم دائما توقه في سرقته حينئذ فتشوا اوعيتهم فبدأ اي فتسبب عن ذلك انه بدأ الموذن او غيره ممن امر بذلك باوعيتهم ولما لم يكن بيت فتح اوعيتهم وفتح وعاء اخيه فاصل بعد فاصلا فكانت بدأته باوعيتهم مستغرقة لما بينهما من الزمان لم يات بجار فقال قبل وعاء اخيه اي اخي يوسف عليه السلام تبعيدا له ابعادا عن التهمة ثم اي بعد تفتيش اوعيتهم والتاء في ذلك اشعر بها اي اوجد اخراج السقاية التي تقدم انه جعلها في وعاء اخيه من وعاء اخيه ولما كان هذا كيدا عظيما في اخذ اخيه بحكمهم مما توثق منهم ابوهم عظمه تعالى بالاشارة اليه باداة البعد والاسناد اليه فقال كذلك اي مثل هذا الكيد العظيم كدنا ليوسف خاصة باز علمناه اياه جزاء لهم على كيدهم بيوسف عليه السلام ولذلك صنعنا جميع الصنايع التي اعلمت يوسف عليه السلام وانجات اخوته الذين كادوه بما ظنوا انه ابطل امره الى المجيء اليه الى ان كان آخرها حكمهم على انفسهم بما حكموا ثم علل ذلك بقوله ما كان او هو استيناف تفسير للكيد واكد النفي باللام فقال لياخذ اخاه ولما كان الاخذ على جهات مختلفة قيده بقوله في دين الملك يعني ملك ملك على حالة من الحالات لان جزاء السارق عندهم غير هذا الا ان يشاء الله اي الذي له الامر كله ذلك بسبب يقيمه كهذا السبب الذي هو حكم السارق واهله على انفسهم فلا يكون حينئذ من الملك الا تخليتهم وما حكموا به على نفوسهم ومادة سرق بتراكيبها الاربع سرق وسقر وقسر وقرس تدور على الغلبة المحرقة الموجعة وتارة تكون بحر وتارة ببرد وتارة بغير ذلك وتلازمها القوة والضعف والكثرة والقلة والخادعة فيما يخفا والليل لمن مطلقا لغلبة الستر وهو الغلبة والقهر وقال ابن دريد القسر الاخذ بالغلبة والاضطهاد والقسورة الاسد والعزيز كالقسور والرماة من الصيادين واحده قسور ونبات سهل كانه يكثر فيه الصيد فتشابه الساورة وقسور البيت كثور كز الناس اي صوتهم الخفي وحسهم لان الصيادين يتحافتون والسقر لغة في الصقر لطير يصيد وقسر جبل السراة كانه موضع الصيد والقسر والغلبة والتيسر الكثير لانه ملزوم للغلبة وضرب من الجمال كانه سمي لمطلق الكثرة ولاذاه بما يعانيه من النجاسات والتيسر ايضا من الابل العظيم او الصلب او الضخم الشديد وجمل قراسيه بالضم وتخفيف الياء ضخم والقرس بالكسر صغار البعوض والقسورة ايضا من الغلمان الشاب القوي والرامي لانه اهل لان يغلب والقسور ايضا الصياد مطلقا ويلزمه المخادعة والاستخفاء ومنه القسورة نصف الليل او اوله او معظمه لانه محل الاستخفاء والمقاهرة ومنه السرق وهو الاخذ في خفية وعبارة القزاز في ختل وغفلة وسرق كفرح خفي والسوارق الزوايد في فرائض القفل لغرابتها وخفاء امرها او لسلب السرقة بمنها السارق من فتح القفل والمسترق المستمع مختفيا وانسرق عنهم خفي لينهب ويلزم المخادعة والاختفاء نوع ضعف ومنه سرقت مفاصله كفرح ضعفت والمسترق الناقص الضعيف الخلق وانسرق قتر وضعف امامنه وامامن السلب لان من قتر او ضعف يكف عن السرقة والاذى وقسور الرجل اسن وكان منه القارس والقرليس اي القديم ومسترق العنق قصيرها كانه سرق منها شيء وهو يسارق النظر اليه اي يطلب

غفلته لينظر اليه وتسرق سرق شيئا فشيئا وسرق كسكر كان اسمه الحباب فابتاع من بدوي راحلتين ثم
اجلسه على باب دار ليخرج اليه بثمنهما فخرج من الباب الآخر وهرب بهما فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سرقا وكان
لا يحب ان يسمي بغيره والسرق محركا اجود الحرير او الحرير الابيض او الحرير عامة فارسي معرب اصله سره
تمام الغزال ومعناه جيد لانه اول ان يقصد بالسرقة لخفة محمله وكثرة ثمنه والسرقين معرب سركين لكن
ان يكون من الضعف ولعل المعرب يكون خارجا عن اصل المادة لانه لا اصل له في العربية ومن الاذي بالحر
السقر حر الشمس واذاه يقال سقرته الشمس بالسين والصاد اذا لفحته وماغه ومنه استقاء سقروه لو
اسم احدى طبقات النار والسقر القيادة على الحرم والسقوما يسيل من الرطب من التسمية باسم السبب
لان الحر سببه والتوسرة التوصرة وبحفقان لانه يوضع فيه التمر الذي قد يكون منه السقر والساقر الكاذب
واللعان لغير المستحقين لكثرة الاذي او لاستحقاق الكون في سقر والساقور الحر والحديدة يكوي بها الحمار
ومن الاذي بالبرد القرس وهو البرد الشديد والبارد والقرس وبحرك ابرد الصقيع واكثفه والعرس بالتحريك
الجامد والقرس العود جمد ماؤه ومنه القريس لسمك طبخ وترك حتى جمد وقرس الماء جمد والبرد اشتد كقرس
كفرح والقراس وبقال لبنات قراس كسحاب اجل باردة او هضاب بناحية السراة وقرسنا الماء بردناه ان
اذا تقرر ذلك فتصحيح قولك لعون انكم لسارقون ان نظرا الى العلمة في خفاء فلا شك انهم متصفون بذلك لاخلاص
يوسف من ايبه عليهما على هذه الحالة وان نظرا الى مطلق الاخذ في فيكون اطلاق ذلك عليهم مجازا لان معهم في الحال
ندامة لهم وهم سايرون شيا ليس بولهم هم ذاهبون به في خفا اي انهم في هذه الحالة فاعلون فعل السارق وتعوي
ارادة الاول قوله تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله من وجدنا متاعنا عنده كما ياتي
ولما كان يوسف عليه السلام انما يمكن من ذلك بعلو درجته وتمكنه ورفعته بعد ما كان فيه عندهم من الصغار
كان ذلك محل عجب فقال تعالى لتقاتا الى مقام التكلم تقوية للكلام بمقامي الغيبة والتكلم وزاده اشعارا
بعظمة هذا الفعل بصوغه في مظهر العظمة منبها لمن قد يغفل نرفع اي بما لنا من العظمة وكان الاصل درجاته ولكنه
عمم لانه ادل على العظمة فكان اليق بمظهرها فقال تنبيها على انه كان حصل ليوسف عليه السلام من العظم ما لا يظن كل
ظن انه لا يرتفع بعده درجات من نشاء اي بالعلم ولما كان سبب الرفعة هو العلمية بالاسباب وذلك ان الخلق
لو اجتهدوا في خفض احد فنصبوا له كل سبب علوه وقدروا عليه واراد الله ضد ذلك لقبض بعلمه سببا واحدا
ان شاء فابطل جميع تلك الاسباب وقضى برفعته نبه تعالى على ذلك بقوله وفوق كل ذي علم اي من الخلق عليم
عظيم العلم لا تكتنه عظمة علمه العقول ولا تتخيلها الفهوم فهو يسبب من الاسباب ما تطيح له اسباب العلما وتجبو
له اتباب العقلا البصرا وهو الله تعالى كما نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وسعيد بن جبير فالتنوين
للتعظيم ولما تم ذلك كان كانه قيل ان انتزاع اخيهم منهم بعد تلك المواثيق التي اكدوها لابيهم لداهية تطيش
لها الحلوم فما ذا كان فعلهم عندها فقيل قالوا تسلية لانفسهم ودفعا للعار عن خاصتهم ان يسرق فلم يحزموا بسرقته
لعلمهم بما انتم وظنهم ان الصواع دس في رحله وهو لا يشعر كما دست بضاعتهم في رحالهم وانما اوهى ظنهم هذا ان
سكوت اخيهم عن الاعتذار به على انه قد ورد انهم لا منوه فقال لهم وضعه في رحل الذي وضع البضاعة في
رحالكم فقد سرق اي شقيق له ولما كان ما ظنوه كذلك في زمن يسير دخلوا العار فقالوا من قبل يعنون يوسف
عليه السلام وذلك انه قيل ان عمته كانت لا تصبر عنه وكان ابوه لا يسمح بمكثه عندها لانه لا يصبر عنه فحزمته من
تحت ثيابه بمنطقه ايها استحق عليه السلام وكانت عندها ثم قالت فقدت منطقه اي فاكشفوا اهل البيت موجرد
مع يوسف عليه السلام فسمع يعقوب عليه السلام حينئذ لها يبقاينه عندها فاسرها اي اجابتهم عن هذه المقولة
القبيحة يوسف في نفسه اي على تمكنه بما يريد به من الانتقام ولما كان ربما ظن ظان انه يكتم بها بعد ذلك نفي هذا
الظن بقوله تعالى ولم يبدها اي اصلا لهم فكانه قيل فما قولته التي اسرها في نفسه فقيل قال انتم شر مكانا اي من
يوسف واخيه لان ما نسب اليهما من الشر انما هو ظاهر الامر خير اقتضاه واما انتم ففعلتكم بيوسف شر مقصود منكم
ظاهرا وباطنا ونسبة الشر الى مكانهم اعظم من نسبته اليهم وانما قدم الاخبار بالاسرار مع اقترانه بالاضمار
قبل الذكر ليلا يظن بادي بدء انهم سمعوا ما وصفهم به من الشر والله اي الذي له الاحاطة الكاملة اعلم بما تصفون
منكم وانه ليس كما قلتم والوصف كلمة مشتقة من اصل من الاصول لتجري على مذكور فتفرق بينه وبين غيره بطريق
التقييض كالفرق بين العالم والجاهل ونحوهما فكانه قيل ان ذلك القول على فحشه ليس مغنيا عنهم ولا عن ابيهم
شيا فهل اقتصروا عليه فقيل لا بل قالوا اتماما لما يغيظهم يا ايها العزيز مخاطبوه بما يليق بالاكابر ليرق لهم
ان له اي هذا الذي وجد الصواع في رحله ابا شيخا كبيرا اي في سنه وقدره وهو معروم به لا يقدر على فراقه
ولا يصبر عنه خذ احدنا مكانه واحسن الي ابيه بارساله اليه انا نراك اي نعلمك علما هو كالرؤية او نحسب ما
رايناه من المحسنين اي العريقين في صفة الاحسان فاجر في امرنا على عادة احسانك فكانه قيل فما اجابهم فقيل
قال معاذ الله اي نعوذ بالذي لا مثل له معاذا عظيما ان ناخذ اي لاجل هذا الامر الا من اي الشخص الذي وجدنا

قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فاخذ احدهم مكانه انا اذا لظالمون ان الله اذن اه اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فاحى بنفاذ

متاعنا عنده ولم يقل سرق متاعنا لانه كان لم يفعل في الصواع فعل السارق لم يقع منه قبل ذلك ما يقتضي اطلاق
الوصف عليه ثم علل ذلك بقوله انا اذا اي اذا اخذنا احدا مكانه لظالمون اي عريقون في الظلم في ديننا فلم تطلبون
ما تظلم عندكم ذكر ما بعد ما سلف من هذه القصة من التورية قال وكان التهم وفي نسخة الجوع والارجاف على جميع
وجه الارض فتح يوسف الاهراء قبل جميع المصريين واشتد الجوع بارض مصر واقبل جميع اهل الارض يأتون
للامتيار من يوسف فبلغ يعقوب ان عصر طعام ميره فقال يعقوب لبنيه لا خوف عليكم لانه قد بلغني ان عصر ميرة
فاهبطوا الي هناك فامتاروا لنا فنحيى ولا نموت فهبط بنوا يعقوب العشرة ليمتاروا ميرة من مصر فاما بنيامين
اخو يوسف فلم يرسله يعقوب مع اخوته لانه قال لعله ان يعرض له عارض فاتى بنوا اسرائيل ليمتاروا مع الذين
كانوا ينتظرون لان الجوع اشتد في ارض كنعان وكان يوسف هو المسلط على الارض وكان يبيع جميع شعب الارض
فاتى اخوة يوسف فخروا له سجدا على الارض فراى يوسف اخوته فاثبتهم وتناكر عليهم وكلمهم تنظا وقساوة وقال
لهم من اين انتم فقالوا انا اتينا من ارض كنعان لنمتار ميرة فذكر يوسف الرؤيا التي قصها عليهم وقال لهم انكم جواسيس
وانما اتيتم لتفحصوا وتطلعوا الارض فقالوا كلا يا سيدنا ان عبيدك انما اتوا ليمتاروا نحن اجمعون بنو رجل واحد
ونحن ابرياء وليس عبيدك بطلايع فقال لهم يوسف ليس الامر كما تقولون بل انما اتيتم لتجسوا ارضنا فقالوا له نحن اثني
عشر رجلا اخوة عبيدك بنو رجل واحد بارض كنعان والآخر هو عند ابينا يومنا هذا والآخر فقدناه فقال لهم يوسف
اني انما قلت لكم انكم جواسيس من اجل هذا لهذه تمحنون وحق فرعون لا اخرجكم من ههنا حتى ياتي اخوكم الاصغر الي
ههنا فتفحص عن اقاويلكم ان كنتم نطقتم بالحق والقسط والا وحق فرعون انكم طلايع فقذفهم في الحبس ثلثة ايام
ودعا بهم يوسف في اليوم الثالث وقال لهم افعلوا ما امركم به فتحيوا فاني اراقب الله فيكم ان كنتم ابريا فليحبس احدكم
في محبسكم وانطلقوا انتم بالميرة للجوع الذي في بيوتكم فاتوني باخيكم الاصغر فاصدق قولكم ولا تموتوا ففعلوا كما امرهم
فقال كل امرء منهم لصاحبه حقا انا قد استوجبنا السجن على اخينا اذ راينا كرب نفسه اذ كان يتضرع الينا فلم نرحمه
ولم نتراف عليه من اجل ذلك نزلت بنا هذه البلية والشر فاجاب روبيل وقال لهم الم اقل لكم لا تاثموا بالغلام فلم
تقتلوا وهو ذا الآن نحن مطالبون بدمه ولم يعلموا ان يوسف يفهم كلامهم لانه اوقف ترجمانا بينه وبينهم فتنحى عنهم
فبكا ثم رجع اليهم يكلمهم ثم اخذ منهم شمعون فاوثقه تجاههم وامر يوسف ملاء اوعيتهم ميره وامر برد ورق كل امرء
منهم في وعائه وان يزودوا زادا للطريق ففعل ذلك بهم كما امر يوسف فحملوا ميرتهم على حميرهم وانطلقوا ففتح بعضهم
وعاءه ليلقي قضيما لحماره في مبيتهم فراى ورقه موضوعا على طرف حمولته فقال لاخوته ورقي رد الي وهو ذا هو
على طرف حمولتي فارتجفت قلوبهم وفزعت نفوسهم وتعجب كل امرء منهم فقالوا يا ليت شعري ما هذا الذي صنعه
الله بنا فاتوا يعقوب اباهم الى ارض كنعان فاخبروه بجميع ما عرض لهم وقالوا ان الرجل سيد الارض كلمنا بغلظة
وقساوة وحسبنا بمنزلة الجواسيس ابينا لنطلع الارض فقلنا انا ابريا عدول فلسنا بطلايع فنحن اثنا عشر اخا
بنو اب واحد فقد واحدا منا والآخر عندا بينا يومنا هذا بارض كنعان فقال لنا سيد الارض ورئيسها بهذا اعلم
انكم ابرا ردول خلفوا عندي احد اخوتكم واحملوا ميره لجوع الذي في بيوتكم وانصرفوا فاتوني باخيكم الاصغر معكم
فاعلم حينئذ انكم لستم بطلايع بل انتم ابريا عدول واامر بدفع اخيكم اليكم ويتجرون في الارض فبينما هم يفرغون اوعيتهم
فاذا هم بصرة كل امرء منهم على طرف وعايه فراوا ورقهم مصرورا ففزعوا هم وابوهم فقال لهم ابوهم انكم قد اثكلتموني
ولدي وافقد تموني ايا هما لان يوسف فقدته وسمعان محبوس وتنطلقون ببنيامين ايضا وقد كملت علي المصايب
كلها فقال روبيل لابيه ثكلت ابني جميعا ان لم آتك به ادفعه الي وانا ارده اليك فقال لا يهبط ابني معكم لان اخاه
يوسف توفي وهو وحده الباقي من امه فتعرض له آفة في الطريق الذي تسلكونه فتنزلون شيبتي الى الجدث بالشقا
والضجر فاشتد الجوع على الارض فلما اكلوا الذي اتوا به من مصر وافنوه قال لهم يعقوب ابوهم اهبطوا فامتاروا
لنا شيا من ممح فقال له يهوذا ان الرجل انذرنا وتقدم الينا وقال لا تعاينوا وجهي الا واخوكم معكم فان انت
ارسلت اخانا معنا فانا نهبط فنمتار وان لم تبعثه لم ننطلق فقال لهم ابوهم ولم اسأتم الي فاخبرتم الرجل ان لكم اخا
فقالوا الرجل سال عنا وعن رهطنا وقال ان اباكم في الحيوة بعد وهل لكم اخ فاخبرناه من اجل هذا الكلام اكنا
نعلم انه يقول اهبطوا معكم باخيكم وقال يهوذا لاسرائيل ابيه سرح الغلام فننطلق فنحيا ولا نموت نحن وانت
ايضا وشيخنا انا اكفل به فان لم آتك به فاتيمه بين يديك فانا مخطئ بين يديك الى جميع الايام فقال لهم ابوهم
اسرائيل اذا كان الامر هكذا فافعلوا ما امركم به احملوا في اوعيتكم من ثمار هذه الارض شيا من صنوبر وعسل
وعلك البطم وخروب وحبة الترو وبطم ولوز وخذوا من الورق ضعفا الذي في اوعيتكم لعل ذلك ان يكون
رضا منهم واطلقوا باخيكم الى الرجل وارجعوا الى بلدكم والده المواعيد يظفركم من الرجل برحمة ورافة فيرسل
باخيكم الآخر معكم وبنيامين ايضا فاخذ القوم هذه الهدية وضعفا من الفضة وانطلقوا معهم بجنيامين واتوا
يوسف فوقفوا بين يديه فراى يوسف بنيامين معهم فقال لحاجبه ادخل القوم الى المنزل واذبح ذبيحا وهيئ الغداء
لان القوم يتغدون معي ظهرا ففعل العبد كما امره يوسف وادخل القوم الى منزل يوسف وقالوا انهم انما يدخلونا

ولم يعتد لنا صاحبه
صانه الله عرضه

بسبب الورق الذي وجدنا في اعدالنا من قبل فيريدون ان يتطاولوا علينا ويمكروا بنا فيجعلونا عبيدا ودوابنا
ملكا فدنوا من الرجل حاجب وفي نسخة خازن يوسف فكلموه على باب المنزل وقالوا له انا نطلب اليك يا سيدنا انا
هبطنا اولا الى ههنا فامترنا قمحا فلما طلعنا وصرنا في البيت اذا نحن بورق كل واحد منا في عدله فقد رددنا اوراقنا
بوزنها معنا واتينا معها باوراق اخر لنمتار بها ولا نعلم من الذي صير اوراقنا في اوعيتنا فقال لهم السلام لكم لا
تخافوا ولا تستوفضوا الاهكم اله المواعيد اله ابيكم ذخر لكم هذه الذخيرة في اوعيتكم لان ورقكم قد صار في قبضتي
واخرج اليهم شمعون فادخل العبد القوم الى منزل يوسف واتاهم بماء فغسلوا ايديهم واقدامهم والقى قضيما لدوابهم
فاعد القوم هديتهم قبل دخول يوسف وقت المقابلة انه بلغهم ان غداهم يكون هناك فدخل يوسف الى منزله فادخلوا
هديتهم فوضعوها بين يديه في منزله وخروا له سجدا على الارض فسالهم عن سلامتهم وقال اسالم هو ابوكم الذي اخبرتموني
عنه انه في الحيوة هو بعد فقالوا ان ابانا عبدك سالم ثم جثوا فسجدوا فرفع نظره فابصر بنيامين اخاه ابن امه
فقال لهم هذا اخوكم الذي اخبرتموني فقالوا نعم فقال له الله يترأف عليك يا بني فاستعجل يوسف لانه رق له وتحنن
عليه فاراد البكا فدخل الى مكانه فبكا هناك ثم غسل وجهه وخرج فصبر نفسه فامر ان ياتوهم بالغدا فوضعوا
بين يديه وحده وقربوا اليهم وحدهم لانه لا يستطيع اهل مصر ان ياكلوا مع العبرانيين لان هذه نجاسة عند المصريين
فامر فاتكا الاكبر على قدر سنه والاصغر على قدر سنه فتعجب القوم ومكثوا محيرين مشدوهين فاعطى كل امرئ
منهم من بين يديه جزءا واعطى بنيامين اكثر منهم خمسة انصبه فشربوا فامر خازنه وقال له اوقر اوعية القوم
من البر ما امكنهم حمله وصير ورق كل امرئ منهم على طرف وعائه وخذ طاسي الفضه وصيره في وعاء الاصغر
مع ورق ميرته ففعل العبد كما امر يوسف فلما كان من الغد سرح القوم لينطلقوا هم وحميرهم فخرجوا من القرية
وقبل ان يخرجوا منها قال يوسف لخازنه قم فامض في طلب القوم والحقهم وقل لهم لم كافيتم الشر بدل الخير فاخذتم
الطاس الذي يشرب فيه سيدي ويعتاف فيه اعتيافا فاساتم فيما جاء منكم فلحقهم وقال لهم هذه الاقاويل فقالوا
له لا تقولن يا سيدنا هذه الاقاويل معاذ الله ان يفعل عبيدك هذه الفعال نحن رددنا اوراقنا التي وجدنا في
اوعيتنا من ارض كنعان فكيف نسرق من بيت سيدك ذهبا او فضة من وجد عنده من عبيدك فليمت ونكن نحن عبيدا
لسيدنا قال لهم هو على ما تقولون من وجد عنده فهو يكون لي عبدا وانتم تكونون فلحين طاهرين فاستعجل كل منهم
دعاه ففتشوا ابتدا بالاكبر وانتهى الى الاصغر فوجدوا الطاس في وعاء بنيامين فمزقوا ثيابهم وخرقوها
وحمل كل امرئ وعاه على حماره ورجعوا الى القرية فدخل يهودا واخوته على يوسف وكان في منزله بعد فخروا
بين يديه على الارض فقال لهم يوسف ما هذا الفعل الذي جاء منكم اما تعلمون ان رجلا مثلي يعتاف وفي نسخة
يمتحن بكاس اعتيافا فلم تتعدون عليه وتاخذونه فقال يهوذا بماذا نكلم سيدنا وبماذا ننطق وبماذا نفلح
وفي نسخة نحتج من عند الله نزلت هذه الخطية بعبيدك هوذا نحن عبيد لسيدنا نحن ومن اصيب الكاس عنده فقال
معاذ الله ان افعل هذا بل الرجل الذي وجد الكاس عنده يكون لي عبدا وانتم فاصعدوا بسلام الى ابيكم فدنا
منه يهودا فقال انا اطلب اليك يا سيد ان تاذن لعبدك بالكلام بين يديك يا سيد ولا تشعل غضبك على عبيدك
لانك مثل فرعون سال سيدي عبيده فقال لهم هل لكم اب او اخ فقلنا لسيدنا ان لنا ابا شيخا وابنا له صغيرا
ولد على كبر سنه وان اخاه مات وهو الباقي وحده لامه وابوه يحبه وامرت عبيدك وقلت اهبطوا به الي
حتى اعرفه واعاينه فقلنا لسيدنا لا يقدر الغلام على مفارقة ابيه لانه ان فارقه ابوه توفي فقلت لعبيدك
انه ان لم يهبط اخوكم الاصغر معكم فلا تعودوا ان تعاينوا وجهي فلما صعدنا الى عبدك ابينا اخبرناه بقول
سيدنا فقال لنا عبدك ابونا ارجعوا فامتاروا شيا من بر فقلنا لابينا لا نقدر على الهبوط الا ان نهبط باخينا
الاصغر معنا لانا لا نقدر على معاينة وجه الرجل ان لم يكن اخونا معنا فقال لنا عبدك ابونا انتم تعلمون ان امراتي
ولدت لي ابنين فخرج واحد من عندي فقلتم انه قتل قتلا فلم اعاينه الى يوم الناس هذا فتحملون ايضا هذا من
عندي فيعرض لهم صد فيهبطون بشيخوختي بحزن وشر الى القبر والان اذا نحن انطلقنا الى عبدك ابينا وليس
الغلام معنا ونفسه حبيبة اليه فاذا علم ان الغلام ليس هو معنا يموت فيهبط عبدك شيبة ابينا بالشقاء والتشحيب
لان عبدك ضمن الغلام لابينا وقلت اني اذا لم اتك به اخطي باقي جميع الايام والان فليبق عبدك بدل الغلام
عبدا لسيدي وليصعد الغلام مع اخوته لاني افكر كيف اصعد الى ابي وليس الغلام معي كيلا اعاين الشر
الذي ينزل بابي ولما اياسهم بما قال عن اطلاق بنيامين حكى الله تعالى ما اثمر لهم ذلك من الراي فقال
فلما دالا بالفاء على قرب زمن تلك المراجعات استياسوا منه اي تحول رجاؤهم لتخلية سبيله لما راوا من
احسانه ولطفه ورحمته باسا شديدا بما راوا من ثباته على اخذه بعينه وعدم استبداله خلصوا اي انفردوا
من غيرهم حال كونهم نجيا اي ذوي نجوى يناجي بعضهم بعضا من المناجاة وهي رفع المعنى من كل واحد الى صاحبه
في خفاء من النجو وهو الارتفاع من الارض قاله الرماني او تمحضوا تناجيا لافاضتهم فيه بجد كانهم صورة
التناجي فكانه قيل فما قالوا فقيل قال كبيرهم في السن وهو روبيل الم تعلموا مقررا لهم بما يعرفونه مع قرب

فلما استيأسوا منه من يوسف واجابته اياهم وزيادة
السين والنون للمبالغة خلصوا انفردوا او اعتزلوا
نجيا مناجين وانما وصف لانه مصدر او نزلته
كما قيل هم صديق وحجيج كندع وانذتع
قال كبيرهم في سن وهو روبيل
او في الرأي وهو شمعون
وقيل يهوذا الم تعلموا ان
أباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله
عهدا وشيقا وانما جعل حلفهم
منه وتاكيدا من جهته ومن قبل هذا
ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وحقه
ويجوز ان يكون مصدرا في موقع النصب
بالعطف على ما مفعول تعلموا او الا ناصبة
بالفعل بين الواو والمعطوف
بالظرف وهو من قبل او على اسم ان
وخبره في يوسف او من قبل او الرفع
بالابتداء والخبر من قبل وفيه تنظير
لانه قيل اذا كان ضررا او صلة
لا يتقطع عن الاضافة حتى لا ينقض
وان يكون موصولة اي فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية
وعلة ما تقدم فلن ابرح الارض
فلن افارق ارض مصر حتى يأذن
لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي
او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص
اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه
روي انهم كلموه الغوث في الخلاص
فقال روبيل ايها الملك والله
لتتركن او لاصيحن صيحة تنفض
منها الحوامل ثم وقعت شعوري
حسبتم فخرجت من شيابر فقال
فقال يوسف لانبه فحم اضمحل
وكان شيوخ يعقوب اذا غضب اصفر لونه
فحمي الآخر ذهب غضبه فقال روبيل
من هذا ان في هذا البلد لبيزا
من بيزر يعقوب وهو خبير اي عالم بمن
لانه حكم لا يكون الا بالحق فاخبر بصفاته

الزمان ليشتد توجعهم في بذل الجهد في الخلاص من غضب ابيهم ان اباكم اي الشيخ الكبير الذي يجتمعون في اجب ولده
اليه ولما كان المقام بالتقرير ومعرفة صوره الحال لتوقع ما يأتي من الكلام قال قد اخذ عليكم اي قبل ان يعطيكم
هذا الولد الاخر موثقا ولما كان اسه تعالى هو الذي شرعه كما مضى كان كأنه منه فقال من الله اي ايمان الملك الاعظم لتأتنه
به الا ان يحاط بكم ومن قبل اي قبل هذا ما فرطتم اي قصرتم بترك التقدم بما يحق لكم في ظن بكم او فيما ادعيتم به بكم تفريطا
عظيما فان زيادة ما تدل على ارادته لذلك في ضياع يوسف فلا يصدقكم ابوكم اصلا بل يضم هذه الى تلك فيعلم بها
خيانتكم قطعا واصل معنى التفريط التقدم من قوله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض ولما كان الموضع
موضع التاسف والتفجع والتلهف اكده بما النافية لتقيض المثبت كما سلف غير مرة اي ان فعلكم في يوسف ما كان الا
تفريطا لا شك فيه فلن ابرح اي افارق هذه الارض بسبب هذا وايصاله الفعل بدون حرف دليل على انه صار شديد
الالتصاق بها حتى يأذن لي ابي في الذهاب منها او يحكم الله اي الذي له الكمال كله ووثقنا به وهو اي ظاهرا وباطنا خير
الحاكمين اذا اراد امرا بلغه بإحاطة علمه وشمول قدرته وجعله على احسن الوجوه واتقنها فكانه قيل هذا ما راي ان
يفعل في نفسه فما راي لاخوته فقيل ارجعوا الى ابيكم اي له متلطفين في خطابكم يا ابانا واكدوا امعانا لكم فانه ينكرها
راي فيه فرح فقال ارجعوا الى ابيكم اي له دوني فقولوا اي له متلطفين في خطابكم يا ابانا واكدوا امعانا لكم فانه ينكرها
فقولوا ان ابنك اي شقيق يوسف عليه السلام الذي هو اكملنا في البنوة عندك سرق ولما كانوا في غاية الثقة من ان
احدا منهم لا يلم مثل ذلك اشاروا اليه بقولهم وما شهدنا اي في ذلك الا بما علمنا ظاهرا من رؤيتنا الصواع يخرج من
وعائه والشهادة الخبر عن احساس بقول او فعل وتجوز الشهادة بما ادى اليه الدليل القطعي وما كنا للغيب اي الامر
الذي غاب عنا حافظين فلعل حيله دبرت في ذلك غاب عنا علمها كما صنع في رد بضاعتنا واسئل القرية اي اهلها ان
وجدوا انها ان كانت تنطق التي كنا فيها وهي مصر عما اخبرناك به نخبروك بصدقنا فان الامر قد اشتهر عندهم واسئل العير
اي اصحابها وهم قوم من كنعان جيران يعقوب عليه السلام التي اقبلنا فيها والسؤال طلب الاخبار باداته من الهمزة وما
ونحوها والقرية الارض الجامعة الحدود فاصلة واصلها من قريت الماء اي جمعته وسيأتي شرح لفظها آخر السورة
والعير قافلة الحمير من العير بالفتح وهو الحمار هذا الاصل كما تقدم ثم كثر حتى استعمل في غير الحمير ولما كان ذلك جديرا ان
يأتي بالانكار لما يتحقق من كرم اخيهم اكدوه بقولهم وانا اي والله لصادقون فكانه قيل فرجعوا الى ابيهم وقالوا ما قال
لهم كبيرهم فكانه قيل فما قال لهم فقيل قال بل اي ليس الامر كذلك لم تصح نسبة ابني الى السرقة ظاهرا ولا باطنا اي لم
يأخذ شيئا من صاحبه في خفاء بل سولت اي زينت تزيينا فيه عني لكم انفسكم امرا اي حدثتكم بامر ترتب عليه ذلك والامر
الشيء الذي من شأنه ان تأمر النفس به وكلا الامرين صحيح اما النفي فواضح لان بنيامين لم يسرق الصواع ولا هم بذلك
ولذلك لم ينسبه يوسف عليه السلام ولا منادية الى ذلك بمفرده واما الاثبات فاوضح لانه لو لا فعلم بيوسف عليه السلام
لما سولت لهم فيه انفسهم لم يقع هذا الامر لبنيامين عليه السلام فصبر جميل مني ان ظني بي الله جميل وفي توكله عسى الله اي
المحيط بكل شيء قدرة وعلما ان يأتيني بهم اي بيوسف وشقيقه بنيامين وروبيل حميعا ما يدل الظن على انه تعوض
ان هذه الافعال نشأت عن يوسف عليه السلام وان الامر الى سلامة واجتماع ثم علل ذلك بقوله انه هو اي وحده
العليم اي البليغ العلم بما خفي عنا من ذلك فيعلم اسبابه الموصلة الى المقاصد الحكيم اي البليغ في احكام الامور في
ترتيب الاسباب بحيث لا يقدر احد على نقض ما ابرمه منها وترتيب اوصفين على غاية الاحكام كما ترى لان الحامل الى
العلم بما غاب من الاسباب اكثر من دعائه الى معرفة حكمتها قال لهذه المقالة وتولى اي انصرف بوجهه عنهم لما تفاقم
عليه من الحزن وبلغ به من الجهد وهاج باجتماع حزن الى حزن من الحزن وكراهيه لما جاؤا به واقبالا على من اليه الامر
وقال مشتكيا الى الله لا غيره فهو تعريض باشد التفرع والدعاء يا اسفا اي يا اشد حزني والالف بدل عن ياء الاضافة
لتدل على بلوغ الاسف الى ما لا حد له وجانس الاسف مع يوسف مما لم يتعد فيكون مطبوعا فيصل الى نهاية الابداع واصله في
القرآن كثير على يوسف هذا او انك الذي ملأني بكثرة فنادى كما انادمك وخصه لانه قاعدة احزانه التي انبنى عليها
وتفرع منها ما بعدها وابيضت عيناه اي انقلب سوادهما الى حالة البياض لكثرة الاستعبار فعمي البصر من الحزن الذي
هو سبب البكاء الدائم الذي هو سبب البياض من فتح الاسباب الاول بيقال لبلوغ حزنه عليه السلام حزن سبعين ثكلى وما
شاء ظنه فقط ثم علل ذلك بقوله فهو اي لسبب الحزن كظيم اي شديد الكظم لا متلائه من الكرب مانع نفسه من عمل ما
يقتضيه ذلك من الرعونات بما اتاه الله من العلم والحكمة وذلك اشد ما يكون على النفس واقوى ما يكون للحزن فهو
فعيل بمعنى مفعول وهو ابلغ منه من كظم السقاء اذا شده على ملئه وما دة كظم تدور على المنع من الاظهار ويلزمه
الكرب لانه من شأن الممنوع مما قد امتلأ منه ويلزمه الامتلاء لان ما دونه ليس فيه قوة الظهور كظم غيظه اذا
سكت بعد امتلائه منه وكظت السقاء اذا ملأته وشددته وكظم البعير جرته واذا ردها وكف والكظم مخرج النفس
لانه به يمنع من الجري في هواه والكظامة حبل يشد به خرطوم البعير لمنعه مما يريد وايضا يوصل بوتر القوس
العربية ثم يدار بطرف السية العليا منعا له من الانحلال وايضا قناة في باطن الارض يجري فيها الماء لانه يمنع الماء
من ان ياخذ في هواه فيرتفع في موضع النبع فيظهر على وجه الارض وخرق يجري فيه الماء من بئر الى بئر لانه لا يمنع

و ابيضت عيناه من الحزن بكثرة مجاريه من الحزن فاه العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وغيره الى بياض كدرد على الابيض بالحزن والماء من البكاء المتوالي لانه ثمرة الحزن فعدل بالاصل الذي يعاينه البكاء والحزن الغلبة على النفس من الارض الحزن بفتح الحاء اي الغليظة والظاهر انه عليه السلام عمل لقوله تعالى فاذ تبصر وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ومثل ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند اشتداد البلوى ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وهو كظيم علوم من الغليظ على اولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره فعيل عين مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او عن قاطع لقوله والكاظمين الغيظ من كظم البعير جرته اذا رددها في جوفه والكظم بفتح الظاء مجرى النفس قالوا ان له بجوار الحلق تفتاء خرقت منه لا وخرقها جائز لا يلبس بالاثبات اذ لو كان اذ لا بد في الاثبات من اللام والنون فرينة النفي خلوه عن علامة الاثبات والمعنى لا تزال ولا تفتؤ لا تزال تذكر ضمير الخطاب وتذكر ضمير تفتاء اي لا تزال تذكر يوسف حتى يكون حرضا كقوله

هـ عند ضعف احدي البصرين فلو لاه لقالت تفوتة لما آنفا في غير وجهه وكظامة الميزان المسمار الذي يدور فيه اللسان لانه يربطه فيمنعه من الانتكاث ويقال ما زلت كاظما يومي كله اي ممسكا عن الاكل وقد امتلأت جوعا وقد يطلق على مطلق المنع ومنه كاظمة لقربها على شاطئ البحر لان البحر قد كظمها عن الانسياح وكذا في منعته عن الانسياح فلما رأوا انه قد فاتهم ما ظنوا انه يكون بعد ذهاب يوسف من صلاح الحال مع ابيهم بمقتضى الاقبال عليهم ووقع لهم هذا الفادح العظيم تشوف السامع الى قولهم له فاستأنف الاخبار عنه بقوله قالوا اي خطابا من ذلك تالله اي الملك الاعظم يمينا فيها تعجيب تفخيما اي ما تزال تذكر يوسف حريصا على ذكره مواظبا عليه حرص الفتى الشاب الجلد الصبور على مراده حتى اي الى ان تكون حرضا اي جامد الهلاك مشرفا عليه متهيئا له بدنف الجسم وخبل العقل كما مضى بيانه في الانفال عند حرض المؤمنين او تكون اي وكونا لازما هو كالجبلة من الهالكين الفعل ولما تشوفتا النفس الى ما كان عنه بعدما راى من علظة بنيه شفى عنها بقوله قال انما اي لم ازل اكرر ذلك لانه من صفات الكمال للانسان دلالة على الرقة والوفاء وانما يكون مذموما اذا كان على وجه الشكاية الى الخلق وانا لا اشكو الى مخلوق انما اشكوا بثي والبث اشد الحزن سمي بذلك لانه من صعوبته لا يطاق حمله فيباح به وينشر وحزني مطلقا وان كان يسيرا خفيفا يقدر الخلق على ازالته الى الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما فعرضا لنفحاته كرمه لا الى احد غيره وهذا الذي سمعتموه مني فتعلقتم به قليل من كثير ولما كان يجوز ان يكونوا اصاخوا فيه الى انهم لم يجدوا الى تحسس يوسف ملطخا دمه وان يكون قطعهم باكل الذئب له مستندا الى ذلك وكان يعقوب عليه السلام يغلب على ظنه ان يوسف عليه السلام حي ويظن في الله ان يجمع شمله به قال واعلم من الله اي الملك الاعلى من اللطف بنا اهل هذا البيت ومن التفريج عن المكروبين والتفريج للمهمومين ما لا تعلمون ومادة فتاء يائيه وواويه مهموزة وغير مهموزة يكل ترتيب وهي فتأ وفتئ وفتأت وفتئ وفوت وتوف وتفوتد وعلى الشباب وتلزمه القوة وشدة العزيمة وسلاسة الانقياد وما فتأ يفعل كذا مثلثة العين ما زال كما انفي اي انه ما زال فاعلا في ذلك فعل الشاب الجلد الماضي العزم وما فتي ان فعل ما بوح اي انه بادر الى ذلك لسهولة انقياد وشدة عزمه وحقيقته ما فتي عن فعل كذا اي ما تجاوز الى غيره وما نسيه بل قصر فتاءه وهمته وجلده عليه وعن ابن ملك في جمع اللغات المشكلة وعزاه للعرا وصححه في القاموس فتأ كمنع كسر واطفا وهو واضح في القوة وفتي عنه كسمع نسيه وانقدع عنه اي انكف او خاص بالجد اي بان يكون قبله حرف نفي ومعناه ان قوته تجاوزته فلم يحاوله وسن يائيه الفتا كسما الشباب وكانه اصل المادة والفتي بالقصر السخي والكريم اي الجواد الشريف النفس والفتي السيد الشجاع كان ذلك يلزم الشباب غالبا والفتي المملوك وان كان بخيلا او شيخا لانه غالبا لا يشترى الا الشاب والفتي التلميذ والبيع كذلك والفتي يكنى الشاب ايضا والفتوة الكرم وقد فتي وتفاتي وفتوتهم غلبتهم فيها وافتاه في الامر ابانه له والفتيا بالضم والفتوى ويفتح ما افتي به الفقيه وهو يرجع الى الجود وحسن الخلق والفتيان السير والنهار ولذلك يسمى الجديدين وفتيت الثبت تفتيته منعت التعب مع الصبيان فهو من سلب الشباب اي فعله ومن مقلوبه مهموزا افتأت على الباطل اختلقه وبرايه استبد وكلاهما يدل على جراءة وطيش وهو بالشاب الذي لم يحنكه الدهر اجدر وافتئت على البناء للمفعول مات مجاءة كان ذلك اشد الموت ومن واويه فات الشيء فوتا وفواتا ذهب فسبق فلم يدرك وفاته وافاته وهب عنه فسبقه وذلك يدل على قوة السابق وبطئ المفوت اي بون كان كلاهما سابق للآخر وتفاوت الشيئان وتفوتا تباعد ما بينهما ويلزم ذلك الاختلاف والاضطراب ويلزمه العيب فما تزى في خلق الرحمن من تفاوت من عيب يتولى الناظر لو كان كذا كان احسن وفوت النوائب نجاه وهو فوت رحمه ويده اي حيث يراه ولا يصل اليه والفوت العرجة بين اصبعين وافات عليه برايه سبقه به وفاته به وعليه غلبه ولا يفتات عليه اي لا يعمل دون امره اي لا احد ابد منه فيسبقه وافتات الكلام ابتدعه كما تقدم في المهموز وافتات عليه حكم لفوته والفويت كبير المنقود برايه للمذكر والمونث وذلك لعدة نفسه شديدا وتفوت عليه في ماله فاته به ومن مقلوبه مهموزا تفئ كفرح احد وغضب وذلك لشدته وتفيئة الشيء حينه وربانه وذلك احسن احواله ودخل على تفيئته اي لم يسبقه بكثير وذلك اشد له ومن واويه التفه كنيه عنق الارض وهي تصيد وفيها خلاف يبين ان شاء الله تعالى في قوله جزاء موفورا من سورة سبحان ومن مقلوبه واويا تاف بصر يتوف تاه كانه لسلب الشدة او المعنى انه وقع في توفه اي شدة وما فيه توفه بالضم ولا تافه عيب او مزيد او حاجة وابطا وكل ذلك يدل على شدته وطلب على توفه بالفتح عثه ودنيا من ذلك لان العثرة والدنيء لا يصيبان شيئا الا عن شدتهما وضعفه ومن مقلوبه مهموزا الافت بالفتح الناقة التي عندها من الصبر والبقا ما ليس عند غيرها والسريع الذي يغلب الابل على السير والكريم من الابل ويكسر والداهية والعجب وكل ذلك واضح في القوة والافت بالكسر الولد لانه اصل كل معدود وافئته عن كذا صرفه ولما اخبرهم عليه السلام ان علمه فوق علمهم ابتعه استينافا فما مايد له عليه فقال يا بني اذهبوا ثم سبب عن الذهاب وعقب به قوله فتحسسوا اي بجميع جهدكم من يوسف واخيه اي اطلبوا من اخبارهما بحواسكم لعلكم تظفرون بهما وهذا يوكد ما تقدم من احتمال ظنه ان فاعل ذلك يوسف عليه السلام ولما لم يكن عندهم من العلم ما عنده قال ولا تيأسوا اي تقنطوا من روح الله اي الذي له الكمال كله والروح قال الرماني تقع برمح تلذ وكان هذا اصله فالمراد من رحمته

وفرجه وتيسيره ولطفه في جمع الشتات وتيسير المراد ثم علل هذا النهي بقوله انه لا ييأس اي يقنط من روح الله اي الذي له جميع صفات الجلال والاكرام الا القوم اي الذين لم قوة المحاولة الكافرون اي المتمرغون في الكفر فاجابوه الى ما اراد فتوجهوا الى مصر لذلك ولقصد الميرة لما كان اشتد بهم من القحط وقصدوا العزيز وقوله فلما دخلوا عليه بالفاء يدل على انهم اسرعوا الكرة هذه المرة قالوا اضافوه الى انفسهم بالاداة التي تنبه على ان ما بعدها له وقع عظيم يا ايها العزيز ولما تلطفوا بتعظيمه ترقعوا بقولهم مسنا اي ايها العصابة التي نراها واهلنا اي الذين تركناهم في بلادنا الضر اي لا بسنا ملابسة تحسها وجئنا ببضاعة مزجاة اي تافهة غير مرغوب فيها بوجه ثم سببوا عن هذا الاعتراف لانه اقرب الى رحمة اهل الكرم قولهم فاوف لنا الكيل اي تفضل شفقة علينا بسبب ضعفنا الكيل وتصدق اي تفضل علينا زيادة على الوفاء كما عودتنا بفضل ترجوا ثوابه ولما راوا افعاله تدل على تمسكه بدين الله عللوا ذلك بقولهم ان الله اي الذي له جميع الكمال كله يجزي المتصدقين اي مطلقا وان اظهرت بما افاده الاظهار وان كانت على عني قوي فكيف اذا كانت على اهل الحاجة والضعف فلما راى ان الامر بلغ النهاية ولم يبق شيء يتخوفه عرفهم بنفسه فاستانف تعالى الاخبار عن ذلك بقوله حكاية قال هل علمتم مقررا لهم بعد ان اجترأوا عليه واستأنسوا به والظاهر ان هذا كان بغير ترجمان ما اي قبح الذي فعلتم بيوسف اي اخيكم الذي ظلمتم بينه وبين ابيه واخيه في جملكم اياه فريدا منه ذليلا بينكم ثم في قولكم له لما وجد الصواع في رحله لا يزال يأتينا البلاء من قبلكم يا بني ياجيل واعلمهم بان ظنه فيهم الآن جميل فتكيدنا لم فقال اذ اي حين انتم جاهلون اي فاعلون فعلم ملوح لهم الى معرفته وتذكيرا بالذنب ليتوبوا ويلطفا بهم في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينعش فيه المصدور ويستغني فيه المعيط المحنق ويدرك ثارة الموتور بتخصيص جهلهم عقتضى اذ بذلك الزمان انها ما لهم انهم الآن على خلاف ذلك فكانه قيل انه قد قرب لهم الكشف عن امره لانه لا يستفهم ملك مثله لم ينشأ بينهم ولا تتبع احوالهم وليس منهم هذا الاستفهام ولا سيما وقد روي انه لما قال هذا تبسم وكان في تبسمه امر من الحسن لم يحمله معه من راه ولو مرة واحدة فهل عرفوه فقيل ظنوه ظنا غالبا ولذلك قالوا استفهمين انك لانت يوسف واكدوا بقولهم لانت يوسف ولما كان المتوقع من مثله فيما هو فيه من العظمة ان يجازيهم على سوء صنيعهم اليه استانف بيان كرمه فقال قال انا يوسف وزادهم قوله وهذا اخي اي بنيامين شقيقي لذكره لهم في قوله واخيه وليزيدهم ذلك معرفة له وتثبتا في امره بتصديقه له مع مكثه عنده مدة ذهابهم وايابهم وليبني عليه قوله قد من الله اي الذي له الجلال والاكرام علينا بان جمع بيننا على خير حال تكون ثم تعليله بقوله انه من يتق وهو مجزوم لانه فعل الشرط واثبت قنبل خلافا عنه ياءه في الحالين معاملا له معاملة الصحيح اشار الى وصف التقوى بالصبر الكاملة والمكنة الزايدة والملازمة لها في كل حال ويصبر اي يوقنه الله اجر محسنين فان الله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال لا يضيع اي ادنى اضاعة اجره هكذا كان الاصل ولكنه عبر بما يعرف ان التقوي والصبر من الاحسان فقال اجر المحسنين والتقوي دفع البلاء بسلوك طريق الهدى والصبر حبس النفس بتجرع مرارة المنع عما تشتهي ولما ايأسهم اي عليهم الى هذا الحد انه لو ارسل الى ابيه بخبره قبل الملك لم يأس كيد اخوته ولو تعرف اليهم بعده او اول ما رآهم لم يأمن من ان تقطع افئدتهم عند مفاجاتهم بانكشاف الامر وهو في ما هو فيه من العز فانه فعلوا به فعل القاتل من غير ذنب قدمه اليهم فهم لا يشكون في انه اذا قدر عليهم بفعلهم لما تقدم لهم اليه من سوء الصنيعة وعلى تقدير سلامتهم لا يامنونه وان بالغ في اكرامهم فان الامور العظام ان لم تكن بالتدريج عظم خطرها وتعدي ضررها فان ارسلهم لياتوا بابهم خيف ان يحملوا اباهم على ملك مصر وحسنوا له الابعاد عن بلاده فيذهبوا الى حيث لا يعلمه وان ارسل معهم نفرا من عنده لم يؤمن ان يكون بينهم شر وان سجنهم وارسل الى ابيه من ياتي به لم يحسن موقع ذلك من ابيه ويحصل له وحشة بحبس اولاده وتعظم القالة بين الناس من اهل مصر وغيرهم في ذلك فعمل معهم ما تقدم ليظهر لهم احسانه وعدله وديانته وخيره وكفه عنهم وعفوه عن ظلمهم بالتدريج ويقفوا على ذلك منه قولا وفعلا من اخيه الذي ربي معهم وبهم آنسون وله آلفون فتسكن روعتهم وتهون زلتهم ومما يدل على ذلك انه لما انتفى عن اخيه بنيامين ما اتصفوا به مما ذكر تعرف اليه حين قدم عليه ونهاه ان يخبرهم بحقيقة الامر وشرع يمدني في ذلك لتستحكم الاسباب التي اراد بها فلما ظن ان الامر قد بلغ مداه لوح لهم بعرفوه وقد انساهم حسن عمله وبديع جماله وشكله ورايع قوله وفعله فكان موضع الرجل الخجل وموضع اليأس الرجا فحصل المراد على وفق المراد والله الموفق وذلك تنبيه لمن قيل لهم اول السورة لعلكم تعقلون على الاقتداء بافعال الهداة المهذبين في التاني والاتيان وتفويض الامور الى الحكيم وان لا يستعجلوا في امر وان يعلموا ان سنته الكهية جرت بان الامور الصعاب لا تنفذ الا بالمطاولة لترتب الاسباب شيا فشيا على وجه الاحكام وفي ذلك فوايد من اجلها امتحان اولي الطاعة والعصيان كما ستاتي الاشارة اليه آخر السورة بقوله حتى اذا استياس الرسل الآية والله اعلم ولما كان ما ذكر كان كانه قيل لقد اتاهم ما لم يكونوا يحتسبون فما قالوا فقيل قالوا متعجبين غاية التعجب ولذلك اقسموا بما يدل على ذلك تالله اي الملك الاعظم لقد اثرك الله اي الذي له الامر كله علينا اي جعل لك اثرة يعظم اثارنا بعلو فالمعنى فضلك علينا اي بالعلم والعقل والحلم والحكم والحسن والملك والتقوي وغير ذلك وان خففوها من الثقيلة تاكيدا بالاعتذار له على الاهتمام

الى هنا البزي بخ عن ه‍ل

بالياء

استعمال اي بدل لهمزها وقفا

بخلفه

فال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي علما تنبني عليه توبتكم وقبحتم تحته وفعلتم ما جبن افراده عن يوسف واذ لا له حين كان لا تستطيع ان يكلمهم الا بحضرة ذلك اذ انتم جاهلون قبيح فلذلك لم قدمتم عليه وعاقبته وانما قاله ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وتشفعا عليهم لما اي من حزن عظيم في فكسنهم لاصابته وتشريفا له قبل يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لانه فعل فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ حيارى لا طائشين قاضي

قال يوسف وكانه طيب لا تثريب اي لا لوم ولا تعيير عليكم اليوم اي لا اذكر لكم ذنبكم بعد اليوم فاليوم ظرف لعليكم او للتثريب لهم او للتثريب ثم دعا لهم بمغفرة ما فرط منهم بقوله يغفر الله لكم عما كان منكم فيما فعلتم من القبيح وهو ارحم الراحمين من غيره تعالى رحم وتجاوز عن ذنب من تاب اليه واطاعه امره فلما حرف تقسيمهم على ابيه قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيره اي يعود بصيرا (كما كان اول ملقى) واتوني الي بصيرا طيبا صحيحا

باليا بلاغ في الاعتذار في اسرع وقت كذا اي كونا هو جملة لنا الخاطئين اي عريقين في الخطا وهو تعدادا ثم فكانه قيل ما قال لهم على قدرته وتمكنه مع ما سلف من اساتهم فقيل قال قول الكرام اقتداء باخوانه من الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام لا تثريب اي لا لوم ولا تعنيف ولا هلاك عليكم اليوم وان كان هذا الوقت مظنه اللوم والتانيب فاذا انتفى ذلك فيه فما الظن بما بعده وعادة ثرب تدور على البئر بتقديم الموحدة وهو اسهل الارض واحسنها والبئر بتقديم المثلثة ارض ذات حجارة بيض فانه يلزمه الاخلاد والدعة ومنه ثابر على الامر اداوم والمثبر كمنزل لمسقط الولد اي موضع ولادته والقطع والمفصل فيا تي الكسل واللين فيا تي الفساد ومنه الثبور للهلاك والبئر بتقديم الموحدة معروف والماء البئر الذي بقي منه على الارض شيء قليل والوبئ بتقديم الموحدة ايضا حبس الانسان ونحوه الى الاقامة والدوام ايضا والتثريب التقريب بالذنب تهوازاله ما على الانسان من سائر العفو من الثرب وهو شحم يغشى الكرش والامعاء ويستر بها ومن لوازم الارض السهلة لما يلزم من خصبها فالتثريب ازالته وذلك للتحفظ الناشئ عنه الهلاك فاغلب مدار المادة الهلاك ولما اعقابهم من التثريب كانوا في مظنة السؤال عن كمال العفو المزيل للعقاب من الله فاتبعه الجواب عن ذلك بالدعاء لهم بقوله يغفر الله اي الذي له صفات الكمال لكم اي ما فرط منكم وما لعله يكون بعد هذا ولعله عبر في هذا الدعاء بالمضارع ارشادا لهم الى اخلاص التوبة ورغبهم في ذلك ورجاهم بالصفة التي هي سبب الغفران فقال وهو اي وحده ارحم الراحمين اي لجميع العباد لا سيما التائبة فهو جدير بان يجود عليكم بالنعم بعد الاعادة من النقم وروي انهم ارسلوا اليه انك لتدعونا الى طعامك وكرامتك بكرة وعشيا ونحن نستحي لما فرط منا فقال ان اهل مصر ينظرون بعين العبودية فيقولون سبحان من بلغ عبده في العشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي والي من ذرية ابرهيم عليه السلام ولما التقت اعينهم بعد اجتماع شملهم بازالة ما يخشونه دنيا واخري بقي ما يخص ابائهم من ذلك فكانه وقع السؤال عنه فاجيب بقوله اذهبوا بقميصي ولما كان قوله هذا ربما اوقع في انهاتهم قميصه الذي سلبوه اياه احترز عن ذلك بقوله هذا فالقوه على وجه ابي يات اي يرجع الى ما كان بصيرا اويات الي حال كونه بصيرا فانه اذا رد اليه بصره وعلم مكاني لم يصبر عن القصد الي لما عنده من وفور المحبة وعظيم الشوق وكونه قميصا من ملابس يوسف المعتادة ادخل في الغرابة ودل على الكرامة والقميص الصواني الثياب بالجسم فاظهار الكرامة به ادل على كمال دين صاحبه وعرافته في ازواره الايمان وهو يؤول في المنام بالبر ورد لك افضل في كمال السرور ليعقوب عليه السلام والتوني اي انتم باهلكم اي بصاحبيهم اجمعين لا يتخلف منهم احد فرجعوا بالقميص لهذا القصد قيل ان يهودا هو الذي حمل قميصه لما لطخوه بالدم فقال لا يحمل هذا غيري لا وجهه كما احزنته بحمله وهو جاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما ثمانون فرسخا ولما فصلت العير من العريش اي بلاد مصر الى اول بلاد الشام قال ابوهم لولد ولده ومن حوله من اهله موكدا لعلمه انهم يشكون قوله اني لاجد ريح يوسف وصدهم عن مواجهته بالانكار بقوله لولا ان تفندون لقلت غير مستحي ولا متوقف لان التفنيد لا يمنع الوجدان وهذا كما تقول لصاحبك لولا ان تغضبني الى الخفة لقلت كذا اي اني قابل به مع ظهور من جهة ادراك يستحيل معه انتفاء الشيء والرائحة عرض يدرك بحاسة الانف اي الشم والتفنيد تضعيف الراي بالنسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فيفندها كبرها ثم استانف حكاية جوابهم فقال قالوا اي الحاضرون له ماظنه بهم مقسمين بما دل على تعجبهم وهو تالله اي الملك الاعظم واكد والمعرفتهم انه ينكر كلامهم وكذا كل من يعرف كماله انك لفي ضلالك اي بحيث صار ظرفا لذلك القديم اي خطائك في ظن حيوة يوسف قال الرماني والضلال الذهاب عن جهة الصواب فصح انه قوله وحقق وجدانه وعجلوا اليه بشيرا فاسرع بعد الفصول ولذلك عبر بالفاء فقال فلما ان زيدت ان لتاكيد مجيئه على ذلك الحال وزادها بعد لما قياسا مطردا جاء البشير وهو يهوذا بذلك معه القميص القاه اي القميص حين وصل الي يعقوب عليه السلام من غير فاصل ما بين اول المجيء وبينه كما افادته زيادة ان لتاكيد ما تفيده لما من وقوع الفعل الثاني وهو هنا الالقاء عقيب الاول وترتبه عليه وهو هنا المجيء على وجهه اي يعقوب فارتد من عينه بصيرا والارتداد انقلاب الشيء الى حال كان عليها فالتفت الخاطر الى حاله مع من عنده فاخبر تعالى عن ذلك بقوله قال اي يعقوب عليه السلام الم اقل لكم اني اجد ريح يوسف لولا ان تفندون اي الختص بصفات الكمال علي بانك لا توافقني عليه وفصل هنا لازم يقال فصل من البلد يفصل فصولا والفصل القطع بين الشيئين بحاجز والوجدان ظهور من جهة ادراك يستحيل معه انتفاء الشيء والريح عرض يدرك بحاسة الانف اي الشم والتفنيد تضعيف الراي بالنسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فيفندها كبرها ثم استانف حكاية جوابهم فقال قالوا اي الحاضرون له ماظنه بهم مقسمين بما دل على تعجبهم وهو تالله اي الملك الاعظم واكد والمعرفتهم انه ينكر كلامهم وكذا كل من يعرف كماله انك لفي ضلالك اي بحيث صار ظرفا لذلك القديم اي خطائك في ظن حيوة يوسف قال الرماني والضلال الذهاب عن جهة الصواب فصح انه قوله وحقق وجدانه وعجلوا اليه بشيرا فاسرع بعد الفصول ولذلك عبر بالفاء فقال فلما ان زيدت ان لتاكيد مجيئه على ذلك الحال وزادها بعد لما قياسا مطردا جاء البشير وهو يهوذا بذلك معه القميص القاه اي القميص حين وصل الي يعقوب عليه السلام من غير فاصل ما بين اول المجيء وبينه كما افادته زيادة ان لتاكيد ما تفيده لما من وقوع الفعل الثاني وهو هنا الالقاء عقيب الاول وترتبه عليه وهو هنا المجيء على وجهه اي يعقوب فارتد من عينه بصيرا والارتداد انقلاب الشيء الى حال كان عليها فالتفت الخاطر الى حاله مع من عنده فاخبر تعالى عن ذلك بقوله قال اي يعقوب عليه السلام الم اقل لكم اني اجد ريح يوسف لولا ان تفندون اي الختص بصفات الكمال علي بانك لا توافقني عليه وفصل هنا لازم يقال فصل من البلد يفصل فصولا والفصل القطع بين الشيئين بحاجز والوجدان ظهور من جهة ادراك يستحيل معه انتفاء الشيء والريح عرض يدرك بحاسة الانف اي الشم والتفنيد تضعيف الراي بالنسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فيفندها كبرها ثم استانف حكاية جوابهم فقال قالوا اي الحاضرون له ماظنه بهم مقسمين بما دل على تعجبهم وهو تالله اي الملك الاعظم واكد والمعرفتهم انه ينكر كلامهم وكذا كل من يعرف كماله انك لفي ضلالك اي بحيث صار ظرفا لذلك القديم اي خطائك في ظن حيوة يوسف قال الرماني والضلال الذهاب عن جهة الصواب فصح انه قوله وحقق وجدانه وعجلوا اليه بشيرا فاسرع بعد الفصول ولذلك عبر بالفاء فقال فلما ان زيدت ان لتاكيد مجيئه على ذلك الحال وزادها بعد لما قياسا مطردا جاء البشير وهو يهوذا بذلك معه القميص القاه اي القميص حين وصل الي يعقوب عليه السلام من غير فاصل ما بين اول المجيء وبينه كما افادته زيادة ان لتاكيد ما تفيده لما من وقوع الفعل الثاني وهو هنا الالقاء عقيب الاول وترتبه عليه وهو هنا المجيء على وجهه اي يعقوب فارتد من عينه بصيرا والارتداد انقلاب الشيء الى حال كان عليها فالتفت الخاطر الى حاله مع من عنده فاخبر تعالى عن ذلك بقوله قال اي يعقوب عليه السلام الم اقل لكم اني اجد ريح يوسف لولا ان تفندون اي الختص بصفات الكمال علي بانك لا توافقني عليه وفصل هنا لازم يقال فصل من البلد يفصل فصولا والفصل القطع بين الشيئين بحاجز والوجدان ظهور من جهة ادراك يستحيل معه انتفاء الشيء والريح عرض يدرك بحاسة الانف اي الشم والتفنيد تضعيف الراي بالنسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فيفندها كبرها ثم استانف حكاية جوابهم فقال قالوا اي الحاضرون له ماظنه بهم مقسمين بما دل على تعجبهم وهو تالله اي الملك الاعظم واكد والمعرفتهم انه ينكر كلامهم وكذا كل من يعرف كماله انك لفي ضلالك اي بحيث صار ظرفا لذلك القديم اي خطائك في ظن حيوة يوسف قال الرماني والضلال الذهاب عن جهة الصواب فصح انه قوله وحقق وجدانه وعجلوا اليه بشيرا فاسرع بعد الفصول ولذلك عبر بالفاء فقال فلما ان زيدت ان لتاكيد مجيئه على ذلك الحال وزادها بعد لما قياسا مطردا جاء البشير وهو يهوذا بذلك معه القميص القاه اي القميص حين وصل الي يعقوب عليه السلام من غير فاصل ما بين اول المجيء وبينه كما افادته زيادة ان لتاكيد ما تفيده لما من وقوع الفعل الثاني وهو هنا الالقاء عقيب الاول وترتبه عليه وهو هنا المجيء على وجهه اي يعقوب فارتد من عينه بصيرا والارتداد انقلاب الشيء الى حال كان عليها فالتفت الخاطر الى حاله مع من عنده فاخبر تعالى عن ذلك بقوله قال اي يعقوب عليه السلام الم اقل لكم اني اجد ريح يوسف لولا ان تفندون اي الختص بصفات الكمال

لما حضني تعالى به من انواع المواهب وسوغام لاخباري يوسف عليه السلام وغيرها وهو من التحدث بنعمة الله ولما كان ذلك تشوفت النفس الى علم ما يقع بينه وبين اولاده في ذلك فدفع عنها هذا العناء بقوله قالوا يا ابانا استغفر اي اطلب من الله ان يغفر لنا ذنوبنا ورد كل صغير من هذه الضمائر الى صاحبه في غاية الوضوح فلذلك لم يصرح بصاحبه ولما كان سالوه الاستغفار لذنوبهم علقوه بالاعتراف بالذنب لان الاعتراف شرط التوبة كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فقالوا مؤكدين تحقيقا للاخلاص في التوبة انا كنا خاطئين اي متعمدين للاثم

بما ارتكبنا في امر يوسف عليه السلام ثم حكى جوابه بقوله مستانفا قال اي ابوهم موكدا لكلامه سوف استغفر اي اطلب
ان يغفر لكم ربي الذي لم يزل يحسن الي ويربيني احسن تربية فهو الجدير بان يغفر لبني حتى لا يفرق بيني وبينهم في دار البقا
والربوبية ملك هو اتم الملك على الاطلاق وهو ملك الله تعالى لانشاء الانفس باختراعها وتصريفها اتم التصريف من الايجاد
والاعدام والتقليب من حال الى حال في جميع الامور من غير تعب ثم علل ذلك بقوله انه هو اي وحده الغفور الرحيم كل ذلك
تسكينا لقلوبهم وتصحيحا لرجائهم ليقوي املهم فيكون تعالى عند ظنهم بتحقيق الاجابة وتنجيز الطلبة ولعله عبر بسوف
لتقديم هاتين الجملتين على المسئلة لما ذكرته من الاعراض وقيل لانه اخر الدعا الى صلوة الليل وقيل الى ليلة الجمعة وقيل يوخذ
منها ان طلب الحوائج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ ولما وقع ما ذكر وكان قد ارسل معهم من الدواب والمال والالات
ما يتجهزون به اقبلوا على التجهز كما امرهم يوسف عليه السلام ثم قدموا مصر وهم اثنان وسبعون نفسا من الذكور والاناث
وكان اسرعوا في ذلك فلذلك قال فلما بالفاء دخلوا على يوسف في المكان الذي تلقاهم اليه في وجوه اهل مصر وخرب
به مضاربه اوى اليه ابويه اكراما لهما بما يتميزان به قيل هو المعانقة والظاهر انها امه حقيقة وبه قال الحسن وابن
اسحق كما نقله الرماني وابو حيان وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها خالته وغلب الاب في هذه التثنية لذكورته كما غلب
ما هو مفرد في اصله على المضاف في العمرين وقال مكرما للكل ادخلوا مصر اي البلد المعروف واتى بالشرط للامن لا للدخول
فقال ان شاء الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله امنين من جميع ما ينوب حتى مما فرطتموه في حقي وحق اخي ولما ذكر
الامن الذي هو ملاك العاقبة التي بها لذة العيش اتبعه الرفعة التي بها كمال النعيم فقال ورفع ابويه اي بعد ما استقرت
بهم الدار بدخول مصر مستويين على العرش اي السرير الرفيع قال الرماني اصله الرفع وخروا اي انحطوا له سجدا الابوان
والاخوة تحقيقا لرؤياه ممن هو غالب على كل امر والسجود واصله الخضوع والتذلل كان مباحا في تلك الازمنة وقال اي
يوسف يا ابت تلذذا له بالخطاب بالابوة هذا اي الذي وقع من السجود تاويل رؤياي التي رايتها ودل على قصر الزمن
الذي راها فيه بالجار فقال من قبل ثم استانف قوله قد جعلها ربي اي الذي رباني بما اوصلني اليها حقا اي بمطابقة
الواقع لتاويلها وتاويل ما اخبرتني به انت تحقق من اجتبائي وتعليمي واتمام النعمة علي والتاويل تفسير بما يؤول
اليه معنى الكلام وعن سلمان رضي الله عنه ان ما بين تاويلها ورؤياها اربعون سنة وقد احسن اي اوقع احسانه
بي تصديقا لما بشرتني به من اتمام النعمة وتعديه احسن بالباء ادل على القرب من المحسن من التعدية بالى وعبر بقوله
اذ اخرجني من السجن معرضا عن لفظ الجب حذرا من ايحاش اخوته مع ان اللفظ يحتمله لكن احتمالا خفيا وجاء بكم وقيل انهم
كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع فلذلك قال من البدو من اطراف بادية فلسطين وذلك من
اكبر النعم كما ورد في الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة والبدو بسيط من الارض يرى فيه الشخص
من بعيد واصله من الظهور وانس اخوته ايضا بقوله مثبتا الجار لان مجيئهم في بعض ازمان البعد من بعد ان نزغ عبر
بالماضي ليفهم انه انقضى الشيطان اي افسد البعيد المحترق بوسوسته التي هي كالنخس بيني وبين اخوتي حيث قسم
النزغ بينه وبينهم ولم يفضل احدا من الفريقين فيه ولم يثبت الجار اشارة الى عموم الافساد للبينين كل ذلك اشارة
الى تحقق ما بشر به يعقوب عليه السلام من اتمام النعمة وكمال العلم لله والحكمة ثم علل الاحسان اليهم اجمعين بقوله ان
ربي اي المحسن الي على وجوه فيها خفا لطيف اي يعلم دقايق المصالح وغوامضها ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح
سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك فهو اللطيف قاله الرازي في اللوامع وهو
سبحانه فاعل اللطف في تدبيره ورحمته لما يشاء لا يعسر عليه امر ثم علل هذه العلة بقوله انه هو اي وحده العليم
اي البليغ العلم للدقايق والجلايل الحكيم اي البليغ الاتقان لما يصنعه طبق ما ختم به يعقوب عليه السلام بشراه في اول
السورة اي هو منفرد بالاتصاف بذلك لا يدانيه احد في علم ليتعرض الى ابطال ما يقيمه من الاسباب ولا في حكمة ليتوقع
الخلل في شيء منها ولما ذكر هاتين الصفتين تذكر ما وقع له بهما من الاسباب فغلب عليه مقام الشهود وازدادت نفسه
عن الدنيا عزوفا فقال مخاطبا رب قد اتيتني وافتتح بقد لان الحال حال توقع السامع لشرح مال الرؤيا من الملك
اي بعضه بعد بعدي منه جدا وهو معنى روحه تمام القدرة وعلمتني وقصر دعواه تواضعا بالاتيان بالجار فقال
من تاويل الاحاديث طبق ما بشرني به ابي واخبرت به انت من التمكين والتعليم قبل قولك والله غالب على امره ثم ناداه
بوصف جامع للعلم والحكمة فقال فاطر السموات والارض ثم اعلمه بما هو اعلم به منه من انه لا يعول على غيره في شيء من الاشياء
فقال انت وليي اي الاقرب الي باطنا وظاهرا في الدنيا والاخرة اي لا ولي لي غيرك والولي يفعل لموليه الاصلح
والاحسن فاحسن بي في الاخرة اعظم ما احسنت بي في الدنيا ولما كان توليه لله لا يتم الا بتول الله له اتبعه بما
يفيده فقال توفني اي اقبض روحي وافيا تاما في جميع امري حسا ومعنى حال كوني مسلما ولما كان المسلم حقيقة
من كان عريقا في الاخلاص حققه بقوله والحقني بالصالحين فتوفاه الله كما سال قالوا وتخاصم اهل مصر فيه
كلهم يرجوا ان يدفن في محلته يرجوا بركته ثم اصطلحوا على ان عملوا له صندوقا من رخام ودفنوه في وسط النيل
ليفترق الماء على جميع الاراضي فتنالها بركته ويخصب كلها على حد سوا ويكونوا كلهم في الماء سوا ذكر ما بقي
من القصة عن التورية قال بعد ما مضى فلم يقدر يوسف على الصبر يعني على ترقق اخوته فامر باخراج جميع من كان

فلما دخلوا على يوسف ولما وقع ما ذكر وكان قد

عنده

عنده فلم يبق عنده احد حيث ظهر يوسف لاخوته فرفع صوته فبكا حتى سمع المصريون فاخبروا بني آل فرعون فقال
يوسف لاخوته انا اخوكم يوسف هل ابي باق فلم يقدر اخوته على اجابته لانهم رهبوه فقال يوسف لاخوته ادنوا مني
فقال لهم انا يوسف الذي بعتموني الى مصر والآن فلا تحزنوا ولا يشقّ عليكم ذلك ولا يشتدّ عليكم بيعكم اياي
الى ههنا لان الله ارسلني امامكم لاعدكم القوت لان للجوع مذ اتى سنتين وستاتي خمس سنين اخر ايضا لا يكون فيها زرع
ولا حصاد فارسلني الرب امامكم لاصير لكم بقاء في الارض واخلصكم واستنقذكم لتحيوا وتستبشروا على الارض والآن
فلستم انتم الذين بعتموني الى ههنا بل الله ارسلني وجعلني انا لفرعون وسيدا لجميع اهل بيته ومسلطا على جميع ارض مصر
فاصعدوا الآن عجلين على ابي وقولوا له هكذا يقول ابنك يوسف ان الله جعلني سيدا لجميع اهل مصر فاهبط الي ولا
تتاخر وانزل الى ارض السدير وفي نسخة خشان فكن قريبا مني انت وبنوك واهل بيتك وغنمك وبقرك وجميع مالك
فاموّنكم هناك لانه قد بقي خمس سنين جوعا لئلا تهلك انت واهل بيتك وكل مالك وهذه اعينكم تبصر وعينا اخي بنيامين
ان افمكم شافهة واخبروا ابي بجميع كرامتي وقاري في ارض مصر وبجميع ما رايتم واسرعوا واهبطوا بابي الي ما
ههنا فاعتنق اخاه بنيامين ايضا وبكا وقبل جميع اخوته وبكا ومن بعد ذلك كلمه اخوته فبلغ ذلك فرعون وقيل له
ان اخوة يوسف قد اتوه فسر بذلك فرعون وعبيده وفي نسخة وجميع قواده فقال فرعون ليوسف قل لاخوتك فليفعلوا
هكذا اوقروا دوابكم وانطلقوا بها الى ارض كنعان واقبلوا ابيكم واهل بيوتاتكم وائتوني فانا اخلكم خير ارض
مصر وخصبها وكلوا خصب الارض وهذا انت المسلط وامر اخوتك ان يفعلوا هذا الفعل احملوا من ارض مصر عجلا لنسائكم
وحشمكم واظعنوا بابيكم فاقبلوا ولا تشفقن على امتعتكم لان جميع خيرات مصر وارضها وخصبها هو لكم ففعل بنو
اسرايل كما امر فرعون وزودهم جميع ازودة الطريق وخلع على كل امرء منهم خلعة فاما بنيامين فاجازه بثلثمائة درهم
وفي نسخة مثقال فضة وخلع عليه خمس خلع وبعث الى ابيه بمثل ذلك ايضا وعشرة حمير موقرة من البر والطعام وازودة
لابيه للطريق فارسلهم فانطلقوا وتقدم اليهم وقال لهم لا تقع المشاجرة فيما بينكم في الطريق فظعنوا من مصر فاتوا ارض
كنعان الى يعقوب ابيهم فاخبروه وقالوا له ان يوسف بعد في الحيوة وهو المسلط على جميع ارض مصر وراى يعقوب
العجل الذي بعث يوسف لحمله فاطمانت نفسه وقال ان هذا لعظيم عندي اذ كان ابني يوسف بعد في الحيوة انطلق
الآن فانظر اليه قبل الموت فظعن اسرايل وجميع ماله فاتى بيئر السبع وقرب قربانا لاله اسحق ابيه فكلم الله اسرايل
في الرؤيا وقال له يا يعقوب فقال ها انذا فقال اني انا ايل اله ابيك لا تخف من الحدور الى مصر لاني اجعلك هناك
الى شعب عظيم وفي نسخة لاني اصيّر منك امة عظيمة انا اهبط معك وانا اصعدك ويوسف يضع يده على عينيك
فنهض يعقوب من بيئر السبع وظعن بنو اسرايل بيعقوب ابيهم وحشمهم ونسائهم على العجل الذي بعث فرعون لحمله وساقوا
دوابهم ومواشيهم التي استفادوها بارض كنعان فاتوا بها مصر بيعقوب وجميع نسله وبنوه معه وبنوا بنيه وبناته
وبنات بناته وادخل الى مصر كل نسله ثم سماهم واحدا واحدا ثم قال فجميع بني يعقوب الذين دخلوا مصر سبعون
انسانا ثم بعث يعقوب يهوذا بين يديه الى يوسف ليدله على السدير وفي نسخة خشان فالجم يوسف مراكبه وصعد
للقاء اسرايل ابيه الى خشان وفي نسخة السدير فتلقاه واعتنقه وبكا اذ اعتنقه فقال اسرايل ليوسف اتوفى الآن
بعد نظري اليك يا بني فانت في الحيوة بعد فقال يوسف لاخوته وآل ابيه اصعدوا فاخبر فرعون واقول ان اخوتي
وآل ابي الذين كانوا بارض كنعان قد اتوني والتوم رعاة غنم لانهم اصحاب مواش وقد اتوا بغنمهم وبقرهم وكل
شيء لهم فاذا دعاكم فقولوا له انا عبيدك اصحاب ماشية منذ صبانا وحتى الآن نحن وابآؤنا من قبل ايضا لكي
تنزلوا ارض خشان وفي نسخة السدير لان رعاة الغنم هم مرذولون عند المصريين فاتى يوسف فاخبر فرعون وقال
له ان ابي واخوتي قد اتوني وغنمهم وبقرهم وجميع ما لهم من ارض كنعان وهوذا هم حلول بارض السدير وحمل من
اخوته خمسة رهط فاوقفهم على فرعون فوقفوا بين يديه فقال فرعون لاخوة يوسف ما صناعتكم فقالوا ان عبيدك
رعاة غنم نحن منذ صبانا وابآؤنا ايضا من قبل وقالوا لفرعون انا اتينا لنسكن هذه الارض لانه قد اشتد الجوع
واكلا من مرابع غنم عبيدك وذلك لان الجوع اشتد في ارض كنعان فامر عبيدك ان ينزلوا بارض السدير فقال
فرعون ليوسف ان اباك واخوتك قد اتوا وهذه ارض مصر بين يديك فاسكن اباك واخوتك في احسن الارض
واخصبها لينزلوا ارض السدير وان كنت تعلم ان فيهم قوما ذوي قوة وبطش ونفاذ قول فولهم جميع مالي فادخل
يوسف اباه يعقوب على فرعون فاقامه بين يديه فقال فرعون ليعقوب كم عدد سني حياتك فقال يعقوب
لفرعون مبلغ حياتي ماية وثلثون سنة وان ايام حياتي لناقصة ولم تبلغ سني حياة اباي في ايام حياتهم فبارك
يعقوب فرعون وودعه وخرج من بين يديه فاسكن يوسف اباه واخوته واعطاهم ورثة في ارض مصر في افضل
الارض واحسنها في ارض رعمسيس وفي نسخة ارض عين شمس كما امر فرعون فتات يوسف اباه واخوته وجميع آل
بيته ما لميرة على قدر الحشم ولم تكن ميرة في جميع الارض كلها لان الجوع اشتد جدا فخربت جميع ارض مصر وارض كنعان
فصار آل يوسف كل ورق البر الذي في ارض مصر وارض كنعان وذلك ثمن البر الذي كانوا يبتاعونه فاوره يوسف
الورق بيت مال فرعون ونفد الورق من ارض مصر وارض كنعان فاتى جميع المصريين الى يوسف وقالوا له اعطنا

من القحط حاجتنا فنحيا ولا نموت لان ورثنا قد نفد فقال لهم يوسف ادفعوا الي مواشيكم ان كانت الاوراق قد نفدت
فاقوتكم بمواشيكم فاتوه بمواشيهم فاعطاهم يوسف من المايرة بخيلهم ومواشي الغنم وماشية البقر والحمير وقاتهم سنتهم
تلك بجميع مواشيهم فاتوه في السنة الاخرى وقالوا له لسنا نكتم سيدنا امرنا الان اورانا وماشيتنا ودوابنا قد نفدت
وصارت عند سيدنا ولم يبق بين يدي سيدنا غير انفسنا وارضنا فلم نهلك بين يديك فابتعنا وارضينا باطعامك ايانا
الخبز فنصير نحن عبيدا لفرعون وارضنا ملكا له واعطنا البذر فنحيا ولا نموت ولا تخلوا الارض وتخرب لفقد سكانها
وابتاع يوسف لفرعون جميع ارض مصر فصارت الارض لفرعون فنقل الشعب من قرية الى قرية وسواهم من اقاصي الارض
نحو مصر الى اقطارها ما خلا ارض الاجناد وفي نسخة ايمتهم فانه لم يبتعها لانه كان يجري على الاجناد وفي رواية ايمتهم وظيفة
ونزكا من عند فرعون وكانوا ياكلون برسم الموظف لهم من قبل فرعون ولذلك لم يبيعوا ارضهم فقال يوسف للشعب اني قد
اشتريتكم اليوم وارضكم لفرعون وهانذا معطيكم البذر لتزرعوا في الارض فاذا دخلت الغلة فاعطوا فرعون الخمس منها
وتكون لكم لزراعة الحقل اربعة اخماس ولما كل اهل بيوتاتكم واطعام حشمكم فقالوا له لقد احييتنا فلنظفر من سيدنا
برحمة ودافة وتكون عبيدا لفرعون فسن يوسف هذه السنة على ارض مصر الى يوم الناس هذا فصار الخمس لفرعون ما
خلا ارض ايمتهم وفي رواية الاجناد فانها لم تكن لفرعون فسكن اسرايل ارض مصر وارض السديد فعظموا واعتزوا فيها
واستيسروا ونموا جدا وعاش يعقوب في ارض مصر سبع عشرة سنة وكانت جميع ايام حياة يعقوب ماية وسبعة واربعين
سنة ودنت ايام وفاة اسرايل فدعا يوسف ابنه وقال له ان ظفرت منك برحمة ودافة فضع يدك تحت فخذي حتى استحلفك
باسمه واقسم عليك به وانعم علي بالنعمة والقسط لا تدفنني بمصر فاضطجع مع آبائي احملني من مصر فادفني في مقبرتهم فقال يوسف
انا فاعل ذلك كقولك وامرك فقال له اقسم لي فاقسم له فتوكا اسرايل على عصاه وسجد شكرا فلما كان بعد هذه الامور قيل
بلغ يوسف ان اباه قد مرض فانطلق بابنيه معه منشا وافرايم فبلغ يعقوب وقيل له ان ابنك يوسف قد اتاك فتقوى
اسرايل وجلس على اريكته فقال اسرايل ليوسف ان الاله المواعيد اعتلن لي بلوز التي في ارض كنعان فباركني وقال لي هانذا
مباركك ومكثرك واجعلك ابا لجميع الشعوب واعطي نسلك من بعدك هذه الارض ميراثا الى الابد وانا اذ كنت عبلا
من قدانه ارام توفيت عني راحيل امك في ارض كنعان في الطريق وكان بيني وبين الدخول الى افراس قدر مسيرة ميل
وفي نسخة فرسخ فدفنتها هناك في طريق افراث وهي بيت لحم ونظر اسرايل الى ابني يوسف فقال له من هذان فقال له اباي
الذان رزقني الله ههنا فقال ادنهما مني فيقبلهما واعتنقهما وقال ما كنت ارجوا النظر الى وجهك فقد اراني الله نسلك
ايضا وقال اسرايل ليوسف هانذا امتوفى ويكون الله بنصرة وعونه معكم ويردكم الى ارض آبائكم وهانذا قد فضلتك
على اخوتك بسهم من الارض التي غلبت عليها الاموراتيين بسيفي وقوسي ثم ان يعقوب دعا بنيه وقال لهم اجتمعوا الي
فابين لكم ما هو كاين من امركم في آخر الايام فذكر ذلك ثم قال وهذا ما اخبرهم به يعقوب ابوهم نبأهم بذلك وبارك عليهم
كل امرء منهم على قدره ثم اوصاهم وقال لهم انني انتقل الى شعبي فادفنوني الى جانب آباي في المغارة التي في حقل عفرون
الحيثاني في المغارة التي في الروضة المضاعفة الى جانب ممري بارض كنعان التي ابتاعها ابرهيم روضة من عفرون
الحيثاني وراية المقبرة هنالك دفن ابرهيم وسارة حليلته وفيها دفن اسحق ورفقا حليلته وهنالك دفنت ليا في الروضة
المبتاعة والمغارة التي فيها المبتاعة من بني حاث فلما فرغ يعقوب من وصيته لبنيه بسط رجليه على اريكته فمات
ونقل الى شعبه فوقع يوسف عليه فقبله وبكا عليه فامر عبيده الاطبا بتحنيطه فحنط الاطبا اسرايل وتمت له اربعون
ليلة لانه هكذا تكمل ايام المحنطين وناح المصريون عليه سبعين يوما فقال يوسف لآل فرعون ان ظفرت منكم برحمة
ودافة فاخبروا فرعون ان ابي احلفني واقسم علي وقال لي ها انا ميتوفى فاقبرني في القبر الذي ابتعته في ارض كنعان
فيأذن لي فاصعد فادفن ابي ثم ارجع فقال له فرعون اصعد فادفن اباك كما اقسم عليك فصعد يوسف ليدفن اباه
وصعد معه جميع عبيد فرعون واشياخ بيته وجميع اشياخ مصر وجميع اهل بيت يوسف وصعد معه اخوته وآل ابيه
فاما حشمهم وبقرهم وغنمهم فخلفوها بارض جشان وفي نسخة البدير واصعد المراكب والفرسان ايضا فصار في عسكر
عظيم منيع فاتوا الى بيادر اطراد وفي نسخة اندر العوسج التي في مجاز الاردن فنوا هناك وناحوا نوحا عظيما مرا
فنظر سكان ارض كنعان الى النايل والنواح في اجران العوسج فقالوا ان هذا النايل عظيم للمصريين ولذلك دعي
ذلك الموضع نايل مصرا الذي في مجاز الاردن ففعل بنوا اسرايل كما امرهم وحملوه وانطلقوا به الى ارض كنعان فدفنوه
ثم في المغارة المضاعفة التي في الروضة التي ابتاعها ابرهيم ودانه المقبرة من عفرون الحيثاني وهي امام ممري ثم
رجع يوسف الى مصر هو واخوته وجميع من صعد معه في دفن ابيه ومن بعد ما دفن اباه نظر اخوة يوسف الى انهم
قد توفي فنفروا وقالوا لعل يوسف ان يوذينا وينكانا ولعله ان يكافينا على جميع الشر الذي ارتكبنا منه فدنوا من
يوسف وقالوا له ان اباك اوصى قبل وفاته وقال هكذا قولوا ليوسف نطلب اليك ان تعفو عن جهل اخوتك وعن
خطاياهم بارتكابهم الشر منك فالآن تطلبا يك ان تعفو عن ذنب عبيد الاله ابيك فبكى يوسف لما قالوا له ولكن قد نا
اخوته فخروا بين يديه سجدا وقالوا له هوذا نحن لك عبيد فقال لهم لا تخافوني لاني اخاف الله اما انتم فهممتم بي شرا
فصيره الله لي خيرا كما فعل بي يوما هذا فاحيي على يدي خلقا عظيما والآن فلا خوف عليكم انا اقوتكم وحشمكم فعزاهم وملا

قلوبهم

خيرا ثم اقام يوسف بمصر هو وآل بيته فعاش يوسف مائة وعشر سنين ورأى يوسف ولد ولده فقال يوسف لاخوته
هانذا امتوفى والله سيذكركم ويخرجكم من هذه الارض الى الارض التي اقسم تعالى لابراهيم واسحق ويعقوب فاقسم يوسف على
بني اسرائيل وقال ان الله سيذكركم فاصعدوا عظامي معكم فتوفي يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطوه ووضعوه في
صندوق بارض مصر وسيأتي ما يعضد ذلك من استعبادهم وما يتبعه في سورة القصص ان شاء الله تعالى وهذا الذي ذكر
من القصة في التورية مصدق لما في القرآن وشاهد بالعجاز وغيرانه لم يذكر شرح قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا في انه بعد اخذ الصواع من رحل اخيه تركهم من غير تعريف لهم بنفسه فمضوا الى ابيهم فاخبروه بذلك ثم عادوا مرة
اخرى للميرة والطلب ليوسف واخيه تعرفهم يوسف عليه السلام بنفسه وجلالم الا يمر في هذه القدمة الثالثة فكانهم
استقطوا ما في التورية من ذلك تدليسا وتلبيسا وهو لا يضر غيرهم فان ما صار في كتابهم لا يتمشى على قوانين العقل لمن تدبر
فلم يغدهم ذلك غير التحقق لخيانتهم وجهلهم والله الهادي ولما اتم الذي كان من امرهم على هذا الوجه الاحكم والصراط الاقوم
من ابتدائه الى انتهائه قال مشيرا الى انه دليل كاف في تصحيح دعوى النبوة مخاطبا لمن لا يفهم هذا حق فهمه غير مسيء له مثبتا
للنوائده وشارحا لما تصدر منها على انه مما ينبغي السؤال عنه ذلك اي النبا العالي الرتبة الذي قصصناه قصا يعجز
البلغاء عن حلته ورواته فكيف بغيرهم من انباء الغيب اي اخباره التي لها شان عظيم نوحيه اليك وعبر بصيغة
المضارع تصويرا لحال الاخبار الشريف واشارة الى انه لا يزال معه يكشف له ما يريد والحال انك ما كنت لديهم اي عند
اخوة يوسف عليه السلام في هذا النبا العجيب جدا اذ اي حين اجمعوا امرهم على راي واحد في القاء يوسف عليه السلام
في الجب بعد ان كان متشتتا وهم يمكرون اي يدبرون الامر الذي في خفية من المكر وهو القتل لتعرف ذلك بالمشاهدة وانتفاء
تعلمك لذلك من بشر مثل انتفاء كونك لديهم في ذلك الحين من حقق لدى كل ذي لب انه لا علم الا بتعليم فثبت انه لا معلم لك
الا الله كما علم اخوتك من الانبياء فيما له من دليل جل عن مثيل وهذا من المذاهب الكلامي ولو اوراه حجة تكون بعد تسليم المقدمات
مستلزمة للمطلوب وهو تفكيك عظيم بمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم ولما سالت قريش واليهود رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما نقله ابو حيان عن ابن الانباري عن قصة يوسف عليه السلام فنزلت مشروحة هذا الشرح الثاني مبينة
هذا البيان لوافي فاعل صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك سبب اسلامهم فخالفوا تاميله عزاه الله بقوله وما اي توجيه
اليك على هذا الوجه المقتضي لايمانهم والحال انه ما اكثر الناس اي كلهم مع ذلك لاجل ما لهم من الاضطراب ولو حرصت
اي على ايمانهم بمومنين اي مخلصين في ايمانهم واصفين الله بما يليق به من التنزه عن شوائب النقص فلا تظن انهم يومنون
لانزال ما يقترحون من الايات او لترك ما يغيظهم من الانذار والتكثير قال الرماني العدة الزائدة على مقدار غيرها والاكثر
القسم الزائد على القسم الاخر من الجملة ونقيضه الاقل والناس جماعة الانسان وهو من ناس ينوس اذا تحرك يمينا وشمالا لان
نفسه لا يحرك غيره ولما ذكر تعالى ما لهم عليه من الكفر ذكر ما يجب معه منه فقال وما اي يهم على ذلك والحال ان موجب
ايمانهم موجود وذلك انك مع دعائهم الى الطريق الاقوم واتيانك عليه باوضح الدلائل ما تسيلم عليه اي هذا الكتاب
الذي اوحيناه اليك واغرق في النفي فقال من اجر حتى يكون سؤالك سببا لان يتوهموك او يقولوا لولا انزل عليه
كنز ليستغني به عن سؤالنا ولما نفى عنه سؤالهم الاخر نفى عن هذا الذكر كل غرض دنيوي فقال ان هو اي هذا الكتاب
الا ذكر اي تذكير وشرف للعالمين قال الرماني والذكر حضور المعنى للنفس والعالم جماعة الحيوان الكثيرة التي من شانها
ان تعلم لانه اخذ من العلم وفيه معنى الكثير وقد يقال عالم الفلك وما حواه على طريق التبع للحيوان الذي ينتفع به
وهو مجعول لاجله ولما كان القرآن اعظم الايات بما انباء فيه عن الاخبار الماضية والكوائن الآتية على ما هي عليه مضمنة
من الحكم والاحكام في اساليب البلاغة التي لا ترام وغير ذلك مما لا يحصر بنظام كما اشار اليه اول السورة كان ربما قيل ان
هذا لا يعلمه الا الراسخون في العلوم الالهية عطف عليه الاشارة الى ان له تعالى عبيدا من الايات التي لا تحتاج لوضوحها
الى اكثر من العقل مما لا يحيط به الحصر ومع ذلك فلم ينتفعوا به فقال وكاين من آية اي علامة كبيرة عظيمة دالة على وحدانيتنا
في السموات اي كالنيرين وسائر الكواكب والسحاب وغير ذلك والارض من الجبال والشجر والدواب وغير ذلك مما لا يحصيه
العد كما ياتي بيانه في سورة الرعد مفصلا يمرون عليها مشاهدة بالحس ظاهرة غير خفية وهم عنها اي خاصة لا عن بلادهم
وشهواتهم فيها معرضون اي عن دلالتها على السعادة من الوحدانية وما يتبعها ولما كان ربما قيل كيف يوصفون
بالاعراض وهم يعتقدون انه فاعل تلك الايات بين ان اشراكهم مستقط لذلك فقال وما يومن اكثرهم اي الناس بالله
اي الذي لا شيء الا وهو داع الى الايمان به لانه المختص بصفات الكمال الا وهم مشركون به من لا يقدر على شيء فضلا عن
ان ياتي بانه كانوا يقرون بان الله خالقهم ورازقهم ويعبدون غيره وكذا المنافقون يظهرون الايمان ويبطنون
الكفران وكذا اهل الكتابين يومنون بكتابهم ويقلدون علماءهم في الكفر بغيره فعلم ان ادعاءهم لهذا الايمان غير تابع
لدليل وهو محض تقليد لمن زين له سوء عمله فرآه حسنا لما سبق فيه من علم الله انه لا اصلاحية له فافسده بما شابه
من الشرك والآية صالحة لارادة الشرك الخفي الذي اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الشرك اخفى في امتي من دبيب
النمل وهو شرك الاسباب التي قدرها الله وصولا بما يصل الى العبد بواسطتها فقل من يتخطى من الاسباب الى مسببها قال
الرازي في اللوامع وقال الامام محمد بن علي الترمذي انما هو شك وشرك ما لك ضيق الصدر عند النوايب ومنه

ذلك اشارة الى ما سبق من انباء يوسف وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته في الدلالة على غير الغرض الذي سيق له الكلام او كونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا خبره

ناس لحاجة الاناس وهو من ناس ينوس اذا تحرك يمينا وشمالا

نبيه

ثوب مشكوك والشرك تعلق القلب بالشي وانما يوسع الصدر نور اليقين وانما يتخلص من الشرك بنور التوحيد فعند هذا يتولاه
الله تعالى وقال الواسطي الا وهم مشركون في ملاحظة الخواطر والحركات ولما اخبر تعالى عن ارتكابهم في اشراك اشراكهم وانهم
يتعامون عن الادلة في الدنيا وكان الاكثر المبهم لا يمنع القطع بعدم ايمانهم من توجيه الامر والنهي والحث والزجر الى الجميع وهم في عمارهم
وكان بعض الناس كالحمار لا ينقاد الا بالعذاب قال تعالى افامنوا انكارا فيه معنى التوبيخ والتهديد ان تاتيهم غاشية اي شي يغطيهم ويبرك
عليهم ويحيط بهم من عذاب الله اي الذي له الامر كله في الدنيا كما اتى من ذكرنا قصصهم من الامم ولما كان العاقل ينبغي له الحذر من كل ممكن وان كان
لا يقر به قال تعالى او تاتيهم الساعة واشار الى اشد ما يكون من ذلك على القلوب بقوله بغتة اي وهم عنها في غاية الغفلة بعدم توقعها
اصلا قال الرماني قال زيد بن مقسم الثقفي ولكنهم بانوا ولم ادر بغتة واقطع شي حين يفجوك البغت ولما كان هذا المعنى
مهولا اكده بقوله وهم لا يشعرون اي نوعا من الشعور ولو انه كالشعرة اعلاما بشدة جهلهم في ان حالهم حال من هو في غاية الامن مما
اقل احواله انه ممكن لان الشعور ادراك الشي بما يلطف كدقة الشعر وانما قلت انه تاكيد لانه معنى البغتة قال الامام ابو بكر الزبيدي
في مختصر العين البغتة المفاجاة وقال الامام ابو عبد الله القزاز في ديوانه فاجات الرجل مفاجاة اذا جيته على غفلة معافصة
ثم قال وفاجاته مفاجاة اذا لقيته ولم يشعر بك وفي ترتيب المحكم فجيه الامر وفجاه وفاجاه مفاجاة هجم عليه من غير ان يشعر به
ويلزم ذلك الاسراع وهو مدار هذه المادة لانه يلزم ايضا التغب بتقديم المثناة محركا وهو الهلاك لانه اقرب شي الى الانسان
اذ هو الاصل في حال المحدث والسلامة فيه هي العجب والتغب ايضا الوسخ والدرن وتغب بكسر الغين صار فيه غيب ويقال للقحط
تغبه بالتحريك والتغب ساكنا القبيح والريبة وكل ذلك اسرع الى الانسان من اضداده الا من عصم الله وما ذاك الا لان هذه الدار
مبنية عليه ولما وصف سبحانه له صلى الله عليه وسلم اكثر الناس بما وصف من سوء الطريقة للتقليد الذي منشاؤه الاعراض
عن الادلة الموجبة للعلم امره ان يذكر طريق الخلص فقال قل اي يا اعلى الخلق واصفاهم واعظمهم نصحا واخلاصا هذه اي الدعوة
الى الله على ما دعا اليه كتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم سبيلي القريبة الماخذ الجلية الامر الجليلة الشان الواسعة الواضحة
جدا فكانه قيل ما هي فقال ادعوا كل من يصح دعاؤه الى الله الحائز لجميع الكمال حال كوني على بصيرة اي حجة واضحة من امري بنظري
الادلة القاطعة والبراهين الساطعة وترك التقليد الدال على الغباوة والجمود لان البصيرة المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل
دينا ودنيا بحيث يكون كانه يبصر المعنى بالعين ولما كان الموضع في غاية الشرف اكد الضمير المستتر تعيينا وتنبيها على التاهل
لظهور الامامة فقال انا ومن اي ويدعوا كذلك من اتبعني لا كمن هو على عمى جائر عن القصد حائر في ضلال التقليد فهو لا يزال في
غفلة هدفا للحتوف والاتباع طلب الثاني اللحاق بالاول للموافقة في مكانه او في امره الذي دعا اليه وهما دخل تحت قل
عطفا على ادعوا قوله منبها على ان شرط كل دعوة اليه سبحانه اقترانها بتنزيهه عن كل شائبة نقص وسبحان الله اي واسبح الذي
اختص بصفات الكمال سبحانا اي اقدره حق قدره فاثبت له من صفات الكمال ما يليق بجلاله وانزهه عما هو متعال عنه تنزيها
يعلم هو انه يليق بجلاله ويرضى به وفي تخصيص الله تعالى بذلك عقب ما اثبت له ولاتباعه تلويح بنسبة النقص اليهم تواضعا
اعتذارا عما يلحقهم من الوهن وطلبا للعفو عنه وما انا وعدل عن مشركا الى ابلغ منه فقال من المشركين اي في عداد من يشرك
به شيا بوجه من الوجوه لاني علمت بما اتاني من البصيرة انه منعوت بنعوت الكمال منزه عن سمات النقص متعال عنها وان ذلك
اول واجب لانه الواحد الذي جل عن المجانسة القهار الذي كل احد تحت مشيته وفسرت سبحان بما تقدم لان مادة سبح بكل
ترتيب تدور على القدر والشدة والاتساع وتارة يقتصر على الكفاية ومنه الحسب مقدار الشي وتارة يقتصر فيه على الكفاية
فيلزمه الحصر ومنه احسبني الشي كفاني واحتساب الاجر الاكتفاء به والحساب معرفة المقدار والحسب بمعنى الظن راجع الى ذلك
ايضا والاحسب الذي ابيضت جلدته من داء وفسدت شعرته بمعنى ان ذلك الداء كفاه في الفساد عن كل داء كانه ما بقي يسع معه
داء والتحسيب التكفين بما يسع الميت وهو كفاية له لا يحتاج بعده الى شي ومنه الحبس وهو المنع من مجاوزة الكفاية وتارة
يتجاوز الكفاية فيسبح ويتسع مداه فلا ينحصر ومنه الحسب بالتحريك وهو الشرف ومنه السحب وبه سمي السحاب لانسياحه
في الهواء ومنه السبح في الماء ومد الفرس يديه في الجري والسبحة صلوة التطوع لانه لا حد لها يحصرها ولانها تجاوزت الفرض
والسبح الفراغ للتمكن معه من الانبساط والتسبيح التنزيه لانه الابعاد عن النقص قال الرماني واصله البراءة من الشي وقال
ابن مكتوم في الجمع بين العباب والمحكم وسبحان الله معناه تنزيها لله من الصاحبة والولد وتبرئة من السوء هذا معناه في اللغة
وبذلك جاء الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيبويه زعم ابو الخطاب ان سبحان الله كقولك براءة الله من السوء كانه يقول
ابري براءة الله من السوء وزعم ان مثل ذلك قول الاعشى اقول لما جاني فخره سبحان من علقمة الفاجر
اي براءة منه وبهذا استدل على ان سبحان معرفة اذ لو كان نكرة لانصرف قال وقد جاء الشعر منونا نكرة قال امية
سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبلهما سبح الجودي والجمد وقال ابن جني سبحان اسم علم لمعنى البراءة او التنزيه
بمنزلة عثمن وجبران اجتمع في سبحان التعريف والالف والنون وكلاهما علة تمنع من الصرف انتهى وقال الزجاج جاء عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان قوله سبحان الله تبرئة لله من السوء واهل اللغة كذلك يقولون من غير معرفة بما فيه من الرواية
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولكن تفسيره يجمعون عليه وقد سبح الرجل قال سبحان الله وفي التنزيل كل قد علم صلاته
وتسبيحه وسبح لغة في سبح وحكى ثعلب سبح تسبيحا وسبحانا قال ابن سيده وعندي ان سبحانا ليس مصدرا لسبح انما هو
مصدر سبح وقال النضر سبحان الله معناه السرعة اليه والخفة في طاعته وسبوحة بفتح السين البلد الحرام وسباح علم

مادة تغب

مادة سبح

لارض

لارض ملسا عند معدن بني سليم وسبحات وجه الله انواره والسبحة الدعا وايضا صلوة التطوع انتهى وكله راجع الى الابعاد
عن السوء والسبحان النفس وكل احد يبرئ نفسه ويرفعها عن السوء ولما اوضح ابطال ما تعنتوا به من قولهم لولا القي عليه
كنز اتبعه ما يوضح تعنتهم في قولهم او جاء معه ملك يذكر المرسلين اهل السبيل المستقيم الداعين الى الله على بصيرة فقال
وما ارسلنا اي بما لنا من العظمة ولما كان الارسال لشرفه لا يتاتى على ما جرت به الحكمة في كل زمن كما انه لا يصلح للرسالة
كل احد وكان السياق لانكار التابيد لك في قوله او جاء معه ملك كالذي في النحل لا لانكار رسالة البشر ادخل الجار تنبيها
على ذلك فقال من قبلك اي الى المكلفين الا رجالا اي مثل ما انك رجل لا ملكة ولا اناثا كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
والرجل ماخوذ على المشي من الرجل يوحي اليهم اي بواسطة الملكة مثل ما يوحي اليك من اهل القرى مثل ما انك من اهل القرى
اي الاماكن المبنية بالمدر والحجر ونحوه لانها متهيئة للاقامة والاجتماع وانتياب اهل الفضايل وذلك اجدر بغزاير العقل
واصالة الراي وحدة الذهن وتوليد المعارف من البوادي ومكة ام القرى في ذلك لانها مجمع لجميع الخلايق لما امروا به من حج البيت
وكان العرب كلهم ياتونها قال الرماني وقال الحسن لم يبعث الله نبيا من اهل البادية ولا من الجن ولا من النسا انتهى وذلك
لان المدن مواضع الحكمة والبوادي مواطن لظهور الكلمة ولما كانت مكة ام القرى مدينة وهي مع ذلك في بلاد البادية
جمعت الامرين وفازت بالاثرين لاجل ان المرسل اليها جامع لكل ما تفوق في غيره من المرسلين وخاتم لجميع النبيين صلى الله عليه وسلم
عليه وعليهم اجمعين ومادة قرا يائيه وواويه مهموزة وغير مهموزة بتراكيبها الخمسة عشر تدور على الجمع ويلزمه الامساك
وربما كان عنه الانتشار فالقرية بالفتح وتكسر المصر الجامع واقرى لزم القرية والقاري ساكنها والقارية الحاضرة
الجامعة وطير اخضر اما للزومها واما لجمع لونه للبصر والقريتين مثنى واكثر ما يتلفظ به بالياء مكة والطايف وقرية
النمل مجتمع ترابها وقرية الماء في الحوض جمعته والمقراة شبه حوض وكل ما اجتمع فيه ماء والقرى ماء مستجمع والمدة
تقرى في الجرح اي تجتمع والقواري الشهود لجمعهم الامور والقواري الناس الصالحون كانه مخفف من المهموز وقريت
الضعيف قرى بالكسر والقصر وبالفتح والمد اضفته كاقتريته والمقراة حقبة يقرى فيها الضيف والمقاري القدور
وقرى البعير وكل ما اجتر جمع جرته في شدقه وقرت الناقة ورم شدقاها من وجع الاسنان كانها لا تقدر مع ذلك
على جمع الجرة فيكون من السلب وقرى البلاد تتبعها تخرج من ارض الى ارض كاقتراها واستقراها لجمعه بينها وقرى
الماء كغني مسيلة من التلاع او موقعه من الربو الى الروضة لانه مكان اجتماعه وقرى الخيل واد كانها اجتمعت فيه والقرية
كغنية العصى لان الراعي يجمع بها ما يرعاه وبها يجمع كل ما يراد جمعه واعواد فيها قرص يجعل فيها راس عمود البيت لانه بها
يقام فيجمع ما يراد وعود الشراع الذي في عرضه من اعلاه لانه يجمع الشراع ملفوفا ومنشورا وقريت الصحيفة لغة في
قراتها ردا تلوتها فجمعت علمها وكلامها والقارية اسفل الرمح لانه يجمع زجه او اعلاه لانه يجمع عاليته وحد الرمح لانه يجمع
مراد صاحبه وكذا حد السيف والقارية التشديد طاير اخضر اذا راوه استبشروا بالمطر كانه رسول الغيث او مقدمه
السحاب جمعه قواري كانه سمي بذلك لانه سبب جمع الهم للمطر والقير والقار شيء اسود تطلى به السفن والابل والحباب
والزقاق او هما الزفت وعلى كل تقدير هو ساد للسعوق والمسام فكان الجامع بين اجزاء السفينة وغيرها وهذا اقير من
هذا اشد مرارة تشبيه بالقير الطعم والمر ايضا يجمع الفم ونحوه بالقبض والقيور كتنور الخامل النسب شبه به ايضا
لان القير لما قل احتياج اكثر الناس اليه في كثير من الاوقات صار قليل الذكر وهذا معنى الخمول والقيار كشداد صاحب
القير وبير لبني عجل قرب واسط كانها سميت لجمعها اياهم وقيار اسم فرس كانه لجودته يجمع لصاحبه ما يريد والقارة
الدابة لذلك والقارة حي من العرب سموا لان ابن الشداخ اراد ان يفرقهم في كنانة فقال شاعرهم
دعونا قارة لا تجفلونا فنجفل مثل اجفال الظليم ذكره مختصر العين هنا وغيره في الواو واقتار الحديث اقتيارا
بحث عنه لان ذلك سبب لجمعه والقير كهين الاسوار من الرماة الحاذق لانه يجمع بذلك ما يريد ورقيت الرجل بالفتح
رقيه عوذته ونفثت في عوذته لان الراقي يجمع ريقه وينفث ورقيت في الشيء رقيا اذا صعدت عليه كانك جمعت
بين درجه والمرقاة بالفتح ويكسر الدرجة لان العلو من اثار الجمع ورقا عليه كلاما ترقية رفع لانه جمعه عليه ومرقيا
الانف حرفاه لانهما الجامعان له والرايق من الماء الخالص لانه اذا خلص اشتد تلاصق اجزايه لزوال ما كان يتخللها
من العير وراق الماء يريق اذا انصب اما لانه اجتمع الى المحل الذي انصب اليه او يكون من السلب كاراقه بمعنى صبه
وراق الشراب يريق وتريق يتريق اذا تضحضح فوق الارض اي تردد اما من السلب واما تشبيه بالمجتمع والريق
تردد الماء على وجه الارض من الضحضاح اي اليسير ونحوه لانه لا يتردد الا وهو مجتمع والريق اول كل شيء وافضله
من الرايق بمعنى الخالص ولان الاول يجتمع اليه غيره والافضل يجمع ما يراد والريق ايضا الباطل كالريوق كتنور
تشبيها بالشراب وريق الفم معروف لاجتماعه والريق القوة لجمعها المراد والريق والرايق الخالص وكل ما اكل
او شرب على الريق كريق ككيس وهو يريق بنفسه يجود بها عند الموت من راق الماء انصب والمريق كمعظم من لا
يزال يعجبه شيء ولعله من راقه يروقه اذا اعجبه فجمع همه اليه والبارق ضرب من الاسورة لانه يجمع المعصم واليرقان
ويسكن الاستقامة والطريقة وافة للزرع ومرض معروف وسيذكر في ارق في اول سورة الحجر ان شاء الله تعالى
ولما كان الاعتبار باحوال من سلف للنجاة مما حل بهم اهم المهم اعترض بالحث عليه بين الغاية ومتعلقها فقال

مطلب من اهل القرى قراء يائيه وواويه

مادة قرا

سطلب

حتى كلمة يحتاج اولو لما قبلها وهو وما ارسلنا من قبلك الا رجالا

افلم يسيروا اي يوقع السير هؤلاء المكذبون في الارض اي في هذا الجنس الصادق بالقليل والكثير ولما كان المراد سير الاعتبار سبب عنه قوله فينظروا اي عقب سيرهم وبسببه ونبه على ان ذلك امر عظيم ينبغي الاهتمام بالسؤال عنه بذكر اداة الاستفهام فقال كيف كان عاقبة اي آخر امر الذين يعتبر بحالهم لما حل بهم من الامور العظام في بعض الازمنة الماضية وكان المخاطبون بهذا القرآن لا يمكنهم الاحاطة باهل الارض وان كان في حال كل منهم عظة اتى بالجار فقال من قبلهم في الرضى باهوائهم في تقليد آبائهم وهذا كما تقدم في سورة يونس من ان الآيات لا تغني عمن ختم على قلبه والتذكير باحوال الماضين من هلاك العاصين ونجاة الطائعين والاعتراض بين ذلك بقوله قل انتظروا اني معكم من المنتظرين وعيد من الله تعالى يغضب ممن اعرض عن تدبر آياته والسير المرور الممتد في جهة ومنه اخذ السير واحد السيور من الجلد والنظر طلب ادراك المعنى بالعين او القلب واصله مقابلة الشيء بالبصر ثم ادراكه ولما كان من الممكن ان يدعى قصور البصيرة انه كان لم يوع خبر قال على طريقة ارخاء العنان ولدار اي الساعة او الحالة الاخرة اي التي وقع التنبيه عليها بامور تفوت الحصر من هذه دار الدنيا فانه لا تكون دنيا الا بقصيها خير للذين اتقوا اي جعلهم الخوف على جعل الايثار والانزجار وقاية من جباه اهون شاكلها الموت وان فرض فيها من المحال انها امتدت الف عام وكان عيشها كله رغدا من غير الم ولما كان تسليم هذا لا يحتاج فيه اكثر من العقل قال مسببا عنه منكرا عليهم مبكتا لهم افلا يعقلون اي فيتبعوا الداعي الى هذا السبيل الاقوم ولما كان المقتضي معلوما من هذا السياق تقديره فدعا الرجال المرسلون الى الله واجتهدوا في انذار قومهم لخلاصهم من الشقاء وتوعدوهم عن الله بانواع العقوبات ان لم يتبعوهم وطال عليهم الامر وتراخى النصر وهم يكذبونهم في تلك الابعاد ويكتبونهم ويستهزؤن بهم واستمر ذلك من حالهم وحالهم قال مشيرا الى ذلك حتى اذا استيأس الرسل اي يأسوا من النصر يأسا عظيما كانهم اوجدوه اوطلبوه واستخلبوه من انفسهم وظنوا انهم قد كذبوا اي فعلوا فعل ايأس العظيم الباس الذي ظن انه قد اخلف وعده من الاقبال على التحذير والتبشير والجواب لما استفهامهم وقال ما يحبس ما وعد تموناه بان ذلك امر الى الله ان شاء انجز وان شاء اخر ليس عليها من امر شيء ويجوز ان يراد انهم لما استبطأوا النصر وضجروا مما يقاسون من اذى الاعداء واستبطأوا الاولياء حتى يقول الرسول والذين امنوا معه كما يقول الآيس متى نصر الله مع علمهم بان الله تعالى له ان يفعل ما شاء عبر عن حالهم ذلك بما هنا نقل الزمخشري في الكشاف والتبريزي في اللوامع معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما هذا على قراءة التخفيف واما على قراءة التشديد فالتقدير وظنوا انهم قد كذبهم اتباعهم حتى لقد اكذبت عائشة رضي الله عنها قراءة التخفيف روى البخاري في التفسير وغيره عن عروة بن الزبير رضي الله عنه انه سالها عن القراءة اهي بالتشديد ام بالتخفيف فقالت لها بالتشديد قال قلت فقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم فما هو بالظن قالت اجل لعمري لقد استيقنوا بذلك فقلت لها وظنوا انهم قد كذبوا اي بالتخفيف قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستاخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك جاءهم نصرنا لهم بخذلان اعدائهم فننجي من نشاء منهم ومن اعدائهم ولا يرد باسنا اي عذابنا لما له من العظمة عن القوم اي وان كانوا في غاية القوة المحرمين الذين ختمنا دوابهم على الطبيعة كما قلنا الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحققنا بمن ذكرنا مصارعهم من الامم وكل ذلك اعلام بان سنته جرت بانه يطيل الامتحان وبمد زمان الابتلاء والاعتبار حثا للاتباع على الصبر وزجرا للمكذبين عن التمادي في الاستهزاء ومادة كذب تدور على ما لا حقيقة له واكثر تصاريفها واضح في ذلك وتستعمل في غير الانسان كما لو اكذب البرق والحلم والرجاء والطمع والظن وكذبت العين خانها حسها وكذب الراي تبين الامر بخلاف ما هو به وكذبته نفسه منته غير الحق والكذوب النفس لذلك وكذبت الناقة وكذبت اذا ضربها الفحل فتشول اي ترفع ذنبها ثم ترجع حاملا لانها اخلفت ظن حملها وكذا اذا ظن لها لبن وليس لها وقال لمن يصاح به وهو ساكن يرى انه نائم قد اكذب اي عد ذلك الصياح عدما والمكذوبة من النساء الضعيفة لانه لما اجتمع فيها ضعف النساء وضعفها عدت عدما والمكذوبة على القلب المراة الصالحة كانها لعزة الصلاح في النساء جعلت عدما وكذب الوحشي اذا جرى شوطا وقف ينظر ما وراءه كانه لم يصدق بالذي انضره ومنه كذب عن كذا اذا احجم عنه بعد ان اراده او لانه كذب نفسه عند الجملة من قتل الاقران وكذبك الحج اي امكنك وكذبك الصيد مثله وهو يؤول الى الحث لان المعنى ان الحج لعظم مشقته وطول شقته تنفر النفس عنه فيكاد ان لا يوجد وكذا الصيد لشدة فراره وسرعة نفاره وعز استقراره يكاد ان لا يمكن منه فيكون صيده كالكذب لا حقيقة له فقد تبين حينئذ وجه كون كذب بمعنى الاعراء ولاح ان قوله ثلثة اسفار كذب عليكم الحج والعمرة والجهاد معناه انها الشدة الصعوبة لا تكاد تكون مرادها منها مع انه لعوق داعيته لكثرة ما يجري فيها من التوعيب بالاجر يكون كالظافر لها ويؤيده ما قال ابن الاثير في النهاية عن الاخفش الحج مرفوع ومعناه نصب لانه يريد ان يازره بالحج كما يقال امكنك الصيد بريدا رمه وقال ابو علي الفارسي في الحجة في قول عنترة

كذب العتيق وماء بارد ... ان كنت سائلتي غبوقا فاذهبي

وان شئت قلت انا الكلمة لما كثر استعمالها في الاعراء بالشيء والبعث على طلبه واجتاحه صار كانه قال بقوله لها عليك العتيق اي الزمه ولا يريد نفيه ولكن امرها بما عداه فيكون للعتيق في المعنى مفعولا به وان كان لفظه مرفوعا مثل سلام عليكم ونحو مما يراد به الدعا

واللفظ على الرفع وحكى محمد بن السري عن بعض اهل اللغة في كذب العتيق ان مضر تنصب به وان اليمن ترفع به وقد تقدم وجه
ذلك انتهى واقرب من ذلك جدا واسهل تناولا واخذا ان الانسان لا يزال منيع الجناب مصون الحجاب ما كان لازما للصدق
فاذا كذب فقد امكن من نفسه وهان امره فمعنى ثلثة اسفار كذبن عليكم امكنتهم من انفسها الحج كل سنة بزوال مانع الكفار عنه
والعمرة كل السنة بزوال المفسدين بالقتل وغيره في اشهر الحل والجهاد كل السنة ايضا لاباحته في الاشهر الحرم وغيرها وتخريج
مثل كذبتك الظهاير وغيره على هذا بين الظهور لا وقفة فيه ولكون الكاذب يبادر الى المعاذير ويحاول التخلص كان التعبير
بهذا من باب الاغراء اي انتهز الفرصة وبادر تعسر هذا الامكان ولما ذكر سبحانه هذه القصص كما كانت وحث على الاعتبار
بها بقوله افلم يسيروا واشار الى انه بذلك اجرى سنته وان طال المدى اتبعه الجزم بان في احاديثهم اعظم عبرة فقال
حثا على تاملها والاستبصار بها لقد كان اي كونا هو في غاية المكنة في قصصهم اي الخبر العظيم الذي تلي عليك متتبعا لاخبار
الرسل الذين طال بهم البلاء حتى استيأسوا من نوح الى يوسف ومن بعده على جميعهم افضل الصلوة والسلام والتحية والاكرام
عبرة اي عظة عظيمة وذكرى شريفة لاولي الالباب اي لاهل العقول الخالصة عن شوائب الكدر يعبرون بها الى ما يسعدهم
بعلم ان من قدر على ما قص من امر يوسف عليه السلام وغيره قادر على ان يعز محمدا صلى الله عليه وسلم ويعلي كلمته وينصره على من
عاداه كائنا من كان كما فعل بيوسف وغيره الى غير ذلك مما ترشد اليه قصصهم من الحكم وتقود اليه من نفائس العبر والقصص
الخبر بما يتلوا بعضه بعضا من قص الاثر والالباب العقول لان العقل انفس ما في الانسان واشرف ولما كان من اجل
العبرة في ذلك القطع بحقية القرآن لما بينه من حقايق احوالهم وخفايا امورهم ودقايق اخبارهم على هذه الاساليب
الباهرة والتفاصيل الظاهرة والمناهج المعجزة القاهرة نبه على ذلك بتقدير سؤال فقال ما كان اي هذا القرآن العربي
المشتمل على قصصهم وغيره حديثا يفترى كما قال المعاندون على ما اشير اليه بقوله ام يقولون افتراه والافتراء القطع بالمعنى
على خلاف ما هو به في الاخبار عنه من فريت الاديم ولكن كان تصديق الذي كان في الكتب وغيرها بين يديه اي قبله الذي
هو كاف في الشهادة بصدقه وحقيته في نفسه وزاد على ذلك بكونه تفصيل كل شيء اي يحتاج اليه من امور الدين والدنيا
والاخرة والتفصيل تفريق الجملة باعطاء كل قسم حقه وهدى ورحمة وبيانا واكراما ولما كان الذي لا ينتفع بالشيء لا
يتعلق بشيء منه قال لقوم يؤمنون اي يقع الايمان منهم وان كان بمعنى يمكن ايمانهم فهو عام وما جمع هذه الخلال فهو ابين
البيان فقد انطبق هذا الاخر على اول السورة في انه الكتاب المبين وانطبق ما تبع هذه القصص من الشهادة بحقية القرآن
وان الرسل ليسوا ملائكة ولا معهم ملائكة للتصديق يظهرون للناس وانهم لم يسئلوا على الابلاغ اجرا على سبب ما تبعته هذه القصص
وهو مضمون قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الاية من قولهم لولا القي عليه كنز او جاء معه ملك وقولهم انه افتراه على ترتيب
ذلك مع اعتناق هذا الاخر لاول التي تليها فسبحان من انزله معجزا باهرا وقاضيا بالحق لا يزال ظاهرا وكيف لا وهو العليم الحكيم والله الموفق

سورة الرعد اربعون وخمس ايات

مقصودها وصف الكتاب بانه الحق في نفسه وتارة يتاثر عنه مع ان له صوتا وصيتا وارغابا وارهابا الهدى بالفعل
وتارة لا يتاثر بل يكون سببا للضلال والعمى وانسب ما فيها لهذا المقصد الرعد فانه مع كونه حقا في نفسه يسمعه الاعمى والبصير
والبارز والمستتر وتارة يتاثر عنه البرق والمطر وتارة لا واذا نزل المطر فتارة ينفع اذا اصاب الاراضي الطيبة وسلمت
من عاهة وتارة يخيب اذا نزل على السباخ الخوارة وتارة يضر بالاغراق او الصواعق او البرد وغيرها والله اعلم بسم الله
الحق الذي كل ما عداه باطل الرحمن الذي عم بالرغبة والرهبة لعموم رحمته الرحيم الذي خص من شاء بما يرضاه عظيم الوهيته
المر لما ختم التي قبلها بالدليل على حقية القرآن وانه هدى ورحمة لقوم يؤمنون بعد ان اشار الى كثرة ما يحسونه من اياته
في السموات والارض مع الاعراض ابتدا هذه بذلك على طريق اللف والنشر المشوش لانه افصح للبداة في نشره بالاقرب فالاقرب
فقال تلك اي الانباء المتلوة والاقاصيص المجلوة المفصلة بدر المعاني وبديع الحكم وثابت القواعد والمباني العالية
المراتب ايات والاية الدلالة العجيبة في التادية الى المعرفة الكتاب المنزل اليك وجميع الذي ولما كان تحقق ان هذا
الكتاب من عند الملك امرا لا يطرقه مرية لما له من الاعجاز وكذا ما تبعه من بيانه بالسنة لما له من الحق الذي لا يخفى على
عاقل وكان ما تحقق انه كذلك يعلم ان الاتي به لا يكون الا عظيما بني للمفعول قوله انزل اليك كائن من ربك فثبت حينئذ قطعا
انه هو الحق اي الموضوع كل شيء منه في موضعه على ما تدعوا اليه الحكمة الواضح الذي لا يتخلف شيء منه عن مطابقة الواقع
من بعث ولا غيره فهو ابعد شيء عن قولهم ان وعده بالبعث سحر فوجب لثبوت حقيته على كل من اتصف بالعقل ان يؤمن به
ولكن اكثر الناس اي الانسين بانفسهم المضطربين في ارائهم لا يؤمنون اي لا يتجدد منهم ايمان اصلا بانه حق في نفسه وانه
من عند الله بل يقولون انه من عند محمد صلى الله عليه وسلم وانه تخييل ليست معاينة ثابتة كما قلنا وما اكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين فليس هدى لهم كاملا ولا رحمة تامة هذا التقدير محتمل ولكن الذي يدل عليه قوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق ان الذي مبتدا ومن ربك صلة انزل والخبر الحق والمقصود من هذه السورة هذه الاية وهي وصف المنزل
بانه الحق واقامة الدليل عليه وذلك لانه لما تم وصف الكتاب بانه حكيم محكم مفصل مبين عطف الكلام الى تفصيل
اول سورة البقرة والايماء الى انه حان اجتناء الثمرة في هذه السورة والتي بعدها ويلتحم بذلك وصف المصدقين بذلك

كما ستقف عليه وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه هذه السورة تفصيل لمجمل قوله سبحانه في خاتمة
سورة يوسف عليه السلام وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة
انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين فبيان آي السموات في قوله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى
على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى وبيان آي الارض في قوله وهو الذي مد الارض وجعل فيها زوجين اثنين
فهذه اي السموات والارض وقد زيدت بيانا في مواضع ثم في قوله تعالى يغشي الليل النهار ما تكون من الايات عنهن لان
الظلمة عن جرم الارض والضيا عن نور الشمس وهي سماوية ثم زاد تعالى ايات الارض بيانا وتفصيلا في قوله تعالى وفي الارض
قطع متجاورات الى قوله لقوم يعقلون ولما كان اخراج الثمر بالماء النازل من السماء من اعظم آية ودليلا واضحا على صحة
المعاد ولهذا قال تعالى في الآية الاخرى كذلك نخرج الموتى وكان قد ورد هنا على اعظم جهة في الاعتبار من اخراجها مختلفات
في الطعوم والالوان والروائح مع اتحاد المادة يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل لذلك ما اعقب قوله
تعالى وفي الارض قطع متجاورات الآية بقوله وان تعجب فعجب قولهم ايذا كنا ترابا اينا لفي خلق جديد ثم بين سبحانه الصنف
القابل بهذا وانهم الكافرون اهل الخلود في النار ثم اعقب ذلك ببيان عظيم حلمه وعفوه فقال ويستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة الآية ثم اتبع ذلك بما يشعر بالجري على السوابق في قوله انما انت منذر ولكل قوم هاد ثم بين عظيم ملكه واطلاعه
على دقائق ما اوجده من جليل صنعه واقتداره فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى الآيات الى قوله وما لكم من دونه من وال ثم
خوف عباده وانذرهم ورغبهم هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا الآيات وكل ذلك راجع الى ما اودع سبحانه في السموات
والارض وما بينهما من الايات وفي ذلك اكثر آي السورة ونبه تعالى على الآية الكبرى والمعجزة العظمى فقال ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى والمراد لكان هذا القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا والتنبيه بعظيم هذه الآيات مناسب لمقتضى السورة من التنبيه بما اودع تعالى من الايات في السموات والارض وكانه
جل وتعالى لما بين لهم عظيم ما اودع في السموات والارض وما بينهما من الآيات وبسط ذلك واوضحه اردف ذلك باية اخرى جامعة
للآيات ومتسعة للاعتبارات فقال تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال فهو من نحو ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين
وفي انفسكم اي لو فكرتم في آيات السموات والارض لاقلتكم وكفتكم في بيان الطريق اليه ولو فكرتم في انفسكم وما اودع تعالى فيكم من
العجائب لاكتفيتم من عرف نفسه عرف ربه فمن قبيل هذا الضرب من الاعتبار هو الواقع في سورة الرعد من بسط آيات السموات
والارض ثم ذكر القرآن وما يحتمل فهذه اشارة الى ما تضمنت هذه السورة الجليلة من بسط الآيات المودعة في الارضين والسموات
واما قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فقد اشار اليه قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون انما يتذكر اولوا
الالباب وقوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله هم اولوا الالباب المتذكرون التاموا الايمان وهم القليل المشار اليهم في قوله
تعالى وقليل ما هم والمقول فيهم اولئك هم المؤمنون حقا ودون هؤلاء طوائف من المؤمنين ليسوا في درجاتهم ولا بلغوا يقينهم واليهم
الاشارة بقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال صلى الله عليه وسلم الشرك في امتي اخفى من دبيب النمل فهذا
بيان ما اجمل في قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون واما قوله تعالى افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله فما عجل
لهم من ذلك في قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله القاطع دابرهم
والمستاصل لامرهم واما قوله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة الآية فقد اوضحت آي سورة الرعد سبيله
عليه السلام وبينته بما تحملته من عظيم التنبيه وبسط الدلائل بما في السموات والارض وما بينهما وما في العالم بجملته وما تحمله الكتاب
المبين كما تقدم ثم قد تعرضت السورة لبيان جلي سالكي تلك السبيل الواضحة المنجية فقال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا
ينقضون الميثاق الى آخر ما حلاهم به اخذا وتركا ثم عاد الكلام بعد الى ما فيه من التنبيه والبسط وتقريع الكفار وتوبيخهم
وتسليته عليه السلام في امرهم انما انت منذر ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب ويقول الذين كفروا لست مرسلا والسورة بجملتها غير حائدة عن تلك الاغراض المجملة في الآيات الاربع المذكورات
من آخر سورة يوسف ومعظم السورة وغالب آيها في التنبيه وبسط الدلالات والتذكير بعظيم ما اودعت من الآيات ولما كان
هذا شانها اعقبت بمفتتح سورة ابرهيم عليه السلام انتهى فلما اثبت سبحانه بهذا الكتاب انه المختص بكونه حقا فثبت انه اعظم
الادلة والآيات شرع يذكر ما اشار اليه بقوله وكاين من آية من الآيات المحسوسة الظاهرة الدالة على كون آيات الكتاب
حقا بما لها في انفسها من الثبات والدالة بما لفاعلها من القدرة والاختيار على انه قادر على كل شيء وان ما اخبر به من البعث حق
لما له من الحكمة والدالة بما للتعبير عنها من الاعجاز على كونها من عند الله وبدا بما بدا به في تلك من آيات السموات لشرفها
ولانها ادل فقال الله اي الملك الاعظم الذي له جميع صفات الكمال وحده الذي رفع السموات بعد ايجادها من عدم كما انتم
بذلك مقرون والرفع وضع الشيء في جهة العلو سواء كان بالنقل او بالاختراع كائنة بغير عمد جمع عماد كاهب واهاب او عمود
والعمود خشب مستطيل يمنع المرتفع ان يميل واصله منع الميل ترونها اي مرئية حاملة لهذه الاجرام العظام التي مثلها لا تحمل
في مجاري عاداتكم الا بعد تناسبها في العظم هذا على ان ترونها صفة ويجوز ولعله احسن ان يكون على تقدير سؤال من كانه
قال ما دليل انها بغير عمد فقيل المشاهدة التي لا اجلى منها ولما كان رفع السموات بعد خلق الارض وقبل تسويتها ذكر انه شرع

في تدبير ما للكونين من المنافع وما فيهما من الاعراض والجواهر واشار الى عظمة ذلك التدبير باداة التراخي فقال
ثم استوى على العرش قال الرازي في لوامع البرهان وخص العرش لانه اعلى خلقه وصفوته ومنظره الاعلى وموضع تسبيحه
ومظهر ملكه ومبدا وحيه ومحل قربه ولم ينسب شيا من خلقه كنسبته فقال ذو العرش كما قال ذو الجلال وذو كلمة
لحق واتصال وظهور ومبدا وقال الرماني والاستوا الاستيلا بالاقتدار ونفوذ السلطان واصله استوا التدبير
كما ان اصل القيام الانتصاب ثم يقال قايم بالتدبير انتهى وعبر بثم لبعد هذه الرتبة عن الاطماع وعلوها عما يستطاع
فليس هناك ترتيب ولا مهلة حتى يفهم ان ما قبل كان على غير ذلك والمراد انه اخذ في التدبير لما خلق كما هو شان الملوك اذا
استووا على عروشهم اي لم يكن لهم مدافع وان لم يكن هناك جلوس اصلا وذلك لان روح الملك التدبير وهو اعدل احواله
والله اعلم وسخر اي ذلل تذليلا عظيما الشمس اي التي هي اية النهار والقمر اي الذي هو اية الليل لما فيهما من الحكم والمنافع
والمصالح التي بها صلاح البلاد والعباد ودخلت اللام فيهما وكل واحد منهما لا ياتي له لما في الاسم من معنى الصفة اذ لو وجد
مثل لهما لم يتوقف في اطلاق الاسم عليه ولا كذلك زيد وعمرو والتسخير التهيئة لذلك المعنى المسخر له ليكون بنفسه
من غير معاناة صاحبه فيما يحتاج اليه كتسخير النار للانضاج والماء للجريان كل اي من الكوكبين يجري ولما كان السياق
للتدبير علم ان المراد بجريهما لذلك وهو تنقلهما في المنازل والدرجات التي تتحول بها الفصول ويتغير النبات وتضبط
الاوقات وكلما كان التدبير اسرع علم ان صاحبه اعلم ولا سيما ان كان احكم فكان الموضع للام لا لالى فعلل بقوله لاجل اي لاجل
اختصاصه باجل مسمى هذي اجلها سنة وذاك اجله شهر والاجل الوقت المضروب لحدوث امر وانقطاعه ولما كان
كل من ذلك مشتملا من الايات على ما يجل عن الحصر مع كونه في غاية الاحكام استانف خبرا هو كالتنبيه على ما في ما مضى من
الحكمة فقال مبينا للاستوا على العرش بعد ان اشار الى عظمة هذا الخبر بما في صلة الموصول من الاوصاف العظيمة يدبر
الامر اي في المعاش والمعاد وما ينظمهما بان يفعل فيه فعل من ينظر في ادباره وعواقبه لياتي محكما يجل عن ان يرام
بنقص بل هو بالحقيقة الذي يعلم ادبار الامور وعواقبها ولا يشغله شان عن شان مع ان هذا العالم من اعلى العرش الى
ما تحت الثرى محتو على اجناس وانواع وفصول واصناف واشخاص لا يحيط بها سواه وذلك دال قطعا على انه سبحانه
في ذاته وصفاته متعال عن مشابهة المحدثات واحد احد صمد ليس له كفوا احد ولما كان هذا بيانا عظيما لا لبس فيه قال
يفصل الايات التي برز الى الوجود تدبيرها الدالة على وحدانيته وكمال حكمته المشتملة عليها مبدعاته فيفرقها ويباين بينها
مباينة لا لبس فيها تقريبا لعقولكم وتدريبا لفهومكم لتعلموا انها فعل الواحد المختار لا فعل الطبايع ولا غيرها من الاسباب
التي ابدعها والا لكانت على نسق واحد وجمعها لما تقدم من الاشارة الى كثرتها بقوله وكاين من اية في السموات والارض فكان
هذه الالف واللام لذلك المنكر هناك ولما كان هذا التدبير وهذا التفصيل دالا على تمام القدرة وغاية الحكمة وكان البعث
لفصل القضا والحكم بالعدل واظهار العظمة هو محط الحكمة علل بقوله لعلكم بلقاء ربكم اي لتكون حالكم حال من يرجى له بما ينظر من
الدلالات الايقان بلقاء الموجد له المحسن اليه بجميع ما تحتاجه التربية توقنون اي تعلمون ذلك من غير شك استدلالا بالقدرة
على ابتداء الخلق على القدرة على ما جرت العادة بانه اهون من الابتداء وهو الاعادة وانه لا تتم الحكمة الا بذلك ولما
انقضى ما اراد من ايات السموات ثنى بما في ما ثنى به في اية يوسف من الدلالات فقال وهو اي وحده الذي مد الارض ولو شاء
لجعلها كالجدار او الارج لا يستطاع القرار عليها وهذا لا ينافي ان تكون كرية لان الكرة اذا عظمت كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح
كما ان الجبال اوتاد والحيوان يستقر عليها وجعل فيها جبالا مع شهوقها رواسي اي ثوابت واحدها راسية اي ثابتة باقية
في حيزها غير منتقلة عن مكانها لا تتحرك فلا يتحرك ما هي راسية فيه ولما غلب على الجبال وصفها بالرواسي صارت الصفة تغني
عن الموصوف فجمعت جمع الاسم كحايط وكاهل قاله ابو حيان ولما كانت طبيعة الارض واحدة كان حصول الجبل في جانب منها دون
اخر ووجوه المعادن المتخالفة فيها تارة جوهرية وتارة رخامية وتارة نفطية وتارة كبريتية الى غير ذلك دليلا على اختصاصه
تعالى بتمام القدرة والاختيار لان الجبل واحد في الطبع كما ان تاثير الشمس واحد فقال تعالى وانهارا اي وجعلها فيها خارجة منها
واكثر ما تكون الانهار من الجبال لانها اجسام صلبة عالية وفي خلال الارض ابخرة فتتصاعد تلك الابخرة المتكونة في قعر
الارض ولا تزال تخرق حتى تصل اليها فتحتبس بها فلا تزال تتكامل حتى يعظم تكاثفها فاذا بردت صارت ماء فيحصل بسببها
مياه كثيرة كما تنعقد الابخرة البخارية المتكاثفة في اعالي الحمامات اذا بردت وتتقاطر فاذا تكامل انعقاد تلك المياه
وعظمت شقت اسافل الجبال او غيرها من الاماكن التي تستضعفها لقوتها وقوة الابخرة المصاحبة لها فان كان لتلك
المياه مدد من جهة الفواعل والقوابل بحيث كلما نبع منها شي حدث عقبه شي وهكذا على الاتصال فهي النهر والنهر المجرى
الواسع من مجاري الماء واصله الاتساع ومنه النهار لاتساع ضيايه ولما ذكر الانهار ذكر ما ينشا عن المياه فقال ومن
كل الثمرات ويجوز ان يكون متعلقا بما قبله ثم يكون كانه قيل من ينتفع بهذه الاشيا فقيل جعل فيها اي الارض زوجين
اثنين ذكرا وانثى من كل صنف من الحيوان ينتفع بها ويجوز ان يكون متعلقا بما بعده فيكون التقدير وجعل فيها من كل الثمرات
زوجين اثنين ذكرا وانثى تنتفع الانثى بلقاحها من الذكر او قربه منها فيجود ثمرها والثمرة طعمة الشجرة والزوج شكل
له قرين من نظير او نقيض فكانه قيل ما الذي يفضحها فقال يغشي الليل النهار اي والنهار الليل فينضج هذا بحره ويمسك هذا
ببرده فيعتدل فعلهما على ما قدره تعالى لهما في السير من الزيادة والنقصان للحر والبرد للاخراج والانضاج الى غير ذلك من

وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحل النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان الثابت ليس كالمعدوم ذلك مختص بالظلم بالصغائر المغفرة المجتنب الكبائر وقول المغفرة بالستر والامهال قال الموفق الشهيد بابن كمال الوزير الناس المذكور في الآية هنا المعهود وهم المستحلون المذكور والمراد من المغفرة الستر والامهال انتهى كلامه اقول المراد من الناس ههنا العموم المذكور في سورة النبي وهو يخفر ما دون ذلك لمن يشاء كما هو المصرح في اكثر

من كل خير الذين كفروا بربهم اي غطوا كل ما يجب اظهاره بسبب الاستهانة بالذي بدا خلقهم ثم ربابهم بانواع اللطف فاذا انكروا معادهم فقد انكروا مبدأهم واولئك اي البعداء البغضاء الاغلال اي الحدايد التي تجمع ايدي الاسرى الى اعناقهم ويقال لها جوامع وتارة تكون في الاعناق فقط يعذب بها الناس ولما كان طرفا العنق غليظين فلا تكون احاطة الجامعة منها اذا كانت ضيقة الا بالوسط جعل الاعناق ظروفا باعتبار انها على بعض منها وذلك كناية عن ضيقها فقال في اعناقهم اي بكفرهم وانما تكن الاغلال مشاهدة الآن فهي لقرن المهدد بها على الفعل كانها موجودة وهم منقادون لما قدر عليهم من اسبابها كما يقاد المغلول بها الى ما يريد قائده والغل طوق تقيد به اليد في العنق واصله الغل في الشيء اذا انتشب فيه وغل اذا خان بانتشابه في المال الحرام واولئك اي الذين لا خسران اعظم من خسارتهم اصحاب النار ولما كانت الصحبة تقتضي الملازمة صرح بها فقال هم اي خاصة فيها اي متمحضة لا يخلطها نعيم خالدون اي ثابت خلودهم دائما ولما تضمنت هذه الآية اثبات القدرة التامة مع ما سبق من ادلتها المحسوسة المشاهدة كان ايضا من العجب العجيب والنبأ الغريب استهزاؤهم بها فقال معجبا منهم ويستعجلونك اي استهزاء وتكذيبا والاستعجال طلب التعجيل وهو تقديم الشيء قبل وقته الذي يقدر له بالسيئة من العذاب المتوعد به من عذاب الدنيا وعذاب الاخرة جوابا منهم تنزيلا لانهم لا يبالون بشيء منه ولا يوقنون بوعد ولا وعيد قبل الحسنة من الخير الذي تبشرهم به والحال انه قد خلت ولما كان المحدث عنهم انما كان في بعض الزمان ادخل الجار فقال من قبلهم المثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم المثلثة كصدقة وصدقات سميت بذلك لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وهي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لاجله في الامم الذين اتصلت لهم اخبارهم وخاطبتهم بعظيم ما اتفق لهم اثارهم وديارهم وما يوجد منهم اهـ الاستيفاء آجالهم التي ضربها لهم مع قدرته التامة عليهم ولما كان نوازل ما تلوا مما يرى الانذار تهديدا لا يتحقق شيء منه قال موكدا لانكارهم واعتقادهم ان المسار والمضار انما هي عادة الدهر عطفا على ما تقديره فان ربك حليم لا يخاف الفوت فلا يستعجل في الاخذ وان ربك اي المحسن اليك بجعلك نبي الرحمة لذو مغفرة اي عظيمة ثابتة للناس حال كونهم ظالمين متمكنين في الظلم مستعلين على ظلمهم ومن ايقاعهم الاشياء في غير مواقعها فلا يواخذهم بجميع ما كسبوا ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة فلذلك يديم الناس هذا طويلا يكفرون ولا يعاقبون حلما منه سبحانه والآية مقيدة بآية النساء ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان لم تكن توبة فان التائب ليس على ظله ولما كان يمهل سبحانه ولا يهمل وذكر امهاله ذكر اخذه مؤكدا لمثل ما مضى فقال وان ربك اي الموجد لك المدبر لامرك بغاية الاحسان لشديد العقاب للكفار ولمن يئس من غيرهم فلذلك ياخذ اخذ عزيز مقتدر اذا جاء الاجل الذي قدره ولما بين سبحانه انهم غطوا آيات ربهم المتفضل عليهم بتلك الآيات وغيرها عجب منهم عجبا آخر في طلبهم انزال الآيات مع كونها متساوية الاقدام في الدلالة على الصانع وما له من صفات الكمال فلما كفروا لعماء اتاهم كانوا جديرين بالكفر بما يأتيهم فقال ويقول اي على سبيل الاستمرار الذين كفروا استهزاء بالقدرة لولا اي هلا ولم لا انزل اي بانزال اي كاين كان عليه آية جاحدين عناد الما اتاه من الآيات من ربه اي المحسن اليه تصديقا له ولما كان النبي عليه الصلوة والسلام راغبا في اجابة مقترحاتهم لشدة التفاته الى ايمانهم كان كانه سائل في ذلك لتحصل لهم النجاة فاجيب بقوله تعالى متقدما ما السياق اولي به لانه لبيان ان الاكثر انما انت منذر اي نبي منذر هاد لهم تعديهم ببيان ما انزله عليك مما يوقع في الهلاك او يوصل الى النجاة سائر نبي على حسب ما اخذه لك واصل الانذار الاعلام بموضع المخافة ليتقى لا انك مثبت للايمان في الصدور ولكل قوم ممن ارسلنا اليهم نبي هاد اي داع يهديهم الى مراشدهم ومنذر ينذرهم من مفاوبهم اي يبين لهم ما ارسلناه به من النذارة والبشارة واعطى كل منذر وهاد آيات تليق به وتقوى على شكلها يوسى البشر فيهتدي الله من يعلم فيه قابلية الهدى عاقب من الآيات المشاهدات فلا تحتاج الى شيء من المقترحات ويضل من يعلم فيه دواعي الضلال ولو جاءته كل آية لانه الذي جبلهم على طبائع الخير والشر الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فهو يقول تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وكقوله في هذه السورة ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب والآية من الاحتباك ذكر المنزل اولا يدل على حذفه ثانيا وذكر الهادي ثانيا يدل على حذف مثله اولا ولما كان ما مضى مترتبا على العلم والقدرة ولا سيما ختم هذه الآية بهادٍ وكان انكارهم للبعث انكارا للنشاة الاولى وكان سبحانه يعلم ان اجابتهم الى ما اقترحوا غير نافع لهم لانهم معنتون لا مسترشدون شرع سبحانه بعد الاعراض عن اجابة مقترحاتهم يقرر من افعاله المحسوسة لهم المقتضية لاتصافه من العلم والقدرة بما هو كالاعادة سواء اشارة منه تعالى الى ان انكار البعث ان كان لاستحالة الاعادة فهي مثل البداءة وان كان لاستحالة تمييز التراب الذي كان منه الحيوان بعد اختلاطه بغيره وتفرق اجزائه فتمييز الماء الذي يكون منه الولد من الماء الذي لا يصلح لذلك اعجب لان الماء اشد اختلاطا واخفى امتزاجا ومع ذلك فهو يعلمه فقال الله اي المحيط بكل شيء علما وقدرة يعلم اي علما قديما في الازل بما سيوجد وعلما يتجدد تتعلقه بحسب حدوث الحادثات على الاستمرار ما تغيض اي الذي تحمله في ارحامها كل انثى اي الماء الذي يصلح لان يكون حملا وما تغيض اي تنقص الارحام من الماء فتسقطه فتضمحل لعدم صلاحيته لان يكون منه ولد واصل الغيض كما قال الرماني ذهاب الماء في العمق الغائض وفعله متعد لازم وما تزداد اي الارحام من الماء على الماء الذي قدر تعالى كونه حملا فيكون توءما فاكثر في جماع آخر بعد حمل الاول كما صرح بامكان ذلك ابن سينا وغيره من الاطباء وولدت في زماننا اثنان حملا واحدا وبغلا والزيادة ضم شيء الى المقدار وكثرته شيئا بعد شيء فيعدد ذلك فلا يمكن احدا زيادته ولا نقصانه وذلك كله يستلزم الحكمة فلذا ختمه بقوله وكل شيء اي من هذا وغيره من الآيات المقترحات وغيرها عنده اي في قدرته وعلمه بمقدار في كيفيته وكميته لا يجاوزه ولا يقصر عنه لانه عالم بكيفية كل شيء

اعلم ان الناس المذكور
على ما قاله الفضل الفضلاء
ما سلف هو المستحل الآن في هذا
الزمان اخذ هذا القول ممن
سبق لهم القول والعمل بهذا
الطريق محرره

والاستحال طلب التحيل وهو تقديم
الشيء قبل وقته

احتاكم

الحكم النافعة في الدين والدنيا الظاهر لكل ذي عقل انها بتدبيره بفعله واختياره وقهره واقتداره ولما ساق سبحانه
هذه الايات مفصلة الى اربع وكان فيها دقة جمعها وناطها بالفكر فقال ان في ذلك اي الذي وقع التحدث عنه من الايات متعاطفا
لايات اي دلالات واضحات عجيبات باهرات على ان ذلك كله مستند الى قدرته واختياره ونبه على ان المقام يحتاج الى تعب
بتجريد النفس من الهوى وتحكيم العقل صرفا بقوله لقوم اي ذوي قوة زايدة على القيام فيما يحاولونه يتفكرون اي يجتهدون
في الفكر قال الرماني وهو تصرف القلب في طلب المعنى ومبدا ذلك معنى يخطره الله تعالى على بال الانسان فيطلب متعلقاته التي فيها
بيان عنه من كل وجه يمكن فيه والختم بالتفكر اشارة الى الاهتمام باعطاء المقام حقه في الرد على الفلاسفة فانهم يسندون
حوادث العالم السفلي الى الاختلافات الواقعة في الاشكال الكوكبية وهو كلام ساقط لمن تفكر فيما قرره سبحانه في الاية السالفة
من اسقاط وروده من انه سبحانه هو الذي اوجد الاشياء كلها من عدم ثم اخذ في تدبيرها فاختصاص كل شي من الاجرام العلوية
بطبع وصفة وخاصية انما هو بتخصيص المدبر الحكيم الفاعل بالاختيار فصار وجود الحوادث السفلية لو سلم انه متاثر عن
الحوادث العلوية انما يكون مستندا اليها باعتبار السببية والسبب والمسبب مستند الى الصانع القديم المدبر الحكيم ولما كان
هذا الدليل مع وضوحه فيه بعض غموض شرع تعالى في شي من تفصيل ما في الارض من الايات التي هي ابين من ذلك دليلا ظاهرا جدا
على ابطال قول الفلاسفة فقال وفي الارض اي التي انتم سكانها تشاهدون ما فيها مشاهدة لا تقبل الشك قطع متجاورات فهي متحدة
البقعة مختلفة الطبع طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر وعكسها مع انتظام الكل في الارضية
وجنات جمع جنة وهي البستان التي تجنه الاشجار من اعناب وكانه قدمها لان اصنافها الشاهدة بان صانعها انما هو الفعال لما يريد
لا تكاد تحصر حتى انه في الاصل الواحد يحصل تنوع الثمرة ولذلك جمعها ولما كان تفاوت ما اصله الحب اعجب قال وزرع اي منفردا
في قراءة ابن كثير وابي عمرو وحفص عن عاصم بالرفع وفي خلل الجنات في قراءة الباقين بالجر ولما كان ما جمعه اصل واحد ظاهر
اغرب اخر قوله ونخيل صنوان فروع متفرقة على اصل واحد وغير صنوان باعتبار افتراق منابتها واصولها قال ابو
حيان والصنو الفرع يجمعه واخر اصل واحد واصله المثل ومنه قيل للعم صنو وقال الرماني والصنوان المتلاصق
يقال هو ابن اخيه صنو ابيه اي لصيق ابيه في ولادته وهو جمع صنو وقيل الصنوان النخلات التي اصلها واحد عن البراء بن عازب
وابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم وقال الحسن الصنوان النخلتان اصلهما واحد انتهى وهو تركيب لا فرق بين مثناه
وجمعه الا بكسر النون من غير تنوين واعرابها مع التنوين وسياتي في يس ان شاء الله تعالى سر تسمية الكرم بالعنب ولما كان الماء
بمنزلة الاب والارض بمنزلة الام وكان الاختلاف مع اتحاد الاب والام اعجب وادل على الاسناد الى الموجد المسبب لا الى شي من
الاسباب قال تسقى اي ارضها الواحدة كلها بماء واحد فتخرج اغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا يتاخر عنه ولا يتقدم بعد ان يتصعد
الماء فيها علوا ضد ما في طبعه من التسفل ثم يتفرق في كل من الورق والاغصان والثمار بقسطه مما فيه صلاحه ونفضل اي بما لنا من
العظمة المقتضية للطاعة بعضها اي بعض تلك الجنات وبعض اشجارها على بعض ولما كان التفضيل على انحاء مختلفة بين المراد
بقوله في الاكل اي الثمر الماكول ويخالف في الطعوم مع اتحاد الارض وبعض الاصول وخص الاكل لانه اغلب وجود الانتفاع وهو
منبه على اختلاف غيره من الليف والسعف واللون للماكول والطعم والطبع والشكل والرائحة والمنفعة وغيرها مع ان نسبة
الطبايع والاتصالات الفلكية الى جميع الثمار على حد سوا لا سيما اذا رايت العنقود الواحد جميع حباته حلوة نضيجة كبيرة الا
واحدة فانها حامضة صغيرة يابسة ولما كان المراد في هذا السياق كما تقدم تفصيل ما نبه على كثرته بقوله وكاين من اية
في السموات والارض الاية قال ان في ذلك اي الامر العظيم الذي تقدم لايات بصيغة الجمع فانها بالنظر الى تفصيلها بالعطف جمع
وان كانت بالنظر الى الماء مفردة وهذا بخلاف ما ياتي في النحل لان المحدث عنه هناك الماء وهما ما ينشا عنه فلما اختلف المحدث
عنه كان الحديث بحسبه فالمعنى دلالات واضحات على ان ذلك كله فعل واحد مختار عليم قادر على ما يريد من ابتداء الخلق ثم تنويعه
بعد ابداعه فهو قادر على اعادته بطريق الاولى ولما كانت هذه المفصلة اظهر من تلك المجملة فكانت من الوضوح بحال لا يحتاج ناظره
في الاعتبار به الى غير العقل قال لقوم اي ذوي قوة على ما يحاولونه يعقلون فانه لا يمكن التعبير في وجه هذه الدلالة الا بان
يقال هذه الحوادث السفلية حدثت بغير محدث فيقال للقائل وانت لا عقل لك لان العلم بافتقار الحادث الى المحدث ضرورة فعدم
العلم بالضروري يستلزم عدم العقل ولما ثبت قطعا بما اقام من الدليل على عظيم قدرته بما اودعه من الغرايب في ملكوته التي لا
يقدر عليها سواه ان هذا انما هو فعل واحد قهار مختار يوجد المعدوم ويفاوت بين ما تقتضي الطبايع اتحاده كان انكار شي من قدرته
عجبا فقال عطفا على قوله ولكن اكثر الناس لا يومنون مشيرا الى انهم يقولون ان الوعد بالبعث سحر لا حقيقة له وان تعجب اي يوما
من الايام او ساعة من الدهر فاعجب من انكارهم البعث فعجب عظيم لا تتناهى درجاته في العظم قولهم بعد ما راوا من الايات الباهرة
والدلالات الناطقة بعظيم القدرة على كل شي منكرين ايذا كنا ترابا واختلط التراب الذي تحولنا اليه بالتراب الاصلي فصار
لا يتميز ثم كرروا التعجب والانكار بالاستفهام ثانيا فقالوا اينا لفي خلق جديد هذا قولهم بعد ان فصلنا من الايات ما يوجب
انهم بلقاء ربهم يوقنون وهذا الاستفهام الثاني مفسر لما نصب الاول بما فيه من معنى البعث والعجب تغير النفس بما خفي سببه
عن العادة والجديد المهيا بالقطع الى التكوين قبل التصريف في الاعمال واصل الصفة القطع قال الرماني وقد قيل لا خير فيمن
لا يتعجب من العجب واردل منه من يتعجب من غير عجب انتهى يعني فالكفار تعجبوا من غير عجب ومن تعجب من تعجبهم فقد تعجب من العجب ولما
كان هذا انكار المحسوس من القدرة استحقوا عليه ما يستحق من يطعن في ملك الملك فقال اوليك اي الذين جمعوا انواعا من البعد

وكميته على الوجه المفصل المبين فاتضح وقوع اللبس في تلك المعلومات وهو قادر على ما يريد منها فالآية بيان لقوله تعالى
الذين كفروا أبرلهم من حيث بين فيها تربيته لهم على الوجه الذي لم له مشاهدون وبه مترقبون ولما كان هذا عجيبا وكان علمه مستلزما
لعلم الشهادة وكان التصريح به لا يخفى صرح به على وجه كلي يعم تلك الجزئيات وغيرها فقال عالم الغيب وهو ما غاب عن كل مخلوق
والشهادة قال الرماني الغيب كون الشيء بحيث يخفى عن الحس والشهادة كونه بحيث يظهر له ولما كان العلم والحكمة لا يتمان الا بكمال
القدرة والعظمة قال الكبير اي الذي يتضاءل عنده كل ما فيه صفات تقتضي الكبر قال الامام ابو الحسن الحرالي رحمه الله والكبر ظهور
التعاوت في ظاهر الامر وباطنه القدرة ومن حاول منهم ان يكبر بسطوة او تسلط وفساد زاد صغارا وقدره بما اكتسب في اعين ارباب
البصائر في الدنيا ويبدو ذلك منه لعيون جميع الخلق في الاخرى يحشر المتكبرون يوم القيمة كأمثال الذر يطأهم الناس بأقدامهم
فلذلك اختصاص معنى انه لا كبير الا الله انتهى المتعال اي الذي لا يدنو من اوج علو في ذات او صفة او نيل عال واخرجه مخرج
التفاعل ليكون ادل على المعنى وابلغ فيه وقال ابو الحسن الحرالي رحمه الله والتعالي فوت التناول والمنال لكمال او حجة واشر
التفاعل على ما يجري من توهم المحتجين في امر باوهام حججهم واحضة عجتهم واحضة عندهم لله تعالى يأذن في الاحتجاج والجدال
ثم يتعالى بما له من الحجة البالغة فلله الحجة البالغة فهو المتعال علما وحكما وحجة وحقيقة المتعال الذي لا متعال الا هو
انتهى والحاصل انه لما وصف نفسه بما تقدم اشار الى ان ذلك على ما تحتمله العقول وان الحق في وصفه الكبر المطلق والتعالي
المطلق لان العقول لا تحتمل اكثر من ذلك ولما كانت العادة قاضية بتفاوت العلم بالنسبة الى السر والجهر والقدرة بالنسبة
الى المتحفظ بالحرس وغيره اتبع ذلك سبحانه بما ينفي هذا الاحتمال عنه على وجه الشرح والبيان لاستواء الغيب والشهادة
بالنسبة الى علمه فقال سواء منكم اي في علمه من اسر القول اي اخفى معناه في نفسه ومن جهر به وفي علمه وقدرته من هو مستخف
اي موجد الخفاء وطالب له اشد طلب بالليل في اخفى الاوقات فساربه اوكامن فيه يظن ان ذلك الاستخفاء يغنيه من القدرة
ومن هو ساربه اي ذاهب على وجهه في الارض ومتوجه حار في توجهه الى مقصده بسرعة بالنهار متجاهر بسروبه فيه فالآية من
الاحتباك ذكر مستخف اولا دال على ضده ثانيا وذكر ساربه ثانيا دال على ضده اولا له اي لذلك المستخفي او الساربه كما
قاله ابن عباس رضي الله عنهما معقبات اي اعوان وانصار يتناوبون في امر بان يخلف كل واحد منهم صاحبه ويكون بدلا منه
ولما كان حفظ جهتي القدام والخلف يستلزم حفظ اليمين والشمال وكان كل من الجهتين من الحفظة على المخلوق متعذرا قال
آتيا بالجار من بين يديه اي من قدامه ومن خلفه واستأنف بيان فائدة المعقبات فقال يحفظونه اي في ذمته من كل شيء يخشاه
من امر الله اي الذي له الاحاطة الكاملة ولما دل هذا على غاية القدرة وجرت عادة المتمكنين من ملوك الارض بالتعدي على جيرانهم
واستلاب ما لهم والعسف في شانهم زيادة في المكنة وتوسعا في الملك ولا سيما اذا كان ذلك الجار ظانا مع ضعفه وعجزه ان
تحفظه مانع من اخذه اخبر تعالى من كلامه سائلا عن ذلك انه على غير هذا الشأن عنه فقال ان الله اي الذي له الكمال كله لا يغير ما
بقوم اي خيرا كان او شرا حتى يغيروا ما اي الذي بانفسهم مما كانوا يزينونها به من التحلي بالاعمال الصالحة والتخلي من اخلاق
المفسدين فاذا غيروا ذلك غير بصمة اذا اراده وان كانوا في غاية القوة ولما كان ملوك الدنيا لا يتمكنون غالبا من جميع مرادهم
لكثرة المعارضين من الصالحين للملك قال تعالى عاطفا على ما تقدير فاذا غيروا ما بانفسهم انزل بهم السوء واذا اراد الله اي
الذي له صفات الكمال بقوم اي وان كانوا في غاية القوة سوءا فلا مرد له من احد سواه وقد تقدم لهذه الآية في الانفال مزيد
بيان ولما كان كل احد دونه في الرتبة لا امكان له ان يقوم مقامه بوجه قال وما لهم وبين سفول الرتب كلها عن رتبته
فقال من دونه واغرق في النفي فقال من ولما كان السياق ظاهرا في انه لا منقذ لهم مما اراده اي تصيبه فاعل منقوص اشارة
الى نفي ادنى وجوه الولاية فكيف بما فوقها فقال والي اي ملجا يعينهم بان يفعل معهم من الانجاء والنصرة ما يفعل القريب مع وليه
الا قرب اليه ثم اخبر تعالى بامر هو من اله ما قبله جامع للعلم والقدرة وهو اللطف من ذلك كله معلم بجليل القدرة في انه اذا اراد
سوءا فلا مرد له ودقيق الحكمة لانه مظهر واحد ترجى منه النعمة وتخشى منه النقمة فقال هو اي وحده الذي يريكم اي على سبيل
التحديد ايها البرق ومولع كعمود النار خوفا اي لاجل ارادة الخوف من قدرته على جعله صواعق مهلكة والخوف انزعاج النفس
بتوهم وقوع الضر ولما لم يكن لهم سبب في انزال المطر لم يخبر بالرجا وقال وطمعا اي ولاجل ارادة طمعكم في رحمته بان يكون
غيثا نافعا ولا بد من هذا التقدير ليكون فعل فاعل الفعل المعلل ويجوز ان يكون المعنى يريكم ذلك اخافة واطماعا فتخافون
خوفا وتطمعون طمعا فتكون الآية من الاحتباك فعل الاراءة دال على الاخافة والاطماع والخوف والطمع دالان على تخافون
وتطمعون ويجوز ان يكونا حالين من ضمير المخاطبين اي ذوي خوف وطمع وينشئ والانشاء فعل الشيء من غير سبب سولم
السحاب وهو غيم يتسحب في السماء وهو اسم جنس جمعي واحده سحابة الثقال بانقيار الماء محمولة في الهواء على متن الريح والثقل
الاعتماد على جهة السفل لكثافة الاجزاء ويسبح الرعد اي ينزه عن صفات النقص تنزيها ملتبسا بحمده اي بوصفه بصفات
الكمال ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرعد ملك وان لم يصح انه ملك فتسبيحه دلالة على ان موجده سبحانه منزه
عن النقص محيط باوصاف الكمال والملائكة اي تسبح من خيفته قال الرماني والخيفة مضمنة بالحال كقولك هذ ركبه
اي حال من الركوب حسنة وكذلك هذه خيفة شديدة والخوف مصدر غير مضمن بالحال ويرسل الصواعق المحرقة من تلك ان
السحاب المشحونة بالمياه المغرقة والصاعقة قال الرازي نار لطيفة تسقط من السماء بحال هائلة فتصيب بها
اي الصواعق من يشاء كما اصاب بها اربد بن ربيعة وهم اي والحال انهم مع ذلك الذي تقدم من احاطة علمه وكمال قدرته يجادلون

والجدال قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج في الله اي الملك الاعظم بما يؤدي الى الشك في قدرته وعلمه ولما كان لا يغني
من قصده بالعذاب شيء قال وهو شديد المحال لان المحال ككتاب الكيد وروم الامر بالحيل والتدبير والمكر والقدرة والجدال
والعذاب والعقاب والعداوة والمعاداة والقوة والشدة والهلاك والاهلاك ياتي اعداءه بما يريد من انزال العذاب بهم
من حيث لا يحتسبون وكلها صالح هنا حقيقة او مجازا وقال الرماني والمحال الاخذ بالعقاب من قولهم ما حلت فلانا اذا
قتلته الهلكة انتهى ومادة محل بجميع تقاليبها تدور على صرف الشيء عن وجهه وعادته وما تقتضيه جبلته وذلك يستلزم
القدرة والقوة والشدة فالحامل يمسك المحمول بقوته على ان يهوي الى جهة السفل والحملة الكرة في الحرب ويلزم الحمل
المشقة ومنه تحمل الشيء وحمل عليه اي حلم فهو حمول ذو حلم والحميل كامير الدعي والغريب كانهما محمولان لحاجتهما الى ذلك والكفيل
لانه حامل لكل المكفول واحتمل لونه للمفعول غضب وامتقع كان الغضب صرفه عما كان من عادته والمحمل كمحسن المراة ينزل
لبنها من غير حبل لان ذلك شيء على غير وجهه والحمل محركة الخروف لسهولة حمله والحليم من يحبس غيظه بقوة حلمه اي عقله عن
ان يستخفه الغضب والحلم بالكسر الاناة والعقل والحلم بالضم وبضمتين الرؤيا لانها صرف النفس عما هي عليه وهو من شانها
من الغفلة ومنه الحلم بالضم والاحتلام للجماع في النوم والاسم الحلم كعنق وذلك يكون غالبا عند فراغ البال عن الهموم
واليه يرجع حلم المال بالضم سمن والصبي وغيره اقبل شحمه او هو من الحلمة محركة للحمة الناتئة وسط الثدي كالثؤلول لصرفها
لون الثدي وهيئته عما كان عليه وشجر السعدان لانه مرعى جيد يسمن والصغيرة من القردان او الضخمة لشبهها بحلمة الثدي
ودود يقع في الجلد قبل الربع فياكله لان ذلك يغيره عن هيئته والحالوم ضرب من الاقط لانه لحرافته يغير اللسان ودم
حلام هدر لانه خرج عما عليه عادة الدماء والملح يصرف المملوح عن الفساد واما الماء الملح فمشبه به في الطعم وكذا الملح
محركا للون كالبياض يخالطه سواد والملحاء شجرة تسقط ورقها شبهت بارض الملح في عدم الانبات ولما عرف الملح بالصلاح
شبه به العلم فسمي ملحا وكذا الرضاع والحسن والشحم والسمن والحرمة والزمام وخفقان الطائر بجناحيه يصلح بذلك طيرانه
او يملح به استرواحا اليه وملح الشاة سمطها والملاح ككتاب الريح يجري بها السفينة وهي ايضا تصرفها عما يقتضيه
حالها من عدم السير ومعالجة حياء الناقة منه وملحه على ركبته اي لا وفاء له لان الملح لا يثبت هناك او هو سمين او حديد
في غضبه بمعنى انه لا صلاح له وملحه اغتابه شبه بمن يتطعم الملح ليعدل مزاجه وكذا الملاح ككتاب وهو هبوب الجنوب
عقب الشمال وكذا الملاحي كغرابي وقد يشدد وهو عنب ابيض طويل ونوع من التين ومن الاراك ما فيه بياض وحمرة والملح
بضم الميم وفتح اللام من الاحاديث وامتلح خلط كذبا بحق والملح محركة ورم في عرقوب الفرس صرفه عن هيئته المعتادة
والملاح ككتاب سنان الرمح لتهيئة له بعد الوقوف للنفوذ والسترة لصرفها البصر عن النفوذ الى ما وراءها وبرد
الارض حين ينزل الغيث لانه يصرف حالها التي كانت عليها الى اخرى والملحة بالضم المهابة لصرفها المجتري عن قصده ولان
سببها صرف النفس عن هواها والملحاء الكثيبة العظيمة ومنه البركة لمنعها الماشي عن حاله في المشي ومنه الملحة بالفتح
للجة البحر وملحان الكانون الثاني لصرفه بقوة برده الزمان عما كان عليه والناس عما كانوا عليه والملحاء لحم في الصلب
من الكاهل الى العجز لمنعه من رؤية عظام الصلب ورؤوس الاضلاع والمحل صرف ما في الزمان عن عادته بعدم المطر
والانبات ورفاهة العيش وكذا المحل للكيد والمكر والغبار والشدة والمحال لما تقدم من تفسيره ومنه ما حله قاواه
والمتماحل الطويل المضطرب الخلق لخروجه عن العادة وتمحل له احتال والممحل كمعظم من اللبن الاخذ طعم حموضة
والمحالة البكرة العظيمة لصرفها بفتلها الشيء عن وجهه والفقرة من فقر البعير لمشابهتها والخشبة التي يستقر عليها
الطيانون لحملها اياهم ومنعها لهم من السقوط والمحل ككتف من طرد حتى اعيى لانه صرف عما كان من عادته ورايته
متماحلا متغير البدن واللمح صرف البصر عما كان عليه ولمح البرق لمع بعد كمونه واللحم من لحمة الثوب بالضم كانه سد ما
حصل بالهزال من فرج ومنه لحم كل شيء لبه ولحم الامر كمنع احكمه والصانع الفضة لامها وكذا كل صدع ولحم كعلم
نشب في المكان كانه وقع فيما يشبه اللحم فالتصق به فاوحله وشغله وهذا لحيم هذا اي وفقه وشكله وهو يرجع الى
لحمة الثوب واستلحم الطريق تبعه او تبع اوسعه كانه جعل نفسه مثل لحمة السداء واستلحم الطريق اتسع كانه طلب ما يلحمه
اي يسده وحبل متلاحم بفتح الحاء شديد الفتل لانه سدت فرجه كما تسد اللحمة فرج الثوب ونبي الملحمة من القتال
لانه ضرب اللحم بالسيف ومن التاليف كما يكون عن لحمة الثوب لان غاية قتاله صلى الله عليه وسلم خير والفة والتحم
الجرح للبرء القادم من ذلك ومن اللحم ايضا لانه به التئام ولما بين تعالى تصديقا لقوله وكاين من قرية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ما له من الايات التابعة لصفات الكمال التي منها التنزه عما لا يليق بالجلال
وانه شديد المحال شرع يبين ضلالهم في اشراكهم المشار اليه في قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون بما هو علة
لختم ما قبلها من انه لا كفو له فقال له اي الله دعوة الحق ان دعاه احد سمعه فاجابه ان شاء بما يشاء وان دعا هو احدا دعوة
امر بين الصواب بما يكشف الارتياب او دعوة محكم لبي صاغرا واجاب والذين يدعون اي يدعو الكافرون وبين سفول
رتبتهم بقوله من دونه اي الله لا يستجيبون اي لا يوجدون الاجابة لهم اي الكافرين بشيء والاستجابة متابعة الداعي
فيما دعا اليه بموافقة ارادته الا كباسط اي الا اجابة كاجابة الماء لباسط كفيه تثنية كف وهو موضع القبض باليد
واصله من كفه اذا جمع اطرافه الى الماء ليبلغ اي الماء فاه دون ان يصل كفاه الى الماء بما دل عليه التعدية بال فيما الماء

مادة محل

شديد المحال فيه بحث شريف لمن له ذوق صحيح وطبع سليم بمحرره

بمجيب دعايه في بلوغ فيه وما هو اي الماء ببالغه اي فيه فللكافرين بذلك دعوة الباطل كما ان الماء جماد لا يحس بدعوة
هذا فلا يجيبه فاصنامهم كذلك ولما كان دعاؤهم منحصرا في الباطل قال في موضع وما دعاؤهم مظهرا تعميما وتعليقا للحكم
بالوصف وما دعاء الكافرين اي الساترين لما دلت عليه انوار عقولهم بمعبوداتهم او غيرها الا في ضلال لانه لا يجديهم
نفعا اما معبوداتهم فلا تضر ولا تنفع واما الله فلا يجيبهم لتضييعهم الاساس ولما كانت دعوة الامر واضحة السبل جلية
المناهج في جميع كتبه وكلها الى الناظرين وبين دعوة الحكم بقوله ولله اي الملك الاعلى يسجد اي يخضع وينقاد ويتذلل كما بين
عند قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك من في السموات والارض لجميع احكامه النافذة واقضيته الجارية طوعا
والطوع الانقياد للامر الذي يدعى اليه من قبل النفس وكرها قال الرازي والكافر في حكم الساجد وان اباه لما به من الحاجة
الداعية الى الخضوع واعلم ان سجود كل صنف هو تذلله وتسخره وانقياده لما اريد له فكل موجود جماد وحيوان عاقل
وغير عاقل روحاني وغير روحاني مسخر لامر من له الخلق والامر وقال الشيخ محي الدين النووي في شرح المهذب اصله اي
السجود الخضوع والتذلل وكل من تذلل وخضع فقد سجد وسجود كل موات في القران طاعته لما سخر له هذا اصله في اللغة
ثم قيل لمن وضع جبهته في الارض سجد لانه غاية الخضوع ولما كانت الظلال مسخرة لما اراد منها سبحانه لا قدرة لاحد
على تغيير ذلك بوجه قال وظلالهم اي ايضا تسجد بامتدادها على الارض تقصر تارة بارتفاع الشمس وتطول اخرى
بانحطاطها لا يقدرون على منع ظلالهم من ذلك حيث يكون لهم ظلال وذلك بالغدو جمع غداة وهي البكرة اول النهار والاصال
جمع اصيل دايما في جميع البلاد وفي وسط النهار في بعض البلاد والظل ستر الشخص ما بازائه والفيء الذي يرجع بعد ذهاب
ضوئه والاصيل العشي ما بين العصر الى المغرب كانه اصل الليل الذي ينشا منه ومادة صلا واوية ويائية مهموزة
وغير مهموزة بتراكيبها الاحد عشر وهي صلو صول لصو لوص وصل صلي صيل لصي ليص اصل صال تدور على الوصلة
فالصلوة وصلة بين العبد وربه سواء كانت دعاء او استغفارا او رحمة او حسن الثناء من الله على رسوله او ذات الاركان
وصلوة اليهود لمتعبداتهم فمن ذلك في الاصل والصلا وسط الظهر منا او زمن كل ذي اربع او ما انحدر من الوركين او الفرجة
بين الجاعرة والذنب يجوز ان يكون من ذلك لانه يقرب من غيره من الاعضاء اذا انثنى الحيوان ويجوز ان يكون شبه بالعود
المعوج الذي يقوم باصلائه النار واصلت الناقة وصليت اذا استرخى صلواها لقرب نتاجها والمصلي من خيل الحلبة
الذي يجيء على اثر السابق فانه يواصله وصلى الحمار اتنه اي طردها وقمحها الطريق فكانه بذلك قومها بعد ان كانت معوجة
او اراد مواصلتها وصال الرجل صولة اذا سطا واستطال لان ذلك مواصلة على وجه القهر والغلبة وكذا صال الفحل
على الابل اذا قاتلها والعير اذا حمل على العانة فشلها وصال على كذا وثب وصاوله واثبه والتصويل اخراجك الشيء بالماء
لان ذلك سبب الخلوص واذا خلص الشيء تواصلت اجزاؤه لان ذلك المخرج كان حايلا بينها والتصويل ايضا كنس نواحي البيدر
لانه سبب لتواصل ما كان متفرقا ومن ذلك المصول كمنبر لشيء ينقع فيه الحنظل لتذهب مرارته وبهاء المكنسة والصيلة
بالكسر عقدة العذبة لتواصل محل العقد بعضه ببعض وبه يتماسك اتصال بعض العمامة ببعض والجراد يصول في مشواه
من التصويل اي يساط بمعنى يخلط بالتقليب فيتواصل منه ما كان متفرقا وصال يصيل لغة في يصول وصيل له كذا
بالكسر قيض واتيح لانه صار مقارنا له ولصوت الرجل عبته وقذفته لانك وصلت به العيب وفلان لا يلصوا
الى ريبة لا ينضم اليها ولا ينضاف واللوص اللمح من خلل باب ونحوه كالملاوصة كانه وصله بالنظر من موضع غير معهود او لانه
بسبب الوصلة الى ما يراد ولاص نظر كانه يختل ليروم امرا او الشجرة اراد ان يقطعها بالفاس فلاوص في نظره يمنة
ويسرة كيف ياتيها وكيف يضربها لان حاصل ذلك المواصلة على وجه الشدة كما تقدم في صال عليه وتلوص تلوى وتقلب
ومنه اليص اي ارعش والاصه على الشيء اداره واراده منه كانه طلب منه مواصلته واللواص كسحاب الفالوذ كالملوص
كمعظم والعسل الصافي لانه اهل للمواصلة ولوص اكل واللوص وجع الاذن والنحر واللوصة وجع الظهر كانه لشدته
لا مواصل البدن سواه ولاص حاد اي سلب الوصلة والوصلة التي هي مدار المادة وكانها الحقيقة التي تشعبت منها فروعها
هي الضم وهي التيام الشيء بالشيء وكل ما اتصل بشيء فالذي بينهما وصلة وضدها الفرقة والوصل ضد القطع والاوصال
المفاصل ومجتمع العظام لانها موضع اتصال العظم بالاخر والوصلان بالكسر والضم طبقا الظهر ويقال هما العجز والفخذ
والوصيلة الشاة تلد ذكرا ثم تلد انثى فتصل اخاها وفيها خلاف كثير كله يدور على الوصلة ووصل الشيء بالشيء لامه
ووصل الشيء والى الشيء بلغه وانتهى اليه واوصله واتصل لم ينقطع ووصله وواصله كلاهما يكون في عفاف الحب
ودعارته والوصايل جمع وصيلة لثياب حمر مخططة يمنية يتخذها الناس دروعا يشق من جانبيها كانه لانها توصل
بغيرها او يقطع بعضها ثم يوصل بها لتصير درعا والوصيلة العمارة والخصب والرفقة والسيف لان ذلك اهل لان
يوصل والوصيلة كبة الغزل لشدة التباس بعضها ببعض والارض الواسعة لان اتصالها لم يحل بينه جبال وليلة
الوصل اخر ليالي الشهر لانها تصل بين الشهرين وحرف الوصل الذي يعد حرف الروي لانه وصل حركة حرف الروي
ووصيلك من يدخل ويخرج معك وتصل بئر ببلاد هذيل واتصل الرجل اذا انتسب لانه وصل نفسه ممن انتسب
اليهم والموصول دابة كالدبر تلسع الناس كانه من السلب وصليت اللحم شويته لانك وصلته بالنار وصليته
القيته في النار للاحراق والصلاء ككساء الشواء او النار كالصلي فيهما وكان منه صلى عصاه على النار اي احماها ليقومها

سجود حقيقة وياخود
سجود مجازي
وذوال وفيء ذوال

مطلب
مادة صلق
لاحد عشر وجها

مادة
صلا

لان

لان كلا منهما وصلة بالنار للاصلاح واصليته النار ادخلته اياها واثويته فيها وصليه بالنار سخنها لانه وصلها بها
وصل النار كرضي قاسي حرها وصليت فلانا داريه وخاتلته وخدعته كل ذلك لارادة مواصلته لامر والصلاية
والمرأة الجهة كالرئة مما تسر لها الارض في الصلوة ويدق الطيب لمواصلة الدق وصليت للصيد تصلية اذا نصبت له
شركا ليقع فيه فتصل اليه ومنه الحديث ان الشيطان يصالي نحو خاجع مصلاه وفخ والصليان بكسر ثم تشديد قال في
مختصر العين نبت معروف وقال الفراء هو شجر له جمة ثم ضخم ربما جرد وسطه ونبت ما حوله وهو من افضل المراعي وهو
خير الابل وقيل ان الخيل تاكله ولونه اصهب انتهى فسمي بذلك لكثرة مواصلة الابل له ولصيت الرحل كوميت ورضيته
اذا عبثه وقذفته بالنجور وقال الفراء وقيل هو ان يضيفه الى ريبه ولصي اليه انضم اليه لريبه ولاصر يليص حاد
ولصئته اليصه والصئته اذا ازعجته او حركته لتنتزعه كانه من تسلب والصئته عن كذا اذا راودته عنه يمكن ان
يكون سلبا وان يكون ايجابا والاصل اسفل كل شئ لان جميع الاشياء واصلة اليه واصل كرم صار ذا اصل او ثبت
او رسخ اصله كتاصل والراي جاد كل ذلك تشبيه بالاصل والاصيل من له اصل والعاقب الثابت الراي وقد اصل
كرم والاصيل العشي لانه وصلة ما بين النهار والليل او لانه لما اذن بتصرم النهار كان كانه اجتثه من اصله
ومنه الاصيل للهلاك والموت كالاصيلة فيهما ولقيتهم مؤصلا اي بالاصيل واخذه باصلته محركا واصيلته اي
كله باصله واصليتك جميع مالك او نحلتك والاصل كتف المستاصل واصلة علما فتله كانه ادام مواصلته
حتى اتقنه والاصلة محركة حية قصيرة تشاور الانسان قاله في مختصر العين وفي القاموس حية صغيرة او عظيمة
تهلك بنفخها فاذا نظرت الى الساور فهو من المواصلة كما تقدم في صال عليه وان نظرت الى الهلاك فهو من الاستيصال
واصل الماء كفرح اسن من حمأة واللحم تغير يجوز ان يكون من الوصلة اي لشدة مواصلة الحمأة له
وان يكون من الاصيل اي الهلاك بجملته واصله وان يكون من سلب المواصلة وصؤل البعير كرم صآلة وانث
الناس وصار يقتل الناس ويعد وعليهم وصئيل الفرس صهيله لمواصلة نغماته هذا وقد مضى عند قوله تعالى
في سورة هود عليه السلام اصلواتك تامرك اشارة الى هذا فلما تبين قطعا انه سبحانه المدبر للسموات والارض القاهر
لمن فيهما تبين قطعا ان المختص بربوبيتهما قادر تعالى ان يوجه السؤال نحوهم عن ذلك ردا على عبدة الاصنام وغيرهم
من الملحدين بقوله قل اي بعد ان اقمت هذه الادلة القاطعة مقررا لهم من رب اي موجد ومدبر السموات والارض اي وكل
ما فيهما ولما مضى في غير اية انهم معترفون بربوبيته مقرون بخلقه ورزقه ثم لم يزعم ذلك عن الاشراك جعلوا هنا
كانهم منكرون لذلك عنادا فلم ينتظر جوابهم بل امره ان يجيبهم بما يجيبون به اشارة الى انهم لا يحاشون من التناقض في اتباع
الهوى ولا تصونهم عقولهم الجليلة وارآؤهم الاصيلة بزعمهم عن التساقط في مهاوي الردى فقال قل لله اي الذي له الامر كله
فثبت حينئذ ان الولي الاهو فتسبب عن ذلك توجه الانكار عليهم في اعتمادهم في امره بالانكار في قوله قل افاتخذتم اي افسببتم
عن انفراده بربوبيتكم ان اوجدتم الاخذ بغاية الرغبة فسببتم الاشراك عما يجب ان يكون سببا للتوحيد وبين سفول
رتبتهم بقوله من دونه اولياء لا يساوونكم في السبب في الضر والنفع بل لا يملكون لانفسهم فكيف بغيرهم نفعا وذكره ليعم وقدره
لان السياق لطلبهم منهم والانسان انما يطلب ما ينفعه ولما كان من المعلوم انه لا قدرة لاحد على ان يوثر في اخر اثرا لا يقدر
مثله في نفسه قال ولا ضرا فثبت ان من سواه باطل الضلال لانه يلزمه ان يسوي بين المتضادات فكان معنى قوله
قل هل يستوي والاستواء استمرار الشئ في جهة واحدة الاعمى في عينه او في قلبه والبصير كذلك ام هل يستوي بوجه من
الوجوه الظلمات والنور هل ادتهم عقولهم الى ان سووا بين هذه المتضادات الشديدة الظهور لغباوة او عناد حتى
سووا من يخلق ممن لا يخلق فجعلوا له شريكا كذلك لغباوة او عناد ام جعلوا لله اي الذي له جامع العظمة شركاء ثم بين ما
يمكن ان تكون به الشركة فقال واصفا لهم خلقوا كخلقه وسبب عن ذلك قوله فتشابه والتشابه التماثل بالتباس
حتى لا يفصل فيه بين احد الشيئين والاخر الخلق عليهم فكان ذلك الخلق الذي خلقه الشركاء سبب عروض شبهة لهم
وساق ذلك في اسلوب الغيبة اعلاما بانهم اهل للاعراض عنهم لكونهم في عداد البهائم لقولهم حالا يعقل بوجه من الوجوه
وهذا قريب مما ياتي قريبا في قوله قل ام بظاهر من القول الذي يشبهه يكون فيها نوع ظهور لبعض الاذهان
ولما كان من المعلوم قطعا ان جوابهم ان الخلق كله لله ولم يلتفتهم ذلك من تامله سواء امره ان يجيبهم معرضا عن
جوابهم فقال قل الله اي الملك الاعلى خالق كل شئ اشارة الى انهم في احوالهم كالمنكر لذلك عنادا او حمقا لسياج
الحياء وهتكا لجلباب الصيانة واذ قد ثبت انه المنفرد بالخلق وجب ان يتفرد بالنسبة له فقال وهو الواحد
الذي لا يجانسه شئ وكل ما سواه لا يخلو عن مجانس عاثله واين رتبة من عاثل من رتبة من لا مثل له القهار
الذي كل شئ تحت قهره بانفسهم وظلالهم وهو القادر بما لا يمكن ان يغلبه غالب وهو على كل شئ غالب وهذا اشارة كما مضى
في مثله غير مرة في سورة يوسف وغيرها الى برهان الممانع فان اربابهم متعددون فلو كانت لهم حياة وكانوا متفرقين
في الملك لا يمكن بينهم تمانع وكان كل منهم معرضا لان يكون مقهورا فكيف وهم جماد فثبت قطعا انه لا شئ منهم يصلح للالهية
على تقدير من العناد يرقى الرماني والواحد على وجهين شئ لا ينقسم اصلا وشئ لا ينقسم في معنى كالديناروملك
كان حمل الماء في العلو لا يمكن الا عن قهر وانزاله في وقت دون غيره كذلك اتبع هذا الختم قوله دليلا مشاهدا عليه

انزل من السماء ماء اى من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فاة المبادى بنه فسالت اودية الماء
جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء او بقدر رها اى الصغير والكبير قاض بيضاوى
ثم ضرب مثلا جليا لحقه والباطل فقال انزل من السماء فسالت اودية بقدرها اى انزل الله سبحانه من السماء اى السحاب او قبل
من جانب السماء ماء اى مطرا فسالت اودية واودية جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وقوله بقدرها
اى فى الصغير والكبير والقدر اسم لاى الشىء بقدره ومن غير زيادة ولا نقصان وقيل بقدرها اى بما قدر لها من مائها
والوقى بقدر

هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وضرب كما قرب الاعلى والجسم والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذى ينزل من السماء فسالت منه اودية بقدرها فانتفع الناس فشبه القلوب فى كثرة ما تحمله من العلوم والمعارف بالاودية فى كثرة ما تحمله من الماء وشبه العلوم فى انتفاع الناس بها بانتفاعهم بالماء الذى ينزل من السماء فسال به الاودية فانتفع الناس بما تحمله الاودية من الماء فسقوا منه وزرعوا وغير ذلك وشبه ما يحصل فى القلوب من العلوم بحسب صفائها وكثافتها بما يحمله الاودية بحسب صغرها وكبرها وشبه ما يحصل للناس من العلوم بحسب اختلاف القلوب فى ذلك بانتفاع الناس بما تحمله الاودية من الماء فشرب منه بعضهم ولم يسق بعضهم وسقى بعضهم ورعى بعضهم ولم يرع بعضهم وشبه ما يحصل فى القلوب من العلوم بحسب اختلاف القلوب فى ذلك بما يحصل من الزبد على وجه الماء وشبه ما يحصل فى القلوب من الشبه والشكوك بالزبد الذى يحمله السيل الذى يرمى به جانبا وشبه ما يحصل فى القلوب من العلوم النافعة بالماء الذى يمكث فى الارض فينتفع به الناس وشبه ما يحصل فى القلوب من العلوم الباطلة بالزبد الذاهب جفاء الذى لا ينتفع به احد وشبه ما يحصل فى القلوب من العلوم النافعة بالماء الذى يمكث فى الارض فينتفع به الناس وشبه ما يحصل فى القلوب من العلوم الباطلة بالزبد الذاهب جفاء الذى لا ينتفع به احد وشبه ما يحصل فى القلوب من العلوم النافعة بالماء الذى يمكث فى الارض فينتفع به الناس وشبه ما يحصل فى القلوب من العلوم الباطلة بالزبد الذاهب جفاء الذى لا ينتفع به احد

انزل ولما كان الانزال قد يتجوز به عن ايجاد ما يعظم ايجاده حقق امره بقوله من السماء ولما كان المنزل منها انواعا شتى قال
ماء فسالت اى فتسبب عن انزاله لكثرته ان سالت اودية اى مياهها منها الكبير والصغير والوادى سمع الجبل العظيم الذى
يقابله جبل او تل فيجتمع فيه المطر فيجرى فى فضائه ومنه اخذت الدية لجمع المال العظيم الذى يودى عن القتيل بقدرها والقدر
اتزان الشىء بغيره من غير زيادة ولا نقصان فالمعنى ان المياه ملأت الاودية مع ما فى ذلك من الدلالة على التفرد بالربوبية
مما هو مثال للحق والباطل وهو قوله فاحتمل والاحتمال رفع الشىء على الظهر بقوة الحامل له السيل وهو ماء المطر الجارى من
الوادى بعظم زبدا رابيا اى عاليا بانتفاخه والزبد الرغوة التى تعلو الماء ومدار المادة على الخفة ويلزمها العلو ومنه زبد
البحر والبعير للرغوة الخارجة من شدقه والقضبان وزبدت المرأة القطن اذا نفشته والزباد كرمان ضرب من الدبت تنفرش
افنانه وشاة مزبدة اى سمينة ومنه الزباد للطيب المعروف وهو وسخ يشبه الرغوة يجتمع تحت ذنب نوع من السنانير ومنه
الزبد بضم وسكون لخالص اللبن فانه اخفه يقال منه زبدت فلانا ازبده اذا اطعمته الزبد ثم اتسع فيه حتى قيل لكل معطى عطية
ومنه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن زبد المشركين ومنه الزبد بكسر ثم سكون وهو النصيب ويمكن ان يكون من زبد اللبن الزباد
للنبت فانه مرعى تاجج كانه شبه به او لانه شبهه وكزاشاة مزبدة اى سمينة ويلزم الخفة الاسراع يقال تزبد اليمين اذا اسرع
اليها او انها شبهت بالزبد فى سهولة القيامة ولما كان الزبد احسن مثل لمعبوداتهم وكان لا يختص بالماء الذى هو مائع بطبعه
يجمع الاوضار والاقذار بجريه وكرمه ما يشبهه فى النفع من الجواهر الصلبة التى تزبد عند الاذابة مع كونها فى حال الجمود
فى غاية الصفا والخلوص عن الشوائب على ما يظهر فقال ومما توقدون اى ايقادا استعليا عليه اى للاذابة فى النار من
المعادن ابتغاء حلية تتحلون بها من الاساور والحلق ونحوها او ابتغاء متاع تتمتعون به من الدراهم والدنانير والسيوف
والاوانى واصل المتاع التمتع الحاضر فهذا تقسيم حاضر لانواع الغلز المنوع اليها مع اظهار التهاون به وان تنافس الناس
فيه كما هو شان الملوك يظهرون المجد والفخار بالاستهانة بما يتنافس الناس فيه زبد مثله اى مثل زبد الماء بكسط عن وجهه
او يعلق باطراف الاناء فيذهب ويبقى ذلك الجوهر خالصا كالحق اذا زال عنه الشكوك وانزاحت الشبه ولما كان هذا فى
غاية الحسن والانطباق على المقصود كان جديرا بان يفتخر فيقول هذا مما لا يقدر على سوقه هكذا الا الله تعالى فيأتى له من
مثل غاجيب بقوله كذلك اى مثل هذا الضرب العالى الرتب الغريب العجيب المتين السبب يضرب الله اى الذى له الامر كله الحق والباطل
اى مثلهما وضرب المثل تصييره فى البلاء يتمثل به الناس ولما نبه بهذا الفصل على علو رتبة هذا المثل شرع فى شرحه فقال
مبتدئا بما هو الاهم فى هذا المقام وهو ابطال الباطل الذى اضلهم وهو فى تقسيمه على طريق النشر المشوش فقال فاما الزبد
اى الذى هو مثل الباطل المطلق فيذهب متعلقا بالاشجار وجواب اما محذوف لانه يظهر بحسن وبعلق بالاشجار الكثيفة
بكثافته جفاء قال ابو حيان اى مضمحلا اى متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء له وقال ابن الانبارى متفرقا من جفأت الريح
الغيم اذا قطعته وجفأت الرجل صرعته انتهى فهذا مثل الباطل من الشكوك والشبه وما اثاره اهل العناد لا بقاء له وان جال
جولة يمحق الله بها عباده ليظهر الثابت من المزلزل ثم يمحوه سريعا وقال الرمانى والجفاء نبو الشىء به حتى يهلك
واما ما ينفع الناس من الماء والفلز الذى هو مثل الحق فيمكث فى الارض ينتفع الناس بالماء الذى به حيوة كل شىء والفلز
الذى به التمام فالماء والمعدن مثل القرآن لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع كما ان الماء يحيى الارض الميتة والمعادن
تحيى موات العيش وتنظم المعاملات المقتضية لاختلاط بعض الناس ببعض وايتلافهم بالحاجة والاودية والاوانى مثل القلوب
يثبت منه فيها ما تحمله على قدر سعة القلب وضيقه بحسب الطهارة وقوة الفاعلية ولما انقضى هذا المثل على هذا البيان
الذى يعجز دونه الثقلان لانه احسن شىء معنى باوجز عبارة واوضح دلالة كان كانه قيل هل يبين كل شىء هذا البيان فقيل نعم
كذلك اى مثل ذلك الضرب يضرب الله اى الذى له الاحاطة الكاملة علما وقدرة الامثال فيجعلها فى غاية الوضوح وان كانت فى
غاية الغموض وعادة جفاوية وبائية مهمونة وغير مهمونة بكل ترتيب وهى جفأ جأف فجاء جفى جيف فيه جفوجون
موج مجو وجف تدور على الطرح جفاء الوادى والقدر رميا بالجفا اى الزبد وجفاء القدر والوادى سمع غثاءه اى قذفه
وجفاءة صرعة والبرمة فى القصعة كفاها اى طرح ما فيها والباب اغلقه وفتحه ضد لانه فى كليهما كالمرمى به والبقل قلعه من
اصله والجفاء كغراب الباطل لانه اهل للقذف به والطرح والسفينة الخالية لانها بمعرض قذف الماء لها واجفأ ما شيته
اتعبها بالسير ولم يعلفها اى سيرها سيرا كانها يقذف بها وجفاه طرحه وجفأت البلاد ذهب خيرها فكانت كانها طرحته او
صارت هى اصلا لان تطرح وتبعد والعام جفاءة البلنا وهو ان يذهب اكثر هاله انها طرحتا جنتها ومن يأتيه جفيته اخفيه صرعته
والجفاية بالضم السفينة الفارغة والجفى المجفو ومن راوته جفا الشىء يجفوا اذا لم يلزم مكانه كانه فصل من مكانه فطرح به
والجفاء والجفوة ترك الصلة واجتفيته ازلته عن مكانه وجفا عليه كذا فعل فصار اهلا لطرحه والانفصال منه ورجل
جاف فى الخلقة والخلق كرغيف لان الشىء اذا غلظ لم يلتصق التصاق اللطيف واجفى الماشية اتعبها ولم يدعها تاكل وفيه جفوة
اى هو جاف فان كان مجفوا قيل به جفوة ومن مقلوبه مهموزا اجاءته صرعه وه عن اى قذف فى قلبه رعبا والسجن قلبهما ان
اصلها وجأ اى كشداد الصياح كانه يقذف بصوته ورجل جحاف لا ثبات له كانه يقذف به من مكانه والجوف الجاع والمذهور
كانه من الجوف وانما عزت واو الاولى لانضمامها مع انه يمكن تنزيله على انه قذف فيه ذلك ومن يأتيه الجيفة جثة الميت وقد
ارم وجاف كشداد النباش وجافت بجيف انتنت فصارت مهيئة للطرح والتغييب وجيفه ضربه لما راه اهلا للبعد

وجيز

وخيف فلان في كذا وجيف اي فزع وأفزع اي طرح في قلبه رعب فصار لا تسعه ارض بل يقذف بنفسه من مكان الى آخر ومن واويه الجوف المطمئن من الارض لانه يسع ما يطرح فيه ويمسكه ومنها طرح من الجبال لمن شيء استقر به والجوف سنك بطنك لانتفاخ البطن الغذاء فيه واصل الاغوار يسمون فساطيط عمائم الاجواف لطرح انفسهم واستتارهم فيها وجوف الليل وسطه تشبيه بالجوف والاجوفان البطن والفرج والجوف محركة السعة والجوفاء من الدار الواسعة ومن القنا والشجر الفارغة والجائفة جراحة تبلغ الجوف وتلعه جائفه قصيرة لانها لقصرها بالجوف اشبه منها بالخيل وجوانف النفس ما تتقعر من الجوف في مقار الروح والمجوف كمعظم من لا قلب له كانه قلبه طرح من جوفه فصار خاليا والجوفان بالضم ابو الجمار لسعة جوفه واجفت الباب ردته كانه من السلب لانك سددت جوف البيت او انه شبه الاغلاق بطرح الباب ومن مقلوبه مهوز امجيئه الامر كسمعه وسمعه هجم عليه من غير ان يشعر به كانه قذف به اليه ومجيئت الناقة كفرح عظم بطنها كانه قذف فيه بشيء ومجاء كمنع جامع لانه طرحها وطرح نفسه عليها والمفاجي الاسد لانه يخرج بغتة فيثب من غير توقف ومن مقلوبه واويا المجوة المتسع من الارض والعرجة لتهيؤها لما يطرح فيها والمجوة ايضا ساحة الدار وما بين جوانبي الجوانب اي ميامنها ومياسرها ومجا قوسه رمى وترها عن كبدها اي مجواه ومجا هابه فتحه فصار كالجوف والمجا ما بعد ما بين الركبتين او المنخذين او الساقين او عرقوبي البعير مجي كرضي وهو امجا وعظم بطن الناقة والفعل كالفعل والتنجية الكشف لانك طرحت الغطاء والتنجية ايضا التنحية وهي واضحة في الطرح وامجى وسع النفقة على عياله كانه يقذف بها قذفا ومن مقلوبه ياجا اماج الرجل اذا اسرع ومنه الفيج لرسول السلطان على رجليه كانه لسرعته يطرح به في الارض هذا هو الصحيح الذي صححه صاحب العباب لانه معرب بيك وقيل انه واوي اصله فيوج ثم قيل فيج ككيس ثم خفف وجمعه فيوج وقيل الفيوج الذين يدخلون السجن ويخرجون ويحرسون واماج في الارض ذهب والقوم ذهبوا وانتشروا لانه قذف بهم والفيج الوهد المطمئن من الارض لانه موضع لطرح ما في الاعالي ومن مقلوبه واويا الفوج الجماعة كانهم انقطعوا من الجمهور فقذف بهم وفاج المسك فاح وسطع اي انتشرت رائحته والنهار برده اما بمعنى طرح برده على ما فيه واما لحواجه الحيوان الى ان يطرح عليه ما يدفئه وفاج اسرع وعدا وارسل الابل على الحوض قطعه والفاج البساط الواسع من الارض لتهيؤه لما يطرح فيه من تسمية المحل باسم الحال وفاج في عدوه ابطأ فهو للسلب وفاجتا الناقة برجليها نفجت بهما من خلفها والفائجة متسع ما بين كل مرتفعين كانه محل طرح ما يثور لهما ومن مقلوبه وجف تجف وجيفا اضطرب والوجف ضرب من سير الابل والخيل وجف يجف واوجفته واستوجف الجبت فؤاده ذهب به كانه طرحه منه ولما تم ما للحق والباطل في انفسهما من الثبات والاضطراب ذكر ما لاهلهما من الثواب والعقاب جوابا لمن كانه قال ما لمن تدبر هذه الامثال وابعد عما اشارت اليه من الضلال او حاد عما دعت اليه وما لذا جانب بقوله الذين استجابوا اي طلبوا من انفسهم الاجابة واوجدوها لربهم اي المحسن اليهم شكرا له الحالة الحسنى اي العظيمة في الحسن وهي الثواب في الجنة وهو جزاؤهم قال ابو حيان وذلك هو النصر في الدنيا وما اختصوا به من نعمه تعالى ودخول الجنة في الاخرة انتهى وقد تقدم في سورة يونس عليه السلام انهم يزادون ما لا يعلم قدره الا الذي نالوا ذلك خوف عقابه ورجاء ثوابه ولما ذكر ما للطائعين اتبعه جزاء العاصين فقال مبتدئا والذين لم يستجيبوا اي يرغبوا في ايجاد الاجابة له واخبر عن هذا الابتداء بقوله معلما بان استحقاقهم بالعذاب باستحقاقهم بالسيئة قبل الحسنة جواة منهم ناشئة عن جهل صرف تزول عند رؤيتهم عذابه سبحانه فيبلغون حينئذ بالافتداء غاية الذل فلا يقبل منهم لو ان لهم اي في ملكهم وتحت قدرتهم ما في الارض جميعا ومثله بقوله واوضح بقوله جميعا ومثله معه لافتدوا به اي جعلوه فكاكا انفسهم بغاية جهدهم واكده لادعاء الكفرة انهم لا يزالون لشيء ولا يوهن قوائم شيء والافتداء جعل احد الشيئين بدلا من الآخر على جهة الاتقاء به فكانه قيل ما الذي دعاهم حتى كان هذا حالهم فقيل دلالة على انه لا يقبل منهم الفداء ولو عظم اولئك اي البعداء البغضاء لهم سوء الحساب والحساب احصاء على البعد وله وسوؤه المواخذة وعدم العفو عن شيء ومأواهم اي مستقرهم جهنم اي الطبقة التي تلقى داخلها بالجهم والعبوسة ولما كان المأوى اما يأوي اليه صاحبه للراحة فيه بالاتكاء على فرش ونحوه قال معبرا بجمع المذلم ويئس المهاد ولما افترق حال من اجاب ومن اعرض في الجزاء وكان ما مضى مستوفيا طرق البيان بايضاح الامر بالجزئيات والامثلة مع الترغيب والترهيب فكان جديرا بان يترتب الامر عليه تسبب عنه الانكار على من سوى بين العالم العامل وغيره التفاتا الى قوله هل يستوي الاعمى والبصير او سوى بين الحق والباطل التفاتا الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل بحسن قوله افمن يعلم بفتح الباء والسبب يعلم علما ثابتا هو عامل به انما اي الذي انزل اي وجد انزاله وفرغ منه اليك من ربك اي المحسن اليك باحسن التدبير الحق اون الكامل في الحقية فهو نير العين للبصر والقلب للاستبصار والاعتبار يهتدي بما يعلم الى طريق الرشد فيسلكها والى طريق الغي فيتركها ويفهم الاشارات وينتفع بالامثال السائرات كما يبصر بالبصر طريق النجاة من طريق الهلاك كمن هو اعمى لا بصر ولا بصيرة لانه لا يعمل وان كان عالما فهو لا ينتفع بالامثال فكانه قيل لا يستويان مثلا اصلا ثم علل هذا الانكار بقوله انما اي لانه انما يعلم ذلك بالتذكر وانما يتذكر اي يطلب الذكر طلبا عظيما فيعلم فيعمل اولوا اي اصحاب الالباب اي العقول الصافية الخالصة القابلة للتذكر بالتفكر في ان ما انزل من عند الله ثابت الاركان راسي القواعد لا قدرة لاحد على ازالة معنى من معانيه ولا هدم شيء من مبانيه وان ما عداه هلهل النسج رث القوى مختل الاركان دارس الرسم منطمس الاعلام مجهول المسالك مظلم الارجاء رجم المهالك واما القلب الذي لا يرجع عن غيه لمثل هذا البيان فكانه غير قابل للذكر فاستحق ان يعد عدما وان عفق

المتذكر بالقلب ومن المعلوم انه لا يستوي من له لب ومن لا لب له واللب والقلب اجل ما في الشيء واخلصه واجوده
ولما منح سبحانه من فيهم اهلية التذكر بالعقول الدالة على توحيده والانقياد لاوامره كان كانه عهد في ذلك فقال يصف المتذكرين
بما يدل قطعا على انه لا لب لسواهم الذين يوفون اي يوجدون الوفاء لكل شيء بعهد الله اي بالعقد المؤكد من الملك الاعلى باوامره
ونواهيه فيفعلون كلا منهما كما رسمه لهم ولا يوقعون شيئا منهما مكان الآخر والعهد العقد المتقدم على الامر بما يفعل او يجتنب والايفاء
جعل الشيء على مقدار غيره من غير زيادة ولا نقصان ولما كان الدليل العقلي محتما للثبات عليه كما ان الميثاق اللفظي موجب للوفاء
به قال تعالى ولا ينقضون الميثاق اي الايثاق ولا الوثاق ولا مكانه ولا زمانه والنقض حل العقد بفعل ما ينافيه ولا يمكن ان يصح
معه والميثاق العقد المحكم وهو الاوامر والنواهي المؤكدة بمحكم العقل ولما كان امر الله جاريا على منهاج العقل وان كان قاصرا
عنه لا يمكن نيله له من غير مرشد قال والذين يصلون اي من كل شيء على سبيل الاستمرار ما امر الله اي الذي له الامر كله وقال به ان
يوصل دون يوصله ليكون مامورا بوصله مرتين ويفيد تجديد الوصل كلما قطعه قاطع على الاستمرار لما تظافر على ذلك من دليلي
العقل والنقل والوصل ضم الثاني الى الاول من غير فرج ولما كان الدليل يرشد الى ان الله تعالى مرجو مرهوب قال ويخشون
ربهم اي المحسن اليهم من ان ينتقم منهم ان خالفوا ولو بقطع الاحسان ولما كان العقل دالا بعد تنبيه الرسل على القدرة على المعاد
بالقدرة على المبدا وكان الخوف منه اعظم الخوف قال تعالى ويخافون اي يوجدون الخوف ايجادا مستمرا سوء الحساب وهو المناقشة
فيه من غير عفو ومن اول السورة الى هنا تفصيل لقوله تعالى اول البقرة ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب مع نظره الى قوله آخر يوسف ما كان حديثا يفترى ولما كان الوفاء بالعهد في غاية الشدة على النفس قال مشيرا الى ذلك
مع شموله لغيره والذين صبروا اي على طاعات الله وعن معاصيه وفي كل ما ينبغي الصبر فيه والصبر الحبس وهو تجرع مرارة المنع
للنفس عما تحب مما لا يجوز فعله ابتغاء اي طلب وجه ربهم اي المحسن اليهم وكانه ذكر الوجه اشارة للحياء وحثا عليه لا ليقال
ما اجلده ولا لانه يعاب بالجزع ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا خوف الشماتة ولما كانت افراد الشيء قد تتفاوت في الشرف
خص بالذكر اشياء مما دخل في العهد والميثاق تشريفا لها فقال واقاموا الصلوة لانها في الوصلة بالله كالميثاق في الوصلة بالموثق
له وقال وانفقوا وخفف عنهم بالبعض فقال مما رزقناهم لان الانفاق من اعظم سبب يوصل الى المقاصد فهذا انفاق من
المال وتلك انفاق من القوى وقال سرا وعلانية اشارة الى الحث على استواء الحالتين تنبيها على الاخلاص ويجوز ان يكون المراد
بالسر ما ينبغي فيه الاسرار كالنوافل وبالعلانية ما يندب الى اظهاره كالواجب الا ان يمنع مانع وهذا تفصيل قوله تعالى
ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون واستعينوا بالصبر والصلوة وقال ويدرؤن اي يدفعون بقوة وفطنة بالحسنة
اي من القول او الفعل السيئة اشارة الى ترك المجازاة او يتبعونها اياها فتمحوها خوفا ورجاء وحثا على جميع الافعال الصالحة
فهي نتيجة اعمال البر ودرجة المقربين ولما ختم تلك بما يدل على ما بعد الموت ترهيبا ختم هذه بمثل ذلك ترغيبا فقال اولئك
اي العالوا الرتبة لهم عقبى الدار وبينها بقوله جنات عدن اي اقامة طويلة ومنه المعدن ثم استانف بيان تمكنهم فيها فقال
يدخلونها ولما كانت الدار لا تطيب بدون الحبيب قال عاطفا على الضمير المرفوع اشارة الى ان النسب الخالي غير نافع ومن صلح والصلاح
استقامة الحال على ما يدعوا اليه العقل والشرع من آبائهم اي الذين كانوا سببا في ايجادهم وازواجهم وذرياتهم اي الذين تسببوا عنهم
ثم زاد في الترغيب بقوله والملئكة يدخلون عليهم لان الاكثار من ترداد رسل الملك اعظم في الفخر واكثر في السرور والعز ولما كان
اتيانهم من الاماكن المعتادة مع القدرة على غيرها ادل على الادب والاكرام قال من كل باب يقولون سلام عليكم والسلام التحية بالكرامة
على انتفاء كل شائب من مضرة وبين ان سبب هذا السلام الصبر فقال بما صبرتم اي بصبركم والذي صبرتم له والذي صبرتم عليه
اشارة الى ان الصبر عماد الدين كله ولما تم ذلك تسبب عنه قوله فنعم عقبى الدار وهي المسكن في قرار المهيا بالابنية التي يحتاج اليها
والمرافق التي ينتفع بها والعقبى الانتهاء الذي يؤدي اليه الابتداء من خير او شر ولما ذكر ما للناجين ذكر مآل الهالكين فقال
والذين ينقضون عهد الله اي الملك الاعلى فيعملون بخلاف موجبه والنقض التفريق الذي ينفي تاليف البناء ولما كان النقض ضارا
ولو كان في ايسر جزء ادخل الجار فقال من بعد ميثاقه اي الذي اوثقه عليهم بما اعطاهم من العقول واودعها من القوة على ترتيب
المقدمات المنتجة للمقاصد الصالحة الدالة على صحة جميع ما اخبرت به رسله عليهم الصلوة والسلام والتحية والاكرام والميثاق
احكام العقد بابلغ ما يكون في مثله ويقطعون ما اي الشيء الذي امر الله اي غير ناظرين الى ما له من العظمة والجلال وعدل عن يوصله
لما تقدم قريبا فقال به ان يوصل اي لما له من المحاسن الجلية والخفية التي هي عين الصلاح ويفسدون اي يوقعون الافساد
في الارض اي في اي جزء كان منها بوصل ما امر الله به ان يقطع اتباعا لاهوائهم معرضين عن ادلة عقولهم مستهينين بانتقام
الكبير المتعال ولما كانوا كذلك استحقوا ضد ما تقدم للمتقين وذلك هو الطرد والعقاب فقال اولئك اي البعداء البغضاء
لهم اللعنة اي الطرد والبعد ولهم سوء الدار اي ان تكون دارهم الآخرة سيئة بلحاق ما يسوء فيها دون ما يسر ولما
تقدم الحث العظيم على الانفاق واشير الى انه من اوثق الاسباب في الوصلة بجميع اوامر الله وختم بان للكافر البعد عن كل خير
والسوء كان موضع ان يقول الكفار ما لنا يوسع علينا مع بعدنا ويضيق على المؤمن مع وصله واتصاله وما لا يبسط له رزقه
ليتمكن من انفاذ ما امر به ان كان ذلك حقا فقيل الله اي الذي له الكمال كله يبسط الرزق ودل على تمام قدرته بقوله لمن يشاء
فيطيع في رزقه او يعصي ويقدر على من يشاء فيجعل رزقه بقدر ضرورته فيصبر او يجزع لحكم وقت عن الافكار ثم يجعل ما للكافر
سببا في خذلانه وفقر المؤمن موجبا لعلو شانه فليس الغنى مما يمدح به ولا الفقر مما يذم به وانما يمدح ويذم بالآثار ولما

كانت

كانت السعة مظنة الفرح الا عند من اخلصه الله له وهم اقل من القليل قال عاتبا لمن اطمان اليها وفرحوا اي فبسط لهؤلاء
الرزق فبطروا وكفروا وفرحوا بالحيوة الدنيا والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى ولما كانت الدنيا متلاشية في جنب الدار
التي ختم بها للمتقين قال زيادة في الترغيب والترهيب وما الحيوة الدنيا اي بكمالها في الاخرة اي في جنبها الا متاع اي حقير متلاش
قال الرماني والمتاع ما يقع به الانتفاع في العاجل واصله التمتع وهو التلذذ بالامر الحاضر ولما كان العقل اعظم الادلة وتقدم
انه مقصور على المتذكرين اشارة الى ان من عداهم بقر سارحة وعرف ان ما دعا اليه الشرع هو الصلاح وضده هو الفساد وكان
العقل انما هو لمعرفة الصلاح فيتبع والفساد فيجتنب كان الطالب لانزال اية غير ذلك لا سيما بعد ايات متكاثرة ودلالات
ظاهرة موضعا لان يعجب منه فقال على سبيل التعجيب عطفا على قوله وفرحوا مظهرا لما من شانه الاضمار تنبيها على الوصف
الذي اوجب لهم التعنت ويقول الذين كفروا اي ستروا ما دعتهم اليه عقولهم من الخير وما لله من الايات عنادا لولا اي هلا
ولم لا ولما كان ما تحقق انه من عند الملك لا يحتاج الى السؤال عن الاتي به بني للمفعول قوله انزل عليه اي هذا الرسول اية
اي علامة بينة من ربه اي المحسن اليه بالاجابة لما يسئله لنهتدي بها فنؤمن به وامره بالجواب عن ذلك بقوله قل اي لهؤلاء
المعاندين ما اشد عنادكم حيث قلتم هذا القول الذي تضمن انكاركم لان يكون نزل الي اية مع انه لم يؤت احد من الايات مثل ما
اوتيت فعلم قطعا انه ليس انزال الايات سببا للايمان بل امره الى الله ان الله اي الذي لا امر لاحد معه يضل من يشاء اضلاله ممن لم
ينب بل اعرض عن دلالة العقل ونقض ما احكمته من ميثاق المقدمات المنتجة للقطع بحقية ما دعت اليه الرسل لما جبل عليه
قلبه من الغلظة فصار بحيث لا يؤمن ولو نزلت عليه كل اية لانها كلها متساوية الاقدام في الدعوة الى ما دعا اليه العقل لمن له
عقل وقد نزل قبل هذا ايات متكاثرة دالات اعظم دلالة على المراد ويهدي عند دعاء الداعين اليه اي طاعته بمجرد دليل العقل
من غير طلب اية من اناب اي من كان قلبه ميالا مع الادلة رجاعا اليها لانه شاء انابته كابي بكر الصديق وغيره ممن تبعه من العشرة
المشهود لهم بالجنة وغيرهم ثم ابدل منهم الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف وتطمئن قلوبهم اي تسكن وتستانس الى الدليل بعد الاضطراب
بالشكوك لايجادهم الطمانينة بعد صفة الايمان ايجادا مستمرا دالا على ثبات ايمانهم لترك العناد وهذا المضارع في هذا التركيب
مما لا يراد به حال ولا استقبال انما يراد به الاستمرار على المعنى مع قطع النظر عن الازمنة بذكر الله الذي هو اعظم الايات في ان المذكور
مستجمع لصفات الكمال فالاية من الاحتباك ذكر المشية اولا دال على حذفها ثانيا وذكر الانابة ثانيا دال على حذف ضدها اولا ولما
كان ذلك موضع ان يقول المعاند ومن يطمئن بذلك قال الا بذكر الله اي الذي له الجلال والاكرام لا بذكر غيره تطمئن القلوب فتسكن
عن طلب اية غيره والذكر حضور المعنى للنفس وذلك اشارة الى ان من لم يطمئن به فليس له قلب فضلا عن ان يكون في قلبه عقل
بل هو من الجمادات او الى ان كل قلب يطمئن به فمن اخبر عن قلبه بخلاف ذلك فهو كاذب معاند ومن اذعن وعمل بموجب الطمانينة
فهو مؤمن ثم اخبر عما لهذا القسم بقوله الذين امنوا اي اوجدوا وصف الايمان وعملوا اي تصديقا لدعواهم الايمان الصالحات
لطمانينة قلوبهم الى الذكر طوبى لهم اي خير وطيب وسرور وقرة عين وحسن ماب فكان ذلك مفهما لحال القسم الاخر فكانه
قيل ومن لم يطمئن او اطمان قلبه ولم يذعن بوشي لهم وسوء ماب ولما كان ذلك فطم عن انزال المقترحات وكان اعراض المقترحين
قد طال وطال البلاء بهم والصبر على اذاهم كان موضع ان يقال من كافر او مسلم عيل صبره او لست مرسلا يستجاب لك كما كان يستجاب
للرسل فقيل كذلك اي مثل ارسال الرسل الذي قدمنا الاشارة اليه في اخر سورة يوسف عليه السلام في قولنا وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا يوحى اليهم الاية وفي هذه السورة في قولنا ولكل قوم هاد او مثل هذا الارسال البديع الامر البعيد الشان والذي دربناك
عليه غير مرة من ان المرجع الى الله والكل بيده فلا قدرة لغيره على هدى ولا ضلال لا بانزال اية ولا غيره ارسلناك اي بما لنا
من العظمة في امة وهي جماعة كثيرة من الحيوان ترجع الى معنى خاص لها دون غيرها قد خلت ولما كانت الرسل لم تعم بالفعل الزمان
كله قال من قبلها امم طال اذاهم لانبيائهم ومن امن بهم واستهزاؤهم بهم في عدم الاجابة الى المقترحات وقول كل امة لنبيها عنادا
بعد ما جاءهم من الايات لولا انزل عليه اية حتى كانهم تواصوا بهذا القول حتى فعل الرسل واتباعهم في اقبالهم على الدعاء واعراضهم عمن
يستهزئ بهم فعل الايس من الانزال لتتلو اي ارسلناك فيهم لتتلو عليهم اي تقرا والتلاوة جعل الثاني على الاول بلا فصل الذي
اوحينا اليك من ذكر الله الذي هو اعظم الايات وهم اي والحال انهم يكفرون لا تمل تلاوته عليهم في تلك الحال فان لنا في هذا حكما
وان خفيت وما ارسلناك ومن قبلك من الرسل الا لتلاوة ما يوحى لا لطلب الاجابة الى ما يقترح الامم من الايات ظنا انها تكون
سببا لايمان احد نحن اعلم بهم وهذا كله تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بالرحمن اشارة الى كثرة حلمه وطول اناته
وتصوير لتقبيح حالهم في مقابلتهم الاحسان بالاساءة والنعمة بالكفر باوضح صورة وهم يدعون انهم اشكر الناس للاحسان
وابعدهم من الكفران ولما تضمن كفرهم بالرحمن كفرهم بالقران ومن انزل عليه وكان الكفر بالمنعم في غاية القباحة كان كانه
قيل فماذا افعل حينئذ انا ومن اتبعني لا نتمنى اجابتهم الى مقترحاتهم الا رجاء ايمانهم وكان جوابهم عن الكفر بالموحى اهم بدا به
فقال قل عند ذلك ايمانا به هو اي الرحمن الذي كفرتم به ربي المربي لي بالايجاد وادرار النعم المحسن الي لا غيره لا اكفر احسانه
كما كفرتموه انتم بل اقول انه لا اله الا هو انابة واثق في التربية والنصرة وغيرها ولما كان تفرده بالالهية علة لقصر
الهمم عليه قال عليه اي وحده توكلت والتوكل التوثق في تدبير النفس برده الى الله على الرضى بما يفعل واليه اي لا الى غيره
متاب اي مرجعي معنى بالتوبة وحثا بالمعاد وهذا تعريض بهم في ان سبب كفرهم انكار يوم الدين ولما فرغ من الجواب
عن الكفر بالموحى عطف على هو ربي الجواب عن الكفر بالوحي فقال ولو اشارة الى انه يعتقد في القران ما هو اهله بعد ما اخبر عن

احتباك

اعتقاده في الرحمن اي وقل لو ان قرانا كانت به الآيات المحسوسات بان سيرت اي بادني اشارة من مسير ما به الجبال اي
فاذهبت على ثقلها وصلابتها عن وجه الارض او قطعت اي كذلك به الارض اي على كثافتها فشققت فتفجرت منها الانهار او كلم
به الموتى فسمعت واجابت لكان هذا القرآن لانه آية لا مثل لها فكيف يطلبون آية غيره او يقال ان التقدير لو كان شيء من ذلك
بقرآن غيره لكان به اقرار الاعينكم اجابة الى ما تريدون لكنه لم تجر عادة لقرآن قبله بان يكون به ذلك فلم يكن بهذا القرآن لان
الله لم يرد ذلك لحكمة علمها وليس لاحد غير الله امر في خرق شيء من العادات لا لولي ولا لنبي ولا غيرهما حتى يفعل لاجلكم بشفاعة او
بغيرها شيئا لم يرده الله في الازل بل ويجوز ان يكون التقدير لو وجد شيء من هذا بقرآن يوما ما لكان بهذا القرآن فكان حينئذ
يصير كل من حفظ منه شيئا فعمل ما شاء من ذلك فسير به ما شاء من الجبال الى ما اراد من الاراضي لما رام من الاغراض وقطع به
ما طلب من الارض انهارا وجناتا وغيرها وكلم به من اشتهى من الموتى ثم اذا فتح هذا الباب فلا فرق بين القدرة على هذا والقدرة على
غيره فيصير من حفظ منه شيئا قادرا على كل شيء فبطلت حينئذ حكمة اختصاص الله سبحانه بذلك من اراد من خلص عباده وادى
ذلك الى ان يدعي من اراد من الفجرة ان امر ذلك بيده يفعل فيه ما يشاء متى شاء فيصير ادعاؤه مقرونا بالفعل شبهة في الشرك
وليعلم قطعا انه ليس في يد احد امر بل لله اي الذي له صفات الكمال وحده الامر وهو ما يصح ان يؤمر فيه وينهى جميعا في ذلك وغيره
لا لي ولا لاحد من الانبياء الذين قلتم اني لست ادنى منزلة منهم واما الخوارق التي كانت لهم فلولا ان الله شاءها لما كانت فالامر
اليه وحده مهما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكان هذا جواب لما حكي في السيرة النبوية ان الكفار تعنتوا به قال ابن اسحق ثم ان
الاسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء فاجتمع اشرافهم فارسلوا اليه النبي صلى الله عليه وسلم فكلموه في الكف
عنهم وعرضوا عليه ان يملكوه عليهم وغير ذلك فابى وقال ان الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم
بشيرا ونذيرا فقالوا فانك قد علمت انه ليس احد من الناس اضيق بلدا ولا اقل ماء ولا اشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي
بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليخرق فيها انهارا كانهار الشام
والعراق زاد البغوي فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح فنركبها الى الشام
لميرتنا ونرجع في يومنا فقد سخرت الريح لسليمن كما زعمت رجع الى ابن اسحق فنسلهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك
وصنعت ما سالناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا كما تقول زاد البغوي فان عيسى كان يحيي
الموتى ولست باهون على ربك منه فكان سؤالهم هذا متضمنا لادعائهم ان دعواه انزال القرآن لا تصح الا ان تعمل هذه الاشياء
ولما كان هذا كله اقناطا من حصول الايمان لاحد بما يقترح تسبب عنه الانكار على من لم يفد فيه ذلك فقال تعالى افلم بفاء
السبب ييأس الذين آمنوا من ايمان مقترحي الآيات بما يقترحون لعلمهم ان اي بانه لو يشاء الله اي الذي له صفات الكمال هداية كل
احد مشيئة مقترنة بوجوده لهدى الناس وبين ان اللام للاستغراق بقوله جميعا اي بايسر مشيئة والعلم بالشيء يوجب
الياس من خلافه لكنه لم يهدهم جميعا فلم يشأ ذلك ولا يكون الا ما شاءه فلا يزال فريق منهم كافرا فقد وضح ان ييأس على بابها
وكذا في البيت الذي استشهدوا به على انها بمعنى علم يمكن ان يكون معناه الم تيأسوا عن اذاي او عن قتلي علما منكم باني ابن فارس
زهدم فلا يضيع لي ثار وكذا قراه علي ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم افلم يتبين الذين آمنوا اي ان اهل الضلال لا
يؤمنون لآية من الآيات علما منهم بان الامر لله جميعا وان ايمانهم ليس موقوفا على غير مشيئته ولما علم من ذلك ان بعضهم لا
يؤمن ضاقت صدور المؤمنين لذلك لما يعاينونه من اذى الكفار فاتبعه ما يسليهم عاطفا على ما قدرته من نتيجة عدم المشيئة
فقال ولا يزال الذين كفروا اي ستروا ضياء عقولهم تصيبهم بما صنعوا اي مما مرنوا عليه من الشر حتى صار لهم طبعا قارعة
اي داهية تزعجهم بالنقمة من باسه على يد من يشاء وهو من الضرب بالمقرعة او تحل اي تنزل نزولا ثابتا تلك القارعة قريبا من
دارهم اي فتوهن امرهم حتى ياتي وعد الله اي الملك الاعظم بفتح مكة او بالنصر على جميع الكفرة في زمن عيسى عليه السلام فينقطع ذلك
لانه لا يبقى على الارض كافرا وفي غير ذلك من الازمان كزمن فتح مكة المشرفة فيكون المعنى خاصا بالبعض ان الله اي الذي له محامد الكمال
لا يخلف الميعاد اي الوعد ولا زمانه ولا مكانه والوعد عقد الخير يتضمن النفع والوعيد عقده بالزجر والضر والاخلاف نقض ما تضمن
الخبر من خير او شر ولما تم الجواب عن كفرهم بالموحى وما اوحاه اليه وما اشتد تعلقه به عطف على ذلك تاسية الموحى فقال
ولقد استهزئ اي من ادنى الخلق وغيرهم برسل ولما كان الارسال لم يعم جميع الازمان فضلا عن الاستهزاء ادخل الجار فقال من قبلك
لعدم اتيانهم بالمقترحات والاستهزاء طلب الهزء وهو اظهار خلاف الاضمار للاستصغار فامليت اي فتسبب عن استهزائهم ذلك
اني امليت للذين كفروا اي امهلتهم في خفض وسعة كالبهيمة يملى لها اي يمد في المرعى ولم اجعل ذلك سببا لاجابتهم الى ما اقترحوا ولا
معاجلتهم بالعذاب فعل الضيق العطن ثم بعد طول الاملاء اخذتهم اي اخذ قهر وانتقام فكيف اي فكان اخذي لهم سببا لان يسل
من كان يستبطئ رسلنا او يظن نباتها ونابهم فيقال له كيف كان عقاب فهو استفهام معناه التعجيب مما حل بالمكذبين والتقرير
وفي ضمنه وعيد شديد فلما تقرر بما مضى من قدرته تعالى على الثواب والعقاب وخفضه الارضين ورفعه السموات وتضعه
الدلالات بباهر الآيات البينات ان ليس لاحد غيره امر ما وتحرر ان كل احد في قبضته تسبب عن ذلك ان يقال افمن هو
قائم ولما كان القيام دالا على الاستعلاء اوضحه بقوله على كل نفس اي صالحة وغيرها بما كسبت يفعل بها ما يشاء من الاملاء
والاخذ وغيرهما كمن ليس كذلك مثل شركائهم التي ليس لها قيام على شيء اصلا ولما كان الجواب قطعا ليس كمثله شيء كان كانه قيل
استعظاما لهذا السؤال من الذي توهم ان له مثلا فقيل الذين كفروا به وجعلوا لله اي الملك الاعظم شركاء ويجوز ان يقدر لمن خبر

معناه

معناه لم يوحدوه ويعطف عليه وجعلوا فكانه قيل ماذا يفعل بهم فقيل قل سموهم باسمائهم الحقيقية فانهم اذا سموهم
وعرفت حقائقهم انها حجارة او غير ذلك مما هو مركز العجز ومحل الفقر عرف ما هم عليه من سخافة العقول وركاكة الآراء ثم قل لهم
ارجعتم عن ذلك الى الاقرار بانهم من جملة عبيده ام تنبئونه اي تخبرونه اخبارا عظيما بما لا يعلم وعلمه محيط بكل شيء في الارض من
كونها آلهة ببرهان قاطع ام بظاهر من القول اي بحجة اقناعية تقال بالفم وكل ما لا يعلم فليس بشيء وهذا قريب مما مضى في قوله
ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه في انه لو كان كذلك كان شبهة فيها ظهور ما وهذه الاساليب منادية على الخلق بالعجز وصادحة
بانه ليس من كلام الخلق ولما كان التقدير ليس لهم على شيء من ذلك برهان قاطع ولا قول ظاهر بني عليه قوله بل زين اي وقع
التزيين بامر من لا يرد امره على يد من كان للذين كفروا اي لهم وعبر بذلك تنبيها على الوصف الذي دلاهم الى اعتقاد الباطل
وهو ستر ما ادى اليه برهان العقل المؤيد بدليل النقل مكرهم اي امرهم الذي ارادوا به ما يراد بالمكر من اظهار شيء وابطان غيره
وذلك انهم اظهروا ان شركاءهم آلهة حقا وهم يعلمون بطلان ذلك وليس بهم في الباطن الا تقليد الآباء واظهروا انهم يعبدونها
لتقربهم الى الله زلفى ولتشفع لهم وهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فصار كل ذلك من فعلهم فعل الماكر او انهم غيروا في وجه
الحق بما خيلوا به الضعفاء وتمادى بهم الحال حتى اعتقدوه حقا ومادة مكر باي ترتيب كان مكر ركم رمك كرم كمر تدور
على التغطية والستر فالمكر الخديعة قالوا وهو الاحتيال بما لا يظهر فاذا اظهر فذلك الكيد ويلزم منه الاجتهاد في ضم اسباب
الامر لستر ما يراد فمن الضم المكر الذي هو حسن خدالة الساق اي امتلائها ويلزم منه خصب البدن ونعمته وكان منه المكر
لضرب من النبات والواحدة مكرة سميت مكرة لارتوائها ابو حنيفة المكر من عشب القيظ وهي عشبة غبيراء ليس فيها ورق
وهو ينبت في السهل والرمل كانه شبه بالساق لخلوه من الورق او لانه لغبرته وتجرده كالمستور والمكر طين احمر يشبه
بالمغيرة كانه سمي بذلك لما فيه من الكدرة والمكرة من البسر التي ليست برطبة ولكن فيها لين كانها سميت به لكون لونها
حينئذ ياخذ في الكدرة والركم القاء الشيء بعضه على بعض فهو مركوم وركام وتراكم الشيء اذا تكاثف بعضه على بعض وذلك
مظنة الخفاء والركمة الطين المجموع وقال وجز عن مركم الطريق يريد المحجة لان ترابها تلبد فاشتد تلبده والرمك
والرمكة بالضم من الوان الابل وهو اكدر من الورقة وهو لون خالطت غبرته سواد فهو ارمك لانه مظنة لخفاء ما فيه
ومنه اشتقاق الرامك وهو اخلاط تخلط بالمسك فتجعل سكا ورمك الرجل بالمقام اذا اقام به لانه يستره بنفسه
وامتعته ويستتر هو فيه وارمكته غيري اذا الزمته مكانا يقيم به والرمكة الانثى من البراذين فارسي معرب لانها تستر
اصالة العربي اذا ولدته ورمكان موضع معروف معرفة ويقال رمك الرجل اذا هزل وذهب ما في يده فستر عنه
او صار هو مستورا بعد ان كان بحسن حاله مشهورا ورمكت البازي والصقر ترميكا اذا اشرت اليه بالطير لانك سليت
عنه الستر والبرموك مكان به لهب عظيم يستر ما يكون فيه والكريم ضد اللئيم وهو البخيل المهين النفس الخسيس الآباء فاذا
كان شحيحا ولم تجتمع له هذه الخصال قيل له بخيل ولم يقل لئيم فالكريم اذن من ستر مساوي الاخلاق باظهار معاليها وتكرم اذا
تنزه عن الدناءة ورفع نفسه عنها واصل الكرم في اللغة الفضل والرفعة فاذا قالوا فلان كريم فانما يريدون رفيعا فاضلا
فيلزم الكرم ستر العيوب والله الكريم اي الفاضل الرفيع كذا قال بعض اهل اللغة وقيل الصفوح عن الذنوب وقيل الذي لا
يمن اذا اعطى واذا قلت فلان اكرم قومه فانما يريدون ارفعهم منزلة وافضلهم قدرا وكل هذا يلزم منه السخاء وستر الذنوب
ومن هذا قيل فرس كريم وشجرة كريمة اذا كانت ارفع من نظرائها وافضل اني القي الي كتاب كريم اي رفيع شريف كانه اطلق
عنا على ما فيه مجرد فضل تشبيها بالكريم في جزء المعنى وكارمت الرجل فعل كل منا في حق صاحبه مقتضى الكرم والكرم شجر
العنب ولا يسمى به غيره والكروم قلائد تتخذها النساء كالمخانق لدلالتها على قدر صاحبتها والكرامة طبق يوضع على راس
الحب لانه عطاؤه ولا يغطى الا ما له فضل ومنه يقولون لك الحب والكرامة والكرم القصير من الرجال لانه شبه بطبق الحب
والكمرة محركة طرف قضيب الانسان خاصة سميت بذلك لسترها بالغلفة ورجل مكمور اذا قطع الخاتن كمرته وتكامر الرجلان
اذا تكابرا بايريهما وقال في القاموس وتكامرا نظرا ايهما اعظم كمرة والكمري الرطب ما لم يرطب على شجره بل سقط بسرا فارطب
في الارض كانه سمي بذلك لانه يكون اكدر مما يرطب على الشجر وهو ايضا يشبه الكمرة في تكوينها والكمري عن ابن دريد الرجل
القصير كانه شبه بالرطبة وقال غيره هو اسم مكان ولما ذكر تزيين مكرهم اتبعه الدلالة عليه فقال وصدوا اي فلزموا
ما زين لهم او فمكروا به حتى وصلوا في انفسهم وصدوا غيرهم عن السبيل الذي لا يقال لغيره سبيل وهو المستقيم فان غيره
جور وتيه وحيرة فهو عدم بل العدم احسن منه فلم يسلكوا السبيل ولا تركوا غيرهم يسلكه فضلوا واضلوا وليس ذلك بعجب
فان الله اضلهم ومن يضلل الله اي الذي له الامر كله بارادة ضلاله فما له من هاد فكانه قيل فما لهم على ما فعلوا من ذلك فقيل
لهم اي الذين كفروا به عذاب وهو الالم المستمر ومنه العذب لا يستمر في الحلق في الحيوة الدنيا شاق بممانعة حزب الله لهم
في صدهم عن السبيل الى ما يتصل بذلك من قتل واسر ولهم في الآخرة ان ماتوا على ذلك عذاب ولعذاب الآخرة اشق
اي اشد في المشقة وهي غلظ الامر على النفس بما يكاد يصدع القلب وما لهم من الله اي الملك الاعظم من واق اي مانع يمنعهم
اذا اراد بهم سوءا في الدنيا ولا في الآخرة والواقي فاعل الوقاية وهي الحجز بما يدفع الاذية ولما توعدهم على تفريطهم في جانب
الله تشوفت النفس الى ما لاضدادهم فكان كانه قيل ما لمن عاداهم في الله فقيل الجنة فكانه قيل وما هي فقيل انها في الجلال وعلو
الجمال وكرم الخلال مما تعالى عن المثال الا بضرب الامثال فقيل ما مثلها فقيل مثل الجنة التي ولما كان المقصود حصول الوعد

مادة مكر

الصادق ولا سيما وقد علم ان الواعد هو الله بني للمفعول قوله وعد المتقون والخبر محذوف تقديره ما اقص عليكم وهو انها بساتين
قصور واشجار وقال الزجاج الخبر جنة مخبر عنها بما ذكر ليكون تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد تجري ولما كانت لو عمها الماء الجاري
بحر الا بساتين ادخل الجار للدلالة على انه خاص ببعض ارضها فقال من تحتها اي قصورها واشجارها الانهار وقيل هذا المذكور
هو الخبر كما تقول صفة زيد اسمر ولما كان هذا رياء حقيقيا في ارض هي في غاية الخلوص والطيب كان سببا لدوام ثمرها واستمساك
ورقها فلذلك اتبعه قوله اكلها اي ثمرها الذي يوكل دائم لا ينقطع ابدا وظلها ليس كما في الدنيا لا ينسخ بشمس ولا غيرها قال ابو
حيان تقول مثلت الشيء اذا وصفته وقربته للفهم وليس هنا ضرب مثل فهو كقوله ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا كذا قال
ويمكن ان يكون ذلك حقيقة ويكون هناك محذوف وهو جنة من جنان الدنيا تجري من تحتها الانهار الى آخره وهو معنى قول الزجاج
ثم ابتدي اخبار آخر تعظيما لشانها وتفخيما لامرها في قوله تلك اي الجنة العالية الاوصاف عقبى اي آخر امر الذين اتقوا ثم
كرر الوعيد للكافرين فقال وعقبى اي منتهى امر الكافرين بالرحمن المتضمن للكفر بالوحي والموحى اليه النار ولما وصف العالمين
بان المنزل اليه هو الحق برجاحة العقول واصالة الآراء المؤدية الى الصلاح الموجب لكل سعادة والكافرين به بضعف العقول
الدافع الى الفساد الموصل الى سوء الدار ومر فيما يلايمه الى ان ختمه بمثل ما ختم به ذلك عطف على ذلك قوله ويمكن ان يكون اتصاله
بما قبله انه معطوف على محذوف هو علة لختم الآية السالفة تقديره لانهم ساءهم بما انزل اليه حسدا وجهلا والذين آتيناهم اي
بما لنا من العظمة التي استنقذتهم من الضلال الكتاب ولم يكفروا بالرحمن ولا بما انزل ولا بمن ارسل يفرحون بما ولما كان المنزل
دالا باعجازه على المنزل بني للمفعول قوله انزل اليك اي من هذا الكتاب الاعظم لموافقته تلك الكتب لان كلام الله كله من مشكاة
واحدة وتخصيصهم لانهم هم المنتفعون بالكتاب دون غيرهم فكانه ما انزل الا اليهم وهذا العطف يرجح ان يكون الموصول هناك
مرفوعا بالابتداء ومن الاحزاب من اهل الاوثان والكتاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينكر بعضه كالتوحيد
ونعت الاسلام ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم وما يتبع ذلك مما حرفوه وبدلوه ويريد ان يكون الامر تابعا فيه لغرضه ٥
فالمشركون يريدون ان تمدح آلهتهم في بعض الآيات او ان يسقط وصفها بالعيب واليهود يريدون ان ينزل ما يوافق فروع التورية
كما انزل ما وافق الاصول وينكرون النسخ واهل الانجيل يريدون ان ينزل فمن المسيح ما يهوون ونحو ذلك قال المفسرون
كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف فلكفرهم بذلك البعض امره ان يعلمهم باعتقاده
كفروا او شكروا قل انما امرت اي وقع الي الامر الجازم الذي لا شك فيه ولا تغير ممن له الامر كله ان اعبدوا الله اي الذي
لا شيء مثله وحده ولذلك قال ولا اشرك به لا افعل الا ما يامرني به من غير نظر الى سواه ديني مقصور على ما انكرتموه اليه
وحده ادعوا واليه خاصة مآب اي ايابي ومكانه وزمانه معنى بالتوبة عند الفتور عن القيام بحقه وحثا بالبعث للجزاء
والكتاب الصحيفة التي فيها الخط وهو الكتابة وهي تاليف الحروف التي تقرا في الصحيفة والفرح لذة القلب التي تجلي الهم
بنيل المشتهى والحزب الجماعة التي تقوم بالنائبة ولما بينت هذه الآيات من مراتب الاعجاز ما بينت اتبع تعالى ذكر ما انزل
قوله وكذلك اي ومثل هذا الانزال البديع المثال البعيد المنال ولا يبعد ان يكون عطفا على كذلك ارسلناك او مثل انزال
كتب اهل الكتاب انزلناه بما لنا من العظمة حال كونه حكما عربيا اي ممتلئا حكمة تقضي بالحق فائقا لجميع الكتب بهذا الوصف
والحكم القطع بالمعنى على ما تدعوا اليه الحكمة وهو ايضا فصل الامر على الحق فالمعنى انه لا يقدر احد على نقض شيء منه فان ذلك في
الحقيقة هو الحكم وما ليس كذلك فليس بحكم والعربي الجاري على مذاهب العرب في كلامها فلا تلتفت الى ما تدعوهم اليه اهويتهم
فيقترحونه من تاييدك بملك او اتحافك بكنز او تركك لبعض ما يوحى اليك من سب آلهتهم وتسفيه احلامهم وتضليل آبائهم
او غير ذلك من طلباتهم التي لو اتيتهم بها لم يكونوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله هذا في عبادة الاوثان وكذا في اهل الكتاب فيما يدعون
اليه من العود الى قبلتهم ونحوه ولئن اتبعت اهواءهم في شيء من ذلك من النسخ او غيره في القبلة او غيرها ولا سيما بما يطلبونه من
الآيات المقترحة كما قال تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة
بعض ولئن اتبعت اهواءهم الآية ولما كان المراد التعميم في الزمان نزع الجار واتى بما لانها اعم من الذي واشد ابهاما فهي اخفى
معنى فناسب سياق الوحي الذي هو غيب ومعناه غامض الا لبعض الافراد في الاعصار بخلاف آية البقرة الاولى فانها في الملة
الابراهيمية المدركة بنور العقل الناشئ عن نظر المحسوسات فقال بعد ما جاءك ولما كان قد انعم عليه صلى الله عليه وسلم
باشياء غير العلم بين المراد بقوله من العلم اي بالوحي بان ذلك الاتباع لا يردهم سواء كان ذلك الاتباع في اصول الشريعة او
فروعها خفية كانت او جلية ولما كان المشروط استغراق جميع زمان البعد باتباع الاهواء قال ما لك حينئذ من الله
اي الملك الاعلى واغرق في النفي فقال من ولي اي ناصر تتولى من نصرك وجميع امرك ما يتولاه القريب مع قريبه ولما
كان مدلول ما اعم من مدلول الذي لشمولها الظاهر والخفي وكان من خالف الخفي اعذر ممن خالف الظاهر نفى الاخص من النصير
فقال ولا واق اي يقيك بنفسه فيجعلها دون نفسك وقد يوجد من الانصار من لا يسمح بذلك وهذا بعث للامة وتهييج
على الثبات في الدين والتصلب فيه والهوى مقصورا ميل الطباع الى الشيء بالشهوة والعلم تبين الشيء الى ما هو به ولما
حسمت الاطماع عن اجابتهم رجاء الاتباع او خشية الامتناع وكان بعضهم قد قال لو كان نبيا شغلته نبوته عن كثرة التزوج
كان موضع توقع الخبر عما كان للرسل في نحو ذلك فقال تعالى ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة رسلا ولما كانت ازمان الرسل
غير عامة لزمان القبل ادخل الجار فقال من قبلك اي ولم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا واثقلنا ظهورهم بما يدعوا الى المداراة

والمسالمة

والمسالمة بارضاء الامم في بعض اهوائهم او فصل الامر عند تحقق المصارمة بانجاز الوعيد بان جعلنا اي بعظمتنا لهم
ازواجا اي نساء ينكحونهن والزوج القرين من الذكر والانثى وهو هنا الانثى وذرية وهي الجماعة المتفرقة بالولادة عن
اب واحد في الجملة وفعل بهم اممهم ما يفعل بك من الاستهزاء فما اتبع احد منهم شيئا من اهواء امته ولم نجعل اليهم الاتيان بما
يقترح المتعنتون من الآيات تالفا لهم بل ما كان لرسول اي رسول كان ياتي باية مقترحة او آية ناسخة لحكم من احكام شريعته
او شريعة من قبله او غير ذلك الا باذن الله اي المحيط بكل شيء علما وقدرة فان الامور عنده ليست على غير نظام ولا مفرطا فيها
ولا ضائعا شيء منها بل لكل اجل اي غاية امر قدره وحده لان يكون عنده امر من الامور كتاب قد اثبت فيه ان امر كذا يكون في
وقت كذا من الثواب والعقاب والاحكام والاتيان بالآيات وغيرها اثباتا ونسخا على ما تقتضيه الحكمة والحكمة اقتضت ان
النبوة يكفي في اثباتها معجزة واحدة وما زاد على ذلك فهو الى المشيئة ثم علل ذلك بقوله يمحوا الله اي الملك الاعظم ما يشاء
اي محوه من الشرائع والاحكام وغيرها بالنسخ فيرفعه ويثبت ما يشاء اثباته من ذلك بان يقره ويمضي حكمه كما قال تعالى ما ننسخ
من آية الى قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير كل ذلك بحسب المصالح التابعة لكل زمن فانه العالم بكل شيء وهو الفعال
لما يريد لا اعتراض عليه وقال الشافعي رضي الله عنه في الرسالة يمحوا فرض ما يشاء ويثبت فرض ما يشاء واثبات واو يمحوا
في جميع المصاحف مشير بما ذكر اهل الله من ان الواو معناه العلو والرفعة الى ان بعض الممحوات تبقى آثارها عالية فانه
قد يمحوا عمر شخص بعد ان كانت له آثار جميلة فيبقيها سبحانه وينشرها ويعليها وقد يمحوا شريعة بنسخها ويبقى منها آثارا
صالحة تدل على ما اثبت من الشريعة الناسخة لها واما حذفها باتفاق المصاحف ايضا في يمح الله الباطل في الشورى مع انه
مرفوع ايضا فللبشارة بازهاق الباطل ازهاقا هو النهاية كما سياتي ان شاء الله تعالى وذلك لمشابهة الفعل بالامر المقتضي
لتحتم الايقاع بغاية الاتفاق والدفاع وقال وعنده مع ذلك ام اي اصل الكتاب لمن وهمه مقيد بان الحفظ بالكتابة وهو
اللوح المحفوظ الذي هو اصل كل كتاب وقد تقدم غير مرة انه الكتاب المبين الذي هو بحيث يبين كل ما طلب علمه منه كلما
طلب قال ابن عباس رضي الله عنهما هما كتابان كتاب سوى ام الكتاب يمحوا منه ما يشاء ويثبت وام الكتاب الذي لا يغير
منه شيء انتهى والمراد والله اعلم ان يكون في ام الكتاب انا نفعل كذا وان كان في الفرع على غير ذلك فانه بالنسبة الى شريعة
دون اخرى فاذا انقضت الشريعة الاولى فانا نمحوه في اجل كذا او يكون المعنى يمحوا ما يشاء من ذلك الكتاب بان يعدم مضمونه
بعد الايجاد ويثبت ما يشاء بان يوجده من العدم وعنده ام الكتاب قال الرازي في اللوامع وقد اكثروا القول فيها وعلى الجملة
فكل ما يتعلق به المشيئة من الكائنات فهو بين محو واثبات محو بالنسبة الى الصورة التي ارتفعت اثبات بالنسبة الى الصورة
الثانية والقضاء الازلي والمشيئة الربانية مصدر هذا المحو والاثبات فذلك هو القضاء وهذا هو القدر فالقضاء
مصدر القدر والقدر مظهر القضاء والله تعالى وصفاته منزه عن التغير ولما تم ما اراده مما يتعلق بتالفهم وختم بانه
سبحانه يفعل ما يشاء من تقديم وتاخير ومحو واثبات وكان من مقترحاتهم وطلباتهم استهزاء استعجال استهزاء استعجال
السيئة بما توعدوا به وكانت النفس ربما تمنت وقوع ذلك للبعض واثباته ليؤمن غيره تقريبا لفصل النزاع قال تعالى
واما نرينك اكده لتاكيد الاعلام بانه لا حرج عليه في ضلال من ضل بعد ابلاغه نفيا لما يحمله عليه صلى الله عليه وسلم شدة
رحمته لهم وشفقته عليهم من ظن ان عليه ان يردهم الى الحق حتما بعض الذي نعدهم وانت حي بما تريد او يريد اصحابك فصل
الامر به فتثبت وقوعه اقرارا لاعينكم قبل وفاتك والوعد الخبر عن خير مضمون والوعيد الخبر عن شر مضمون والمعنى ههنا
عليه وسماه وعدا لتنزيلهم اياه في طلب نزوله منزلة الوعد او نتوفينك قبل ان نريك ذلك وهو ممحو الاثر لم يتحقق فالذي
عليك والذي الينا مستو بالنسبة الى كلتا الحالتين فانما عليك البلاغ وهو امرار الشيء الى منتهاه وهو هنا الرسالة وليس
عليك ان تحاربهم ولا ان تاتيهم بالمقترحات وعلينا الحساب وهو جزاء كل عامل بما عمل في الدنيا والآخرة ولنا القوة التامة عليه
والآية من الاحتباك كما مضى بيان ذلك في مثلها في سورة يونس عليه السلام ولما ارشد السياق الى ان التقدير في تحقيق انه
سبحانه قادر على الجزاء لمن اراه الم يروا انا اهلكنا من قبلهم وكانوا اقوى منهم شوكة واكثر عدة عطف عليه قوله اولم يروا
انا اي بما لنا من العظمة ناتي الارض التي هؤلاء الكفرة بها فكانه قيل اي اتيان فقيل اتيان الياس اذا اردنا والرحمة اذا
اردنا ننقصها والنقص اخذ شيء من الجملة تكون به اقل من اطرافها بما يفتح الله على المسلمين بما يزيد به في ارض اهل الاسلام بقتل
بعض الكفار واستسلام البعض حتى يبيد اهلها على حسب ما نعلمه حكمة من تدبير الامور وتقليبها حالا الى حال حتى تنتهي الى
مستقرها بعد الحساب في دار ثواب او عقاب وذلك ان المسلمين كانوا يغزون ما يلي المدينة الشريفة من اطراف بلاد الكفار
كما ارشد تعالى بقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فيفتحونها اولا فاولا حتى دان العرب كلهم طوعا او كرها بعد قتل السادة
وذل القادة والله غالب على امره والطرف المنتهى وهو موضع من الشيء ليس وراءه منه شيء واطراف الارض جوانبها وكان
يقال الاطراف منازل الاشراف يطلبون القرب على الاضياف ثم اثبت لنفسه تعالى امرا كليا يندرج ذلك فيه فقال
لافتا الكلام من اسلوب التكليم بالعظمة الى غيبة الى اعظم العظمة بالاسم الاعظم والله اي الملك الاعلى يحكم ما يريد لانه
لا معقب اي راد لان التعقيب رد الشيء بعد فصله لحكمه وقد حكم للاسلام بالغلب والاقبال وعلى الكفر بالانتكاس
والادبار وكل من حكم على غير هذه الصفة فليس بحاكم وذلك كاف في الخوف من سطوات قدرته وهو مع تمام القدرة سريع
الحساب جزاؤه محيط بكل عمل لا يتصور ان يفوته شيء فلا بد من لقاء جزائه وكل ما هو آت سريع وهو مع ذلك يعد لكل عمل

احتباك

جزاءه على ما تقتضيه الحكمة من عدل او فضل حين صدوره لا يحتاج الى زمان ينظر فيه ما جزاؤه ولا هل عمل او لا لانه لا يخفى
عليه خافية والسرعة عمل الشيء في قلة المدة على ما تحده الحكمة والابطاء عمله في طول مدة خارجة عن الحكمة والسرعة محمودة
والعجلة مذمومة وهو تعالى قادر على الكفرة وان كانوا كالقاطعين بانهم يغلبون لما لهم من القوة والكثرة مع جودة الآراء
وحدة الافكار والقدرة بالاموال وان اشتد مكرهم فهو لا يغني عنهم شيئا فقد مكروا بك غير مرة ثم لم ازدك الا علوا
وقد مكر الذين ولما كان المراد بالمكر انما هو بعض الناس في بعض الزمان قال من قبلهم اي بالرسل واتباعهم فكان مكرهم وبالا
عليهم فطوى في هذه الجملة مكرهم الذي اجتمعوا عليه غير مرة واتقنوه بزعمهم فكان سبب الرفعة للاسلام واهله وذل الشرك
واهله ودل على ذلك المطوي بواو العطف في قوله وقد وطوى في الكلام السابق اهلاك الامم الماضية في الاستدلال على
قدرته على الجزاء الذي هو روح الحساب ودل عليه بواو العطف في اولم يروا فتامل هذه الابراز في قوالب الاعجاز ولما
كان ذلك كذلك تسبب عنه ان يقال فلله اي الملك الاعظم المحيط علمه وقدرته خاصة المكر جميعا والمكر الفتل عن البغية
بطريق الحيلة ويلزمه الستر كما مضى بيانه ولا شيء استر عن العباد من افعاله تعالى فلا طريق لهم الى علمها الا من جهته سبحانه
وسمى فعله مكرا مجازا لانه ناشئ عن مكرهم جزاء لهم ثم علل ذلك بقوله يعلم ويجوز ان يكون تفسيرا لما قبله لان علم المكر من الماكر
من حيث لا يشعر ادق المكر ما تكسب كل نفس اي من مكر وغيره فيجازيهم اذا اراد بان ينتج عن كل سبب اقاموه مسببا يكون
ضد ما ارادوا ولا تمكنهم ارادة شيء الا بارادته فستنظرون ماذا يحل بهم من باسه بواسطتكم او بغيرها حتى تظفروا بهم
فتبيدوهم اجمعين وسيعلم الكافر اي كل كافر بوعد لا خلف فيه ان كان من الجهل بحيث لا يعلم الاشياء الا بالتصريح او الحس لمن
عقبى الدار حين ياتيهم ضد مرادهم والكسب الفعل لاجتلاب النفع او دفع الضر ولما تقدم قوله تعالى ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه آية عطف عليه بعد شرح ما استتبعه قوله ويقول الذين كفروا اي اوجدوا الكفر ولو على ادنى الرتب
قولا على سبيل التكرار لست مرسلا لكونك لا تاتي بمقترحاتهم مع انه لا يقل يوما انه قادر عليها فكانه قيل فما اقول لهم فقال
قل كفى والكفاية وجود الشيء على مقدار الحاجة ومعنى الباء في بالله اي الذي له الاحاطة الكاملة التاكيد لان الفعل لما جاز ان
يضاف الى غير فاعله اذا امر به ازيل هذا الاحتمال من وجهين جهة الفاعل وجهة صرف الاضافة شهيدا اي بليغ العلم في شهادته
بالاطلاع على ما ظهر وما بطن بيني وبينكم يشهد بتاييد رسالتي وتصحيح مقالتي بما اظهر لي من الآية واوضح من الدلالة بهذا
الكتاب ويشهد بتكذيبهم بادعائكم القدرة على المعارضة وترككم لها عجزا وهذا اعلى مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد
غلبة الظن بان الامر كما شهد به والمعجزة فعل مخصوص يوجب القطع بان ما جاءت لاجله كما هو ومن عنده علم الكتاب مما انزل
فيه من الاصول والفروع والخبر عما كان ويكون على نحو من الاساليب ونمط من المناهج اخرس الفصحاء وابكم البلغاء وابهت
الحكماء وهو الله تعالى تاييدا لقولي وتحقيقا لدعواي ويؤيد ان المراد به الله قراءة من على انها جارة وفي سوقه هكذا
على طريق الابهام من ترويع النفس بهزها الى تطلب المتصف بهذا الوصف ما ليس في التعيين فهو اذن كدعوى الشيء مقرونا
بدليله فقد انطبق هذا الآخر على اول السورة في ان المنزل حق من عنده وانهم لا يؤمنون والله الموفق بمنه وكرمه

سورة ابرهيم عليه السلام خمسون وآيتان مكية

بسم الله الذي تفرد بالكمال وعز عن ان يكون له كفوا ومثال الرحمن لجميع خلقه بكتاب هو الغاية في البيان الرحيم الذي اختار
من عباده من الزمهم روح وداده الر مقصود السورة التوحيد وبيان ان هذا الكتاب غاية البلاغ الى الله لانه كامل ببيان
الصراط الدال عليه المؤدي اليه ناقل بما فيه من الاشرار للخلق من طور الى طور بما يشير اليه حرف الراء وادل ما فيها على هذا المرام
قصة ابرهيم عليه السلام اما التوحيد فواضح واما امر الكتاب فلانه من جملة دعائه لذريته الذين اسكنهم عند البيت المحرم من
ذرية اسمعيل عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولما ختم الرعد بانه
لا شهادة تكافئ شهادة من عنده علم الكتاب اشارة الى ان الكتاب هو الشاهد باعجازه ببلاغته وما حوى من فنون العلوم
واتى به في ذلك السياق معرفا لما تقدم من ذكره في البقرة وغيرها ثم لتكرر وصفه في سورة يونس وهود ويوسف والرعد
بانه حكيم محكم مفصل مبين وانه الحق الثابت التي تزول الجبال الرواسي وهو ثابت لا يتعتع شيء منه ولا يزلزل معنى من معانيه
ذكره في اول هذه السورة منكرا تنكير التعظيم فقال كتاب اي عظيم في درجات من العظمة لا تحتمل عقولكم الاخبار عنها بغير
هذا الوصف ودل تعليل وصفه بالمبين بانه عربي على ان التقدير انزلناه اي بما لنا من العظمة اليك بلسان قومك لتبين
لهم ولما استجمع التعريف بالاوصاف الموجبة للفلاح المذكورة اول السورة المستدل عليها بكل برهان منير وسلطان
مبين قصار بحيث لا يتوقف عن اجتناء ثمرته من وقف على حقائق تلك النعوت شوق الى تلك الثمرة بعد تفصيل ما في اول البقرة
في التي قبلها كما مضى بما يحث عليه ويقبل بقلب كل عاقل اليه فقال لتخرج الناس اي عامة قومك وغيرهم بدعائك اياهم
به وان كانوا ذوي اضطراب من الظلمات التي هي انواع كثيرة من الضلالات التي ادت اليها الجهالات الى النور الذي هو
واحد وهو سبيل الله المدعو بالهداية اليه في الفاتحة اي لتبين للعرب قومك لانه بلسانهم بيانا شافيا فتجعلهم بما تقيم
عليهم من الحجج الساطعة وتوضح لهم من البراهين القاطعة وتنصب لهم من الاعلام الظاهرة وتحكم لهم من الادلة الباهرة
في مثل ضوء النهار بما فتح من مقفل ابصارهم وكشف من اغطية قلوبهم فيكونوا متمكنين من ان يخرجوا من ظلمات الكفر التي

هي طرق الشيطان الى نور الايمان الذي هو سبيله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وشبه الايمان وما ارشد
اليه بالنور لانه عصمة للعقل من الخطاء في الطريق الى الله كما ان النور عصمة للبصر من الضلال عن الطريق الحسي واذا خرجوا
الى النور كانوا جديرين بان يخرجوا جميع الناس باذن ربهم اي المحسن اليهم والاذن الاطلاق في الفعل يقول يسمع بالاذن هذا اصله
قال الرماني ولما كان النور مجملا بينه على سبيل الاستيناف او البدل بتكرير العامل فقال الى صراط العزيز الذي تعالى
عن صفات النقص فعز عن ان يدخل احد صراطه الذي هو ربه او يتعرض احد الى سالكه بغير اذنه الحميد المحيط بجميع
الكمال فهو المستحق لجميع المحامد لذاته وبما يفيض على عباده من النعم التي يربيهم ويتحمد اليهم بها على كل حال فكيف اذا سلكوا
سبيله الواضح الواسع السهل ولما اضاف طريق النجاة الى وصفين يجوز اطلاق كل منهما على الخلق بينهما باسمه الشريف
العلم على الاستيناف في قراءة نافع وابن عامر بالرفع وعلى انه عطف بيان في طريق الباقين بالجر لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام
لاختصاصه بالمعبود بحق ووصفه بما اقتضى توحيده فقال الله اي المحيط علما وقدرة الذي له ما في السموات اي الاجسام
العالية من الاراضي وغيرها ولما كان في سياق الدلالة على الخالق واثبات توحيده اكد باعادة الموصول مع صلته فقال
وما في الارض اي فويل لمن اشرك به شيئا منهما او فيهما فانه لا ابين من ان ما كان مملوكا لا يصلح لان يكون شريكا ويجوز ان يكون
التقدير فوال ونجاة وسلامة لمن اهتدى به فخرج من ظلمات الكفر وويل مصدر بمعنى الهلاك ينصب نصب المصادر ثم
يرفع رفعها لافادة ان معنى الهلاك وهو ضد الوال الذي هو النجاة ثابت للكافرين الذين ستروا ادلة عقولهم من عذاب شديد
تتضاعف الامه وقوته والشدة تجمع يصعب معه التفكيك ولما اشار الى ما للكافرين وصفهم بما عاقهم عن قبول الخير
وتركهم في اودية الشر فقال الذين يستحبون اي يطلبون ان يحبوا او يوجدون المحبة بغاية الرغبة متابعة للهوى
الحيوة الدنيا وهي النشاة الاولى التي هي دار الارتحال مؤثرين لها على الاخرة الى النشاة الاخرى التي هي دار المقام
وذلك بان يتابعوا انفسهم على حبها حتى يكونوا كانهم طالبون لذلك وهذا دليل على ان المحبة قد تكون بالارادة والمحبة
ميل الطباع الى الشيء بالشهوة فهم يمتنعون خوفا على دنياهم التي منها رياستهم عن سلوك الصراط ويضمون الى ذلك انهم
يصدون اي يعرضون بانفسهم ويمنعون غيرهم عن سبيل الله اي طريق الملك الاعظم والسبيل المذهب المهيأ للسلوك
ويزيدون على ذلك انهم يبغونها اي يطلبون لها حذف الجار واوصل الفعل تاكيدا له عوجا والعوج ميل عن الاستقامة
وهو بكسر العين في الدين والامر والارض وبالفتح في كل ما كان قائما كالحائط والرمح ونحوهما اولئك اي البعداء البغضاء
في ضلال بعيد اي عن الحق اسناد مجازي لان البعيد اهل الضلال بميلهم عن الباقي الى الفاني وبطلبهم العوج فيما قومه
الله المحيط بكل شيء قدرة وعلما ولما قدم ما افهم انه ارسله صلى الله عليه وسلم بلسان قومه الى الناس كافة لان اللسان
العربي اسهل الالسنة واجمعها وافصحها وابينها فكان في غاية العدالة وختم بان السبيل اليه في غاية الاستقامة والاعتدال
دل على شرف هذا اللسان لصلاحيته لجميع الامم وخفته عليهم بخصوص لسان كل من الرسل بقومه فلذلك اتبعه قوله وما
ارسلنا اي بما لنا من العظمة واغرق في النفي فقال من رسول اي في زمن من الازمان الا بلسان اي لغة قومه اي الذين فيهم
قوة المحاولة لما يريدون ليبين اي بيانا شافيا لهم كما تقدم انا ارسلناك بكتاب عربي بلسان قومك لتبين لهم ولجميع
الخلق فان لسانك اسهل الالسنة واعذبها فهو معطوف على انزلناه بالتقدير الذي تقدم فاذا تقرر ذلك علم انه لا مانع حينئذ
لامة من الامم عن الاستقامة على هذا الصراط الا اذن الله ومشيئته فيضل اي فتسبب عن ذلك انه يضل الله اي الذي له
الامر كله من يشاء اضلاله وقدم سبحانه هذا اهتماما بالدلالة على انه سبحانه خالق الشر كما انه خالق الخير مع ان السياق
لذم الكافرين الذين هم رؤس اهل الضلال ويهدي من يشاء هدايته فانه سبحانه هو المضل الهادي واما الرسل فمبينون
ملزمون للحجة تمييزا للضال من المهتدي وهو اي وحده العزيز الذي لا يرام ما عنده الا به ولا يمتنع عليه شيء ارادة الحكيم
الذي لا ينقض ما دبره فلذلك دبر بحكمته ارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة باللسان العربي لان المقصود جمع الخلق
على الحق فجمعهم على لسان واحد انسب ما يكون لذلك ولو انزل بالسنة الخلق كلها لكان منافيا لهذا المقصود وان كان مع الاعجاز
بكل لسان كان قريبا من الالجاء فيفوت الايمان بالغيب ويؤدي ايضا الى ادعاء اهل كل لسان الى التعبير عنه بلسانهم اعظم
فيؤدي ذلك الى المفاخرة والعصبية المؤدي الى اشد الفرقة وانسب الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فيكون
فهمهم لاسرار شريعته ووقوفهم على حقائقها اسهل ويكونون عن الغلط والخطاء ابعد فاذا فهموا عنه دعوا ما يليهم بالتراجمة
وهلم جرا فانتشر الامر وعم وسهل وكان مع ذلك ابعد من التحريف واسلم من التنازع وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما
كانت سورة الرعد على ما تمهد بان كانت تلك الآيات والبراهين التي سلفت فيها لا يبقى معها شك لمن اعتبر بها لتعظيم شانها
وايضاح امرها قال تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور اي اذا هم تذكروا به واستبصروا
ببراهينه وتدبروا آياته ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض ولما كان هذا الهدى والضلال كل ذلك
موقوف على مشيئته سبحانه وسابق ارادته وقد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم انما انت منذر ولكل قوم هاد قال
تعالى هنا باذن ربهم انما عليك البلاغ وكما قال تعالى وكاين من آية في السموات والارض ثم بسطها في سورة الرعد
اعلم هنا ان ذلك كله له وملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الارض فالسموات والارض بجملتهما وما فيهما من عظيم
ما اوضح لكم الاعتبار به كل ذلك له ملكا وخلقا واختراعا وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وويل للكافرين

من عذاب شديد لعنادهم مع وضوح الامر وبيانه ويصدون عن سبيل الله مع وضوح السبيل وانتهاج ذلك الدليل ثم
قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وكان هذا من تمام قوله سبحانه ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية وذلك ان الكفار لما حملهم الحسد والعناد وبعد الفهم بما جبل على قلوبهم وطبع عليها على ان انكروا كون الرسل من
البشر حتى قالوا ابشر يهدوننا ما انتم الا بشر مثلنا وحتى قالت قريش لولا انزل عليه ملك مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي
في الاسواق وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فلما كثر هذا منهم وتبع خلفهم في هذا سلفهم رد تعالى
ازعامهم وابطل توهمهم في آيات وردت على التدريج في هذا الغرض شيئا فشيئا فاول الوارد من ذلك في معرض الرد عليهم
وعلى ترتيب سور الكتاب قوله تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم الآية ثم اتبع ذلك بانفراده تعالى بالخلق والاختراع
والتدبير والربوبية وفي طي ذلك انه يفعل ما يشاء لان الكل خلقه وملكه وانه العليم بوجه الحكمة في ارسال الرسل وكونهم
من البشر فارغم الله تعالى بمضمون هذه الآي كل جاحد ومعاند ثم ذكر تعالى في سورة هود قول قوم نوح ما نراك الا بشرا مثلنا
الآية وجوابه عليه السلام ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون
اي اني وان كنت في البشرية مثلكم فقد خصني الله بفضله واتاني رحمة من عنده وبرهانا على ما جئتكم به عنه وفي هذه القصة
اعظم عظة ثم جرى هذا لصالح وشعيب عليهما السلام وديدن الامم ابدا مع انبيائهم ارتكاب هذه المقالات وفيها من الحيد والعجز عن
مقاومتهم ما لا يخفى وما هو شاهد على تعنتهم ثم زاد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم تعريفا باحوال من تقدمه من الانبياء عليهم
السلام ليسمع ذلك من جرى له مثل ما جرى لهم فقال مثل مقالتهم فقال تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية واعلم سبحانه ان هذا لا يحط شيئا من مناصبهم بل هو واقع في قيام الحجة على العباد ثم تلا ذلك بقوله وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه اي ليكون ابلغ في الحجة واقطع للعذر فربما كانوا يقولون عند اختلاف الالسنة لا يفهم عنهم اذ قالوا
ذلك مع اتفاق اللغات فقد قال قوم شعيب عليه السلام ما نفقه كثيرا مما تقول هذا وهو عليه السلام يخاطبهم بلسانهم
فكيف لو كان على خلاف ذلك بل لو خالفت الرسل عليهم السلام الامم في التبتل وعدم اتخاذ الزوجات والاولاد واستعمال
الاغذية وغير ذلك من مالوفات البشر لكان منفرا فقد بان وجه الحكمة في كونهم من البشر ولو كانوا من الملائكة لوقع النفار
والشرود لافتراق الجنسية واليه الاشارة بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون اي
ليكون اقرب اليهم لئلا يقع تنافر لكونهم من البشر اقرب واقوم للحجة ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة كان
عليه الصلوة والسلام يخاطب كل طائفة من طوائف العرب بلسانها ويكلمها بما تفهم وتامل كم بين كتابه صلى الله عليه وسلم لانس
رضي الله عنه في الصدقة وكتابه الى وائل بن حجر مع اتحاد الغرض وللكتابين نظائر يوقف عليها في مظانها وكل ذلك لتقوم
الحجة على الجميع واستمر باقي سورة ابرهيم عليه السلام على التعريف بحال مكذبي الرسل ووعيد من خالفهم وبيان بعض اهوال
الآخرة وعذابها انتهى ولما ذكر سبحانه الرسل بما ذكره توقع السامع تفصيل شيء من اخبارهم فابتدا بذكر من كتابه اجل كتاب
بعد القرآن هدى للناس دليلا على انه يفعل ما يشاء من الاضلال والهداية وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا وتصبيرا
على اذى قومه وارشادا الى ما فيه الصلاح في مكالمتهم فقال مصدرا بحرف التوقع ولقد ارسلنا اي بعظمتنا موسى باياتنا اي البينات
ثم فسر الارسال بقوله ان اخرج قومك اي الذين فيهم قوة على مقابلة الامور من الظلمات اي انواع الجهل الى النور بتلك الآيات
وذكرهم اي تذكيرا عظيما بايام الله اي الذي له الجلال والاكرام من وقائعه في الامم السالفة وغير ذلك من المنح لاوليائه والمحن
لاعدائه كما ارسلناك لذلك ان في ذلك اي التذكير العظيم لآيات على وحدانية الله وعظمته لكل صبار اي بليغ الصبر على بلاء الله
قاله في العوارف وقال ابو الحسن بن سالم هم ثلثة متصبر وصابر وصبار فالمتصبر من صبر في الله فمرة يصبر ومرة يجزع
والصابر من يصبر في الله ولله ولا يجزع ولكن يتوقع منه الشكوى وقد يمكن منه الجزع فاما الصبار فذلك الذي صبره في الله ولله وبالله
فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم والخليقة واشارته في هذا ظهور حكم
العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة شكور اي عظيم الشكر لنعمائه فان ايامه عند اوليائه لا تخلو من نعمة او نقمة وفي صيغة
المبالغة اشارة الى ان عادته تعالى جرت بانه انما ينصر اولياءه بعد طول الامتحان بعظيم البلاء ليتبين الصادق من الكاذب
حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله حتى اذا استيأس الرسل الم احسب الناس ان يتركوا الآية وذلك انه
لا شيء اشق على النفوس من مفارقة المالوف لا سيما ان كان دنيا ولا سيما ان كان قد درج عليه الاسلاف فلا يقوم بالدعاء الى
الدين الا من بلغ الذروة في الصبر ولما ذكر ما امر به موسى عليه السلام وكان قد تقدم امره الشريف اليه صلى الله عليه وسلم بالاقتداء
بالانبياء الذين هو من رؤسهم واولي عزمهم كان كانه قيل فبين انت للناس ما نزل اليهم وذكرهم بايام الله اقتداء باخيك موسى
عليه السلام واذكر لهم خبره فان ايامه من اعظم ايام الله اشدها محنة واجلها منحة اذ قال موسى امتثالا لما امرناه به لقومه
فذكر لهم بايام الله معهم ثم ايامه مع غيرهم ولما كان المراد بالتذكير بالايام زيادة الترغيب والترهيب اشار الى ان مقام
الترهيب هنا اهم للحث على تركهم الضلال بترك عادته في الترفق بمثل ما في البقرة والمائدة من الاستعطاف بعاطفة الرحم
بقوله يا قوم فاسقطها هنا اشارة الى ان المقام يقتضي الابلاغ في الايجاز في التذكير للخوف من معاجلتهم بالعذاب فقال
اذكروا نعمة الله اي ذي الجلال والاكرام وعبر بالنعمة عن الانعام حثا على الاستدلال بالاثر على المؤثر عليكم ثم ابدل من
نعمة قوله اذ وهو ظرف للنعمة ولما كانوا قد طال صبرهم جدا بما طال من بلائهم من فرعون على وجه لا يمكن في العادة

خلاصهم

خلاصهم منه وان امكن على بعد لم يكن الا في ازمنة طوال جدا بتعب شديد اشار الى اسراعه بخلاصهم بالنسبة اليه لو جرى
على مقتضى العادة جزاء لهم على طول صبرهم فعبر بالافعال دون التفعيل الذي اقتضاه سياق البقرة فقال انجاكم من بلاء آل
فرعون اي فرعون نفسه واتباعه استعمالا للمشترك في معنييه فان الآل يطلق على الشخص نفسه وعلى اهل الرجل واتباعه
واوليائه قال في القاموس ولا يستعمل الا لما فيه شرف غالبا فكانهم قالوا من اي بلائهم فقال يسومونكم اي يكلفونكم ويولونكم
على سبيل الاستهانة والقهر سوء العذاب بالاستعباد ولما كان السياق للصبر البليغ اقتضى ذلك العطف في قوله
ويذبحون اي تذبيحا كثيرا مميتا بما افاده تعبير الاعراف بالقتل ومعرفا باعادة التعبير بالذبح ان الموت بالسكين ابناءكم
ويستحيون ان يطلبون ان يحيوا نساءكم لافادة ان ذلك بلاء آخر والحال ان في ذلكم اي الامر الشديد المشقة من العذاب
المتقدم او الانجاء او هما بلاء من ربكم اي المربي لكم المدبر لاموركم عظيم ولما ذكرهم بنعمة الامن رغبهم فيما يريدها ورهبهم فيما
يزيلها فقال واذ اي واذكروا اذ تاذن ربكم اي اعلم المحسن اليكم اعلاما عظيما بليغا تنتفي عنه الشكوك قائلا لئن شكرتم
واكده لما للانفس من التكذيب بمثل ذلك لاعتقادها ان الزيادة بالسعي في الرزق والنقص بالتهاون فيه لازيدنكم من نعمي
فان الشكر قيد الموجود وصيد المفقود ان عطائي لعتيد فارجوه ولئن كفرتم النعمة فلم تقيدوها بالشكر لانقصنكم ولاعذبنكم
ان عذابي بازالتها وغيرها لشديد فخافوه فالآية كما ترى من الاحتباك ولما كان من حث على شيء واثاب عليه او نهى عنه وعاقب
على فعله يكون لغرض له بين ان الله سبحانه متعال عن ان يلحقه ضر او نفع وان ضر ذلك ونفعه خاص بالعبد فقال تعالى
حاكيا عنه وقال موسى مرهبا لهم معلما ان وبال الكفران خاص بصاحبه ان تكفروا والكفر تضييع حق النعمة بجحدها
او ما يقوم في العظم مقامه انتم ومن في الارض واكد بقوله جميعا فضرره لاحق بكم خاصة غير عائد على الله شيء منه فان الله
اي الملك الاعظم لغني اي في ذاته وصفاته عن كل احد والغني هنا المختص بما ينفي لحاق الضرر او النقص والمختص بانه قادر
لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء وذلك بنفسه لا بشيء سواه ومن لم يكن كذلك لم يكن غنيا حميد اي بليغ الاستحقاق للحمد بما له
من عظيم النعم وبما له من صفات الكمال وكل مخلوق يحمده بذاته وافعاله وجميع اقواله كائنة ما كانت لان ايجاده لها ناطق بحمده
سبحانه ذكر التاذن بذلك المذكور من التورية قال في السفر الخامس واختاركم الله ربكم ان تكونوا له شعبا حبيبا
من جميع الشعوب التي على وجه الارض وليس لانكم اكثر من جميع الشعوب احبكم الرب واختاركم ولكن ليثبت الايمان التي اقسم لآبائكم
لذلك اخرجكم الرب بيد منيعة وانقذكم من العبودية وخلصكم من يدي فرعون ملك مصر لتعلموا ان الله ربكم هو الاله الحق
اله مهيمن يحفظ النعمة والعهد لاوليائه الذين يحفظون وصيته لالف حقب ويكافي شناته في حياتهم ويخزيهم بالهلاك
والتلف احفظوا السنن والاحكام والوصايا التي امركم بها اليوم فافعلوها يحفظ الله الرب العهد والنعمة التي اقسم
لآبائكم ويحبكم ويبارك عليكم ويكثركم ويبارك في اولادكم وفي ثمرة ارضكم وفي بركم وخبزكم وزيتكم وفي اقطاع بقركم وحضرات
غنمكم وتكونوا مباركين من جميع الشعوب ولا يكون فيكم عاقر ولا عقيم ولا في بهائمكم ويصرف الله عنكم كل وجع وجميع الضربات
التي انزل الله باهل مصر كما تعلمون لا ينزلها بكم بل ينزلها بجميع شناتكم وتاكلون جميع خيرات الشعوب التي يعطيكم الله ربكم
ولا يشفق اعينكم عليهم ولا تعبدوا آلهتهم لانهم فخاخ لكم وان قلتم في قلوبكم ان هذه الشعوب اكثر منا فكيف نقدر ان نهلكها فلا
تفرقوا منها ولكن اذكروا جميع ما صنع الله ربكم بفرعون ملك مصر وكل اصحابه والبلايا العظيمة التي رايتم باعينكم والآيات
والاعاجيب واليد المنيعة والذراع العظيمة وكيف اخرجكم الله ربكم كذلك يفعل الله ربكم بجميع الشعوب التي تخافونها ويسلط
الله ربكم عليهم عاهات حتى يهلكهم والذين يبقون ويختفون منكم لا تخافوهم لان الله ربكم بينكم الاله العظيم المرهوب فيهلك الله
ربكم هذه الشعوب من بين ايديكم رويدا رويدا لانكم لا تقودون ان تهلكوهم سريعا لئلا يكثر عليكم السباع ولكن يدفعهم الله ربكم
اليكم وتضربونهم ضربة شديدة حتى تهلكوهم وتدفع ملوكهم في ايديكم وتهلكون اسماءهم من تحت السماء لا يقدر احد ان يقوم بين
ايديكم حتى تهلكوهم وتحرقوا آلهتهم المنحوتة بالنار ولا تشتهوا الفضة ولا الذهب الذي عليها وتاخذوه منها لئلا تتنجسوا
بها لانها مرذولة عند الله ربكم فلا تدخلوا نجاسة الى بيوتكم لئلا تكونوا منفيين مثلها ولكن ارذلوها ونجسوها وصيروها
نفاية نجسة لانها حرام ثم انظروا اني اتلو عليكم دعاء ولعنا اما الدعاء فتصيرون اليه ان انتم حفظتم وصايا الله ربكم
واما اللعن فيدرككم ان انتم لم تسمعوا وصايا الله ربكم وزغتم عن الطريق التي امركم به اليوم وقد مضى كثير من امثال هذا عن
التورية ولا ريب في ان هذا الترغيب والترهيب والتذكير للتحذير كما انه كان لبني اسرائيل فهو لكل من سمعه من المكلفين
ولما حذرهم انتقام الله ان كفروا ذكرهم ايامه في الامم الماضية وعين منهم الثلثة الاولى لانهم كانوا اشدهم ابدانا
واكثرهم اعوانا واقواهم آثارا واطولهم اعمارا لان البطش اذا برز الى الوجود كان اهول لان النفس للمحسوس اقبل دالا
على ما ارشدهم اليه من غناه سبحانه وحمده مخوفا لهم من سطوات الله سبحانه الم ياتكم اي يا بني اسرائيل نبا الذين ولما
كان المراد قوما مخصوصين لم يستغرقوا الزمان قال من قبلكم ثم ابدل منهم فقال قوم اي نبا قوم نوح وكانوا ملء الارض
ونبا عاد وكانوا اشد الناس ابدانا واثبتهم جنانا ونبا ثمود وكانوا اقوى الناس على نحت الصخور وبناء القصور ونبا
الذين ولما كان المراد البعض ادخل الجار فقال من بعدهم اي في الزمان حال كونهم في الكثرة بحيث لا يعلمهم اي حق العلم على
التفصيل الا الله اي الذي له الاحاطة الكاملة كفروا فاهلكهم الله ولم يزل غنيا حميدا عند اخذهم وبعده كما كان قبله وكان
ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرا هذه الآية قال كذب النسابون ثم فصل سبحانه خبرهم فقال جوابا لمن كانه قال ما كان

احتباك

بنا بهم جاءتهم رسلهم بالبينات وترك عطفه لشدة التباسه بالمستغنى عنه فردوا اي الامم عقب مجيء الرسل من غير تأمل
جامعين في تكذيبهم بين الفعل والقول ايديهم في افواههم وهو اشارة الى السكوت عن ذلك والتسكيت كانه لا يليق ان يقوم
به ولو على سبيل الرد قال الرازي في اللوامع حكي ابو عبيد كلمة في حاجتي فرددته في فيه اذا سكت ولم يجب وبعد ان فعلوا
ذلك لهذه الاغراض الفاسدة قالوا اي الامم انا كفرنا اي غطينا مرآي عقولنا مستهينين بها ولما كان رد الرسالة جاريا
للكفر وكانوا غير مسلمين ان الرسل لهم هو الله بنوا المفعول قولهم ارسلتم به اي انكم لم تأتونا بما يوجب الظن فضلا
عن القطع فلذا كان لا يحتاج رده الى تأمل ولما كان ما اتى به الرسل يوجب القطع بما يعلمه كل احد فكانوا انما قالوه في مظنة
الانكار اكدوا فقالوا وانا لفي شك اي محيط بنا وهو وقوف بين الضدين من غير ترجيح احدهما يعاقب على كل حال الذكر
وبضاءة العلم والجهل ولما كان الرفاء مستندا الى جماعة الرسل اثبت نون الرفع مع ضمير المتكلمين بخلاف ما مضى في هود
فقالوا لهم اي شيء تدعونا ايها الرسل اليه اي من الدين مريبه اي موجب للتهمة وموقع في الشك والاضطراب والنوع
من اراب الرجل صار ذا ريبة اي قلق وتزلزل ولما كان سامع هذا الكلام يشتد تشوفه الى جوابه وكان اصل الدعوة
في كل ملة التوحيد وكان الشاك فيه شاكا في الله وكان اجراء من الظهور بحيث لا يشك فيه بما قل حكم عقله مجردا عن الهوى
ساغ الانكار وايراد الكلام على تقدير سؤال معربي من التقييد بلم في قوله قالت رسلهم ولما كان ما شكوا فيه من الظهور
بحيث لا يتطرق اليه ريب انكروا ان يكون فيه شك لان ذلك يتضمن انكار شكهم وشك غيرهم فقالوا افي الله اي الذي
له جميع صفات الكمال شك ولما كان الجواب عاما لا يخفى بادروا بالمسلمات بصلة لقالت بخلاف قوله ان نحن الا
بشر مثلكم بالمصنوع على مقصود الدعوة من وجود الصانع وتفرده وظهور في قولهم فاطر السموات ولما كان المقام
لادعائه في غاية الظهور لم يحتج الى تأكيد باعادة العامل فقال والارض اي على هذا المثال البديع والنمط الغريب المتقن
الاحوال الجميل العوائد المتسق الفصول فلما اوضحوا لهم الادلة على وحدانيته بينوا لهم بان ثمرة الدعوة خاصة بهم انه
لا يأبى اجابة من ادنى بصيص فقالوا يدعوكم اي على السنتنا ليغفر لكم ولما كان الكافر انما يدعى اولا الى الايمان وكان الايمان انما
يجب ما كان قبله من الذنوب التي بينهم وبينه دون المظالم قال من ذنوبكم ولوعم بالغفران لانهم ذلك انهم لا يدعون بعد
الايمان الى عمل اصلا ولا يفعل بهم فعل من تعهد دون من الملوك في المعاجلة بالاهلاك لمن خالفهم بل يؤخركم وان اخطأتم او تهتم
وتجرمتم الى اجل مسمى عنده سبق علمه به وهو اجلكم على حسب التفريط ولا يستأصلكم بالعذاب في آن واحد كما فعل بمن ذكر من
الامم فلما بتن لهم الامر بدليله فرع عليه ما لا ريب فيه في قصر نفعه عليهم علموا انه لا يتهيأ لهم عن ذلك جواب فاعرضوا عنه الى ان
قالوا عنادا ان اي ما انتم اي ايها الرسل الا بشر وأكدوا ما اراد وا من نفي الاختصاص فقالوا مثلنا يريدون فما وجه تخصيصكم
بالرسالة دوننا ثم كأنه قيل فكان ماذا فقالوا تريدون ان تصدونا اي تلفتونا وتصرفونا عما كان اي كوننا هو كالجبلة
وأكدوا هذا المعنى التذكير بالحال الماضية بالمضارع فقالوا يعبد آباؤنا اي انكم لكونكم من البشر الذين يتبع بينهم التحاسد
حسدتمونا على اتباع الآباء وقصدتم تركنا له لتكونوا لكم تبعا فاتونا اي فتسببوا عن كونكم مثلنا تركم فضلا وابدا آبائنا من اراد تكم
ما يصلح ان يكون ما تنا ان تقولوا لكم ايتونا لنتبعكم بسلطان مبين اي حجة واضحة تلجئنا الى تصديقكم مما تقترحه علينا وهذا
تعنت محض فانهم جديرون بان يعرضوا عن كل سلطان ياتونهم به كائنا ما كان كما انهوا ما اتوهم به من البينات فلم يعتدوا
به فكأنه قيل فما كان جواب الرسل فقيل قالت ولما اراد وا تخصيصهم برد ما قالوا قيد بقوله لهم رسلهم مسلمين اولا كلامهم
غير فاعلين فعلم في الجديدة عن الجواب ان اي ما نحن الا بشر مثلكم ما لنا عليكم فضل مما تقتضيه ذواتنا غير ان التماثل في البشرية
لا يمنع اختصاص بعض البشر عن بعض بفضائل والمثل ما يسد مسد غيره حتى لو شاهده شاهد ثم شاهد الآخر لم يقع فصل
ولكن الله اي الذي له الامر كله فضلنا عليكم لانه يمن على من يشاء اي ان من عليه من عباده رحمة منه له بان يفضله على امثاله
بما يقتضيه له من المزايا كما انهم به عارفون فلم يصرحوا بما غمزوا به من وصفا النبوة ولم يخصوا انفسهم بمن الله بل ادرجوها في
عموم من شاء الله كل ذلك تواضعا منهم واعترافا بالعبودية وانما نفع يقطع به عن بوس واصله القطع ومنه غير ممنون اي مقطوعة
قاطعة عنا الرنا ولما بينوا وجه المفارقة عطفوا عليه بيان العذر فيما طلبوه منهم فقالوا وما اي فما كان لنا ان نتفضل
عليكم بشيء من الاشياء لم يأذن لنا فيه وما كان اي صح واستقام لنا ان ناتيكم بسلطان مما تقترحونه تعنتا وهو البرهان
الذي يتسلط به على ابطال مذهب المخالف للحق غير المعجزة التي تثبت بها النبوة الا باذن الله اي باطلاق الملك الاعظم
وتسويغه فنحن نتوكل على الله فيما ركم ان اذن لنا في الاتيان بسلطان اولم يأذن وافقتم او خالفتم وعلى الله اي الذي
له الامر كله ولا امر لاحد معه وحده فليتوكل اي بامر حتم المؤمنون فكيف بالانبياء ثم بينوا سبب وجوب التوكل بقولهم
وما اي واي شيء لنا في ان لا نتوكل على الله اي ذي الجلال والاكرام والحال انه قد هدانا سبلنا فبين لنا كل ما ناتي وما
نذر فلا محيص لنا عن شيء من ذلك فلنفعلن جميع اوامره ولننتهين عن جميع مناهيه ولنصبرن اكدوا الانكار الكفار ان يصبر
الرسل مع وحدته على اذاهم مع كثرتهم وقوتهم على ما وعبر بالماضي اشارة الى انهم عفوا عن اذاهم في الماضي فلا يجازونهم به
هو استجلاب الى توبة اولئك الموذين وعدلوا عن المضارع لانهم ينتظرون امر الله في الاستقبال فقد يامرهم بالجهاد وقد يامرهم
بالصفح فقال اذا يتونا اي في ذلك الذي امرنا به كائنا ما كان لانا توكلنا على الله ونحن لا نتهمه في قضائه وعلى الله اي
الذي له جميع صفات الكمال وحده فليتوكل المتوكلون الذين علموا من انفسهم العجز سواء كانوا مومنين او لا فوكلوا امر انفسهم

الى غيرهم فيكفيهم اياه فانه محيط العلم كامل القدرة وكل من عداه عاجز والصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات المطاق من الكرب
والحق لا بد وان يصير غالبا قاهرا والباطل لا بد وان يصير مغلوبا متهورا وان طال الابتلاء ولما انقضت هذه المحاورة وقد
علم منها كل منصف ما عليه الرسل من الحلم والعلم والحكمة وما عليه مخالفهم من الضلال والجهل والعناد وكان في الكلام ما ربما اشعر
بانقضائه ابتدا تعالى عنهم محاورة اخرى عاطفا لها على ما مضى فقال وقال الذين كفروا لرسلهم مستهينين بمن قصروا التجاؤهم
عليه موكدين لاستشعارهم بانكار من راى مدافعة الله عن اوليائه لقولهم والذي يحلف به ليكونن احد الامرين لنخرجنكم من
ارضنا اي التي لنا الآن الغلبة عليها او لتعودن في ملتنا بان تكفوا عن معارضتنا كما كنتم قبل دعوى الرسالة فاطلاق ملتهم
على السكوت عنهم من اطلاق اسم الكل على الجزء على زعمهم مثل جعلوا اصابعهم في اذانهم وهو مجاز مرسل فصبروا على ذلك كما اخبروا به
توكلا على ربهم واستمروا على نصيحتهم لهم بدعائهم الى الله فاوحى اليهم اي كلمهم في خفاء بسبب توعد اممهم لهم مختصا لهم بذلك
ربهم المحسن اليهم الذي توكلوا عليه تسكينا لقلوبهم وتسلية لنفوسهم واكد لما ظن بنظر كثرة الكفار وقوتهم من التوقف في مضمون
الخبر ولا سيما ان كان كافرا قاتلا لنهلكن بما لنا من العظمة المقتضية لنفوذ الامر والاهلاك اذهاب الشيء الى حيث لا يقع عليه
الاحساس الظالمين اي العريقين في الظلم وربما تبنا على بعض من اخبرنا عنه بانه كفر وهو من لم يكن عريقا في كفره الذي هو اظلم
الظلم ولنسكننكم اي دونهم الارض اي مطلقها وخصوص ارضهم واشار الى عدم الخلود بالجار فقال من بعدهم بان نورثكموها
سوا قدرناهم على اخراجكم ام لا فكانه قيل هل ذلك خاص بهم فقيل لا ذلك اي الامر العالي المرام لمن خاف مقامي اي المكان الذي يقوم
فيه من احاسبه ماذا تكون عاقبته فيه وهو ابلغ من خافني وخاف وعيد لا بد ان اهلك ظالمه واسكنه ارضه بعده فاستبشروا
بذلك الوعد من الله واستفتحوا على اعدائهم فافلحوا وانجحوا وخاب كل جبار عنيد فاهلكناهم كلهم وكان لنا الغنى والحمد بعد اهلاكهم
كما كان قبله والعناد الامتناع من الحق مع العلم به كبرا وبغيا من عند عن الحق عنودا والجبرية علو المنزلة بما ليس وراءه
غاية في الصفة فهو ذم للعبد من حيث انه طالب ما ليس له ثم اتبعه ما هو كالدليل على خيبته من ان سيره الى ما امامه من العذاب
فهو واقع فيه لا محالة وهو لا يشعر وعبر عن غفلته عنه بقوله من ورائه جهنم اي لا بد انه يتبوؤها ولما كان الموجع وجود
السقي للصديد مطلقا بني للمفعول قوله ويسقى اي فيها من ماء صديد وهو غسالة اهل النار كقيحهم ودمائهم يتجرعه اي يتكلف
بلعه شيئا فشيئا لمرارته وحرارته فيغص به ويلقى منه من الشدة ما لا يعلم قدره الا الله ولا يكاد يسيغه ولا يقرب من اساغته
فان الاساغة جر الشيء في الحلق على تقبل النفس ويأتيه الموت اي اسبابه التي لو جاءه سبب منها في الدنيا لمات من كل مكان
والمكان جوهر مهيأ للاستقرار فهو كناية عن انه يحصل له من الشدائد ما يميت من قضي بموته وما هو بميت اي بثابت له الموت
اصلا لانا قضينا بدوام حياته زيادة في عذابه والموت عرض يضاد الادراك في البنية الحيوانية ومن ورائه اي هذا
الشخص بعد ذلك في يوم الجزاء الذي لا بد منه وما خلقنا السموات والارض الا من اجله عذاب غليظ ياخذه في ذلك اليوم مع ما
قدمته له في الدنيا وهو غافل عنه اخذ ما يكون من وراء فيكون اشد كما هو حال الآتي بغتة او يكون المعنى ان من بعد هذا العذاب
في جهنم عذابا آخر لا تحتمل عقولكم وصفه باكثر من الغلظ فلما فرغ من محاورتهم وما تبعها مما يبين فيه انه لا يغنيهم من بطشه
شيء ضرب لهم في ذلك مثلا فقال مثل وهو مستعار هنا للصفة التي فيها غرابة الذين كفروا مستهينين بربهم مثل من قصد
امرا ثم لم ينظر لنفسه في السلوك اليه بل اعتز بمن حاربه عن الطريق فابعد كل البعد حتى وصل الى شعاب لا يمكن فيها المقام
ولا يتاتى منها الرجوع فهلك ضياعا ولما كان الفرق بين الانسان والعدم انما هو بالعمل ذكر ما علم منه ان المثل لاعمالهم على
طريق الجواب لمن كانه قال ما مثلهم فقال اعمالهم اي المكارم التي كانوا يعملونها في الدنيا من الصلة والعتق وفداء الاسرى والجود
ونحو ذلك في يوم الجزاء ويجوز ان يكون مبتدا ثانيا كما قال الحوفي وابن عطية وهو وخبره خبر المبتدا الاول ولا يحتاج
الى رابط لانه نفس المثل الذي معناه الصفة كرماد وهو ما سحقه الاحراق سحق الغبار اشتدت به الريح اي اسرعت بالحركة
على عظم القوة والريح جسم رقيق منبث في الجو من شانه الهبوب والرياح خمس شمال وجنوب وصبا ودبور ونكبا في يوم
عاصف اي شديد الريح فاطارته في كل صوب فصاروا بحيث لا يقدرون اي يوم الجزاء ولما كان الامر هنا متمحضا للاعمال
قدم قوله مما كسبوا في الدنيا من اعمالهم في ذلك اليوم على شيء بل ذهب هباء منثورا لبنائه على غير اساس فثبت بمقتضى ذلك ان
الذين كفروا بربهم واستحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة في ضلال بعيد بل ذلك اي الامر الشديد الشناعة هو اي خاصة الضلال
البعيد الذي لا يقدر صاحبه على تداركه ولما ذكر الآخرة في اول السورة ذكر ما هو ثابت لا نزاع فيه ثم جر الكلام اليه هنا على
هذا الوجه الغريب واتبعه مثل اعمال الكفار في الآخرة اتبع ذلك الدليل عليه وعلى انه لا يسوغ في الحكمة في اعمال الضلال الا
الابطال فقال الم تر ان الله اي الذي احاط بكل شيء علما وقدرة خلق السموات على عظمها وارتفاعها والارض على تباعد اقطارها
واتساعها بالحق بالامر الثابت من وضع كل شيء منها في موضعه على ما تدعوا اليه الحكمة لا بالخيال والتمويه ومن المعلوم انهما ظرف
ولا يكون المظروف الذي هو المقصود بالذات الا مثل ظرفه او اعلى منه فكيف يظن انه يخلق شيئا فيهما سدى بان يكون باطلا
فلا يبطله او حقا فلا يحققه ام كيف يتوهم انه مع القدرة على اخراجهما من العدم وهما اكبر خلقا واعظم شانا انه لا يقدر على
اعادة من فيهما وهم اضعف امرا واصغر قدرا وخلقهما بسبب الحق وهو اعادة الناس اعادة يثبتون بها ويبقون بقاء لا فناء
بعده فتسبب عن ذلك انه عظيم القدرة فهو بحيث ان يشا يذهبكم اي بنوع من انواع الاذهاب الموت او غيره ويات بخلق جديد
غيركم او يات بكم بعد ان فنيتم بحيث تعودون كما كنتم خلقا جديدا والجديد المقطوع عنه العمل في الابتداء واصله القطع فالجد

أب الأب انقطع عن الولادة بالاب والجد منذ المنزل تقطع به المسافة حسًا او معنى وما ذلك الا ذهاب والابيان على عظيم
على الله اي الملك الاعلى بعزيز وهو الممتنع بوجه من وجوه الامتناع لانه ليس مثل خلق السموات والارض فضلا عن ان يكون اعظم منه
فلا وجه لقولكم هل ندكم على رجل يخبركم الا يه لان من قدر على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فثبت بهذا البرهان
نبي الضلال الموجب لهلاك اعمالهم التي هي اسبابهم الموجب لهلاكهم ولما ثبت بهذا البرهان قدرته على الاعادة بعد الموت عطف عليه
قوله مما يقدرون مما كسبوا على شيء قوله تبيانا للهوان البعث عنده وسهولته عليه ويرزوا اي في ذلك اليوم وعبر بصيغة
الماضي الذي وجد وتحقق لان اخبار الملوك يجب تحققها لقدرتهم وغناهم عن الكذب فكيف بملك الملوك وفيه من هذا النفس وزو عن
ما ليس في العبارة بالمضارع لمن تامل المعنى حق التامل لله اي الملك الاعظم جميعا فكانوا بحيث لا تخفى منهم خافية على ما هو متعارفهم
كانه لا سائر لهم فان البروز خروج الشيء عما كان متلبسا به الى حيث يقع عليه الحس في نفسه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من العذاب
فتقطعت بهم الاسباب فقال الضعفاء اي الاتباع من اهل الضلال بسبب علمهم انهم في القبضة لا ملجأ لهم تبكيتا لرؤسائهم وتوبيخا
تصديقا لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين للذين استكبروا اي طلبوا الكبر او دعوه فاستتبعوهم به
حتى تكبروا على الرسل واتباعهم فلم يكن لهم ذلك انا كنا اي كونا هو كالجبلة لكم تبعا اي تابعين او ذوي تبع فكنتم سبب ضلالنا وقد
جرت عادة الاكابر بالدفع عن اتباعهم المساعدين لهم على اباطيلهم هل انتم مغنون اي دافعون عنا من عذاب الله اي الذي له
العظمة كلها فلا يطاق انتقامه وابلغوا بعد التبعيض عن الاولى في التقليل فقالوا من شيء كان العذاب كان محتاجا الى احذهم
فاغنوه بشيء غيرهم حتى يجاوزهم لو دفعوا عنهم فكانه قيل ان ذلك لعادة الرؤساء فماذا قالوا فقيل قالوا اعلما منهم بانه لا طاقة
لهم على نوع من انواع التصرف لا تغني عنكم شيئا بل كل مجزي بما فعل علينا ائتم ضلالنا في انفسنا واضلالنا لكم وعليكم ضلالكم وذبكم
عنا وتقويتكم لجانبنا حتى استكبرنا فاستغرقنا في الضلال ولو ان الله هداكم حتى تبعتم الادلة التي سمعتموها كما سمعناها وتركتمونا
لكسر ذلك من شدتنا واوهى من شوكتنا فكان ربما يكون سببا لهدايتنا كانه لو هدانا الله اي المستجمع لصفات الكمال لهديناكم
فكان يكون لنا جزاء اهتدائنا وهدايتنا كم ولكم جزاء اهتدائكم وتقويتكم لنا على ذلك ولكنه لم يهدنا فضللنا وكنتم لنا تبعا فاضللناكم
ولما كان الموجب لقولهم هذا الجزع قالوا سواء علينا اي نحن وانتم اجزعنا والجزع انزعاج النفس بورود ما يؤلم ام صبرنا لا فائدة
لنا في واحد منهما لان الامر اطم من ذلك فانه ما لنا من محيص يصلح للمصدر والزمان والمكان اي محيد وزوال عن المكروه على كلا
التقديرين فلم يبق في الجزع الا زيادة العذاب بسوء القالة وانتشار السنة وهذا الاستفهام ليس على بابه بل المراد به التنبيه
على ان حالهم مما ينبغي السؤال عنه وترديد الامر فيه لينتهي عن مثله ولما كان الشيطان اعظم المستكبرين خص بالافراد بالجواب فقيل
وقال اول المتبوعين في الضلال الشيطان الذي هو راس المضلين المستكبرين المقضي بعده واحتراقه لما قضي الامر بتعيين قوم
للجنة وقوم للنار جوابا لقول الاتباع مذعنا حيث لا ينفع الاذعان وهو مناحيث فات نفع الايمان ان الله اي الذي له صفات
الكمال وعدكم وعد الحق بان ارسل اليكم رسلا وانزل معهم براهين وكتبا اخبركم فيها بانه ربكم الواحد القهار ودعاكم اليه بعد ان
اجتالكم الشياطين وبشر من اجابه وحذر من ابى بما هو قادر عليه اتم القدرة فكل ما قاله طابقه الواقع كما ترون فصدقكم فيه وفي كل
ووعدتكم انا بما زينت لكم به المعاصي من الوساوس وعد الباطل فاخلفتكم فلم افعل شيئا الا كان زينا فاتبعتموني مع كوني عدوكم
وتركتم ربكم وهو وليكم فالآية من الاحتباك ذكر وعد الحق اولا دليلا على حذف ضده ثانيا واخلفتكم ثانيا دليلا على حذف ضده اولا
ولما بين غرور بين سهولة اغترارهم زيادة في تندبهم فقال وما كان لي عليكم في ذلك من ذنب لانه ما كان الا عليكم وابلغ في النفي
فقال من سلطان اي تسلط كبير او صغير بشيء من الاشياء الا ان اي بان دعوتكم بالوسوسة التي كانت سببا لتقوية دواعيكم
الى الشر فاستجبتم اي اوجدتم الاجابة ايجاد من هو طالب لما ارغب فيها الى تحكيم الشهوات معرضين عن مناهج العقول ودعاة
النصحاء ولو حكمتم عقولكم لتبعتم الهداة لما في سبيلهم من النور الداعي اليها وما في سبل غيرهم من الظلام المؤدي اليها والمهالك الزاجرة
عنها دنيا واخرى وساقه على صورة الاستئناف وان لم يكن دعاؤه من السلطان في شيء لان السلطان اخص من البرهان اذ
معناه برهان يتسلط به على ابطال مذهب الخصم اشارة الى انهم تبعوه ولا قدرة له على غير هذا الدعاء الذي لا سلطان فيه
وتركوا دعاء من انزل اليهم من كل سلطان مبين مع تهديدهم بما هو قادر عليه وضربهم ببعضه وفاعل مثل ذلك لا لوم له على غير
نفسه فلا اي فاذ قد تقرر هذا تسبب عنه اي اقول لكم لا تلوموني ولوموا انفسكم لانكم مواخذون بكسبكم لانه كانت لكم قدرة
واختيار فاخترتم الشر على الخير ولم منه قطعا ان كلا منا مشغول عن صاحبه بما يجزي به فعلم اني ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم
فيما يختصكم من العذاب فانيكم بما يزيل ضراخكم منه وما انتم بمصرخي فيما يختصني منه لتقطع الاسباب بما ذهبي من العذاب ثم علل ذلك
بقوله اني كفرت مستهينا بما اشركتموني اي بانخاذكم لي شريكا مع الله ولما كان اشراكهم لم يستغرق الزمان اتى بالجار فقال
من قبل لان ذلك ظلم عظيم ثم علل هذه العلة بقوله ان الظالمين اي العريقين في هذا الوصف لهم عذاب اليم مكتوب على كل منهم مقدار
لا يغني احدهم عن الآخر شيئا بل كل متصور على ما قدر له وحكاية هذه المحاورة لتنبيه السامعين على النظر في العواقب والاستعداد
لذلك اليوم قبل ان لا يكون الا الندم وقرع السن وعض اليد ولما ذكر الظالمين اتبعه ذكر المؤمنين فقال بانيا للمفعول لان
الدخول هو المقصود بالذات وادخل والادخال النقل الى محيط هذا اصله الذين امنوا اي اوجدوا الايمان وعملوا
الصالحات اي تصديقا لدعوائهم الايمان جنات تجري وبين ان الماء غير عام بجميع ارضها بادخال الجار فقال من تحتها الانهار
فهي لا تزال دريا لا يسقط وردها ولا ثمرها فذا ظلها لا يبغي لها بدلا خالدين فيها ولما كانت الاقامة لا تطيب الا باذن المالك قال باذن ربهم

الذي

الذي اذن لهم بتربيته واحسانه في الخروج من الظلمات الى النور وقرئ وادخل على التكلم فيكون عدل عن ان يقول باذني الى
باذن ربهم للاعلام بالصفة المقتضية للرحمة كما قال تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك ولم يقل لنا سوا ومن شكله انا فتحنا
لك فتحا مبينا ليغفر لك الله فلا تنبغي المسارعة الى انكار شيء يمكن توجيهه بل يتعين امعان النظر فان الامر كما قال الامام ابو الفتح
ابن جني في كتابه المحتسب في توجيه لما يهبط من خشية الله ان كلام العرب لمن عرفه ومن الذي يعرفه الطف من السحر وانقى ساحة
من مشوف الفكر واشد تساقطا بعضا على بعض وامس تساندا نفلا الى فرض تحيتهم اي فيما بينهم وتحية الملائكة لهم والتحية
التلقي بالكرامة في المخاطبة فهي اظهار شرف المخاطب فيها سلام اي عافية وسلامة وبقاء وقول من كل منهم للاخر ادام الله سلامتك
ونحو هذا من الاخبار بدوام العافية كما ان حال اهل الباطل في النار عطب والام ولما تقرر بما مضى ان الحق ما قاله الله او فعله
او اذن فيه وان الباطل ما كان على غير امره مما ينسب الى الشيطان او غيره من قول او فعل وانه لا يصلح في الحكمة ان ينفي الحق ولا
ان يبقى الباطل ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ليحق الحق ويبطل الباطل وقص سبحانه كلام اوليائه الذي هو
من كلامه فهو اثبت للاشياء واطيبها واعظمها ثمرة وكلام اعدائه الذي هو من كلام الشيطان فهو ابطل الاشياء واخبثها قرب
سبحانه ذلك بمثل يتعارفه المخاطبون فقال الم تر اي يا من لا يفهم عنا هذا المثل حق الفهم سواه كيف ضرب الله اي المحيط بكل شيء
قدرة وعلما مثلا اي سيره بحيث يعم نفعه والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالاول ثم بينه بقوله كلمة طيبة
اي جمعت انواع الكرم فليس فيها شيء من الخبث وتلك الكلمة كشجرة طيبة ولما كانت لا تسر الا بالثبات قال اصلها ثابت
اي راسخ في الارض امن من الاجتثاث بالرياح ونحوها وفرعها عال صاعد مهتز في جهة السماء لحسن منبتها وطيب عنصرها
فالاية من الاحتباك ذكر ثابت اولا دال على عال صاعد ثانيا وذكر السماء ثانيا دال على الارض اولا ولما ذكر حالها ذكر ثمرتها
فقال تؤتي اكلها اي ثمرتها بحسن ارضها ودوام ريها كل حين على احسن ما يكون من الايتاء لان علوها منعها من عفونات الارض
وقاذورات الابنية فكانت ثمرتها نقية من شوائب الادناس ولما كان الشيء لا يكمل الا بكمال مربيه قال باذن ربها فهي بحيث
لا يستجيز عاقل ان يتسبب في افسادها ومن سعى في ذلك منعه اهل العقول ولو وصلوا الى بذل النفوس روى البخاري في
التفسير وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني بشجرة كالرجل المسلم لا يتحات
ورقها ولا ولا ولا تؤتي اكلها كل حين قال ابن عمر رضي الله عنهما فوقع في نفسي انها النخلة ورايت ابا بكر وعمر رضي الله عنهما لا
يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد
كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما منعك ان تتكلم قال لم اركم تتكلمون فكرهت ان اتكلم قال عمر لان تكون قلتها احب الي من كذا
وكذا ثم نبه سبحانه على عظم هذا المثل ليقبل على تدبره ليعلم المراد منه فيلزم فقال ويضرب الله اي الذي له الاحاطة الكاملة
الامثال للناس اي الذين يحتاجون الى ذلك لاضطراب ارائهم لان في ضربها زيادة افهام وتصوير للمعاني لان المعاني الصرفة
اذا ذكر مناسبها من المحسوسات ارتسمت في الحس والخيال والوهم وتصورت فتركت هذه القوى المنازعة فيها فيحصل الفهم
التام والوصول الى المطلوب لعلهم يتذكرون اي ليكون حالهم حال من يرجى له غاية التذكر بما اشار اليه الاظهار فهذا مثل كلام
الاولياء فكلمتهم الطيبة كلمة التوحيد التي لا اطيب منها وهي اصل كل سعادة راسخة في قلوبهم معرقة في كل عرق منهم اوجب
اعراقها ان بسقت فروعها التي هي الاعمال الدينية من اعمال القلوب والجوارح فصارت كلما هزت اجتنى الهاز ثمراتها التي لا
نهاية لها عالما بانها من فتح مولاه لا صنع له فيها بوجه بل له سبحانه المن عليه في جميع ذلك وكما ان الشجرة لا تتم الا بعرق راسخ واصل
قائم وفروع عالية فكذلك الايمان لا يتم الا بمعرفة القلب وقول اللسان وعمل الاركان ثم اتبعه مثل حال الاعداء فقال
ومثل كلمة خبيثة اي عريقة في الخبث لا طيب فيها كشجرة خبيثة ولما كان من انفع الاشياء اعدامها والراحة من وجودها على اي
حالة كانت بني للمفعول قوله اجتثت اي استؤصلت بقلع جثتها من اصلها من فوق الارض برأي كل من له رأي ثم علل ذلك
بقوله ما لها واغرق في النفي بقوله من قرار اي عند من له ادنى لب لانه لا نفع لها بل وجودها ضار ولو بشغل الارض فلذلك الكلمة
الخبيثة الباطلة لا بقاء لها اصلا وان علت وقتا لان حجتها داحضة فجنودها منهزمة فلما برز الكلام الى هذين المثالين حصل
التعجب ممن يترك ممثول الاول ويفعل ممثول الثاني فوقع التنبيه على ان ذلك بفعل القاهر فقال جوابا لمن كانه قال ان هذا
لصريح الحق ثم انا نجد النفوس مائلة الى الضلال وطائشة في ارجاء المحال فكيف لنا بالامتثال يثبت الله اي الذي له الجلال والجمال
الذين امنوا اي اوجدوا هذه الحقيقة ولو على اقل درجاتها بالقول الثابت اي الذي هو متابعة الدليل في الحيوة الدنيا بمثل ما
تقدم من محاورات انبيائه وفي الاخرة ويهديهم عند كل سؤال الى احسن الاقوال حيث تطيش العقول وتدهش الافكار لشدة
الاهوال ويضل الله اي الذي له الامر كله الظالمين اي العريقين في الظلم ويزلزلهم لتقلبهم في الظلمات التي من شان صاحبها
الضلال والخبط فيفعلون ما لا يرضاه عاقل فالاية من الاحتباك ذكر الثبات اولا دليلا على ضده ثانيا والاضلال ثانيا
دليلا على الهدى اولا ويفعل الله اي الذي له الامر كله فلا يسئل عما يفعل ما يشاء لان الكل بحكمه وقضائه وهو القادر القاهر
فلا يتعجب من شيء وفي هذا ارشاد الى الاقبال عليه والقاء ازمة الافتقار اليه روى البخاري في التفسير وغيره ومسلم في اواخر
صفة الجنة والنار عن البراء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الاية ولما اخبر سبحانه انه هو الفاعل وحده اتبعه الدليل عليه وعلى اضلال
الذين بدلوا الكلمة الطيبة من التوحيد بالاشراك وزلزلتهم واجتثاث كلمتهم فقال الم تر واشار الى بعدهم عن مقامه صلى الله عليه وسلم

احتباك

احتباك

بقوله الى الذين بدلوا والتبديل جعل الشيء مكان غيره نعمة الله اي المستجمع لصفات الكمال التي اسبغها عليهم من كلمة التوحيد وما اوتيهم
من دين ابيهم اسمعيل عليه السلام ومن جميع النعم الدنيوية من امن البلد وتيسير الرزق وغير ذلك بان جعلوا مكان شكرها كفرا وهم يدعون
انهم اشكر الناس للاحسان واعلاهم همما للوفاء وابعدهم عن الخناء واحلوا قومهم بذلك دار البوار اي الهلاك مع ادعائهم انهم اذب
الناس عن الجار فضلا عن الاهل روى البخاري في التفسير انهم كفار اهل مكة والبوار الهلاك الزائد والاحلال جعل الشيء في محل فان كان
جوهرا فهو احلال مجاورة وان كان عرضا فهو احلال مداخلة ولما افاد انها مهلكة بينها بما يعهم انها تلقاهم بالعبوسة كما كانوا
يلقون اولياء الله من الرسل وغيرهم بذلك فقال جهنم حال كونهم يصلونها اي يباشرون حرها مع انغماسهم فيها بانعطافها عليهم
ولما كان التقدير فبئس الاحلال احلوه انفسهم وقومهم عطف عليه قوله وبئس القرار ذلك المحل الذي احلوهم به ولما كان
هذا فعل من لا عقل له بينه بقوله وجعلوا لله الذي يعلمون انه لا شريك له في خلقهم ولا رزقهم لان له الكمال كله اندادا وقال
ليضلوا اي بانفسهم على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعموا غيرهم على قراءة الباقين عن سبيله لانهم ان كانوا عقلاء فهم يعلمون ان هذا
لازم لفعلهم فهم قاصدون له والا فلا عقول لهم لانه لا يقدم على ما لا يعلم عاقبته الا ابله وهم يقولون انهم ابصر الناس قلوبا واصفاهم
عقولا وانفذهم افكارا وامتنهم اراء فمن الزم منهم ومن احذر منهم لطرق الهلاك مع ما اوقعوا انفسهم فيه من هذا الداء العضال
ولما تقرر انهم على الضد من جميع ما يدعونه فكانوا بذلك اهلا للاعراض عنهم وكان صلى الله عليه وسلم يعرض ان يقول فماذا افعل
بهم وقد امرتني باخراجهم الى صراطك امره ان يدق اعناقهم باخبارهم ان ما اضلهم من النعم انما هو استدراج فقال قل اي تهديدا
لهم فانهم لا يشكون في قولك وان عاندوا تمتعوا وبالغوا في فعل البهائم مهما قدرتم فان ذلك ضاركم غير نافعكم فان مصيركم اي
صيرورتكم الى النار بسبب تمتعكم على هذا الوجه ولما ذكر كفرهم وضلالهم عن السبيل وما امره صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم
وكان ذلك محركا لنفس السامع الى الوقوف على ما يقال لمن خلع الانداد وكان اوثق عرى السبيل بعد الايمان واعمها الصلوة الناهية
عن الفحشاء والمنكر والنفقة الشاملة لوجوه البر امره تعالى ان يندب اولياءه الى الاقبال الى ما اعرض عنه اعداؤه والاعراض
عما اقبلوا بالتمتع عليه من ذلك فقال قل لعبادي فوصفهم باشرف اوصافهم واضافهم الى ضميره الشريف تحبيبا لهم فيه ثم اتبع هذا
الوصف ما يناسبه من اذعانهم لسيدهم فقال الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف ولما كان قوله صلى الله عليه وسلم احسن قول
فهو جال لصداء القلوب وموجب لتهذيب النفوس قال جازما يقيموا الصلوة اي التي هي زكوة القوة وصلة العبد بربه وينفقوا
وخفف عنهم بقوله مما رزقناهم اي بعظمتنا فهو لنا دونهم من انواع النفقات المقيمة لشرائعه من الصدقات وغيرها اتقانا لما
بينهم وبينه من الاسباب لينقذوا انفسهم من النار واقتصر على هاتين الخلتين لانه لم يكن فرض في مكة غيرهما مع ما تقدم من فضلهما
وعمومهما ولعله سيق سياق الشرط تنبيها لهم على ان مجرد قوله صلى الله عليه وسلم اقوى الاسباب فيجب عليهم ان لا يتخلفوا عنه
اصلا ثم اشار الى المداومة على هاتين الخصلتين بقوله سرا وعلانية ويجوز ان يراد بالسر النافلة وبالعلانية الفرض ثم رهب
من تهاون في خدمته من اليوم الذي كان الاعراض عنه سبب الضلال فقال مشيرا بالجار الى قصر مدة اعمالهم من قبل ان ياتي يوم
اي عظيم جدا ليس هو كشيء من الايام التي تعرفونها لا بيع فيه لا سير بفداء ولا خلال اي محالات وموادات يكون عنها شفاعة
او قصر جمع خلة كقلة وقلال او هو مصدر وذلك اشارة الى انه لا يكون شيء منها سببا لخلاص هالك ولما نفى جميع الاسباب
النافعة في الدنيا في ذلك اليوم كان كانه قيل فمن الحكم فيه حتى انه يسير سيرة لا يعرفها فقيل الله اي الملك الاعلى المحيط بكل شيء
ثم اتبعه بصفات تدل على ما دعا اليه الرسل من وحدانيته وما اخبروا به من قدرته على كل شيء فلا يقدر احد على مغالبته وعلى
المعاد وعلى غناه فلا يبايع فقال الذي الذي خلق السموات والارض وهما اكبر خلقا منكم واعظم شانا ثم عقبه بادل الامور
على الاعادة مع ما فيه من عظيم المنة بان به الحياة فقال وانزل من السماء ماء ولما كان ذلك سبب النمو قال فاخرج به اي
بالماء الذي جعل منه كل شيء حي من الثمرات اي الشجرية وغيرها رزقا لكم بعد يبس الارض وجفاف نباتها وليس ذلك بدون
احياء الموتى ثم اتبعه ما ادخره في الارض من مياه البحار والانهار وذكر اعم ما يظهر من منافع البحار فقال وسخر لكم الفلك وعلل
ذلك بقوله لتجري في البحر ولما كان ذلك امرا باهرا للعقل بين عظمته بقوله بامره ولما كانت الانهار من النعم الكبار بعد نعمة
البحار قال وسخر لكم الانهار ثم اتبعه ما جعله سببا لكمال التصرف وانضاج الثمار المسقية بالماء النازل من السماء والنابع من الارض
فقال وسخر لكم الشمس والقمر حال كونهما دائبين اي في سيرهما وانارتهما وما ينشا عنهما من الاصلاح بالطبخ والانضاج في المعادن والنبات
والحيوان قال الرماني والدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه ثم ذكر تعالى ما ينشا عن وجود الشمس وعدمها فقال
وسخر لكم الليل اي الذي القمر آيته والنهار اي الذي الشمس آيته يوجد كل منهما بعد تصرمه ولو كان احدهما سرمدا لاختل الحال بعدم
النبات والحيوان كما هو كذلك حيث لا تغرب الشمس في الجنوب وحيث لا تطلع في الشمال ثم عم بعد ان خص فقال واتاكم ولما
كان الكمال لا يكون الا في الجنة قال من كل ما سالتموه اي ما انتم محتاجون اليه فانتم سائلوه بالقوة ثم حقق وجه العظم بفرض
ما يوجب العجز فقال وان تعدوا ايها الناس كلكم نعمة الله اي تروموا عد انعام الملك الاعلى الذي له الكمال المطلق او
تاخذوا في عده وعبر عنه بالنعمة ارشادا الى الاستدلال بالاثر على المؤثر لا تحصوها اي لا تحيطوا بها ولا تعرفوا عد الحصى
المقابلة لها ان عددتموها بها كما كانت عادة العرب او لا تجدوا من الحصى ما يوفي بعددها هذا في النعمة الواحدة فكيف بما زاد
فهذا شرح قوله اول السورة الله الذي له ما في السموات وما في الارض وقد ظهر به انه لا يوجد شيء الا وهو ملك الله فضلا
عن ان يوجد شيء يدانيه فضلا عن شيء يماثله فثبت انه لا بيع ولا خلال يوم دينونة العباد وتقريب العجز عن العد للافهام

ان السلام

ان السلامة من كل داء ذكره الاطباء في كتبهم على كثرتها وطولها نعمة على العبد وذلك متعسر الحصر وكل ما ذكروه صريحا في جنب
ما دخل تحت كلياتهم تلويحا قليل فكيف بما لم يطلعهم الله عليه ولم يهدهم بوجه اليه هذا في الجسم واما في العقل فالسلامة عن كل
عقد زائغ ودين باطل وضلال مائل وذلك لا يحصيه الا خالق الفكر وفاطر الفطر سبحانه ما اعزه واعظم شانه ولما
كان اكثر هذه السورة في بيان الكفرة ومآلهم وبيان ان اكثر الخلق هالك معرض عما ياتيه من نعمة الهداية على ايدي الرسل الدعاة
الى من له جميع النعم للحيوة الطيبة بسعادة الدارين ختم الاية ببيان ما اقتضى ذلك من صفات الانسان فقال ان الانسان اي
هذا النوع لما له من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه ويضره والاضطراب بسبب ما يغمه ويسره لظلوم كفار اي بليغ الظلم
والكفر حيث يهمل الشكر ويتعداه الى الكفر وختم مثل ذلك في سورة النحل بغفور رحيم لان تلك سورة النعم بديت بالنهي عن
استعجال العذاب لان الرحمة اسبق ومن الرحمة امهال الناس وامتاعهم بالمنافع فالتقدير اذن هناك وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ولكن ربه لا يعاجله بالعقوبة لانه غفور رحيم واما هذه السورة فبديت بان الناس في
الظلمات ولما انقضى المامور به من القول لكافر النعمة وشاكرها وسبب ذلك والدليل عليه وبان انه خالق الموجودات كلها
وربها فلا يصح اصلا ان يكون شيء منها شريكا امره صلى الله عليه وسلم ان يذكرهم بايام الله عند ابيهم ابرهيم عليه السلام للدلالة
على تبديلهم النعمة ظلما منهم وكفرا في اسلوب دال على البعث مشيرا الى وجوب براءتهم من الاصنام حيث كان محط حالهم فيها تقليد
الاباء وهو اعظم ابائهم والى ما سنه لهم من اقامتهم الصلوة وشكرهم لنعمه بالاتفاق وغيره فقال ناعيا عليهم مع المخالفة
لصريح العقل وقاطع النقل عقوق ابيهم الاعظم عطفا على قل لعبادي الذين امنوا او على واذ قال موسى لقومه واذ اي
واذكر لهم مذكرا بايام الله خبر ابرهيم اذ قال لابيه رب اي ايها المحسن الي باجابة دعائي في جعل الفقر الذي وضعت
به ولدي بلدا عظيما ولما كان السياق لاخراج الرسل من محالهم وكان في ذلك مفهما لان المحل الذي يقع الاخراج منه بلد يسكن
فيه واتبعه سبحانه بان المتعرضين بدلوا نعمة الله بما اسكن فيه من الامن بعد جعله له بلدا بما احدثوا فيه من الاخافة لخير
اهله ومن الانداد لمن انعم عليهم بكل ما فيه من الخير كان الانسب تعريفه فقال اجعل هذا البلد اي الذي يريدون اخراج
الرسول منه امنا اي ذا امن بامان اهله وكان هذا الدعاء صدر منه بعد ان سكن الناس مكة وصارت مدينة والذي في
البقرة كان حيث وضع ابنه بها مع امه وهي خالية عن ساكن فدعا ان يجعلها الله بلدا وان يجعلها بعد ذلك موصوفة بالامن
وهو سكون النفس الى زوال الضر ولما دعا بالامن من فساد الاموال والابدان اتبعه الدعاء بالامن من فساد الاديان فقال
واجنبني اي اصرفني وبني اي لصلبي واسقط البنات اشارة الى الاستقلال وانما هن تابعات دائما ان نعبد اي عبادة
مستمرة تكون موجبة للنار الاصنام اي اجعلنا في جانب غير جانب عبادتها والصنم المنحوت على خلقة البشر وما كان منحوتا
على خلقة البشر فهو وثن قاله الطبري عن مجاهد ثم بين زيادة الاهتمام بامر الاصنام باعادة النداء واسقط الاداة زيادة
في التملق بكونه من اهل القرب والانقطاع اليه سبحانه معللا لما قبله في قوله رب بافراد المضاف اليه ليكون الكلام الواحد على
نظام واحد انهن اضللن اسناد مجازي علاقته السببية كثيرا من الناس فمن اي فتسبب عن بغضي لهن ان اقول من تبعني من جميع
الناس في تجنبها فانه مني اي من حزبي لكونه على طريقتي وديني فاتني ما وعدتني فيه من الفوز ومن عصاني فضل بها فقد استحق
النار فان عذبته فهو عبدك وان غفرت له فانت اهل لذلك لان لك ان تفعل ما تشاء فانك غفور اي بليغ الستر رحيم اي بليغ
الاكرام بعد ستر الذنوب واكد للاعلام بزيادة رغبته في العفو لانه لا ينقص به شيء من عزته سبحانه ولا حكمته كما اشار اليه
دعاء عيسى عليه السلام في المائدة ولما دعا بدرء المفاسد الناشئة من نوعي الانسان والشيطان بامن البلد وايمانه ذكر السبب
الحامل له على تخصيصه بذلك مستجلبا للمصالح فقال ربنا اي يا رب ورب من قضيت انه يتبعني بتربيتك لنا احسن تربية
اني اسكنت وكان الله سبحانه قد اخبره انه يكثر نسله حتى يكونوا كالنجوم وذلك بعد البشارة باسحق عليه السلام فقال
من ذريتي وساقه موكدا تنبيها على انه لكونه على وجه لا يسمح به احد لا يكاد يصدق وللاعلام بانه راغب فيه بواد هو
مكة المشرفة لكونها في فضاء منخفض بين جبال تجري به السيول غير ذي زرع ولما نفى عنه الرفد الدنيوي اثبت له الاخروي
اشارة الى ان الدارين ضرتان لا تجتمعان وكان هذا الدعاء كان بعد بنائه البيت كما تقدمت الاشارة اليه ايضا بتعريف البلد
فقال عند بيتك المحرم اي الذي حرمت التعرض اليه ومنعته بالهيبة فلم يملكه احد سواك وجعل له حريم يامن فيه الوحش والطير
والسكنى اتخاذ ماوى يسكن اليه متى شاء والوادي سفح الجبل العظيم ومنه قيل للانهار اودية لان حافاتها كالجبال لها والزرع نبات
يتفرش من غير ساق ثم بين غرضه من اسكانهم هناك فقال ربنا اي ايها المحسن الينا ليقيموا الصلوة ما اسكنتهم في هذا الوادي
الموصوف الا لهذا الغرض المنافي لعبادة غيرك ولان اولى الناس باقامتها حاضروا البيت المتوجه بها اليه ولما كان اشتغالهم
بالعبادة وكونهم في ذلك الوادي امرين بعيدين عن اسباب المعاش تسبب عنه قوله فاجعل افئدة اي قلوبا محترقة
بالاشواق من الناس اي من افئدة الذين هم اهل للاضطراب يكون احتراقها بالشوق مانعا من اضطرابها تهوي اي تقصدهم فتسرع
نحوهم برغبة وشوق اسراع من ينزل من خالق وزاد المعنى وضوحا واكده بحرف الغاية الدال على بعد لان الشيء كلما بعد مدى
مرماه اشتد وقعه فقال اليهم ولما دعا لهم بالدين دعا لهم بالرزق المتضمن للدعاء لجيرانهم فقال وارزقهم اي على يد من يهوي
اليهم من الثمرات اي التي انبتها في بلادهم وبين العلة الصالحة بقوله لعلهم يشكرون اي ليكون حالهم حال من يرجى شكرهم لما يرون
من نعمك الخارقة للعوائد في ذلك الموضع البعيد عن الفضل لولا عنايتك فيشتغلوا بعبادتك لاغنائك لهم واحسانك اليهم

وقد اجاب الله دعوته فالآية لتذكير قريش بهذه النعم الجليلة عليهم ببركة ابيهم الاعظم الذي نهى عن عبادة الاوثان ولما
فرغ من الدعاء بالاهم من الابقاء على الفطرة الاولى المشوقة للعزائم الى العكوف في دارة الانس ومن الكفاية لهم المعاش المنتج للشكر
بانفاق الفضل وتبين من ذلك انهم خالفوا اعظم آبائهم في جميع ما قصده لهم من المصالح اتبعه ما يحث على الاخلاص في ذلك وغيره له
ولغيره ليكون الحج للمراد بضمان الاسعاد ولا سيما مع تكرير النداء الدال على مزيد التضرع فقال ربنا اي ايها المحسن الينا المالك لجميع
امورنا انك تعلم ما اي جميع ما تخفي وما تعلن ثم اشار الى عموم علمه فقال وما يخفى على الله اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما وبالغ في
النفي فقال من شيء من ذلك ولا غيره في الارض ولما كان في سياق المبالغة اعاد النافي تاكيدا فقال ولا في السماء اي فهو غير محتاج الى
التعريف بالدعاء فالدعاء انما هو لاظهار العبودية واسم الجنس شامل لما فوق الواحد ومن فوائد التعبير بالافراد الدلالة على ان كان
محيطا بكل ما في المتقابلين من غير ان يحجبه احدهما عن الآخر كان محيطا بغيرهما كذلك من غير فرق ولما تم ما دعا به من النزاهة عن
رجاسة الشرك وتبين بتقديمه ان اهم المهمات البراءة منه اتبعه الحمد على ما رزق من النعم وما تبع ذلك من الاشارة الى وجوب الشكر
فقال الحمد لله اي المستجمع لصفات الكمال الذي وهب والهبة عطية تمليك من غير عقد مثامنة لي حال كوني مستعليا على الكبر
ومتمكنا منه على يأس من الولد اسمعيل الذي اسكنته هنا واسحق وهذا يدل على ما تقدم فهمي له من ان هذا الدعاء كان بعد بناء البيت
وطمأنينته باسحق عليه السلام عن ابن عباس رضي الله عنهما ان سنه كان عند ولادة اسمعيل عليه السلام كان تسعا وتسعين سنة
وعند ولادة اسحق عليه السلام كان مائة سنة وثنتي عشرة سنة ولما كان اتيان الولد له في سن لا يولد فيه لمثله وجميع ما
دعا به من الخوارق موجوده لا يكاد يصدق اشار الى ذلك بتاكيد قوله ان ربي اي المحسن الي لسميع الدعاء اي من شانه اجابة
الدعاء على الوجه الابلغ تعريضا بالانداد واشارة الى ما تضمنه تاسفه على العقم فقد تقدم في سورة البقرة عن التورية انه
لما خلص ابن اخيه لوطا من الاسر قال له الله يا ابرهيم انا اكافئك واساعدك لان ثوابك قد جزل فقال ابرهيم اللهم ربي ما الذي
تعجلني وانا خارج من الدنيا بلا نسل ويرثني اليعازر غلامي الدمشقي فقال له الرب لا يرثك هذا بل يرثك ابنك الذي يخرج من صلبك
فهو يرثك وقال له انظر الى السماء واحص النجوم ان كنت تقدر ان تحصيها فكذلك يكون في ذريتك فآمن ابرهيم بالله ولما تم
الحمد على النعمة بعد الدعاء بالتخلي من منافي السعادة وختمه بالحمد على اجابة الدعاء انتهز الفرصة في اتباعه الدعاء بالتحلي بحلية
العبادة التي اخبر انها قصده باسكانه من ذريته ثم اقامتها اشارة الى صعوبتها على النفس الا بمعونة الله فقال رب اي ايها الموجد
لي المالك لامري اجعلني مقيم الصلوة اي هذا النوع الدال على غاية الخضوع دائم الاقامة لها وكان الله تعالى اعلمه بانه يكون من ذريته
من يكفر فقال ادبا ومن ذريتي ولما كانت اعظم الاركان بعد الايمان افرد الضمير للدعاء بها متملقا لله تعالى بما عليه من النعم التي لم ينعمها
على احد كان في ذلك الزمان غيره كما اشار الى ذلك باسم الرب ثم زاد في التضرع بقوله ربنا اي ايها المحسن الينا وجمع الضمير المضاف
اليه بالنظر الى من تبعه من ذريته لان ما بعده كلام آخر اي رب ورب من وفقته بتربيتك واحسانك لاقامة الصلوة من ذريتي
وتقبل دعائي كله بذلك وغيره بان تجعله مقبولا جعل من كانه راغب فيه معتن به ولما كان الانسان ولو اجتهد كل الاجتهاد محل العجز
الموجب للتقصير المفتقر للستر قال مشيرا الى ذلك ربنا اي ايها المالك لامورنا المدبر لنا اغفر لي ثم اشرك معه اقرب الناس اليه
واحقهم بشكره فقال ولوالدي وقد كان استغفاره لهما قبل ان يعلم ان اباه مات كافرا وقد علم من السياق انه اذا كان وحده اضاف
الى ضميره واذا تقدم ما يحسن جمعه معه جمع ان كان ما بعده مستقلا ثم كل من تبعه في الدين من ذريته وغيرهم فقال وللمؤمنين اي
العريقين في هذا الوصف يوم يقوم اي يظهر ويتحقق على اعلى وجوهه الحساب ولما ختم دعاه بيوم الحساب الموجب ذكره لكل سعادة
ونسيانه لكل شقاوة ذكر ما يتفق فيه رجوعا الى ما مضى من احوال القيمة على احسن وجه فقال عاطفا على قوله قل لعبادي
وجل المقصد تهديد اهل الظلم بالاشراك وغيره وخاطب الراس الذي لا يمكن ذلك منه ليكون اوقع في قلب غيره ولا تحسبن الله اي
الملك الذي هو احكم الحاكمين ولما كان اعتقاد ترك الحساب يلزم منه نسبة الحاكم الى العجز او السفه او الغفلة وكان قد اثبت
قدرته وحكمته في هذه السورة وغيرها نزهه عن الغفلة لينتبه المنكرون للبعث من غفلتهم فقال غافلا والغفلة ذهاب
المعنى عن النفس عما يعمل الظالمون الذين بدلوا نعمة الله كفرا فكانوا عريقين في الظلم وان كان مستند ظلمهم شبها علمية يقيمونها
فكانه قيل فما الذي يغفل بهم فقال انما يؤخرهم اي يؤخر حسابهم عن النقير والقطمير سواء عذبوا في الدنيا او لا ليوم تشخص اي
تفتح فتكون بحيث لا تطرف فيه منهم الابصار رجال كونهم مهطعين اي مسرعين غاية الاسراع الى حيث دعوا خوفا وجزعا مع
الاقبال بالبصر نحو الداعي لا يلتفتون الى غيره مقنعي رؤسهم اي رافعيها وناصبيها ناظرين في ذل وخشوع الى جهة واحدة
وهي جهة الداعي لا يلتفتون يمينا ولا شمالا وهذا كناية عن اشد الذل والصغار ثم اتبعه ما يؤكده فقال مصرحا بمعنى الشخوص
لا يرتد اليهم ولما كانوا في هيئة الاعين في الطرف والسكون قريبا من السواء وحد فقال طرفهم بل اعينهم شاخصة دائمة الفتح
لا تطرف كالمحتضر لما باصحابها من الهول وافئدتهم جمع فؤاد وهو العضو الذي من شانه ان يحمى بالغضب قال في القاموس
والتفأد التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب مذكر جمعه افئدة هواء اي عدم فارغة لا شيء فيها من الجراءة والانفة التي
يظهرونها الآن كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء والهواء
الخلاء الذي لم تشغله الاجرام والنخب الجبان وكذا الهواء قال في القاموس فانذرهم اهوال ذلك اليوم فانه لا يبقى معهم
فيه شيء مما هم فيه من الاباء والاستكبار وانذر اي يا محمد الناس جميعا ما يحل بهم يوم يأتيهم العذاب وينكشف عنهم الغطاء
بالموت او بالبعث ولما كانوا عند اتيان العذاب قبل الموت لا ينكسرون بالكلية بين انهم اذ ذاك على غير هذا فقال عاطفا

على

على ياتيهم فيقول الذين ظلموا اي اوجدوا هذا الوصف ولو على ادنى الوجوه منهم ومن غيرهم بسبب اتيانه من غير تمهل وقد
زال عنهم ما يفتخرون به من الانفة والحمية والشماخة والكبر لما راوا من الاهوال التي لا قبل لهم بها ولا صبر عليها ربنا اي ايها
المحسن الينا بالخلق والرزق والتربية اخرنا اي امهلنا الى اجل قريب فانك ان تؤخرنا اليه نجب دعوتك اي استدراكا لما
فرطنا فيه والاجابة القطع على موافقة الداعي بالارادة ونتبع اي بغاية الرغبة الرسل فيقال لهم ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر
الم تكونوا تقولون ان عرى صبركم لا تنحل وحد عزائمكم لا يفل اولم تكونوا اي كونا انتم فيه في غاية المكنة اقسمتم اي جهلا وسفها
او اشرا وبطرا ولما لم يكن وقت اقسامهم مستغرقا للزمان قال من قبل وبين الجواب المقسم عليه بقوله حاكيا معنى قولهم
لا لفظه ليكون صريحا في المراد من غير احتمال لتعنت لو قيل ما لنا ما لكم واكد النفي فقال من زوال عما انتم عليه من الكفران وعدم
الاذعان للايمان او من هذه الدار الى الدار الآخرة او من منازلكم التي انتم بها كناية عن ثبات الامر وعدم المبالاة بالمخالف كائنا
من كان والحال انكم سكنتم اي في الدنيا في مساكن الذين ظلموا اي بوضع الاشياء في غير مواضعها كما فعلتم انتم انفسهم فاحلوا قومهم
مثلكم دار البوار وتبين اي غاية البيان لكم بالخبر والمشاهدة ولما كان حال احدهم في غاية العجب نبه بالاستفهام على انه اهل
لان يسئل عنه فقال كيف فعلنا اي على عظمتنا بهم حين انتقمنا منهم فلم يعتبروا باحوالهم وضربنا اي على ما لنا من العظمة لكم
الامثال المبينة ان سنة الله جرت ولن تجد لسنة الله تبديلا ان الظالمين كما جمعهم اسم الظلم جمعهم ميسم الهلاك فجمعنا لكم بين
طريقي الاعتبار السمع والبصر ثم لم تنتفعوا بشيء منهما والحال انه بان لكم انهم حين فعلنا بهم ما فعلنا قد مكروا مكرهم اي الشديد
العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم بحيث لم يبق لهم مكر غيره في تاييد الكفر وابطال الحق والمكر الفتل الى الضرر على وجه الحيلة
والحال انه عند الله اي المحيط علما وقدرة مكرهم هو وحده به عالم من جميع وجوهه وان دق وعلى ابطاله قادر وان جل
وان كان مكرهم من القوة والضخامة لتزول اي لاجل ان تزول منه الجبال والتقدير على قراءة فتح اللام الاولى ورفع الثانية وان
كان بحيث انه تزول منه الجبال والمعنيان متقاربان وقيل ان نافية واللام لتاكيد النفي والجبال الآيات والشرائع بل هي اثبت
ولما تقرر ذلك من علمه سبحانه وقدرته تسبب عنه ان يقال وهو كما تقدم في ان المراد الامة لبلوغ الامر منهم كل مبلغ خوطب
به الراس ليكون اوقع في قلوبهم فلا تحسبن الله اي الذي له الكمال كله فان من ظن ذلك كان ناقص العقل مخلف وعده رسله في انه
يعز اولياءه ويذل اعداءه ويهلكهم لظلمهم ويسكن اولياءه الارض من بعدهم ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لان كثرة المخالفين وقولهم على
تمادي الايام تعرض السامع للانكار ان الله اي ذا الجلال والاكرام عزيز اي يقدر ولا يقدر عليه ذو انتقام ممن يخالف امره
ولما تقررت عظمة ذلك اليوم الذي تشخص فيه الابصار وكان اعظم يوم يظهر فيه الانتقام بينه بقوله يوم تبدل اي تبديلا
غريبا عظيما الارض اي هذا الجنس غير الارض التي تعرفونها والسموات بعد انتثار كواكبها وانفطارها وغير ذلك من شؤونها
والتبديل تغيير الشيء او صفته الى بدل وبرزوا اي الظالمون الذين كانوا يقولون انهم لا يعرضون على الله للحساب والبروز ظهور
الشخص مما كان متلبسا به لله اي الذي له صفات الكمال الواحد الذي لا شريك له القهار الذي لا يدافعه شيء عن مراده فصاروا
بذلك البروز بحيث لا يشكون انه لا تخفى منهم خافية واما المؤمنون فلم يزالوا يعلمون ذلك روى مسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها
قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض الآية قلت يرسول الله اين يكون الناس يومئذ قال
على الصراط ولما ذكر بروزهم ذكر حالهم في ذلك البروز فقال وترى المجرمين اي وتراهم ولكنه اظهر ليعدد صفاتهم التي اوجبت
لهم الخزي والاجرام قطع ما يجوز من العمل بفعل ما لا يجوز يومئذ اي اذ كانت هذه الامور العظام مقرنين اي مجموعا كل منهم الى
نظيره او مجموعة ايديهم الى اعناقهم جمعا فيه شدة وضيق في الاصفاد اي القيود والمراد هنا الاغلال اي السلاسل التي تجمع
الايدي فيها الى الاعناق ويقرنون فيها مع اشكالهم ثم بين لباسهم بقوله سرابيلهم اي قمصهم السابغة من قطران وهو ما تهنأ به
الابل ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وهو اسود اللون منتن الريح ولما كان هذا اللباس مع نتنه وفظاعته شديد
الانفعال بالنار بين انه يسلطها عليهم فقال وتغشى ولما كان الوجه اشرف ما في الحيوان فاهانته اهانة عظيمة لصاحبه ذكره
وقدمه تعجيلا لافهام الاهانة فقال وجوههم النار اي تعلوها باشتعالها فعلم انه يلزم من غشيانها لها اضطرامها فيما ضمخ بالقطران
من باب الاولى ثم بين علة هذه الافعال في ذلك اليوم فقال معبرا بالجزاء والكسب الذي محطه التكليف وطن النفع لاقتضاء
سياق القهر لهما ليجزي الله اي الذي له الكمال كله كل نفس طائعة او عاصية ولما عظم الامر باسناد الجزاء الى الاسم الاعظم الجامع
لجميع صفات الكمال اقتضى ذلك ان يكون نفس الكسب هو الجزاء لان ذلك ابدع وادق في الصنع وابرع بان يصور بما يحق من
الصور المليحة عند ارادة الثواب والقبيحة عند ارادة العقاب فلذلك اسقط الباء التي ستذكر في حم المؤمن وقال
ما كسبت والجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه من خير او شر والكسب فعل ما يستجلب به نفع او يستدفع به ضر وممن جزاء المؤمن
عقوبة من عاداه في الله ولما كان حساب كل نفس جديرا بان يستعظم قال ان الله اي الذي له الاحاطة المطلقة سريع
الحساب اي لا يشغله حساب نفس عن حساب اخرى ولا شان عن شان ولما اشتملت هذه السورة على ما قرع سمعك من
هذه المواعظ والامثال والحكم التي ابكمت البلغاء واخرست الفصحاء وبهرت العقول ترجمها سبحانه بما يصلح عنوانا لجميع
القرآن فقال هذا اي الكتاب الذي يخرج الناس من الظلمات الى النور بلاغ اي كاف غاية الكفاية في الايصال للناس ليصلوا
به الى الله بما يتحلون به من المزايا في سلوك صراطه القويم فان مادة بلغ باي ترتيب كان تدور على الوصول وتارة تلزمها
القوة وتارة الاعياء الناشئ عن الضعف بلغ المكان بلوغا وصل اليه وبلغ كعني جهد والبليغ الفصيح يبلغ بعبارته كنه

مادة بلغ

ضميره والبلاغ كسحاب الكفاية لانها توصل الى القصد وبالغ مبالغة اذا اجتهد ولم يقصر وتبلغت به العلة اشتدت
والغلباء الحديقة المتكاثفة ومن القبائل العزيزة الممتنعة والاغلب الاسد ولغب اعيى لاجتهاده في البلوغ واللغب ما بين
الثنايا من اللحم واللغب ككتف الكلام الفاسد يرجع الى الاعياء وكذا الضعيف الاحمق والسهم الذي لم يحسن بريه كاللعاب
بالضم والتلعب طول الطرد والبغل من اشد الحيوان وابلغها للقصد وبغل تبغيلا بلد واعيى والابل مشت بين الهلجة والعنق
ولما كان متعلق البلاغ الذي قدرته بالوصول يتضمن البشارة عطف عليه النذارة بانيا للمفعول لان النافع مطلق النذارة
وكل احد متاهل لان يكون واعظا به مقبولا ان من سمعه فكانما سمعه من الله لتميزه باعجازه عن كل كلام فقال ولينذروا اي
من اي منذر كان فتقوم عليهم الحجة به فيحذروا عقاب الله فيتخلوا عن الدنايا ولما اشار الى جميع الفروع فعلا وتركا مع اشارته
الى اصل التوحيد لانه اول الوصول صرح به على حدته لجلالته في قوله وليعلموا انما هو اي الاله اله واحد فيكون همهم واحدا
ولما تمت الاشارة الى الدين اصلا وفرعا نبه على المواعظ والامثال بتذكر ما له من الايات والمصنوعات والبطش بمن خالفه
من الامم واشار الى ان ادلة الوحدانية والحشر لا تحتاج الى كبير تذكر لانها في غاية الوضوح ولا سيما بعد تنبيه الرسل فادغم
تاء التفعل فقال وليذكر اي منهم اولوا الالباب اي الصافية العقول الوافية فيفتحوا عيون بصائرهم فيعلموا انه لا وصول
لهم مع الغفلة فيلزموا المراقبة فلا يزالوا في رياض المقاربة ويعلموا بما ركز في طباعهم وجرى من عوايدهم ان اقل حكامهم
لا يرضى بان يدع رعيته يتهارجون لا ينصف بينهم ولا يجزي احدا منهم بما كسب فيكون ذلك منه انسلاخا من رتبة الحكم التي هي
خاصته فكيف يدعون ذلك في احكم الحاكمين فقد تكفلت هذه الاية على وجازتها بجميع علم الشريعة اصولا وفروعا وعلم الحقيقة
نهايات وشروعا على سبيل الاجمال وقد انطبق اخر السورة على اولها لان هذا عين الخروج من الظلمات الى النور بهذا الكتاب الحامل على كل صواب والله الموفق

سورة الحجر تسعون وتسع ايات مكية

مقصودها وصف الكتاب بانه في الذروة من الجمع للمعاني الموضحة للحق من غير اختلاف اصلا واشكل ما فيها وامثله في هذا المعنى
قصة اصحاب الحجر فان وضوح ايتهم عندهم وعند كل من شاهدها او سمع بها كوضوح ما دل عليه مقصود هذه السورة في امر الكتاب
عند جميع العرب لا سيما قريش وايضا ايتهم في غاية الايضاح للحق والجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد المقتضي للاجتماع على الداعي ومن
هنا يتضح ويتايد ما اخترته من الاعراب لقوله تعالى كما انزلنا على المقتسمين من تعليقي له بكانوا عنها معرضين المقتضي لشدة
الملابسة بين شانهم في كفرهم وشان قريش في مثل ذلك كما ستراه على ان لفظ الحجر يدل على ما دل عليه مقصود السورة من الجمع
والاستدارة التي روحها الاحاطة المميزة للمحاط به من غيره بلا لبس اصلا بسم الله الواحد الاحد الجامع لما ست من بدد الرحمن
الذي جمع خلقه في رحمة البيان الرحيم الذي خص الابرار بما اباحهم الرضوان لما ختم التي قبلها بعنوان الكتاب ابتدا هذه
بشرح ذلك العنوان واوله وصفه بانه جامع والخير كله في الجمع والشر كله في الفرقة فقال تعالى الر تلك اي هذه الايات العالية
المقام النفيسة المرام ايات الكتاب اي الكامل غاية الكمال الذي لا كتاب على الحقيقة غيره الجامع لجميع ما يقوم به الوجود من الخيرات
القاطع في قضايه من غير شك ولا تردد الغالب باحكامه القاهرة في وعده ووعيده واحكامه في اعجازه لجميع من يعانده ○
ولما كان الغالب في هذه السورة القطع الذي هو من لوازم الكتاب قدمه وذلك انه قطع بامر الاجل والملئكة وحفظ الكتاب
والرمي بالشهب وكفاية المستهزئين فكان كما قال سبحانه وايات قران اي قران جامع ناشر مفصل واصل اذ التنوين للتعظيم مبين
لجميع ما يجمع الهم على الله فيوصل الى السعادة وهذه الابانة التي لم تدع لبسا هو متصف بها كونه جامعا للاصول ناشرا للفروع
لا خلل فيه يدخل منه عليه ولا فصم يوتى منه اليه فاعجب لامر حاو لجمع وفرق وفصل ووصل والابانة اظهار المعنى للنفس بما يميزه
عن غيره لان اصل الابانة الفصل فهذا شرح كونه بلاغا فمقصود هذه السورة اعتقاد كون القران بلاغا جامعا للامور
الموصلة الى الله مغنيا عن جميع الاسباب فلا ينبغي الالتفات الى شيء سواه ذرهم ياكلوا لا تمدن عينيك واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين وكان الجمع بين الوصفين الدال كل منهما على الجمع اشارة الى الرد عليهم في جعلهم القران عضين وان قولهم شديد المباعدة
لمعناه مع ان المفهومين مع تصادقهما على شيء واحد متغايران فالكتاب ما يدون في الطروس والقران ما يقرا باللسان فكان
الاول اشارة الى حفظه في الطروس بالكتابة والثاني الى حفظه في الصدور بالدراسة وسياتي قوله وانا له لحافظون
مويدا لذلك وكل من مادتي كتب وقرا بجميع التقاليب يدور على الجمع اما كتب وتقلب الى كبت وتبك وبكت وتبك فقال
في المجمل كتبت الكتاب اكتبه وهو من الجمع والكتاب ايضا الدواة تسمية للشيء باسم ما هو آلته والمكتب كمعظم المعقود اكل
بعض ما فيه تشبيها له بالمكتوب والكتيبة الجيش والجماعة المتخيرة من الخيل اذا اغارت من المائة الى الالف انتهى
وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفري رحمها بحلقة وقال القزاز واصله اي الكتاب ضمك الشيء الى الشيء فكانه سمي
بذلك لضم الحروف بعضها الى بعض وكتبت المزادة اذا خرزتها يعني فضممت بعضها الى بعض والكتبة بالضم السير يخرز به
وما يكتب به حيا ان ته ليلا ينزى عليها والاكتاب شد راس القربة والكتيبة جماعة تكتبوا اي تجمعوا وتكتب الرجل
بتقديم الموحدة اذا تقبض ومنه الكتاب بضم الكاف وتخفيف التاء الفوقانية لسهم صغير يتعلم به الصبيان الرمي كذا
قال القزاز انه مخفف وفي القاموس وزنه كرمان وزاد انه مدور الراس وكتبت الناقة تكتيبا صررتها والكتب
بطنه امسك والمكتوب الممتلي والمنتفخ ويلزم الجمع القطع والغلبة التي هي من لوازم القدرة فمن القطع الكتاب بمعنى الفرض

مادتا كتب وقرا

والحكم

والحكم والقدر والبتك القطع ولذلك قيل للسيف باتك اي قاطع ومن الغلبة والقدرة الكتاب بمعنى القدر قال ابن
الاعرابي والكاتب عندهم العالم وقال القزاز والكاتب الحافظ وهذان يرجعان ايضا الى نفس الجمع لجمع الحافظ المحفوظ والعالم
المعلوم وكبت الله العدو بتقديم الموحدة صرفه ذليلا وهو من تكبت الرجل اذا تقبض وعبارة القزاز كبت اعداءه ردهم
بغيظهم اي فانقمعوا وانجمعوا عما كانوا انتشروا له وكبت الرجل اذا صرعه على وجهه وبكته تبكيتا اذا انبه او ضربه
بعصى او سيف ونحوهما لما يلزمه من تصاغر نفسه وتقبضها واما قرأ مهموزا وينقلب الى رقأ وارق واقرو غير مهموز
يائيا وتراكيبه خمسة قري وقير ورقي وريق ويرق وواويا وتراكيبه ستة قرو وقور ورقو وروق ووقر وورق
فهو للجمع ايضا ويلزمه الامساك وربما كان عنه الانتشار فمن الجمع قراءة القرآن اي تلوته فجعلت بعض حروفه وكلماته واياته
تاليا لبعض متصلا به مجموعا معه ويلزم القراءة النسك ومنه القاري والمتقري والقراء كرمان اي الناسك ويلزم عنه
الفقه ولذا قيل تقرأ اذا تفقه وهو من الجمع نفسه ايضا لان الناسك جمع النسك الى القراءة والجمع همة والفقيه جمع الفقه
اليها قال في المجمل والقرآن من القرء وهو الجمع اي وزنا ومعنا وفي القاموس وقرا عليه السلام ابلغه كاقراه ولا يقال اقراه
الا اذا كان السلام مكتوبا وقال الزبيدي في مختصر العين وقرأت المراة قرءا اذا رات دما واقرأت اذا حاضت فهي مقري
انتهى فكانه عبر بذلك عند رؤية الدم لانه لا يعرف ان المراة جمعته الا برؤيته وهو من الانتشار الذي قد يلزم الجمع او يكون
فعل هنا للازالة فمعناه ازالت امساك الدم كما ان هذا معنى اقرأت فان فعل لخفته وكثرة دوره يتصرف في معاني جميع الابواب
وقال في المجمل واقرأت المراة خرجت من طهر الى حيض او حيض الى طهر قلت فالاول يكون فيه افعل للازالة والثاني للدخول
في الشيء كما تقول اتهم الرجل وانجد اذا دخل في تهامة او نجد قال والقرء وقت يكون للطهر مرة وللحيض مرة قلت فالاول
للجمع نفسه والثاني لانه دليل الجمع قال والجمع قروء ويقال القروء هو الطهر وذلك ان المراة الطاهر كان الدم اجتمع وامتسك
في بدنها فهو من قريت الماء وقري الاكل الطعام في شدقه وقد يختلف اللفظان فيهمز احدهما ولا يهمز الآخر والمعنى واحد اذا كان
الاصل واحدا وقوم يذهبون الى ان القرء الحيض وفي القاموس والقرء بضم الحيض والطهر ضد وقد تقدم تخريج
ذلك والوقت لانه جامع لما فيه والقافية لانها جامعة لشمل الابيات جمعه اقرا وقروء وجمع الحيض اقرا وكان العلة في ذلك
انه لما كان جمع الكثرة هو الاصل في الجمع لان المراد بالجمع نفسه الكثرة فكلما كان اكثر كان به اجدر لما كان كذلك وكان القرء بمعنى
الطهر هو الاصل في مدلول الجمع كان احق بجمع الكثرة الذي هو اعرق في الجمع ولما كان القرء بمعنى الحيض فرعا كان له جمع القلة
الذي هو فرع في باب الجمع واقرأت حاضت وطهرت واقرأت الرياح هبت لوقتها لان هبوبها دال على اجتماعها كظهور دم
الحيض وقرأ الشيء جمعه وضمه والحامل ولدت لان ظهور الولد هو المحقق لجمعها اياه في بطنها واقرأ رجع ودنا واخر واستاخر
وغاب وانصرف وتنسك كتقرأ بعضه للايجاب وبعضه للسلب والمقراة كمعظمة التي ينتظر بها انقضاء اقرائها وقد قريت
حبست لذلك واقراء الشعر انواعه وانحاؤه لانها جامعة للاجزاء والقراة بالكسر الوبا لجمعه الهم واستقرأ الجمل الناقة
باركها لينظر القحت ام لا من التتبع والسبر وهو بمعنى جمع الادلة وقرأت الناقة اذا حملت فهي قاري اي جمعت في بطنها ولدا
واقرأت اذا استقر الماء في رحمها ومن الامساك رقأ الدم والدمع رقوءا اذا انقطعا قال ابو زيد والرقوء اي بالفتح ما
يوضع على الدم فيسكن ورقا بينهم اصلح وافسد وفي الدرجة صعد وهي المرقاة وتكسر ورقا العرق ارتفع منه ما هو بمعنى
الجمع ومنه ما هو بمعنى الانتشار والعلق الذي ربما لزماه ومن الامساك الارق وهو السهر لانه يمسك النوم والارقان
دود يكون في الزرع فكانه يوجب الهم الذي يكون عند الارق ويمكن ان يكون من الانتشار الذي ربما يلزم الجمع ويمكن ان
يكون من الجمع نفسه لانه يجمع الهم والله اعلم وفي القاموس والارقان بالكسر شجر احمر والحناء والزعفران ودم الاخوين كانه
سبب للعكوف عليه بالاسترواح اليه او انه يجمع بصبغه لونا الى لون والارقان ايضا آفة تصيب الزرع والناس كالارقان
محركة وبكسرتين وبفتح الهمزة وضم الراء والارق والارقان بفتحهما والاراق كغراب واليرقان محركة وهذه اشهر داء يتغير
منه لون البدن فاحشا الى صفرة او سواد كان ذلك لما كان سبب الارق كان هو الارق البليغ وزرع ماروق وميروق
مؤوف والاقر بضمتين واد واسع مملوء حمضا ومياها وهو واضح في معنى الجمع وقد مضى من هذه المادة جملة في آخر سورة
يوسف عليه السلام عند قوله تعالى الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى وتاتي بقيتها ان شاء الله تعالى في سورة سبحان عند قوله
تعالى وفي اذانهم وقرا ولما وصف سبحانه هذا القرآن بما وصفه من العظمة والابانة لجميع المقاصد التي منها سؤال الكفرة
عند رؤية العذاب التاخير للطاعة في قوله تعالى وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب كان كانه قيل ما له لم يبين للكفرة سوء عاقبتهم
بيانا يردهم فقال سبحانه باسطا لقوله ولينذروا به ربما يود اشار تعالى بكونه مضارعا الى ان ودهم لذلك يكون كثيرا
جدا متكررا وابلاؤه لربما وانما يليها في الاغلب الماضي معلم بانه مقطوع به كما يقطع بالماضي الذي تحقق ووقع الذين كفروا
اي ولو وقتا ما والود التمني وهو تقدير المعنى في النفس للاستمتاع واظهار ميل الطباع اليه وفيه اشتراك بين التمني
والحب قاله الرماني وهو هنا للتمني فانه بين مودودهم بقوله لو كانوا اي كونا جبليا مسلمين اي عريقين في وصف الاسلام
من اول امرهم الى آخره قال الرماني والاسلام اعطاء الشيء على حال سلامة كاسلام الثوب الى من يقصره واسلام الصبي الى
من يعلمه فالاسلام الذي هو الايمان اعطاء معنى الحق في الدين بالاقرار والعمل به انتهى وقد كان ما اخبر الله به فقد ندم كل من
اسلم من الصحابة على تاخير اسلامه لما علموا فضل الاسلام وراوا فضائل السابقين كما هو مذكور في السير وفتوح البلدان وسيكون

ما شاء الله من ذلك في اليمة وما قبلها فالمعنى انكم ان كذبتم في القطع في نحو قوله فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الآية بانكم ترجعون
عن هذا الشيم وتتبرأون من هذه السجايا والشيم فتسلون في الطاعة وقد فات الفوت بحلول حادثة الموت الى غير خلف فلا اقل من ان يكون
عندكم شك في الامور التي يجوز كونها ولا ينبغي حينئذ للعاقل ترك الاهتمام بالاستعداد على تقدير هذا الاحتمال هذا اعني التقليل مدلول
رب وقال بعضهم انها قد ترد للتكثير وقال الجمال بن هشام في كتابه المغني انه اغلب احوالها واستدل بشواهد لا تذل عند التامل
ولا يصح قول من نسبا الى الكشاف ذلك فان كلامه ماخوذ من الزجاج وعبارة الزجاج كما نقلها الامام جمال الدين محمد بن المكرم في كتابه لسان
العرب ومن خطه نقلت من قال ان رب يعني بها التكثير فهو ضد ما تعرفه العرب فان قال قائل فلم جاءت في قوله ربما يود الذين
كفروا وربت للتقليل فالجواب ان العرب خوطبت بما تعلمه في النادر والرجل يهدد الرجل فيقول لعلك ستندم على فعلك وهو لا يشك
انه يندم ويقول ربما ندم الانسان على ما صنعت وهو يعلم ان الانسان يندم كثيرا ولكن مجاز ان هذا الوكان مما يود في حال واحدة من احوال
العذاب او كان الانسان يخاف ان يندم على الشيء الوجب عليه اجتنابه والدليل انه على معنى التهديد قوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا انتهى
فقد علم من هذا انهم يطلقونها بمعنى القلة فيما يعلمون انه كثير ارخاء للعنان وتنبيها على وجوب الاخذ بالاحوط وذلك واقع في التهديد
وفرق كبير بين ما يعلم انه كثير من امر خارج عن العبارة المخبر بها عنه وبين ما تعرف كثرته من تلك العبارة وزيدت ما فيها تاكيدا من حيث
انها تفهم ان الامر لا يكون الا كذلك ولتهيئتها لمجيء الفعل بعدها قال الامام ابو حيان والظاهر ان ما في ربت مهيئة وذلك انها من حيث هي
حرف جر لها خلاف فيه لا يليها الا اسما مجرورا بها مهيئة لمجيء الفعل بعدها وعلى كثرة مجيء ربت في كلام العرب لم يجيء في القرآن الا في هذا الموضع
انتهى ودخلت ههنا على المضارع وهي للماضي كانه لصدق الوعد كانه عيان قد كان او كان ما اذا الحقتها موقت دخولها على المستقبل
كما تدخل على المعرفة قاله الرماني ولما طرق لهم سبحانه الاحتمال كان كانه قيل هل جوزوه فاخذوا في الاستعداد فقيل بل استمروا
على عنادهم فقال ستانفا ملتفتا الى ما اشار اليه في اول سورة ابرهيم في قوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة من المانع
لهم عن الاذعان ذرهم يا اعز الخلق عندنا كالبهائم ياكلوا ويتمتعوا والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالا بعد حال كالتقرب في انه
طلب القرب حالا بعد حال ويلههم اي يشغلهم عن اخذ حظهم من السعادة الامل اي رجاؤهم طول العمر وبلوغ ما يقدرون انهم من الملاذ
من غير سبب يهيئ لذلك ولما كان هذا امرا لا يشتغل به الا احمق سبب عنه التهديد بقوله فسوف يعلمون اي ما يحل بهم بعد ما
فسحنا لهم من زمن التمتع وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما تقدم من وعيد الكفار ما تضمنه الآي المختتم بها سورة
ابرهيم من لدن قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الى خاتمتها اعقب ذلك بقوله ربما يود الذين كفروا لو
كانوا مسلمين عند مشاهدة تلك الاهوال الجلايل ثم قال تعالى تاكيدا لذلك الوعيد ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون ثم اعقب تعالى هذا ببيان ما جعله سنة في عباده من ارتباط الثواب والعقاب بمحله وموجله باوقات واحيان لا انفكاك
لها عنها ولا تقدم ولا تاخر اذا استجمال البطش في الغالب انما يكون ممن يخاف الفوت والعالم بجملتهم له تعالى وفي قبضته لا يفوته
احد منهم ولا يعجزه وقال تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وكان هذا ايذانا ايضا بقوله عز وجل انما نؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار وقوله وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب وقوله يوم تبدل الارض غير الارض الآية وتامل نزول
قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين على هذا وعظيم موقعه في اتصاله به ووضوح ذلك كله واما افتتاح السورة
بقوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين فاحالة على امرين واضحين احدهما ما نبه به سبحانه من الدلايل والايات كما يفتتر
والثاني ما بينه القران المجيد واوضحه وانطوى عليه من الدلايل والغيوب والوعد والوعيد وتصديق بعض ذلك بعضا
فكيف لا يكون المتوعد به في قوة الواقع المشاهد لشدة البيان في صحة الوقوع فالعجب من التوقف والتكذيب ثم اعقب هذا بقوله
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين انتهى ولما عدد وا باية التمتع والهاء الامل وكان من المعلوم جدا من احوالهم الاستعجال
بالعذاب تكذيبا واستهزاء كان الكلام في قوة ان يقال فقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر عجل لنا ما تتوعدنا به وكان هذا
غايظا موجعا حاملا على تمني سرعة الايقاع بهم فقيل في الجواب ان لهم اجلا بكتاب معلوم لا بد من بلوغهم له لان المتوعد لا يخاف الفوت
فهو يمهل ولا يهمل لانه لا يدا لقول لديه فليستعدوا فان الامر غيب فما من لحظة الا وهي صالحة لان يتوقع فيها العذاب فانا
لا نهلكهم الا اذا بلغوا كتابهم المعلوم وما جعلنا هذا خاصا بهم بل هو عادتنا ما اهلكنا اي على ما لنا من العظمة والاكد النفي فقال
من قرية اي من القرى ولما كان السياق للاهلاك واستعجالهم واستهزايهم به وكان تقديره سبحانه وكنته من عالم الغيب اقتضى
الحال التاكيد بما يدل على انه محتوم مفروغ منه سابق تقديره على زمن الاهلاك فاتى بالواو لانا الحال بدون الواو كالجزء من سابقها
كالخبر والنعت الذي لا يتم المعنى بدونه والتي بالواو هي زيادة في الخبر السابق ولذلك احتيج الى الربط بالواو كما يربط بها في العطف
فقال الا ولها اي والحال انه لها في الاهلاك او اهلاكها كتاب معلوم اي اجل مضروب مكتوب في اللوح المحفوظ او يكون التقدير فسوف
يعلمون اذا جاءهم العذاب في الاجل الذي كتبناه لهم هل يبودون الاسلام ام لا ثم بين الآية السابقة بقوله ما تسبق واكد الاستغراق
بقوله من امة وبين ان المراد بالكتاب الاجل بقوله اجلها اي الذي قدرناه لها وما يستاخرون اي عنه شيئا من الاشياء ولم يقل
تستاخر حملا على اللفظ كالماضي ليلا يصرفوه الى خطابه صلى الله عليه وسلم تعنتا ثم لما اجابهم بهذا الجواب الدال على تمام القدرة
وكمال العلم الدالين على الوحدانية عطف على ما تقدم انه في قوة الملفوظ قوله دالا على تركهم الجواب الى التعنت والسفه وقالوا
اي لم يجوزوا انهم يبودون ذلك بل استمروا على العناد وقالوا يا ايها الذي ولما كان تكذيبهم باستنزيل غشه بني للمفعول قوله
نزل عليه اي بزعمه الذكر وبينوا انهم ما سموه تنزيلا الا تهكما فقالوا مؤكدين لمعرفتهم بان قولهم منكرا انك لمجنون اي بسبب

صك

ادعآيك ان الله انزل عليك ذكرًا والذي تراه جني يلقي اليك تخليطا فكان هذا دليلا على عنادهم فانهم اقاموا الشئ مقام الجواب بما مضى صنعة المغلوب المقطوع في المناظرة ثم ابتعوه ما زعموا انه دليل على قولهم فقالوا لو ما تاتينا بالملئكة دليلا على صدقك اما للشهادة لك واما لاهلاك من خالفك ان كنت اي جملة وطبقا من الصادقين فيما تقول اي ما وجه اختصاص نزول الملئكة عليك ورؤيتك ايانا وانت مثلنا في الانسانية والنسب والبلد هذا بعد ان قامت على صدقه الادلة القاطعة والبراهين الساطعة التي اعظمها القرآن الداعي لهم الى المبارزة كل حين فلما عجزت عن المساجلة كل وقت ولما كان في قولهم امران اجاب عن كل منهما على طريق الاستيناف على تقدير سؤال من كانه قال بماذا اجابهم فقيل اجاب عن الثاني لانه اقرب بقوله ما ننزل الملئكة اي هذا النوع الا تنزيلا متلبسا بالحق اي بسبب عمل الامر الثابت وهو معنى ما قال البخاري في كتاب التوحيد قال مجاهد بالرسالة والعذاب اما على الرسل فبالحق من الوحي والاداء واما على المنذرين فبالحق من الاهلاك والنجاة فلو نزلوا عليهم كما اقترحوا لقضي الامر بينك وبينهم فهلكوا وما كانوا اي الكفار اذا اي اذ تاتيهم الملئكة منظرين اي حاصلا لهم الانظار على تقدير من التقادير لان الامر الثابت يلزمه نجاة الطايع وهلاك العاصي في الحال من غير امهال وكان حينئذ يفوت ما قضينا به من تاخيرهم واخراج من اردنا ايمانه من اصلابهم واجاب سبحانه عن الاول بقوله موكدا لتكذيبهم انا نحن اي على ما لنا من العظمة لا غيرنا من جن ولا انس نزلنا اي بالتدريج على لسان جبريل عليه السلام الذكر اي الموعظة والشرف وانا له اي بعظمتنا وان رغمت انوف الحاسدين لحافظون اي دايما بقدرتنا وعلمنا لما في سورة هود من ان ذلك لازم للحفظ فانتفى حينئذ جواز ان ينزل على مجنون مخلط لا سيما وهو على هذه الاساليب البديعة والمناهج الرفيعة فكان المعنى ارسلناك به حال كونك بشرا لا ملكا قويا سويا يعلمون انك اكملهم عقلا واعلاهم همة واثقبهم فكرا واتقنهم امرا واوثقهم راياً واصلبهم عن همة روى البخاري في التفسير والفتن عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال ارسل الي ابو بكر رضي الله عنه مقتل اهل اليمامة وعنده عمر رضي الله عنه فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وفي رواية بقراء القرآن واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن الا ان تجمعوه واني لارى ان تجمع القرآن قال ابو بكر فقلت لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورايت الذي راى عمر قال زيد بن ثابت وعمر جالس عنده لا يتكلم فقال ابو بكر انك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان انقل علي مما امرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم ازل اراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر ابي بكر وعمر ففعلت فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة او ابي خزيمة الانصاري لم اجدها اي مكتوبتين عند احد غيره لقد جاكم رسول من انفسكم الى آخرها وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم وساق هذا الاثر ايضا في فضائل القرآن وروى بعده عن انس رضي الله عنه ان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم على عثمان رضي الله عنه وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة رضي الله عنه اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما يا امير المومنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة رضي الله عنها ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في ثم نردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمن فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمن رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلثة اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمن الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سواه من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق وله عن خارجة بن زيد بن ثابت انه سمع زيد بن ثابت رضي الله عنه قال لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الاحزاب كنت كثيرا اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها فما اجدها مع احد الا مع خزيمة الانصاري وفي رواية فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الذي جعل رسول الله شهادته بشهادة رجلين من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف وفي الاثر الاول دلالة على انه كان لما امره الصديق رضي الله عنه لا يكتب شيئا الا اذا وجد ما كان قد كتب منه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وامره وقابله مع ذلك على المحفوظ في صدور الرجال وفي الاخير دليل من قوله نسخنا الصحف في المصاحف الى آخره انه لعاد المتتبع كما فعل اولا ليصح قوله فقدت آية من سورة الاحزاب كان افتقادها من فرع العلم وان ابعد ان يكون سمع النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا يقراوها ولا يحفظها ولا سيما وهو مذكور فيمن جمع القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري من غير وجه عن انس رضي الله عنه والظاهر من مثل هذا التتبع الذي لا يجوز لمن مارس امثال هذه الامم ان يفهم غير ان يكون لا ينقل آية الا اذا وجد من حفاظها على حسب ما في مكتوبة عدد التواتر والله اعلم ولما كان هذا الكلام الذي قالوه عليه صلى الله عليه وسلم شاقا وله غائظا موجعا قال سبحانه تسلية له على وجه زاد عليهم ولقد ارسلنا اي على ما لنا من العظمة والجلال والعصمة ولما كان الارسال بالفعل غير عام الزمان كله قال من قبلك اي كثيرا من الرسل في شيع اي فرق سموا شيعا لمتابعة بعضهم بعضا في الاحوال التي يجمعونه عليها في الزمن الواحد من مملكة او عمارة او ديانة او نحو ذلك من الامور الجارية في العادة الاولين كلهم فما ارسلنا الا رجالا من اهل القرى مثلك يوحى اليهم

ولم نرسل مع احد منهم ملئكة تراها اعينهم بل حملنا كاشفة الملئكة امرا خاصا بالرسل فكذبوا رسلهم وما يأتيهم عبر بالمضارع تصويرا
للحال اية اتانا بما يوجب من الغضب فان ما يحصل المضارع حالا والماضي قريبا منه واكد النفي فقال من رسول اي على اي وجه كان الا كانوا
به اي جملة وطبقا يستهزؤن مكررين لذلك دايما فكانوا يواصلون بمثل هذا ولم ينقص هذا من عظمتنا شيا فلا تبتئس عما يفعلون بك
والاستهزاء في الاصل طلب الهزء والمراد به هنا والله اعلم الهزء وهو اظهار ما يقصد به العيب على ايهام المدح كاللعب والسخرية ولعله
عبر عنه بالسين المنبهة للطلب اشارة الى ان رغبتهم فيه لا تنقضي كما هو شان الطالب للشيء مع انهم لا يقعون على مرادهم في حق اهل الله؟
اصلا لانهم لا يفعلون من ذلك فعلا الا كان ظاهرا البعد عما يريدون للظهور ما يدعوا اليه حزب الله وثباته فكانوا لذلك كطالب عالم
يتبع واغا كان الناس الى ما يوجبه الجهل من الاستهزاء ونحوه اسرع منهم الى ما يوجبه العلم من الاخذ بالحزم والنظر في عواقب
ما في ذلك من تعجيل الراحة واللذة واسقاط الكلفة بادنى النفس لانقيادها من جاد الى جاد كما قاله الرماني ولما كانت قلوب اهل
الضلال موصوفة بالضيق والحرج كان الداخل اليها لا يدخل الا بغاية العسر فلذلك قال جوابا لمن كانه قال اهذا خاص بهؤلاء فقيل لا
بل كذلك اي مثل هذا السلك العجيب الشان وعبر بالمضارع الدال على التجدد على الاستمرار لاقتضاء المقام له كما تقدم في اولها فقال
نسلكه؟ اي الذكر في قلوب المجرمين اي العريقين في الاجرام في كل زمن كما يسلك الخيط والرمح ونحوه فيما ينظم فيه من مخيط وغيره بغاية
العسر فلا يتسع له المحل فلا ينفع حال كونهم لا يؤمنون به لشيء من الاشياء لان صدورهم لا تنشرح له كما رايت سنتنا بذلك في قومك
وقد خلت اي مضت من قبل هذا سنة اي طريقة الاولين بذلك ونحن قادرون على فعل ما نريد من تلك السنة بهذه الامة من اهلاك
وتيسير ايمان وغير ذلك فهو ناظر الى قوله وقرآن مبين والغرض بيان انه تعالى يعمي بعض الابصار عن الجلي ويبصر بعض بالخفي
اظهارا للقدرة والاختيار بانفاذ الامر على خلاف القياس ولما اخبر بهذه الاسرار منبئة عن احوالهم وكانت النفس امدا شيء
طلبا لقطع حجة المتعنت باجابة سؤله قال تعالى مخبرا بتحقيق ما ختم به من انهم لا يؤمنون للخوارق ولو راوا اعجب من الاتيان بالملئكة
ولو فتحنا اي بما لنا من العظمة عليهم اي على من قال لولا تاتينا بالملئكة بابا بينا لبست عظمتنا من السماء واشار الى ان ذلك حالهم
ولو كانوا في اجلى الاوقات وهو النهار بقوله فظلوا اي الكفار فيه اي ذلك الباب العالي يعرجون اي يصعدون ماشين في الصعود
مشية العرج لقالوا عنادا او ابعادا عن الايمان انما سكرت اي سدت وغشيت ابصارنا اي حتى ظننا ما ليس بواقع واقعا
بل نحن قوم اي وان كان لنا غاية القوة على ما نريد محاولته مسحورون اي ثابت وقوع السحر علينا حتى صرنا نرى الاشياء على خلاف
ما هي عليه ونثبت ما لا حقيقة له والسكر السد بادخال اللطيف في المسام فيمنع الشيء كمال ما كان عليه ومنه السكر بالشراب
والسحر حيلة خفية توهم معنى المعجزة من غير حقيقة ولما ذكر هذه الآية السماوية على سبيل الفرض في الجواب عن انكارهم النبوة
دليلا على مردهم على الكفر وكان من المعلوم ان ثبوت النبوة مترتب على ثبوت الوحدانية توقع السامع الفهم لاخبار عماله تعالى
من الآيات المحققة الوجود المشاعرة الدالة على قدرته فاتبعها بذلك استدلالا على وحدانيته بما له من المصنوعات شرحا لقوله
وليعلموا انما هو اله واحد ودليلا على عدم ايمانهم بالخوارق وابتدا بالسماويات لظهورها لكل احد وشرفها وظهور انها من الخوارق
بعدم ملابستها والوصول اليها فقال مفتتحا بحرف التوقع ولقد جعلنا اي بما لنا من العظمة التي لا يقدر عليها سوانا مما مونق عن
فتح باب ونحوه في السماء بروجا اي منازل للقمر جمع برج وهو في الاصل القصر العالي اولها الحمل واخرها الحوت سميت بذلك لانها لكواكب
السيارة كالمنازل لسكانها وهي مختلفة الطبايع فسير الشمس والقمر بكل منها يؤثر ما لا يؤثره الآخر فاختلافها في ذلك مع ان نسبتها
الى السماء واحدة دليل على الفاعل المختار الواحد والعرب اعرف الناس بها وباختلافها ومادة برج بكل تقليبه تدور على الظهور
الملزوم للعلو الملزوم للقوة وقد يغرط فيلزمه الضعف ممن مطلق الظهور ومنه تبرج المراة اذا اظهرت محاسنها والتبرج بنيان العلو والتبرج الوادي لظهوره والجريب مكيال اربعة اقفزة وجريب الارض معروف
وهو مساحة مربعة كل جانب منها ستون ذراعا ومنه الجراب لوعاء من جلود والجوبة للفلاة للرجل لانها ظاهرة بالنسبة الى ما
فيها وكذا الجربان لغلاف السيف وجراب البلوط جوفها والارجاب الامعاء شبهها بالجراب والبارجة سفينة من سفن البحر تتخذ
للقتال والبجرة كل عقدة في البطن والعجرة كل عقدة في الجسد والبحرة السرة الناتئة ومنه البعير عظيما ولا والبجر
والبجري الامر العظيم وجاء فلان بالبجار وهي الداهية وفيه ما جمع الى الظهور القوة ومن ذلك رجب اسم شهر ورجبت الرجل
عظمته والرجبة من وصف الادوية والرجب الحياء والعفو والرجيا الهيبة والمحجوب الذي بلي سنام آبد ورجبت النخل
ترجيبا بنيت من جانبها بناء لئلا يسقط والجبر خلاف الكسر والملك لوجود الجبر به لقوته وجبرت العظم والجبان ما يوضع
على الكسر لينجبر وجبرت الرجل احسنت اليه واجبرته ضممته الى ما يريد واجبرته على كذا قهرته عليه اي ازلت جبره والجبرية
العانة من الحمير وهي ايضا الاتان والجبار من الناس والنخل الطويل الفتي والجبار اسم من اسماء الله تعالى والجبار كل عات
وكل ما فات اليد والعظيم القوي الطويل والملك الذي لا يرى لاحد عليه حقا والمتجبر الاسد وجبار بالضم مخففا يوم الثلثا
لانا الله تعالى خلق بالكون فيه كما في الصحيح ومن الضعف الجبار بالضم مخففا وهو القدر من الدماء والحروب وغيرها وقد
يكون من جبر الكسر لانه لجبر به المنذر عنه وقوي به واحسن اليه وكل ما افسد واهلك فهو جبار كانه شبه بالجبين الذي تفسد
لاصلاح الكسر والجبر العبد لضعفه واحتياجه الى التقوية ومن الضعف ايضا الجرب بالنسبة الى من نحل به وهو من التقوى؟

بالنسبة الى نفسه ومن الظهور والانتشار ايضا والجرباء السماء تشبيها بالاجرب وارض جرباء مقحوطة والتربج التحير
والدوبج درهم صغير قال الزبيدي وهو دخيل ومادة جبر منها بخصوص ترتيبها تدور على النفع وتارة تنظر الى ما يلزمه
من عدم الضر مثل الجبار بالضم مخففا لما هدر وتارة ينظر الى ما يلزم النفع من التكبر والقهر ولما ذكر البروج وصف سبحانه
السماء المشتملة عليها فقال وزيناها اي السماء لانها المحدث عنه بالكواكب للناظرين اي لكل من له اهبة النظر في دلائل
الوحدانية لا عائق له عن معرفة ذلك الا عدم صرفه النظر اليه بالبصر او بالبصيرة وحفظناها اي بما لنا من العظمة من كل
شيطان اي بعيد من الخير محترق رجيم مستحق للرجم وهو رمي الشيء بالاعتماد من غير آلة مهياة للاصابة كالقوس فانها للرمي لا
للرجم ومستحق للشتم لانه قوال بالظن وما لا حقيقة له الا من استرق السمع منهم فانا لم نرد تمام الحفظ منه فاتبعه اي تبعه تبع
من هو جاث لنفسه سابق لها شهاب وهو عمود من نور يمتد بشدة ضيائه كالنار مبين يراه من فيه اهلية الرؤية حين يرجم به
روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها
خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان ينفذه ذلك فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو
العلي الكبير فيسمعها مسترقي السمع ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف سفين بيده ففرج بين اصابعه اليمنى نصبها
بعضها فوق بعض فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه وربما قال سفين حتى ينتهي الى الارض فيلقى على فم
الساحر فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون الم يخبرنا يوم كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء قال المفسرون
كانت الشياطين لا تحجب عن السموات فيلقون ما يسمعون فيها الى الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد
محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها هكذا رايت ولد ولعله بعث فان في الصحيح ان الذي منعهم نزول القرآن ولما ذكر
آية السماء ثنى بآية الارض فقال والارض مددناها اي بما لنا من العظمة في الابعاد الثلثة الطول والعرض والعمق على الماء
والقينا اي بعظمتنا فيها اي في الارض جبالا رواسي اي ثوابت لئلا تميل باهلها ولتكون لهم علامات ثم نبه على احياء الموتى بما انعم
به في الارض بقياس جلي بقوله فانبتنا فيها اي الارض ولا سيما الجبال بقوتنا الباهرة من كل شيء موزون اي مقدر على مقتضى
الحكمة من المعادن والنبات وجعلنا لكم اي انعاما منا عليكم فيها معايش وهي بياء صريحة من غير مد جمع معيشة وهي ما يحصل به
العيش من المطاعم والملابس والمعادن وغيرها ومن لستم اي ايها الاقوياء الرؤساء له برازقين مثلكم في ذلك جعلنا له فيها معايش
من العيال والخدم وسائر الحيوانات التي تنتفعون بها وان ظننتم انكم ترزقونهم فان ذلك باطل لانكم لا تقدرون على رزق انفسكم
فكيف بغيركم فلما ظهر كالشمس كمال قدرته وانه واحد لا شريك له بين انه كما كانت هذه الاشياء عنده بحساب قدره على حكمة دبرها
كان غيرها كذلك فذلك هو المانع من معاجلتهم بما يهزاون به من العذاب فقال وان اي وما من شيء اي مما ذكر وغيره من الاشياء الممكنة
وهي لا نهاية لها الا عندنا اي لما لنا من القدرة الغالبة خزائنه اي كما تقرر عندكم لا تنازعون فيه قال في الكشاف ذكر الخزائن
تمثيل وما ننزله اي مطلق ذلك الشيء لا بقيد عدم التناهي فان كل ما يبرز الى الوجود متناه فهو استخدام الا بقدر معلوم على حسب
التدريج كما ترونه وعن ابن مسعود رضي الله عنه ليس عام بامطر من عام ولكن الله تعالى يقسمه ويقدره في الارض كيف يشاء عاما ههنا
وعاما ههنا وربما كان في البحر فهذا دليل قطعي على ان الفاعل المخصص له بوقت دون وقت وارض دون اخرى فاعل واحد مختار
فلما تم ما اراد من آيتي السماء والارض وختمه بشمول قدرته لكل شيء اتبعه ما ينشأ عنهما مما هو بينهما مودعا في خزائن قدرته فقال
وارسلنا اي بما لنا من التصريف الباهر الرياح جمع ريح وهو جسم لطيف منبث في الجو سريع المر لواقح اي حوامل تحمل الندى ثم
تمجه في السحاب التي تنشئها فهي حوامل للماء لواحق بالجو قوته على ذلك عالية حسا ومعنى والريح هواء متحرك وحركته بعد
ان كان ساكنا لا بد لها من سبب وليس هو نفس كونه هواء ولا شيئا من لوازم ذاته والا لدامت حركته فليست الا بتحريك
الفاعل الواحد المختار فانزلنا اي بعظمتنا بسبب تلك السحائب التي حملتها الرياح من السماء اي الحقيقية او جهتها او السحاب لان
الاسباب المتراقية يسند الشيء تارة الى القريب منها وتارة الى البعيد واخرى الى الابعد ماء وهو جسم مائع سيال به حياة
كل حيوان من شانه الاغتذاء فاسقيناكموه جعلناه لكم سقيا يقال سقيته ماء ليشربه واسقيته اي مكنته منه ليسقي به
ماشيته ومن يريد ونفى سبحانه عن غيره ما اثبته اولا لنفسه فقال وما انتم له اي ذلك الماء بخازنين والخزن وضع الشيء في
مكان مهيأ للحفظ فثبت ان القادر عليه واحد مختار ومادة لقح بتقاليبها الست تدور على اللحاق وتلزمه القوة والعلو
حسا او معنى فاللقاح اسم ماء الفحل لانه يلحق الانثى فتحمله وقد القح الفحل الناقة ولقحت لقاحا حملته والملقوح ما لقحته
من الفحل اي اخذته وهي الملاقيح يعني الاجنة واللقحة الناقة الحلوب لانها اهل لان يلحقها الجائع والقح القوم النخل ولقحوها
اذا الحقوها بالفحالة فعلقوها عليها والفاحل اليابس من الجلود لانه اجزاؤه تلاحق بعضها ببعض فضمرت ومنه شيخ فاحل
واللحق كل شيء لحق شيئا اي ادركه والملحق الدعي لانه متهيئ لان يستلحقه كل من يريده والملحاق الناقة التي يفوتها
الابل قال الزبيدي في مختصر العين وفي القنوت ان عذابك بالكفار ملحق بالكسر اي لاحق لغة والحقل القراح الطيب
لتهيؤها لمن يلحق بها وقيل هو الزرع اذا تشعب ورقه وهو من ذلك ايضا ومن لحوقه بالحصاد فيصير كالمحلوق والحقيل
نبت والحقيلة حشافة التمر للحاق كل من اراده به والحوقلة الغزمول اللين كانه مشبه بالنبت الاخضر او لامكان تثنية
كل وقت ولحوق بعض اجزائه ببعض والحوقل الشيخ الضعيف النكاح كانه منه والحوقلة سرعة المشي وحقل الفرس اذا وجع
من اكل التراب كانه ماخوذ من الحقل وحوقل الشيخ اعقد بيديه على خصره اذا تمشى كانه للحاق يديه خصره والحلق مساغ

مادة لقح

الطعام والشراب وخلق الارض وديمها ومجاريها للحاق المياه بها ولشبهها بالخلق والحلق حلق الشعر بالموسى من اللحاق
والعوق والمحالق الاكسية الخشنة التي تحلق الشعر من خشونتها والحالق المشؤوم الذي يحلق قومه والحلق ضرب من النبات
لورقه حموضة كانه لسرعة لحاق الماشية به لانه كالفاكهة لها والحلقة الحائم بلا فص لتلاحق اجزائها بعضها ببعض ومنه حلقة
القوم والحلقة السلاح كله اما من هذا الاصل من الدروع ذات الحلق تسمية للشيء باسم جزئيه واما من العوق والعلو المعنوي لما
يلزم عنها والحالق المال الكثير اما من ذلك واما من لحاق صاحبه بمراده والحالق الجمل المنيف لظهور وعلوه ولحاقه بالجو والحوالق
القارون الطويلة العنق وحلق الطائر ارتفع في الهواء من هذا واللقحة الغراب والحالق من الكرم والشوي ما تعلق منه بالغصبان
فهو ظاهر في اللحاق وحلق الضرع اذا ارتفع الى البطن وانضم فهو من العلو واللحاق وقيل اذا كثر لبنه فهو اذا من اللحاق وتحلق
القمر صارت حوله دارة وحلق قضيب الفرس حلقا اذا تقشر كانه شبه بما حلق شعره وحي لقاح لم يملكوا قط كانه من العوق
والعلو المعنوي والقلح صفرة تعلو الاسنان فهو من اللحاق مع العلو ويسمى الجعل اقلح من هذا فلما تقرر تفصيل الخبر مما هو
سبب للاحياء في الجملة فنهيات النفس للانتقال منه الى الاحياء الحقيقي قيل شاقال تعالى وانا لنحن نحيي اي لنا هذه الصفة
على وجه العظمة فنحيي ما نشاء من الحيوان بروح البدن ومن الروح المعارف ومن النبات بالنمو وان كان احدها حقيقة والاخر
مجازا لان الجمع بينهما جائز ونميت اي لنا هذه الصفة فنبرز ما من عظمتنا ما نشاء ونحن الوارثون اي الارث التام اذا مات الخلائق
الباقون بعد كل شيء كما كنا ولا شيء ليس لاحد فينا تصرف بامانة ولا احياء فثبت بذلك الوحدانية والفعل بالاختيار فلما ثبت
بهذا كمال قدرته وكانت اثار القدرة لا تكون محكمة الا بالعلم قال تعالى ولقد علمنا اي علما ناشئا عن الاحاطة المعجزة المستقدمين منكم وهو
من قضينا بموته اولا فيكون في موته كانه يسارع الى التقدم اليه وان كان هو وكل من اهله مجتهدا بالعلاج في تاخيره ولقد علمنا
بعظمتنا المستاخرين اي الذين نمد في اعمارهم فنؤخر موتهم حتى يكونوا كانهم يسابقوننا الى ذلك وان عالجوا الموت بشرب سم وغيره
او عالجه لهم غيرهم بضربهم بالسيف او غيره فعرف بذلك قطعا ان الفاعل واحد مختار وكذا كل متقدم ومتاخر في وصف من
الاوصاف غير الموت والمعنى على الاول فنحن لا نميت احدا قبل اجله فلا تستعجلونا بالوعيد وتهيأوا للدفاعه ان كنتم رجالا فانه
لا بد ان ياتي لانه لا بد لقولي لدي ولما تم الدليل على تمام القدرة وشمول العلم ثبت قطعا احياء الموتى لانتفاء المانع من جهة
القدرة واقتضاء الحكمة له من جهة العلم للعدل بين العباد بالمقابلة على الصلاح والفساد فقال موكدا لانكارهم وان ربك اي ذو
المحسن اليك بالانتقام لك ممن يعاديك واقرار عينك من مخالفيك هو اي وحده يحشرهم اي بجمعهم الى ارض المحشر بعد اعادتهم قال
الرماني واصله جمع الحيوان الى مكان ثم علل ذلك فقال موكدا لاجل اعتقادهم ما يستلزم الانكار انه حكيم اي يفعل الاشياء في اتم
مواضعها بحيث لا يقدر احد على نقضها عليم بالغ العلم فلا يخفى عليه شيء وهو يريد ان يري حكمته وعلمه بكشف الغطاء عند تمييز اهل
السعادة والشقاء والحكمة العلم الذي يعرف عما لا ينبغي واصلها المنع ولما جرت سنته الالهية انه يذكر ابتداء الخلق دليلا على الاعادة
سابقا ولاحقا وابتدا هنا بذكر الحشر لما قام عليه من الدليل باحياء الارض توقع السامع تفصيل ابتداء الخلق الذي هو اول دليل
على البعث عبدا جاعلا له في قوله وانا لنحن نحيي فقال مفتتحا بحرف التوقع ولقد خلقنا اي بالعظمة الباهرة الانسان اي الانس
بنفسه الناشيء لعينه من صلصال اي طين يابس له عند النقر صلصلة اي صوت شديد يتردد في الهواء فان كان فيه مدر غير
مرجيع فهو صليل فالمراد شديد يبسه ولكنه غير مطبوخ واما المطبوخ فهو فخار ثم بين اصل الصلصال فقال من حمإ اي طين اسود
منتن مسنون اي مصبوب مهيأ لعمل ما يراد منه بالدلك والتحسين من الذهاب والاضطراب والجعل على طبع وطريقة مستوية
وكل ذلك على غاية السهولة والطواعية والوان فذكر اصل الانسان وما وقع له مع ابليس الذي هو اصل الجن كما ان آدم عليه السلام
ابو البشر من الكيد حتى اخرجه من دار الصفا الى دار الكدر ليحذر العقلاء من بني آدم وفي التنبيه بابتداء الخلق على وصول
البشر الى اصل كان بمحض القدرة مخالف لهم في التكوين بين اجوبين وانتهاء الجن الى اصل ليس خلقه كخلقهم تنبيه عظيم على انتهاء
الموجودات الى موجود لا يجانسهم بل هو خالق غير مخلوق فاعل بالاختيار واحد لا شريك له ولا اعتراض عليه قادر على ما يريد
سبحانه وفي خلقه من الماء الذي هو كالاب والطين الذي هو كالام مساعدة النار والهواء من الحكمة ان يكون ملائما لما في هذا
العالم فيكون بقاؤه بذلك الذي خلق منه في ماكله ومشربه وملبسه وسائر امونه وذلك ادل على حكمة الخالق وعلمه
ووحدانيته ومادة صل تدور على الصلصال الذي هو الطين يطلقا او الطين الجيد يخلط بالرمل او الطين ما لم يحمل
خزفا وتتنوع جميع معاني المادة منه لان من لوازمه في اوله الماء والتين بتداوله وسهولة خلطه بغيره فيا في الخفاء لانه
يغرز فيه بغير صوت ومنها قبول الصفة من النقش ومنها في آخره الصلابة لشدة اليبس فيلزم تضام الاجزاء وتقاضا
على انتظام او غير انتظام والصوت وشدة الانفصال بالتشقق ومن لوازمه التغير بالنتن فيا في الجنث والفساد ومن
لوازمه شدة الاختلاط بحيث اذا نشب فيه شيء عسر خلاصه ومن لوازمه تميزه عما عداه ومحل يضع فيه ممن الصوت
واليبس صليل الحديد والابل ونحو ذلك يقال صل الحديد واللجام اشتد صوته فان توهم ترجيع الصوت قيل صلصل
وصل البيض سمع له طنين عند القراع والمسمار صليلا ضرب فاكره ان يدخل في الشيء والابل صليلا يبست اعناقها
من العطش فسمع لها صوت عند الشرب ومن الصوت صلصل اوعد ونقده وقتل سيد العسكر لظهور الصيت بذلك وصلصل
الرعد صفا صوته والكلمة اخرجها منحذ لقا وطائرا والفاخته والراعي الحاذق والمصلل المحدث بيتا السيد الكريم الحسيب
الخالص النسيب والاسكف واحد الاساكف عند العامة وتصلصل الغدير خفقت حمأته فنتنا الان يحموت بيبسه والحمأ

صوت

صوّتَ وحمارٌ صُلصُلٌ وصُلاصِلٌ بضمّهما وصلصالٌ ومُصلصِلٌ بصوّتَ ومن النتن صلُولٌ اللحم والماءُ يُقال صِلَ اللحم
صلولاً انتَنَ والماءُ أجنَ والصِلّيان بكسرتين مشدودة اللام ما تغيّر من اللحم والصُلّة بالضم الريح المنتنة ومن ليبس الصلة
وهي الجلد اليابس قيل الرباع والنعل والارض او اليابسة وصل السقاء صليلاً يبس او ارض لم تمطر بين ممطورتين والصِلّ
بالكسر الثعبان وشجر والسيف القاطع ومن الذواق الصلة وهي الزاب الذي
لم يكثر الثلج

من نار السموم اي الحر الشديد قيل هي نار لا دخان لها تكون منها الصواعق وهي بين السماء وبين الحجاب فاذا اراد الله خرقت الحجاب
فهدت الى ما امرت به فالهدة التي يسمعها الناس هي خرق ذلك الحجاب وقال الرازي في اللوامع نار لطيفة تناهت في الغليان
في افق الهواء وهي بالاضافة الى النار التي جعلها الله تعالى متاعا كالجمد الى الماء والحجر الى التراب انتهى وقال الرماني وقال عبد الله
هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق الله منها الجان وهي ماخوذة من دخولها بلطفها في مسام البدن ومنه السم القاتل
انتهى ولما كانت نعمة الايجاد كافية في اخلاص العبادة للموجد ثم لم يعتبرها اهل الضلال اشار تعالى الى نعمة هي اكبر منها وهي التفضيل
على جميع المخلوقات على وجه مبين لسبب الضلال فقال عاطفا على ما تقديره اذكر هذا فانه كاف في المراد لكل ذي لب واذ اي
واذكر قول ربك اذ قال ربك اي المحسن اليك بتشريف ابيك آدم عليه السلام لتشريفك للملئكة ولما كان مما يتوقف فيه اكده
فقال اني خالق بشرا اي حيوانا غير ملبس البشرة بما جعله عليه من الطبيعة على الصورة الانسانية من صلصال اي طين
شديد اليبس من حماء اي طين اسود منتن مسنون اي مصور بصورة الآدمي في تجويفه واعضائه كانه مصبوب في قالب
قال الرماني واصله الاستمرار في جهة من قولهم على سنن واحد فاذا سويته اي عدلته واتممته وهيأته لنفخ الروح تهيئة
قريبة من الفعل ونفخت فيه من روحي اي خلقت الحيوة فيه كما تعلق النار بالفتيلة بالنفخ وهو تمثيل واضاف الروح اليه تشريفا
وهو ما يصير به الجسم به حيا واشرف منه ما يصير به الروح عالما واشرف منه ما يصير به العالم عاملا خاشعا فقعوا له اي
تعظيما حال كونكم ساجدين اي اسجدوا له سجود من كان في مبادرته به وسهولة انقياده كانه وقع من غير اختياره فسجد الملئكة
اي بسبب هذا الامر من غير توقف لما جاء الوقت الذي امرتهم فيه لذلك البشر وهو ابوكم آدم عليه السلام وانتم في صلبه كلهم
اجمعون ولما ابلغ في تاكيد ما افهمه الجمع استثنى فقال الا ابليس قيل هو من قوم من الملئكة وقيل بل لكونه كان واحدا بينهم منضافا
اليهم عاملا باعمالهم كان مغمورا فيهم فكان كانه منهم فصح استثناؤه لذلك فكانه قيل ما فعل فقيل استعظاما لمخالفته ابى ان يكون
اي لشكاسة في جبلته مع الساجدين او انه لم يقل فابى بالعطف لان الاستثناء منقطع فان ابليس من نار والملئكة من نور
وهم لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون بخلافه فكانه قيل فما فعل به الملك فقيل لم يعاجله بالعقوبة بل اخره الى اجله المحكوم
به في الازل كما انه لم يعاجلكم لذلك فكانه قيل فما قال له فقيل قال له ليقيم الحجة عليه عند الخلائق ظاهرا كما قامت عليه الحجة
في العلم باطنا يا ابليس اختار هذا الاسم هنا لان الابلاس معناه الياس من كل خير والسكون والانكسار والحزن والتحير وانقطاع
الحجة والندم ما لك اي شيء لك من الاعذار في ان لا تكون اي بقلبك وقالبك مع الساجدين لمن امرتك بالسجود له وانت تعلم
مما انا عليه من العظمة والجلال ما لا يعلمه كثير من الخلق قال لم اكن واكد اظهارا للاصرار والاضرار بالكبر فقال لاسجد لبشر اي
ظاهر البدن لا قدرة له على التشكل والتطور خلقته من صلصال اي طين يابس لا منعة فيه بل اذا نقر اجاب بالتصويت من
حماء طين متغير اسود كدر مسنون اي مصور بصورة الفخار متهيئ للدلك لا يرد يد لامس وانا خير منه لانك خلقتني
من نار نافعة بالاشراق ممتنعة ممن يريدها بالاحراق فخضوعي له مناف لحالي وممتنع مني والزامي به جور فكانه قيل فبماذا
اجيب فقيل قال فاخرج اي تسبب عن كبرك اني اقول لك اخرج منها اي دار القدس قيل السماء وقيل الجنة فانك رجيم
مطرود اذ الرجم لا يكون الا لمن هو بعيد يراد الزيادة في ابعاده بل اهلاكه وعلة الاخراج انها دار لا يقيم بها متكبر عاص
بمخالفة امري فان لي الحكم النافذ والعظمة التامة المقتضية لوجوب الطاعة لا ينبغي لمن امرته بامر ان يتخلف عن امري
فضلا عن ان يضرب لي الامثال ويواجهني بالجدال طاعنا فيما لي من الجلال والجمال ثم اكد بعده بالاخبار باستمراره فقال
وان عليك اي خاصة اللعنة اي الكاملة للقضاء بالمباشرة لاسباب البعد الى يوم الدين اي الى يوم انقطاع التكليف
وطلوع صبح الجزاء بفناء الخلق اجمعين وفوات الامد التي تصح فيه التوبة التي هي سبب القرب فذلك ايذان بدوام الطرد
وتوالي البعد والمقت فلا يتمكن في هذا الامد من عمل يكون سببا للقرب من حضرة الانس وجناب القدس ومن منع من التوبة
عن الكفر في وقتها يعلم قطعا انه لا يغفر له فهو معذب ابدا ولما علم من هذا دوام لعنه لانه منع التقرب في دار العمل
وما بعد ذلك محل الجزاء لا العمل وكان ذلك مفهما لانظاره الى ذلك الحد وكان ظاهره ان لعنه مغني به كان كانه قيل فماذا قال
حين سمع ذلك فقيل قال ذاكرا صفة الاحسان والتسبب في سؤال الانظار رب فاعترف بالعبودية والاحسان اليه ولم
يحمله ذلك على التوبة للحكم بدوام لعنه فلا يطمع طامع في ايمان من ختم بكفره بالاجابة الى ما يقترح واتى بفاء السبب لما فهم
من الاملاء فقال فانظرني والانظار تاخير المحتاج للنظر في امره الى يوم يبعثون فحمل يوم الدين على حقيقته واراد التصريح
بالانظار اليه ليامن الموت فكانه قيل ماذا قيل له فقيل قال له ربه فانك اي بسبب ما تقدم من الحكم من المنظرين وقطع
عليه ما ذبح به من المكر فقال الى ولما كان اليوم ما يتم فيه امر ظاهر وكانت الايام الهائلة ثلثة زمان موت الاحياء الخارجين عن
دار الخلد ثم بعث الاموات ثم الفصل بينهم باحلال كل فريق في داره قال يوم ولما كان الوقت ادل الفاظ الزمان على الاجل
قال الوقت ولما كان قد ذبح في سؤاله هذا تدبيجا اوهم تجاهله بتحتيم الموت على كل مكلف بين تعالى انه مما لا يجهل فقال المعلوم
اي الذي قدرت عليك الموت فيه وهو النفخة الاولى وما يتبعها من موت كل مخلوق لم يكن في دار الخلد ولما افهم ما تقدم كما
قلنا الحكم باغوائه كان السامع كانه قال فماذا قال فقيل قال مسويا نفسه بالمعبود العلي الذي لا يسئل عما يفعل وكل افعاله
عدل وحكمة بعد ان رفع نفسه على العبد البشري رب اي ايها الموجد والمدبر لي وعزتك بما اغويتني اي بسبب اغوائك لي
من اجلهم وللاهتمام بهذا السبب قدمه على جواب القسم الدال على المقسم به وهو قوله لازينن لهم اي تزيينا عظيما المعاصي والمباحات

الحارة

الجارة اليها الشاغلة عن الطاعة الصارفة عنها في الارض اي التي هي محل الغفلة وهم منها والشي الي ما هو منه اميل فهي بهذا
التقدير مساوية لآية ص فبعزتك والتزيين جعل الشي متقبلا في النفس من جهة الطبع والعقل بحق او بباطل ولاغوينهم
اي بالاضلال عن الطريق الحميدة اجمعين انتقاما لنفسي الا عبادك منهم اي المشرفين بالاضافة اليك فهم لذلك لا يميلون عنك
الي شي سواك فلذلك ابدل منهم المخلصين فزاد بهذا الكلام في الضلال ولم يقدر ان يقول بدل ذلك رب تب علي ونحوه من
الاستعطاف كما قال آدم لما حفه اللطف وداركه العفو فارعوا هذه النعمة والاخلاص افراد الشي عما يشوبه من غيره
فكانه قيل فبماذا اجيب فقيل قال الله في جوابه رادا ما اوهمه كلامه من ان له فعلا يستقل به مكذبا له هذا اي الذي ذكرته
من حال المستثني والمستثني منه صراط علي مستقيم لاني قضيت به ولو لم تقله انت وحكمت به عليك وعليهم فلا محيص لكم عنه
فكانه قيل علي اقامته او هو وارد علي لا عوج لسالكيه عن الرجوع الي والمرور علي يعني انه لا يقدر احد ان يعمل شيئا بغير ارادتي
فاني بالمرصاد ثم شرح ذلك بقوله مضيفا جميع العباد اليه كما هو الحقيقة نافيا ما قد يوهمه الكلام من ان لابليس عمل مستقل
ان عبادي اي عامة ليس لك اي بوجه من الوجوه عليهم سلطان اي لتردهم كلهم عما يرضيني الا من اتبعك اي بتعمد منه ورغبة
في اتباعك من الغاوين ومات عن غير توبة فاني جعلت لك عليهم سلطانا بالتزيين والاغواء وقيل وهو ظاهر ان الاضافة
للتشريف فلا تشمل الا الخلص فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا وفايدة سوقه بصورة الاستثناء علي تقدير الانقطاع الترغيب
في رتبة التشرف بالاضافة اليه والرجوع عن اتباع العدو الي الاقبال عليه لان ذوي الانفس الابية والهمم العلية ينافسون
في ذلك المقام ويرونه كما هو الحق اعلي مرام وان جهنم لموعدهم اي الغاوين من ابليس ومن شايعه اجمعين ثم بين انهم متفاوتون
فيها فقال لها سبعة ابواب قال الرماني وهي اطباق بعضها فوق بعض عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة وابن
جريج رحمهم الله لكل باب منهم اي الغاوين خاصة لا يشاركهم فيه مخلص جزء مقسوم معلوم لنا من القدم لتقديرنا اياه لا يزيد
شيئا ولا ينقص شيئا فلا فعل فيه لغيرنا بغير التسبيب الذي اظهرناه لنربط به الاحكام علي ما تقتضيه عقولكم ومجاري عاداتكم
وعن ابن جريج ان العليا جهنم ثم لظي ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وفي نسخة تقديم سقر علي لظي وعن
الضحاك ان العليا لاهل التوحيد ثم يخرجون والثانية للنصاري والثالثة لليهود والرابعة للصابية والخامسة للمجوس
والسادسة لمشركي العرب والسابعة للمنافقين والسبب في تصاعدها اختلاف انواع الكفر في الغلظ والخفة ولا يظلم ربك
احدا رحمة منه سبحانه ولعلها كانت سبعة باعتبار اصناف الكفار لانهم اما معطلة او مثبتة والمثبتة اما يهود او
صابية او نصاري او مجوس او عباد اوثان والكل اما مصارحون او منافقون ولما كان المنافق لا يعرف ظاهرا من ايها
عد قسما واحدا ووكل امره في ميزه الي العليم الخبير ولما كان الكل عاملين بما لم ياذن به الله كانوا في حكم المعطلة لوصفهم الله
بغير صفته فرجعت الاقسام الي ستة فاضيفت اليها العصاة من كل فرقة فجعلت جزء الطبقة العليا من النار مقابلة
لقسم المنافقين من كل امة لعملهم اعمال الكفار مع الايمان كما ان عمل المنافقين عمل المومنين مع الكفران فكانوا اخفي الكفار فكان
لهم الدرك الاسفل من النار ثم رايت في رشف النصايح الايمانية وكشف الفضايح اليونانية للعارف بالله شهاب الدين عمر بن
محمد السهروردي انها جعلت سبعة علي وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها
مصادر السيئات فكانت مواردها الابواب السبعة وهو ماخوذ من كتاب المحاسبة من كتاب الاحياء للامام الغزالي رحمه الله
ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من اعمال القلب زادت الاعضاء واحدا فجعلت ابواب الجنان
ثمانية هذا معني قوله قال واعمال القلوب من السيئات غير مواخذ بها ولما ذكر الكافرين وما حرهم الي الضلال وجراهم
علي قبايح الاعمال ذكر المخلصين فقال موكدا لانكار المكذبين بالبعث ان المتقين ولما كان المنزل لا يحسن الا بالسلامة والانس
والامن قال تعالي ادخلوها اي يقال لهم ذلك بسلام اي سالمين من كل آفة مرحبا بكم ومسلما عليكم حال الدخول آمنين من ذلك دايما
ولما كان الانس لا يكمل الا بالجنس مع كمال المودة وصفاء القلوب عن الكدر قال ونزعنا اي بما لنا من العظمة ما في صدورهم من غل
اي حقد ينغل اي ينغرز في القلب حال كونكم اخوانا اي متصافين حال كونهم علي سرر جمع سرير وهو مجلس رفيع موطا للسرور
متقابلين لا يري بعضهم قفا بعض في آخر الثقفيات عن الجنيد انه قال ما احلي الاجتماع مع الاصحاب وما امر الاجتماع مع الاضداد
ولما كان النظر في الدوام والمآل بعد ذلك قال لا يمسهم فيها نصب اي اعياء وتعب وجهد ومشقة وما هم منها ولما كان المتكي
في كل شي انما هو الاكراه بني للمفعول قوله لمخرجين ولما كان المفهوم من هذا السياق ان الناجي انما هو المتقي المخلص الذي ليس للشيطان
عليه سلطان وكان مفهوم المخلص من لا شايبة فيه وكان الانسان محل النقصان وكان وقوعه في النقص منافيا للوفاء بحق
التقوي والاخلاص وكان ربما اياسه ذلك من الاسعاد فاوجب له التمادي في البعاد قال سبحانه جوابا لمن كانه قال
فما حال من لم يقم بحق التقوي نبي عبادي اي اخبرهم اخبارا جليلا اني انا اي وحدي الغفور الرحيم اي الذي احاط محوه
الذنوب واكرامه لمن يريد بجميع ما يريد لا اعتراض لاحد عليه ولما كان ذلك ربما كان سببا للاغترار الموجب للاصرار
قال وان عذابي هو اي وحده العذاب الاليم اي الكامل في الايلام فعلم ان الاول لمن استغفر والثاني لمن اصر وعرف من ذلك
ان المتقين انما دخلوا الجنة بعفوه والغاوين انما عذبوا بعدله فهو لف ونشر مشوش علي ما هو الافصح ولما اتم سبحانه
شرح قوله وليعلموا انما هو اله واحد وما تبعه من الدلالة علي البعث شرع في شرح وليذكر اولوا الالباب بقصة الخليل
عليه السلام وما بعدها مع الوفاء بذكر المعاد تارة تلويحا وتارة تصريحا والزجر عن الاجتراء علي طلب الاتيان بالملايكة عليهم السلام

قال الشهرستاني في كتابه الملل بعد ذكر فرق الاسلام والابتداء بعد غيرهم من اهل الاهواء والتقسيم الضابط ان نقول من الناس من لا يقول بالمحسوس ولا المعقول وهم السوفسطائية ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعية ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بالحدود والاحكام وهم الفلاسفة الدهرية ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والاحكام ولا يقول بالشريعة والاسلام وهم الصابئة ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة واسلام ولا يقول بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم وهم المجوس واليهود والنصاري ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون انتهي والمذكورون ست فرق يضاف اليهم المنافقون من كل فرقة تصير الفرق سبعة والله اعلم انتهي

اي الفريقين في هذا الوصف والمتقي من جعل الاتقاء باخلاصه حاجزا بينه وبين العقاب في جنات وعيون

والالتفات الى قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق في اسلوب بديع لما تضمنته هذه القصة فان حصول الشيوخ سبب لاية المغفرة والاخبار بعذاب الامم ممثل لاية العذاب ليزدجر المخاطبون وافرد لهم ذكر من هو اقرب الى بلادهم ممن يعرفونه من المعذبين لانه اوقع في النفس فقال تعالى ونبئهم اي خبرهم اخبارا عظيما عن ضيف ابرهيم والضيف هو المنضم الى غيره لطلب القرى مهوكة سموا بهذا الاسم لانهم على صورة الضيف فهو من باب التضمن اذ دخلوا عليه اي ابرهيم عليه السلام فقالوا على عقب الدخول سلاما ولما كان طلبهم في هذه السورة للملكة على وجه اوكد مما في سورة هود عليه السلام اشار لهم الى ما في رؤية الملكة من الخوف ولو كانوا ببشر وفي احسن صورة من صور البشر بقوله قال لبيان الحال والمقال انا اي انا ومن عندي منكم وجلون واسقط ذكر جوابه بالسلام ولا يقدح ذلك فيما في سورة هود وغيرها من ذكره فانا ظرف زمان بمعنى حين والحين قد يكون واسعا فيذكر ما فيه تارة جميعه على ترتيبه واخرى على غير ذلك وتارة بعضه مع اسقاط البعض مع صدق جميع وجوه الاخبار لكونه كان مشتملا على الجميع وتكون هذه التصرفات على هذه الوجوه لمعان يستخرجها من اراد الله ولما اخبرانه اخبرهم بوجله منهم تشوف السامع الى جوابهم فقال قالوا مريدين منه لا توجل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما يكره ثم علوا ذلك بقولهم موكدين لقلع ما في نفسه من الوجل المنافي للبشرى انا نبشرك بغلام اي ولد ذكر هو في غاية القوة وليس كاولاد الشيوخ ضعيفا ولما كان خوفهم لحقا امرهم عليه كان الوصف بالعلم في هذا السياق مزيد مزية فقالوا عليم فكانه قيل فما قال فقيل قال منكرا للتعجب ارادة تحقيق الامر وتاكيده ابشرتموني اي بذلك على ان مستنى الكبر اي الذي لا حركة معه يأتي منها ولد ام على ان اعود شابا وولد لذلك سبب عنه قوله فبم تبشرون يعنوا الى ذلك بيانا شافيا قالوا بشرناك بالحق اي الامر الثابت المقطوع به الواقع لا محالة الذي يطابق خبرنا فلا تكن اي بسبب تبشيرنا لك بالحق من القانطين اي الآيسين الذين ركنوا الى اياسهم لقولك نحو اقوالهم فلما الهبوه بهذا النهي قال منكرا ان يكون من القانطين ومن يقنط اي ييأس هذا اياس من رحمة ربه اي الذي لم يزل احسانه دائما عليه الا الضالون اي المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح في ذلك من تمام القدرة وانه لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة وهذا اشارة الى انه ما كان قانطا وانما كان مريدا التحقيق الخبر وفي هذا تلويح الى امر المعاد فلما تحقق البشرى ورأى اياتها بينة متمكنين على غير الصفة التي يأتي عليها الملك للوحي وكان هو وغيره من العارفين بالله عالمين بانه ما ينزل الملكة الا بالحق كان ذلك سببا لان يسألهم عن امرهم ليزول وجله كله فلذلك قال فما بفاء السبب خطبكم قال ابو حيان والخطب لا يكاد يقال الا في الامر الشديد انتهى وقال الزمخشري انه الامر الجليل ايها المرسلون فانكم جئتم لامر عظيم يكون فيصلا بين هالك وناج قالوا انا ولما كان عالما بمرسلهم بنوا للمفعول فقولهم ارسلنا اي بارسال العزيز الحكيم الذي انت اعرف الناس في هذا الزمان به الى قوم اي ذوي منعة مجرمين اي عريقين في الاجرام كلهم ولما كان ارسالهم للعذاب قالوا مستثنين من الضمير في مجرمين اي قد اجرموا كلهم اجراما عظيما الا آل لوط فاستثنوهم من ان يكونوا مجرمين المستلزم لكونهم ما ارسلوا للعذاب فكان ذلك محركا للنفس الى السؤال عن حالهم فانهم ممن وقع الارسال بسببه فاجابوا بقولهم انا لمنجوهم اي تنجية عظيمة بتدريج الاسباب على العادة اجمعين الا امرأته فلما استثنوها من ان ينجوها فكان امرها محتملا لان تعذب ولان ينجيها الله بسبب غيرهم تشوفت النفس للوقوف على ما قضى به من ذلك فقيل باسناد الفعل الى انفسهم لما لهم من الاختصاص بالمقدر سبحانه قدرنا ولما كان فعل التقدير متضمنا للعلم علقه عن قوله انها اي امرأته والاكد لاجل ما اشير اليه هنا من عظيم تشوف الخليل عليه السلام الى معرفة امرهم وشديد سؤاله في نجاة لوط عليه السلام وجميع اهله كما مضى التصريح به في هود فطماله عن السؤال في نجاتها بخلافه ما في النمل فان سياقها عار من ذلك لمن الغابرين اي الباقين الذين لا ينجون مع لوط عليه السلام بل تكون في الهلاك والعذاب والآل قال الرماني اهل من يرجعون الى داره ولهذا يقال اهل البلد ولا يقال آل البلد والتقدير جعل الشيء على مقدار غيره لتظهر المساواة او المباينة والغابر الباقي فيمن يهلك فلما تم ما اريد الاخبار عنه من تحاورهم ابرهيم عليه السلام اخبر عن ارسالهم مع لوط عليه السلام فقال فلما بالفاء الدالة على سرعة وصولهم اليه وكانه ما اشتد انكاره لهم الا بعد الدخول الى منزله اما لخوفه عليهم وهم لا يخافون او غير ذلك من احوال لا تشبه احوال البشر فلذا قال جاء آل لوط اي في منزله المرسلون اي لاهلاك قومه قال انكم قوم اي انتم يا منكرون لا بد ان يكون عن اتيانكم الى هذه البلدة شر كبير لا حد من اهل الارض وهو يعني اسبابهم الآتية فقدم حكاية انكاره اياهم واخبارهم عن العذاب لمثل ما تقدم في قصة ابرهيم عليه السلام من الزجر عن قولهم لو ما تاتينا بالملكة المحتمل لارادة جميع الملكة ان كنت من الصادقين تعريفا لهم بان بعض الملكة اتوا من كانوا لكمل اهل ذلك الزمان على اجمل صور البشر سبحانه من لهما ومع ذلك خافهم كل منهما فكيف لو كان منهم جمع كثير لم كيف لو كانوا على صورهم لم كيف لو كان لرأي لهم غيرهما لم كيف لو كان كفرة يوم يرون الملكة لا تبشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا ويجوز ان يكون قوله لهم هذه المقالة انما كان عند اجابتهم له بانهم رسل الله ويكون المعنى حينئذ انكم لستم على صفة الآتي بالوحي فقد استنكر على امركم لكونه لا اعرفكم مع استبحاثي منكم وذلك محاورته لقومه ثم معارفتهم منهم فكان خائفا عليهم فلما اخبروه انهم ملكة خاف منهم ان يكونوا اتوا بشيء يكرهه وقد تقدم انفا ان الاخبار عما كان في حين من الاحيان لا يضر تقدم بعضه على بعض ولا استاط بعض ذكر آخر ولم يزد هنا الحرف الذي صله المصدر وهو ان كما في العنكبوت لان استنكاره لهم وان كان مرتبا على مجيئهم الا انه ليس متصلا به لما له من الاستصحاب ولما كانت حقيقة المنكر ما خرج عن عادة اشكاله ولم يكن على طريقة امثاله اضربوا عن قوله وكان جوابهم ان قالوا بل اي لسنا منكرين لانا جئناك لنفرج عنك بما اي بسبب ايقاع ما كانوا اي جبلة وطبعا فيه يمترون عاجرت عادتنا ان ناتي بمثله من العذاب الذي كانوا ليتكونوا فيه شكا عظيما يحاولون نفوسهم عليه ويكابدون به والجاهل يوصف بالشك وان كان مكذبا من جهة ما يعرفه من له منه من حيث انه يرجع الى ثقة فيما هو عليه واتيناك بالحق الفاصل

بينك وبينهم الواقع بهم مطابقا لاخبارنا والاتيان الانتقال الى جهة الشي والذهاب الانتقال عنه وانا لصادقون في الاخبار
بما يطابق الواقع ولما اخبروه بوقوع العذاب بهم امروه بما يكون سببا فيما امروا به من انجائه فقالوا فاسر فاتوا بالفاء لان ما بعدها
مسبب عما قبلها باهلك بقطع اي طائفة من الليل واتبع اي كلف نفسك ان تتبع ادبارهم لتكون اقربهم الينا والى محل العذاب لانك
اثبتهم قلبا واعرفهم بالله والشر من ورائكم وقد جرت عادة الكبرا ان يكونوا ادنى جماعتهم الى الامر المخوف سماحا بانفسهم وتثبيتا لغيرهم
وعلما منهم بان مداناة ما فيه وجل لا يقرب من اجل وصده لا يغني من قدر ولا يباعد من ضرر ولئلا يشتغل قلبك بمن خلفك وليحشموك
فلا يلتفتوا او يتخلف احد منهم وغير ذلك من المصالح والدبر جهة الخلف وهو ضد القبل ولا يلتفت اي اصلا منكم احد اذ لا فائدة
فيه لان الملتفت غير ثابت لانه اما غير مستيقن لخبرنا او متوجع لهم فمن التفت ناله العذاب وذلك ايضا اجد في الهجيرة واسرع
في السير وادل على اخراج ما خلفوه من منازلهم وامتعتهم من قلوبهم وعلى انهم لا يرقون لمن غضب الله عليهم مع انهم ربما راوا ما لا تطيقه
انفسهم وامضوا حيث وتعبيره بالمضارع ليشعر بانه يكون معهم بعض الملائكة عليهم السلام في قوله تؤمرون ولما تقرر بهذا امر اهلاكهم
من غير تصريح ولا تعيين لوقت قال تعالى وقضينا اي بما لنا من العظمة موحين اليه اي خاصة ذلك الامر فاشار الى تعظيمه بالاشارة
اليه باداة البعد ثم فسره بقوله ان دابر اي آخر هؤلاء اي الحقيرين عند قدرتنا واشار بصيغة المفعول الى عظمته سبحانه وسهولة
الامر عنده فقال مقطوع حال كونهم مصبحين ولا يقطع الدابر حتى يقطع ما دونه لان العدو يكون مستقبلا لعدوه فهو كناية عن
الاستيصال بان آخرهم واولهم في الاخذ سوا لان الآخذ قادر لا كما يفعل بعض الناس مع بعض مع انهم يملون في آخر الوقائع فيفوتهم
البعض فلما تم ما دار بينه وبين الرسل مقدما لما بين اتبعه البيان عن حال قومه اشارة الى ان الملائكة ان كانوا بصفات البشر لم
يعرفهم الكفرة وان كانوا بصفاتهم او باظهار شي من خوارقهم لم تحتمله قواهم فلا نفع لهم في مكاشفتهم في حالة من الحالات فسؤالهم
الاتيان بهم جهل عظيم فقال وجاء اهل المدينة اي التي كان هذا الامر فيها قالوا وهي سدوم لارادة عمل الفاحشة بالاضياف
يستبشرون اي يلوح على بشراتهم السرور فهم يوجدونه لانفسهم ايجاد من هو شديد الرغبة في طلبه فكان حال لوط عليه السلام
ان قال لهم ان هؤلاء اي الاقربا امني ضيفي ولما كان اكرام الضيف اكراما لمن هو عنده واهانته اهانته سبب عن ذلك ما اشار
اليه الكلام فقال فلا تفضحون في اصابتهم بفاحشة وكان ذلك قبل معرفته انهم ملائكة واتقوا الله اي الذي له جميع العظمة ولا
تخزون اي باهانة ضيفي فيكون ذلك عارا علي مدى الدهر فلم يكفهم ذلك بل قالوا بفظاظة عاطفين على ما تقديره الم تعلم انا لا نترك
هذا الامر لشي من الاسباب اولم ننهك اي من قبل هذا عن العالمين ان تجير علينا احدا منهم فلما وصلوا الى هذا الحد من الوقاحة ذكر لهم
الحريم ليحملهم ذلك على الحيا ولانه داب من له ادنى مروة ولا سيما ذكر الابكار في سياق يكاد يصرح بمراده بان قال هؤلاء مشيرا الى بيته
الذي فيه بناته صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن بناتي ان كنتم ولا بد فاعلين اي قد عزمتم عزما ماضيا على هذا الفعل اشارة باداة الشك
الى ان هذا الفعل مما لا ينبغي ان يفعل يعني وانتم عالمون باني لا اسلم بناتي ابدا فعلم من ذلك ان وصولكم الى اضيافي دون هلاكي محال ولما
ذكر من امورهم وعظيم فجورهم وهم قد فرغ من امرهم وقضى باستيصالهم كان كل من يعلم ذلك قاضيا بانهم لا عقول لهم فاتبع سبحانه ذلك
ما يدل عليه بقوله لعمرك اي وحياتك يا كريم الشمايل واكد لان الحال قاض في ذاك الحين باستبعاد ردهم ولتحقيق ان ذلك ضلال منهم
صرف وتعنت محض فقال انهم لفي سكرتهم اي غوايتهم الجاهلية يعمهون اي يتحيرون لا يبصرون طريق الرشد فلذلك لا يقبلون قول النصوح
فان كان المخاطب لوطا عليه السلام كان ضمير الغيبة لقومه وان كان المخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر كان الضمير لقومه
وكان التقدير انهم في خبط بعيد عن السنن في طلبهم اتيان الملائكة كما كان قوم لوط عليه السلام يقصدون الالتذاذ بالفاحشة بمن مكن
من هلاكهم فشتان ما بين القصدين وهيهات لما بين الفعلين فصار المعنى ان ما قذفوك به اول السورة بهم لا بك لان من يطلب اتيان الملائكة
مع جواز ان يكون حاله حال قوم لوط عند اتيانهم هو المجنون والعمر بالفتح العمر بالضم وهو مدة بقاء الشي حيا لكنه لا يقال في القسم
الا بالفتح لخفته مع كثرة دور القسم ولذلك حذفوا الذي تقديره قسمي والسكرة غمور السهو للنفس ولما تم ذلك سبب عن القضاء
بقطع دابرهم قوله فاخذتهم اي اخذ انتقام وغلبة الصيحة التي هي لعظمها وهولها هي الصيحة وغيرها عدم بالنسبة اليها والاخذ
فعل يصير به الشي في جهة الفاعل والصيحة صوت يخرج من الفم بشدة وقوله مشرقين اي داخلين في الاشراق وهو ضياء الشمس عند
بزوغها وتبين به ان وقته يسمى صبحا لغة فان الصبح والصباح والاصباح اول النهار ولعله يطلق عليه الى وقت الغداء او الزوال
او يكون الصيحة وقت الاشراق آخر امرهم وقلع المداين من اماكنها وقت الصبح ابتدا امرهم ثم بين سبحانه ما تسبب عن الصيحة متعقبا
لها فقال فجعلنا عاليها اي مداينهم سافلها وامطرنا ولما كان الزجر في هذه السورة اعظم من الزجر في سورة هود عليه السلام لطلبهم ان ياتي
بجميع الملائكة اعاد الضمير على المعذبين لا على مدنهم كما مضى في سورة هود عليه السلام لان هذا اصرح فقال عليهم اي اهل المداين التي قلبت
المداين لاجلهم حجارة من سجيل ثم حقق ان ذلك كله شرح لقوله وليذكر اولوا الالباب بقوله ان في ذلك اي الامر العظيم جدا لآيات اي عدة
من جهة غمرها بالماء بعد خسفها ومن جهة كونه مخالفا لمياه الارض بالنتن والخباثة وعدم عيش الحيوان فيه وعدم النفع به ومن جهة
قطاعة منظره وغير ذلك من امره للمتوسمين جمع متوسم وهو الناظر في السمة الدالة وهي الاثر الدال في الوجه والقراين القاضية بالخير
والشر وكانوا يدعون انهم ابصر الناس بمثل ذلك فهو الهاب لهم وتبكيت لم يبق ان ذلك غير خفي عنهم ولا بعيد عمن اراد الاتعاظ به فقال
جعلا لهم لعدم اعتبارهم بها مع رويتهم اياها في كل حين في عداد المنكرين وانها اي هذه المداين لبسبيل مقيم اي ثابت وهو مع ذلك مبين
فالاعتبار بها في غاية السهولة لقومك وكانوا يمرون عليها في بعض اسفارهم الى الشام ولما اشار سبحانه الى الاستدلال بالتوسم الدال
بما هي عليه من المخالفة لساير مياه الارض العذبة الواردة اليها على كثرتها ومع ان البلاد التي هي بها من ابهج البلاد في عذوبة المياه وطراوة

الارض وحسن الاشجار وغير ذلك على ان لها بناء هو في غاية الغرابة واتبع ذلك سهولة الوصول اليها حثا على اتيانها بقصد نظرها
والاعتبار بها والسؤال عن سبب كونها كذلك قال مشيرا الى زيادة الحث بالتاكيد ان في ذلك اي الامر العظيم من حالها لآية اي علامة عظيمة
في الدلالة علينا للمؤمنين اي الراسخين في الصدق والتصديق فاذا اخبروا ان سبب كونها هكذا ان الله امر بعض جنده فرفعها ثم قلبها
ثم اتبعها بحجارة ثم غسف بها وعمرها بهذا الماء الذي هو في القذارة وعدم الثمرة مناسب لافعال اهلها لاجل عصيانهم رسوله صلى الله
عليه وسلم امنوا حذرا من مثل هذا العذاب ايمانا بالغيب ولما ذكر هذه القصة ضم اليها ما هو على طريقها مما عذب قومه بنوع آخر
من العذاب يشابه عذاب قوم لوط في كونه نارا من السماء فقال موكدا لاجل انكار الكفار ان يكون عذابهم لاجل التكذيب او عدا لهم لاجل
تماديهم على الغواية مع العلم به عداد المنكرين وان اي وانه كان اي جبلة وطبعا اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة
الشجرة عن الحسن وجمعه الايك كشجرة وشجر وقيل الايكة الشجر الملتف لظالمين اي عريقين في الظلم فانتقمنا منهم اي بسبب ذلك ثم اخبر
عن البلدين لتقاربهما في العذاب والمكان وكونهما على طريق واحدة من طرق متاجر قريش فقال وانهما اي قرى قوم لوط ومحال اصحاب
الايكة لبامام اي طريق يؤم ويتبع ويهتدى به مبين واضح لمن اراده بحيث انه من شدة وضوحه موضح لعظمة الله وانتصاره لانبيائه
ممن يكذبهم وهو مع وضوحه مقيم في مكانه لم تندرس اعلامه ولا تنطمس اثاره فالآية من الاحتباك ذكر في الاولى مقيم دلالة على حذف
مثله ثانيا وفي الثانية مبين دلالة على حذف مثله اولا ولما كان ربما قيل انه لو كان لاصحاب الايكة بيوت متقنة لمنعتهم من العذاب
عطف عليهم من هم على طريق اخرى من متاجرهم الى الشام وكانوا قد طال اغترارهم بالامل حتى اتخذوا الجبال بيوتا وكانت ابنيتهم في
غاية الوضوح فكذبوا بها تحقيقا لان المتعنتين لو راوا كل آية لقالوا انما سكرت ابصارنا فقال ولقد كذب ولما كان السياق
للمكذبين وما وقع لهم بتكذيبهم قدم الفاعل فقال مشيرا الى اتقان بيوتهم اصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح عليه السلام وديارهم
بين المدينة الشريفة والشام المرسلين اي كلهم بتكذيب رسولهم كما كذب هؤلاء المرسلين بتكذيبك لان الرسل يشهد بعضهم لبعض
بالصدق فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع وهم في اثبات الرسالة بالمعجزة على حد سواء ثم اتبع ذلك قوله وآتيناهم اي بعظمتنا
على يد رسولهم صالح عليه السلام آياتنا اي كلها بايتاء الناقة وسقيها ودرها وشربها لان الممكنات كلها بالنسبة الى قدرته على حد سواء
فمن كذب بواحدة منها فقد كذب بالجميع فكانوا اي كونا هو كالجبلة عنها اي الآيات كلها خاصة لا عن زينة الدنيا التي تجر الى الباطل
معرضين اي راسخين في الاعراض لم يؤمنوا بها التفاتا الى قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الآيتين وتمثيلا له ردا للمقطع على المطلع
ثم اخبر انهم كانوا مثل هؤلاء في الامن من العذاب والغفلة عما يراد بهم مع انهم كانوا اشد منهم فقال وكانوا ينحتون والنحت قلع جزء بعد
جزء من الجسم على سبيل المسح من الجبال التي تقدم انا جعلناها رواسي بيوتا آمنين عليها من الانهدام وما من لحاق ما يكره لا كبيوتكم التي
لا بقاء لها على ادنى رجة فاخذتهم اي فتسبب عن تكذيبهم ان اخذتهم اخذ العذاب والانتقام الصيحة حال كونهم مصبحين اي داخلين في الصبح
فما اي فتسبب عن الصيحة انه ما اغنى اي اجزاء عنهم ما كانوا اي بجبلاتهم يكسبون من البيوت والاعمال والعدد والآلات الخبيثة لانه لا
يعجزنا شيء لانه لا كلفة علينا فيما نفعل انما نقول له كن فيكون وفعلنا بهم ذلك لانهم كانوا على باطل فكان تعذيبنا لهم حقا ولما كان
المتعنت ربما قال ما له يخلقهم ثم يهلكهم وهو عالم حين خلقهم انهم يكذبون وكانت هذه الآية ملتفتة مع ما فيها من ذكر الارض الى تلك التي
اتبعها ذكر الخافقين استدلالا على الساعة قال على ذلك النمط وما خلقنا اي على عظمتنا السموات اي على ما لها من العلو والسعة والارض
على ما بها من المنافع والغرائب وما بينهما من هؤلاء المكذبين وعذابهم ومن المياه والرياح والسحاب المسبب عنه النبات وغير ذلك
الا بالحق اي خلقا ملتبسا بالحق فيتفكر فيه من وفقه الله فيعلم النشأة الاخرة بهذه النشأة الاولى وبسبب الحق من اثبات ثوابت الامور
ونفي مزلزلها لتظهر عظمتنا بانصاف المظلوم من الظالم واثابة الطائع وعقاب العاصي في يوم الفصل الى غير ذلك من الحكم كما قال تعالى
ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى فمن امهلناه في الدنيا اخذنا منه الحق بعد قيام
الساعة فلا بد من فعل ذلك وان الساعة لآتية لاجل اقامة الحق لا شك في اتيانها لحكم علمها سبحانه فيظهر فيها كل ذلك ويمكن ان يكون
التقدير فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما فعلنا ذلك الا بامر من قولنا كن وهو الحق وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالامر
الا له الخلق والامر يعني انه لا مشقة علينا في شيء من ذلك وسنعدم ذلك بالحق اذا اردنا قيام الساعة وان الساعة لآتية لانا قد وعدنا
بذلك وليس بينكم وبين كونها الا ان نريد فتكون كما كان غيرها مما اردناه فاصفح الصفح اي فاعرض بسبب تحقق الاخذ بتارك الاعراض الجميل
بالحلم والاغضاء وسعة الصدر في مثل قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانه لا بد من الاخذ لك منهم بالحق ولو لم تكن لك
نصرة الا في ذلك اليوم لكانت كافية ثم علل هذا الامر بقوله ان ربك اي المحسن اليك الآمر لك بهذا هو اي وحده الخلاق المتكرر منه هذا
الفعل في كل وقت بمجرد الامر فلا عجب في ايجاد ما ينسب اليه من ابداع الساعة او غيرها وهو لذلك عالم باحوالكم اجمعين وما يكون منها
صلاحا لك على غاية الحكمة لان المصور اعلم بالصورة من ناظرها والمتبصر فيها وصانع الشيء ادرى به من مشتريه وباني البيت اخبر به
من ساكنه وهو الذي خلق كل ما تراه منهم فهو فعله فسلم له ولما كان احكام المصنوعات لا يتم الا بالعلم قال العليم اي البالغ العلم بكل
المعلومات فلا تر افعالهم واقوالهم الا منه سبحانه لانه خالقها وقد علمت انه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد عليه في اخذ حقك فانه
نعم المولى ونعم النصير ولا يخفى عليه شيء منه ويدل على ما قلته آية يس او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم بلى وهو الخلاق العليم او يقال فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون شيئا مما اردنا من الحق لانا ما خلقنا عذابهم الا بالحق كما خلقناهم
بالحق فلم يمتنع علينا شيء من ذلك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بسبب اقامة الحق واظهار امرنا في العدل ولولا
انا سلطنا بعض الناس على بعض لم يظهر لهم مشاهدة الصفة غاية الظهور فنحن نعجل من الحق الذي خلقنا ذلك بسببه على قيام الساعة

احتباك م

ما شئنا

ما شئنا من الابتلاء والانتقام كما فعلنا بمن قصصنا امرهم ونوخر من ذلك ما بقي الى قيام الساعة وان الساعة آتية لا تكاد
فيها فلا تدع هناك شيأ من الحقوق الا امتناه ما صفو الصفح الجميل فلابد من الاخذ لك بحقك اما في الدنيا واما في الاخرة ان ابى ان ربك هو
الخلاق اي الفاعل للخلق متى بعد من لا تنفد قدرته ولا تتناهى كلمته العليم التام العلم فهو قادر على ذلك عالم بوجه الحكمة فيه في وقته وكيفيته
فهو يعيد الخلايق في الساعة كما ابتدأهم ويستوفي ذاك جميع الحقوق ويوتيك في ذلك اليوم ما تقر به عينك ولما ذكر صفة العلم
بصيغة المبالغة اتبعها ما اتاه في هذه الدار من مادة العلم بصيغة العظمة فقال عطفا على ما قدرته مما دل عليه السياق ولقد اتيناك
مما يدل على علمنا سبعا من المثاني وهي الفاتحة الجامعة على وجازتها جميع معاني القرآن وتثنى في النزول فانها نزلت مرتين وتثنى في كل
ركعة من الصلوة وهي ثناء على الله والصالحين من عباده وهي مقسومة بين الله وعبده وتثنى فيهم مقاصدها ويورد كل معنى من معانيها
فيه بطرق مختلفة في ايضاح الدلالة عليه في قوالب الالفاظ وجواهر التراكيب الهادية اليه وغير ذلك من التثنية والقرآن
العظيم اي الحاوي لجميع علوم الاولين والآخرين مما في جميع الكتب السالفة وغيرها ولما كان ما اوتيه وما سيوتاه اعظم ما اوتيه
مخلوق اتصل به قوله لا تمدن عينيك اي مدا عظيما بالتمني والاشتهاء المصمم ولذلك ثنى العين احترازا عن حديث النفس الى ما
متعنا اي على عظمتنا به ازواجا اي اصنافا منهم اي اهل الدنيا او يقال انه لما كان المعهود لكل ذي لب انما هو التبلغ بدار
الفنا الى دار البقا الموكد ايمانها في الآية السابقة وكان القرآن كما تقدم كفيلا بذلك وسلاه صلى الله عليه وسلم عما يوذونه به
من اقوالهم وتبين ذلك من علو درجته توقع السامع ذكر ما اسبغ عليه من انعم فقال تعالى او يقال انه لما امر سبحانه بالصبر على
اذاهم علل ذلك بما يعناه انهم خلقه وانه منفرد بالخلق وهو بليغ العلم بافعالهم مريد لها فليس الفعل في الحقيقة الا له وعلى المحب
ان يرضى بفعل حبيبه من حيث انه فعله ولما كان التقدير فهو الذي خلقهم وعلم قبل خلقهم ما يفعلون عطف عليه تسلية له صلى الله
عليه وسلم قوله ولقد اتيناك اي بما لنا من العظمة كما اتينا صالحا ما تقدم سبعا من المثاني يكون كل سبع منها كفيلا بما علق باب
من ابواب الميزان السبعة وهي ام القرآن الجامعة لجميع معاني القرآن التي امرنا باعادتها في كل ركعة زيادة في حفظها وتبركا بلفظها
وتذكرا لمعانيها تخصيصا لها عن بقية الذكر الذي تكفلنا بحفظه واتيناك القرآن العظيم الجامع لجميع معاني الكتب السماوية المتكفلة
بخيري الدارين مع زيادات لا تحصى المشار الى عظمته اول السورة بالتنوين ووصفه بانه مبين للبراهين الساطعة على نبوتك
والادلة القاطعة على رسالتك الدالة على الله الموصلة اليه والآية مع ذلك دليل على العلم المختتم به ما قبلها كأنه قيل فماذا
اعمل فقيل في معنى درسهم يأكلوا لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم اكتفاء بهذا البلاغ العظيم الذي من تحلى به واستربه
قلبه اراه معاينة هذه الدار فبغضته فيها واشرف به على ما اماه ولا تحزن عليهم لكونهم لم يومنوا فيخلصوا انفسهم من النار
ويتوبوا بهم جانب الاسلام وكان هذا هو الصفح المامور به وهو الاعراض عنهم اصلا وراسا الى امر البلاغ ولما امر نبي
عشرتهم بما مر اتبعه امر نبوته اصحابه بالرفق واللين فقال واخفض اي طاطي جانبك لهم وين اي العريقين في هذا الوصف
واصبر نفسك معهم واكتف بهم فانا قد جاعل فيهم البركة وناصرك ومعز دينك بهم وغيرهم ممن اراد شقوته
فلا تلتفتن اليهم وهذا كناية عن اللين واصله ان الطائر اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه ثم قبضه عليه قاله ابو حيان
وفي الجزء العاشر من الثقفيات عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المومن ليّن حتى يخاله
من اللين احمق ولما كان الغالب على الخلق التقصير قال له وقل اي للعريقين موكدا لما للكفار من التكذيب ولما للمومنين به
من طيب النفس اني انا اي لا غيري من المنذرين بالاعذار الدنيوية النذير المبين لمن تعمد التقصير انذاري منقذ له من ورطته
لانه مختف بالادلة القاطعة ولما ذكر ما التحم بنقضة اصحاب الحجر المقتسمين على قتل رسولهم وختمه بالانذار الذي هم اهله
عاد الى تتميم امرهم فشبههم بمن كذب من هذه الامة فقال كما اي كذب اولئك واتيناهم اياتنا فاعرضوا عنها ففعلنا بهم من العذاب
ما هم اهله مثل ما انزلنا اي بعظمتنا من الآيات على المقتسمين اي مثلهم من قريش حيث اقتسموا شعاب مكة ينفرون الناس عنك
ويثبطونهم عن سماع القرآن فلا تاس عليهم لتكذيبهم وعنادهم مع رويتهم الآيات البينات فان سنتنا جرت بذلك فيمن اردنا
شقوته كقوم صالح ثم قال الذين اي مع انهم تقاسموا على قتلك واقتسموا طرق مكة للتنفير عنك جعلوا القرآن باقوالهم عضين
اي قسموا القول فيه والحال انه جامع المعاني لاستغراق المباني منتظم التاليف اشد انتظام متلائم الارتباط احكم التيام
كما قدمنا الاشارة اليه بتسميته كتابا وقرآنا وحكمنا بان ذلك على وجه الابانة لا خفاء فيه فقولهم كله عناد فقالوا سحر
وقالوا شعر وقالوا كهانة وقالوا اساطير الاولين وغير ذلك انزلنا عليهم اياتنا البينات وادلتنا الواضحات فاعرضوا عنها
واشتغلوا بما لا ينفعهم من التعنت وغيره داب اولئك فليرتقبوا مثل ما حل بهم ومثلهم كل من تكلم في القرآن بمثل ذلك مما لا ينفي
من العرب وغيرهم وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما جعلوا القرآن عضين قالهم اهل الكتاب اليهود والنصارى جزاوه
فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وسياتي معنى هذه اللفظة فوربك اي فتسبب عن فعلهم هذا انا اقسم بالموجد لك المدبر امرك
المحسن اليك بارسالك لنسئلنهم اجمعين هو كائن واوثر اسمه تعالى على ضميره اشارة الى عظمته اي كونا هو جلة لم يحلوا من تقضية القرآن وغيرها الا ناما
نسئل كلا عما صنع فاصدع اي اجهر جهرا قويا وشدة فارقا بين الحق والباطل بسبب ذلك بما تومر به من القرآن وكتاب مبين واعرض
اي اعراض من لا يبالي عن المشركين بالصفح الجميل عن الاذى والاجتهاد في الدعاء ويؤيد ان قوله كما ارجع الى قصة صالح وتعلق
لها وان لم ار من سبقني اليه ذكر الوصف الذي به تناسبت الآيات وهو المقتسمين ثم وصفا المقتسمين بالذين جعلوا القرآن
عضين ليلا يظن انهم الذين تقاسموا في بيات صالح اي اتينا اولئك الآيات المقتضية للايمان فما كان منهم الا التكذيب والتقاسم

كما انزلنا على هؤلاء الآيات فما كان منهم الا ذلك وانما عبر في اولئك باتيناهم لان اياتهم الناقة وولدها والبئر وهي معطاة محسوسة لا منزلة
معقولة وقال في هؤلاء انزلنا اشارة الى القرآن الذي هو اعظم الآيات او الى الجميع وغلب عليها القرآن لانه اعظمها والى انهم مبطلون في جحدهم وانه لا
ينبغي لهم ان يتداخلهم نوع شك في انه منزل لانه اعظم من تلك الآيات مع كونها محسوسات واما اعتراض ما بينهما من الآيات فمن اعظم افانين البلاغة
فانه لما اتم قصة صالح عليه السلام علم ان المتعنتين ربما قالوا لاي شيء يخلقهم ثم يهلكهم مع علمه بعدم اجابتهم فرد عليهم بانه ما خلق السموات والارض
وما بينهما من هؤلاء المعاندين ومن افعالهم وعذابهم وغير ذلك الا بالحق وان الساعة لآتية فيعلم ذلك كله بالعيان من يشك فيه الآن وذلك
حين يكشف الغطاء عن البصائر والابصار فاصفح عنهم فانه لا بد من الاخذ لك بحقك ان لم يكن في الدنيا ففي يوم الجمع ثم اكد التصرف بالحكمة بقوله
ان ربك هو الخلاق العليم ثم سلاه عما يضيقون به صدره من التكذيب بالساعة وان الوعد بها انما هو سحر ونحو ذلك من القول ومن افتخارهم
باموالهم ونسبته الى الحاجة الى المشي بالاسواق بما اتاه من كنوز القرآن وامره بان يزيد في التواضع واللين للمؤمنين لتطيب نفوسهم فلا يأسوا
على ما فاتهم من الدنيا وان ينذر الجميع ويحذرهم من سطوات الله امثال ما انزل بالاقدمين ثم عاد اليهم فشبههم بهؤلاء في التكذيب ليعلم انهم
احذر منهم بالعذاب لانهم مشبه بهم والمشبه به اعلى من المشبه وذلك لكونهم اشد كفرا لان نبيهم اعظم وآياته اجل واكثر واجلى وابهر فيكون
ذلك سبب اشتداد حذرهم ولك ان تقول ولعله احسن انه تعالى لما ذكر ان ثمود سكنوا الارض سكنى الآمنين فازعجتهم عنها صيحة
سلبت ارواحهم وقلبت اشباحهم كما سيكون لاهل الارض قاطبة بنفخة الصور عند نفوذ المقدور وكان قد قدم ذكر كثير مما في السموات
والارض من الآيات والعبر بقوله تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا وما بعد ذلك من الجن والانس وغيرهما مما جعل ذكر اختراعه دليلا
على الساعة اتبع ذلك ان سبب خلق ذلك كله وما حواه من الخافقين انما هو الساعة فقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا
بالحق اي بالامر الثابت لا بالتمويه والسحر كما انتم تشاهدون او بسبب اقامة الحق وابانته من الباطل ابانة لا شك فيها يوم الجمع الاكبر
ومن اقامة الحق تنعيم الطائع وتعذيب العاصي وذلك بعد اتيان الساعة بنفختي الصور وان الساعة لآتية بالحق ايضا وليست سحرا كما
تظنون ولما كان اتيانها لهذا الغرض مما يشفي القلب لادراك الثار وهو حق لا بد منه تسبب عنه قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل
ولما كانت النفس بخبر الاعلم اوثق وكان صانع الشيء اعلم به من غيره فكيف اذا كان مع ذلك تام العلم قال الله تعالى معللا لذلك
ان ربك اي المحسن اليك هو الخلاق اي التام القدرة على الايجاد والاعدام الفعال لذلك العليم البالغ العلم ولما ختم بهذين الوصفين
بعد تقدم الاخبار عما اوتي اهل الحجر من الآيات وانه خلق الوجود بالحق لا بالتمويه وكان ذلك موجبا لتوقع الاخبار عما اوتي هذا النبي
الكريم منها لارساد امته وكانت الآيات اما ان تكون من قسم الخلق كآية صالح او من قسم الامر الذي هو مدار العلم اشار الى تفضيله صلى
الله عليه وسلم بفضل آيته فقال عاطفا على ذلك ولقد آتيناك اي ان كنا آتينا صالحا او غيره آية مضت فلم يبق الا ذكرها فقد
آتيناك سبعا من المثاني وهي الفاتحة التي خصصت بها ثني فيها البسملة للمبادي والحمدلة للكمالات والرحمانية والرحيمية فيها للابلاغ
الاول والمرضي من الاعمال وملك الدنيا المسمى بالربوبية لكونه مستورا وملك يوم الدين وبينهما رحمانية الايجاد الثاني بالمعاد
ورحيمية الثواب للمرضي من الاسباب والعبادة التي لا تكون الا مع القدرة والاختيار والاستعانة الناظرة الى العجز عن كمال الاقتدار
والهداية بالهادي والمهدي والضلال في مقابل ذلك بالمضل والضال وفي ذلك اسرار لا تسعها الافكار والقرآن العظيم الجامع لجميع
الآيات مع كونه حقا ثابتا لا سحرا ولا خيالا بل هو آية باقية على وجه الدهر مستمرا امرها دائما تلاوتها وذكرها تغني الجبال الرواسي
وهي باقية وتزول السموات والارض وهي جديدة اذا اصطف عسكر الفجرة قالت كل آية منها هل من مبارز وان رام عدو مطاولة
لتحققه بالضعف صاحت لدوام قوتها اني انا حجر فلا يقوم لها قائم ولا يحوم حول حماها حائم ولا يروم خوض بحرها رائم ولما
كانت هذه الآية لصاحبها مغنية ولمن فاز بقبولها معجبة مرضية حسن كل الحسن اتباعها بقوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم ولما كان كفرهم بعد بيانها انما هو عناد قال تعالى ولا تحزن عليهم ولما كان الغني بها ربما ظن حسن انفة الغني عقبه
قوله واخفض جناحك للمؤمنين ولما كان ربما ظن ان تلاوتها تغني عن الدعاء لا سيما لمن اعرض نفى ذلك بقوله وقل اني انا النذير
المبين تحريضا على الاجتهاد في التحذير تثبيتا للمؤمنين وارغاما للمعاندين واستجلابا لمن اراد الله اسعاده من الكافرين اعلاما
بان القلوب بيد الله فلا وثوق مع ذلك بمقبل ولا يأس عن مدبر ولما تم ذلك على هذا النظم الرصين والربط الوثيق المتين التفت
الخاطر الى حال من ينذرهم وكان كفار قريش في تقسيمهم القول في القرآن واقتسامهم طرق مكة لاشاعة ذلك البهتان تنفيرا لمن اراد الايمان
اشبه شيء بالمقتسمين على صالح عليه السلام قال تعالى كما اي آتينا اولئك المقتسمين آياتنا فكانوا عنها معرضين مثل ما انزلنا آياتنا
على المقتسمين اي الذين تقاسموا برغبة كبيرة واجتهاد في ذلك الذين جعلوا القرآن عضين اي ذا اعضاء اي اجزاء متفاصلة
متباينة مثل اعضاء الجزور اذا قطعت جمع عضة مثل عدة واصلها عضوة فوربك لنسألنهم اجمعين اي لا يمتنع علينا منهم احد عما كانوا
يعملون فاصدع بسبب امرنا لك بالانذار واخبارك انا نسأل كل واحد عما عمل بما تؤمر واعرض عن المشركين ولما كان هذا الصدع في غاية
الشدة عليه صلى الله عليه وسلم لكثرة ما يلقى عليه من الاذى خفف عنه سبحانه بقوله معللا له انا كفيناك اي بما لنا من العظمة
المستهزئين اي شر الذين هم عريقون في الاستهزاء بك وبما جئت به فاقررنا عينك باهلاكهم وزال عنك ثقل ما اذوك به
وبقي لك اجره وسنكفيك غيرهم كما كفيناكهم ثم وصفهم بقوله الذين يجعلون مع الله اي مع ما راوا من آياته الدالة على جلاله وعظيم
احاطته وكماله الها ولما كانت المعية تفهم الغيرية ولا سيما مع التعبير بالجعل وكان ربما تعنت منهم متعنت باحتمال التهديد على
تالله سبحانه على سبيل التجريد او على دعائه باسم غير الجلالة لما ذكر المفسرون في قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية آخر سبحان
زاد في الصراحة بنفي كل احتمال بقوله آخر قال البغوي رحمه الله قال ابن عباس رضي الله عنهما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة

ذات

ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الآية يعني آية
سبحان وتسبب عن اخذنا للمستهزئين وكانوا اغناهم ان يهدد الباقون بقولنا فسوف يعلمون اي يحيط علمهم بشدة بطشنا وقدرتنا على
ما نريد ليكون وازعا لغيرهم او يعلم المستهزؤن وغيرهم عاقبة امورهم في الدارين ولما كان صدعه صلى الله عليه وسلم بذلك على حد
من المشقة عظيم وان اريح من المستهزئين لكثرة من بقي ممن هو على مثل رأيهم قال يسليه ويسخي بنفسه فيه ولقد نعلم اي تحقق وقوع
علمنا على ما لنا من العظمة انك اي على ما لك من الحلم وسعة البطان يضيق صدرك اي يوجد ضيقه ويتجدد بما يقولون عند صدعك
لهم بما تؤمر في حقك من قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر الى آخره وفي حق الذي ارسلك من الشرك والصاحبة والولد وغير ذلك فسبح
بسبب ذلك ملتبسا بحمد ربك اي نزهه عن صفات النقص التي منها الغفلة عما يعمل الظالمون مثبتا له صفات الكمال التي منها اعزاز
الولي واذلال العدو وكن اي كونا جبليا لا انفكاك له من الساجدين له اي المصلين اي العريقين في الخضوع الدائم له بالصلاة التي هي
اعظم الخضوع له وغيرها من عبادته ليكفيك ما اهمك فانه لا كافي غيره فلا تلجأ الى سواه وعبر عنها بالسجود اشارة الى شرفه وما ينبغي
من الدعاء فيه لا سيما عند الشدائد فقد قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
حزبه امر فزع الى الصلوة ذكره البغوي بغير سند وهو في مسند احمد وسنن ابي داود عن حذيفة رضي الله عنه قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى وفي سنن النسائي الكبرى ومسند احمد عن علي رضي الله عنه قال لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا
انسان الا نائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يصلي الى شجرة ويدعو حتى اصبح وفي لفظ لاحمد لقد رأيتنا وما فينا
الا نائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي حتى اصبح ولاحمد ومسلم وابي يعلى عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولما امره بعبادة خاصة اتبعه بالعامة فقال
واعبد ربك اي دم على عبادة المحسن اليك بهذا القرآن الذي هو البلاغ بالصلوة وغيرها حتى يأتيك اليقين بما يشرح
صدرك من الموت او ما يوعدون به من الساعة او غيرها مما يود الذين كفروا معه لو كانوا مسلمين قال الرازي في اللوامع وهذا
دليل على ان شرف العبد في العبودية وان العبادة لا تسقط عن العبد بحال ما دام حيا انتهى وقال البغوي رحمه الله وهذا
معنى ما في سورة مريم عليها السلام واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا فقد انطبق آخر السورة في الامر باتخاذ القرآن بلاغا
لكل خير والاعراض عن الكفار على اولها اتم انطباق واعتنق كل من الطرفين الآخر والاول اي اعتناق والله الموفق

سورة النحل وتسمى سورة النعم مائة وعشرون وثماني آيات

مقصودها الدلالة على انه تعالى تام القدرة والعلم فاعل بالاختيار منزه عن شوائب النقص وادل ما فيها على هذا المعنى امر
النحل لما ذكر من شأنها في دقة الفهم في ترتيب بيوتها ورعيها وسائر امرها من اختلاف الوان ما يخرج منها من اعسالها وجعله شفاء مع
اكلها من الثمار النافعة والضارة وغير ذلك من الامور ووسمها بالنعم واضح في ذلك والله اعلم بسم الله المحيط بدائرة الكمال
فما شاء فعل الرحمن الذي عمت نعمته جليل خلقه وحقيره صغيره وكبيره الرحيم الذي خص من شاء بنعمة النجاة مما يسخطه بما يرضاه
لما ختم الحجر بالاشارة الى اتيان اليقين وهو صالح لموت الكل ولكشف الغطاء باتيان ما يوعدون مما يستعجلون به استهزاء من
العذاب في الآخرة بعد ما يلقون في الدنيا ابتداء هذه بمثل ذلك سواء غير انه ختم تلك باسم الرب المفهم للاحسان لطفا بالمخاطب
وافتتح هذه بالاسم الاعظم الجامع لجميع معاني الاسماء لان ذلك اليق بمقام التهديد ولما ستعرفه من المعاني المتنوعة في اثناء
السورة وسيكرر هذا الاسم فيها تكريرا تعلم منه صحة هذه الدعوى وعبر عن الآتي بالماضي اشارة الى تحققه تحقق ما وقع ومضى
والى ان كل آت ولا بد قريب فقال اتى امر الله اي الملك الاعظم الذي له الاسماء الحسنى والصفات العلى بما يذل الاعداء ويعز
الاولياء ويشفي صدورهم ويقر اعينهم ولما كانت العجلة نقصا قال مسببا عن هذا الاخبار فلا تستعجلوه ايها الاعداء استهزاء
وايها الاولياء استكفاء واستشفاء وذلك مثل ما افهمه العطف في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم كما تقدم والضمير
يجوز ان يكون لله وان يكون للامر ولما كان الجزم بالامور المستقبلة لا يليق الا عند نفوذ الامر ولا نفوذ الا لمن لا كفؤ له وكانت
العجلة وهي الاتيان بالشيء قبل حينه الاولى به نقصا ظاهرا لا يحمل عليها الا ضيق العطن وكان التأخير لا يكون الا عن منازع مشارك
نزه سبحانه تنزيها مطلقا جامعا بقوله سبحانه اي تنزه عن الاستعجال وعن جميع صفات النقص وتعالى اي تعاليا عظيما جدا
عما يشركون اي يدعون انه شريك له فلا مانع له مما يريد فعله وساقه في غير قراءة حمزة والكسائي في اسلوب الغيبة اظهارا للاعراض
الدال على شدة الغضب وهي ناظرة الى قوله آخر التي قبلها واعرض عن المشركين وقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر
وقد آل الامر في نظم الآية الى ان صار كانه قيل انه لا يعجل لانه منزه عن النقص ولا بد من انفاذ امره لانه متعال عن الكفؤ او يقال
لا تستعجلوه لانه تنزه عن النقص فلا يعجل وتعالى عن ان يكون له كفؤ يدفع ما يريد فلا بد من وقوعه فهي واقعة موقع التعليل
لصدر الآية كما ان صدر الآية تعليل لآخر الحجر ولما تقرر بذلك تنزهه عن كل نقص شرك وغيره شرع يصف نفسه سبحانه
بصفات الكمال من الامر والخلق ولما الامر اقدم واعلى بدأ به ولما كان من امره انزال الملائكة على الصورة التي طلبوها في
قولهم لو ما تأتينا بالملائكة الآية وقص عليهم في سورة ابرهيم ولوط عليهما السلام ما يترتب على انزالهم مجتمعين وفهم منه ان لهم في
نزولهم حالة اخرى لا ينكرها الرسل وهي حالة الاتيان اليهم بالعلم الذي نسبته الى الارواح نسبة الارواح الى الاشباح وكان
ذلك ربما اثار لهم اعتراضا يطلبون به الفرق بينهم وبين الرسل في انزالهم عليهم دونهم كما تقدم في الحجر وكان ما يشركون به لا تصرف له

اصلا بانزال ولا غيره قال تعالى مشيرا الى ذلك والى ان الوحي بواسطة الملك وان النبوة عطائية لا كسبية ينزل الملائكة الذين هم الملا
الاعلى بالروح اي المعنى الاعظم الذي هو للارواح بمنزلة الارواح للاشباح من امره الذي هو كلامه المشتمل على الامر والنهي الا له الخلق
والامر وهو مما تميز به لحقيته واعجازه عن جميع المخلوقات فكيف بما لا يعقل منها كالاصنام على من يشاء من عباده دون بعض لان ذلك
نتيجة فعله بالاختيار وابدل من الروح او فسر الانزال بالوحي لانه متضمن معنى القول فقال ان انذروا اي الناس سطواتي فانها لا
محالة نازلة بمن اريد انزالها به بسبب انه لا اله الا انا وعبر بضمير التكلم لانه ادل على المراد لكونه اعرف وسبب عن وحدانيته التي
هي منتهى كمال القوة العلمية قوله امرا بما هو اقصى كمال القوة العملية فاتقون اي فليشتد خوفكم مني واخذكم لما يكون وقاية لكم من عذابي
فانه لا مانع مما اريد فمن علمت انه اهل للنقمة انزلتها به ومن علمته اهلا لتلقي الروح منحته اياه ولما وحد نفسه دل على ذلك بقوله
شارحا لايجاده اصول العالم وفروعه على وجه الحكمة خلق السموات اي التي هي السقف المظل والارض اي التي هي البساط المقل
بالحق اي بالامر المحقق الثابت لا بالتمويه والتخييل الا له الخلق والامر ولما كان ذلك من صفات الكمال المستلزمة لنفي النقائص وكان
قاطعا في التنزه عن الشريك لانه لو كان لزم امكان الممانعة فلزم العجز عن المراد او وجود الضدين المرادين لهما وكل منهما محال فامكان
الشريك محال ولانهما وكل ما فيهما ملكه وفي تصرفه لا نزاع لمن اثبت الاله في ذلك تلاه بقوله نتيجة لذلك دالة على انه تعالى ليس
من قبيل الاجرام تعالى اي تعاليا فات الوصف عما يشركون عريا عن افتتاحه بالتنزيه كالاولى ولما كان خلق السموات والارض
غيبا لتقدمه وكان خلق الانسان على هذه الصفة شهادة مع كونه ادل على ذلك من حيث انه اشرف من كل ما يعبده من دون الله وان
يكون الرب ادنى من العبد اصلا قال معللا خلق الانسان اي هذا النوع الذي خلقه ادل ما يكون على الوحدانية والفعل بالاختيار
لانه اشرف ما في العالم السفلي من الاجسام لمشاركته للحيوان الذي هو اشرف من غيره بالقوى الشريفة من الحواس الظاهرة والباطنة
والشهوة والغضب واختصاصه بالنطق الذي هو ادراك الكليات والتصرف فيها بالقياسات من نطفة اي ادم عليه السلام من مطلق
الماء ومن تفرع منه بعد زوجه من ماء مقيد بالدفق ولما كان مع مشاركته لغيره من الحيوان في كونه من نطفة متميزا بالنطق المستند
الى ما في نفسه من عجائب الصنع ولطائف الادراك كان ذلك ادل دليل على كمال قدرة الفاعل واختياره فقال فاذا هو اي الانسان المخلوق
من الماء المهين خصيم اي منطيق عارف بالمجادلة مبين اي بين القدرة على الخصام وموضح لما يريده غاية الايضاح بعد ان كان ماء لا
حس فيه ولا حركة اختيارية عنده بوجه افلا يقدر الذي ابتدا ذلك على اعادته ولما صار التوحيد بذلك كالشمس وكان كل ما في الكون
مع انه دال على الوحدانية نعمة على الانسان يجب عليه شكرها شرع يعدد ذلك تنبيها له على وجوب الشكر بالتبرؤ من الكفر فقال
مقدما الحيوانات لانها اشرف من غيرها وقدم منها ما ينفع الانسان لانه اجل من غيره مبتديا بما هو اولاها بالذكر لانه اجلها منفعة
في ضرورات المعيشة والزمها لمن انزل الذكر بلسانهم والانعام اي الازواج الثمانية الضان والمعز والابل والبقر خلقها غير
ناطقة ولا مبينة مع كونها اكبر منكم خلقا واشد قوة ولما كان اول ما يمكن ان يلقى الانسان عادة من نعمها اللباس بدا به فقال
على طريق الاستيناف لكم فيها دفء اي ما يدفا به فيكون منه حر معتدل من حر البدن الكائن بالدثار يمنع البرد وفني بما يعم جميع نعمها
التي منها اللبن فقال ومنافع ثم ثلث بالاكل لكونه بعد ذلك فقال ومنها تاكلون وقدم الظرف دلالة على ان الاكل من غيرها بالنسبة
الى الاكل منها مما لا يعتد به ثم تلاه بالتجمل لانه النهاية لكونه للرجال فقال ولكم اي ايها الناس خاصة فيها اي الانعام جمال اي عظيم ولما
كان القدوم اجل نعمة وابهج من التروح قدمه فقال حين تريحون بالعشي من المراعي وهي عظيمة الضروع طويلة الاسنمة وحين
تسرحون بالغداة من المراح الى المراعي فيكون لها في هاتين الحالتين من الحركات منها ومن رعاتها ومن الحلب والتردد لاجله وتجاوب
الثغاء والرغاء امر عظيم وانس لاهلها كبير ولما كانت الاسفار بعد ذلك تلاه بقوله وتحمل اي الانعام اثقالكم اي امتعتكم مع
المشقة الى بلد اي غير بلدكم اردتم السفر اليه لم تكونوا اي كونا انتم مجبولون عليه قادرين على حملها اليه وتبلغكم بحملها لكم الى بلدكم
تكونوا بالغيه بغير الابل الا بشق اي بجهد ومشقة وكلفة الانفس ويجوز ان يكون المعنى لم تبلغوه بها فكيف لو لم تكن موجودة
والشق احد نصفي الشيء كانه كناية عن ذهاب نصف القوة لما يلحق من الجهد والاية من الاحتباك ذكر حمل الاثقال اولا دليلا
على حمل الانفس ثانيا وذكر مشقة البلوغ ثانيا دليلا على مشقة الحمل اولا ولما كان هذا كله من الاحسان في التربية ولا يسخره للضعيف
الا البليغ في الرحمة وكان من الناس من له من اعماله سبب ليرضي ربه ومنهم من اعماله كلها فاسدة قال ان ربكم اي الموجد لكم والمحسن اليكم
لرؤف اي بليغ الرحمة لمن يتوسل اليه بما يرضيه رحيم اي بليغ الرحمة بسبب وبغير سبب ولما كانت الانعام اكثر اموالهم مع ان منافعها
اكثر بدا بها ثم ثنى بما هو دونها مرتبا له على الاشرف فالاشرف فقال والخيل اي الصاهلة والبغال اي المتولدة بينها وبين الحمير والحمير
اي الناهقة ولما كان الركوب فعل المخاطبين وهو المقصود بالمنفعة ذكره باللام التي هي الاصل في التعليل فقال لتركبوها ولما
كانت الزينة تابعة للمنفعة وكانت فعلا لفاعل الفعل المعلل نصبت عطفا على محل ما قبلها فقال وزينة ولما دل على قدرته
بما ذكر في سياق الامتنان دل على انها لا تتناهى في ذلك السياق فنبه على انه خلق لهم امورا لو عدها لهم لم يفهموا المراد منها لجهلهم بها
ولعلها اجل منافع مما ذكر فقال ويخلق اي على سبيل التجديد والاستمرار في الدنيا والاخرة ما لا تعلمون فلا تعلمون له موجدا غيره
ولا مدبرا سواه ولما كانوا في اسفارهم واضطرابهم في المنافع بهذه الحيوانات وغيرها يقصدون اسهل الطرق واقومها
واوصلها الى الغرض ومن عدل عن ذلك كان عندهم ضالا سخيف العقل غير مستحق للعد في عداد النبلاء نبههم على ان ما تقدم في هذه
السورة قد بين الطريق الاقوم الموصل اليه سبحانه بتكلفه ببيان انه واحد قادر عالم مختار وانه هو المنعم موجبا اختصاصه بالعبادة
واخبرهم سبحانه انه اوجب هذا البيان على نفسه فضلا منه فقال وعلى اي قد بين لكم الطريق الاتم وعلى الله اي الذي له الاحاطة بكل

احتباك م

شيء

شيء قصد السبيل اي بيان الطريق العدل وعلى الله بيان الطريق الجائر حتى لا يشك في شيء منهما فان الطرق المعنوية
كالحسية منها مستقيم من سلكه اهتدى ومنها جائر من سلكه ضل عن الوصول فهلك وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم الآية
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فالآية من الاحتباك ذكر ان عليه بيان القصد اولا دلالة على حذف ان عليه بيان الجائر ثانيا
وذكر ان من الطرق الجائر ثانيا دلالة على حذف ان منها المستقيم اولا وتغيير الاسلوب لبيان المقصود بالذات انما هو بيان
المنافع ومادة قصد تدور على العدل السواء ومنه القصد اي الاستقامة واستقامة الطريق من غير تصريح وصد الافراط
كالاقتصاد ورجل ليس بالجسيم ولا بالضئيل وذلك الا عن ارادة وتوجه فاطلاق القصد على العزم مستقيما كان او جائرا اذا
قلت قصدته بمعنى اتيته او اممته ونويته من دلالة الالتزام وكذا القصد بمعنى الكسر باي وجه كان وقيل لا يقال قصد الا اذا
كان بالنصف والقصيد ما تم شطر ابياته لان ذلك اعدل حالاته قال في القاموس ثلثة ابيات فصاعدا او ستة وعشرون فصاعدا
وقال الامام ابو الفتح بن عثمن بن جني في اخر كتابه المعرب في شرح القوافي فالبيت على ثلثة اضرب قصيد ورمل وزجر فاما القصيد
فالطويل التام والبسيط التام والكامل التام والمديد التام والوافر التام والزجر التام والخفيف التام وهو كل ما تغنى به
المركبان ومعنى قولنا المديد التام والوافر التام نريد اتم ما جاء منهما في الاستعمال اعني الضربين الاولين منهما فاما ان يجيئا على
اصل وضعهما في دائرتهما فذلك مرفوض مطرح والقصيد المخ السمين او دونه والعظم الممخ والناقة السمينة بها نقي والسمين من
الاسنمة لان بهذا الحال استقامة كل ما ذكر وكذا القاصد القريب وبيننا وبين الماء ليلة قاصدة اي هينة السير لانه اقرب الى
الاستقامة ومنه قصدت كذا اذا اعتمدته واممته وتوجهت اليه سواء كان ذلك عدلا او جورا وانقصد الرمح اذا انكسر
على السواء كانه مطاوع قصده والواحدة من تلك الكسر قصده بالكسر ورمح قصد ككتب متكسر والقصد بالتحريك العوسج
لانه سريع التكسر والجوع لان الجائع قاصد لما ياكل متوجه اليه والقصدة مشرة العضاه تخرج في ايام الخريف لدنة تنثني في
اطراف الاغصان وهي خوصة تخرج فيها وفي كثير من الشجر في تلك الايام او هي الاغصان الرطبة قبل ان يتلون بلون وتشتد
سميت بذلك لخروجها وتوجهها الى منظر العين او توجه النظر اليها للسرور بها والقصيد العصى لانها تقصد ويقصد بها واقصد
السهم اصاب فقتل مكانه واقصد فلانا طعنه فلم يخطئه والحية لدغت فقتلت يمكن ان يكون ذلك من الاستقامة لان قصد فاعله
القتل فكان استقام قصده بنفوذه ويمكن ان يكون من السلب اي انه ازال الاستقامة لان من مات فقد زالت استقامة حياته
ومنه المقصد كمخرج وهو من يمرض ويموت سريعا والقصيد بمعنى اليابس من اللحم فعيل بمعنى مفعل اي اقصد فزالت استقامته
بان هلك جفافا ويبسا والصدق ضد الكذب وهو من اعدل العدل واقوم القصد والصدق الشدة اذ بها يمتحن الصادق من الكاذب
ومنه رجل صدق اي يصدق ما يعزم عليه او يقوله بفعله فهو شديد العزم شديد الامر والصديق كامير الحبيب الذي يصدق قوله
في الحب بفعل والمصادقة والصداق بالكسر المخالة كالتصادق والصيدق كصيقل الامين لانه مصدق في قوله والملك لان محله
يقتضي الصدق لعدم حاجته الى الكذب والقطب لانه اصدق النجوم دلالة لثباته وقال ابو عبد الله القزاز هو اسم للسها وهو
النجم الخفي الذي مع بنات نعش والصدق بالفتح الصلب المستوي من الرماح لانه يصدق ظن الطاعون به وكذا من الرجال والكامل
من كل شيء ورجل صدق اللقاء والنظر ومصداق الشيء ما يصدقه وشجاع ذو مصدق كمنبر صادق الجملة اي شديدها والصدقة
محركة ما اعطيته في ذات الله لانها تصدق دعوى الايمان لدلالتها على شدة العزم فيه والصدقة بضم الدال وسكونها مهر
المراة لانه يصدق العزم فيه وكسكيت الكثير الصدق وصدقت الله حديثا ان لم افعل كذا يمين لهم اي لا صدقت وفعله غب
صادقه اي بعد ما تبين له الامر وصدقه تصديقا ضد كذبه والوحشي عدا ولم يلتفت لما حمل عليه والمصدق كمحدث اخذ
الصدقات والمتصدق معطيها ولما كان اكثر الخلق ضالا كان ربما توهم متوهم انه خارج عن الارادة فنفى هذا التوهم بقوله
عطفا على ما تقديره فمن شاء هداه قصد السبيل ومن شاء اسلكه الجائر وهو قادر على ما يريد من الهداية والاضلال ولو شاء
هدايتكم لهداكم اجمعين بخلق الهداية في قلوبكم بعد بيان الطريق القصد ولكنه لم يشا ذلك فجعلكم قسمين ولما كان ما مضى كفيلا ببيان
انه الواحد المختار شرع يوضح ذلك بتفصيل الآيات ايضاحا يدعه في اتم انكشاف في سياق معدد للنعم مذكر بها وداع الى شكرها
فقال بعد ما دل به من ان الانسان وما يليه في الشرف من الحيوان مبتديا بما يليهما في الشرف من النبات الذي هو قوام حياة الانسان وما
به قوام حياته من الحيوان هو لا غيره مما تدعى فيه الالهية الذي انزل اي بقدرته الباهرة من السماء قيل نفسها وقيل جهتها وقيل
السحاب كما هو مشاهد ماء واحدا تحسونه بالذوق والبصر لكم منه اي خاصة شراب ظاهر على وجه الارض من العيون والانهار والغدران
وغيرها ولما كان اول ما يقيم الآدمي شراب اللبن الناشئ عن الماء فقدمه اتبعه ما ينشا منه اشرف اغذيته وهو الحيواني فقال
ومنه شجر لسريانه في الارض الواحدة واختلاطه بها فينعقد من ذلك نبات فيه تسيمون اي ترعون على سبيل الاطلاق ليلا
ونهارا ما خلق لكم من البهائم والشجر هنا بما افهمته الاسامة عام لما يبقى في الشتاء حقيقة ولغيره مجازا قال القزاز الشجر ما
بقي له ساق في الشتاء الى الصيف ثم يورق والبقل ما لا يبقى له ساق قال الخليل جل الشجر عظامه وما يبقى منه في الشتاء
ورقه صنفان احدهما تبقى له ارومة في الارض في الشتاء وينبت في الربيع ومنه ما ينبت من الارض كما تنبت البقلة والفرق
بينه وبين البقل ان الشجر تبقى له ارومة على الشتاء ولا يبقى للبقل وعن ابي حنيفة رحمه الله ان النبات ثلثة اقسام شجر وهو
ما يبقى في الشتاء ولا يذهب فرعه ولا اصله وما نبت في بزر ولم ينبت في ارومة ثابتة فهو البقل وما نبت في ارومة اي
اصل وكان مما يهلك فرعه في الشتاء فهو الجنية لانه فارق الشجر الذي يبقى فرعه واصله والبقل الذي يبيه فرعه واصله

احتباك م

مادة قصد

فكان جنية بينة ولما كان الشجر عاما شرع سبحانه يفصله تنويعا للنعم وتذكيرا بالتفاوت اشارة الى ان الفعل بالاختيار فقال
مبتدئا بالانفع فالانفع في القوتية والادامة والتفكه ينبت اي ملوسبحانه لكم اي خاصة به مع كونه واحدا في ارض واحدة الزرع
الذي تشاهدونه من اقل الشجر مكثا واصغره قدرا والزيتون الذي ترونه من اطول الاشجار عمرا واعظمها قدرا ولما كانت المنافع
كثيرة في نجوا التمر سماه باسمه فقال والنخيل ولما كانت المنفعة في الكرم بغير ثمرته نافهة قال والاعناب ومما من اوسط ذلك
ومن كل الثمرات واما كلها فلا يكون الا في الجنة وهذا الذي في الارض بعض من ذلك الكل مذكر به ومشوق اليه ان في ذلك اي الماء العظيم
المحدث عنه وعن فروعه او في انزاله على الصفة المذكورة لاية بينة على ان فاعل ذلك تام القدرة يقدر على الاعادة كما قدر على
الابتداء وانه مختار يفعل ذلك في الوقت الذي يريده ولما كان ذلك مما يحس وكان شغل الحواس بمنفعته لقربه وسهولة ملابسته
ربما شغل عن الفكر في المراد به فكان التعقل لادلته يحتاج الى فضل تامل ودقة نظر قال تعالى لقوم يتفكرون اي في ان وحدته
وكثرة ما يتفرع عنه دليل على وحدة صانعه وفعله بالاختيار وامر الاية لوحة المحدث عنه وهو الماء كما قال تعالى في اية نسقي
بماء واحد ومباني في اية النحل كلام الامام ابو الحسن الحرالي رحمه الله في هذا وقال الامام ابو جعفر بن الزبير رحمه الله هذه السورة
في انتحالها بسورة الحجر مثل الحجر بسورة ابرهيم من غير فرق لما قال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال بعد ذلك في
وعيد المستهزئين فسوف يعلمون اعقب هذا البيان بتعجيل الامر فقال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وزاد هذا بيانا تقول سبحانه
وتعالى عما يشركون فنزه سبحانه نفسه عما فاهوا به في استهزائهم وشركهم وعظيم نحلتهم واتبع ذلك تنزيها وتعظيما فقال خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم اتبع ذلك بذكر ابتداء خلق الانسان وضعف جبلته خلق الانسان من نطفة ثم ابلغه تعالى جزا ليكون فيه
الخصام والمحاجة كل ذلك ابتلاء منه واختبارا ليميز الخبيث من الطيب واعقب هذا بذكر بعض لطائفه في خلق الانعام وما جعل فيها
من المنافع المختلفة وما هو سبحانه عليه من الرافة والرحمة اللتين هما اخر العقوبة عن مستوجبها وهدي من لم يستحق الهداية بذاته
بل كل هداية فبرافة الخالق ورحمته ثم اعقب ما ذكره بعد من خلق الخيل والبغال والحمير وما في ذلك كله بقوله ولو شاء لهداكم
اجمعين فبين ان كل الواقع من هداية وضلال خلقه وفعله وانه اوجد الكل من واحد كما ابتدا ايجاد واحدا خلق الانسان من نطفة فلا
تجد في اختلافهم بعد ذلك فقدارا سبحانه مثال هذا الفعل ونظيره في قوله هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه
شجر الى قوله لاية لقوم يتفكرون انتهى ولما كان ربما قال بعض الضلال ان هذه الاشياء مستفيدة الى تاثير الافلاك نبه على
انها لا تصلح لذلك بكونها متغيرة فلابد لها من قاهر اثر فيها التغير ولا يزال الامر كذلك الى ان ينتهي الى واحد قديم فاعل بالاختيار ولما
تقرر من بطلان التسلسل فقال تعالى وسخر لكم اي ايها الناس لاصلاح احوالكم الليل للسكني والنهار للابتغاء ثم ذكر اية النهار فقال
والشمس اي لمنافع اختصاصها ثم اية الليل والقمر لامور علقها به والنجوم اي لايات نصبها لعالم نبه على تغيرها بقوله مسخرات
اي بانواع التغير لما خلقها له على اوضاع دبرها بامره سببا لصلاحكم وصلاح ما به قوامكم دلالة على وحدانيته وفعله بالاختيار
ولو شاء لاقام اسبابا غيرها او اغنى عن الاسباب ولما كان امرها مع كونه محسوسا ليس فيه من المنافع القريبة الامر السهلة الملاة
ما يشغل عن التكر فيه لم يحل امرها الى غير مطلق العقل اشارة الى وضوحه وان كان لابد فيه من استعمال القوة المفكرة ولان الانار
العلوية ادل على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة فقال ان في ذلك اي التسخير العظيم لايات اي كثيرة متعددة عظيمة
لقوم يعقلون وجمع الايات لظهور تعدادها بالتحديث عنها مفصلة ولما كان ما مضى موضعا للتفكر المنتج للعلم بوحدة الصانع واختياره
وكان التفكر في ذلك مذكرا بما بعده من سر التفاوت في اللون الذي لا يمكن ضبط اصنافه على التحرير وكان في ذلك تمام ابطال القول
بتاثير الافلاك والطبايع لان نسبتها الى جميع اجزاء الورقة الواحدة والجنة الواحدة واحدة قال تعالى عطفا على الليل وما ذرا اي
خلق وثبت وفرق من التراب والماء لكم اي خاصة فاشكروه واعلموا انه ما خصكم بهذا التدبير العظيم الاحكم كبيرة اجلها اظهار جلاله
يوم الفصل في الارض اي مما ذكر ومن غيره حال كونه مختلفا الوانه حتى في الورقة الواحدة فترى احد وجهيها بل بعضه في غاية الحمرة
والاخر في غاية السواد او الصفرة ونحو ذلك فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت في الاثار فعلم قطعا انه انما
هو قادر مختار ولم يذكر اختلافها لصورة لان دلالتها لاجل اختلاف اشكال النجوم من السماء وصور الجبال والروابي والوهاد من الارض
ليست على ابطال الطبيعة كدلالة اختلاف اللون ولما كان ذلك وان كان خارجا عن الحد في الانتشار واحدا من جهة كونه لونا
وحد الاية فقال ان في ذلك الذي ذرأه في هذه الحال على هذا الوجه العظيم لاية ولما نبه في التي قبلها على ان الامر وصل في الوضوح
الى حد لا يحتاج معه الى غير بديهة العقل نبه هنا على ان ذلك معلوم طرا عليه النسيان والغفلة حثا على بذل الجهد في تامل ذلك
واشارة الى ان دلالته على المقصود في غاية الوضوح فقال لقوم يذكرون ولم يمنعوا بما افاده الادغام والتذكر طلبا لمعنى
ما لتفكر في متعلقه فلابد من حضور معنى يطلب به غيب وقد رتب سبحانه ذلك ابدع ترتيب فذكر الاجسام المركبة عموما ثم
خص الحيوان ثم مطلق الجسم النامي وهو النبات ثم البسايط من الماء ونحوه ثم الاعراض من الالوان ولما دل على قدرته واختياره
سبحانه دلالة على القدرة على كل ما اخبر به لا سيما الساعة بخلق السموات والارض الذي هو اكبر من خلق الناس ثم ذكر بعض ما في المكون
من الارض المحيط به الهواء من التفاوت الدال على تفرد الصانع واختياره وختمه باللون اتبع ذلك بالمغمور بالماء الذي لا لون له في
الحقيقة اشارة الى انه ضمنه من المنافع والحيوانات التي لها من المقادير والكيفيات والاشكال والالوان البديعة التخطيط
العزيزة الصباغ ما مواد ذكر من ذلك فقال وهو اي لا غير الذي سخر البحر اي ذلله وهيأه لمعيش ما فيه من الحيوان وتكون الجواهر
وغير ذلك من المنافع والمراد به السبعة الابحر الكائنة في الرقم المرتفع عن الماء وهو المكون من كرة الارض المادة من البحر المحيط

الغامر لثلثة ارباع الارض فجعله بالتسخير بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به بالركوب والغوص وغيرهما لتاكلوا منه اي
بالاصطياد وغيره من لحوم الاسماك لحما طريا لا تجد انعم منه ولا الين وهو ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيبادر الى اكله عذبا
لذيذا مع نشيه في ملح زعاق وتستخرجوا منه اي بجهدكم في الغوص وما يتبعه حلية تلبسونها اي نساؤكم ومن بعضكم لكم فكان
اللابس انتم وهي من الحجارة التي لا ترى اصلب منها ولا اصفى من اللولو وكذا من المرجان وغيره مع نسبة هذا الصلب وذاك الطري
الى الماء فلو انه فاعل بطبعه لاستويا ولما ذكر المنافع العامة مخاطبا لهم بها وكان المخر وهو ان تجري السفينة مستقبلة الريح
فتشق الماء فيسمع لجريها صوت معجب وذلك مع الحمل الثقيل آية عظيمة لا يتاملها الا ارباب القلوب خص بالخطاب اعلى اولي الالباب ومن
قاربه في ابتغاء الصواب فقال وترى الفلك ولما كان النظر الى تعداد النعم هنا اتم منه في سورة فاطر قدم المخر في قوله مواخر
فيه اي جواري تشق الماء مع صوت لتركبوها فتستدلوا بعدم رسوبها فيه مع ميوعه ورقته وشدة لطافته على وحدانية الاله
وقدرته ولما علل التسخير بمنفعة البحر نفسه من الاكل وما تبعه عطف على ذلك النفع به فقال ولتبتغوا اي تطلبوا طلبا عظيما
بركوبه من فضله اي الله بالتوصل بها الى البلدان الشاسعة للمتاجر وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم التي انتم عاجزون عنها
لولا تسخيره والمخر شق الماء عن يمين وشمال وهو ايضا صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها وقد ابتدي فيه بما يغوص تارة
ويطفو اخرى بالاختيار وثني بما طبعه الرسوب وثلث بما من طبعه الطفوف ولما ذكر الاغوار الهابطة الضابطة للبحار اتبعها
الاتحاد الشداد التي هي كالاوتاد تذكيرا بما فيها من النعم فقال والقى في الارض اي وضع فيها وضعا كانه قذفه فيها قذفا حبالا
رواسي مماسة لها ومزينة لنواحيها كراهة ان تميد اي تميل مضطربة يمينا وشمالا اي فيحصل لكم الميد وهو دوار يعتري راكب البحر
بكم فهي ثابتة لاجل ذلك الالقاء ثابتة مع اقتضائها بالكرية التحرك ولما ذكر الاوهاد واتبعها الاوتاد تلاها بما تفجره غالبا منها
عاطفا على رواسي لما تضمنه العامل من معنى جعل فقال وانهارا وادل دليل على ثبات الارض ما سبقها من ذكر البحار ولحقها من الحديث
عن الانهار فانها لو تحركت ولو بمقدار شعرة في كل يوم لاغرقت البحار من الى جانب الانخفاض وتعاكست مجاري الانهار فعادت منافعها
اشد المضار ولو زادت البحار بما تصب فيها الانهار على مر الليل وكر النهار لاغرقت الارض ولكنه تعالى دبر الامر بحكمته تدبيرا تعجز
عن الاطلاع على كنهه افكار الحكما بان سلط حرارة الشمس على الارض في جميع مدة الصيف وبعض غيره من الفصول فسرت في اغوارها
فحميت اعماقها في الشتا فاسخنت مياه البحار وغيرها فتصاعدت منها بخارات كما يتصاعد من القدر المغلي بقدر ما صبت فيها الانهار
فانعقدت تلك البخارات في الجو مياها لنا بردت فنزل منها المطر فاحيى الارض بعد موتها وتخلل اعماقها منه ما شاء الله فامد الانهار
ولذلك تزيد بزيادة المطر وتنقص بنقصه وهكذا في كل عام فاوجب ذلك بقاء البحر على حاله من غير زيادة فسبحان المدبر الحكيم
العزيز العليم ولما ذكر ذلك اتبعه ما يتوصل به الى منافع كل منه فقال وسبلا ولما كانت الجبال والبحار والانهار ادلة على السبل
الحسية والمعنوية قال لعلكم تهتدون اي يحصل لكم الاهتداء فتهتدوا الى مقاصدكم ولما كانت الادلة في الارض غير محصورة فيها
قال وعلامات اي من الجبال وغيرها جمع علامة وهي صورة يعلم بها المعنى من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقد تكون علامة وضعية
وقد تكون برهانية ولما كانت الدلالة بالنجم انفع الدلالات واعمها واوضحها برا وبحرا ليلا ونهارا نبه على عظمها بالالتفات
الى مقام الغيبة لافهام العموم لئلا يظن ان المخاطب مخصوص وان الامر لا يتعداه فقال وبالنجم هم اي اهل الارض كلهم واولى الناس
بذلك اول المخاطبين وهم قريش ثم العرب كلها لفرط معرفتهم بالنجوم يهتدون وقدم الجار تنبيها على ان دلالة غيره بالنسبة اليه سائلة
ولما لم يبق بذكر الدلايل الوحدانية على الوجه الاكمل والترتيب الاحسن والنظم الابلغ شبهة في ان الخالق انما هو الله لما ثبت من
وحدانيته وتمام علمه وقدرته وكمال حكمته لجعله تلك الدلايل نعما عامة ومننا تامة مع اتضاح العجز في كل ما يدعون فيه الالهية
من دونه واتضاح انه سبحانه في جميع صنعه مختار للمفاوتة في الوجود والكيفيات بين ما لا مقتضي للتفاوت فيه غير الاختيار
فثبت بذلك انه قادر على الاتيان بما يريد قال مسببا عن ذلك افمن يخلق اي يجدد ذلك حيث اراد ومتى اراد فلا يمكن عجزه بوجه
لتمكن شركته كمن شركته ممكنة وهو اصيل في ذلك بسبب انه لا يخلق اي لا يقع ذلك منه وقتا ما من الاصنام وغيرها في العجز عن
الاتيان بما يقوله المستلزم لان يكون ممكنا مخلوقا ولو كان التشبيه معلوما كما قيل لم يفد ما افاد هذا التقدير من الابلاغ في ذمهم بانزال
الاعلى عن درجته وعبر بمن لانهم سموها آلهة وانهى امرها ان تكون عاقلة فاذا انتفى عنها وصف الالهية معه لعدم القدرة على شيء
انتفى بدونه من باب الاولى ولما سبب عن هذه الادلة انكار تسويتهم الخالق بغيره في العجز سبب عن هذا الانكار انكار تذكرهم
حثا على التذكر المفيد لترك الشرك فقال افلا تذكرون بما تشاهدونه من ذلك ولو من بعض الوجوه بما افاده الادغام لتذكروا
ما يحق اعتقاده ولما كانت المقدورات لا تحصر واكثرها نعم على العباد مذكرة لهم بخالقهم قال ممتنا عليهم باحسانه من غير
سبب منهم وان تعدوا اي كلكم نعمة الله اي انعام الملك الاعظم الذي لا رب غيره عليكم وان كان في واحدة فان شعبها تفوت
الحصر لا تحصوها اي لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم مع كفرها واعراضكم جملة عن شكرها فلو شكرتم لزادكم من فضله ولما
كانوا مستحقين لسلب النعم بالاعراض عن التذكر والعمى عن التبصر اشار الى سبب ادرارها فقال ان الله اي الذي له صفات
الكمال لغفور رحيم فلذلك هو يدر عليكم نعمه وانتم منهمكون فيما يوجب نقمه ولما جرت العادة بان المكفور احسانه يبادر الى
قطعه عند علمه بالكفر فكان ربما توهم متوهم ان سبب متواترة الاحسان عدم العلم بالكفران او عدم العلم بكفران لا يدخل تحت المغفرة
قال مهددا مبرزا للضمير بالاسم الاعظم الذي بنيت عليه السورة للفصل بالفرق بين الخالق وغيره بجميع صفات الاكرام والانتقام
ايما الى ان ذلك نتيجة ما مضى والله اي الذي له الاحاطة الكاملة ولئلا يتوهم تقييد التهديد بحيثية المغفرة يعلم اي على الاطلاق

ما تسرون اي كله ولما كان الاسرار ما حمل على حالة الخلوة فلم يكن علمه دالا على الاعلان قال وما تعلنون ليعلم مقدار المضاعفة موجبا
الشكر وقباحة الكفر واما الاصنام فلا تعلم شيأ فلا اسفة من عبدها ولما ثبت لنفسه تعالى كمال القدرة وتمام العلم وانه المنفرد بالخلق
شرع يقيم الادلة على تعيد ما يشركونه به من الالهية بسلب تلك الصفات فقال والذين يدعون اي دعاء عبادة من دون الله اي الذي
له جميع صفات الكمال لا يخلقون شيئا ولما كان ربما ادعي متدع في شيء انه لا يخلق ولا يخلق قال وهم يخلقون ولما كان من المخلوقات
الميت والحي وكان الميت ابعد شيء عن صفة الاله قال نافيا عنها الحيوة بعد ان نفي القدرة والعلم المستلزم لان تكون عبدها اشرف
منها المستلزم لانهم مخصوصهم لها في غاية السفة اموات ولما كان الوصف قد يطلق على غير المتلبس به مجازا عن عدم نفعه بضده
وان كان قائما به عريقا فيه قال غير احياء بينا ان المراد بذلك حقيقة سلب الحيوة على ضد ما عليه الله الاله الحق من كونه حيا
لا يموت ولعله اقتصر على وصفهم مع انهم موات بانهم اموات لان ذلك مع كونه كافيا في المقصود من السياق وهو ابعادهم عن الالهية يكون
صالحا لكل مخلوق ادعي فيه الالهية وان اتصف بالحياة لان حياته وكمه يعقبها الموت ومن كان كذلك كان بعيدا عن صفة الالهية ولما
كانوا مع علم بان الاصنام حجارة لا حياة لها يخاطبون من اجوابها بالسنة الشياطين كما هو مذكور في السير وغيرها من الكتب المصنفة
في هواتف الجان فصاروا يظنون ان لها علما بهذا الاعتبار ولذلك كانوا يظنون انها تضر وتنفع اجيب الى نفي العلم عنها ولما كانوا
يخبرون على السنتها ببعض ما يستر قونه من السمع فيكون كما اخبروا لم ينف عنها مطلق العلم بل نفي ما علم لاحد غير الله بدليل انهم لا يخبرون
عنه بخبر الا بان كذبه فقال تعالى عاد الكلام عداد المتفق عليه وما يشعرون اي في هذا الحال كما هو مدلول ما ايان اي اي حين
يبعثون فنفي عنهم مطلق الشعور الذي هو اعم من العلم فينتفي بنفيه كل ما هو اخص منه ولما كانت ادلة البعث قد ثبت قيامها
واتضحت اعلامها وعلامارها وانتشرت انوارها ساق الكلام فيها مساق ما لا خلاف لاحد في العلم بوقته مع الاتفاق على اصله لانه من لوازم
التكليف ولما اتضح بذلك كله عجز شركائهم اشار الى ان منشا العجز قبول التعدد ارشادا الى برهان التمانع فقال على طريق الاستيناف
لانه نتيجة ما مضى قطعا الهكم اي ايها الخلق كلهم المعبود بحق اله اي متصف بالالهية على الاطلاق بالنسبة الى كل احد وكل زمان
وكل مكان واحد لا يقبل التعدد الذي هو مثار النقص موجه من الوجوه لان التعدد يستلزم امكان التمانع المستلزم للعجز المستلزم
للبعد عن رتبة الالهية فالذين اي فتسبب عن هذا ان الذين لا يؤمنون بالاخرة اي دار الجزاء ومحل اظهار الحكم الذي هو عن ما الملك
والعدل الذي هو مدار العظمة قلوبهم منكرة اي جاحدة بانه واحد لما لها من القسوة لاستلزامه الامر بما تقدم في هود من ان مادة نكر
تدور على القوة وهي تستلزم الصلابة فتاتي القسوة وهم اي والحال انهم بسبب انكارهم الاخرة مستكبرون اي صفتهم الاستكبار
عن كل ما لا يوافق اهواءهم وهو طلب الرفع بالامتناع من قبول الحق انفة من اهله فصاروا بذلك الى حد يخفى عليهم معه الشمس كما قال
تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وربما دل مستكبرون على ان منكرة بمعنى جاحدة ما هي به عارفة ولما كانوا
كون الانسان اكثر شيء جدلا ربما انكروا الاستكبار وادعوا انه لو ظهر لهم الحق لاتبعوا قال على طريق الجواب لمن كانه قال
انهم لا يبوءون استكبارا ما لا يكون معه في ان هذا كلام الله لا جرم اي لا اظن بي ان الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما هم علما غيبيا
وشهاديا ما يسرون اي يخفون مطلقا او بالنسبة الى بعض الناس ولما كان علم الشر لا يستلزم علم الجهر كما مضى غير مرة قال
وما يعلنون فهو ما اخبر بذلك الا عن امر قطعي لا يقبل المراء ولما كان في ذلك معنى التهديد كان المراد فليجازينهم على دق ذلك
وجله من غير ان يغفر منه شيأ كما يأتي التصريح به في قوله ليحملوا اوزارهم كاملة على هذا المعنى بقوله انه اي العالم بالسر والعلن
لا يحب المستكبرين اي على الحق كائنا ما كان ولما كان الطعن في القرآن بما ثبت من عجزهم عن معارضته دليل الاستكبار قال تعالى
عاطفا على قلوبهم منكرة واذا قيل اي من اي قائل كان في اي وقت كان ولو تكرر لهم اي لمنكري الاخرة ماذا اي اي شيء انزل ربكم
اي المحسن اليكم المدبر لامورهم قالوا مكابرين في انزاله عابدين ذا موصولة لا موكدة للاستفهام الذي تضمنوا انه نزل ليس منزلا
بل هو اساطير الاولين مع عجزهم بعد تحديهم عن معارضة سورة منه مع علمهم بانهم افصح الناس وانه لا يكون من احد من الناس متقدم او
متاخر قول الا قالوا ابلغ منه ولما كان الكتاب هو الصراط المستقيم المنقذ من الهلاك وكان قولهم هذا صدا عنه فكان مع كونه ضلالا
اضلالا ومن المعلوم ان من ضل كان عليه اثم ضلاله ومن اضل كان عليه وزر اضلاله هذا ما لا يخفى على ذي عقل صحيح فلما كان
هذا بينا وكانوا يدعون انهم ابصر الناس بالخفيات فكيف بالجليات حسن جدا قوله ليحملوا اما انهم يعلمون ان هذا اثم لهم قطعا
وان قالوا بالسنتهم غيره او يقال انه قيل ذلك لانه مع ان الجهل اولى لهم منه اخف احوالهم لانهم اما ان يعلموا انهم فعلوا لهذا الطعن
ما ليس لهم او لا فعلى الثاني هم اجهل الناس وعلى الاول فاما ان يكونوا ظنوا انهم يؤخذون به او لا فعلى الناس يكون الخلق سدى وليس هو
من الحكمة في شيء فمعتقد هذا من الجهل عكان عظيم وعلى الاول فهم يباهرون كثيرا من الظلمة لا يجازون في الدنيا فيلزمهم في الحكمة
اعتقاد الاخرة ليجازي بها المحسن والمسيء وهذا اخف الاحوال المتقدمة ولا يخفى ما في الاقدام على مثله من الغباوة المناقضة
لادعائهم انهم ابصر الناس فقد اداك الامر الى التهكم بهم لانهم نسبوا الى علم الجهل خير منه اوزارهم التي باشروها لتكوينهم عن الحق
تكبرا عن شبهة ولما كان الله من فضله يكفر عن اهل الايمان صغائرهم بالطاعات وباجتناب الكبائر فكان التكفير مشروطا
بالايمان وكان هؤلاء قد كفروا بالتكذيب بالكتاب قال كاملة لا ينقص منها وزر شيء مما اسروا ولا مما اعلنوا الخفاء ولا ذهول
تنكيل ولا عجز من دون خلل في وصف من الاوصاف فهو ابلغ من تامة لان التمام قد يكون في العدة مع خلل في بعض الوصف يوم
القيمة الذي لا شك فيه ولا محيص عن اتيانه وليحملوا من مثل اوزار الجهلة الضعفا الذين يضلونهم فيضلون بهم كاينين او كائنا
الذين ضلوا غيرهم يحملون من اوزارهم من غير ان ينقص شيء مما باشروها لما لهم فيها من التسبب من غير ان ينقص من اوزار الضالين بهم شيء وان كانوا

جملة
لان لهم عقولا هي بحيث تهدي الى سؤال اهل الذكر وفطرا اولى تنفر من الباطل اول ما يعرض عليها فضيعوها ثم استانف
التنبيه على عظيم ما يحصل لهم من مرتكبهم من الضرر وعيدا لهم فقال الا ساء ما يزرون فادخل همزة الانكار على حرف النفي فصار اثباتا
على ابلغ وجه ولما كان المراد من هذا الاستكبار محو الحق واخفاء امره من غير تصريح بالعناد بل مع اقامة شبه ربما راجت وان
اشتد ضعفها على عقول هي اضعف منها وكان هذا حقيقة المكر التي هي التغطية والستر كما بين في الرعد عند قوله تعالى بل
زين للذين كفروا مكرهم شرع يهدد الماكرين ويحذرهم وقوع ما وقع بمن كانوا اكثر منهم عددا واقوى يدا ويرجي المومنين في نصرهم
عليهم بما له من عظيم القوة وشديد السطوة فقال قد مكر الذين ولما كان المقصود بالاخبار ناسا مخصوصين لم يستغرقوا زمان
القبل ادخل الجار فقال من قبلهم ممن راوا اثارهم ودخلوا ديارهم فاتى الله اي بما له من مجامع العظمة بنيانهم اي اتيان باس وانتقام
من القواعد التي بنوا عليها مكرهم فخر اي سقط مع صوت عظيم لهدته عليهم السقف ولما كانت العرب تقول خر علينا سقف
ووقع علينا حائط اذا كان يملكه وان لم يكن وقع عليه كما نقله ابو حيان عن ابن الاعرابي قال تعالى صرفا عن هذا الى حقيقة السقوط المقيد
بالجار من فوقهم وكانوا تحته فهلكوا كما هو شان البنيان اذا زالت قواعده ولما كان المكر هو الضر في خفية لانه الفتل بالحيلة
الى جهة منكرة بين ان ما حصل لهم من العذاب هو من باب ما فعلوا بقوله واتاهم العذاب اي الذي اتفقت كلمة الرسل على الوعيد به
لمن ابى من حيث لا يشعرون لان السبب الذي اعدوه لنصرهم كان بعينه سبب قهرهم وهذا على سبيل التمثيل وقيل انه على الحقيقة
فيما بناه نمرود من الصرح ذكر قصة من التورية قال في السفر الاول منها في تعداد اولاد نوح عليه السلام وكوش يعني ابن
حام بن نوح ولد نمرود وكان اول جبار في الارض وهو كان مخوفا ذا صيد بين يدي الرب ولذلك يقال هذا مثل نمرود الجبار
القناص فكان مبدا ملكه بابل والكرسي والاهواز والكوفة التي بارض شنعار ومن تلك الارض خرج الموصل فابتنى نينوى ورحبوت
القرية وفي نسخة وقرية الرحبة والابلة والمداين ثم قال بعد ان عد احفاد نوح عليه السلام وممالكهم هولاء قبايل بني نوح
واولادهم وخلوفهم وشعوبهم ومن هولاء تفرقت الشعوب في الارض بعد الطوفان وان اهل الارض كلهم كانت لغتهم واحدة ومنطقهم
واحدا فلما ظعنوا في المشرق انتهوا الى قاع في ارض شنعار وفي نسخة العراق فسكنوه فقال كل امرء منهم لصاحبه هلم بنا
نلبن اللبن ونحرقه بالنار فيصير اللبن مثل الحجارة ونصير الجص بدل الطين للملاط ثم قالوا هلموا نبني لنا قرية نتخذها وصرحا
مشيدا لاحقا بالسماء ونخلف لنا شيا نذكر به لعلنا ان لا نتفرق على الارض كلها فنظر الرب القرية والصرح الذي يبنيه الناس
فقال الرب اني ارى هذا الشعب رايهم واحدا ولغتهم واحدة وقد هموا ان يصنعوا هذا الصنيع فهم الان غير مقصرين فيما هموا
ان يفعلوه فلاورد امرا اشتت به لغتهم حتى لا يفهم المرء منهم لغة صاحبه ثم فرقهم الرب من هنالك على وجه الارض كلها ولم يبنوا
القرية التي هموا ببنايها ولذلك سميت بابل لان هنالك فرق الرب لغة اهل الارض كلها انتهى قال لي بعض علماء اليهود ان
بابل معرب بوبال ومعنى بوبال بالعبراني الشتات هذا ما في التورية واما المفسرون فانهم ذكروا ان الصرح بني على
هيئة طويلة في الطول والاحكام وان الله تعالى هدمه فكانت له رجة تفرقت لعظم هولها لغة اهل الارض الى انحاء كثيرة
لا يحصيها الا خالقها والله اعلم ولما بين سبحانه حال المكرة المتمردين عليه في الدنيا اخذ يذكر حالهم في الاخرة تقريرا للاخرة
وبيانا لان عذابهم غير مقصور على الدنيوي فقال ثم يوم القيمة يخزيهم اي الله الذي فعل بهم في الدنيا ما تقدم خزيا يشهده جميع
الخلايق الوقوف في ذلك اليوم فيحصل لهم من الذل جزاء على تكبرهم ما يبل عن الوصف وعطفه بثم لاستبعادهم له ولما له من
الهول والعظمة التي يستصغر لها كل هول ويقول اي لهم في ذلك المجمع تبكيتا وتوبيخا اين شركاي على ما كنتم تزعمون واضاف
سبحانه الى نفسه المقدس لانه اقطع في توبيخهم وادل على تناهي الغضب الذين كنتم اي كونا لا تنفكون عنه تشاقون فيهم اوليائي
فيكونون بمخالفتهم في شق غير شقهم فتخضعون لما لا ينبغي الخضوع له وتتكبرون على من لا ينبغي الاعراض عنه ما لهم لا يحضرونكم
ويدفعون عنكم في هذا اليوم وقرئ بكسر النون لان مشاققة المامور مشاققة الامر ولما كان المقام للجلال والعظمة المستلزم
لزيادة الهيبة التي يلزم عنها غالبا خرس المخزي عن جوابه لو كان له جواب وكان من اجل المقاصد في تعذيبهم العدل بتفريح الاوليا
واشماتهم بهم جزاء لما كانوا يعملون بهم في الدنيا وكانت الشماتة اعلى محبوب للشامت واعظم مرهوب للمشموت فيه واعظم مسل للمظلوم
دل على سكوتهم رعبا عن المبادرة بالجواب بتاخير الخبر عنه وتقديم الخبر عن شماتة اعدائهم فيهم في سياق الجواب عن سؤال من قال هل
علم بذلك المومنون فقيل قال الذين ولما كان العلم شرفا للعالم مطلقا بني للمفعول قوله اوتوا العلم اي انتفعوا به في سلوك سبيل
النجاة من الانبياء عليهم السلام ومن اطاعهم من اممهم اشارة الى ان الهالك يصح سلب العلم عنه وان كان اعلم الناس وعدل عن ان يقول
اعداؤهم او المومنون ونحوه اجلالا لهم بوصفهم بالعلم الذي هو اشرف الصفات لكونه منشا كل فضيلة وتعريضا بان الحامل للكفار
على الاستكبار الجهل الذي هو سبب كل رذيلة ان الخزي اي البلاء المذل اليوم اي يوم الفصل الذي يكون للفايز فيه العا
المامونة والسوء اي كل ما يسوء على الكافرين اي العريقين في الكفر الذين تكبروا في غير موضع التكبر لا على غيرهم ثم رغبهم
في التوبة بقوله الذين تتوفاهم بالفوقانية في قراءة الجمهور لان الجمع مونث وبالتحتية في قراءة حمزة لان المجموع غير مونث
وكان وفاتهم على وجهين وجه خفيف بما اشار اليه التانيث لخفة كفر صاحبه واخر ثقيل شديد لشدة كفر صاحبه ولم تحذف
شي من الناس للاشارة الى نقصان حالهم لانه لا يمكن خبرها لموتهم على الكفر بخلاف ما تقدم في تارك الهجرة في النسا الملئكة اي
الموكلون بالموت حال كونهم ظالمي انفسهم بوضعها من الاستكبار على الملك الجبار غير موضعها فلما تم ذلك على هذا الوجه البديع
والاسلوب الرفيع المنيع ابتداء الخبر عن جوابهم على وجه يعلم بحالهم فقال فالقوا اي من انفسهم عقب قول الاولياء وبسبب سؤال

قبة

ذي الكبرياء السلم اي المقادة والخضوع بدل ذلك التكبر والعلو قائلين ارتكابا للكذب من غير احتشام ما كنا نعمل واعرقوا في النفي فقالوا من سوء فكانه قيل ان هذا البهتان عظيم في ذلك اليوم الجليل فما ذا قيل لهم فقيل بلى قد عملتم اعظم السوء ثم علل تكذيبهم بقوله ان الله اي المحيط بكل شئ علم اي بالغ العلم من كل وجه بما كنتم اي جبلة وطبعا تعملون اي من الضلال والاضلال فلا يسعكم الانكار اما آن لكم ان تنزعوا عن الجهل فيما يضركم ولا ينفعكم ويخفضكم ولا يرفعكم ولما كان هذا الفعل من هذا العلم سببا لدخول جهنم من غير ان يقام لهم وزن كانه لا وزن لما ضيع اساسه قال معقبا مستبنا فادخلوا اي ايها الكفرة ابواب جهنم اي ابواب طبقاتها ودركاتها خالدين اي مقدرين الخلد فيها اي في جهنم التي دابها تجهم من دخلها ولما كان هذا المقام للمشافهة وكان امر هاز آيد القباحة كان هذا الدخول اقبح دخول وكان سببا ان يقال فلبئس بالاداة الجامعة لمجامع الذم مثوى المتكبرين على وجه التاكيد وبيان الوصف الذي استحقوا به ذلك لتعدد كذبهم في قولهم ما كنا نعمل من سوء تعريضا بانهم جديرون لغاية مالهم من البلادة ان يستحسنوا النار كما كذبوا مع العلم التام بانه لا يروج في ذلك اليوم كذب ولما تم الجزء على المنكر لما انزل الله على السنة الملئكة من الروح من امر على الانبياء عليهم السلام انكارا لفضلهم وتكبرا عما ليس لهم بالاعتراض على خالقهم ابتداء الجزء عن المقرين بتصديقا لهدايته واعترافا بفضله وتسليما لمن هم عبيده في تفضيل من يشاء منهم على الوصف الذي اوجب لهم الاعتراف بالحق فقال حاثا فلا ذا دلالة على الرضى بايسر شئ من الخير والمدح عليه ولو لم يتكرر وقيل للذين اتقوا اي خافوا عقاب الله ماذا اي شئ انزل ربكم اي المحسن اليكم من روحه المحيي للارواح على رسوله قالوا معترفين بالانزال غير متوقفين في المقال فاهمين ان ذا موكد به للاستفهام لا بمعنى الذي انزل خيرا وانما اطبق القرا على نصب هذا ورفع الاول فرقا بين جوابي المقر والجاحد عطابقه المقربين الجواب والسؤال وعدول الجاحد بجوابه عن السؤال ثم اخذ يرغب بما لهم من حسن المآل على وجه الجواب لسؤال من كانه قال ما لهم على ذلك فقيل ظهرا لموضع الاضمار مدحا لهم وتعميما لمن اتصف بوصفهم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي جزاء حسنا فاكدوا بانا عترافهم بذلك احسان لهم على احسانهم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولما كانت هذه الدار سريعة الزوال اخبر عن حالهم في الاخرة فقال ولدار الاخرة اي لهم جزاء ومصيرا ثم مدحها ومدحهم بقوله ولنعم دار المتقين اي هي مرغبا في الوصف الذي كان سبب حيازتهم لها وهو الخوف المنافي لما وصف به الاشرار من الاستكبار وباظهار موضع الاضمار وحذف المخصوص بالمدح كتقدم ما يدل عليه ومن صالح لتقدير الدنيا اي لمن عمل فيها بالتقوى ولتقدير الاخرة وهو واضح ولما كان هذا المدح مسوقا لتفصيل ذلك قيل جنات عدن اي اقامة لا ظعن فيها يدخلونها حال كونها تجري من تحتها الانهار ثم اجيب من كانه سال عما فيها من الثمار وغيرها بقوله لهم فيها اي خاصة كما في شئ سواها من غير ان يجلب اليهم من غيرها ما يشاؤن ثم زاد في الترغيب بقوله كذلك اي مثل هذا الجزاء العظيم يجزي الله اي الذي له الكمال كله المتقين اي الراسخين في صفة التقوى ثم حث على ملازمة التقوى بالتنبيه على انا لعين بحاكما الموت فقال الذين تتوفاهم اي تقبض ارواحهم وافيه من نقص شئ من الروح لوالمعاني مما اشار اليه اثبات التاكيد والاظهار الملئكة طيبين اي طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر متحلين بحلية الايمان كانه قيل ماذا تقول لهم الملئكة فقيل يقولون اي مكررين للتاكيد تسكينا لما جبلوا عليه من تعظيم جلاله سبحانه بالتقوى سلام عليكم ويقال لهم لتحقق فوزهم ادخلوا الجنة اي دار التفكه التي لا مثل لها بما كنتم اي جبلة وطبعا تعملون ترغيبا لهم في الاعمال التي لا يستطيعونها الا برحمة الله لهم بتوفيقهم لها ولما اخبر تعالى عن احوال الكفار الياسين في نزول الملئكة بعد ان ومتى تشبثهم واخبر عن توفي الملئكة لهم ولاضدادهم الموسنين مشيرا بذلك الى ان سنته جرت بانهم لا ينزلون الا نزال الروح من امر علي من يختصه لذلك او امر فيتصل لا مهلة فيه قال منكرا عليهم هل ينظرون اي هؤلاء الكفار في تقاعسهم عن تصديق الرسل في الاخبار بما انزل اليهم وجردة العقل اثارة الى قرب ما ينتظرونه الا ان تاتيهم اي بامر الله الملئكة وهم لا ياتونهم الا بمثل ما اتوا به من قبلهم ممن قصصنا امرهم من الظالمين انهم لم يتوبوا او ياتي امر ربك اي المحسن اليك اذ تركوك بامر يفصل النزاع من غير واسطة ملك او غيره ولما كان هذا امرا مفزعا كان موجبا لمن له فهم ان يقول هل يفعل هذا احد غير هؤلاء فقيل فعل كذلك اي مثل هذا الفعل البعيد لشاعته عن مناهج العقلا منكرا في تدبير الاذى والاحتقاد اوقولا فعل الذين ولما كان الفاعلون مثل افعالهم في الشكة يبلغ يستغرقوا الزمان ادخل الجار فقال من قبلهم وما اي والحال انه ما ظلمهم الله اي الذي له الكمال كله في تقدير ذلك عليهم لانه الملك المطلق التصرف والملك الذي لا يسئل عما يفعل ولكن كانوا اي جبلة وطبعا انفسهم اي خاصة يظلمون فاستحقوا العقاب لقيام الحجة عليهم بالسنن التي جرت به عوايدكم في من عاشر سوءا من غير ان تكره عليه اكراها ظاهرا وهذا بعينه هو العلة في ارسال الرسل ونصب الشرايع والملل فاصابهم اي فتسبب عن ظلمهم لانفسهم انا صابهم سيات اي عقوبات او جراسيات ما عملوا وحاق اي احاط احاطة ضابطة بهم من العذاب والموصل به من الملئكة ما كانوا به اي خاصة يستهزؤن تكبرا عن قبول الحق وسادة حاق واوبة ويائيه بتراكيبها الست حوق حقو قحو قوح وقح حيق تدور على الاحاطة ويلزمها صلابة المحيط ولين المحاط به حاق به الشئ اذا نزل به فاحاط والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وحاق فيه السيف حاك اي عمل من التسمية باسم الجزء ولانه في الاغلب يكون في عمله الموت المحيط بالاجل وحاق بهم الامر لزمهم ووجب عليهم ونزل بهم والحيقة سخنة كالشيح يوكل بها الثمر كانه محيط بالثمر وحايقه حسكه وابتضه لاحاطة كلك والحوق بالضم ما احاط بالكمة من حروفها وبالضم والفتح معا استدارة في الذكر والحوق بالفتح فقط الاحاطة والاحوقي والحوقي كمنتن العظيم الكمة كانها مختصة بذلك لكبرها ومنه فيسلة حوقا عظيمة كانها لعظمها هي التي ظهر حرفها دون غيرها وارض محوقة

جمع الجامع

بضم الحاء قليلة النبت لقلة المطر كانه تشبيه بالكمرة في ملاستها وترك النخلة حوقا اذا أشعل في اكرانيف لاستدارة النار
بها او لشبهها بعد حريق السعف بالذكر اورأسه والحوقة بالفتح الجماعة المحرقة لان الجماعة لها قوة الاستدارة والمحوق ان
كان من الكذب فمن لازمه الموج وان كان من الخراق وهو الحديد الذي يثقب به فالثقب به على هيئة الاستدارة وحوق عليه
تحويقا عوق عليه الكلام والحوق بالفتح ايضا الكنس والدلك والتمليس لان كلا منها ترد فيه اليد الى قريب من مكانها فيشبه
الاحاطة وكوبا للتحويق والحقو الكشح وهو ما بين عظم راس الورك الى الضلع الخلف لانه موضع احاطة الازار والازار نفسه
حقو لانه اليه او الحقو معقد الازار والحقو موضع غليظ مرتفع عن السيل من الصلابة والاستدارة لان السيل يحيط به
او يكاد ومن الرجل موضع الريش لانه يشبه الحقو في استدارته وغلظ بعض ودقة بعض وفي احاطة الريش به ومن الثنية
جانباها من الاحاطة او مطلق العوج والحقوة وجع في البطن من اكل اللحم فلحوق وجعه الحقو والاحوان نبت يستدير به
زهره واقاحي الامر نبا شبهه لانها تحيط به غالبا وتحاماه لما يلزمه من الاحاطة والتحاماه الجرثمة لانها تحيط
بالمجروف ومن الليل قاح الجرح يقوح صارت فيه مدة خالصة لا يخالطها دم كقاح يقيح واوية وياسه ولما يلزمه من
الاستدارة غالبا وقوح الجرح انتبر اما من الموضع الغليظ المرتفع عن السيل واما من استدارته وقاح البيت كنسه
كقوحه والقاحة الساحة لاستدارتها غالبا واقاح صمغ على المنع بعد السؤال اما من الازالة اي ازال الليز واما من الصلابة
ومن الصلابة الوقاح للحافر الصلب وهو من الاستدان ايضا ورجل وقاح الوجه قليل الحياء منه والموقح كمعظم المجرب وتوقيح
الجوهر اخلاصه بالمدر والصفائح للاستدارة والصلابة ولما تم ما هو عجب من مقالهم ومقالهم من سوء احوالهم وختم بتهديدهم
عطف على قوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم موجبا آخر للتهديد معجبا من حالهم فيه فقال وقال الذين اشركوا الى الراسخ منهم
في هذا الوصف والتابع لهم على سبيل الاعتراض على من يدعوهم الى التوحيد من نبي وغيره محتجين بالقدر عنادا منهم ومعترضين
على من لا يسئل عما يفعل بانه لقدرته على كل شيء غير محتاج الى بعث الرسل فارسالهم عبث تعالى الله الحكيم عن قولهم فهو قول
من يطلب العلة في احكامه تعالى وفي افعاله وهو قول باطل لانه سبحانه الفعال لما يريد سوا اطلع العباد على حكمته ام لا لانا
الله اي الملك الاعظم المحيط بكل شيء قدرة وعلما عدم عبادتنا لغيره ما عبدنا ولما كانت الرتب كلها متقاصرة عن رتبته وكانت
حقارة وكان ما يعبدونه من الاصنام في ادناها رتبة ادخلوا الحار فقالوا من دونه واغرقوا في النفي فقالوا من شيء اي من
الاشياء نحن ولا اباؤنا من قبلنا ولما ذكروا الاصل اتبعوه النوع فقالوا ولا حرمنا اي على انفسنا من دونه اي دون امره من غير
ان ما شاءه لا يتخلف على زعمكم لكنه لم يشأ العدم فوجدنا ووجود ما نحن عليه فنحن نتبع ما شاءه لا نتغير عنه لانه لا يشاء الا ما هو
حق وضل عن الاشياء بجملتهم هذه الحوة التي اداديها الباطل ان مدار السعادة والشقاوة انما هو موافقة الامر لا موافقه
الارادة فما كان من الفعل والكف عن وفق الامر سعد فاعله وما خالفه قامت به الحجة على فاعله على ما جرت به عوايد الناس
فشقي فلما انهتك ستر هذه المقالة المموهة كان كانه قيل استبعادا لها هل قالها غيرهم فقيل نعم كذلك اي مثل هذا الفعل السيء
من السداد والقول الخارج عن الهداية والرشاد وهو الاعتراض على ربهم في ارسال الرسل ما فيه لجواز الارسال بهذه الشبهة
الضعيفة فانه تعالى يريد اظهار ثمرة الملك بالحكم على ما يتعارفه العباد وحق اقامة الحجة بالافعال الاختيارية وان كانت بقضاء
لان ذلك مستور عن العباد فعل اي كذب بدليل الانعام الذي ودل على عدم الاستغراق للزمان بقوله من قبلهم وكان تكذيبا
لان قولهم اقتضى ان يكون ما هم عليه مما يرضاه الله والرسل يقولون لا يرضاه ولا يرضى الا ما اخبروا بان صاحبه مثاب عليه
او غير معاقب فكان ذلك سببا للانكار عليهم بقوله فهل اي فما على الرسل اي الذين لا رسل في الحقيقة غيرهم وهم الذين ارسلهم
الله لهداية العباد خلفا عن سلف ولما كان الاستفهام بمعنى النفي كما تقدم الا انه صور بصورته ليكون كدعوى الشيء بدليلها
قال الا البلاغ المبين وقد بلغوكم واوضحوا لكم فصار وبال العصيان خاصا بكم ولما كان جمع الرسل منها لتوزيعهم على الامم
كان موضع توقع التصريح بذلك فقال دافعا كذب هذا الاستشراف نافيا للطروق احتمال ولا على ان هذا القول الشايع
منصب انكار وسبا لذات الله اعتراضهم على الارسال وسلبا لنبوته صلى الله عليه وسلم وحاشا لهم على الاعتبار وعطفا على ما قدرته
فلقد بعثنا فيك هذه الامة الذين قبلك رسولا فما بقي في الارض احد لم تبلغه الدعوة ولاجل ان الرسل قد تكون
من غير المرسل اليهم كلوط وشعيب عليهما السلام في اصحاب الايكة وسليمان عليه السلام في غير بني اسرائيل من سائر من وصل اليه
حكمه من اهل الارض لم يقيد بهم ولما كان البعث متضمنا معنى القول كان المعنى قد ذهبوا اليهم قائلين ان اعبدوا الله اي
الملك الاعلى وحده واجتنبوا اي بكل جهدكم الطاغوت كما امركم رسولنا لهم فتسببوا عن ارسال الرسل ان كانت الامم قسمين
منهم من هدى الله اي الذي له الاحاطة الكاملة للحق فحققت له الهداية فابصر الحق وعمل به باتباع الداعي الهداة في ما
امروا به عن الله فحققت له الجنة ومنهم من حقت اي ثبتت غاية الثبات عليه الضلالة بان اضله الله فنابذ الامر فلم يعمل به وعمل
بمقتضى الارادة فان الامر قد لا يكون ما تعلق به والارادة لا بد ان تكون ما تعلقت به وقد تكون موافقا عاملا بالضلالة
فحق عليه عذابها فحققت له النار فهلك لانه لم تبق له حجة يدفع بها عن نفسه فلو كان كل ما شاءه حقا كان الفريقان محقين
فلم يعذب احدهما لكنه لم يكن الامر كذلك بل عذب العاصي ونجى المطيع في كل امة على حسب ما قالت الرسل وهذا هو معنى رضي الله

اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم فدل ذلك قطعا على صدق الرسل وكذب مخالفيهم فالآية من الاحتباك ذكر فعل الآية اولا دليلا
على فعل الضلال ثانيا وحقوق الضلالة ثانيا دليلا على حقوق الهداية اولا ثم التفت الى مخاطبتهم اشارة الى انه لم يبق بعد هذا
الدليل القطعي في نظر البصيرة الا الدليل المحسوس للبصر فقال فسيروا اي فان كنتم ايها المخاطبون في شك من اخبار الرسل فسيروا
في الارض اي جنسها فانظروا اي اذا سرتم ومررتم بديار المكذبين واثارهم وعبر هنا بالفاء المشيرة الى التعقب دون تراخ
لان المقام للاستدلال المنقذ من الضلال الذي يجب المبادرة الى الاقلاع عنه بخلاف ثم انظروا في الانعام لما تقدم واشار
بالاستفهام الى ان احوالهم مما يجب ان يسئل عنه للاتعاظ به فقال كيف كان اي كونا لا قدرة على الخلاص منه عاقبة اي اخر
امر المكذبين اي من عاد ومن بعدهم الذين تلقيتم اخبارهم عمن قلدتموهم في الكفر من اسلافكم فانهم كذبوا الرسل فيما امرتهم بابلاغه
مخالفة لامري وعملا بمشيتي فاوقعت بهم لانهم خالفوا امري باختيارهم مع جهلهم بارادتي فقامت عليهم الحجة على ما يتعارفه الناس بينهم ولما كان
من المحقق انه ليس بعد الايصال في الاستدلال الى الامر المحسوس الا بالعناد اعرض عنهم ملتفتا الى الرؤوف بهم الشفيق عليهم فقال مسليا له
صلى الله عليه وسلم ان تحرص على هداهم فتطلبه بغاية جدك واجتهادك فان الله اي الملك الاعظم لا يهدي اي هو يخلق الهداية في القلب هذا على
قراءة الكوفيين بفتح الياء وكسر الدال ومن هادما بوجه من الوجوه على قراءة الجمهور بالبناء للمفعول من يضل اي من يحكم بضلاله وهو الذي
اضلهم فلا يمكن غيره ان يهديهم لانه لا غالب لامره وقرئ شاذا بفتح الياء من ضل بمعنى نسي اي لا تمكن هداية من نسيه اي تركه من الهداية ترك المنسي
فانه ليس في يد غيره شيء ونقل الصنعاني في مجمع البحرين انه يقال ضل فلان البعير اي اضله والضلال عند العرب سلوك غير سبيل القصد
فالمعنى انه كان سببا لسلوك البعير غير المقصود فمعنى الآية لا يهدي من يضله الله بفتح الياء اي يكون سببا لسلوكه غير سبيل القصد فلا
تحزن ولا يضيق صدرك من عدم تاثرهم بنصحك واخلاصك في الدعاء ولا يقع في فكرك ان في دعائك نقصا انما النقص في مراليهم
العمياء وليس عليك الا البلاغ وقوله وما لهم اي هؤلاء الذين اضلهم الله وجميع من يضله من ناصرين اي ينصرونهم عند مجازاتهم
على الضلال لينقذوهم مما لحقهم عليه من الوبال كما فعل بالمكذبين من قبلهم عطف على نتيجة ما قبله وهو فلا هادي لهم ما اراد الله ضلالهم
وتبكيت لهم وتقريع وحث وتهييج على ان يقوموا بانفسهم ويستعينوا بمن شاؤا على نصب دليل على ما يدعونه من انهم اتبع الناس للحق
اما بان يبرهنوا على صحة معتقدهم او يعينوهم على الرجوع عنه عند العجز عن ذلك او يكفوا عنهم العذاب اذا حاق بهم
ولما كان من حقهم بعد قيام الادلة على كمال قدرته وشمول علمه وبلوغ حكمته في ابداع جميع المخلوقات مما نعلم ومما لا نعلم على
ابدع ترتيب واحسن نظام تصديق الهداة في اعلامهم بانه سبحانه يعيدهم للبعث وانهم لم يفعلوا ولا طرقوا لذلك احتمالا
بل حلفوا على نفيه من غير شبهة عرضت لهم ولا اخبار عن علم وصل اليهم فعل الجلف الجافي الغبي العاسي اتبع ذلك سبحانه تعجيبا
آخر من حالهم فقال عاطفا على وقال الذين اشركوا لان كلا من الجملتين لبيان تكذيبهم الرسل والتعجيب منهم في ذلك دالا على ان اعتقادهم
مضمون هذه الجملة هو الذي جرأهم على قول الاول وما تفرع منها واقسموا بالله اي الملك الاعظم جهد ايمانهم جعلت الايمان جاهدة
لكثرة ما بالغوا فيها لا يبعث الله اي الذي له الاحاطة بكل شيء من يموت اي لا يحيي احدا بعد موته استنادا منهم الى مجرد استبعاد
ما لم تجر به نفسه عندهم عادة جمودا منهم عن حلها بان النشأة الاولى كانت من غير عادة مع ادعائهم انهم اعقل الناس واحدهم اذهانا
واثقبهم افهاما ثم رد عليهم بقوله بلى اي ليبعثنهم لانه لا مانع له من ذلك وقد وعد به وعدا وبين انه لا بد منه بقوله عليه
وزاده تاكيدا في مقابلة اجتهادهم في ايمانهم بقوله حقا اي لانه قادر عليه وهو لا يبدل القول لديه فصار واجبا في الحكمة كونه
وامر البعث معلوم عند كل عاقل سمع اقوال الهداة تاركا لهواه ولكن اكثر الناس اي لما لهم من الاضطراب لا يعلمون اي لا علم لهم بوصلهم
ذلك لانه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول اليه بغير ارشاد من الله ولا هم يقبلون اقوال الدعاة اليه الذين ايدهم بروح
منه لتقيدهم بما توصلهم اليه عقولهم وهي مقصورة على عالم الشهادة لا يملكها الترقي منه الى عالم الغيب بغير وساطة منه سبحانه
فلذلك ترى الانسان منهم يابى ذلك استبعادا لان يكون شيء معقول لا يصل اليه بمجرد عقله وهو خصيم مبين ولما بين انه لا
بد من ذلك لسبق الوعد به من القادر بين حكمته بامر مبين انه لا يسوغ تركه بوجه وانه لا يجوز في عقل عاقل ان احدا ملكا
فما دونه يامر عبيده بشيء ثم يهملهم فلا يسئلهم ولا سيما ان اختلفوا ولا سيما ان ادى اختلافهم الى المقاطعة والمقاتلة فكيف
ان كان حاكما فكيف اذا كان حكيما فكيف وهو احكم الحاكمين فقال معلقا بما دل عليه بلى ليبين اي فعله ووعد به فهو يبعثهم
ليبين لهم اي للناس الذي يختلفون اي يوجد اختلافهم فيه من البعث وغيره ويجزي كلا بما عمل لان ذلك من العدل الذي هو
فعله وليعلم الذين كفروا اي جهلوا الآيات الدالة عليه فكانهم ستروها لانها لظهورها لا تجهل انهم كانوا اي جبلة وطبعا
كاذبين اي عريقين في الكذب في انكارهم للمعاد وزعمهم انهم المختصون بالمفاز علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ولما
بين تحتمه وحكمته بين امكانه ويسره عليه وخفته لديه فقال انما قولنا اي بما لنا من العظمة لشيء ابداء واعادة اذا
اردناه اي اردنا كونه ان نقول له ثم ذكر محكي القول النفسي فقال بانيا من كان التامة ما دل على موافقة الاشياء لمراده
موافقة المامور للآمر المطاع كن احدث فيكون اي فيتسبب عن ذلك القول انه يكون حين تعلق القدرة به من غير مهلة
اصلا فنحن خلقنا الخلق لنامرهم وننهاهم ولما كان التقدير تفصيلا لفريقي المبين لهم وترغيبا في الهجرة لانها بعد
الايمان اوثق عرى الاسلام فالذين كفروا واغتروا بما شاهدوه من العرض الفاني ليجزينهم في الدنيا والآخرة ولنجازينهم
بجميع ما كانوا يعملون عطف عليه قوله والذين هاجروا اي اوقعوا المهاجرة فرارا بدينهم فهجروا اباءهم وابناءهم واقاربهم
من الكفار وديارهم وجميع ما نهوا عنه في الله اي الملك الاعلى الذي له صفات الكمال بعد ما تمادى المكذبون بالبعث على ايذائهم

فتركوا

فتركوا لهم بلادهم ولما كانت هجرتهم لم تستغرق زمان البعد لموت بعض من هجروه واسلام آخرين بعد احتمالهم لظلمهم ما شاء الله
قال من بعد ما ظلموا اي وقع ظلمهم من الكفار بناه للمفعول لان المحذور وقوع الظلم لا كونه من معين لنبوئنهم اي نوجد لهم منزلا
هو اهل لان يرجع اليه بما لنا من الملئكة وغيرهم من الجنود وجميع العظمة في الدنيا مباءة حسنة كبيرة عظيمة جزاء لهم على خدمتنا
بان نعلي امرهم وان كره المشركون كما يراه من يتدبر بمنعي لاوليائي على قلتهم وسينكشف الامر عما قريب انكشافا لا يجهله احد فالآية
دليل على ما قبلها ولما كان التقدير ولنؤتينهم في الآخرة اجرا كبيرا عطف عليه قوله ولاجر الآخرة المعد لهم اكبر مما جعلته لهم في
الدنيا لو كانوا يعلمون اي لو كان الكفار لهم بجبلاتهم علم بان يكون لهم عقل يتدبرون به لعلموا باحساني الى اوليائي في الدنيا من
منعي لهم منهم في عنادهم مع كثرتهم وقلتهم واسباغي لنعمي عليهم لا سيما في الاماكن التي هاجروا اليها من الحبشة والمدينة وغيرهما
مع اجتهادهم في منعها عنهم اني اجمع لاوليائي الدارين وان احساني اليهم في الآخرة اعظم روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا
اعطى الرجل من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكثر وافضل
ثم تلا هذه الآية ولما نبه على احسانه اليهم وكان فيه من اول الامر نوع غموض لظهور الكفرة في بادي الراي وصفهم بما
يحتاج اليه في الاستجلاب لاتمامه حثا والهابا فقال واصفا للمهاجرين بيانا لاصل ما حملهم على ما استحقوا به هذا الاجر الجزيل
الذين صبروا اي استعملوا الصبر على ما بابهم من المكارة من الكفار وغيرهم في الاقامة بين اظهرهم مدة ثم في الهجرة بمفارقة
الوطن الذي هو حرم الله المشرب حبه لكل قلب فكيف بقلوب من هو مسقط رؤسهم ومالف ابدانهم ونفوسهم وفي بذل الارواح
في الجهاد وغير ذلك ولفت الكلام الى وصف الاحسان تنبيها على ما يحمل على التوكل فقال وعلى ربهم اي المحسن اليهم بايجادهم
وهدايتهم وحده يتوكلون في كل حالة يريدونها رضى بقضاء الله ولما اخبر تعالى انه بعث الرسل وكان عاقبة من كذبهم
الهلاك بدلالة آثارهم وكانوا قد قدحوا في الرسالة بكون الرسول بشرا ثم بكونه ليس معه ملك يؤيده رد ذلك بقوله
مخاطبا لاشرف خلقه لكونه افهمهم عنه مع انه اجل من توكل وصبر عائدا الى مظهر الجلال بيانا لانه يظهر من يشاء على من يشاء
وما ارسلنا اي بما لنا من العظمة ولما كان الارسال بالفعل انما كان في بعض الازمنة دل عليه بالجار فقال من قبلك اي الى
الامم من طوائف البشر الا رجالا لا ملئكة بل آدميين هم في غاية الاقتدار على التوكل والصبر الذي هو محط الرحلة يوحي اليهم
بواسطة الملئكة وما احسن تعقيب ذلك للصابرين لان الرسل اصبر الناس ولما كانوا قد فزعوا الى سؤال اهل الكتاب
في بعض الامور وكانوا قد اوتوا علما من عند الله سبب عن هذا الاخبار الامر بسؤالهم عن ذلك فقال مخاطبا لهم ولكل من اراد
الاستثبات من غيرهم فاسئلوا اي ايها المكذبون ومن اراد من سواهم اهل الذكر اي العلم بالكتاب سمي ذكرا لان الذكر الذي هو
ضد السهو بمنزلة السبب المؤدي اليه فاطلق عليه كان الجاهل ساه وان لم يكن ساهيا وكذا الذكر الذي هو الكلام المذكور سبب
للعلم ولما كان عندهم حس من ذلك بسماع اخبار الامم قبلهم اشار اليه بقوله ان كنتم اي جبلة وطبعا لا تعلمون او هو للتنفير
من الرضى بالجهل ولما كانت رسل الملوك تقترن بما يعرف بصدقهم قال جوابا لمن كانه قال باي دلالة ارسلوا بالبينات
المعرفة بصدقهم والزبر اي الكتب الهادية الى اوامر مرسلهم ولما كان القرآن اعظم الادلة اشار الى ذلك بذكره مدلولا على غيره
من المعجزات بواو العطف فقال عاطفا على ما تقديره وكذلك ارسلناك بالمعجزات الباهرات وانزلنا اي بما لنا من العظمة اليك اي
وانت اشرف الخلق الذكر اي الكتاب الموجب للذكر المعلي للقدر الموصل الى منازل الشرف لتبين للناس كافة بما اعطاك الله
من الفهم الذي فقت فيه جميع الخلق واللسان الذي هو اعظم الالسنة وافصحها وقد اوصلك الله فيه الى رتبة لم يصل اليها احد
ما نزل اي وقع تنزيله اليهم من هذا الشرع الهادي الى سعادة الدارين بتبيين المجمل وشرح ما اشكل من علم اصول الدين راسه
التوحيد ومن البعث وغيره وهو شامل لبيان الكتب القديمة لاهلها ليدلهم على ما نسخ وعلى ما بدلوه فمسخ ولما كان التقدير
لعلهم بحسن بيانك يعملون عطف عليه بيانا لشرف العلم قوله ولعلهم يتفكرون اذا نظروا اساليبه الفائقة ومعانيه العالية الرائقة
فيصلوا بالفكر فيه بسبب ما فتحت لهم من ابواب البيان الا حالات الملئكة بان تغلب ارواحهم على اشباحهم فيعلموا انه تعالى واحد
قادر فاعل بالاختيار وانه يقيم الناس للجزاء فيطيعونه رغبة ورهبة فيجمعون بين شرفي الطاعة الداعية اليها الارواح والانكفاف
عن المعصية الداعية اليها النفوس بواسطة الاشباح ولما نبه سبحانه على التفكر وكان داعيا للعاقل الى تجويز الممكن والبعد
من الخطر سبب عنه انكار الامن من ذلك فقال افامن اي اتفكروا فتابوا واستمروا على عتوهم فامن الذين مكروا بالاحتيال في قتل
الانبياء واطفاء نور الله الذي ارسلهم به المكرات السيئات ان يجازوا من جنس عملهم بان يخسف الله اي المحيط بكل شيء بهم
اي خاصة الارض فاذا هم في بطنها لا يقدرون على نوع تقلب بمدافعة ولا غيرها كما فعل بقرون واصحابه وبقوم لوط عليه
السلام من قبلهم او ياتيهم العذاب على غير تلك الحال من حيث لا يشعرون به في حالة من هاتين الحالتين شعورا ما وهم في حال
سكون ودعة بنوم او غفلة او ياخذهم اي الله بعذابه في حال تقلبهم وتصرفهم ومشاعرهم حاضرة وقواهم مستجمعة ولما
كانت هذه الاحوال الثلثة مفروضة في حال امنهم من العذاب وكان الامن من العدو يكون عن ظن عدم قدرته عليه علل ذلك
بقوله فما هم بمعجزين اي في حالة من هذه الاحوال سواء علينا غفلتهم ويقظتهم ولم يعلل ما بعده بذلك لان المتخوف محور للعجز
فقال او ياخذهم اي الله اخذ غضب على تخوف منهم من العذاب وتحفظ من ان يقع بهم ما وقع بمن قبلهم من عذاب الاستيصال
ويجوز ان يراد بما مضى عذاب الاستيصال وبهذا الاخذ شيئا فشيئا فان التخوف التنقص عند هذيل روي ان عمر رضي الله عنه
سال الناس عنها فسكتوا فاجابه شيخ من هذيل بانه التنقص فقال عمر رضي الله عنه هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم

الذي صح

قال شاعرها ابو كثير الهذلي يصف ناقة تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر رضي
الله عنه ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم ولما كان
التقدير لم يامنوا ذلك في نفس الامر ولكن حملهم بالله لطول اناته وحلمه عزهم سبب عنه قوله التفاتا الى الخطاب استعطافا فان
ربكم اي المحسن اليكم باهلاك من يريد وابقاء من يريد لرؤف اي بليغ الرحمة لمن يتوسل اليه بنوع وسيلة وكذا لمن قاطعه اتم مقاطعة
واليه اشار بقوله رحيم اي فتسبب عن امهاله لهم في كفرهم وطغيانهم مع القدرة عليهم العلم بان تركه لمعاجلتهم ما هو الا لرافته ورحمته
ولما خوفهم دل على تمام قدرته على ذلك وغيره بقوله عاطفا على ما تقديره الم يروا الى عجزهم عما يريدون وفسره لهم على ما لا يريدون فيعلموا
فيعلموا بذلك قدرته وعجزهم فيعلموا ان عفوه عن جراعهم احسان منه اليهم ولطف بهم اولم ولما كان حقهم المبادرة بالتوبة فلم يفعلوا اعرض
عنهم في قراءة الجماعة تخويفا فقال يروا بالياء التحتية وقراءة حمزة والكسائي بالخطاب على نسق ما قبله اي ينظروا بعيون الابصار
متفكرين بالبصائر وبين بعدهم على المعارف الالهية بحرف الغاية فقال الى ما خلق الله اي الذي له جميع الامر من شيء اي له ظل
يتفيؤ اي يترجع الى جهة الشاخص ظلاله وهو ما ستره الشاخص عن الشمس متجاوزة له عن اليمين وهي ما على يمين المستدير للشمال
المستقبل للجنوب الذي هو ناحية الكعبة لمن في بلاد الشام الذي هي مسكن الانبياء عليهم السلام وافرد لان الظل يكون اول ما تشرق
الشمس مستقيما الى تلك الجهة على استواء وجمع في قوله والشمائل لان الشمس كلما ارتفعت تحول ذلك الظل راجعا الى جهة ما وراء
الشاخص ولا يزال كذلك الى ان ينتصب عند الغروب الى جهة يساره قصدا على ضد ما كان انتصب اليه عند الشروق فلما كان بعد
انتصابه الى جهة اليمين طالبا في تفيؤه جهة اليسار سميت تلك الجهات التي تفيا فيها باسم ما هو طالبه تنبيها على ذلك وفيه اشارة
الى قلة الجيد المستقيم وكثرة المنحرف الردي ولما كانت كثرة الخاضعين ادل على القهر واهيب جمع بالنظر الى معنى ما في قوله سجدا اي
حال كونهم خضعا لله اي الملك الاعلى بما فيهم من الحاجة الى مدبرهم ولما كان امتداد الظل فسر ما لا يمكن احد الانفصال عنه قال جامعا
بالواو والنون تغليبا وهم داخرون دلا وصغارا لا يمتنع شيء منهم على تصريفه وخص الظل بالذكر لسرعة تغيره والتغير دال على المغير
ولما حكم على الظلال بما عم اصحابها من جماد وحيوان وكان الحيوان اشرف من الجماد رقي الحكم اليه بخضوعه فقال ولله اي الذي له
الامر كله يسجد اي يخضع بالانقياد للمقادير والجري تحت الاقضية وعبر بما هو ظاهر في غير العقلاء مع شموله لهم فقال لنا في السموات
ولما كان المقام للمبالغة في اثبات الحكم على الطائع والعاصي اعاد الموصول فقال وما في الارض ثم بين ذلك بقوله من دابة اي
عاقلة وغير عاقلة ولما كان المقرب قد يستهين بمن يقربه قال مبينا لخضوع المقربين تخصيصا لهم وان كان الكلام قد شملهم
والملائكة ولما كان الخاضع قد يحكم بخضوعه وان كان باطنه مخالفا لظاهره قال دالا على ان في غيرهم من يستكبر فيكون انقياده
للارادة كرها وعبر عن السجودين الموافق للامر والارادة طوعا والموافق للارادة والمخالف للامر كرها بلفظ واحد لانه يجوز
الجمع بين مفهومي المشترك والحقيقة والمجاز بلفظ وهم اي الملائكة لا يستكبرون ثم علل خضوعهم بقوله دلالة على انهم غيرهم في
الوقوف بين الخوف والرجاء يخافون ربهم اي الموجد لهم المدبر لامورهم المحسن اليهم خوفا مبتديا من فوقهم اشارة الى علو الخوف
عليهم وغلبته لهم او حال كون ربهم مع احسانه اليهم له العلو والجبروت فهو المخوف المرهوب فهم عما نهوا عنه ينتهون ويفعلون اي
بداعية عظيمة علما منهم بما عليهم لربهم من الحق مع عدم منازع من حظ او شهوة او غير ذلك ودل على انهم مكلفون بقوله ما يؤمرون
فهم لرحمته لهم يرجون فالاية من الاحتباك ذكر الخوف اولا دال على الرجاء ثانيا وذكر الفعل ثانيا دال على الانتهاء اولا ولما كان
التوحيد اعظم المامورات وكان العصيان فيه اعظم العصيان وكان سبحانه قد اكثر التخويف من عصيانه وابلغ الامر الى نهايته
بالاخبار بان الملائكة تخافه وكان الملائكة من اعظم الموحدين كما كانوا من اعظم الساجدين من اهل السموات والارضين وكانت هذه الايات
من اعظم ادلة التوحيد اتبعها عطفا على وانزلنا اليك الذكر لتتظافر على ذلك ادلة العقل والنقل تسليكا باحوال الملائكة قوله
وقال الله فعبر لاجل تعظيم المقام بالاسم الاعظم الخاص الذي بنيت عليه السورة لا تتخذوا اي تكلفوا فطركم الاولى السليمة المجبولة
على معرفة ان الاله واحد الى ان تاخذ في اعتقادها الهين ويجوز ان يكون معطوفا على ما علم من المقدمات المذكورة اول السورة الى
قوله وما يشعرون ايان يبعثون من النتيجة وهي الهكم اله واحد لاحتمال ان يقول متعنت انه لم يامرنا بذلك وان دلت عليه
الادلة ويجوز وهو اقرب ان يعطف على قوله وقال الذين اشركوا تبكيتا لهم بانهم احتجوا بحكمه ولم يبادروا الى امتثال امره
ولما كان قد فهم المراد من التثنية وكان ربما قال المتعنت ان المنهي عنه تكثير الاسماء قال موكدا ومحققا اثنين تنبيها على ان مطلق
العدد ينافي الالوهية لانه موضع لامكان التنازع الملزوم للعجز المنافي لتلك الرتبة المنيفة السماء وفي ذلك ايضا مع كون معبودا
كانت كثيرة اشارة الى ان ما يسمى الهة وان زاد عدده يرجع بالحقيقة الى اثنين خالق ومخلوق ومن المعلوم لكل ذي لب ان
المخلوق غير صالح للالوهية فانحصر الامر في الخالق وان لم يكن فيه الخالق كان منقسما لا محالة واقل ما ينقسم الى اثنين وباب
الاتحاد اذا كان مفعوله نكرة اكتفي بواحد كما تقول اتخذت بيتا واتخذت زوجة ونحو ذلك ثم علل ذلك النهي بما اقتضاه
السياق من الوحدانية فقال انما هو اي الاله المفهوم من لفظ الهين الذي لا يستحق غيره ان يطلق عليه هذا الضمير الا مجازا
لانه لا يطلق اطلاقا حقيقيا الا على ما وجوده من ذاته اله اي يستحق هذا الوصف على الاطلاق ولما كان السياق مفهما
للوحدانية من النهي عن التثنية وكان ربما تعنت متعنت بان المراد اثبات الاله الدال على الجنس قال رافعا لكل شبهة واحد
لا يمكن ان يثنى بوجه ولا ان يجزا لغناه المطلق عن كل شيء واحتياج كل شيء اليه فكونوا ممن يسجد له طوعا ولا تكونوا ممن لا
يسجد له الا كرها ولما كان اسلوب الغيبة لا يعين الاله في المتكلم التفت الى اسلوب التكلم فقال فاياي اي وذلك الواحد انا

احتباك

وحدي لا شريك لي فمن لم يوحدني اوقعت به بقوتي ما لا يطيقه لعجزه ولما كانت الوحدانية مما لا يخفى على عاقل وكانت
مركوزة في كل فطرة بدليل الاضطرار عند المحن والشدايد والفتن وكانت الرهبة كما مضى عن الحرالي في البقرة خاصة بالخوف
مما خالف العاصي فيه العلم عبر بها فقال فارهبون مختصا بذلك ولا تخافوا شيا غيري من صنم ولا غيره فانه ليس لشي من
ذلك قدرة وان اودعته قدرة فانه لا يتمكن من انفاذها الا بي فالامر كله الي وحدي ولما كان اسلوب الغيبة من الحاضر
دالا على التردي بحجاب الكبر الموذن بشدة البطش وسرعة الانتقام وبعد المقام رجع اليه فقال وله فاعاد الضمير على الله
الاسم العلم الجامع لجميع الاسماء الحسنى ما في السموات ولما كان الامر قد تاكد وتاطد واظهر المراد منه غاية الظهور لم يحتج الى
تاكيد باعادة النافي فقال والارض اي مما تعبدونه وغيره فكيف يتصور ان يكون شي من ذلك الها وهو ملكه مع كونه محتاجا
الى الزمان والمكان وغيرهما وله الدين اي الخضوع والتذلل من كل ما فيهما ومن فيهما بالطوع والكره بانفاذ القضاء والقدر
بالصحة والسقم والغنى والفقر والحيوة والموت والايجاد والاعدام والاذلال والاعزاز والاقبال والاعراض كما بين آنفا
وله الدنيوية بالمجازاة واصبا اي دايما ثابتا عاما لا كالملوك الذين تنقطع ممالكهم مع خصوصها والمعبودات التي تنقطع عبادتها
في وقت من الاوقات فتصير كاسدة بعد ان كانت رابحة وان طال المدى مع خصوصها بناس دون غيرهم ولا يخلوا يوم من الايام
لملك غيره من جرى امور على غير مراده وان عظم سلطانه وعلا شانه وكثرت اعوانه فكيف يتصور من له ادنى بصر ان يكون غيره
الها وقد تقدم في ان ربي على صراط مستقيم في هود ما ينفع استحضاره هنا ولما تقرر هذا الدليل على هذه الصفة وكان من
مفهومات الدين الجزاء الناظر الى الافعال الواقية بما يضر تسبب عنه الانكار الشديد على من يلتفت بشي من افعاله الى غيره بعد
علمه بانه دايم لا يزول وان كل ما سواه زايل فقال معبرا بالتقوى التي هي نتيجة الرهبة افغير الله اي الذي له العظمة كلها تتقون
واتبع ذلك ما يوجب تعظيم الانكار عليهم فقال مبينا انه لا ينبغي ان يتعلق خوف ولا رجاء الا به وما بكم اي التبس بكم ايها الناس
عامة مؤمنكم وكافركم من نعمة اي جليلة او حقيرة فمن الله اي المحيط بكل شي وحده لا من غيره ولما كان اخلاصهم له مع ادعائهم الوهية
غيره امرا مستبعدا عبر باداة التراخي والبعد في قوله ثم اذا مسكم اي ادنى مس الضر بزوال نعمة مما انعم به عليكم فاليه
اي وحده تجارون اي ترفعون اصواتكم بالاستغاثة لما ركز في فطركم الاولية السليمة من انه لا ملجا ولا منجى منه الا اليه ولما
كان الرجوع الى الاشراك بعد الاخلاص مستبعدا ايضا لاستهجانهم سرعة الاستحالة قال ثم اذا كشف سبحانه عما تشركون الضر
اي الذي مسكم عنكم ونبه على مسارعة الانسان في الكفران فقال اذا فريق اي جماعة هم اهل فرقة وضلال منكم ايها العباد بزاي
الذي تفرد بالانعام عليهم يشركون اي يوقعون الاشراك بعبادة غيره تغيرا منهم عما كانوا عليه عند الاستغاثة به في الشدة
فكان منطبقا عليهم ما ضربوا المثل بكراهته بقولهم ۞ واذا تكون كريهة ادعى لها ۞ واذا يحاس الحيس يدعى جندب ۞
وهذا اجهل الجهل ولما كان هذا ملزوما لجحد النعمة وكان من شان العاقل البصير بالامور كما يدعونه لانفسهم ان لا يغفل عن شي
من لوازم ما يقدم عليه قال ليكفروا اي يوقعوا التغطية لادلة التوحيد التي دلتهم عليها غرايز عقولهم بما اتيناهم اي من النعمة
تنبيها على انهم ما اقدموا على ذلك الشرك الا لهذا الغرض احلالا لهم محل العقلاء البصراء الذين يزعمون انهم اعلاهم ورفعا لهم عن احوال
من يقدم على ما لا يعلم عاقبته ولا خزي اعظم من هذا لانه انتج ان الجنون خير من عقل يكون هذا مآله فهو من باب التهكم فتمتعوا
اي فتسبب عن هذا ان يقبل على هذا الفريق اقبال عالم به قادر عليه قايلا تمتعوا فسوف اي فان تمتعكم على هذا الحال سبب لان يقال
لكم تهديدا سوف تعلمون غب تمتعكم فهو اقبال الغضب والتهديد بسوء المنقلب وحذف المتهدد به ابلغ واهول لذهاب النفس في
تعيينه كل مذهب ولما تهددهم باشراكهم المستلزم لكفر النعمة اتبعه عجبا آخر من امرهم فقال عاطفا على قوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم ويجعلون اي على سبيل التكرير لما لا يعلمون مما يعبدونه من الاصنام وغيرها لكونه في حيز العدم في نفسه وعدما محضا
بما وصفوه به كما قال تعالى ام تنبئونه بما لا يعلم نصيبا مما رزقناهم بما لنا من العظمة من الحرث والانعام وغير ذلك تقربا اليها كما
مضى شرحه في الانعام ولك ان تعطفه وهو اقرب على يشركون فيكون داخلا في حيز اذا اي فاجاوا مقابلة نعمته في الانجاء بالاشراك
والتقرب برزقه الى ما الجهل خير من العلم به لانه عدم لانه لا قدرة له ولا نفع في المقام الذي اقاموه فيه ثم التفت اليهم التفاتا
موذنا بما يستحق على هذا الفعل من الغضب فقال تالله اي الملك الاعظم لتسئلن يوم الجمع عما كنتم اي كونا هو في جبلاتكم تفترون
اي تتعمدون في الدنيا من هذا الكذب سؤال توبيخ وهو الذي لا جواب لصاحبه الا بما فيه فضيحته ولما بين سفههم في صرفهم
بما اتاهم الى ما هو في عداد العدم الذي لا يعلم بين لهم سفها هو اعظم من ذلك بجعلهم لمالك الملك وملكه احقر ما يعدونه مما اوجده
لهم لافتقارهم اليه وغناه عنه على وجه التوالد المستحيل عليه مع كراهته لانفسهم فصار ذلك اعجب العجب فقال ويجعلون لله
الذي لا معلوم على الحقيقة سواه لاستجماعه لصفات الجلال والاكرام ولما كان المراد تقريعهم وكانت الانوثة ربما اطلقت
على كرايم الاشجار نص على المراد بقوله البنات فلا اعجب منهم حيث يجعلون الموجود للمعدوم المجهول ويجعلون العدم للموجود
المعلوم ثم نزه نفسه عن ذلك معجبا من وقوعه من عاقل بقوله سبحانه ولما ذكر ما جعلوا له مع الغنى المطلق بين ما نسبوا
لانفسهم مع لزوم الحاجة والضعف فقال ولهم ما يشتهون من البنين وذلك في جملة اسمية مدلولها الثبات ليكون مناديا
عليهم بالفضيحة لانهم لا يبقون لابنايهم لا يبقى ابناؤهم لهم وقد يكونون اعدى اعدائهم ثم بين حالهم اذا حصل لهم نوع ما جعلوه له
سبحانه فقال واذا اي جعلوا كذا والحال انه اذا بشر احدهم ولما تعين المراد وزال المحذور جمع بين الحساستين كما بين في آخر
الصافات فقال بالانثى اي قابل هذه البشرى التي تستحق السرور بحصول نسمة تكون سببا لزيادة هذا النوع وقد تكون

شراك

سبب سعادته دالة على عظمة الله بضد ما تستحق مما لا يفيده شيئا بان ظل وجهه وكنى عن العبوس والتكدر والغيرة بما
يغور فيه من الغيظ بقوله مسودا اي من الغم والكراهة ولعله اختير لفظ ظل الذي معناه العمل نهارا وان كان المراد العموم
في النهار وغيره دلالة على شهرة هذا الوصف شهرة ما يشاهد نهارا وهو كظيم ممتلئ غيظا على المراة ولا ذنب لها بوجه والبشارة
في اصل اللغة الخبر الذي يغير البشرة من حزن او سرور ثم خص في عرف اللغة بالسرور ولا تكون الا بالخبر الاول ولعله عبر عنه
بهذا اللفظ تنبيها على تعكيسهم للامور في جعلهم وسرورهم وحزنهم وغير ذلك من امرهم ولما كان سواد الوجه والكظم قد لا يصحبه
الخزي وصل به قوله يتوارى اي يستخفي بما يجعله في موضع كانه الوراء لا اطلاع لاحد عليه من القوم اي الرجال الذين هو فيهم
من سوء ما بشر به لعده له خزيا ثم بين ما يلحقه من الحيرة في الفكر عند ذلك بقوله ايمسكه على هون اي ذل وسفول امر ولما
كانوا يغيبون الموؤدة في الارض على غير هيئة الدفن عبر عنه بالدس فقال ام يدسه في التراب قال ابن ميلق قال المفسرون كانت
المراة اذا ادركها المخاض احتفرت حفيرة وجلست على شفيرها فان وضعت ذكرا اظهرته وظهر السرور على اهله وان وضعت
انثى استاذنت مستولدها فان شاء امسكها على هون وان شاء امر بالقائها في الحفيرة ورد التراب عليها وهي حية لتموت انتهى قالوا
وكان الواد في مضر وخزاعة وتميم ولما كان حكمهم هذا بالغا في القباحة وصفه بما يستحقه فقال موكدا لقبحه الا ساء ما يحكمون
اي بجعل ما يكرهونه لمولاهم الذي لا نعمة عندهم الا منه وجعل ما يختارونه لهم خاصا بهم ولما كان شرح هذا انهم تكلموا بالباطل
في جانبه تعالى وجانبهم بين ما هو الحق في هذا المقام فقال على تقدير الجواب لمن كانه قال فما يقال في ذلك مظهرا في موضع الاضمار
تنبيها على الوصف الذي اوجب الاقدام على الاباطيل من غير خوف للذين لا يؤمنون اي لا يوجدون الايمان اصلا بالآخرة مثل اي
حديث السوء من الضعف والحاجة والذل والرعونة ولله اي الذي له الكمال كله المثل اي الحديث او المقدار او الوصف او
القياس الاعلى من الغنى والقوة وجميع صفات الكمال بحيث لا يلحقه حاجة ولا ضعف ولا شائبة نقص اصلا واعدل العبارات عن ذلك
لا اله الا الله ويتاتى تنزيل المثل على الحقيقة كما سياتي ايضاحه ان شاء الله تعالى في سورة الروم ولما كان امره سبحانه اجل مما
تدركه العقول وتصل اليه الافهام اشار الى ذلك بقوله وهو لا غيره العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء فلا نظير له الحكيم الذي لا
يوقع شيئا الا في محله فلو عاملهم بما يستحقونه من هذه العظائم التي تقدمت عنهم لاخلى الارض منهم ولو يؤاخذ الله اي الملك الاعظم
الذي له صفات الكمال الناس كلهم ولما كان السياق للحكمة وكان الظلم الذي هو ايقاع الشيء في غير موقعه شديد المنافاة لها وكان
الشرك الذي هذا سياقه اظلم الظلم قال معبرا بالوصف الشامل لما وقع منهم منه بالفعل ولما هم منطوون عليه وهو وصف لهم ولم
يباشروه الى الآن بالفعل قال بظلمهم اي يعاملهم معاملة الناظر لخصمه المعامل له بمحض العدل من غير نظر الى الفضل وعبر بصيغة
المفاعلة لان دلالتها على المناقشة ابلغ ما ترك اقتضى الحال ذكر الظلم فكان سياق هذه الآية اغلظ من سياق فاطر عبر بما يشمل
كل محمول للارض سواء كان على الظهر او في البطن معمورا بالماء او لا فقال عليها اي الارض المعلوم انها مستقرهم المدلول عليها بالتراب
واغرق في النفي فقال من دابة اي نفس تدب على وجه الارض لان الكل اما ظالم يعاقب بظلمه واما من مصالح الظالم فيهلكه عقوبة
للظالم ولانه ما خلقهم الا للبشر فاذا اهلكهم اهلكهم كما وقع قريب منه في زمن نوح عليه السلام ولكن لا يفعل بهم ذلك فهو يؤخرهم
امهالا بحكمته وحلمه الى اجل مسمى ضربه لهم في الازل ولما قطع العلم بالغاية عما سيكون سبب عن ذلك الاعلام بما يكون فيه فقال
فاذا جاء اجلهم الذي حكم باخذهم عنده لا يستاخرون اي عنه ساعة اي وقتا هو عام التعارف بينكم ثم عطف على جملة الشرط
من اولها قوله ولا يستقدمون اي عن الاجل شيئا ولما كان ما تقدم امارة على كراهتهم لما نسبوه الى الله تعالى اتبعه التصريح
بعد التلويح بقوله ويجعلون لله اي وهو الملك الاعظم ما يكرهون اي لانفسهم من البنات والاموال والشركاء في الرياسة ومن
الاستخفاف برسلهم وجنودهم والتهاون برسالاتهم ثم وصف جراتهم مع ذلك الكائنة في محل الخوف المقتضية لعدم التامل اللازم
لعدم العقل فقال وتصف اي تقول معتقدة مع القول الصفا ولما كان قولا لا حقيقة له بوجه اسنده الى اللسان فقال
السنتهم اي مع ذلك مع انه قول لا ينبغي ان يتخيله عاقل الكذب ثم بينه بقوله ان لهم الحسنى اي عنده ولا جهل اعظم ولا حكم اسوا
من ان يتقطع بان من يجعل له ما تكره يجعل لك ما تحب فكانه قيل فما لهم عنده فقيل لا جرم اي لا ظن ولا تردد في ان لهم النار التي هي
جزاء الظالمين وانهم مفرطون اي مقدمون معجلون اليها بتقديم من يسوقهم واعجاله لهم وقال الرماني متروكون فيها من قول العرب
ما افرطت ورائي احدا اي ما خلفت ولا تركت وقرا نافع بالتخفيف والكسر اي مبالغون في الاسراف والجراة على الله ولما بين مآلهم
وكانوا يقولون ان لهم من يشفع فيهم بين لهم ما يكون من حالهم بالقياس على اشكالهم تهديدا وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فقال تالله اي
الملك الاعلى لقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة رسلا من الماضين الى امم ولما كان الارسال بالفعل لم يستغرق زمان القبل قال
من قبلك كما ارسلناك الى هؤلاء فزين لهم الشيطان اي المحترق بالغضب المطرود باللعنة اعمالهم كما زين لهؤلاء فضلوا كما ضلوا
فاهلكناهم فهو لا غيره وليهم اليوم بعد اهلاكهم حال كونهم في النار ولا قدرة له على نصرهم ولهم عذاب اليم فلا ولي لهم لانه لو قدر
على نصرهم لما اسلمهم للهلاك وقد اطاعوه بل لو عدموا ولايته كان ذلك اولى لهم فهو نفي لان يكون لهم ولي على ابلغ الوجوه ولما
كان حاصل ما مضى الخلاف والضلال والنقمة كان كانه قيل فبين لهم وخوفهم ليرجعوا فانا ما ارسلناك الا لذلك وما انزلنا
اي بما لنا من العظمة من جهة العلو عليك الكتاب اي الجامع لكل هدى ولما كان في سياق الدعاء والبيان عبر بما يقتضي الايجاب
فقال الا لتبين اي غاية البيان لهم اي لمن ارسلت اليهم وهم الخلق كافة الذي اختلفوا فيه من جميع الامور دينا ودنيا لكونك اغزرهم
علما واثقبهم فهما وعطف على موضع لتبين ما هو فعل المنزل فقال وهدى اي بيانا شافيا ورحمة اي واكراما بمحبة ولما كان ذلك

ربما شملهم وهم على ضلالهم نفاه بقوله لقوم يؤمنون والتبيين معنى يؤدي الى العلم بالشيء منفصلا عن غيره وقد يكون عن المعنى
نفسه وقد يكون عن صحته والبرهان لا يكون الا عن صحته فهو اخص والاختلاف ذهاب كل الى غير جهة صاحبه والهدى بيان طريق
العلم المؤدي الى الحق ولما انقضى الدليل على ان قلوبهم منكرة استكبارا وما يتعلق به وختمه بما احيى به القلوب بالايمان والعلم
بعد موتها بالكفر والجهل وكان المقصود الاعظم من القرآن تقرير اصول اربعة الالهيات والنبوات والمعاد واثبات القضا
والقدر والفعل بالاختيار وكان اجل هذه المقاصد الالهيات شرع في ادلة الوحدانية والقدرة والفعل بالاختيار المستلزم
للقدرة على البعث على وجه غير المتقدم ليعلم ان ادلة ذلك اكثر من اوراق الاشجار واجلى من ضياء النهار فعطف على قوله والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون قوله جامعا في الدليل بين العالم العلوي والعالم السفلي والله اي الذي له الامر كله انزل من السماء في
الوقت الذي يريده ماء بالمطر والثلج والبرد فاحيى به الارض الغبراء ولما كانت عادته بذلك مستمرة وكان السياق لاثبات
دعائم الدين وكان الاحياء بالماء لا يزال اثره قائما في زرع او شجر في بعض الاراضي اعرى الظرف من الجار لان المعنى به ابلغ فقال بعد
موتها باليبوسة والجدب وتفتت النبات اصلا وراسا ولما كان ما اقامه على ذلك في هذه السورة من الادلة قد صار الى حد
لا يحتاج معه السامع العاقل الى اكثر من السماع قال ان في ذلك الماء المؤثر بتدبيره هذا الاثر العظيم لاية لقوم يسمعون هذا التنبيه
في هذا الاسلوب المضمن لما مضى من التشبيه فيعلمون انه ينزل من امره ما يريد فيحيي به اجساد العباد بعد موتها كما احيى اجساد
النبات بالماء بعد موتها وارواح الاشباح بالعلم بعد موتها والحاصل ان هذه الادلة لا تحتاج مع الحس الى كبير عمل بالقلب غير الانقياد
الى الحق وترك العناد والجهل فهو من سماع الاذن وما ينشا عنه من الاجابة استعمالا للشيء في حقيقته ومجازه ولعله لم يختمها بيبصرون
لئلا يظن ان ذلك من البصيرة فيظن انه يحتاج فيها الى كبير فكر فيفوت ما اريد من الاشارة الى شدة الوضوح ولما ذكر سبحانه
هذا الامر العام ونبه على ما فيه من غريب الصنع الذي غفل عنه لشدة الالف به اتبعه بعض ما ينشا عنه من تفاصيل الامور
المحتوية على عجائب المقدور وبدا باعمها واشدها ملابسة لهم واكثرها في نفسه واعظمها منفعة ودخلا في قوام عيشهم فقال
وان لكم اي ايها المخاطبون المغمورون في النعم في الانعام ولما كانت الادلة يعبر بها من الجهل الى العلم لعبرة فكانه قيل ما هي فقيل
نسقيكم بضم النون في قراءة الجماعة من اسقاه اذا اعد له ما يشربه دائما من نهر او لبن وغيرهما وبالفتح في قراءة نافع وابن عامر
وعاصم في رواية شعبة من سقاه اذا ناوله شيئا فشربه ولما كان الانعام اسم جمع فكان مفردا كما نقل ذلك عن سيبويه وذكر
المسقي وهو اللبن لما اقتضاه سياق السورة من تعداد النعم فتعينت ارادة الاناث لذلك فانتفى الالباس مع تذكير الضمير قال
مما اي من بعض الذي في بطونه فذكر الضمير لامن اللبس والدلالة على قوة المعنى لكونها سورة النعم بخلاف ما في المؤمنون ولما
كان في موضع العبرة تخليص اللبن من غيره قدم قوله من بين فرث وهو الثفل الذي ينزل الى الكرش فاذا خرج منه لم يسم فرثا
ودم لبنا خالصا من مخالط منهما او من غيرهما مما ينبغي عليه بلون او رائحة عن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اكلت البهيمة العلف
واستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلثة تقسمها فيجري
الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث في الكرش سائغا اي سهل المرور في الحلق للشاربين ثم عطف عليه ما هو انفس
منه عندهم واقرب اليه في المعاني المذكورة فقال معلقا بنسقيكم ومن ثمرات النخيل والاعناب ولما كان لهم مدخل في اتخاذ ما ذكر
منه بخلاف اللبن الذي لا صنع لهم فيه اصلا اسند الامر اليهم وليكون اشارة الى كراهة السكر وتوطئة للنهي عنه في قوله مستانفا
تتخذون اي باصطناع منكم وعلاج ولاجل استيناف هذه الجملة كان لا بد من قوله منه اي من مائه وعبر عن المسكر بالمصدر ابلاغا
في تقبيحه وزاد في الابلاغ بالتعبير باثقل المصدرين وهو المحرك يقال سكر سكرا وسكرا مثل رشد رشدا ورشدا وبخل بخلا
وبخلا فقال تعالى سكرا اي ذا سكر منشئا مطربا ساد المجاري العقل قبيحا غير مستحسن للرزق ورزقا حسنا لا ينشا
عنه ضرر في بدن ولا عقل من الخل والدبس وغيرها ولا يسد شيئا من المجاري بل ربما فتحها كالحلال الطيب فانه ينير القلب ويوسع
العقل والاذهان كلها تفتح سدد البدن وهذا كما منحكم سبحانه العقل الذي لا احسن منه فاستعمله قوم على صوابه في الوحدانية
وعكس آخرون فدنسوه بالاشراك قال الرماني قيل السكر ما حرم من الشراب والرزق الحسن ما احل منه عن ابن عباس رضي الله
عنهما وسعيد بن جبير وابرهيم والشعبي وابن رزين والحسن ومجاهد وقتادة والسكر في اللغة على اربعة اوجه الاول ما اسكر
الثاني ما اطعم من الطعام الثالث السكون الرابع المصدر من سكر واصله انسداد المجاري مما يلقى فيها ومنه السكر يعني بكسر ثم
سكون ومن حمل السكر على المسكر قال انها منسوخة باية المائدة والتعبير عنه بما يفهم سد المجاري يفهم كراهته عند ما كان حلالا
فالاية من الاحتباك ذكر السكر اولا دال على الفتح ثانيا وذكر الحسن دال على القبيح اولا فالاية ادل ما في القرآن على المعتزلة
في ان الرزق يطلق على الحرام ولتقارب ايتي الانعام والاشجار جمعها سبحانه فقال ان في ذلك اي الامر العظيم من هذه المنافع
لاية ولوضوح امرهما في كمال قدرة الخالق ووحدانيته قال لقوم يعقلون ولما كان امر النحل في الدلالة على تمام القدرة وكمال
القدرة اعجب مما تقدم وانفس ثلث به واخره لانه اقل الثلثة عندهم وغير الاسلوب وجعله من وحيه ايماء الى ما فيه من غريب
الامر وبديع الشان فقال واوحى ربك اي المحسن اليك بجعل العسل في مفاوز البراري المقفرة المفرطة الحرارة وغيرها من الاماكن
وبغير ذلك من المنافع الدال على الفعل بالاختيار وتمام الاقتدار الى النحل اي بالالهام قال الرازي في اللوامع فالله اعطى كل
شيء خلقه ثم هدى فبعضها بالتسخير المجرد كالجمادات وبعضها بالالهام والتسخير كالنحل والسرفة اي بضم وسكون وهي دويبة
تتخذ بيتا من دقاق العيدان فتدخله وتموت والعنكبوت وبعضها بالتسخير والالهام والعقل المتفق على نظام واحد كالملائكة

احتباك

مطلب
نحل

وبعضها ملك بكل ذلك والفكر والتمييز والاعمال المختلفة المبنية على الفكر كالانسان ولما كان في الايحاء معنى القول اتى بان
المفسر فقال ان اتخذي اي افعلي ما يفعله المتكلف في ان ياخذ من الجبال بيوتا اي بيوت ما اعجبها ومن الشجر اي الصالحة لذلك في
الغياض والجبال والصحاري ومما يعرشون اي يرفع الناس من السقوف والجدران وغيرها وبدا بالبيوت لانها من عجب الدهر في حسن
الصنعة وبداعة الشكل وبراعة الاحكام وتمام التناسب ولما كان اهم شي للحيوان بعد الراحة من هم المقيل الاكل ثنى به
ولما كان عاما في كل ثمر ذكره بحرف التراخي اشارة الى عجيب الصنع في ذلك وتيسيره لها فقال ثم كلي واشار الى كثرة الرزق بقوله
من كل الثمرات قالوا من اجزاء لطيفة تقع على اوراق الاشجار من الطل وقال بعضهم من نفس الازهار والاوراق ولما اذن لها
في ذلك كله وكان من المعلوم عادة ان تعاطيه لا يكون الا بمشقة عظيمة في معاناة السير اليه نبه على خرقه للعادة في تيسيره لها
فقال فاسلكي اي فتسبب عن الاذن في الاكل الاذن في السير اليه سبل ربك اي المحسن اليك بهذه التربية العظيمة لاجل الاكل
ذاهبة اليه وراجعة الى بيوتك حال كون السبل ذللا اي موطاة للسلوك مسهلة كما قال هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
واشار باسم الرب الى انه لولا عظيم احسانه في تربيتها لما اهتدت الى ذلك ثم اتبعه نتيجة ذلك جوابا لمن كانه قال ماذا يكون عن
هذا كله فقال يخرج من بطونها لفت الكلام لعدم قصدها الى هذه النتيجة شراب اي شراب وهو العسل لانه مع كونه من اجل
المشاكل هو مما يشرب مختلف الوانه من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك اختلافا دالا على ان فاعله مع تمام قدرته مختار ثم اوضح ذلك
بقوله فيه اي مع كونه من الثمار النافعة والضارة شفاء للناس قال الرازي في اللوامع اذ المعجونات كلها بالعسل وقال امام
الاولياء محمد بن علي الترمذي انما كان ذلك لانها ذلت لله مطيعة واكلت من كل الثمرات حلوها ومرها محبوبها ومكروهها تاركة لشهواتها
فلما ذلت لامر الله صار هذا الاكل لله فصار ذلك شفاء للاسقام فكذلك اذا اذل العبد لله مطيعا وترك هوله صار كلامه شفاء للقلوب
السقيمة انتهى وكونه شفاء مع ما ذكر ادل على القدرة والاختيار من اختلاف الالوان لا جرم وصل به قوله ان في ذلك اي الامر العظيم
من امرها لاية وكما اشار في ابتداء الاية الى غريب الصنع في امرها اشار الى مثل ذلك في الختم بقوله لقوم يتفكرون اي في اختصاص
النحل بتلك العلوم الدقيقة واللطائف الخفية بالبيوت المسدسة والاهتداء الى تلك الاجزاء اللطيفة من اطراف الاشجار
والاوراق وغير ذلك من الغرائب حيث ناطه بالفكر المبالغ فيه من الاقويا تاكيدا لفخامته وتعظيما لدقته وغرابته في دلالته
على تمام العلم وكمال القدرة وقد كثر في هذه السورة اضافة الايات الى المخاطبين تارة بالافراد وتارة بالجمع ونوطها تارة بالعقل
وتارة بالفكر وتارة بالذكر وتارة بغيرها وقد جعل الامام الرباني ابو الحسن الحرالي رحمة الله عليه في كتابه المفتاح لذلك بابا
بعد ان جعل اسنان الالباب مثل اسنان الاجساد ما بين تمييز واحتلام وشباب وكهولة وغيرها كما تقدم نقله عنه في سورة براءة
عند ومنهم الذين يؤذون النبي فقال الباب التاسع في وجوه اضافات الايات واتساق الاحوال لاسنان القلوب في القرآن
اي فان لذلك مراتب في العلم والافهام اعلم ان الايات والاحوال تضاف وتتسق لمن اتصف بما به ادرك معناها ويونب عليها
من تقاصر عنها وينفي منالها عمن لم يصل اليها وهي اطوار اظهرها ايات الاعتبار البادية لاولي الابصار لان الخلق كله انما هو علم
للاعتبار منه لا انه موجود للاقتناع به ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماواهم النار بما
كانوا يكسبون اتخذوا ما خلق للعبرة به الى ربه كسبا لانفسهم حتى صار عندهم وعند اتباعهم آيتهم لا اية خالقه اتبنون بكل ريع
اية تعبثون والله خلقكم وما تعملون ثم يلي ايات الاعتبار ما ينال ادراك ابنه العقل الادنى ببداهة نظره وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الايات لتعدد وجوهها في مقصد البيان ثم يلي ما يدرك
ببداهة العقل ما يحتاج الى فكر يثيره العقل الادنى لشغل الحواس بمنفعته عن التفكر في وجه آيته هو الذي انزل من السماء ماء
لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم
يتفكرون افرد الاية لاستناد كثرته الى وحدة الماء ابتداء ووحدة الانتفاع انتهاء ثم يلي ما يدرك بفكر العقل الادنى ما
يقبل بالايمان ويكون آية امر قائم على خلق وهو مما يدرك سمعا لان الخلق مرئي والامر مسموع وما انزلنا عليك الكتاب الا
لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية
لقوم يسمعون هذه آية حيوة القلوب بنور العلم والحكمة الذي اخذ سمعا عند تقرر الايمان وعند هذا الجد يتناهى العقل
الى فطرة الاشد وتعلو بداهته وترقى فطرته الى نظر ما يكون آية في نفس الناظر لان محار غيب الكون يرد الى وجدان نفس الناظر
وكما ان الماء آية حيوة القلوب صار الشرابان اللبن والخمر آيتين على احوال تخص القلوب بما يغذوها من امر الله غذاء اللبن ويلبسها
نشوة السكر منبعثا من بين فرث ودم نزول الخلق المقام عن الامر القائم عليه وان لكم في الانعام لعبرة الايتين الى قوله ان في
ذلك لاية لقوم يعقلون وهذا هو العقل الاعلى وافرد الاية لانفراد موردها في وجد القلب وكما للعقل الادنى فكرة تنبئ عن
بداهته فكذلك العقل الاعلى فكرة تنبئ عن علي فطرته واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا الى قوله
لاية لقوم يتفكرون وهذا العقل الاعلى هو اللب الذي عنه يكون التذكر بالادنى من الخلق الاعلى من الامر وما ذرا لكم في
الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وفي مقابلة كل من هذه الاوصاف اضداد يرد البيان فيها بحسب مقابلتها
وكذلك حكم وصف المسلمين فيما يظهر ان لا انجى للعبد من اسلامه نفسه لربه ووصف المحسنين فيما يظهر قيام ظاهر العبد
بربه ووصف الموقنين فيما وجد يقينه العبد من نفسه او عاين ابتداءه بظاهر حسه الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين من استغنى بما عنده من وجد لم يتفرغ لقبول غيب يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله اذا ما اتقوا وامنوا

حشر اي الحشر

وعملوا

وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ثم اتقوا واحسنوا والله يحب
المحسنين فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون وكذلك
نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ولجملة هذه الاوصاف ايضا اضداد يرد بيان القران فيها بحسب
تقابلها ويجري معها افهامه وما اوصله خفا المسمع والمرائي الي القلب هو فقهه ومن فقد ذلك وصف سمعه بالصمم وعينه
بالعمي ونفي الفقه عن قلبه ونسب البهيمية ومن لم تنل فكرته اعلام ما غاب عنه عيانه نفي عنه العلم الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام
بل هم اضل اولئك هم الغافلون يقولون لئن رجعنا الي المدينة الي قوله ولكن المنافقين لا يعلمون يقولون لا تنفقوا علي
علي من عند رسول الله حتي ينفضوا الاية الي قوله ولكن المنافقين لا يفقهون نفي العلم فيما ظهرت اعلامه والفقه فيما خفي
امره ومراد البيان عن اضدادها هذه الاوصاف بحسب تقابلها وهذا الباب لمن يستفتحه من انفع فواتح الفهم في القران
انتهي ولما ايقظهم من رقدتهم ونبههم علي عظيم غفلتهم عن عموم القدرة وشمول العلم المقتضي للفعل بالاختيار المحقق للبعث
وغيره من كل ما يريد سبحانه ببعض اياته المبثوثة في الافاق من جماد ثم حيوان وختم ذلك بما هو شفاء ثني ببعض ما في انفسهم
من الادلة علي ذلك مذكرا بمراتب عمر الانسان الاربع وهي سن الطفولية والنمو ثم سن الشباب الذي يكون عند انتهائه الوقوف
ثم سن الكهولة وفيه يكون الانحطاط مع بقاء القوة ثم سن الانحطاط مع ظهور الضعف وهو الشيخوخة مضمنا ما لا يغني عنه
دواء حثا علي التفكر في اياته والتعقل لها قبل حلول ذلك الحادث فيفوت الفوت ويندموا حيث لا ينفع الندم فقال
والله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما خلقكم فجعلكم بعد العدم احيا فهما خصما ثم يتوفاكم علي اختلاف الاسنان فلا يقدر
الصغير علي ان يؤخر ولا الكبير علي ان يقدم فمنكم ممن يموت حال توبة ومنكم من يرد اي بايسر امر منا لا يقدر علي مخالفته بوجه
الي ارذل العمر لانه يهرم فيصير الي مثل حال الطفولية في الضعف مع استقدار غيره له ولا يرجي بعده لكيلا يعلم ولما
كان مقصود السورة الدلالة علي تمام القدرة وشمول العلم والتنزه عن كل شائبة نقص وكان السياق هنا لذلك ايضا
بدليل ختم الاية نزع الخافض للدلالة علي استغراق الجهل لزمن ما بعد العلم فيتصل بالموت ولا ينفع فيه دواء ولا تجدي معه
حيلة فقال بعد علم شيئا لا يوجد في شي من ذلك عند احلاله شفاء ولا يمنعه دواء فبادروا الي التفكر والاعتبار قبل حلول
احد هذين ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة عليم قدير اي بالغ العلم شامل القدرة فمهما اراد كان ومهما
اراد غيره ولم يرده هو احاط به علمه فسبب له بقدرته ما يمنعه ولما ذكر المفاوتة في الاعمار المنادية بابطال الطبايع
الموجبة للمسابقة الي الاعتبار لاولي الابصار للخوف كل لحظة من مصيبة الموت ثني بالمفاوتة في الارزاق فقال والله اي
الذي له الامر كله فضل بعضكم ايها الناس علي بعض ولما كانت وجوه التفضيل كثيرة وكان التفضيل في المعاش الذي يظن الانسان
ان له قدرة علي تحصيله وكانت المفاوتة فيه ادل علي تمام القدرة والفعل بالاختيار الذي السياق له قال في الرزق اي ولربما
جعل الضعيف العاجز الجاهل اغني من القوي المحتال العالم فاتقوا الله واجملوا في الطلب واقبلوا بجميع قلوبكم علي ما ينفعكم
من الاستبصار قال ابو نعيم في الحلية حدثنا سليمن بن احمد حدثنا احمد بن عمرو الخلال سمعت ابن ابي عمر يقول كنا عند سفين
ابن عيينة فذكروا الفضل بن الربيع ودهاءه فانشا سفين يقول • كم من قوي قوي في تقلبه • مهذب الراي عنه الرزق منحرف •
• ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط • كانه من خليج البحر يغترف • وعن نوادر ابي علي القالي انه قال قال ابو بكر ابن الانباري
وحدثني ابي قال بعث سليمن المهلبي الي الخليل بن احمد بماية الف درهم وطالبه بصحبته فرد عليه الماية الالف وكتب اليه هذه الابيات
• ابلغ سليمن اني عنه في سعة • وفي غنى غير اني لست ذا مال • شحن بنفسي اني لا ارى احدا • يموت هزلا ولا يبقي علي حال •
• فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه • ولا يزيدك فيه حول محتال • والفقر في النفس لا في المال تعرفه • ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال •
ولما كان جعل الملوك في رتبة المالك مما يتعاظمهم في حقوقهم مع انه في الحقيقة لا ملك ولا ملك فلا يدينون لذلك
ولا يدانونه وان جل الخطب وادي الي ذهاب الارواح بل من كانت امه مملوكة حطوا رتبته وان كان ابوه من كان وان
كانت العبرة عندهم في النسب بالاب وهذا هو الذي احوج عنترة الي قوله • اني امرؤ من خير عبس منصبا • شطري واحمي سايري بالمنصل •
الي غير ذلك مما كان يعتذر به عن جهة امه نبههم سبحانه علي ما وقعوا فيه في حقه من ذلك بسبب الاشراك مع انه مالك الملك
وملك الملوك بعد ما اجترأوا عليه في تفضيل انفسهم في نسبة البنات اليه فقال فما الذين فضلوا اي في الرزق برادي
رزقهم اي الذين اختصوا به علي ما ملكت ايمانهم وان جل نفعهم وتعاظم عندهم وقعهم فهم فيه سوا اي فيكون بذلك الرد
المالك والمملوك سوا فهو جواب للنفي نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ولما وضح ذلك وضوح
الشمس وظهر ما خفي به اصلا نوع لبس تسبب عنه الانكار في قوله علي وجه الاعراض عن خطابهم المؤذن بالمقت افبنعمة
الله اي الذي لا رب غيره يجحدون في جعلهم له شركا يضيفون اليهم بعض ما انعم به عليهم فيسوون بينهم وبينه في ذلك
وبنعمتهم يعترفون ولها يحفظون في انزال ما ملكت ايمانهم عنهم في المراتب والاموال ولما ذكر الخلق والرزق اتبعهما الالذاذ
بالتانس بالجنس من الازواج والاولاد وغيرهما اللازم له القيام بالمصالح فقال والله اي الذي له تمام القدرة وكمال العلم
جعل لكم ولما كان الازواج من الجنس قال من انفسكم لان الشي الف لنوعه واقرب الي جنسه ازواجا اي تتوالدون بها
ويكون السكون اليها سببا لبقاء نوعكم وجعل لكم اي ايها الناس الذين يوجهون رغباتهم الي غيره من ازواجكم بنين ولعله قدمهم

مادة حفد

للشرف ثم عطف على ذلك ما هو اعم فقال وحفدة اي من البنات والبنين واولادهم والاصهار والاختان جمع حافد يخفون
في اعمالكم ويسرعون في خدمكم طاعة وموالاة لا كما يفعل الاجانب وبعض العاقين وهذا معنى ما نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله
عنهما من انه فسرهم بالخدام والاعوان وهو الصواب لان مادة حفد تدور على الاسراع والخفة حفد خف في العمل واسرع
والحفد محركة الخدم لخفتهم ومشي دون الخبب والحفدة البنات واولاد الاولاد او الاصهار لذلك وصناع الوشي لاسراعهم
فيه واسراع لابسه الى لبسه منبسط النفس والمحفد كمجلس ومنبر شيء تعلف فيه الدواب لاسراعها اليه وكمنبر طرف الثوب
لاسراع حركته وقدح يكال به لخفته وكمجلس الاصل لدوران الامور عليه واسراعها اليه وسيف محتفد سريع القطع واحفده
حمله على الاسراع والفادحة النازلة وفوادح الدهر خطوبه لاسراعها بالمكروه واسراع المنزول به ومن يهمه شانه الى مدافعتها
ومن ذلك فدحه الامر اثقله لان المكروه يسرع فيثقل فيكثر اضطراب المنزول به ولما ذكر ذلك سبحانه اتبع ما لا يطيب العيش
الا به فقال ورزقكم اي لاقامة اودكم وصلاح احوالكم ولما كان كل النعيم انما هو في الجنة بعض فقال من الطيبات بجعله
ملائما للطباع شهيا للارواح نافعا للاشباح فعلم من هذا قطعا ان صاحب هذه الافعال هو المختص بالجلال ومن انكر شيئا من
حقه فقد ضل ابعد الضلال فكيف بمن انكر خيره وعبد غيره وهو باسم العدم احق منه باسم الوجود فلذلك تسبب عنه قوله
معرضا عن خطابهم اعراض المغضب افبالباطل اي من الاصنام وما جعلوا لهم من النصيب يؤمنون اي على سبيل التجديد
والاستمرار وبنعمة الله اي الملك الاعظم هم وله عليهم خاصة غير ما يشاركون فيه الناس من المنن ما له يكفرون حتى انهم يجعلون
مما انعم به عليهم من السائبة والوصيلة والحامي وغيرها لاصنامهم وذلك متضمن لكفران النعمة الكائنة منه ويتضمن لنسبتها
الى غيره لانه لم ياذن لهم في شيء مما حرموه ولا يحل التصرف في مال المالك الا باذنه ثم قال تعالى عطفا على ما انكر عليهم هناك
ويعبدون واشار الى سفول المراتب كلها عن رتبته سبحانه فقال من دون الله اي من غير من له الجلال والاكرام مما هو في غاية
السفول من الاصنام وغيرها ما لا يملك اي بوجه من الوجوه لهم رزقا تاركين من بيده جميع الرزق وهو ذو العلق المطلق الذي
رزقهم من الطيبات ثم بين جهة الرزق فقال من السموات والارض ثم اكد تعميم هذا النفي بقوله مبدلا من رزقا مبينا ان تنوينه
للتحقير شيئا ثم اكد حقارتهم بقوله جامعا لان ما عجز عند الاجتماع فهو عند الانفراد اعجز ولا يستطيعون اي وليس لهم نوع
استطاعة اصلا ولك ان تجعله معطوفا على ما مضى من المعجب منه من اقوالهم وافعالهم في قوله ويجعلون لله ما يكرهون ونحوه
ولما دحض بهذه الحجة جميع ما اقاموه من الشبه وضربوه من الامثال فيما ارتكبوه من قولهم ان الملك لا يتوصل اليه الا باعوان
من حاجب ونائب ونحو ذلك ولا يتوصل اليه الا بانواع القربان فعبدوا الاصنام وفعلوا لها ما يفعل له تشبيها به عز شانه
وتعالى سلطانه لان الفرق ان ملوك الدنيا المقيس عليهم انما اقاموا من ذكر لحاجتهم وضعف ملكهم وملكهم مخالف لوصف من لا
تاخذه سنة ولا نوم ولا يشغله شان عن شان وكل شيء في قبضته وتحت قهره وعظمته فلذلك تسبب عنها قوله فلا تضربوا لله اي
الذي له الاحاطة الكاملة الامثال اي فتشبهوه تشبيها بغيره وان ضرب لكم هو الامثال قال ابو حيان وغيره قال ابن عباس رضي
الله عنهما اي لا تشبهوه بخلقه انتهى وهو كما قال الكشاف تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال شبه حالا بحال
وقصة بقصة انتهى وهذا النهي عام في كل مثل لخطر الامر خشية ان يكون ذلك المثل غير لائق بمقداره وقد تقرر ان درء المفاسد
اولى من جلب المصالح لا سيما في هذا لان الخطا فيه كفر ويدل على ذلك تعليل الحكم بقوله ان الله اي الذي له الامر كله ولا امر لغيره
يعلم اي له جميع صفة العلم فاذا ضرب مثلا اتقنه باحاطة علمه بحيث لا يقدر غيره ان يبدي فرقا ما بين الممثل والممثل به في الامر
الممثل له وانتم لا تعلمون اي ليس لكم علم اصلا فلذلك تعمون عن الشمس ويلبس عليكم ما ليس فيه لبس وهذا المقام عال ومسلكه وعر
وسالكه على غاية من الخطر ولما ختم سبحانه بذلك تاكيدا لابطال مذهب عبدة الاصنام بسلب العلم الذي هو مناط السداد
عنهم حسن ان يصل به قوله اقامة للدليل على علمه بان امثاله لا يتطرق اليها الطعن ولا تتوجه نحوها الشكوك ضرب الله اي
الذي له كمال العلم وتمام القدرة مثلا بالاحرار والعبيد له وكما عبدتموه معه ثم ابدل من مثلا عبدا ولما كان العبد يطلق على الحر
بالنسبة الى الله تعالى قال مملوكا لا مكاتبا ولا فيه شائبة للحرية لا يقدر على شيء باذن سيده ولا غيره وهذا مثل شركائهم
ثم عطف على عبدا قوله ومن رزقناه منا من الاحرار رزقا حسنا واسعا طيبا فهو ينفق منه دائما وهو معنى سرا وجهرا وهذا
مثل الاله وله المثل الاعلى ثم بكتهم انكارا عليهم بقوله هل يستوون اي هذان الفريقان الممثل بهما لان المراد الجنس فاذا كان
لا يسوغ في عقل ان يسوي بين مخلوقين احدهما حر مقتدر والاخر مملوك عاجز فكيف يسوي بين حجر موات او غيره وبين الله
الذي له القدرة التامة على كل شيء ولما كان الجواب قطعا لا وعلم ان الفاضل ما كان مثالا له سبحانه علم ان من سوى بينهما
او فعل ما يؤول الى التسوية اجهل الجهلة فثبت مضمون ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وان غيره تعالى لا يساوي شيئا فثبت بلا
ريب انه المختص بالمثل الاعلى فعبر عن ذلك بقوله الحمد لله اي له الاحاطة بالعلم وجميع صفات الكمال التي منها اختصاصه
بالشكر لكونه هو المنعم وليس لغيره احاطة بشيء من ذلك ولا غيره فكانهم قالوا نحن نعلم ذلك فقيل بل اكثرهم اي في الظاهر والباطن
بما اشار اليه الاضمار لا يعلمون لكونهم يسوون به غيره ومن نفى عنه العلم الذي هو اعلى صفات الكمال كان في عداد الانعام فهم
لذلك يشبهون به ما ذكر ويضربون الامثال الباطلة ويضيعون نعمه الى ما لا يعد ولعله اتى بضمير الغيبة لقصر ذلك على
من حتم بموته على الضلال او يقال وهو ارشق لما كان الجواب قطعا لا يستوون والفاضل مثالك فقد علم كل ذي لب ان
لك المثل الاعلى فترجم عن وصفه بقوله الحمد لله اي الاحاطة بصفات الكمال للملك الاعظم وعن نسبتهم الى علم ذلك بقوله

سورة الحمد ٤

بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم علم بشئ اصلا لانهم يعلمون في هذا بالجهل فنسبتهم الى الغباوة احسن في حقهم من نسبتهم الى الضلال على علم وسيأتي في سورة لقمن ان شاء الله تعالى ما يكون نافعا في هذا المقام وانما فسرت الحمد بما تقدم لانه قد مضى في سورة الفاتحة ان مادة حمد تدور على بلوغ الغاية ويلزم منه الاتساع والاحاطة والاستقرار فيلزمها مطاطاة الراس وقد يلزم الغاية الرضى فيلزمه الشكر وبيانه ان الحمد بمعنى الرضى والشكر لانهما يكونان غالبا عن غاية الاحسان ويرجع الى ذلك الحمد بمعنى الجزاء وقضاء الحق وحماداك بالضم اي غايتك ويوم محمد شديد الحر وحمد النار بحركة صوت التهابها واما يتحمد على بمعنى عتمن فاصله يذكر ما يلزم منه حمده ومنه المدح وهو حسن الثناء وتمدح بمعنى تكلف ان يمدح وافتخر وتشبع بما ليس عنده فانه في كل ذلك يبذل جهده ووجه كمنع دفعه شديدا والمرأة نكحها لما في ذلك من بلوغ الغاية في الشهوة وما يلزمها من الرفع ونحوه والرحم بالكسر الاصل لانه غاية الشيء الذي ينتهي اليه وحذم النار وبحرك شدة احتراقها وحميها واحتدم الدم اشتدت حمرته حتى يسود والحدمة محركة النار لانها غاية الحر والحدمة ايضا صوتها لدلالته على قوة التهابها ومن ذلك الحدمة ايضا لصوت جوف بحية او صوت في الجوف كانه تغيظ لانه يدل على غاية التهاب الباطن والحدمة كفرحة السريعة الغلي في القدور ومن الاتساع تمدحت الارض اي اتسعت ومن الاستقرار ان الراحوم لحالة الثعلب لانها بلغت الغاية من مراد الصائد ولانه لما لم يقدر على الخلاص منها كانت كأنها قد احاطت به والرحم المستدير المكمل وقد مر تحقيقه مطاطا راسه لان الانعطاف مبدأ الاستقرار والله الموفق ولما انقضى هذا المثل الكافي لمن له ادنى مراد وادنى تأمل لا عتراف بان الاصنام عبيد الله في قولهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكان رد عليهم اكبر فقال افلم ليسوا املاكا له اتبعه مثلا آخر لا تمكن المكابرة فيه فقال وضرب الله اي الذي له الاحاطة الكاملة ايضا مثلا ثم ابدل منه رجلين ثم استأنف البيان لما اجمل فقال احدهما ابكم اي ولد اخرس ثم ترجم بكلمته التي اريد بها انه لا يفهم ولا يفهم بقوله لا يقدر على شئ اي اصلا وهو كل اي ثقل وعيال والاصل فيه اللفظ الذي يمنع من النفوذ كلتا لسكين كلولا اذا غلظت شفرتها فلم تقطع وكل لسانه اذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حده قال الرماني على مولاه الذي يلي امره ثم بين ذلك بقوله اينما يوجهه اي يرسله ويصرفه ذلك المولى لا يأت بخير وهذا مثل شركائهم الذين هم عيال ووبال على عبدتهم ولما انكشف ضلالهم في تسويتهم الانداد الذين لا قدرة لهم على شئ مما باسره الذي له الاحاطة بكل شئ قدرة وعلما حسن كل الحسن توبيخهم والانكار عليهم بقوله هل يستوي هو اي هذا المذكور ومن اي ورجل آخر على ضد صفته فهو عالم فطن قوي خبير مبارك الامر ميمون النقيبة يأمر بما لدين العلم والقدرة بالعدل اي ببذل النصيحة لغيره وهو في نفسه ظاهرا وباطنا على صراط اي طريق واضح واسع مستقيم اي عامل بما يأمر به وهذا مثال للمعبود بالحق الذي يكفي عابده جميع المؤن ويوالي على كمال نعمه وتمام قدرته ولما تم هذان المثلان الدالان على تمام علمه وشمول قدرته قال تعالى بأن يعني عدم عطف على قوله ان الله يعلم قوله مصرحا بتمام علمه وشمول قدرته ولله اي هذا علم الله في المشاهدات الذي علم من هذه الادلة انه مختص به ولذي الجلال والاكرام وحده غيب السموات والارض كما ان له وحده شهادتها مما اراد من ذلك كانت قدرته عليه كقدرته على الشهادة من الساعة التي تنكرونها استعظاما لها ومن غيرها مما فصله لكم من اول السورة الى هنا من خلق السموات والارض وما بينهما وما امر الساعة وهي الوقت الذي يكون فيه البعث على اعتقادكم انها لا تكون استبعادا لها واستصغارا لامرها في سرعته عند الناس لو راق ولذا عبر عنه بالساعة الا كلمح البصر اي كرجع الطرف المنسوب الى البصر اي بصر كان او هو اقرب واذا الخلق قد قاموا من قبورهم مهطعين الى الداعي هذا بالنسبة الى علمهم وقياسهم واما بالنسبة اليه سبحانه فامره في الجلالة والعظم والسرعة والاتقان اجل عن الوصف وتقصر عنه العقول ولا شك فيه ولا تردد ولذلك علله بقوله ان الله اي الملك الاعظم على كل شئ اي ممكن قدير ولما انقضى توبيخهم على ايمانهم بالباطل وكفرانهم بالحق وما استتبعه وختم بامر الساعة عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ما هو من ادلة الساعة وكمال القدرة والعلم بالاختيار من النشأة الاولى فقال والله اي الذي له العظمة كلها اخرجكم بعلمه وقدرته من بطون امهاتكم والذي اخرجكم منها قادر على اخراجكم من بطن الارض بلا فرق بل بطريق الاولى والحال كونكم عند الاخراج لا تعلمون شيأ من الاشياء قل او جل وعطف على اخرجكم قوله وجعل لكم بذلك ايضا السمع والابصار والافئدة الآت لازالة الجهل الذي وقعتا لوادة عليه وفتق مواضعها وسواها وعدلها ولنتم في البطون حيث لا تصل اليه يد ولا يمكن من شق شئ منه بآلة فالذي قدر على ذلك في البطن ابدا غالبا قادر على اعادته في بطن الارض بل بطريق الاولى ولعلكم جهلا دون السمع لان التفاوت فيها اكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه الا الله والافئدة هي القلوب التي هيأها للفهم واصلاح البدن بما اودعها من الحرارة اللطيفة القابلة للمعاني الرفيعة لعلكم تشكرون اي لتصيروا بمعارف القلوب التي وهبكموها اذا سمعتم المواعظ وابصرتم الآيات في حال ترجى فيها شكركم لما افاض عليكم من لطائف صنعه بان تصرفوا ما له من العلم والقدرة وحسن التصرف فتعترفوا له بجميع ما انتكم به رسله واهمه الذي تبنى عليه جميع مقاصد الاصول ان المنعم عليكم بهذه النعم اله واحد عالم بكل شئ قادر على كل شئ فاعل بالاختيار وان الطبائع من جملة مقدوراته لا تفعل لها الا بتقريفه ولما كان المقصود من تعداد هذه النعم الاعلام بانه الفاعل بالاختيار وحده لا الطبائع ولا غيرها دلهم على ذلك مضموما الى ما مضى بقوله مقررا الم يروا ان

بالخطاب والعينة على اختلاف القراءتين لان سياق الكلام وسياقه يحتمل الغيبة والمعرض بخلاف سياق الملك فانه للمعرض

فقط فلذا اختلف القرآ هنا واجمعوا هناك الى الطير مسخرات اي مدللات للطيران بما اقامها الله فيه من المصالح والحكم ن
بالطيران وغيره في جو السماء في الهواء بين الخافقين بما لا تقدرون عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم لها في السمع والبصر
وزيادتكم عليها بالعقول فعلم قطعا ما وصل بذلك من قوله ما يمسكهن اي في الجو عن الوقوع ولما كان السياق هنا مدخل عظيم
في الرد على اهل الطبايع وهم الفلاسفة ولهم وقع عظيم في قلوب الناس عبر بالاسم الاعظم اشارة الى انه لا يقوى على رد شبههم
الا من احاط علما بمعاني الاسماء الحسنى فكان متمكنا من علم اصول الدين فقال الا الله اي الملك الاعظم لان نسبتكم واياها الى الطبيعة
واحدة فلو كان ذلك فعلها لاستويتم ثم نبههم على ما في ذلك من الحكم بقوله ان في ذلك اي الامر العظيم من اخراجكم على تلك الهيئة
والانعام عليكم بما ليس لها وتقديرها على ما لم تقدروا عليه مع نقصها عنكم لآيات ولما كان من لم ينتفع بالشيء كانه لم يملكه قال
لقوم يؤمنون اي هيأهم الفاعل المختار للايمان ولما ذكرهم سبحانه بنعمة الادراك بعد ابتداء الخلق واتبعه ما من به
على الطير من الارتفاع الحامي لها من الحر اتبعه ما يسكنون اليه فيظلهم ويجمعهم لانه اهم الاشياء للحيوان فقال والله اي الذي
له الحكمة البالغة والقدرة الشاملة جعل لكم اي ايها الغافلون من بيوتكم اصل البيت المأوى ليلا ثم اتسع فيه سكنا
هو مصدر بمعنى مفعول ولم يسلط عليكم فيها الحشرات والوحوش كما سلطكم عليهم ثم اتبع ما يخص الحضر ما يصلح له وللسفر بما ميزهم
به عن الطير وغيرها من ساير الحيوان فقال وجعل لكم اي انعاما عليكم من جلود الانعام التي سلطكم عليها ولما كانت الخيام
التي من جلود الانعام في ظلها الظليل تقارب بيوت القرى جمعها جمعها فقال بيوتا فانهم قالوا ان هذا الجمع بالمسكن اخص
والابيات بالشعر اخص تستخفونها اي تطلبون بالاصطناع خفتها فتجدونها كذلك يوم ظعنكم اي وقت ارتحالكم وعبر به
لانه في النهار اكثر ويوم اقامتكم ثم اتبعه ما به كمال السكن فقال ومن اصوافها اي الضان منها واوبارها وهي الابل كالصوف
للغنم واشعارها وهي ما كان من المعز ونحوه من المساكن والملابس والمفارش والاخبية وغيرها اثاثا اي متاعا من
متاع البيت كثيرا من قولهم شعر اثيث اي كثير واث النبت اذا كثر ومتاعا تتمتعون به الى حين اي وقت غير معين
بحسب كل انسان في فقد ذلك واعرض عن ذكر الحرير والكتان والقطن لانها لم تكن من صناعتهم واشارة الى الاقتصاد وعدم
الاسراف ولما ذكر ما يخصهم اتبعه ما يشاركون فيه ساير الحيوانات فقال والله اي الذي له الجلال والاكرام جعل
لكم اي من غير حاجة منه سبحانه مما خلق ظلالا من الاشجار والجبال وغيرها وجعل لكم اي مع غناه المطلق من الجبال
اكنانا جمع كن وهو يستكن به اي يستتر من الكهوف ونحوها ولو كان الخالق غير مختار لكانت على سنن واحد لا ظلال ولا
اكنان ثم اتبع ذلك ما هو اهم اليه عوضا مما جعله لساير الحيوان فقال وجعل لكم اي منا منه عليكم سرابيل اي ثيابا ن
تقيكم الحر وهي كل ما لبس من قميص وغيره كما قال الزجاج ولما كانت السرابيل نوعا واحدا لم يكرر جعل فقال
وسرابيل اي دروعا ومغافر وغيرها تقيكم باسكم اضافه اليهم افهاما لانه الحرب وذلك كما جعل لبقية الحيوان من الاصواف
ونحوها والانياب والاظفار ونحوها ما هو نحو ذلك يمنع من الحر والبرد ومن سلاح العدو ولم يذكر سبحانه هنا وقاية البرد ن
لتقدمها في قوله لكم فيها دفء ولما تم ذلك كان كانه قيل لقد نبهنا سبحانه بهذا الكلام على تمام نعمة الايجاد فهل بعدها من نعمة
فقال نعم كذلك اي كما اتم نعمة الايجاد عليكم هذا الاتمام العظيم بهذه الامور وتنبيهكم عليها يتم نعمته عليكم في الدنيا والدين بالبيان
والهداية لطريق النجاة والمنافع والتنبيه على دقايق ذلك بعد جلايله لعلكم تسلمون اي ليكون حالكم بما ترون من كثرة احسانه
بما لا يقدر عليه غيره مع وضوح الامر حال من يرجى منه اسلام قيادة لربه فلا يسكن ولا يتحرك الا في طاعته فلما صار هذا البيان
الى اجلى من العيان كان ربما وقع في الوهم انهم ان لم يجيبوا الحق الداعي بسبب اعراضهم حرج فقال تعالى نافيا لذلك معرضا عنهم ن
اعراض المغضب مقبلا عليه صلى الله عليه وسلم اقبال المسلي معبرا بصيغة التفعل المفهمة لان الفطر الاولى داعية الى الاقبال
على الله فلا يعرض صاحبها عما يرضيه سبحانه الا بنوع معالجة فان تولوا اي كلفوا انفسهم الاعراض ومتابعة الاهوا فلا تقصير عليك
بسبب توليهم ولا حرج فانما اي بسبب انه انما عليك البلاغ المبين وليس عليك ان تردهم عن العناد فكانه قيل فهل كان اعراضهم
عن جهل او عناد فقيل فيهم وفيهم يعرفون كلهم نعمة الله اي الملك الاعظم التي تقدم عد بعضها في هذه السورة وغيرها ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها او بتكذيب الآتي بالتنبيه عليها بعضهم لضعف معرفته وبعضهم عنادا وكان بعضهم يقول هي من الله ولكن
بشفاعة آلهتنا واكثرهم اي المدعوين بالنسبة الى جميع اهل الارض الذين ادركتهم دعوته صلى الله عليه وسلم الكافرون اي المعاندون
الراسخون في الكفر ولما كان من اجل المقاصد بهذه الاساليب التخويف من البعث وكان من المعلوم انه ليس بعد الاعراض عن البيان
والاصرار على كفران المعروف من الاحسان الا المجازاة لان الحكيم يمهل ولا يهمل قال عاطفا على ثمرة فانما عليك البلاغ المبين وهي فبلغهم
وبين لهم ولا تيأس من رجوعهم ويوم اي وخوفهم يوم نبعث بعد البعث من كل امة شهيدا يحكم بقوله الملك اجراء للامر على ما يتعارفون
وان كان غنيا عن شهيد ولما كان الاذن لهم في الاعتذار في بعض المواقف الطويلة في ذلك اليوم متعذرا عبر عنه سبحانه باداة
البعد فقال ثم لا يؤذن لا يقع اذن على تقدير من التقادير للذين كفروا اي بعد شهادة الشهداء في الاعتذار كما يؤذن في هذه
الدار للمشهود عليه عند السؤال في الاعذار لانه لا عذر هناك في الحقيقة ولا هم اي خاصة يستعتبون اي ولا يطلب منهم الاعتاب
المؤثر للرضى وهو ازالة العتب وهو الموجدة المعبر بها عن الغضب المعبر به عن آثاره من السطوة والانتقام واخذ العذاب
لاهل الاجرام من قبيح ما ارتكبوا لان تلك الدار ليست بدار تكليف ثم وصل به ان ما يوجبه الغضب يدوم عليهم في ذلك اليوم فقال
عاطفا على ما بعد ثم واذا راى واظهر موضع الاضمار تعميما فقال الذين ظلموا فعبر بالوصف الموجب للعذاب العذاب بعد الموقف

وشهادة

وشهادة الشهدا وجزا الشرط محذوف لدلالة ما قرن بالفا عليه تقديره لا بسهم فلا يخفف اي يحصل تخفيف بنوع من الانواع
ولا ياخذ من الخلق عنهم شي منه ولا هم ينظرون بالتاخير ولا لحظة بوجه من الوجوه على تقدير من التقادير من احد ما ولما
بين سبحانه حاصل امرهم في البعث وما بعده وكان من اهم المهم امرهم في الموقف مع شركايهم الذين كانوا يترجونهم عطف على ذلك
قوله واذا راى اي بالعين يوم القيمة الذين اشركوا فاظهر ايضا الوصف المناسب للمقام شركاوهم اي الالهة التي كانوا يدعونها
شركا قالوا ربنا يا من احسن الينا وربانا هولا شركاونا اضافوهم الى انفسهم لانه لا حقيقة لشركتهم سوى تسميتهم لها الموجب
لضرهم ثم بينوا المراد بقولهم الذين كنا ندعوا اي نعبد ولما كانت المراتب متكثرة دون رتبته سبحانه لان علوه غير منحصر ادخل
الجار فقال من دونك ليقربونا اليك فاكرمنا لاجلهم جريا على منهاجهم في الدنيا في الجهل والغباوة فخاف الشركا من عواقب هذا القول
والاقرار عليه سطوات الغضب فالقوا اي الشركا اليهم اي المشركين القول اي بادروا به حتى كان اسراعه اليهم اسراع شي ثقيل
يلقى من علو واكدوا قولهم لانه مطاعنة لقول المشركين فقالوا انكم لكاذبون في جعلنا شركا وانا نستحق العبادة او نشفع او يكون
لنا امر نستحق به ان نذكر والقوا اي الشركا الى الله اي الملك الاعلى يومئذ اي يوم القيمة اذ نبعث من كل امة شهيدا السلم اي
الانقياد والاستسلام بما علم به الكفار انهم من جملة العبيد لا امر لهم اصلا فاصلد زندهم وخاب قصدهم وقيد بذلك اليوم لانهم
كانوا في الدنيا بتزيين الشياطين لامورهم ونطقهم على السنتهم بحيث يظن عابدوهم ان لهم منعة وبهم قوة ويجوز ان يكون ضمير
القوا للمشركين وضل عنهم اي الكفار ما كانوا اي بجبلاتهم يفترون اي يتعمدون من دعوى النفع لهم والضر كذبا وفجورا فكانه
قيل هذا للذين اشركوا فما للذين كانوا دعاة الى الشرك مانعين من الانتقال عنه فقيل الذين كفروا اي اوجدوا الكفر في انفسهم
وصدوا مع ذلك غيرهم عن سبيل الله اي الذي له الاحاطة كلها زدناهم اي بما لنا من العظمة بصدهم غيرهم عذابا فوق العذاب
الذي استحقوه على مطلق الشرك بما كانوا اي كونا جبليا يفسدون اي يوقعون الفساد ويجددونه ثم كرر التحذير من ذلك اليوم
على وجه يزيد على ما افهمته الاية السالفة وهو ان الشهادة تقع على الامم لا لهم وتكون بحضرتهم فقال ويوم اي وخوفهم يوم
نبعث اي بما لنا من العظمة في كل امة من الامم شهيدا اي هو في اعلى رتب الشهادة عليهم ولما كانت بعثة الانبيا السالفين عليهم
السلام خاصة بقومهم الا قليلا قال من انفسهم وهو نبيهم ولما كان لذلك اليوم من التحقق ما لا شبهة فيه بوجه وكذا الشهادة
النبي صلى الله عليه وسلم عبر بالماضي اشارة الى ذلك والى انه صلى الله عليه وسلم لم يزل من حين بعثه متصفا بهذه الصفة العلية
فقال وجينا اي بما لنا من العظمة بك شهيدا اي شهادة هي مناسبة لعظمتنا على هولا اي الذين بعثناك اليهم وهم اهل الارض
واكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يقيد بعثته بشي ثم بين انه لا اعذار في شهدايه فانه لا حجة في ذلك اليوم
لمن خالف امره اليوم لانه سبحانه ازاح العلل وترك الامر على بيضا نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك فقال عاطفا على
قوله وما انزلنا عليك الكتاب الاية المتعقب لقوله لا جرم الايتين ونزلنا اي بعظمتنا بحسب التدريج والتنجيم
عليك الكتاب الجامع للهدى تبيانا اي لاجل البيان التام قالوا وهو اسم وليس بمصدر كتلقاء لكل شي ورد عليك من اسيلتهم
ووقايعهم وغير ذلك وهو في اعلى طبقات البيان كما انه في اعلى طبقات البلاغة لان المعنى به اسرع الى الافهام واظهر في الادراك
والنفس اشد تقبلا له لما هو عليه من حسن النظام والقرب الى الافهام وانما احتيج الى تفسيره مع انه في نهاية البيان لتقصير
الانسان في العلم بمذاهب العرب الذين هم الاصل في هذا اللسان وتقصير العرب عن جميع مقاصده كما قصروا عن درجته في البلاغة
فرجعت الحاجة الى تقصير الفهم لا الى تقصير الكلام في البيان ولهذا تفاوت الناس في فهمه لتفاوتهم في درجات البلاغة ومعرفة
طرق العرب في جميع اساليبها قال الشافعي رحمه الله في اخر خطبة الرسالة بعد ان دعا الله ان يرزقه فهما في كتابه ثم في سنة
نبيه صلى الله عليه وسلم فليست تنزل باحد من اهل دين الله نازلة الا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها واحتج بايات
منها هذه وذلك لانه سبحانه بين فيه التوحيد والمبدا والمعاد والامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام بالنص على بعضها
وبالاحالة على السنة في الاخر وعلى الاجماع في نحو قوله تعالى ويتبع غير سبيل المومنين وعلى الاقتدا بالخلفا الراشدين في
قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين من بعدي وبالاقتدا بجميع اصحابه رضي الله عنهم في قوله
صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطوا طرق القياس والاجتهاد ولم يخرج
احد منهم عن الكتاب والسنة فهو من دلايل النبوة في كونه صلى الله عليه وسلم شهيدا لكونه ما اخبر عنهم الا بما هم اهله ولما
كان التبيان قد يكون للضلال قال وهدى اي موصلا الى المقصود ولما كان ذلك قد لا يكون على سبيل الاكرام قال ورحمة
ولما كان الاكرام قد لا يكون في اعلى طبقات السرور به قال وبشرى اي بشارة عظيمة جدا للمسلمين ويجوز ان يكون التقدير
في كل امة شهيدا عليهم وهو رسولهم الذي ارسلناه اليهم في الدنيا وجينا بك شهيدا على هولا لكوننا ارسلناك اليهم وجعلناك امينا
عليهم ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي فلا عذر لهم فيكون معطوفا على ما دل الكلام السابق دلالة واضحة على تقديره ولما بين
تعالى فضل هذا القران بما يقطع حجتهم وكان قد قدم فضل من يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم اخذ يبين انصاف القران
ببيان كل شي وتضمنه لذلك الطريق الاقوم فقال جامعا لما يتصل بالتكاليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق والاداب عموما وخصوصا
ان الله اي الملك المستجمع لصفات الكمال يامر بالعدل وهو الانصاف الذي يقبل عمل بدونه واول درجاته التوحيد الذي بنيت
السورة عليه والعدل يعتبر تارة في المعنى فيراد به هيئة في الانسان تطلب بها المساواة وتارة في الفعل فيراد به التقسيط
القايم على الاستوا وتارة يقال هو الفضل كله من حيث انه لا يخرج شي من الفضايل عنه وتارة يقال هو من اكمل الفضايل من حيث ان

صاحبه يقدر على استعماله في نفسه وفي غيره وهو ميزان الله المبرا من كل زلة وبه يستتب نظام العالم وبه قامت السموات والارض وهو وسط كل اطرافه جور وباكمله الشرع مجمع العدل وبه تعرف حقايقه ومن استقام على نهج الحق فقد استتب على سنن العدل ذكره الرازي في اللوامع وفيه تلخيص وفي آخر الجزء الخامس عشر من الشفعيات ان عمر بن عبد العزيز قال لمحمد بن كعب القرظي صف لي العدل فقال كن لصغير الناس ابا ولكبيرهم ابنا ولمثلهم اخا وللنساء كذلك وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر اجسامهم ولا تضربن بغضبك سوطا واحدا فتعدي فتكون من العادين انتهى **والاحسان** وهو فعل الطاعة على اعلى الوجوه فالعدل كالفرض والاحسان فضل وهو مجاوزة النصفة الى التحامل على النفس كما وقع في الفرض نقص فجبر بالنفل وهو في التوحيد الارتقاء عن اولى الدرجات ومن اعلاه الفناء عن الاكوان وتكون الاكوان في عينها عند انبساط نور الحق كالنجوم في انظمامها عند انتشار نور الشمس وغايته الفناء حتى عن هذا الفناء وشهود الله وحده وهو التوحيد على الحقيقة كما في حديث ابي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهو روح الانسانية ففي الجزء الثامن من الشفعيات عن عاصم بن كليب الجرمي قال حدثني ابي كليب انه شهد مع ابيه جنازة شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانا غلام اعقل وانهم قالوا فانتهى بالجنازة الى القبر ولما يلحد لها فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سووا وخذوا اقال حتى طم الناس القاسنة فالتفت اليهم فقال اما ان هذا لا ينفع الميت ولا يضره ولكن الله تعالى يحب من العامل اذا عمل ان يحسن **وايتاء ذي القربى** فانه من الاحسان وهو اولى الناس بالبر وذلك جامع الاحسان في صلة الرحم ولما امر بالمكارم نهى عن المساوي والملاءيم فقال **وينهى عن الفحشاء** وهي ما اشتد تقبيحه عن العدل فكان ضد الاحسان **والمنكر** وهو ما قصر عن العدل في الجلالة **والبغي** وهو الاستعلاء على الغير ظلما وقال البيضاوي في سورة الشورى هو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتجاوز المكنة او كيفيته وهو من المنكر صرح به اهتماما وهو اخو قطيعة الرحم وشارك لها في تعجيل العقوبة ما من ذنب احرى ان يعجل الله لصاحبه العقوبة مع ما يدخر له في الاخرة من البغي وقطيعة الرحم رواه احمد وابو داود والترمذي عن ابي بكرة رضي الله عنه رفعه واصل البغي الارادة كانه صار بينهم هذا المعنى المحظور المحذور عند حزن مفعول له لان الانسان لكونه مجبولا على النقصان لا تكاد تصادمه ارادة فعليه ان يكون مسلوب الاختيار مع الملك الجبار الواحد القهار فتكون ارادته تابعة لارادته واختياره من وراء طاعته وعن الحسن ان الخلقين الاولين ما تركا طاعة الا جيئا بها ولا خيرين ما تركا معصية الا جيئا بها ولما دعا هذا الكلام على وجازته الى امهات الفضايل التي هي العلم والعدل والعفة والشجاعة وزاد من الحسن ما شاء فان الاحسان من ثمرات العفة والنهي عن البغي الذي هو من ثمرات الشجاعة المذمومة اذ لا بد منها ولا يقوم شيء من ذلك الا بالعلم وكان هذا ابلغ وعظ بنبه عليه سبحانه بقوله **يعظكم** اي يأمركم بما يرقق قلوبكم من مصاحبة تلك وجانبة تلك **لعلكم تذكرون** اي لتكون حالكم حال من يرجى تذكره لما في ذلك من المعالي بما وهب الله من العقل الداعي الى كل خير الناهي عن كل ضير فان كل احد من طفل وغيره يكره ان يفعل معه شيء من هذه المنهيات فمن كان له عقل واعتبر بعقله علم ان غيره يكره منه ما يكره وهو منه ويعلم انه ان لم يكف عن مثل ما يكره اخوه وقع التشاجر فيحصل الفساد المؤدي الى خراب الارض هذا في الفعل مع امثاله من المخلوقين فكيف بالخالق بان يصفه بما لا يليق به سبحانه وعز اسمه وتعالى جده وعظم امره ولما تقررت هذه الجمل التي جمعت بحمد الله المأمورات والمنهيات ما يضيق عنه الدفاتر والصدور وعهد لها المعاندون من بلغاء العرب انها بلغت قاموس البحر وقالت عن طرق البشر عطف على ما انهاه السياق من نحو فذكروا او فالزموا اما امرتم به وتذكروا ما نهيتم عنه بعض ما اجملته وبدا بما هو مع جمعه اعم وهو الوفا بالعهد الذي بينه منه العلما بالله مما دل عليه العقل من الحجج القاطعة بالتوحيد وصدق الرسل ووجوب اتباعهم فكانت اعظم العهود وبينه منه غيرهم مما يعارفونه مما يجري بينهم من المواثيق فاذا اسارو انها بما امر سبحانه وتحروا رضاه علما منهم بانه العدل قادمهم ذلك الى رتبة الاولين فقال تعالى **واوفوا** اي اوقعوا الوفاء الذي هو في الحقيقة غير **بعهد الله** اي الملك الاعلى الذي عاهدكم عليه بادلة العقل والنقل من التوحيد وغيره من اتباع رسوله الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه **اذا عاهدتم** بتقبلكم كله باذعانكم لاشاله من الادلة بما عرف من عوايدكم وصرحتم به عند شد آيكم اذا استكم الضرفاليه تجارون ثم عطف عليه ما هو من جنسه واحقن منه فقال **ولا تنقضوا الايمان** واحترز عن لغو اليمين بقوله **بعد توكيدها** وحذف الجار لان المنهي عنه انما هو استغراق زمان البعد بالنقض وذلك لا يكون الا بالكذب الشامل له كله بعضه بالقوة وبعضه بالفعل ولعله جمع اشارة الى ان المذموم استهانتها من غير توقف على كفان لان من فعل ذلك ولو في واحدة كان فاعلا ذلك في الجميع بخلاف من ينقض ما نقضه حيرا بالكفارة فانه ناقض للبعض لا للكل لانه دايم على الخير والاول دايم على الهوى ثم حذرهم من النقض بانه مطلع قادر فقال معتبا حالهم اذ ذاك **وقد جعلتم** الله اي الذي له الاحاطة الكاملة **عليكم كفيلا** اي شاهدا ورقيبا ولما كان من شان الرقيب حفظ احوال من يراقبه قال مرغبا مرهبا **ان الله** اي الذي له الاحاطة الكاملة **يعلم ما تفعلون** فلم تفعلوا شيا الا بمشيته وقدرته فكانت كفالته مجولة لهذا الاعتبار وان لم يصرح بالجعل فتي تضمن فعل بكم فعل الكفيل القادر بالمكفول المماطل من اخذ الحق والعقوبة ولما امر بالوفا ونهى عن النقض شرع في تاكيد وجوب الوفا وتحريم النقض وتقبيحه تنفيرا منه فقال **ولا تكونوا** اي في نقضكم لهذا الامر المعنوي **كالتي نقضت غزلها** ولما كان النقض لم يستغرق زمان البعد قال **من بعد قوة** عظيمة حصلت له انكاثا اي انقاضا جمع نكث وهو كل شيء نقض بعد الفتل سواء كان حبلا او غزلا وهو مصدر مجموع من نقضت لانه بمعنى نكث قال في القاموس النكث بالكسر ان تنقض اخلاق الاكسية لتغزل ثانية فتكون مثل جلست قعودا اي فتكونوا بفعلكم ذلك كهذه المراة التي ضربتم المثل بها في الحمق مع ادعايكم انه يضرب بادناكم المثل في العقل ثم وصل بذلك ما يعرف انهم اسفه من تلك المراة بسبب ان ضررها

لا يعدا هاواما الضرر بفعلهم فانه مفسد لذات البين فقال تتخذون اي بتكليفها الفطرة الاولى ضد ما تدعوا اليه من الوفاء ايمانكم
دخلا اي فيضمحل كونها ايمانا الى كونها ذريعة الى الفساد بالخداع والغرور بينكم من حيث ان الحلوف له يطمئن فيفجاوه الضرر ولو كان
على حذر لما نيل منه ولا جسر عليه وكل ما ادخل في الشيء على فساده فهو دخل ان اي تفعلون ذلك بسبب ان تكون امة اي وهي الخادعة
او المخدوعة لاجل سلامتها هي اي خاصة اربى اي ازيد واعلى من امة في القوة او العدد فاذا وجدت نفاذا الزيادة غدرت ولما
عظم عليهم التنقص وبين ان من اسبابه الزيادة حذرهم عوائل البطر فقال انما يبلوكم اي يختبركم الله اي الذي له الامر كله به اي في
يعاملكم معاملة المختبر بالايمان والزيادة ليظهر للناس تمسككم بالوفاء او انخلاعكم منه اعتمادا على كثرة انصاركم وقلة انصار
من نقضتم عهده من المومنين او غيرهم مع قدرته سبحانه على ما يريد فيوشك ان يعاقب بالمخالفة فيضعف القوي ويقلل الكثير
وليبينن لكم اي اذا تجلى لفصل القضاء يوم القيمة مع هذا كله ما كنتم فيه تختلفون فاحذروا يوم العرض على ملك
الملوك بحضرة الرؤساء والملوك وجميع المعبودات والكل بحضرته الشهداء والحزون ولديه صاغرون ومن موقف الحساب يرى الكل ما
امر ونهي وخوف من العذاب في القيمة وكان ربما ظن من لا علم له وهم الاكثر من كثرة التعرض بالحوالة على القيمة فتصل العقوبة في هذه
الدار صرح بنفي ذلك بقوله ولو شاء الله اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه ان يجعلكم امة واحدة لا اختلاف بينكم في اصول
الدين ولا فروعه لجعلكم امة واحدة متفقة على امر واحد لا تتوهم غيره منفيا عنها اسباب الخلاف ولكن لم يشا ذلك وشا اختلافكم
فهو يضل من يشاء عدلا منه لانه تام الملك عام الملك ولو كان الذي اضله على احسن الحالات ويهدي بفضله من يشاء ولو كان على احسن
الاحوال فبذلك يكونون مختلفين في المقاصد يوتم هذا غير ما يوتمه هذا فيأبى الخلاف مع تأدية العقل الى ان الاجتماع خير من
الافتراق فالاختلاف مع هذا من قدرته الباهرة ولما تقرر ان الكل فعله وحده فلا فعل لغيره اصلا كان ربما اوقع في توهم انه لا
حرج على احد في شيء يفعله بين ان السؤال يكون عن المباشرة ظاهرا على ما يتعارف الناس في اسناد الفعل الى من ظهر اكتسابه له
فقال مرغبا مرهبا موكدا لانكار يوم البعث فضلا عما ينشا عنه ولتسئلن عما كنتم اي كونا انتم مجبولون عليه تعملون وان دق فيجازى
كلا منكم على عمله وان كان غنيا عن السؤال فهو بكل شيء عليم ولما بين ان الكذب وما جرا اليه اقبح القباح وابعد الاشياء عن المكارم
وكان من اعظم اسباب الخلاف فكان امره جديرا بالتاكيد اعاد الزجر عنه بابلغ مما مضى بصريح النهي مرهبا مما يترتب على ذلك
فقال معبرا بالافتعال اشارة الى ان ذلك لا ينفعل الا بعلاج شديد من النفس لان الفطرة السليمة يشتد نفارها منه ولا تتخذوا ايمانكم
دخلا اي فسادا ومكرو داء وخديعة بينكم اي في داخل عقولكم واجناسكم فتزل اي فيكون ذلك سببا لان تزل قدم هي في غاية
الثبات لقدم بعد ثبوتها عن مركزها الذي كانت به من دين او دنيا فلا يصير لها قرار فتسقط عن مرتبتها وذلك
القدم تقوله العرب لكل ساقط في ورطة بعد سلامة وتذوقوا السوء مع تلك الزلة بما صددتم اي بانفسكم ومنعتم غيركم
بايمانكم التي اردتم بها الافساد خفاء الحق عن سبيل الله اي الملك الاعلى بتجريدكم هذا الفعل ما دمتم على هذا الوصف ولكم
مع ذلك عذاب عظيم ثابت غير منفك اذا متم على ذلك ولما كان هذا خاصا بالايمان اتبعه النهي عن الخيانة في عموم العهد تاكيدا
بعد تاكيد للدلالة على عظيم النقض فقال ولا تشتروا اي تكلفوا انفسكم لجاجا وتركا للنظر في العواقب ان تاخذوا او تستبدلوا
بعهد الله اي الذي له الكمال كله ثمنا قليلا اي من حطام الدنيا وان كنتم ترونه كثيرا ثم علل قلته بقوله انما عند الله اي الذي له
الجلال والاكرام من ثواب الدارين هو خير لكم ولا يعدل عن الخير الى ما دونه الا مجروح ناقص العقل ثم شرط علم خيريته لكونهم من
ذوي العلم فقال ان كنتم اي بجبلاتكم تعلمون اي ممن يتجدد له علم ولم تكونوا في عداد البهائم فصار العهد الشامل للايمان مبدوءا
في هذه الايات بالامر بالوفاء به ومختوما بالنهي عن نقضه والايمان التي هي اخص منه وسط بين الامر والنهي المتعلقين به فصار
الحث عليها على غاية من التاكيد عظيم ورتبه من التوثيق جليله ثم بين خيريته وكثرته بقوله على سبيل التعليل ما عندكم اي
من اعراض الدنيا وهو الذي تتعاطونه بطباعكم ينفد اي يفنى فصاحبه منغص العيش اشد ما يكون به اغتباطا بانقطاعه
او بتجويز انقطاعه ان كان في عداد من يعلم وما عند الله اي الذي له الامر كله من الثواب باق فليبعثكم منه ان تتمم على عهده نهم
لوح بما في ذلك من المشقة عطفا على هذا المقدر فقال موكدا لاجل تكذيب المكذبين ولنجزين اي الله على قراءة الجماعة بالياء
ونحن على قراءة ابن كثير وعاصم بالنون التفاتا الى التكلم للتعظيم الذين صبروا على الوفاء بما يرضيه من الاوامر والنواهي
اجرهم ولما كان كرماء الملوك يوفون الاجور بحسب الاعمال من الاحسن وما دونه اخبر بانه يعدل الى الاحسن فيرفع الكل اليه
ويستوفي الادون به فقال باحسن ما كانوا اي كونا هو جبلة لهم يعملون ولما وعد بان توعد ابعده ما بين ان ذلك لا يخص شريفا
ولا وضيعا وانما هو آيل الى ان من عمل صالحا من ذكر او انثى فهو مؤمن ولما كان هذا آيلا الى ما مضى بالعدل تارة وبالعهد اخرى وهو الايمان فقال جوابا لمن كانه
قال هذا خاص باحد دون احد مرغبا في عموم شرائع الاسلام من عمل صالحا ولما كانت من عامة وكانت ربما خصت الذكور بين
المراد من عمومها بقوله من ذكر او انثى فعم ثم قيد مشيرا بالافراد الى قلة الراسخين بقوله وهو مؤمن ولما كان الانسان كلما
علا في درج الايمان كان جديرا بالبلاء والامتحان بين تعالى ان ذلك لا ينافي سعادته ولذلك اكد قوله فلنحيينه دفعا لما
يتوهمه المستدرجون بما يعجل لهم من طيباتهم في الحيوة الدنيا حيوة طيبة اي في الدنيا بما نوتيه من ثبات القدم وطمانينة القلب
ولنجزينهم اي كلهم اجرهم في الدنيا والاخرة باحسن ما كانوا اي كونا جبليا يعملون قال العلم المطلع في عيشه الهنيئة ان كان
موسرا فلا كلام فيه وان كان معسرا فبالقناعة والرضى بحكم النفس المطمئنة والقاجر بالعكس ان كان معسرا فواضح وان كان
موسرا فحرصه لا يدعه يهنا فهو لا يزال في عيشة ضنك ولما تقررت هذه الاحكام على هذه الوجوه الجليلة واشارت

بحسن الفاظها وشرف سياقها الى اغراض هي مع جلالتها غامضة دقيقة فلاح بذلك ان القران تبيان لكل شي في حق من سلم من غوايل
الهوى وحبايل الشيطان وختم ذلك بالحث على العمل الصالح وكان القران تلاوة وتفكرا وعملا بما ضمن اجل الاعمال الصالحة تسبب
عن ذلك الامر بانه اذا قرئ هذا القران المنزل على مثل تلك الاساليب الفايقة يستعاذ من الشيطان لئلا يحول بوساوسه بين القارئ
وبين مثل ذلك الاغراض والعمل بها وحاصله الحث على التدبر وصرف جميع الفكر الى التفهم والالتجاء اليه تعالى في كل عمل صالح لئلا
يفسده الشيطان بوساوسه او يحول بين الفهم وبينه بيانا لقدر الاعمال الصالحة وحثا على الاخلاص فيها وتشمير الذيل عند قصدها
لا سيما افعال القلوب التي هي اغلب ما تقدم هنا فقال تعالى مخاطبا لاشرف خلقه ليفهم غيره من باب الاولى فيكون ابلغ في حثه
وادعى الى اتباعه فاذا قرات اي اردت ان تقرا مثل وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا القران الذي هو قوام العمل الصالح والداعي
اليه والحاث عليه مع كونه تبيانا لكل شي وهو اسم جنس يشمل القليل منه والكثير فاستعذ اي ان شئت جهرا وان شئت سرا قال
الشافعي رحمه الله والاسرار اولى في الصلوة وفي قول يجهر كما يفعل خارج الصلوة بالله اي سل الذي له الكمال كله ان يعيذك من الشيطان
اي المحترق باللعنة الرجيم اي المطرود عن الرحمة من ان يصدك بوساوسه عن اتباعه فانه لا عايق عن الاذعان لاساليبه الحسان
الاخذ لان الرحمن بوساوس الشيطان فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لان ذلك اوفق للقران وقد ورد به بعض الاخبار عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا وهو المشهور ونص عليه الشافعي رضي الله عنه والصارف لهذا الامر عن الوجوب احاديث
كثيرة فيها القراة بدون ذكر تعوذ كحديث البخاري وغيره عن ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما
منعك ان تجيبني قال كنت اصلي قال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران
الحمد لله رب العالمين وفي رواية الموطا انه صلى الله عليه وسلم نادى ابيا وانه قال له كيف تقرا اذا افتتحت الصلوة قال
ابي فقرات الحمد لله رب العالمين حتى اتيت على اخرها ومن طالع كتابي مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور راى مثل هذا احاديث
كثيرة جدا من احسنها حديث نزول سورة الكوثر وقيل التعوذ بعد القراة لظاهر الاية وختام القران بالمعوذتين موافق لهذا القول
بالنسبة الى الحال والقول الاول الصحيح بالنسبة الى ما ندب اليه المرتحل من قراة الفاتحة واول البقرة ولما كان ذلك ربما اوهم
تغطية نفي ذلك بقوله جوابا لمن كانه قال هل له سلطان انه ليس له سلطان اي بحيث لا يقدر المسلط عليه على الانفكاك
عنه على الذين امنوا بتوفيق ربهم لهم وعلى ربهم اي وحده يتوكلون ويجوز ان يكون المعنى انه لما تقرر في الاذهان انه لا نجاة
من الشيطان لانه سلط علينا بانه يرانا من حيث لا نراه ويجري فينا مجرى الدم وكانت فايدة الاستعاذة الاعاذة اشير الى حصولها
بقوله على سبيل التعليل انه اي استعذ بالله يعذك منه لانه ليس له سلطان على الذين امنوا بالله ليردهم كلهم عما يرضي الله وعلى
ربهم وحده يتوكلون ثم وصل بذلك ما افهمه من ان له سلطانا على غيرهم فقال انما سلطانه اي الذي يتمكن به غاية التمكن بامكان
الله له على الذين يتولونه اي تولوه واصروا على ذلك بتجديد ولايته كل حين والذين هم اي بظواهرهم وبواطنهم به اي بالشيطان
مشركون دايما لانهم اذا تبعوا وساوسه واطاعوا اوامره فقد عبدوه فجعلوه بذلك شريكا فهم لا يتاملون دقايق القران بل ولا
يفهمون ظواهره على ما هي عليه لما اعماهم به الشيطان من وساوسه وحبسهم به عن هذه الاساليب من محابسه فهم لا يزالون يطعنون
فيه بقلوب عمية والسنة بذية ثم عطف على هذا المقدر الذي دل عليه الكلام ما انتجه تسلط الشيطان عليهم فقال
واذا بدلنا اي بعظمتنا بالنسخ اية سهلة كالعدة باربعة اشهر وعشر وقتال الواحد من المسلمين لاثنين من الكفار او ساقه كتحريم
الخمر وايجاب صلوات خمس فجعلناها مكان اية ساقها كالعدة بحول ومصابرة عشرة من الكفار او سهلة كالايات المتضمنة
لاباحة الخمر وايجاب ركعتين اول النهار وركعتين اخره فكانت الثانية مكان الاولى وبدلا منها او يكون المعنى نسخنا اية
صعبة فجعلنا مكانها انها سهلة والتبديل رفع الشي مع وضع غيره مكانه والله اي الذي له الاحاطة الشاملة اعلم بما ينزل
من المصالح بحسب الاوقات والاحوال بنسخ او بغيره قالوا اي الكفار انما انت اي يا محمد مفتر اي فانك تامر اليوم بشي وغدا
تنهى عنه وتامر بضده وليس الامر كما قالوا بل اكثرهم وهم الذين يستمرون على الكفر لا يعلمون اي لا يتجدد لهم علم بل هم في عداد
البهايم لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من العقول لانهماكهم في اتباع الشيطان حتى زلت اقدامهم في هذا الامر الواضح بعد اقامة
البرهان بالاعجاز على ان كل ما كان معجزا كان من عند الله سوا كان ناسخا او منسوخا او لا فصارت معرفة ان هذا قران وهذا غير
قران بعرضه على هذا البرهان من اوضح الامور واسهلها تناولا لمن اراد ذلك منهم او من غيرهم من فرسان البلاغة فكانه قيل
فما اقول فقال قل لمن واجهك بذلك منهم نزله اي القران بحسب التدريج لاجل اتباع المصالح لاحاطة علم المتكلم به روح
القدس الذي هو روح كله ليس فيه داع الى هوى فكيف يتوهم فيما ينزله افتراء لا سيما مع اضافته الى الظهر البالغ فهو ينزله
من ربك ايها المخاطب الذي احسن اليك بانزاله ثم بتبديله بحسب المصالح كما احسن تربيتك بالنقل من حال الى حال لا يصلح في
واحدة منها ما يصلح في غيرها من الظهر الى البطن ثم من الرضاع الى الفطام فما بعده فكيف تنكر تبديل الاحكام للمصالح ولا
تنكر تبديل الاحوال لذلك حال كون ذلك الانزال بالحق اي الامر الثابت الذي جل عن دعوى الافتراء بانه لا يستطاع
نقضه ليثبت اي تثبيتا عظيما الذين امنوا في دينهم بما يرون من اعجاز البدل والمبدل مع تضاد الاحكام وما فيه من الحكم
والمصالح بحسب تلك الاحوال مع ما كان في المنسوخ من مثل ذلك بحسب الاحوال السالفة وليستمرئوا على حسن الانقياد ويعلم
بسرعة انقيادهم في ترك الالف تمام استسلامهم وخلوصهم عن شوايب الهوى ثم عطف على محل ليثبت قوله وهدى اي بيانا
واضحا وبشرى اي بما فيه من تجدد العهد بالملك الاعلى وتردد الرسول بينه وبينهم بواسطة نبيهم صلى الله عليه وسلم للمسلمين

النقادين

المنقادين المبرّأين من الكبر الطامس للافهام المعمي للاحلام ولولا مثل هذه الفوايد لفاتت حكمة تنجيمه ولما نقض شبهتهم
هذه اشارة وعبارة بما فضحهم نقض شبهة اخرى لهم باوضح من ذلك وافضح فقال ولقد نعلم اي علما مستمرا انهم يقولون
اي ايضا قولا متكررا لا يزالون يلهجون به انما يعلمه بشر وهم يعلمون ان ذلك سفساف من القول ثم استانف الرد عليهم
فقال لسان اي لغة وكلام الذين يلحدون اي يميلون او يشيرون اليه بانه علمه اياه مايلين عن القصد جايرين عادلين عن
الحق ظالمين اعجمي اي غير لغة العرب وهو مع ذلك الكن في التادية غير بين وهو غلام كان نصرانيا لبعض قريش اختلف في اسمه
وهذا التركيب وضع في لسان العرب للابهام والاخفاء ومنه عجم الزبيب للاستتارة والعجماء البهيمة لانها لا تقدر على ايضاح
ما في نفسها واما اعجمت الكتاب فهو للازالة وهذا اي القرآن لسان عربي مبين اي هو من شدة بيانه مظهر لغيره انه ذو
بيان عظيم فلو ان المعلم عربي للزمهم ان لا يعجزوا عن الاتيان بمثل ما علم فكيف وهو اعجمي فلما بانت بهذا فضيحتهم كان كانه
قيل ان من العجب اقدامهم على مثل هذا العار وهم يدعون النزاهة فاجاب بقوله ان الذين لا يؤمنون اي يصدقون كل تصديق
معترفين بايات الله اي الذي له العظمة كلها لا يهديهم الله اي الملك الاعلى الذي له الغنى المطلق بل يضلهم عن القصد فلذلك
ياتون بمثل هذه الخرافات فابشر لمن بالغ في العناد بسد باب الفهم والسداد ولما كان ربما توهم انه لكونه هو المضل لا يتوجه
اللوم عليهم نفى ذلك بقوله ولهم عذاب اليم اي بذلك لمباشرتهم له مع حجب المراد عنهم وخلق القدرة لهم اجراء على عوايد بعض
الخلق مع بعض ولما زيف شبههم اثبت لهم ما قذفوه به وهو بري منه مقصورا عليهم فقال انما يفتري اي يتعمد الكذب
الذين لا يؤمنون اي لا يتجدد منهم الايمان بايات الله الذي له الكمال كله فان ردهم لما قام الدليل على انه حق وعجزوا عنه
تعمد منهم للكذب ثم قصر مطلق الكذب عليهم واولئك اي البعداء البغضاء هم اي خاصة الكاذبون اي العريقون في الكذب
ظاهرا وباطنا ولما ذكر الذين لا يؤمنون مطلقا اتبعهم صنفا منهم هم اشدهم كفرا فقال من اي اي مخلوق وقع له انه
كفر بالله اي الذي له صفات الكمال بان قال او عمل ما يدل على الكفر ولما كان الكفر كله ضارا وان قصر زمنه اثبت الجار
فقال من بعد ايمانه بالفعل او بالقوة لما قام على الايمان من الادلة التي اوصلته الى حد لا يلبس فصار استكباره عن الايمان
ارتدادا عنه وجواب الشرط دل ما قبله وما بعده على انه فهو الكاذب او فعليه غضب من الله الا من اكره اي وقع اكراهه
على قول كلمة الكفر وقلبه اي والحال ان قلبه مطمئن بالايمان فلا شيء عليه ورجحوا مع اباحة ذلك له انه لا يجب عليه
التكلم بالكفر بل ان ثبت كان ذلك ارفع درجة والآية نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه اكرهوه فتابعهم وهو كاره فاخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بانه كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه
ودمه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول ان عادوا فعد
لهم بمثل ما قلت ولكن من شرح اي فتح فتحا صار يرشح به بالكفر صدرا اي منه او من غيره بالتسبب فيه لان حقيقة الايمان
والكفر تتعلق بالقلب دون اللسان وانما اللسان معبر وترجمان معرف بما في القلب لتوقع الاحكام الظاهرة فعليهم لرضاهم به
غضب اي غضب ثم بين جهة عظمه بكونه من الله اي الملك الاعظم ولهم اي بظواهرهم وبواطنهم عذاب عظيم لارتدادهم
على اعقابهم ولما كان من يرجع الى الظلمات بعد خروجه منها الى النور جديرا بالتعجب منه كان كانه قيل لم يفعلون او يفعل
بهم ذلك فقال ذلك اي الارتداد او الوعيد العظيم بانهم اي بسبب انهم استحبوا اي احبوا حبا عظيما الحيوة الدنيا اي الدنية
الحاضرة الفانية فآثروها على الآخرة الباقية الفاخرة لانهم راوا ما فيه المؤمن من الضيق والكافر من السعة وبسبب ان الله
اي الذي له الغنى الاكبر لا يهدي القوم الكافرين الذي علم استمرارهم على الكفر اعجب من ارتدادهم اتبعه سببه فقال اولئك اي
البعداء البغضاء الذين طبع اي ختم ختما هو كفيل بالعطب الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه على قلوبهم ولما كان التفاوت في
السمع نادرا وحده فقال وسمعهم وابصارهم فصاروا لعدم انتفاعهم بهذه المشاعر كانهم لا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون
واولئك اي الاباعد من كل خير هم الغافلون اي الكاملوا الغفلة ثم اتبع ذلك جزاءهم عليه فقال لا جرم اي لا شك انهم في الآخرة
هم اي خاصة الخاسرون اي اكمل الناس خسارة لانهم خسروا راس المال وهو نفوسهم فلم يكن لهم مرجع يرجعون اليه ولما قدم
الفاتن والمفتون اتبع ذلك ذكر حكمهما على القراءتين فقال بحرف التراخي اشارة الى تقاصر رتبتهما عن رتبة من لم يفعل ذلك
ثم ان ربك اي المحسن اليك بالعفو عن امتك وتخفيف الاصار عنهم في قبول توبة من ارتد بلسانه او قلبه للذين هاجروا اهل
الكفر بالتروح من بلادهم توبة الى الله تعالى مما كانوا فيه ولما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل في اي وقت كان اشار الى
ذلك بالجار فقال مبينا ان الفتنة بالاذى وان كان بالغا غير قادحة في الهجرة وما تبعها فيفيد ذلك في الهجرة بدونها من
باب الاولى من بعد ما فتنوا بالبناء للمجهول على قراءة الجماعة لان المضر هو الفتنة مطلقا وللفاعل على قراءة ابن عامر اي ظلموا
بان فتنوا من آمن بالله حين كانوا كفارا او اعطوا الفتنة من انفسهم ففتنوها بان اطاعوا في كلمة الكفر او في الرجوع مع من ردهم
الى بلاد الكفر بعد الهجرة من بعد ايمانهم ثم جاهدوا او اوقعوا جهاد الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم توبة الى الله تعالى
وصبروا على ذلك الى ان ماتوا عليه ان ربك اي المحسن اليك بتسخير من هذه صفاتهم لك ولما كان له سبحانه ان يغفر
الذنوب كلها ما عدا الشرك وان يعذب عليها كلها وعلى بعضها وان يقبل الصالح كله وان يرد بعضه اشار الى ذلك بالجار فقال
من بعدها اي هذه الافعال الصالحة الواقعة بعد تلك الفاسدة وهي الفتنة لغفور اي بليغ المحو للذنوب رحيم اي بليغ
الاكرام فهو يغفر لهم ويرحمهم ولما تقدم كثير من التحذير والتبشير وتقدم انه لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون وختم

عليه بل يخذلهم ويسلط الشيطان عليهم يحتالهم عن دينهم ولما كان استمرارهم صح صح صح

ذلك بانحصار الخسار في الكفار بين اليوم الذي تظهر فيه تلك الاثار ووصفه بغير الوصف المقدم باعتبار المواقف فقال مبدلا
من يوم نبعث من كل امة شهيدا يوم تاتي اي فيه كل نفس اي انسان وان عظم جرمها تجادل اي تعتذر وعبر بالمجادلة افهاما للدفع
باقصى ما تقدر عليه واظهر في قوله عن نفسها اي ذاتها بمفردها لا يهمها غير ذلك لما يوهم الاضمار من ان كل احد يجادل عن جميع الانفس
ولما كان مطلق الجزاء مخوفا مقلقا بني للمفعول قوله وتوفى كل نفس صالحة وغير صالحة ما عملت اي جزاه من جنسه وهم ولما كان
المرهوب مطلق الظلم وكان البناء للمفعول ابلغ في نفيه قال لا يظلمون اي لا يتجدد عليهم ظلم لا ظاهرا ولا باطنا ليعلم بابدال يوم من
ذلك المتقدم ان الخسارة باقامة الحق عليهم لا بمجرد اسكاتهم ولما عقب سبحانه ما ضرب سابقا من الامثال لقوله تعالى ورزقكم من
الطيبات وتلاه بذكر الساعة بقوله وما امر الساعة الى آخره واستمر فيما مضت مناسباته اخذا بعضه بحجز بعض حتى ختم
بالساعة وامن من الظلم فيها وبين ان الاعمال هناك هي مناط الجزاء عطف على ما مضى من الامثال المفروضة المقدرة المرغبة مثلا
محسوسا موجودا مبينا ان الاعمال في هذه الدار ايضا مناط الجزاء مرهبا من المعاجلة فيها بسوط من العذاب فقال وضرب الله
اي الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما لكم ايها المعاندون مثلا قرية من قرى الماضين التي تعرفونها كقرية هود او صالح او لوط او شعيب
عليهم السلام كان حالهم كحالهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها مكة كانت امنة اي ذات امن يامن به اهلها في زمن الخوف مطمئنة اي
قارة باهلها لا يحتاجون فيها الى نجعة وانتقال بسبب زيادة الامن بكثرة العدد وقوة المدد وكف الله الناس عنها ووجود ما
يحتاج اليه اهلها ياتيها اي على سبيل التجدد والاستمرار رزقها رغدا واسعا طيبا من كل مكان برا وبحرا بتيسير الله لهم ذلك ولما
كانت السعة تجر الى البطر غالبا نبه تعالى على ذلك بالفاء فقال فكفرت ونبه سبحانه على سعة فضله بجمع القلة الدال على ان كثرة
فضله عليهم تافهة بالنسبة الى ما عنده سبحانه فقال بانعم الله اي الذي له الكمال كله كما كفرتم فاذاقها الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما
لباس الجوع بعد رغد العيش والخوف بعد الامن والطمانينة حتى صار لهم ذلك بشموله لهم لباسا وبشدة عركهم ذواقا فكان النظر
الى المستعار له وهو هنا ابلغ لدلالته على الاحاطة والذوق ولو نظر الى المستعار لقال فكساها فكان يفوت الذوق وذلك كما نظر
اليه كثير في قوله غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون العرض
صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء الذي هو المستعار ولو نظر اليه
لوصفه بالسعة او الطول مثلا كما نظر اليه من قال ذاكرا السيف الذي يصون به الانسان نفسه
ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا بكر بن عمرو لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
فنظر الى المستعار وهو الرداء في لفظ الاعتجار فبانت فضيحة ابن الراوندي في زندقته اذ قال لابن الاعرابي هل يذاق اللباس
فقال له لا باس بانها النسناس هب ان محمدا ما كان نبيا اما كان عربيا بما كانوا اي بجبلاتهم يصنعون من الكفر والكبر قد مرنوا عليه
بكثرة المداومة مرون الانسان على صنعته ولما كان تعالى لا يعذب حتى يبعث رسولا حقق ذلك بقوله ولقد جاءهم اي اهل هذه
القرية رسول منهم كما وقع لكم فكذبوه كما فعلتم فاخذهم العذاب كما سمعتم وان كان المراد بها مكة فالمراد به الجوع الذي دعا عليهم به
النبي صلى الله عليه وسلم لما قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف واما الخوف فما كان من جهاد النبي صلى الله عليه وسلم لهم وهم ظالمون
اي عريقون في وضع الاشياء في غير مواضعها لانهم استمروا على كفرهم مع الجوع وسالوا النبي صلى الله عليه وسلم في الاغاثة فدعا لهم
ولما تقرر بما مضى من ادلة التوحيد فثبت ثباتا لا يتطرق اليه شك ان الله هو الاله وحده كما انه هو الرزاق وحده ونبههم على
دقايق في تقديره للارزاق تدل على عظمته وشمول علمه وقدرته واختياره فثبت انهم ظالمون فيما جعلوا للاصنام من رزقه وانه ليس
لاحد ان يتحرك الا بامره سبحانه وختم ذلك بهذا المثل المحذر من كفران النعم عقبه بقوله صادا لهم عن افعال الجاهلية فكلوا
اي فتسبب عن جميع ما مضى ان يقال لهم كلوا مما رزقكم الله اي الذي له الجلال والجمال مما عده لكم في هذه السورة وغيرها حال كونه
حلالا طيبا اي لا شبهة فيه ولا مانع بوجه واشكروا نعمة الله الذي له صفات الكمال حذرا من ان يحل بكم ما احل بالقرية الممثل
بها ان كنتم اياه اي وحده تعبدون كما اقتضته هذه الادلة لانه وحده هو الذي يرزقكم والا عاجلكم بالعقوبة لانه ليس بعد العناد
عن البيان الا الانتقام فصار الكلام في الرزق والتفريع على عدم الشكر مكتنفا الامثال قبل وبعد ولما كان الاذن انما هو في بعض
الرزق في الحال المذكور فاحتيج الى معرفته وكانت المباحات اكثر من المحظورات حصر القليل ليعلم منه الكثير لان كل ضدين معروفين اجمالا
عين احدهما عرف من تعيينه الآخر فقال انما حرم اي الله الذي لا امر لاحد معه عليكم الميتة التي بينت على لسان الرسول صلى الله
عليه وسلم انها ميتة وان ذكيت والدم ولحم الخنزير خصه بالذكر بعد دخوله في الميتة لاتحاد النصارى اكله كالدين وما اهل اي
باي اهلال كان من اي مهل كان ولما كان مقصود السورة لبيان الكمال كان تقديم غيره لتقبيح حال المعتني به اولى فقال لغير
الله اي الملك الاعظم الذي لا تملك سواه به ولما كان الانسان قد يضطر الى اكل كل ما يمكن اكله بين لهم انه رفق بهم فاباح لهم
سد الرمق من الحرام فقال فمن اضطر اي كيف ما وقع له الاضطرار غير باغ على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق ولما كان الاذن في
الاكل من هذه الاشياء حال الضرورة انما هو رخصة وكانت الشهوة داعية الى ما فوق الماذون فيه قال فان الله اي المختص
بصفات الكمال بسبب تناوله منها على ما حده غفور رحيم فمن زاد على ما اذن فيه فهو جدير بالانتقام ولما تبين بهذه الآية
كما مضى تقريره في الانعام جميع المحرم اكله من الحيوانات فعلم بذلك جهلهم فيما حرموه على انفسهم لاجل اصنامهم صرح بالنهي عنه
ابلاغا في تاكيد ذلك الحصر فقال ولا تقولوا اي بوجه من الوجوه في وقت ما ولما كان تحليلهم وتحريمهم قولا فارغا ليس له
حقيقة اصلا لانه لا دليل عليه عبر عنه بانه وصف باللسان لا يستحق ان يدخل الى القلب فقال لما تصف اي لاجل الذي تصفه

السنتكم اي من الانعام والحروث والزروع ولما حرك النفس الى معرفة ما يقال لاجل ذلك بين مقول ذلك القول فقال
الكذب اي القول الذي هو عين الكذب ولما اشتد التشوف الى تعيين ذلك المقول ابدل منه فقال هذا حلال وهذا حرام ويجوز
ان يكون الكذب مفعول تصف فتكون ما مصدرية اي لوصفها اياه فكان حقيقة الكذب كانت مجهولة فلم تعرف الا بوصف السنتهم
لها فهو مبالغة في وصف كلامهم بالكذب وما بعده مقول القول ولما كانوا كما تقدم يدعون انهم اعقل الناس فكان اللايق بهم
ارخاء للعنان النسبة الى معرفة اللوازم عند الاقدام على الملزومات قال لتفتروا على الله اي الملك الاعلى الكذب لان من قال على
احد ما لم ياذن فيه كان قوله كذبا وكان كذبه لقصد افتراء الكذب والا لكان في غاية الجهل فدار امرهم في مثل هذا بين الغباوة المفرطة
او قصد ما لا يقصده عاقل وهذا باب من التهكم عجيب فكانه قيل فما يستحقون على ذلك فاجاب بقوله ان الذين يفترون اي يقتطعون
عمدا على الله اي الذي له الامر كله الكذب منكم ومن غيركم لا يفلحون ولما كان الفلاح عندهم هو العيش الواسع في هذه الدنيا اجاب
من كانه قال فانا ننظرهم بنعمة ورهافة فقال متاع قليل اي ما هم فيه لفنائه وان امتد الف عام ولهم بعده عذاب اليم ومن المد
العظيم دوامه فاي متاع هذا ولما بين لهم نعمته بتوسعته عليهم بما ضيقوا به على انفسهم بين لهم نعمة اخرى بتمييزهم على بني
اسرائيل فقال وعلى الذين هادوا اي اليهود حرمنا اي بعظمتنا عقوبة لهم بعدوانهم وكذبهم على ربهم ما قصصنا اي بما لنا من العظمة
التي كان المقصوص بها معجزا عليك ولما لم يكن قص ذلك عليه صلى الله عليه وسلم مستغرقا زمان القبل ادخل الجار فقال
من قبل اي في الانعام وما ظلمناهم اي الذين وقع منهم الهود بتحريمنا عليهم ما حرمنا ولكن كانوا اي دايما طبعا لهم وخلقا مستمرا انفسهم
اي خاصة يظلمون بالبغي والكفر فضيقنا عليهم معاملة بالعدل وعاملناكم انتم حيث ظلمتم بالفضل فاشكروا النعمة واحذروا
عوايل النقمة ولما بين هذه النعمة الدنيوية عطف عليها نعمة هي اكبر منها جدا استجلابا لكل ظالم وبين عظمتها بحرف التراخي فقال
ثم ان ربك اي المحسن اليك للذين عملوا السوء وهو كل ما من شانه ان يسوء وهو ما لا ينبغي فعله بجهالة كما عملتم وان عظم فعلهم وتفاحش
جهلهم ثم تابوا ولما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل ادخل الجار فقال من بعد ذلك اي الذنب ولو كان عظيما فاقتصروا على ما
اذن فيه خالقهم واصلحوا بالاستمرار على ذلك ان ربك اي المحسن اليك بتسهيل دينك وتيسيره ولما كان انما يغفر بعد التوبة
ما عدا الشرك الواقع بعدها ادخل الجار فقال من بعدها اي التوبة وما تقدمها من اعمال السوء لغفور اي بليغ الستر لما عملوا من
السوء رحيم اي محسن بالاكرام فضلا ونعمة ولما دعاهم الى مكارم الاخلاق ونهاهم عن مساويها بقبوله لمن اقبل اليه وان عظم جرمه
اجابة لدعوة ابيهم ابرهيم عليه السلام في قوله فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم اتبع ذلك ذكره ترغيبا في اتباعه
في التوحيد والميل مع الامر والنهي اقداما واحجاما ان كانوا ممن يتبع الحق او يقلد الاباء فقال على سبيل التعليل لما قبله ان ابرهيم
اي اباكم الاعظم امام الموحدين كان امة فيه من المنافع الدنيوية والاخروية ما يوجب ان يؤمه ويقصده كل احد يمكن انتفاعه
به قانتا اي مخلصا لله اي الملك الذي له الامر كله ليس فيه شيء من الهوى حنيفا ميالا مع الامر والنهي بنسخ او بغيره فكونوا
حنفا اتباعا للحق لما قام عليه من الادلة واستنانا باعظم ابائكم ولما كان السياق لاثبات الكمال لابرهيم عليه السلام وكانت
الاوصاف الثبوتية قريبة الماخذ سريعة الوصول الى الفهم واتى بعدها وصف سلبي بجملة حذف نون يكن منها ايجازا وتقريبا
للفهم تخفيفا عليه وحفظا له من ان يذهب قبل تمامها الى غير المراد واعلاما بان الفعل منفي عنه عليه السلام على ابلغ وجوه النفي
لا ينسب اليه شيء منه ولو قل فقيل ولم يك ولما كانوا مشركين بهم وكثير من اسلافهم قبح اليهم ذلك بان اعظم من يعتقدون عظمته من ابائهم
ليس من ذلك القبيل فقال من المشركين الواقفين مع الهوى فلا تكونوا منهم ثم بين حاله فقال شاكرا ولما كان لله على من جعله امة من
النعم ما لا يحصى بين ان ذلك كله قليل في جنب فضله فقال مشيرا الى ذلك بجمع القلة والى ان الشاكر على القليل يشكر اذا اتاه الكثير
من باب الاولى لانعمه فهو لا يزال يزيده من فضله وقد دعا لكم فتقبل دعاءه لكم فاشكروا الله اقتداء به ليزيدكم فكانه قيل فما اثابه
على ذلك وعلل ما قبل فقال اجتباه اي اختاره اختيارا تاما وهداه اي بالبيان الاعظم والتوفيق الاكمل الى صراط مستقيم وهو
الحنيفية السمحة فكان ممن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم وكان مخالفا للابكم الموصوف في المثل السابق ثم قال واتيناه
اي بما لنا من العظمة في الدنيا بلسان الصدق والثناء الجميل الذي ذللنا له به السنة الخلق حسنة ونبه بالتعبير عن المعطي
بنون العظمة على جلالته حيث جعله اماما معظما لجميع اهل الملل فجمع القلوب على محبته وجعل له فيهم لسان صدق ورزقه في اولاده
من النبوة والصلاح والملك والكثرة ما هو مشهور ولما كانت عظمة الدنيا لا تعتبر الا مقرونة بنعمة الاخرة قال وانه في الاخرة
وقال لمن الصالحين اي له ما لهم من الثواب العظيم معبرا بمن تعظيما لمقام الصلاح وترغيبا فيه ولما قرر من عظمته في الدنيا
والاخرة ما هو داع الى اتباعه صرح بالامر به تنبيها على زيادة عظمته بامر متباعد في الرتبة على ساير النعوت التي اثنى عليه بها
وذلك كونه صار مقتدى لافضل ولد ادم مشيرا الى ذلك بحرف التراخي الدال على علو رتبته بعلو رتبة من امر باتباعه فيما
مهده مما امر به من التوحيد والطريق الواضح السهل فقال ثم اوحينا اي ثم زدناه تعظيما وجلالة بان اوحينا اليك وانت
اشرف الخلق وفسر الايحاء بقوله ترغيبا في تلقي هذا الوحي احسن التلقي باقتفاء الاب الاعظم ان اتبع اي بغاية جهدك ونهاية
همتك ولما كان المراد اصل الدين وحسن الاقتفاء فيه بسهولة الانقياد والانسلاخ من كل باطل والدعوة بالرفق مع الصبر
وتكرير الامر اذ للدلايل وكل ما يدعوا اليه العقل الصرف والفطرة السليمة عبر بالملة فقال ملة ابرهيم ولا بعد في ان يفهم ذلك
الهجرة ايضا ولما كانت الحنيفية اشرف اخلاق ابرهيم عليه السلام فكانت مقصودة بالذات صرح بها فقال حنيفا اي حال
كونك او كونه شديد الانجذاب مع الدليل الحق ورغب العرب في التوحيد ونفرهم من المشرك بقوله وما كان اي بوجه من الوجوه

من المشركين ولما دعا سبحانه فيها الى معالي الشيم وعدم الاعتراض وختم بالامر بالملة الحنيفية التي هي سهولة الانقياد للدليل
وعدم الكون مع الجامدين اقتداء بالاب الاعظم وكان الخلاف والعسر مخالفا ملته فكان لا يجر الى خير وكان من المعلوم ان كل حكم حدث
بعده ليس من ملته وكان اليهود يزعمون جهلا انه كان على دينهم وكان السبت من اعظم شعايرهم انتج ذلك قوله تعالى جوابا لمن قد
يدعي من اليهود انه كان على دينهم وتحذيرا من العقوبة على الاختلاف في الحق بالتشديد في الامر انما جعل اي يجعل من لا امر لغيره السبت
اي تحريمه واحترامه او وباله على الذين اختلفوا فيه حين امر نبيهم بالجمعة فقبل ذلك بعضهم واراد السبت اخرون فبدلوا بالجمعة
السبت وشدد عليهم في امره انتقاما منهم بما تفهمه التعدية بعلى فكان ذلك وبالا عليهم وفي ذلك تذكير بنعمة التيسير علينا قال
البغوي رحمه الله قال الكلبي امرهم موسى عليه السلام بالجمعة فقال تفرغوا في كل سبعة ايام يوما فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا
فيه عملا لصنعتكم وستة ايام لصناعاتكم فابوا الا شرذمة منهم وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت
فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاخذوا الاحد
فاعطى الله الجمعة هذه الامة فقبلوها وبورك لهم فيها وقال عبد الرزاق في تفسيره اخبرني معمر اخبرني من سمع مجاهدا يقول
في قوله انما جعل السبت فقال ردوا الجمعة واخذوا السبت مكانه وروى الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال نحن الاخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم
فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غدا والنصارى بعد غد ولما كان الاشراك واضحا في امر النصارى استغنى
بنفيه عنه عن التصريح بانه ليس على دينهم ثم حذر من الاختلاف مثبتا امر البعث فقال وان ربك اي المحسن اليك بطواعية
اصحابك لك ليحكم بينهم اي هولاء المختلفين يوم القيمة واجتماع جميع الخلايق فيما كانوا اي بجبلاتهم فيه يختلفون من قبول الجمعة
وردها ومن الاذعان لتحريم الصيد وابايه وغير ذلك فيجازي كل فريق منهم بما يستحقه ولما قدم سبحانه في هذه السورة
حكاية كثير من استهزائهم بوعده ووعيده وتكذيبهم لرسله على ابشع وجه والتنفير عن حرقة الحرص عليهم المفضي الى شدة التاسف
على ضلالهم وغير ذلك مما ربما اياس منهم فاقعد عن دعائهم واتبعه ضرب الامثال ونصب الجدال على تلك المناهج المعجزة بما
يسبق من ظواهرها الى الفهم عند قرع السمع من المعاني الجليلة والمقاصد الجميلة لعامة الخلق ما يجل عن الوصف واذا تاملها
الخواص وجدوا فيها من دقايق الحقايق ومشارع الرقايق ومحكم الدلايل ومتقن المقاصد والوسايل ما يوضح بتفاوت الافهام
وتباين الافكار انه بحر لا ساحل له ولا قرار ولا منتهى لما تستخرج منه الانظار وختم باتباع الاب الاعظم لما كان ذلك وامر
سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم وهو السميع المطيع ان يستن باثاره ويقتدي باضماره واظهاره فسر له تلك الملة التي امره
باتباعها فقال ادع اي كل من تمكن دعوته الى سبيل ربك اي المحسن اليك بتسهيل السبيل الذي تدعوا اليه وايساعه وهو الاسلام
الذي هو الملة الحنيفية بالحكمة وهي المعرفة بمراتب الافعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد وقيل لها حكمة لانها بمنزلة
المانع من الفساد وما لا ينبغي ان يختار فالحكيم هو العالم بما يمنع من الفساد قاله الرماني وهي في الحقيقة الحق الصريح فمن كان اهلا
له دعا به والموعظة بضرب الامثال والوعد والوعيد مع خلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة الحسنة اي التي يسهل على كل
فهم ظاهرها ويروق كل نحرير ما ضمنته سرايرها مع اللين في مقصودها وتاديتها هذا لمن لا يحتمل الا ذلك وجادلهم اي الذين يحتملون
ذلك منهم افتلهم عن مذاهبهم الباطلة الى مذهبك الحق بطريق الحجاج بالتي هي احسن من الطرف بالترفق واللين والوقار والسكينة
ولا تعرض عنهم ياسا منهم ولا تجازهم بسيئ مقالهم وقبيح فعالهم صفحا عنهم ورفقا بهم فهو بيان لاصناف الدعوة بحسب عقول المدعوين
لان الانبياء مامورون بان يخاطبوا الناس على قدر عقولهم وقيل الدعوة ان كانت لتقرير الدين وتثبيت الاعتقاد في قلوب اهله
وهي مع ذلك يقينية مظهرة عن احتمال نقيض فهي الحكمة وهي لطالب الحق المذعن ان كان مستعدا للقبول بفكره الثاقب وان كانت
مقارنة لاحتمال النقيض مفيدة للظن والاقناع فهي الموعظة وهي للمذعن الذي لا استعداد له وان كانت لالزام الجاحدين وافحام
المعاندين فهي المجادلة فان كانت مركبة من مقدمات مسلمة عند الجمهور او عند الخصم فقط فهي الحسنة وان كانت من مقدمات كاذبة
غير مسلمة يراد ترويجها بالحيل الباطلة والطرق الفاسدة فهي السيئة التي لا تليق بمنصف ثم علل الملازمة لدعائهم على هذا
الوجه بقوله ان ربك اي المحسن اليك بالتخفيف عنك هو اي وحده اعلم اي من كل من يتوهم فيه علم بمن ضل عن سبيله فكان من ادنى
درجات الضلال وهو اعلم بالضالين الراسخين في الجور عن الطريق فلا انفكاك لهم عن الضلال وهو اعلم بمن اهتدى لسبيله فكان في
ادنى درجات الهداية وهو اي خاصة اعلم بالمهتدين الذين هم في النهاية منها فالاية من الاحتباك ذكر اولا من ضل دليلا على حذف
ضده ثانيا والمهتدين ثانيا دليلا على حذف ضدهم اولا واما انت فلا علم لك بشيء من ذلك الا باعلامنا وقد الزمناك البلاغ المبين فلا
تفتر عنه معرضا عن الحرص المهلك والياس فانه ليس عليك هداهم ولما بين امر الدعوة واوضح طرقها وقدم امر الهجرة والاكراه
في الدين والفتن فيه المشير الى ما سبب ذلك من المحن والبلاء من الكفار ظلما وختم ذلك بالامر بالرفق بهم عم بعد ما خصه صلى الله
عليه وسلم به من الامر بالرفق بالامر لاشياعه بالعدل والاحسان كما تقدم ولو مع اعدى الاعداء والنهي عن مجازاتهم الا على ذلك الوجه
فقال وان عاقبتم اي كانت لكم عاقبة عليهم تتمكنون فيها من اذاهم فعاقبوا بمثل ما ولما كان الامر عاما في كل فعل من المعاقبة من اي
فاعل كان فلم يتعلق بتعيين الفاعل غرض بني للمفعول قوله عوقبتم به وفي ذلك اشارة على ما جرت به عوايد الملوك في كلامهم الى
ادالتهم واسلامهم في يديهم وجعله باداة الشك اقامة بين الخوف والرجا ولما اباح لهم درجة العدل رقاهم الى رتبة الاحسان
بقوله ولئن صبرتم بالعفو عنهم لهو اي الصبر خير للصابرين واظهر في موضع الاضمار تعميما وتعليقا بالوصف ولما كان التقدير

احتباك

فاصبروا

فاصبروا عطف عليه افرادًا له صلى الله عليه وسلم بالامر اجلالا له وتسلية فيما كان سبب نزول الآية من التمثيل بعمه حمزة رضي
الله عنه وتنويها بعظيم مقام الصبر زيادة في حث الامة لان امر الرئيس ادعى لامتثال اتباعه فقال واصبر ثم اتبع ذلك بما يحث
على دوام الالتجاء اليه المنتج للمراقبة والفناء عن الاغيار ثم الفناء عن الفناء لئلا يتوهم ان لاحد فعلا مستقلا فقال وما صبرك اي
ايها الرسول الاعظم الا بالله اي الملك الاعظم الذي شرع لك هذا الشرع الاقوم وانت قائم في نصره ولقد قابل هذا الامر صلى الله عليه
وسلم باعلى مقامات الصبر وذلك انهم مثلوا بقتلى المسلمين في غزوة احد الا حنظلة الغسيل فان اباه كان معهم فتركوه له فلما وقف
النبي صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة رضي الله عنه فوجدهم قد جدعوا انفه وقطعوا اذنيه وجبوا مذاكيره وبقروا بطنه
نظر الى شيء لم ينظر الى اوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك فانك كنت فعالا للخير وصولا للرحم ولولا ان تحزن صفية لسرني ان
ادعك حتى تحشر من اجواف شتى اما والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم وقال الصحابة رضي الله عنهم لنزيدن على
صنيعهم فلما نزلت الآية بادر صلى الله عليه وسلم الامتثال وكان لا يخطب خطبة الا نهى عن المثلة واحسن يوم الفتح بان نهى عن
قتالهم واعتقهم بعد ان صاروا في قبضته ولما كان بعد توطين النفس على الصبر وتقريع القلب من الاحنة يرجع الى الاسف على
اهلاكهم انفسهم بتماديهم على العتو على الله قال ولا تحزن عليهم اي في شدة كفرهم فتبالغ في الحرص الباخع للنفس ولما كان سبحانه
في مقام التبشير بالمحل الكبير والموطن الخطير الذي ما حازه قبل نبينا صلى الله عليه وسلم بشير ولا نذير وذلك هو الاسرا الى الملكوت
الاعلى والمقام الاسمى من السموات العلى في حضرات القدس ومجال الانس ووطا لذلك في سورة النعم بمقامات الكرم الى ان قارب
الوصول اليه اوجز في العبارة بحذف حرف مستغنى عنه دلالة عليه فقال ولا تك بحذف النون اشارة الى ضيق الحالة عن ادنى
اطالة وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار وهذا بخلاف ما ياتي في سورة النمل ان شاء الله تعالى في
ضيق ولو قل كما لوح اليه تنوين التحقير بما يشير اليه حذف النون فان اذى الكفار الذي السياق للتسلية عنه لا يضرك في المقصود
الذي بعثت لاجله وهو اظهار الدين وقمع المفسدين بوجه من الوجوه مما يمكرون اي من استمرار مكرهم بك واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين وكانك به وقد اتى فاصبر فان الله معزك ومظهر دينك وان كرهوا ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الجامع لصفات الكمال بلطفه
وعونه مع الذين اتقوا اي وجد منهم الخوف من الله فكانوا في اول منازل التقوى وهو مع المتقين الذين كانوا في النهاية منها فعدلوا في
افعالهم من التوحيد وغيره عملا بامر الله في الكتاب الذي هو تبيان لكل شيء وهو مع الذين احسنوا فكانوا في اول درجات الاحسان
والذين هم اي بضمايرهم وظواهرهم محسنون اي صار الاحسان صفة لهم غير منفكة عنهم فهم في حضرات الرحمن وانت راس المتقين المحسنين
فالله معك ومن كان الله معه كان غالبا وصفقته رابحة وحاله صالحة وامره عال وضده في اسوا الاحوال فلا تستعجلوا قلقا
كما استعجل الكفار استهزاء تخلقا في التاني والحلم بصفة من تنزه عن نقص الاستعجال وتعالى عن ادعاء الاكفاء والامثال فقد عانق
آخرها اولها ووافق مقطعها مطلعها واخرها احتباك ذكر الذين اتقوا اولا دليلا على حذف الذين احسنوا ثانيا والمحسنين ثانيا دليلا على حذف المتقين اولا

احتباك م

سورة الاسرى وتسمى سبحان وبني اسرائيل مائة وعشر آيات مكية

المقصود بها الاقبال على الله وحده وخلع كل ما سواه لانه وحده المالك لتفاصيل الامور وتفضيل بعض الخلق على بعض وذلك
هو العمل بالتقوى التي ادناها التوحيد الذي افتتحت به النحل واعلاها الاحسان الذي اختتمت به وهو الفناء عما سوى الله وهي من
اوائل ما انزل روى البخاري في فضائل القرآن وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بنو اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء
انهن من العتاق الاول وهن من تلادي وكل من اسمائها واضح الدلالة على ما ذكر انه مقصودها اما سبحان الذي هو علم التنزيه فمن
اظهر ما يكون فيه لان من كان على غاية النزاهة عن كل نقص كان جديرا بان لا نعبد الا اياه وان نعرض عن كل ما سواه لكونه متصفا
بما ذكر واما الاسرا فمن عرف تفاصيل امره كلها علم ان الفاعل له متصف بكل ما ذكر واما بنو اسرائيل فمن احاط ايضا بتفاصيل
امرهم في سيرهم الى الارض المقدسة الذي هو كالاسرا وايتائهم الكتاب وما ذكر مع ذلك من امرهم في السورة عرف ذلك بسم الله الملك
المالك لجميع الامر الرحمن لكل ما اوجده بما رباه الرحيم لمن خصه بالتزام العمل بما يرضاه لما كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال
وغيره من صفات النقص والاتصاف بالكمال المنتج لانه قادر على الامور الهائلة ومنها جعل الساعة كلمح البصر او اقرب وختمها بعد
تفضيل ابرهيم عليه السلام والامر باتباعه بالاشارة الى نصر اوليائه مع ضعفهم في ذلك الزمان وقلتهم على اعدائه على كثرتهم وقوتهم
وكان ذلك من خوارق العادات ونواقض المطردات وامرهم بالتاني والاحسان افتتح هذه بتحقيق ما اشار ذلك الختم اليه بما خرقه
من العادة في الاسرا وتنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك تنبيها على انه قادر على ان يفعل الامور العظيمة الكثيرة
الشاقة في اسرع وقت دفعا لما قد يتوهم او يتعنت به من يسمع نهيه عن الاستعجال وامره بالصبر وبيانا لانه مع المتقي المحسن
وتنويها بامر محمد صلى الله عليه وسلم واعلاما بانه راس المحسنين واعلاهم رتبة واعظمهم منزلة بما اتاه من الخصايص التي منها
المقام المحمود وتمثيلا لما اخبر به من امر الساعة فقال سبحان وهو علم للتنزيه دال ابلغ ما يكون من معناه منصوب بفعل متروك
اظهاره فسد مسده الذي اسرى فنزه نفسه الشريفة عن كل شائبة نقص يمكن ان يضيفها اليه اعداؤه بهذا اللفظ الابلغ عقب
الامر بالتاني اخر النحل كما نزه نفسه بذلك اللفظ عقب النهي عن الاستعجال في اولها وهو راد لما علم من ردهم عليه وتكذيبهم له
اذا حدثهم عن الاسرا وفيه مع ذلك ايماء الى التعجب من هذه القصة للتنبيه على انها من الامور البالغة في العظمة الى حد لا يمكن
استيفاء وصفه ولما كان حرف الجر مقصورا على افادة التعدية في سرى الذي بمعنى اسرى وكان اسرى يستعمل متعديا وقاصرا

عبر به واختير القاصر للدلالة على المصاحبة زيادة في التشريف فقال تعالى بعبده اي الذي هو اشرف عباده واحقهم بالاضافة
اليه الذي لم يتعبد قط لسواه من صنم ولا غيره لرجا شفاعة ولا غيرها ولما كان الاسرا هو السير في الليل وكان الشي قد يطلق على جزء
معناه بدلالة التضمن مجازا مرسلا نفى هذا بقوله ليلا وليدل بتنوين التحقير على ان هذا الامر الجليل كان في جزء يسير من الليل وعلى انه
عليه الصلوة والسلام لم يحتج في الاسرا والعروج الى سدرة المنتهى وسماع الكلام من العلي الاعلى الى رياضه بصيام ولا غيره بل كان مهيا
لذلك متاهلا له فاقامه تعالى من الفرش الى العرش من المسجد الحرام اي من الكعبة المشرفة مسجد ابرهيم عليه السلام قيل كان نايما في الحطيم
وقيل في الحجر وقيل في بيت ام هاني وهو قول الجمهور فالمراد بالمسجد حينئذ الحرم لانه فناء المسجد الى المسجد الاقصى اي الذي هو ابعد
المساجد حينئذ وابعد المسجدين الاعظمين مطلقا من مكة المشرفة بينهما اربعون ليلة فصلى بالانبيا كلهم ابرهيم وموسى ومن سواهما على
جميعهم افضل الصلوة والسلام وراى من اياتنا ما قدرناه ورجع الى بين اظهركم الى المسجد الاقرب منكم في ذلك الجزء اليسير من الليل
وانتم تضربون اكباد الابل في هذه المسافة شهرا ذهابا وشهرا ايابا ثم وصفه بما يقتضي تعظيمه وانه اهل للقصد فقال الذي باركنا
اي بما لنا من العظمة بالمياه والاشجار وبانه مقر الانبيا ومهبط الملايكة وموطن العبادات ومعدن الفواكه والارزاق والبركات
حوله اي لاجله فما ظنك به نفسه فهو ابلغ من باركنا فيه ثم منه الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى ما لم ينله بشر غيره صلى الله عليه
وسلم ولعله حذف ذكر المعراج من القران هنا لقصور فهومهم عن ادراك ادلته لو انكروه بخلاف الاسرا فانه اقام دليله عليهم بما
شاهدوه من الامارات التي وصفها لهم وهم قاطعون بانه صلى الله عليه وسلم لم يرها قبل ذلك فلما بان صدقه بما ذكر من الامارات اخبر
بعد ذلك من اراد الله بالمعراج ثم ذكر سبحانه الغرض من الاسرا بما يريد في تعظيم المسجد فقال لنريه بعينه وقلبه من اياتنا السماوية
والارضية كما اريناه اباه الخليل عليه السلام ملكوت السموات والارض وحصل الالتفات لتعظيم الايات والبركات روى البخاري عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بايليا بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فاخذ اللبن فقال جبريل
الحمد لله الذي هداك للفطرة لو اخذت الخمر غوت امتك وعن جابر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت
في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه ولما كان المعول عليه غالبا في ادراك الايات حس السمع
والبصر وكان تمام الانتفاع بذلك انما هو بالعلم وكان سبحانه قد خص هذا النبي صلى الله عليه وسلم من كمال الحس بما يعد معه حس غيره
عدما عبر عن ذلك كله بقوله انه اي هذا العبد الذي اختصصناه بالاسرا هو اي خاصة السميع اي اذنا وقلبا بالاجابة لنا
والاذعان لاوامرنا البصير بصرا وبصيرة بدليل ما اخبر به من الايات وصدقه من الدلالات حين نعت ما سالوه عنه من بيت المقدس
ومن امر غيرهم وغيرهما مما هو مشهور في قصة الاسرا مما كان يراه وهو ينعت لهم وهم لا يرونه ولا يقاربون ذلك ولا يطمعون فيه
وقال من كان دخل منهم الى بيت المقدس اما النعت والله فقد اصاب اخبرنا عن غيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا ذلك اليوم نحو الثنية يشتدون فقال قايل هذه والله الشمس قد طلعت فقال
اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ان هذا الا سحر مبين قال الرازي في اللوامع
وكان صلى الله عليه وسلم ابصر جميع ما في الملكوت بالعين المبصرة مشاهدة لم يسترب فيه حتى روي انه قال رايت ليلة اسري بي
الى العلى الذرة تدب على وجه الارض من سدرة المنتهى وذلك لحدة بصره والبصر على اقسام بصر الروح وبصر العقل الذي منه
التوحيد وبصر القربة الذي خص به الاوليا وهو نور الفراسة وبصر النبوة وبصر الرسالة وهذه الابصار كلها مجموعة لرسولنا صلى
الله عليه وسلم وله زيادة بصر قيادة الرسل وسيادتهم فانه سيد المرسلين وقايدهم وكان مطلعا على الملك والملكوت كما قال
زويت لي الارض مشارقها ومغاربها انتهى وهذا الاخير رواه مسلم وابو داود والترمذي عن ثوبان رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى زوى لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وكان يبصر من ورايه كما يبصر من امامه كما اخرجه الشيخان
وغيرهما من حديث انس رضي الله عنهم وفي كثير من طرقه عدم التقييد بالصلوة وهذا صريح في ان بصره لم يكن متقيدا بالعين بل خلق
الله الابصار في جميع اعضايه وكذا السمع فان كون العين محلا لذلك وكذا الاذن انما هو لجعل الله ولو جعل ذلك في غيرهما لكان كما
يريد سبحانه ولا مانع ولم يكن الظلام يمنعه من نفوذ البصر ففي مسند احمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال فقدت رحلي ليلة
فمررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشد لعايشة رضي الله عنها فقال ما لك يا جابر فقلت فقدت رحلي او ذهب في ليلة
ظلما فقال لي هذا جملك اذهب فخذه فذهبت نحو ما قال لي فلم اجده فرجعت اليه فقلت بابي وامي يا رسول الله ما وجدته فقال لي
على رسلك حتى اذا فرغ اخذ بيدي فانطلق حتى اتينا الجمل فدفعه الي قال هذا جملك الحديث وروى البيهقي في دلايل النبوة عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وروي مثل ذلك
عن عايشة رضي الله عنها وقال القاضي عياض في الشفا وحكى بقي بن مخلد عن عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء واسند عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما تجلى الله لموسى
عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلما مسيرة عشرة فراسخ وجوز ان يكون اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم
بذلك بعد الاسرا انتهى وقد اخرج حديث ابي هريرة هذا الحافظ نور الدين الهيثمي في زوايد المعجمين الاوسط والاصغر للطبراني
ولعل هذا من مناسبة تعقيب هذه الاية بذكر موسى عليه السلام وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم ان قوله ان ابرهيم
كان امة قانتا لله حنيفا الى قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا الاية كان ظاهر ذلك تفضيل ابرهيم عليه السلام
على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا لا سيما مع الامر بالاتباع فاعقب ذلك بسورة الاسرا وقد تضمنت من خصايص نبينا

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وانطوت على ما حصل منه المنصوص في الصحيح والمقطوع به والمجموع عليه من انه صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ٥
فاستفتحت السورة بقصة الاسرا وقد تضمنت حسبما وقع في صحيح مسلم وغيره امامته بالانبياء عليهم السلام وفيهم ابرهيم وموسى وغيرهما
من الانبياء من غير استثنا هذه رواية ثابت عن انس رضي الله عنه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه
فقال الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي القرآن فيه تبيان كل شي وجعل امتي خير امة اخرجت
للناس وجعل امتي وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فقال ابرهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع بن انس وذكر سدرة
المنتهى وانه تبارك وتعالى قال له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيته الوود
ملكا عظيما وانت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمن ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته يبري الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان
الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك
الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون والاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ٥
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك ٥
خواتم البقرة من كنوز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث شريك انه راى موسى عليه
السلام في السماء السابعة قال بتفصيل كلام الله قال ثم علاه فوق ذلك مما لا يعلمه الا الله فقال لم اظن ان يرفع علي
احد وفي حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه خرجه البزار في ذكر تعليمه عليه السلام الاذان وخروج الملك فقال
صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت
قبل ساعتي هذه وفيه ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فاقر باهل السماء فيهم آدم ونوح وفي هذا الحديث
قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم على اهل السموات والارض قال ابن الزبير ٥
وقد حصل منه تفضيله صلى الله عليه وسلم بالاسرا وخصوصه بذلك ثم قد انطوت السورة على ذكر المقام المحمود ٥
وهو مقامه في الشفاعة الكبرى وذلك مما خص به حسبما ثبت في الصحيح وانعقد عليه اجماع اهل السنة والله اعلم في
الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصايصه الذي فضل به كافة الانبيا مثل ما تضمنت هذه والحمد لله انتهى ولما ثبتت
بهذه الخارقة ما اخبر به عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة على كل ما يريد وما حباه صلى الله عليه وسلم به من الايات ٥
البينات في هذا الوقت اليسير اتبعه ما شرح في المسير من مصر الى الارض المقدسة من الايات في مدد طوال جدا موسى عليه
السلام الذي كان اعظم الانبيا بركة على هذه الامة ليلة الاسرا لما ارشد النبي صلى الله عليه وسلم اليه من مراجعة الله تعالى
في تخفيف الصلوة حتى رجعت من خمسين الى خمس مع اجر خمسين والذي كان انهى العروج به اذ ناجاه الله وقربه راس جبل
الطور بعد الامر بالرياضة بالصوم والتخلي اربعين يوما والذي تقدم في آخر النحل ان قومه اختلفوا عليه في السبت
تنفيرا من مثل حالهم وتسلية عمن تبعهم في تكذيبهم وضلالهم وذلك في ميقات محذر للمكذبين عظايم البلا فقال عاطفا على
ما تقديره فاتينا عبدنا محمدا صلى الله عليه وسلم الكتاب المفصل المعجز وجعلناه هدى للخلق كافة وتولينا حفظه فكان آية
باقية حافظا لدينه دايما واتينا اي بعظمتنا موسى الكتاب اي الجامع لخيري الدارين لتقواه واحسانه معظما له بنون العظمة
فساوى بين النبيين في تعظيم الرايه والايتا وخص محمدا صلى الله عليه وسلم باضافة ايتائه الى مظهر العظمة وكان ايتا موسى
عليه السلام الكتاب في نيف واربعين سنة بعد ان اخرج معه بني اسرايل من حبايل فرعون وجنوده الذين كانوا الاحون
كثرة بتلك الايات الهايلة التي لا يشك عاقل ان من قدر عليها لا يمتنع عليه شي اراده وفي هذه المدة الطويلة بل ٥
بزيادة كان وصول بني اسرايل من مصر الى هذا المسجد الذي اوصلنا عبدنا اليه وردد ناه اليكم في بعض ليلة راكبا
البراق الذي كان يركبه الانبيا قبله يضع حافره في منتهى طرفه وبنو اسرايل كانوا يسيرون جميع النهار مجدين ثم يبيتون
في الموضع الذي ادلجوا منه في التيه لا يقدرون ان يجوزوه اربعين سنة على ما قال كثير من العلما او انهم كانوا في هذه
المدة يدورون حول جبل ادوم كما في التورية فثبت انا انما نعمل بالاختيار على حسب ما نراه من الحكم ثم ذكر تمن كتاب
موسى عليه السلام فقال وجعلناه اي الكتاب بما لنا من العظمة هدى ولما كان هذا التنوين يمكن ان يكون للتعظيم يستغرق
العدي بين الكمال بقوله ٥ لبني اسرايل بالحمل على العدل في التوحيد والاحكام واسرينا بموسى عليه السلام وبقومه لما حصر
الى بلاد المسجد الاقصى فاقاموا اسايرين اليها اربعين سنة ولم يصلوا ومات كل من خرج منهم من مصر الا النقيبين الموفين
بالعهد فقد بان الفضل بين الاسرائين كما بان الفضل بين الكتابين فذكر الاسرا اولا دليل على حذف مثله لموسى عليه السلام
ثانيا وذكر ايتاء الكتاب ثانيا دليل على حذف مثله اولا فالاية من الاحتباك ثم نبه على ان المراد من ذلك كله التوحيد
اعتقادا وعبادة بقوله ٥ الا اي ليلا يتخذوا بالياء التحتانية في قراءة ابي عمرو وبالفوقانية في قراءة الباقين
فنبه بصيغة الافتعال على انه لكثرة ما على وحرائمه من الدلايل وله الى خلقه من المزايا والفضايل لا يعدل عنه
الى غيره الا بتكلف عظيم من النفس ومنازعة بين الهوى والعقل وما فطر سبحانه عليه النفوس من الانقياد اليه والاقبال
عليه وتقوم له همة عليه ونفس ابيه من الشرك بقوله سبحانه بالجار على تكاثر الرب دون ربه عظمته سبحانه وعم

الاستغراق لها تاركا نون العظمة للتنصيص على المراد من دون لبس بوجه من دوني وقال وكيلا اي ربا يكلون امورهم اليه
ويعتمدون عليه من صنم ولا غيره لتقريب اليه بشفاعة ولا غيرها منبها بذكر الوكالة على سفه ارائهم في ترك من يكفي في كل
شي الى من لا كفاية عنده لشي ثم اتبعه ما يدل على شرفهم بشرف ابيهم وانه لم ينفعهم ادلاؤهم اليه عند ارادة الانتقام بما ارتكبوا
من الاجرام فقال منبها على الاهتمام بالتوحيد والامر بالاخلاص بالعود الى مظهر العظمة حيث لا لبس ناصبا على الاختصاص
في قراة ابي عمرو وعلى النداء عند الباقين تذكيرا بنعمة الانجاء من الغرق ذرية من حملنا اي في السفينة بعظمتنا على ظهر ذلك
الماء الذي طبق ما تحت اديم السماء ونبه على شرفهم وتمام نعمتهم بقوله مع نوح اي من اولاده واولادهم الذين اشرفهم ابرهيم
الذي كان شاكرا ثم اسرائيل عليهما السلام لان الصحيح ان من كان معه من غيرهم ماتوا ولم يعقبوا ولم يقل ذرية نوح ليعلم
انهم عقب اولاده المومنين لتكون تلك منه اخرى ثم نبه على تقواه واحسانه حثا على الاقتداء به بقوله انه كان اي كونا
جبليا عبدا شكورا اي مبالغا في الشكر الذي هو صرف جميع ما انعم الله به في ما خلقه له فاحسن اليه لشكره بان جعل في ذريته
النبوة والكتاب كما فعل بابرهيم عليه السلام لانه كان شاكرا فاقتدوا بهذين الابوين العظيمين في الشكر يزدكم ولا تقلدوا
غيرهما في الكفر يعذبكم وخص نوحا عليه السلام لانه ما املى لاحد ما املى لقومه ولا امهل احدا ما امهلهم ثم اهلكهم اجمعين كما
اوما اليه قوله حملنا اهلاك نفس واحدة ثم اذهب الماء بعد اغراقهم بالتدريج في مدة طويلة فثبت انه منزه عن العجلة
وانه تارة يفعل الامور الكثيرة الشاقة في اسرع وقت وتارة يعمل ما هو دونها في ازمان طوال فبان كالشمس انه انما يفعل
على حسب ما يريد مما تقتضيه حكمته روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم القيمة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله
الناس الاولين والاخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب
ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فذكر حديث الشفاعة العظمى
واتيانهم الانبيا آدم وبعده اولي العزم عليهم الصلوة والسلام وانهم يقولون لنوح عليه السلام قد سماك الله عبدا
شكورا وكلهم يتبرا ويحيل على من بعده الى ان وصل الامر الى نبينا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم
الانبيا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربنا الا ترى الى ما نحن فيه فانطلق فاتي تحت العرش
فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل
تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي يرب امتي يرب فقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين
مكة وحمير وكما بين مكة وبصرى ثم اتبع ذلك ما يدل على شرف كتاب موسى وصحة نسبته اليه تعالى بما يقتضي شمول العلم
وتمام القدرة بما كشف عنه الزمان من صدق اخباره وفظاظة وعيده وانذاره تنبيها على ان من كذب بكتابه اهلكه
كاينا من كان وان طال امهاله فلا تغتروا بحلمه لان الملوك لا تقر على امر يقدح في ملكها فقال وقضينا اي بعظمتنا بالوحي
المقطوع به منزلين ومنهين الى بني اسرائيل اي عبدنا يعقوب عليه السلام الذي كان اطوع اهل زمانه لنا في الكتاب الذي
اوصلناه اليهم على لسان موسى عليه السلام لتفسدن اكد بالدلالة على القسم باللام لانه يستبعد الافساد مع الكتاب المرشد
في الارض اي المقدسة التي كانها لشرفها هي الارض بما يغضب الله مرتين ولتعلن اي بما صرتم اليه من البطر لنسيان المنعم
علوا كبيرا بالظلم والتمرد ولا ينتقم منكم الا على حسب ما تقتضيه حكمتنا في الوقت الذي نريد بعد امهال طويل والقضا
فصل الامر على احكام فاذا جاء وعد اولاهما اي وقته الذي حددناه له للانتقام فيه بعثنا اي بعظمتنا ونبه على انهم اعدا
بقوله عليكم ونبه على عظمته وقدرته وسعة ملكه بقوله عبادا لنا اي لا يدان لكم بهم لما وهبنا لهم عظمتنا اولي باس
اي عذاب وشدة في الحرب شديدة شديد فجاسوا اي ترددوا مع الظلم والعسف وشديد السطوة والجوس طلب الشي
باستقصا خلال اي بين الديار الملزوم لقهر اهلها وسفولهم بعد ذلك العلو الكبير والخلال انفراج ما بين الشيئين
واكثر لضرب من الوهن وكان اي ذلك البعث ووعد العقاب به وعدا مفعولا اي لا شك في وقوعه ولا بد ان يفعل لانه
لا حايل بيننا وبينه ولا يبدل القول الا عاجز او جاهل عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جالوت وجنوده وعن سعيد
ابن المسيب انهم بخت نصر وجنوده وعن الحسن العمالقة وعن سعيد بن جبير سنحاريب وجنوده قال في السفر الخامس
من التورية اشارة الى هذه المرة الاولى والله اعلم وان انتم لم تسمعوا قول الله ربكم ولم تحفظوا ولم تعملوا بجميع سنته
التي امركم بها اليوم ينزل بكم هذا اللعن الذي اقص عليكم كله ويدرككم العقاب وتكونوا ملعونين اذا دخلتم وملعونين
اذا خرجتم ينزل بكم الرب البلا والحشرات وينزل بكم الضربات الشديدة وبكل شي تمدون ايديكم اليه لتعملوه حتى يهلككم
ويتلفكم سريعا من اجل سوء اعمالكم وترككم لعبادتي يسلط الله عليكم الموت فيهلككم من الارض التي تدخلونها لترثوها
يضربكم الله بحيران العقل والبهق والبرص وبالحريق باشتمال النار وباليرقان والجرب والسموم ويسلط عليكم هذه الشعوب
حتى تهلكوا وتكون السماء التي فوقكم عليكم شبه النحاس والارض التي تحتكم شبه الحديد ويصير الرب مطر ارضكم غبارا
ويكسركم الرب بين يدي اعدايكم تخرجون اليهم في طريق واحدة وتهربون في سبعة طرق وتكونون مثلا وفرعا لجميع مملكات
الارض وتكون جيفكم لجميع السباع وطيور السماء ولا يذب احد عنكم ويضربكم الرب بالجراحات التي ضرب بها اهل مصر ويبليكم

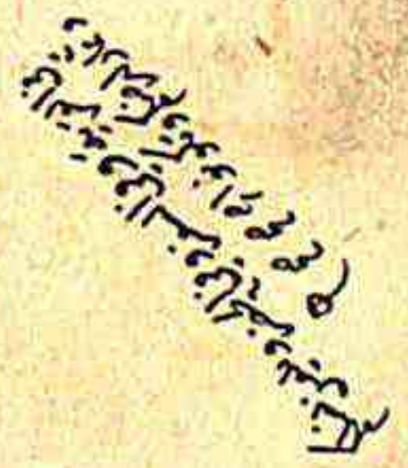

بالبرص

بالبرص والزحير والحكة ولا يكون لكم شفاء من ذلك ويضربكم الرب بالعمى والكمه ودعب القلب وتكونون تجتسون في
الظهيرة مثل ما تجتس العميان ولا تنجحون شيئا مما تعملون ولا يكون له تمام وتكونون مقهورين مظلومين منصوبين كل ايام حياتكم
ولا يكون لكم منقذ تخطبون المراة فيتزوجها غيركم وتبنون بيتا ولا تسكنه غيركم وتغرسون كرما ولا تعصرون منها وتذبحون
ثيرانكم بين ايديكم ولا ياكلون منها شيئا ويوخذ حمارك ظلما ولا يقدر ان تخلصه ويسوق العدو اغنامكم ولا يكون لكم منقذ
وليسبى بنيك وبناتك شعب آخر وتنظر اليهم ولا تقدر لهم على خلاص وتشتى وتغتم لعارك كله اجع ولا يكون لك حيلة وثمار
ارضك وكل كدك ياكله شعب لا تعرفه وتكون مضطهدا مظلوما طول عمرك ويضربك الرب بجرح ردي على ركبتيك
وساقيك ولا يكون لك وبسلط عليك الجراحات من قرنك الى قدمك ويسوقك الرب ويسوق ملكك الذي ملكته عليك
الى شعب لم تعرفه ابوك وتعبد هناك الهة عملت من خشب وحجارة وتكون مثلا وعجبا وينكر فيك كل من يسمع خبرك ثم قال
ويولدك بنون وبنات ولا يكونون لك بل يسبون ويتطلق لهم مسبيين ثم قال ويسلط الرب عليك شعبا ياتيك وانت جايع
ظمآن وتخدم اعداءك الذين يسلطهم الله عليك من بعيد من اقصى الارض ويسرع اليك مثل طيران النسر شعب لا تعرف لغتهم شعب
وجوههم صفيقة لا تستحي من الشيوخ ولا ترحم الصبيان ويضيق عليك في جميع قراك حتى يظفر بسور انك المشيدة التي
تتوكل عليها وتشق لها وتضطر حتى تاكل ولدك من الحاجة والضيق الذي يضيق عليك عدوك والرجل المدلل منكم المتلذذ
المضيق تنظر عيناه الى اخيه وحليلته والى من بقي من ولده جايشا ولا يعطي من لحم ابنه الذي ياكل لانه لا يبقى عنده شيء من
الاضطهاد والضيق الذي يضيق عليك عدوك في كل قراك والمراة المتخادرة المدللة المضيقة التي لم تطا الارض قدماها
من الدلال تنظر عيناها الى رجلها والى ابنها وبنتها والى ولدها الذي تلد ومي تاكلهم وذلك من الحاجة والعفر وعدم
الطعام مما يضيق عليك عدوك ويضطهدك في جميع قراك ولما بين سبحانه انه قادر على اذلال العزيز بعد ضخامة عزه
بين انه مقتدر على اذلال الله على من قهره بعد طول ذلك اذا انقاه من ذنوبه فقال مشيرا باداة التراخي الى
عظمة هذه الاداة بحرفها المعوايد ثم رددنا اي بما لنا من العظمة وعجل لهم البشري بقوله لكم اي خاصة الكرة اي العودة
والعطفة وبين ان ذلك مع السطوة بقوله عليهم قال بعض المفسرين في زمان داود عليه السلام وامددناكم اي اعنا كم
بعظمتنا باموال تستعينون بها على قتال اعدائكم وبنين اي تتقوون بهم وجعلناكم اكثر اي من عدوكم نفيرا
اي ناشئا ينفرون معكم اذا استنفرتوهم للقتال ونحوه من المهمات والظاهر انه ليس المراد بهذه المرة ما كان على يدي
داود عليه السلام لان الله تعالى يقول في هذه المرة الثانية وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وداود عليه السلام اسس
المسجد ولم يكمله انما اكمله ابنه سليمن عليه السلام من بعده والذي غر من قال ذلك ان بني اسرايل كانوا اسروا قبل داود عليه السلام
من الفلسطيين وغيرهم ثم كان خلاصهم على يده عليه السلام كما مضت الاشارة اليه في سورة البقرة قال في الزبور في
المزمور الثالث عشر من يعطي صهيون الخلاص لاسرايل اذا رد الرب سبي شعبه يتهلل يعقوب ويفرح اسرايل وفي المزمور
والاربعين اللهم انا قد سمعنا باذاننا واخبرنا اوائلنا بالاعمال التي صنعت في ايامهم الاولى فلنسبحك يا الهنا كل يوم ونشكر
اسمك الى الدهر الآن اضعفتنا واقصيتنا ولم تكن يا رب تصحب جيوشنا لكن رددتنا على اعقابنا عن اعدائنا واختطفنا
مبغضونا جعلتنا ماكلة كالغنم وبددتنا بين الشعوب بعت شعبك بلا ثمن اقللت كثرة عددهم صيرتنا عارا في جيرتنا هزوا
وطنزا لمن حولنا صرنا مثلا في الشعوب وهزا للروس في اليوم خزيي بين يدي النهار كله الخزي غطى وجهي من صوت
المعير لي اللهم ان هذا كله قد نالنا ولم ننس اسمك ولا نكثنا عهدك ولا صرفنا قلوبنا عنك عدلت بقصدنا عن سبلك
انزلتنا مجال وعرة غشيتنا بظلال الموت ولم نمسك يا رب وقال في المزمور الثامن والسبعين والذي بعده اللهم
ان الامم دخلت ميراثك ونجست هيكل قدسك جعلوا اورشليم خرابا كالمحرس وصيروا جثث عبيدك طعاما لطير السماء
ولحوم اصفيائك لوحوش الارض سفكوا دمهم كالماء حول اورشليم وليس لهم دافن صرنا عارا في جيرتنا هزوا وطنزا لمن
حولنا حتى متى تسخط يا رب دائما يشتعل مثل النار غضبك افض رجزك على الامم الذين لا يعرفونك وعلى الملوك الذين
لم يدعوا اسمك فانهم اكلوا يعقوب واخربوا ديارهم لا تذكر خطايانا الاولى بل تغشانا رافتك سريعا لانا قد تمسكنا جدا
فكن لنا معينا يا الهنا ومخلصا ونجد اسمك يا رب نجنا واغفر لنا خطايانا لاجل اسمك الكريم لئلا تقول الامم اين الههم
عند ذلك تعلم الشعوب وتنظر عيوننا انتقام دماء عبيدك المسفوكة وليدخل اليك تنهد الاسارى وكمثل عظمة ذراعك
انقذ بني المقتولين جاز جيراننا في حضنهم للواحد سبعة بالعار الذي عيروك به يا رب نحن شعبك وغنم رعيتك نشكرك
الى الابد ونخبر بتسابيحك من جيل الى جيل انصت يا راعي اسرايل الذي هدي يوسف كالخروف انظر ايتها الجالس على
الكروبين استعلن قدام افرام وبنيامين ومنشا واظهر جبروتك وتعال لخلاصنا اللهم ايتل واشرق وجهك علينا
وخلصنا اللهم ربنا القوي حتى متى تسخط على صلاة عبدك ويطعمهم الخبز بدموعهم وتسقيهم الدموع باكيل جعلتنا عارا
لجيراننا واستهزاء لاعدائنا اللهم رب القوات ايتل بنا واشرق وجهك علينا وخلصنا انت نقلت الكرمة من مصر طردت
الشعوب وغرستها نهلت طريقا امامها فكنت اصولها امتلات الارض منها ظلل الجبال ظلها واغصانها على ارزاسه كذلك
امتدت عروقها الى البحر والى الانهار فروعها انك هدمت سياجها وقطفها كل عابري السبيل خنزير الغاب افسدها
وحيوان الوحش رعاها اللهم رب القوات اعطف علينا واطلع من السماء وانظر وتعاهد هذه الكرمة واصلح الغرس الذي

غرستْهُ يمينك وابن الانسان الذي قويته ولتهلل الذين احرقوها بالنار برجزك ولتكن يدك على رجل يمينك وابن الانسان
اصطفيته لك لا تبعدنا منك وانقذنا لنمجد اسمك اللهم رب القوات اعطف علينا واشرق وجهك علينا وخلصنا وفي
الرابع والثمانين رضيت يرب عن ارضك ورددت سبي يعقوب غفرت ذنوب شعبك سترت جميع خطاياهم سكنت كل
رجزك ورددت شدة غضبك وفي الثامن والثمانين قدوس اسرايل ملكنا بالوحي كلمت بنيك وقلت اني جعلت عونا
للقوي رفعت مختارا من شعبي ووجدت داود عبدي مسحته بدهن قدسي يدي اعانته وذراعي قوته عدوه لا يضره وابن
الخطيئة لا يذله قطعت اعداه من بين يديه ولمبغضيه قهرت امانتي ورحمتي معه وباسمي يرتفع قرنه جعلت في البحار
طريقه وفي الانهار يمينه هو يدعوني انت الاهي ناصري وخلاصي وانا اجعله بكرا رفيعا على جميع ملوك الارض واحفظ عليه
رحمتي الى الابد ثم قال وانت رفضت واقصيت مسيحك ونقضت عهد عبدك في الارض ودنست قدسه وهدمت جميع سياجه
وكل حصونه اخفت اختطفه عابروا السبيل صار عارا في جيرته رفعت يمين اعدايه فرحت جميع مبغضيه رددت نصرة سيفه
لم تعنه في الحرب ابطلت شجاعته طرحت في الارض كرسيه صغرت ايام سنيه صببت حزنا عليه فحتى متى تسخط يرب الى الابد
يتقد مثل النار رجزك اذكر خلقك لي فانك لم تخلق الانسان باطلا من هو الانسان الذي يعيش ولا يعاين الموت او ينجي نفسه
من الجحيم اللهم اين رحمتك القديمة التي حلفت بحقك لداود عليها اللهم ان اعداك غيروا اثار مسيحك تبارك الرب الى الابد
يكون يكون وفي الخامس بعد المايه خلصنا يا الهنا واجمعنا من الامم لنشكر اسمك القدوس ونفتخر بتسبيحك تبارك الرب
اله اسرايل من الان والى الابد يقول جميع الشعب يكون يكون وفي الخامس والعشرين بعد المايه اذا رد الرب سبي صهيون
صرنا كالمتغربين حينيذ تمتلي افواهنا فرحا والسنتنا تهليلا هناك يقال في الامم قد اكثر الرب الصنيع الى هولاء اكثر
الرب الصنيع الينا فصرنا فرحين يرب اردد سبينا كاودية اليمن الذين يزرعون بالدموع ويحصدون بالفرح كانوا
ينطلقون يبذرون زرعهم باكين ويأتون مقبلين بالتهليل حاملين غلاتهم وفي الثالث والثلثين بعد المايه على انهار بابل
جلسنا هناك وبكينا حين ذكرنا صهيون وعلقنا قيثاراتنا على الصفصاف الذي في وسطها لان الذين سبونا سالونا هناك
قول التمجيد والذين انطلقوا قالوا سبحوا لنا من تسابيح صهيون كيف نسبح لكم من تسابيح الرب في ارض غريبة ان نسيتك
يا يروشليم فتنساني يميني ويلصق لساني بحنكي ان لم اذكرك وان لم اسبق واصعد الى يروشليم في ابتداء فرحي اذكر يرب بني ادوم
في يوم اورشليم القايلون اهدموا اهدموا الى الاساس يا ابنة بابل الشقية طوبى لمن يجازيك جزا صنيعك بنا طوبى لمن اخذ
اطفالك وضرب بهم الصخرة وهذا الذي في هذا المزمور ايذان بما يحل بهم من بختنصر وقد تقدم غير مرة ان ما كان فيما ينقل
من هذه الكتب القديمة من لفظه توهم نقصا كالاب ونحوه فانها على تقدير صحتها عنهم لا يجوز اطلاقها في شرعنا والظاهر
ان هذه الادلة المذكورة في القران في هذه المرة هي الكرة التي كانت في ايام عزير عليه السلام على يد كورش ملك الفرس كما
سياتي ان شا الله تعالى وان الذين كانوا قهروهم اولاهم اجناد بختنصر كما تقدم ففي سفر انبياء بني اسرايل الذين كانوا بعد
موسى عليه السلام ان الله تعالى اوحى الى ارميا بن حلقيا بن الاحبار الذين كانوا في عناثوث في ارض بنيامين على عهد يوشيا
ملك يهودا في السنة الثالثة عشرة من ملكه يتوعدهم بانهم ان لم يرجعوا عما احدثوا من الضلالات سلط عليهم ملك بابل ولم
يزل يحذرهم مثل ذلك ويخبرهم بما يحصل لهم من الشر بذنوبهم الى ان تمت ايام يواكيم بن يوشيا وفي احدى عشرة سنة
لصديقيا بن يوشيا الى يوم سبيت اورشليم في الشهر الخامس وهو شهر اب وكان يخبرهم بان ملك بابل ياسر صديقيا ملك
اليهود ويسوقه مع الاسرى الى بابل ويستمرون في اسرهم سبعين سنة ثم يردهم الله الى بيت المقدس قال ارميا عليه
السلام ان الله قال لي من قبل ان اصورك في البطن عرفتك وخصصتك لي نبيا من قبل ان تخرج من الرحم وجعلتك نبيا
للشعوب فقلت اطلب اليك يرب والهي ان يعفيني لاني لست اعلم ان انطق لاني حدث فقال لي الرب لا تقل اني حدث لانك
تتوجه الى كل ما ارسلك فيه وتجمع ما امرك به من القول فاده ولا تخف لاني انا معك انقذك من كل افة وان الرب مد يده
وقربها الى فيّ وقال لي الرب قد صيرت اقوالي فيك فاعلم اني قد سلطتك اليوم على جميع مملكات الامم لتهدم وتنقض وتهلك
وتستاصل وتبكت وتتنبا وتقدسني ثم اوحى الي الرب وقال لي ما الذي رايت يا ارميا فقلت رايت غصنا من شجر اللوز
فقال لي الرب ما احسن ما رايت لاني معجل فصل اقوالي ثم اوحى الي الرب ثانية ما الذي رايت فقلت رايت منجلا منصوبا
ووجهه الى ناحية الجربيا اي الشمال فقال لي الرب من ناحية الجربيا ينفتح الشر وينزل في جميع الارض الذي ليهودا هانا
مرسلك ان تدعوا جميع عشاير مملكات الجربي بقول الرب فياتون ويلقي كل رجل منهم كرسيه في مدخل ابواب اورشليم
ويحوطون بسورها كما يدور وتجمع قرى يهودا وانتقم منهم باحكامي وقضاي من اجل جميع شرورهم وبسوء اعمالهم
لانهم اجتنبوني وبخروا لالهة غريبة بالبخور وسجدوا لصنعة ايديهم فاما انت فشد على ظهرك وقم فقل عليهم جميع
الاقوال التي امرك بها ولا تخفهم ولا تحابهم لئلا اكسرك بين ايديهم واذلك وقد جعلتك اليوم كالقرية العزيزة الممتنعة
ومثل قضيب من حديد وصيرتك مثل سور من نحاس على الارض كلها وعلى جميع ملوك يهودا وعلى عظمايهم وعلى احبارهم وابايهم
وعلى جميع شعب الارض فان جاهدوك لم يقهروك لاني معك وانا منقذك منهم ولم يزل يقوم فيهم بمثل هذا من كلام في غاية
البلاغة والرقة بحيث يفتت الاكباد ويصدع القلوب ويفيض العيون نحو اربع كراريس ولولا خوف الملالة وكراهة الاحالة
لاتيت بكثير منه وكان المتنبيون الكذبة يقومون فيهم بخلاف ذلك مما يؤمنهم الى ان ضربوا ارميا ليترك عنهم مثل ذلك فلم يكن

يستطيع تركه وقال لشخص من المتنبئين اسمه حنينا ان الرب لم يرسلك وانت وكلت هذا الشعب على الزور من اجل
هذا يقول الرب هوذا اطرحك عن وجه الارض وفي هذا السنة تموت لانك تكلمت بالاثم قدام الرب فمات حنينا النبي
الكذاب في تلك السنة في الشهر السابع ثم زاد تحذير ارميا لهم الى ان حبسوه ثم ان الله تعالى امره ان يكتب لهم ما يوحيه اليه
في صحيفة ويرسلها اليهم فدعا يا روح بن باريا الكاتب وامره بكتابة ما انطقه به الرب وقال له هانا محبوس ولست
استطيع ان ادخل بيت الرب فخذ هذه الصحيفة وادخل انت الى بيت الرب في يوم الصوم واقراها عليهم فانها كلام الرب
لعلهم يرجعون عن طريقة السوء ويكف الرب عن الشر الذي قاله عليهم لانه عظيم الرجز والغضب الذي يتكلم به الرب
على هذا الشعب ففعل يا روح ذلك فاخذوا الصحيفة من يده واوصلوها الى الملك يواقيم بن يوشيا فشققها واحرقها
بالنار فامره الله ان يكتب صحيفة اخرى مثلها ويزيد ما يامر الله به ومنه ان يواقيم ملك يهودا لا يكون له من يجلس على كرسي
داود عليه السلام وجيفته تكون مطروحة في السموم بالنهار وفي الجليد بالليل وامر به وبذريته وبعبيده واتى على
اورشليم وعلى كل سكانها وعلى بيت يهودا بكل الشر الذي قلت عليهم لانهم لم يسمعوا صوتي ولما ملك صاديقيا على اليهود
وكانت السنة العاشرة من ملكه وهي الثامنة عشرة لبخت ناصر ملك بابل احاطت جيوش ملك بابل باورشليم وكان ارميا
النبي محبوسا في دار حرس الملك حبسه فيها صاديقيا ملك يهودا وقال له ما لك تتنبا وتقول هكذا يقول الرب هوذا
ادفع هذه القرية وصديقيا ملك يهودا في يدي ملك بابل ويضبطها ولا ينجوا من ايدي الكلدانيين لان الرب دفاع
يدفعه في يدي ملك بابل ويكلمه فمه لفمه وعيناه الى عينيه وينطلق به الى بابل فاوحى الله الى ارميا وهو محبوس فقال
يقول الرب هوذا ادفع هذه القرية الى ملك بابل فيحرقها بالنار وانت فلا تفلت من يديه ولكنك اخذا توخذ وتدفع
اليه وعيناك الى عينيه تنظر وفمك الى فمه يكلم والى بابل تذهب ولكن اسمع يا صديقيا ملك يهودا قول الرب ان
هكذا يقول الرب عليك انك لست تموت بالحرب ولكنك موت سلامة تموت وكالذي ناحوا على ابائك الملوك الاولين
الذين كانوا قبلك ينوحون عليك ويقولون واسيداه لان هذا القول الذي تكلمت به قاله الرب هذا كله واجناد ملك
بابل تحاصر اورشليم وتقاتلها ثم ان صديقيا ارسل الى فرعون بمصر يستنجد به فخرج جنده فلما سمع بهم الكلدانيون
انصرفوا عن اورشليم وحل قول الرب على ارميا ان هكذا يقول الرب اله اسرايل لملك يهودا الذي بعث الى جند فرعون
ليعينوه هوذا الان جند فرعون يرجعون الى ارض مصر ويرجع الكلدانيون ويقاتلون هذه القرية ويحتوون عليها
ويحرقونها بالنار هكذا يقول الرب لا تظنوا في انفسكم ان الكلدانيين الذين انصرفوا عنكم ليس يرجعون بل انهم يرجعون
ويحرقون القرية بالنار ثم ان اليهود اتهموا ارميا بانه يريد ان يفر الى الكلدانيين فجلدوه وطرحوه في السجن
في الجب فاخرجه الملك صديقيا وساله في البيت سرا عن قول الرب فقال له في يد ملك بابل تدفع وقال له ماذا اخطات
اليك والى عبيدك والى هذا الشعب اذ طرحتموني في السجن واين الذين كانوا يتنبأون لكم انه لا ياتي عليكم ملك بابل
ولا على هذه الارض فرده الى السجن ولم ينزله الى الجب لانه كان لا يقدر على مخالفة اشراف مملكته ثم قال ارميا هكذا
يقول الرب من يسكن هذه القرية بالحرب فبالجوع والموتان يذهب فاما من يخرج الى الكلدانيين فانه يحيي نفسه ويعيش
هكذا يقول الرب فقال الاشراف تقتل هذا الرجل لان يسقط ايادي المقاتلة الذين بقوا في القرية وايادي الشعب
اذ قال هذا الكلام فقال الملك صديقيا هوذا منذ وقع في ايديكم لا يستطيع ان يغير هذا الكلام ولم يكن الملك يقدر يقول
لهم شيا فاخذوا ارميا وطرحوه في جب امليخيا بن الملك في دار السجن والجب لم يكن فيه ماء ولكن حماه فغرق ارميا
في الحماة وسمع عبد للملك حبشي وكان رجلا مومنا فقال للملك يا سيدي بئس ما صنع هولاء القوم بالنبي اذ طرحوه
في جب وهوذا يموت فقال الملك خذ معك من ههنا ثلثين رجلا وانطلقوا اصعدوا ارميا من الجب قبل ان يموت وان
عبد الملك اخذ رجالا ودخل الى الخزانة التي اسفل بيت الملك واخذ من ثم خلقانا فسبسبها الى ارميا بالحبل وقال
له خذ هذه الخلقان واجعلها تحت ابطيك لئلا يعقرك الحبل ففعل ارميا كذلك واصعدوه من الجب واجلسوه في
دار السجن وارسل الملك فادخل ارميا اليه وجعله في داخل ثلثة ابيات مخدع داخل مخدع وقال له اني اسئلك
ان لا تكتمني شيا قال ارميا لصديقيا اني اخاف ان تقتلني وان انا اشرت عليك لم تطعني فقال صديقيا حي هو الرب الذي
خلقني اني لا اقتلك ولا ادفعك الى الناس الذين يريدون نفسك فقال ارميا هكذا يقول الرب اله اسرايل لئن انت
خرجت الى اشراف ملك بابل لتحيين نفسك وهذه القرية تسلم ولا تحرق بالنار وتعيش انت وبنوك وان انت لم تخرج
اليهم فستدفع هذه القرية الى الكلدانيين ويحرقونها بالنار وانت فلا تنجوا من ايديهم فقال الملك لارميا اني
اخشى من اليهود ان اخرج الى الكلدانيين فلعلهم يدفعوني في ايديهم ويهزاون بي قال ارميا انهم ليس يدفعونك في
ايديهم اسمع الى كلمة الرب لمنفعتك لتحيي نفسك وحل على ارميا قول الرب اذ كان محبوسا في دار الحرس انطلق فقل
للعبد الحبشي الذي للملك هكذا يقول الرب القوي اله اسرايل هوذا اتي على هذه القرية بالشر ويكونون قدامك في
ذلك اليوم وانجيك قال الرب ولا تدفع في يدي القوم الذين لا يخشون الله ولا تخشى تسقط في الحرب ولكنك تنجوا
بنفسك لانك توكلت على ما قال لك الرب وجلس ارميا في دار السجن حتى اليوم الذي اخذ فيه الكلدانيون اورشليم
في السنة التاسعة لصديقيا ملك يهودا في الشهر العاشر وفي تسعة من الشهر اتى بختناصر ملك بابل في كل من اجناده الى

اورشليم وحلوا عليها وفي احدي عشرة سنة لصدقيا في الشهر الخامس اشتملت القرية فاتي كل اشراف ملك بابل الي الباب
الاوسط فلما راي صدقيا انهم قد جلسوا في الباب الاوسط وقد هرب المقاتلة وخرجوا في الليل خرج الملك ايضا من
الباب الذي بين السورين في طريق بستان فلما صاروا الي الصحرا طلبه جند الكلدانيين علي الاثر فادركوه في صحرا اريحا
وافترق عنه اجناده فسافقوه حتي اصعدوه الي نبوخذ ناصر ملك بابل في ديلاب من ارض حماث وذبح ملك بابل بني صدقيا
وكل اشراف يهودا امامي عيني صدقيا واوثقه في السلاسل لكي يذهب به الي بابل واحرق بيت الملك وبيوت الشعب
بالنار واستاصل السور المحيط باورشليم وكذا بقية الشعب الذين بقوا في القرية والذين هربوا اليه سابقا ودفعهم
الي وارزة ان صاحب شرطته فانطلق بهم الي بابل وساكني الشعب الذين ليس لهم شيا وكلم في ارض يهودا واستعمل
عليهم احيقام بن شافان وامر نبوخذ ناصر صاحب شرطته ان ياخذ ارميا وقال لتكن عينك عليه ولا تفعل به باسا وما
قال لك من شي فافعله فارسل اي ارميا فاخذوه من دار الحبس ودفعه الي اجدليا بن احيقام بن شافان ليرده الي بيته
وقال وارزة ان صاحب الشرطة لارميا الاهك الذي قال هذا الشر علي هذه البلدة وفعل كالذي قال لانكم اخطاتم
للرب ولم تسمعوا صوته فاتزل بكم هذا الامر واما انت فها انا ذا قد حللتك من السلاسل التي كانت في يديك فان شيت ان
تاتي معي الي بابل وان شيت فاقم فهذه الارض في يديك كلها حيث ما كان خيرا لك وحيث يحسن في عينيك فانطلق اليه
واما فاجلس عند احيقام بن شافان الذي سلطه نبوخذ ناصر في يهودا واعطاه صاحب الشرطة مواهب في الطريق وسرحه
بسلام فاتي ارميا الي اجدليا بن احيقام الي مسفيا وجلس عنده مع الشعب الذين خلفهم ملك بابل في الارض هذا ما دل علي
اول الباس الشديد الذي سلطهم الله عليهم واما ما دل علي رحمة الله لهم ففي تاريخ يوسف بن كريون ان الروم لما بلغهم
ان نبوخذ ناصر ملك بابل فتح مدينة بيت المقدس اراد خوفهم من الكلدانيين فارسلوا الي نبوخذ نصر رسلا وهدايا وطلبوا
منه الامان والمسالمة فامنهم وعاهدهم علي طاعته وموالاته فاطمانوا وامنوا وانقطعت عنهم تلك الحروب الي زمان دارا الملك
وكان سبب الحروب بين الروم وبين الكلدانيين ان الكلدانيين كانوا يعادون اليونانيين فاعان الروم اليونانيين
فغضب الكلدانيون من ذلك فحاربوا اهل رومية واتصلت الحروب بينهم الي هذا الحد فلما انتقذ الله العزيز العليم
علي الكلدانيين طول تجبرهم وحكم بزوال ملكهم وانقضاء دولتهم كما اخبرت به الانبيا عليهم السلام اثار عليهم من ملوك الامم
ملكين عظيمين احدهما دارا الملك ماداي والاخر كورش ملك الفرس فتزوج كورش ملك الفرس بنت دارا واتفقا علي
معصية الكلدانيين واظهر الخلاف علي بلتشصار بن نبوخذ ناصر ملكهم ثم سارا الي بابل في عساكر قوية فارسل اليهم
بلتشصر عسكرا كثيرا فجرت بينهم حرب عظيمة قتل فيها من الفريقين خلق كثير ثم انهزم عسكر بلتشصر وهربوا فتبعهم
كورش ودارا الي مسيرة يوم عن بابل وقتلا كثيرا منهم واقام دارا وكورش في ذلك الموضع ثم ان بلتشصر بعث اليهما
بالف قايد من قواده ومعه جميع خاصته وجابرته فخرجوا من بابل آخر النهار وساروا ليلتهم فانتهوا الي عسكر دارا
وكورش عند الصباح فكبسوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة فانهزم دارا وثبت كورش مع اصحابه فعامل الكلدانيين وعلم
ان يتبعوا عسكر دارا واقامت الحرب بينهم طول النهار ثم استظهر الكلدانيون علي الفرس وقتلوا جماعة منهم فانفرد
الفرس وعاد قواد بلتشصار اليه ظافرين غانمين فعظم سرور بلتشصار بذلك وصنع لقواده صنيعا عظيما افضل
فيه واحضر الآلات الحسنة من الفضة والذهب وباشر في اكرامهم وحضر معهم مجلس الشراب فاكل وشرب وعظم سرورهم
وسروره فلما اخذ الشراب منه اراد ان يزيد في اكرامه اصحابه وسرورهم فامر باحضار الآت الذهب والفضة التي
كان جده نبوخذ ناصر الملك قد اخذها من هيكل بيت المقدس ونقلها مع جاليه بني اسرايل الي بابل فاحضرت تلك الآلات
بحضرة بلتشصر فشرب فيها الخمر وسقي بها قواده ونساءه وجواريه واقبلوا يستجيزون لاصنامهم ويحمدونها قال
فسخط الله سبحانه من ذلك وكره ما فعله بلتشصار من ابتذال الآت القدس ولم يخف من الله ولم ينكره علي ما ظفره
باعدايه فارسل ملاكا وامره ان يكتب بحضرة بلتشصار الفاظا باحمر تتضمن ذكر ما حكم الله به عليه وعلي مملكته محل الملاك
بامر الله عز وجل وكتب الالفاظ علي حايط المجلس مقابل المنارة وكان يري اصابع الملاك وهي تكتب وما راي بقية
شخصه وكانت تلك الاصابع شديدة الابهاء والنور فلما راها دهل ولحقه رعب شديد وفزع وارتعد جميع جسمه
رعدة شديدة ورعب جميع جنده ولم يفهم تلك الكتابة ولا وجد في اصحابه من يقراوها الا ان الخط كان كلدانيا وكان
اللقط عبرانيا فامر باحضار دانيال النبي عليه السلام فقراها وفسرها وقال ايها الملك اخطات خطاء عظيما
بابتذالك الآت قدس اصابيري جندك وجواريك فنجسوها ولذلك سخط الله وارسل ملاكه حتي كتب هذه
الالفاظ ليعلمك ما يريد ان يفعله فاما هذه الالفاظ المكتوبة فهي حسب ووزن ونقل وتفسيرها اي ما حسب
مدة دولتكم التي جعلها لكم فوجدها قد انقضت وانتهت ولم يبق منها شي ووزنك في الميزان فوجدك ناقصا
يريد انه جربك بالاحسان اليك والنظر باعدايك فوجدك غير شاكر لاحسانه ولم تحمده بل سبحت الاصنام واما
تفسير نقل فان الله قد قضي وحكم بزوال الملك عنك ونقله الي كورش ودارا قال فلما سمع بلتشصار ما قال دانيال
اورد خوفه وفزعه وامتلا قواده ايضا وفزعوا فزعا شديدا وانصرفوا الي منازلهم وهم خايفون فلما نام
بلتشصر في تلك الليلة جا اليه خادم من خدمه فقتله علي فراشه واخذ راسه ومضي الي دارا وكورش واخبرهما بخبر

بلتشصار

بلتشصار وما فعل من ابتذال آنية القدس وخبر الكتابة التي كتبها الملاك قدامه وتفسير دانيال لها وما اخبره به من
انقضاء ملكه وانتقال دولته الى ملوك مادي وفارس بسبب ابتذاله آنية القدس فلما سمع دارا وكورش ما اخبرهما به
ونظر اراس بلتشصار شكرا الله عز وجل واعترفا بقدرته واكثرا تسبيحه وتمجيده ونذر كورش انه يبني بيت الله باورشليم
ويرد تلك الآنية ويطلق جالية اليهود ان يرجعوا الى بلادهم ثم سار كورش ودارا من مواضعهما ودخلا بابل وقتلا جميع اهلها
باشد القتل واعظم العذاب فتم عند ذلك ما اخبرت به الانبيا عليهم الصلوة والسلام من انتقام الله تعالى من الكسدانيين
واهل بابل ومجازاتهم بما فعلوا بامته وقدسه ثم اقتسم دارا وكورش مملكة الكسدانيين فاخذ دارا مدينة بابل واعمالها
وتسلم قصر بلتشصار وجلس على سريره واخذ كورش جميع مملكة الكسدانيين التي هي غير بابل واعمالها واستقر الامر بينهما على
ذلك وكان دارا في ذلك الوقت شيخا فلم تطل مدته فلما مات اتفق عظما مادي وفارس على ان ملكوا عليهم كورش ومنذ ذلك
الوقت صار ملك مادي وفارس واحدا وبقي الامر على ذلك ولم يتغير ولما تسلم كورش مملكة الكسدانيين وجلس على كرسي بابل
وملك على مادي وفارس حركه الله تعالى في السنة الاولى من ملكه فذكر نذره الذي كان قد نذر انه يطلق لجالية بني اسرايل
الرجوع الى بلدهم وانه يبني قدس الله ويرد الآته اليه فامر باحضار شيوخ الجالية وكبرايهم فاخبرهم بما قد عزم عليه من بناء
بيت المقدس واطلاقهم وقال لهم من اختار من جالية اليهود ان يمضي الى مدينة القدس لبناء الهيكل الذي اخربه بختنصر فليمض
ويستعن بالله عز وجل فانه يعينه وانا كورش عبد الاله العظيم اطلق من خزايني جميع ما يحتاج اليه من المال والعدد لعمارة
بيت الرب الذي ظفرني بالكسدانيين واعطاني ملكهم قال فلما سمع شيوخ الجالية مقالة كورش عظم سرورهم بذلك وشكروا
الله عز وجل على احسانه وطلعوا الى مدينة بيت المقدس ومعهم جماعة كثيرة ومعهم عزرا الكاهن عليه السلام وتخميا ومردخاي
ويسوع وساير روسا الجالية ومقدميهم فبنوا بيت الله على المقدار الذي رسم لهم كورش وبنوا المذبح على واجبه وحدوده
وقربوا القرابين على واجبها وكان كورش يطلق لهم في كل سنة ما يحتاجون اليه لخدمة بيت الله من المال والحنطة والزيت
والخمر والغنم والبقر واطلق لهم مالا كثيرا ولم يزل الامر يجري على ذلك طول مملكة الفرس قال ثم عظم امر كورش وبسط الله
يده على جميع الامم والممالك وفتح له الحصون المنيعة واعطاه كنوز الارض وذخايرها ولم يزل مقبلا مظفرا حيث ما توجه
كما اخبر الله على يد شعيا النبي عليه السلام انه يفعل ذلك لكورش من اجل احسانه الى بني اسرايل قال في سفر الانبيا في
نبوة اشعيا بن اموص هكذا يقول الرب انا الذي ابطل آيات العرافين واصير كل تعريفهم جهلا وارد الحكما الى خلفهم واعرف
اعمالهم للناس واثبت كلمة عبيدي واتمم قول رسلي لانه قال لاورشليم انها تعمر ولقرى يهودا انها تبنى وتعمر خراباتها ويقول
للغور ان يخرب وتيبس انهاره ويقول لكورش ارع لتتم ارادتي وتامر ببنا اورشليم وتقيم هياكلها هكذا يقول الرب لمسيحه
وكورش الذي اخذه بيمينه لتخضع له الشعوب ويظهر على الملوك ابدا افتح الابواب بين يديه ولا تغلق الابواب امامه انا اسير
قدامه واسهل له العسر اكسر ابواب النحاس واحطم امخال الحديد واعطيه الذخاير التي في الظلمات والاشيا المطمورة المستورة
ليعلم اني انا الرب الذي دعوته قبل مولده اله اسرايل من اجل عبدي يعقوب واسرايل صفيي دعوتك باسمك وكنيتك من قبل
ان تعرفني انا انا الرب ولا اله غيري انتهى ما في سفر الانبيا ولم يزل كورش يحسن الى بني اسرايل حتى مات وملك ابنه بعده
تمكيشه وانفذ ما كان صنعه ابوه من البر الى اليهود واطلاق الاموال الكثيرة لهم تعظيما لبيت الله وكان من بعده من ملوك
الفرس على ذلك ويطلقون ما كان كورش يطلقه للقرابين وغيرها ويجلون بيت الله ويعظمونه ويتبركون به حتى كان اخشويرش
وهو ازدشير الملك فتغيرت حال اليهود في زمانه بسبب وزير استوزره من العماليق يسمى هامان ثم ان الله عطفه عليهم بسبب
زوجة له من اليهود ولم يزل امرهم مستقيما وهم تحت طاعة الفرس الى ان ملك الاسكندر الثاني قال ابن كثير في سورة
الكهف وهو الذي يورخ له من مملكة الروم وقد كان قبل المسيح بنحو من ثلاثماية سنة انتهى وهو الماقيدوني اليوناني الرومي
ملك بعد قتل ابيه فيليفوس وكان عمره حين ملك عشرين سنة وكان حكيما عارفا بساير العلوم وكان الذي علمه الحكمة ارسطوطاليس
الحكيم وكان الاسكندر يشاوره في اموره ويرجع الى رايه ويتدرب بتدبيره ولم يكن يشبه اباه ولا امه وكان وجهه كوجه الاسد
وعيناه مختلفتين اليمنى سودا تنظر الى اسفل واليسرى صافية اللون كعين السنور تنظر الى فوق واسنانه دقيقة حادة
كاسنان الكلب وكان شجاعا جريئا مقداما من صباه فلما فتح بلاد المغرب ورجع منها قصد بلاد الشام وتوجه الى بيت المقدس
فلقيه ملاك الرب فامره ان يعظم القدس واهلها ففعل ثم قصد دارا الثاني ملك الفرس فلما حاذى نابلس خرج اليه سنبلاط
السامري صاحبها وحمل اليه اموالا كثيرة وهدايا ثم سار الى دارا فقتله ثم الى ملك الهند فكذلك ثم الى مطلع الشمس ثم احب
ان يرى اطراف الارض فضرب فيها وراى من الامم والعجايب ما هو مذكور في سيره ورجع فمات ببابل ثم كان امر اليهود تارة
وتارة وهم تحت حكم اليونان الذين ملكوا بعد الاسكندر ثم غلب الروم فكان اليهود تحت ايديهم وكانوا يقومون ويقعدون
تارة وتارة الى ان كثرت فيهم الاحداث وعظمت المصايب والفتن وعم الفساد وكثرت فيهم الخوارج واتصل القتل والنهب
والغارات وقتلوا زكريا ويحيى ابنه عليهما الصلوة والسلام واطبقوا على ارادة قتل المسيح بن مريم عليه السلام فرفعه الله
تعالى اليه ثم سلط عليهم طيطوش قيصر فاهلكهم واخرب البيت الخراب الثاني كما سياتي ثم لم يقم لليهود امر الى الآن فلما ثبت
بكون ما توعد به سبحانه في اوقاته كما اخبر به بطشه وحلمه فثبتت قدرته وعلمه اشار الى ان من سبب اذلاله لمن يريد
به الخير المعصية وسبب اعزازه الطاعة فقال ان احسنتم اي بفعل الطاعة على حسب الامر في الكتاب الداعي الى العدل

والاحسان احسنتم لانفسكم فان ذلك يوجب كونى معكم فاكسبكم عزا في الدنيا او في الاخرة او فيهما وان اسأتم اي بارتكاب المحرمات والافساد فلها الاساءة وذكرها باللام تنبيها على انها اهل لزيادة النفرة لان كل احد ينظر من نسبتها اليه باي عبارة كانت فانا تطيع العبارة المحبوبة فكيف يكون حاله مع غيرها ولما انتهزت فرصة الترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية عطف الوعيد الثاني بالفاء اشارة الى انه بعد نصر بني اسرايل على اهل المرة الاولى ولعلها ايضا موذنة بقرب مدتها من مدة الاداله فقال فاذا جاء اي اتى اتيانا هو كالمجاء اليه قسرا على خلاف ما يريده الاتي اليه وعد الاخرة اي وقته فاستاهلتم البلا لما افسدتم واحدثتم من البلايا التي اعظمها قتل زكريا ويحيى عليهما السلام والعزم على قتل عيسى عليه السلام ليسوؤا اي بعثنا عليكم عبادا لنا ليسوؤا وجوهكم اي بجعل اثار المساءة بادية فيها وحذف متعلق اللام لدلالة الاول عليه وليدخلوا المسجد اي الاقصى اي سقناكم اليه من بصر في تلك المدد الطوال واعطيناكم بلاده بالتدريج وجلناه محل امنكم وعزكم ثم جلناه محلا لكم لم اشرفى خلقنا بالاسراء به اليه وجمع ارواح النبيين كلهم فيه وصلاتهم ثم وهذا تعريض بالتهديد لقريش بانهم ان لم يرجعوا ابدل امنهم في الحرم خوفا وعزهم ذلا فادخل عليهم جنودا لا قبل لهم بها وقد فعل ذلك عام الفتح لكنه فعل اكرام لا اهانة ببركة هذا النبي عليه الصلوة والسلام كما دخلوه اي الاعداء اول مرة بالسيف ويتبروا جميع جنودهم دفعة واحدة وليتبروا اي ليهلكوا ويدمروا مع التقطيع والتفريق ما علوا اي عليه من ذلك وقيل ما مصدرية اي مدة علوهم فيكون يتبروا قاصرا فيعظم مدلوله واكد الفعل وحقق الوعد فقال تتبيرا وقال في التورية اشارة الى هذه المرة الاخيرة والله اعلم بعد ما مضى من الاشارة الى المرة الاولى سواء وان لم تحفظ وتعمل بجميع الوصايا والسنن التي كتبت في هذا الكتاب وتتقي الله ربك وتهاب اسمه المجيد المرهوب تحتك الرب بضربات موجعة ويبتليك بها ويبتلي نسلك من بعدك وينزل بك جميع الضربات التي انزلها باهل مصر وتدوم عليك وكل وجع وكل ضربة لم تكتب في هذا الكتاب يبتليك اسرها حتى تهلك وتبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التي كانت قد صارت مثل نجوم السماء لانك لم تسمع قول الله ربك فتكون كما فرح الرب وانتم عليكم وكثركم يسأصلكم بالعقاب والنكال ويدمر عليكم ويتلفكم وتحلون عن الارض التي تدخلون لترثوها ويفرقكم الرب بين جميع الشعوب من اقطار السماء الى اقطارها وتعبدون هناك الالهة الاخرى التي عملت من الحجارة والخشب لم تعرفوها انتم ولا اباؤكم ولا تسكنون ايضا بين تلك الشعوب ولا تكون راحة لاقدامكم ولكن يصير الله قلوبكم فزعة مرتجفة ويبتليكم بظلمة العين وسيلان الانفس وتكون حياتكم معلقة حيالكم من بعيد وتكونون فزعين الليل والنهار ولا تصدقون انكم تعيشون بالغداة تقولون متى تمسي وبالمسي تقولون متى نصبح وذلك من فزع قلوبكم وخوفكم ومن ظلمة ابصاركم وقلة حيلتكم ويردكم الله الى ارض مصر في سفن على الحال الذي قلت لكم لا تعودون ان تروها ابدا وتباعون هناك عبيدا واماء ولا يكون من يشتريكم هذه اقوال العهد التي امر الله بها موسى ان يعاهد بني اسرايل في ارض موآب سوى العهد الذي عاهدهم بحوريب انتهى وانما قلت ان هذا اشارة الى المرة الثانية لانه تكرير لذاك الذي قدمته في الاول فحمله على ان يكون مشيرا الى غير ما اشار اليه الاول اولى بل ربما كان متعينا ثم اخبرني بعض فضلاء اليهود ان علماءهم قالوا كذلك وكان الخراب في هذه المرة على يد طيطوس بعد ان تملك ابوه اسفسيانوس على الروم وخرج من الارض المقدسة بعد موت ملكهم نيروس الذي كان ارسله لقتال اليهود لما خرجوا عن طاعته وكان معه يوسف بن كريون احد اكابر اليهود وكان احد من ندب اليهود لقتال اسفسيانوس ومن معه فاسروه واحسنوا اليه فاستمر عندهم فلما مات نيروس وملكه اصحابه رجع الى رومية وبعث ابنه للفراغ من القدس وبعث يوسف معه بعد ان استمر البيت عامرا من عمارة العزير عليه السلام الى سنة وعشرين سنة ولم يدخل هذا الخراب في ايدي اليهود وكان هذا للثلاثمائة سنة وثمانين سنة من ولاية الاسكندر قال مورخهم في شرح هذا الخراب ان طيطوس كان في قيساريه فسار منها حتى انتهى الى يالوفا خذ من تقاوة عسكره ستمائة رجل وسار الى بيت المقدس ليقف على احوال المدينة وينظر الحصن ويعلم ما يحتاج الى عمله ويدبر الامر بحسب ذلك وعمل على ان يراسل اهل بيت المقدس بالجميل ويدعوهم الى المسالمة ويبذل لهم الامان فلما قرب من المدينة وجد الابواب مغلقة وليس يخرج من المدينة ولا يدخل اليها احد لما بين الخوارج من الحروب المتصلة فما وجد من خاطبه من القوم فانصرف راجعا الى عسكره قال وكان قوم من اصحاب الخوارج لما علموا بمجيء طيطوس قد خرجوا من المدينة فكمنوا له في بعض الطريق فلما اجتازهم وهو راجع احاطوا به وحالوا بينه وبين اصحابه فقاتلهم قتالا شديدا حتى خلص بعد ان اشرف على الهلاك فلم ما القوم عليه من النجدة والشر فاعد لذلك عدته لما اراد الله من خراب القدس وكان الله سبحانه وتعالى ملكه وعز سلطانه قد اظهر لبني اسرايل امورا ان دلتهم على زوال امرهم لو انهم تبصروا منها شبه كوكب كبير له نور قوي وضوء شديد كان القدس يضيء منه البلد كله طول الليل قريبا من ضوء النهار فاقام كذلك سبعة ايام مدة عيد الفسخ ففرح به الجهال واغتم العلماء ومنها ان الفهم احصروا في هذا العيد بقرة ليقربوها فولدت خروفا فاستنكر الناس ذلك ومنها ان باب القدس الشرقي كان عظيما ثقيلا لا يعالجه الا جماعة فلما كان تلك الايام كانوا يجدونه كل يوم مفتوحا من غير فاتح فيجتمع الرجال المعاندون له فيغلقونه ثم يعودون اليه فيجدونه مفتوحا فكان الجهال يفرحون والعلماء يغتمون ومنها انه ظهر على بيت قدس الاقداس في الهوا صورة وجه انسان شديد الحسن عظيم البهاء والنور ومنها انه ظهر ايضا في الجو صور ركبان من نار يطيرون في الهوا قريبا من الارض على بيت المقدس وعلى جميع ارض اليهود ومنها انه سمع الكهنة في ليلة عيد العنصرة في القدس حس جماعة كثيرة يذهبون ويجيئون في الهيكل من عيان يرونهم بل كانوا يسمعون وطئهم فقط ثم سمعوا صوتا عظيما

يقول

يقول امضوا بنا حتى نرتحل عن هذا البيت ومنها انه كان قد ظهر قبل هذا باربع سنين في المدينة رجل يمشي كالمجنون ويصيح
باعلا صوت يقول صوت من المشرق وصوت من المغرب صوت من اربع جهات الدنيا صوت على اورشلام وصوت على الهيكل وصوت
على الحصن وصوت على العروس وصوت على جميع الناس الويل على اورشلام الويل على اورشلام وكان لا يهدي من هذا الكلام
وكان الناس يبغضونه ويزجرونه ويتصورونه بالجنون فلم يزل على ذلك الى ان احاط العدو بالمدينة فابتدا في بعض الايام
يتكلم على عادته فاتاه حجر في راسه فمات ووجد في حايط قدس الاقداس حجر قديم مكتوب عليه اذا صار بنيان الهيكل مربعا
ملك على بني اسرايل ملك عظيم ويتسلط على ساير الارض فقال قوم هو ملك بني اسرايل وقال الحكما والكهنة بل ملك الروم
ووجد ايضا حجر قديم مكتوب عليه اذا كمل بنيان القدس وصار مربعا فانه عند ذلك يخرب فلما وقع الحصار وانهدم
انطونيا سدوا السور فصار الهيكل مربعا كما سياتي واعظم الامارات ما كان عليه خوارجهم من القتال وسفك دما
الخاص والعام والحريق والجوع بحيث انه احاط البلا بهم بجميع الناس ولا يجدون مهربا حتى كرهوا الحيوة ولما خلص
طيطوس من الخوارج بات في عسكره ثم سار بالليل من يالو فاصبح على بيت المقدس ونزل على راس جبل الزيتون الذي في شرقي
المدينة اورشليم ليحجز الوادي بينه وبينها ولا يخفى عليه من يخرج اليه منها ثم رتب عسكره ووصاهم بالتعاون والتظافر
واليقظة والحذر وان لا يفارق بعضهم بعضا وقال انكم تقاتلون قوما لم تقاتلوا مثلهم في الباس والشجاعة والصبر على القتال
والبصر بالحرب فلما راوه اليهود اصطلح روسا الخوارج يوحانان وشمعون والعازار على ان لا يحارب بعضهم بعضا ويتفقوا على
محاربة الروم واجتمعوا وفتحوا باب المدينة ولقوا من كان قرب من الروم فقاتلوهم واشتد الحرب فانهزم الروم فردهم
طيطوس وشجعهم فعادوا فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير وانهزم اليهود فوقفوا عند السور وبعثوا جريدة
من اصحابهم في عدد كثير من جهة اخرى فداروا من ورا عسكر الروم وزحف اوليك من امامهم فكان الروم بين العسكرين فقتل
منهم خلق كثير فانهزموا وثبت طيطوس في جمع من اصحابه فاشتد الامر حتى كاد يقتل فقال اصحابه امض الى الجبل فاختار
الموت على الهزيمة ولم يزل يقاتلهم حتى تخلص بعد ان استظهر عليه اليهود ثلاث دفعات ولما عاد اليهود الى المدينة
نقضوا عهودهم وحارب بعضهم بعضا كما كانوا لان يوحانان كان يريد الرياسة له وكان شمعون والعازار يابيان ذلك وحضر
عيد الفسح وهو الفطير فدخل يوحانان في اصحابه الى القدس في اليوم الاول فلقيهم الناس بالجميل وسروا بهم فنزعوا ما ظهر
من ثيابهم فاذا تحتها السلاح واخذوا على الناس الابواب فقتلوا خلقا كثيرا من الكهنة وغيرهم ولم يرحموا صغيرا ولا كبيرا
فقتل العازار وشمعون من كان خارج القدس من جماعة يوحانان فخرج اليهم فاشتد الامر واتصلت الحرب فلما علم طيطوس
زحف الى المدينة فقال له قوم من اليهود الذين على السور نفتح لك الباب على ان تومننا وتريحنا من هولا الخوارج فلم يثق
بهم لما ظهر له من شرهم وغدرهم وعلت الاصوات في المدينة لان بعضهم كان يريد ان يفتح لطيطوس وبعضهم يمنع وتبادروا الى
حفظ الابواب والسور فتقدم جماعة من الروم الى المدينة طمعا في ان يفتح لهم الباب فرماهم الخوارج بالحجارة والنشاب واعانهم
الذين كانوا استدعوا الروم للدخول ثم خرج جماعة من اليهود فهزموا الروم وانكوا فيهم وتبعوهم الى قرب عسكرهم وشرعوا
يهزاون بهم ويعيرونهم بالهزيمة فاراد من في العسكر ان يلاقوهم فمنعهم طيطوس واشتد غضبه على اصحابه وقال لست اعجب
من اليهود في غدرهم ولكني اعجب منكم مع بصركم بالحرب وكثرة تجاربكم كيف خدعوكم فمضيتم الى المدينة بغير امري وخالفتم
وصيتي ولذلك انهزمتم لانه لا يجوز للرعية ان تخالف امر الملك وقد علمتم ان بعض ملوكنا قتل ابنه لانه مضى الى الحرب بغير
امره فانتم مستحقون للقتل بعصياني مستوجبون لما جرى عليكم من الهزيمة فسجد اصحاب طيطوس له واعترفوا بخطايهم
وقالوا لا نعاود فامرهم ان يعدلوا ما حول المدينة من المعاثر والوهدات ويسدوا الابار ليسهل عليهم القتال ويهدم السور
ففعلوا ذلك وقطعوا كل ما حول المدينة من الشجر والنبات وكان حولها من ساير الجهات بساتين كثيرة فيها انواع الاشجار
والفواكه مسيرة اميال من كل جهة فكان اذا اقبل انسان عليها يرى احسن منظر فلم يبق الروم من ذلك شيا وكان من يعرف
تلك البساتين اذا راها بعد اتلافها يبكي ويستوحش واشتغل اليهود بخوارجهم واتفق شمعون والعازار على يوحانان
وكان قد ملك القدس ومعه ثمانية الاف واربعماية رجل من الشجعان وكان مع شمعون عشرة الاف من اليهود وخمسة الاف
من اذوم اي النصارى وكان الكهنة وجماعة من اهل المدينة مع العازار وحصل للناس بين هولا باسوا حال وكانوا
اذا استظهر الروم على المدينة اتفقوا وحاربوهم فاذا دفعوهم عادوا الى الشر فيما بينهم ثم ان طيطوس احضر كبش الحديد
وغيره من الات القتال ليهدم السور وصنع ابراجا عظيمة من الخشب توازي سور المدينة وتحتها بكر ليدفعها الرجال
وتصعد عليها المقاتلة وارسل اليهم رجلا من اصحابه يدعوهم الى المسالمة فرماه بعض من على السور فقتله واصطلح
الخوارج وخرجوا الى الروم فقاتلوهم واحرقوا الكبش وجميع تلك الالات وابعدوهم ورجعوا الى المدينة يتقاتلون
فلما علم طيطوس بذلك دفع الكبش على السور فهدم منه قطعة كبيرة فهرب من كان وراه الى السور الثاني فابعد الروم
ما سقط من حجارة السور ليتسع لهم المجال فاصطلح الخوارج وفرقوا اصحابهم على جهات المدينة واشتد القتال بينهم
وبين الروم وصدق الفريقان وتولى طيطوس الحرب بنفسه واقبل يشجع اصحابه ويعدهم بالاموال والصلات
وشجع الخوارج اصحابهم ونادى شمعون من انهزم قتل وهدم منزله فلما راى طيطوس ثبات اصحاب شمعون مال الى جهة
يوحانان ولانها معتدلة وطية واراد ان ينطح السور الثاني فناداه رجل اسمه قصطور من فوق السور اسلك يا سيدي

كبش الحديد

ان تشفق على هذه المدينة والامر يجري على ما تحب فظن طيطوس صدقه فتوقف وشرع يكلمه واطال المراجعة احتيالا
منه ليتمكن اصحابه من احراق الكبش ثم ساله ان يبعث له شخصا من اصحابه ليتفق معه فارسل اليه شخصا من وجوه الروم
فقال له اقرب حتى القي اليك مالا ثم انزل فالقى عليه صخرة فاخطاته وقتلت رجلا كان معه فغضب طيطوس ودفع
الكبش على السور الثاني فهدم منه قطعة كبيرة فاشتد اسف قصطور فقتل نفسه وتبادر اليهود فمنعوا الروم من الدخول
من الموضع الذي انثلم وحاربوهم الى ان اخرجوهم عن السور الاول وقتلوا جماعة منهم واتصلت الحرب بين الفريقين اربعة
ايام وورد على طيطوس في اليوم الرابع عسكر كبير من امم مختلفة تعينه على اليهود فخرج اليهود على عادتهم فقاتلوهم فلم
تكن لهم بهم طاقة فانهزموا ودخلوا الى الحصن الثالث فامر طيطوس برفع الحرب وكف عنهم خمسة ايام وركب في اليوم الخامس
وتقدم الى قرب السور فوجد يوحانان وشمعون واصحابهما قد خرجوا من المدينة ليحرقوا الكبش فابتداهم طيطوس بالسلام
وخاطبهم بالجميل والملاطفة وقال قد رايتم ما جرى من هدم هذين السورين وليس يتعذر هدم الثالث وقد علمتم انكم ما انتفعتم
في هذه المدة بما فعلتموه وكذلك لا تنتفعون ايضا بدوامكم على ما انتم عليه من اللجاج في مخالفتنا فارجعوا عن ذلك قبل ان اهدم
هذا السور الباقي واستبيح المدينة واخرب الهيكل ولست اختار ذلك ولا اريده فان رجعتم الى طاعتنا كنا لكم على افضل ما
عهدتموه منا ودامت لكم السلامة وزال عنكم ما انتم فيه من المكروه وامر يوسف بن كريون ان يقرب منهم ويبلغ معهم
الغاية في القول ويستدعيهم الى المسالمة ويبذل لهم من الامان والعهود ما يثقون به ويسكنون اليه فوقف قدام باب المدينة
وقال اسمعوا يا معشر بني اسرائيل ما انا مخاطبكم به فاني انما اخاطبكم بما ينفعكم ويعود بصلاحكم ان قبلتموه اعلموا ان محاربة الاعداء
ومقاومتهم قد كانت تحسن بكم حين كانت بلدانكم عامرة وعساكركم متوافرة واحوالكم مستقيمة فاما بعد ان بلغتم الى هذه الحال
من خراب البلدان وفناء الرجال وذهاب النعم واختلال الاحوال فكيف تطمعون في مقاومة هذه الامة العظيمة القوية
التي قد قهرت الممالك والامم واستولت عليهم فعلى اي شي تعتمدون فان قلتم انا نعتمد على الله عز وجل ونرجوا ان ينصرنا
كما جرت عادته مع ابائنا فيجب ان تعلموا انه هو الذي سلط عليكم هذه الامة لسوء افعالكم وكثرة ذنوبكم لانكم ارتكبتم المحارم
وسفكتم الدما ونجستم هيكل الله المقدس وقتلتم كهنته وصلحا امته ظلما فكيف ترجون من الله النصر والمعونة مع هذه
الافعال القبيحة والله لا ينصر من عصاه وان كنتم تتكلون على الحصون والعدد والعساكر فانتم تعلمون ان جميع ذلك قد ذهب
اكثره ولم يبق منه الا القليل وهذه المدينة قد هدم سوران من اسوارها ولم يبق غير واحد وانتم مجدون في هدمه وانتم
كل يوم في نقصان وضعف وعدوكم في زيادة وقوة فان دمتم على ما انتم عليه هلكتم ولم يبق منكم باقية فان قلتم انا نختار القتل على الذل
للامم وطاعتهم فقد علمتم ان ابانا واصولنا وهم السادة الذين يجب علينا ان نقتدي بهم لم يمتنعوا من مسالمة الامم الذين جاوروهم
ومداراتهم ولو كان امرا مكروها لقد كانوا اولى بكراهته منكم والمتقدمون منا اطاعوا المصريين في ازمان كثيرة وملوك الموصل
والكسدانيين والفرس ثم اليونانيين الذين جاروا عليهم واساوا اليهم وصبروا على ظلمهم لهم الى ان اذن الله بخلاصهم منهم على ايدي بني
حشمنا اي الكهنة ثم اطاعوا بعد ذلك ملوك الروم الى هذه الغاية ولم يروا ان عليهم نقصا في طاعتهم وكذاك انتم ان اطعتموهم كان
ذلك اولى بكم من ان تعرضوا انفسكم للهلاك ونعمتكم للزوال وبلدكم للخراب وتحصلوا بعد ذلك في اضعاف ما كرهتموه من الذل ولا
يعذركم في ذلك عاقل ولا يحمد رايكم على ان الروم ما زالوا محسنين اليكم كفوكم امر اعدائكم من اليونانيين وازالوا سلطانهم عنكم
واعانوكم على كثير من الامم الذين يعادونكم حتى غلبتموهم واستوليتم عليهم فانتم بطاعتهم اولى منكم بمعصيتهم وقد علمتم ان الله عز وجل
قد جعل لكل امة دولة وسلطانا سلطها فيه فاذا انقضى ذلك الزمان زالت دولتها وسلطانها فذلت لغيرها وخضعت لمن كان
يخضع لها وقد بسط الله ايديكم زمانا وسلطكم على غيركم دهرا ثم جعل الدولة والسلطان لسواكم واراد ان يذلكم لهم فمتى خالفتم مراد
الله ولم تقبلوا حكمه هلكتم وليس يشك في ان الله اراد في هذا الزمان ان يرفع الروم ويبسط ايديهم لانه قد اذل لهم الملوك وظفرهم
بالامم حتى اطاعهم من في سائر جهات الدنيا ممن هو اشد منكم باسا واكثر عددا واقوى سلطانا وكيف تطمعون في ان تغلبوهم وانتم
تشاهدون اقبالهم وقوة امرهم ومعونة الله لهم وترون انفسكم بخلاف ذلك وليس يعيب الانسان ولا ينقصه طاعته لمن هو اقوى
منه واعلى يدا لان الله عز وجل قد جعل امر الخلق في الدنيا مبنيا على ان يكون بعضهم تابعا لبعض وبعضهم قاهرا لبعض وبعضهم
محتاجا الى بعض وكل صنف يخضع لمن هو اقوى منه ويذل له ويطيعه وذلك ظاهر موجود في الناس على طبقاتهم وفي الحيوانات
على اختلافها وليس يستغني عن ذلك احد ولا يذمه عاقل واذ كان الامر كذلك فليس ينقصكم طاعة الروم ولا الروم باول من اطعتموهم
وقد تقدمت طاعتكم لهم منذ سنين وقد ابتداوكم في هذا الوقت بالجميل ودعوكم الى المسالمة وبذلوا لكم الامان وضمنوا لكم الاحسان
وظهر منهم الاشفاق عليكم وعلى مدينتكم وقدسكم فاتقوا الله وتلافوا امركم واحسنوا النظر لمن بقي منكم فارجعوا الى ما كنتم عليه من
طاعتهم لتبقوا وتتماسك احوالكم وتسلم هذه المدينة وهذا القدس الجليل قبل ان يهدم هذا الحصن الباقي فتهلكوا فصاح الخوارج
بشتم يوسف والغرية عليه ورموه بالسهام والحجارة فتباعد قليلا واغلظ لهم في الكلام وقال يا معشر العصاة اخبروني
ما الذي حملكم على قتال الروم ان كنتم تقصدون بذلك صيانة القدس عن الاعداء فانتم قد ابتذلتموه بالمعاصي ونجستموه بما
سفكتم فيه من الدماء الكثيرة ظلما وان كنتم تريدون نصرة الامة واعزازها فانتم تقتلونها بايديكم وتبالغون في ظلمها والاساءة اليها
وهل يفعل الاعداء بكم اكثر مما فعلتموه او يبلغون فيكم اكثر مما قد بلغتموه في انفسكم اخبروني متى كان من تقدم من امتنا او تاخر يغلبون
من يحاربهم ويستظهرون على اعدائهم بالعساكر والعدد دون الصلاح والتقوى وهل تخلص من تخلص من الشدائد الا بطاعة الله والدعا

له وهل كانوا يغلبون الا بنصر الله لهم ومعونته اياهم وهل كان ينصرهم الا اذا اطاعوه واتقوه فلما عصوه سلط عليهم الاعداء
ومكنهم منهم حتى قهروهم واذلوهم ولم ينتفعوا بعددهم وسلاحهم ولا قدروا على مقاومة الاعداء باسرهم وقوتهم وقد علم ان الله عز
وجل كفى الصالحين في كل زمان امر اعدائهم فمنهم من دعا الله عز وجل عند الشدايد فاستجاب له بلا حرب واظهر الايات العظيمة في معونتهم
وكفايتهم فبلغوا بذلك ما لم يكونوا يبلغون اليه بحولهم وقوتهم ومنهم من حارب الاعداء واستعان بالله عز وجل فاعانه على عدوه وظفره
به ولم ينصل الله مثل ذلك مع العصاة ليظهر فضيلة الصالحين اعتبروا يا بني ابراهيم عليه السلام لما اخذ فرعون امرأته لم يضرب
الله فرعون واهله بالبلاء العظيم حتى خضع فانكسر وردّ امرأة ابراهيم عليه السلام وبغى سليمة ثم احسن اليه واكرمه فهل قدر
ابراهيم عليه السلام على ذلك بالسيف والمحاربة او بالصلاح والدعاء الى الله عز وجل وكذلك فعل الله مع اسحق عليه السلام لما اخذ
ابيمالك ملك فلسطين امرأته وقد علم ان موسى عليه السلام لم يستظهر على فرعون وعساكر المصريين حتى هلكوا او تخلصت امة بني
اسرايل منهم بحرب ولا عدة بل بالدعاء وكفاية الله له ولما حارب عمالين بنو اسرايل هل غلبوه الا بدعاء موسى عليه السلام وصلاته
ويوشع بن نون عليه السلام لما عبر الاردن مع بني اسرايل قد كان في جمع كبير وقوة فهل فتح بيحا بالحرب او بالآية العجيبة في سقوط
الحصن ولما اخطا عاجار بما اخذه من بيحا من الغنيمة التي نهى الله عنها بنو اسرايل الم يسخط الله على الامة بسببه حتى غلبهم اهل
مدينة عاي وهم قليل فلم يقدر بنو اسرايل مع كثرتهم على مقاومتهم الى ان صلى يوشع بن نون عليه السلام ودعا الى الله عز وجل فاستجاب
الله دعاءه ونصر بني اسرايل على العاي وجدعون لما غلب عسكر مدين وعمالين مع كثرتهم هل غلبهم الا بمعونة الله له واذكروا
كيف انهزم عسكر الارمن العظيم عن سبسطيه بصلاة البسع النبي عليه السلام ودعائه وقد كان اهل المدينة اشرفوا على
الهلاك من الجوع فاوقع الله الخوف في قلوب الارمن فانهزموا بغير حرب ولا قتال وخرج اهل المدينة فغنموا عسكرهم وزال
عنهم الجوع واذكروا ما فعل الله مع بيشا الملك ويوشافاط لما ظفرهما باعدائهما بالدعاء والصلوة وقد علم ان سمسون
قبل ان يخطى كان جبارا مظفرا فلما اخطا اسره اعداؤه فصاروا ذليلا في ايديهم مثل اقل الناس واضعفهم وطحنوه بالرحا مثل
الاماء وكذلك شاؤول وفي نسخة طالوت الملك لما كان طايعا لله كان الله ينصره فلما عصاه اسلمه الله الى اعدائه فظفروا
به ولم ينتفع بعساكره وعدده واحصيا لما حارب اذوم غلبهم وظفر بهم فلما اخذ اصنامهم ونصبها في بيت المقدس سخط الله
عليه فلما حارب يوزاش ملك بني اسرايل بعد ذلك انهزم اقبح هزيمة لحذلان الله له وتركه معونته واذكروا هلاك عسكر
سنحاريب ملك الموصل العسكر العظيم بغير حرب ولا قتال بل بصلوة حزقيا الملك والانبياء عليهم السلام ودعائهم واعتبروا
بصدقيا الملك لما عصى الكلدانيين وظن انه يغلبهم بعساكره وعدته وخالف الانبياء عليهم السلام في مسالمتهم هل اتبع بذلك
وهل كانت عاقبته وعاقبة الامة الا الى الملاك فهذا وغيره مما اذكره لكم يدلكم على عناية الله بالاخيار وخذلانه للعصاة
الاشرار وساق لهم من مثل هذا كلاما كثيرا بليغا ثم رغبهم في طاعة اسفسيانوس بالخصوص مما اشتهر من حسن سيرته وقال
ولو لم تعلموا له لك الا ما عاملني به من الجميل وقد كنت استوجب منه غير ذلك لكفاكم لاني كنت اول من اجتهد في محاربته وقتلت
خلقا كثيرا من اصحابه ولقد كنت اعلم اني خالفت الصواب ولكني لما رايتكم باجمعكم قد اتفقتم على محاربتهم وبعثتموني لم اخالفكم
وبذلت المجهود في مناصحتكم وثبت في حصن بود نات اليان فبي اصحابي وغلبني الامر وما بقي لي حيلة ثم حصلت مع الروم فما آساني
الا بل احسنوا واجملوا وعفوا عني وانا سهم الى هذه الغاية على ما احب وقد كنت اجتهدت قبل حصولي معهم انا حربا لكم
فما تم لي ذلك وانا الآن احمد الله اذ لم يسهل لي ذلك فاني لو كنت معكم لكنت اما ان اشاركم في اثامكم هذه فاكون مخطيا
او اخالفكم فتقتلوني ظلما فتاملوا ما خاطبتكم به ولا تظنوا ان الله ينصركم فانكم لا تستحقون ذلك لانكم قد اسخطتموه واستدبرتم
على ذلك باية عين سلوان فانها قد كانت قريبة من الجفاف قبل ان تنزل بكم هذه العساكر فلما نزلوا غزرت فصارت كالنهر
لتعلموا ان الله يريد معونة اعدائكم عليكم وانا اعلم ان كلامي لا يوثر فيكم ليتم ما قدركم الله به من هلاك هذه المدينة وخراب
هذا القدس الجليل ولذلك قد قست قلوبكم فصارت كالحجارة بل هي اقسى واصلب من الحجارة لان الحجر قد يوثر فيه الماء اذا
دام انصبابه عليه وانتم لا توثر فيكم المواعظ الكثيرة ولا تلين قلوبكم ولا تنكسر ولكني قد بلغت الغاية فيما يلزمني من
نصيحتكم فاقبلوا نصحي واشفقوا على هذا القدس الجليل الذي بنته الانبياء المقدسون والملوك العظام فان بقاءكم
وثبات امركم معترون ببقاياه وعمارته وان خرب لم يبق لكم عز ولا اقبال ولا دولة فاقبلوا ما بذله لكم ابن الملك من الامان
وثقوا بعهده وما ضمنه من الاحسان وانا الضامن لكم عنه وان اتهمتموني باني اخدعكم واريد معاونة الروم عليكم فانتم
تعلمون ان ابي وامي وزوجتي الكريمة علي واولادي معكم فان ظهر لكم من طيطوس بعد سلامتكم له ما تكرهون فاقتلوهم واقتلوني
فقد وهبتكم دماءهم ودمي على ذلك ثم بكا يوسف بكاء شديدا وكان طيطوس يسمع كلامه فرق له وامر باطلاق من كان
من السبي في عسكره واطلق لهم ان يمضوا حيث شاؤوا فما لاكثر اهل المدينة الى طاعة طيطوس فمنعهم الخوارج ووكلوا ان
بابواب المدينة من يحفظها وامروا الموكلين ان يقتلوا كل من اراد الخروج ولما طاله الحصار اشتد الجوع وكان الخوارج
يفتشون منازل الناس ويذهبون الطعام ويقتلون من مانعهم عنه فكان الناس يموتون في المدينة بالجوع ومن اراد الخروج
الى ظاهر المدينة ليأخذ شيئا من نبات الارض قتله الخوارج وان قدر على الخروج قتله الروم فافناهم ذلك وكان طيطوس
اذا سمع ذلك رق لهم واستعطفهم فلا يزيده استعطافه الخوارج الا قسوة ويخاطبونه بالقبيح ليكف عن ذلك ليلا يميل
معه الناس فلما راى ذلك جد في احراب السور الثالث ليخلص الناس من الخوارج فقسم عسكره اربعة اقسام ونصب

في ايام تيروس قيصر على محاربة هولاء القوم وعلم علي ان لا ترجعوا عنهم الا بعد الظفر فلما ملك اسفسيانوس الذي
هو اشجع من تيروس واعظم باسا اردتم ان ترجعوا عنهم قبل ان تظفروا فاني عذركم فلما سمعوا هذا ثبتوا ثم مضى جماعة
منهم ليلا فصعدوا من تلك الثلمة ودخلوا الى المدينة فكبروا فانتبه اليهود وكانوا قد نالوا الطول تعبهم وضربهم ولزم
كل منهم مكانه ومضى طيطوس الى اصحابه فوقف عند السور الى ان اصبحوا فانهزم اليهود الى القدس وتبعهم الروم ان
فاقتتلوا في الصحن البراني ولم يكن الا السيوف لضيق الموضع فكان بينهم قتال لم يكن فيما مضى لاستقتال الجميع لانهم حصلوا
في موضع لا مطمع فيه بالسلامة الا بالصدق في القتال وكان الكل رجالة فعظمت الحرب بينهم وعلت اصواتهم وضجيجهم حتى
سمعت من البعد وكثرت القتلى في الفريقين واستظهر اليهود آخرا واخرجوا الروم قرب ربع النهار وامر طيطوس بهدم
سور موضع متصل بالقدس يسمى انطونيا ليتسع المجال لاصحابه فلما هدم ذلك انثلم سور القدس وسهلت الطريق اليه
فبادر اليهود وبنوه وادخلوه في جملة القدس فصار مرتبطا فكان ذلك تصديق ما راوه قبل مكتوبا على الحجر المقدم ذكره
اذا كمل بنيان القدس وصار مرتبطا فعند ذلك يخرب بيت المقدس وكان اليهود قد نسوا ذلك فلما راوه تذكروا وعلموا
ان المدة قد تمت وانه سيخرب وكان يوم هذه الحرب العظيمة عيد النصرة فقرب طيطوس من القدر وكلمهم وهنأهم
في المسالمة ليتمكنوا من العبادة في هذا العيد ووعدهم بالاحسان اليهم وقال قد علمتم ان ملككم نبخنيا لما حاصر بختنصر
ملك بابل وخرج اليه مستامنا انتفع بذلك ونفع قومه وبلده فسلموا وان صدقيا الملك لما عاند في محاربة بختنصر
ولم يسالمه كما امرته الانبيا اهلك المدينة والامة واسا الى نفسه واليهم فسبيلكم ان تفتهروا بهما وتهتدوا باصوبهما
فعلا واحمدهما عاقبة فاقبلوا نصيحتي واكتفوا بما جرى ووعدهم ان يعفوا عن جميع ما تقدم ويحسن اليهم واطال الكلام
وكان يوسف بن كريون يترجم لهم ويبكي بكاء شديدا ثم قال لهم يوسف اني لست اعجب من خراب هذه المدينة لعلمي بان
مدتها قد انتهت ولكني اتعجب منكم وانتم تقرأون كتاب دانيال النبي عليه السلام وتعلمون ما ذكره من بطلان القرابين
وعدم الكاهن المسيح وانتم مع ذلك لا تنكسرون ولا تخضعون لله ولا تستسلمون لمن قد سلطه الله عليكم فلم يقبل الخوارج
ولا رجعوا غير ان جماعة من الكهنة والرؤساء تمالئوا على الخروج الى الروم فامنهم واحسن اليهم فمنع الخوارج من بثي وضبطوا
الطرق فبكا اليهود وشكوا منع الخوارج لهم من الخروج فاراد الخوارج قتلهم فبادر الروم ليخلصوهم فهجموا الى القدس
فقاتلوهم قتالا شديدا فانهزم الروم وادتهم الهزيمة الى داخل القدس الاعظم قدس الاقداس فقتلهم اليهود فيه فاختار
طيطوس من عسكره ثلثين الفا وامرهم ان يدخلوا الى صحن القدس لمحاربتهم واراد منعهم الدخول معهم فمنعه اصحابه وقالوا
قف على موضع عال لتقوى قلوب اصحابك ويبذلوا المجهود في القتال ولا تخاطر بنفسك وبنا واتفق رايهم على بيات
اليهود فعلم اليهود بذلك فلما اتوا تلك الليلة فلما اصبحوا افترق اليهود على ابواب صحن القدس واقاموا على مقاتلتهم
الروم سبعة ايام فقتلوا منهم جماعة كثيرة وابعدوهم عن القدس فامر طيطوس اصحابه بالكف عنهم ليغنيهم الجوع وكان
بقرب القدس قصر عظيم من بناء سليمن بن داود عليهما السلام ثم زاد فيه ملوك البيت الثاني طبقة عالية من الخشب
الحسن وزينوا جميع الجدر بالخشب فطلوا جميع ما فيه من الخشب بالنفط والكبريت والزفت ثم اخفوا فيه رجالا منهم
ليشعل النار في مواضع من ذلك الخشب اذا دخله الروم وكان فيه باب خفي يخرج الى موضع آخر لا يفطن له الا من يعرفه
ثم مضوا الى عسكر الروم ليلاوهم في القدس فناموا فاجتمع عليهم من الروم خلق كثير فقاتلوهم ساعة ثم انهزموا
فدخلوا هذا القصر فدخل الروم وراءهم فلم يجدوا احدا منهم فصعدوا الى الطبقة العالية فخرج اليهود الذي كان قد
اختفى فاختلط بهم واطلق النار في تلك المواضع فاضطرمت النار في جميع جوانبه فبادر الروم الى الباب فوجدوا
اليهود قد سدوه بسيوفهم فهلكوا وكان فيهم جماعة من وجوه الروم فخاف الروم من اليهود ولم يامنوا ان يحتالوا
عليهم بامر آخر فخرجوا من القدس والمدينة ورجعوا الى معسكرهم فامر طيطوس بضبط الطرق والمضايق عليهم
ليهلكهم الجوع فمات اكثرهم وخرج كثير من اصحاب الخوارج الى طيطوس فقتلهم ثم دخلت الروم الى بيتا له فلم يجدوا من يمانعهم
وكان طيطوس قد اكد على اصحابه في ان لا يحرقوا القدس فقال له رؤساء اصحابه انك ان لم تحرقه لم تتمكن من اليهود لانهم
لا يزالون يقاتلون ما كان باقيا فاذا احرق ذهب عزهم فانكسرت قلوبهم فلم يبق لهم ما يقاتلون عنه فقال لا تحرقوه
الى ان آمركم وكان في طريقه باب مغشى بصفائح الفضة وهو معلق فاحرقه بعض الروم ليأخذوا الفضة فلما احرق
وجدوا الطريق الى القدس الاحل فدخلوه وحملوا اصنامهم فنصبوها فيه فخرج قوم ممن بقي من اليهود في الليل الى
اولئك الذين في القدس فقتلوهم فلما بلغ ذلك طيطوس جاء الى القدس فقتل اكثر من وجد فيه من اليهود وهرب من
بقي منهم الى جبل صهيون فلما كان الغد احرق ابواب قدس الاقداس وكانت مغشاة بالذهب فلما سقطت كبروا وصرخوا
صراخا عظيما فجاء طيطوس مسرعا ليمنع من احراقه فلم يتم له ذلك ويقال انه صاح حتى انقطع صوته فلما علم ان الامر
قد خرج من يده دخل لينظره قبل ان يحترق فلما راى حسنه وبهجته تحير وتعجب وقال حقا ان هذا البيت الجليل
ينبغي ان يكون بيت اله السماء ومسكن جلاله ونوره وانه ليحق لليهود ان يحاربوا عنه ويستقتلوا عليه ولقد امنا
الامم واحسنت فيما كانت تتعلله من اعظام هذا البيت واكرامه وحمل الهدايا اليه وانه لاعظم من هيكل رومية ومن
جميع هياكل الامم التي شاهدناها وبلغنا خبرها وما اردت احراقه ولكنهم فعلوا ذلك بشرهم ولجاجهم وكان من بقي من الكهنة

كباشا على الجهات الاربع فخرج اليهم الخوارج فقاتلوهم قتالا شديدا وقتلوا من الروم خلقا كثيرا وكانوا قد ندبوا اربعة
من اشدائهم لاحراق الكباش اذا اشتغلوا بالقتال ولم يزالوا يقاتلونهم حتى تمكن لهم ما اراده واحرقوا الكباش وجميع الآلة
ونظر الروم من شجاعة اليهود وباسهم ما هالهم فانهزموا فردهم طيطوس وجعل يشجعهم وقال اما ترضون ان يغلبكم اليهود بعد
ان استظهرنا عليهم وهدمنا سورين من اسوار المدينة ولم يبق غير سور واحد وقد هلك اكثرهم وليس لهم من ينصرهم ونحن
عساكرنا متوافرة ومعنا امم كثيرة تعيننا عليهم ثم امرهم ان يتركوا القتال حتى يهلكوا من الجوع فضبطوا جميع طرق المدينة فصار
الامر بهم جدا واشتد الجوع ولم يكن احد يقدر ان يطحن قمحا ليلا ينهب ولا يخبز ليلا يفضحه الدخان فكان من عنده شيء يستفون
القمح والدقيق فمات كثير من الناس واشتغل الاحياء بانفسهم فما كانوا يدفنون موتاهم وكان الحي ربما اخذ ميته فالقاه في بئر
ثم يلقي نفسه بعده ليموت وكان بعضهم يحفر له قبرا ثم يضطجع فيه حتى يموت وامتلأت الشوارع بالموتى فكان الخوارج يلقونهم
من السور الى الوادي الشرقي فلما رآهم طيطوس اغتم ورق لهم وكان بيت المقدس امراة من اهل النعم اصلها من مدينة في جيزة
الاردن فلما كثرت الفتن هناك انتقلت في جملة من انتقل الى بيت المقدس بجميع عبيدها وساير نعمتها فلم يكن لها غير ابن واحد
صغير وهي تحبه حبا شديدا فلما قويت المجاعة ونهب الخوارج جميع ما عندها اشتد بها الامر وكان ابنها يتضور من الجوع فلما
زاد بها الجوع وما يولم قلبها من تضور ابنها اردت قتل ابنها لتاكله فبقيت حايرة لا تدري على اي الامرين تحمل نفسها حمل قتل
ولدها العزيز عليها بيدها وذلك من اعظم الامور واشنعها ام تصبر على ما تراه به وبنفسها من البلاء وقد فارقها الصبر
وعدمت الجلد ثم زادها الجوع فزال عنها التمييز فقالت يا ابني وواحدي قد كنت اوملت ان تعيش حتى تبتري وكنت اخاف
ان تموت قبلي فاجمع بموتك فيا ليتني كنت قد ثكلتك قد فنيتك واحتسبتك عند الله والآن يا ولدي فقد احاط بنا الكرب
وايقنا بالهلاك فانجي لا يرجوا الحيوة والميت لا يدفن وانا اولى بها كما ان وان مت يا بني لم يدفنك احد وكنت كغيرك ممن
اكلته الكلاب وطيور السماء وقد رايت ان اقتلك لتستريح مما انت فيه ثم اكلك فاجعل بطني التي حملتك فيها قبرا لك واسد
جوعي فيكون ذلك عوض بر كان لي الذي كنت ارجوه وتنال بذلك الاجر العظيم ويكون ذلك عونا على هؤلاء الخوارج الذين اوقعوا
في هذا البلاء وزياده في سخط الله عليهم ويذكر ذلك على ممر الدهور وتتحدث به بعدنا الاجيال ويعتبر به ذوو الالباب ثم نهضت
على ابنها بيدها الواحدة واخذت الحديدة بالاخرى وهي كالمجنونة وحولت وجهها عنه لئلا تراه وضربته بالحديدة فمات ثم
اخذت منه وشوته واكلته فلما شم الخوارج ريح ذلك اللحم هجموا عليها فقالوا من اين لكن هذا اللحم ولم استاثرت به علينا
فقالت ما كنت بالتي اوثر نفسي عليكم فاجلسوا فجاءت بالمايدة واخرجت ما بقي من جسم ابنها وقالت هذا ولدي واعز الناس
عندي قتلته بيدي لا فراط الجوع واكلت من لحمه وهذه بقيته جسمه عز لتها كلم فكلوا واشبعوا ولا تكونوا اشد رحمة لولدي
مني ولا تضعفت قلوبكم عن ذلك فانه قبيح بشجعان مثلكم ان تكون امراة اقوي قلبا منهم وانتم احق بان ترضوا بهذا مني لانكم
الذين سببتم علينا البلا حتى بلغنا هذا المبلغ ثم رفعت صوتها تبكي وتنحب وتنوح على ابنها فلما راوا ذلك هالهم وخرجوا
مدعورين واشتهر خبرها فقلق الناس قلقا شديدا وتحققوا صحة الوعيد الذي سبق من الله وانكسر الخوارج لذلك واستظهر
واطلعوا الناس الخروج فخرج في ذلك الوقت خلق كثير فلما اتصل ذلك بطيطوس استعظمه واشتد خوفه من الله فرفع يديه
الى السماء وقال اللهم انت العالم بالخفيات والمطلع على السرائر والنيات انت تعلم اني لم اجيء الى هذه المدينة لاسبي اهلها
ولقد ساءني امر هذه المراة فلا تواخذني به وطالب هؤلاء الخوارج وانتقم منهم وظفرني بهم ولا تمهلهم وامر بالاحسان الى
من خرج اليه من اليهود فكان كثير منهم لا يقدرون على نتن افواههم وكثير منهم مات لما اكل الطعام وكان الصبيان وغيرهم
يختطفون الخبز اذا نظروه ويهشونه بلا عقل فاذا اكلوا ماتوا فقال طيطوس ليوسف بن كريون ما الحيلة في هؤلاء حتى
لا يموتوا فقال ينبغي ان يسقوا اللبن والحساء الرقيق اياما حتى تلين امعاؤهم ثم الطعام بعد ذلك ففعل ذلك فسلم منهم جماعة
وتقدم الروم الى السور الثالث لهدموه فخرج اليهم يوحنا ان وشمعون واصحابهما مع ما بهم فيه من الضر فقاتلوهم
قتالا شديدا وقتلوا منهم جماعة فامر طيطوس برفع الكبش على السور فرفع عليه في الليل فهدم وكبر الروم تكبيرا عظيما
وكبر اليهود من داخل المدينة فلم يجسر الروم على دخول المدينة فلما اصبحوا اذا سور جديد بانا واه قد بناه اليهود
تلك الليلة وهم قيام عليه فاستعظم الروم ذلك وايسوا من الفتح فقال طيطوس هذا رطب لم يستحكم واذا ضربه الكبش
اسرع الانهدام فطلع الروم على السور الذي هدموه ووقف اليهود على الجديد واشتد القتال فهزمهم اليهود بعد ان قتلوا
كثيرا منهم فضجر الروم وعزموا على الرحيل فجمع طيطوس اصحابه وقال اعلموا ان كل من يعمل عملا فانما قصده الى الغاية
ولذلك يصبر على التعب ليبلغ ما اراد وربما كان آخر العمل اشق من اوله فان تركه ذهب تعبه ضايعا وبقي عمله ناقصا
لا ينتفع به وضرب لهم امثالا في ذلك ثم قال وانتم قد صبرتم على محاربة هؤلاء القوم واستظهرتم عليهم الى هذه الغاية
حتى هلك روساؤهم وجبابرتهم وخربت حصونهم وفنوا بالسيف والجوع ولم يبق منهم غير شرذمة يسيرة كالموتى فان
انصرفتم لتنتم قد ضيعتم تعبكم واعنتم على انفسكم واهتموها عند كل من يسمع خبركم ولو كنتم انصرفتم عنهم قبل هذا كان احسن
واما الآن فلا عذر لكم في عجزكم عن محاربة قوم قد بلغ بهم الضر والجوع هذا المبلغ فان رجعتم عنهم طمع فيكم كل احد واجترا
عليكم كل من يخالفكم ولم الا تاسوا باليهود في الصبر والشجاعة مع فناء رجالهم واجتماع المكان عليهم وانقطاع رجائهم فصبرهم
اما طمعا في الظفر او انفة من الغلبة او رغبة في بقاء الذكر فانتم احق بذلك منهم لتدفعوا العار عن انفسكم على انكم قد صبرتم

لما راوا الحريق حاربوا الروم عنه فلما علموا انهم عاجزون عن دفعهم قالوا ما نريد ان نبقى بعده فطرحوا انفسهم في
النار فهلكوا ومضى عند ذلك من بقي من اليهود الى جميع ما في المدينة من القصور الجليلة والمنازل الحسنة فاحرقوها
بجميع ما فيها من الذخاير والالات وكان حريق القدس في اليوم العاشر من الشهر الخامس وهو آب وذلك نظير اليوم الذي
احرق فيه الكسدانيون البيت الاول ولما كان في غد هذا اليوم ظهر من اليهود رجل متنبي فقال لهم اعلموا ان هذا
القدس سيعود عن قليل مبنيا كما كان من غير ان يبنيه الآدميون بل بقدرة الله تعالى فدوموا على ما انتم عليه من محاربة
الروم والامتناع من طاعتهم فاجتمع عليه جماعة فقاتلوا فظفر بهم الروم فقتلوهم باسرهم وقتلوا كثيرا من عوام اليهود
وضعفايهم ممن كانوا قد رجموه قبل ذلك وراسل يوحانان وشمعون طيطوس يطلبان منه الامان فقال قد كنت طلبت اليكما
ذلك فاما الآن فانتما في قبضتي وليس لي عذر عند الله ولا عند احد من الناس في استبقايكما فانحدرا ليلا الى القدس باصحابهما
فقتلوا قايدين من الروم فامر طيطوس بقتل من بقي في المدينة من اليهود ممن كان قد رجمه فلما راى اصحاب شمعون ذلك خافوا
على انفسهم فارسلوا الى طيطوس ان يومنهم فقتل شمعون روساهم وهرب الباقون الى طيطوس فامنهم وكف اصحابه عمن بقي من
اليهود ثم هرب شمعون ويوحانان من جبل صهيون الى موضع استترا فيه فتم استيلا طيطوس على جميع البلد وهدم سور جبل
صهيون ولما طال عليهما الاستتار واشتد بهما الجوع خرجا الى طيطوس فقتلهما ثم رحل متوجها الى روميه ومعه السبي
والغنايم وكان كلما نزل منزلا يقدم جماعة ممن ظفر به من الخوارج الى السباع التي معه حتى افناهم وكان العازر لما راى افساد
شمعون وقتله من لم يكن له ذنب من اليهود قد علم ان لا مخلص لهم من البلا فخرج قبل استيلا الروم على البلد عنها واقام في بعض
المواضع فلما رحل طيطوس مضى الى قرية مصيرا فعمر حصنها فسمع به طيطوس وهو بانطاكيه فرد اليه قايدا من قواده فحاصره
فلما عاين الهلكه دعا اصحابه الى قتل من خلفهم من العيال والاستقتال ليموتوا اعزة فاجابوه الى ذلك وقاتلوا حتى قتلوا كلهم
فسبحان القوي الشديد الفعال لما يريد ولما انقضى ذلك كان كانه قيل اما لهذه المرة من كره كالاولى فاطمعهم بقوله سبحانه
عسى ربكم اي الذي عودكم باحسانه ان يرحمكم فيتوب عليكم ويكرمكم ثم افزعهم بقوله وان عدتم اي بما نعلم من دبركم الى المعصية
مرة ثالثة فما فوقها عدنا اي بما تعلمون لنا من العظمة الى عذابكم في الدنيا وقد عادوا غير مرة بما اشار اليه الكلام وان كان في
سياق الشرط ليظهر الفرق بين كلام العالم وغيره واشار الى ذلك قوله في التورية عقب ما مضى واذا تمت عليك هذه الاقوال
كلها والدعا واللعن الذي تلوت عليك فتب في قلبك وانت متفرق بين الشعوب التي يفرقك الله فيها واقبل الى ربك واسمع
قوله واعمل بجميع ما امرك به اليوم انت وبنوك من كل قلبك فيرد الرب سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب
التي فرقك فيها وان كان المبددون منكم يا آل اسرايل في اقطار الارض يجمعك الله ربك من هناك ويقربك من ثم ويردك
الى الارض التي ورثها ابوكم وترثون وينعم عليكم وتكثرون افضل من ابايكم ويحنن الله الرب قلوبكم وقلوب نسلكم الى الابد وتتقون
الله ربكم من كل قلوبكم وانفسكم لما يريحكم وينعمكم وينزل الرب كل هذا اللعن باعدايكم وشناتكم الذين اذوكم وجعلنا اي بعد ذلك
بعظمتنا جهنم التي تلقى داخلها بالتجهم والكراهة للكافرين وهذا الوصف الظاهر موضع ضمير لبيان تعليق الحكم به على سبيل
الرسوخ سوا في ذلك هم وغيرهم وفيه اشارة الى انهم يعودون الى الافساد والى ان منهم من يومن ومنهم من يكفر حصيرا اي محبسا
تحصرهم غاية الحصر وعن الحسن ان الحصير هو الذي يفرش ويبسط فالمعنى انه يجعلها مهادهم ولما ثبت ان كتاب موسى عليه السلام
الذي انزله عليه فيما بين مصر وبيت المقدس في تلك المدة المتطاولة هو هدى لبني اسرايل صادق الوعد والوعيد فيما قضى فيه
اليهم من امرهم وامر بيت المقدس من ترقيه حال من اطاعه واعلامهم واخذ من عاداهم ومن تعكيس احوال العصاة مرة بعد اخرى
بتسليط الاعدا عليهم بالقتل والاسر والنهب وتخريب البلاد تنبيها على ان طاعة الله تجلب كل خير وكرامة ومعصيته توجب
كل بلية كما كشف عنه الزمان على ما هو معروف من تواريخ اليهود وغيرها لاح ان القرآن يزيد عليه في كل معنى حسن وامر شريف
فيما اتى به من الوعود الصادقة والاحكام المحكمة والمعاني الفايقة في النظوم العذبة الرايقة مع الاعجاز عن ان الاتيان
باية من مثله لجميع الانس والجان بنسبة ما زاد المسير المحمدي الى بيت المقدس الذي اراه فيه من آياته على المسير الموسوي
الذي اتاه فيه الكتاب فقال في جواب من كانه قال قد علم ان كتاب موسى عليه السلام الذي انزل في مسيره لقصد محل المسجد
الاقصى قيم في الهداية والوعود الصادقة فما حال كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه منه في سبب مسيره اليه
في ذلك ان هذا القرآن اي الجامع لكل حق والفارق بين كل ملتبس يهدي ولما كان صاحب الذوق السليم يجد لحذف الموصوف
هزه وروعه لما يجد من الفخامة بابهامه لا يجدها عند ذكره وايضاحه قال للتي اي للطرايق والاحوال والسنن التي هي
اقوم من كل طريقة وسنة وحال دعا اليها كتاب من الكتب السماوية اما في الصورة فباعتبار ما علا به من البيان واما
في الوعود فباعتبار العموم لجميع الخلق في الدارين واما في الاصول فبتصريف الامثال وتقريب الوسايل وحسم مواد الشبه
وايضاح وجوه الدلايل واما في الفروع فباعتبار الاحسنية تارة في السهولة والخفة وتارة في غير ذلك كما هو واضح
عند من تامل ما بين الامرين ولما انقسم الناس الى مهتد به وضال اتبع سبحانه ذلك بيانه وكان التعبير عن حالهما بالبشرى
في قوله ويبشر المومنين اي الراسخين في هذا الوصف ولهذا قيدهم بيانا لهم بقوله الذين يصدقون ايمانهم بانهم يعملون
اي على سبيل التجديد والاستمرار والبنا على العلم الصالحات من التقوى والاحسان ان لهم اي جزاء لهم في ظواهرهم وبواطنهم
اجرا كبيرا اشارة الى صلاح هذه الامة وثباتهم على دينهم وانه لا يزال امرهم ظاهرا كما كان انذار كتاب موسى عليه السلام قومه اشارة

الى

الى افسادهم وتبديلهم دينهم ولما بشرهم بما لهم في انفسهم اتبعه ما لهم في اعدايهم فقال وان ويبشر المومنين ايضا بان
الذين لا يومنون اي لا يتجدد منهم ايمان بالاخرة حقيقة او مجازا المسبب عنه لانهم لا يعملون الصالحات حقيقة لعدم مباشرتها
او مجازا بنيابها على غير اساس الايمان وعبر بالعتاد تهكما بهم فقال اعتدنا اي احضرنا وهيانا ما هو في غاية الطيب والنفاسة
والملايمة على سبيل الوعد الصادق الذي لا يتخلف بوجه وهو مع ذلك منظور اليه لعظمتنا لهم من عندنا بواسطة المومنين
او بلا واسطة ولما استشرف الاعدا الى هذا الوعد استشراف المغتبط المسرور اتاهم في تفسيره بما خلع قلوبهم على
طريقة تحيه بينهم ضرب وجيع وسر قلوب الاوليا سرورا عظيما فقال عذابا اليما فانه لا بشرى لذوي الهمم اعلى ولا اسر
من الانتقام من مخالفيهم فصار فضل الكتاب على الكتاب كفضل الذهاب على الذهاب وحذف المومنين الذين لا يعملون الصالحات
لتمام البشارة بالاشارة الى انهم من القلة في هذه الامة الشريفة بحيث لا يكادون ان يوجدوا ولما ذكر سبحانه ما لكلامه من
الدعا الى الاقوم اتبعه ما عليه الانسان من العوج الداعي له الى العدول عن التمسك بشرايعه القويمة والاقدام على ما لا فايدة
فيه تنبيها على ما يجب عليه من التاني للنظر فيما تدعوا اليه نفسه ووزنه بمعيار الشرع فقال ويدع وحذف واوه الذي
هو لام الفعل خطا في جميع المصاحف ولا موجب لحذفه لفظا في العربية مشيرا الى انه يدعوا بالشر لسفهه وقلة عقله وهو لا
يريد علو الشر عليه بما اشير اليه بحذف ما معناه عند اهل الله الرفعة والعلو والى ان غاية فعله الهلاك الا ان يتداركه
الله وقد ذكرت حكم الوقف عليه وعلى امثاله في سورة القمر الانسان اي عند الغضب ونحوه على نفسه وعلى من يحبه لما له من الانس
بنفسه والنسيان لما يصلحه بالشر اي ينادي ربه ويتضرع اليه بسبب ايقاع الشر به دعاءه اي مثل دعايه بالخير اي
بحصول الخير له ولمن يحبه ثم نبه على الطبع الذي هو منبع ذلك فقال وكان الانسان اي هذا النوع بما له من قلة التدبر
لاشتغاله بالنظر في عطفيه والانس بنفسه كونا هو مجبول عليه عجولا اي مبالغا في العجلة يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه
ويخطر بباله من غير ان يتاني فيه تاني المتبصر الذي لا يريد ان يوقع شيا الا في اتم مواقعه ولذلك يستعجل العذاب لنفسه
استهزا ولغيره استشفا والعجلة طلب الشي في غير وقته الذي لا يجوز تقديمه عليه واما السرعة فهي عمله في اول وقته الذي
هو اولى به ولما ثبت ما لصفته تعالى من العلو ولصفة الانسان من السفول تلاه بما لافعاله تعالى من الاتقان ذاكرا ما هو
الاقوم من دلايل التوحيد والنبوة في العالمين العلوي والسفلي ثم ما لافعال الانسان من العوج جريا مع طبعه او من الاحسان بتوفيق
اللطيف المنان فقال مبينا ما منحهم به من نعم الدنيا بعد ما انعم عليهم به من نعم الدين وجعلنا اي بما لنا من العظمة الليل والنهار آيتين
دالتين على تمام العلم وشمول القدرة آية الليل كالآيات المتشابهة وآية النهار كالمحكمة فكما ان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم
والمتشابه فكذلك الزمان لا يتيسر الانتفاع به الا بهاتين الآيتين فمحونا اي بعظمتنا الباهرة آية الليل باعدام الضيا فجعلناها لا
تبصر بها المرئيات كما لا يبصر الكتاب اذا محي وجعلنا اي بعظمتنا آية النهار ولما كانت في غاية الضيا يبصر بها كل من له بصر اسند
الابصار اليها مبالغة فقال مبصرة اي بالشمس التي جعلها منيرة في نفسها فلا تزال هذه الدار الناقصة في تنقل من نور الى ظلمة ومن
ظلمة الى نور كما للانسان بعجلته التي يدعوا اليها طبعه وتانيه الداعي اليه عقله من انتقال من نقصان الى كمال ومن كمال الى نقصان
كما ان القمر الذي هو انقص من الشمس كذلك ثم ذكر بعض المنافع المترتبة على ذلك فقال لتبتغوا اي تطلبوا طلبا شديدا فضلا من
ربكم اي المحسن اليكم فيهما بضيا هذا تارة وبرد هذا اخرى ولتعلموا بفضل هذا من هذا عدد السنين اي من غير حاجة الى حساب
لان النيرين يدلان على تحول الحول بمجرد تنقلهما ولما كانا ايضا يدلان على حساب المطالع والمغارب والزيادة والنقصان
وغير ذلك من الكواين لمن امعن النظر وبالغ في الفكر قال والحساب اي جنسه فصلناهما لذلك على هذا الوجه المتقن بالزيادة
والنقصان وتغير الاحوال في اوقات معلومة على نظام لا يختل على طول الزمان مقدار ذرة ولا ينحل قيس شعرة الى ان يريد
الله خراب العالم وفنا الخلق فيبيد ذلك كله في اسرع وقت واقرب زمن ولولا اختلافهما لاختلطت الاوقات وتعطلت الامور
وكل شي غيرهما مما تحتاجون اليه في دينكم او دنياكم فصلناه اي بعظمتنا وازلنا الباسه واكد الامر تنبيها على تمام القدرة وانه
لا يعجزه شي يريده فقال تفصيلا فانظروا بابصاركم وبصايركم وتتبعوا في علانياتكم وسرايركم تجدوا امرا متقنا ونظاما محكما
ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير ولما كان هذا امرا دقيقا جدا اتبعه ما هو ادق منه واغرب في القدرة
والعلم من تفاصيل احوال الآدميين بل كل مكلف بعضها من بعض من قبل ان يخلقهم فقال وكل انسان اي من في طبعه التحرك والاضطراب
الزمناه اي بعظمتنا طايره اي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر ولعله عبر به لانهم كانوا لا يقدمون ولا يحجمون في اليهم من اعمالهم
الا بالطاير فيقولون جرى لفلان الطاير بكذا في عنقه الذي هو محل الزين بالقلادة ونحوها والشين بالغل ونحوه الزاما
لا يقدر ان ينفك عن شي منه كما لا يقدر على الانفكاك عن العنق وذلك كما الزمنا بني اسرايل ما قضينا اليهم في الكتاب فكان
كما قلنا وهم يعلمون انه من السوء بمكان فلم يقدروا على الاحتراز منه والانفصال عنه فلا يمكن ان يظهر في الابد الا ما قضي به
في الازل جف القلم بما هو كاين ونخرج اي بما لنا من العظمة وشمول العلم وتمام القدرة له يوم القيمة اي الذي لا بد من
ايجاده كتابا بجميع ما عمل يلقاه حال كونه منشورا تكتبه حفظتنا كل يوم ثم اذا صعدوا قابلوا ما فيه على ما سطرناه
قديما في اللوح المحفوظ فيجدونه كما هو لا خلاف فيه اصلا فاذا لقي كتابه يوم العرض قيل له اقرا كتابك انت بنفسك غير
ملزم بما يقراوه غيرك كفى وحقق الفاعل بزيادة البا فقال بنفسك اليوم اي في جميع هذا اليوم الذي تكشف فيه
الستور وتظهر جميع الامور عليك حسيبا اي حاسبا بليغا فانك تعطي القدرة على قراته اميا كنت او قاريا ولا ترى فيه

زيادة ولا نقصا ولا تقدر ان تنكر منه حرفا وان انكره لسانك شهدت عليك اركانك فيا لها من قدرة باهرة وقوة
قاهرة ونصفة ظاهرة ولما كان ما مضى انتج قطعا معنى ما قلنا لبني اسرايل ان احسنتم الآية لكل احد منهم ومن غيرهم
وذلك قوله تعالى من اهتدى فتبع الهدى فانما يهتدي لنفسه لان ثوابه لا يتعداه ومن ضل بالاعراض عما انزلنا من
البيان فانما يضل عليها لان عقابه عليه لا يتجاوزه ولا تزر وازرة وزر اخرى اي اي وازرة كانت وزرا اخرى لتخفف عنها بل كل جزاء
عمله لا يتعداه الى غيره فنغيب من اهتدى ونعذب من ضل وما كنا اي على عظمتنا معذبين احدا حتى نبعث
عظمتنا رسولا لمن بلغته دعوته فخالف امره واستكبر عن اتباعه عذبناه بما يستحقه وهذا امر قد تحقق بارسال آدم
عليه السلام ومن بعده من الانبياء الكرام عليهم السلام في جميع الامم كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا وان من امة الا خلا
فيها نذير فان دعوتهم الى الله قد انتشرت وعمت الاقطار واشتهرت انظر الى قول قريش لذي لم ياتهم نبي بعد اسمعيل عليه
السلام ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة فانه يفهم انهم سمعوه في الملة الاولى فمن بلغته دعوة احد منهم بوجه من الوجوه فقصر في
البحث عنها فهو كافر مستحق للعذاب فلا تغتر بقول كثير من الناس في نجاة اهل الفترة مع اخبار النبي صلى الله عليه وسلم ان اباه
الذي مضى في الجاهلية في النار وان ما يرجح الجعل خير منهم الى غير ذلك من الاخبار قال الامام ابو عبد الله الحليمي احد اجلاء
الشافعية وعظماء ايمة الاسلام رحمه الله في اوايل منهاجه في باب من لم تبلغه الدعوة وانما قلنا ان من كان منهم عاقلا مميزا اذا
راى ونظر الا انه لا يعتقد بنا فهو كافر لانه وان لم يكن سمع دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم فلا شك انه سمع دعوة احد من
الانبياء الذين كانوا قبله صلى الله عليه وسلم على كثرتهم وتطاول ازمان دعوتهم ووفور عدد الذين اجابوا اليهم واتبعوهم والذين
كفروا بهم وخالفوهم فان الخبر قد يبلغ على لسان المخالف كما يبلغ على لسان الموافق واذا سمع اية دعوة كانت الى الله فترك ان
يستدل بعقله على صحتها وهو من اهل الاستدلال والنظر كان بذلك معرضا عن الدعوة فكفر والله اعلم وان امكن ان يكون
لم يسمع قط بدين ولا دعوة نبي ولا عرف ان في العالم من يثبت الها وما نرى ان ذلك يكون فان كان فامره على الاختلاف يعني عند
من يوجب الايمان بمجرد العقل ومن لا يوجبه الا بانضمام النقل وما قاله الحليمي نقل نحوه عن الامام الشافعي نفسه قال
الزركشي في آخر باب الديات من شرحه على المنهاج وقد اشار الشافعي الى عشر نصوص اي عدم بلوغ الدعوة حيث قال وما اظن احدا
لم تبلغه الدعوة الا ان يكون قوما من وراء الترك يلوننا وقال الدميري وقال الشافعي ولم يسق من لم تبلغه الدعوة ولما اشار
الى عذاب المخالفين قرر اسبابه وعرف انها بقدرة وان قدرة لا يمنع حقوق العذاب لبنائها امر على ما يتعارفه ذوو العقول
بينهم فقال واذا اي فتبعث الرسل وامرنا ونواهينا فاذا اردنا ان نحيي قرية الحيوة الطيبة في الدنيا والاخرة الغينا في قلوب
اهلها امتثال اوامرنا والتعبد باتباع رسلنا واذا اردناها اي اردنا واردناها لتكون الاعظمة جدا ان نهلك اي بعظمتنا قرية في الزمن
المستقبل امرنا اي بما لنا من العظمة التي لا يقدر احد على مخالفتها مترفيها الذين لهم الامر والنهي بالفسق اي استدرجناهم بادرار
النعم ودفع النقم على ما يعلمون من المعاصي الذي كان يكونه سببا لبطرهم ومخالفتهم كالامر بالفسق ففسقوا فيها بعد ما ازال الرسول
معاذيرهم بتبليغ الرسالة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اي على السنة الرسل فتحنا عليهم ابواب كل شيء الآية وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وخص المترفين لان غيرهم لهم تبع ولانهم احق الناس بالشكر واولى بالانتقام عند
الكفر ويجوز ان يكون امرناهم باوامرنا ففسقوا فيها اي الم وامرنا الطاعات التي يعلم قطعا ان اوامرنا تكون كذا ولا تكون غيرها
لانا الامر بالفحشاء وقد جرت العادة بان المترف عسر الانقياد لا يكاد تسمح نفسه بان يصير تابعا بعد ما كان متبوعا فعصوا
فتبعهم غيرهم لان الاصاغر تبع للاكابر فاطبقوا على المعصية فاهلكناهم وقرا يعقوب آمرنا بمد الهمزة بمعنى كثرنا من امرت الشيء
وآمرته غيري اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروى البخاري في التفسير
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا نقول للحي اذا كثروا في الجاهلية امر بنو فلان والكثرة راجعة الى الامر الذي هو
ضد النهي فانه نتيجة العز الذي هو لازم الكثرة ويجوز ان يكون من المؤامرة اي امرناهم باوامرنا فما امتثلوا امرونا باوامرهم
اي سالونا ما يريدون فاعطيناهم ذلك استدراجا فابطرهم نيل الاماني ففسقوا فيها حق اي وجب وجوبا لا شك في وقوعه
عليها القول الذي توعدناهم به على لسان الرسول بمباشرة البعض للفسق وسكوت الباقين حسب ما تقارفونه بينكم في ان من
خالف الامر الواجب عليه استحق العقاب فدمرناها اي اهلكناها اهلاكا شديدا بغتة غير مبالين بها فجعلناها كالمدينة المفتتة
وكان امرها على عظمتنا هينا ولذلك اكد فقال تدميرا ولما قرر ان هذا شانه اذا اراد ان يهلك اخبر انه فعل ذلك بمن لا
يحصيهم العد من القرون ولا يحيط بهم الجد من الامم لان الاعتبار بالمشاهد واقع في القلب واهول عند النفس فكانه قال
كم ضللنا ذلك بالقرى ولم نستعجل في اهلاك قرية منهم ولا اخذناهم من غير انذار بل ارسلنا فيهم واملينا لهم الى ان كان ما
علمناه في الازل وجاء الوقت الذي قدرناه وبلغوا في الذنوب ما يستحقون به الاخذ ولقد اهلكنا قوم نوح على هذا
السنن وكانوا اهل الارض كما مضت الاشارة اليه ووقع التنبيه عليه واهلاكهم كاف في ابلاغ اهل الارض ما ارسلنا به رسلنا
من التوحيد لان ذلك لم يخف على احد بعدهم وعطف على هذا المقدر قوله وكم اهلكنا اي بما لنا من العظمة وبين مدلول كم
بقوله من القرون على هذا السنن ولما كان الاهلاك بعذاب الاستيصال لم يستغرق ما بعده ادخل الجار فقال من بعد نوح
الذي انتم ذرية من انجيناه بالحمل معه بذنوبهم امهلناهم حتى اعذرنا اليهم ثم اخذناهم في مدد متفاوتة فكان بعضهم اقصر مدة
من بعض وبعضهم انجيناه بعد ان احطنا به مخايل العذاب واما من قبل نوح فالظاهر من عبارة التورية وسكوت القرآن انهم لم

يكونوا

يكونوا كفارًا وبه صرح كثير من المفسرين في تفسير كان الناس امة واحدة ولما كان ذلك ربما اوجب ان يقال كيف يعذب الساكت مع امكان عذره بعجز او غيره قال دافعا لذلك تاركا مظهر العظمة تلطفا بهذا النبي الكريم عليه افضل الصلوة والتسليم في جملة حالية وكفى بربك اي المحسن اليك بما يمنع عن امتك واعفا بهم من الاستيصال بذنوب عباده اي لكونه خلقهم وقدر ما فيهم من جميع الحركات والسكنات خبيرا من القدم فهو يعلم السر واخفى واما انتم فليستم هناك فكم من انسان كنتم تزونه من اكابر الصالحين ثم اسفرت عاقبته عند الامتحان عن انه من اضل الضالين بصيرا بها اذا وقعت لا يخفى عليه شيء منها واما انتم فكم من شخص كنتم تزونه مجتهدا في العبادة فاذا اخلا بارز ربه بالعظايم ولما تقرر انه سبحانه خبير بذنوبهم بعد تزهيده في الدنيا بما ذكر من مصارع الاولين اتبعه الاخبار بانه يعاملهم على حسب علمه على وجه معرف بعلمه بجميع طويتاتهم من خير وشر مرغب في الاخرة مرهب من الدنيا لانها النافعة من اتباع الرسل والتقيد بطاعتهم خوفا من نقص الحظ من الدنيا بزوالها وما هو فيه من الرياسة والمال والانهماك في اللذة جهلا بان ما قدر لا يكون غيره سواء كان صاحبه في طاعة او معصية فقال من كان يريد اي ارادة هو فيها في غاية الامعان بما اقتضاه طبعه المشار اليه بفعل الكون ولما كان مدار مقصود السورة على الاحسان الذي هو العبادة على المشاهدة وكان ذلك شاقا فيالحال من يلتفت الى الدنيا عبر بقوله العاجلة اي فقط عجلنا اي بعظمتنا له فيها اي العاجلة ما نشاء ما يريده لا جميع ما يريده ثم ابدل من له قوله لمن نريد اي لا كل من اراد ذلك تنبيها على ان ذلك بقوتنا لا بقوة ذلك المريد ثم جعلنا اي بما لنا من العظمة له اي لظاهره وباطنه جهنم اي الدركة النارية التي تلقي بالتجهم من كان يلقى الدنيا واهلها بالتبسم يصلاها في الاخرة مذءوما اي مفعولا به الذم وهو ضد المدح ومدحورا مدفوعا مطرودا مبعدا فينبغي لمريد الدنيا ان لا يزال على حذر لانه لا ينفك من عذاب الاخرة فان لم يعط شيا من مناه كما اشار اليه لمن نريد اجتمع له العذابان كاملين فقر الدنيا وعذاب الاخرة وان اعطي منها لا يعطى كل ما يريد بما اشار اليه ما نشاء فيجتمع له عذاب ما منعه منها مع عذاب الاخرة ولما ذكر اهل ذكرا العالم العامل فقال ومن اراد الاخرة اي مطلق ارادة بما اشار اليه للتجريد من كان وسعى اي وضم الى نيته العمل بان سعى لها سعيها اي الذي هو لها وهو ما كانت جديرة به من العمل بما يرضي الله مما شرعه في كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم لا اي سعي كان مما لم يشهد ظاهر الكتاب والسنة اعلاما بان النية لا تنفع الا مع العمل اما بالفعل عند التمكن واما بالقوة عند عدمه ثم ذكر شرط السعي الذي لا يقبل الا به فقال وهو مؤمن اي راسخ في هذا الوصف كما جاء عن بعض السلف من لم يكن له ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وهذا الرسوخ هو الاحسان الذي يدور عليه مقصود السورة ثم رتب عليه الجزاء فقال فاولئك العالوا الرتبة بجمعهم الشرايط الثلثة كان اي كونا لا بد منه سعيهم مشكورا اي مقبولا مثابا عليه بالتضعيف مع ان بعضهم تفتح عليه ابواب الدنيا كداود وسليمن عليهما السلام وتستعمله فيها بما نحب وبعضهم تزوى عنه كرامة له لا هوانا به فالحاصل انها ان وجدت عند الولي لم تشرفه وان عدمت عنه لم تحقره وانما الشرف وغيره عند الله بالاعمال ولما اخبر عن نفسه الشريفة بما يشير الى التوسعة على من يريد من اهل الباطل اخبر بانه قضى بذلك في الازل تفضلا فقال كلا اي من الفريقين مريد الدنيا ومريد الاخرة نمد اي بالعطاء ثم ابدل من كلا قوله هؤلاء اي الذين طلبوا الدنيا نمد وهؤلاء الذين طلبوا الاخرة نمد من عطاء ربك المحسن اليك بجميع قضايه ان ضيق على مؤمن فبالحماية من الدنيا الغانية التي انما هي لهو ولعب وان وسع فبالاستعانة فيها على حسب ما يرضيه ويعلي كلمته وما كان عطاء ربك اي الموجد لك المدبر لامرك محظورا اي ممنوعا في الدنيا عن مؤمن ولا كافر بل هو حال من الجميع والجبل من الذهب والفضة والحديد والنحاس والجواهر والثمار واقوات الناس والبهايم وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله حتى لو اجتمع كل الناس على جمعه ليلا ونهارا ولم يكن لهم شغل سوى ذلك لاعياهم ولم يقدروا عليه فسبحان الجواد الواسع المعطي المانع ثم امر بالنظر في عطاياه هذا على وجه مرغب في الاخرة من قدر في الدنيا فقال آمرا بالاعتبار انظر وبين ان حالهم لغرابته اهل لان يسئل عنه فقال كيف فضلنا اي بما لنا من العظمة القاهرة بعضهم على بعض في هذه الحيوة الدنيا بالعطاء فصار الفاضل يسخر المفضول والمفضول يرغب في خدمة المفضل ويتشرف بالتقرب اليه مع ان رزق الله وهو عطاؤه بالنسبة الى الكل على حد سواء خلق الله موجود في هذه الدنيا للبر والفاجر والكل حريصون على ان ياخذوا فوق كفايتهم من الارزاق التي هي اكثر منهم فما كان هذا التفاضل الا بقسر قادر قهرهم على ذلك وهو منزه عن النقص وحاز كل كمال فاستحقان لا توجه رغبة راغب الا اليه ولما نبه على ان ما نراه من التفضيل انما هو بمحض قدرته اخبر ان ما بعد الموت كذلك من غير فرق فقال وللاخرة اكبر درجات من هذه الحياة الدنيا واكبر تفضيلا اكد الاخبار بما فيها المستلزم لتاكيد الاعلام بوجودها لما لهم من انكاره اكبر درجات في الجنة والدركات في النار ولما كان العلم هنا مقيدا بالذنوب ذكر بعده المفاضلة في الدنيا ولعل في ذلك اشارة الى ان اكثر من زاد في الدنيا تارة زيادته نقصا من آخرته بسبب ذنب اكتسبه او تقصير ارتكبه ولما كان العلم فيما ياتي في قوله وربك اعلم مطلقا طوى بعده الرذايل وعطف على ذلك المطوي الفضايل فقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية فمن كانت له نفس ابية وهمة علية كان عليه ان يزهد في علو فان اجل العلو الباقي ولما تقرر بما مضى ان له سبحانه الامر كله وانه متصف بجميع الكمال منزه عن شوايب النقص انتج انه لا اله غيره فقال مخاطبا الدارس لان ذلك اوقع في نفس الاتباع واشارة الى انه لا يوجه

حق توحيده سواه ويجوز ان يكون خطابا عاما لكل من يصح ان يخاطب به لا تجعل مع الله الذي له جميع صفات الكمال آلهة
وسياتي قريبا سر قوله ثم مع انه مفهوم من المعية فتقعد اي فيتسبب عن ذلك ان تقعد اي تصير في الدنيا قبل الآخرة
مذموما ولما كانا لا دم قد يحمله بعض الناس مع بلوغ الاجل بين انه مع الخيبة فقال مخذولا اي غير منصور فيما اردته من
غير ان يعني عنك احد بشفاعة او غيرها ولما فرغ الاسماع بهذا النهي المحتم لتوحيده اتبعه الاخبار بالامر بذلك جمعا
في ذلك بين صريح الامر والنهي تصريحا بعد التلويح له عن الشريك بالافراد له بالعبادة في اسلوب الخبر اعلاما بعظم
المقام فقال وقضى اي نهاك عن ذلك وامر ربك الحسن اليك امرا حتما مقطوعا به ما ضيا لا يحتمل النزاع ثم فسر هذا
الامر بقوله ان لا تعبدوا اي انت وجميع اهل دعوتك وهم جميع الخلق الا اياه فان ذلك هو الاحسان ولما امر بمعرفة
الحق للمحسن المطلق منبها على وجوب ذلك باسم الرب اتبعه الامر بمعرفة الحق الاول المربين من الخلق فقال وبالوالدين
اي واحسنوا اي اوقعوا الاحسان بهما احسانا بالاتباع في الحق ان كانا حنيفين شاكرين لانعمه كنوح وابرهيم عليهما السلام
فان ذلك يريد في حسناتهما وبالبراءة منهما في الباطل فان ذلك يخفف من وزرهما واللطف بهما ما لم يجر الى فساد ليكونا له
معكم فانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ولما كان سبحانه عليما بما في الطباع من ملال الولد لما عند اخذهما في البر
قال اما موكدا بادخال ما على ان الشرطية لزيادة التقرير لمعنى اهتماما بشان الابوين يبلغن عندك اي بان يضطرا
اليك فلا يكون لهما كافل غيرك الكبر وفي كل احتمال يتعلق به المتعنت بقوله احدهما او كلاهما فيعجزا بحيث يكونان في
كفالتك فلا تقل لهما اف اي لا تتضجر منهما وفي سورة الاحقاف ما يمنع كثيرا هنا ثم صرح بما ينهى عنه الكلام من باب الاولى
تعظيما للمقام فقال ولا تنهرهما فيما لا ترضاه والنهر زجر بفلاظ وصياح وقال الاستاذ ابو الحسن الطبري رحمه الله في
كتابه في اصول الفقه وقد اولع الاصوليون بان يذكروا في جملة هذا الباب اي باب الاستدلال بالملزوم على اللازم
والادنى على الاعلى قوله تعالى ولا تقل لهما اف بناء على ان التانيف عندهم اقل شيء يعيق به الاب وذلك جاء عن سنن
البيان ووجه الحكمة انه ليس في العقوق شيء اشد من التانيف لانه انما يقال للمستقذر المستذل ولذلك عطف
عليه ولا تنهرهما لانه لا يلزم منه لزوم سواه ولا لزوم احري ولا يصح فيما يتبع ادنى ان يعطف عليه ما يلزمه سوا او احري
كما لو قال فاتيل من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل قيراطا يره لم يصح عطفه عليه لافادة الاول اياه ولعل ذلك شيء
وهل فيه واهل فسلك اثره من غير اعتبار لقوله انتهى ولما نهاه عن عقوقهما تعديما لما تدرأ به المفسدة امر ببرهما
جلبا للمصلحة فقال وقل لهما اي بدل النهر وغيره قولا كريما اي حسنا جميلا يرضاه الله ورسوله مع ما يظهر فيه
من اللين والرقة والشفقة وجبر الخاطر وبسط النفس كما يقتضيه حسن الادب وجميل المروة ومن ذلك انك لا
تدعوهما باسمائهما بل يا ابتاه ويا امتاه ونحو هذا واخفض لهما ولما الطائر يخفض جناحه عند الذل استعار لتعطفه
عليهما رعيا لحقوقهما قوله جناح الذل اي جناح ذلك وبين المراد بقوله من الرحمة اي لا من اجل استذلال الابوين وخوف
العار فقط بل من اجل الرحمة لهما بان لا تزال تذكر نفسك بالامر والنواهي وما تقدم لهما من الاحسان اليك فصارا
مفتقرين اليك وقد كنت افقر خلق الله اليهما حتى يصير ذلك خلقا لازما لك فان النفس امارة بالسوء ان لم تعتد الخير
بانواع الارغاب والارهاب والاحسان في النظر في حقايق الامور وعجايب المقدور ولذلك اتبعه قوله آمرا بان لا
يكتفي برحمته التي لا بقاء لهما فان ذلك لا يكافي حقهما بل يطلب لهما الرحمة الباقية وقل رب اي ايها المحسن الي بعطفها
علي حتى ربياني وكانا يقدمانني على انفسهما ارحمهما بكرمك برحمتك الباقية وجودك كما رحمتهما انا برحمتي الفاصرة
مع تجلي وما في من طبع اللوم كما ربياني برحمتهما لي صغيرا وهذا مخصوص بالمسلمين بآية ما كان للنبي والذين امنوا
في سبحانه في الايضاء بهما حيث بداه بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمه في سلكه وختمه بالتصريح في نجاتهما جزاء على
فعلها وشكرا لهما وضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى شيء من اشتمامهما مع موجبات الضجر ومع احوالهما لا يكاد
يدخل الصبر عليها في حد الاستطاعة الا بتدريب كبير ولما كان ذلك عسرا جدا حذر من التهاون به بقوله ربكم
اي المحسن اليكم في الحقيقة فانه هو الذي عطف عليكم من ربيكم وهو الذي اعانهم على ذلك اعلم اي منكم بما في نفوسكم
من قصد البر بهما وغيره فلا يظهرا حكم غير ما يبطن فان ذلك لا ينفعه ولا ينجيه الا ان يحمل نفسه على ما يكون سببا لرحمتها
ان تكونوا اي كونا هو جبلة لكم صالحين اي متقين او محسنين في نفس الامر والصلاح استقامة الفعل على ما يدعو اليه
الدليل واشار الى انه لا يكون ذلك الا بمعالجة النفس وترجيعها كرة بعد فرة بقوله فانه كان للاوابين اي الرجاعين
الى الخير مرة اثر مرة بعد جماح انفسهم عنه غفورا اي بالغ الستر تنبيها لمن وقع منه تقصير فرجع عنه على انه مغفور
وما حث على الانسان اليها بالخصوص عقبه بالامر به لكل ذي رحم ومنه فقال وآت ذا القربى من جهة الاب والام وان
بعدت جهة وات المسكين وان لم يكن قريبا وابن السبيل وهو المسافر المنقطع عن ماله لتكون متقيا محسنا ولما رغب
في البر وكانت النفس قل ما يكون فعلها متوسطا بين الافراط والتفريط اتبع ذلك قوله ولا تبذر تبذيرا من البذر وهو بذله فيما لا ينبغي وفي قوله تبذيرا تنبيه على ان الارتفاق نحو ساحة التبذير اولى من الهبوط الى مضيق الشح والتقتير
والتبذير بسط اليد في المال على حسب الهوى جوادا واما الجود فبمقدار معلوم لانه اتباع امر الله في الحقوق المالية
ومنها معلوم بحسب القدر ومنها معلوم بحسب الوصف كمعاضدة اهل الملة وشكر اهل الاحسان اليك ونحو ذلك وقد مثل

ابن مسعود

ابن مسعود رضي الله عنه عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق الانسان ماله كله في الحق
ما كان تبذيرا ولو انفق مدا في باطل كان تبذيرا ثم علل ذلك بقوله ان المبذرين اي جبلة وطبعا كانوا اي كونا هم راسخون
فيه اخوان الشياطين اي كلهم البعيدين من الرحمة المحترقين في اللعنة فان فعلهم فعل النار التي هي اغلب اجزائهم وهو
احراق ما وصلت اليه لنفع وغير نفع فاذا لم يجدوا اخذوا ما ليس لهم والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم وتابع امرهم
هو اخوهم ولما كان الاقتصاد ادعى الى الشكر والتبذير اقود الى الكفر قال وكان الشيطان اي هذا الجنس البعيد من كل
خير المحترق بكل شر لربه اي الذي احسن اليه بايجاده وتربيته كفورا اي ستورا لما يقدر على ستره من آياته الظاهرة
ونعمه الباهرة مع الجحد ولما امر بما هو الاولى في حالة الوجدان امر بمثل ذلك حالة العدم فقال موكدا تنبيها على انه
ينبغي ان يكون الاعراض عنهم في حيز الاستبعاد والاستنكار واما تعرضن عنهم اي عن جميع ما تقدم ممن امرت بالبذل
له لامر اضطرك الى ذلك لا بد لك منه لكونك لا تجد ما تعطيه فاعرضت حياء لا لارادة المنع بل ابتغاء اي طلب رحمة
اي اكرام وسعة من ربك الكثير الاحسان ترجوها فاذا اتتك واسيتهم فيها فقل لهم في حالة الاعراض قولا ميسورا
اي ذا يسر يشرح صدورهم ويبسط رجاهم لان ذلك اقرب الى طريق المتقين المحسنين الذين انا معهم قال ابو حيان
وروي انه صلى الله عليه وسلم كان بعد نزول هذه الآية اذا لم يكن عنده ما يعطي وسئل قال يرزقنا الله واياكم من
فضله انتهى وقد وضع هنا الابتغاء موضع الفقد لانه سببه فوضع المسبب موضع السبب ولما امر بالجود الذي
هو لازم الكرم نهى عن البخل الذي هو لازم اللوم في سياق ينفر منه ومن الاسراف فقال ممثلا لهما باديا بمثال الشح ولا
تجعل يدك بالبخل مغلولة اي كانها بالمنع مشدودة بالغل الى عنقك لا تستطيع مدها ولا تبسطها بالبذل كل البسط
فتبذر فتقعد اي توجد كالمقعد بالقبض ملوما اي بليغ الرسوخ فيما تلام بسببه عند الله لان ذلك مما نهى عنه وعند
الناس وبالبسط محسورا منقطعا بك لذهاب ما تقوى به وانحسار عنك وكل من الحالتين مجاوز لحد الاعتدال ولما
كان سبب البخل خوف الفقر وسبب البسط محبة اغناء المعطي قال مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه
من الاضاقة عن التوسعة على من يسليه بان ذلك انما هو لتربية العباد بما يصلحهم لا لهوان بالمضيق عليه ولا لاكرام
للموسع عليه ان ربك اي المحسن اليك يبسط الرزق لمن يشاء البسط له دون غيره ويقدر اي يضيق كذلك سواء قبض
يده او بسطها ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكنه تعالى لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض
عنه اقصى مكروهه فاستنوا في انفاقكم على عباده بسننه في الاقتصاد انه كان اي كونا هو في غاية المكنة بعباده
خبيرا اي بالغ الخبر بصيرا اي بالغ البصر بما يكون من كل من القبض والبسط لهم مصلحة او مفسدة ولما اتم سبحانه
ما اراد من الوصية بالاصول وما تبع ذلك وختمه بما قرر من ان قبض الرزق وبسطه منه من غير ان تنفع في ذلك حيلة
اوصاهم بالفروع لكونهم في غاية الضعف وكانوا يقتلون بناتهم خوف الفقر وكان اسم البنت قد صار عندهم لطول
ما استهجنوه موجبا للقسوة فقال في النهي عن ذلك مواجها لهم اعلاما ببعده صلى الله عليه وسلم عن هذا الخلق قبل
الاسلام وبعده ولا تقتلوا اولادكم معبرا بلفظ الولد الذي هو داعية الى الحنو والعطف خشية املاق اي فقر
متوقع لم يقع بعد ثم وصل بذلك استينافا قوله نحن نرزقهم واياكم مقدما ضمير الاولاد يكون الاملاق مترقبا من
الانفاق عليهم غير حاصل في حال القتل بخلاف آية الانعام فان سياقها يدل على ان الاملاق حاصل عند القتل والقتل
للعجز عن الانفاق ثم علل ذلك بما هو اعم منه فقال ان قتلهم اي مطلقا لهذا وغيره كان خطأ اي اثما كبيرا قال
الرماني والخطأ اي بكسر ثم سكون لا يكون الا تعمدا الى خلاف الصواب والخطأ اي محركا قد يكون من غير تعمد ولما كان
في قتل الاولاد حظ من البخل وفي فعل الزنا داع من الاسراف اتبعه به فقال ولا تقربوا اي ادنى قرب بفعل شيء من
مقدماته ولو باخطاره بالخاطر الزنا مع ان السبب الغالب في فعل النساء له الحاجة وطلب التزيد وفيه معنى قتل الولد
بتضييع نسبه وفيه بسبب في ايجاد نفس بالباطل كما ان القتل تسبب في اعدامها بالباطل وعبر بالقربان تعظيما له لما
فيه من المفاسد الجارة الى الفتن بالقتل وغيره ثم علله بقوله موكدا ابلاغا في التنفير عنه لما للنفس من شدة الداعية
اليه انه كان اي كونا لا ينفك عنه فاحشة اي زائدة القبح وقد نهاكم عن الفحشاء في آية العدل والاحسان وساء الزنا
سبيلا اي ما اسواه من طريق والتعبير عنه بالسبيل يدل على كثرة متعاطيه بالدلالة على سعة نهجه ولما اتم النهي
عن هذين الامرين المتحدين في وصف الفحش وفي السبب على تقدير وفي اهلاك الولد بالقتل وما في معناه اتبعهما مطلق
القتل الذي من اسبابه تحصيل المال فقال ولا تقتلوا النفس اي بسبب ما جعل خالقها لها من النفاسة التي حرم الله
اي الملك الاعلى الذي له الامر كله بالاسلام او العهد الا بالحق اي بامر يحل الله به تلك الحرمة التي كانت فصارت
الاسباب المنهي عنها بتحريم مسبباتها منع الموجود بخلا ثم بذله اسرافا ثم تحصيل المفقود بغيا ثم عطف على ما افهم
السياق تقديره وهو فمن قتل نفسا بغير حق فقد عصى الله ورسوله ومن قتل اي وقع قتله من اي قاتل كان مظلوما اي
باي ظلم كان من غير ان يرتكب احدى ثلث الكفر والزنا بعد الاحصان وقتل المؤمن عمدا عدوانا فقد جعلنا اي بما لنا
من العظمة لوليه اي سواء كان قريبا او سلطانا سلطانا اي امرا متسلطا فلا يسرف الولي او فلا تسرف ايها الولي
في القتل بقتل غير القاتل ولا يزد على حقه بوجه انه اي القتيل كان منصورا في الدنيا بما جعل الله في الطباع من فحش

القتل وكراهة كل احد له وبغض القاتل والنفرة منه والاخذ على يده وفي الاخرة باخذ حقه من غير ظلم ولا غفلة فمن
وثق بذلك ترك الاسراف فانه لخوف الفوت او للتخوف من العود ولما نهى عن الاغارة على الارواح والايضاع التي هي
سببها اتبعه النهي عن نهب ما هو عديلها لان به قوامها وهو الاموال وبدا باحق ذلك بالنهي لشدة الطمع فيه لضعف مالكه فقال
ولا تقربوا اي فضلا عن ان تاكلوا مال اليتيم فعبر بالقربان الذي هو قبل الاخذ تعظيما للمقام الا بالتي هي احسن من طرائق القربان
وهو التصرف فيه بالغبطة تثميرا لليتيم حتى يبلغ اليتيم اشده وهو ايناس الرشد منه بعد بلوغه ولما كانت الوصية نوعا من
انواع العهد امر بوفا ما هو اعم منها فقال واوفوا اي اوقعوا هذا الجنس في الزمان والمكان وكل ما يتوقف عليه الامر المعاهد
عليه ويتعلق به بالعهد اي بسببه ليتحقق الوفا به ولا يحصل فيه نقص ما وهو العقد الذي تقدم للتوثق ولما كان العلم
بالنكث والوفا متحققا كان العهد نفسه كانه هو المسؤل عن ذلك فيكون رقيبا على الفاعل به فقال تعالى مرهبا من المخالفة ان
العهد كان اي كونا موكدا مسؤلا اي عن كل من عاهد هل وفى به او مسؤلا عنه من كل من يتاتى منه السؤال ولما كان التقدير بالكيل
او الوزن من جملة الامات الخفية كالتصرف لليتيم وكان الايتمان عليه كالمعهود فيه اتبعه قوله واوفوا الكيل اي نفسه فانه
امر محسوس لا يقع فيه الباس واشتباه ولما كان ذلك صالحا لمن اعطى ومن اخذ قال اذا كلتم اي لغيركم فان اكتلتم لانفسكم فلا جناح
عليكم ان نقصتم عن حقكم ولم توفوا الكيل وزنوا اي وزنا ملتبسا بالقسطاس اي ميزان العدل الذي هو اقوم الموازين وزاد
في تاكيد معناه فقال المستقيم دون شي من الحيف على ما مضى في الكيل سوا ذلك اي الامر العالي الرتبة الذي امرناكم به خير لكم
في الدنيا والاخرة وان ترا اي لكم ان غيره خير واحسن تاويلا اي عاقبة في الدارين وهو تفعيل من الاول وهو الرجوع وافعل
التفضيل هنا لاستعمال النصفة بارخاء العنان اي على تقدير ان يكون في كل منهما خير فهذا الذي ذكرناه اريد خيرا والعاقل لا
ينبغي ان يرضى لنفسه بالدون ولما كان ذلك مما يشهد العقول بحسنه واضداده مما تتحقق النفوس قبحه لان الله جبل
الانسان على ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم البر ما سكن اليه القلب واطمانت اليه النفس والاثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر
وان افتاك المفتون وافتوك وقال ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وكان قد جمع
الضماير سبحانه تلاه سبحانه بما يعمه وغيره فقال مفردا الضمير ليصوب النهي الى كل من الجم والافراد في حالتي الاجتماع والانفراد
على حد سواء ولا اي افعلوا ما امرتم به من ذلك وانتهوا عما نهيتم عنه منه لما تقرر في الجبلات من العلم الضروري بخيريته وحسنه
ولا تقف اي تتبع ايها الانسان مجتهدا بتتبع الاثار ما ليس لك به علم من ذلك وغيره كل شي بحسبه لا سيما البهت والقذف
فما كان المطلوب فيه القطع لم يقنع فيه بدونه وما اكتفي فيه بالظن وقف عنده ثم علل ذلك مخوفا بقوله ان السمع والبصر
وهما طريقا الادراك والفؤاد الذي هو آلة الادراك ثم هول الامر بقوله كل اولئك اي هذه الاشيا العظيمة العالية
المنافع البديعة التكوين واولا وجميع اسماء الاشارة يشار بها للعاقل وغيره كقوله
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان اي بوعد لا خلف فيه عنه اي وحده مسؤلا بسؤال
يخصه هل استعمله صاحبه في طلب العلم مجتهدا في ذلك ليعمل عند الوقوف على الحقايق بما يرضي الله ويجتنب ما يسخطه اولا
واولى حديث النفس السانح ثم الخاطر ثم الارادة والعزيمة فيواخذ بالارادة والعزيمة لدخولهما تحت الاختيار فيتعلق
بهما التكليف ولعدم دخول الاولين خفف عنا بعدم المواخذة بهما كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت
به انفسها ما لم تعمل به او تتكلم ولما كان الكبر والانفة اعظم موقف عن العلم الداعي الى كل خير ومرض بمرض الجهل الحامل
على كل شر قال ولا تمش اي مشيا ما وحقق المعنى بقوله في الارض اي جنسها مرحا وهو شدة الفرح التي يلزمها الخيلا لان
ذلك من رعونات النفس بطيش الهوى وداعي الشهوة وما طبعت عليه من النقايص فانه لا يحسن الا بعد بلوغ جميع الامال التي
توخذ بالجد وان يكون ذلك لمخلوق ولذلك علله بقوله انك لن تخرق اي ولو باد في الوجوه الارض اي تقطعها سيرا من
مكانك الى طرفها ولن تبلغ اي بوجه من الوجوه الجبال طولا اي طول الجبال كلها بالسير فيها فاذا كنت تعجز في قدرتك وعلمك
عن خط مستقيم من عرض الارض مع الجد والاجتهاد وعن التطاول على اوتادها فبماذا تفخر وباي شي تتكبر حتى تتبختر وذلك
من فعل من بلغ جميع ما امل ثم عظم جميع ما مضى من المنهيات واضداد المامورات بقوله كل ذلك اي الامر البعيد من المكارم
كان اي كونا غير مزايل ولما كانت السيئة قد صارت في حكم الاسما كالاثم والذنب وزال عنها حكم الصفات حملها على المذكر
ووصفها به فقال سيئة وزاد بشاعته بقوله عند ربك اي المحسن اليك احسانا لا ينبغي ان يقابل عليه الا بالشكر مكروها
اي يعامله معاملة المكروه من النهي عنه والذم لفاعله والعقاب والعاقل لا يفعل ما يكرهه المحسن اليه حيا منه فان لم يكن
مخوفا من قطع احسانه وخضوعا لعز سلطانه ويجوز ان يكون المراد بهذا الافراد النبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه
لا يقدر احد غيره على امتثال هذا النهي على ما ينبغي لانه لا يعلم احد العلم على ما هو عليه سواه ولان الراس اذا خوطب بشي كان
الاتباع له اقبل وبه اعنى ولما تمت هذه الاوامر والزواجر على هذا الوجه الاحكم والنظام الاقوم اشار الى عظيم شانه
ومحكم اتقانه بقوله على طريق الاستيناف تنبيها للسامع على ان يسال عنه ذلك اي الامر العالي جدا مما اوحى اي بعث في خفية
اليك ربك اي المحسن اليك من الحكمة التي لا يستطاع نقصها ولا الاتيان بمثلها من الدعاء الى الخير والنهي عن الشر ومن حكمة هذه
الاشيا المشار اليها من الاوامر والنواهي انها لم تقبل النسخ في شريعة من الشرايع بل كانت هكذا في كل ملة ولما تبين ان الجهل
سبب لكل سوء وكان الشرك اعظم جهل اتبعه ليكون النهي عنه بدءا وختاما دلالة على فرط شناعته عطفا على ما مضى من النواهي

القلوب

قوله

قوله ولا تجعل او يقدر له ما يعطف عليه نحو فالزمه ولا تجعل مع الله اي الملك الاعظم الذي له الامر كله الها ولما كانوا
لتعنتهم ربما جعلوا تعداد الاسماء تعدادا للمسميات كما ورد في سبب نزول قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قال مع افهام
المعية للغيرية آخر فان ذلك اعظم الجهل الذي نهي عن قفوه فتلقى اي فيفعل بك في الاخرة في الحبس في جهنم من الاسراع فيه وعدم
القدرة على التدارك فعل من القي من عال حال كونك ملوما اي معنفا على ما فعلت بعد الذم مدحورا اي مطرودا بعد الخذلان
فهذان الوصفان اشنع من وصفي الذم والخذلان في الآية الاولى كما هي سنته تعالى ان يبدا بالاخف تسليكا لعباده وانما
كان الشرك اجهل الجهل لان من الواضح ان الاله لا يكون الا واحدا بالذات فلا ينقسم وبالاعتبار فلا يجانس وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان هذه الثمانية عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر وهي عشر ايات في
التورية جعل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وعلومه وان
بذ فيها الحكماء وحك يافوخه السماء ما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم ولما كان ادعاؤهم ان
الملائكة بنات الله ادعا لان له مناسبا ومجانسا في اخص الصفات وهي الالهية وكانت عبادتهم لهم تحقيقا لذلك وكان ذلك
ازيد من مجرد الشرك في الجهل ساقه مساق التقريع والتوبيخ تنبيها على ظهور فساده متصلا بما مضى من النهي عن الشرك بالعطف
بقا السبب على ما بعد الاستيناف بهمزة الانكار فكان كانه قيل لا تفعل ذلك كما فعل هولاء الذين افرطوا في الجهل فنسبوا اليه من
خلقه ادنى الجزئين كما تقدم في النحل في قوله ويجعلون لله البنات الآية ثم عبدوا ذلك الجزء وهم لا يرضونه لانفسهم ثم
التفت اليهم مخاطبا بما دل على تناهي الغضب فقال افاصفاكم ربكم اي اخلق المحسن اليكم بنين وبنات فاصفاكم احسانا اليكم
وانتم تكفرون به بالبنين الذين هم افضل صنفي الاولاد ولم يحسن الى نفسه بان شارككم في البنين بل اتخذ عبر بالافتعال لان
من عدل الى احد الصنفين مع التمكن من الآخر لا يكون الا شديد الرغبة فيما عدل اليه من الملائكة الذين هم اقرب عباده اولادا
ثم ما كفاه نقص الولدية ومعالجة اسبابها حتى جعل ما اتخذه اناثا فرضي لنفسه وهو الهكم الخالق الرازق بما لا ترضونه
لانفسكم ووصلتم في كراهته في بعض الحالات الى القتل فصار مشاركا لكم في البنات مخصصا لكم دونه بالبنين وذلك خلاف عادتكم
في ان العبيد لا يوثرون بالاجود ويكون الادون للسادات وعبر اولا بالبنين دون الذكور لان اسم الابن الذي في السمع مرض لمن
بشر به من غير نظر في العاقبة وقد يكون انثى الافعال ولان اسم الذكر مشترك المعنى وعبر في الثاني بالاناث لافهام الرخاوة
بمدلول اللفظ وانهن بنات بالمعادلة ويمكن ان تنزل الآية على الاحتباك فيكون التقدير بالبنين ورضي لنفسه بالبنات وخصكم
في نوعكم الذي هو اضعف ما يكون بالذكور واتخذ من الملائكة الذين منهم من يقدر على حمل الارض وقلب اسفلها على اعلاها اناثا
في غاية الرخاوة ولذلك استانف الانكار عليهم معظما لذلك بقوله انكم لتقولون واكده لما لهم من التهاون به والاجتراء عليه
بقوله قولا وزاد في ذلك بقوله عظيما اي في الجهل والافك عليه وعلى ملائكته الذين لا يعصونه ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
فتضيفون اليه الاولاد وهم من خصائص الاجسام ثم تفضلون انفسكم عليه فتجعلون له ما تكرهون ولما كان في هذا من البيان
ما لا يخفى على انسان ولم يرجعوا اشار الى ان لهم امثال هذا الاعراض عن امثال هذا البيان فقال ولقد صرفنا اي طرقنا
تطريقا عظيما بانواع طرق البيان من العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام في قوالب الوعد والوعيد والامر
والنهي والمحكم والمتشابه الى غير ذلك في هذا القرآن من هذه الطرق ما لا غبار عليه ونوعناه من جهة الى جهة ومن مثال الى
مثال والتصريف لغة صرف الشيء من جهة الى اخرى ثم صار كناية عن التبيين قاله ابو حيان ولما كان ذلك مركوزا في
الطباع وله في العقول امثال تبرز عرائسها من خدورها بادنى التفات من النفس سمي الوعظ بها تذكيرا بما هو معلوم فقال
ليذكروا اي نوعا من التذكر بما اشار اليه الادغام فانه سبحانه كريم يرضى باليسير هذا في قراءة الجماعة وقرا حمزة والكسائي
باسكان الذال وضم الكاف اشارة الى ان جميع ما في القرآن لا يخرج شيء منه عن العقل بل هو مركوز في الطباع وله شواهد في
الانفس والآفاق يستحضرها الانسان بادنى اشارة وايسر تنبيه اذا ازيل عنها ما سترها عن العقل من الحظوظ والشواغل
واتبعه قوله معجبا منهم وما يزيدهم اي التصريف الا نفورا عن السماع فضلا عن التذكر لاعتقادهم ان ذلك ليس
ببراهين بل هو شبه وحيل الى صرفهم عما هم فيه مما الفوه وتلقوه عن آبائهم وتمادت عليهم الدهور في اعتقاد كونه حقا
فكانه قيل فما يفعل بهم فقال قل لهم ولا تيأس من رجوع بعضهم لو كان معه اي ربكم الذي تقدم وصفه بالاحسان والتنزيه
آلهة كما تقولون من هذه الاقوال التي لو قالها اعظمكم في حق ادناكم وهو يريد بها حقيقتها لصار ضحكة للعباد اذن لابتغوا
اي طلبوا طلبا عظيما الى ذي العرش اي صاحب السرير الاعظم المحيط الذي من ناله كان منفردا بالتدبير سبيلا اي طريقا
سالكا يتوصلون به اليه ليقهروه ويزيلوا ملكه كما ترون من فعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض او ليتخذوا عنده يدا
تقربهم اليه وصرح بالعرش تصويرا لعظمته وتعيينا للمبتغي والمبتغى ثم نزه نفسه تعظيما عن ذلك وعن كل نقص فقال
سبحانه اي تنزه التنزه الاعظم عن كل شائبة نقص وتعالى اي علا اعظم العلو بصفات الكمال عما يقولون من هذه النقائص
التي لا يرضاها لنفسه احد من عقلاء خلقه فضلا عن رئيس من رؤسائكم فكيف بالعلي الاعلى واتى بالمصدر المجرد في قوله
علوا ايذانا بان الفعل مجرد في الحقيقة وان اتى به على صيغة التفاعل ايذانا بالمبالغة كبيرا لا تحتمل عقولكم الوقوف على حقيقته ولا
تدركون منه اكثر من مفهوم هذا الوصف عندكم بحسب ما تتعارفونه والامر اعظم من مقاله قائل ان رقق البلغا او ان فخموا
ثم استانف بيان عظمة هذا التنزيه مقرونا بالوصف بالكمال فقال تسبح اي توقع التنزيه الاعظم له اي الاله الاعظم

احتباك

الذي تقدم وصفه بالجلال والاكرام خاصة السموات السبع كلها والارض ايضا ومن فيهن من ذوي العقول وان اي وما
واعرق في النفي فقال من شيء اي ذي عقل وغيره الا يسبح اي ينزه له ملتبسا بحمده اي بوصفه بما له من صفات الكمال بما له تعالى
في ذلك الشيء من الآيات الدالة على كل من السلب والايجاب وهذا تسبيح بلسان المقال ممن يصح منه وبلسان الحال منه ومن غيره كما
يقال قالت الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني ولو تسبيح من جهات شتى ليسمعها العارفون تسبيح النهر وصفا الدهن من جهة
ذاتها في خلقها ثم في معنى صفتها بحاجتها من جهة حدوثها الى صانع احدثها قديم غير مصنوع ومن جهة اتقانها الى كونه مدبرا حكيما
ومن جهة فنائها الى كونه مع ذلك قادرا مختارا قاهرا اجبارا الى غير ذلك بخلاف ما لو قصر التسبيح على لسان المقال فانه يكون من
نوع واحد واوضح مرشد الى ذلك قوله ولكن لا تفقهون دون تسمعون تسبيحهم لاعراضكم عن النظر وتعويلكم عن سماع الذكر
الذي هو اعظم اسبابه على ان هذا انما هو بالنسبة لعامة الخلق واما الخاصة فانهم يسمعون تسبيح الجمادات روى البخاري عن
عبد الله رضي الله عنه قال كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال
اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا باناء فيه ماء قليل فادخل يده في الاناء وقال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رايت الماء
ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وتسبيح الحصى مشهور وفي زبور داود
عليه السلام تكرير كثير لهذه الآية وحث على تاملها قال تعالى في المزمور الثامن والستين تسبح له السموات والارض والبحار وكل ما يدب
فيها وفي المزمور الخامس والثمانين فليس مثلك يا ربي والهي ولا مثل اعمالك لان جميع الامم الذين خلقت ياتون ويسجدون امامك يا رب ويسبحون
لاسمك لانك عظيم صانع الآيات وفي التاسع والثمانين بذراعك العزيزة فرقت اعداءك لك السموات ولك الارض انت اسست الدنيا بكل ما
خلقت البر والبحر تابور وحرمون باسمك يسبحان لك القوة والجبروت تعتز يدك وتعلو عينك بالعدل والحكم اتقنت كرسيك الرحمة والعدل
ينطلقان امامك طوبى للشعب الذي يعرف تسبيحك وفي الخامس والتسعين سبحوا الرب تسبيحا جديدا الارض كلها تسبح الربا سجدوا
للرب في هياكل قدسه لان جميع الارض تتزلزل بين يديه قولوا في الشعوب ان الله هو الملك اتقن الدنيا كي لا تزول يقضي بين الشعوب
بالعدل تفرح السموات وتبتهج الارض ينقلب البحر في عمقه تهلل البقاع وما فيها هنالك تسبح جميع شجر الغياض قدام الرب وفي الساع والتسعين
وسه تسبح كل الارض مجدوا وهللوا وسبحوا الرب وفي الثامن والاربعين بعد المايه سبحوا الرب من السموات سبحوه من العلى يا جميع ملايكته
اسم الرب لانه قال فكانوا وامر فخلقوا واقامهم الى الابد والدهر جعل لها موعدا لا تتجاوزه يسبح الرب من في الارض التنانين وجميع الاعماق
النار والبرد والثلج والجليد والريح العاصفة عمل كلمته الجبال وكل الاكام الشجر المثمرة وجميع الارز السباع وكل البهايم والوحوش وكل
حيوان وكل طاير ذي جناح ملوك الارض وساير الشعوب العظما وجميع حكام الارض الشبان والعذاري والشيوخ والصبيان يسبحون اسم
الرب لان اسمه قد تعالى وحده وفي الخمسين بعد المايه سبحوا الله في كل قديسيه سبحوه في جلد قوته سبحوه كمثل جبروته سبحوه بكثرة
عظمته سبحوه بصوت القرن سبحوه باصوات عاليه كل نسمة تسبح الرب ولما كان تسبيح جميع المخلوقات امرا واضح الفهم ظاهر الشان
فكانوا مستحقين للعقاب في عدم فهمه بعدم التامل في المصنوعات حق التامل نبههم على ان عاينتهم انما هي لحله عنهم فهو ينظرهم الى
المدة التي ضربها لهم لانه لا يعجل لتنزهه عن شوايب النقص التي نطق كل شيء بتنزيهه عنها فقال انه كان حليما حيث لا يعاجلهم بالعقوبة
على اعراضهم عن صرف الافكار فيما امرهم بصرفها اليه ولما كان الغالب على احوال البشر ان حليمهم اذا غضب لا يغفر وان عفا كان عفوه
مكدرا قال غفورا مشيرا بصيغة المبالغة الى انه على غير ذلك ترغيبا في التوبة ولما قرر في سياق التوحيد انهم في الحضيض
من الغباوة التفت الى سيد اولي النهى فقال مشيرا الى النبوة عاطفا على لا يفقهون منبها على انهم لا يفهمون لسانا لقال فضلا عن
لسان الحال واذا قرات القران الذي لا يدانيه واعظ ولا يساويه مفهم ومبين لكل شيء جعلنا اي بما لنا من العظمة بيننا
وبينهم وكنه اظهر هذا المضمر بالوصف المنبه على اعراضهم عن السماع على الوجه المفهم فقال وبين الذين لا يؤمنون اي لا يجدد
لهم ايمان بالاخرة اي التي بها قطب الايمان حجابا ما لنا لجميع ما بيننا وبينهم مع كونه ساترا لك عن ان يدركوك حق الادراك على ما انت
عليه مستورا عنهم وعن غيرهم لا يراه الا من اردنا وذلك ابلغ في العظمة واعجب في نفوذ الكلمة وجعلنا اي بما لنا من العظمة على
قلوبهم اكنة اي اغطية كراهة ان يفقهوه اي يفهموا القران حق فهمه وفي اذانهم وقرا اي شيا ثقيلا يمنع سماعهم السماع النافع
فالتصوير في ادراكهم لا في بيانه فرويتهم النبي صلى الله عليه وسلم حال التلاوة غير صحيحة كما ان سمعهم وادراكهم لما يقرا وان كذلك
كما قال تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة واذا ذكرت ربك المحسن اليك واليهم في القران حال كونه وحده
مع الاعراض عن آلهتهم ولوا ولحقق المعنى وصوره بما يزيد في بشاعته تنفيرا عنه على ادبارهم نفورا مصدر من غير اللفظ
موكدا كانه محصل لمعناه او جمع نافر كقاعد وقعود ومادة وقر بجميع تقاليبها الخمسة عشر تدور على الجمع كما مضى في اخر
يوسف واول الحجر فالوقر بالفتح ثقل في الاذن او ذهاب السمع كله لان ذلك يوجب اجماعا في النفس وسكونا يحمل على الوقار
الذي هو السكينة بخلاف ما كان يسبب الفكر من السمع ومن ذلك الوقر بالكسر الحمل مطلقا او الثقيل او كان الحمل
جامع لما فيه والاذن جمعت حاسها فكانه جمع خرقها فصيرها صلدا اكاة صخرة الصماء لا ينفذ فيها شيء ولذلك يسمى الطرش
الصمم وحمله موقرا اي مستجمعة حملا واستوقت الابل سمنت اي جمعت الشحم واللحم ووقر كوعد جلس لاستجماع بعض اعضايه
الى بعض والوقير القطيع من الغنم او صغارها او حمايتها او عام او الغنم بحملها وحمارها وراعيها كالقرة لاستجماع بعضها
الى بعض والوقري محركة راعي الوقير او معتني الشاء وصاحب الخبز وساكن المصر والقرة كعدة العيال والثقل والشيخ

الكبير

الكبير لان الكبر والثقل يثمران الوقار الناشي عن استجماع النفس والعزم وترك الانتشار بالطيش وما قبلها واضح في الجمع
والموقر كمعظم المجرب العاقل قد حنكته الدهور لان ذلك يثمر استجماع العقل ووقرت الرجل توقيرا بجلته ورزنته
والدابة سكنتها فكان كانه جمع اليها حمل ثقيل والتيقور فيعول من الوقار تاؤه مبدلة من واو يقال وقر في بيته يقر اي جمع
نفسه فيه لاجتماع همه والموقر كمجلس الموضع السهل عند سفح الجبل لعله شبه بالرجل الوقور المطمئن الساكن النفس والحامل
الذي يوطنه الحمل والوقرة وكنه اي حفرة تكون في الحافر والعين والحجر لان من شان الحفرة ان تجمع ما تودعه ومنه توقير
الشي ان تصير له وقرات اي اثارا والوقر الصدع في الساق وكالركية او الهزمة تكون في العظم والحجر والعين واوقر الله الدابة
اصابها بوقرة وفقير وقير اي مكسور العظام او الفقار او تشبيه بصغار الشاء او اتباع او المعنى ان الدين اوقره والوقير
النقرة العظيمة في الصخرة تمسك الماء وهو واضح في الجمع والروق القرن لشدة اجتماعه لصلابته واستدارته ولانه يجمع
اقدام صاحبه وعزمه والروق ايضا عزم الرجل وفعاله لجمعها امره والروق من الليل طائفة لاجتماع ساعاتها والروق من
البيت رواقه اي الشقة التي دون الشقة العليا لانها تكمل جمعه لما يقصد منه من الستر ورواق البيت ككتاب وغراب
ما اطاف به قال القزاز وقيل الرواق كالفسطاط يحمل على عمود واحد في وسطه قال في القاموس او سقف في مقدم
البيت وحاجب العين ولعله شبه بالستر ومن الليل مقدمه وجانبه شبه بجانب البيت والروق من الشباب اوله كالريق
بالفتح والريق ككيس واصله ريوق لانه ينبني عليه ما بعده ويجتمع اليه كانه الاصل الذي يجمع جميع الفروع والريق ايضا
ان يصيبك من المطر شي يسير كانه اول المطر والروقة الشي اليسير وهي من ذلك والروق ايضا العمر لانه الجامع للحال
وراقني الشي اعجبني لان الفكر يجمع الخواطر لاجله فلا يظهر له وجه ما صار به معجبا ووصيف روقة اذا اعجبك وجارية
روقة وغلمان روقة جمع رايق والروقة الشي الجميل جدا والروق بالفتح العجب والاعجاب بالشي ومن الخيل الحسن الخلق
يعجب الراي والجمال الرايق كالريق والروق والرواق الستر لانه يجمع البصر والهم عما وراه وهو ايضا موضع الصايد
لانه يجمعه على ما يريد ويوصله اليه والروق الرواق ومقدم البيت والشجاع لا يطاق لاجتماع همه لما يريد والفسطاط
والسيد لجمع الفضايل والصافي من الماء وغيره لان الصفا اجدر باجتماع الاجزاء والروق الجماعة والحب الخالص ومصدر
راق عليه اي زاد عليه فضلا لان الزيادة لا تكون الا عن جمع والروق البدن من الشي لجمعه له والحية لتحويها اي تجمعها
وداهية ذات روقين اي عظيمة مشبهة بالثور ورمي بارواقه على الدابة ركبها اي بجميع اعضايه ورمي بارواقه عنها نزل
والقى ارواقه عدا فاشتد عدوه كانه خرج من جميع اعضايه فعدا روحا بلا بدن فصار اعظم من الطاير اي غلبت روحه على
بدنه والقى ارواقه اقام بالمكان مطمئنا قال في القاموس كانه ضد انتهى والمفعول فيه في هذا محذوف كانه قال في مكان
كذا ومن المعلوم ان بدنه اذا كان في مكان وهو حي فقد اقام به والقى عليك ارواقه وهو ان تحبه شديدا والمعنى انه البسك
بدنه فصارت روحك مدبرة له فصرت اياه وتعبير القزاز بقوله وهو ان تحبه حتى تستهلك في حبه يدل على ذلك والقت
السحابة ارواقها اي مطرها ووبلها اي مياهها الصافية وذلك هو مجموع ما فيها وارواق الليل اثناء ظلمته شبه بالخيمة ومن
العين جوانبها لانها حاوية لها وعبارة القزاز ضرب الليل بارواقه اذا اقام وثبت وقيل ارواقه مقاديمه واسبلت
العين ارواقها سالت دموعها اي جميع ما فيها كان ذلك كناية عن اشتداد البكاء وروق الفرس الذي يمده الفارس من
رمحه بين اذنيه تشبيه له بقرن الثور وذلك الفرس اروق ومنه الروق محركة وهو طول الاسنان تشبيها لها
بالروق اي القرن قال القزاز وقيل الروق طول الاسنان وانثناؤها الى داخل الفم واشراف العلى على السفل
والقوم روق اذا كانوا كذلك وهو يصلح لان يكون تشبيها بما ذكر ولان يكون من الجمع من اجل الانثناء ومنه اكل فلان
روقه اذا اسن فطال عمره حتى تتحات اسنانه المشبهة بالقرن والترويق التصفية وقد تقدم ان الشي اذا خلص
من الاغيار كانت اجزاؤه اشد تلاصقا والترويق ان يبيع سلعة ويشتري اجود منها مشبه بالتصفية والراووق
المصفاة يروق بها الشراب بلا عصر والكاس بعينها والباطية وناجود الشراب الذي يروق به لانها تجمع الشراب
والقرو القصد والتتبع كالاقتراء والاستقراء والطعن وهو واضح في الجمع والقرو حوض طويل ترده الابل
وعبارة القزاز شبه حوض ممدود مستطيل الى جنب الحوض يفرغ منه في الحوض الاعظم ترده الابل والغنم
وكذا ان كان من خشب والقرو الارض لا تكاد تقطع كانها حمت اجتماع اجزائها عن ان يفرقها احد والقرو مسيل
المعصرة ومثعبها لاجتماع ما يسيل فيه واسفل النخلة ينقر فينتبذ فيه او يتخذ منه المركن والاجانة للشرب وقدح
او اناء صغير وميلغة الكلب وحق عليه طبق ومنقع الماء والعرب تقول اصبحت الارض قروا واحدا اذا كثر الخصب
والمطر وكل ذلك واضح في الجمع وان يعظم جلد البيضتين لريح او ماء او نزول الامعاء كالقروة وذلك اما لشبههما
بالقدح او لجمعهما ما اوجب كبرهما وقرى كفعلى ماء بالبادية يجمعه الناس والقري القرع يوكل لانه صالح لان يجعل
اناء والقري الظهر لجمعه الاعضاء وناقة قرواء طويلة السنام والمقروري الطويل الظهر واقري اشتكى اما ان
يكون من شكاية القراء واما ان يكون للسلب اي ازال اجتماع همه وعزمه والقرواء العادة لجمعها اهلها والدبر لجمعها ما
فيها واقري طلب القري ولزم القري واقري الحل على الفرس الزمه والمقاري روس الاكام لانها مجمع وتركتهم قروا واحدا
على طريقة واحدة اي مجتمعين وشاة مقروة جعل راسها في خشبة لئلا ترضع نفسها اي جمع فكاها وقروة الراس طرفه

وعبارة القزاز وقروان الراس وقروه الراس اعلاه فانه مجتمع امره لانه موضع المفكرة وقروة الانف طرفه لانه
آخر جامع لجماله واستقري الدمل صارت فيه المدة اي اجتمعت والقيران معظم العسكر ومعظم القافلة وستاتي ان شا الله تعالي
بقية المادة في بورقكم في الكهف ولما كانوا ربما ادعوا السمع والفهم فشككوا بعض من لم يرسخ ايمانه اتبعه تعالي ما يوكد ما
مضي ويثبت السامعين فيه فقال علي طريقة الجواب مهددا ودالا علي ان مداركهم موؤفة نحن اعلم اي من كل عالم بما يستمعون
اي يبالغون في الاصغاء والميل لقصد السمع به من الاذان والقلوب او بسببه من ارادة الوقوع علي سقطة يجعلونها موضع
تكذيبهم واستهزائهم اذ يستمعون اي يصغون بجهدهم وبين بعدهم المعنوي بقوله اليك واذ اي وحين هم ذووا نجوي اي
يتناجون بان يرفع كل منهم سره الي صاحبه بعد اعراضهم عن الاستماع ثم ذكر ظرف النجوي فقال اذ يقول مبرزا لضميرهم
بالوصف الدال علي ما حملهم علي ما تناجوا به وهو الظالمون ومقولهم ان تتبعون اي ايها التابعون له بغاية جهدكم الا رجلا
مسحورا مختلط العقل فامتطوا في هذا الوصف ذروة الظالم وسياتي في آخر السورة سر استعمال اسم المفعول موضع اسم
الفاعل ثم وصل بذلك الدليل علي نسبته سبحانه لهم الي الجهل الذي كان نتيجة قولهم هذا فقال انظر ولما كان امرهم مما يزيد
العجب منه وتتوفر الدواعي علي السوال عنه قال كيف ضربوا اي هولاء الضلال لك الامثال التي هي ابعد شي عن صفتك
من قولهم ساحر وشاعر ومجنون ونحوه فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا اي فتسبب عن ضلالهم انهم لا يستطيعون سبيلا
اي يسلكون فيه الي اصابة المحز في مثل او احكام الامر في عمل وهذا بعد ان نهاهم الله بقوله فلا تضربوا لله الامثال ان الله
يعلم وانتم لا تعلمون فكان هذا ادل دليل علي ما وصفناهم به من عدم الفهم والسمع فضلا عن ان يكون لهم الي مقاومة هذا القرآن
الذي يدعون انه قول البشر سبيل او يغيروا في وجهه بشبهة فضلا عن دليل ولما جرت عادة القرآن باثبات التوحيد والنبوة
والمعاد وقدم الدلالة علي الاولين وختم باثبات جهلهم في النبوة مع ظهورها اتبع ذلك امرا جليا في ضلالهم عن السبيل في امر المعاد
وقرره غاية التقرير وحرره اتم تحرير فقال معجبا منهم وقالوا اي المشركون المنكرون للتوحيد والنبوة والبعث مع اعترافهم
بانا ابتدانا خلقهم ومشاهدتهم في كل وقت انا نحيي الارض بعد موتها ايذا استفهاما انكاريا كانهم علي ثقة من عدم ما ينكرونه
والعامل في اذا فعل من لفظ مبعوثون لا هو فان ما بعد ان لا يعمل في ما قبلها فالمعني انبعث اذا كنا اي بجملة اجسامنا كونا
لازما عظاما ورفاتا اي حطاما مكسرا مفتتا او غبارا اينا لمبعوثون حال كوننا مخلوقين خلقا جديدا فكانه قيل فماذا
يقال لهم في الجواب فقيل قل لهم لا تكونوا رفاتا بل كونوا ترابا بل كونوا اصلب التراب حجارة اي هي في غاية اليبس او حديدا
زاد علي يبس الحجارة شدة اتصال الاجزاء او خلقا غيرهما مما يكثر اي يعظم عظمه كبيرة في صدوركم عن قبول الحيوة ولو انه
الموت حتي تعلموا حال الاعادة كيف يكون حالكم في الاجابة الي ما يريد فان الكل اصله التراب فالذي فضل طينكم الذي
خلقتم منه علي ساير الطين بالنمو ثم بالحيوة ثم بالنطق وفضل بعض الناطقين علي بعض بمواهب لا تحصي قادر ان ينقل تلك
الفضيلة الي الطين الذي نقله طورا بعد طور الي ان جعله حجرا او حديدا فسيقولون تماديا في الاستهزاء من يعيدنا
اذا كنا كذلك قل الذي فطركم اي ابتدا خلقكم اول مرة ولم تكونوا شيا يعيدكم بالقدرة التي ابتداكم بها فكما لم تعجز تلك القدرة
عن الشداة فهي لا تعجز عن الاعادة فسينغضون اي مصوبين بوعد لا خلف فيه مشيرين اليك روسهم اي يحركونها من شدة
التعجب والاستهزاء كانهم في شدة جهلهم علي غاية البصيرة من العلم بما يقولون والنغض والانغاض تحريك بارتفاع
وانخفاض ويقولون استهزاء متي هو ثم وصل به قوله قل قول مقتصد غير ممتعض بحالهم ولا ضيق بقولهم عسي ان يكون
اي كونا لا انفكاك عنه قريبا مطرقا اليه الاحتمال لامكانه غير جازم ثم استانف جازما بقوله يوم اي يكون ذلك يوم
يدعوكم اي يناديكم المنادي من قبله بالنفخة او بغيرها كان يقول يا اهل القبور قوموا الي الجزاء او نحو ذلك فتستجيبون
اي توافقون الداعي فتفعلون ما اراد بدعائه وتطلبون اجابته وتوجدونها او استعار الدعاء والاستجابة للبعث والانبعاث
تنبيها علي سرعتهما وتيسر امرهما وان القصد بهما الاحضار للحساب بحمده اي باحاطته سبحانه بكل شي قدرة وعلما من غير تخلف
اصلا بل بغاية الاذعان كما يرشد اليه صيغة استفعل وانتم مع سرعة الاجابة تحمدون الله اي تثبتون له صفة الكمال
وتظنون مع استجابتكم وطول لبثكم ان اي ما لبثتم ميتين الا قليلا لشدة ما ترون من الاهوال التي احاطت بكم والتي
تستقبلكم او جهلا منكم بحقايق الامور كما هي حالكم اليوم لما ترون من جده خلقكم وعدم تغيره ولما امر سبحانه بابلاغهم
هذا الكلام وفيه من التهكم بهم والتبكيت لهم والاستخفاف بعقولهم ما لا يعلم مقداره الا مثلهم من البلغاء والعرب العرباء
وكان لكونه كلام العليم بالعواقب الخبير بما تجن الضماير ربما استن به المومنون فخاطبوهم بنحوه من عند انفسهم نهاهم
عن ذلك لئلا يقولوا ما يهيج شرا او يثير ضرا فقال وقل اي قل لهم ذلك من الحكمة والموعظة الحسنة وقل لعبادي اي
الذين هم اهل للاضافة الي واعظا لهم لئلا يتجاوزوا الحد من شدة غيظهم من المشركين ان يقل لهم ذلك يقولوا الموعظة
والحكمة والمجادلة التي هي احسن لاكون معهم لاني مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ثم علل ذلك بقوله ان الشيطان اي
البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ينزغ بينهم اي يفسد ويغري ويوسوس واصل النزغ الطعن وهم غير معصومين
فيوشك ان ياتوا بما لا يناسب الحال او الوقت بان يذكروا مساوي غيرهم او محاسن انفسهم فيوقع في شر ثم علل هذه العلة
بقوله ان الشيطان كان اي في قديم الزمان واصل الطبع كونا هو مجبول عليه للانسان عدوا اي بليغ العداوة مبينا ثم فسر التي
هي احسن مما علمهم ربهم من النصفة بقوله ربكم اعلم بكم ثم استانف فقال ان يشا رحمتكم يرحمكم بان ييسر لكم افعال الخير او ان يشا

عذابكم

عذابكم يعذبكم بان ييسر لكم لافعال الشر فاذا قالوا لهم ذلك كانوا جديرين بان يعرضوا او من اراد الله منهم افعالهم على ما يعلمونه
من الخير والشر فينظروا ايهما اقرب اليهما فربما ردهم ذلك من انفسهم عن الفساد لحسم مادة العناد ويجوز وهو عندي احسن
ان تكون الآية استينافا واقعا موقع التعليل للامر بقول الاحسن اي ربكم ايها العباد اعلم بكم وبما يؤول امركم اليه من
سعادة وشقاوة ان يشا يرحمكم بهدايتكم او ان يشا يعذبكم باضلالكم فلا تحتقروا ايها المومنون المشركين فتقطعوا بانهم
من اهل النار فتعيروهم بذلك فانه يجر الى الاحن وحر الصدور وغيظ القلوب بلا فايدة لان الخاتمة مجهولة ولا تتجاوزوا
فيهم ما امركم به من قول وفعل فانه الاحسن ثم رقى الخطاب الى اعلى الخلق وراس اهل الشرع ليكون من دونه اولى بالمعنى منه
فقال وما اي فما ارسلناك الا للدعاء بمثل ذلك على حسب ما نامرك به وما ارسلناك اي مع ما لنا من العظمة الغنية عن كل
شي عليهم وكيلا اي حفيظا وكفيلا تقسرهم على ما يرضي الله وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بمداراتهم
ولما امرهم بان ينسبوا الاعلمية بهم اليه سبحانه اخبر بما هو اعم من ذلك فقال عاطفا على ربكم اعلاما بان علمه ليس مقصورا عليهم
بل هو محيط قاصرا الخطاب على اعلم الخلق به سبحانه اشارة الى انه لا يعلم هذا حق علمه غيره وربك اي المحسن اليك بان جعلك اكمل
الخلق اعلم اي من كل عالم بمن في السموات اي كلها والارض منهم ومن غيرهم باحوالهم ومقاديرهم واجالهم وما يستاهل كل واحد منهم
لانه هو الذي خلقهم وفاوت بينهم في اخلاقهم وهيآتهم فكيف يستبعدون ان يكون يتيم ابي طالب على ما كانوا يقولون نبيا
وان يكون اصحابه العراة الجياع افضل منهم ولما كان قد فهم من هذا السياق تفضيل بعض الاشياء على بعض حتى تصير قابلة
لروح الحيوة بدءا واعادة بعد ان فهم من اول السورة وآخر التي قبلها اختصاص بعض الانبياء بفضايل من روح العلم والحكمة
لم يجزها غيره صرح بهذا هنا فقال عطفا على ما ارشد اليه سياق الاخبار بالاعلمية ملتفتا الى مقام العظمة الداعي اليه
الحال وهو الوصف بالاعلمية ولقد اي فميزنا بينهم بالرذايل والفضايل تفضيلا لبعضهم على بعض على حسب احاطة علمنا
وشمول قدرتنا لهم في تاهلهم للسعادة والشقاوة ففضلنا بعض الناس على بعض ففضلنا العلماء على غيرهم وفضلنا النبيين
منهم على غيرهم ولقد فضلنا اي بما لنا من العظمة بعض النبيين اي سواء كانوا رسلا او لا على بعض بعد ان جعلنا الكل فضلاء
لتقوى كل منهم واحسانه فلا ينكر احد من العرب او بني اسرايل او غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذي صدرنا السورة
بتفضيله على جميع الخلايق فانا نفعل ما نشاء بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل والحاصل ان من اعظم ثمرات العلم
التفضيل باعطاء كل واحد بل كل شي ما يستحقه وبذلك يستدل على تمام حكمته في شمول علمه وكمال قدرته فلذلك ذكر التفضيل
هنا بعد ذكر العلم المطلق وصرح بتفضيل اشرف الخلايق وطوى ذكر غيرهم كما ذكر التفضيل في الدنيا بعد اثبات العلم
المقيد بالذنوب في قوله من كان يريد العاجلة الى قوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ولما كان القصد الى بني
اسرايل في هذه السورة سابقها ولاحقها ظاهرا والتعريض بهم في كثير منها بينا وكان داود عليه السلام هو المؤسس للمسجد
الاقصى الذي وقع الاسرا اليه وكان قد خص بان الين له الحديد الذين امر المشركون ان يكونوه لاستبعادهم الاعادة وكان
مع كونه ملكا من اشد الناس تواضعا واكثرهم بكاء وابعدهم من المرح في الارض قال واتينا اي بما لنا من العظمة داود اي الذي
هو من اتباع موسى الذي اتيناه الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرايل ان لا يتخذوا من دوني وكيلا زبورا لانهم قاطعون بان
من بين موسى وعيسى من انبياء بني اسرايل دون موسى في الرتبة وكل منهم داع الى شريعته عامل بحكم التورية التي شرفه الله
بها غير خارج عن شي من سنتها فكان القياس يقتضي ان يكونوا في الفضيلة سوا فلم يجر ذلك على مقتضى عقول الناس بل فاوت
سبحانه بينهم على حسب علمه باحوالهم حتى في الوحي فخص من بينهم داود عليه السلام بكتاب كله مواعظ والمواعظ اشد شي منافاة
للمشي في الارض مرحا ونهيا عنه واعظم شي امرا بالقول الذي هو احسن من الاخلاص والمراقبة والاحسان هذا الى ما ذكر فيه
من التسبيح من كل شي الذي هو من اعظم مقاصد السورة كما تقدم نص الزبورية قريبا فكان ذكر تفضيله به هنا انسب شي لهذا
المقام وفي ذلك اعظم اشارة واجل تنبيه على فضل بيت المقدس الذي جعله سببا لتفضيل الانبياء تارة بالهجرة اليه كابرهيم
عليه السلام وتارة بقصد تطهيره من الشرك وتنويره بالتوحيد كموسى عليه السلام وتارة بتاسيس بنيانه وتشييد اركانه
كداود عليه السلام وتارة بالاسرا اليه والامامة بالانبياء عليهم السلام به والعروج منه الى سدرة المنتهى والمقام الاعلى
واما تفضيله وتفضيل ابنه سليمن عليهما السلام بالملك وسعة الامر فدخل في قوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على
بعض وروى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القراءة فكان
يامر بداوبه لتسرج فكان يقرا قبل ان يفرغ يعني القرآن ومن اعظم المناسبات لتخصيص داود عليه السلام وزبوره بالذكر
هنا ذكر البعث الذي هذا مقامه فيه صريحا وكذا ذكر النار مع خلو التورية عن ذلك اما البعث فلا ذكر له فيها اصلا
واما النار فلم يذكر شي مما يدل عليها الا الجحيم في موضع واحد واما الزبور فذكر فيه النار والهاوية والجحيم في غير
موضع واما البعث فصرح به وهو ظاهر في كونه بالروح والجسد قال في المزمور الثالث بعد المائة نفسي تبارك
الرب الرب الهي عظيم جدا لبس المجد وعظيم البهاء وتجلل بالنور كالرداء ومد السماء كالخباء جعل الماء اساسها واستوى
على السحاب ومشى على اجنحة الرياح خلق مليكته ارواحا وخدمه نارا واقدة وتجلل بالغمر كالرداء وعلى الجبال تقف المياه
ومن رجزك تهرب ومن صوت رعدك تجزع الجبال عاليه والبقاع منهبطة في الاماكن التي اسست جعلت حدا لا تتجاوزه
لا تعود تغطي الارض ارسل الماء عيونا في الاودية وبين الجبال تجري المياه لتسقي حيوان البر وتروي عطاش الوحوش

يقع عليها طاير السما الى ان قال وكل بحكمة صنعت امتلات الارض من خليقتك هذا البحر العظيم السعة فيه حيتان لا تحصى
كبار وصغار وفيه تسلك السفن وهو التنين الذي خلقته ليتعجب منه والكل اياك يرجون لتعطيهم طعامهم في حينه
فاذا انت اعطيتهم يعيشون وعند بسط يدك بالطيبات يشبعون وحين تصرف وجهك يجزعون تنزع ارواحهم فيموتون والى
التراب يرجعون ترسل روحك فيخلقون وتجدد وجه الارض دفعة اخرى ويكون مجد الرب الى الابد انتهى فكان ذلك جواب
لقول من لعله يقول للعرب من اليهود ان الامر كما تقولون في انه لا قيامة كما يقوله بعض زنادقتهم كما ذكر عنهم في نص الانجيل
وكما نقل عنهم في سورة النسا انهم قالوا انتم اهدى سبيلا ودينكم خير من دين محمد وفي الزبور كما تقدم اول السورة عن توراة
موسى عليه السلام ان لا يتخذ من دون الله وكيل وذلك من اعظم مقاصد السورة قال في المزمور الخامس والاربعين بعد
المائة لا تتوكلوا على الرؤسا ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص فان ارواحهم تفارقهم ويعودون الى ترابهم في ذلك اليوم
تبطل اعمالهم ولما اثبت ان شانه تعالى فعل ذلك وامثاله من التفضيل والتحويل على حسب علمه وقدرته ثبت بغير شبهة ان لا مفزع
الا اليه فامره صلى الله عليه وسلم تحقيقا لذلك ان يامرهم بما يظهر به عجز شركايهم ردا عليهم في قولهم لسنا باهل لعبادته استقلالا
فنحن نعبد بعض المقربين ليشفع لنا عنده فقال قل ادعوا الذين واشار الى ضعف عقولهم وعدم تثبتهم بالتعبير بالزعم فقال زعمتم
انهم الهة وبين سفول رتبتهم بقوله من دونه اي من سواه كالملئكة وعزير والمسيح والاصنام ليجلبوا لكم خيرا ويدفعوا عنكم
ضيرا فلا اي فان دعوتموهم او لم تدعوهم فانهم لا يملكون كشف الضر اي البوس اي من شانه ان يرض الجسم كله عنكم حتى لا يدعوا
شيا منه ولا تحويلا له من حالة الى ما هو اخف منها فضلا عن ان يبدلوه بحالة حسنة او يحولوه الى عدوكم والاية نحو قوله تعالى
فما يستطيعون صرفا ولا نصرا فكيف يتخذ احد منهم دوني وكيلا قالوا وسبب نزولها شكوى قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم
ما نزل بهم من القحط حين دعا عليهم بسبع كسبع يوسف عليه السلام ولم ينصب يملكون لئلا يظن ان النفي مسبب عن الدعا فيتقيد
به ولما بين انه لا ضر لهم ولا نفع بين انهم يتسابقون الى القرب اليه رجا ان ينفعهم وخوف ان يضرهم فقال اولئك اي الذين
اعلوا مراتبهم بالاقبال على طاعة الله وكان المشركون يعلون مراتبهم بتالههم وعبر عن ذلك واصفا للمبتدا بقوله الذين يدعون
اي يدعوهم الكفار ويتالهونهم ثم اخبر عن المبتدا بقوله يبتغون اي يطلبون طلبا عظيما الى ربهم المحسن اليهم وحده
الوسيلة اي المنزلة والدرجة والقربة بالاعمال الصالحة ايهم اقرب اي يتسابقون بالاعمال مسابقة من يطلب كل منهم ان يكون
اليه اقرب ولديه افضل ويرجون رحمته رغبة فيما عنده ويخافون عذابه تعظيما لجنابه المكلف منهم كالملئكة والمسيح
وعزير بالفعل وغيرهم كالاصنام بالقوة من حيث انه قادر على ان يخلق فيها قوة الادراك للطاعة والعذاب فتكون كذلك ○
فالعابدون لهم اجدر بان يعبدوه ويبتغوا اليه الوسيلة وروى البخاري في التفسير عن عبد الله رضي الله عنه الى ربهم الوسيلة
قال كان ناس من الانس يعبدون ناسا من الجن فاسلم الجن وتمسك هولاء بدينهم ثم علل خوفهم بامر عام فقال ان عذاب ربك اي المحسن
اليك برفع انتقام الاستيصال منه عن امتك كان اي كونا ملازما له محذورا اي جديرا بان يحذر لكل احد من ملك مقرب ونبي
مرسل فضلا عن غيرهم لما شوهد من اهلاكه للقرون ومن صنايعه العظيمة ولما كان المعنى فاحذرونا فانا ابدنا الامم السالفة
ودمرنا القرون المشيدة عطف عليه قوله وان اي وما اغرق في النفي فقال من قرية من القرى هذه التي انتم بها وغيرها
الا نحن بما لنا من العظمة مهلكوها بنوع من الهلاك لما هم عليه من الكفر او العصيان وعن مقاتل انها عامة للصالحة بالموت ○
والطالحة بالعذاب ولما كان الممكن ليس له من ذاته الا العدم وذلك مستغرق لزمان القبل حذف الجار فقال قبل يوم القيمة
الذي انتم به مكذبون كما فعلنا في بيت المقدس في المرتين المذكورتين اول السورة لافساد اهلها فاحذروا مثل ذلك او معذبوها
اي القرية بعذاب اهلها عذابا شديدا مع بقايها ولما اكد ذلك بالاسمية زاده تاكيدا في جواب من كانه قال هل في ذلك من
ثنيا لان مثله لا يكاد يصدق فقال كان ذلك اي الامر العظيم في الكتاب الذي عندنا مسطورا على وجه الخبر والاخبار لا تنسخ
فلو لم يكن حشر كان امرنا جديرا بان يمتثل حذرا من سطواتنا ولا بد ان نخيفكم بعد طول امنكم ونهلك كثيرا من اعزايكم على يد هذا الرجل
الواحد الذي انتم كلكم متماليون عليه مستهينون بامره مع انا ارسلناه لعزكم وعلو ذكركم ولا بد ان ندخله الى بلدكم هذا بجنود
اولي باس شديد لافسادكم فيه واستهانتكم به كما فعلنا ببني اسرايل حين افسدوا في مسجدهم كما تقدم قال الامام الحافظ ابو عمرو
عثمن بن سعيد الداني في كتاب الفتن حدثنا عبد بن احمد بن محمد الهروي في كتابه نا عمر بن احمد بن عثمن بن شاهين نا محمد بن هرون
الحضرمي نا علي بن عبد الله التميمي نا عبد المنعم بن ادريس نا ابي عن وهب بن منبه قال الجزيرة امنة من الخراب حتى تخرب
ارمينية وارمينية امنة من الخراب حتى تخرب مصر ومصر امنة من الخراب حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب
الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب
افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع والسيف وخراب
الكوفة من قبل عدو من ورايهم يحفزهم حتى لا يستطيعوا ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب
الابلة من قبل عدو يحفزهم مرة برا ومرة بحرا وخراب الري من قبل الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب
تبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند وخراب اليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب
المدينة من قبل الجوع حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد نا علي بن محمد بن نصير نا محمد بن خلف نا سالم بن جناده نا ابي عن
هاشم بن عروة عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر قرية من قرى الاسلام خرابا

المدينة

المدينة انتهى وقد اخرجه الترمذي من هذا الوجه ولما كانت كفار قريش قد تكرر اقتراحهم للايات بعد ان اشتد
اذاهم وكان صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على ايمان كل احد فكيف بقومه العرب فكيف ببني عمه منهم ربما احب ان الله
تعالى يجيبهم الى مقترحهم طمعا في ايمانهم واراحة له ولاتباعه من اذاهم وكان ما راوه من آية الاسرا امرا باهرا ثم لم يؤمنوا
بل ارتد بعض من كان آمن منهم كان المقام في قوة اقتضائه ان يقال بعد ذكر آية العذاب ما لهم لا يعجل عذابهم او يجابون الى مقترحاتهم
ليقضي الامر فيقال في الجواب ما منعنا من تعجيل عذابهم الا انا ضربنا لهم اجلا لا بد من بلوغه وما منعنا اي على ما لنا من العظمة التي
لا يعجزها شي ولا يمنعها مانع ان نرسل اي ارسالا يظهر عظمتنا على وجه العموم بالايات اي التي اقترحتها قريش فكان كانه لا آيات
عندهم سواها الا علمنا في عالم الشهادة بما وقع من ان كذب بها اي المقترحات الاولون وعلمنا في عالم الغيب ان هولاء مثل الاولين
في ان الشقي منهم لا يؤمن بالمقترحات كما لم يؤمن بغيرها وانه يقول فيها ما قال في غيرها من انها سحر ونحو هذا والسعيد لا يحتاج في
ايمانه اليها فكم اجبنا امة الى مقترحها فما زاد ذلك اهل الضلالة منهم الا كفرا فاخذناهم لان سنتنا جرت ان لا نمهل بعد الاجابة
الى المقترحات من كذب بها ونحن قد قضينا برحمة هذه الامة وتشريفها على الامم السالفة بعدم استيصالها لما يخرج من اصلاب
كفرتها من خلص عبادنا والمنع هنا مبالغة مراد بها نفي اجابتهم الى مقترحاتهم ولا يجوز اخذه على ظاهره لانه وجود ما يتعذر
معه وقوع الفعل من القادر عليه ثم عطف على ما دل عليه المقام وهو فكم اجبنا الى آخر ما ذكرته قوله واتينا اي عالنا من
العزة الباهرة ثمود الناقة حال كونها مبصرة اي مضيئة جديرة بان يستبصر بها كل من شاهدها فظلموا بها اي فوقعوا في
الظلم الذي هو كالظلام بسببها بان لم يؤمنوا ولم يخافوا عاقبتها وخص آية ثمود بالذكر تحذيرا بسبب انهم عرب اقترحوا ما كان
سببا لاستيصالهم ولان لهم من علمها وعلم مساكنهم بقربها اليهم وكونها في بلادهم ما ليس لهم من علم غيرها وخص الناقة لانها حيوان
اخرجه من حجر والمقام لاثبات القدرة على الاعادة ولو كانوا حجارة او حديدا ودل على سفههم في كلا الامرين على طريق النشر
المشوش بذكر داود عليه السلام اشارة الى الحديد والناقة اشارة الى الحجارة فلله هذه الاشارات ما ادقها وهذه العبارات ما
اجلها واحقها وما نرسل اي على ما لنا من الجلالة التي هي بحيث تذوب لها الجبال بالايات اي المقترحات وغيرها الا تخويفا
اي للمرسل اليهم بها فان خافوا نجوا والا هلكوا فاذا كشف الامر لكم في عالم الشهادة عن انهم لا يخافونها وفق ما كان عندنا في عالم
الغيب علم انه لا فايدة لكم فيها ولما كان التقدير للتعريف بمطابقة الخبر الخبر اذكر انا قلنا لك ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية واذكر ما وقع من ذلك ماضيا من ايات الاولين وحالا من قصة الاسرا عطف عليه قوله واذ اي
واذكر اذ قلنا اي على ما لنا من العظمة المحيطة لك ان ربك المتفضل بالاحسان اليك بالرفق بامتك احاط بالناس علما وقدرة
تجد ذلك اذا طبقت بعضه على بعض امرا سويا حذو القذة بالقذة لا تفاوت فيه واعلم انه مانعك منهم وحايطك ومظهر دينك
كما وعدك ثم عطف على وما نرسل قوله وما جعلنا اي بما لنا من القوة الباهرة التي لها الغنى المطلق الرؤيا التي اريناك اي
بتلك العظمة التي شاهدتها ليلة الاسرا الا فتنة اي امتحانا واختبارا للناس ليتبين بذلك في عالم الشهادة المتقي المحسن والجاهل
المسي كما هو عندنا في عالم الغيب فنقيم بها عليهم الحجة لا ليؤمن احد ممن حقت عليه الكلمة ولا لترداد نحن علما بسرايرهم ولا شك
في ان قصة الاسرا الى بيت المقدس ثم الى السموات العلى كان يقظة لا مناما بالدليل القطعي المتواتر من تكذيب من كذب وارتداد من
ارتد وهذا مذهب الجمهور واهل السنة والجماعة وقد ورد في صحته ما لا يحصى من الاخبار هذا النقل واما الامكان العقلي
فثابت غير محتاج الى بيان فان كل ذرة من ذرات الموجودات فيها من العجايب والغرايب والدقايق والرقايق ما تتحير فيه العقول
لكن لما كان على وفق العادة الفته الطباع فلم تنكره الابصار ولا الاسماع واما مثل هذا فلما كان على خلاف العادة استنكره ضعفا
العقول الذين لا يتجاوز فهمهم المحسوسات على ما الفوا من العادات واما اولوا الالباب الذين سلموا من نزغات الشيطان ووساوس
العادة ونظروا باعين البصاير الى اثار رحمة الله في صنع المصنوعات واحداث المحدثات في الملك والملكوت والشهادة والغيب
والخلق والامر فاعترفوا به وانه من عظيم الايات وبدايع الدلايل النيرات وادل دليل على ذلك قوله فتنة لانه لو كان رؤيا
منام لم يكن بحيث يستبعده احد فلم يكن فتنة ولعله انما سماه رؤيا وهي للمنام على وجه التشبيه والاستعارة لما فيه من
الخوارق التي هي بالمنام اليق في مجاري العادات روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما وما جعلنا الرؤيا الآية
قال هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به ولما كان كل ما خفي سببه وخرج عن العادة فتنة
يعلم به من في طبعه الحق ومن في طبعه الباطل ومن هو سليم الفطرة ومن هو معكوسها وكان قد اخبر ان شجرة الزقوم تنبت في
اصل الجحيم وكان ذلك في غاية الغرابة ضمه الى الاسرا في ذلك فقال والشجرة عطفا على الرؤيا الملعونة في القران بكونها
ضارة والعرب تسمي كل ضار ملعونا وبكونها في دار اللعنة وكل من له عقل يريد بعدها عنه وهي كما رواه البخاري في التفسير
عن ابن عباس رضي الله عنهما شجرة الزقوم جعلناها ايضا فتنة للناس نقيم بها عليهم الحجة في الكفر والايمان فنثبتهم اي من اردنا
ايمانه منهم بالاول وهو الاسرا ونخوفهم بالثاني وامثاله فما يزيدهم اي الكافرين منهم التخويف حال التخويف فما بعده من
ازمنة الاستقبال اجدر بالزيادة الا طغيانا اي تجاوزا للحد هو في غاية العظم كبيرا فيقولون في الاول ما تقدم في اول
السورة وفي الثاني ان محمدا يقول ان وقود النار الناس والحجارة ثم يقول ان فيها شجرا وقد علمتم ان النار تحرق الشجر ولم يقولوا
ما هم اعلم الناس به من ان الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا قادر على ان يجعل في النار شجرا ومن انسب الاشيا استحضارا
هنا ما ذكره العلامة شيخ مشايخنا زين الدين ابو بكر بن الحسين المراغي المدني في تاريخ المدينة الشريفة في اوايل الباب الرابع

في ذكر الوادية فانفعال وادي الشظاة اي بالجمعين تفعو حتين تاتي من شرقي المدينة من اماكن بعيدة عنها الى ان يصل الى المدة الذي احدثته نار الحرة التي ظهرت في جمادي الاخرة سنة اربع وخمسين وستمائة بعيني وهي المشار اليها بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تخرج نار بالحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى قال لو كان ظهورها من واد يقال له اجيلين في الحرة الشرقية وسارت من مخرجها الى جهة الشمال مدة ثلثة اشهر تدب دبيب النمل تاكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر ولا تاكل الشجر فلا تمر على شيء من ذلك الا صار سدا لا مسلك لانسان فيه ولا دابة الى منتهى الحرة من جهة الشمال فذكروا لقصة وهي غريبة عزيزة واسندوها عن المطري فيما يتعلق بعدم اذاها للخشب ولما تقدم انهم استبعدوا الاعادة من اجل صيرورتهم بعد الموت رفاتا واخبر تعالى بقدرته على ذلك ولو صاروا الى ما هو اعسر عندهم في الاعادة من الرفات بان يكونوا حجارة او حديدا واشار الى قدرته على التحريق لعادة في الحديد بالمائعة لعبد من عبيده ثم في الحجارة على سبيل الترقي فيما للنشر المشوش بما هو اعجب من ذلك وهو افاضة الحيوة عليها لعبد آخر من عبيده اشار الى تصرفه في التراب الذي هو نهاية الرفات الذي حملهم على الاستبعاد بما هو اعجب من كل ما تقدمه وذلك بافاضة الحياة الكاملة الناطقة عليه من غير ان تسبق له حالة حياة اصلا وذلك كخلق آدم عليه السلام الذي هو اصلهم مع ما في ذلك من حفظ السياق في التسلية بان الايات لا تنفع المحكوم بشقاوته وبان آدم عليه السلام قد تسلط عليه الحاسد واشتد اذاه له مع انه صفي الله واولا بنى آدم مع البيان لان اغلب اسباب الطغيان الحسد الذي حمل ابليس على ما فعل فقال واذ اي واذكر ايضا ما وقع من الطغيان مع رؤية الآيات في اول هذا الكون من ابليس الذي هو من اعلم الخلق بايات الله وعظمته ثم من ابعده من ذرية آدم عليه السلام بعد تحقق عداوته في مخالفة ربهم المحسن اليهم مع ادعاء ولايته اذ قلنا اي بما لنا من العظمة التي لا يعصى مرادها شيء للملئكة حين خلقنا ابا كم آدم وفضلناه اسجدوا لآدم امتثالا لامري فسجدوا الا ابليس ابى ان يسجد لكونه ممن حقت عليه الكلمة ولم ينفعه ما يعلمه من قدرة الله وعظمته وذلك معنى قوله قال اي لنا منكرا متكبرا ءاسجد اي خضوعا لمن خلقت حالا كون اصله طينا فكفر بنسبته الينا الى الجور وعدم الحكمة متخيلا انه اكرم من آدم عليه السلام من حيث ان الفروع ترجع الى الاصول وان النار التي هي اصله اكرم من الطين وذهب عليه ان الطين انفع من النار فهو اكرم وعلى تقدير التنزل فان الجواهر كلها من جنس واحد والله تعالى الذي اوجدها من العدم يفضل بعضها على بعض بما يحدث فيها من الاعراض كما تقدمت الاشارة اليه في ولقد فضلنا بعض النبيين ولما اخبر تعالى بتكبره كان كانه قيل ان هذه لوقاحة عظيمة واجترا على الجناب الاعلى فهل كان غير هذا فقيل نعم قال ارءيتك اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي مع ضعفه وقوتي فكانه قيل لقد اتى بالغاية في اساءة الادب فما كان بعد هذا فقيل قال معتسفا لاجل استبعاد ان يجتري احد هذه الجراءة على الملك الاعلى لئن اخرتني اي ايها الملك الاعلى ليوم القيمة حيا متمكنا لاحتنكن اي بالاغواء ذريته اي لاستولين عليهم بشدة احتيالي كما يستولي الاكل على ما اخذه في حنكه بتسليطك لي عليهم الا قليلا منهم اولياءك الذين حفظتهم مني فكانه قيل لقد اطال في الاجتراء مما قاله ربه بعد الثالثة فقيل قال مهددا له اذهب اي امض لشانك الذي دكرته بارادتي لا بامري فانك لا تعدو امرنا فيك وقد حكمنا بشقاوتك وشقاوة من اراد طاعتك لك ولذلك سبب عنه قوله من تبعك اي ادنى اتباع منهم اي اولاد آدم عليه السلام ويجوز ان يراد بتجريد الفعل ان من تبعه بغير صارفة من فطرته الاولى لا يكون الا عريقا في الشر ولما كان التقدير اذ قلته من حزبك عبر عنه بقوله فان جهنم اي الطبقة الثانية التي تنجهم داخلا جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم بحزون ذلك جزاء موفورا كملا وافيا بما تستحقون على اعمالكم الخبيثة وساده وفي جمع تراكيبها وهي خمسة عشر في الواوي ستة وفي ورف فور وفي ورف وفي الياي ثلثة فري ورعي ريف وفي المهموز ستة رفا رأف فرأ فاد أفر ازف ندور على السمة والمجاوزة للحد والعلو على المقدار والفضل عن الكفاية فالوفر الكثير وسقا وفر لم ينقص من زاد يمه شيء واداوة وفاء والوفر ما بلغ الاذنين من الشعر والوافر ضرب من العروض وزنه مفاعلتن ست مرات والوفر الغنى ومن المال الكثير الواسع او العام من كل شيء ووفره توفيرا كثره ووفر له عرضه لم يشتمه ووفر عطاءه ردة عليه وهو راض ووفره توفيرا اكمله وجمله وافى الاناء كاد يتحقق الامع زيادة والثوب قطعة وافى والوافر آلة الكبش اذا عظمت والدنيا والحيوة وكل نخلة مستطيلة وهم متوافرون بنهم كثرة واستوفر عليه حقه استوفاه وورف النبت يرف اذا رايت له بهجة من رية ولا يكون ذلك الا من نضارته واناعه وكونه ملء العين وورف الظل يرف ورفا وورفانا وورفا اتسع وطال وامتد كاورف ووورف والورف مارق من نواحي الكبد لزيادته واستر خائه والرنه كعدة الناضر من النبت وورفه توريفا مصصته والارض قسمتها كانه من الازالة وغارت الفرس اذا عدت حتى يعلوا ما فيها فتفيض وكل جار يغور غورا وغار العرق اذا انتفخ زاد في القاموس وضرب والمسك انتشر وغارة الابل موج جلودها اذا ندبت بعد الورد والبعير المنتشر الصعب من الدواب وغيرها والنوامن مورهم من وجههم او قيل ان يكونوا الان حركتهم توسع وانتشار فسميت مورا والغار عضل الانسان لانه اغلظ مما دونه والغور بالضم الطباخ فاعل لانه من اسرع الحيوان نفارا واشدها وثبا واوسعها عدوا وقال الفراء والغارة والغورة ريح تكون في رسغ الفرس تنفش اذا سمنت وتجمع اذا ترك وقال في فارماذا مشى انتشت واعاده في العاسور في المهموز فقال والغارة له اي للذكر من الحيوان المعروف وللانثى وريح في رسغ الدابة تنفش اذا سمنت وتجمع اذا ترك كالغورة بالضم والغور ولد الحمار لخفته وسرعة حركته ودبيبه وفوارة الكرش غدتان في جوف كلية وقيل الفوارة اللحمة التي في داخل الفرج وقيل تكونان لكل ذي كرش وذلك لوجوب الزيادة سواء قلنا انها لحمة او غدة قال الفراز وقالوا ما ءالرجل ما يقع في الكلية في الفوارة ثم في الخصية فعلى هذا انثى لانه يقذف ما فيه اي الخصية والغياران بالكسر حديدتان تكتنفان لسان الميزان

لاتساعها عن اللسان والغيرة بالكسر بالهمز وبغيره تمر يغلي ويمرس ويطبخ بحلبة تشربها النفسا قاله القزاز وفي مختصر
العين حلبة تطبخ فاذا فارت فوارتها القيت في معصرة ثم صفيت وتحسيها النفسا واعاده في القاموس في المهموز وقال والغيرة
بالكسر والفوارة كثمامة والغيرة والغيرة كعنبة ويترك همزها حلبة تطبخ للنفسا سميت اما لغليانها واما للاتساع بجمع التمر
والحلبة والفرو والفروة لبس معروف لخروج صوفها وزيادة الرفق به وكانها اصل المادة كلها وفروة الراس جلدته بشعرها
والفروة الارض البيضا ليست بها نبات لانه اوسع لها من حيث هي والفروة الغنى والثروة وقطعة نبات مجتمعة يابسة وجبة
شمر كماها لانه لولا زيادتها ما شمر او نصف كساء يتخذ من اوبار الابل كانه شبه بالفروة لطول وبره وخريطة يجعل السايل
فيها صدقته والتاج لاتساعه وعلوه وكماله ولغنى صاحبه وخمار المراة لزيادته على كفايتها ولسبوغه وفضله عن راسها ورفا
الثوب يرفوه اصلحه ولام خرقه وقال في القاموس في الهموز وضم بعضه الى بعض قال القزاز والهمز اكثر والرفا ككساء
الالتحام والاجتماع والاتفاق ومنه ما يدعى به للمتزوج بالرفا والبنين واعاده في الهموز وقال في القاموس اي بالالتيام
وجمع الشمل قال القزاز ومعنى رفا تزوج والارفى العظيم الاذنين في استرخاء قال القزاز والاذن الرفوا هي التي تقبل على
الاخرى حتى تكاد تماس اطرافها ورفوت الرجل اذا سكنته من رعب واعاده في القاموس في المهموز لان ذلك اوسع لفكره لانه اقر
لعينه والروف السكون وهو اوسع من الاضطراب لانه لا يكون الا عن قرار العين قال في القاموس وليس من الرافة والروفة
للرحمة ورأف يرأف لغة في رأف يرأف وستاتي بقيتها قريبا ان شا الله تعالى ولما بدا سبحانه بالوعيد لطفا بالمكلفين عطف
على اذهب قوله ممثلا حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع بقوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم
واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم واستفزز اي استخف والفز اصله القطع اي استزله بقطعه عن الصواب
قاله الرماني من استطعت منهم وهم الذين سلطناك عليهم بصوتك اي دعائك بالغناء والمزامير وكل ما تزينه بالوساوس واجلب
اي اجمع او سق بغاية ما يمكنك من الصياح عليهم بخيلك اي ركبان جندك ورجلك اي ومشاتهم والمعنى افعل جميع ما تقدر عليه ولا تدع
شيا من قوتك فانك لا تقدر على شي لم اقدره لك ولما كان الشيطان طالبا شركة الناس في جميع امورهم بوساوسه الحاملة
لهم على افسادها فان اطاعوه كانوا طالبين لان يشركوه وان كانوا لا شعور لهم بذلك عبر بصيغة المفاعلة فقال وشاركهم اي
بوثوبك على مخالطتهم عندما يشاركونك بفعل ما يوافق هواك في الاموال اي التي يسعون في تحصيلها والاولاد اي التي ينسلونها
ان اقتنوها بوجه محرم او لم يذكروا اسمي عليها وكذا قرابينهم لغير الله وانفاقهم في المحرمات وتعليمهم اولادهم المعاصي والكفر
مشاركة فيها وعدهم من المواعيد الباطلة ما يستخفهم ويغرهم من شفاعة الالهة والكرامة على الله وتسويف التوبة ونحو ذلك
ثم التفت الى الصالحين من عباده فاخبر تثبيتا لهم وتنبيها لغيرهم على انه ليس بيده شي فقال مظهرا الضمير بما يدل على تحقيره
تقبيحا لامره وتنفيرا منه وما يعدهم الشيطان اي المحترق المطرود باللعنة من عدم البعث وطول الاجل وشفاعة الالهة
ونحو ذلك الا غرورا والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ثم رجع الى مواجهته بما يحقر فان المواجهة بالتحقير انكا مصرحا
بنتيجة ذلك وهي انه غير قادر الا باذنه سبحانه وممنوع عنه ما لم يقدر له دفعا لما قد يوهمه ما مضى من انه يؤثر شيا استقلالا
فقال ان اي احد جهدك لان اهل الشهوات سلطتك عليهم زيادة في شقائك بما اردته منهم قبل خلقك وخلقهم لا تقدر ان تتعدى
شيا منه الى خالصتي ومن ارتضيته لعبادتي ان عبادي الذين اهلتهم للاضافة الي فقاموا بحق عبوديتي بالتقوى والاحسان
ليس لك اي بوجه من الوجوه عليهم سلطان اي فلا تقدر ان تغويهم وتحملهم على ذنب لا يغفر فاني وفقتهم للتوكل علي فكفيتهم
امرك وكفى بربك اي الموجد لك المدبر لامرك وكيلا يحفظ ما هو وكيل فيه من كل ما يمكن بان يفسده ولما ذكر انه الوكيل
الذي لا كافي غيره في حفظه لاختصاصه بشمول علمه وتمام قدرته اتبعه بعض افعاله الدالة على ذلك فقال عودا الى
دلايل التوحيد الذي هو المقصود الاعظم باحوال البحر الذي يخلصون فيه في اسلوب الخطاب استعطافا لهم الى المتاب
ويكم اي المحسن اليكم هو الذي يزجي اي يسوق ويدفع وينفذ لكم اي لمنفعتكم الفلك التي حملكم فيها مع ابيكم نوح عليه السلام في
البحر لتبتغوا اي تطلبوا طلبا عظيما بذلك انواع المنافع التي يتعذر او يتعسر الوصول اليها في البر من فضله ثم علل فعله
ذلك بقوله انه اي فعل ذلك لكم لانه كان اي ازلا وابدا بكم اي ايها المومنين خاصة رحيما اي مكرما بالتوفيق الى فعل ما
يرضيه في المتجر وغيره لا لشي غير ذلك او يكون ذلك خطابا لجميع النوع فيكون المعنى خصكم به من بين الحيوانات ولما كان
المراد المومنين خاصة وان كان خطابا للمجموع خص المشركين كذلك واذا اي فاذا نعمكم بانواع الخير كنتم على اشراككم به
سبحانه واذا مسكم ولم يقل امسكم بالاسناد الى نفسه تاديبا لنا في مخاطبته بنسبة الخير دون الشر اليه مع اعتقاد ان الكل
فعله وتنبيها على ان الشر مما ينبغي التبرؤ منه والبعد عنه الضر في البحر من هيج الماء واغتلامه لعصوف الريح وطمو الامواج
ضل اي ذهب وبطل عن ذكركم وخواطركم من تدعون من الموجودات كلها الا اياه وحده فاخلصتم له الدعا علما منكم انه
لا ينجيكم سواه فلما نجاكم من الغرق واوصلكم بالتدريج الى البر اعرضتم عن الاخلاص له ورجعتم الى الاشراك وكان الانسان
اي هذا النوع كفورا اي بليغ التغطية لما حقه ان يشهر فاظهر في موضع الاضمار تنبيها على ان هذا الوصف لا يخصهم بل
يعم هذا النوع لطبعه على النقايص الا من اخلصه الله له ولما كان التقدير اعرضتم بعد اذ انجاكم فكفرتم بذلك وكان
الكفر وصفا لكم لازما فتسبب عن ذلك انكم امنتم اي فعلتم بذلك فعل الامن انكر عليهم هذا الامر لكونه من اجهل الجهل فقال
افامنتم اي انجوتم من البحر فامنتم بعد خروجكم منه ان نخسف اي بما لنا من العظمة بكم ودل على شدة اسراعهم بالكفر عند وصولهم

الى اول الساحل بقوله جانب البر اي فنغيبكم فيه في اي جانب كان منه لان قدرتنا على التغييب في التراب في جميع الجوانب كقدرتنا
على التغييب في الماء سواء فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب او امنتم ان غلظت اكبادكم عن تامل مثل هذا ان نرسل عليكم
من جهة الفوق شيا من امرنا حاصبا اي يرمي بالحصباء اي بالحصا الصغار قاله الرازي في اللوامع وقال الرماني حجارة يحصب بها اي
يرمي بها حصبة اذا رماه رميا متتابعا انتهى يرميكم ذلك الحاصب في وجوهكم او فوق رؤسكم رميا يهلك مثله كما وقع لقوم لوط انا ارسلنا
عليهم حاصبا وقيل الحاصب الريح ولم يقل حاصبة لانه وصف لزمها ولم يكن لها مذكر تنتقل اليه في حال فكان بمنزلة حايض ثم لا تجدوا
ايها الناس لكم واطلق ليعم فقال وكيلا ينجيكم من ذلك ولا من غيره كما لم تجدوا في البحر وكيلا غيره ام امنتم ان جاوزت بكم الغباوة حدها
فلم تجوزوا ذلك ان نعيدكم فيه اي البحر بما لنا من العظمة التي تضطركم الى ذلك فتقسركم عليه وان كرهتم تارة اخرى باسباب تضطركم
الى ذلك فنرسل عليكم اي بما لنا من صفة الجلال قاصفا وهو الكاسر بشدة من الريح كما عهدتم امثاله يا من وقفت افكارهم مع المحسوسات
فرضوا بذلك ان يكونوا كالبهايم لا يفهمون الا الجزئيات المشاهدات فنغرقكم اي في البحر الذي اعدناكم فيه بعظمتنا بما كفرتم كما يفعل احدكم
اذا ظفر بمن كفر احسانه ثم لا تجدوا لكم وان امعنتم في الطلب وطالت ازمانكم في اتقان السبب ولما كان اطلاق النفي في ختام
الاية الماضية وان كان لارادة التعميم يحتمل ان يدعى تقييده بما يخالف المراد وكان المقصود هنا التخويف بسطوته سبحانه تارة بالخسف
وتارة بغيره قيد بما عين المراد وقدم قوله علينا دلالة على باهر العظمة به اي بما فعلنا بكم تبيعا اي مطالبا يطالبنا به ولما
قرر بهذه الجمل ما يسر لهم من البر وسهل من شدايد البحر في معرض التهديد اتبعه انه فعل ذلك تكريما لهم على ساير مخلوقاته كما هو
شانه في القدرة على ما يريد من المفاوتة بين الامور التي كانت متساوية عند اول خلقه لها ليستدلوا بذلك على سهولة الاعادة
مشيرا الى انه ركب جوهر الانسان من نفس هي اشرف النفوس بما فضلها على قوى النفس النباتية من الاغتذاء والنمو والتوليد بالحس
ظاهرا وباطنا وبالحركة بالاختيار وخصه على ساير الحيوان بالقوة العاقلة المدركة لحقايق الاشياء كما هي ويتجلى بها نور معرفة الله
ويشرق فيها ضوء كبريايه وتطلع على عالمي الخلق والامر وتحيط باقسام المخلوقات من الارواح والاجسام كما هي فكانت بذلك النفس الانسانية
اشرف نفوس هذا العالم وبذنه لذلك باختصاصه باعتدال القامة وامتدادها والتناول باليد وغير ذلك فقال عاطفا على ما يرشد
اليه السياق من مثل ان يقال فلقد كرمناكم بذلك من ارجاء الفلك وانجايكم في وقت الشدايد او على ولقد فضلنا ولقد كرمنا بعظمتنا
تكريما عظيما بني ادم اي على ساير الطين بالنمو وعلى ساير النامي بالحيوة وعلى ساير الحيوان بالنطق فكان حذف متعلق التكريم دالا على
عمومه لجميع الخلق وذلك كله تقريرا للقدرة على البعث وحملناهم في البر على الدواب وغيرها والبحر على السفن وغيرها ورزقناهم
اي رزقا يناسب عظمتنا من الطيبات اي المستلذات من الثمرات والاقوات التي ياكل غيرهم من الحيوان قشها وفضلناهم في انفسهم
باحسان الشكل وفي صفاتهم بالعلم المنتج لسعادة الدارين وفي رزقنا لهم بما تقدم ولما حذف متعلق التكريم دلالة على التعميم
وكان اغلب افرادهم ضالا قال لذلك على كثير ممن خلقنا اي بعظمتنا التي خلقناهم بها واكد الفعل بالمصدر اشارة الى اغراقهم في
الفضيلة فقال تفضيلا هذا ما للمجموع واما الخلص فهم افضل الخلايق لما علمنا من معالجتهم بالاخلاص وجهادهم لاهويتهم لما طبعت
عليه نفوسهم من النقايص ولما لها من الدسايس حتى امتطوا بعد رتبة الايمان درجتي التقوى والاحسان وتقديم الامر للملايكة بالسجود
لادم عليه السلام توطية لهذه الاية ادل دليل على هذا ولما قرر سبحانه قدرته على التفضيل في الحيوة الحسية والمعنوية
والمفاضلة بين الاشياء في الشيئين فثبتت بذلك قدرته على البعث وختم ذلك بتفضيل البشر وكان يوم الدين اعظم يوم يظهر
فيه التفضيل ابدل من قوله يوم يدعوكم مرهبا من سطواته في ذلك اليوم ومرغبا في اقتناء الفضايل في هذا اليوم قوله
يوم ندعوا اي بتلك العظمة كل اناس اي منكم بامامهم اي بمتبوعهم الذي كانوا يتبعونه فيقال يا اتباع نوح يا اتباع ابرهيم
يا اتباع موسى يا اتباع عيسى يا اتباع محمد فيقومون فيميز بين محقيهم ومبطليهم ويقال يا اتباع الهوى يا اتباع النار يا اتباع
الشمس يا اتباع الاصنام ونحو هذا او يكون المراد بسبب اعمالهم التي ربطناهم بها ربط الماموم بامامه كما قال تعالى وكل انسان
الزمناه طايره في عنقه وسماها اماما لكونهم اموها واجتهدوا في قصدها وندفع اليهم الكتب التي احصت حفظتنا فيها تلك
الاعمال فمن اوتي منهم من موت ما كتابه بيمينه فهم البصراء القلوب لتقواهم واحسانهم وهم البصراء في الدنيا ومن كان في هذه الدنيا
بصيرا فهو في الاخرة ابصر واهدى سبيلا فاولئك اي العالوا المراتب يقراون كتابهم اي يجددون قراءته ويكررونها سرورا
بما فيه كما هو داب كل من سر بكتاب ولا يظلمون بنقص حسنة ما من ظالم ما فتيلا اي شيا هو في غاية القلة والحقارة بل
يزدادون بحسب اخلاص النيات وطهارة الاخلاق وزكاء الاعمال ومن اوتي كتابه بشماله فهو لا يقرا كتابه لانه اعمى في هذه الدار
ومن كان منهم في هذه الدار اعمى اي ضالا لا يفعل في الاعمال فعل الاعمى في اخذ الاعيان لا يهتدي الى اخذ ما ينفعه وترك ما يضره
ولا يميز بين حسن وقبيح فهو في الاخرة لان كل احد يقوم على ما مات عليه اعمى اي اشد عمى مما كان عليه في هذه الدار لا ينجح له قصد ولا
يهتدي لصواب ولا يقدر على قراءة كتاب لما فيه من موجبات العذاب ولم يقل اشد عمى كما يقولونه في الخلق اللازمة لحالة
واحدة من العور والحمرة والسواد ونحوها لان هذا مراد به عمى القلب الذي من شانه التزايد والحدوث في كل لحظة شيا
بعد شي فخالف ما لا يريد ولا يمله ابو عمرو مع امالة الاول ليدل على ان معناه افعل من كذا فهو وسط والامالة انما تحسن في
الاواخر ولان هذا معناه عطف عليه قوله واضل سبيلا لان هذه الدار دار الاكتساب والترقي بالاسباب واما تلك فليس
فيها شي من ذلك فالاية من الاحتباك اثبت الايتاء باليمين والقراءة اولا دليلا على حذف ضدهما ثانيا واثبت العمى ثانيا دليلا على حذف
ضده اولا ولما قرر ان من ترك سبيل الرشد كان كالاعمى ومن تبعها كان كالبصير اتبعه دليله فقال محذرا للبصراء عن

الاغترار

الاغترار بوساوس الاشقيا وان اي واكثر هولاء اعمى قد افتتن في نفسه بهواه مع بياننا لطريق الرشد بما اوحينا اليك من هذه
الحكمة حتى صارت اوضح من الشمس وان الاعدا كادوا اي قاربوا في هذه الحيوة الدنيا لعماهم في انفسهم عن عصمة الله لك بسبب عماهم
عما جبلت عليه من الفطنة وجودة الفطرة وذكاء القريحة وتقرب الفهم وبعد المرمى في الوقوف على خداع المخادعين ومكر
الماكرين لتجلي الدقايق في مراة قلبك الصقيلة وصافي فكرتك الشفافة ولما كانت ان مخففة من الثقيلة اتى باللام الفارقة بينها
وبين النافية فقال ليفتنونك اي ليخالطونك مخالطة تميلك الى جهة قصدهم بكثرة خداعهم باطماعهم لك في الموافقة لما يعلمون
من ظاهر الحيوة الدنيا عن الذي اوحينا اي بما لنا من العظمة اليك من الحكمة لتفتري اي تقطع متعمدا علينا على عظمتنا غيره من
طرد من اوحينا اليك الامر بمصابرتهم اطماعا منهم في اسلام من هو بحيث يرجى باسلامه اسلام الجم الغفير منهم لشرفه ونحو ذلك مما
عناه الله سبحانه وهو اعلم بمراده قال الرماني واصل الفتنة ما يطلب به خلاص الشي مما لابسه واذن اي لو ملت اليهم
لاتخذوك اي بغاية الرغبة خليلا ومن كان خليل الكفار لم يكن خليل الله ولكنك ابصرت رشدك فلزمت امر الله واستمروا على عماهم
اتماما لتفضيلنا لك على كل مخلوق وقد تقدم قريبا ما تدور عليه مادة فرا وانه السعة وبقي من تقاليبها اليائي والمهموز
فمعنى فريت الاديم شققته فاسدا او صالحا لانه يتسع بذلك وقال القزاز الفري مصدر فريت الاديم اذا شققته للاصلاح
وافريته اذا شققته للافساد كان همزته للازالة وحكى ابو عبيدة فريت الشي افريته قطعته وفري الكذب وافتراه اختلقه لانه
اتساع في القول وزيادة على ما يكفي من الصدق وتجاوز للحد وفري المزادة خلقها وضعها وقال القزاز خرزها لانها تسع
ما لا تسعه قبل الخرز قال واصل الفري الشق يعني والخرز واقع في الشق فالعلاقة المحل وفري الارض سارها وقطعها تشبيها
لها بالاديم وفري كرضي تحير ودهش من التسمية باسم السبب لان سبب الدهش كثرة وعظم في المحسوس وافراه اصلحه او
امر باصلاحه لان الاصلاح سعة بالنسبة الى الافساد وافرى فلانا لامه لانه يلزم منه الزيادة في الكلام لما يحاج به الملوم
والفرية الجلبة لانها زيادة عن الكلام المعتاد وبالكسر الكذب وكغني الامر المختلق المصنوع او العظيم والواسعة من الدلاء
كالفرية والحليب ساعة يحلب لارتفاع الرغوة وتفرى الشي انشق والعين انبجست وهو يفري الفري كغني ياتي بالعجب في عمله
وقال القزاز وتركت فلانا يفري ويقد اي جادا في الامر وفلان يفري منذ اليوم اذا جاء بالعجب لانه لا يعجب الا ما زاد على
الكفاية والرفة التبن لانه ما فضل عن الحب والرفة دويبة تصيد تسمى عناق الارض لان حالها اوسع من حال ما لا
يصيد ذكر هذا صاحب مختصر العين في المعتل بالياء فوزنه ثبة وساقه صاحب القاموس في الهاء وقال فيما مدلوله
التبن انه كصرد ثم ساقه في المعتل الواوي في ورف فقال والرفة كثبة التبن فاضطرب كلامه فوجب قبول مختصر العين لكن
ذكره الامام ابو غالب ابن التياني وهو ممن يخضع له في كتاب الموعب في مقلوب رهف فقال ناسبا له الى كتاب العين ما نصه
والرفة التبن قال غيره ويقال في مثل من الامثال استغنت التفة عن الرفة والتفة عناق الارض وهي دويبة كالثعلب
خبيثة تصيد كل شي وذلك انها لا تاكل الا اللحم ابو حنيفة مثله كله انتهى بحروفه وقال صاحب القاموس في المعتل والتفة
ذكر في ت ف ف وقال في الهاء والتفة كثبة عناق الارض وقال في الفاء والتفة كقفة دويبة كجرو الكلب
او كالفارة واستغنت التفة عن الرفة ويخففان يضرب للئيم اذا شبع فلعل هذا الاختلاف لغات والله اعلم قال
في مختصر العين والارفي اي مثل كركي اللبن المحض الطيب لفيضه كالفاير جعله المختصر يائيا والقاموس واويا ثم اعاده
في المهموز فقال والارفي كقمري اللبن الخالص وساق القزاز في اليائي رافيت الرجل ارافيه مرافاة اذا وافقته لان ذلك
اوسع في العشرة والريف بالكسر الخصب وقال في القاموس ارض فيها زرع وخصب والسعة في الماكل والمشرب وما
قارب الماء من ارض العرب او حيث الخضر والمياه والزروع وراف البدوي اتى الريف والراف الخمر وهو لا يكون الا عن سعة
وارض ريفة ككيسة خصبة واراقت الارض اخصبت ومن المهموز رفا السفينة كمنع وارفاها ادناها من الشط لاتساع
من فيها بالبر وبالنسبة اليها يكون للسلب والموضع مرفا ويضم ورفا بينهم اصلح وارفا جنح واستشط ودنا وادنى
وحابى ودارا كرافا واليه لجا وترافا وتوافقوا وتواطؤا واليرفاي كالبلعي راعي الغنم والظليم النافر والظبي والقفوز
المولي والمتنزع القلب فزعا كانه شبه بالظليم في اتساع حركته وعدم ثباته وذلك شبيه ايضا بفوران القدر في مجاوزة
الحد ورفات العروس ترفية وترفيا تقدم في الواوي والراف الخمر والرجل الرحيم او الرافة اشد الرحمة وارقها
ولا شك في دخول ذلك في السعة وراف موضع او رملة ولعلهما واسعان والفرا كجبل وسحاب حمار الوحش او الفتي
منه لشدة نفاره كالقدر في فورانها وامر فري كفري وكل الصيد في جوف الفرا اي كله دونه وفرا محركة جزيرة
باليمن لعله بها بكثرة والفار معروف والواحدة فارة والجمع فيران سمي لقفزه في جريه ولانه من اوسع الحشرات
تصرفا بالمشي في الجدر والسقوف ونحوها والفارة شجرة ونافجة المسك قال في القاموس او الصواب ايراد فارة
المسك في ف و ر لفوران رايحتها او يجوز همزها لانها على هيئة الفارة وفار كمنع خفر وخبا ودفن يمكن ان يكون من
السعة ومن سلبها ولبن فير ككتف وقعت فيه الفارة وارض فيرة ومفارة كثيرة الفار وافرت القدر بالفتح
تافر افرا اشتد غليانها والانسان وثب وعدا والبعير نشط وسمن بعد الجهد كافر كفرح فيهما وخف في الخدمة والذي يسعى
بين يدي الانسان ويخدمه مئفر والافرة بضمتين وتشديد الراء الجماعة وقيدها في مختصر العين بذات الجلبة والثلثة
والاختلاط وكل ذلك واضح في الاتساع والزيادة على الكفاية والافرة ايضا شدة الشر لشدة فورانه كالقدر وشدة

مادة
فرا

الشتآ او مطلق الشدة ومن الصيف اوله لانه يتسع به قال في القاموس وبفتح اولها وتحرك في الكل والارفة بالضم الجدب بين الارضين والعقدة وكان هذا من سلب الاتساع والارفي كفرحي المالح وآرف على الارض تاريفا جعلت لها حدودا وقسمت وتاريف الجعل عقدة وهو مؤاخذ في حذه الجرمي في السكين والكمان والله الموفق ولما ذكر سبحانه بما كان في ذلك من رشده صلى الله عليه وسلم اتبعه ببيان انه انما كان بعصمة الله له ليزداد شكرا فقال ولولا ان ثبتناك اي بما لنا من العظمة على امرنا لما تقدم من اتباع الذين اتقوا والذين هم محسنون ولنت راس المتقين والمحسنين لقد كدت اي قاربت تركن اليهم اي الاعداء شيئا قليلا لجهلك في هدايتهم وحرصك على منفعتهم ولكنا عصمناك فلم تركن اليهم لا قليلا ولا كثيرا ولا قاربت ذلك كما افادته لولا لانها تدخل على جملة اسمية تجعلها فعلية لربط امتناع الثانية بوجود الاولى فامتناع قرب الركون مرتبط بوجود التثبيت وذلك كان لولا انتفاء الثاني لاجل انتفاء الاول وهي هنا داخلة على الثانية فتكون كانتفاء قرب الركون لاجل انتفاء نفي التثبيت وانتفاء النفي وجود فاذن التثبيت موجود وقرب الركون منتف ويجوز ان يكون المراد الدلالة على شدة مكرهم وتناهي خداعهم الى حالة لا يدرك وصفها فيكون الفعل مسندا اليه صلى الله عليه وسلم والمراد اسناده اليهم ليكون المعنى كادوا ان يحملوك مقاربا للركون اليهم كما تقول لصاحبك لقد كدت تقتل نفسك اي فعلت ما قاربت به ان تقتلك غيرك لاجل فعلك وهذه الاية من الادلة الواضحة على ما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من الفضايل في شرف جوهره ذكاء عنصره ورجحان عقله وطيب اصله لانها دلت على انه صلى الله عليه وسلم لو وكل الى نفسه وما خلق الله في طبعه وجبلته من الغرايز الكاملة والاوصاف الفاضلة ولم يتداركه بما منحه من التثبيت زيادة على ذلك لمال النبي لم يركن اليهم وهم اشد الناس انكارا واصغاهم انها حا واعلمهم بالخداع مع كثرة عددهم وعظيم صبرهم وجلدهم ركونا حا اصلا وانما كان قصارا هم ان يقارب الركون شيئا قليلا فسبحان من يخص من يشآ بما يشآ وذو الفضل العظيم اذن اي لو قاربت الركون الموصوف اليهم لاذقناك اي بعظمتنا ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات اي ذلك العذاب مضاعفا وهذه المادة تدور على الوهي ويلزمه التقوية بالضعف كبرا نضاد اي المثل وما زاد وكل شي له مكاثر فهو ضعيف بدونه ويلزم الضعف الذي هو المثل المضموم الى مثله القوة فمن الوهي الضعف والضعف بالفتح والضم وهو خلاف القوة وقيل الضعف بالفتح في العقل والراي وبالضم في الجسد والضعيف الاعمى حمير به وارض مضعفة للمفعول اصابها مطر ضعيف وضعيف الشي بالكسر مثله لان كل ما له مثل فهو ضعيف وضعفاه مثلاه ويقال لك ضعفه اي مثلاه وثلثه امثاله لان اصل الضعف زيادة غير محصورة وضاعف الشي اي ضم اليه شيئين فصاروا ثلثة واضعاف الكتاب اثناء سطوره لانها امثال السطور من البياض وزيادة عليها ومن القوة التي تلزم المثل اضعاف البدن وهي اعضاؤه لان غالبها مثنى او هي عظامه لانها اقوى ما فيه ومن الضعف ايضا مغلوبه الذي هو ضعيف اذا احدث وضرط وكذا يقلوبه فضع والضفع نحو الفيل والضفعانه عمرة السعدانه ذات الشوك مستديرة كالها فلكة فالمعنى والله اعلم اذ لقناك وفي الحيوة والممات حضاعفا اضعافا كثيرة ولما كانت القوة بعد هذا في غاية البعد عبر باداة الرجا في قوله ثم لا تجد لك اي وان كنا عظم الخلق واعلاهم همة علينا نصيرا والآية دالة على ان النبي بمقدار عظيم شان من تكبه وارتفاع منزلته وعلى ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته فعلى من تلاها ان يتدبرها وان يستشعر الخشية وعظيم التقلب في الدين ولما بين انهم استمالوه بالرفق حتى كادوا لولا العصمة ان يميلوه دل على انهم اخافوه بعد ذلك حتى كادوا ان يخرجوه من وطنه قبل الاذن الخاص بالهجرة فقال وان اي وانهم كادوا اي الاعداء ليستفزونك اي ليستخفونك بكثرة الاذى الذي من شانه ذلك فيما جرت به العوايد من الارض اي الملكة التي هي الارض كلها لانها امها ليخرجوك منها مع ان وجودك عندهم رحمة لهم فلا اعمى منهم واصل الفز القطع بشدة قاله الرماني واذن اي واذا اخرجوك لا يلبثون خلفك اي بعد اخراجك الا قليلا وسيعلمون اذا اذنا لك في الخروج كيف نصبت عليهم العذاب بعد خروجك بقليل برمحك الطويل وسيفك الصقيل وسيوف اتباعك المومنين ليوتك هذا الدين وقد حقق الله سبحانه هذا الوعيد بقتل صناديدهم في غزوة بدر في رمضان من السنة الثانية من الهجرة بعد ثمانية عشر شهرا من مهاجره صلى الله عليه وسلم وحرم على المشركين الذين اخرجوه صلى الله عليه وسلم من مكة المشرفة الدخول اليها والاقامة في حريمها من جزيرة العرب اكراما له صلى الله عليه وسلم وانتقاما ممن يتعمد شيا من كفر من اخرجوه ورفع يلبثون لان اذن اذا وقعت بعد الواو والفآ جاز فيها الالغآ لانها متوسطة في الكلام كما انه لا بد من ان تلغى في آخر الكلام وفي الآية بيان ان الجاهل لا يزال ينصب للعالم الحبايل ويطلب له الغوايل فيعود ذلك عليه بالوبال في الحال والمآل ولما اخبره بذلك اعلمه انه سنته في جميع الرسل فقال سنة اي كسنه او سننا بك سنة من قد ارسلنا اي بما لنا من العظمة ولما كان الارسال قد عمت بركته بهذه العظمة جميع الازمان بما حفه به من قوتهم العظمة اسقط الجار فقال قبلك اي في الازمان الماضية كلها من رسلنا بان جعلنا وجودهم بين ظهراني قومهم رحمة لقومهم فاذا اخرجوهم عاجلناهم بالرضى باخراجهم بالعقوبة ولا تجد لسنتنا اي لما لها من العظمة تحويلا اي نحول لغيرنا بحولها لكنهم حكموا عن الامم السالفة بانهم لا يعذبون عذاب الاستيصال تشريفا لهذا النبي الكريم ولما قرر امر اصول الدين بالوحدانية والقدرة على المعاد وقرر امره احسن تقرير واستعطفهم بنبيه وحزنهم من نفسه وقرر انه سبحانه عصمه عليه الصلوة والسلام من فتنتهم بالسرى والقرآء بما انار به من بصيرته واحسن من علانيته وسريرته صار من المعلوم انه قد تفرغ للعبادة وتهيا للمراقبة فجدا في بلوغها فوصل بذلك قوله تعالى اقم اي حقيقة بالفعل ومجازا بالعزم عليه الصلوة بفعل جميع شرايطها واركانها وسننها وغاياتها بحيث يصير كانها قايمة بنفسها فانها لب العبادة بما فيها من خالص المناجاة بالاعراض عن كل غير وفنا كل سوي بما اشرف

من انوار الحضرة التي اضمحل لها كل فان وفي ذلك اشارة عظيمة الى ان الصلوة اعظم ناصر على الاعداء الذين يريدون بكم استفزاز الاولياء وادفع الاشياء للضراء واجلبها لكل سرا ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة كما تقدم تخريجه في آخر الحجر ثم علل له الاوقات بقوله لدلوك الشمس اي زوالها واصفرارها وغروبها قال في القاموس دلكت الشمس غربت او اصفرت او مالت او زالت عن كبد السماء فحينئذ في هذه اللفظة دلالة على الظهر والعصر والمغرب من استعمال المشترك في معانيه اما في الظهر والمغرب فواضح واما في العصر فلان اول وقتها اول اخذ الشمس في الاصفرار وادل دليل على ذلك انه غيا الاقامة بوقت العشاء فقال الى حثا على نية ان يصلي كلما جا الوقت ليكون مصليا دائما لان الانسان في صلاة ما كان ينتظر الصلوة فهو بيان لان وقت المغرب من الدلوك الذي هو الغروب الى ان يذهب الشفق غسق الليل فالغسق ظلمة اول الليل وهو وقت النوم وقال الرازي في اللوامع وهو استحكام ظلمة الليل وقال الرماني ظهور ظلامه ثم عطف عليه بتغيير السياق قوله وقرآن فكانه قال ثم ثم واقم قرآن الفجر اشارة الى الصبح وقيل نصب على الاغراء وكانه عبر عنها بالقرآن لانه مع كونه اعظم اركان الصلوة بطول فيها في القراءة ما لا يطول في غيرها ويجهر به فيها دون اخواتها العصر وتشويقا بالتعبير به ايها لثقلها بالنوم ولما كان القيام عن المنام صعبا على مرغبا مظهرا غير مضمر لان المقام مقام تعظيم فقال ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده فريقا الملكة وهو اهل ان يشهده كل احد لما له من اللذة في السمع والاطراب للقلب والانعاش للروح فصارت الآية جامعة للصلوات روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال فضل صلوة الجميع على صلوة الواحد خمس وعشرين درجة وتجمع ملئكة الليل وملئكة النهار في صلوة الفجر يقول ابو هريرة اقرأوا ان شئتم وقرآن الفجر الآية قالوا وهذا دليل على وجوب الصلوة اول الوقت وان التغليس بصلوة الفجر افضل ثم حث نبيه عليها للهجد لفضيلته واشديته فقال ومن اي وعليك او وقم بعض الليل فتهجد اي اترك الهجود وهو النوم بالصلوة به اي بمطلق القرآن فهو من الاستخدام الحسن نافلة لك اي زيادة مختصة بك قال عبد القاهر الفارسي في مجمع الغرائب واصل النفل الزيادة ومنه الانفال الزايدة على الغنائم التي احلها الله لهذه الامة وقال ابو عبد الله الغزال النوافل الفواضل ومن هذا يقولون فلان ممن يرجى نوافله انتهى فهو زيادة للنبي صلى الله عليه وسلم في الفرض وللامة في التطوع وخص به ترغيبا للامة لانهم يعلمون انه لا يخص الا بخير الخير لانه الوقت الذي كني فيه عن استجابة الدعاء بالنزول الى السماء الدنيا اللام منه الغرب الوارد في الاحاديث الصحيحة انه يكون في جوف الليل لان من عادة الملوك في الدنيا ان يجعلوا فتح الباب والقرب منه ورفع الستر والنزول عن محل الكبرياء امارة على قضاء الحوائج وكل ما يعبر به عن الله تعالى مما ينزه سبحانه عن ظاهره يكون كناية عن لازمه وبين ذلك حديث رويناه في جزء العيشي عن عثمان بن ابي العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الليل ساعة تفتح فيها ابواب السماء فينادي مناد هل من داع فيستجاب له الى اخره فهذا شاهد عظيم لهذا التاويل ولما امر سبحانه بالتهجد والذكر وكان السياق للعظمة رجاه في النوافل بما يليق بالسياق فقال عسى ان اي لتكون منزلة الراجي لان يبعثك ولما كان السياق قد انصرف للرتبة عبر بصيغة الاحسان فقال ربك اي المحسن اليك بعد الموت الاكبر وقبله كما نبئت غشك من الموت الاصغر الى حضرته مقاما نصب على الظرف محمودا وذلك لان عسى للرجي في المحبوب والاشفاق في المكروه وقد يصدق ذلك فيلزم الشك في الامر وقد يقوي فيأتي اليقين وهو هنا اليقين قالوا ان عسى تفيد الاطماع ومن اطمع احدا في شئ ثم حرمه كان غادرا والله تعالى اكرم من ان يفعل ذلك وعبر بها دون ما يفيد القطع لان ذلك ابعد في كلام الملوك لانه ادل على العظمة وللبخاري في التفسير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود اي فيظهر ما اله من الحظ من اسمه احمد ومحمد في ذلك المحل بحمد كل ذي روح بايصال الاحسان الى كل منهم بالفعل ولاحمد في التفسير وغيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة يعني والله اعلم الشفاعة الخاصة واما العامة فللكل بغير شرط ولما كان هذا المقام صالحا للشفاعة وكل مقام يتوهمه وكان كل مقام يحتاج الى التوفيق في مباشرته والانفصال عنه تلاه حاثا على دوام المراقبة واستشعار الافتقار بقوله مقعد ما المدخل لانه اسم وقل رب اي ايها الموجد لي المدبر لامري المحسن الي ادخلني في كل مقام تريده خالصا فيه حسي ومعنوي دنيا واخري مدخل صدق يستحق له ان يقال له انت صادق في توكلك وفعلك فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها واخرجني من كل ما تخرجني منه مخرج صدق ولما كان الصدق في الامور قد لا يقارنه الظفر قال واجعل لي اي خاصة من لدنك اي عندك من الخوارق التي هي اغرب الغريب سلطانا اي حجة وعزا نصيرا وفيه اشعار بالحجة وانها تكون على الوجه الذي كشف عنه الزمان من العظمة التي ما احدها من يدان ولما كان الدعا قد لا يستجاب قال مبشرا له بانه ليس بين دعايه وبين استجابته الا قوله وقل اي لاوليايك واعدايك جا الحق وهو كل ما امرني به ربي وانزله الي وزهق اي اضمحل وبطل وهلك الباطل وهو كل ما خالفه ثم علل زهوقه بقوله ان الباطل كان في نفسه بجبلته وطبعه زهوقا فقضاه الله من الازل روى البخاري في التفسير وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم وحول البيت ستون وثلثمايه نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جا الحق وما يبدي الباطل وما يعيد جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ولما كان القرآن الذي نوه به في اية اقم الصلوة هو السبب الاعظم في ازهاق الباطل الذي هو كالسحر خيال وتمويه وهو الجامع لجميع ما مضى من الالهيات والنبوات وما تبع ذلك قال عاطفا على ولقد كرمنا وننزل اي بعظمتنا ما

خبه الا من ابه واستنه عليه او ضغطه م

بين المنزل بقوله من القرآن اي الجامع الفارق الذي هو احق الحق ما هو شفاء للقلوب والابدان ورحمة اي اكرام وقوة للمؤمنين
اي الراسخين في الايمان لانارته لقلوبهم من صداء الجهل وحمله لهم على سبيل الرشد الذي هو سبب الرحمة ولحراسته لهم من كل
شيطان ومرض ومحنة اذا وقع الصدق في الاستشفاء به هو كله كذلك وكذا جميع ابعاضه قال الرازي في اللوامع وهو انس
المحبين وسلوة المشتاقين وانه النور المبين الذي من استبصر به انكشف من الحقائق ما كان مستورا وانطوى عنه من البوائق
ما كان منشورا كما ان الباطل داء ونقمة للكافرين ومن اعجب العجب ان هذا الشفاء لا يزيد الظالمين اي الراسخين في هذا الوصف وهم الذين
يضعون الشيء في غير موضعه باعراضهم عما يجب قبوله الا خسارا اي نقصانا لانه اذا جاءهم وقامت به الحجة عليهم اعرضوا عنه فكان
اعراضهم ذلك زيادة في كفرانهم كما ان قبول المؤمنين له واقبالهم على تدبره زيادة في ايمانهم وفي الدارمي عن قتادة قال ما جالس
القرآن احد فقام عنه الا بزيادة او نقصان ثم قرا هذه الآية ثم عطف على هذا المقدر المعلوم تقديره ما هو اعم منه وابين في
الفتنة والاجتراء فقال واذا انعمنا اي بما لنا من العظمة على الانسان اي هذا النوع هؤلاء وغيرهم باي نعمة كانت من انزال القرآن
وغيره اعرض اي عن ذكر المنعم كاعراض هؤلاء عند مجيء هذه النعمة التي لا نعمة مثلها ونأى اي تباعد تكبرا بجانبه بطرا وعمى عن الحقائق واذا
مسه الشر اي هذا النوع وان قل كان يؤوسا اي شديد الباس هلعا وقلة ثقة بما عهده من رحمة الله الا من حفظه الله وشرفه بالاضافة
اليه فليس للشيطان عليه سلطان ولما كان المفرد المحلى باللام يعم كان هذا ربما اقتضى من بعض المعنيين اعتراضا بان يقال انا
نرى بعض الانسان اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر وكان هذا الاعتراض ساقطا لا يعبأ به اما اولا فلانه قد تقدم الجواب عنه في سورة
يونس عليه السلام في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون بان هذا في المسرفين دون غيرهم وبقوله في سورة هود عليه السلام
الا الذين صبروا ولعله طواه في هذا المقام اشارة الى انه لقلة افراده كانه عدم واما ثانيا فلان المحلى باللام سواء كان مفردا او جمعا
في قوة الجزئي حتى يرد ما يدل على انه كلي فلذلك اعرض تعالى عنه وامره بالجواب عن القسمين المشار اليه والمنصوص عليه فقال قل اي
يا اشرف خلقنا كل من الشاكر والكافر يعمل على شاكلته اي طريقته التي تشاكل روحه وتشاكل ما طبعناه عليه من خير او شر فربكم اي
فتسبب عن ذلك ان الذي خلقكم ودرجكم في اطوار النمو لا غيره اعلم مطلقا بمن هو منكم اهدى سبيلا اي اشد واقوم من جهة المذهب بتقواه
واحسانه فيشكر ويصبر احتسابا فيعطيه الثواب ومن هو اضل سبيلا فيحل به العقاب لانه يعلم ما طبعهم عليه في اصل الخلقة وغرزه
فيهم من الخلائق وغيره انما يعلم امور الناس في طرائقهم بالتجربة وقد روى الامام احمد لكن بسند منقطع عن ابي الدرداء رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم بجبل زال من مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به فانه يصير
الى ما جبل عليه هذا كله اذا كان الاعراض بالفعل وان كان بالقوة التزمنا انها كلية والله اعلم بالمهتدي فيحفظه من الاعراض والياس
بالفعل مما هو فيه بالقوة ولما بين سبحانه بعد التعجيب من انكارهم البعث جهل الانسان وما هو عليه من الضلال والنسيان الا من فضله الله
على ابناء نوعه كما فضل طينته على سائر الطين وختم بآية المشاكلة التي منها مشاكلة بعض الارواح لبعض ومشاكلتها للطباع وبان بذلك
انه تعالى قادر على فعل ما يشاء عالم بكل معلوم رجع الى التعجيب منهم بما هو من شان الارواح التي من شانها التشاكل فقال عاطفا على وقالوا ائذا
كنا عظاما ويسئلونك اي تعنتا وامتحانا عن الروح الذي تقدم انها تعاد الى اجسادهم يوم البعث ولو كانوا حجارة او حديدا ما هي
هل هي جسم ام لا وهل هي متولدة من امتزاج الطبائع التي في البدن ام امر آخر مبتدا وهل هي قديمة ام حادثة ولما كان ذلك تعنتا مع انه
لا يفتقر اليه في صحة اعتقاد امره بان يجيبهم عنه بما يليق بحالهم بقوله قل الروح اي هذا النوع التي تصير به الاجسام حية من امر
ربي اضافها الى الامر وهو الارادة وان كانت من جملة خلقه تشريفا لها واشارة الى انه لا سبب من غيره يتوسط بينها وبين امره
بل هو يبدعها من العدم او يقال وهو احسن ان الخلق قسمان ما كان بتسبيب وتنمية وتطوير وهو الذي يترجم في القرآن بالخلق
والثاني ما كان اخراجا من العدم بلا تسبيب ولا تطوير وهو المعبر عنه بالامر ومنه هذه الروح المسؤول عنها وكل روح في القرآن
وكذا ما هو للحفظ والتدبير كالاديان والجامع لذلك القيومية كما مضى عن الحرالي رحمه الله عند روح القدس في البقرة فافادت هذه العبارة
انها محدثة وانها غير مطورة ولا مسببة وهي جسم لطيف سار في البدن كماء الورد في الورد على الصحيح عند اهل السنة وامسك السلف
عن الامعان في الكلام على الروح ادبا لانهم علموا ان في عدم الجواب لسؤالهم بغير هذا اشارة الى ان السكوت عنه اولى لهم ثم اتبعه التنبيه
على جهلهم لتعكيسهم في الاسئلة بتركهم الاقبال على ما يفهمونه بلا شك وينفعهم في الدارين من هذا الروح المعنوي وهو القرآن واقبالهم
على ما لا يفهمونه من الروح المحسوس لقلة علمهم ومن فهمه منهم لا يفهمه الا بعسر عظيم وفيه اسئلة كثيرة جدا لا برهان على اجوبتها منها
انه متحيز ام لا وانه مغاير للنفس ام لا وهل يبقى بعد الموت ام لا فعلمنا به انما هو على الاجمال ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة
نفيه فان اكثر حقائق الاشياء مجهولة وهي موجودة فالسكنجبين خاصيته قمع الصفراء وحقيقة تلك الخاصية مجهولة وهي معلومة
الوجود وليس وراء العلم بما سالوا عنه من الروح بعد فهمه من الفائدة ما لذلك الذي تركوه ولا قريب منه فقال دالا على حدوثه
بتغيره فانه يكون في المبدا جاهلا ثم يحدث له العلم شيئا بعد شيء وكل متغير حادث وما اوتيتم اي من اي موت كان بعد ان كنتم
لا تعلمون شيئا من العلم اي مطلق هذه الحقيقة فكيف بالمشكل منها الا قليلا ومما تجهلونه امور ضرورية لكم لان تماديكم على الجهل بها
سبب لهلاككم في الدارين فمن اجهل الجهل واضل الضلال ان تسئلوا عما لا يضركم الجهل به ويتوقف اثباته على امور دقيقة
ومقدمات صعبة وتتركوا ما يضركم الجهل به ويتوقف اثباته على امور دقيقة ومقدمات صعبة وتتركوا ما يضركم الجهل به
في الدين والدنيا مع كونه في غاية الوضوح لكثرة ما قام عليه من الادلة وله بحضرتكم من الامثلة والذي سالتموه منزه عن الغش
والضيق فهو ينبهكم على عبثكم نصيحة لكم ويعدل عن جوابكم عنه الى ما ينفعكم رفقا بكم ولفهم هذا سكت السلف عن الخوض في امره

والخطاب

والخطاب لليهود والعرب اما العرب فواضح واما اليهود فانهم وان كانوا اهل الكتاب فذلك اشارة الى تلاشي علمهم في جنب علم الله كما ستاتي الاشارة اليه بقول الخضر لموسى عليهما السلام في العصفور الذي نقر من البحر نقرة او نقرتين فحيث ورد التعظيم علم احد وتكثيره منهوبا بالنسبة الى غيره من الخلق وحيث ورد تقليله كما في هذه الآية فهو من حيث اضافته الى علم الله تعالى وهذه الآية ورد في سبب نزولها ما يظن انه متناقض فانه روى في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان يمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فساله اليهود عن الروح فاوحي اليه فلما انجلى عنه الوحي تلا عليهم الآية وفي السيرة الهشامية والدلائل للبيهقي وتفسير البغوي وغيره من المتاسير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا ارسلت الى اليهود قبل الهجرة تسالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم اهل الكتاب الاول وعندهم من علم الانبياء ما ليس عند قريش فامروهم ان يسالوه عن الروح وعن قصتي اصحاب الكهف وذي القرنين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم بما سالتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا حتى ارجف به اهل مكة وحتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة وروى ايضا ان لبثا لوحي كان اربعين ليلة وروى اثنتي عشرة ليلة وفي مسند ابي يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش ليهود اعطونا شيئا نسال عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسالوه ونزلت ويسالونك الآية وليس ذلك واسالة يحمد الله بمشكل فانه محمول على انه نزل للسببين الاول فلما سيل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا لم يجب فيه بالجواب الاول اما لرجاء ان يوتى بوحي يرفع منه او خشية ان يكون نسخ او نحو ذلك لامرر آه صلى الله عليه وسلم فيعيد الله سبحانه انزاله عليه تثبيتا له واعلاما بانه هو الجواب وفيه متنع وفي تاخير الجواب في هذا الامر برهان قاطع لقريش وكل من له ادنى لب على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في ان هذا القول من عند الله لا يقدر عليه غيره لانه لو كان قادرا على الاتيان بشيء منه من عند نفسه او من عند احد من الخلق لبذل جهده في ذلك تنزيها لنفسه الشريفة وهمته المنيفة وعرضه الطاهر عن مثل ما خاضوا فيه بسبب اخلاف موعدهم ولما كانت الروح من عالم الامر الذي هو من سر الملكوت ضمت الى سورة الاسرا الذي هو من ابطن سر الملكوت لا سيما بما علا به من المعراج الذي جعل لعوالمه كالروياوما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس ولذلك فصلت عن السوالين الاخرين لانها من عالم الملك وسياتي بقية الكلام على هذا في سورة الكهف ان شاء الله تعالى ولما شرح ارادتهم الفتنة عما جاءهم من العلم بتبديل المنزل واخراج المرسل وما تبع ذلك حتى ختم بتجهيلهم اذ سالوا تفتنا عن الروح الجبلي وكان لا نفع لهم سوالهم استفادة ونفعا عن دقايق الروح المعنوي الذي اعظم الله شرفهم به بانزاله اليهم على لسان رجل منهم بعاشرتهم تحققا واطهرهم نفسا واعظمهم مولدا واذكاهم عنصرا واعلاهم همة وختم بتقليل علمهم اشارة الى انهم لا يفهمون الا ما يفهمهم سبحانه وهو اعلم بما يفهمونه وما لا يفهمونه قال عاطفا على ان كادوا ليفتنونك تثبيتا لهم على انه لو شاء لذهب بسبب هذا العلم القليل الذي وهبهموه فضلهم الجهل كما كانوا وعلى انه لم يكفهم ترك السوال عما يعنيهم حتى سالوا عما لا يعنيهم واراد وا تبديل ما ينفعهم ويغنيهم بما يجيدهم ويغنيهم فضلوا قولا وفعلا ولئن شئنا اي ومشيتنا لا يتعاظمها شيء ولامه موطئة للقسم واجاب عن القسم بما اغنى عن جواب الشرط فقال لنذهبن اي بما لنا من العظمة ذهابا محققا بالذي اوحينا اي بما لنا من العظمة اليك مما اراد وا الفتنة فيه من القرآن على ان فيه من العلم ما يغنيهم لو اقبلوا على تفهمه عن شيء من الاشياء فلا نبقي عندك نحن ولا وحينا ولا فائدة هذا لم يقل لا هبنا ثم اي بعد الذهاب به لا تجد لك ولما كان السياق هنا للروح الذي هو الوحي فكانت العناية به اشد قدم قوله به ولما كان السياق لمن ياخذ ما يريد طوعا او كرها قال علينا اي بما لنا من العظمة التي لا تعارض وكيلا يتيك به او ينجيك منه ولما كان لا ملجا منه سبحانه الا اليه قال الا اي لكن تجد رحمة مبتدية وكاينة من ربك اي المحسن اليك بان اوجدك ورباك ولم يقطع احسانه قط عنك يصيد بها ذلك اليك او ياتيك بما يقوم مقامه وعبر عن ادامة الانقطاع بادامة الاتصال اشارة الى ان رحمته سبحانه له التي اقتضته صفة احسانه اليه لعظمها كالوكيل الذي يتصرف بالعظمة على كل حال ولما كان في انزاله اليه ثم ابقايه لديه من النعمة اليه وعلى امته ما لا يحصى نبه على ذلك بقوله مستانفا موكدا لان كون الرحمة هكذا من اغرب الغريب فهو بحيث لا يكاد يصدق وهو مما يتلذذ بذكره ان فضله كان اي كونا ثابتا عليك اي خاصة كبيرا اي بالغ الكبر وقد ورد انه يذهب بالقرآن في آخر الزمان يسري بمعاني المصاحف وبمعاني القلوب وقد افهمت ذلك هذه الآية لان كلام الملوك يفهم اصل الشيء ولو كان في سياق الشرط ولما كان ربما عرض ان يقولوا ان ذهب عليك منه شيء فاتيت بمثله من عند نفسك او مما اكتسبته منه من الماثير امر ان يجيبهم عن هذا بقوله دلالة على مضمون ما قبله قل ولما اريد هنا المماثلة في كل التفصيل الى جميع السور في المعاني الصادقة والنظوم الرايقة كما دل عليه التعبير بالقرآن زاد في التحدي قيد الاجتماع من الثقلين وصرفا لهمم للتظاهر والتعاون والتظافر بخلاف ما مضى في السور السابقة فقال تعالى موكدا باللام الموطئة للقسم لادعايهم انهم لو شاؤا اتوا بمثله والجواب حينئذ للقسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم لئن اجتمعت الانس الذين تعرفونهم وتعرفون ما اوتوا من البلاغة والحكمة والذين لا تعرفونهم وقدمهم لسهولة اجتماعهم بهم ولانهم عندهم لاصل في البلاغة والجن الذين ياتون لكهانهم ويجيبونهم ويعلمونهم ببعض المغيبات منهم وترك الملكة لانهم لا عهد لهم بشيء من كلامهم على ان يا توا اي يجدد وا ايتاما في وقت ما حال اجتماعهم بمثل هذا القرآن اي جميعه على ما هو عليه من التفصيل وخصه بالاشارة تنبيها على ان كل ما يقوله صلى الله عليه وسلم عن الله وحي من الله ليس فيه شيء من عند نفسه وان المراد في هذا السياق المتحدي به الذي اسمه القرآن خاصة لا يا تون ولما كانت هذه السورة مكية فكان اكثر ما يمكن في هذه الآية ان تكون آخر المكي فيختص التحدي به وكان المظهر اذا اعيد مضمرا امكن فيه الخصوص وكان المراد انما هو الشمول وحتى اريد الشمول استوفى له احاطة باستيناف اظهار محيط كما ياتي عن الرازي رحمه الله في اواخر الكهف ليقل هنا

به لذلك وليلا يظن انه يعود على القرآن لا على مثله بل اظهر فقال دالا على ان المراد جميع المكي والمدني بمثله اي لا مع التقييد بمعانيه
الحقة الحكيمة حتى ياتوا بكلام في اعلى طبقات البلاغة مبينا لاحسن المعاني باوضح المباني ولا مع الانفكاك عنها الى معان مفتراة ثم اوضح
ان المراد الحكم بعجزهم مجتمعين ومنفردين متظاهرين وغير متظاهرين فقال ولو ولما كان المكلفون مجبولين على المخالفة وتنافي الاغراض
قال كان اي جبلة وطبعا على خلاف العادة بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا بضم اقوى ما فيه الى اقوى ما في صاحبه وقد تقدم في السور
المذكور فيها التحدي ما يتم هذا المعنى ولما تمت هذه الجمل على هذا الوجه الجميل والرصف الجليل نبه على ذلك سبحانه بقوله عطفا
على نحو صرفنا هذه الامثال كما ترون على اعلى منهاج وابلغ سياق في ابدع انتظام ولقد صرفنا اي رددنا وكررنا تكريرا كثيرا بما لنا من العظمة
ولما كان مبنى السورة على بيان العناية بالناس الذين اتقوا والذين هم محسنون اقتضى المقام لمزيد الاهتمام تقديم قوله للناس اي الذين هم
ناس في هذا القرآن الهادي للتي هي اقوم من كل مثل اي من كل ما هو في غرابته وسيره في اقطار الارض وبلاغته ووضوحه ورشاقته كالمثل
الذي يجب الاعتبار به والتصريف تصيير المعنى دائرا في الجهات المختلفة بالاضافة والصفة والصلة ونحو ذلك فابى اي فتسبب عن
ذلك الذي هو سبب للشفاء والشكر والهدى تصديقا لقولنا ولا يزيد الظالمين الا خسارا انه ابى اكثر الناس وهم من هم في صورة الناس
وقد سلبوا معانيهم ولما كان ابى متاولا بمعنى النفي فكان المعنى فلم يرضوا مع الكبر والشماخة استقبله باداة الاستثناء فقال الا
كفورا لما لهم من الاضطراب ولما كان هذا امرا معجبا عجب منهم تعجيبا آخر عاطفا له على ويسئلونك ان كان المراد بالناس في قوله
فابى اكثر الناس الكل وعلى فابى ان كان المراد بهم قريشا فقال وقالوا اي كفار قريش ومن والاهم تعنتا بعد ما لزمهم من الحجة ببيان عجزهم
عن المعارضة وبغير ذلك فعل المبهوت المحجوج المعاند موكدين لما لزمهم من الحجة التي صاروا بها في حيز من يؤمن قطعا من غير توقف لن
نؤمن اي نصدق بما تقول مذعنين لك حتى تفجر اي تفجيرا عظيما لنا اجمعين من الارض ينبوعا اي عينا لا ينضب ماؤها او يكون لك
انت وحدك جنة من نخيل واشجار عنب عبر عنه بالثمرة لان الانتفاع منه بغيرها قليل فتفجر اي بعظمة زائدة الانهار الجارية
خلالها تفجيرا وهو تشقيق عما يجري من ماء او ضياء او نحوهما فالفجر شق الظلام عن عمود الصبح والفجور شق جلباب الحياء بما يخرج
الى الفساد او تسقط من السماء اي نفسها كما زعمت فيما تتوعدنا به علينا كسفا اي قطعا جمع كسفة وهي القطعة ويجوز ان يكون المراد
بذلك الحاصب الآتي من جهة العلو وغيره مما توعدوا به في نحو قوله ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم وتسمية ذلك سما كتسمية المطر
بل والنبات سما اذا نزل السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا او تاتي معك بالله اي الملك الاعظم والملائكة قبيلا اي
اتيانا عيانا ومقابلة ننظر اليه لا يخفى على احد منا شيء منه وكان اصله الاجتماع الذي يلزم منه المواجهة بالاقبال من قبائل الراس
الجامعة او يكون لك اي خاصا بك بيت من زخرف اي ذهب كامل الحسن والزينة او ترقى اي تصعد في السماء درجة درجة ونحن ننظر اليك
صاعدا ولن نؤمن اي نصدق مذعنين لرقيك اي اصلا حتى تنزل وحققوا معنى كونه من السماء بقولهم علينا كتابا ومعنى كونه
في رق ونحوه بقولهم فقراوه يامرنا فيه باتباعك فلما تم تعنتهم وكان لسان الحال طالبا من الله الجواب عنه امره الله تعالى بجوابهم
بقوله قل سبحان ربي اي تنزه عن ان يكون له شريك في ملكه يطلب منه ما لا يطلب الا من الاله فهو تنزيه لله وتعجيب منهم لوضوح عنادهم
بطلبهم ما لا قدرة عليه الا للاله ممن لا قدرة له على شيء منه الا باذن الله ولم يدع قط انه قادر على شيء منه فحسن الاستفهام حيا في قوله
هل كنت الا بشرا لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر رسولا كما كان من قبلي من الرسل لا اتعدى ما امرت به من التبليغ ولا آتي بشيء الا
باذن الله ولم اقل اني اله حتى يطلب مني ما يطلب من الاله ورتبوا تعنتهم هذا الترتيب لانهم حصروا حاله في دعوى ان يكون عظيما بالرسالة
او غيرها ليتبعه الناس فان كان الاول كان مقبول القول عند مرسله وحينئذ فاما ان يسئله في نفع عام بالينبوع او خاص به بالجنة
ان بخل بالعام او ضر بالكشف او يسئله في الاتيان مع جنده لان يصدقه وان كانت عظمته بغير ذلك فاما ان يكون ملكا ليكون له البيت
المذكور بما جرت العادة ان يكون تابعا له او يكون ممن يجتمع بالملك الذي ارسله فيرقى على ما قالوا ولما امر بما تضمن انه كاخوانه
من الرسل في كونه بشرا اتبعه قوله عطفا على فابى او وقالوا وما منع الناس اي قريشا ومن قال بقولهم لما لهم من الاضطراب ان يؤمنوا
اي لم يبق لهم مانع من الايمان والجهلة مفعول منع اذ جاءهم الهدى اي الدليل القاطع على الايمان وهو القرآن وغيره من الادلة الا وفاعل
منع ان قالوا اي منكرين غاية الانكار متعجبين متهكمين ابعث الله اي بما له من العظمة الباهرة من صفات الجلال والاكرام بشرا رسولا
وسبب اتباع الضلال مع وضوح ضره وترك الهدى مع ظهور نفعه وقوع الشبهة او الشهوة لضعفاء العقول وهم اكثر الناس
في اوله ثم تقليد الرؤسا وتمكن العادة السيئة فيما بعد ذلك فلما انكروا كون الرسول بشرا بعد ان جعلوا الاله حجرا علمه جوابهم
بقوله قل لهم قال ربي لو كان اي كونا متمكنا في الارض التي هي مسكن الآدميين ملائكة يمشون عليها كالآدميين من غير طيران كالملائكة
الى السماء مطمئنين باتخاذهم لها قرارا كما فعل البشر لنزلنا اي بما لنا من العظمة عليهم مرة بعد مرة كما فعلنا في تنزيل جبريل
عليه السلام على الانبياء من البشر وحقق الامر بقوله من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من التلقي منه لمشاكلتهم له بخلاف البشر
كما هو مقتضى الحكمة لان رسول كل جنس ينبغي ان يكون منهم اذ الشيء عن شكله افهم وبه آنس واليه احن وله آلف الا من فضله الله
بتغليب روحه على نفسه وعقله على شهوته فاقدره بذلك على التلقي من الملك ولما نصب البرهان القاطع على ان القرآن الموحى
اليه من عند الله ونفى شبهتهم في انكار كون الرسول بشرا بانه ما خرج عن عادة من قبله ممن كانوا مقرين بانهم انبياء وبان الجنس
لا يفهم عن جنس آخر فالبشر لا يفهم عن الملك الا بخارقة ولا يكون ذلك الا للرسل ومن اراد الله من اتباعهم لم يبق الا محض العناد الذي
لا رجوع فيه الا الى السيف عند القدرة والى الله عند فقدها وكان في مكة المشرفة غير قادر على السيف امره تعالى بالرجوع اليه
فقال قل كفى بالله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما شهيدا اي فيصلا يكون بيني وبينكم يعامل كلا منا بما يستحق ثم علل كفايته لذلك

بقوله

احتباك ح

قوله انه كان بعباده قبل ان يخلقهم خبيرا بما يؤول اليه امرهم بعد ايجاده لهم بصيرا بما يكون من كل منهم بعد وجوده ولما تقدم انه سبحانه اعلم بالمهتدي والضال وكان ختم هذه الآية مرشدا الى ان المعنى فمن علم منه بخبرته قابليه للخير وفقه للعمل على تلك الشاكلة ومن علم منه قابلية الشر اضله عطف عليه قوله ومن يهد الله اي الذي له الامر كله لا شريك له بخلق الهداية في قلبه واشار الى قلة المهتدي على طريقة الاحسان بافراد ضميره والى كثرة الضال بجمعه فقال فما له اي لاحد غيره المهتدي لا يمكن احدا غيره ان يضله ومن يضلل فما له الضال لا هادي له وذلك معنى قوله فلن تجد لهم اي للضالين اولياء اي انصارا في حزب الله بما يدفعون به عذابه ولا ينفعونهم بشيء اراد الله غيره ولذلك نفوا اصلا وراسا لانه اذا انتفى نفعهم كانوا كالعدم واذا انتفى الشيء عن الجمع انتفى عن المفرد من باب الاولى فالآية من الاحتباك حذف الاول يدل على حذف ضده ثانيا والنتيجة الثاني تدل على حذف ضده من الاول ولما كان يوم الفصل يوما يظهر فيه كمال احد في كل حال من عظمته تعالى ما يضمحل معه كل عظمة قال ونحشرهم بنون العظمة اي نجمعهم بكره يوم القيمة اي الذي هو محط الحكمة على وجوههم عشون او سجوبين عليها اهانة لهم فيها كانوا يذلونها بالسجود لنا عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا ينتفعون بابصارهم ولا انطقهم ولا اسماعهم بل تكون ضررا عليهم لما ينظرون من المعاطب ويسمعون من المصايب وينطقون به من المعايب قال الرازي في اللوامع اذ نحشر المرء على ما مات عليه فلم يكن له في الاخرة شيء الا حصل اوله ومبداوه في الدنيا وتمامه في الاخرة انتهى ولما كان المقام للانتقال من مكان الى آخر قدم البصر لانه الرؤية في ذلك وثنى بالنطق لانه يمكن الاعمى الاستر شاد به وختم بالسمع لانه يمكن معه وحده نوع ارشاد وعطفها بالواو وان كان التشريك بالكل في كل من الاوصاف فللتهويل لان المتكلم اذا نطق بالعاطف ظن السامع الانتقال الى شيء آخر فاذا اتى بالوصف كان ابلغ في العلم بان صاحبه عريق فيه لما تقدم في براءة وان كانت للتهويل فللتصوير بما فيه صون من حيث انه لا ينتفع فربما منهم بالآخر كبهم ينتفع فكانه قيل الى اي مكان يحشرون فقال مأواهم جهنم تستعر عليهم وتتجهنم كل واحد منهم بما شاء من عذابها وحدها وان كان وجهه الى وجه صاحبه لانه لا يدرك سوى العذاب للختم على مشاعره فياطولها من غربة ويا لها من كربة فكانه قيل هل يفتر عنهم عذابها فقيل لا بل هم كل ساعة في زيادة لانها كلما خبت اي خمدت لهبها في السكون عند انضاج الجلود هم زدناهم اي بما لنا من العظمة سعيرا بالعادة الجلود ثم بتيز علة تعذيبهم ليرجع منهم من قضي بسعادته فقال ذلك اي العذاب العظيم جزاؤهم بانهم اي اهل الضلالة كفروا بآياتنا القرآنية وغيرها مما لها من العظمة بلبستها الينا وكانوا كل يوم يزدادون كفرا وهم عازمون على انه ولم على ذلك ما يقولوا وقالوا انكارا لقدرتنا ايذا كنا عظاما ورفاتا ممزقين في الارض ثم كرروا الانكار كانهم على ثقة من امرهم هذا الذي بطلانه اوضح من الشمس بقولهم انا لمبعوثون اي ثابت بعثنا بطلانا جديدا فنحن نريهم جزاء على هذا الانكار المكرر الخلق الجديد في جلودهم مكررا كل لحظة كلما نضجت جلودهم بدلنا لهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ثم اتبعه بقاطع في بيان جهلهم فقال منبها على انهم اولى بالانكار عاطفا على ما تقديره الم يروا ان الله الذي ابتدأ خلقهم قادر على ان يعيدهم اولم يروا اي يعلموا بعيون بصايرهم علما هو كالرؤية بعيون ابصارهم لما قام عليه من الدلايل ونادى بصحته من الشواهد الجلايل ان الله اي الملك الاعلى المحيط بكل شيء قدرة وعلما الذي خلق السموات جمعها الدال على ذلك من الحس ولم يكن للارض مثل ذلك امرها بديا الجنس الصالح للجمع فقال والارض على كبر اجرامها وعظم احكامها وشدة اجزايها وسعة ارجايها وكثرة ما فيها من المرافق والمعاون التي عمرتها وبغيتها ثم يجددها وتحييها قادر على ان يخلق اي يجدد في اي وقت اراد مثلهم بدءا فكيف بالاعادة وهم اضعف امرا واحقر شانا وانه جعل لهم اجلا لعذابهم او موتهم او بعثهم لا ريب فيه لانه معلوم في نفسه بوجه من الوجوه لما ذكر لهم من شاهدة انه لا تؤخر نفس اذا جاء اجلها ولكن الانسان تقدم على اجلها فكم ممن اجتهد الصراغمة الابطال ومحول الرجال في ضره او قتله وهم قاطعون انه في قبضتهم فلم يقدروا على ذلك ثم كان ذلك باضعف الناس او باموهي سبب فعلم بذلك انه المنفرد بالقدرة على الايجاد والاعدام فابى اي بلى قد علموا ذلك علما كالمحسوس المرئي فتسبب عن ذلك السبب للايمان ان ابوا فكذلك كان الاصل فاظهر تعميما وتعليقا بالوصف فقال الظالمون اي ابى هؤلاء المتغلبون لظلمهم الا كفورا اي جحودا لعدم الشركة ولما قدم في هذه السورة انه هو المنطق وان عطاءه الجم الذي فات الحصر وفضل عن الحاجة وقامت به الحجة على العباد في تمام قدرته وكمال علمه غير محظور عن احد وانهم يتناولون ارزاقهم مع ذلك حسية الملاق وهم يطلبون ان يظهر لهم من جنس ما خلق من الينابيع والجنات والذهب والزخرف على كيفيات مخصوصة لغير حاجة مما تقدم ذكره وقد امتنعوا تخلا وانفة وجهلا عن الاعتراف له بما اوجبه عليهم شكرا لنعمته واستدفاعا لنقمته بعد قيام الدلايل وزوال الشبه فلا اخل منهم لانهم تخلوا بما يجب عليهم من الكلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اخل الناس من بخل بالسلام امر ان ينبههم على سفههم في ذلك بقوله قل لو ولما كان من حق لو الدخول على الاشعار بعلم ان بعدها فعلا من جنس ما بعد قدرين تملكون ولكنه حذفه وفصل الضمير لان المقصود الحكم عليهم بادي بدء فقال انتم اي دون غيركم تملكون خزائن عبر بصيغة منتهى الجموع لان المقام جدير بالمبالغة رحمة اي ارزاق واكرام ربي المحسن اليّ بايتاء جميع ما ثبت امري واوضحه وهي معدودة لانه الذي يرحم عباده بافاضتها عليهم اذا لامسكتم اي لو قدر منكم الامساك عن الانفاق في بعض الوجوه التي تحتاجون اليها خشية عاقبة الانفاق اي الموصل الى الفقر استدل على صحة هذا المفروض بالمشاهد من مضمون قوله وكان اي جبلة وطبعا الانسان اي الذي من شانه الانس بنفسه فهو لذلك لا يعقل الامور حق عقلها قتورا اي بخيلا ممسكا غاية الامساك لامكان ان يكون فقيرا فلا تراه الا مضيقا في النفقة على نفسه ومن يلزمه نفقته شديدا في ذلك وان اتسعت احواله وزادت على الحد امواله لما فيه من صفة النقص اللازمة بلزوم الحاجة له طبع على ذلك فهو في غريزته بالقوة فكلهم بفعله الا من وفقه الله فغلب عقله على هواه ○

وقليل ما هم اي فاذا كان هذا امركم فيما تملكونه مع الحاجة الى الوجوه المنفق فيها فكيف تطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يملكه
ولا ادعى القدرة عليه او من الخالق الحكيم ان يفعل ما تتعنتون به عبثا لغير حاجة اصلا لانه ان كان لاثبات قدرته فانتم لا تمترون فيها
وان كان لاثبات رسالة نبيكم فقد ثبتت بامور اعظمها هذا القرآن الذي مر آنفا اقامة الدليل عليها به وهتك استار شبهتكم
في استبعاد كون الرسول بشرا والله تعالى قد اكرمكم بنبيكم عن ان يعاجلكم بالاستيصال عند العصيان بعد كشف الغطا كما جرت به
سنته في جميع الامم وان كان لاثبات عناكم فهو شيء لا يغني نفوسكم فيردها عن طلب المزيد وعن التقتير لما طبعتم عليه بل تكونون عند
حصول ذلك لكم لحصول الغنى كالمستجير من الرمضاء بالنار وهو قد قضى انه يظهر امره على كل من ناواه وان كره الكافرون وقد علم
من يؤمن فييسر له الايمان ويجعله عونا لحزب الرحمن ومن لا يؤمن فهو يجعله مع اولياء الشيطان ويذيق الكل الهوان ويجعلهم وقودا
للنيران فلم يبق بعد هذا كله في اجابتكم الى تعنتكم الا العبث الذي هو سبحانه متعال عنه فلا وجه يحصل به الانسان الغنى الا اتباع
السنة والانسلاخ عن الهوى فمن وصل الى ذلك استوى عنده الذهب والحصباء ولما قدم سبحانه ان اكثر الناس حجة الآيات
لكونه حكم بضلالهم ومن حكم بضلاله لا يمكن هداه وختم بان من جبل على شيء لم ينفك عنه شرع يسلي نبيه عليه الصلوة والسلام بما
اتفق لمن قبله من اخوانه الانبياء مع التنبيه على انه يجود بالآيات على حسب المقتضيات وعلى ان خوارق العادات لا تنفع في ايمان
من حكم عليه بالضلال وتوجب كما سنه الله اهلاك من عصى بعد ذلك بعذاب الاستيصال فقال عاطفا على قوله ولقد صرفنا
للناس ولقد آتينا اي مما لنا من العظمة موسى بن عمران المتقي المحسن عليه السلام لما ارسلناه الى فرعون تسع آيات بينات وهي كما
في التورية العصى ثم الدم ثم الضفادع ثم القمل ثم موت البهائم ثم البرد الكبار التي انزلها الله تعالى مع النار المضطرمة فكانت تهلك
كلما مرت عليه من نبات وحيوان ثم الجراد ثم الظلمة ثم موت الابكار من الآدميين وجميع الحيوان كما مضى ذلك في هذا الكتاب عن التورية
في سورة الاعراف وكانه عد اليد مع العصى آية ولم يفرد اليد لانه ليس فيها ضرر عليهم وقد نظمتها ليهون حفظها فقلت
عصى قمل موت البهائم ظلمة * جراد دم ثم الضفادع والبرد * وموت بكور الآدمي وغيره * من الحي آتاها الذي عز وانفرد *
وهي ملخصة في الزبور فكانه قال في المزمور السابع والسبعين صنع آياته بمصر وعجائبه في مزارع صاعان وجعل انهارهم دما وصهاريجهم
لكيلا يشربوا الماء ارسل عليهم الهوام وذباب الكلاب فاكلهم الضفادع وافسدهم اطعم القمل ثمارهم والجراد كدهم كسر بالبرد كرومهم
وبالجليد تينهم اسلم للبرد مواشيهم وللحريق اموالهم ارسل عليهم شدة حنقه سخطا وغضبا ارسل ملائكة الشر فتح طرق سخطه ولم يخلص
من الموت انفسهم اسلم للموت دوابهم قتل جميع ابكار مصر واول اولادهم في مساكن حام وقال في المزمور الرابع بعد المائة بعد ان ذكر
صنائع الله عند بني اسرائيل وآبائهم بعث جوعا على الارض حطم زرع ارضهم ارسل امامهم رجلا يبيع يوسف للعبودية واوثقوا بالقيود
رجليه حارت نفسه في الحديد حتى جاءت كلمته وقول الرب ابتلاه ارسل الملك فاطلقه وجعل رئيسا على شعبه واقامه ربا على بيته
وسلطانه على كل ماله ليؤدب اراجنته كنفسه ويفقه مشايخه دخل اسرائيل مصر وتغرب يعقوب في ارض حام وكثر شعبه جدا
وعلى على اعدائه صرف قلبه ليبغض شعبه ويغدر بعبيده ارسل موسى عبده وهرون صفيه فصنع فيهم آياته وعجائبه في ارض حام
بعث ظلمة فصار ليلا واسخطوا كلامه فحول مياههم دما وامات حيتانهم وانبعثت ارضهم ضفادع في قياطين ملوكهم امر الهوام
فجاء وذباب الكلب والقمل في جميع تخومهم جعل امطارهم بردا واشتعلت النار في ارضهم ضرب كرومهم وتينهم وكسر شجر تخومهم اذن
للجراد فجاء وذباب لا يحصى فاكل جميع عشب الارض وثمارها وقتل كل ابكار مصر واول ولد ولد لهم غير انه لم يذكر العصى وكان ذلك
لشهرتها جدا عندهم ولان جميع الآيات كانت بها فهي في الحقيقة الآية الجامعة للكل وانما قلت ان الآيات هذه لان السياق يدل على ان
فرعون رآها كلها وعاند بعد رؤيتها وذلك اشارة الى انه لو اعطى كفار قريش ما اقترحوه من تفجير الينبوع وما معه لم يكفهم عن العناد
فالاتيان به عبث لا مصلحة فيه ولما كان اليهود الذين امروا قريشا بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح التي مضى الجواب عنها
كما في بعض الروايات وعن اهل الكهف وذي القرنين الآتي بشرح قصتيهما في الكهف نبههم على سؤالهم ان كانوا يقبلون كلامهم عن امر
موسى عليه السلام في كونه كهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في انه بشر مع كونه رسولا وفي كونه اتى بالخوارق فكذب بها المعاندون
فاستوصل المكذب فقال تعالى فاسئل اي يا اعظم خلقنا بني اسرائيل اي عامة الذين نبهوا قريشا على امر الروح عن حديث موسى عليه
السلام او المؤمنين منهم كعبد الله بن سلام واصحابه اذ اي عن ذلك حين جاءهم اي جاء آباءهم فوقع له من التكذيب بعد اظهار المعجزات
الباهرات ما وقع لك ولم يكذب لخلل من امره ولا لقوة من عدوه على مدافعة العذاب وانما كان جهلا وعنادا ليكون ذلك مسلاة لك
وعلما على خبث طباعهم وحجة قاطعة عليهم فقال اي فذهب الى فرعون فامره بارسالهم معه فابى فاظهر له الآيات واحدة بعد اخرى
فتسبب عن ذلك ضد ما يقتضيه الحال وهو ان قال له فرعون عتوا واستكبارا اني لاظنك آكد قوله لما اظهر موسى عليه السلام
مما يوجب الاذعان له والايمان والانكار لان يكذبه احد يا موسى مسحورا اي فكل ما ينشأ عنك فهو من آثار السحر الذي بك
خيال لا حقيقة له وانت في الحقيقة مسحور ولوجود السحر عنك ساحر قال ابو عبيد كما يقال ميمون بمعنى يامن وكانه
موه على جنوده لما اراهم آية اليد بهذه الشبهة وهذا كما قالت قريش ان تتبعون الا رجلا مسحورا وقالوا في موضع آخر ساحر
فانهم ربما اطلقوا اسم المفعول مريدين اسم الفاعل مبالغة في انه كالمجبر على الفعل وفي الامر بسؤال اليهود تنبيه على ضلالهم
قال الشيخ ولي الدين الملوي ولعل منه اقتباس الائمة في المناظرة مطالبة اليهود والنصارى ونحوهم باثبات نبوة انبيائهم
فكل طريق يسلكون يسلك مثله في تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكل اعتراض يوردونه يورد عليهم مثله وما كان جوابا لهم
فهو جواب لنا ومن تفطن للآية الكريمة راى منها العجب في ذلك انتهى ولم يؤمن فرعون على تواتر تلك الآيات وعظمها فكانه قيل

فما قال

فما قال موسى عليه السلام فقيل قال لفرعون لقد علمت اي انا بضم التاء على قراءة الكسائي لغيدان عنده العلم القطعي بان ما اتى به منزل من ربه فهو اعقل اهل ذلك الزمان وليس على ما ادعاه فرعون او بفتح التاء على قراءة الباقين اي انك يا فرعون صرت بما اظهرته انا من الادلة في عداد من يعلم انه ما انزل على يدي هؤلاء الآيات الا رب السموات والارض اي خالقها ومدبرها حال كون هذه الآيات بصائر اي بينات ثابتا امرها عليا قدرها يبصر بها صدقي واما السحر فانه لا يخفى على احد انه خيال لا حقيقة له واني لاظنك يا فرعون مسحورا اي مطبوبا مخبولا مغلوبا على عقلك من السحر فاسد العقل وظني قريب الى الصحة بخلاف ظنك لعنادك لرب العالمين لوضوح مكابرتك للبصائر التي كشف عنها وبها الغطاء فهي واضح من الشمس وذلك لانحلاك الى الحال التي انت بها وكسلك عن الانتقال عنها الى ما هو اشرف منها وقد بينت مدار ثبور في تشريب في سورة يوسف عليه السلام فاذا راجعتها اتضح لك ما اشرت اليه فاراد اي فما تسبب عن هذا الذي هو موجب الايمان في العادة الا ان فرعون اراد ان يستفزهم اي يستخف موسى ومن آمن معه ويخرجهم فيكونوا كالما اذا اسال من موطنهم فزال الجرح سالم من الارض بالنفي والقتل للتمكن من استعباد الباقين كما اراد هو لا ان يستفزكم من الارض ليخرجوك منها للتمكن مما هم عليه من الكفر والعناد ثم اخذ يحذرهم سطواته بما فعل بمن كانوا اكثر منهم واشد فقال فاغرقناه اي فتسبب عن ذلك ان اردنا بما لنا من العظمة كيده في نحره فلم نقدر على مراده واستفززناه نحن فلم يقدر على الاستفزاز بل خفف عنا عاما نريد به حتى ادخلناه في البحر حيث ادخلنا بني اسرائيل فانجيناهم واغرقناه ومن معه جميعا كما جرت به سنتنا فيمن عاند بعد ان راى الخوارق وكفر النعمة وافرط في البغي بعد ظهور الحق فليحذر هؤلاء مثل ذلك ولا سيما اذا اخرجنا رسولنا من بين ظهرانيهم ففي هذه الآية واما اشارة له بما فعلناه في النصرة والتمكن سبيل اخوانه من الرسل عليهم السلام وقلنا اي بما لنا من العظمة التي لا يعاظمها شيء ولما كان هذا القول غير مستغرق لزمان البعد اثبت الجار فقال من بعده اي الاغراق لبني اسرائيل الذين كانوا تحت يده اذل من العبيد لتقوائهم واحسانهم اسكنوا الارض اي مطلق الارض اشارة الى ان فرعون كان يريد محوهم عن الارض او الى ان سكناهم مع وجوده كانت عدما لما بهم من الذل او الارض التي اراد ان يستفزهم منها وهي ارض مصر اي صيروا حيث تسكنون لا يد لاحد عليكم ولا مانع لكم مما تريدون منها كما كان فرعون وجنوده اذا شئتم ملكتين فيها بعد ان كنتم عبيدا تسامون سوء العذاب فاذا جاء اي مجيئا محققا وعد الآخرة اي القيمة بعد ان سكنتم الارض احياء ودفنتم فيها امواتا جئنا اي بما لنا من العظمة بكم منها لفيفا اي بعثناكم وايا هم مختلطين لا حكم لاحد على آخر ولا دفع لاحد عن آخر على غير الحالة التي كانت في الدنيا ثم ميزنا بعضكم عن بعض ونعمنا الطيب منكم باهانة الخبيث ان يسئل بنو اسرائيل الذين يقبل هؤلاء المشركون الجهلة كلامهم ويستنصحونهم في امورهم عن هذا الذي تلوناه عليك يخبرونا به كما اخبرناك فيثبت حينئذ عندهم امر الآخرة والى كان قبولهم لبعض كلامهم دون بعض بغير دليل تحكما وترجيحا من غير مرجح ولما ثبت امر الحشر باثبات القدرة على كل ممكن تاه وباخبار بني اسرائيل الذين الزموا انفسهم قبول كلامهم وقطع المفاوز اليهم لسؤالهم عن بعض الامور اخرى ثبت ان هذا القرآن المخبر بذلك حق وكانوا قد سالوا عن المسائل المذكورة فاجابهم عن اولها وهي الروح بامر مجمل وعقبه بانهم سالوه في اشياء اقترحوها وقالوا لن نؤمن لك حتى تفعلها واشار تعالى بالاخبار عن آيات موسى عليه السلام الى انه لم يترك اجابتهم تحللا ولا عجزا فانقاهم من جنس ما سالوا من التصرف في المياه تارة بانزالها وتارة بتبديلها دما الموجب للقدرة على انبات الاشجار بها ومن اسقاط السماء كسفا باسقاط البرد المهلك فثبت بذلك صحة الاخبار بتصريف الامثال في هذا الكتاب معطوف على قوله ولقد صرفنا قوله وبالحق اي من المعاني الثابتة التي لا مرية فيها لا بغيره انزلناه نحن اي القرآن وهذا الذي اخبر منه بالحشر لبني اسرائيل ملتبسين بالقسط وما قبله على ما لنا من العظمة وبالحق لا بغيره نزل هو ووصل اليهم على لسانك بعد انزاله عليك كما انزلناه سواء غضا طريا محفوظا لم يطرا عليه طاري فليس فيه شيء من تحريف ولا تبديل كما وقع في كتاب اليهود الذين يسلبهم قومك فافاد هذا ان القرآن معجز بكونه حقائق اعجازه بالبلاغة في تصريف الامثال وغيرها من نظم المقال وما ارسلناك اي بما لنا من العظمة الا مبشرا ونذيرا على غاية التمكن في كل من الوصفين بما اشار اليه الواو والصيغة تبلغهم ما فيه من بشارة لمن آمن بذلك اليوم ونذارة لمن لم يؤمن به فان قبلوا فهو حظهم وان لم يقبلوا كان عليهم وزرهم فلم يكن عليك لوم فانا ما ارسلناك عليهم وكيلا وسنزهق باطلهم بهذا الحق لا محالة فلا تستعجل لهم ان الباطل كان زهوقا فلم نرسلك لتعجيز الانبياء ولا انبات الاشجار ثم اخبر ان الحكمة في انزال القرآن منجما فقال وقرآنا اي وفصلنا او وانزلنا قرآنا فرقناه اي انزلناه منجما في اوقات متطاولة وميزناه بالحقية عن كل باطل وبالاعجاز عن كل كلام لتقراه على الناس اي عامة كل من امكنك منهم فانك مرسل اليهم كلهم ولما كانوا لما لهم من البؤس في غاية الزلزلة لا يتهذبون الا في ازمان طويلة وعلاج كبير قال مشيرا الى ذلك على مكث اي تؤده وترسل بان تقرا منه كل نجم في وقته الذي انزلناه فيه في مدة ثلاث وعشرين سنة ونزلناه من عندنا بما لنا من العظمة تنزيلا بعضه في اثر بعض مقرونا بحسب الوقائع لانه اتقن في فصلها واعون على الفهم لطول المتناول لما نزل من نجومه في مدة ما بين النجمين لغزارة ما فيه من المعاني وكثرة ما تضمنه من الحكم وذلك ايضا اقرب للحفظ واعظم تثبيتا للفؤاد واشرح للصدر لان اخبار الحبيب اذا كانت متواصلة كان الحب كل يوم في عيد بهنا جديد فعلنا بك ذلك لما تقدم من ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلما طالت الآبال وزالت الشبه وعلم ان الحظ لمن اقبل والخيبة لمن ادبر امره ان يقول منبها لهم على ذلك مبكتا لهم بتعاسهم عنه وعنادهم فيه بقوله قل آمنوا به اي القرآن او لا تؤمنوا فالايمان به غير محتاج اليكم ولا موقوف عليكم لانكم ان آمنتم به كان لحظكم ولانكم تضرروا

الا انفسكم وهو احتقار لهم حيث صرف لهم من كل مثل فابوا الا كفورا ثم علل ذلك بما يقبل بكل ذي لب اليه فان كان لقل فهو تسلية له صلى
الله عليه وسلم وان كان لما بعدها فهو تبكيت لهم وتحقير فقال ان الذين اوتوا العلم وبني للمفعول دلالة على ان العلم الرباني وهو العلم في الحقيقة
من اي مؤت كان حادث على الايمان بهذا القران وتنبيها على ان من كان يعلم ولا يحمله علمه على الايمان بهذا الكتاب الذي لا شي ابين من
حقيته بمصادقته لكتب الانبيا الذين ثبتت رسالاتهم ومرضت عليها الدهور واطمانت بها النفوس وزيادته عليها بما اودعه الله من
الاعجاز والحكم فعلمه كلا علم بل هو اجهل الجهلة سوا كان ممن سالتموه عني او من غيرهم كما سياتي ان شا الله تحقيقه في الزمر ولما كان المراد
ان من اتصف بهذا الوصف ولو زمنا يسيرا نفعه ادخل الجار فقال مرغبا في العلم ليحمل على الايمان بالقران من قبله اي قبل انزاله من
امن من بني اسرايل الذين امرني الله بسوالهم تسميعا لكم وتثبيتا لكونكم اقبلتم عليهم بالسوال وجعلتموهم محط الوثوق اذا يتلى اي من اي
تال كان عليهم في وقت من الاوقات ينقلهم من حال الى حال فيرقيهم في مدارج القرب ومعارج الكمال الى اعلى الرتب بانهم يخرون اي
يسقطون بسرعة واكد السرعة وافاد الاختصاص بقوله للاذقان باللام دون الى او على دالا بالاذقان على انهم من شدة ما يحصل لهم
من الخشوع يسقطون سقوط من ليس له اختيار واول ما يلاقي الارض ممن يسقط كذلك ذقنه وهو مجتمع اللحيين من منبت لحييه فان الانسان
مجبول بالطبع على صيانة وجهه فهو يرفع راسه فتصير ذقنه وفهمه اقرب ما في وجهه الى الارض حال السقوط ولهذا قال
شاعرهم • فخر صريعا لليدين وللفم • ثم بين ان ذلك ليس سقوطا اضطراريا من كل جهة بقوله سجدا اي يفعلون ذلك لما يعلمون
من حقيته بما اوتوا من العلم السالف وما في قلوبهم من الاذعان والخشية للرحمن ويقولون اي على وجه التجديد المستمر سبحان ربنا
اي تنزه الموجد لنا المدبر لامورنا المحسن الينا عن شوايب النقص لانه وعد على السنة رسلنا ان يبعثنا بعد الموت ووعده الحق
فلا بد ان يكون ووعد ان ياتي بهذا الكتاب على لسان هذا النبي العربي واوصل هذا الوعد الينا في الكتب السالفة فانجز ما سبق
به وعده ان اي انه كان اي كونا لا ينفك وعد ربنا اي المحسن الينا بالايمان وما تبعه من وجوه العرفان لمفعولا دون خلف ولا بد
ان ياتي جميع ما وعد به من الثواب والعقاب وهو تعريض بقريش حيث كانوا يستهزؤن بالوعيد في قولهم او تسقط السما كما زعمت
علينا كسفا ونحوه مما معناه الطعن في قدرة الله القادر على كل شي ويخرون عند تكرار سماعه للاذقان مع سجودهم يبكون ويزيدهم
تكراره خشوعا اي خضوعا وتواضعا واخباتا فان كان سوالكم اياهم لتوموا اذا اخبروكم اني على الحق فامنوا وان كان لغير ذلك
فقد تبين سفهكم وضعف امركم وسوء رايكم وعبر في البكا بالفعل اشارة الى تجدده في بعض الاحيان لما لهم في بعضها من السرور
ببعض ما ابيح من الملاذ وفي السجود بالاسم اشارة الى دوام ذلهم بالسجود المشروع او بمطلق الخضوع وسياتي في سورة مريم ما يزيده
وضوحا ولما كان ايمان اهل العلم الاول به واذعانهم له وتركهم لاديانهم التي اخذوها عن الانبيا الاتين اليهم بالكتب لاجله بعد
اقامة الدليل القاطع على انه من عند الله موجبا لكل من له ادنى انسانية ان يومن به ويقبل عليه ويدعو من انزله دون غيره دايما
لا في اوقات الشدة فقط واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكانت اوقات الاجابة اولى بالدعا من غيرها وكانت حالة
السجود لا سيما مع البكا والخشوع اولاها اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد كان المعاندون من العرب كانهم قالوا لان ذلك من
شانهم ومن حقهم بعد ما قام من الادلة امنا فعلمنا كيف ندعوا وباي اسم نهتف ولما كان الجلالة هو الاسم العلم الجامع لجميع معاني الاسما
الحسنى وكان قد ورد في النحل من التنويه به ما لم يرد في غيرها لما تقدم من الاسرار مع انه عد فيها من النعم ما لم يعد في غيرها ومنها تعليم الانسان
البيان وذلك اليق باسم الرحمن الرحمن علم القران الايات وكانت الرحمة دنيوية واخروية من الخالق ومن الخلايق قد كررت في هذه
السورة ثماني مرات عسى ربكم ان يرحمكم جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما ابتغا رحمة من ربك ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم ان كان بكم
رحيما الا رحمة من ربك خزاين رحمة ربي وكان ذلك ظاهرا في ارادة عمومها فكان اسم الرحمن به اليق وقع الجواب بقوله قل ادعوا الله
اي الملك الاعظم ذا الجلال والاكرام في ذات احاطته او ادعوا الرحمن في معنى استغراقه بالرحمة اي سموا اي اوقعوا الدعا مسمين
في حال دعايكم ربكم الذي سبحتموه في السجود باي اسم اردتم مما اذن فيه فاهتفوا بهذا الاسم الدال على الجلال واستحقاق مسماه الدعا
لذاته او بهذا الاسم الدال على الجمال واستحقاقه الدعا لانعامه مطلقا وفي حالة السجود ايا ما تدعوا اي به من اسمايه فقد حصلتم
به على القصد فان المسمى واحد وان تعددت اسماوه الدالة على الشرف ولما كان في الرحمن جمال ظاهر في باطنه جلال لان عموم الرحمة
لبعض نعمه ولبعض استدراج ونقمة فكان لذلك جامعا لجميع الاسما الحسنى والصفات العلى سبب عن ذكر كل من الاسمين العلم الجامع
والوصف الواقع موقعه قوله فله اي المسمى بهذين الاسمين وحده وهو الواحد الاحد الاسما الحسنى هذان الاسمان وغيرهما مما ورد
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو دال على التحميد والتمجيد والتقديس والتعظيم فهذا الضمير استخدام وقد تضمن هذا القول ان معنى
اسم الرحمن اشمل من اسم الرحيم وان كان بنا كل منهما للمبالغة قال الامام ابو الحسن الحرالي رحمه الله في شرحه للاسما الحسنى الرحمانية
استغراق الخلق بالرحمة في انشايهم والرحيمية اجرا الخلق على ما يوافق حسهم وبلايم خلقهم وخلقهم ومقصد افيدتهم فاذا اختص
ذلك بالبعض كان رحيمية واذا استغرق كان رحمانية ولاستغراق معنى اسم الرحمن لم يكن لتمام معناه وجود في الخلق فلم يجز بحق
على احد منهم وانما يوجد فيهم حظ خاص من معناه يجري عليهم به اسم الرحيم لا اسم الرحمن فلذلك لحق اسم الرحمن في معنى استغراقه باسم
الله في ذات احاطته فقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فاذا تحقق القلب اختصاصه بالله علما كان اصلا للفظ به قولا
فعلمت انه لا رحمان الا الله كما انه لا اله الا الله ولحق باسم الاله فقد علم فقد التمام لمعناه في الخلق كما قد فقد اصل علم الاعتبار من معناه
في اسم اله والتوحيد في اسم الرحمن واجب لاحق بالفرض في توحيد الاله ولذلك ولي اسم الله من موارده في الكتب وفي هذا التعديد
اي الوارد في حديث الترمذي والبزار وغيرهما من اسما الله الحسنى عن ابي هريرة رضي الله عنه انتهى وقد مر في اخر الحجر ما ينفع هنا

ولما كان السجود وعقبه بالدعاء اشار الى انه في كل حالة حسن وفي الصلوة اولى واحسن بعد ان ذكر قريبا الصلوات الخمس
وكان ربما فهم من قوله ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن قوله اذا يتلى عليهم قوة الجهر به قال تعالى ولا تجهر بصلوتك اي بقراءتك
فيها او سمى القراءة صلوة لانها شرط فيها جهرا قويا حتى يسمعه المشركون فان المخالفين قد عرف عنادهم فلا يؤمن سبهم للقرآن ولمن
انزله ولمن جاء به بل كانوا يفعلون ذلك ويلغون وربما صفقوا وصفروا ليغلطوا النبي صلى الله عليه وسلم ويخلطوا عليه قراءته
ولا تخافت اي تسر لها اسرارا بليغا كانك تناظر فيه آخر بحيث لا تسمع من وراءك لياخذوه عنك وابتغ اي اطلب بغاية جهدك
بين ذلك اي الجهر والمخافتة التي افهمت اداة البعد عظمة شانهما سبيلا اي طريقا وسطا روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي
الله عنهما في هذه الآية قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون
سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلوتك اي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا
القرآن ولا تخافت بها عن اصحابك فلا تسمعهم انتهى اطلق هنا اسم الكل على الجزء اشارة الى ان المقصود الصلوة وفيما تقدم اسم الجزء
على الكل لان المقصود الاعظم هناك القراءة في الفجر وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان هذه الآية نزلت في الدعاء وقد تقدم
غير مرة انه ليس بدع ان يكون للشيء اسباب كثيرة ولما تقدم احاطة هذين اما الله فبجميع معاني الاسماء الحسنى واما الرحمن فبالرحمانية
المامور بالدعاء بهما كل مخاطب خصه صلى الله عليه وسلم بالامر بالتحميد الذي معناه الاحاطة واسمه صلى الله عليه وسلم مشتق منه لاتصافه
به حامدا ومحمودا وبالتكبير عن كل ما يفهمه العباد من اسمائه الحسنى فقال وقل الحمد اي الاحاطة بالاوصاف الحسنى لله اي الملك الاعظم
الذي لم يتخذ لكونه محيطا بالصفات الحسنى ولدا فان ذلك لا يكون الا للحاجة وبالحاجة وهي من اسوأ الاوصاف ولم يكن اي يوجد بوجه
من الوجوه له شريك في الملك لا ولد ولا غيره فان ذلك لا يكون الا للعجز ولم يكن له ولي اي ناصر اعم من ان يكون ذلك الناصر ولدا
او شريكا او غيره ثم قيده واصفا بقوله من الذل افهاما بان له اولياء جاد عليهم بالتقريب وجعلهم انصارا لدينه رحمة منه لهم
لا احتياجا منه اليهم وكبره عن ان يشاركه احد في شيء من الاشياء وعن كل ما يفهمه فاهم ويصفه به واصف والتكبير ابلغ لفظ للعرب
في معنى التعظيم والاجلال قاله ابو حيان قال واكد بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه اي فقال تكبيرا عن ان يدركه احد
كنه معرفته او يجهله احد من كل وجه بل احتجب سبحانه بكبريائه وجلاله فلا يعرف وتجلى باكرامه وكماله فلا ينكر فكان صريح اتصافه
بالحمد انه تعالى متصف بجميع صفات الكمال وصريح وصفه بنفي ما ذكر انه منزه عن شوائب النقص وانه اكبر من كل ما يخطر للعباد
المطبوعين على النقص المجبولين على غرائز العجز ولذلك وغيره من المعاني العظمى سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية آية العز كما
رواه الامام احمد عن سهل عن ابيه رضي الله عنهما وذلك عين ما افتتحت به السورة من التنزيه وزيادة والله الموفق بمنه وكرمه
تم الجزء الاول من المناسبات للامام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة الشيخ ابو الحسن ابرهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن ابي بكر
البقاعي الشافعي نفعنا الله به وبعلومه في الدنيا والآخرة ونقل من خطه وكان الفراغ منه في يوم الجمعة المبارك مستهل شهر
الحجة الحرام ختام عام سنة اربع وستين وتسعمائة على يد افقر الخلائق الى عفو الخالق علي بن علي بن محمد الجارحي القرافي
غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهما بالمغفرة ولكل المسلمين اجمعين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد كنز درك المنضود وبحر سرك المورود مركز نقطة حضرتك اللاهوتية وقطب افلاك دائرة
اسرارك الناسوتية سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ورضي الله عن كل الصحابة
اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

اي من قوله ولم يكن له الى آخره